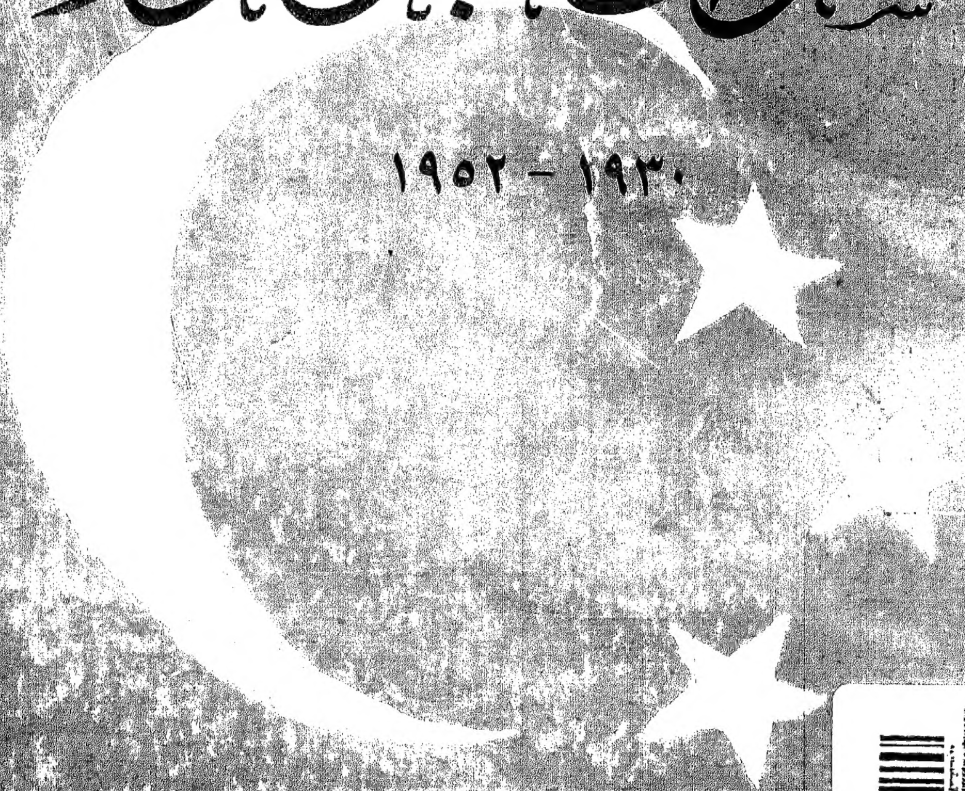
صبري أبو المجد

سنوات ما قبل الثورة

١٩٣٠ - ١٩٥٢







اهداءات ١٩٩٨

مؤسسة الاهرام للنشر والتوزيع

القاهرة

سنوات ما قبل الثورة

يناير ١٩٣٠ - ٢٣ يوليو ١٩٥٢

صبري أبو المجد



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٨٧

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــداء

الى أبنائي وبناتي شباب مصر ، نصــف الحاضر وكل المســتقبل الى ذخر مصر وفخرها وسدها الأعلى ، وحصنها الحصين وركنها المكين اليهم جميعا في كل زمان ، ومكان ، أهدى هذه الصفحات الصادقة والمشرقة من تاريخ مصر ، أمهم ، « وأم الدنيا » ..

صبرى أبو المجد

البـــاب الأول

الفصــــل الأول

مدخل تمهيدى عام إلى سنوات ما قبل الثورة

(من ١٨٨١ - ١٩٣٠)

لماذا أكتب هذه الصفحات من تاريخ مصر . وعن هذه الفترة (ينـــاير ١٩٣٠ . يوليو ١٩٥٢) بالذات ؟ .

وفى هذا الوقت بالذات ؟ ولماذا حرصت على أن أوليها ما أوليتها من جانبى ، من اهتمام ما بعده من اهتمام ؟ .

ولماذا أولتها الجماهير عندما نشرت بعض أجزاء منها فى « المصور » فى عامى ١٩٧٧ ، ١٩٧٨ ، أيضا كل هذا الاهتمام ؟ .

ثم لماذا اعتبرها خير ما قدمت من دراسات فى تاريخ حياتى كلهـــا بل اننى أعتبر هذه الصفحات أخطر وأهم ما قدمته لأولادى وبنـــاتى شباب مصر المستقلة الحرة صاحبة التاريخ المشرق . وصاحبة المستقبل الأكثر اشراقا بعون الله سبحانه وتعالى ؟ .

ولماذا طال ترددى ـ فى البداية ـ فى تقديمها فى هذه السلسلة من الكتب الشعبية والتى آمل أن تكون بين يدى كل مواطن مصرى . وكل مواطنة مصرية بل كل أخ عربى وأخت عربية فى شتى أرجاء الوطن العربى من المحيط الى الخليج بل فى كل مكان به من ينطق العربية ويؤمن بالعروبة ؟ وفى البداية لابد أن أذكر فضل الراحل العظيم عبد الرحمن الرافعى مؤرخ مصر الوطنى وأحد أقطاب الحزب الوطنى ـ حزب مصطفى كامل ومحمد فريد ـ والذى شجعنى منذ نعومة أظفارى على تذوق التاريخ المصرى . من ناحية ، والذى حملنى ـ كأستاذ ورائد ـ هذه المسئولية الضخمة .

فلقد كان ـ ولما أزل بعد طفلا صغيرا ـ يهدينى كتبـه الوطنية ويشرح لى ما خفى منها من ناحية .

ثم يعاوننى على أن أشارك فى الحركة الوطنية المصرية قدر استطاعتى ، ومنذ نشأتى الأولى من ناحية أخرى .

ولست بناس ما حييت أبدا يوم أن ذهبت اليه فى مكتبه بشارع عدلى باشا بالقاهرة بعد استقرار ثورة ٢٣ يوليو واعلان الجمهورية وسقوط أسرة محمد على ، أقول له : لقد أرخت للتاريخ الوطنى على نحو غير مسبوق ، بحيث كانت كتبك النافذة التى أطللنا منها على تاريخنا ، وخاصة الحديث منه .

ولا شك أنه كانت لديك معلومات تاريخية خطيرة لم تستطع أن تضمنها كتبك لأن الظروف التى كانت سائدة قبل الثورة ، ولأن القوانين السارية المفعول فى سنوات ما قبل تلك الثورة كانت تحول بينك وبين ذلك .

ثم ان هناك وثائق تاريخية هامة وخطيرة ، كانت محبوسة فى القصور الملكية أطلق سراحها بعد قيام الثورة ألا يدعوك كل ذلك الى اعادة النظر فى بعض ما كتبته ؟ .

واذا بالرجل الذى تميز بالوطنية الصادقة الأصيلة وبالتواضع الشديد الجم ، يقول لى فى صراحة القاضى العادل :

لقد أصدرت يابنى أحكاما فى هذه الكتب وليس من حقى أبدا أن أنقضها ، أو أعدل منها .

ولكن من حقك أنت وأنت تلميذى فى العمل الوطنى وفى كتابة التاريخ بل من واجبك الوطنى أن تستأنف هذه الأحكام بما توافر لديك من معلومات ووثائق وظروف مواتية جديدة .

القاضى لا يعدل من أحكامه ولا ينقضها وان كان يسعده أن يرى بعض أبنائه يقوم بتلك المهمة الوطنية .

وأنا أرشحك لا عن عاطفة خاصة ولكن عن ايمان بصدقك ووطنيتك للقيام بهذه المهمة » .

ومن ذلـك التاريخ بدأت أهيىء نفسى للقيـــام بهـذا الواجب الوطنى الكبير .

وكانت سنوات ما قبل الثورة قد تعرضت فى بدايات ثورة ١٩٥٢ لحملات عنيفة أريد بها تشويه تلك السنوات قدر الاستطاعة .

كان هناك بعض الكتاب والسياسيين الذين يمالئون السـلطة الجديدة وينافقونها .

وكان آخرون لاعتبارات خاصة ولدوافع شخصية وحزبيـة قد بدأوا يشوهون ما قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

وكأنما مصر لم تولد الا من ذلك التاريخ ٠

★★★

كتب أحدهم فى احدى المجلات المصرية ـ مجلة الاذاعة ـ يقول « ان ثورة ١٩١٩ ـ وهى الثورة الشعبية الأصيلة التى تأثر بها العالم وخاصة العالم النامى اذ كانت أول ثورة شعبية بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ـ من صنع الانجليز ٠

ومن صنع السلطان » ٠

... وما قامت تلك الثورة الا للنيل من سلطتيهما المطلقتين فى مصر : وراح آخر يتصيد بعض عبارات وردت فى مذكرات محمد فريد قام هو شخصيا بشطبها وعدم الاعتداد بها لأنها كانت وليدة معلومات خاطئة وردت اليه وهو فى المنفى ٠

هذه العبارات المشطوبة استخدمت للنيل من مصطفى كامل وشقيقه على فهمى كامل ٠

كما استخدمت عبارات أخرى كتبها محمد فريد وهو فى ظلمة المنفى وتحت ظروف قاسية ومريرة للطعن على طلعت حرب وشخصيات وطنية أخرى ٠

كما استخدم هذا البعض مذكرات وذكريات سيدة فرنسية معروف عنها أنها كانت تعمل فى خدمة المخابرات الفرنسية والانجليزية ، ومن بين مهامها الوظيفية تتبع كل من محمد فريد والخديوى عباس حلمى الثانى ، فى المنفى ٠

استخدمت تلك المذكرات والذكريات للاساءة الى محمد فريد أبرز القيادات المصرية الوطنية فى بدايات القرن العشرين ٠

وجدنا كتابات أيدلوجية أريد بها هز الوجدان المصرى والنظر الى كل الأحداث الوطنية الكبرى نظرة طبقية بحتة بينما الحركة الوطنية التى كانت قد قامت بمصر فى أعقاب الاحتلال البريطانى لمصر كانت من صنع جميع طبقات الشعب وفئاته ولم تكن أبدا قاصرة على طبقة معينة ٠

كما وجدنا كتابات أخرى لاعتبارات حزبية ضيقة الأفق تستهدف تصفية حسابات كانت قائمة بمصر أيام الأحزاب وقبل ثورة ١٩٥٢ ٠

وكانت النتيجة ـ اذا ما صدقنا كل ما قيل ، وكل ما كتب عن مصر قبل ثورة ١٩٥٢ ـ انها كانت تعيش فى ظلام العصور الوسطى أو ما هو أشد ٠

وأنه لم يكن بها شخصية واحدة سليمة من المطاعن لأن كل تلك الشخصيات قد وصمت بالضعف ، وجرحت وأهيل عليها تراب الظلم ، والاظلام ٠

ولاحساسى بخطورة هذا التأثير على الشعب ، وعلى تاريخه كنت أبادر بالرد على كل كتابة من هذا النوع بما يتيسر لدى من معلومات وبما تسمح به ظروف النشر التى كانت وقتذاك صعبة للغاية .

اذ كان الجو المسيطر على الصحافة وقتذاك يوحى بأن الشـورة ترحب بالهجوم ولا ترحب بالرد .

***

وللأمانة التاريخية أقول ان دار الهلال فى حدود امكاناتها قد فتحت لى الباب فى المصور وفى الهلال للرد على بعض تلك الحملات ولنشر بعض الصفحات المضيئة من تاريخ مصر .

وأذكر للتاريخ أن صاحبى دار الهلال اميل وشكرى زيدان قد سمحا لى كمحرر فى مجلة المصور أن أقضى أكثر من شهرين أجوب خلالهما الديار من أسوان الى الاسكندرية بحثا عن الشهداء الأحياء ممن شاركوا فى ثورة ١٩١٩ .

وربما كانت هذه الرحلة الشاقة المضنية من الناحية الجثمـانية والطيبة المريحة من الناحية النفسية ومن الناحية الروحية ، كانت أول فرصة أتيحت لى لدراسة تاريخ مصر فى فترة من أدق الفترات على الطبيعة .

كنت أجرى وراء الأحياء الذين شاركوا فى ثورة ١٩١٩ فأجد بالمصادفة البحتة من شاركوا فى ثورة ١٩٣٥ وفى بعض الأحيان من شاركوا فى ثورة ١٨٨١ « ثورة أحمد عرابى » .

وعندما لا أجد أحياء شاركوا فى تلك الثورات كنت أبحث عن أحفادهم الذين كانوا ـ أو كان بعضهم بمعنى أدق ـ لا يعرفون تاريخ آبائهم وأجدادهم وفى بعض الأحيان كنت أجد شخصيات لعبت أدوارا هامة فى التاريخ المصرى دون أن تكتشف ، أو دون أن يتذكرها أحد حتى بكلمة طيبة واحدة .

من تلك النماذج التى احنيت لها رأسى اجلالا وتعظيما ، أسعد مشرقى الذى شارك فى أحداث ديروط وحوكم وقضى عليه ـ فى ١٩١٩ ـ بالاعدام ثم خفف الحكم الى المؤبد .

وقضى حتى عام ١٩٣٦ فى السجن دون أن يشمله العفو الشامل الذى شمل كل العاملين فى الحقل الوطنى من ١٩١٩ حتى عام ١٩٣٦ !

وذلك بمناسبة معاهدة ١٩٣٦ .

ظل الرجل فى السجن حتى أكمل مدة عقوبته كاملة غير منقوصة حتى لم يفرج عنه بعد قضائه ثلاثة أرباع المدة كما هو المتبع فى كل سجون مصر .

سعيت للقاء هذا الرجل الذى انتهى به المطاف ليكون خفير كوبرى المعاهدة قرب ديروط بعد أن تعذر عليه - فور خروجه من السجن - العثور على عمل مناسب يضمن له الكفاف من الرزق .

***

وأحنيت رأسى - وأنا أقوم بتلك الرحلة التاريخية - اعجابا وتقديرا للرجل الذى شارك فى ثورة ١٩١٩ مشاركة فعلية .

وكان له يد فى أحداث ديروط وقام باحدى العمليات الفدائية التى أعقبت ثورة ١٩١٩ .

ودخل السجن لسنوات عديدة ، ولم يجد عملا اثر خروجه من السجن .

وظل كذلك عاطلا ومتعطلا عن العمل الى أن ألحقه ، أحمد ماهر ، عندما رأس الوزارة فى أكتوبر ١٩٤٤ ورأى - وهو الفدائى القديم ما حاق بأحد رفاق الطريق - عبد القادر شحاته - أن يلحقه باحدى الوظائف فى بنك التسليف الزراعى المصرى .

وقد سمعت من شحاته ومن مشرقى ومن مفتاح وغيرهم حقيقة أحداث ديروط وأسيوط وهى أبرز أحداث ثورة ١٩١٩ .

ومن كل من التقيت بهم فى تلك الرحلة استمعت الى اعترافات حقيقية ، كشفت الغموض ، عن كثير من تلك الأحداث التاريخيـة فالمعروف أنه عندما وقعت تلك الأحداث كان المتهمون ومن يتولون الدفاع عنهم يحرصون على انكار اشتراكهم أو اشتراك من يتولون الدفاع عنهم فى تلك الأحداث .

أما بعد أن تغيرت الأوضاع وسقطت كل ما سمى بالجرائم بمضى المدة فقد كان هؤلاء المشاركين يقولون الحقيقة .

على أننى لم أكن آخذ ما يقول به هؤلاء الاخوة على علاته فقد كنت أتحرى من صدق كل كلمة .

وأحاول أن أربط بين ما سمعته من هذا ، وذاك بما سمعته من هؤلاء وأولئك وبما هو موجود فى السجلات وفى دوسيهات القضايا .

الأمر الذى دعانى الى أن أكتب أكثر من مرة مطالبا باعادة كتابة التاريخ من جديد .

وكان لدى - ولا يزال - الكثير من البراهين والأدلة ، التى تقلب بعض الأحداث وتغير من وجهات النظر اليها .

وقد باشرت فعلا القيام بتلك المهمة فى قضيتين هامتين أولاهما حادث دنشواى ١٩٠٧ ·

وثانيهما اغتيـال السـير لى ستاك سردار الجيش المصرى والحاكم العام للسودان ·

راجعت فى كل من القضيتين . كل أوراق التحقيق ، كلمة كلمة ، كما راجعت كل مرافعات النيابة والدفاع سطرا سطرا ·

وعدت الى كل الصحف التى اهتمت بهاتين القضيتين ·

وخرجت فيما يتعلق بالقضية الأولى الى أنها كانت غضبة شعبية ولم تكن أبدا مجرد شرارة حرقت الجرن فأدت الى ما أدت اليه من قتل ، ومحاكمة ·

عبارة واحدة وردت على لسان أحد المتهمين فى قضية دنشواى دفعتنى الى الاتجاه الصحيح فى القضية ·

ذكر أحد المتهمين ، أنه فى العام السابق على أحداث دنشواى جاء بعض ضباط جيش الاحتلال لصيد الحمام ورأى بعض أبناء دنشواى أن فى مجيئهم الى قريتهم ما ينافى كبرياءهم الوطنى فأنذروهم بعـدم المجىء الى بلدهم مرة أخرى والا ···

أعدت القيادات الوطنية فى دنشواى العدة للتصدى لأى من جنود أو ضباط جيش الاحتلال اذا ما جاءوا الى قريتهم بحيث لا يعودون الى العاصمة الا وقد لحقت بهم غضبة أبناء دنشواى ·

★★★

وقد كان ما كان ، الأمر الذى أكد لى مع كثير من الأدلة والبراهين الأخرى أن حادثة دنشواى كانت فى الأصل غضـبة شـعبية على وجود المحتلين فى دنشواى : جاءوا لصيد الحمام ، فاصطادهم بعض أبناء دنشواى ·

أما فيما يتعلق بقضية مصرع السير لى ستاك فقد حدث أننى كنت من الناحية الصحفية أبحث عما تبقى من حادث اغتيال سردار الجيش المصرى وكنت أحرص على البحث عن أبناء وأحفاد الذين حوكموا فى قضية السردار ونفذ فيهم حكم الاعدام ·

وقد تعبت الى حد كبير فى العثور على أبنـاء ابراهيم موسى طيب الله ثـراه ·

وكان من القيادات العمالية الوطنية الثائرة الصلبة وقد بذلت معـــه كل الجهود ليعترف على زملائه فأبى ، بينما اعترف آخرون من حملة الشـــهادات العليـا ٠

فى ركن بعيد بعيد فى حى الشرابية بالقاهرة ٠

وفى احدى الحارات الضيقة وجدت ابن ابراهيم موسى وابنته ٠

وتوثقت بينى وبينهما صلات الود والحب الى الدرجة التى أشـــعرتهما ـ وأشعرتنى أنا كذلك ـ بأنهما اخوان لى ٠

وترددت على زيارتهما أكثر من مرة ، وفى احدى المرات قالت لى كريمة الفدائى الكبير ـ وكانت قد وثقت بى ثقة مطلقة ـ : « يوجـــد فى الصندرة [خزانة خشبية تقترب من السقف] كتاب ضخم لا أعرف ما به وقد ظل فى مكانه منذ أن أعدم والدى ٠

ورأيت أن أعطيك اياه لعلك تستفيد منه » ٠

وأحضرت سلما وأنزلت الكتاب الضخم لتعطينى اياه ٠

وكانت المفاجأة عندما تصفحته وأنا فى داخل التاكسى الذى أقلنى الى منزلى أن الكتاب أو ما توهمت ، ابنة ابراهيم موسى أنه كتاب ، ليس سوى محاضر التحقيق فى قضية السردار ٠

كما أن به ـ وهو يربو على ألف صفحة ـ كل اعترافات المتهمين المكتوبة والمنطوقة وتقارير البوليس السياسى وتقارير الأطباء ، وشهادات شهود النفى والاثبات ، كما أن به بعض تقارير وافية عن الحركات الفدائية المصرية منـذ نشأتها الأولى ونشاط كل المشاركين فيها وطرائقهم فى اغتيال الانجليز والأيمان التى كانوا يقسمون بها وخاصة تلك التى كانوا يؤدونها سرا بطبيعة الحال على قبر ابراهيم ناصف الوردانى قاتل بطرس غالى ٠

★★★

وأستطيع أن أقول ان هذا الملف ، وهو مطبوع « بالبالوظة » ـ أحدى الطرق التى كانت متبعة وقتذاك فى الطباعة ـ كان خير هدية أهديت لى اذ ظهر أنه لا يوجد مثل هذا الملف عند أحد من المحامين الذين شاركوا ـ وهم عمالقة المحامين المصريين ـ فى الدفاع عن المتهمين ، بل انه لا توجد من هذا الملف الا النسخة التى آلت الى

وقد ظللت طويلا أدرس هذا الملف وأستكمل دراستى عن الحادث من خلال أحاديثى مع بعض القيادات الوطنية التى شاركت فى العمل الفدائى وفى المقدمة شيخ فدائى الاسكندرية أحمد رمضان زيان رحمه الله والوزير السابق عبد العزيز على يرحمه الله ٠

وكان أبرز الفدائيين المصريين وكان فى نفس الوقت ، أكثرهم دهاء ومكرا حتى أنه لم يقبض عليه فى حالة تلبس ، وان قبض عليه عشرات المرات فى كثير من القضايا السياسية ، التى كان يخرج منها كما يقول كما تخرج الشعرة من العجين .

وكان عبد العزيز على ، وهو الموظف الكبير بمحافظة القاهرة يقوم ـ مثلا ـ بطبع المنشورات المعادية للانجليز ولنظام الحكم فى مبنى المحافظة ويستعمل أدوات وموظفى المحافظة فى توزيعها سرا .

من خلال معرفتى بمن تبقى من الفدائيين المصريين وخاصة ـ أيضا ـ الحاج أحمد جاد الله الذى كان عندما تعرفت به قد تجاوز الثمانين من العمر . وكان يفيض بشرا ، ويتمتع بأكبر قدر من روح الفكاهة التى أنقذته كما قال لى من كثير من المواقف الصغيرة .

والذى كان يمشى من شبرا الى الجيزة حيث حديقة الحيوان متأبطا ذراع زوجته المسنة مثله والتى كانت تحمل سلة تمتلىء بالبيض والسميط وكانا يجلسان على مقربة من باب حديقة الحيوان ليبيعا البيض والسميط للجمهور ، وليعطيا المسدسات والقنابل لزملائهما الفدائيين . حيث يقومون باغتيال بعض الشخصيات الانجليزية التى كانت تسكن على مقربة من حديقة الحيوان .

ثم يعودون اليهما بعد الانتهاء من عملهما ، ليعطوهما المسدسات .

ثم يعود الحاج جاد الله وزوجته الى حيث جاءا من حى شبرا دون أن يشك فيهما أحد .

من خلال تلك الصداقة والمعرفة عرفت الكثير الكثير من الأسرار السياسية .

وعندما بدأت أنشر بعض ما سمح المقام بنشره توافد على كثير من الجنود المجهولين الذين شاركوا فى ثورة ١٩١٩ ، وما قبلها وما بعدها من ثورات وانتفاضات .

***

وكان فى مقدمة من أفادنى الى حد كبير سيد باشا ـ وباشا هذا لقب لا رتبة والذى كان أحد زعماء الطلبة فى ثورة ١٩١٩ .

وكانت مهمته الرئيسية اصدار صحيفة الطلبة ـ وهى نشرة سرية ـ وكذلك النشرات الثورية .

وكانت لديه ولدى زملائه مطبعة يدوية صغيرة يقومون بنقلها سرا كل

ليلة من مكان الى آخر على عربة كارو ويشترك صاحبهـا معهم فى عملهم الفدائى .

وعن طريق سيد باشا تعرفت الى بعض زعماء الطلبة فى سنة ١٩١٩ ممن كانوا يباشرون العمل السرى قبل وبعد ثورة ١٩١٩ .

***

وقد أفادنى الى حد كبير الحاج أحمد رمضان زيان شيخ فدائى الاسكندرية الذى دفع إلى بثلاث كراسات تشمل مذكرات وذكريات عن العمل الفدائى فى القاهرة وفى الاسكندرية وتتضمن نبذا شافية وافية عن كل الذين اشتركوا فى العمل الفدائى ومن بينهم كثير من ضـباط الجيش والبوليس ومن بينهم من أصبحوا فيما بعد وزراء ورؤساء وزارات .

وعن طريق أحمد رمضان زيان التقيت بالبقية الباقية من العاملين فى الحقل الوطنى بالاسكندرية ومن بينهم ياقوت السهوى ، عبد الله حسـن عوض ، سليمان حافظ .

وقد أفادتنى مذكرات أحمد رمضان زيان ، كما أفادتنى مذكرات عبد العزيز على الى حد كبير جعلتنى على معرفة تامة بكثير من الأحداث الوطنية التى وقعت بمصر منذ ١٩١٠ حتى ١٩٤٤ .

وأحمد رمضان زيان هـذا كان تاجرا وله محله فى سوق الليمـون بالاسكندرية .

وعندما قبل أستاذنا عبد الرحمن الرافعى الحكم وتولى وزارة التموين فى وزارة حسين سرى باشا (الثالثة) ٢٥ يوليو — ٣ نوفمبر ١٩٤٩ بعد أن اعتقد أن اضراب الحزب الوطنى عن المشاركة فى الحكم لم يعد له ما يبرره بعد أن آمنت البلاد شعبا وحكومة بمبدأ الجلاء ، ووحدة وادى النيل .

وحدث أن زار عبد الرحمن الرافعى محل رمضان زيان .

وكانت زيارة وزير التموين لهذا المحل عملا فريدا فى بابه وكان يمكن لصاحب هذا المحل أن يستغل زيارة الوزير له فى محله استغلالا هائلا .

غير أن أحمد رمضان زيان — وقد روى لى أستاذنا عبد الرحمن الرافعى هذه الواقعة قبل أن يرويها أحمد رمضان زيان نفسه بوقت غير قصير — فاجأ الوزير بقوله : ألم نكن قد اتفقنا على الاضراب عن المشاركة فى الحكم حتى يخرج الانجليز عن مصر ؟ .

وعندما حاول الوزير — وهو صديقه الصدوق الذى كان يقضى معظم أوقات فصل الصيف فى محله — تبرير موقفه رفض أحمـد رمضان زيان هذا التبرير حتى لقد غضب الوزير عبد الرحمن الرافعى وانصرف دون أن يشرب القهوة التى قدمت له .

على أن عملية مدى بالكثير من الأوراق القديمـــة والمذكرات والذكريات والصور التاريخية لم تتوقف عند حد أولئـك الذين تعرفت اليهم عن طريق العلاقات الشخصية التي تربطني ببعض العاملين في الحقل الوطني ، أو عن طريق أبنائهم ، وأحفادهم وحسب .

وكانت هوايتي للبحث عن التاريخ وأبطاله قد شاعت وذاعت في الأوساط السياسية فاذا بالكثيرين يتطوعون لمدى بما لديهم من أوراق ومذكرات وذكريات وصور تاريخية ، كان أولاها وأهمها ما جاءني عن طريق أستاذي عبد الرحمن الرافعي :

كنت قد عشقت أمين الرافعي الذي لم أعرفه وتأثرت به الى حد كبير وكانت أول كلمة لي نشرتها الأهرام في صفحتها الأولى عنه .

وكنت باستمرار أكتب عنه في ذكراه وأقيم الحفلات الوطنية لتأبينه منذ أن كنت في الثالثة عشرة من عمري .

أفضيت اليه ذات يوم ، وكنت قد شببت عن الطوق وأصبحت صحفيا ينتخبه الصحفيون كل عام وعضوا بمجلس ادارة نقابتهم ويختاره المجلس كل عام ؛ ولأكثر من عشر سنوات سكرتيرا عاما ، لنقابتهم بل يختاره الصحفيون العرب في كل أرجاء العالم العربي أمينا عاما لاتحادهم لفترة تزيد عن اثني عشر عاما .

أفضيت اليه برغبتي في أن أكتب عن أمين الرافعي مؤرخا لحياته .

وترقرقت الدموع في عيني الرجل وهو يقول : انه لم يكن أخا شقيقا وحسب ولكنه كان رفيق طريق .

***

وبالرغم من أنني أرخت للزعيمين مصطفى كامل ومحمد فريد ، وكان واجبا على أن أؤرخ لثالثهما أمين الرافعي الا أنني خشيت أن يقال شقيق يؤرخ لشقيقه فأوقعت الظلم به : ولو لم يكن شقيقا لي لأصدرت كتابا عنه على غرار كتابي عن مصطفى كامل ومحمد فريد .

واني لسعيد كل السعادة أن أرى ابني ، وابن أمين الرافعي يتصـــدى للكتابة عنه .

ويقوم بالواجب الذي حرمني حيائي وخجلي من القيام به » .

ولم أكد أعود الى مكتبي في نقابة الصحفيين حتى أنبئت ان سائق عربة نقل يسأل عني .

وعندما ذهبت اليه أخبرني أنه قادم من منزل عبد الرحمن بك الرافعي وأن حمولة هذه السيارة هدية منه لى ٠

وكانت تحمل الكثير . الكثير من الكنـــوز التاريخية التى خلفهـــا أمين الرافعى : الى جانب الكتب والمجلدات والدوريات التى صدرت قبل أن أولد ٠

كانت مئات الرسائل الخاصة التى خلفها أمين الرافعى : وكان الرجل دقيقا للغاية . فعندما كان يرسل خطابا الى أى من المعاصرين له كان يحتفظ بصورة مما أرسله له ٠

وكان عندما يبعث بخطاب مسجل الى جهـــة ما كان يحتفظ بالايصال الخاص بذلك الخطاب ٠

وكان يحتفظ بأصول المقالات التى تصل اليه من السياسيين والقراء ثم لم تنشر لسبب أو لآخر على أساس أن أصحاب هذه الرسائل عنـــدما بعثوا بمقالاتهم ، أو آرائهم للنشر ، قد أخرجوا تلك المقالات والرسـائل من دائرة الخصوصية الى الدائرة « العمومية » ٠

بل كان الرجل يحتفظ ببطاقات الدعوة التى كانت تصل اليه من رئاسة الحكومة ، ومن الوزراء ، ومن الشخصيات العامة للمشاركة فى المناسبات ٠

وبالجملة فان ما خلفه أمين الرافعى من أوراق ووثائق تعتبر ثروة قومية ووطنية لا تقدر بمال ٠

★★★

وكانت قد توطدت صلتى بالأستاذ عبد الخالق فريد نجل الزعيم الوطنى محمد فريد عندما كان رئيسا للنيابة فى بنى سويف ٠

وكنت قد ذهبت اليه لكى يتحدث معى عن والده بمناسبة ذكراه ٠

ولم أبذل فى حياتى جهدا شاقا ومضنيا كذلك الجهـــد الذى بذلته مع عبد الخالق فريد لكى يفتح فمه ٠

كان الرجل قد أصيب بحالة من اليـأس والقنـوط لما آلت اليه أمور بلده ٠

وكان قد أصيب فى نفس الوقت بحالة من الاكتئاب لأن الشعب لم يقدر تماما تضحيات والده ، وكان ٠٠٠ وكان ٠٠٠

وبالكثير من الاصرار ، وبكثير من الزيارات الى بنى ســويف ــ وكما أوضحت فى مقدمة كتابى عن محمد فريد ــ بدأ الرجل يرتاح لى ويطلعنى على بعض مذكرات والده ٠

كان يعطيني ـ وكانت هذه أول مرة يسمح فيها الرجل لانسان ما ، بعد عبد الرحمن الرافعي ـ بالاطلاع على مذكرات والده ·

كان يعطيني كراسة من كراسات مذكرات والده . لأدرســـها ، في القاهرة ·

ثم أعود اليه بعد أسبوعين أو ثلاثة ليعطيني أخرى ·

ثم توثقت بيننا العلاقات الى حد كبير عندما نقل الى القاهرة وعندما بدأت أكتب عن والده ·

ولم يكن يمضي أسبوع واحد دون أن أراه ·

وعندما اقتربت الذكرى الخمسين لوفاته تعاونا معا على العمل للاحتفـال بمرور ٥٠ سنة على وفاة محمـــد فريد في ١٥ نوفمبر ١٩٦٩ على المستويين الشعبي والحكومي ·

***

وأذكر أنه في ١٩٦٩/٢/٢١ ـ وكان بالاسكندرية ـ بعث الى برسالة يقول فيها : « لقد اقتربت الذكرى الخمسين لوفاة الوالد ، ويجدر بمحبيه وأنت منهم ولا أستطيع أن أقول أولهم ولكنك من أوائلهم ، أن تمهدوا للاحتفال بتلك الذكرى » ·

وبدأت أعد لهذه الذكرى بما أملك من جهود وامكانات فنظمت ندوات عن محمد فريد ·

ورغم وجودي بدار الهلال منذ عام ١٩٤٦ لقيت الأمرين في نشر كتابي عن محمد فريد ·

وكان المشرفون على اصدار الكتب في دار الهلال وقتئذ يعارضون في اصدار كتاب عن محمد فريد في عام ١٩٦٩ ، فمن الذى يقرأ عن محمد فريد ؟

وفي النهاية وافقوا مضطرين ـ ومجاملة لى لا أكثر ولا أقل ـ على نشر كتابي ضمن سلسلة كتاب الهلال « محمد فريد مذكرات وذكريات » ·

وكانت المفاجأة لهم ، أن « بيع » من هذا الكتاب مالم يسبق بيعه من أى كتاب آخر في هذه السلسلة ·

وكان صدور هذا الكتاب وقتئذ ، أشبه ما يكون بظهور الفاكهة في غير أوانها ، اذ تلقفته الجماهير بحماس منقطع النظير ، ولعل في مقدمة ما أسعدني ، في أعقاب ظهور الكتاب رسالة تلقيتها من قارىء بالزقازيق خشي ـ للظروف القائمة وقتذاك ـ أن يذكر اسمه ·

وقد جاء في تلك الرسالة :

الأستاذ صبرى أبو المجد تحية طيبة ، قرأت كتابك عن محمد فريد وقد أعجبت به الى درجة كبيرة ، ولكن لى هناك ملاحظة واحدة فى باب « بداية حياة » بدأت بكلمة من الميثاق : أريد أن أسأل الأستاذ صبرى أبو المجد ما هو الميثاق ؟ ·

وما هو فائدته فى هذا البلد ؟ ·

ولماذا عندما يكتب الكتاب فى بلادنا فى أى موضوع سياسى أو تاريخى ينقلون فقرات من الميثاق أو يشيرون الى الميثاق ؟هل أفاد الميثاق هذا البلد شيئا ؟ ربما يكون الميثاق مكتوبا بطريقة حسنة ولكن الذى يحس به الشعب يا سيدى بأنه حبر على ورق ·

وأعجبنى بأنك لم تذكر شيئا عن ····

(وأستسمح القارىء فى عدم ذكر الأسماء ولا الأحداث التى أشار اليها كاتب الرسالة حتى لا أضمن دراساتى ألفاظا لا يرتضيها الذوق السليم) ·

ويقول كاتب الرسالة : لقد عرضت كفاح الزعيم فريد بطريقة قيمة وكأن فيه الدعوة الصريحة لهذا الجيل الى التمسك بمبادىء هذا الرجل والسير فى الطريق الذى سلكه ·

وتكلمت كثيرا عن الدستور والجلاء ·

وكان كلامك عن الدستور رائعا ·

وكان هناك بين السطور ما يوحى الى الشعب بكثير من المعانى التى لا يجرؤ أحد فى الكتابة عنها فى هذه الأيام تلبية لتعليمات الحكام الحاليين وهذه خطوة عظيمة أشكرك عليها ·

***

ثم أريد أن أسأل الأستاذ صبرى أبو المجد ، أين دور الصحافة فى بلادنا فى هذه الأيام ؟ ان هذا البلد يئن تحت وطأة الذل والمهانة ·

والحكم الفردى المستبد يسيطر عليه من جميع أركانه · أين الصحافة الحرة وأين الأحرار من الصحفيين ؟ ·

سيدى لابد من وجود رواد يقولون كلمة الحق ويتحملون فى ذلك الكثير ·

ولابد من وجود أقلام حرة نزيهة تقول الحق ولا تخشى لومة لائم ·

لقد اشتريت الكتاب لا لاسم المؤلف ولكن لاسم محمد فريد ·

وقرأت الكتاب وأنا لا أعرف شيئا عن صبرى أبو المجد . وكان غرضى أن أعرف الكثير عن محمد فريد ، فعرفت ، محمد فريد ، وعرفت صـــبرى أبو المجد وأصبح اسمه فى ذهنى تماما مثل اسم محمـــد فريد لماذا ؟ لأننى أحسست بأنك صادق الوطنية وبأنك تريد أن تعلم هذا الشعب المعانى الجميلة التى كان يحمل لواءها محمد فريد .

ويمضى صاحب الرسالة قائلا :

لقد كان كتابك التعبير عن الرأى ولكن فى شخص محمد فريد بل فى تاريخ مصر فى هذه الفترة وهو أضعف الايمان .

أتعشم أن تكون فهمت ما أقصد اليه فأنا لم أتعود على الكتابة من قبل الى كتاب مصر وصحفييها : ان بلدنا تمر الآن [١٩٦٩] بمحنة أكبر من المحنة التى كانت أمام المرحوم محمد فريد فقد كانت حرية الرأى فى أيام محمد فريد أكثر ألف مرة من حرية الرأى فى هذه الأيام .

لقد كانت حرية الرأى منذ خمسين سنة أكثر منها بل أضعاف أضعاف مما هى عليه فى هذه الأيام .

ان الكلمة الصادقة أكثر نفعا وأكثر قيمة وصدى من المدفع .

نحن فى حاجة الى كتاب يكتبون لنا التاريخ الوطنى لمصر ويكتبون لنا عن الديمقراطية والدستور وهذه المعانى الجميلة التى تعطى للانسان كرامته : لقد نسي الشعب هذه المعانى ولا يعرف عنها شيئا الآن .

شكرا يا سيدى الأستاذ على كتابك هذا وفى انتظار المزيد .

(مواطن »

واذا كنت قد حرصت على نشر تلك الرسالة التى احتفظت بها ضـــمن أعز ما أملك رغم اختلافى مع كاتبهـــا فى بعض آرائه الا أن هدفى من نشر الرسالة بنصها وفصها فيما عدا ما أسقطته من بعض الأسماء وبعض الأحداث ، هو اعطاء صورة حقيقية غير مزيفة لرأى مواطن مصرى خشى أن يذكر اسمه فى خطاب خاص خشية أن يقع فى أيدى الآخرين فيناله الأذى .

كما أننى استهدفت أيضا ــ من نشر الرسالة ــ اعطاء صورة صادقة لصدى نشر كتاب عن محمد فريد فى تلك الأيام ، التى لم يكن أحد فيها يحتفى بمثل تلك الشخصيات الوطنية البارزة .

وأعددت جزءا خاصا عن محمد فريد لينشر فى المصور فى مناسبة مرور ٥٠ سنة على وفاة محمد فريد ولكننى فوجئت بحجز ثمانى صفحات لموضـــوع

ورد من باريس بعثت به الزميلة درية عونى وكانت مراسلة المصور هناك ٠

وهو عبارة عن حديث مع مدام روشبرون التى ادعت أنها كانت زوجة لمحمد فريد ٠

وقاومت ــ جهد الاستطاعة ــ نشر هذا الحديث لأنه فى رأيى ضار بسمعة محمد فريد ٠

وأنه لا يليق بنا ونحن نكرم رجلا فى مناسبة مرور نصف قرن على وفاته . أن نسىء اليه فى تلك الذكرى ٠

وتيقنت أنه لابد من أن ينشر هذا الحديث اذا أريد نشر الجزء كله بل قيل لى أننى اذا اعترضت على نشر هذا الحديث ، وأصررت على الاعتراض فقد لا ينشر ما أعددته ، وينشر الحديث ٠

وظللت فى صراع نفسى أكثر من ثمان وأربعين ساعة استخدمت فيها كل ما أملك من أسلحة للحيلولة دون نشر هذا الحديث ،

وكل ما استطعت الوصول اليه بعد مباحثات شاقة وعنيفة أن يختصر الحديث الى ست صفحات ، وأن أتولى بنفسى مراجعة بعض ما جاء فيه مراجعة لا تمس جوهره بأى حال من الأحوال ٠

ووازنت بين نشر جزء عن محمد فريد وبه حديث يسىء الى محمد فريد وبين عدم نشر هذا الجزء اطلاقا ، وامكانية نشر الحديث فى هذا الجزء : وفى النهاية رأيتنى مضطرا الى قبول الأمر الواقع خاصـــة وقد عرفت أنهم كانوا ــ فى المصور ــ يخشون الاتهام بأنهم حزبيون ، أو يمجدون شخصيات حزبية قديمة فى وقت كان الحديث فيه عن الحزبية وقادة الأحزاب القديمة من الأمور المحرمة ، أو شبه المحرمة ! ٠

★★★

وصدر المصور يوم ١٤ نوفمبر ١٩٦٩ وبه جزء خاص فى ٣٢ صفحة عن محمد فريد تصدرته عبارة قالها محمد فريد ــ وقد اخترتها من كلماته المأثورة ــ « ان ما تسلبنا اياه الشدة ترده لنا المثابرة ، أما ما نتنازل عنه طائعين فانه يضيع ونفقده الى الأبد ، اننا نعرف كيف نصبر على المكاره ولكننا لا نعرف التسليم لأعدائنا ولا التنازل عن مطالبنا » ٠

وكانت المقدمة كلمة للأستاذ أحمد بهاء الدين ــ وكان وقتئذ رئيسا لتحرير المصور ــ الى جانب فكرى أباظة الذى لم يطلب منه الاشتراك فى هذا الجزء رغم أنه من قدامى تلاميذ محمد فريد ٠

قال الأستاذ أحمد بهاء الدين : ان الشعوب الحية لابد وأن تكون لها ذاكرة طويلة يقظة حادة ·

ما يمر من تاريخها لا يطويه النسيان ولايدفنه التراث لأن من هذا التاريخ يستمد الشعب جذوره ويستخلص دروسه ويستنفر فضائله ·

وليس معنى ذلك أن يكون التاريخ مقدسا : انهم لا يستحضرونه لكي يصلوا في محرابه ، انما يستحضرونه لمناقشته وتحليله وتقييمه تقييما نقديا متجددا فهذا هو المهم ·

★★★

وهذا هو معنى أن يكون التاريخ خلاقا ·

ومحمد فريد نمـــوذج فذ للرجل الذى أعطى بلاده كل شيء بلا حساب أعطاها كل ما ورث من مال عريض وأعطاها صحته فمات معدما ، لم يكد يبرح الخامسة والخمسين ، وأعطانا شيئا أهم : انه هتف فى أذن بلاده بكل صيحات العصر : الاستقلال الوطنى ، الديمقراطية ، الدستور ، النقابات العمالية ، محو الأمية ، الجمعيات التعاونية ، المؤتمرات الدولية ، للحركات الاشتراكية ؛ وحركات السلام العالمى ثم ماذا نقول ، اعتذارا عن تقديم هذه الجولة البسيطة فى حياة فريد وأوراقه ورسائله ؟ هل نسوق عتابا جديدا الى كافة الهيئـــات ذات الاختصاص بالتاريخ المصرى وتراثه التى نشعر ــ بعد ــ أنها ــ حقا ــ لا تؤدى رسالتها فى بعث تاريخ هذا الشعب : التاريخ الذى يستمد منه الشعب جذوره ويستنفر فضائله :

أما حديث روشبرون فكان بعنوان : أول حديث صحفى مع صديقة محمد فريد الفرنسية : عزيزة دى روشـــبرون ، التى لعبت دورا هاما فى الحركة الوطنية ·

وكانت قد تعبت كثيرا ، فى تغيير العنــوان من أول حديث صحفى مع « زوجة » محمد فريد الى صديقة محمد فريد ·

وكانت أولى المغالطات التى وردت فى هذا الحديث ، أن محمد فريد قد راجع مذكراتها ، بينما أكد محمد فريد فى مذكراته أنه كان يعرف جيدا أن مدام روشبرون هذه كانت جاسوسة للخديو عليه وأن ــ الخديو ــ كان ينقدها ثلاثين جنيها كل شهر لكى تتجسس عليه ·

ثانى تلك المغالطات قول مدام روشبرون ان محمـــد فريد لم يكن عنده الاستعداد الفطرى للتنظيمات السرية ، بينما الواقع يكذب هذا الادعاء فقد

كانت معظم الجمعيات السرية التى كانت قد قامت فى مصر قبل وأثناء الحرب العالمية الأولى على علاقة وثيقة بمحمد فريد ٠

وكان سكرتيره الشخصى خليل مدكور يقوم وبعض الضباط السابقين بتدريب بعض شباب هذه الجمعيات على استعمال السلاح فى بعض الأماكن النائية من جبال الألب وكان يهديهم المسدسات فى صورة ساعات ! ٠

★★★

وقد أوليت فى هذا الجزء أهمية بالغة للمخطابات السرية لمحمد فريد ٠

وكان من بين هذه الخطابات التى نشرت لأول مرة خطاب الى محمد بدر من قيادات الحركة الوطنية المصرية يوصيه بالاهتمام بالدعاية للقضية الوطنية ٠

ويوجهه الى بذل المال لتدعيم الجمعيات الاسلامية التى تقوم بالرد على الصحف الانجليزية والصحف الفرنسية المناوئة للحركة الوطنية المصرية ٠

ومن تلك الرسائل أيضا رسالة بعث بها الى عبد الرحمن الرافعى يقول فيها : كنا معتادين على مساعدة جريدة ايجبت التى تصدر بلندن بمائتى جنيه سنويا ٠

ودفعناها تماما فى سنة ١٩١١ ودفعنا جزءا منها فى أوائل عام ١٩١٢ وهو ٤٠ جنيها فقط ٠

وقام مستر بلنت واخوانه بمصروفاتها الى آخر عدد منها وصلنى صباح اليوم ـ بمساعدة بعض الطلبة فى انجلترا ـ واليوم كتب لى المستر بلنت بعدم امكان اللجنة القيام بنشر المجلة مالم ندفع لها اعانة سنوية قدرها مائتا جنيه ٠

وفى نظرى أن بقاء هذه المجلة فى عالم الوجود ضرورى لنا الآن خصوصا وقد أصبحنا بلا لسان يعبر عن أفكارنا فى مصر الا الشعب ٠

وطبعا هو قصير العمر مادامت الوزارة الحالية موجودة ٠

فأرجو التكلم فى هـذه المسألة مع الاخـوان لجمع هذا المبـلغ ولو على قسطين يدفع الأول فى شهر يناير ١٩١٣ ٠

والثانى فى ابريل مثلا ٠

لأنه لا يصعب على الأمة التى تجود بمئات الألوف من الجنيهات أن تبخل بمائتى جنيه فقط على مثل هذا العمل المفيد ٠

★★★

ومن بين تلك الرسائل أيضا رسالة بعث بها محمد فريد الى اسماعيل لبيب بك فى ١٨ يونيو ١٩١٩ أى قبل وفاته بحوالى خمسة أشهر يقول فيها : حضرت الليلة هنا والمكان جميل والأكل مستوفى ولكننى لم أدفع الأجرة ريثما أقابل الطبيب باكر ·

هذا وقد كاتبت البنك فى بال (سويسره) بزيادة السلفة وعرضت عليه ما بقى عندى من أوراق بدون رهن ·

وأملى أن يجيب الطلب ولكن من باب الاحتياط أردت اخبارك من الآن حتى تتكلم مع على بك الشمسى وتحضر الى ولو ثلاثمائة فرنك فى مسافة ثمانية أيام تكون تحت أمرى لارسالها تلغرافيا لدفع كشف الأسبوع (الفندق) وأجرة الطبيب اذا تأخر البنك عن الارسال الى ذلك التاريخ »

***

وربما كان من آخر الرسائل التى كتبها فريد والتى حصلت عليها من ابنه عبد الخالق فريد تلك التى بعث بها الى عبد اللطيف الصوفانى بك ـ أحد أقطاب الحزب الوطنى ـ فى ١٢ سبتمبر ١٩١٩ والتى قال فيها :

هناك مسألة هامة جدا تستـــدعى عناية اللجنة على العمـــوم وعنايتك الشخصية على الخصوص وهى مسألة تدبير المال اللازم للاســـتمرار على نشر مجلتنا الصغيرة التى أنشرها من أبريل الماضى ولكن بلا انتظام ، نظرا لنضوب المال كلية ·· يلزمنى هنا لاستمرار حركة النشر بانتظام مبلغ لا يقل عن ألف فرنك شهريا بخلاف ما يلزم لمصروفى الشخصى وأنتم تعلمون أن حالة عائلتى أصبحت لا تسمح لها بمساعدتى ولا يغرب عن فكركم غلاء المعيشة بأوروبا حتى فى سويسرا أصبحت جنيف غير ما كانت عليه قبل الحرب ، فبالنسبة لاقتصادى المعروف أرى ألف جنيه أو ثمانمائة جنيه على الأقل سنويا تكفينى لنفسى ولأعمالى انما يحسن جمعها وارسالها فى موسم القطن أى فى بحر هذا الشهر لأن حالتى المالية أصبحت سيئة جدا بسبب مرضى وكثرة انتقالى من بلد لأخرى تبعا لاشارة الأطباء · لذلك أكرر طلب ارسال عشرين ألف فرنك فورا على الأقل نصف هذا المبلغ تلغرافيا بمجرد وصول هذا اليكم لأدفع ما على من الديون وهى تزيد على خمسة آلاف فرنك وتزيد يوميا ·· والا يهمل هذا الطلب كما أهمل طلب رفيق أفندى الذى أصبحت حالته أتعس من حالتى وبهذه المناسبة أقول أن تصرفاتكم معه وتركه بلا نقود بعد ما قام به من الخدمة الجليلة فى ايطاليا مما لا يقبل أدنى تبرير مطلقا · على أن الفرصة مازالت سانحة لخدمة المســـألة المصرية فى ايطاليا أثناء مناقشة مجلس نوابها فى معاهدة الصلح ولو أرسلتم له المال الكافى لأمكنه القيام بحركة أكثر مما قام به الوفد المصرى ، فى أمريكا بواسطة وكيل أمريكى فعجلوا بارسال المال فى أقرب وقت وبأى طريقة حتى

لا تضيع الفرصة » . وينهى محمـــد فريد خطابه بقوله : هـــذا ما أكرره وألح فى طلبه والا فقبض اليد عن خدام الأمة الحقيقيين خصوصا فى مثل هذه الظروف يكون جريمة عظمى ، لا تغتفر وأملى أن يصلنى الرد (نقدا لا كلاما) بالتلغراف بعد عشرة أيام من تاريخ هذا على الأكثر » .

★★★

ـ ومن بين موضوعات ذلك الجزء ما كتبه عبد الخالق فريد عن والده كما عرفه من خلال رسائله اليه والى الأسرة .

من بين رسائل فريد الى الأسرة وكانت زوجته قد بعثت اليه تستشيره فى بيع ما تبقى من المنقولات .

وكان الرد فى ١٠ أبريل ١٩١٤ . أما بيع العفش فلا أوافق عليه لأنه لا يعوض ولأنه لازم لاعطاء ابنتى فايقه ما يلزمها منه عند زواجها فلا تفكروا فى بيعه مطلقا .

ان بعد العسر يسرا » .

وكان من بين ما كتبه عبد الخالق فريد انه استدعى ولما يكن قد تجاوز الثانية عشرة من عمره للذهاب الى محطة مصر ليحيى جثمان والده وهو فى تابوته بقسم الأمانات بالمحطة تمهيدا لتشييع جنـــازته من المحطة الى المدافن بالسيدة نفيسة .

ويقول عبد الخالق فريد أيضا ان أمه (القديسة) ـ كما كان يسميها ـ واصلت الحياة بعد هجرة والدى وعجزت أن تدفع له مصروفات المدرسة « بعد أن باعت ـ رحمها الله ـ كل ما تملك حتى بروش من الماس كان عزيزا عليها وأعطته لوالدى لبيعه والانفاق منه على الاحتفال بذكرى مصطفى كامل » .

ويمضى عبد الخالق فريد قائلا : بعد أن عجزت والدتى عن دفع مصروفاتى المدرسية اتصل ناظر المدرسة المرحوم عبد الحميد الشربينى بوزارة المعـــارف على ماهر الذى وافق ـ مشكورا ـ على أن أتعلم بالمجان فى المرحلة الثانوية وفى الجامعة » .

وقال عبد الخالق فريد ضمن ما قاله : امتد شقاؤنا بعد وفاة والدى ولكننا كافحنا كفاحا مريرا ضد الفقر والعوز وضد تجاهل بعض أقاربنا لنا » .

وقد احتفظت ببقية مقال عبد الخالق فريد عن والده اذ لم يتيسر لنا فى هذا الجزء الخاص بوالده الا نشر مقتطفات منه على صفحتين فقط .

★★★

وكان الأستاذ فتحي رضوان قد كتب صورة قلمية عن محمد فريد ·

وكتب ـ في نفس الجزء الخاص ـ الأستاذ أمين عز الدين عن محمد فريد صديق الطبقة العاملة ·

وكان آرثر جولد شميت ـ وكان وقتذاك أستاذا مســاعدا للتاريخ في جامعة بنسلفانيا ويعد رسالة الدكتوراه عن الحزب الوطني ومحمد فريد ـ قد كتب عن « محمد فريد في نظر مؤرخ أجنبي » ·

وقد حرصت في هذا الجزء على أن أحلل العلاقة بين فريد وبين الخـديو عباس على ضوء أوراق سرية نشرتها وقتذاك للمرة الأولى ·

وانتهيت من هذا التحليل الى أن محمد فريد والخديو عباس حلمي الثاني كانا عدوين لدودين في كثير من الأحيان وكانا حليفين يحذر كل منهما الآخر في بعض الأحيان ·

مرة تقوى العلاقات بينهما وتشتد . ومرة تتراخى وتضعف أو تتلاشى ·

ترمومتر العداد ، يرتفع ، وينخفض باستمرار ·

***

ومن خلال أكثر من ٥٠٠ خطاب سري لمصطفى كامل ومحمد فريد وعلي فهمي كامل وأحمد وفيق والشيخ عبد العزيز جاويش وعبد الملك حمزة ، وأحمد حلمي ، المحرر الأول باللواء ، ومحمود فهمي سكرتير الحزب الوطني وعبد اللطيف الصوفاني وعبد الرحمن الرافعي ، ومجد الدين حفني ناصف وغيرهم وغيرهم حاولت التأريخ لمصر خلال الفترة من ١٦ أكتوبر ١٨٨٦ حتى ١٥ نوفمبر ١٩١٩ : أزحت الستار في هذا التحليل عن كثير من أسرار الحركة الوطنية ·

ومن بين ما جاء في تلك الرسائل رسالة من مصطفى كامل الى محمــد فريد ـ في ١٩ أغسطس ١٨٩٨ يطلب منه أن يرسل له بواسطة بنك الكريدي ألف فرنك : مهمـا كلفك الأمر ، حتى لا أضــع نفسي ـ مصـطفى كامل ـ في موضع حرج ولولا انك ـ محمد فريد ـ مني مكان الأخ الشقيق ما كلفتك بذلك مع علمي بأنك ربما استلفت أو تصرفت في مال أبيك » ·

ورسالة أخرى من مصطفى كامل الى محمد فريد [٢٦ نوفمبر ١٩٠٦] يطلب فيها أن يضمن فريد شقيقه علي فهمي كامل بك في بنك سالونيك في فتح حساب خصوصي بمبلغ ألف وخمسمائة جنيه مصري ·

« وأنا ـ مصطفى كامل ـ متعهد لك بكل ما يخص هذه الضمانة وما يتعلق بها وضامن لشقيقي في كل ما تضمنه فيه » ·

رسالة أخرى من على فهمى كامل الى محمـــد فريد [٢٢ مايو ١٩٠٨] يقول فيها : ان اللجنة الادارية للحزب الوطنى ــ فى غياب فريد ــ قررت شكر المصادر المالية فى فرنسا لأنها اكتتبت بأربعة ملايين من الجنيهات فى أســهم البنك العقارى وان مسألة ضم ليتندار اجيبسيان وذى اجبسيان ستاندرد الى شركة اللواء قد تأجلت الى حين عودة فريد الى مصر من الخارج مكتفين بعمـــل اكتتاب بين أعضاء الحزب الوطنى ، لضمان حياة الجريدتين مدة ثلاثة أشهر ٠

★★★

رسالة أخرى بعث بها على فهمى كامل ــ شقيق مصطفى كامل الى محمد فريد ــ لم أستطع معرفة تاريخها بالضبط ، وان كان من الواضح أنها كتبت بعد عام أو عامين من هجرة محمد فريد يقول على فهمى كامل :

ان الدسائس لا تزال تعمل ضد الحزب ورجاله فمهما كان المرء مخلصا وفقيرا وبائسا وفى أسوأ حالات الحياة فانه يسمع التهم توجه اليه ، انى لا أقول لغيرك اننا لا نجد العيش فى هذا العيد لأننى بعت جميع الأثاث ، وليس لدينا خلاف الأسرة الضرورية وترابيزة وستة كراسى ، فهل يدور بخلدك مع هـذا البؤس القاتل أنه يوجد من يتهمنا كما اتهموك من قبل وهم كاذبون بأننـا أخذنا من الخديو نقودا واننا نقابله ٠٠ انى الآن ساكن فى المدرسة فى دور صغير وصاحب البيت أنذرنا بالخروج لتأخيرنا عن دفع الأجرة خمسة عشر شهرا وليس فى وسعنا والحمد لله أن ندفعها اليه ٠ وعلى ذلك عولت على اصلاح منزل المرحوم والدى الكائن بدرب المبيضة بالصليبة مسقط رأسنا جميعا لتسكن فيه العائلة وعزمت على السفر بعد شهرين على الأكثر الى الاستانة ومنها الى مسلمى الصين والله قادر أن ينفع بنا المسلمين فى غير مصر » ٠٠

★★★

رسالة أخرى من الدكتور اسماعيل صدقى أحد أقطاب الحزب الوطنى ــ وهو غير اسماعيل صدقى باشا السياسى ، المصرى ، المعروف ــ ٠

الرسالة بتاريخ ١٦ أغسطس سنة ١٩١٢ يقول فيها تعليقا على جمعية السلام التى أنشئت ، فى مصر : ان الأسف يخالجنى بأشد تأثيره كلما رأيت الضعف قد تغلب على تلك الهمم التى كانت عمادنا فى القيام بمأموريتنا وتنفيذ مبادئنا على اختلاف أشكالها : رأيتم اجتماع مجلس ادارة الجمعية ولم أر غير وجوب ذلك وقد جاهدت فى أن يتم ذلك فكانت النتيجة مضاعفة الأســف عندى اذ لا يوجد من الأعضاء من يوافقنا فى الظروف الحاضرة ولا أخفى عنكم اننى حاولت تكوين الجمعية طبقا للقانون من سبعة أعضاء فلم أوفق وقد وصل بنا الاهمال الى عدم تلبية دعوة اللجنة الادارية للنظر في حالتنا الحاضرة وحالتنا

المالية خصوصا التى تحتاج الى الاسعاف السريع مثل الأحوال المرضية المفاجئة ، وبالجملة يا سيدى الرئيس فالحالة هنا لا تتناسب مع حسن ظنكم وانى أشير اليها اجمالا وكان بودى عدم الكتابة عنها لعدم انزعاجكم وعدم تحملكم مثل هذه الآلام التى يعلم الله ورسوله درجة ما أعانيه بسببها من الانقباض والحزن ٠٠ على أن هذا لا يمنعنى من المثابرة ولوحدى على خدمة مبادئنا القويمة مهما اعترضتنى الأقاويل والوشايات التى أشيعت عنى أخيرا وعلمت مصدرها ، ولكنى لا أعبأ بها مادمت معتقدا أنى أقوم بما فرضته على نفسى وما يرضى ضميرى » ٠ ثم يخبره دكتور اسماعيل بأنه عند عودة أحمد توفيق سيتفق معه على ارسال المائة فرنك باسم محمد فريد الى جمعية السلام وانابتكم عنها فى مؤتمر هذا العام ٠٠ » ٠

***

ومن تلك الرسائل أيضا رسالة من أحد تلاميذ محمد فريد وهو الأستاذ أحمد وفيق ، بعث بها اليه من فاقوس « شرقية » وبتاريخ ١٣ يونيو ١٩١٤ تحدث فيها عن الصراعات التى نشبت فى داخل الحزب الوطنى بعد مغادرة محمد فريد مصر الى المنفى ٠

وكذلك عن الصراعات داخل جريدة الشعب لسان حال الحزب الوطنى حول ما ينشر وما لا ينشر عن رحلات الخديوى ، يقول أحمد وفيق فى رسالته الغاضبة :

« ان أية صحيفة لا يمكن أن تعيش بدون انتشار وان الجرائد الملكية فى فرنسا لا تمتنع عن نشر أخبار رحلة بوانكريه الجمهورى وان الجرائد الجمهورية فى ايطاليا تنشر رحلات ملك ايطاليا و ٠٠٠ » ويقول أحمد وفيق بصراحته المعروفة : « اننا عدد قليل جدا وبكل أسف لا نعمل عملا مطلقا والحركة نائمة وتغط فى النوم واذا كنتم قد قلتم فى خطبتكم التى ارتجلتموها أن أبا الهول لم ينم الا بعين واحدة والثانية تنظر الى الأمم التى فتحت مصر ، فربما يكون هذا القول صحيحا بعد افتتاح الجمعية التشريعية أما نومه من بعد سبتمبر سنة ١٩١٢ الى أكتوبر ١٩١٣ فكان عميقا واذا سمحت لى أن أقول أن النوم ابتدأ بعد مفارقتكم لهذه البلاد التعسة وانى أقسم لك انى لو علمت أن مصير حركتنا سيكون كذلك بعد هجرتكم لكنت أول من ألقى القبض عليك لتمضى السنة ثم نخرج بعدها كما خرجت عقب الأشهر الستة وان أدى ذلك السجن الى التنقل فى الشوارع ٠٠ »

***

وكنت قد خصصت فى هذا الجزء ما يقرب من أربع صفحات للكتابة عن الحركة الوطنية المصرية بقيادة محمد فريد وكان محمد فريد قد نشر بضعة

مقالات فى صحيفة لى سييكل الفرنسية هاجم فيها محمد فريد الخديو .

وكان الدكتور منصور رفعت قد كتب مقـالا فى اللـواء مطالبا بخلع الخديو .

وكان محمد فريد . قد تعمد عدم القيام - فى احدى حفلات الأوبرا - أثناء عزف السلام للخديوى .

وكانت صحيفة الأهالى قد اتهمت محمد فريد بخيانة العرش تمهيدا للالقاء بفريد فى أعماق السجن وحل الحزب الوطنى .

وكان انشقاقا قد حدث داخل اللجنة الادارية حول الموقف من الخديو عباس حلمى .

وكان على فهمى كامل قد بعث برسالة الى محمد فريد بوصفه وكيلا للحزب الوطنى سائلا اياه كرئيس للحزب أن يرد على ما اذا كانت المقالات التى نشرت فى صحيفة « لى سييكل » بقلمه أم لا ؟ واذا كانت كذلك فعليه أن يدافع عن نفسه كما يقضى بذلك قانون الحزب .

وكان على فهمى كامل قد أشار فى خطابه الى رئيس الحزب أن لجنة تحقيق قد شكلها الحزب وأن اللجنة قد حددت ثلاثة أسابيع للرد فاذا لم يرد اعتبر ذلك امتناعا عن الاجابة .

وكان محمد فريد قد عقب على ذلك كله بارسال استقالته من رئاسـة الحزب وضرورة عرض أمر تلك الاستقالة على الجمعية العمومية للحزب .

وبطبيعة الحال لم يستطع على فهمى كامل ومن يؤازرونه فى اللجنة الادارية للحزب أن يعرضوا أمر الاستقالة على الجمعية العمومية للحزب لأنهم كانوا على ثقة مطلقة من أن الجمعية العمومية للحزب سوف ترفض الاستقالة وستسحب الثقة من على فهمى كامل ومن معه .

وكنت أيضا قد أشرت فى مقالى هذا عن الحركة الوطنية - بالاضافة الى ما سبق ذكره - الى ما ذكره الكونت رفنتلو - من الشخصيات الألمانية البارزة - من أن الحزب الوطنى فى الخارج بقيادة فريد قد نجح فى اكتساب ثقة الرأى العام العالمى وكبار الرجال فى أوروبا على اختلاف طبقاتهم .

وهذا - الكونت رفنتلو - ما يجعلنا نفخر بهذه الأعمال العظيمة أمام الرأى العالى العالمى .

***

كما أشرت الى برقية بعث بها محمد فريد الى الزعيم السوفيتى لينين يقول فيها : تتشرف لجنة الحزب الوطنى بأن تعرب عن شكرها الأدبى لحكومتكم

الديمقراطية بمعنى الكلمة بمناسبة تصريحها بأسمى وأغلى ما يمكن أن تصبو اليه الانسانية من المبادىء المتعلقة بالحرية والمساواة ٠

ان هذه المبادىء التى صرحتم بها وأنتم مجردون من الهوى والغرض قد أنعشت النفوس وأحيت فى الأمم المستعبدة ميت الآمال فى حياة جديدة تملؤها السعادة والرفاهية ٠

حياة قائمة على تحريرها من أغلال أصحاب رءوس الأموال وأصفاد محبى الاستعمار ٠

ان اللجنة تشكركم بصفة خاصة على التلغراف اللاسلكى الذى أرسلتموه الى جميع الحكومات طالبين فيه تحرير مصر ونرجو منكم أن تكلفوا مندوبيكم فى مؤتمر برست ليتوفسك بأن يطلبوا تحرير مصر من نير الاحتلال الانجليزى ٠

ان المسألة المصرية فى الواقع مسألة دولية نظرا لمركزها الجغرافى ووجود قناة السويس التى تخترق أراضيها ٠

ولقد كانت تلك المسـألة موضـوع محالفات دولية عديدة وقعت عليها حكومة روسيا ٠

وعلاوة على ذلك فان الحرب الحاضرة أثبتت أن حرية قناة السويس لا يمكن أن تكون حقيقة الا اذا حكم مصر أبناؤها ٠

وقد أنهيت هذا الجزء الخاص بمحمد فريد بصـورة نادرة كانت آخر صورة له » لم تنشر من قبل لمحمد فريد وتحتهـا قول حافظ ابراهيم فى رثاء فريد :

ها هنا قبر شهيد فى هوى أمة أيقظها ثم رقد !!

★★★

وكانت العلاقات بينى وبين عبد الخالق فريد قد انقطعت تماما اثر نشر هذا الجزء من « المصور » اذ كان رحمه الله يفضل ألا ينشر هذا الجزء اطـلاقا الا اذا رفع منه الحديث الذى أجرته زميلتنا درية عونى مع مدام روشبرون ٠

ثم عادت العلاقات أقوى مما كانت بعد ذلك بأشهر قلائل ٠

وكان قد صدر قرار وزارى بالاستيلاء على مذكرات محمد فريد ٠

وأبلغ به المستشار عبد الخالق فريد عن طريق أحـد المحضرين وهـذا ما آلمه كثيرا حتى أنه عكف فى منزله بضعة أسابيع يرفض أن يزوره أحد الى أن تمكنت من زيارته ونجحت فى ازالة الأثر السىء الذى تركه حادث ابلاغه بالاستيلاء على مذكرات والده بالقوة الجبرية ٠

وقد كان عبد الخالق فريد عنيدا للغاية وربما يكون قد ورث هذا العناد عن والده طيب الله ثراه .

اذ فوجئت به يطالبنى ويدعـــونى الى زيارته فى منزله بمصر الجديدة وهناك ـ فى منزله الهادىء ـ فاجأنى بما كان قد قرره : ان القرار الوزارى قد شمل المذكرات وحدها ولم يشر من قريب أو من بعيد الى خطابات فريد والى الخطابات التى احتفظ بها فريد للآخرين ولقد رأيت أن أهديك هذه الخطابات التى هى فى رأيى أخطر من المذكرات » .

وقام من فوره وأحضر لى رزمة كبيرة من الخطابات كانت قد حفظت بعناية تامة ودفعها الى .

بعد أن فتحت هذه الرزمة ـ فى بيتى ـ وتبينت محتوياتها تأكد لى فعلا أن هذه الخطابات وهى تقترب فى العـــــدد من المائتين من أخطر الخطـــابات السياسية .

ولم أكن أخشى على منزلى من السرقة الا بسبب تلك الخطابات .

وغالبية تلك الخطابات أرسلها محمد فريد الى والده والى زوجته وأولاده ابتداء من عام ١٨٨٦ حتى آخر يوم من حياته .

وقد تناولت تلك الخطابات الحياة الشخصية والحياة العامة لمحمـــد فريد فيما يقرب من ربع قرن من الزمان .

ولن أشير فى هذا المدخل الى تلك الخطابات لأنها العمود الفقرى لكتابى عن محمد فريد فى المنفى الذى انتهيت منه والذى أرجو أن يكون بحق عملا تاريخيا طيبا خاصة وأنه قد أزاح الستار ولأول مرة عن نشاط الحزب الوطنى فى أوروبا فى الفترة من ١٩١٢ حتى نوفمبر ١٩١٩ .

وقد أفادتنى تلـك الدراســـة الى حـــد كبير فى معرفة بعض الأسرار السياسية فى تلك الفترة كما أفادتنى تلك الدراسة الى حد كبير أيضا فى دراستى عن سنوات ما قبل الثورة وذلك عند حديثى عن بدايات الأحزاب فى مصر ، وما سبق وواكب وأعقب ثورة ١٩١٩ من أحداث .

***

واذا كنت قد استفدت الى حد كبير من علاقتى بعبد الخالق فريد فاننى قد استفدت الى حد ما من علاقتى بحسن حسنى كامل ، شقيق مصطفى كامل وابنه اللواء على حسن كامل .

وكنت مع بداية عملي بالصحافة قد بدأت . أكتب عن مصطفى كامل فى كثير من المناسبات الوطنية .

وتوثقت علاقتى بالأستاذ حسن حسنى كامل وكان صحفيا غير محترف .

وعندما تقرر نقل جثمان مصطفى كامل من مقبرته الى الضريح الذى بنى بحى القلعة ، كنت أحد ثلاثة نزلوا الى القبر وحملوا على أيديهم ما تبقى من رفات مصطفى كامل .

وكنت قد احتفظت بنسخة من القرآن الكريم . كانت قد وضعت فى القبر فوق رأس مصطفى كامل .

وقضيت ليلة كاملة الى جانب الجثمان بعد نقله الى مدرسة مصطفى كامل فى لاظوغلى حيث تقرر أن ينقل الجثمان رسميا فى مظاهرة عسكرية وشعبية يتقدمها قادة ثورة ٢٣ يوليو ٥٢ وفى المقدمة محمد نجيب وجمال عبد الناصر يرحمهما الله .

وكنت قد نزلت الى القبر فى أسفل الضريح لأوسد التراب جثمان الرجل الذى أحببته وعشقته حبا وعشقا أنسيانى كل حب وعشق أحد فيما عدا حبى وعشقى لمحمد فريد ، وأمين الرافعى .

***

وكنت قد اقترحت اقامة تمثال لمصطفى كامل يوضع فى مدخل نقابة الصحفيين بوصفه من أوائل الصحفيين المصريين الوطنيين حتى لقد كانوا يطلقون عليه « مصطفى كامل اللواء » .

واستجابت نقابة الصحفيين – مشكورة – لاقتراحى وتطوع المثال الكبير ابراهيم جابر لنحت التمثال .

ونظرا لأنه لا توجد صور لمصطفى غير تلك الصورة التقليدية اياها فقد جرى الاتصال بشقيقه حسن حسنى كامل ليعرف منه المثال جابر بعض التفاصيل عن ملامح أخيه .

وفوجئت بحسن حسنى كامل يقول انه يوجد شبه كبير بينى – فى الشكل وكنت وقتئذ شابا – وبين مصطفى كامل .

وجلست كموديل أمام ابراهيم جابر ساعات طويلة كل يوم ولبضعة أسابيع حتى انتهى من صنع تمثال مصطفى كامل .

واحتفلت الدولة بازاحة الستار عن تمثال مصطفى كامل وبقى التمثال قائما يتصدر مبنى نقابة الصحفيين الى أن تركت سكرتارية النقابة فى فبراير

١٩٦٥ فنقل التمثال الى مكتبة النقابة ، ليوضع مكانه تمثال لعبـــد الناصر رحم الله الجميع ٠

***

وعن طريق حسن حسنى كامل وأقاربه وأصهاره ومعارفه وجدت بعض أوراق هامة لمصطفى كامل ٠

وكان العثور على تلك الأوراق من الأمور الهامة لأن على فهمى كامل عندما أرخ لشقيقه مصطفى كامل فى بضعة مجلدات لم يترك شاردة ولا واردة من أوراق مصطفى كامل الا وأوردها فيها ٠

واتجهت الى كثيرين من تلاميذ مصطفى وأنصاره ومعاصريه ـ وفى المقدمة الأستاذ راشد رستم ـ الذين أعطونى صورة كاملة عن الحياة السياسية لعصر مصطفى كامل مما لم يرد ذكره فى الصحف وفى الكتب ٠

وجعلت من نفسى ديدبانا للدفاع عن مصطفى كامل وخاصة بعد أن نشر البعض أن مصطفى كامل « كان شحاذا بردنجوت » ٠

وبعد أن أول البعض العلاقة التى كانت تربط مصطفى كامل بتركيا ـ دولة الخلافة الاسلامية ـ تأويلا سيئا ؛ قلت ـ ضمن ما قلته :

لقد كانت علاقة مصطفى كامل ، والحزب الوطنى بقيادة مصـــطفى كامل وفريد بتركيا علاقة سياسية قائمة على ضمان حقوق مصر وسياستها ٠

وقلت لقد كانت تركيا تحتل مصر ولها عليها حق السيادة كدولة تمثل الخلافة العثمانية فلما ابتليت مصر بالاحتلال البريطانى كان لابد لمصر أن تعتمد على تركيا الدولة مقر الخلافة الاسلامية لطرد الانجليز من مصر ٠

وعندما نشر البعض الخطابات التى كان يرسلها مصطفى كامل الى أستاذه الشيخ عبد الرحيم أحمد ، وكان يعمل وقتئذ فى المعية الخديوية عندما كان مصطفى كامل يتلقى تعليمه فى مدرسة الحقوق بتولوز [فى فرنسا] أكدنا ـ بالوثائق ـ أن الذى أرسل مصطفى كامل ليتعلم الى فرنسا بعد وفاة والده كان أخوه الأكبر وأنه لا غبار على مصطفى كامل ـ الطالب ـ فى أن تكون له علاقة طيبة بالخديوى الذى كان وقتئذ شابا ٠

وكان فى بداية حكمه يقوم بتعضيد الحركة الوطنية المصرية ضد الاحتلال البريطانى وذلك بناء على نصائح بعض الفرنسيين العاملين فى سراى الخديوى والذين كانوا ينفذون مخططات حكومتهم بمعاداة الاحتلال البريطانى لمصر ٠

ولقد انتهت سياسة المعاداة تلك بعد الاتفاق الودى الذى عقد بين فرنسا

وانجلترا عام ١٩٠٤ والذى بمقتضاه أطلقت يد بريطانيا فى مصر . وأطلقت يد فرنسا فى الجزائر ٠

وقادنى حبى لمصطفى كامل ومحمد فريد والحزب الوطنى الى أن أقف الكثير من جهودى ووقتى لدراسة الحزب الوطنى منذ انشائه لأول مرة فى أواخر عهد الخديو اسماعيل باشا ٠

***

وقد أمدنى بعض قيادات الحزب ، عبد الرحمن الرافعى ، عبد المقصود متولى وقبلهما حافظ رمضان بالكثير من الأسرار السياسية الخاصة بالحزب الوطنى وبالأحداث السياسية التى حدثت بمصر قبل وأثناء الحرب العالمية الأولى ٠

وأذكر أن أستاذنا حافظ رمضان قد أزاح لى ذات يوم سرا رهيبا ، وهو أنه عندما ضيق الانجليز على الحزب الوطنى الخناق بعد هجرة محمد فريد . فكر بعض أقطاب الحزب الوطنى وبعض ضباط الجيش المصرى فى السودان ، فى القيام بثورة تبدأ من جنوب الوادى وتمتد الى شماله وكانت الأسلحة تهرب من مصر الى السودان ٠

وقد أفادتنى الى حد كبير مكتبة الأستاذ عبد المقصود متولى وهى مكتبة فريدة فى بابها ، ولست أعتقد أن كتابا عالج القصة المصرية من قريب أو من بعيد باللغة الانجليزية ، أو باللغة الفرنسية ، ولم يكن له وجود فى مكتبة الأستاذ عبد المقصود متولى وقد استفدت فائدة كبيرة من معرفتى بالدكتور حسن نور الدين ، وهو أحد قيادات الحزب الوطنى المغمورة التى لا يذكرها أحد ، بالرغم من أنه لعب أخطر الأدوار بالنسبة لشباب الحزب الوطنى ، وخاصة الذين يعملون تحت الأرض فى نشاط فدائى متميز ٠

وأذكر أنه كان يرتاد دور الجمعيات ، والأحزاب ويحرص على حضور كثير من الندوات والاجتماعات من أجل كشف العناصر الطيبة من الشباب ليضمها الى صفوف العمل الفدائى ٠

تعرفت اليه عقب ندوة أقيمت فى جمعية الشبان المسلمين ، ثم التقينا مرة ومرة ثم أعطانى كتابا عن الاحتلال البريطانى ألفه تيودور روذستين الذى كان فيما بعد سكرتيرا للينين الزعيم السوفييتى المعروف ٠

وبعد أسابيع راح يناقشنى فى محتويات الكتاب ٠

ثم دعانى الى منزله فى الحلمية بالقاهرة حيث تناولنا الغداء فى المرة الأولى ، ثم سهرنا سهرة طويلة فى المرة الثانية ٠

وبعد هاتين المقابلتين كان يدربني على استخدام السلاح ·

وكانت فى بيته غرفة مهيأة لمثل هذه العملية ومبطنة تبطينا خاصا حتى لا يسمع دوى الرصاص خارجها اذا ما انطلق داخلها ·

والدكتور حسن نور الدين ـ وهذا سر أذيعه للمرة الأولى ـ كان الأب الروحى لمحمود العيسوى وكان من بين القلائل الذين عرفوا اتجاه العيسوى الى اغتيال أحمد ماهر فى ٢٤ فبراير ١٩٤٥ ·

وكان أحمد ماهر وقتذاك رئيسا لمجلس الوزراء ·

***

وجذبتنى شخصية الأستاذ أحمد حلمى المحرر الأول للواء والذى عرف بأنه خير من وصف تنفيذ حكم الاعدام فيمن نفذ فيهم حكم الاعدام فى قضية دنشواى ·

وكان أحمد حلمى هو صاحب جريدة القطر المصرى فى نفس الوقت ·

وكان من قيادات الحزب الوطنى التى وثق بها مصطفى كامل ومحمد فريد ·

وقد جذبتنى صلابة أحمد حلمى ـ وهو للعلم جد الفنان صلاح جاهين ـ وخاصة عندما درست قضاياه السياسية دراسة وافية ، انقطعت بسببها ـ الدراسة ـ أشهرا معدودات فى دار الكتب بالقلعة حيث وجدت بصعوبة أعدادا من جريدة القطر المصرى ·

وقد حفظت فيما بعد ـ وعن ظهر قلب : أجزاء كثيرة من مقالة « مصر للمصريين » التى أدت بأحمد حلمى الى السجن ·

وكانت القضية الأولى قد نظرت أمام محكمة الجنح برئاسة على ماهر (أفندى) القاضى ـ الذى أصبح فيما بعد رئيسا للديوان الملكى ورئيسا لمجلس الوزراء وكان وكيل النيابة فى تلك القضية محمود زكى أفندى ·

وكان ذلك فى ١٥ ابريل ١٩٠٩ وقد اتهم أحمد حلمى ـ وكانت سنه وقتذاك ٣٣ سنة ـ فى صحيفة أعلنت اليه فى ٣٠ يناير ١٩٠٩ بأنه تطاول على « مسند » الخديوية المصرية ·

وطعن فى نظام الوراثة فيها وعاب فى حق ذات ولى الأمر وذلك لأنه نشر فى جريدته « القطر المصرى » بالعدد ٣٧ الصادر فى ٨ يناير سنة ١٩٠٩ مقالة تحت عنوان « مصر للمصريين » قال بنقلها عن جريدة « العدل » التركية العربية التى تطبع بالاستانة · ولأنه نشر فى العدد ٣٨ الصادر فى ١٥ يناير ١٩٠٩ مقالا

تحت عنوان : يا ولاة الاسلام وعلماء الأنام فى دار الاســـلام ، أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وأمير المصريين عباس بن توفيق ، ويد الجناب العالى وأملاك الجناب العالى ومهمة شكرى باشا ٠

وقد وقفت النيـابة طويلا أمام العبـــارة التى جاءت فى مقال « مصر للمصريين » وهذا نصها ، فاذا عرف المصرى مما تقدم أن شـــقاءه وبلاءه كان السبب فيهما عائلة محمد على يجب عليه ، وينبغى عليه أن يتخلص منها لأن أقل واحد من مواطنيه أشفق عليه وأرأف به ٠

ينبغى للأمة أن تعلم أيضا أنها لا حاجة لها به (بسمو الأمير) وينبغى عليها أن ترسل الوفود الى الممالك الموقعة على معاهدة لندرة لاخبارها بأنها غير راضية بأن يحكمها واحد ، غير مصرى الجنس ٠

وكان قد جاء فى مقالة « مصر للمصريين » أيضا :

رمتنا بكم مقدونيا فأصـــابنا مصـوب ســهم للبـلاد شديد
فلمـا توليتم طغيتم وهـكذا اذا أصبح « القولى » وهو عميـد

★★★

و « القولى » هنا نسبة الى قوله » التى ولد فيها ــ فى ألبانيا ــ محمد على رأس الأسرة المالكة وقتئذ ٠

وقد جاء فى ذلك المقال أيضا : وقد اقتفى أثر محمد على فى قبح فعله وسوء سيرته ، أولاده وأحفاده من بعده » ٠

كما جاء فى المقـال أيضا : « وليظـل المصريون خـدما لصبيانهم وأرقاء لنسوانهن ٠

وقد حكمت المحكمة حضوريا بحبس أحمد حلمى عشرة شهور حبسـا بسيطا وأمرت بتعطيل جريدته : ــ القطر المصرى ــ مدة ستة أشهر وباعدام كل ما ضبط وما يضبط من العدد ٣٧ من الجريدة المذكورة ٠

ونظرت محكمة الجنح المستأنفة القضية فى ٢٩ ابريل ١٩٠٩ ٠

وكان رئيس المحكمة محمود رشاد بك بحضور القضاة المستر كلايكوت ومتولى غنيم وكان ممثل النيابة محمود فخرى بك ٠

ورأت محكمة الجنح المستأنفة ــ فى حكمها ــ أن مدة الحبس المحكوم بها على أحمد حلمى قليلة فى « جنب » الطعن الفاحش الذى نشره المتهم للعموم فى

جريدته موجها لأعلى مقام يجب أن تصان كرامتـــه ويجب أن يعطى حقه من التأديب والاحتشام » .

الصواب التأدب ولكنها أحكام زمان وقضت المحكمة بحبس المتهم ســـنة مع الشغل !

***

ووقف أحمد حلمي مرة أخرى أمام محكمة عابدين ، بتهمة الاحتجاج على اعادة العمل بقانون المطبوعات وكذلك تهمة التظاهر .

كانت الجلسة فى ٢٨ ابريل - أى قبل جلسة الجنح الخاصة بالمتهم نفسه ، بأربع وعشرين ساعة - وكانت الجلسة تحت رياسة أحمد عبد الرزاق القاضي وبحضور عبد الحميد أفندى بدوى وكان المتهمون مع أحمـــــد حلمى بالترتيب .

المتهم الثانى : عثمان أفندى طلعت صبور ، سنه ٣٠ سنة مزارع العباسية المتهم الثالث :

محمد أفندى مختار طلعت صبور سنه ٢١ سنة تلميذ بمدرسة الأقباط بالعباسية .

المتهم الرابع : أحمد أفندى زكى .

المتهم الخامس : محمود أفندى رمزى نظيم ٢٠ سنة تلميذ مدرسة الأقباط ، المتهم السادس : غانم يوسف أوغانم

وكانت النيابة قد اتهمت أحمد حلمى أفندى بأنه أهان المستشارين وهم من موظفى الحكومة بأن رماهم بأنهم يرتكبون أثناء تأدية وظائفهم هذا الاثم الفظيع وهو محاربة دولة الاسلام بالدهاء والحيلة ثم أنه حرض على كراهية الحـكومة الخديوية وبغضها والازدراء بها بأن رماها بأنها انتهكت حرمة الاسلام بضرب طالبى العلم فى الأزهر الشريف وأنها لما رأت التألم من ذلك أرادت أن تضربهم أيضا ولكن على ألسنتهم وقلوبهم الى غير ذلك من الألفاظ التى وردت فى خطبته التى ألقاها علنا فى وسط الجمهور والتى أدرجها بجريدته القطر المصرى بعد أن حذف منها بعض العبارات بالعدد ٤٩ الصادر فى يوم ٢ ابريل ١٩٠٩ ونسبت النيابة للمتهم الثانى أنه تطاول على مسند الخديوية المصرية بأنه صاح علنا بقوله : ليسقط حكم الفرد » فى وسط ذلك الجمهور العظيم ، ونسبت للمتهم الثالث بأنه حرض على كراهية الحكومة الخديوية بأن نســـب اليها الظلم وســـلب الحرية والاستبداد والغطرسة ، والعنف وعدم مراعاة الله ، وانعدام الذمة فى الخطة التى ألقاها علنا وسط الحاضرين فى المظاهرة المذكورة .

وكذلك المتهم الرابع أما المتهم الخامس ، محمود أفندى رمزى نظيم فقد اتهم بأنه أهان الوزارة المصرية بأن نسب اليها الجبن ، وعدم الذمة وبأنه عاب فى حق ولى الأمر وخاطبه ببيتين من الشعر ، ضمن قصيدة ألقاها علنا فى تلك المظاهرة بقصد التحريض على كراهة الحكومة المصرية وبغضها والازدراء بها ٠

والبيتان الواردان فى عريضة الاتهام الخاصة بالوزارة هما :

أما الوزارة فالرحمن ينســـفها ... فانها عن صـــنوف الخزى تنهـــدم
وزارة لا أقال الله عثرتهـــــــا ... تمثل الجبن لا عهـــد ولا ذمم

أما البيتان الخاصان بالخديو فهما :

الله أكبر يا عبـاس تخذلنــــــا ... وكنت قبــلا على الأوطان تضطرم
افعل كما تشاء ويا عباس ان لنا ... عنـــد الاله مقـــاما جاده الديم

وقد قضت المحكمة حضوريا بالنسبة للمتهمين الثـــلاثة الأول وغيابيا بالنسبة للباقين : أولا : براءة ابراهيم محمد المتهم السادس مما نسب اليه ٠ ثانيا : حبس أحمد أفندى حلمى ٦ شهور حبسا بســـيطا وكفالة ألف قرش وحبس كل من باقى المتهمين مدة ثلاثة أشـــهر حبسا بســـيطا وأمرت بايقاف التنفيذ وقد جاء فى الحكم : أن المتهم الأول (أحمد حلمى أفندى ـ هو أكبر مسئول فى هذه الدعوى لأنه تعود أن يرأس مثل هذه المظاهرات وهو أول من خطب فى المظاهرة فأثار الحاضرين بتلك الجمل التى كان يلقيها عليهم حتى أثرت خطابته فيهم كل التأثير وصاروا يسلمون بكل ما يقوله ، ولذلك وجب تشديد العقاب عليه) ٠

وعرضت القضية مرة أخرى ١٣ مايو ١٩٠٩ أمام محكمة الجنح المســتأنفة بمحكمة مصر برئاسة محمود رشاد بك وبحضور المستر كلايكوت ، وعلى أفندى ماهر ، القاضيين ، وعبد الحميد أفندى بدوى عضو النيابة وقضت المحكمة بحبس أحمد حلمى أفندى أربعة شهور حبسا بسيطا وبراءة عثمان أفنـــدى طلعت ضبور الخ ٠

★★★

وقد دخل أحمد حلمى أفندى السجن فى ٢٩ ابريل ١٩٠٩ وبقى مدة الحكم فى زنزانة طولها ١٣ شبرا ، وعرضها ٩ أشبار وارتفاعها نحو ثلاثة أمتار ونصف متر ٠

وكان الحكم سنة وستة شهور ٠

وبعد انتهاء مدة تعطيل القطر المصرى صدرت من جديد وهو فى السجن وقد هدده الوكيل الانجليزى فى السجن بارساله الى ليمان طره اذا علم بأنه كتب سطرا واحدا فى القطر المصرى .

وكان أحمد حلمى قد اختار أحد « الطلاينة » ليصبح مدير السياسة المسئول « ليفينا ـ أحمد حلمى ـ شر قانون المطبوعات باعتباره رعية ايطالية تنعم بالامتيازات الأجنبية » . وقد ذهب بطرس غالى باشا بصفته ناظر الخارجية ، ورئيس النظارة الى قنصل ايطاليا ليهدد مدير سياسة جريدة القطر المصرى بالنفى من أرض القطر المصرى ، اذا لم ينسحب ويتخلى عن جريدة القطر المصرى .

وصدر العدد الثانى وكان مدير التحرير المسئول رجلا يتبع حكومة فرنسا وقد قاوم ذلك الرجل بطرس غالى كما قاومه أيضا صاحب المطبعة التى طبعت بها الجريدة الخ .

وأفرج عن أحمد حلمى فى ١٩ ابريل سنة ١٩١٠ .

***

وأعطيت له مكافأة قدرها ٤٩٨ مليما لانه اكتسب فى سجنه علامات تعطيه الحق فى تلك المكافأة وقد أرسل أحمد حلمى المبلغ ، الى وكيل الحزب الوطنى لأنه ليس من حقه الحصول عليه لأنه جندى فى الحزب وكل وقته ملك للحزب .

ولأهمية هذا الخطاب ـ ولأنه فريد فى نوعه ـ استأذن فى نشره كما هو :

حضرة نائب رئيس الحزب الوطنى .

لم يك غائبا عن علم حضرتكم اننى انضويت الى العمل مع المغفور له مؤسس حزبنا ورئيسه الأول منذ ١٩٠١ ومازلت مجاهدا ضمن جنود الحرية ، الى أن انتقل الى الرفيق الأعلى فى ١٠ فبراير ١٩٠٨ فكان لى من بحر وطنيته الصادقة وعزيمته القوية ينبوع عرفان لا ينضب معينه وما انفككت عاملا بمبادىء الرئيس الكريم بعد مماته ، كما كنت عاملا ، فى حياته باخلاص الى أن تفيأت ظلال السجن فى ٢٩ ابريل ، ولما كان عملى فى السجن لا شأن له بعملى فى الحزب ، ولا أرضى أن ألقى الله وفى سنى حياتى فترة من الزمن غير منصرفة الى نفع حزب يعمل بحق لخير أمتى وبلادى .

وأى نفع خير وأبقى للوطن من المطالبة بدستور يساوى بين الرفيع والوضيع ويؤاخى بين أبناء الوطن ويمتع كل انسان بالحرية الكاملة سواء كانت شخصية خاصة أو عمومية ويحفظ للبلاد أموالها ، ويوفر الخير للصانع والزارع والتاجر والعامل فلا تنقطع بالأولى الأسباب عن كسب رزقه وعياله ولا يحرم

الثانى زرع صنف يعتقد أن له ربحا من ورائه ولا تقف حركة الأعمال عند الثالث وهو لا يجد من يأخذ بيده • ويكفل للرابع الأعمال فى كل مكان فيعود عليه من وراء مزاولتها القوة والقدرة •

فلذلك أبعث اليكم مع كتابى هذا مبلغ ٤٩٨ مليما وهو المبلغ الذى بعث به سجن مصر العمومى الى سجن الاستئناف يوم ٢٠ ابريل ١٩١٠ نمرة ٧٢٥ وصرفه الى فى ١٤ أغسطس الجارى حال الافراج مشترطا على أن هذا المبلغ الذى هو أجرة لأعمال السجن مدة ١٢ شهرا قمريا (٣٥٥ يوما) من ٢٩ ابريل ١٩٠٩ الى ١٩ ابريل ١٩١٠ صار محتما على بعد قبضه السعى فى اكتساب معاش من الطرق الحلال : طرق الكد والشرف مقترنا بالسلوك الحسن •

أما أنا فبعد الظفر بهذا المبلغ العظيم رأيت أن أرجو من حضرتكم اضافته الى غلة الحزب الوطنى تحت ادارتكم بدلا من مجهوداتى التى انقطعت عن الحزب مدة اعتقالى فى السجن حتى تتصل حلقات أعمالى الحزبية لأنى لم أجد الشرط الذى اشترطته مصلحة السجون فى وجوب صرف هذا المبلغ الا فى مساعدة الحزب الوطنى لأن فى نجاح نهجه والوصول الى أغراضه داعيا الى خلو أماكن السجن أو على الأقل تقليل الزحام فيها وتوفير الخير للذين يملأونها الآن •

وبذلك نقتصد كثيرا من الأموال من أمثال هذه الأموال التى تعطى لمستحقيها من أمثالنا الصحفيين ، اللهم الا اذا كانت الصحافة والأملاك ليست من طريق الحلال فى الحصول على المعاش وانى أكون شاكرا لحضرتكم لو تفضلتم بأن تقيدوا مدة الأربعة الأشهر التى بين ٢٠ ابريل و ١٤ أغسطس ١٩١٠ عطلة للراحة لأن مصلحة السجون لم تعطنى خلالها شيئا بل أخذت منى ١٨ جنيها أجرة للنوم خلال تلك المدة •

فاذا أجبتم طلبى هذا يكون عملى اتصل بالحزب تسع سنوات متواليات وهى مدة ليست كبيرة فى جانبها أجازة أربع أشهر •

أحمد حلمى

★★★

وقد قبل نائب رئيس الحزب هذا الكتاب والمبلغ قبولا حسنا وبعث اليه ما يؤكد وصول المبلغ ، شاكرا له تلك الروح الوطنية الأصيلة •

واستأذن القراء فى نشر مقتطفات من مقالة مصر للمصريين — غير ما سبق نشره — التى نشرتها جريدة القطر المصرى فى عددها الصادر فى ٨ يناير ١٩١٩ وهى توضح بجلاء كيف كانت الصحف المصرية الوطنية تتعامل مع الأسرة الحاكمة ، وعلى رأسها الخديو عباس حلمى الثانى :

« ومما يبرهن على صحة ما نقول ويؤيده أننا ما سمعنا أن واحدا ، منهم — من الأسرة الحاكمة — ساعد مشروعا علميا وأعان مصريا على خدمة العلم فى عصر النور كما كانوا فى الزمن الماضى يعمدون الى الكتاتيب ، ويخرجون من فيها من الأولاد المصريين الى مزارعهم يحرثون الأرض ويجنون لهم ثمرات ما ينمون به قواهم فكان لا يقدم على حفظ القرآن غير العميان لأن الأصحاء فى رأيهم لا ينبغى لهم أن يزاولوا من الحرف الا الفلاحة بضياعهم ولا أجر لهم غير السياط على ظهورهم ووجوههم فانتشر الجهل وسادت الغباوة ولولا ذكاء المصرى الفطرى وقابليته للعلم لأصبح المصريون وكلهم يشاركون أولاد محمد على فى الجهل : ليس الغريب هذا انما الأدهش والأغرب أن طائفة من عباد السلطة المطلقة يكذبون على التاريخ ويدعون من وقاحتهم أن العائلة المحمدية العلوية خدمت مصر ويستدلون على ذلك بوجود بعض مدارس أنشأوها ليضللوا الناس فى أوروبا لكى تكون بأيديهم كالحجج الدامغة على خدمة العلم وما أنشأوها الا خداعا وغشا حتى لا يتسنى لأحد أن يذكر قبح أثرهم وسوء تاريخهم فى مصر .

وصبنى قلت هذا الصبح ليل — أيحتاج النهار الى دليل ؟

***

أما انحطاط مصر ماديا على أيديهم فانهم كانوا يصوبون المدافع على القرى فيهلكونها بأهلها تسلية حتى اعترض أحد الناس على هذا الفعل ، وعابه على سعيد باشا أعدلهم ، وأرحمهم وأشفقهم فقال له : لا تعارضنى فيما أفعل فانى ما استلمتهم بعدد » .

ولم تكفهم هذه الفظائع فأخذوا ينهبون المصرى ويغتصبون أمواله حتى جرى على لسانهم هذا المثل : الأمير من لا يعرفه الأمير .

هذا ومن بين رسائل أحمد حلمى الى زعيمه محمد فريد ، رسالة بتاريخ ١٢ يونيه ١٩١٢ — بينما كان محمد فريد فى المنفى — يقول فيها : نلفت نظركم الى الجيش الجرار الذى سبق الى الآستانة ليرصد خطواتكم لأن ما كتبتموه عن صن يات صن الصينى العظيم ، حرك فى نفوس الأراذل المعروفين هواجس الهموم ، ويقال ان رمزى باشا طاهر . لم يسافر لاستيطان الاستانة عقب تعيينه وكيلا للبحرية الا لأغراض من هذا القبيل ولكن الحقيقة يمكنكم الوصول اليها بمراقبتكم لا سيما اذا تعمد التعرف بحضرتكم .. ولقد عين حديثا فى ديوان الأوقاف أحد المشايخ الساكنين بشبرا ليكون ملاحظا للمساجد ظاهرا وفى الباطن ليكون جاسوسا على رجال الحزب الوطنى لأنه كان معلما فى مدارس الشعب وكان كثير الاختلاط بالشيخ عبد العزيز وهو الذى سرق أصل المقالة التى كتبها الدكتور فؤاد عن (...) وقدمها للمعية — هذا الشيخ سافر الى

الاستانة مع (٠٠٠) وذهب بالضرورة لهذه المهمة لأنه لم يكن من عادته السفر الى الاستانة الا هذين العامين وهمه معرفة أحوال الطلبة أما اســـمه فهو الشيخ عبد الحميد حمدى ، وكانت حالته رثة قبل الاشتغال بالجاسوسية على الحزب الوطنى فاحذروه واحذروا أمثاله وهم كثيرون » ٠

ويمضى أحمد حلمى فى رسالته قائلا : وكذلك أحذر الأستاذ الشــيخ عبد العزيز والدكتور فؤاد حتى يحكم الله ، وهو خير الحاكمين ٠

لقد كان لمظاهرة اخواننا المصريين التى قاموا بها هذا العام فى الاستانة أثرها العنيف عند الحكام هنا ٠٠

شاهدت حضرة الأخ حافظ عند زيارته فى الاسبوع الماضى ورأيت صحته جيدة وهو شجاع أما على بك فانه متأثر ولكنه تجلد وأظهر البسالة ٠

اننى كنت أخشى ارسال خطابات الى حضرتكم لأننى علمت أنهم يفتحون الخطابات التى ترسل باسمكم أو باسم الاستاذ ولذلك انتهزت هذه الفرصة وبعثت بخطابى على يد ذلك السفير الأمين عبده بك فريد لثقتى فى وصول الخطاب بغير أن يطلع عليه أحد من أولئك السفلة ٠

أما خطاباتى المقبلة فسيكون توقيعها (صاحب) فاذكروا ذلك واننى أرجو أن يتيسر لى مشاهدتكم فى فرصة غير بعيدة : هــذا وبلغــوا تحياتى ووافر التسليمات الى حضرات الاستاذ اسماعيل بك والدكتور أحمد فؤاد واذا حضر الدكتور منصور رفعت الى الاستانة فبلغوه سلامى الوفير ، وفى الختام تفضلوا بقبول احترامات المشوق المخلص ، أحمد حلمى » ٠

وفى هذا الخطاب ما يكفى للتدليل على ما وصلت اليه البلاد والحركة الوطنية بعد رحيل محمد فريد ٠

***

وكم كنت تواقا لمعرفة دقائق وتفاصيل حياة الخديو عباس حلمى الثانى فهذا الخديو قد أثار فى شبابه مشاعر المصريين وحبب اليهم ذلك الأسلوب الذى بدأ به حياته السياسية كخديو مصر من معارضة للاحتلال البريطانى ومن أزمات مع المعتمد البريطانى لورد كرومر ٠

وقد بلغ تعلق الشباب المصرى بالخديو أن رفعوا ذات يوم ســـيارته على أكتافهم دليل حب وتقدير ٠

تتبعت ــ فى مذكرات محمد فريد ــ ما جاء عن شخصية الخديو عباس حلمى المتناقضة ٠

وكنت أذكر باستمرار ما كانوا يرددونه ـ في قريتنا ـ من أغان وطنية عن عباس حلمى بعد أن خلعه الانجليز من منصبه كخديو على مصر لأنه وقف الى جانب تركيا ضد بريطانيا التى كانت تحتل مصر وقتئذ (ديسمبر ١٩١٤) ٠

وكانت جماهير الشعب المصرى تتظاهر حزينة باكية قائلة ٠

الله حى ، عباس جى

وكنا نتلقف ما كان ينشره سكرتيره حسين عفيفى من مقتطفات عن حياة عباس حلمى الثانى وما جرى له قبل أن يخلع من منصبه وما جرى له بعد ذلك الخلع ٠٠ ولم أفرح فى حياتى بمذكرات سياسية وصلت الى قدر فرحتى بمذكرات الخديو عباس حلمى الثانى : كنت فى شوق لأعرف ما يقوله عن مصطفى كامل الذى اتهمه ـ أى مصطفى كامل ـ خصومه بأن كان صنيعة للخديو بينما كل الوثائق تؤكد أن الصلة قد انقطعت بين مصـــطفى والخديو بعد أن مالأ الخديو الاحتلال البريطانى واقتسم بعض مظاهر السلطة مع كرومر ٠

ومذكرات عباس حلمى الثانى من أخطر المذكرات السياسية ، اذ لم يعرف عن خديو أو ملك حكم مصر ، ان كتب مذكراته السياسية وبمثل تلك الدرجة من الصراحة والوضوح وأرجو أن تتاح لى فرصة نشر تلك المذكرات والتعليق عليها ٠

قدم الخديو عباس حلمى مذكراته بقوله : الآن وقد انقضى على اختفائى من المسرح العالمى ، أكثر من ربع قرن من الزمان ليس بالغريب وقد كنت خديو مصر خلال ثلاثة وعشرين عاما من ١٨٩٢ حتى ١٩١٤ أن أشعر بالحاجة الى أن أصور بيدى لوحة أعمالى فى الحكم ٠

وقد دفعتنى الى الاضطلاع بذلك الواجب عزلتى وتأملاتى الطـــويلة فيما يعترى العظمة الانسانية من وهن على وهن ٠

وقبل كل شىء رغبتى فى أن أزود احدى الفترات المفعمة بالأحداث فى تاريخ وطنى المحبوب بالمساهمة المدعمة بالوثائق : وطنى الذى نهضت من أجله فى مستهل هذا القرن بعبء جسيم وكفاح أليم ٠

ولقد ألقت عشرات الأعوام التى سبقت رحيلى ضوءا كاشفا على كثير من الأحداث والأشياء ٠

وبلغت الأمور حدا لا يسعنى معه أن أتخلص من نشر هذه السطور وقد جهدت فى أن أكون موضوعيا ودقيقا على قدر طاقتى لعلمى بأن التاريخ الحقيقى الذى يسمو على الجدل لم يكتب ولن يكتب يوما ٠

فما من حى يسعه أن يتبين كل وجوه حدث من الأحداث ، وان طائفة شتى من التفصيلات قد تكون جوهرية لتفلت دائما أعنتها من يد المؤرخ المنصف .

ومع هذا فان الزمان الذى انقضى والبعد عن مسرح الأحـــداث وتجريد الشخصيات والملاحظة الدقيقة للماضى ، وأحداثه ، كل هذه ما كان لها الا أن تحدد فى ذاكرتى الظروف والبواعث التى كان منصب الخديو يجعلها تفلت منى افلاتا لا سبيل الى تجنبه .

***

واذن فان ما أقوم به الآن ، لا يهدف الى ارضاء كبرياء شخصية وما أبغى هنا الا أن أرد الحق الى ذكرى والدى الخديو توفيق فان السير التى كتبت عنه لم تكن فى أكثر الأحيان دقيقة ولا أمينة كما أنى أريد أن أثبت أيضا أن الوطنية المصرية التى ينظر اليها باعتبارها حركة سياسية حقيقية ترمى الى انقاذ مصر من الدخيل الذى لا يعدل باطله ، غير مشوبة .

وقد تكشفت تلك الحركة التى أثارت دهشة العالم وعطفه كما أثارت فى الوقت نفسه اضطهادا جائرا ظالما فاضحا فأثبتت وجودها واتسعت دائرتها فى ظل حكمى ثم ضاعت جهودها بعد الحرب العالمية وخيبة الرجاء المتكرر التى كان ينتظرها دون أن تبلغ مع الأسف أهدافها التى سعت اليها سعيها الطويل الدائب ولم يكن لذلك من سبب غير أخطاء الطامحين والأنانيين أولئك الذين فتنوا بالحكم والمال ، غير ما تملك انجلترا من وسائل وأساليب ، شتى الأنواع .

***

وأريد هنا ـ عباس حلمى الثانى ـ أن أنصـــح المصريين الأعزاء بأن لا يقتصر على ذكر أمجاد وطننا التى ترجع الى آلاف السنين بل أن يتدبروا أولا وقبل كل شىء تاريخهم القريب ، فان قربه منهم يجعلهم أقدر على فهمه والحكم عليه .

***

ان التحليل التاريخى لحكمى سيبين بكل جلاء انى لم أكن قط ذلك « الغلام » الذى زعمه صحفى فرنسى ولا كنت ذلك « الثائر الماكر » الذى يخضع للضغط اليومى من المعتمد والقنصل البريطانى و . و . .

ما كنت ـ عباس حلمى ـ غلاما أو ثائرا ماكرا يومذاك ـ يناير ١٨٩٤ ـ حادث وادى حلفا ـ كشاب فى مقتبل العمر لم أحط نفسى بمن يطمحون الى الظفر لمصر بسيادتها .

وكيف يلوموننى ان أظهرت ذلك النفور الطبيعى نحو مغتصبى بلادنا الطامعين فيها والذين كانوا قد صرحوا منذ سنة الاحتلال ذاتها (١٨٨٢) والمرة بعد المرة دون أن يفوا بوعودهم وعلى رأسهم لورد دوفرين أنهم متأهبون للجلاء عن مصر ٠

ولقد كان اللورد كرومر يدعى لنفسه الحق ــ كما استولى على حقوق أخرى كثيرة ــ فى أن يكون له منى حق العرفان بالجميل وهو جميل ما كنت مدينا به على الاطلاق من أجل الفرمان الذى نصبت بمقتضاه خديويا لمصر ولكنى انما تلقيت الفرمان من سلطان تركيا وبناء على حقى فى وراثته فى ٩ يناير من عام ١٨٩٢ أى بعد وفاة والدى الخديو توفيق بيومين تلك الوفاة التى وقعت فجأة فى ٧ يناير ١٨٩٢ ، بينما كنت لا أزال موجودا فى فيينا لاتمام دراستى وقد زعموا بعد ذلك أن يارنج قد حصل من السلطان عبد الحميد بعد عناء على فرمان توليتى ٠

★★★

والكنهم لم يقدموا لذلك التفسير اللازم : هم لم يفعلوا ذلك لسبب فقد كان عليهم أن يعترفوا بأن الحكومة التركية كانت قد قررت فى اللحظة ذاتها وخلافا لما كان تلح فيه لندن واللورد ــ وعلى اثر حادث ــ أن تنزع من مصر على حدودها فى ساحل البحر الأحمر ، قرى ثلاث هى المويلح وذينه والونج وهى داخلة فى حدودها على الساحل العربى ، وكانت انجلترا تعتزم جعلها قواعد استراتيجية لشبه الجزيرة العربية كما هو الحال فى ميناء العقبة وكان ذلك القرار من تركيا واردا بالطبع فى فرمان توليتى ٠

★★★

وفى مذكرات الخديوى عباس حلمى سنحات عن جده اسماعيل ، ونشاطه الجبار ومحاولاته جعل مصر قطعة من أوروبا » ٠

وفى شاعرية يتحدث عباس حلمى عن احتضار حكم اسماعيل والدور الذى لعبه تريكو القنصل العام الفرنسى فى اقناع الخديو اسماعيل بمغادرة مصر وكذلك دور السفير الفرنسى فى القسطنطينية فورنييه فى اقناع السلطان بأن يدعو ، اليه اسماعيل ٠

★★★

ويصف عباس حلمى الوداع الأخير والحزين للخديو اسماعيل (أواخر يونيو ١٨٧٩) ذلك الوداع النبيل المثير بين الأب المخلوع (اسماعيل باشا)

وابنه الخديو الجديد (محمد توفيق باشا) : لقد صحب الابن أباه الى الاسكندرية على اليخت المحروسة :

ذاك الذى حمله نحو المنفى بلا عودة نحو البؤس بعد الأبهة المترفة ونحو الوحدة والصمت المر : ومن نابلى حيث رسى به يخته المحروسة كتب رسالة الى الصدر الأعظم مرفوعة الى السلطان ذكر فيها بعض ما قام به من اصلاحات خلال ستة عشر عاما قضاها فى الحكم « تحت ادارتى ـ اسماعيل باشا ـ انتشرت على أرض مصر شبكة السكك الحديدية ، واتسعت فيها الى حد كبير عملية حفر الترع التى تزيد الأرض خصبا ـ كما أنشأت فى مصر ميناءين كبيرين فى السويس والاسكندرية ، وحطمت فى افريقيا الوسطى منابع الرق ونشرت راية الامبراطورية فى أنحاء لم تكن من قبل قد خفقت عليها .

وشهدت الانتهاء من شق قناة البحرين واهدائها للعالم الخ . الخ .

★★★

ويشرح الخديو عباس حلمى فى تفاصيل دقيقة عهد أبيه توفيق باشا ويرد عباس حلمى على الصورة التهكمية التى وصف بها لورد كرومر فترة حكم والده توفيق باشا فى عشر صفحات ونصف من كتابه ـ كتاب كرومر ـ « مصر الحديثة » ويقول عن والده أنه كان مؤمنا دون مباهاة متدينا دون مغـالاة ومع تهيئه لشد أزر أبناء دينه وأنه ـ أى توفيق باشا ـ كان أمينا وحازما .

واذا كان قد اضطر الى الظهور بمظهر المتساهل فى أكثر ظرف فلقد كان ذلك بوحى وطنيته وقد آلى على نفسه أكثر من مرة أن يتخذ موقفا يمكن أن يكون حاسما ولكنه قد يدفع بشعبه الى حرب أهلية ، لا مخرج منها .

ويقول عباس خلمى : لقد وجد أبى نفسه طيلة الزمن الذى حكم فيه مصر ، محصورا فى حلقة جائرة ظالمة ولا مبرر لظلمها : حلقـة من الأحقاد والعنف والريب وكانت يداه مغلولتين منذ حصار عرابى الذى كان الاحتلال قد ضاعف من خطورة نتائجه وقد وجد نفسه تتقاذفه الأحداث فى أعماله كحاكم وكان الباب العالى واللورد كرومر والمراقبون الأجانب فى الدين العام ، وعدم اكتراث الشعب وترك السودان وعدم مبالاة السياسيين وسائر العقبات العديدة الأنواع التى لم يتمكن قط من التخلص منها ، كل أولئك كانوا يعترضون كل فكرة ، وكل قرار كان يسعه أن يتخذه فى أية ظروف مغايرة .

وانى ـ عباس حلمى الثانى ـ لواثق مع ذلك بأن هذه الحالة التى تبدو بمظهر الضعف قد أوحت له بها رغبته فى تجنيب بلاده كل الشر ، الذى كان

يراه دون أن يكون فى وسعه منعه وما من مهمـــة هى أشد عسرا من مهمـة الحكم .

***

ويقول عباس حلمى أنه ورث عن والده الحب الوفى لبلاده .

بعد ذلك الايمان العميق بالدين وشريعة الرسول » .

وربما كانت هذه الآراء ، التى عبر عنها عباس حلمى فى مذكراته تنشر لأول مرة فى مؤلف عربى ، فلقد درجنا – وهذا من عيوبنا – ألا نهتم الا بالآراء التى تتفق ووجهة نظرنا .

ويقول عباس حلمى ان المعاهدات ليست غير مصـــائد وأن ليس تحت الشمس البريطانية مكان لغير الضعفاء والمستسلمين كما يقـــول ان أموال البدل العسكرى ، الذى كان يدفعه من لا يريد أن يدخل الجيش المصرى كانت تنفق على قلم المخابرات البريطانية » ويقول أيضا ، أن الجيش هو الأداة الوحيدة القادرة على ضمان الحريات الوطنية .

***

وعن رياض باشا – أحد رؤساء الوزارات فى عهده (ناظر النظار) ، انه لم يكن بشرا وما كان يصلح الا موظفا .

كان شديد الخضوع لشتى المؤثرات أيا كان مصدرها خفيف النفس يقعد به ضعفه عن أن يشرع فى عمل ، حريصا على دعته فما يخطر له أن يكافح ارادة حازمة كارادة اللورد كرومر ، يزعم لنفسه الحق فى أن يأمر ملكه ولم يكن يملك حتى القوة على مقاومة أهوائه الخاصة . رياض باشا كان يطيع كرومر ، ولا يطيع مولاه الخديو » .

وما أكثر ما تحدث عباس حلمى عن القراقوزات المفـــككة التى تشد يد انجلترا خيوطها : كانت انجلترا تنعم بمن يخدمها وكانت مصر وأميرها على العكس من ذلك لا يجدان من يخدمهما بينما كان ذلك – عباس حلمى – يملأ نفسى بالألم وكانت الخيانة تسمم الجو وكان وكلاء قلم المخابرات البريطانى يحومون حولى فى كل مكان ولاء أكبر الموظفين تحت رحمة الأجنبى » .

ويقول عباس حلمى انه عندما ارتقى العرش لم يكن بامكانه اختيـــار حاشيته بنفسه : لقد وجدتها كما هى ولم يكن لى من أمرها شىء وما كان يسعنى أن أقبلها أو أرفضها .

***

وعن مصطفى كامل يقول عباس حلمى : ان الروح الوطنى قد تحدد وتجلى بوجه خاص فى عهدى وقد ظفر ذلك الروح فى اخلاص أكثر زعماء مصر جلدا وبلاغة وموهبة مصطفى كامل وكان مصطفى كامل يرأس حزب الشباب المتطرف وكان حزب أعيان البلاد (الحزب المحافظ) يأتمر بأمر الشيخ على يوسف ٠

وقد أدركت بعد قليل استحالة ضم الفريقين ـ الفريق المحافظ وفريق الشباب ٠

وصار لزاما على أن أسعى عند كل منهما سعيا خاصا به ٠

وكان هذا هو ما جعل البعض يقول انى كنت أقوم بلعبة مزدوجة ولكنى على العكس من ذلك كنت أبغى أن أتجنب ذلك ما وسعنى ذلك ترك هاتين القوتين المتنافستين احداهما بازاء الاخرى ٠

وكنت أحرص قبل كل شىء على ألا تبدر منى بادرة تفضيل قد تثير غيرة تجعل أحد الحزبين ينهض لعداء الآخر ٠

وكان تفضيلى مع المعتدلين ولكنى كنت أفهم المتطرفين ولم أستخدم لنفسى لا هؤلاء ولا هؤلاء ولكن هؤلاء وهؤلاء كانوا يرفضون مبدأ الاحتلال الانجليزى غير المحدد بأجل ٠

***

ويقول عن حزب الأمة ، انه لا خفاء فى أن كان يتلقى الوحى من اللورد كرومر ، ويغلب الاحتمال أن يكون خاضعا لأوامره ولقد أنشىء ذلك الحزب لمحاربة الحزب الوطنى ٠

وقد أنشأه محمود سليمان باشا وكان يملك صحيفة هى « الجريدة » التى كان يتزعمها الاستاذ لطفى السيد بك وقد كان سعد زغلول باشا ، هو الرأس المفكرة وراء هذا الحزب وتلك الجريدة فى مستهل عهدها وكان قد تلقى دروسه الأولى فى السياسة باشراف الأميرة الخديوية (نازلى) سليلة محمد على والموالية مع ذلك للانجليز ٠

وقد تبين فيما بعد لسعد باشا الأهداف الحقيقية لانجلترا ٠

وقد حدث تطور أساسى جعل من ذلك الفلاح ابن الفلاح بطل الاستقلال الوطنى بذلك الاخلاص المطلق ، الذى اتسم به من قبل نشاط مصطفى كامل فى الحزب الوطنى ٠

***

وعن الشيخ علي يوسف رئيس حزب « الاصلاح على المبادىء الدستورية » وصاحب جريدة المؤيد يقول الخديوى عباس حلمى الثانى : كنت أريد أن يكون لى صحيفة قادرة على أن تثير الشعب وتقوده شيئا فشيئا الى ادراك أكثر وضوحا للوطن ولواجبات المواطن فدعوت كاتبا من كتاب اللغة العربية كنت قد سمعت عن صفاته ومزاياه وهو الشيخ على يوسف وكان قد تردد على مدرسة المعلمين ، وخارجا من الجامعة الأزهرية وكان قد لفت اليه الأنظار ان لم يكن لاتساع أفقه الفكرى فبحماسته فى المناقشة وبموهبته كمجادل وبقدرته المشهورة على هضم المسائل ٠

وكان الشيخ على يوسف من أهل الصعيد يعرف عقلية مواطنيه ومطامحهم ، وكان ٠٠ وكان ٠

وبعد أن يطيل الخديو عباس حلمى طويلا فى الحديث عن مزايا الشيخ على يوسف ، يقول : سرعان ما كان معروفا أن القصر يؤيد جريدة المؤيد ويؤيد المبادىء التى تبناها وسرعان ما غدا المؤيد يقرأه الناس من طنجة الى الهند ومن تركيا الى زنجبار وقد كان المؤيد فى الواقع ، يحفل بالمقالات العظيمة بأسلوبها البارع وأفكارها العميقة وكان الشيخ بأسلوبه اللاذع وبلاغته التى لا تقتفى وعاطفته التى كانت تهدىء من غلوائها لحسن الحظ فلسفة انسانية فائقة ٠

كان على يوسف رجلا ، قاد الرجال ، أدرك معنى الأمة ، ومعنى الاخلاص ، كان مصريا قبل كل شىء ولقد نجح أيا ، ما كانت شخصيته أو كانت آراؤه فى أن يستميل الرأى العام ويجمعه ويعلمه التفكير فكانت مقالات المؤيد تقرأ وتشرح فى أبعد القرى النائية وكان المتعلمون أنصار الجريدة وكانوا يعملون على رواجها على حين كان أهل الريف البسطاء والبدائيون تفتنهم الحجج القريبة الى أفهامهم ٠

★★★

وعن مصطفى كامل أيضا يقول الخديو عباس حلمى فى مذكراته : كان مصطفى كامل هو الذى بدأ اذاعة الفكرة الوطنية فى شباب مصر الذى يتلقى العلم فى أوروبا وكان هو الذى هز الروح المصرى فأيقظه من غفوته ، كان مصطفى كامل محيى الوطنية المصرية ، ورسول تلك الفكرة التى كانت قد خنقت فى مهدها ولكنها ظلت تسعى الى الأمام ، وقد كسب لعقيدته ، ولحزبه ، أغلبية الموظفين ، وأعيانا ومثقفين واجماع الطلبة والعمال : كأن فتى خلع عليه الشباب كل نعمة بما فيها نعمة الوهم المقدس ٠

وكان قد آثر الحياة الروحية على الحياة المادية وكان حديث العهد بذلك البلد القديم الذى لم تكن هالات المجد ترتفع فيه الا على القبور ولا يعرف شيئا عن الوضاعة والمساومات السياسية ٠

كان مصطفى كامل بسيطا ومستقيما ، وتحت مظهره اللطيف كانت تختبىء روح متفتحة لكل الأحاسيس وقلب حساس لكل ألوان الرقة والحنان وزاده الله بالحجى ، وكانت بلاغته واضحة وحارة وكان أسلوبه الرشيق العامر بالصور يتنقل من البساطة الانجيلية الى بلاغة الخطيب المصقع العظيم وقد أوتي موهبة الاقناع وسحر الشعاع الذى يؤتاه الحواريون والأنبياء ٠

***

وكان الحب الذى يكنه لوطنه ينبع من حماسته التى لا تفقده سيطرته على عقله ٠

وليس من شأنى أن أسجل حياة ذلك الحوارى الرفيع الذى كانت براعته الظاهرة بقدر ثقافته وجدارته قد فتنت به الجماهير ولكن لا يسعنى أن أرد نفسى عن توجيه تحية الاجلال الى ذكرى وطنى أدين له بساعات فائقة من الجمال ٠

ومن المؤكد أنه كان فى بعض الأحيان يضايقنى فاننا على اتفاقنا الدائم فى الهدف لم نكن دائما متفقين على الوسائل ٠

وقد انزلق أثناء قيامه بدعايته الى ادراك خاطىء للوطنية المصرية وذلك بالتقرب الذى كان ينشده مع تركيا ٠

ولكنه عندما وجد من يبين له خطورة تلك السياسة استبدلها بسرعة ٠

وقد تطور ببراعة فائقة جعلت تلاميذه يتبعونه دون أن يفطنوا الى الخطأ الأول ٠

وكان شباب الزعيم الوطنى يسمح له بأن يسترد خطاه ويتطور فى لطف حول الأخطاء التى يحفل بها الشباب ٠

***

وقد أوشك مصطفى كامل أن يغدو ذات لحظة ضحية الزهو الذى يتربص بأولئك الذين يقودون الجماهير ، ببلاغتهم ويحسبون أنها معلقة بأفكارهم ٠

الى أن يقول الخديو عباس حلمى : ان فضل مصطفى كامل العظيم هو أنه حدد المثل الأعلى للأمة وشجع الجماهير على السعى الى ذلك المثل الأعلى ولكن وطنيته كانت تبلغ أحيانا حد التصلب وأكبر ما كنت آخذه عليه أن ظل معتدا بنفسه وبآرائه عن جميع أولئك الذين كانوا يكافحون حول الراية نفسها ، ولنفس القضية ٠

وكنت قد حلمت بتقرب بين الشيخ على يوسف ومصطفى كامل ولكنى لم أستطع مطلقا أن أحقق هذا الأمل اذ كان يفرق بين هذين الرجلين نوع من الكبرياء المبالغ فيها ولقد كان بوسعهما أن يتفاهما دون أن يتحابا وكان لهما من المزايا والفضائل ما يكفى لكى يظفر كل من صاحبه بالتقدير ٠

فقد كان مع مصطفى كامل الشباب والطلبة والمستقبل على حين كان الشيخ على يوسف يتمتع بالنفوذ على أصحاب المراكز الاجتماعية الهامة ٠

لو أنهما تضامنا أى شىء كنا نعجز عن تحقيقه لو أننـــا وضعنا حماسة أحدهما فى خدمة تجربة الآخر ؟ ٠

★★★

وان كان مصطفى كامل قد تجلى فى أغلب الأحيان فى صـورة الحـوارى فليس فى هذه الدنيا مع الأسف شباب بلا أخطاء وما كان مصطفى كامل الا بشرا ومع ذلك فقد ترك عند موته نموذج حياة كرسها صاحبها لتحرير مصر ولو أن مصطفى كامل قد عرف على يوسف ما كانت تلك المعرفة لتقلل من شأنه فما يجدر بالناس أن يشتجروا على المجد عندما يخشى أن يكون الوطن نفسه فدية المعركة ٠

★★★

وقد ظـــل مصطفى كامل رغم تعليمه العصرى متدينـــا ومتعلقا بروح القرآن ٠

وقد قيل فى أيام كفاح مصطفى كامل العنيفة أنى كنت خصمه وقيل أيضا أنه كان صنيعتى وليس هناك ما هو أشد بعدا عن الحقيقة من هذا الذى قيل ، ان مصطفى كان لا ينتمى الا الى نفسه : كان رجلا من الصفوة عاش بايمانه ومات بايمانه أما أنا عباس حلمى فما كنت أبدا خصمه وما كنت أبدا وحيه !! ٠ بل كان زعيما رائدا ، وجنديا يحارب تحت راية مثله العليا ٠

★★★

ويقول الخديوى عباس حلمى أن مصطفى كامل أول من فـكر فى انشاء الجامعة المصرية وكانت الجامعة قبل أن تولد كابوس بريطانيا : وسوف نعود الى مذكرات الخديو عباس حلمى الثانى خديو مصر ــ مرة أخرى عندما نتحدث عن تنازله عن عرش مصر للملك أحمد فؤاد وذلك فى عهد وزارة اسماعيل صدقى باشا (الأولى) ٠

كما سنعود الى تلك المذكرات ونحن نقوم بتأصيل بعض أحداث سنوات ما قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ٠

وكنت ومنذ بداية حياتي السياسية أختلف مع قيادات الحزب الوطني وفي المقدمة أستاذنا عبد الرحمن الرافعي لمواقفهم من عرابي ومن الثورة العرابية وأسباب انتكاستها ٠

وكنت أقوم باستمرار بنقد تلك المواقف لأنها اعتمدت على عوامل طرأت على الثورة العرابية ولم يكن لعرابي ، ورفاقه أي دخل بها ٠

كما أن التصريحات التي نسبت الى عرابي وهو في طريقه من السويس الى القاهرة ، عقب عودته الى المنفى والتي نشرتها المقطم قد تم تكذيبها من قبل عرابي ٠

أما ما وجه الى عرابي بعد عودته عن رغبته في مسالمة الانجليز فانه يتسم بالقسوة ٠

ولم يكن مطلوبا من عرابي وهو الشيخ المحطم العائد من نفى قاس ظالم استمر أكثر من عشرين سنة أن يحارب الاحتلال البريطاني من جديد وكنت أقول وأكتب : أن كل ما وجه لعرابي في حربه مع الانجليز من مطاعن ٠٠٠ وأن كل ما وجه اليه في المنفى وبعد عودته من المنفى من مظـــاهر الضعف لا ينفي أبدا أنه كان أول فلاح مصري قاد ثورة شعبية هائلة كانت من أهم ثورات القرن التاسع عشر ٠

★★★

وقد آمنت بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بضرورة رد اعتبار الثورة العرابية وزعمائها ٠

وكتبت في هذا السبيل العديد من المقالات ، كان أولاها الدعوة الى رد أملاك العرابيين التي كانت قد صودرت عقب هزيمة الثورة ٠

وقد استجابت وزارة المالية لما ناديت به وصرفت بعض التعويضات الى أسرة أحمد عرابي وحملت على كتفي عبء اعادة رفات أربعة من زعماء الثورة ماتوا في منفاهم في سيلان (سرى لانكا) والسودان ٠

وأجريت اتصالات بأحفاد وأبناء زعماء الثورة العرابية وقد أمدني هؤلاء ، ـ وخاصة أحفاد عبد العال حلمي ، والسيدة يوسفية فهمي حفيدة على فهمي الديب ـ بأوراق هامة وخطيرة كان قد خلفها هؤلاء الزعماء ٠

وأذكر من بين ما تلقيته من معلومات من السيدة يوسفية ، أن على فهمي من أسرة مصرية صميمة « فهو فلاح من سلالة الفلاحين ولد في صفط جدام مركز تلا منوفية وتعلم بالقرية ثم التحق بالجيش ضمن من التحق به من أبناء

العمد والمشايخ فى عهد سعيد باشا ولما آنس فيه سعيد باشا الشجاعة والاقدام قربه اليه ورقاه ثم اتخذه ياورا له ٠

ولما وقعت الحرب التركية الروسية أرسله الخديو اسماعيل ضمن الحملة التى أرسلها لمساعدة الدولة العلية برئاسة راشد باشا حسنى (أبو شنب فضه) ٠

وقد أبلى على فهمى من ضروب الشجاعة والفروسية وأظهر جرأة بهرت أنظار القادة الأتراك ٠

وصارت مضرب الأمثال بينهم وأطلقوا عليه « الذئب المصرى » ٠

★★★

وتقول السيدة يوسفية عن جدها الذئب المصرى أنه مات فى ٢٢ نوفمبر ١٩١١ فى منزل متواضع بالدرب الجديد بعد أن صادرت الحكومة أمواله والسراى المملوكة وجعلتها سكنا لكتشنر باشا سردار الجيش المصرى وتقع هذه السراى فى ملتقى شارع نوبار وشارع الخديو اسماعيل (شارع التحرير) وشارع فهمى ٠

وأن ثكنات الحرس مكانها الآن محافظة القاهرة هى نفس المكان الذى جمع فيه على فهمى الضباط ليقسموا اليمين على المصحف بحضور الشيخ محمد عبده بأن يكونوا يدا واحدة ٠٠ حريصين على حفظ حقوق البلاد وعلى روح الأخوة بينهم » ٠

★★★

وكان من بين المقالات التى كتبها عن عودة رفات الزعماء العرابيين من المنفى مقال بتاريخ ١٩٦٦/١١/١١ (المصور) بعنوان « أطول رحلة نفى فى التاريخ » : متى يعود الزعماء الغرباء الأربعة ؟ ٠

ومقال آخر ـ فى المصور بتاريخ ١٩٧١/٩/١٧ ـ تحت عنوان « ٩٠ عاما والثورة العرابية لا تزال مظلومة : أعيدوا رفات أبطال الثورة الى مصر » ٠

وكنت قد تلقيت فى ١٩ يناير ١٩٧٥ رسالة من الأخ الصديق الدكتور يحيى الجمل وزير الدولة لشئون مجلس الوزراء يقول فيها : اشارة الى المذكرة الخاصة برد اعتبار أبطال الثورة العرابية واعادة رفات أربعة من قادتها توفاهم الله فى المنفى يسرنى الاحاطة بموافقة السيد رئيس الجمهورية ٠

ويجرى الآن اتخاذ الاجراءات اللازمة فى هذا الشأن » ٠

وفى ١٥ مارس ١٩٧٥ تلقيت رسالة من الأخ الدكتور يحيى الجمل يقول فيها : الحاقا بالكتاب المؤرخ ١٩ يناير ١٩٧٥ بشأن رد اعتبار أبطال الثورة العرابية واعادة رفات أربعة من قادتها توفاهم الله فى المنفى أرجو التكرم بموافاتنا بمذكرة وافية عن الموضوع لامكان التصرف على ضوء ما تضمنته من وقائع ومعلومات .

وقد قمت بالرد على ذلك الخطاب بمذكرة تفصيلية اقترحت فيها الاتصال بحكومات سيرى لانكا ، السودان ، تركيا للموافقة على نقل رفات زعماء الثورة « عبد العال حلمى ، ومحمود فهمى ويعقوب سامى وطلبة عصمت (مدفونون فى سرى لانكا) على الروبى (مدفون فى سواكن بالسودان) عبد الله نديم (مدفون بالأراضى التركية) .

***

كما اقترحت أن تتم العودة فى يوم ٩ سبتمبر باعتبار هذا اليوم أكثر أيام الثورة العرابية خلودا وهو اليوم الذى نجح فيه جيش مصر بقيادة أحمد عرابى الى عابدين وفرض ارادة الشعب على خديو مصر .

كما اقترحت أيضا اصدار قرارات جمهورية باعادة اعتبار ابطال الثورة العرابية وضم أسماء العسكريين منهم الى سجلات الجيش المصرى بعد أن صدرت الأوامر من الخديو توفيق باشا بمحو تلك الأسماء من سجلات الجيش محوا نهائيا وربما كانت آخر الأوراق الخاصة بذلك الموضوع ما تلقيته من سفير جمهورية مصر العربية فى كولومبو بتاريخ ١٩٧٨/٦/٦ حيث قال : اشارة الى حديثنا فى القاهرة فى العام الماضى وما لمسته من اهتمامك بتلك الفترة من التاريخ عن تاريخ نفى عرابى وصحبه الى سرى لانكا أتشرف بالافادة أن السيد آرثروب والذى كان يعمل بالشرطة المحلية هنا قام باعداد بحث مستفيض مدعم بالوثائق عن تاريخ اقامة عرابى باشا وصحبه فى سرى لانكا كما قام فى سنة ١٩٧٣ بنشر بعض المقالات فى الصحف المحلية عن تاريخ تلك الفترة أيضا » .

ويمضى مشكورا السفير مصطفى راتب عبد الوهاب فى رسالته قائلا : وقد قابلت السيد وب وأبدى رغبته فى المضى فى بحوثه وتحقيقاته عن تلك الفترة .

كما أبدى بعض أساتذة الجامعات هنا اهتمامهم الشديد واستعدادهم للقيام بالتحقيقات اللازمة .

ويبعث السفير مصطفى راتب عبد الوهاب لى بصورة من أبحاث مستر آرثر وب ثم يقول : فى أحاديث مع من تابعوا تاريخ عرابى باشا فى سرى لانكا

يتضح أن فترة تواجده هنا كانت ثرية بالعمل والنشاط وقد ترك رحمه الله آثارا واضحة فى تاريخ سرى لانكا خاصة لدى مسلميها ٠

وفى اتصالاتى هنا بالسيد رئيس الجمهورية والسيد وزير التربية والتعليم لمست اهتماما واضحا بتاريخ نفى عرابى باشا الى سرى لانكا ٠

وأعتقد أن متابعة هذه الجهود مثمر ، ومفيد لتدوين اقامة عرابى باشا فى سرى لانكا ٠

والتى تمثل جزءا هاما من حياته السياسية ٠

ولتحقيق هذا الهدف يمكن تشكيل لجنة من الباحثين السيرلانكيين والمهتمين بهذا الموضوع ، لمتابعة البحث والتحقيق تمهيدا لنشر هـــذه المعلومات بعــد تمحيصها وتحليلها » ٠

★★★

والجدير بالذكر أيضا ــ أن ب٠أ٠ لاندرى ــ من رجال البوليس السيلانى كتب فى عام ١٩٧٤ تحقيقا عن حياة أحمد عرابى فى ســيلان لخصــه فى روز اليوسف الأستاذ فتحى غانم باذن منه وكان من بين ما قاله « ان أحمد عرابى رفض عرضا مغريا من شاى ليبتون باستخدام صورته فى الاعلانات وأنه عندما سمحوا له بالعودة الى مصر ، لم يجد أجرة السفر ٠

كما أن ب٠أ٠ لاندرى قال فى اليوم التالى لوصول أحمد عرابى الى جزيرة سيلان أنه توجه الى مسجد ماردانا ليؤدى الصلاة فتجمع المسلمون فى موكب حافل خلفه ٠

وكان هذا ايذانا بأن أهل المدينة قد اعتبروا الزعيم المصرى زعيما بينهم ٠

وفى أبريل من نفس العام سار المسلمون فى مواكب كبيرة متجهين الى بيت عرابى الذى كان سيتركه فى الشهر التالى لكثرة نفقاته ٠

وهناك حيوه واحتفلوا به ٠

وانزعجت السلطات الانجليزية ولكنها قررت أن تصبر لعــل وجود أحمد عرابى يصبح شيئا عاديا بين الناس فلو تدخلت لفض المواكب التى تسعى اليه لتحول عرابى الى زعيم حقيقى ٠

وقد نجحت هذه السياسة الى حد ما ٠

ولكن عرابى أصبح علما يحج اليه السياح الذين يفدون الى الجزيرة ٠

وهكذا أصبح هناك مكانان لابد وأن يزورهما أى سائح أجنبى تطأ قدماه أرض سيلان حيث توجد السلاحف السيلانية الشهيرة وبيت عرابى ·

وعندما زار ملك سيام سيلان فى عام ١٨٩٦ طلب مقابلة أحمد عرابى وكان بينهما حديث متصل فى فندق الملكة بكاندى ·

ويقول لاندرى أيضا ان أحمد عرابى كتب للمفتش العام للشرطة خطابا فى ٤/٦/١٨٨٧ يقول فيه : سيدى العزيز : أرجو أن أبلغك أنى ألقى متاعب كثيرة من البحارة الذين يأتون دائما الى بيتى وهم سكارى ·

ويريدون دخوله بلا اعتبار لتقاليدنا ·

لقد حطموا الأبواب وضربوا الخدم وأملى أن تولى هذا الأمر اهتمامكم » ·

ولقد حقق المفتش العام دافيد هذه الشكوى فذهب الى البيت ·

وبينما كان هناك اذا بثلاث عربات قادمة يهبط منها ركابها ويريدون دخول بيت عرابى ·

وبذل المفتش جهدا كبيرا ليمنعهم من الدخول ·

وخاصة ان عرابى كان صائما فى ذلك اليوم ·

ولعرابى وزملاؤه فضل انتشار اللغة العربية فى سيلان (سرى لانكا) ·

وقد بلغ – لا ندرى – انتشار اللغة العربية درجة عالية · وعلى المستوى الشعبى حتى أن عرابى وهو يغادر سيلان ودعته جموع الشعب وهم يغنون أغان ألفوها خصيصا باللغة العربية ·

★★★

وقد تجمعت لدى بعض الأوراق والوثائق عن العرابيين فى المنفى وهى لا تقدر بمال !! ·

من بينها وعلى سبيل المثال لا الحصر ما يلى :

●● أوراق كثيرة كتبها أحمد عرابى فى منفـــاه وبخطه عن الثـورة العرابية وملابساتها ، وظروفها وأحداثها ، والأسباب الحقيقية وراء هزيمتها مع التركيز على الخونة الذين باعوا الأسرار العسكرية ، وخاصة الخطط التى أعدت للمعركة الفاصلة (معركة التل الكبير) والأدوار التى لعبها الخديو وأنصاره وفى مقدمتهم سلطان باشا لضرب الثورة من الداخل وطعنها من الخلف ·

وتخلى سلطان تركيا عن الثورة واعلانه عصيان أحمد عرابى ·

●● أوراق أخرى كتبها أحمد عرابى فى منفاه أيضا وبخطه عن ايامه وزملائه فى المنفى ·

وما شجر بينهم من خلاف · ودور مستر بلنت - الايرلندى الحر صديق عرابى والعرابيين - فى ازالة كل ذلك ·

● وأوراق عن تكاليف رحلة مستر بلنت الى سيلان (سيرى لانكا) - وقدرها ٢٠٠٠ روبية - وقد تحملها الزعماء السبعة المنفيون هناك ·

● ● بعض الرسائل المتبادلة بين أحمد عرابى وبين بعض زعماء الهند وبعض أصدقائه من المصريين مثل أحمد المنشاوى باشا ورسالة عن تقاوى شجرة المانجو التى بعث بها عرابى الى صديقه المنشاوى باشا ليزرعها فى أطيانه فى القرشية (مديرية الغربية) ·

● صور بخط يد عرابى للرسائل التى بعث بها الى وكلاء الدول السياسية وخاصة رسالة له بتاريخ سبتمبر ١٩٨٢ يشرح فيها الظروف التى ألمت بالبلاد ابتداء من الفتنة التى أحدثها عثمان رفقى باشا بتكبيد (هكذا فى الأصل) البلاد أتعاب المصايب والنوازل المتوالية عليها والفتن المهددة لها بالقتل والاعدام غدرا وخديعة كفتنة يوسف باشا كمال وكيل الحضرة الخديوية ·

وحادثة فرج بك السودانى ·

ونازلة ال ١٩ ضابطا الذين يدسون « الدسايس » والمفاسد « بتعريف » ابراهيم أغا توتونجى (حامل غليون الخديو) ·

ونحن - أحمد عرابى - مع كل ذلك نسعى فى قطع المفاسد ونتدارك تحسين الحالة بالتدبر ، والحكمة للحصول على دوام الراحة العمومية وحقن الدماء والمحافظة على حقوق جميع تبعة البلاد المتحابة ·

ولكن من وقت تشريف الخديو بمصر لغاية الآن ازدادت الفتن والدسائس الخ ·· الخ ·

***

● ● أوراق خاصة « بمعارضة » زعماء الثورة العرابية (أحمد عرابى وطلبة عصمت وعبد العال حلمى ، ومحمود سامى وعلى فهمى ويعقوب سامى) فى الأمر الخاص بمصادرة أملاكهم منقولة كانت أم غير منقولة وعرضها للبيع ·

« وما ينتج من هذا البيع بعد التصفية يخصص لسداد التعويضات التى ستعطى لمن أصيبوا بالحوادث الثورية · » كما جاء فى الأمر الخديوى ·

وكان الخديو قد وقع على هذا الأمر والى جانب توقيعه وقع كل من رئيس النظار وناظر الداخلية ·

وقد جاء في أوجه هذه المعارضة : **أولا :** أن هذه الأحكام الصادرة من الخديو بموافقة مجلس نظاره بسلب ونهب أملاكنا وموجوداتنا أحكام استبدادية ظالمة جائرة لأنها صادرة من أعداء أقوياء على أخصام ضعفاء .

ثانى أوجه هذه المعارضة :

أننا لم نوافق على سلب أموالنا وموجوداتنا ولم تؤخذ أقوالنـــا وكان سلب أملاكنا وموجوداتنا لا عن طريق محكمة قضائية بل كان سلبها بالطرق الاستبدادية الغير جائرة فى شرع العدل .

ثالث هذه الأوجه : أن المحكمة العســـكرية لم تحكم بســـلب الأملاك والموجودات وقت حكمها بالقتل ، لعلمها أن للقضاء حق التصرف فى الدماء وليس له حق التصرف فى الأموال والأملاك وتيقنها أن أموال القتلى أو الموتى هى حق شرعى لورثتهم الشرعيين لا للحكومة : رابع هذه الأوجه : أن القاعدة التى يدور عليها مدار العمران فى العالم المتمدن هى أن التعرض للأملاك بغير حكم شرعى صحيح يعد مصادرة .

والمصادرة لا تجوز فى المعاملات سواء كانت بين الأفراد أو بين الشعوب . واذا أهملت هذه القاعدة الأساسية المرعية ضاعت الحقوق وساد الاستبداد .

ويؤيد هذا الأصول التى يرجع اليها فى معاملات الأفراد فهى تأخذ بأشد التحوطات لصيانة الحقوق ، فلا ترفع يد واضع اليد الا بحكم شرعى .

خامسا : ليس للملوك المسلمين ولا لأمرائهم أن يتعدوا حدود الله التى حدها لهم ويبطلوا أحكام الله التى ائتمنوا عليها وبها سادوا وتسيدوا العلياء .

وهذا أمر الخديو القاضى بسلب أملاكنا وموجوداتنا قد هدم أركان الدين الاسلامى من أساسه بابطال فريضة الله تعالى بحرماننا من المواريث الشرعيـة ويعرض أركان العدالة .

والله سبحانه وتعالى يقول : للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر » .

★★★

ويطالب الزعماء السبعة من رجال القضاء الذين هم سياج العدل وحماته أن يتدبروا فى عاقبة هذا الأمر الهادم لأركان الشرع الشريف والمخالف للعدل والانصاف ولا تأخذهم فى الحق لومة لائم من ذوى الاثرة والاستبداد فان لرجال القضاء أن يقضوا بالحق وبه يعدلون .

يردوا المظالم الى أهلها قبل أن يحيق بكثير من الناس ما حاق بنا من الظلم والعدوان » ٠

★★★

وفيما يلي صورة هذا الأمر الخديوى الصادر فى ١٤ ديسمبر ١٨٨٢ ــ وهو ما تظلم منه الزعماء السبعة ٠

وبه فى المادة الأولى : أملاك وموجودات أحمد عرابى وطلبة عصمت وعبد العال حلمى ومحمود سامى ، وعلى فهمى ومحمود فهمى ويعقوب سامى منقولة كانت أو غير منقولة ٠

وأملاكهم وموجوداتهم التى اشتروها أو وضعوا يدهم عليها ومقيدة بأسمائهم ٠

وكذلك الأملاك والموجودات التى تصرفوا فيها بالهبة أو البيع بطريقة مصطنعة صارت ملكا للحكومة ولا يجوز لهم من الآن فصاعدا أن يمتلكوا أى ملك من أى نوع كان فى الأقطار المصرية بطريق الارث أو الهبة أو البيع أو بأى طريقة كانت ٠

ويترتب لهم سنويا راتب نقدى بالقدر الضرورى لمعيشتهم ٠

★★★

● ومن أوراق العرابيين التى احتفظ بها عندى رسالة كتبت باللغة العربية ووقعها بالانجليزية مستر برودلى أحد المحامين الذين تولوا الدفاع عن عرابى ورفاقه أمام المحكمة العسكرية العليا ٠

وقد جاء فى تلك الرسالة (وهى بالنص ودون تصرف) :

عزيزى على باشا فهمى ٠

اننى اقدم هذا الآن لأودعكم وأتأمل أن المحبة التى بيننا تدوم الى الأبد وقبل الوداع الأخير ، أريد أن أرجع نصيحتى لكم وهى أن تكون عندكم الثقة التامة فى شرف انجلترا ٠

وأن تقوموا بالمواعيد التى وعدتموها ٠

(ولعل صحتها العهود التى وعدتم بها) ٠

وتيقنوا أنى أكون دائما مستعدا لخدماتكم سواء أكنت هنا أو فى أى مكان آخر ٠

عنوانى بانكلترا كما ترونه أدناه فيمكنكم أن تكتبوا لنا بهذا العنوان الى حين رجوعى ، الى مصر ٠

اكتبوا دائما لى بكل حرية عن الأشياء التى تخصكم شخصيا والتى تخص فاميليتكم (أى عائلتكم) كذلك فى مدة غيابى عن مصر ٠

وقد وكلت صاحبى وصاحبكم الخواجا بيجى فاكتبوا له أيضا وعرفوه بكل ما يلزم ٠

أما العنوان فكان قصتر واترلو !! رقم ١ ، لندن

● وفى خطاب بعث به على فهمى باشا بتاريخ ٥ مايو ١٩٠٣ الى :

جناب المحب المحتشم مدير التلغرافات الانجليزية بمصر

أنا على فهمى الذى كنت بجزيرة سيلانة وعندما كنا بالجهة المذكورة تحرر منا التلغرافات نمرهم بعاليه

والآن مرفوعة جملة قضايا على الست حرمنا بصدد هذه التلغرافات المذكورة ٠

نؤمل اذا وافق جنابكم باستخراج صورة النمر الموضحة بعاليه لضرورة لزومهم ٠

وأقبل فايق احترامى ، على فهمى

● ومن بين أوراق العرابيين أيضا التى احتفظ بها بطاقة دعوة لتوديع أحمد عرابى باشا أقيمت فى الساعة الثامنة مساء ٣ سبتمبر ١٩٠١ فى المدرسة المحمدية للبنين ، شارع كاندى فى مدينة كاندى » ٠

وقد حصلت على أجندات أحمد عرابى التى كان يكتب فيها يومياته فى المنفى ٠

والتى تمثل لى – وربما لغيرى – ألغازا يصعب حلها ومن بين ما جاء فى تلك اليوميات تحت عنوان « ماهيات ومرتبات » ٠

★★★

٢٧ روبية مرتبات أولى
٢٠ روبية مرتبات ثانية
٤١ روبية ماهيات منصرفة
٢٣ روبية ثمن خبز عن شهر سبمبر ١٨٨٤
١٩ روبية ثمن شعير وحمص للحصان
٣ روبية لبن حليب
١٥٠ روبية جرى تسليمه ليد محمد بك المصرف
٧ روبية ثمن جزم الى محمد
٥ روبية ثمن سمك وفاكهة
١٠ روبية أجرة البيت الباقية

الجملة ٣١٦ روبية

●● ومن هذه اليوميات أيضا : تحت عنوان ، منصرف فى مشتروات شهر سبتمبر ١٨٨٤ .

سنت	روبية	
	٣٦	ثمن أصناف شهرية والمسلى شهرين والغاز ٣ أشهر
	٢	شاى وخضار لغاية من سبتمبر
	٣	لغاية ١٢ منه خضار وخلافه
٥٠	٢	ثمن خشب فى ١٥ منه
١٨	١٢	ثمن كيس أرز بتاريخه
	١	فى تاريخه ثمن حمام أخضر وطعام الكتاكيت
٥٠	١	فى ٢١ منه خضار وخلافه
	٢٣	ثمن الخبز
	١٦	ثمن اللحوم ... الخ ، الخ .

●● ومن تلك اليوميات أيضا : وتحت عنوان بيان عدد الزمرد وأثمانه وأوزانه .

روبية	عدد		ط
١٥٠	٧٥	زمرد	٧
٣٠	٩	زمرد	٣ر٩
٣٠	٥٤	زمرد صغير	٣

●● وتحت عنوان : « تابع الخواتم الفضية » ٠

هدية	٢٠	٥ حجر الماء	١٥ روبية
على بك	٢١	١ ياقوت ٤٥ ط	١٧ روبية
هدية	٢١	٢ حجر ستار أحمر الى الشيخ على الفيومى	١٤ روبية
لنـــا	٢٧	١ ياقوت ٣ ط والقفص ذهب	١٦٨ روبية
هدية	٢٩	١ ياقوت ٢٥ ، لؤلؤ ذهب	١٢٠ روبية

●● ويوميات أخرى تحت عنوان بيان عدد النيام وأثمانه وأوزانه :

روبية	عدد	صنف	وزن
٥٢	٦	أزرق عال	٣ر٨٠
٢٠	٢	أزرق	٨
٣٠	١	أزرق	١٠

وقد كتب فى أسفل الورقة : صار تشغيلها جميعا التوقيع : أحمد عرابى

★★★

● وكنت قد ذكرت فى احـــدى مقالاتى عن عرابى ورفاقه أنهم كانوا يقضون وقت الفراغ فى المنفى ، فى تصنيع الياقوت والزمرد ٠

وتلقيت يومئذ رسالة غاضبة من الدكتور عز الدين عبد القادر حفيـد أحمد عرابى يرد فيها على وعلى بعض الكتاب الذين كانوا قد كتبوا عن عرابى مالم يعجب حفيده ٠

وكان وقتئذ (٢١ سبتمبر ١٩٧٠) سجينا فى طنطا وقد جاء فى رسالته أن السيدة صديقة خانم زوجة عرابى قد بنت بيتا كبيرا فى وسط عزبتها هرية رزنة وآخر فى شارع خيرت بالسيدة زينب حيث توفى فيه عرابى عام ١٩١١ ٠

وكانت زوجته الوفية قد توفيت قبله بعام (أى ١٩١٠) ٠

وقد حضرت مع شقيقتى الكبرى عديلة وزوجة خالى ابراهيم أحمد عرابى وهى ابنة ابراهيم باشا فوزى محافظ القاهرة أيام الثورة العرابيـــة وسمعنا جميعا عرابى يقول مؤبنا ومودعا زوجته الوفية وهى على فراش الموت تبتسم له فى حنان وحب وايمان وتشجعه على الصبر ، على مصيبة الفراق الأخير سمعناه يقول ودموعه تجرى كالمطر : لقد شبعت فى حياتى من كل شيء ولكننى لم أشبع منك يا حبيبتى يا صديقة ٠

***

وكاذب من يزعم أن صديقة كانت حين موتها مطلقة من عرابى فلقد ماتت وهى زوجة شرعية على ذمة جدى أحمد عرابى ٠

وليس فى ذمته أية زوجة أخرى الا أنه كان قد تزوج فى خلال العشرين عاما التى قضاها فى سيلان ـ جزيرة سرنديب ـ فى المنفى من أربع جوارى زنجيات توفيت منهن اثنتان هناك ٠

وعاد معه باثنتين هما مرجانة « وفرح جل » أى وردة الفرح بالفارسية٠٠

والأربع من جوارى السيدة صديقة خانم ـ هكذا فى الرسالة ـ زوجته وهبتهن له عندما عزم على تسليم نفسه بعد الهزيمة وقبـــل هربها واختفائها وأولادها حسب رغبة عرابى نفسه حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا » ٠

وكان د٠ عز الدين عبد القادر يرد على بعض الكتاب الذين كتبوا عن عرابى وعن حياته فى المنفى « زورا وبهتانا » ٠

وأبدى د٠ عز الدين عبد القـــادر رغبته فى أن يضع نفســـه فى خدمتى « وخدمة أى كاتب يريد أن يعرف الحقيقة عن « جدى الزعيم أحمد عرابى فى حياته الخاصة والعائلية » ٠

أما سيرته التاريخية فهى ملك مشاع للجميع ، لأنه رجل عام ٠

أما أن يكتبوا عن زوجته وأولاده ما لا يعرفون رجما بالغيب ونحن لازلنا على قيد الحياة فهذا هو الجهل المشين ٠

وما عليك الا أن تتكرم بزيارتى فى أى وقت فى سجنى (سجن طنطـا العمومى) فتجدنى فى خدمتك ورهن اشارتك « أما ما جاء من أن عرابى اشتغل فى صقل الأحجار الكريمة بزعم أن الوثائق التى نشرت مع المقال تؤيد ذلك فانكم تضحكوننى : من أين استقيتم هذه المعلومات المضللة ؟ ان عرابى لم يشتغل بذلك مطلقا ٠

وكان له مبلغ خمسون جنيها معاشا شهريا ومقداره اليوم (١٩٧٠) بقيمة العملة خمسمائة جنيه شهريا .

وفي هذا المعاش غنى كل الغنى عن هذا الهراء ، .

وهذه الوثائق كما تسمونها في مقالكم ما هي في الحقيقة الا أرقام سجلها أحمد عرابي في مفكرته عن مشتريات بعض الأحجار الكريمة .

والتي صنع له منها بعض صناع الجزيرة الهندية ـ سيلان ـ عددا من الحلى لأولاده في سيلان وفي مصر .

وقد كان بعضها قد أهداه الى والدتى (ابنته رقية عرابى) .

ثم ورثته شقيقتى اقبال عبد القادر وهى تقيم (الآن) فى المنزل رقم ١٧ بشارع الحكيم بالجيزة .

وقد باعت هذه الحلى وهذه المجوهرات فى المحنة التى قاسيناها معا حينما قمت فى نوفمبر عام ١٩٣٧ باطلاق رصاص مسدسى على النحاس باشا رئيس الحكومة احتجاجا على توقيع معاهدة « الشرف والاستقلال » المشـــئومة مع الانجليز .

★★★

وهأنذا الآن مسجون مؤبدا فى سجن طنطا العمومى منذ عودتى من الخارج فى ١١ أغسطس ١٩٦٣ فى قضية رأى اذ نشرت وطبعت كتابا بعنوان : كيف تحكم مصر اليوم ؟ فى بغداد عام ١٩٥٤ ، مطالبا بالدستور والحياة الديمقراطية غير المزيفة .

وترجم الكتاب الى الفرنسية والانجليزية .

وطبع فى باريس ولندن وكاليفورنيا وغيرها .

اننى أسير دائما فى كفاحى فى الطريق الذى اختاره عرابى .

وكان عز الدين عبد القادر قد استهل رسالة بقوله : أحييك تحية الشباب تحية التفانى فى الاخلاص لمصر وشعبها .

وأشكرك شكرا خالدا خلود الأفلاك لدفاعك المجيد عن جـــدى الزعيم أحمد عرابى فى العدد الأخير من المصور الصادر فى ١٧ رجب ١٣٩٠/الموافق ١٨ سبتمبر الجارى .

وانى لأستسمحك فى تصحيح بعض الحقائق عن عرابى ذكرت فى المقال المضىء ، خدمة للحقيقة : خدمة منى للتاريخ .

ان من حق السيدة العظيمة زوجة عرابى التى وهبته حبها وحياتها وتحملت معه كل شىء أن تجد من يدافع عنها اليوم بعد أن أهملها جميع المؤرخين وهى التى تستحق بكفاحها ووطنيتها ووفائها لزوجها ولمصر كتابا خاصا يضاف الى سجلات الخالدين ٠

انها جدتى المرحومة السيدة صديقة خانم عيسوى ابنة الأميرالاى عيسوى بك ابراهيم من رجال الجيش المصرى من أبناء كفر الزيات تزوجها عرابى فى شبابه وهو فى الاستيداع فى أقسى حالات يأسه من الظلم الذى حاق به ٠

ولما كانت أمها من عقيلات الأسر التركية وهى حليمة خانم ٠

وكانت مختارة لعراقة مجدها العثمانى لرضاعة وتربية الأمير « الهامى باشا » فقد تشفعت لزوج ابنتها عرابى بما لها من نفوذ عظيم فى قصر الخديو اسماعيل فأعاد عرابى الى الخدمة ولكن فى بناء الكبارى والجسور « لأنه فلاح وابن فلاح مصرى » فلما قامت الثورة الشعبية العرابية ٠

ثم انهزم عرابى بالخيانة وسلم سيفه كما هو معروف كان أول هم للأسرة المالكة البحث عن زوجة عرابى وأولاده لقتلهن (بالطريقة التركية غدرا) انتقاما من عرابى وزوجته وابنته ووصيفتهن التى أخلصت للفلاح المصرى وتنكرت للدماء التركية ولسادة القصر الأتراك ٠

والتى هربت واختفت أكثر من ستة أعوام هى وأولادها دون أن يثير عليها جواسيس الانجليز ولا عملاء القصر ٠

★★★

ان المصريين الذين حموا عبد الله نديم عشر سنوات ومن قبله طومان باى بعد هزيمة الغورى فى موقعة « مرج دابق » حموا صديقة زوجة عرابى وأولادها الصغار حيث سكنت باسم مستعار كل هذه السنين فى حارة النصارى بالقاهرة ٠

وكانت أمى ابنتها الصغيرة فى ذلك الوقت تعرف باسم مستعار ككل أولاد عرابى وهو مريم ٠

وكان كل أهالى الحى من أقباط ومسلمين يعرفون أن أسرة عرابى بينهم ولكن لم يظهر أى خائن ، واحد يرشد الأعداء المتربصين بالفريسة ٠

حتى المواطن اليهودى الذى باعت له جدتى صديقة « خانم » مجوهراتها عرفها وأجزل لها الثمن وأبى أن يرشد عنها السلطات ٠

ولقد قام المواطن ابن هرية رزنة بشراء ٥٣ فدانا فى مسقط رأس عرابى بثمن مجوهرات جدتى المباعة ٠

قام بشرائها باسمه حتى انتهت المدة فنقلتها باسمها ٠

وكان فى وسعه أن يستولى على الأرض ويسلم زوجة عرابى وأولادها لأيدى زبانية السراى من أعداء عرابى لقتلها وقتلهم جميعا انتقاما من عرابى الذى أفلت من أيديهم فى المنفى ٠

ولكن هذا المواطن المصرى لم يفعل شيئا صونا للشرف الاسلامى والشرف المصرى وكان اسمه عطية العزونى ٠

★★★

ويقول د٠ عز الدين عبد القادر ، ان عرابى بعد أن عاد من منفاه أقام فى المنزل الذى بنته لها ولأولادها جدتى صديقة خانم فى شارع خيرت حتى ماتت فيه ومات فيه ، من بعدها بعام واحد عرابى نفسه ٠

وقد دفن عرابى فى المدفن الذى اشترته زوجته صديقة خانم فى قرافة الامام الشافعى حيث كانت أعدته لها وله ، ولذرياتهما حتى ولجواريهما وأولاده منهن مقابر ، فضلا عن مقابر الصدقة ٠

ويقول د٠ عز الدين عبد القادر انه ليس صحيحا أن أسرته أجلت اذاعة خبر موته ليقبضوا المعاش لأن أسرته لم تجد المال لنفقة جنازته ٠

ولقد كان من بين أزواج بنات عرابى الذين شيعوا جنازته والدى محمد بك توفيق عبد القادر ابن المرحوم عبد القادر باشا فهمى المهندس الذى حفر قناة السويس ٠

وكان والدى يملك ثمانين منزلا فى حلوان وشـــبرا ودرب الشمس ودمياط ٠

(ومدرسة دمياط الثانوية للبنين كانت هبة منه لوزارة المعارف من أملاكه).

وهو أول من اشترى سيارة عرفتها مصر والشرق بأسره ماركة رينـــو عرضها مسيو رينو ضمن ثلاث سيارات فى معرض باريس الدولى عام ١٩٠٠ فاشتراها أبى وأحضرها الى مصر ٠

وكان مليونيرا ٠

كما حضر الجنازة زوج ابنة عرابى الآخر الدكتور الأميرالاى حسين بك راسم من أثرياء مصر (وحارة راسم المتفرعة من شارع فؤاد بأبى العلا فى بولاق بمصر لم تزل تحمل اسمه حيث توجد هناك عمارات يملكها هناك حتى الآن ٠

والاستاذ حسن بك غازى من أعيان دياسط وكان يملك ألف فدان وغيرهم

من أسرة عرابى فكيف يقال مع وجود هذه الشخصيات الثرية حول سرير الموت وفى جنازة عرابى أن أسرته لم تجد نفقات جنازته » ٠

★★★

ويقول د٠ عز الدين عبد القادر أن حديث عرابى الذى نشر فى المقطم والذى أثار ثائرة الرأى العام ضده لا يستحق التعليق عليـــــه لأنه حديث مغرض وملفق ٠

وكان عرابى قد تحدث حديثا عاديا جدا مع أخيه الفلاح الحاج صالح محمد عرابى وأولاده وأولاد أخيه الآخر محمد عرابى فى السويس ، عند عودته وهو الذى لفقه وزيفه مندوب المقطم ٠

ولم أستطع بطبيعة الحال أن أنشر رسالة د٠ عز الدين عقب وصولها الى فقد كان نشر اسمه من الأمور التى تحرمها الرقابة لأنه مسجون سياسى والاشارة الى المسجونين السياسيين ـ وقتئذ ـ من المحرمات ولن أعتذر بطبيعة الحال عن الاطالة فى الحـــــديث عن عرابى وأوراق عرابى والأسرار التى وردت فى بعض الأوراق التى آلت الى بعض ورثة عرابى ٠

★★★

ولن أعتذر بطبيعة الحال أيضا ٠ عن الاطالة فى الحديث عن بعض رفاق عرابى وعن المحاولات التى بذلتها ، لاعادة رفات زعماء الثورة العرابية التى لا تزال موجودة فى سيلان (سيرى لانكا) وفى سواكن بالسودان وفى تركيا ذلك أننى أعتبر الحديث عن الثورة العرابية وزعمائها ، كالحديث عن قادة الحركة الوطنية فى مستهل القرن العشرين وفى المقدمة مصطفى كامل ومحمد فريد وبعض رفاقهما ، وتلاميذهما وأنصارهما : لقد كنت فكرت فى أن تكون مقدمة هذا الكتاب أو مدخله كتابا مستقلا بذاته ، حتى يمكن للقارىء متابعة ما ينشر فى الكتاب ذاته ولكننى فضلت فى النهاية ، أن تكون المقدمة أو كما أسميتها المدخل مطولة الى حد ما لأتيح للقارىء معرفة كثير من الظروف التى مهدت لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ باعتبار أن التاريخ سلسلة من الحلقات لا يمكن فصل احداها عن الاخريات ٠

ان الذين ولدوا فى ثورة عرابى هم الذين قادوا ثورة ١٩١٩ ٠

والذين ولدوا فى ثورة ١٩١٩ هم الذين قادوا ثورة ١٩٥٢ وفى رأيى أنه لا يمكن أن نتحدث عن ثورة ١٩٥٢ دون أن نتحدث عن ثورة ١٩١٩ ولا يمكن أن نتحدث عن ثورة ١٩١٩ دون أن نتحدث عن ثورة ١٨٨١ ٠

★★★

والحديث عن أحمد عرابى ورفاقه يجرنا بطبيعة الحال الى الحديث عن قائد عسكرى متميز ، أحرز شهرة عالمية ، وكان له دوره العسكرى كقائد كبير ، لا فى مصر وحدها وانما فى كثير من البلدان العربية .

هذا القائد الذى يعتبره الاخوة العرب رائد القواد العسكريين العرب فى هذا القرن هو عزيز على المصرى باشا .

وعزيز على المصرى هو ـ بلا جدال ـ أحد صناع ثورة ١٩٥٢ والأب الروحى للضباط الأحرار الذين فجروا تلك الثورة فى صبيحة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وهو فى نفس الوقت أحد السياسيين المعاصرين ذوى الشهرة العالمية .

وقد كنت ، فى كثير من المرات التى ألتقى بها بعزيز المصرى باشا وخاصة فى بيته بالمطرية حيث يكون الجو خاليا الا من قلائل يصطفيهم عزيز باشا . وحيث كان الحديث فى بعض الليالى يمتد الى ما بعد منتصف الليل : كنت أجره الى الحديث عن أحمد عرابى والثورة العرابية وما استشكل على فهمه من فى بعض أمورها الغامضة ومواقعها الحربية .

وكان الرجل يتحاشى الحديث فى الثورة العرابية ، عندما يوجد فى المجلس من لا يطمئن اليه تماما ، اذ كان كل ما يخشاه عزيز باشا المصرى أن يتهم بأنه من أنصار عرابى أو أنه ممن يحبذون الطريق الذى سلكه حتى لا يلفت اليه الأنظار وحتى لا يفهم بأنه يخطط لتنفيذ ما عجز عرابى عن تنفيذه وكان عزيز المصرى شكاكا بطبيعته وكان يعتقد أن معظم ما يقوله ينقل الى السلطات مع بعض الزيادات .

ولكنه للأمانة كان ينطلق كالسهم لا يعبأ بأى شىء وخاصة عندما يستثار .

***

وأول مرة رأيت فيها عزيز على المصرى كان فى محكمة استئناف مصر بباب الخلق بالقاهرة وذلك فى أواخر فبراير عام ١٩٤٥ وأوائل مارس من نفس العام عندما كنا متهمين بالاشتراك فى مقتل أحمد ماهر باشا رئيس الوزراء وقتئذ .

وكانت التهمة التى تحوم ولا توجه بصفة رسمية الى عزيز المصرى أنه كان يعرف محمود العيسوى القاتل ورغم أن محمود العيسوى ، كان يؤكد باستمرار أن الجريمة فردية وأنه لا صلة لأحد بالحادث الا أن كل ما عرف أن العيسوى اتصل به أكثر من مرة أو أنه كان يتردد عليه قبل وقوع حادث الاغتيال وأنه قد قبض عليه فى ذلك الحادث .

وكان عبد الرحمن الطوير باشا النائب العام وقتذاك يحترم عزيز المصرى باشا احتراما شديدا فلا يجلس الا اذا جلس ، ويقوم اذا قام بالرغم من ثورة عزيز المصرى باشا على النائب العام واتهامه اياه بالخضوع لسيطرة الحكومة فى اعتقال هذا العدد الوفير من الأبرياء الذين لا علاقة لهم بالحادث .

وأذكر أن الطوير باشا كان يخشى لسان عزيز المصرى ، ويتحاشى ثورته باستمرار : يومها ـ يوم اللقاء فى محكمة الاستئناف ـ لم أستطع التحدث اليه اذ كانت التعليمات صريحة بألا يتبادل المتهمون الحديث أو الاشارات ، غير أن الصورة التى انطبعت فى ذهنى عن عزيز المصرى باشا وقتئذ ، أنه بطـــل دائما . حتى وهو مساق الى التحقيق ، مخفور برجال البوليس .

يومها تمنيت أن أراه بعد خروجنا من السجن .

وقد تحققت الأمنية ، عندما وضعت الحرب العالميـــة الثانيـة أوزارها وأوضارها وذهبت اليه ضمن مجموعة من شباب الجامعة نسأله الرأى فيما يجب اتخاذه من خطوات عملية لتحقيق آمال الشعب فى الوحدة والاستقلال .

***

وتحدث الينا عزيز المصرى بلهجة تختلف الى حد كبير عن لهجات من التقينا بهم من الزعماء والقادة أمثال : اسماعيل صدقى باشا ، محمود فهمى النقراشى باشا ، مكرم عبيد باشا ، لطفى السيد باشا ـ د. حسين هيكل باشا ، الشيخ حسن البنا ، أحمد حسين ، وآخرون وآخرون .

لقد انتقد عزيز المصرى باشا الحكام المصريين بشدة ووصفهم بالأذناب الذين لا يفكرون الا بعقلية المحتل ويعملون لخدمته باخلاص ، وذمة ، ووصف الملك فاروق ـ وكان يوما ما رائده فى لندن عندما كان يتلقى العلم هناك قبل أن يعتلى عرش مصر واختلف مع والده الملك أحمد فؤاد حول تربيته وتعليمه ـ وصفه بالفسق والفجور والجبل والخلل العقلى .

وأثار حماستنا الى درجة كبيرة وهو يتحدث عن الاحتلال الانجليزى لمصر وردد كلمة ـ لمحاميه فى احدى القضايا : حافظ رمضان باشا ـ بأننا لن نستطيع اخراج الانجليز من أرضنا الا اذا أخرجناهم من أفكارنا ، وعقولنا » .

ولم يترك عزيز المصرى يومها حزبا من الأحزاب المصرية الا وانتقـــده بشدة .

ولم يترك زعيما من زعمائنا ـ وقتذاك ـ الا حمل عليه حملة شعواء وكال له التهم .

وذهبت اليه فى اليوم التالى ، أسأله لماذا يتكلم بمثل تلك الدرجة من الصراحة والوضوح ، مع شباب يراهم لأول مرة ومن المحتمل أن يكون من بينهم

بعض أذناب البوليس السياسى : فضحك عزيز المصرى ، لما أسماه يومئـــذ بسذاجتى وقال لى لا تخف : أنا أعرف ذلك حق المعرفة ·

اعرف أن البوليس السياسى قد اشترى بخســـة ونذالة بعض الشباب ليتجسسوا على زملائهم وعلى بعض الشخصيات ·

أغراهم بالمال والشقق الفاخرة والعربات الفارهة ·

ولكن عدد هؤلاء لا يذكر الى جانب الغالبية العظمى من الشباب التى لم تفسد ولا يمكن أن تفسد لأنها تمثل هذا الشعب العظيم ·

هذه الغالبية ترى أن عليها واجبا مقـــدسا هو أن تحرر هذا البـــلد وقال لى ضمن ما قاله : أنا لا أقول هذا الكلام لمن أراهم لأول مرة من الشباب وغير الشباب وحسب وانما أقوله لكل من ألقاه من كبار الموظفين والكبراء ، لو جاز لى استخدام هذا الوصف بالنسبة لهم ، أقوله لهم لينقلوه الى سادتهم فى قصر عابدين ، وفى السفارة البريطانية بجاردن سيتى : اننا يجب أن نصرخ بأعلى أصواتنا ، يجب أن نعبر عن ارادتنا بقوة ، وعنف : لقد فسد الحكم من القمة الى القاعدة ووجب علينا أن نسعى بكل قوة ـ بما فيها قوة الســـلاح ـ لتغييره ·

***

وعندما فكرنا فى أواخر عام ٤٦ ، وأوائل عام ١٩٤٧ فى حمل الســـلاح دفاعا عن مصر وفلسطين ذهبت اليه أسأله الرأى ، فيما يجب أن نفعله نحن الشباب الجامعى الذى مزقتنا الحزبية وأنهكتنا الخلافات السياسية ·

وكان عزيز المصرى ـ كالعادة معى دائما ـ صريحا وواضحا ، قال : اذا كنتم مستعدون لحمل السلاح فأنا فى مقدمة من يعمل على تحقيق رغبتكم من الغد ، قلنا : والمدربين : قال حاجة بسيطة » · قلنا : والسلاح : قال حاجة أبسط · ان فى كل قرية مصرية عشرات من قطع السلاح وفى كل مدينة مئات بل ألوف من قطع السلاح يمكن شراؤها أو يمكن الحصول عليها بدون شراء اذا عرف حائزوها الغرض الجديد من استخدامها ·

وفى اليوم التالى كنا فى دار جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة نتدرب على حمل السلاح ويدربنا الصاغ محمود لبيب ـ وهو من خيرة ضباطنا ـ وقد لعب دورا هاما فى حرب طرابلس فى ليبيا ، ضد القوات الايطالية تحت قيادة عزيز المصرى وصالح حرب ·

وكان يطل علينا من شرفة الطابق الثانى من الجمعيـــة ، عزيز المصرى وصالح حرب الى أن انتهى الدرس الأول واستقبلنا صالح حرب وعزيز المصرى

في مكتب صالح حرب وقال لنا عزيز المصرى ، ليست العبرة بالسلاح الحديث ، وليست العبرة بكثرة التدريب ولكن العبرة بالقلب الذى يحمل السلاح . صحيح أن اليد التى تحمل السلاح ولكن العقل هو الذى يفكر وهو الذى يمتلىء وحده بالايمان .

***

وتكررت اللقاءات .

وفى كل لقاء كنا نزداد ايمانا بعظمة الرجل وشجاعته ونقاء سريرته : أذكر أنه قال لنا ذات مرة وكانت اللجنة الوطنية للطلبة والعمال فى سبيل تكوينها : أمنيتى الحقيقية أن تقوم ثورة شعبية بقيادة الجيش المصرى الوطنى : لقد نذرت نفسى منذ أكثر من نصف قرن للثورة وكنت أعمل لها فى كل مكان حتى عندما انتدبت للقضاء على الثورة البلغارية كنت أخدم تلك الثورة .

ولا يزال البلغاريون يرسلون الى كل عام عن طريق سفيرهم فى القاهرة هدايا تذكارية اعترافا بدورى المتواضع فى « قمع » الثورة .

لقد كان ضباط الخلافة العثمانية يفتكون ويذبحون كل من تقع أيديهم عليهم من الثوار البلغاريين كما كانوا يهدمون كل شىء فى طريقهم .

أما أنا فقد كنت أعرف حقيقة مشاعرهم كشعب ينشد الاستقلال .

كنت أحفظ النظام فى الوقت الذى أتيح فيه للشعب البلغارى التعبير عن ارادته » .

وما أكثر ما تحدث الينا عزيز المصرى عن ذكرياته وما أكثر — فى نفس الوقت — ما تحدث عن عمله كمدير لمدرسة البوليس وكرائد لولى العهد فاروق .

وقد أفادتنى الى حد كبير ، المعلومات التى حصلت عليها من عزيز المصرى باشا وخاصة ما يتعلق منها بأسرار الحكم فى الفترة من ١٩٢٨ حتى ١٩٥٢ .

وما أكثر ما تحدث الينا عن ضيق الملك فؤاد به اذ كان يعتبر أنه — أى عزيز المصرى — من رجال الخديو عباس حلمى الثانى .

***

وكان أول من عينه فى خدمة الحكومة المصرية محمد محمود باشا عندما ولى الوزارة فى عام ١٩٢٨ اذ اختاره مديرا لمدرسة البوليس .

وعندما اختير مفتشا عاما للجيش المصرى لم يجد عملا يقوم به ، ولم ترفع

اليه ورقة فسافر الى العراق ، فى رحلة ترفيهية فلما عاد من رحلته انهالت عليه الأسئلة عن أسباب تلك الرحلة وكتبت الصحف كثيرا عنها حتى أنه أجاب فى مؤتمر صحفى على أسئلة الصحفيين بقوله : أليس عجيبا أن تهتم الصحف بنزهة أقوم بها الى العراق لا تستغرق سوى عدة أيام دون أن تهتم بالعطلة الطويلة التى منحتنى اياها الحكومتان الأخريان التى تجاوزت سنتين وأنا مفتش عام للجيش المصرى وأتقاضى مرتبا عن هذه الوظيفة « اننى دهش حقا حين تقوم قيامة الصحف من أجل غيابى ثم تغمض العين عن تلك الاجازة القهرية التى أتمتع بها بالرغم منى حتى حيل بينى وبين اختصاصات منصبى وأداء عملى » .

وقد فصل ـ فيما بعد ـ عزيز المصرى ـ من عمله حتى بدون اعطائه الحق فى المعاش كموظف سابق فى الحكومة المصرية .

★★★

وقد استهوتنى شخصية عزيز المصرى : السياسية والعسكرية والانسانية ، وقضيت أكثر من عام فى جمع الوثائق والمعلومات الخاصة بتلك الشخصية منذ نشأته الأولى الى اشتراكه كجندى بارز فى كثير من الحروب التى خاضتها دولة الخلافة العثمانية وانتظامه فى جمعية الاتحاد والترقى عام ١٩٠٥ وتعيينه مدرسا بكلية الأركان التركية فمفتشا بالجيش التركى بولاية سلانيك واشتراكه فى قمع الثورة الألبانية عام ١٩٠٨ واستدعاء الحكومة التركية له بعد استقالته من الجيش التركى لقمع ثورة الامام يحيى واستطاعته حقن الدماء واصابته بالكوليرا وتطوعه لقيادة الطرابلسيين والسنوسيين فى حربهم ضد الايطاليين واستدعائه الى الاستانة وتقديمه استقالته فى ٢٠ يناير ١٩١٤ واتهام الاتحاديين له بالخيانة فى ٩ فبراير ١٩١٤ . وتقديمه للمحاكمة وثورة الرأى العام العالمى من أجله .

والعفو عنه وعودته الى مصر واستقباله ـ فيها ـ استقبالا شعبيا حافلا .

★★★

وقد تجمعت لدى معلومات هامة عن دور عزيز المصرى فى الحرب الطرابلسية وعن محاكمته فى الاستانة ثم العفو عنه وعن اشتراكه فى بعض الجمعيات الفدائية التى كان غرضها قتل كل من يقاتل العرب ويقاوم مبدأ الاستقلال التام وقيام دولة عربية تعيد أمجاد العرب الغابرة .

وقد كان ولا يزال بعض الباحثين العرب يطلقون عليه « أبو الفكرة العربية » وحامل لواءها وقد سعيت الى كل من اتصل بعزيز المصرى فى حياته .

وفى مقدمة من استعنت بهم اللواء سعيد الألفى الذى رافق عزيز المصرى أكثر من ستة وثلاثين عاما ، منذ أن التقى به فى مكتبه بمدرسة البوليس ، الى أن رحل للقاء ربه .

وقد أحدث عزيز المصرى ثورة فى مدرسة البوليس وكان يدعو بعض أساتذة الجامعة وكبار السياسيين لالقاء محاضرات على طلبة مدرسة البوليس أمثال طه حسين ومصطفى عبد الرازق ومنصور فهمى وعبد الرحمن عزام ومحجوب ثابت ٠

وكانت المحاضرات تلقى فى مدرج مدرسة البوليس وكان عزيز المصرى يعلق على كل محاضرة ويدعو الطلبة الى التعليق عليها ٠

***

وعزيز المصرى ـ كما قال لى سعيد الالفى ـ يعد أول من أدخل المصارعة اليابانية والشيش فى كلية البوليس وقد استدعى المصارع اليابانى المعروف ايشاجورا ولاعب الشيش الدولى فياندو للتدريس بصفة دائمة فى الكلية وهو ـ عزيز المصرى ـ أول من أدخل الكلاب البوليسية فى البوليس وأول من أدخل الموسيقى النحاسية والمزمار البلدى فى حفلات تلك المدرسة كما أنه أول من أدخل الحمام الزاجل فى مدرسة البوليس ٠

ومرة ـ وكان عزيز المصرى ـ رئيسا لأركان حرب الجيش المصرى ـ وطلب القيام برحلة تفتيشية فى بعض المحافظات وعاد ليكتب تقريرا عن العلاوات والترقيات ، ولم يضمن تقريره أية مسألة عسكرية ، فلما سأله وزير الحربية وقتذاك ـ حسن صبرى باشا ـ عن السبب فى اغفاله الجوانب العسكرية فى تقريره أجابه بقوله : لأنك لست بعسكرى : لقد قدمت لك الأشياء التى تجيد فهمها أما الأشياء الأخرى فهى خاصة بالعسكريين » ٠ ومرة سأله أحد الوزراء عن رأيه فى حل مشكلة ما فقال له ـ وكان الوزير غير متخصص فى شئون وزارته ـ ليست العبرة بابداء الآراء وعرضها بل العبرة بطريقة التنفيذ ، قم من مكانك وأنا أنفذ ما أراه، أما أن أبدى لك رأيا لا تعرف كيف تقدره فلن تكون قادرا على تنفيذه » ٠

وأذكر أن اللواء سعيد الألفى قال لى ، رافقت عزيز المصرى من ١٩٢٩ الى اليوم الذى فارق فيه الحياة عام ١٩٦٥ وأشهد أنه ما من شىء تحدث عنه فى الماضى الا وتحقق فى الحاضر وليس ذلك فى الشئون السياسية والعسكرية وحسب ، بل فى الشئون الاقتصادية والاجتماعية ٠

***

على أننى لم أكتف بما تجمع لدى من معلومات ووثائق عن عزيز المصرى داخل مصر ٠

وانما سعيت الى زيادة معلوماتى عن طريق كثير من الاخوة العرب الذين عرفوا عن قرب عزيز المصرى ، أو الذين كتبوا عنه دراسات مستفيضة ٠

وفى مقدمة هؤلاء العراقى المغترب الاستاذ مجيد خدورى والمؤرخ العربى الكبير الاستاذ عجاج نويهض الذى أمدنى بكثير من الوثائق الهامة عن عزيز المصرى كما لفت نظرى الى فصل هام كتبه عن عزيز المصرى السير رونالد ستورس فى كتابه مشرقيات Oriention (الطبعة الأولى ١٩٣٧ والطبعة الأخيرة المنقحة ١٩٤٥) ٠

وقد ساعدنى أيضا فى جمع كثير من المعلومات عن عزيز المصرى باشـــا الزميل الصحفى العراقى الاستاذ صبيح الغافقى الذى كان من المهتمين بســيرة عزيز المصرى ٠

والأمل أن يمتد بى العمر حتى أرى كتابى عن عزيز المصرى مطبوعا لأنه يمثل مرحلة هامة من مراحل النضال المصرى والعربى بدأت مع بدايات القرن العشرين ولم تنته الا بنهاية حياة الرجل فى ١٩٦٥ ٠

★★★

ومن الشخصيات التى أثرت فى ـ منذ بداية حياتى ـ شخصية طلعت حرب ، ولقد حزنت الى أبعد درجات الحزن ، عندما أقيل من منصبه كرئيس لمجلس ادارة بنك مصر ٠

طلعت حرب من مواليد ٢٥ نوفمبر ١٩٦٧ بشارع قصر الشوق بسيدنا الحسين وقد نال اجازة الحقوق عام ١٨٨٩ واشتغل فور تخرجه فى قلم قضايا الدائرة السنية مترجما ثم أصبح مديرا لها وفى نفس الوقت تولى ادارة الشركة العقارية المصرية التابعة لبنك اخوان سوارس رولو ٠ وقطاوى ونشة ، وله فضل تمصيرها ٠

وقد ألف طلعت حرب كتابا عن تربية المرأة والحجاب ردا على كتاب قاسم أمين « تحرير المرأة » ٠

وعندما أصدر قاسم أمين كتابه الثانى : « المرأة الجديدة » بادر طلعت حرب باصدار كتابه الثانى أيضا ٠٠ فصل الخطاب فى المرأة والحجاب ، وكان من رأى طلعت حرب أنه لا داعى للطفرة فيما يتعلق بالاصلاح الاجتماعى ٠

★★★

ومما أثر فى بالنسبة لأعمال طلعت حرب فى بداياته الأولى أنه عندما صفيت الدائرة السنية وكان هو المشرف على تصفيتها رأى أن يبيع معظم أراضى الدائرة الى الفلاحين التى كانوا يزرعونها وبذلك ـ وربما لأول مرة ـ حـول المزارعين الى ملاك ، وقد عمد طلعت حرب للتيسير على أولئك الفلاحين فيما يتعلق بدفع ثمن الأرض التى اشتروها فرأى أن يدفعوا الثمن على أقساط وكانت تلك الأقساط ـ وقتئذ ـ قريبة من الايجار السنوى لتلك الأراضى ٠

ونشاط طلعت حرب ـ وهذا ما ضاعف من علو مكانته ـ لم يشـمل مصر وحدها وانما امتد الى كثير من البلدان العربية ، فلقد أسس بنك سوريا لبنان ٠

★★★

وطلعت حرب أول مصلح اقتصادى عرفته مصر : لقد كان ايمانه بانشاء بنك مصر وسط ذلك الجو ، المعادى لكل ما هو مصرى ، ووسط تلك القوى الأجنبية المسيطرة على اقتصاديات البلاد ٠٠ كان هذا الايمان فى حد ذاته ، يمثل شيئا غريبا ، وقد كان البعض يراهن على فشله فيما أراده ولكنه أصر ، وأصر حتى حقق لبلده أعظم نجاح اقتصادى حققه شعب على مدى عشرين عاما ٠

ذهب طلعت حرب الى أحد الأمراء يطلب منه الاشتراك فى رأس مال بنك مصر فقال له الأمير : أنت رجل عاقل فكيف يمكنك أن تفكر فى انشاء مثـل هذا البنك ؟ ٠

وقال طلعت حرب ، لأننى مؤمن بمصريتى !!

وقال له الأمير : اذن فسوف أساهم فى بنكك عندما أراه حقيقة واقعة ٠

وقال طلعت حرب : عندما يصبح البنك كذلك فلن يكون فى حاجة الى سموك » ٠

ونجح طلعت فى أن يشيد قلعة اقتصادية وطنية اسـتطاعت بامكاناتها المحدودة ووسط جو معاد الى أبعد حدود العداء ، أن تنشىء حتى سنة ١٩٣٨ ـ فى ساحة التنمية الاقتصادية ـ ٢٣ شركة مصرية وطنية فى كثير من المجالات ، هذا فى الوقت الذى كان يشكو فيه طلعت حرب باستمرار من أن عندنا أزمة رجال : ولعل أعظم عمل قام به طلعت حرب فى حيـاته ليس انشاء بنك مصر وشركاته وحسب ، وليس ولوجه باب الصناعة الحديثة ، بأقدام ثابتة ، وحسب وانما لأنه خلق أجيالا جديدة من التجـار المصريين والاقتصـاديين المصريين ، والصناع المصريين ٠

فى المرات التى لقيت فيها طلعت حرب ـ من بعيد ـ كشاب مصرى عامل بالحقل العام كنت أرى ـ بحق ـ أنه من خيرة الرواد الذين مهـدوا الطريق لاستقلال مصر ، ولعلى لا أبالغ اذا ما قلت ان أثره فى بناء مصر ، كان أقوى عشرات المرات من كثير من رؤساء الأحزاب ورؤساء الوزارات فى مصر ٠

★★★

وفى مقدمة الأوراق التاريخية التى أفادتنى الى حـد كبير ، تلك التى أمدتنى بها السيدة الفاضلة فهيمة شاكر حرم المرحوم محمـد بدر بك من

الشخصيات الوطنية المعروفة ، وكان على صلة وثيقة بسعد زغلول وبمصطفى النحاس وكان ـ فى بعض الأوقات ـ ســكرتيرا للوفد ، وسكرتيرا لهيئــة المفاوضات المصرية البريطانية .

وتتميز أوراق محمد بدر بك أنها سياسية ، واقتصادية بل ان الجانب الاقتصادى منها أهم وأشمل من الجانب السياسى وربمـــا كان مرد ذلك أن اهتمامات بدر بك كانت اقتصادية .

وكان على علاقات وثيقة بكبار الاقتصاديين فى بريطانيا .

وفى عام ١٩٢٥ كان يتولى الدفاع عن القطن المصرى وقد اتفق مع شركة مالية أمريكية كبرى لتمويل القطن المصرى هى شركة الأمريكان اكسبريس وقد كتبت تلك الشركة الى محمد بدر بك خطابا هذا نصه :

شركة الأمريكان اكسبريس

لندن فى ٢٩ ديسمبر ١٩٢٠

مكتب المدير العام المالى فى أوروبا

حضرة بدر بك المحترم

كلوب الجمعيات الملوكية سنت جيمس لندره

سيدى العزيز : الحاقا لمفاوضاتنا العديدة التى فى خلالها وضعتم أساس المشروع الخاص بانشاء نقابات زراعية لمزارعى القطن المصرى فى مصر وان هذه النقابات تضع يدها على القطن المصرى ويحق لها التصرف فيه بالبيع أتشرف أن أخبركم بكل سرور أنه اذا كان أغلب المصريين يرغبون فى انشاء هذه النقابات وأن تكون لها نقابة عامة فشركة الأمريكان اكسبريس تتعهد بأن تقـــدم لكم خدماتها فى تمويل المحصول ونقله ، والتأمين عليه وبيعه وذلك بالشروط التى عرضتموها علينا فى تقريركم المؤرخ ٢٦ نوفمبر ١٩٢٥ والذى تجدون صورة منه ملحقة بهذا .

المخلص

عن شركة الأمريكان اكسبريس

الامضاء ك . تنك

مساعد المدير العام المالى فى أوروبا

وقد واصل بدر بك اتصاله بأعضاء نقابة الدفاع عن القطن ، ولكن لم يكتب النجاح لهذه النقابة فلقد كانت الرأسمالية البريطانية لها بالمرصاد .

ومن الأوراق التى وجدتها فى أرشيف محمد بدر بك · مسودة رسالة كان قد كتبها تحت عنوان : « نداء لأصحاب القطن » والرسالة ذات أهميـة اقتصادية بالغة ·

وهى فى حد ذاتها تبرهن على أهميـــة القطن فى حياتنا الســـياسية والاقتصادية ·

وقد جاء فى ذلك النداء : أحس الناس جميعـا بشدة وطأة الأزمة المالية الحاضرة وهى فى الغالب أثر من آثار الاضطراب الاقتصـــادى الخانق بجميع بلاد العـــالم ·

ولئن كان فى جميع البلدان الأجنبية من الأنظمة الاقتصادية كالبنوك والشركات الوطنية والنقابات الزراعية والتجارية ما هو وسيلة لتفريج هذا الضيق عن أهلها بقدر الاستطاعة فان بلادنا خالية من أنظمة أهلية من هـذا القبيل ولذلك فانها مع ثروة أرضها ومهارة فلاحيها فان وقع الضيق الاقتصادى فيها أشد ازعاجا للنفوس واقلاقا لنا عن وقعه فى غيرها ·

ولقد فكر الناس كثيرا فى هذا الشأن واتفقت كلمتهم على أن أهم وسيلة لهذا التعرض انما هى فى تأليف النقابات الزراعية ونظيرها من النقابات الخاصة بتصريف حاصلات الأرض على نحو يخفف من هم الزارع بقدر الاستطاعة ·

ولما كان محصول القطن هو أهم ركن فى ثروة البلاد وكان الزارع يعز عليه أن يتنازل عنه بالسعر الضئيل الذى لا يكاد يفى بمصاريف الزراعة وكان يود لو وجد من يقرضه على المحصول كنقابة مناسبة تسـتطيع الصـبر وترقب الفرص لارتفاع الأسعار فقد سعيت جهد استطاعتى حتى وصلت الى اتفاق مبدئى مع بعض أصحاب رءوس الأموال الأمريكية على أن يقدموا للمزارعين من المال ما يضمن تحقيق أمنية هؤلاء المزارعين ، على أن الشرط الوحيد لذلك هو تأليف نقابات فى كل جهة من الجهات من كبار الأعيان وخصوصا من كان فيهم أعضاء فى مجالس المديريات والبلديات وأن تؤسس كل نقابة شونة فى جهتها وكل صاحب محصول يريد أخذ قرض على محصوله ما عليـــه سوى ايداع هذا المحصول بالشونة واذن يعطى له جزء كبير من قيمة هذا المحصـــول بحسب سعره الحاضر ·

الى أن يقول محمد بدر بك : وقد يكون من المهم أن يصرح أصحاب المحصول للنقابة بحلج قطنهم واستبقائه محلوجا حتى يتيسر الاسراع ببيعه بمجرد اذنهم بذلك ولا يضيع عليهم وقت تفوتهم به فرصة ارتفاع السعر ·

ومن المتفق عليه أن القرض الذى يعطى لأصحاب المحصول يكون بأقل

فائدة يعطيها الماليون الآخرون أما فائدة أصحاب الأموال فتنحصر فى السمسرة العادية ليس الا » .

ويطلب بدر بك من المواطنين أن يسارعوا فى خدمة أنفسهم ولا يضيعوا الفرصة فلا يهملوا أمرهم ولا يظلون صاخبين على الزمان والمكان ..

***

وقد كان الأستاذ محمد بدر بك قد اشترى امتياز جريدة المؤيد ، التى أسسها الشيخ على يوسف الذى أصبح ـ بعد سنوات من تأسيس تلك الجريدة ذائعة الانتشار ـ رئيسا لحزب الاصلاح على المبادىء الدستورية وقد كان التنازل لمحمد بدر بك فى ٢٦ ابريل ١٩٢٣ مقابل ٣٠٠ جنيه مصرى .

وكان المتنازل أحمد بك رسلان من أعيان تلا منوفية وكان المزاد العلنى الذى بيعت فيه جريدة المؤيد فى ٢٧ نوفمبر ١٩١٥ قد رسا على أحمد بك رسلان وكان المزاد العلنى بالمحكمة المختلطة .

***

ومن بين أوراق محمد بدر بك رسالة من الاستاذ محمود أبو الفتح يقول فيها الاستاذ أبو الفتح أحد مؤسسى صحيفة المصرى : ثم مالكها الوحيد فيما بعد عزيزى بدر بك .

انك تعلم أو تشعر على الأقل باخلاصى لك ويدفعنى هذا الاخلاص لأن لا أعرضك للقيل والقال بمقابلتك جهارا هنا خشية أن يكون فى ذلك ما يعرقل مهمتك التى أصبحت موضع الأمل الوحيد .

ولكنى من جهة أخرى أرجوك أن تحضر عشاء الليلة مع القوقازيين فقد ذكرت لهم أنك ستحضر ولذا سأنتظرك بالكافيه دى لابيه الساعة ٦ر٣٠ فى الخارج لنتمر على فنقوم سوية ونذهب الخ ..

***

وكان محمود أبو الفتح قد بعث برسالة فى ١٩١٩/٦/٧ الى محمد بدر بك قال فيها :

عزيزى المفضال بدر بك ..

حددنا موعد وليمة القوقازيين يوم الخميس الآتى ، وسأخبرك بالتفصيل : حضرت لأعطيك نص المواد الواردة عن مصر فى المعاهدة (وهى حرفيا) فلم أجدك وسأحاول الحضور الى مركز الوفد غدا اذا كنت بباريس لاعطائها لك » .

رسالة أخرى من أبو الفتح الى محمد بدر بك يعتذر فيها لعدم قيامه بسداد المبلغ الذى كان قد اقترضه منه « لأن المعاملة التى لقيتها بعد عودتى قضت على أن أترك جريدة وادى النيل ولا يزال لى طرف صاحبه « مبلغ وبمجرد حصولى عليه سأرسل لك المبلغ (عشرة جنيهات) » ٠

وقد أرسل أبو الفتح هذا الخطاب من الاسكندرية فندق وندسور وكان فندق وندسور يحرص على أن يذكر فى مطبوعاته كلها ، أنه مواجه للبحر وأنه الفندق الانجليزى الوحيد بالاسكندرية ٠

***

ومن أوراق محمد بدر بك رسائل من السير هرنسورت الى المستر هل كول يؤكد فى احداها لمحمد بدر بك ــ عن طريق هل كول أن رائد السياسة البريطانية فيما يتعلق بملك الحجاز الحق والعدل (١٨ أكتوبر ١٩٢٢) ٠

***

ورسالة أخرى الى هل كول أيضا يقترح فيها انشاء مجموعة من النواب البريطانيين لمساعدة ملك الحجاز ٠

***

وقد أرسل أبو الفتح هذا الخطاب من الاسكندرية فندق وندسور ٠

وكان الزعيم البريطانى ونستون تشرشل ، عائدا من افريقية الجنوبية وكان يعمل وقتئذ صحفيا وقد وقع فى الأسر ولما أفرج عنه كان شديد الرغبة فى الوصول الى بريطانيا لنشر ما لديه من معلومات عن حرب البوبر ومرت الباخرة التى تقله ببورسعيد واستقلها الطالب محمد بدر فى طريقه للالتحاق بجامعة ادنبره ووصلت الباخرة الى جنوا فى ساعة مبكرة من الليل وأبلغ القبطان أنه تقرر أن يكون الكشف الطبى على الركاب فى الصباح وبذل تشرشل كل جهود ممكنة ليجرى الكشف عليه بسرعة ليلحق بقطار الليل وسمح لتشرشل ومحمد بدر بمغادرة الباخرة وحدهما فاستقلا القطار وتناولا العشاء معا وناما فى عربة واحدة وبقيا متلازمين الى أن وصلا الى لندن ، وفى عام ١٩١٨ كان محمد بك سكرتير الوفد المصرى وكانت مهمة الوفد الأولى التفاوض مع بريطانيا ٠٠

***

وكانت قد ربطتنى بالاستاذ أحمد حسين رئيس حزب مصر الفتاة ــ رغم اختلافنا فى الآراء ــ علاقة وثيقة وكنت أزوره فى البيت الأخضر ــ أو ما كانوا يسمونه بالبيت الأخضر ــ حيث مقر الحزب ٠

ومرة حضرت مندوبا عن المصور احتفالا من احتفالات الحزب ، ولم يشأ المصور أن ينشر حرفا واحدا عن هذا الاحتفال فانطلق الأستاذ أحمد حسين بقلمه الثائر ، مهاجما ــ وبشدة ــ المصور ومندوبه ــ بالاسم ــ ثم حدث صلح فيما بعد عن طريق الاستاذ فكرى أباظة الذى كان يكن تقديرا خاصا للأستاذ أحمد حسين وهو تقدير متبادل من طرف الأستاذ أحمد حسين ، وعندما كنت أنشر سنوات ما قبل الثورة وكان الاستاذ أحمد حسين فى المستشفى يعالج من المرض العضال الذى أقعده كان يتابع ما أنشره بدقة ، ويتولى الرد على ما يشاء هو أن يرد عليه ، ومرة نشرت صورة لعقد تأجير مكان على الشاطىء بالاسكندرية وقع عليه الأستاذ أحمد حسين لاقامة معسكر فيه لشباب مصر الفتاة فبعث الى برسالة يقول فيها ــ وهى واردة ضمن « سنوات ما قبل الثورة ــ اننى أذكر ما لا يذكره هو وانى أحتفظ بما لم يحتفظ به هو شخصيا » .

***

وقد بعث الى الاستاذ أحمد حسين بأوراق تضمنت مذكراته منذ مشروع القرش الذى دعا اليه عام ١٩٣١ وهو ــ كما يقول ــ أول اتصال سياسى عام على مستوى مصر كلها على أساس أن الدعوة الاقتصادية الاجتماعية التى نظمها مشروع القرش كانت هى السياسة القومية والوطنية فى أعلى صورها .

وقد قال أحمد حسين فى أوراقه انه يقرر أن أبهى صفحات كتابه على الاطلاق هى صفحات مشروع القرش « ففى هذا المشروع عانقت مصر كلها شيبا وشبابا ورجالا ، ونساء وأدركت كيف أن شعبنا المجيد كله يتحول الى قلب رجل احد فى بعض اللحظات ليقوم بما يشبه المعجزات .

وقد نادى أحمد حسن ــ كما قال ــ بمشروع القرش وهو طالب بالسنة الثانية بكلية الحقوق وكان عمره يقرب من العشرين ، وكانت دعوته لمشروع القرش ــ كما قال أيضا ــ تتويجا لجهود سابقة عليه .

ويتحدث ــ فى هذه الأوراق ــ أحمد حسين عن والده الذى ولد فى بلدة كفر البطيخ (محافظة دمياط) وقد افتتح والده ــ محمود أفندى حسين ــ كتابا فى كفر البطيخ كان يعلم فيه القراءة والكتابة والحساب وكانت تربط أحمد حسين بمصطفى النحاس علاقة قرابة .

***

وأول نشاط لأحمد حسين ــ كما قال ــ كان فى المدرسة الخديوية عندما اختلف هو وتلاميذ الفصل مع مدرس اللغة الانجليزية مستر جونس حضر فى اثره ناظر المدرسة محمد لبيب الكردانى بك وقد قسا الناظر على تلاميذه وعندما

قام أحمد حسين بتصحيح بعض الوقائع نهره الكرداني بك فكتب أحمد حسين استقالته من رئاسة تحرير مجلة المدرسة ومن رئاسة جمعية التمثيل بالمدرسة ٠

★★★

ويذكر أحمد حسين أن بداية الانقلاب الحقيقي في حيـــاته كانت رحلة كشفية مع فريق التمثيل بالمدرسة الى الصعيد وهناك امتلأ قلبه اعجابا وحبا لمصر ٠

والحادث الثاني الذي أثر في حياة أحمد حسين وكان له أثر عظيم في تكوينه واعداده للدور الذي قام به رحلته الى باريس في صيف عام ١٩٣٠ ٠

★★★

وبعد عودته من رحلته الى باريس دعا الى الاحتفال بعيد الجهاد في ١٣ نوفمبر ١٩٣٥ بصورة جديدة ٠

ويتحدث أحمد حسين في أوراقه تلك عن « صحيفة » الصرخة وقد أشرف ــ كما قال ــ على الأعداد الثلاثة الأولى منها ٠

ويقول أحمد حسين ان جمال عبد الناصر ، كان من المشتركين في مشروع القرش ٠

ويروي أحمـــد حســـين حكاية عن زميـله ابراهيم شـــكري الذي « هفت نفسه الى شراء حذاء من نوع جيــــد كان يبـــــاع في محل روبرت هيوز بجنيه مصري واحد ، وكيف راح والده ــ والد ابراهيم شكري ــ يؤنبــــه على ذلك بعبارته التي لا يفتأ يكررها للتعبير عن سخطه : تشتري حذاء بثمن قنطـــــار قطن » ! ٠

★★★

ويشير أحمد حسين الى افتتاحية للأهرام كتبها رئيس تحريرها : داود بركات عن مشروع القرش ٠ وكانت الافتتاحية أكبر دعاية للمشروع ، كما يذكر أنهم ــ في لجنة مشروع القرش ــ اختاروا علي باشا ابراهيم عميد كلية الطب وقتئذ ، لرئاسة لجنة المشروع وكان الشيخ أمين الخولي قد قبل عضوية اللجنة ، وكذلك الدكتور علي حسن كما يذكر الأستاذ أحمــــد حسين تشجيع طلعت حرب للمشروع بعد أن كان في البداية مترددا في تشجيعه عندما قابله مرة أحمد حسين ويكتب أحمد حسين عن مقابلته لطلعت حرب في المرة الثانية فيقول : « قال لي طلعت حرب : الآن أحسنتم التصرف وبنك مصر على استعداد أن يقدم أي تسهيلات ممكنة » وبقدر ما أحسست ــ أحمد حسين ــ بخيبة أملي

فى المقابلة الأولى فقد تلقيت هذه المرة جرعة مقوية ، فقد كان يشقينى (أحمد حسين) أن يكون الرجل العظيم طلعت حرب لا يقدر المشروع التقدير الكافى » ٠

ويشيد أحمد حسين بجهود دار الهلال فى تشجيع المشروع ، وكذلك بجهود فتحى رضوان ومدحت عاصم ونور الدين طراف كما يشيد بفضل الأستاذ عبد الرحمن نصر أحد كبار محررى دار الهلال الذى أقنع صاحبى الدار باصدار عدد خاص من مجلة الدنيا المصورة ـ أشهر مجلات دار الهلال وقتئذ ـ يخصص ايراده لمشروع القرش ٠

« على أن ما لاقاه هذا العدد من نجاح قد دفع العديد من الصحف على أن يخصص أعدادا لهذا المشروع حتى وصل الأمر بجبرائيل تقلا صاحب الأهرام أن يعرض اصدار عدد من الأهرام ، يخصص للمشروع » ٠

★★★

ويقول أحمد حسين أن فرحته وزملاؤه كانت لا تقدر : ماكينة الطباعة تدور والنسخ الأولى من عدد الدنيا المصورة تصل الى أيديهم ، حتى لقد عرض ـ كما قال أحمد حسين ـ الشاب المتحفظ الوقور ـ نور الدين طراف ـ أن يأخذ بعض الأعداد لتوزيعها وجبت الشوارع أوزعها ، ولكنى اكتفيت ببعض أعداد ، ولاتزال أسماء ثلاثة عالقة بذهنى ، باعتبارهم أبطال هذه الليلة ـ ليلة طبع مجلة الدنيا المصورة ـ نور الدين طراف ، الدكتور فخرى أسعد ، المهندس محمود يونس » وسوف يجد القارىء صدى أوراق أحمد حسين فى بعض صفحات هـذا الكتاب كما سيجد أن أحمد حسين قد أثرى الدراسة بما كان يبعث به الى من تعليقات وايضاحات باعتباره واحدا من السياسيين الكبار الذين فرضوا أنفسهم بجدهم على تاريخ تلك الفترة من تاريخ مصر (يناير ١٩٣٠ ـ يوليو ١٩٥٢) ٠

★★★

على أنى ـ وذلك من نعم الله ـ لم أكتف بدراسة القضية المصرية والاتصال بالشخصيات المصرية المؤثرة فى المجتمع ، والاستفادة منها دائما وانما اتسعت آفاق دراستى ـ ومنذ البداية ـ فشملت العديد من الأقطار العربية والاسلامية ٠

وكانت الصحف المصرية ، آنذاك تولى أهمية بالغة بكل ما يتعلق بالبلاد العربية والاسلامية ٠

وكانت الجمعيات ـ وخاصة جمعيات الشبان المسلمين العالمية برئاسة عبد الحميد سعيد ، وصالح حرب من بعده ـ تولى اهتماما كبيرا بكل القضايا العربية والاسلامية ٠ فلا يمضى أسبوع دون أن نقرأ عن ندوة فى هذه الجمعية أو تلك يجرى الحديث فيها عن هذه القضية العربية أو تلك ٠

ولا يمضى أسبوع دون أن نسمع عن وصول شخصية عربية ، أو اسلامية كبيرة يجرى الحفاوة بها ، وتقام لها فى كثير من الأحزاب ، والجمعيات بل والبيوتات حفلات الترحيب والتكريم ؛ فتلقى قصائد الشعر ؛ وكان للشعر وقتئذ دولته وصولته .

ويجرى تشنيف آذان الجمهور بكثير من الخطب الحماسية ، الثائرة .

***

وربما كان أول ما علق بذهنى ـ وأنا صغير ـ ما كنت أسمعه وما كنت أقرأه عن كفاح الشعب الفلسطينى وعن التبرعات التى تجمع لشد أزره .

بل لقد كنا بين حين وآخر ـ بعد أن كبرنا ـ نشترك فى توديع قطارات مسلحة ـ أى مملوءة بالسلاح ـ اشتراها شعب مصر من حر ماله ، فى طريقها الى القدس عبر السكة الحديد التى كانت تربطنا وقتذاك بفلسطين كما تربطنا بلبنان وسوريا وتركيا الخ .

وربما كانت أول شخصية اسلامية حديثة أوليتها اهتمامى من ناحية الدراسة ، شخصية الملك عبد العزيز آل سعود : أسرتنى تلك الشخصية الى حد كبير ورحت أنقب وأبحث فى بطون الكتب ومجلدات الصحف بحثا عن تفاصيل تاريخها ومواقفها البطولية .

وكنت قد دخلت كلية الحقوق وانتهيت من اعداد دراسة متواضعة عن الملك عبد العزيز آل سعود طبعتها فى كتاب صغير ، وأنفقت عليها من مصروفى الخاص .

وكنت قد تعرفت الى محمد على الطاهر ، صاحب جريدة الشورى ، وأخذت أتردد على مكتبه فى شارع الملكة نازلى (رمسيس الآن) وفى هذا المكتب عرفت العديد من الشخصيات العربية والاسلامية وعنها درست الكثير من قضايا الدول العربية والاسلامية .

وكانت لنا فى كلية الحقوق ، بل فى جامعة القاهرة ندوات عديدة عن تلك القضايا .

بل كانت لنا مظاهرات واضرابات كثيرة تثور عندما يلم بأى بلد عربى أو اسلامى أى حادث جلل .

ومن الشخصيات التى أسرتنى حقيقة الزعيم السورى عبد الرحمن شهبندر ، والزعيم التونسى ، عبد العزيز الثعالبى والزعيم الفلسطينى الحاج أمين الحسينى والزعيم الليبى ، بشير السعداوى وكانت لى علاقات شخصية بكل هؤلاء وبغيرهم ، وخاصة عندما بدأت أتردد على مكتب المغرب العربى بشارع

ضريح سعد ، واتصل بالشباب المغربي ـ وكان بالعشرات ـ الذى كان يتلقى العلم فى مصر ، والذى قاد ـ فيما بعد ـ حركة تحرير المغرب العربي ـ وفيما بعد توثقت علاقاتى بالزعيم الحبيب بورقيبة والزعيم علال الفاسى وأحمد بن بيلا ومحمد خيضر وآية الله أحمد وصالح بن يوسف وغيرهم وغيرهم .

***

ولعل فى مقدمة ما أفتخر به ، اننى كنت أول من نظم الشباب ودربه على حمل السلاح فى عام ١٩٤٦ من أجل المشاركة فى تحرير الأقطـــار العربية والاسلامية ، وخاصة تحرير فلسطين ، وكنت قد اعتبرت القضية الفلسطينية صنوا للقضية المصرية ولم أشر هنا الى من عرفت من الاخوة السودانيين وعلى رأسهم اسماعيل الأزهرى ، والدرديرى اسماعيل ذلك لأننا فى الحزب الوطنى ـ حزب مصطفى كامل ومحمد فريد ـ ننظر الى مصر والسودان على أنهما شعب واحد وأمة واحدة .

واذا كان لى من أمل قبل أن أغادر هذه الدنيا فهو أن أكتب عن الشخصيات العربية والاسلامية التى عاشت فى مصر ، وكافحت من أجل تحرير بلادها فى مصر ، واعتمادا على شعب مصر ؛ فمثل هذه الصفحات المجهولة ينبغى أن تعرف ويزاح عنها الستار .

خاصة وأن هوايتى لجمع الوثائق والمخطوطات والصور التاريخية ، قد امتدت من مصر ، لتشمل كل أرجاء الوطن العربى والاسلامى من الدار البيضاء حتى جاركتا .

***

ولعل فى مقدمة ما أذكره أنه فى عام ١٩٤١ عندما نزلت القوات اليابانية فى اندونيسيا كتبت مقالا فى جريدة الأهرام عن جزيرة جاوة ، احتفت بهـا الأهرام حفاوة بالغة وعندما زرت اندونيسيا عام ١٩٦٥ ، كان كثير من القـادة الاندونيسيين يذكروننى بذلك المقال .

وعندما شاركت فى ملتقى الفكر الاسلامى فى الجزائر ، فى صيف ١٩٧٣ ، واستقبلنى الرئيس الجزائرى هوارى بومدين على أننى مناضل جزائرى قديم كان الطلب الوحيد الذى طلبه منى وهو يودعنى الى السيارة التى أقلتنى خارج قصر الرئاسة فى مدينة الجزائر أن أهدى الجزائر متحفا يضم ما عندى من أوراق ووثائق عن حرب التحرير الجزائرية .

وكان قد قال لى قبل أن يطلب هـذا الطلب : لقد كنا مشغولين بالقتال وكنا ننتقل من مكان الى مكان داخل الجزائر وكذلك كان السياسيون الجزائريون الأمر الذى جعلنا لا نهتم بتسجيل حربنا التحريرية بالقلم وعدسة التصوير .

وقد فوجىء الاخوة المراكشيون الذين تربطنى بهم علاقات وثيقة وكان أقدمهم فى تلك العلاقة الزعيم علال الفاسى ، وعبد المجيد بن جلون وأحمد المليح وقبلهم جميعا الأمير الخطابى اننى أحتفظ ضمن وثائقى بما لا يملكون هم فى المغرب ٠

عندى ــ وهذا ما أعتز به ــ أعداد وفيرة من بعض المجلات التى كان يصدرها الثوار العرب فى مصر وفى داخل المغرب العربى ــ سرا ــ وعندى صور لأبطال التحرير فى المغرب العربى بالقطع ليست عندهم ، وكذلك الحال بالنسبة لجبهة تحرير ليبيا التى كان يرأسها المجاهد الكبير بشير السعداوى ٠

وبين يدى الآن ، وأنا أكتب هذا المدخل نسخ من مجلة الهلال لسان واجهة الاتحاد العربى بتونس : كانت افتتاحية العدد الصادر فى جماد الاولى ١٣٦٥ بعنوان : المغرب العربى يريد الانسلاخ عن فرنسا ٠

وكذلك أعداد من مجلة الجبل « عدد ١٧ جانفى ١٩٥٨ » تصدرت صفحته الأولى رسما لجبل مع الكلمة التالية : من جبالنا طلع صوت الأحرار : جيش التحرير الوطنى الجزائرى ٠

وضمن الذخيرة التى أملكها أو بمعنى أدق تملكها الأمة العربية ، والاسلامية عشرات من الرسائل بعث بها كثير من الاخوة العرب والمسلمين الى كثير ممن أرخت لهم : محمد فريد ، أمين الرافعى وغيرهما ٠

كما أننى وأنا أكتب سنوات ما قبل الثورة وأنشر بعض أجزائها ، كنت أتلقى العديد من رسائل الاخوة العرب ، يعلقون فيها على ما أكتب ، مشجعين ، أو مصححين ٠

***

وكان فى مقدمة هؤلاء الذين كانوا يوالونى برسائل التشجيع الأديب التونسى الكبير ، الحبيب شيبوب ، وأول رسالة وصلتنى منه ، عندما تحدثت فى أحد فصول سنوات ما قبل الثورة عن قيام حكومة اسماعيل صدقى بفرض حالة الطوارىء فى مصر حتى يفسد الاحتفال الاسلامى الكبير الذى دعا اليه حمد الباسل لتأبين الزعيم الليبى الكبير عمر المختار وكان قد فهم خطأ مما قلته أن من بين الذين أبنوا عمر المختار أحمد شوقى وخليل مطران وحافظ ابراهيم فبعث الحبيب شيبوب يسألنى عن قصيدة شاعر النيل حافظ ابراهيم كما بعث الى فى نفس الوقت بقصيدة للشاعر مصطفى حمام ، وهو يهاجم اسماعل صدقى ولم أكن قد عثرت على هذه القصيدة فى الصحف المصرية ٠

***

على أنني أحب أن أؤكد على حقيقة هامة هي أنني ما تحيرت في حياتي في شيء قدر حيرتي في نقطة البدء في هذا الكتاب : فكرت في أن أبدأ بنهاية ثورة ١٩١٩ على أساس ، أنه بعد أن تنتهي ثورة ما بالنجاح ، أو بالفشل يبدأ الاعداد لثورة جديدة وذلك في البلدان الخاضعة للاحتلال الأجنبي في الغالب .

ووجدت أنه لكي يمكن التواصل بالفكر وبالأحداث مع القارىء لابد من أن أتحدث عن ثورة ١٩١٩ لأمهد للحديث عما أعقبها .

ولأن ثورة ١٩١٩ — في رأيي — قد تأخرت سبع سنين اذ كان من المفروض — من وجهة نظري الخاصة النابعة عن دراسات جادة ، وعميقة — أن تكون ثورة ١٩١٩ هي — فيما يتعلق بنقطة البداية — في عام ١٩١٢ على أساس أن الظروف كانت مهيأة في هذا العام — ١٩١٢ — لقيام ثورة جديدة وكانت الصحف الأجنبية — وخاصة الفرنسي منها — تتساءل في بدايات عام ١٩١٢ : متى تقوم الثورة في مصر ؟ .

ورأيت — ذات مرة — ان يبدأ كتابي بالحركة الوطنية التي قادها مصطفى كامل في نهاية القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين ، ولكنني وجدت أن الضرورة تقتضي قبل الكلام على الحركة الوطنية بقيادة مصطفى كامل شرح الظروف التي أدت الى قيام تلك الحركة .

وعبثا حاولت اقناع نفسي بأن ما كتبته من دراسات عن ثورة ١٨٨١ وعن الحركة الوطنية بقيادة مصطفى كامل وعن مقدمات ومعقبات ثورة ١٩١٩ ، وهي كلها جاهزة للنشر سوف تقوم بمهام التمهيد لكتابي الخاص بسنوات ما قبل الثورة (٢٣ يوليو ١٩٥٢) غير أن نفسي لم تقتنع نفسي بذلك ، اذ لابد أن يكون التمهيد للحديث عن سنوات ما قبل الثورة داخل كتابي عن تلك السنوات، حتى تكون الصورة متكاملة ، وحتى تكون الحلقات التاريخية متصلة في سنوات ما قبل الثورة ، فعندما نتحدث عن الأحزاب المصرية — مثلا — ولتلك الأحزاب خلفيات قديمة ، لابد للقارىء — قارىء سنوات ما قبل الثورة — أن يكون على معرفة بتلك الخلفيات أيضا .

★★★

كما أنني — مثلا — في سنوات ما قبل الثورة تحدثت عن العلاقات المصرية البريطانية التي تحددت رسميا بمعاهدة ٢٦ أغسطس ١٩٣٦ ، وكان لابد من أن أعطى للقارىء جرعة كافية عن تلك العلاقات منذ بدايتها .

وأخيرا وبعد صراع فكري ونفسي قاس وعنيف ، تصالحت مع نفسي على أن تكون بداية سنوات ما قبل الثورة عام ١٩٣٠ بمجيء اسماعيل صدقي ، وتعطيله للدستور — دستور سنة ١٩٢٣ — وفرضه على الشعب دستورا آخر

هو دستور سنة ١٩٣٠ ، على أن أبدأ بتمهيد تاريخي مسهب ومطول تكون نقطة البداية فيه ثورة ١٨٨١ على أن أسبقه بعرض سريع عن علاقتي ببعض تلك الأحداث التاريخية الهامة منذ ١٨٨١ حتى ١٩٣٠ ، والشخصيات التاريخية التي قمت بدراستها ، وتوصلت الى معلومات ووثائق عنها ، لم تتح لغيري أو أعتقد أنها لم تتح لغيري وكذلك عن الشخصيات التاريخية التي كان لها دورها قبل عام ١٩٣٠ أو التي كان لها دورها قبل عام ١٩٣٠ واستمرت طيلة سنوات ما قبل الثورة أو استمرت في بعض تلك السنوات تؤثر في الحياة السياسية المصرية وتتأثر بها ، وأعتقد أنني قد وفقت فيما عرضته فيما سبق من صفحات ، ولا يتبقى لي من ذلك المدخل التمهيدي ، الذي قد يعتقد البعض أنه طال أكثر من اللازم ، الا الى أن أشير وفي ايجاز شديد الى بعض الأحداث البارزة في تاريخنا الحديث في الفترة من ١٨٨١ ، حتى ١٩٣٠ ويحتمل أن يكون لها آثارها المباشرة أو غير المباشرة على ما حدث في الفترة من ١٩٣٠ حتى يوليو ١٩٥٢ أو يمكن أن تفيد قارئ سنوات ما قبل الثورة ان لم تكن ذات آثار بارزة في أحداث سنوات ما قبل تلك الثورة .

***

وفيما يلي بايجاز شديد بعض تلك الأحداث والصور الهامة ، أو التي رأيت ـ والعذر اذا ما كان تقديري خاطئا ـ انها هامة .

● يقول بعض علماء الاجتماع ـ والعهدة عليهم فيما يقولونه ـ ان الثورات لا تقوم عادة الا في ظل حاكم ضعيف وقد كان توفيق باشا ـ نجل اسماعيل باشا الحاكم القوي الذي تحول في النهاية الى حاكم ضعيف بعد أن تآمرت عليه الدول الأوربية ـ من أضعف الولاة الذين حكموا مصر وبالرغم من أن بدايات توفيق باشا تميزت ـ بوجود شخصية دستورية ـ هي شخصية محمد شريف باشا ـ الا أن الظروف والملابسات التي ألمت بالسياسة المصرية وخاصة الظروف والملابسات الخارجية قد جعلت أمر الاصلاح الدستوري في مصر معقدا للغاية ، ولذلك لم يكد يستقر توفيق باشا في كرسيه ، أو يتوهم أنه استقر حتى تخلص من شريف ورأس بنفسه مجلس النظار بدلا من شريف باشا ، ثم عهد الى رياض باشا ، وهو من أضعف الشخصيات السياسية المصرية ومن أكثرها خنوعا لمن يملك قرار تعيينه أو يملك سلطة ابقائه في منصبه رغم أنه حاكم اداري ممتاز : وتوالت الأحداث المؤسفة في مصر في أيام توفيق باشا من تنازل عن أرباح مصر في قناة السويس الى ازدياد التدخل الأجنبي في شئون مصر ...

● تولى توفيق باشا مهمته كخديو في ١٧ أغسطس ١٨٧٩ وكانت خميرة الثورة على النظام القائم قد بدأت تتشكل في السنوات الأخيرة من حكم

اسماعيل باشا ، بالاضافة الى أن رياض باشا بتعنته فيما يتعلق بالشعب ، وبضعفه فيما يتعلق بالقوى الأجنبية والخديو ، قد أسرف فى معاداته للمعارضة فأغلق بعض الصحف وأنذر البعض الآخر ٠

وكانت الصحف المعارضة ـ فيما يقـول أستاذنا عبد الرحمن الرافعى ـ وما كانت تبثه فى الأفـكار من روح التبرم بنظـــام الحكم والتطلع الى الحرية والدستور وما لقيته من الاضطهاد من بين الأسباب الممهدة للثورة والمحرضـة عليهـــا ٠

★★★

● يخطىء الكثيرون عندما يتصورون أن الحزب الوطنى لم ينشأ الا فى عام ١٩٠٧ وعلى يد مصطفى كامل بينما الحقيقة أن الحزب الوطنى قد أنشىء فى ٤ نوفمبر ١٨٧٩ ، ونشر منشئوه أول بيان سياسى لهم وحاول الخديوى ـ كما يقول جون نينيه الذى عاصر الثورة ـ أن يعرف أسماء الموقعين على ذلك البيان فلم يستطع ، بينما كان شريف باشا واسماعيل راغب باشا وعمر لطفى باشا وسلطان باشا من قيادات ذلك الحزب الذين كان لهم دور فى اعداد البيان ونشره وانشاء الحزب ٠

★★★

أما عرابى باشا فيقول عن الحزب الوطنى أنه تألف من لفيف من العظماء والكبراء والنبهاء وأنه كان فى البداية سريا وكان مركزه مدينـة حلوان وأن الحكومة قد بدأت تتعقب هذا الحزب الذى وجد بناؤه اسـتجابة شعبية قوية وسريعة ٠

★★★

● وهناك أسباب أخرى ساهمت فى قيام الثورة فى مقدمتها شدة وطأة الديون التى كان الخديو اسماعيل قد اقترضها وتخصيص نصف موارد الميزانية لسداد فوائد الديون وسيطرة رأس المال الأجنبى على الموارد الاقتصادية فى مصر ، وكذلك انقاص عدد الجيش المصرى توفيرا للنفقات الأمر الذى أدى الى انضمام الجيش الى الشعب فى تذمره من الحكومة والحكام ٠

★★★

● فاذا أضفنا الى تلك الأسباب ظهور شخصية أحمد عرابى كزعيم فلاح وتصرفات وزير الحربية ـ وقتذاك ـ عثمان رفقى باشا ، تلك التصرفات الحمقاء التى أدت الى تفاقم الحالة وتجمع الضباط وأبرزهم ، عرابى وعبد العال حلمى وخضر خضر وعلى فهمى الديب ومحمد عبيد وعلى يوسف وقدرة هؤلاء الضباط

ـ بعد أن أقسموا اليمين على التضامن لما فيه خير الوطن ـ على التحرك ومقابلة رئيس النظار .

وما كان من أمر محاكمة الضباط الثلاثة عرابي وعلي فهمي وعبد العال حلمي أمام مجلس عسكري وكذلك الهجوم على قصر النيل بقيادة محمد عبيد لاطلاق سراح الضباط الثلاثة .

★★★

● وفي مثل هذه الحالات التي تسبق الثورات يكون التنازل عادة من الحاكم دليلا على ضعفه وهذا الضعف يؤدي الى تقوية مراكز الثائرين ، فلم يكد يصدر القرار بعزل عثمان رفقي باشا وتعيين محمود سامي البارودي مكانه ـ وهو من المتشيعين للثورة ـ حتى كادت الكراسي تهتز من تحت الخديو وناظر النظار وانطلقت الثورة بعد تلك الخطوة انطلاقا هائلا تجلى في اجتماع عرابي ببعض قناصل الدول الأجنبية في مصر وارساله رسائل الى البعض الآخر ، وكان ما لقيه البارون دى رنج قنصل فرنسا العام من تعضيد لمطالب الضباط وهو الأمر الذي أدى فيما بعد الى حدوث انشقاقات خطيرة بين الحكومة والضباط وتوالى بعض الأحداث الهامة الأخرى التي مهدت لواقعة عابدين في ٩ سبتمبر ١٨٨١ حيث ذهب الجيش بقيادة عرابي الى عابدين وتمكن ـ عرابي ـ من فرض ارادته على الخديوي فكان تأليف وزارة شريف باشا في ١٤ سبتمبر ١٨٨١ وعودة البارودي الى وزارة الحربية والبحرية .

وكان أن وصلت الحركة العرابية الى قمة مجدها .

★★★

● بدأ الحزب الوطني يباشر عمله بصفة علنية وينشر برامجه في بعض الصحف .

وقد رأى الحزب الوطني في بيان أذاعه بتاريخ أول يناير ١٨٨٢ الابقاء على الروابط الحاصلة بين الحكومة المصرية والباب العالي واتخاذ هذه الروابط ركنا يستند عليه في عمله .

وأبدى الحزب أمله في استخلاص المالية المصرية من أيدي أرباب الديون شيئا فشيئا .

ويعرب الحزب في بيانه عن هويته « فهو حزب سياسي لا ديني . مؤلف من رجال مختلفي العقيدة والمذهب وأغلبيته مسلمون لأن تسعة أعشار المصريين من المسلمين وجميع النصارى واليهود وكل من يحرث أرض مصر ويتكلم بلغتها منضم اليه لا ينظر الى الاختلاف في المعتقدات ويعلم أن الجميع اخوان وأن

حقوقهم فى السياسة والشرائع متساوية وهذا مسلم به عند أخص مشايخ الأزهر . الذين يقصدون هذا الحزب ويعتقدون أن الشريعة المحمدية الحقة تنهى عن البغضاء وتعتبر الناس فى المعاملة سواء ، والمصريون لا يكرهون الأوربيين المقيمين بمصر من حيث كونهم أجانب أو نصارى واذا عاشروهم على أنهم مثلهم يخضعون لقوانين البلاد ويدفعون الضرائب كانوا أحب الناس اليهم .

***

● وتم انشاء مجلس للنواب بناء على عريضة وقعهـا ١٦٠٠ من وجوه البلاد وأعيانها وأجريت الانتخابات وتحدد يوم ٢٦ ديسمبر ١٨٨١ لافتتاح مجلس النواب .

● كانت القاعة التى اجتمع فيها المجلس بديوان وزارة الأشغال (قاعة مجلس الشورى الآن) .

وخطب فى الجلسة الأولى الخديو وسلطان باشا وشريف باشا ، وتألفت بالمجلس لجنة المدن برئاسة عبد السلام المويلحى ، لجنة الشرقية برئاسة أمين الشمسى ، لجنة الغربية ويرأسها محمد المنشاوى ، ولجنة الأقاليم الوسطى التى رأسها اسماعيل سليمان ، أما لجنة قبلى فقد رأسها محمود سليمان ، كما تألفت لجنة لوضع اللائحة الجديدة أى الدستور .

***

● قامت بعض الأزمات فى وجه النظام الجديد بسبب تآمر فرنسا وانجلترا على وضع الدستور المصرى ، وكانت تلك الأزمة فى ٧ يناير ١٨٨٢ وحاولت الدولتان بمقتضى مذكرة مشتركة قدمها سير ادوارد مالت معتمد انجلترا فى مصر والمسيو سفكنكس معتمد فرنسا فى مصر الى الحكومة المصرية اعطاء الدولتين حق الوصاية على ما يجرى فى مصر . وأدى التدخل الفرنسى والانجليزى فى شئون مصر ، الى وضع العقبات أمام النظام الجديد الأمر الذى دعا شريف باشا الى الاستقالة ودفع بالخديو الى قبوله تأليف وزارة عسكرية يرأسها محمود سامى البارودى وتولية عرابى باشا وزارة الحربية ، وبدأت الثورة تنتقل بتأليف تلك الوزارة من مرحلة الى مرحلة ، وصدر دستور ١٨٨٢ وسط تحفز من فرنسا وانجلترا وبدأ مجلس النواب يناقش مشروعات لتعميم التعليم فى مصر قدمه عبد السلام المويلحى نائب القاهرة وحضر بجلسة ١٢ مارس ١٨٨٢ عبد الله باشا فكرى ناظر المعارف لمناقشة المشروع ! واتجه الرأى فى المجلس الى أن يساعد الأهالى الحكومة فى انشاء بعض المدارس .

***

● استمرت الفتن الأجنبية ، واعتمد رؤوس تلك الفتن من الأجانب على بعض المصريين أو المتمصرين فكانت مؤامرة الضباط الشراكسة وكان تأليف مجلس عسكرى لمحاكمة هؤلاء وفي مقدمة المتهمين الفريق عثمان باشا رفقى ، ويوسف نجاتى (أميرالاى) وقد امتنع الخديو عن التصديق على الحكم وبدأ الخلاف بين الخديو والوزراء يأخذ أشكالا عنيفة ٠

ووصل الاسطول الانجليزى والاسطول الفرنسى الى ميناء الاسكندرية وكان للدولتين ـ فرنسا وانجلترا ـ مطالبهما وفى المقدمة اقالة أو استقالة وزارة البارودى وخروج عرابى من القطر المصرى وارسال على باشا فهمى وعبد العال حلمى الى داخل البلاد ٠ واستقالت وزارة البارودى فى ٢٦ مايو ١٨٨٢ احتجاجا على مطالب الدولتين ، وقبلت الاستقالة واشتدت الأزمة وكانت مذبحة الاسكندرية فى ١١ يونيو ١٨٨٢ التى دبرها الانجليز والفرنسيون والخديو ورجالهم وتألفت وزارة اسماعيل راغب باشا فى ٢٠ يونيو ١٨٨٢ ، وضربت الإسكندرية فى ١١ يوليو ١٨٨٢ بقنابل الاسطول البريطانى ، البوارج انفنسبل ، سلطان ، مونارك ، الكسندرا ، تمورير ، ثيلوب ، الخ ، الخ ٠

★★★

● شهد جون نينيه عميد الجالية السويسرية فى مصر عملية ضرب الاسكندرية ووصفها فى كتابه « عرابى باشا » وكان من بين ما قاله : ومع ذلك فما كان أبدع هذا المنظر . منظر الرماة المصريين الذين كانوا قائمين على مدافعهم وهى مكشوفة فى العراء وكأنما هم فى استعراض حربى لا يرهبون الموت الذى يكتنفهم اذ لم يكن لهم دروع واقية ولا متاريس وكان معظم الحصون بلا ساتر ومع ذلك فهؤلاء الشجعان من أبناء النيل كنا نلمحهم وسط الدخان الكثيف كأنهم أروع الأبطال الذين سقطوا فى حومة الوغى ثم بعثوا ليكافحوا العدو من جديد ويستهدفون لنيران مدافعه ٠

وكان الأئمة يزورون الحصون ويشجعون المقاومة وقام الجميع بواجبهم من جند ورجال ونساء صغار وكبار ولم يكن ثمة أوسمة ولا مكافآت تستحث هؤلاء الفلاحين على أداء واجبهم بل ان عاطفة الوطنية والثورة على الفظائع التى نزلت بهم كانت تثير الحماسة فى صدورهم وهم أولئك الشجعان المجهولون الذى لم يفكر أحد فى آلامهم » ٠

★★★

● وحرقت الاسكندرية فى ١٢ يوليو ١٨٨٢ ، وانسحب العرابيون منها واحتلتها القوات البريطانية وهاجر أهلوها ، وعاد الخديو الى سراى رأس التين فى حماية القوات البريطانية وبدأ القتال بين الانجليز والجيش المصرى فى كفر

الدوار وفى السويس : وأحجم عرابى عن سد القناة بناء على تعهد من دليسبس بحماية القناة ، وتم احتلال بورسعيد والاسماعيلية ونفيشه وكانت الهزيمة المرة المنكرة فى موقعة التل الكبير (١٣ سبتمبر ١٨٨٢ بسبب الخيانة والرشوة ، وتخلى السلطان عن عرابى وأسباب أخرى يطول شرحها وكان أن استسلم قادة الثورة العرابية للجيش الانجليزى ودخلت القوات البريطانية العاصمة المصرية فى ١٤ سبتمبر ١٨٨٢ وتولى تسليم القلعة على بك خنفس ذلك الخائن الذى فتح الطريق للقوات البريطانية فى موقعة التل الكبير .

***

وبدأت محاكمة العرابيين أمام محكمة عسكرية برئاسة محمد رءوف باشا وقضت المحكمة فى ١٣ ديسمبر ١٨٨٢ باعدام عرابى وكان فى ٧ ديسمبر قد حوكم ــ أمام نفس المحكمة ــ كل من طلبة عصمت وعبد العال حلمى ومحمود سامى البارودى وعلى فهمى الديب فحكمت عليهم بالاعدام وتلا رئيس المحكمة أمر الخديو بتعديل الحكم الى النفى المؤبد وفى ١٠ ديسمبر حوكم محمود سامى ويعقوب سامى فحكم عليهما أيضا بالاعدام مع تعديل الحكم الى المؤبد .

وفى ١٤ ديسمبر ١٨٨٢ ــ كما سبق أن ذكرنا ــ أصدر الخديو أمرا بمصادرة أملاك الزعماء السبعة المحكوم عليهم وأموالهم .

وفى ٢١ ديسمبر ١٨٨٢ أصدر أمرا آخر بتجريدهم من جميع الرتب والألقاب وعلامات الشرف التى كانوا حائزين ومحو أسمائهم محوا مؤبدا من سجلات ضباط الجيش المصرى .

***

● وحكم على كثير من زعماء الثورة وقادتها وضباطها وجنودها وفى المقدمة على الروبى (النفى الى مصوع) حسن موسى العقاد (النفى الى مصوع) عمر بك رحمى نفى ٣ سنوات الى سواكن تحت الملاحظة الخ الخ كما حكم على بعض الأعيان أحمد أباظة (الشرقية) وأحمد محمود (البحيرة) سعداوى الجبالى (الفيوم) أمين الشمسى (الشرقية) محمد جلال (المنيا) عمر محجوب (المنيا) ونفى الزعماء السبعة ــ فيما بعد الحكم عليهم ــ الى سيلان (سيرى لانكا) ولم يعد عرابى الى مصر الا فى أكتوبر ١٩٠١ .

وبذلك صفيت ــ رسميا ــ ثورة ١٨٨٢ التى سميت فى التاريخ بالثورة العرابية وان بقيت الى الأبد فى ضمير ووجدان الشعب المصرى .

● وبعد أن مات الخديو محمد توفيق باشا الذى حكم فى ظل الاحتلال البريطانى تولى بعده ــ كما سبق أن ذكرنا ــ الخديو عباس حلمى الثانى .

وقد سبق أن أشرنا الى مذكرات عباس حلمي الثاني الذي تولى مسند الخديوية في ابريل ١٨٩٢ وكانت قبل توليته السلطة أزمة سميت بأزمة الفرمان حيث أرادت تركيا ـ دولة الخلافة الاسلامية ـ أن تساوم على صدور الفرمان الخاص بتولية عباس حلمي الثاني خديويا لمصر فرأت أن تتنازل مصر عن العقبة لتركيا وكانت تركيا قد أعادت العقبة لمصر في أيام اسماعيل باشا ورخصت لها بوضع حاميات في الوجه والمويلح ، وضبا والعقبة وكانت تركيا قد استردت الوجه وضبا والمويلح ووافق الخديو على ذلك غير أن المندوب السلطاني الذي كان يحمل الفرمان ـ وقد وصل الى القاهرة في ٤ ابريل ١٨٩٢ ـ كان يريد أن تتنازل مصر عن شبه جزيرة سيناء كلها وتم تسوية الأزمة وتلى الفرمان في ١٤ ابريل ١٨٩٢ في سراي عابدين ثم قامت ازمة اقالة الخديو لوزارة مصطفى فهمي باشا وتشكيل حسين فخري باشا للوزارة الجديدة ، غير أن اللورد كرومر انتصر اذ أجبر الخديو على أن يشكل رياض باشا الوزارة وكان موقف الخديو الشاب ـ يومئذ ـ موقفا مشرفا فالتف الشعب حوله لأنه استعمل حقه ، وكانت أزمة الحدود عندما أبدى الخديو بعض ملاحظات على نظام الجيش ، منددا بهذا النظام ـ وكان ذلك في ١٨ يناير ١٨٩٤ الأمر الذي أغضب كتشنر وأجبر الخديو على أن يتراجع ويشكر سردار الجيش ويمتدح الضباط الانجليز ، ثم تولى مصطفى فهمي باشا الوزارة التي بقيت في الحكم من نوفمبر ١٨٩٥ حتى نوفمبر ١٩٠٨ وكان لسقوطها فيما بعد رنة فرح شديدة .

★★★

● وفي بداية عهد الخديو عباس حلمي حدث تمرد في الجيش المصري في يناير ١٩٠٠ وسجن الضباط المتمردون وتم طرد سبعة منهم الأمر الذي أكد لانجلترا أن بذور الثورة في الجيش المصري ، لم تمت بهزيمة الثورة العرابية ، والضباط الذين طردوا من الجيش هم : اليوزباشي محمود أفندي مختار واليوزباشي حسن لبيب والملازمون الأول : مصطفى لطفي وصالح زكي ومحمد توفيق يوسف والملازمان (الثانيان) عبد الحميد شكري وادريس عبد الله وقد أحيل في تلك القضية اليوزباشي محمود حلمي الى المعاش ، كما أحيل الملازم ثان أحمد شاكر الى الاستيداع .

وفي عهد الخديو عباس حلمي وقعت أشأم معاهدة مصرية انجليزية تلك هي معاهدة ١٨٩٩ التي شطرت الوادي وكرست انفصال السودان عن مصر وانفصال مصر عن السودان (١٩ يناير ١٨٩٩ ووقعها كرومر ، وبطرس غالي) .

★★★

● تميزت السنوات الأولى من حكم الخديو عباس حلمي بتوطيد العلاقة بين الخديو الشاب ومصطفى كامل وقد ظلت تلك العلاقة بين مد وجزر من

١٨٩٨ حتى أكتوبر ١٩٠٤ حيث قطع مصطفى كامل علاقته بالخديو بخطاب شهير أرسله الى الخديو فى ٢٤ أكتوبر ١٩٠٤ سمى بخطاب القطيعة أكد فيه مصطفى كامل أن الحالة السياسية الحاضرة تقضى على ـ مصطفى كامل ـ أن أكون بعيدا عن فخامتكم وأن أتحمل وحدى مسئولية الخطة التى أتبعها نحو الاحتلال والمحتلين منعا لتكدير خاطركم الشريف ودفعا لما عساه يقع من الخلاف والنزاع » : وفى اللواء ٢٧ مايو ١٩٠٧ كرر مصطفى كامل ما كتبه وأذاعه مرارا من عدم وجود علاقة بين الخديو والحركة الوطنية : قلنا ـ مصطفى كامل ـ ، أن سمو الأمير بعيد عن الحركة الوطنية وأن المجاهدين ضد الاحتلال مستقلون عن سموه كل الاستقلال فهو ان قال كلمة فى صالح الحركة الوطنية خدم نفسه وعرشه واستمال أمته اليه وأن عمل ضدها أضر بنفسه وبعرشه ونفر أمته منه ولكنه فى الحالتين لا يستطيع الاضرار بهذه النهضة لأنها نهضة المطالبين بالحياة والوجود ومثل هذه النهضة لا يضرها انسان مهما كان قويا عظيما .

وفى ٢٣ أغسطس ١٩٠٧ بعث بخطاب الى محمد فريد من نيوهوزن يطلب فيه « عدم تفخيم الخديو فى كتاباته فقد علمت عنه ما لا يسر ولابد أن تضره السياسة ذات الوجهين ضررا كبيرا وكلما كان عمل الوطنيين بعيدا عنه كان الفلاح مؤكدا » .

★★★

● فى عام ١٩٠٠ أصدر مصطفى كامل اللواء التى أصبحت فور صدورها لسان حال الحركة الوطنية المصرية ، وكان مصطفى كامل يسمى ـ كما قلنا سابقا ـ بمصطفى كامل اللواء ، وأسس فى نوفمبر ١٩٠٦ شركة مساهمة لاصدار جريدتين احداهما بالفرنسية « ليتندار اجيبسيان » وأخرى بالانجليزية « ذى اجيبشيان استاندرد » واختار لتحريرهما مجموعة من خيرة الكتاب الأوروبيين ، ظهرت ليتندار يوم ٢ مارس ١٩٠٧ وظهرت اجيبشيان ستاندرد صبيحة ٣ مارس ١٩٠٧ كما أصدر مجلة اللواء وكان مصطفى كامل يهتم بشباب الصحفيين وقد أوفد ـ فى أكتوبر ١٩٠٧ بعثة لدراسة فن الصحافة : أرسل سيد على ، أحد محررى اللواء الى باريس ، وانتظم على نفقة صاحب اللواء فى سلك مدرستى العلوم السياسية والصحافة بباريس لمدة ثلاث سنوات .

★★★

● أنشأ مصطفى كامل الحزب الوطنى فى أكتوبر ١٩٠٧ رغم كراهيته للأحزاب عندما تكون البلاد محتلة بجيش أجنبى ، وقد عبر عن هذا المعنى فى رسالة بعث بها الى مدام جولييت آدم الكاتبة الفرنسية المعروفة بصداقتها ،

وحبها لمصر وللمصريين وعندما تأكد له أن الخديو شرع فى دفع الشيخ على يوسف لتأليف حزب الاصلاح على المبادىء الدستورية وعندما تأكد له ـ لمصطفى كامل ـ أن الانجليز يحرضون بعض الأعيان ممن كانوا يطلقون على أنفسهم أصحاب المصالح الحقيقية فى البلاد على انشاء حزب الأمة بدأ يعلن عن تشكيل الحزب الوطنى وقد اجتمعت أول جمعية عمومية للحزب الوطنى فى ٢٧ ديسمبر ١٩٠٧ ، وكان مما قاله مصطفى كامل : اننا اذا دعونا الناس للدخول فى هذا الحزب لا ندعوهم باسم سلطة عالية أو حاكم نافذ الكلمة بل ندعوهم باسم وطنيتهم .. باسم شرفهم .. باسم حقوق وطنهم ، باسم كرامة الانسان ، باسم ذكريات آبائهم . باسم مصالح أبنائهم وأحفادهم » وقد انتخب الحاضرون ـ بالاجماع ـ مصطفى كامل رئيسا للحزب مدى الحياة ، ووافق الحزب على لائحة الحزب ، مادة ثم صدقوا على نصها النهائى وانتخب الحاضرون اللجنة الادارية ثلاثين عضوا وهم : محمد فريد بك ، أحمد فائق باشا ، حسن حارس باشا ، سيد باشا شكرى ، على باشا واصف ، عمر بك أنيس ، فؤاد بك (باشا فيما بعد) سليم الحجازى ، ويصا واصف ، د. حسين يسرى محمود بك ، محرم رستم ، يوسف بك ذهنى ، على فهمى كامل ، على بك حشمت ، محمود بك حسيب ، عبد الحميد بك عمار ، محمد بك حافظ رمضان (باشا) شمس الدين حمودة بك ، اسماعيل بك لبيب ، محمد بك خلوصى ، محمد بك رشوان ، عبد الرءوف بك السيوفى ، يوسف بك حافظ ، ابراهيم بك حفظى ، عبد الله طلعت بك ، على بك لهيطة ، اسماعيل بك الملوانى ، محمد بك عبد اللطيف ، محمود بك فهمى حسين ، د. أحمد فهمى الجهينى ، تلك أسماء أول لجنة ادارية للحزب الوطنى .

***

● وفى ١١ يونيو ١٩٠٦ وقعت حادثة دنشواى وكانت كتيبة من نحو ١٥٠ جنديا انجليزيا قد خرجت من القاهرة متجهة بطريق البر الى الاسكندرية ورغب خمسة من ضباطها فى صيد الحمام فى بلدة دنشواى ـ نقطة بوليس الشهداء ، مركز شبين الكوم ـ وقد حذرهم حسن على محفوظ من صيد الحمام ، والا أحرقت النيران أجرانهم .

وقد أصيبت أم محمد زوجة محمد عبد النبى كما أصيب الجرن من اطلاق النار ، وحدث احتكاك بين الضباط الانجليز وبين أهالى دنشواى وقتل الكابتن بول وجرح آخرون وثارت ثائرة جيش الاحتلال ونصبت محكمة مخصوصة ، برئاسة بطرس غالى باشا وزير الحقانية وعضوية مستر هينر ، المستشار القضائى والمستر بوند وكيل محكمة الاستئناف الأهلية والقائمقام لادلو القائم بأعمال المحاماة والقضاء بجيش الاحتلال وأحمد فتحى زغلول (باشا) رئيس محكمة مصر الابتدائية ، انعقدت المحكمة فى شبين الكوم ٢٤ يونيو

١٩٠٦ وقضت في ٢٧ يونيو باعدام حسن علي محفوظ ، يوسف سليم ، السيد عيسى سالم ، محمد درويش زهران ، شنقا ، وبالأشغال المؤبدة على محمد عبد النبي وأحمد عبد العال محفوظ الخ .

★★★

● نفذ حكم المحكمة في ٢٨ يونيو ١٩٠٦ بطريقة وحشية بشعة وصفها أحمد حلمي المحرر الأول للواء اذ قال : (نصبت المشنقة وآلة الجلد وتم تنفيذ الحكم بقسوة وفظاعة ونفذ حكم الاعدام في المتهم الأول على مرأى ومسمع من أهله وذويه وبين صياح النساء ونواحهن وبقي معلقا ، بينما نفذ حكم الجلد في اثنين ، ثم شنق الثاني بنفس الطريقة وتلا عملية الشنق جلد اثنين آخرين ، كاد دمي - أحمد حلمي - يجمد في عروقي بعد تلك المناظر الفظيعة فلم أستطع الوقوف بعد الذي شاهدته فقفلت راجعا وركبت عربتي وبينما كان السائق يلهب خيولها بسوطه كنت أسمع صياح ذلك الرجل الذي يلهب الجلاد جسمه بسوطه ، الخ .. جعل مصطفى كامل من مذبحة دنشواي قضية دولية أثارت الرأي العام العالمي وسافر الى بريطانيا ذاتها ليفضح الاحتلال البريطاني ، كتب المقالات النارية العديدة في كبريات صحف العالم . محاولا زلزلة عرش كرومر الى أن نجح في اجبار الاحتلال البريطاني على الافراج عن مسجوني دنشواي يوم ٧ يناير وبينما كانت جموعهم تهرع الى دار اللواء لتشكر مصطفى كامل على جهاده من أجل الافراج عنهم كان مصطفى كامل طريح الفراش في مرضه الأخير ، حيث وافاه أجله المحتوم في يوم ١٠ فبراير ١٩٠٨ .

★★★

● وحتى تكون صورة الأحزاب المصرية مكتملة في أذهاننا لابد وأن نشير الى حزبي الأمة وحزب الاصلاح على المبادىء الدستورية حتى لا نتهم بتحيزنا للحزب الوطني حزب الأغلبية الشعبية قبل ثورة ١٩١٩ وقبل تشكيل الوفد برئاسة سعد زغلول .

وهناك ظاهرة لابد من الاشارة اليها وهي أن الصحف المصرية الكبيرة قد تحولت الى أحزاب وبدلا من أن تكون الصحيفة هي لسان حال الحزب بعد انشائه كانت الصحيفة هي الأساس ، ومنها ينطلق الحزب : الحزب الوطني مثلا انطلق من جريدة اللواء ، وجريدة المؤيد . هي التي انطلق منها حزب الاصلاح على المبادىء الدستورية . أما حزب الأمة فقد انبثق عن جريدة الجريدة وكانت حادثة طابا من الأسباب التي دعت الى اصدار الجريدة ، اذ انحاز قطاع من الرأي العام في ذلك الوقت ، الى جانب الانجليز ، وانحاز قطاع آخر من الرأي العام الى تركيا فكان لابد - كما يؤكد د. هيكل - من اصدار جريدة « الجريدة » ويرى الاستاذ أحمد زكريا الشلق أن فكرة اصدار الجريدة فكرة قديمة جالت - كما

يقول الشيخ رشيد رضا ــ فى ذهن الامام محمد عبده ، وقد صدر العدد الأول منها فى ٩ مارس ١٩٠٧ ٠

★★★

وكان الاجتماع الأول للجريدة فى منزل محمود سليمان باشا بتاريخ ٢٣ يونيو ١٩٠٦ حيث قرر المجتمعون تأسيس شركة خاصة الغرض منها انشاء مطبعة وجريدة مصرية تدافع عن مصالح البلاد وقد اختار المجتمعون من بينهم محمود سليمان باشا وحسن عبد الرازق باشا وابراهيم سعيد باشا واسماعيل أباظة باشا وباسيلى تادرس باشا وأحمد يحيى باشا وابراهيم مراد باشا وطلبة سعودى ومحمود عبد الغفار وعمر سلطان ، لوضع قانون لهذه الشركة واختصاص مجلس ادارتها وجمعيتها العمومية الخ وقد بلغ عدد أعضاء الجمعية وقت صدور الجريدة ١٠٧ أعضاء بالاضافة الى الرئيس محمود سليمان باشا ونائبه حسن عبد الرازق باشا وتم تعيين لطفى السيد مديرا لها وقد صدرت الجريدة قبل انشاء الحزب ولكن الراجح أن الحزب كان مشكلا قبل اصدار الجريدة ولكنه لم يعلن عن نفسه الا بعد صدور الجريدة ، ويؤكد هذا المعنى ابراهيم الهلباوى أحد كبار مؤسسى الحزب والجريدة وبينما كانت الجمعية العمومية لشركة الجريدة منعقدة فى صباح ٢١ سبتمبر ١٩٠٧ ــ على ما يروى الاستاذ أحمد سليمان الشلق ، افتتح حسن باشا عبد الرازق الجلسة واعتذر محمود باشا سليمان عن عدم الحضور لأسباب صحية وأعلن حسن باشا فى خطبة طويلة تسمية جمعيتهم السياسية بحزب الأمة ، واختير محمود باشا سليمان رئيسا للحزب وحسن باشا عبد الرازق وعلى شعراوى وكيلين له واختير أحمد لطفى السيد سكرتيرا عاما واتخذ الحزب القاعة الكبرى بادارة الجريدة مقرا لاجتماعاته واتخذ الحزب الجريدة لسانا له ،فدعت الناس الى الدخول فى هذا الحزب وذكرت أن باب الدخول مفتوح لكل من يلجه وأعضاءه هم غالبية رؤساء العائلات ، ويستقبلون بصدر رحب كل من ينضم الى حزبهم الرشيد ٠

★★★

ولم يشترط الحزب فيمن ينضم اليه الا أن يكون مصرى الجنسية ٠

وكان للحزب ناد يسمى نادى حزب الأمة يعقد به ما سمى بالسمر السياسى وقد احتفل فى ١٧ مايو ١٩٠٨ بافتتاح ذلك النادى وألقى أحمد لطفى السيد خطبة بعنوان : الحالة الحاضرة ٠

★★★

وكان من بين اهداف الجريدة خلق رأى عام صحيح فى مصر وذلك بأن

يضع أمام الجمهور يوما بيوم حسابا لكافة الأمور التى فى صالحه ويبحث القرارات الادارية وأعمال الحكومة بتعقل ويقدر الانتقادات والاقتراحات ويشرحها للناس ، ويقيم جهازا لنشر تقارير كاملة عن القضايا ذات الطبيعية الجذابة وهذا غير معروف فى مصر ، أما خطة الحزب ـ كما أسميت وقتذاك فكانت : أن نقصد بسعينا وأموالنا ونصائحنا حركة التعليم العام والمشرعات التى تساعد على تحقيق رغائبنا من التقدم والمدنية وأن نوجه همنا ونصرف قوانا للحصول على حقنا الطبيعى وهو الاشتراك مع الحكومة فى وضع القوانين والمشروعات العامة وذلك بالسعى فى توسيع اختصاصات مجالس المديريات ومجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ، حتى يكون لنا رأى معدود فى القوانين التى نعامل بهـا كقوانين المحاكم الأهلية والادارة والرى ونحوها حتى نصل بالتدريج الى المجلس النيابى الذى يوافق حالتنا السياسية ٠ وأن نواصل السعى ولا ندع فرصـة تفوتنا فى مساعدة نهضة التعليم حتى يصبح موافقا لرغائبنا موصلا الى مقاصدنا فيكون فى مدارس الحكومة الابتدائية مجانيا واجباريا ٠

★★★

● ولم تشر خطة الحزب الى العلاقة القائمة أو التى يجب أن تقوم بين مصر وبريطانيا دولة الاحتلال ، وكان الحزب يرفع ـ منذ البداية ـ شعار التدرج لأنه بذلك التدرج ، يختلف مع الحزب الوطنى الذى عرف عنه وقتذاك التطرف وقد أطلق على حزب الأمة حزب أصحاب المصالح الحقيقية ، وكان الرأى العام فى مجموعه يعارض قيام هذا الحزب وينظر اليه مجموع الشعب على أنه حزب السلطة البريطانية ٠

★★★

وقد ارتبط موقفه ـ أحمد سليمان الشلق ـ من السلطتين ، الشرعية والفعلية بمدى اتفاقهما واختلافهما الأمر الذى أثر بشكل مباشر فى مسـلك الحزب ان لم يكن فى حجمه وتكوينه ـ ففى فترة بقائه عادى الخديو عباس حلمى عداءه للطبقة التركية حيث استغل الخديو فرصة وفاقه مع جورست ـ المعتمد البريطانى فى مصر ـ ليبطش بالحزب ، أما موقف الحزب من الاحتلال وممثله فقد كان موقفا معتدلا مما قد لا يتطلبه الموقف الوطنى عادة على الرغم من أن جورست لم يكن بوفاقه معتدلا تجاه الأحزاب المصرية وعلى الرغم من استنكار كتشنر واحتقاره للأحزاب المصرية عموما ، واذا كان الحزب قد اعتبر نفسه صمام أمان للحركة الوطنية وأن بوسعه باعتداله كبح جماحها ، فان ذلك لم يفـد الحركة الوطنية بشكل عملى أو مؤثر ، كما أنه احقاقا ، للحق ، لم يدفع بالحزب الى معسكر خصوم الحركة الوطنية وان بدا أحيانا كذلك بل لقـد قام الحزب بدوره بشكل عام فى اطار الحركة الوطنية المصرية بأموال أعيانه وبعقول مثقفيه

ولم يشب حركته السياسية الا تغليب المصالح الطبقية على المصلحة العامة وفى المجال الفكرى ـ أحمد سليمان الشلق ـ استطاع كتاب الحزب عن طريق ايمانهم بأهمية الفكر الأوروبى بالنسبة لمصر أن يقدموا العديد من الترجمات لمنجزات الفكر فى المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية مساهمين بذلك فى قضية تحديث مصر وقد تطور دورهم فيما بعد للدعوة الى تنمية الروح المصرية تأكيدا لمعنى القومية ، ولعبوا دورا غير منكور فى احداث التحول نحو تبلور كامل لفكرتيا كما ربطوا بين الاقتصاد والسياسة وعرضوا لنظرية الحرية الاقتصادية أو الاقتصاد الحر .

★★★

● أما حزب الاصلاح على المبادىء الدستورية الذى ألفه الشيخ على يوسف صاحب جريدة المؤيد وأحد أبرز رجال الخديو عباس حلمى الثانى فقد كان انشاؤه فى أبريل ١٩٠٧ وقد أعلن صاحب المؤيد عن حزبه فى جريدة المؤيد وكانت مبادئه : تأييد السلطة الخديوية فيما منحتها الفرمانات الشاهانية لاستقلال مصر الادارى ، والاعتماد على الوعود والتصريحات التى أعلنتها بريطانيا العظمى عند احتلالها القطر المصرى ومطالبتها بتحقيق تلك الوعود .

وكذلك المطالبة بمجلس نيابى مصرى يكون تام السلطة فيما يتعلق بالمصريين والمصالح المصرية .

وأن يكون التعليم الابتدائى عاما ومجانا .

وأن تكون اللغة العربية لغة التعليم فى المدارس المصرية .

وأن تعطى الوظائف فى المصالح المصرية للوطنيين بمقتضى الكفاءة والاستحقاق مع تقليل عدد الأجانب بقدر الامكان حتى يتأتى للمصريين أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم فيما بعد .

وأن تكون محاكمة الأجانب جنائيا أمام المحاكم المختلطة ، كما هم يتقاضون اليوم فى الحقوق المدنية والتجارية والمخالفات وذلك الى أن يتم توحيد المحاكم المصرية لجميع سكانها لأعظم مبدأ فى اقامة العدل بين سكان البلد الواحد ، وهو المساواة أمام القانون .

★★★

● وقد نص القانون الأساسى لحزب الاصلاح على المبادىء الدستورية أنه لا يجوز له خلط الدين بالسياسة ترويجا لها ولكن له الحق فى ابداء رأيه فى « اهمال المصالح الدينية ونقدها بما يؤدى الى اصلاح ادارتها ، كعمل ضرورى للهيئة الاجتماعية » .

وقد اختير الشيخ ع يوسف لرئاسة الحزب وأحمد حشمت باشا وحسين رفقى باشا وكيلين للحزب ، كما اختير أحمـــد حافظ عوض ـ صاحب جريدة كوكب الشرق فيما بعد ـ مديرا للأعمال ومحمد مسعود ويوسف بك صديق أمينا للصندوق ومحمد حسن باشا ويعقوب صبرى بك ، وأحمد تيمور بك ، والسيد عبد الحميد البكرى والياس عوض والسيد أحمد على الحسينى ، والسيد أحمد رافع وخالد بك سعيد ومحمد سعيد عبد المنعم أعضاء ٠

★★★

● واجتمعت الجمعية العمومية للحزب فى يوم ٢٢ نوفمبر ١٩٠٧ وافتتح الشيخ على اجتماع الجمعية بخطاب شامل استغرق ثلاث صـــفحات كاملة من الجريدة ٠

وقد جاء فى ذلك الخطاب : ان حزبكم هـــذا ليس كالأحزاب التى أعلن عن وجودها فى بلادكم فهو لم يظهر للوجود حتى تكون حقيقيا على طريقة الأحزاب السياسية فى البلاد التى نحذو حذوها ونحاول أن نبلغ شأوها فى المدنيـــة والارتقاء ٠

وفضلا عن هذا فان حزبكم يمتاز عن سواه بأن له أصدقاء كثيرين فى انجلترا ، يثق بهم ويثقون به : أولئك الذين يريدون أن يخدموا ٠ مجد بريطانيا العظمى باحترام كرامتها وحسن سمعتها خارج بلادها ، وهذه المزية تجعـــل علينا واجبا آخر وهو أن يكون الصدى الذى يسمع لحزبنا فى البلاد الخارجية وفى انجلترا على الخصوص قويا وسريعا حتى يخرق الأسماع الغاشية بقوة الحجة والبرهان ٠

★★★

بريطانيا وتصريحاتها منسوبة الى قائليها فكأن هذه الوعود شهود على الاحتلال
بريطانيا وتصريحاتها منسوبة الى قائليها فكأن هذه الوعود شهود على الاحتلال
الانجليزى وحجة عليه لا له ، وطالب بتحقيق تلك الوعود والوفاء بها ٠

وكان من الوعود التى ذكرها رئيس الحزب قول غلادستون رئيس الوزارة البريطانية فى خطبة له بمجلس العموم فى ١٤ يونيو ١٨٨٢ : ليس لبريطانيا العظمى أدنى مطمع فى مصر ، فلم تبعث اليها بالجند الا لاعادة الأمن وارجاع السلطة التى فقدها الخديو وهى عاقدة نيتها الأكيدة على أن تجعل الحكم النهائى فى المسألة المصرية للاتفاق الأوربى ٠

● وأشار ـ أيضا ـ الشيخ على يوسف زعيم حزب الاصلاح على المبادىء الدستورية الى قول غلادستون فى منشور انتخـــابى له يوم ١٩٨٥/٩/١٨ ٠ « يجب على انجلترا أن تخرج من مصر عندما يقضى بذلك شرفها البريطانى » ٠

ونحن ــ غلادستون ــ لن نقبل مطلقا ما يشاع عنا من أن في النية ضم القطر المصرى الى أملاكنا أو وضع حمايتنا عليه أو اطالة مقامنا فيه الى ما شاء الله ان السياسة الانجليزية في مصر قائمة الآن على وهم ، فأحسن ما يجرى فى مثل هذه الحالة ، هو أن نضع حدا لتداخلنا في هذا القطر » ، وعقب على يوسف على كل ذلك بقوله : اننـا نطالب بالجلاء ونعتمـد فى مطالبنـا بالجلاء على أسانيـد تاريخية ، وتقول صحيفة المؤيد ، ان زعيم الحزب حمل نفسه مشقة الاستيعاب التام لهذه الأسانيد حتى تكون شفيعا له أمام الجمهور فى اثار سياسة الاتفاق مع الانجليز فى حل القضية المصرية ولكى يدلهم على أن هذه السياسة زعيمة بحل هذه القضية التى لا تحتاج فى رأيه الى العنف ، كما يدعو الى ذلك حزب آخر فى البلاد هو الحزب الوطنى » •

★★★

● وقال على يوسف : يقولون لنا : من أنتم حتى تؤيدوا هذه السلطة فى البلاد ؟ (يريد سلطة الخديو) وأمام من تؤيدونها ؟ وجوابنا أننا من الأمة المصرية التى أيدت رأس العائلة الخديوية تأييدا كاملا يوم لم يكن مؤيدا له سواها : هذه الأمة التى عندما اغترت بقوتها وانحرفت عن سلطتها الشرعية بعض الانحراف أصبحت تلك السلطة الخديوية فى حاجة الى مؤيد آخر لهـا فكان الاحتلال الأجنبى الذى دخل بحجة تأييـدها ولا يزال يقـول انه باق لهـذا الغرض مع غيره من الأغراض ••

★★★

● يقول أحمد شفيق باشا فى مذكراتى فى نصف قرن ، بعد تأليف الاحزاب الثلاثة : الحزب الوطنى ، الأمة ، الاصلاح على المبادىء الدستورية ــ اشتدت المنازعات بينها لا سيما بين الحزب الوطنى وحزب الاصـلاح وكانت جريدتا اللواء والمؤيد ميدانا لهذا النزاع الذى وصل فى كثير من الأحيان الى حد المهاترة والاتهامات الخطرة حتى لقد اتهمت المؤيد مصطفى كامل بأنه يقلد عرابى •

وقال مراسل التيمس البريطانية فى ٢٠ نوفمبر ١٩٠٧ : أن مصطفى كامل يطالب جلاء الانجليز عن مصر فى الحال وينتقد المحتلين ورجال الحكومة المصرية الحاضرة بلهجة عنيفة ، أما مناظره ــ الشيخ على يوسف ــ وهو أوفر منه حكمة وأكثر خوفا ونظرا فى سوء العواقب ــ فانه يرى الآن أو يتظاهر بأن مسألة الجلاء خارجة عن دائرة السياسة الممكن تنفيذها وينكر على زعيم المتطرفين وأنصـاره حدة لهجتهم » •

★★★

● كانت جنازة مصطفى كامل بعثا جديدا للحركة الوطنية وكان قاسم أمين خير من وصفها اذ ذاك فى مذكراته :

١١ فبراير سنة ١٩٠٨ يوم الاحتفال بجنازة مصطفى كامل ، هى المرة الثانية التى رأيت فيها قلب مصر يخفق : المرة الأولى كان يوم تنفيذ حـــكم دنشواى أما فى يوم الاحتفال بجنازة صاحب اللواء فقد ظهر ذلك الشـــعور ساطعا فى قوة جماله وانفجر فرقعة هائلة سمع دويها فى العاصـــمة ووصل صدى دويها جميع أنحاء البلاد .

ويمضى قاسم أمين قائلا :

هذا الاحساس الجديد : هذا المولود الحديث الذى خرج من أحشاء الأمة من دمها وأعصابها ، هو الأمل الذى يبتسم فى وجوهنا البائسة هو الشـــعاع الذى يرسل حرارته الى قلوبنا الجامدة الباردة هو المستقبل » .

لقد اشترك فى تلك الجنازة — كما قيل يومئذ — أكثر من ربع مليـــون مصرى وهو رقم لم يسبق أن اجتمع من قبل — فى مصر — فى مكان واحد .

★★★

● وقد انتخب محمد فريد — فى ١٤ فبراير ١٩٠٨ — رئيسا للحزب الوطنى خلفا لمصطفى كامل ، وكان محمد فريد قد تصور أن خصومه قد نجحوا فى احداث انشقاق فى الحركة الوطنية وأنهم قد نجحوا فى ايهام على فهمى كامل شقيق مصطفى كامل أنه أحق بالرئاسة من محمد فريد وأنهم طبعـــوا بعض الأوراق الخاصة بتزكية على فهمى كامل وقد عبر محمد فريد عن هذه الوساوس فى مذكراته اذ قال : من يوم وفاة مصطفى كامل ابتدأ الخديو يدس دسائسه لانتخاب رئيس للحزب الوطـنى يـــكون طوع أمره ليســـتعمله فى أموره الشخصية وليحارب به انجلترا فأرسل برجاله ، فى الجنازة والمأتم ونفس الشيخ على يوسف عدو مصطفى كامل والمنافس الوحيد له فى جميع أموره ، حضر المأتم والليالى الثلاث الأول وكذا عرفى باشـــا من رجاله وأخـذوا يرشـــحون من يتوسمون فيهم الطاعة من الرؤســـاء مثل يوســف المويلحى أو عرفى باشـــا وبعضهم رشح الشيخ على يوسف نفسه .

كل هذا لم يفد ، وفى يوم انعقاد الجمعية العمومية التى كنت قد « دعوت » اليها يوم ١٤ فبراير أى بعد الوفاة بأربعة أيام ، انتخبت بالاجماع .

يوم انتخابى — محمد فريد — طلبنى الخديو بالتليفون فتوجهت الى سراى عابدين بعـــد الظهر فقابلنى على الفـــور وعن نتيجة المقابلة كتب محمد فريد « رأى الرجل اننى لست ممن يطيعون أوامره طاعة عمياء فأخذ يدس الدسائس لاسقاطى من ناحية ويظهر لى فى التودد من ناحية أخرى .

● وفور انتخاب محمد فريد واضطلاعه بأعباء الزعامة جمع اللجنة الادارية للحزب الوطني في ٢٤ فبراير ١٩٠٨ وكان أول قراراتها المطالبة بالغاء المحكمة المخصوصة التى ألفت لمحاكمة من يتهم من المصريين بالاعتداء على ضباط وجنود جيش الاحتلال ، وأرسل محمد فريد رسالة الى الخديو يقول فيها : نلتمس من سموكم اصدار أمركم العالي بنسخ الدكريت الصادر في ٢٥ فبراير سنة ١٨٩٥ بتشكيل المحكمة المخصوصة التى لها في نفوس المصريين وقع أليم خصوصا بعد حادثة دنشواى المشئومة حتى يمحى ذكرها ويزول أثرها وقد شمل عفوكم الباقين من شهدائها على قيد الحياة فليكن في الغائها بعض السلوى والعزاء لأقارب من شنقوا بناء على حكمها فتندمل كلومهم وترتاح نفوسهم ٠

★★★

● أسند محمد فريد رئاسة تحرير اللواء الى الشيخ عبد العزيز جاويش وكان قد تعرف اليه لأول مرة في مؤتمر المستشرقين بمدينة الجزائر عام ١٩٠٥ وفي عهد الشيخ جاويش طفر اللواء طفرة هائلة وقد بقى الشيخ يرأس تحرير صحف الحزب الوطني حتى فبراير ١٩١٢ ٠

وقد قدم الشيخ عبد العزيز الى المحاكمة في يوليو ـ أغسطس ١٩٠٨ فيما سمى بقضية الكاملين بتهمة اهانة وزير الحربية ونشر أخبار مثيرة للخواطر وقد ترافع عن الشيخ أحمد لطفى السيد ، واسماعيل شيمى بك وقد قضت المحكمة ببراءة الشيخ من تهمة نشر الخبر الكاذب ومعاقبته بغرامة عشرين جنيها عن تهمة اهانة وزير الحربية وفي الاستئناف (٣٠ أغسطس) قضت المحكمة ببراءة الشيخ من التهمتين معا ٠ وكانت هذه القضية ـ كما يقول أستاذنا عبد الرحمن الرافعي ـ فوزا كبيرا للحركة الوطنية وجاء الحكم فيها ضربة شديدة أصابت هيبة الوزارة » ٠

وقدم الشيخ عبد العزيز جاويش الى المحاكمة مرة ثانية لأنه نشر مقالا عن « ذكرى دنشواى » وبرأت المحكمة الشيخ ولكنها غرمته ٤٠ جنيها وفي محكمة الجنح المستأنفة وكانت برياسة بوغوص بك أغوبيان قضت بتاريخ ٢٥ أغسطس ١٩١٩ بحبس الشيخ ثلاثة أشهر ٠

★★★

● وأعلن محمد فريد أكثر من مرة عن معارضته للخديو عباس حلمى وأبدى تخوفه من تكرار زيارات السير الدون جورست المعتمد البريطانى لقصر عابدين وكتب في اللواء أكثر من مقالة معارضا فيها لسياسة التودد للاحتلال البريطانى التى سار عليها الخديو : وفي ١١ ابريل ١٩٠٨ كتب يقول ان الحركة الوطنية شديدة وتيارها قوى ولابد من نيل الأمة الدستور سواء رضيت بطانة الأمير أم لم ترض ٠

والأمة تعتقد أن الخديو عباس حلمى الثانى كان يمنيها بالدستور لغاية مخصوصة ولما نالها قلب بها ظهر الجن » .

وعندما قال الخديو لمسيو جان رود مكاتب جريدة الطان الفرنسية فى ابريل عام ١٩١٠ ان رجال الحزب الوطنى قوم متسرعون جدا أخروا تقدم البلاد الطبيعى بالحافهم فى مطالب سابقة لأوانها ومصحوبة بالضوضاء » ، رد فريد على ذلك الحديث بمقالين مؤكدا أن مبادىء الحزب الوطنى لم تتغير من عام ١٩٠٧ ولازال أساسها طلب الجلاء والدستور ولن نكل عن المطالبة بهما حتى ننالهما « الجلاء والدستور » ولا يقعدنا عن السير فى طريقنا ما نراه من مظاهر الوفاق بين الانجليز والخديو ولا ينتقص من هممنا رمينا بأننا متسرعون .

● وفى نوفمبر ١٩٠٨ استقالت وزارة مصطفى فهمى باشا وتألفت وزارة بطرس غالى باشا بعد أن قضت فى الحكم ثلاثة عشر عاما وسميت « بأطول الوزارات عمرا - وبدأ الحزب الوطنى بقيادة فريد ينظم المؤتمرات الوطنية فى داخل البلاد كما راح - بقيادة فريد أيضا - ينشىء مدارس الشعب الليلية وفى تلك المدارس كان الشعب يتعلم بالمجان القراءة والكتابة ودروس الدين وتاريخ مصر والتاريخ الاسلامى وكان الشباب يتطوع للتدريس فى تلك المدارس التى أنشئت فى أقسام الخليفة وبولاق وشبرا والعباسية .

واهتم الحزب الوطنى بقيادة محمد فريد بانشاء النقابات العمالية وبالحركة التعاونية .

وكانت الحكومة قد خشيت من تنامى الحركة الوطنية فأعادت قانون المطبوعات فى مارس ١٩٠٩ ، واحتجت اللجنة الادارية للحزب الوطنى على ذلك وسيرت المظاهرات الشعبية ، وقد قدم بعض الشباب الى المحاكمة بسبب تظاهرهم ضد قانون المطبوعات على النحو الذى سبق أن أشرنا اليه عندما تحدثنا عن أحمد حلمى .

★★★

● اهتمت الحركة الوطنية بقيادة محمد فريد بالدعاية للقضية المصرية فنظمت مؤتمرا للشباب فى جنيف (سبتمبر ١٩٠٩) واشترك فى هذا المؤتمر محمد فهمى وعلى الشمسى ومحمد لطفى جمعة وحلمى مسلم ، وعثمان فايد وقدمت فى هذا المؤتمر أبحاث عديدة : نظام الحكم فى مصر لمحمد فريد : نهضة الشرق ومصر للاستاذ محمد لطفى جمعة ، سياسة الانجليز فى مصر للاستاذ أحمد لطفى السيد : الحركة الوطنية ومستقبلها لتيودور روذستين ، السودان المصرى لمصطفى الشوربجى وقد قرر المؤتمر الاحتجاج على الاحتلال الانجليزى

والمطالبة بالجلاء والدستور كما اشترك محمد فريد فى مؤتمر السلام باستوكهلم (أغسطس ١٩١٠) .

***

وفى سبتمبر ١٩١٠ نظم الحزب الوطنى بقيادة فريد مؤتمرا هاما وخطيرا فى بروكسل بعد أن رفضت الحكومة الفرنسية عقده فى باريس مجاملة للاحتلال البريطانى وقد اشترك فى هذا المؤتمر العديد من زعماء العالم مثل كير هاردى زعيم حزب العمال فى بريطانيا وقد قرر المؤتمر عدم شرعية الاحتلال البريطانى وضرورة الجلاء العاجل عن مصر ووجوب رد الدستور الى مصر ، وبطلان اتفاقية السودان ووجوب الغاء قانون المطبوعات وقانون الاتفاقية الجنائية وقانون النفى الادارى وقد أفردت فى كتابى عن محمد فريد وكتابى عن أمين الرافعى صفحات عديدة من كل المؤتمرات الوطنية التى نظمها الحزب الوطنى أو اشترك فيهـــا فى أوروبا وكان من بين ما قلته فى كتابى : محمد فريد ـ ذكريات ومذكرات : دعا محمد فريد قبل أن يدخل السجن الى تأسيس جمعية السلام العام فى وادى النيل يكون لها علاقة رسمية بمكتب السلام الدائم فى برن (سويسره) وقد تم تأليف الجمعية وانتخب فريد رئيسا لها .

***

وقد بدأ فريد يهيم بمؤتمرات السلام التى عقدت ١٧ مرة قبل أن تعقد مؤتمرها عام ١٩١٠ فى استوكهلم ، وكان محمد فريد أول مصرى يشـــترك فى تلك المؤتمرات وقد انتخب محمد فريد وكيلا لمؤتمر السلام الذى عقـــد فى صيف عام ١٩١٢ وفى عام ١٩١٣ (١٥ أغسطس) سافر من جنيف الى هولندا ومعه وفد مصرى واشترك فى مؤتمر السلام الذى عقد هناك وحضر أغلب الجلسات ولم يسمح له بالكلام فى القضية المصرية لأنه سبق أن تحدث عنها فى مؤتمر ١٩١٢ .

***

وفى عام ١٩١١ حوكم محمد فريد بدعوى « تحسين كتاب وطنيتى » للشيخ على الغاياتى ، وكان محمد فريد قد كتب مقدمة لهذا الكتاب عن الشعر ودوره فى تربية الأمم وقد أنهى محمد فريد المقدمة بقوله : فعلى حضرات الشعراء أن يقلعوا عن عادة وضع قصائد المديح فى أيام معـــلومة ومواسم معـــدودة وأن يستعملوا هذه المواهب الربانية فى خدمة الأمة وتربيتها بدل أن يصرفوها فى خدمة الأغنياء وتمليق الأمراء والتقرب الى الوزراء فالحكام زائلون والأمة باقية والسلام على من سمع ووعى ووفق لخدمة بلاده وسعى فان سعيه سوف يرى ثم يجزى الجزاء الأوفى .

وكان الشيخ عبد العزيز جاويش قد قدم للديوان أيضا وقد جاء في ذلك الديوان قصائد بلغت درجة هائلة من العنف والثورة من بينها ـ مثلا ـ قول الغاياتي يصف ولاة مصر وقتذاك :

وولاة أقسموا أن يسجدوا كلما رام العدا منهم مراما

وعن الوزارة القائمة وقتذاك قال الغاياتي :

ألا ، يا مصر ان الوزارة نقمة ولا بلغت مما تروم مراما
تحاول أن تعدو علينا باثمها ولكن ستلقى دون ذاك آثاما
وزارة خداع أقامت بيننا يد الحاكمين الآثمين فقاما

وقول الغاياتي في الخديو عباس حلمي الثاني :

ونيأس من آمالنا فيك كلما قضيت علينا أن نكون غضابا
وأرضيت أعداء البلاد وأهلها وأصليتنا بعد (الوفاق) عذابا

وقال في ابراهيم الورداني قاتل بطرس غالي :

هل خال ابراهيم عند وفاته أملا من الآمال دون حياته
حتى كأن الموت من رغباته ليكون في الأحياء بعد مماته

★★★

وكانت المحاكمة أمام محكمة جنايات مصر (٢٣ يناير ١٩١١) برياسة المستر دلبروجلي وعضوية كل من أحمد ذو الفقار بك وأمين بك علي ، وجلس في كرسي النيابة محمد توفيق نسيم بك الذي رأس الوزارة بعد ثورة ١٩١٩ وقضت المحكمة بحبس محمد فريد ستة أشهر مع النفاذ وقام محمد فريد بتنفيذ الحكم وقضى في السجن تلك المدة (من ٢٣ يناير ١٩١١ الى ١٧ يوليو ١٩١١) وقد رفض محمد فريد الوساطة التي شرع بعض الشخصيات الكبيرة كلطفي السيد القيام بها لاخراجه من السجن ، وزاره ـ في سجنه ـ كولس باشا مدير مصلحة السجون طالبا منه تخفيف لهجته ، لا تغيير مبادئه ، وكان محمد فريد حازما فعندما قال له كولس باشا بعد أن رفض ما عرضه عليه كولس باشا : أنت اذن تريد قضاء الستة شهور في السجن ، قال محمد فريد : نعم وأزيد عليها يوما ان أردتم » .

★★★

● ولما لم تتغير لهجة محمد فريد بعد خروجه من السجن ، بل ضاعف من حملاته على الاحتلال البريطاني رأت الحكومة أن تعيده الى السجن فاذا ما خرج منه أعيد اليه من جديد ، وقد بدأت النيابة التحقيق معه ، في خطبته التي ألقاها في المؤتمر الوطني في ٢٢ مارس ١٩١٢ ورفعت الدعوى العمومية

عليه ونظرت في ٣٠ ابريل ١٩١٢ أمام محكمة الجنايات ذاتها برئاسة مستر دلبروجلي وعضوية محمد توفيق رفعت ، وعلي ذو الفقار وقضت بحبسه مع الشغل غيابيا ولكنه كان قد ترك مصر سرا في ٢٦ مارس ١٩١٢ ، وكان اسماعيل لبيب بك قد قطع لنفسه تذكرة على الوابور الروسي الملكة أولجا ، وكان قد تقرر أيضا أن يتخلف اسماعيل لبيب ويحل محله محمد فريد ، لم يخبر محمد فريد أحدا سوى زوجته وقد طلب منها ألا تخبر الأولاد ولا أحدا من العائلة وأفهمتها ـ محمد فريد ـ ضرورة سفري وبما أن الجرائد ستأتي في الصباح وبها تفصيلات استجوابي أمام النيابة فلتحجزها حتى لا يطلع عليها الأولاد وبما أنها امرأة عاقلة وفاهمة خطر مركزي قبلت القضاء بالرضا وشجعتني على السفر وتحمل مشاق النفي أولى من السجن . وبعد قيام السفينة دفعت أجرة السفر ولم أعلم القومسيير باسمي وأظنه هو ومن بالوابور لم يعرفوا اسمي ولما اقتربنا من بيريه ثغر اليونان بقيت بالسفينة لحين اقلاعها ولما وصلنا أزمير نزلت الى البر وبعثت بتلغراف للشيخ جاويش أخبره بحضورنا .

★★★

● واستمر محمد فريد في كفاحه خارج مصر : حضر أول ما حضر مؤتمر السلام في جنيف (سبتمبر ١٩١٢) وسافر الى السويد وبلجيكا ورأت الحكومة أن تضاعف من حملاتها ضد الصحف الوطنية فعطلت اللواء تعطيلا نهائيا فلما أصدر الحزب جريدة العلم ، عطلت العلم ، فأصدر الحزب الشعب . وهكذا كانت الحكومة تصادر الصحف الوطنية وكان الحزب يصدر صحفا أخرى بأسماء أخرى ولكن لها نفس الطابع ونفس الطريقة في الاخراج ونفس الكتاب وكانت وزارة محمد سعيد باشا قد استقالت وتلتها وزارة حسين رشدي باشا (ابريل ١٩١٤) وتوالت الأحزاب في مصر الى أن أعلنت الحماية الانجليزية على مصر في ١٨ ديسمبر ١٩١٤ وتم خلع الخديو عباس حلمي الثاني وتولية السلطان حسين كامل في ١٩ ديسمبر ١٩١٤ وبدأت مصر تحت الحماية البريطانية مرحلة كانت من أقسى مراحل تاريخها .

★★★

● اضطهدت الحكومة الوطنية المصريين وشتتت شمل الحزب الوطني وطاردت رجاله كما يقول أستاذنا الرافعي وضبطت أوراقه ودفاتره وسجلاته وشتتت كل أعضائه أو الذين اشتبهت بأنهم من أنصاره واعتقلت الكثيرين منهم في سجن الاستئناف وفي معتقلات درب الجماميز وطره والجيزة وسيدي بشر وسجن الحدرة بالاسكندرية ونفت بعضهم الى مالطه وأوروبا فمن الذين أصابهم الاعتقال ـ كما يقول عبد الرحمن الرافعي ـ مع حفظ الألقاب ـ أحمد لطفي ، وعلي فهمي كامل وعبد الله طلعت وعبد اللطيف الصوفاني (وقد وضع تحت

المراقبة فى دمنهور) وكذلك عبد المقصود متولى ، محمد زكى على ، أحمد وفيق ، أمين الرافعى ، عبد الرحمن الرافعى ، مصطفى الشوربجى ، اسماعيل حافظ ، محمد فؤاد حمدى ، ابراهيم رياض ، د٠ عبد الحليم متولى ، د٠ عبد الفتاح يوسف ، أحمد رمضان زيان ، اليوزباشى حافظ محمود قبودان ، اليوزباشى أحمد حمودة ، فؤاد عثمان ، محمد الشافعى ، مصطفى حمدى ، يعقوب صبرى ، أحمد نبيه قبودان ، د٠ حسن نور الدين ، اسماعيل حسين ، الشيخ ابراهيم مرونى : وممن نفوا الى أوروبا د٠ نصر فريد ، عبد الغفار متولى ، محمد عوض ، محمود ابراهيم الدسوقى ، محمد عوض جبريل ، حامد العلايلى ، حامد المليجى ، سلامة الخولى ، على فهمى خليل ، الأمير العطار الخ الخ ٠

★★★

● عندما قرر السلطان حسين كامل ــ وكان قد تلقى السلطة بأمر الانجليز ــ زيارة مدرسة الحقوق فى ١٨ فبراير ١٩١٥ ، امتنع الطلاب عن تلقى الدروس ، وكانوا قد أذاعوا ــ فى اليوم السابق ــ أن والد زميل لهم قد توفى وأن الجنازة ستشيع فى الساعة التى كانت قد حددت لزيارة السلطان للمدرسة واعتبر الانجليز والسلطان هذا التغيب مظاهرة صامتة ضد الحماية البريطانية ، وتقرر فصل ٥٤ طالبا من طلبة المدرسة من بينهم أحمد مرسى وصبرى أبو علم وأمين خليفة أبوزيد ويوسف الجندى وأحمد لطفى وأحمد والى الجندى ، ومحمد فكرى أباظة و ٠ و ٠ كما حرمت المدرسة من الامتحان ١٨ طالبا ٠

★★★

● أبدى الشعب غضبه على السلطان حسين فأطلق الرصاص عليه شاب يدعى محمد خليل تاجر خردوات بالمنصورة أثناء مرور موكبه بشارع عابدين ولم يصب السلطان بأذى وانما أصيبت عربته بثقوب بسيطة ومع ذلك حوكم القاتل أمام مجلس عسكرى بريطانى وقضى عليه بالاعدام ، ونفذ الحكم شنقا فى ٢٤ ابريل ١٩١٩ ٠

★★★

● فى ٢٩ يناير ١٩١٦ حدثت مظاهرة هى الأولى من نوعها : كانت قوات الاحتلال تجمع الرديف من الأرياف قهرا وكانت تسىء معاملتهم فاجتمع الألوف منهم فى ثكنات عين شمس وساروا فى شكل مظاهرة الى ميدان عابدين ٠

وتجددت المظاهرة فى اليوم التالى وحدث اصطدام بينهم وبين البوليس وأصيب من رجال الرديف عدد كبير باصابات بالغة وعندما اقتربت الحرب العالمية الأولى من نهايتها كان محمد فريد فى أوروبا يعانى الفاقة والمرض وكان زعماء الحزب الوطنى اما فى السجون واما فى المعتقلات واما فى المنفى

فى أوروبا وكان سعد زغلول الوكيل المنتخب للجمعية التشريعية قد بدأ يعمل على تأليف جماعة ــ عبد الرحمن الرافعى ــ لرفع صوت مصر والمطالبة بحقوقها وكان الأمير عمر طوسون بدوره يعمل على تكتيل القوى الشعبية لمثل هذا الغرض وقيل ان حسين رشدى باشا نفسه قد جالت بذهنه تلك الفكرة وان كان لم يصدر عنه ــ عن حسين رشدى باشا ــ ما يؤكد هذا المعنى .

★★★

ولكن الذى لا جدال فيه ولا شك ، ان صاحب الفكرة الأولى فى تشكيل وفد مصرى ينوب عن البلاد فى التحدث باسمها هو الأمير عمر طوسون وخاصة أن سعد زغلول نفسه قد أكد ذلك ونسب الفضـــل فى تلك الفكرة الى عمر طوسون .

★★★

● وفى ١٣ نوفمبر ١٩١٨ قابل سعد زغلول وعبد العزيز فهمى وعلى شعراوى ــ وكانوا أعضاء فى الجمعية التشريعية ــ السير ريجنالد ونجت المعتمد البريطانى فى مصر للحديث معه فى مستقبل مصر بعد الحرب ونصح ونجت الزعماء الثلاثة بألا يتعجلوا وأن يكونوا متبصرين فى سلوكهم فان المصريين فى الحقيقة لا ينظرون للعواقب البعيدة ، واستنكر سعد صدور هذا الكلام لأنه منتخب عن قسمين من أقسام القاهرة وكان انتخابه ــ كما قال ــ بمحض ارادة الرأى العام مع معارضة الحكومة واللورد كتشنر فى انتخابه وكذلك الأمر مع على شعراوى وعبد العزيز فهمى .

وقال ونجت : انه قبل الحرب كثيرا ما حصل من الحركات والكتابات من محمد فريد وأمثاله من الحزب الوطنى وكان ذلك بلا تعقل ولا روية فأضرت مصر ولم تنفعها وسأل ونجت ما هى أغراض المصريين ؟ وقال على شعراوى : اننا نريد أن نكون أصدقاء للانجليز صداقة الحر للحر لا العبد للحر ، واندهش ونجت قائلا : اذن أنتم تطلبون الاستقلال .

وقال سعد : ونحن له أهل ، وماذا ينقصنا ليكون لنا الاستقلال كباقى الأمم المستقلة ؟ .

وقال ونجت : ولكن الطفل اذا أعطى من الطعام أزيد من اللازم تخم .

★★★

وقال عبد العزز فهمى : نحن نطلب الاستقلال التام وقد ذكرتم جنابكم ان الحزب الوطنى أتى من الحركات والكتابات بما أضر ولم يفد فأقول لجنابكم ان الحزب الوطنى كان يطلب الاستقلال وكل البلد كانت تطلب الاستقلال وغاية

الأمر أن طريقة الطلب التى سار عليها الحزب الوطنى ربما فيها ما يؤخذ علينا وذلك راجع الى طبيعة الشبان فى كل جهة فلازال الاعتراض الوارد على طريقة الحزب الوطنى فى تنفيذ مبدئه الأساسى الذى هو مبدأ كل الأمم وهو الاستقلال العام فان جماعة من الشيوخ الذين لا يظن فيهم التطرف فى الاجراءات أسسوا حزب الأمة وأنشأوا صحيفة الجريدة وكان مقصدهم الاستقلال التام وطريقتهم أخف فى الحدة من طريقة الحزب الوطنى وذلك معروف للجميع والغرض منه خدمة نفس المبدأ المشترك بطريقة تمنع الاعتراض ونحن فى طلبنا الاستقلال التام لسنا مبالغين فيه فان أمتنا أرقى من البلغار والصرب والجبل الاسود ممن نالوا الاستقلال قديما وحديثا .

★★★

وينتهى الحوار بعد أن يعرض سعد زغلول تحالفا مع بريطانيا « ونعطى ضمانة معقولة على عدم تمكين أى دولة من استقلالنا والمساس بمصلحة انجلترا فنعطيها ضمانة فى طريقها للهند وهى قناة السويس بأن تجعل لها دون غيرها حق احتلالها عند الاقتضاء بل نحالفها على غيرها ونقـدم لها عنـد الاقتضاء ما تستلزمه المحالفة من الجنود » ، ينتهى الحوار بأن يعتبر ونجت « المحادثات بينهم غير رسمية بل بصفة حبية ، فانى - ونجت - لا أعرف شيئا عن أفكار الحكومة البريطانية فى هذا الصدد » .

★★★

● ويتألف الوفد المصرى بعد تلك المقابلة برياسة سعد زغلول وعضوية على شعراوى ، عبد العزيز فهمى ، محمد محمود باشا ، أحمد لطفى السيد ، عبد اللطيف المكباتى ، محمد على علوبة ، وكلهم كانوا أعضـاء فى الجمعية التشريعية ، عدا محمد محمود ولطفى السيد .

وكانت مهمة الوفد كما فى المادة الثانية من قانونه السعى بالطرق السلمية المشروعة حينما وجدوا للسعى سبيلا الى استقلال مصر استقلالا تاما . كان ذلك فى ١٣ نوفمبر ١٩١٨ ثم تم اضافة مصطفى النحاس وحافظ عفيفى بناء على قرار من الوفد وليس بناء على رغبتهما باعتبارهما يمثلان الحزب الوطنى كما قرر الوفد ضم حمد الباسل ، اسماعيل صدقى ، محمود أبو النصر ، سينوت حنا ، جورج خياط ، واصف غالى ، حسين واصف ، عبد الخالق مدكور وطلب الوفد فى ٢٠ نوفمبر ١٩١٨ الترخيص له بالسفر وكان سعد باشا قد طلب الى قيادة الجيش الانجليزى جواز سفر له ، ولأعضاء الوفد للسفر الى انجلترا وردت السلطة العسكرية بأن الطلب سينظر ثم أجابت - بعد استعجاله الطلب - أنه قد عرضت صعوبات تمنع اجابة الطـلب فى الوقت الحاضر ومتى زالت تلك الصعوبات تبادر السلطة العسـكرية باعطاء سعد وصـحبه الجوازات التى

يطلبونها • وبدأ الوفد اجتماعاته . وكان أول اجتماع له فى منزل حمد الباسل باشـــا •

واشتدت قوة الحركة الوطنية التى حركها تأليف الوفد المصرى وكانت وزارة حسين رشدى باشا قد استقالت ، ورفض السلطان فؤاد تلك الاستقالة ولكن رشدى باشا أصر على الاستقالة فى ٢٣ ديسمبر ١٩١٨ ولم تقبل الاستقالة الا فى أول مارس ١٩١٩ بعد أن اندلعت الثورة فى ٩ مارس ، ١٩١٩ اثر اعتقال سعد وصحبه !

★★★

● كانت بداية الثورة فى يوم الأحد ٩ مارس بمظاهرات سلمية قام بها الطلبة وكان طلبة مدرسة الحقوق أول من تظاهروا وأضربوا عن الدراسة وبعد الطلبة كان العمال فالموظفون فالسيدات الى أن عمت الثورة كل أنحاء البـــلاد وشملت كل فئات الشعب وطبقاته ، وفشلت سياسة القمع التى لجأت اليهـــا السلطات البريطانية للقضاء على الثورة فعمدت الى محاولة احتوائها ، أفرجت عن سعد وصحبه فى ٧ ابريل ١٩١٩ ، ألف حسين رشدى باشا وزارته الرابعة، سافر الوفد المصرى الى باريس ، استمرت الثورة عاد رشدى باشا الى الاستقالة فى ٢١ ابريل ١٩١٩ ، رخص لوكلاء الوزارات سلطة الوزراء ، ألف محمد سعيد باشا وزارته فى ٢١ مايو ١٩١٩ ، تزوج السلطان فؤاد فى ٢٤ مايو ١٩١٩ من كريمة عبد الرحيم صبرى باشا ، بدأ الافراج عن بعض المعتقلين ، مات محمد فريد فى ١٥ نوفمبر ١٩١٩ ، عجزت الأحزاب بما فيها الوفد المصرى عن اعادة رفاته وكان قد دفن فى ألمانيا ، مواطن مصرى عادى هو الحاج خليل عفيفى من الزقازيق تكفل وحده بنقل رفات الزعيم العظيم وتحمل فى سبيل ذلك الكثير من العقبات ، وخاصة فى ألمانيا التى كانت تمنع نقل رفات من دفنوا بهـــا خارج ألمانيا •

★★★

● وكما هى عادة بريطانيا عندما تريد تمييع احدى القضايا ألفت الحكومة البريطانية لجنة برئاسة اللورد الفريد ملنر لمعرفة الأسباب التى دفعت الفلاح المصرى فى الحوادث الأخيرة الى الهياج وبحث التعديلات المرغوب فيهـــا لتوسيع اختصاصات الهيئات العامة والاصلاح الادارى وبحث مسألة التعليم ، ونظام البلديات و •• و••

استقالت وزارة سعيد باشا ، ألف يوسف وهبة وزارته فى ٢١ نوفمبر ١٩١٩ استاء الأقباط من موقف رئيس الوزراء فى الكنيسة المرقسية الكبرى وبرئاسة القمص باسيلوس وكيل البطريركية ، احتج أكثر من ألفى شخص

حضروا ذلك الاجتماع لدى يوسف وهبه لقبوله الوزارة ، أعلنوا مقاطعتهم للجنة ملنر ، وصلت اللجنة فى ٧ ديسمبر ١٩١٩ ، قاطعها الشعب كله ، ولد فاروق ابن أحمد فؤاد فى ١١ فبراير ١٩٢٠ ، استقال وهبه باشا فى ١٩ مايو ١٩٢٠ ، ألف نسيم باشا وزارته الأولى ، اعتدى عليه شاب اسمه ابراهيم حسن مسعود محكمة عسكرية بريطانية حاكمت الشاب ، فقضت عليه بالاعدام ، ونفذ فيه الحكم ، سافر الوفد برئاسة سعد زغلول الى لندن لمفاوضة بريطانيا فى ٥ يونيو ١٩٢٠ قدم لورد ملنر مشروع معاهدة ثم قدم مشروعا آخر فى ١٨ أغسطس ١٩٢٠ رأى الوفد استشارة الأمة فى مشروع ملنر ، عارض الحزب الوطنى المشروع ، قطعت المفاوضات فى ٩ نوفمبر ١٩٢٠ ، سافر الوفد الى باريس فى ١١ نوفمبر ١٩٢٠ ، واستقال لورد ملنر لأنه اختلف مع زملائه الوزراء حول مشروعه وكان وزيرا للمستعمرات وكانت الاستقالة فى يناير ١٩٢١ خلفه ونستون تشرشل وقبل أن يتسلم تشرشل عمله فى وزارة المستعمرات اعتبر — فى تصريح له — مصر جزءا من الامبراطورية البريطانية المرنة !! ، أبلغت بريطانيا مصر فى ٢٦ فبراير ١٩٢١ أنها تعتبر الحماية البريطانية علاقة غير مرضية ، دعت بريطانيا مصر الى الدخول فى مفاوضات رسمية للوصول اذا أمكن الى ابدال الحماية بعلاقة تضمن المصالح الخصوصية التى لبريطانيا فى مصر وتمكنها من تقديم الضمانات الكافية للدول الأجنبية وتطابق الأمانى المشروعة لمصر والشعب المصرى .

***

● استقالت وزارة نسيم باشا فى ١٥ مارس ١٩٢١ وجاءت وزارة عدلى بعدها بيومين ، وافق عدلى على مبدأ المفاوضات وتبادل عدلى وسعد البرقيات ، عاد سعد زغلول الى مصر فى أواخر نوفمبر ١٩٢٠ .

● كان الانقسام الداخلى الذى ألم بالبلاد فى عام ١٩٢٠ أخطر انقسام شهدته مصر في تاريخها الحديث : لم يعد بمصر كلها الا السعديين ، الممالئين لسعد والعدليين ، الممالئين لعدلى : أغلبية الشعب مع سعد زغلول ، الحكومة بكل ثقلها ، وبعض الصفوة المختارة مع عدلى يكن : سعد يرى أنه ينبغى أن يقوم بالتفاوض مع الحكومة البريطانية بصفته زعيما للشعب ورئيسا للوفد ، عدلى يكن يرى أن الحكومة البريطانية لابد وأن تتفاوض مع الحكومة المصرية . سعد زغلول يقول : رئيس الوزارة المصرية ليس الا موظفا من موظفى الحكومة الانجليزية يسقط ويرتفع باشارة من المندوب السامى البريطانى ، فى مصر وهو بهذه الصفة لا يمكن أن يكون بازاء رئيسه وزير خارجية انجلترا حرا فى الكلام لأنه يدين له بمركزه فاذا طلبنا الرئاسة فاننا نطلبها ليكون الرئيس حرا مرتكزا على قوة لا تهاب شيئا مطلقا فى المطالبة بحقوقها وهو مؤيد من الأمة وليس مرتكزا على

قوة مستمدة من الحكومة الانجليزية لأن ذلك يجعل المفاوضة بين الأصل وفرعه أى بين الحكومة الانجليزية وبين الحكومة الانجليزية أيضا ٠

عدلى يكن باشا : يرى العكس تماما :

كان عدلى يكن باشا يرى أن التقاليد السياسية لا تسمح بحال من الأحوال أن يدخل رئيس الحكومة فى هيئة تقوم بالتفاوض ولا يكون هو رئيسها وخاصة اذا ما كان موضوع التفاوض يعد من القضايا الوطنية الكبرى ٠

والجدير بالذكر أن عدلى يكن باشا كان على ثقة مطلقة ــ وربما لعلاقاته بكثير من أقطاب الوفد ــ ان الخلاف بينه وبين سعد زغلول سوف يؤدى بالقطع الى انشقاق خطير داخل الوفد وأن أغلبية الوفد ستؤيده ٠

★★★

● وصف فكرى أباظة هذا الانقسام فى صفوف الشعب فأجاد الوصف اذ قال تحت عنوان سعديست وعدليست (الأهرام ٢٦ نوفمبر ١٩٢١م) ٠

عدليست ، سعديست نقطتان حديثتان تدلان على مذهبين حديثين ثم يقول : لو وليتمونى أيها المصريون زمامكم يوما واحدا لقبضت بكل احترام على سعد وعدلى ووضعت يدى على أموال الوفد الأصلى ، والوفد الرسمى وكونت من الأمة المتناثرة الأجزاء كتلة واحدة ، أقذف بها فى وجه الانجليز مثنى وثلاث ورباع الى أن يقضى الله أمرا كان مفعولا ، فاما الى الصدر واما الى القبر » ٠

★★★

● حتى الوفد ذاته انقسم من داخله حول موضوع التفاوض مع بريطانيا . استقال فى ١٨ ابريل ١٩٢١ من أعضاء الوفد : على شعراوى ، وكانت أغلبية أعضاء الوفد قد رأت عدم اشتراك الوفد فى المفاوضة مع عدم محاربة الوزارة فيها ، ولكن سعد زغلول لم يكترث برأى الأغلبية ورأى اعلان عدم الثقة بالوزارة اعترض بعض أعضاء الوفد على عدم انصياع سعد لرأى الأغلبيـــة وعبروا عن معارضتهم فى بيان نشروه فى الصحف وكان هؤلاء المعترضين : محمد محمود ، حمد الباسل ، عبد اللطيف المكباتى ، أحمد لطفى السيد ، محمد على علوبة ، وكان هؤلاء قد كتبوا رسالة الى سعد يسجلون فيها اعتراضــــهم على موقف سعد ، ونشروها فى الصحف وجاء فيها : تقول والأســـف يملأ قلوبنا انكم ــ يا سعد ــ بغير اجازة الوفد ، بل خلافا لقراراته الصريحة ، قد أعلنتم عدم الثقة بالوزارة بعد أن أجابت كل طلباتكم ما عدا شرط رئاسة الوفد ــ وكان سعد قد اقترح أن يتولى هو رئاسة وفد المفاوضات ولكن عدلى يكن رئيس الحكومة

قد رفض هـــذا الشرط وأصر على أن يكون رئيس الحكومة هو رئيس وفد المفاوضات ـ ان شرط رئاسة الوفد ـ هكذا قال الأعضاء المعترضون ـ نراه لا يقدم أو يؤخر شيئا فى حسن سير المفاوضات . فعلتم هـــذا فلمـــا عرض الأمر اليوم على الوفد ولم تقركم أكثريته على هـــذه الخطة الضارة صممتم عليها واستهنتم برأى الأكثرية مرة أخرى وجئتم بمثال على ذلك فى معاملتكم لأحدنا ـ عبد اللطيف بك المكباتى ـ : لقاء هذا الاستئثار بالرأى والانفراد بالعمل لا يسعنا حقا وعدلا الا أن نبرأ الى الله والى الأمة من تبعة الشقاق الذى نجم عن انتحاء هذا النحو الذى طالما سعينا فى اتقائه الى حد مجاراة بعضنا اياكم على دخول الوفد فى المفاوضات خلافا لخطته ، والآن نرى أن الواجب الوطنى يقتضى علينا أن نعلن ثقتنا بوزارة نزلت على ارادة الأمة ووافقت الوفد على كل ما اشترط من حيث مهمة المفاوضين الرسميين والأغراض التى يجب عليهم السعى لبلوغها : والخطة المثلى ـ فى رأى هؤلاء المعترضين ـ عدم دخول الوفد فى المفاوضات الرسمية اتباعا لخطة الوفد منبهين الوزارة الى أن كل اتفاق ليس شاملا للتحفظات التى أبدتها الأمة والتى تتمسك بها كل التمسك لا يقابل من الجمعية الوطنيـــة الا بالرفض الصريح » .

★★★

● رأى سعد زغلول أن ينشر على الرأى العام بيانا يوضح فيه وجهة نظره نشره فى ٢٩ ابريل عدد فيه ـ فى البيان ـ الوسائل التى اتبعها فى تلافى الخلاف وحسمه ابتعادا عن الانقسام واستبقاء للوحدة وكيف أنه لم ينجح ، أكد سعد فى بيانه أن الوفد الممثل للأمة بعد انفصال المخالفين عنه مســـتمر فى العمل ، رئيسه وأعضاؤه المتفقون فى المبـــدأ والغـــاية وفى تبـــادل الثقة والاخلاص » ، وأطلق سعد على المعترضين على رأيه ، وصف المنشقين وقد شمل ذلك الوصف كما يقول الاستاذ عبد الرحمن الرافعى كل مخالف لســـعد فى رأيه . .

وقد انضم الى هؤلاء المنشـــقين من أعضـــاء الوفد : عبد العزيز فهمى ، ود. حافظ عفيفى وعبد الخالق مدكور ثم استقال من الوفد ـ فى يونيو ـ جورج خياط ، ولم يبق مع سعد من أعضاء الوفد الا مصطفى النحاس ، واصف غالى ، سنيوت حنا ، ويصا واصف ، على ماهر وجندت المظاهرات للهتـــاف بسقوط المنشقين ووقع بعض الجرحى وخاصة فى طنطا .

★★★

● شكل عدلى يكن وفد المفاوضات برئاسته وعضـــوية حسين رشدى اسماعيل صدقى ، محمد شفيق ـ من أعضاء الوزارة وأحمـــد طلعت رئيس محكمة الاستئناف وقتئذ ويوسف سليمان من الوزراء السابقين وكان ذلك فى

١٩ مايو ١٩٢١ ووصل الوفد الى لندن فى ١١ يوليو ١٩٢١ وأجرى مفاوضات مع اللورد كيرزون وزير الخارجية البريطانية الذى قدم مشروعا أسوأ من مشروع لورد ملنر .

فشلت المفاوضات ، عاد عدلى يكن فى ٥ ديسمبر ١٩٢١ ليقدم استقالته بعد ثلاثة أيام لأن المفاوضات لم تسفر عن تحقيق برنامج الوزارة ، لم تقبل الاستقالة عاود الاستقالة من جديد ، قبلها الملك فى ٢٤ ديسمبر ١٩٢١ . كان من المنتظر أن تلتئم الصفوف بعد فشل المفاوضات غير أن الفرقة قد زادت والانقسام قد استشرى .

● وكانت سلطات الاحتلال قد حذرت سعدا من القاء الخطب وحضور الاجتماعات العامة والكتابة فى الصحف السياسية وأمرته بمغادرة القاهرة والاقامة فى الريف كما أصدرت أمرها لعدد من زعماء الوفد ـ فتح الله بركات عاطف بركات ، مصطفى النحاس ، صادق حنين ، مكرم عبيد ، جعفر فخرى ، سينوت حنا ، أمين عز العرب ـ بالتوجه الى بلادهم وعدم التدخل فى الشئون السياسية : قال سعد : كلمته المعروفة : ان للقوة أن تفعل بنا ما تشاء أفرادا وجماعات فاننا مستعدون للقاء ما تأتى به بجنان ثابت وضمير هادىء » .

وكانت اجابة كثيرين من الذين أبعدوا كاجابة سعد .

★★★

● وفى ٢٩ ديسمبر ١٩٢١ كان سعد فى السويس ومعه فتح الله بركات وعاطف بركات ومصطفى النحاس وسينوت حنا ومكرم عبيد وبأمر من المارشال اللنبى فى طريقهم الىعدن ثم جزائر سيشيل ـ فى المحيط الهندى على مقربة من جزيرة مدغشقر ـ وظلوا جميعا فى المنفى هناك وتم نقل سعد الى جبل طارق ـ فى ١٨ أغسطس ١٩٢٢ ـ مراعاة لظروفه الصحية ، وعاد بعض أعضاء الوفد (المنشقين) الى الوفد مؤقتا ، وأعلن الوفد فى ٢٣ يناير ١٩٢٢ المقاومة السلبية وعدم التعاون السياسى وأعلن عن ضرورة مقاطعة التجارة والبنوك والسفن والشركات البريطانية .

★★★

● فى ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ـ وكان عبد الخالق ثروت باشا قد ألف الوزارة ، بعد شهرين بقى فيها المنصب شاغرا بعد استقالة عدلى ـ أصدرت الحكومة البريطانية ما سمى بتصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ الذى أنهى الحماية البريطانية على مصر وأصبحت بذلك التصريح مصر دولة مستقلة ذات سيادة ونص التصريح على أنه الى أن يحن الحين الذى يتسنى فيه ابرام اتفاقيات بين جلالة الملك وبين الحكومة المصرية تحتفظ الحكومة البريطانية بصورة مطلقة بتولى هذه الأمور :

(أ) تأمين مواصلات الامبراطورية البريطانية .

(ب) الدفاع عن مصر من كل اعتداء أو تدخل أجنبي بالذات أو بالواسطة.

(جـ) حماية المصالح الأجنبية فى مصر وحماية الأقليات .

(د) السودان .

وحتى تبرم هذه الاتفاقات تبقى الحالة فيما يتعلق بهذه الأمور على ما هى عليه الآن . .

★★★

● عقب موافقة البرلمان البريطـــانى على تصريح ٢٨ فبراير ٢٢ قامت الحكومة البريطانية بابلاغ الدول الأجنبية بأن انتهاء الحماية البريطانية على مصر ليس من شأنه حدوث أى تغيير فى الوضع السياسى فيما يختص بمركز الدول الأخرى فى مصر وان ســلامة مصر ورفاهيتهـــا ضروريتان لأمن الامبراطورية البريطانية وسلامتها » .

وتؤكد بريطانيا فى تبليغها هذا أنها ـ أى الحكومة البريطانية ـ ستتمسك دائما باعتبار العلاقات الخاصة بينها وبين مصر ، تلك العلاقات التى اعترفت بها الدول منذ زمن بعيد ـ مصلحة بريطانية أساسية وقد تحددت تلك الخصوصية فى التصريح الذى اعترفت فيه بريطانيا ، بأن مصر دولة مستقلة ذات سيادة ورأت بريطانيا أن أية محاولة من دولة أخرى للتدخل فى شـــئون مصر سوف تعتبره عملا غير ودى وتعــد كل اعتداء موجه الى الأراضى المصرية عملا يجب أن تمنعه بجميع الوسائل التى فى وسعها » .

★★★

● وكانت وزارة ثروت باشا قد ألفت برئاسته فى أول مارس ١٩٢٢ وعضوية اسماعيل صدقى وابراهيم فتحى وجعفر ولى ومصطفى ماهر ومحمد شكرى ومصطفى فتحى وحسين واصف ، وواصف سميكة ، وقد أعلن السلطان أحمد فؤاد نفسه ملكا فى ١٥ مارس ١٩٢٢ ، وفى هذا اليوم أعلن اســـتقلال مصر ولكن فى ٢٥ ابريل ، من نفس العام ـ أى بعد ما يقرب من شهر ونصف فقط ـ انتهكت بريطانيا هذا الاستقلال فقامت السلطات البريطانية فى مصر باعتقال بعض أعضاء الوفد : حمد الباسل ، ويصا واصف ، مرقص حنا ، واصف غالى ، علوى الجزار ، جورج خياط ، مراد الشريعى وقدمتهم للمحاكمة بتهمة طبع وتوزيع منشور يحرض لكراهية واحتقار حكومة جلالة ملك مصر وذلك فى ٩ أغسطس ١٩٢٢ وبعد يومين قضـــت عليهم المحـكمة العسكرية البريطانية بالاعدام واستبدلت القيادة البريطانية العامة حـكم الاعدام بالحبس سبع سنوات وتغريم كل منهم ٥٠٠٠ جنيه وأفرج عنهم فى ١٤ مايو ١٩٢٣ .

والجدير بالذكر أن الزعماء السبعة المتهمين ـ وكان قد أطلق عليهم « سبعة أسود في قفص ـ قد رفضوا الاجابة على أسئلة المحقق ورفضوا أن يدفعوا التهمة وقد انسحب الدفاع وكان من بينهم المحامي الانجليزى ماريونى الذى قال للمحكمة : أن كل طلب قدمناه رفضتموه والمتهمون لا يريدون أن يقولوا شيئا ، الا أنكم غير مختصين ، ومادمتم قررتم أنكم : مختصون فلا عمل لنا هنا » .

وكان من بين المنشورات ، منشور بعنوان : الى الأمام أيها المصريون » وقد وجد هذا المنشور عند مرقص حنا بك ـ كما قال أحد الشهود ـ ووجد عند أحد أعضاء الوفد كراسة حمراء فيها أسماء المحال التجارية الانجليزية فى مصر .

وكان حمد الباسل باشا قد قال فى المحكمة : باسم الوفد المصرى . اننا ونحن الوكلاء عن الشعب المصرى المكلفون بالمطالبة باستقلاله لا نستطيع أن نعترف بأى حال من الأحوال بقضاء محكمة أجنبية ولو أن هذه المحكمة تأخذ بتصريح حكومتها أو تعتبره تصريحا جادا وهو أن مصر دولة ذات سيادة لكان حقا عليها أن تعلن من تلقاء نفسها عدم اختصاصها بمحاكمتنا : لكم أن تحكموا علينا ولكن ليس لكم أن تحاكمونا .

★★★

● فى ٣٠ أكتوبر ١٩٢٢ ألف بعض الأعضاء المنشقين على الوفد والمناوئين لسعد « حزب الأحرار الدستوريين » واختير عدلى يكن لرئاسة ذلك الحزب ، وحزب الأحرار الدستوريين فى رأى البعض امتداد لحزب الأمة ، وفكرة الحزب قد دارت فى أذهان كثير من الشخصيات السياسية ، التى لم تكن تتفق وسعد زغلول فى آرائه السياسية وقد فكر فى انشاء الحزب عدلى يكن باشا فى عام ١٩٢١ ، ثم ترك الفكرة لتنضج تماما وقد اعترف عدلى يكن نفسه فى خطابه فى الاحتفال بقيام الحزب أنه وأنصاره تأخروا فى القيام بهذا الواجب الوطنى ـ انشاء الحزب ـ بسبب الظروف غير المناسبة والتى لا تزال قائمة الى الآن .

وكان تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ هو الدافع الأكبر وراء تجمع الشخصيات التى أقامت حزب الأحرار .

وهناك من يقول بأن كسر حدة زعامة سعد ، والتقليل من شعبيته كان وراء انشاء ذلك الحزب وقد اتخذ الحزب جريدة السياسة لسانا له تعبر عن آرائه وتخوض معاركه ورأس تحرير تلك الجريدة د. محمد حسين هيكل وقد لعبت صحيفة السياسة أخطر الأدوار فى حياتنا الصحفية والسياسية ، وكانت سببا مباشرا فى قيام صحافة الرأى فى مصر على أساس من الفن الصحفى الحديث ، وكان حافظ عفيفى باشا هو صاحب امتياز تلك الصحيفة ولكن د. هيكل كان

هو المسيطر على توجيه سياستها ولم يكن يسمح لممثل رأس المال بأن يتدخل في عمل الصحيفة ٠

***

نودى بعدلى يكن رئيسا للحزب عقب فراغه من القاء خطبتــــه وتحول المجتمعون الى جمعية عمومية للحزب وانتخبوا لجنة ادارية له وكان أول مجلس ادارة للحزب من عدلى يكن رئيس الحزب ومن وكيليه مدحت يكن ومحمد محمود وكان محمد على علوبة سكرتيرا وابراهيم دسوقى أباظة مساعدا للســــكرتير وعبد اللطيف المكباتى أمينا للصندوق ٠

***

● وصل الخلاف فى الرأى الى حد الاغتيال فبينما كان حسن عبد الرازق باشا واسماعيل زهدى بك من أعضاء مجلس ادارة حزب الأحرار خارجين من مقر الحزب الذى كان مقره جريدة السياسة فى شارع المبتديان وكانا يهمان بدخول السيارة تقدم منهم أربعة مجهولون وأطلقوا عليهما الرصاص من مسدساتهم ٠

وقد وصف د٠ أحمد زكريا الشلق عملية الاغتيال هذه بأنها كانت أسوأ رد فعل لقيام الحزب والحادث حلقة من سلسلة نشاطات قامت بها احدى خلايا العمل السرى فى مصر ، والتى كانت ترتبط ببعض قيادات الوفد ٠

وكانت تتجه فى بداية أمرها الى اغتيال الشخصيات الرسمية الانجليزية لكنها هذه المرة اغتالت شخصيتين مصريتين وغير رسميتين وكان المقصود من عملية الاغتيال حسين رشدى وعدلى يكن وقد وصف عبد الفتاح عنايت الحادث وقال أن القتلة كانوا ابراهيم موسى ومحمود عثمان ومحمد فهمى وعبد الحميد عنايت : وان كنت أنا أشك فى معظم الأسماء التى أوردها عبد الفتاح عنايت أما شفيق منصور ــ فى بعض اعترافاته ــ فقد ذكر أنه اجتمع مع أحمــد ماهر ، والنقراشى قبل الحادث ببضعة أيام وأنهم اتفقوا على أن يحصل الاعتداء على عدلى ورشدى بمناسبة قيام ذلك الحزب ٠

وأنا شخصيا أشك فى رواية شفيق منصور لأن معظم اعترافاته ــ وخاصة فى قضية السردار ــ لم تكن صحيحة ٠

***

● فى ٢٩ نوفمبر ١٩٢٢ استقالت وزارة عبد الخالق ثروت باشا بعد أن كانت قد شكلت لجنة لوضع الدســــتور وقد ذكرت جريدة الديلى تلجراف البريطانية أن الاستقالة كانت بسبب نزاع شخصى بين الملك ورئيس وزرائه

اذ كان الملك يرى ثروت واسع الحرية أكثر من اللازم والملك فى اعتقاد رئيس الوزارة أوتقراطى « حاكم بأمره » ٠

★★★

وخلفت وزارة توفيق نسيم وزارة ثروت ، اشترك فيها اسماعيل سرى ، أحمد ذو الفقار ، يحيى ابراهيم ، محمد توفيق رفعت ، محمود فخرى ، يوسف سليمان ، أحمد على ، محمد ابراهيم ، محمود عزمى — وهو غير الصحفى المعروف — ولم تبق وزارة توفيق نسيم فى الحكم سوى شهرين فقط اذ استقالت فى ٥ فبراير ١٩٢٣ بعد أن وافقت على حذف النصوص الخاصة بالسودان من مشروع الدستور وهى (المادة ٢٩ التى كانت تنص على أن الملك يلقب ملك مصر والسودان والمادة ١٤٥ التى تنص على أن تجرى أحكام هذا الدستور على المملكة المصرية جميعها عدا السودان فمع أنه جزء منها يقرر نظام الحكم فيه بقانون خاص) ٠

★★★

● وبعد شهرين من استقالة وزارة نسيم ألف يحيى ابراهيم وزارته واشترك معه فيها أحمد حشمت ، محمد محب ، أحمد زيور ، أحمد ذو الفقار ، محمد توفيق رفعت ، أحمد على ، محمود عزمى ، حسن حافظ ، فوزى جورجى المطيعى ، وقد صدر الدستور فى عهد تلك الوزارة في ١٩ ابريل ١٩٢٣ كما صدر في عهد تلك الوزارة أيضا وفي ٣٠ ابريل ١٩٢٣ — قانون الانتخاب وفي ٣ مارس ١٩٢٣ أفرج عن سعد كما أفرج عن بعض المعتقلين وكان من بينهم المصرى السعدى ، حسين القصبى ، فخرى عبد النور ، الأميرالاى محمود حلمى اسماعيل ، محمد نجيب الغرابلى ، راغب اسكندر ، عبد المقصود متولى ، صادق حنين ، عبد القادر حمزة ، أحمد وفيق ، كما أفرج عن بقية المعتقلين فى سيشل ٠

★★★

● وكان الملك فؤاد — تحت ضغط شعبى قوى — قد وقع دستور ١٩ ابريل ١٩٢٣ وهو أول دستور متكامل ويمكن القول بأنه من أهم الدساتير التى عرفها كثير من دول العالم وقتذاك ٠ وكان قانون الانتخاب الذى صدر فى ٣٠ أبريل ١٩٢٣ قد أعطى حق الانتخاب لكل مصرى بلغ احدى وعشرين سنة ميلادية وكان الانتخاب لمجلس النواب على درجتين بمعنى أن كل ثلاثين ناخب ينتخبون مندوبا عنهم يسمى المندوب الثلاثينى وهؤلاء « المندوبون الثلاثينيون » هم الذين ينتخبون عضو مجلس النواب وكان ثلاثة أخماس أعضاء مجلس الشيوخ يجرى انتخابهم على هذا الأساس بينما يتم تعيين خمسى أعضاء المجلس بمرسوم ملكى ٠

● فى ٩ مايو ١٩٢٣ اجتمعت اللجنة الادارية للحزب الوطنى وقررت انتخاب حافظ رمضان (باشا) رئيســا للحزب بموافقة أحمـــد لطفى ، عبد اللطيف الصوفانى ، د٠ اسماعيل صدقى ، اسماعيل لبيب ، حســـن خيرى ، محمد أحمد الشريف ، محمد فؤاد المنشاوى د٠ محمـــود ناشـــد ، عبد الرحمن الرافعي ، محمود نصير ، محمد عبد المجيد العبـــد ، اسماعيل حافظ ، محمد رمضان ، سعيد طليمات ، محمد زكي على ، أحمد وجـــدى ، مصطفى الشوربجى ، عبد المقصود متولى ، محمد فؤاد حمدى ، أحمد وفيق ، وكانوا أعضاء فى اللجنة الادارية للحزب ٠

وكان منصب رئيس الحزب الوطنى شاغرا منذ وفاة المغفور له محمد فريد فى ١٥ نوفمبر ١٩١٩ :

وكان حافظ رمضان هو الأجدر برئاسة ذلك الحزب لما يتمتع به من صفات وميزات ، لا تتوفر فى كثير من القيادات الحزبية وكان فى مقـــدمة آراء حافظ رمضان أن علتنا — بالنسبة للأحزاب — ليست فى البرامج وانما هى فى العقائد وأن المبدأ الذى يجب أن تتركز عليه كل جهودنا هو أن مصر والســـودان كل لا يتجزأ » ٠

★★★

● وتوالى صدور عديد من القوانين مثل قوانين الاجتماعات ، الأحـــكام العرفية والتضمينات ؛ وعاد سعد الى مصر في سبتمبر١٩٢٣كماد عاد بعض أعضاء الحزب الوطني المبعدين : على فهمي كامل ، عبد العزيز جاويش ، د٠ عبد الحميد سعيد د٠ نصر فريد ، اسماعيل لبيب وأجريت الانتخابات فى مصر ، واكتسح الوفد تلك الانتخابات وسقط رئيس الوزارة الذى أجرى الانتخابات في دائرة منيا القمح ولم ينجح من الحزب الوطني سوى عبد اللطيف الصوفاني ، عبد الرحمن الرافعي — وقد نجح بصوت واحد — وعبد العزيز الصوفانى كما لم ينجح من الأحرار الدستوريين سوى ، محمد محمود ، محمـــود عبد الرازق ، عبد الله أبو حسين ، عبد الجليل أبو سمره ، عبد الحميد العلايلى ، وتوفيق اسماعيل وألف سعد وزارته الشعبية الأولى ودخلها : محمد سعيد (باشا) محمد توفيق نسيم (باشا) أحمد مظلوم باشا ، حسن حسيب باشا ، محمد فتح الله بركات باشا ، مرقص حنا بك ، مصطفى النحاس بك ، واصـــف بطرس غالى أفندى ومحمد نجيب الغرابلى أفندى وكانا الأخيران اللذان دخلا الوزارة أول من دخلا الوزارة — فى تاريخ الوزارات المصرية — من حملة لقب « أفندى » ٠

★★★

وكان الملك فؤاد قد اعترض على تعيين على الشمسى بك وزيرا لأنه كان من

مؤيدى الخديو عباس حلمى كما اعترض أيضا على تعيين مرقص حنا بك وزيرا للحقانية ، وكان الملك فؤاد أيضا . قد اعترض على تعيين وزيرين قبطيين فى الوزارة وعلى تعيين نجيب أفندى الغرابلى وزيرا لضعف مكانته السياسية بالنسبة ـ كما قال ـ لضخامة المنصب الوزارى ثم تنازل الملك عن الاعتراضين الأخيرين فيما روى الدكتور يونان لبيب رزق فى كتابه : تاريخ الوزارات المصرية .

وعن رأيى الذى أبديته فى كثير من الكتب والمقالات أنه كان من الأفضل لسعد زغلول زعيم الثورة أن يبقى خارج الوزارة وأن يؤيد وزارة وفدية يرأسها وفدى كبير وليس رئيس الحزب حتى لا يضعف الحزب بتولى رئيسه الوزارة .

***

● حدث أول خلاف حاد بين سعد والملك حول تعيين خمسى أعضاء مجلس الشيوخ : سعد يقول انه صاحب حق الاختيار ، والملك يقول انه صاحب الحق : تمسك سعد برأيه وهو أن الملك لا يباشر سلطته الا بواسطة الوزارة وتطبيقا لنص المادة ٤٨ من الدستور وتمسك الملك برأيه .

واتفقا ـ الملك ورئيس الوزراء ـ على أن يحتكما الى فان دن بوش النائب العام لدى المحكمة المختلطة (يومذاك) وكان من علماء بلجيكا المرموقين ، وقد استمع فان دن بوش الى الملك والى سعد وكل منهما يدعم وجهة نظره بمختلف الأسانيد وأنهى سعد كلامه بقوله وهو يخاطب القاضى البلجيكى : هذا هو الموضوع ويجب أن تفصل فيه فى ظرف أربع وعشرين ساعة » ، وتعلل القاضى بضعف ذاكرته وطلب وقتا لمراجعة النصوص وقال فان دن بوش فى كتابه : عشرون عاما فى مصر : لكم أعجبت يومئذ ، بقوة الذاكرة ومتانة الحجة وبلاغة البيان التى يمتاز بها هذا الشيخ السبعينى من العمر على الرغم من آلام المرض والنفى ، بل كم دهشت لارادته التى لا تقاوم ، وتأجل الاجتماع بطلب من بوش الى الساعة العاشرة من صباح اليوم التالى ويقول بوش : عندما دخلت : صباح اليوم التالى الى مكتب الملك كان يداعب مسطرة صغيرة لقطع الورق وكل حركاته تدل على التأثر أما زغلول فكان جالسا أمامه متملكا حواسه يتحدث بهدوء وسكينة واستمر الحديث بحضورى فأدركت فى الحال خطورة الأمر ولمحت من خلال العبارات فى الحديث أن تنافرا يوشك أن ينقلب الى كارثة اذا لم يعالج بغير الابطاء وسمعت زغلول باشا أثناء المناقشة التى كان يتزايد نشاطها للملك عندما رفض اجابة طلبه : « اذن أستشير الشعب » .

***

ونظرت من الشباك الزجاجى العريض : الى الفضاء الواسع بميدان عابدين الى الرمل الأصفر تحت أشعة الشمس فرأيت الرجال ذاهبين بهدوء الى أعمالهم

والأولاد يمرحون ثم قلت في نفسي كلمة واحدة من هذا الرجل السياسي الذي يملك مصر كلها روحا وجسدا ، كلمة واحدة منه تكفي لتحويل تلك الحياة الهادئة الى منظر رهيب من مناظر غضب الشعب : وفي تلك اللحظة انتبهت الى صوت سعد زغلول وهو يقول : أتقبل يا مولاى أن يفصل جناب النائب العام في الموضوع وأن يكون حكمه غير قابل للمناقشة ؟؟ ٠

★★★

فكر الملك هنيهة ، ثم قال في لهجة تشف عن الاذعان : لا بأس ؛ والتمست أن يصرح لى بالاعتكاف قليلا ثم عدت أقول حيث أنني نلت اليوم الحظوة بأن أكون حكما في هذا الموضوع بصفتي بلجيكيا ولتشابه الدستورين المصري والبلجيكي هل تسمح لى جلالتكم بأن أذكر بكل احترام أن ثلاثة ملوك تولوا عرش بلجيكا في ظل النظام الدستوري فالأول وضع أسسا متينة لاستقلالنا في ظروف حرجة ، والثاني صبغ حياتنا القومية بصبغة عبقرية على الرغم من القيود التي وضعت في سبيله ، أما الثالث فجلالتكم تعلم أن النظام الدستوري لم يمنعه من أن يكون جنديا عظيما ووطنيا عظيما » ثم قلت أن تعيين أعضاء مجلس الشيوخ يجب أن يكون بناء على ما يعرضه مجلس الوزراء ، وفي الحال قدم لى الملك وصافحني قائلا : « انني موافق على رأى يبدى بهذا الشكل »

وقال زغلول باشا وأنا أيضا ٠

★★★

انتهت المقابلة ـ بوش ـ وعندما رافقت رئيس الوزراء في السيارة أخذ يدى بعطف شديد ثم شكرني قائلا : لقد أنقذت مصر من أزمة شديدة وخطيرة

ولكن تلك الأزمة وان كانت قد انتهت فقد أعقبها أزمات أخطر ، وأعنف ، وان لم يقبل الطرفان الملك وسعد مبدأ التحكيم ٠

★★★

● وافتتح الملك فؤاد البرلمان في ١٥ مارس ١٩٢٤ وأقسم الملك اليمين الدستورية وألقى سعد نيابة عن الملك خطاب العرش وبدأت صفحات جديدة من حياتنا النيابية وبدأ سعد يباشر عمله كرئيس للوزراء واعتدى على سعد في ١٢ يوليو ١٩٢٤ وكان الجاني (عبد الخالق عبد اللطيف) يدرس الطب في برلين ، وقد صرح بأنه اعتدى على سعد لأسباب سياسية ، وأجرى سعد مباحثات مع مستر رمزى ماكدونالد رئيس الوزارة البريطانية (سبتمبر أكتوبر ١٩٢٤) وفشلت المباحثات واستقال سعد في ١٥ نوفمبر ١٩٢٤ لأن صحته لم تعد تحتمل أعباء منصبه ومتاعبه ولم يكن الأمر كذلك فقد كانت هناك ـ كما قال سعد

للنواب والشيوخ الذين توافدوا على بيت الأمة ـ مشاكل خارجية ، ومشـاكل داخلية وكانت هناك كما قال أيضا دسائس ٠

وكان رأس الدساسين حسن نشأت باشا الذى كان وكيلا لوزارة الأوقاف ثم اختير وكيلا للديوان الملكى ورئيسا له بالانابة ٠

★★★

● وقد أخطأت وزارة سعد ـ كما قلت فى كتابى عن محمد التابعى ـ عندما سيرت المظاهرات لاسكات الصحف المعارضة وفى مقدمتها جريدة الأخبار التى كان يصدرها أمين الرافعى كما أخطأت وزارة سعد عندما ضيقت الخناق على الصـحف المعارضـة وعلى الأحزاب المعارضة ، ويؤخذ ـ مثلا ـ على تلك الوزارة أنه عندما نشرت صحيفة السياسة التى كان يصدرها حزب الأحرار الدستوريين مقالا عن مكافأة النائب التى حددت بستمائة جنيه مقالا بعنـوان : « حزب الستمائة » سيرت المظاهرات المعادية لا الى جريدة السياسة وانمـا الى حزب الأحرار الدستوريين الذى كان يصدر جريدة السياسة ٠

وقتل سردار الجيش المصرى والحاكم العام للسـودان فى ١٩ نوفمبر ١٩٥٤ ووجهت بريطانيا الى مصر انذارا فى ٢٢ نوفمبر ١٩٢٤ ثم وجهت انذارا آخر فى نفس اليوم وردت الحكومة على الانذارين فى اليوم التالى ورد المندوب السامى البريطانى على رد الحكومة المصرية فى نفس اليوم وردت الوزارة أيضا فى اليوم التالى واحتل الانجليز جمارك الاسكندرية وتعقدت الأمور وقدم سعد فى ٢٤ نوفمبر ١٩٢٤ استقالة وزارته وقبلت فى نفس الدقيقة التى قدمت فيها ٠

★★★

● فى الفصل السابع من كتابه وتحت عنوان : « ١٩٢٤ : عام زغلول : نصر ، كارثة ، أفول » ، تحدث المارشال ويفيل فى كتابه عن « اللنبى فى مصر » يصف الأيام الأخيرة لسعد زغلول فى الوزارة فقال : بلغ سعد زغلول القمـة فى قوته ، وربما كان يحلم بديكتاتورية كدكتاتورية مصطفى كمال ولكن بعد ظهر يوم ١٩ نوفمبر بقليل أطلق الرصاص على السردار سير لى ستاك ، بينما كان عائدا الى منزله فى وزارة الحربية وجرح فى مواضـع ثلاثة كما أصاب الرصاص ياوره الكابتين ب٠ ل٠ ، وسائق السيارة مارشد ، كذلك ألقيت احدى القنابل ولكن لم تنفجر وحمل السردار الى دار المعتمد ، وبينمـا كانت لادى ستاك فى حجرة الزائرين بجانب السردار وكان اللنبى ـ المعتمد البريطانى فى مصر ـ وبعض الموظفين والضيوف يتناقشون فى هذه الجريمة بالبهو اذ أعلن عن وصول سعد فما رآه اللنبى حتى أشار بشدة الى الياور الجريح والسائق وهو

يقول لسعد : هذه فعلتك » وكاد يقوده الى السردار نفسه لولا أن أفهمه رجاله بعدم مناقشة ذلك لوجود اللادى ستاك معه ، وما كان من زغلول الا أن استدار دون أن ينطق بكلمة وأسرع بالخروج ٠

***

وتوفى السردار قبل منتصف ليل اليوم التالى الى أن يقول ويفيل عن التطورات السياسية التى أعقبت الوفاة : كانت المرة الأولى التى استخدم فيها اللنبى الأساليب المسرحية ، سار بين حرسه من اللانسرز وبعد أن تلقى من الفرسان تحيتهم دخل اللنبى رأسا الى غرفة رئيس الوزراء ثم قرأ عليه نص مطالبه وترك له ترجمتها بالفرنسية ثم عاد لعربته وتلقى من الفرسان تحية أخرى : كان ضمن ما جاء فى الانذار ضرورة الاعتذار الكافى عن الجريمة والتحقيق مع مرتكبيها ودون احترام للشخصيات ومنع المظاهرات بكل شدة ، وأن تدفع الحكومة المصرية نصف مليون جنيه تعويضا ، وتسحب الضباط المصريين من السودان فى ظرف ٢٤ ساعة وكذلك الوحدات المصرية الصميمة و ٠ و ٠ وبعد أن تلقى اللنبى رد الحكومة المصرية قدم طلبات أخرى وأمر باحتلال الجمارك المصرية بالاسكندرية ضمانا لتنفيذ شروطه الأخرى ، وهنا — ويفيل — استقالت وزارة سعد » ٠

***

● ألف أحمد زيور باشا وزارته فى ٢٤ نوفمبر ١٩٢٤ وقبل أن يدخلها معه : أحمد محمد خشبة ، عثمان محرم ، محمد السيد أبو على ، محمد صدقى ، يوسف أصلان قطاوى ، نخلة جورجى المطيعى ، محمد صادق يحيى ، وعين أحمد موسى فيما بعد : وسلمت وزارة زيور بكل ما أراده الانجليز واعتقلت السلطة البريطانية عبد الرحمن فهمى ومكرم عبيد (من أعضاء مجلس النواب) ومحمود فهمى النقراشى وكيل وزارة الداخلية ، وبعدهم قبض البوليس المصرى على شفيق منصور والشيخ مصطفى القاياتى وراغب اسكندر وحسن يس — وكلهم كانوا يتمتعون بالحصانة البرلمانية — واستقال عثمان محرم وبعده أحمد محمد خشبة وجلا الجيش المصرى عن السودان وعين اسماعيل صدقى وزيرا للداخلية فى ٩ ديسمبر ١٩٢٤ ، وتم حل مجلس النواب بعد تأجيل اجتماعاته شهرا ٠

***

وتشكل حزب الاتحاد (يناير ١٩٢٥) وفى مقدمته مؤسسيه اللواء موسى فؤاد باشا وخيرت راضى المحامى وعبد الحليم البيلى واختير لرئاسة الحزب يحيى ابراهيم باشا وأجرى زيور باشا انتخابات جديدة جاءت بأغلبية وفدية ساحقة وتم حل مجلس النواب فى ٢٣ مارس ١٩٢٥ ولم يزد عمره عن تسع ساعات

وبدأ التفكك يزحف الى وزارة زيور باشا فقد استقال يوســف قطاوى باشا وزير المواصلات فى مايو ١٩٢٥ لأن السراى كرهت منه مروره على سعد زغلول فى يوم عيد الفطر وتركه له بطاقة تهنئة وعندما طلب يحيى ابراهيم باشــا رئيس الوزراء بالنيابة فى غياب زيور باشا من عبد العزيز فهمى باشا وزير الحقانية فصل الشيخ على عبد الرازق وكان وقتئذ قاضــيا لأنه ألف كتاب « الاسلام وأصول الحكم » وهو الكتاب الذى لم ترض عنه هيئة كبار العلمـاء وحاكمت المؤلف وأمرت باخراجه من تلك الهيئة وأحال عبد العزيز فهمى الأمر الى لجنة أقسام القضايا فى وزارة الداخليـة لتبدى رأيها ، غضبت السراى من عبـد العزيز فهمى وطــلب يحيى ابراهيم باشا من عبــد العزيز فهمى أن يســتقيل فلما رفض صـدر مرسوم ملكى بتكليف على ماهر باشا وزير المعارف القيام بأعمال وزارة الحقانية الى آن يعين لها وزير بدلاً من عبد العزيز فهمى باشا ومعنى ذلك أنه أقيل من منصبه الوزارى وغضب لهذه الاقالة كل من محمد على علوبة باشا وتوفيق دوس باشا وانضم اليهما اسماعيل صدقى باشا وقرر مجلس التأديب فى وزارة الحقانية فصل الاستاذ على عبد الرازق من وظيفته وعندما عاد زيور باشا من الخارج أجرى تعديلا فى وزارته ، وارتكبت وزارة زيور باشا جريمة وطنية كبرى اذ وقعت فى غيبة البرلمان مع الحـكومة الايطالية اتفاقية تم بموجبها تسليمها واحة جغبوب لايطاليا .

***

● وكان أمين الرافعى قد حمل لواء الدعوة لانعقاد البرلمان من تلقاء نفسه لأن قرار الحل غير دستورى واستجابت الأحزاب لهذه الدعوة ، وانعقد البرلمان من تلقاء نفسه ، فى فندق الكونتننتال فى ٢١ نوفمبر ١٩٢٥ وسحب المجتمعون الثقة من الوزارة واحتجوا على تصرفات الوزارة المخالفة للدستور و . و . واقتربت الأحزاب من بعضها البعض وشكلت لجنة سميت بلجنة الأحزاب المؤتلفة فى يناير ١٩٢٦ من : فتح الله بركات ، على الشمسى ، علوى الجزار ، ويصا واصف (ممثلين للوفد) ومثل الأحرار الدستوريين ، محمد محمود ، محمود عبد الرازق ، حافظ عفيفى ، أحمد عبد الغفار ، ومثل الحزب الوطنى ، حافظ رمضان ، أحمد لطفى ، عبد الحميد سعيد ، محمد زكى على ، أحمد وجدى واجتمع المؤتمر الوطنى فى منزل محمد محمود بشارع الفلكى فى ١٩ فبراير ١٩٢٦ وقرر المؤتمر احتجاجه على الوزارة فيما يختص بالتصرفات التى صدرت منهـا مخالفة للدستور ودعوة الأمة للانتخــابات واتفقت الأحزاب على الترشيحات وألف عدلى يكن باشا وزارته الثانية فى ٧ يونيو ١٩٢٦ من حزبى الوفد ، والأحرار الدستوريين واجتمع البرلمان فى ١٠ يونيو ١٩٢٦ ولم تستمر الوزارة فى الحكم طويلا اذ استقالت فى ١٩ ابريل ١٩٢٧ بعد أن وضــع الوفد فى

طريقها العراقيل وألف ثروت باشا وزارة جديدة فى ٢٦ أبريل ١٩٢٧ وكانت ثانى الوزارات الائتلافية ٠

***

وكان سعد زغلول قد توفى فى ٢٣ أغسطس ١٩٢٧ وانتخب الوفد مصطفى النحاس خليفة له ، فى ٢٣ سبتمبر ١٩٢٧ ٠

***

وفى ٤ مارس ١٩٢٨ استقالت وزارة ثروت باشا ، وألفت وزارة النحاس الأولى فى ١٧ مارس ١٩٢٨ وكانت ائتلافية من الوفد والأحرار الدستوريين وكانت تضم : جعفر ولى ، واصف بطرس ، محمد نجيب الغرابلى ، على الشمسى أحمد خشبة ، محمد محمود ، محمد صفوت ، ابراهيم فهمى ، مكرم عبيد ٠

ومنذ الأيام الأولى لتلك الوزارة بدأت الخلافات ٠

● استقال محمد محمود وزير المالية فى ١٧ يونيو ١٩٢٨ ٠

وفى ١٩ يونيو استقال جعفر ولى وزير الحقانية ٠

وفى ٢١ يونيو استقال أحمد محمد خشبة وزير المعارف وفى يونيو استقال ابراهيم فهمى كريم وزير الأشغال ، وكان اسماعيل صدقى قد استأذن القصر فى السفر الى الخارج فنصح بتأجيل سفره ٠

***

● ظهر فجأة ما سمى بقضية الأمير سيف الدين وكان محجورا عليه وأقام دعوى برفع الحجر عنه ووكل جعفر فخرى واشترك معه فى الدفاع عن الأمير مصطفى النحاس وويصا واصف وكان الاتفاق مع الأمير ، أو مع دائرته بمعنى أدق قد تناول أتعاب المحامين ، وكان المبلغ الذى اتفق عليه ضخما ، أو هكذا قال خصوم مصطفى النحاس ، واعتبر الاتفاق مخلا بآداب المهنة وقدم الثلاثة الى مجلس تأديب المحامين وكان الواضح أن القضية برمتها كانت قضية سياسية أريد من وراء اثارتها القاء الشبهات على نزاهة مصطفى النحاس وقد ترافع مكرم عبيد عن مصطفى النحاس وويصا واصف ، وكان دفاعه فى ١٥٦ صفحة بالغا حد الروعة : قال مكرم : الاتهام قسمان : فداحة الأتعاب واستخدام النفوذ السياسى لمصلحة القضية وقد خصنى من الدفاع القسم الثانى المتعلق باستقلال المراكز السياسية وهو فى الواقع بيت القصيد اذ لم نسمع منذ أنشئت المجالس التأديبية أن قضية تأديبية رفعت فى وقت من الأوقات على محام لفداحة أتعابه وذلك من اختصاص القاضى المدنى بنص القانون ولكن الاتهام هرب من القضاء المدنى الى التأديب لأن ذلك القضاء يحتاج الى متقاضين وليس فى هذه القضية

متقاضون ، بل ان صاحب القضية نفسه يصيح بأعلى صوته انه راض بتسلم الأتعاب وأنه مستعد لأن يدفع أضعافها اذا ربح قضيته وأنه لا يرضى بهـذا المبلغ البسيط بل يكافئهم أحسن مكافأة وانهم عندما قبلوا بمقدم ضئيل قد برهنوا على شفقتهم ورحمتهم وعدلهم .

***

● وقال مكرم عبيد أيضا . ليس للسياسة ضمير فى أى بلد من بلاد الله أما فى مصر فليس للسياسة عقل أيضا ».وينهى مكرم عبيد مرافعته الرائعة بقوله : لقد اجتمعت فى هذه القضية كل عناصر الظلام بل وعناصر الاجرام فمن سرقة الى تزوير الى شهادة الزور الى شراء الذمم الى الدس والتلفيق وكنا فى كل ذلك مجنيا علينا لا جناة : فقولوا كلمتكم حاسمة فاصلة فان شعاعا واحدا من نوركم يكفى لتبديد كثيف الظلام وكلمة واحدة من عدالتكم أنفذ الى الباطل من أحد السهام » .

وكان مجلس التأديب قد شكل برئاسة حسين درويش باشا وكيل محكمة استئناف مصر الأهلية وعضوية أصحاب العزة عبد الحكيم عسكر بك ، ومحمود سامى بك ومحمد بهى الدين بركات بك المستشارين بالمحكمة ، وعبد الخالق عطية أفندى عضو نقابة المحامين وأحمد شرف الدين بك رئيس نيابة الاستئناف وفى ٧ فبراير ١٩٢٩ — بعد فترة طويلة من الزمن — قضى مجلس التأديب بأن التهم التى أسندت الى المحامين الثلاثة ، مصطفى النحاس . ويصا واصف . جعفر فخرى « خالية من كل أساس ويتعين فى هذه الحالة براءتهم منها ، فلهذه الأسباب حكم المجلس حضوريا بضم القضيتين : قضية مصطفى النحاس . وويصا واصف وقضية جعفر فخرى ، وبراءة المتهمين مما أسند اليهم فى القضيتين » ! .

***

والجدير بالذكر أن كل الصحف التى كانت تعارض الوفد قد خرجت فى ٢٢ يونيو ١٩٢٨ تحمل مانشتات طويلة عريضة .. فضائح برلمانية خطيرة ، رئيس الوزراء ورئيس مجلس النواب يستخدمان السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية لمصالحهما الذاتية ، تشريع خاص بأتعاب المحاماه يجب على النحاس النزيه وزميله أن يتخليا عن منصبيهما ويطلبا رفع الحصانة النيابية والتقدم للتحقيق ، واجب البرلمان المبادرة للنظر فى الأمر حرصا على سمعة البلاد ، أتعاب قضية ضعف رأس مال بنك مصر » .

***

هذا وقد غضبت وزارة محمد محمود — التى أعقبت وزارة مصطفى النحاس —

من الحكم الذى أصدره مجلس تأديب المحامين فأصدرت فى ١٤ فبراير ١٩٢٩ القانون رقم ١٦ لسنة ١٩٢٩ بتعديل بعض أحكام المحاماة وجعلت محاكمة المحامين من اختصاص محكمة النقض والابرام بصفته « مجلس تأديب » وبحيث لا يكون لنقابة المحامين ممثل فى مجلس التأديب وتكون الجلسات سرية .

★★★

● كانت النية متجهة الى أن يشكل اسماعيل صدقى الوزارة الجديدة ، وقد استبقى من أجل ذلك التشكيل وطلب منه عدم السفر الى الخارج ، كما كان ينوى قبلا ، وأكثر من ذلك فوتح فى أمر تشكيل الوزارة ، وبدأ فعـــلا فى الاتصال ببعض من كان يود أن يشترك معه فى وزارته الجديدة ولكن رؤى فى اللحظة الأخيرة وبوحى من السفارة البريطانية أن يعهد برئاسة الوزارة الى محمد محمود باشا وكان له العديد من المعارف والأصدقاء فى الوزارة البريطانية لأنه من خريجى اكسفورد ، وذلك كما قيل وقتذاك وقد ذكر اسماعيل صدقى فى مذكراته ، واقعة مفاتحته فى تأليف الوزارة الجديدة ، ثم العدول عنه والاتجاه الى محمد محمود : شكل محمد محمود وزارته الأولى فى ٢٥ يونيو ١٩٢٨ وشاركه فى الوزارة : جعفر ولى باشا وأحمد خشبة ونخلة المطيعى باشا ، وعلى ماهر باشا ، وابراهيم فهمى كريم بك ، حافظ عفيفى ، أحمد لطفى السيد ، أى أنها كانت مؤلفة من حزبى الأحرار الدستوريين والاتحاد وقد بادرت الوزارة الى تأجيل اجتماع البرلمان شهرا ، ثم عمدت فى ١٩ يوليو ١٩٢٨ الى حل مجلسى النواب والشيوخ وتأجيل انعقاد المجلسين وتأجيل تعيين الأعضاء المعينين فى مجلس الشيوخ لمدة ثلاث سنوات ثم ، أوقفت الوزارة الجديدة العمل ببعض مواد الدستور .

★★★

وأعلنت عن حكم البلاد بغير دستور : عارضت جماهير الشعب هذا الانقلاب الدستورى ولكن وزارة اليد الحديدية ــ كما أسميت يومئذ ــ لم تعبأ بتلك المعارضة ومضت قدما فى تنفيذ سياستها الداخلية والخارجية ، منعت مثلا ، اجتماع البرلمان بدار مراد بك الشريعى وأغلقت أبواب البرلمان رغم احتجاج ويصا واصف رئيس مجلس النواب ، ومحمود بسيونى وكيل مجلس الشيوخ : صادرت العديد من الصحف وعطلت البعض الآخر تعطيلا نهائيا وحدثت بعض اشتباكات مع رجال البوليس فى ساحة عابدين مع فريق من النواب والشيوخ الذين حاولوا دخول القصر ، وراح محمد محمود يتفاوض مع ارثر هندرسون وزير الخارجية البريطانية : انتهت المفاوضـات الى مشروع معـاهدة ــ محمـد محمود ــ هندرسون .

★★★

● قام الوفد المصرى بدور خطير بالنسبة لمشروع المعاهدة وأعلن تمسك الأمة بعرض المشروع على برلمان جديد بعد اعادة الحياة الدستورية ٠

وكانت الحكومة البريطانية تؤيد وجهة النظر الوفدية لا عن اقتناع بهـا وانما رغبة منها فى التسويف وكسب الوقت ٠

***

● قامت حكومة محمد محمود ببعض اصلاحات داخلية كبناء المستشفيات المركزية والقروية وردم البرك ونشر التعليم الأولى وبناء مســاكن للعمال فى جهات مختلفة من أرجاء البلاد ولكنها اصطدمت بالقصر وكان محمد محمود قد حجز لنفسه بعد انتهاء مفاوضاته على الباخرة الايطالية اسبيريا ، وكان الملك فؤاد الذى كان يقوم بزيارة للندن وباريس قد حجز على نفس الباخرة وسئل محمد محمود من قبل أحد الصحفيين عما اذا كان سيسافر فى صحبة الملك ؟ فكان جوابه : كلا ، بل اختار الملك الباخرة التى قررت أنا السفر عليها ليعود الى القاهرة ٠

● قلت فى دراسة لى عن محمد محمود : كنت طفلا عندما كان محمد محمود رئيسا للوزارة فى المرة الأولى فلم أدر أكان يلبس قفازا حديديا ، أم حريريا ، ولم أستطع التمييز بين ديمقراطية النحاس ودكتاتورية محمد محمود ولكن وقر فى ذهنى وانطبع فى عقلى ـ بعدئذ ـ أن محمدا عطل الدستور ووأد الحريات ومن طبعى حب الدستور والايمان بالحريات ، وقيل لى ـ ولغيرى ـ ان محمدا يتيه على الناس بهيله وهيلمانه وجاهه وسلطانه ويتحاشى الاتصـــال بالشعب ويتعالى على الطبقتين الثانية والثالثة بل والأولى ٠

وأنا من أولئك الذين يقدسون الشعب ويكرهون من يتعالون لذلك كرهت « محمد محمود » . . وبغضته ولما توالت الأيام بأحداثها وحوادثها وسمعت من كثيرين عن دور محمد محمود فى سنة ١٩٣٥ وفى مفاوضات ١٩٣٦ خيل لى أن هذه الصورة ليست الا صورة مشوهة وأن هذه الآراء تنقصها الدقة وتبتعد عن الحقيقة ٠

***

ورأيت ـ هكذا قلت ولما أكن قد تجاوزت العشرين من عمرى ـ الكثيرين يتصارعون على الرئاسة ويتقاتلون على الوزارة ويكادون يفقدون الكرامة الوطنية والشخصية من أجل الوصول الى الرئاسة وتذكرت يوم ذهب بعض الشـباب الى محمد محمود يتحدثون عن الجبهة الوطنية وجمع الصفوف وسـأله شاب ، ومن يوقع المعاهدة ؟ قال محمد محمود : ليكن أى كائن كان ولتكن أنت أيهـا الشاب ٠

● حرق محمد محمود نفسه عند القصر ، وعند الانجليز ، وعند الشعب أيضا فقدم استقالته فى ٢ أكتوبر ١٩٢٩ وعهـــد الملك الى عدلى يكن ليؤلف وزارته الثالثة فى اليوم التالى وقد شارك عدلى يكن فى وزارته تلك : أحمد مدحت يكن ، عبد الرحيم صبرى (صهر الملك فؤاد) حسين درويش ، مصطفى ماهر ، حسين واصف ، واصف سميكة ، أحمد على ، حافظ حسن ، محمد أفلاطون وهى الوزارة التى أعادت العمل بمواد الدستور التى كانت قد عطلت وقامت وزارة عدلى يكن باجراء الانتخابات (٢١ ديسمبر ١٩٢٩) وهى الانتخابات التى قاطعها حزب الأحرار الدســـتوريين وجاءت بأغلبيـة ساحقـة للوفد : استقال عدلى يكن فى ٣١ ديسمبر ١٩٢٩ لأن مهمة وزارته قد انتهت باعادة الحياة الدستورية وباتمام الانتخابات ولم يبق الا أن يجتمع البرلمان فى الميعاد الذى حدده الأمر الملكى رقم ٧٢ لسنة ١٩٢٩ ٠

***

● عهد الملك الى مصطفى النحاس يوم أول يناير ١٩٣٠ بتأليف الوزارة باعتباره زعيم الأغلبية التى أسفرت عنها الانتخابات ٠٠ ألف مصطفى النحاس الوزارة وشاركه فيها : واصف بطرس غالى ، محمد نجيب الغرابلى ، عثمان محرم ، محمد صفوت ، مكرم عبيد ، محمـــود فهمى النقراشى ، بهى الدين بركات ، محمود بسيونى وكانوا كلهم أعضاء فى البرلمان عدا بهى الدين بركات وقد كان مستشارا فى محكمة الاستئناف وعضوا فى مجلس تأديب المحامين الذى نظر قضية مصطفى النحاس وويصا واصف وجعفر فخرى ٠

وأخذت وزارة مصطفى النحاس على نفسها « مهمة العمل على تثبيت قواعد الدستور وصون نصوصه وأحكامه ، والسير بالبلاد فى طريق الاصلاح من جميع نواحيه والسعى الى تحقيق استقلال البلاد استقلالا صـــحيحا والوصول الى اتفاق شريف وطيد بين مصر وبريطانيا وتوثيق عرى المودة بيننا وبين الدول الأجنبية » ٠

***

وبدأ مصطفى النحاس ـ بناء على تفويض من مجلسى الشيوخ والنواب فى ٦ فبراير ١٩٣٠ ـ يتفاوض مع الحكومة البريطانية فى مقترحاتها للوصول الى اتفاق بين البلدين وتوثيق عرى الصـــداقة ، وكان الوفد المصرى برئاســة مصطفى النحاس ، وعضوية عثمان محرم ، واصف بطرس غالى ؛ د٠ أحمد ماهر بالاضافة الى المستشارين محمود حســـن ، الأميرالاى ابراهيم بدوان ، القائمقام حافظ صدقى ، الأميرالاى أحمـــد رفعت ٠ وكان مصطفى الصادق

سكرتيرا عاما ، أما محمد كامل سليم ، ومحمود صديق ، جورج دوماني ، أحمد راغب ، محمد صلاح الدين ، ابراهيم ممتاز ، أحمد سعد ، عبد الحميد الشريف ، محمود زكي سالم ، أمين عثمان حبشي صبحي حوا (فقد كانوا في مقدمة موظفي السكرتارية) ، وصل الوفد الى لندن في ٢٠ مارس وافتتحت المفاوضات رسميا في ٣١ منه وقطعت في ٨ مايو بسبب السودان ·

وتحرك المناوئون للحياة الدستورية لاسقاط حكومة الوفد ·

واستجابت السراى ، الى ذلك التآمر ان لم تكن هي بالأصل الموحية به : وأخذت تعطل أعمال الوزارة وتجمد مشروعات القوانين ، التى تتقدم بها ، كما اشتد الخلاف بين القصر ، والوزارة حول تعيينات الشيوخ بدل الذين سقطت عضويتهم بالقرعة ، وفي ١٧ يونيو ١٩٣٠ قدم النحاس استقالة وزارته نظرا « لعدم تمكننا من تنفيذ برنامجنا الذى قطعنا على أنفسنا العهد بتنفيذه » ·

وعهد الملك الى اسماعيل صدقي يوم ٢٠ يونيو ١٩٣٠ بتأليف الوزارة وشارك اسماعيل صدقي في مهامه الجديدة كل من محمد توفيق رفعت ، عبد الفتاح يحيى ، حافظ حسن ، على ماهر ، توفيق دوس ، محمد حلمي عيسى ، حافظ عفيفي ·

ولم يدخلها الأحرار الدستوريون ، وان دخلها الاتحاديون ·

واختير حافظ عفيفي وزير الخارجية في وزارة اسماعيل صدقي وزيرا مفوضا لمصر في لندن ،وكان وضعا مقلوبا أن يقبل وزير الخارجية وظيفة وزير مفوض ، ولكن مقر العمل كان في لندن ـ ولندن وقتئذ ، مصدر السلطة والسطوة والقوة : حدث تغيير في بعض الحقائب الوزارية : تم تعيين ابراهيم فهمي كريم وزيرا للأشغال ، ومراد سيد أحمد باشا المستشار الملكي لقسم قضايا المواصلات وزيرا للمعارف وبدأ أخطر انقلاب في تاريخ الحياة السياسية بقيادة اسماعيل صدقي باشا عدو الدستور الأول وبدأت سنوات ما قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ·

الفصل الثانى

صدقى باشا يحكم بالحديد والنار

● عندما قام الملك أحمد فؤاد بتكليف اسماعيل صدقى باشا بتأليف لوزارة الجديدة ـ وكان فيما يبدو ، متأهبا ، للقيام بهذه المهمة منذ أكثر من عامين ـ كان أول ما فعله أن زار السير برسى لورين المندوب السامى البريطانى فى مصر ليتأكد من موقف بريطانيا من وزارته ٠

وقد ذكر له المندوب السامى البريطانى أنه فوجئ باختياره لرئاسة الوزارة وأنه لا اعتراض للحكومة البريطانية على تكليف الملك له بتشكيل الوزارة « ما دامت تلك رغبة الملك » وان كان سير برسى لورين ـ يعتقد أنه ـ أى اسماعيل صدقى ـ جاء فى وقت غير مناسب ٠٠

ويتجه اسماعيل صدقى أول ما يتجه الى أصدقائه ، وحلفائه الدستوريين ليشركهم معه فى وزارته ويفاتح فى ذلك صديقه محمد محمود باشا مؤكدا له أنه ما جاء الى الحكم الا ليحقق ما كان الأحرار الدستوريين ينوون القيام به لو أنهم استمروا فى الحكم : غير أن محمد محمود ـ وكان يعتقد أنه قد أصبح ضحية للسراى وللانجليز وأنه بمثابة جريح سياسى ـ ثم يجمع مجلس ادارة الحزب ليعرض عليه موضـوع اشتراك الأحرار الدستوريين فى الحكم ، بل رفض من الوهلة الأولى فكرة اشتراك الأحرار الدستوريين فى الوزارة ، وهدد كل من يشترك فيها بأنه سيعتبر متخليا عن عضوية الحزب ، واستقال اسماعيل صدقى ـ وهذا مما يذكر له ـ من عضوية مجالس ادارة احدى عشرة شركة كبرى كانت عضـويتها تدر عليه أضعاف أضعاف مرتبه كرئيس للوزارة ٠ وراح يؤكد ، للجماهير ، أنه رجل دستورى بطبعه ، كما راح يذكر الجماهير أيضا ، بأنه كان عضوا فى لجنة الثلاثين التى وضعت دستور سنة ١٩٢٣ وأن نزاهة أغراض وزارته وشرف مقاصدها سيخلقان بينها وبين الشـعب أصدق صلات الثقة ، ومظاهر التعاون ، وأنها ـ أى الوزارة ـ تعتمد بعد تأييد صاحب الجلالة

الملك على هذه الثقة وذلك التعاون وأن خطة الوزارة « قول قليل موجز ، وعمل كثير مبارك مسدد الوسيلة محمود النتيجة » ·

***

ولم يكد يجف مداد هذه الكلمات حتى أخذ يلوح بسلاح التهديد : « انى وزير الداخلية ، أى أننى الرئيس الأعلى للبوليس ، وأرى أن واجبى بهذه الصفة مزدوج ، فهو لا يقتصر على الشدة وحدها ، بل يتناول الوقاية أيضا ، ولقد صرحت فى البلاغ الرسمى ، الذى نشرته الصحف ان الحكومة تلقى حمل المسئولية على عاتق كل فرد أو جماعة تتخطى حدود القانون ولا تخدم أوامر الحكومة وانى محتفظ بالعمل بما جاء فى هذا الانذار كاملا ، ولا سيما فيما يتعلق بالزيارات ، التى اعتزم رئيس الوفد ــ اذا كان صدقا ، ما نشر فى بعض الصحف ــ أن يقوم بها عاجلا وفى مدن أخرى من الأقاليم · ومهما يكن فى الأمر ، وأيا كانت التحريضات التى يسعون بها لاضطراب النظام ، والأمن العام ، فانى أرغب أن يقتنع كل فرد اقتناعا مطلقا بأن الحكومة ، التى أدير دفتها ستقبض على ناصية الحال ، ولن نسمح بأن تكون مصر فريسة مثيرى القلق » ·

***

وفى ٧ يوليو ١٩٣٠ ، ولما يمض سوى أسبوع واحد حدثت مذبحة المنصورة اذ أصاب البوليس سينوت بك حنا الذى كان يرافق مصطفى النحاس فى عربته بجروح بالغة فى ذراعه وقتل أربعة من الأهلين ، وثلاثة من رجال الجيش والبوليس ، وجرح ١٤٥ شخصا ·

وقامت مظاهرات عديدة فى بورسعيد والاسماعيلية والسويس ، وطنطا ، والاسكندرية ، والقاهرة ، احتجاجا ، على حكومة اسماعيل صدقى ، التى استخدمت أعنف الوسائل ، لمقاومة مظاهرات الشعب ·

وتتدخل بريطانيا ، فى الأمر ·

وتحمل الحكومة البريطانية ــ فى تبليغ رسمى ــ الحكومة المصرية والوفد المصرى معا مسئولية حماية أرواح الأجانب وممتلكاتهم فى مصر وتأمر الحكومة البريطانية بارجتين بريطانيتين ، بالتوجه الى ميناء الاسكندرية ·

ويصرح مصطفى النحاس رئيس الوفد بأن مسئولية الأحداث الأخيرة انما تقع على الوزارة ، التى أدى مسلكها فى الأزمة الدستورية الى وقوعها ، وان موقف البلاد من هذه الحوادث هو موقف الدفاع عن دستورها ، ضد وزارة معتدية ، على سلطة الأمة » ·

ويبعث اسماعيل صدقى ، برد الى الوزارة البريطانية يقول فيه ان التبليغ البريطانى لا يتفق ، ومقتضيات الحياد الدقيق وان التبليغ البريطانى لا يمكن أن يحمل الا على أنه تدخل بمعنى معين وفى تلك الشئون الداخلية التى لم ينكر تصريح ٢٨ فبراير نفسه حق مصر ، المطلق فى التصرف فيها وان المحافظة على أرواح الأجانب فى مصر وعلى طمأنينتهم ومصالحهم كانت منذ اللحظة الأولى فى صدر ما عنيت به وزارتى من المشاغل ، وان عبـــارة التبليغ التى تشير الى مسئولية غير الحكومة المصرية ، فان الحكومة المصرية وان كانت لا يهمها طبعا الا الحرص على المحافظة على أرواح الأجانب وأموالهم قد تحمل عبارة التبليغ على أنها غض من سلطان الحكومة وتشكيك فى انفرادها بالمسئولية وهى وحدها التى تسأل ، عن حالة البلاد ، وتخاطب فى هذا الشأن » ٠

★★★

وبدأ اسماعيل صدقى ، يضع دستورا جديدا ، بدلا من دستور سنة ١٩٢٣ وأشرك معه حزب الأحرار الدستوريين ولم يكن الخلاف الا على ثلاث نقاط ، وفوجىء اسماعيل صدقى بقرار لحزب الأحرار الدستوريين يوضح أنه « بذل كل ما استطاع من مجهودات لكيلا تمس الحكومة أسس الدستور ٠

ويعلن أن الحكومة ظلت متمسكة بما يناقض سلطة الأمة ٠

ويشل البرلمان فى تصرفاته ويجعل الحيـــاة النيابية معطـلة فى أهم خصائصها ٠

ويعلن الحزب أسفه لما تصر الحكومة على المضى فيه من اصدار دستورها الجديد ٠

وينكر الحزب عليها هذا التصرف ولا يستطيع تأييدها بحال » : وتحظى معارضة الأحرار الدستوريين لوزارة اسماعيل صدقى باهتمام كبير : فى داخل مصر وخارجها ، حتى ان صحيفة الديلى ميل البريطانية تقول فى افتتاحية لها : يلوح أن موقف الأحرار الدستوريين الجديد ، يرجع الســـبب فيه الى تطاول العلاقات الشخصية بين محمد محمود والعرش وبالأكثر الى دسائس دعاة الوفد الذين حملوا محمد محمود على الاعتقاد ، باحتمال عودته ، الى منصة الحكم ، كزعيم لحزب الوفد ، والأحرار الدستوريين كهيئة مؤتلفة ٠ ويصدر اسماعيل صدقى دستوره الجديد ، ويعلن الوفد المصرى عدم الاعتراف بالدستور الجديد ، ولا بقانون الانتخاب الجديد وعدم الخضوع لهما ، كما يعلن مقاطعة الانتخابات العامة بجميع عملياتها وكذلك يسارع الحزب الوطنى بالاحتجاج على تصرفات الوزارة الحاضرة فى وضع دستورها الحكومى وافتئاتها على حقوق الأمة المقدسة ،

كما يعلن أنه لن يؤيد دستورا لن يحقق سلطة الأمة فى أجلى مظاهرها . وليس من وضع يدها » .

★★★

● ويلتقى الأحرار الدستوريين ، والوفد المصرى ، يلتقى العدوان اللدودان وقد قال كل واحد منهما فى الآخر ، الشيء الكثير ، نسى الوفد المصرى ما كاله له الأحرار الدستوريين من اتهامات خطيرة ، وكذلك نسى الأحرار الدستوريون كل ما وجهوه للوفد من اتهامات خطيرة أيضا ، كل ذلك من أجل مقاومة حكومة اسماعيل صدقى وربما لو كان كل من الحزبين قد توقع ، من قبل مثل هذا الالتقاء ، لاقتصد قادته وصحافته ، فى توجيه الاتهامات الخطيرة للحزب الآخر .
ويقول د. هيكل فى مذكراته : اتفقنا مع الوفد لمقاومة صدقى باشا ، وبطشه والتنظيم هذه المقاومة ألف الحزبان لجنة اتصال كان يمثل الوفد فيها فتح الله باشا بركات ومكرم عبيد باشا ، وكان يمثل الأحرار الدستوريين فيها محمد على علوبة باشا ، وأنا : وكانت هذه اللجنة تجتمع بمنزل فتح الله بركات باشا بالزمالك ، وأقرت هذه اللجنة فى أول اجتماع لها رأيا رآه الأحرار الدستوريون: ذلك أن دعوة الشعب للمقاومة ، والتضحية لا يمكن أن تثمر ثمرة ما ، اذا لم يتقدم الزعماء صفوف الشعب في هـــذه المقاومة أما ان اقتصرت على عبارات تنشر في الصحف بالغة ما بلغت قوتها ، وصدق تعبيرها عما يعانيه الشعب في حريته ، وفى حقوق وطنه ، فلن يكون من أثر لها الا أن تثير اعجاب المثقفين ببلاغة أسلوبها وقوة عبارتها لكنها لن تحرك الشعب الى عمل ايجابى عنيف منتج » .

★★★

وكان الوفد ، والأحرار الدستوريون قد وقعوا فى ٣١ مارس ١٩٣١ ميثاقا قوميا سموه « عهد الله والوطن » وكان فى مقدمة الموقعين على ذلك الميثاق عن الوفد المصرى : مصطفى النحاس ، حمد الباسل ، سينوت حنا ، جورج خياط ، واصف غالى ، مكرم عبيد ، محمد فتح الله بركات ، محمد علوى الجزار ، مراد الشريعى ، نجيب الغرابلى ، فخرى عبد النور ، مرقص حنا ، على الشمسى ، سلامة ميخائيل ، راغب اسكندر ، حسن حسيب ، حسين هلال ، مصطفى بكير ، عطا عفيفى ، أحمد ماهر ، محمود فهمى النقراشى . وعن الأحرار الدستوريين : محمد محمود ، محمود عبد الرازق ، محمد على علوبة ، ابراهيم الهلباوى ، جعفر ولى ، أحمد محمد خشبة ، كامل جلال ، صالح الشريعى ، على عبد الرازق ، محمد كامل البندارى ، عبد الحليم العلايلى ، محمد محفوظ ، رشوان محفوظ ، سيد محمد خشبة ، عبد الجليل أبو سمرة ، غبريال سعد ، على راتب ، حامد العلايلى ، محمد سامى كمال ، ابراهيم الطاهرى ، عبد العزيز

الحسينى سعده ، توفيق اسماعيل ، عبد الله أبو حسين ، عباس أبو حسين ، أحمد مصطفى أبو رحاب ، محمد الفقى ، أحمد على علوبة ، أحمد عبد الغفار ، حفنى محمود ، اسماعيل راتب ، محمد حسين هيكل » .

***

وقد حرصت على نشر أسماء كل الذين وقعوا على هذا الميثاق الوطنى ، ليرى أبناء هؤلاء ، وأحفادهم بل ليرى شباب اليوم ، وشباب الغد كيف أن الكفاح الوطنى لم يكن مقصورا على فئة دون أخرى ، وعلى طبقة دون غيرها من الطبقات وانما كان ميدان الكفاح الوطنى لجميع أبناء الشعب ، كل أبناء الشعب .

ولقد اعتبر الكثيرون التوقيع على مثل هـذا الميثاق من الأعمال الوطنية الهامة لما هو معروف عن دكتاتورية اسماعيل صدقى العنيفة العتيدة التى كانت ترى حتى فى مجرد التوقيع على شكوى من تصرفات الحكومة الخاصة ـ مثلا ـ بالرى عملا عدائيا يستوجب القصاص من مرتكبه ، وحتى أنه كان يأمر البنوك العقارية ، وغيرها التى كانت تدين له بالولاء ، والطاعة ، فلا تقرض خصـومه السياسيين ، حتى يفلسوا ، ويقعوا فى ضائقة مالية تقضى عليهم ، وعلى أسرهم .

***

والميثاق الوطنى ـ عهد الله ، والوطن ـ الذى وقعه خصوم الأمس القريب وأصـدقاء اليوم ، من الوفديين والأحرار الدستوريين كان ينص على أن الوفد والأحرار الدستوريين يقفون متفاهمين بكل قوة واخلاص جبهة واحدة فى وجه الدستور الذى تحـاول وزارة اسماعيل صـدقى باشا بكل وسائل البطش ، والارهاب ، أن تفرضه على البلاد فرضا ، مزدرية فى ذلك كل عدل ، أو قانون ، ويكررون أنهم متفقون على مقاطعة الانتخابات التى تجرى ، فى ظل هذا الدستور مقاطعة لا رجوع فيها وأنهم يرون مقاطعتها فرضا على كل مصرى ، مخلص لبلاده ولا يرضون أن يكون لمصر نظام غير ما ارتضته بدستور سنة ١٩٢٣ وهم فى موقعهم هذا صادرون عن رأى الأمة . واثقون من تأييدها لهم . وقيامها الى جانبهم ، فى مسعاهم . ليعود النظام كاملا ، غير منقوص .

وليعود الحكم النيابى بكل تقاليده الصحيحة فتتولى الأغلبية النيابية شئون الحكم فى حدود تلك التقاليد ، النيابية حتى يتمتع المصريون جميعا على اختلاف آرائهم ، وطبقاتهم بنعمة الدستور ، وما يكفله للجميع من حرية وعدالة ومساواة وحتى يستقر بذلك نظام الحكم فى البلاد فتطمئن النفوس ، وتعود الثقة المالية وتتوافر المصلحة لجميع القاطنين مصر ، أجانب ووطنيين على السواء » .

***

ويقول الميثاق ـ عهد الله والوطن ـ فى نهايته : ولقد اعتزمت الهيئتان متضامنتين أن تعملا على تنفيذ هذا الميثاق الوطنى بكل ما أوتينا من قوة .

ولذلك عولنا على عقد مؤتمر وطنى ، ممثل للأمة على اختلاف طبقاتها وهيئاتها لتأييد هذه السياسة القومية .

كما اعتزمنا الدعوة اليها بزيارة الأقاليم للمزيد من ايمان الناس بها ولن ندخر فى سبيل هذه الغاية السامية أى جهد ولن يضننا عليها بأى تضحية : ذلك عهد والوطن والله على ما نقول شهيد .. » .

***

ولقد انزعجت حكومة اسماعيل صدقى من عقد هذا الميثاق ، ومنعت نشره فى الصحف بل وصادرت الصحف التى تأهبت النشره ، وان كان هذا الميثاق قد طبع ووزع فى منشورات خاصة فى مختلف أرجاء البلاد .

ولا اعتراض لنا على الميثاق بل على العكس نحن نؤيده ، ونباركه ولكن هذا التأييد وتلك المباركة لا يمنعاننا من التساؤل : ألم تكن القضية الوطنية أحوج الى مثل هذا الميثاق ؟ ألم يكن من الانصاف الوطنى ، وضع ميثاق وطنى يلتزم به الحزبان الكبيران لمعالجة القضية المصرية وفق تصور مشترك وبأسلوب مشترك ، وبخطط مشتركة ؟ أم أن الدستور يستأهل مثل هذا الميثاق ، بينما القضية المصرية برمتها ـ والدفاع عن الدستور جزء منها ـ لا تستأهل ميثاقا وطنيا ؟! على أية حال : لقد أعلن الوفد المصرى والأحرار الدستوريون معا ، عزمهم على زيارة الأقاليم للدعوة الى مقاطعة دستور صدقى باشا ، وانتخاباته وقرروا فعلا زيارة طنطا ، وبنى سويف و .. و ..

***

وأترك الدكتور محمد حسين هيكل يروى بعض ما حدث لزعماء الحزبين المتحالفين ـ الوفد المصرى ، والأحرار الدستوريين ـ أثناء زيارتهم لبعض الأقاليم المصرية حيث جرى اعتبار تلك الزيارات وقتئذ فى مقدمة أعمال المقاومة الشعبية التى استهدفت القضاء على دكتاتورية اسماعيل صدقى .

وحيث كان نزول الزعماء الى الشوارع ، واحتكاكهم برجال الجيش والبوليس فى طليعة ما قاموا به فى حياتهم من تضحيات وطنية :

***

يقول د. هيكل قررت لجنة الاتصال أن يسافر زعماء الحزبين الى طنطا بالقطار ، الذى يبرح محطة القاهرة فى الساعة السابعة والنصف من صباح يوم

من أيام شهر ابريل ١٩٣١ وقبيل الموعد ذهبنا جميعا الى محطة العاصمة فاذا أبوابها موصدة واذا البوليس يمنعنا بالقوة من دخولها ٠

أشار بعضهم بالعودة فليس فى مقدورنا أن نقاوم القوة بالقوة ، لكن محمد باشا محمود رئيس الأحرار الدستوريين والمتحمس لفكرة تقدم الزعماء حركة المقاومة أبى الاستماع الى هذا الرأى ، وتقدم الى الباب ، ودعا من معه ، لفتحه عنوة ٠

واندفع من حوله من الأحرار الدستوريين ومن الوفديين فنفذوا أمره فانفتح الباب فاذا من خلفه قوة من البوليس تريد منع الداخلين ، لكن محمد محمود لم يعبأ بهذه القوة ، من البوليس ، بل اقتحمها فسقط طربوشه على الأرض فالتقطه رجل ممن معه ورده اليه ٠

واندفع الكل خلف الرجل ووصلنا عربات القطار المسافر الى طنطا وأخذنا أماكننا فيها وحان الموعد ، الذى يتحرك فيه القطار ، فلم يتحرك لكن حركة مناورة كانت تجرى ، ولا علم لنا بها ، فقد جرت القاطرة ، العربات المتصلة بها قبل عربتنا ثم جاءت قاطرة أخرى جرت عربتنا وحدها ٠

وانطلقت بنا الى طريق غير طريق طنطا ، ثم ألحقت قاطرة ثالثة العربات التى بعدنا بسائر العربات فى شبرا ، أو قليوب واتجه القطار الذى جر عربتنا الى صحراء العباسية ثم يمم ناحية الصف بمركز الجيزة فلما كنا خارج القاهرة ــ وكنا مع ذلك ، قريبين منها ــ وقف القطار لعلنا نشعر بأن عملنا غير مؤد الى نتيجة فنعود أدراجنا ، لكن محمد محمود باشا ومصطفى النحاس باشا أصرا على أن نبقى بالقطار لا نبرحه حتى نرى ماذا تستطيع الحكومة أن تصنعه ٠

★★★

وفى هذه الأثناء وفيما نحن فى القطار تجاوبت أنباء ما حدث فى أرجاء القاهرة وصارت حديث أهلها جميعا ، فجاء الينا كثيرون فى سياراتهم ــ سيدات ورجالا ــ يحملون معهم الطعام ، والماء ، ويسألوننا ان كنا نريد العودة الى القاهرة ، فى سياراتهم فلما عرفوا تصميمنا جميعا على البقاء حيث نحن لنرى ما سيصنع صدقى باشا وزملاؤه ٠

عادوا الى القاهرة يحملون الى أهلنا والى الناس جميعا أنباءنا ويذكرون لهم تصميمنا وعزمنا ، وبقينا نحن بالقطار حتى ولى النهار وأقبل الليل فتحرك بنا على مهل وجعل يسير حينا ويقف حينا حتى اذا كنا نحو الساعة التاسعة عاد بنا عن طريق حلوان الى محطة المعسكر بين المعادى وطره ، وهناك أمرونا بالنزول طوعا ، أو كرها » ٠

★★★

وعن يوم بنى سويف قال د٠ هيكل فى مذكراته السياسية : بعد أسبوعين من يوم طنطا ركبنا القطار المسافر الى الوجه القبلى ٠٠ ورأينا جمعا كبيرا من الناس ، على مقربة من محطة الجيزة رغم احتياطات الحكومة ، لمنع كل تجمع و ٠٠ و ٠٠ حتى بلغنا بنى سويف . ونزلنا محطتها وأردنا الخروج الى المدينة معتزمين المقاومة ان احتاج الأمر ، الى مقاومة . لكننا ألفينا المحطة تحيط بها القوات من كل جانب ولم تكن القوات هذه المرة من البوليس بل كانت قوات من الجيش المحارب كاملة العدة ، وتقدم قائد هذه القوات الى محمد محمود باشا ومصطفى النحاس باشا ، يرجوهما ألا يبرح أحد منا المحطة فالأوامر لديه صريحة فى مقاومتنا بالقوة ، ولو أدى الأمر الى اطلاق الرصاص وقتل من يقتل ، وعلمنا فى نفس الوقت ان المدينة هائجة مائجة ولكنها لا تستطيع ازاء هذه القوة المسلحة أن تصنع شيئا فبقينا بالمحطة طول النهار فلما جاء الليل أقبل قطار خاص ، وصدرت الينا الأوامر بالدخول اليه أو نحمل الى داخله بالقوة حملا ٠

واصطفت قوة من الجند على الرصيف وجعلت تدفعنا الى ناحية القطار فلما رأينا أن لا سبيل لغير العودة عدنا بعد أن ترك سفرنا هذا من الأثر فى النفوس ما قصدنا اليه ٠٠ » ٠

★★★

وعن الزيارة الثانية لبنى سويف قال د٠ هيكل ، ان زعماء الحزبين المتحالفين رأوا زيارة بنى سويف بالسيارات لا بالقطار ، وفى غفلة من الحكومة ، حتى لا تتخذ عدتها لمواجهتهم ، وألا يزيد عدد الذاهبين من القاهرة الى بنى سويف على ثمانية يكون النحاس باشا ، ومحمد باشا محمود من بينهم ٠

وقد وصل الثمانية الى بنى سويف قرابة الغروب وذهبوا الى دار رئيس لجنة الوفد المركزية ٠

وبدأت المظاهرات واتصل المدير بصدقى باشا ، الذى أمره بتشتيت المظاهرات وان احتاج الأمر الى اطلاق الرصاص ٠

وينقلب المكان الذى يوجد به الزعماء الى حصن تحاصره قوات الحكومة المسلحة من كل جانب بينما طلقات الرصاص تدوى فى أذان الزعماء ، واستمر ذلك زمنا طويلا ، اهتزت فيه المدينة وباتت على أبواب الثورة ، ولم يغب عن بال صدقى باشا ، أن الأمر اذا استمر حتى الصباح فلن يأمن أن تنقلب بنى سويف أتونا من النار ، وبركة من الدماء ، واتصلت بالقاهرة أنباء ما هو حادث ببنى سويف فأخذ الناس ، من كل ناد ، يتناقلون ما يبلغونه ويضخمونه، وبقيت القاهرة الى ساعة من الليل ، يقظى والناس فيها يتساءلون : ما عسى يحدث بعد ؟ ويعود الزعماء ، من بنى سويف الى القاهرة مخفورين ليصلوا بعد

منتصف الليل ، حيث تذهب بهم قوات البوليس الى محكمة الاستئناف للتحقيق معهم ، وبعد أن حققت معهم النيابة ، أخلت سبيلهم ! » .

***

ولكن كيف كانت الصحف المصرية تنظر الى تلك الأحداث ؟

عدت الى صحيفة الأهرام فوجدتها فى عددها الصادر فى ٤ أبريل ١٩٣١ وتحت عنوان الموقف السياسى تقول : أما المعارضون فهمهم كما أعلنوا منذ الساعة الأولى ، ليس تجريح سياسة الحكومة وخطتها فى ادارة الشئون الداخلية فقط بل ان همهم يكاد يكون محصورا فى هدم الدستور الجديد واعادة الدستور القديم ، الملغى ، وللوصول الى هذا الغرض يدعون الأمة الى مقاطعة الانتخابات حتى يسقط هذا الدستور من تلقاء نفسه فهم اذن لا ينازلون الوزارة وحزبيها فى ميدان الانتخابات ، ولكنهم ينازلونها فى ميدان آخر : ميدان تعطيل الدستور الذى تنفذه الحكومة ونصيب لندن من ذلك ، فى نظر الأحرار الدستوريين والوفديين أن تتعاون على تعطيل الدستور القائم واحياء الدستور القديم مراعاة لهم ، لأنهم الغالبية ولاعتبارهم وقوفها ـ أى لندن ـ على الحياد مساعدة للحكومة ، وتأييدا لها » .

وتقول الأهرام : ان مصلحة البلد أن تقف المشادة عند حد ابداء الآراء ، دون تجاوز الى الشدة ، والى الاضطراب والى الحجر ، على الحرية ، وما شابه ذلك فان نتيجته سواء أكان ذلك فى نظر الشعب أو فى نظر الأجنبى أو فى حكم المصلحة العامة ذاتها ؛ الضرر المحقق ، الذى يصعب بعد وقوعه اصلاحه أو الاستعاضة عنه » .

***

وحول ميثاق الأحرار الدستوريين والوفديين كتب الأستاذ أحمد وفيق فى صدر صحيفة الأهرام « ١٧ أبريل ١٩٣١ » وتحت عنوان « نظرات فى الموقف السياسى ، مواثيق وميثاق » كتب يقول : حتى ٣٠ مارس ١٩٣١ أى حتى ذلك اليوم ، الذى أذيع فيه ذلك الاتفاق الذى سموه ميثاقا بين الوفد والأحرار الدستوريين ، كنت أحس ويحس أصدقائى بأن تحمسى للرأى القائل بالاضراب عن الانتخابات قد أخذ منى مأخذا عزيزا كاد يؤدى الى قطع صلتى بكثير من أعز اخوانى ، أما سبب ذلك الحماس فالأمل فى أن يرسخ فى صدور الوفديين الاعتقاد بأن التفاهم مع الانجليز قبل تحقيق الاستقلال التام هو أس شقاء مصر ، وقد يكون هذا الأمل بناء على ما أنزله الانجليز من ضروب الهم ، والغم بالوفد ، التى يقبلها عن طيب خاطر فى دفعه هذه الخصومة التى بدأت ساعة أن قال زعيم الوفد أنه اذا كان قد فقد المعاهدة ، فقد كسب صداقة الأمة الانجليزية .

وردد وزير خارجية انجلترا ما يشبه هذا القول فى دلالته على عاطفة الحب ، المتبادلة بينه وبين خصومه الأشراف المعقولين » ثم يعدد الأستاذ أحمد وفيق ــ وهو من خيرة الكتاب الوطنيين الذين لم ينالوا بعد حقهم من التكريم والتمجيد ، وتخليد الذكرى ــ المواثيق الوطنية التى عقدت بين الأحزاب المصرية كالوفد ، والحزب الوطنى ، وغيرهما ، والتى لم يكتب لها النجاح والتوفيق الى أن يقول : هذه بعض السوابق التى كانت تلوح فى أول عهدها وعليها مسحة قومية ثم لا تلبث أن تكون كشرارة ينفرج عنها ليل ، لتدفن فى غور ليــل آخــر » .

★★★

وقد كانت مقالة الأستاذ أحمد وفيق عن عدم جدوى تلك المواثيق التى تعقدها الأحزاب المصرية وكأنها نبوءة لما سيحدث بالنسبة للميثـاق الوفدى الدستورى : عهد الله والوطن ، الذى لم يستمر طويلا ، اذ فشل تماما فى نوفمبر ١٩٣٣ بسبب ذلك الخلاف الخطير ، الذى نشب بين الحزبين المتحالفين حول فكرة الوزارة القومية ، التى عارضها الوفديون وأيدها الأحرار الدستوريون ، على أية حال لقد نجح الائتلاف الوفدى الدستورى فى زعزعة نظام حكم اسماعيل صدقى وحظى الحزبان المتآلفان بتقدير الشعب والتفافه حولهما وخاصـة بعد ذلك المؤتمر الوطنى الذى حدد لانعقاده يوم الجمعة ٨ مايو ١٩٣١ وقررت الحكومة الصدقية منعه فاتفق زعماء الحزبين على وضع قراراته التى جاء فيها : تمسك الشعب بدستور سنة ١٩٢٣ واعتبار النظام المقرر به النظام الوحيد الذى ترضـاه الأمة لحكمها ، وكذلك مقاطعة الانتخابات التى تجريها وزارة اسماعيل صدقى فى ظل النظام الجديد ، واعتبارها لا تمثل ارادة الأمة ولذلك ــ وهذا هو المهم ــ فكل معاهدة أو اتفاق يعقد مع حكومته ويستند الى هذا البرلمان لا تتقيد الأمة بنصه أو بتنفيذه ، وكذلك الاحتجاج على ما قامت وتقوم به وزارة صدقى باشا من مصادرة حرية الرأى ، بتعطيل الصحف ومراقبتها اداريا والعبث بحرية القول والاجتماع والانتقال من مكان الى آخر مما أدى الى سفك الدماء واثارة الخواطر وتسخير الموظفين لأعمال غير متصلة بشئون وظائفهم أو واجباتهم الى غير ذلك من الأعمال الخانقة لحرية الفرد ، والمجموع ، مما كان له أسوأ الأثر فى حياة البلاد من جميع نواحيها اقتصادية كانت أو سياسية أو اجتماعية » .

★★★

وكان من بين الذين وقعـوا على تلك القرارات ، مصطفى النحـــاس ومحمد محمود ، وعدلى يكن ، وأحمد زيور ، ومحمد مصطفى المراغى ، وويصا واصف ، ومرقص حنا ، وواصف غالى ، وعلى الشمسى ، وأحمد خشبة ، ومكرم

عبيد ، ومحمود فهمي النقراشي ، ،محمد بهي الدين بركات ، وعبد العزيز عزت بالاضافة الى بقية أعضاء الوفد المصري ، وأعضاء مجلس ادارة حزب الأحرار الدستوريين ، ومن كبار الضباط المتقاعدين : اللواء علي فهمي ، اللواء محمد فاضل ، اللواء علي شوقي ، اللواء علي صدقي ، اللواء عبد الحميد راغب ، وكان من بين الأمراء ، والنبلاء الذين وقعوا على تلك القرارات : عمر طوسون ، ومحمد علي ، وعمرو ابراهيم ، وسعيد داود ، ومحمد علي حليم ، وابراهيم حليم ·

***

وقد أجرى اسماعيل صدقي انتخاباته التي قاطعها الشعب مقاطعة تامة أشبهت كما يقول الأستاذ عبد الرحمن الرافعي في روعتها ، واتساع مداها مقاطعة الأمة للجنة ملنر سنة ١٩١٩ بل ان تضحيات البلاد من القتلى ، والجرحى ، في هذه الانتخابات كانت أعظم وأكبر من تضحياتها في مقاطعة لجنة ملنر ، وقد عمدت الحكومة الى تزوير عملية الانتخابات فأوعزت الى لجان الانتخابات أن تزور محاضرها ، بحيث تثبت فيها حضور الناخبين كذبا وزورا ، وبذلك تمت هذه المهزلة ، بل هذه المأساة الانتخابية وكانت سابقة خطيرة اتبعتها الادارة في العمليات الانتخابية ، كلما أرادت الحكومة اصطناع برلمان صوري »

***

وقد قامت مظاهرات عديدة في القاهرة والاسكندرية . بل وفي بعض القرى استهدفت تعطيل عملية الانتخاب كما أضرب عمال عنابر بولاق ، والورش الأميرية ، عن الاشتراك فيها وتظاهروا احتجاجا عليها فقابلت الحكومة مظاهراتهم بمنتهى القسوة ، والعنف وسلطت عليهم قوات البوليس والجيش وأطلق الجند الرصاص على العمال فقتل منهم كثيرون : في القاهرة – مثلا – كان عدد القتلى في الأيام الثلاثة الأولى للانتخاب – كما قدرت الحكومة ذاتها – ثلاثة عشر قتيلا ، وعدد الجرحى ١١١ جريحا : في ميت غمر قتل ستة من الأهالي وجرح ٢٣ ، في مركز المنصورة قتل عشرة من الأهالي وجرح كثيرون ، وقدر عدد القتلى في كل أنحاء البلاد – تقريبا – بمائة قتيل وبلغ عدد الجرحى – على أقل تقدير – ١٧٥ جريحا ·

***

واجتمع البرلمان في ٢٠ يونيو ، ١٩٣١ وكان عدد النواب الذين نجحوا من حزب الشعب الذي ألفه اسماعيل صدقي قد بلغ ٨٣ نائبا ، ونواب حزب الاتحاد شريك حزب الشعب ٤٠ نائبا ، كما نجح ١٧ نائبا من المستقلين ، و٨ من الحزب الوطني ، وقد كان اشتراك الحزب الوطني في هذه الانتخابات – بعد أن وقف موقف العداء الصريح ، الواضح لدستور ١٩٣٠ – سقطة لا يمكن أن يغفرها التاريخ لأعضاء اللجنة الادارية للحزب الوطني ، أو لبعض أعضاء اللجنة

الادارية ، الذين وافقوا على الاشتراك فى تلك الانتخابات. والقد حدث خلاف خطير فى داخل اللجنة الادارية للحزب الوطنى بين مؤيد للدخول فى هذه الانتخابات وبين معارض لدخولها وكانت وجهة نظر المؤيدين لدخول الانتخابات ان الوفد طالما حارب الحزب الوطنى فى الانتخابات حتى لقد بذل جهودا شاقة ومضنية فى انتخابات ١٩٢٤ و ١٩٢٥ و ١٩٢٦ لاسقاط أقطاب الحزب فى دوائرهم ، التى كانت تعتبر معقلا للوطنيين ، سقط عبد اللطيف المكباتى فى انتخابات ١٩٢٤ ، وعبد اللطيف الصوفانى فى انتخابات ١٩٢٥ ، وأحمد لطفى ، وعبد الرحمن الرافعى ، فى ١٩٢٦ ·

وقد توفى كل من الثلاثة الاول ، فى أعقاب الانتخابات التى سقطوا فيها مما حدا بالأستاذ عبد الرحمن الرافعى ، أن يطلق عليهم شهداء الانتخابات ، وكانت وجهة نظر المعارضين لدخول الانتخابات أن الشعب كله يقاطع هذه الانتخابات وان الحزب الوطنى ينبغى عليه الاشتراك فى مقاطعتها ، وانقسمت اللجنة الادارية الى أغلبية وأقلية ، فكانت الأقلية كما يقول الأستاذ عبد الرحمن الرافعى — وكنت منها — الى جانب المقاطعة ولكن الأغلبية قررت عدم المقاطعة : وكان يجدر بالحزب الوطنى الذى رفع فى أواخر سنة ١٩٢٥ راية الثورة على قانون الانتخاب الباطل ، الذى أصدرته وزارة زيور باشا ودعا الى العمل به أن يقف هذا الموقف من دستور صدقى وقانون انتخابه ·

★★★

وكان خليقا به أن يشترك فى معركة الدستور ١٩٣٠ وكان حامل لوائها ، وبذلك يكون منسجما مع ماضيه فى النضال عن سلطان الأمة ولكنه لم يفعل » ·

★★★

وقد دفع الحزب الوطنى ثمن اشتراكه فى برلمان صدقى وكان الثمن غاليا جدا ·

وقد عين اسماعيل صدقى الكثير من الشخصيات فى مجلس الشيوخ كان من بينهم على ماهر ، ويحيى ابراهيم ، وعبد الفتاح يحيى ، والشيخ الأحمدى الظواهرى شيخ الجامع الأزهر ، والأنبا يوانس بطريرك الأقباط الأرثوذكس والحاخام ناحوم أفندى حاخام اليهود الأكبر ، وأحمد عبود ، ومحمد طلعت حرب ، وفارس نمر !

وكانت أكبر جريمة وطنية ارتكبها برلمان صدقى هى موافقته على التنازل لايطاليا عن واحة جغبوب بمقتضى الاتفاقية التى وقعها زيور باشا فى ٦ ديسمبر ١٩٢٥ والتى امتنع البرلمان طيلة سنوات ١٩٢٦ ، ١٩٢٧ ، ١٩٢٨ ، ١٩٣٠ عن ابرامها وسوف نكتب عن هذه الاتفاقية وبتوسع فى مناسبة أخرى

وحتى تكون الصورة ـ من الناحية التاريخية مكتملة ـ نعود الى المذكرات السياسية للدكتور محمد حسين هيكل فنشير الى بعض ما ذكره الدكتور هيكل عن أيام وزارة اسماعيل صدقى وعن تنكرها للشعب ، وعن تزويرها للانتخابات: يقول هيكل : تحت يدى وأنا أكتب هذه السطور صورة خطية من عريضة قصد أن يوقعها رجال القانون عثرت عليها وأنا أفتش فى أوراقى الخاصة ولست أذكر الآن أوقعت هذه العريضة ورفعت الى مقام جلالة الملك أو أنها لم توقع ولم ترفع على أن ما فيها يرسم صورة صادقة للاجراءات التى اتخذها صدقى باشا فى ذلك الحين : وهآنذا أنقل هنا بعض ما فيها : ان وزارة حضرة صاحب الدولة اسماعيل صدقى باشا قد جرت فى حكمها البلاد على طريقة يعافها القانون ، وتأباها مبادئه ، وأصوله الأولية فهى لم يكفها أن ألغت دستور مصر وأن وضعت من تلقاء نفسها نظاما يسلب الأمة سيادتها ويجعل السلطة التنفيذية فى الواقع مصدر السلطات ، بل تجاوزت بعد ذلك فى الواقع ، كل قانون معروف فى تصرفاتها لتفرض هذا النظام الذى استصدرته بوسائل عرفية مستهترة بكل ما كفلت القوانين للأفراد والجماعات من حقوق وواجبات عطلت حرية القول وحرية الرأى ، وحرية الصحافة وحرية الاجتماع ، وحرية التنقل فى بلاد الدولة وأكرهت الموظفين على أن يكونوا أدوات هـذا التعطيل وهـذا الازدراء ، المهين للقانون وغامرت بالروح المعنوية للبوليس ، وللجيش بأن سخرتها لأغراضها العرفية ولمحاربة النظام والقانون ، ثم انها تدفع رجال الادارة جميعا ، كى يقوموا أثناء الحركة الانتخابية التى تحاول اكراه الناس على الاشتراك فيها بكل ما يحقق أغراضها وما يخالف القانون فى سبيل غاياتها ، بل بارتكاب الجرائم ، فى سبيل هذه الغايات » .

★★★

وعن الانتخابات قال د. هيكل : اقترب يوم الانتخاب ونحن على ثقة من أن الأمة ستقاطعه وعلى ثقة كذلك من أن صدقى باشا ، سيعمل كل ما فى وسعه ليخلق صورة انتخابية توهم من يريد أن يقنع نفسه بأن تلك انتخابات وبأن الأمة رضيت بالنظام الجديد ، فلما تنفس صبح يوم الانتخاب اذا بالعاصمة كأنها على بركان ، أو كأنها ميدان قتال فقوات البوليس والجيش منتشرة فى كل مكان والمظاهرات كذلك منتشرة فى كل مكان وحبل الأمن مضطرب أيما اضطراب والعنف بالغ غاية الشـدة من الجانبين فالمتظاهرون حطموا مركبـات الترام وحاصروا الدوائر الانتخابية والبوليس يبذل غاية جهده ليحمل الناس اليها بقوة بأسه ، وفى حمايته ، ووقعت فى الأقاليم حوادث دامية ذهبت فيها أرواح بريئة وأريقت على الأرض دماء زكية لم يكن لاراقتها مسوغ. وانتشر مراسلو الصحف المصرية والأجنبية هنا ، وهناك ينقلون الى قرائهم صورة لما كان يجرى فى ميادين المعركة العنيفة التى قامت بين الحكومة والأمة فلما انتهى اليوم ، أذاع صدقى

باشا ، فى الصحف تصريحا بأن الانتخابات جرت على خير وجه . وفى جو من الهدوء والسكينة وأن الأمة اشتركت فيها أكثر مما اشتركت فى انتخاب سبق .

***

ويقول د. هيكل : لقد لجأ اسماعيل صدقى فى الفترة . التى انقضت بين صدور دستوره وانتخاب برلمانه الى اجراءات شاذة بلغت من العنف أن خلفت فى النفوس حفائظ ، لا سبيل معها الى صلح ، بل لا سبيل معها الى هدنة . لهذا ظلت الخصومة بينه وبين سائر الأحزاب ، ونستطيع أن نقول بينه وبين سواد الأمة : بالغة غاية الشدة : ولم يدر بخاطره بطبيعة الحال أن يتخلى عن الحكم لعل فى تخليه عنه ما يهدىء بعض الشيء من هذه الحفائظ تمهيدا لخلق جو أكثر صلاحية للتفاهم ، ولم يدر كذلك بخاطر أية سلطة أن توحى اليه بالتنحى عن الحكم مخافة أن يقال ، انه صنع ما صنع وبذل من الجهد ما بذل ثم كان جزاؤه هذا الاقصاء عن الحكم ، لهذا بقى فيما كان فيه يلجأ الى البطش والى تجاوز القانون ويلجأ تنكيلا بخصومه الى ألوان من الكيد لا يرضى هو عنها لولا هذه الخصومة الهوجاء ، التى اندفع اليها ثم حملته الظروف بعد هذا الاندفاع الى اعتبار موقفه موقف حياة أو موت لا يعبأ صاحبه باعتبار من الاعتبارات ولا يتحرج عن شيء يكفل له الظفر بخصومه ، وان خالف ما يفرضه القانون أو ما يرضاه مألوف الخلق بين الناس .

***

ويروى الدكتور هيكل نموذجا لما كان يلجأ اليه البوليس السياسى من مكائد للشرفاء فيقول : ان محكمة جنايات مصر كانت تنظر قضية الخطابات المزورة . وكانت طائفة من رجال البوليس لهم يد فى تزييف ما هو منسوب الى المتهمين . وكان محمود بك غالب المستشار رئيس الدائرة ، التى تنظر هذه القضايا ، وكان من عادة محمود بك ، أن يمضى سهرته كل ليلة بقهوة الأنجلو بجوار البنك الأهلى ، وبينما هو جالس ذات مساء اذ قيل له ان سيدة تريد أن تقابله وأن تتحدث اليه ، وكان معه صديقه خليل بك غزالات وهو الذى قص القصة ولما كان خليل بك رجل قضاء ، ويعرف أمثال هذه الألاعيب ويعرف دقة مركز صديقه محمود بك ، فى هذا الوقت الذى تنظر فيه قضية الخطابات المزورة ، منعه من الخروج ، وخرج هو فاذا سيدتان مشهورتان بالخلاعة ومن ورائهما رجل من رجال البوليس السياسى السرى فأدرك خليل بك لساعته أنها مكيدة يراد تدبيرها ، لمحمود بك غالب ، للتشهير به فنهر السيدتين ورجل البوليس وطردهما وأخبر محمود بك ثم أخبرنا بالأمر .

***

ربما قيل ان البوليس السياسى هو الذى دبر هذا الكيد ، انتقاما من

غالب بك ولو ان هذا كان صحيحا ــ وقد يكون صحيحا ــ لكان الرد عليه أن البوليس السياسى لا يجرؤ على مثل هذا الوضع بمستشار بمحكمة الاستئناف أثناء نظره قضية من القضايا التى تهم الحكومة اذا كان يعلم أن الحكومة تغضب لكرامة المستشار وتعاقب من يحاول العبث بهذه الكرامة ٠٠ وكان اسماعيل صدقى قد بالغ فى اضطهاد حرية الصحافة على نحو لم يحدث حتى عندما كان الاحتلال البريطانى فى عنفوان سطوته ، وجبروته ، وكان سلاح المصادرة من الأسلحة التى كان يستخدمها دائما ، فلما فشل هذا السلاح لجأ الى سلاح تعطيل اصدار الصحف بل الغائها تماما كما سيتضح فى الفصل التالى ٠

الفصل الثالث

صدقى يعلن الحرب على الصحافة وعلى الشعب

● سئل ابراهام لنكولن ـ الزعيم الأمريكى العظيم ـ هل أنت دكتاتور أم محرر ؟ فقال : هذا يتوقف على نظرتك • وحكى ابراهام لنكولن أسطورة راع للأغنام ، حال بين الذئب وبين افتراس الماشية ، فهذا الراعى ـ كما قال لنكولن ـ بالنسبة للماشية محرر ، وبالنسبة للذئب دكتاتور •

وهناك فى التاريخ القديم ، وفى التاريخ الحديث ـ « دكتاتوريون » كثيرون كانوا فى نفس الوقت محررين : دكتاتوريون بالنسبة لمغتصبى حقوق بلادهم وشعوبهم ، ومحررون بالنسبة لبلادهم ولشعوبهم • وفى التاريخ الحديث والقديم أيضا كان هناك دكتاتوريون أبدا ، دكتاتوريون بالنسبة لشعوبهم وبلادهم : لا يطيقون أبدا أن ترتفع كلمة الشعب ، أو أن تعلو كلمة الحق أو أن يكون هناك رأى آخر ، يختلف فى قليل أو كثير عن آرائهم • انهم يعتقدون دائما ان الشعوب هى مجموعات من الغوغاء ، بحاجة الى وصاية دائمة ، وبحاجة الى أن يتولى غيرهم ـ حتى ولو كان هذا الغير فردا واحدا ـ أمورهم دون أن يكون لهم أى حق فى مناقشة أولياء أمورهم ، وهم يعتقدون أيضا ان الله حباهم ، بمميزات ، وميزات وخصائص لا تتوافر فى غيرهم ، وهم لذلك يجب أن يكونوا فى مستوى عال عن الجماهير لا يجوز عليهم الخطأ ولا يجوز لغيرهم أن يحاسبهم لانهم ـ وهم الصفوة المختارة ـ فوق النقد وفوق الحساب : وقد كان اسماعيل صدقى باشا واحدا من هؤلاء « الدكتاتوريين » الذين يستأسدون على شعوبهم ، ولكنهم ازاء مانح السلطة أو مانعها أقزام صغار ، ليس من حقهم أن يناقشوا أبدا سادتهم وأولياء أمورهم الذين تلقوا منهم السلطة • وقد كان اسماعيل صدقى باشا ـ بحق ـ كفاءة اقتصادية جبارة ، وكان فى نفس الوقت صاحب عقلية سياسية متميزة ولكنه ـ والعباقرة دائما يخطئون ـ لم يعرف كيف يستغل عبقريته السياسية والاقتصادية كما يجب وان كان حتى آخر أيامه ، يعتقد انه استغل

تلك العقلية السياسية كما يجب بل وأكثر مما يجب ، وكان اسماعيل صدقى بحكم تكوينه العقلى ، والفكرى والتنظيمى ضد الوفد المصرى ، كحزب سياسى وكان يرى أن الوفد يستخدم أسلوبا ديماجوجيا قد يفيد الحزب ، ولكنه لا يفيد الشعب ٠ وان الوفد . عندما يكون فى الحكم ، لا يحترم أبدا رأى الأقلية ، أو على الأقل رأى خصومه السياسيين ، وأنه يحاربهم بكل الأسلحة : يصادر آراءهم . يسير المظاهرات العنيفة الجارفة لضربهم ، وايذائهم وتدمير بيوتهم ومكاتبهم ، وعظام رءوسهم اذا أمكن ! ولا يتيح أبدا لواحد منهم أن يبدى رأيا يخالف ما يراه الوفد ، لا فى الصحافة ولا فى اجتماع عام ، أو خاص ، وانه عندما يحكم ، يريد الحكومة كلها وفدية ، لحما ، ودما ، لا يهتم أبدا بأية كفاءات سياسية أخرى — حتى ولو كانت قد بلغت مبلغ العبقرية — ما دامت لا تنتمى الى حزبه ، وفى الوقت نفسه يرفع كثيرين جدا من غير ذوى الكفايات الى كثير من المناصب وهو يعلم حق العلم ، انهم سوف يكونون فاشلين فى عملهم . لانعدام مؤهلاتهم . العلمية والعملية ٠

★★★

ولكنه لم يكن أبدا ليهتم بذلك كله مادام المؤهل الأول ، والأكبر موجودا لديهم ، وهو انتماؤهم الى الوفد. وكان اسماعيل صدقى باشا يأخذ على الوفد أيضا انه يلجأ الى العنف أحيانا فيما يتعلق بالانجليز وبالسراى وان الصالح العام — من وجهة نظره — لا يستوجب العنف وانما يستوجب اللين ، ولما كان هو — اسماعيل صدقى باشا — يعتقد فى نفسه انه بطل اللين بالنسبة للانجليز وللسراى فقد كان يرى انه قادر على أن يستخلص من الانجليز ومن السراى كل ما يمكن استخلاصه ، وكان اسماعيل صدقى باشا يرى فى نفسه أيضا انه الوحيد القادر على كشف الوفد المصرى والحيلولة بين الجماهير وبين الوفد بما يقدمه للجماهير من خدمات فى مجالات الاصلاح الداخلى : مجالات التعليم ، والصحة ، والزراعة ، والصناعة و ٠٠ و ٠٠ وكان اسماعيل صدقى باشا يسىء دائما الظن بالشعب فكان يطلق عليه دائما « شعب كل وزارة » وكان يبنى وجهة نظره هذه — اساءة الظن بالشعب — على توجه جماهير غفيرة بصفة تكاد تكون أوتوماتيكية الى كل وزير جديد ، لتهنئته ، واستجلاب رضاه ووضع خدماتهم تحت تصرفه ناسيا ، أو متناسيا ان تلك الجماهير التى تعودت أن تصفق دائما — وبحماس شديد — لكل قادم جديد ، ليست أبدا هى الشعب وانما هى فئة قليلة من الناس احترفت هذا اللون من العمل ، وبرعت فيه وتفوقت على غيرها بما كانت تستخدمه من أساليب رخيصة يرفضها الكثيرون ٠

★★★

وكم كانت المفاجأة عنيفة وقاسية بالنسبة لاسماعيل صدقى باشا منذ اليوم الذى ولى فيه الوزارة انه لا يستطيع مثلا أن يجتذب الجماهير بقرار وزارى

يصدر كما أنه ليس من السهل أبدا على من فى يده السلطة أن يتنازل عنها ٠ ان الانجليز ــ مثلا ــ الذين احتلوا مصر ، بعد حرب عنيفة استخدموا فيها جيوشهم وأساطيلهم ، وبعد القضاء ، على مقاومة شعبية قوية استنفدت الكثير من جهودهم وامكاناتهم ، والانجليز ، الذين نعموا سنوات ، وسنوات باحتلال كل ما فى مصر ، وكل من فى مصر ، وباستغلال كل قطرة ماء أو كل شبر من أرضها لصالحهم ، لا يمكن أبدا أن يتنازلوا عن سلطاتهم فى مصر ، لان اسماعيل صدقى باشا يستخدم أسلوبا لينا فى مناقشاته معهم ، أو فى التعامل معهم ، بصفة عامة ، وكذلك السراى : ان السراى ليست مجرد ملك يحكم ، ويريد ان يستغل كل سلطاته لصالحه الشخصى وحسب ، ولكنها أيضا مجموعات أفراد كثيرين يعملون بها ولهم مصالحهم ، الشخصية أيضا ولهم صداقاتهم الشخصية كذلك ، ولهم طموحاتهم الشخصية ٠٠ ثم ان السراى ، والملك وحاشيته ، لم يحصلوا على تلك السلطة بسهولة ، وانما حصلوا عليها بعد مؤامرات ومناورات وتكتيكات استمرت ثمانى سنوات ، حتى مجىء اسماعيل صدقى الى الحكم وهى بملكها وبحاشيته ، لا يمكن أبدا أن تتنازل ــ لمجرد استخدام الأسلوب اللين فى معاملتها ــ عن سلطاتها لأى كائن من كان ، انها كالانجليز تماما لا هم لها ، بالنسبة لأى قادم جديد الا أن تستغله لصالحها وتجعل منه مصدر قوة جديد لها يضاف الى مصادر قوتها ٠ ثم ان الجماهير ــ وخاصة جماهير شعب مصر ــ عنيفة جدا الى أبعد درجات العنف ، انهـا تبدو فى البداية صبورة ، ومسالمة بل ــ وفى بعض الأحيان ــ تبدو مستكينة للغاية ولكنها سرعان ما تثور ، وتكون ثورتها عنيفة لا تترك أمامها ، أى شىء ضدها دون أن تقضى عليه ، ولا تترك أمامها أى شخص حاول ، أو يحاول المساس بها ، أو بمصالحها دون أن تنال منه ٠

★★★

ومنذ اليوم الأول لمجىء صدقى باشا الى الحكم شعرت الجماهير بعداء شخصى تجاهه ، لأنهـا تعرف مســبقا رأيه فيهـا وخططه لســحقها ، ولو أنـه جاء لها بالمن والسلوى ــ كما يقولون ــ لعارضته بل لحاربته ، الى أبعد الحدود ٠

وقد كانت مقـاومة الشعب ــ حتى بدون تنظيم من قيـادات الأحـزاب المعارضـة ــ لاسماعيل صــدقى ودكتاتوريته ، مقـاومة عنيفـة ، نعتبرها ــ بلا جدال ــ من أنصع صفحات التاريخ المصرى ومن أكثرها مجدا وخلودا ، وقد سئلت أكثر من مرة لماذا تولى اهتمامك البالغ بمقاومة الشعب لاسماعيل صــدقى ، وكنت أقول لمن يسألنى : لأسباب كثيرة : أهتم بتلك الفترة من تاريخنا ، أولا ، لانها فى الغالب ، ظلت مجهولة أو شبه مجهولة فى أدبنـا وتاريخنا ، ولو لم يكتب عنها صديقنا الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى ، قصته الرائعة (الأرض) ، لما عرفنا عنها شيئا ، ثم ان الكتابات القليلة ، التى تناولت تلك الحقبة من تاريخنا كانت فى الغالب ، اما موجزة للغاية لا تفى بالغرض

واما مغرضة أو مغرقة فى الغرض ، تسىء أكثر مما تفيد • وثانيا : ان الشعب المصرى عندما كان يقاوم دكتاتورية اسماعيل صدقى ، كان صائبا للغاية فى مقاومته ، كان أصيلا الى أبعد حدود الأصالة ، كان دائما وأبدا فى القمة الثورية التى جعلت كل عمل ولو كان بسيطا ، أقدم عليه اسماعيل صدقى ، عملا ضخما ، يقتضى مقاومته وبشـدة • وثالثا : فان جماهير الشعب كلهـا قد اشتركت فى حركة المقاومة هـذه اشتراكا عمليا بحيث اننا نقول - وبدون تحفظ - انها حركة جماهيرية واسعة تلقائية ومنظمة فى وقت واحد ، بلغت فيها الشجاعة الوطنية قمتها ، وبلغت فيها التضحية الوطنية ما بعد القمة لو جاز استخدام هذا التعبير • ان العمدة - مثلا - الذى ولد وتربى وعاش فى بيت العمـودية ، آلت اليه العمـودية ، أبا عن جـد ، عـرف لذة السلطة جرب ، كيف يستطيع أن يقتص من خصمه هذا أو ذاك • يبعث ببعض أفراد هذا الخصم الى الجهادية أو الى حراسة النيل أيام الفيضان بدون أى قيد على تصرفه •

***

هذا العمدة الذى جرب وجود غرفة «السلاحليك» - أى غرفة أسلحة الخفراء - فى بيته وعرف أية لذة فى أن يكون فى بيته غرفة بها عشر أو عشرون بندقية • يحملها عشرة أو عشرون خفيرا وتكون هـذه البنادق وأصحابها تحت تصرفه الشخصى ، عندما يجد هذا العمدة ان صالح وطنه يدعوه الى الاستقالة فيستقيل • فتفرض عليه غرامة كبيرة لانه استقال ، كتهديد له ليعدل عن الاستقالة فاذا به يصر عليها ويدفع الغرامة ، وعندما لا يجد لديه قيمة الغرامة يستدين أو يبيع بعض أرضه - أغلى شىء عنـده - وبعد أن يدفع الغرامة ، يحـكم عليه بالسجن ، فيستقبل السجن راضيا مغتبطا سعيدا ، لأنه أدى واجبـه : انه لا ينتظر - مثلا - أن يعين وزيرا فى الوزارة القادمة ، و لاينتظر - مثلا - أن ينتخب عضـوا فى مجلس النـواب أو الشـيوخ فى الدورة القادمة ولا ينتظر - مثلا - أن يعين ابنه أو أحد أقاربه وكيلا للنائب العام : انه يقدم على تلك التضحية وكأنما يقدم على زفافه من فتاة يحبها ، بينما هو يعلم حق العلم ، انه لو اختار الطريق الآخر لبقى فى منصبه بجاهه وهيلمانه ، ولعين أبنـاؤه وأقاربه فى وظائف هامة ، ولأقـرضته البنـوك ما يريد من أمـوال دون فوائد و •• و •• ولكنه يفضل ما فيه صالح الوطن ولا يكون هذا العمدة ، هو وحده فى نقطة البوليس التى تضم مجموعة من القرى ، ولا فى مركز البوليس الذى يضم مجموعة من نقط البوليس ، وانما يكون كل عمدة فى مصر هو هذا العمدة ، وهكذا كان الشعب جميعه يضحى وبكل مايملك : يضحى ، وهو يخسر كل ما يملك ، يضحى بالحاضر ، والمستقبل وهـو لا يعرف متى تنتهى تلك التضحيات بل هو يضحى ولا ينتظر أبدا جزاء ولا شكورا لا اليوم ولا الغد ،

وعندما يضع كل مواطن مصلحة بلده فوق كل مصلحة . وعندما يتقدم كل مواطن للتضحية بكل ما يملك ، بالمال ، بالولد ، بالوظيفة . بأثاث البيت · عندما يتعرض كل مواطن للسجن والاعتقال ، والنفى والتشريد بل وللموت ، فى سبيل مصلحة بلده فيتقبل كل تضحية راضيا . مغتبطا ، أعتقد ان ذلك ، هو أقصى ما يمكن أن يصل اليه شعب من الشعوب فى التضحية والفداء ، ولذلك فاننا نرى ان التركيز على تلك الفترة من تاريخنا التى ارتفع فيها مستوى التضحية ، الى أعلى مستوى ، وعندما نشيد بتلك التضحيات الهائلة ، التى قدمها شعبنا ــ كل شعبنا ــ نكون قد أدينا ، لشبابنا على الأقل ، صورة رائعة من صور الماضى تدفعه الى أن يضع دائما وأبدا مصالح بلده ــ المصالح الحقيقية لبلده ــ فوق كل اعتبار شخصى ··

★★★

وبعد ذلك الاستطراد ، الذى كان لابد منه ، وللرد على بعض تساؤلات الجماهير ، نعود ، الى ما سبق أن أشرنا اليه من استخدام ، اسماعيل صدقى باشا كل الأسلحة لمحاربة الصحافة ولجوئه فى البداية ــ الى سلاح الايقاف ــ فلما فشل هذا السلاح لجأ الى سلاح التعطيل : عطل ــ مثلا ــ جريدة كوكب الشرق وجريدة البلاغ وجريدة اليوم تعطيلا نهائيا بقرار من مجلس الوزراء ، مع تخويله سلطة تعطيل أية صحيفة أخرى تتستر باسمها الصحف المذكورة ذلك ان الصحيفة التى كانت تعطل أو تصادر ، تصدر فى اليوم التالى ، ولكن باسم صحيفة جديدة ، مسموح بصدورها ، على أن يتولى تحرير الصحيفة نفس محررى الصحيفة المصادرة ، أى ان التغيير كان يتم فقط فى الاسم ، دون أية مادة تحريرية أخرى بل دون أى تغيير فى شكل الجريدة المصادرة ، وعطل اسماعيل صدقى صحف السياسة والمؤيد الجديد وصدى الشرق والأحرار الدستوريين وغيرها ، وغيرها

★★★

وأصدر من القوانين والقرارات ما جعل الصحافة تعيش ــ اذا كانت تعيش فعلا ــ فى محنة دائما · ومن بين القوانين والقرارات ، التى أصدرها ــ مثلا ــ قانون يضيف أحكاما جديدة ، الى قانون العقوبات بشأن الجرائم ، التى تقع بواسطة الصحافة كما استحدثت بعض القوانين الجديدة التى أصدرها اسماعيل صدقى، جرائم جديدة لم تكن واردة فى قانون العقوبات فيعاقب ــ مثلا ــ كل من ينشر اذاعات ــ هكذا فى الأصل ــ بشأن تحقيق جنائى ، قائم ومن ينشر أمورا من شأنها التأثير فى القضاة الذين يناط بهم الفصل فى دعوى مطروحة أمام أية جهة من جهات القضاء فى البلاد أو فى رجال القضاء ، أو النيابة · وكان غرض الحكومة من اصدار مثل هذه القوانين والاجراءات معاقبة الصحف التى كانت تعطف على المتهمين أو المقبوض عليهم فى التحقيقات السياسية ، وكانت بعض القوانين التى أصدرها اسماعيل صدقى قد ضاعفت من العقوبات الخاصة ، بجرائم النشر

فجعلت العقوبة . المقررة ــ مثلا ــ فى المادة ١٥١ من قانون العقوبات تصل الى السجن خمس سنوات مع غرامة تصل الى خمسمائة جنيه ــ وخمسمائة جنيه يومها كانت تشكل ثروة كبيرة · وذلك على تهمة التحريض على قلب نظام الحكم القائم بل على كراهيته ، أو الازدراء به ، وكان الغرض أيضا من تشديد العقوبة ، على جريمة كراهية نظام الحكم ، أو الازدراء به حماية الانقلاب الصدقى، والحيلولة بين الناس وبين اظهار كراهيتهم له ولكن متى كانت الكراهية تمنع بقانون ؟ ان أى قانون يستطيع أن يمنع التظاهر ، أو التخريب أو حتى جرائم النشر ، ولكن أى قانون مهما كانت العقوبة الواردة فيه : يستطيع أن يقضى على الكراهية : وقد اشترط قانون المطبوعات الجديد الصادر فى ١٨ يونيو ١٩٣١ شروطا عديدة قاسية من بينها ألا يكون المحررون المسئولون أو رؤساء التحرير قد حكم عليهم فى جريمتين من جرائم النشر وألا يكونوا أعضاء فى البرلمان ، كما اشترط قانون المطبوعات أن يكون لكل جريدة تصدر ثلاث مرات أو أكثر فى الأسبوع مطبعتها الخاصة بها · وغير ذلك ، من القوانين التى لم تعرفها مصر فى عنفوان الاحتلال البريطانى :

★★★

وكنموذج لما آل اليه حال البلاد من ناحية الصحافة نذكر أنه عندما عطل اسماعيل صدقى باشا جرائد الأحرار الدستوريين فكر بعض كتابه فى وضع كتاب عن « الانقلاب الدستورى » الذى قام به اسماعيل صدقى على أن تصدر كلمة السياسة عنوان الكتاب وذلك اشارة الى جريدة السياسة اليومية ، ومجلة السياسة الأسبوعية التى عطلهما اسماعيل صدقى · وخلال شهر واحد انتهى د· هيكل ، وابراهيم عبد القادر المازنى ، ومحمد عبد الله عنان من تأليف وطبع واعداد كتاب السياسة المصرية والانقلاب الدستورى ، وبينما الكتاب على أهبة التوزيع ، قام البوليس بمصادرة عشرة آلاف نسخة كان قد تم طبعها وتغليفها بالرغم من ان القانون لا يسمح أبدا بمصادرة من هذا النوع ، وأترك د· محمد حسين هيكل يروى ماذا تم بعد المصادرة كما يروى الجو العام الذى كان يعيش فيه الصحفيون المعارضون لحكم اسماعيل صدقى · يقول د· هيكل : « جعلت أتردد على النائب العام ، بعد أن قدمت له شكواى ، مما حدث وسألته أن يحقق هذه الشكوى وأن يحقق فى الكتاب ان كان فيه ما يعاقب القانون ، عليه فاذا بالنائب العام لا يحقق ، واذا هو يعدنى كلما قابلته بأنه سيقرأ الكتاب ليرى ما اذا كان فيه ما يخالف القانون ولم يصدر أمره بالافراج عن الكتاب الا بعد أن انقضى أكثر من شهر على مصادرته ، وبعد أن خيل الى الحكومة ان هذا الزمن، لا يجعل فيه من الأثر فى الرأى العام ، ما كان مقدرا له لو أنه أذيع فى الناس غداة الفراغ من طبعه ·· » ·

★★★

واقرأ الكتاب الذى أزعج اسماعيل صدقى باشا فترة من الزمن فأجد فيه حقيقة ما يستوجب انزعاج رئيس الوزارة · ان الكتاب ـ مثلا ـ يتحدث عن موقف الانجليز من مصر ، وعن الانجليز والدستور ، والانجليز والمعاهد ، ومساعى الوزارة الصدقية فى انجلترا ، كما يتحدث عن : الدستور وقانون الانتخاب ومتى عرض على الحكومة البريطانية تعديلهما ، والحزب الجديد ، ومتى تألف ولحساب من قامت الوزارة الصدقية وتصدت لمهمتها ·

وفى الكتاب فصل رائع عن المسألة الدستورية والحريات العامة : نتائج اعتماد الوزارة ، على غير الأمة · وفصل آخر عن أساليب الحكم المتبعة : التجسس السياسى : الكيد لخصوم الوزارة ، العمد ؟ واستقالاتهم ، ومحاكمتهم : ضريبة الخفراء ، عقوبة القضـــاء ، واحالة القضـــاء الى المعاش ، وحديث طويل « عن الانقلاب الدستورى وأثره فى الموقف الحاضر وانكار الأمة للدستور الجديد ، والمساومة فى باريس ولندن على أراض مصرية ، و ·· و ·· ثم عن اعتراف اسماعيل صدقى باشا ، بفشل تجربته ، وكذلك « والصراحة هى وسيلة حل المسائل المعلقة بين مصر وانجلترا » ·

★★★

ومن بين فقرات الكتاب ·· فى سبيل نشر الارهاب وسعت الوزارة نطاق التجسس الى مدى لعله لم يعرف فى مصر ، أيام الحرب والأحكام العرفية البريطانية ولم تقتصر الوزارة بهذا التجسس على المصلحة العامة ، كبث العيون على المجرمين أو تتبع الجناة ، الذين يفرون من وجه القانون بل كان أول قصدها منه أن تقف على الذين يناصرون خصومها دونها للكيد لهم ، وانتهز أنصارها الفرصة ليلفقوا التهم على خصومهم حرصا من هؤلاء الأنصار على ما يبتغون من الوزارة من منافع لم يناصروها الا لنيلها ·· » ·

★★★

ومن فقرات الكتاب أيضا : لجأ اسماعيل صدقى باشا ـ لتجميع الأنصار لحزبه ـ الى طرق شاذة كالطرق التى الجأ اليها فى محاربة خصومه · فالعمد والمشايخ يجب أن يمضوا ورقة بانهم أعضاء فى الحزب وأن يدفعوا اشتراكه واشتراك جريدته؛ وأعوان الحزب، ومن يجدون الانتماء اليه محققا لمصالحهم، يجب أن يحرروا كشوفا بالأشخاص الذين يخضعون للرغبة أو للرهبة وأن يرفعوا هذه الكشوف الى رجال الادارة لاستحضار الأشخاص الواردة أسماؤهم بها ، ورجل الادارة النشيط الذى يستحق الرضا ، ومن ثم الترقية فى المرتب والدرجة هو الذى يستطيع أن يحشد للحزب الجديد أكبر عدد ممكن » ، وعن مسائل الانتقام من خصوم الوزارة الحزبيين ، تحدث الكتاب عن احدى هذه الوسائل وهى البيع الادارى للمواشى والحاصلات الزراعية وقد حدث أن بيع ما لدى أحـد هؤلاء

الخصوم بتسعين جنيها . وهذه الأشياء هى ــ نقلا عن المحضر الرسمى : ستة ثيران من أحسن الثيران ، جمل واحد ، جاموستان مخصصتان لحلب اللبن ، جوادان للركوب ، حمارة وبنتها ، ثمانية حمير ، خمسة نوارج الدرس القمح ، داكار للركوب : والتعليق على ذلك : جميع هذه الأشياء بيعت بتسعين جنيها وهى ثمن ثورين فقط ، فهل بعد ذلك ، يقال ان الوزارة ليست متسببة فى خراب البلاد ، اللهم ارحمنا من هذه الحالة انك غفور رحيم .. ! » .

***

وكان صدقى باشا ، قد حاول أن يضم الدكتور حسين هيكل الى حزب الشعب ، فبعث اليه برسالة مع صهره عبد الرحمن باشا رضا يقول فيها انه مستعد لاجابة كل مطلب اذا ترك الأحرار الدستوريين وانضم الى حزب صدقى باشا وكان مما قاله عبد الرحمن باشا رضا للدكتور هيكل : ان الأحرار الدستوريين لا يقدرون لك موقفك معهم ، بدليل انهم لا يؤدون لك حقك عليهم ، وأنت الذى تدير سياسة جريدتهم ، وكان ما قاله هيكل لصهره هذا شىء آخر ولعل لهم عذرا أعرفه وعلى أى حال فلن أرضى لنفسى موقفا لا يتفق مع موجب الكرامة والرجولة ، وكان الموقف المالى لحزب الأحرار الدستوريين سيئا للغاية بدليل انهم لا يعطون مرتبات كافية لمن يعملون فى جريدتهم ، وقد ظن صدقى باشا ان تلك الأزمة المالية ، التى كانت وقتئذ بالغة الشدة ، يمكن أن تحول الدكتور هيكل من صفوف حزب الأحرار الدستوريين الى صفوف حزب الشعب فلما رفض هيكل عرض صدقى أخبر بعض أصدقاء د. هيكل انهم سمعوا ، ان البوليس يدبر أن يضبط عربته يوما بعد أن يدس بها المحرمات : ويقول هيكل انه قد عجب لهذا النوع الغريب من الحرب « وان لم أتأثر به الا أن أكون قد ازددت عنفا فى مقاومة نظام ينزل الى هذا الدرك فى الخصومة السياسية » .

***

وعن الروح الوطنية العالية التى كانت تسـود الصحفيين والعاملين فى الصحف الذين كانوا يخوضون أعنف معاركهم يقول د. هيكل ، وأنا أفضل الاستشهاد باعتباره كاتبا وباعتباره شاهد عيان فى نفس الوقت : « حرص صدقى باشا ، على اقصائى من رئاسة تحرير السياسة فأصدر قانونا للمطبوعات يحرم من رياسة التحرير من صدر ضده حكما بالادانة ، ولما كان قد صدر ضدى حكمان على مقالين نشرتهما السياسة أحـد الحكمين بغرامة خمسة جنيهات ، والآخر بغرامة عشرة جنيهات فقد أصبحت محروما من رياسة تحرير السياسة وسرعان ما حل محلى فى هذه الرياسة زميلى الأستاذ عبد القادر المازنى من غير أن يقتضى عن هذه المسئولية أية زيادة فى مرتبه ووضع اسم الأستاذ المازنى ، على السياسة رئيسا لتحريرها ووضع اسمى أنا مديرا لسياستها ولم تكن هذه

الروح القوية وقفا على زملائى ، فى التحرير ، بل امتدت الى جميع العاملين فى الجريدة من أولهم الى آخرهم ، من رئيس التحرير الى العامل فى ورشة الصف ولما رأى صدقى باشا أن القانون الذى أصدره لم يحرمنى حق التحرير وحق ظهور اسمى ، على الجريدة مديرا لسياستها حاول أن يجد الوسيلة لالصاق تهمة بى ، فكنا بين حين وآخر نرى رجل النيابة مقبلا علينا صدر المساء ، يحقق معنا ويفتش المطبعة ، يريد أن يعثر على شىء ، كتبته أنا يكون مادة لاتهام أيا كان نوعه ، وتناقل المحررون والعمال ان صدقى باشا حريص على أن يصل الى ورقة مكتوبة بخطى يجعلها أساس اتهامى والقبض على و ٠٠ و ٠٠ وكذلك ، كانت الحرب بيننا وبين الحكومة عوانا ، وكنت موقنا بأننى منتصر آخر الأمر لا محالة لاننى أدافع عن حق ولان الناس جميعا مقتنعون اقتناعى وان أقعدهم الخوف عن مظاهرتى وكانت الحكومة تعمد الى محاربة السياسة فى انتشارها عن طريق التضييق على باعثها ، حينا واغراء متعهدها بالمال حينا آخر وكذلك كنا كلما ازدادت الحكومة شـدة وضغطا ازددنا ايمـانا برسالتنا فاحتملنا فى سبيلها ما لا يحتمله الانسان عادة فى المألوف من الحياة » ٠

★★★

وقد بلغت الخصومة باسماعيل صـدقى درجة عنيفة جعلته يرفع دعوى ضد محمد محمود لانه قال لمجموعة من طلبة الجامعة ان صدقى باشا ووزارته تمشى فى حكمها ، على كومة من القاذورات ٠ ورغم ان السياسة نشرت الكلمة مخففة الا ان اسماعيل صدقى أصر على رفع الدعوى ، وعندما دعى محمد محمود من قبل النيابة للتحقيق معه ، رفض الحضور أمامها فما كان من النيابة الا أن رفعت الدعوى ، على محمد محمود ومحمد حسين هيـكل أمام محكمة الجنايات بتهمة السب والقذف وادعى اسماعيل صدقى مدنيا طالبا تعويضا قدره عشرون ألفا من الجنيهات ونظرت الدعوى أمام دائرة الجنايات التى كان يرأسها محمد بك نور فرأى ان القضية لا يجوز نظرها أدبيا فالمدعى ، والمدعى عليه سياسيان بارزان أحدهما رئيس وزارة والآخر رئيس وزارة سابق وقد طلبت المحكمة الى المحامين عن الخصمين ، اسماعيل صدقى ، ومحمد محمود أن يوفقوا بين الخصمين صلحا ، وبذلك تأجلت القضية الى أجل غير مسمى تحدده المحكمة فيما بعد ٠

★★★

وقد قلت فى بحث خاص نشرته قبل أن ينشر هيكل مذكراته السياسة :

« فى أوائل حكم صدقى باشا نشرت السياسة اليومية خطبتين لمحمد محمود اعتبرهما صدقى باشا طعنا فيه فأوفد أحد أصدقائهما المشتركين الى محمد محمود طالبا منه أن يعلن أن الخطبتين نشرتا قبل اطلاعه عليهما ولكن محمد محمود ، أبى ، وفى اليوم التالى أبلغ صدقى باشا النيابة واستدعى محمد محمود

الى سراى النيابة محوطا بزعماء الوفد وزعماء حزبه ، واستمر سؤاله ساعة وربعا ، ولقد احتفظ باجابته عن الأسئلة ، وقد طالب صدقى باشا ، بعشرين ألف جنيـه كتعويض وفى ١٢ مايو ١٩٣٢ انتهى التحقيق فى القضـية وفى ١٤ أكتوبر أعلن محمد محمود بقرار الاتهام وأحيل الى النيابة وقد رفض فى ٩ أكتوبر التوجه الى النيابة للتحقيق معه فى صدد خطاب ألقاه ببنى مزار . وفى أوائل سنة ١٩٣٢ أحيل الى محكمة الجنايات وكان صدقى باشا مريضا فقال محمد محمود وهو يطلب التأجيل : ان التهمة الموجهة الى تقتضى أن أمس شخص خصمى وخصمى مريض لا يملك الدفاع عن نفسه فأجلوا القضية أو فاحكموا على بغير دفاع » أما تلك العبارات التى حوكم من أجلها محمد محمود فهى : لو كان عند رئيس الحكومة ذرة واحدة من الحياء بل لو كان عنده ما يسمح له بالخجل لتوارى من أمام الناس واعتزل الحكومة ، اننا مصممون فوق ذلك على أن نصون كرامة مصر وشرفها القومى ، من أن يدنس بمثل هذه الأحكام التى صدرت فى حق رئيس الحكومة وحزبه : انه بعمله هذا قد اشترى الحكم بثمن بخس دراهم معدودة : نعم قد صممنا على أن ننقذ مصر من هذه العصابة التى تحكم البلاد بقوة الحديد والنار : ليس بيننا اليوم حكومة وانما بيننا عصابة مجرمة قد حكمت محكمة الجنايات على بعض أفرادها ، وبقى البعض الآخر . لم تحكم عليه ولكن للأمة ، وللأمة وحدها أن تصدر حكمها النهائى على أولئك الذين أفلتوا من يد القضاء .. »

★★★

وصف الأستاذ عبد الرحمن الرافعى حكومة اسماعيل صدقى بقوله : جعلت الوزارة بنك التسليف الزراعى أداة لمساعدة أنصارها واستغلت الأزمة المالية ، لتميزهم فى التسويات والسلف العقارية والضغط على خصومها السياسيين ومحاربتهم بسلاح المطالبات المالية لكى تضطرهم تحت تأثير الخوف من الفقر والفضيحة الى الخضوع لسياستها والانفصال عن المعارضة وهذا لا ريب افساد للأخلاق والضمائر ايما افساد .

★★★

وتعقبت الحـكومة خصومها السـياسيين فى أرزاقهم وموارد معاشهم ، فعطلتها بمختلف الوسائل غير المشروعة لكى تضطرهم الى الذل والاسـتكانة والانضمام الى صفها ولم تتورع فى هذا الصدد عن اقفال المحالج والمصـانع ، لأسباب ملفقة ، للتنكيل بأصحابها وجعلهم عبرة لغيرهم ، وقد استسلم بعض الأعيان لهذا السلاح وصمد له آخرون فبرهنوا على صلابة العقيدة ، ومتانة فى الأخلاق مما يحتـاج اليه المجتمع فى بلادنا وطغت سـلطة الادارة على السلطة القضائية وبلغت استهانة الموظفين الاداريين بالسلطة القضائية ان كان وكيل

نيابة المنيا يحقق فى مساء ٢٧ مايو ١٩٣١ فى شكوى قدمها بعض الأهالى ضد رجال الادارة فمنعه مأمور ضبط المديرية من الاستمرار فى التحقيق وحال بينه وبين الأشخاص المطلوب استجوابهم وكان لهذا التدخل ضجة كبيرة . ووقفت الحكومة سعيدة مغتبطة بازاء هذا الافتئات الصارخ على السلطة القضائية وتحولت الحكومة الى أداة انتقام من خصوم الوزارة ووقر فى ذهن الحكام الاداريين ان هذه مهمتهم الأساسية وان هذه الوسيلة الممقوتة هى السبيل الى ترقيتهم وتقليدهم المناصب الممتازة كما استقر فى أذهانهم أن الانتخابات ليست الا مهزلة أو مأساة قوامها الحيلولة بين الناخبين وحريتهم فى الاختيار واكراههم بمختلف وسائل التهديد أو التزييف على انتخاب من تريده الحكومة واختصت الوزارة أنصارها ، والمنفذين لسياستها الارهابية بالمزايا والترقيات الاستثنائية وزادت على ذلك منح بعضهم صفقات من أملاك الحكومة مقابل ما سمى استبدالا لجزء من معاشهم خولفت فيها اللوائح ، والقوانين وضحت فيها بمصالح الدولة والاهلين لحساب هؤلاء الموظفين ، وكانت هذه الصفقات بمثابة رشوة لهم مع بقائهم فى وظائفهم .

★★★

وعن ما سمى بحادث البدارى قال الأستاذ الرافعى : قتل مأمور مركز البدارى فى مارس ١٩٣٢ لأسباب لا صلة لها بالسياسة وثبت ان سبب القتل ارتكابه حوادث تعذيب مع بعض الأفراد ، مما دعا ، اثنين منهم الى قتله انتقاما منه وقد ، حوكما ، أمام محكمة جنايات أسيوط فقضت على أولهما ، بالاعدام ، وعلى الثانى بالأشغال الشاقة المؤبدة فرفعا طعنا فى هذا الحكم أمام محكمة النقض والابرام برئاسة عبد العزيز فهمى باشا فأثبتت المحكمة فى حكمها أن رجال البوليس ، أتوا من المنكرات ما وصفتها المحكمة بأنها اجرام فى اجرام ، وان من وقائعها ما هو هتك عرض يعاقب عليها القانون بالأشغال الشاقة وأنها من أشد المخازى اثارة للنفس » ورأت محكمة النقض ان ما جعلته محكمة الجنايات موجبا لاستخدام الشدة ، كان يجب أن يكون من مقتضيات الرأفة .

★★★

وكان حكم محكمة النقض والابرام من أخطر الأحكام التى صدرت فى تاريخنا القضائى .

والقضية من بدايتها حتى نهايتها تحتاج الى مزيد من التفصيل كما سيتضح فى الفصل التالى .

الفصل الرابع

البدارى أفظع حادث تعذيب شهدته مصر فى الثلاثينيات

● فى حياة كل شعب من شعوب العالم ، بعض أحداث تأخذ أحجاما ، أكبر من أحجامها الطبيعية وتنال من اهتمام الناس ، أكثر مما تناله مثيلاتها. والسبب أنها وقعت فى زمن معين وأنها أتيحت لها ظروف خاصة ، جعلتها تتميز على ما عداها من أحداث ، وتحقق من النتائج الهامة ، والخطيرة ، أضعاف أضعاف ما كان يمكن لها أن تحققه لو انها وقعت فى غير هذا الزمن ولم تتح لها تلك الظروف الخاصة ، من تلك الأحداث – مثلا – حادث البدارى الذى وقع فى عهد اسماعيل صدقى باشا ، وكان يمكن أن يطويه النسيان كما طوى غيره ، بل وأهم منه ، لو لم ، يقع ذالك الحادث ، فى وقت كان الرأى العام المصرى فيه مهيئا للاشتعال لأى سبب من الأسباب ، وتصدر محكمة النقض والابرام – أعلى سلطة قضائية فى مصر – حكما هاما وخطيرا ، يتعلق بذلك الحادث : تثور مصر كلها ، لدى صدور ذلك الحكم ، تقوم ولا تقعد ، حتى البرلمان الذى شكلت أغلبيته حكومة اسماعيل صدقى ، أو شكلته بمعنى أدق حكومة اسماعيل صدقى يغضب ويثور ، ويقدم بعض أعضائه ، أكثر من استجواب ، وتحرج الحكومة .... واذا بأحد أقطاب النظام – على ماهر – وكان وزيرا للحقانية لا يملك بعد أن أصدرت محكمة النقض والابرام ، حكمها الخطير ، والرهيب ، لا يملك الا أن يتقدم ببضعة مطالب لمعالجة الآثار السيئة للحادث فلما رفضتها الحكومة أو رفضت بعضها استقال ، واستقال معه بعض زملائه الأمر الذى دفع رئيس الحكومة اسماعيل صدقى ، الى أن يرفع استقالة الحكومة كلها ، ويعيد تأليفها من جديد ، ولكن ما هو حادث البدارى ، هذا الذى أثار الرأى العام المصرى كل هذه الثورة العاتية : رجعت الى الصحف ، والمجلات ، قرأت المئات من صفحات محاضر التحقيق ومرافعات ، الدفاع ، والنيابة وحكم محكمة النقض والابرام ، بل استعنت ببعض ممن شهدوا جوانب من تلك المأساة المحزنة ، وخرجت – من ذلك كله – بهذه السطور .

على بعد أربعين كيلو مترا تقريبا ، من مدينة أسيوط ، تقع قرية البدارى ، وهى قرية كبيرة ذات وضع خاص : يتقاسم ، السلطة والنفوذ فيها عمدتان ، على خلاف ما يجرى فى كثير من قرى مصر ، كل عمدة ، يحاول أن يقضى على نفوذ الآخر ، ويتغلب عليه لينفرد ، هو بالسلطة • والى جانب أسرتى ، العمدتين ، توجد أسرة كبيرة ، لا تقل فى النفوذ ، والعصبية ، وكثرة الرجال عن أسرتى العمدتين ، على رأس هذه الأسرة شيخ وقور جاوز المائة من عمره له حفيد فى الثالثة والعشرين من عمره ، درس عامين فى مدرسة الفنون والصنائع ، بالقاهرة كان فيها مثلا للاستقامة والنشاط وعندما لاحت له فرصة العمل فى وظيفة معينة ، فى بلدته ، تقدم اليها ، وفاز بها لأنه يفضل الاقامة فى بلدته ، وبين ذويه • واتخذ أحمد — وهذا هو اسمه — بعد عودته الى قريته من صديقه حسن أبو عاشور صديقا حميما وكانا لا يفترقان الا فى ساعات النوم •• وقد كانت تلك الصداقة — التى هى مضرب الأمثال فى القرية — سببا فى أنهما أصبحا شريكين فى جريمة مقتل مأمور البدارى ، يوسف الشافعى ، ويوسف الشافعى هذا ، كان ابنا مدللا لأحد عمد الدقهلية ، ولان أمه فرنسية فقد كانوا يطلقون عليه جوزيف ، ولكن أبناء الريف حرفوا الاسم ، من جوزيف الى يوسف ، وعندما أصبح يوسف هذا مأمورا للبدارى بدأت الأحداث الخطيرة تتلاحق •

★★★

وأنقل بعض ما نشره المصور عن حادث البدارى ، وقد ذهب أحد مندوبيه الى هناك ورأى بعينيه ، وسمع بأذنيه كل شىء : العمودية ، عمدتان لا عمدة : ولا نحاول هنا أن نتعرض لنكبات العمودية ومآسيها فى الريف • فويلاتها معروفة ولكن ما بالك بعمدتين يتنازعان النفوذ والسطوة فى بلدة واحدة • عمدتان مختلفان فى كل شىء تقريبا ويجتمعان على شىء واحد : يجب ألا تقوم لأسرة حسين عبد الحق الكبيرة العدد ، الكثيرة الرجال قائمة ، لانها تهدد مركز أحد العمدتين وتشرئب بعنقها الى « العمودية » : واتفق العمدتان ، فى أمر ثان : التقرب من الحكومة ، والحكومة فى المركز ، سعادة المأمور ، وهبط أحمد جعيدى — الذى ينتمى الى أسرة عبد الحق — بلدته البدارى فرأى — وهو الفتى المتعلم — ان أهله يسامون ألوانا من الارهاق ، لا سند لها ولا مبرر وأنهم يلقون من بعض الجهات عنتا وشدة فوقف فى وجه الارهاب ، والعنت ، يبين أن لا سبب لهما ولا مبرر ، ويقول : ان لأهله ، أن يرفضوا الذل وأن يجأروا بالشكوى كحق كل مواطن يتمتع بحقوق الحرية فى هذا الوطن ، وهنا بدأ النضال : فتى يرتفع بأسرته ، عن قبول الضيم ، وجهة ترى ان هذا الفتى يريد تفتيح الآذان ، والعيون الى ما هو حق ، وما هو باطل والى ما يجب ألا يكون ، وامتدت الأصبع الخفية الى أحمد جعيدى تتناوله بالاتهام فى احدى الجرائم وتقول أنه قتل رجلا ، وان ثياب الرجل مدفونة وهى ملطخة بالدماء ، على مقربة من

بيت جعيدى وتعثر الشرطة على الملابس الملطخة بالدماء ، ويقودون أحمد الى التحقيق والسجن ثم يعود القتيل المزعوم ، حيا يسعى على قدميه ، بعد أن أضحى أحمد جعيدى فى عداد المشبوهين .

***

وتهمة ثانية واتهام ثالث واذا بالفتى الموظف قد غدا مشبوها ومراقبا ، ومعدودا من الخطرين على الأمن العام ، ولكن جعيدى لم يسكت على ذلك فبادر برفع شكايته ، ومظلمته الى وزارة الداخلية والى مديرية أسيوط يشكو العمدة الشيخ همام والمأمور يوسف أفندى الشافعى ويحتج على عدهما اياه مشبوها واتخاذهما ضده قرارات المراقبين الخطرين على الأمن العام من دون أن يقترف أية هفوة ، وجاء دور الصديق حسن عاشور ، صديق جعيدى الحميم فلقى ما لقيه الفتى من انذارات ومراقبة وشبهة وارهاق ، وشكا الشابان فأحيلت الشكاوى الى المديرية ومن ذا الذى يجرؤ فى الريف على شكوى سعادة المأمور . بل ينسب اليه كذا ، وكيت من صنوف المخالفات ، والخروج بالقسوة الغظيعة عن حدود القانون ، واستمر النضال وحمى وطيسه ، يودع جعيدى وعاشور السجن لتهمة ما ، فلا يكادان يخرجان حتى يقدما الشكاوى ضد العمدة ، والمأمور ، وتحال الشكاوى على العمدة والمأمور لاجراء اللازم ، فيعود الشابان الى السجن . ويجرى اللازم ، وتقدم جعيدى ، وصديقه يفصلان بعض هذا الى مراجع الشكاوى فأحيلت الشكاوى كالعادة ، الى المأمور والعمدة فكان امتهان الرجولة فى جسد هذين المنكودين وكان تنكيل وحشى وصفته محكمة النقض بأنه اجرام فظيع ، ويخرج الشابان من السجن يمزقهما الألم . وتخزيهما الفضيحة ، ألم يقولا تحت لهب السياط ومرارة التنكيل « أنا مره » ألم تمتهن رجولتهما ، ويعبث بجسديهما ؟ ألم يساما خسفا فيه اذلال الروح والجسد ، والانسانية ؟ وماذا بقى لهما بعد : الشكاوى ، تحول الى المشكو منه لاجراء اللازم ، وما أفظع ذلك اللازم وأقساه : وخرجا من ذلك الجحيم . بعد أن خلع عنها المأمور ، ثوب الرجولة المهلهل وبعد أن التحفا فى ساحة المركز ، بعار ما بعده عار ، وعادا الى داريهما ، وهما تكاد تموت منهما الروح ، وينعدم الاحساس ، بل كان ــ على حد قول محكمة النقض ــ يتخوفان من تكرار ارتكاب أمثال تلك « المنكرات » فى حقهما .

***

ذهب يوسف أفندى الشافعى مأمور مركز البدارى فى مساء يوم ١٩ مارس الماضى ، الى زيارة صديقه فهيم أفندى ناصف مهندس الرى ، وخرج الرجلان معا ، وسارا يتجاذبان أطراف الحديث الى أن بلغا دار المدرسة الابتدائية بالبدارى ، فما كادا يقتربان من بابها حتى سمعا دوى اطلاق الرصاص ، وسقط المأمور جثة هامدة بلا حراك وحقت اللعنة على البدارى ، لم تمض ساعات على

نقل جثة المأمور القتيل حتى نادى مناد فى البلدة بالويل والثبور : اكتسح رجال الهجانة الشوارع والطرقات يزيحون من يعترض سبيلهم ، بضربات السياط ، وحاصر حكمدار بوليس أسيوط البلدة بجنوده ثم كان الهجوم .
وأسرعت قوة من الهجانة الى دار جعيدى فأمسكوا به وشدوا وثاقه الى الخيل . وساقوه الى المركز . تحت وابل لا ينقطع من وقع السياط وحمل صديقه عاشور من فراشه حملا وحاصرت قوة أخرى دار العمدة محمد بك وسيق بدوره الى التحقيق : كانت القرائن ضعيفة والأدلة واهية فكيف السبيل الى الادانة . يقول وكيل شيخ الخفر سابقا : كان جل المطلوب أن يعترف الشابان بالقتل ، وطولبا بالاعتراف ، فأقسما بأن لا يد لهما فى قتل المأمور وعادت المآسى السالفة تمثل بالشابين فى المركز دون أن يعترفا بانهما القاتلان .. وصدر الأمر الى الهجانة فاذا بهم يحيطون ببيت آل جعيدى ويأمرونهم بالنزول الى المركز ، فنزل الجد المحطم ، والأب ، والأبناء ، والأعمام وصموا بالسير ، ولكن الهجانة تساءلوا عن بقية آل البيت فاجيبوا بأنه لم يبق الا النساء ، وأنزلت النساء بدورهن وساقهن الهجانة مع الرجال ، الى دار المركز . فكانت الاهانة البالغة التى لا يرى الصعيدى أبلغ منها ، حريمه يسقن علنا فى الأسواق ، وكانت قوة أخرى من الهجانة تمثل نفس الدور لدى باب بيت عاشور . ويقول حسين جعيدى ، والدمع يترقرق فى عينيه : أمسك بى أحد الجنود وانهال ضربا بالسوط ، فما استطعت الا أن ألف ذراعى حول رأسى ، أحمى عينى من السياط ، وأسلم أمرى الى الله ، وكان جنود الهجانة يتناوبون ضربنا والسؤال الذى لا يزال يتردد على مسامعنا : الاعتراف .

***

ولبثنا على هذه الحالة الرهيبة أياما ولما لم يقع الاعتراف المنشود ، استعرض الحكمدار المحبوسين وأخرج من بينهم أحمد ، وعاشور وأعاد عليهما السؤال فى الجريمة فانكراها . ورفضا الاعتراف قائلين أنهما لم يرتكبا جرما ، وكانت اشارة انقض الجنود على اثرها على أم أحمد وأم عاشور ، وخلعوا ملابسهما ، حتى أصبحتا عاريتين وأخذ الجنود يطلون وجهى المرأتين بمادة بيضاء ، ونادى مناد بأن جميع نسوة الأسرتين سوف يسقن عاريات فى الأسواق ، ملطخات الوجوه مربوطات فى الحبال ، وصحت من أعماق قلبى .. وأى عار لئن كان ولدى قاتلا فاعدموه بجرمه ، ما ذنب النساء » ولكن الجنود واصلوا خلع الثياب عن النساء ، وهجمت على ولدى وأمسكت بعنقه أطلب اليه أن يعترف فورا سترا لهذه الفضيحة التى لا تمحوها السنون . وصاح أحمد اذ رأى أمه عارية أمام الرجال وصاح حسونة عندما رأى أمه واخواته عاريات أمام الرجال : صاحا معا يقولان : نعترف ، دعوا النساء ، وافعلوا بنا ما تشاءون .. وقضى الأمر ، واعترف الشابان وخرجا من دار المركز كالموتى فى صمت وسكون ولقد بلغ من فرط الذهول الذى استولى على أم أحمد جعيدى وشدة ما قاست فى المركز ، أنها نسيت ابنتها الصغيرة فى السجن ، ولم تتذكرها الا بعد ثلاثة أيام .

وتقدم الشهود يدلون بأقوالهم ، وتم التحقيق وقدمت القضية الى محكمة جنايات أسيوط ، وهنا بدأت ظاهرة محيرة عجيبة حقا ، ذلك أن بعض الشهود وقفوا أمام محكمة الجنايات ينكرون شهادتهم ، التى أدلوا بها فى التحقيقات ويقولون انهم أجبروا على الشهادة بالباطل ، واعتبرت المحكمة هؤلاء الشهود ، شهود زور وقضت على كل منهم بالحبس سنة ، كما قضت على شيخ الخفراء ، والخفراء بالحبس سنتين ٠

★★★

ويهون اسماعيل صدقى باشا ، وبعض أنصاره من شأن حادث البدارى ، بل ويبدون استغرابهم ودهشتهم لثورة الرأى العام المصرى عندما أصدرت محكمة النقض والابرام حكمها الصارم فى هذه القضية الذى تساءلت فيه : كيف تركت العدالة من أقدموا فى جراة على تعذيب الناس ، واجبارهم أمام الوسائل الارهابية القاسية على أن يقدموا على ارتكاب جريمة قتل ؟ » وكان وجهة نظر بعض أنصار اسماعيل صدقى ان حادث التعذيب الذى وقع فى البدارى ، لا يمكن أبدا أن يأخذ أكبر من حجمه ولا يمكن أبدا أن يكون أداة للنيل من الوزارة الحاكمة لأنها ليست أبدا مسئولة عنه : ان المسئولية قد تقع على مأمور البدارى ، أو على حكمدار أسيوط ، أو حتى على مدير مديرية أسيوط ، ولكن لا يمكن للوزارة ككل أن تكون مسئولة عنه ، خاصة وانها لم تعرف به كما قال بعض المسئولين فيها ، الا عندما أصدرت محـــكمة النقض والابرام حكمها العنيف والرهيب ، وعندما تقدم ورثة مأمور البدارى ــ القتيل ــ يطلبون منهـا تقرير معاش لهم ٠

★★★

ويقول بعض هؤلاء الأنصار أيضا عن حادثة البدارى ، انها ليست الا واحدة من حوادث « التعذيب الادارى » التى يلجأ اليها رجال الادارة فى كل عصر ، وزمان ، لتدعيم الأمن واستتباب النظام ، وحفظ هيبة الحكومة من عبث العابثين ومروق الخارجين على سلطان القانون وطاعته ممن يعيثون فى الأرض فسادا ، ويفرضون على الآمنين وخاصة فى الريف سلطانا جائرا ، وسياجا من الوهم والارهاب » حادثة البدارى ليست الا حادثة من الحوادث التى اعتاد الريف أن يراها ويسمع بها ، كانت حادثة ومرت فلم يسمع بها أو يتأثر لها غير نفر محدود فى تلك القرية الجبلية البعيدة التابعة لمركز أسيوط : انها حادثة شهدها مسرح حوادث القرية البعيدة ثم بدأ النسيان ينشر عليها ظلاله ، ويدخل على قلوب فرائسها ، وضحاياها ــ أحياءهم ومن لقى الموت أو ذاق هول السجن أو كان يستعد لتنفيذ حكم الاعدام ــ احساس الرضا بما كان والتسليم بما حدث ولكن شاءت الظروف أن يقفز اسم البدارى ، الى مكان الصدارة وأن يكون

حادث التعذيب فيها مثارا لهجوم عنيف على اسماعيل صدقى ، ووزارته ، هجوم أثارته المعارضة دون روية أو دراسة لأنها قصدت من ورائه أحراج مركز الوزارة ووضعها فى مكان مزعزع ، يعرضها الى اللوم ، والتأنيب : لقد مرت الحادثة فى أدوارها التقليدية ثم ٠٠ قدم المتهمان بقتل مأمور مركز البدارى نقضا فى حكم دائرة الجنايات مدعما بمبررات النقض القانونية وصـدر حكم محكمة النقض فكأن مطرقة هوت على رأس الادارة ووصفت أساليبها بالوحشية »

★★★

ويقول بعض هؤلاء الأنصار أيضا ـ أنصار اسماعيل صدقى ـ ان الحادث لا يمكن أن يخرج عن دائرة موظف عمومى أراد بوسائله الادارية أن يوطد الأمن فى بلدة هو المسئول الأول والأخير عن أمنها ، وهدوئها وسلامة أهليها وضمان أرواحهم ، وأموالهم ذلك هو منطق التعذيب والمعذبين بكسر الباء ، وتلك هى الطريقة التى يلجأ اليها عادة الدكتاتوريون لاخفاء أخطائهم وخطاياهم ، وقد يكون من الممكن أن يقبل هذا المنطق ـ منطق التعذيب والمعذبين ـ لو أن حادث التعذيب كان واحدا ، لم يتكرر ، أما عندما يكون ذلك الحادث ليس الا نموذجا لأحداث كثيرة وقعت ، وأما أن يكون ذلك الحـادث مجرد عنوان على عشرات بل مئات من الأحداث المتشابهة ، وأما أن يكون العهد كله عهد تعذيب فان أحدا لا يمكن أبدا أن يقبل ذلك المنطق ، أو يتأهب حتى لسماع مبرراته ٠٠ لقد كان عهد اسماعيل صدقى وبدون أية مبالغة من جانبنا عهد تعذيب وارهاب لا مثيل لهما فى تاريخ مصر ، حتى فى أيام عنفوان الاحتلال البريطانى ٠ أن حادثة كحادثة دنشواى ـ مثلا ـ نجحنا فى أن نجعل الرأى العام العالمى كله ـ بما فيه الرأى العام البريطانى ـ يثور من أجلها ، ثورة عنيفة عارمة ، لم يقع فيها من الجرائم اللاانسانية كما وقع ـ مثلا ـ فى حادث البدارى قد يقبل « البعض » من الاحتلال البريطانى ـ مثلا ـ فى سبيل الانتقام لجنديين من جنود قواته المسلحة يستخدم الكرباج لضرب بعض المتهمين فى قرية دنشواى ، بل قد يقبل هذا « البعض » من هذا الاحتلال ـ مثلا ـ أن يعلق على المشانق ، وبطريقـة اجرامية بعض المتهمين فى حادث دنشواى ، أى قد يوجد من يقبل هذا أو ذاك أو هما معا ٠

★★★

ولكننى لا أعتقد ان هنا أو هنـاك من يقبل فى سبيل الانتقـام لمقتل مأمور البدارى أن تمتهن رجولة أبنـاء قرية بأسرها ، أو أن تسـاق النسـاء عرايا ملطخات وجوههن فى شوارع القرية اجبارا لبعض المتهمين على الاعتراف! ان أحدا لا يمكن أبدا أن يتقبل مثل تلك المأساة الرهيبة خاصـة اذا كانت الأدوات التى تقوم بتعذيب الرجال ، والنسـاء أيادى مصرية !! وان يكون

المجرمون والضحايا مصريين فتلك هي مأساة المآسي . التي لا يمكن أبدا لأحد أن يغفرها حتى ولو بعد مئات السنين !!

لقد كان واجبا على اسماعيل صدقى رئيس الوزارة المصرية عندما علم بأن موظفين عنده قاموا بمثل عمليات التعذيب الرهيبة تلك أن يحاكمهم - وبسرعة - على ما اقترفوه من جرائم لا انسانية أو يستقيل ، ويختفى من الحياة السياسية تماما : أما أن يبقى فى منصبه الوزارى يدافع عن هؤلاء المجرمين ويتلمس كل الوسائل للابقاء عليهم فى مناصبهم بعد كل ما اقترفوه فذلك ما لا يمكن أبدا أن نغفره أو يغفره التاريخ لاسماعيل صدقى ! ٠

★★★

ولقد كان واجبا ، أيضا على اسماعيل صدقى ، رئيس الوزارة المصرية ، عندما أصدرت محكمة النقض والابرام ، هذا الحكم الرهيب ضد رجال الادارة الذين يعملون تحت امرته أن يستقيل وبسرعة أثر صدور ذلك الحكم ٠ وقد قيل نقلا عن سعد زغلول انه قال تعليقا على حكم أصدره القضاء ضد احدى الوزارات : لو أن القضاء لطمنى هذه اللطمة لخررت مغشيا على ولفارقت منصبى » ولكن الذى حدث ان اسماعيل صدقى لم يفارق منصبه ولم يحاول حتى أن يعتذر عما بدر من رجاله : بل راح ينتقم من كل من كان له رأى مخالف فى حادث البدارى ٠٠

★★★

عندما عرض اسماعيل صدقى دوسيه قضية البدارى ، على « على ماهر » ، باعتباره وزيرا للحقانية ليقوم من جانبه بفحصه ، ودراسته والادلاء برأيه فيه انزعج على ماهر مما آلت اليه أمور الادارة فى مصر وعلى ماهر كان رجل قضاء ، وكان واحدا من أعضاء لجنة الدستور ، وقد يكون للرجل - منذ بداية عمله السياسى - تطلعاته السياسية وقد يكون واحدا من أبرز الوزراء الذين كان يعتمد عليهم اسماعيل صدقى فى نظامه ، غير أن على ماهر ، رجل القضاء ، وأستاذ القانون ، وأحد أعضاء لجنة الدستور قد تغلب على «على ماهر» ، السياسى الركن الركين لاسماعيل صدقى ، صاحب التطلعات السياسية الذى يجب عليه أن يخطو كل خطوة بحساب : وجد على ماهر الفرصة سانحة لكى يخرج من المركب الغارقة بشرف : وكان بعض النواب قد تقدموا باستجواب عن حادث البدارى ، وكان الرأى العام كله ، يغلى فى انتظار ما تقوله الحكومة - لو كان لديها ما تقوله عن هذا الحادث الفظيع - أعد على ماهر بيانه الذى سوف يلقيه فى مجلس النواب : لم يشأ أن يدافع عن رجال الادارة الذين أجرموا فى حق شعبهم ٠٠ بل لم يشأ أن يعتذر عن الجريمة بحجة تجاوز بعض رجال الادارة سلطاتهم ، وانما وجه اللوم الى رجال الادارة لأنهم اقترفوا ما اقترفوه ٠٠

طالب بالغاء القانون الخاص بحماية الموظفين .. طالب بانشاء محكمة لاعادة النظر فى القضايا التى تفصل فيها محاكم الجنايات على ذلك الوضع الذى حدث فى قضية البـــدارى .. كما طالب فى نفس الوقت بتنقيح قانون المشبوهين ، وينشـــب الخـلاف بين رئيس الوزارة ووزير حقانيته ويعرض الخلاف على مجلس الوزراء ، وينقسم المجلس الى أغلبية وأقلية . أغلبية تؤيد ـ بالطبع ـ رئيس الوزراء ، اسماعيل صدقى ، وأقلية ـ بالطبع ـ تؤيد وزير الحقانية على ماهر ، ولكن على ماهر يتشبث برأيه ويصر على أن يلقى بيانه كاملا فى مجلس النواب ويهدد على ماهر بالاستقالة من منصبه الوزارى ويهدد عبد العزيز فهمى ، رئيس محكمة النقض والابرام باستقالته أيضا اذا ما استقال وزير الحقانية ولكن اسماعيل صدقى ذا الناب الأزرق ـ لا يريد لعلى ماهر ، أن يخرج بطلا من تلك الأزمة فيحاور ويداور ، ويلجأ ـ كعادته ـ الى التدبير . لاقناع على ماهر ، بالعدول عن موقفه المتطرف ، ويصر على ماهر على أن يلقى بيانه كاملا ، وعلى المطالب التى يراها الحد الأدنى للخروج من تلك القضـــية المؤلمة !! وينشط الوسطاء ، بين رئيس الوزراء ووزير الحقـــانية لاثناء وزير الحقانية عن بعض مطالبه ، فيرفض وزير الحقانية ويرفض رئيس الوزراء .

★★★

ويحدد مجلس النواب جلسة لنظر الاستجواب وتمتلىء الشرفات بالزائرين والزائرات ورجال الصحافة لسماع بيان وزير الحقانية الذى لم يكن أحد ـ بعد ـ قد عرف ما فيه الا أعضاء مجلس الوزراء ويجىء على ماهر وبيده مظروف كبير فيه الرد وينتظر المجلس صعود على ماهر ، ليلقى بيانه ويلتقى اسماعيل صدقى وعلى ماهر فى خلوة خاصة ، وينسحب بعد هذا اللقاء على ماهر ، وتنعقد الجلسة دون أن يحضرها وزير الحقانية وتطلب الحكومة تأجيل الاستجواب وتحديد جلسة جديدة لمناقشته بحضور وزير الحقانية الغائب..ويعود الوسطاء للقيام بدورهم فى تنقية الجو بين رئيس الوزراء ، ووزير الحقانية ، ويقال ، ان الوسطاء قد نجحوا فى أداء مهمتهم ، وتحدد جلسة جديدة لمجلس النواب ، ومرة أخرى تمتلىء الشرفات بالزائرات والزائرين ، ورجال الصحافة ، ويتأهب الجميع لسماع ذلك البيان الذى طال انتظاره من على ماهر ، وزير الحقانية ، ولكن وزير الحقانية لا يحضر ويقوم وزير المعارف حلمى عيسى باشا ، بمحاولة القاء البيان نيابة عنه ، وتحدث ضجة هائلة وأصوات صخب لم تحدث من قبل فى تلك القاعة العتيدة . قاعة مجلس النواب ولا يستطيع وزير المعارف أن يلقى البيان ، ويصعد اسماعيل صدقى الى المنصة ، لينقذ الموقف ويتكلم اسماعيل صدقى عن الدستور ، والمسئولية الوزارية ، وحق وزير فى أن ينيب عنه وزيرا آخر فى القاء بيانه ، وعن شرعية القاء حلمى عيسى لبيان وزير الحقانية الذى هو بيان الحكومة . .. و .. وتهدأ الضجة وتنتهى أصوات الصخب ، ويلقى حلمى عيسى بيانا بدافع

فيه عن المأمور القتيل ، وتعود الضجة ، ويعود الصخب ، ويخرج الجميع حتى من كانوا من أنصار الحكومة يضربون كفا بكف !

***

لقد وقفت الوزارة من مجلس نوابها موقفا مزريا للغاية : انها تحتقر الرأى العام المصرى ، وتزدريه ٠٠ ان أحدا لايستطيع الدفاع عن وزارة تدافع عن رجال النيابة وعن رجال البوليس . وقد جاء حكم محكمة النقض والابرام ، مدينا لهم . بمثل تلك الصورة الفاضحة : لقد وقف وزير مسئول أمام مجلس نواب مسئول يعلن بأعلى صوته ان رجال النيابة لم يغفلوا أية شكوى قدمت اليهم من أبناء البدارى بينما الثابت أن عشرات بل ومئات من الشكاوى قدمت ! وقف ذلك الوزير المسئول يقول انه لم تثبت مسئولية أحد من رجال البوليس ، سوى الكونستابل أحمد خالد الهجرسى ، الذى تقررت محاكمته ، هذا فى الوقت الذى تعرف فيه مصر كلها أن رجال البوليس – فى أسيوط – لم يتخلوا عن واجبهم القانونى وحسب وانما تخلوا عن واجبهم الانسانى أيضـا . ألم يمتهنوا كرامة الرجال علنا ، وعلى رءوس الاشهاد ؟ ألم يخلعوا عن النساء كل ملابسهن ، ويسوقوهن عرايا ، ملطخات الوجوه فى شوارع البدارى ؟ على أية حال : لقد سقطت شعبيا وزارة اسماعيل صدقى فى ذلك اليوم وأن تأخر تنفيذ السقوط شهورا قليلة ! لم يهدأ الرأى العام لأن الملك أحمد فؤاد خفف العقوبة على المتهم الأول من الاعدام ، الى الأشغال الشاقة المؤبدة ، وخفف العقوبة على المتهم الثانى من الأشغال المؤبدة الى السجن ١٥ سنة ، لأن الرأى العام كان يريد تخفيف العقوبة على الشعب باقالة وزارة اسماعيل صـدقى . ولكن متى كانت وزارات الأقليات تقال ؟ ويأبى على ماهر أن يستسلم ، حتى بعد القاء البيان من قبل حلمى عيسى باشا وزير التقاليد كما كانوا يطلقون عليه لقد أصدر قرارا باحالة بعض رجال الادارة والبوليس الى المحاكم ، دون أن يستشير رئيس الوزراء ، وعند هذا الحد ، لم يحتمل اسماعيل صدقى الموقف ، ذهب الى السراى ليؤكد أن تعاونه مع على ماهر ، قد أصبح مستحيلا ويعطيه الملك فؤاد « كارت بلانش » : قدم استقالة حكومتك ، وألفها كما تريد ، وأدخل فيها من تريده ، وأبعد عنها من لا تريده » وابينما الوزراء فى مكاتبهم يباشرون مسئولياتهم اذا باسماعيل صدقى يرفع استقالة حكومته الى الملك ، ويبلغ الوزراء بأن الوزارة قد استقالت بينما هم فى مكاتبهم يقومون كالمعتاد بأعمالهم : حتى لقد كان وزير الخارجية عبد الفتاح يحيى على موعد مع سفير ايطاليا فى مصر وقد أبلغ بنبأ استقالة الوزارة ، والسفير الايطالى عنده فى مكتبه حتى ليقول عبد الفتاح يحيى متهكما : استقبلته كوزير للخارجية ، وودعته كوزير سابق للخارجية !

***

ويخيل الينا أن على ماهر لم يكن يعتقد ابدا ان اسماعيل صدقى سوف يكسب اللعبة بمثل تلك السهولة : كان يريد أن يستقيل هو لا أن تستقيل الوزارة وتؤلف بدونه · أن هناك فارقا بين أن يستقيل الوزير استقالة مسببة ، وبين أن تستقيل الوزارة ، وتؤلف بدونه · انه فى الحالة الأولى يكون بطلا ، وفى الحالة الثانية يكون وزيرا مطرودا ، ولذلك فان الذين شاهدوا على ماهر عند خروجه من مكتبه فى وزارة الحقانية بعد أن أبلغ باستقالة وزارة اسماعيل صدقى ، وتكليفه باعادة تشكيلها من جديد قالوا ـ كما قالت الصحف الصادرة فى اليوم التالى ـ ان وجهه كان مصفرا ، كالأموات ، وانه كان ممتقعا الى حد كبير ، وانه رفض التحدث الى الصحفيين الذين التفوا حوله ، ولم يقل سوى أن الوزارة قد استقالت وأنه لم يعد وزيرا ، ولله الحمد » ·

★★★

ويقول المصور تعليقا على موقف على ماهر : اختلفت الآراء فى الموقف الذى وقفه معالى على ماهر باشا ولا نغالى اذا قلنا ان بعضهم قد حار فيه : ترى هل أقدم معاليه على ما أقدم وهو يقدر ماهية مجازفته وعواقبها ؟ أترى هل نسى معاليه علاقته بحزب الاتحاد ؟ أم أن هناك فكرة خطة تدور فى رأس معاليه ، أم أن هناك مشروعا مستورا يسعى معاليه لتحقيقه ؟ ويقول بعض العارفين أن على ماهر خطا هذه الخطوة تمهيدا لتأليف وزارة قومية وسواء صح هذا القول ، وتحقق أو لم يتحقق فقد لوحظ أن جماعة حمد الباسل ـ التى كانت قد انشقت على الوفد ـ تعطف على مساعى معاليه ، وان حمد باشا وصحبه يثنون على عمله ، وقد أفسحت له جريدة البلاغ أعمدتها ونشرت له بياناته برمتها ، ولقى على ماهر باشا مثل هذا الموقف من جريدة السياسة لسان حال الأحرار الدستوريين ·

★★★

أما عن موقف عبد الفتاح يحيى ، الذى آزر على ماهر ومنذ البداية فى موقفه من صدقى باشا فقد قيل عنه : كان عبد الفتاح يحيى باشا قد انضم الى رأى على ماهر ، فى بادىء الأمر ، بل آزره بعد نشوب الخلاف بين وزير الحقانية ورئيس الوزراء وبعد معرفة رأى السلطات العليا فى الخلاف : أى أن عبد الفتاح يحيى باشا شاطر على ماهر باشا رأيه وهو يعلم أن الدائرة ستدور على على ماهر وانه اذا وقعت أزمة وزارية فالانتصار سيكون لصدقى باشا ومعنى هذا أن عبد الفتاح يحيى وقف فى صف على ماهر باشا ، وهو يعرف أن وقوفه سيؤدى الى خروجه من الوزارة معه ، ولكن لماذا الاطالة فى الحديث عن حادث البدارى وقضية البدارى ؟ سؤال نترك الاجابة عليه للفصل التالى ··

الفصل الخامس

معقبات حادث البدارى .. استقالة وزارة اسماعيل صدقى

● هل أسرفت فى الكتابة عن عهد اسماعيل صدقى باشا ، بصفة عامة وقضية البدارى بصفة خاصة ؟ سؤال طرحته على نفسى أكثر من مرة ولم أعرف الاجابة الصحيحة عن هذا السؤال ، الا عندما أسعدنى لفيف من الاخوة الأعزاء بمكالماتهم التليفونية وبرقياتهم ورسائلهم التى أجمعوا فيها - وشكرا لهم - على ضرورة المزيد من الكتابة عن تلك الفترة الهامة من تاريخ كفاحنا الوطنى ، التى يرى فيها الشيوخ أمجادهم التاريخية ويرى فيها الشباب صورا مشرقة لماضى آبائهم وأجدادهم ، كما يطالبوننى فى نفس الوقت بالمزيد من الكتابة عن حادث « البدارى » الذى يعتبر من أخطر أحداثنا السياسية أهمية واثارة .

★★★

والذى أستطيع أن أقوله - للحقيقة وللتاريخ - اننى لم أجد فترة من فترات كفاحنا الوطنى المشرق ، أغفلت الكتابة عنها - كما يجب - كما حدث بالنسبة للفترة التى حاول فيها اسماعيل صدقى - بالحديد ، والنار - ان يذل شعب مصر ، ولم أجد حادثا تاريخيا هاما ، لم ينـل كل مايستحقه بل بعض ما يستحقه رغم أهميته البالغة بالنسبة لانهاء دكتاتورية اسماعيل صدقى مثل حادث البدارى : والواقع ، أن اسماعيل صدقى قد خيل اليه أنه بعد ان ضمن « حياد » بريطانيا العظمى « ورغبتهـا فى عدم التدخـل فى الشئون المصرية الداخلية » وبعد أن ضمن التأييد ، الكامل المطلق من قبل السراى لكل ما يتخذه من « قوانين » ، وقرارات واجراءات خاصة وعامة ، وبعد أن استـخدم أحدث أسـاليب الضغط والارهاب والاذلال ، وبعد أن ملأ السجون والمعتقـلات ، بمعارضيه ، ومخالفيه فى الرأى ، وبعد ان ضرب عرض الحائط بكل ما تعارفه عليه الناس من قيم ، ومثل وقواعد « دستورية » و « شرعية » و « انسانيـة »

و٠و٠ وبعد أن وضع الشعب كله فى سجن هائل رهيب خيل اليه أنه سيبقى فى الحكم ، وسيبقى له الحكم مادام هو على قيد الحياة ، فاذ بحادث البدارى الذى وقع مثله فى كثير من قرى مصر ومدنها يرده الى صوابه ويخرجه من دنيا أحلامه الحلوة ، اللذيذة التى ظل ينعم بها أكثر من عامين : ان حادث البدارى فى رأيى ـ بعد ان استقرأت كل حوادث تلك الفترة الرهيبة ، وأحداثها ـ لم يكن أبدا مجرد حادث تعذيب عادى يمكن أن تتوقف أثاره عند مسئولية رجال الادارة ، الذين قاموا به ، لم يكن أبدا مجرد سقطة سياسية وقعت فيها دكتاتورية عنيفة ، كدكتاتورية اسماعيل صدقى ، وما أكثر ما وقعت فيه من سقطات ،

★★★

ولكنه كان ـ بحق ـ نقطة تحول خطيرة بالنسبة لعهد اسماعيل صدقى ككل :

كان حادث البدارى المسمار الأخير ، الذى استطاع أن ينفذ بعنف وقوة فى نعش دكتاتورية اسماعيل صدقى ، ولقد تساءل الكثيرون من المعاصرين كيف يمكن لمثل تلك الدكتاتورية الرهيبة ، المعتمدة على الانجليز ، والسراى ، والجيش ، والبوليس ، ورجال الادارة والموظفين والتى تستخدم بابرع الطرق والأساليب سيف المعز ، وذهبه : كيف يمكن لمثل تلك الدكتاتورية التى أخافت الملك فؤاد نفسه والتى جعلته يفكر أكثر من مرة فى وقف اسماعيل صدقى عند حده حتى لايكون خطرا عليه ، كيف يمكن لمثل تلك الدكتاتورية ان تتهدم ، بسبب ذلك الحادث العادى ؟! والواقع أن كل المستبدين والدكتاتوريين من الحكام ، يستمرون فى « صعود » ، دائم ، يحققون كل يوم « الانتصارات » تلو الانتصارات ينالون ـ وبدون أى جهد ـ المكاسب ، وراء المكاسب واذا بحادث عادى بسيط يقع نتيجة خطأ فى الحسابات يكون هو السبب الرئيسى فى تحويل الانتصارات الى هزائم، وفى قلب المكاسب ، الى خسائر وفى تغيير عجلة المسيرة من التقدم ـ وبسرعة ـ الى الامام ، الى التراجع ـ وبقوة ـ الى الخلف ، وبعد ذلك الحادث ، العادى البسيط ـ الذى أصبح نقطة تحول ـ لايمكن أبدا لأى حاكم مستبد أو لأى حكم دكتاتورى قوى ، ان ينتصر أو يكسب ، أو يعود الى التقدم ، الى الامام من جديد ٠

★★★

وللحقيقة والتاريخ ، نقول ـ دون أية مبالغة من جانبنا ـ ان الذى أعطى لحادث البدارى ـ رغم أنه حادث عادى بالنسبة لما حدث فى أيام اسماعيل صدقى ـ كل تلك الأهمية والخطورة ، أو جزءا كبيرا من الأهمية والخطورة هو حكم محكمة النقض والابرام ، برئاسة عبد العزيز فهمى باشا رجل القضاء ، العادل ،النزيه ثم موقف على ماهر ، باشا ، وزير الحقانية اثر صدور ذلك الحكم وما أعقب ذلك الموقف من تطورات ٠

وهناك من يقول ، انه كان من الممكن ، ان يمر حـــكم محكمة النقض ، والابرام ، كما مر غيره من أحكام ، دون أن يكون له كل هذا الدوى العنيف لو لم يتخير على ماهر باشـــا ، الوقت المناسب ، لكى يضرب ضربته القاتلة ، لنظام اسماعيل صدقى ٠

وعلى ماهر كاســـماعيل صـــدقى من الســـياسيين ، الذين يطلق عليهم ذوو الأنياب الزرق : كلاهما لا يؤمن بالشعب كمصدر للسلطة : كلاهما ، يجيد التآمر ، والتكتيك سرا ، لا جهرا ٠٠ كلاهما ، أيضا يجيـــد اللعب ، على كل الأحبال والقدرة على الظهور بأكثر من وجه والتحدث ، بأكثر من لسان ، ولكنهما يختلفان الى حد كبير فى القدرة على اختيار الوقت المناسب ، لأية لعبة من اللعب السياسية بالرغم من « كفاءة » اسماعيل صـــدقى المالية ، والادارية ورغـم « عبقريته » كرجل « دولة » ورجل « سلطة » الا أنه لا يعرف كما يعرف على ماهر كيف يضرب خصمه فى « الموضع » المناسب ، وفى الوقت المناسب : على ماهر ، يخطط لسنوات ، وسنوات ، يتراجع ، ويتراجع ، ويتراجع ، ليقفز من جديد قفزة كبيرة وخطيرة : على ماهر ، لايهمه أن تتحقق أحلامه فى وقت معين بل يهمه أكثر ، أن تتحقق تلك الأحلام ولو بعد أعوام ، وأعوام ، انه يصل فى النهاية ــ وقد يمضى الوقت طويلا أكثر من اللازم ودون أن ينال منه الضجر أو القلق ــ الى تحقيق كل ما يريده ، بل أكثر مما يريده اما اسماعيل صدقى باشا فهو ينتظر دائما الى ان تجيئه الفرصة المناسبة فيستغلها ، أو لايستغلها ، المهم انه ينتظر دون أن يبذل أى جهد لكى تجيئه تلك الفرصة ، بعكس على ماهر ، تماما الذى يخطط ويرتب ، ويمهد لتجىء تلك الفرصة مهما دفع من أثمان ، ومهما خسر ، فى الطريق من قوى ، وصداقات : لقد كان على ماهر ، يعرف جيدا ، انه بعد ان رفض المصالحة مع اسماعيل صدقى ، بأمر من الملك فؤاد ، وبعد أن أصر على الاستقالة ، سوف تقفل أبواب السراى أمامه شهورا بل وسنوات ٠٠

★★★

كان يعرف ــ كما وقع فعلا ــ انه سيكون موضع غضب الملك فؤاد ، وسوف يلتمس مقابلته ــ كما حدث فعلا أيضا ــ مرة ومرة ، دون أن يستجاب الى طلبه ، ولكنه كان على ثقة تامة من أن فرصته ستجىء ، ســـوف يعود أحمد فؤاد الى مصالحته وسوف يعتمد عليه فى كثير من المناصب الهامة ، وعندئذ لن يطلب منه أن يكون وزيرا بل يطلب منه أن يكون رئيسا للديوان الملكى ، ثم رئيسا للوزراء ، فى أخطر مرحلة من مراحل التاريخ الوطنى ! هذا فى الوقت الذى لم يقدر فيه اسماعيل صدقى على مواجهة مؤامرات خصومه فى السراى ، فاضطر الى الاستقالة من رئاسة الوزارة ، وفى الوقت الذى لم ينجح فيه اسماعيل صدقى حتى فى احتفاظه برئاسة حزب الشعب ، الحزب الذى خلقه اسماعيل صدقى

من العدم ، والذى بذل كل طاقاته الادارية ، وامكاناته وامكانات الدولة لكى يقف على قدميه ٠٠ لقد كان فى الامكان ، كما سبق ، ان ذكرنا ان يمر حكم محكمة النقض فى قضية البدارى ، كما مر غيره من الأحكام ، التى سبقت الحكم ، فى قضية البدارى ، ولقد كان فى الامكان أيضا ٠ أن تمر « أزمة » وزير الحقانية كما مرت أزمات خلقها كثير من الوزراء الذين سبقوا وزير الحقانية ٠

***

كان من الممكن أن يحدث كل ذلك لو لم يكن وزير الحقانية المستقيل ، هو على ماهر بالذات :ان على ماهر كان الساعد اليمنى ، لاسماعيل صدقى ، فى وزارته ، وكان يمثل القوة الضاربة فى حزب الاتحاد ٠ الحزب ، الذى كان هو وحزب الشعب ، يمثلان العكازين ، الرئيسيين ، اللذين يعتمد عليهما نظام حكم اسماعيل صدقى ، فاذا بأزمة على ماهر ، تكون ضربة قاضية للوزارة الصدقية ، بل للنظام كله ؟ ولقد كان من بين الأسباب التى جعلت أزمة على ماهر ، تحدث دويها الهائل ، انه نجح فى استقطاب عبد الفتاح يحيى باشا الى جانبه ووقوفه ضد اسماعيل صدقى بالرغم من أن اسماعيل صدقى ، هو رئيس حزب الشعب ، وعبد الفتاح يحيى هو نائب رئيس حزب الشعب ! ولقد كانت استقالة عبد الفتاح يحيى ، الى جانب الأزمة التى خلقها على ماهر ، من العوامل التى عجلت بنهاية حكم اسماعيل صدقى ، وكانت استقالة عبد الفتاح يحيى بالذات ، تضامنا مع على ماهر ــ وكانا يختلفان دائما فى مجلس الوزراء ، ويقوم صراع عنيف حاد بينهما ، لعل الهدف منه من يكون منهما وريثا لاسماعيل صدقى ــ كانت استقالة عبد الفتاح يحيى بحق ، استقالة هامة وقد وصفها « المصور » وقتئذ بأنها مشرفة ، وبأنها يجب أن تكون موضع اعجاب ، وافتخار كل مصرى مهما يكن رأيه فى ماضيه السياسى ، فقد ضحى عبد الفتاح يحيى باشا ، بمنصب وزير فى سبيل فكرة ، اعتقد أنها حق فوجب على مواطنيه ــ من باب الحق ــ أن يحيوا هذه التضحية الكبيرة التى أداها معاليه ، للحق » ومما يذكر انه عندما انصرف عبد الفتاح يحيى من مكتبه فى وزارة الخارجية بعد ان أبلغ باستقالة الوزارة ، كان منشرح الصدر ــ بعكس على ماهر ، الذى كان مكتئبا للغاية ــ وعندما قال له أحد الصحفيين عندما عرفوا خبر استقالة الوزارة : ان المرء لايعرف ماذا يقول للوزير ، المستقيل ؟ قال له عبد الفتاح يحيى : يقول له ، الحمد لله على السلامة وأنا من جهتى ، كنت عاوز أستقيل امبارح قبل النهاردة ، وأضاف قائلا هى دى عيشة » وقد قال عبد الفتاح يحيى باشا للصحفيين : ان اسماعيل صدقى باشا لم يفاتحنى فى دخول الوزارة الجديدة ، لأنه يعرف رأيى ، ولو خاطبنى فى هذا الموضوع لرفضت حتما » ٠

***

وقد ذكر اسماعيل صدقى فى كتاب استقالة وزارته الذى رفعه الى الملك فؤاد : ان الوئام وحسن التفاهم اللذين كانا رائدى الوزارة فى القيام بأعباء الحكم فضلا عن كونهما من أهم عوامل نجاحها فيه قد أصابهما فى الآونة الأخيرة شيء من الوهن ، الأمر الذى يترتب عليه استعصاء قيامى بالواجب ، الوطنى ، الذى تفضلتم جلالتكم باسناده الى » .

★★★

وقد أضيف الى وزارة اسماعيل صدقى الجديدة ، التى خلفت الوزارة المستقيلة ، محمد شفيق : وأحمد على ومحمد مصطفى وقد قيل عن العناصر الجديدة انها أكثر خضوعا لرئيس الوزارة وانها أكثر اتصالا بالقصر ، كما انها بدون ماض سياسى يذكر .. » .

وعبد العزيز فهمى باشا رئيس محكمة النقض والابرام الذى آثار بحكمه العنيف فى قضية البدارى ، كل تلك الضجة المدوية هو أحد كبار رجالات السياسة المصرية : وأحد أبطال يوم ١٣ نوفمبر ١٩١٨ ، عندما ذهب وزميلاه . سعد زغلول باشا . وعلى شعراوى باشا الى السير ونجت المعتمد البريطانى فى مصر ، طالبين الاستقلال فى وقت كانت فيه كلمة الاستقلال غير واردة على الاطلاق فى قاموس السياسة البريطانية .. اختير عبد العزيز فهمى ليكون ثالث الزعماء الثلاثة بوصفه نقيبا للمحامين ، وأحد زعماء الجمعية التشريعية التى كانت تقوم مقام البرلمان قبل الحرب العالمية الأولى .. عبد العزيز فهمى من كفر المصيلحة « منوفية » حفظ القرآن الكريم فى قريته ، ثم أرسله والده الى طنطا لتجويد القرآن فى المعهد الأحمدى ، ثم الى الأزهر ، ثم انتقل الى المدارس : الجمالية الابتدائية بالقاهرة ، طنطا الابتدائية ، طنطا الثانوية ، الخديوية ، ثم مدرسة الحقوق ، وقبل أن يتخرج من مدرسة الحقوق أعلنت الحكومة عن وظيفتى مترجم احداهما بنظارة الحقانية والأخرى بنظارة الأشغال ، بمرتب شهرى ١٢ جنيها فى الوقت الذى كان فيه خريجو الحقوق ، لا يتقاضى الواحد منهم فى الشهر أكثر من خمسة جنيهات ..

★★★

عزم عبد العزيز فهمى على التقدم الى تلك المسابقة وعارضه على باشا مبارك ناظر المعارف وعضو لجنة الامتحان فى تلك المسابقة وحاول اسقاطه حتى يحرمه من الوظيفة ليتفرغ لدراسته ، غير أن على باشا مبارك ، لم يستطع اذ كانت اجابات عبد العزيز فهمى فى الشفهى حيث يمكن للممتحن ان « يعصر » من يتقدم للامتحان ، كانت اجاباته سليمة ، ونجح فى امتحان المسابقة وعين فى وظيفة مترجم وواصل دراسته حتى نال الليسانس فى صيف ١٨٩٠ ولم يكن قد أكمل

بعد عامه العشرين .. ولم يكن عبد العزيز فهمي بسبب صـــدقه وأمانتـه فى وظيفته مستريحا ، فقد كان رؤساؤه من المديرين يحاولون دائما الانتقام منه ، ونقله الى الوظائف المتعبة . ومرة أمره مدير الدقهلية بأن يشترك فى الاشراف على « خفر البحر » الذين كانوا يحرسون النيل أيام الفيضـــان ، وقرب بلدة قولونجيل بالمنصـــورة أقام عبد العزيز فهمي فى خص من البوص ، على جسر النيل وأرسل له والده بغلة يركبها فى المرور على الدرك المخصص له .. وبلغ به الضـــيق درجة جعلته يقايض بوظيفة ـ وظيفة معاون ادارة ـ بوظيفـــة كاتب جلسة .. قبل عبد العزيز فهمي ان ينتقل ـ بالمقايضة ـ من معاون ادارة فى الدقهلية ، الى كاتب بمحكمة طنطا الجزئية فرارا من الظلم الذى كان يحيق به الضيق درجة جعلته يقايض بوظيفته ـ وظيفـة معـاون ادارة ـ بوظيفة الأوقاف وكان وقتئذ ابراهيم الهلباوى بك ثم كفر بالوظيفة فطلقهـا ليصبح محاميا ثم اشتغل بالسياسة فأصبح فى أسرة تحرير صحيفة الجريدة ثم عضوا فى الجمعية التشريعية . وعندما كان محاميا فى احدى القضايا ، وكان السلطان حسين كامل يرى رأيا آخر فى المتهم الذى يدافع عنه عبد العزيز فهمي . وفى لقاء مع السلطان حسين كامل فهم منه عبد العزيز فهمي انه متضايق للحـكم ، الذى صدر فى تلك القضية فلم يسترح لكلام السلطان فقال له غاضبا : لقد أتعبتنى يامولاى ، فانا الذى أعرف حقيقة هذه القضية دونك ، ومرة أنكر عليه السلطان قبوله الدفاع عن أحـد المتهمين فذهب الى رئيس محكمـة الاستئناف يحيى ابراهيم باشا ليحتج على كلام السلطان ، وليستقيل من عضوية المجلس الحسبى العالى ،الذى كان رئيسه هو يحيى ابراهيم باشـا ، ويستدعى رئيس الوزراء حسين رشدى باشا ، عبد العزيز فهمي ، ويراجعه فى استقالته فيصر عليها الا أن يعتذر السلطان وتنشر الصحف بيانا رسميا من الحكومة يفيد هذا الاعتذار . وعندما ظهر لعبد العزيز فهمي أن المتهم الذى يدافع عنه هو جورج فلبيدس ـ والذى أنكر عليه السلطان دفاعه عنه ـ أنه كذب على محاميه لم تطاوعه نفسه فى الاستمرار فى الدفاع عنه فاعتذر وتولى القضـــية غيره من المحامين .

***

ويصبح بعد ثورة سنة ١٩١٩ أحد أقطاب الثورة ، وأبرز أعضاء الوفد ثم يستقيل من الوفد بعد الانقسام الذى حدث بين عدلى يكن وسعد زغلول ليأخذ جانب عدلى ، ثم يصبح رئيسا لحزب الأحرار الدستوريين ويدخل الوزارة ليستقيل اثر أزمة الشيخ على عبد الرازق ، وكتابه « الاسلام وأصول الحكم » ، ويرفض عضوية مجلس الشيوخ لأنها جاءت من قبل السراى ، حتى عندما أكد له رئيس الحكومة أن اقتراح تعيينه قد جاء من الحكومة أصر أيضا على الرفض .

***

وفى صيف ١٩٢٨ يعرض عليه محمد محمود باشـــا الوزارة من جـديد فيرفض رفضا باتا قائلا لمن تحدثا اليه فى هذا الأمر ـ أحمد خشبة باشا ولطفى السيد باشا ـ : ان مركز قاض من الدرجة الثانية أكرم عندى من مركز وزير ٠ ثم عرض عليه منصب رئيس محكمة استئناف فقبله شـــاكرا وبقى فى تلك الوظيفة من منتصف أكتوبر ١٩٢٨ حتى فبراير ١٩٣٠ ليستقيل منها ، ويعلل أسباب استقالته بقوله : حدث أن تولت وزارة مصطفى النحاس باشا بعد استقالة وزارتى محمد محمود باشا ، وعدلى يكن باشا وذات صباح قرأت فى الصحف سؤالا من أحد أعضاء مجلس النواب الوفديين وهو الأستاذ زهير صبرى حاصله أنه يسأل وزير الحقانية وكان محمد نجيب الغرابلى باشـــا عن مرتب رئيس محكمة الاستئناف ولماذا يكون كمرتب وزير ٠٠ وماكدت أقرأ هذا السؤال حتى حررت استقالتى من هذا المنصب ولم أذهب الى مكتبى بوزارة الحقانية بل ذهبت الى سراى عابدين رأسا وطلبت الاذن بمقابلة الملك فؤاد فتفضل وأذن بمقابلتى فقلت له : يامولاى ، ان كرامة القضاء يجب أن تصان من آن يعبث بها عابث ، ومادام أحد النواب قد سمح لنفسه أن يقدم هذا السؤال فانى لا أستطيع أن أبقى فى منصبى » ، وقدمت لجلالته استقالتى فأمهلنى وطلب أن أنتظر أسـبوعا حتى لاتتعطل الأعمال ، وبعد يومين من هذه المقابلة تقابلت مع نجيب الغرابلى باشا وزير الحقانية فقال لى : انك تخطيتنى بتقديم الاستقالة الى جلالة الملك ٠٠ فما كان جوابى الا أن حررت له فورا نص الاستقالة ، وتركتها له وانصرفت حدث بعد ذلك ، أن رشحت الوزارة عدة أسماء لتولى هذا المنصب فلم يوافق الملك فؤاد ، وبعد نحو أربعة أشهر استدعيت للعودة الى رياسة الاستئناف ٠ وفى وزارة اسماعيل صدقى باشا سنة ١٩٣٠ ـ وكان على ماهر باشـــا وزيرا للحقانية ـ انشئت محكمة النقض والابرام فأسندت الى رياستها ، ومكثت بها الى أن اختتمت حياتى القضائية رئيسا لتلك المحكمة !

★★★

ويقول د ٠ محمد حسين هيكل عن الحكم الذى أصدرته محكمة النقض والابرام فى حادث البدارى : استمر اسماعيل صدقى باشـــا فى حملة العنف التى سوغها لنفسه أثناء الانتخابات وأن يتسامح مع موظفى الادارة فى معاملتهم الناس بالبطش غاية البطش ، بطش تخطى العنف الى التعذيب فى أقبح صـــور التعذيب ٠ ولقد كشف القضاء عن ذلك فى قضية قدمت له وأصدر فيها شيخ القضاة يومئذ ، عبد العزيز فهمى باشا حكما قدم له بحيثيات وصمت العهد كله أقبح وصمة ، فقد بلغ من تعذيب رجال الادارة للناس فى مديرية أسيوط أنهم كانوا يدخلون العصى فى أدبارهم ويعـــاملون الرجال معـــاملة النســـاء ، وقد بلغ من بشاعة التصوير فى هذا الحكم ومن شدتنا فى التعليق عليه شدة لم يكن أحد ليستطيع محاسبتنا عليها لأنها تستند الى وقائع أثبتها القضاء ،

أن استقال على ماهر باشا وزير الحقانية فى وزارة صدقى باشا فكانت استقالته بسبب هذا الحكم اعترافا صريحا بأن العهد كله يقوم على مثل هذا الأساس الذى صوره • وماكان أحد ليستطيع أن ينسب صدور هذا الحكم الى نزعة سياسية قائمة بنفس عبد العزيز باشا ، تعارض اتجاه الحكومة فقد أبدى عبد العزيز باشا منذ استصدر صدقى باشا دستوره حرصا على احترام النظام فى حدود هذا الدستور ، حتى كان ينتقل على رأس محكمة الجنايات التى تنظر القضايا المرفوعة ضد العابثين بالنظام معارضة لهذا الدستور •• رجل ذلك شأنه وله من ماضيه السياسى ، ومن نزاهته المطلقة ما لعبد العزيز باشا ، لم يكن حكمه فى قضية التعذيب لترقى اليه أية مظنة ولهذا دمغ هذا الحكم العهد كله حتى اضطر وزير الحقانية الى الاستقالة بسببه » •

ان الحديث عن حادث البدارى ، يمكن أن يطول ، ويطول ، حتى ليستطيع المرء ، وبسهولة ، أن يكتب عنه كتابا مستقلا بذاته فالحادث ، كما سبق أن قلنا ، كان نقطة تحول ، ذات أهمية بالغة فى تاريخنا فى سنوات ما قبل الثورة • ولقد سعدت سعادة بالغة عندما أبلغنى الزميل مصطفى نفادى ـ من أسرة دار الهلال ، ومن البدارى ـ أن بطلى حادث البدارى يعيشان فى البدارى فى أتم صحة وانهما سعيدان الى أبعد حدود السعادة ـ لأننى أثرت قضيتهما بعد ٤٥ سنة كاد فيها الحادث وبطلاه يطويهما النسيان •

***

وأجدنى شغوفا ، الى أبعد الحدود الى سماع القصة الحقيقة لحادث البدارى من بطل ذلك الحادث •• انها المرة الأولى التى يتكلم فيها بعد أن قضى العقوبة التى قضى عليه بها كاملة غير منقوصة انه يتحدث هذه المرة ، للتاريخ لا لشىء آخر ، ان أحمد جعيدى ، المتهم الأول مازال يسكن المنزل الذى كان يسكنه منذ أكثر من نصف قرن : منزل مبنى بالأسمنت ، والطوب الأحمر •• انه لم يعد وحيدا كما كان منذ ٤٥ سنة ، لقد تزوج فى عام ١٩٥٣ ، بعد أن خرج من السجن وأصبح له اليوم ٦ أولاد ، ثلاثة ذكور وثلاث اناث ، خمسة منهم يتعلمون فى المدارس ، أكبرهم حصل على دبلوم الزراعة •• أحمد جعيدى (٦٨ سنة) يبدو وكأنه فى شرخ الشباب • انه يلعب أكثر من رياضة ، يمارس ركوب الخيل والسباحة ، له صداقات عديدة بأبناء بلده وبرجال البوليس العاملين فى مركز البدارى الذى شهد ومنذ فترة طويلة أبشع ألوان التعذيب •• سألناه : ما الذى أثر فيك يا عم أحمد ،وجعلك تقف من السلطة الظالمة هذا الموقف العنيد العنيف ؟ فقال : كان جدى يتحدث معنا باستمرار ، عن قسوة سلطة الاحتلال البريطانى ، وعن الحرب العالمية الأولى وعن السلطة البريطانية ، وكيف كانت تخطف المواطنين

لتبعث بهم الى ميدان القتال حيث يلقون نهايتهم هناك ، كما كان يروى الكثير عن كفاح الآباء والأجداد للقضاء على ذلك الاحتلال ٠ كان يروى لنـــا الكثير من ذكرياته عن ثورة ١٩١٩ ، وعن كفاح الشعب المصرى للقضاء على الانجليز وأذناب الانجليز » وعن مدرسته التى تعلم فيها الصنايع ، والوطنية ٠ يقول : ان أستاذه فى مدرسة الصنايع الأستاذ أحمد سرى ، كان يحكى للتلاميذ الكثير عن صور النضال الوطنى ٠٠ كان يبث فيهم الحماس ليكونوا مواطنين صالحين قادرين على حمل الأمانة الوطنية ٠٠ كان يدربهم على استعمال السلاح فى كثير من الأوقات ، وكان هو ـ أحمد سرى ـ قد اعتقل عدة مرات فى بعض القضايا السياسية ولكنه لم يتوقف أبدا عن مواصلة الكفاح الوطنى ، داخل المدرسة وخارجها بل كان يقوم بتحفيظ تلاميذه بعض قصائده وأزجاله :

والله ما أحلى القيد فى رجلى وما أحلى الشدائد
أنام على البرش ، لا أبغى الحرير ولا الوسائد

★★★

تلك هى بعض الظروف التى جعلت من أحمد جعيدى شابا ثائرا يبذل كل ما يمكن بذله لمقاومة العنف والطغيان ٠

وعن مأمور مركز البدارى يقول أحمد جعيدى : كان انســـانا غريبا ، متجردا من كل رحمة بل من كل عاطفة ٠٠ كان أشــبه بقراقوش لايطيق ان يرى انسانا سعيدا ، كان اذا رأى ـ مثلا ـ رجـــلا يرتدى ملابس أنيقة أمر عساكره باحضاره الى المركز ، ليمزقوا أمام عينه تلك الملابس ، كان يتلذذ من رؤية الناس ، وهم يتعذبون بأيدى رجاله ، وكأن له مهمة خاصة هى أن يتشفى وينتقم من كل الناس ٠ كانت كلمته نافذة فى مديرية أسيوط كلها لا يهتم بأى قانون ولا بأى عرف ، بل كان يتباهى بأنه يتحدى سلطة النيـــابة ٠٠ استدعى جدى وهو شيخ وقور ذات مرة الى المركز ليزاول فيه هوايته الغريبة ، هواية اذلال الناس ٠ أمر رجاله بأن يذيقوا هذا الشيخ المسن ، كل أنــواع العذاب حتى كاد يموت من بشاعة التعذيب وشناعته ٠٠ وفى حالات كثيرة كان بعض من يقوم بتعذيبهم يموتون ، فيلقى بجثثهم بعيدا عن القرية حيث يذهب أهاليهم لحمل تلك الجثث ودفنها ، كان يقف فى الطرق العامة أمام العربات التى تسافر من البدارى حاملة المواطنين ، الذين يريدون السفر خارج البلدة لقضاء حوائجهم فيأمر بعودة تلك العربات حتى لا يجدوا ما يقتاتون به ! وفى السجن كان يقوم هو ورجاله بالكثير من الأفعال الفاضحة التى تهدر انسانية المسجونين وآدميتهم وبعد تلك « الأفعال الفاضحة » كان يأمرهم بالاستحمام ببول الخيول وكان يمنع عنهم الطعام والشراب وكان يأمر كل واحد منهم بأن يصيح بأعلى صوته : « أنا مرة » !! ٠ وكنا ستة وثلاثين شابا ، وضمهم مأمور

البدارى فى السجن جعلهم « مشبوهين » ، لايغادرون السجن الا ليدخلوا اليه من جديد ٠٠ كان من بينهم صديقى حسونة وكان هؤلاء هم الذين وجدوا أنه لا سبيل لانقاذ أبناء البدارى الا بالتخلص من هذا المأمور وأقسمنا جميعا على المصحف ٠٠ ولكننى رأيت أن أقوم أنا وحسونة وحدنا بالمهمة ليكون لنا شرف غســل العــار بالتخلص من المأمور المستبد ٠٠ وأعددنا بندقيتين ، واحدة خرطوش ، حتى لاتخطىء الهدف ، والأخــرى « ارمنتوه » ٠٠ حملت الأولى وحمل حسونة الثانية ورحنا نراقبه كل يوم حتى عرفنا كل شىء عن عاداته ٠٠ كان يزاول هوايته فى المشى ساعة الغروب هو ومهندس الرى ، وكان لايصطحب معه حرسا كثيرا امعانا فى التحدى ، والغرور ٠٠ وذات مساء ، أدينا مهمتنا

***

٠٠ أطلقت رصاصة الى قلبه ، وأنا أقول له : خدها ياظالم ٠٠ وأصيب هو ، والمهندس صديقه ، وذهبنا اليه لنتأكد من موته ، أشفقنا على المهندس فتركناه حيا لأنه لم يكن له ذنب ٠٠ واتجه كل منا الى بيته ٠٠ اغتسلنا ، جلس كل منا يتنــاول عشــاءه فى هدوء فقد انزاح الكابوس ، وزال رمز الطغيان ، تنفس الجميع الصعداء ٠٠ هبت علينا لأول مرة نســمات الحرية ٠٠ وانتشر الخبر بسرعة البرق : المأمور مات ، المأمور قتل ٠٠ وانطلقت الحــكومة كالاســد الهائج ، الذى لايجد من يفترسه ، قبضت على كل أعيان البلد وشبابها ، وكان أولهم ال ٣٦ شــابا « اياهم » الذين أطلق عليهم وصف « المشبوهين » وبدا التحقيق فى أول الأمر متسما بروح العدالة ، الى أن وصــل حكمدار المديرية وكبار رجال وزارة الداخلية وكانت أوامر صريحة وصارمة باستخدام أبشع ، واشنع وسائل التعذيب » ٠

وقبل أن تكمل حديث جعيدى بطل البدارى لابد من كلمة نقدم بها بقية الحديث ٠٠

***

ثورة ١٩١٩! ، بل أن الرجل لم يخرج من السجن « بربع المدة » كما يخرج عادة كل المسجونين العاديين ، خرج أســعد بعد ربع قرن ليجد الدنيـا تغيرت ، وتبدلت : الثورة التى شارك فيها اجهضت ، الحركة الوطنية التى بذل شبابه من أجل تقويتها ، ضعفت وتقوقعت وخلفت ــ وبكل أسف ــ معاهدة ١٩٣٦ لا أكثر ولا أقل ، ولم يجد أسعد من رفاق دربه ، من يذكره ، الا أحد المطحونين من أمثاله فى القاهرة الذى سعى الى تعيين أســعد ليكون خفيرا لكوبرى « المعاهدة » فى ديروط ، وكان لقائى بذلك الرجل العظيم ، الذى يعمل خفيرا ــ بثلاثة جنيهات ــ لا أكثر ولا أقل لقاء ممتعا رائعا ، لا أزال أذكره حتى اليوم وكل يوم ، لا أزال أذكر حلاوته ، لقد قابلت كثيرين من زعماء العالم : خروشوف وهوشى منه ، وشواين لاى ، وسوكارنو وغيرهم ، وغيرهم وأجريت معهم أحاديث كان لها وقتها دويها فى العالم كله ، ولكن حديثى مع هذا الرجل كان له طعم خاص ومذاق خاص • وهل هناك أجمـل وأروع من أن تقابل رجـلا قضى كل شبابه فى السجن من أجل فكرة وطنية معينة ضحى فى سبيلها بالمال ، والأهل ، والولد ، والشباب ، وكل مافى الحياة ، ثم لم يطلب شيئا ، الا أن يمكن من خدمة بلده ويضحى بما بقى فى عمره من أيام ؟ هل هناك أجمل وأروع من أن تجد رجلا قضى ربع قرن من حيـاته يتجرع كأس الذل والمرارة ، وقسـوة الحياة والظروف والناس ، ثم تسأله ، هل أنت نادم على ما فعلت ؟ فيقول لك : على العكس • أنا سعيد بما فعلت ، ولو عادت بى الحياة مرة أخرى من جديد لما فعلت غير ما فعلت ؟ •

★★★

ونماذج كثيرة ، كثيرة هى فى حد ذاتها ، دليل قاطع على ما يتمتع به شعبنا الكبير من أصالة وطنية لانظير لها ، ليس مهما ان يكون هؤلاء قد اختاروا طريق العمل الصائب ، أو تجنبوا طريق العمل الصائب ، ولكن الأهم والمهم ، انهم عندما أقدموا على ما أقدموا عليه كانوا فى قمة الايمان والاخـلاص ، للفكرة التى يعتنقونها سواء أصابوا الهدف ، أو أخطأوه ، المهم انهم قدموا أرواحهم وشبابهم من أجل تحقيق هدف كبير سام ، لا من أجل أن ينـالوا لأنفسـهم شيئا ما ، أيا كان هذا الشىء ، من هذا المنطلق الوطنى لفهم العمل الوطنى :

★★★

كنت سعيدا الى أبعد درجات السعادة وأنا أسمع أن بطلى حادث البدارى ، أحمد جعيدى وحسن أبو عاشور « حسونة » لا يزالان على قيد الحيـاة •• وحادث البدارى • ــ كما سبق أن ذكرت ــ كان المسـمار الأخير فى نعش دكتاتورية اسماعيل صدقى • وقد كنت من أسـعد النـاس ، وأنا أنشر ــ فى الفصـل السابق ــ فقرات من اعترافات أحمد جعيدى ، ذكر فيها ــ وبصراحة مطلقة ــ

الاسباب التى دعته وزميله حسونه وبعض شباب البدارى الى البحث عن طريقه للتخلص من مأمور مركز البدارى ، الذى كان يسومهم وكل أبناء البدارى سوء العذاب وكيف أن جعيدى وحسونة « كمنا » فى مكان ما حيث تعود المأمور أن يتجول ، بلا حراسة ، امعانا فى التحدى وأطلقا عليه الرصاص حتى أردياه قتيلا وبعد أن تأكدا من موته عاد كل منهما الى منزله سعيدا ، هانئا بعد ان تمكن من غسل العار عن أهله وذويه ، وكيف أن التحقيق سـار فى البداية متسما بروح العدالة الى أن وصل حكمدار المديرية وكبار رجال وزارة الداخلية فاذا بالأوامر تصدر صريحة وواضحة بضرورة استخدام أبشع وأشنع وسائل التعذيب ، ويمضى العم جعيدى فى اعترافاته ، وكأنما يقرأ من كتاب مفتوح أمامه « أباح حكمدار المديرية ، الأعراض ، كل الأعراض ، أجبر النسـاء على السير عاريات كما ولدتهن أمهاتهن بعد أن لطخوا وجوههن ، باللون الأبيض : لم يوجه الى الاتهام ، بل لم يوجه الى أحد : كانت التهمة شائعة لا أحد يعرف من يكون القاتل . وان كان الجميع يعرفون ، لماذا قتـل القتيل ، وفجـأة استدعى رجال البوليس زميلى حسونة طالبين منه الاشتراك معهم فى البحث عن الجناة ، وبعد فترة اسـتدعيت للتحقيق ووجهوا الى تهمة القتل العمد مع سبق الاصرار . واستغربت ، كيف يمكن أن يوجهوا الى مثل هذا الاتهام ..

★★★

ان أحدا فى البدارى لم يكن يتوقع أبدا ، أن أكون أنا القاتل حتى ولو وجدت بعض الشكوك عند البعض ، فان هذا البعض لايمكن أن يتهم أحدا من أبنـاء البدارى بجريمة القتل ، فجريمة القتل لم يكن باعثها شخصيا ، وانما كان باعثها انقاذ أهل البدارى من التعذيب والارهاب ولا يمكن لأحد أبدا أن يشهد ضد قاتل ، انقذ بلده من التعذيب ، والارهاب : وعرفت فيما بعد ان أحد أعيـان البدارى هو الذى أبلغ السلطات متهما اياى بالقتل ، وكانت عملية التبليغ هذه من أشق العمليات ، التى أدخلت الاسى والحزن الى نفوس أبناء البدارى جميعا ! لقد كنا نعتقد اننا قمنا بواجبنا لانقاذ أهل البدارى من طغيان المأمور

★★★

ولم يكن يدور بخلد واحد منا ، أن واحدا ، من أهل البدارى ، يمكن أن يخون مصالح بلده ، فيرتكب تلك الجريمة ، التى هى بلا جدال ـ وعند كل أبناء البدارى ــ من أفظع الجرائم ، بل هى أفظع من جرائم القتل ذاتهـا ! وبدا التحقيق معى ، بـل بدأت عمليـة التعذيب التى لا مثيل لها فى شناعتهـا ، وفظاعتها ، اننى وحتى هذه اللحظة ورغم مرور خمسة واربعين عاما على الحادث لا أزال أذكـر كل مالقيته ، كل ماحـدث لى ، وكأنمـا الجـلاد الم يبتعد عنى من يومها الى الآن ساعة من الزمان .. ان آثار التعذيب ، الرهيب ، لا تزال

واحدة كدت أقع في الجريمة بعد أن خرجت من السجن مباشرة حاول أحد ضباط المركز ، أن يهينني فما كان مني الا أن أقفلت عليه باب غرفته وضربته علقة أنا وضابط البوليس ، ويبدى العم جعيدى سعادته المطلقة بسيادة القانون ٠

★★★

ويأبى جعيدى الا أن يدلل على متانة العلاقات التى تربط بين الشعب وبين بوليس الشعب : يذهب الى قسم البوليس ، ليقابل كل من فيه ، ان الجميع يحبونه ، ويحترمونه ، وفي مكتب نائب المأمور الرائد هشام الكيلانى ـ حيث كان المأمور غائبا ـ يجلس عم جعيدى ليتحدث بحماس الشباب عن مشاكل البدارى ، كواحد من أبنائها ، انه هو ، هو بايمانه ووطنيته لم يتغير منذ خمسة وأربعين عاما ، وان كانت مصر ، قد تغيرت كثيرا ، وكثيرا جدا ٠٠ ألم تكن البدارى فى الماضى منذ ٤٥ سنة متخلفة الى أبعد حدود التخلف ٠ ألم يكن التعليم مقصورا ، على مجموعة قليلة جدا من أبنـاء البيوت الكبيرة ، ألم تكن البدارى بلا مرافق ولا خدمات صحية ٠ ولا ٠٠ ولا ٠ فاذا بها اليوم ـ وبعد ثورة ٢٣ يوليو المجيدة الخالدة ـ تتغير فى كل شيء : نسبة التعليم ترتفع ، تخرج كثيرون ، كثيرون من أبناء البدارى : من الأطبـاء ، والمهندسين والمحامين ، و ٠٠ و ٠٠ كل التخصصات : ان فى البدارى اليوم ـ ككل مكان فى مصر ـ ، سباقا على التعليم ، ومن أجل التفوق فى التعليم : ان العلاج الطبى قد تقدم ، المبانى الحديثة والمنشآت الجديدة ، قد كثرت بشكل ملحوظ : الانتاج الزراعى قد زاد ، وخاصة الموالح ، ارتفع المستوى الاجتماعى ، كما ارتفع المستوى الاقتصادى ٠ اختفت الصراعات العائلية ، والقبلية ، زادت نسبة تعليم الفتاة بل توجد فى البدارى مدارس اعدادية وثانوية للبنات بل وتعليم مشترك يجمع بين البنين والبنات ، وهكذا تتقدم الحياة : ان الحياة لايمكن أبدا أن تعود الى الوراء ، لأن العـودة الى الوراء سمة من سمات التخلف ٠ وشعبنا لم يكن يوما ما من الشعوب المتخلفة ٠

★★★

انه صانع أقدم مدنية فى التاريخ ! ويتطلع عم جعيدى ، الى كل ما حوله من تغيرات ، وتحولات ، ويحمد الله لأنه ـ أولا ـ أدى واجبه تجاه شعبه ويكفيه فخرا ، انه كان واحدا من الأسباب التى أدت الى زوال دكتـاتورية اسـماعيل صدقى ، ويحمد الله ـ ثانيا ـ لأنه رأى ثمرة تلك الجهود ، التى بذلها ورفاقه وأقرانه والتى بذلها الذين سبقوه ، والذين تبعوه ، فى ميدان العمل الوطنى ، ثم يحمد الله ثالثا ، ورابعا والى ما شاء الله لأن مصر دائما ، بخير ، وما من انسان أراد لها السوء الا وأنقذها الله منه ، وبسرعة » ونعود من الحـديث مع عم جعيدى الى الحديث عن الصحافة واسماعيل صدقى ٠

★★★

كانت قبضة اسماعيل صدقى قبضة قوية متينـة . كان كل من يراها ويحسها ، يعتقد أنها باقيـة ما بقى اسماعيل صـدقى على قيد الحيـاة ولكن الشعوب الكبيرة ، الأصيلة الواعية ، الناضجة . تصـبر على الضيم ، تنـام بعين ، وتبقى عينهـا الأخرى مفتـوحة ! انها سرعان ما تثأر لنفسها ، ولكرامتها ، وسرعان ما تقضى على كل يد أثيمة امتدت اليها وحاولت النيـل من حريتها ومن كرامتها : واذا كان اسماعيل صدقى . منذ أن ولى رئاسة الوزارة لأول مرة منذ ١٩ يونيو ١٩٣٠ قد عادى الشعب ، الى أبعد حـدود المعاداة . فلقد كان منذ ذلك التاريخ فى حرب مستمرة مع صحافة الشعب لأنه كأى حاكم مستبد ذكى يرى أن الصحافة هى ألد أعداء الدكتاتورية والاستبداد بالرأى .

★★★

وقديما نقل على لسان السلطان محمد رشاد ، سلطان تركيا أنه قال لمراسل الديلى كرونيكل البريطانية : أن الرجل حامل السيف قادر ولكن الرجل حامل القلم أقدر ، كما نقل عن السلطان عبد الحميد ـ أعنف السلاطين العثمانيين قوله بعد خلعه : لو عدت من جـديد الى يلدزر ـ مقر الحـكم العثمانى ـ لوضعت كل محررى الصحف فى أتون كبريت : ولذلك عمـد اسماعيل صدقى منذ أن تربع على كرسى رئاسة الوزارة على ملاحقة الصحف المعارضة له : بادر بسن القوانين ، واللوائح التى تعطلها عن أداء واجبها القومى ، لجأ الى سلاح التعطيل متوهما انه باستخدام ذلك السلاح ، يتقى « شر » الصحف .. كما لجأ الى سلاح اغلاق الصحف واحدة بعد الأخرى على النحو الذى سبقت الاشارة اليه كما فعل مع كوكب الشرق والبلاغ واليوم والسياسة ، والمؤيد ، والمؤيد الجديد ، وصدى الشرق ، والأحرار الدستوريين ثم عاد مرة أخرى الى وضع شروط مجحفة لمن يصلح أن يكون رئيسا للتحرير ، كما وضـع عقوبات صارمة لحماية نظامه من كل نقد ، ولكن هل يمكن لمثل تلك الأساليب الظالمة ، المجحفة ، ولمثل تلك القوانين العنيفة الصارمة أن تجبر الصحفيين الذين يؤمنون بأن الصحافة رسالة على السير فى ركاب نظام استبدادى كنظام اسماعيل صدقى ، أو على الأقل ، السكوت عن أخطائه وجرائمه ؟! لقد تصور اسماعيل صدقى أن بامكانه أن يخضع الصحافة لسلطانه وان يقيدها بالسلاسل ، والأغلال ، ولكن الحقيقة كانت خلاف ما تصوره اسماعيل صدقى ، اذ لا يمكن لصحافة حرة أن تخضع لسلطان أى دكتاتور ولا يمكن لصحفيين أحرارا أن يقبلوا أن تقيد أقلامهم بالسلاسل ، والأغلال حتى والو ألقى بهم فى السجون ، والمعتقلات !

★★★

من شرفها ، ولقد زادتها ، المبادىء التى قررتها بعض الأحكام الابسمات خاصة ، على ما اعتقد استرسالا فى غيها واستهتارا بما تقضى به مهمتها ، وتجاوزا لكل حد فى تعبيراتها ، فأصبح الأمر فوضى حتى لقد ظن ان الشذوذ هو القاعدة ، وانه يصح ، للكاتب ، أن ينال من شرف الناس من سمعتهم تحت ستار أنه نقد مباح » .

وقضية د. حسن هيكل تذكرنا بما يمكن أن نسميه لأول مرة . « بأدب القضاء ، أو القضاء الأدبى :

الفصل السابع

صحافة الشعب تسقط دكتاتورية اسماعيل صدقى باشا

فى سنوات ما قبل الثورة ـ ما قرب منها ، وما بعد ـ وجد وبكثرة ما يمكن أن يطلق عليه تجاوزا ، أدب القضاء أو القضاء الأدبى ، ذلك لأن كثيرين من أقطاب النيابة كانوا يحرصون وبخاصة فى القضايا السياسية الكبرى على أن تكون مقدمات مرافعاتهم وكذلك نهاياتها قطعا من الأدب الرفيع ، وكذلك كان المحامون الكبار يحرصون على أن يكون دفاعهم عن المتهمين الموكلين عنهم مليئا بالكلمات المأثورة التى تبقى أو يمكن أن تبقى خالدة مع الزمن لا تبلى جدتها ، كما يقولون ، وكذلك كان أيضا بعض القضاة يحرصون على أن يضمنوا أحكامهم عبارات فيها من الأدب الرفيع ، أكثر مما فيها من استشهاد بمواد القوانين وقد أجهدت نفسى فى البحث عن علة هذه الظاهرة الفريدة فى نوعها ، فلم أعثر على ما يمكن ان اعتبره سببا رئيسيا لوجود تلك الظاهرة ، وان كنت قد غلبت الرأى القائل بأن من أسباب وجود هذه الظاهرة ، ان كثيرين من رجال القضاء والمحاماة كسعد زغلول ، وابراهيم الهلباوى ، وغيرهما وغيرهما ، كانوا من رجال الأزهر ، الشريف !

وقد كنا ونحن فى بداية عهدنا بالشباب نحفظ بعض العبارات الأدبية ، التى وجدت فى بعض المرافعات ومن بينها ـ بل وفى مقدمتها ـ عبارات جاءت على لسان أستاذنا الكبير ـ فخر المحاماة ـ أحمد لطفى وهو يترافع عن ابراهيم ناصف الوردانى وكذلك عبارات أخرى جاءت ـ فى تلك القضية أيضا ـ على لسان عبقرى المحاماة ابراهيم الهلباوى ولم يكن يستهوينا فى هذه العبارات الا عاطفتها الوطنية القوية الجياشة ، بصرف النظر عن ظروف القضية وملابساتها : من بين العبارات التى حفظناها لأحمد لطفى قوله وهو يخاطب ابراهيم الوردانى فى ابريل ١٩١٠ :

أن الوطنية الصحيحة لا تحل فى قلب ملأته مبادىء تستحل اغتيال النفس ·

فماذا تكون حال أمة اذا كانت حياة أولى الأمر فيها رهينة حكم متهوس يبيت ليله فيضطرب نومه ، وتكثر هواجسه فيصبح صباحه ، ويحمل سلاحه ، يغشاهم في دار أعمالهم فيسقيهم كأس المنون : ان جناية الوردانى لأشد ضررا ألف مرة من جناية كل مجرم قاتل أو سارق ، أو قاطع طريق ، فان هؤلاء جنايتهم فردية وجناية الوردانى على أمته ووطنه ، وهؤلاء يمكن الاحتراس منهم ، وتوقى اضرارهم ، كان فى وسعه ، أن يحارب خصمه بغير ذلك السلاح ، القاتل ، فان كان على حق ، خرج من هذا النضال بطلا شريفا سائرا به وبنفسه الى خدمة الوطن ، لا أن يلقى اليه تلك الرصاصات ليذهب به الى عدم يسير اليه اليوم قاتلا أثيما : بئست المبادىء مبادؤه · ولعنة الله عليها باسم الانسانية التى انتهكت حرمتها ، والحرية ، التى خرق سياجها والوطن الذى جنى عليه ·

★★★

ويقول أيضا عبد الخالق ثروت ، النائب العام فى قضية مؤامرة شبرا التى أتهم فيها امام وأكد ، ومحمود طاهر العربى ومحمد عبد السلام : « أغسطس ١٩١٢ : كانت هناك فئة من الأغرار ، المفتونين طاشت أحلامهم ، وعميت بصائرهم ، وقلوبهم ، وخبثت نفوسهم فلم يروا من النور الا ظلاما ، ومن اليسر الا عسرا ، ومن الخير الا شرا ومن النظام ، الا ظلما ، ومن وجوب المحافظة على القانون الا استعبادا ورقا ·· فئة عطلت عن التربية الصحيحة وتسممت عقولهم بشر المبادىء فلم يروا للبلاد ـ وهى فى طمأنينتها ، سائرة فى طريق سعادتها ـ خيرا من أراقة الدماء فيها أنهارا والايذاء بنفوس عالية ، غالية تدأب أبدا لخير أمتهم ، البريئة مما كانوا يفعلون ·

لم يروا خيرا من قتل كبراء البلاد ، المخلصين لها خيانة وجبنا ، واغتيال الأرواح الطاهرة المطمئنة خلسة وخسة ، هؤلاء ، هم المتهمون الماثلون أمامكم اليوم ليلقوا جزاء شرورهم وسوء ما كانوا يدبرون ، وان فى تاريخهم لعبرة ! ·

★★★

وينهى عبد الخالق ثروت باشا مرافعته قائلا : اننا أمام تيار جارف ان لم نقف فى سبيله نزل بعقول سفهاء شبابنا الى منزلق فيه بلاء البلاد ·· لقد بدأ هؤلاء الشبان يفكرن فى استباحة القتل ، واراقة الدماء تخلصا مما صوره حمقهم من الشقاء ، قبل أن يفكروا فى الخلاص من جهالتهم ، التى هم فيها يعمهون · ان هذه الأفكار الطائشة الخطرة كالسلاح فى يد المجنون الهائج ان لم يعجل بنزعه منه قوة واقتدارا كانت العاقبة وبالا » · ويخاطب عبد الخالق ثروت باشا المستشارين بقوله : امحوا هذه الأفكار الخطرة ، وانزعوا هذا السلاح

القاتل ، انزعوه من أيدى هؤلاء المفتونين قبل أن يصيب البلاد بشره المستطير ، انزعوه بحكم ترضاه الحكمة وأصالة الرأى ·· انكم بذلك لا تسفكون الرحمة والعدل ، بل تزيدونها جمالا ورواء أليس من الحكمة والعدل أن تبعثوا ، الطمأنينة فى القلوب الواجفة ؟ ·· أو ليس من الرحمة ان ترحموا صغارا كالغصون الرطبة أوشكت أن تلتوى على الشر تقليدا أعمى ، للمنهمين وأمثالهم ؟ » وعن القانون القائم وقتئذ يقول عبد الخالق ثروت مخاطبا القضاة : هو سلاحنا الوحيد قد وضعناه فى أيديكم نسألكم أن تصرعوا به هذا الشر الذى بدت نواجذه ، وكشر عن أنيابه ·· أصرعوه بأشد ما فى القانون الذى بيدكم ·· ليس فى ذلك من قسوة ، ولا تحيف ، فما أشد ما نحن فيه من الظروف » ·

★★★

وفى قضية مقتل السيرلى ستاك سردار الجيش المصرى ، والحاكم العام للسودان دافع وهيب دوس عن شفيق منصور قائلا وهو يخاطب المستشارين : تذكروا أن لهم عائلات يلبسها حكمكم السواد ، وأمهات وأخوات تخفق قلوبهن حنوا وعطفا ، وتجزع نفوسهن هلعا واشفاقا ، وان عليكم دينا لا تملكون سداده اذا حم القضاء ، خاطروا بأنفسهم وتعرضوا للموت قتلا ، أو حكما فى سبيل مصر بحسب معتقدهم ، والأعمال بالنيات وهذا دين يشغل ذمة كل مصرى ·· عليكم فيه بنصيبكم ، فلعلكم موفونه فى حكمكم باقالتهم من عثرتهم وأنكم باذن الله لفاعلون » ·

★★★

ولقد سبق أن أشرنا الى فقرات من مرافعة عبد اللطيف محمود ، رئيس النيابة فى القضية ، التى رفعت على الدكتور محمد حسين هيكل لأنه نشر مقالا فى جريدة السياسة تحت عنوان : نفقات حفلات الطرب ، ألم يكن الفقراء أولى بها ؟ » وننشر اليوم بعض فقرات أخرى من تلك المرافعة البليغة يقول فيها رئيس النيابة :

ولئن كان من أهم نزول الصحافة عن مستواها الذى يجب ان تكون فيه دخول هذه العناصر التى لا تقدر الأدب قدره أو تعرف للصحافة حقيقة مهمتها فلطالما ، عللنا النفس بأمل أن يقوم المثقفون من رجالها بتقويم اعوجاجها واصلاح ما فسد من شأنها والنهوض بها من كبوتها ، ولكنهم لم يكونوا عند حسن الظن بهم ، اذ سرت اليهم عدوى الأولين فاذاهم والأولون سواء : قضية اليوم تتعلق بكاتب معروف له من تربيته ، وثقافته ، ما يمنعه من استباحة قلمه · يرسله من غير حق ، فى مواقف ، ما كان أغناه عنها ، ويشرعه ، ظلما فى صدور أشخاص لا ذنب لهم ، الا انهم يقومون ، بواجبهم ، ذلك الكاتب هو الدكتور هيكل بك

الصحفى القانونى ، والأديب » .. ويختم الأستاذ عبد اللطيف محمود مرافعته بقوله : يا حضرات المستشارين اذا ما خلوتم لتقولوا كلمتكم فأشيروا الى ان حرية الصحافة أو بعبارة أخرى حرية النقد ، ليست هى حرية أخذ الناس فى شرفهم ، وفى كرامتهم بل يجب ، أن تكون فى حدود القانون مشبعة بروح العدالة ، لا لغرض الامتهان ، ان جرائم الصحافة أثرها بالغ ، وغورها بعيد . أثرها ليس مقصورا ، على المتهم ومن جنى عليه وانما يتعدى الى الكثيرين : ولن يستوى فى نظركم من يعرف القانون بتفصيله ومن له من علمه ، وتربيته ما يرشده الى حقائق الأشياء : لن يستوى هذا مع من هو جاهل بها فاذا ما أخذتم الصحفى على قدر علمه ، وضوح غرضه فانكم تقومون بالاصلاح الذى نرتجيه ، فلا يولد ، بعد ذلك ضحايا ولا يوجد متهمون : ان المطمئنين من الناس ، والقائمين بينهم يفزعون الى عدلكم وهم يرجون بعدها أن تأخذ الصحافة مكانها الصحيح مكان المهذب والمرشد الأمين ، عف اللسان ، لا سلاحا ، للتشهير والاعنات : عندئذ تكون الصحافة فى مصر للخير ، وللخير وحده .. » .

★★★

وكانت النيابة العامة قد اتهمت د. محمد حسين هيكل بأنه فى يومى ١٩ ، ٢١ ديسمبر ١٩٣٠ ، بمدينة القاهرة وبلاد القطر المصرى ، بصفته المدير المسئول لجريدة السياسة اليومية ورئيس تحريرها ، اهان هيئة نظامية هى مجلس وزراء الدولة المصرية بأن نشر فى الجريدة المذكورة فى العدد رقم ٢٥٣٦ مقالا تحت عنوان « نفقات حفلات الطرب ألم يكن الفقراء أولى بها ؟ » نسب فيها الى بعض الوزراء أنهم سلكوا سلوكا معيبا فى غير حدود الاحتشام وصدر منهم من المساخر ، ما لا يليق بأشخاصهم ومناصبهم ، كما نشر فى العدد ٢٥٣٨ تحت عنوان : حفلات الابتهاج بالأزمة ، رسما وعبارة يمثلان الهيئة المذكورة بحالة منافية للآداب » ، وقد قضى حضوريا فى الدعوى ، وبتاريخ ٢٧ مارس ١٩٣١ بمعاقبة المتهم بغرامة قدرها عشرة جنيهات مصرية وبالزامه بأن ينشر الحكم فى جريدتين بمصاريف من طرفه ، بعد ان أثبت حكم المحكمة انه قد تبين وبلا مجال للشك أن أغراض الكاتب من المقال والعبـــارات الجارحة الواردة لم تكن الدفاع عن أموال الخزينة بل النكاية بالوزراء والتشهير بهم واظهارهم فى أعين الأمة بمظهر المستهتر بالأزمة التى تعانيها وبمال الدولة وأن قصد الكاتب من كل ذلك واضح ظاهر » وقد طعن د. هيكل فى الحكم الصادر ضده أمام محكمة النقض وقدم الدفاع الكثير من الأدلة التى تنفى التهمة عنه . وكان من بين ما قدمه الدفاع عنه ان صحف الحكومة تطعن يوميا فى حزب الأحرار الدستوريين وأشخاص رجاله وأعراضهم مما لا يسيغه الأدب ومع ذلك فلم يكن محل مؤاخذة جنائية وانه لا وجه للتشبيه بين ما نشرته جريدة السياسة ورفعت عنه الدعوى العمومية وبين ما تنشره جرائد الوزارة فرفع الدعوى على رئيس تحرير السياسة

فى هذه الظروف والحكم عليه من أجل المقال الذى كان موضوع المحاكمة انما هو خطأ لا يقره القـــانون وفيـه معنى توزيع العدالة بين الصحف والبيئات السياسية بمقاييس مختلفة وهذا يخالف المبدأ الذى قررته محكمة النقض والابرام وبنت عليه » وقد ردت محكمة النقض على ذلك فى حكمها الصادر فى ٤ يناير ١٩٣٣ انه مع التسليم بأن للطاعن فى الحكم ــ د. هيكل ــ آن يشتد فى نقد أعمال خصومه ويقسو عليهم ما شاء الا ان ذلك كله يجب ألا يتعدى حد النقد المباح فاذا خرج بذلك الى حد الطعن والتشهير والتجريح فقد حقت عليه كلمة القانون ولا يبرر عمله أن يكون خصومه قد سبقوه فى صحفهم الى استباحة حرمات القانون فى هذا الباب ويكفى ان الحكم المطعون فيه قد راعى هــذه الظروف عند تقدير العقوبة وهذا أقصى ما يستطيع القاضى عمله وترى محكمة النقض ان أقل ما توصف به تلك المطاعن الواردة فى المقال والرسم انها « سب » وأن السب فى هذه الصورة لا يتعلق بالوظيفة أو الدفاع عن مصلحة عامة وأن قلم كاتب المقال لم يعف عن تناول الوزراء فى شخصياتهم ورميهم بأمور ، لا علاقة لها من قريب أو بعيد بالمصلحة العامة التى يزعم الدفاع عنها ومن حيث انه لما تقدم يتعين رفض الطعن » .

***

وكان الأستاذ توفيق دياب صاحب جريدة الجهاد ، لسان الوفد ، يحمل كل يوم حملات قوية وعنيفة على دكتاتورية اسماعيل صدقى وكانت الجماهير تتخطف الجهاد ، وفى ٢٦ ابريل ١٩٣٢ ، كتب توفيق دياب يقول : نعم أوشكت الصاعقة التى يسمونها جبل الأولياء ، أن تنقض على رأس مصر ، والمصريين وسيرجع الفضل الخالد فى هذه النكبة الخالدة ، الى صدقى باشا فى البداية والى برلمانه فى الختام ، وفى يوم ٢٧ ابريل ١٩٣٢ ــ أى فى اليوم التالى مباشرة ــ كتب أيضا يقول . اذن ماذا يدفع هذه الضمائر الى المغامرة بحياة الأمة .. أهو ان يشتروا بهذا الثمن المروع ، بقاء وزرائهم فى الحكم ، وبقاء أنفسهم فى جلاله ، شهورا أو أعواما أو دهورا .. انها لصفقة ليس يقدم عليها أى مصرى وفيه ذرة من الرحمة بنفسه وعشيرته ووطنه أو ذرة من تقدير الأشياء باقدارها : ولو كان كل يوم يقضونه فى الحكم ، ألف عام من أيام النعيم فى جنات الخلود : أيتها الوزارة وأيها الوزاريون ، أيتها اللجنة الصادرة : وأيها البرلمان المغامر ، المسألة جد ، وهى من الجد فوق ما تتصورون وليست حياة مصر ، أو موتها ملكا لكم ولا لعشرين برلمانا صدقيا ولمائة صدقى وابراهيم فهمى ، بل ليست ملكا لمصطفى النحاس ولم تك ملكا لسعد ، وانتم تعلمون من هما فى قلوب الملايين : ليست مصر ملكا للمصرى ولا لمئات المصريين من الزعماء المجاهدين فضلا عن حضراتكم أيها السادة المغامرون بحياة الوطن ، فأى ضمير يطاوعكم على أن تكلوا عنق مصر الى السيف الانجليزى اعتمادا على مجرد حسن الظن بحضارة

الانجليز ٠٠ أى عقل يهديكم الى التردى بمصر فى هذه الهاوية وهى منها بمأمن وعنها فى غنى : انها لخيانة مروعة ستبقى على الدهور بقاء ذلك السيف معلقا على رأس مصر والمصريين فهل عولتم على اقرار هذه الجناية التى لم يسبق أن اسودت بمثلها صفحات التاريخ » وقامت قيامة وزارة اسماعيل صدقى ٠

★★★

ووقف توفيق دياب أمام محكمة الجنايات بتهمة اهانة مجلس النواب واللجنة البرلمانية المؤلفة لفحص مشروع سد جبل الأولياء اذ نسب اليهما المغامرة بحياة مصر و ٠٠ و ٠٠ ولكن محكمة الجنايات برئاسة الأستاذ يس أحمد ، أصدرت حكمها بالبراءة باعتبار ان المقالين لا يحتويان الا على تحذير لمجلس النواب » ورفعت النيابة طعنا فى الحكم ، أمام محكمة النقض والابرام ٠٠ ووقف توفيق دياب مرة أخرى أمام عبد العزيز فهمي باشا رئيس النقض والابرام ، وقال ممثل النيابة ان الأستاذ توفيق دياب وصف أعضاء البرلمان بأنهم قوم لا ضمير لهم ، وأنهم فى سبيل بقاء الوزارة القائمة فى الحكم يضحون بمصلحة وطنهم وتراث أجدادهم لكى يعيشوا فى ظل تلك الوزارة ، وقال رئيس نيابة الاستئناف ــ محمد جلال ــ ان اسناد هذه المثالب لأعضاء هيئة نظامية وتجريدهم من الاخلاص لوطنهم ارضاء لشهواتهم الحزبية لا شك يحط من كرامتهم فى أعين الناس ويجرح شرفهم ويؤذى نفوسهم : وطالب رئيس النيابة بالعقوبة الرادعة للكاتب ، وأمثاله ممن لا يزدجرون خصوصا انه مثل أمام محكمة النقض منذ شهر بتهمة مماثلة فقدرت المحكمة مركزه الاجتماعى ولكنه لم يرتدع وبذلك أصبح « عائدا » ، وترافع مكرم عبيد عن توفيق دياب وشهدت قاعة المحكمة مساجلات بين رئيس المحكمة وبين مكرم عبيد ، وبعد ان انتهى مكرم عبيد من دفاعه وقف توفيق دياب وطلب ان يتكلم فسمحت له المحكمة فقال : أيا كان الحكم فانى أعتقد انكم خلفاء الله فى أرضه » وقال رئيس المحكمة استغفر الله ، وهذا كثير علينا « هم جابونا وحطونا هنا وخلاص » وضحك كل الحاضرين وعاد توفيق دياب ليقول : انى أتقبل كل حكم بكل ما أستطيع من غبطة وارتياح ولكن أريد أن أقول انى ما كتبت حرفا واحدا قصدت به الاهانة ٠٠

وأعلن الرئيس ان الحكم بعد المداولة ٠٠

★★★

وكان توفيق دياب قد خرج من قاعة الجلسة بعد أن أعلن رئيس المحكمة ، ان الحكم بعد المداولة ، الى منزل مكرم عبيد ، وبرفقته لتناول طعام الغداء ، وبينما كان توفيق دياب ، ومكرم عبيد يتناولان الطعام ، دق جرس التليفون وكان المتحدث مصطفى النحاس الذى كان يبكى وهو يقول ، ان الحكم صدر بالادانة ٠٠ ولم يضعف توفيق دياب ، بل تماسك معلنا استعداده لتنفيذ

الحكم بنفس راضية . وبعد أن تناول الغداء ، انطلق الى دار الجهاد حيث كانت الجماهير قد سبقته الى هناك لاعلان وقوفها الى جانبه ، واستنكارها للحكم العنيف الصارم ، ويقضي توفيق دياب ساعات عديدة مع زملائه الصحفيين . ويستقبل العديد من الساسة الذين هرعوا الى دار الجهاد لرؤية صاحبه قبل أن يذهب الى السجن وكان من بينهم مصطفى النحاس وأحمد ماهر ، ومحمود النقراشي . وفي الساعة التاسعة والنصف يصل الى مبنى دار الجهاد جندي من جنود البوليس يحمل من النيابة أمر القبض على توفيق دياب ، ويستأذن توفيق من الجندي بضع دقائق يكتب فيها كلمة وداع لقرائه ثم يتجه مع الجندي الى قسم السيدة زينب حيث يبيت ليلته هناك ، ليتوجه مع حراسة مشددة في صبيحة اليوم التالي الى سجن قرة ميدان لتنفيذ العقوبة الصادرة ضده وهي الحبس ثلاثة أشهر ، ولما كان الأستاذ توفيق دياب محكوما عليه من قبل بالحبس ستة أشهر كانت مع وقف التنفيذ مراعاة لمركزه الاجتماعي فقد حلت العقوبة المؤجلة وكان عليه أن يقضي في السجن تسعة أشهر . وفيما يلي الكلمة التي كتبها الأستاذ توفيق دياب والتي نشرت في الجهاد بينما كان في طريقه الى السجن : كنت أود أن أقرئ مواطني السلام ، وأن أودعهم بكلمات طيبات ، قبل أن تبدأ ساعة فراقي اياهم تسعة أشهر ولكن توارد الزعماء والزملاء ووفود الأصدقاء الى دار الجريدة ، منذ أن علموا بالحكم الذي أصدرته محكمة النقض والابرام ، وانشغالي باستضافتهم وشكرهم على هذا الصنيع الجميل ، لم يمكني من أن أكتب تلك الكلمات : تحية لمواطني وبلادي ، وابتهالا الى الله أن يجيء تحرري من قيود السجن بعد تحرر الأمة الكريمة مما تعانيه من ضروب البلاء » .

★★★

وفي السجن عومل توفيق دياب أقسى معاملة رغم انه كان يشكو من الروماتيزم . نام توفيق دياب على برش فوق الأسفلت . ارتدى ثياب المسجونين العاديين . وقامت ثورة الصحفيين جميعا رغم الخلافات والاختلافات التي كانت قائمة بينهم ، كتبوا العديد من المقالات التي تطالب بمساواة توفيق دياب بالأشرار الأجانب الذين ينامون في سجن الأجانب على أسرة ويسمح لهم بما يشاءون من الطعام والشراب . وكانت اجتماعات عديدة للصحفيين ، كل الصحفيين تنادي بتحسين معاملة توفيق دياب . وكان من أهم تلك الاجتماعات ، اجتماع دعا اليه الأستاذ داود بركات رئيس تحرير الأهرام في دار الأهرام حضره عدد كبير من الصحفيين من بينهم د. محمد حسين هيكل ، عبد القادر حمزة ، محمود أبو الفتح ، عبد القادر المازني، أحمد وفيق، السيدة روز اليوسف ورأس الاجتماع د. هيكل ، الذي رأى اشراك الهيئات الصحفية في العالم كله في الموضوع ، وأن يبلغها أن صحفيا مصريا حكم عليه بالحبس مع الشغل ثلاثة

أشهر ، وهو يعامل حسب لائحة السجون المصرية معاملة المجرم العادى ، وان الصحافة المصرية طلبت تعديل هذه اللائحة لتتمشى مع روح العصر ، والتشريع المصرى الحديث ، وقال د. هيكل « ولما كانت نقابة الصحافة المصرية متضامنة مع النقابات الصحفية العالمية فهى تطلب التضامن معها . وتأييدها فى طلب معاملة المحكوم عليهم فى جرائم النشر معاملة السياسيين فى جميع البلاد التى لها نفوذ فيها ، وقد وافق المجتمعون على هذا الاقتراح بالاجماع ، و .. و ..

★★★

وكتب أستاذنا الكبير : فكرى أباظة بأسلوبه الساخر – فى المصور . تحت عنوان : الرقيب الرقيب : صديقنا العزيز وزميلنا الفاضل توفيق دياب فى السجن ونحن فى الخارج نبدى العواطف ، ونكتب ونخطب ونتداول . ونقترح ، ونقابل وزير الداخلية ، ورئيس مجلس النواب ورئيس مجلس الشيوخ ليخففوا عنه اجراءات التنفيذ .. هل يملك هؤلاء أو أعظم من هؤلاء ذلك ؟ لا أظن نظام السجون نظام عسكرى فصاحبة الجلالة الصحافة سترتد مدحورة والأسف ملء الفؤاد ، وليس لى أمل فى مجلس النواب ولا مجلس الشيوخ ، وقد بانت لبتها عندما طرح اقتراح النائب المحترم الدكتور صالح ولا أريد أن أحتد أو أشتد تعليقا على موقف حضرات النواب المحترمين الا اذا شئت أن يكون مصيرى الى ورشة الترزية أسوة بزميلى خفف الله عنه رغم أنف السجون .

ما جرى على الأستاذ توفيق دياب قد يجرى على غيره » .

ويطالب أستاذنا اما بالغاء القانون ، أو فرض الرقابة ليرتاح القانون ، وترتاح الحكومة ، وترتاح المحاكم ، وترتاح أيضا مصلحة السجون .

وأخيرا سمح للاستاذ توفيق دياب أن ينام على سرير ، وان تضاء له حجرته فى السجن .

★★★

ويبقى بعد ذلك أن نشير الى موقف لا يمكن لنا أن نتجاهله ، ذلك الموقف المتعنت الذى وقفته صحيفة الشعب ، لسان حال حزب الشعب . الذى يرأسه اسماعيل صدقى . لقد خرجت على اجماع الصحفيين وراحت تتندر على الزملاء الصحفيين الذين قضوا حينا من الدهر يفخرون بالتضحية ويدعون اليها ، ويغرون بها ويحرضون عليها ، ويطلبون الى الأمة أن تضرب أكبر الأمثال فى الاستهانة بالروح ، والمال فما بالهم اليوم وقد أصابتهم صدمة هى أهون الصدمات فزعين جزعين يبكون تارة ويصرخون تارة أخرى ، وآونة

يذهبون مستغيثين مسترحمين ، وأكثر من هذا لقد أبى محمد علام باشا بصفته صاحب جريدة الشعب أن ينشر فى الشعب وفى المقطم بيانا ينفى فيه حضوره اجتماع الصحفيين وانه لم ينب عنه أحدا ، وان الصحفيين لو كانوا يقدرون واجب مهمتهم ، لما احتاجوا الى تعديل التشريع • وكان الصحفيون قد حاولوا الظهور أمام الرأى كوحدة فى كل ما يتعلق بأمورهم المهنية وقد اختاروا علام باشا ليكون عضوا من أعضاء اللجنة التى أوكل اليها مقابلة بعض المسئولين ، ولذلك اعتبر الصحفيون بيان علام باشا فى الشعب والمقطم بأنـــه براء من الاجتماع ، ومن الانتداب ، وانه خارج على اجماع الصحفيين ، موقف مؤسف لا بد من تسجيله •

ولم يكن اضطهاد صدقى باشا للجهاد وصاحبه وحدهما ، وانما كان اضطهادا لكل الصحف التى تعارضه •

***

وفى أيام اسماعيل صدقى باشا حدث حادث تعـــذيب آخر ــ وما أكثر حوادث ، التعذيب التى وقعت فى عهد اسماعيل صدقى ــ وسمى حادث التعذيب هذا بحادث الحصاينة وهى قرية من قرى مركز السنبلاوين ــ دقهلية ــ كـان التعذيب فى هذه المرة ، فى وجه بحرى وليس فى الصعيد ــ وكان السبب الرئيسى فى وقوع هذا الحادث أن رجال البوليس ، والادارة ، بعد أن اطمأنوا ، الى غبطة صدقى باشا ، بما يقومون به من تعذيب ، وحمايته الدائمة لهم ، بل ودفاعه الحار عنهم رغم بطشهم وعدوانهم واستهانتهم بكـل القوانين : بعد ان اطمأن رجال البوليس والادارة ، الى ذلك كله اطلقوا لانفسهم العنان فى كل حملات البطش والعسف والارهاب أو ليسوا مؤيدين من السراى ، والوزارة ؟ الم يكلف الملك فؤاد اسماعيل صـدقى بتأليف وزارة جـديدة لاخراج على ماهر ، وزير الحقانية ، الذى حمل على رجال البوليس والادارة ورغب فى اعادتهم الى جادة الصواب ؟ لقد اعتبر رجال البوليس والادارة ان اخراج على ماهر ومن وقف ، الى جانبه فى حادث البدارى ، كعبد الفتاح يحيى ، من الوزارة نصرا لهم ولذلك عادوا ــ كما يقول الاستاذ عبد الرحمن الرافعى ــ الى خطتهم مطمئنين الى أن الوزارة تحميهم وتسندهم وان السراى ساكتة على هذا النوع من الطغيان ولا تعترض على هذا البغى ، والعدوان • ولقد وقع حادث الحصاينة فى ١١ فبراير ١٩٣٣ وخلاصته ان الادارة عطلت وابورا لطحن الغلال ، ومضرب الأرز الذى يملكه الشيخ طلبه صقر من أعيان هذه الجهة ، وقام لذلك نزاع بينه وبين الادارة رفع أمره الى القضاء اذ اقيمت عليه دعوى مخالفة امام محكمة السنبلاوين فجاءت فى هذا اليوم قوة من البوليس والادارة للتفتيش على الوابور فاعترضها نفر من قبل صاحب الوابور مطالبين ببقاء الحالة على ما هى عليه حتى يفصل القضاء

فى دعوى المخالفة فحدث تصادم بين الفريقين أمر فيه مأمور المركز باطلاق النار على الأهلين فقتل منهم ثلاثة أحدهم شقيق الشيخ طلبه صقر وفتاة ، وقتل باشجاويش المركز وواحد من الجنود ، وجرح كثير من الاهلين واستولى الذعر على السكان ، ولم يقف عسف الادارة عند هذا الحد ، بل أرسلت تجريدة من أربعمائة جندى لحصار البلد وقبضت على كثير من أهلها وظلوا فى السجن الى أن أفرجت عنهم النيابة : أما قضية المخالفة التى نسبتها الادارة الى الشيخ طلبه صقر فقد حكم فيها ببراءته ، وأثبتت المحكمة فى حكمها ان الادارة تجاوزت سلطتها بالأمر ، الذى أصدرته بالغاء رخصة الماكينة واقفال الوابور ، وان هذا الأمر الادارى باطل .

★★★

وتقول الأستاذة فاطمة اليوسف فى ذكرياتها :

« يتلخص حادث الحصاينة فى أن رجال الادارة فى ذلك الوقت ذهبوا الى قرية الحصاينة مركز السنبلاوين وعطلوا وابور طحن الغلال ومضرب الأرز المملوكين للشيخ طلبه صقر الذى كان من الوفديين المعروفين ورفع الشيخ دعوى أمام المحكمة ضد الحكومة فأرسلت الادارة بوليسها لكى يمحو معالم ، ما أفسده فى الوابور قبل ان تثبت المحكمة حالته ، وتصدى الشيخ صقر ، وانصاره للبوليس فأطلق البوليس النار وسقط ثلاثة من القتلى ، وكثيرون من الجرحى وحوصرت القرية ، أياما طويلة والقى أهلها فى السجون وترتب ، على هذا الحادث أزمة فى وزارة العدل اذ قامت النيابة بتحقيق الموضوع ، وكتب النائب العام مصطفى محمد ــ تقريرا يطلب فيه الافراج عن الأهالى ورفع الدعوى على مأمور المركز بتهمة التزوير ، فى أوراق رسمية ، وكتب التابعى فى روز اليوسف تعليقا ساخرا على هذا الحادث قال فيه : ان وزير الحقانية ــ أحمد باشا على ــ قرأ تقرير ، النائب العام ثم هز رأسه وقال : نفرج عن الأهالى معلهش ؟ اما ان نحاكم المأمور بتهمة التزوير فلا » ، وهز الوزير رأسه هزة اهتز معها قانون العقوبات ، وأسبل القانون رمشه ، وصرف النظر عن الموضوع » ، وأرسلت النيابة تحقق معى ــ الكلام للاستاذة فاطمة اليوسف ــ بوصفى رئيسة التحرير المسئولة .

★★★

ولكن المقال ، كان يحمل توقيع التابعى ، فقدم الى المحاكمة أيضا ، وكان ممثل النيابة فى القضية الاستاذ محمود منصور وكان من المعجبين بالمجلة فاستهل مرافعته ثائرا ، وردد المدح والثناء عليها مشيدا بأسلوب التابعى ثم انثنى مهاجما فى عنف شديد ، منددا بطريقة النقد الجارح التى تسلكها المجلة ، أما رئيس المحكمة ــ المرحوم محمد نور ــ فقد كان « بلديات » التابعى من المنصورة ولكنه

كان رجلا محافظا ، لا يحب أسلوب التابعى ويعتبره خارجا عن الحدود الواجبة لذلك فقد كان همه أن يحصر التهمة فى التابعى وكان يوجه الى الأسئلة المتتالية بقصد اخراجى من المسئولية ولكننى تمسكت بموقفى . فصدر الحكم ، على التابعى بالحبس أربعة أشهر ، وعلى بغرامة خمسين جنيها ولم يصدر الحكم فى نفس الجلسة · وحين صدر كان الاستاذ التابعى فى الاسكندرية ، فعاد ليسلم نفسه : والتابعى ــ الكلام أيضا للأستاذة فاطمة اليوسف ــ رجل مرفه المزاج له أسلوبه الذى لا يتخلى عنه فى الطعام والشراب ، والراحة فليس غريبا ان يزعجه السجن ويضايقه ضيقا شديدا ، وكنا نشعر بضيقه الشديد وراء ، القضبان من الرسائل والطلبات التى كان يبعث بها كل يوم ، كانت له فى كل يوم طلبات ، حتى عينت موظفا خاصا لكى يحمل الى خطاباته ، ويعود اليه بما يطلب ومازلت أذكر أنه كان يطلب ــ يوميا تقريبا ــ كميات جديدة من الحلاوة الطحينية · وفى احدى المرات أرسل يطلب كافيار ، وفعلا ذهبت الى محلات لاباس ولم أفكر فى أن اشترى له كافيار سائب بل اشتريت له علبة كافيار فاخرة ، أرسلتها اليه وفى اليوم التالى جاءنى منه خطاب يتميز غيظا يقول ان « علبة الكافيار » محكمة الاغلاق وان السجن ليس فندقا فيه شوكة وسكين ليفتح العلبة وقد روى لى بعد خروجه ، كيف اضطر للاعتصام بدورة المياه يوما وكسر علبة الكافيار ، ليستطيع أن يأكلها ·· » ·

وفى الفصل التالى تفاصيل أخرى عن حياة الصحفيين داخل السجون ·· وعن المقالات التى دفعت بهم الى تلك السجون ··

الفصل الثامن

هذه المقالات دفعت بكتابها إلى السجون

لاعطاء صورة واضحة لما آلت اليه الصحافة فى عهد اسماعيل صدقى باشا ولاعطاء صورة واضحة أخرى لما لحق بكثير من الصحفيين فى عهد اسماعيل صدقى باشا نشير – فى البداية – الى ما نشره المصور فى العدد الصادر فى ٣ يونيو ١٩٣٣ حيث ورد ما يلى : تجتاز الصحافة فى هذه الأيام محنة شديدة لم تعرفها من قبل .. وكانت القضية التى نظرت فيها المحاكم : قضية مجلة روز اليوسف الغراء . وهى الخاصة باتهام كل من السيدة روز اليوسف صاحبة المجلة والاستاذ محمد التابعى محررها بالقذف فى حق وزير الحقانية والنائب العام ومأمور السنبلاوين فحكمت محكمة الجنايات يوم الأحد الماضى بتغريم السيدة روز اليوسف ٥٠ جنيها ، وحبس الاستاذ التابعى ٤ أشهر حبسا بسيطا وسيقضى الزميل التابعى مدة سجنه فى قرة ميدان .

وتضيف المجلة ان الاستاذ محمد صلاح الدين كان محامى السيدة روزاليوسف والاستاذ التابعى .

***

كما نشير فى البداية أيضا الى ما نشر فى العدد التالى من المصور الصادر فى ٩ يونيو ١٩٣٣ حيث كتب أستاذنا فكرى أباظة مقالا تحت عنوان : ماذا نكتب ؟ : عبر فيه بصدق عن محنة الصحافة فقال : بكل جوارحى ومن أعماق نفسى أشاطر الصحافة المنكوبة اليوم آلامها وأوجاعها لا من ناحية الزمالة فقط ولا من ناحية الانسانية فقط ، وانما من ناحية الأنانية الذاتية فقد يحل بكل من يحمل القلم فى هذا العصر الحديدى ؛ ما حل بأولئك الزملاء والرفقاء .. يمضى الآن الأستاذ توفيق دياب والأستاذ التابعى والأستاذ حسين شفيق المصرى ، وغيرهم ، وغيرهم أجازاتهم الصيفية لا فى ربوع لبنان ولا فى ربوع شمال ايطاليا وسويسرا وانما فى ربوع « قرهميدان » وغير « قرةميدان » من السجون الجميلة الزاهرة الباهرة ، ذات النسيم العليل والخضرة

الساحرة ، والفاكهة والظل ، والماء الجاري فياله من حظ سعيد : فى حياتى الصحفية لم يعتد قلمى أن يتعثر أو يتردد أو يتراجع ، كانت الفكرة تستوى وتتضح فى ذهنى فيجرى القلم جرى القطار السريع ، على القرطاس ، ولا أذكر مرة اننى احتجت للمسودات أو لتمزيق الأوراق أما اليوم وقد جئت أكتب هذه الكلمة الأسبوعية فقد شعرت بأن قلمى قد جبن وتضعضع وتردد وأخذ يخط ليشطب ويثبت ليمحو . ويبت ليعدل وليس فى ذلك غرابة وان قلمى لمصيب فهو مسئول عدلا ، وانصافا عن سلامة حامله . عن سلامة بدنه وسلامة صحته ، وسلامة مستقبله ، وسلامة مزاجه فى هذه الأيام العصيبة وفى هذا العصر الغريب الأطوار . ويقول فكرى أباظة « الكاتب منا الآن كاتب مزور زائف يكبح جماح قلمه خوفا ورعبا فلا تبدو فكرته للقراء على حقيقتها لأنها تقدم اليهم وقد سرت فيها عوامل الجبن والحذر والحرص واللف والدوران والفرار من خيال العقاب وشبح السجن وهذا هو الموقف الحالى على حقيقته وهو موقف من شأنه أن يقضى على فن الصحافة وأن يهبط بها الى الحضيض ، اللهم حوالينا ، ولا علينا يا رب ، « اللهم لا نسألك رد القضاء ،ولكن نسألك اللطف فيه » .

★★★

وفى نفس العدد من المصور موضوع بعنوان : فى سجن « قره ميدان » حديث مع الأستاذ محمد التابعى وقد جاء فى الموضوع ما يلى : قرع باب السجن فى الساعة العاشرة والربع، من صباح يوم الاثنين الأسبق اليوزباشى محمد أفندى يوسف الضابط بالمكتب السياسى بمحافظة القاهرة ، وفى رفقته الاستاذ التابعى وكان المنظر طريفا فكلاهما « يعزم » على صاحبه أن يسبقه بالدخول الى أن دخل الأستاذ التابعى أولا وفى أثره الضابط ، ورأى السجانون والمساجين لأول مرة منذ سنوات سجينا يرتدى بدلة زيتية اللون مفصلة على أحدث طراز وقد وضعت فى عروتها « فلة » جميلة وتدلى من جيبها منديل حرير ، من النوع الرشيق ، وقد وضع السجين الجديد ، نظارة قاتمة على عينيه ليتقى أشعة الشمس : وكان يحمل فى يديه كتابين من تأليف أميل اودفيج ، وكتاب الضاحك الباكى مهدى اليه من مؤلفه الأستاذ فكرى أباظة » . ويقول كاتب الموضوع : رحت فى يوم الأربعاء أبحث فى أنحاء سجن مصر ، عن سجين الوجاهة فقيل لى انه فى دور رقم ٦ ، بالغرفة ٦٤ عنبر ٩ وفى الحق ، لم أفهم كيف اهتدى اليه بهذه الرموز التى اختلطت على .

وطفقت أطوف هنا ، وهناك الى أن عثرت على ضالتى واذا بى أراه جالسا على كرسى لدى باب غرفة مفتوحة وكان يرتدى بيجامة حريرية أنيقة من فوقها روب دى شامبر وجيه وقد وضع على كتفه فوطة يمسح بها عرقه من حين الى حين وسجن قرة ميدان فى الصيف قطعة من السعير قلت : ولم لم تنزل الى حوش السجن لتقضى فترة نزهتك ؟ قال : وما الفائدة من النزول وهو مقفر لقد

جعلوا نصف الساعة المخصص لنزهتى ، فى غير مواعيد سائر النزلاء حتى لا أرى أحدا ، ولعلهم أرادوا أن يحولوا دون لقائى بالاستاذ توفيق دياب قلت : ألم تره ؟ رأيته أول يوم من بعيد ، وقد تبادلنا التحية بالاشارة وحملنى الفضول على التطلع الى داخل الغرفة ثم استأذنته فى الدخول فاذن ورأيت حجرة مقبضة ، ليس فيها سوى البرش ، والمرتبة والبطاطين ، وفى ركن منها جردل وكوز ، قلت : لعلك مبسوط ؟ وأشار الى الجردل والكوز باسما وقال : وأى انبساط ؟

★★★

● أهذا كل أثاث الحجرة ؟

● ● أجل بل انه يزيد على استحقاقى بهذه « المرتبة » المؤلمة .

● لقد سمعنا أنك منحت سريرا ، وطعاما فكيف وجدت طعامك بعد السجن ؟ .

● ● الطعام !! اننى لم آكل شيئا منذ وطئت قدماى أرض السجن بل لم أتناول جرعة ماء واحدة .

● ولماذا ؟ .

● ● أما الطعام فانهم لم يصرحوا لى باحضاره من بيتى كما اعتقدت ، انه من حقى ، وهم يحضرون لى لبنا وشوربة من المستشفى ولكننى لا أحس برغبة فيهما ، وأما الماء فقد عافته نفسى رغم ظمئى وقد لبثت الى الآن أكثر من أربعين ساعة دون أن أشرب جرعة واحدة من الماء ، انظر .. ونظرت فاذا به يشير الى الكوز ورأيت الكوز هو قاتم بغيض يعكس على الماء لونا يحمل على الغثيان .

● قلت : معذور ؟

● ● أريت كيف يعامل الصحفى ؟ .

● هذا رهيب !

● ● ولكنه هين فى سبيل العقيدة والمبدأ .

● وكيف تقضى الوقت ؟

● ● فى المطالعة نهارا والسهر ليلا .

● وأين تسهر ؟ .

● ● فى هذه الغرفة التى لا يدخلها سوى نور الشمس ، فأنا مجبر على محاولة النوم منذ الغروب ولذا أقضى الليل ، ساهرا ، فلم يكن من عادتى النوم عند الغروب .

وفى الختام يقوم كاتب الموضوع :

وخرجت أنعى الصحافة التى يقولون انها صاحبة الجـــلالة وهى لم تلم

شعبها للآن وتجعل من تضامن رعاياها قوة تكفل لمثل هذا الصحفى الذى تقول النيابة العمومية انه مبتكر وانه مبدع فى فنه ، معاملة ترفعه عما يعامل به المجرم العادى ، من قاتل وقاطع طريق فلا يبقى ظمأن أربعين ساعة وتعاف نفسه ، رغم الظمأ ، أن ينشد الرى من ذلك الكوز الحقير » !

★★★

وفى الحقيقة ، لم يكن توفيق دياب ، ومحمد التابعى ، وحسين شفيق المصرى وغيرهم ، من زملائهم الكتاب والصحفيين الذين دفعوا ضريبة الكفاح الوطنى ، هم المسجونون بأيدى رجال اسماعيل صدقى ، ونظامه ، وانما كانوا هم سجانى ذلك النظام : كان نظام اسماعيل صدقى ، أضعف منهم مئات المرات ، وكانوا هم أقوى منه بكثير .. فما الذى كان يملكه نظام اسماعيل صدقى ، وما الذى كانوا يملكونه هم : كان نظام اسماعيل صدقى يملك السيطرة على بضع مئات من رجال البوليس والادارة ، لا ينفذون أوامره الا مرغمين خشية الفصل أو التشريد وكان أولئك الكتاب ، والصحفيين يملكون السيطرة على الشارع السياسى ، اليقظ الواعى ، المتفتح المستعد دائما ، للانقضاض على خصوم الحرية ، وأعدائها .. كان الشعب كله مع تلك الفئة المختارة من الكتاب والصحفيين الذين أثروا ، الوقوف ، الى جانب الشعب فى محنته القاسية الرهيبة : الشعب كله معهم بجميع رجاله ونسائه ، وأطفاله ، بجميع فئاته ، وهيئاته ، وطبقاته وأحزابه ، وبالطبع فيما عدا قلة ضئيلة من المنتفعين بحزبى الشعب والاتحاد : لم يكن الشعب يقف الى جانب هؤلاء وحسب وانما كان يرى رأيهم ، ويعرف جيدا ، انهم طلائعه ، الواعية الثائرة ، وانهم ما دخلوا السجون وما تحملوا العنت والارهاب ، الا دفاعا عن حريته ! عندما كان الصحفى الوطنى يحاكم كان الشعب يقف خارج المحكمة ، ينتظر من يحاكم ، يصفق ، ويهتف له من الأعماق ، ويستمر ، الهتاف والتصفيق له الى أن يدخل السجن ، كان شارع محمد على ، على طوله ، يمتلىء كل يوم بجماهير الشعب التى تنتظر هذا السجين أو ذاك لتعلن وقوفها الى جانبه ولتعلن تحديها للسلطة ، التى اعتقلته ، وسجنته وعندما كان يحكم عليه كانت الاجتماعات السياسية فى كل شارع ، وفى كل حى ، فى كل مدينة ، وفى كل قرية تؤيد ، السجين ، وتشد أزره وتشيد بجهاده ، حتى وهو فى سجن قرة ميدان كانت جماهير الشعب ، التى لا تعرف هذا الصحفى الا من قلمه تتوافد ، أمام ذلك السجن لمجرد ابداء مشاعرها تجاه ذلك الصحفى السجين !

★★★

لم يكن الصحفيون وقتئذ مجرد موظفين بل كانوا فى مقدمة قادة الرأى العام ، يضحون بكل شىء فى سبيل آرائهم : لا يابهون بالسجون ، والمعتقلات ، أو بالفصل والتشريد ، لانهم أصحاب مبادىء : وكانت الحكومة بكل امكاناتها

المادية والأدبية عاجزة عن السيطرة على أى قلم من تلك الاقــلام الشريفة ، النظيفة : كانت الحكومة تبذل كل ما تملك من وسائل الاغراء لشراء قلم ما فاذا ما عجزت ــ وغالبا ما كانت تعجز ــ كانت تلجأ الى أساليب التهديد والوعيد فتصادر الصحيفة التى يعمل بها بعد أن تكون معدة للتوزيع ، تعطل الصحيفة لأيام ، وبعد ذلك بشهور ، تم تعطلها نهائيا ، وأخيرا تلجأ الى سلاح الاعتقال والسجن ·

وللحقيقة ، وللتاريخ أيضا نقول ان الصحافة وقتئذ ــ وخاصة صحافــة الأحزاب الشعبية لا الأحزاب الحكومية ــ كانت تعتمد على ذاتها : على التوزيع والاعلانات ، والدعم الذى كانت تتلقاه من الأحزاب التى تعبر عن آرائها لم يكن دعما ماديا ، بل كان ــ فى الغالب أيضا ــ وعيا شعبيا يتمثل فى اقبال جماهير الحزب ، على قراءة الصحيفة ؛ التى تنطق باسمه وبفضل هذا الدعم الشعبى ، القوى ، المتزايد كانت الصحف تقوى ، وتصبح قادرة على مواجهة الحكومات ، الطاغية الباغية كحكومة اسماعيل صدقى ·

★★★

وعندما كان الصحفى المحكوم عليه يخرج من السجن بعد المدة ، التى حكم عليه بها ، كان خروجه من السجن بمثابة مظاهرة سياسية : وكانت السرادقات تقام ، فى أكثر من مكان للترحيب ، به وكانت التلغرافات من كل أنحاء البلاد · ترسل اليه ، مهنئة مباركة وفى بعض الأحيان كانت بعض الصحف تفرد العديد من صفحاتها لنشر برقيات التأييد ، والتهنئة : وكان الصحفى يخرج من سجنه أقوى بكثير مما كان قبل أن يدخله : ان السجن لم يضعف معنوياته ، وانما كان سببا فى تقويتها ، التعذيب فى السجن ، لم يجعله يتراجع ، عن مبادئه ، وانما يجعله أشد ما يكون تمسكا بها ، وهكذا كانت حكومة اسماعيل صدقى ، تضعف كلما سجنت صحفيا ، وكانت حركة المقاومة الشعبية تزداد قوة وعنفا ، عندما تصادر الحكومة صحيفة معارضة !! خرج التابعى ــ مثلا ــ من سجنه ليستقبله أستاذنا الكبير فكرى أباظة بمقال له فى روزاليوسف يحمل العنوان التالى : من السجن الصغير الى السجن الكبير يقول فيــــه : لقد خرج التابعى من السجن الصغير الى السجن الكبير : ليست حرية الأكل ، والشرب والنوم ، هى كل شىء · هناك حرية الفكر ، وحرية الرأى ، وحريــة الضمير ، واين هى فى الســجن الكبير ؟ يدك سجينة ، رأسك سجين، عينك سجينة ، لسانك سجين : الصحافة سجن ، الخطابة سجن ، الاجتماع سجن ، الرأى الحر سجن : أرأيت يا سيدى الحر الطليق ، اليوم انك مغالط ؛ وان الذين يهنئونك مغالطــون وان الذين أفرجوا عنك مغالطون : انما الأحرار حقا هم أولئك الذين يرتكبون الجرائم فى الصميم ، وفى وضح النهار وفى كهرباء الليل ، ولكن تحميهم الرتب والالقاب والمناصب ، والدهر ، الغادر فلا يجرؤ ، باغ ، أو شاهد ، أو مستبد ، أن يقول

لهم ثلث الثلاثة كام فى وسط هذا الغمام ، والقتام ٠٠ انما الأحرار حقا هم أولئك الذين لا تفكر رءوسهم الا فى خيرهم ، والذين لا تهتز ضمائرهم الا لأشخاصهم ، والذين لا يكتبون الا للمادة ، ولا يخطبون الا للمادة ، ولا يتحمسون الا للمادة : هؤلاء ، لا يعرفهم السجن الصغير ، ولا السجن الكبير ، فهم أحرار ما داموا بغير قلوب ، وهم أحرار ما داموا لا يعيشون الا للجيوب : خبرنى : أصحيح انهم لا يعيشون الا للجيوب : خبرنى : أصحيح أنهم لم يقتلوا فكرك فى السجن ؟ أصحيح ، انهم لم يسكتوا قلبك فى السجن ؟ أصحيح ، انهم لم يقصفوا قلمك فى السجن ؟ لئن صح هذا فماذا فعلوا ؟ حرموك من الفراخ ، والحمام : والفراش الوثير والماء المثلج ومن القطار ، الطيار ، ومن استانلى وسان ستفانو ، ومن حمرة الخدود وسواد العيون ، ودقة الخصر ، ولكن ها قد عدت اليها جميعا ولم تترك لهم قلبك ولا رأيك ولا قلمك ، ولا قراءك : أنت الرابح : فهنيئا لك برأس مالك الجديد » ٠

★★★

ومن بين المجلات التى شاركت فى الحملة ، على نظام اسماعيل صدقى ، مجلة كان اسمها النجوم وكانت قاسية ، الى أبعد حدود القسوة على اسماعيل صدقى وحكومته ، فى العدد الصادر بتاريخ ٦ سبتمبر ١٩٣٠ ٠

أ ــ نشرت المجلة على الغلاف الأول لها صورة رمزية تمثل صورة دولة صدقى باشا رئيس الوزراء ، وأصحاب المعالى وزراء الحقانية والزراعة والحربية بملابس الحمام يطاون على بحر فيه نسوة يسبحن وكتبت تحت هذه الصورة العبارة التالية :

فى سان ستيفانو : أبو داود : اتفضلم نستحمه كلنا شلة يا دولة الباشا دى وردة ودى فلة قوم حط ايدك على اللى يعجبك فينا ٠

دولته : يابو داود « يا جدع » بدى ! لكن خايف أنزل ولا أطلعشى تانى وانته مش شايف البحر هايج ، وبكره الموج حيرمينا ٠

ب ــ صورة رمزية بالصحيفة الخامسة ــ وأنا أنقل هنا من حكم محكمة النقض والابرام ــ تمثل حمارا بوجه انسان بسيما صدقى باشا يحتضن فتاة وكتب تحتها زجل منه :

يا جحش أم السباع ، من يبقى لك حمار ٠٠
طالع تبرطع ، وسايب سليمان سمسار
يا جحش روح اتلهى يكفى البلد تنهيق
لا العض ينفع ، ولا رقصك ولا التشليق

ج ــ صورة رمزية بالصحيفة نمرة ٧ تمثل صاحب الدولة صدقى باشا

ساقطا من فوق جواد يركبه ، وكتب فوقهـــا « ولا كل من ركب الحصـــان خيال » .

د ـ مقال بالصحيفة الثالثة عنوانه : «حول رد صدقي على أمير الشعراء» ، جاء فيه ، « تذكر ـ يا صدقى ـ أيام ابتلينا بك وزيرا ، فكنت على الانتخاب شرا مستطيرا ، وعلى وطنك نارا وسعيرا ، تذكر اقالاتك ، تذكر يوم طردت من السراى فى الزمن الخالى : يا أشباه الوزراء . ولا وزراء : صدقنى اننى أشفق عليك بل وارثى لحالك بالرغم مما اضمره لك من كراهية ، وبغض : اننى كلما دنت ساعة سقوطك ، ورأيت الأمة راشتك بسهامها ورأيت ابهة الحكم ، وعظمة السلطان تتوارى ، رويدا رويدا اشفقت عليك ، يا صدقى لا لأنك لا تستحق ذرة من العطف ، اذن فلتهبط الى هوتك ، غير مأسوف عليك ، وانتظر يوم الحساب فانه يوم عسير .

★★★

وكذلك «طبع ونشر بالعدد الصادر فى ٢٤ أغسطس ١٩٣٠ صورة رمزية لرفعت باشا تحتها زجل جاء فيه :

لـيلة ما نمت فى أتومبيـلك وسـواقك
ســابك تبيت « مجرج » قول لى ايه سابك
سـكران مطين وريحة الخمر فى أشـنابك
والصبح رحت الديوان يا مغرم اش نابك
خــلى العبـــارة ، بقى ياناس مغطيـــة

وقد اتهمت النيابة صاحب النجوم أولا : بانه أهان صاحب الدولة صدقى باشا وحضرات أصحاب المعالى وزراء ، الحربية والحقانية والزراعة بسبب تأدية أعمالهم الادارية فى شئون الحكم بطبعه ونشره بالعدد الرابع من مجلة النجوم المشتملة على تلك الصور والمقالات المتضمنة لاهانتهم بسبب تأديتهم وظائفهـم وثانيا بانه سب وقذف رفعت باشا بما طبعه ونشره بعدد ٢٤ أغسطس سنة ١٩٣٠ من تلك الصور الرمزية وجمل الزجل السابقة الذكر فحكمت محكمـة جنايات مصر ، بتاريخ ٢٧ أكتوبر ١٩٣٠ فى التهمة الأولى . بالبراءة من تهمة الاهانة آخذة فى ذلك بأن الصور الرمزية لا تمس أعمال الموظفين من ناحية ادارتهم لشـــئون مناصبهم ، ثانيا : باعتبار ما وقع من المتهم فيما كتبه تحت الصورتين المنشورتين سبا علنيا ، عاقبت عليه المتهم بغرامة قدرها عشرة جنيهات وحكمت فى التهمة الثانية بغرامة عشرة جنيهات على اعتبار ان ما وقع من المتهم كان سبا فقط ، وقد طعنت النيابة فى حكم محكمة الجنايات وقد قبلت محكمة النقض والابرام ، الطعن فى هذا الحكم واعتبرت ان التهمة الأولى : اهانة موظف بسبب أعمال تتعلق بوظيفته وان التهمة الثانية تهمة سب ، وقذف معا ، وليست تهمة سب فقط .

ومن تلك الصحف ، أيضا ، التى قست فى الهجوم ، على دكتاتورية اسماعيل صدقى جريدة «الصريح» ، وقد كتبت فى ٢ مارس ١٩٣٣ ـ وكان ماكتبته موضع محاكمة أمام محكمة الجنايات ـ تقول : تحت عنوان : واجب الأمة : استقالت وزارة صدقى باشا ، أو لم تستقل : ان الأمة تتملكها رغبات تجيش بنفوس أبنائها أن تستقيل وزارة صدقى باشا أن ينتهى هذا الجو المظلم الحالك ، وتسود الطمأنينة وتستقر ، النفوس ، والواقع ، انه ليس أحب الى هذه الأمة ، من أن تسقط هذه الوزارة والا ترى وجهها الى الابد ، ولا وجه أى وزارة أخرى تشبهها فى الحجر على الحريات وايذاء أغلبية الشعب بشتى ضروب القهر والاعنات ،

★★★

وتنشر نفس الصحيفة فى ٩ مارس ١٩٣٣ صورة دولة اسماعيل صدقى باشا ، رئيس الوزراء جالسا على مقعد ويتولى المندوب السامى ، ادارة آلة للنفخ تتصل برجل صدقى باشا ، وأمامها أثقال حديدية كتب على الأول منها : الدفع بالذهب ، وعلى الثانى شركات انجليزية وعلى الثالث المصالح الأجنبية وعلى الرابع خـزان نسانا ، وعلى الخامس جبل الأولياء وتحت الصورة عنوان أحلام وآمال ، والعبارة التالية « انفخ وشد حيلك قوى برده ببركة أنفاسك الطاهرة ارفع دول واجعص من دول ، بس اياك مكدونالد ميفرحشى فينا العدا » ٠

★★★

وفى العدد الصادر فى ٢٣ مارس ١٩٣٣ ، تنشر نفس الصحيفة تحت عنوان: سياسة الاشاعات: هل استفادت مصر من دراستها وقد جاء في الموضوع: شهدت مصر من وراء هذه الوزارة فوق ما شهدت من صنوف الكيد والعدوان والقهر والطغيان وسائل غريبة ، فى الدعاية البقائها فى الحكم بواسطة صحفها وبواسطة صحف أخرى تحمل أسماء مصرية ٠٠ ؟ وترى محكمة النقض والابرام ، أن نقد الآراء السياسية مهما حصل التسامح فيه لا يبرر السب بأقذع الألفاظ وأفحش المثالب ، ومن حيث ان المتهم الأول يدفع بحسن نيته فيما كتب وفيما صور وهو ـ كما تقول محكمة النقض والابرام ـ قول هراء ، لان القصد الجنائى فى جرائم السب والاهانة يعتبر متوافرا متى كانت ألفاظ السب ، وعبـارات الاهانة متضمنة لتعبير معين أو خادشة للناموس أو الاعتبار ولا شك أن الصور ، وعبارات السب والاهانة ، التى وجهها المتهم ، الى المجنى عليهم والتى تقدم بيانها مقذعة بذاتها خادشة للشرف والكرامة ٠

★★★

ولقد كانت وزارة اسماعيل صدقى لاتكتفى بتقديم ، الصحفيين الى محكمة الجنايات بسبب ما ينشرونه ضدها من مقالات ورسـوم كاريكاتيريـة ، وغير كاريكاتيرية وانما كانت تعامل أيضا كتاب المنشورات ، وموزعيها ، كما تعامل

الصحفيين فى جرائم النشر ، باعتبار ان المنشورات التى تطبع وتوزع ، ضمن جرائم النشر : وقد حدث أن اعتقلت الوزارة حسن حسن النحاس لأنه فى يوم ٢٠ فبراير ١٩٣١ وفى قسم الدرب الأحمر ، وزع منشورا عليه توقيعه ، وقد اعترف بأنه ، كاتبه ، وقد جاء فى هذا المنشور : الى أهالى الدرب الأحمر : اسألوا الله الرحمة مما أنتم فيه من ظلم ، وفقر ، ومعسرة ، وأدعوه مخلصين أن يرفع عنكم أثقال عهد بان غدره ، واستفاضت منه الشكوى ، فان لم تدرككم رحمة الله فشر محيط ، وهلاك مبين : الوزارة الحاضرة ، قتلت الحريات واستباحت الحرمات ، بعد أن وأدت الدستور واستحدثت دستورا جديدا ، تأبى كرامة الناس طاعته واحترامه ثم أشكلت عليها المسائل ، وأحاطت بها النكبات فاتخذت ليا من سقط القوم حزبا مريضا بعد أن يئست من تأييد الأمة وعطفها · والوزارة تريد الآن ان تجرى الانتخابات ، وان تخلق نوابا هم أولئك ، الانصار المرضى ، ولست أدرى بلوى أمعن فى حرب الأمة ، وأدخل فى ضرها من هذه الانتخابات التى ان نجحت تذهب بآمالكم وحرياتكم جميعا · هل تريدون أن يطول عهد هذا الحكم ، ويمتد بكم ظلمه ، وطغيانه وهل ترضى كرامتكم أن يكون موضع الرأى منكم أولئك المرضى من أنصار الحكومة والمحسوبين ، على حزبها أن أردتم أن يباع جهادكم رخيصا فادخلوا الانتخابات وان أردتم الكرامة والعزة ، ان أردتم العدل ، والنظام ، والحرية ، ان أردتم زوال هذه الوزارة ، وما تقترف ·· ان أردتم خير الأمة ونصرها فقاطعوا الانتخابات فى جميع أدوارها ، ولا تعبأوا ، بنتائجها ، وحينئذ يدول حكم هذه الوزارة ويذهب سلطانها ، وتشرق على البلاد أنوار دستور الأمة وتعلو كلمتها » ·

وآخر كلمة فى المنشور اقرأ هذا واعطه لغيرك يقرؤه ·

★★★

وقد أحيل كاتب المنشور ، وموزعه ، الى محكمة الجنايات فقضت ببراءة المتهم ورفعت النيابة نقضا فى الحكم الى محكمة النقض والابرام التى رأت أن العبارات الواردة فى منشور المتهم ، هى عبارات فى غاية الاقذاع وقد جاءت بأسـلوب عام ، لاتبرز فيه واقعة معينة بالذات يمكن القول ، بان المتهم كان ينتقدها ، وان قيام هذا الدستور « دستور ١٩٣٠ » بالفعل ، ووجوب طاعته واحترامه ، وعقاب من يحاول تحريضا على كراهيته كل ذلك يجعل الهيئة التى استصدرته بمنجى من كل تعريض بكرامتها ويجعل من يهيئها لهذا السبب مستحقا للعقاب والا اضطربت الأعمال العامة ، واختل النظام ، ولا محل للقول بسـلامة النيـة أو بسوئها مادام الموضوع طعنا وتجريحا ؛ فيما يعصم فيه القانون المجنى عليه من كل طعن وتجريح ·

وبمناسبة الحديث عن أحـكام محـكمة النقض والابرام نذكر هنـا أن

المحكمة ، عندما قضت بمعاقبة الأستاذ توفيق دياب فى جريمة نشر المقالين الخاصين بمشروع جبل الأولياء ، واهانة صدقى باشا واللجنة البرلمانية الخاصة بمشروع جبل الأولياء ، الم تر ما ارتأته محكمة الجنايات التى برأته مما نسب اليه من أن العرف جرى على المساجلة بالعبارات الحماسية ، والأساليب التجميلية؛ وألفاظ التهويل والمبالغة والتحذير ، والترهيب لمجرد التأثير على النفس وحملها على التصديق فى الشئون التى ليس من المستطاع حمل المناظر ، على تصديقهـا بالطرق البرهانية الهادئة كالحال فى مسألة جبل الأولياء ، هذا الرأى ــ رأى محكمة الجنايات ــ لا تجيزه محكمة النقض والابرام ، بل انها تصرح بأن فيه خطرا على كرامة الناس ، وطمأنينتهم وتشجيعا للبذاءة ودنس الشتائم ، والحقيقة ليست بين التهويل ، والتشهير والمبالغة والترهيب بل هى نبت البحث الهادىء والقول الكريم واذا كان لحسن النية مظهر ناطق فانه الأدب فى المناظرة ، والصدق فى المساجلة ؟؟

***

ولكن ماذا كانت تحوى مقالة : « نفقات حفلات الطرب ، الم يكن الفقراء أولى بها ؟ » .. التى شغلت محكمة الجنايات ، ومحكمة النقض والابرام بعدها وقتا طويلا ، وكان الحكم فيها تغريم د. محمد حسين هيكل عشرة جنيهات ، وكانت الغرامة من بين الأسباب التى حالت بين د. هيكل ، وبين رئاسة تحرير السياسة : تلك الرئاسة التى كانت مسندة اليه منذ صدور العدد الأول .

المقالة ــ من ناحية المساحة ــ لا تتعدى ، عمودا وربع العمود ، من الجريدة، والعنوان لم يزد ــ فى المساحة أيضا ــ على عمودين ، ولكن المقالة جمعت من النقد العنيف القاتل لنظام اسماعيل صدقى ما لم تجمعه مقالة أخرى سابقة من مقالات السياسة : بداية المقالة أشارة الى أسف الأمة لان الادارة ومن ورائهـا الوزارة قد رأت أن الاحتفال بمناسبة كريمة يتمثل فى اقامة حفلات ســاهرة تحييها مغنية أو مغن ، يجتمع المدعوون حولها أو حوله ، ويصغون الى صوتها ، أو صوته ، ويطربون لحظة ، وكان الله يحب المحسنين .

***

ويتساءل كاتب المقال : « هل ينفق المال فى حفلات طرب وغناء أم ينفق على الفقراء نقدا ، أو طعاما ، يسدون به خلتهم ، أو يملأون به معداتهم ؟

ويجيب كاتب المقال، على هذا التساؤل بقوله : ان اختصاص الفقراء بهذا المال الذى سخت به أيدى القادرين كان أفضل ، ولكن رجال الادارة أظهروا أنهم لا يحسنون تقدير المواقف ، وأثبتوا أن مستوى تفكيرهم بعيد كل البعد ، عن أن يتصل فى أية ناحية بحالة الأمة ومقتضيات ما هى فيه من الظروف العصيبة

لكان من قلة الذوق أن يجتمع من لا حاجة بهم الى طعام ، أو شراب من وزراء ، أو رجال ادارة ووجهاء في حفلة يأكلون فيها ويشربون ويطربون بالسماع ٠٠ على حين يكاد سواد الشعب تلتصق بطونه بالتراب من شدة الفاقة ، وثقل وطأة الأزمة ، وفدح المصاب بها ، ولو أن فقراء هذه البلاد كان العطف بهم والحدب عليهم هو مظهر الاعراب عما تنطوى عليه النفوس من الولاء لكان هذا أوفق من كل الوجوه واليق وأولى في هذه الازمة الطاحنة ، ولما خسر الوزراء أو رجال الادارة الذين حضروا حفلة الطرب ، شيئا ما لأنهم ليست بهم حاجة الى شيء » ٠

★★★

ويقول كاتب المقال : « ويقابل سوء التحرى للمناسبات والتوخي لمقتضياتها من هذه الناحية سوء تصرف من ناحية الوزارة فقد أسرفت في انفاق المال لمناسبة افتتاح قناطر نجع حمادى أسرافا دهش له الناس في هذه الأيام وحملت خزانة الدولة مبالغ جسيمة في الوقت الذى تقول فيه ان الحاجة ماسة جدا الى اقتصاد الملاليم ، والى تعطيل المشروعات ووقف الأعمال الجارية المضمونة الفائدة » ٠

ويقول كاتب المقال في نهاية مقاله ـ ولعله هو الذى أثار ثائرة صدقى باشا ووزرائه ـ وشر من ذلك ما أتصل بنا عما صدر من بعض الوزراء في الأقصر من المساخر ، التي لا تليق بأشخاصهم ومناصبهم ٠ ولا ننكر آن لهم أن يرسلوا أنفسهم على سجيتها ولكننا ننكر أن يكون ذلك منهم في غير حدود الاحتشام » ٠ الى أن يقول كاتب المقال : « وقد يكون افتتاح القناطر من دواعي السرور العام ، أملا فيما تؤدى اليه من الخير الشامل ولكنه ما يجب أن يلاحظ أن السرور بافتتاح القناطر ، لا ينفى أن الأمة تكاد تكون في مأتم من الضنك ، فهلا يشعر الوزراء أن عليهم على الأقل أن يحترموا الروح الذى خلفته الازمة ، روح الكآبة الفاشية والسهوم الشامل ، والانقباض السائد ؟ ألا يرون أن الواجب الانسانى يفرض عليهم أن يتحاشوا جرح هذا الشعور والاساءة اليه بعدم الاكتراث له ، وتجاهله أم لابد أن يثبتوا أنهم في كل شيء في واد والأمة كلها في واد » ٠

★★★

والجدير بالذكر ، انه الى جانب هذا المقال ، خبر من مراسل السياسة في الاسكندرية يقول ان محكمة جنايات الاسكندرية قضت بتغريم ابراهيم خميس أبو شومية من أهالى دمنهور خمسمائة قرش لانه وزع منشورات مطبوعة ، في قهوة عمومية ، حوت عبارات مهينة للوزارة الحاضرة ٠ وانه قد عرضت على غرفة المشورة بمحكمة اسكندرية قضية اتهام صالح محمد صالح الجزار بانه في ١٣ نوفمبر الماضى عاب علنا في حق الذات الملكية وقد كان

« حضرة قاضى الاحالة » · قرر احالة القضية على المحكمة الجزئية فطعنت النيابة فى هذا القرار طالبة احالة القضية على محكمة الجنايات · وقد استجابت غرفة المشورة الى ما طالبت به النيابة وقرر قاضى الاحالة ، احالة المتهم الى محكمة الجنايات ·

***

وتحت هذين الخبرين مطالبة أهل العسيرات باقالة وزارة اسماعيل صدقى ورد دستور الأمة اليها ، واعادة الحرية والحياة النيابية الى البلاد ، وكان من بين الموقعين على هذه المطالب ـ كما تقول السياسة ـ خليل أبو رحـــاب ، سعد الدين أبو رحاب ، عبد الله فواز ، وكل أسرتى ، أبو رحاب ، وفواز ··

وعلى أية حال فقد كانت الصحافة المصرية فى مقدمة المعاول التى هدمت نظام اسماعيل صدقى باشا ··

الباب الثانى

الفصل الأول

نظام اسماعيل صدقى ينهار من الداخل

● فى مقدمة القضايا السياسية الهامة والخطيرة التى ساهمت فى انهيار دكتاتورية اسماعيل صدقى باشا ، قضية الخطابات المزورة ، أو ما سمى بقضية المفاجآت · والقضية فى بدايتها ـ تتلخص فى أن النيابة العامة اتهمت الأستاذ عزيز ميرهم المحامى ، والأستاذ توفيق دياب رئيس تحرير « الضياء » : الأول لأنه حصل على خطابات تتضمن أمورا شائنة لو صحت لكانت فضيحة كبرى لحزب الشعب وحكومته والثانى قام بنشر تلك الخطابات فى الصحيفة التى يرأس تحريرها ، وجسم الجريمة فى هذه القضية ـ كما يقول اخواننا رجال القانون ـ عبارة عن خطابين موجهين الى رئيس حزب الشعب ، وتقرير آخر مرفوع الى مدير لجان الحزب · وفى التقرير اشارة الى رصد مبلغ ألفى جنيه لمساعدة المرشحين المرغوب نجاحهم فى الانتخابات من الاحزاب الموالية للحكومة وتوزيع المبلغ بواسطة مفتش الداخلية المختص بعملية الانتخاب حيث قام بمهمته خير قيام » ·

وفى التقرير أيضا اشارة الى مأمور قسم شبرا الذى كان نشطا فى عمله ، مؤديا واجبه للحزب بكل ولاء واخلاص ، واشارة الى مأمور الأزبكية الذى أخلص فى النهاية بعد أن رفع ضده تقارير تثبت نزعته الوفدية ، وبعد أن ظهرت نية فصله من الخدمة ، وفى التقرير أيضا اشارة الى أن متبولى أفندى صفا الذى تسلم مبلغ ٧٠٠ جنيه لتنظيم حفلات الدعاية للمرشحين وبكل أسف ـ هكذا فى التقرير ـ ثبت لنا أنه لم يراع الأمانة فضلا عن أن المرشحين شكوا الينا ـ الى محمد علام باشا مدير ادارة حزب الشعب ـ استغلاله للحركة باستلام مبالغ منهم لصرفها فى أساليب ابتدعها ، للدعاية ، ولم ينفذ منها شيئا » وقد نفى عزيز ميرهم سرقة الأوراق من حزب الشعب وتزويرها ـ كما اتهمته النيابة ـ وقال ان بعض الأشخاص التابعين لحزب الشعب هم الذين عرضوا عليه احضار هذه الأوراق ، ووجهت الى توفيق دياب تهمة القذف فى حق رئيس الوزراء ، ورئيس الحزب

وعلام باشا فنفى التهمة معتبرا نشر ما حصل عليه من أوراق ليس سبا ، أو قذفا ٠ وعندما بدأت المحكمة في سماع شهود الاثبات قرر علام باشا ان الاختام المطبوعة على الأوراق لم تكن هي الخاصة بحزب الشعب ٠ وفي المحكمة استطاع مكرم عبيد ، باشا ان يوقع أحد شهود الاثبات واسمه زكي خطاب ، وأثبت خبراء الخطوط محمد علي سعودي ، وعلي نجيب ، وعبد الرازق عوض ان زكي خطاب هو الذي زور التقرير ، المنسوب صدوره الى علام باشا وان ناشد مسيحة هو شريكه في تزوير ، الخطابين وختمي حزب الشعب و ٠٠ و ٠٠ ورفعت المحكمة الدعوى على الشاهدين زكي خطاب ، وناشد مسيحة ، وأمرت بالقبض عليهما

★★★

وتوالت المفاجآت حيث قبض على طالب اسمه محمد أحمد خطاب اشترك أيضا في عملية التزوير ، وهو ابن عم علي زكي خطاب ، وطلب المتهم ناشد مسيحة رد رئيس محكمة الجنايات محمود غالب ، لان رئيس المحكمة لا يستطيع الحكم في القضية بغير ميل ، ويرد رئيس المحكمة على طلب رده بقوله : لم يذكر المتهم سببا واحدا ، يحملني على اضطهاده ومحاباة عزيز ميرهم ، وتوفيق دياب ويسمح له أو لغيره أن يقول اني لا يمكنني الحكم في القضية بغير ميل فاني لا أعرفه ، ولا أعرفهما قبل هذه القضية ، ولم اتصل يوما ما بالوفد ولا بغيره من الأحزاب السياسية لان طبيعتي لا تسمح بذلك ، ولو كنت من الجبناء ، ضعاف النفوس أو من ذوي المطامع ، والشهوات لكان حزب الشعب الذي يرأسه دولة رئيس الحكومة ، أولى بالمحاباة من الوفد ، الذي لا يستطيع نفعا ولا ضرا وقد خدمت القضاء ، حوالى ثمان وعشرين سنة ولم يجرؤ أحد ؛ حتى ممن حكمت عليهم أن يتهمني بالتحيز والانحراف عن الحق والعدل ، فاذا جاء اليوم ناشد مسيحة هذا يتهمني بالميل ، بعد أن أتهمته بالسرقة والتزوير ، فلا يقابل مثله من مثلي الا بالتسامح ، والصفح الكريم ٠

وعن المناقشة ، التي جرت في المحكمة قال محمود غالب : كل غرضي من المناقشة هو أن أتبين الحق من الباطل وأقتنع بالحق قبل الحكم به وهذا أجدر بالقاضي من حبس ما قد يجول بخاطره الى أن يبنى حكمه مع أنه قد تبين خطأه اذا ما أبداه ، ومكن الخصوم من مناقشته : اني لم أقصد من المناقشات سوى الوصول . الى الحق ، على اني لو كنت متشبثا برأي معين كما يقول ناشد لما أتعبت نفسي ، وغيري بهذه المناقشات ولكن أيسر لي أن أظل ساكنا حتى تتم المرافعة فأدلي بهذا الرأي عند المداولة ، وأفاجيء الخصوم بما أحكم به ٠٠

وتحكم محكمة استئناف مصر برفض طلب الرد ٠

ويبدأ ناشد في اعترافاته ، ويقول الأستاذ محمود منصور رئيس النيابة وهو يقدم القضية : ان المتصلين بالأحزاب السياسية قلبوا النضال السياسي

الذى يجب أن يكون خالصا لله وللوطن الى عراك فيه هدم للأخلاق والفضيلة ولم يتورعوا عن أن يضربوا أسوأ الأمثلة في الكذب والاختلاق فكانت أسلحتهم السرقة والتزوير،والقذف بدلا من الدليل يقرع الدليل، والحجة تصدع الحجة: ان على رأس المتهمين ــ هذا ما قالته النيابة ــ شخصا مثقفا هو عزيز أفندى ميرهم درس القانون وكان فى يوم من الأيام عضوا فى مجلس الشيوخ الذى يشرع القوانين ويسنها ومع ذلك فلم يتورع عن أن يحرض على السرقة سرقة أوراق يعلم انها ليست ملكا للسارقين والكنها ملك لخصوم ولا يتورع عن أن يرشى ليتم له الوصول الى هذه الأوراق ، وهذه الرشوة ثابتة ! وينهى ممثل النيابة مرافعته بقوله :

★★★

ان القضية هى قضية أخلاق بل استغفر الله ، هى قضية ســـوء أخلاق ، من أشخاص نزلوا الى تلويث أيديهم بأخس الجرائم وأدناها وكنا نتصور أن يظهر من هذه القضية أن الأخلاق لم تتلوث الا بين فئة من عامة الناس ولكن ظهر انها تلوثت بين فئة ما كنا نود ، أن تسود بينها ، ونرجو أن تلقوا بحكمكم درسا فى كيف يجب أن يكون النضال بين الاحزاب وانه يجب أن يكون بوسائل « شريفة »

★★★

ومن بين ما قاله مكرم عبيد فى مرافعته : ان هذه القضية ليست قضية العدالة والقانون وحسب بل هى أيضا قضية المنطق والبداهة : ان النيابة قلبت الأوضاع فاخذت البرىء ، بجريرة المذنب ، وتركت المجرمين ، يضحكون منها فى أكمامهم، ولانها ــ وتلك هى الطامة الكبرى ــ قد استندت الى شهادة أولئك المجرمين لتأييد الجريمة ، على غيرهم من الابرياء الشرفاء • النيابة قد ظلمت نفسها أكثر مما ظلمتنا ، لقد ظلمتنا لأن دعواها ضدنا غير عادلة وظلمت نفسها لأن دعواها غير معقولة • ويقول مكرم : القضية الحالية هى أشد القضايا السياسية خطورة لان السياسة لعبت فيها دورا من أقذر ما لعبته فى مصر ، وبعبارة أخرى ، فـــان الأقوياء قد سلطوا السياسة التى لا ضمير لها ، على هذه الأمة النبيلة التى اشرابت الى الحياة بدافع من شعورها ، فلما لم يجـــدوا سبيلا الى نظمهـــا ، وحرياتها ، عمدوا الى أخلاقها يحاولون تحطيمها لكى تضـــيع الأمة ، بضياع أخلاقها وتموت نهضـــة المصريين ، بموت نفوسهم : لتكن السياسة حربا ، أو فلتكن لهوا ، ولعبا•ولكن اذا بلغ الأمر بالسياسة أن تتخذ من التزوير وفساد الأخلاق ، سبيلة للانتقام ، من خصومها ثم تلبس مســـوح التقوى لتلصـــق بالابرياء جرائمها فقد آن لكم يا حضرات القضاة وأنتم صفوة أبناء مصر ، أن تنقذوا مصر من وهدة تردت فيها ، وان تعلنوا الناس جميعا ان النفس البشرية حرم مقدس يحرم على السياسة القذرة أن تطأه بنعالها وان العدالة البشرية ، التى رأينا منها مثلا رائعا فى عدلكم تأبى أن تفلت السياسة المجرمة من وزر

أعمالها » !! وينهى مكرم عبيد مرافعته ـ فى أكثر من مائة صفحة من القطع الكبير ـ بقوله : ان القضية ليست جناية على عزيز وحده ، ولا على المتهمين وحدهم ، ولا على البلد وحدها ، ولا على السياسة وحدها ، وانما هى واقعة فوق هذا كله ، على أخلاق هذا الجيل وأنهم بعد أن حاربوا وحدتنا حزبيا وحاربوا نهضتنا سياسيا يحاولون محاربة الأمة فى نفوسها ، وفى ضمائرها ولم يبق لنا سوى النفوس والضمائر قوام ولم يبق للبلد رأس مال ، غير هذا حرام ان تحارب أمة ناهضة ناشئة بارتكاب أدنا صنوف الدنايا ، وان يفسدوا القلوب ليشبعوا البطون ، وان يقتلوا المشاعر والأفكار ، ليحيوا الشهوات والأجسام : لقد نكبت مصر فى حريتها وفى كرامتها ، وفى نظمها ولكنهم يحاولون الآن أن ينكبوا مصر فى وجدانها فتباع الذمم ، والكرامة فى سوق الارزاق بثمن بخس دراهم معدودات وتنزل القلوب الى مستوى البطون فيأكل الناس ، ويشربون وينامون ولا يشعرون

***

وتصدر محكمة جنايات مصر فى ٥ يناير سنة ١٩٣٢ برئاسة محمود غالب بك وعضوية أحمد لطيف بك ، ومصطفى حنفى بك حكما ببراءة عزيز ميرهم ، وتوفيق دياب مما نسب اليهما ومعاقبة ناشد مسيحة وزكى خطاب ـ شاهدى الاثبات ـ بالحبس مع الشغل ثلاث سنوات ومحمد أحمد خطاب بالحبس مع الشغل مدة سنتين .

***

وقد كانت قضية الخطابات المزورة ، أو قضية المفاجآت بمعنى أدق ، بكل ما جرى فيها من أحداث وتطورات ، وبالمرافعات ، القوية ، البليغة التى استمرت أسابيع عديدة ثم بالأحكام التى انتهت اليها ، من العوامل الهامة والبارزة التى كشفت نظام اسماعيل صدقى وما به من ظلم ، وعنت وفساد .

ومن بين القضايا ، التى كان لها ، أيضا أثرها فى زعزعة دكتاتورية اسماعيل صدقى قضية القنابل التى اتهم فيها كثيرون من بينهم ابراهيم عبده الفلاح ، وأحمد عزب ، وعبده عبد الرسول ، وشوقى سليمان ، وصادق حسن ، ومحمد على بدر ، وصبحى شنودة ، وحامد نصر ، وكان د. نجيب اسكندر المتهم السابع عشر ، فى تلك القضية وكان كثيرون من أقطاب المحاماة ، قد أخذوا على عاتقهم مهمة الدفاع عن المتهمين ، على رأسهم ، محمد نجيب الغرابلى ومكرم عبيد ومحمود سليمان غنام ، وزهير صبرى ، وكان فى مقدمة شهود الاثبات سليم زكى ، وأحمد طلعت ، وأحمد حمدى ومحمد توفيق رفعت باشا ومحمد علام باشا ، وهانم حسن ، وحميده على بدر ، وبنواجا كرينى ، وانطون كاكورانس و .. و ..

ومن أبرز أحداث تلك القضية تنحى الاستاذ محمود غالب بك رئيس محكمة الجنايات عن نظر تلك القضية ، وكان لتنحى محمود غالب بك ضجة كبيرة وخطيرة ظلت الصحف تكتب عنها في صفحاتها الأولى ، أياما ، وأياما .

★★★

وكان الدكتور طه حسين عميد كلية الآداب قد نقل من منصبه الى وزارة المعارف وأحدث النقل ضجة كبرى في الجامعة ، فاذا بحادث تنحى محمود غالب يكاد — كما قالت المصور وقتئذ — ينسى الناس حادث ، عميد كلية الآداب . وما جره في ذيوله من نتائج « ولا غرو فان حادث تنحى محمود غالب بك هو أول حادث من نوعه : وحسب هذا الحادث ، الأول ، أن يكون قد حدث في مثل هذه القضية الخطيرة لكي يتضاعف ، اهتمام الناس به وخصوصا بعد الاشاعات التى راجت قبل الشروع في نظر القضية بمدة قصيرة من أن الغرض من تأليف دائرة جديدة في محكمة الجنايات هو الرغبة في نقل قضية القنابل من دائرة محمود بك غالب ، الى دائرة أخرى ، ويقول المصور أيضا : « ومع أن محمود غالب بك أمسك عن اعلان الأسباب ، التى حملته على سلوك المسلك الذى سلكه فقد تضاربت الروايات فى الباعث له ، على ذلك » ومحمود غالب بك مشهور بين زملائه ، بنزاهته ، وصدقه ، وغضبه للحق وعدله ومن بواعث الاغتباط أن نسمع عنه مثل هذا الاطراء من خصومه فان في ذلك ، أكبر تشريف لهيئة القضاء عندنا » .

★★★

وقد كانت جلسة التنحى من أخطر الجلسات في تاريخ المحاكم ، المصرية ففى يوم ٢٣ مارس ١٩٣٢ كان الازدحام على أشده في قاعة المحكمة ولكن هيئة المحكمة ، لم تتجه الى المنصة كما تعودت ان تفعل في صبيحة كل يوم ، وطال النقاش حول تأخير فتح الجلسة واختلفت الأقوال وتشعبت وتعددت الروايات واختلفت وراجت الاشاعات في جو الجلسة وفي الأجواء الأخرى ، خارج ، وداخل المحكمة وبخاصة عندما استدعى حضرة صاحب العزة غالب بك عند الساعة العاشرة لمقابلة سعادة رئيس محكمة الاستئناف وبعد أن مكث معه حوالى ٢٥ دقيقة نزل الى غرفة المداولة .

★★★

واجتمع بزميليه ومعه حضرة صاحب العزة ، السيد عبد الهادى الجندى المستشار ، و .. و .. ونزل الجميع الى غرفة المداولة ، وخرجت هيئة المحكمة وعقدت الجلسة في الساعة الواحدة وعشر دقائق وعلى أثر افتتاح الجلسة التفت حضرة الرئيس الى عبد الرحمن أفندى سلامة سكرتير الجلسة وقال : اثبت ما يأتى « لقد اجتمع لدى من الأسباب ما يحملنى على التنحى عن نظر هذه القضية وأرى أن من الحكمة أن أمسك عن ذكر الأسباب ويكفى أن أشير انى لم أخضع

فى تصرفى هذا الا اسلطان ضميرى ، وأبدى أسفى . لما يترتب على هذا التصرف من تأخير النظر فى القضية حتى يعين من يخلفنى » وبناء عليه قررت المحكمة ايقاف النظر فى القضية حتى يعين من يخلف رئيس المحكمة ثم رفع الرئيس الجلسة على الفور ، والحاضرون مأخوذون بأثر ذلك الحادث ، الخطير ٠

★★★

ولما لم يتمكن حضرات المحامين من ابداء شعورهم نحو تنحى حضرة رئيس الدائرة فى الجلسة قصدوا على الفور الى غرفة المداولة يتقدمهم صاحب السعادة محمد نجيب الغرابلى باشا وصافحوا حضرة غالب بك وزميليه وقال سعادة النقيب : « الغرابلى » بمناسبة تنحى حضرة رئيس محكمة الجنايات عن نظر هذه القضية : رأينا من واجبنا نحن المحامين أن نبدى له شديد أسفنا لوقوع هذا الحادث وشكرنا لما أبداه أثناء نظر هذه القضية من رحابة الصدر والحرص على أن تسير العدالة فى مجراها الطبيعى ، مع الاعراب عما تركه هذا الحادث فى نفوسنا من شعور الحزن ، العميق لتخلى ركن من أركان العدالة ، عن نظر القضية ولا يسعنا الا الاعراب ، عن أجلالنا ، واحترامنا ، للرئيس الذى ملأ قلوبنا اطمئنانا ، على سير العدالة وان ثقتنا فى قضائنا المصرى تجعلنا نشعر بهذا الاطمئنان دائما ان شاء الله » وقال الأستاذ مكرم عبيد يكفى محمود بك غالب فخرا ، وشرفا ، ان الأمة المصرية بأجمعها وليس المحامين فقط يقدرون كفايته ونزاهته ويعتقدون انه من أشرف وأكرم القضاة ، الذين رأتهم مصر ، وقال الأستاذ ابراهيم الهلباوى بك : ان المحاماة تأسف لعدم اعطائها الفرصة لتسجيل ألمها من هذه الفاجعة التى أدمت القلوب » ورد محمود غالب بقوله : أنا شاكر فضلكم وآسف لوقوع هذا الحادث وأعتقد أن حسن ظنكم جعلكم تبالغون ، فى التقدير واننى آسف جدا لما جشمتكم أياه من المصاعب أثناء نظر القضية وأعتقد أن كل زملائى يقومون بما كنت أقوم به ولا فارق بين أحد منهم وبينى ، وكلكم تطمئنون اليهم ٠

★★★

وقال الهلباوى مرة أخرى : أنا عجوز المحاماة ، وردا على قولكم أقول ان المحاماة تشاركك فى الثقة بجميع القضاة ولكن تدخل جهات أخرى من وراء ستار ، هو الذى يجعل جو الطمأنينة لرجال العدالة مشوبا بشىء من الريب وليس ذلك سبب حزننا فقط ، بل انفطار قلوبنا ٠ ولما خرج محمود غالب ليستقل سيارته قوبل من جميع الحاضرين ، بالتصفيق والهتاف بحياة العدل ، وحياة المستشار غالب بك ٠ ويدعى مجلس نقابة المحامين الى الانعقاد وكذلك تدعى الجمعية العمومية للمستشارين أيضا للانعقاد ٠ ويتم اختيار محمد بك نور ليرأس المحكمة مع زميليه محمد نجيب سالم ، وابراهيم ثروت بك ومن

الأحداث التى وقعت فى تلك القضية أيضا انسحاب المحـــامين ، من القيـام بواجبهم ، فى الدفاع عن المتهمين فقد حدث ، ان طلب الاستاذ مكرم عبيد ، ان يتم مرافعته ولكن المحكمة رفضت طلبه فاصر عليه وحدثت مشادة واعتبر مكرم عبيد ما جاء على لسان رئيس المحكمة ماسا بمهنة المحاماة ، فتداول مع زملائه وقرروا الانسحاب من الجلسة ، ولم ينسحب نجيب الغرابلى باشا وبعض زملائه الذين رأوا أن ما قالته المحكمة ليس ماسا ، بكرامة المحامين وأصدرت المحكمة حكمها على كل محام من المحامين المنسحبين بغرامة قدرها ٥٠ جنيها وكان الذين انسحبوا مع مكرم عبيد ، هم الأساتذة زهير صبرى ، محمد يوسف ــ محمود سليمان غنام ــ أحمد أغا ، رافع محمد ، وطالت جلسات المحاكمة ، التى كانت الصحف تنشر ــ وبتوسع ــ كل يوم كل ما يدور فيها ولم يصدر الحكم الا فى سبتمبر ١٩٣٢ وكانت البراءة من نصيب د. نجيب اسكندر وبعض المتهمين الآخرين مثل صادق حسن وشعبان أحمد شعبان وشوقى سليمان الخ .

● تعقيب مستشار سابق ●

السبب الحقيقى فى تنحى محمود غالب عن نظر قضية القنابل

أتلقى كل يوم رسائل عديدة تعقب على ما جاء بسنوات ما قبل الثورة من أحداث كبيرة ويتفضل بزيارتى كثيرون ممن شاركوا فى تلك الأحداث موضحين بعض الأمور أو متحدثين عن بعض الاسرار التى ظلت خافية طوال تلك المـدة الطويلة ومن بين من تفضل بزيارتى الأســـتاذ على عرفة رئيس سابق لمحكمة الاستئناف ، وقد سلمنى ــ أطال الله حياته ــ هـــذا التعقيب : الذى ننشره شاكرين :

ذكرتم ان قضية الخطابات المزورة ساهمت فى انهيار عهد صدقى كما نوهتم بقول مكرم أنها كانت جناية على أخلاق هذا الجيل ثم ما حدث بعد ذلك من تنحى محمود غالب رئيس محكمة الجنايات عن قضية القنابل . حركت هذه القضايا فى خاطرى بعض الذكريات .

أما عن قضية القنابل فقد استند غالب فى تنحيه الى أسباب قال أنه من الحكمة أن يمسك عن ذكرها ، أما الآن وقد أصبحت هذه القضايا فى ذمة التاريخ فليس ما يمنع من كشف النقاب عن أسباب التنحى .

★★★

دعى ذات ليلة أيام الجلسات الى منزل أحد عضوى الدائرة وهناك فوجىء بهيئة المحكمة كاملة ورئيس محكمة الاستئناف منضما الى الاجتماع والجميع

مجمعون على ضرورة استبعاد ما أدلى به متهم أمام المحكمة من أنه رأى فيما يرى النائم رؤيا عن الملك ، فرفض محمود غالب استبعاد ما سبق له اثباته حتى اذا كان من رأى الملك أن فيه ما يمسه · وحول ذلك دار الجدل فأبدى استعداده للرد على النيابة ان هى طلبت ذلك الاستبعاد فى الجلسة ·

تمسك كل طرف بوجهة نظره فلم يجد بدا من التنحى عن القضية · وبعد الجلسة توجه الى على ماهر وزير العدل وأبلغه انه سوف يذيع أسباب تنحيه اذا لم تستبدل الهيئة بأكملها بما فيها ممثل النيابة فأجيب الى طلبه ·

حكمت الدائرة الجديدة بالادانة وكانت نيته قبل التنحى أن يعيد تحقيق القضية فى الجلسة ويمحص اعترافات قيل بانها شابتها شـوائب · فارقته ملابسات القضية طوال الليل · ونقول فى غير تعرض لسلامة الحكم انه ظل بها مشغول الخاطر · أربع سنوات حتى تولى وزارة العدل فكانت باكورة أعماله ان استصدر قانونا بالعفو عن الجرائم السياسية فبادر المحكوم عليهم من السجن الى وزارة العدل يهتفون للعدالة » ·

***

أما عن قضية الخطابات المزورة وما اقترنت به من مفاجآت فقد توقف السير فيها حتى رفض طلب الرد المقدم ضده ثم استمرت الاجراءات الى أن انتهت بقلب أوضاع القضية فأصبح الشهود محكوما عليهم والمتهمون شهودا ·

وليست أهمية القضية مقصورة على الناحية السياسية باعتبار ان حزب الحكومة هو الذى لفقها أو الحكومة نفسها ولكن لها من الجانب الآخر أهميتهـا القضائية فربما لأول مرة فى تاريخ القضاء المصرى تنفرد محكمة الجنايات دون النيابة صاحبة الدعوى العمومية بتحريك الدعوى فى الجلسة ، وان كان تحريك محكمة الجنايات للدعوى جائزا فى القانون ·

هذه التصرفات توضح الى أى مدى يمارس القاضى مهمته الشاقة فى نطاق القانون ومن خلال يقظة الضمير والصلابة فى الحق ·

يسوقنا الحديث الى أن بعض الصحف نشرت فى الخمسينات ان فى السفارة البريطانية ملفات سرية للزعماء والوزراء · وفى ملف محمود غالب ما يفيد أن محكمة النقض ألغت الحكم الصادر فى قضية الخطابات المزورة ونددت به ·

هذا غير صحيح لأن الطعون وان لم تكن قد قدمت من النيابة وحدها وانما قدمها أيضا المحكوم عليهم والمدعون بالحق المدنى فقد رفضتها محكمة النقض فى الجملة وكان يرأسها عبد العزيز فهمى وكلنا يعرف من هو عبد العزيز فهمى ·

والذى يؤخذ من حكمها أنها لم تعترض على تجاوز العرف القضائى فى سبيل تحرى الحقيقة وصالح العدالة ٠

***

هذا القاضى محمود غالب قيل بعد خروجـــه من الوزارة انه عرض عليه منصب قضائى كبير فاعتذر عن قبوله لأن القاضى اذا اشتغل بالسياسة لم يعد يصلح للقضاء ، ولكن ربما يعجب القارىء اذا علم ان هذا المعتذر نفسه ظل يمارس عمله فى الوزارة فى وقت لاحق ورائده الضمير القضائى ، من ذلك ان مكتبه كان يتلقى القضايا المحكوم فيها بالاعدام فتبين فى قضية منها ان المجنى عليه وان جاء فى نتيجة التقرير الطبى انه يجوز أن تكون الوفاة نتيجة أصابته بعيار نارى الا أن فى صلب التقرير ما يفيد انه كان به مرض آخر ظهر أثناء علاجه ٠ ولفظ « يجوز » تعبير تقليدى فى معظم التقارير الطبية ومع ذلك نوقش الطبيب الشرعى شفهيا فى مكتب الوزير فادخل الشك فى سبب الوفاة فأصبح القدر المتيقن فى الجناية وهو الشروع فى القتل لا يبرر الاعدام فما هو الحل بعد أن استنفدت الاجراءات حتى أمام محكمة النقض ؟! استصدر الوزير أمرا ملكيا بالعفو الجزئى ونجا الجانى من الاعدام بالاشغال الشاقة ٠٠ وتم تحقيق ادارى فيما نسب الى المهندس عبد العزيز أحمد كانت ومذكرة وزير الأشغال نطلب احالته الى المعاش ٠ وقبل انعقاد مجلس الوزراء تبين انه كان يسأل فيطلب قبل الاجابة الاطلاع على بيانات فى الأوراق فلا يلتفت الى طلبه اعترض وزير العدل فى مجلس الوزراء على الطلب وتمسك بأن يتاح لهذا المهندس الكبير ولو فى محكمة ادارية حق الدفاع فأحيل الى المحكمة التأديبية العليا برئاسـة الوزير نفسه فتوافرت الضمانات ولم يكتف المجلس بالبراءة وانما اقترن الحكم بالثناء على عمله ٠

لعل فى هذه الأمثلة عن تصرفات هذا القاضى سواء منها ما كان فى القضاء أو ما كان فى الوزارة ما يرسم صورة صحيحة لضمير هذا القاضى ومدى حرصه على رسالة العدالة ٠ ولكن من أسف اعتبر فى عهد السلبيات انه من الوزراء الذين أفسدوا الحكم قبل الثورة ٠ ثار الرجل لكرامته وكان مريضا ٠ ومع ذلك تحدى بأن يذكروا قرارا وزاريا صدر منه أو قرارا لمجلس الوزراء شارك فيه يؤيد هذه الفرية ٠ ولكن كان من الطبيعى الا تنشر الصحف هذا الدفاع ٠

مستشار سابق
على عرفه

قضية الاعتداء على اسماعيل صدقى :

ومن بين القضايا التى كان لها دويها أثناء حكم اسماعيل صدقى قضية محمد على الفلال الذى اتهم بمحاولة الاعتداء على اسماعيل صدقى باشا وقد كان النائب العام هو الذى تولى توجيه الاتهام ، الى الفلال وكان من بين ما قاله محمد لبيب عطية بك : حملت أمانة الدعوى العامة وهى دعوى خطيرة تنوء بها الجبال الرواسى ولكن خطرها تحوطه روعة ويحفه جلال يتأسى به من يعرف الواجب ويصبو الى حسن القيام به ، بالامس كنت جالسا بينكم أشاطركم ما تعانون من مشقة في استظهار الحقيقة واستخلاص غوامضها وكنت التمس معكم عون بارىء الكائنات الذى يعلم السر واخفى ، واستلهمه كما تستلهمون صواب الرأى ، وطمأنينة اليقين فلا عجب ، وهذه حالى ، وتلك دخيلة نفسى ان شعرت اليوم فى موقفى أمامكم ، بعبء مضاعف الأثقال ، عبء الأمين على دعوى الهيئة الاجتماعية ذات الخطر العظيم ، وعبء الزميل ، الذى عليه لزملائه وقد لابس ما يعانون واجب الجهد لهم ، حتى يطمئنوا الى ما به يقضون : نادانى هذا الواجب من أول لحظة توليت فيها تحقيق تلك القضية فلبيت نداءه وسرت فى سبيلى على نحو أرجو أن يكون رائدى فيه لم يغب وبغيتى منه لم تفت والرضا عنه ، لن يضن به : جعلت رائدى أن يكون تحقيق النيابة التى حلت عملا ، فى نظامنا القضائى محل قاضى التحقيق محوطا ، بكل ما يلبسه ثوب تحقيق ذلك القاضى ، ويكسبه مميزاته ، ويزينه بضماناته ففسحت للمتهم كل ما وسعنى الفسح له ،

★★★

وسارعت الى اجابته فى كل ما طلب وارحت هواجسه مما خشى وأوصلت رجاءه بعنوانه فى الكبيرة والصغيرة ، وهيأت له فى أولى خطوات التحقيق الاستنجاد بمن يدافع عنه فأبلغت رسالته لنقابة المحامين لتنتدب له من يستودعه سره ، ويرعى مصلحته » ، وينهى النائب العام محمد لبيب عطية بك مرافعته بقوله وهو يخاطب القضاة : ارسموا لانفسكم بواسع خبرتكم ، ونافذ بصيرتكم ، حال البلاد ، وقد أصبح كل عظيم فيها هدفا لنار أى شقى تربعت فى نفسه الشريرة هذه الأفكار الخطرة ، تلك حال أستعيذ بالله منها : هى مضيعة للطمأنينة ومقتلة للنبوغ ، ومفسدة لنفس العاملين بل هى حفرة يتردى فيها اخلاص المخلصين ونشاط المجددين وايمان الصالحين ، أنتم قضاة الحق ، ولكنكم أيضا مربو الخلق، وكلمة العدل ، التى بها تنطقون يتجاوب صداها في نفوس ناشئة، ونفوس ثائرة ، ونفوس فزعة حائرة فاجعلوا حكمكم رسالة عدل وبلاغ : عبرة وبشرى سلام ، واذا جنحتم الى الرحمة فاشملوا بها النشء وقد أوشك أن يلتوى ، والبلاد وقد دب فيها ذلك الداء الوخيم : أنتم أطباء النفس كما أنتم قضاة العدل والطبيب البصير لا يتردد ، ولا ينى عن الرحمة ، وازنوا بين روعة الرحمة وقد

حلت بالبلاد والنشء وبين ضآلتها ان هي حلت بهذا المجرم العتيد ، ثم اقضوا قضاءكم والله معكم ، انه نعم الهادى ، ونعم النصير » وكان من بين ما قاله الاستاذ بسطا شكرى محامى المتهم : لقد عثر النائب العام فى مفكرة المتهم يوم ١٦ مايو ١٩٣٣ وهو يوم الحادث ، على وردة حمراء ذابلة كان المتهم يستنشق عبيرها ، ويسمع لقولها صبح هذا اليوم وفى الوردة الحمراء ، كما يقول هوجو شاعر الفرنسيس معنى الحب ، والحياة فهو فى هذا اليوم تشـــع من وردته حب الحياة ، وحياة الحب فان ذهب ليقابل رئيس الوزراء ووردة الحياة فى جيبه فهو انما ذهب ليطلب الحياة ، ليطلب الخلاص ، لا ليزهق روحا ، أو يفعل شرا كأنى بالمتهم يرغب أن يقول ما قالت مدام لافارج لرئيس جمهورية فرنســا تطلب منه انصافا : مولاى لقد يئست اثنى عشر عاما من عدالة البشر ، ولكنى اليوم ، وقلب فرنسا يخفق من قلبك التمس اليك يا مولاى قليلا من الشمس لحياتى ، ورعاية سامية لمحنتى » ٠

ويحكم القضاء ، على محمد على الفلال الشهير بسلطان بالأشغال الشاقة لمدة خمسة عشر عاما ، ويطعن المتهم فى الحكم ، ولكن محكمة النقض والابرام برئاسة مصطفى محمد بك وعضوية زكى برزى بك ومحمد محمد حسين بك ، وأحمد أمين بك ، وعبد الفتاح السيد بك تؤيد حكم محكمة الجنايات ٠

***

وكان للدكتور طه حسين أكثر من قضية مع وزارة اسماعيل صدقى وكان طه حسين وقتئذ عميدا لكلية الآداب وقد بدأت الأزمة بصورة لحفلة شاى أقامها طلبة وطالبات كلية الآداب بمناسبة نجاحهم فى مشروع القرش ، هذه الصورة التى التقى فيها الطلبة والطالبات بمعيدهم د٠ طه حسين كانت سببا فى تقديم أحد أعضاء مجلس النواب استجوابا الى وزير المعارف حيث جلس فى الصورة الطلبة بجوار الطالبات وقد قيل انه فى أعقاب زيارة الملك فؤاد للجامعة المصرية أشيع ، ان الدكتور طه حسين عميد كلية الآداب سينقل من منصبه كعميد ، مع بقائه أستاذ في كلية الآداب وفى صباح ٣ مارس ١٩٣٢ دعى أحمد لطفى السيد بك مدير الجامعة الى مقابلة وزير المعارف ، الذى أبلغه انه أصدر قرارا بوصفــه وزيرا للمعارف بنقل د٠ طه حســين الى وزارة المعــارف كبيرا لمفتشى اللغــة العربية ٠ وعارض لطفى السيد فى ذلك وطلب اعادة النظر فى الموضوع ثم اذا به يفاجأ بعد الظهر بصحف المساء وهى تنشر خبر النقل وكان مدير الجامعة على موعد مع الدكتور طه فأبلغه قرار النقل ، وما جاء فى الصحف المذكورة بصدده ٠ وثار طلبة كلية الأداب وتوجهوا الى بناء كليتهم القديم ، بجوار ادارة الجامعة بالجيزة وأعلنوا احتجاجهم على انتزاع الدكتور طه من الجامعة وابلغوا احتجاجهم الى مدير الجامعة الذى نصحهم بالتزام الهدوء ، واعدا اياهم ببذل قصارى جهده

لحل الأشكال بما يصون كرامة الجامعة . واتصل لطفى السيد بالمسئولين مؤكدا استنكاره للطريقة التى جرت عليها الوزارة فى نقل د٠ طه حسين واعتبرها ماسة بكرامته ، وكرامة الجامعة كلها وطلب اعادة العميد ، المنقول الى كليته فى خلال ٤٨ ساعة وطلب أحمد لطفى السيد من ولاة الأمور أن يعتبروه فى حكم المستقيل من منصبه ، الى أن ينوى الأشكال بما يصون كرامته وكرامة الجامعة .

***

فان لم يسو على هذا المنوال استقال من منصبه نهائيا ورغب اليه ولاة الأمور فى القريب ريثما ينجلى الموقف فأمسك عن اعلان استقالته ولـــكنه انقطع عن عن الذهاب الى مكتبه وظن بعضهم يومئذ أن مدير الجامعة تساهل فى حقوقه ، وفى الدفاع عن كرامة الجامعة فبدأوا يعدون عليه باللوم ، فتحمـــل لومهم صابرا ، املا ان يوفق الى حل الأشكال حلا مرضيا فاقترح لتقريب شقة الخلاف أن يعود د٠ طه حسين الى كلية الآداب استاذا فلم يقبل اقتراحه وعندئذ صمم حضرته على الاستقالة فأرسلها الى وزير المعارف مكتوبة ولـكى يضع المسئولين أمام الأمر الواقع ، أرسل صورة منها الى بعض الصحف فنشرت فيها ــ كما يقول المصور ــ بعد تسليمها للوزير بساعات فأثارت استقالته ثائرة طلبة سائر كليات الجامعة و ٠٠ و ٠٠ وقد تضاربت الآراء ــ كما قال المصور ــ فى تعليل البواعث ، التى بعثت على معاملة الدكتور طه حسين المعاملة الشاذة التى عومل بها ونشرت بعض الصحف اليومية طائفة من الأسباب استقتها من مصادر رسمية وقالت انها الباعث على نقله الى وزارة المعارف فرد عليها حضرته ، وفندهـــا سببا ٠٠ سببا ثم طلب التحقيق معه فيها وقيل ان لنقل د٠ طه حسين أسبابا أخرى ، لم تعلنها الحكومة ولكنها الباعث الحقيقى على هذا النقل ومن هــذه الأسباب معارضته فى منح الدكتوراة الفخرية لبعض الأشخاص الذين منحوا اياها ، ومطالبته بمنحها لأشخاص أخرى وقيل أيضا للهتاف الذى هتفه الطلبة لدولة عدلى يكن باشا ، يوم زيارة جلالة الملك للجامعة علاقة بقرار النقل وان كانت الحكومة تنفى كل ما يقال من هذا القبيل » ٠

***

والجدير بالذكر ، ان مجلس كلية الآداب كان قد اجتمع فى ٨ مارس وأعرب عن أسفه لنقل الدكتور طه حسين ودهشته من أن هذا النقل ، لم يصل الى علمه ، الا عن طريق الصحافة وان مجلس اتحاد الجامعة ؛ قد اجتمع أيضا وأعرب عن أسفه لنقل الدكتور طه ؛ وان طلبة الجامعة قد عقدوا مؤتمرا ، لهم فى كلية العلوم فى يوم ١١ مارس اتخذوا فيه قرارات أهمها ، تهنئة الاستاذ أحمد لطفى السيد بموقفه ، لاستقالته من منصبه ، والجدير بالذكر انه فى يوم ١٣ مارس قبلت استقالة لطفى السيد ، أى بعد يومين ، من تقديمها وان حوادث قد وقعت

منها الصدام بين الطلبة ورجال البوليس ، وسرعان ماتحولت قضية د. طه حسين، من قضية جامعية . الى قضية شعبية ، ساهمت فى كشف دكتاتورية اسماعيل صدقى وتعريتها أمام الرأى العام المصرى ومما نذكره ان صحيفة الجهاد ، نشرت فى صفحتها الأولى فى ٥ مارس ١٩٣٢ حديثا لوزير المعارف السابق د. بهى الدين بركات عن نقل عميد كلية الآداب ، اعتبر فيه تصرف وزارة المعارف عملا استبداديا أملته الاهواء : كان مما قاله د. بهى الدين بركات : لقد دهشت أشد الدهش ، عندما أطلعت فى بعض جرائد أمس ، على خبر نقل الدكتور طه حسين عميد كلية الآداب الى وظيفة لا تزال مشغولة الى اليوم ، فاننا نعلم جميعا ان الدكتور طه حسين انتخب عميدا ، لكلية الآداب فى عهد الوزارة الحاضرة ، وهى التى أقرت تعيينه فى هذا المنصب بعد أن شغل منصب أستاذ بالجامعة مدة من الزمان ، فنقله اليوم على هذه الصورة الشاذة من مركزه العلمى الى وظيفة بوزارة المعارف عمل استبدادى أملته الشهوات السياسية ومن الغريب ، ألا يكون لوزارة اسماعيل صدقى باشا ، أى نظام فى وزارة المعارف فهى أبدا مضطربة فى سياستها تنقض اليوم ما أبرمته بالأمس ، تبعا لاهواء الوزير ، الذى تقوده المقادير اليها ولعل وزارة المعارف أهون عليه من أن تكون لها سياسة ثابتة مادام يرتبط بها مستقبل الناشئة وهم عدة الأمة لمستقبلها » وكان مما قاله د. بهى الدين بركات فى حديثه ردا على ما ذكرته جريدة الأهرام نقلا على لسان مصدر مسئول من أن عميد كلية الآداب قد نقل لانه أبدى رأيا يخالف رأى المتصرفين فى الوزارة.



لعمرى ما الحكمة فى وجود مجلس ادارة لمعهد التربية وانتخاب عميد إحدى كليات الجامعة للجلوس فيه اذا لم يكن لهذا العميد حرية رأيه وهل يراد بتلك المجالس أن تكون أداة لمجرد تنفيذ رغبة وزارة المعارف وسبيلا لتبرير سياستها ، والا طالبت تلك المجالس بالحل وغيرت أعضاءها وهل يلام عضو فى مجلس ادارة الجامعة اذا هو اقترح شيئا فيما يتعلق بخريجى معهد التربية مع أن جميع طلابه قد أتموا دراستهم فى كلية الآداب ومستقبل هذا المعهد مرتبط بمستقبل فريق من طلاب الجامعة ويسأل ، د. بهى الدين بركات عما اذا كان فى هذا الحادث ما يتفق والنظام الجامعى ، فيقول : تقضى الأنظمة الجامعية فى البــلاد الأوروبية بأن يتمتع أساتذتها بنصيب وافر من الحرية ، حتى يكون لهم من الاطمئنان فى عملهم ، ما يجعلهم يتفرغون البحث العلمى وكذلك تقضى الانظمة فى كثير من البلاد بجعل الأساتذة غير قابلين للعزل ولا للنقل ، حفظا لحريتهم وضمانــا لمصلحة العلم ، وحرية البحث العلمى ، وكذلك أمكن أن تكون تلك الجامعات موضع فخر المدنية الغربية ، ولكن من سخرية القدر القاسية ، ان يأتى وزير المعارف غداة اليوم الذى كان يلقى فيه خطابه بين يدى جلالة الملك مفاخرا بما وصلت اليه الجامعة من الرقى ، مما جعله يطمع فى مجــاراة علماء الجامعات

الآخرى وينهى بهى الدين بركات حديثه بقوله : ان من المحزن ، ان تمتد يد البطش ، وروح العسف الى جميع أنظمتنا فكأنما الوزارة آلت على نفسها ألا تبقى نسيما من الحرية فى البلاد وان تخنق كل مظاهرها ٠

★★★

وتنشر الجهاد أيضا على صفحتها الأولى ثلاثة أحاديث لوزيرى المعارف الأسبقين ، على الشمسى باشا ، وبهى الدين بركات باشا ، ولمدير الجامعة لطفى السيد ، كما تنشر أيضا ـ فى ١٨ مارس ١٩٣٢ ـ وعلى صفحتها الأولى ـ حديثا خطيرا مستفيضا للدكتور ، طه حسين تعليقا على تصريحات وزير المعارف فى البرلمان الصدقى وكان من بين ما قاله الأستاذ أحمد لطفى السيد ـ فى الجهاد ـ : مدير الجامعة ، ومجلس الجامعة بنص القانون مستقلان تحت سلطة وزير المعارف والوزير يملك حق النقل بمقتضى القانون ولقد تعبت من أن أبين فى أحاديثى للصحف أن المسألة ليست مسألة قانون وحق ، ولكنها تقاليد هدى اليها روح النزوع الى الاستقلال من جانب الجامعة وروح التسامح ، والتشجيع من جانب الوزراء السابقين الى أن يصدر القانون الذى يعطى الأساتذة حق انهم غير قابلين للنقل ، ولا للعزل أو على الأقل لا ينقلون الا بموافقة مجلس الجامعة فالعمل فى هذه الخصوصية قد سبق القانون وخير القوانين ما ورد على عهود تتتابع وتجربة ممحصة وينهى لطفى السيد حديثه بقوله : ان نقل د٠ طه حسين ليس مجاوزا للتقاليد وحسب ولكنه مخالف للالتزام الذى التزم به وزير المعارف السابق المرحوم زكى أبو السعود باشا ويلزم من يخلفه بالضرورة أن كفاءة الدكتور طه حسين فوق البحث والسؤال ونزاهته فوق كل شك ولكن يظهر ان حلمى عيسى باشا ـ وزير المعارف ـ قد هيأ للصحافة ولنا فرصة الكلام فلتكن رحمة الله على الجامعة المصرية ؟!

★★★

ولعل من المفيد ان ننقل هنا جزءا من حوار أجراه مندوب جريدة الجهاد ، مع د٠ طه حسين ، بمناسبة ما دار فى مجلس نواب اسماعيل صدقى حول موضوع د٠ طه حسين ، والبيان المطول الذى ألقاه فى المجلس حول هذا الموضوع وزير المعارف : يقول د٠ طه حسين عن رأيه فى بيان الوزير :

كنت أحب لوزير المعارف ان يسمو بنفسه الى المنزلة الخلقية التى تليق بمن كان قاضيا ، ومن يشغل منصب الوزارة فلا يتهم الناس بغير تحقيق ، لا سيما وقد طلبت اليه والى رئيس الوزراء اجراء التحقيق ، وظللت انتظر هذا التحقيق الى الآن فلم يحدث الوزير شيئا ولم يسأل عن شيء ، مع أن قواعد اللياقة الأولية كانت تقتضى أن يسألنى على أقل تقدير قبل أن يتحدث فى مجلس

النواب فهذه الخطة تدل دلالة واضحة على أن وزير المعارف تعمد ان يضيف الى خطئه الأول بنقلى فى غير حدود القانون والتقاليد خطأ آخر بالاعتداء على كرامة أستاذ أقل ما يوصف به انه أرفع من أن تصيبه غمزات الوزير ولمزاته . لست أخفى عليك أنى تلقيت تصريحات الوزير بقهقهة عالية ، فان الذى يقرأ هذا الكلام يدهش اذا علم أن هذا الوزير نفسه قد أرسل الى الوسطاء يوم الخميس الماضى يسترضينى ويعرض على أمورا خطيرة رفضتها كلها ، ليعلم حلمى باشا أن أساتذة الجامعة أكرم على أنفسهم من أن يشتريهم وزير وان كان هذا الوزير حلمى عيسى باشا .

★★★

ويسأل مندوب الجهاد : وماذا عرض وسطاء الوزير عليكم ؟

تريد أن تعرف ماذا عرض على وسطاء الوزير يوم الخميس الماضى ، ويوم الجمعة ثلاث مرات ، ليس لدى الآن ما يمنعنى من التصريح بهذا ، فهم طلبوا الى أن أرضى بما كان وأظهر الرضى لتهدئة الأحوال على أن يضع الوزير تحت تصرفى ما أشاء من المناصب الحالية فى وزارة المعارف مؤقتا ، حتى تتهيأ الفرصة لأعود الى الجامعة ، والوزير يعد بالا يكلفنى عملا ما يفهم منه انى نقلت حقا الى وزارة المعارف ، وبأن يعطينى ما أشاء من الاجازات ، وبألا تمس كلية الآداب بأذى لا طلابها ولا أساتذتها وبأن تصدر لائحة الجامعة فورا ، وبأن يقف الوزير فى مجلس النواب أمام المستجوبين موقفا يدافع فيه أحسن الدفاع عن كرامتى العلمية والدينية ، ثم يعرض على الوزير مكافأة العميد التى خسرتها بهذا النقل . ثم بأن يطبع لى الوزير على حساب الدولة ما أريد طبعه من كتبى — وأخيرا بألا يعين الوزير عميدا فى كلية الآداب حتى أعود اليها .

★★★

وسط الوزير لدى اثنين بهذه الوعود وكلاهما محترم عظيم القيمة والخطر ، فأما أولهما فكلمنى فى ديوان من دواوين الحكومة بمحضر اثنين من كبار الموظفين فى الدولة ، وأما الثانى فزارنى فى بيتى فى منتصف الساعة الرابعة يوم الخميس . ولقد رفضت وساطة الرجلين وقلت لهما : ان كان الوزير صادقا فيما يقول من انه مقتنع الآن بأن ما بلغه عنى كان وشاية فلست أطلب منه الا معاقبة الواشى لا بالفصل ولا بمجلس التأديب بل بابعاده عن وزارة المعارف ليخلص العلم من شره .. ! وأنا ان فعل الوزير هذا راض بما وصلت اليه لا أريد فوقه شيئا .

قال الوسيط الأول : لا سبيل الى هذا .

قلت اذن لا سبيل الى مواصلة الحديث . ثم أعاد الوسيط الأول الكرة يوم الجمعة بالتليفون فلما يئس قال : اذن فأمرى وأمرك وأمر حلمى الى الله ، قلت : ان أمرنا جميعا الى الله دائما ، وانقطع الحديث ٠

فانت ترى أن الأسئلة والاجوبة انما هى نتيجة لهذا الانذار وعقوبة لانى لم أقبل ما عرضه الوزير الذى يغار على كرامة الجامعة وعلى أموال الدولة هذه الغيرة التى كادت تحرق البرلمان أمس ! ٠٠

***

أما ما قاله الوزير فينقسم الى ثلاثة أقسام :

احدها يتعلق بتمثيلى لمصر فى المؤتمرات وكنت أحب أن يرتفع السائل والمسئول عن هذه الصغائر ، فقد مثلت مصر في المؤتمرات كما يمثلها العشرات من المصريين في العشرات من المؤتمرات وكان هذا التمثيل نظاميا لا غبار عليه لانى لم أكن أسافر وحدى ولكن الحكومات المختلفة علمت أنها اذا انتدبتنى لأمثلها فى مؤتمر فهى تنتدب معى بالطبع من يرافقنى فى هذا التمثيل ، وقررت وزارة صاحب الدولة صدقى باشا أن هذا الأمر يجب أن يقرر كمبدأ تجرى عليه الجامعة دون استئذان للمالية ، وبالطبع ليس حلمى باشا ولا سائله هما اللذان يستطيعان أن يحكما على عملى فى المؤتمرات ، وانما الذين يستطيعون ذلك هم العلماء الذين تحدثت اليهم وألقيت أمامهم محاضراتى ٠

وليس يسوؤنى أن يغضب حلمى باشا اذا رضى « ليتمان ، ونالينو ، ونيكلسون ، وبرجشبر سيار » وغيرهم

وليس يغيظنى أن أكون جاهلا فى رأى حلمى باشا اذا كنت عالما فى رأى هؤلاء الناس ٠

**

القسم الثانى : مسأله المكافأة التى كانت تمنح للسكرتير ليعيننى على ترجمة ما تترجمه الجامعة من أبحاث أساتذتها ، ويضحكنى أن يحصى وزير المعارف الصحف التى ترجمت والأموال التى انفقت ، ولكن هناك شيئا أراه أحسن من هذا وهو ان يجمع وزير المعارف أعوانه وأصحابه والذين يطمئن الى علمهم العالى وتفوقهم النادر ويكلفهم ترجمة ما أترجم ومراجعة ما أراجع ، يومئذ يعلم حلمى باشا أنى لم أسرف فى أموال الدولة انما أتطوع لها بالعمل ولا آخذ الا أجر من يكتب ويقرأ ٠

وأنا أترجم الآن للجامعة كتابا هو (تاريخ أثينا فى عصر أغسطس) وأنا

انتظر حلمى باشا ووزارته سنة كاملة فان ترجما هذا الكتاب الى العربية ترجمة صحيحة مستقيمة فأنا رهين له وللدولة برد ما أخذت ٠

أما القسم الثالث : فكلام كثير فى حق الوزير وصحة تصرفاته لا يعنينى منه شيء الآن ، فقد يكون هناك من هو أقدر من حلمى باشا ومنى على الفصل فيه ، وانما أقف عند الأسباب التى اكتشفها حلمى باشا أخيرا لنقلى من كلية الآداب ، فلحلمى باشا فى أسباب نقلى مذهبان احدهما ما كان يتحدث به الى مدير الجامعة وأوعزت به وزارته الى « الأهرام » وقد أنبأته وأنبأت رئيس الوزراء بانه كذب كله ٠ والظاهر أنه اقتنع بأنه كذب كما صرح لى وسيطه الذى أشرت اليه آنفا ٠٠ أما المذهب الثانى فبديع ـ بديع لا أفهم كيف خفى على حلمى باشا الى الآن ، فهو يرى انى كنت أقبل فى كلية الآداب طلابا لا تعترف الحكومة بشهاداتهم واكتفى بامتحانهم فى اللغة العربية . واذا كان هذا يكفى لنقل العمداء عند حلمى باشا فيجب أن ينقل على باشا ابراهيم وكامل بك مرسى والدكتور بنجهام فكلهم يعمل هذا كما أعمله ٠ ذلك أن لوائح الجامعة التى أقرها مجلس الجامعة ووزير المعارف وصدر ببعضها مرسوم ملكى تبيح للكليات الأربع أن تقبل الطلاب الذين يحملون الشهادات الأجنبية كالبكالوريا الفرنسية والانجليزية والايطالية ولو تعلموا فى مصر بشرط أن يؤدوا امتحانا فى اللغة العربية ٠

***

تعليق على نقل د٠ طه حسين :

وحول نقل الدكتور طه حسين من عمادة كلية الآداب الى وظيفة كبير مفتشى اللغة العربية بوزارة المعارف تسلمت من الاستاذ حافظ محمود الرسالة التالية :

أخى صبرى أبو المجد

تحية لمسلسلتك بعنوان ما قبل الثورة وتحيتى أساسا تنصب على جانب التاريخ الصحفى لما توثقه فى هذا الجانب من الوقائع التى دعمها القضاء المصرى العظيم ٠٠ ولقد وقفت عند تفاصيل قضية اخراج الدكتور طه حسين من عمادة كلية الآداب فى سنة ١٩٣٢ وكان واضحا من هذه التفاصيل ان وراء هذا الموقف أسبابا لم يتناولها الذين خاضوا يومئذ فى الحديث عن هذه الأسباب . وهى الأسباب التى حان الوقت لاعلانها :

كان أستاذنا المرحوم طه حسين قد دعى فى العشرينات ليتولى رياسة تحرير جريدة « الاتحاد » وهى جريدة الحزب الذى كان القصر الملكى وراء تشكيله : حزب الاتحاد الذى أطلق عليه سعد زغلول » حزب الشيطان » وتحت ظروف ما ، تولى طه حسين هذه الوظيفة ، لكنه ما كاد يقطع فى هذا العمل أياما حتى أحس بأنه قد وضع فى موضع الانسان الذى يبيع ضميره فاستقال ونظم حملة فى الصحف الوفدية على سياسة هذا الحزب وأصبحت الخصومة بينه وبين القصر الذى كان يسانده هذا الحزب خصومة علنية فلما ذهب الملك فؤاد فى بداية مارس سنة ١٩٣٢ ليفتتح المبنى الجديد للجامعة ـ وكان ذلك بمناسبة مرور خمس وعشرين سنة على أنشاء الجامعة انشاء شعبيا ـ ولما وجد الملك فؤاد بين أساتذة الجامعة الذين وقفوا فى استقباله الاستاذ الدكتور طه حسين تعمد الا يصافحه كما صافح الآخرين ، ثم التفت الى وزير المعارف حلمى عيسى باشا وقال بصوت خفيض : « هو ٠٠٠٠ ده لسه هنا ٠٠ » وكانت هذه العبارة كافية لانتحال أسباب اخراج طه حسين من الجامعة فى نفس الوقت » ٠

حافظ محمود

★★★

ويجدر بنا أن نشير ـ والحديث عن الدكتور طه حسين ـ الى أن وزارة اسماعيل صدقى قد أخطأت خطأ فاحشا ، عندما اختارت طه حسين ، ليكون فى مقدمة ضحاياها ذلك أن طه حسين لم يكن أبدا بالخصم الذى يسهل محاربته ، فهو محارب ، صعب المراس ، قوى الشكيمة لا يقبل أبدا أن يلقى سلاحه حتى ولو بقى فى الميدان يحارب وحده ولذلك فلم يكد ينقل من كلية الآداب ، وتثار « مسألته » فى مجلس النواب حتى نراه يعلن الحرب على وزارة اسماعيل صدقى مستخدما كل ما يملك من أسلحة فى كل الميادين . وكان فى مقدمة الميادين التى اختارها د٠ طه حسين ، الى جانب ميادين الكتابة والخطابة وأثارة الجماهير ، ميدان القضاء : لقد رفع دعوى ضد الحكومة المصرية ممثلة فى اسماعيل صدقى باشا ومحمد حلمى عيسى باشا ، وفيما يلى ـ للتاريخ ـ صحيفة « افتتاح الدعوى » :

★★★

فى يوم

بناء على طلب حضرة الدكتور طه حسين المقيم بمصر الجديدة ومحله المختار مكتب حضرة صاحب السعادة محمد على علوبة باشا المحامى بشارع المغربى رقم ١٤ ٠

أنا .. محضر محكمة (..) الأهلية قد انتقلت فى تاريخه أعلاه الى حيث يقيم كل من :

أولا : حضرة صاحب الدولة اسماعيل صدقى باشا بصفته رئيسا لمجلس الوزراء ونائبا عن الحكومة المصرية بسراى مجلس الوزراء .

ثانيا : حضرة صاحب المعالى محمد حلمى عيسى باشا بصفته وزيرا لوزارة المعارف العمومية بسراى الوزارة بشارع الطرقة الغربى مخاطبا مع « ... » وأعلنتهما بالآتى :

عينت الجامعة المصرية حضرة الطالب أستاذا بها للتاريخ القديم فى أكتوبر سنة ١٩١٩ .

وفى ١٢ ديسمبر سنة ١٩٢٣ تم التعاقد بين الحكومة والجامعة على ان تلحق هذه بوزارة المعارف العمومية وحرص الفريقان على وضع شرطين فى العقد أولهما : ان تكون الجامعة المصرية معهدا عاما محتفظة بشخصيتها المعنوية وتدير شئونها بنفسها بكيفية مستقلة تحت اشراف وزارة المعارف العمومية كما هى الحال فى الجامعات الأوربية ، وثانيهما ان تحترم تعهدات الجامعة نحو أساتذتها وموظفيها الحاليين . أما فيما يتعلق بالدكتور طه حسين فقد رئى نظرا لحالته الشخصية أن يبقى أستاذا بكلية الآداب .

وكان المتعاقد عن الحكومة معالى المرحوم أحمد زكى أبو السعود باشا بصفته وزيرا للمعارف العمومية . وعن الجامعة المصرية دولة المرحوم حسين رشدى باشا عن مجلس ادارة الجامعة وكان من أعضائه وقتئذ دولة اسماعيل صدقى باشا رئيس الحكومة الحاضرة ومعالى محمد حلمى عيسى باشا وزير المعارف الآن .

بقى الطالب بعد ذلك استاذا فى الجامعة الى أن صدر مرسوم فى مارس ١٩٢٥ باعتبار الجامعة القديمة نواة لكلية الآداب فعين أستاذا بهذه الكلية فى ديسمبر سنة ١٩٢٥ اعتبارا من يولية من السنة نفسها .

ثم انتخب وكيلا للعميد فى أكتوبر سنة ١٩٢٩ وجدد انتخابه وكيلا فى السنة التالية . ثم فاز يوم انتخاب العميد على منافسه زميله الأستاذ سترلنج فعينه الوزير عميدا فى ١٦ نوفمبر سنة ١٩٣٠ — ومركزه هذا دائم له مادام فى الكلية وفقا للقانون رقم ٤٢ لسنة ١٩٢٧ .

لكن أمرا لم يكن فى حسبان الطالب قد حدث . ذلك أن أستاذا محاميا طلب اليه فى التليفون يوم ١٥ نوفمبر سنة ١٩٣٠ ان يلقاه فاتفقا على تأجيل ذلك الى اليوم التالى وهو اليوم الذى صدر فيه أمر تعيين الطالب عميدا .

***

ولما حضر المحامى أخبر بانه موفد من قبل سعادة توفيق دوس باشا ليعرض

على الاستاذ الطالب أن يستقيل من الجامعة وأن يرأس تحرير جريدة الشعب فاعتذر الأستاذ عن لقاء الباشا وانكر ان يعرض عليه مثل هذا الأمر فى اليوم الذى يعين فيه عميدا للكلية • ورفض ان يعمل فى جريدة الشعب لأسباب منها انه انصرف عن السياسة الى الدرس ـ لكن حضرة المحامى أخذ يلح ويرغب ثم تركه وهو ينصح للاستاذ العميد بألا يستشير فى هذا الأمر مدير الجامعة •

★★★

وفى صباح الاثنين ١٧ نوفمبر سنة ١٩٣٠ ذهب الاستاذ يشكر وزير المعارف على تعيينه عميدا • فما كاد يهنئه حتى أنبأه بأن رئيس الوزراء كلفه ان يطلب اليه الاستقالة ليرأس تحرير جريدة الشعب وانه يترك الى العميد نفسه تقدير المرتب وتقرير الضمانات ـ وقد أطال الوزير فى الاقناع بقبول العرض ـ لكن حضرة الطالب اعتذر بالمعاذير التى قدمها لحضرة المحامى فقبل الوزير عذره ووعده أن ينبىء دولة الرئيس بذلك وطلب اليه الا يقطع فى الأمر قبل أن يستشير رجلين كبيرين معروفين •

خرج الاستاذ الطالب من عند الوزير وزار احد الكبيرين فاذا هو مكلف أيضا ان يقنعه بهذه المسألة ثم اتفقا على أن المسألة مسألة ضمير ـ وزار الثانى فلم يكد هذا يسمع بالأمر حتى غضب وثار وتحدث الى الأول بالتليفون ملحا عليه فى أن يصرف عن الجامعة هذه الكارثة •

وبعد ذلك بزمن أعاد حضرة المحامى الكرة وانبأ الاستاذ الطالب فى التليفون بأن جريدة الشعب ستصدر بعد غد وان رئيس الوزراء يطلب اليه أن يكتب افتتاحية العدد الأول فاعتذر الأستاذ قائلا ما ملخصه :

★★★

« ان كتابتى فى جريدة الشعب تضرنا جميعا ولا تنفع أحدا • فليس من مصلحة الحكومة أن يعرف الناس ان الموظفين يكتبون فى صحفها ولا ينبغى لعميد كلية من الكليات أن يسخر نفسه للكتابة فى صحف الحكومة فيتعرض لازدراء الزملاء والطلاب جميعا » فقطع الحديث ثم عاد بعد دقائق يخبره بأن دولة الرئيس يلح ويريد أن تكتب هذه المقالة بغير أمضاء فكان الجواب اليه ان يبلغ الرئيس ان ذلك شىء لا سبيل اليه مع الأسف الشديد ـ وأحس بعد ذلك من دولته فتورا لم يتعوده من قبل •

★★★

عاد الاستاذ العميد من أوربا آخر صيف السنة الماضية • ولم يكد يتصل بوزير المعارف الجديد معالى حلمى عيسى باشا حتى أحس ان هناك أسبابا تجعل العمل معه شاقا لكنه احتمل وأخلص النصـــح الى أن كان يوم ٩ يناير سنة

١٩٣٢ دعاه الوزير فذهب اليه مستصحبا أحد مدرسى الكلية وأبدى معاليه رغبته فى منح طائفة من ألقاب الشرف لجماعة من المصريين النابهين بمناسبة الزيارة الملكية للجامعة ، منهم دولة يحيى ابراهيم باشا وصاحب المعالى توفيق رفعت باشا وعلى ماهر باشا : فلاحظ الاستاذ العميد أن أولهم رئيس مجلس الشيوخ وثانيهم رئيس مجلس النواب والثالث وزير · وكلهم من حزب سياسى معين واثنان منهم عضوان فى مجلس الجامعة · وتلك أسباب تمنع منحهم ألقاب الشرف من الجامعة كما لا يرضى للجامعة ان تمنح ألقابها بأمر الوزير ، ورجاه أن يعدل عن رأيه ولا يورط الجامعة فى السياسة فهى ناشئة ومن حقها أن تكون لمصر كلها وللعلم وحده · فغضب الوزير وأسرف فى الغضب · وصمم على أنه سيعلن اقتراحه على الجامعة ليرى الذين يسيئون التفكير والذين يحسنونه ، ثم افترق الاثنان متغاضبين ·

***

وفى الغد لقى الاستاذ كبير فى الجامعة بفنــدق سميراميس بمناسبة احتفال رئيس الوزراء بأعضاء مؤتمر الصحافة اللاتينية ودار بينهما كلام دل على علم هذا الكبير بغضب الوزير ، وانه سمعه يشكو من الاستاذ الطالب لسعادة زكى الابراشى باشا ، ثم جاء الكبير فى اليوم الثانى وطلب الى الاستاذ بحضرة مدير الجامعة أن يقبل رأيا جديدا للوزير والدولة صدقى باشا وهو حذف اسم يحيى ابراهيم باشا من القائمة · وألح فى قبول هذا الحل منعا لاحراج الوزير ـ لكن العميد صمم على أن الجامعة هى الجهة الوحيدة التى كان يجب الاتفاق معها على ما يريده الوزير ·

***

وفى اليوم الثالث أخبر الاستاذ مدير الجامعة حضرة الطـالب بحصـول اتفاق بينه وبين الوزير هو أن يضاف الى القائمة اسم دولة عدلى يكن باشـا وسعادة على الشمسى باشا ، وبينما هما يتناقشان اذا الوزير يتكلم الى حضرة مدير الجامعة فى التليفون فيخبره بأن رئيس الوزراء لا يقبل ترشيح أحد من المعارضين فالتزم كل فريق موقفه ·

بعد ذلك بيوم أو يومين دعا حضرة مدير الجـامعة اليه حضرات عمداء الكليات وأخبرهم بأن وكيل المعارف زاره وأبلغه أن الوزير يقترح بعد أن اتفق مع القصر على أن تمنح ألقاب الشرف لجماعة من العلماء فى أوربا وان الأمر ينبغى أن يقسم بين الأجانب على طريقة رسمها · فكان من الأستاذ الطالب ان أجاب بانه ما كان ينبغى للوزير مرة أخرى أن يتفق مع غير الجامعة · وان التقاليد تقضى بألا تمنح هذه الألقاب للأجانب دون أن يستشاروا ودون أن يحضروا بأنفسهم ليتلقوا درجاتهم ، وتم الاتفاق على أن يذهب اثنان لاقناع الوزير بهذا الرأى ،

فذهبا وعادا ينبئان بأن الوزير مصمم ، وان سعادة الابراشى باشا حضر المناقشة بالمصادفة وأيد رأى الوزير ·

وانتهى الأمر بأن رفضت كلية العلوم اقتراح الوزير · أما كلية الآداب فردت الاقتراح الى مدير الجامعة ، وطلبت أن تؤلف لجنة من الكليات الأربع تدرس الموضوع وتضع له القواعد والأصول · وذهب عميدها الطالب الى معالى الوزير وأبلغه قرار الكلية ·

وأما كليتا الطب والحقوق فانهما قبلتا ما أراده الوزير · وجاءت الالقاب الممنوحة منهما أمام مجلس الجامعة فرفضها ممثلو كلية الآداب وامتنـــع عن التصويت ممثلو كلية العلوم ووافق عليها ممثلو الطب والحقوق والحكومة وبذلك انتهت مأساة ألقاب الشرف ·

***

كانت نتيجة هذه المواقف ، التى سيثبتها الطالب أمام القضاء ، والتى كانت تمليها عليه أبسط الواجبات نحو تقاليد الجامعات واستقلالها وحياتها أن غضب رئيس الوزارة ووزير المعارف فلم يحترما تعاقد الجامعة القديمة مع الحكومة ، ولم يرعيا واجب استقلال الجامعة ، وقاما من فورهما ينتقمان من هذا العميد فيحرمانه من مركزه ويخرجانه من الكلية ويضعانـه بمحض القـوة والسلطان مفتشا فى الوزارة ــ وهو لا يدرى ماذا يعمل فى هذا التفتيش مع حالته الشخصية · والوزير ورئيسه يعلمان انهما كانا من بين الذين قد احتاطوا فى عقد تحويل الجامعة ، بوضع نص خاص بالطالب يقضى بأن يبقى أستاذا بكلية الآداب نظرا لحالته الشخصية · وما كان هذا النص منهما الا حيطة من يوم يخشى فيه ان يحيق بالطالب ظلم أو يمسه أذى من طغيان ·

ولم يرد الوزيران ان يتمهلا فى الأمر ويصبرا الى آخر السنة الدراسية فعمدا الى سحبه من بيئته العلمية فى منتصف السنة الدراسية ، غير حافلين بما قد يصيب الطلبة من سوء هذا التدبير ·

***

وما كفاهما ان ينتقما على هذه الصورة الصامتة ، فبسط وزير المعارف فى مجلس النواب جوابا عما يسمونه سؤالا شفى به غلته والطالب لم يكن قد تكلم ، وما كان يريد أن يتكلم · وطعن الطالب بما شاء فى كفايته · وفى ذمته ، وفى كل ناحية من نواحى كرامته ، وهو يعلم أن الطالب بفرض صحة نقله الى الوزارة كان موظفا وكان له ما يجب نحو الموظفين من الرعاية ، وكان على الوزير أن يحميه من كل اعتداء باعتباره عضوا من أعضاء وزارته لا أن يعتدى هو عليه علانية فى مجلس نواب بما لا يتفق وواجب المجاملة بين القائمين بعمل مشترك ·

ثم رفض مجلس الشيوخ قبول سؤال وضعه أحد حضرات أعضائه لمعرفة الحقيقة . وقامت فى مجلس النواب حملة أخرى كلها مطاعن ومثالب لا يعرف الطالب من أين أتت وقابلها وزير المعارف ورئيسه بشيء غير قليل من الرضا والارتياح ، وهما يعلمان على الأقل أسباب هذه الحركة وأن وقائعها مختلقة ، وأنها فوق ذلك ترجع الى عهد بعيد صار الطالب بعده وكيلا للكلية ثم أعيد انتخابه وكيلا للمرة الثانية ، ثم انتخب بعد ذلك عميدا للكلية بالفعل فى ١٦ نوفمبر سنة ١٩٣٠ .

***

ومن حيث ان المدعى عليهما للأسباب المتقدمة وغيرها قد سارعا الى الانتقام فنقلا الطالب وسط السنة الدراسة وأهاناه ثم فصله مجلس الوزراء بقرار فى ٣٠ مارس سنة ١٩٣٢ دون نظر الى التقاليد الجامعية ودون احترام للعقد المبرم بين الجامعة والحكومة فى شأن الطالب وبلا موجب شرعى لهذا الاعتداء الشنيع على مقام المعلم والمربى فى أرقى معهد مصرى .

ومن حيث أن الوقائع التى بسطها الطالب فى هذه العريضة وغيرها مما سيشرحه أمام القضاء ويثبته بكافة أوجه الاثبات تدل دلالة قاطعة على ارادة التشفى بكيفية لم تعهد من قبل .

ومن حيث أن الحكومة قد حرمت الطالب من مركزه ومستقبله وهو فى مقتبل العمر ، وأذته فى شرفه وسمعته انتقاما منه على ما أبدى من اباء يليق بمركز العلم والمعلمين ، وعلى ما قام به من واجب نحو استقلال الجامعة وكرامتها .

ومن حيث أن التعدى بهذه الصفة واساءة استعمال السلطة ، كل ذلك يوجب مسئولية الحكومة والزامها بتعويض لا يقل عن خمسة وعشرين ألف جنيه .

***

بناء عليه ..

وعلى ما سيدلى به الطالب أمام القضاء ..

الطالب يكلف حضرتى المعلن اليهما بصفتيهما المذكورتين بالحضور أمام حضرة قاضى التحضير بمحكمة مصر الابتدائية الأهلية بسرايها الكائن مركزها بميدان باب الخلق بمصر بالجلسة المدنية والتجارية التى ستنعقد فى يوم الثلاثاء الموافق سبعة عشر مايو سنة ١٩٣٢ الساعة ٨ أفرنكى صباحا وبعد التحضير تحال الى جلسة المرافعة لسماعهما الحكم بالزامهما بأن يدفعا للطالب

بطريق التضامن مبلغ خمسة وعشرين ألف جنيه مصرى والمصاريف ومقابل الأتعاب بحكم مشمول بالنفاذ المعجل بدون كفالة ـ مع حفظ باقى الحقوق الأخرى من أى نوع كانت .

وفى صحيفة افتتاح الدعوة ـ كما كانوا يسمونها وقتئذ ـ الأسباب التى دعت الى نقل الدكتور طه حسين من الجامعة ، وهى الأسباب التى تصلح أن تكون تحت نظر القضاء . أما الأسباب الأخرى وواحد منها ذلك الذى أشار اليه أستاذنا حافظ محمود ، فلم يكن يجوز أبدا أن تتضمنه صحيفة الدعوى ، وعلى أية حال فان الجامعة المصرية ، لم تهدأ ، منذ أن أبعد عنها الدكتور طه حسين . وقد ظلت عودة الدكتور طه حسين مطلبا فى مقدمة مطالب الجامعة أساتذة وطلابا الى أن أعيد د. طه حسين ، الى الجامعة بعد أن تغيرت الظروف ، وزالت دكتاتورية اسماعيل صدقى ، وخليفته عبد الفتاح يحيى باشا وبالمناسبة فان طه حسين ، عمل بعد خروجه من الجامعة رئيسا لتحرير السياسة ، بصفة غير رسمية وفى أثناء غياب د. محمد حسين هيكل فلما رغب مصطفى النحاس ومكرم عبيد فى أن يرأس د. طه حسين احدى صحف الوفد بمرتب مغر للغاية ـ ١٠٠ جنيه مصرى ـ لم يقبل حتى يستأذن الأحرار الدستوريين ، الذين كانوا يصدرون « السياسة » وبعد أن استأذنهم رأس تحرير « الوادى » و « كوكب الشرق » . الى أن أعيد الى الجامعة فى عام ١٩٣٤ .

واذا كان اسماعيل صدقى قد بلغ « الذروة » فى محاربة الصحافة وفى محاربة الأحزاب وفى محاربة القوى الوطنية كلها فقد بلغ الذروة ـ وربما لأول مرة فى التاريخ المصرى ـ فى محاربة المرأة المصرية على النحو الذى يتضح فى الفصل التالى ؟ .

الفصل الثانى

صدقى باشا أول حاكم يرتكب جريمة اعتقال المرأة فى مصر ويأمر بإعلان حالة الطوارىء ليمنع تأبين عمر المختار !!

وكما سبق أن ذكرنا فان دكتاتورية اسماعيل صدقى لم تكن لتكتفى بمحاربة الصحافة والجامعة ، والأزهر ، والأحزاب ، والهيئات بل الأفراد ، الذين لا يرون رأيها ، والذين لا يقولون لها باستمرار : آمين ، آمين • وانما كانت تبتكر بعض صنوف من الحرب ، لبعض فئات الشعب ، لم تكن فى يوم من الأيام تخضع للحروب الحزبية •

لقد شنت ــ مثلا ــ دكتاتورية اسماعيل صدقى ، حربا من نوع خاص ، ضد المرأة المصرية ، ومن الصور ، التاريخية الجديرة بالذكر ، ان دكتاتورية اسماعيل صدقى لجأت الى اعتقال ، عدد من السيدات المصريات ، وهو اجراء لم تلجأ اليه من قبل أية سلطة مصرية بل ولا بريطانية • لقد حدث أن تظاهر عدد من سيدات مصر ، وهتفن ضد وزارة اسماعيل صدقى ، أثناء وجودهن فى مكتب الأستاذ أحمد محمد أغا المحامى ، وذلك فى يوم اجراء الانتخابات وقدمتهن نيابة الوايلى الى المحاكمة أمام جلسة مستعجلة عقدت مساء اليوم نفسه بمحكمة جنح الوايلى حيث حكمت المحكمة بتغريم كل واحدة منهن خمسة جنيهات عن تهمة التظاهر ، وبراءتهن من تهمة الهتاف ضد الوزارة فاستأنفن الحكم وفى يوم ٥ مارس ١٩٣٢ نظرت القضية أمام محكمة الجنح السابقة التى عقدت برئاسة الأستاذ حسين فخرى القاضى وعضوية الأستاذين محمد كامل عونى ، ومحمد مختار عبد الله ، وجلس فى كرسى النيابة الأستاذ حسن الجداوى وكيل النيابة بنيابة مصر ، وحضرت المتهمات •• التالية أسماؤهن : حرم ابراهيم بك نور الدين ، حرم حسين نسيبه بك ، فاطمة أحمد كمال بك ، دولت الزينى ، نعمت عباس ، زينب عباس ، حسنة شعبان القبانى ، جليلة البحراوى ، زينب لبيب ، شريفة عيسوى ، رهينة نيازى ، نعيمة عوض سليمان ، عزيزة سامى ، ليزا ميخائيل مقار ، جميلة رشوان ، عريفة محمود طلعت ، ولم تحضر الآنسة

ليزا مقار والسيدة جميلة الجمال لمرضهما . وقد حضر للدفاع عن جميع المتهمات الحاضرات . والغائبتين أيضا الأستاذ مكرم عبيد وقد ترافع وكيل النيابة قائلا :

★★★

ان النيابة يؤلمها . ويعز عليها . ان تقدمت الى المحكمة الجزئية تطلب العقوبة ، وأن تتقدم الآن ، بطلب تشديدها ، وردنا على ذلك ان ليس الذنب ذنب النيابة وانما هو ذنب حضرات السيدات اللاتى زججن بأنفسهن أو زج بهن فى الطرقات يتظاهرن كأبسط غلمان الشوارع ، وتحريضهن على المظاهرات والقانون لا يفرق بين الجميع ، ويطلب ممثل النيابة تعديل التهمة وتطبيق القانون ، باعتبار أن السيدات أقمن اجتماعا عاما من غير اخطار كان يمكن أن يدخله ، ودخله بالفعل أشخاص ليست بأيديهم تذاكر دعوة ويرى الأستاذ مكرم عبيد ، ان النيابة ليس من حقها ، طلب تعديل التهمة أمام المحكمة الاستئنافية وتحرم الدفاع من الدرجة الابتدائية ولذلك نعتبر ان هذا التعديل باطل وفوق ذلك فاننا لم نعلن من قبل . وهذا على فرض جواز تعديل التهمة ونقول ان ذلك لا يصح مطلقا ، ويقول رئيس المحكمة : ليس هذا تعديلا وانما هى تهمة جديدة • ويرى مكرم عبيد ، انه باطل مهما كان الأمر ، ويعود ممثل النيابة قائلا : لم تعدل النيابة التهمة بل هى متمسكة بقرار الاتهام السابق ، بأن ما وقع من السيدات يعتبر اجتماعا عاما ، وتطلب النيابة من المحكمة أن يكون الحكم رادعا ، ولأن الغرامة عقوبة قد تحملها غير المتهمات ، فهى لذلك لا تكون زاجرة ، وتطلب الحكم مع ايقاف التنفيذ ويترافع مكرم عبيد قائلا :

★★★

لقد عاهدت نفسى احتراما للقضاء المقدس واحتراما لهؤلاء السيدات الطاهرات ، أن أكون هادئا فى هذه المرافعة • ولكن النيابة شاءت غير هذا • شاءت أن تستغل مركز الاتهام فتصب جام الغضب على سيدات من أشرف العائلات وأطهر البيوتات • فوصفتهن بأنهن كاذبات ومتطفلات ، وان عملهن مخل بالكرامة •

★★★

يا للهول ! ان هذا شيء جديد فى قاموس الأدب وعرف اللياقة • أى اخلال بالكرامة فى ابداء عاطفة شريفة لا تتحرك الا فى نفوس الشريفات والأشراف • اسمحوا لى حضراتكم أن أقول اننى غير مستطيع الرد على هذا لأننا لم أجعل قاموس لغتى وأدبى شاملا لألفاظ السباب •

يا حضرات القضاة :

القضية المعروضة على حضراتكم هى أيضا قضية سياسية ٠٠ أو هى حلقة من سلسلة غير منقطعة من هذه القضايا التى رزئت بها البلاد ـ والمحاكم ـ فى السنين الأخيرة ، ولقد كانت السياسة تلعب فى كل قضية دورا نحسبه غريبا فى نوعه . فلا يلبث الغريب حتى يتضاءل أمام ما هو أغرب فى القضية التى تليها !! وبذلك أصبحت القضايا السياسية فى بلادنا وكأنما مسرح عام تمثل عليه السياسة أفانينها وألاعيبها ٠ فتحرك الرجال وأشباه الرجال كما تحرك الدمى والصور ، وتبرز للناس أبكى المهازل وان أمامنا فى هذه القضية فقد نزلت السياسة فى خصومتها الى حد محزن ومخجل معا ، فهى خصومة مزرية ليس فقط بمصريتنا نحن المصريين ، أو بوطنيتنا نحن الوطنيين ، أو بحريتنا نحن الأحرار ، أو بكرامتنا نحن الكرام ، بل برجولتنا نحن الرجال !

أنظروا الى الواقعة كيف وقعت ، والى الخصومة كيف نشبت ! عشرون سيدة من أشرف وأكرم السيدات والأوانس المصريات ، اللواتى تفتخر بمثلهن مصر والبلاد الشرقية جمعاء ، اجتمعن فى يوم الانتخاب بمكتب الأستاذ أحمد أغا المحامى ، القريب الى لجنة الانتخاب فى قسم الوايلى ، لمشاهدة ما بلغهن من اجراءات الحكومة فى الانتخابات ، فلما رأين بأعينهن كيف كان الناخبون وغير الناخبين ينتزعون من الشوارع والبيوت ويساقون فى اللوريات المسلحة رغم أنوفهم ليمثلوا مهزلة الانتخاب أو حرية الاختيار كما أرادت الوزارة أن تفهمها ، أخذتهن نشـــوة الحق وصـــيحته فهتفن بحياة دستـــور الأمة الحق وبســـقوط الانتخابات الزائفة الباطلة ٠

الرئيس : هل تسلم السيدات بالهتاف الذى حصل بفرض وقوعه من بعضهن ؟

الأستاذ مكرم : اننى باسم هؤلاء السيدات أقول ان الخصومة السياسية التى بيننا وبين صدقى باشا لا تزال قائمة وان ما هتفن به بالأمس مستعدون للهتاف به اليوم وفى كل وقت٠

★★★

ثم استطرد الأستاذ مكرم مرافعته قائلا :

رأت السيدات عمال الوزارة متلبسين بالجريمة ضد القـــانون والدستور والوطن ، وأدركن ان الانتخابات تزيف لتزييف ارادة الأمة فتسلم مصر بعـد العراق غنيمة باردة للغاصب بيد نفر من أبناء البلاد ، رأين كل ذلك فصاحت مصر المعذبة بألسنتهن صارخة ، مستغيثة ، هاتفة ، غاضبة ! ٠٠ فماذا كان من رجال البوليس وحفظة الأمن العام فى البلاد ! ماذا كان من أولئك الرجال الأشداء، كان منهم أن فزعوا الى معقل الأعـداء الحصين بصـــدور النساء ٠٠

واقتحموه والعصى الغليظة والدروع الحديدية بأيديهم ، والخوذات الفولاذية على رءوسهم والمسدسات فى جيوبهم والهلع فى قلوبهم ..

ولم يكتف أولئك الكماة بمحاصرة السيدات كأنهن أسيرات ، أو بالقبض عليهن كأنهن مجرمات ، بل امتدت ألسنتهم اليهن بالسب ، وأيديهم عليهن بالضرب ، وكن كلهن من فضليات الامهات والعقائل والكريمات ، فهذه زوجة وتلك بنت لمستشار أو لواء فى الجيش ، أو شيخ ، أو نائب محترم ، أو موظف كبير ، أو طبيب أو معلم أو محام أو ثرى وجيه فى قومه ، بل كان لهن جميعا شرف الانوثة وضعفها ... وأى رجل يحترم رجولته يرضى النفسه أن يعتدى على تلك الانوثة القوية بضعفها ، المصونة بحشمتها ولطفها !

تلك هى الخصومة التى نعنيها والتى تاباها شهامة الرجال وكرامة النساء ... خصومة وحشية لا فكرية انحدرت اليها السياسة فى آخر المطاف ، هى خصومة النمر للحمل ، فما بالك اذا كان ذاك مسلحا وهذا أعزل !

***

تلك هى الخصومة التى نعترض عليها ، أما الخصومة السياسية الفكرية فالسيدات خير أهل لها وهن يرحبن بها ويتمسكن بها ، لأنها خصومة الحق والشرف ، لا خصومة العنف والاعتداء ..

واليكم يا حضرات القضاة أقوال السيدات أنفسهن عن أعمال القسوة الوحشية التى ارتكبها رجال البوليس ارضاء للسياسة ، وطوعا لاحكامها ، اسمعوا يا حضرات القضاء كيف اعتدى البوليس على سيداتنا الشريفات ، فسبهن وامتهنهن بافحش القول وضربهن ومزق جلبابهن ، وفى آخر الأمر قادتهن النيابة الى هنا متهمات معتديات ! ...

***

ماذا تقول السيدة دولت الزينى :

السيدة دولت الزينى « كريمة المرحوم السيد الزينى » قالت :

« فى حالة وجودنا بالمكتب الذى كنا به وهو مكتب الأستاذ أحمد أغا كسر الباب علينا المعاون وجملة عساكر ودخلوا وأمرونا بالقوة بشدة : انزلوا على القسم فأجبنا ما الداعى وأى جريمة ارتكبناها ونحن لم نعمل شيئا الا هتافنا بحياة الدستور الذى يهمنا جميعا فقال : اقبض عليهم يا عسكرى بالقوة فتقدمت الى المعاون وتفاهمت معه وسألته : هل معه أمر من النيابة بهذا القبض فقال أنا أمرت وملزم بتنفيذ الأمر الصادر من رئيسى وبعد ذلك

جاء مندوب من القسم ومعه أمر من النيابة فعند اطلاعنا عليه وافقنا على النزول بطريقة سلمية وعند خروجنا من الباب الخاص بالمكتب جاء حضرة المأمور ومعه عساكر أخرى فوجدني أنا في المقدمة فقال « انت هنا بتعملى ايه » فأنا قلت يا بيه أنا نازلة القسم فقال لى « امشى بلاش مسخرة تعال يا عسكرى جر البنت دى » وهو يقول ذلك قبض على بيديه الاثنين وصدمني في الباب وقطع ملابسى فخجلت انى انزل وملابسى مقطعة فرجوته أن يسمح لى أن آتى بشيء من الملابس فلم يمكنني أن أقنعه وصمم على ان أخرج كما أنا وفعلا رضخت للقوة ، ثم رفعت المانتو واورت لنا تمزقا طويلا يبلغ ٢٥ سنتيمترا تقريبا وظاهر منه كتفها وجزء من ساعدها » .

★★★

وقالت السيدة وجيدة ثابت :

« وقبل ما نيجى هنا حضر المـــأمور وشد السيدات وقطع الكم بتاعى ثم أورت لنا كم يدها اليمنى ولاحظنا أن طرف الكم كان مخيطا بخيط أسود بأن كان طرفه مثنيا بهذا الخيط وقد أزيل الانثناء بمسافة ١٥ سنتيمترا تقريبا ثم ان المأمور جذبنى بالقوة ومزق المانتوه وقد «أورت» فتقا من الجهة اليمنى من الخلف يبلغ طوله ٢ سنتى تقريبا وأهان السيدات بشتائم فظيعة » .

وقالت الآنسة فاطمة على بك سالم :

البوليس فتح الباب بالقوة وتعدى على السيدات .. والعساكر دخلوا هجوم على السيدات ومعهم اثنين ضباط وبقوا يزقوا فيهم بأيديهم وسمعت واحد من الضباط يقول أنا عندى أمر من رئيس النيابة بأنى أنزلهم واللى ما ينزلش أنزله بالقوة ، فأنا وبعض السيدات قلنا له اوع تقدم على أى واحدة منا ونزلنا وتبعنا للقسم » .

قالت السيدة حرم الأستاذ محمد أمين لطفى :

« هجم البوليس والضباط اللى وياهم واستعملوا القوة بأى شكل وكانوا يزقون الستات بالقوة وكنا نلاحظ عليهم ونقول مايصحش تمدوا ايديكم على الستات » .

وقالت السيدة حرم حسن بك نبيه المصرى :

« أردنا النزول واذا بالمأمور يتهجم علينا بشكل فظيع ويهيننا ويجرنا الى الخارج حتى مزق بعض ملابس السيدات » .

وقالت السيدة حرم على باشا فهمى :

« البوليس هجم على المحل وكسر الأبواب وجه المأمور وجرنا بالقوة » .

وقالت السيدة حرم السيد محمد اسماعيل حب الرمان :

« وأخذنا البوليس بكل رزالة واهانة ووقاحة حتى انهم مزقوا هدوم احدى السيدات » .

★★★

ويستطرد الأستاذ مكرم فى مرافعته قائلا :

تلك بعض أقوال هؤلاء السيدات فى وصف فظائع أولئك الرجال ... والحق انى كنت أقرأ هذا الوصف المروع والخجل يأخذ منى كل مأخذ لأنى كرجل لم أجد من بين هؤلاء الرجال رجلا واحدا تجرى فى عروقه نخوة الرجال ، فيذب عن شرف ربات الحجال ، ولأنى كمصرى رأيت الحظ الأغبر قد شاء لمصر أن تقوم فيها وزارة لا تجد سبيلا الى الكرامة الا بانتهاك كرامة النساء ! ..

ولكن اذا لم يكن للرجولة فى بعض الرجال نخوة ، فهل لنا نسأل النيابة اذا كان للقانون فى بلادنا سطوة ، وللحق عزة ! .. واذا كان فلماذا لم ترفع الدعوى على هؤلاء المعتدين من رجال البوليس ، وما هو عذرها فى أنها لم تشرع ولو مجـرد الشروع فى تحقيق اعتدائهم ، وقد رأت آثاره بادية فى الثياب الممزقة ، والكرامة المنتهكة ! .. وهل النداء بسقوط الانتخابات الزائفة ــ وهى زائفة ملفقة ــ لا يوازيه فى نظر النيابة ضرب السيدات وتمزيق أثوابهن وخدش ناموسهن ، وقد رأت النيابة ذلك رأى العين وأثبتته فى محضرها ؟! ..

واذا لم تحقق النيابة هـذا الاعتداء كجريمة متصلة بالتهمة الموجهة الى السيدات أفما كان عليها أن تحققه على الأقل باعتباره دفاعا قدمته السيدات لدفع التهمة عنهن ؟

★★★

نريد أن نفهم كيف سمحت النيابة لنفسها ألا تحقق هذه الجريمة أو تتعقبها فى الوقت الذى سعت فيه الجريمة اليها ، وتوافرت الأدلة بين يديها ؟ كيف لم تسأل النيابة ــ ولو للسؤال ــ أحدا من رجال البوليس الذين عينتهم السيدات بوظائفهم سـواء فى ذلك المأمور والضباط والعساكر ؟ وأى قيمـة لتحقيق أبتر كهذا التحقيق ؟

نريد أن نفهم ، يا حضرات القضاة ، بأى قانون تحاجنا النيابة والقانون الذى به تحاكمنا ، هو الذى منه تحرمنا ؟ وأى عدالة هذه التى تغمض عينيها عند الحاجة ، وتفتحها ولا حاجة .

وسترون فيما بعد أن النقص فى التحقيق لم يكن مقصورا على ما تقدم . بل تعداه الى صميم التهمة نفسها ، فالسيدات متهمات بأنهن نادين بسقوط

الانتخابات الزائفة ، وقد رددن على هذه التهمة بقولهن أنهن رأين بأعينهن الناس يساقون للانتخابات فى لوريات مسلحة وهم يحتجون ويعترضون وما من سميع . ولكن النيابة لم تحقق هذه الواقعة ولم تحاول تحقيقها ، بل اكتفت باتهام السيدات ، وهم بيت القصيد ٠

★★★

وأخيرا رأت من الكياسة وحسن الذوق أن تصدر الأوامر « بترحيل » السيدات الى سجن الأجانب ، ولم تجد فى قاموس اللغة عبارة تؤدى المعنى المقصود من النقل الى عبارة « الترحيل » الشائنة فأثبتت فى أول محضرها ما يلى :

« بناء على ما تبلغ لنا تليفونيا من رياسة نيابة مصر نرجو ترحيل جميع السيدات الموجودات بالقسم الآن لسجن الأجانب » ٠

ثم أسهب الأستاذ مكرم فى الكلام على التطبيق القانونى مفندا جميع التهم وختم مرافعته طالبا البراءة وأن يبرهن حضرات القضاة لمصر وأن يقيموا الدليل على أن العدالة حق لا امتياز فيها وان القصاص فى مصر عقوبة لا انتقام ٠

وختم حضرة الأستاذ دفاعه المجيد بطلب البراءة للسيدات المتهمات واحتياطيا أن تأذن المحكمة للدفاع باثبات تزوير الانتخابات حتى تظهر صحة الوقائع التى استثارت هتافهن ٠

وأجمل ما فى هذه المحاكمة ، ان الجماهير الغفيرة ، التى امتلأت بها دار المحكمة ، والجماهير الغفيرة ، التى احتشدت خارجها كانت لا تكف عن الهتافات العدائية ضد اسماعيل صدقى ، ونظامه كما لا تكف عن الهتاف بحياة الدستور والحرية ٠

وقد خرجت السيدات المتهمات من مبنى المحكمة ، قاصدات الى بيت الأمة فاذا الشوارع والطرقات مليئة بالجماهير ، التى تهتف بحياة المتهمات ، وكانت السيارات ، التى تحمل هؤلاء المتهمات ـ كما قالت الصحف وقتئذ ـ تشق طريقها بصعوبة بالغة ٠

ونزل الجيش الى الشوارع ليمنع حفل تأبين لعمر المختار

على أنه اذا كان عجيبا ، وغريبا ، ان نظاما ، مخيفا ورهيبا كنظام اسماعيل صدقى باشا يضيق للغاية باحتشاد سبع عشرة سيدة وآنسة فى مكتب أحد المحامين ، فيجند جنوده ، للقبض عليهن بصورة مهينة ويقدمن الى المحاكمة بتهمة الهتاف ضده فقد كان من الأعجب ، والأغرب ان ذلك النظام ، الذى يعتمد على دكتاتورية لا مثيل لها فى التاريخ المصرى يعلن حالة الطوارىء فى العاصمة

ويأمر بانزال قوات الجيش اليها ، لا للدفاع ضد جيش أجنبي غاز هاجمها ، خلسة ، ولا للقضاء على ثورة دامية كانت تهدد النظام ، وانما لمنع الاحتفال بتأبين شخصية عربية اسلامة مرموقة أجمع العالم كله من مشرقه الى مغربه على احترامها ، وتقدير كفاحها ، وبطولتها : في ١٢ نوفمبر ١٩٣١ وجه حمد الباسل باشا الدعوة ، الى الاحتفال بتأبين البطل الشهيد عمر المختار ، وكان أحمد شوقي - وخليل مطران قد أعد كل منهما رائعة من روائعه التلقي في تلك المناسبة ، كان مما قاله أحمد شوقي :

ركزوا رفاتك في الرمال لواء
يستنهض الوادي صباح مساء
يا ويحهم نصبوا منارا من دم
توحي ، الى جيل الغد البغضاء

ثم يقول :

خيرت فاخترت المبيت على الطوى
لم تبن جاها ، أو تلم ثراء
ان البطولة أن تموت من الظمأ
ليس البطولة أن تعب الماء
افريقيا مهد الأسود ، ولحدها ،
ضجت عليك أراجلا ونساء
والمسلمون ، على اختلاف ديارهم
لا يملكون من المصاب عزاء
والجاهلية من وراء قبورهم ،
يبكون زيد الخيل ، والفلحاء

***

والفلحاء هنا من ألقاب عنترة العبسي ، البطل العربي المعروف الى أن يقول شوقي :

في ذمة الله الكريم ، وحفظه
جسد ببرقة وسد الصحراء
لم تبق منه رحى الوقائع أعظما
تبلى ، ولم تبق الرماح دماء

كرفات نسر أو بقية ضيغم
باتا وراء الساقيات هباء

وينهى أحمد شوقى رائعته بقوله :

يا أيها الشعب القريب أسامع
فأصوغ فى عمر الشهيد رثاء
أم ألجمت فاك الخطوب وحرمت
أذنيك حين تخاطب الاصغاء
ذهب الزعيم وأنت باق خالد
فانقد رجالك واختر الزعماء

***

أما خليل مطران فيقول :

ما السجن ؟ حين يزاد الخسف عن وطن
بعاره باء فى الأوطان موصوما
يغنى عن الشمس فى أعماق ظلمته
برق من الأمل المرموق ان شيما
عدن على طيبها لو شيب كوثرها
بظل باغ لعاد الورد مسموما
ما الموت ؟ ان تك منجاة البلاد به
من غاصب وانتصاف الشعب مهضوما
هذا هو العيش والقسط العظيم به
من خالد ، الفخر ، فوق العمر تقويما
ان الفداء لأغلى ما حمدت له
أخرى وان كان فى أولاه مذموما

***

الى أن يقول خليل مطران مخاطبا قيادات مصر :

يا سادة اطلعت مصر بهم شهبا
والليل خيم بالأحداث تخييما
فما ونوا للحمى عن واجب وبنوا

للمجد فيه طرفا كان مهدوما
أعزة ، ان بدا ، من فضلهم أثر
فكم لهم من جميل ظل مكتوما ،
وللفدى ، كالندى حال منزهة
في حكمها ينفس المجهول معلوما ،
شاركتم الجار في خطب ألم به ،
وما ادخرتم لشيخ العرب تكريما
كذا تكافىء مصر العاملين بما
يعدو الأماني تمجيدا وتعظيما
أكرم بها ، وهي تحني الرأس هاتفة
تحية أيها القتلى وتسليما

★★★

وأبادر فأقول ، انني استهدفت من نقل ما جاء في قصيدتي شوقي وخليل مطران في تأبين عمر المختار ، التركيز على معنى هام وخطير ، ذلك هو مشاركة الشعر في كل عمل وطني بناء وقيام الشعراء ، الوطنيين بدورهم في مجالات الكفاح الوطني ومن أجل ذلك . كان للشعر وقتئذ ، دولة وصولة وكانت قصائد الشعراء الكبار تنشر في الصفحات الأولى ، من صحف ذلك العهد ، وكان الشعب يحفظ كل تلك القصائد الوطنية . وكأنها أحب أغانيه اليه ٠٠ وأعود الى ذلك اليوم التاريخي . الذى أعلنت فيه حكومة اسماعيل صدقى حالة الطوارىء ، لتحول بين الشعب وبين الاحتفال بتأبين عمر المختار ، وأنقل للقراء بعض ما جاء في جريدة البلاغ « العدد الصادر في ١٣ نوفمبر ١٩٣١ » كصورة لاهتزاز الحكم الظالم أمام الشعب الواعى بحقوقه ، الحريص على حريته وكرامته :

★★★

جاء في الجهاد تحت عنوان : كيف صودرت حفلة تأبين البطل الشهيد عمر المختار : أصدرت الوزارة أمرها بمنع الاحتفال بتأبين الشهيد عمر المختار فأوفدت حكمدارية بوليس العاصمة . ألف جندى من رجال البوليس وبلوك الخفر . وأحاطت تلك القوات بدار سعادة حمد الباسل ، وسدت المنافذ المؤدية اليها وامتدت رباطات الجنود ، وعلى الخطوط الحديدية الممتدة على المحطات . ومنعت الوصول الى الدار التي كان مزمعا ، اقامة الاحتفال بها : وقد وصل حضرة صاحب السعادة فتح الله بركات باشا الى مكان الاحتفال فمنعه الرباط المضروب هناك وحال بين سيارة سعادته . وبين الوصول ، ووضع رجال

البوليس اسلاكا شائكة لمنع مرور السيارات كما وضعوا سيارات كبيرة لتعترض الطرقات ومنع جميع المدعوين ، من الوصول الى الدار ، وعاد جميع المدعوين أدراجهم من حيث جاءوا ، فكانت فضيحة ، وكانت مأساة .

***

وقد وقف ثلاثة جنود ، يسألون الضابط المكلف بالمنع عن سببه . ويقولون أنهم أجانب فقال لهم : « ونحن نمنع من أجل الأجانب نمنع من أجل ايطاليا » وقد قال ذلك على مسمع من شهود معروفين .

***

وتقول الجهاد : أعد سعادة حمد الباسل باشا سرادقا داخل منزله . فى سراى القبة ليكون محل الاجتماع لسماع القرآن الكريم وذكر مناقب المجاهد العظيم عمر المختار وبينما هو جالس فى منزله عصر يوم الأربعاء اذا برسول يحمل اليه خطابا من محافظ القاهرة يتضمن منع الاحتفال لانه سياسى . ويحمل الباشا مسئولية المخالفة وبعد ورود الخطاب بمدة حضر مأمور قسم مصر الجديدة على رأس قوة من الجند وترك القوة خارج المنزل ودخل معه ضابط بوليس وأبلغ الباشا ، أنه يحمل أمرا بهدم السرادق بالقوة فأمر سعادة حمد باشا ، بغلق أبواب المنزل واتصل برئيس نيابة مصر ، وطلب منه الحضور لضبط واقعة تهجم على منزل ليس فيه أحد ، وقال له ان القوة ستكسر الأبواب وتنتهك حرمة البيت بدون مبرر فلم يحظ منه بطائل ، وأخيرا قال الباشا ، للمأمور : دونك الأبواب فكسرها وافعل ما تشاء ، وأنا محتفظ بكل حقوقى ، ويقول حمد الباسل لحكمدار البوليس اسمع ما أقوله لك : ان هذا الاجتماع ليس سياسيا مطلقا ، وهو أبعد ما يكون عن السياسة المصرية بل هو اجتماع لذكرى رجل يمت الى بقرابة ، ومن العار ، أن يحتفل بذكراه السوريون ، والفلسطينيون ولا يحتفل به أقاربه وأكثر الناس به ارتباطا » فقال سعادة الحكمدار سأعمل جهدى وأتصل بك غدا .. فمضى الباشا ، فى طريقه من اعداد لوازم الاجتماع وتجهيز الطعام ، للفقراء والمساكين .

***

وفى ظهر يوم الخميس حضر وكيل الحكمدار ومعه مأمور قسم مصر الجديدة ، وأخبر الباشا بان الحكمدار لم يستطع رفع أمر المنع وغاية ما أمكنه أنه لا يتعرض لما فى داخل البيت مطلقا وانما سيحول بين الناس ، وبين الوصول الى المنزل فقال الباشا : أنا سائر فى طريقى وللقوة ، أن تفعل ما تشاء . ولم تمض الساعة الثالثة بعد الظهر ، حتى كانت الساحة ما بين محطة سراى القبة ، وكوبرى الزيتون غاصة بالجنود مشاة وركبانا مسلحين

بالعصى الغليظة والخوذات الحديدية وطوقوا البيت بعدة مناطق من الجنـود ووضعوا فى جميع النوافذ الأسلاك الشائكة حتى أمسى جميع سكان ذلك الحى فى حصار شديد ، ومظهر مرعب يخيل للناظر اليه أنه في ميدان من ميادين الحرب العظمى ومن الحوادث المدهشة المؤلمة ، ان التضييق لم يقتصر على صاحب الاحتفال وضيوفه فحسب بل تعداهم الى الفقراء ، والمساكين ، وذلك انه كان محددا لهم وقت الغروب لتناول الطعام صدقة على روح الفقيد فلما جاء الموعد ،

★★★

وأقبل الفقراء من كل فج فوجدوا الطريق مسدودا فى وجوههم ، وعبثا حاولوا ، الاقناع « بأننا فى حاجة الى ما نقيم به أصلابنا » فلم ينالوا بدل الاكرام الا اهانة وبدل الطعام الا ضربا ولكزا ، كل هذا والباشا ومن معه محاصرون فى المنزل لا علم لهم بما يجرى حولهم وما كان يظن ان القسوة والاستهتار بالقوانين ودوس الحريات يصل بالحكومة الى حد الحيلولة بين الجائع ، وطعامه والمسكين وما يسد رمقه ولما علم الباشا بأن الفقراء أهينوا وطردوا وتفرقوا من حيث أتوا ، غضب جدا وأمر بحمل ما كان معدا للفقراء الى قسم البوليس وتسليمه للحكومة ليكون ذلك شاهد عدل ، على تصرفات ما كان يتصورها أحد فى عصر من العصور ،

★★★

وفى منتصف الساعة السادسة دعا سعادة الباشا قواد الجنود وقال لهم : « الساعة الآن السادسة والنصف وقد مضى نصف ساعة ، على الموعد ، الذى كنا حددناه لحفلة الأربعين . وقد حالت هذه الجيوش الجرارة ، التى طوقت المنزل والطرقات عامة وجميع المنافذ وتلك السيارات والقوات العسكرية .. الشائكة هنا وهناك ، كأننا فى ميـدان حرب ، لا حفلة أربعين ، حالت هـذه القوات دون دخول أحد ، الى بيتى الخاص ، حتى أقاربى وأفراد أسرتى ، كان فى وسعى ، أن أترككم حيث أنتم الساعات الطويلة على هذه الحالة ، الى الصباح ولكنكم مصريون قبل كل شىء . وأعتقد أن واجبى الوطنى يقضى على أن أصرفكم بعد أن سجلت الوزارة بعملتها هذه ما سجلت وأن أخرج من بيتى وأنا ومن معى ، وأن يهدم السرادق الفراشون فى الحال ، حتى تنصرفوا الى واجبه اسمى وهو أمس الواجبات برجال الأمن ولا ريب أن البلد وما فيه من حوادث أهم بكثير من اضاعة أوقاتكم حتى تستخدمكم الوزارة فيه . وفى غير منفعة وأعتقد أن عسكريا واحدا أو عسكريين ، كان فيهما الكفاية اذا ما أرادت الوزارة التحقق ، من أن الحفلة التى حاربتها كانت حفلة بعيدة كل البعد عن السياسة المصرية التى تتفنن فى منعهـا بطرقها ، وأساليبها » وهنـا شـكره رئيس القوات الانجليزى . وقال أنه سيتصل برئيسه لابلاغه هذه العبارات قائلا .. أنه يؤدى وعساكره التعليمات الصادرة اليه من الوزارة .. فقال الباشا مخاطبا

القوات : ألا يوجد لصوص يسرقون أو قتلة يقتلون ؟ ألا يوجد حوادث [illegible] الأمن هي أهم جدا مما تقضون فيه أوقاتكم عبثا ؟ انى سأنصرف من بيتى ومن بيتى الخاص ٠٠ سأنصرف فورا ، ومعى أفراد أسرتى حتى لا أشترك مع المتسببين فى اضاعة أوقاتكم سدى ، وفى تسخيركم لغير ما استخدمتم له ٠٠٠

***

هذا وقد نشر عبد الرحمن عزام ، مقالا فى نفس العدد ، الذى نقلنا عنه وصف مصادرة حفلة تأبين البطل الشهيد عمر المختار تحت عنوان : « صدقى باشا يواصل مجاملته للطليان بالاساءة ، الى المسلمين والعرب » وقد جاء فى مقال الأستاذ عبد الرحمن عزام يرحمه الله ما يلى : أن منع حفلة التأبين اليوم ، بالقوة ، هو عمل انفردت مصر المستقلة به فقد أبن المسلمون الشهيد عمر المختار فى بلاد تعد لتكون وطنا قوميا لليهود تحت الانتداب الانجليزى وفى أخرى تحت الرعاية الفرنسية أما فى مصر التى تعد التكون وطنا قوميا لأهلها العرب وفى ظل راية ، يشرف عليها هلال وكواكب وعلى رأس حكومته اسماعيل صدقى باشا الذى ليس يهوديا ، ولا نصرانيا ولكن مسلما يحرم تأبين عمر المختار حينما يريد القيام به خاصة أهل مصر ، من المسلمين والعرب » أفهمت اذن أن الاستقلال والهوان صارا مترادفين » ٠

***

وينهى عبد الرحمن عزام مقاله بالاشارة الى تاريخ عمر المختار ، الشيخ الذى جاوز الثمانين ولم يستسلم لحكم الطليان منذ أن غزوا بلاده فى ١٩١١ ، ولم يرع الايطاليون لاسلامه ولا لعروبته حرمة : ولا لجوارنا قيمة ، وأقول جوارنا لا بصفتنا أمة عربية مسلمة فقط بل لان فى مصر ، مليونا من العرب المغاربة الذين يمتون الى قبائل برقة ، وطرابلس بأنسابهم » ثم يقول اذا كان الطليان لا يرون لهذه العلائق حرمة فهل رئيس الوزارة حين هم بما هم لم يدر بخاطره ان هذا المليون من العرب يجب أن تكون له حرمته فى نظر أى رئيس وزارة مصرية حتى ولو جرد من الدين ، والقومية ، والعاطفة ، أظن لو آنني استرسلت لانتهيت الى شيء آخر محقق وهو أن صدقى باشا قد نسى أيضـا صفته التى يستمد منها عذره فان أى حاكم لأى قوم لا يستطيع لمجرد الهوى والمجاملة أن ينساهم ولو كانوا على ما يرتضى من ذلة وهوان ٠

***

لقد انطوى عمر المختار شهيدا بطلا فقيرا معدما وخلفه ذرية ضعاف ، ولكنه خالد ، خالد فى قومه ، وفى العرب أينما كانوا وسننطوى جميعا وتبقى

أعمالنا نتقدم بها الى الله والى التاريخ فهل ترضى مصر أن يكون كتاب رئيس وزرائها الذى يتقدم به للحساب مجاملات عن اليمين والشمال ولمن ؟ للأقوياء والمتجبرين ، اللهم انا لا نسألك رد القضاء ولكن نسألك اللطف فيه » .

وأبادر فأقول أيضا اننى استهدفت من الاسهاب فى الحديث عن منع الاحتفال بذكرى الاربعين ، لوفاة الشهيد البطل ، العظيم ، عمر المختار ، عدة معان ، هامة وخطيرة ، هذه هى بعضها على سبيل المثال لا الحصر :

***

● لقد أردت — مثلا — التأكيد — ولو أن الأمر ، ليس أبدا بحاجة الى أى تأكيد — على ما بين البلدين الشقيقين ليبيا ، ومصر ، من علاقات نضالية قوية ، متينة ، راسخة، لا يزيدها مرور الأيام ، وتوالى الصعوبات وكثرة المعوقات ، الا قوة على قوتها ، ومتانة فوق متانتها ورسوخا الى جانب رسوخها : ان العلاقات النضالية التى تربط بين مصر ، وليبيا — وهى كما يقول التاريخ الذى لا يكذب أبدا — علاقات أزلية لم ينجح ولن ينجح أبدا لا فى الحاضر ولا فى المستقبل ، أى حاكم يستبد هنا أو هناك أن يعوق نموها أو ينال منها أو على الأقل يضعف من قوتها بل ان التاريخ — التاريخ الذى لا يكذب أبدا — يقول ، انه ما من مرة ، تعرضت فيها تلك العلاقات للضغط ، والارهاب وما من مرة أراد الأعداء والخصوم ، اضعاف تلك العلاقات أو النيل منها الا وكانت النتيجة عكسية تماما ، تقوى العلاقات ، بدل أن تضعف . تزدهر بدل أن تذبل ..

***

● أردت مثلا — التأكيد — ولو أن الأمر ، ليس أيضا ، بحاجة الى أى تأكيد — على ان التيار ، القومى ، العربى هو أصيل فى مصر ، قوى فى مصر ، نابع من مشاعر ، الجماهير ومن رغبتها القوية فى تحقيق القومية العربية مهما حاول الخصوم والأعداء ، النيل منه أو القضاء عليه : هذا التيار القومى العربى، القوى الأصيل ، القديم ، هو الذى قاد ، مصر ، ويقودها دائما ، الى أن تحمل لواء الدفاع عن العروبة ، وأن تتحمل القسط الأكبر والأوفر من التضحيات فى كل المعارك التى تخوضها الأمة العربية .

***

● أردت — مثلا — التأكيد ، ولو ان الأمر ، أيضا ، ليس بحاجة الى تأكيد — أى تأكيد — على أن الارهاب ، لا يدوم ، ولا يكتب له البقاء مهما بذل قادته من جهد ومهما استخدم رجاله من أسلحة ، كما أن كل القوى ، التى تنكل دائما بالشعوب وان حققت فى البداية بعض الانتصارات لابد وأن تدوسها الشعوب — فى النهاية بالأقدام .

● ولقد أردت أيضا التأكيد ــ ولو أن الأمر ، للمرة الأخيرة ليس بحاجة ابدا الى تأكيد ــ على أن تاريخنا الوطنى ملىء بالشخصيات التاريخية الفذة التى تتحمل الضغط والارهاب دون أن تلين لها قناة ودون أن تستطيع القوة الغاشمة مهما بذلت من جهود ومهما ارتكبت من جرائم أن تجعل تلك الشخصيات التاريخية تحنى هاماتها : عبد الرحمن عزام ، ذلك الذى شارك فى حمل لواء القومية العربية فى مصر ، فى أواخر العشرينات واجه اسماعيل صدقى الطاغية الجبار ، بكل قوة ، وقال فيه كل ما يمكن أن يقال فى دكتاتور عنيف عنيد ، يعادى الشعب الى ابعد حدود المعاداة ، حمد الباسل ، الشيخ الوقور الذى لم يخش السجن أو الاعتقال وآثر أن يهدم بيته على من فيه على أن يتنازل عن رأى ارتآه ، أحمد شوقى ، خليل مطران ، كل هؤلاء ، كانوا يعرفون جيدا ، علاقة اسماعيل صدقى الوطيدة ، بالاستعماريين الايطاليين ، الذين حكموا ليبيا بالحديد والنار ولكن عبقريتهم الفذة أبت الا أن تؤبن عمر المختار ، العدو اللدود للاستعمار الايطالى كأجمل ، وأروع ما يكون التأبين .

● وأخيرا ، وليس آخرا أردت من الاسهاب فى الحديث عن موضوع منع تأبين الشهيد العظيم عمر المختار ، طيب الله ثراه ، الدخول فى الحديث عن أكبر جريمة ارتكبها اسماعيل صدقى باشا فى حياته : لقد ارتكب اسماعيل صدقى ، الكثير من الجرائم : وأد الحياة النيابية السليمة ، فرض ــ بالحديد والنار ، على الشعب ــ دستورا جديدا يجعل السلطة كل السلطة للسراى ، وللحكومة خادمة السراى، واستخدم البوليس والجيش أشنع استخدام فنكل بالأبرياء من المواطنين: ملأ السجون والمعتقلات بخصومه السياسيين . وبالجملة ، كان عهده كما قالت محكمة النقض والابرام ، برئاسة عبد العزيز فهمى باشا اجراما فى اجرام ، ولكن تبقى جريمة تسليم واحة جغبوب المصرية الى ايطاليا « أشنع » و « أفظع » جرائم دولة اسماعيل صدقى باشا !! وهل هناك أشنع وأفظع من تسليم قطعة غالية من الأرض الغالية الى دولة أجنبية .

الفصل الثالث

تسليم واحة جغبوب

الجريمة الكبرى التى ارتكبها اسماعيل صدقى والتى لا يمكن أبدا أن يغفرها له التاريخ كانت تسليمه واحة جغبوب ، تلك القطعة العزيزة الغالية من أرض مصر ، الى الايطاليين الذين يستعمرون ليبيا ولقد وقعت اتفاقية تسليم واحة جغبوب فى ٦ ديسمبر ١٩٢٥ : وقعتها وزارة زيور باشا ، وزارة انقاذ ما يمكن انقاذه كما سماها زيور باشا نفسه ، أو وزارة اغراق ما يمكن اغراقه .
كما يقول التاريخ : وقعت تلك الاتفاقية فى غيبة البرلمان فى ٦ ديسمبر ١٩٢٥ ورفضت كل المجالس ، النيابيه التصديق على تلك الاتفاقية الى أن جاء برلمان اسماعيل صدقى ، فصدق عليها فى يونيو ١٩٣٢ ..
كل ذلك على النحو التالى :

***

سبق أن أشرت الى أكبر خطيئة ارتكبها اسماعيل صدقى باشا ونظامه بالتصديق على اتفاقية تسليم واحة جغبوب ، وذلك فى يونية ١٩٣٢ واتفاقية تسليم واحة جغبوب وقعتها وزارة زيور باشا فى ٦ ديسمبر ١٩٢٥ ، وقصة التنازع عن واحة جغبوب تصلح فى حد ذاتها أن تكون موضوع دراسة مستقلة لأنها فعلا قصة مثيرة باعتبارها نموذجا لاستهتار الحكام ، بشعوبهم ، ولمغالاة هؤلاء الحكام فى استرضاء سادتهم من المستعمرين ، واحة جغبوب ، أرض مصرية بحتة تعتبر واحدة من مجموعة واحات سيوة على مسيرة ٢١٣ كيلو مترا من جنوب غربى السلوم ، ١٢٠ كيلو مترا شمال غربى سيوة وقد كانت ايطاليا تستعمر برقة ، وطرابلس ، بينما بريطانيا تستعمر مصر ، وكانت ايطاليا على علاقة طيبة ببريطانيا ، وكانت بريطانيا تريد أن تجامل ايطاليا ، على حساب مصر ، فاذا بها توحى للحكام المصريين بأن يتنازلوا عن تلك الواحة ذات الأهمية الاستراتيجية لايطاليا ، ولكن الحكام المصريين ، الذين حكموا مصر بعد نهاية الحرب العالمية الأولى قد رفضوا جميعا التنازل عن تلك الواحة ، رغم الحاح

الفصل الثالث

تسليم واحة جغبوب

الجريمة الكبرى التى ارتكبها اسماعيل صدقى والتى لا يمكن أبدا أن يغفرها له التاريخ كانت تسليمه واحة جغبوب ، تلك القطعة العزيزة الغالية من أرض مصر ، الى الايطاليين الذين يستعمرون ليبيا ولقد وقعت اتفاقية تسليم واحة جغبوب فى ٦ ديسمبر ١٩٢٥ : وقعتها وزارة زيور باشا ، وزارة انقاذ ما يمكن انقاذه كما سماها زيور باشا نفسه ، أو وزارة اغراق ما يمكن اغراقه .

كما يقول التاريخ : وقعت تلك الاتفاقية فى غيبة البرلمان فى ٦ ديسمبر ١٩٢٥ ورفضت كل المجالس ، النيابية التصديق على تلك الاتفاقية الى أن جاء برلمان اسماعيل صدقى ، فصدق عليها فى يونيو ١٩٣٢ ..

كل ذلك على النحو التالى :

***

سبق أن أشرت الى أكبر خطيئة ارتكبها اسماعيل صدقى باشا ونظامه بالتصديق على اتفاقية تسليم واحة جغبوب ، وذلك فى يونية ١٩٣٢ واتفاقية تسليم واحة جغبوب وقعتها وزارة زيور باشا فى ٦ ديسمبر ١٩٢٥ ، وقصة التنازع عن واحة جغبوب تصلح فى حد ذاتها أن تكون موضوع دراسة مستقلة لأنها فعلا قصة مثيرة باعتبارها نموذجا لاستهتار الحكام ، بشعوبهم ، ولمغالاة هؤلاء الحكام فى استرضاء سادتهم من المستعمرين ، واحة جغبوب ، أرض مصرية بحتة تعتبر واحدة من مجموعة واحات سيوة على مسيرة ٢١٣ كيلو مترا من جنوب غربى السلوم ، ١٢٠ كيلو مترا شمال غربى سيوة وقد كانت ايطاليا تستعمر برقة ، وطرابلس ، بينما بريطانيا تستعمر مصر ، وكانت ايطاليا على علاقة طيبة ببريطانيا ، وكانت بريطانيا تريد أن تجامل ايطاليا ، على حساب مصر ، فاذا بها توحى للحكام المصريين بأن يتنازلوا عن تلك الواحة ذات الأهمية الاستراتيجية لايطاليا ، ولكن الحكام المصريين ، الذين حكموا مصر بعد نهاية الحرب العالمية الأولى قد رفضوا جميعا التنازل عن تلك الواحة ، رغم الحاح

بهؤلاء الوزراء واستهانتهم بالأمة وحقوقها أن يقدموا على ارتكاب جريمة تجزئة ملك الدولة بالتخلي عن جغبوب والدستور الذى يتبجحون بأنهم يعملون بأحكامه ينص صراحة على أن ملك الدولة لا يجزأ ولا ينزل عن شيء منه » .

★★★

والجدير بالذكر أن مفاوضات تسليم واحة جغبوب ، كانت تتم فى سرية تامة وكانت الصحف الوطنية تنادى باستمرار بالكشف عما يجرى فى تلك المفاوضات . ومن بين ما كتبه الأستاذ أمين الرافعى حول هذا الموضوع مقال بعنوان حول مشكلة جغبوب بتاريخ ١٧ مايو ١٩٢٥ أشار فيه الى ما تكتبه الصحف البريطانية عن واحة جغبوب ومن بينها ما كتبته صحيفة الديلى تلجراف التى قالت ان ايطاليا أرسلت الى الحكومة المصرية مذكرة جديدة تلح فيها بلطف « ألا تتأخر المسألة الخاصة بجغبوب ، أكثر مما تأخرت » ، كما أشار الأستاذ أمين الرافعى الى ما جاء على لسان مراسل جريدة المقطم فى لندن من أن بعض الوزراء المصريين يظهرون روح الاعتدال فى مسألة جغبوب بينما لا يزال الوزراء الآخرون وفى جملتهم بعض كبار أصحاب النفوذ السياسى الذين هم خارج الوزارة يظهرون العناد ويقيمون العقبات .

★★★

وكانت المقطم قد سبق لها أن نشرت قبل نشر ذلك الذى جاء على لسان مندوبها فى لندن أن آراء حضرات الوزراء ، غير متفقة حتى الآن فى مسألة الواحة المذكورة . وان هناك فريقا منهم يرى رأى اللجنة تماما ويتمسك باحتفاظ مصر بواحة جغبوب ، ومعنى هذا أن الفريق الآخر لا يرى هذا الرأى ولا يتمسك باحتفاظ مصر بواحة جغبوب » ويقول الأستاذ أمين الرافعى : ان جغبوب أرض مصرية وقد أجمعت اللجنة الحربية التى أوفدتها الوزارة لوضع تقريرها عن المسألة على أن هذه الواحة ضرورية لمصر ضرورة قصوى لأنها خير نقطة دفاعية من الوجه العسكرية للمملكة المصرية على حدودنا الغربية ، ويكتب أمين الرافعى مقالا آخر — فى جريدتى اللواء والأخبار وكانتا قد امتزجتا معا — فى ٣٠ — ٥ — ٢٥ تحت عنوان « غموض موقف الوزارة فى مشكلة جغبوب » قال فيه لا تزال سياسة الوزارة غامضة فيما يتعلق بمشكلة جغبوب وقد بدأ هذا الغموض منذ أذاعت الصحف أن هناك خلافا بين الوزراء ، فى صدد هذه المشكلة ففريق يتمسك بواحة جغبوب وفاقا لرأى اللجنة العسكرية التى انتدبت للقيام بهذه المهمة ، وفريق لا يرى هذا الرأى : طلبنا وطلب غيرنا تكذيب هذه الاشاعة اذا كانت غير صحيحة فلم تحاول الحكومة أن تقول كلمة فى هذا الموضوع فجاء سكوتها مريبا لأنه لا معنى للسكوت فى مثل هذه المواقف ذات الشأن على أن

هذا السكوت قد أعقبه نشر نبأ اذا صح ، كان في غاية الخطورة فقد نشرت جريدة ديلي ميل مقالا ، لمكاتبها السياسى عن المفاوضات بين مصر ، وايطاليا بشأن مسألة جغبوب قال فيه ما يلي : علمت أن حكومة القاهرة أعربت الآن عن رغبتها مبدئيا في الاعتراف بحق ايطاليا في واحة جغبوب ولكنها لا تزال تأبى البحث فليست مستعدة لقبول أساس آخر للمفاوضة غير هذا الاتفاق ، لأنه الوحيد الذى له قيمة قانونية نظرا لموافقة بريطانيا عليه » : هذا ما نشرته جريدة الديلي تلجراف وقد قابلته الوزارة المصرية بالصمت ، وهو صمت مريب حقا يحمل على الظن بأن الرواية صحيحة وهنا الطامة الكبرى لأن معنى صحة الرواية ان العنصر الذى كان يقول بعدم التمسك بجغبوب قد تغلب على العنصر الآخر فأصبحت الوزارة كلها تدين برأى الاعتراف بحق ايطاليا في جغبوب ولا ندرى كيف تعترف الوزارة بمثل هذا الحق المزعوم ، في حين أن ايطاليا لا تملكه فان جغبوب مصرية بحتة والدليل على مصريتها مستفاد من نفس اعتراف الحكومة الايطالية فاعتراف الوزارة المصرية المبدئى بحق ايطاليا على جغبوب يعد خطأ سياسيا شنيعا كنا نظن أن الوزارة لا تقع فيه ولا سيما وهى تعلم أنها لا تستند في عملها الى أية هيئة برلمانية فليس لها أن تعترف بحقوق للأجنبى وليس لها أن تتنازل عن أى شبر من الأراضى المصرية .

أما ما تقوله الديلي تلجراف من أن الحكومة المصرية غير راضية عن العوض الذى تأخذه في مقابل جغبوب فهذا أمر لا يقدم ولا يؤخر ما دامت قد قبلت التنازل عن الأراضى المصرية أضف الى ذلك أنه ما دامت الوزارة قد قبلت العمل بسياسة التساهل فان هذا من شأنه أن يغرى الحكومة الايطالية بالتشدد ، هذه الحكومة تطمع في أن تتساهل الحكومة المصرية الى آخر حد اذ المعروف أن من يفتح باب التساهل ، والمساومة في حقوق البلاد لا يعرف كيف يقف عند حد خاص . وبالجملة فان رواية الديلي تلجراف عن تساهل الوزارة المصرية اذا صحت كان من شأنها أن تزعج الأمة المصرية وتقلق بالها ، على أراضيها وسلامة حدودها فان هذه الأمة تعلم علم اليقين أن هناك لجنة عسكرية قررت أن واحة جغبوب ضرورية لأمن الحدود فكيف تقدم الوزارة على التخلى عن هذه الواحة مع وجود هذا القرار الأخير : الأمة لها الحق في أن تعرف موقف الوزارة في هذه المسألة الخطيرة فعلى الوزارة أن تتكلم ..

ولم تتكلم الوزارة لأنها كانت تعمل في السر على فصل واحة جغبوب عن مصر الى أن حققت لايطاليا ما أرادته في ٦ ديسمبر ١٩٢٥ والغريب بل المريب ، أن اسماعيل صدقى يدافع عن سياسته في هذا التسليم ويعيب على الأحزاب المصرية أنها صورت الاتفاق بصورة سوداء كعادتها ولسنا ندرى كيف كان يمكن للأحزاب المصرية أن تسكت على تسليم قطعة عزيزة غالية من أرض مصر » .

وحول موضوع واحة جغبوب يقول د. محمد حسين هيكل فى مذكراته : ان الناس لمشغولون بالحزب الجديد « حزب الاتحاد » وبالتحقيق فى مقتل السردار اذ جد فى الأفق السياسى ، ما استرعى الانتباه ، ذلك أن ايطاليا فكرت فى ضم واحة جغبوب اليها : وجغبوب بلد صغير واقع على حدود مصر الغربية بينها وبين برقة وجغبوب مقر السادة السنوسية المعترف لهم بالرياسة الدينية فى هذا الركن من العالم ، وكان تفكير ايطاليا فى ضم جغبوب مستندا الى اتفاق تم بينها وبين انجلترا أثناء الحرب ، حين أرادت انجلترا اخراجها من حيادها ، وخروجها على مخالفتها مع ألمانيا ، وانضمامها الى الحلفاء (انجلترا وفرنسا) وكان هذا الاتفاق مشهورا باسم اللذين وقعاه ، لورد ملنر وزير المستعمرات البريطانية والسنيور شالويا ، وكان طبيعيا أن تحترم انجلترا توقيعها على الاتفاق المذكور ، وأن تطلب الى الحكومة المصرية احترامه وكان قيام وزارة زيور باشا مما شجع ايطاليا على المطالبة بتنفيذه وشجع انجلترا على الضغط على الحكومة المصرية لتحترم تعهدا عقد حين كانت الحماية البريطانية مفروضة على مصر وكانت انجلترا لذلك تتحدث فى الشئون الخارجية باسم مصر

وقد لقى هذا الطلب الايطالى تبرما من جانب الشعب المصرى لكن ذلك لم يمنع من تأليف لجنة برياسة اسماعيل صدقى تولت المفاوضة مع السلطات الايطالية ، وقد كان هذا الاتفاق من أسباب عدم الرضى عن تصرفات وزارة زيور وأذاعت أن الايطاليين قدموا الأسانيد الوثيقة على أن جغبوب تقع فى برقة لا فى مصر ، لكنهم أرادوا مع ذلك أن يقنعوا الشعب المصرى بأنهم لم يذهبوا ليوقعوا اتفاقا مفروضا بل تفاوضوا وحصلوا على بدل عن جغبوب . وقد كان هذا الاتفاق من أسباب عدم الرضى عن تصرفات وزارة زيور باشا لما كان ينطوى عليه من تنازل عن جزء من أرض مصر فقد وجب عرضه على البرلمان لاقراره وتم العرض بعد أكثر من سنة من هذا التاريخ على ان البرلمان لم ينظر الاتفاق الى اليوم الذى أكتب فيه هذه المذكرات ، أى الى ما بعد أربع وعشرين سنة ، من عقده وتوقيعه .

وفى هذه النقطة يختلف د. هيكل مع الأستاذ عبد الرحمن الرافعى : د. هيكل يقول انه حتى عام ١٩٥٠ ، لم يصدق البرلمان على اتفاقية جغبوب بينما الأستاذ الرافعى يقول أن برلمان صدقى ، قد صدق على هذه الاتفاقية فى يونيو ١٩٣٢ ، وسواء صدق برلمان صدقى ، على الاتفاقية ، أم لم يصدق فانها بلا جدال أو شك ، اتفاقية باطلة بطلانا مطلقا ، لأن أى برلمان لا يمتلك ـ حتى ولو كان برلمانا شرعيا ـ وبرلمان اسماعيل صدقى هو بلا جدال أو شك برلمان غير شرعى ـ التنازل عن شبر واحد من الأرض !

وللعلم فان لنا فى هذه السلسلة دراسة متكاملة عن واحد جغبوب المصرية دائما .

الفصل الرابع

بالكلمة والنكتة والشعر والزجل

حارب شعب مصر دكتاتورية اسماعيل صدقى

وبعد الحديث عن جريمة تسليم واحة جغبوب ننتقل الى صورة من صور محاربة الشعب لنظام اسماعيل صدقى بكل صور المحاربة ، ومن بين الأسلحة القوية التى نجحت فى هدم نظام اسماعيل صدقى ، الكلمة ، النكتة ، الشعر ، الزجل ، وقد سبق أن أشرنا الى دور الكلمة فى محاربة دكتاتورية اسماعيل صدقى ودور اسماعيل صدقى فى محاربة الكلمة الوطنية الشريفة كما سبق أن أشرنا ـ ولو بايجاز شديد ـ الى دور الشعر ، حيث كان الشعراء ، الوطنيون يقومون بدورهم الوطنى الخطير فى مقاومة ديكتاتوريته كان الشعب ـ فى نفس الوقت يعتز بدور الشعر ، والشعراء ، فيحفظ القصـــائد الوطنية باعتبارها ثروة وطنية قومية وفى هذه الحلقة نشير الى دور الزجل وقد اخترنا نمـاذج للأزجال الوطنية التى كان لها دورها الهام والخطير فى زعزعة النظام الصدقى بعض الأزجال ، التى تخصصت فى نشرها مجلة روز اليوسف ، وكانت غالبيتها، ان لم تكن كلها للدكتور سعيد عبده ، وان كان لا يوقع عادة تلك الأزجال . من بين تلك الأزجال زجل بعنوان أخبار معاهدتنا .

يقول صدقى باشنا

آدى المريض شوف لى مغصه ايه واسهاله
واكشف على بطنه يا دكتور وقيسها له
كانت مصارينه خفت ايه نكسها له
طمنى وحياة عينيك الا أنا خايف
خيبة أملنا يكون واحد فقسها له

ويقول الطبيب :

كلتش سمك فى العشا . امبارح يكون فايت
أو دستيتين جنبرى من الجنبرى البايت
طلع لسانك كده ، واسكت بلاش عايط
مايكونش دا برد من طل الصباح لفعلك
على كوبرى بنها الجديد وانت عليه فايت

***

ويقول ابراهيم باشا فهمى « المريض »
أحلف ماكلت السمك شهرين ولا دقته
ولا الهوى طالنى عالكوبرى ولا طلته
دا المغص ده بس من يوم التلات شفته
يا دوب قريت فى الصحف أخبار معاهدتنا
ولقيت طحالى انفلت منى وما لحقته

***

خطاب من صـــدقى باشا الى سير برسى لورين المندوب السامى البريطانى »

حضرة جنـــاب المحترم ســـير برسى
بعـــد التحيـــة والســـلام الطيب
طال البعاد والبعـــد أثر فيـــه
من يوم جنابك ما ســـافرت للندن
ماله فضيلة جون سيمون القـــاضى
يعطيك نصيبك واللى نابك منها
دا الحق زى الشمس جنبـــك باين
وان كان لازم لك كام شاهد أنا واحد
اخلص بقى وامضى الورق وتعـــالى
لا البخت مال الحزب من أوجاعه
وتعـــالى الا تفـــلت أعصـــــالى
ياكودى من دنيا يا رســـــمالى

اللى ســـندنى ٣ ســـنين عالكرسى
والبوسه رطل عليك لوخدك ترسى
والبر فى غياب حضرتك ضاق بيه
تمضى الورق فى المــحكمة الشرعية
متتصدك فى التركة دى ومش راضى
وتعود ونســـتأنف هوانا المـــاضى
والتركة لك ما بين بيـــوت وجناين
وأبو زر عنده سبل الجمل يا زباين
وامسك بمعرفتـــك زمام الحـــــالة
أصبح لازم له ممرضـــــة ونقالة
امضى الورق واشفق بأه على حالى
يا ضلى يوم الشمس ما تحمى لى

محبكم صدقى

***

ومن هذه الأزجال أيضا زجل بعنوان : « تركت الآل علشانك » وتحت العنوان الكلمة التالية : أشيع فى الأسبوع الماضى نبأ عزم « سير جون سيمون »

وزير خارجية انجلترا على الاستقالة ، جاء فى الزجل على لسان صدقى باشا :

استنى لما أقول لك كلمة فى ودانك
استنى حالى عدم من كتر هجرانك
استنى مغرم بطول العمر ما خانك
استنى ياللى الدلال ولاك على قلبى
استنى ياللى تركت الال على شانك

ويرد سير جون سيمون :

يا باشا اتعب بقى م الجرى واعتقنى
وان كان بناتنا جواز أبريك وطلقنى
دنا ـ يا سايم ـ جربى منك رح يطقنى
مفاوضة بون ـ لسه عايز أيه منيش فاهم
ماقدرش أدحك جميع الناس على دقنى
بقول لك اتعب بأه واشفق على حالك
وبلاش تحنجيل دفال الله ولا فالك
واحد ، تلاتة ، أربعة عشرة اتناشر : بالك
ان قلت عشرين ولسه برده ماوقعتش
أنا حاستقيل م الوزارة دى وسيبهالك

★★★

ومن هذه الأزجال أيضا زجل بعنوان على الأرغول : صدقى باشا يستيقظ

الأوله آه
والثانية آه
والثالثة آه
الأولة موجة حب فى الحلم شالتنى

★★★

والثانية ايد من ايادى العز رفعتنى

★★★

والثالثة ريح من رياح الأرض هزتنى

★★★

والأولة موجة حب فى الحلم شالتنى
ثلاث سنوات وقالت هيص

★★★

والثانية ايد من ايادى العز رفعتنى
ثلاث درجات ، على بلاليص

★★★

والثالثة ريح من رياح الأرض هزتنى
ثلاث هزات ، نزلت فطيس

★★★

الأولة « برسى » دلعنى وهنانى وراح ولا جاش ،

★★★

والثانية « لبراشى » هشكنى ومنانى : آه التتاش

★★★

والثالثة ، جانى غراب البين وصحانى : وياريته انحاش

★★★

الأولة آه حبالى كلها دابت
والثانية راسى من حمل الهموم شابت
والثالثة آه نجمتى السحاب غابت

★★★

ومن الأزجال أيضا زجل تحت عنوان : « اجتماع مؤثر » اجتمع حزبا الشعب والاتحاد على أثر نقل المندوب السامى ، من مصر ، لتبادل العزاء

الدنيـــا القـــلابة	الفـــانية الكـــدابة
يقطعهـــا بوشـــين	من بعـد ابتسامتهـا
انقلبـت ســحنتها	فى طـرف دقيقتـين
والهيئـة الشـعبية	وأمتهـا الاتحـادية
اجتمعـوا الاتنـين	مقلولـين الراحـة
فى ميتـم ومنـاحه	ها السير برسى لـورين
شىء يصعب على الكـافر	لما الخفـة يسـافر

ولا بوس ولا توديع
ويفوت كده عشاقه

وقلوبهم لفراقه
تتمزع تمزيع ،

والدمع يبللهم
ويغرق مناديلهم

وتفيض به البلاليع ،
ويروح عز امبارح ،

زى الحلم السارح
فى لحظة ويضيع

واحد من خطباهم :
قال كلمة وواساهم

فيها بصبر أيوب
وقعد يشرح ساعة

فى التسليم والطاعة
للقضا والمكتوب

والسامعين : دايسخسخ
واللى جنبه مرخرخ

والسامر مقلوب
والحكما ملمومة

والاسعاف ملخومة
فى حبايب المندوب

والآخر يواسيهم
خدوا بخاطر بعضيهم

فى اليوم المكروه
وقروا الفاتحة جميعا

عالى جى سريعا
يمشى بمبدأ أخوه

ويحسن ويتعطف :
ويرق ، ويتلطف

مالا العقل يتنوه
يا الهى تصبرهم

عالنار وتدبرهم
فى الغلب اللى شافوه

وننقل فقرات من الأزجال الوطنية التى كانت مجلة روزاليوسف قد تخصصت فى نشرها بدون توقيعات من أصحابها وان كان الغالب انها كلها أو معظمها للدكتور سعيد عبده الذى كان عمله الحكومى يمنعه من الاشتغال بالسياسة ومن الاتصال بالصحف وخاصة الصحف المعارضة .

فى العدد رقم ٢٥٤ من الزميلة روزاليوسف ورد الزجل التالى فى صورة حوار بين صدقى باشا وعلى ماهر باشا ، والمصرى أفندى .

★★★

يقول صدقى باشا :

حكم البهدارى قلق نومى وهيجنى
للمسئولية العظيمة ليه بتحوجنى
بقى تزرعوا الشوك بأعمالكم وأنا أجنى
لازم ندقق ، ونعمل شغل رجالة
دى قنبلة فى البلد صوتها بيزعجنى

★★★

ويقول على ماهر باشا :

رجالك اللى تعبنا من مظالمهم
أسأل رجال الادارة عن جرائمهم
مأمور وضابط وأمباشى انت فاهمهم
شغلو القضا والنيابة وعذبوا فى الناس
وانت اللى مسئول وطول عمرك تسالمهم

ويرد المصرى أفندى بقوله :

خليه يحاسبك وحاسبه واحنا نتفرج
وخش له فى التضييق ياعم واتدرج
توبه البوليس فى التهم عالقد ومسرج
خلى الضمير يتشفى ويحاسب أصحابه
ويسأل اللى على بيت سعدنا حرج

★★★

وحول ترقيع وزارة اسماعيل صدقى واخراج على ماهر ومن والاه من الوزارة ، على النحو الذى أوضحناه من قبل ، وادخال وزراء جدد جاء فى زجل يحمل العنوان التالى « مهما ترقع » على لسان صدقى باشا :

طول حكمنا والادارة زى ماهية
قايمة بتنفيذ أوامرنا الادارية
والحالة ماشية تمام ، والجرة مخفية
فضحتنا يا للا فارقنا وشوف غيرنا
بلا بدارى ، بلا بيانات وزارية

★★★

ويرد على ماهر :

احنا سبقنا وفتنا الكرسى عقبالك
سقطنا قبلك وبكره السقطة جايالك
راح الكابوس بس امته راح يروق بالك
رقع وزارتك وهات ، واملا كراسيها
مهما ترقع محال الحكم يبقى لك
وداع ياكرسى ادحنا بخطرنا فتناك
راحة ضميرنا تساوى ألف كرسى معاك
وياللى بتقول مافيش أزمة وهيا وراك
الأزمة لابساك ، يا باشا وانت لابسها

أكلة وشاربة وماشية كل يوم وياك

★★★

وحول تمنيات ليلة القدر يقول وزراء اسماعيل صدقى .

يا ليلة القدر يا أحسن ليالينا
نطلب من الله نبقى فى كراسينا
وبرضه تيجى السنة الجاية ونفرح بك
فى الحتة دى زى ما تروحى تلاقينا
خلى الوزارة يارب ومصر تهواها
حنن علينا القلوب اللى جرحناها
وأوصل حبال المعارضة بعد تقطيعها
أحسن تروح المعاهدة واحنا وياها

★★★

ويرد جون بول :

أنا اللى تظهر لى ليلة القدر بوجودكم
واخد اللقمة بعد اللقمة من ايدكم
بعد البدارى وبعد كده « تسانا »
ليه الدعا بس : ليلة القدر ما تفيدكم

وحول حادث ، الحصاينة الذى سبق أن أشرنا اليه ومصرع بعض المواطنين بأيدى رجال البوليس يقول وزير الداخلية بالنيابة مخاطبا مدير الدقهلية التى تقع بلدة الحصاينة فى زمامها :

★★★

مالك مخضب ايديك مالك محنيهم
يا هلترى بشرى والا حبر دافيهم
دا دم انت جريح الحق وداويهم
من اللى ساء الحكومة فيك ومين وياه
خلينى أطعم ديدان الأرض دى بيهم

★★★

ويقول مدير الدقهلية :

دا دم ناس ، اعتدوا ع الحكم ونظامه

عصوا ، أماني المدير فيهم وأحلامه
اياك بقى ترضوا عنى زى مارضيتم
عند البدارى . ومدير أسيوط وأقلامه

★★★

وعندما أقام وزير الخارجية وليمـة « لفخامة » المندوب السامى البريطانى « سيربرسى لورين » بمناسـبة سفره الى انجلترا جاء على لسـان الوزير :

غلبنى فيك الهوى ياما الهوى قاسى
موش قادرأشرح سرورى لك وايناسى
يا ضلى يوم ما تحمى الشمس فوق راسى
جعلت ليل الغلابة بقدومك أبيض
الهى ما تشوف وحش طول ما انت موش ناسى
لا زمشى حاجة تكون يمكن ، لها كاتم
قول لى عليها ونا فى خنصرك خاتم
وأمر البى كما لبى زمان حاتم
بس أوعى تغفل جنابك يوم عن الدفة
الا فى بحر الحياد الموج بيتلاطم

★★★

وعندما ذهب اسماعيل صدقى ، للعلاج فى الخارج وناب عنه محمد شفيق باشا يقف شفيق باشا ـ فى الزجل طبعا ـ أمام دار المندوب السامى البريطانى يقول :

★★★

يا هوه أنا ف عرضكم واحد يطمننى
أنا من الخوف فى راسى برج طار منى
سير برسى سافر وسابنى ما سأل عنى
والباشا ، لبراشى حاجبه يغيب ويلعب لى
كأنه جزار لأمر الدبح مستنى
حتى ابراهيم فهمى يسأل عن مصارينه
لعن لى خاش العباد والمنص وسبنينه
يانايبة الشوم ، وحطت ع اللى كارهينه
قال أيه بقى له ثلاث أيام ماينامشى
والعجل لما يقع تكتر سكاكينه

ما تردوا ، ما تقولوا خلونى أهياكم
جاش م الحبايب خبر ع الصب ترياكم
ماتنشفوش ريقى داهية تنشف أزياقكم
ماكنا أصحاب زمان مين دا اللى نساكم
ورد المحبين واساكم ونياكم !

★★★

ويخاطب علام باشا الوزير الأول اسماعيل صدقى بعد أن اختاره صدقى باشا لوزارة الزراعة ، يقول :

فضلت يا باشا بالآمال تمنينى
وتمدلى الحبل استقرب تعدينى
حتى انطفا شمعنا جاى تهادينى
قال بالزراعة : زراعة أيه دنا عينى
على بال ماشفتك يانور اتمققت عينى

★★★

وعندما استقبل « مجلس نواب صدقى باشا » صدقى باشا نفسه بتحية طلع القمر جاءت دولة الزجل تترجم هذه التحية على لسان توفيق رفعت باشا :

★★★

طول ماانت بدر فى جنح الدجى غايب
العين بتبكى وقلب المجلسين دايب
والجسم مصلوب ومن تحت الركب سايب
دارى العيون ياقمر ، لا اللحظ يجرحنا
ما تبقى من الصبوة « شيخ » منا ولا « نايب »
لولا قانون السلاح فينا وتهديده
اللى يشيل السلاح أو يمسكه بايده
ولولا الصعب يابن الناس تجديده
كان كل نايب مسك لك ياقمر مطوه
ولما هليت قطع ساعة رآك ايده

★★★

ويرد صدقى باشا بقوله :
أنا كنت ديك النهار « هتلر » مدابحكم

أصبحت فيكم قمر باللحظ يجرحكم
كفاية القلب بأه ياناس وتاودونى
وبلؤلؤ ، الفم وبورد الخدود بحكم
وبلاش فضايح ياهوه الله لايفضحكم

★★★

وهكذا تستمر دولة الزجل فى مهاجمة دكتاتورية اسماعيل صدقى دون أن ترحم الرجل أو ترحم نظامه : حتى عندما أوشكت نهاية النظام على الاقتراب لم تتخل دولة الزجل ، عن مهاجمته : يعود صدقى باشا من الخارج ومعه علام باشا فى باخرة واحدة وقد اقتربت نهاية النظام دون أن يدرى صاحبه يقول صدقى باشا مخاطبا علام باشا :

حوش الدموع عن عنيك لا الدمع دبلهم
وارخى جفونك كمان سنتى وسبلهم
واضحك ورن الشفف حبه وبلليهم
كأن فم الحبيب توك مقبلهم
قربنا نرسى خلاص يا باشا والأحسن
نطمن الحزب ، والعزال نخبلهم

★★★

ويقول علام باشا :
اضحك على الخيبة ولا اضحك على المحنة
ولا على البومة ، اللى عششت ريحنا
بعد الزمن ما صالحنا واتعدل ريحنا
سيبنى أعدد وأفضفض من تباريحنا
ما اعرفش اضحك وسن الرمح جارحنا

★★★

ويقول اسماعيل صدقى :
اخيه عليك فى سياستك دى وتدبيرك
الحزم تضحك ، ولو أكل الزمن خيرك
وتنضرب تعمل ان الضرب فى غيرك
ويبقى الخزوق طول كده وتنشد مزاميرك
ويقول : « من القوة أخد الدم موصوف لى »
او تطرش الدم من طيقان مناخيرك

ويجرى – فى الزجل – حوار ممتع بين إسماعيل صدقى باشا وعدوه اللدود ، الابراشى باشا كما يجرى بين الذئب والحمل يقول صدقى باشا :

عطشان يا باشا وطالعه م العطش عينى
والعرقسوس دا شفا اسمع وداوينى
واكسب ثوابى وهات السطل واسقينى
أنا ذنبى أيه لما تسقى الناس وتحرمنى
وانا اللى فضلة خمير السطل ترويني

***

ويقول الأبراشى باشا :
ذنبك وقوفك على نبعى وتعكيره
واخوك كمان كان شتمنى مرة فى التيرو
وحك لى بصباعه فوق عضمة مناخيرو
ماتقولش لأ ، دى حاجات مكتوبة فى أوراق
اشرب من البحر روح ما ينفعك غيره !

***

ويرد صدقى باشا قائلا :
آمنت بالله خلاص الجدى طاب لحمه
والجزارين بصبصواله واستوى شحمه
وانحط له الذئب فى باب المندرة يزاحمه
يا رحمة الله ، بحق السيدة زينب
خللى الكانون ناره هادية وقللى فحمه

***

وقبل أن تنتهى دكتاتورية اسماعيل صدقى بساعات وبينما البحث جار عمن يخلف « الميت » قبل ان يعلن نبأ الوفاة رسميا ويجىء كبار القوم على ماهر باشا ،حمد الباسل باشا وغيرهما ، وغيرهما ليكونوا تحت الطلب فى الساعة المناسبة ، ساعة تشكيل الوزارة الجديدة ، يخاطب بعض هؤلاء العائدين الأبراشى باشا ، الذى كان يحرك من قبل السراى كل الخيوط بأصابعه قائلين :

عملنا أيه فيك مقابل عملتك فينا
لما من الفرش فى باريس تصحينا
وتبيت الجنة ياولده ، على ادينا
وتبيع لنا وقة الأمال بتعريفة

وليجى نلقى مناحة مطرح الزينة
الله يسامحك يا كاهن يا مجرحنا ،
يا مشمت الجار فى خيبتنا وجار جارنا

★★★

ويقول الأبراشى باشا مشيرا الى رسم . لصدقى باشا وهو جالس على كرسى الوزارة مترنحا :

بلاش بكا يا جدع واسكت بلا نيله
عايزين تهدوا بناية العمر فى ليلة
خلوه ياخد لو كمان فى الكرسى تعسيله
لا المشيلة كانت عليه ـ حارسه النبى ـ ثقيلة
كل الحكاية يومين . والجمر يتوهوج
يرمى اللى لازق فى قعر الدست بالتيلة !

★★★

ويعود الأمل الى صدقى باشا من جديد فى صورة حكاية القط . والفيران . يقول اسماعيل صدقى بعد أن خيل اليه أن الأزمة قد انتهت :

زفوا البشاير للنادى يا أولادى
أهى جت سليمة المرادى من غير مصاريف
والنصر جانا بتقيله وباكليله !
والسبع جبناه من ديله ، يالطيف يالطيف
حاكم رئيسكم واد راسى ، كده وسياسى
والمكر فيه بند أساسى من صنف نضيف
كانوا الفيران فى دولتهم وف صولتهم
القط عكر ميتهم الله يجازيه
اتلم مجلس وزراهم على كبراهم
وسنكروا الجحر وراهم الا يخطيه ،
ووقف خطيبهم ع المنبر ، الله ، أكبر
كأنه جوز خالة عنتر ، ابن الايه
ونادى فى صوت حيانى ، يا اخوانى
عندى اقتراح مالوش تانى عملى ووجيه
القط توضع فى رقبته جنب صنمته
جرس اذا خطى عتبته اسم الله عليه
نسمع رنين صوته نهرب قول نتكهرب

ونبط للجحر الاقرب نتحصن فيه
هتفوا الجميع للفكرة دي وقالم آدي
مافيش صحيح فى الحتا دى الا انته يابيه
ماتيجوا نحتال حيلتهم ، على قطتهم
ونجرى تشخيص روايتهم فى « الباشا » اياه
نحط فى رقبته جلاجل ، شبه مناحل ،
ونخلى حسبة كام راجل يستنوا وراه
يبقى ان مشى ولا اتكلم ، ولا سلم
على حد فى ركن السلم نعرف نواياه

★★★

ويقول شفيق باشا :
الفكرة دى مش بطالة ، يا رجالة
فيها ضمانة للحالة ودوام الجاه
بس الجلاجل دول عيبهم ، فى تركيبهم ،
من فيكو اللى يركبهم وناروح وياه !

★★★

وفى العدد ، الذى تعلن فيه روزاليوسف خروج التابعى من سجنه بعد أن قضى أربعة أشهر فى سبيل الصحافة والمبدأ ، تكون آخر الأزجال الموجهة الى صدقى باشا بصفته رئيسا للوزارة فى صورة حوار بينه وبين عدوه اللدود الأبراشى باشا يقول الأبراشى باشا مخاطبا صدقى باشا الذى ارتدى ملابس طباخ :

ريحة شياط يا أخى من الحلل فايحة
الصلصة جت وحشة ولا السمنة جت سايحة
ولا خالفت القانون يا أسطة واللايحة
فين اليمين يا أخى اللى انت أقسمته
لا الطبخة تطلع عظيمة من ايدك نايحة

★★★

ويقول صدقى :
انت اللى عندك طراوة وحياة « الشاذلى »
دى طبخة يا باشا لا تقولى لى ، ولا تعيدلى
طبخه على شانها حق الشمع يتأدلى

على بال ما غير هدومى الوسخة وحياتك
أغرف ودوق الكباب و « الطورلى » واشهدلى

★★★

وتنتهى دكتاتورية اسماعيل صدقى أما بالاستقالة كما يقول اسماعيل صدقى باشا ، وأما بالاقالة كما يقول غيره ويكون عبد الفتاح يحيى باشا بالخارج ، وتتألف الوزارة فى غيابه ويختار هو لرئاستها ، دون ان يكون له الحق حتى فى اختيار وزرائه ، على النحو الذى جاء فى أول زجل وجه الى عبد الفتاح يحيى باشا كرئيس للوزراء يقول عبد الفتاح يحيى باشا مخاطبا « مؤلف الوزارات » ومحرك خيوطها من وراء ستار زكى الأبراشى باشا : الصورة التى مع الزجل ، الأبراشى بائع بطيخ ، وعبد الفتاح يحيى يشترى البطيخ :

الشمعة ما تتعرفشى الا من ضوئيا
اكسر لنا وحدة م البطيخ كده ندوقها
يأخذ على نور ، ياسيبها والثمن فوقها
اما تبيع لى ، على العميانى بطيخك
دى تبقى نيلة على الفاكهة وعلى سوقها ؟

★★★

ويقول زكى الابراشى باشا وهو يمسك واحدة من البطيخات العشر، التى وضعها على عربته بعدد وزراء وزارة عبد الفتاح يحيى باشا :

آدى العشر بطيخات اللى انت طالبهم
ياتاخدهم العشرة بالجملة على عيبهم
ياتسيبهم العشرة غيرك يستمخ بهم
مكسر مافيش « وزيور باشا » مستعجل
بلاش لكاعة ، حتاخد ولا حتسيبهم

ولا يجد عبد الفتاح يحيى باشا الا الاستسلام فيقول :

أمرى الى الله ما دام الصنف كفراوى
مش بالكتير الخمسة منهم يطلعوا مأوى
معلهش عدانهم فى الأكل سنطاوى
البيعة عال والثمن موش بطال
تاوى البضاعة يا راجل فى السبت تاوى

ونكتفى بهـذه الأمثلة لننتقل الى الحـديث عن سقوط دولة اسـماعيل صدقى باشا ..

الفصل الخامس

وسقطت دولة اسماعيل صدقي باشا

وتقفز الى الأذهان بعض الأسئلة ، التى تتعلق بهذا النظام ، ومكانته بين الأنظمة الدكتاتورية الأخرى ، التى سبقته ، وعاصرته ، وأعقبته كما تتعلق بحياة هذا النظام نفســه : هل طالت ، أكثر مما يجب بفعل عوامل صـناعية هامة وخطيرة ؟ أم انها انتهت وكان يجب لها ألا تنتهى فى زهـرة الشباب ؟ والذى نستطيع أن نقوله ـ اجمالا ، لا تفصيلا ـ ان دكتاتورية اسماعيل صدقى هى دكتاتورية من نوع خاص ، تختلف فى كثير من الأمور عن دكتاتورية هتلر ، أو موسـولينى أو غيرهما من الدكتاتوريين الأقوياء الأشـداء : انها دكتاتورية غير مســتقلة ، دكتاتورية تسـتمد قوتها من قـوى أخرى ، ظاهرة أو خفية انها دكتاتورية ذات وجهين : هى قوية عنيفة رهيبة فى مواجهة الشعب ، وهى ضعيفة هزيلة بل مغرقة فى الضعف وفى الهزال فى مواجهة السراى ، ودار المندوب السامى ، ان اسماعيل صدقى ، فيما يتعلق بالشعب ، رجل فظ ، غليظ القلب : يعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، يقفل هذه الصحيفة أو تلك

★★★

ويرسل هذا الكاتب أو ذاك الى أعماق السجون : يفصل المئات من العمد ، ومشايخ البلاد والموظفين رغـم أنف الدستور الذى صـنعه ورغـم أنف كل اللوائح ، والقوانين : انه يستخدم الجيش والبوليس للقضاء على أية مظاهرة ضده ولا يهمه سقوط المئات من رجال الجيش أو البوليس أو الجمهور ، ولكن صدقى باشا هذا الحاكم القوى الرهيب العنيد ، ضعيف الى أبعد الحدود ، مع رجال السراى ، أن الابراشى باشـا رجـل السراى ، يستطيع أن يحيل ليل اسماعيل صدقى الى نهار ، كما يستطيع ان يحيل نهاره الى ليل ، انه ـ أى الأبراشى ـ قادر على ان يضع العراقيل ، كل العراقيل أمام حكومة اسماعيل

صدقى ، فلا تكاد تتحرك يمنة أو يسرة . ولا تكاد تنتقل خطوة ما لا الى الأمام ولا الى الخلف .

★★★

وصدقى باشا هـذا الحاكم ، القوى الرهيب العنيد ، يكاد يفيض رقة وعذوبة تجاه دار المندوب السامى البريطانى : انه ينتظر الأيام والأسابيع فى انتظار موعد ، مع السير برسى ، لورين ، المندوب السامى البريطانى فى مصر ، وعندما يتحقق الحلم ويأذن المندوب السامى باللقـاء ، يحرص صـدقى باشا ووزراؤه ، على ألا تفوتهم حركة أو سكنة من حـركات المنـدوب السامى ، ان ابتسامته ، تعنى الرضا التام على الوزارة ، وان تكشيرته ، تعنى ان الوزارة مقدمة على أزمة عنيفة لا أحد غير السير برسى لورين يعرف ماذا ستكون نهايتها .

ورغم ان دكتاتورية اسماعيل صدقى باشا كانت قاسية وكانت رهيبة الا انها ـ وتلك شهادة التاريخ ـ كانت تسير والى حد ما وفق قواعد ، واضحة جليه وكانت تقف ـ حقيقة ـ عند حدود معينة لا تتخطاها : كان اسـماعيل صدقى ـ وتلك شهادة له ـ يحترم القضاء فاذا ما أصدر القضاء أمرا بالافراج عن متهم ما لم يبادر ـ كما يفعل غيره ، من الدكتـاتوريين ـ الى اعادته الى السجن ، أو اعتقاله ، واذا ما أصدر القضاء مثلا حكمه ضد مصادرة صحيفة معينة أو كتاب معين ، قام ، هو بمصادرته ، نفذ حكم القضاء فور صدوره :

★★★

ان اسماعيل صدقى لم يفرض دكتاتورية كاملة على كل شىء ، وعلى كل شخص فى مصر . انه لم يصدر مثلا ـ قرارات بتعطيل كل الصحف التى كانت تهاجمه بقسوة عنيفة بصفة دائمة : انه لم يقبض على كل الذين هاجموه وأسرفوا فى مهاجمته بلا اذن من النيابة أو بلا أمر من القضاء ، ولكن العديد من رجال الادارة والبوليس ، برضاه أو سكوت منه قاموا بارتكاب الكثير من الجرائم ، التى يندى لها الجبين ولكن كم جريمة ارتكبت فى عهد اسماعيل صدقى وكم ضحية سقطت خلال فترة حكم اسماعيل صدقى ؟ اننا لو أحصينا كل ما وقع فى أيام اسماعيل صدقى باشا من جرائم ولو قيمنا كل جريمة على حدة ولو عددنا الضحايا ، التى سقطت طوال عهد اسماعيل صدقى ، لوجدنا أنها أقل بكثير من تلك التى سقطت فى فترات وصف الحكم فيها بأنه ديمقراطى !

★★★

وفيما عدا حادث « البداري » وحادث الحصاينة لا نذكر حوادث امتهنت فيها الانسانية كما حدث في مصر ، في كثير من العهود ، التي وصفت بالعهود البرلمانية « الشعبية » .

★★★

ولكن لماذا حصلت دكتاتورية اسماعيل صدقي ، على تلك الشهرة المدوية ولماذا اعتبرت « كرمز » للدكتاتورية الطاغية الباغية في تاريخنا الحديث ؟

إذا جاز لمثلي ان يحاول الرد ، على هذا السؤال فانني أقول : لأن الشعب كان في أيام اسماعيل صدقي ، واعيا ، الى أبعد حدود الوعي ، وكان يقظا الى أبعد حدود اليقظة ، ولأنه ومنذ الأيام الأولى لدكتاتورية اسماعيل صدقي لم يستسلم أبدا ، بل أعلن مقاومته العنيفة لكل اجراء استبدادي اتخذه اسماعيل صدقي ، ثم ان زعماء تلك الفترة ـ وتلك حقيقة تاريخية ـ يجب أن نفخر بها جميعا ـ كانوا رجالا حقا : لم يكن النضال بالنسبة لهم نضال كلمات وشعارات ولم يكن الكفاح بالنسبة لهم كفاح « سرايات » وصالونات وانما كان نضالا وكفاحا ، حقيقيين نابعين من أصالة شعبنا ، ومن اصراره على تحقيق أهدافه ومطالبه ، كان بعض هؤلاء الزعماء يقضون الليالي على أرصفة محطات السكك الحديدية وفي أعماق ، أعماق الصحراء ، بعيدا عن العمران لأنهم يريدون أن يضربوا المثل للقواعد التي تثق فيهم وتأتمر بأمرهم ، وكان بعض هؤلاء الزعماء لا يخشى المجابهة مع قوات الجيش أو البوليس ، أو قوى الاستعمار الأجنبي وانما كانوا يعرضون أنفسهم وهم وسط جماهيرهم للخطر ، بل للموت ذاته ،

★★★

فاذا أضفنا الى ذلك كله ان عهد اسماعيل صدقي قد واجه البلاد ، ونيران ثورة ١٩١٩ لم تكن قد خمدت بعد ، كما ان الايمان بالحياة الديمقراطية السليمة كان وقتئذ في أوج مجده وقوته كما ان الفساد السياسي ، لم يكن قد استشرى تماما في القواعد ، والقيادات السياسية ، كما أن اسماعيل صدقي باشا نفسه لم يكن قد تمرس تماما على الأساليب الدكتاتورية كما انه أيضا لم يكن مطلق اليد في اتخاذ كل ما يراه من اجراءات وقرارات : لقد كانت السراي تؤيده الى حد كبير ، وكانت تريد منه ان ينتقم من الشعب الى حد كبير أيضا ولكنها في نفس الوقت كانت تخشى من قوته ، اذا ازدادت على ما يجب وكانت تخشى ارتماءه في أحضان دار المندوب السامي البريطاني فيصبح من الصعب عليها اقالته كما ان دار المندوب السامي بدورها لم تكن مخلصة له دائما ، كان سير برسي لورين يحميه ويثق في قدراته المالية والادارية ولكنه كان في نفس الوقت لا يريد ان يربط نفسه وبلده بهذا الدكتاتور الصغير الذي لا يطيقه شعبه والذي

لم يتوقف عن مهاجمته يوما واحدا ، خاصة وان نذر الحرب كانت قد بدأت تظهر فى الأفق ، وكانت بريطانيا العظمى تريد أن تضمن ولاء مصر فى اية حرب قادمة وكان هذا الضمان — فى رأى بريطانيا العظمى — لا يتم الا بأن يوقع زعماء الشعب المصرى كلهم ، أو جلهم على معاهدة صداقة وتحالف معها ٠

★★★

لقد جاء اسماعيل صدقى الى الحكم فى ٢٠ يونيو ١٩٣٠ وغادره طائعا ، أو كارها فى ٢١ سبتمبر ١٩٣٣ وهى فترة طويلة جدا اذا قيست بالفترات التى قضاها فى الحكم من سبقه من رؤساء الوزارات ، وهى فترة قصيرة جدا اذا قيست بالفترات التى اعتاد ان يبقى فيها فى الحكم الدكتاتوريون الكبار او الصغار ، وقد بدأ صدقى باشا حكمه قويا عنيدا متغطرسا واثقا من بقائه فى الحكم عشر سنوات على الأقل وقد واجه أول ما واجه البرلمان ممثلا فى مجلسيه بالقوة ، والعنف فطلب — مثلا — من ويصا واصف رئيس مجلس النواب أن يعطيه عهدا ، بالا يتكلم عضو من أعضاء المجلس بعد تلاوة مرسوم تأجيل انعقاد البرلمان وطلب منه كتابة ان يجيئه الرد كتابة قبل الساعة الواحدة بعد ظهر اليوم نفسه فلما رفض ويصا واصف — وما كان له الا ان يرفض — أغلق البرلمان وحاصره بالقوات المسلحة ولكن أعضاء البرلمان — وكانوا رجالا — أبوا ان يستسلموا لاسماعيل صدقى فأمر رئيس مجلس النواب رجال المطافى بأن يحطموا بالبلط السلاسل التى قفلت بها الأبواب الخارجية ، لمجلسى البرلمان

★★★

ودخل النواب والشيوخ الى قاعتهم بعد ان خلدوا فى تاريخ الكفاح البرلمانى ، يوما عرفه تاريخنا المعاصر بيوم تحطيم السلاسل ، ولم يتراجع القادة والزعماء ، والشيوخ والنواب عن مقاومة اسماعيل صدقى فى الوقت الذى لم يتراجع فيه أيضا اسماعيل صدقى عن ضرب الحركة الوطنية ضربات قوية عنيفة بل مخيفة ! الغى دستور سنة ١٩٢٣ واستبدل به آخر من صنعه ، الغى قانون الانتخاب المباشر وجعل الانتخاب من درجتين أنشأ حزبا لا يعتمد الا على المستوزرين ، خاض به الانتخابات — التى قاطعها الشعب كله — ليكسب له الأغلبية المطلقة بكل ما عرفه التاريخ — حتى ذلك التاريخ — من وسائل ، التزوير والتزييف : ومضى اسماعيل صدقى ما بقى من عام ١٩٣٠ والنصف الأول من عام ١٩٣٢ يفرض حكمه على الشعب بالحديد ، والنار ، معتمدا ، كل الاعتماد ، على السراى وعلى دار المندوب السامى ، البريطانى ، حيث وجدت كل منهما فى اسماعيل صدقى باشا ضالتها المنشودة ، التى تحقق لها أهدافها فى سهولة ، ويسر ٠

وبالرغم من أن المفاوضات المصرية البريطانية كانت دائما ، الصخرة التى تتحطم عليها الوزارات المصرية الا أن صدقى باشا كان حريصا كل الحرص على أن تبدأ تلك المفاوضات مع بريطانيا لأنه يثق أولا فى بريطانيا ، وفى سيربرسى لورين بالذات ، ولأنه يريد ثانيا أن يكسب بعض التأييد الشعبى فى مصر اذا ما اعترفت به بريطانيا مفاوضا ويجرى اسماعيل صدقى فى جنيف محادثات — لا مفاوضات — مع جون سيمون وزير خارجية بريطانيا ٠ تبدأ المباحثات فى مأدبة عشاء يقيمها صدقى باشا للسيرجون سيمون فى ٢١ سبتمبر يحضرها حافظ عفيفى باشا وزير مصر المفوض فى لندن ، والمستر ايدن الوكيل البرلمانى لوزارة الخارجية البريطانية ٠ ويشير جون سيمون — فى مأدبة العشاء — الى صفات صدقى باشا كرجل ادارى ، أمكنه اعادة النظام فى بلده كما يقول مخاطبا اسماعيل صدقى : ان بريطانيا يسرها ان ترى أمضاءكم ممهورة على اتفاقية لأننا نعرف الآن الشخص الذى نتعامل معه وأن قيمة الاتفاقية — كما سبق أن ذكرتم — تقدر بقيمة من يقوم ، بتنفيذها ! ويلتقى فى اليوم الثانى (٢٢ سبتمبر) صدقى باشا مرة ثانية بالسير جون سيمون فى حفلة شاى أقامتها عقيلته و ٠٠ و ٠٠ ولا يدور فيها أى حديث سياسى على الاطلاق ٠

ويبدأ نجم اسماعيل صدقى — من ذلك التاريخ — فى الأفول ٠

★★★

ولكن كيف ولماذا ؟

أكبر أخطاء اسماعيل صدقى باشا ، أنه وهو الرجل الاقتصادى ، الالمعى ، العالمى ، الماهر ، الماكر ، عاش فترة من الزمن ، فى أضغاث أحلام : لقد حلم — مثلا — أنه يستطيع أن يحكم مصر الى الأبد ، فما دامت السراى راضية عنه ، وما دامت دار المندوب السامى البريطانى فى مصر لا تطيق رؤية أحد سواه فى كرسى الوزارة ، فما الذى يهمه بعد ذلك أو قبل ذلك ؟ الشعب مثلا ؟ ان الشعب لا يهمه فالشعب فى رأيه ، هو شعب كل وزارة تجىء الى الحكم ٠٠ يصفقون دائما ، للرئيس الجديد ، لا يهمهم من يكون ذلك القادم الجديد هل هو رجل ديمقراطى مؤمن بالشعب أم هو رجل دكتاتور يحتقر الشعب ويزدريه ، وانطلاقا من هذا المعتقد الخاطىء راح صدقى يضـــع لنفسه كرئيس للوزارة خطة دقيقة محكمة ، ينفذها طوال الفترة ، التى حددها لنفسه أو حددوها له وهى البقاء فى رئاسة الوزارة عشر سنوات على الأقل ٠ ومنذ اليوم الأول لمجيئه الى ديوان رئاسة الوزارة ٠ وهو يحتقر الشعب ويزدريه ، أن واحدا من الأربعة عشر مليونا ، الذين كان يتكون منهم شعب مصر ، لم يكن يهمه فى قليل أو

كثير . ان الذى يهمه بالدرجة الأولى دار المندوب السامى البريطانى ممثلة فى سيربرسى لورين ، والسراى الملكية ، ممثلة فى زكى الأبراشى باشا وما دام هو موضع عطف ورضاء هذين الشخصين فان كل شىء على ما يرام رغم غضب الشعب المصرى ، ورغم ثورته عليه ! لقد وجد اسماعيل صدقى باشا نفسه فجأة من بين زعماء مصر ، رئيسا للوزارة فى فترة من أخطر فترات التاريخ المصرى : انه وحده الذى اختير لقيادة السفينة ، لا حزب يسانده ، ويعضده ، ولا برلمان يقف الى جانبه يستمد منه العون . انه وحده كل شىء : لقد كان بالأمس لا شىء فأصبح اليوم وبلا دستور ، أو انتخابات ، أو برلمان كل شىء ،

***

ورأى اسماعيل صدقى باشا أنه وقد كان لا شىء فى مصر ، وقد أصبح كل شىء ، بدون أى شىء ، لماذا لا يجرب هو نفسه شخصيا أن يكون قادرا على أن يقول للشىء كن فيكون · انهم يريدون حياة ديمقراطية تعتمد على الدستور وعلى الأحزاب · فلماذا لا يقوم هو بتفصيل دستور معين يختار هو نفسه له مواده ، ليحقق تماما . وبالقدر الذى يريده ــ كل أهدافه ، وآماله ــ ولماذا لا ينشىء هو حزبا خاصا به ، تماما كما ينشىء عزبة فى سمنود ، أو زفتى أو ميت غمر ، يختار هو بنفسه اسم الحزب ويختار هو نفسه كل أعضاء الحزب من خاصة خاصته ، من أصدقائه ومعارفه ، ومحاسيبه الذين يعتمدون عليه والذى يعتمد هو عليهم فى نفس الوقت بحيث يكون الحزب خاتما ، ينقله من هذه الأصبع الى تلك الأصبع دون جهد ما ، وما دام قد أنشأ الحزب فلينشىء للحزب صحيفة وما دامت الحكومة معه ، فان الصحيفة ستكون غنية بالاعلانات والاشتراكات : ان كل من يرشح نفسه ــ مثلا ــ لمنصب العمدية ، يجب أن يقرأ صحيفة الشعب لصاحبها اسماعيل صدقى ، ويجب أن يقدمها لمعارفه وأصدقائه ومحاسيبه ، وجيرانه ، ولو كانوا أميين ، والا فكيف يمكن أن تتوافر فيه شروط العمدية ، اذا لم يكن من أعضاء حزب الشعب الذى يرأسه اسماعيل صدقى ، واذا لم يكن من قراء صحيفة حزب الشعب لصاحبها اسماعيل صدقى !!

***

وقد استفاد اسماعيل صدقى وهو ينشىء حزب الشعب ، وجريدة الشعب من تجربة سابقة ، نجحت على المستوى الحكومى ، الى أبعد حدود النجاح ونعنى بها تجربة حزب الاتحاد وصحيفة حزب الاتحاد وعن حزب الاتحاد يقول الأستاذ عبد الرحمن الرافعى : فى غمرة من الحوادث ، والأحداث ، وفى الوقت الذى كانت تستهدف فيه البلاد لعاصفة من أقسى عواصف البغى ، والعدوان ، فوجئت الأمة فى يناير ١٩٢٥ بظهور حزب جديد يسمى حزب الاتحاد ، وهذا الحزب هو وليد ارادة السراى . جمعته من بعض المنفصلين عن الوفد ، وكان

لحسن نشأت باشا وكيل الديوان الملكي ورئيسه بالنيابة ، القسط الاكبر في تأسيسه ، وتوجيهه الى الخطط التي ترسمها السراى ، وأساس الفكرة التي أوحت بتأليف هذا الحزب . هي أن الشعب يجب أن يسيره الحاكم ، كما يشاء ويهوى ، وأن تكون السراى هي مرجع الحكم وهي مصدره ، أما الشعب فلا يصح ان تترك له ارادة في الحكم ، أو توجيهه بل يجب أن يحكم بواسطة حكومة . تفرض عليه فرضا ، دون أن يكون له رأى فى قيام الوزارات أو سقوطها وبعبارة أخرى لا محل لما يسمونه الدستور واذا كان لا بد من نظام دستورى فليكن نظاما صوريا ، أو كان لا بد من أحزاب فليكن أهمها ، وسيدها الحزب الذى تنشئه السراى ، أو يخضع لارادتها وتحركه كيف تشاء ، وهذا الضرب من الحكم هو من أنواع الحكم المطلق ، وأساسه اهدار حقوق الشعب والرجوع به الى نطاق الذل والعبودية وهو نظام يمنع معه كل تقدم سياسى ، أو أخلاقى فى البلاد من أجل ذلك كان تأسيس حزب الاتحاد خليقا بأن يقابل بالسخط والاستنكار ، وقد كان حقا اختيار اسم حزب الاتحاد لهذا الحزب مدعاة للعجب . اذ كيف يكون تأليف حزب يزيد فى هوة الانقسام ، حزبا للاتحاد لا شك أن هذا الاسم ، هو من أسماء الاضداد ، كما جاءت تسمية حزب آخر ألفه اسماعيل صدقى باشا سنة ١٩٣٠ وسماه حزب الشعب من أسماء الاضداد أيضا ، ومن مهازل القدر ، أن حزبى الاتحاد والشعب قد اندمجا فيما بعد وتسميا باسم حزب الاتحاد الشعبى وهذا أيضا هو بلا مراء من أسماء الأضداد . فلا هو حزب للاتحاد ولا هو حزب للشعب ، ولا هو حزب للاتحاد الشعبى ! . »

★★★

وعن حزب الشعب نفسه قال عبد الرحمن الرافعى ، قال صدقى فى كتابه الى الملك حين تأليف وزارته انها لا تنتسب فى مجموعها ، وأفرادها الى هيئة أو هيئات سياسية ، ولم يكن هذا القول الا خداعا وتغريرا ، وكان غرضه أن ينسحب وينسحب زملاؤه من الأحزاب ، التى كانوا ينتمون اليها ليؤلف منهم عصبة تسندها قوة الحكومة ، لأن غرضه هو الحكم ، يصل اليه بقوة الحكومة وأنف الشعب راغم ، فلما اطمأن الى بقائه فى الحكم ، رأى أن يؤلف حزبا جديدا يرتكن عليه فى الحياة الصورية ، السياسية ، التى أنشأها ، ففعل ما فعل حسن نشأت باشا حين ألف حزب الاتحاد سنة ١٩٢٥ والتاريخ يعيد نفسه ، وقد نفذ عزمه ، فأسس حزبا سماه حزب الشعب ، واتخذ له دارا فخمة بشارع قصر العينى ، واجتمعت الجمعية التأسيسية لهذا الحزب يوم ١٧ نوفمبر ١٩٣٠ وأعلنت تأسيسه ، وكانت هذه الجمعية مؤلفة ممن جمعهم صدقى باشا لتأييد وزارته نذكر منهم أحمد طلعت باشا ، توفيق دوس باشا ، محمد مصطفى باشا ، صالح حقى باشا ، محمد علام باشا ، عيسوى زايد باشا ، صالح لملوم باشا

قلليني فهمي باشا ، عبد المجيد فريد باشا ، أحمد جاد الرب باشا ، محمد مقبل باشا ، محمود بك الطوير ، علي باشا فهمي ، الياس بك عوض ، راغب عطية بك ، الدكتور عبد العزيز نظمي بك ، السباعي المصري بك ، حافظ عابدين

★★★

وتولى اسماعيل صدقي رئاسة هذا الحزب ، وأصدر جريدة يومية سماها الشعب ، وأخذت الآراء تروج لهذا الحزب وتدعو الناس بمختلف وسائل التهديد والاغراء ، والتوريط الى الدخول في زمرته مثلما فعلت مع حزب الاتحاد من قبل » ويقول اسماعيل صدقي في مذكراته عن حزبه : أنا من الذين لا يميلون الى الحزبية ، ولا يحبون التقيد بالأحزاب ، ولذلك لم أنضم طول حياتي السياسية قبل سنة ١٩٣٠ الى حزب ولم أؤلف حزبا ، وقد تألف حزب الأحرار الدستوريين برئاسة عدلي يكن باشا ، واشترك فيه زميلي ثروت باشا . وكلاهما كان صديقا حميما لي ، ومع ذلك لم أنضم اليهما ، ولم أشترك يوما في عضوية هذا الحزب . ولكن بعد تأليفي الوزارة ، ووضع دستور ١٩٣٠ واعلان الانتخابات لقيام برلمان جديد في ظل هذا الدستور ، رأيت أنه لابد للوزارة من استنادها الى غالبية برلمانية ، وقد كنت أؤمل أن يؤيدني حزب الاتحاد ، نظرا لصداقتي لأعضائه الذين شعروا بأني سلكت الطريق القويم ، ومما يؤسف له ، ان المشاكل الشخصية لعبت في ذلك دورها المقوت ولم يعمل حساب لما قلته باخلاص عندما توليت الحكم « وهو انني عابر سبيل » ومن العجيب أن الباقين من الأحرار الدستوريين ائتلفوا مع الوفد وكانوا قد عانوا منه ما عانوه بحجة أنني اعتديت على دستور سنة ١٩٢٣ وفاتهم انهم هم الذين أجلوا الحياة النيابية وأوقفوا الدستور ثلاث سنوات قابلة للتجديد وحكموا البلاد أربعة عشر شهرا حكما وصفوه هم بأنه حكم دكتاتوري . لذلك رأيت في تلك الظروف أن أؤلف حزب الشعب ورئي في أول الأمر أن يسمى حزب الاصلاح ، وقد انضم اليه عدد من أعضاء حزب الأحرار الدستوريين ، وحزب الاتحاد والمستقلين . وقد تحددت مبادىء حزب الشعب على النحو التالي :

★★★

● استقلال مصر استقلالا تاما ، والمحافظة على سيادة مصر على السودان وحقوقها كاملة فيه !!

● الاتفاق مع الدولة البريطانية على المسائل المعلقة بيننا وبين الدولة المصرية ، والعمل على تنفيذ هذا الاتفاق بما يضمن استمرار حسن التفاهم بين الدولتين .

- الغاء الامتياز ·
- دخول مصر جمعية الأمم ·
- تأييد النظام الدستورى والمحافظة على سلطة الأمة وحقوق العرش ·
- ضمان استقلال القضاء ·
- اصلاح الشئون الداخلية ·

وقد خرج الحزب الى حيز الوجود فى ٨ ديسمبر ١٩٣٠ . واجتمعت جمعيته العامة ، وانتخبت اسماعيل صدقى رئيسا له ، وعبد الفتاح يحيى وتوفيق دوس وعيسوى زايد وكلاء ، ومحمد علام مديرا للادارة ، وأحمد رشدى سكرتيرا ، وعبد المجيد نافع ، مساعدا للسكرتير !

وأعلن اسماعيل صدقى لمراسل الديلى تلجراف أنه دستورى وأنه لا ينوى الحكم بالطرق الأوتقراطية « بل أحكم بوساطة البرلمان ، وقد ادعى خصومى السياسيون ان الأمة معهم ، فأنا أدخل فى مضمار الانتخابات التى ستثبت قيمة دعواهم ، وقد قرروا مقاطعتها ، ولكن طرق الارهاب لا يمكن السماح بها ، وسيرى العالم بالتأكيد ان الجماهير المصرية التى ستشترك فى الانتخابات بنفس النسبة التى اشتركت بها فى الانتخابات السابقة على أقل تقدير · واننى بعد أن أفتتح البرلمان فانى أؤمل ، أن تتكون الحكومة من المفاوضة لعقد معاهدة مع بريطـــانيا !

وتوجهت الجماهير المصرية الى الانتخابات ، ولكن على الورق فقط وفاز حزب الشـــعب بالأغلبية الساحقـة الماحقـة ، فى الانتخابات بفضـــل أول وأضخم وأهم تزوير انتخابى فى حياتنا النيابية على الاطلاق · وظل برلمان صدقى باشا قائما بعمله خير قيام يؤيد اسماعيل صدقى ، الى أبعد حدود التأييد ، يصفق له دائما وأبدا فى « الفاضى والمليان » كما يقولون ، الى أن نقل برسى لورين المندوب السامى البريطانى فى مصر فى أغسطس ١٩٣٣ ليشغل وظيفة سفير لبريطانيا فى أنقره ، لأنه أسرف ــ كما قيل ــ فى تأييد سياسة البطش التى سارت عليها وزارة اسماعيل صدقى باشا ، وعينت بريطانيا بدلا منه السير مايلز لامبسون وكان من قبل وزيرها المفوض فى الصين ، وكان قد نجح فى عقد معاهدة بين الصين وانجلترا أنهت الخلاف الذى كان قائما بين انجلترا والصين · وقد جىء بمايلز لامبسون على أمل أن يعقد بدوره معاهدة بين مصر وبريطـــانيا ·

***

وكان تغيير سير برسى لورين ونقله من مصر مغضـــوبا عليه الى أنقره يؤكد بأن وزارة اسماعيل صدقى باشا ، قد أصبحت على كف عفريت . وجاء

التغيير الوزارى . قبلت استقالة اسماعيل صدقى باشا فى ٢١ سبتمبر ١٩٣٣ أى بعد شهر ونصف الشهر من نقل السير برسى لورين ، وجيء بعبد الفتاح يحيى باشا . ويقول الأستاذ عبد الرحمن الرافعى عن ذهاب اسماعيل صدقى ، ومجيء عبد الفتاح يحيى . مع أن وزارة صدقى كانت بغيضة الى الشعب ، فان الكثيرين لم يكونوا يتوقعون استقالتها ، بل كانت مفاجأة ، حتى أن زملاءه فى الوزارة لم يعلموا بها الا بعد تقديم كتاب الاستقالة وقد بناها على أن صحته لم تعد تحتمل أعباء منصبه والواقع أن صحته كانت تحتمل بقاءه فى الحكم .

★★★

ولكن السبب الحقيقى ، الذى دعاه الى الاستقالة هو أن السراى قد انتهت من استخدامه فى اذلال الشعب ووضع نظام الحكم القائم على أساس انتهاك حقوقه والزراية بارادته ، فانتهت مهمة صدقى باشا ، فى نظرها ، وأرادت أن تستبدل به سواه لأن الحكم المطلق لا يطيق البقاء على رئيس وزارة طويلا ، يمكث فى منصبه بل ان من مظاهر هذا الحكم الرغبة فى كثرة التبديل ، والتغيير واذ رأى صدقى باشا ، أن الرغبة السامية قد انحسرت عنه لم ير بدأ من اعتزال منصبه ، مكرها أخاك لا بطل ، وليس صحيحا أن الاعتبارات الصحية هى التى دعته الى الاستقالة فانه فى الوقت الذى زعم فيه ذلك بدأ منه أن يبغى السيطرة على الوزارة التى تخلفه موهما نفسه أنه مازال بعد استقالته رئيس حزب الأغلبية فى البرلمان ، ولقد أشار الى هذا الاعتبار فى كتاب استقالته الذى قدمه الى الملك فأعرب عن أمنيته فى أن يضم جهوده الى جهود العاملين ، على تأييد هـذا النظام أخص منهم حزب الغالبية البرلمانية الذى أتشرف برئاسته » . فهذا الكلام معناه ان صحته تحتمل أعباء النضال البرلمانى الذى أخذ يمنى نفسه به باعتباره رئيسا لحزب الغالبية البرلمانية . وقد كرر هذا المعنى فى اجتماع عقده لهذا الحزب بعد استقالته مباشرة ، وطلب فيه أن تواجه الوزارة الجديدة البرلمان ،

★★★

وفى هذا معنى التحدى لها ، ويدل قطعا على أنه استقال من الوزارة لاعتلال صحته ، بل مرغما حانقا ، ولهذا توعد الوزارة بالحرب والنضال ، وفاته أن الحزب الذى ظن أنه عدته ، فى النضال انما اصطنعه وهو فى الحكم ، وهو حزب جمع أشياعه فى ظل الحكم ، وانضموا اليه لأنه يتولى الحكم ، فهو حزب يتبع الحكم ، أينما سار ، وبعبارة أخرى ، هو حزب الحكومة أيا كانت هـذه الحكومة ولذلك كان من تهكم الأقدار أن الحزب هو أول من تنكر لصـدقى باشا وخذله بعد أن أقصى عن الحكم وهكذا تتكشف الحقائق التى يقوم عليها الحكم المطلق ، فالأحزاب التى يصطنعها هذا الحكم ، أو يصطفيها أن هى الا أحزاب صورية لا ارادة ولا أهداف لها الا أن تسير فى ركاب الحاكم وحسب .

ويقول الأستاذ الدكتور يونان لبيب رزق ، يصف في كتابه « تاريخ الوزارات المصرية » الأيام الأخيرة لوزارة إسماعيل صدقي : سافر صدقي باشا للعلاج ، وخلال غيابه حدثت أشياء وأشياء كانت كلها تؤدي الى نهاية عهده في الوزارة ، ثم الى نهاية عهد دستور ١٩٣٠ الذي وضعه : أول هذه الأشياء استفحال نفوذ القصر ، خلال غياب صدقي في الخارج ، يقول صدقي باشا في مذكراته انه أثناء غيابه برز رجل القصر زكي الابراشي باشا ، الذي أخذ يبث نفوذه ويتدخل في شئون الحكم ، ولما عدت من أوروبا وجدت الحال لا يطاق » ، وفي نفس الفترة وفي أغسطس عام ١٩٣٣ على وجه التحديد قررت الحكومة البريطانية نقل السير برسي لورين ، مندوبها السامي في القاهرة وتعيين السير مايلز لامبسون محله ، واتخذ هذا النقل تدليل على قرب تغيير السياسة الانجليزية في مصر كما حدث مع تغيير لويد ، من قبل ، مما دعا صدقي باشا الى أن يصرح ، وهو في باريس بأنه يود أن يتابع المندوب السامي الجديد في مصر ، سياسة الحياد ، كالسير برسي لورين فلا يتدخل في السياسة المصرية لأن هذه الخطة وحدها أوجدت في مصر كثيرا من السكينة والطمأنينة ٠٠ ونتيجة لكل ذلك فان صدقي باشا قد قرر وهو في الخارج أن يقدم استقالته حالما يعود الى مصر ، وهو ما عبر عنه لبعض المصادر البريطانية مبديا امتعاضه الشديد من اتساع نطاق تدخل القصر في شئون الحكم ٠

★★★

ويقول د٠ يونان لبيب رزق : وفعلا تقدم الرجل — اسماعيل صدقي — بهذه الاستقالة في أعقاب عودته الى البلاد في أوائل سبتمبر الا أن الملك استمهله لبعض الوقت، ثم لم يلبث بعد نحو أسبوعين — وفي ٢١ سبتمبر — أن قبل استقالة وزارة صدقي الثانية نتيجة لاختلاف بسيط حول تعيين حسن صبري باشا ، فبينما كان صدقي يرغب في تعيينه وزيرا للمواصلات أو أي وزارة أخرى ، أصر الملك على أن يعين وزيرا للمالية ولم يرضخ صدقي لاصرار القصر ، فقدم استقالته وذهب لتشكيل ثالث وزارات عهد دستور ١٩٣٠ . ويقول د٠ لبيب رزق : يعجب المعاصرون من الطريقة التي نحي بها صدقي من رياسة الوزارة ، ويرون ، أن أقل ما توصف به هذه الطريقة هو الجحود لرجل سخر كل مواهبه ، وكل مجهوده وكل ذكائه ونشاطه للغرض الذي القي عليه ولكن لا تلبث الوثائق البريطانية أن تكشف لنا عن وجهة نظر الملك ففي لقاء بين الملك فؤاد وبين السير برسي لورين في ٤ نوفمبر ١٩٣٣ بعد عودة الأخير من بلاده التي كان فيها أثناء التغيير الوزاري : في هذا اللقاء يسوق الملك سببا معقولا من وجهة نظره على الأقل لما قام به من التخلص من حكومة صدقي : يقول الملك أن مركز صدقي كان قد زاد تأثيره في البلاد الى الحد الذي أصبح يخشى معه أن يتحول الى

دكتاتور وانه أى الملك لم يكن يوافق على تركيز السلطة فى أيدى شخص بعينه على النحو الذى تركزت به فى أيدى صدقى ، أما صدقى نفسه فانه قد شعر أن افتعال القصر للأزمة التى أودت بوزارته على هذا النحو ، انما هو الثمن الذى كان عليه أن يدفعه نتيجة لسياسته هو شخصيا بتقوية السلطات الملكية على النحو الذى قويت به بمقتضى دستور ١٩٣٠ وهو ما صرح به بدوره للمندوب السامى البريطانى حين شكا من زيادة تدخل القصر فى تفاصيل الادارة وفى مختلف التعيينات فى مناصب الدولة واختفاء الرقابة الدستورية الفعالة على أعمال الملك ، وكان صدقى محقا فى هذه الشكوى ، لأنه بعد التخلص منه تكونت فعلا وزارة قصر تماما سواء من حيث التشكيل ، أو من حيث السياسة وقد كلف رئيسها بتشكيلها وهو خارج مصر ، وكما سجل المراقبون فى تلك المرحلة عرف الناس أسماء الوزراء ، قبل أن يحضر عبد الفتاح باشا ، فلما حضر وقع مراسيم التأليف وكانت وزارة عبد الفتاح يحيى باشا على النحو التالى ٠ عبد الفتاح يحيى للرئاسة والخارجية ٠ أحمد على للحقانية ، محمد نجيب الغرابلى — أحد المنشقين على الوفد — للأوقاف — محمد حلمى عيسى للمعارف ٠ ابراهيم فهمى كريم للمواصلات ، محمود فهمى القيسى للداخلية ، على المنزلاوى للزراعة ، صليب سامى للحربية والبحرية ، عبد العظيم راشد للأشغال ٠ حسن صبرى — وكان السبب فى آخر أزمة وزارية مرت بها وزارة اسماعيل صدقى — للمالية نفس الوزارة التى كان القصر يريدها له فى وزارة اسماعيل صدقى ٠ وقد كان كل وزراء عبد الفتاح يحيى هم أعضاء فى وزارة اسماعيل صدقى فيما عدا الغرابلى ، وعبد العظيم راشد وحسن صبرى : وعبد العظيم راشد ، رجل الملك تماما وكذلك حسن صبرى الذى جاء تعيينه فى الوزارة الجديدة وفى نفس الوزارة التى رفضها صدقى تأكيدا على أن رغبة الملك هى العليا ، وهى التى تنفذ فى النهاية ٠

★★★

ويقول د٠ يونان لبيب رزق عن وزارة عبد الفتاح يحيى أنها وزارة ملكية شغل رئيسها فى بداية عهده بقضيتين أولاهما : تقليم أظافر سلفه صدقى باشا فبعد ابعاده عن رئاسة الوزارة كانت الرغبة قوية فى ابعاده عن رياسة حزبها أى حزب الشعب ، وقد نجح فى ذلك ، أو كما عبر أحد كتاب صحيفة الحزب وقتذاك بقوله : « شهد اسماعيل صدقى بعينه المولود الذى صنعه يعقه ويخرج عن طاعته بل ويبتعد عنه الى درجة أن يعاديه ، أما صدقى باشا فلم يكن له الا أن يقول أمام هذا سوى أنه طلق الحزب على حد تعبيره ٠

القضية الثانية التى شغل بها عبد الفتاح يحيى باشا نفسه هى السعى الى التقرب للأحزاب المعارضة ان لم يكن بهدف تعويدها على الوضع القائم فعلى الأقل بهدف الايقاع بينها الا أن هذه المحاولة ـ كما يقول د. محمد حسين هيكل ـ لم تبلغ أهدافها ذلك أن تلك الأحزاب قد ظلت على معارضتها وعلى كشف مساوىء الوزارة وكان أهم ما كشف عنه فى هذا الصدد ، المقاولات التى دخلها المالى الكبير أحمد عبود فى هذا العهد ، وما ثبت من أن بعض الوزراء ، كان ضالعا معه فيها ، والتى وصل بها الأمر الى عرضها على ساحة القضاء فيما عرف بقضية نزاهة الحكم والتى أساءت كثيرا الى صورة الوزارة .

والجدير بالذكر أن « المصور » ، كتب فى ذلك الوقت كلمة عن عبود باشا . أو الرجل اللغز قال فيها : أهم ظاهرة فى عبود باشا الرجل اللغز مقدرته على بلوغ الغرض الذى ينشده وتحقيق الأمنية التى تجيش فى صدره ، أما كيف يبلغ غرضه وأما كيف يحقق أمانيه فهذا مانجهله ومايجهله الناس : قبل انعقاد مؤتمر السكة الحديد الدولى فى القاهرة قيل أن العلاقات توترت بين دولة صدقى باشا وعبود باشا فماذا حدث : حدث انه قبل انعقاد المؤتمر بيومين صدر أمر ملكى يضم عبود باشا الى لجنة تنظيم المؤتمر فواحد من أمرين : أما ان هذا القرار تقرر بموافقة رئيس الحكومة وفى هذه الحالة تكون علاقته بعبود باشا قد عادت الى سابق عهدها من الصفاء أو أن القرار تقرر بالرغم من ارادة رئيس الحكومة وفى هذه الحالة يكون عبود باشا قد أتى بمعجزة جديدة وتقول المصور : نسمع أن عبود باشا مقرب الى دار المندوب السامى فاذا التقيت به فى دار المندوب السامى ، أبصرت جميع الأبواب تفتح أمامه واذا راجعت أسماء الذين يتعشى معهم كل أسبوع وجدت بينهم أكابر الانجليز الرسميين وغير الرسميين واذا أرسل عبود باشا رسالة الى جريدة التيمس فانها تنشر فى أحسن مكان فى حين أن عشرات من رسائل الآخرين ترمى فى سلة المهملات .. » ويفهم من وراء السطور التى جاءت « بالمصور » ان العلاقات ساءت بين عبود باشا واسماعيل صدقى ، فى الأيام الأخيرة لوزارة اسماعيل صدقى وبذلك أضيف سبب وجيه آخر الى الأسباب التى دعت للاستغناء عن خدمات دولة صدقى باشا .

★★★

ولا بد من أن تشير الى مقال كتبه الأستاذ محمد التابعى عقب خروجه من السجن فى مجلة روزاليوسف تحت عنوان استقالة أم اقالة : صدقى باشا يعرف منذ عام انه غير مرغوب فيه ويقول الأستاذ التابعى أنه كان على اسماعيل صدقى الا يتمسك بأهداب السلطة وكان يجب عليه أيضا الا يرفع أنفه فى وجوه الذين اقاموه ، وأوقفوه على قدميه وسندوه أثناء حكمه الطويل ، ويقول التابعى نقلا على لسان اسماعيل صدقى لأحد أصدقائه ـ أصدقاء اسماعيل صدقى بالطبع : ان

صدقى قد شرب المر خلال الثلاثة الأشهر الأخيرة من حكمه وأنه قد « تمرمط » أكثر من اللازم ويشير الأستاذ التابعى الى ما سبق أن نشرته روز اليوسف فى ٩ يناير ١٩٣٣ ـ أى قبل الاستقالة أو الاقالة بحوالى تسعة أشهر ـ الابراشى باشا ضد صدقى باشا : ان فريق عبد الفتاح يحيى باشا ساهر متيقظ يترقب الفرصة لاخراج صدقى باشا والخلاص منه وتولية عبد الفتاح يحيى باشا رئاسة الوزارة من غير احداث أى انقلاب برلمانى ، كما يشير التابعى الى سفر صدقى باشا الى أوروبا وكيف حاولت الصحف البريطانية أن تفهمه بالأبيض والأسود حقيقة موقعه ، فنصحت له بالاستقالة وان صحته بالدنيا ، وأنه لن تكون معه أية مفاوضات .

***

ثم يقول التابعى بالحرف الواحد :

وانكشف أمر صدقى باشا . رأى خصومه المقنعين فى مصر انه لم يعد هناك ما يخشـــونه من جانب الانجليز ومن ثم راحوا أولا يشعرونه بذوق أنه لم يعد مرغوبا فيه ولقد نشرنا فى العدد الماضى كيف أن مجلـــس الوزراء رفض أولا أن يوافق على طلب صدقى باشا الخاص بسفر عبد الوهاب باشا الى أمريكا ، ونزيد اليوم على ما تقدم أن هناك مسائل عديدة كان يبعث بها صدقى باشا من أوروبا طالبا من مجلس الوزراء الموافقة عليها ومنها حكاية خاصة بعبد الحميد بدوى باشا ومهمته الخاصة بسندات الدين ولكن مجلس الوزراء كان يرفضهـــا ، وأخيرا تضايق ـ كما يقول التابعى ـ صدقى باشا فأرسل من أوروبا الى زملائه يقول ما معناه : هل أنتم متفقون معى فى السياسة أم لا ، لانكم ان كنتم غير متفقين معى فأنى أستقيل ، ولكن دولته لم يتلق ردا على خطابه المذكور : هذه هى ـ باختصار ـ الظروف التى أحاطت باستقالة أو اقامة صاحب العشر سنوات ورب الكفاءات ولعله اليوم فى منفاه المختاز قد أدرك ان الله حق ، وانه قد خسر الاثنين عنب اليمن وبلح الشام ، وانه لعجيب حقا ان يتحدث صدقى باشا ، ليقول انه استقال مختارا مراعاة لصحته هذا بعد أن تحدث دولته منذ شهر واحد الى مراسل الأهرام فى باريس فقال ان صحته حسنة ، وانه قادر على العمل وبعد ان جمع أطباءه منذ أسبوعين فدقوا له على صدره ، ونقروا له على بطنه ثم أعلنوا أن الباشا بخير والحمد لله وانه قادر على العمل ، وتحمل أعباء المنصب الجليل : تناقض وتخبط ، وحيرة يائسة ما كان أغنى الباشا عنها جميعها ، لو أنه ترك أنفه الوسيم . يؤدى وظيفته ورضى أن يهبط سعر العشر سنوات ، كما هبط سعر كل شىء فى عهده السعيد ، لقد سقطت وزارة اسماعيل صدقى فهل سقط صدقى باشا شخصيا بسقوط وزارته أم أن هناك محاولات سوف تبذل ، لانجاحه من جديد فى الدور الثانى ؟

الباب الثالث

الفصـــل الأول

عبد الفتاح يحيى الساعد الأيمن لصـدقى باشـا ينقلب عليه ويرثه فى الحـزب وفى الـوزارة

● كان اسماعيل صدقى « باشا » ديكتاتورا من نوع خاص ، وكذلك كان رئيس حزب من نوع خاص أيضا ! أنشأ اسماعيل صدقى « باشا » حزبه ـ حزب الشعب ـ وبذل جهودا شاقة ومضنية فى عملية الانشاء هذه ، كما بذل جهودا شاقة ، ومضنية من أجل جذب الكثيرين الى عضوية الحزب ، كما بذل جهودا شـــاقة ومضنيـــة من أجل نجاح أكبر عـــدد من أعضاء الحزب فى أول انتخابات مزورة ١٠٠٪ فى تاريخنا البرلمانى ٠٠ وبذل أيضا جهودا شـــاقة ومضنية من أجل الابقاء على هؤلاء ، الأعضاء أو على غالبيتهم فى حظيرة الحزب٠٠ وحزب اسماعيل صـــدقى باشـــا « حزب الشعب » ظاهرة فريدة ، فى تاريخ الأحزاب المصرية بل فى تاريخ الأحزاب فى العالم ، وهذه الظاهرة ، ينبغى أن تدرس ، وبعمق حتى يمكن الاستفـــادة من تلك الدراســـة فى كل الأزمنـــة والعصور ، والبلدان ! كان أعضاء حزب الشعب ـ كل أعضاء حزب الشعب وبلا استثناء ـ مدينين بوجودهم السياسى ، والاجتماعى ، بل والاقتصـــادى لصدقى باشا شخصيا : كان يمنحهم من الامتيازات ما لا يحصل عليه غيرهم فى أى حزب من الأحزاب وفى أى عهد من العهود ، الحكومة ، كل الحكومة فى خدمتهم المدارس والجامعة ، مفتوحة لابنائهم بلا قيد ولا شرط ، بل ان المصارف، وبنك التسليف و ٠ و ٠٠ فى خدمتهم : والخدمة ، هنا ، تحمل أكثر من وجه، « الخدمة » بالتسبة لأعضاء الحزب لها وجه ، « والخدمة » بالنسبة لخصوم الحزب، لها وجه آخر : كل خدمـــة تختلف عن غيرها فى الوسائل ، والأهداف ٠ أن يقوم ـ مثلا ـ بنك التسليف الزراعى بأقراض أعضـــاء الحـــزب بأية مبـــالغ يطلبونها ، وبدون أية اشتراطات يجب عليهم تحقيقها بل وبدون ، أية ضمانات على الاطلاق تلك خدمة ، وامتناع البنك عن أقراض خصوم أعضاء الحزب مهما قدموا من ضمانات ومهما توافرت فيهم الشروط المطلوبة هذا بالاضافة الى أن

الحكومة كانت تعطى ـ وبسهولة ـ أية تصاريح ، يطلبها أعضاء الحزب خاصة، بالمباني ، أو المحال ، الخاصة ، أو العامة ، أو المعامل أو المصانع تلك أذن خدمة، ومنع خصوم الحزب من الحصول ، على تلك « التصاريح » مهما توافرت لديهم الاشتراطات المطلوبة خدمة من نوع خاص : أن تفتح أبواب الوزارات ـ كل الوزارات ـ أمام أعضاء الحزب الكبار ، والصغار ، المهمين وغير المهمين ، ليتحول الموظفون جميعا الى خدم خصوصيين لأعضاء الحزب تلك اذن خدمة ، وقفل أبواب الوزارات كل الوزارات أمام خصوم الحزب ـ أى خصوم ، حتى ولو على المستوى الشخصى ، العادى ، وعدم تحقيق أى مطلب عادل خدمة ، ولكن من نوع خاص ! أيضـــا .

★★★

لقد نجح اسماعيل صدقى باشا ، فى أن يجعل ـ وفى أشهر قلائل ـ من الحزب ، دولة فوق ، الدولة ! نجح اسماعيل صدقى باشا ـ وبسرعة مذهلة ـ فى أن يجعل من أعضـــاء حزبه مواطنين « درجـة أولى » وأن يجعل غيرهم من المواطنين ، مواطنين درجة عاشرة ! واذا كان اسماعيل صدقى باشا قد فشل فى الغاء الامتيازات الأجنبية فى مصر ، فقـد نجح ـ وبلا حدود ـ فى فرض امتيازات مصرية ، أكثر وأكبر وأهم من تلك الامتيازات المصرية المقررة بمراسيم من اسماعيل صدقى لأعضاء حزب الشعب أضعــاف أضعــاف ما كان مقررا للأجانب بمقتضى ، الفرمانات واللوائح السلطانية ، والغريب ، أن كل تلك المنح والفوائد والامتيازات التى أقرها اسماعيل صدقى باشا لأعضاء حزب الشعب لم تكن مغرية دائما ، بل كانت فى كثير من الأحيان ، متعبة ، ومؤذية فى نفس الوقت : كان الشعب كل الشعب ينظر الى أعضاء حزب الشعب ، كل أعضـــاء حزب الشعب ، نظرات مليئة بالاحتقار ، والازدراء ، والغضب ، والاشمئزاز، وكان الشعب يعبر حقيقة عن احتقاره وازدرائه وغضبه واشمئزازه من أعضاء حزب الشعب ومن تصرفاتهم ، بكل الصور ، ولعلنا لا نتهم بالمبالغة اذا ما قلنا أن هؤلاء الأعضاء التابعين لحزب الشعب رغم ما كانوا يتمتعون به من سلطات وامتيازات ، ورغم كل ما كان لديهم من ثروات ، وامكانات ، كانوا يعيشون فى بحر من الكراهية لا مثيل له من قبل وقد تعرض كثير من المسئولين فى حزب الشعب لكثير من محاولات الاغتيال والكثير من صور الايذاء ، الأمر الذى دفع بالكثيرين من المسئولين فى حزب الشعب الى الخروج من حظيرة الحزب رغم ان هذا الخروج كان يكلفهم الكثير من التضحيات ، كما كان يحول بينهم وبين الحصول على كثير من الامتيازات .

★★★

ولعل من الظواهر ، التى انفرد بها حزب الشعب الصدقى ـ وهى ظاهرة تستحق الدراسة ، الجادة المتأنية ـ ان الولاء ، فى هذا الحزب لم يكن أبدا

لرئيس الحزب ، ولا للحزب ذاته ، ولا للأهداف التى من أجلها أنشىء هذا الحزب ولا نقول ، المبادىء ، فمثل تلك الأحزاب التى تعتمد على السلطة لا مبادىء لها ، على الاطلاق ، الولاء ، فى هذا الحزب الصدقى ، لم يكن الا للسلطة القوية ، القادرة على اختيار ، الوزراء ورؤساء المصالح والنواب ! وربما كان ذلك فى مقدمة الأسباب التى أعاقت صدقى باشا ، عن مباشرة مهامه فى السيطرة على الحزب سيطرة كاملة ، أو شبه كاملة ، ولعلى ، رغم كثرة ما قرأت عن الأحزاب ، السياسية ، فى مصر ، وفى كثير من أرجاء العالم ــ لم أجد حزبا وقف من رئيسه، الذى أخرجه ــ أى الحزب ــ من العدم ، ووقفه ، على قدميه كما وقف حزب الشعب الصدقى من مؤسسه ، اسماعيل صدقى ٠٠ عندما أخرج صدقى باشا من الوزارة تنكر له الحزب بصورة تبعث ، على الأسى ، والحزن ، وقد كان من المفروض ، أن يستقيل اسماعيل صدقى باشا ، من رئاسة الحزب ، بعد أن استقال أو أقيل من رئاسة الوزارة ولكنه ظن أنه يستطيع أن يفعل شيئا ، ما ، كرئيس للحزب ، بعد أن خرج من الوزارة غير أنه لم يفعل شيئا على الاطلاق ،

★★★

المهم ، الا أنه عرض نفسه للسخرية ، والمهانة كان اسماعيل صدقى ، بعد مجىء ، عبد الفتاح يحيى باشا الى كرسى رئاسة الوزارة هو زعيم حزب الأغلبية، أغلبية ، البرلمان الصدقى ، وقد تصور اسماعيل صدقى باشا ، أنه كرئيس لحزب الأغلبية ، الذى يسند الحكومة التى هى حكومته يمكن أن يكون له نفوذ ما ، على تلك الحكومة فاذا بالآية ، تنعكس تماما ، رئيس حزب الأغلبية يصبح بلا فاعلية لأن الأغلبية لم تقف الى جانبه دائما ، وقفت ــ وبلا حياء ــ الى جانب رئيس الوزارة الجديد :

وصف الأستاذ عبد الرحمن الرافعى موقف « حزب الشعب الصدقى » من رئيسه ، ومؤسسه ، اسماعيل صدقى بقوله : تألفت وزارة عبد الفتاح يحيى باشا على أساس نظام صدقى باشا ، أى على «أساس دستوره» وفى ذلك يقول يحيى باشا فى كتابه الى الملك : ولقد كان لى شرف الاشتراك فى وضع أسس النظام الحاضر ، والسهر ، على تنفيذه ، حتى استقر نهائيا ! وقام شيوخ الأمة ونوابها بالمهمة الموكولة اليهم خير قيام ، فبذلوا مع الحكومة مجهودا عظيما سياسيا ، وماليا ، واقتصاديا ، لتسير وزارتى بالبلاد فى ظل « جلالتكم » فى الطريق نفسه مسترشدة بحكمة « جلالتكم » السابقة : كانت هذه الوزارة خاضعة فى تشكيلها ، وسياستها وتصرفاتها ، لارادة السراى ويلاحظ ان فيها وزيرين من حزب الشعب وهما ابراهيم فهمى كريم باشا وعلى المنزلاوى بك ٠

★★★

ولم يكن صدقى باشا مقرا تمثل حزبه فى الوزارة بهذه القلة : لم يكن راضيا فى الجملة عن تخطيه ، وعدم استشارته فى تأليفها بصفته رئيس حزب الغالبية البرلمانية ونقم من الوزيرين الشعبيين دخولهما الوزارة دون موافقة حزبهما ، فأعلن أنه يعتبرهما متخليين عن عضويتهما فى الحزب فلم يكترثا لهذا القرار ،

***

وكان يحيى باشا ، مستقيلا من وكالة حزب الشعب من يناير ١٩٣٣ ، اثر خروجه من وزارة صدقى باشا ، فعاد وتمسك بها بعد تأليف الوزارة ليتخذ لنفسه صفة تمثيلية ، واضطر صدقى باشا أن ينحنى كعادته أمام القوة ، ويخضع للحكومة القائمة فجمع مجلس ادارة حزبه يوم ٢ أكتوبر ١٩٣٣ وقرر تأييد وزارة يحيى باشا ، والترحيب ، بعودته الى حظيرة الحزب وسحب قرار اعتبار الوزيرين الشعبيين متخليين عن عضويتهما فيه ، وهكذا شهدت البلاد مهزلة جديدة من الحياة السياسية ، الملفقة ، البعيدة عن الاستقامة والكرامة وازداد صدقى باشا ضعفا أمام الوزارة وأمعنت هى فى الزراية به ورأى أعضاء حزبه ينفضون من حوله ، ويستبدلون ، به سيدا ، جديدا ، فاضطر فى أوائل نوفمبر أن يستقيل من رئاسة حزب الشعب ، وكانت هذه الاستقالة معقولة ، لأن هذا الحزب لم ينشأ الا ليستند الى الوزارة ، فلما أقصى عن رئاسة الوزارة انضم أعضاء ، حزبه الى رئيس الوزارة الجديد فكان حتما مقضيا أن يتنحى عن رئاسة الحزب ، الذى أنشأه ، وهكذا انفصل عن الحزب ، كما انفصل عنه ناديه وانفصلت عنه جريدته ، لمجرد اقصائه من رئاسة الوزارة ، ثم ما لبث صدقى باشا ، أن عاد الى تولى رئاسة الحزب ، بعد استقالة وزارة يحيى باشا : وأذكر ، أن عبد الفتاح يحيى باشا رئيس الوزارة الجديد ووكيل حزب الشعب سابقا ولاحقا : ارتكب بعض الأخطاء تجاه رئيسه فى الوزارة وفى الحزب ، وتجاه ، بعض زملائه فى الحزب أيضا وقد عبر صدقى باشا ، عن غضبه الشديد ، من رئيس الوزارة الجديد ، كما يبدو واضحا من الرسالة التالية ، التى أرسلها اسماعيل صدقى باشا رئيس حزب الشعب الى عبد الفتاح يحيى باشا رئيس الوزارة ووكيل حزب الشعب :.

حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء ..

منذ الأمس ، تواترت لدى الأنبـاء بأن حملة شديدة توجه من حضرات المديرين من موظفين آخرين ، كبارا ، وصغارا على حضرات النواب الشعبيين وسدى هذه الحملة ولحمتها التهديد تارة والترغيب تارة ، وغايتها أن تصيب هدفين معا : الأول دفع حضرات النواب ، الى حضور حفلة شاى ستقام فى الغد ، بدار أحد أعيان الأقاليم ، والثانى ترغيبهم عن قبول دعوة الغداء ، التى دعوتهم اليها بمنزلى فى « الغريب » والأمر ، بالغ الخطورة لان التدخل بين النائب

وحزبه بمثل الأساليب التى اتصل بنا خبر الكثير منها ليس الا افتئاتا صارخا على التقاليد الدستورية وعلى الحرية المكفولة بالدستور » ٠

★★★

وعندما أشيع ـ وقد يكون صدقى باشا هو مصدر تلك الشائعة ـ أن دولة صدقى باشا سوف يرشح نفسه رئيسا لمجلس النواب فى الدورة الجديدة ثارت ثائرة الوزارة وغضب الحزب غضبة مضرية ضد رئيسه السابق ، وراح خصوم صدقى باشا يبذلون قصارى جهدهم لاحداث انشقاق فى صفوف حزب الشعب يحول دون نجاح اسماعيل صدقى فى رئاسة مجلس الشعب وأحس صدقى بما يدبر ضده فى الخفاء ، والعلن فأصدر بيانا ـ مفاجئا ـ جاء فيه :

★★★

يعلم اخوانى أعضاء حزب الشعب انى لم أرشح نفسى لرياسة مجلس النواب وانما تمسك بها رهط كبير منهم بحسبانها حقا طبيعيا من حقوق حزب الشعب ، ودلالة على ثقتهم بى خصوصا فى السنوات الثلاث الماضية كانوا ينزلون ، عنها بناء ، على طلبى وبالنظر الى ما هناك من تضامن بين حزبى الشعب والاتحاد وبما ان الأمر ، قد وصل الى تصرفات لبعض الموظفين من شأنها أن تلحق ضررا بوحدة الحزب ، وأن تؤثر فى المظهر البنيابى فى حين أن مسألة الرياسة هى مسألة ثانوية من حيث قيام ، النائب بواجبه النيابى ، ومن حيث عدم تأثيرها فى مقام النواب لذلك ، جئت بهذه الكلمة راجيا من حضرات نواب حزب الشعب ألا يتمسكوا بترشيحى لرئاسة مجلس النواب » : وقال المعارضون لاسماعيل صدقى باشا ان بيانه الخاص بتنحيته عن الترشيح لرياسة مجلس النواب مناورة مكشوفة لاسكات الفريق ، المعارض ، فى حزب الشعب :

★★★

وضاعفت الحكومة التى كانت تعتمد على دستور اسماعيل صدقى باشا وعلى نظامه ضاعفت من حملاتها ضد اسماعيل صدقى باشا ، نفسه وضد النواب الذين ظلوا ، الى جانبه ، ورأى ، اسماعيل صدقى ، أن يستقيل من عضوية مجلس النواب وأن يستقيل أيضا من رئاسة حزب الشعب : فى ٧ ديسمبر ١٩٣٣ : أرسل اسماعيل صدقى ، نائب فرسيس الى رئيس مجلس النواب راجيا التكرم ، بعرض استقالته من عضوية المجلس ، على هيئة المجلس الموقر ، وبعد ذلك أرسل الى نائب رئيس حزب الشعب ، رسالة يقول فيها : أتشرف بأن أبدى لدولتكم انى قدمت استقالتى من عضوية مجلس النواب وبما ان رياسة حزب الشعب تقتضى وثيق الاتصال بالحياة البرلمانية لذلك ، أرجو من دولتكم أن تتكرموا بعرض استقالتى من رئاسة الحزب على مجلس الادارة » والملاحظ

أن صدقي باشا طلب عرض استقالته على مجلس النواب وعرض استقالته من الحزب ، على مجلس ادارة الحزب ، وهو مطلب ذكي ، اذ من الممكن أن يرفض مجلس النواب الاستقالة من مجلس النواب وكذلك من الممكن أن يرفض مجلس ادارة الحزب الاستقالة من الحزب وقد كان صدقي باشا — لو لم يكن يريد أشياء أخرى غير الاستقالة — أى يستقيل من المجلس النيابي دون أن يطلب عرض الاستقالة على المجلس ولو أنها كانت ستعرض حتما ، وأن يستقيل من الحزب دون أن يطلب بنفسه عرض الاستقالة على مجلس ادارة الحزب — وهذا حقه ولكن ما أراده صدقي باشا ، من احداث ضجة حول الاستقالتين ، لم يتحقق، خاصة وان مجلس ادارة حزب الشعب اجتمع وبسرعة وقرر بالاجماع — وهذا شيء نادر في تاريخ اجتماعات الحزب — قبول استقالة منشيء الحزب ، وراعيه ، وحاميه اسماعيل صدقي مع توجيه خطاب شكر ، الى دولته وكان الاقتراح ، بتوجيه خطاب شكر الى اسماعيل صدقي باشا قد قدم ، من قبل ، صديقه اللدود ، عبد الفتاح يحيى باشا ، نائب رئيس الحزب بل ان الموافقة على الاقتراح جاءت بعد تهديد من عبد الفتاح يحيى باشا ، بالويل والثبور ، وعظائم الأمور اذا لم تتم الموافقة ، على ارسال خطاب الشكر ، وتكون الموافقة بالاجماع ٠

★★★

وأحس ، اسماعيل صدقي باشا ان ما أراده من استقالته لم يتحقق تماما فبادر الى سحب استقالته من مجلس النواب ، والم يكن أمر ، الاستقالة قد عرض بعد ، على المجلس ، وفيما يلى خطاب استقالة اسماعيل صدقي باشا نائب فرسيس والرئيس السابق ، للوزارة ، والرئيس السابق أيضا لحزب الشعب ومنشيء البرلمان الصدقي ، والنظام الصدقي ، فيما يلى نص خطابه الى رئيس مجلس النواب :

★★★

حضرة صاحب المعالى رئيس مجلس النواب ٠٠

سبق ، أن بعثت لمعاليكم بخطاب طلبت فيه عرض استقالتى من عضوية مجلس النواب ، على هيئة ، هذا المجلس الموقر ، وقد اطلعت اليوم بجرائد الصباح على تصريحات منسوبة لحضرة صاحب الدولة رئيس الحكومة وحضرة صاحب المعالى وزير المعارف ، قيل انها ألقيت على مسامع حضرات النواب الشعبيين — والاتحاديين وفيها النذير ، بحل مجلس النواب ، اذا لم تتجه أصواتهم ، لناحية معينة عند عرض استقالتى فى هذا المساء ، وقد كانت هذه التصريحات محلا لدهشة منى حتى انى ترقبت صدور جرائد المساء ، لعلى أقرأ بها ما يعتبر أن ما نسب الى الوزيرين مخالف ، للواقع وقد صدرت هذه الجرائد فاذا هى مع الأسف الشديد تؤيد أنباء ، التصريحات المذكورة بصورة لا تحتمل

شكا ، ولا ابهاما : ازاء ما تقدم ولعلمى ، ان حل مجلس النواب هو اجراء خطير، لا تلجأ اليه الحكومات الا حين يتعذر التفاهم بين الهيئتين التشريعية والتنفيذية، فى اتجاهات الحكم الرئيسية وليس قبول ، أو رفض استقالة نائب من هذه الشئون فى كثير أو قليل ولحرصى من جانب آخر ، على استقرار الحياة النيابية التى عملت لها منذ الساعة الأولى بجهد واخلاص طالما شهد بهما النواب المحترمون وقد يبدو لى مما أعرفه من شعور حضراتهم نحوى أن عرض استقالتى ربما أثار بين النواب ، والحكومة خلافات قد تؤدى لما تنبو عنه الحكومة ويخالف مقتضيات المصلحة العامة الذلك رأيت أن أسحب استقالتى من عضوية المجلس حتى لا أعطى فرصـــة للنيل من النظام الحاضر فى شأن هو خاص بى ولا علاقة له بتوجيه السياسة ، العامة للبلاد " وتفضـــلوا ·· اسماعيل صدقى : نائب فرسيس ١٩٣٣/١٢/١٨ ويتصل دولة عبد الفتاح يحيى باشا بالصحف ويوزع عليها البيان ، التالى :

★★★

ان نتيجة الانتخابات لمكتب مجلس النواب التى جرت بالأمس ، اللرد ، على مزاعم دولة ، صدقى باشا لا تدع مجالا للشك ، فى ان دولته قد فشل فى مناورته السابقة فقد كان يتوهم أنه يستطيع أن يحمل غالبية أعضاء مجلس النواب ، على التمسك بعضويته حتى يتسنى له أن يقول بعد ذلك ، كما هى عادته انه نزولا على ارادتهم لا يسعه الا سحب استقالته ، فلما أيقن أن حضرات أعضاء المجلس لن يجاروه فى مناورته لم ير بدا ، من أن يسحب استقالته بيده مستترا وراء أسباب يدعيها ، ومما يدعو الى الأسف أن دولة صدقى باشا يظهر نفســه فى المناسبات التى يخلقها بمظهر الحامى للحيـــاة النيابية ؟ القوام على كرامة النـــواب ، وفاته أن حرص النـــواب على كرامتهم وادراكهم لواجبـــاتهم النيابية هو الذى جعلهم يجتنبون المضى مع دولة اسماعيل صدقى باشـــا فى مناوراته ، الملتوية ، وبذلك برهنوا للملأ على انهم فوق ، مظان دوالة صدقى باشا وأوهامه » ·

★★★

وأوضح رئيس الوزراء بأنه حادث النواب الشعبيين الذين اجتمعوا فى داره بصفتهم هذه راجيا الا يفضى موضوع استقالة صدقى باشا عند عرضه على مجلس النواب الى تكرار ما حدث فى الحزب عنـــد عرض استقالته من رياسته لأنه ليس من شأن تكرار المناورات سوى تزعزع الحياة النيابية طالبا اليهم أن يبذلوا جهودهم ، ليحولوا دون وقوع تلك المناورات » ·

★★★

ويقدم الأستـــاذ حافظ رمضـــان رئيس الحزب الوطنى ، ونواب الحزب استجوابا الى رئيس الوزراء والى وزير المعارف ، والى وزير الداخلية حول ما

جاء فى خطاب اسماعيل صدقى ، الى رئيس مجلس النواب من وقائع منسوبة الى رئيس الوزراء واعتبار أن ما صدر من التصريحات المنسوبة لرئيس الحكومة ووزيرين من أعضاء وزارته يعتبر من أخطر مايصدر من حكومة لنواب وتتعارض مع أبسط المبادىء الدستورية التى تكفل للنواب كرامتهم وحريتهم فى ابداء الرأى كما تعتبر تلك التصريحات اعتداء صارخا على الدستور » ويطلب حافظ رمضان وزملاؤه من المجلس مناقشة هذه التصريحات ، حتى يتخذ المجلس ــ بعد المناقشة ــ ما يراه حافظا لكرامته ضامنا لحريته وحاميا لدستوره .

***

ولكن ماذا عن العلاقات بين صدقى باشا ، وعبد الفتاح يحيى باشا ؟

● أرجو الا أتهم بالمبالغة اذا ما قلت أن المعركة بين اسماعيل صدقى باشا باعتباره رئيسا سابقا للوزارة وباعتباره رئيسا « حاليا » لحزب الشعب، وبين عبد الفتاح يحيى باشا ، باعتباره رئيسا « حاليا » للوزارة ونائبا حاليا أيضا لرئيس حزب الشعب ، الذى هو اسماعيل صدقى باشا ، هذه المعركة كانت بحق من « أفكه » وألطف المعارك ، السياسية ، الحزبية التى عرفها تاريخنا السياسى ، والحزبى ، كان اسماعيل صدقى باشا رئيسا للوزراء ورئيسا لحزب الشعب ، وكان عبد الفتاح يحيى باشا وزيرا للخارجية فى وزارة صدقى باشا، ونائبا فى نفس الوقت لرئيس حزب الشعب وفى أعقاب نشر فضائح الوزارة والادارة فى حادث البدارى استقال ــ أو بمعنى أدق أقيل ــ وزير الخارجية بينما كان يستقبل وزير ايطاليا المفوض فى مصر ، حتى لقد روى عن عبد الفتاح يحيى باشا انه قال استقبلت وزير ايطاليا المفوض كوزير للخارجية ، وودعته كوزير سابق للخارجية ، وكانت استقالة ــ أو اقالة ــ عبد الفتاح يحيى باشا من وزارة الخارجية بمثابة اعلان الحرب بين رئيس الوزارة ووزير خارجيته سابقا،وبين رئيس حزب الشعب وبين نائبه فى رئاسة حزب الشعب.

***

ومنذ اليوم الذى أعاد فيه اسماعيل صدقى باشا تشكيل وزارته الجديدة ، بدون على ماهر باشا ، وزير الحقانية ومن والاه فى موقفه من حادث البدارى كعبد الفتاح يحيى باشا ، وعبد الفتاح يحيى باشا يكيد لاسماعيل صدقى بغية اخراجه من رئاسة الوزارة ، كما أخرجه هو من وزارة الخارجية : استقال أولا ، من منصب نائب رئيس حزب الشعب حتى لا يتحمل نصيبه من الأوزار التى يرتكبها كل يوم حزب الشعب وحتى يكون له مطاق الحرية فى الدس لاسماعيل صدقى باشا ، واظهاره بمظهر السياسى الفاشل المعادى للشعب ، وللسراى ، وللانجليز معا !! ولم يشأ اسماعيل صدقى باشا ، أن يقبل استقالة نائبه فى حزب الشعب ، حتى لا يقطع أمام الرأى العام شعرة معاوية ، التى تربطه

بعبد الفتاح يحيى باشا ، وحتى تجعل عبد الفتاح يحيى باشا مقتصدا الى حد ما فى عداوته لاسماعيل صدقى باشا ، وراح عبد الفتاح يحيى باشا يؤكد للمسئولين فى السراى بأنه رجلهم الأول بل الأوحد ، وان اسماعيل صدقى باشا لم يكن يقدم على افتراسه ، الا بعد أن تأكد من ميوله ــ ميول عبد الفتاح يحيى باشا ــ الى هؤلاء المسئولين فى السراى ، وعلى رأسهم زكى الابراشى باشا ٠

★★★

وانتهز عبد الفتاح يحيى باشا فرصة فشل صدقى باشا فى التفاوض ــ مجرد التفاوض ــ مع الانجليز ، وفرصة نقل سير برسى لورين المندوب السامى البريطانى فى مصر ، مغضوبا عليه ، من القاهرة الى أنقرة كما انتهز فرصة غضب السراى على اسماعيل صدقى وغضب الانجليز على اسماعيل صدقى أيضا ــ ولأسباب مختلفة ــ فقفز القفزة الكبرى ، الى كرسى رئاسة الوزارة مؤيدا من السراى ومن دار المندوب السامى البريطانى فى مصر ، ولم يجد عبد الفتاح يحيى باشا غريما ، أو خصما يجب القضاء عليه والانتقام منه الا دولة اسماعيل صدقى باشا : وبالرغم من أن اسماعيل صدقى باشا كان رئيس الحزب الذى يملك الأغلبية فى البرلمان الذى يسند ، أو المفروض فيه أن يسند الوزارة القائمة وبالرغم من أن الواجب الأول لرئيس الوزراء الجديد ، العمل على استرضاء ذلك الحزب ورئيسه الا أن عبد الفتاح يحيى باشا بادر ــ ومن أول لحظة تم فيها اعلان تشكيل الوزارة الجديدة ــ باعلان الحرب العنيفة الضارية ، على رئيس الوزارة السابق ، وعلى رئيس الحزب الذى تعتمد عليه الوزارة ، والنظام القائم وقتئذ ٠ وعندما بادر اسماعيل صدقى باشا بصفته رئيسا لحزب الشعب بتجميد عضوية اثنين من كبار رجالات حزبه لانهما قبلا الاشتراك فى وزارة عبد الفتاح يحيى باشا بدون اذن مسبق من الحزب تذكر عبد الفتاح يحيى باشا ، أنه لا يزال ــ على الورق ــ نائبا لرئيس حزب الشعب لان استقالته لم تقبل بعد ، وبدأ عبد الفتاح يحيى باشا يباشر نشاطه ودسائسه ضد رئيس الحزب الذى هو ــ أى عبد الفتاح يحيى باشا ــ رسميا بمثابة نائب له وضد الحزب الذى هو رسميا أيضا ، السند البرلمانى الأكبر بل الأوحد لوزارته وتدور بين اسماعيل صدقى باشا ، وبين عبد الفتاح يحيى باشا ، معركة بل معارك من « أفكه » وألطف المعارك الحزبية على الاطلاق ٠ انها معارك تصلح بحق أن تكون موضوعا لكوميديا سياسية رائعة ، ولقد حاولنا أن نشير ــ اجمالا ــ الى بعض فصول تلك المسرحية ، التى جعلت اسماعيل صدقى باشا يكاد بحق يفقد عقله ، وتوازنه معا ، بالرغم من أنه من أذكى السياسيين المصريين على الاطلاق ، وبالرغم من أنه أمكر ، وأقدر العاملين بالحقل السياسى وقتئذ ولعلها المرة الأولى التى يقف فيها أعضاء حزب سياسى ما وبتحد سافر بل وقح ضد رئيس الحزب ومنشئه من العدم ٠

ولعلها المرة الأولى فى تاريخ الأحزاب السياسية المصرية وربما غير المصرية التى يهاجم فيها وبدرجة بالغة من الفظاظة والغلظة أعضاء حزب ما ، رئيس ذلك الحزب حتى وهو لا يزال بعد فى مقعد رئاسة ذلك الحزب : ولعلها أيضا — وللمرة الأخيرة فى تاريخ الأحزاب السياسية بل وفى تاريخ السياسة المصرية أن يصل العقوق ، ونكران الجميل والتنكر لسياسى ما من قبل الذين صنعهم بيديه ، جعل منهم وهم لا شيء على الاطلاق وزراء ، ونوابا وسياسيين مرموقين ، وغير مرموقين كما كان عقوق أعضاء حزب الشعب ، لاسماعيل صدقى رئيس حزب الشعب وكما كان نكران هؤلاء الأعضاء وتنكرهم لرئيسهم ، ولصانعهم اسماعيل صدقى باشا .. ولعل صدقى باشا — وهو السياسى العتيق — لم يشعر يوما ما بالأسى والأسف بل والحزن كما شعر يوم انفضاض نواب حزب الشعب من حوله ، وجحودهم لكل ما قام به من أجلهم وفى مقدمة ما قام به تزويره انتخابات برلمانية برمتها من أجل انجاحهم : ولعل صدقى باشا — وهو الذى ولى الوزارة ، أكثر من مرة . الم يشعر يوما بالأسى ، والأسف ، بل والحزن كما شعر ، يوم استقالته ، أو اقالته من الوزارة ، عندما رأى أن كل من فى مصر فرح باستقالته ، أو اقالته .



وان كل من فى مصر مستبشر خيرا بمن جاء بعده كائنا ، من كان ذلك ، الذى جاء بعده : وكان صدقى باشا يعتقد مخلصا أنه أدى واجبه كأروع ما يكون الأداء تجاه حزبه ، حزب الشعب بل تجاه الشعب ذاته : وان كنت لا أدرى ، أى شعب كان يعنى اسماعيل صدقى ، عندما راح يعدد فى مذكراته بعض مآثره على الشعب : يقول اسماعيل صدقى فى مذكراته : لا أرانى مسرفا اذا قلت ان فريق الاوتقراطية كان قد جرب عدة مرات فى الحكم ، فأبدى فيها عجزا ، وأوشك أن يلحق فى كل مرة بالبلاد وسمعتها ، ضررا بليغا ، ذلك انه لم يسلك فى الحكم السبيل المستقيم فقد شغل باستدامة أسباب النفوذ والسلطان لنفسه ، وبتوفير وجوه المنافع لأنصاره والثار من خصومه ، عما يقتضيه الحكم، من توفر على النظر فى حاجات البلاد وضروب الاصلاح ، وتضحيته فى سبيل اسعاد البلاد ورقيها ..

ولا شك فى أن داء البلاد الوبيل كان فى ذلك الحين طغيان فئة اتخذت من الدعاية التى تنشرها بين الناخبين والنواب جميعا سببا محدودا للحكم والتحكم فان هى أقصيت عن الحكم حاولت استثارة عطف الجماهير بدعوى اضطهادها لدفاعها تارة عن استقلال البلاد ثم عن الدستور تارة أخرى ، فهى فى سبيل مصلحتها الخاصة كانت تصرف البلاد عن سبل الخير وتشغلها عن حل مشاكلها واصلاح شئونها ، الذلك رأيت أن مصلحة البلاد الكبرى تفرض

على القائمين على أقدارها أن ينسوا الماضى بما له ، وما عليه ، وأن يصدر دستور جديد تستفتح به صفحة جديدة فى تاريخها الحديث ، واذا كانت الضرورات ألجأتنى الى انتهاج هذه السبل فالتاريخ العام للحياة النيابية حافل بمثل هذه الظاهرة ، ظاهرة ابدال دستور بدستور .

كان رئيس الديوان الملكى فى ذلك الحين المرحوم محمد توفيق نسيم باشا ، فلما رفعت الى جلالة الملك فؤاد مشروع الدستور الجديد وضع نسيم باشا مذكرة ضمنها عدة ملاحظات على بعض مواده وعارض فى اصدارها على الصورة التى اقترحتها . ولكن الملك فؤاد لم يوافقه على هذه الملاحظات ، وكان يميل الى استقرار الحكم وقد عز عليه أن يرى بلاده واقفة حيث هى يضيع العجز مصالحها وتقطع الحزبية الجانحة أوصالها ويهمل العمل فيها للاصلاح ولا تجد من يتولى شئونها بعزم ، وحزم ، ونزاهة ، للسير بها الى الامام فى حين نرى الأمم الأخرى ـ حتى الأمم التى هى أقل شأنا من مصر ـ تتسابق فى معالجة مشاكلها وتجد فى السير للرقى والمجد ،ولذلك ارتاح جلالته لهذا الدستور ، وشجعنى عليه فمضيت فيه واستطعت فى خلال الفترة التى حكمت فيها بعد صدور الدستور الجديد أن أقوم بأعمال هامة فى الاصلاح العام ، ما زالت آثارها باقية حتى الآن ـ سواء فى نواحى الاصلاح الزراعى ، كمشروعات الصرف والرى،وتعلية خزان أسوان أو فى الاصلاح العمرانى كاقامة الجسور ، وتجميل المدن ، وانشاء طريق الكورنيش بالاسكندرية أو فى الاصلاح الاقتصادى كمعالجة الأزمة الاقتصادية ، والعمل لتخفيض وطأتها فى مصر ، بعدة تدابير لا تزال باقية آثارها ولا يخفى أن الأزمة التى كانت قائمة لم تكن مصرية فحسب بل كانت أزمة عالمية لم يشهد العالم مثلها ، فعملت على الأخذ بيد السكان فقراء وموسرين ممن كان أثر هذه الأزمة واقعا عليهم أكثر من غيرهم . وهم المزارعون فعملت على ابعاد أيدى المرابين عنهم فأقرضتهم وجعلتهم يتخطون الأزمة بسلام ، وهنا يصح أن أذكر بنك التسليف الزراعى الذى أنشأته ، وكان رحمة بالفلاح المصرى ونقمة على المرابين وأكثرهم من الأجانب وقد دام أثره الطيب الصالح حتى وقتنا الحاضر » .

★★★

وعن حزب الشعب يقول صدقى باشا فى مذكراته : أنا من الذين لا يميلون الى الحزبية ولا يحبون التقيد بالأحزاب ، ولذلك لم أنضم طوال حياتى السياسية قبل سنة ١٩٣٠ الى حزب،ولم اؤلف حزبا وقد تألف حزب الأحرار الدستوريين برئاسة عدلى يكن باشا ، واشترك فيه زميلى ثروت باشا ، وكلاهما كان صديقا حميما لى ، ومع ذلك لم أنضم اليهما ، ولم أشترك يوما ما فى عضوية هذا الحزب ولكن بعد تأليفى للوزارة ووضع دستور ١٩٣٠ ، واعلان الانتخابات

لقيام برلمان جديد فى ظل هذا الدستور رأيت أنه لابد للوزارة من استنادها الى أغلبية برلمانية وقد كنت أؤمل أن يؤيدنى حزب الأحرار الدستوريين كما أيدنى حزب الاتحاد نظرا لصداقتى لأعضائه الذين شعروا بأنى سلكت الطريق القويم ، ومما يؤسف له أن المسائل الشخصية لعبت فى ذلك دورها الممقوت، ولم يعمل حساب لما قلته باخلاص عندما توليت الحكم وهو « أنى عابر سبيل » ٠

★★★

ومن العجيب أن الباقين من الأحرار الدستوريين ائتلفوا مع الوفد وكانوا قد عانوا منه ما عانوه بحجة اننى اعتديت على دستور ١٩٢٣ وفاتهم أنهم هم الذين أجلوا الحياة النيابية وأوقفوا الدستور ثلاث سنوات قابلة للتجديد وحكموا البلاد أربعة عشر شهرا حكما وصفوه هم بأنه حكم ديكتاتورى ، لذلك رأيت فى تلك الظروف أن أؤلف حزب الشعب ورئى فى أول الأمر ، أن يسمى حزب الاصلاح وقد انضم اليه عدد من أعضاء حزب الأحرار الدستوريين وحزب الاتحاد والمستقلين وقد ظفر هذا الحزب بالأغلبية فى الانتخابات وبقى مؤيدا لى طول بقائى فى الحكم على انه عندما استقلت من الوزارة وعهد بها الى دولة عبد الفتاح يحيى باشا تخليت عن رياسته ثم استقلت من عضويته ورأيت أن أعود الى طريقى فى البعد عن الحزبية والأحزاب ٠

ومن بين ما يعتقد اسماعيل صدقى باشا ، أن مما أداه للشعب من خدمات أنه نجح فى تنازل الخديو عباس حلمى عن العرش ولم يكن الخديو ، قد أعلن تنازله عن حقه فى العرش ولم يعترف بالنظام الملكى القائم فى مصر ، حتى ٦ مايو ١٩٣١ ٠ وقد كانت مشكلة عدم تنازل الخديو عباس حلمى عن حقه فى العرش فى مقدمة المسائل التى تشغل بال اسماعيل صدقى ، عندما تولى الحكم فى سنة ١٩٣٠ كما يقول فى مذكراته وقد فاتح صدقى باشا الملك فؤاد ، فى سعيه الحل تلك المشكلة وقد ابتهج لسعيه هذا الملك فؤاد ، وقال له « سر على بركة الله » ٠٠ وتتعدد المقابلات بين اسماعيل باشا ، وبين مندوب الخديو عباس حلمى باشا ، الذى كان قد جاء لزيارة مصر فى يناير ١٩٣١ موفدا من قبل الخديو لمقابلة اسماعيل صدقى ٠٠ ولم يكن أحد يعلم بأنباء ذلك السعى الا الملك فؤاد ، واسماعيل صدقى ، ومندوب الخديو ، بل ان مجلس الوزراء لم يكن يعلم شيئا عن أمر هذا المسعى ! الى أن نجح مسعى اسماعيل صدقى وجاءت وثيقة التنازل عن العرش ، موقعة من الخديو السابق عباس حلمى الثانى الذى أقر للملك فؤاد بن اسماعيل ، بأنه ملك مصر الشرعى والذى أعلن تنازله عن كل دعوى على عرش مصر ، وتنازله أيضا عن كل مطالبه ناشئة عن كونه كان خديويا لمصر أيا كان وجهها سواء عن الماضى أم عن الحاضر ، وعندما رفع اسماعيل صدقى الى الملك فؤاد وثيقة التنازل بعد عودة مندوبى الحكومة المصرية

بها من جنيف ـ أمين أنيس باشا ، المستشار الملكى ، الأستاذ بتسى بك المحامى، يوسف جلاد بك رئيس الادارة الافرنجية بسراى عابدين ، وكان عبد الحميد بدوى ، هو الذى صاغ وثيقة التنازل تلك ، يقول اسماعيل باشا : « انه عندما رفع وثيقة التنازل الى الملك فؤاد مع خطاب شخصى من الخديو الى جلالته سر بهذه النتيجة وأراد ـ كما يقول صدقى باشا فى مذكراته ـ أن يعرب عن تقديره لشخصى الضعيف بالانعام على المرحومة السيدة حرمى بالوشاح الأكبر ، من نيشان الكمان ولما ذهبت لرفع آيات الشكر ، لهذا الانعام السامى وعلم بوجودها فى الحرملك ، انتقل رحمه الله اليها ، وقال لها : ان زوجك قد حاز كل أوسمة الدولة وقد فكرت أن أقدم لك وسام الكمال ليكون المكافأة التى أستطيع أن أقدمها اليه فى شخصك ·

***

ويعود صدقى باشا ، فى صفحات أخرى من مذكراته ، ليكتب عن حزب الشعب والحزبية ، تحت عنوان : طلقت الحزبية : لم أكن أريد أن أؤلف حزبا ، أو أصبح رئيسا لحزب يوما من الأيام ، لانى لا أميل الى الحزبية وليس من طبيعتى التشيع الشخص من الأشخاص ، ولو كان شخصى،أو بفكرة من الأفكار، الا اذا كنت مؤمنا بها ، ايمانا مطلقا ، عن كل غرض ، أو قيد من القيود · ولكن ظروف الحكم والحياة الدستورية اضطرتنى الى تأليف حزب الشعب لأستند الى تأييده بعد ما تخلى عنى جانب ذو شأن من حزب الأحرار ، وأنضم الى الوفد لمعارضتى ومحاربة دستور ١٩٣٠ حتى اذا تركت الحكم ، وسايرت التيار الحزبى بعض الوقت لمست أن لا فائدة من اتصالى بحزب معين ، واستقلت استقالة مسببة بينت فيها أن الحزبية فى مصر ، ليست من النوع الذى يتحقق منه للبلاد نفع ، لأنها عندنا ذات صفة شخصية ، أى أنها تتصل بالأشخاص لا بالمبادىء، وذلك شأنها فى البلاد التى لم تنضج فيها الحياة النيابية ، ولم تستقر فيهما مبادىء الحكم الديمقراطى حيث يجتمع الناس حول أشخاص لا حول مبادىء ·

***

وقد كانت هذه هى حال بلاد اليونان فى زمن مضى بل لقد وصلت هذه البلاد فى ذلك الاتجاه ، الى أن كانت تسمى الأحزاب بأسماء رؤسائها والواقع اننا فى مصر ، لا نختلف عن ذلك فى شىء فالأحزاب عندنا أفراد جمعتهم وحدة حال ، أو صداقة ، أو ذكريات مشتركة أو أقسام من أحزاب انفصلت عن حزبها الأول لاختلاف فى وجهات النظر فكونوا من الأحزاب ، أحزابا ، ولست أدرى لهذا كله من فائدة ، غير تلك التى تهيىء للمتحزبين أسباب الحكم ، وأنت اذا استعرضت جميع الأحزاب المصرية واستطلعت اتجاهاتها العامة لم تفز بأى فارق بينها ، واذا كان لى أن أبذل نصحا فهو أن تعمل الأحزاب ، على وضع

برامجها . وأن تعرض هذه البرامج على البلاد لتتكون حول الأحزاب جمهرة مريديها العاملين على نصرتها ، وهناك من شئون الحكم مسائل كثيرة لابد أن يفهم الحكام اتجاه البلاد نحوها • فاننا فى مصر لم تتكون لنا حتى الآن فكرة عامة تتعلق بكنه ما نريده من الاستقلال : هل هو استقلال مجرد ، عن الاتصال بالغير : أى ضيق فى مراميه ، أم استقلال مبنى على التعاون مع باقى الدول ولم نكون رأيا فى سياستنا الخارجية بعدما انقسم العالم الى كتلتين شرقية وغربية، ولم نحدد موقفنا من كل منهما ، أو نقرر أى الكتلتين هى الأصلح للانضمام اليها لصيانة استقلالنا ، وتحقيق أهدافنا ، لم نفعل ذلك ، بل لم نكون خطة صالحة فى القضايا الاجتماعية وهى ذات خطر كبير فى الوقت الحاضر ، ولا فى القضايا المالية والاقتصادية وسياسة التعليم ، تلك القضايا التى هى مثار الأبحاث الدقيقة فى البلاد الأخرى وانما الذى نراه من حكامنا هو الارتجال كلما عرض لهم شيء من هذه المسائل ، وأملى كله فى الهيئة البرلمانية أن يكون لها من المران ومن الشعور بالواجب ما يدفعها الى نهج جديد تسير فيه على غرار البلاد الأخرى ، التى ترى نتائج بحوثها ومساعيها الطيبة نحو رقى البلاد واسعاد الشعب •

★★★

وعن الصحافة يقول اسماعيل صدقى : ان الصحافة قوة تستطيع أن تبنى وتستطيع أن تهدم ، واستطاعتها فى الهدم ، أشد منها فى البناء ، خصوصا فى بلد لم تنضج بعد النضج الكافى ولم يتعود التفكير الذاتى ، ولو أنه كان الى جوارى صحافة مؤيدة قوية لما استطاع خصومى أن ينجحوا فى محاربة دستور سنة ١٩٣٠ ذلك الدستور الذى بينت كيف وضع بعناية وروية ودقة ، والذى كان من أرقى دساتير العالم ، وأقلها عيوبا بالنسبة لدستور سنة ١٩٢٣ بل انه كان خاليا من تلك العيوب التى عانتها البلاد فى الماضى وتعانيها الآن ولكن خصومى استطاعوا أن يحاربونى بأقوى سلاح وهو الصحافة وقد كانت لهم صحافة ذات دعايات حزبية تنشرها فى البلاد ، وكانت حرة من كل قيد ، فأمكنها أن تشوه أغراض هذا الدستور الجديد ومبادئه الحقة ووجدت من قرائها من يصدق هذه الدعايات ، أو من يجاريها تحت أهواء السياسة وأقدار الظروف •

★★★

وعلى الرغم من هذا يمضى اسماعيل صدقى باشا فى مذكراته قائلا : رغم هذه الحرب الشعواء التى كانت تشنها الصحافة ويشنها خصومى فانى لم أعبا بذلك أثناء توليتى الحكم لانها كانت حربا حزبية أو قل انها شخصية لا تهدف الى المصلحة العامة بل تهدف الى مصلحة شخص ، أو مصلحة حزب ولو انها كانت

لوجه الوطن ولمصلحة البلاد العليا ، بعيدة عن الشهوة لما أخذت هذه الصفة التى كانت تتسم بها طول مدة وجودى فى الحكم ، على اننى مكثت ثلاث سنوات أعمل لخدمة بلادى ومليكى ولنظام الحكم الجديد وكنت رئيسا للوزارة ووزيرا للمالية، ووزيرا للداخلية . وقد حملت أعباء السياسة والادارة وشغلت نفسى ليلا ونهارا غير مدخر وسعا فى القيام بواجباتى ، وغير مشفق على صحتى ، حتى مرضت واعتكفت فى مينا هاوس ، وهنا برز المرحوم زكى الابراشى باشا وأخذ يبث نفوذه ويتدخل فى شئون الحكم ، والسياسة ، وسافرت الى أوربا للاستشفاء فزاد نفوذ الابراشى باشا ، واتسع نطـاقه ولما عدت من أوربا وجدت الحالة لا تطاق . فاعتزمت الاستقالة ولكنى لما قابلت الملك فؤاد اذ ذاك ، رأيت من عطفه ورعايته ما جعلنى أعدل عن الاستقالة ، على أنه لم تمض الا فترة قصيرة ، حتى كانت أزمة تعيين حسين صبرى باشا وزيرا فى وزارتى . فقد رئى أن يعين وزيرا للمالية ورأيت أن يعين فى وزارة المواصلات ، أو فى وزارة أخرى على أن يعين حافظ عفيفى باشا وزيرا للمالية ، فلم يصادف ذلك قبولا فرأيت أن أتخلى عن الحكم فى ٤ يناير سنة ١٩٣٣ بعد أن أديت واجبى لوطنى بالطريقة وبالسياسة التى كنت أراهما خيرا للبلاد » .

★★★

وأقف طويلا عند الكلمة التى وردت فى مذكرات اسماعيل صدقى باشا ، عن الصحافة وكونها كانت أقوى سلاح حورب به ، والحقيقة ان صحافة المعارضة لم تزدهر فى فترة من فترات التاريخ المصرى قدر ازدهارها فى السنوات الثلاث التى حكم فيها اسماعيل صدقى باشا من سنة ١٩٣٠ حتى سنة ١٩٣٣ ، وربما كان السبب فى ذلك ان رؤساء التحرير وكتابها لم يكونوا صحفيين محترفين . وانما كانوا قادة سياسيين قبل أن يكونوا صحفيين : لقد قاد صحافة المعارضة لاسماعيل صدقى لفيف من خيرة الكتاب والسياسيين أمثال محمد التابعى ، محمد توفيق دياب ، فاطمة اليوسف ، عباس محمود العقاد ، د. محمد حسين هيكل ، حفنى محمود ، أحمد ماهر ، طه حسين ، وغيرهم ، وغيرهم . قدموا جميعا للمحاكمة مرات ومرات . دخل بعضهم السجون مرات ، ومرات . لم يضعفوا ، ولم يلينوا ، فى أى وقت من الأوقات ، كانوا جميعا وبلا استثناء جنودا مضحين بكل ما يملكون فى سبيل العقيدة ، والمبدأ ، والرأى السياسى . ولعلى لا أتهم بالمبالغة اذا ما قلت أن العصر الذهبى لصحافة الرأى ، كان هو العصر الذى حوربت فيه تلك الصحافة بأقوى الأسلحة ، وكان هذا العصر ، الذى سمت فيه تلك الصحافة الى أرفع درجات التضحية والفداء ..

ولأن الفلك ــ كما يقال دوار ــ بفتح الدال وتشديد الواو المفتوحة ــ فان الكأس الذى شرب منه اسماعيل صدقى شربه ــ كله فيما بعـــد خليفته ، عبد الفتاح يحيى باشا كما يتضح فى الفصل التالى .

الفصل الثانى

الوفد يتصل بالانجليز والسراى

لاستبدال عبد الفتاح يحيى بتوفيق نسيم !!

● تعتبر وزارة عبد الفتاح يحيى باشا (٢٧ سبتمبر ١٩٣٣ ـ ١٤ نوفمبر ١٩٣٤ امتدادا طبيعيا لوزارة اسماعيل صدقى باشا ولكن بدون اسماعيل صدقى باشا نفسه .

الدستور الذى « ابتكره » اسماعيل صدقى باشا ، والذى استمدت منه وزارة اسماعيل صدقى باشا ، الوحى والقوة والسند القانونى ، هو نفسه الدستور الذى استمدت منه وزارة عبد الفتاح يحيى باشا ، الوحى والقوة والسند القانونى ..

البرلمان الذى تمخض عن ولادة ذلك الدستور والذى كان نتاج أول انتخابات مصرية مزورة ١٠٠٪ والذى كان يقف الى جانب اسماعيل صدقى باشا ووزارته يمدهما بالعون « والتأييد الدستورى والبرلمانى » هو هو البرلمان الذى كان قد وقف الى جانب عبد الفتاح يحيى باشا ووزارته ، يمدهما بالعون والتأييد والسند الدستورى والبرلمانى ..

والشخصيات السياسية والاقتصادية والاقطاعيون وكبار أصحاب رءوس الأموال والعمد والأعيان وغيرهم وغيرهم ، الذين كان لهم ، فضل مؤازرة اسماعيل صدقى باشا ووزارته ، هم هم ، الذين لهم فضل مؤازرة عبد الفتاح يحيى باشا ووزارته ..

***

والعمود الفقرى الذى كان يحرك اسماعيل صدقى باشا ووزارته ونظام الحكم فى عهده ونعنى به « الموازنة والمواءمة والملاءمة » بين اتجاهات دار المندوب السامى البريطانى وسراى عابدين والعمل على تحقيق كل ما يطلبانه من الوزارة

بشرط عدم اغضاب أى من السراى أو دار المندوب السامى البريطانى فى مصر . هذا العمود الفقرى لذلك النظام هو نفسه العمود الفقرى لعبد الفتاح يحيى باشا ووزارته ونظام حكمه ..

★★★

وليس معنى ذلك أبدا أنه لم تكن ثمة خلافات أو اختلافات بين اسماعيل صدقى باشا وعبد الفتاح يحيى باشا ووزارتيهما وأسلوبيهما فى الحكم و..و.. فالواقع أنه كانت هناك عدة خلافات أو اختلافات عديدة بين الرجلين فى شخصيتهما وفى أسلوبيهما فى الحكم ، بل وفى أهداف كل من الوزارتين « الصدقية » و « الفتاحية » — اذا جازت التسمية ! : اسماعيل صدقى باشا — كما هو معروف — كان جريئا على الشعب — حادا فى معاملته للجماهير وللأحزاب السياسية ولكل القوى السياسية والاقتصادية بل والاجتماعية فى البلد . كان اسماعيل صدقى — فيما يبدو لى — قد أسقط تماما الشعب من حسابه ولم يضع أمامه الا أن يرضى السراى ودار المندوب السامى ، ويحقق بعض أمور سياسية واقتصادية رأى انها فى مصلحة الشعب من وجهة نظره : كان فى مقدمة أهداف اسماعيل صدقى باشا ونظامه السياسى اضعاف أحزاب المعارضة وفى مقدمتها الوفد المصرى ، لأنه كان يرى حقيقة أن الوفد المصرى هو العقبة الوحيدة الكبيرة فى طريق الاصلاح والديمقراطية من وجهة نظره ، ولأن اسماعيل صدقى باشا كان قويا وعنيفا ومتجبرا ، فان نظام حكمه وخاصة فيما تبقى من عام ١٩٣٠ ، ١٩٣١ ، ١٩٣٢ ظل متماسكا الى حد كبير بلا أمراض ، وبلا مظاهر ضعف واضحة جلية ..

★★★

وكان عبد الفتاح يحيى باشا بعكس اسماعيل صدقى باشا : عبد الفتاح يحيى حقيقة لم يكن رجلا جريئا على الشعب ، لم يكن قد تولى الحكم وفى ذهنه مخطط سياسى يستهدف اضعاف القوى السياسية والاجتماعية المعارضة لنظام الحكم : عبد الفتاح يحيى كان قد بقى لديه أمل ولو صغير فى الشعب : كان عبد الفتاح يحيى باشا — بعكس اسماعيل صدقى باشا — يخشى غضبة الشعب ولذلك فهو لم يحاول منذ اليوم الأول لتوليه الوزارة أن يحارب الشعب فى معارك سافرة كما هو الحال بالنسبة لاسماعيل صدقى باشا .. ولقد كان فى مقدمة أهداف عبد الفتاح يحيى باشا ، وقد رأى فى صدقى باشا المثل والعبرة ورأس الذنب الطائر ان أى نظام معاد للشعب وأهدافه لا يمكن أن يكتب له الاستمرار والاستقرار مهما كانت القوة التى تسانده ، كان فى مقدمة أهداف عبد الفتاح يحيى باشا استرضاء الأحزاب السياسية المصرية والعمل على كسبها لتكون عونا له فى المعركة التى أعلنها ضد اسماعيل صدقى باشا ، أو على الأقل

لتمسكت عنه وعن وزارته ، ولم تكن الظروف حقيقة مواتية لعبد الفتاح يحيى باشا ووزارته فان النظام غير الديمقراطي الذى كان قويا وعنيفا وعنيدا فى أيام اسماعيل صدقى باشا ، أيامه الأولى . هذا النظام قد ابتدأ يضعف « ويمرض » ويتآكل من الداخل فى أيام عبد الفتاح يحيى باشا . ذلك ان كل النظم الدكتاتورية تكون فى أيامها الأولى قوية عنيفة سليمة متينة ، فاذا ما وجهت اليها ضربة قوية انهارت بسرعة ولا يمكن أبدا مهما بذلت تلك النظم من جهود أن تعود الى سابق « قوتها » وسلامتها ومتانتها ..

***

ولقد كان فى مقدمة الأسباب التى أدت الى سرعة انهيار وزارة عبد الفتاح يحيى التى لم تستمر فى الحكم الا ثلاثة عشر شهرا ونصف الشهر ، ان المرض قد أخذ يشتد على الملك فؤاد وقد أدى اشتداد المرض على الملك ، وللملك صلاحيات كبيرة فى ظل دستور صدقى باشا ، ان عناصر غير مسئولة ـ كما هى العادة ـ انتهزت فرصة عدم قيام الملك بأداء مهامه فظهرت على السطح وتدخلت فى كل كبيرة وصغيرة من أمور وزارة عبد الفتاح يحيى باشا ..

ويقول فى تلك النقطة د. يونان لبيب رزق فى كتابه « تاريخ الوزارات المصرية » : انتهزت عناصر غير مسئولة فى القصر ، فرصة مرض الملك فاتخذت لنفسها صلاحيات لا يخولها اياها وضعها الوظيفى مما دفع المستر بيترسون نائب المندوب السامى البريطانى فى القاهرة الى التدخل ليقدم طلبين محددين ، أولهما شغل منصب رئيس الديوان الملكى الذى كان شاغرا وقتذاك وحتى يتمكن البريطانيون من التعامل مع شخصيات مسئولة فى القصر على حد تعبيرهم . ثانيهما : اقالة وزيرين ممن عرفا بتبعيتهما الشديدة للقصر ، وبأنهما أدواته فى الوزارة ، ولا شك أن دوافع عديدة كانت وراء الجانب البريطانى فى تخليه عن سياسة الحياد التى التزم بها على امتداد سنوات عهد دستور ١٩٣٠ منها ما اتصل بضعف وزارة عبد الفتاح يحيى ومنها ذلك التدخل السافر من جانب القصر للسيطرة على الوزارة . ثم ما يترتب على ذلك ، وهو ما أقلق الانجليز فعلا من احتمال عودة الاضطرابات الشعبية وقد عبر عن ذلك أحد المسئولين البريطانيين فى القاهرة بقوله « من السهل دائما تغيير سياسة القصر فى أربع وعشرين ساعة لكن الاحتفاظ بحق الهدوء والسكينة لا يدرك دائما بمثل هذه السهولة ، وكان واضحا آنذاك ان جو الهدوء والسكينة هذا ، على وشك التداعى نتيجة لعودة النشاط الوفدى فى مقاومة عهد دستور ١٩٣٠ فى صيف ١٩٣٤ ، فقد قام النحاس فى أغسطس بجولة فى كل من بور سعيد والاسماعيلية والزقازيق وتذكر التقارير البريطانية أنه قد ترتب عليها اضطرابات خطيرة . رد رئيس الوزراء ، على المطلب البريطانى بأن سأل المستر بيترسون تأجيل بحث المسائل التى تضمنتة متعللا فى ذلك بمرض الملك وبعدم ملاءمة الوقت لبحثها ،

وفى هذا الوقت تصور القصر بدوره أنه يستطيع أن يمارس نوعا من الضغط على الانجليز ، شبيها بذلك الذى يمارسه الوفد · ذلك أن الوزيرين اللذين طلب الجانب البريطانى ابعادهما تقدما باستقالتيهما الا أن رئيس الوزراء أبى قبول هاتين الاستقالتين وطلب منهما البقاء فى الوزارة ثم اتبع ذلك أن أخذ القصر وحزب الشعب فى تنفيذ خطته باثارة الجو ضد المطلب البريطانى باعتباره تدخلا فى شئون مصر الداخلية مما يتعارض مع استقلالها ، ومع ما جاء فى تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ، الا أن محاولة الاثارة هذه لم تنجح لأكثر من سبب :

★★★

١ ـ ان الوفد وهو الحزب القادر على تحريك المشاعر القومية رفض أى اسهام فيها ذلك أن تفاهما مسبقا كان قد تم بين الانجليز والحزب الكبير · وفى لقاء بين مكرم عبيد والسكرتير الشرقى لدار المندوب السامى اقترح الأول ـ مكرم عبيد ـ فرض حكومة برئاسة توفيق نسيم على الملك ، وبعد ذلك بأسبوع وفى لقاء بين النحاس والمستر بيترسون أكد زعيم الوفد أن حزبه لن يعترض على تدخل بريطانى لتشكيل حكومة برئاسة توفيق نسيم · وقد سمت صحيفة البلاغ الوفدية ما تدعيه حكومة عبد الفتاح يحيى باشا بأنه تهديد مزعوم من جانب الحكومة البريطانية لاستقلال مصر « البلاغ ١٩٣٤/١٠/٢٤ » ·

★★★

٢ ـ ان صحيفة التايمز البريطانية ذات العلاقات الوثيقة بوزارة الخارجية لوحت للملك فؤاد مهددة بأنه يجب أن يتخلى عن سلطة الاوتقراطية وقد فهمت دوائر عابدين ما جاء فى مقال الصحيفة الانجليزية ووصل الأمر الى حد أن تواترت الاشاعات عن تبليغ بريطانى فى الطريق « البلاغ ١٩٣٤/١٠/٢٧ » دعا كل هذا القصر الى التراجع وتمت أولى الخطوات فى هذا الطريق عندما صدر الأمر الكريم بتعيين أحمد زيور رئيسا للديوان الملكى فى ٢٧ أكتوبر ١٩٣٤ ، وكان هذا التعيين بما عرف عن علاقات زيور الودية بدار المندوب السامى ما خفف من حدة الأزمة بعض الشىء وكما وصف مراسل الديلى هيرالد فى القاهرة بأنه انثناء عن موقف الصلابة وعدم التسليم الذى كانت تتخذه الحكومة والقصر « البلاغ ١٩٣٥/١٠/٢٩ » الا أن هذه الخطوة التى تصورها القصر ، وتصورتها الوزارة كافية لانهاء الأزمة لم تنظر اليها دار المندوب السامى نفس النظرة فقد ظل الجانب البريطانى مصمما على السير فى طريقه الى النهاية ومصرا على تنفيذ مطلبه الثانى بابعاد من طلب ابعاده من الوزارة ، يدفعه الى ذالك اليقين بأن الرأى العام المصرى لا يساند الوزارة والقصر ، وعلى حد تعبير مراسل التايمز فى القاهرة أنه لم يحدث قط من قبل فى تاريخ العلاقات المصرية ، البريطانية أن أتيحت فرصة كهذه للحكومة البريطانية لعمل شىء يطابق أتم المطابقة احساس

المصريين ويضع العلاقات بين الأمتين على قاعدة تبعث على الرضى ، كما يدفعه فى نفس الوقت الشعور بأن استمرار التدخل فى المسألة أقل خطرا على السياسة البريطانية من الاستمرار فى حيادها الذى احتفظت به خلال الحقبة السابقة . يضاف الى ذلك المخاوف التى انتابت دار المندوب السامى البريطانى فى القاهرة من احتمالات وفاة قريبة للملك فؤاد ، الذى كانت صحته فى تدهور مستمر آنذاك مما رأت معه أن عليها أن تواجه الموقف قبل تلك الوفاة لا بعدها وتمت بالفعل الاستجابة للمطلب الثانى بأن وضع الوزيران المطلوب ابعادهما استقالتيهما أمام الملك وتصور القصر انه قد نجح بهذا فى تجاوز الأزمة ، ففى لقاء بين زيور والمستر بيترسون فى ٣ نوفمبر تساءل الأول عما اذا كان ما تم بالاستجابة للمطالب البريطانية قد أدى الى حل الأزمة ولدهشته كانت الاجابة بالسلب فلم يعد يرضى البريطانيين أقل من استقالة وزارة عبد الفتاح يحيى باشا وتشكيل وزارة برئاسة توفيق نسيم وهو ما أفضى به المستر بيترسون صراحة فى هذا اللقاء . من جانب آخر فان عبد الفتاح يحيى رفض أن يطلع القائم بأعمال المندوب السامى على أسماء المرشحين لمجلس الوصاية على العرش وأخذت دار المندوب السامى تتلمس المآخذ على الوزارة وتتهمها بأنها شجعت على استعمال اللغة العربية فى المحاكم المختلطة ، وأنها قررت حق القضاة المصريين فى رئاسة بعض الدوائر فى تلك المحاكم وانها رفضت تعيين موظف بريطانى كبير فى وزارة المعارف العمومية وأنها حلت قومسيون بلدية الاسكندرية وأغلب أعضائه من الأجانب ، ولم يكن هناك مناص على ضوء كل تلك الظروف من تقديم الوزارة لاستقالتها فى ٦ نوفمبر بعد أن أشارت فى خطاب الاستقالة الى تدخل الانجليز بقولها : « انه فى الشهر الأخير والمصريون جميعا يضرعون الى الله أن يتم لجلالتكم أسباب الصحة أبلغت رغبات للحكومة البريطانية لا يسعنى قبولها دون التفريط فى حقوق البلاد » ، وقبل تلك الاستقالة فى ١٤ نوفمبر ١٩٣٤ .

★★★

ويقول د. محمد حسين هيكل فى مذكراته : ان وزارة عبد الفتاح يحيى باشا ألفت لجنة للتحقيق فى مسألة كورنيش الاسكندرية وهو الكورنيش الذى يرجع فضل انشائه الى اسماعيل صدقى باشا ، هذا « الكورنيش » البديع على شاطىء البحر الأبيض المتوسط من قصر رأس التين الى قصر المنتزه ، وقد أشار جلالة الملك فؤاد على صدقى باشا بأن يقيم هذا الكورنيش فوضعت رسومه وطرحت عمليته فى المناقصة ورست على المقاول داتشمارو وطلب اليه أن يتمه فى عامين اثنين وجرى العمل فى الكورنيش ليل نهار ، وتم فى موعده لكن الأقاويل تناثرت هنا وهناك بأن صدقى باشا وغير صدقى باشا من الموظفين المتصلين بهذا العمل

قد أفادوا لأنفسهم بسببه ، وأن مخالفات جسيمة لما يقضى به القانون المالى وغير القانون المالى قد ارتكبت أثناء القيام به وأيسر ذلك أن المقاول أقام فيما رددته هذه الاشاعات قصورا وأصلح مساكن فى مقابل ضئيل يكاد يكون غير معقول أو غير معقول بالفعل » ٠

★★★

تولت اللجنة التحقيق وبدأ الناس يتناقلون من أنبائه أمورا تأباها النزاهة كل الاباء ، أكان ما تناقله الناس بعد ذلك صحيحا ؟ أم كانت اللجنة متأثرة فى تحقيقها بالجو السياسى الذى قضى بتخلى صدقى باشا عن ولاية الحكم ؟ ٠ لقد مال الجمهور أول الأمر لتصديق كل ما كان يسمعه وما كانت الصحف تنقل الكثير من أنبائه فلو آن شيئا منه لم يكن صحيحا فما بال صدقى باشا قد أعفى من منصبه ، وقد كان البرلمان القائم بمجلسيه من صنع يديه ٠٠ لكن البرلمان كان فى عطلة حينذاك وهل ترى لو أن هذا البرلمان لم يكن فى عطلة ، أكان ذلك يغير من مجرى الحوادث شيئا ؟ فقد حل مجلس النواب خلال السنوات الثمان التى انقضت من يوم بدأت الحياة الدستورية أربع مرات ، عطل أثناءها خمس سنوات وفى هذه السنوات الثمان لم تطرح من جانب النواب مسألة الثقة بالوزارة قط مع أن ثمانى وزارات استقالت أو أقيلت فى السنوات الخمس التى خلت قبل ولاية صدقى باشا ٠ لم يفكر الجمهور فى مسألة الكورنيش بل مال أول الأمر الى تصديق كل ما كان يسمعه ، ثم هدأت الحدة حين طال بلجنة التحقيق المطال ، وحين أيقن الناس أن الأمر أدنى الى أن يكون حرب أعصاب لن تتــرتب عليه نتائج حاسمة ، الا أن تتنــاول بعض الموظفين بالاحالة الى المعاش ! » ثم يقول د٠ هيكل وهو يصور أبدع تصوير مجلس نواب صدقى وعبد الفتاح يحيى : كانت أغلبية مجلس النواب الساحقة من حزب الشعب ٠

★★★

وكان صدقى باشا رئيسا لهذا الحزب فلما استقال صدقى باشا اذا بأعضاء حزب الشعب جميعا ينفضون من حول منشئه واذا صدقى باشا يجد نفسه وحيدا لا يؤيده أحد ولا يجد من يعتمد عليه الا نفسه ، بل لقد اختار الحزب عبد الفتاح يحيى باشا لرئاسته وان شئت فقل ان عبد الفتاح يحيى باشا اختير لرئاسة الحزب كما اختير لرئاسة الوزارة فهرع اليه الأعضاء الذين تولتهم الحيرة يوم استقالة صدقى باشا ، وجعلوا يتساءلون الى أين يولون وجوههم ولم يكن عبد الفتاح يحيى باشا ليخدع نفسه بشىء من هذا ، فقد ذكر غير مرة بعد سنين من هذه الحوادث ان جماعة من أعضاء الحزب ذهبوا اليه يتحدثون فى أمر من الأمور على نحو لم يعجبه فصاح بهم كى يدعوه وشأنه فهو يعلم كيف انضموا الى الحزب وكيف ناصروه فى انتخاب الرياسة ، ولم يجـــد

هؤلاء الاعضاء ما يجادلون به الرجل . ولم يفكر أحد منهم فى ترك الحزب مخافة ما قد يترتب على ذلك فى جاهه ومصالحه .. ويقول د. هيكل ان عبد الفتاح يحيى فكر أن يجعل صلته بالأحزاب المعارضة صلة مودة وتفاهم ، وكان جليا ان الذين رسموا هذه السياسة اعتقدوا أن المعارضة وهنت قوتها بعد أن نفذ دستور صدقى باشا . وانعقد برلمانه دورتين كاملتين وان من المستطاع خلق جو من التفاهم ينتهى الى التسليم بالأمر الواقع من قيام هذا الدستور أو ينتهى على الأقل الى خلق جو من الشقاق بين الهيئات المعارضة بهذا النظام . ويكفل بذلك بقاء الدستور كما صدر رغم ما كان من عنف المعارضة التى قامت ضده أول صدوره .

★★★

وعن خلاف عبد الفتاح يحيى باشا مع المندوب السامى البريطانى يقول د. هيكل : خلق عبد الفتاح باشا بينه وبين المندوب السامى البريطانى مشكلة « بروتوكول » أول ما عاد سير برسى لورين من انجلترا بعد انتهاء اجازته فأى الرجلين يبدأ الآخر بالزيارة ! أهو رئيس الوزارة المصرية الجديدة ؟ أم هو المندوب السامى ؟ ولا أظن عبد الفتاح باشا خلقها لغاية سياسية أو أراد بها أن يظهر للرأى العام على أن بينه وبين الانجليز من الخلاف ما يدفع هذا الرأى العام للاعجاب به ومناصرته فعبد الفتاح يحيى باشا رجل صريح طيب القلب ، قلما يعرف المناورة السياسية ، وهو الى جانب ذلك رجل حساس فى كل ما يتعلق بالكرامة الشخصية حساسية تزيد على المألوف عند غيره من السياسيين، كما أنه أكرمهم على نفسه وعلى الناس . وقد أراد قوم أن يخلقوا من هذا الخلاف موضع عطف على الرجل ، لكن الجو العام لم يساعد على خلق هذا العطف لاقتناع الجمهور برضا الانجليز عن السياسة القائمة يومئذ فى مصر ، وبأن هذا الخلاف أيا كان مرده لا علاقة له بمصلحة الدولة ولا بمطالب مصر ، لهذا تناول كثيرون ما حدث بالتندر ولم يتغير اتجاه الرأى العام نحو الوزارة فى كثير أو قليل .

★★★

وعن المحاولات التى بذلها عبد الفتاح يحيى باشا لارضاء الأحزاب المعارضة، وفى مقدمتها حزب الأحرار الدستوريين يذكر د. هيكل ، ان عبد الفتاح يحيى باشا اختار موظفا جعل يتردد علينا وينقل الينا أحاديث عبد الفتاح باشا ، وتقديره لنا . وحفظه مودتنا وينقل الينا فى نفس الوقت من أنباء الوزارة ما نستفيد منه صحفيا .. » ويذكر د. هيكل ان حزب الأحرار الدستوريين ، لم يغير اتجاهه فى معارضته لوزارة عبد الفتاح باشا لكن رسول عبد الفتاح باشا الينا لم ييأس من مواصلة حديثه معنا ولعله كانت له فائدة من اطالة هذه المحادثات على أنه بينما كان يوما عند الباب الداخلى للحزب والسياسة يتحدث

معى اذ أقبــل محمد محمود باشــا فلما رآه قال له فى صراحة : هل يظن عبد الفتاح يحيى باشا انه يكسبنا ؟ بلغه عن لسانى انه يطلب المحال ، واننا لن نغير خطتنا أو نعدل عن سياستنا » ٠ كانت هذه الكلمة فصل الخطاب عند هذا الوسيط وان تردد بعدها علينا ثم باعد بين زياراته ثم انقطع فلم نعد نراه ٠٠ ويقول د٠ هيكل انه كان قد قام بحملة فى السياسة بالغة غاية العنف ضد التبشير والمبشرين ، وكان محمد باشا محمود قد آثر أن يتنحى الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى عن رئاسة تحرير السياسة وأن تسند الى حفنى بك محمود شقيق محمد باشا ، وكانت النيــابة قد بدأت تحقق معى فى هــذه الحملة .. لم أجد فى التحقيق ما يمنعنى من أن أتابع حملتى الصحفية العنيفة على هذه الحملة التبشيرية الأليمة وأن ألقى على ادارة الأمن العام الأوربى فى وزارة الداخلية المصرية تبعتها ، واستمر الحال شهورا دعيت أثناءها الى النيابة غير مرة ، فلما استقالت وزارة صدقى باشا ، وخلفتها وزارة عبد الفتاح يحيى انتهت الحملة التبشيرية ورأت النيابة أنها فرغت من التحقيق فجعلت تراجعه زمنا الى أن انقطع كل رجاء فى التفاهم بين الأحرار الدستوريين والوزارة ٠ وبعد زمن غير قليل من انقطاع هذا الرجاء رفعت النيابة الدعوى علينا ، حفنى بك محمود وأنا أمام محكمة الجنايات بتهمة أننا نحرض أهل الأرياف المختلفة بعضهم ضد بعض وتأجلت القضية غير مرة قبل أن تنظر ويحكم فيها ٠٠

***

ويقول د٠ هيكل : ان الانجليز شعروا بأن عليهم مسئولية موقف التأييد لوزارة ليست نزاهتها فى الحكم فوق مستوى الشبهات ، أو هكذا قالوا على لسان صحفهم ، على الاقل ، ولعلهم شعروا كذلك بأن الأحوال الدولية فى أوربا تتطور تطورا تقتضيهم كسب مودة الشعب المصرى ولا سبيل الى كسب هذه المودة ونظام الحكم الذى حاربه هذا الشعب قائم ، والبرلمان الذى انعقد تنفيذا لهذا النظام قائم كذلك ، لابد اذن من أن يظهروا على مسرح السياسة المصرية فى مظهر الغاضب لنزاهة الحكم ، وأن يجعلوا ظهورهم هذا محسوسا ، عند الشعب وأن ينهى تدخلهم هــذه المعركة التى ظلت قائمة بين دستورين أربع سنوات حسوما ، وليس حتما أن تنتهى المعركة الى انتصار حاسم لأحد الدستورين بل حسب التدخل البريطانى ، أن ينحى الدستوران معا من الميدان ، ثم لينظر الفريقان المتخاصمان من المصريين ما تتمخض عنه الأيام وليرقب الانجليز تطور الحوادث ليرتبوا عليها من النتائج ما يتفق وسياستهم الدولية فى أحوال العالم الدقيقة يومئذ ، ويقول د٠ هيكل فى مكان آخر من مذكراته ، بعدما تحدث عن ظهور هتلر وموسولينى وتلبد الأجواء الدولية وضرورة استعداد بريطانيا لأية حرب محتملة ، يقول د٠ هيكل ، ومصر تتوسط العالم وقناة السويس تربط الامبراطورية فلابد من كسب صــداقة الشعب المصرى مع الاحتياط كى

لا يكون ثمن هذه الصداقة باهظا ، ومع التمهيد لتغيير السياسة التى أدت الى ضياع هذه الصـداقة ٠٠ وهذا التمهيد يسـير ، وطريقه التقليدى نقل ممثل انجلترا فى مصر . واحلال غيره محله وتلك سياسة قديمة عبر عنها عمر بن الخطاب فى الصدر الأول للاسلام بقوله : « هان أمر أصلح به قوما ان أبدلهم أميرا مكان أمير » وقد ترجمت السياسة البريطانية هذه العبارة فى علاقاتها مع مصر ، بما يشابهها فيبان عليها لتصلح ما فسد من سياستها فى مصر أن تبدل فى مصر ، ممثلا مكان ممثل ، وكما فعلت حين أحلت سير برسى لورين محل لورد لويد

★★★

نقلت سير برسى لورين وعينت مكانه سير مايلز لامبسون مندوبا ساميا لها فى مصر . لكن سير مايلز لم يكن ليحضر فيتولى منصبه على ضفاف النيل قبل نهاية تلك السنة ، سنة ١٩٣٤ ، ولما كانت الحكومة البريطانية تستعجل التعديل فقد ندبت مدير القسم المصرى بوزارة الخارجية البريطانية مستر بيترسون ليتولى بحث الموقف والاشارة بالتعديل الواجب على أساس هذا البحث ، ولما كان الوقت لا يزال ضيقا اذ كنا فى النصف الأخير من شهر سبتمبر فلم يكن بدار المندوب السامى من الموظفين ذوى المكانة غير مستر جرافنى سميث مساعد السكرتير الشرقى بالدار فى ذلك الحين ولقد دأب مستر جرافنى على أن يستطلع رأى معارفه وأصدقائه من المصريين ليقف على اتجاه الرأى العام فى البلاد قدر المستطاع . وكنت أعرف مستر جرافنى سميث معرفة جيدة وان لم أكن من أصدقائه وقد أراد زعماء الحزب عنـدنا أن يقفوا على اتجـاهات الانجليز فى سياستهم الجديدة ورغبوا الى فى الاتصال بالرجل على أعرف منه ما سيحدث

★★★

وقابلته غير مرة ، وكنت أكثر الأحيان أجد بعض أصدقائى أو معارفى خارجين من عنده ساعة قدومى أو ذاهبين لمقابلته ساعة خروجى ٠ وانى لأذكر كلمة له ذات مغزى فقد أشرت مرة فى حديثى الى أن سياسة القصر فى ذلك الوقت تحمل معظم التبعية ما وصلت اليه علاقات مصر وانجلترا وان من الخير عدم الامعان فى تاييد هذه السياسة وكان جواب جرافنى : من السهل دائما تغيير سياسة القصر فى أربع وعشرين ساعة لكن الاحتفاظ بجو الهدوء والسكينة فى البلاد لا يدرك دائما بمثل هذه السهولة وجو السكينة هو الذى يعنينا اليوم وأعتقد ان ما وصم سياسة الوزارة من حيث النزاهة يجب أن يقدم فى التفكير على كل اعتبار سواه وكان جل أصدقائنا يريدون أن يقفوا على اتجاه المندوب السامى بالنيابة فيمن يؤلف الوزارة الجديدة ، ولعل هذه كانت المسألة الجوهرية فى نظرهم وقد شاع فى بعض الأوساط ان على باشا ماهر ، سيعهد اليه بتأليفها فلم ينل ذلك ارتياح كثير من الساسة لما كان معروفا من اتصال على باشا الوثيق

بالقصر ويظهر ان اختيار من يتولى تنفيذ السياسة الجديدة قد استغرق زمنا غير قصير ، ثم ان الأمر استقر أخيرا عند اختيار توفيق نسيم باشا الذى كان رئيسا للديوان الملكى غير مرة ، وصدر الأمر الملكى اليه بتأليف الوزارة فألفها فى ١٥ نوفمبر ١٩٣٤ ·

ويلاحظ – د· هيكل – ان وزارة عبد الفتاح يحيى باشا كانت على علم بأن البحث يجرى فى دار المندوب السامى لتغييرها وأنها كانت واثقة من أن هذه التغيرات لا محالة عما قريب ، مع ذلك ، لم تفكر فى تقديم استقالتها وفى التخلى عن مناصب الحكم الى أن تألفت الوزارة الجديدة وقد يبدو هذا غريبا لا يفسره الا أمل الوزارة فى أن تخفق المساعى فتظل فى الحكم وليس من شك فى أن الأكرم لأية وزارة فى مثل هذا الموقف أن تستقيل فاذا رفضت استقالتها كان بقاؤها فى الحكم بعد ذلك أهون الكرامتها ، لكن هذا التقليد الذى يدعو كل وزارة الى البقاء فى الحكم حتى اللحظة الأخيرة قد لوحظ فى كثير من الوزارات المصرية قبل نفاذ الدستور ، ثم لوحظ بعد قليل من نفاذه ، واذا دل عى شىء فعلى أن الوزراء يرون أنفسهم موظفين لا يتركون مناصبهم الى أن يفصلوا أو يحالوا الى المعاش : كانت الوزارات بين أن تقال ، وأن تستقيل مخافة أن تقال وهى لم تكن تستقيل خوف الاقالة الا فى اللحظة الأخيرة !

***

وعن وزارة عبد الفتاح يحيى يقول الأستاذ عبد الرحمن الرافعى : ان هذه الوزارة أصدرت مرسوما بوجوب حلف الوزراء يمين الولاء والاخلاص للملك والوطن قبل أن يتولوا أعمالهم ولم تكن هذه اليمين مما يوجبه الدستور ولا كان الوزراء يقسمونها من قبل وانما نص الدستور فقط على اليمين التى يقسمها أعضاء البرلمان ثم يقول : أدرك الانجليز مبلغ ضعف الوزارة وانفصالها عن الشعب وخذلان الشعب اياها ومبلغ تداعى النظام الذى ابتدعه صدقى باشا فأخذوا يستهينون بها وبكرامتها وزاد استعلاؤهم على البلاد فى عهدها ، وتعددت مظاهر هذا الاستعلاء ففى أكتوبر ١٩٣٤ زار المستر موريس بيترسون المندوب السامى البريطانى بالنيابة مبنى البوليس والمطافى بالقاهرة وأخذ يستعرض قوات بلوك الخفر محوطا بمظاهر التفخيم والتكريم ، فكانت هذه الزيارة لطمة شديدة للوزارة · ولم يقف التدخل البريطانى عند هذا الحد ، بل تفاقم واستفحل ،

***

وبلغ الذروة بمفاتحة المستر بيترسون يحيى باشا فى شأن مرض الملك وتلميحه الى أن هذا المرض يستدعى تعيين قائمقام له يتولى سلطته أثناء مرضه وزاد فى هذا التدخل فطلب الاطلاع على وثيقة الوصاية على العرش وأسماء الأوصياء فى حالة وفاة الملك وتدخل الانجليز أيضا فى المناصب الكبرى بالسراى ولمحوا الى

وجوب تعيين رئيس للديوان الملكى وكان هذا المركز شاغرا منذ استقال منه محمد توفيق نسيم باشـا فى أغسطس ١٩٣١ فى عهد وزارة صـدقى باشـا

★★★

فاستجابت السراى الى طلبهم وعين أحمد زيور باشا رئيسا للديوان فى أواخر أكتوبر ١٩٣٤ ، كما اعترضوا على بقاء السنيور فيروتشى الايطالى كبير مهندسى القصور الملكية فى منصبه ونسبوا اليه انه يعمل لحساب دولته ، واعترضوا عامة على النفوذ الايطالى فى القصر واذ هان شأن الوزارة الى هذا الحد ، وهان كذلك شأن الملك لم ير عبد الفتاح باشا بدا من تقديم استقالته وكان الملك راغبا فى هذه الاستقالة لانه شعر بالمرارة منذ توالى الاعتداء على كرامته ورأى أن يسلك سبيلا جديدا فى الحكم ، بأن يتقرب الى الشعب بعد أن غاضبه طوال السنين السابقة ..

★★★

عن وزارة عبد الفتاح يحيى باشا يقول الأستاذ محمد زكى عبد القادر فى كتابه محنة الدستور : كان تعيين عبد الفتاح يحيى رئيسا للوزارة شبيها بتعيين زيور باشا رئيسا للوزارة فى عام ١٩٢٤ ايذانا بأن الحكم أصبح خالصا للسراى وأنه الخطأ آخر شبيه بخطأ اسماعيل صدقى ومحمد محمود هذا الخطأ الذى ارتكبه عبد الفتاح يحيى بقبوله منصب رياسة الوزارة وهو عارف ألا أنصار له فى الشعب ، وهو عارف أكثر من ذلك ان الحزب الذى اعتمد عليه اسماعيل صدقى لم يغن عنه فتيلا ، ولم يحمـه من بطش السراى وهو مع ذلك حزب لا وجـود له الا فى أروقة مجلس النواب بالقـاهرة : ومما يزيد فى خطـأ عبد الفتاح يحيى أنه رأى من قبله مصارع أحمد زيور ومحمد محمود واسماعيل صدقى ، ورأى كيف عومل كل منهم وكيف نزع من كرسيه لا لشىء الا لانه لم يسر فى شوط الخضوع الى النهاية أو لانه أصبح ثقيل الظل ، عند بعض الموظفين فى السراى .

★★★

ويقول الأستاذ محمد زكى عبد القادر أيضا : ان تدخل الانجليز فى أيام عبد الفتـاح يحيى كان عنيفا فى هـذه المرة : لم يكن بالرأفة التى اعتادوها ولا بالأسلوب المغطى الذى ألفوه . بل كان فى شىء من الخشونة والصرامة ، وعن مستر بيترسون الانجليزى قال : تعمد بيترسون احراج السراى على صورة غير مألوفة فتقدم اليها بطلبات عديدة تتعلق بصحة الملك وتعيين قائمقام يتولى سلطته فى أثناء مرضه وحملوا فى صحافتهم حملة شديدة على السراى وعلى الملك وأشاروا الى ثروته ، وتقدموا الى السراى بطلبات تتعلق بتربية الأمير فاروق

وأشاروا بارساله الى انجلترا . فأرسله الملك مكرها وبدا ان الأمور تسير فى اتجاه لا يرضى السراى ولا يتفق مع سياستها وانحنت السراى للعاصفة كعادتها. وكان هناك عرض مستكن وراء تصرفات السياسة البريطانية يتصل بقلق الأفق الدولى وكيف ان بريطانيا رأت أن تقر الأمور فى مصر على أساس شعبى ومن هنا كان انصرافها الظاهرى عن السراى واتجاهها الى الوفد والكتلة الشعبية ٠

وبالرغم من تغير السياسة البريطانية بزاوية ١٨٠ درجة وبالرغم من أفول نجم السراى الى حد ما ٠٠ وبالرغم من أن تغييرا جذريا قد طرأ على سياسة السراى وسياسة دار المندوب السامى البريطانى أدى الى تطورات حاسمة ٠ الا أننا لن نتحدث عن تلك التطورات قبل أن نقول كلمة أخيرة فى اسماعيل صدقى باشا وعبد الفتاح يحيى باشا ونظامهما المعادى للشعب والذى نخره « سوس » الفساد من الداخل كما سنرى !!

الفصل الثالث

اسماعيل صدقي وعبد الفتاح يحيى في قفص الاتهام

● كانت وزارة عبد الفتاح يحيى باشا « ٢٧ سبتمبر ١٩٣٣ ـ ١٤ نوفمبر ١٩٣٤ » أشبه ما تكون بالمريض الذى انتابته العلل والأمراض : وقد ظل يقاوم ، ويقاوم ، الى أن قضى ولما يتجاوز بعد من العمر أربعة عشر شهرا : كانت وزارة عبد الفتاح يحيى باشا قد ورثت عن وزارة اسماعيل صدقى باشا كل ما منيت به تلك الوزارة من علل ، وأمراض ومشاكل وصعوبات داخلية ، وخارجية ثم أضيفت اليها ـ فيما بعد ـ مشكلة اسماعيل صدقى باشا نفسه الذى ظهر انه من أعدى أعداء عبد الفتاح يحيى باشا ووزارته ٠

وقد « برزت » فى عهد وزارة عبدالفتاح يحيى باشا قضـايا صحفية هامة كانت ـ بلا جدال ـ من أهم القضايا الصحفية والسياسية فى تاريخنا الحديث وكانت الأحكام الصادرة فى تلك القضايا ـ بحق ـ مفخرة من مفاخر تاريخنا الصحفى والوطنى ، بل مفخرة لتاريخ الحرية والأحرار فى العالم كله ٠

***

وفى مقدمة تلك القضايا قضيتا نزاهة الحكم اللتان شغلتا الرأى العام المصرى ، بل والرأى العام العربى أكثر من عامين وكان المتهم فى هاتين القضيتين حفنى محمود بك ـ شقيق محمد محمود باشا رئيس حزب الأحرار الدستوريين وأحد رؤساء الوزارات السابقين ـ بصفته رئيسا لتحرير جريدة « السياسة » لسان حال حزب الاحرار الدستوريين بعد ان حيل بين د٠ محمد حسين هيكل فى أن يتولى رئاسة التحرير لاتهامه فى بعض القضايا الصحفية والحكم عليه فى احداها : كانت قضيتا نزاهة الحكم أخطر قضيتين سياسيتين عرفتهما مصر حتى تاريخ الحكم فى هاتين القضيتين ـ ٢١ مايو ١٩٣٥ ـ كانتا أخطر من

قضية مقتل السيرلى ستاك سردار الجيش المصرى والحاكم العــام للسودان ، وقضية الخطابات المزورة وقضية القنابل والقضايا الصحفية العديدة التى قدمت لمحكمة الجنايات خلال الخمس عشرة سنة الأخيرة : كانتا ــ بلا جدال أو نزاع ــ أبرز ما شهدت مصر فى عهدها الأخير من هذه القضايا جميعا ، ويرجع ذلك ــ كما قالت صحيفة السياسة ــ من غير شك الى عوامل عدة أهمها ما يأتى :

***

● شخصية المتهم واتصاله الوثيق بحزب سياسى محترم له رأيه ولــه خطره ٠

● شخصية من تناولتهم هذه القضية ــ أو بعبارة أخرى من تناولهم قلم رئيس تحرير السياسة وقد رأينا بينهم رئيس وزارة هو عبد الفتاح يحيى باشا ووزراء ثلاثة هم أصحاب السعادة : ابراهيم فهمى كريم باشا وعلى المنزلاوى بك : وعبد العظيم راشد باشا ومقاولا كبيرا هو سعادة أحمد عبود باشا ٠

● شخصية الشهود الذين سمعت أقوالهم فى القضية ومن بينهم رئيسا وزارة سابقان هما صاحبا الدولة محمد محمود باشا واسماعيل صدقى باشــا ووزراء سابقون حاليون من بينهم حضرات أصحاب السعادة محمد شفيق باشا على ماهر باشا : وعبد المجيد عمر باشا وحسن صبرى (بك) وغيرهم من ذوى الشخصيات سواء من سمع منهم فى تحقيق النيابة أو أمام محكمة الجنايات ٠

***

● تشعب الوقائع موضوع المحاكمة

***

● الأدوار التى مرت بها القضية والتى يمكن تلخيصها فيما يلى : اجراءات النيابة الشاذة فى التحقيق ورفضها ضم الملفات ، التى طلب الأستاذ حفنى بك ضمها وسماع الشهود ، الذين طلب سماعهم ٠٠ اسراعها فى التحقيق بطريقة لم يسبق لها مثيل حتى فى أيام العيد ، وهى عطلة رسمية كان يجب أن تحترم خصوصا وان التحقيق كان مؤجلا الى ما بعد العيد : سرعة عرض القضيتين على محكمة الجنايات واصرار النيابة على الاسراع ، فى نظرهما ، ومعارضتها فى أى تأجيل : معارضة النيابة الشديدة امام المحكمة فى ضم الملفات أو سماع الشهود ، عرض القضيتين أولا ، على دائرة صاحب العزة نجيب بك سالم وتأجيلهما بعد ذلك ونظرهما امام دائرة حضرة صاحب العزة مصطفى بك حفنى : تنحى دائرة نجيب بك سالم عن نظرهما ، واحالتهما الى دائرة صاحب العزة ، عبد الوهاب بك فهمى : رفض المحكمة فى بادىء الأمر سماع بعض الشهود ، وانسحاب المحامين ،

عن الأستاذ حفنى بك من الجلسة ، ورد أحد أعضاء الهيئة ٠٠ تنحى المستشار طاهر محمد بك وندب نجيب مرقص بك بدلا منه : الدور الجديد الذى دخلته القضيتان عند نظرهما ، أمام الدائرة الجديدة وما كان من تعديل قانون العقوبات فيما يختص بجرائم النشر : قرار الهيئة الجديدة بسماع الشهود وضم الملفات والفضائح والمخازى التى كشفت عنها شهادة الشهود والملفات التى ضمت : كل هذه العوامل كانت من غير شـك أكبر باعث على اهتمـام الرأى العام بهاتين القضيتين واقباله على تتبع ما يدور بشأنهما خصوصا وان الوقائع التى كانت موضـوع المحاكمة كانت وقائع تمس نزاهة الحكم . الذى كان قائما فى العهد الغابر البغيض ٠

أما المقـالات التى كانت موضـوع المحـاكمة فهى كثيرة نشرتها جـريدة « السياسة » فى أوقات مختلفة خلال وزارة عبد الفتاح يحيى باشا من بينها :

القضية الأولى :

١ ــ على بك المنزلاوى وهل دفع الضرائب العقارية المستحقة عليه من ثلاث سنوات « السياسة ١٢ نوفمبر ١٩٣٣ » ٠

٢ ــ « معادلة ومتوالية » : صدقى باشا ــ دنتمارو ــ ابراهيم فهمى ــ كريم باشا ــ أحمد عبود باشا « السياسة أول مارس ١٩٣٤ » ٠

٣ ــ المقاول عبود باشا وجريدة السياسة « السياسة ٥ مارس ١٩٣٤ » ٠

٤ ــ نزاهة الحكم : مخالفات خطيرة لشروط ثورنيكروفت فما قول وزارة الأشغال « السياسة ٦ مارس ١٩٣٤ » ٠

٥ ــ وماذا بعد السكوت عن العطاءات التى تمت بلا مناقصة وما سألنا عنه من أمور يندى لها جبين النزاهة خجلا « السياسة ٧ مارس ١٩٣٤ » ٠

٦ ــ سكوت طويل وايل الظالمين أطول « السياسة ٨ مارس ١٩٣٤ » ٠

٧ ــ حول المعادلة : خطاب صدقى باشا الى عبد الفتاح يحيى باشا عن علاقة ابراهيم فهمى كريم باشا بأحمد عبود باشا « السياسة ٨ مارس ١٩٣٤ » ٠

٨ ــ نزاهة الحكم ١ ــ عطاءات بلا مناقصة قيمتها ٢٥٠ ألف جنيه ٠ ٢ ــ مخالفات خطيرة لشروط ثورنيكروفت فما قول وزارة الأشغال « السياسة ١٤ مارس ١٩٣٤ » ٠

٩ ــ معادلة ، ومتوالية ما هو موقف عبد الفتاح يحيى باشا بعد أن عرف عن كريم باشا تفاصيل جديدة يقتضيها حديث دولة عبد الفتاح باشا « السياسة ١٧ مارس ١٩٣٤ » ٠

١٠ ـ معادلة السياسة : عبود ـ كريم ـ صدقى ـ دانتمارو « السياسة ١٣ مارس ١٩٣٤ » .

١١ ـ معادلة السياسة : ضرورة تأليف لجنة تحقيق مستقلة لتحقيق الوقائع التى وردت بها مخالفة لنزاهة الحكم « السياسة ١٤ مارس ١٩٣٤ » .

١٢ ـ نزاهة الحكم ، والمقاولون المؤبدون ، اعتراف الحكومة وعجزها عن الدفاع عن تصرفها « ١٤ مارس ١٩٣٤ » .

١٣ ـ بين السياسة والوسيط عبود باشا : من هاجم فعليه أن يدافع « ١٦ مارس ١٩٣٤ » .

★★★

١٤ ـ أعمال بغير مناقصة لشركتى عبود « وسيمونز » عبود : مغالطات وزارة الأشغال فى اجابتها « ١٦ مارس ١٩٣٤ » .

وعشرون مقالة أخرى نشرت بالسياسة فى الفترة من ١٧ مارس ١٩٣٤ الى ٩ ابريل ١٩٣٤ » من بين عناوينها ، من هم أولئك الأصدقاء . هل يستطيع ابراهيم فهمى كريم باشا ، أن يقول من هم ؟ تحقيق الفضائح التى كتبنا عنها يجب أن تقوم به وزارة غير الوزارة الحاضرة .. وزير الزراعة يشترى منتجات وزارته فيحرم جمهور المزارعين منها ـ تطهير الادارة الحكومية لا يكتفى فيه بتصرفات فردية بل يجب أن يتناول أدوات الحكم من أساسها : أدوات كهربائية بعشرة آلاف جنيه ـ تعلية خزان أسوان الأخيرة كيف فازت بها شركة توبهام جونس ـ عبود . معلومات جديدة طريفة لم يسبق نشرها : استقالة الوزارة أمر تحتمه الذمة ويحتمه الضمير : الترعة الفؤادية وموقف وزارة الأشغال منها : هل صحيح : زلزال عبود ؟ وآخر تلك المقالات حكاية الكراكات وتطهير مجرى النيل وكيف وردت الحكومة ٧٥ ألفا من الجنيهات لعبود باشا .

★★★

القضية الثانية : تتعلق تلك القضية بنشر عشر مقالات هى : نزاهة الحكم حرم يحميه الشعب . الوزارات الضعيفة شر بلية على البلاد « السياسة ١١ فبراير ١٩٣٥ » ـ عبادة المادة وكيف تجنى على نزاهة الحكم «السياسة ٨ فبراير ١٩٣٤» ـ عدم النزاهة فى الحكم يجب أن يعالج علاجا حاسما قاسيا « السياسة ٩ فبراير ١٩٣٤ » . نزاهة الحكم والعطاءات التى تمت بلا مناقصة ، العهد الحاضر وكيف جنى على نفسه بنفسه ، هل صحيح : أرض بناء فى المعادى يشتريها وزير وأهله وترتفع أثمانها بعد ذلك ؟ وهذه المقالات نشرت فى السياسة أيضا فى الفترة من ١٦ مارس ، ١٩٣٤ الى ١٨ أكتوبر ١٩٣٤ وكانت آخر تلك المقالات بعنوان : النزاهة السياسية وضريبة الخفر الفاحشة « بأبى جرج » .

وكانت النيابة قد بدأت التحقيق فى القضية الأولى بتاريخ ١٢ فبراير ١٩٣٤ بناء على كتاب من النائب العام رقم ٥٨٠ ـ ٦٢ ـ ١ وقد ظلت النيابة تستجوب حفنى محمود بك من ١٢ فبراير ١٩٣٤ حتى ٦ مارس ١٩٣٤ وسألت خلال التحقيق عبد الفتاح يحيى باشا ، عبد العظيم راشد باشا ، ابراهيم فهمى كريم باشا ، حسن صبرى بك ، محمود حسن بك ، حسين سرى بك ، الاستاذ أحمد عبد الحليم العسكرى المحرر بجريدة الأهرام ـ الاستاذ عبد الوارث كبير سكرتير تحرير السياسة ـ عبد الرازق عبد القادر مدير مكتب وزير الأشغال وسيد أفندى عبد الله المقاول ٠

وبدأت النيابة التحقيق فى القضية الثانية بتاريخ ٢١ مارس ١٩٣٤ بناء على طلب ابراهيم فهمى باشا شفويا من النائب العام ، لتحقيق ما جاء بالسياسة وبتاريخ ٢٤ مارس ١٩٣٤ تقدم على المنزلاوى بك بطلب التحقيق أيضا ، وكذلك أحمد عبود باشا ، واستمرت النيابة تستجوب حفنى محمود بك حتى أواخر مايو ١٩٣٤ وسمعت خلال التحقيق أقوال ابراهيم فهمى كريم باشا وعلى المنزلاوى بك وأحمد عبود باشا ومحمود شاكر بك مدير السكة الحديد والدكتور محمد حسين هيكل مدير السياسة وفى أثناء التحقيق ـ أمام النيابة ـ طلب حفنى محمود أثناء استجوابه سؤال شقيقه محمد محمود وسؤال اسماعيل صدقى ومحمود عبد الرازق ، وعلى ماهر ، وحافظ عفيفى وبهى الدين بركات ومحمود فهمى ، وأحمد راغب وغيرهم ، وغيرهم ، كما طلب ضم الملفات الخاصة بالعطاءات والمقاولات التى تناولتها « السياسة » والملفات والأوراق الخاصة بالضرائب المتأخرة على على المنزلاوى و ٠٠ و ٠٠ ولكن النيابة رفضت استدعاء أحد من الشهود أو ضم أى ملف من الملفات التى طلبها المتهم : وقد اعتذر حفنى محمود عن الحضور الى النيابة للتحقيق معه فى يوم ٢٧ مارس سنة ١٩٣٤ ٠ ولكن النائب العام أصر على أن يتم التحقيق مع حفنى محمود فى ثانى أيام العيد

★★★

٠٠ وعن واقعة الاصرار على أحضار الاستاذ حفنى محمود بك كتبت السياسة تقول : طلب الاستاذ حفنى بك للحضور الى النيابة للتحقيق معه خلافا لما كان مقررا من قبل فاتصل برئيس النيابة وعرفه أن اليوم يوم عطلة وراحة ، وان من الصعب عليه أن يذهب فيه للنيابة خصوصا وان حضرات المحامين الذين يحضرون معه لا يستطيعون الحضور فى ذلك اليوم ، وأغلبهم متغيب عن القاهرة وذهب بعد ذلك الى حيث قابل رئيس النيابة الذى اتصل فيما يظهر بالنائب العام ، وبعد حديث طويل عرفه رئيس النيابة أن النائب العام مصر على استجوابه واذا رفض الاجابة فانه ـ أى النائب العام ـ مستعد لاتخاذ جميع الاجراءات ضده فأجاب بأنه متهيىء لكل ما يتخذه من الاجراءات ثم تأجل التحقيق

لليوم التالى وفيه صدرت السياسة وهى تسائل النائب العام ، عن سر هذه العجلة وذلك الشذوذ ، فلما ذهب حفنى بك الى النيابة فى الموعد المضروب وجد النائب العام فى مكتب رئيس النيابة وحين سأله عن سر هذه المفاجأة أخرج من جيبه ورقة أراد أن يسجلها فى المحضر ، فأعياه البحث عن كاتب لأن جميع الموظفين كانوا فى أجازة العيد ؛ وأخيرا جىء بكاتب أملاه النائب العمومى ؛ البيان التالى الذى سمته السياسة « حزم البدار » : ذكر حفنى محمود بك فى محضر الأمس شيئا عن دهشته ومفاجأته بالتحقيق وطلبت جريدة السياسة فى عددها الصادر اليوم ، ان تطالع الناس بتفسير يستريحون به الى حكمة السير فى التحقيق أثناء عطلة العيد ، بعد أن كان محددا له موعد يقع بعد تلك العطلة ونحن لا نقر بواجب المطالعة ، التى تبغيها جريدة السياسة ولكننا ايثارا لطمأنينة من أدهشتهم متابعة التحقيق بغير هوادة نضع أمام أعينهم حقيقة يجب ألا تغيب وهى أن خبر وقت التحقيق وموعده يرجع لتقديرنا الى ما يحيط به من الظروف ، فاذا ما تبين أن من السداد المبادرة الى كشف الوقائع المتعلقة به ، وهل الأمور تسكن الى قرار أصبح لزاما التوصل الى ذلك ، بكل سبيل ابتغاء المصلحة العامة بل ومصلحة ذوى الشأن وليس من شك فى أن التحقيق القائم الآن يطلب ظروف حزم البدار

***

٠٠ وسوف نعود ، الى موضوع « حزم البدار » فيما بعد فقد كتبت السياسة عن هذا الموضوع مقالة بتاريخ ٢٩ يونيو ١٩٣٤ تعتبر من أجمل وأروع المقالات السياسية وقد تولى النائب العام ـ بعد موضوع ـ حزم البدار ـ التحقيق مع حفنى محمود مباشرة بنفسه وقد رفض كل الطلبات التى تقدم بها المتهم ـ حفنى محمود ـ خاصة باستدعاء الشهود ومواجهتهم وفى بعض الأحيان كان النائب العام ينتهز فرصة انشغال حفنى محمود فى قضية أخرى ـ قضية التبشير ـ ليسأل الشاكين والشهود فى غيبة المتهم ٠

***

ومن طرائف التحقيق فى قضيتى «نزاهة الحكم» ـ وما أكثر ما كان بها من طرائف ـ ان التحقيق تأجل فى مساء أول ابريل ١٩٣٤ الى صباح اليوم التالى لسماع أقوال ابراهيم فهمى كريم باشا ، وزير المواصلات ، ونشرت جريدة السياسة خبر استدعاء الوزير لسماع أقواله ، ولكن الوزير لم يذهب الى مكتب النائب العام كما هو مقرر ولما سأل المتهم حفنى محمود بك عن سبب تخلف وزير المواصلات عن الحضور الى التحقيق لسماع أقواله قال له النائب العام ان معالى الوزير عندما قرأ خبر استدعائه للتحقيق فى السياسة رفض الحضور لأن نشر الخبر يعتبر تجريحا للوزير ولا يليق به ان يحضر بعد تجريحه : وانتهى

الأمر بأن انتقل النائب العام الى مكتب الوزير لسماع أقواله فى غياب المتهم حفنى محمود .

★★★

ومن الطرائف أيضا : ان جريدة الديلى هيرالد الانجليزية نشرت خبرا عن التحقيق فى هذه القضية وقد سئل الاستاذ حفنى محمود عن الخبر كما لو انه هو كاتبه !

انتهى التحقيق فى القضيتين واحيلت القضيتان الى محكمة الجنايات وتحدد لنظرهما جلسة ٣ يونيو ١٩٣٤ ، وطلب المحامون عن حفنى محمود التأجيل للاستعداد والاطلاع على الملفات ولأن بعض الشهود متغيبون عن القاهرة ولكن النائب العام ذهب بنفسه الى محكمة الجنايات وترافع بشدة ضد طلب التأجيل ، بالرغم من أن العرف جرى فى مثل هذه القضايا الهامة أن يجاب المحامون الى طلب التأجيل ، وخاصة اذا ما كان أول طلب للتأجيل ! وكان من بين ما قاله النائب العام وهو يبررمعارضته لطلب التأجيل : حققت القضية بأسرع وقت لأتبين الحق منها لا لأقدمها الى القضاء فاذا رأيتها صالحة لأن يقول فيها القضاء كلمته قدمتها واذا رأيتها غير صالحة حفظتها ، فلم يكن الاسراع فى التحقيق الا لاظهر الحقيقة سواء كانت فى طرف المتهم أو فى طرف الحكومة لأن الأمر كان خطيرا جدا . حكومة بأسرها متهمة بانها غير نزيهة لا يليق أن تستمر هـذه التهمة معلقة على رأسها وهىتدير شئون البلاد ، ولذلك عنيت بانجاز التحقيق صباحا ، ومساء ، وأثبت ذلك فى صدر الخبر الذى حرر عقب ما نشرته السياسة متعجبة ومتسائلة عن السر فىالمباغتة وقد قلنا ان القضية خطيرة وتتناول أقدار رجال الحكومة ، وحتى يطمئن الرأى العام : اما فيما يتعلق بالأوراق التى طلبها حضرة الاستاذ توفيق بك خليل فهى خمس أوراق تتعلق بالقضية رقم ١٥٤٢ عابدين وعجبت أن يتقدم بهذا الطلب الآن مع أن القضية كانت مؤجلة من الجلسة الماضية وكان يستطيع أن يتقدم بهذا الطلب وقتها وقد قدمه فى يوم ٣٠ مايو سنة ١٩٣٤ وطلب ضم هذه الملفات الخمسة وستة ملفات أخرى خاصة بالقضية الثانية : فيما يتعلق بالقضية الأولى ما كان له الحق فى أن يطلب هذه الأوراق واقرر بذمة القاضى ان هذه الأوراق لا تفيد شيئا » وحول سماع الشهود يقول النائب العام : لو اننى أحسست أن الحق ينجلى أو ينجلى بعضه بسماع هؤلاء الشهود لكان الأمر هينا ، ولكنى وجدت ان شهاداتهم لا ارتباط لها بالموضوع ، ولا معنى لسؤالهم فى نظرى ورأى المحكمة اسمى فأترك لها الأمر فى التقديـر ولكنى أقرر ان جميع هؤلاء الشهود لا أرى أن أقوالهم تفيد العدالة : هم يريدون أن يأتوا برئيس الحكومة أمام المحكمة ليشهد على وقائع فصـلها أمام النائب العام ، فكأنهم يريدون أن يقولوا ، ان النائب العمومى قد قصر وكنت أحب ألا يمر بخاطرى هذا المعنى و .. و .. » .

وتأجلت القضية لأول يوم فى دور يوليو عام ١٩٣٤ واستعد المحامون ، ولكن النيابة العامة رفضت اعلان الشهود وفوتت على المتهم – بلا مبرر من القانون – فرصة اعلان شهوده ، والغريب ان القضية أجلت بدون طلب فى هذه المرة من المحامين ولكن لان الاستاذ محمود منصور رئيس نيابة مصر المكلف يومئذ بالمرافعة فى هذه القضية يريد أن يقوم بأجازته ! ٠٠ ونامت القضية شهورا وشهورا لأن رئيس الحكومة عبد الفتاح يحيى باشا كان يريد أن يتفاهم مع حزب الأحرار الدستوريين ٠٠ والمتهم فى هذه القضية احد اقطابه وشقيق رئيسه ! ٠٠ وتدخلت عوامل أخرى خارجية فى موضوع القضية فقد كان فى مقدمة المطالب البريطانية التى تقدم بها مستر بيترسون المندوب السامى البريطانى بالنيابة ، استقالة كل من ابراهيم فهمى كريم باشا وعلى المنزلاوى بك الوزيرين اللذين تناولت مقالات السياسة نزاهتهما ! واللذين قالت التيمس البريطانية عنهما ان نزاهتهما كوزيرين ليست فوق كل شبهة وهما متصلان بالابراشى باشا بأوثق عرا الصداقة واذا برئيس الحكومة يجتمع ذات يوم بالنائب العام ، واذا بالنائب العام يفتى بأن اقصاء هذين الوزيرين غير متيسر لاتصالهما اتصالا مباشرا بقضية نزاهة الحكم : « لأن خروجهما من الوزارة قبل نظر القضية قد يؤثر فى مجراها » وبعد هذه الفتوى من النائب العمومى ، فوجىء الناس بتحديد يوم ١٥ نوفمبر ١٩٣٤ لنظر قضيتى نزاهة الحكم على وجه السرعة والاستعجال ٠

★★★

ودفعت تصرفات النيابة العامة وتصريحات النائب العام بشأن القضية وتوجهها وجهة معينة بالاستاذ نجيب بك سالم رئيس الدائرة التى تنظر القضية الى التنحى عن نظرها فأحيلت القضية الى دائرة عبد الوهاب بك فهمى وطاهر محمد بك وفؤاد أنور بك ٠

★★★

ويطلب الدفاع سماع شهود آخرين غير الذين قررت هيئة المحكمة سماع أقوالهم وترفض المحكمة الطلب وينسحب المحامون عن حفنى محمود ٠

وقد طلب رد محمد بك طاهر ، عن نظر القضية ورفض طلب الرد ولكنه تنحى من تلقاء نفسه عن الاشتراك فى القضية وانتدب الأستاذ نجيب بك ؟ فرفض بدلا منه وقد سمعت المحكمة شهادة محمد محمود ، واسماعيل صدقى ، وعلى ماهر ، حافظ عفيفى ، محمد شفيق ، ومحمود فهمى ، وحسين سرى ، رضا عقدة وأحمد عبد الحليم العسكرى كما سمعت أقوال على المنزلاوى وعبد الفتاح يحيى وابراهيم فهمى كريم وكشفت شهادات الشهود عن كثير من المخازى كما كشفت الدوسيهات والملفات عن فضائح لايستطيع القلم وصفها وكان للأستاذ عبد الرحمن البيلى – كما قالت السياسة – أكبر الفضل فى كشف

خباياها فكان يقضى الايام والليـالى وهو غارق بين أكداسها باحثا منقبا بهمة لا تعرف الكلل ، حتى استطاع أن يخرج منها من المخازن ما رأى الناس ، وشهد الرأى العام .. وقد أبلى بلاء حسنا فى الدفاع عن حفنى محمود محامون بارزون فى مقدمتهم ابراهيم الهلباوى شيخ المحامين ، سلامة ميخائيل ، محمد كامل البندارى ، محمد توفيق خليل ، سابا حبشى : هؤلاء الذين تتبعوا القضية منذ بداية تحقيقها ، وانكبوا على دراستها ، وتقليب أوراقها ، وملفاتها شـهورا استنفدت منهم جهودا جبارة لا يستطيع الانسان الا أن يحنى هامته أمامه : انهم ـ أى هؤلاء المحامين الكبار ـ لم يكونوا يدافعون عن حفنى محمود وحسب ، وانما كانوا يهاجمون نظام حكم بأكمله ، كانوا يهاجمون نظام اسماعيل صدقى ووزارة عبد الفتاح يحيى . كانوا يهاجمون دستور سنة ١٩٣٠ وكل ما بنى على أساس دستور سنة ١٩٣٠ وبرلمان سنة ١٩٣٠ وكانوا يريدون ـ بأى ثمن ـ اسقاط هذا النظام على رءوس أصحابه ، والمتنفعين به ، ومن الناحية الأخرى لم يكن المحامون الذين تولوا المرافعة عن عبود باشا ، وابراهيم فهمى كريم ، وعلى المنزلاوى ، يريدون أن يزجوا ، بحفنى محمود الى أعماق السجن وحسب وانما كانوا يدافعون عن نظام اسماعيل ووزارة عبد الفتاح يحيى كما كانوا يهاجمون حزب الأحرار الدستوريين ، خصمهم الأوحد فى هذه القضية !

***

وكما ابلى فى الدفاع محامون بارزون ، ابلى فى الهجوم أيضـا محامون بارزون على رأسهم وفى مقدمتهم : مرقس فهمى عن أحمد عبود ، أحمد رشدى عن ابراهيم فهمى كريم : وهيب دوس عن على المنزلاوى : وكان ابراهيم فهمى كريم قد ادعى مدنيا ـ فى قضيتى نزاهة الحكم ـ بقرش واحد بصفة مؤقتة ، وكان على المنزلاوى قد ادعى مدنيا بخمسة آلاف جنيه ، أما أحمد عبود ـ وهو رأسمالى كبير ـ فقد ادعى مدنيا بعشرة آلاف جنيه وكانت التهمة الموجهة الى حفنى محمود انه اهان وسب هيئة نظامية وهى مجلس الوزراء الحالى ، بأن نسب اليه كذبا وبسوء نية وابتغاء التشهير انه يتستر على تصرفات مخالفـة للقانون وقعت من بعض الموظفين وانه يحارب من يسعى فى كشف هذه التصرفات وانه فيما يأمر بتأليفه من لجان لتحقيق بعض المسائل لا يقصد اظهار الحقيقـة وانما يبغى اشباع غايات شخصية وسياسية وان عهده سيىء ، غاية السوء . والحريات فيه مقيدة تأباها أبسط مبادىء العدل والقانون ، وان المتهم حفنى محمود بك نقد علنا أعمال الوزارة وتجاوز فى ذلك حد النقد المباح باستعمال عبارات مؤذية وبذيئة ، كوصفه أياها بأنها لا تقدر كرامة الحكم ولا مصلحـة مصر ، وأنه نعت الوزارة بالقذارة ، والاحتقار وانه قذف موظفا عموميا ، هـو عبد العظيم راشد باشا وزير الأشغال ، بسبب أداء وظيفته بأن أسند اليه كذبا

وبسوء نية وابتغاء التشهير أمورا لو صحت لأوجبت احتقاره ، عند أهل وطنه ، ونفس التهمة وجهت الى حفنى محمود بك تهمة القذف فى حق على المنزلاوى بك وابراهيم فهمى كريم باشا وزير المواصلات حاليا ، والأشغال سابقا ، وكذلك اتهم حفنى محمود بأنه قذف وسب أحمد عبود باشا ، وأهان مجلس الوزراء ٠٠ فرمى الوزارة بالضعف وقلة الحزم ، والمحاباة وعدم النزاهة ٠

★★★

● فى قضيتى نزاهة الحكم ، تبارى النائب العام ورجاله ونوابه مع المحامين عن المتهم ، والمحامون من المطالبين بالحق المدنى فى اظهار عبقرياتهم ، وكفاياتهم القانونية والأدبية ، وذلك لأن الرأى العام كان يتتبع بشغف كل ما يقال فى جلسات المحاكمة ، لا عن طريق الاذاعة والتليفزيون اذ لم تكن الاذاعة قد أصبحت يومئذ شعبية ، كما ان التليفزيون لم يكن قد وجد بعد ، وانما عن طريق الصحافة ، التى كانت تفرد يوميا الصفحات الكثيرة لنشر كل ما يدور فى جلسات المحاكمة ، وكان أى محام فى هذه القضية أو النائب العام ، أو أى أحد من رجاله ، يحرص على ان يترافع ـ على الأقل ـ ثلاثة أيام ، أو أربعة أو حتى خمسة ، فى الصباح وفى المساء ولساعات عديدة فى كل فترة من فترتى الصباح والمساء ، كما كان يحرص على أن تكون مرافعته قطعة أدبية قانونية تصلح ان تدرس فى كليات الحقوق فى أى جامعة من الجامعات وكان على رأس المحامين الذين جذبوا انتباه الجمهور بمرافعاته ومناقشاته مع هيئة المحكمة ، أو مع ممثلى النيابة ، أو مع الشهود الذين كسبوا احترام الجميع ، احتراما ما بعده من احترام ابراهيم الهلباوى وابراهيم الهلباوى (٣٠ ابريل ١٨٥٨ ــ ٢٠ ديسمبر ١٩٤٠ ظاهرة سياسية وقانونية يكاد ينفرد بها تاريخنا السياسى ، والقانونى : انه احد تلاميذ الامام جمال الدين الأفغانى ، واحد قادة الصف الأول من أولئك الذين لعبوا أخطر الأدوار فى النصف الأخير من القرن ، التاسع عشر ، والنصف الأول من القرن العشرين أمثال سعد زغلول وقاسم أمين ، ومحمد عبده وغيرهم ، وغيرهم الهلباوى شيخ المحامين ــ بلا جدال ــ وأول نقبائهم وأبرز بناة نهضة مصر فى مصر منذ أن كانت المحاماة ، مهنة غير معترف بها ، وكان من يمتهن المحاماة لا لا تقبل شهادته فى المحاكم !

★★★

قضيتا نزاهة الحكم كانتا عنوانين بارزين على خلود القضاء الواقف والقضاء الجالس فى مصر ٠٠ كما نرى فيما يلى :

الفصل الرابع

قضاة مصر ومحاموها مفخرتان لمصر

وتاريخ المحاماة فى مصر بل فى العالم كله ، لم يعرف محاميا ارتفع بالمحاماة ، ورفعته المحاماة الى القمة كما كان الأمر ، بالنسبة لابراهيم الهلباوى ، كما أن تاريخ المحاماة ، فى مصر ، بل فى العالم كله ، لم يعرف محاميا تحمل كل ألوان الظلم والاضطهاد وقسوة الحياة بسبب امتهانه للمحاماة كابراهيم الهلباوى : لقد تراءى ذات يوم لابراهيم الهلباوى ، ان واجبه كمحام ان يقبل مهمة المدعى العمومى فى قضية دنشواى (١٣ يونيو ١٩٠٦) : لم يتردد فى معاداة الرأى العام ، الذى كان يتعاطف مع المتهمين فى تلك القضية : لم يخش معاداة الجماهير له ، وسخطها عليه واحتقارها اياه ، حتى ليطلق عليه الشعب جلاد دنشواى وفى ذلك الوقت يقول شاعر النيل ، وهو يخاطب الهلباوى :

انت جلادنا فلا تنس انا   قد لبسنا على يديك الحداد

ولم يكن الرجل ليستطيع بعد موقفه من قضية دنشواى أن يشهد أى احتفال عام أو حتى محاضرة عامة ذلك ان شباب مصر وقتئذ ، كان يتتبعه فى كل مكان يذهب اليه ويطلق وراءه « الحمام » اشارة الى حادث دنشواى حيث كان الحمام احد الأسباب التى أدت الى وقوع ذلك الحادث لأن بعض رجال الجيش البريطانى كانوا قد ذهبوا الى دنشواى لصيد الحمام : يحارب الرجل محاربة عنيفة حتى ليكاد يغلق مكتبه بعد ثلاث سنوات قضاها فى أعقاب الحادث . يتحرج ، أصحاب القضايا من الذهاب اليه رغم معرفتهم الأكيدة بقدرته الفائقة كمحام .. يعرض عليه البعض منصب مستشار فى محكمة الاستئناف ويوشك أن يقبل المنصب بعد أن اشتدت الحرب الشعبية ضده ولكن امرأة ريفية كفيفة البصر ـ كما يقول مؤرخ الهلباوى الأستاذ عبد الحليم الجندى ـ ردته عن التفكير فى العمل بالقضاء وترك ، المحاماة قالت له ، وقد ذهبت للقائه لقد

سمعت فى فناء المحكمة انك سوف تلى القضاء فى محكمة الاستئناف ولكنى أقول لك انه يوجد فى مصر الآن أربعون مستشارا ، سوف تصبح اذا ما قبلت التعيين واحدا منهم أما فى ميدان المحاماة فلا يوجد الا محام واحد هو ابراهيم الهلباوى ٠

★★★

ويقتنع المحامى الكبير بمنطق الريفية الكفيفة البصر ويستمر فى المحاماة ولا تمضى سوى فترة قليلة ، زادت على السنوات الثلاث قليلا الا ويصبح الهلباوى ــ من جديد ــ محامى القضايا الوطنية الكبرى : يترافع فى قضية بطرس غالى باشا : ويكون أبرز المحامين ، عن المتهم ابراهيم ناصف الوردانى ، وكان الرأى العام كله مع الوردانى وعندما يتحول الهلباوى الى الجانب السياسى فى القضية يجعل رئيس المحكمة الجلسة سرية ، وتكون الكلمات التى أنهى بها الهلباوى مرافعته مخاطبا المتهم من أجمل الكلمات،وأكثرها روعة حتى ليحفظها كثيرون أثناء الشعب ويرددونها فى كثير من المحافل ، ثم يترافع فى قضية مقتل السميرلى ستاك سردار الجيش المصرى والحاكم ، العام للسودان ــ وهى قضية كان الرأى العام كله ، الى جانب المتهمين ــ كما يترافع فى كل القضايا الوطنية حتى تلك التى كان المتهمون فيها من أحزاب‌سياسية ،يختلف واياها بل ويحاربها حزبيا ــ وتنزل بالمحامى العظيم فيما بين ١٩٢٤ ، ١٩٢٥ أزمة اقتصادية عنيفة يستدين بسببها مئات الألوف من الجنيهات ولا يصبح ــ كما يقول الاستاذ الجندى ــ لابراهيم الهلباوى من بضسعة آلاف الأفدنة ، التى كان يمتلكها فدان واحد ، ولا من سراياه فى جاردن سيتى حجر واحد ٠٠ لقد رسا مزاد هذه الآلاف على الدائنين ورسا مزاد السراى على الخاصة الملكية ٠ أراد سعد زغلول ــ وهو خصمه السياسى ــ قبل رسو مزاد السراى أن يحفظ للأسد ، عرين الأسد ، بشراء الدار له فأوفد اليه فتح الله باشا بركات يرجوه أن يقبل تدخله فى المزاد فشكر لسعد ، ولفتح الله بركات وأصر على الا يفعلا فلم يفعلا ! ويقف فخر المحاماة ذات مرة أمام المحكمة مترافعا عن نفسه فى قضية تخص بيته ، الذى يراد نزع ملكيته منه فيقول، والدموع تملأ مآقى هيئة المحكمة : يقول ابراهيم الهلباوى الذى طالما صال وجال فى ساحات المحاكم : انه جاء الى المحكمة لانه يعرف انه اذا انهزم فى كل مكان فقد تعود النصر فى المحكمة ، وانه اذا لم يبق له دار فانه باق فى دار العدالة التى ساهم فيها أكثر مما ساهم أى انسان : لا يلتمس ان يسكن ولا يلتمس أن يرحم ولكنه يطلب العدل من دار العدل ٠٠ » ٠

★★★

وفى قضيتى نزاهة الحكم ، يطلب الاستاذ حفنى محمود ــ المتهم رد رئيس المحكمة ، ويغضب رئيس المحكمة من طلب الرد ويعتبر هذا الطلب ماسا بكرامته ٠ وينتهز محامو خصومه الفرصة ، فيتهمون حفنى محمود بأنه وقد كان متهما بالقذف فى حق بعض الوزراء ، والكبراء ، فقد أصبح اليوم ــ وبعد

طلب رد رئيس المحكمة ـ متهما بالقذف فى حق القضــاة ٠٠ ويقــول ابراهيم الهلباوى وهو يرد على طلب الرد فيرتفع بالمتهم الذى طلب رد رئيس المحكمة ؛ ويرتفع برئيس المحكمة ، الى أعلى عليين يقول الهلباوى متحدثا عن المتهم حفنى محمود : فلما عرضت للمتهم الشبهة فى قاضيه لم ينخلع فؤاده فرقا بل أقدم على أن يطلب الحقيقة عارية والعدالة مجردة ، ليطمئن قلبه وقديما وفى سبيل الاطمئنان قال موسى « رب أرنى أنظر اليك ، قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل ، فان استقر مكانه فسوف ترانى ، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا ، وخر موسى صعقا ، فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين» فالاطمئنان الذى نشده موسى ، وظفر به هو الاطمئنان الذى نشده حفنى وظفر به والذى حصل من حفنى حصل من انسان اسمى منه ألف مرة وبالنسبة لمن هو اسمى من سعادة المستشار ، لا مرة ولا مليون مرة ولكن بمقدار الفرق بين الانسان وخالق الانسان ٠٠

★★★

وفى العدد الصادر بتاريخ ١٨ ابريل ١٩٣٥ تنشر « السياسة » على كل صفحتها الأولى ، وكل صفحتها الثانية ، وكل صفحتها السادسة الجزء الأول من مرافعة الأستاذ ابراهيم الهلباوى فى قضية نزاهته وتقدم لتلك المرافعــة بالكلمة التالية :

بدأ أمس أستاذنا الكبير هلباوى مرافعته بعد أن طال انتظار الجمهور لها لأن الناس بعد أن سمعوا درر البلاغة التى ألقاها حضرات المترافعين عن حفنى بك وجريدة « السياسة » فانتظمت عقدا فريدا صاروا يتطلعون الى جوهــرة نادرة تكون بواسطة هذا العقد ، وقد ظفروا أمس بهذه اللؤلؤة الثمينة فى مرافعة شيخ المحامين التى يتوج بها مرافعة ابنائه ، وتلاميذه نوابغ المحامين وافذاذهم : بكرت أمس الى المحكمة فدلفت الى قاعة الجلسة وفى ظنى انه لم يسبقنى اليها أحد ولشد ما كانت دهشتى حين شاهدت حضرة صاحب المعالى ولى جعفر باشا وقد تصدر مقعد المحامين يطالع صحيفة الصباح ، وتلفت فاذا سيدات من كرائم العقيلات وآنسات من الأسر الطيبة قد شفع لهن جنسهن اللطيف فى الدخــول قبل موعد فتح الباب العمومى وحين بلغت الساعة التاسعة فتحت أبواب القاعة فاذا سيل من الناس يندفع اندفاع الماء طال انحباسه ، وكأنهم جميعا اتقياء ، يسارعون الى العبادة وغزاة يشبون الى الربح ، والغلبة وما هى الا دقائق خمس حتى ملئت القاعة ، ولم يبق فيها موضع وانفق رجال البوليس ، مجهودا كبيرا لكى يذودوا الطامعين عن مجالس المحامين الا من ارتدى شارتهم ٠

★★★

جلت ببصرى فى الحضور فاذا فيهم كثيرون من رجال الصف الأول فى الحياة السياسية ومن العلماء النابهين ومن الشــباب المثقف ثم غلقت الأبواب

فاذا من خلفها يربو على من أمامها .. وفى منتصف الساعة العاشرة دخلت هيئة المحكمة ووقف شيخ المحامين يزين مفرقه جلال المشيب وارتفعت قامته المديدة فكأنما ضربت للحق ، والعدل قبة هو عمادها فسكتت الأصوات وارهفت الآذان ، حتى لا تفوتها منه لحظة وبدأ هو يتكلم ، بصوت خافت ولم يزل يرتفع شيئا ، فشيئا حتى يجلجل صوته ويسمو بمعانيه فتسمو معه الأرواح ، حتى تحلق فى عالم روحانى ثم يهبط بها تدريجيا ليرفه عن النفـوس بملحة أو طرفة وهكذا انقضت أربع ساعات بين التحـويم ، والتحليق ما شـعر السـامعون بسأم ولا أدركهم ملال ... قال صاحبى لقد كنت وجلا وقلت مم ؟ قال خفت أن تنتهى المرافعة ولما ترتو نفسى فكأنى ظامىء ظفر بكوبة ماء مثلج كلما نهل منها نهلة خشى أن تفرغ . قبل أن ينقع غلته » .

★★★

وتمضى السياسة فى تلخيص مرافعة الهلباوى ولكنها بعد أن تمضى فى التلخيص فيما يقرب من عمود من أعمدة الصحف اليومية تستدرك قائلة ولقد يضيق بنا المقام ، اذا نحن حاولنا تلخيص هذه القطعة الخالدة من الأدب القانونى فان الخير للقارىء فى أن يتلوها كلها حتى لا تفوته من بلاغتها أو سموها شىء لا يغنى عنه التلخيص . يبدأ شيخ المحاماة مرافعته بأن يتوجه بالشكر الى زملائه من المحامين الذين سبقوه لأنهم أراحوه من كثير ولم يتركوا له الا القليل ، ويوضح انه اختار أن يكون آخر من يتكلم عن « السياسة » ، لانه راعى صحته فبدء العراك يحتاج الى قوة ، ويقول ان وجبه أمام زملائه ، بالأخص حضرة النائب المترافع ان يلتزم جانب التواضع والاختصار فى الرد على ما أصبنا به من حملات النيابة والمدعين بالحق المدنى ، وهذا التأدب مع ذلك ــ كما يقول الهلباوى ، يقضى بأن أبدأ كلمتى بالشكوى من النيابة لانها تصرفت معنا تصرفا يكاد يكون شـاذا وشكوانا اليكم انها اتهمتنا بسبع تهم فى قضيتين ليه ؟ عملنا أيه ؟ قذفنا وسببنا هيئة الوزارة ، قذفنا وسببنا الوزير الفلانى وهكذا خمسة هنا واثنين هناك : هل هذا تشريع جديد يطبق فى قضية حفنى محمود ، وجريدة « السياسة » ؟ . الى أن يقول ابراهيم الهلباوى : ماذا كان موقفنا من الحكومة ؟ اتهمناها ونتهمها لغاية اليوم ، ان حكمها كان غير نزيه فقد وجد من تصرفاتها ما يدعو الى الريبة فى انها تعمل للمصلحة العامة وانها تفضل المصلحة الخاصة على المصلحة العامة هذه هى التهمة : سب . قذف . سمه ما تشاء وانا مستمر على هذه العقيدة الى اليوم .

« ابتدأت المعركة من أكتوبر سنة ١٩٣٠ خمس سنوات ونحن نحـارب الحكومة ، نقول انها : خربت البلد ولم تراع المصلحة العامة ، أفسدت الأخلاق فكل ما جاء بعد ذلك صورة من هذه الصور ودليل من أدلتها ويقول : ان النيابة تريد التشهير بنا ونحن انما قصدنا الطعن على نزاهة الحكم ، وهذه الوقائع كلها

أدلة على صحة التهم التى وجهناها الى الحكومة فاذا كان فى أى واقعة عشرة أدلة وتبين ان بعضها صحيح ، وبعضها غير صحيح ، فلا يكون ذلك واقعة غير ثابتة وانما دليل من الأدلة ويقول ان التجربة فاسدة بالنسبة للجرائم الاعتيادية وبالنسبة لجرائم القول ، ولا يمكن للقاضى ان يذهب فى تقدير هذه القضية حسبما ذهبت النيابة لأن التهمة واحدة ، أغرب من هذا أنها شطرت الفعل الواحد الى تهمتين : تهمة قذف وتهمة سب : احنا عايزين معمل كيمياء يفصل دى من دى ٠٠ هو فى الدنيا تهم قذف مش سب : السب ابن القذف ، وتضج القاعة بالضحك ولكن الهلباوى يستمر فى كلامه قائلا فيكون تقسيم التهمة الى قسمين سب وقذف من أعمال العبث التى لجأت اليها النيابة : ثم ان النيابة أخفت عن المحكمة أشياء وقدمتنا لكم عن مقالات معينة : هى النيابة عايزة ترحمنا ؟ أبدا احنا عايزين نعترف بكل شىء : احنا اتهمنا الحكومة بأنها غير نزيهة : اشمعنا النيابة ماتقدمناش الا من نوفمبر سنة ١٩٣٣ كل الاعداد ، التى صدرت من السياسة قذف وطعن فى الحكومة السابقة فلماذا لم تقدمونا من أجل هذا كله : وأقول بان هذا العهد تغير رجاله : كان له رئيس حتى يناير ١٩٣٣ وجاء بعده رئيس آخر : سامحتنا من أجل العهد اللى فات والاستاذ وهيب دوس بيقول دول ناس شتامين ما فيش الا مادة ش٠ ت٠ م٠ ويقول الاستاذ وهيب دوس : ما أنت بتقول انكم بقالكم أربع سنين ويقول الاستاذ الهلباوى : احنا قلنا اننا شتامين يا وهيب سامحتنا النيابة عن عهد اسماعيل صدقى ولم يصعب عليها الا عهد عبد الفتاح : ليه مطاعننا مرتبطة كلها ببعض ٠ الوزارة دى مشبوكة بدى ، فكل ما جاء فى جريدتنا متعلق بعضه ببعض فاختيار الوقائع واقتطاعها ليس من حق النيابة بل من حق المتهم الحاضر أن يقول ان النيابة أخفت عنكم أشياء من مصلحتى أنا :

شوية برسيم أخذها المنزلاوى ٠٠ عشرة خمستاشر نحلة خدها المنزلاوى ٠ هاتوه حفنى محمود ٠

عبد الفتاح يحيى اشترى أطيان أبو حمص ده سب وقذف امال ، الدواهى المتلتلة دى سبتوها ليه ؟

★★★

قبل ان يتولى عبد الفتاح باشا يحيى الوزارة قلنا ان هذا الرجل الشريف الذى تربى فى بحبوحة النعمة جرفه العهد البائد : تعرفوا ليه : عملوا شركة ملاحة أعطتها الحكومة اعانة لنقل الركاب تعرفوا هذه مخالفة حتى لدستوركم لأن الوزير ، لا يجوز له الاشتغال فى الأعمال ٠

وعندما يعترض وكيل النيابة طريق الاستاذ الهلباوى قائلا :

دا غير القضية المطروحة أمامكم ؟

الهلباوى : أنا لا آخذ اذن منك أنا أترافع على كيفى ٠٠ لا ، لا ٠٠

رئيس المحكمة : تناولها التحقيق

الهلباوى : « ان شا الله ما تناولها : القانون اللى كان بيقول الدليل يقدم فى خمسة أيام راح فى جهنم ٠

الرئيس : هو يقول ان المسألة غير داخلة فى التهمة ٠

الهلباوى : أنا أدخلها « ضحك »أمال احنا بقى لنا أربعة شهور بنعمل ايه ؟

الرئيس : طيب اذا كنت تسمح : بالاختصار ٠٠٠ بلاش أسامى ٠

هلباوى بك : طيب بلاش أسامى هم شتمونا بالاسامى ما خللناش !

***

وعن واقعة التحقيق مع المتهم حفنى محمود فى يوم العيد يقول الهلباوى : فى أيام العيد تقفل دواوين ، الحكومة ومصالحها لأن للموظف حق التمتع براحته وزيارة موتاه ، والأنس بأهله والمحكمة تقفل والبنوك تقفل والنيابة تقفل الا للحوادث الطارئة ، لعلاجها ، وكنا فى ٢٦ مارس ، وحوادثنا تبدأ من نوفمبر ، فكنتم فين ولما قلنا ليه قالوا المحقق له الحق : صحيح حضرة الرئيس له أن يخرج واحدا من الجلسة لكن هل يقبل ان يأتى لواحد قاعد فى غاية الأدب ويقول : طلعوا هذا بره ، المدافع تضرب فى كل ناحية ايذانا بالعيد : يوم مبارك ، ليس يوم سؤال ، وجواب : فاذا شكونا من هذا والدموع تذرف من عيوننا أفلا توافقوننا على أنه اسراف فى التصرف : المحكوم عليهم بالأعدام ، لا ينفذ عليهم الأعدام فى أيام العيد ، واذا نفذ فى هذه الأيام المباركة اعتبر جريمة ٠٠ المجرم ، له الحق فى التمتع بهذه الطمأنينة وهو قاتل ، وحفنى محمود لا يتمتع بها ، واذا وقع هذا من أمين الدعوى العمومية المثل الأعلى لموظفيه ، ومرؤسيه أفلا يجوز لنا أن نشكو ٠٠ بل لنا الحق ان نبكى ماذا كان يجرى ، لو أن التحقيق تأجل لبعد العيد هل السماء ، كانت ستنطبق على الأرض أبدا ولكن الاضطراب الذى فى نفوسهم هو الذى فعل هذا : هذه خدمة للجبروت والطغيان للتحقيق فى المعنى القديم الذى نعتقد أنه انقضى عهده : أؤكد لكم أن هذا العمل لم يشرف النيابة مطلقا لأن حفنى من أكبر العائلات وشقيق رئيس حكومة سابق ، ورئيس حزب «متأسف جدا أن يذاع هذا عن النائب العمومى ، وهو رجل فى أعلى كرسى فى القضاء ومن الشبيبة التىمازلنا نفخر بحصافتها ونبلها وأننثير هذه الشكوى فى الصحف : «ويقول الهلباوى : أن قضية دريفوس قعدت ١٧ يوما بينما قعدت القضية دى قعدت شهور طويلة ومين عارف اذا كنا حانخلص الشهر ده والا حنقعد لاكتوبر الجاى : قلنا أن هذا لم نكن نرجو أن يحصل من النيابة كل هذا أمنية صغيرة ، أن فخر القضاء المصرى هو طريق ترقبه ومحافظته على المساواة : كنت أتمنى ان عبد الفتاح باشا وابراهيم فهمى وعلى المنزلاوى وعبد العظيم باشا

لسه فى الحكم كنت أتمنى فى أن يتم شرف القضاء بأن يحكم فى هذه القضية وهم فى مناصبهم : آه لو تم ذلك لكان من أجمل المعانى والآثار ، كان دليلا على أن القضاء أنصف أحد الرعايا على هؤلاء الحكام العظام ٠٠» ٠

★★★

وفى نهاية الجلسة الأولى وقبل الاستراحة يقول :

لو كنا عايزين ، الحكم ، كنا خدناه من زمان واذا كنا عايزين الحكم فانما لنرد على الأمة أموالها ، وكرامتها ، اذا رغبنا فى الحكم انما نتقدم اليه كما يتقدم عسكرى طولمبات الحريقة اذا رأى الناس ، جرى وترك عقله ليخلص أهل البيت من هذه الكارثة ٠

هذه هى عقيدتنا وهذا الذى من سبيله تجرعنا ما تجـــرعنا والحديث يقول : « النار حفت بالشهوات والجنة حفت بالمكاره ٠٠ » ٠

وبعد الاستراحة استأنف الهلباوى المرافعة بقوله : الدليل ، اما أن يقبله القاضى واما ألا يقبله : والقاذف اذا استطاع أن يثبت انه كان منتقدا ، فلا عقاب عليه ، ويظهر أن حضرة النائب من رأيه أن القاذف لا ترفع مسئوليته الا اذا ثبت قذفه ثبوتا تاما ، والا لا يقبل منه : هذا رأى النائب والمدعين بالحق المدنى ولكنه رأى تمجه البداهة والمصلحة العامة ، والفائدة من الصحافة ، وحفنى قدم أدلته ، قولوا لنا فيم تشتغلون من فبريرا الماضى : نحن نشتغل الآن لاثبات هذه الأدلة : صحيحة أم لا : ان الصحفى اذا وصله خبر ، جاب له محكمة وبوليس علشان يحققه ، هذا تعطيل للصحافة : يكفى القاضى لحماية الصحفى ، أن يثبت أنه عندما نشر كان يعتقد بصحة ما نشر : هذا هو كل ما يطلب من الصحفى ٠٠ ومركز الصحفى كمركز الطبيب الذى يقتل مريضا أثناء عملية جراحية يكفى أن يثبت للقاضى انه كان حسن النية ، أما اذا ثبت انه كان مخطئا ، متعمدا فهنا تختلف النتيجة فمركزى وأنا فى مهمة عامة فى حكم التقديس ، اذا جاءنى خبر ، ورأيته محتمل التصديق واعتقدته فلا عقاب على نشره ٠٠

★★★

ويخصص ابراهيم الهلباوى جزءا كبيرا من مرافعته ليزيح الستار عن كثير من أسرار تاريخ حزب الأمة وتاريخ حزب الأحرار الدستوريين الذى هو امتداد ، لحزب الأمة ومن بين ما ذكره : ان صحيفة « الجريدة » التى كان يصدرها حزب الأمة قد أوشكت على الافلاس وان محمود سليمان باشا ، وعلى شعراوى باشا قد دفعا ستة آلاف جنيه ، وان الآلاف الأربعة الأخرى قد أصبح دفعها واجبا على عدد من المحامين الشبان الذين ينتمون الى الحرب وان الهلباوى وعد هو وزملاؤه بدفع ذلك المبلغ حتى ولو نبيع « حلق النسوان » كما يروى الهلباوى

في مرافعتـــه بعض أسرار ثورة ١٩١٩ ومواقف عبـد العزيز فهمي ، وعلى شـعراوى ، ومحمـود سليمان ومحمـد محمود ، ويقـول من هو أول من كان على رأس أول شرارة اندلعت لتحرير الأمة ؟ ويرد قائلا حزب الشتامين ، حزب الوقحاء ، حزب الأراذل برضه حزب الأمة ، اجتمعوا وأول نداء أصدروه كان بالاعتراض على نظام الحماية رفع راية سعد زغلول وعبد العزيز فهمى ، وعلى شعراوى ، ويعتبر ما قاله الهلباوى بحق ـ فى مرافعته ـ عن تاريخ الأحزاب المصرية قبل وأثناء ، وفى أعقاب ثورة ١٩١٩ من الاسرار التاريخية التى لم يكن كثيرون يعرفونها من قبل ، وتنتهى مرافعة اليوم ، الأول ، ولا يكون الهلباوى قد أنهى حديثه عن الأحزاب المصرية ، كلها ، وعن حزب الأحرار الدستوريين بصفة خاصة وينتقل الاستاذ الهلباوى للافصاح عن دسيسة رخيصة قام بهـا خصوم المتهم فى المحكمة وهى الايقاع بين المحامين الذين تولوا الدفاع عن حفنى محمود ، من خصومه السياسيين • ويقول الهلباوى : هذه السعاية كان يجب أن يترفع عنها كل دساس مهما انحطت أخلاقه ثم يقول : انتم جايين أمام القاضى وجايبين اللى كنتم بتطعنوا فيه امبارح علشان نساعدكم ، هذا دس كنت أرجو أن تترفع عنه ، المحاماة ، هؤلاء الزملاء ، الذين تفضلوا بالدفاع معنا من خصومنا قد جرحتهم المحاكمة ، خد بالك يا سلامة بك : خد بالك يا سابا بك ، خد بالك يا عبد الرحمن بك دول خصومك فلا تدافع عنهم : هل هذا كلام يقال ٠٠ ومع ذلك يقولون انهم شرفاء ٠٠ ولو لم تكن لكم جريمة الا هـذه لكفى ، لعن الله الفتنة ومن أيقظ الفتنة •

★★★

هذه الدسيسة والحمد لله لم تجد عند نفوس اخواننا كما كان الخصوم يتوهمون ، بل بالعكس ، كسبنا هؤلاء الزملاء وأصبحوا لنا أصدقاء ، فأنا أقدم حبة شكر لهؤلاء الذين أثاروا هذه الفتنة « ضحك » : نحن فى عهد فتنة زى الجماعة اللى مركب بتغرق هذا يتعلق فى ده ، وده فى قرعة ده وهكذا « ضحك » ولكنهم أساتذة بارعون فى هذا الفن ، أتمنى أن هذا التفوق لا يصاب به أحد من أبناء مصر : أرادوا أن يوقعوا بيننا وبين الوفد فقالوا ياما شتمتم الوفد ، ليه كده ، عشان جرائد الوفد ، لا تكتب عنا شيئا ٠٠ يذكرونهم بالماضى ويحيون فى قلوبهم الحقد ، والضغينة زى الضرائر ، لما الواحدة تقول لجوزها خد بالك من بنت • • • • كانت بتقول عليك كيت وكيت « ضحك » قالوا انهم يعتقدون فى الوفد عقيدة تجعلهم لو جاءوا الى المحكمة لخلعوا رداء المحاماة ونزلوا لمحاربته • هكذا قال الاستاذ وهيب دوس وهو أخف زملائنا محامى المدعين ، وقد ذكرتنى هذه العبارة بأبى دلامة الشاعر الظريف ، فقد كان يوما فى حرب والقائد الذى كان فى حاشية أبى دلامة ، قال أنا مش عايز حد يهرب : كل واحد يطلع الحرب حتى أبو دلامة ولما جاء دوره انتظر خصمه ان يشهر عليه سيفه ، لم يفعل بل أشار اليه أن يتقدم وقال له : أنا ذنبي أيه : عليك بالحكام ، فقال نأكل عيش

وملح وأكلوا ، ولما عاد سأله قومه ماذا فعلت قال هزمت خصمى قالوا : كيف ؟ قال أهو كل مايبجى يطلعونى له وأنا كمان أتطوع للوفد اذا جاء للحكم ، وخرج وهيب بك يحاربه فلن أخرج اله «ضحك» ..

★★★

وكان وهيب بك دوس قد قال ضمن مرافعته : يكفى دليلا على أن السياسة لم تترك أحدا لم تسبه ، ان نراجع مجموعاتها منذ صدرت لنجدها تقول فى معرض كلامها عن الاستاذين سلامة ميخائيل ، وتوفيق خليل المحاميين المترافعين عن حفنى محمود : ان الوفد وشيوخه ورجاله جانحات أرسلها الله على المصريين كما أرسل الجراد والقمل ..

وقد رد الاستاذ سلامة ميخائيل : ان حفنى محمود لم يطلب منى أن أترافع عنه بل أنا الذى عرضت عليه ان اشترك مع زملائى المحامين فى الدفاع عنه وأما عن المطاعن التى وجهتها السياسة ضدى فقد رفعت بشأنها دعوى جنحة مباشرة على جريدة « السياسة » ولكن بعد أن سرت فى القضية ردحا من الوقت اقتنعت بأن مثل هذه المطاعن هى فى الواقع من مستلزمات النضال السياسى ، والكفاح الحزبى لا فى بلدنا فقط بل فى جميع البلاد ، التى تتمتع بالحريات الدستورية .. ولذلك تنازلت عن القضية .

ويقول الاستاذ الهلباوى : قالوا أيضا اننا طعنا على القضاء ، هذه دسيسة كبيرة ، خاب سعيهم مع سلامة والوفد فأرادوا ان يوقعوا بيننا وبين المحكمة : أرأيتم هذه الدسيسة السافلة ؛ الدنيئة .

قالوا : انتم رددتم ، القاضى وأؤكد لكم اننا أول من أسف لتخلى حضرة طاهر بك محمد هذا القاضى النزيه ، كل ما فى الأمر ، اننا تصورنا فى قرار المحكمة الخاص بالشهود ابداء لرأيها فلجأنا الى هذا الحق المخول لنا ونحن مكرهون ، وليس حفنى أول من فعل ذلك وانتم تعلمون كيف أن فرعون لما أراد أن يحارب موسى أهلك الله فرعون وأصحابه : كانت هذه أولى بأن تكون أكبر معجزة ولكن موسى قال لربه : انصرنى انصرنى بأخى ليساعدنى ، ويشد أزرى . قال ربى أن ميزان العدل ليس ظاهرا فى الدنيا ، « فلما جاء موسى لميقاتنا ، وكلمه ربه ، قال رب أرنى انظر اليك . قال لن ترانى ، ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا ، وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين» .

★★★

سيدنا موسى كان نبيا ، ورأى المعجزة ، فى برزخ السويس وأقل ما يمكن أن تدل عليه هو وجود الخالق العادل ، فلما جاء الى مدين وقع كما وقع حفني

محمود هذا الذى وقع من حفنى وقع من أعظم منه وقع من سيدنا موسى فلما وقع موسى قال تبت وحفنى محمود قال : تبت ٠

***

ويخاطب الهلباوى القضاة قائلا :

لا حفنى أحسن من سيدنا موسى ، ولا انتم اكبر من رب موسى : أنا لا اريد ان ابين أن حفنى لم يشـــك مطلقا فى عدل القاضى ، وانما كانت الظروف السيئة التى دفعته الى هذا ٠

***

ويقول ابراهيم الهلباوى ـ وأنا لا اريد من الاطالة فى النقـــل من مرافعة ابراهيم الهلباوى الا كشف الستار عن كثير من اسرار سنوات ما قبل الثورة ـ يقول انهم لم يكتفوا بأن يوقعوا فى نفس القاضى هذه الأسباب بل تصـــدوا الى مقام العرش :

قالوا : دول ناس لا يعرفوا الأدب ٠

ويقول الهلباوى ضاحكا : هات لى أبو معشر بتاع مرقس : وتضج القاعة بالضحك ، ويقول رئيس الجلسة : ما هو عندنا !

ويقول الهلباوى ، قال محمد باشا محمود فى عريضته الى جلالة الملك : « ارفع الى مقام جلالتكم السامى اسمى عبارات اجلالى واخلاصى ، قالوا : ازاى ما تقولش فى الآخر : خادم جلالتكم المطيع : محمد محمود لم يقل ارفع لجلالتكم بل قال أرفع لمقام جلالتكم ، شوفوا التقديس ؟ ! لم يجرؤ على ذات جلالة الملك بل أشار الى مقامه الرفيع : لم يقل أقدم ، بل قال أرفع : أنا فى الأرض وانتم فى السماء ! هل توجد عبارات أكبر أدبا ، وتهذيبا من هذه العبارات :

***

والانجليز أكثر من يحافظون على التقاليد فكانوا يجيئون الى منصة القضاء ، وهم يرتدون الطرطور ، وفروة الأسد أو النمر ٠٠ ليوجدوا فى نفوس المتقاضين الرهبة اللازمة ، ثم عادوا فلبسوا لباس المصارعين فكل هذه الألفاظ لا تقدم ولا تؤخر وقد نسى الاستاذ أيضا : ان الحرب العالمية هذبت هذه التقاليد فبعد ان كان الناس يذهبون ، الى الحفلات « بالاسموكنج » والردنجوت ، أصبحوا لا يتقيدون بهذه التقاليد وبكره يلبسوا « بشت » الفلاحين ٠

***

كان ملك الانجليز ـ هكذا يقول الهلباوى ـ راكبا فجاء احد الفلاحين ووضع رجله على الرفرف وهز يد الملك قال له « هاو آريو » ٠ ولم يغضب ملك الانجليز ،

بل سره أن تكون في رعيته هذه الروح السامية : لم يكفكم ان توقعـــوا بين القضاء وبيننا فجئتم توقعون بيننا وبين جلالة الملك في مذكرتـــكم المطبوعة وسأريكم أنكم الذين وقعتم في هذه الجريمة • ويقول رئيس الجلسة : مفيش لزوم ، ويقول الاستاذ محمد كامل البنداري : لو كنت في مكان النيابة لكنت أشرت بمصادرة هذه المذكرة ، ازاى النيابة تركت هذه المذكرة توزع : ويقول الرئيس : هو لم يترافع بها • ويقول الهلباوى يقول زملائى عن العهد الماضى انه العهد البائس ، ويقول البندارى : البائد ويقول الهلباوى البائد أو البائس كله زى بعضه : قلت في التحقيق مع الوزير انه لم يحدث في سراى النيابةولكن في سراى وزارة الأشغال وأقول هنا انه في سنة ١٩١٦ رئى ان يعقد المجـلس الحسبى برئاسة وزير الحقـانية فقال المستر بريد « يحيى باشـا ابراهيم على رأسنا وعيوننا وانما يجب ، ان يأتى ، الوزير ، الى هنا ، ويجلس معنا » صدقى باشا يقول‌اننا تغيرنا عليه لاننا كنا نؤيده وانقلبنا نحاربه ، وأقول ان صدقى حضر مشروع الدستور في وزارته وكنا قد أخذنا كلمة منه بأن الدستور لايعدل وجاءنا عبد الحميد بدوى رسولا يأخذ رأينا ومعه صورة المشروع وتفاوض مع محمود باشا عبد الرازق وهيكل بك وحافظ باشا عفيفى ، انتهت بأن الحزب لم يوافق على هذا المشروع : ليه ولاننا لم نكسب شيئا من حركتنا منذ سنة ١٩٢٠ الا الدستور ، ومعنى الدستور اننا أصبحنا أمة رشيدة مسئولة ، عن حكم نفسها بنفسها ، ونحن معتبرون بين الأمم « النصف حرة » ونحن أشد الأمم احتياجا الى تقديم البرهان على اننا بلغنا سن الرشد وليس أقوى من أن يكون لنا دستور يعطى الأمة حريتها فهدم الدستور ، أكبر كارثة أصابت مصر ، لانها حالت بينها وبين ان تقدم للأمم الأخرى برهان كفاءتها •

ويقول الهلباوى ان دستور اسماعيل صدقى ، قصقص حقوق الشعب بل اغتصب حقوق الشعب ، وان الدستور حق لا منحة •

★★★

ثم يقول : سواء كان الدستور منحة ، أو حقا ، لا يجوز لك أن تسلبنى حقا من هذه الحقوق ، التى رتبها الدستور لى والا كنت مجرما أثيما : ثرنا عـلى الدستور الجديد ولم نعترف به وكان هناك مسـألة يمكن أن نصطلح بهـا مع الوزارة ، والواقع انى محرج جدا ، لأن جـلالكم ومقامكم يمنعنى من الكلام ، ياحضرات المستشارين نحن اتفقنا معهم على تعديل قانون الانتخاب وكنا نرى ان جمهور الأغلبية لا يزال أميا ولذلك فكرنا في جعل الانتخاب من درجتين وأول شرط من شروط المعاهدة التى جاء فيها محمد محمود انها لا تسرى الا اذا أقرها البرلمان ، ومعنى هذا انه لم يتكلم مع الانجليز في شىء من قانون الانتخاب فاذا كنتم تريدون عمل هذا الاصلاح فلماذا يتناول اصلاحكم البيت كله فتهدمونه هدما مطلقا ، وتقولون انه تطور ! ثم هذا التطور ، هل يكون برضاء الأمة أم

تكرهونها عليه ، قالوا بكره تشوفوا : قلنا طيب : كان الانتخاب القديم الذى حضرناه ان كل دائرة يرشح فيها أكثر من واحد ، اما أن رشح فيها واحد فلا يكون انتخاب بل سموه بالنحوى التزكية واللى يعملوا قانون الانتخاب الجديد ناس أذكياء عارفين ان الوفد ٨٠٪ واحنا نصف فى المائة (ضحك) ٠

***

ويقول الهلباوى ، أنا عارف ما هم بيقولوا كده ، وما دام الوفد والاحرار مضربين يبقى فاضل الحزبين الشقيقين (الشعب والاتحاد) : وعليه يا حضرات المستشارين وصاروا يجيبوا الناخبين بالقوة ٠

ويشرح الهلباوى بعض الأساليب ، التى استخدمها اسماعيل صدقى فى الانتخابات وكيف أصبحت الانتخابات تجرى فى ثلاثة أيام بالرغم من انه انقص عدد الدوائر من ٢٣٠ الى ١٥٠ وما فيش معارض ولا منافس لحزب الشعب ، وحزب الاتحاد ، كل ده علشان يوزعوا قواتهم وآلاياتهم واللى يقول «بم» يدوله على دماغه ! لانهم يريدون أن يحكموا بالحديد والنار ٠

وبعد الاستراحة يعود الهلباوى ليرد على ما قاله ، المدعون ، بالحق المدنى من اننا تعلمنا السب والقذف وان د٠ طه حسين ود٠ هيكل هما اللذان زرعا فى الشباب بذور هذا القذف ٠

ويدافع الهلباوى عن مدرسة الجريدة : لطفى السيد وتلاميذه هيكل وطه وتوفيق دياب وعبد القادر حمزة وعبد العزيز البشرى وعلى عبد الرازق ، ومحمود عزمى : كل كتاب مصر تتلمذوا على الجريدة وعما قريب يكون للسياسة معهد لأن أعظم كتاب الشرق تخرجوا منها ٠

***

ويقول الهلباوى هذه كلمة أوجهها تحية لهؤلاء الأفاضل حتى لا يظنوا ان الأمة غمطت حقهم : طه كان حانقا جدا قال لى حتى وهيب الذى اذا كان فى لغته ما يفخر به فهو مدين به الى مجالسنا ، وهيب الذى كان من أكبر انصارنا : قلت له : لاتغضب فنحن فى محنة ٠ قالوا : أنتم أفسدتم أخلاق الموظفين لانكم استعنتم بهم على نشر فضائح رؤسائهم وان هذه جاسوسية ٠٠ لا ، هذه ليست جاسوسية وانما هى جاسوسية مقدسة : هى أول من أسس الأخلاق الفاضلة ٠ وعنوان حضارة الأمم دى ، الصحافة ، وأساس رقى الصحافة القيام ، على المصالح العامة ٠ وهذا يقتضى ان يكونوا أول المصادر ، لما يجرى فى البلد فاذا لم يتصلوا ، بهذا أو ذاك ما استطاعوا ، أن يفعلوا ٠٠ ان التنقيب فى أعمال الموظف وكشف عوراته من أقدس الواجبات ٠

***

وليس الموظف معصوما من الخطأ ، الحكومة عندها أكبر جيش من الجواسيس ولكن اسمهم مفتشون أو ليست أعمال هؤلاء المفتشين ، جاسوسية واجبة لخدمة المصلحة العامة : الجنرال كلايتون الذى كان اخيرا من أكبر وزراء انجلترا كان رئيس قلم المخابرات • الحكومة عندها آلاف من الجنيهات اسمها المصاريف السرية ، وعندنا أكثر من نصف الجيش بوليس ملكى فى ديوان المحافظة الكائن بجوارنا الآن •

★★★

ويقول الهلباوى : اذا لم تعتمد « السياسة » على ماتستقيه من الأخبار فلا تستطيع أن تعمل شيئا وجرائدنا لا تزال فى هذا السبيل طفلة تحبو ، وانى أتمنى أن يأتى اليوم ، الذى نرى فيه جرائدنا كجريدة « التيمس » التى تفخر بأن مكاتبها الذى ذهب الى برلين لحضور المؤتمر استطاع أن يأخذ صورة المعاهدة ، قبل أن ترسل للوزارت الأخرى ، يقال أنه دفع ١٢ الف جنيه وخباها فى برنيطة ، و « المورننج بوست » التى قرأتها وأنا اتهجى الانجليزى تدفع فى سبيل الاخبار آلاف الجنيهات ، واستطاعت ان تهدم « شارلزوك » مش ابراهيم فهمى كريم فمتى نرى السياسة ، والجهاد والكوكب وبقية الجرائد تصل الى هذه العظمة ، هل يسمى هذا افسادا للحياة •

ويقول الهلباوى بك عيرونا أيضا أن السياسة متلوثة وبنت حرام : ليه اتفقت مع صدقى باشا عدوها الأول ، وكمان ، لما عبد الفتاح يحيى خرج من الوزارة سنة ٣٣ ، أمين باشا كلم محمد محمود باشا ليتوسط لازالة سوء التفاهم •

★★★

ثم يقول الهلباوى • هذا كلام لا ينطبق على الواقع ولا المنطق ، ونحن اذا كنا اتهمنا عبد الفتاح يحيى باشا وهو عضو فى الوزارة فى أمور أخفاها عليه يبعد ترفعنا عن مخاصمته بعد أن ترك الحكم وأصبح فردا من أفراد الأمة كان بليغ باشا رئيس الاستئناف يوما فى مجلس الوزراء ، ودار الحديث انه مرشح للوزارة فسألوه وقالوا انهم مش مصدقين • قال لهم ليه ؟ قالوا لأن القضاء وحده هو الحر فى هذا البلد وكل الباقين نصابين ، وكان المتحدث على بك فهمى فقال له بليغ باشا ، مع هذا أنا سأقبل الوزارة • قالوا له ليه ؟ قال عشان بيقولوا ان اللى بيخش الوزارة بينسحر وأنا عاوز أجرب ، قلت له لكن اللى بينسحر مابيصدقشى انه انسحر ، دا الحصان لو نقلناه من اسطبل لاسطبل يقعد شهر ما ياكلشى ، وعبد الفتاح يحيى تربى فى بيت النعمة والمال •

ويقول الهلباوى : واذا كنا اتفقنا مع صدقى زى ما بيقولوا يعنى معناها ايه ؟ معناها : اننا أردنا أن نحصل منه على معلومات عن عهده • الصحيفة

الناصعة التى سجلها الاستاذ البيلى بتقدمه للدفاع عنا : تقدم الى صفوفنا وهو من خصومنا فى الماضى وقد رحبنا به ، وجعلناه زهرة دفاعنا ٠

***

وعن على المنزلاوى خصم الهلباوى فى قضيتى نزاهة الحـــكم ، يقول الهلباوى : نحن نسلم بأن على المنزلاوى كان من أكبر أركان الأحرار الدستوريين ، وأنا اذا شعرت بحرج فى موقفى الآن ، فهذه الغضاضة التى تركتها فى نفسى أن أكون فى صف والمنزلاوى فى صف : فى انتخابات سنة ١٩٢٤ عرض الهلباوى نفسه لأكثر من الخطر فى سبيل مناصرة المنزلاوى بك بالخطابة فى دائرته ، وعلى المنزلاوى له على يد خاصة فاذا اضطررت ان اجرحه فبرغمى : كان فيه قضية لعلى بك المنزلاوى فى طنطا قعدت فيها عشرة أيام وتركت مريضا عزيزا على من أجل على بك المنزلاوى : اجتمعنا على أثر اعلان انهم يريدون ، الغاء الدستور وقررنا بالاجماع ، البراءة من الوزارة ومن الأسف ان على بك المنزولاى كان من بين الذين أيدوا هذا القرار ، وكان ثانى القرارات التى أصدرناها فى هذا الشأن ولكن الوفد يحارب الوزارة ، ولم يكن يؤيدها الا نحن ولا نتخلى مهما نكن قليلين يكون الواحد منا بمقام مائة : كان على بك المنزلاوى فى مقدمة من أيدوا هذا القرار ، واو رجعتم الى المحضر لوجدتم انه استغرق ساعات ، وكان عـلى المنزلاوى فى طليعة الخطباء فى جميع المواقف الوطنية لكن فى هذه الجلسة لم يتكلم ليه لأنه كان اتصل بالجماعة دول فى السر فأصبح فى حيرة وأنا أعرف المنزلاوى من سنة ١٩٠٧ وهو من أكبر البيوت ولكن اللى يطلع من الوفد يطلع علشان يروح الحكومة ، اللى يطلع من الاحرار علشان يروح للحكومة هذه الظاهرة شعرنا بها تلك الليلة يا حضرات المستشارين : يقولون ما لكم ومال الدستور ، وقد سبق ان عطلتموه دى نظرية خطأ وهذا قياس مع الفارق ، واحد ، له مال يستثمرهفأنا أجى له وأقول له الصندوق ده وديعة عندى أرده لك عند المزوم ، وجاء واحد تانى مسك الصندوق وكسره وابدل الجنيهات بملاليم !

ويقول ابراهيم الهلباوى ان سلطة البرلمان ، على الحكومة ــ كما جاءت فى دستور سنة ١٩٣٠ ــ كسلطة الأم العجوز على ولدها لا تملك ان تناقضه فى شىء لانها ضعيفة ٠

***

وعن مهنة المحاماة قال الهلباوى زمان كان أغلب المحامين من غير شهادات وبعدين جابونا ، وكان معنا سعد زغلول والحسينى وسألوا واحدا منا انت عاوز المحاماه ليه ؟ قال عشان آكل عيش وقال الهلباوى أن زميله قال هـــذا الكلام ليتهكم على التشريع ، الذى أراد أن يحرم المحاماة من هؤلاء الفطاحل لأنهم لم يحصلوا علىشهادات ، ويناقش الهلباوى الحكومة التى ادعت ان نسبة الناخبين

فى الانتخابات التى أشرفت عليها كانت ٦٧٪ وربع وثمن ، وحبة : لقد أضرب الوفد وهم بيقولوا انهم ٧٠ أو ٨٠٪ والجماعة دول الأحرار الدستوريين ممكن يكونوا ٤٪ : كل دول ماراحوش ٠٠ ما فيش كان عيانين تبقى السبعة وستين دى جبتوها منين ياسى وهيب بك (يقصد وهيب دوس بك) ٠

ويقول الاستاذ الهلباوى : الاستاذ مرقس بيقول بلا دستور بلا بتاع ، الدساتير دى ما شاخت وهرمت : اننى طلعت القصر امبارح العصر ، الأمم اللى تقول كده هى اللى مضى على دستورها سبعمائة سنة ، ثمانمائة سنة وشبعت «شاورنه» وعز لكن احنا دستورنا ابن امبارح لحق شاخ وهرم : طيب ماتعالجوه يا أخى وتشريع الأزهر كمان شاخ وهرم ، لا ، لا ، الغرض ظاهر هو حرمان الأمة من سلطتها : انتو ما عندكوش برقع يحمى هذه العورات » ٠

★★★

الفصل الخامس
جغبوب ونزاهة الحكم
وبقية مرافعة الهلباوى

وفجأة ينتقل الأستاذ ابراهيم الهلباوى الى الحديث عن جغبوب يقول ، كان فيه مشروع بعد مقتل السردار ان ايطاليا ارادت تحديدحدودها بين مصر وطرابلس وفى هذه الحدود كانت تدخل جغبوب وسبق عملت لجنة فحسمت هذه المسألة فانتهزوا فرصة ان الحكومة قائمة من غير برلمان ، وطلبوا من زيور باشا أن يفاوضهم ويصدق لهم ، على ان جغبوب لايطاليا وأنا أعرف أن زيور باشا كان قبل ذلك وزير خارجية فى وزارة سعد باشا ، وعرضت هذه المسألة فرفضت الوزارة هذا ولما تعين زيور باشا رئيس وزارة طلبوا منه الطلب من جديد ويجب علينا الا ننسى ٦ ديسمبر ١٩٢٥ لأن هذا التاريخ هو الذى نزعت فيه جغبوب ، من أرض مصر ، جغبوب كان مكة الذى يحج اليها المصريون . صحيح ان ايطاليا بلد صديقة لنا يعز علينا ان حكومة مصرية سلمت فى هذه القطعة من أرض مصر بسهولة : حدث هذا من وزارة مصرية كانت تحكم بلا برلمان فهل حدث مثله فى وزارة محمد محمود ؟ عقد البرلمان بعد ذلك ورأينا عقد زيور باشا الخاص بجغبوب ، فماذا يفعل ؟ سأل البرلمان فعرفوا ان البلد راحت فعلا والعلم الطلياني رفع على جغبوب ووادى جغبوب فماذا يفعل البرلمان ؟ كل حيلته ان يتحين الفرص ويترك الأمر، للمستقبل: واذا كنا اليوم ضعافا فقد يأتى يوم نستطيع استردادها ، هذه حيلة الضعيف ، واكتفى البرلمان بأنه لم يوافق على هذا : سلاح المحتفظ بحاله وبعدين جات فترة من الوزارة قلنا استنوا قالوا : ايطاليا بتلح ،صهينا هذه سياسة حكيمة من النواب: ويقول الهلباوى ان معاهدة واحة جغبوب بعثت من جديد ثم يقول :

★★★

ويقول الهلباوى :

كان البرلمان شكل لجنة ولجنة طلعت من لجنة وقالوا احنا لازم نروح محل الواقعة ونحقق وكانت اللجنة برئاسة وهيب دوس وهذا تقرير اللجنة قال :

رايحين يحققوا : ايطاليا لها حق ، واللا مصر وأول ما راح أعضاء اللجنة ارتشوا ، ارتشوا رشوة سياسية : ايطاليا قدمت لهم طياراتها ركبوها ·· وراحوا جغبوب وصلوا جغبوب بعد احتلال ايطاليا بسنوات ، شوفوا وهيب اللى بيدقق فى الهايفة تجلى علمه فى هذه المسألة وقال : دى كل سكانها ٢٥٠ نفر : طيب يا سيدى : ماتشوف كانوا كام ·· ماهم تشردوا يا أستاذ : طيب وايه كمان : خمسة أفدنة بينزرعوا والباقى رمال : طيب ماتشوف كانوا كام فدان مزروعين الأول · وايه تانى قال : سكانها معرضين للهلاك لأن مافيهاش ميه ، طيب يا سيدى ما ايطاليا عارفة أن سعادتك جاى بكرة تسيبها شهر تنشف ميتها وفضل وراه حتى قال : ان مصر تسعد لو تنازلت عنها : لا يا أستاذ : احنا اخوان ولازم نحترم شعائر بعضنا : جغبوب دى كانت زى كعبة للمسلمين مش لازم تتياونوا فيها : وتكلم عبد الحميد سعيد وبعض اخوانه بخطب طويلة فرد عليهم وهيب بلباقة بأنها – أى جغبوب – نقطة عسكرية مش قد كده واننا كسبنا كمان : كسبنا ايه : السيارة ، يا عينى ، يا عينى ، بتضحك على مين ياسى وهيب على كتب الجغرافيا ولا على النواب بتوعك : الواقع ان السلوم أرض مصرية من قديم الزمن وأقل تلميذ يعرف هذا : أنتم تقولون ان مصر لم تخسر بترك جغبوب واذا كان هذا صحيحا فلماذا تتمسك ايطاليا بها ·

***

ويوجه ابراهيم الهلباوى كلامه الى المحكمة قائلا : وأخيرا يا حضرات المستشارين لم يكتفوا بهذا – نظام اسماعيل صدقى ، وعبد الفتاح يحيى – وانما لسانهم زى المبرد · قالوا ، ان النواب السابقين جبنوا عن التصديق على هذه المعاهدة واحنا لوحدنا اللى جرؤنا على التصديق عليها ·

***

والطريف ، أن أحد أعضاء هيئة المحكمة طلب من الأستاذ ابراهيم الهلباوى أن يدخل الجوه شوية وبلاش الحدود ويضحك كل من كان فى الجلسة ويرد الهلباوى – الذى لم يكن أبدا يفقد روحه المرحة مهما عنف واشتد فى مرافعته ، أو مهما عنف واشتد خصمه فى مهاجمته – ويرد الهلباوى قائلا : ما احنا أهو فى الحدود السودة : وتنتهى الجلسة عند هذا الحد ، ويترافع الهلباوى فى اليوم التالى وكان قد أكد أنه لن يطيل لان زملاءه الذين سبقوه قاموا عنه بالعبء الأكبر فى الدفاع ، ولكن الهلباوى لم يكن يدع تلك الفرصة تمر دون أن يمزق الأستار التى كان يختفى وراءها نظام عبد الفتاح يحيى باشا واسماعيل صدقى باشا : ان الهلباوى – وهذا سر اهتمامنا بمرافعته – لم يكن يدافع عن حفنى محمود ، أو على جريدة السياسة وانما كان يحاكم نظام صدقى ومن معه ومن تبعه!! يقول ابراهيم الهلباوى فى بداية مرافعته فى اليوم الثالث – وهو اليوم الأخير

من مرافعات هيئة الدفاع عن حفنى محمود – فى هذه القاعة المقدسة نحن نطالب وقد خلصت الأمة من دستور سنة ١٩٣٠ أن يعاد لينا دستورها : دستور ١٩٢٣ ثم يقول : كان زمان بعض كتاب الجرائد الانجليزية لما وقعت حوادث سنة ١٩١٩ كانوا يقولون أن أولاد الذوات هم اللى زعلانين ، لكن الحقيقة ان الأمة بجميع طبقاتها هى الثائرة ، طيب رأيك ايه فى الطبقة الصغيرة بتوع العنابر : اللى الواحد منهم كان بياخد ٣ صاغ : هذه الطبقة فعلت فى سنة ١٩١٩ أكثر مما فعلته أية طبقة أخرى من طبقات الأمة فى سبيل الثورة : هؤلاء قتلوا بالرصاص لا واحد ولا اثنين : لقد سمعت من على باشا ابراهيم انه ورد له جثث وجرحى فوق ٤٠٠ قتيل فى معركة العنابر وأنا أسجل هذا عن مصدر رسمى لايزال حيا فلما نيجى نتوجع لكم يقول الأستاذ وهيب انتم ما اشتركتوش فى جنازة السخام الدستور بتاعنا واحنا كل يوم فى مأتم : كل يوم فى جنازة جديدة .

★★★

وينتقل الأستاذ الهلباوى الى الحديث عن قضية الخطابات المزورة ويقول ان تسعين بالمائة من القضايا التى ترافع فيها فى السنوات الأربع الماضية كانت نابعة من بلاوى نظام صدقى ومن معه ويقول ابراهيم الهلباوى ، وهو يصف نظام اسماعيل صدقى ومن اتبعه : لقد سموا دستورهم دستورا وهو ضد الدستور ، وسموا حزبهم شعبا وهو ضد الشعب .. ويشير الهلباوى الى قضية القنابل ، وكيف اتهم النظام ابراهيم الفلاح بأنه كان رايح يودى قنابل بيت علام باشا وغيره ، وعملوا تحقيق وقضية وجابوه شاهد ملك والكن شاهد الملك انقلب وراح يعترف بالألاعيب التى دبرت وبذا حكم على سعادة ابراهيم الفلاح بخمس عشرة سنة ثم يقول : ومع ذلك الحكومة بتاعتنا تعطيه مكافأة : وانا لله وانا اليه راجعون .. وينتقل الهلباوى الى قضية البدارى – ولعلها المرة الأولى التى تثار فيها قضية البدارى من الناحية السياسية فى المحاكم .. ويقول : عرض حكم البدارى ، على محكمة النقض ولكن المحكمة وجدت أن هذا الحكم قانونا صحيح ، مع ذلك شعر عبد العزيز فهمى باشا بأن عليه واجبا انسانيا : شعر بأن القانون يجب أن يعيد العدل وانه لا يمكن أن يكون قاضيا ، وهذه الجرائم ترتكب فثار ودون فى حكمه هذه الفضائح ، المخزية وذهب الى على باشا ماهر وزير الحقانية ورأس القضاء فثار على ماهر ، وأراد أن يحقق كى يوقع بالموظفين الجزاءات التى يستحقونها ليكونوا عبرة لمن تسول له نفسه أن يحذوا حذوهم .. كتر خيره .. يتحقق .. ياأخى دهده يتحقق مع أحمد باشا فهمى حسين بتاع أسيوط وعنها قالوا له ، مع السلامة : أنا من سنة ١٩٣٠ برىء من على باشا ماهر : لا أراه أبدا ولكن لا أتمالك وأنا أمام حضراتكم الا أن أسجل له هذه الصحيفة الناصعة لانه وقف

موقفا مشرفا ورفع راية الاحتجاج على عهد كان يستند الى الجرائم فى حكمه وبقائه · ويقول ابراهيم الهلباوى الواقع ان سيئات هذه الحكومة لا يمكن للانسان أن يشرحها ، « لو كان البحر مدادا لكلمات ربى ، النفد البحر ، قبل أن تنفد كلمات ربى » ··

***

سفكوا الدماء ، هدموا الحرية ، وأخيرا وجدوا أن الذى يكشف عوراتهم للناس من الجماعة ، الصحفيين ، حفنى وأمثاله بيعملوا لهم ايه ؟ عملوا قانون أؤكد انى لم أسمع بمثله حتى فى الأمم البربرية وحتى لما طلعوه ما قدروش يطلعوا له مذكرة تفسيرية : قالوا ان رئيس التحرير اذا حكم عليه ، ولو بخمسة صاغ غرامة وتكررت لا يجوز له مطلقا أن يكون رئيس تحرير ! : هيكل راح ، عبد القادر حمزة راح ، عباس العقاد راح ، توفيق دياب راح ، والجدع ده حفنى لو حكم عليه المرة دى ولو بخمسة صاغ ما هو نافع رئيس تحرير : ويتساءل الهلباوى فى سخرية : ما أعرفش القانون ده فاضل واللا نسيم باشا ألغاه ؟ ويؤكد حفنى محمود انه لم يلغ بعد · ويقول الهلباوى : ياخبر اسود ، أنا معتقد ان وزير الحقانية الحالى ، لا يرضى ببقاء هذا القانون البربرى : يعنى هيكل ينفع يعمل وزير ولا ينفعشى رئيس تحرير ·· ده مدهش ·· هذه فضيحة أخرى من فضائح العهد البائس » ·

***

وينتقل ابراهيم الهلباوى ، الى نقابة المحامين وما أصابها أيام صـــدقى وحلفائه ثم يقول : اذا كان حد من الجماعة المحامين الشبان دول زعل علشانها قيراط أنا زعلت أربعة وعشرين ، لانى اشتغلت علشانها سبع أو ثمانى سنوات وما كانشى معايا حد من دول كلهم الا مرقص فهمى اللى جاى النهارده ثائر على الدستور وعلى البرلمان ، كل الطبقات لها نقابة ·· حتى العربجية حتى ماسحى الأحذية ·· غريب أن يصل الاستخفاف والمهانة بالشعب الى هذه الدرجة ، ويقول كل هذه يا حضرات المستشارين شكاوى من النظام الماضى ، ومساوىء النظـام الماضى وقد تكلم اخوانى كثيرا ، وأنا وعدت انى أخلص النهارده احتراما لشيخوختى · ثم ينتقل الهلباوى ، الى الحديث عن صديقه على المنزلاوى ويبدى تألمه لأنه يقف ضد صديقه ، ولكن « على واجب لازم أوديه » سأل الأستاذ سابا على المنزلاوى فى المحضر :

***

فرفع رأسه تيها وقال : اسأل زى ماأنت عاوز كم شجرة برتقال ، كم قنطار قطن ، كل دى حاجات هلس : لا مش هلس : وان كانت هلس لا تقبل

من وزير:انت فى ايدك الركن العاشر من ميزانية الدولة من عرقى وعرق أولادى ادفع لك بمئات الألوف من الجنيهات : أنا أبيع الحلة اللى بأكل منها وبيأكل منها أولادى علشان أدفع لك المال » ـ المال هنا يعنى الضريبة التى كانت تفرض على المواطنين ، وعلى المنازل ، وعلى الأراضى الزراعية والعقارات ـ فالمال المتأخر عليك بتاعى أنا : كم شجرة برتقال ؟ صحيح دى حاجـة هايفة لكن ما يصحش أن تصدر من وزير ٠٠ مش دى المسألة انما المسألة دى محجوزة للأهالى مش لمعالى الوزير : ليس هذا عمل كرامة للنفس ومعزتها ، ولما تاخد ثمرة الوزارة أو جزء منها وأنت وزير أنا أزعل ٠

★★★

محمد باشا محمود رئيس وزارة فلما يدخل المعرض هل يعقل ان فيه حد ما يعرفوش : فلو بعنا عقولنا ، هل يمكن أن نصدق أن محمد باشا يفترى هذه الواقعة : مش ممكن يا حضرات المستشارين ، ثم هل كان من حق محمد باشا أن يحقق رواية الموظف : يعنى انا لما أحب أركب عربية أجيب العربجى وأقول له امشى : العربية دىَ بتاعتك ؟ هات البوليس يحقق : انت عندك رخصة

وواقعة شجيرات البرتقال التى أشار اليها ابراهيم الهلباوى فى مرافعته تتلخص ـ من واقع التحقيقات ـ ان محمد محمود باشا رئيس الوزارة الأسبق ورئيس حزب الأحـرار الدستوريين زار معرض الربيع ، الذى أقامته وزارة الزراعة فأعجب بشجيرات برتقال شاهدها هناك فطلب شراءها فقال له أحد الموظفين لقد اشتراها وزير الزراعة ٠٠ فيغضب محمد محمود ويثور فى الموظفين قائلا : قولوا لوزيركم أن للجمهور حق الشراء قبله وتعلق جريدة السياسة على هذه الواقعة وتتهم الوزير بالاستئثار لنفسه بمنتجـات وزارته بثمن بخس وحرمان الجمهور من هذه المنتجات ويصـدر وزير الزراعة بلاغا رسميـا من الوزارة : يقول فيه لم يسبق لمعالى الوزير ، أن اشترى شيئا من شتلات الوزارة بل أن قسم البساتين كان يحصل على بعض ما يلزمه من بساتين معاليه مجانا فى خلال السنوات الثلاث الماضية ٠

★★★

وينتقل الهلباوى الى موضوع البرسيم . وموضوع البرسيم هذا أثارته جريدة السياسة تحت عنوان : هل صحيح؟ ٠٠ وزير الزراعة وتقاوى البرسيم: وصل الى علمنا انه كان لدى وزارة الزراعة كمية من تقاوى البرسيم ٠ صدر الأمر بتوزيعها على الطالبين من المزارعين فلما ارتفعت أسعار هذه التقاوى وبلغت سبعة جنيهات مصرية للأردب أضيفت كلها لحساب حضرة صاحب العزة على المنزلاوى بك وزير الزراعة بسعر الأردب مائتى قرش صـاغ ، ودفع ثمنهـا وتصدرت الى مزارعه ٠ وتكمل « السياسة » الخبر على النحو التالى ومع أن الذى

أبلغنا هذا الخبر ، يتحدى كل من يكذبه فاننا ننشره بتحفظ الا انه من الغرابة بمكان فهو تصرف لا يجوز أن يصدر من موظف صغير لا من وزير وبعد نشر هذا الموضوع ، نشرت السياسة أيضا : تحت عنوان : على بك المنزلاوى وهل دفع الضرائب العقارية المستحقة عليه من ثلاث سنوات وتحت هذا العنوان كتبت السياسة تقول : على بك المنزلاوى وزير الزراعة حاليا ، ووزير الأوقاف السابق يمتلك أرضا تستحق عليها نحو ألف جنيه ضرائب عقارية كل سنة والناس يتحدثون بأن عزبه لم يدفع عليها الضرائب منذ ثلاث سنوات ويتحدثون أكثر من هذا بأن حجوزات كانت قد توقعت على زراعاته وفاء للمبالغ المطلوبة، للضرائب العقارية وأن العزبى باشا وكيل الداخلية قد أصر على أن تتخذ اجراءات لاستيفاء هذه المبالغ ، ثم طلب اليه أن يسكت فسكت ونحن نروى ما تتحدث به الناس ٠٠ وقد سبق للهلباوى أن أشار الى هذه النقطة عندما تحدث عن المال المفروض للحكومة اما عن موضوع البرسيم فقال عنه الهلباوى : قالوا أن الوزير لم يأخذ الا عشرة أرادب من ١٦٦ اردبا والنيابة جابت كشف ما أعرفشى من أى بورصة من بتوع الحبوب بالثمن : حتى ان فيه قطن بتاع طلعت باشا بيبيعه فوق الكونتراتات بريال وقطن زى قطن حضرتى أبيعه أنقص من الكونترات ريالين ، كذلك البرسيم : برسيم الوزارة منقى ، ومصفى ، والحكومة بتخسر ٣٥٠ ألف جنيه علشان كده ٠٠ والذى يدل على ذلك هذه الطلبات الى عندك قدموا كشف بأسماء مشترين منهم سعادة أحمد بك كامل مدير الأمن العام ٠٠ سمو البرنس ، عمرو ابراهيم : ليس هؤلاء ، من أنشئت وزارة الزرعة لأجلهم أبدا ، انما أنشئت لصغار المزارعين المساكين ٠

★★★

ويقدم الهلباوى حافظة بها شهادة بأن أسعار البرسيم كانت فى سبتمبر ٢٨٠ قرش صاغ ، ويقول له الرئيس خليها بعدين ويقول الهلباوى بك : على ايه وأنا ماعنديش غيرها ، ويعود ابراهيم الهلباوى الى الحديث عن موضوع المال ـ المتأخرات على على المنزلاوى بك ـ فيقول مسألة المال دى فكرتنى بأحد المرضى فى بلد من البلاد ذهب الى طبيب وكان من عادة الأطباء ان هذا الحكيم عمل ٣٥٠ عملية وأن هذا عمل ٣٠٠٠ عملية وبعدين الراجل راح الى واحد ، كتب على عيادته انه عمل ٢٧ عملية بس : قال ده راجل متواضع وبعدين دخل عنده ولما سأله تبين له ان بقى له تسع أيام حكيم بس فسبعة وعشرين عملية فى ٩ أيام دى نسبة كبيرة قوى ، كذلك مسألة الأموال بتاعة المنزلاوى بك : امتى دخلت القصر قال امبارح العصر وأنت بقالك كام سنة وزير يا سعادة البيك : الواقع ان هذا كثير ! مسألة أرض عبد الفتاح يحيى ، مش بعيد ان أرض أبو حمص تنزل الى ثلاثة جنيهات ، خصوصا وان الى بيشتروها اثنين وزراء اذا كانت أرض مغاغة أم أربعمائة جنيه أصبحت فى العهد السعيد بأربعين

جنيها والأهالى لما يسمعوا ان الأرض دى راح يشتريها اثنين وزراء ، هل يقدم أحدهم ، على منافستها : مش معقول : بقى لما أشوف عبد الفتاح يحيى باشا اللى ربنا أمده بثروة كبيرة ينزل يروح البدارى ، وأبو حمص علشان يشترى أرض خراب : هل هذا يتفق مع مركزه ٠٠ وابراهيم فهمى يشترى ليه : يشترى ، وعبد الفتاح باشا يدفع له الفلوس ، قال علشان فقير ، طيب وهو الفقير لا كرامة له ! بقى أنا لما أروح فسحة مع جماعة من أصدقائى يدفعوا هم الفلوس ، اللى تنصرف فى الفسحة دى ، وأنا ما أدفعشى حاجة مش اهانة لى دى : بلاش آكل شساورمة وياهم وخلينى آكل عيش وجبنة : قال ده راح يصلحها : يا شيخ تصلح ايه : وتعمل ايه : الله يحنن عليك طيب والترعة : قال : ده من سوء بختى ، انها تغيرت : سوء بختك ، تبقى ياراجل وزير أشغال واللى يخططوا الترع مرءوسيك وموظفيك ويبقى من سوء بختك ، يا سيدى والأرض اللى انتزعت منك كم فدان ؟ ما أعرفشى : بكم جنيه ؟ ما أعرفشى : قبضت ولا ما قبضتش ما أعرفشى : لما الفدان أبد ثلاثة جنيه يقدر بمائتين وخمسين ماييقاش ، ده استغلال نفوذ ، والمواسير قال دى كانت كده زمان أيام مالكها الأصلى ، ده كلام صغير ما كناش ننتظره من وزراء : دى فضائح : دى مخازى : ابراهيم باشا يقول : ان الترعة عملت اضرارا به ، والفتحات لا شأن له بها وكهربة خط حلوان تضره ، وهى على المصلحة التابعة له ، المرءوسين بتوعك دول كلهم أولاد حرام ، عاوزين يضروك : يا شيخ ٠

★★★

تفضل مسألة علاقته بخزان جبل الأولياء ، وعلاقته بالفطن الغيور والغضنفر الذى ، عبود باشا اللى بيقول ان ما كنوش يحكموا على حفنى ده تبقى مصر راحت : خلاص علشان العلى العظيم ده ! ثم يقول الهلباوى وسط موجة من الضحك : يظهر أن صداقة عبود بكريم ـ وزير الأشغال ـ صداقة غويطة قوى : مبنية بالأسمنت : أنا لى أصدقاء من رجال القضاء من ثلاثين سنة : لكنها صداقة بريئة ، مش زى صداقة سى عبود وسى كريم ، توجب الريبة الحكومة صممت فى سنة ١٩٣٥ على تحضير مشروع جبل الأولياء وهذا مشروع تعاقبت عليه الوزارة ولم تفكر فى تنفيذه فلما جاءت سنة ١٩٣٢ رأت الحكومة أن تنفذه وهى اما أن تكون مع الانجليز أو مع الأمة والأمة مش وياها طبعا خليها اذن مع الانجليز ، وقد رأيتم الحريقة التى قامت بين باركسيون وعبود ، وبين جيبسون وعبود ، وفى سنة ١٩٣١ دفع ١٤٥ ألف جنيه أريد أن يستتر بها الوزارة وحضرات الأساتذة ، يريدون أن يستتروه مرة أخرى ، وصاحب المصلحة الأولى فى هذا المشروع عبود باشا ، فلما سافر كريم باشا ، سافر معه ليه ، والواحد مسافر ويسيب مراته سنة ما يسألشى عنها يبقى ايه لزوم سفرك ياسى عبود ايه لزمة دى ، قال دا راجل غنى رايح يصيف : ياسلام ووزير

الأشغال سافر يعمل ايه : يتفق مع المقاولين فلما أقول انه سفر كـريم باشا لهذه المأمورية ووجود عبود باشا معه في السفر شيء يوجب الريبة : والأدهى ، أن ينزلوا في لوكاندة واحدة ليه ؟ دى لندن فيها ٣٥٠٠ لوكاندة ٠٠ وقد جاء في شهادة حافظ باشا وعلى ماهر باشا ان كريم باشا كان يقابل المقاولين في صالون عبود : مش بس كده ، قال ويديله مقاولات فيها ٢٥٠ ألف جنيه ، ربع مليون جنيه ، يشغل أبوى ، وجدى وجد جدى مائة ألف سنة ياسـيدى وانت رايح تحكم بين مقاولين هـل يجوز اننـا ونحن متخاصمون أن تركبوا عربية حفنى : ياأخى احنا مالينا سراى هناك دار تكلفت مائتين ألف جنيه فليه يامعالى الوزير ، ماتنزلشى في هذه السفارة الفخمة : ليه تروح تنزل مع عبود : مافيش نزاع كل ده عمل مريب : انت رايح لمصلحة مصر وأول عمل كان واجب عليك أن تأخذ رأى سفير مصر هناك حافظ باشا لكنه اعترف أمامكم انه ولا مرة تكلم في هذه المسألة مع حافظ باشا ايه المفتاح الانجليزى اللى قافل بقك ؟! مش معقول : ان حافظ باشا يستطيع أن يدلك على البيوت الانجليزية التى يمكنها أن تشترك في المناقصة ده وكيل الملك في لندن لكن حافظ مش لازم يعرف حاجة أبدا عن زيارة عبود وهو قال انه تجافى حافظ باشا لان علاقته بعبود لم تكن مرضية ٠

★★★

وقد قال حافظ باشا انه كان يعتقد في عبود انه فشار أو بعبارة أخرى هجاص : نصاب تقريبا : وابراهيم باشا قال لكم انه عمل عزومة علشان يصلح بين عبود وبين حافظ : هل هذا يليق : بقى النيابة لما تعرف انى متخاصم مع واحد تصلحنى معه والا تجبنى شاهد اثبات عليه ؟ حدثكم على ماهر باشا ان سمعة مصر في لندن كانت سيئة وحتى عبد المجيد عمر باشا اللى لبس شهادته عشرين لغة برضه ماقدرشى ينسى انه سمع من أكثر من واحد من رجال الأعمـال ان الكلام داير هناك وان رجال مصر ، لا تؤخذ ولا تسير الا بالرشوة وينتقل ابراهيم الهلباوى ، الى الكلام عن الشهود : على ماهر ، وعبد المجيد عمر ، وحافظ عفيفى ثم يقول : اذا كان وزير مصر في لندن يشهد على عبود ويقولون شهادته انها لمصلحته فعلى الدنيا السلام ٠٠ كذلك وصل المستشار الفنى بتاع الخزانات مستر فون لى هذا الكلام ، وكانت الاشاعة مستفيضة دى مش مسألة صغيرة دى سمعة البلد وطهرها ، وعنها واعمل منشور اعلان : يا هوه الحكومة المصرية كويسة : مافيش فيها رشاوى ، ولا حاجة واللى يعمل هذا الاعلان راجل انجليزى: فيه فضيحة أكبر من كده فيه اعـلان أسوأ من ده ، لسمعة مصر ، ونزاهـة وزرائها » ٠

★★★

وكانت السياسة قد نشرت أن وزير الأشغال لغرض غير مصلحة الدولة قد خالف الأصول الموضوعة للمباحثات العامة وقرر شراء أدوات كهربائية بلا مناقصة بمبلغ كبير من أحمد عبود ، وان وزير المواصلات استفاد من منصبه واسرار وظيفته كوزير للمواصلات فى شراء أرض له ولأهله بجهة المعادى المزمع كهربة الخط الجديد الموصل اليها من القاهرة ، وان بينه وبين أحمد عبود علاقات مريبة ، وانه بحكم هذه العلاقات تصرف تصرفات يأباها القانون وتكشف عن هوى ومحاباة ، وأغراض و ٠٠ و ٠ وأن أحمد عبود استغل علاقته وصلته بالوزير فى الاستفادة من أموال الدولة بغير حق فى عدة مناسبات كما انه استفاد فى عقد اتفاقات مع المقاولين لمشروع تعلية خزان أسوان و ٠٠ و ٠٠

***

وبعد استراحة طويلة يعود ابراهيم الهلباوى ليتحدث عن علاقة عبود باشا بكريم باشا وكيف ان كريم باشا ، لم يكن يقابل المقاولين الذين تقدموا لعملية جبل الأولياء الا بواسطة عبود باشا وأنه لم يحدث ــ ولا مرة واحدة ــ أن قابل كريم باشا أحد المقاولين فى غيبة عبود ، وكيف أن عبود باشا ينشر على الملأ أنه لا يتسنى لأى بيت مال مهما قدم من القناطير المقنطرة أن يأخذ العمل ، الا اذا كان شريكا لعبود باشا وأن ثلاثمائة ألف جنيه قدمت رشوة لثلاثة موظفين كبار ٠ ويقول الهلباوى ، ان مثل هذا الرجل الذى يقول مثل هذا الكلام يسىء ، الى سمعة الحكومة ويبقى الكلام اللى بيتقال عليه صحيح ٠ ثم يقول الهلباوى : شرف الرجل وعرضه أقل اعتبار يؤثر عليه ، وعلى ماهر باشا قال لكم انه أراد تحقيق هذا الذى قيل عن سمعة الحكومة وكانت كل القرائن والشبهات موجودة ومع ذلك فلزقة فوزى ــ برضه موجودة ٠٠ والطريف انه لما كرر الهلباوى أكثر من مرة الاشارة الى لزقة فوزى أثناء مرافعته سأله الأستاذ المحامى محمد كامل البندارى : ايه لزقة فوزى دى وقال الهلباوى : كان فيه زمان حكيم كل ما واحد عيان يروح له ، يعمل له لزقة » ويقول الهلباوى : زى ما تجينا من لندن مصايب بيجى لنا منها خير أحيانا : ففى سهرة من السهرات كان عبد المجيد باشا عمر موجود ، وعبد المجيد باشا رجل محتاط : سمع عبد المجيد باشا واحد يقول واحد موظف انجليزى كبير بيقول لزميل له : الأعمال ما تمشيش فى مصر الا بالرشوة ولما سأل هذا الانجليزى زميله : مين قال كده : قال مدير شركة الكراكات طلب منه امضاء شيك على بياض ولما سئل عن الشيك ده لمين قال انه لابراهيم باشا فهمى : وطبعا عبد المجيد باشا عمر له ظروف خاصة ولكن ذلك لا يمنع انه سمع هذه الرواية كما سمعها على ماهر باشا : هذا نبأ خطير وبتقولوا يا سلام الوزير ينزل لحد ستين جنيه ويقول الهلباوى وفيها ايه يعنى : هل فيه مانع تكون أجرة عربية ، ثم ان ستين جنيها مستمرة ، دى نعمة ٠ ويقول الهلباوى :

العادة ان الانسان لا يحتفظ بمناعته الا فى المرة الأولى فاذا سقط فى أول مرة مافيش مانع خمسين جنيه خمسة جنيه وابراهيم باشا يقول لكم « بريه » ٠٠ وأنا غرقان خذوا اللى باقى على ، ودى مسألة محتاجة انك تعيط للقاضى : روح قول للديانة واخلص : كل هذا اله معنى : عايز ترد الشبهات عن نفسك لكن مش قادر : صدقى باشا سمع هذا من على ماهر باشا و٠٠و٠٠فى الوزارة تأكد منه : وصلته من مصادر أخرى فى فيشى فماذا قال له عبود باشا : قال : دا حاقد على لانى عطلت عليه المفاوضة يا لوعتك يا مصر بقى عبود باشا هو اللى حايعطل على صدقى باشا ٠٠ صدقى باشا الرجل الداهية ، تعطل عليه انت يا غلبان واذا كانت مصر ، لعبة واستغلالها بيد عبود تبقى انجلترا رخره لعبة فى يد عبود : هل يعقل أن صدقى باشا اعتقد فى هذا الكائن الضعيف عبود ، انه عطل عليه المفاوضة : ثم هل أنت وفدى ؟ هل أنت حر دستورى نزيه من اللى بيتشتموا دانت شعبى : صحيح انت جربت كل الأحزاب : انت مع كل الأحزاب عند اللزوم ، كانوا زمان يقولوا ده بوشين لكن عبود باشا ، برهن انه تلت دستورى وتلت شعبى : آدى انت دخلت البرلمان من سنة ١٩٢٦ تقدر تقول لنا أى مشروع تقدمت به كل هذه السنوات ، التى تلونت فيها بالأحمر والأصفر والأخضر أبدا ٠٠ اذن يبقى ان شهادة دولة صدقى باشا شهادة قاطعة تقطع رأس كل واحد توجه اليه ولا تقبل الريبة أو الشك فيها ٠٠

***

ولكن لماذا ابراهيم الهلباوى بالذات ؟

سؤال نحاول الاجابة عنه فى الفصل التالى ٠٠

الفصل السادس

الهلباوى شيخ المحامين

● لماذا أوليت مرافعة ابراهيم الهلباوى فى قضيتى نزاهة الحكم ، كل هذا الاهتمام ؟ سؤال وجه الى من كثير من القراء ومن كثير من الزملاء ، وردى بايجاز شديد : اننى لم أعتبر مرافعة الأستاذ ابراهيم الهلباوى مجرد مرافعة قانونية تتعلق بدعوى من الدعاوى القضائية التى يزخر بها تاريخنا القضائى ، وانما اعتبرتها وثيقة سياسية هامة لا تتعلق ـ وحسب ـ بالفترة التى حكم فيها اسماعيل صدقى مصر كلها بالحديد والنار ، وانما تتعلق فى الغالب ـ بأكثر فترات تاريخنا المعاصر ، أهمية وحيوية : ان ابراهيم الهلباوى ـ وتلك من أهم ميزاته ـ كمحام ـ فى كثير من مرافعاته كان سياسيا ، وكان قانونيا ، بل كان سياسيا قبل أن يكون قانونيا ، وربما كان فى مقدمة الأسباب التى مكنته من النجاح فى مزج القانون بالسياسة انه لم يكن فى مصر ، طوال السنوات ، التى لمع فيها الهلباوى فى دنيا المحاماة ، قاض ألا وهو من تلاميذ أو من مريدى ابراهيم الهلباوى كما أن براعة الأستاذ الهلباوى فى مرافعاته ، كانت تجعل القضاء أكثر انصاتا ، لمرافعاته من الجمهور ، الذى كان يتكالب على الحضور الى الجلسات ، التى يترافع فيها الهلباوى كما يتكالب على حضور حفلات منيرة المهدية ، وفتحية أحمد ، وأم كلثوم ٠ كل ذلك بالاضافة الى أننى ـ وأنا فى هذه السلسلة التاريخية ، أحاول انصاف من جحد فضلهم السابق مواطنوهم ـ أجد الهلباوى كرائد من رواد المحاماة والسياسة الجريئة لم ينل حقه أو بعض حقه ، ولولا ، ذلك الكتاب الذى وضعه المستشار عبد الحليم الجندى عن الهلباوى : لما عرف أبناء مصر من يكون الهلباوى ٠ أشهر محام ، عرفته مصر فى النصف الأول من القرن العشرين ٠ وشخصية ابراهيم الهلباوى من الشخصيات السياسية التى تكاد تنفرد بطابع خاص لا تنفرد به عادة الا القلة من الناس ٠

فقد أحب الناس ، كل الناس ، الهلبـــاوى كمحام : رددوا عنه وعلى لسانه ، القصص والحكايات ، أطلقوا حوله الأمثال ، الشعبية : فالرجل الذى لا يسكت عادة عن الكلام : له لسان الهلباوى ، والفلاح فى القرية عندما يهدد زميله فى الحقل أو فى الجرن أو عند الساقية يقول له : والله أقتلك وأجيب الهلباوى يترافع عنى : اشارة الى أن الهلباوى ـ والهلباوى وحده ـ هو الذى يستطيع أن ينقذ كمحام القاتل ـ أى قاتل ـ من حبل المشنقة ـ وكرهه الناس ، الى أبعد درجات الكره حتى لم يكونوا يطيقون رؤية وجهه جالسا فى حقل ، أو مترافعا فى محكمة وذلك بعد أن تجرأ ، ووقف ضد التيار الشعبى ، وقبل مهمة مدع عام فى قضية دنشواى لا لأن من ورائها كسبا ماديا فالكسب المادى لم يكن يزيد على ثلاثمائة جنيه وهذا المبلغ بالنسبة للهلباوى ، مبلغ بسيط للغاية ٠ لقد قبل الهلباوى أن يقوم ، بتلك المهمة ايمانا منه بأنها تضحية من جانبه وبأن أى مصـــرى يجب أن يضحى ويقـوم بتلك المهمـة ، قبـل أن يأتى الاحتلال الانجليزى بمدع عام ، بريطانى !!

***

وابراهيم الهلبـاوى الذى لم يدخل مدرســـة ، ولم يتخرج فى معهد للحقـوق ، كان أبرز المحـامين المصريين ، وقد ظل المحامون المصريون قرابة أربعين عاما لاينادونه الا بشيخهم ونقيبهم ، بالرغم من اختلافهم واياه فى وجهة النظر السياسية ٠٠

كان الهلباوى ـ حقيقة ـ خير من ترافع بالمنطق السليم ، وخير من ارتدى « روب » المحاماة ، بل وأجرأ من وقف مدافعا فى ساحات القضاء ٠ كان مستر دلبروأغلى من أشد القضاة الأجانب ، وأكثرهم عنفا ، وقد وقف أمامه ـ كمتهمين ـ بعض الزعماء السياسيين المصريين الوطنيين الذين لم يسلموا منه وكان ابراهيم الهلباوى معروفا بلسانه الطويل ، الذى يتطرق الى الموضوعات التى لا يمكن لأحد أن يتطرق اليها الا ابراهيم الهلباوى وقال دلبروأغلى وهو يخاطب ابراهيم الهلباوى مهددا : انك تحرض على الجريمة ، ويزأر الهلباوى كالأسد الهصور فى وجه رئيس المحكمة قائلا :

انى أمنعك من أن تقاطعنى !

***

ورغم شدة الهلباوى ، وعنفه فى تناول خصومه الا انه كان فى كثير من الحالات يتصف بالرقة التى ما بعدها رقة : وقف ،يترافع يوما ما مع محام ، زميل له : ضد قاض من القضاة : ووقف الهلباوى دون أن يتكلم والجميع على رأسهم هيئة المحكمة ينتظرون دفاع الهلباوى : ويدعو رئيس المحكمة ابراهيم

الهلباوى للكلام ، فلا يتكلم وأخيرا يقول : ان لسانه انعقد لأول مرة فى حياته لانه يترافع ضد قاض أمام قضاة ٠

ولم يكن الهلباوى سياسيا ، ومحاميا وحسب ولكنه كان كاتبا ، وكاتبا من طراز خاص : كتب مرة ولم يكن قد نبغ بعد فى دنيا القانون مقالا فى جريدة « التجارة » التى كانت تصدر بالاسكندرية مهاجما ناظر النظار ، الذى يستغل وظيفته عن طريق مدير المديرية ، وقبض على ابراهيم الهلباوى ، وسيق الى القاهرة ، وهو مقيد بالأغلال وفى الطريق قابله مدير المديرية ، وقال له مهددا : ان لم تمتنع فسوف أخرب بيتك » وقال الهلباوى : انك لن تستطيع لا أنت ولا أكبر منك » وانتهزها المدير فرصة ، لمواصلة تهديده : انت بتقول : لا أنا ولا اللى أكبر منى » ٠

***

وقال الهلباوى وكأنما يلقى نكتة : لن تستطيع أنت ولا اللى أكبر منك أن يخرب بيتى لأننى بلا بيت والقدرة لا تتعلق بالمستحيل ٠

على اننى وقد قرأت الكثير مما كتب عن الأستاذ ابراهيم الهلباوى عندما كان نجما لامعا جدا فى دنيا « السياسة « ، و « المحاماة » لم أجد أمتع مما كتبه عنه زميله ، وصديقه الشيخ عبد العزيز البشرى فى « المرآة » عندما قال فيه : شيخ يتزاحف على السبعين ان لم يكن قد اقتحمها فعلا : لم توجه الطبيعة أية عناية فى تكوينه الى شكله ودله ٠٠ فاذا أنت جلست اليه مع هذا أخذت بلطفه وشعرت بأنه قد تسرب فى كل نواحى قلبك حتى أصبح قطعة من نفسك وأنه ليذكرك بخفة روحه التى تكاد تطير أثناء حديثه بأطراف جسمه ، قول أبى تمام :

ماذا تقولين فى شيخ فتى أبدا
وقد يكون شباب غير فتيان

ويقول البشرى : ولعله لم يفترق الناس فى هوى امرىء اذا إستثنينا اسماعيل باشا صدقى ـ افتراقهم فى الهلباوى : لقد عاش مدى عمره ، يحبه ناس أشد الحب ، ويبغضه ناس أشد البغض ، الا ان هؤلاء ، وهؤلاء لا يسعهم جميعا الا التسليم بأنه رجل عبقرى بل لعله لم يجتمع له فى القلوب ، كل هذا الحب ، وكل هذا البغض الا لأنه رجل عبقرى ٠

***

اذا خطب خطب بكله ، بلسانه ، وبعقله وبنخاعه ، وبعصبه ، وبرأسه ، وبيديه وبرجليه أيضا ! وله صياح يقد أصفق الحناجر ثم تدلى عن المنبر بعد ساعات أربع كاملة فى كل هذا البلاء ، وهو أشد « وافتى » من أكثر ممن

سمعوه ، ان لم يكن أفتى ممن سمعوه جميعا • وما شـاء الله كان •• سديد العقل حاضر البديهة ، قوى الذاكرة ملتهب الذكاء على اننى لا أدرى أتفى كل هذا بحاجات لسانه أم لا ! محام أى محام وخطيب أى خطيب • لقد يقف فى الجمهرة والناس ، أكثرهم على غير رأيه فيما يجول فيه : فما يزال يدور عـلى مواطن احساسهم يحسها من ههنا ، ومن ههنا فى رشاقة وخفة ، قول ولطف شاهد ، وبراعة نكته ، حتى اذا أنس من الآذان تطامنا من جماح ، واسترخاء بعد عصيان هجم منها بكله على النفوس فظل يهزها هزا ويرجها رجا ، فمـا الفحل اذا هدر ولا الليث اذا زار ولا البحر اذا زخر بأشد صولة على الاسماع من الهلباوى يتدفق فى الكلام ، فما يروعك من هذه الجماهير الواجمة الا أن تراها برغمها قد أرسلت حناجرها ، بالهتاف وبعثت أكفها بالتصفيق والهلباوى خطيب يشترى هوى سامعيه بأى ثمن فهو يجد،ويهزل ويثب ويحجل ويضحك ويبكى ويعلو ويسف ، ويثقل ويخف ويكثف ويشف وينظم الدرر ثم يرمى بالشرر •

★★★

وبينما تراه فى وداعة العصفور اذا به فى شراسة النمور ، كذلك يتشكل هذا الشيخ فى خطبه ويتلون لكل مواقع الكلام واذا كان الهلباوى خطيبا عظيما فهو ممثل أعظم • وعن ابراهيم الهلباوى قال عبد العزيز البشرى ــ يرحمهما الله ــ لعل موقفه يوم دنشواى كان مظهرا من مظاهر هذه الثورة على انها هذه المرة كانت أدنى الى تحدى الجمهور منها الى ما اعتاد من تحدى السلطاء من أهل الحكم ، وفى كل حال فقد كانت منه كبيرة ، ولعلها كانت سقطة الرجل العظيم• على أن أحدا لم يجرؤ على أن يحيل تردد الهلباوى الذى قالوا على طلب منفعة شخصية من منصب أو جاه أو مال وقد صحب القضاء المصرى الحديث ، ودارجه من أول نشأته الى اليوم ، فلم تكد تقع قضية ذات شأن فى البلاد الا دعى لها الهلباوى فأفتن وأبدع ، وله فى هذا الباب جولات معدودة اله على وجه الزمان فلا عجب اذا عد صحيفة من أحفل صحف القضاء المصرى وأظهرها حواشى ومتونا وقضى هذا الزمن الطويل محاميا واضحا أمينا ، مجدا فى عمله ، حريصا على أداء واجبه ، لم تحص عليه كرة واحدة ، مما يخمش وجه المحاماة » •

★★★

ثم هو فى علاقاته الشخصية شديد التوافى لأصدقائه حريص على عودتهم، لا يقصر فى أداء أى واجب لأى كان منهم وأعتقد اننى بهذه الكلمة قد أوفيت واحدا من جيل العمالقة الكبار ، العمالقة الكبار فى كل مناحى الحياة ، بعض حقه ، ولعلها تكون تحريضا لبعض زملائنا من الكتاب ، أو من رجال القانون ليكتبوا عن الرجل العظيم حقا ، ابراهيم الهلباوى أحد شيوخ المحاماة فى بلدنا•

وأحد روادها ، ونقبائها الأول كتابا أو دراسة يمكن أن نستفيد منها وتستفيد منها في الوقت نفسه الأجيال الحاضرة ، والأجيال القادمة من جنين المستقبل ، فما أكثر حاجتنا الى تلك النماذج من العبقرية ، الخالصة التي لا تعرف التصنع، ولا تعرف المداجاة والنفاق ٠

***

ونعود ــ للمرة الأخيرة لنشير الى بعض فقرات مما جاء في مرافعة الهلباوى في قضيتي نزاهة الحكم :

يقول ابراهيم الهلباوى في آخر مرافعته ، وهي في نفس الوقت آخر مرافعات الدفاع عن حفني محمود : من الحكايات التي وردت في شهادة صدقي باشا ان عبود باشا راح مرة يزوره وكان راكب عربية فخمة قوى من بتوع الملوك ، فلما أعجبت صدقي باشا وقال عنها : دى عربية حلوة ، فكان رد عبود باشا : دى عربيتك يا دولة الباشا ، فصدقي باشا اعتقد أن هذه رشوة لأن الذى يقول في الجامعات : اتفضل : هدية لك لكن تقول دى عربيتك : يعني أنا شاريها لك : فعل ماض : دى لغــة من تعود أن يقدم ، الرشوة بحصــافة ، ولباقة » ٠

***

ويقول ابراهيم الهلباوى : ماكدونالد لما روى لماهر باشا وعبد المجيد عمر باشا رواية في لندن ، سمعها في حفلة من الحفلات وعبد المجيد عمر كان أيامها نصف وزير ، وماكدونالد اعتقد ان عبد المجيد باشا يمكن ما يبلغشي الحكاية ، وسمع أن علي ماهر في لندن وهو يعرف أنه وزير الحقانية وزير العدل ، والقانون فطلب من عبد المجيد عمر أن يأتي عنده في اسكوتلاندا هو وعلي ماهر باشا : شفتوا الذوق ، الاسكوتلندي ، والحصافة ، عندهم اتيكيت : دى حاجة كبيرة قوى : وراحوا ٠٠ كل الدورة دى ، والسفر الى اسكوتلندا برا ، وبحرا كان يقصد بها ماكدونالد أن يطلع علي باشا ماهر وهو وزير مسئول على هذه الرواية التي سمعتموها ! قلت لحضراتكم أن عبود باشا ، عنده كفاءة في ستر أعماله ٠ وقد علمنا صدفة ان ماكدونالد في مصر فتوسلنا اليكم أن تسمعوه ولكنكم رأيتم أن القضية مش محتاجة فلما رفضتم قام عبود يقول أنا أشارك الدفاع أنا طالب ماكدونالد ، وبعدها كتب جواب بالانجليزى نشره في الاجبشيان جازيت في ٢٢ فبراير وفي اليوم نفسه نشرت ترجمته في البلاغ : يقول فيه : يا مستر مردوخ ماكدونالد طلبت احضارك أمام المحكمة فلما حرمت من هذا جئتك على صفحات الجرائد علشان تقول ما تعرفه : فماكدونالد قال ما دام القضاء رفض فأنا لا أحب أن أدخل في مناقشات على صفحات الجرائد ٠٠ » ويمضي ابراهيم الهلباوى قائلا ٠٠ رجعنا الى الاجبشيان جازيت فاذا هي تقول :

انى لا أحب أن أدخل معك فى مفاوضات ومجادلات على صفحات الجرائد : يعنى انتهى كل شىء ، أى أن عبود هرب من الجدل ، مع ماكدونالد ، وهذا يؤكد ويؤيد رواية على باشا ماهر ، وعبد المجيد باشا عمر ، وحافظ عفيفى ، وبعد أن يقدم للمحكمة نسخا من صحيفة الاجبشيان جازيت يقول : يبقى ماكانشى ناقص الا نجيب جبرائيل وميكائيل واسرافيل علشان يشهدوا على عبود باشا : ثم يقول: لكنهم قالوا ان هذا لايكفى وان هناك سيفا يقطع الرقاب : ايه ؟ قالوا دا عبد الفتاح باشا طلب أن تحقق هذه الاشاعات : يادى العار !! أنا أفهم انه لو كان الباشا عايز يطهر سمعته كان ياخد له اجازة يقعد عندنا فى الغيط كام يوم ؟ ..

★★★

لكن الوزير لازق لزقة فوزى فكون عبد الفتاح باشا طلب التحقيق له مغزاه ومعناه انه شاعر ان هناك فضيحة لحقت بسمعة البلد ، وقد جرى العرف ان رئيس الوزارة بالرغم من انه مسئول الا ان هناك جهات أخرى لها صوت فى شكل الوزارة ففى حادث البدارى الذى خرج فيه على ماهر باشا وعبد الفتاح يحيى باشا وكل الجرائد كتبت اجماعا ان من ضمن الوزراء الذين يراد التخلص منهم ابراهيم باشا وفى آخر وقت رأينا ابراهيم باشا كريم بقى لسه وزير :

★★★

طبعا دى شىء غريب ، وكل ما استطاع صدقى باشا أن استشفع ، فى ألا يبقى ابراهيم باشا فى وزارة الأشغال وأجبروا خاطرى وزحزحوا ابراهيم فهمى عن وزارة الأشغال ، علشان الاشاعات المتطايرة حوله فى كل مكان ورأينا فعلا ابراهيم فهمى ينقل الى المواصلات ، وهذا دليل على أن اسماعيل باشا قبل كريم باشا فى الوزارة الجديدة على مضض ، وصدقى باشا لم يكن حديث عهد بسوء الظن بابراهيم باشا بل كانت مسألة قديمة فعندما ألف وزارته الأولى لم يكن ابراهيم باشا فى الوزارة بل كان حافظ باشا حسن وزير زراعة وأشغال ، وبعد أسبوعين لقينا ابراهيم فهمى تزحلق فوق وزارة الأشغال فهذا دليل جديد على أن الشبهة فى عدم صلاحية ابراهيم فهمى فى نفس صدقى باشا كانت شبهة قديمة متأصلة لأن دول مش بيلعبوا سيجة يشيلوا كلب ويحطوا كلب : أبدا ! دول وزراء مسئولين عن حكم البلد وقد ذكر لكم عبد المجيد باشا انه على اثر هذه الاشاعات أخذت انجلترا على عاتقها ألا تستقل بمشروع جبل الأولياء .. وقد قرأتم مذكرة عبود ، التى يبكى فيها على عهد كرومر ، ويقول أنه خير ضمان للخلاص من هذا العذاب الأليم وفى سنة ١٩١٩ ، وما بعدها يقول ، اوعوا تتفقوا مع الانجليز ، أحسن دول عايزين يستعبدوا ، المصريين ، وشفتوا ، النفاق : قلت لكم انه رجل بوشين هنا بوش وهناك بوش قال لكم شفيق باشا ، ان عطاء عبود زيادة عن جيبسون ٢٤١ ألف جنيه وهذا الرقم مقارب للثلاثمائة

ألف جنيه التى قيل أنها طلبت لثلاثة موظفين فى الحكومة المصرية : دى بنت عم دى تمام !! يبقى ده دليل ، على صحة الرواية ، وشفيق باشا قال لكم ان فيه حملة حملتها عليه البلاغ فمن سنة ١٩٣٢ والراجل جاى والنار حرقاه بعد ٥٠ شهر وجاب لكم مجموعة من الجرانيل التى نهشت فى سمعته وهو راجل نزيه كفء مشهود له من الجميع وقد انتهى أمر جبل الأولياء الى قبول عطاء ، جيسون ولكن بتحفظات ليه ابراهيم باشا قال ده شخص والأشخاص معرضة للموت فمجلس الوزراء قرر بفضل العالم ، الفاضل ابراهيم كريم أن جيسون لازم يكون شركة : أهى دى الصداقة صحيح ، وبذلك ظل الباب مفتوحا ثلاثة أسابيع وبعدها يحلها ربنا !! حتعملوا ايه شفيق باشا قال لكم أن زكى الابراشى عمل له تليفون الساعة ٨ صباحا : يا سلام داحنـا يا متهمين ما بنجيش الا الساعة عشرة وأنا بعد شهادة شفيق باشا ، سمعت أن الابراشى قعد ١٣ يوم يروح وزارة الأشغال ، وشفيق باشا يؤدى شهادته فى مارس ، والبلد قايمة قاعدة علشان تدخل الابراشى ، دى قلة ذوق ٠

وشفيق باشا ، ظل يروى النا حاجات عن الدستور ، من قبل هو ما يبقى وزير تقولش عبد الحميد بدوى باشا ، الثانى قصد يقول لكم ، عن حق الملك فى حضور جلسات مجلس الوزراء لماذا تزجون بجلالة الملك فى مسائلكم ! قل ان الابراشى باشا نفسه جاءك من غير أن تزج بجلالة الملك ٠

ويقول رئيس الجلسـة ، وقد أحس أن الهلبـاوى يوشك أن يدخل فى الممنوعات : العطا مارسى على جيسون وانتهى ويقول هلباوى ٠ ما كنتم تقولوا لى دا من زمان : طيب خلاص ، انتهينا ، أنا بس حبيت أبرهن لكم على مساعى عبود باشا » ، ويستدرك الهلباوى قائلا : فاننى أقول لكم أن عبد العظيم باشا راشد ، عين لوزارة الأشغال وما رضيوش ، يحطوا فيها ابراهيم فهمى ، كل هذه أدلة على انهم أرادوا أن يبعدوا أخينا علشان مايعكرش جو النزاهة ! وعن التعويضات التى طالب بها المدعون بالحق المدنى من حفنى محمود : عبد الفتاح يحيى باشا ، لم يطلب شيئا ، وعبد العظيم باشا راشد كذلك : عبود طلب عشرة آلاف وكريم باشا ، كذلك ، وحتى على المنزلاوى طلب قرش صاغ : جرفوه وياهم مسكين ، ثم يقول : سمعتم من عبد المجيد باشا عمر ، وهو يتكلم عن الرشوة ٠ انها مسألة مش مهمة ، هذا دليل ، على أن الأخلاق قد انحطت الى حد بعيد ، حتى الامتحانات لم نسمع بحصول سرقة أسئلتها وتوزيعها على التلامذة : الا فى ذلك العهد السعيد : كانت عدوى ، سرت من الوزراء ، الى الموظفين ، الصغار » ٠

ويمضى ابراهيم الهلباوى يعدد ، كل مساوىء ، العهد البائد ويقول ضمن ما يقوله : من أثار هذا العهد الذى لا يحترم استقامة ولا فضيلة ، كان عندنا مأمورين أقسام من القاهرة ، وبعض الأقاليم نسبت اليهم تهم مخلة بالشرف وحكم عليهم تأديبيا بالفصل من الحكومة فلما جاء عهدهم « السعيد » أعادوهم

الى الحكومة . واللى عارض فيه رسل باشا ، أخذوه فى الجان حزب الشعب : الموظفين الذين فصلوا للرشوة عادوهم : اللى هيص فى الانتخابات أخذوه فى الحكومة ولما ثبتت عليه الرشوة ، حكموا بتنزيله درجة ، يا سلام .. يا سلام ، هذه مفسدة لأخلاق الموظفين » .

وتبقى بعد ذلك كله فقرات هامة جاءت فى نهاية مرافعة الاستاذ أبراهيم الهلباوى فى قضيتى نزاهة الحكم نلخصها فيما يلى ، يقول الاستاذ الهلباوى :

« ظهر فى وزارة الداخلية أن أمضاء الوزير مزور والقضية أمام النيابة وهـذا لا يقع الا فى الحكومة التى تسقط هيبتهـا : هـل سمعتـم يا حضرات المستشارين أن كاتبا يجترىء على تزوير كالذى ارتكبه موظفو المعارف لكن العهد كله كان عهدا فاسدا ، والعدوى سرت من الكبار الى الصغيرين فاذا كان الأب يسكر لازم الأبن يطلع يسكر . غير كده ، الحكماء ، والصيادلة ، أصبحوا شركاء قطاع الطرق هذا دليل على أنه كان عصرا موبوءا اسقطنا جميعا فى عبادة المادة »

***

ويقول ابراهيم الهلباوى :

« فيه كلمة جرحتنا فى دفاع عبود باشا وهى أنه يتمنى عـــودة العهـد الكرومرى ، وهذا لا يجوز لأن عهد كرومر وان كان فيه حسنات الا انه كان جرحا ، واذلالا ، للكرامة المصرية : كان الوزراء « اسم على غير مسمى » وأنا لو خيرت بين وزير انكليزى يحكم بالقسطاس المستقيم : والا واحد زى ابراهيم باشا فهمى ويكون مصرى لفضلت ابراهيم فهمى مائة ألف مرة . لانى واثق من أن حكم المصرى خير ، مهما كان « من الحكم الأجنبى والا كنت خائنا لوطنى » خصوصا بعد هذا التجارب المؤلمة .

« خيانة للوطن وللعزة الوطنية ان نقول علشان ابراهيم فهمى والا عبود انتم عاوزين نرجع للعهد الكومرى صحيح ، أن هذا ليس عجيبا فى التاريخ : ليس عجيبا ان ينسى بعض الكبراء هذا الواجب المقدس فى سبيل شهواتهم ولكن ظهور واحد ظالم فى مصر ، مش معناه أن المصريين كلهم كده ..

« عار علينا اننا بعد خلاصنا من هذا الجيش من الموظفين الانكليز نرجع الآن ونطالب بعهدهم : وهل معنى الحياة الدستورية ان يكون أبناء الأمة كلهم قديسين : أبدا انما معناه ان الواحد اذا أخطأ يجد من يرده ، وهذه الخطايا وألعن منها كانت موجودة فى أيام الحكم الانكليزى ، والادارة الانكليزيـــة : حادث فلبيدس ، مثلا ، وقعدنا نترافع فيها شهور والقسوة التى نعيبها على العهـد الماضى . ولا يمكن أن ننسى حادث البلينا : ناس مشبوهين طاردوهم ، وحرقوهم فى أودة ، ما حدش قال هاتوا ايطاليا تحكم بدال الانكليز : من حق وطنى أن

أسجل ان الاضطهاد والظلم وصل الى انه فى عهد كرومر ، أرادوا ان يجعلوا القضاء الجنائى من دور واحد وكان فى ذلك الوقت اثنين وعشرين مستشار ، اغلبهم انكليز ، واتفقوا عليه الا اثنين قالوا : ان اختيار القضاة يجب أن يكون من حق الجمعية العمومية ٠

« أتدرون ماذا كان جزاؤهما ، كان كل المستشارين بياخذوا ٨٥ جنيها ، وسعد زغلول ، وقاسم أمين ، كانا يأخذان ٦٠ لانهما عارضا المشروع » ٠

ويعلو صوت الهلباوى : ويصرخ قائلا :

« نحتج على هذه التصرفات لانها تقتل كفاءة المصريين : صحيح ان الانكليز ، عندهم معدات التنظيم والاصلاح ، أكثر منا لكن يجب الا ننسى العزة القومية ، والكرامة المصرية ٠ فى عهد الاحتلال كان ايراد مصر نحـــو ٤٦ مليون جنيه والاصلاحات التى جرت فيها خلال أربعين سنة كانت نصف الاصلاحات التى جرت فى الثلاث عشرة سنة التى حكمنا فيها أنفسنا ٠

« والذى يدلكم على أن مصر كسبت باستقلالها ان وزارة المعارف كانت فى سنة ١٩١٢ تشرف على ١٨٦ ألف طالب بما فيهم مدارس مجالس المديريات : كان فيه ست مدارس عالية فأصبحت الآن ٨ بخلاف الجامعة وكلياتها ، طلبة الجامعة كانوا ١٩٠ طالبا وفى عهدنا الحاضر ٢٦٠٠ طالب وزيادة ٠

« الآن الحياة دخلت فى دور جديد ، وعندنا الآن ٨٩٠ ألف طالب ، فالأمة التى تنهض هذه النهضة أو ليس عزيزا عليها ان يقوم واحد من أبنائها ليطالب بالعهد الكرومرى ؟

« النهضة الصناعية مثلا : بنك مصر ، هل قام الا بأموال المصريين » ؟!

ويقول الهلباوى ، وهو يحتج على هذا الكلام ، الذى ورد على لسان عبود ، وعلى لسان بعض المحامين :

« ولما كان هذا الكلام قد صدر من أحد كبار المحامين فانى بصفتى أكبرهم سنا وأقدمهم عهدا أعلن احتجاجى على هذه العبارات ٠٠ اخلاصا لارواح الشهداء الذين ذهبوا ضحية : أعلن احتجاجى باسم أولئك الابطال الذين سيقوا الى المحاكم العسكرية مدة الثورة ، ولما حكم عليهم بالاعدام صاحوا : « لتحيا مصر » قال، هذا حمد الباسل ، ومرقس حنا ، وويصا واصف ٠

★★★

« هذه الأرواح واجب علينا ان نمجدها ونذكرها ٠ قالها أيضا عبد الرحمن فهمى بك ، لما حكم عليه بالاعدام فصار عنوانا لكل مصرى يناله الاضطهاد : فهل يليق بنا أن ننسى هذا كله » ٠

ثم يقول الهلباوى بك :

« وبعد ذلك ، لا تحكموا ببراءة حفنى لأن فى هذا الحكم اضرارا بسمعة البلد : هذا كلام فارف : مصر مهد الأنبياء من قديم الزمن لا يقال انه اذا خرج أحد أولادها وسلك طريقا سيئا ، كعبود تبقى ·· وياريت عبود كان وطنى مصرى خالصردا طول عمره ، فى انجلترا ، وعبود لما أراد أن يأخذ أموالنا برضه لجأ الى الأسماء الانكليزية : راستم عبود : جاكسون عبود : ثورنيكروفت عبود

« هل هذا هو الذى اذا حكمتم ببراءة حفنى من أجله ، تكونوا قد خربتم مصلحة الوطن ؟ · دى لى سيبس كان رجلا عظيما انتهى نهاية سيئة ومع ذلك لم يؤثر فى فرنسا ·

★★★

« فى ألمانيا لا نرى مثل عبود · بس لو حصل ان ١٩ بنك ألمانى أفلسوا فى شهر ولما طلعت الجرائد الفرنسية تشنع على المانيا ، جاء الرجل العالم فى كلية الاقتصاد وقال : ليس هذا دليلا على أن ألمانيا شاخت » · « وان الخيل ، التى تكسب فى السبق هى التى تشعر فى النهاية بتعب » ·

ويخاطب ابراهيم الهلباوى هيئة المحكمة أخيرا بقوله :

« فى أعناقكم يا حضرات المستشارين تطهير البلد من هذه الزوبعة وهذا مرض ليس عضالا ، وأنتم أطباء اختصاصيون ونحن نطلب أن تحكموا بما يطهر البلد » ·

★★★

وقبل أن أنهى الحديث عن ابراهيم الهلباوى ومرافعته ، يسعدنى أن أستاذنا الكبير حافظ محمود نقيب الصحفيين الأسبق ، والصحفى الذى رأس تحرير صحيفة « السياسة » لسان حال الأحرار الدستوريين ، بعد اشتراك د· محمد حسين هيكل فى الوزارة ، وبعد رئاسته لحزب الاحرار الدستوريين ، يسعدنى انه زارنى وسلمنى الكلمة التالية :

أخى صبرى أبو المجد ··

« جعلتنى أشعر بالذنب وأنت تعلق على مرافعات الهلباوى فى ذكريات ما قبل الثورة بقولك « لعلها تكون تحريضا لبعض زملائنا من الكتاب ورجال القانون ليكتبوا عن الرجل العظيم حقا » ·

« فأنا مدين للهلباوى بالبراءة فى احدى القضايا الصحفية ، وأنا لم أنكر هذا الدين حينما أشرت فى ذكرياتى عن هذه القضية ، لكننى اعترف اننى لم

أوفه حقه ، وكنت أنت أشجع من كتب عن الهلباوى لتجلو صورته الحقيقية أمام الناس » ٠

« ان هناك صورة قاتمة تلاحق اسم الهلباوى هى صـــورته فى موقف « المدعى العام » فى « قضية دنشواى » وهذه حقيقة لا نستطيع أن ننكرها ٠٠ وقد كان أقرب الناس اليه لا يجرؤ على مفاتحته فى هذا الموضوع المثير ٠٠ لكننى استخدمت مرة بلاهة الصبى أمام جبروت أبوته ٠ وسألته فى مجــلس خاص بمنزله : لماذا قبلت القيام بهذه المهمة ؟

« وتكهرب جو المجلس كله ضـــدى ، لكن الهلبـــاوى ، يرحمه الله ، قال لجلسائه : اسكتوا انتم ، فهذا فتى من جيل آخر ومن حقه أن يعرف الحقيقة ، وهى الحقيقة التى أسجلها هنا لأول مرة :

قال الهلباوى : « هناك سر يجهله البعض والذين يعرفونه لا يعلنونه ، وهو أننى لم أكن مختارا فى هذه المهمة ٠٠ فحادثة دنشواى تبعها انذار سرى لمصر الرسمية ، وكان من تفاصيل هذا الأنذار أن يجلس فى كرسى الأدعاء أكبر محام فى مصر ، الى جانب مواصفات أخرى ، ان لم تنفذها مصر الرسمية فسوف تقوم القيادة البريطانية بكيت ، وكيت ، فالرسميون فى ذلك الوقت سعوا الى لقبول هذه المهمة اتقاء لشرور أخرى ، فلم يكن فى مقدورى أن أرفض »

***

اما القضية التى أنا فيها مدين للهلباوى بالبراءة ـ فلها قصة طريفة ٠

فى ثورة شباب سنة١٩٣٥ كنت متهما مع زميل آخر فى قضية صحفية ٠٠ وكانت السلطات قد ضاقت بالشباب والطلبة الذين يحتشدون فى ساحة المحكمة فى أيام جلسات المعارضة فى قرار حبسنا على ذمة التحقيق ، فابتكرت « الادارة » شيئا جديدا هو أن تنظر هذه المعارضة بعد انتهاء العمل فى قاعات المحكمة ، وبعد أن ييأس الشباب من احضارنا من سجن « الاستئناف » فينصرفوا ٠

وجىء بى أنا وزميلى الاستاذ محمود حجاج « المستشار فيما بعد بمجلس الدولة » والساحة كلها خالية ، وبينما كنا نصعد درج دار القضاء بميدان باب الخلق للوصول الى مكتب رئيس محكمة مصر ـ وكان اذ ذاك محمد محمود النبوى باشا لنظر المعارضة فى سكون ودون وجود أحد من المحامين ـ التقينا فجـــأة بالهلباوى يهبط الدرج فى طريقه الى الخارج ٠

فلما بادلناه التحية سألنا : ماذا تفعلون هنا فى هذه الساعة ؟ ٠ وما أن علم بقصتنا حتى سلم أوراقه الى من كان معه قائلا لنا : أنا حاضر معكم ٠

حضر معنا وهو لايعلم تفاصيل القضية ، وقال لرئيس المحكمة : « يكفى

اننى أعلم أن هذين الشابين محبوسان فى قضية رأى ، وهو أمر يحتم على أن أترافع ، لا عن هذين الشابين ، بل عن قدسية قضائنا ، لاننى أرى أن حبس ذوى الرأى على ذمة التحقيق أمر يمس هذه القدسية القضائية » ٠

ومازال الهلباوى يترافع بهذه النغمة حتى قال له النبوى باشا : « ياهلباوى بك حرام عليك » فرد عليه الهلباوى قائلا : « حرام عليك أنت أن تجلس فى أرفع كراسى القضاء المصرى العظيم وأمامك اثنان مثل أولادك يودعان فى زنزانة قبل ان تصدر أنت حكمك عليهما لمجرد انهما كتبا كلمة ترددها الملايين علنا » ٠

وأصدر القاضى الكبير حكمه بالافراج عنا ، وأبى الهلباوى أن يبرح المحكمة قبل أن نبرحها ٠٠

ان من حق أى انسان أن ينتقد الهلباوى ، وقد كنت يوما من ناقديه ٠٠ لكن علينا ألا ننسى أن هذا الرجل كان فى مقدمة الذين أرسوا قواعد مهنة المحاماة العظيمة فى مصر ٠٠ لقد كان على رأس الدعاة لانشاء نقابة المحامين ، فلما أنشئت فى سنة ١٩١٢ كان أول من انتخب نقيبا للمحامين بالاجماع ، وظل يشغل هذا المركز حتى خلفه فيه رائد القانونيين جميعا « عبد العزيز فهمى باشا » ولعل من الطرائف المجهولة أن عبد العزيز فهمى حينما تخرج فى مدرسة الحقوق قضى جانبا من فترة التمرين بمكتب الهلباوى ٠٠ ثم اشترك مع « لطفى السيد » فى مكتب واحد » ٠

★★★

وبعد تعقيب الأستاذ الكبير حافظ محمود نعود الى قضيتى نزاهة الحكم ، فبعد أن انتهى الأستاذ ابراهيم الهلباوى من مرافعته ٠٠ ترافعت النيابة ٠٠ كما ترافع المدعون بالحق المدنى ٠

والجدير بالذكر أن ممثل النيابة العامة عمر عارف قد أشاد فى بداية مرافعته بهيئة المحكمة وحسن اصغائها وجميل صبرها ، فلقد طالت المرافعات وظل القضاة على اصغائهم فلم يحرم قائل من قول ٠ وكان ممثل النيابة العامة قد قال فى بداية مرافعته أيضا « ما جئنا لنحاكم حزبا ولكنا نخاصم جريدة السياسة ومحررها المسئول حفنى بك ٠٠ وقال عن جرائم النشر ، انها فيما يخل بالأمن العام ، لا تقاس بما تقاس به جرائم القذف التى تقع على فرد لا شأن له بالحكومة ولا يهم أمره المصلحة العامة فهو وحده ، الذى يقدر وجه الضرر ، الذى يلحق به فقد يرى أن يسكت وقد يرى أن يبلغ ثم هى — أى جرائم النشر — نهر أركان الطمأنينة ولم يعلق القانون تحقيقها على ارادة المجنى عليه كما علقها على ارادة الزوج ، « المخون » فى أهله : ولارادة الزوج الذى لا يريد الاستمرار

فى القضية الخاصة بزوجه من معانى الستر الذى لا يضر الناس ، ولا يغضب القـانون » .

ويعود الدفاع ، ليعقب بدوره على مرافعة النيابة ومرافعة محامى المدعين بالحق المدنى ومن بين ما قاله سابا حبشى بك « أنا نطلب البراءة بناء عـلى اعتبارين جوهريين : الأول ان جرائم القذف والسب المنسوبة اليه غير متوافرة الأركان ، لانها ينقصها الركن الأدبى ، ويكفى لتبرئة حفنى ان تتبينوا انه قصد الى غاية عليا فلم يكن لديه هذا القصد الذى أشار اليه القانون . والثانى ان الوقائع ،التى ذكرها حفنى صحيحة وقد قطعت وقتا طويلا فى اثبات ذلك وكل من هذين الاعتبارين كاف لبراءة حفنى » .

***

وكان مما قاله الاستاذ محمد توفيق خليل : « ان النيابة قاض كبقية القضاة ولذلك فلم يكن خليقا بها أن تطرق باب الوزير عندما أرادت سؤاله » .

ويختتم الاستاذ محمد توفيق مرافعته القصيرة بالتوجه الى هيئة المحكمة : « الذى أريده ان تسجلوا فى حكمكم أن وزراء الدولة ليسوا سادة البلد . وانما همخدامها : هذا ما اطمع فيه » .

وكان ختام مرافعة محمد كامل البنـدارى قوله : انا لا نطلب منكم أن تتخطوا القانون : اذا كنت ظلمت احدا ممن تقدموا ، لحضراتـكم تحت ستار الادعاء بالحق المدنى فأنا أول من يتقدم اليكم وانتم حماة ، العدل ، وأول من يغتبط لدفع هذا الظلم ولكن أؤكد لكم مخلصا اننى كنت متجها فى عملى وفى حملتى لمصلحة مصر ، ومصلحة مصر ، وحـــدها ، ولم نكن نعرف ان القـدر يخبىء لنا هذا أبدا وانما كانت عقيدتنا الأولى والأخيرة اننا ندافع عن مصر ، ومصلحة مصر ، واننا نقف الآن مغتبطين وسأهنىء قومى وادعوهم الى مواصلة جهادهم ، الموفق لرفع الضرر والأذى عن البلاد ، وسأترك ساحتكم وأنا مغتبط بأداء هذا الواجب أى اغتباط » .. وقد طلب الأستاذ البيلى « أن يكون حكم القضاء فيصلا بين حفنى بك وخصومه وان تضع المحكمة بهذا الحكم حدا لهذه التصرفات المعيبة ، التى قام بها أولئك الموظفون الذين ائتمنوا على أموال الدولة، التى تجبى من عرق الفلاح فبددوها ذات اليمين وذات اليسار بلا حساب » . وقال الاستاذ البيلى : « اننا نرجو أن يكون فى حكم المحكمة اشارة الى تصرفات النيابة والاجراءات التى اتخذتها لأن النيابة سلطة خطيرة يجب فى كل الظروف والأحوال أن تكون بعيدة عن كل تأثير ، خارجى ، الا ما تقضى به مصلحة الدعوى العمومية ، التى هى أمينة عليها » . والطريف ان الاستاذ البيلى قدم الشكر ، فى ختام مرافعته لسكرتير الجلسة ، الممتاز حقا الشـــاب الأديب عبد الرحمن أفندى سلامة ، وللاستاذ أمين الدرملى مندوب وزارة الأشغال الذى ظل طوال

مدة نظر القضية ملازما للجلسة لتقديم كل ما يطلب من الملـــفات والأوراق ·
والطريف أيضا ان مناقشات حامية دارت بين الاستاذين محمد كامل البنداري احد المحامين عن الاستاذ حفني محمود ، ومرقس فهمي المحامي عن عبود باشا وكادت المناقشات الحامية تترك أثارا سيئة في نفسي الزميلين الكبيرين ، لولا ان المتهم حفني محمود نجح في ازالة ما بين الاستاذين البنداري ومرقس حنا ·

★★★

ثم تتاح ، الفرصة للاستاذ حفني محمود « المتهم » فيلقى بيانا أخيرا وبذلك تنتهي كل المرافعات الخاصة ، بقضيتي نزاهة الحكم ·

وتحدد المحكمة يوم ٢١ مايو عام ١٩٣٥ للحكم في الدعوتين · واستسمح القارىء — وللمرة الأخيرة — في أن انقل ما جاء في عدد « السياسة » الصادر في يوم الأربعاء ١٦ صفر ١٣٥٤ هـ · ٢٢ مايو ١٩٣٥ م · خاصا بحكم محكمة جنايات مصر في قضيتي نزاهة الحكم : « لم نشهد منذ بدء نظر هاتين القضيتين جلسة بلغ من اهتمام الجمهور بها اهتمامه بجلسة الأمس ، فمنذ انتصفت الساعة الخامسة والجماهير تفد الى سراى المحكمة تباعا من جميع الطبقات وتحيط بقاعة الجلسة في انتظار السماح لهم بالدخول : ويظهر ان حكمدارية بوليس العاصمة ، كانت تتوقع هذا الاهتمام من قبل ، فقد رأينا في ردهات المحكمة ثلة من رجال البوليس لم نشهد من قبل أكثر منهم وعلى رأسها حضرة الصاغ حسن الصاوى مأمور قسم الدرب الأحمر ، وحضرة الضابط اليوزباشي عبد الرحمن عبود والملازمان الأولان ، سيد أفندي الخولي ، ولبيب أفندي المنيري والملازم الثاني مراد أفندي خيري ومعهم قوة من بوليس الدرب الأحمر وأخرى من بلوك الخفر ، وما كادت القاعة تفتح حتى انهمر سيل الحضور ، فاحتلوا جميع المقاعد ، وقفص الاتهام ولم يتركوا في القاعة مكانا لقدم ، وكان في مقدمة الذين حضروا جلسة الأمس لأول مرة في تاريخ القضية بعض حضرات مراسلي الصحف الأجنبية وقد علم مندوبنا ان حضرات المستشارين الذين تتألف منهم الهيئة لم يغادروا مكانهم منذ الصباح الباكر بل تناولوا غداءهم في سراى المحكمة وانهم قضوا الوقت كله في المداولة وفي الساعة السادسة دخلت هيئة المحكمة ونطق الرئيس بالحكم الآتي :

★★★

« حكمت المحكمة حضوريا ببراءة حفني بك محمود ورفض الدعاوى المدنية كلها قبله وقبـل محمود باشا عبـد الرزازق وألزمت المدعين بالحق المـدني بالمصاريف » · وما كاد حضرة الرئيس يفرغ من تلاوة هذا الحكم حتى دوت أرجاء القاعة بعاصفة من التصفيق الحاد ، وهتف الحاضرون بأعلى أصواتهم بحياة القضاء العادل ، وبحياة حفني محمود بك وجريدة السياسة · وأقبلوا جميعـا

يهنئون بعضهم بعضا ، وخرج الحاضرون من قاعة الجلسة فى مظاهراتهم الحماسية ، وهتافهم يكاد يشق عنان السماء ، وركب الكثيرون منهم سيارات جعلوا يطوفون بها المدينة وهم يهتفون بحياة « القضاء العالى » وكان الاستاذ حفنى بك محمود فى دار السياسة ينتظر صدور الحكم ، واقبلت الجماهير عليه مهنئة له ، مهنئة شعب مصر ، بقضائها العادل ·

وفى اليوم التالى كانت افتتاحية السياسة تحمل العنوان التالى « عيد الأمة كلها ، لا عيد الصحافة وحدها » وكان من بين الفقرات التى وردت فى ذلك المقال :

« فى مصر كلها غبطة شاملة وسرور عام ، حيثما ذهبت لقيت الناس يتحدث بعضهم الى بعض ويهنىء بعضهم بعضا : غبطة صادقة مصدرها القلب لا شىء البتة من معنى التظاهر فيها ، انما هى غبطة الرجل شفى ولده أو عاد عزيز عليه من سفر · وغبطة الأم ، بفوز ابنها ونجاحه · هذه الغبطة الشاملة ، وهذا السرور العظيم سببهما الحكم الذى صدر أمس الأول ببراءة رئيس تحرير « السياسة » فى « قضيتى نزاهة الحكم » ·

« لقد اقترح بعض اخواننا الصحفيين ان يجعلوا يوم ٣١ مايو من كل سنة عيدا لحرية الصحافة وان يقيموا فيه أفراحهم ومظاهر ابتهاجهم والحق ان الصحافة ليست وحدها هى التى كسبت هذه الموقعة العظيمة ، وانما كسبتها مصر كلها ، لتكن هذه الأيام حدا فاصلا بين ماض لن يستطيع الذين نكلوا بالأمة فيه أن يدافعوا عما فعلوا به وبين مستقبل نرجو ان يكون مضيئا بنور الحرية والحق ، والعدل والنزاهة ·

★★★

وقد ظلت البلاد حقيقة فى فرح لا مثيل له : ظلت « السياسة » لأيام عديدة تنشر الكثير من أصداء ذلك الفرح الشامل ، كما ظلت أيضا تنشر ألوف البرقيات التى انهالت عليها ، وعلى حفنى محمود مهنئة بالحكم العادل · وكانت السياسة قد نشرت فى اليوم الذى زفت فيه حكم البراءة الى الشعب مقالا رائعا بعنوان : « فى مصر قضاة وفى مصر خلق ونزاهة » قالت فيه : اللهم ما أعظم عدلك ، ستة عشر شهرا ، انقضت منذ بدأت النيابة تحقق مع السياسة فى قضية نزاهة الحكم ، وقد بدأت هذه الشهور الستة عشر فى جو سياسى حالك الظلمة لا يعرف أحد متى تنقشع غيومه ، ومتى تتبدد سحبه ، ثم كانت هذه القضية كلما تقدم التحقيق فيها بعثت فى هذا الجو القاتم أملا من ضياء · فقد كان الصراع العنيف بين الحق والباطل ، وبين الظلم والعدل ، الصراع الذى ارتدى الباطل فيه ثوب القانون والذى تسلح فيه الحق بسلاح الكرامة والشرف فلما قدمت القضية الى محكمة الجنايات وقفت النيابة مع الأسف تريد ان تحول دون ظهور الحق

فتطلب الى القضاء ان لا يسمع شهادة شاهد ، ولا أن يضم ملفا وتذيع بلسان الأمين على الدعوى العمومية انها بذمة القاضى قد فحصت الملفات فلم تجد دليلا وقد سمعت من سمعت من الشهود فلم تجد لسماع غيرهم محلا ، ثم ان قضية نزاهة الحكم هذه معول قوى يهدم ركن العهد الماضى فيريد ذلك العهد ان يتخذ من القضية ومن القضاء وسيلة للبقاء فيأبى الله الا أن تكون القضية هى سبب مصرعه ، وسبب مطلع نور الحرية ، وسبب القضاء على قوانين الظلمة والظلم التى كانوا يريدون بها الا يظهر حق أو ينكشف نور و ٠٠ و ٠٠ » ٠

★★★

وتساءل « السياسة » فى ختام مقالها :

« والآن ماذا بعد هذا الحكم ؟ أفيسدل الستار على ما تكشف التحقيق فى القضية عنه من المآسى ، أم ترى الحكومة واجبا عليها تعيين لجنة تحقيق مستقلة نزيهة تحدد المسئوليات والمسئولين ، فلا ريب فى أن لهؤلاء السادة الذين دمغهم حكم القضاء ، انصارا وأعوانا ، ومن الخير ان ينكشف هؤلاء الانصار والاعوان اذا أريد أن تطهر الأداة الحكومية فعلا من الفساد لقد كان فى قضيتى نزاهة الحكم من العبر مالا يمكن السكوت عنه ولكننا نقف اليوم عند اغتباطنا بحكم القضاء حكما تفاخر به مصر ، غيرها من الأمم ، وعند تسجيل ما دل عليه الحكم ، من أن فى مصر ، قضاة ، وان فى مصر ، خلقا ، ونزاهة ٠

على أن فلبيدس منشىء مدرسة البوليس السياسى فى مصر وقد أشار اليه الهلباوى بك فى مرافعته هو فى حد ذاته ، ظاهرة خطيرة تستوجب أن يكون لنا معه أكثر من وقفة فى الفصل التالى لأنه ـ فى رأيى ـ من أركان الفساد السياسى فى مصر ٠

الفصل السابع

جورج فلبيدس

منشىء مدرسة البوليس السياسى فى مصر

ولكن من يكون فلبيدس هذا الذى ورد ذكره أكثر من مرة والذى كان له دور سياسى ، بوليسى هام أثر على مجريات الأحداث فى بلدنا فى الفترة التى سبقت الحرب العالمية الأولى حتى انتهت أسطورته بفضيحة مدوية ؟

سألنى كثير من القراء ، وخاصة الشباب منهم : من يكون جورج فلبيدس الذى ورد اسمه فى سنوات ما قبل الثورة ٠٠ أكثر من مرة باعتباره أحد اعمدة الاحتلال البريطانى فى مصر والذى سبق للأستاذ ابراهيم الهلباوى أن أشار الى اسمه فى مرافعته التاريخية بوصفه من دعائم الاحتلال البريطانى لمصر ؟

***

وجورج فلبيدس يونانى متمصر ، أقام بمصر فترة طويلة وحصل على الجنسية المصرية ، ولأنه كان يجيد اللغة الانجليزية اجادة تامة كما يجيد ـ أكثر ـ استخدام كل وسائل ، التملق والتزلف للحكام ، البريطانيين ، فقد عينوه مترجما بالسلك الحكومى ثم اختاروه بعد أن أثبت وفاءه وولاءه للاحتلال البريطانى رئيسا للمكتب السياسى الذى أنشىء عقب مقتل بطرس غالى باشا ، ومنذ انشاء هذا المكتب راح جورج فلبيدس يدس أنفه ورجاله فى كل مجالات العمل الوطنى لا للحصول على الأخبار وانما لاختيار العناصر الضعيفة من العاملين فى الحقل الوطنى واستخدامها كجواسيس على الآخرين واستخدامها أيضا فى « فبركة » القضايا السياسية الهامة : التى يراد من وراء « فبركتها » ضرب الحركة الوطنية ، والزج بالشباب الوطنى الى السجون والمعتقلات ٠

***

يقول الأستاذ محمود العربى ـ أحد المتهمين فيما سمى بمؤامرة شبرا عام ١٩١٢ ـ عن جورج فلبيدس : ما أن قتل المرحوم بطرس باشا غالى بيد

ابراهيم أفندى ناصف الوردانى حتى خيل للحكومة ان فى هذا القتل مؤامرة كبيرة ، أو حركة قائمة يقصد بها بعض الشباب الوصول الى أغراضهم وآمالهم عن طريق القتـل السياسى ٠ فلم تدخر وسعا فى انشـاء ما سمته « المكتب السياسى » ووضعت على رأسه بطبيعة الحال جورج بك فلبيدس ٠

والمكتب السياسى ، أو بعبارة أوضح مكتب استقاء الأخبار يحتاج الى عدد كبير من البوليس السرى والى نفقات باهظة تنفق بلا رقابة ولا مراجعة ولا بحث فى الوجوه التى انفقت فيها ، وكان هذا المكتب على هذه الصورة مورد ثروة جديدة لمثل فلبيدس بك : يهب ما يشاء لمن يشاء ويستبقى لنفسه ما أراد ٠

وبقى هذا المكتب السياسى يشتغل سنتين متتاليتين دون أن يكون له أثر فعلى أو نتيجة ظاهرة ، ولا شك ان هذا لم يكن ليرضى رجلا واسع الاطماع والآمال مثل فلبيدس فداخله شىء من الخوف فى تفكير الحكومة فى الغائه اذا ظل بغير فائدة ترجى منه فينضب هذا المعين الذى يفيض عليه الرزق بغير حساب : لذلك خالج نفس فلبيدس باعث جدى ، لخلق ما يمكن أن يجعل لهذا المكتب قيمة لا تعادلها أية قيمة أخرى ، وهل هناك قيمة أكبر وأجل وأعظم من أن يكشف المكتب مؤامرة كان يراد بها اغتيال حياة أكبر الرجال فى مصر ٠

★★★

تلفت فلبيدس يمنة ويسره فلم يلق أمامه بطبيعة الحال غير الحزب الوطنى ورجاله ظنا منه أنه يمكنه استغلال ما هو معروف عن ذلك الحزب من كراهية شديدة للاحتلال البريطانى ، ومن مناهضة له بكل الوسائل والطرق ٠ وقام فى ذهن فلبيدس ان يلقى فى روع أولى الأمر أن وسائل الحزب لمناهضة الاحتلال البريطانى قد تغيرت وانقلبت الى حالة من الثورية والفدائية التى يخشى على مستقبل البلاد وعلى مستقبل العرش منها واقتنع أولو الأمر بذلك وسرعان ما توطدت دعائم سلطة فلبيدس واتسع سلطان نفوذه على ما قد رأت الأمة المصرية فيما بعد ٠

« أراد فلبيدس أن يستخدم للدس والوشاية رجلا من الملتصقين بالحزب الوطنى فولى وجهه شطر « دار اللـواء » وأراد أن يستخدم لغرضـه محمد عبد السلام ، فلم يوفق فى اغوائه وتسخيره فى مهمة التجسس ثم ركن الى أحد رجاله وهو المدعو صالح شاكر الذى استطاع أن يؤثر فى شاب ضعيف الشخصية اسمه مصطفى كامل وهو شاب لا عمل له ، يحمل فقط اسم ، المغفور له مصطفى كامل باشا ، وبعد الحصول على مصطفى كامل هذا وبعد استغلاله أبرع استغلال ظهـرت « مؤامرة » شبرا التى ادعى أنهـا استهدفت اغتيال الخديو عباس حلمى الثانى واللورد كتشنر المعتمد البريطانى فى مصر

ومحمد سعيد باشا ناظر النظار ، ومحمد مجدى باشا ومستر دلبر أوغلى المستشارين بمحكمة الاستئناف ٠

***

والجدير بالذكر أن جورج فلبيدس قد ذكر فى شهادته أن المتهمين فى قضية مؤامرة شبرا « أمام واكد ومحمود العربى ومحمد عبد السلام قد أرادوا بايعاز من الحزب الوطنى قتل الخديو عباس حلمى الثانى لأن الحزب الوطنى يريد أن يضع مكان الخديو عباس حلمى ابنه الذى تربى على مبادىء الحزب الوطنى بواسطة والدته !! أما قتل رئيس الوزراء محمد سعيد باشا فلأنه عندما دخل الحكومة وقبل أن يكون ناظرا للنظار اتفق مع الحزب الوطنى على أن تتبع وزارته مبادىء الحزب الوطنى ولكنه أخل بالاتفاق عندما دخل الوزارة وباغتيال محمد سعيد باشا ــ كما قال جورج فلبيدس ــ يكون الحزب قد انتقم لنفسه من محمد سعيد باشا وأبعد عن الحزب تهمة التعصب ٠٠ أما هدف الحزب الوطنى من اغتيال كتشنر فهو اجبار الانجليز على التخفيف من سياستهم فى مصر » ٠

وفى مقدمة الوطنيين المصريين الذين لعبوا أدوارا خطيرة فى تاريخ الحركة القومية الوطنية المصرية ولم يعرف أحد شيئا عن هذه الأدوار الأستاذ عبد الوهاب البهرعى : كان أقرب الشباب الى مصطفى كامل ومحمد فريد : حرر أكثر مواد العدد الذى خصصته مجلة المجلات عن حادث دنشواى واشرف على تحرير جريدة القطر المصرى ــ وبحيل شيطانية ــ عندما سجن صاحبها ورئيس تحريرها الأستاذ أحمد حلمى بتهمة العيب فى الأسرة الحاكمة : هو الذى كتب سلسلة مقالات : « فلتسقط حكومة الفرد الواحد » أيام الخديو عباس حلمى الثانى ٠

***

وقد اشترك عبد الوهاب البهرعى فى قيادة ثورة ١٩١٩ فى مديرتى الدقهلية والغربية ، وحكمت عليه احدى المحاكم العسكرية البريطانية بالاعدام فهرب فى مركب شراعى من المنصورة الى حلوان حيث ظل مختفيا الى أن هدأت الأحوال : كان فى مقدمة الذين هاجموا ــ سعد زغلول وهو فى عنفوان قوته ، وفى أوج مجده ، وكان آخر مقالاته فى الهجوم على سعد زغلول بعنوان : « اللهم انتقم »٠

وقد أودعتنى أسرة المرحوم عبد الوهاب البرعى فى ١٩٥٥/٣/١١ بعض الأوراق التاريخية الخاصة به ، أحتفظ بها فى مقدمة ما أحتفظ به من أشياء ثمينة : وجاء فى تلك الأوراق عن جورج فلبيدس :

« كان جورج فلبيدس قد أصبح مأمورا لضبط القاهرة ٠٠ كانت امرأته على درجة رائعة من الجمال ، كان يقطن بأعلى مبنى قسم الموسكى ٠٠ كان هارفى

باشا حكمدار العاصمة صديقا حميما لجورج فلبيدس ولزوجته : استطاع جورج أن يصبح مركز قوة لا مثيل له فى مصر ، تحكم بما أوتى من سلطة لا بما أوتى من ذكاء فى حركات كل الوزراء : لم يكن أحد منهم يستطيع أن يغادر منزله الا بعد أن يستأذن من جورج فلبيدس الذى يوهمه بأنه سوف يعد الحراس والمخبرين و ٠٠ و ٠٠ وبعد ذلك يسمح جورج فلبيدس للوزير بأن يغادر منزله ، وكذلك عند عودة أى وزير الى منزله لا بد من اخطار جورج فلبيدس حتى يختار له الطريق الآمن وحتى يتخذ كل الخطوات التى تضمن سلامته ، ويعلم الله أنه ما تحرك من مكتبه ولا أمر باتخاذ أى شىء ما ، ولما تضايق جورج فلبيدس من نشاط الأستاذ عبد الوهاب البرعى ، أمر بحبسه مع بعض المتطرفين فى فناء المدرسة الخديوية ووضع معهم نفرا من أذنابه للتجسس عليهم واستخلاص نواياهم وأعمالهم ولكن جورج فلبيدس لم يستطع أن يحصل لهم ما يفيده هو شخصيا فأمر بنقلهم جميعا الى سجن طرة ، وأضاف عليهم بعض أذناب آخرين ولما يئست أسرة الأستاذ عبد الوهاب البرعى من الافراج عنه وخافت على صحته من أن تتدهور بسبب السجن الطويل ، لجأت الى السلاح الذى لم يكن لجورج فلبيدس أن ينكره ، ونعنى به سلاح الرشوة : كان الوسيط عند جورج فلبيدس زوجته فهى التى تتفق على المبلغ ، وهى التى تتناوله وهى التى تحدد موعد الافراج عن المتهم و ٠٠ و ٠٠ ذهب عم الأستاذ عبد الوهاب البرعى الى زوجة جورج فلبيدس ومعه صديق له اسمه الدكتور ماجد وسلماها ٢٠٠ جنيه مصرى ، وسرعان ما اتصلت تليفونيا بزوجها الذى أصدر أمرا سريعا بنقل الأستاذ البرعى الى قسم الجمالية ٠

★★★

وفى قسم الجمالية — فى مقر وكيل الحكمدار — كان الأستاذ / عبد الوهاب البرعى طليقا من كل قيد : اللهم الا ان يبيت فى القسم وبغرفة وكيل الحكمدار واستطاع الأستاذ البرعى عن طريق وجوده فى مكتب وكيل الحكمدار ان يطلع على جميع التلغرافات التى كانت ترد اليه من جميع بلاد القطر المصرى لاعتقال أشخاص معينين بل واستطاع أن يعثر على الشفرة ويقوم بحلها و ٠٠ و ٠٠ وقد نجح فى تنبيه بعض الأشخاص الذين كان يراد اعتقالهم ، الى ضرورة الهرب والاختفاء عن أعين البوليس وأراد جورج فلبيدس أن يبرر طلب الافراج عن الأستاذ عبد الوهاب البرعى فطلب منه أن يقدم تقريرا عن الحزب الوطنى وعن نشاطه ، فرفض فلما ضيق عليه فلبيدس الخناق كتب لهم تقريرا لا يمت الى الحقيقة بصلة ، وكان رحمه الله واسع الخيال ، تضمن تقريره وقائع لا أساس لها من الصحة ، ووضع فى تقريره العديد من الأسماء ذوى « النشاط المزعوم » ممن توفاهم الله أو ممن هم خارج القطر المصرى الذين لا يمكن أن يصل اليهم جورج فلبيدس وجماعته والغريب أن جورج فلبيدس أشر على هـذا التقرير

بالكلمة التاليـــة : هـــذه حقائق تاريخية نعلمها والذى نريده شيئا عن الحالة الحاضرة » ولم يقبل عبد الوهاب البرعى أن يكتب حرفا آخر مصرا على أنه كتب كل الذى يعرفه واضطر جورج فلبيدس الى الافراج عن الأستاذ البرعى ..

★★★

ويمضى التقرير الوارد فى أوراق الأستاذ البرعى قائلا :

« لما كثرت غلطات جورج فلبيدس وانكشف أمره وزكمت الانوف الروائح القـذرة النتنة ، التى انبعثت من جـرائم الرشـاوى التى ارتكبها : ومن بينها الرشاوى ، التى كان يأخذها من عدد غير قليل من ضباط الشرطة نظير ترقيتهم أو تثبيتهم ، والتى كان يأخذها من كثير من المعتقلين السياسيين للافراج عنهم ، ومن المتجرين بالأعراض لاطلاق سراحهم ، بعد ذلك كله : تقدم كثير من المجرمين ومن المعتقلين السياسيين ببلاغات ضد جورج فلبيدس الى النيابة العامة طالبين التحقيق معه فى كل ما ارتكبه من جرائم » .

وتستجيب النيابة أخـيرا فتحقق من جورج فلبيدس ومع زوجته السيدة أسماء .

« وقد جاء فى قرار النيابة ـ جريدة الوطن الصادرة فى ١٩١٧/٦/١٨ ـ المتعلق باحالة فلبيدس وزوجته أسماء والذى كان يقوم بوظيفة « مراسلة » له واسمه محمد محمد حربى الى محكمة الجنايات بأنه أخذ من المرأة ـ هكذا فى نص القرار ـ اليفة بنت عبد الله ، رشوة قدرها ٣٠٠ جنيه لنفسه لأداء عمل من أعمال وظيفته وهو التوصية بالافراج عن ابراهيم الغربى المعتقل بالحلمية باعتبار أنه من « .... » .

ولا يطاوعنا قلمنا فى نشر الصفة ، التى الحقت بابراهيم الغربى ، أشهر شخصية فى شارع كلوت بك بالقاهرة فى فترة الحرب العالمية الأولى .

★★★

وفى أثناء المحاكمة ـ محاكمة جورج فلبيدس ـ شهدت اليفة بنت عبد الله التى قررت أنها دعيت الى قسم الجمالية وقابلت مساعد الحكمدار محمود محمد الذى قال لها : « أنتم ماتعرفوش الغربى الا وهو جوه وماتعرفهش وهو بره » أنا والله زعلت علشانه ، وقال لها مأمور شرطة عابدين محمد شكيب : الغربى اللى فلوسه سوست راح عين شمس ، انزلى واطلعى بمائتين جنيه » .

وانتهى الأمر بأن دفعت لفلبيدس مبلغ ٣٠٠ جنيه ولكن الحكمدار لم يوافق على الافراج عن المذكور فاضطر فلبيدس الى رد المبلغ الى صاحبته بعد أن أخذ منه عشرين جنيها . وكانت أسماء زوجته مشتركة معه فى هذه العملية .

واستمعت المحكمة ــ كما يقول الأستاذ محمد سيد كيلانى فى كتابه عن السلطان حسين كامل : « فترة مظلمة فى تاريخ مصر » ·· الى شهادة ابراهيم الغربى ، فقال ان الشرطة اعتقلت ابنه أولا ثم طلب منه مأمور عابدين أن يدفع مبلغا من المال فلما امتنع هدده بالاعتقال وأخيرا اعتقله ·

وقال محمود محمد مساعد الحكمدار فى شهادته : ان فلبيدس تكلم معه عن الغربى وقال انه رجل طيب وأنا أريد عمل طريقة لاخراجه وقال ان الست ــ يعنى زوجة فلبيدس ــ طلبت منى أن أتصل بأصدقاء الغربى ليدفعوا لها نقودا حتى يمكن أن يفرج عنه » ·

وقال محمد شكيب : أن الغربى ، هو الذى ذهب اليه وعرض عليه رشوة ليحصل له على أمر بأن يعود الى ارتداء ملابس النساء والتزين بالحلى فوعده خيرا وقال انه سيكلم له محمود محمد فاذا لم تكن المسألة بأمر الحكمدار فهو يحصل له على المرغوب ·· » ·

***

والآن جورج فلبيدس نكل بشباب الحزب الوطنى ولفق التهم للأبرياء ، وطغى وبغى ، والحق الضرر والأذى بالعناصر الوطنية ، وبخاصة خلال الحرب العالمية الأولى اهتم الجمهور بمحاكمته فكان يتتبع ما ينشر فى الصحف من أنبائها ، وتزاحم الناس على حضور جلساتها تزاحما شديدا ·

ولما صدر الحكم بحبس فلبيدس خمسة أعوام مع الشغل ، وحبس زوجته أسماء سنة ، صفق الجمهور وهتف من أعماق قلبه هتافا عاليا متواصلا بحياة العدالة وصاح فى وجه المتهم : الى الجحيم يا مجرم : الى السجن يا جورج ، وبصقوا فى وجهه واستمرت هذه الهتافات المدوية حتى قادته الشرطة الى السجن ، وكان يبكى بكاء مرا ، هو وزوجته وبناته ، ونظم الشعراء والزجالون القصائد الطويلة معربين عن فرحة الأمة بالقصاص العادل الذى وقع على هذا الطاغية · وكان من بين ما كتبه م·ب·ت « محمود بيرم التونسى » فى جريدة « الأفكار » فى ١٩١٧/٧/٣ :

داء أقام بجسم مصر طويلا
الله يأسو داءها ليزولا
يا قوم لا تخشوا وباء انه
يأتى خفيفا تارة ، وثقيلا
يا من تخص جسومنا بوقاية
أنسيت أخلاقا لنا وعقولا
كدنا نعد اذ الأكف تصافحت

تسلمها للارتشاء دليلا
يا رشوة شدت حبال خبائها
عرضا على ظهر البلاد وطولا
عشقتك ايدى الفاضلين وما شفت
رغم الرقيب من الوصال غليلا
والبعض عف عن النضار وانما
قد عف لما ان رآه قليلا
يا صاحب السجن الحصين جداره
اعزز على بأن ترى مغلولا
أى النساء دعت عليك فصادفت
دعواتها عند الاله قبولا
ما الارتشاء وظيفة رسمية
حتى تنيب لذاك عنك وكيلا
. . . .
الى أن يقول بيرم التونسى :

***

لو أطلقوك أكلت أهراماتها
وشربت كى نروى الغليل النيلا

***

ويقول بيرم التونسى : فى قصيدة أخرى له فى جورج فلبيدس :
هذا اعتقلت وذا فككت
وان تشأ هذا تثبته وذاك ترشح
خمس وما خمس ، وخمس مثلها
شيئا وصفقتك الأصح الأربح
هذى الفضيحة فذة فى بابها
والله يستر من يشاء ويفضح

***

الى أن يقول بيرم التونسى :
ان كان فى الدنيا امرؤ بك شامت
أنا لا مراء الشامت المتبجح
أو يفرح اليوم الأنام ، فاننى
والله أول من يسر ، ويفرح

وقد قضت المحكمة التأديبية بفصل محمود مخمد مساعد الحكمدار ومحمد شكيب مأمور قسم عابدين ٠

وفى ١٩١٧/٧/١٩ صدر عفو سلطانى عن « أسماء » زوجة فلبيدس لأنها ـ كما جاء فى قرار العفو ـ مريضة وعلى وشك الوضع ٠

ويلتقى جورج فلبيدس فى سجنه بالعشرات من ضحاياه ، ويعترف لهم وهو يبكى بكاء حارا بأنه ظلمهم ولا يتوقف يوما واحدا عن طلب الصفح منهم بل انه ليرسل خطابا الى أحد أقاربه ـ من السجن ـ يقول فيه ان فرائصى ارتعدت عند دخولى السجن لا رغبا ولا خوفا منه وانما لرؤيتى محمود أفندى طاهر العربى أحد المتهمين فى مؤامرة شبرا : لقد أحسن الى العربى كثيرا وأنا أتألم ألما شديدا لمسلكه منى ، ومسلكى منه لقد أسأت اليه اساءة كبرى بغير وجه حق » ويعترف جورج فلبيدس بأن مؤامرة شبرا كانت ملفقة تماما ٠

وقد توفى جورج فلبيدس بعد خروجه من السجن فى عاليه ـ لبنان ٠

ولكن لماذا جورج فلبيدس بالذات ٠٠ ولماذا مكتب البوليس السياسى بالذات ٠٠ سؤالان نحاول الاجابة عنهما فى الفصل التالى ٠

الفصل الثامن

من فلبيدس إلى المكتب السياسى

. دولة « الشعر والزجل فى الحرب العالمية الأولى

ويبقى بعد ذلك الاستطراد الطويل سؤال هام وضرورى هو : هل يحمل الاهتمام بأمر جورج فلبيدس ، وقضيته ومصيره الذى تم فى الفصل السابق خروجا على الخط ، الذى وضعته لنفسى عندما رأيت أن أكتب تلك السلسلة أم أن هذا الاهتمام فى حد ذاته ـ يعتبر تعميقا لذلك الخط ؟

وأبادر فأقول اننى من المؤمنين بأن الاهتمــام بجورج فلبيدس ليس خروجا على الخط وانما هو تعميق لذلك الخط ٠

فى رأيى انه كان لابد قبـل أن نتعمق فى الكتابة عن الفساد السياسى الذى استشرى بصورة غير طبيعية فى السنوات السابقة على ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ـ والى حد كبير ـ فى الحديث عن جذور الفساد السياسى فى مصر ٠

كان لا بد من الاسهاب فى الحـديث عن مؤسسى « مدرســة البوليس السياسى » فى مصر أخطر مدارس الفساد السياسى فى مصر ٠

كان لابد من الاسهاب فى الحديث عن أشهر نموذج للفساد السياسى أيام الاحتلال البريطانى ولدينا كثير من الناس يقولون ، ويكتبون أيضا بأنه كان فى مصر احتلال بريطانى ، ولكن لم يكن لدينا فساد أثناء الاحتلال البريطانى ، وقد أردت من الاسهاب فى الحديث عن جورج فلبيدس القول بأنه كان فى أثناء الاحتلال البريطانى أبشع وأشنع صور الفساد السياسى والأخلاقى والا فهل هناك صورة أبشع وأشنع من صورة رجـل الأمن العام ، رجـل المسئوليات السياسية الخطيرة جورج فلبيدس ؟

***

ثم كان لا بد من اعطاء نموذج للحاكم الظالم الدخيل على البلاد الذى لا يملك أية كفاءة ولا موهبة خاصة كل ما كان يملكه زوجة جميلة ، ويد طويلة وقدرة فائقة على الحصول على المال ، من أى طريق وبأية وسيلة ، هذا الحاكم الظالم الذى ظل سنوات وسنوات يتحكم فى أقدار البلاد : يعز من يشاء ويذل من يشاء يقبض على من يشاء ويفرج عمن يشاء . فى أى وقت يرغب ويشاء هذا الحاكم الظالم الذى تجمعت فى يديه القذرتين كل أسباب القوة ، والمنعة والسلطة سقط من أعلى الى أسفل بسبب بلاغ قدمته « اليفه بنت عبد الله » التى كانت تعمل فى شارع كلوت بك ، أثناء الحرب العالمية الأولى .

اخوة أعزاء من القراء . ومن الزملاء ، بعثوا الى ببعض الرسائل التى تتضمن تعليقات سريعة — ولكنها عميقة جدا — حول ما نشرته عن جورج فلبيدس — منشىء مدرسة الفساد السياسى ، البوليسى فى مصر — بعض هؤلاء الاخوة اقترحوا ان أكتب قصة جورج فلبيدس ، للسينما فلن تجد — هكذا قال لى احدهم — قصة درامية مثيرة كقصة جورج فلبيدس ، الرجل ، الذى أبى القدر ألا ان يعاقبه بنفس السلاح الذى استخدمه لايذاء الآخرين ، والرجل ، الذى التقى وضحاياه فى السجن لمدة خمس سنوات طويلة ، عريضة . والبعض أشار بل أشاد بموقف اليفة بنت عبد الله ، السيدة ، التى ولدت فى الوحل ، وتربت فى الوحل ، وعاشت طيلة حياتها فى الوحل ، فلما قبض على الرجل — اذا جاز لنا استخدام هذا التعبير — الذى كان شريكا لها فى دنيا الوحل ، أبت عليها «رجولتها» الا أن تبذل قصارى جهدها ، للافراج عنه : باعت كل ما تملك من مصوغات ، وغيرها ، ذهبت وهى الانسانة المهيضة الجناح التى لا عائل لها — الى حكمدار القاهرة — ومن يكون وقتئذ حكمدار القاهرة — لتساومه فى الافراج عن الغربى ولتدفع له ثلاثمائة جنيه — وهى وقت الحرب العالمية الأولى — ثروة ضخمة : تفعل أليفة بنت عبد الله هذا كله فى الوقت الذى تخلى فيه كثيرون عن أقاربهم واصهارهم ، وأعز الناس لديهم عندما قبضت عليهم سلطات الحاكم العسكرى ، البريطانى ووجهت اليهم تهما سياسية ، لا تهما أخلاقية كتلك التى وجهت الى الغربى .

★★★

وبعض هؤلاء القراء الأعزاء ، أشاد أيضا بدولة الشعر ، التى كانت تواكب الأحداث صغيرها ، وكبيرها — وتبدى فيها آراءها — بالشعر — ان سلبا وان ايجابا .. وبعض هؤلاء القراء ، الأعزاء سألنى اذا كان جورج فلبيدس يونانيا متمصرا فلماذا مات ودفن بعالية فى لبنان ؟ وردى أن جورج فلبيدس ، كان متزوجا من أسرة كريمة جدا فى لبنان وبعد أن قضى المدة المحكوم بها عليه، انتقل الى لبنان وحصل على الجنسية السورية — حيث لم تكن هناك حينئذ جنسية

تعرف بالجنسية اللبنانية ـ وعاش هناك الى ان لقى وجه ربه فى نهاية عام ١٩٢٢ .

***

والذى أحب ان أقوله ردا ، على بعض تعليقات الاخوة الأصدقاء على القراء ، ومن الزملاء ان موقف اليفة بنت عبد الله ، موقف طبيعى عادي ليس بغريب ، على الاطلاق ، فان هؤلاء ، الذين ولدوا ، وعاشوا فى الرذيلة لم يخلقوا ، أبدا بلا عواطف وقد كتب أستاذنا مصطفى صادق الرافعى مرة ، عن واحدة من هؤلاء تحت عنوان : فى اللهب ولا تحترق وقد سبق للمارشال ويفيل ، الذى آرخ للورد اللنبى فى مصر ، أحد مشاهير ، المندوبين الساميين البريطانيين فى مصر ـ ان أشار الى واحدة من هؤلاء ، كان اسمها « هانم عارف » وهو يتحدث عن ثورة ١٩١٩ ـ من وجهة نظره كبريطانى بل كبريطانى مستعمر ـ فيقول : ما ان اشتعلت مصر ، كلها بالثورة فى بضعة أيام : كان مظهرها الأول هجوما غير منظم على المواصلات فى كل أنحاء البلاد فقطعت خطوط السكك الحديدية وأحرقت المحطات وقطعت أسلاك البرق والتليفون وسرعان ما عزلت ، القاهرة ، عن بقية البلاد لم يكن عدد الضحايا من الأوربيين كبيرا ، وان قتل ثمانية من الانجليز فى ظروف بالغة الوحشية بينما كانوا مسافرين بالقطار من الأقصر الى القاهرة ، ولقد أعلنت يومها قصة هذه المأساة المحزنة ، أما قصة هانم عارف ـ وهى ساقطة من ملوى ـ فلم تعرف كما ينبغى وربما لا تخرج بذكرها هنا عن الموضوع ـ هكذا قال المارشال ويفيل : لما وصل القطار ملوى ، وكانت جثث القتلى من الانجليز مكومة فى احدى العربات قابلته ، فى المحطة جماهير ، فقدت وشدها وراحت تجر خارج العربية جثة رجل منها كانت لا تزال به نسمة من الحياة ، مبالغة فى التمثيل به ، ولم يتحرك الشعور الانسانى الا فى قلب هانم عارف اذ أبكاها المنظر ، فحاولت ان تحمى بنفسها جثة الرجل لكنها ضربت ونحيت وأثر عملها الرحيم هذا فى نفوس الجالية البريطانية أعمق الأثر ففتحوا قائمة اكتتاب لها ، وفكروا أول الأمر فى اعطائها قطعة أرض الا انها احتفظت بمميزات طبقتها اذ فضلت الحلى واختارت سوارين ، غليظين من الذهب ، وخاتما مهر باسمها ثم أعطوها سوارا ثالثا عليه كتابة مناسبة وما بقى من الاكتتاب أخذته نقدا ، وكان ما كتب على السوار كما يأتى : الى هانم عارف : هدية الاعتراف بجميل عطفها على جندى بريطانى يحتضر فى ١٨ مارس ١٩١٩ ان الله يثيب فاعل الخير ..

***

وقد يختلف البعض حول موقف هانم عارف ، الذى روى قصتها المارشال ويفيل : البعض قد يرى فى موقفها من الجندى البريطانى الجريح خروجا على

الوطنية الجارفة التى تفرض القضاء ، بأية صـــورة وبأى شكل ، على جنود الاحتلال ، وقـد يرى البعض أن موقف هانم عازف فيه عطف لا مبرر له على الانجليز الذين يحتلون أرضنا ويستعبدوننا ، ولكنى أرى أنه على أية حال موقف انسانى يتسم وحقوق الانسان بل ويطابق المعاهدات والمواثيق ، الدولية ، التى تحتم علاج ، الجرحى ، والأسرى ، من الأعداء حتى فى زمن الحرب •

وفيما يتعلق بدور الشعر ، فى تلك الفترة المظلمة من تاريخ مصر ــ سنوات الحرب العالمية الأولى ــ التى نعتبرها من أكثر سنوات التاريخ المصرى سوادا ، ان لم تكن أثرها بالفعل أقول : رغم شدة الرقابة ، وصرامة تعليمـات الحاكم العسكرى البريطانى ، ورغم ملء السجون والمعتقلات ، بمن يشتم ان له اتجاها وطنيا ما ، ورغم • ورغم ، فانه كان للشعر ــ وللزجل أيضا ــ دولة ذات صولة لها تأثيرها القوى ، الفعال على الجماهير •

ولعلى لا أتهم بالمبالغة ، اذا ما قلت اننى ــ وقد قرأت ما جادت به قرائح شعرائنا خلال ال ١٥٠ سـنة الماضية ــ لم أجـد شعرا سبق عصره بسنوات ، وسنوات ، الا ذلك الشعر ــ والزجل أيضا ــ الذى قيل فى أعوام ١٩١٥ ، ١٩١٦ ، ١٩١٧ ، ١٩١٨ •

★★★

ولقد سبق أن أشرت فى بعض المناسبات الى نماذج من ذلك الشعر ، والزجل أيضا • من تلك النماذج مثلا • قول بيرم التونسى فى جار له • فقير معدم ، لم يكن يملك قـوت يومه الى ان أنشـأ « فرن » فجمع من ذلك الفرن ثروة هائلة :

لى جار كنت أواسيه
من مالى دون الجيران
مأواه اذا ما الليل أتى
كوخ مصدوع الأركان
فى يوم جئت لأنظره
وأراه بقلب جذلان
فحزنت لأنى لم أره
ورجعت حليف الأشجان
ويئست من اللقيا حتى
موتى ، وتقضى عامان
وأنا أتولى البحث على
هذا المسكين الحيران
فتشت جميع مساجدنا

وسألت جميع العميان
حتى مرت بى مركبة
فيها يختال جوادان
ظلت تجرى حتى وقفت
قدام فخيم البنيان
بصروا بالخيل وقد وقفت
فتقدم منهم عبدان
أخذا بذراعى راكبها
فاذا بالجار الجوعان
فبهت لأمر فاجأنى
ما كان يدور بحسبان
هذا جارى صار أميرا
أو من أرباب التيجان

★★★

ويقول بيرم انه سأل عن هذا الملك غير المتوج ٠٠ واحد ممن سألهم استنكر سؤاله وكاد أحدهم يضربه بهراوته لأنه لم يعرف من يسأل عنه ثم يقول:

لكنى قد جئت أسائلكم
عن صاحب هذا الايوان
فأجاب كبيرهمو : هذا
يدعى بفلان الفران

ويقول أحمد محرم فى رسالة : « الى الأغنياء » :

هززت اليراع فثار الأدب
ورمت القريض فشب اللهب
حلفت بشعث خماص البطون
عداها من القوت ما ترتقب
تريد الكلام فتعيا الشفاه
وتبغى القيام فتهوى الركب

★★★

الى ان يقول أحمد محرم ، بعد ما قال ما لا أستحب نقله ، لما فيه من عنف شديد :

ألم تر للدهر فى حكمه ،
وكيف استحال بنا وانقلب

ألحت علينا تصاريفه
فما نستفيق وما نثب
تصدت لنا فى معين الحياة
فما برح العيش حتى نضب
بنى مصر ، أن ثراء الشعوب
فقار ، لجسمانها أو عصب
جريتم الى الفقر فى حلبة
ركبتم بها الغى فيمن ركب
فما برح المال حتى خوى
وما برح الخير حتى ذهب
أيشكو الفتى فراغ اليدين
ويمضى الفقير شهيد السغب
فويح الطيالس والمركبات
وويح القصور وويح الرتب
أغيثوا البلاد فان البلاد
ويمضى الفقير شهيد السغب
جلبتم عليها هوان الحياة ،
ويسأل جاهلكم ما السبب

ثم يقول :

تذوب قوى مصر من تحتها
كما ذاب دمعى لها فانسكب
فما ترفع الرأس الا التوى
ولا تراب العظم الا انشعب
فكل الى فمه قد هوى ،
وكل على وجهه قد أكب
بنى مصر ، هذا دعاء النذير ،
فاما النجاة ، واما العطب
بنى مصر ، اما ردى عاجل
واما حياة تزيد الكرب
أناشدكم وطنا ما درى ،
أأنتم شهود به أم غيب ؟

ثم يتساءل أحمد محرم :

وكيف تجف ضروع الحياة

وفى يدكم درها المحتلب
ومن للعزيز اذا ما أهين
ومن للكريم اذا ما نكب
ومن للفقير عناه الطوى ،
فبات وامعاؤه تصطخب
ضننتم عليه بنذر العطاء
ولم تعرفوا حقه اذ وجب ٠
يفيض النضار على السالبين
فيا للسليب ، ويا للسلب

***

أكف تدر على الأبعدين
ويلوى بها الشح عن ذى النسب
أما راعكم من يبيع البنين
بسوق المهانة بيع الجلب
يبيع البنين ليشرى الرغيف
فيا للرجال ، ويا للعجب
جنود من الفقر تغزو النفوس
وأنتم أسنتها والقصب
الا من يرق ، الا من يلين ؟
الا من يواسى ، الا من يطب ؟
الا من يزيح شفاء العديم ؟
الا من يزيح حياة التعب ؟

***

ويقول مصطفى صادق الرافعى وهو يصف مصر فى أثناء الحرب :
فر منه الدينار رعبا وأمسى
حين يمشى يمشى بغير أمان
وغدت عقدة الدراهم فى الثو
ب ، كعقدة ، الفصوص فى التيجان ٠
ورأت لفظة الفقير زمانا ،
صار فيه الفقير تبر المعانى
ضاقت الحال ، أعوز المال ، أمسى
فلك الرزق خافت الدوران

وغدا الشغل .. كله شغل عزر يـ
ـل وشغل المشاة والفرسان
وعجيب ان يكسد القطن جدا
حين راجت تجارة الاكفان
أين عين الدينار ؟ كم شغف النا
س ، هواها لا أعين الغزلان

★★★

الى أن يقول مصطفى صادق الرافعى :
رب أنا فى عرس هذى المنايا
قد شبعنا من طبخ هذا الزمان
رب هل تمت الوليمة أم ما
زال فيها لون من الألوان
كم آب حوله البنون صغارا
يعانون شدة ، ويعانى
غاية العز ، عندهم طلعة الخبـ
ـز وكل الأفراح فى الأفران
عضه الجوع عضة ضغمته
فتلوى تلوى الثعبـان

★★★

ويقول عبد الرحمن سالم يحرض الفقراء ، على الأغنياء :
برح اليوم بالظهور الخفاء
فكلوا الأغنياء يا فقراء
دخل البؤس بالشقاء علينا
اذ سكنتنا ، وخلفه الباساء
امضغوا وعلقوا الاثم فى جيـ
ـدى فهم بانتحارنا الاثماء
وابلعوهم وكلهم مستعد
لابتلاع الأحجار لولا الحياء
واميتوا عواطف اللين أن لا
نوا فلماذا أفادنا الاحياء
ودعونى لمن عصاكم فانى الـ
ـكفء والظن انكم أكفاء
واخطفوهم برا وكغواصـة البحـ
ـر ففى البر ، والبحر البلاء

ومرة أخرى يقول بيرم مخاطبا الفقير المسكين :

أيهذا الفقير كن جليدا
راضيا بالقضاء والقدر
لك ثوب يميت لابسه
واهن لا يخاط بالابر
فتنفس اذا بكيت عسى
تصطلى من نار مستعر
كان يكسوك اغنياؤك لو
كنت فى عرفهم من البشر
فدواب الغنى رافلة
فى كريم الدمقس والحبر
أنت للقاصفات مستمع
وهو يصغى لرنة الوتر
فاخر الخز ليس يقنعه
فاقتنع بالتراب والمدر
وهو ان يفترش اريكته
فالتحف أنت هاطل المطر

★★★

وبعد تلك النماذج السريعة ، التى اخترناها من بين عشرات القصائد ، التى امتلأت بها صحف مصر فى الفترة من ١٩١٤ حتى ١٩١٨ انتقل الى بقية قصة المكتب السياسى الذى انشأه جورج فلبيدس والمعروف أنه ما من قضية سياسية فى مصر خلال الفترة من ١٩١٢ حتى ١٩١٧ الا وكان لجورج فلبيدس يد فى « فبركتها » والمعروف أيضا أنه ما من قضية سياسية فى الفترة من ١٩١٧ حتى ١٩٥٢ الا وكان للمكتب السياسى تأثير قوى فيها : عند نظر قضية القنابل ، أيام اسماعيل صدقى باشا كتب المصور فى عدده الصادر فى ٩ سبتمبر ١٩٣٢ يقول : لا تنظر المحاكم المصرية فى قضية من القضايا السياسية الا ويشتد اهتمام الناس بالمكتب السياسى ، لما له دائما من صلة وثيقة بهذه القضايا ، وقد شاهدنا أخيرا ما كان لهذه القضايا ، وقد شاهدنا أخيرا ما كان لهذا المكتب من نصيب وافر فى قضية القنابل حتى لم تخل جلسة ما من ذكره وذكر رجاله ويرأس هذا المكتب ومقره فى دار المحافظة بباب الخلق القائمقام سليم زكى بك وهو أول رئيس له فان أعمال المكتب السياسى ، كانت منوطة من قبل بادارة الضبط والربط ، التى كان يرأسها المرحوم جورج فلبيدس فلما أنشىء المكتب السياسى أسندت رئاسته الى سليم زكى بك ، وقد انتظم فى سلك البوليس من سنين طويلة فامتاز بنشاطه وذكائه وهو الآن برتبة قائمقام وقتى ويشهد له خصومه

بالذكاء وان كانوا يحملون عليه حملة شعواء وقد اشترك فى الحرب العظمى ، وأسدى الى القيادة العامة الانجليزية خدمات كثيرة ، جعلت له مكانة خاصة عند الانجليز ، وليس هذا سرا خفيا ٠

★★★

ووكيل المكتب هو الصاغ أحمد أفندى حمدى ، ويليه اليوزباشى أحمد افندى طلعت واليوزباشى أحمد أفندى الطاهر ، والملازم أول محمد أفندى يوسف، والملازم الثانى محمود طلعت أفندى وللمكتب السياسى – الى جانب مهامه الأخرى – مهام شتى أهمها مراقبة أقطاب الأحزاب المعارضة للحكومة وكبار رجالها البارزين ، وتسقط أخبار هذه الأحزاب ومعرفة ما يدور فى اجتماعاتها ، وموافاة ادارة الأمن العام بتقارير يومية عما يتصل به من معلومات واخبار فى هذا الصدد ، ويراقب هذا المكتب أيضا الحركة الشيوعية فى البلاد ويوافى وزارة الداخلية بأسماء الأشخاص الذين لا يرغب فى دخولهم مصر كما يوافيها بأسماء الأشخاص الذين يرى وجوب أبعادهم وعنده صور فوتوغرافية لكل منهم ، فعندما تتولى وزارة الداخلية هذه التقارير تحولها الى المكتب الشيوعى وهو فى وزارة الداخلية نفسها فاذا كتب أحد القناصل المصريين الى الحكومة المصرية بطلب الترخيص لأجنبى غير معروف بدخول مصر تراجع الوزارة اسمه بواسطة هذا المكتب فيرجع الى تقارير المكتب السياسى فاذا وجد اسمه بين الأسماء ، غير المرغوب فيهم أشار بعدم اعطائه التصريح ، الذى يطلبه٠ ومهام المكتب السياسى لاتتعدى العاصمة ولكن لرئيسه أن يتصل بهيئة البوليس السرى ، فى محافظة الاسكندرية مثلا اذا كان هناك ما يدعو لهذا الاتصال ٠ والمكتب السياسى له علاقة مباشرة بوزير الداخلية والى جانب هذين المكتبين يقوم مكتب ثالث فى دار المحافظة وهو المكتب الذى يرأسه البكباشى اليز ، ومهمته حراسة دولة رئيس الوزراء والوزراء ، ودورهم ، وهو الذى يتولى أيضا حراسة كبار الزائرين الذين يفدون الى مصر ٠٠٠ و ٠٠٠ و ٠٠٠

★★★

والجدير بالذكر أن رئيس المكتب السياسى سليم زكى كان هدفا لأكثر من اغتيال وكان من أشهر القضايا التى عرفتها مصر ، أيام دكتاتورية اسماعيل صدقى قضايا محاولة اغتيال شيخ الجامع الأزهر الاستاذ الأكبر الشيخ الظواهرى الأحمدى والقائمقام سليم زكى بك وقضيتا حريق الترسانة ونهب احدى حانات بولاق أثناء اضطرابات عمال العنابر وقد نظرت محكمة جنايات مصر برئاسة محمد بك نور وعضوية محمد نجيب سالم بك ، وابراهيم بك ثروت القضايا الثلاث معا وأصدرت فيها حكمها – ديسمبر ١٩٣٢ – مرة واحدة وقضت المحكمة بالحكم على حافظ على حسين وسلامة سيد أحمد سليم بالسجن خمس سنوات

ومعاقبة سيد عبد الخالق بالسجن ثلاث سنوات وكانت التهمة الاتفاق الجنائي على اغتيال شيخ الجامع الأزهر ، ورئيس البوليس السياسى وقد برأت المحكمة الاستاذ عبد القادر أفندى مختار ـ مدير الشرقية سابقا ٠

وعلى أية حال فاذا كان جورج فلبيدس فى الحرب العالمية الأولى لم يستطع هو ولا مكتبه كبح جماح الشعب الثائر ، فان المكتب السياسى بقيادة سليم زكى لم ينجح بدوره فى الثلاثينات فى كبح جماح الشعب الثائر فما من قوة تستطيع مقاومة ثورة الشعب اذا قامت على أسس سليمة ٠

★★★

وقبل أن ننتقل الى ثورة الشباب فى الثلاثينات أنشر ردا جاءنى من اللواء ممدوح سليم زكى دفاعا عن والده وكان قد تفضل بزيارتى عاتبا لما نشرته عن والده ، وكررت له ماسبق أن ذكرته فيما مضى من حلقات، من اننى عندما أعددت نفسى للقيام بتلك المهمة الجليلة ، مهمة محاولة اعادة كتابة تاريخ مصر قد جردت نفسى تماما من أى هوى شخصى وحاولت أن أجعل من نفسى قاضيا عادلا ، لا يكتب الا ما يعتقد انه الحق ويكون أسعد الناس عندما يكتب واقعة ضد أحد من الناس ثم تظهر أدلة تنفى تلك الواقعة وقلت للواء ممدوح : أنا لا أعرف اللواء سليم زكى باشا ، معرفة شخصية وربما كان عدد المرات التى رأيته فيها لا يتجاوز ثلاث أو أربع مرات فى بعض المظاهرات والاجتماعات الهامة وأنا لم أقل أبدا على لسانى أنه أسدى خدمات جليلة ، للاحتلال : كل الذى حدث أننى وأنا أكتب عن المكتب السياسى الذى انشأه جورج فلبيدس نقلت عن « المصور » بعض ما نشره عن هذا المكتب وعن المرحوم سليم زكى باشا دون أن أعقب بكلمة واحدة من عندى وأحضرت عدد « المصور » الصادر فى ٩ سبتمبر ١٩٣٢ وأطلعت اللواء ممدوح سليم زكى على ما نشره المصور عن المكتب السياسى وعن القائمقام سليم زكى بك وأكدت له أننى لم أفعل الا اننى نقلت وبالنص ما جاء بالمصور الصـــادر فى ٩ سبتمبر ١٩٣٢ ومبالغة منى فى الحرص على الحقيقة راجعت الأعداد ، التى صدرت بعد ذلك التاريخ لعلى أجد تكذيبا ، أو تعقيبا من القائمقام سليم زكى بك لما نشره « المصـور » فلم أجد تعقيبا ، أو تكذيبا ، وفيما يلى الخطاب الذى دفع به الى اللواء ممدوح سليم زكى :

★★★

السيد الأستاذ / صبرى أبو المجد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ، لم يكن غريبا على أن يذكر أسم والدى فى عهد ما قبل الثورة ولم نكن نحن أبناءه نأبه بما يقال أو يتردد حول ما كان يأتيه رجال البوليس السياسى من تصرفات حيال المواطنين فى ذلك العهد وقد زادت هذه الأقاويل لسببين أحدهما أن والدى توفى الى رحمة الله شهيدا أثناء قيامه بتأدية واجبه الذى

تفرضه عليه مقتضيات الوظيفة والسبب الثانى انه لا يمكن لأحد أن يرد على تلك الأقاويل التى كانت تثار من تعذيب أو تلفيق الا هو رحمه الله أو من كان يعمل معه ـ كما لم ترفع قضايا ضده من مجنى عليهم فى تلك الفترة تؤيد هذه الأقاويل ٠

كل ذلك كان يسيرا علينا الا أن الذى أثر فى نفسى واخوتى هو ما قرأته فى مجلة المصور فى العدد ٢٧٨٩ الصادر بتاريخ ١٩٧٨/٣/٢٤ والذى نشرت فيه صورة والدى وأعلاها كلمة « سليم زكى باشا أسـدى خدمات جليلـة للاحتلال » فبـدأت أقرأ التاريخ القـديم المدون فلم أجـد أى شىء يمكن أن نستخلص منه هذه العبارة الجارحة التى أثارت نفوسنا نحن أبناءه ـ وأرجو أن تعلم سيادتكم أن ما قام به والدى لخدمة بلده بصفته ضابطا فى الشرطة وهى الجهاز التنفيـذى فى الدولة لم يكن الا تنفيذا لتعليمات وأوامر رؤسائه فى جهاز الشرطة وعلى رأسه وزير الداخلية فى ذلك العهد ثم رئيس الوزراء ٠

وقد ورد أيضا انه اشترك فى الحرب العالمية الأولى ويهمنى أن أوضح لسيادتكم الحقيقة وهى انه عين عنـد تخرجه للعمل فى بور سعيد وكانت الحرب العالمية الأولى قد اندلعت فكلف من رؤسائه بالقيام بالمرور على قناة السويس مع جنود الاحتلال وتمكنت القوات التركية من خطفه وقوة جنـود الاحتلال وأمضى فى الأسر حوالى خمس سنوات فى تركيا ولم يشترك فى الحرب كما نشر فى المصور ـ وكان ما قام به من عمل تنفيذا لأمر رؤسائه فى الشرطة وكان ما وقع له يجوز وقوعه من أى ضابط شرطة يكلف بهذا العمل الذى لا يملك الا الطاعة وتنفيذ ما يصدر اليه من أوامر ٠

★★★

وأود أن أضيف أيضا ان والدى استشهد فى عام ١٩٤٨ أثناء اضراب العاملين بكلية طب قصر العينى حيث ألقيت قنبلة من أعلى المبنى على القوات وشاء القدر أن تستقر القنبلة تحت قدميه ثم تنفجر لتودى بحياته ولم يصب أحد آخر غيره لانه فى ذلك اليوم كان مريضا ورغم ذلك تحامل على نفسه وخرج ملبيا نداء الواجب الذى تفرضه عليه مقتضيات الوظيفة فارتدى معطفا ثقيلا كان ستارا منع الشظايا عن باقى زملائه الذين كانوا بجواره ٠

★★★

كما أرجو أن تعلم سيادتكم انه لو كان قد خدم المحتل فترة عمله فى الشرطة فقد استشهد ولا يملك الا مرتبه وكان المرحوم محمود فهمى النقراشى باشا رئيسا للوزراء فى هذه الفترة ـ « ومعروف عنه وطنيته حيث حكم عليه بالاعدام فى الحركة الوطنية » فكرمت الدولة المرحوم والدى بأن صرفت لأسرته

عشرة آلاف جنيه مكافأة وأمرت بتعليمنا مجانا فى جميع مراحل التعليم وصرف معاش استثنائى وتخصيص مدفن له ونحمد الله اننا لم نشعر بأى معاناة بعد وفاته ولسيادتك أن ترجع الى نصب شهداء الشرطة بكلية الشرطة لتجد اسمه بين أسماء شهداء الشرطة ثم أرجو ان لم يكن ذلك مقنعا وكافيا للتدليل على اخلاصه ووفائه لخدمة بلده أن تراجع عدد مجلة المصور الذى صدر بعد استشهاده لتجد انها أفاضت فى ذكر محاسنه عملا بقول الرسول عليه الصلاة والسلام ـ « اذكروا محاسن موتاكم » ـ فكان على سيادتكم أن تذكروا أيضا ما له وما عليه حتى لا تسيئوا اليه رحمه الله وتجرحوا مشاعر ذويه بين حين وآخر وتسببوا لهم المتاعب النفسية التى لا يمكن وصفها الا لمن يعانيها .

ولما كنت سيادتك تسجل تاريخ أمة وليس تاريخ شخص لذلك فاننى أردت أن أصحح وأوضح الحقيقة للتاريخ اذ ان المرحوم والدى كان كأى موظف فى الدولة فى تلك الفترة وكان بحكم عمله فى الجهاز التنفيذى الذى يلتزم بالحياد الوظيفى فاذا كانت رؤيتكم لما قام به من واجبات وظيفته كانت خدمة للاحتلال فان ذلك ينسحب على جميع العاملين فى الدولة حينذاك وهو ما لا يمكن التسليم به خصوصا فى مجال العمل فى الهيئات النظامية التى تلتزم بتنفيذ ما تكلف به من أعمال .

أخيرا فاننى أهيب بأى من السادة الضباط الذين عملوا مع المرحوم والدى أن يقولوا كلمة حق فى هذا المقام وللسيد كاتب المقال أن يقول أيضا كلمة حق سمعتها منه عند زيارتى له وهى على نقيض ما نشر عن حادثة كوبرى عباس وما ذكرته لى من انه لم يستشهد أحد من الطلبة وان سيادتك كنت حينذاك طالبا منهم فأرجو توضيحها لانها من أحد الأمور التى تسببت للمرحوم والدى .

وبرا بوعدكم لى أرجو أن تنشر هذه الرسالة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عن أبنائه

ممدوح سليم زكى

وقد بررت بوعدى فنشرت رسالة اللواء ممدوح سليم زكى وأؤكد له اننى سعدت برسالته سعادة بالغة اذ أنها نجحت فى كشف صفحات طيبة عن الراحل الكريم لم تكن ستنشر لو لم أنقل العبارات اياها عن « المصور » أما ما قلته أن أحدا لم يقتل أو يمت فى حادث كوبرى عباس (١٩٤٦) فلازلت عند ما قلته وعند ما « نصل الى عام ١٩٤٦ سأروى ما عرفته كشاهد وكمشارك فى ذلك الحدث الهام .

وننتقل بعد كل ذلك الى الحديث عن ثورة الشباب .

الباب الرابع

الفصـــل الأول

مقدمات ثورة ١٩٣٥

● ونحن نشير – مجرد اشارة – الى حركات الشباب المصرى ، التى قامت من أجل مقاومة طغيان اسماعيل صدقى ومن تبعه فى نظامه الدكتاتورى ، وبسبب هذا الطغيان : نشير – مجرد اشارة أيضا – الى القضية التى اتهم فيها الأساتذة أحمد حسين : وفتحى رضوان وحافظ محمود : لأن الأول – أحمد حسين – نشر مقالا تحت عنوان : « يا شباب ١٩٣٣ كن كشباب عام ١٩١٩ » ندد فيه بشباب الجيل ، وانكبابه على الملذات والشهوات ، وفقدان عناصر الرجولة ، والكرامة ، والغيرة القومية كما هاجم أحمد حسين فى مقاله هذا دور السينما واللهو ، ومظاهر التخنث ، والاسراف فى العبث . وقد دعا أحمد حسين شباب مصر ، قاطبة أن يتشبه بشـــباب ١٩١٩ ، « الذين كانوا مثـالا للبسالة والرجولة والتضحية والذين جابهوا رصاص الأعداء وتسربلوا بدمائهم ولم يكن لهم من صيحة الا « نموت فداءك يا مصر » .

★★★

وقد اتخذت الوزارة ، القائمة بالحـكم وقتئذ ، نشر هذا المقـال ذريعة للتنكيل بأعضاء جمعية مصر الفتاة وهم وقتئذ بالمئـــات كما أمرت الحـكومة بتفتيش منازل زعماء الجمعية ومصادرة جميع أوراقهم ودوسيهات الجمعية و..و.. وبالغت الحـكومة فى اضطهاد الطلاب منهم حيث اتخذت ضـدهم الكثير من الاجراءات القاسية العنيفة من بينها – مثلا – عمل فيش وتشبيه « صحيفة سوابق » لكل منهم .

وكانت مرافعة الأستاذ أحمد حسين عن نفسه فى تلك القضية – أو كان كلامه عن نفسه فى تلك القضية ولا نقول دفاعه ، لأنه رفض الدفاع عن نفسه – شيئا جديدا فى دنيا المحاكمات السياسية فى مصر ، وان كان له سوابق فى

بعض البلدان الآسيوية والأوربية . مما قاله الأستاذ أحمد حسين : وهو يخاطب المستشارين : لا دفاع لى لسببين : الأول : هو اننا فى هذه الحياة لا نملك لأنفسنا ضرا . ولا نفعا . فالله الذى خلقنا هو الذى يمنح كلا منا نصيبه وما يستحقه . ان خيرا وان شرا وهو الذى يدبر أعمالنا ، ويسوى نتائجها ، وهو القائل فى كتابه العزيز : « قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا ، وعلى الله فليتوكل المتوكلون » . فحكمكم يا حضرات المستشارين أيا كان لونه سواء كان بالبراءة أو بالادانة : سواء أكان بالسجن أم بالغرامة فهو حكم يقربنى من غايتى ألا وهى ايقاظ المصريين واعادة الروح اليهم ، واذن فانى فى انتظار حكمكم . وصدقونى اننى أشكر الله عليه مهما تكن نتائجه ، ولن أغضب عليكم أو أشكو منكم لانى مؤمن كذلك أنكم مسخرون لتنفيذ مشيئة الله ، وهذا هو ما يحدو بى الى الامتناع عن سوق أى دفاع ، والله هو المحامى الأول والأخير وسيقضى على لسانكم بما يريد ويشاء : أما الدافع الثانى الذى يجعلنى أمتنع عن ابداء أى دفاع فهو أنى لا أريد أن أشترك فى هذه المهزلة التى يحاولون بها الباس الظلم لباس الحق والقانون ، وكل ما يستطيعه الانجليز الذين يطاردوننا فى كل مكان بواسطة صنائعهم ، من المصريين : هو أن يقتلونا وأن يسجنونا ، وأن يعاقبونا ، ولكن ستظل أعمالهم وأعمال الظالمين فى كل عصر ، وزمان ، أعمالا غير مشروعة تصيح بها السموات والأرض ، انها ظلم وجريمة كبرى ، ومهمة الأحرار فى كل زمان ومكان أن يصرخوا فى وجه الظالمين والخائنين والمستعمرين ان ما يفعلوه ليس الا الجريمة بعينها مهما أسبغوا عليه من أشكال القوانين » .

***

ويختتم الأستاذ أحمد حسين ، دفاعه — أو كلمته أمام قضاته — بقوله : اننى لا أعترف بحق الحكومة فى وضع قوانين لخدمة المستعمر ، لا أعترف بأننى ارتكبت جرما فى حق المجتمع فلست اليوم متهما ولذلك فانى لا أدافع عن نفسى بل أدعوكم الى مثل هذا الذى أحاكم عليه : أدعوكم وأنتم أعلى هيئة فى مصر ، أن تهيبوا بهذه الأمة التعسة أن توحد صفوفها ضد العدو المشترك وأن تراجع قضاياها وأن تتناسى أحقادها وأن يتعفف أبناؤها عن خيانتها من أجل المنصب والذهب ، أدعوكم أن تهيبوا بالشبان أن يدعوا هذا التخنث وهذا الجبن وأن يملأوا أنفسهم رجولة وجرأة ، وشجاعة ، فان مصر ، فى حاجة الى جيش عظيم من الأقوياء الأطهار لا من المخنثين المدنسين : أدعوكم أن تهيبوا بالأمة أن تستيقظ وأن تنفض عنها غبار الخمول ، فان ساعة الكفاح قد دنت ، وناقوس التضحية قد أذن فعلى بركة الله والله يوفقنا ، ويرعانا والله أكبر .. » .

***

ومما هو جدير بالذكر أيضا ــ والكلام عن أحمد حسين ، وجمعية مصر الفتاة ــ ان الأستاذ أحمد حسين توجه فى ٢٠ يونيو ١٩٣٤ الى الاسكندرية لالقاء محاضرة موضوعها « مصر منذ أقدم العصور » فى دار جريدة الصرخة ، وحاصر البوليس دار الجريدة ، وعندما دخل الأستاذ المحاضر دار الجريدة ، انهال البوليس ، عليه وعلى أنصاره ، وعلى الحاضرين بالضرب بالعصى وقد قرر الطبيب الشرعى ، أن بالأستاذ أحمد حسين عشر اصابات نشأت جميعا من ضربات العصى، ومع ذلك قدم الأستاذ أحمد حسين وزميله حسنى ناجى الى المحاكمة بتهمة الاعتداء على البوليس والتجمهر ، كما قدم للمحاكمة أيضا ــ وبنفس التهمة : رأفت زكى ، وعلى عبد الواحد ، وعبد المعطى خلاف ــ من أعضاء جمعية مصر الفتاة ــ وكان مما قاله الأستاذ أحمد حسين أمام محكمة جنح الاسكندرية حيث نظرت القضية : لقد اعتدى علينا ، لقد نكل بنا ، لقد منعنا من الدخول الى دارنا وها نحن نقف أمام المحكمة كمعتدين وكمتظاهرين وان كنا نأسف على شيء فهو أسفنا على هذه المأساة الخلقية التى تدهورنا اليها والتى تجعل المصرى يقف خصما لأخيه المصرى كما تجعل المصرى ينكل بأخيه المصرى مع أنه يعلم أن هذا المصرى ، انما يكافح من أجل حريته وحرية وطنهما ، المشترك من أجل استقلالهما المنشود » .

★★★

ويقول الأستاذ أحمد حسين ، وهو يخاطب قاضيه : لا ترهق نفسك بكل المرافعة الماضية ، والنصل الى النهاية ، النهاية : اننى وحسنى ناجى وباقى الزملاء ، قد ألفنا مظاهرة واعتدينا على البوليس ليكن : لسنا نشكو مطلقا ، ولسنا نتبرم من شيء ، وتستطيع أن ترسل بنا الى السجن ، وأنت مطمئن الى أننا لا نشكو أيضا واننا لن نحمل لك بعدها الا الاحترام والتقدير ، بل والحب أيضا .. وقبل أن أنهى حديثى : أرجوك ! أرجوك رجاء خاصا من كل قلبى ، أنك اذا رأيت أن الادانة ثابتة أن تعتبرنى أنا المسئول الوحيد ، وأن تنزل على أنا وحدى أقصى ما تستطيع من العقاب وأن تخفف عن الباقين » ويحكم القاضى على أحمد حسين بغرامة عشرة جنيهات لثبوت تهمة التظاهر ويبرئه من تهمة الاعتداء على البوليس ويحكم على حسنى ناجى ب ١٢ جنيها لثبوت تهمتى التظاهر والاعتداء على البوليس ، ويحكم على الباقين من المتهمين بغرامات تتراوح بين جنيه وجنيهين وفى الاستئناف ، يحكم ببراءة الجميع !!

★★★

وفى مقدمة الذين دخلوا السجن من أعضاء جمعية مصر الفتاة خلال الفترة من أكتوبر ١٩٣٣ الى أكتوبر ١٩٣٤ أحمد حسين ، فتحى رضوان ، حافظ محمود ، أحمد الشيمى ، محمود حجاج ، محمد صبيح ، عبد الحميد المشهدى ،

حسنى ناجى الشماشرجي ، حمدى الجريسى ، راتب زكى ، على عبد الواحد ، محمود خلاف ، مصطفى عارف ، يوسف نشأت ، على مراد ، شاكر عبد الوهاب ، سيد خليل ، عبد العزيز حنفي ، عز الدين عبد القادر مصطفى الجندى ، محمود محمود نديم ، محمود هدهد ، ملاك منصور ، السيد عطية ، السيد سليم ، عبد اللطيف سالم ، مكى مدنى ، عبد الله كامل عيد ، عبد الرحمن الصوالحى ، محمد راشد ، أنور حنفي ، زكريا راتب ، حسين الارناءوطى ، مصطفى كامل ، على سالم ، محمد عبد الكريم ، محمد عبد الباقى سرور ، محمد عبد الكريم يوسف ، محمد عبد المنعم نزار ، محمد ابراهيم الحنفى ، محمد عبد الجواد خضير ، أمين محمد طبرة ، محمد محمد على ، سالم سيد عثمان ، محمد على رضوان ، عبد المنعم عبد الرحمن ، محمد سعودى ، جمال الدين ناصر ، محمد مصطفى عبد الرحمن بنيس .

★★★

وأستأذن القارىء فى أن أنقل سطورا من المذكرات الخطية التى أودعها لدى الحاج أحمد رمضان زيان – شيخ فدائيى الاسكندرية ، عن مصر الفتاة بالاسكندرية : يقول الحاج رمضان وجدنا – جمعيتنا السرية التضامن الأخوى – ان أحمد حسين ، وفتحى رضوان والشهدى وحسين رمزى الارناءوطى وغيرهم وغيرهم كانوا على رأس جمعية مصر الفتاة التى تصدر جريدة الصرخة ، ورأت الجمعية أن تستعين بهم فى أغراضها : أجمعت اللجنة التأسيسية بالاسكندرية وقررت مساعدتها بكافة الوسائل ، اذ ان جمعية مصر الفتاة ، كانت دعايتها ظاهرة وعلنية فأرادت جمعيتنا أن توجه أعضاء مصر الفتاة الى التمرينات والتدريبات العسكرية ولما كنت أملك بعض مساحات من الأرض بسيدى بشر قبلى السكة الحديد فقد عملت على انشاء معسكر على مساحة حوالى الثلاثة آلاف ذراع مربع أحطناها بالأسلاك الشائكة ، كما أوجدنا بها أهدافا من البناء لتكون هدفا للرماية وأنشأنا مسجدا صغيرا ، وفرشناه بالحصر ، يقيم الأعضاء الصلوات فيه بعد اعلان الأذان فى كل وقت ، وقد أصبح معسكرا بحق .. واحتياطيا كتبت عقد ايجار لأحمد حسين ، رئيس جمعية مصر الفتاة ، عن أرض فضاء تستغلها لأغراض الجمعية كان على رأس القلم المخصوص بمحافظة الاسكندرية ضابط هو على ما أذكر ، السيد زهران وقد قامت قيامته ، وأهاج رجال البوليس خصوصا السريين منهم وجاءوا يطلبون منى العمل ، على ازالة هذا المعسكر واعتذرت بأننى أجرت أرض فضاء ومع أحمد حسين ، عقد الايجار ، فلا يمكن أن أعمل شيئا ! وجرى فى هذه الأثناء أن اعتزم أحمد حسين أن يلقى خطابا سياسيا بالاسكندرية وأعددنا له منشورا مطبوعا من خمسة آلاف نسخة وتسلم جزءا منه أعطاه الى أكثر من واحد ، من أعضاء جمعيته . أما الباقى فقد سلمته لباعة الصحف وأعطيتهم أجورهم ، واتفقت مع أحمد حسين على أن

توزع المنشورات فى الساعة الثانية تماما • وعلى أن يكون القاء خطابه فى الساعة الخامسة وحدث ، أن خرج بعض أعضاء جمعية مصر الفتاة ، فى الساعة الحادية عشرة صباحا ، يوزعون ما بأيديهم من المنشورات فتنبه البوليس السرى ، الى خطورة المنشورات وسرعان ما نزلت أعداد كبيرة من البوليس لتتلقف باعة الصحف وهم يوزعون ما لديهم من منشورات وتم القبض عليهم ، وعندما سئلوا فى التحقيق ، اعترفوا بأننى الذى سلمتهم المنشورات ، وقبض على ، كما قبض على أحمد حسين • وأمام وكيل النيابة حضر الأستاذ سليمان حافظ ليتولى الدفاع عنا وأطلق سراحى وقدم أحمد حسين للمحاكمة بعد أن دفعنا له ولزملائه كفالة قدرها عشرون جنيها •

★★★

وفى هذه الأثناء كان السيد زهران ضابط رئيس القلم السياسى بالمحافظة يعمل هو ورجاله على ازالة جميع ما فى المعسكر من أخشاب وحوائط وأسلاك، ووضع أكثر من عشرين جنديا لمدة تزيد على خمسة عشر يوما ، حتى لا يقترب أحد من المعسكر •• ؟

ومن بين وثائقى التاريخية عقد الايجار المحرر فى أول يوليو ١٩٣٤ بين أحمد رمضان زيان وبين الأستاذ أحمد أفندى حسين الخاص باستئجار أرض براح بسيدى بشر ، بقصد استعمالها مضيفا لأعضاء جمعية مصر الفتاة ومدة الايجار سنة من أول يوليو ١٩٣٤ الى آخر يوليو ١٩٣٥ ، وقيمة الايجار اثنا عشر جنيها مصريا فى السنة : جنيه واحد فى الشهر !

والجدير بالذكر ان جمعية التضامن الأخوى ــ السرية ــ كانت من أقدم الجمعيات الفدائية فى مصر وقد لعبت أخطر الأدوار قبل ، وفى أثناء وبعد ثورة ١٩١٩ وكان فرعها بالاسكندرية من أخطر الفروع بل كان نشاطه فى بعض الأحيان يطغى على نشاط الأصل ومقره القاهرة •

★★★

وقبل أن أدخل فى أعماق أعماق حركة الشباب المصرى فى الثلاثينات أقول : ان أستاذنا الكبيرة حافظ محمود وهو من أعمدة حركة الشباب المصرى وقتئذ وقد تلقيت منه الرسالة التالية :

أخى صبرى أبو المجد ••

أعتقد أن الوجه الآخر للحلقات التى تنشرها عن الجو السياسى المصرى فى الثلاثينات ، وهو وجه المقاومة الشعبية وكيف كانت فى مواجهة عبقرية اسماعيل صدقى باشا •• فالشعب كان أسبق من الساسة فى الاحتجاج على

دستور سنة ١٩٣٠ ـ وكانت مظاهرة عمال عنابر السكة الحديد هي القذيفة الأولى في هذا الموقف ·· لم يكتف العمال بالاضراب الذى ترتب عليه توقف جميع القطارات يوما ·· بل قاموا بمظاهرة عارمة يكفى فى وصفها أن الحاكمدار « رسل باشا الانجليزى » هرع الى رئيس الوزراء صدقى باشا ، معلنا أن قواته البوليسية عجزت عن تفريق هذه المظاهرة لأن العمال قد استطاعوا أن يغرقوا قوات الأمن باستخدام خراطيم المياه « الساخنة » تتساقط منها فتشوى وجوه العساكر ·

نظر رئيس الوزراء « صدقى « الى الحاكمدار الانجليزى « رسل » مبتسما ابتسامته الشهيرة قائلا : « غلب حمارك يا سعادة الحاكمدار ؟ » ·

ـ نعم غلب حمارى يادولة الباشا ·

فاذا بدولة الباشا يرفع سماعة التليفون ، ويطلب مدير شركة مياه القاهرة ، ويعطيه اشارة رسمية يقطع المياه عن حى بولاق الذى احتشد فيه العمال بخراطيمهم الساخنة !

·· وحلت عبقرية صدقى باشا مشكلة الحاكمدار » ·

فى صحراء « أبو زعبل » !

ولم يجد زعماء المعارضة بدا من أن ينزلوا هم بأشخاصهم الى ميدان المقاومة ، فاتفق النحاس باشا رئيس « الوفد » مع محمد محمود باشا رئيس الأحرار الدستوريين على أن يشكلا وفدا من أقطاب الحزبين برياستهما لزيارة الأقاليم والالتقاء فيها بالجماهير ·

وفى الموعد المحدد لسفر الزعيمين ومن كان معهما كان ميدان المحطة وفناء المحطة قد تحولا الى كتل بشرية تهتف لهما وتهتف ضد حكومة صدقى ·

ولم تنفع جهود رجال الشرطة فى محاولة تفريق هذه الكتل ·· لكن تدافع الناس ترتب عليه سقوط بعض ازرار سترة النحاس باشا وسقوط طربوش محمد محمود باشا ··

★★★

وهى الواقعة الوحيدة التى علقت عليها جريدة « التيمس » بقولها ان زعيم الارستقراطية المصرية قد أهين بسقوط طربوشه تحت الأقدام ·· والطريف فى هذه الواقعة أن جريدة « السياسة » نشرت فى اليوم التالى تكذيبا لسقوط طربوش زعيم الأحرار الدستوريين !

وقام القطار دون أن يدركه الزعماء · فعادوا فى يوم آخر الى قطار آخر

لا تعلم الجماهير القاهرية شيئا عنه ٠٠ لكن أجهزة الأمن كانت تعلم ، فاذا بها ترتب فصل عربات القطار عن العربة التى يركبها الزعماء واذا بالقاطرة تتجه بهم وهم لا يعلمون — الى نقطة خالية فى صحراء « أبو زعبل » ٠

وكانت مفاجأة غير سارة للزعماء ، لكن المفاجأة الأخرى أنهم وجدوا هناك الحاكمدار « رسل باشا » فى انتظارهم ٠٠ وبمنتهى النعومة تقدم الحاكمدار من النحاس باشا ومحمد محمود باشا طالبا منهما « الصفح » عن هذا التصرف الذى اقتضته سياسة يقول انه لا دخل له فيهـا ، وأنه مستعد أن يستدعى سياراتهم أو غيرها فورا ليعودوا الى بيوتهم ٠

وثار الزعيمان ، وأصرا على البقاء فى هذا المكان حتى يأتى قطار يستقلانه لاتمام رحلتهما فى الأقاليم ٠٠ لكن جميع القطارات كانت قد تحولت الى مسارات أخـرى !

وجلس النحاس باشا ومحمـد محمود باشا على أريـكة خشبية صغيرة مما يستخدمه عمال الاشارات ٠٠ ومرت الساعات وهما يرفضان التحول عن رأيهما ٠٠

★★★

وأخرج الحاكمدار « رسل باشا » منديله من جيبه وأخذ يبكى بحرارة ، لست أدرى كيف ؟! — محاولا اقناعهما بالعدول دون جدوى ٠٠

وأقبل المساء ٠٠ وانقضى هزيع من الليل والزعماء مرابطون هناك بينما كان القلق يستبد بأسرهم وأنصـارهم الذين علموا أن قادتهم لم يصلوا الى الريف ، ولم يرجعوا الى القاهرة ٠٠ فلما علموا بعد البحث ، بما حدث بعد منتصف الليل أسرع وفد من الحزبين الى صحراء « أبو زعبل » لاعادة الزعماء ٠

تكررت هـذه الأحداث تباعا ، وأحس الشـباب ان الأسلوب التقليدى للمقاومة لم يعد يجدى ٠٠ وفى حديث لنا — وكنا طلابا — مع الصحفى المفكر سلامة موسى — أشار بأن أفضل طرق المقاومة العصرية هى المقاومة الاقتصادية ٠٠ واتفقنا على أن يوكل اعداد هـذه المقاومة الى لجنـة مشـتركة من الطلبة والأساتذة ، كان من نصيبى أن أكون مندوب الشباب فى هذه اللجنة ٠ وقد اشترك فى أعمال هذه اللجنة من الأساتذة أستاذنا المرحوم أمين الخولى ، ومن أساتذة الاقتصاد المرحوم الدكتور محمد أبو طايله ، ومن رجال التعليم المرحوم الأستاذ محمد عبد الصمد مؤسس مدارس رقى المعارف ومن المحامين المرحوم الأستاذ أحمد ابراهيم المحامى الذى تم اجتماع هذه اللجنة فى مكتبه ٠

وفى بداية هذا الاجتماع عرض الأستاذ سـلامة موسى مشروعا متكاملا لمقاطعة البضائع الأجنبية تنفذه جمعية اختار لها اسم « المصرى للمصرى » وتبرع

بان يكون مقرها فى دار مجلته بميدان محطة مصر وكان اسمها « مجلة المصرى » وهى غير جريدة المصرى اليومية ٠

★★★

وتمت الموافقة على هذا المشروع وتم انتخاب الأستاذ سلامة موسى رئيسا للجمعية وانتخابى سكرتيرا عاما ٠٠ وتقدم الأستاذ محمد عبد الصمد بتبرع كبير مقداره ألف جنيه ، واتفقنا فى اجتماع لاحق على أن يقيم بمبلغ الألف جنيه معرضا فى وسط المدينة تحشد فيه نماذج من منتجات الصناعات المصرية مع دراسة بأفضلية هذه المنتجات عن مثيلاتها من البضائع المستوردة ، وأعددنا بالفعل كراسة مطبوعة بأسماء هذه المنتجات وأسماء منتجيها وأسماء المحال التى تبيعها ٠

وتبينت لنا ضخامة هذا المشروع ، فقررنا أن نلجأ الى الزعيم الاقتصادى طلعت حرب باشا لمعاونتنا ، فاذا به يضع أكثر مما كنا ننتظر ، لقد أخذ منا الألف جنيه وأضاف اليها ألوفا ، وكلف بعض معاونيه بانشاء شركة بيع المصنوعات المصرية التى تطل على ميدان الأوبرا حتى الآن ٠٠

كان شعار الشركة عند انشائها هو « صناعة الوطن تبنى مجد الوطن » ولهذه العبارة قصة :

كان من أنشطة ، جمعية المصرى للمصرى عقد المؤتمرات الشعبية ، وفى أول هذه المؤتمرات بالقاهرة وقد أقيم فى مسرح برنفانا بشارع عماد الدين ـ وقفت أخطب ـ بعد الأستاذ سلامة موسى ـ وبعقلية يافعة خلعت رباط الرقبة المستورد الذى كنت ألبسه ووضعت مكانه رباطا آخر من صنع مصانع المحلة الكبرى التى ظاهرت حركتنا بانتاج منتجات جديدة ، وأنا أقول « صناعة الوطن تبنى مجد الوطن » ٠

★★★

وبين التصفيق والهتاف نزع ألوف الشباب الحاضرين أربطة الرقبة المستوردة التى كانوا يلبسونها وجمعوها فى كومة واحدة ، وأشعلوا فيها النار وهم ينشدون نفس الكلمة بموسيقية عفوية مرتجلة « صناعة الوطن تبنى مجد الوطن » ٠

وليس من شك ان هذه الحركة قد أزعجت حكومة صدقى باشا ، فبدأت تقاومها ، على الأقل للحفاظ على الاتفاقات التجارية مع الدول الأجنبية التى كان صدقى باشا شديد الحرص عليها ٠

ولم تفد المقاومة الحكومية بل كان من نتائجها اننا حين كنا نذهب الى

الأقاليم ـ سلامة موسى وأنا ـ كنا نحمل على الأكتاف ـ خاصة بعد أن انضم الى « المصرى للمصرى » عشرة آلاف طالب فى القاهرة والأقاليم ٠

هنا بدأ الاضطهاد ينصب على رأس سلامة موسى باعتباره رأس هذه الحركة ـ كان هذا الاضطهاد يتمثل فى تكرار مساءلته عما تنشره مجلته الأسبوعية حتى توقفت هذه المجلة عن الصدور ٠ وأغلقت أبوابها ٠٠ فاتجهنا بحركتنا الى « نادى كلية التجارة » وأسسنا فيه جمعية الاستقلال الاقتصادى ، برئاسة رئيس التجاريين اذ ذاك المرحوم عبد الله بك أباظة واستأنفت جمعية الاستقلال الاقتصادى رسالة جمعية المصرى للمصرى ٠٠

وكان شباب هذه الجمعية ينظمون ـ لأول مرة ـ مظاهرات من نوع جديد ٠٠ نوع لا تستطيع الحكومة أن تقول بأنه يقلق الأمن ـ مظاهرات تهتف بحياة المصنوعات الوطنية وسقوط المصنوعات « الاستعمارية » ٠٠ وكانت هذه كلها صورا جديدة من المقاومة للحكم الديكتاتورى ٠

الى أن يقول الأستاذ حافظ محمود :

على ان المقاومة الشعبية أخذت فى بعض جوانبها طابعا عجيبا آخر ، هو طابع « الفن » ٠٠ ولست أريد هنا أن أحلل ما كان يقدمه مسرحا الريحانى وعلى الكسار من كوميديات المقاومة العجيبة ٠٠ لكننى سأتوقف هنا عند واقعة بارعة لم يذكرها أحد حتى الآن ٠

فى صيف ١٩٣٢ أنشأت الفنانة « ببا » ملهى لها على كورنيش البحر بالاسكندرية ٠٠ وفى كل ليلة يقف على خشبة المسرح فى هذا الملهى فتى من البلاد الشقيقة ـ أو هكذا كان يدعى ـ ليلقى منولوجا واحدا لا يتغير طوال أشهر الصيف ، وكله حملة على صدقى باشا واشارات الى التهم ـ التى لا أعتقد فى صحتها ـ الموجهة اليه بالنسبة لانشاء الكورنيش ٠٠

كان المنوالوج يقول باللهجة الشامية :

« يا ريت الله يفرحنى وبصير وزير » ٠

« خبطة والتانية وآجى مليونير » ٠

« مانتو شافين هادا الكورنيش » ٠

« لكن كورنيش واحد ميكفيش » ٠

فلما سقطت وزارة صدقى باشا عادت المقاومة الى طبيعتها السياسية ٠٠ وهذا واضح من المحاكمات المتتالية لكتاب الصحافة « وكان من هذه المحاكمات محاكمة محررى جريدة الصرخة التى جاء ذكرها فى هذه الحلقات » لكن محاكماتنا نحن محررى هذه الجريدة كان لها لون متميز عن محاكمات الكبار

من أساتذتنا فى الصحافة .. كنا ثلاثتنا ـ أحمد حسين وفتحى رضوان وأنا ـ نذهب الى دار القضاء وأيدينا متشابكة ونحن ننشد بأعلى أصواتنا نشيد « لك يا مصر السلامة ، وسلاما يا بلادى » .

لقد دخلنا السجن وفى أفواهنا هذا النشيد . فاذا بنزلاء السجن جميعا يقابلوننا بالتصفيق والهتاف .

وفى السجن التقيت ـ لأول مرة ـ بالزميل الرسام « رخا » .. كان محكوما عليه بالسجن أربع سنوات بتهمة العيب فى الذات الملكية كانت السلطات قد ضاقت برسوم الرسام الشاب « رخا » . فدفعت برسام ، غير صحفى ، لكى يدخل على أحد رسوم رخا فى ورشة الحفر بعض الأحرف التى كانت تشكل سبا فى عرض الملك . ولم يستطع أحد اكتشاف هذه الدسيسة فصدر الحكم بادانة « رخا » انتقاما من رسومه الأخرى أو لوقف هذه الرسوم الى أمد طويل .

ومن المعروف ان جو المقاومة قد أخذ فى نوفمبر سنة ١٩٣٥ طابعا ثوريا .. واليك بعض وقائع هذه المرحلة الهامة :

★★★

كانت الأحزاب تحتفل كل ١٣ نوفمبر احتفالا يسمى « عيد الجهاد الوطنى » .. وفى ١٣ نوفمبر ١٩٣٥ تعمد محمد محمود باشا زعيم الدستوريين أن يكون موعد احتفاله بهذه المناسبة أسبق من احتفال « الوفد » .

وخطب محمد محمود خطابا على جانب خطير من الأهمية .. قال ان مصر ـ رغم انها لم تكن عضوا فى عصبة الأمم ـ اشتركت على عهد وزارته الأولى سنة ١٩٢٨ فى توقيع « ميثاق كيلوج » الذى وقعته الدول الكبرى أعضاء العصبة ، وبذلك لم يكن من حق حكومة صدقى باشا أن تتنازل عن واحة جغبوب دون عرض الأمر على عصبة الأمم .. وكذلك ليس من حق وزير الخارجية الانجليزى صمويل هور أن يصرح تصريحه الذى صدر قبل أيام برأيه فى استحقاق مصر أو عدم استحقاقها ـ كما قال الوزير البريطانى ـ للحكم الدستورى واطلاق الحريات العامة .

وقال محمد محمود فى هذا الخطاب ان حكومة نسيم باشا صارت أشد خطرا من حكومة صدقى باشا لانها ألغت دستور سنة ١٩٣٠ لكنها لم تعد دستور سنة ١٩٢٣ الذى تطالب به الأمة ، وبالتالى لا حق لهذه الوزارة فى البقاء حتى من الناحية الشكلية .

ولأول مرة فى تاريخ محمد محمود استطاع أن يلهب عواطف الشباب فاذا بعشرة آلاف شاب يخرجون من حفلة الدستوريين فى مظاهرة الى حفلة « الوفد » حيث كان النحاس باشا يلقى خطابه

وعلى اثر خطاب النحاس باشا استأنفت هذه الجموع مظاهرتها ، فلما التقى الشباب بباب سرادق احتفال الوفد بالأستاذ ابراهيم عبد الهادى طلبوا منه كلمة ، فقال : « اعملوا يا أولاد كما كنا نعمل فى سنة ١٩١٩ » ٠

وفى اليوم التالى قامت ثورة شباب سـنة ١٩٣٥ المعروفة بكل حرارتها وتضحياتها وشهدائها المعروفين ٠

عندئذ سقطت الوزارة وجاءت وزارة أخـرى برياسة الدكتور على ماهر ومعها دستور سنة ١٩٢٣ وقرار باجراء الانتخابات البرلمانية ٠

وعندئذ رأت بريطانيا تحت ضغط الشعب المصرى فى الداخل وتحت تأثير مقدمات الحرب العالمية فى الخـارج ضرورة عقـد معاهدة تحالف مع مصر ٠ واشترطت التوقيع هذه المعاهدة وفدا مصريا يمثل الأحزاب جميعا ٠

كانت مهمة تشكيل هذا الوفد عسيرة عجز عنها فى البداية رئيس الوزراء على ماهر ، فاذا بالملك فؤاد يستدعى الزعماء جميعا الى غرفته الخاصـة فى القصر اذ كان مريضا ، واذا به يستغل ظروف مرضه فى دعوتهم الى الائتلاف من جديد ، واستخدم الملك فؤاد دموعه للحصول على موافقتهم ٠٠ فوافقوا ٠٠ وتشكل وفد المفاوضات ٠

***

وليس من شك ان أغلبية فصول قصة معاهدة سنة ١٩٣٦ التى اشترك كل الساسة فى التوقيع عليها معروفة ٠٠ لكن العجيب ان اثنين من الموقعين على هذه المعاهدة ـ وهما محمد محمود باشا زعيم الدستوريين وأحمـد ماهر باشا ، وكان من أعضاء الوفد ـ عندما عرضت المعاهدة على البرلمان سجل كل منهما تحفظه عليها ٠٠ وترجم الدكتور محمد حسين هيكل هذه التحفظات فى مناقشة المعاهدة بمجلس الشيوخ قائلا : ان كنتم تريدون من هـذه المعاهدة استقلالا تاما فارفضوها واما ان كنتم ترون فيها خطوة ايجابية على طريق الأمانى القومية فاقبلوها ٠٠ » ٠

***

رسالة من العراق

ومن بين الرسائل التى تلقيتها رسالة من العراق ، كتبها الأخ والصديق المهندس حنفى الشريف ، أحد أعضاء مجلس النواب المصرى ، السابقين ، يقول فيهـا :

العراق فى ١٩٧٨/٤/١

عزيزى الفاضل الأستاذ صبرى أبو المجد ..

تحياتى وتمنياتى الطيبة - وبعد - قرأت كل ما كتبته عن أيام ما قبل ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ وكنت طوال الوقت فى الخارج وفى السابق قرأت كتبك كلها منذ كتاب ، أمين الرافعى ، وتدوين التاريخ مهمة صعبة ودقيقة وحساسة. ففى رأيى أن كلمة (المؤرخ)لا تمنح الا نادرا جدا وفعلا فالمؤرخون منذ هيرودوت يعدون على الأصابع .

أما وقد بدأت فى محاولة تأريخ حوادث وأفكار الشباب قبل يوليو سنة ١٩٥٢ وتسجيل ذكرياتهم وهى محاولة ستحرك مشاعر هذا الجيل كله لأنه رأى ولمس وعاش هذه الأحداث . ثم يقول المهندس حنفى شريف :

تكملة لما ذكرته عن موضوع الملابس المستوردة وكيف تم حرق (الكرافتات) الآتية والمصنوعة فى الخارج وكانت بداية لحركة شعبية عارمة عمت المدن والقرى شمالا وجنوبا وأذكر أننا حرقنا كثيرا من (البدل) فى ميدان (باب الخلق) ونشرت الصحف والمجلات المصورة ذلك سنة ١٩٣١ .

وأذكر ان بعض المصريين لبسوا طرابيش من (جوخ أخضر) ولها زر أبيض ومنظرهم وهم سائرون فى الشوارع كان كافيا لاثارة النفوس وثورتها ضد المستعمر .

***

كما أذكر اننا فى سوهاج كونا جماعة وصنعنا (كرافتات) من قماش العلم فى هذا الوقت (أخضر) وعليها قماش أبيض على هيئة هلال وثلاثة نجوم وقدمت لمحكمة سوهاج وكنت طالبا فى الثانوى ودخلنا جميعا المحكمة بهذه الكرافتة .وكانت حماستنا أمام القاضى وتصميمنا رائعا فى المناقشة العلنية ثم صدر أمر المحكمة باخلاء سبيلنا وهنا قدمنا للقاضى (كرافته) ليلبسها وفى اليوم التالى رأت الجماهير فى أقصى الصعيد قضاة ومحامين ومدرسين يلبسون هذا اللون وأصبحت ثورة عملية ضد المصنوعات المستوردة .

ومن الغريب حقا اننى كنت وأنا طالب سنة ١٩٣٠ بالثانوى أراسل جريدة (الوادى) ووكيلا موزعا لمجلة (المجلة الجديدة) التى كان يصدرها الأستاذ سلامة موسى وفى ذات يوم ظهرا فاجأتنى قوة من البوليس ومعهم ناظر المدرسة (الحملاوى) وأخذوا يفتشون (درجى) فى الفصل ولم يجدوا الا كتابا دراسيا واحدا ووجدوا أكواما من (المجلة الجديدة) جاهزة للتوزيع وكانت شهرية مثل المقتطف والهلال وصدر أمر بالتليفون من (وزير المعارف) فى وزارة صدقى بالفصل النهائى ..

وبهذه المناسبة أرسل لك من أرشيفى بعض الصور لرحلة الزعيم سعد زغلول سنة ١٩٢٤ على الباخرة (نوبيا) الى بلاد ومراكز وقرى الصعيد وكان البوليس يمنعها فكان الناس يلقون بأنفسهم فى النيل كى يصلوا سباحة الى الباخرة وكان الناس يرفعون علما عليه هلال وصليب فى كل مكان كما سارت النساء محجبات يلبسن (الحبرة) فى مظاهرات رائعة ٠

انه شعب مصر الخالد الذى ظل صامدا على ضفاف النيل منذ سبعة آلاف عام متمسكا بالدستور رمزا للحرية محاربا لكل مستعمر منتصرا دوما فى كل معاركه ٠

وهناك ذكريات لا عد لها ولا حصر ٠

قوانا الله لتدعيم الديموقراطية وطرد المستعمر ــ أى مستعمر ــ مهما كان ومهما بلغ جبروته وطغيانه ٠

دعواتى لك بالتوفيق والسلام ٠٠

المخلص

حنفي الشريف

وبعد رسالتى حافظ محمود ، وحنفي الشريف ننشر رسالة مطولة للدكتور محمد بلال ــ من زعماء شباب ١٩٣٥ ورئيس حركة القمصان الزرقاء ــ وهو خير من يتحدث عن ثورة الشباب المصرى عام ١٩٣٥ ٠

الفصل الثاني

زعماء ثورة ١٩٣٥

يتحدثون إلينا لأول مرة عن الثورة

في رسالة بعث بها الينا د٠ محمد بلال تتعلق بحركات الشباب في الثلاثينات قال فيها :

كان الشباب من جيل ١٩٣٥ تملؤه مشاعر الحب لوطنه وكان منشغلا دواما بقضية البلاد ويتابع بوجدانه كل ما يمس هذه القضية من بعيد أو قريب تماما كما يتابع جيل اليوم دورات كرة القدم ! ٠٠ وكانت أفكاره وخلجاته في أخبار القادة والساسة مثلما تتعلق أفكار الكثير من جيل اليوم بأبطال الفن والمسرح والسينما ! ٠ من هنا كان لجيل ١٩٣٥ وزن ثقيل في توجيه سياسة مصر وتطوير قضيتها مما يسجل له التاريخ صفحات خالدة مشرقة عنها ٠٠ وهو أمر طالما تمنيناه في الجيل الجديد ٠

***

بدأت ثورة الشباب عام ١٩٣٥ أو ما يسميها بعض المؤرخين ثورة الدستور ويسميها فريق آخر ثورة الدستور والاستقلال ٠٠ بدأت حين أحس الشباب اذ ذاك بالمماطلة من جانب العدو المحتل في الجلاء ومن جانب القصر ووزارة توفيق نسيم في عودة الدستور بعد أن ألغت دستور صدقي الذى أقحم على الشعب ١٩٣٠ ٠ وكان الالغاء في نوفمبر ١٩٣٤ ٠٠ وتطور الملل في نفوس المواطنين وأخذ الشعور نحو التحرك لعمل وطني يختمر في وجدان الشعب بجميع فئاته ٠٠ وبدأ هذا التحرك في يناير ١٩٣٥ حين عقد الوفد مؤتمره الوطني الكبير وطالب فيه بعودة الدستور ١٩٢٣ كاملا غير منقوص ٠٠ كذلك في العمل على حل قضية البلاد على أساس تحقيق الاستقلال التام وكذلك طالب بعلاج كثير من المشاكل الداخلية في البلاد على ضوء تقارير اللجان المتخصصة في المؤتمر ٠٠

***

وحين اشتدت المطالبة بعودة الدستور من جميع طبقات الشعب وأصدر صمويل هور وزير خارجية بريطانيا تصريحه المشهور بأن الوقت غير مناسب لعودة ذلك الدستور اجتاح الغضب فيمن اجتاحهم شباب الجامعة والمدارس ٠٠ ونشر بيان هور فى الصحف بتاريخ ١٠ نوفمبر ١٩٣٥ وعقب ذلك اجتمعت الهيئة البرلمانية الوفدية بكامل هيئتها بالنادى السعدى بتاريخ ١٢ نوفمبر واتخذت القرارات التى أعلنها رئيس الوفد مصطفى النحاس فى الاجتماع الكبير فى اليوم التالى احتفالا بعيد الجهاد الوطنى مساء ١٣ نوفمبر ١٩٣٥ ٠ ومن هذه القرارات نداء الى الأمة بعدم التعاون مع الانجليز وسحب الثقة من وزارة نسيم والمطالبة باستقالتها واعلانه أن أى وزارة تقبل الحكم على الأساس القائم اذ ذاك تعد خارجة على البلاد ويجب مقاومتها ومحاربتها ٠ وجاء فى خطاب رئيس الوفد تعقيبا على تصريح هور : ان عودة دستور مصر من شأنها وحدها وليس لانجلترا - حتى تصريح ٢٨ فبراير الذى رفضناه - ان تتدخل فى هذا الشأن أو غيره - وأشار الى الجيش المصرى فى خطابه بقوله : « لقد شاءت السياسة الظالمة التى أتبعتها بريطانيا منذ الاحتلال أن يكون جيشنا قاصر العدة والعدد فى الدفاع عن حياض مصر ومن واجبنا كدولة مستقلة ذات سيادة وأمة أبية ذات كرامة أن تتولى نحن حماية الذمار والذود بكل ما نستطيع عن الديار » ٠٠ ثم قال : لن تقبل مصر اليوم أن يساق أبناؤها الى ميدان القتال وتؤخذ أقواتها وتستخدم ثكناتها وموانيها قهرا وغلابا واغتصابا ٠٠ » ٠

وكان ممثلو طلاب الجامعة قد أذاعوا بيانا للشباب يحضونه على الجهاد من أجل قضية البلاد كما كان الشعور الوطنى يغمر ساحات المدارس فى مختلف الأنحاء ٠ فما أن أقبل موعد عيد الجهاد ١٣ نوفمبر حتى تدفقت جموع الطلاب فى مظاهرات عارمة نحو بيت الأمة من الجامعة ومدرسة التجارة المتوسطة بالظاهر والفنون والصناعات وغيرها ومرورا بثكنات قصر النيل والسفارة البريطانية حيث هتفوا بسقوط بريطانيا ومستر هور وقذفت جموع منهم القنصليه البريطانية ٠ الى أن يقول د٠ بلال :

★★★

« وكذلك تظاهر الطلاب فى معهد طنطا الدينى ٠ وقد هاجم البوليس تلك الحشود وأصاب منها الكثيرين ورابطت جموع غفيرة منهم بالسرادق الكبير بجوار بيت الأمة فى انتظار خطاب مصطفى النحاس مساء ١٣ نوفمبر ٠٠

ويقول د٠ بلال :

وما ان انتهى رئيس الوفد من خطابه حتى اندفعت الجموع فى هتاف كالرعد ضد الانجليز وأطلق الضباط الانجليز العاملون بالبوليس المصرى النار على المتظاهرين - وعلى رأسهم مساعد الحكمدار لوكاس - فصرعوا أول ما صرعوا

العامل اسماعيل الخالع وأخاه عبد السميع الخالع الذى أصيب بجروح بالغة مع مائة وخمسين غيره وتم اعتقال مائتين من الشباب ٠٠ وفى صبيحة اليوم التالى ١٤ نوفمبر اندلعت الثورة فى صفوف الطلاب جميعا وانطلقت من كليات الحقوق والآداب والهندسة جموع حاشدة الى كوبرى عباس مرورا بالمدرسة السعيدية والطب البيطرى وعقب كلمات ملتهبة من خطبائهم وتلاوة القسم الوطنى بالكفاح من أجل الوطن بكل ما يملك الانسان ٠٠ وهناك استقبلهم رصاص الضباط الانجليز على الطرف الآخر من كوبرى عباس بقيادة الضابط ليز وبأمر من كين لويد الانجليزى الكبير بوزارة الداخلية ٠٠ واستشهد بطل كلية الزراعة محمد عبد المجيد مرسى وأصيب كل من عبد الحكم الجراحى والذى توفى الثلاثاء ١٩ نوفمبر ١٩٣٥ ـ وهو بطل كلية الآداب ٠

كما أصيب كل من ابراهيم شكرى من الزراعة وعبد القادر زيادة من الحقوق ومحمود مكى من الآداب وغيرهم ٠٠ وكان شهيد آخر قدم حياته لوطنه فى طنطا وهو الطالب محمد عبد المقصود شبكة بطل المعهد الاحمدى ٠

★★★

وصبيحة ١٦ نوفمبر ضرب كونستابل انجليزى الطالب على طه عفيفى من دار العلوم على مؤخرة رأسه بهراوة ثقيلة نقل على أثرها الى قصر العينى مثل الذين سبقوه ولكنه أسلم الروح بطلا شهيدا مبرورا صباح يوم ١٧ نوفمبر ١٩٣٥ ٠

★★★

واندلعت فى الاسكندرية والمنصورة وشبين الكوم وبور سعيد والزقازيق ثورات عارمة للطلاب وأصيب من أصيب واعتقل المئات ولم يبق طالب أو شاب على أرض مصر لم يردد هتاف مصر ونداء حريتها ودستورها ٠٠ وانطلقت القصائد على ألسنة الشعراء منهم يؤججون نار الثورة ويستنصرون المواطنين وتوالت مظاهرات الطلاب من جامعة القاهرة حتى صدر بيان باغلاقها ـ وأقيمت الجنازات الصامتة فى كل مدينة وقرية ـ وأبرق الطلاب من خارج مصر يشجعون من فى داخلها واحتجوا لدى عصبة الأمم على طغيان الانجليز وعدوانهم ٠٠ وترددت صيحات الحرية فى كل بيت وسوق ومسجد وكنيسة ورفعت أعلام الثورة فى كل مكان وسمع العالم حينئذ صوت مصر عاليا مدويا فى الآفاق ـ ووضع كل طالب شارة الثورة على صدره وهى من شريطين الأسود رمز القوة والحداد والأحمر رمز الدماء ـ وتكررت مظاهرات الجامعة مرة أخرى فوق كوبرى عباس وفتح الضابط نوبل الكوبرى لمنعها وتغلب الطلاب على قوة الشرطة وأغلقوا الكوبرى وأصيب مساعد الحكمدار لوكاس فى رأسه اصابة جسيمة ـ وأحرقت مركبات الترام بشارع قصر العينى ـ واستعمل طلاب كلية الصيدلة زجاجات

مولوتوف يقذفون بها البوليس ·· وامتلأت الشوارع المحيطة بجميع المدارس بالأحجار وبقايا الأشجار ـ وأغلق الأزهر قبل موعد اغلاقه المقرر فى رمضان ··

★★★

كان مصطفى النحاس قد انتهى من خطابه مساء ١٣ نوفمبر ١٩٣٥ مخاطبا بريطانيا العظمى « لن تقبل مصر بعد اليوم أن يساق أبناؤها الى ميدان القتال وتستخدم ثكناتها وموانيها وتؤخذ أقواتها قهرا وغلابا واغتصابا » وكان مكرم عبيد سكرتير الوفد قد خاطب المرأة المصرية بقوله : « اغضبى أيتها المصرية فانك ان لم تغضبى فليس لك أن تنجبى » · وكما قلت : كان أول الشهداء العامل اسماعيل الخالع ·· صرعته رصاصة أمام سرادق عيد الجهاد ونقل الى قصر العينى حيث حمل البوليس جثمانه مساء اليوم التالى فى عربة مقفلة يحيط بها جنود بلوك النظام ودفن خلسة تحت جنح الظلام ·

★★★

يحيا الشهيد : كان هذا هتاف طلبة كلية الطب يستقبلون به الشهيد الثانى محمد عبد المجيد مرسى حين أقبلت محفة تحمل جثمانه الى مشرحة الكلية صباح ١٤ نوفمبر ·· وما لبث الطلاب حتى سمعوا ولولة الممرضات داخل المستشفى وهتافهن وكانت بينهن شقيقة الشهيد · وأخذنا نخطط فورا للاحتفال شعبيا بجنازة عبد المجيد وتسللنا ليلا فى غفلة من البوليس واستولينا على مفتاح الثلاجة بعد أن علمنا أن البوليس كان يخطط هو الآخر لنقله خلسة فى الظلام الى الاسكندرية مثلما نقل جثمان الخالع ··

ولاحظنا أن رجلا ظل ملازما الجثمان أمام الثلاجة ولا ينطق بكلمة ولا يفصح عن هويته وحسبناه من رجال المباحث أول الأمر ثم اتضح فيما بعد أنه والد الشهيد ينفذ تعليمات البوليس بعدم الافصاح عن نفسه أو التحدث الى أحد ·· وزاد ذلك فى اطمئناننا الى نجاح خطتنا ·· غير اننا فوجئنا عند عودتنا صباحا باختفاء الجثمان ووالد الشهيد وعلمنا ان البوليس استولى على الجثمان قبل الفجر بعد كسر باب الثلاجة ونقله فى عربة مغلقة الى الاسكندرية مع والده حيث دفـن بمقبرة العمود ·· وهناك بالاسكندرية أطلق اسم الشهيد على أحـد شوارعهـا ·

★★★

أشرف سرقة فى لتاريخ

تعلمنا من سرقة البوليس بقيـادة امام ابراهيم لجثمـان الشهيد الثانى أن نبـادر نحن بسرقة الشـهيد الذى يليـه ·· والمعركة مسـتمرة ·· وكان على طه عفيفى شـهيد دار العـلوم ·· وذلك ايمـانا منا بأن اشتراك

الشـــعب فى تشييع شـهدائه سوف يزيد الثـورة اشتعالا فتشـــمل كل الربوع والأرجاء · وكان شهيدنا هــذه المرة قد صرعته هراوة كونســتابل انجليزى صبيحة ١٦ نوفمبر أمام كلية دار العلوم وأسلم الروح صباح ١٧ نوفمبر وأحضر الى المشرحة فى انتظار أن يخطفه البوليس ليلا كما فعل بالزميلين اللذين سبقاه ·· ولم نضيع وقتا ودلفنا فورا الى داخل المشرحة وفى غفلة من البوليس الذى لم يحسب حسابا لذلك ·· وحملنا جثمانه نحن الثلاثة من طلبة الطب « بلال وطراف وجوهر » · ووقف للمراقبة فريق آخر وعند باب الكلية فريق ثالث · وأخفينا الجثمان أسفل مدرج علم التشريح وتركناه مغطى بالصحف وأوراق المحاضرات واتفقنا على مغادرة الكلية جميعا وبقيت أرقب الأمر بمنزل أطباء الامتياز ومتخفيا عن البوليس داخل بالطو أحد الأطباء · وأسقط فى يد البوليس الذى حاصر الكلية برا وبحرا بقوات لا يحصرها العد ·· وانطلق ضباط القسم المخصوص وحكمدارية القاهرة ومأمور قسم السيدة يفتشون فى كل مكان داخل الكلية وخارجها واقتحم فريق من الضباط والجنـود منزلى بالمنيرة ·

***

وحطموا المكتب والدولاب والادراج وعثروا على بدلتى مخضبة بدماء الشهيد وكنت أرسلتها وارتديت غيرها داخل المستشفى · وحضر رسل باشا حكمدار البوليس وضباطه وكذلك وكيل وزارة الداخلية واشترك عميد الكلية الدكتور على باشا ابراهيم فى البحث عن واحد منا دون جدوى · وأشيع ان الجثمـان خارج الكلية وان الجنازة الشعبية يجرى اعدادها · واستشاطت الحكومة غضبا وتضاعف قلقها · وحين عثر عميد الكلية على فرأبدى نصحه باعادة الجثمان أجبته نيابة عن الطلبة أن الجثمان فى حوزتنا ولن نفصح عن مكانه حتى تجاب مطالبنا بالتصريح رسميا بتشييع الشهيد شعبيا بجنازة تجمع كل فئات الأمة والا فسوف يشيع بواسطة الشعب ورغم أنف الحكومة · وطالبت رفع الحصار عن الكلية والسماح للطلبة بالدخول والخروج وبعد اتصالات عديدة أمام أصرارنا وافقت الحكومة على مطالبنا وصرحت بتشييع الجنازة شعبيا فاتصلت بزملائى خارج الكلية وفتحت الأبواب واتصلنا بجميع الهيئات وشيع الشعب الجنازة الى مسجد السيدة زينب رضى الله عنهـا قبيل الغروب ودفن الشهيد بمدافـن المجاورين · وقد أطلق الأستاذ الكبير فكرى أباظة على هذا الحادث « أشرف سرقة فى التاريخ » فى صدر أعداد مجلة المصور آنذاك · ومما يذكر أن هذا الشهيد وشقيقته كانا آخر اثنين على قيد الحياة من أربعة عشر أخا وأختا ·

***

الشهيد الرابع :

ونحن منشغلون بتلك الأحداث كان عبد الحكم الجراحي يصارع الموت داخل المستشفى بعد اصابته بثلاث رصاصات من الضابط الانجليزي « ليز » فوق كوبري عباس صبيحة ١٤ نوفمبر بعد أن هجم على الضابط المذكور عقب اطلاقه الرصاص على « محمد عبد المجيد مرسي » ، « محمود مكي » ، « ابراهيم شكري » ، « عبد القادر زيادة » وآخرين ‥ وكنا بين الفينة والأخرى نلقى عليه نظرة ونعود لفناء الكلية ومعه الأطباء يبذلون قصارى جهدهم لانقاذ حياته ‥ وقد تعلقت به خواطر الطلاب جميعا بل الشعب بأسره ‥ وكم من فئة وجماعة وهيئة زارته ٠ وكم من زعيم أقبل عليه يطبع على جبينه أطهر القبلات ويغمره بالحب والاكبار والاشفاق ‥ وعلى رأسهم مصطفى النحاس وحرمه ولجان السيدات ‥ وامتلأ العنبر بباقات الزهور وقصائد الشعراء ودعوات الأمهات والآباء ‥ ولم يكن في مصر كلها مواطن أكثر مني سعادة واعتزازا حين وجد الاطباء دما من فصيلة عبد الحكم في عروقي وهناك أعطيته ربع دمي فورا وهو لتر كامل وكنت أصر بكل فخر أن أعطيه المزيد لأن الدم الذي يعيد الشهيد الوطني الى ساحة الكفاح لا يقل في حساب التضحية عن الدم المسفوح على أرض المعركة ‥ غير أن الله أراد له الخلود واستأثر به الى جواره مع الصديقين والشهداء ففاضت روحه الطاهرة صباح ١٩ نوفمبر ١٩٣٥ ــ ولكنه وهو سائر الى المنية بوعي وايمان عميق طلب أن يملي على أحد زملائه من حوله خطابا الى رئيس وزراء بريطانيا آنذاك بالانجليزية هذه ترجمته ــ الى رئيس وزراء بريطانيا « روح الشر » : « سيدي أحد رجالكم الأغبياء رماني برصاصة وأنا الساعة أمشي رويدا الى الموت ‥ ولكنني سعيد للغاية بأن أترك روحي تنزع مني وأضحي بدمي ‥ ان الموت أمر صغير وانه أعذب المذاق من أجل مصر ‥ فلتحيا مصر ‥ مصر فوق الجميع ــ لتحيا التضحية ــ ليسقط الاستعمار ولتسقط انجلترا وسيتولى الله عقابكم طويلا انتم وانجلترا « روح الشر » ‥

محمد عبد الحكم الجراحي

★★★

ثم أسلم الروح راضيا مرضيا وترك وراءه كتابا في التضحية تقرؤه الأجيال جيلا بعد جيل ‥ وشيعته مصر شبابا وكهولا رجالا ونساء يتقدمهم جميع الزعماء ورؤساء الهيئات ‥ وان أنسى لا أنسى وقفة الجرحى داخل المستشفى يتكاثرون على النوافذ ليشهدوا الموكب المهيب ويودعوا صاحبه الوداع الأخير ومازالت صيحاتهم الباكية تتردد في أذني ووجداني ‥ « الى جنة الخلد يا رفيق الجهاد » ــ « نحن وراءك فداء لمصر » ٠ وكان من أخلد حسنات هذا الموكب التاريخي أنه جمع بين رؤساء الأحزاب جميعا الى جانب الزعيم مصطفى

النحاس يتقدمون الجنازة ويجمعهم شعور واحد وهدف واحد مما مهد لقيام الجبهة الوطنية بعد ذلك ، وقد قامت الكلية بتصوير فيلم سينمائي لهذا الموكب التاريخي احتفظ به حتى اليوم واضعه رهن مشيئة الشباب ٠٠ وبين يدى عشرات القصائد فى رثاء الشهداء يحضرنى منها بعض أبياتها :

لا تلفوا الاعـــلام حـول رفات	هى أعـــلام مصرنا الوطنيـــة
أوجه تشـبه الكواكب غـرقى	فى بحـــار من الدماء الزكيـــة
والشـباب الحر العزيز علينـــا	جاد للنيـــل بالنفـوس الوفيـــة
نحن لا نقتـــل النفـوس ولا نطلب	الا حقـــوقنا القوميـــــة
أيه حـرية البـــلاد عـــروس	مهرهـــا هـذه الضـحايا الفتية
لا تسموا قتلى الشباب الضـحايا	بل هـدايا البـــلاد للحـــرية

« من شعر أبى الوفا نظيم »

★★★

واتفقنا على اقامة نصب تذكارى من سبعة أضلع تختص كل كلية فيه بضلع تسجل عليه اسم شهيدها ويقام فى فناء الجامعة ٠ وحين علم البوليس بأمر هذا النصب نقلناه ليلا وتناوب الطلاب حراسته ٠٠ ومما يذكر أن البوليس قبض على أحد هؤلاء الحراس من الطلاب حين اشتبه فى وقوفه هناك بمنتصف الليل ولم تقع أنظار البوليس على النصب وأصر الطالب على اخفاء الغرض من وقوفه حتى لا ينكشف أمر النصب واختلق تهمة لنفسه أنه كان يحاول اقتحام منزل أحد الأجانب بالمنطقة تضليلا لرجال الأمن وابعادا لهم عن مكان النصب ٠ ولم يطلق سراحه الا صباحا بعد ازاحة الستار بحضور مدير الجامعة الدكتور أحمد لطفى السيد والأساتذة والآلاف من طلاب الجامعة والمدارس وخطب مندوب الطلبة جميعا بحياة مصر ٠٠ وقال مدير الجامعة : يؤسفنى كل الأسف فقد هؤلاء الأبطال وأقدر كل التقدير تضامن كل الشباب واجماعهم على خدمة وطنهم ٠

واتفقنا على ان يضع كل طالب اشارة من لونين على صدره : الأحمر ـ لون الكفاح من أجل مصر والأسود ـ لون الحداد على الشهداء ٠٠ وكان أفراد الشعب يهللون لأبنائهم حين يرون شارة الثورة على صدورهم ويشجعونهم بالهتاف الوطنى وعبارات التقدير والاكبار ومعاونتهم على التحرك والاختفاء عند مطاردة البوليس لهم ٠

★★★

ضرب لوكاس وكوبرى عباس مرة أخرى :

وفى صبيحة ٧ ديسمبر وعقب مؤتمر عام بساحة الجامعة أقبل الطلاب

الى القاهرة استئنافا لمظاهرتهم ضد الانجليز والمطالبة بعودة الدستور ·· وفى انتظارهم على الطرف الآخر من كوبرى عباس رابطت قوة ضخمة من البوليس بقيادة الضابط « نوبل » الانجليزى الذى أمر بفتح الكوبرى حتى لا يعبر الطلاب الى الروضة وفعلا وقف الطلبة على حافة فتحة الكوبرى ·· ولم يمض وقت طويل حتى انقسمنا الى فريقين : الأول أخذ يدفع عربة من عربات الترام فوق الكوبرى نحو الفتحة مهددا باسقاطها فى البحر وتحطيم الكوبرى ·· والفريق الآخر نزل الى حجرة الماكينات اسفل الكوبرى وكنت من هـذا الفريق وحملنـا العصى والمجاديف من المراكب المجاورة واشتبكنا مع عمال الكوبرى حين امتنعوا عن ادارة الماكينات تنفيذا لأوامر البوليس المرابط وأمام اصرارنا بتحطيم الماكينات والقاء عربة الترام فى البحر طلب الضابط « نوبل » مقابلتى وعرض أن يفتح الكوبرى جزئيا بما يسمح بمرور واحد بعد الآخر حرصا منه على تلافى التجمع · وبعد مشاورات وافقنا على ألا يلقى القبض على الذين يصلون الى الروضة ، وفى نفس الوقت اتفقنا نحن الطلاب على التجمع فى شوارع الروضة بعيـــدا عن البوليس وحين تقاربت زوايا الكوبرى قفز كثير من الطلاب من فوق الأسوار كما عبر البعض بالمراكب ولم يمض وقت طويل حتى نشبت معركة حامية بين الذين عبروا وبين البوليس الذى أطلق النار على المتظاهرين وانضم الأهالى فى الروضة الى الطلاب وامتلأت الساحة بالأحجار والأخشاب وأغصان الأشـجار وأصابت شظية كبيرة رأس الضابط الانجليزى الكبير « لوكاس » وكان قد حضر لتدعيم القوة المرابطة وسالت دماؤه ونقل فى حالة خطيرة الى مستشفى الانجلو .

***

وزادت غضبة البوليس واقتحم كل المنازل بحثا عن الطلاب المختبئين ·· وحين علمت أنهم يبحثون عنى لاتهامى بضرب « لوكاس » لجأت لأحد المنازل وأذكر أن صاحبه هو الدكتور « مدكور » فقد أوانى عدة ساعات حتى أقبل الليل وكنت قد خلعت سترتى وارتديت جلباب عامل بناء بالمنطقة ، وفتش البوليس منزلى ومنازل جيرانى بالمنيرة · وأشار على « مكرم عبيد » سكرتير الوفد آنذاك بمغادرة القاهرة فاصطحبنى الزميل أحمد عبد النبى عضو اللجنة التنفيذية للطلبة الى منزل والده بمنشأة عبد النبى مركز أجا وانتحلت اسم « محمد شوقى » وظللت هناك عشرة أيام عدت بعدها الى القاهرة بعد أن اتصل بنا مكرم عبيد وزملاؤنا من زعماء الطلاب واستؤنفت مظاهرات الطلبة أمام كلية الطب وكلية التجارة ووقعت معـارك ضارية بين البوليس والطلاب وأحرقت مركبات الترام بشارع قصر العينى وكان ضباط البوليس الانجليزى يطلقون النار بغير وعى على الطلاب بعد اصابة « لوكاس » ومن بين من أصابهم رصاص الانجليز الطالب « محمد محمود عبد الحكم » وكان الكونستابل الانجليزى « ماكينزى » قد أصابه برصاصة فى صدره مرت بجوار القلب · وروى لى

هذا الطالب المصاب عندما زرته بالمستشفى أن الكونستابل المذكور كان يعتقد عند اطلاقه الرصاص عليه أنه الطالب محمد بلال وذلك بناء على صيحة الكونستابل أثناء اطلاقه النار على ذلك الطالب ظنا منه انني على رأس هذه المظاهرة · واستمرت المظاهرات من الطلبة والطالبات بالمدارس الثانوية والصناعية بجميع أنحاء القاهرة وأصيب مئات الطلاب وامتلأت عنابر المستشفيات بالمصابين ·

***

لجنة الطلبة التنفيذية العليا :

بدأت أولا من ممثلين للكليات جميعها — وهى غير مجلس اتحاد الجامعة — ولم تكن هناك أول الأمر لائحة تنظم عدد الأعضاء أو طريقة تشكيل اللجنة ولكن الأحداث وحدها جمعت الذين تصدروا فى شجاعة حركة الطلاب وواظبوا على أن يتقدموا الجموع ويتفرغوا لانجاز القرارات ويقودوا الطلاب الى نضال عملى وانجاز واضح مما لم يسمح بمأخذ من تخاذل أو نكوص على أنه فى أغلب الكليات جاء تصديق اجماعى من الطلبة على اعتماد ممثليهم فى اللجنة ، وكانت الاجتماعات تعقد فى الأيام الأولى بنادى نقابة المحامين ثم فى النادى السعدى بعد ذلك · وقد بدأت اللجنة رأيا واحدا وصفا واحدا الى ان اختلف الرأى حول المطالبة بالدستور أولا أو الاستقلال قبل الدستور ؟ وقد تحيز للرأى الأخير الفريق الأقل عددا من الأعضاء وبقى الفريق الأكثر عددا على ما آمن به من المطالبة بعودة الدستور فورا مع المطالبة بالاستقلال ·· وأسجل هنا قدر ما أتذكر أسماء ممثلى كل كلية فى لجنة الطلبة التنفيذية العليا من الفريقين مع استعدادى الكامل لقبول أى استدراك من هنا أو هناك حول أسماء قد يكون لى العذر ان نسيتها لطول ما مضى من زمن وما وقع من أحداث ·

الفريق الذى رأى تأجيل المطالبة بالدستور هم : نور الدين طراف من الطب ، الظاهر حسن أحمد ، وعبد العزيز الشوربجى من الحقوق ، مصطفى السعدنى من الآداب ، أحمد حسن الباقورى من الأزهر ·

واستمرت اللجنة بأغلبية أعضائها المطالبين بعودة الدستور فورا على الوجه الآتى :

كلية الطب : محمد بلال وأحمد لطفى — حافظ حسنى عن الطب البيطرى ·

كلية الحقوق : فريد زغلوك ، زكى علام ، على كريم ، نصيف مرقص ، أحمد عبد النبى ·

كلية الآداب : أحمد بشر ، عبد القادر حجاب — فتحية الكابلى — عبد العزيز يونس ·

كلية العلوم : محمود لاشين وسعد الدين الشيشينى ٠

كلية التجارة : عبد المنعم البيه ، كامل الدماطى ، فتحى عمر ، أحمد طلبة صــــقر ٠ ٠

كلية الزراعة : أحمد الدمرداش تونى ، أبو المجد التونى ، حسن سالم ، عبد السلام حسن ٠

كلية الهندسة : جلال الدين الحمامصى ، جمال صادق ، ابراهيم عثمان ، محمود يونس ٠

ومن الهندسة التطبيقية : حسين الشايب ٠

كلية دار العلوم : أحمد الحوفى ، أحمد حجاب ، فؤاد رحمو ، سيد العجان ، محمد برهام ، عبد الرافع الشافعى ، سليمان النمكى ٠

الأزهر : عبد المجيد الغايش ، عبد السلام العجان ٠

الفنون الجميلة العليا : محمد شبل الحضرى ٠

وكانت هناك لجنة لطلبة المدارس الثانوية والمتوسطة وكان يمثلهــا فى اللجنة العليا : أحمد الشافعى ٠

وأكرر انه بالقطع قد سقطت بعض الاسماء وأقرر انه فى بعض الجلسات كانت الوجوه تتغير غير ان ما ذكرتهم كانوا الأكثر مواظبة ٠

وباشرت هذه اللجنة شئونها بالنادى السعدى وشكلت مكتبا دائما لهــا ولجانا متخصصة للدعاية والتنظيم والاقاليم وغيرها ، ووضعت لائحة تنظمها ٠

وعاد دستور ١٩٢٣ وقامت الجبهة الوطنية :

وحين عادت وحدة الصف مرة أخرى الى الطلاب بدافع من الشعور الوطنى الأصيل واتفق رأى الجميع على المطالبة بعودة الدستور فورا والمطالبة باستقلال الوطن بدأ الطلاب يعملون على ضم الأحزاب والهيئات الأخرى مع الوفد لقيام جبهة وطنية متحدة ٠٠ وتحقق لمصر ذلك بعد جهاد طويل ومثابرة لا تلين من الشباب ٠٠ وطالبت الجبهة الوطنية برئاسة مصطفى النحاس صدور الأمر الملكى بعودة دستور ١٩٢٣ ٠٠ وذلك بعد ان أسقط فى يد بريطانيا وتراجعت عن موقفها فى الاعتراض على عودة الدستور بعد أن جمع الشعب صفوفه ووحد كلمته ٠٠ وصدر الأمر الملكى بعودة دستور ١٩٢٣ بعد ظهر يوم ١٢ ديسمبر سنة ١٩٣٥ ٠٠ ومن ثم انطلقت الجبهة تطالب الانجليز بحقوق الوطن من جلاء المحتل والاستقلال التام لمصر والسودان ٠

وينتهى بذلك الجزء الأول من رسالة د٠ محمد بلال ، لتبدأ رسالة أخرى بعث بها الينا الشاعر عامر بحيرى ٠

الفصل الثالث

بقية أحاديث شباب ١٩٣٥

القمصان الزرقاء والخضراء والسوداء

● جاء فى رسالة من الشاعر الرقيق الصديق الاستاذ عامر بحيرى ، يروى فيها بعض أحداث ثورة ١٩٣٥ ما يلى :

أخى العزيز الصحفى الكبير الاستاذ صبرى أبو المجد

تحية طيبة وبعد ٠ فانى أقرأ باستمرار ، وبشغف . ما تكتبونه عن « سنوات ما قبل الثورة » ٠٠ وعندما وصلت الى الحديث عن ثورة الشباب سنة ١٩٣٥ ، ازداد انفعالى بما تكتبه ، لأننى عاصرت هذه الحركة ، بل وشاركت فيها مشاركة متواضعة ٠

وأحسست ان شباب اليوم ، ربما لا يفرقون بين حادثين ، يسمى كل منهما حادث كوبرى عباس ٠٠ الأول وقع فى ١٤ نوفمبر ١٩٣٥ ، وهو الذى شهدته ٠٠ والثانى وقع فى عام ١٩٤٦ ، وكنت يومئذ قد تخرجت فى الجامعة منذ سنوات ، وسافرت للتدريس بالمملكة العربية السعودية ٠

والحادث الأول هام ، لأنه هو الذى سقط فيه الشهداء من الطلبة برصاص الانجليز ٠٠ بينما ذكرت أنت محققا ان الحادث الثانى لم يسقط فيه شهداء ، وانما كان الاعلان عن ذلك للاثارة ، بغرض اسقاط الوزارة النقراشية ، التى كانت قائمة يومئذ ٠٠

***

عن الحادث الأول ٠٠ توجهت صباح ١٣ نوفمبر ١٩٣٥ الى الجامعة ، وفى الصحف بيان اتحاد الجامعة ، بالمشاركة فى الحركة الوطنية احتجاجا على تصريح صمويل هور ، بأن الوقت غير مناسب لعودة دستور ١٩٢٣ الذى كانت تطالب

به الأمة يومئذ ٠٠ ولم أكد أصل الى الحرم الجامعى ، حتى وجدت المظـــاهرة الكبرى قد تهيأت للخروج ، وسلكت طريق الجزيرة ٠٠ وعندما كانت تعبـر كوبرى قصر النيل ، وفى مواجهة القشلاق الانجليزى « مكان الجامعة العربيـة وفندق هيلتون الآن » ٠٠ كنت أنا محمولا على الاعناق ، أهتف باللغة الانجليزية . بعبارة ٠٠ يسقط الشرف البريطانى٠٠وأطلق الرصاص على المظاهرة ، من نوافذ الثكنات ، كما أطلق أفراد البوليس المصرى البنادق على المتظاهرين ٠٠ فتفرقت المظاهرة عندئذ ، دون حوادث أو اصابات تذكر ٠

★★★

وفى صباح اليوم التالى ، كان الزعيم مصطفى النحاس قد ألقى خطابه فى الليلة السابقة وتدخل البوليس ، وسقط أول شهيد من العمال ٠٠ هو المرحوم اسماعيل محمد الخالع ٠٠ فاشتعلت حماسة الشباب ٠ وسارت مظاهرة طلبة الجامعة ، من الحرم الجامعى ، مارة بالمدرسة السعيدية ، وكلية الزراعة ، الى ميدان الجيزة ٠٠ فكوبرى عباس ٠٠ وكانت عند ذلك كالبحر الزاخر ، تصب روافده من ثلاث جهات ٠٠ شارع الجامعة ، وميدان الجيزة ٠٠ والتقت بمدارس التجارة المتوسطة ٠٠ وتقدمت المظاهرة ، التى كانت تتسـلح بالحـــديد ، والاخشاب ، وقطع الحجارة ، التى أخذت من عربات اليد ، عنـــد مبنى ادارة الجامعة ، الذى كان يجرى انشاؤه وقتئذ ٠٠

★★★

فى ميدان الجيزة فرضنا على الطالبات ضرورة العودة ، وأذكر من بين كثيرات منهن ٠٠ قائدتين للمظاهرات ، هما المرحومة فتحية الكابلى ، والمرحومـة حكمت ذهنى ٠٠ وكانت الثانية خطيبة قوية العارضة ، كالرجال ٠٠ ولم تكد تصل المظاهرة الى نهاية كوبر ىعباس من ناحية جزيرة الروضة ٠٠ وتبدأ فى الانتشار فى الميدان المقابل لها ٠٠ حتى تقدمت فرقة من الكونستبلات الانجليز ٠٠ بقيادة الضابط « ليز » ٠٠ فنزلت من « البكسفورد » ٠٠ وركعت على نصف ركبة ٠٠ وأطلقت رصاص المسدسات فى بطون الصف الأول ٠٠ الذى كنت فيه الى الناحية اليسرى ٠٠ فى مقـــابلة عربات الترام ، التى فزع ركابها ٠٠ وسقط الشهيد محمد عبد المجيد مرسى من كلية الزراعة ، فى وسط الصف الأول ، حيث لقى مصرعه فى الحال ٠٠ وتقدم اليه الشهيد محمد عبد الحكيم الجراحى ، لاسعافه ٠٠ فلاحقته رصاصة فسقط الى جانبه ٠٠ وامتلأت الساحة بالدماء ٠٠ وأصيب آخرون اصابات مختلفة ولم أعدم اصابات من رش البنادق المتوالى ٠٠ حتى تفرقت المظاهرة ، وانحدر جانب منها الى ناحية شارع الأخشيد والثانى الى الشاطىء المقابل أما الوسط فارتد الى كوبرى عباس نفســه ، فى اضطراب ليس بعده اضطراب ٠٠ حتى سقط البعض فى النيل ، أو تحصنوا بظل الكوبرى وقوائمه فى الماء ٠

وكان الشهيد محمد عبد الحكم الجراحى ، زميلا حديث الالتحاق بكلية الآداب .. اذ عاد الى مصر تاركا دراسة الطب فى فرنسا ليدرس الأدب ، وكان شاعرا موهوبا ، وله قصائد مختارة نشرتها مجلة أبولو عام ١٩٣٤ تدل على شاعرية خصبة . وقد عرفته قبل المظاهرة مع الزملاء المرحومين مصطفى السعدنى السفير السابق ، وعبد العزيز يونس عضو اتحاد الجامعة ، محمود أبو رحاب عضو مجلس النواب فيما بعد وآخرين .. فلما نقل جريحا الى قصر العينى ، لم أتمكن من الدخول لزيارته .

وكان الاقدر على الدخول والخروج من قادة الطلاب هو الدكتور نور الدين طراف ، الذى كان يخرج فى معطفه الأبيض فيسمح له البوليس .. فينقل الينا الاخبار . وظل عبد الحكم فى فراشه حتى يوم ١٩ نوفمبر وهو يرسل البيانات الوطنية للطلاب ، فيلهب حماستهم .. ومن أهمها رسالة مفتوحة كتبها بالانجليزية الى رئيس الوزارة البريطانية « روح الشر » كما سماه .

وجرى موكب عظيم للشهيد الجراحى ، فى عصر يوم وفاته ١٩ نوفمبر (لأن جثمان الشهيد عبد المجيد مرسى قامت الحكومة بتهريبه الى الاسكندرية ليلا ليدفن هناك دون احتفال) .. فكان موكب الجراحى ، رهيبا وفيه تلاقى الزعماء بعد الخلاف ، وتألف ما سمى بالجبهة الوطنية وقامت مظاهرة فى تلك الليلة شبيهة بمظاهرات ١٩١٩ ..

***

وأغلقت الجامعة أثر هذا الحادث ، ثلاثة أسابيع متوالية وفى يوم السبت ٧ ديسمبر فتحت أبوابها .. فتظاهر اليها الشباب والطلاب والعمال والوطنيون . وفى حشود الطلاب فى الحرم الجامعى .. فى ذلك اليوم القيت القصيدة الوطنية عند النصب التذكارى التى تسجل أحداث تلك الفترة ومطلعها :

قم يا شهيد ، فمصر فى آلامها
نسيتك بين عشية وصباح !

ومنها :

عبد المجيد وأنت أول باذل
للنفس دون حمى لمصر مباح
أنت اللواء على دماك تهافتت
زمر الشباب كريمة بالساح
ولقد هوى للموت لما ان هوى
عجلا .. يضمد جرحك الجراحى .

وتوجهت المظاهرة بصورة أقوى من مظاهرة ١٤ نوفمبر ٠٠ الى كوبرى عباس ٠٠ وعندما قامت الحكومة بفتح الكوبرى ، تطوع بعض طلاب الهندسة والطب الى النزول الى قاعدة الكوبرى واعادة أغلاقه ٠٠ حتى تمكنت المظاهرة من المرور فردا فردا ٠٠ ثم تجمعت من جديد فى جزيرة الروضة ، وامتدت الى المنيل فاحرقت مركبات الترام والاتوبيس وظلت الثورة قائمة فى هذه المنطقة حتى المساء ٠

كنت شاهدا حاضرا فى كل ما ذكرت ٠٠ وعندما أقام أهل الشهيد الجراحى ضريحا جديدا له فى مقابر الغفير بالعباسية ٠

أرسل الى شقيقه السيد على عز الاسلام الجراحى ٠٠ « وكيل وزارة التخطيط فيما بعد ـ وتوفى فى فبراير ١٩٧٧ » ٠٠ خطابا من جامعة شيفيلد بانجلترا حيث كان يدرس الهندسة يخبرنى بحضوره الى مصر ، للمشاركة فى موكب الجنازة الجديد ، الذى جرى فى يناير ١٩٣٧ ، وكان مشهدا رائعا حقا ٠٠

كما أرسل الى السيد على الجراحى رحمه الله خطابا ٠٠ كان عبد الحكم قد أرسله اليه قبل عودته الى مصر حيث لقى مصيره ، فى تلك المظاهرات الوطنية ٠٠ لينشر فى كتاب تذكارى ٠٠ وهو خطاب هام ٠٠ أعدته اليه بعد ثلاثين عاما ٠٠ بعد أن احتفظت بصورته ٠٠ وفيه يقول :

***

جرينوبل فى ١٩ سبتمبر

أخى الحبيب

اقبلك قبلات التهنئة والفرح والسرور بنجاحك وتفوقك ، الشىء الذى كنت انتظره لارادتك القوية ، وعزيمتك الماضية ، ومثابرتك واجتهادك ٠ وصلنى خطابك حاملا البشرى بعد ان كنت ابتدات فى رسالة لاستحثك على الكتابة الى ، بعد أن امتنعت عنها مدة طويلة ٠٠ وفى خطابك تبشرنى بمقدمك الى فى جرينوبل، فحمدا لله سيكون فرحا مضاعفا ، فاستمتع برؤيتك ، وكم أجد شوقى عظيما ، فأقبل الى مباركا أيها الشقيق الحبيب ٠

أما امتحانى فسيكون أول نوفمبر القادم ، وها أنا أستعد له ، فالله يوفق الآمال ٠٠ أما سفرى الى انجلترا فكم كان بودى أن أصحبك اليها ، وكم كان بودى أن أقيم معك فى مكان واحد أبدا ٠٠ ولكن للظروف سلطة على الانسان فلن يمكننى أن أسافر الى انجلترا الآن ولعلى أفعل ، ولكن ليس هذا العام ٠ ولعلى أفعل ولكن حينما تتهيأ الظروف فلنترك اذن مسألة سفرى الى انجلترا للظروف ٠

يجب أن تكون قد اتخذت اجراءات السفر من الآن · فما هي البلد التى ستسافر اليها للدرس بجامعتها ؟ وهل لا تزال عازما على دراسة الطيران ؟ انى أشجعك من صميم قلبى على هذه الناحية من الدراسة ، ذلك لقوامك الرياضى ، واستعدادك الجسمى · فسر غير هياب الى ما تقصده ، وتسلح اليه بعزيمة من حديد ، والله يعين العاملين ·

يتردد فى خطابك ذكر الحالة التى وصلت اليها مصر فى هذه الأزمة الأخيرة ·· وهنا تصلنا الأخبار عنها باستمرار مكتوبة فى الجرائد الاشتراكية وغيرها ، أو منقولة بالراديو ·· وفى بعض الأحيان تصل الأهرام الى محلات الجرائد هنا · وانا نرثى لحالة مصر حقا ، فهى بلد غير مسلح ، مضطر الى حماية الانجليز له من عدوان الطليان ان طوعا أو كرها · وخمود الروح الوطنى فى قلوب الشبان ، واهمالهم السعى الى الاستقلال هما السبب فى الحالة التى وصلت اليها مصر العزيزة ·· وكما تعلم ليس لنا اسطول جوى ، ولا بحرى ، وحالة كرب ··

★★★

ما علينا ، ليس فى وسعنا الا أن ندعو الله ان يبعد الحرب عن مصر ، والا ان ننوى الدفاع عنها ، والتضحية فى سبيلها بعقولنا ، وقلوبنا ، وأرواحنا ، وأجسامنا ·· ولننوى أيضا الكفاح لنصر الفلاح الذليل فى مصر ، لأنه هو قوامها ·

ختاما أهنىء الأسرة جميعا بالنجاح الذى أحرزته ، وأرجو الله أن يحفظ الوالدة بصحة وفى سعادة · وتقبل قبلات لا أحصيها عدا من أخيك الذى ينتظر قدومك بكل شوق ·

« ·· عبد الحكم ·· »

فهذه صورة طبق الأصل من خطاب الشهيد عبد الحكم الجراحى « ٢٠ سنة » الى شقيقه المرحوم على الجراحى ، التى كتبها فى جرينوبل يوم ١٩ سبتمبر ١٩٣٥ ·· وذكر فيها انه ينوى الاستشهاد فى سبيل مصر ·· ثم عاد الى مصر ·· ليستشهد بالفعل ، بعد شهرين كاملين من ذلك التاريخ فى ١٩ نوفمبر ١٩٣٥ ·

وقد طال الحديث ·· وهناك أشياء كثيرة أذكرها ·· ولكنى اقتصرت ، على اظهار المواقف التى اشتركت فيها ، فى حركة الشباب عام ١٩٣٥ ·· أكتبها للذكرى والتاريخ ··

وأرجو مع اعجابى بما تكتبه وتأثرى به ، أن تتقبل خالص تحيتى ومودتى.

وحتى تكون الصورة مكتملة نفسح المجال للدكتور محمد بلال ليروى بقية مذكراته الخاصة بحركة الشباب ، وخاصة فرق القمصان الزرقاء التى كان يقودها ، يقول د. بلال :

★★★

لم تكن الجذوة التى تأججت فى صدور الشباب عام ١٩٣٥ لتنطفىء ولم تكن ثورتهم لتهدأ بعد ما تحقق لهم النصر عندما صدر الأمر بعودة دستور ١٩٢٣ بناء على طلب الشعب ممثلا فى جبهته الوطنية برئاسة مصطفى النحاس عقب مظاهرات الشباب بدءا من طلبة الجامعة والمعاهد والمدارس الى احتجاج جميع طبقات الأمة واستشهاد العديد من الشهداء الأبرار وعقب تراجع الانجليز عن موقفهم المتعنت من عودة دستور ١٩٢٣ .. ذلك لأن الاستقلال لم يكن قد تحقق وان معركته قائمة ولأن الوطنية فى صدور الشباب ليست ظاهرة مرحلية وليست شعورا يلتهب حينا ويخمد حينا آخر .. ومن هنا فقد كان انصراف الطلبة تماما عن المطالب الوطنية والكفاح من أجلها أمرا غير مقبول مادامت ثورتهم تنبعث عن أصالة فى مشاعرهم ومثل عليا استهدفتها تلك الثورة ، بل لم تكن ثورتهم فى حقيقة الأمر غير حلقة فى سلسلة عريقة من نضال الشباب المصرى منذ انبعاث الثورة الأولى عام ١٩١٩ والتى تلتها حلقات وانتفاضات لا يجهلها التاريخ أعوام ١٩٢٤ ، ١٩٢٨ ، ١٩٣٠ وما بينها سواء فى مقاومة المحتل واغتيال أفراده أو مجابهة القصر والتصدى لاعتدائه على دستور البلاد أو تعطيله أو تبديله .. وكذلك فى المناداة باحياء الاقتصاد المصرى أو مقاطعة البضائع الأجنبية وغير ذلك .. وهكذا اتصلت مسيرة النضال الوطنى بين صفوف الشباب مع قيام الجبهة الوطنية فى ١٢ ديسمبر ١٩٣٥ .. ولكن مسيرته تلك أخذت تندفع فى خطوات منتظمة ذات مناهج وأهداف وطنية محددة وواضحة وفى اطار المسيرة الوطنية الشاملة وتيارها الشعبى العارم ..

★★★

ولما كانت مظاهرات الطلبة عام ١٩٣٥ قد بدأت بتجمعات غاضبة هنا وهناك فى ساحات الكليات وأفنية المدارس والاحياء لتواجه البوليس والانجليز بغير منهج مخطط فانها انتهت بطوابير منتظمة تحت قيادات مسماة وفى طوابير متجانسة وطبقا لخطط موضوعة وتصدر صيحاتها الوطنية فى هتافات متفق عليها .. مما أدى تلقائيا الى انتظامها فى تشكيلات أقرب الى الفرق العسكرية .. وهو أمر ينبهر به الشباب ويصادف رضا فى نفوسهم ويقبله وجدانهم وتهلل له عواطفهم .

★★★

كان ذلك هو المناخ الوطني الذى نشأت فيه فرق الشباب « القمصان الزرقاء » مما يصحح الفكرة الخاطئة عند الكثير من المؤرخين من انها نشأت من خارج صفوف الطلاب لتأديب خصوم الوفد ·· ويؤكد انها تكونت استمرارا لحركتهم الوطنية واندفاعهم لتحقيق أهداف الوطن من الاستقلال التام لمصر والسودان ·

وذاع أمر هذه الفرق وانتشرت فى القاهرة والعواصم وأقبل عليها شباب الكليات والمعاهد ، واتخذت من ساحات المدارس ميادين للتدريب والتنظيم ·· وكانت أولى هذه الفرق ·· فرقة عبد الحكم الجراحي وساحة تدريبها فى فناء كلية الطب حول تمثال كلوت بك · وكانت الثانية فرقة على طه عفيفى « دار العلوم » وساحة تدريبها فى الميدان الفسيح أمام كلية دار العلوم ·· ثم قامت فرق أخرى فى باقى الكليات والمعاهد والمدارس ·· واتخـذت فرق الشباب نشيدا وطنيا وضعه الكاتب الشاعر مصطفى صادق الرافعى ولحنه ولقنه للشباب الموسيقار رياض السنباطى الذى كان يصحب معه مندوبين ومجمـوعات من الشباب لتدريبهم على القاء النشيد ·· وطفقت طوابير الشباب تردد هذا النشيد فى كل تحركاتهم ومن بين أبيات ذلك النشيد :

***

حماة الحمى يا حمـاة الحمى ... هلمـوا هلمـوا لمجـد الزمـن
فقد صرخت فى العروق الدمـا ... نموت نموت ويحيـا الوطـن
بلادى احكمى واملكى واسـعدى ... أنـا لبـلادى وعرشى فـدا
لك المجـد يامصر فاسمتجـدى ... بعزة شعبـك طـول المـدى
ونحن أسـود الوغـا فاشهدى ... وثوب أسـودك يوم الصـدام

***

واختلفت الآراء حول الزى الذى يرتديه أفراد الفرق ·· هل هو الأحمر الذى يمثل الدماء والكفاح أو الأسود الذى يمثل القوة والحداد على الشهداء أو الأصفر وهو ما يرتديه أفراد الجيش والكشافة واتفق على اللون الأزرق لما له من الصفة التاريخية حيث اشتهر به الفلاح المصرى وكان واحدا من القاب زعيم الأمة سعد زغلول عام ١٩١٩ « زعيم الجلاليب الزرقاء » و « زعيم الرعاع » و « زعيم الأفندية » ! ··

***

واتفق على صورة « بادج » يوضع على الذراع وعلى شارة معدنية صغيرة مثلثة تعلق على الصدر ·· وكلتاهما تمثل قبضة قوية تطبق على مفتاح النيل ·· كما اتخذت الفرق علما خاصا يرفع فى معسكراتها وفى مقدمة الطوابير وكان مكونا من اللونين الأحمر والأسود · وعلى هذه الصورة قامت فـرق الشباب وأصبحت أمرا واقعا وبدأت ــ مع استهلال أول عام ١٩٣٦ ــ أدعو للانضمام

اليها كل شباب مصر مستهدفا قيام جيل قوى يعرف حق وطنه ويعمل على رفعته ويتحلى بمكارم الأخلاق ويعتاد الطاعة والنظام وينصرف عن اللهو والعبث ولم يكن لنا أول الأمر منهج سياسى مخطط قائم بذاته ولم نكن نرغب أن تكون هذه الفرق بمعزل عن أغلبية الشعب فى نضاله لاستخلاص حقه من طغيان القصر وكفاحه لاجلاء المستعمر عن أرض الوطن ·· وكانت هناك لجان الشباب الوفديين كجزء من تشكيلات الوفد فى جميع انحاء البلاد تجمعها هيئة مركزية هى رابطة الشبان الوفديين ولم تكن لها الصورة النظامية لفرق الشباب ، وكنت فى باكورة تكوين هذه الفرق من الطلاب أباشر شئون اللجنة التنفيذية العليا للطلبة بالنادى السعدى مع اخوانى أعضاء اللجنة غير أن نشاط اللجنة لم يكن مرتبطا بأدارة هذه الفرق أو تكوينها رغم أن جلسات اللجنة كانت تعقد برئاستى ، وفى مقابلتى لرئيس الوفد مصطفى النحاس وسكرتيره مكرم عبيد واقتناعهما بسلامة الأهداف من وراء هذا التشكيل « القمصان الزرقاء » لشباب مصر ، وهى بعث الروح الرياضية والثقافية الوطنية والخلقية فى نفوس الشباب مع الحفاظ على الجوهر الأصيل لنظام الحكم الدستورى والديمقراطى فى مصر وحمايته ·· دعوت الى اجتماع كبير للجان الشبان حضره مكرم عبيد وزهير صبرى فى ٥ يناير ١٩٣٦ :

وانضمت هذه اللجان الى صفوف الفرق التى كانت قائمة فعلا ·· وكان مما قلته فى هذا الاجتماع بالحرف الواحد : « لن يكون المصريون سادة فى بلادهم الا اذا كانوا جنودا ومصر فى حاجة الى هؤلاء الجنود لتسترد حقوقها المغتصبة ·· وفى تاريخ الدول المتحررة أمثلة شاهدة على نهضات الشباب وما يحققه لبلاده بجهاده ونضاله من رفعة الوطن وعزته » ·

★★★

فرق العمال :

ولم يستمر قيام فرق للطلاب وحدهم طويلا حتى طالب العمال بحق الانضمام اليهم اسهاما منهم فى الجهاد من أجل وطنهم فقامت فرق من عمال العنابر والمطبعة الأميرية والتنظيم والسكة الحديد وأبو زعبل وغيرها من المؤسسات ·· بالاضافة الى فرق أخرى للعمال والموظفين والفلاحين فى المدن والقرى ·· وأصبح فى كل مديرية مصرية قيادة مركزية لفرقة كل المديرية وقائد لها من المناضلين الشرفاء وذوى المكانة والسيرة الحسنة والتاريخ الوطنى ·· وأقبل الشباب على الانضواء تحت أعلام هذه الفرق بحماس وايمان وتشرب لروح الجندية والنظام ·

★★★

التشكيل :

كانت كل وحدة تشكل من عشرة جنود يختارهم وينظمهم رائد لهم ، ومن

الوحدات تشكل قيادة الفرقة ، وكان لكل عضو بطاقة شخصية فيها صورته وبياناته ولا يتم قبوله حتى تطمئن قيادته بغير التحرى عنه الى حسن سيره وسلوكه ، وكانت تلقى بمعسكرات الفرق محاضرات ودروس أسبوعية منتظمة عن مشاكل الوطن والشعب وعن الأهداف الوطنية الى جانب ارشادات بضرورة التمسك بالقيم الروحية واشاعة الروح الدينية بين الأعضاء والتحلي بالخلق الكريم داخل الفرق وخارجها ، وكان يقام فى كل معسكر مصلى للأعضاء يتردد عليه بعض الوعاظ والمرشدين ٠

★★★

مجلس القيادة :

وتألف فى أول الأمر مجلس لقيادة الفرق من : محمد بلال ـ فهمى سليمان ـ أحمد لطفى ـ راغب الهوارى ـ محمود يونس ـ عماد الجندى ـ أحمد الشافعى ـ كامل الدماطى ـ حنفى الشريف ٠

وكان يقوم فريق من قدامى الخبراء والعسكريين بمهمة تدريب الأعضاء على الطوابير والتشكيل واقامة المعسكرات ٠٠ منهم الصاغ محمود لبيب كما كان يتردد متطوعا على معسكرات الفرق رئيس الكشافة عبد الله سلامة ومحمد محفوظ ٠

★★★

ومن قادة فرق المديريات « المحافظات حاليا » :

البرت برسوم سلامة لفرق الأحياء بالاسكندرية ، على الحلوانى لفرق العمال بالاسكندرية ، د٠ حامد محمود عن القليوبية ، محمد محمود الزيات عن الغربية، حامد الألفى عن بورسعيد ، سليمان عيد عن الاسماعيلية ، فهمى خورشيد (أسيوط) ، حنفى الشريف (سوهاج) ، محمود حلبى (البحيرة) ، أنور الغمرى (الفيوم) ـ حلمى الجيار (الدقهلية) ، ابراهيم بيومى (الشرقية) ، عبد الجليل عبد المنعم (أسوان) ، محمد فهمى (الجيزة) حسن المنسافيسى (المنيا) واشترك ممدوح رياض ومحمد شعراوى فى تكوين الفرق عند بدء قيامها ٠

★★★

المجلس الأعلى للفرق :

وقد أصدر الوفد فيما بعد قرارا بتشكيل المجلس الأعلى للفرق من : الأميرالاى حافظ صدقى « ضابط كبير بالتقاعد » ـ سيد بهنس (عضو الوفد المصرى » ـ محمود سليمان غنام « عضو الوفد المصرى » ـ محمد بلال « قائد

الفرق » ـ زهير صبرى المحامى « عضو مجلس النواب » ـ ميخائيل غالى المحامى « عضو مجلس النواب » .

★★★

وكان لكل حى معسكر خاص به تقام فيه الخيام ويتناوب أعضاؤه نوبتجيات الحراسة والتعليم ويرتفع وسطه علم الشباب الأسود والأحمر وكان أول معسكرات الأقسام قد أقيم فى الفضاء المجاور لبيت الأمة وبه فرقة الأساس وفرقة بوليس التنظيم . ثم انتقل الى أرض ميدان الاسماعيلية « فى مكان مجمع التحرير الحالى » وكان يتسع لعشرات الألوف من الشباب وأقيمت معسكرات للشباب فى : ميدان السيدة زينب ـ الخليفة ـ عابدين ـ بولاق ـ شبرا ـ العباسية ـ حلوان ـ البساتين ـ طره ـ المعادى ـ الدرب الأحمر ـ مصر القديمة ـ فم الخليج ـ الجمالية ـ الوايلى ـ الموسكى ـ الجيزة ـ باب الشعرية ـ بين السرايات ـ أمبابة ـ الزيتون ـ المطرية ـ روض الفرج ـ المعادى ـ الازبكية ـ الظاهر ـ الشرابية .

★★★

وأقيم مثلها فى عواصم الاقاليم والمراكز والقرى حيث كانت الامكانيات أكثر منها فى معسكرات القاهرة .

فرقة الشرطة من أعضاء الفرق :

وكانت مهمتها مراقبة تصرف وتحركات الأعضاء وضبط غير الأعضاء ممن كانوا يندسون داخل الفرق وأغلبهم كان مدفوعا للاساءة الى سمعة هذه الفرق .

وكان أعضاء الفرق يدعون لاجتماعات عامة فى معسكراتهم عند المناسبات الدينية والوطنية مثل : مولد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لتلقى عليهم سيرته الشريفة ومطلع شهر الصوم وفى الأعياد . أما المناسبات الوطنية فكانت ذكرى عيد الجهاد الوطنى « ١٣ نوفمبر ١٩١٨ » التى كان يحتفل بذكراها الوفد كل عام ويلقى رئيس الوفد خطابا سياسيا جامعا على الجماهير يستعرض فيه الأحداث الجارية ويجدد الدعوة للجهاد فى سبيل استقلال البلاد والتنديد بخصوم الشعب والدستور وعلى رأسهم الملك وأنصاره . أقيم أول استعراض لهذه الفرق بتاريخ ١٠ يناير ١٩٣٦ أمام النادى السعدى وبيت الأمة حيث احتشد الفان من الجنود أعضاء الفرق وكانت تقام استعراضات عامة فى المناسبات الوطنية الكبرى منها استقبال وفد مصر برئاسة مصطفى النحاس بعد عودته من مؤتمر مونتريه الى الاسكندرية والغاء الامتيازات الأجنبية وقد استعرض رئيس الوفد بضعة ألوف من أعضاء الفرق أمام فندق وندسور وكذلك احتشدت عدة ألوف من جميع أنحاء البلاد للمشاركة فى الاحتفال بنقل رفات سعد زغلول من الامام الشافعى الى

ضريحه الحالى بجوار بيت الأمة فى موكب طويل يتقدمه قائد الفرق وأعضاء مجلس القيادة ويشترك فى الاشراف عليه من أعضاء الوفد محمود فهمى النقراشى ٠

وكانت تصل الى قيادة الفرق رسائل ونشرات منتظمة من مؤتمر الشباب العالمى والذى كان يعقد مؤتمرا سنويا فى كل عاصمة ويدعو له مختلف منظمات الشباب فى العالم وقد أوفدت عن الفرق الدكتور سليمـــان عيد لحضوره فى سويسرا مرة ، وصلاح ذو الفقار فى باريس مرة أخرى ٠ وأرسلت الى القائمين بالمؤتمر خطابات ووسائل عن أهداف تنظيمنا وأوضحت لهم قضية بلادنا التى نكافح من أجلها كما أرسلت فى أكثر من دورة الى عصبة الأمم نداء باسم شباب مصر أندد فيه بالاستعمار والمستعمرين واستنهض الأحرار من أعضاء العصبــة لمساندتنا وتدعيم كفاحنا ٠٠

***

كما كانت تصلنا قصاصات من صحف مختلفة ومن عدة دول تتحدث عن فرق الشباب فى مصر كل تكتب حسب هويتها وعلاقتها بمصر ـ وكان بدهيا أن تكون الصحف البريطانية أول من يهاجمنا وعلى رأسها جريدة « التايمز » ٠ التى ادعت ان أعضاء هذه الفرق يعتدون بقسوة على خصوم النحاس وكذلك جريدة « الديلى تلغراف » التى وصفت هذه الفرق أنها مصدر اضـــطراب لمصر وان أعضاءها ليس لهم منازل !! ٠

***

وقد أوضحت فكرة قيامها والغرض من تشكيلها وسردت أهدافها والمناخ الوطنى والنضالى الذى نشأت فيه ٠٠ وكأى هيئة وطنية تتخذ صفة سياسية فى بلد به صراع حاد بين قوى سياسية ضخمة فانه لا بد ان يواكب مسيرة هــذه الهيئة أنصار وخصوم ولا بد ان تتلقى القدح والمدح والقوى السياسية المتصارعة فى مصر أنذاك هى الوفد والملك ٠٠ لذلك لم يكن غريبا عند قيام هذه الفرق ان كان الملك وأنصاره أول من خاصمها واتخذوا منها ذريعة لمحاربة الوفد وقامت قيامة جميع الأحزاب المؤيدة للسراى نسبت كل اعتداء أو شجار مع أنصارها الى القمصان الزرقاء حتى ولو كان المعتدون من المواطنين غير أعضاء الفرق ٠٠ ولم تدخر الصحف الموالية للملك وسعا فى مهاجمة الفرق وتجريح أصحابها ، وبعضها كان يصف تلك الفرق بالفاشية والآخر يصفها بالنازية ، ولم يكن ذلك مستغربا من الملك وأنصاره لانهم تعودوا على الشكوى من جماهير الوفد قبل قيام الفرق وبعدها ٠

***

ولم يكن عمر « القمصان الزرقاء » فى الصراع الطويل بين الملك والوفد غير فترة قصيرة أى أن الحملة على القمصان الزرقاء من جانب الملك وأنصاره لم تكن بكاء على الدستور المفترى عليه ولكن كان غطاء لاقتناص حق جديد من حقوق الشعب :

مقابلتان هامتان :

وأسجل للتاريخ أن الملك دعا رئيس الوفد مصطفى النحاس بتاريخ ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٣٧ بقصر المنتزه وسلمه بحثا قانونيا جاء فيه ان وجود جماعة القمصان الزرقاء ، ينافى الدستور وطلب اليه حلها ، هذه مقابلة ٠ أما المقابلة الأخرى فكانت قبل ذلك بأيام حيث استدعانى عميد كلية الطب الدكتور على باشا ابراهيم الى مكتبه وكنت ما زلت طالبا بالسنة الرابعة وجرى بيننا الحوار التالى : أسجله بألفاظه :

العميد : انت مثل ابنى تماما واتمنى لك الخير وعندى رسالة لك من مولانا الملك !

بلال : أشكرك وما فحوى هذه الرسالة ؟

العميد : انه يعرض عليك وظيفة رفيعة بالسراى لقاء بيان قصير منك فى الصحف ٠

بلال : وما هو يا سيدى العميد ؟

العميد : ان تقر بأن أعضاء فرق الشباب جنود الملك المخلصين يدينون له بالولاء والاخلاص وبهذا لا يطالب بحلها !

بلال : يا سيدى العميد أنا طالب عندك وكيف يشغل طالب وظيفة عند الملك ؟ ٠٠ ثم كيف يقبل منى أن أعبر عن ضمير هؤلاء الأعضاء وهم ألوف من المواطنين وكلهم وطنيون وذوو وعى ويقدرون صالح الوطن ويقدرون جيدا موضع ثقتهم وولائهم ٠ ولا حقوق لى عليهم غير تنشئتهم وتدريبهم وتوعيتهم بقضايا بلادهم ولهم ارادتهم المستقلة التى هى فوق كل أرهاب أو ضغط ٠٠

وكيف وهناك صراع دستورى بين رئيس الوفد المدافع عن حقوق الشعب وبين الملك الذى يجترىء على كل حق للشعب ٠٠ كيف والازمة قائمة على مرأى ومسمع من العالم بين الوفد والملك يمكننى أن أصدر مثل هذا عن الشباب الوفدى ؟

★★★

أو ليس هذا طعنة من الخلف فى ظهر الوفد ورئيسه ٠٠ ؟

وكيف ينظر الينا الوطنيون ؟ وهل ترضى عن ابنك لو كان فى موقفى ويصدر منه هذا التصرف ٠٠ انى واثق ان ضميرك لا يرضى ولا يقبل ان يكون

الشباب ألعوبة سياسية على حساب ارادة الشعب وحقوق الوطن ٠٠ ولقد نعت الملك فرق الشباب بأبشع الصفات هو واحزاب السراى ٠٠ ولم يتركوا نقيصة لم يلصقوها بنا واتهموهم بالتشرد والجهل وان أكثرهم من العمال ٠ كأنما لم يكن العمال من أبناء مصر ٠ أو حتى من بنى البشر ٠٠ !

العميد : يابنى لا يكلفك الأمر سوى بضعة سطور وأخشى عليك مغبة الامتناع ٠

بلال : يا سيدى العميد انى مقدر عطفك وعاطفتك وأقرأ فى عباراتك ان رجال القصر أثقلوا عليك وانت وطنى ونعرف وطنيتك وأوكد انك مستريح فى داخلك لما اجبيك به وأكرر اعتذارى وأنا واثق انك سوف تنقله وانت مرتاح الضمير ٠٠ أما ما يلحق بى فليس بالجديد على وأفوض أمرى دائما لله صاحب الأمر ؟

***

وانتهى هذا اللقاء وكان شهوده الدكتور أحمد شفيق باشا والدكتور مصطفى فهمى وكيل الكلية « والد الدكتور رشوان فهمى » والأستاذ محمد السحرتى مسجل الكلية ٠٠

وانصرفت الى حال سبيلى ٠٠

وأذكر هذا اللقاء لعل فيه الرد القاطع على لقاء المنتزة ٠٠ وهو ان الحملة على تنظيمات الشباب باسم الدستور كانت شعارا للصراع بين الملك والوفد : الأول يطلب الاستيلاء على المزيد من حقوق الشعب ، والثانى يتصدى اله ويدافع عن حقوق الشعب ٠

ولو ان هذه التشكيلات انفضت عن الوفد وحرقت البخور لصاحب القصر لألقيت عليها الورود والرياحين ولقال عن أفرادها حواريو الملك انهم من الملائكة المنزلين وانهم خيرة المواطنين ٠٠

***

ثم أسأل مرة أخرى : متى كان الملك دستوريا حريصا على أحكام الدستور ؟! عن هذا السؤال يجيب المؤرخون ٠

موقف الانجليز : أما موقف الانجليز من هذه الفرق فكان قلقا لا حد له وغضبا وريبة وتجسسا وتحسسا ومتابعة لكل حركة وقياسا لكل كلمة ؟

وهذا ما عبرت عنه صحفهم كما اسلفت ٠٠ وكنت كلما زرت احد معسكرات الشباب وتلفت خلفى وجدت الحمكدار رسل أو وكيله فيتز باتريك ورائى فى

نفس المعسكر ؟ وفى كل استعراض لأى طابور أتلفت بجانبى فأجد أحدهما أو كليهما أو زمرة من رجالهما ٠٠ يراقبون ويسألون ويكتبون ٠٠

لقاء بالنادى السعدى :

وفى أول العهد بالفرق وبتاريخ ١٠ يناير سنة ١٩٣٦ وعقب استعراض لبعض الطوابير أمام بيت الأمة والنادى السعدى زارنى بالنادى مستر كين بويد مدير الادارة الادارية بالداخلية وبصحبته زائران قدم لى أحدهما على أنه موفد من وزارة الخارجية البريطانية والثانى من السكرتارية الشرقية للسفارة البريطانية ٠٠ ودار الحديث بالعبارات الآتية :

مستر كين بويد : لقد حضر مستر ٠٠٠ ليتعرف على الحركة الجديدة للشباب فى مصر ٠٠

بلال : كما ترون ٠٠ حركة لتربية الشباب تربية وطنية ورياضية ٠

كين بويد : هل هناك أهداف بعيدة وراء هذا التنظيم ؟

بلال : أهدافنا أعداد الجيل الصالح الذى يحمل الأمانة ويعرف حقوق بلاده ٠٠ جيل صحيح الجسم والخلق والوعى الوطنى ٠٠

كين بويد : ولكن هناك لجانا سياسية بعيدة عن التنظيم العسكرى فلماذا هذا التطور الجديد ؟

بلال : ان التدريب العسكرى يخلق من الشباب مواطنين صالحين ويشغل ذهنهم بما يصلح به وطنهم ويساعدون به مواطنيهم ٠ ويعلمهم النظام والطاعة والخلق ٠

كين بويد : هل ترون ان يكون ذلك تقليدا لفرق الفاشيست فى ايطاليا أو النازى فى ألمانيا ٠٠

بلال : بالقطع لا لاننا لا نؤمن بالدكتاتورية ونحن نحترم الدستور والديموقراطية هدف من أهداف الوفد يسعى الى تأكيده وتأمينه تماما كما يسعى لتحقيق الاستقلال التام لمصر والسودان :

كين : هل اقمتم أى اتصال بمنظمات أو هيئات خارجية ٠

بلال : لا واسنا فى حاجة الى ذلك ٠

كين بويد : مادام النحاس يتزعم أغلبية هذا الشعب ويحترم الدستور فلماذا يرضى بقيام تشكيلات عسكرية ؟

بلال : النحاس لا يكره ان يرى الشباب مكتمل الخلق والوعى والروح الرياضية ويسعده قيام جيل صالح يعرف حق الوطن والمواطنين .

ورغم ذلك فكانت تعليمات البوليس التصدى لتحركات هذه الفرق ومراقبته لكل حركة لها ــ كما كانت المراقبة على المراسلات الواردة من الخارج والصادرة الى الخارج والمتعلقة بقادة الفرق مستمرة ودقيقة وتمر على القسم الأوربى بالداخلية .. وكما ذكرت كانت جميعها لا تتعدى دعوة لمؤتمر أو قصاصة من صحيفة .

***

الأحزاب :

لم يدخر فرد أو هيئــة من مؤيدى الملك أى جهــد فى الحملة على هــذه الفرق وفكرتها .. وبكل الوســائل ، وعشرات المرات ضــبطت قيادة هذه الفرق أفرادا مدسوسين عليها من غير أعضاء جاءوا لاصطناع شجار أو القيام ببعض الأعمال التى تسىء اليها وكان هؤلاء الأفراد يتصلون فورا بقيادتهم بما هــو مطلوب منهم بالصحف المعادية للوفد وكم من مخالفة أو شجار يقع بعيدا عن معسكرات تلك الفرق وتنسبه تلك الصحافة اليها وهكذا .. كان أعوان الملك يحرقون البخور بين يديه بتشويه صورة هذه الفرق .. وهو نفسه لم يكن بحاجة الى المزيد من الحقد والكراهية ..

***

وقد كان مما يضايق هؤلاء ، وغيرهم من قيام فرق القمصان الزرقــاء ، ونجاحها فى مهامها انها اصطبغت بالصبغة الوفدية ، وانه عندما نشبت الازمة الدستورية بين الملك والوفد ، وقفت تلك الفرق الى جانب الوفد ، ولم تقف الى جانب الملك كما انه فى مقدمة الأسباب التى جعلت الكثيرين يتضايقون من وجود تلك الفرق انها ضمت الى جانب الطلاب ، العمال ، وغير المثقفين ، وكم كنت أتمنى شخصيا لو امتد الأجل ببعض الشخصيات التى أسهمت فى هذا العمل ، وخدمت البلد من خلال انتسابها الى فرق القمصان الزرقاء لعلها تتولى الدفاع عن فرق القمصان الزرقاء وفى مقدمة تلك الشخصيات التى رحلت كان جمال عبد الناصر ومحمود يونس ، ود. حامد محمود ، وممدوح رياض ، ومحمد شعراوى نجل على شعراوى ومن بين من انضموا الى القمصان الزرقاء ، فى بداية شبابهم ، الأساتذة ألبرت برسوم وعبد المنعم الصاوى وعدلى الصيرفى والدكتور محمد

قناوى والاستاذ محمد رجب والدكتور حسن الجندى والمستشارون محمد حسين وسيد عبد العال وموسى فرهود ومحمد رأفت عبد الرحيم ، وراغب الهوارى ـ محكمة النقض والابرام ـ ومن النواب السابقين والشيوخ السابقين حامد الألفى « بورسعيد » وسليمان عيد « الاسماعيلية » وابراهيم بيسومى « الزقازيق » ود· حلمى الجيار « المنصورة » ومحمد محمود الزيات « طنطا » وعلى الحلوانى « الاسكندرية » ومن أعضاء مجلس الشعب الحاليين : صبحى وهدان وحسن عماد وعلى سلامة ، وغيرهم وغيرهم ·

وبعد تلك الرسالة التى كتبها د· بلال ونشرناها بنصها وفصها ننشر رسالة أخرى للدكتـــور عز الدين عبد القـــادر حفيد أحمـــد عرابى ، فى الفصل التالى :

الفصل الرابع

اعترافات د. عز الدين عبد القادر حفيد عرابي باشا

وثائق هامة تنشر للمرة الأولى

وحتى تكون الصورة واضحة للغاية نفسح المجال للدكتور المهندس عز الدين عبد القادر حفيد أحمد عرابى باشا يروى أسرار خطيرة تذاع لأول مرة عن حركات الشباب فى عامى ١٩٣٥ ، ١٩٣٦ جاء فيها :

« وما أحسب شابا فى جيلنا شارك فى الحركة الوطنية فى الثلاثينات والى الأربعينات الا وهو مدين بشيء ٠٠ للرجل الأسطورة عزيز المصرى أو الفريق عزيز باشا المصرى أو قل عبد العزيز على ابراهيم الخربوطلى ٠٠ وهذا اسمه كاملا ٠

ولقد تعرفت بعزيز المصرى ٠٠ فى منزل الاستاذ أحمد حسين المحامى رئيس جمعية مصر الفتاة ٠٠ التى تكونت فى ٢١ أكتوبر ١٩٣٣ من شباب مصر الذين شاركوا فى حركة مشروع القرش وتجمعوا فى جمعية مصر الفتاة تخلصا من الحيرة التى اشتدت بنا بسبب مساوىء الاحتلال البريطانى لمصر ٠٠ وتناحر الاحزاب ٠٠ وضعف الساسة القدامى وعزم الشباب على النضال ٠٠ حتى يتحقق لمصر ما تصبو اليه من حرية واستقلال ورخاء ٠٠

وكنت بحكم اشتراكى فى حركة مشروع القرش من الرعيل الأول الذى انضم الى جمعية مصر الفتاة عند قيامها ٠٠ بايمان وحماس الشباب كما كنت كذلك احد مؤسسى حزب مصر الفتاة عندما تحولت هذه الجمعية الى حزب سياسى فى ٣١ ديسمبر ١٩٣٦ ٠ وقد عهد الى الحزب بمهمة تكوين اللجان وتنظيمها واعتبارى المسئول عن ذلك كما عهد الى من قبل فى عام ١٩٣٤ ٠

★★★

وكانت حركة مصر الفتاة بحق ·· مدرسة وطنية لتعليم السياسة كما تعلمت ذلك فى صدر شبابى مثل سائر شباب الجيل فى ذلك الوقت ·· عن أحمد حسين ·· السياسى الشاب الذى تحدى الساسة القدماء ·

ولقد كان موضوع مصر الفتاة وظهورها فى حياة مصر السياسية موضع دراسة للباحثين ·· فتقدم ج· ب· جانكوسكى أحد المؤرخين الامريكيين بدراسة بعنوان « حزب مصر الفتاة والقومية المصرية فى الفترة من ١٩٣٣ الى ١٩٤٥ » نال بها الدكتوراه فى التاريخ الحديث من جامعة متشجان بالولايـــات المتحدة الامريكية ·· عام ١٩٦٧ ·

كما قام غيره بمثل هذه الدراسة هنا وهناك ·· كذلك ··

وفى مصر مثلا أعد الاستاذ على محمد حامد شلبى رســـالة ·· بعنوان « مصر الفتاة ودورها فى المجتمـــع المصرى ـ ١٩٣٣ الى ١٩٤١ » تحت اشراف الاستاذ الدكتور أحمد عزت عبد الكريم قدمها لنيل درجة الماجستير وحصل عليها عام ١٩٧٥ من جامعة ـ عين شمس ـ كلية الآداب قسم التاريخ ·· وكم اتمنى لو قدر لهذه الرسالة التاريخية العميقة أن تطبع وتنشر وأن يتوفر لها الحظ للظهور فى وقت قريب ·· لتتداولها الجماهير ··

★★★

وانى اضمرت فى نفسى ·· ووضعت نصب عينى ·· منذ اللحظة الأولى التى فيها تطوعت وانضممت الى حركة مصر الفتاة ·· هدفا واحدا ·· هو هدم حكم أسرة محمد على لمصر ·· وطرد الانجليز منها بقوة السلاح ·· وبكل الوسائل ·· وبأى شكل من الأشكال ··

★★★

يقول الاستاذ على شلبى فى رسالته بصفحة ٢٤٠ ·

« مقابلة الخديو عباس باشا الثانى » ·

« فى تقرير سرى للأمن عن محاولة سفر عز الدين عبد القادر الى العراق ليقيم اتصالات به مع مصر الفتاة ·· والتقرير بتاريخ ١٦ ابريل ١٩٣٥ ·· وذلك لمقاومة الاستعمار وتهيئة الرأى العام للثورة ضده فى كل البلاد الشرقية ، كذلك ، أرسل سير مايلزم لامبسون سفير انجلترا بمصر تقريرا سريا للغاية برقم ٥٠٢ مؤرخا ٢٠ مايو ١٩٣٥ الى جون سيمون فى لندن قال فيه :

« وقد استطاع عز الدين عبد القادر ان يحصل على تأشيرة دخول من القنصلية العراقية بالقاهرة وسافر عن طريق فلسطين ولكن يبدو أنه لم يواصل السفر وعاد الى القاهرة ·

« المصدر ــ محفظة رقم ٦ احراز ــ فى القضية الجنائية رقم ١٤٣ ــ ١٩٣٨ مصر الجديدة٠٠قضية اعتداء عز الدين عبد القادر على حياة مصطفى باشا النحاس رئيس الحكومة رميا بالرصاص فى ٢٨ نوفمبر ١٩٣٧ » المحفوظة بدار القضاء العالى بالقاهرة ٠

★★★

ويقول الأستاذ على شلبى فى دراسته العميقة فى هذه الرسالة بصفحتى ٢٣٩ و ٢٤٠ :

سبق أن ذكرت أن العلاقات بين مصر الفتاة والقصر بعد خروج الابراشى منه شابها شىء من الفتور ، فبدأت مصر الفتاة تتجه اتجاها آخر ربما كان الاتجاه المضاد تماما لاتجاه القصر وسياسته ٠٠

حاولت مصر الفتاة فى تلك الفترة اقامة علاقات بينها وبين الخديو عباس حلمى الثانى فى منفاه ، وقد تولى الوساطة بين الطرفين عبد الخالق باشا مدكور والذى كان قد أعلن انضمامه لجمعية مصر الفتاة من قبل٠وفى تلك الفترة حاول مدكور من جانبه أن يمهد لاقامة تلك العلاقة بل ربما كان هو بطلها ، فقد كان يتردد على الخديو فى جنيف وفى حيفا والقدس بفلسطين اذ كان الخديو يتردد عليهما ، وخلال تلك اللقاءات كان مدكور يحادث الخديو عن الجمعية ومبادئها وأغـراضها حتى استطاع أن يحصـل على تأييده لها والوعـد بمساعدتها فى المستقبل ٠

★★★

كانت مصر الفتاة تتوجس خيفة أن ينتشر خبر ذلك الاتصال بالخديو فقد قصرت العلم به على كل من أحمد حسين وفتحى رضوان ومحمد على علوبة ، ومع هذا فقد تسرب الخبر الى خارج هؤلاء،فقد وجه مندوب جريدة«روزاليوسف» سؤالا الى علوبة باشا حول هذا الموضوع بقوله : هل هناك حقيقة مهمة خاصة بمصر الفتاة يقوم بها مدكور باشا فى مقابلته للخديو ؟ ولكن الباشا كذب ذلك الخبر ونفاه نفيا قاطعا ، وأبلغ أنه استاء جدا لتسرب خبر ذلك الموضوع ٠ وقد علق أحمد حسين آمالا كبارا على ذلك الاتصال « دار القضاء العالى ــ تقرير سرى سياسى ٠ بالقضية المذكورة بتاريخ ٢٨ فبراير ١٩٣٥ » فلما عاد مدكور باشا من رحلته هرع أحمد حسين الى لقائه كى يطمئن عـلى موقف الخـديو منه ومن الجمعية ، وفى نفس الوقت توجه وفد من الجمعية لتهنئة مدكور باشا بالعودة يضم كلا من فتحى رضوان وأحمد الشيمى ومحمود طاهر العربى وقد أكد لهم مدكور أن الخديو يعرف كل شىء عن الجمعية ووعد بأنه سيساعدها ماليا ويدعم جريدتها « وادى النيل » وقد ذكر مدكور فى حديثه لأحمد حسين أن الخديو

لا يهمه مطلقا مسألة عرش فلسطين أو سوريا ولكن هناك مفاوضات بينه وبين الانجليز حول عرش يهمه كثيرا جدا وأهم من فلسطين وغيرها « نفس القضية بدار القضاء العالى تقرير سرى سياسى بتاريخ ٢ مارس ١٩٣٥ » .

***

● ولعل فى ذلك القول من جانب مدكور ظلا من الحقيقة فان انجلترا كانت فى شك من أمر الوصية التى أعدها الملك فؤاد بولاية العرش ومن هم الأوصياء ، وهل هم أشخاص ترتاح اليهم انجلترا ، وتأمن جانبهم وخاصة ان الوضع فى المنطقة كان ينذر بالتوتر ، فالنزاع الحبشى الايطالى يهدد انجلترا ووضعها فى مصر ، هذا فضلا عن أن صحة الملك فؤاد كانت متدهورة الى الحد الذى يجعل بريطانيا قلقة على مستقبل الأوضاع فى مصر فلا مانع لدينا من قبول ذلك القول من انها فكرت فى حل تلك المسألة وايجاد البديل فيما اذا تطورت الأوضاع فى مصر على غير ما ترى ..

وان مما يؤكد لنا ان هـذه العـلاقة قامت بين مدكور والجمعية حـول الاتصال بالخديو السابق أن عز الدين عبد القادر ـ عضو مجلس جهاد جمعية مصر الفتاة ـ كان قد توجه الى فلسطين بدون جواز سـفر وكان على اتصال بأحمد حسين الذى كلفه بأن يتصل بمدكور باشا أثناء اقامته فى القدس فتوجه اليه ولكن مدكور طلب أن يلقاه فى حيفا بعد ذلك ، فالتقى به هناك حيث مهد له فرصة لقاء الخديو على يخته الخاص « نعمت الله » وكما يذكر عز الدين نفسه ـ ان لقاءه بالخديو كان على اعتبار أنه أحد أبناء رجال الحزب الوطنى البارزين والمعروفين لدى الخديو فهو ابن محمد بك توفيق بن عبد القادر « باشا » فهمى وبهذه الصفة استطاع أن يلتقى بالخديو ويشرح له رغبته فى السفر الى الحجاز سيرا على الأقدام فقدم له بعض المساعدات المالية ، وقد حضر اللقاء عبـد الله البشرى سكرتير الخديو ، ويؤكد عز الدين أن هذا اللقاء كان بوحى منه شخصيا وليس بتوجيه من مصر الفتاة !!

***

ولكن يمكن القول أن المقابلة كانت بتعليمات من أحمد حسين فى خطاباته الى عز الدين وهو فى فلسطين ..

كانت محاولة مصر الفتاة الاتصال بالخديو تدل دلالة واضحة على انهـا تعمل على تدعيم جمعيتها بأى شكل من الأشكال ، فسواء هى التى سعت لاقامة تلك العلاقة أو ان مدكور باشا هو الذى جرها اليها لمصلحته الشخصية فمن المؤكد انه كان أحد أنصار الخديو والذين يهمهم أن يروجوا له أن فى مصر ركائز سياسية يمكن أن تساند حكمه اذا تغيرت الأوضاع وفضلت انجلترا اعادته الى

عرشه ، وجمعية كمصر الفتاة التى توصف بالتطرف يمكن استغلالها فى هذا الشأن وهو سؤال يفرض نفسه وهو : كيف تسمح جمعية مصر الفتاة لنفسها باقامة علاقات مع الخديو عباس حلمى وهى تعلم تمام العلم أن مجرد ذكر أسمه فى مصر يهز أركان القصر الملكى ؟

حقيقة الأمر أن مصر الفتاة كانت على استعداد لأن تتعاون مع الشيطان كى تصل الى هدفها المبكر فى اعادة مجد مصر على يديها « كما تعلن ذلك » فهى لا ترى مانعا من التعاون مع أية قوة داخلية كانت أم خارجية تقربها من هدفها ، ولكن فى حقيقة الأمر سواء استفادت مصر الفتاة ماديا عن طريق ذلك الاتصال أو انها لم تستفد فانه بمجرد أن بدأ يظهر فى الأفق تولى على ماهر لرياسة الديوان الملكى على نحو ما رأينا فقد أوقفت تلك المحاولات من جانبها للاتصال بالخديو وهى تتوجس خيفة من أن يظهر للقصر ما بدر منها فى هذا الموضوع .

★★★

ويعلق أحمد حسين على أخلاق على ماهر باشا بقوله « انه من النوع الذى اذا خاصم فجر » .

ولا أعدو الصواب اذا قلت ان أصعب موقف صادفته فى حياتى الحافلة بالمغامرات والأخطار والأهوال .. هو اننى وجدت نفسى فى مستهل حياتى السياسية نهبا للتيارات والعواصف التى تنازعتنى وزلزلت كيانى .. وهدمت بنيانى وان كانت والحق يقال خلقتنى خلقا جديدا .

كان لأول لقاء لى مع عزيز المصرى فى منزل الأستاذ أحمد حسين .. هذا الشاب الممتلىء ايمانا بمصر ومجدها .. أثر بعيد في حياتى كلها .. اذ ارتاح الباشا الى ودعانى لزيارته فى منزله وكان يسكن فى أعلى شقة بعمارة فيكتوريا بشارع فؤاد بالزمالك .. وتفضل على بالاستعارة من مكتبته الخاصة الزاخرة بأندر الكتب العلمية النفيسة .. وشجعنى على الاطلاع والقراءة .. كما شجعنى على استمرار التردد عليه كثيرا .. وكانت أول كتب أعارها لى كتابا عن فريدريك الأكبر بالفرنسية وآخر عن بسمارك ..

★★★

ومن الغريب .. فى أخلاق عزيز المصرى .. انه كان يحدد لى فى كل زيارة أذهب اليه فى منزله ، موعد الزيارة التالية .. وكثيرا ما كان يحدد لى موعد المقابلة الساعة السابعة صباحا .. كما لو كان يقصد امتحانى وتقدير مبلغ اهتمامى بلقائه فكنت أبذل أقصى جهدى وأنا أسكن فى القلعة بعيدا جدا عن الزمالك كى أطرق عليه بابه قبل الساعة المحددة بخمس دقائق بالضبط فأجده جالسا الى مائدة الطعام ينتظرنى فنتناول طعام الافطار معا الذى تعده عادة

خادمته النوبية الأمينة « زينب » . وكثيرا ما تناولنا الغداء أو العشاء معا .

وكان يحلو له أن يحدثني عن ذكرياته وآرائه على المائدة وبعدها ، ولا ينسى أن يعيرني ما أطلبه منه من كتب أستعيرها من مكتبته .. كما كان يستبقيني طويلا ولا يتركني أنصرف حتى ولو حضر اليه كبار ضيوفه.. وكثيرا ما تعرفت عنده ببعض ضيوفه .. ومنهم على باشا ماهر وعبد الرحمن عزام « والشيخ رشيد رضا » والزعيم التونسي عبد العزيز الثعالبي والجنرال جـ. كلايتون ملك مصر غير المتوج وغيرهم .. قبل عام ١٩٣٧ وتعرفت عنده بعد ذلك عام ١٩٤٥ بحسن عزت وأنور السادات .

وكانت حصيلة زياراتي لعزيز المصري سعة اطلاع . وثقافة . وانقلابا تاما في تصوري للحرية وابعادها ووسائل تحقيقها .. فقد كان عزيز باشا المصري بحق ثورة متفجرة هادرة .. تشعل ثورات في نفوس كل عارفيه ..

وأهم ما تأثرت به في تلك الفترة انني اكتشفت جهلي التام بالقضية التي آمنت بها .. وتجردي التام من الخبرة ومن السلاح الواجب توافرهما لنصرة هذه القضية ..

***

ولهذا كان لابد لي وقد غمرني عزيز المصري بعلمه الغزير وتجاربه وتوجيهاته طويلا .. أن أعرف طريقي .. وأن أبحث عن العدة اللازمة لاعزاز ما أؤمن بأنه .. حق ..

وبدأت من الصفر .. طلبت من السلطات منحي جواز سفر لأقوم بجولة في الوطن العربي .. للتعرف عليه .. فرفضت السلطات لأن اسماعيل صدقي باشا رئيس الحكومة في ذلك الوقت وضع أسمي في القائمة السوداء ضمن الممنوعين من السفر لعضويتي في جمعية مصر الفتاة المعادية للانجليز .. وله..

ولما أردت الاستعانة برئيس الكشافة الأهلية وكان أزهريا هو محمد خالد حسنين وكان قادما الى مكتبه لتوه من عند الشيخ الأحمدي الظواهري شيخ الأزهر يوم سقوطه لمعارضته مطالب شباب الأزهر الذين هيجهم ضده وتظاهروا عليه بقيادة الشاب النابه خطيب الأزهر الثائر أحمد حسن الباقوري .. حتى أسقطه. يومذاك .. طردني محمد خالد حسنين بتهور وعصبية .. فكتب الأستاذ محمد صبيح عن هذه الواقعة في مجلة مصر الفتاة بعنوان : خالد حسنين يهدد عز الدين عبد القادر بالسجن المؤبد ويحلم بالأحكام العرفية !!

وبعزيمة الشباب واصراره .. قمت برحلتي وسافرت سيرا على الأقدام مخترقا كل الحدود العربية المصطنعة .. بلا جواز سفر .. غير معترف بها ولا بالتجزئة والتقسيم الذي فرضه الاستعمار على بلادنا ..

وكان ذلك فى فجر يوم السبت عرة رمضان ١٣٥٤ الموافق ٨ يسمبر ١٩٣٤ . وبدأت السير من منزل الأستاذ أحمد حسين حيث كان يسكن بجهة المنيرة .. مسقط رأسى وحيث كان مولدى هناك عام ١٩١٤ . وفى اليوم الثانى مررت بالتل الكبير ثم عبرت القناة من القنطرة .. وكم أحزننى حال سيناء وسيطرة جارفى بك المحافظ الانجليزى وفرض الحكم العسكرى فيها .. وبؤس واذلال أهالى سيناء من المصريين الأعراب المسحوقين .. باهمال حكومة القاهرة لهم ونسيانهم !! فريسة للجوع والفقر والجهل والمرض .. فكنت أراهم أشباحا شبه عرايا يترنحون ..

***

وعبرت الحدود .. رغم كل العوائق والحراسات ودخلت أرض فلسطين .. والمراسلات بين أهلى ومنزلى مستمرة وبينى وبين الأستاذ أحمد حسين لا تنقطع والأستاذ محمد صبيح ينشر أخبار رحلتى بين حين وآخر فى عمود أخبار الشباب المخصص له بجريدة كوكب الشرق .. اليومية بالقاهرة .. وبالطبع كان ينشر ما يمكن نشره أما عن نشاطى السياسى هنا وهناك فلم يكن للنشر .. ولم يعلم به أحد الا بعد ضبط مستندات كثيرة وتقارير خصومنا من رجال البوليس السياسى والقسم المخصوص فى حادث النحاس باشا فى نهاية عام ١٩٢٧ .. هذا وسيناء باب مصر الشرقى ومساحتها ٨٢ ألف كيلو متر مربع عزلها الانجليز عن مصر وتركوها خرابا . وسيطروا عليها حسب مخطط استعمارى خبيث .

وأنه لمن المؤسف حقا .. أننى علمت فيما بعد أن بعض أعضاء مصر الفتاة البارزين .. كان يتجسس على الحركة ويبيع أسرارها وأخبارها فى تقارير منتظمة بعضهم يبعثها للسفارة البريطانية .. وبعضهم للبوليس السياسى « اللواء سليم زكى ورسل باشا » وبعضهم للقلم المخصوص « اللواء عمر حسن رجل الانجليز والملك » ..

هكذا ذاع سر مقابلتى للخديو السابق عباس حلمى الثانى على ظهر يخته الخاص « نعمت الله » المسمى على اسم الأميرة أخته .. والغريب ان هذا الحاكم الذى عرف يوما بعدائه الشديد للانجليز فى مصر كان يرفع العلم البريطانى بصفة مستديمة على يخته ويحيا فى ظله .. بينما كان قبطان اليخت ضابطا ألمانيا ..

***

ولأول مرة أرى علم اسرائيل .. مرفوعا على صوارى المقدمة فى أعلى كل السفن الراسية فى ميناء حيفا .. فى عهد الانتداب البريطانى على فلسطين العربية .. باعتبار ما سيكون .. وانها أرض اسرائيل .. وكان ذلك المشهد

المحزن في يناير عـام ١٩٣٥ ·· قبل قيـام دولة اسرائيل فى فلسطين ·· واغتصابها وأستشهادها ··

***

ولكم أثار ما جرى فى فلسطين وما شاهدته فيها من غيظ فى نفسى ·· وكم أشعل ما فيها من كراهية وعداوة للانجليز ·· وصنائعهم ·· انها المؤامرة أراها بوجهها القبيح ··

وذهبت أصلى المغرب فى أقرب مسجد لميناء حيفا بعد انتهاء مقابلتى للخديو السابق ·· وكان جامع الاستقلال ·· لفت اسمه انتباهى ·· أى أمل يعنى هذا الاسم فى بلد يحتله الانجليز ويهاجر اليه شذاذ الآفاق من اليهود ، هجرة غير شرعيـة ·· تهريب منظم على أوسع نطـاق بمسـاعدة الوكالة اليهـودية والصهيونية العالمية والاستعمار البريطانى المسلح ··

ولما سألت ما هى قصة هذا المسجد··علمت أنه أقيم بتبرعات··كتبرعات مشروع القرش فى مصر ·· شيده مجاهد سورى مهاجر الى حيفا ·· كان مقاتلا فى جيش سوريا زمن الملك فيصل وحضر معركة ميسلون عام ١٩٢٠ بقيادة الشهيد البطل يوسف العظم وبعد الهزيمة نزل عند نسيبه الشيخ عز الدين وأصبح رئيسا لجمعية الشبان المسلمين هناك ·· فى حيفا ··

هزتنى القصة ·· فيا له من كفاح ويا لها من قصة ·· ولم أضيع وقتى أسرعت الى مركز الشـبان المسلمين بارشاد أحد شباب جوالة صقر قريش وقابلت المناضل العظيم ·· وجدته فى السبعين تقريبا ·· استقبلنى بالأحضان وهو أبيض الوجه نحيف يميل الى القصر ·· حاد النظرات كأنه ·· نسر جارح وقصصت عليه قصتى ·· وكررت زياراتى له ·· وتناولت الغداء فى اليوم التالى على مائدته ·· وتدارسـنا الأوضـاع العربية ووسائل الخـلاص من أخطبوط الاستعمار والصهيونية وأعوانهما ·· واتفقنا ، أن الجنة تحت ظلال السيوف ·· وان المقاومة المسلحة هى اللغة التى لا يفهم غيرها الأقوياء ·· واذا كان قاطع الطريق يومئذ ـ أبو جلدة ـ قد قتل ومات وهو يقاوم السلطات فى جبال فلسطين ·· من أجل عرض زائل ·· لقمة العيش ·· فكم يكون أعظم وأعظم أن نموت ونحن شباب محمد فى سبيل الله والوطن والحرية ·· وأن نختم حياتنا بالاستشهاد ··

***

ولقد قدمت للشيخ الجليل قسمـا من المـال الذى منحنى اياه بالأمس الخديو ·· عارضا عليه شراء بعض قطع السلاح للعمل فورا ضد أعدائنا ·· فأبى ·· واستمهلنى حتى يتمكن من تجنيـد بعض خيار المتطوعين المخلصين

وتسليحهم بمعرفته ٠٠ وهكذا انصرفت فى طريقى الى الحج سيرا على الأقدام٠٠ على أمل أن أعود والتقى به لنبدأ الجهاد المسلح فى جبال نابلس ٠٠ بمجرد أن يصلنى منه استدعاء فى القاهرة ٠٠ ودخلت الحجـاز عن طريق الأردن ومعان وينبع والمدينة المنورة ٠٠

وكان يوم عرفه حينذاك يوافق يوم الجمعة ٩ من ذى الحجة ١٣٥٤ ــ ١٥ مارس ١٩٣٥ ــ وهو للغرابة يوافق عيد ميلادى « ١٥ مارس ١٩١٤ » وبلوغى سن الواحد والعشرين ٠٠ جعله الله حجا مبرورا وذنبا مغفورا خاصة وانه كان يوم جمعة ٠٠ أسعد الأيام عند الله ٠

ومن غرائب الصدف أيضا ٠٠ أن الشيخ المجاهد اسمه الكامل هو عز الدين عبد القادر القسام ٠

ولله در شاعرة العراق دكتورة عاتكة الخزرجى ٠٠ حيث تقول :

قدر ٠٠ كان اننا نتلاقى

واتفاق جرى بغير اتفاق

***

عدت الى مصر ٠٠ بعد أن أديت فريضة الحج ٠٠ وبعد أن مررت بمواطن تاريخية هزت وجدانى وأحيت موات ذكرياتى ٠٠ التل الكبير وسيناء وفلسطين والأردن التى العب تشرشل ولورنس دورا فى خلقها وتمزيقها من الشام «سوريا» العربية ٠٠ كما زرت الحجاز والأماكن المقدسة بكل ما فيها من بهاء وعظمة وجلال وقد ضمته الدولة العربية السعودية الحديثة الى مملكتها ٠٠ قبل ظهور البترول فيها الذى تدفق عام ١٩٣٧ بكميات تجارية ٠٠ أى بعد عامين من حجى هناك٠٠

ولورنس هو توماس ادوارد لورنس ولد فى مدينة تريمادوك بمقاطعة ويلز فى ١٨٨٨/٨/١٦ وأبوه توماس شابمان وأمه فلورنس مسهام كانت خادمة فى المنازل والفنادق ٠٠ وكان لورنس أحد الرجال الذين أوفدتهم المخابرات البريطانية الى الشرق ولعب دورا خطيرا فى خداع العرب واستغلالهم وتمزيق بلادهم وكان كما علمت صديقا حميما لزعيم عربى من أصل شركسى من قبيلة قوقازية اسمها شاه بلو ٠٠ هو عزيز المصرى الذى تفاهم مع الانجليز فى مصر بصفته رئيسا لجمعية « العهد » العربية وقائدا لجناحها العسكرى وأوفده عميد المخابرات البريطانية فى مصر الجنرال كلايتون الى الحجاز فسافر مع صديقه الانجليزى لورنس على ظهر باخرة واحدة عام ١٩١٦ واستقبل عزيز المصرى طابور شرف عسكرى فى ميناء جدة لتحيته رسميا باعتباره قائد جيش الثورة العربية التى دبرها الانجليز مع الشريف حسين ضد الأتراك العثمانيين ٠٠

وكان الحاج عبد الله فيلبي ـ وهو الانجليزى الاستعمارى العتيد هارى سانت جون فليبى ـ الذى قضى أربعين عاما حتى مات عام ١٩٦٠ فى مستشفى الجامعة الأمريكية ببيروت بعد أن حقق البريطانيا سياستها فى شبة الجزيرة العربية ـ معروفا بجاسوسيته وخدمته للمخابرات الانجليزية طوال عمره ٠٠ ونجح فى التخلص من الشريف حسين ٠٠ ولحس وعود الانجليز له وللعرب فى الحرب العالمية الأولى ٠٠ وهو واحد من رجال المخابرات الانجليزية العتاة الذين ابتلى بهم الشرق وخدعوا العرب وحاربوهم هم وأعوانهم حتى أوردوهم موارد التهلكة والحتوف والعبودية ٠٠ ومنهم ٠٠ لورنس ٠٠ وجون باجوت جلوب « باشا » ومكماهون ٠٠ وكركبرايد ٠٠ وكوكس وغيرهم ٠٠ وكان من أنجح عمد الاستعمار فى البلاد العربية فى تحقيق أهدافه وهو يصرح « بأن خطط السياسة البريطانية مؤسسسة على تجاهل العرب ومصالحهم » ٠٠ منذ وضعت بريطانيا خطط سياستها فى بلادنا ٠٠

***

تأثر عزيز المصرى بالضابط الجاسوس البريطانى هارى سانت جون فيلبى وآمن مثله بأن الأفضل أن يتمكن السعوديون من حكم الحجاز وضمه الى مملكتهم ٠

وكما علمت من جعفر العسكرى أن الشريف حسين أحس بتغير دخيلة نفس عزيز المصرى تجاهه وتجاه حكمه ٠ فأحس بمرارة وخيبة أمل فى عزيز المصرى فاستبدل به فى قيادة جيش الثورة العربية فى الحجاز ٠٠ الجيش الهاشمى ٠٠ القائد الكبير جعفر باشا العسكرى ولم يفد عزيز المصرى ٠٠ الانجليز ٠٠ فعاد الى مصر ٠٠ رغم أنهم أرادوا له أن يساعدهم على تنفيذ خططها للقضاء على دولة الرجل المريض فى تركيا ٠٠ والاستيلاء على تركته لقمة سائغة ٠٠ وتمزيق الأمة العربية والسيطرة على الوطن العربى واستعباده لصالح الاستعمار ٠٠

***

وحصلت على جواز سفر ٠٠ بعد عودتى الى مصر ٠٠ وتغيير حكومة صدقى باشا ٠٠ ضمننى فيه المرشد الشهيد حسن البنا دون سابق معرفة بى ، وذلك فى مكتب محاماة أحمد حسين لهذا بقيت طوال عمرى عارفا بجميله ٠٠ مقدرا لنبله كما ضمننى شهيد مصر الفتاة كمال الدين صلاح ٠٠ رحمهما الله تعالى ٠

حصلت على جواز السفر ٠٠ عملا بنصيحة « الخديو عباس باشا حلمى الثانى » لى خلال زيارتى له فى يخته بحيفا فى رحلتى الأولى الى فلسطين والحجاز عن طريق امارة شرقى الأردن حيث قال بالفرنسية :

« انها حماقة •• السفر بلا جواز سفر » ••

وعدت الى فلسطين •• حيث وقفت فى القدس فى نفس المكان الذى وقف فيه عام ١٩١٨ اللورد اللنبى الانجليزى بعد دخوله فلسطين وطرد الأتراك عنها وقال : « اليوم •• انتهت الحروب الصليبية » •

وقفت وروحى كلها ترتجف غضبا •• أن يقحم كل عدو استعمارى وفى أرض السلام •• اسم السيد المسيح له المجد •• لتغطية عدوانه الدموى على الأمة العربية •• ووطننا العربى لسلب خيراتنا •• وسفك دمائنا واحتلال بلادنا واغتصاب أرضنا ••

★★★

عدت الى فلسطين •• وفى أعماقى رغبة ملتهبة •• فى السفر الى دمشق لزيارة •• قبر صلاح الدين •• استلهم من وقفتى عنده الرد الذى لا يرده غيره على •• بجاحة واجرام المستعمرين المعتدين على مدى العصور •• والأزمان ••

عدت لأقابل الشيخ القسام •• لأستعجله لحمل السلاح •• والمقاومة المسلحة •• ونشرها بين الجماهير •• ضد الاستعمار « الانجلوصهيونى » فى فلسطين والوطن العربى ••

وقابلت الشيخ المجاهد عز الدين القسام فى حيفا من جديد •• فذهل لهذه الزيارة المفاجئة •• وتأكد من اننى جاد ومصمم على حمل السلاح ضد الانجليز والسياسة الانجليزية التى لا تريد حلا عربيا للقضية الفلسطينية ولما علم اننى مررت بامارة شرقى الأردن واننى لم أحاول أن أتصل بأحد فيها •• سره ذلك ••

وتباحثنا طويلا حول اشعال الثورة العربية •• وعن مصر الفتاة ودورها الثورى •• فقال ان الثورة اذا قامت فانها ثورتنا نحن العرب ونحن وحدنا الذين نملك الحق فى بناء بلدنا •• وحماية أمتنا وتقرير مصيرنا وحياتنا ومستقبلنا دون قيود •• وعلينا أن نزهق أنفاس أعدائنا من استعمار ورجعية وعملاء خونة •• بقوة وبأى ثمن ••

وجددنا العهد بيننا على السير الى الأمام فى طريق النضال الثورى بعزيمة من أجل وطننا العربى •• وأمتنا العربية •• وتغيير الأوضاع من أقصى وطننا الكبير الى أقصاه ••

★★★

ولم يكن الشيخ قد استكمل استعداده لبدء الحركة المسلحة بعد وتواعدنا على أن أنتظر اشارة منه ٠٠ لأعود مرة أخرى لفلسطين ٠٠

وذهبت الى القدس ٠٠ والى معظم مدن فلسطين ٠٠ وزرت تل أبيب ٠٠ وفي القدس زرت الدكتور حسين الخالدى ٠٠ رئيس بلدية المدينة العريقة فى قصره بالقدس الجديدة ٠٠ وكان زعيما من زعماء العرب ٠٠ وحدثنى عن زعيم جليل عربى آخر هو موسى باشا الحسينى ٠٠ وفي تل أبيب سرت فى تجوالى بالمدينة العربية التى سكنها اليهود مع لفيف من شباب المدينة العرب وكنا فى أهم شوارعها ٠٠ شارع اللنبى ٠٠ فقلت لهم : اليوم ضبط أحد رجال الشرطة العرب فى الميناء كيس أسمنت مستوردا الى اليهود سقط أثناء تفريغ شحنة الأسمنت من السفينة على رصيف ميناء حيفا فوجد داخله مدفعا رشاشا واتضح أن الشحنة كلها تخفى سلاحا مهربا لليهود ٠٠ فماذا أنتم فاعلون يا عرب ؟

فاندفع شاب منهم وأجابنى بحماسة بصوت مرتفع ٠٠ أنظر ٠ أترى هذا الشارع المزدحم باليهود وحوانيتهم ٠٠ لو اننى الآن التفت خلفى وصرخت قائلا: ياولد ٠٠ لرأيتهم جميعا يهربون ويفرون فزعا مذعورين كالفئران ٠٠ ولأغلقوا حوانيتهم من شدة الخوف والجزع ٠٠ ولا تنسى أننا مليون ونصف مليون عربى وهم مائة ألف الا قليلا !

★★★

ولشد ما حزنت من رده ٠٠ ومن حماقة هذا التفكير بهذه العقلية !! كان هذا فى ابريل عام ١٩٣٥ ٠٠ ودارت الأيام ٠٠

وكما ركبت القطار من القاهرة الى يافا فى رحلتى هذه الثانية ٠٠ ومعى جواز السفر ركبت الأتوبيس فى تنقلاتى بفلسطين هذه المرة وسافرت به الى سوريا وكانت تحت الانتداب الفرنسى ٠٠ وكنت قد حصلت فى القاهرة على تأشيرة دخول للعراق وبذلك تمكنت من الحصول على تأشيرتى دخول الفلسطين وسوريا للمرور بيما صالحة لمدة ٤٨ ساعة فقط ٠٠ وعندما وصلت الى جسر بنات يعقوب حيث نقاط الحدود بين فلسطين وسوريا اكتشف رجل شرطة الأمن الانجليزى أننى مكثت تسعة أيام زيادة فى فلسطين مخالفا بذلك التأشيرة الممنوحة لى من قنصلية بريطانيا فى القاهرة فقال لى بغطرسة : ادفع قيمة الفرق نقدا وقدره جنيه واحد قلت ببرود ٠٠ لا ٠٠ لا أدفع قال : اذن ٠٠ تستطيع أن تعود لمصر عن أى طريق الا فلسطين فانك لن تدخلها عند العودة ثانية ٠٠ أبدا قلت متحديا : أتعتقد ذلك حقا ؟!

وأسفت فى أعماق نفسى ولمتها على أننى قيدت أسفارى بالقانون الذى فصل بلادنا ٠٠ وسمعت نصيحة الخديو ٠٠ وأنا مطمئن اننى رغم صلف هذا

الشرطي البريطاني أستطيع التسلل الى أي بلد عربي وقتما أشاء وحيثما أريد بلا حاجة الى جواز سفر ..

***

ووصلت دمشق .. وصليت بالجامع الأموي وشاهدت بصحنه مقام الامام الحسين رضى الله عنه .. وزرت قبر صلاح الدين العظيم .. وهمس الحارس فى أذني بكلمة الجنرال غورو لما وقف على قبر صلاح الدين بعد انتصار فرنسا على مقاومة العرب فى سوريا فى موقعة ميسلون عام ١٩٢٠ حيث قال : ها نحن قد عدنا .. يا صلاح الدين ..

نفس روح الاستعمار .. المتشح زورا بالعقيدة الصليبية..فى القدس.. وفى دمشق .. وفى كل مكان احتله المستعمرون المعتدون فى امبراطورية الرجل المريض التركى الممزقة المنهوبة .

ولكم أن تتصوروا ما يفعله رد فعل هذه المواقف العدوانية وهذه العبارات الاستعمارية فى نفس شاب عربى ثائر ..

وفى دمشق زرت واستمعت الى محاضرات الشيخ الجليل شمس الدين والد الشيخ تاج الدين رئيس الوزراء .. وكان يناهز المائة سنة من عمره وهو متمالك لكامل قواه البدنية .. وقد رحب بى فى مجلسه وفى داره .. وفيها تعرفت بالعالم الجليل الشيخ الحافظ يحيى زميته مدير دار الحديث والشيخ عبد الحكم المنير امام الجامع الأموى فيما بعد ..

***

ولم أكن أنوى السفر الى بغداد ..الا أن أنطون سعادة زعيم الحزب القومى السورى .. الذى قابلته هناك .. وكانت لى معه لقاءات ومباحثات .. نصحنى بمحاولة السفر الى العراق .. ولقد وعدنى بزيارة جمعية مصر الفتاة .. وأوفى بوعده اذ زارها فعلا عدة مرات .. وقابل أقطابها فى القاهرة .. بعد ذلك .

وكان أنطون سعادة .. بركان وطنية ثائرا حقا .. ميالا للعنف .. كما اننى قابلت الصحفى الكبير الأستاذ أكرم زعيتر ووجدته يشكو مر الشكوى من مصر الفتاة .. وبخاصة من الأستاذ فتحي رضوان لأنه لم يبادله مجلة الصرخة بجريدته التى كان يبعثها بالبريد الجوى بانتظام دون أن يتلقى ردا من صديقه فتحي حسب ، ووعده فاعتذرت له نيابة عنه وعن الجمعية ..

***

وعلمت من بعض الصحفيين بوجود الجنرال نورى باشـا السعيـد فى دمشق .. وبعد البحث والاستقصاء علمت بتواجده فى فندق أوريان « الشرق»

بالاسى ·· فتقدمت اليه وعرفته بنفسى وأبديت له سعادتى بمعرفته ومقابلته ·· مثلما أسعدنى تعارفى ومقابلتى « للخديو عباس باشا » من قبل ·· وبهذا كسبت الجولة الأولى وفتح لى قلبه بعد أن تبادلنا الحديث ·· وكررت مقابلتى له بعد ذلك ودعانى فى آخر لقاء معه لمرافقته فى سفره بالسيارة الى العراق وقبلت الدعوة فورا بدون تردد ·· وسافرت معه ونزلت فى قصره وهو القصر الفخيم القائم بجهة الوزيرية والذى أهداه فيما بعد للحكومة المصرية فاتخذته مقرا للسفارة المصرية فى بغداد ··

***

ومن نورى باشا سمعت كلاما كثيرا وعجيبا ·· قال لى :

« ان الحكومة العراقية التى أقامها بنجاح فى بلاد الرافدين ، ·· تدفع منذ قيامها فى عام ١٩٢٠ أتاوة مالية مجزية ·· سنويا ·· للقبائل ثمنا لسكوتهم وعدم اثارة القلاقل والاضطرابات وغزو بعضهم بعضا · حتى تستطيع حكومة بغداد تسيير سياسة البلاد والنهوض بها ·· وهى الحكومة الوحيدة فى العالم التى تدفع « فردة » لقبائلها ·· مرغمة ·

ويبدو انه كان يستمد بالتالى قوته من العشائر فى العراق··ومن الانجليز وذلك لأنه حكى لى عن وضع العراق بعد وصوله والملك فيصل الأول الى الحكم فيه ·· انه مهدد بالشيوعية من ناحيـة ·· وأن للعراق حساسيـة من هذه الناحية أكثر من شعور مصر أو أى بلد عربى آخر بهذا الخطر لقرب العراق من الاتحاد السوفييتى ·· ومن ناحية أخرى فان للعراق علاقات خارجية ترتبط بصلة متينة بانجلترا لأنه كان لانجلترا « الفضل » فى اقامة الحكومة الملكية الهاشمية فى العراق » ·

***

وتعرفت فى قصر نورى باشا بالقائد الكبير جعفر باشا العسكرى وهو شقيق السيدة حميدة هانم حرم نورى باشا السعيد ··

وكانت تجربة ·· فيها صدمتنى حياة الواقع المر ·· صدمة عنيفة مؤلمة·· وتحاملت على نفسى ·· منتهزا فرصـة وجودى فى العراق ·· وقمت بزيارة العتبات المقدسة ·· فى الكوفة ·· والنجف الأشرف حيث مقام الشهيد الامام على بن أبى طالب ·· وكربلاء حيث مقام الشهيد الامام الحسين رضى الله عنهما وحيث وجدت انهما وهما طلاب حق ولم يطلبا الدنيا أبدا حتى سمى الامام على بأبى تراب ·· قد بنيت جدران مسجديهما وقبابهما ومآذنهما بالذهب الخالص .. بينما رأيت فى دمشق أرضا خربة وسط المدافن القديمـة يحرسها جنـدى سنغالى مدجج بالسلاح ليمنع تبرز وتبول الناس هناك حيث كانت مقابر معاوية

وملوك بنى أمية الذين طلبوا الدنيا فلا نالوا دنيا ولا أصابوا الآخرة ٠٠ وكانوا عبرة لمن يعتبر على مر الزمن ٠٠

***

وعدت بعد ذلك الى مصر ٠٠ بعد أن طردتنى السلطات الحاكمة الفرنسية من دمشق ٠٠ عن طريق لبنان ٠٠ وقد اهتزت صور ٠٠ وقيم ٠٠ كانت مقدسة وثابتة في نفسي ٠٠ حتى ذلك الحين ٠

وفى دمشق ٠٠ شاهدت عند وصولى اليها فى عودتى من بغداد ٠٠ الاحتفالات الشعبية التى زينت المدينة بمناسبة عودة وفد التجار السوريين من الحجاز ٠٠ الذين افتتحوا طريق السيارات البرى من سوريا الى الأراضى المقدسة بالسعودية تخلصا من أثر نسف خط سكة حديد الحجاز خلال الحرب العظمى الأولى بواسطة الجاسوس البريطانى ٠٠ لورنس ٠٠ الذى سافر على سفينة واحدة برفقة رجل المخابرات الخطير الضابط الانجليزى فى مصر رونالد ستورز ٠٠ مع عزيز المصرى لمحاربة تركيا ٠٠

***

أعود فأقول ٠٠ عدت الى مصر من رحلتى الثانية هذه ٠٠ وقد صممت على أن أستغنى عن الباسبور حتى لا أتقيد به فى تنقلاتى وأسفارى ٠٠ وأيقنت أن نصيحة الخديو عباس لى لا تتفق مع خطتى ٠٠ فضربت بنصيحته عرض الحائط ٠٠ كما صممت أن أخفى كل أسرارى ومقابلاتى واتصالاتى التى تمت فى هذه الرحلة عن أقرب الناس الى ٠٠

وما كدت أتلقى استدعاء المجاهد الشيخ عز الدين القسام حتى أسرعت الى فلسطين فى أواخر عام ١٩٣٥ وساعدنى الأستاذ محمد صبيح على تخطى الحدود بكتاب كان أرسله الى صديقه الأستاذ الدكتور عبد الهادى أبو ريده الذى أوصى بى السيد والده المعلم الجليل الشيخ ابراهيم أبو ريده أستاذ جيلين من أبناء العريش تلقوا العلم على يديه وفى مدرسته وقتذاك وكما فعل صنيعه معى فى الرحلة الأولى ٠٠ كذلك فعل معى فى هذه الرحلة الأخيرة فعبرت الحدود عند رفح مع قافلة أحد تجار العريش الطيبين المعروفين وهو صالح البيك وأسرته بتوصية ورعاية الأستاذ الشيخ أبو ريده ٠٠ ودخلت فلسطين مرة أخرى هازئا من الشرطى الانجليزى وحكومته ٠٠ الذى قال لى واهما : تستطيع أن تعود الى مصر عن أى طريق الا فلسطين فانك لن تدخلها عند العودة ثانية ٠٠ أبدا ٠٠

قلت يومها متحديا ٠٠ أتعتقد ذلك حقا ؟!

ودخلتها ·· مرة أخرى بلا جواز سفر ·· فلم يعد ممكنا أن أخدع نفسى ·· وقد أيقنت بأننى مقبل على المهمة التى تصبو اليها نفسى للقيام بها حتى أتدرب على القتال ·· وحمل واستعمال السلاح ··

وقابلت الشيخ القسام بالأحضان ·· وكان قد اصطدم فعلا هو وبعض رجاله الاثنى عشر أكثر من مرة بالسلاح مع دوريات شرطة ·· وهى عادة تتكون من رئيس انجليزى للدورية ·· وصف ضباط يهود وجنود عرب ··

وسقط فى كل مرة قتلى وجرحى من دوريات العدو ·· وكان المجاهدون يصبون نيرانهم على الانجليز واليهود فقط ·· وكان بعض هؤلاء المجاهدين قد حصلوا على ثمن سلاحهم من بيع حلى زوجاتهم ·· وكان جميعهم من الفلسطينيين الا مصريا واحدا كان مقيما بصفة دائمة فى فلسطين ·

واشتركت مع المجاهدين فى طلعاتهم الجبلية الليلية واصطدمنا باحدى الدوريات وتبادلنا معها النار ··

***

وكانت معى بندقية لى أنفيلد قديمة لكنها صالحة للاستعمال وفى اللحظة المواجهة الأولى أحسست بهزة الخوف ورعشته حتى أننى فكرت فى الهرب فى جنح الليل لولا اننى خجلت حقا من نفسى ·· ومع الفزع الشديد ·· والعرق المتصبب وجفاف حلقى من العطش الشديد أطلقت النار لأول مرة ·· وهنا ، بدأت أنسى حالى وأنهمك بقوة فى اطلاق النار على العدو ·· وذهب عن الروع ·· ولم أفكر بعدها أو أخاف أبدا وبعد واقعتين اثنتين اشتركت فيهما لم يعد فى استطاعتنا العودة من الجبال الى منازلنا فى حيفا ·· فقد ثارت السلطات لتعدد الحوادث وتكرارها ·· ووضعت خطة لسحقنا والقضاء علينا وانى أشهد شهادة للتاريخ أننى رأيت بنفسى بطولة الفلسطينيين فى قتالهم المسلح للانجليز ولليهود ·· فما يماثل شجاعتهم وبطولتهم ·· شجاعة أو بطولة أحد ·· انهم رجال مثل فرسان صدر الاسلام ·· يحبون الموت كما يحب عدوهم الحياة ·

***

وذهب بنا الزعيم القسام الى نابلس ·· ومنها الى جبال جنين حيث اصطدمنا عدة مرات بقوات بريطانية مسلحة من الجيش ·· أسقطنا منهم قتلى وجرحى ·· أخفى المسئولون عددهم فى بياناتهم بالصحف ·· ثم حوصرنا فى آخر مرة بقوات كثيفة مسلحة تسليحا جيدا وبدت انها مصممة على أبادتنا وذبحنا جميعا وكان ذلك فى يوم ٢٠ نوفمبر ١٩٣٥ حيث استشهد الزعيم المجاهد القسام برصاص الانجليز ومعه جميع رجالنا ·· ولم يسلم من القتل أو الأسر الا اثنان فقط هما الشيخ فرحان السعدى « ٧٠ سنة » وأنا ··

هربنا وتسللنا من الموقع على وجوهنا كل منا فى طريقه ٠٠ وكنت أجهل المنطقة فابتعدت بأقصى ما أستطيع عن المكان مخترقا الطرق والجبال حتى ضبطنى بالصدفة صاحب سيارة خاصة اتضح لى وقد التقطنى بعد أن رآنى أعبر طريقا مطروقا بالأسفلت وأختفى وراء صخرة وسط الأعشاب العالية اتضح لى أنه ضابط شرطة عربى عظيم ٠٠ فلما تأكد اننى مصرى واعترفت له بصراحة بأننى قاتلت مع المجاهدين واننى هارب من العدو ٠٠ وصلنى بسيارته الى نابلس ثم الى يافا ومن هناك عدت ومعى مسدسان ٠٠ بعد أن دفنت بندقيتى أثناء انسحابى ٠٠

★★★

ونشرت الصحف اليهودية بشماتة مصرع الشيخ القسام وهاجمت جمعية الشبان المسلمين وعرب فلسطين وسبتهم ولما تأكد عرب فلسطين من أن الشهيد زعيم المقاومة المسلحة هو الشيخ القسام هبت الصحافة العربية ترد بقوة الصاع صاعين للصهاينة وتعصب كل قوم لقوميتهم ٠٠ وهب شباب فلسطين الأبطال بالنسج على منوالنا وتكوين كتائب المقاومة المسلحة ومهاجمة الانجليز والصهاينة فى كل مكان ٠٠ واشتعلت فلسطين العربية نارا ٠٠ وكانت حركة الشيخ القسام هذه هى الشرارة ٠٠ التى أشعلت بحق ٠٠ ثورة فلسطين الكبرى ٠٠ عام ١٩٣٦ ٠٠

★★★

ولكن أكبر خطأ ارتكبه العرب ٠٠ فى هذه الثورة هو قيامهم بالاضراب الطويل المدى الذى استمر ستة أشهر كاملة حتى حطمهمماديا وخربهم اقتصاديا وأضر قضيتهم ، ضررا بليغا حيث أضعفهم واعتصرهم وعجل بنهايتهم ٠٠

وبعد عامين ٠٠ تمكنت سلطات الاحتلال البريطانى من القبض على الشيخ الفانى ٠٠ المجاهد الهارب فرحان السعدى ٠٠

وفى ٢٠ نوفمبر ١٩٣٧ ٠٠ أعدمته الحكومة شنقا بلا رحمة ولا شفقة ٠٠ فى فلسطين ٠٠

هذا ومما يؤسف له ٠٠ اننى وجدت بعد نكبة فلسطين باسرائيل وجدت الضابط الفلسطينى الشهم الذى أنقذ حياتى يعمل موظفا بمحل باتا للأحذية بالمعادى ٠٠

قامت الحرب الأهلية فى أسبانيا ٠٠ وهاجم الجنرال فرانكو المتمرد بقواته المغاربة الذين وعدهم خداعا وكذبا بالحرية والاستقلال ان هم ساعدوه فى حربه مع حكومة بلاده الشرعية ٠٠ الجمهورية الاسبانية ٠٠ وتكونت الفرقة الدولية من متطوعى العالم للدفاع عن الجمهورية وحكومتها الشرعية ضد الغزو العسكرى

بقيادة الجنرال فرانكو ولشدة حاجتى الى ممارسة القتال ومعرفة فنون الحرب الحديثة أسرعت الى مفوضية أسبانيا بجاردن سيتى بالقاهرة وقدمت طلب تطوعى بالجيش الجمهورى ضمن الفرقة الدولية وذلك فى أواخر عام ١٩٣٦ ..

وترددت مرات على المفوضية لمعرفة موقف حكومة مدريد من طلبى هذا.. وانتظارا للرد الذى تأخر أياما .. لم أيأس حتى جاء الرد ـ كما أبلغتنى المفوضية ـ بالاعتذار عن قبول طلبى وشكرى الأمر الذى جرح شعورى وصدم طموحى .. وبعد أيام قليلة استدعيت الى المفوضية .. وفى سرية تامة ومشددة أخبرنى مسئول بأنه تلقى رسالة خاصة .. بشأنى .. وانه سيقوم بكل ما يلزم لسفرى الى أسبانيا تحقيقا لرغبتى فى القتال فى صفوف المحاربين من أجل الجمهورية والحرية والديمقراطية .. وذلك بعيدا عن روتين المفوضية والرسميات .. حتى لا أكون سببا فى اشكال سياسى بينها وبين الحكومة الملكية فى مصر وقد كان .. وتم ذلك فعلا بأوراق أصدرتها المفوضية باعتبارى مغربيا وباسم محمد الفاسى .. سافرت بها على السفينة شامبليون الى مارسيليا .. ثم بقطارات السكك الحديدية الفرنسية والأسبانية مارا بمدينة بور فاندر على ما أذكر .. ومنها الى مدريد ..

***

والتحقت بالفرقة الدولية وكنت المتطوع المصرى الوحيد فيها وقتذاك .. وبعد تدريب عنيف وسريع .. أرسلت مع كتيبتى الى الجبهة فى الجنوب ..

وكانت الزعيمة الاسبانية ذائعة الصيت الباسوناريا تلهب قلوب الجماهير فى العاصمة وسائر أسبانيا بخطبها الوطنية العظيمة .. للدفاع عن الجمهورية ضد العدوان ..

وبعد أن قضيت حوالى أربعة أشهر مدججا بالسلاح محاربا العدو مع المحاربين فى الخنادق ومتسترين بجثث الخيل والصرعى من رجال ونساء المقاومة وجنود الجمهورية استدعيت الى مدريد ..

ذلك أن الجنرال مياخا قائد الجيش علم بوجود مصرى مقاتل..فاستدعانى ولما تأكد من اننى أعرف الجنرال عزيز المصرى معرفة شخصية .. كلفنى بمهمة سرية عاجلة .. هى العودة الى مصر والتفاهم مع عزيز باشا المصرى على العمل معه .. ليتولى الدفاع عن مدريد .. لأنها الهدف الأكبر لفرانكو وهجومه ..

وكانت مفاجأة هائلة .. اننى علمت منه أن الموظف بمفوضية أسبانيا بالقاهرة الذى استدعانى بعد رفض طلبى للتطوع والذى قام بتسفيرى الى أسبانيا سرا هو ابن الجنرال مياخا نفسه .. سكرتير المفوضية وأسمه كاملا هو : جوزيه ايزاك مياخا ..

ويبدو لى كأنه أراد بسفرى التأكد من صدق اخلاصى للجمهورية ·· وللقتال من أجلها ·· والدفاع عنها ·· تمهيدا لتكليفى بهذه المهمة السرية العاجلة ··

★★★

وعدت الى القاهرة فعلا ·· وقابلت ابنه بالمفوضية فأوصانى باللقاء فى مكان آخر بعيدا عن المفوضية فى شقته بعمارة بشارع الكورنيش قرب مبنى الاذاعة والتليفزيون حاليا تطل على النيل ·· فى ماسبيرو ··

واتفقنا على خطة العمل ·· وتنفيذا لها قابلت عزيز باشا المصرى فى منزله بالزمالك ·· وصارحته بمهمتى فاتفق معى على موعد يلتقى فيه بواسطتى مع ابن الجنرال مياخا مغرب يوم حددناه وذلك فى حديقة مينا هاوس ·· وجاء ابن مياخا فى تاكسى وجلس على مائدة بجوار سور الحديقة الخارجى بعيدا عن المائدة التى جلست عليها قبل حضوره ·· وفى الموعد المحدد بالضبط حضر عزيز باشا المصرى بسيارته القديمة وتركها خارج الفندق ·· بعيدا ··

وجلس قليلا معى ·· ثم حضر الينا ابن الجنرال مياخا ·· وعرفتهما ببعض ··

وتكررت بعد ذلك المقابلة مرات قليلة ·· وافق فيها عزيز باشا المصرى أمامى مبدئيا على السفر الى أسبانيا للدفاع عن مدريد ضد الغزو ·· وضد الطابور الخامس ·· من اليهود وأعداء الجمهورية الذين يتربصون بالجمهورية ·· وبالحكومة الأسبانية الشرعية القائمة ·· لتقويضها والقضاء عليها ··

وطلب عزيز باشا المصرى ثلاثين ألف جنيه نقدا تدفع له مقدما — لتسديد ديونه فى مصر — قبل سفره ··

★★★

وانصرفنا فى آخر لقاءاتنا على أن يتصل ابن الجنرال مياخا بأبيه حتى يبت فى طلب عزيز باشا ·· ليبدأ عمله بالسفر الى أسبانيا ·· لكنه لم يسافر لأنهم فضلوا — الأسبان — عدم الاتفاق مع عزيز المصرى باشا ··

ولن أطيل فى النقل عن مذكرات د· عز الدين عبد القادر أكثر من ذلك بعد أن حاولت — عن طريق ما نشرته اعطاء صورة واضحة لشباب ١٩٣٥ ولست بحاجة الى التأكيد أن ما نشرته هنا — لعز الدين أو لغيره يتحمل أصحابه ، تبعة ما نشر ، ولقد حرصت على أن أنشر كل حرف وصلنى ايمانا بحرية النشر وضرورة الاهتمام بالرأى والرأى الآخر كما يتجلى فى الفصل التالى :

الفصل الخامس

شباب الوفد يهاجم وشباب مصر الفتاة يرد

تعليقات الرأى والرأى الأخر

● من أحد مناضلى الاسكندرية : المهندس مصطفى شوقى ـ مراقب هندسة اللاسلكى «هيئة المواصلات اللاسلكية والدولية» حاليا بالمعاش ـ تلقيت الرسالة الكريمة التالية :

عزيزى الأستاذ صبرى أبو المجد

تحية وبعد : تكملة لما ذكرته فى مقالاتك عن سنوات ما قبل الثورة خاصا بحركة الشباب عام ١٩٣٥ وحركة مصر ، الفتاة ، بنوع خاص ، أود أن أضيف ما يلى :

فى عام ١٩٣٠ ، وكنا وقتئذ طلبة بالمدارس الثانوية ، كنا نسمع عن شاب اسمه أحمد حسين فى السنة النهائية بكلية الحقوق ، يقطع كل الأراضى المصرية من أقصى الصعيد الى أقصى الدلتا داعيا الى مشروع جديد اسمه مشروع القرش ، يتلخص فى أن يدفع كل مصرى قرشا واحدا فى العام ، ومن حصيلة هذا القرش نبنى مصانع جديدة حتى يمكننا تحويل بلدنا الزراعى الى بلد صناعى ، وسمعنا أيضا عن انتشار فكرة المشروع وعن تأسيس جمعية القرش ، وتحمس كثير من الشباب المصرى ، لجمع القرش ، وقد دعا نجاح الشباب فى جمعية القرش بعض الهيئات السياسية ، للعمل فى الخفاء لاسقاط المشروع أو للسيطرة عليه ، وأذكر انه فى العام الأول للمشروع أمكن جمع ما يقرب من ثمانية وعشرين ألف جنيه وفى العام الثانى تم جمع ما يقرب من عشرين ألف جنيه وفى العام الثالث لم يمكن جمع أكثر من أربعة عشر ألف جنيه أى أن الحصيلة أخذت فى النقصان بسبب فتور الحماسة للمشروع وبسبب الهجوم عليه من جانب البعض ، وخوفا من القضاء على المشروع ورغبة فى انقاذه ترك أحمد حسين المشروع ، لحزب الوفد : حزب الأغلبية وحزب الأغنياء المعروفين

في البلد ووصلت الحصيلة في العام ، الذي ترك فيه أحمد حسين المشروع الى ثمانية آلاف جنيه وهاج أحمد حسين وغضب على الوفد و ٠٠ و ٠٠ ومات المشروع رويدا ، رويدا . بسبب الاتهامات التي وجهت ظلما الى القائمين به وعلى فكرة أمكن انشاء أول مصنع للصوف في مصر ـ مصنع الطرابيش ـ من حصيلة الأموال التي جمعت من مشروع القرش وكان اختيار صناعة الطرابيش ، لبداية المشروع لأن الطربوش كان وقتئذ غطاء الرأس الوحيد ، الذي يحرص المصريون على ارتدائه ، وقد رئى أن يكون غطاء الرأس من صناعة مصرية اذ ليس من الكرامة الوطنية أن يكون غطاء الرأس من صناعة أجنبية ٠ على أية حال ، كان مشروع القرش هو الذي جمع لفيفا من الشباب الوطني المخلص الذي أراد أن يخلص بلده من الأجانب عن طريق الصناعات الوطنية ، ومن هذه المجموعات تألفت جمعية مصر الفتاة لمحاربة الاستعمار وكان لها مبادىء عشرة أولها جمع شـــمل البلاد بالصلاة يوم الجمعة ان كنت مسلما والأحد ان كنت مسيحيا والسبت ان كنت يهوديا وكانت مصر الفتاة تربي شعبها على الأخلاق الحميدة ، والرجولة ، والصراحة والايمان ، والجرأة ، وأذكر بهذه المناسبة قضية كان بطلها أحد أعضاء مصر الفتاة يدعى على كمون ، كان قد اعتقل لسبب سياسي ، وأثناء التحقيق معه ناداه وكيل النيابة وسأله عن اسمه فقال له على كمون ، فضحك وكيل النيابة كثيرا ، ولما سأله على كمون عن سبب ضحكه قال وكيل النيابة : كمون ٠ وقال على كمون بكل جرأة : « أو ليس كمون أفضل من الجحش » وهو لقب وكيل النيابة على ما أذكر : « وأفتح قوسا وأذكر صاحب الرسالة » المهندس ، مصطفى شوقي ، بأن لقب الجحش ، لم يكن لقب وكيل النيابة وانما كان لقب رئيس الوزارة وقتئذ ، وكان قد حذف من اسمه الرسمي بالطبع ولم يكن يعرفه الا القلائل » ٠

***

ويكمل المهندس مصطفى شوقي رسالته قائلا ، ما كان من وكيل النيابة الا أن استدعى اثنين من المخبرين الأقوياء وأشار اليهم اشارة خاصة ، بعدها أخذاه خارج مكتب وكيل النيابة وأوسعاه ضربا وبعد الضرب المبرح العنيف سأله وكيل النائب العام ، فكرر نفس الاجابة فأشار الى المخبرين ، فأخذاه وظلا يضربانه الى أن كاد يفقد النطق فلما أعاداه الى وكيل النيابة سأله نفس السؤال فاذا به ، وهو لا يستطيع النطق لا يجيب الا نفس الاجابة ، وعلى فكرة على كمون هذا كان يعمل بقالا ، بشارع المسافرخانة المتفرع من شارع الحجـازي قسم الجمرك بالاسكندرية ٠

***

● نموذج آخر ، للشباب الوطني المخلص : كان الطالب السيد حنفي ـ هو الآن الدكتور السيد حنفي مدير مستشفى أبي قير ـ يدرس بالمدارس الثانوية

وتصادف أن عجزت جمعية مصر الفتاة بالاسكندرية . عن دفع الايجار ولم يكن مع الطالب السيد حنفى الا قسط مصاريف المدرسة فدفعه للجمعية وحينما عرف والده القصة دفع القسط مرة ثانية وشجع ابنه على هذا العمل الوطنى .

★★★

● ونموذج ثالث يورده المهندس مصطفى شوقى يقول :

كان شقيقى على موظفا بالبلدية ، وكان يعمل وكيلا لجمعية مصر الفتاة بالاسكندرية ، وكثيرا ما كان يستدعيه وكيل بلدية الاسكندرية ـ وهو انجليزى الجنسية ـ لينصحه بالبعد عن العمل السياسى وأكثر من مرة هدده بالفصل من وظيفته فلم يكن يأبه بتهديد رئيسه مع انه كان فى أشد الحاجة الى الوظيفة وفجأة جاء خطاب من الادارة الأوروبية بالقاهرة التى كان يرأسها كين بويد الى بلدية الاسكندرية يقرر فصل على شوقى من وظيفته بدون ابداء الأسباب وظل شقيقى مفصولا من وظيفته الى ان جاءت وزارة على باشا ماهر وذهب الأستاذ أحمد حسين وعلى شوقى ـ شقيقى ـ الى رئيس الوزارة الجديدة ، لمقابلته وطلب على باشا ماهر ملف أخى ، وأشار عليه بما يلى : يعود الى وظيفته ان كان قرار الفصل كان ظالما ، وعاد الدوسيه ثانيا الى الاسكندرية ، وكان صادق باشا يولس مدير عام البلدية وقتئذ ، فأمر أيضا بعودة على شوقى ، ورغم موافقة رئيس الوزراء ، ومدير عام البلدية ، فان أخى لم يعد الى وظيفته بحجة : « انه لا توجد وظائف مناسبة له » ومرت سنوات ، وسنوات وتقدم على شوقى الى مصلحة الموانى والمنائر ليؤدى امتحانا عسيرا ، وبعد ان نجح فى الامتحان وتسلم عمله ، فوجىء ، بوكيل الموانى والمنائر حمدى بك الديب ، يستدعيه ، ويسأله ، هل سبق أن كنت تعمل بالبلدية وفصلت لأسباب سياسية ؟ فقال له أخى بصراحة : نعم : كل ما تقوله صحيح ، وأعجب وكيل الموانى والمنائر بصراحة الموظف الجديد وأخبره بأنه سيطلب الدوسيه الخاص به فى البلدية ، ليحفظه عنده لأن الوزير « العرابى باشا » طلب الدوسيه ، وسوف لا يرد عليه ، فان مر الوقت ولم يطلبه مرة أخرى فمعنى ذلك ان الموضوع قد انتهى ، وان كرر طلبه فلا مفر من تقديمه له واشترط حمدى الديب بك على أخى أن يسافر فورا الى بور توفيق بمحطة الاشارات هناك ، حتى يكون بعيدا عن الاسكندرية وبقى فى بور توفيق سنوات وسنوات وهذا المثل يبين لنا ، كيف كان الوفد ، يحارب الأحزاب والجماعات الأخرى .

★★★

وعندما حاول أحد أعضاء مصر ، الفتاة عز الدين عبد القادر ـ حفيد أحمد عرابى ـ قتل مصطفى النحاس باشا وضبط مرتديا ملابس مصر الفتاة وهى القميص الأخضر فما كان من حكومة الوفد الا ان اعتقلت جميع أعضاء مصر ،

الفتاة ، فى كل مكان ، ومنهم على شوقى ، الذى كان يعمل بفنار وسط البحر ، وذهب وكيل النيابة واثنان من الضباط وبعض جنود البوليس للقبض عليه ، ووضعوا الحديد فى يديه وكان مرتديا زيا يشبه الزى العسكرى — قريب من زى ضباط البحرية فى ذلك الوقت — وسجن بالتخشيبة بالقاهرة على ما أذكر وكان من بين زملائه الأستاذ فتحى رضـــوان ، والدكتور نور الدين طراف وغيرهما ، وغيرهما وبعد التحقيق مع على شوقى عاد الى ميناء السويس ، حيث استقبله عمال الميناء استقبال الفاتحين هاتفين لمصر الفتاة ، ومنها توجه الى الفنـــار .

***

وللعلم أيضا أقول انه عندما كان أخى على مفصولا من عمله ، عرض عليه السيد زهران رشدى رئيس القلم السياسى « المخصوص » ان يعمل معه مرشدا سياسيا فأبى وفضل أن يكون عاملا ، بل أن يموت من الجوع على أن يتجسس على اخوانه الوطنيين ، لقد خرج الى المعـــاش منذ سنوات ومعاشـــه لا يـــكاد يكفيه ولو لم يكن قد عمل بالسياسة لكان اليوم من الأغنياء ، ولكان معاشه وحده يكفل له الحياة الكريمة . أما عن الاجتماع الذى أشرت اليه فى مقالك والذى انتهى بتوجيه تهمة الاعتداء ، على البوليس الى الأستاذ أحمد حسين فأضيف الى ما ذكرته ان هـــذا الاجتماع كان فى مقر ادارة جريدة الصرخة بالاسكندرية وكان هذا المقر عبارة عن حجرة واحدة بمنزل يقع بالطابق الأول فى شـــارع الســـيد محمد كريم ، وعندما قـــدم الأســـتاذ أحمـــد حسين الى الاسكندرية .. كان البوليس فى انتظاره ، وقد أصدر البوليس أمرا بمنع الاجتماع . فحدث احتكاك بين رجال البوليس وبين الحاضرين واستخدم البوليس الأيدى ، والأحزمة الجلدية .

***

وقد نقل الأستاذ أحمد حسين من مركز الجريدة الى قسم المنشية «القديم» وذهبت أنا وشقيقى لزيارته فى زنزانته ولم تكن أكثر من غرفة مترين × متر ولم يكن بها أكثر من جردلين أحدهما فارغ والآخر به ماء وبرش للنوم ، وأذكر انى انفعلت وقلت كيف تسجنون محاميا فى هذا المكان وبهذه الطريقة فأمسكنى شقيقى وكلفنى بالذهاب الى المنزل لاحضار « مرتبة » صغيرة ومخدة ، وبطانية .

ويطول بنا المقام لو رحنا نسترسل فى الحديث عن تاريخ مصر الفتاة وعن تاريخ الأستاذ أحمد حسين وتضحياته ، وتضحيات الشباب الوطنى وقتئذ . أذكر أن الأستاذ أحمد حسين أراد مرة اصدار جريدة وادى النيل بالاسكندرية ولم يكن لدينا المال لاصدارها فكنا نجمع الحروف ونحمل الورق وعندما كانت جرائد مصر الفتاة تصادر كانت تأتينا بطرق سرية وكنا نقوم بتوزيعها فى كل

مكان : كان على ـ مثلا ـ أن أذهب مع بعض الزملاء الى مسجد سيدى أبى العباس ومسجد سيدى ياقوت لتوزيع جرائدنا « بالفلوس » على طلبة المعهد الدينى وكان أغلب الطلبة يجلسون بالمسجد فى انتظار هذه الصحف الوطنية بل اننا كنا نقوم بعمل الاعلانات عن تلك الصحف وطبعها على الجدران فى منتصف الليل ، كما كنا نحارب أيضا المؤسسات الأجنبية عن طريق كشفها بالكتابة عنها على الجدران أيضا : جاء الى الاسكندرية من ألمانيا سيرك اسمه سيرك هاجينيك ولأن الهدف من مجيئه لم يكن الا الحصول على أموالنا ، وقد أعددنا العدة لمقاطعته وفى منتصـــف الليل كنا قد ملأنا جدران الاسكندرية بالدعوة الى مقاطعة ذلك السيرك الأمر الذى أذهل البوليس السياسى فى ذلك الوقت ٠

***

أما عن الصورة التى نشرتها لجماعة مصر ، الفتاة ومن بينهم الرئيس الراحل جمال عبد الناصر فالأصل لدينا وقد أهداها أخى على شوقى الى الأستاذ الشاذلى ـ وكان وقتئذ مدير شركة صباغى البيضا ـ لتوصيلها الى الرئيس عبد النـــاصر ٠ وتضم هذه الصورة عددا كبيرا من العاملين فى الحقل « الوطنى من بينهم على ما أذكر حلمى ربيع » سجن عامين بسبب تكسير حانة كاب دور بالاسكندرية وابراهيم الرشيدى وسجن حوالى سبع سنوات وتجدد سجنه مرات ومرات » عبد الحميد المشهدى ، وأخى على ، والسيد خطاب « اتهم بأنه وضع عبوة ناسفة فى سيارة لنسف قطار الرئيس عبد الناصر ، وقد سجن فترة طويلة » ، ثم السيد كمون ٠

ويبقى بعد كل الذى قلته أمل واحد وهو تكريم كل الوطنيين القـدامى ولو بميدالية صغيرة ، أو أى شهادة تقدير على قطعة من الورق ٠

***

وفى رسالة أخرى من المهندس مصطفى شوقى يقول :

احقاقا للحق أرجو أن تنشروا تعقيبى على ما جاء بمذكرات الدكتور المهندس عز الدين عبد القادر فلى ملاحظات عليها ٠

● القمصان الزرقاء لم تولد الا بعد وجود مصر الفتاة «القمصان الخضراء» كما ان وجودها كان لمحاربة « مصر الفتاة » ليس الا ٠ ولذلك قصص كثيرة ٠

● فعندما وجدت مصر الفتاة وكونت « القمصان الخضراء » كان معظم الشباب يميل اليها ، وكثيرون كانوا يعطفون عليها ويخشون الانضمام اليها ٠ لأنها كانت تضحية وفداء وسجنا وعذابا ٠ وكان للوفد وللأحزاب الأخرى فرق

من الشباب كل حسب لونه السياسى ٠ وكاد شباب الوفد فى تلك الفترة ينشق عنه ، ففكر حزب الوفد في تقليد مصر الفتاة ، وعمل « القمصان الزرقاء » بدلا من « القمصان الخضراء » وكان شعار القمصان الزرقاء تحطيم مصر الفتاة بكل الطرق ٠٠ وخصوصا جماعة الاسكندرية ، التى لم يكن همها فى السياسة بقدر ما كان همها فى سحق شباب مصر الفتاة ٠ ولما كانوا هم أكثرية بشرية ، ومصر الفتاة أقلية٠٠كانوا يعتدون دائما عليهم اذا ما حاولوا اقناعهم بمبادئهم العشرة٠ ويشهد على ذلك قسم بوليس العطارين ، حينما هجم شباب القمصان الزرقاء على مقر جمعية مصر الفتاة ، وحطموه ، وضربوا من كان فيه ٠٠ وهذا مثل من الأمثلة ٠

***

● ويحضرنى بهذه المناسبة انه كان يرأس فريق القمصان الزرقاء شاب ضخم الجسم اسمه على ما أذكر ـ طميش ٠ وهو تاجر « بميدان شارع النصر حاليا » كانت فرقته تحضر أمام محله كل يوم أحد ، ويجتمعون فى هذا المكان هاتفين ٠٠ والذى منه ٠ وكان يبدو ان هناك انقسامات داخلية بين الفرق وبعضها ٠ وحضرت فرقة السيد طميش فى أحد أيام الأحد ، وحضرت فرقة اخرى برئاسة أخرى فى الناحية المضادة ٠٠ وأخذ كل منهما يهتف لرئيسه والآخر يرد عليه بهتاف مماثل للرئيس الآخر ٠ ثم حدث تلاحم وجذب شديد٠٠ وكان البوليس على علم بما سيحدث ٠٠ ولولا تدخله لكانت مجزرة ٠

● والملاحظ على هؤلاء الشباب أن الواحد منهم كان نظيفا جدا فى ملبسه ، ويعتنى بمظهره أكثر مما يعتنى بمبادئه ٠ وربما يجهل الكثيرون سبب سخط الوفد على مصر الفتاة ولعلى أكون قد وفقت اذ أقول أن ذلك كان بسبب جرأة أحمد حسين ، لأنه أول من حاول الرد ومحاسبة الوفد ٠٠ فى كل ما كان يفعله أو يقوله ٠ وكان الوفد فى تلك الفترة يعتبر الحزب المقدس ، وزعيمه فوق كل مساس أو محاسبة ويكفى انه ذات يوم نام زعيم الوفد على كرسى خشبى داخل محطة سكة حديد ، عنادا فى الحكومة التى كانت موجودة فى ذلك الوقت ٠٠ فهاج الشعب والوفد : كيف يحدث ذلك ؟

***

● أما أحمد حسين فقد سجن ما لا يقل عن ١٤ مرة بأحكام ولمدد تتراوح ما بين سنتين وثلاث فى سبيل الوطن ٠ وأذكر أن الأستاذ أحمد حسين كان قد طبع كتيبا على غلافه رسم لواحد من القمصان الخضراء ، يمسك مقشة بيد طويلة ، ويكنس الأرض ، التى عليها جمجمتان ٠٠ احداهما جمجمة النحاس

باشا والأخرى جمجمة مكرم عبيد باشا ٠ وكانت هذه منتهى الجرأة فى مصر الفتاة فقد كانت الصورة واضحة وبالألوان ٠

● من هذا يتضح ان أعضاء القمصان الخضراء هم الأعضاء الأصليون ، وليسوا مدسوسين كما ذكر الدكتور بلال ٠

● أما مسألة تهديد مصر الفتاة للملك بالاتصال بالخديو السابق ، فاعتقد أن هذه كلها مجافية للصواب ، لأنه ليس من المقبول أن تخلع مصر الفتاة الملك لتعطى عرش مصر لقريب له بدلا منه ٠٠ مهما كان الفارق بينهما ٠

وقد كانت مصر الفتاة تضع اسم الملك ضمن شعاراتها لعدم اتهامها بأية تهمة تؤدى الى غلق الجمعية ـ « وفعلا هذا حدث وتحولت الى حزب » ٠

***

وكتب لنا الأستاذ أحمد حسين ٠ رئيس مصر الفتاة :

● ليس من برنامجى ان أهتم بما يقال عنى مدحا أو ذما فما بالك بتاريخى ، أو تاريخ مصر الفتاة ، والتى أعتبرها قطعة من نفسى ٠

وكونى لا أعبأ بما يقال عنى فى الوقت الحاضر مدحا أو ذما ، قد يكون مفهوما لدى الكثيرين ، فعندما يتجاوز الانسان السبعين ، ويدرج نحو الثمانين ، فان الأمور كلها تستوى عنده فما بالك اذا كان عاجزا عن كل شىء ، الا أن يفكر ويكتب : أن كل ما أصبحت أتمناه هو أن يديم الله هذه النعمة على ، حتى يأذن بالنهاية ، وقد قدمت ان هذا الموقف قد يكون مفهوما من الكثيرين ، ولكن ما قد لا يفهمه الكثيرون ، هو قولى اننى لا أحفل كثيرا بما يقال عن تاريخى وتاريخ مصر الفتاة ، حتى ولو خالف الحقيقة ، ولكن السبب هنا متغير ، أى على خلاف السبب السابق ٠

ذلك أن ما وقع ، ومنى كان مسجلا ومنشورا ، فقد أصبح ملكا ، لكل من يطالع هذا المنشور ، وما يفهمه منه ، ولن تستطيع كل أقوال الدنيا ، ان تغير مما قد يفهمه انسان جديد ، فالتاريخ هو التاريخ ، لم يعد ملك صاحبه ، وانما هو ملك لكل من يطالع هذا التاريخ ليفهم منه ما يفهم ٠

ولأضرب مثلا واحدا لاظهار مصداق ذلك ، فقد نشرتم على لسان مجاهد من أكبر من ساهموا فى تكوين مصر الفتاة وأعنى به المجاهد الدكتور محمد عز الدين عبد القادر ، ولقد نقل أقواله من رسالة للأستاذ شلبى ، وحصل بها على درجة الماجستير وعلى الرغم من أن الأستاذ شلبى من أعز الناس على ، وبالرغم من أنه ظل يتردد على أكثر من عام ، ووجه الى مئات الأسئلة ، فقد

راح فى رسالته يذكر بعض المعلومات التى تخالف الحقيقة ، وهى الخاصة بالقول بوجود صلة بين الخديو السابق « عباس حلمى » وبين مصر الفتـــاة ولا لوم ولا تثريب على الباحث الفاضل ، مادام قد أثبت المصدر الذى استقى منه هذه المعلومات وهى تقارير البوليس ، الملحقة بقضية المجاهد عز الدين عبد القادر ، وحتى لو نفيت هذا للدارس الفاضل لجاز له ألا يصدقنى بعلة أن من المفروض أن أدفع عن نفسى ، وعلى أية حال : فلم يكن أمامه مناص من اثبـــات هذه المعلومة وان لم يصدقها هو فسوف يصدقها انسان آخر ، ومن هنا فانه وهم ما بعده وهم أن يتصور متصور أنه يمكن أن يصحح وقائع التاريخ لمجرد أنه قال ، وسيظل الموقف بعد قوله تماما كما كان قبله ، فالذين يتعاطفون معـــه سيظلون يتعاطفون ، حيث الذين يزورون عنه ــ فضـــلا عمن يخالفونه ــ فسيظلون يخالفون .

★★★

ولأشرح على سبيل المثال الحقيقة ، ثم كيف وصلت الى رسالة علمية سوف تطالع على مدى الأيام باعتبارها مصدرا من مصادر تاريخ مصر الفتاة ، وحقيقة الأمر اننى فى صباى « خلال دراسة الثانوى » كنت من عشاق فن التمثيل ، وكان يوسف وهبى هو عميد عمداء هذا الفن ، وليوسف وهبى شقيق يلازمه وهو الأستاذ اسماعيل وهبى المحامى ، فلما تخرجت فى كلية الحقوق ، وكنت قد انصرفت تماما عن المسرح ، وانخرطت حتى الأذقان فى الكفاح السياسى ، فلم أجد غير مكتب الأستاذ اسماعيل وهبى ، انتسب اليه ، وشـاءت الصـدفة المطلقة ، أن يكون المرحوم اسماعيل وهبى صهرا لعبد الخالق باشا مدكور ، ولم أكن أعرف حتى هذا التاريخ شيئا عن خلفيات عبد الخالق باشا مدكور ، الا انه كان فى يوم من الأيام « سر تجار مصر » وأنه كان من أعضاء الوفـد الأول . وعندما عرفته كان نموذجا لطيبة القلب ، ودماثة الأخلاق ، والذكاء والكرم ، وغنى عن البيان ، اننا فرحنا به فرحا كبيرا واعتبرنا طلبه منا أن نعتبره عاملا معنا ، هو فتح ما بعده فتح ، ولكن لم يحدث أبدا « والله شهيد على ما أقول » ان دار بيننا حديث عن الخديو السابق بالخير أو بالشر ، عن قرب أو بعد ، تصريحا أو تلميحا ، وللتاريخ ، فقد كان الملك فؤاد قد سوى موضوع الخديو نهائيا فى سنة ١٩٣٠ وأعلن الخديو عباس تنازله عن أى مطالب فى عرش مصر ، وتعهد بأن يوقف كل نشاط سياسى له ، وان يقطع صلته بأى انسان قد تحدثه نفسه بمثل هذه الأوهام ، وقد تألفت مصر الفتاة بعد هذا الاتفاق بثلاث سنوات ، واتصل عبد الخالق باشا مدكور بعد ذلك بعام نتيجة المصادفة البحتة التى أشرت اليها ، ومع ذلك فقد نسج الانجليز هذا الحديث الطويل العريض عن صلات بين الخديو ومصر الفتاة .

★★★

واليك نموذجا آخر لفكرة أن التاريخ هو التاريخ بمجرد حدوثه ، يصبح ملكا لكل انسان يفهم منه ما يشاء ولن يتنازل عن ما فهمه أمام كل تصحيحات الدنيا ، فقد اتهمت فى عهد الملك السابق بأننى حرقت القاهرة ، وكانت مصر كلها تعرف ظلم هذا الاتهام ، وقامت فى مصر ثورة أطاحت بالملك ، ووضعت يدها على كل أسرار الدولة . فكان مما عثرت عليه أن الشاهد الوحيد الذى استطاع البوليس السياسى ان يجنده ضدى ، كان قد قبض ألف جنيه « تساوى عشرين ألف جنيه اليوم » ليدلى بشهادته الكاذبة ·

وطويت صفحة القضية بالعفو والبراءة وكشفت السنوات التالية أصبعا انجليزية ·

ويهمنى من ذلك كله أنك لن تعدم من يقول لك أحمد حسين حرق القاهرة ، وقد أصبح سيان عندى أن أكون حرقت القاهرة ، أو لم أحرقها ، فكلا الأمرين يفرضان على الباحث والدارس ، أن يرجعا لتاريخى وتاريخ مصر الفتاة · واستخراج الفوائد والعظات ·

***

وتأسيسا على ما سبق . فان ما سوف أقوله ليس تصحيحا ، ولا هو دفاع عن النفس ، وانما هو من قبيل طرح الأفكار ليستفيد منها من يستفيد ، وهو ما كانت عليه كل حياتى ·

فقد شاءت الظروف أن يبدأ النشاط الشيوعى فى مصر عقب الحرب العالمية الثانية ، على يد قيادات يهودية « هنرى كورييل » وكانت الصهيونية اليهودية على أشدها ، واليهود هم اليهود مهما تظاهروا ، باختـــلاف الأفكار واعتناق شتى المذاهب من رأسمالية وماركسية ، وديمقراطية واشتراكية ، فالهدف واحد لا ثانى له ، وهو تمزيق الجنس البشرى وايقاع الخلافات والفتن والحروب بين صـــفوفه ليسهل على اليهـــود السيطرة ، وتنفيذ أتفه رغباتهم ، انظر اليهم فى أمريكا ، وهم خلف كل دعوة للحرية الى درجة الفوضى ، وهم ضد العنصرية ، وهم ضد العنف وضد الحروب ، يبثون ذلك كله فى صفوف الأمريكان ، حتى اذا وصل الأمر الى اسرائيل ، فلا حرية حتى للأمريكان أنفسهم وهم أعداء الحرية للعرب . وهم أشد غلاة العنصرية ، وهم على استعداد ليشردوا الملايين ، ويدمروا المدن والقرى فوق رءوس أصحابها ليستولوا على قطعة من الأرض ، فلا تصدق ان هناك يهوديا رأسماليا وآخر شيوعيا وثالثا صهيونيا ·· انهم جميعا يهود يهدفون الى غاية واحدة وهى تخريب العالم وهدم الحضارة ، ليظلوا هم سادة العالم وقادته ·

***

ومن هنا كان كورييل رائد الشيوعية فى مصر لا يفترق عن أى صهيونى . واذ كانت مصر الفتاة تحارب أطماع الصهيونية فى فلسطين ، فقد حاربها كورييل واصفا اياها بأنها حركة فاشستية ونازية ، وتابعة على ذلك كل من كان تلميذا له من الشيوعيين ، وشب بعض الشيوعيين وكبروا ، وصار بعضهم أساتذة تاريخ ، وبعضهم نقادا ومفكرين ومع ذلك فهم يرددون هذا الوصف كلما ذكرت مصر الفتاة ، وانه اذ أكتب هذا المقال ، فليس ذلك للرد عليهم ، أو لتصحيح التاريخ ، فلا جدوى من ذلك ، وسيظل الشيوعى اذا تحدث عن مصر الفتاة فسيقول عنها انها حركة فاشستية ، ولكننى أكتب كما قدمت لفائدة الجيل الحاضر ، والأجيال القادمة فمصر الفتاة كانت فى جوهرها تعادى الفاشستية والنازية ، وقد اتهمت عام ١٩٣٤ بأننى أهنت دولة ايطاليا الفاشستية ، فقد كتبت سلسلة من المقالات بعد زيارتى لايطاليا ، اعتبرها موسولينى تحقيرا له ولنظامه ، وبعد ذلك وجهت لهتلر وهو فى أوج سلطانه عام ١٩٣٨ رسالة أدعوه فيها لاعتناق الاسلام ، ورحت فى ثنايا الرسالة أندد بسياسة النازى استنادا الى التعاليم الاسلامية .

ومع ذلك فقد وصف اليهود « باسم الشيوعية » مصر الفتاة بأنها فاشستية ونازية وقد حان الوقت ليعرف أبناء الجيل الجديد ما هى الفاشستية وما هى النازية ، ليدركوا على الفور استحالة وصف مصر الفتاة بهذه الصفة .

***

فأما الفاشستية فهى مشتقة من كلمة لاتينية « على ما أذكر » وهى كلمة « فاشيو » بمعنى الحزمة ، وقد اتخذ موسولينى من الحزمة شعارا لحركته ، فأصبحت النسبة الى كلمة فاشيو فاشيست ، وكان هدف موسولينى من حركته هو أن تستعيد ايطاليا استعمار حوض البحر المتوسط ، وكان يطلق عليه بالايطالية « نوترامارى » أى بحرنا ، مستعيدا بذلك مجد الامبراطورية الرومانية ولما كانت مصر هى درة الامبراطورية الرومانية ، فقد جعل موسولينى ، احتلال مصر واستعمارها هدفا من أكبر أهدافه ، واتخذ من ليبيا قاعدة عسكرية كبرى ليحتل مصر فى الوقت المناسب وأصبح من المشهور والمتداول أنه أعد فرسا بيضاء ليمتطيها ساعة دخوله مصر فاتحا ، ومن هنا كان هجومنا على موسولينى هجوما عنيفا ، ورحنا نندد أقسى تنديد بسياسته وسياسة ايطاليا فى ليبيا ووصفناها بالهمجية والوحشية والبربرية ، الأمر الذى أحفظ موسولينى ، كما قدمنا ، فطالب الحكومة المصرية بمحاكمتنا ، والا ساءت العلاقات بين الانجليز « سادة مصر » وبين ايطاليا ، وبالفعل قدمنا الى محكمة الجنايات ، لمحاكمتنا بتهمة اهانة ايطاليا .

واذا كان موسولينى يريد استعمار حوض البحر الأبيض المتوسط فان زميله هتلر كان يعمل على السيطرة على العالم كله وكان يصف حركته بأنها وطنية اشتراكية وكلمة « نازى » هى مجموع الحروف الأولى من اسم حزبه ، وكانت مصر الفتاة شديدة النكير على هتلر وسياسته ٠

***

ولقد قدمت أننى وجهت له رسالة ولكننى قبل ذلك كنت قد وصفته فى مقال لى بأنه « بلطجى دولى » واحتجت المانيا ٠

وهكذا ترى استحالة وصف مصر الفتاة بالفاشستية ، أو النازية لا لأننا كنا حربا عليهما ، ولكن لطبيعة كل من الحركتين ، فحيث الفاشستية والنازية هما قمة الجهود الاستعمارية فقد كانت مصر مستعمرة انجليزية بالفعل ، وتأسست مصر الفتاة لتقاوم الاستعمار كائنا ما كان ٠

ويكون السؤال الذى كتبت المقال من أجله ، وما هى حكاية القمصان الخضراء ، أو ليست محاكاة للقمصان السوداء والبنية الفاشستية والنازية وهذا هو ما أحب أن ألفت نظر الشباب اليه ، وهى أنهم واجدون فى تراثهم الاسلامى والوطنى كل الأفكار التى يمكن أن تطرأ على العقل البشرى بهدف النهوض أو التقدم أو التحضر ، وقد نجحت أوروبا عندما اقتبست الأفكار والنظم الاسلامية ، هى تتهاوى اليوم لتمردها على هذه المبادىء « الروحية والنظام والنظافة والعمل والانتاج والأمانة والاستقامة والعفة » ٠

***

فأثر توحيد الزى فى مضاعفة قوة المجاهدين ، من صميم التراث الاسلامى ، فعندما توجه سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام لفتح مكة طلب من عمه العباس ، أن يوقف أبو سفيان بحيث يرى قوة المسلمين ، وظل أبو سفيان يسأل عن أسماء القبائل التى تمر أمامه ، حتى مر أمامه ما أطلق عليه اسم « الكتيبة الخضراء واتخذ الأمويون شعار « الخضرة » لملابسهم الرسمية ، وعندما شرع أبو مسلم الخراسانى فى التبشير بالدعوة الى العباسيين ، جعل أتباعه يتشحون بالسواد ومن هنا ظلت الملابس الرسمية للعباسيين هى السواد ، ولا يظنن ظان أننى أقول هذا الكلام اليوم ، فلو أنه رجع الى ما كتبته منذ نصف قرن «تقريبا» وأنا أشرح فلسفة القميص الأخضر للشباب لوجد نفس العبارات ، فالقميص الأخضر منتزع من التراث الاسلامى ٠

***

بقى لكى أعرف الشباب بما كانت تزخر به مصر من حيـــوية فى هذه الفترة ، فقد كان فى مصر فى العشرينات نظام يوشك ان ينقرض اليوم وهو « نظام الكشافة » واذا كان الانجليز هم الذين أدخلوا هذا النظام فقد حوله المصريون كما هو دأبهم ، لما يتفق مع مصالحهم وأغراضهم وقـد كانت مصر متعطشة لنشر الروح العسكرية ، فتحولت الحركة الكشفية فى مصر الى مؤسسة لغرز الخشونة والرجولة بين صفوف الشباب وما زلتأذكر مواكبنا ونحن فى مدرسة محمد على الابتدائية ، ونحن نجوب الشـوارع على نغمات موسـيقانا العسكرية وأناشيدنا الوطنية ، ولم تخرج أنظمة مصر الفتاة ، عن هذا النظام الكشفى مقدار « انملة » الا أن أهدافها كانت وطنية مائة فى المائة ، وكانت تحارب الانجليز ولا تدور فى فلكهم ، وقبل أن يوجد موسولينى أو هتلر على مسرح التاريخ ، كتبت وأنا طالب فى مجلة المدرسة الخديوية ، أحلم بمصر الفتاة وحركة مصر الفتاة ٠

ولعلك ترى من ذلك ، كيف كان الاسلام والوطنية ، هما مبعث « القمصان الخضر » مع ذلك فسـوف يظل اليهود وتلاميـذهم يتحدثون عن الفاشيستية والنازية ، حيث لم يعد فى الدنيا من يمكن أن يوصف بهاتين الصفتين ، سوى اسرائيل وحكام اسرائيل ، ومن هنا فلسـت أشك لحظة أن اسرائيل ستنتهى وتزول من الوجود ٠

***

وكتب شوقى عبد الوهاب معلقا على ما رواه د٠ محمد بلال عن « القمصان الزرقاء » :

● نشرتم بيانات عن القمصان الزرقاء مصـــدرها ما رواه الدكتـــور محمـــد بلال فى مذكراته عن هـــذه الفرق ٠ ولما كانت هـــذه الرواية لا تتفق مع الحقيقة والتاريخ من حيث التفكير فى تكوينها واسم صاحب الفكرة وكيفية خروج الفكرة الى حيز التنفيذ ٠ ثم العرض على رئيس الوفد وسكرتيره العـام وما ذكره عن الدعوة الى اجتماع مؤتمر الشبان الوفديين فى ٥ يناير ١٩٣٦ ٠ وما حدث بعد أن أصبحت الفرق حقيقة واقعة وما صاحب ذلك من مؤامرات ودسائس أدت الى انقسام الفرق فرقتين احداهما باسم « فرق الشباب الوفدى » والثانية باسم « فرق الرابطة العامة للجان الشبان الوفديين » وكل منهما له مجلس أعلى وقائد عام وتشكيلات فى الاقاليم ٠ وبما أن قصة القمصان الزرقاء أصبحت منذ زمن مضى فى ذمة التاريخ ومن واجبنا ان نتوخى الحقيقة التاريخية فى رواية قصتها ٠ فاننى أود أن أصحح ما نشر مخالفا الحقيقة التى يعرفها من كانوا على قرب من مسرح الحوادث فى هذه الفترة ٠

ان مجلة « الطليعة » سبق لها أن نشرت بعددها الصادر فى سبتمبر ١٩٧٥ مقالا للدكتور رفعت السعيد عن « مصطفى النحاس السيـــاسى والزعيم » وقد تضمن تعليقا للدكتور على ما أورده السير مايلز لامبسون سفير بريطانيا الأسبق فى تقريره الذى كان قد أرسله الى وزارة خارجيتـــه فى ذلك الحين عن فرق القمصان الزرقاء ٠

وجاء فى هذا التعليق ما يأتى : « ولكن اللافت للنظر فى هذا الموضوع هو ان صاحب فكرة القمصان الزرق كان زهير صبرى أحد قادة التيار اليسارى فى حزب الوفد ــ الخ » ثم بعد ذلك اطلعت على كتاب ــ تطور الحركة الوطنية فى مصر من ١٩٣٧ ــ ١٩٤٨ ــ لمؤلفه الدكتور عبد العظيم رمضان وقد أورد فيه شرحا مطولا عن فرق القمصان الزرقاء جاء فيه « ان صاحب الفكرة فى تأليف هذه الفرق هو محمد بلال » ٠

كما أوضح « أنه سبق انشاء هذه الفرق تكوين لجان للشباب الوفديين لتنظيم جهودهم وتطوير هذه اللجان ليصبح أفرادها جنودا صالحين » ٠

ولما كان كل من الدكتور رفعت السعيد والدكتور عبد العظيم رمضان وهما من أساتذة التاريخ لم ينصفا التاريخ برواية الاسم الحقيقى لصاحب الفكرة ٠ بل ان كلا منهما نسب الفكرة الى اسم مختلف عن الاسم الذى رواه زميله مما يقطع يقينا ومن غير شك أن المصدر الذى استقى منه كلاهما هذا الاسم لم يكن حريصا على تحرى الحقيقة ولم يتوخ الدقة والأمان فى روايته ٠

وأسأل هؤلاء السادة فى صدق وصراحة ٠ هل راجعوا مجموعة الصحف التى صدرت فى الفترة التى بدأت منذ اذاعة خبر انشاء هذه الفرق بنادى المحامين الى ما بعد مؤتمر ٥ يناير ١٩٣٦ ثم ما تلا ذلك من أيام ؟

***

لو تمت هذه المراجعة لظهر الحق ينطق أن صـــاحب الفكرة هو ــ كاتب هذه السطور ــ الشاب الوفدى شوقى عبد الوهاب ٠ الذى كان رئيسا للجنــة الشبان الوفديين المركزية بشـــبرا والذى سعى جاهدا لتكوين الرابطة العامة للجان الشبان الوفديين وكان سكرتيرا عاما لها ٠ والذى كان أيضا عضوا باللجنة التنفيذية للجان الوفد بالعاصمة ٠ والذى اختاره رئيس الوفد وسكرتيره العام ليشغل وظيفة سكرتير نادى المحامين منذ أن تقرر افتتاحه فى ابريل ١٩٣٤ ٠

وهذا النادى بعلم الجميع كان له دور تاريخى هام فى المدة من قيام ثورة ١٩٣٥ الى المفاوضات والاجتماعات التى انتهت بعودة دستور ١٩٢٣ وتكوين الجبهة الوطنية التى وقعت معاهدة ١٩٣٦ ٠

***

وفيما يلى بيان وجيز عن قصة القمصان الزرقاء التى تتلخص فى : اننى فكرت فى تكوينها صيف عام ١٩٣٤ وافضيت بالفكرة الى صديقى وزميلى الاستاذ زهير صبرى الذى كانت وجهات نظرى تتفق فى كثير من الأمور السياسية مع وجهات نظره . فرحب بالفكرة وعرضها على مكرم عبيد « باشا » سكرتير عام الوفد الذى رفض الفكرة بحجة « أن تنفيذها فى هذه الظروف فيه احراج لوزارة توفيق نسيم الصديقة والتى كانت تمهد لعودة الوفد للحكم . ولذلك فانه من المصلحة ارجاء التنفيذ لمستقبل قريب » .

وانتظرت فرصة مواتية للتنفيذ وكانت الفرصة ثورة ١٩٣٥ ، ونظرا لأن لجنة الطلبة التنفيذية كانت تجتمع فى كثير من الأيام بنادى المحامين فقد أمكننى اختيار ثلاثة من أعضائها للاشتراك معى فى اخراج الفكرة الى حيز التنفيذ وهم محمد بلال ومحمد كامل الدماطى وفهمى سليمان سيدهم الذين وافقوا فورا على الاشتراك فى العملية معى .

***

وأعددنا القمصان الزرقاء الأربعة والبانطلونات الفانلا وارتديناها بداخل حجرة مكتبى بالنادى . وسرنا فى طابور نظامى الى حجرة مكتب رئيس النادى مكرم عبيد وقد كان مجتمعا مع الرئيس مصطفى النحاس وبعض أعضاء الوفد وأحدث ظهورنا بهذه الهيئة دهشة كبيرة . ولكن نظرا لان الموقف السياسى كان وقتها فى حالة شديدة الاضطراب والوفد ورؤساء الأحزاب يتبادلون التهم العنيفة والصحف تنشر تصريحاتهم فقد تمت الموافقة على تكوين الفرق فى هذه الليلة وعلم جميع الذين كانوا بالنادى بذلك وانتشر الخبر فى احياء القاهرة وصدرت الصحف فى اليوم التالى معلنة الخبر .

وابتدأنا نتلقى الاعداد الكبيرة التى تفد الى النادى مبدية الرغبة فى الانضمام الى هذه الفرق . واجتمعت الرابطة العامة للجان الشبان الوفديين وأخذت علما بموافقة الوفد على انشاء الفرق ووضعت الضوابط والشروط اللازم توافرها فيمن يطلب الانضمام اليها : وهى ضرورة أن تزكى لجان الوفد والشبان الوفديون هذه الطلبات ليتسنى لنا التأكد من أن أفراد الفرق من أصحاب السمعة الحسنة والأخلاق الفاضلة .

***

وفى ديسمبر ١٩٣٥ قررت الرابطة الدعوة لعقد مؤتمر عام للجان الشبان الوفديين بالنادى السعدى يوم ٥ يناير ١٩٣٦ . والقيت فى هذا الاجتماع كلمات من شوقى عبد الوهاب سكرتير عام الرابطة وزهير صبرى رئيس الرابطة والزميل محمد بلال وأعلن فى هذا الاجتماع عن تكوين الفرق رسميا طبقا لما سبق أن قررته الرابطة من الشروط والضوابط .

وانى أنوه هنا ان ما أشرت اليه من حيث الجهة التى دعت لعقد هـذا الاجتماع وما تقرر فيه هو ما سبق ان ذكره الدكتور عبد العظيم رمضان فى كتابه وهذا هو المتفق مع المنطق لأن الجهة التى لها الحق القانونى فى دعـوة لجان الشبان الوفديين للاجتماع انما هى الرابطة وليس الزميل محمد بلال كما يقول فى مذكراته • وترتب على تكوين هذه الفرق النظامية أن فكر أصحاب الأغراض ومن له هوى سياسى معين فى الطرق التى تمكنه من السيطرة على هذه الفرق أو على الأقل تسخيرها لتنفيذ أغراضه والسير وفق هواه • وسرعان ما ظهرت النتيجة لهذا التفكير • اذ بدأ الخلاف بيننا وبين محمد بلال فى كل شىء ثم اشتد الخلاف وفوجىء الجميع ذات صباح بجريدة الجهاد تنشر ما سمى بقرار المجلس الأعلى لفرق الشباب الوفدى وكان يقضى بفصل شوقى عبد الوهاب من الفرق والتحذير من الاتصال به أو تلقى أى أمر منه • ومساء نفس اليوم اجتمعت الرابطة العامة للجان الشبان الوفديين وسط عاصفة مدوية من الاستنكار المصحوب بالدهشة • وحضر اجتماعها بعض أعضاء الهيئة الوفدية وأصدرت الرابطة قرارها بفصل محمد بلال ومن يؤيده وتعديل اسم الفرق الى « فرق الرابطة العامة للجان الشبان الوفديين ، وتعيين شوقى عبد الوهاب قائدا عاما لها • ونشر القرار أيضا بالصحف •

★★★

وبذلك انقسمت الفرق الى فرقتين كل منهما له اسم مختلف ونظام مختلف وقائد عام ومجلس أعلى • وترتيبا على ما تقدم ظهرت سريعـا الآثار الخطيرة الناجمة عن انقسام فرقة وفدية تدين بمبدأ واحد وتقدم الولاء لزعيم واحد•وتعدت هذه الآثار الفرق نفسها الى أعضاء الوفد والهيئة الوفدية وقيل لمن عرضوا الأمر على رئيس الوفد وسكرتيره العام « ان البقاء للاصلح » • وظلت الحالة هادئة مظهريا وكالنار المتخفية تحت الرماد الى أن أعلن عن تاريخ وصول الوفد الرسمى الى القاهرة عائدا من لندن بعد توقيع معاهدة ١٩٣٦ •

★★★

وانتهزت فرقة الشباب الوفدى فرصة تجمع عدد كبير من أفـــرادها فى القاهرة لمناسبة الاحتفال باستقبال الوفد الرسمى • ووجهت الى معسكر فرقـة الرابطة بشبرا اللوارى التى تستقلها قوة كاملة العدد والعدة وبضربة واحدة قضت على المعسكر ومن فيه • واقتيد قائد عام الفرقة شوقى عبد الوهـاب غارقا فى دمائه فاقدا النطق الى معسكر فرق الشباب فى حى زينهم • واتضح بعد ذلك انه تم القضاء على جميع معسكرات فرق الرابطة فى الاقاليم • وتولى البوليس والنيابة التحقيق • ولكن القوى السياسية التى كانت خلف قرار فصل شوقى عبد الوهاب من الفرق تدخلت فى التحقيق ولم تمكن العدل من أن يأخذ مجراه وأدي ذلك الي تعثر التحقيق ثم توقفه • ولم يضــأ له النـور الأخضر

الا بعد تأليف وزارة محمد محمود وحل الفرق نهائيا فى يناير ١٩٣٨ • ولو راجع الذين كتبوا عن القمصان الزرقاء صحف القاهرة الصادرة عقب وصول الوفد العائد من لندن لاستلفت أنظارهم الأخبار المنشورة عن حادث الاعتداء الأليم الذى حدث ليلة أفراح القاهرة • هذا الحادث الذى يؤسفنى أن أساتذة التاريخ أغفلوا حتى مجرد الاشارة اليه ولماذا ؟ علم ذلك عند علام الغيوب •

***

وبعد القضاء على فرق الرابطة فى سبتمبر ١٩٣٦ لم يبق فى الميدان سوى فرق الشباب الوفدى •

وانى أرجو أن أشير هنا الى ما نالنى من الاضطهاد والتعسف عقوبة لتفكيرى فى تكوين هذه الفرق بنظام خاص كنت رسمته بدقة لخدمة وطنى المقدس مصر • ولكن بالنظر لما كان معروفا عنى من شجاعة فى ابداء الرأى وصراحة فى توجيه النقد لكل ما اعتقد انه لا يتفق مع الحق والعدل • فان البعض خشى عاقبة نجاحى فى تكوين هذه الفرق ودبر لابعادى عن صفوفها بعد أن أصبحت حقيقة واقعة • ولما لم يفلح التدبير واعاننى الله وأحاطنى بعدد كبير من الوطنيين المخلصين الذين ساعدونى بجدية وعزم فى اعداد فرق الرابطة التى كانت تحظى بقدر كبير من الاعجاب والاحترام لما اتصفت به من نظام وخلق وهندام منسق وتدريب كامل على مختلف الانشطة • فانهم لم يكتفوا بالاعتداء الأثيم الذى سبق أن شرحته • بل اتصل الاضطهاد بالعمل الوظيفى أيضا • فكنت أنا الموظف الوفدى الوحيد المفصول سياسيا الذى حرمت من تطبيق قرارات وزارة توفيق نسيم الخاصة بتسوية حالة الموظفين الذين فصلوا سياسيا فى عهد وزارة اسماعيل صدقى منذ عام ١٩٣٠ وما تلاه من أعوام • وظللت أبذل أقصى ما استطيع من جهود فى المطالبة بمساواتى بزملائى الذين فصلوا سياسيا فقط بينما أنا سجنت وفصلت سياسيا • ولم أظفر بهذه المساواة الا فى نوفمبر ١٩٥٠ حيث صدق مجلس الوزراء على تسوية حالتى مع حرمانى من صرف ما استحقه من علاوات عن الماضى وبذلك حرمت وحدى من التمتع بما اتبع مع جميع الزملاء •

وانى أبعث بهذا الخطاب راجياأن ينشر فى عهد حرية الرأى والكلمة وسيادة القانون وحقى فى النشر ــ الذى كفله القانون ــ ولتظهر الحقيقة ناصعة تحطم حواجز الاباطيل التى حاول البعض احاطتها بها •

شوقى عبد الوهاب

احد المجاهدين القدامى « بالمعاش »
الاسكندرية ــ كليوباترا ــ حمامات
شارع السيد عثمان الساعى رقم ١٨

تعليقات أخرى سريعة :

من أحمد حسين الى صبرى أبو المجد

أخى الحبيب الأستاذ صبرى أبو المجد

وكيف لا تكون حبيبا ، وأنت تبتعث صفحات من تاريخ جهادنا فى صدر شبابنا ، وتزيد فتطلعنى أنا شخصيا على بعض الخلفيات لأحداث شاركت فيها ، كهذا القسم الذى نشرته من مذكرات الحاج رمضان زيان ، وقد كان ثالث ثلاثة يشار اليهم بالبنان كأعلام للوطنية ، فى الاسكندرية عام ١٩٣٤ وكنت قد فكرت ان أعلق على بعض الأحداث ومدى ترابطها مع سير الأحداث بعد ذلك كنشرك دعوتنا لاحياء الروح العسكرية فى مصر ، وكيف تأثر شابان بهذه الدعوة تأثيرا مباشرا فالتحقا بالكلية العسكرية ، وكان منهما ما كان : أقول كنت أنوى ، ان أكتب معلقا وشارحا ومظهرا العلاقة بين ما جرى ويجرى ، ولكن وجدت ان هذا موضوع يطول شرحه ، ويحتاج الى عشرات المقالات ، وعلى هذا ، فالى ان تنتهى من بحثك ، واذا امتد بنا العمر بمشيئة الله ، وشاء المصور ان يقدم لأبناء الجيل الجديد ، حديث انسان ، شارك فى أحداث ما قبل الثورة ، بل ما قبل الحرب العالمية الثانية يوما بيوم ، بل ساعة بساعة ، فسيكون هذا موضع غبطتى بطبيعة الحال ٠

***

وبقى اذا لم تخنى الذاكرة ان أقرر حقيقة ، ربما لم تذكرها من باب التواضع ، فقد سبقت حركة المصرى للمصرى ، كل حركات الشباب التى انبثقت فى الثلاثينات ، ومازلت أذكر اننا انضممنا اليها أنا وأخى الاستاذ فتحى رضوان كعضوين فلك يا صديقى على « أنا شخصيا » فضل السبق ، وأرجو أن « لا يفزعك » ذلك من حيث السن فقد كنت أنا طالبا كبير السن ٠

ولم أر ما أعبر به عن شكرى وتقديرى لما تنشره الا أن أبعث اليك ببعض صفحات من مذكراتى وما كتبته تعليقا ، على حادث من أضخم الحوادث التى مرت فى تاريخنا المعاصر ، بل وتاريخ الدنيا كلها ، فقد أسدلت الستار على الامبراطورية البريطانية ، وكشفت عن أطماع اسرائيل التى لا يحدها حد ، وعن طبيعتها العدوانية ، التى تجعلها مثل العقرب أو الذئب لا يجدى فى كليهما سوى ما يفعله الناس حيالهما ، وهذا الحادث هو محاولة اسرائيل لاحتلال سيناء ، وهذا القسم الذى أرسله ، مما كتبته فى مذكراتى منذ قرابة ربع قرن يغنى عن كل تعليق ، ويثبت أن لا جديد تحت الشمس ٠ ودمت ٠

المخلص/ أحمد حسين

● وما أرسله الى الأستاذ أحمد حسين استفدت به ـ وباسمه ـ فى بحث عن اسرائيل أكبر قاعدة استعمارية فى وطننا العربى ٠

ومن الأستاذ حافظ محمود تلقيت الرسالة التالية :

«فاروق» يحرم على القصر الاشتراك فى جنازة اسماعيل صدقى

أخى صبرى أبو المجد

لا أنت ولا نحن قد أسرفنا على المرحوم اسماعيل صدقى باشا فيما نشرته عن « سنوات ما قبل الثورة » فهو الذى اختار لنفسه هذه السياسة ٠ وعليه أن يتحمل تبعة كلمة التاريخ فيها ٠٠ لكن التاريخ ليس لتفسيره وجه واحد ، ولهذا أرى من العدل التاريخى ـ كما ذكرنا الجانب الصعب من سياسة الرجل ـ ان نذكر له الجانب الآخر ٠

فاسماعيل صدقى هو احد الاقطاب الأربعة الذين حسبت سلطات الاحتلال حسابهم فاعتقلتهم فى ٨ مارس سنة ١٩١٩ ٠٠ ولما أفرج عنهم تحت ضغط الثورة بعد شهر ، وسافروا الى باريس للدفاع عن القضية المصرية ، كان صدقى هو الذى تولى الجانب الاعلامى لوفد مصر فى الصحافة الفرنسية بالمقالات والأحاديث وعقد المؤتمرات الصحفية للوفد بحكم تضلعه فى اللغة والآداب الفرنسية ٠٠ وقد قام بنفس هذا الدور فى مفاوضات « عدلى كيزرون » فى العام التالى بلندن ٠

ولعل الذى غير الخط السياسى فى حياة اسماعيل صدقى هو أن سعد زغلول قد فضل عليه فى الانتخابات البرلمانية الأولى أصغر محام فى بلدته ، وهو المرحوم « نجيب الغرابلى باشا » الذى صار وزيرا وفديا فى وزارة سعد زغلول ٠

ونحن اذ ذكرنا أخطاء صدقى السياسية فى مطلع الثلاثينات ينبغى أن نذكر له مشروعاته العمرانية ، وأشهرها انشاء كورنيش الاسكندرية الذى غير الجغرافية الاجتماعية والاقتصادية لهذه المدينة ، واذا خلينا جانبا ما أثير حوله ، اذ ذاك من انتقادات تنبع من الشعور السياسى المضاد له ـ فاننا نجد أن هذا المشروع الضخم لم تصل تكاليفه الى مليون جنيه ، بينما نجد الآن أن الايجارات فى هذا الطريق تبلغ كل صيف ـ على طول الزمن ـ أكثر من هذا المبلغ فضلا عن الحركة التجارية والسياحية التى اكتسبتها الاسكندرية من الكورنيش ٠

ومع هذا فان صدقى باشا قد استنفر الشعب ، بالعمل لا بالقول ، حينما تولى الحكم فى وزارته الأخيرة ففى عهد هذه الوزارة تم الجلاء عن القاهرة والاسكندرية وقبل أن يتم هذا الجلاء ترك رئيس الوزراء اسماعيل صدقى للشعب فرصة الثورة التى أحرقت الثكنات العسكرية البريطانية فى ميدان الاسماعيلية

« ميدان التحرير » دون أن يتعرض لهم ولو بشرطى واحـــد • رغم احتجاج بريطانيا •• بل كان رده على هذا الاحتجاج رائعا ، اذ قال للسفير البريطانى « وهل أجليتم ، كما وعدتم ، وتعرضنا لكم ؟ » •

وفى اليوم التالى ذهب صدقى الى الجامعة فحمله الطلبة على الاعناق وهتفوا له ، فألقى فيهم كلمة قال فيها « أرجو ألا تكونوا شعب كل وزارة » •

وأخر ما نذكره من حسنات صدقى باشا ، الى جانب ما نراه من سيئاتـه من وجهة نظرنا ــ ذلك الخطاب الرائع الذى بعث به من مستشفاه فى باريس ــ صيف سنة ١٩٥٠ ــ الى الملك ، وقال له فيه :

« اننى أخاطبك كما يخاطب الأب ابنه ، لاننى الآن استعد لملاقاة ربى ، وانت فى هذه الحالة لا تملك لى ضرا ولا نفعا » •

ثم سرد صدقى فى هذا الخطاب أخطاء الملك فاروق وطالبه بتصحيحها •• فاستشاط الملك غيظا من صيغة هذا الخطاب ، وبعد أيام انتقل صدقى فعلا الى رحمة الله ، فأصدر الملك أوامره بالا يشترك أحد من المسئولين فى القصر أو الحكومة فى تشييع جنازته ، فصار الذين شاركوا فى تشييع هذه الجنازة فى عداد « الشجعان » ولم يكونوا قليلين وكان من بين أولئك الشجعان أحد أمناء الملك ، فأمر باقصائه عن وظيفته فى القصر الى وظيفة أخرى •

هذا تاريخ •• وفى التاريخ الصحيح ينبغى أن تقال كلمة الحق بمختلف زواياها •

حافظ محمود

وتلقيت من المهندس د• عز الدين عبد القادر رسالة وجهها الى المهندس مصطفى شوقى •

رد من د• عز الدين عبد القادر :

الانجليز وحدهم كانوا يملكون خلع الملوك ومنح العروش

الى الأخ المهندس مصطفى شوقى

● قلت فى رسالتك « احقاقا للحق أرجو أن تنشروا تعقيبى على ما جاء بمذكرات ــ كاتب هذه السطور » •

وقلت « وأما أحمد حسين فقد سجن ما لا يقل عن ١٤ مرة بأحكام ولمدد تتراوح ما بين سنتين وثلاث فى سبيل الوطن » •

ويهمني بادئ ذي بدء أن أقرر بأنني مسئول عن صدق كل كلمة وحرف يكتبه يراعي وهذا ما قلته وسجلته من قبل المخابرات ونيابة أمن الدولة ومحكمة الدجوى في آخر قضاياي الكبرى وحكم على فيها بالسجن المؤبد في القضية رقم ١٣ لسنة ٦٤ عليا ـ ٩ كلي عابدين والتي ظللت بموجبها أحد عشر عاما في السجن من ١١ أغسطس عام ١٩٦٣ الى أن أفرج عني الرئيس المؤمن محمد أنور السادات يوم ٤/٤/١٩٧٤ بعفو جمهوري شامل من أجل كتابي « كيف تحكم مصر ٠٠ اليوم ؟ » الذي ألفته خلال أزمة مارس الدستورية عام ١٩٥٤ ٠٠ وترجم الى عدة لغات ٠٠ .

أما أن تنعكس كتاباتي الى صور وهمية في ذهن القارئ فأنا غير مسئول عن ذلك ٠

هذا ٠٠ وواضح انني لم أمس موضوع سجن الأستاذ الكبير أحمد حسين لا من قريب ولا من بعيد ٠٠ وان كان مبلغ علمي أنه سجن مرات عديدة منها في ١٤ قضية صحفية وعيب في الذات الملكية ولكن قضاء مصر النزيه العادل لم يحكم عليه أبدا بالسجن وكان نصيبه في جميع قضاياه البراءة ٠٠ هذه حقيقة تتأكد منها لو أنك أعدت قراءة مقالي من جديد ٠٠ الذي تناولت التعقيب عليه بقلمـك ٠

ثم انك قلت « أما مسألة تهديد مصر الفتاة للملك بالاتصال بالخديو السابق فأعتقد أن هذه كلها مجافية للصواب » ٠٠ من أين لك هذا يا أخ مصطفى ؟ ٠ مسألة تهديد مصر الفتاة للملك ؟ هذه الصورة الوهمية التي لم يجر بها قلمي ولا جاءت في رسالة الماجستير التي نجح فيها الباحث العالم الأستاذ علي شلبي وأشرف عليها الأستاذ الدكتور أحمد عزت عبد الكريم ٠٠ والتي سجلتها في مقالي مستشهدا بهذه الرسالة العلمية ٠٠ المؤيدة بالمستندات والتي ناقشتها لجنة من العلماء الكبار ٠٠

من قال كلامك هـذا ٠٠ أنا أم الباحث العالم ؟ لا أحد منـا قال هـذه الأوهام ٠٠ يا أستاذ مصطفى ؟ ٠ فان الاتصال شيء ٠٠ والتهديد شيء آخر !!

أما اذا كنت ترى مقابلات المغفور له عبد الخالق مدكور باشا للخديو ومقابلاتي للباشا وللخديو أنها مجافية للصواب ٠٠ فان هذه المقابلات قد تمت وسجلت في مستندات رسمية منذ أن جرت في عام ١٩٣٥ وفي قضيتي مع النحاس باشا عام ١٩٣٧ ٠٠ والواقع لا ينفيه الوهم أبدا ٠

أما قولك « فأعتقد أن هذه كلها مجافية للصواب لأنه ليس من المقبول أن تخلع مصر الفتاة الملك لتعطي عرش مصر لقريب له بدلا منه » فانه سذاجة أو قل اغراق في الوهم ٠٠ لأنه لا مصر الفتاة ٠٠ ولا حتى مصر كلها بشعبها وجيشها في ذلك الوقت كانت قادرة على ذلك انما كان الذي يستطيع في مصر آنذاك أن يخلع الملوك ويمنح العروش انما كان الانجليز ٠ والانجليز وحدهم ٠

هذا ولا أنا ولا صاحب الرسالة العلمية التى ذكرتها فى مقالى جاء فيها هـذا الوهم ٠٠

وقلت أخيرا « كانت مصر الفتاة تضع اسم الملك ضمن شعاراتهم لعدم اتهامها بأية تهمة تؤدى الى غلق الجمعية وفعلا هذا حدث وتحولت الى حزب » ويؤسفنى يا أيها الأخ العزيز أن أؤكد لك ـ واسمح لى بأن أستعير كلامك وهو ـ احقاقا للحق ـ لم يحدث أبدا ما ذهبت انت اليه ولم تتهم جمعية مصر الفتاة بأية تهمة أغلقتها فحولتها الى حزب ٠٠ وبعيدا عن كل ظن ووهم فان الجمعية ببساطة كانت قد كبرت ونمت وتطورت فأعلناها حزبا سياسيا مناضلا لا بسبب تهمة ولا خوفا من ملك ولا شيطان ٠٠ وشكرا يا أخى ٠٠

د ٠ عز الدين عبد القادر

ومن د٠ محمد بلال تلقيت الرسالة التالية :

د٠ محمد بلال ٠٠ يعقب :

الأستاذ صبرى أبو المجد

اطلعت على تعقيب على بعض ما جـاء فى مذكراتى عن فرق الشـــباب « القمصان الزرقاء » ٠٠ ولما كان الأمر يتصل بتاريخ التحرك الوطنى للشباب فى تلك الفترة من تاريخ مصر فقد رأيت صـــيانة للتاريخ وفى كلمات ابراز الحقائق التالية والمتصلة بنشأة هـــذه التشكيلات ومبادئها والظروف السياسية التى نشأت فيها وعلاقاتها الداخلية والخارجية الى أن انتهى الأمر بحلها بعد قيام أزمة دستورية حادة بين الملك والوفد وكانت هى أهم أسبابها ٠

أولا : نشأت الدعوة لقيام هذه الفرق بين صفوف طلاب الجامعة فى الحقبة الأخيرة من ثورتهم للدستور والاستقلال عام ١٩٣٥ ٠٠ ومن موقعى بين الطلاب فى الاسهام فى تلك الثورة دعوت لقيام هذه التشكيلات وبهذا اعتبرت هذه الفرق استمرارا لثورتنا عام ١٩٣٥ ٠

ثانيا : كانت ساحات الكليات فى بادىء الأمر هى ميدان التدريب لأعضاء الفرق وكان الأعضاء يرتدون الزى العادى ويرددون الأناشيد الوطنية وينتظمون فى الطوابير ٠

ثالثا : لم تكن للفرق أول الأمر صلة أو اتصال رسمى بالوفد حتى تم اللقاء مع رئيس الوفد وسكرتيره ومن ثم أطلق عليها الاسم الذى عرفت به « فرق الشباب تحت لواء الوفد » ٠

رابعا : ارتدى الأعضاء القميص الأزرق ووضعوا شارة الفرق وبدأ تجمع الأعضاء فى معسكرات بالأحياء ٠

خامسا ـ بدأ انضمام العمال فى نفس الوقت الى صفوفها كما قامت فرق عمالية بكثير من المؤسسات ٠

سادسا : وانخرط فى صفوفها كثير من أعضاء لجان الشبان الوفديين التى كانت قائمة قبل ذلك الوقت ٠

سابعا : كان للفرق مجلس قيادة يرأسه قائد الفرق ثم أصدر رئيس الوفد قرارا بانشاء مجلس أعلى يرأسه ضابط كبير متقاعد ومعه عضوان من الوفد وقائد الفرق وعضوان من مجلس النواب « الهيئة الوفدية » ٠

ذلك ما أردت توضيحه وأحيل الى تفصيله فيما جاء بالمذكرات وأرى أن ما رواه صعب التعقيب عن ايذاء وقع عليه وحرمان من العلاوات والدرجات فى وظيفة من وزارة الوفد يعتبر من الأمور الشخصية ٠٠ ونحن وأنتم نحرص جميعا على تسجيل الجانب الوطنى العام للتحرك الوطنى للشباب مجردا ومشرفا للجيل الجديد للعبرة والذكرى ٠٠ ولنواصل حمل الرسالة الكبرى لخير الوطن والمواطنين ٠٠

د ٠ محمد بلال

اقنعوه بالاستمرار فى رواية أحداث تاريخنا النضالى

السيد الأستاذ صبرى أبو المجد

أكرر لكم الشكر الجزيل لتفضلكم بنشر مقالى واهدائكم لى كتابكم الذى أتيت عليه اليوم التهاما وقراءة ٠٠ انه عميق الدراسة ، عظيم المادة وهام جدا ٠

● سيدى ٠

من يصدق مغامراتى وحقائق كفاحى ؟ أنها أغرب من الخيال ٠٠ مثلا : من يصدق اننى أدخلت مسدسا محشوا بالرصاص الى زنزانتى فى ليمان أبو زعبل ؟ وان محمد صبيح وأحمد حسين هرباه لى مع سجان مسيحى ؟ وان ضابط السجن من الملتحين بذقن مريبة من الاخوان وشى بى وكان أحمد حسين وصبيح يثقان به وبمساعدته لى على الهرب فخاننى وترقى الى رتبة اليوزباشى فى زمن الحرب « عام ١٩٤١ » ٠

من يصدق اننى كنت أراسل الصحف سرا من داخل السجن ونشر الكلمات باسمى ٠

من يصدق اننى علمت بتسليح المانيا لمصر الفتاة وبالغواصات الألمانية واخفاء الأسلحة فى جبال حلوان لضرب الانجليز عند انسحابهم ٠

لا ٠ لن يصدق أحد ذلك ٠ وهذه أبسط قصة مثلها قبل قصة عزيز المصرى وميخانا ٠

حقائق أغرب من الخيال ٠٠ تتعب الناس ولا تفيدهم وأنا فى غنى عن ايذاء نفسى بذكرها لتسلية الناس ٠

لهذا أبادر بطلب الصفح عنى لزهدى فى نشر المزيد من ذكرياتى التى يصعب أن يصدقها الناس ، واعفائى من الكتابة ٠٠ ووالله لولا أن الأستاذ المناضل الوطنى زميل السلاح والكفاح عبد الرحمن بك أباظة طلب منى تبييض مسودة العجالة التى كتبتها لشخصكم النبيل فيها شىء عن كفاحى المسلح عام ١٩٤٦ وحادث النحاس باشا ٠٠ ما حاولت الاقتراب من أى دار صحفية ٠٠ كما اننى ما كتبت الا اكراما لخاطركم وتقديرا وحبا لشخصكم النبيل ٠٠ فلا شىء يضايقنى مثل الحديث عن نفسى ٠٠ ومغامراتى العاطفية ٠٠ عن حبى الكبير لمصر ٠٠ والحرية ٠٠ لكننى والله ٠٠ لا أجد حافزا من نفسى للكلام أو الكتابة الآن عن ماضى بخيره وشره لأنه عندى أمر مضى واحتسبت فيه عملى عند الله ٠٠ فأرجوك العفو عنى وقبول عذرى ٠ وأملى أن يكون رجائى عندك بقدر محبتى لديك أيها المناضل الوطنى الحر الكبير القلب والمؤرخ المصرى الجليل ٠

د ٠ عز الدين عبد القادر

تلقيت هذه الرسالة من المجاهد الوطنى الدكتور عز الدين عبد القادر ٠٠ على اننى مع ايثارى الكبير له ، غير مقتنع بالحجج التى يسوقها لكى يحرمنا من روايته للأحداث الهامة التى شارك فيها وعاشها فى تاريخنا السياسى الذى الذى يحتاج الى أن يتضافر فى روايته كل من عاش أحداثه منذ مطلع هذا القرن وحتى اليوم ٠٠ انه تاريخ خصب ٠٠ تاريخ د٠ عز الدين عبد القادر وحرام ألا يروى ليثرى التاريخ الوطنى لمصر ورجائى أن يؤازرنى القراء فى تمسكى بالفصول التى يكتبها ليروى فيها مذكراته وفى اقناعه بالاستمرار ٠٠ اكتبوا له لكى يعدل عن صمته ٠

وتلقيت من الأستاذ شوكت التونى المحامى الكبير رسالة يقول فيها :

من شوكت التونى الى صبرى أبو المجد

صبرى أبو المجد

● لقد حركتنى كلماتك عن ثورة ١٩٣٥ ، ولم يعد كثير مما يكتب يحرك المشاعر أو يلفت الفكر ونازعتنى نفسى أن أكتب اليك كلمة تحية وشكر فقد أنصفت النقراشى العظيم النزيه بعد طول ظلم من رجال انتسبوا الى الكتابة ولم ينتسبوا الى الخلق الأمين ·

لقد سبقك فى هذا الانصاف الكاتب الوطنى والسياسى الأمين عبد الرحمن الرافعى حين كتب فى كتابه عن الحركة الوطنية المصرية ان حادث كوبرى عباس مختلق وانه لم يمت انسان واحد وقد قام رحمة الله عليه بالتحقيق فى صحة هذا الاختلاق الى حد أنه ذكر انه اطلع على دفاتر الحوادث فى مركز وبندر الجيزة ومصر القديمة ثم اطلع على دفاتر الوفيات ، ولكن الأقلام التى شاءت لها تعاسة حظها ان يصطنعها الغرض والمرض لكى تشوه تاريخ مصر فتنسب هذه الجريمة الى رجل قلما تنجب مصر مثاله ، أو يبلغ مجاهد مقدار كماله خلقا وذمة وفدائية ·

ولكن فضلك انك كتبت عن اختلاق هذا الحادث وأنت تؤرخ لزمانه ، ولا يزال من الأحياء كثيرون عاشوا أيامه ولياليه ، وكانوا فى مقدمة الثائرين ، وفى صحيفة يقرؤها الخاصة والعامة والكافة فى حين ان كتاب الرافعى لا يقرؤه الا الخاصة ، جزاك الله عن النقراشى خير الجزاء ، وجزاك عن الحق أجزل الثواب .

أما عما يثيره نشر الصفحة الخالدة لثورة ١٩٣٥ ، وأسماء شباب المجاهدين فيها ، وفضلهم على تاريخ مصر ومستقبلها وقد أرغموا القصر الملكى ودار المندوب السامى وهما عملاقان ليس من الهين قهرهما فاننى أذكر لك وقد كنت فى ذلك الوقت محاميا ومقررا أمام محاكم الاستئناف وكان الوفد قد اختارنى سكرتيرا للجنة الدفاع عن الحريات وكان من الأعضاء العاملين فيها والساهرين على حماية الحريات ابراهيم عبد الهادى وزهير صبرى ومكرم عبيد وصبرى أبو علم ويوسف الجندى وحسن النحاس ورافع محمد رافع وعبد الحليم رافع وأنطون جرجس أنطون وسليمان اليمانى وغيرهم كثيرون وأذكر بهذه المناسبة انه ما كان يقبض على شاب حتى يتزاحم للمرافعة عنه المحامون بلا مقابل بل يحسبون انهم ينالون « شرف المرافعة عن الصناديد المجاهدين » كما كان يتزاحم على السجون رجال الأحزاب وغير الأحزاب بالطعام والفرش ، وترفع الصحف أسماءهم فى أعلى ذروة من الصفحات الأولى لقد كان المجاهد يكرم أما المجاهد فى عهود قريبة فكان يقتل معذبا أو يعدم أو يسجن وتصادر أمواله ويهتك عرض نسائه ، عهود لا اعادها الله على مصر ·

ولكن الذى أود أن أدلى به فى صدد كتابة تاريخ هذه الفترة الخالدة من تاريخ مصر أمران فى منتهى الأهمية لمهمة المؤرخ .

الأمر الأول : ان شقيقى المرحوم المستشار محمود التونى كان رئيس لجنة طلبة المدارس الثانوية وكان سكرتيرا للجنة الرئيس السابق جمال عبد الناصر وقد كتب المرحوم محمود التونى مذكرات يومية فى حينها أثبت فيها الحوادث ساعة بساعة ، كما انطوت هذه المذكرات على محاضر جلسات لجنة الطلبة وعليها امضاء الرئيس والسكرتير .

وقد قامت هذه اللجنة بدور فعال وقوى فى اذكاء نار الثورة فى القاهرة .

الأمر الثانى : انه قد حدث فجأة أن أخذت دار المندوب السامى وأخذ القصر الملكى فى مباراة للموافقة على اعادة دستور سنة ١٩٢٣ بعد طول رفض حازم وحاسم من الدارين الانجليزى والملكى .

ولم يعرف الناس الى الآن السر فى هذه المباراة والنكوص عن حرمان البلاد من دستورها الذى لا يزال هو مطمعها ومطمع آمالها وهوى قلوبها .

ان سبب هذا هو ما صنعه أربعة من شباب مصر وهم أبو المجد التونى وعبد المنعم عبد الرءوف ومحمود التونى وأبو الغيط سائق سيارتنا .

لقد أرادوا أن يحدثوا خرقا فى الزمن ، ويصنعوا حدثا يهز بريطانيا فقصدوا بعد منتصف الليل دار المندوب السامى فى شارع القصر العالى فى حى قصر الدوبارة وتربصوا حتى أدبر جندى الحراسة بزيه الذى كان يشبه حرس قصر باكنجهام سائرا من أول الدار عند الركن القائم بين شارع البرازيل على ما أذكر ـ وشارع القصر العالى حيث توجد نافذة صغيرة فوضعوا قنبلة حاول اشعال فتيلها عبد الرءوف فأطفأ الهواء الكبريت فتعاونوا جميعا على اشعالها ثم استقلوا سيارتى وكان يقودها أشجع قائد سيارة أبو الغيط وكانت ماركة بونتشياك وانطلقوا بها الى حى السيدة زينب حيث يسكن عبد المنعم عبد الرءوف فاوصلوه ثم رجعوا الى دارنا بالجيزة

وعندما انفجرت هذه القنبلة وهى تمثل أول قنبلة وآخر قنبلة فى تاريخ بريطانيا واحتلالها فى مصر حدث فى دار المندوب السامى حتى كان صداها مدويا فى لنـــدن وفى ١٠ داوننج ستريت وفى قصر الملك فؤاد وفى قلوب المترددين .

وبعد أيام أعلن القصر ، عن عودة الدستور

ولم يضبط واحد من هؤلاء الشبان .

لقد حكم عبد الناصر على عبد المنعم عبد الرءوف بالاعدام وشرده من سنة

١٩٥٤ الى سنة ١٩٧١ وفرضت الحراسة على « أبو » المجد التونى ومحمود التونى وأبعد الآخير من منصبه كمستشار وتوفى الاثنان ــ كيف ؟ الله يعلم ــ وها هو أبو الغيط يعيش فى داره وحيدا ولم تذكرهم دولتهم ولو بوسام !

كم ظلمنا أبطالنا ٠٠ ولكن الى متى ؟

محمد شوكت التونى

المحامى

وتلقيت من المهندس حنفى الشريف ــ وكان وقتئذ يعمــل بالاردن ــ الرسالة التالية :

حنفى الشريف يكتب من الأردن ٠٠

عزيزى الكاتب المؤرخ الأستاذ صبرى أبو المجد :

كم كنت تواقا الى التواجد بمصر العزيزة فى هذا الظرف بالذات الا أننى أحب أن أشير الى بعض النقاط التى أعتقد انها هامة لتاريخ هذه الفترة المهمة من تاريخ مصر :

● مرسل لك الصورة المنشورة فى عدد سابق من المصــور لمظاهرات الشعب فى سنة ١٩٣٥ ٠ ووفاء للرجل الذى مات سياسيا ولم يشعر به أحد ولم يذكره أحد وقد رسمت دائرة تبين صورته بين الجموع الثائرة وهو (حسن يس) الذى كان أول رئيس للجنة الطلبة فى تاريخها الطويل والذى دخــل عضوا فى أول مجلس للنواب سنة ١٩٢٤ بعد اعلان دستور سنة ١٩٢٣ وكان وقتئذ طالبا فى كلية الحقوق وضحى بالليسانس وفضل تمثيل الشعب واستمر يعمل فى الحقل الوطنى الى أن مات فقيرا معدما وقد رأيته فى أواخر أيامه يسير بالقبقاب الخشبى يرتدى « روبا ممزقا وشعره أشعث فى شوارع مصر الجديدة ٠٠٠ هذا هو الرجل الذى كان يخشاه الملك فؤاد ويحرص عليه فيلاطفه فى كل مرة يذهب فيها (الملك) لافتتاح دورة المجلس ٠

● الحادثة الأولى كوبرى عباس (سنة ١٩٣٥) : تم اغلاق الكوبرى من بعض الطلبة بطريقة عكسية خاطئة وهو الذى أدى الى عــدم انطباق قوسى الكوبرى ومر عشرات الآلاف من الطلبة من فتحة عرضها متران فقط مما أدى الى مذبحة رهيبة وقفز الكثيرون الى الشاطىء وامتلأت منازل « الروضة » بالطلبة وتمت محاصرتهم والقبض على عشرات منهم وأرســلوا الى القسم الســياسى بالمحافظة والى أقسام البوليس الأخرى ولو كان الكوبرى أغلق بالطريقة الفنية الصحيحة لكان الضباط الانجليز فروا أمام الطلبة الثائرين ٠

● الطالب الذى كان يدفع مع بعض رفاقه بعربة صغيرة ملأى بالزجاجات والزلط ويرفع العلم بشكل ثورى يبعث فى نفوس الناس الاندفاع والتقدم هو المرحوم (نجم) الذى مات وهو ضابط كبير ومريض .

● كان الأساتذة والمدرسون يخطبون فى الطلبة داخل المدرجات بصورة حماسية يحرضونهم على الاستمرار فى الثورة ومنهم المرحوم الدكتور ابراهيم رفعت بكلية الهندسة وأنا أتعمد ذكر أسماء الأموات الى حد ما .

عندما تكرر فتح كوبرى عباس قرر الطلبة تحويل نشاطهم الثورى الى مظاهرات ليلية فى القاهرة كما قرروا الانتقال الى الأقاليم خصوصا بعد اغلاق الجامعة وبدأت الاجتماعات فى نقابة المحامين فى العمارة القديمة التى كانت أمام شركة بيع المصنوعات المصرية على ناصية شارعى الجمهورية ، ٢٦ يوليو وكانت كلها فى المساء حيث تتوالى الخطب وتحدد حيا معينا نذهب اليه ونقوم بمظاهرات صاخبة ولكننا كنا نعلن اسم « حى من الأحياء » السيدة زينب مثلا للتمويه وبعد ذلك وبطريقة (كلمة السر) تصدر تعليمات بأن المقصود (حى العباسية) مثلا ويزدحم البوليس بشكل رهيب فى ميدان السيدة بينما تهب المظاهرات فى العباسية ويشترك فيها الشعب الذى كان يجلس فى المقاهى يتساءل (أين سيكون الطلبة الليلة) .

وانتقل الطلبة الى الأقاليم كل مجموعة فى محافظة وكانت مهمتهم توزيع المنشورات الحماسية والخطابة فى المساجد والكنائس وتقرير يوم لاغلاق المتاجر كلها ونجحت الفكرة ايما نجاح وبذلك اسمح لى أن أقول أن اطلاق ثورة ١٩٣٥ على القاهرة فقط والاكتفاء بذكر أحداث كوبرى عباس ليس كافيا لذكر الحقيقة ان الشعب كله اشترك فعلا فى تلك الثورة حتى فى القرى المصرية شارك أبناؤها فى الثورة وكان رجال ثورة سنة ١٩١٩ فى الأقاليم يخرجون مع الطلبة ويحرضون الناس على المشاركة وتعطيل أعمالهم فى يوم معين .

● جاء فى المصور ذكر الأقاليم ولاحظت أنها أقاليم الوجه البحرى فقط مع أن بلاد الصعيد شاركت وبحماس فى هذه الثورة بالمال والعمل كما حدث سنة ١٩١٩ (أسيوط وديروط ...) عندما ضرب الانجليز الثوار بقنابل الطائرات وأعرف صديقا رحمه الله (الشيخ الشامى) المحامى الشرعى قتلوا ولدين من أولاده بالقنابل وهكذا لا أقول هذا تعصبا للصعيد ولكن للتدليل على أن مصر كلها شاركت فى تلك الثورة .

● بالمناسبة كان الصحفيون قادة للثورة بالكلمة الملتهبة والتحريض السافر وكانت نقابتهم فى بيت قديم جدا مكان (عمارة وهبه) أمام البنك الأهلى وكانت مكانا لاجتماعات كثيرة .

● لا تنسوا (مشروع القرش) فكرة الأستاذ أحمد حسين الايجابية الناجحة وكان يشرف عليها بعض أساتذة كلية الحقوق وأقيم مصنع الطرابيش الموجود حتى الآن فى العباسية وقد تحول الى انتاج آخر غير (الطربوش) وقد كانت تجمع له القروش سنويا من كل مدينة وقرية ٠

● أرجو الرجوع الى د٠ عبد الرزاق نوفل الكاتب الاسلامى المعروف وهو خريج كلية الزراعة ومن جيل سنة ١٩٣٥ ٠

● الدكتور مصطفى خليل : فيما بعد : حدثت اضرابات عنيفة فى كلية الهندسة بالقاهرة وحاصر العسـاكر الكلية واستعملت خراطيم الميـاه وكان « مصطفى خليل » فى السنة النهائيـة ورأى أن يخرج من الكلية الى منزله للمذاكرة وبالرغم من تحذيره الشديد بأن قسوة رجال البوليس لن تتركه يمر بسهولة الا أنه تقدم ولم يكد يصل الى الباب الخارجى حتى « التهمه » رجال البوليس وانهالوا عليه ضربا بالهراوات ثم ألقوه داخل السور وقمنا باسعافه فقد كانت الاصابة فى « حاجبه » فوق العين والدماء غزيرة وما زالت العلامة واضحة جدا حتى الآن ٠٠ هل يذاكر ؟ ٠٠ أعتقد أن هذا من الأمور التى لا يمكن نسيانهـا ٠

● المرحوم عبد السلام حسن كان فى هذا الوقت طالبا بالمدرسة السعيدية وكان والشـهادة لله يقود المدرسة بأجمعها ويمر فى طريقه على كلية الزراعة وكلية الطب البيطرى ثم أصبح بعد دخوله الجامعة رئيسا للجنة الطلبة التى كانت تضم حسن سالم وحسين عزت وعلى الزير وغيرهم ، وغيرهم ٠

● انعقد مؤتمر دولى فى قاعة الاحتفالات بجامعة فؤاد « القاهرة » واستعد له الطلبة فطبعوا كتيبات صغيرة باللغات المختلفة وأخذوا يوزعونها على المندوبين أثناء دخولهم ثم قاموا بالضربة القاضية حيث أغلقوا الأبواب الخارجية للجامعة ومنعوا المندوب السامى البريطانى من الدخول فعاد أدراجه وعند وصول سيارة رئيس الوزراء توفيق نسيم « الرولزرويس » ركب الطلبة على ظهرها وجوانبها وأخذوايرددون الهتافات الشديدة فعاد رئيس الوزراء أيضا دون أن يتمكن من الدخول وكان مندوبا عن الملك فؤاد وعلم أعضاء المؤتمر الدولى بما حدث وفشل المؤتمر ولكن بعد أن أصبحت قضية مصر حديث جميع أعضاء المؤتمر ٠

أخى صبرى : قواك الله : ان هذه الفترة لا تزال مجهولة بالنسبة الى جيل بأكمله وتحتاج الى المزيد حفظ الله مصر وصانها بشبابها المخلص دوما ٠٠

مهندس
حنفى الشريف
عمان ـ الأردن

ومن دولة الامارات العربية يكتب د. العجان ..

... صبرى أبو المجد

أتابع الحوار الممتع الذى تقدمونه فى حديث « سنوات ما قبل الثورة » ، والرسائل التى يتبادلها مع سيادتكم أبطال تلك السنوات ، وأحيى فى سيادتكم جهد الباحث عن الحقيقة ، وصدق المحايد لنعلم — نحن شباب هذا الجيل — من تاريخ وطننا ما لم نحط به علما من قبل ، وخصوصا تلك الفترة الملتهبة بالحماس الوطنى وحب مصر ، التى غيرت من وجه الزمان على أرض هذا الوطن العظيم .

ان جيلكم يا سيدى الفاضل ـ الذى عاصر هذه الفترة واشترك فى أحداثها ـ جيل عظيم وخصب بكل المقاييس .. جيل برز فيه الاكفاء فى مجالات السياسة ، والعلوم ، والأدب ، والوطنية والرياضة ، وفى كل مجال اشعاع ونور .. اتسم جيلكم بالجدية والاخلاص والتفانى ، فأنجز الكثير وأرسى الأرضية الصلبة التى يحيا عليها جيلنا اليوم .. وللأسف فان جيلنا تتنازعه اليوم أهواء وتيارات مستوردة ، ومعظمها متعمد يهدف الى تدمير القيم والأسس الراسخة لهذا المجتمع العربى الأصيل ، لذا جاءت كتاباتكم الخصبة مصباحا مضيئا يوضح الحقائق ، ويكشف النقاب عن فترات زاهية من حلقات النضال الوطنى ، لتكون قدوة ، وضياء .

دكتـــور

أحمد فكرى السيد العجان

شركة ادنوك ص . ب ٨٩٨ أبو ظبى

دولة الامارات العربية المتحدة

ولعلى قد نجحت فيما أردته من اتاحة الفرص لشباب ١٩٣٥ للتعبير عن آرائهم بكل صراحة ووضوح على نحو لم يحدث من قبل ولست بحاجة الى القول ، اننى قد أتفق وقد اختلف مع تلك الآراء التى يتحمل أصحابها تبعتها .

وأعتقد بعد هذه الجولة مع التعقيبات الكثيرة أنه لابد من أن نعود الى المسار السياسى الطبيعى للأحداث ونتوقف قليلا عند خلاف العقاد مع مصطفى النحاس ومكرم عبيد .

الباب الخامس

الفصـــــل الأول

العقـــاد يفتح النـــار على النحـــاس ومكـــرم

● استقالت وزارة عبد الفتاح يحيى باشا ـ أو بمعنى أدق اقيلت ـ لأن الخلاف قد استحكم بينها وبين دار المندوب السامى البريطانى ٠

لقد طلبت دار المندوب السامى البريطانى اخراج وزيـــرين من وزارة عبد الفتاح يحيى باشا ، فرفض عبد الفتاح يحيى باشا ورفض القصر ٠

طلبت دار المندوب السامى البريطانى من عبد الفتاح يحيى باشا ان يطلعها على اسماء المرشحين لمجلس الوصاية على العرش ، فرفض عبد الفتـــاح يحيى باشا ، ورفض القصر ٠

اتهمت دار المندوب السامى ، وزارة عبد الفتاح يحيى باشا بانها شجعت على استعمال اللغة العربية فى المحاكم المختلفة وأنها قررت حق القضاة المصريين فى رئاسة بعض الدوائر فى تلك المحاكم ، وانها قررت رفض طلب بريطانيـــا لتعيين موظف كبير ـ مستر سمسون ـ كخبير لوزارة المعارف العمومية ٠٠ و ٠٠

★★★

قدمت الوزارة استقالتها الرسمية فى ٦ نوفمبر ١٩٣٤ ، وقبلها الملك فؤاد فى ١٤ نوفمبر ١٩٣٤ ٠ وعرض القصر الملكى على دار المندوب الســـامى البريطانى أن يرأس الوزارة الجديدة على ماهر ، أو حافظ عفيفى و ٠ و ٠ ولكن دار المنـــدوب الســـامى رفضـــت الأســـماء التى عرضـــتها السراى ،وأصرت على اسناد رئاسة الوزارة الى توفيق نسيم باشا ، نتيجة ترشيح الوفد المصرى لتوفيق نسيم باشا ٠ وقد قبلت دار المندوب السامى البريطانى اسناد الوزارة الى توفيق نسيم باشا ـ فضلا عن ترشيح الوفد له ـ لما هو معروف عن ولائه الكامـل للسياسة البريطانية ٠ وكانت النية ـ فيما يبدو ـ متجهة منذ ذلك التاريخ ،

الى اسقاط دستور ١٩٣٠ وحل البرلمان القائم ، واجراء انتخابات جديدة ، كما ان نسيم باشا ـ رغبة منه فى أن يحظى بتأييد من الوفد المصرى أكثر وأكثر ـ عرض أن يهمل قسم الولاء لدستور ١٩٣٠ وكانت وزارة توفيق نسيم قد شكلت منه ، ومن أحمد عبد الوهاب ، وأمين انيس باشا وكامل ابراهيم بك ، وعبد العزيز محمد بك ، وأحمد نجيب الهلالى بك ، وعبد المجيد عمر بك ، ومحمد توفيق عبد الله باشا ـ وهم فى الغالب موظفون مستقلون • وان كانت دار المندوب السامى قد رأت أن الوزارة ضعيفة ، لا تستطيع مواجهة الموقف الدولى المتوتر ، ولكنها عادت وقبلت تشكيل الوزارة ، بوضعها الراهن بعدما تأكد لها أن معظم أعضاء الوزارة يميلون الى الوفد المصرى ولبعضهم مواقف يذكرها الوفد لهم جيدا •

***

ومنذ اليوم الأول لتشكيل وزارة توفيق نسيم باشا ، وهى موضع رضاء الوفد بالرغم من أن بعض القواعد الوفدية كانت تتململ من هذا التأييد ، لان وزارة نسيم باشا تراخت فى تنفيذ ما وعدت به ، ولانها ـ وهذا هو المهم ـ قبلت بعض المطالب البريطانية التى رفضتها ـ من قبل ـ وزارة يحيى باشا •

وسرعان ما بدأت الصحافة الوطنية تضيق ذرعا بتوفيق نسيم باشا وضعف وزارته •

ولكن الوفد المصرى ظل يقول على لسان رئيسه مصطفى النحاس عن وزارة نسيم باشا « اننا مبسوطون ودائما مبسوطون من هذه الوزارة » • وحتى عندما طالبت بريطانيا بتعيين خبير أجنبى لم يغير الوفد خطته من الوزارة بالرغم من أن نسيم باشا كتب فى وثيقة رسمية أن تعيين الخبير الفنى الأجنبى لا يمس السيادة المصرية •

***

وأذكر ان الاستاذ عباس محمود العقاد كتب فى افتتاحية جريدة روزاليوسف اليومية بتاريخ أول أكتوبر ١٩٣٥ تحت عنوان : نسيم باشا والنحاس باشا كيف تفاهما فى مسألة الخبير الفنى ؟ « نسيم باشا رجل طيب ولا يفهم معنى حق الاتصال • قال العقاد : اذا كان تعيين الخبير الفنى كارثة لا شك فى وخامتها فموقف النحاس باشا كارثة أكبر منها وأولى بالأسف والملام ، فهو خطأ ـ أولا ـ من وجهة اللياقة لأن اعلان الانبساط ـ من نسيم باشا ووزارته ـ قبل اجتماع الوفد للنظر فى الموضوع يزرى أشد الزراية بأعضائه ويمثلهم للأمة وللانجليز فى صورة المسخرين المنقادين بغير ارادة ولا تفكير والا فما كان يجرى لو أن

الأعضاء قرروا في اجتماعهم انهم غير مبسوطين كما قال رئيسهم على باب الوزارة ٠

« وهو خطأ ـ ثانيا ـ من الوجهة الوطنية لأن النحاس باشا لو انتظر قليلا وتمهل أياما لرجع الانجليز عن حق الاتصال ـ اتصال الخبير الأجنبي ـ كما رجعوا عن مثل هذا الطلب في عهد وزارة ضعيفة لا يؤيدها الرأى العام لان الصحافة ثارت يومئذ على تعيين مستر سمسون مستشارا لوزارة المعارف ، مزودا بحق الاتصال كما طلب الانجليز في عهد الوزارة العبدية « وزارة عبد الفتاح يحيى باشا » ٠٠

« وموقف النحاس باشا خطأ ـ ثالثا ـ من الوجهة السياسية والوطنية معا ، لانه اقنع الانجليز باننا مستعدون لقبول كل شيء من أجل بقاء الوزارة النسيمية » ٠

ويقول العقاد :

« وأسرع النحاس باشا الى مخاطبتي بالتليفون يسألني : فيم تكتب اليوم يا فلان ؟ قلت في مسألة الخبير طبعا ٠٠ قال : أو بعد زيارتي لنسيم باشا ، وتصريحي بما صرحت ؟ قلت : وما المانع ؟ قال : ماذا يفهم الانجليز اذن ؟ يقولون انني عاجز عن قيادة الرأى العام ، قلت : لا يفهمون ذلك ولكنهم يفهمون ان الرأى العام جاد في قضيته الكبرى ، وانه اذا سكت في حين من الأحيان لا يسكت الا وهو متذمر على مضض ، وان هذا التذمر يوشك ان ينفجر اذا طال اغفاله وطالت مطالبته بالسكوت وقد كان سعد باشا ـ كما تعلم يا دولة الباشا ـ يقول للانجليز : اذا أنا قبلت هذا لم تقبله الأمة وهو في ذلك صادق لا يقدح في قدرته احد من المصريين ولا الانجليز ٠ قال : ولكن الرجل ـ يعني نسيما ـ حسن النية فيما صنع فلا داعي للاثقال عليه أؤكد لك يا استاذ انه طيب لم يكن يعرف ان حق الاتصال بالانجليز يؤدى الى هذا الخطر ، وقد شرحت له تفسيرة وقلت له : اسألني يا باشا فقد عركنا المفاوضات من عهد ملنر وعرفنا ما يضمره الغد من وراء هذه الألفاظ » ٠

***

ويقول العقاد ـ بعد أن فكر طويلا ـ لو كنت حسن الظن بالسياسة النسيمية قبل أن أسمع هذا الكلام ، لغيرت رأيي وأسأت بها الظنون ٠

ويقول العقاد أيضا انه قال للنحاس باشا : احتج يا باشا لتحفظ حقك وحقنا في الاحتجاج على أمثال هذه الأعمال من وزارة تأتي بعد هذه الوزارة والا اتهمنا الناس بقلة الانصاف ولم يؤمنوا بالاخلاص في نقد الأعمال ٠

وقال النحاس باشا ـ تعقيبا على ذلك مخاطبا العقاد : يا سلام يا فلان ٠٠ انت دايما كده ، انت دايما كده ، انها غلطة فاتت ولا يمكن ان يعيدها ، رجائى على كل حال ، آلا يظهر شيء بقلمك فى هذا الموضوع ٠٠ » ٠

وانتهى الحديث ٠٠

***

والجدير بالذكر ان العقاد ، وقد كان فى مقدمة أعمدة الوفد المصرى قد أختلف مع النحاس باشا رئيس الوفد ، ومع مكرم عبيد باشا ، سكرتيره العام حول موقف الوفد من وزارة نسيم باشا ٠ وقد أحدث هذا الخلاف انشقاقا كبيرا فى الوفد ، وكانت جريدة « روز اليوسف »اليومية تفرد كل يوم صفحة كاملة تحت عنوان « صوت الرأى العام » ٠٠ تنشر فيها تأييد الجماهير الوفدية ، وغير الوفدية ، للأستاذ عباس محمود العقاد ، وكان من بين الذين يؤيدون العقاد ، لجان وفدية بكاملها ٠ وكان من بين المؤيدين شعراء كثيرون أذكر من بينهم : الشاعر أحمد مخيمر الذى نشر قصيدة قال فيها :

***

أرى طرق السياسة قد تلوت
وألمح فى نواحيها اضطرابا
وها هى ذى المخاوف قد تراءت
ولم نحسب لمقدمها حسابا
ولم نعدد لها سيفا حساما
ولم نجمع لها جيشا عجابا
وكم من أمة ضحكت علينا
وتسألنا وما ندرى الجوابا
أهاب الشعب لكن ليس فيه
زعيم يرشد الشعب الصوابا
لقد خانوه حتى ضللوه
ولم يصغوا له لما أهابا
وكم أمنيةقد خدروه
بها لكنها كانت سرابا
« فيا عباس » افعمه حماسا
كوقد النار يلتهب التهابا

***

وجرد ذلك القلم المرجى
يذلل هذه النوب الصعابا
ويفضح خائن الوطن المفدى
ومن ساموه بالأمس العذابا
ويفتح بعد للدستور بابا
ويغلق بعد للاعداء بابا
ألست أجلهم نفسا وعلما
وأفصحهم ـ اذا نطقوا ـ خطابا

★★★

ومن بين الكلمات التي بعث بها مأمون الشناوى ، الى العقاد العظيم :
سر في طريق الحق واكشف لنا
عن نية الأوغاد المجرمين
وحطم الاصنام في أمة
بمذهب الاصنام ليست تدين
الذائدين الشعب عن حقه
والمخلصين اليوم ، للمعتدين
الحق قد دوى بأذانهم
بصيحة منك فزاغت عيون
وأصدروا ما أصدروا ويحهم
هل يحفل النسر لذاك الطنين
ضجوا كما شاءوا فلم تستكن
وكيف عن حق لنا تستكين
يراعك الجبار هاد لنا
مداده الحق ، ونور اليقين

★★★

ومن شعر عبد المغنى سعيد ، وقد وجهه الى الشباب :
افيقوا شباب الوفد ان زعيمكم
يلين لمحتل الحمى ويجانبه
وينقاد وسنا لرغبة مكرم
وتلهو به اطماعه ورغائبه
افيقوا شباب الوفد أين حماسكم
هلموا الى النحاس قدما نحاربه

كذا مصر شاءت فتلبوا نداءها
هلموا شباب الوفد ناداه واجبه
اذا أشهر المحتل فينا سيوفه
وجارت علينا جنده وكتائبه
نهضنا جميعا لا نخاف حرابه
وسرنا الى الموت الذريع نداعبه
فأما حياة فى جحيم وذلة
واما كفاح لم تخفنا عواقبه

★★★

هذا وقد وجه العقاد كلمة شكر واجب الى الأمة الساهرة بدأها بقوله :

« ما دام فى الأمة من يسمع الحق ففيها من يقوله وما دامت فيها كلمة الحق ، ففيها الحرية ، وفيها الاستقلال بمعناه وان احتجبت الى حين ، مراسمه ومزاياه ، ليس أصعب من الاستقلال على أمة يصعب فيها استقلال الأفراد وقد لعن الله قوما ضاع الحق بينهم واللعنة قرينة الذل والاستعباد ٠

« وليس أوجب من صيحة الحق فى زمن تشابه فيه ما يزيفه الاستعمار وما يزخرفه دعاة الوطنية الاطهار وأصبح من أيسر الأمور فيه على الجاسوس المأجور أن يغنم من نفحات الاعداء الأقوياء ، ويغنم من رضوان الزعماء الضعفاء ويخدم الغاصبين والمغصوبين فيما يزعم من وراء حجاب الرياء ، ويكاد يستغنى عن الرياء » ٠

الى أن يقول العقاد :

«اننا كنا أحرياء أن نستفيد من قبضة الأقوياء أضعاف أضعاف ما يستفيده مهازيل الاجراء ، وكنا احرياء أن نبوء بالغبطة والرضوان من الاقطاب الاجلاء ، وكنا احرياء أن نمضى مع الماضين ونلغوا مع اللاغين ونأمن مع الآمنين ، فماذا علينا لو أرضينا هؤلاء جميعا ، وخرجنا كاسبين غير ملومين بل مشكورين مأجورين ٠٠ ناجينا أنفسنا ٠٠ أو تأبى علينا الأمة الا أن نكون كذلك أو نكون من المنبوذين عندها الى يوم الدين ؟ اذن لنكن من المنبوذين عندها الى يوم الدين، فذلك خير من حقارة فى أعيننا نحن وشرف مدخول فى أعين الآخرين المخدوعين ، الغافلين ! جازفنا بالسمعة والغنيمة وكان فى وسعنا أن نربح السمعة والغنيمة فى كفة واحدة ولا مجازفة ولا عناء ولكن الأمة لم تنبذنا ولم تستمع الى أباطيل الهازلين من حولنا ، بل علمت اننا واثقون صامدون حيث كنا وان الهازلين المبطلين هم المتغيرون وانهم هم القائلون اليوم ما كان يقوله خصومنا وخصومهم الأقدمون منذ حين ، فاصغت الينا وأقبلت ثم أقبلت علينا ، وثبتت دعائم اليقين من نفوسنا ، وعلمتنا حين بادرت بتأييدنا اننا مسبوقون ولسنا سابقين ٠

ثم انهى الاستاذ العقاد كلمته بقوله :

« لئن كان مع الشــكر عتب هو أقرب الى عرفان الجميل من الشــكر . فلذلك عتبنا على الأمة اذ أخلفت ظننا فيما أقدمنا عليه وان كان اخلافا أحب من تحقيق الظنون .. لقد كنا نحسب اننا مقدمون على هول فاذا نحن مقدمون على أمان .. وكنا نحسب اننا نصرع الجبابرة فاذا نحن قد صرعنا أصـــناما من الخزف ، لا تقوى على لمس اليدين . وكنا نكبر ماهجمنا عليه فقد صغر ما هجمنا عليه وما نحسبنا بآسفين ، ووفاء للأمة الساهرة على ما حققت من ظننا ، وأخلفت من ظننا .. انا لها لشاكرون وانا على العهد لثابرون وموعدنا الغد ، باستئناف ما بدأناه من حساب لمن لا يحسبون حساب الوطن والناس ، والغد قريب ، وقريب مثله النصر المبين .. » .

وكان عباس محمود العقاد قد بلغت به القســوة على الوفـــد ورئيســه وسكرتيره الى الدرجة التى كتب فيها مقالا عنيفا يقول فيه : « النهضة الوطنية قد تطورت الى وفد ، والوفد قد تطور الى زعامة ، والزعامة قد تطورت الى زعيم ، والزعيم هو مصطفى النحاس . ومصطفى النحاس هو مكرم عبيد .. هذه خلاصة النضال فى طلب الحرية ستين سنة » .

***

ونحن وان كنا لا نوافق العقاد على ما يقوله كله الا اننا ننقل هنا ما جاء به قلمه باعتبار معركة الوفد ضد العقاد ، ومعركة العقاد ضد الوفد من أعنف المعارك السياسية التى لا يمكن أبدا لمؤرخ منصف محايد أن يغفلها ، وهو يكتب عن تلك المرحلة الوطنية الغنية بالمعارك السياسية .

يقول العقاد :

« لقد أصبحت قوة النحاس باشا المستعارة من الأمة لازمة للانجليز فى اخضاع المصريين ، وما رأيناها لازمة للمصريين فى بلوغ شىء من الانجليز . لقد أصبحت طغيانا علينا واستسلاما لغيرنا ، وما لهذا نحتاج الأمم الى الزعامات ، ولا نحن محتاجون الى من يعلمنا كيف يكون انتظار الرحمة من الانجليز وبعد فما هى زعامة النحاس باشا ، ومن ورائها الدساس الكامن للأمة بمكيدة الخراب ؟ انها زعامة خلقتها الأمة ، ولم تخلق نفسها . انها زعامة تخلقها الأمة كلما شاءت أن تعيد خلقها وما أفلست مصر حتى يكون خير من فيهـــا مصطفى النحـــاس بلا عوض ، ولا شبيه ولا نظير . ولئن أفلست لقد جلت مصيبتها عن العزاء وبطلت حاجتها الى الزعماء .. » .

***

« فقرات من مقالة العقاد نشرتها روز اليوسف فى ٢ أكتوبر ١٩٣٥ » ٠

واتبعها العقاد فى اليوم التالى بمقالة أخرى ، أعنف وأقسى تحت عنوان « ما هى الخرافة التى يسمونها « صلابة مصطفى النحاس » قبل قيام الوزارة النسيمية » ٠٠ قال العقاد :

« فى بداية مقالة اليوم ٣ أكتوبر ما انهى به مقالة ٢ أكتوبر : انه ما وقف موقف الصلابة قط الا عن اضطرار لا فضل له فيه وما اتسع له باب الاستسلام مرة الا ذهب فيه الى أبعد مراميه ٠ وقد أتيح له الاستسلام اليوم ، والوقوف بين الصفين فاذا هو أضعف المستسلمين واذا هو أعدى للرأى الصريح ، وللصلابة فى الحق من كل عدو عرفناه » ٠

وفى مقال العقاد تفصيل لمواقف النحاس باشا من معاهدة ثروت ـ تشمبرلن ، ومعاهدة محمد محمود ـ هندرسون ٠ واستقالته من الوزارة عام ١٩٣٠ ومعارضته للوزارة الصدقية وفصل ثمانية أعضاء من حزب الوفد لانهم أيدوا فكرة الوزارة القومية ، بينما عارضها الوفد ٠ وكذلك موقف النحاس من أزمة قانون الاجتماعات ، وكذلك موقفه من تأييد وزارة نسيم ٠ وحول الموقف الأخير كتب العقاد يقول :

« والوزارة النسيمية هى أول وزارة استطاع النحاس باشا ان يؤيدها دون ان ينتحر انتحارا أو يفقد الزعامة وكل شيء كما كان يفقدها ، ولا ريب اذا أقدم على تأييد وزارة كالوزارة الصدقية أو الوزارة العبيدية (عبد الفتاح يحيى باشا) استطاع أن يؤيد الوزارة النسيمية لأنها وزارة صديقة ، فيما ينادى به كل يوم ، استطاع ان يؤيد الوزارة القائمة مرة فهل وقف عند حد فى الخضوع والاستسلام ، فى تلك المرة الواحدة التى فتح له فيها باب لخضوع والاستسلام ، كلا ، انه لن يستطيع أن يستسلم أكثر مما استسلم بل أقولها ولا أخشى اعتراضا اننى لا أعرف أحدا من ضعاف المستوزرين تيسر له أن يذهب فى الاستسلام الى أبعد من هاتيك الحدود » ٠

***

ويقول العقاد فى نهاية مقاله :

« ذاك هو الرجل الذى ينعت العقاد ، بانه مغرور لئيم أو خائن أثيم !

ذاك هو مصطفى النحاس ، وتلك صلابة مصطفى النحاس ، استسلام ذاهب الى أقصى حدود الاستسلام حين يختار وصلابة زائفة لا فضل له فيها حين يقهره الاضطرار ، ومع هذا الاستسلام ، كله لم نظفر من الانجليز بدستور ولا وعد بدستور ، ولا مفاوضة ، ولا تمهيد لمفاوضة ولا عناية ولا أمل فى العناية ، ولم

ننجح في بلوغ شيء منهم الا الاحتقار والامعان في الاحتقار . اليوم نحمل على الانجليز فيغضب مصطفى النحاس ، ونحمل على مصطفى النحــاس ، فيغضب الانجليز .. اليوم هو حرس وزارات يمشي بين يدي الوزارة النسيمية ليمنع عنها ضجة الأصوات وهو حرس انجليزي ، يتكفل باسكات من لم يسكته الانجليز في زمن من الأزمان . اليوم ، هو طغيان علينا واستسلام لغيرنا ، فهل عجب ان يكون واجب الأمة الأول هو هدم هذه الصلابة المزعومة أو هــذه الخــرافة الموهومة ، لانها تستحق الهدم ، قبل ان تهدم هي البلاد ، ان الاستعباد الدائم خطب أيسر على مصر ، من أن يقال انها خلت من زعيم كمصطفى النحاس لأن الأمة التي يكون خير من فيها كمن رأينا قد جل مصابها عن العزاء ، وبطلت حاجتها – كما قلنا أمس – الى الزعامة والزعماء . ولكنها الأمة لن تخلو من رجال يتورعون عن مثل ذلك الاستسلام ويترفعون عن صلابة كما عهدنا من صلابـة الاضطرار ، وعليها – بداية – أن تخلص من هذه الآفة لانها فاتحة الخلاص » .

★★★

وفي عدد ٤ أكتوبر ١٩٣٥ ، كتب العقاد مقــالا تحت عنوان : مصطفى النحاس ، المتطرف ضعيف فكيف بمصطفى النحاس ، المعتدل اليائس ؟

وفي عدد ٦ أكتوبر ١٩٣٥ كتب عن مكرم عبيد : « دساس مطبوع ، يختلق الدسيسة لمصلحته ، لا لوطن ، ولا لطائفة . يهدم القضية المصرية على رأس الأمة ويستبقي الحالة الحاضرة جهد ما عنده من جهاد ولا يريد ان تتغير الا اذا ضمن من بعدها الوزارة ومن بعده الطوفان وخـلاصة سياسـة اليوم – ويا لقسوة العقاد ! – ان يكشف من قضايا المخدرات ، ويتولى تحذير الأمة ، وذلك هو الجهاد الكبير : مكرم من واجب المصريين ان يحذروه ، لانه أخطر عليهم من السطوة الأجنبية ، اذ هم اتبعوه وما نحسبه من السطوة الأجنبية الا قرينا من قرين » .

★★★

وفي عدد ٧ أكتوبر : كتب أيضا عباس العقاد مقالا من أعنف مقــالاته بعنوان : « لسنا عبيدا ، يا عبيد : حقيقة المرتجل ، وما ارتجل : بروجــرام البــوليس السرى ومكرم عبيـد يتفقان ، ثنـاء العقاد ، وثنـاء المورننج بوست لا يجتمعان ، الرئيس الجليل يدفع سبعمائة جنيه مهرا وشبكة من أموال الأمة : ١٧٠٠٠ ينفقها مكرم عبيد بغير حساب:أكاذيب ، تدمغها بينات ، خاتمة الدساس الدجال » .

في تلك المقالة الشهيرة أطلق العقاد ، على مكرم عبيد : المجاهد الكبير ، أو المخدر الكبير .

ويخاطب العقاد النحاس ، ومكرم ، ومن معهما بقوله :

« شتان بين وفد شعاره الاخلاص لمصر ، ووفد شعاره الاخلاص للانجليز : ذلك وفد يدعو المصريين الى عقاب المخالفين فيجيبون ، وهذا وفد يدعو الى عقاب المخالفين فلا يجيبه الا الغاصبون وهم راضون ، مستبشرون : أشعرتم بالأرض يا هؤلاء تتصدع تحت أقدامكم ، أسمعتم بالصيحة يا هؤلاء ترتفع فوق رءوسكم ، أرايتم يا هؤلاء الضمائر والقلوب تنفض من حولكم ، اعلمتم يا هؤلاء ، ان عقاب المخلصين لمصر ، لن يكون بايدى المخلصين للاستعمار ، فى أشنع أيام الاستعمار : ان لم تشعروا فستشعرون وان لم تسمعوا ، فستسمعــــون ، وما يعنينا ان تشعروا ، أو تسمعوا فأنتم بعد اليوم ، أضعف الشاعرين وأسخف السامعين » .

يلوم العقاد الوفد لأن مرجعه اليوم ، تقريرات البوليس السياسى بعد أن كانت تلك التقريرات مرجعا لاتهام المخلصين ، وترويج أكاذيب المغرضين !

وكان مكرم عبيد ، قد كتب مقالا عن العقاد ، قال فيه ان العقاد كان يجادل سعدا ويناقشة وحول تلك النقطة كتب العقاد :

★★★

« اما اننى كنت أناقش سعدا فهذا صحيح ، لا ريب فيه ، ولكننى كنت اناقشه فى خطبة العرش ، وفى قانون الجيش وفى السياسة العادة ، ولا أناقشه لأقول له كما افترى هذا المأفون ال ... : اننى خلقت الوفد بسن قلمى ، لم يكن كل ما يجيب به سعد على هذا السخف المزعوم ، بعد خروجى : داروا سفاءكم كأنما كان سعد جبانا ذليلا لمكرم عبيد ، أو لمصطفى النحاس وكأنما كان سعد الذى يفترى على هذا المختلق رجلا آخر . غير سعد ، الذى كان ينعت العقــاد بالجبار ويفاخر به أمام الأعداء والأنصار » .

وحول ما قاله مكرم عبيد عن العقاد من انه ينحى على الوفد بعد ان نصره طوال تلك السنين : فانى عجبت فى انحائى عليه اذا كانت المورننج بوســت تثنى عليه فى هذا الزمان المقلوب وأى تناقض فى موقفى منه وهذه شهادة الانجليز له بالاخلاص ، والتعضيد فى عهد لم يبخسنا الانجليز قط كما بخسونا فيه . وأى اختلاف بين ما كنت أقوله أمس ، وما أنا قائله اليوم .. الى أن يقول : « فاذا كان هناك تحول فالوفد ، هو المتحول ، واذا كانت هناك خيانة ، فالوفد هو الخائن ، واذا كان الوفــد يخون القضــية فلعنة الله ، ولعنة الوطن على من يبقى له على مودة أو وفاء ، واذا كنت لا أثنى عليه اليوم فما من حرج على كاتب مصرى ألا يتفق ثناؤه وثناء المورننج بوست أعدى عدو للشـــعوب الضعيفة وللمصريين قبل سائر الشعوب وما من دليل على الاخلاص لمصر ، أوفى من موقفى هذا مع الوفد فى زمن ظفر فيه الوفد بوثيقة الاخلاص للمستعمرين ، فان كنت

خائنا ، فنعمت الخيانة وان كانت الأمانة أن أثنى على الشيء ونقيضه.فليتفرد بفضيلة الأمانة كلها الدساس الدجال وليكن فيها بلا شريك ، ولا نظير ٠٠ » ٠

★★★

وكان من بين ما كتبه الأستاذ مكرم عبيد عن الأستاذ العقاد :

« بدأ العقاد ، حياته العامة ، وحياته الصحفية ، بمراقبة الصحف المصرية تحت اشراف السلطة العسكرية البريطانية أثناء الحرب العظمى » ٠

ويرد العقاد على ذلك بقوله :

« كانت الحرب العظمى ولم يكن للصحفى عمل ، ولا رجاء ، فى العمل القريب ، وكنت أعرف الاستاذ عثمان فهمى بك ، العالم الأديب ، الذى كان يومئذ من كبار الموظفين بوزارة الداخلية ثم أصبح مديرا لأسوان فمديرا لقنا ، ثم أحيل الى المعاش فخاطب الأستاذ صاحب السعادة جعفر والى باشا ، فى شأنى ، وكان يومئذ وكيلا للوزارة فصدر الأمر بتعيينى فى قلم المطبوعات وأنا على أحوج ما يكون الانسان وهو يطلب الرزق ، ويطلب الشفاء ٠٠ أبيت ان أعمل فى قلم المطبوعات الا كما يعمل المصرى فى خدمة الأمة المصرية فلم ينقض على خدمتى فترة أسبوع فقط ، حتى دعانى مستر هورنبلور وقال لى : ان لم يكن عطفك معنا فلماذا تعمل فى هذه الوظيفة ؟ قلت : اننى لا أفهم ما تعنى : قال انك لا تتوخى الدقة ، فى مراجعة الصحف ٠٠ وارانى اخبارا تركتها فى بعض الصحف وكان من حقها ألا تترك محافظة على « أمن الخواطر » ٠ قلت : اننى لا أجد فى هذه الاخبار ما يمتنع نشره بين المصريين واننى أقرأ فى الصحف الانجليزية نفسها ، ما هو أهم من هذه الاخبار فلماذا ينبغى ان يجهل المصريون ما يعلم الانجليز المحاربون ! فنظر الى طويلا ثم قال : هل أنت من الحزب الوطنى ؟ قلت لا ، ولكننى من المصريين قال حسبنا : نحن لا نتفق ٠ وأشار الى بالتحية وأنا أعلم اننى خارج من الوظيفة وفارقت العمل بعد أسبوع واحد ، وأنا لا أعرف متى تنتهى الحرب ولا أعلم اننى اعتز بعملى الذى يكفينى بعض الكفاية فى شئون المعاش وشئون العلاج ولو كنت ٠٠ مأجورا كالاستاذ مكرم عبيد ، أو كصديقه الأستاذ الفاضل توفيق دياب ، لاستطعت أن أبقى سبع سنوات فى تلك الوظيفة لا سبعة أيام وان أخدم قلم « المخابرات » مع الخادمين وان أبشر للاستعمار بين المصريين والشرقيين ! » ٠

وكان مكرم عبيد قد ذكر فى مقاله بالجهاد أنه جزى مصطفى النحاس بالكنوز والعقوق ، لانه كان يحسن اليه من فضل ماله الغزير ٠

★★★

ويقول العقاد :

« فليسمعها اذن كلمة صدق لا تنفيها الأقاويل ولا تخفيها الأباطيل : انني ما تناولت قط من الوفد مرتبا وانني في غنى عنه وانني ما تناولت مرتبا قط وأنا أجد الكفاية من عملي ، في النيابة أو في صحيفة من الصحف كروز اليوسف ، أو الجهاد ، أو كوكب الشرق ، أو مصر ، أو المؤيد الجديد · وانني كنت أتناول مرتبا من الوفد يوم كانت الوزارات التي أهاجمها تغلق كل صحيفة أكتب فيها ، وتعرض على مئات الجنيهات ولا تطلب مني عملا ، ولا قولا غير السكوت ! واني كنت أستطيع أن أسكت لأن الصحف تقفل على الكره مني ولا حيلة لي في خلق الصحافة ، التي أكتب فيها ولكنني كنت أؤلف الرسائل ، كرسالة الحكم المطلق ، ورسالة اليد القوية ، وأطبعها على الرغم من رقابة المطابع ، تحديا لما يريدونني عليه من سكوت مأجور » ·

***

ويسأل العقاد مكرم عبيد :

« فاذا كان هذا عارا يا ··· فقل لي اخزاك الله : فيم كان الوفد يجمع الألوف من الجنيهات بل مئات الألوف من الجنيهات باسم القضية الوطنية ، واسم الأعمال السياسية ، واسم الجهاد والمثابرة على الجهاد : فيم كان الوفد يجمع انتبرعات تارة باسم المكتب المصري في لندن وتارة باسم تخليد الزعيم ، الفقيد ، وتارات باسم المنكوبين أو جزية مفروضة على الشيوخ والنـــواب والمرشحين للمشيخة والنيابة ؟ · فيم كان الوفد يجمع نحو ثلاثين ألف جنيه صفقة واحدة من مكافآت الشيوخ الموقوفة أثناء تعطيل المجلس ولم يدخل منها مليم واحد في جيب شيخ واحد ؟ أتراه كان يجمعها يا ··· لتنفق أنت منها سبعة عشر ألف جنيه في لندن لا تقدم عليها حتى الساعة أقســل حساب ؟ أتراه كان يجمعهـــا يا ··· لتقبض أنت أجر الدعاية وقد كان خليقا بك ــ وأنت ذو يسار ــ ان تتبرع · أتراه كان يجمعها يا ·· لتقبض منها أنت عشرة آلاف جنيه لم تنزل عنها الا الى ثمانية آلاف كما طلبت يوم احتاج سعد ، في باريس ، الى سكرتير يعرف الانجليزية أتراه كان يجمعها يا ·· لينعم النحاس باشا وحــده بمرتب يتقاضاه بغير انقطاع من سنة ١٩٢٠ الى أن تولى رئاسة الوفد فأصبح المال كله بين يديه ، ينفق منه على هدايا الغـــرام ، ومهـــور الزواج وعرابين الوســطاء والشفعاء ؟ من أين جاء النحاس باشا بالسبعمائة جنيه التي بذلها بين مهر وشبكة وهدية لخطيبته الأولى قبل أن يحـــال بينه وبين الزواج منهـــا لأسباب لا يعنينا بحثها في هذا المقام أي والله على هدايا الغرام ومهور الزواج وعرابين الوسطاء والشفعاء ، ويعيرون العقاد بثلاثين جنيها يأخذها حين تحاربه القوة في رزقه ويرفضها حين يجد الكفاية من عمل صحفي يؤديه ··

وعذرا لأننى حذفت كلمة كان العقاد يخاطب بها مكرم فى مقاله هذا ٠

وعذرا آخر لأننى لم أمض فى تكملة الجملة المتداولة بين مكرم والعقاد ، فما أردت الا اعطاء صورة « للخلافات » السياسية « أيام زمان » ٠

ويظهر أنها كخلافات « اليوم » وكل يوم ٠

ولننتقل الى الحديث عن أكبر حدث سياسى ، عرفته مصر فى الثلاثينات : « الجبهة الوطنيـة وتشكيلاتها » وكذلك أخطر حدث مر بنا فى العشرينـات والثلاثينات وهو توقيع معاهدة ٢٦ أغسطس ١٩٣٦ ٠

الفصل الثانى

وبدأت معركة التمهيد للمفاوضات المصرية البريطانية

● رأس على ماهر حكومة انتقالية بعد سقوط وزارة نسيم لكى يمهد لوزارة ائتلافية تفاوض الانجليز عام ١٩٣٦ .. جاء ليخلف نسيم باشا عندما أبدت انجلترا استعدادها للتفاوض مع جبهة وطنية متحدة .

● كانت وزارة على ماهر باشا ـ وزارة المائة يوم ـ من أخطر الوزارات المصرية ، التى تسلمت السلطة فى أخطر فترة مرت بمصر فى سنوات ما قبل الثورة ، ولذلك فان الافاضة فى شرح الظروف ، التى جاءت بالوزارة الى دست الحكم ، من الأمور المستحبة بل والضرورية .

★★★

فى كتابه : فى أعقاب الثورة المصرية ثورة ١٩١٩ ، يقول الأستاذ عبد الرحمن الرافعى يصف الأيام الأخيرة لوزارة نسيم باشا والأيام الأولى لوزارة على ماهر باشا : شرعت وزارة نسيم باشا ، فى اعداد العدة ، لاجراء الانتخابات العامة ، طبقا لقانون الانتخاب المباشر الصادر سنة ١٩٢٤ واصدرت فى ١٩ ديسمبر ١٩٣٥ قانونا للانتخاب ، وكان المنتظر أن تمضى وزارة نسيم فى اجراء عملية الانتخابات ، حتى نهايتها ولكن الأحرار الدستوريين والاتحاديين والشعبيين وبعض المستقلين انتهزوا فرصة دعوة انجلترا للحكومة المصرية للمفاوضة فى عقد المعاهدة فسعوا فى تنحية وزارة نسيم باشا بحجة انها لا يؤمن حيادها ، فى الانتخابات ومن عجب ـ كما يقول أستاذنا الرافعى ـ أن تجىء الشكوى من عدم حياد هذه الوزارة فى الانتخابات من فئة كانت تسخر قوات الحكومة للتدخل فى الانتخابات والضغط على الناخبين وتزييف ارادتهم لانجاح مرشحيها ولكنهم وجدوا الفرصة سانحة لاسقاط الوزارة القائمة لعلهم يصلون الى قيام وزارة يدخلها بعضهم أو تناصرهم فى الانتخابات المقبلة وازاء

اصرار أغلبية المؤتلفين على تنحية وزارة نسيم قدم هذا استقالته فى ٢٢ يناير ، ١٩٣٦ ، وقبلها الملك فى ٣٠ منه ، رغب الملك فؤاد فى ان تعقب وزارة نسيم باشا ، وزارة ائتلافية وذلك على خلاف اتجاهه بعد استقالة الوزارة الدستورية سنة ١٩٣٠ فقد أقام فى اعقابها وزارة حزبية بكل معانى الكلمة وكان أساس تأليفها هدم الدستور والبرلمان ، وكذلك فعل من قبل فى سنة ١٩٢٨ ففكرة الوزارة الائتلافية كانت تبدو كلما اضطرت الظروف السراى فى ذلك العهد ، الى اعادة الحيـــاة الدستورية لكى تجعل من الوزارة الائتلافية تكئـة فى فض الائتلاف واعادة الحكم المطلق من جديد ولم يرض الوفد ، بهذه الفكرة استمساكا بالميثاق الوطنى الذى اتفق عليه مع حزب الأحرار الدستوريين والمستقلين ، فى مارس سنة ١٩٣١ وفى الحق انه لا خير فى ائتلاف لا يقوم على أساس من خلوص النية بل يحمل فى ثناياه نية فضه والانقضاض عليه وعلى الدستور ..

***

ولما فشلت المساعى لتأليف وزارة ائتلافية ، عهد الملك فؤاد ، الى على ماهر باشا ــ وكان رئيسا للديوان الملكى ــ مهمة تأليف الوزارة وهى وزارة محايدة لا تمت الى الأحزاب بصلة ، وليس من أعضائها ، من يتصل بالأحزاب السياسية لأن محمد على علوبة باشا كان قد استقال من حزب الأحرار الدستوريين قبل تأليفها ، وكانت مهمتها اجراء انتخابات حرة ، لا تتدخل فيها الحكومة ؟!

***

ويقول د. يونان لبيب رزق ، فى كتابه تاريخ الوزارات المصرية ــ اشراف حسن يوسف : شهد عهد الوزارة النسيمية اضطراب الأحوال الدولية ، والغزو الايطـالى الحبشى وتأثيراته القوية على الرأى العـــام المصرى ، من جهـة ، وعلى السياسة الانجليزية من ناحية أخرى وما ترتب على ذلك من امكانية ان يقدم الطرفان تنازلات معينة ليلتقيا فى منتصف الطريق وفى اطار هذه التطورات تكونت فى مصر ، الجبهة المتحدة ، لتضم جميع الأحزاب على أساس ان جولة جديدة من المفاوضات مع الحكومة البريطانية قادمة وان هذه الجولة فى ظروف مختلفه ، وتقدمت الجبهه المتحدة فى ١٢ ديسمبر ١٩٣٥ بطلبات محددة ، الى دار المندوب السامى تطلب فيها العودة الى مشروع النحاس هندرسون عام ١٩٣٠ باعتباره أساسا للاتفاق بين الطرفين ولم تلبث الحكومة البريطانية أن ردت على طلب الجبهة فى ٢٠ يناير عام ١٩٣٦ تبدى فيه استعدادها للمفاوضة وكان هذا الرد ، ايذانا بتقديم استقالة وزارة توفيق نسيم ، بعد أن أدت مهمتها لاخلاء الطريق أمام الوزارة القوية التى يراد تأليفها لتتولى المفاوضة وتعقد المعاهدة ، وتقدمت الوزارة النسيمية باستقالتها بعد أن عبر الملك عن رغبته فى تأليف حكومة تمثل الأمة دون حاجة لانتظار نتيجـة الانتخابات وبالفعل دعا القصر

النحاس باشا ، لتشكيل وزارة ائتلافية الا أن الوفد رفض هذا المطلب وقد بنى رفضه على حجتين :

١ ــ ان الائتلاف يخالف مبادىء الوفد لأنه قد جربه قبل ذلك وفشل ٠

٢ ــ ان تمثيل الوحدة الوطنية سيتم فى اطار وفد ، المفاوضات لا فى داخل الحكومة وذلك بوعد من النحاس ، انه اذا أحرز الوفد ، الأغلبية البرلمانية وفاوض بريطانيا يكون فى وفد المفاوضة أعضاء من الجبهة المتحدة ٠

★★★

وقد جرت محاولات سعى فيها كل من الجانبين الى محاولة اقناع الجانب الآخر بوجهة نظره فعلى ماهر باشا رئيس الديوان الملكى انذاك يحاول اقناع الوفد ، بضرورة الحكومة الائتلافية على أساس ان أى اتفاق مع بريطانيا لا بد وأن ينال موافقة جميع الأحزاب ويرفض الوفد ، الفكرة ويصمم على موقفه ، ويؤدى ذلك بالقصر ، الى محاولة اعفاء النحاس من رئاسة الوزارة الائتلافية ، التى يرفضها ، على ان تكون برئاسة شخصية قوية من المحايدين ويشترك فيها الوفد ، ويرفض الوفد هذه الفكرة بدورها ، يدعو ذلك الملك الى التفكير لتأليف وزارة من كافة الأحزاب غير الوفدية ومن الشخصيات القيادية فى هذه الأحزاب ويوافق كل من صدقى ومحمد محمود ، رد الوفد على هذه المناورات بعملية استعراض للعضلات الشعبية فتفجرت المظاهرات من طلبة الجامعة والمدارس ٠

★★★

وانعقدت المؤتمرات الشعبية وقدمت العرائض للملك : وفقا لهذا التصاعد ، كان لا بد من الاتفاق الذى تم التوصل اليه فى ٣٠ يناير ١٩٣٦ ، بعد أكثر من أسبوع على تقديم نسيم باشا استقالته وقد تضمن هذا الاتفاق خمس نقاط هى : تكوين وزارة محايدة ، القيام فورا باجراء مفاوضات تستهدف عقد المعاهدة ، ان يتشكل وفد المفاوضين فى جانب منه من الوفد ، وفى جانب آخر من سائر الأحزاب على أن يكون برئاسة النحاس باشا ، أن تجرى الانتخابات لتشكيل برلمان جديد فى ٢ مايو ، ١٩٣٦ ، وأخيرا ان يتولى رئيس الديوان ــ على ماهر ــ رئاسة الوزارة الجديدة ٠ لما أبداه من حياد فى اتصالات خلال الأزمة الأخيرة ــ كل ذلك كما جاء فى مراسلات لامبسون المندوب السامى البريطانى فى مصر ، الى انتونى ايدن وزير ، الخارجية البريطانية الجديد ٠

ويلخص د٠ محمد حسنين هيكل ، الموقف كله ، فى ست صفحات من كتابه « مذكرات فى السياسة المصرية » : يقول مرة : انه بعد تعيين انتونى ايدن وزير عصبة الأمم خلفا لسير صمويل هور فى وزارة الخارجية فى ٢٢ ديسمبر

١٩٣٥ وبعد أسبوع من تعيينه ورد الى المندوب السامى البريطانى تبليغ برقى من مستر ايدن جاء فيه ان طلب الجبهة المصرية لتسوية العلاقات بين مصر وبريطانيا موضع عنايته الجدية ، ولكن ابداء الرأى فيه يحتاج الى بعض الوقت نظرا لحداثة عهده بتولى مهام وزارة الخارجية ولانشغال انجلترا بالأزمة الحبشية انشغالا ، لا يتيسر معه البحث حالا فى المسألة المصرية ، ويبدى أنتونى ايدن رأيه الشخصى فى الموضوع ـ قبل أن يعرضه على مجلس الوزراء البريطانى ـ فيقول ـ اننى أميل كل الميل ، الى عقد معاهدة تحقيق الصـداقة بين البلدين ، ويرجو الا تستمر القلاقل فى مصر بعد علمها بهذا الشعور من جانب انجلترا ٠٠ أطلع سير ما يلز لامبسون أعضاء الجبهة على هذه البرقية فرادى ولم يسمح بأن يعطيهم صورة منها ، فجعلوا يجتمعون يتحدثون فى مضمونها وقد ذكر اسماعيل صدقى باشا ، ومحمد محمود باشا فى مقابلتهما للمندوب السامى ، انهما لا يريان هذه الطريقة متفقة مع ما يرجى من تصفية الجو وتحسين العلاقات بين الدولتين فقد صرح سير صمويل هور فى مناسبتين علنيتين بما جرح شعور المصريين فاذا أريد ارضاء هذا الشعور لم يكن ببرقية تتلى على أعضاء الجبهة فرادى بل لابد من بيان صريح يقرر قبول انجلترا مشروع سنة ١٩٣٠ قاعدة للتسوية فمثل هذا البيان يعيـد الى النفوس فى مصر طمأنينتها ويزيل المخاوف التى نشـأت عن الأزمة الحبشية ، ولم يرد من انجلترا ما يطمئن المصريين ويزيل مخاوفهم بل لقد ألقى مستر ايدن فى يوم ١٨ يناير ١٩٣٦ خطابا فى بلدة لنجتون عن السياسة الخارجية لبريطانيا ولم يشر فيه بكلمة الى مصر فأثار هذا شعور المصريين مرة أخرى وقامت المظاهرات احتجاجا ، على ذلك الاغفال الذى اعتبر اهانة للشعور المصرى ، وللكرامة الوطنية ويقول د ٠ هيكل أن الرد البريطانى الذى أبلغ الى الملك والى نسيم باشا والنحاس باشا كان خاصا باستعداد الحكومة البريطانية للمفاوضة لعقد معاهدة فى الحال لكن هذه المعاهدة يجب أن تسبقها مناقشات مبدئية مع الحكومة المصرية فى المسائل العسكرية فاذا انتهت المناقشات الى نتيجة مرضية انتقلت المناقشات الى مسألة السودان فاذا انتهت الى نتيجة مرضية كذلك أجريت المفاوضات بين البلدين لعقد معاهدة ولم يتقيد الرد بأن يكون مشروع سنة ١٩٣٠ أساسا للمفاوضة ٠

★★★

وختم المندوب السامى البريطانى حديثه بعد أن عرض رد حكومته بأن فشل المفاوضات فى الوصول الى اتفاق ستكون له عواقب خطيرة فقد يتعين على الحكومة البريطانية فى هذه الحالة ان تعيد النظر فى سياستها فى مصر ثم أردف قائلا : ليس هذا تهديدا بل هو بسط للحقائق فان فشل المفاوضات سيجعلنا فى مصر ، أمام حالة جديدة تماما » وينصح المندوب السامى البريطانى ببقاء الأحزاب متحدة لأن الحكومة البريطانية ترغب فى ان تجرى المفاوضات مع ممثلى الشعب

المصرى بأسره » وعندما رفض الوفد فكرة الوزارة القومية كلف الملك نسيم باشا ، بالبقاء فى الحكم حتى تتألف الوزارة الجديدة وبدأ رئيس الديوان الملكى على ماهر باشا يتصل بأعضاء الجبهة وبغير أعضاء الجبهة من رجال مصر ، وقد انتهت اتصالاته بأن تؤلف وزارة محايدة لاجراء الانتخابات وأن تؤلف فى الوقت نفسه هيئة رسمية لاجراء المحادثات ، والمفاوضات فى القاهرة مع ممثل الحكومة البريطانية وهو مندوبها السامى فى مصر ، وقد أبدى أعضاء الجبهة جميعا اطمئنانهم الى أن يؤلف على ماهر باشا نفسه هـذه الوزارة وألف على ماهر وزارته ، وبدأ التمهيد لصفحة جديدة فى تاريخ مصر الحديث !!

★★★

وألقى مصطفى النحاس باشا خطابا فى الجماهير ، التى احتشدت لتحيته وتهنئته وأعلن فى هذا الخطاب أن وزارة على ماهر باشا ستباشر عملها من الغد « ٣١ يناير » بتأليف الوفد الرسمى ، وتفويضه تفويضـا مطلقا فى ادارة المفاوضات للوصول الى معاهدة مع الحكومة البريطانية وتوقيع المعاهدة باذن الله وسيكون الوفد الرسمى برياسة من اخترتموه « تصفيق وهتاف عال » .

وكان من بين ما قاله مكرم عبيد : لقد انتصر الوفد انتصـارا عزيزا كريما ، لا لأنه ارتفع الى الحكم بل لأنه ارتفع فى الحكم ، وكان ارتفاعه متواضعا لا مترفعا ، فأبى الا أن يكون للأمة خادما وان يبذل لها من خدمة بقدر ما بذلت له من ثقة : أبى الوفد الا أن يكون حاكما باسم الأغلبية لا محكوما باسم الأقلية وكان فى ذلك نازلا ، على أحكام الدستور متمشيا مع تقاليده .

ويقول مكرم عبيد : ان الوفدية فوق كونها عقيدة سياسية فهى عقيدة أدبية تغلغلت فى النفوس فحببت اليها مكارم الأخلاق وجعلت من الاعتبارات المعنوية والأدبية مقياسا للناس ، ونبراسا لهم فى أعمالهم ، وحياتهم المادية » .

★★★

وقال حافظ رمضان باشا فى جماهير المواطنين الذين اكتظت بهم دار نادى الحزب الوطنى : ان الحزب الوطنى ليدعو دائمـا الى اعتناق العقيدة السليمة والتشبث بالوطنية الصادقة ويعمل على ابقاء جذوتها فى النفوس ، بدأتم تفدون الينا من كل مكان متطلعين الى جهادنا فى سبيل الله والوطن ، والناس يتساءلون: يقولون لنا انكم خياليون فماذا أعددتم من القوة ، وردنا على ذلك يتلخص فى كلمة واحـدة : ان للعقيدة سلطانا على الماديات فقبل أن توجد الماديات يجب أن تتربى العقيدة ، ومتى وجدت أمكنها أن تخضع كل شىء لارادتهـا ، أن العقيدة هى التى جعلت خالد بن الوليد يخترق صحراء العرب ولم يترك وراءه

متخاذلا ، ومتخلفا ، وقابل جموعا أكثر منه عددا وعدة واننا مؤمنون بالله قبل كل شيء فيجب أن يكون ايماننا بالعقيدة كايماننا بالله ، واننا نفنى ويبقى هذا الايمان تتوارثه الأجيال تلو الأجيال ، ولذلك عقيدتنا تظل أبدية الى يوم الدين ، لقد بدأنا بتنظيم أنفسنا منذ خمس سنوات يوم دعوت لتكوين المبارى : لقد تكونت الجبهة الوطنية لخدمة مصر ، لا لخدمة بريطانيا ولقد كنت أنا وصاحبى عبد الرحمن الرافعى فى جانب مصر دائما وها نحن نستبقى الجبهة الوطنية الصحيحة وعما قريب يعودون الينا باذن الله ، لقد كنتم أبعد منا نظرا وأدق فراسة ٠

اننا قوم لا نمل ، ولا نقف ،ولا نقول أبدا لقد طال الانتظار ٠

★★★

ويأبى القدر الا أن يستشهد الجريح الثالث فى حوادث المنصورة وهو متولى موسى يوسف الشاذلى اذ فاضت روحه الكريمة فى صبيحة يوم ٣ فبراير ١٩٣٦ ٠ وكان الى جانبه ساعة وفاته والداه وبعض أفراد أسرته وكان آخر ما قاله الشاذلى : سأموت بعد قليل تاركا اخوة يأبون أن يعيشوا مستعبدين ولتحيا التضحية فى سبيل مصر بلغوا سلامى لاخوانى جميعا » وشيعت جنازة الشاذلى من المستشفى الأميرى الى طما المرج بلد الشهيد وقد أطفئت الأنوار فى جميع أنحاء المنصورة ونكست الأعلام ووقفت الاذاعة فى المدينة حدادا على وفاته ، وكان الشاذلى الطالب بمدرسة المنصورة الصناعية أول شهيد يلقى ربه فى بداية وزارة على ماهر ، وان لم يكن للوزارة دخل فى عملية الاعتداء عليه ٠

وكان أول أزمة واجهها على ماهر باشا مشاركة حمد الباسل باشا فى عضوية وفد المفاوضات ذلك لأن حمد الباسل يمثل الحزب السعدى ، والوفد المصرى ـ مصدر كل قوة وقتئذ ـ لايعترف بأى وفد الا الوفد المصرى ولايعترف بالانتساب الى سعد الا الوفد المصرى ٠ ولقد وقف حمد الباسل ـ بحق ـ موقفا نبيلا عندما أكد على أنه مستعد للعمل ، ولا يمكنه أن يتخلف عنه بحال من الأحوال اذا ما دعى اليه ولكنه فى نفس الوقت لا يريد أن يجعل من عضويته فى وفد المفاوضات مثار خلاف فى وقت اعتقد انه أحوج ما نكون فيه للتساند ، والتآزر وكل اعتبار شخصى ـ كما قال حمد الباسل ـ يجب أن يزول ويتلاشى أمام مصلحة البلاد العامة ٠٠ » والجدير بالذكر ، أن الوفد المصرى لم يعترض على وجود حمد الباسل فى الجبهة الوطنية لانه لم يكن يملك وقتئذ سلطة الاعتراض ، كما أنه لم يكن يريد أن يضع أية عراقيل تحول دون تشكيل الجبهة فلما أصبح هو مصدر القوة بعد أن أوشك على ماهر على اجراء الانتخابات برزت مشكلة عضوية حمد الباسل فى وفد المفاوضات ٠

بذل على ماهر عندما اختير رئيسا للوزراء بعد استقالة وزارة نسيم جهودا كبيرة لكى يشكل الوزارة الانتقالية التى مهدت للمفاوضات بين مصر وبريطانيا عام ١٩٣٦ ، ونجح فى براعة سياسية فى التوفيق بين الأحزاب والزعماء لكى يتشكل وفد المفاوضات ممثلا لكل الأحزاب والتيارات السياسية فى مصر ٠

★★★

ويقابل المندوب السامى ــ فى رئاسة الوزارة ــ على ماهر وكانت المقابلة بخصوص وفد المفاوضات الذى يجرى تشكيله ، وقد كثرت التكهنات بخصوص تأخر صدور المرسوم الخاص بتشكيل ذلك الوفد وقيل ان السبب الرئيسى فى تأخير صدور ذلك المرسوم كان بسبب خلو الرد البريطانى من الاشارة الى أن مشروع النحاس ــ هندرسون سوف يكون أساس المفاوضات المقبلة ، وان مصر قد اعتبرت بعض العبارات الواردة فى الكتاب الملحق بالرد البريطانى الأخير تهديدا لها ؟ وان كانت الصحف البريطانية قد رأت أن تأخير صدور المرسوم ــ رغم اعترافها بالتهديد البريطانى أو بما يشبه التهديد ، البريطانى ــ تعود الى خلافات داخلية فى مصر حول اختيار أعضاء الوفد و ٠٠ و ٠٠

ويذهب ــ وسط تلك الازمة العاتية الجبارة ، التى تكاد تعصف بكل شىء فى مصر ــ وفد من طلبة كلية أصول الدين ، لمقابلة النحاس باشا ويدعو النحاس باشا الطلاب أن يخلدوا الى الهدوء والسكون ويقول مكرم عبيد : لست بحاجة الى ابراز ما تكنه نفسى من شعور عميق ، نحو هذه التحية المباركة التى انبعثت من طلبة كلية أصول الدين ، الى أخ لهم فى الوطن ؟ والوطنية من أصول الدين : تحدث خطيبكم عن المفاوضات المقبلة وعندى ، ان عدة المفاوض حجته وحجة المفاوض المصرى أمته وان أمة فيها مثل هذا الشباب الفتى الزاهر ، وهذا الشعور القوى ، الطاهر ، لهى الحجة التى لا تقبل محاجة أو جدلا ٠

وكان رئيس الوزراء قد انتظر الرد البريطانى حتى ساعة متأخرة من ليلة ١١ فبراير فى دار السفارة فلما لم يصل عاد الى داره ولم يجد ما يقوله ، الا « ان الجو الذى نحن فيه الآن جو قبول ، ولم تعد هناك عقبات » وفى السادسة من مساء يوم١٢ فبراير « أقبل جناب المستر كيلى مستشار دار المندوب السامى البريطانى ومعه الرد وقيل ان البريطانيين رفضوا ان ينهوا الأشكال بتصريح شفوى ينهى الازمة ٠

وكان على ماهر ــ كما أكد كثيرون من المتصلين به ــ قد رفض أن تبدأ المفاوضات فى جو من التهديد وكان دائم الاتصال بالسفارة المصرية فى لندن وبدار المندوب السامى البريطانى فى مصر للخروج بحل يحفظ لمصر كرامتها قبل ان تبدأ المفاوضات ٠

وأخيرا وافقت بريطانيا على تبليغ الحكومة المصرية بلسان وزارة الخارجية البريطانية انه مهما كانت نتائج المفاوضات فلن يؤثر هذا فى الحالة التى عليها مصر سياسيا فى الداخل والخارج ، وكان مستر كيلى هو الذى أبلغ على ماهر هذا التصريح وبذلك انتهت الازمة الأولى التى واجهت وزارة على ماهر فى أيامها الأولى .

***

وكان قد جاء فى خطاب على ماهر باشا الى المندوب السامى البريطانى وهو يبلغه بالمرسوم الصادر فى ١٣ فبراير بتعيين الوفد الذى كلف باجراء المحادثات والمفاوضات مع بريطانيا : لا يسعنى عند تبليغكم الصورة المرفقة بالمرسوم المشار اليه الا أن الاحظ انكم عند قيامكم بالتبليغ الشفهى قد نوهتم بأن الاخفاق فى عقد اتفاق ، قد يترتب عليه نتائج جدية مما قد يحمل الحكومة البريطانية على اعادة النظر فى سياستها نحو مصر ولا شك لم يفت سعادتكم ما أثارته هذه التصريحات فى الرأى العام المصرى من القلق ، حقا انكم حرصتم على الاشارة الى انها لا تنطوى على شىء من التهديد أو الارهاب وانها لا تعدو تقرير الواقع ، ولكن مهمايكن لهذه الاشارة من أثر فى تخفيف وقع التصريحات التى كلفتم ابداءها بصفة خاصة لا يسع الشعب المصرى وحكومته ومندبوه ، الناطقون بلسانه ان يعتقد ان محادثات أو مفاوضات تعالج فى مثل تلك التصريحات يمكن أن تكون خالصة أو حرة كذلك ، ومراعاة للمصلحة المشتركة للبلدين ، أتشرف بأن أرجو منكم أن تؤكدوا لى ان الحكومة البريطانية ترى حق الرأى أن لا شىء يمكن أن يحد من حرية ممثلى مصر فى المناقشة والعمل ، وان استعمال هذه الحرية لن يؤثر على ما بين البلدين من صلات الصداقة » ويوضح على ماهر فى كتابه الى المندوب السامى البريطانى أهمية المندوبين المصريين فى المفاوضات ، « ولما لهم من صفة تمثيلية للبلاد فهم ــ ممثلو الرأى العام كما انهم يتمتعون بشخصية بارزة ومكانة عالية و .. و .. » .

***

ويرد سيرمايلز لامبسون على رسالة على ماهر باشا بقوله : تطلبون دولتكم الآن تأكيدا من حكومة ملك بريطانيا نسلم بانه لن يحد شىء من حرية مندوبى مصر فى المناقشة أو التصرف وان استعمال تلك الحرية لن يخل بحسن العلاقات بين البلدين ، فجوابا على ذلك يسرنى أن أخبر دولتكم بناء على تعليمات حكومتى أن لها وطيد الأمل بل انها فى الواقع موقنة ان كلا الفريقين سيبذلان قصارى جهدهما كى لا يترتب على استعمال هذه الحرية أى تأثير فى العلاقات الودية بين البلدين وان الحكومة البريطانية لتحمل أصدق عواطف الود حيال الحكومة المصرية والشعب المصرى وبينما نجد من الواجب أن تحتفظ لنفسها بحرية

العمل بالنسبة لمستقبل مجهول المدى شأنها فى ذلك شأن كل الحكومات فانها ترى اذا كان هناك ثمة فشل فى الوصول الى اتفاق ، بالرغم مما يحدو الفريقين من صادق الرغبة انه ليس من الضرورى ان يترتب على الفشل تأثير فى حسن العلاقات بين البلدين التى تحرص الحكومة البريطانية لا على استدامتها فحسب بل على زيادتها قوة » ·

***

وكان على ماهر قد رفع الى الملك فى ١٣ فبراير ١٩٣٦ كتابا بخصوص تعيين أعضاء الهيئة الرسمية لابرام معاهدة صداقة ومودة وتحالف مع بريطانيا العظمى مع تخويلهم السلطة التامة فى مفاوضة الحكومة البريطانية وتوقيع اتفاق يكفل لبريطانيا مصالحها دون أن يتنافى مع استقلال مصر » ·

ويصدر الملك أحمد فؤاد مرسوما يصدره بالكلمة التالية : رغبة منا فى ابرام معاهدة صداقة ، ومودة ومحالفة مع بريطانيا العظمى ، نعين مندوبين فوق العادة حضرات مصطفى النحاس رئيسا ، محمد محمود باشا ، اسماعيل صدقى باشا ، عبد الفتاح يحيى باشا ، واصف بطرس غالى باشا ، الدكتور أحمد ماهر ، على الشمسى باشا ، عثمان محرم باشا ، محمد حلمى عيسى باشا ، الأستاذ مكرم عبيد ، حافظ عفيفى باشا ، الأستاذ محمود فهمى النقراشى ، أحمد حمدى سيف النصر أعضاء وكان للوفد المصرى الى جانب الرئاسة غالبية الأعضاء · ويقسم الأعضاء أمام الملك اليمين التالية : أقسم أن أكون مخلصا للملك ، والدستور ولقوانين البلاد المصرية ، وان أؤدى ما هو معهودا أو ما قد يعهد الى به من الأعمال فى مهمتى بالذمة والشرف ·

***

وتشيد الصحف البريطانية بموقف على ماهر وحنكته السياسية ، حيث استطاع ان يتغلب على كل العقبات التى اعترضت طريق ، المفاوضات المصرية والبريطانية ، وفى ذلك المجال يقول مراسل صحيفة الاوبزرفر البريطانية فى القاهرة : تمكن على ماهر باشا ، من تذليل العقبة التى برزت فى الساعة الأخيرة بسبب ما عزى الى الحكومة البريطانية من تهديد فزاد ذالك فى مكان رئيس الوزارة المصرية ، ورفع منزلته فى العيون ، ذلك انه عمل بفطنته وحنكته على أن يبتكر وسيلة الى ارضاء مواطنيه واراحة بالهم ، والمسألة مسألة ألفاظ ، فان من يطالع الرد البريطانى يرى انه وان كان الأصل فى الحادث هو النفور مما قاله السير مايلز لامبسون على اثر تلاوة رده السابق وهو انه اذا أحبطت المفاوضة فان الحكومة البريطانية قد تجد نفسها مضطرة ، الى اعادة النظر فى سياستها ، نحو مصر ، فان حرية بريطانيا فى التصرف فى حالة كهذه أى اذا

ما قطعت المفاوضات ــ عززت وأكدت بصراحة فى الرد الأخير ، ولكن يظهر ان الصيغة العامة اراحت المصريين وهو ما يهم فى مسألة كهذه المسألة ٠

★★★

ثم انتقل المراسل بعد ذلك يعلق على أحاديث المفوضين المصريين وقال انه يتبين من تلك الأحاديث ان المحادثات القادمة ستبدأ فى جو أفضل من الجو الذى سبق حالة التهديد ، فالمندوبون المصريون مشربون بروح المودة لزملائهم ، من الجانب الآخر ومشبعون بأطيب التمنيات والرغبة فى الوصول الى اتفاق ٠

ــ والمسلم به ــ كما يقول مراسل الأوبزرفر البريطانية ــ فى كل مكان هو ان الأمل بعقد المعاهدة يتوقف كله على ايجاد حل مرض ، للبند العسكرى ولبند السودان فالشئون العسكرية وترتبط بها شئون الأمن ، العام ، حتما ــ تنطوى على الصعوبة الكبرى ذلك ان معناها ان مصر ــ تقبل ما كان حتى ، الآن فى مقدمة الأمور ، المعترض على قبولها ولكن اذا نظر المندوبون ، المتفاوضون الى كيفية توزيع الجنود البريطانيين من حيث اقامتهم هنا ، لمساعدة مصر . على صون أراضيها دون سواها من الوجهات فليس عن صعوبة تعترض سبيل الوصول الى وسيلة لمواجهة الطلبات الضرورية التى تطلبها السلطات العسكرية البريطانية٠

والمسلم به أيضا أن الفرصة التى سنحت الآن لحل هذه العقدة ، باتحاد الأحزاب لا يحتمل أن تعود ، وعلى كل حال فانى رأيت فى كل مكان رغبة صادقة فى الوصول الى حل على أن هناك ما يصح أن يسمى قوى خفية عملت فى الماضى، وهى مع تظاهرها بالشعور ، بالحاجة الى معاهدة فانها تعارض فى عقد المعاهدة وينتظر بعد أن تعيد هذه القوى ما أن سبق ، ضيعته ٠ أن تتوسل بوسائلها الخفية لتؤثر تأثير ضارا بالجو ٠

★★★

والمرجو ــ كما يقول مراسل الأوبزرفر أيضا ــ أن يتذرع المندبون المصريون بالنبات ، والصدق ، ليدرأوا فعل هذه العناصر فعلى مدى نجاحهم فى تقديم ، مصلحة بلادهم ، على كل اعتبار آخر تتوقف نتيجة المفاوضات ، وهل تكون منتجة أو لا ٠

وفى الوقت الذى تبدأ فيه المفاوضات المصرية البريطانية تعطل السلطات البريطانية فى فلسطين جريدة الجامعة الاسلامية لمدة اسبوعين لنشرها مقالا ، بعنوان : لا أيها الفرنسيون ان لكل شىء حدا ٠ واننا نحن العرب ، لا ننسى ولا نصفح » وكاتب المقال هو صاحب المجلة ورئيس تحريرها وهو الاستاذ سليمان التاجى الفاروقى ، والمقال دفاع عن سورية ، وكانت السلطات الاستعمارية الفرنسية تستبد بالشعب السورى على النحو الذى كانت تقوم به السلطات

البريطانية الاستعمارية فى مصر ، وفى فلسطين على حد سواء ، وقد جاء فى المقال ـ وننشر بعض فقراته للذكرى ، وللتدليل على ان العرب رغم سطوة الاحتلال البريطانى وسطوة الاحتلال الفرنسى كانوا يتحركون كجسم واحد ، بقلب واحد ، وشعور واحد : جاء فى المقال :

★★★

اليوم تبرز فلسطين المثخنة المصفدة المثقلة التى للانجليز فى كل قيد انملة من جسمها سهم ، وفى كل مغرز ابرة ناب ، ومخلب ، وفى كل مدب حياة مطعن ، ومضرب ٠ تبرز فلسطين المثخنة بالجراح المثقلة بالسلاح ، المحمى عليها الانين والتوجع ، والركن والجناح المبغى عليها فى الحد الصراح ، المأخوذ بالباطل، القراح ، والظلم ، البواح : المباح ؟ فيها حرام ، والحرام فيها كل مباح : تبرز فلسطين اليوم دامية الجراحات جياشة الذكريات ذخارة بالغضبات اثر الغضبات والصيحات تلو الصيحات غير آبهة للقوة المسلطة ، والسهام المسددة والحراب المسنونة المصـــوبة منادية بملء فيهـــا لا ، وألف مرة لا : لقـــد بغيتم أيها الفرنسيون ، وطغيتم ، وجرتم واعتـــديتم ، لقـــد اجترحتم المآثم ، واقترفتم المناكر ، وأتيتم فى سوريا الكبائر !!

★★★

لقد ذبحتم الأبرياء ، وسجنتم الأطفـــال والشباب وولغتم فى الحرمات والدماء ، لا : أيها الفرنسيون ، ان لكل شيء حدا ، وان لكل هزل جدا ، وان لكل قبل بعدا ٠٠ أما والله لئن طال عليكم ، وعلى حلفائكم العهد وتنفس لكم ولهم هنا ، وهناك طول العمر ، فان لنا لأكباد أشفها الظمأ ، الى ما تعلمون ، وان لنـــا لقـــلوبا بهـــا الشوق ، الى ما لا تجهلون ، وان فى ســـــويداء تلك القلوب وفى باحات تلك النفوس لمزروعا من الاحقاد خصبا ومكانا للتراث رحبا ، واننا العرب لا ننسى ولا نصفح ولا ننام عن ثأرنا ولا نكل ، فاقتلوا واستحيوا واستطيلوا وابقوا واظلموا واطغوا ، ثم لا تذروا ولا تبقوا ، وقولوا لحلفائكم أن يقتدوا بكم ويتأسوا ، فأنا بقايا السيوف ، وأنا تمار الحتوف وأنا ربيبو الملاحم ، والزحوف ، ومن قبل ما أجلب علينا وعليهم أجدادكم واثخن فينا وفيهم بطارقكم وأخباركم ولكننا بقينا وذهبتم ثبتنا ، وانقلبتم والعاقبة لنا شئتم أم أبيتم ، والدولة لنا ، تماديتم ، أم انتهيتم الا أن جندنا لهم الغالبون ؟؟

★★★

ويقيم على ماهر باشا ، رئيس مجلس الوزراء ٠ مأدبة غداء فى مينا هاوس لرجال الوفد المصرى للمفاوضات ، ويجلس على ماهر متصدرا المائدة الرئيسية وعلى يمينه النحاس باشا وعن يساره محمد محمود باشا وأمامه اسماعيل صدقى باشا !

ويسجل على ماهر باشا فى تلك الحفلة سابقة طيبة ــ كما أشادت الصحف فى اليوم التالى ــ هى عدم تقديم خمور كما جرت العادة ، فى المآدب الرسمية ، وكان من بين الحضور أحمد زيور باشا ، والشيخ محمد مصطفى المراغى ، ولطفى السيد وطلعت حرب وشريف صبرى وصبرى أبو علم ، ويوسف الجندى ، ومحمد كامل البندارى ، وحفنى محمود ، وابراهيم الهلبــاوى ، وعبد الرحمن عزام ، وحافظ رمضان ، وعبد الرحمن الرافعى وبين الصحفيين حسب الترتيب ، الذى أذاعته رياسة مجلس الوزراء : عبد الرحمن فهمى بك ، جبرائيل تقلا بك ، الدكتور محمد حسين هيكل بك ، والدكتور فارس نمر وانطون الجميل بك ، والاستاذ كريم ثابت والاستاذ محمود عزمى ، والاستاذ عبد القــادر حمزة ، والاستاذ محمد توفيق دياب ، والاستاذ كمال الدين عوض ، والاستاذ عبد الحميد حمدى ، والاستاذ فكرى أباظة والاستاذ سليمان فوزى والاستاذ على بليغ ! ويعتذر من الصحفيين خليل ثابت ، عباس محمود العقاد ، وتوفيق صليب و٠ و ٠

ويمضى على ماهر فى أداء مهامه الوطنية بين جذب وشد ومد وجذر فى جو شعبى متوتر للغاية وخاصة فى محيط الشباب الذى كان يقف ــ رغم الهدوء الظاهرى ــ على فوهة بركان ٠

الفصل الثالث

وبدأ شباب مصر يتحرك من جديد

وقفنا عند الظروف التي كانت تمر بها مصر فى بداية عام ١٩٣٦ ، واتفاق الأحزاب على التفاوض مع بريطانيا ، فيما عدا الحزب الوطني ٠ وقيام وزارة على ماهر بكثير من الاصلاحات الجذرية ، والاعداد للانتخابات ٠ ونكمل هذا الحديث ٠

***

● لا تنتظم الدراسة فى الجامعة وتعطل الدراسة فى كلية الزراعة لاعادة أحد المدرسين بها الى وزارة الزراعة وتضرب كلية الحقوق لفصل بعض طلبتها بتهمة التحريض على الاضراب والاخلال بنظام الدراسة ويجتمع حزب الشعب برئاسة اسماعيل صدقى ويلقى رئيس الحزب خطابا هاما يشرح فيه الظروف التى مرت بالبلاد والصعاب ، التى قامت فى وجه المفاوضات ، ويطلب صدقى باشا ، من أعضاء حزبه الثقة والتأييد فى المهمة التى يشارك فيها وهى ، المفاوضات مع بريطانيا باعتباره عضوا فى وفد المفاوضات ، المصرى الرسمى مؤكدا ان شعاره وشعار الحزب ــ حزب الشعب ــ سوف يكون أثناء المفاوضات الاطمئنان لمجراها ، مع الاحتفاظ بالصبر والهدوء وضبط النفس وهى الصفات التى يجب أن يشعر المفاوضون بان البلاد حريصة على الاحتفاظ بها ، ويتحدث اسماعيل صدقى باشا عن الانتخابات فيقول انه كان يأمل ان تجرى بعد المفاوضات لا فى اثنائها لانطباق ، ذلك على القواعد المألوفة ، وعلى الروح الدستورية التى تقضى بأن تكون نتيجة المفاوضات هى المحور ، الذى تدور عليه الانتخابات حتى اذا عرضت هذه النتيجة على البرلمان ، كان عرضها تركيزا لرأى كتلة الناخبين ، أى مجموع الشعب بأسره ويقول اسماعيل صدقى « اننى لا أستطيع الا الأخذ بالرغبة التى تجلت فى موقف حزب الشعب ، وهى الا يكون ، رأى قائم بذاته ، بعيدا عن رأى الجماعة فنحن ندخل الانتخابات فى موعدها ، تحقيقا لهذه الرغبة التى عبرنا عنها فى جميع تصرفاتنا » ٠٠

وتستمر المحاكم ، فى نظر قضايا المظاهرات ويكون من أهم القضايا تلك التى اتهم فيها صلاح الدين عزت ، محمد محمود راغب ، محمد كامل الدماطى ، محمد سعيد ، محمود ، أمين سعد الدين ، و ٠٠ وكانت قد نظرت أمام محكمة الجنح المستأنفة بعد ان حكم فيها ابتدائيا بتغريم كل المتهمين ثلاثة جنيهات ٠

وكانت مدام فهمى ويصا ، قد ألقت فى الجمعية الدولية للسيدات فى مانشستر فى بريطانيا خطابا هاما اهتمت به الصحف البريطانية وكان من بين ما قالته مدام فهمى ويصا : أن المصريين مستعدون لقبول مشروع معـاهدة ١٩٣٠ ٠٠ « النحاس ـ هندرسون » وان ضعف الجيش المصرى قد أوجده البريطانيون أنفسهم » وطالبت مدام ويصا الحكومة البريطانية بأن تكون صريحة فى سياستها ، مع مصر تجنبا لما يترتب على سوء التفاهم من مستقبل خطير ؟؟

وتذهب وفود عديدة الى دار حمد الباسل باشا ـ بالزمالك ـ لشكره ، على موقفه الخالد ، وتفانيه فى خدمة أمته ، وتناسيه نفسه وكان من بين ما قاله حمد الباسل باشا ، لهذه الوفود ، انه لا شئ أحب الى نفسه من رفعة وطنه وتضحيته بكل ما يملك فى سبيل أمته !

***

انتهز الضباط المصريون القدماء فرصة قرب بداية المفاوضات ، فاجتمعوا بناء على دعوة من الأميرالاى محمود حلمى اسماعيل بك فى ١٩ فبراير ١٩٣٦ وحضر الاجتماع : اللواء محمود عزمى باشا ، سليم موصلى باشا ، محمد فاضل باشا ، عبد الحميد راغب باشا ، عبد الرحيم فهمى باشا ، وكل من الأميرالاى أحمد خليل بك ، محمد راتب السباع بك ، محمد أحمد حليم بك ، حسين كامل بك ، محمود صدقى بك ، عبد الوهاب وهبى بك ، حافظ صدقى بك ، محمد عابدين بك ، محمود سامى بك ، محمد بدر بك جلال منير بك ، اسماعيل حافظ بك ، أحمد نيازى بك ٠ محمود عزت بك محمود حلمى اسماعيل بك ، وكل من القائمقام : محمد حليم بك ، يوسف صادق الموجى بك ، محمود سالم بك وكل من البكباشى : على نجيب متولى سالم ، أحمد حلمى ، سيف اليزل خليفة ، محمود رياض ، فرج مبروك ، أحمد بكير ، وكل من اليوزباشى محمود ابراهيم الجندى ، وأمين فوزى ، ومحمد حمدى وكذلك الملازم أول محمد فريد ثابت ويتلقى صاحب الدعوة من الأمير عمر طوسون برقية يقول فيها : المسألة السودانية فى نظرنا أهم المسائل ، التى سيتناولها البحث فى المفاوضـات فاجتماعكم ، مع حضرات اخوانك الضباط المتقاعدين المنظر فى مسألته أمر يقابل من جميع المصريين بالحمد والشكر والارتياح العظيم لما لأرائكم فى مسألته الخطيرة من القيمة والتقدير » ويقرر المجتمعون تأليف لجنة برئاسة اللواء محمود

عزمى باشا للاتصال بهيئة المفاوضات المصرية لتقديم ، وجهة نظرهم فى مسألة السودان .

***

ويقرر مجلس التأديب بالجامعة فى ٢٠ فبراير ١٩٣٦ برئاسة الأستاذ أحمد لطفى السيد وعضوية الشيخ أحمد ابراهيم وكيل الكلية والأستاذ برشيامز الأستاذ بها لمحاكمة الطلبة المتهمين بالتحريض على الاضراب وهم : حافظ شيحا ، أحمد فؤاد مصطفى ، عبد الحميد محمود سالم ، و .. و ..

***

ويقرر المجلس فصل حافظ شيحا وأحمد فؤاد مصطفى فصلا نهائيا من الكلية كما يقرر فصل عبد الحميد سالم الشواربى ، ومحمد على شلبى ، وعبد المنعم عبد الوهاب من الكلية لمدة سنة مع الترخيص لعميد الكلية فى قبول من يرى صلاح حاله منهم ، واستعداده لمتابعة الدراسات الجامعية وفصل بقية المتهمين سنة من الكلية مع وقف التنفيذ بحيث لو صدر من أحدهم سلوك مماثل فى خلال هذه السنة فان العقوبة تنفذ عليه ..

ويعلق محمد على علوبة باشا وزير المعارف على قرار مجلس التأديب بالجامعة ، قائلا : أرجو أن يكون مفهوما انه ليس هناك عداء بين الوزارة والطلبة وانه اذا كانت الاجراءات التى اتخذتها الوزارة مع بعضهم اجراءات صارمة ، فان هذه الصرامة اقتضتها الظروف ، وهى أشبه بقسوة الوالد مع ابنه وهى دائما قسوة لمصلحة الابن قبل كل شىء ، وهذه المسألة متعلقة بمجلس الجامعة وأنا حريص على استقلالها وسنعمل جهدنا لتحقيق ما فيه المصلحة العامة قبل كل شىء ، ويجب ألا يقال عنا اننا أمة لا تعرف النظام ، ولا تحافظ على القانون :
ويرسل ، مصطفى النحاس باشا رئيس وفد المفاوضات فى ٢٦ فبراير ١٩٣٦ ، الأستاذ أمين عثمان سكرتير الوفد الرسمى الى دار المندوب السامى ، البريطانى لابلاغه نص الخطبة التى سيلقيها النحاس باشا فى حفلة افتتاح المفاوضات على أن يرسل المندوب السامى ، بنص خطبته الى النحاس باشا ، قبل القائها وفقا للتقاليد ، المتبعة .

***

وكان الأزهر الشريف رغم كل المحاولات التى بذلت لاعادة الصفاء والود الى طلابه ، مجالا لانقسامات عديدة بين صفوفه سرعان ما انتقلت عدواها الى طلاب المعاهد الدينية بالأقاليم . ونفتح قوسا نقول فى داخله ما يلى :

يجرنا حديث الصراعات والانقسامات بين طلبة المعاهد الدينية الى الحديث عن ظاهرة وصفت بالغرابة ، نود الاشارة اليها لاعطاء صورة عن تفكير بعض أساتذة وطلاب المعاهد الدينية وقتئذ :

الى جانب هذه الانقسامات وجهت اتهامات عديدة الى بعض طلبة المعاهد الدينية فمن خروج ـ كما قيل ـ عن تقاليدهم القديمة ، الى مسايرة بعضهم لبعض « صرخات العصر » مما اعتبره بعض شيوخ الأزهر ورجال الدين بصفة عامة خروجا على القيم المتوارثة ، وقد أدى ذلك كله ، أو بعضه الى استقالة الشيخ الديناري شيخ المعهد الأحمدى بطنطا كما أدى ذلك كله أو بعضه الى أن شيخ الجامع الأزهر تقدم الى أبنائه الطلبة طالبا منهم الالتزام بكل ما توارثوه من قيم ومبادىء ٠

★★★

كان النداء الذى وجهه شيخ الجامع الأزهر فى ١٩ فبراير ١٩٣٦ عنيفا للغاية وقد جاء فيه :

« من المعروف ان طلاب العلم الدينى لهم قيود وتقاليد رسخت عند الناس كافة فاذا هم خرجوا عليها ، أو لم يحفلوا بها فانهم يتعرضون لازدراء الناس ، وسخفهم فليعلم الطلاب هذا وليتدبروا أن مهمتهم التى ينتظرون القيام بها مستقبلا تتطلب منهم أن يكونوا دائما موضع احترام الناس وموضع اجلالهم ، فلا يأتون ما يتنافى مع قواعد الشرع الشريف أو ما يثير الرأى العام ضدهم فانهم ان فعلوا ذلك سقطوا عند الناس السقوط ، الذى لا يستطيعون بعده ، أن يؤدوا لمواطنيهم العمل الذى يكلفون به حين يدخلون ميدان العمل ٠

« وعلى حضرات شيوخ المعاهد أن يبالغوا فى ملاحظة الطلاب ، والعمل على رفع مستواهم الخلقى وتنبيههم الى ما قد يغفلون عنه مما لا يتفق وكرامة طلاب العلم الدينى ، وأن يعالجوا بالحزم والحكمة ما يرونه غير صالح من أعمال الطلاب » ٠

★★★

وكان من بين المآخذ ، التى أخذت على طلاب المعاهد الدينية انهم اختلفوا اختلافات عنيفة للغاية من أجل اقامة اتحاد للطلاب لم تقم الدلائل ، على تركيز الجانب الثقافى فى بيئته مما يجبر الطلاب عليه ٠ ثم ان احتفالهم ـ كما قال أحد كبار رجال الدين وقتئذ ـ بهذه الخصومة ٠ مما يوقظ فى أجوائهم فاصفة فتنة تنذر بالشر ، وتجنبهم الصراط المستقيم الى جانب انتزاعها لهم من موطن التحصيل العلمى ، واسدالها عليهم سترا من القلق الدائم ٠

ومن المحقق ، ان انصراف الطلاب الى ذلك قد مهد لهم أن يتابعوا فى معاهدهم ضروبا من الأضاحيك ، التى يضيفون بها الى الاتجاهات الثقافية المعاصرة تزويقا لها و ٠٠ و ٠٠ وهكذا سمعنا عن طالب أزهرى ، يؤدى دور ليلى فى مسرحية « المجنون » ٠٠ وسمعنا عن طلاب أزهريين يكشفون عن سيقانهم فى جولات كشفية وجولات أخرى فى ميدان الرياضة ، وهنا وهناك نظارة

يحصون ، على الغارقين فى مدنية العصر أنفاسهم سائلين الله ان يوفر ، على دينه من يقيهم مصارع السوء ، ثم لا يكون الحماة لهذا الدين من أبناء الأزهر ، الذى يمثل واحد منهم دور ليلى ويكشف واحد من ساقيه فى غير موطن الوضوء.» •
ونقفل القوس ، لنعود الى حديث المفاوضات المصرية البريطانية وبعض الأحداث الداخلية والافريقية والعربية :

★★★

تبدأ المفاوضات بين مصر ، وبريطانيا فى ٢ مارس ١٩٣٦ وحيا مصطفى النحاس باشا ، فى كلمة الافتتاح التى ألقاها رجل الدولة الكبير مستر ارثر هندرسون الذى رأس مفاوضات سنة ١٩٣٠ وظل حتى الممات على أداء رسالته فى خدمة السلام فقد ساهم بسمو فكرته ، وثاقب نظره وصادق نيته فى تقريب المسافة الى حد كبير من وجهتى النظر البريطانية والمصرية •

وتحدث سير مايلز لامبسون عن سعادته بتأليف هيئة المفاوضات المصرية من كل الأحزاب المصرية تقريبا • وقال أنه على يقين من ان علاقات المودة والثقة القائمة من عهد طويل بين الحكومتين المصرية والبريطانية هى باكورة الروح التى يقدم بها الفريقان على هذه المباحثات التمهيدية •

وكتب كامل الشناوى عن على ماهر كلمة رقيقة للغاية ، لأنه أيقظ دور الحكومة بعد رقدة هائلة ونوم سعيد ، ولأنه عمل على تحرير الصحافة من القيود والأصفاد التى بذلت الوزارات الماضية جهودها الجبارة فى صياغتها ، وأحكام وضعها ، فى أعناق الصحافة حتى لا تقوم لحرية الرأى قائمة فى هذا البلد المسكين ولأنه وافق ، على قانون الأزهر ، ذلك الذى تضمن المستقبل ، بل الحياة ، لآلاف من الطلبة والعلماء •

ولقد خطا الرجل – كما قال كامل الشناوى – نحو استقلال القضـاء خطوات فسيحات ومعنى هذا أنه يريد أن يكفل للناس الاطمئنان على حقوقهم ويكفل للقاضى تأدية وظيفته فى ظل سابغ من الأمن بعيدا عن جور السلطان وحين يتم هذا فسيكون فيه قضاء على الذين يفيدون من وراء تقييد القضاء وهم مصريون ، فعلى ماهر اذن يريد أن يحرم الفائدة على المصريين فيا أيها المصريون أخذلوه ولا تنصروه •

وأخيرا : انه يريد لمصر الحياة كأسمى ما تكون الحياة ، والحياة كما قال المعرى تعب كلها ، فابحثوا عن رجل غيره ، يريحكم من التعب وانصروا هذا الغير ولا تخذلوه •

★★★

ويبدأ الحـديث عن الغـاء الامتيازات الأجنبية فى مصر ، وتقول جريدة جمهوريت التركية ، ان الغاء الامتيازات هو بالنسبة الى مصر مسألة كرامة وهيبة

قوية . وقالت الجريدة التركية ـ والمعروف أن تركيا كمصر عانت الكثير من الامتيازات الأجنبية ـ ان الدول المتمتعة بالامتيازات يجب ، عليها اذا كانت مدفوعة حقا بالنوايا الحسنة أن تفاوض على ماهر باشا أو من يخلفه للقضاء على النوايا ، التي تفرق بين الرعايا في البلاد ، والتي لا يوجد لها نظير في العالم .

وكان الدكتور محمود الصاوى جمعة الذى كان قد تطوع ضمن أعضاء البعثة الطبية المصرية إلى الحبشة ، قد توفى .. فاحتفلت الحبشة بتشييع جنازته عسكريا وشعبيا ، وكان بداية احتفالات الحبشة فى مستشفي البعثة الطبية المصرية فى جقجيقا ، ثم فى هرر حيث أصر الأهالى على الاحتفال بتشييع الجثمان احتفالا لم يعرفه تاريخ هرر من قبل ، وكان الدكتور عبد الحميد المشرف على البعثة يوالى أولا بأول ارسال البرقيات الى الشعب المصرى ، عن كل خطوة من خطوات الاحتفال بتشييع جثمان الدكتور الصاوى .

ويزور مصر وفد من شباب فلسطين فتحتفل به مصر ، كلهـــا حكومة وشعبا .. وكان من أهم حفلات التكريم التى أقيمت لهؤلاء الشباب الحفلة التى أقامها مكرم عبيد باشا وكان خطيبها مكرم عبيد ومحمد شفيق أسعد ، وهو من شباب فلسطين .

***

وقد جاء فى كلمة مكرم عبيد :

« ليس للشعور ترجمان ، الا خفقان قلبك واختلاج لسانك ، واضطراب بيانك : لقد زرت فلسطين فأحببت فيها فوق حبى لذاتها حبها لمصر ، شقيقتها ، ولعلى لا أغلو ان قلت ان حبى لمصر نفسها قد ازداد رسوخا فى قلبى ووضوحا

فى عينى .. بعد أن زرت فلسطين وسورية ولبنان من البلاد الشقيقة ولا عجب فان بلدا يحبها هذا الحب أشقاؤها أولى أن يحبها ، أكبر الحب أبناؤها » .

وبعد أن يشير مكرم عبيد ، الى زيارته والسيدة شقيقته وبعض أصدقائه ، الى فلسطين والاســتقبال الرائع الذى اســتقبله به هو ومن معــه الاخــوة الفلسطينيون بحيث تأكد أنه فى مصر ، لم يفارقها فانه أصبح لنا نحن أبناء العروبة وحدة جديدة أساسها المحبة والولاء وغذاؤها الجهاد والفداء .. يقول :

« لقد اجتمعت محبتنا نحن العرب على أسمى المعانى وأروعها وذلك هو معنى الوطنية المحلية .. مصرية كانت أو فلسطينية أو عراقية أو شامية بل لقد سمت فأصبحت وطنية عربية شرقية مجاهدة متفانية متحدة ، اذا جد الجد ودعا داعى الوطن هادئة سالمة متفاهمة اذا نادى منادى التفاهم والسلام ، فهى مضرب الأمثال عند الغربيين ، مفخرة لنا نحن الشرقيين » .

ثم قال :

« ليس أجمل ولا أروع من هذه الرابطة الروحية التى تجمع بيننا نحن الأمم الشقيقة ، ولا تنسوا ، أن الشقيق حقا ، ليس هو الشقيق جنبا بل هو الشقيق حبا · لقد أحب أبناء الأقطار الشقيقة بعضهم بعضها فلنزد هذا الحب قوة وبذلا ، نصبح له أهلا وبه أهلا » ·

★★★

وفى الحفلة التى أقامها الحزب الوطنى لتكريم شباب فلسطين ، ألقى الشاعر الأديب على أفندى منصور قصيدة عامرة حيا بها مصر ، وفلسطين ، وتحدث الأستاذ محمد شكرى كرشاه المحامى فأشار الى جهاد الحزب الوطنى فى سبيل الوحدة العربية والاستقلال · كما ألقى الأديب محمد أفندى ابراهيم جمعة كلمة قوبلت بالاستحسان ، وقام الأستاذ مصطفى أفندى الحفناوى فرحب بالفلسطينيين وتحدث اليهم عن تشكيلات البزاة والرسالة التى يسعون لتحقيقها فى مصر ، وفى الأقطار الشقيقة وقال ان هذه التشكيلات اذا قويت وتمكنت من نفوس الشرقيين فستكون القوة الجبارة التى تدك صروح الاستعمار وبذلك يحمل الشرقيون مشعل الحرية والحق ، فيعيدون الى أعمـال الرسالة سيرتها الأولى !

وكان من بين كلمات حافظ بك رمضان رئيس الحزب الوطنى قوله ·

« لقد حضرتم من فلسطين وأنتم أدرى بأن هذه المنطقة من الأرض هى التى انتجت الأنبياء ، الذين نشروا نور الحق والعدل ، وكان من خلفهم أنصار لهم عقائد كالجبال الشامخة ·· أولئك الذين جاهدوا وحملوا فى أعناقهم رسالة الانسانيـة فهل كان قائدهم عبر الاعتقـاد الثابت فى حقوقهم أن بيننا وبين الفلسطينيين من الروابـط التاريخية وروابط المدنيـة ما يحتم علينا أن نبنى وطنينا على العمل الصالح والخلق القويم » ·

★★★

ويوجه حافظ رمضان خطابه الى شباب فلسطين قائلا : « ابنوا وطنكم على العقائد وسخروا الوسائل المادية لتستخلصوا حقوقكم وتستردوا بضاعتكم : يجب أن ننظم فرقنا وقد قمنا بذلك فى مصر ، وجعلنا شعارنا « أد الواجب ودع ما يكون ، جعلنا من بيننا انه اذا كان للحياة مدخل واحد ، ومخرج واحد فاذا حررنا أفكارنا وحررنا وجداننا غزونا الحياة ، وغزونا الموت : أرجو أن تبلغوا تحياتنا لاخوتنا فى فلسطين فانه لابد وأن يأتى يوم نعمل فيه معا متضامنين ضد الغاصبين » ·

وتحدث الأستاذ سليم بك عبد الرحمن نيابة عن فلسطين وقال ان مؤسس فكرة الحزب الوطني مصطفى كامل هو أول من رفع لواء الاستقلال وقاد القافلة فى بلاد المشرق ، وان مبادىء مصطفى كامل ، لا يجب أن يعتنقها المصريون وحدهم ولا العرب وحدهم ، وانما أمم الشرق قاطبة تلك التى تعمل للحرية والاستقلال .

★★★

ويتبادل الشباب المصريون والفلسطينيون القاء الأناشيد الوطنية والحرية وتعاهدوا جميعا على الجهاد فى سبيل تحرير العرب .

وفى وسط ، هذا الجو الوطنى ، الثائر ، ترفع مدرسة السعيدية الستار عن النصب التذكارى للمرحوم الطالب مصطفى أمين أول شهداء الوطن سنة ١٩١٩ ، وتحدث فى حفل ازاحة الستار من زملاء ، الفقيد محمد على رسمى ، وصلاح الدين حافظ الذى ألقى خطبة حماسية فياضة نالت التقدير والاعجاب » وكذلك تحدث شقيقه الأكبر حامد صدقى أمين أفندى ، وكان من بين ما قاله :

« نعم أنا أخوه وقد كنت بجانبه فى ذاك الوقت الذى استشهد فيه وما رأيته يسقط حتى أسرعت اليه وحملته مضرجا بدمائه ، وقد اعترانى من هول الموقف ، عاملان . حب الشقيق لشقيقه وحب المصرى لام الفداء مصر . ولقد كان العامل الثانى أقوى العاملين فتمالكت نفسى ورفعت الفقيد بما بقى فى أعصابى من قوة ، وهتفت لمصر بالخلود مرددا هتاف شقيقى الخافت نموت وتحيا مصر . وخارت قواى فارتميت بجسمى على الأرض وأسندت رأسه باحدى ذراعى وبالأخرى ضممته الى صدرى وهمست فى أذنه :

« أخى العزيز ما كنت أتوقع ، اننى سافقدك هكذا سريعا ولكن هى الحرية التى ننشدها ومطلبها غال ولا بد من دفع الثمن . وها أنت أول من دفع فلا تحزن وفى ذمة الله روحك الطاهرة ، وسوف تسطر لك دماك المسفوكة صحيفة بيضاء فى سجل الضحايا والشهداء ثم بكيت .. نعم بكيت لأننى رأيت أعز مخلوق لدى يحتضر بين يدى تعلمت أن السهم ، قد نفذ وانه لا راد لقضاء الله وقدره » .

★★★

« نجح على ماهر بوزارته الائتلافية فى التمهيد لبدء المفاوضات بين مصر وانجلترا فى عام ١٩٣٥ ، وتشكل بالفعل وفد المفاوضات .. لم تكن مصر وحدها ، بل كانت شقيقات عربيات لها تغلى بالثورة والانفعال ضد الانتداب الانجليزى فى فلسطين والانتداب الفرنسى فى سوريا ولبنان ، وبدأ التمهيد فى مصر لاجراء انتخابات عامة » .

● وفى الوقت ، الذى كان فيه وفد شعبى عراقى ، على مستوى عال يزور مصر ، ويلقى كل تكريم من كبار الشخصيات المصرية ، كانت سورية تغلى بالثورة . وكان مجلس النواب العراقى يدافع عن قضية سورية أمام الرأى العام الفرنسى حيث كانت فرنسا ، هى التى تحتل سورية ، ونقف قواتها العسكرية حجر عثرة فى سبيل استقلال سورية . وكان مما جاء فى الخطاب الذى أرسله رئيس مجلس النواب العراقى الى زميله رئيس مجلس النواب الفرنسى : « لا تستطيع الأمة العراقية أن تتغاضى عن شقيقتها سورية ، التى تربطها بها جامعة الاصل واللسان والعواطف وتتمسك الأمة العراقية بأواصر الصداقة مع الأمة الفرنسية الشريفة ان المسئولين عن ادارة سورية يناقضون بأخطائهم السياسية والاقتصادية ولا سيما للشركات صاحبة الامتيازات والمثل الأعلى والسمعة الحسنة التى نماها كبار الفرنسيين منذ خمسة قرون ، ويؤلمنا أكثر أن هؤلاء يقوضون الاعتبار الذى كسبته فرنسا فى الشرق كحامية للانسانية ومدافعة عن حقوق الانسان » .

★★★

ويطالب رئيس مجلس النواب العراقى زميله رئيس مجلس النواب الفرنسى بالتحقيق بنفسه فيما اذا كانت هذه الأعمال والتصرفات التى تحدث اليوم فى سورية تتفق والمبادىء الانسانية التى بشرت بها فرنسا فى خلال العصور ، واذا كانت تتفق والمبادىء الانسانية ، التى سن على أسسها الانتداب » .

ويرسل كذلك نائب ، الموصل ونواب البصرة ، وكثير من النواب العراقيين برقيات مماثلة الى المسئولين الفرنسيين والى جمعية الدفاع عن حقوق الانسان فى باريس وفى نفس الوقت ، كان صحفيون سوريون كبار يزورون مصر ، ويلقون الترحيب والتكريم من كل الصحفيين ، والكتاب المصريين ومن كبار السياسيين أيضا ، وكان من بين هؤلاء الصحفيين الأساتذة معروف الأرناءوط صاحب جريدة فتى العرب ، ونجيب الريس صاحب القبس ، ونصوح بابيل صاحب الأيام وتيسير ظبيان صاحب الجزيرة .

وبعد تلك الاطلالة العربية السريعة نعود الى الحديث عن الانتخابات والمفاوضات فلم يكن لمصر وقتئذ ـ عام ١٩٣٦ سوى الحديث عن الانتخابات والمفاوضات .

الفصل الرابع

ومع بداية المفاوضات

بدأت معركة الانتخابات كما بدأت الانقسامات الداخلية

وكانت معركة الانتخابات قد بدأت منذ أن سقطت وزارة اسماعيل صدقي ، كان الحديث عن الانتخابات لا يتوقف حتى فى أيام وزارة عبد الفتاح يحيى باعتبار أن نظام اسماعيل صدقي قد انهار بعد أن جيء ، بعبد الفتاح يحيى ، ولما جاءت وزارة نسيم باشا ، بدأ الحديث جديا عن تقسيم الدوائر ، وبدأ المرشحون – كما هو العادة – يعيدون الاتصال بدوائرهم و ٠٠ و ٠٠ وكانت الأحزاب ترغب – فيما عدا الوفد – فى تقسيم الدوائر ، بحيث يكون من نصيب الوفد المصرى كذا دائرة ، والأحرار الدستوريين كذا دائرة و ٠٠ و ٠٠ ولكن الوفد كان مصرا على عدم قبول تلك الفكرة ، التى كانت تلح عليها بقية الأحزاب الأخرى ، وان كان فى النهاية قد أبدى استعداده لعدم ترشيح وفديين فى الدوائر التى يرغب أعضاء وفد المفاوضات المصرى فى ترشيح أنفسهم فيها ، حتى يجنب هؤلاء الأعضاء مشقة عملية الانتخابات .

***

وفى ٢١ مارس ١٩٣٦ بدأ الوفد يعلن عن ترشيحاته ومن بين هؤلاء المرشحين – مثلا – أحمد حمدى سيف النصر بك ، قسم مصر القديمة : عبد المجيد الرمالى أفندى ، قسم السيدة زينب ، الدكتور أحمد ماهر ، قسم الدرب الأحمر ، أحمد حافظ عوض : قسم باب الشعرية ، زهير صبرى قسم بولاق ، كامل صدقى : قسم الأزبكية ، الدكتور نجيب اسكندر : قسم شبرا .

وفى الاسكندرية : الأستاذ عبد الفتاح الطويل ، قسم محرم بك ، محمود فهمى النقراشى ، قسم الجمرك ، حسن سرور ، قسم كرموز ، ممدوح رياض قسم المنشية ، عزيز أنطون ، قسم اللبان .

***

وفى محافظة دمياط حسين البدرى بك : دمياط ٠٠ وفى القليوبية : د٠ حامد محمود ـ طوخ ، ميخائيل غالى ، العمار ، أحمد حمزة ـ نوى ـ البرادعة: محتفظ بها ـ كما جاء فى قرار الوفد المصرى ـ لحضرة صاحب السعادة الدكتور حافظ عفيفى باشا ، عضو الوفد المصرى ، محمد عبد الهادى الجندى ـ الغربية ، واحتفظ الوفد المصرى بدائرة القنايات لعلى الشمسى باشا عضو ، الهيئة الرسمية للمفاوضة وكان من بين مرشحى الوفد أيضا ، فى الشرقية ـ حسن مرعى بك ـ دائرة التلين ٠ على السيد أيوب ، التل الكبير ٠ محمد فتحى المسلمى الدهتمون ٠ محمد فريد الطاروطى ، بنى حريد ، شيخ العرب محمد السعدى الطحاوى ، جزيرة مسعود ٠ ومن مرشحى الدقهلية : مصطفى نصرت (ميت أبو خالد) سيد سعيد الرحمن سليم (البوها) محمود عبد النبى بك : أجا ، راغب فودة (ديرب نجم) حسن فودة السنبلاوين اسماعيل رمزى باشا تمى الامديد ، محمود نصير بك : مدينة المنصورة ، أحمد نجيب الهلالى بك ، « المطرية » ٠ ابراهيم عبد الهادى : الزرقا ، طاهر اللوزى : فارسكور ٠

وفى المنوفية : أشمون ، محتفظ بها لسعادة محمد حلمى عيسى باشا عضو الهيئة الرسمية للمفاوضات ، أحمد صبرى أبو علم ، (منوف) ، أنطون جرجس أنطون (بركة السبع) ٠

***

وفى الغربية عبد السلام فهمى جمعة بك مدينة طنطا ، وسمنو ومنشأة الصباحى ، محتفظ بها لاسماعيل صدقى ، باشا ، وعوض الجندى « سنباط وحصتها » ، حسين المراسى « بسيون » عثمان محرم دسوق ، عمر عمر « كفر الشيخ » ، فؤاد سراج الدين ، بلقاس أول ، عبد العزيز البدراوى ، ميت أبو غالب ، سيد محمد البدراوى باشا ، نبروه ، السيد عبد الهادى القصبى ، طنطا دولة الرئيس الجليل مصطفى النحاس باشا ، سمنود ٠ د٠ حيدر الشيشينى ، المحلة الكبرى ٠

***

وفى البحيرة محمد سليمان الوكيل باشا ، مدينة دمنهور ، عبد الواحد الوكيل ، المحمودية ، محمد محمد الوكيل ، مركز دمنهور ٠

وفى الجيزة يحتفظ الوفد بدائرة تكلا لأحمد عبد الوهاب باشا ، وزير المالية ـ محمود سليمان غنام (تاج الدولة) ، محمد عزام « حلوان » ٠

وفى بنى سويف : محمد أمين الريدى (الواسطى) حسن يس « أشمنت » واصف بطرس غالى مديرية بنى سويف ٠

وفى مديرية المنيا دائرة السلطان حسن . للأستاذ سامح موسى خريج جامعات انجلترا ومن الأعيان دائرة مركز المنيا ، محتفظ بها فؤاد سلطان بك مدير بنك مصر .

★★★

وفى أسيوط : دائرة الحواتكة لعبد الرحمن حفنى الطرزى أفندى « مدينة أسيوط » محمود بسيونى عضو الوفد المصرى ومحمد حامد جودة « الحمراء » باقور ، الأستاذ عازر جبران : النخيلة ، الشيخ : محمد أحمد الصدى . البربا ــ محتفظ بها لمحمد محمود باشا ، بنى محمد ، الشهابينة ، شاكر غزالى بك بصرة ، سامى أخنوخ ، فاقوس .

★★★

وفى جرجا : سعد الدين أبو رحاب ، المنشاة ، خليل أبو رحاب ، أولاد حمزة ، برديس : أحمد على أبو ستيت ، البلينا ، محمد فؤاد أبو ستيت وفى قنا ، مكرم عبيد : دائرة قنا . وفى دائرة قفط الشيخ محمد على اسماعيل .

★★★

ولقد استهدفت من ذكر ، بعض أسماء مرشحى الوفد التاكيد ، على أن الوفد كان يدرس جغرافية وتاريخ كل دائرة ويختار لها القادر على النجاح ، وليس الاكفاء ، انه كان يختار من الأسرة الواحدة مرشحين ، أو ثلاثة أو أربعة ويوزعهم على الدوائر بصرف النظر عن تواجدهم ، الدائم فى مقار دوائرهم أو عدم تواجدهم ، وكان مرشحو الوفد فى أية انتخابات حرة يفوزون بما لا يقل ــ ان لم يزد ــ على ٨٠٪ من عدد الدوائر .

★★★

وقد كان خلو كشف ترشيحات الوفد المصرى من اسم الدكتور محمد حلمى الجيار سببا فى قيام ثورة بين شباب الدقهلية الذين كانوا يعتبرون الجيار زعيما لهم ، وكانت مظاهرة ، عنيفة اشترك فيها غالبية طلاب المنصورة الذين ساروا فى مظاهرة كبيرة طافت بأنحاء المدينة مطالبة بترشيح الجيار وكان من بين هتافاتها الدكتور الجيار نائب المنصورة ، نريد نائبا قويا ، نريد نائبا يمثل الشباب . الشباب لا يثق الا فى زعيمه .

★★★

ويصطدم المتظاهرون بالبوليس وكان مأمور بندر المنصورة قد هاله قيام مظاهرة عنيفة بعد أن هدأت البلاد ، فأمر رجاله باستخدام العصى الغليظة

لتشتيت شمل المتظاهرين ولكن المتظاهرين رغم قسوة الضرب ، وعنفه لم يتفرقوا وكان بينهم وبين رجال البوليس معركة حول العلم المصرى ، البوليس يريد أن يستولى عليه ، لأن الشباب يتبعون حامل العلم والشباب يدافع عن العلم بكل ما يملك من قوة ـ ورغم نجاح البوليس فى تمزيق العلم شر ممزق ، الا أن الشباب ظلوا متجمعين ، متجمهرين ، مارين بكثير من شوارع المنصورة الى أن وصلوا ، الى مستشفى الدكتور الجيار وكان فى شارع السكة الجديدة ، كما أذكر ، وهتف الشباب للدكتور الجيار وطالبوه بترشيح نفسه رغم عدم ترشيح الوفد له • وتحدث الدكتور الجيار ، مؤكدا تمسكه ، بمبادىء الوفد المصرى وزعامة الوفد المصرى ومعلنا انه سوف يرشح نفسه بعد استشارة الـــوفد •

★★★

وفى اليوم التالى أذيع بيان الدكتور الجيار ـ وكان فعلا من قيادات الشباب القوية ، وربما كانت قوته هى مصدر عدم ترشيح الوفد له ، وكان البيان يحمل العنـــوان التالى : « للوطن والمبدأ أقدم على ترشيح نفسى » • وقد نشرت جريدة روز اليوسف اليومية هذا البيان ، فى صفحتها الأولى ، وقد جاء فى البيان ما يلى :

« حملت علم الثورة فى سنة ١٩١٩ من يوم اشتعالها وأنا طالب بكلية الطب ولم ترهبنى الأحكام العرفية ولم يخفنى الموت حتى قبض على مع صاحب العزة عبد الرحمن بك فهمى فى قضية جماعة الانتقام ، فى مايو ١٩٢٠ وألقيت فى السجن محكوما على بخمسة عشر عاما فى فبراير ١٩٢١ ولما لم أطق صبرا ، على الحياة بعيدا عن ميدان الجهاد أعملت الفكر بعد أن عقدت العزيمة ونفذت ارادتى بالافلات منه فى نوفمبر سنة ١٩٢٢ والتجأت الى تركيـا حتى وزارة المرحوم زعيمنا سعد زغلول باشا الذى ضرب المثل الأعلى فى حرصه على رجاله واذكاء روح الوطنية الصادقة فيهم واستعجل عودتى من تركيا فعدت فى مارس سنة ١٩٢٤ الى مدرسة الطب طالبا مجـــاهدا من جديد ، حتى كانت حادثة السردار المشئومة فى نوفمبر ١٩٢٤ اذ اختفيت ثم سلمت نفسى وقبض على مدة شهرين الى أن أفرج عنى • وقد تمكنت من أداء امتحانى فى السجن ونلت دبلوم الطب بعد هذا الجهاد العنيف فى ابريل ١٩٢٥ •

★★★

ويقول الدكتور الجيار : أنه عاون فى انجاح المرحوم ويصا واصف بك ومعاونيه فى الانتخابات وحارب جميع الوزارات الرجعية فناله منها ما ارتاح اليه من عنت واضطهاد ، وتعذيب ، وارهاق ، ويروى كيف عمل فى مستشفى

المنزلة المركزى فى وظيفة حكيمباشى الى أن فصله من وظيفته اسماعيل صدقى والى اعتقاله ، فى حوادث دكرنس ومحاكمته أمام محكمة الجنايات وتبرئته ، ويقول انه كان ومازال عضــوا فى لجنة الوفد العامة من سنة ١٩٢٥ واشترك فى جميع الهيئات التى تكونت أو كونها تحت لواء الوفديين من اتحاد العمال ولجان الشبان أو فرق الشباب الوفدى .

★★★

ويقول انه قبيل الانتخابات بفترة كافية رغب فى أن يرشح نفسه وانه فاتح « دولة رئيسنا الجليل ، وكثيرا من حضرات أعضاء الوفد فى الأمر « فلقيت من جميعهم عطفا وترحابا وتشجيعا ، ولكن على غير انتظار صدرت ترشيحات الوفد ، خلوا من اسمى . فأرسلت فى الحال تأييدى الخالص للمبدأ وللزعامة . ولقد شرفت بمقابلة دولة الزعيم أمس بعد استدعائى من المنصورة فلقيت من دولته العطف الخالص والتقدير الشامل ، والأسف الشديد لأنه حالت ظروف خاصة من اختلاف بينى وبين بعض اخوانى فى لجنة الوفد العامة بالدقهلية دون ترشيحى ولما كان هذا الخلاف لا يمت الى المبدأ أو العقيدة وانما يتناول بعض وجهات النظر مما هو طبيعى فى كل هيئة ، لا يبلغ من الأهمية درجة تحول دون حرمانى من تحمل قسطى فى الخدمة العامة ، فى النيابة كما كان الحال فى الماضى ، ولمــا كنت أحتفظ لهم ولغيرهم بكل ود واخــلاص قلبى ما دامت التضحية والتفانى رائد الجميع ، ولما كنت مستعدا ، أن أتعاون معهم ، ومع غيرهم ومع كل من يتقــدم لرفع علم الوفد عاليــا فوق الرءوس ، ولما كانت ترشيحات الوفد قد أباحت التقدم ، لشخصين فى دائرة واحدة حتى مع نائب سابق علاوة على أنها تركت دوائر لأشخاص لم يكونوا وفديين يوما ، من الأيام ، ورشحت آخرين من هذا الطراز فى غيرها . ولما كان استعدادى ، دائما هو أن أضع حياتى ، وقدراتى ، ومالى ، فى سبيل مصر وتحت لواء الوفد ، وزعامته الرشيدة ، فانى أتقدم بهذا التاريخ وتلك الصفحة وهذا العهد مرشحا نفسى عن دائرة من دوائر الدقهلية فان وفقت فهاكم ميثــاقى لا أتحول عنــه وان لم أوفق فواجب ، أقوم به كما قال سعد فى الجمعية التشريعية خدمة لوطنى ، وارضاء لضميرى » .

★★★

ولما كان عبد الرحمن فهمى بك أحد كبار الشخصيات ، الفدائية فى مصر ، هو مدير سياسة جريدة روز اليوسف وكان حلمى الجيار من تلاميذ عبد الرحمن فهمى ومن العاملين معه فى الحقل الفدائى فقد فتحت روز اليوسف ، صدرها للدكتور حلمى الجيار ، الذى كانت معركته الانتخابية من أهم المعارك ، لأنها بدأت بمظاهرة من أخطر مظاهرات الشباب أكدت لحكومة على ماهر أن استقرار

الأمور في عهد وزارته ليس ثابتا أبدا وانما هو استقرار مؤقت ، مزعزع لا يستطيع أن يقف أمام قوة الشباب المصرى » ٠

★★★

وكان الأزهر ، فى تلك الأيام قد احتفل بعيد الهجرة وكان الحزب الوطنى هو وحده دون الأحزاب المصرية ، الذى احتفل أيضا ـ استمرارا للتقاليد التى أرساها مصطفى كامل ، ومحمد فريد ـ بتلك الذكرى العطرة ٠

وكان شباب الوطن الاقتصادى ـ وهم جماعة من خيرة شباب مصر رأت أن الاستقلال السياسى لا يتم ، الا بالاستقلال الاقتصادى ـ هؤلاء الشباب طلبوا من الأستاذ عباس محمود العقاد أن ينظم لهم نشيدا وطنيا يرتلونه فى مهرجاناتهم واستجاب العقاد لرغبة الشباب فكان هذا النشيد الذى كتبه العقاد ، ولحنه ابراهيم عز الدين المحامى وجاء من بين كلمات النشيد :

قد رفعنا العلم
للعلا والفداء
فى ضمان السماء
حى أرض الهرم
حى مهد الهدا
حى أم البقاء
كم بنت للبنى
مصر أم البناء
من عريق الجدود
آية الخالدين
من يهبها الحياة
وهبته الخلود

★★★

وبينما المفاوضات المصرية البريطانية تجرى بهمة ونشاط ، وبينما معركة الانتخابات لمجلس النواب ومجلس الشيوخ ، فى مصر تجذب انتباه كل الجماهير المصرية اذا بالمستر ساندیز عضو مجلس العموم البريطانى يسأل مستر ايدن ، عن سير المفاوضات المصرية البريطانية ٠ ولا يجيب مستر أنتونى ايدن بأكثر من قوله :

« ان المحادثات التمهيدية للمفاوضات للوصول الى تسوية ، ما زالت سائرة ولم يحن الوقت بعد للادلاء بتصريح فى هذا الموضوع ٠

وبينما المفاوضات المصرية البريطانية تجرى بهمة ونشاط ، وبينما معركة الانتخابات لمجلسى الشيوخ والنواب تجذب انتباه الرأى العام المصرى ٠٠ اذ بعاصفة مثيرة تحدث فى مجلس العموم البريطانى ، تشد الانتباه فى مصر ٠٠ فبعض النواب البريطانيين حاولوا احراج الحكومة ، وأثاروا قضية اشتراك الدكتور أحمد ماهر والأستاذ محمود فهمى النقراشى فى وفد المفاوضات المصرية ـ البريطانية ، وقد سبق أن أشرنا الى سؤال المستر ساندبز عضو مجلس العموم للمستر ايدن وزير الخارجية البريطانية عن سير المفاوضات ، ورد المستر ايدن عليه ٠٠ ثم تواصلت الأسئلة والردود ٠

★★★

● يسأل المستر كارتلاند المستر ايدن ، عما اذا كان يمكنه أن يذكر أسماء أعضاء الوفد الذين حوكموا فى محكمة القاهرة سنة ١٩٢٦ فى مؤامرة اغتيال السردار ٠ وهذا السؤال لم يكن أحد يتوقعه على الاطلاق خاصة وأن القضية انتهت وان اثارة مثل هذا الموضوع بينما المفاوضون المصريون والمفاوضون البريطانيون ، يقومون ، بعملهم لا يهدف الا الى اثارة الحزازات القديمة من جانب بعض النواب البريطانيين ٠

وقد أخطأ مستر ايدن ، خطأ شنيعا عندما قال : لقد حوكم فى هذه القضية تسعة كان من بينهم شفيق منصور عضو الوفد المصرى ٠ ولم يكن شفيق منصور فى يوم ما عضوا فى الوفد المصرى ٠

ويسأل نائب آخر هو مستر لينوكس بويد : عما اذا كان من المرغوب فيه أن يكون أحد الأشخاص على الأقل ، الذين اعتبرتهم الحكومة البريطانية مدانين رسميا ٠٠ عضوا فى الوفد المصرى المفاوض ؟ ٠ ويطلب مستر ايدن من النائب المحافظ أن يدون سؤاله كتابة فطرح النائب لينوكس سؤاله ، بالصورة التالية :

هل يذكر مستر ايدن أن اللورد لويد بصفته مندوبا ساميا نشر بيانا فى مصر ، يصرح فيه بأن الحكومة البريطانية لا يمكن أن تفاوض مرة ثانية أى واحد من هؤلاء ، الأشخاص ؟

ويجيب مستر ايدن بقوله : أظن أن مثل هذه الأسئلة الخطيرة يجب أن تترك ٠

★★★

وكان الهدف من سؤال مستر لينوكس احراج أحمد ماهر ، والنقراشى عضوى الوفد المصرى وعضوى وفد المفاوضات المصرى وكانا من بين المتهمين فى احدى قضايا الاغتيالات التى تمت فى سنة ١٩٢٥ ٠

ويسأل المستر ايدن فى مجلس العموم البريطانى عن عدد المحامين فى الوفد المصرى وأسمائهم ، فيجيب : ان ما لديه من المعلومات يدل على أنه ليس هناك خبراء قانونيون منضمون الى الوفد المصرى ، ولو أن بعض أعضاء الوفد المصرى من المحامين ، أو ممن تلقوا دراسات قانونية ٠

ويسأل المستر دونر عضو المجلس نفس السؤال ، الذى سبق أن سأله مستر لينوكس بويد ، عما اذا كان موقف أحمد ماهر ، والنقراشى من الحكومة البريطانية يدعو الى عدم الرغبة فى أن يشترك هذان الرجلان فى المحادثات الانجليزية ـ المصرية ٠

ويجيب المستر ايدن بقوله : ان النقراشى كان عضوا فى الوفد المصرى الذى تفاوض فى سنة ١٩٣٠ بينما اصطحب أحمد ماهر الوفد كخبير فنى فنظرا لهذه الحقائق تكون الحجة التى استند اليها المستر دونر لا قيمة لها ٠

ويعود مستر لينوكس بويد الى سؤال وزير الخارجية البريطانية ، ولكن بصيغة أخرى ٠٠ فيقول : كان تصريح رئيس االحكومة البريطانية فى يونيو ١٩٢٦ والخاص بتبرئة المتهمين الأربعة فى مؤامرة اغتيال السردار ، ومن بينهم أحمد ماهر ٠٠ وهذه التبرئة لا يمكن أن تقبلها بريطانيا كدليل على براءته ٠٠ هل لا تزال وجهة نظر الحكومة البريطانية كما هى ؟!

ويقول المستر ايدن : ان السائل مخطىء فى سؤاله ، فانه لم يصدر عن الحكومة البريطانية مثل هذا التصريح بشأن محاكمة الذين اتهموا فى مؤامرة اغتيال السردار ٠

★★★

ويسأل المستر كارتلاند عما اذا كان الأستاذ أحمد ماهر ، والأستاذ النقراشى حوكما بتهمة التآمر على قتل السردار ؟ فيجيب المستر ايدن بالنفى ٠

وفى نهاية الأسئلة يثير المستر تشرشل مسألة ترتيب سؤال المستر كارتلاند ، فيقول : انه كان على المتكلم أن يلاحظ أن سؤاله يتضمن اتهامات خطيرة ضد سيدين من أعظم رجالات السياسة المصرية البارزين ٠ وقد صرح وزير الخارجية بأن الأسانيد التى يلجأ اليها السائل لا أساس لها ـ وهو أى تشرشل ـ يفهم أن القاعدة التى يسير عليها المجلس ، ان الأعضاء يقبلون المسئولية عن البيانات التى تتضمنها أسئلتهم ٠

★★★

وقال ــ أى تشرشل ــ انه كان على المستر كارتلاند قبل أن يدلى بمثل هذه البيانات الخطيرة أن يتأكد انها حقيقية ، فاذا ما أدلى عضو ببيانات من هذا النوع دون أن يكون متأكدا من صحتها ، فان فى ذلك خرقا بالغا لنظام المجلس.

ويدافع المستر كارتلاند عن نفسه قائلا :

« بشــأن مسألة النظام ، التى أثارها المستر تشرشل ، هل يمكننى أن أقول انه بحسب ما أعرف عندما توجهت بسؤالى أن الوقائع صحيحة من جميع الوجوه ولم يكن لدى متسع من الوقت عنـدما أعتزم المستر تشرشل أن يثير مسألة النظام ، أن أدلى ببيان من ذى اختصاص ، أكثر مما جاء فى كتاب كتبه رئيس الوزارة المصرية السابق استعرض فيه هذه الحقائق الخاصة . فقد ذكر الكتاب أن هذين السيدين حوكما فى القاهرة،وأطلقت محكمة الموضوع سراحهما فى الخامس والعشرين من شهر مايو ١٩٢٦ . وكانت المحاكمة قـد بدأت منذ شهر مارس . ففى هذه الوقائع أعتقد ان بياناتى صحيحة » .

ثم استطرد مستر كارتلاند قائلا :

« ان القاعدة الخاصة بالأسئلة معروفة . ان السائل والمدلى ببيان مسئول عن البيانات الواردة فى سؤاله . وانى أرى انه لا يمكننــا أن نفعل أكثر من ذلك » .

★★★

ويعود مستر كارتلاند فى جلسة تالية الى اثارة موضوع الدكتور أحمد ماهر والأستاذ النقراشى .

فيسأل المستر كارتلاند وزير الخارجية البريطانية مرة أخرى قائلا :

« هل تعلم أن الدكتور أحمد ماهر والأستاذ النقراشى العضوين فى الوفد المصرى قد حوكما فى عام ١٩٢٦ بتهمة التآمر على القتل ، وانهمــا حاولا أن يغتالا كثيرين من البريطانيين والمصريين ؟ ــ وهل تعلم أيضا ــ والسؤال موجه الى وزير الخارجية البريطانية ــ ان المندوب السامى البريطانى هو الذى ناب عن الحكومة البريطانية فى اخطار رئيس الوزارة المصرية ، بأن الحكومة البريطانية تأبى أن تقبل أن يكون اطلاق سراح هذين السيدين ــ أحمد ماهر والنقراشى ــ دليلا على براءتهما ؟

★★★

ويجيب فى هذه المرة اللورد كرامبورن الوكيل البرلمانى لوزارة الخارجية قائلا :

« نعم ان الوقائع كما ذكرها العضو المحترم فى سؤاله صحيحه والكن يجدر بى أن أوضح كما بين ذلك المستر ايدن أمس « ٥ ابريل ١٩٣٦ » ٠

ان الدكتور أحمد ماهر والأستاذ النقراشى لم يحكم عليهما فى مؤامرة اغتيال السردار » ٠

ويسأل مستر كارتلاند :

« هل كانت هذه الوقائع معروفة لدى وزير الخارجية ، عندما وافق على كيفية تأليف وفد المفاوضة المصرى وشخصياته ٠ وهل ظن انه من المستحسن — نظرا لماضيهما — ان يفاوض هذان الرجلان الحكومة البريطانية ؟ » ٠

ويرد المستر كرانبورن قائلا :

« نعم لقد كانت هذه الوقائع معروفة ، وواضح لدى المجلس ان هذه الحقائق ليست توصيات ، ولكن يجدر بى فى الوقت نفسه أن أقول ان هذه ليست المرة الأولى التى يشترك فيها هذان السيدان فى مفاوضات مع الحكومة البريطانية ٠ فقد اشتركا فى مفاوضات عام ١٩٣٠ » ٠

ويسأل المستر دونور :

« لماذا تجارى الحكومة الوطنية « المحافظة » سياسة الحكومة الاشتراكية « العمالية » ٠٠ وخصوصا اذا كانت الخطة التى سار عليها الاشتراكيون قد انتهت بفشل المفاوضات ؟ » ٠

★★★

ويجيب اللورد كرانبورن بقوله :

« انى أظن أن أعضاء جميع أحزاب المجلس يرغبون أن تؤدى المفاوضات الى تسوية حسنة دائمة بين بريطانيا ومصر ٠ وانى أرى انه من غير المرغوب فيه التحامل على نجاح المفاوضات بالاعتراض على اشتراك هذين العضوين » ٠

ويسأل مستر البينوكس : عما اذا كان يظن ان النية الحسنة الدائمة بين بريطانيا ومصر تنال عن طريق الضعف فى هذه القضية ؟

★★★

ويجيب اللورد كرانبورن بقوله :

« ان النية الحسنة الدائمة تنال عن طريق النجاح فى المفاوضات » ٠

ويسأل المستر ترتل قائلا : هل نفهم من الجواب أن التصريحات التى تضمنها سؤال أمس ، بأن الاعتراض الذى أبدى هو فى الحقيقة غير صحيح وان

النقراشى وماهر لم تثبت عليهما تهمة المؤامرة ، مؤامرة قتل السردار وانه من المعروف أن مبادىء القانون الانجليزى ، ان الرجل يعتبر بريئا الى أن يقدم الدليل على ادانته » ٠

ويجيب اللورد كرانبورن عن القسم الأول من السؤال قائلا :

« انى أظن أن الموقف الحقيقى قد وضح باجابتى ٠٠ » ٠

وأجاب عن القسم الثانى قائلا : « الحقيقة هى ان المحكمة لم تحكم بادانه هذين السيدين » ٠

ويسأل المستر ساندير : « أولم تكن الفقرة الوحيدة غير الصحيحة الواردة فى بيان المستر كارتلاند هى قوله : ان الدكتور أحمد ماهر والأستاذ النقراشى قد أدينافى مؤامرة اغتيال واحدة ٠٠ بدلا من ست مؤامرات ؟ » ٠

ويرفض اللورد كرانبورن الرد على هذا السؤال ٠

وتهتم الصحافة المصرية اهتماما بالغا بهذه الحملة الطائشة على الدكتور أحمد ماهر والأستاذ محمود فهمى النقراشى ٠ وتتولى الصحف المصرية من جميع الأحزاب ، من كل الأحزاب المصرية ــ وليس من حزب الوفد وحسب ــ الرد على هذه الحملة ٠

***

وكان مما قاله الأستاذ عبد الرحمن بك فهمى ــ أستاذ النقراشى وماهر وغيرهما من قادة العمل الوطنى الفدائى :

« يقول هؤلاء المتصايحون بالسخف ، ان الأستاذين الكبيرين ماهر والنقراشى يجب الا يكونا ضمن أعضاء الوفد المصرى الرسمى ، واتهما اتهما فى جريمة وبرئا من التهمة ، ومن العدل أن نثنى على موقف وزير الخارجية البريطانية من هذه الحملة المدبرة ، لقد كان موقفه على شىء كبير جدا من النبل والانصاف ، ولكننا نتجاوز هذا لنسأل أولئك المتحاملين : ألم يكونوا على علم حين بدأت مفاوضات ١٩٣٠ بأن الدكتور ماهر وقد كان مستشارا فى الوفد الرسمى المفاوض ، والأستاذ النقراشى وقد كان وزيرا فى ذلك الحين ٠٠ كانا متهمين بريئين ؟ ٠٠ لاشك أن النواب المتسائلين كانوا على علم بذلك ٠ ولكنهم لم يعكروا الجو اذ ذاك ٠٠ لأن أحدا يدفعهم الى ذلك وهم يعكرونه اليوم ، لأنهم مدفوعون الى ما فعلوا فالذنب ليس ذنبهم ، وانما هو ذنب المحرك الراصد من وراء الستار ٠ ولاندرى حتى الآن أهو مصرى ــ كما تلوك بعض الألسن ــ أم بريطانى على ما نعتقد ٠٠ أم هو خليط من هذا وذاك » ٠

***

ويقول الأستاذ عبد الرحمن فهمي :

« ان الأستاذين النقراشي وماهر ، أرفع من أن تنال منهما حملة كتلك الحملة الطائشة · وانهما العلمان من أعلام مصر،يعرف قدرهما الوطن ·وحسبهما من مجد أن حاول أعداؤهما النيل منهما . فارتدت على الأعداء دعواهم ، وظفر الوطنيان الصادقان بما هما أهل له من تقدير الخصوم والأصدقاء على حين ظفر المتحاملون عليهما بالهزيمة والخذلان » ·

والجدير بالذكر أن قضية اغتيال السير لى ستاك ـ سردار الجيش المصرى ـ صدر الحكم فيها فى ٧ يونيو ١٩٢٥ ـ وكانت المحكمة مؤلفة من : أحمد عرفان باشا رئيسا ، والمستر كيرشو ، ومحمد مظهر بك عضوين وكان الحكم فى هذه القضية بالاعدام على كل من : عبد الفتاح عنايت الطالب بمدرسة الحقوق وقد خفف الحكم بالنسبة له من الأعدام الى الأشغال الشاقة المؤبدة · ونفذ حكم الاعدام فى كل من : عبد الحميد عنايت الطالب بمدرسة المعلمين العليا ، ابراهيم موسى الخراط بالعنابر · محمود راشد المهندس بالتنظيم · على ابراهيم موسى الخراط بالعنابر · حسن النجار بمصلحة تلغرافات الحكومة · شفيق منصور المحامى · محمود أحمد اسماعيل الموظف بوزارة الأوقاف ·

وكان الحكم بالنسبة لسائق السيارة التى نفذ بها المتهمون حادث الاغتيال ، وهو محمود صالح ، السجن عامين ·

★★★

والجدير بالذكر أيضا انه على اثر مقتل السردار اتجه التحقيق فى عهد وزارة زيور باشا الى ايجاد صلة بين حادث مقتل السردار وحوادث القتل التى وقعت على البريطانيين من قبل · ووجه الاتهام الى بعض أئمة الوفد وهم : الدكتور أحمد ماهر ، والاستاذ محمود فهمى النقراشى ، والأستاذ حسن كامل الشيشينى · كما اتهم فى هذه القضية أيضا عبد الحليم البيلى بك · ومحمد فهمى على · ومحمود عثمان مصطفى ، والحاج أحمد جاد الله · وكانت هيئة المحكمة مؤلفة من المستر كيرشو رئيسا ، وكامل ابراهيم بك وعلى عزت بك عضوين · وكانت هذه القضية من أهم القضايا السياسية حتى ذلك التاريخ وقد ترافع فيها مصطفى النحاس ، ومرقص حنا ، ومكرم عبيد ونجيب الغرابلى ، وسلامة ميخائيل ، ومحمد يوسف ، عن الدكتور أحمد ماهر والأستاذ النقراشى · كما ترافع فيهما الأستاذان أحمد لطفى ومصطفى الشوربجى من أقطاب الحزب الوطنى عن الأستاذ حسن كامل الشيشينى باعتباره أيضا من قيادات الحزب الوطنى ·· كما ترافع أيضا الأستاذ زهير صبرى عن محمد فهمى على ، والأستاذ ابراهيم رياض عن أحمد جاد الله · والأستاذ عبد الله حسين عن محمود عثمان مصطفى · ووهيب دوس عن عبد الحليم البيلى ·

وفى ٢٥ مايو ١٩٢٦ صدر الحكم بالاعدام شنقا على : محمد على فهمى وبراءة جميع المتهمين الآخرين ٠

★★★

والجدير بالذكر أيضا أن القاضى كيرشو لم يكن موافقا على براءة ماهر والشيشينى والحاج أحمد جاد الله ومحمود عثمان مصطفى ٠ وقد قدم استقالته من وظيفته بعد الحكم ، وبناها على اعتراضه على براءة هؤلاء وخرج على التقاليد القضائية المرعية وهى الحفاظ على سرية المداولة ٠ اذ لا يليق بالقاضى أيا كانت الظروف التى تحيط بنظر القضية أن يفشى أسرار المداولات التى يجريها القضاة فيما بينهم وبين بعضهم ، حيث تعتبر تلك المداولات سرية للغاية ، ولا يجوز أبدا الافصاح عن هذه المداولات فيقول هذا القاضى : كنت موافقا على الادانة ، أو كنت معترضا عليها ٠ كما فعل المستر كيرشو ٠٠ الذى أذاع سر المداولات التى جرت بينه وبين زميليه كامل ابراهيم بك وعلى عزت بك ٠

وقد قال كيرشو ، انه كان معترضـا على براءة الدكتور أحمـد ماهر ، والشيشينى ، وجاد الله ، ومحمود عثمان مصطفى ، وكان يرى ادانتهم بعكس زميليه فى هيئة المحكمة ٠

ويقوم المندوب السامى البريطانى بابلاغ الحكومة المصرية ، أن الحكومة البريطانية ترفض قبول حكم المحكمة بالنسبة لهؤلاء الأربعة كدليل على براءتهم من التهم الموجهة لهم ٠

★★★

والجدير بالذكر كذلك ان مصطفى حنفى بك رئيس نيابة الاستئناف ، وممثل النيـابة العامة فى هـذه القضية قد روى فى مرافعته « تاريخ الاجرام السياسى فى مصر » ٠٠ وكان من بين ما قاله فى مرافعته :

« الآن انتهى واجب مهنتى ، وبقى واجب وطنى ٠ واذا كانت هذه المهنة قد منعتنى فى الماضى أن أدلى برأى فى هذه المسائل التى أقلقت البال أعواما طوالا ، فان هذه المهنة نفسها هى التى وقفتنى اليوم هذا الموقف ، فأتاحت لى فرصة قلما تسنح مرة أخرى فمن الواجب ألا أتركها تمر دون أن أقول كلمة فى سبيل بلادى ٠ وقد لا أكون فى هذه الكلمة الا معبرا عن رأيى الخاص ، دون أن أمثل أحدا ٠٠ ان هؤلاء المتهمين أقلية ضئيلة ، بل أقلية تافهة لا تعبر الا عن رأيها ، فعليهم وحدهم أن يحملوا مسئولية أعمالهم ، وعليهم وحدهم أن يحملوا تبعتها ٠ واذا كانت هذه التحقيقات أيضا ، لم تثبت وجود أية صلة بين هذه الفئة القليلة وبين أية هيئة سياسية ، فمن الانصاف أن نقرر هنا أن مجموع الأمة برىء من هذا الاجرام ٠

« تحكمون بادانة المتهمين أو ببراءتهم ، حسبما تستريح اليه ضمائركم الطاهرة ، ولكنكم ستقضون حتما بأن مصر بريئة من الاجرام والمجرمين ، وستظل سائرة فى طريقها المشروع نحو غايتها المنشودة رافعة راية السلم حتى تتبوأ بين الأمم مركزا يليق بتاريخها الخالد المجيد » .

وكان من بين ما جاء فى مرافعة الأستاذ مكرم عبيد :

« لقد أثارت هذه القضية بين الناس على تباين نزعاتهم وأهوائهم شديد اهتمامهم وكامن عواطفهم ، وهذا طبيعى لأن القضية سياسية ، والسياسة كانت ولا تزال مسرحا لكل عاطفة ، وسوقا لكل شهوة ، وميزانا لكل ضعف وكل قوة . ولقد نتج عن هذا الخلط بين السياسة والقانون أن اختلطت فى القضية أسباب الحق بالباطل والعدل بالظلم والصدق بالكذب حتى أصبحت مجمعا لكل تناقض ومضربا لكل مثل » .

★★★

وقبل أن ينهى مكرم عبيد مرافعته يقول :

« من سوء حظ البشرية أن هناك نفوسا اذا لم تكبح تجمح ، اذا لم ترعو لا تستحى . وهناك نفوس تجزع ونفوس تطمع .. وهكذا فالاستثناء ـ أى الاجراءات الاستثنائية فى الاتهام والتحقيق ـ مهما تلطفنا فى تسميته هو الظلم بعينيه ـ لانه يفتح الباب لكل شهوة ، ويتنافى مع كل مساواة . ولهذا قلت ان الناس قلقوا وأوجست نفوسهم خيفة ، لان كل ظلم مهما كان فرديا ، فهو ظلم مزدوج . ظلم واقع على الفرد . وظلم يهدد المجموع » .

وينهى مكرم عبيد مرافعته بقوله :

« يا حضرات المستشارين لقد انتهى واجبى كمحام ، ولا ريب أن واجب المهنة يتطلب كثيرا من الصنعة . وانه فيما بين الأوراق والدوسيهات وشهادة الشهود والاتهام والدفاع يخلق جو خاص هو جو المحاكم . وكثيرا ما تضيع على المتهم شخصيته فى وسط هذا الزحام العلمى ، فيصبح المتهم ويمسى .. فاذا به قد تحول الى نظرية قانونية أو دليل يتراشقه الخصمان .. النيابة والمحاماة .. فهو فى نظر النيابة مندمج فى الاتهام ، وفى نظر المحاماة هو عبارة عن الدفاع . أما شخصيته . اما حريته .. اما عواطفه فهى فى نظر الاتهام مسألة ثانوية طالما أن القضية « مخدومة » .. وانى أؤكد لحضراتكم انه ليس أقسى على المتهم من هذا التجرد من شخصه .. هذا التنكر عن أهله وجنسه ، فاذا دخل ، فالى سجن . واذا خرج فالى قفص . يجب ألا ننسى أن المتهم الذى هو فى السجن « نمرة » .. هو فى بيته حياة ومحبة . يجب ألا ننسى أن المتهم الذى هو فى نظر النيابة اتهام هو فى الوقت نفسه أب وزوج وولد وأخ وصديق .. فلا

تعجبوا اذن يا حضرات المستشارين اذا كلمتكم عن هؤلاء المتهمين كأشخاص وبشر ، فأنتم ولله الحمد لستم قضاة أوراق ، كما وصف حضرة قاضى الاحالة نفسه ، أنتم وانى لأرتجف من هول ما أنتم ـ أنتم قضاة نفوس بشرية أودع الله مصيرها فى كلمة تخرج من أفواهكم • فأنتم لسان الله ، وصوت القدر ، فاقضوا اذن بيننا وبين شفيق منصور ذلك المجرم الذى قضى الله عليه مرات عديدة قبل أن يقضى عليه بشر •• اقضوا بين ضعفنا وقوة من اذا قال قدر ، فأنتم أقوى وأنتم أقدر » •

***

والجدير بالذكر أخيرا •• أن دكتور شفيق منصور ، وكان من قبل عضوا سابقا ومنتميا الى الوفد المصرى كان هو الذى اعترف أو هو الذى قدم اعترافات مكتوبة ـ قبل أن يذهب الى لقاء ربه متجها الى حبل المشنقة ـ تضمنت اعترافات كثيرة بدور النقراشى وماهر والشيشينى •• وغيرهم وغيرهم من المتهمين فى تلك القضية •• وكانت اعترافات شفيق منصور هى الأساس الذى اعتمدت عليه النيابة فى توجيه الاتهامات الى ماهر والنقراشى وغيرهما •• ممن أحيلوا الى المحكمة فيما سمى بقضية الاغتيالات السياسية •• أشهر القضايا السياسية التى عرفتها مصر حتى ذلك التاريخ والتى انتهت فى ١٩٢٦ •• ثم جاء نواب بريطانيون ليثيروا الأحكام الواردة فيها بعد عشر سنوات كاملة •

***

ووسط هذه الأجواء السياسية والوطنية الملتهبة تقع بعض الأحداث التى تعطى دلالات هامة وخطيرة على مدى التوتر والقلق الذى كان يصيب الكثير من جماهير الشعب كما تعطى فى نفس الوقت دلالات أكثر أهمية : وخطورة على مدى يقظة الشعب وحرصه على الحصول على كل حقوقه كاملة غير منقوصة وعدم التفريط فى أى من هذه الحقوق كبيرا كان ذلك الحق ، أم كان صغيرا تقع مثلا الأحداث الأليمة الدامية فى سورية الشقيقة فسرعان ما يتجاوب شعب مصر ، وفى مقدمته شبابه ويتكون وبسرعة عجيبة اتحاد الطلبة الشرقيين ويعقد الاتحاد أول اجتماع له فى نادى الجامعة المصرية ، تحضره أعداد وفيرة من شباب العراق وسورية وفلسطين واليمن وجاوة « أندونيسيا » والحجاز والمغرب وتركيا ، والهند ، والصين والسودان وأفغانستان والحبشة ، ومصر ويدعو الاتحاد كل شباب البلدان الشرقية الى الانضمام تحت لواء الاتحاد ويدعو الاتحاد الشعب المصرى الى القيام بصلاة الغائب ، حدادا على شهداء سورية الشقيقة اثر أداء صلاة الجمعة ويبرق المجتمعون الى دولة هاشم بك الأتاسى رئيس الكتلة الوطنية بسورية يعربون عن خالص تأييد شباب الشرق لمطالب أبناء سورية الأحرار على الأساس الذى ارتضته الكتلة الوطنية ويمجدون فى شخص هاشم بك

الأناسي بطولة الشعب السوري وتضحياته في سبيل حريته وكرامته ويستنكرون تلك الأساليب الوحشية التى لجأت اليها القوة الغاشمة التى اعترفت مرغمة بسوء سياستها وأعلنت رغبتها في الاتفاق مع الأمة السورية ٠

***

وكان الاتحاد العام لهواة التمثيل قد أعد حفلة خيرية العائلة مصرية كريمة أخنى عليها الدهر ، ولكن الاتحاد يؤثر ضحايا الحرية فى سوريا على العائلة المصرية الكريمة التى أخنى عليها الدهر فيخصص ٥٠٪ من ايراد الحفلة لضحايا سورية تلبية لنداء مؤتمر علماء المسلمين الذى انعقد فى ١٤ فبراير ١٩٣٦ تحت رئاسة صاحب السماحة ، محمد أفندى أمين الحسينى وكان د٠ أحمد ماهر يدير سياسة جريدة « كوكب الشرق » لسان حال الوفد المصرى غير انه نظرا لانشغاله بالمباحثات المصرية البريطانية كعضو فى الوفد المصرى اضطر الى التخلى عن هذا العمل فاذا بالصحف المصرية ، كل الصحف المصرية مؤيدة ، أو معارضة ، للوفد تودعه وداعا حارا وتذكر له كلها ـ كل الصحف ـ جهوده الجبارة ، ونشاطه العظيم فى خدمة الصحافة و ٠٠ و ٠٠

***

وتأبى جمعية مصر الفتاة ، الا أن تحتفل بالعيد الأكبر ـ عن عام ١٣٢٤هـ ـ احتفالا من نوع خاص فيذهب جميع مندوبيها فى الأقاليم من ذوى الأقمصة الخضر الى سفح الهرم الأكبر ، حيث يقضون جميعا ليلة العيد ساهرين ما بين العبادة وترتيل الأناشيد الوطنية وذكر الأقاصيص الوطنية والتاريخية حتى اذا ما طلع الفجر ، انتظم الجميع فى هيئة مثلث عظيم المساحة حول علم مصر الفتاة ودوت أصواتهم وقلوبهم ترتل نشيد اسلمى يا مصر وبعد أداء صلاة العيد فوق الرمال المنبسطة ، تحدث الأستاذ أحمد حسين رئيس الجمعية الى الأعضاء حديثا ناريا ، وكان من بين ما قاله : لن يثنينا ارهاب ولا وعد ، ولا وعيد ، وسوف تقوينا السجون والاضطهادات فعلى الحكام ، والخصوم أن يفهموا ذلك وأن يحترموه » ويمضى الجميع اجازة العيد ، فى أداء التمرينات الرياضية وفى الزيارات وفى نهاية الاحتفال يذيع الأستاذ محمد صبيح السكرتير المساعد بيانا بكل ما حدث فى هذه الأيام الوطنية الطيبة ٠

***

ويلتقى أبناء الحزب الوطنى صبيحة يوم عيد الأضحى على تقليد وطنى رائع اذ يذهبون الى ضريح مصطفى كامل ويكون فى استقبالهم عنده عبد الرحمن بك الرافعى ، محمد محمود ، جلال بك ، اسماعيل بك العسيلى من أقطاب الحزب الوطنى ، ومن شبابه مصطفى الحناوى ومحمد سليم ، ويلقى شاعر دار العلوم محمد أفندى ابراهيم جمعة قصيدة ، ويتحدث عبد القادر أفندى مصطفى عن

طلبة الجامعة كما يتحدث أيضا عبد العزيز أفندى محمود ويلقى الاستاذ عبد الرحمن الرافعي بك سكرتير عام الحزب الوطني كلمة يعتذر في بدايتها عن عدم حضور رئيس الحزب حافظ بك رمضان لمرضه ثم يشكر الحاضرين لتفضلهم بالحضور الى هذا المكان الطاهر ، لأداء واجب مقدس ويناجى عبد الرحمن الرافعي مصطفى كامل وكان مما قاله الرافعي : انك يا مصطفى قد قمت بدعوتك منذ خمس وأربعين سنة تعلم الأمة الوطنية الحقة فأيقظتها من نومها ودعوت دعوتك فكانت صرخة الحياة الداوية في سكون النوم العميق كانت رسالة الحق وصيحة العزة والكرامة علمت الأمة أن لا يأس مع الحياة ولا حياة مع اليأس . علمتها كيف تجاهد في سبيل حريتها واستقلالها . علمتها أن الاستقلال والاحتلال ضدان لا يجتمعان : علمتها أن الجلاء هو الرمز الصحيح للاستقلال التام .. جئنا نحيى زعماءنا الراحلين ، وصحبهم المخلصين ، نحيى مصطفى وفريد ، وعليا ، وأمينا ، والصوفانى ، وفؤاد ، ولطفى ، ووجدى ، وغيرهم ، وغيرهم ممن بذلوا للأمة حياتهم واخلاصهم ، جئنا نحيى زعماء الوطنيين أجمعين والشهداء ، المجاهدين جئنا نحيى الشهداء المعروفين والمجهولين .

★★★

وينهى عبد الرحمن الرافعي كلمته مخاطبا مرة أخرى مصطفى كامل :

لتطمئن يا مصطفى ان غرسك قد أينع وان دعوتك قد استجيبت وان الأمة ذاكرة على الدوام فضلك .

وها هو الشباب قد اعتنق مبادئك ، وسار على نهجك . جئنا نطمئنك : أننا على العهد باقون ، ولذكراك حافظون وأن نبتهل الى الله فى الختام ، أن يعيد هذا العيد المبارك والأمة متمتعة بالاستقلال التام .

وينتقل الجمع الحاشد من قبر مصطفى كامل ، الى قبر محمد فريد فى السيدة نفيسة ، حيث ينثرون عليه الأزهار والرياحين ، ويتذاكرون جهاد فريد وتضحياته فى سبيل مصر .

★★★

ويضبط البوليس كميات كبيرة من منشور شيوعى بجوار كنيسة سانت تريز بشبرا ومن التحقيقات الأولية ، يتضح أن المنشور طبع فى المحلة الكبرى ، وطنطا ويعتقل بعض عمال المحلة الكبرى وطنطا حيث يجرى التحقيق معهم .

ونستريح بعض الوقت من معارك السياسة ، لنتحدث عن معركة أخرى أثارت الرأى العام وهى معركة فصل ١٢ ممثلا ، وممثلة من الفرقة القومية على النحو التالى .

الفصـل الخامس

حادث ثقافى هام أثار انتباه الجماهير

فصل ١٢ ممثل وممثلة من الفرق القومية

وتستغنى الجنة تشجيع التمثيل العربى برياسة حافظ عفيفى باشا عن حدمات بعض ممثلى وممثلات الفرقة القومية المصرية ابتداء من شهر ابريل ١٩٢٦ وتمنحهم مرتب شهر بصفة مكافأة على خدماتهم ٠٠ وتقوم الدنيا ولا تقعد : وتتوالى المقالات فى كل الصحف تقريبا لتنقد وبعنف شديد هذا القرار الجائر ، المستبد خاصة وأنه تم فى يوم وقفة عرفات ، وليلة عيد الأضحى المبارك ، وترد فى المقالات عبارات « المنبوذين » والمرضى عنهم الذين لا يســـتطيع « النيل العظيم » « أن يغسل أدرانهم ، وقاذوراتهم » ويكتب بعضهم داعيا الحكومة الى التفكير من جديد فى عمل مثمر نافع ، تؤدى به غايتها من تشجيع التمثيل ، ومساعدة الممثلين خصوصا ، وقد زاد عدد العاطلين منهم وساءت حالة الفرقة الموجودة الآن لدرجة أن أكثر الممثلين أصبحوا يتقاضـــون مرتباتهم أقساطا تتراوح بين خمسة قروش وعشرة قروش ؟ ٠

***

وكان من الذين أبعدتهم الفرقة القومية الأستاذان عبد المجيد شكرى وحسن البارودى رغم انهما من أعلام المسرح المصرى وقد اعترفت وزارة المعارف فى عهود سابقة بجهودهما ومنحتهما الكثير من الجوائز ، المادية والأدبية ٠

وكان من بين الذين أبعدتهم الفرقة ـ فى نفس الوقت ـ الفنانة زوزو حمدى الحكيم ، والسيدة سرينا ابراهيم ٠

وكان كل الذين أبعدوا من الفرقة اثنى عشر ممثلا ، وممثلة ٠

***

واشتدت الحملات بصورة مكثفة على خليل مطران بك ، شاعر القطرين، ومدير الفرقة وعلى الأستاذين زكى طليمات ، وعزيز عيد من نجومها الكبار وكان من أجمل ما كتب فى هذا الموضوع الخطاب المفتوح الذى وجهه الأستاذ حسن البارودى تحت عنوان « من ممثل مفصول من الفرقة القومية الى معالى وزير المعارف » ويقول حسن البارودى : انه خدم البلد والتمثيل خمسة عشر عاما وقد دخل الفرقة القومية ضمن من دخل فيها مستبشرا متفائلا بالمستقبل المضمون ، عاقدا العزم ، على بذل الجهد للسمو ، بفنه الى الذروة التى يتمناها كل فنان مخلص لفنه وبلاده » ويتحدث حسن البارودى عن أحد العيوب الأساسية التى منيت بها الفرقة ، والتى أصابه منها رشاش، والعيب، الذى يشير اليه الأستاذ البارودى هو سوء توزيع الأدوار ويقول الأستاذ البارودى، ان الفرقة فوتت على فرصا كثيرة من بينها السفر الى السودان ، على رأس فرقة تمثيلية كنت أنتظر من ورائها فائدة مادية وأدبية ويختم البارودى رسالته الى الأستاذ محمد على علوبة وزير المعارف طالبا منه بصفته محاميا ضليعا ونصيرا للمظلومين، أن يتجاوز عن نصف ساعة من وقته ليحقق فى مسألة شاب مصرى وضع قضيته العادلة بين يديه « حتى لا تقع فى المستقبل أمثال هذه المظالم التى لا تقوم على منطق والتى لا يجب أن ترتكب فى عهدكم الزاهر ، وأنتم على رأس وزارة المعارف » .

***

● وتتزايد الحملة على خليل مطران بك فيتهم بمحاباته لبعض الممثلين والممثلات الذين لا يزالون فى الفرقة ولم يكن قد استفادت الفرقة من وجودهم شيئا ، ومن الأصوات التى انطلقت تنتقد خليل مطران بشدة صوت رمز ، الى أسمه بالحرفين ج.ع وكان من بين ما قاله اننا لن نسمح له بأن يكون معولا من معاول الهدم بعد أن دبت فى حياة التمثيل روح القوة والنشاط » ويؤكد عزيز عيد وزكى طليمات انهما لم يؤخذ رأيهما فى اخراج الـ ١٢ ممثلا وممثلة .

وتكتب جريدة روزاليوسف اليومية سلسلة من المقالات يوقعها « يوسف» تحت عنوان : حركة رجعية : وعبث منكر ، فى الفرقة القومية ، اذا استغنت الفرقة عن أحد ، فعن المدير قبل الممثلين .

وينشر الأستاذ خليل مطران ، ردا على الموضوع فى جريدة الأهرام يؤكد أن الفرقة ، وجدت اناسا — ولا ينسب لهم أى ذنب — كانوا أكثر من حاجة الفرقة فرأت اللجنة الاستغناء عنهم وهى تتمنى لهم كل خير ، ويقول أيضا : فنحن ما عملناه وربما قد يعمل مثله ان دعت اليه الضرورة يتمشى مع ما اقتضاه البرنامج الموضوع للفرقة وهو أن تكون فرقة بالمعنى الصحيح لترقية التمثيل لا أن تكون أداة معاونة أو مساعدة على الأرزاق لغير الصالحين للعمل بها أو للذين يزيد عددهم على حاجتها .

ويؤكد الأستاذ خليل مطران أن الفرقة وحدها هي صاحبة الحق فى اختيار من يحتاج اليه العمل فى الفرقة ومن لا يحتاج اليه العمل ٠

ويعيب الأستاذ «يوسف» على الأستاذ خليل مطران «الوحدانية» في المعرفة التى يدعيها الأستاذ وهى تلك النزعة الاستبدادية التى دمغناه بها وحاول فى حديثه الى الأهرام أن ينفيها ويقول الأستاذ يوسف ان ظلما وقع يجب رفعه ، وان خطأ فادحا ارتكب يجب تلافيه لا الشيء ، الا لصالح الفرقة ومستقبلها أما مسألة الرزق فاننا واضعوها الآن فى جانب لنبحث فيما هو أهم منها وان كنا متشبثين كل التشبث بأن تنشيء الفرقة صندوقا يقتطع رأس ماله من جـزء الاعانة وجزء من مرتبات الممثلين ومن ايراد بعض الحفلات ليخصص هذا المال كله لشيوخ الممثلات والممثلين المتعاقدين وأينما أتيت حديث الأستاذ الجليل مدير الفرقة وجدته اما خاطئا ، أو متملصا أو متصيدا دعاوى تافهة لم يدعها عليه أحـد ٠

★★★

وفى مقال آخر من سلسلة مقالات روز اليوسف تحت عنوان « حركة رجعية » يجيء العنوان التالى : الفرقة تحتاج الى الممثل قبل المدير : وفى نهاية المقال تساؤل : هل نحن مخطئون اذا قلنا ان حاجة الفرقة الى ممثل صغير ينفعها ويكمل عناصرها ، أكثر من حاجتها الى مدير يؤذى بتصرفاته كيـانها ومستقبلها ؟ وتجيء الاجابة : ثم ان الأستاذ خليل بك مطران ليس أول من يصلح للمنصب الذى تولاه فانه ليس خير رجالنا من المثقفين الملمين بشئون المسرح خير المام وفى وسعنا ، أن نعد لوزارة المعـــارف عشرة رجال قبل أن نضطر الى ذكر اسم الأستاذ الجليل خليل بك مطران ٠

★★★

ويخصص المقال رقم ٤ ، وجزء من المقال رقم ٥ من سلسلة مقالات «حركة رجعية» ، مسئولية الأستاذ زكى طليمات ، ويتهم كاتب المقال الأستاذ زكى طليمات بالتواطؤ ، المتعمد ، مع مدير الفرقة ويحمله المسئولية المشتركة ٠

وفى المقال الأخير من هذه السلسلة كلام من أولئك المفصولين ومكانتهم الفنية : محمود المليجى ، ممثل شاب ذو مواهب طيبة مثل دور الصياد فى أهل الكهف كما أن له دورا ناجحا فى تاجر البندقية ومن المفصولين أكثر من خمسة أفراد لهم أدوار فى تاجر البندقية منهم السيدة زوزو حمدى الحكيم ومحمد يوسف ثم حسن فايق ٠

وللسيدة زوزو حمدى الحكيم أيضا دور هام فى الملك لير ، أدته بنجاح وكذلك عبد المجيد ابراهيم ، ومحمد ابراهيم وسرينا ابراهيم وصالحة قاصين

واستر شطاح ويتساءل كاتب المقال لماذا استثنيت يا خليل بك دور زيزى عثمان ؟ ولماذا أدخلت آمال حلمى ، التى لا تعرف التمثيل ، ولم تخطر لها على المسرح قدم ؟ ماذا يعمل موظفك عبد الله أفندى عكاشة وامرأته وكم مرة سجل أحدهما أثرا على المسرح ؟

★★★

بل ماذا يعمل الأستاذ عبد الرحمن رشدى وفيم يتقاضى ثلاثين جنيها لم يخدم الفرقة بمليم منها ؟ بل ماذا تعمله أنت الا أن تؤذى الفرقة ولا شىء قبل ذلك ، ولا بعد ذلك : بل ماذا صنعه ممثلوك الكبار أمثال عزيز عيد . وجورج أبيض وأى أموال دخلت خـزانة الفـرقة بسببهم ، وكم تكلفت رواياتهم من مصاريف . وينهى كاتب المقـالات الأسـتاذ يوسـف سلسـلة مقالاته بقوله ان ثمـة علاجا عاجلا ، لابد وأن يكون فى الطريق . لاصـلاح هذه الفوضى ، والتمسك بأذيال الأمل الضائع ، الذى كنا علقناه على هذه الفرقة ، وتكوينها فاذا لم تستمع اللجنة الفنية الى هذه الكلمات الصادقة وتراجع فيها مدير الفرقة ومخرجيها فأولى بها أن تحل نفسها بدل أن تنتظر اليوم القريب . الذى ستجلل فيها مهمتها بالخيبة الفنية ، اللهم انى قد بلغت ..

★★★

وأبادر فأقول اننى تعمدت الاطالة فى الحديث عن هـذه المعركة الفنيـة الشيقة لجملة أسباب فى مقدمتها اننى أحببت وقد أكثرت فى هذه السلسلة من الحديث عن المعارك السياسية أن أتحدث وبافاضة عن معركة فنية ، وأن أعطى قراء هذه السلسلة صورة حية عن معاركنا الفنية منذ حوالى نصف قرن تقريبا ، كما اننى ـ وربما كان هذا هو السبب المباشر للاطالة فى الكلام عن هذه المعركة ، ـ أردت أن أوضح للقراء ، كم كان الرأى العام قويا يثور لفصل اثنى عشر ممثلا ، وممثلة : تكتب المقالات العديدة فى كل الصحف تقريبا عن تلك المشكلة التى جاءت فى وقت اتجهت فيه كل الأنظار الى المعركة السياسية الكبرى ، التى كانت البلاد تخوضها وقتئذ ، ولكن الرأى العام لم يكن يسمح ، للمعركة السياسية الكبرى أن تغطى على مشكلة تخص مستقبل اثنى عشر فنانا وفنانة فصلوا بدون ذنب ..

★★★

والى جانب المحادثات السياسية التى كانت جارية بين مصر وبريطـانيا العظمى ، كانت الاستعدادات بدورها تجـرى على قدم وسـاق ، للانتخـابات البرلمانية . وكان الربط بين المحادثات والانتخابات باستمرار سواء فى مصر ، أو فى بريطانيا .

وكان علي ماهر باشا رئيس الوزراء ، يدير حقيقة بخبرة ومهارة الانتخابات • وكان مصطفى النحاس رئيس حزب الوفد المصرى يدير بالنسبة لحزبه الانتخابات ، كما يدير فى نفس الوقت المحادثات ، باعتباره رئيسا لوفد المفاوضات المصرى •

وكانت النقطة العسكرية هى من أخطر وأهم النقاط ، بعد أن رئى تأجيل مشكلة السودان • وكان العسكريون البريطانيون موقنين بأن الحرب العالمية يمكن أن تنشب بين وقت وآخر ولذلك كان همهم الاطمئنان على وجودهم فى مصر للدفاع عن امبراطوريتهم فى الواقع ، وللدفاع عن مصر ، ضد ألمانيا وايطاليا فى الظاهر •

★★★

وقد كان العسكريون البريطانيون أعلى صوتا ، وأكثر نفوذا ، وقتئذ ــ عام ١٩٣٦ ــ من السياسيين البريطانيين •

وفى أثناء المفاوضات ظهر رأى جديد للماجور أتلى رئيس حزب العمال •• مؤداه ــ وان كان قد قال انه رأى شخصى ، ولو أن العارفين بالسياسة البريطانية يعرفون انه لا توجد آراء شخصية بالنسبة لكبار السياسيين وخاصة اذا كان هؤلاء الكبار رؤساء أحزاب كبيرة ــ كان قد رأى أتلى ان يترك موضوع الدفاع عن مصر ، لعصبة الأمم وأن يعطى للسودان الحق فى تقرير نوع الحكم الذى يريده •

وكان الحزب الوطنى قد اهتم فى هذه المرة اهتماما بالغا بالانتخابات اذ كان الجو حرا ، ولم يكن هناك فيما يبدو اتجاه الى اسقاط قيادات الحزب الوطنى كما كان الأمر فى بعض الانتخابات السابقة •

ورشح الحزب الوطنى رئيسه حافظ رمضان بك فى الخليفة بالقاهرة ، وابراهيم رياض الحديدى « الموسكى » و د• عبد الحميد سعيد « سنخا » وأحمد وفيق « شبرا » ، ومصطفى العجيزى « الدرب الأحمر » وحسن الشافعى الجيزاوى « بولاق » وحسن حسنى كامل « عابدين » وفكرى أباظة « أبو حماد شرقية » ومصطفى الحفناوى « الزقازيق » وعلى بسيونى « كفر الدوار » وعبد العزيز الصوفانى « كفر داود » ومحمد بك محمود جلال « بنى مزار » ، وأحمد السراوى « طوخ » وعبد المقصود متولى « شربين » ، وعبد الرحمن البردى « مصر القديمة » والسيد محمود القاياتى « قايات » ومحمد خلف الحسينى « أسيوط » وحسين أبو زيد « ديروط » وسليمان حافظ « محرم بك بالاسكندرية » وحسن رمزى الأرناؤوطى « مينا البصل » وعبد الفتاح كيرشاه « طنطا » ومحمد عرارجى « الجمرك » وأحمد العطيف « جهينة » وعباس الزمر « نكله » وأحمد خليفة

ومضان « كفر الزيات » ويوسف دسوقى « الوايلى » وعبد العزيز زكى « حلوان » ٠

وكان هؤلاء هم قيادات الحزب الوطنى الذين رغبوا دخول معركة الانتخابات فى بداية فتح باب الترشيح ٠

★★★

وكان من بين مرشحى الأحرار الدستوريين : حامد العلايلى « دمياط » د٠ حسين هيكل « تمى الامديد » ، عبد الجليل أبو سمرة « كفر بداوى » ، ابراهيم الطاهرى « الجمالية دقهلية » أمين العلايلى « فارسكور » شفيق جبر « السنبلاوين » فؤاد حمودة « محلة مرحوم » ابراهيم دسوقى أباظة « بردين » عبد المنعم مصطفى خليل « فاقوس » أحمد طلعت « بنى جريد » أحمد عبد الغفار « تلا » عبد الله أبو حسين « طنوب » عبد السلام عبد الغفار وأحمد حماد « بركة السبع » جعفر والى « المطرية قليوبية » محمود عبد الرازق « أبو جرج » الدكتور شمس الدين طراف « البرجاية » ، محمد محمود « البربا » السيد خشبة « باقور » رشوان محفوظ « الحواتكة » عبد الرحمن محمود « النخيلة » عبد المجيد ابراهيم « البدارى » حفنى محمود « الطوابنة » محمد توفيق خشبة « بنى رافع » و ٠٠ و ٠٠

★★★

وكان من بين مرشحى حزب الاتحاد أيضا ــ وأنا أحرص على أن أذكر الأسماء كما سبق أن ذكرت لأعطى فكرة عن القيادات الحزبية فى سنوات ما قبل الثورة ــ رشح محمد حلمى عيسى باشا نفسه فى دائرة أشمون ، مأمون اسماعيل « البرادعة » محمود محمد الألفى « سنهوا » هارون أبو سحلى « فرشوط » حفناوى الزمر « نهيا » فكرى الصغير « قفط » معوض ابراهيم جاد المولى « الفنت » مدنى حسن حزين «اسنا» محمد طه أبو زيد « الدر » حسين السيد واكد «تلراك» ٠

وكان اسماعيل صدقى باشا رئيس حزب الشعب قد رشح نفسه فى سنبو ٠

★★★

ومن معارك المفاوضات ومعارك الانتخابات ننتقل الى المعركة الكبرى معركة العرب أجمعين بل المسلمين أجمع معركة فلسطين !! ٠

الفصـــل الســادس

مصــر رائـدة أمتهـا العربيـة

الثورة الفلسطينية وصـداها فى مصر

وكانت نسمات العروبة تهب على كل مكان من أرض العروبة · فالأخوة العرب من كل الأقطار العربية يتوافدون على مصر زوارا ، أو مقيمين ، ومصر تفتح لهم صدرها ، وقلبها وتنزلهم أعز منزل : كل الهيئات الرسمية والشعبية، تحتفى بهم ، بل تتسابق على الاحتفال بهم · شعراؤنا المطبوعون يهتفون بقصائد الوحدة العربية ويخلدون العلاقات الطيبة التى تجددت بين مصر وشقيقاتها العربيات ·

★★★

وأذكر من بين القصائد التى احتفى بها الشعب فى هذه الفترة ، قصيدة للشاعر الكبير أحمد محرم قال فيها : وكان قد وجهها الى الضيوف العراقيين :

حماة الرافدين لو استطعنا جعلنا النيرين لكم سلاما
سلام من شعاع الشعر صاف أرفرفه ، فينسجم انسجاما

★★★

● وعن جدودنا القدامى قال أحمد محرم :

ذكرناهم فحركهم بطيف من الذكرى وان أمسوا رماما
وكبرت العروبة اذ رأتنا فهبوا من مضاجعهم قياما
أراهم يرفعون ، كما عهدنا فوق النجيم أعناقا وهاما
أعدنا للشرق سيرته وقمنا نعالج من أمره حتى استقاما
أهاب بنا الزمان وأيقظتنا قوارع توقظ الأمم النياما

الى أن يقول :

مضى ما كان من أحداث دنيا تجرعنا مصائبها الجساما
إني ، لبني العروبة أن يهونوا قوى لن تستطاع ولن تراما
لئن أخذتهم الغارات تترى فما وهنوا ولا ملوا الصداما

***

ويقول أحمد توفيق البكرى تحت عنوان تحية العراق :

يا حادى الركب بلغ أمة العرب لدى اللقاء تحايا العترة النجب
من ساكنى النيل فى أعلى روافده وقاطنى النيل فى شطآنه القشب
هم شيعة العرب لا فرعون يجمعهم فى المشركين ولا حمالة الحطب
وما لفرعون من مجد يصول به على الزمان سوى الأحجار والنصب
أو ساحر بعث الحيات راقصة تسعى أمام اله القوم فى عجب
أباد ما حشدوا موسى وما عرضوا على الأيام بنسأة من الخشب
فمن يسوى بأشباح مصورة سحرا تنزل فيه في الفرقان والكتب
ومعجز الله والآيات بينه نزلن هدى الدنا فى مقول العرب
مضى الزمان يدك الشم من أمم وآية الله ، لم تهرم ولم تشب
وجمع الوحى شعبا غير متحد وأمن الوحى بعد القتل والشغب

***

ثم يقول :

أيام بغداد شمس الكون مشرقة تضىء للناس من قطب الى قطب
فيها الرشيد وفيها من سلالته أسد السرى، وكماة البيض والغضب
وفى دمشق وحدث عن مآثرها اناف عصر بنى مروان بالشهب
أتى الزمان على أنقاض مجدهم بفتية جاهدوا لله ، والرحب
ومصر فى عهدها الماضى وزاهنها تاج المفاخر فى التاريخ والحقب
أيام «عمرو» على الفسطاط دارته ينهى ويأمر فعل الكيس والارب
ومن بنى الأزهر، المعمور «جوهره» وغيره من بناة المجد والطنب

***

الى أن يقول الأستاذ توفيق البكرى :

بنى العروبة ان المجد متصل باق على عظم الأيام والنوب
أم اللغات ودين الله يجمعنا ولحمة النسب الموصول بالحسب
فان ترنم فى الزوراء شاعرها تصاعد الشعر فى السودان أو حلب
وان تغنى بمصر ، طير أيكتها تناقل الرافدان القول فى طرب

ومن قصيدة للأستاذ عبد العزيز سيد الأهل فى تكريم الصحفيين السوريين :

وكيف ترجى لنا وحدة ... تضم جميع بنى العرب
وهم يزعمون بأن الشام ... تمزق فى النسب الأقرب
وقيتم بنى الشام ان تذهبوا ... طرائق كل الى مذهب

ثم يقول :

بلغتم على الأرض عمر الشباب ... وعمر بنى الأرض فيها صبى
وكان لكم ملك أقطارها ... من الشرق أو أفق المغرب
ولم يبق الا امتلاك السماء ... ووصلت لبنان بالكوكب
فأفقدكم قدر مقعد ... وصم عن اللوم والمعتب

***

الى أن يقول :

كأن أمية لم تغرب ... ومال ابن حمدان لم ينضب
وفيهم محاسن آبائهم ... فأكرم بالابن وشد بالأب
مضاء الحكيم وطبع الحليم ... وكف الكريم وأنف الأبى
وحول عيون بنى عبد شمس ... شمس من الحسن الم تغرب
علمنا جهادكم فى الحياة ... وموت الضحايا على المطلب

***

والى جانب الدعوة الى الوحدة العربية ، فى الشعر ، كانت دعوة أخرى الى الوحدة الاسلامية فى الشعر أيضا ، أذكر تحت عنوان الوحدة الوطنية قصيدة الأستاذ عبد الحكيم عابدين وكان وقتئذ طالبا بكلية الآداب قسم اللغة العربية ، جاء فيها :

بدمى وروحى الفتية الأشبالا ... الحافظين عهودهم أجيالا
الخالعين ، على الصباح جماله ... الساطعين على الكواكب هالا
المانحين شذا الورود أريجه ... الحاملين الى الظلام تبالا

ثم يقول الأستاذ عبد الحكيم السكرتير العام للاخوان المسلمين سابقا :

ما ضيع الاسلام الا نومنا ... عنه غداه النؤوم وصالا
والمؤمنون بكل أرض اخوة ... قال الاله فلم نطع ما قالا
بعثت بنا عصبية مرذولة ... لم تلق بعد الجاهلية آلا

هى شتتت منا القلوب وطوحت بالمسلمين تفرقا وخذالا
أغرت بنا البغضاء بعد اخوة سجد الزمان لصفوها اجلالا

ثم يقول :

فلأمة الاسلام شعب واحد بل أسرة قد بوركت اشبالا
فاستيئسوا من رفعة الاسلام ان لم ترجعوه اخوة امثالا
أو تبعثوه وحدة عربية تخشى لها الأسد الشداد خيالا
مدعومة بالخلق نبراسا وبالقر آن دستورا يفيض جلالا
وبنخوة الاعراب ركنا ثابتا وبحزم خير المرسلين مثالا
واذا يقض فراشنا فى مصر ان دما بأقصى الصين مسالا
ونهرنا بالشام شاك لم يزل بالمغربين انينه يتعالى
ويثيرنا فى يثرب متوجع فى مصر بغيا بالخطوب توالى
كالجسم أن يألم عضو بكت أعضاؤه حسرى عليه وثقالا

***

وفى النهاية يقول الأستاذ عبد الحكيم عابدين طيب الله ثراه :

ان لم تعودوا وحدة لا تطلبوا حرية أو تنشدوا استقلالا
فلسوف تلقون الجهاد مهازلا انى افترقتم والنجاح محالا
فاذا أثرتهم بالعقيدة وحدة أيأستم من وصلنا الأهوال
ورددتم دهم الخطوب مراسما بيضا وموردة الحمام زلالا

***

لقد كانت الوحدة العربية شعار الجميع ، الجميع ينادون بها . الجميع يعملون لها ، ليست مقصورة على حزب ، أو هيئة ، أو جماعة ، وانما هى للجميع .

وكانت الوحدة الاسلامية فى نفس الوقت شعار الجميع ، الجميع ينادون بها ، الجميع يعملون لها ، فهل هناك بعد تلك الأدلة الناطقة على أن مصر العربية لم تتوان يوما واحدا عن الدعوة الى الوحدة العربية ، والوحدة الاسلامية والعمل لهما . من ينكر على مصر دورها العظيم هذا ؟

***

وفى نفس الوقت كان شعراء العروبة كلهم يترنمون بمصر وبالوحدة العربية ، وبالوحدة الاسلامية . فى ٢٣ ابريل ١٩٣٦ أقام طلاب الحقوق حفلة

لتكريم طلعت حرب باشا ورفاقه من أعمدة بنك مصر ، وفى تلك الحفلة ألقى شاعر العراق الأكبر معروف الرصافى قصيدة خالدة قال فيها :

أتى من مصر ، طلعتها بن حرب — فأهلا بالمذلل ، كل صعب
وأهلا بالذى ادخرته مصر — لدفع ملمة ولقرع خطب
هو الرجل ، الذى فى مصر قامت — له همم ، تنفس كل كرب
تعهد بالمساعى الغر مصرا ، — فبدل جدب تربتها بخصب

★★★

ثم يقول معروف الرصافى :

اذا ما مصر فى المال استقلت — فلا تخشى التأخر فى السياسة
فان المال أكبر ما يرجى — به نيل السيادة والرئاسة
اذا ما الشعب كان أسير فقر — فما تجدى السياسة والحماسة
أيصبح فى سياسته طليقا — أسير أوجب الفقر احتباسه

★★★

ثم يقول :

رجال النيل حييتم رجالا ، — بما للعرب فيكم من سمات
بكم طرب الفرات ، وقال جهرا — لوادى النيل انك من لداتى
كلانا جاريان على سهول — بأبناء العروبة آهلات
كلانا فى الاخاء له مواطن — ضمن لنا النجاح بكل آت
وتجمعنا جوامع كبريات — وأكبرهن سيدة اللغات

★★★

ثم يقول :

وكم فى مصر من بطل وشهم
يسير بها على خطوات سعد
وكم راق بها فى جو علم
لتستهدى بأنجمه ويهدى
وكيف تكون مصر ، فى اسار
وفيها اليوم من يحمى ، ويفدى

الى أن يقول أخيرا معروف الرصافى :

متى تنقــاد للعرب الليــالى
فتفتــر من نوازلها النــوازى
وترجعهــم الى ما كان قبــلا
لهم مــن دولة ومــن اعتزاز
فيسموا فى العراق على اتحــاد
مصر والشــام ، وفى الحجــاز

★★★

وفى أوائل أبريل ١٩٣٦ ينقسم الاخوة الفلسطينيون فيما بينهم ، هل يذهبون الى لندن تلبية لدعوة وزير المستعمرات البريطانية لمحاولة بحث النزاع الفلسطينى اليهودى أم لا يذهبون ؟

البعض وفى مقدمتهم ممثلو حزب الاستقلال يرون الذهاب الى لندن وهؤلاء تمثلهم جريدة الدفاع ٠ والآخرون ــ وهم الأغلبية ــ لا يريدون الذهاب ، وتمثلهم جريدة الجامعة الأسلامية التى ترى أن سفر الفلسطينيين الى لندن لا يعدو أن يكون دسيسة ضد العرب ٠

★★★

ويقع الخلاف بين كثير من الزعماء الفلسطينيين حول تحديد مهمة الوفد أو يتأجل الاجتماع مرة ، ومرة ، دون الوصول الى كلمة واحدة ، هذا فى الوقت الذى يجمع فيه الجانب الصهيونى على الترحيب بالدعوة من أول لحظة ٠

وفى الوقت الذى يقوم فيه الصهيونيون بالاعداد للسفر الى لنــدن هذا فى الوقت الذى تقرر فيه حكومة فلسطين فتح اعتماد بمبلغ ٢٠٠ ألف جنيه انجليزى للمجلس الوطنى العبرى لدى بعض بنوك انجلترا ٠ وكأنما الحركة الصهيونية بحاجة الى أموال ؟ وفى الوقت الذى أعلن فيه الاضراب العام ابتداء من يوم ٢٠ أبريل ١٩٣٦ حتى تحقق الحكومة مطالب العرب وتتحرج الحالة فى يافا ، وتل أبيب ويصاب كثير من اليهود بجروح وتتصاعد الحمــلة على الزعماء الفلسطينيين ، من قبل الصحف الفلسطينية متهمة هؤلاء بالتساهل ، والخيانة ، وقد دهش المتصلون بالزعماء ــ كما نشرت وكالات الأنباء وقتئذ ــ لأن الحكومة لم تقم بشىء ازاء هذا الهجوم على الزعماء الفلسطينيين ، الذى يثير الأمن فى نفس الوقت ٠

★★★

وفى الوقت الذى تختلف فيه الأحزاب حول الذهاب أو عدم الذهاب الى لندن تطالب الأحزاب بزيادة نسبة عدد الأعضاء الفلسطينيين وجعلهم تسعة بدلا من ستة ويتوالى اطلاق النار من الفلسطينيين على رجال البوليس البريطانى ، وعلى اليهود فى نفس الوقت • وقد بلغت خسائر العرب واليهود فى يوم واحد (٢١ أبريل ١٩٣٦) خمسة قتلى و ٥٠ جريحا •

وقد قرر اليهــود فى يافا ترك منــازلهم والاقامة فى تل أبيب ، وقدر ما سوف يدفعه اليهود الى أصحاب الأملاك العرب فى تل أبيب بنحو أربعمائة ألف جنيه ، وتعلن حالة الطوارىء وتضرب مدينة تل أبيب بدورها وتقوم بها مظاهرات عنيفة • ويحاول المتظاهرون اختطاف الجثث اليهودية • وتشب النيران فى يوم ٢١ أبريل فى تسعة منازل للعرب ويقتل أحد الصبيان العرب ، بينما كان يساعد فرقة الاطفاء ، ويحاول اليهود الوصول الى يافا فيصدهم الثوار الفلسطينيون • ويستمر هرب سكان المستعمرات اليهود فى منطقــة يافا ، وطولكرم متجهين الى تل أبيب تاركين منازلهم ، وقراهم ، وتضرب عمان ، أيضا مشاركة للمضربين العرب فى فلسطين ، ويصل عدد القتلى من اليهود فى بضعة أيام الى ١٨ قتيلا بينما لم يصل عدد القتلى من العرب الى أكثر من ثلاثة من النساء ، ويبلغ عدد الجرحى العرب ٦٠ جريحا و •• و ••

★★★

وتصدر حكومة فلسطين بيانا فى ٢٢ أبريل ١٩٣٦ تقــــول فيه : أن السكينة استتبت ويعقد رؤساء الأحزاب العرب اجتماعا يحضره الأستاذ شبل الجمل باسم المسيحيين العرب ويقررون ما يلى :

- تأجيل سفر الوفد الفلسطينى الى لندن بسبب الحالة الحاضرة •
- استمرار الاضراب حتى نشر بيان آخر •
- يستثنى من الاشتراك فى الاضراب مؤقتا المشتغلون بالأعمال التالية : العيادات ، والصيدليات ، ووسائل النقل ، والقهاوى ، والأفران ، والمطاحن •

ويطلب الزعماء العرب من المندوب السامى وقف الهجرة الصهيونية ومنع بيع الأراضى لليهود وتجريد اليهود من السلاح ، وعدم تسليح العرب أيضا وتعطل جريدة الجامعة الاسلامية لمدة خمسة عشر يوما •

وينشر المفتى الأكبر ، نداء الى الأمة العربية من سكان فلسطين يدعوهم فيه الى مواصلة جهادهم دفاعا عن قضيتها العربية و •• و ••

★★★

« فى الوقت الذى كانت فيه مظاهر الصراع الدموى بين العرب أهل فلسطين ، واليهود الصهاينة المهاجرين اليها ، تتحول الى حرب أهلية فى ربيع عام ١٩٣٦ ، كانت الأقطار العربية الأخرى لها ما يشغلها ‧‧ خاف الأمير عبد الله ــ الملك عبد الله فيما بعد ــ أن يستجيب لنداء العرب المقاتلين فى فلسطين حتى لا تعم المظاهرات الأردن ، وكان الملك عبد العزيز آل سعود يوافق على قيام مجلس للشورى فى السعودية وكانت مصر تستعد لوداع ملك هو الملك فؤاد الذى يحتضر واستقبال فاروق وتشكيل مجلس للوصاية ، ومع هذا فلم تتقاعد مصر ، ومصر وحدها عن تزويد المحاربين العرب فى فلسطين بالسلاح والذخيرة » ‧

★★★

● وكنا قد حرصنا على أن نعطى صورة تكاد تكون واضحة ، لما كان يجرى فى فلسطين عام ١٩٣٦ الذى كان من أخطر أعوام النضال الفلسطينى : ان لم نقل أخطرها جميعا ‧

ونود أن نركز ــ وبايجاز شديد ــ على تحول الصدام الدموى ، الدائم بين العرب واليهود ، الى ما يشبه الحرب الأهلية التى امتدت الى كل انحاء فلسطين ، وخاصة يافا وحيفا ، وتل أبيب ، ونابلس ، والناصرة ، والجليل ، وبيسان ، وغزة ، وجنين ، صفد و ‧‧ و ‧‧ وكيف أن اضراب الشعب الفلسطينى ، قد كاد يشمل كل الطوائف ‧ وكيف أن الوحدة الوطنية بين كافة القوى الفلسطينية قد اتخذت مظهرا رائعا ، الى الدرجة التى دفعت زعماء الأحزاب الفلسطينية الى الاشادة بها ، فى بياناتهم الرسمية ‧

★★★

ولعل فى مقدمة ما أود التركيز عليه هنا ، هو النبأ الذى نشرته كل وكالات الأنباء فى ٢٤ ابريل ١٩٣٦ ــ ونشرته كل الصحف الفلسطينية ، بصفة خاصة ، والصحف العربية بصفة عامة تحت عنوان « وصول ذخائر من مصر » ‧

★★★

ويقول النبأ ــ وهو بصيغة التأكيد :

« وصل قطار خاص من مصر ، مؤلف من ٢٧ مركبة تحمل شتى أنواع الذخائر الحربية ، والمدافع الرشاشة الى الفلسطينيين » ‧

لذلك أحب أن أركز على نبأ آخر يقول ــ فى نفس اليوم أيضا :

« ان رئيس بلدية تل أبيب قد سمح له بمقابلة المندوب السامى البريطانى فى القدس ، وأنه قد حضر للمقابلة بحراسة البوليس البريطانى » .

ونبأ ثالث — فى نفس اليوم أيضا — يقول :

« اكراه ما يقرب من خمسة آلاف يهودى على المهاجرة من مدينة يافا ، الى الخــــارج » .

وكذلك نبأ يقول :

« اعتقل رئيس جمعية العمـــال العرب السـيد ميشيل مترى ، بواسطة بوليس يافا ، وقد أودع السجن . واعتقل أيضا ١٤ شيوعيا بينهم امرأتان . وحوكمت يهودية قبض عليها ، ومعها ثلاثة مسدسات و١٠٦ طلقات ، وقضى عليها بالسجن أربعة أشهر ، أو بغرامة ٤٠ جنيها فدفعت المبلغ وأطلق سراحها فى الحال » .

ويعلن الاضراب فى شرق الأردن ، وفى سورية « عطفا على فلسطين » كما جاء فى بيانات الاضراب .

وتتحدث الصحف فى ٢٩ أبريل ١٩٣٦ ، عن تدخل الشيوعية فى حوادث تل أبيب ، ويافا . وكيف ان الشيوعيين فى هاتين المدينتين قاموا باحراق أماكن كثـيرة .

***

تقول — مثلا — جريدة « الديلى تلجراف » — البريطانية :

« وردت تلغرافات من القدس تقول ان من المظنون أن هناك عوامل أجنبية شجعت الاضطرابات فى فلسطين وأن مبالغ كبيرة من المال ، قد وزعت . فاذا جرى تحقيق فى الأسباب التى جعلت بعض العـرب يصبحون فجأة أغنيـاء ، فان الأمر ، سينجلى عن أسباب مهمة « ويتهم المحامون العرب فى يافا البوليس اليهودى بتسهيل مهمة اليهود ، الذين يحرقون المنـــازل العربية ، ويطالبون بابعاد البوليس اليهودى عن الأحياء العربية » .

***

ويصف رئيس بلدية تل أبيب العرب « بالمتوحشين » .

ويجتمع أكثر من ألف فلسطينى فى القدس ، حيث يطالبون الدكتور الخالدى رئيس بلدية القدس أن يرد على هذا الاتهام الوقح . ويتولى الدكتور الخالدى — فى خطاب بليغ — الرد على رئيس بلدية تل أبيب ، كما يتولى الرد

عليه أيضا كل من الحاج أمين أفندى الحسينى وراغب بك النشاشيبى ، وحسن صدقى الدجانى ٠

ويجتمع المجلس البلدى فى يافا حيث يقرر استنكار خطاب رئيس بلدية تل أبيب ٠

ويصل عدد اليهود الذين دخلوا البلاد خلال أبريل ١٩٣٦ ـ أى الشهر الذى تصاعدت فيه الاضطرابات ـ الى ١٤٥٠ يهوديا ٠

وتشعر تل أبيب بوطأة المقاطعة العربية لسكان تل أبيب حتى ليصل ثمن أقة الطماطم الى ثمانية قروش والبيضة الواحدة الى قرش ، وأقة الموز الى خمسة وعشرين قرشا ، وهى أسعار تعتبر وقتئذ خيالية ، لأنها أضعاف ، أضعاف الأسعار العادية وقتئذ ٠

***

وتوالى الحكومة انذارها للأهالى : كل شخص يساعد على الاضطرابات أو يشترك فى اجتماع غير مشروع يعاقب بالسجن من خمس سنوات ، الى عشر سنوات وكل من ينذر ولا يتفرق ، يعرض نفسه للقتل ٠

وتبلغ اللجنة القومية العليا ـ بهيئتها الجديدة ـ ملوك العرب والمسلمين، وزعماء العرب والمسلمين وكبارهم بما يجرى فى فلسطين ، وتطلعهم جميعا على خطورة الحال ، وعلى ما يتهدد الوطن الفلسطينى من أخطار بسبب السياسة البريطانية تجاه العرب وممالأتها لليهود ٠

ومما هو جدير بالذكر أن رئيس طائفة السامريين فى نابلس قد أصدر بيانا رد فيه على المستر ويزنكوف رئيس بلدية تل أبيب ، الذى اتهم العرب بالوحشية وكان من بين ما قاله :

« ان طائفته تعيش فى نابلس منذ مئات السنين بين العرب آمنة مطمئنة وما ذلك الا لأنها لم تعتنق الفكرة الصهيونية » ٠

وينهى بيانه بقوله :

« ان اتهام العرب بالوحشية جهل للحقيقة وللتاريخ » ٠٠

ويطلب الشيخ فاروقى مدير الجامعة الاسلامية فى القدس من النساء الفلسطينيات ان يدفعن الرجال الى ميدان القتال ليعملوا على انتصار المبدأ الوطنى ٠

ووسط ذلك الجو الثائر ، تتردد شائعة عن وجود خلاف بين المفتى وراغب النشاشيبى ويقال ان راغب النشاشيبى قد أوعز الى الجهات المسئولة اقالة المفتى

لأنه يشتغل رسميا فى السياسة وانه ـ أى النشاشيبى ـ طالب باسناد وظيفة المفتى الى واحد من أفراد أسرته مكافأة له لتأييده مشروع المجلس التشريعى ٠

وتعود الهيئة القومية العليا لترسل الى ملوك مصر ، والعراق ، والمملكة العربية السعودية ، واليمن ، وشرق الاردن ، وشاه ايران ، وشاه أفغانستان ، ورئيس الجمهورية التركية ، تلغرافات ورسائل تصف فيها حـــالة فلسطين ، وتناشدهم فيها النهوض لمساعدتها ٠ وكان من بين البرقيات التى أرسلت الى هؤلاء :

***

« فلسطين مضربة منذ أسبوع استنكارا للسياسة البريطانية والصهيونية ، المبيدةللشعب العربى والأمة متكاتفة بجميع أحزابها على المضى فى الاضراب حتى تتبدل هذه السياسية تبدلا يضمن سلامة كيان العرب وحقوقهم » ٠

ويرد الأمير عبد الله ـ أمير شرق الأردن ـ بالبرقية التالية :

« قرأت برقيتكم باهتمام ، وســـأقوم بما يجب ان شاء الله ، والله غوث الجميع وحسبنا الله ونعم الوكيل ٠٠ »

ويرسل المستوردون اليهود الى أصحاب المصانع فى الخارج يطلبون منهم عدم ارسال بضائعهم بطريق ميناء « حيفا » وتتألف لجنة لمفاوضة الحكومة بشأن انشاء ميناء فى تل أبيب ، ويتولى رئاسة هذه اللجنة الأستاذ هوبين مدير بنك الانجلو فلسطين ٠

وفى أول مايو ١٩٣٦ يتم أعتقال ٧٦ شيوعا ، وشيوعية فى تل أبيب ويصـل وفـد اللجنة العربية العليا الى عمان لمقابلة الأمير عبد الله ٠ ولكن حكومـة شرق الأردن تخشى من انصار المفتى ، فمنعت هذه الحكومة الوفد من المجىء الى عمان ، وقام الأمير عبد الله بمقابلة الوفد فى سيارة بالقرب من عمان ٠

وتنشر الصحف العربية فى أول مايو ١٩٣٦ برقية من القدس تقول :

« روت الصحف الفلسطينية أن وفدا من الشيوخ البدو فى بير سبع زار أمس وكيل الحكومة الفلسطينية وأنه تحدث معه فى كل ما له علاقة بالمهاجرة وبيع الأراضى » ٠

***

ويؤخذ مما نشرته الصحف ان الوكيل صرح للوفد ان الحـــكومة لم ترغم أيا كان من العرب ، على بيع أرضه ، وان العرب هم الذين يبيعون أرضهم بمحض اختيارهم ٠ وقد وعدهم برفع شكواهم الى المندوب السامى البريطانى ٠

وتتظاهر مجموعات كبيرة من النساء الفلسطينيات ويجتزن النطاق الذى ضربه البوليس حول دار الحكومة فى القدس ، ويتجهن الى الحاكم العام ، لمقابلته وتقديم احتجاجهن اليه • وتصفع احداهن رجل بوليس بريطانى على وجهه لانه عاملها بقسوة • وتبرق السيدات العربيات الى الأمير عبد الله تسألنه التوسط لحل قضية فلسطين • كما تبرقن أيضا الى المندوب السامى قائلات : سنضطر الى النزول الى الميدان السياسى ، والعمل بأنفسنا اذا لم تعدل الحكومة البريطانية عن سياستها وتقف الهجرة اليهودية •

كما يذهب وفد من السيدات العربيات الى يافا لزيارة قبور الشهداء ، وزيارة الجرحى فى المستشفيات ويزرن نادى التجـارة ، ويخطبن فى أعضـائه شاكرات لهم غيرتهم ووطنيتهم •

★★★

ويطلب مفتى فلسطين الأكبر الغاء وعد بلفور •

وتقع فى ٣ مايو ١٩٣٦ أول معركة كبيرة بين العرب واليهود ، فى مستعمرة « قصر سابا » بالقرب من طولكرم حيث هاجم العرب القرية ، وقطعوا أشجار البرتقال التى توجد بها • والتحموا مع ٤٠٠ يهودى من حراس تلك المستعمرة • فى معركة استخدم فيها الرصاص وتمكن العرب من التغلب على حراس مستعمرة « قصر سابا » • وأنقذ البوليس البريطانى الحراس اليهود من المهاجمين العرب •

والجدير بالذكر ان الموظفين الفلسطينيين فى حكومة فلسطين ، لم يشاركوا الشعب الفلسطينى فى اضرابه رغم كثير من الضغوط التى وجهت اليهم • وقد حاول بعض المتطرفين فى حركة الاضراب منع العرب من أداء الضرائب والقيام بعصيان مدنى لشل حركة الدوائر الحكومية •

★★★

ومن القضايا الهامة ، التى أثارت الشعب الفلسطينى فى هذه الفترة قضية حسن صدقى الدجانى ، رئيس جمعية سائقى السيارات العرب ، وقضية صالح عبده عضو هذه الجمعية • وكانا متهمين بتوزيع منشور ، دعيا فيه الشعب الى العصيان المدنى • وتولى الدفاع عنهما أربعة من المحامين المعروفين •

وكان مؤتمر الأحزاب السياسية قد اجتمع برئاسة السيد أمين الحسينى مفتى فلسطين وانتخب راغب بك النشاشيبى وكيـلا للرئاسة ، وعـونى بك عبد الهادى سكرتيرا عاما ، وبعد بحث استغرق ساعتين • اتفق المجتمعون على المضى فى الاضراب الى أن تجاب مطالب البلاد والامتناع عن دفع الضرائب اعتبارا

من يوم ١٥ مايو الحالى ، اذا لم تغير الحكومة سياستها تغييرا أساسيا تظهر بوادره بوقف الهجرة اليهودية ٠

ويعلن وزير المستعمرات البريطانى استعـــداده لسماع وجهـــة النظر العربية ٠٠

★★★

وتعلن جريدة « فلســطين » لسان حال النشاشيبيين قبــول دعوة الوزير البريطانى : ويشترك فلاحو نابلس وجنين فى الاضراب ٠ ويحذو حذوهم بقية الفلاحين الفلسطينيين ٠ ويحكم على أحد علماء الدين الاسلامى بالسجن اثنى عشر شهرا لانه كان يقود مظاهرة فى يافا ٠٠

ويتلقى الحاج أمين الحسينى رئيس اللجنـــة العربية العليا ، كتابا من العمال اليهود فى بلغاريا يستنكرون فيه أطماع الصهيونية ، ويعلنون أنها فكرة خاطئة يجب أن تسحق فى مهدها ٠ ويحتجون على السياسة البريطانية التى تؤيد الصهيونية وتعمل على اخراج الزراع العرب من أراضيهم ٠

ويبلغ فى شهر كامل العجز فى ايرادات ــ حكومة فلسطين ــ مبلغ مائتى ألف جنيه ٠ ويشكو المجلس اليهودى فى القدس ٠ من الخــراب الذى لحق بالمستعمرات اليهودية ٠ ويقرر ارسال وفد من الزراع اليهود الى لندن لبسط حالة المستعمرات اليهودية أمام وزارة المستعمرات البريطانية ٠

★★★

وتقول أنباء وردت من لندن ، انه تقرر استدعاء الدكتور حاييم وايزمان من فلسطين ، الى لندن بعد أن كان معلوما انه لن يسافر قبل مضى الأشهــر الثلاثة التى صرح له بها كسائح بريطانى فى فلسطين ٠ وقيل ان هذا السفر ــ كما نشرت الصحف البريطانية ــ جاء بعد ضغط الصهيونيين عليه ، الذين طالبوه بأن ينقذهم من هذه الحالة ، « لان الأيام اثبتت لهم أن الاضراب العربى طويل الأمد ، وان الوحدة العربية قاضية عليهم وعلى أوهامهم » ٠

ويقابل رئيس اللجنة العربية العليا سماحة الحـــاج محمـــد أمين أفندى الحسينى ، فخامة المندوب السامى البريطانى ، ويبحثا معا الحالة الحاضرة فى فلسطين ٠

وتلجأ بريطانيــا الى أسـلوبها القديم فى تمييع الثورات ، فتعلن حكومة فلسطين أنها قد قبلت مطالب العرب ، وأنها تفكر الان فى الصيغة التى يمكن بها تهدئة معارضة اليهود ، من ناحية ، ومنع العرب من اسـتئناف العصيان المدنى من ناحية أخرى ٠

ولا ينخدع بعض القادة العرب بالوعود البريطانية ، ويصرون على مواصلة اضرابهم حتى تتحقق أماني الشعب الفلسطيني ٠٠ وان كان قد انخدع أيضا فى نفس الوقت زعماء أخرون ٠

وكانت أحوال فلسطين الثائرة تحتل الصفحات الأولى من الصحافة المصرية، كما كانت اضرابات الشعب الفلسطيني تحتل كل يوم ـ فى الغالب ـ صفحة أو صفحتين فى داخل كل جريدة مصرية ٠ كما تنشر الصحف المصرية ٠ وبافاضة أحاديث عديدة مع زعماء فلسطين ، الذين يصلون الى القاهرة ، وكذلك الذين كانوا يقيمون فيها وقتئذ ٠

***

وأعتقد انني بهذا القدر ، قد استطعت أن أعطى صورة واضحة ، أو شبه واضحة ، عن كفاح الشعب الفلسطيني فى عام ١٩٣٦ ٠٠ أخطر أعوام النضال الفلسطيني ٠

ونعود بعد ذلك كله الى الكلام عن الأحوال فى مصر فى تلك الفترة التى وقفنا عندها فى الحلقة السابقة ، وهى الفترة التى كان يجرى فيها الاستعداد للانتخابات البرلمانية المصرية ، كما تجرى فيها المحادثات بين مصر وبريطانيا ، تمهيدا لعقد معاهدة التحالف بين البلدين ٠

***

وكانت وزارة على ماهر التى تجرى الانتخابات تتخذ العديد من القرارات الهامة دون أن تنتظر نتائجها ، الأمر الذى كان يضايق الوفد باعتباره الحزب الذى يتوقع حصوله على الأغلبية الساحقة ٠

وفى مقدمة ما اتخذته وزارة على ماهر من قرارات خطيرة ، تسويتها لكثير من المسائل المعلقة بين مصر والمملكة العربية السعودية ٠

وحول هذه النقطة نشير الى رسالتين متبادلتين بين على ماهـــر باشا ، باعتباره وزيرا لخارجية المملكة المصرية ، وبين الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود ، باعتباره وزيرا لخارجية المملكة العربية السعودية ٠

يقول على ماهر فى رسالته المؤرخة فى ٧ ابريل ١٩٣٦ :

« انه لمن أعز أماني حكومة مصر ، أن توطد علاقات مصر بالمملكة العربيــة السعودية على أساس متين من المودة والصداقة ، وان تسوى المسائل المعلقــة بينهما ــ لما فيه مصالح البلدين » ٠

ويطلب على ماهر من الأمير فيصل : « ارسال وفد الى القاهرة فى أقرب وقت ممكن ، يكون مفاوضا لمباحثته ، وتوقيع الاتفاق الذى قد ينتهيان اليه » .

***

ومن القصر العالى بمكة ، يرسل الامير فيصل فى اليوم التالى ٨ أبريل ١٩٣٦ ، ردا على رسالة على ماهر ، يشكره فيها على ابداء رغبة الحكومة المصرية فى توطيد علاقاتها بالمملكة العربية السعودية ، على أساس متين من المودة والصداقة ، وفى تسوية المسائل المعلقة بينهما « لما فيه صالح البلدين » .

ويقول الأمير فيصل :

« باسم حكومة الحجاز ــ حكومة المملكة العربية السعودية ــ أعرب لدولتكم عن ابتهاج حكومة جلالة الملك وسرورها بهذه الخطوة المباركة ، فى سبيل التوفيق ما بين بلدينا . وأمتينا من روابط وطيدة ، ومصالح مشتركة قائمة على سلسلة مديدة من الصفات والتقاليد والماضى المشترك والدين واللغة والجوار » .

ويضيف الأمير فيصل :

« ان حكومة المملكة العربية السعودية قد وقع اختيارها على سعادة فؤاد بك حمزة وكيل الخارجية للقيام بهذه المهمة ، وسيكون سفره من جده يوم الاثنين الواقع فى ١٣ ابريل ، فيصل السويس يوم الأربعاء ١٥ منه ، وانى أسأل الله أن يوفقنا جميعا لما فيه حفظ مصالح بلدينا المشتركة وسعادة أمتينا ورفاهيتهما » .

واذا كان الشيء بالشيء يذكر ، فان المملكة العربية السعودية ، قد أعادت تأليف « مجلس الشورى » فى دورته الخامسة من الأعضاء الآتية أسماؤهم : عبد الله الفضل ، صالح شطا ، شرف رضا ، عبد الله الشنبى ، عبد القادر غزاوى ، حسين باسلامه ، على كتبى أحمد غزاوى : محمد المغيربى : عبد الرءوف الصبان : عبد الوهاب قزاز ، محمد صالح نصيف .

***

وكان خطاب الملك عبد العزيز فى افتتاح الدورة الجديدة ، موجزا الى أبعد حدود الايجاز ، اذ لم يتجاوز ثلاثين سطرا . وكان من بين الكلمات التى وردت

« لقد قضت حكمة الله فى اجتماع المسلمين للنظر فى مصالحهم باتباع ما أمر به ، وباجتناب ما نهى عنه ، وأمرنا بالتعاون على البر والتقوى ، والتشاور والتناصح فى مصالح البلاد والعباد ، حيث قال فى محكم كتابه : « وشاورهم فى الأمر » . وقال عليه الصلاة والسلام « الدين النصيحة » .

« ولما كان من أعز أمانينا أن يمثل الشعب فى هذا المجلس تمثيلا صحيحا لتكون الصلة بين الشعب والحكومة أوسع وأعم ، فقد أصدرنا أمرنا بوضع نظام يقضى بانتخاب ممثل عن كل قضاء فى المملكة ، يجتمعون بصفة مجلس عام فى شهر الحج من كل عام » .

★★★

والجدير بالذكر ان فؤاد حمزة وكيل وزارة خارجية المملكة العربية السعودية عندما وصل الى مصر تحدث عن : « قيام الوحدة العربية ، واعتبارها أمنية كل مخلص للعروبة ، وأن الدعاية الواسعة التى يقوم بها الرجال المخلصون لهـذه القضية ، بدأت بوادر ثمرتها وأخذت تعمل عملها فى الشعور العام ، وعلى كل عربى أن يغذى هذه الدعوة ، وأن يعمل كل ما استطاع فى سبيل ازدهارها ، وأن يغرس بذورها فى نفوس الشباب الناشىء بجميع الوسائل المشروعة » .

وبعد تلك الجولة العربية أعود الى مصر ، حيث مات الملك أحمد فؤاد الأول وتولى مكانه الملك فاروق الأول .

البـــاب الســـادس

الفصـــل الأول

مـات الملك .. يحيـا الملك

وفى القاهرة يبدأ الحديث بصراحة ووضوح عن اشتداد المرض على الملك احمد فؤاد وعن استدعاء ولى العهد الامير فاروق من لندن ٠

***

وكان الملك فؤاد قد أصيب فى أسنانه وظل يخلعها واحدة اثر واحدة طوال ثلاثة أسابيع : وكان الدكتور فرجونى ، الذى استدعى من ايطاليا على طائرة خاصة ، قد شكل مجلسا طبيا ، أخذ أعضاؤه يفحصون المرض ويسبرون غوره ، ثم أصدروا « نشرة طبية » أولى ، قالوا فيها : « لقد حدث التهاب تعفنى فى الفم اتخذ شكل الغرغرينا ، ثم طرأ نزيف له خطورته أثر تأثيرا غير محمود فى الحالة العامة » ٠

وبينما كان الملك فؤاد يواجه ساعاته الأخيرة ، كان الأمير محمد على يتردد على دار المندوب السامى البريطانى ٠

ورغم نقل كميات من الدم ٠٠ الا ان الحمى قد زادت على الملك فؤاد ٠

وتتوالى « النشرات الطبية » ، التى يصدرها الاطباء : بروفيسور فرجونى برفيسور دونيه ٠ د٠ ريدر ٠ د٠ بيرت داى ٠ د٠ هيس ٠ د٠ جروس ٠٠ ولم يكن من بين الأطباء الذين يعالجون ملك مصر أى طبيب مصرى ٠٠ !!

***

وقفنا عند الكلام على اشتداد المرض على الملك أحمد فؤاد ، وقيـام مجموعة من الاطباء بمعالجته دون أن يكون من بين الاطباء طبيب مصرى واحد ، يشترك فى علاج ملك مصر ، الأمر الذى يؤكد ، بأن عقدة الخواجة كانت متوافرة جدا

فى السراى الملكية ، كما وقفنا أيضا عند تردد الأمير محمد على توفيق ، أكثر من مرة على دار المندوب السامى البريطانى والامير محمد على توفيق ، كما تؤكد ، كل الوثائق ، المصرية ، والبريطـــانية كان من أوثق أمراء البيت المالك علاقة ببريطانيا ، وكان فى نفس الوقت ، على خلاف دائم مع الملك أحمد فؤاد ، والسبب فى ذلك انه كان يرى أحقيته فى ملك مصر ، فبمجرد اعلان الحماية البريطانية ، على مصر ، فى ١٨ ديسمبر ١٩١٤ ، واهدار استقلال مصر ، الداخلى ، التام ، أعلن ناظر الخارجية ، البريطانية انه بالنظر لاقدام سمو عباس حلمى باشا ، خديو مصر ، على الانضمام لأعداء ملك بريطانيا (تركيا) قد رأت حكومة ملك بريطانيا خلعه من منصب الخديوية وقد عرض هذا المنصب السامى ، مع لقب سلطان مصر ، على سمو الأمير حسين كامل باشا أكبر الامراء ، الموجودين من سلالة محمد على فقبله . وكان اختيار السلطان حسين ، ويعد من غير فرع توفيق ، الذى ينتمى اليه الخديو عباس حلمى فى رأى الأمير محمد على توفيق ، وباقى أفراد أسرة توفيق باشا ــ الخديو الأسبق ــ عدوانا على هذا الفرع ، وافتئاتا على حقوقه ، اذ كان يجب على بريطانيا ــ فى رأى محمد على توفيق ــ انها ما دامت قد عزلت عباس حلمى ، الثانى ، فيجب أن تختار بدلا منه ابنه ، أو شقيقه ، لاستمرار بقاء السلطنة فى فرع توفيق باشا والد عباس حلمى وقد زاد هذا الاعتقاد أهمية فى نفس الامير محمد على ، بعد وفاة السلطان حسين ، واعتذار نجله الوحيد كمال الدين حسين عن قبول منصب سلطان مصر ، متنازلا ، عن كل حق ، أو صفة أو دعوى كان من الممكن له ان يتمسك بها فى عرش السلطنة المصرية ، وقد كان محمد على توفيق ومحمد عبد المنعم ، وغيرهما من امراء فرع توفيق ، يرون انه بعد وفاة السلطان حسين ، واعتذار ابنه لا بد من العودة الى نجل الخديو عباس حلمى أو الى شقيقه خاصة . ان بريطانيا عندما عزلت عباس حلمى ، الثانى لم تعزل ورثته ، عن حقهم فى تولى السلطنة ، ولان الأمير أحمد فؤاد ، الذى اختارته بريطانيا فى ٩ أكتوبر ١٩١٧ ليكون سلطانا على مصر ، لم يكن صاحب حق ، فى هــذا المنصب ، وكان الأمير محمد عــلى توفيق . وهو ميال الى السلطنة منذ شبابه المبكر ، يرى أحقيته فى أن يكون له الأمر ، وكان دائما يعرض نفسه على بريطانيا ، التى كانت محتلة مصر ، لتختاره فى أى وقت يقع بينها وبين السلطان ، أحمد فؤاد « الملك فؤاد » فيما بعد . أى خلاف أو اختلاف .

★★★

وكان أحمد فؤاد قد تزوج للمرة الثانية من الآنسة نازلى كريمة عبد الرحيم صبرى باشا ، وكان وزيرا للزراعة وذلك فى ٢٤ مايو ١٩١٩ ، أثناء اشتداد لهيب ثورة ١٩١٩ ، وفى ١١ فبراير ١٩٢٠ انجب فاروق ، وقد قام ، يوسف وهبه باشا ، رئيس مجلس الوزراء ، وقتئذ بابلاغ النبأ ، الى المندوب الســامى

البريطاني والى وزارة الخارجية البريطانية وكان ذلك الابلاغ شذوذا في حد ذاته ، فلم يجر العرف على ابلاغ ممثل دولة أجنبية في مصر ، ولا وزارة خارجيتها بمثل هذا الحدث الداخلي وبالرغم من أنه لم يكن في مصر ، وقتئذ ، نظام خاص بوراثة العرش الا أن الحكومة البريطانية ، قد انتهزت الفرصة ، وبالغت في التدخل في شئون مصر ، فأرسل صاحب المقام ، الجليل الفيلد مارشال اللنبي ، المندوب السامي البريطاني الى السلطان أحمد فؤاد في ١٧ ابريل ١٩٢٠ رسالة يقول فيها : ان الحادث السعيد الجديد ، الا وهو ميلاد نجل لعظمتكم قد دعا حكومة جلالة الملك الى النظر في نظام وراثة السلطنة المصرية وعليه فقد رأت من لدن جلالة الملك بأن أبلغ عظمتكم الاعتراف بنجل عظمتكم الأمير ، فاروق ونسله من الذكور ، على قاعدة الأكبر من الأولاد ، فالأكبر من أولاده على نفس القاعدة كأولياء عهده ٠

***

وكان تدخل بريطانيا منذ اللحظات الأولى لمولد ، فاروق منافيا للاستقلال وهادما للسيادة ، القومية ، بل والكرامة الوطنية ٠

واذا كان الشيء بالشيء يذكر فان الحزب الوطني لم يترك تلك المناسبة تمر دون ان يحتج عليها في بيان ، أصدره ووزعه ، على الصحف ، فلما حيل بين الصحف وبين نشره لوجود الرقابة على الصحف ، بادر بتوزيعه في نشرات خاصة ، مطبوعة ، وأبلغه الى معتمدى الدول الأجنبية في مصر ، وكان البيان قد صدر من اللجنة الادارية للحزب الوطني وقد جاء في هذا البيان ــ للذكرى ــ ان مسألة عرش مصر ، وما يتعلق به من المسائل الخاصة بالأمة المصرية وحدها ، دون غيرها ، وبما أن اقدام الحكومة البريطانية على التدخل في شئون مصر ، الخاصة في الوقت الذى تعمل فيه الأمة المصرية جميعا على استرداد استقلالها التام ، باذلة في سبيل ذلك كل جهودها المشروعة يعد اعتداء صريحا على أحكام ، القانون الدولي ، من جهة وعلى مبادىء ، حرية الشعوب وحقوق الأمم الطبيعية من جهة أخرى وبما ان الوسائل ، التى تتخذها الحكومة البريطانية في تنفيذ اغراضها السياسية أزاء مصر ، قائمة على سلطان قوتها وعلى الأحكام العرفية المعلنة ، منها ، فان جميع الأعمال الناتجة عنها ، تعتبر بغير شك ، غير مشروعة ولا جائزة لأن الأمة وحدها هي المالكة للتصرف في جميع حقوقها السياسية وبما ان الأمة المصرية لا تزال ولن تزال متمسكة بحقوقها ، المقدسة وانها لا تعترف لانكلترا بمركز خاص في مصر ، يخولها أى حق أو أية صفة للتدخل في شئون البلاد السياسية سواء كانت بخصوص ، العرش ، أو الوراثة ، أو غيره ، وكذلك بما ان الأمة المصرية لا تزال تعمل ، على تحقيق مبدئها ، القاضي باستقلال مصر ، التام مع سودانها وملحقاتها استقلالا غير مشوب باحتلال أو حماية أو وصاية أو أى تدخل

أجنبي فاللجنة الادارية للحزب الوطني ترى من واجبها عدم السكوت على كل عمل سياسي يراد منه الافتئات على حقوق البلاد كلها أو بعضها لذلك قررت بالاجماع أولا ـ الاحتجاج بشدة ، على جميع هذه الأعمـــال ، وما يماثلها • ثانيا ـ تبليغ وكلاء الدول الأجنبية وقناصلها العامين ، الممثلين لها في مصر ، هذا القرار لابلاغه الى حكوماتهم وقد وقع ، « البيان » عن اللجنة الادارية للحزب الوطني : على فهمي كامل ـ شقيق مصطفى كامل ، باعتباره وكيـــلا ، للحزب الوطني •

★★★

كما أصدرت أيضا لجنة الوفد المركزية بمصر برياسة محمود سليمان باشا قرارا بالاحتجاج ، على هذا التدخل قالت فيه ان الأمة المصرية مع تمسكها الشديد بعائلة محمد على مصلح مصر ، الكبير وبأن يكون على عرش مصر ، احد أفراد هذه العائلة المجيدة بطريق الوراثة ترى انه في تقرير نظام ، هذه الوراثة بواسطة حكومة انجلترا اعتداء ، على حقوق مصر الشرعية ، لأن الأمة المصرية وحدها بما لها من الحق في تقرير مصيرها ، هي صاحبة الحق في تقرير نظام وراثة ، الحكم فيها وعلى ذلك فاللجنة المركزية للوفد المصري تحتج على هذا العمل وهي بذلك ، تعبر عن رأى الأمة •

★★★

وكانت اللجنة الادارية للحزب الوطني ، تتخذ موقفا صلبا ، ازاء السلطان أحمد فؤاد ، وازاء القرارات التي يتخذها ، أو تتخذها السلطات البريطانية خاصة به ، أو بابنه فاروق ـ ومن أجل ذلك ، كانت توجه ، اليها ، الاتهامات الخاصة بميلها الى الخديو عباس حلمي الثاني وسعيها ، المتواصل لاعادته الى العرش ••

★★★

ونعود بعد ذلك الاستطراد لنقول ان الأمير محمد على ـ ومنذ اشتد المرض على الملك أحمد فؤاد ـ كان دائم التردد على دار المندوب السامي البريطاني ، ولا نعتقد أبدا ، انه كان يطمع في أن يلي العرش ، بعد وفاة أحمد فؤاد لأن بريطانيا كانت قد اعترفت بفاروق وليا للعهد ، ولم يكن في الامكان ، احداث انقلاب ، جذري في السلطة ، وكل ما كان يسعى اليه محمد على هو أن يكون وصيا ، على العرش ، وان يكون في نفس الوقت ، وليا للعهد •

★★★

وفي نفس الوقت ـ وقت اشتداد المرض على أحمد فؤاد ، كان على ماهر باشا رئيس الوزارة دائم الاتصال بأحمد حسنين بك وابنه الأمير فاروق في

لندن وكان المستر كين بويد مدير الادارة الأوروبية فى وزارة الداخلية يلتقى باستمرار مع شريف صبرى ، وكيل وزارة الخارجية وشقيق الملكة نازلى وكان أحمد فؤاد ــ عندما اشتدت به العلة ــ يعكف على الجلوس نصف جلسة على كرسى مريح حتى لا يسرى السم الناتج من التهاب اللثة الى بقية اجزاء جسمه وقد انتهز الملك فرصة تحسن صحته ، فوقع مرسوما خاصا بتعديل اتفاقية قناة السويس ومرسوما ، آخر بتعيين توفيق ابراهيم بك قاضيا بالمحاكم المختلطة ، وكانت قد وصلته رسالة من ابنه فى لندن ، رأى أن يطلع عليها فضغط على زر كهربائى لانارة الاباجورة القريبة منه وفتح المظروف ، ووضع نظارته ، على عينيه ولكنه ما كاد يستهل قراءة الرسالة حتى استسلم لنوبة اغماء قصيرة ، أسلم بعدها الروح ، ولم يكن بداخل الغرفة الا فيروتشى بك كبير مهندسى السرايات الملكية ــ وهو ايطالى ككل موظفى السراى الكبار ــ فرأى ، أحمد فؤاد بعد أن فارق ، الحياة ، فخرج ليعلن النبأ لمن هم خارج الغرفة وقيل ان آخر رغبات الملك أحمد فؤاد ، كانت اعداد توكيل ، لتوقيعه يهدى فيه مجموعته الأثرية ، النفيسة الى ابنه فاروق ، حتى لا تقسم بين الورثة ، ولكن تلك الرغبة لم تتحقق لانه فارق ، الحياة ، قبل ان يتم ، اعداد التوكيل ٠

★★★

وكان على ماهر قد أعد ، لكل شيء عدته ، قبل أن يلفظ الملك أنفاسه الأخيرة فسرعان ما أعلن وفاة الملك فؤاد فى وثيقة رسمية وقعها ، الى جانبه محمد على علوبة ، حافظ حسين ، أحمد على ، على صدقى ، صادق وهبه ، أحمد عبد الوهاب، حسن صبرى ــ الوزراء ، وفى نفس الوثيقة التى أعلن فيها وفاة الملك أحمد فؤاد أعلن المناداة بفاروق ملكا على مصر ، وفى نفس الوقت أعلن تولى مجلس الوزراء منذ يوم ٢٨ ابريل ١٩٣٦ ــ يوم وفاة الملك ــ سلطات الملك الدستورية باسم الأمة المصرية وبحث مسئوليته حتى الوقت الذى يجب ، عليه ان يسلم مقاليدها الى مجلس الوصاية ٠

وفى نفس الوقت أيضا أرسل على ماهر ، برقية عزاء من مجلس الوزراء الى الامير فاروق ولى العهد لوفاة والده ، وبرقية أخرى يهنئه باعتلاء جلالته عرش مصر !

★★★

وفى نفس الوقت أيضا ، اتخذت الاجراءات اللازمة لتشييع جنازة أحمد فؤاد ، ولم يتخذ مجلس الوزراء قرارا فى مسألة ولاية العهد وان كانت بعض الصحف ، الممالئة ، للأمير محمد على قد ذكرت ان ولاية العهد ستكون من حق الأمير ، محمد على توفيق لانه أقرب الأمراء ، الى جلالة الملك فاروق ، كما ان

بعض الصحف الأخرى رأت ، ان ولاية ، العهد ، يجب أن تكون من حق الأمير محمد عبد المنعم ٠

★★★

والجدير بالذكر ان الاستاذ ابراهيم الهلباوى قد نشر فى الاهرام ـ وقد أيدته الأهرام فى رأيه ـ وكذلك نشرت ، كثير من الصحف البريطانية ان ولاية العهد ، انتقلت بعد أن أصبح فاروق ملكا ، الى الأمير محمد على توفيق وان الاستاذ سعيد حبيب المحامى قد نشر فى روزاليوسف مقالا ، أكد فيه ، ان ولاية العهد حق للأمير محمد عبد المنعم ، رأس فرع توفيق فى أسرة محمد على وان هذا الحق انتقل اليه بحرمان والده الخديو عباس حلمى دون عمه الأمير محمد على توفيق ٠

★★★

وكان الغضب الملكى واقعا لفترة طويلة على الاستاذ سعيد حبيب لانه تجرأ أن يعبر عن رأيه هذا ، الذى كانت بريطانيا لا ترتاح له وبالتالى لا ترتاح له السراى أيضا بالتبعية ٠

وقبل ان يوارى جثمان الملك التراب لم يكن من حديث للناس الا الحديث عن مجلس الوصاية هل يكون مشايعا للوفد أم غير مشايع له ، هل يكون برئاسة محمد على توفيق ، أم برياسة على ماهر ، وكانت الاسماء المطروحة ، وقتئذ للمشاركة فى مجلس الوصاية : على ماهر ، محمود فخرى ، زوج كبرى كريمات الملك فؤاد ، محمد طاهر باشا ابن شقيقة الملك الراحل ، والأمير محمد على ، وقيل ان نسيم باشا كان مرشحا ليكون أحد أعضاء مجلس الوصاية ولكن بعض الجهات اعترضت ٠

★★★

وقبل ان يوارى أيضا جثمان الملك الراحل كانت لجنة مؤلفة من على ماهر وأحمد عبد الوهاب وزير المالية وأحمد على باشا وزير الحقانية وحسن صبرى باشا وزير المواصلات وسعيد ذو الفقار باشا كبير الأمناء ومحمود فخرى باشا وكان وقتئذ وزيرا مفوضا لمصر فى باريس ويحمل لقب صاحب معالى ، وكذلك شريف صبرى باشا ، وكيل وزارة الداخلية بالاضافة الى عبد الحميد بدوى باشا كبير المستشارين الملكيين وكانت مهمة هذه اللجنة بحث كل الاجراءات الدستورية الخاصة بالمرحلة الجديدة من مراحل الحكم وكان من بين المشاكل التى كانت تبحثها تلك اللجنة أى مجلس نيابى سيجتمع لتعرض عليه مسألة الوصاية على العرش ؟ هل هو برلمان ١٩٣٠ الذى كان يقوم عليه نظام حكم اسماعيل صدقى والذى انتهى وانتهى معه الدستور ، الذى كان يعتمد على دستور سنة ١٩٣٠

أم هو برلمان ١٩٢٩ آخر برلمان استند على دستور سنة ١٩٢٣ ، الذى أعيد بعد زوال الانقلاب الصدقى أم هو البرلمان الجديد الذى سوف تجرى الانتخابات الخاصة به بعد يومين من تشييع جنازة الملك الراحل ؟ وكان لكل رأى من تلك الآراء الثلاثة وجاهته وأسانيده القانونية . ولكن لم تكن المسألة مسألة قانون وحسب ولكنها أيضا مسألة سياسة فلا بد من أخذ رأى زعماء الجبهة الوطنية الذين يفاوضون بريطانيا باعتبارهم قادة البلاد وزعماءها ، ولا بد ــ فى نفس الوقت ــ من أخذ رأى الحكومة البريطانية التى تدس أنفها فى كل صغيرة وكبيرة متعلقة بمصر خاصة فى الفترة الأخيرة .

★★★

وتشييع جنازة الملك فؤاد وكان محمد على توفيق نائبا ، عن الملك فاروق ولوحظ ان أعضاء الحزب الايطالى الفاشيستى ــ وكان للفاشستيين فى مصر ، نفوذ قوى وقتئذ لأن بعض كبار ذوى النفوذ فى القصر من الايطاليين ، الممالئين للفاشيست ــ قد اصطفوا بميدان سوارس بأعلامهم المنكسة وشارات الحداد الخاصة بهم وقد أدوا التحية الفاشية لجثمان الملك الراحل عند مروره من أمامهم .

وكان على ماهر ــ وتلك من بعض حسناته ــ قد رفض أن يشترك جيش الاحتلال البريطانى فى تشييع جثمان الملك أحمد فؤاد ، وان كان قد وافق على أن يمثل هذا الجيش فى الجنازة ببعض ضباطه الانجليز .

★★★

وقد حدث خلال حول من يكون وليا للعهد كما حدث خلاف حول أى برلمان ، يمكن دعوته لعرض أسماء الأوصياء .

وتصف الصحف جنازة الملك فؤاد .

وتقول الأهرام ــ مثلا ــ فى عددها الصادر فى يوم الجمعة أول مايو سنة ١٩٣٦ وتحت عنوان ضخم ــ على امتداد صفحاتها الأولى كلها ــ أمة تشيع ملكا : الألوف من قصر عابدين ، الى مسجد الرفاعى يحيون الملك الراحل خاشعين متأثرين : يكتب الكاتب وصف احتفال الأمة بتشييع جنازة المليك الراحل ، على غير مثال سابق ، ولا مشاهدة مقربة فلم يحدث ، من قبل أ نرأى الراءون الأمة المصرية بأسرها تخرج هالعة جازعة قد فطر الحزن نفسها ، وهد المصاب كيانها ، مثل ما رأوا من ذلك أمس ، ولقد كانت القاهرة أمس بعد أن مدتها الأقاليم بالوفود من أعيانها ، وزعمائها ، وسوادها تموج بالناس موجا وتضطرب بهم اضطرابا ولم تكن العين تقع الا على عيون دامعة وأبصار شاخصة ، وأناس . قد وقفوا خاشعين واجمين من هول المصاب ، ولقد حق لمصر البكاء على فقيدها العظيم ، وما لها لا تبكيه وقد نهض بها نهضة الجبابرة وأرسل اسمها يدوى فى

جميع انحاء العالم ، وجعلها قبلة الانظار ، ومثلا يحتذى فى الشرق كله بل مالها لا تبكيه وهو الذى بعثها من رقدتها وسدد خطاها · وحنا عليها حنو الوالد ، البار على ولده الوحيد ·

***

ولقد حق على مصر ، من غير شك ، ان تبكى أول ملوكها والملك الذى رد اليها تاج الملك بعد أن سلبت أياه حوالى خمسة قرون ·

وحق على مصر ، ان تبكى الملك الذى علمها وثقفها وما زال ينشر فيها لواء العلم والعرفان ، ويشرع لها موارد الثقافة حتى اتجهت صوبها ، وولت وجهها شطرها ، وهى اليوم سائرة فى هذا الطريق ، الواضح المسالك ·

وحق لمصر ان تبكى الملك الذى حمى طابعها ، وتقاليدها المحترمة ، وأبقى على مكنونات القومية فيها ، وكان فى ذلك كله المثل الأعلى والقدوة المحتذاه ·

***

ومن أخبار تشييع الجثمان ، كما جاء فى نفس العدد بالأهرام :

● لم يسمح البوليس لمصورى الصحف والسينما بالتصوير فى الشوارع، ولهذا كانت مهمتهم شاقة متعبة فراحوا يتسلقون المنازل ، ويعلون الأماكن المرتفعة فى طريق الجنازة لالتقاط الصور ·

● على أثر تحرك الجنازة من قصر عابدين حلقت ثلاثة أسراب من سلاح الطيران المصرى فوق السراى وكان عددها خمس عشرة طائرة وقد ظلت الطائرات محلقة تذهب ، وتجىء فوق طريق الجنازة ، من قصر عابدين الى المدافن الملكية وبالعكس ·

● أقبل الناس على استئجار أسطح المنازل وشرفاتها ، واستعان أكثرهم بالمظلات الكبيرة فوق الاسطح للوقاية من وهج الشمس ·

وبلغ من شدة شغف الجماهير بمشاهدة الموكب ان كانوا يستأجرون الكراسى للوقوف عليها ، وكذلك الصناديق الخشبية الفارغة ، ثم تدرجوا الى استئجار السلالم الخشبية فكان كل من يضع قدميه ، على درجة من درجات سلم خشبى يدفع أجرا يختلف باختلاف الموقع · وقد كان بعض السلالم ، يحمل أكثر من خمسة أشخاص !

***

● أودع الجثمان الكريم ، مقره الأخير بين مظاهرة الحزن والبكاء الشديد ، وقد نزل مع الجثمان ، الى اللحد ، معالى سعيد ذو الفقار باشا ، وسعادة مراد

محسن باشا وفضيلة الاستاذ عبد المجيد سليم المفتى الذى قام بتلقين الفقيد الكريم ، بالعبارات الدينية المعروفة ٠

● كانت الملكة نازلى على اثر خروج الجثمان الطاهر من سراى عابدين قصدت الى مسجد الرفاعى وكانت مرتدية الملابس السوداء تصحبها كريمتاها الأميرتان فوزية وفايزة وكانتا ترتديان ملابس بيضاء ، وتضعان على رأسيهما شريطا أسود ، وكانت فى استقبالهن الأميرة فوقية - كبرى كريمات الملك فؤاد - والسلطانة ملك الخ ٠٠ الخ ٠٠

● أعلنت الماسونية التى كانت تعتبر الملك أحمد فؤاد أحد كبار رجالاتها الحداد ستة أشهر ، على أن تكون أوراق المكاتبات الخاصة بها مجللة بالسواد ، وأن يضع الأعضاء ورودا سوداء على أوشحتهم ، ومآزرهم ٠

***

ولا اعتراض لى - ككاتب - على ما نشرته الأهرام عن جنازة الملك أحمد فؤاد ٠ الا فى نقطتين اثنتين : أولاهما قول الأهرام ان هذه الجنازة لم تعرف مصر لها مثيلا من قبل ، وأنا هنا أذكر بجنازة مصطفى كامل ، وجنازة سعد زغلول ، النقطة الثانية قول الأهرام ان الملك فؤاد ، هو الذى علم مصر ولست أعرف انسانا ما علم مصر ، لأن مصر ، هى المعلم باستمرار ، وأفتح قوسا قبل ان انتهى من الكلامعن جنازة الملك فؤاد التى أردت من مجرد تسجيلها هنا اعطاء صورة لمبالغة الصحافة المصرية فى بعض الأحيان ، ولا أقول كل الأحيان ٠ وأقول فى القوس : انه بينما كانت مصر مهتمة بتشييع جنازة الملك فؤاد احتلت اخبار الانتخابات الخاصة بمجلس النواب ، والتى كانت ستجرى فى اليوم الثالث لتشييع الجنازة عمودا واحدا ، أو أقل من صحفنا الكبرى تخللته بعض الاخبار عن هذه المعركة من بينها أن الأستاذ أحمد راسم وكيل محافظة القاهرة أشرف على الاعداد للانتخابات ، لان محافظ العاصمة - محمود صدقى باشا - كان مشتركا رسميا فى جنازة الملك الراحل ، وان عددا كبيرا من ناخبى دائرة الخليفة قد اجتمعوا ، واختاروا الأستاذ حافظ رمضان رئيس الحزب الوطنى نائبا عنهم ، لتمثيلهم فى مجلس النواب من بين المرشحين الثلاثة فى هذه الدائرة وان اعتداء وقع على الوجيه الحاج على أحمد الجمل رئيس الغرفة التجارية ، وعضو لجنة الوفد العامة عن دائرة المنصورة من قبل انصار المرشح المنافس الدكتور حلمى الجيار - الذى هو أيضا وفدى ولكنه غير مرشح الوفد - وان مصطفى النحاس باشا قد أرسل برقية الى الحاج على الجمل قال فيها : ساءنى كثيرا ما علمته من اعتداء جرىء عليكم من بعض الصبية المناصرين للدكتور الجيار ، وما كان ليدهشنى مثل هذا الاجرام ممن يناصرون شخصا أجرم فى حق الوفد ، ولم يحترم له ارادة أو نظاما ؛ غير انى لا يخالجنى شك فى أن المنصورة وهى حصن الوفد الحصين ،

ستهزم كل من اجترأ على مقاومة الوفد وتكتب له الخذلان المبين ، كما انها ستنتصر حضرة صاحب العزة محمود بك نصير نائب المنصورة السابق ومرشح الوفد الوحيد فيها نصرا مبينا فيه عبرة للخارجين ، وترضية للمخلصين ٠

★★★

كما أرسل الاستاذ مكرم عبيد ، برقية الى الحاج على الجمل يقول فيها : ما كان الاعتداء الأثيم عليكم الا مفخرة جديدة من مفاخركم ودلالة أكيدة على انتصاركم ٠

وكان الدكتور منصور فهمى ، عميد كلية الآداب ، قد نقل مديرا لدار الكتب فغضب الطلبة لذلك النقل ، وتظاهروا من أجل اعادته ونظموا اجتماعا كبيرا فى أحد مدرجات الكلية تحدث الطلبة والطالبات : محمود أبو رحاب ، محمد أحمد الصياد ، محمد النويهى ، أحمد فتحى عفيفى ، على جمال الدين ، ابراهيم خليل ، عبد الحكيم عابدين ، محمد منصور ، ابنة الشاطىء ، ويشكر د٠ منصور فهمى لأبنائه الطلبة اخلاصهم ووفاءهم مؤكدا أن للجامعة أن تفخر بحق بشبابها ٠

★★★

ويقرر شباب الوفد ـ القمصان الزرقاء ـ فصل عبد الهادى أفندى نجم الدين الجندى لأنه اشترك في ١٩٣٦/٤/٢٦ وخطب في حفلة انتخابية بملابسه الرسمية مخالفا بذلك التعليمات الصادرة « للجنود » من الاشتراك فى الانتخابات ، أو الدعاية للمرشحين بصفتهم الرسمية ، كجنود من جنود الشباب الوفدى و ٠٠ و ٠٠

ونقفل القوس ، ونعود الى ما كان يجرى وراء السكواليس فى اجتماعات القادة والزعماء خاصا بمجلس الوصاية والبرلمان ، الذى سوف يعرض عليه موضوع الوصاية ٠ وننقل هنا فقرات للدكتور محمود عزمى ، وكان على اتصال وثيق بعلى ماهر ، يصف فيها الأيام العصيبة لمصر ، وكيف تجلت ملكات على ماهر باشا ، فى ميادين الاخلاص للعرش والسهر على مصلحة الأمة والجلد على كثرة العمل والابتكار فى الشئون الدستورية والتغلب على المكاره جميعا :

★★★

لقد توفى الملك فؤاد فى ظروف تناوب الأمة فيها اليأس ، والرجاء ، من حيث الصحة الملكية كما تناوبها الاقدام والاحجام ، من حيث التقاليد الدستورية ولم يكن ولى العهد قد بلغ سن الرشد ، وكان الرأى غير مستقر بالنسبة لتحديد هذه السن للرشد المدنى : هل تكون سن الرشد السياسى المحددة بثمانى عشرة سنة هلالية ، أو تكون هى السن المقررة لكافة المصريين بالواحد والعشرين

ميلادية ، ولم يكن مجلس النواب قد تمت الانتخابات له ، وكان مجلس الشيوخ منحلا ، ولم يكن موعد انتخابات أعضائه قريبا ولم يكن خمساهم قد عينوا وكان لابد من التوفيق بين ضرورة تعيينهم قبل اجتماع البرلمان ، ورضا الكثرة البرلمانية التى ستكون منها الحكومة الدستورية ، عن هذا التعيين ، ونصوص الدستور ، صريحة فى أن مجلس الوزراء هو الذى يتولى سلطات الملك من يوم وفاته الى يوم انتخاب الأوصياء وهى صريحة كذلك فى أن البرلمان يجب أن يجتمع لاختيار الأوصياء قبل مضى عشرة أيام على وفاة الملك ، ولم يكن البرلمان قائما ، واذا كانت الانتخابات ستجرى فى مدى هذه الأيام العشرة بالنسبة لمجلس النواب ، فانها لا تجرى فى خلالها بالنسبة لمجلس الشيوخ اذ الموعد المحدد لانتخابات هذا المجلس يجىء بعد انقضاء تلك الأيام العشرة ، وكل ما ينير الطريق أمام الأمة هو أن رئيس الحكومة كان قد أعلن يوم اشتداد المرض على الملك قبل وفاته بخمسة أيام أن وزارته ستسير بالبلاد فى حدود الدستور والقانون ، وحدود الدستور بالنسبة للأمور الواقعة بعد الحادث الفجائى ، هى على ما قدمنا من تعقيد .

***

واجه على ماهر باشا ، ذلك كله والملك الجديد فى لندن ولا يستطاع وصوله الى القاهرة الا بعد مضى أسبوع فأمتلك ناصية أعصابه كلها ، وقبض على جميع ملكات تفكيره كلها وأقبل يعمل فى سرعة وحزم فأصدر مجلس وزرائه نعى الملك الى الأمة المصرية ، وضمن النعى المناداة بولى العهد ملكا لمصر ، و .. و ..

وأسرع فاتخذ جميع الاجراءات الخاصة بتشييع جنازة الملك الراحل وكانت دار المندوب السامى البريطانى قد رغبت فى أن تشترك فى التشييع فرقة من القوة الانجليزية فى مصر ، فرفض على ماهر هذا الاقتراح فى حزم ، وأبى الا أن تكون الجنازة فى رسميتها ذات صبغة مصرية بحتة .

***

وبنفس السرعة دعا على ماهر باشا كبير المستشارين الملكيين وطلب رأيه فى مسألة سن الرشد المدنى ، كما دعا هيئة مؤلفة من شيخ الجامع الأزهر ، ورئيس المحكمة العليا الشرعية ، ومفتى الديار المصرية وطلب اليها رأيها الشرعى فى الأمر ذاته ، فأقرت ، كما أقر رئيس لجنة قضايا الحكومة ، ان سن الرشد المدنى لجلالته انما هى سن الخامسة عشرة ، على اعتبار ان جلالته ملك مسلم فحال هذا الاجراء السريع من جانب على ماهر باشا دون مشاكل عدة .

***

وكان رأى شيخ الجامع الأزهر ، الامام الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى، والشيخ فتح الله سليمان رئيس المحكمة العليا الشرعية ، والشيخ عبد المجيد

سليم مفتى الديار المصرية فى ٣ مايو ١٩٣٦ « ان الحكم الشرعى يقضى بأنه اذا بلغ الشخص سن الخامسة عشرة رشيدا ، أصبح ذا أهلية تامة للتصرفات الشرعية جميعا فيكون له الولاية التامة ، فى ماله ويصح ان يكون — وهذا هو المهم فى فتوى رجال الدين — ناظرا على الأوقاف وأن يكون وليا على غيره فى النفس والمال ٠

★★★

وجاءت معضلة اختيار الأوصياء ، وقد رأى على ماهر باشا ، ان يكون البرلمان المختص هو المكون من مجلس النواب الذى تمت انتخابات أعضائه الجدد ، ومن مجلس الشيوخ ، الذى كان قائما قبل ابطال العمل بدستور سنة ١٩٢٣ ٠

★★★

وتقدم الفقهاء ، والباحثون ، والدستوريون ، برأى يقول بأن يتولى مجلس الوزراء وحده اختيار الأوصياء ، لأنه هو وحده صاحب الأمر ، لوفاة الملك ولعدم وجود برلمان ٠ وكان على على ماهر ٠ أن يجابه الصعوبات الناشئة من الوضع الاستثنائى فيما يخص الأوصياء ، كما كان عليه ان يجابه الصعوبات الخاصة بتعيين خمس الشيوخ ، فدعا دولته أعضاء الجبهة القومية للاجتماع به فى الساعة السابعة من مساء الأحد الثالث من شهر مايو ١٩٣٦ كى يعرضوا معه للمشاكل الطارئة على ضوء ما أفتت به ادارة قضايا الحكومة والهيئة الشرعية ، وما أدلى به الباحثون من آراء : بدأ على ماهر باشا الحديث بذكر موعد وصول الملك فاروق الى الاسكندرية عائدا من انجلترا فى صباح الأربعاء السادس من شهر مايو وسأل المجتمعين : هل تريدون الاشتراك فى استقبال الملك فى الثغر ، كى تتخذ الحكومة الاجراءات اللازمة لاعداد صالون خاص يلحق بأحد قطارات السكك الحديدية « ولانشات » خاصة للذهاب بها الى عرض البحر ؟ فأظهر بعض المجتمعين الرغبة فى الاستقبال فى الاسكندرية ، ورغب بعضهم الآخر فى الاستقبال بمحطة القاهرة فتم الاتفاق على الرأى الثانى ما داموا غير مجمعين على الذهاب الى الاسكندرية ، ثم تقدم على ماهر باشا للمجتمعين — وهم يتناولون المثلجات وما اليها من حلوى — بالرأى ، الذى عقد عليه اجماع الفقهاء وفقهاء الدستور ، بشأن سن الرشد المدنى وكيف ان رجال الشريعة الاسلامية رأوا اعتبار جلالته بالغا سن الرشد المدنى فى الخامسة عشرة من عمره ٠

★★★

وسكت المجتمعون الا الاستاذ مكرم عبيد فقد اعترض على رأى الفقهاء الاسلاميين والدستوريين بقوله : انه يتعارض مع حكم من أحكام القوانين العامة ، التى تجعل سن الرشد للمصريين كافة الحادية والعشرين ؟ لكن على ماهر باشا

رد عليه بما كان قد قدمه من الاعتبار الجارى فى غير مصر ، من الدول واعتبار عدم وجود نص صريح مماثل له عند غيرنا فى هذا الصدد ، واعتبار الاضطرار للرجوع لأحكام الشريعة الاسلامية ، بصفة كون الملك مسلما ، وانتهت المناقشة الأولى ومرت مسألة سن الرشد وسط أكواب الشيكولاتة المثلجة ، ولما انتهى المجتمعون من تناول المرطبات اعتدل على ماهر باشا وقال : لنتكلم فى الموضوع الذى دعوتكم للاجتماع من أجله وهو موضوع الوصاية والاجراءات التى ينبغى أن تتبع فيه ، وشرح على ماهر ، للحاضرين كيف أن رأى لجنة القضايا ، استحالة اعتبار أى من برلمانات العهدين الماضيين برلمانا قائما ، أو قديما ، ينطبق عليه الدعوة الى الانعقاد ، وأنها ـ أى لجنة قضايا الحكومة ـ تنصح بالانتظار الى ما بعد الانتخابات لمجلس الشيوخ حتى يعرض الأمر على البرلمان الجديد كله ، معتبرة مخالفة النص القائل بانعقاد البرلمان للنظر فى أمر الوصاية فى فترة الأيام العشرة التالية لوفاة الملك مخالفة قهرية ، وعلق على ماهر باشا على هذا الرأى بأنه مهما تكن ثقته بمعلوماته الفقهية فانه بحكم مركزه ومسئوليته بالنسبة لحكومة نظامية يرأسها ، مضطر ان يستعين برأى لجنة القضايا وان ينظر اليه فيما ينظر بعين الاعتبار ، لكن النحاس باشا قاطعه وقال له : ان رأى لجنة القضايا « كلام فارغ » وانه كثيرا مارمى بآراء هذه اللجنة عرض الحائط ، وهو يعرف القانون ، وقال على ماهر باشا للنحاس باشا ، ان لدولته ان يقول هذا بصفته الفردية ، ولكنه وهو فى مكان رياسة الحكومة ، فينبغى أن ينزل عنـــد نظـــام هذه الحكومة ويستـــمع الى رأى ذوى الاختصـــاص فيهـــا ولكن النحاس باشـــا اســـتمر فى حديثه مدليا برأيه القاضى بعقد برلمان ١٩٢٩ · فى الحال قبل ان تنتهى الأيام العشرة لوفاة الملك وقال على ماهر ، انه مع التسليم جدلا ، باحتمال دعوة برلمان سابق فان برلمان ١٩٢٩ ليس هو البرلمان الأخير : فقال النحاس باشا : ان صدقى باشا ، هو صاحب البرلمان الأخير موافق على رأيه فلاحظ على ماهر ، ان ذلك البرلمان الذى يريد النحاس الدعوة الى عقدهلم يكن قـد اشترك فى انتخابـاته الأحرار الدستوريون والظروف ظروف توحيد للصفوف فيحسن أن يكون البرلمان الجديد الذى اشتركت فى انتخاباته الهيئات كلها هـــو الذى يدعى للاجتماع فأجاب النحاس باشا بأن محمد محمود باشا هو أيضا موافق على رأيه ·

***

وتحدث على ماهر ، فى حزم قائلا : انه لا يستطيع ان يبعث برلمانا ميتا بحكم الغائه السابق ، وان الحل الذى يراه : الحل الوحيد للتوفيق بين الاتجاهات كلها ، والذى يحترم الدستور فى نصوصه ، وفى روحه ، انما هو أن يعجل فى اجراء الانتخابات لمجلس الشيوخ بحيث تتم قبل انتهاء الأيام العشرة التالية لوفاة الملك ، وان يدعو البرلمان الجديد ، بمجلسيه للاجتماع يوم الجمعة الثامن من شهر مايو ، وهو آخر أيام تلك الفترة ، فعارض الأستاذ مكرم عبيد وقال : انك

بذلك تحرم المرشحين من أن يدلوا للناخبين بتفاصيل برامجهم وآرائهم ، وتحرم الناخبين من أن يتعرفوا هذه الآراء وهذه البرامج قبل أن يتقدموا للانتخابات » فأجاب على ماهر بأنه يسوى فى المعاملة بين الناخبين جميعا والمرشحين جميعا على أن هذه الترشيحات ، قد تمت من وقت غير قصير ، وعرف الناخبون كلهم ، من أمر المرشحين ما يستطيعون أن يتبينوا معه ما يريدون قبل أن يتقدموا للانتخاب ·

★★★

وعاد النحاس باشا ، الى نغمة البرلمان القديم وقال : نأخذ مجلس النواب الجديد ومجلس الشيوخ القديم ، فأجاب على ماهر ، بأن هذا جمع بين احياء ، وأموات وتلفيق لا يرضى لنفسه ان يشترك فيه » ·

ويسأل النحاس باشا ، على ماهر ، عن أمر الشيوخ المعينين ويقول على ماهر : يعينهم مجلس الوزراء صباح الجمعة بعد أن تكون نتائج الانتخابات ، قد عرفت ، ويقول النحاس : لكن تعيينهم من حق الحكومة البرلمانية المقبلة ، ويسأل على ماهر النحاس باشا ، عن السوابق ويريد حافظ عفيفى انقاذ الموقف ، فيقول : ليجتمع مجلس الشيوخ بالأعضاء المنتخبين فقط ، ويتدخل أحمد ماهر فى المناقشة قائلا : ان مجلس الشيوخ لا يعتبر مجلسا للشيوخ الا بتوافر عنصرى المنتخبين والمعينين من أعضائه ، والنص على هذا فى الدستور صريح ، لا يحتمل تأويلا ·

★★★

ويعلن على ماهر استعداده لأن يعين مجلس الوزراء الشيوخ الذين يضع بهم النحاس باشا قائمة ويقول النحاس : لكنها ستكون سابقة خطيرة ، ويحاول صدقى باشا تدعيم موقف النحاس باشا بقوله ، ان تعيين الشيوخ من حق الملك والأوصياء دون غيرهم ، وبعد جدال شاق عنيف ، تتفق الآراء على تقصير آجال الانتخابات للشيوخ ، وتقديم موعد انعقاد البرلمان ، واصدار مرسوم تعيين الشيوخ ظهر اليوم الثامن من مايو وفق القائمة التى يقدمها له النحاس باشا ·

★★★

والطريف أن النحاس باشا عندما قدم القائمة الخاصة ، بمن يريد تعيينهم أعضاء فى مجلس الشيوخ ، الى مجلس الوزراء لاصدار المرسوم الخاص بهذا التعيين ، لاحظ حسن صبرى باشا ، ان القائمة لا تتضمن اسم على ماهر باشا ، ولا اسم واحد من زملائه الوزراء ، وقال حسن صبرى باشا : انه يرفض بتاتا التوقيع على مرسوم لا يتضمن اسماء الوزراء القائمين أعضاء معينين فى مجلس الشيوخ ، واذن فلا مرسوم ولا تعيين ولا مجلس شيوخ ، ولا انتخاب أوصياء

اذ السلطات الملكية مودعة لدى مجلس الوزراء ، لا لدى رئيسه أو طائفة من أعضائه ٠

ودارت مفاوضات تخللتها اعتبارات الذوق واللباقة ، والكياسة ، وانتهت بتضمين القائمة أسماء علي ماهر باشا وزملائه الوزراء ٠

★★★

وتبقى ــ قبل أن تمضى بنا الأحداث بعيدا ــ أن نقول كلمة فى الملك أحمد فؤاد ٠

الفصـــل الثـانى

كلمة فى الملك فؤاد

أحمد فؤاد هو سادس انجال الخديو اسماعيل باشا وأكبرهم محمد توفيق وهو من مواليد عام ١٨٥٢ ، يليه حسين كامل وحسن « ١٨٥٤ » ومحمود حمدى « ١٨٦٣ » وهو ـ أى أحمد فؤاد ـ من مواليد ١٨٦٨ ، وبعده رشيد ١٨٦٩ وعلى جمال « ١٨٧٥ » وكان للخديو اسماعيل بنات هن : زينب ؛ توحيدة ؛ نازلى ، فاطمة ، جميلة ، فاضلة ، أمينة ، ونعمت مختار .

وكان الأمير أحمد فؤاد قد تزوج الاميرة شويكار ابراهيم كريمة ابراهيم أحمد ثم طلقها ، على اثر اعتداء فظيع وقع عليه عام ١٨٩٨ من أخيها الأمير سيف الدين أحمد الذى أطلق عليه الرصاص فى النادى الخديو « نادى محمد على فيما بعد » وحكم عليه بالسجن سبع سنوات خفضت استئنافيا الى خمس سنوات ثم نقل الى مستشفى الأمراض العقلية بانجلترا ومكث فيه سبعا وعشرين سنة الى أن هرب الى الاستانة .

وقد تربى أحمد فؤاد فى معهد توديكوم فى جنيف وبعده انتقل الى معهد تورينو الدولى ، وبعد انتهاء دراسته فى معهد تورينو ، أصبح ضابطا فى الجيش الايطالى برتبة ملازم ثان ، والحق بالفيلق الثالث عشر من مدفعية الميدان وكان مقر الفيلق يومئذ روما .

وقد اختاره فيما بعد سلطان تركيا ليكون ملحقا بالسفارة العثمانية فى فيينا .

***

وقد عمل أحمد فؤاد فى خدمة الخديو عباس حلمى ، ثم اعتزل العمل فى عام ١٨٩٥ ورافق الخديو عباس حلمى فى رحلته الى ايطاليا فى سنة ١٩١١ ، لما كان يجمعه بأسرة سافواى ، المالكة من صلات وثيقة .

وحاول أحمد فؤاد أن يكون ملكا أو أميرا على طرابلس الغرب ذات مرة ، ثم حاول أن يكون ملكا أو أميرا على البانيا مرة أخرى ، فلما فشل مسعاه فى كل من المحاولتين آثر أن يتفرغ للمشاركة فى الجمعيات الأدبية والثقافية والفكرية والاجتماعية ، كالجامعة المصرية والجمعية الجغرافية وجمعية الاقتصاد والتشريع، ومعهد الاحياء المائية و ٠٠ و٠٠

وعن قصة اختياره ليكون سلطانا على مصر ، يقـــول الأستاذ عبد الرحمن الرافعى : « بعد وفاة السلطان حسين واعتذار الامير كمال الدين حسين عن توليه العرش مكان والده أصبح الطريق أمام الامير أحمد فؤاد معبدا اذ كان بعيدا عن السياسة طيلة حياته السابقة ولم تبد منه مغاضبة أو معارضـــة للاحتلال البريطانى فى أى موقف من المواقف ، ولا بذل أى تأييد أو مناصرة للحركـة الوطنية فى أية مرحلة من مراحلها السابقة مثل ما بدا من بعض الأمراء ، فكان هذا الماضى ، ما رشحه لولاية العرش ٠

***

واجتمع الى ذلك ما أظهره من الولاء ، للاحتلال البريطانى خلال الحرب العالمية الأولى ، اذ كان على رأس اللجنة التى تألفت لتكريم الجنرال جون مكسويل قائد جيش الاحتلال الذى تم على يده انقلاب ديسمبر « ١٩١٤ » وهو الانقلاب الذى تم بمقتضاه ، اعلان الحماية البريطانية على مصر ، وعزل الخديو عباس حلمى الثانى لوقوفه الى جانب تركيا ، التى كانت فى الحرب العالميـــة الأولى تحارب بريطانيا ٠٠

وعن مراحل حياة الملك فؤاد ، كتب عبد الرحمن الرافعى : وقد دفع ثمن ما كتبه عن الملك فؤاد ، وكان الثمن باهظا للغاية : كتب عن الفترة الأولى من اعتلائه العرش الى ثورة ١٩١٩ يقول ٠٠ لم يكن للسلطان فؤاد ، عمل ما فى تطور الحوادث منذ اعتلائه العرش الى نشوب ثورة ١٩١٩ ٠ وأغلب الظن انه لم يكن له برنامج فى الملك يسير عليه ولا أهداف يقصد اليها ٠

ومن الحق ان يقال انه كان فى هذه الفترة سلطانا تحت الحماية البريطانية بكل ما تحمله الكلمة من معان ، فالحماية التى رفعته الى العرش كما رفعت سلفه السلطان حسين ، ولم يجد باسا من أن يصل من هذا السبيل ، الى عرش محمد على ،بل تدل الدلائل على انه ارتضى هذا الوضع وأقره ، وكان يراه أمرا طبيعيا ، لا غبار عليه ٠

وهذا ولا ريب خطأ فى تفكيره وموضع ضعف فى شخصيته ٠

قال فى أول خطاب له الى وزيره الأول حسين رشدى باشا يوم ١٠ أكتوبر ١٩١٧ :

تعلم رعايانا انه بسبب وفاة سلفنا وأخينا المحبوب المغفور له السلطان حسين الأول الذى اختطفته المنية قبل الأوان وملأت القلوب حزنا عليه قد تولينا بالاتفاق مع الدولة الحامية عرش السلطة المصرية على أن يكون هذا العرش من بعدنا لورثتنا طبقا للنظام الوراثى الذى سيوضع بالاتفاق بيننا وبينها » فهذا الخطاب يدل على أن السلطان فؤاد لم يكن يرى غضاضة فى الحماية ولا فى اعتبارها مصدرا لولاية العرش .

ولقدساير سياسة الاحتلال والحماية فى طريقها ولم يبد منه اعتراض ولا تململ من هذا النظام فكان الأمر والنهى الى دار الحماية والى المستشارين وكبار الموظفين البريطانيين فى مختلف المصالح ، والدواوين ولم يفكر فى الاعتراض على هذا النظام ولا فى احداث أى تغيير فيه .

وهنا يبدو شىء من الفرق ، بينه وبين سلفه السلطان حسين ، فالسلطان حسين قد تولى العرش هو أيضا بواسطة الحماية البريطانية ولكن يظهر انه أدركه بعد ذلك شىء من الندم ، على ما فعل ، فأخذ يجاهر بالطعن فى السياسة الانجليزية ويصرح فى أحاديثه العامة والخاصة انه مؤيد للشعب فى سخطه واحتجاجه على الحماية ووقع الجفاء بينه وبين السير هنرى مكماهون المندوب السامى ، البريطانى ، وقتئذ مما أدى الى ان تستبدل به الحكومة البريطانية مندوبا آخر وهو السير ايجنالد ونجت « نوفمبر ١٩١٦ » وبقى السلطان حسين على تبرمه بالسياسة البريطانية والموظفين البريطانيين فى الحكومة حتى أدركته الوفاة .

★★★

أما السلطان فؤاد فقد ظل مواليا للاحتلال والحماية وبالرغم مما أصاب الشعب من العنت والارهاق ، مدة الحرب العالمية الأولى من اعتساف السلطة العسكرية البريطانية واضطهادها للأهلين ، ومصادرتها أياهم فى حاصلاتهم ودوابهم وأرزاقهم فانه لم يفتا يخص الانجليز خالص الود ويسابقهم الى ما يطلبون .

اعتبر ذلك فى الملايين الثلاثة ونصف المليون من الجنيهات التى منحها مجلس الوزراء ، هبة لبريطانيا فى « ٩ مارس ١٩١٨ » أى أن الحكومة المصرية وعلى رأسها الملك فؤاد تتطوع لمكافأة الدولة الغاصبة على غصبها ، وعدوانها وسلبها البلاد حريتها واستقلالها وعن المرحلة الثانية فى حياة الملك أحمد فؤاد يقول الاستاذ عبد الرحمن الرافعى — وذلك فى حد ذاته دليل على شجاعة الكاتب ، الذى ينتقد الى هذا الحد من العنف ملك مصر السابق فى حياة ابنه :

ـ لم يكن السلطان فؤاد يتوقع ثورة ١٩١٩ ولا كانت تخطر له ببال ولم يكن هو وحده على هذا الظن ، بل ان الانجليز أنفسهم على ما اشتهروا به من اتساع أفق التفكير وبعد النظر ، والخبرة والدهاء لم يكونوا أيضا يتوقعون نشوب هذه الثورة ولقد واجهوها بالعنف والقسوة تارة واللين والخداع تارة أخرى ، أما السلطان فؤاد فقد احتجب فى قصره تاركا الشعب وجها لوجه أمام عاصفة البغى والعدوان وكان موقفا سلبيا محضا وأخذ يرقب ما تجرى به الحوادث واستهدف من أجل ذلك لسخط الشعب اذ بدا كأن مصير البلاد أمر لا يعنيه ٠

***

وعن المرحلة الثالثة والأخيرة من مراحل حياة الملك فؤاد يقول الأستاذ عبد الرحمن الرافعى ـ وذلك فى حد ذاته عنوان على توافر حرية الكلمة الى حد كبير ، حيث يتاح لكاتب ، أن ينتقد والد الملك فى عنفوان قوته :

« كان واجبا ، على الملك فؤاد ، بعد صدور تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ـ حيث أعلنت بريطانيا انها لا تعترض على حق مصر فى أن يكون الدستور نظام الحكم فيها وتألفت وزارة ثروت باشا فى أول مارس سنة ١٩٢٢ ٠

***

كان واجبا على الملك فؤاد بعد صدور هذا التصريح أن يدع للأمة ما نالته من حقوق ، كان الاحتلال يغتصبها واستردتها بفضل نضالها وجهادها ويقتصر هو على المزايا التى نالها ضمنا بفضل هذا النضال وهى أن يكون ملكا على رأس دولة مستقلة ذات سيادة ولكنه فى الواقع ، أراد ان يستأثر بكل المزايا التى نالتها الأمة من جهادها وتحركت فى نفسه نزعة الحكم المطلق ، التى عرف بها معظم ملوك الشرق ، وامرائه ، وكانت هذه النزعة مكبوتة بفضل الاحتلال ، الذى كان قابضا على زمام الحكم والسلطان ٠

وفى دور التحضير للدستور فى عهد وزارة ثروت أخذ الملك يضع العقبات فى سبيله وبدا أنه يريد أن تئول اليه السلطات والحقوق ، التى نالتها الأمة فى ميدان النضال ٠

***

ولم يكن راضيا فى خاصة نفسه عن الدستور بل تنكر له ، وظل برما به ، متجهما له طول حياته وظهرت أعراض هذه النزعة فى سعيه ، لاسقاط وزارة ثروت حين رآه جادا فى اخراج الدستور ، بعد ان تم وضعه على لجنة الثلاثين فمازال حتى اضطره للاستقالة فى نوفمبر ١٩٢٢ واصطنع من بعده وزارة نسيم

ذات الميول الرجعية التى أخذت تسوف وتماطل ، فى اصدار الدستور وتمسخ وتشوه فى مبادئه ونصوصه وترتب على هذا السعى وقوع كارثة وطنية اذ انتهزت الحكومة الانجليزية فرصة التلكؤ فى اصدار الدستور والمساعى ، التى بذلت لمسخه ، وتشويهه فتدخلت هى أيضا فى شأنه وطلبت أن تحذف منه نصوص السودان وكان لها ما أرادت واستجاب الملك فؤاد ، الى طلبها وبعد تلكؤ وبعد حذف نصوص السودان من الدستور صدر الدستور فى ١٩ أبريل ١٩٢٣ ومع ذلك ظل الملك فؤاد على تجهمه له ، ولم يطق صـــبرا ، على أية وزارة ، دستورية تولت الحكم ، عن طريق ارادة الأمة بل كان يتربص بها ، ويلاحقها بالأزمات حتى تستقيل أو تقال ٠٠

لقد كان واجبا على الملك فؤاد وقد نالت مصر الدستور فى عهده ان يخلص لهذا النظام ، الذى نالته ، بفضل كفاحها الشاق الطويل والكنه مع الأسف لم يكن يبغى له استقرارا وكانت مناوأته له سياسة رسمها لنفسه ، وأصر عليها طوال السنين بحيث حال دون استقراره فعلا وكان يصدر فى هذه السياسة عن اتجاه تملك فؤاده وهو ان السراى يجب أن تكون مصدر السلطات ٠

***

● تحدثنا وبافاضة عن الملك فؤاد باعتباره من أهم الظواهر السياسية فيما بعد الحرب العالمية الأولى ، وقد نقلنا ، أجرأ رأى أبدى فى أحمد فؤاد فى حياة ابنه الملك فاروق ، وهو الرأى الذى ظل صاحبه ـ الاستاذ عبد الرحمن الرافعى ـ يدفع ثمنه باستمرار طوال حياته السياسية ونكمل هنا رأى الاستاذ عبد الرحمن الرافعى فى الملك أحمد فؤاد :

***

كان الملك ينقم من الدستور ما سماه انتقاص سلطة الملك ، ولم يكن على حق فى هذا الاتجاه اذ لم تكن له سلطة ما قبل اعلان الاستقلال وقبل صدور الدستور ، بل كان سلطانا تحت الحماية البريطانية لا يصدر عنه الا ما يراه عمال الحماية ، وكان راضيا بهذا الوضع مقرا له ٠ و ٠٠ و ٠٠

لقد صارت المرحلة الثالثة من حياة فؤاد ـ وهى معظم سنى حكمه ـ نضالا مستمرا ، بينه وبين الأمة ٠ وقعت فيها ثلاثة انقلابات حطمت الحياة الدستورية وهذا لعمرى مما لا يشرف صفحة الملك وخاصة اذا لاحظنا انه لم يبذل مثل هذا النضال ولا أقل منه فى ميدان آخر كان هو الجدير به ونعنى به ميدان النضال ضد الجانب البريطانى جانب الاحتلال والعدوان على الاستقلال ٠

ان هاتيك الانقلابات الثلاثة ، التى وقعت فى عهده كانت تتم باتفاق ، بينه وبين الجانب البريطانى مع - اختلاف فى المقاصد والأغراض فالجانب البريطانى كان يرى فيها عقوبة لمصر ، على عدم اذعانها لسياسته والملك والمستوزرون ، يرون فيها استردادا للحكم المطلق على حساب سلطة الأمة .

ان السياسة ، التى اتبعها الملك فؤاد ، حيال الدستور ، قد أضرت بالبلاد ضررا بليغا ، صحيح ان الملك فؤاد لا يتحمل وحده هذه التبعة بل يحملها معه أشياع الحكم المطلق من المستوزرين ، والوصوليين الذين كانوا أداة له فى تحطيم الدستور .

★★★

ولو لم يجد من هؤلاء ، الوصوليين عونا له فى الانقلابات الثلاثة التى تمت فى عهده لما وقعت ولكن هذه المشاركة لا تصرفنا عن تعريف تلك الحقيقة وهى انه كان هو الملهم ، لهذه الانقلابات ولولاه لما اجترأ هؤلاء الوصوليون على امتهان حقوق الشعب وعلى أى حال فهم يحملون مع الملك تبعة ذلك العدوان .

ان الجانب السياسى من حياة الملك فؤاد لم يكن صفحة لامعة فى تاريخه فلقد كان متخاذلا ، أمام الاحتلال متحيفا حقوق الشعب وليس هذا وذاك مما ينبغى أن يكون وقد أدت هذه السياسة ، الى عدم استقرار الحكم فى مصر ، والى ضعف البلاد ، أمام العدوان البريطانى وتراجعها فى الازمات أمام المطامع الاستعمارية وتعطيل نهضة التقدم والاصلاح » .

★★★

ولعل ما كتبه الاستاذ عبد الرحمن الرافعى طيب الله ثراه فى الملك أحمد فؤاد ، كان من أعنف ما كتب عن الملك فؤاد فى حياة ابنه الملك فاروق .

وبعد الحديث عن الملك فؤاد ننتقل الى الحديث عن مجلس الوصاية الذى ولى الأمر بعد الملك فؤاد الى أن بلغ ابنه الملك فاروق سن الرشد .

الفصـــل الثالث

مجلـس الوصــاية يحكم مصر

● حول الانتخابات البرلمانية ووفاة الملك أحمد فؤاد والمناداة بالأمير فاروق ، خلفا له يقول د٠ محمد حسين هيكل ٠

« مما زاد فى مشقة هذه الانتخابات ان الأحزاب حاولت الاتفاق ، على الترشيح فيها على نحو ما فعلت فى سنة ١٩٢٦ أيام الائتلاف الذى تزعمه سعد باشا ، فلم توفق ، فاشتدت المعركة الانتخابية شدة مخيفة فى بعض الأحيان ، وانى لأذكر يوما وأنا أتنقل فى السيارة بين بلاد الدائرة وكنت على مقربة من المقر الانتخابى لمنافسى اسماعيل رمزى باشا اذ خرج علينا جماعة من «العماليق» معهم العصى الغلاظ ، وجعلوا يضربون السيارة بهراواتهم فلم ينجنا منهم الا أن أطلق السائق للسيارة أقصى سرعتها حتى يفلت من الناخبين فلا يســتطيعوا اللحاق به ، وهكذا جرت انتخابات ذلك العهد ، وهى التى وصفت بانها جرت فى جو من الحرية والنزاهة ، لم يعهد من قبل فى كل الانتخابات الأخرى التى جرت فى مصر » ٠

★★★

ويضيف د٠ هيكل :

« بينما كانت المعركة الانتخابية على أشدهــا وبينما كان يوم التصويت يقترب اذاعت الصحف : ان الملك فؤاد يشتد به المرض وكان الملك فؤاد يومئذ فى التاسعة والستين من عمره لكنه كان قوى البنية معروفا بالدقة فى المحافظة على صحته ولهذا لم يروع الناس حين نشرت صحف لندن ، ان صحة جلالته أخذت تدعو الى القلق ، ومالوا الى تصديق ما صرح به على ماهر باشا ردا على الصحف البريطانية من أن صحة جلالة مولانا الملك بخير ، ولو كان هناك شيء لا سمح

الله لذكرته • على أن مجلس الوزراء ، نشر غداة هذا التصريح فى ٢٣ ابريل سنة ١٩٣٦ أن الطبيبين اللذين عادا جلالة الملك حين مرض فى أكتوبر سنة ١٩٣٤ قد استدعى أحدهما وهو الدكتور فرجونى لعيادة جلالته لأنه يشكو ألما بأسنانه ، ومع هذا ظل على باشا ماهر ، ينفى ما يشاع من أن البحث تجدد فى مسألة الوصاية على العرش لأن ولى العهد ، لا يزال دون الثامنة عشرة من عمره وليس هناك ثمة ما يدعو الى عودة سموه من انجلترا حيث أوفده جلالة والده قبل ذلك بأشهر ليتم تعليمه وأوفد معه ، أحمد بك حسنين رائدا ، والفريق عزيز باشا المصرى مدربا لسموه على الفنون العسكرية •

بعد يومين اثنين من تصريح على ماهر باشا اذاعت رياسة مجلس الوزراء نشرة طبية فى الخامس والعشرين من أبريل موقعا عليها من الاطباء الذين يعودون جلالة الملك جاء فيها ان مضاعفة فى سير المرض حدثت بسبب التهاب تعفنى فى الفم ، وان نزيفا طرأ فى المساء أثر تأثيرا غير محمود فى الحالة العامة •

هنالك بدأ القلق يسود الدوائر ، المختلفة فى مصر ، وفى انجلترا ، وقيل فى الصحف ان بعض الذين ذكرت أسماؤهم على أنهم أعضاء فى مجلس الوصاية الذى اختاره الملك فؤاد ومن بينهم توفيق نسيم باشا ومحمود فخرى باشا قد زاروا دار المندوب السامى البريطانى •

***

وتوالت النشرات الطبية وليس فيها ما يبعث الطمأنينة الى النفوس بل صرح رئيس الوزراء بانه اذا أراد سمو الامير فاروق العودة الى مصر ، فالرأى لسموه •

وقد اتخذت الحكومة الاجراءات اللازمة لعودته بطريق البحر ، وان سموه بلغ ذلك تليفونيا • وقد سئل رئيس الوزارة عما اذا كان هناك بحث حول الوصاية فكان جوابه : مع من يدور البحث ؟ ان هذه المسألة من اختصاص الحكومة وحدها • ومع ذلك فلا محل لها الآن ، فان جلالة الملك حفظه الله ورجاء الجميع ان يطيل الله فى عمر جلالته » •

ويواصل د• هيكل فيقول :

واختار الله الملك فؤاد فى الثامن والعشرين من ابريل أى قبل موعد الانتخابات بأربعة أيام ، ورأيت من واجبى يومئذ أن أشيعه فعدت من طوافى الانتخابى بدائرة تمى الامديد الى القاهرة حتى اذا أديت هذا الواجب رجعت ، أتم الطواف وتركت العاصمة تموج بالأخبار عن الوصاية ، ومن يتولاها ومن يوليها •

ومما لا يذكر ، بهذه المناسبة أن سير مايلزلامبسون المندوب السامى البريطانى استدعى اليه مصطفى النحاس باشا ، ومحمد محمود باشا واسماعيل

صدقى باشا كلا على حـده وتحدث اليهم فى مسألة الوصاية ٠٠ من ناحيتها العامة ٠٠ بحجة أن مصلحة العلاقات بين مصر وانجلتـرا تقتضى أن يـكون الأوصياء ، ممن يحرصون على توكيد هذه العلاقات ٠

وكان رأى الزعماء ، المصريين أن الخير فى أن يكون الأوصياء من البعيدين بماضيهم عن الحزبية » ٠

ويبدو أن الأمر لم يكن فى مسألة الوصاية وقفا على الاسماء ، الواردة فى الوثيقتين اللتين وقعهما الملك الراحل ـ كانت احدى الوثيقتين مودعة فى رياسة مجلس الوزراء ، والأخرى مودعة فى الديوان الملكى ـ بل كان للسياسة توصيات قد تستبعد هذه الاسماء جميعا ٠

والواقع أن الاسماء الثلاثة الواردة فى المظروفين كانت أسماء عدلى يكن باشا وتوفيق نسيم باشا ومحمود فخرى باشا ٠٠ لكن زعماء الجبهة الوطنية كانت لهم اتجاهاتهم الخاصة وقد انتهوا الى اتفاق مع رئيس مجلس الوزراء على الأوصياء ٠

★★★

ويقول د٠ حسين هيكل :

ان على باشا ماهر : نادى فى يوم وفاة الملك فؤاد بالأمير فاروق ملكا على مصر ٠٠ رغم انه كان لا يزال بعيدا عن أرض الوطن وانه كان ولما يبلغ سن الرشد ، لكن على باشا ماهر ذكر العبارة التى ترددها الأمم فى مثل هذا الحال « مات الملك يحيا الملك » ٠٠ فنادى بفاروق الأول ملكا على مصر ثم اتجه بعنايته ، الى حل المشاكل الناجمة عن عدم بلوغه سن الرشد المقررة بالأمر الملكى الخاص بولى العهد ، وعن القانون الذى يحدد سن الرشد ، لادارة الأموال الخاصة ٠٠ وقد استعان فى هذين الأمرين بلجنة قضايا الحكومة ، من ناحية ، وبرجال الشريعة الاسلامية من علماء الأزهر ومفتى الديار من ناحية أخرى ، ولما كانت هذه المسألة تقتضى سرعة البت ، فقد تناولت الأحاديث ونشرت الصحف ان ثمة تفكيرا فى مد مدة الوصاية حتى يتمكن الملك فاروق من اتمام دراسته بانجلترا ونسبت هذا التفكير الى البريطـانيين حينـا والى بعض المسئولين من المصريين حينا آخر ٠

ولم يجد على باشا مشقة فى مواجهة هذا التفكير فالأمر ، الملكى الصادر فى ١٣ ابريل سنة ١٩٢٢ والذى نص الدستور على قيامه قد جعل سن الرشد للملك ثمانى عشرة سنة هلالية ولا يجوز تعديل الدستور والملك لم يبلغ سن الرشد ٠ ومجلس الوصاية هو الذى يتولى حقوق العرش : لا مفر اذن من

الاذعان للأمر ، الواقع واعتبار السنوات الهلالية الثمانى عشرة سنا للأهلية السياسية .

***

ولم يستسغ على ماهر باشا ان يكون الملك وقد أشرف على السابعة عشرة من سنى حياته قاصرا ، عن ادارة ، شئونه لهذا عرض على مجلس الوزراء مذكرة استند فيها الى رأى رئيس لجنة قضايا الحكومة وشيخ الجامع الأزهر ومفتى الديار المصرية » جاء فى ختامها :

« وليس من شك فى أن جلالة مليكنا المحبوب ، الذى أشرف على السابعة عشرة والذى دلت آثاره بصورة واضحة على نضجه ، حائز للشروط اللازمة لأن يعتبر راشدا من الناحية الشخصية والمالية » ، وعلى هذا أعلن رشد جلالة الملك من هذه الناحية كذلك وصفق الناس لهذا لاعلان حين خفض على باشا ماهر ، — بقانون — مخصصات جلالة الملك السنوية من مائة وخمسين ألفا الى مائة ألف من الجنيهات .

وحتى تكون الصورة التاريخية لهذه الأيام التاريخية متكاملة تماما نشير هنا الى ما كتبه د. يونان لبيب رزق فى كتابه « تاريخ الوزارات المصرية الذى راجعه حسن يوسف (باشا) عن وزارة على ماهر المحايدة . التى انتهت كما قال بحدثين كبيرين :

أولهما : اجراء انتخابات عامة حرة بهدف تشكيل برلمان جديد وكما كان منتظرا نال الوفد كالعادة أغلبية ساحقة ، ففى مجلس النواب حصل الوفد على ١٦٦ مقعدا ، بينما حصلت سائر القوى الأخرى من الحزبيين أو المستقلين على ٦٦ مقعدا فقط ، وفى مجلس الشيوخ نجح من الوفديين ٦٢ شيخا بينما نجح من غيرهم ١٥ شيخا فقط .

ثانيهما : كان من صنع القدر ومشيئته وذلك حين توفى الملك فؤاد فى ٢٦ أبريل ١٩٣٦ وغاب عن ميدان السياسة المصرية شخصية رئيسية ظلت تلعب أدوار البطولة خلال أغلب السنوات السابقة منذ أن تولى العرش قبل ذلك بنحو عقدين من الزمان .

وكان لا بد أن يتمخض عن تواكب هذين الحدثين صورة جديدة ، وقد نبعت ملامح هذه الصورة أساسا من اعتقاد الوفد أن الجو قد خلا له وانه قد أصبح القوة الرئيسية الداخلية على مسرح السياسة المصرية وان عليه ان يشغل دور البطولة الذى طالما حرمه منه البطل لذى رحل .

ومن هذا الاعتقاد ظهر موقف الوفد ، المتشدد خلال الفترة القصيرة : التى

انقضت بين وفاة الملك « ٢٦ ابريل » وتاليف الوزارة النحاسية الثالثة فى ٩ مايو ١٩٣٦ .

★★★

وقد بدا هذا التشدد واضحا فى مسألة الوصاية ، ذلك انه كان لابد بعد وفاة الملك من فتح الوصية التى تركها لتنفيذها .

وبعد اجراء الانتخابات ، عقد البرلمان الوفدى أولى جلساته لفتح وصية الملك الراحل ، وقد وجد ان تاريخها يعود لأربع عشرة سنة سابقة (٢١ يونيو ١٩٢٢) وقد تضمنت ثلاثة أوصياء هم محمد توفيق نسيم باشا وعدلى يكن باشا، ومحمود فخرى باشا : وقد مات احدهم (عدلى يكن باشا) مما دعا حزب الأغلبية ، الى أن ينتهز الفرصة متعللا بقدم الوصية وعدم امكانية تطبيقها ، ليختار أوصياء جددا .

وبالرغم من أن النحاس باشا لم ينجح فى تحقيق رغبته بوضع توفيق نسيم ضمن الاوصياء الجدد .. الا انه نجح فى منع ترشيح أحمد زيور باشا من أن يعين كأحد الأوصياء ملوحا بأن البرلمان سوف يرفض قبول تعيين الرجل (من لامبسون : الى ايدن فى ٥ مايو ١٩٣٦) « تلغراف رقم ٣٨٨ » وامام هذا تم اختيار كل من الأمير محمد على ، وعزيز عزت باشا وشريف صبرى كأوصياء ، على العرش الى حين بلوغ الملك فاروق سن الرشد .

وقبل أن نعود الى الحديث عن وزارة المائة يوم ــ وزارة على ماهر باشا الأولى ــ ننشر رسالتين هامتين احداهما من ، تونس الخضراء والأخرى من لندن .

رسالتان هامتان احداهما من تونس والأخرى من لندن :

من تونس الخضراء رسالة رقيقة

الحمد لله وحده

تونس فى ١٩٧٨/١١/٢٠ .

سيادة الكاتب الكبير ، الاستاذ صبرى أبو المجد دام مجده وحمد أثره ، وبعد ..

أبعث اليكم بخالص التحية من تونس الخضراء معبرا عن اعجابى بما يخطه يراعكم خاصة فى سلسلة مقالاتكم الرائعة عن « سنوات ما قبل الثورة » التى توخيتم فيها جانب الموضوعية ، وذكر الحقائق ، التاريخية على علاتها ، وتسلسلها

مع التحليل المركز ، والاستنتاج الدال على نزاهتكم وقدرتكم على استنطاق الوثائق الحبيسة والمكتوبة على السواء ٠

ولا تفوتنى الاشارة الى انكم ذكرتم أثناء حديثكم عن عمر المختار عليه رحمة الله ، وما قاله شعراء مصر ، فى رثائه انه من بين من رثوه وأشادوا ببطولته شاعر النيل المرحوم حافظ ابراهيم مع أن الواقع ان حافظ لم يرث عمر المختار ، فيما نعلم وتكون شاكرين لو تشيرون فى تعليقكم على هذه الرسالة الى مطلع قصيدة حافظ فى رثاء عمر المختار ان كان رثاه حقا ٠

كما أننى ألفت نظركم الى انكم لم تذكروا شاعركم الكبير الاستاذ محمد مصطفى حمام ، وأنتم تتحدثون عن رجال الفكر الذين واجهوا المرحوم اسماعيل صدقى والحال ان حمام نظم الكثير فى هجو وتشويه ومواجهة عهد اسماعيل صدقى ٠

وفى استطاعتى ان أمدكم بشىء منه اذا كان فى نيتكم ـ وهو ما نطالب به فى الحاح ـ نشر « سنوات ما قبل الثورة » فى كتاب يسهل تناوله ، ويبقى ذكرة للأجيال والتاريخ واذ وصلت فى حديثى الى هذا الحد فانى أستودعكم الله ، راجيا لكم التوفيق والنجاح والسلام ختام من أخيكم بظهر الغيب ٠

المخلص

الحبيب شيبوب

● بادىء ذى بدء أشكر استاذنا الجليل الحبيب شيبوب على تحيته الرقيقة وثقته الكبيرة فى كاتب هذه السطور وأؤكد له ـ اذا لم تخنى الذاكرة ـ انى عندما كتبت فى عدد المصور الصادر فى ١٩٧٧/١٢/٢ عن موقف شعب مصر العظيم ، الى جانب الشهيد عمر المختار ، واصراره على تأبينه رغم كل الجهود ، التى بذلها اسماعيل صدقى باشا ـ حاكم مصر وقتئذ ـ لمنع حفلة التأبين ، لم أذكر بين أسماء الذين قاموا برثاء عمر المختار فى ذلك اليوم الا أحمد شوقى ، وخليل مطران ولعل الأمر التبس عند استاذنا الحبيب بين خليل مطران وحافظ ابراهيم وبالمناسبة نؤكد لاستاذنا الحبيب شيبوب اننى فيما أكتبه بصفة عامة وفيما اكتبه عن سنوات ما قبل الثورة بصفة خاصة لا اكتب الا ما أثق به ثقة مؤكدة ١٠٠٪ أما الذى اثق به حتى ٩٩٪ اتجاوز الكتابة عنه ٠٠

وفيما يتعلق بما لدى أستاذنا الكبير من أشعار شاعرنا الكبير محمد مصطفى حمام فى اسماعيل صدقى وفى غير اسماعيل صدقى فاننى أكون سعيدا للغاية لو ان استاذنا وافانى به ووافانا بنفثات قلمه الصادق المعطاء فنحن لا نكتب الا للتاريخ وللتاريخ وحده وتاريخ مصر كما يعلم أستاذنا الكبير لم يكن ولن يكون أبدا ملكا لشعب مصر وحده وانما هو ملك لشعبنا العربى كله من مشرقه الى مغربه ٠

من قاهرة المعز لدين الله الفاطمى ، أبعث الى أستاذنا الكبير الحبيب شيبوب والى كل الأخوة التونسيين وعلى رأسهم الزعيم الكبير الحبيب بورقيبة ـ كتب الله له الشفاء العاجل ـ بأخلص الود من مواطن مصرى ، ولا ينسى أبدا كما لا ينسى المصريون جميعا موقف الشعب التونسى ، العظيم من مصر ، فى السراء ، والضراء ٠

صبرى أبو المجد

ورسالة رقيقة أخرى من لندن :

السيد الأستاذ صبرى أبو المجد ٠٠

بعد الاعجاب بما تكتب عن تاريخ مصر ، أشير وأنا واحد من أبناء الحزب الوطنى أعيش فى انجلترا منذ مدة ترجع لعام ١٩٥٣ ثم بعد استقرارى أصبت بشلل أثره واضح فى خطى فمعذرة ٠

اطلعت على ما تكتبونه عن « سنوات ما قبل الثورة » عادت الذكريات الى كلمات حافظ رمضان عن تشكيل « البازى » وتدريب يوسف كمال للشبان على لعب الشيش وشعر محمد ابراهيم جمعة وشعر وخطب على منصور والتدريبات العسكرية لمحمد سليم حجازى ٠

والصورة التى نشرتموها وفيها الأستاذ فكرى أباظة يستمع لأحد أعضاء فرقة البازى وهذا العضو هو على منصور والحفلة فى تكريم عبد الفتاح عمرو سفيرنا فى انجلترا ـ بعد ذلك ـ بمناسبة فوزه بالبطولة العالمية فى الاسكواش٠ وسأبحث عندى عن صور أخرى وأرسل نسخة لك منها ، فالموضوع يستحق الكتابة عن مجد الحزب الوطنى ، فهو حياة أوقدت الشعلة والكفاح رغم المغريات حتى ينضم اليه فى هذا الوقت محمود العيسوى ومحمود عطية وأمثالهما رحمهما الله ٠ كذلك بعد أن نظم هؤلاء الشباب أنفسهم ومثلهم المجاهد الكبير عبد العزيز على الذى أقام عام ١٩٣٦ أو حول هذا حفلا عن فلسطين خطب فيه الدكتور محجوب ثابت ٠ وطالب الحقوق وقتها على منصور ودعم هذا بالبيان والأرقام والأسانيد عن حالة فلسطين وتدبير المخطط اليهودى وتراخى العرب والمساهمة الفلسطينية بالسلبية ، الا الخطب وبيعهم أرضهم وكأنهم يقرأون من كتاب مفتوح ٠

التاريخ فيه الكثير ٠٠ اكتبوا وأضيفوا بيان جهود الشباب خصوصا الذين كانوا قدوة وفداء ومات أكثرهم ٠

أعتذر ثانية عن الخط للمرض وعدم قدرة قلمى على التعبير ٠
والسلام عليكم وعلى المجاهدين ٠٠٠٠

محمود قاسم

الفصـــــل الرابـــع

معـــاهدة الصـــداقة المصرية الســـعودية

ولقد كان فى مقدمة الأعمال التاريخية التى قام بها على ماهر ٠٠ نجاحه فى اعادة العلاقات ، بين مصر وبين المملكة العربية السعودية الى سابق عهدها من القوة والمتانة ٠

★★★

وقد سبق ، أن أشرنا الى تبادل الوفود بين مصر ، والمملــــكة العربيـــة الســـــعودية من أجل الوصــــول الى معاهدة صداقة بين البلدين ، الصديقين دائما وأحب أن أشير فى هذا الخصوص الى كلمة للدكتور محمود عزمى وصف فيها هذا العمل التاريخى بقوله :

« كانت مسألة العلاقات بين مصر والمملكة العربية السعودية من المســـائل الشائكة التى طال انتظار تسويتها ، والتى طالما تاقت الأمة المصرية الى التغلب على العقبات التى كانت مصر ، الرسمية ، تقيمها فى سبيل هذه التسوية ٠ وقد حاول أكثر من رئيس وزارة أن يتغلب على هذه العقبات فلم يكن التوفيق حليفه : حاول سعد باشا ، ولم يفلح ، ثم حاول عدلى باشا ولم يفلح وحاول ثروت باشا ، ولم يفلح ، كما حاول النحاس باشا ، ولم يفلح ٠٠ ذلك بأن الخلاف بين المملكة العربية السعودية ، ومصر ، الرسمية لم يكن راجعا الى مسائل ذات صفة عامة فقط ، بل انه كان ممتزجا باعتبارات شخصية متصلة بمقامات سامية أمر التفاهم معها فى مثل هذه الحالات » ٠٠ ونفتح قوسا ، لنؤكد على حقيقة هامة لم يستطع د٠ محمود عزمى ان يصرح بها وقت ان كتب كتابه « على هامش التاريخ المصرى الحديث « الأيام المائة » تلك الحقيقة التى نقولها اليوم هى أن الملك فؤاد ، كان بصفة شخصية ، غير راغب على الاطلاق فى تسوية المشاكل ، التى بين مصر والمملكة العربية السعودية ، وليس هذا وقت شرح الأسباب التى كانت تدفع

الملك أحمد فؤاد ، الى الوقوف فى سبيل أية تسوية بين مصر والمملكة العربية السعودية ونقفل القوس ٠

★★★

ويستطرد محمود عزمى قائلا :

« أقدم على ماهر باشا ، على معالجة هذه المشكلة الشائكة التى فشل فيها أولئك الرؤساء السابقون ووفق فيها توفيقا عظيما ، استند الى تقدير اخلاصه غير المشوب والى احسان تصويره ، للمصلحة المصرية ، وأحكام تضامنها مع اعتبارات « التاج » وتولى ماهر باشا بنفسه المفاوضة مع مندوب المملكة العربية السعودية ، الذى جاء الى مصر ، تلبية لطلب الحكومة التى أظهرت من تلقاء نفسها أكيد رغبتها فى تسوية المسائل ، المعلقة من البلدين وانتهى الأمر الى اقرار معاهدة تستند ، اليها العلاقات بينهما ٠٠ » ٠

وعن هذا الموضوع ، تحدث د٠ محمد حسين هيكل بافاضة فى كتابه مذكرات فى السياسة المصرية ، فأشار الى موضوع ارسال المحمل من مصر ، وحدوث خلاف بين السلطات المصرية ، والسلطات السعودية حول القوة ، التى ترافقه وامتناع مصر ، عن ارسال المحمل نفسه فى عام ١٩٢٦ ٠ والى موضوع الخلافة وذهاب الشيخ محمد مصطفى المراغى الى الحجاز فى عام ١٩٢٦ ، للحديث فيه مع جلالة الملك عبد العزيز آل سعود وعن اضطراب الجو بين الدولتين منذ ١٩٢٦ حتى ١٩٣٦ ٠ الى أن يقول :

« علمت قبيل سفرى الى الحج ان على ماهر باشا يريد أن يعيد العلاقات بين الدولتين ، فذهبت اليه وعرضت عليه معاونتى لتحقيق مقصده فذكر لى أنه يسره تمهيد الجو لمحادثات تكفل نجاح هذا المقصد وكنت مقتنعا من جانبى بأن بقاء القطيعة لا خير فيه ٠

★★★

سافرت الى الحجاز على ظهر الباخرة « كوثر » وانى لفى بهوها يوما بعد أن ارتديت رداء الاحرام ، اذ تقدم الى حاج محرم ، لم أكن قد رأيته من قبل وقدم نفسه ٠٠ ذلك هو الشيخ حسن البنا ، وقد ذكر لى يومئذ أنه ألف جمعية الاخوان المسلمين ، لتهذيب الناس تهذيبا اسلاميا صحيحا وانه يطمع فى تعضيد مؤلف « حياة محمد » ـ أى الدكتور هيكل ـ لهذه الجماعة بل يطمع فى قبولى رياستها ٠٠ والرجل لبق حسن الحديث حلو الالقاء عرفت ذلك منه فى هذه المقابلة وعرفته بعد ذلك أثناء مقامنا بالحجاز ، اذا كان الحجاج من بلاد الأرض المختلفة يجتمعون ويتحدثون فى مختلف شئونهم فكان يقف فى كل جمع خطيبا واعظا ، يتلو أى القرآن فى مناسباتها ويلقى خطبة فى عبارة بليغة وعربية فصيحة وقيل لى وأنا

بالحجاز ان له صلة بالحكومة السعودية وانه يلقى منها عطفا ومعونة . فلما فاتحني في أمر جمعيته ذكرت له ان بث الدعاية لتهذيب الناس على هدى الدين الحنيف أمر حسن جدير بالتشجيع ولكن أعمالي في التأليف وفي السياسة لا تدع لي مجالا ، بقبول ما دعاني اليه .

★★★

وقضيت بالحجاز ستة أسابيع أتصل أثناءها على ماهر باشا بالحكومة السعودية وقد أوفدت الى مصر ، السيد فؤاد حمزة وكيل خارجيتها ، ليتم المفاوضات وليوقع مع مصر ، معاهدة مودة ، وصداقة ، ولم آل جهدا خلال هذه الأسابيع في التحدث الى ذوى النفوذ من رجال الحكومة السعودية حديث مودة خالصة .

ولأن معاهدة الصداقة بين مصر والمملكة العربية السعودية كانت أول معاهدة صداقة توقعها مصر ، مع دولة عربية شقيقة ، ولأن نصوص هذه المعاهدة قد اشتملت على كثير من المبادىء الهامة في العلاقات بين الاخوة الأشقاء أجد لزاما على أن أشير ، الى بعض نصوص تلك المعاهدة التى وقعت في ٨ مايو ١٩٣٦ – آخر يوم في وزارة على ماهر – وقد وقعها ، عن الجانب المصرى على ماهر ، وعن الجانب السعودى فؤاد حمزة ..

★★★

● سميت المعاهدة – أولا – باسم معاهدة الصداقة ، بين المملكة المصرية ، والمملكة العربية السعودية وفي ديباجة المعاهدة : مجلس وزراء ، المملكة المصرية متوليا حقوق جلالة ملك مصر الدستورية وحضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية – نظرا لما لدى المملكتين المصرية ، والعربية السعودية من خالص الرغبة في توثيق عرا الصداقة بينهما قد اتفقا على عقد معاهدة تثبت فيها قواعد علاقاتهما الودية .

● والمادة الأولى من هذه المعاهدة تنص ، على أن تعترف الحكومة المصرية بأن المملكة العربية السعودية دولة حرة مستقلة ذات سيادة ، مستقلة استقلالا تاما مطلقا .

● بينما المادة الثانية تقول : يكون بين المملكة المصرية ، والمملكة العربية السعودية ، وبين رعاياهما سلام دائم وصداقة خالصة ، ويتعهد كل من الطرفين بأن يحافظ على حسن العلاقات مع الطرف الآخر وان يسعى بكل ما لديه من الوسائل ، لمنع استعمال بلاده قاعدة للأعمال غير المشروعة ، الموجهة ضد السلم والسكينة في بلاد الطرف الآخر .

★★★

● وتنص المادة الثالثة من معاهدة الصداقة ، على انه تنشأ بين المملكتين المصرية والسعودية علاقات التمثيل السياسى والقنصلى ٠

● والمادة الرابعة : يتعهد صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية بتسهيل أداء فريضة الحج ، واقامة الشعائر الدينية الاسلامية للمسلمين من الرعايا المصريين ويعلن انهم يتمتعون أثناء اقامتهم فى الحجاز بالأمن على أموالهم وأنفسهم بالحرية الشخصية فى الحدود الشرعية ، وعلى العموم بالمعاملة والحقوق الممنوحة أو المعترف بها لرعايا أولى الأمم بالتفضيل ٠

● وتنص المادة الخامسة من المعاهدة على : أنه عملا بالتضامن والتعـــاون الأسلامى يوافق صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية على تمكين الحكومة المصرية اذا رأت من مصلحة الحجاج وزوار المدينة التطوع ، لعمارة الحرمين الشريفين أو اصلاح المرافق المتصلة بهما من تلك العمارة وذلك الاصلاح ، كما يوافق على عمل كل التسهيلات اللازمة لقيام الحكومة المصرية بهما وتشمل المرافق المشار اليها تعبيد الطرق التى يسلكها الحجاج ، أو الزوار واضاءة الحرمين ، وما حولهما وتوفير مياه الشرب وغير ذلك من الأعمال والمنشآت التى تهدف الى توفير راحة الحجاج والزوار ٠ أو المحافظة على صحتهم ٠ وتتفق الحكومتان مقدما على التصميمات الخاصة بالأعمال المشار اليها ٠

ويرسل جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ٠٠ طيب الله ثراه ٠ الى على ماهر باشا البرقية التالية فى ٨ مايو ١٩٣٦ :

« حضرة صاحب الدولة على ماهر باشا رئيس الوزارة الأفخم ٠

« اطلعنا على نص المعاهدة ، التى وقعتموها مع مندوبنا فؤاد حمزة والمحتوية على سبع مواد ، واشعارا بموافقتنا عليها نرسل لكم هذه البرقية ونسأل الله أن يتولى الجميع بتوفيقاته ويجعله فاتحة عصر ، سعيد بين البلدين » ٠

ويرسل على ماهر باشا ، البرقية التالية الى جلالة الملك عبد العزيز آل سعود : « حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم « مكة المكرمة » » ٠

« انى سعيد بتلقى برقية جلالتكم بالموافقة على المعاهدة التى نرجو أن تقوى العلاقات الودية بين البلدين وتسهل أداء فريضة الحج ، على جميع المسلمين ٠

وتفضلوا جلالتكم بقبول عظيم الشكر وأخلص التمنيات » ٠

« على ماهر »

***

ولست اعتقد ، انه فى دنيا التعاقدات ، الدولية معاهدة اتسمت بمظاهر الحب والود والأخاء والتعاون المشترك كمعاهدة الصداقة بين المملكة العربيــة السعودية ومصر ٠

ولست ، أعتقد أن معاهدة سعد بتوقيعها المســلمون فى مشــارق الأرض ومغاربها وفى مقدمة هؤلاء المسلمين المسلمون فى مصر ، وفى المملكة العربيــة السعودية سعادتهم بتوقيع تلك المعاهدة ٠٠

وبعد الحديث عن معاهدة الصداقة المصرية السعودية ــ أهم حدث عربى فى عام ١٩٣٦ ــ نعود الى أهم الأحداث الداخلية فى مصر : الانتخابات البرلمانية :

★★★

بدأت نتائج الانتخابات تظهر وكانت أولى هذه النتائج ، نتيجة دائرة باب الشعرية وقد حصل فيها الأستاذ أحمد حافظ عوض بك على ١٠٩٣ « انتخب » بينما نال منافسه عوض سليمان أفندى ٥١٧ وكانت الدائرة الثانية دائرة قسم الخليفة حصل الشيخ ابراهيم بدوى على ٤٦١ ومحمد حافظ رمضان بك رئيس الحزب الوطنى حصل على ٥٢٤ صوتا ، وحصل على عباس أفندى على ١٧٠٥ وقد انتخب ، وسقط أمامه رئيس الحزب الوطنى ، وسقط عبد الرحمن فهمى عميد الفدائيين المصريين فى دائرة نقطة بوليس الغرب رقم ٢ ولم يحصل الا على ٢٦٤ صوتا رغم الجهود التى بذلت من كثير من السياسيين المصريين من كافة الأحزاب لانجاحه وحصل منافسه محمد عبد الصمد أفندى على ١٥٥٠ وقد انتخب وفى دائرة سنباط لم ينجح مرشح الوفد الاستاذ عوض أحمد الجندى وقد حصل على ٢٦٥٠ صوتا بينما حصل منافسه الأستاذ محمد راغب عطية على ٦٦٧٨ صوتا وقد أعلن انضمامه الى الوفد اثر نجاحه فى الانتخابات ٠

★★★

وفى دائرة سبخا « غربية » انتخب الدكتور عبد الحميد سعيد ، وحصل على ٤٧٠٥ أصوات ، ونال منافسه الاستاذ فؤاد خير الدين أفنــدى ٣٣٤٣ صوتا والدكتور عبد الحميد سعيد كما هو معروف من أقطاب الحزب الوطنى وكان فى مقدمة الصحفيين الفائزين فى تلك الانتخابات الاستاذ محمد توفيق دياب عن دائرة سنهوا ومنشأة فتحى وفى دائرة منيا القمح حصل رياض المصرى أفندى على ١١١٧ صوتا ، نجح حسن مرعى بك ، ب ٧٤٤٧ صوتا وقد انتخب وأعيدت الانتخابات بين الاستاذ فكرى أباظة أفندى « ٢٨٧٠ » والشــيخ محــمد عثمان عبد القادر « ٣٠٠٦ » فى دائرة أبو حماد « شرقية » وقد نجح الاستاذ فكرى أباظة فى الاعادة وحصل على ٤٠٢٣ صوتا وكان من الفائزين فى هذه الانتخابات محمد صبرى أبو علم أفندى « وفدى » وقد حصل على ٥٠٤٩ عن دائرة منوف وأحمد أحمد عبد الغفار بك دائرة تلا وقد حصل على ٤٦٨٩ صوتا ٠

وحصل اسماعيل رمزى باشا على ٦٤١٢ صوتا فى دائرة تمى الامديد ولم يحصل د٠ محمد حسين هيكل بك الا على ٢٧٠١ صوت وكذلك نجح محمود نصير بك « دائرة المنصورة » وحصل على ٢٩٤٢ صوتا وحصل د٠ محمد حلمى الجيار على ١٩٥٥ صوتا ، ونجح أيضا فى دائرة كفر داود عبد العزيز عبد اللطيف الصوفانى من أقطاب الحزب الوطنى وحصل على ٥٦٢٣ صوتا وحصل منافسه الجارحى عبد السيد حميدة أفندى على ٤٥٦٣ صوتا ٠

ونجح من أقطاب الحزب الوطنى أيضا محمد محمود جلال فى دائرة بنى مزار المنيا ـ وحصل على ٦٥٥٣ صوتا ، ونال منافسه محمد سعودى أفندى على ٥٠٢٦ صوتا ٠

وفى دائرة الحسكة « أسيوط » فاز رشوان محفوظ باشا « حر دستورى » على منافسه عبد الرحمن حفنى الطرزى ٠

وانتخب محمد محمود باشا رئيس حزب الأحرار الدستوريين عن دائرة البربا « أسيوط » وحصل على ٧٠٣٠ صوتا وحصل منافسه على عثمان حماد على ٢٩٧٤ ٠

★★★

وفى دائرة البلينا « جرجا » فاز فؤاد أبو ستيت أفندى ٦٤٢٤ صوتا وفى دائرة كفر بداوى القديم « الدقهلية » فاز محمد عبد الجليل أبو سمرة وفى دائرة القلينى « شرقية » فاز محمد عزيز أباظة ٠

وفى مقدمة التعليقـات على الانتخـابات ، التى أعجبتنى ما كتبه الاستاذ عبد الرحمن فهمى سكرتير عام لجنة الوفد المصرى (سابقا) وقطب الحركة الفدائية وكان من أبرز الوجوه التى لم تنجح فى الانتخابات حيث قال تحت عنوان « يوم الانتخابات ، وما حدث فيه »: فى فترة الترشيحات من جانب الوفد المصرى ، عرض على الوفد بعد حديث لى مع صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا أن يترك لى دائرة الصف من مديرية الجيزة فاعتذرت له مع وافر الشكر ، ثم عاد الوفد مرة أخرى ، فعرض على أن يترك لى دائرة ثانية هى دائرة « ناهيا » احدى دوائر الجيزة أيضا ولكننى كررت الاعتذار وكررت الشكر ذلك اننى رأيت لنفسى ألا أبارح القاهرة فترة الانتخابات وفيها من وجوه السياسة بظروفها الدقيقة ما يشغلنى عن كل شيء على أننى وقد التزمت هذا الموقف حيال ما عرضه الوفـد المصرى على فى مرتين متتابعتين اذا بوفد من جمهرة كبرى من الموظفين والأهالى والعمال المنتمين الى الدائرة الثانية فى شبرا ، تفد على أكثر من مرة ملحة فى أن أرشح نفسى عن هذه الدائرة ، والواقع ان سابقة عملى للعمال قبل اعتزالى السياسة والى جانبها احساس آخر ، أكد لي بأن التوفر علي معركة انتخابية في

قلب العاصمة لم تقعدنى عن ملابسة الظروف التى تجتازها البلاد ، قد مهدا لى اجابة دعوة الداعين والتقدم ، الى دائرتهم مرشحا نفسى ٠

لقد تحريت فى هذه المعركة ان العرف فى ظل الفكرة ، التى دعوت اليها ، وخرجت من أجلها عن اعتكافى وهى اننا مصريون ، واننا أخوة فلم أسلح فى معركة ، الانتخابات اذن بسلاح المهاترة أو النزول الى مستوى الاسفاف أو شراء الثقة بأى ثمن كان ، وانما حرصت جهدى على أن تكون المعركة من جانبى بعيدة عن هذه الظواهر ، نائية عن كل ما يشين الرجل الشريف ٠

وجاء يوم الانتخاب فاذا به يتمخض فى طائفة من لجان الانتخابات عن سوءات ومخالفات لا أريد أن أفصل أمرها بعد أن بعثت عنها شكاوى الى جهة الاختصاص ٠

ومرة أخرى ـ وأخيره ـ نعود الى « النار » التى فتحها العقاد ـ كاتبنا وشاعرنا الكبير ـ على صديقيه السابقين مصطفى النحاس ، ومكرم عبيد ، ذلك أن معركة العقاد والنحاس ومكرم ذات أثر كبير فى تطـــور كثير من الأمور السياسية والصحفية فى تلك المرحلة الهامة من تاريخنا ٠

الفصــل الخـامس

مرة أخرى : العقاد يفتح النار على النحاس ومكرم

ونحن نؤرخ لأحداث عام ١٩٣٥ وهى من أخطر سنوات تاريخنا الحديث ـ كان لا بد لنا من أن نتوقف قليلا عند المعركة العنيفة التى قادها عباس محمود العقاد ، ضد مصطفى النحاس ومكرم عبيد · وكذلك المعركة العنيفة التى قادها مكرم عبيد ضد عباس محمود العقاد ·

واعتقادنا الخاص ، أن لهـاتين المعركتين السياسيتين الكبيرتين أهميـة خاصة ، لا لأن جماهير عديدة ، وقفت الى جانب العقاد فى معركة خروجه على الوفد وارادته ، ولا لأن الوفد ، كحزب سياسى قد جند كل قواته فى القـاهرة والأقاليم ، للقضاء المبرم على كاتبه الأول ، أو الذى كان طوال عشرين عاما كاتبه الأول ·· ولكن كما لكل من طرفى هاتين المعركتين من مميزات ، ومميزات ، وخصائص وقدرات جعلت هاتين المعركتين من أشهر معاركنا السـياسية فى سنوات ما قبل الثورة ·

والذين يعرفون (مكرم عبيد) ، ويعرفون فى نفس الوقت (عباس محمود العقاد) يعرفون انهما يجمعان خصالا واحدة أو تكاد تكون متشابهة فى كثير من الأوقات والحالات ·

مكرم عبيد كعباس العقاد كله حب ، وود ، واخلاص ، وتفان اذا ما أحب ، وكله شدة ، وعنف ، وبغض ، وكره اذا ما خاصم حتى ولو كان ذلك الذى خاصمه هو ذلك الذى أحبه واحترق فى حبه ·

وعباس محمود العقاد ، كمكرم عبيد أيضا ، كلاهما ، لا يعرف المهادنة ، أو الحلول الوسط ، ولا الدرجة التى بين الحب ، والبغض : الأمور عندهما أما حب شديد ، واما كراهية شديدة ، الألوان عندهما لونان فقط ، اما أبيض

واما أسود : لا يملك كل منهما الا شيئين اثنين لا ثالث لهما يوجهانهما الى من أحب ، أو الى من كره ، اما الورود الحلوة الجميلة واما الرصاص القاتل أو الرصاص الذى يحدث دويا كثيرا ، وان كان لا يصيب الا فى حالات قليلة ! ٠

تلك مقدمة رأينا أن نقدم بها بقية هاتين المعركتين ونتائجها على الصعيد السـيـاسى ٠

مؤكدين ـ ولـو ان الأمر لا يحتاج الى تأكيـد ـ ان آراء كل من طرفى المعركتين لا تلزمنا فنحن لا نرفضها ونحن لا نقبلها ، وانما لنا فى كل رأى معين ما ينقضه أو ما يؤيده ، أو ما يجعلنا نقف فيه موقف الحياد ٠

فى المقال الشهير الذى كتبه عباس محمود العقاد تحت عنوان : (لسنا عبيدا يا عبيد) ٠٠ وأقول الشهير ، لأن بعض الدراسات التاريخية قد اعتبرت من هذا المقال نقطة اللاعودة بين العقاد وبين الوفد ، ربما لأن العقاد قد خاض فى هذا المقال الأمور الخاصة المتعلقة برئيس الوفد وربما لأنه كان أعنف مما ينتظر الجميع من وفديين ، وغير وفديين :

***

يقول العقاد :

(منذ سنتين عرفت السيدة عائدة مكرم عبيد صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا ، الى فتاة يخطبها الباشا للزواج ، ثم فسخت الخطبة لأسباب قلنا ان بحثها لا يعنينا فى هذا المقام ولكنها لم تفسخ حتى بذلت الهدايا ، ودفعت المهور ، ونفح الوسطاء ، والشفعاء بالهبات : هبات السلاطين والأمراء من مال الجهاد ، فى سبيل القضية المصرية ، ومن مال الوفد الذى يعاب على العقاد أن يتناول منه القليل عند مسيس الحاجة اليه ولا يعاب بذل الكثير منه فى سوق الغرام ونفحات الوسطاء والخدام ٠

ـ وأفتح هنا قوسا لأقول اننى لم أكن أستطيع أن أنقل هذه الفقرة من مقال العقاد لو أن المال ـ موضوع المناقشة ـ كان مالا خاصا ٠ فلكل صاحب مال خاص أن يتصرف فيه على النحو الذى يريده ٠ أما اذا كان المال مالا عاما فان لكل امرىء فى هذا الشعب حق مناقشة أمور صرف هذا المال وأضع قوسا آخر ، لأقفل به هذه الكلمة لأنتقل الى بقية ما قاله العقاد حول هذا الموضوع ٠

يوجه العقاد الى مكرم عبيد بضعة أسئلة من بينها :

(والآن ماذا يريد ال ... أن يقول بذلك الكلام ، الذى أزرى به وبمصطفى نحاسه ، ولم يقع الى موطىء النعال من كاتب هذه السطور ؟ أيريد أن يقول ان

كاتب هذه السطور لم يثبت على مهاجمة الأقوياء عشرين عاما طوالا الا لأنه لم يجد وزارة تعطيه ثلاثين جنيها ، أو ثلاثمائة أو ثلاثة آلاف ؟

(أيريد أن يقول ان الوزارات التى تدفع الحملات من كاتب هذه السطور بالمئات والألوف تغدقها على المأجورين المهازيل كانت تضن عليه ببعض هذه المئات والآلوف لو كان يقبلها أو يتخيل أحد منه استعدادا لقبولها ؟ ·

(أيريد أن يقول ان الوزارات التى تدفع الحملات من كاتب هذه السطور الوطنيـــة من أبواق الوفد ومأجوريه لولا ثلاثون جنيها أطمع فيها ولا أعرف سبيل الوصول اليها ؟ فاذا لم يكن فى وسعه أن يقول هذا ، ولم يكن فى وسعه أن يصيب فى مصر عاقلا ، أو مجنونا يصدق هذا ان قاله فما ذلك الاسفاف اذن فى غـير طائل لـولا الغيظ العاصف بالعقول ، ولولا النذالة والجهل ، والفضول ، ولولا الخزى الذى أراده الله له ولمصطفى نحاسه من حيث لا يعقلون ، ولا يدركون : يستطيع كل انسان أن يكون شريفا فى اتهامه وادعائه الا المهرج الخسيس فانه لن يستطيع الا التهريج والخسة فى ثنائه وفى هجائه وكذلك كان ال ··· منحدرا فى الخسة الى حضيض أغوارها الموبوءة فى غير ما طائل ولا اقناع الا التنفيس عن جحيم من الضغن فى صدره الحقود وعن بؤرة من الدنس فى رأسه المخبول) ·

★★★

وفى أعلى جزء من مقال العقاد ، يوجد الباب الثابت الذى يحمل عنوان : (من أدب القرآن) :

(الآية الكريمة التى أختيرت فى ذلك اليوم : بسم الله الرحمن الرحيم) : لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين · بل نقذف بالحق على الباطل ، فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون (صدق الله العظيم) (١) وتستمر روز اليوسف فى تخصيص صفحة كاملة : صوت الرأى العام ، تنشر البيانات والمقالات والقصائد ، التى تؤيد العقاد فى موقفه من الوفد وتؤيد أيضا (جريدة روز اليوسف) التى بدأ الوفد يهاجمها ، ويؤكد أنها لا تعبر عن رأيه) ·

ويستمر العقاد فى الحملة على مكرم عبيد ، فى العدد التالى من روز اليوسف (٨ أكتوبر سنة ١٩٣٥) ·

وتكون افتتاحية روز اليوسف أيضا : « لسنا عبيدا يا عبيد » ·

ويستهل العقاد مقاله هذا بالكلمة التالية :

(البينات على لسان مكرم عبيد تأبى من الناس التصديق والاطمئنان لما يحيط به من الشبهات وما يلوح على قوله من حملات التهويش والتهويل فكيف

---

(١) سورة الأنبياء آية ١٦ ، ١٧ ·

بالأباطيل التى لا سند لها الا أنه لقينى فى الطريق وانني قلت أمام بعض الزملاء ، ولا بيان للزملاء ، ولا أسماء ولكن اذا لم يكن عند مكرم عبيد ما يقوله غير تلك الأباطيل ولم يكن فى وسعه السكوت لأن السكوت مميت فما تراه يفعل غير أن (يرتجل) الحقائق (عفو البديهة) كعادته فى ارتجال السجعات ٠٠ بالثلاثات والأربعات وماذا تراه يفعل بعد ذلك غير اكراه الناس على تصديق الارتجال ، لأن الشك فيه ٠٠ شك فى الدساس المحتال الدجال ٠ والشك فيه ، شك فى الزعيم أو الطور الأخير من حركة الاستقلال ٠

● وهو يقول أن العقاد ملحد يكفر بالله ، وقد كان العقاد ـ منذ بضعة أيام فقط ـ متعصبا دينيا يفرق بين العنصريين ٠٠ فأى الاكذوبتين يريد لها التصديق ، وأى العقول يسيغ الاكذوبتين معا ، ان كان ضمير الدجال المحتال يسيغ جميع الأكاذيب ٠ وهو يقول ٠٠ ويالخزى ما يقول ٠٠ اننى اشترطت لوقف الحملة على وزير المعارف أن يتكلم مكرم فورا ، مع وزير المعارف لنقل الموظفين الاثنين الى مصر ، وكان صديقى ماهر قد أبلغنى انه علم أن أحدهما فاسد الخلق والآداب ، ويقول ال ٠٠٠ ال٠٠٠ اننى جبـــان ٠٠ لأننى بينت للمحكمة سوء المعاملة التى ألقاها فى السجن بكلام سمعه جميع الحاضرين ٠٠ ولا تبدى فى تحريفه رواية الأفاكين المزورين » ٠

***

ويقول العقاد :

« فماذا كان ينبغى أن أفعـل ؟ ٠ أكان ينبغى أن أجعل عقوبتى الموت مرضا ، بدلا من الاعتقال الى حين ٠ أكانت الشجاعة أن أنكر سوء المعاملة وأنا مصاب من رطوبة السجن بنزلة خانقة ، توشك أن تتحول الى مرض خطير ٠ عباس العقاد جبان أما الشجاع فهو الذى كان يبـــكى على صورة امرأة فى مستشفى السجن ، وهو غير مريض ٠

(ويقول الشجاع على الحقائق ال٠٠٠ مكرم عبيد : وما أن خرج البطل من السجن ، حتى ابتلع حماسته ولطف حدته ، فكنت تقرأ مقالاته ، فتكاد لا تعرف أسلوبه ، لأن أسلوبه من الصنف العنيف ، بينما السجن من الصنف المخيف ولذلك ترك السجون لغيره ، من امثال توفيق دياب ، الذى لم يشتغل قط فى السلطة العسكرية وحدث أن قابلنى مرة فى الطريق فى ابان اشتداد الحـكم الصدقى : وقال : يا أستاذ شوفوا لكم طريقة ، اتفقوا مع الانجليز بأى ثمن ٠ فناقشته فى ضرورة الثبات والجلاد (يا ولد) ٠ وأخبرت دولة الرئيس الجليل (الطور الأخير) وقتئذ ٠٠ بما كان بينى وبينه ٠

***

(هكذا فلتكن الشجاعة ، التى لا ينحدر الجبن انحدارها الى حضيض الزور والرقاعة . فهذه صحيفة مصر ، لم أبدأ الكتابة فيها بعد خروجى من السجن الا وقد بدأت الحملة على الاستعمار ، وواليت الكتابة والدعوة ، الى الجهر بخطة العداء والمقاطعة ونشر الدعاية ، حتى اضطر الوفد اضطرارا الى اعلان تلك الخطة بعد شهور ، ولكنه أعلنها ، وهو يلتفت الى الوراء لينظر هل يتبعه الانجليز ، واعدين بكرسى الوزارة ، أو هم غير حافلين .. هذه هى الحقيقة الجبانة ، فماذا يقول مكرم عبيد الشجاع لو لم تكن صحيفة مصر محفوظة فى المكتبات ، مذكورة عند القراء . انه لكاذب من الصنف الرخيص ، لأنه كذوب ضعيف الذاكرة ، وقوة الذاكرة من أول شروط الكذوب) .

(ويقول .. أخزاه الله .. ولو اننا كنا ممن يمالئون الانجليز ضد مصلحة الوطن .. أفما كان الأولى بنا أن نوقع المعاهدة التى فرضت علينا .. فيستتب لنا السلطان والجاه ؟

***

ثم يقول العقاد :

(يا شيخ يا ألعبان . وهل أنتم قطعتم المفاوضة . وهم نسيتم وساطتكم الذليله على يدى مستر « سليبى » لاستئناف المفاوضة بعد انقطاعها ، وهل كان المصريون عبيدا لكم مسخرين حتى لا يكون بينهم وبين قبول المعـــاهدة الا توقيعكم ؟ . وهل كان فى وسعكم أن تعودوا بنصوص المعاهدة كما جاء بها محمد محمود باشا ، ولا تسجلوا على أنفسكم النصب العلنى . وتثبتوا للصديق قبل العدو . انكم طلاب مناصب تتشاجرون على الوزارة ولا تتشاجرون على الحقوق والنصوص . أما الآن وقد خيل اليكم أنكم استعبدتم الناس من دون الله . وأن لا معارض لكم فى حقوق هذا البلد وقضاياه . أما الآن وقد حسبتم أن الحركة الوطنية ، قد تطورت الى وفد ، وأن الوفد قد تطور الى زعامة ، وأن الزعامة قد تطورت الى زعيم . أما الآن وقد نفخكم الغرور ، وطار بكم حب الظهور ، وفجرتم فى الطغيـــان أقبح الفجور ، فماذا تصنعون ؟ وأى ممالاة للانجليز تعفون عنها وتنكصون ؟ .

(قولوا لنا ، ماذا يصنع الزعيم الانجليزى .. لو تطور الزعيم الى لورد لويد آخر أكثر مما تفرضونه على الناس طائعين وتسوقونهم عليه كارهين .. الدستور ؟ .. لابأس . الخبير الفنى مقبول . السياسة الكرومرية على الرأس والعين . السودان الى حيث ألقت .

.. التبليغ البريطانى على الرحب والسعة . الغطرسة البريطانية نحن لها خانعون . الاحتجاج بالعمل أو بالكلام .. معاذ الله ، ثم معاذ الله ، ثم

معاذ الله ، المحالفة الحرة : لا ، بل بغير المحالفة الحرة نرسل المصريين الى مجزرة القتال فداء لمآرب الدساس ونغنغة مصطفى النحاس ٠

(أو ليست هذه سياستكم ؟ أو ليست هذه أوامركم لعبيدكم ؟ ٠٠ فاذا لم تكن هذه ممالاة الانجليز ، فكيف تكون الممالاة من الانجليز لأنفسهم فى حكم البلاد ؟ واذا لم تكن هذه ممالاة للانجليز ، ففيم كان استحقاقكم لثناء (المورننج بوست) ، وشهادة الاخلاص والتعضيد ولقب الاعتدال ؟

***

وينهى العقاد مقاله بقوله :

(أتحتجون بالحرب وحروجه الحال ؟ ٠٠ أين كانت الحرب يوم ختمتم المؤتمر بالتفريط فى السودان ؟ وأين كانت طوالع الحرب أو روائحها يوم (انبسطتم) من الخبير الفنى صاحب حق الاتصال ؟ ٠ انما هى علة تتعللون بها للغافلين ٠ وقريبا قلتم ان (الوقت العصيب) هو أوان الاصرار على طلب الحقوق ٠٠ لقد كنت وصاحبك يا هذا معتدلين فى أيام اللجنة (الملنرية) ٠٠ كما هو مذكور ومأثور ٠٠ ولكن الاعتدال لم يبلغكم الحكم فاندفعتم فى التهييج ، ثم أمعنتم فى التهريج ٠٠ ثم رأيتم الحكم قريبا للمتوسلين المتزلفين ٠٠ فلم تدعوا مطلبا من مطالب المستعمرين الا قبلتموه صاغرين ٠ وأنكرتم علينا أن ننكر هذا القبول ، وزعمتم أن البلاد مقهورة على قبوله من أجلكم لأنكم آلهة لا يرد لها قضاء ، أو لأن الحركة الوطنية قد تطورت الى وفد فزعامة فزعيم ، ولقد تغيرتم على الأمة ، واستكبرتم أن تتغير عليكم ، كأنكم أكبر من الأمة وأكبر من الاستقلال ٠

أو ليست هى الحقيقة التى تنطق بلسان الأعمال والوقائع لا بلسان الكذب والتهريج ؟

أو ليست هذه آخرتكم وتلك أولاكم شر ما تكون الآخرة والأولى ٠ وشر ما يكون عليه الضعف والخذلان ؟

أنكم ــ وأيم الحق ــ لأخطر على مصر من الاحتلال ، لأن الاحتلال يحكمنا غاضبين ، وأنتم تمهدون له أن يحكمنا قانعين شاكرين ٠٠ محسوبين فى تسليمنا وموتنا من المجاهدين الغيورين والوطنيين الفخورين ؟

هذه آخرتكم لا آخرة العقاد ٠٠ فلعنة الوطن عليكم فى الآخرة والأولى ٠ ولعنة الوطن علينا ان تركنا فيكم بقية من خداع يحجبها ستار) ٠

ومما هو جدير بالذكر أن كل من وقف الى جانب الأستاذ العقاد ، حاربته

وزارة نسيم باشا . ومن بين ما نشرته جريدة روزاليوسف بتاريخ ٨ أكتوبر ١٩٣٥ ، تلغرافا من عمدة « يرنبال » القديمة ، جاء فيه :

(لتأييدكم والأستاذ العقـاد فى الحـق ، تعسف معى مركز دكرنس ، ووقفنى ، فلا تخش لومة لائم) .

***

وقد علق الأستاذ توفيق صليب على هذه البرقية فى مقال نشره تحت عنوان : (وقف عمدة يؤيد الحق) :

(ليفرح الأستاذ مكرم لتأييد رجال الادارة وبعث مظالم العهد البائد) .

وكان من بين ما قاله الأستاذ توفيق صليب : (هذا هو الظلم الصارخ ، وتلك هى الحرب التى أشعل الدس نارها ، وأثار أفن العقول غبارها على حرية الرأى فى هذا العهد ـ السعيد جدا وهكذا يحاربوننا ويفرحون باشتراك رجال الادارة معهم فى محاربتنا ، لا الأنصار الأحرار الأوفياء يستبقون .. ولا المبدأ الذى قام عليه الوفد يرعون . فليرحم الله هذا البلد ، وليرحم ضحاياه . ونحن من ذلك على العهد مقيمون ولو تخطفنا الموت واحدا واحدا) .

***

ويكتب العقاد مرة أخرى فى ٩ أكتوبر ١٩٣٥ بعنوان « ذكروا نفوسهم ونسوا بلادهم وستنساهم البلاد ، ولا يذكرهم أحد غيرهم » . وفى هذا المقال يحمل العقاد على الدكتور أحمد ماهر ، فيقول :

« والعجيب فى أمر الدكتور ماهر هذا أنه يستوى على كرسى المعلم ليؤنبنا على خروجنا من الوفد ، فى الوقت الذى أصبح الوفد فيه أضعف من أضعف الأحزاب فى أمر السودان والدستور والاستقلال . يؤنبنا على خروجنا وهو قد استقال من الوفد ، لا لشىء الا لأن توفيق دياب شتمه وهو عضو فى الهيئة الوفدية ، ولم يرجع فى استقالته الا بعد ارغام توفيق دياب على الخروج من تلك الهيئة ، مع أن ماهرا قابل الشتم بالضرب وأعلن ذلك فى الصحف ، وسكت دياب على هذه الاهانة صاغرا ، ووجب أن يكون لصاحبنا فى ذلك رضا أو غنى عن الاستقالة أو عن الخيانة ، كما يسميها الآن . فاذا كان البقاء فى الوفد واجبا مقدسا ، فلماذا أبحت لنفسك أن تتركه على هذه التفاهة .. وحرمت على العقاد أن يخالف الوفد من أجل حقوق البلاد ؟ أبحت لنفسك ذلك لأنك اله من أرباب السماء ، وحرمته على العقاد لأنه آدمى من طين وماء .. وبعد ذلك تكون أنت الرجل المتواضع الرصين ، ويكون العقاد هو الرجل المدعى المغرور) !! .

***

ويعود الأستاذ العقاد مرة ثالثة في ٢٥ أكتوبر ١٩٣٥ . وتحت عنوان « لسنا عبيدا ياعبيد ولسنا مأجورين كذلك » . وينهي العقاد مقاله هذا بقوله :

« لقد كان في وسعنا ان نغنم المنافع العالية والسمعة المكرمية ونحسب عندهم من الوطنيين الغلاة . كما يحسبون أجراء الصحافة المكرمية في هذه الأيام . كان ذلك في وسعنا . فرفضنا المنافع . ورفضنا السمعة المكرمية . وجازفنا بما هو أعظم من المنافع والسمعة المكرمية . ونحن نعلم ما نجازف به ولا نجهله ولا ننساه .. جازفنا بهذا ليتهمنا مكرم عبيد . بأننا مأجورون لا نخدم الرأى ولا الضمير . ومن الذى يتهمنا هذا الاتهام .. مكرم عبيد الذى أودع الخزانة والمصارف ما لا يقل عن سبعين ألف جنيه . والذى أيد مشروع ملنر وقال ان رفضه جناية لا تغتفر . ثم رفضه وارتكب هذه الجناية التى لا تغتفر ، ليقبل الوزارة ، ثم قبل اليوم الحماية .. وما هو شر من الحماية . وان مكرما لايعلم اننى أقول اليوم ما كنت أقوله كل يوم . واننى اليوم أنكر السياسة التى أنكرتها فى جميع العهود . وان مسلكى السياسى لا غرابة فيه ولا موجب للتأويل والتعليل .. ولكن الغريب المريب المعيب . هو مسلك أناس كانوا « من الزعماء الغلاة » فأصبحوا يتطوعون لحذف السودان ، وقبول حق الاتصال والدفاع عن السياسة الكرومرية ، والتبشير بالتبليغ البريطانى والعرض البريطانى والعرض العسكرى .. و .. الخ .. هذا هو الغريب المريب المعيب .. أما أن أقول الحقيقة لأنها الحقيقة ولو كان أمامها ووراءها ألف لسان كاذب وألف سلاح مشهور وألف منفعة ضائعة .. فذلك غريب على طبعك أيها المسكين . ولكنه غريب ليس بالمريب المعيب ودونه ، وينقشع كل بهتان . وينقطع كل لسان » .

***

وكان الى جانب الأستاذ العقاد فى معركته ضد الوفد ، وضد النحاس ومكرم بالذات ، الدكتور محمود عزمى ، الذى كان يكتب أيضا مقالات من نار ضد الوفد ورئيسه وسكرتيره العام ، وضد نسيم باشا بالذات . وكان من بين مقالاته التى نشرها فى روزاليوسف ، مقال بعنوان « أيها المصريون أفيقوا فنسيم باشا يلقى بمصر الى التهلكة » . وقد ختم د. محمود عزمى مقاله هنا بقوله ، بعد أن حذر البلاد من سياسة نسيم باشا :

« ذلك هو ما ندعو المصريين قاطبة اليه ، وذلك هو ما نرجو تحقيقه قبل الغد . وأملنا أنهم مفيقون قبل فوات الأوان ، وقد لمسوا ما لمسوا مما تجره على البلاد وزارة نسيم باشا ، ويجره « تأييد » الأصدقاء اياها » .

وعند هذا الحد من معارك زمان نتوقف مستئذنين فى العودة مرة أخرى — من أجل تأصيل الأحداث — الى ثورة ١٩٣٥ .

الباب السابع

الفصـــل الأول

بـــدايات ثـــورة ١٩٣٥

نشرت روز اليوسف دعوة من « مصر الفتـــاة » ٠٠ الى الاحتفال بعيد ١٣ نوفمبر ، احتفالا قوميا ، بمسرح برينتانيا يلقى فيه الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد كلمة فى الموقف السياسى الحاضر ٠ وكانت لجنة تنظيم الاحتفال برياسة الأستاذ اسماعيل وهبى ، وعضوية الدكتور حسن أبو السعود والأساتذة فتحى رضوان ، ومحمد صبيح عبد القادر ، وأحمد عبد المطلب الشيمى ، ومحمد على امام ، وشفيق رومان ٠

★★★

والجدير بالذكر أيضا أن العقاد كان يلقى فى هذه الفترة فى محطة الاذاعة الحكومية أحاديث أدبية ، كانت تعيد اذاعتها جريدة روزاليوسف ٠ وكان العقاد يحرص فى هذه الأحاديث على الابتعاد عن السياسة ٠

والجدير بالذكر أيضا انه فى يوم ٧ نوفمبر ١٩٣٥ ألقى محمد محمود باشا خطابا سياسيا فى قصر آل لطف الله بالجزيرة ، وكان من بين حضوره الشريف عباس حليم ، واسماعيل صدقى ، وحافظ عفيفى ، وحافظ رمضان ، وعبد الرحمن فهمى ، وعبد الرحمن الرافعى ، وعبد القادر حمزة ، وعباس محمود العقاد ، و د٠ عبد الحميد سعيد ، ومحمود عزمى ، و د٠ محمد حسين هيكل ، وعبد الرحمن عزام ٠٠ وغيرهم وغيرهم من رجال الأحزاب والهيئات ٠٠ الا الوفد والوفديين ٠

وقد استقبل الأستاذ العقاد بالهتاف عند وصوله ، وحملته الجماهير على الأعناق ٠٠ الى أن جلس فى مكانه الذى اختاره بين زملائه الصحفيين ٠

وبعد أن انتهى محمد محمود باشا من خطبته ، طلبت الجماهير من العقاد ان يلقى كلمة ٠ فصعد الى المنصة ليقول :

« ان الكاتب الذى يشتغل أولى به ألا يرتجل »

وضحكت الجماهير لأن الارتجال كان سمة من سمات مكرم · وكان العقاد يحمل على مكرم كثيرا لارتجاله ·

وقال العقاد : « يجب على الكاتب أن يطالعكم فى صحيفته بما تقرأونه كل صباح » · كما قال عن الخطبة :

« انها رقيقة عاجلة فى محاسبة الوزارة وأنها وفقت توفيقا حكيما بين حسن الاستعراض للحوادث ، وبين اجتناب مواضيع الخلاف مع الأحزاب الأخرى بحيث تصلح لأن تكون أساسا لمباحثة قومية تنتهى الى اتفاق بين الساسة ، وهذا هو خير ما يعمل له الساسة المصريون فى هذا الآوان » ·

★★★

وقد ألقى أحد الشبان الشعراء هذين البيتين ، فى تحية العقاد :

عقاد مصر ولست أجحد فضله

ممن يعاضد بأسه الايمان

قاد الشـباب فقلت مرتجلا به

عقـاد مصر جنـوده الشـبان

وكان من بين ما جاء فى خطبة محمد محمود باشا :

« أهيب ببنى وطنى أن يقدروا خطورة هـذا الموقف الذى تتخطاه مصر الآن ، ويتدبروا ما يفرضه عليهم الوطن ازاءه · واذا كان واجبهم دائما أن يقدسوا ما كسبت مصر من الحقوق والحريات ، وألا يسمحوا لأحد كائنا من كان أن يفرطوا فى شيء منها ، وان يكونوا دائما على استعداد لدفع ما يقع من اعتداء على هذه الحقوق والحريات · فواجبهم اليوم أن يكونوا رجلا واحدا فى تأييد حرية مصر واستقلالها · يجب عليهم أن يعلموا أن استقلالهم وحريتهم لا يكمل لهم بعمل غيرهم ، وانما يكمل لهم اسـتقلالهم وتكمل لهم حريتهم بعملهـم أنفسهم ، بعمل يدفع اليه ايمان صادق ، صادر من قلوب امتلأت بحب الوطن والاخلاص له ، ونسييت من أجله كل خلاف وكل ضغن ، وكل حقد · ان انجلترا لتضرب لنا المثل باتفاق كلمة أحزابها فى مواقف الشدة ، بالغة ما بلغت التضحية التى تبذل فى هذا السبيل · فلنضرب نحن المثل بأمم الشرق التى تتطلع الينا ، وتنسج على مثالنا ، لنضرب لهم المثل فى انكار الذات وفى اتفاق الكلمة ، ساعة الشدة ، وحين يتعرض الوطن ، والوطن معرض له اليوم » ·

وينهى محمد محمود خطبته التى كانت أول نداء لوحدة الصف ، أطلقه زعيم مصرى فى الاسبوع الأول من نوفمبر ١٩٣٥ · وينهى محمد محمود خطبته قائلا :

« فلنكن جميعا قلبا واحدا ، ورجلا واحدا فى العمل لكمال استقلال مصر وسيادتها ، وعهد مصر بأبنائها أنهم أبر بها فى ساعة الشدة من أن ينسوها ليذكروا أشخاصهم ومنافعهم · فلننس كل شيء الا مصر ، ولننس كل شيء الا استقلال مصر ، وحرية مصر ، ومجد مصر ·

★★★

وكان مما كتبه الأستاذ عباس العقاد عن خطاب محمد محمود :

الحقيقة التى تجلت للنظر فى اجتماع الجزيرة يوم الخميس الماضى هى ان سياسة التسليم وتسليم الوزارة النسيمية ، سياسة لا تعبر عن رأى البلاد ، ولا توافق شعور الأمة ولولا ذلك لما أمكن ان يجتمع فى مكان واحد ، عدد لا يقل عن عشرة آلاف يستمعون الى نقد تلك السياسة والدعوة الصريحة الى تبديلها ولو أمكن قيام الاجتماع لما أمكن انتظامه والترحيب بما قيل فيه وهذه الآلاف الكثيرة لم تكن من طائفة واحدة ولا من طبقة واحدة ولا من سن واحدة ولا كانت فى أى وصف من الأوصاف هيئة خاضعة لمشيئة شخص واحد أو قبة واحدة ، فاتفاقها لا يمكن أن يكون الا تمثيلا لارادة واحدة وشعور طبيعى فى الأمة » ولو كان لتأييد الوزارة النسيمية ، أى صدى فى القوة فى شعور المصريين لكان قيام الاجتماع من المستحيلات مع وجود الراغبين فى تعطيله لكان ما يستطيعون ، ومن السهل اصطناع المؤيدين المستسلمين ، ولكن ليس من السهل اصطناع المعارضين المفكرين » ·

وكان وزير الخارجية البريطانية السير صمويل هور ، قد ألقى بتاريخ ٩ نوفمبر فى قاعة جيلدهول أشار فيه الى ما قيل عن اتخاذ الاسكندرية قاعدة انجليزية ثابتة فى البحر الأبيض المتوسط ، والتضحية بمصالح مصر فى سبيل تحسين مركز انجلترا ، وقد نفى صمويل هور تلك الأقاويل وقال الوزير البريطانى : انه ليس صحيحا أيضا اننا نعارض فى اعادة الحكم النيابى فى مصر ، معارضة تمليها أغراضنا الخاصة ، فتقاليدنا تمنعنا أن نفعل شيئا من هذا ·· على أننا نصحنا ــ عندما استشرنا فى مسألة اعادة دستور ١٩٢٣ أو دستور سنة ١٩٣٠ بأن أولهما قد ثبت بالفعل أنه غير صالح لأن يعمل به ، والآخر دستور غير مقبول عند الجمهور » ·

وختم وزير الخارجية البريطانية خطابه بقوله :

« ان التاريخ والموقع الجغرافي يربطان البلدين ومصيرهما ٠ ونحن كشركاء يجب علينا أن يعامل كل منا الآخر بصراحة ، ويجب أن يضع كل منا الحقائق نصب عينيه ، ونتغلب على الصعاب اذا استطعنا ، ونتوخى دائما أن يفهم كل منا حقيقة موقف الآخر » ٠

***

وقد اعتبر الأستاذ العقاد خطاب سير صمويل هور نكبة جديدة ٠ ودعا الشعب الى أن يكشف الخداع ، والى أن يتفهم الحقائق ٠٠ وختم مقاله قائلا :

« كانوا يمقتون كل صوت يرتفع بالحقيقه ، ويعاجلونه بالخنق والتشهير والافتراء ، وكانوا ينتظرون بعـد ذلك أن يعطى الانجليز من لا يطلبون ومن لا يجسرون على الاحتجاج ، ولا يتحركون أو ينعقدون مستعجلين ٠٠ الا لاخماد صوت الاحتجاج والمحتجين ٠ كان الله فى عون هذه الأمة ٠ كان الله فى عونها من الغاصبين ٠ وكان الله فى عونها من القادة الحماة الذائدين » ٠

وقالت جريدة « الجهاد » أيضا عن تصريح السير صمويل هور :

« انه يهدم تصريح ٢٨ فبراير من أساسه ، ويجعل دستور مصر رهنا لارادة الانجليز » ٠

وقال الدكتور محمود عزمى : « وزير الخارجية الانجليزية يفضح نسيم باشا ، فهل يفهم نسيم باشا بالاشارة ويستقيل ؟ » ٠

وقالت جريدة « الكوكب » التى كانت لسان حال الوفد : « يجب على الوزارة أن تقوم بواجبها فى هذه الساعات الخطيرة ، فلا تقبل هذا العدوان على استقلال البلاد وحقوقها ، ولا تتهاون ازاء خطورة الموقف وجسامة أهميته » ٠

وكانت أول مدرسة فى مصر أضربت احتجاجا على تصريح وزير خارجية بريطانيا هى مدرسة التجارة المتوسطة بالمنصورة ، حيث أضرب طلبة المدرسة عن تلقى دروسهم على أثر اطلاعهم على تصريح وزير خارجية بريطانيا ٠ وقد هتف الطلبة ضد السياسة الاستعمارية ٠ وقبض على عشرة منهم اتهموا بتزعم هذه الحركة ، وفرضت عليهم اجراءات وعقوبات شديدة ، مع انذارهم بالرفت النهائى ، واتخاذ أقسى العقوبات ضدهم ٠

***

ثم جاءت ذكرى « عيد الجهاد » فى ١٣ نوفمبر ١٩٣٥ ٠ وأفردت له الصحف أعدادا خاصة ٠ ونشرت بعض الصحف أخبارا تؤكد أن الوفد لم يعد بقادر على أن يستمر فى تأييد وزارة نسيم باشا ٠ وأن نسيم باشا لا بد وأن يستقيل ٠

وفى يوم ١٣ نوفمبر ١٩٣٥ كانت القاهرة فى حالة حرب حقيقية · منعت الحكومة « جماعة مصر الفتاة » من الاجتماع · وأضرب الطلبة المصريون فى كل مكان · وأطلق البوليس النار على المتظاهرين · وحدثت عشرات من الاصابات للمتظاهرين وللبوليس · ورغم كل هذا استطاع مصطفى النحاس أن يلقى خطبة هامة وخطيرة ونشرت الخطب التى كان مقررا القاؤها فى عيد الجهاد الوطنى لمحمد على علوبة باشا . وأحمد حسين ، وعبد الرحمن عزام · وكان من بين القصائد التى كانت معدة للالقاء فى الاحتفال بعيد الجهاد الوطنى بقصر الجزيرة قصيدة للأستاذ عباس محمود العقاد ·

***

وأضربت المدارس ·· وقامت المظاهرات ·· الى أن جاء يوم ١٣ نوفمبر ١٩٣٥ حيث أعدت القصائد والخطب لتلقى فى عيد الجهاد الوطنى وكان من بين القصائد المعدة للالقاء قصيدة للأستاذ عباس محمود العقاد يقول فيها :

أجل ·· هو يوم الفدا والهمم
ويوم الجهاد ويوم القسم
ويوم الذين دعوا أمة
ونادوا بدعوتها فى الأمم
ويوم له غده المرتجى
ويوم له سره فى القدم
هنا حرم فى جوار الزمان
فحيوا الزمان وحيوا الحرم
هنا فليقم عهده من أقا
م ويعزم على أمره من عزم
ويستقبل الهول من راضه
ويرتد من خافه فانهزم
... ...
وهيهات تعلو لنا شوكة
بشكوى الذليل ونجوى السأم
اذا كرمت أمة لم تكن
كرامتها من هبات الكرم

اذا استرحمت أمة خصمها
فلا رحمتها عوادى النقم
... ...
أفيقوا أفيقوا حماة الديا
ر بيأس الرمم
أتسمعكم لندن ياترى
على النأى أم لم تزل فى صمم
أيشفق هاجركم ياترى
هنالك .. أم قد جفا واعتصم
أيطعمكم منه ذاك الدلال
أم حسم الشك فيما حسم
اذا لم يكن صوتكم بالغا
اليه فما قولكم فى النغم
عليكم بقيثارة حلوة
وناى وعود وزير وبم
« الزير والبم من أوتار العود »

وينهى العقاد قصيدته بقوله :

بدأنا بسعد وغاب الاما
م فمن شاء فليحسن المختتم
اذا نحن سرنا على نهجنا
فلا ضير فى أن تزل القدم
حذار القعود مع القاعد
ين وسر فالطريق سوى أمم
فدى للبلاد وأعوانها
على النصر من خانها وانهزم
ومن هونوا الأمر حتى غدا
أجير الهتاف دعى العظم
وحتى غدت كل تصفيقة
تبوأ فى المجد أعلى القمم
وما المجد صفقا ولا صفقة
ولكنه معقل يقتحم
... ...

وهذى الكنانة من رامها
بسوء وهى ظهره وانقصم
وانتم لها سيفها المنتضى
وانتم لها عزمها المعتزم
فقولوا : يرد لها مجدها
يرد وما تم بالعزم تم

وكان من قصيدة الأستاذ على منصور :

آه يا قلبى قد ذكرت شجوننا
بين جنبيك فاستحلت أنينا
ذبت يا قلب اذ ذكرت جراحى
وجراح البلاد حينا فحينا
وغرام البلاد ان صح يذكو
فيصير الغرام فرضا ودينا
.. أيها الدهر قد تنكرت حتى
أصبح الحر فى البلاد سجينا
أسلس الأمر للطغاة وأمسى
صاحب الحق كالغريب قطينا
ها هو الروض لسواد الليالى
قد غدا اليوم كالفؤاد حزينا

***

ومن بين القصائد التى ألقيت فى « جبهة الشباب » فى مناسبة عيد الجهاد الوطنى ، قصيدة لحسين المهدى الغنام مطلعها :

ماذا ادخرت : شباب مصر ؟ الى الغد
حاسب ضميرك يا شباب ورددى
فيما خنوعك والكوارث جمة
حاقت بمصر وأنت جد مقيد
فاحطم قيودك يا شباب
فانما وقت الشباب اذا مضى لم يولد
واليوم يومك يا شباب النيل لا
تبخل بروحك فى الزمان الانكد
... ...

روحى دمى نفسى لمصر وديعة

يا مصر فابتهجي بجند أصيد

قلبي لساني كل ماملكته

لفداء مصر ، فلست مغلول اليد

تلك المنية ما أحب ورودها

للطامحين فتلك أعذب مورد

أرواحنا يا مصر جد رخيصة

وقت الجلاد وانت خير الشهد

... ...

وقد علقت جريدة الاجبشيان ميل على اجتماع الجزيرة بقولها : وفيما بين الفينة » والفينة كانت تتصـــاعد أصوات هاتفة : فليحيا الائتلاف ، وليسقط الاستعمار بينما لم يهتف بحياة الوفد ، الا شخص واحد ، سرعان ما أخمد صوته فريق من الجماهير الحاشدة ، وكانت جريدة البلاغ قد نفت ما ذكرته جريدة الجهاد من أن المجتمعين هتفوا ضد الأستاذ العقاد ، وجريدة روز اليوسف ، والواقع ــ كما ذكرت البلاغ انه لم يحدث شيء من هذا « وقالت الأهرام : على أن الجمهور قد اختص الأستاذ العقاد بمزيد من التحيات : لكن الجماهير الحاشدة أخذت تنادى بحياة الأستاذ العقاد وكان يجلس فى المقـاعد الخاصـة برجال الصحافة ، ولبثوا على ندائهم هذا مدة طويلة ثم استحال هذا النداء ، الى قوالهم : عاوزين العقـاد ، عاوزين كلمـة ، نريد أن يخطب ... وقـد نشرت جريدة روز اليوسف ، بمناسبة اشتراك الأستاذ العقاد فى اجتماع الجزيرة بيانا قالت فيه : تعلن هذه الصحيفة أنها مستقلة كل الاستقلال عن جميع الهيئات والأحزاب السياسية ، ليتسنى لها أن تحقق خطتها التى تنظر فيها الى الأعمال والمبادىء ، دون الأشخاص والعناوين ، وان ما تنشره من أخبار ، أو تقبله من دعوات لا يقيد المشاركة فى الآراء ، ولا فى الخطط ، ولا يقيدهـا بموقف من المواقف السياسية ، غير ما تكتبه الصحيفة ، وتدعو اليه ، وقد بادرت رياسة مجلس الوزراء بتاريخ ١٠ نوفمبر ١٩٣٥ فنفت ما ذكره محمد محمود باشا من أن الحكومة المصرية ردت على تبليغ الحكومة البريطانية فى ١٤ سبتمبر ١٩٣٥ ، فطلبت الى انجلترا أن تتولى الدفاع عن البلاد ، وألحت فى تنفيذ أحد تحفظات تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ التى كانت مصر تسعى دائبة لحلها ، وتنظيمها ، قالت رياسة الوزارة ، ان الحكومة البريطانية لم تخاطب الحكومة المصرية فى شأن الدفاع عن مصر ، وأن الحكومة المصرية لم تتقدم الى الحكومة الانجليزية بأى طلب يتعلق بتنفيذ تحفظات سنة ١٩٢٢ خاصة بشأن الدفاع عن سلامة البلاد .

***

ويكتب الأستاذ فتحي رضوان عن مصر الفتاة في وضح النهار ـ روزاليوسف ١١ نوفمبر ١٩٣٥ : كانت جماعة مصر الفتاة تطارد ، وتضهد ، وتصادر وتراقب ، فتأبى جرائد الحكومة أن تشير الى العذاب النازل بنا وتأبى جرائد خصومنا ، أن تقول كلمة انصاف ولو على سبيل النقد ، للحكومة ، التى كانت تضربهم عصا ، لتجلدنا مائة » ثم يقول : حينما تألفت هذه الجماعة ذهب رئيسها ، وقابل دولة النحاس باشا ، وأعلن له بأنه واخوانه مستعدون أن يسيروا وراء دولته فى حدود البرنامج الذى وضعوه لأنفسهم وهو لا يتعارض مع سياسة الوفد لأنه خطة تفصيلية غايتها تعزيز الشباب بالخلق ، وتحصينه بالارادة ، وملء قلبه بالشجاعة ، وتطهيره من الخوف ، وقد تكون الخطة دقيقة وقد يكون البرنامج ملتهبا والأسلوب ناريا ولكن فى هذا كله نفعا للوفد لأن السياسى الوطنى ، لا يضيره أن يكون الى جانبه المشتعلون ، الملتهبون ، ويقول الأستاذ فتحى رضوان انهم خرجوا من لدن رئيس الوفد مغضوبا عليهم لأنهم يدعون الى الغاء الامتيازات الأجنبية ، ولأنهم يحلمون بالحماسة ويفكرون فى القومية الوطنية ، ولأنهم يحاربون اللهو ويدعون الشباب الى مقاطعة السينما الأجنبية والاقلال من التردد على الملاهى ، واحراج لنفوسهم وتشبه بغاندى ، وغاندى « همجى » ولا يجوز التشبه به ..

***

وكان محمد على علوبة باشا ، قد أعد بدوره خطبة لتلقى فى الجزيرة « ١٣ نوفمبر ١٩٣٥ » والذى ألغته وزارة نسيم باشا وقد جاء فى تلك الخطبة : الآن وقد وقعت الواقعة وقد قطع غيرنا يدنا التى بسطناها اليه ، فماذا هو واجبنا كشعب ؟ لا أظنكم ترضون كشعب أبى كريم ، أن تكتفوا بالاحتجاج أو باظهار السخط ، والألم ثم بعد ذلك تتفرقون انما واجبنا أن نفكر ، عمليا فيما يجب أن يكون بعد الذى كان : كنا فكرنا ، كما فكر غيرنا فى أن الأمر يدعو الى ائتلاف الأحزاب أو اندماجها سعيا وراء توحيد الجبهة الوطنية والدفاع عن كيان البلاد ، لكننى أصارحكم ، بعد الذى رأيت ، وبعد الذكريات المؤلمة ، أن لا أمل فى هذا التضامن . وأن العظات والعبر ، الأخيرة لم تقو على محو ما بين الأحزاب من نفرة وخلاف وانى أقرأ ، الى يومنا هذا مقالات الصحف فلا أجد بينها الا ما يوسع مسافة الخلف ويلقى الشكوك فى قلوب الاخوة ، أبناء هذا البلد المحزون ، ولا أدرى علام يختلفون والأرض تفور تحت أقدام الجميع ؟

***

وقد سمح للوفد باقامة الاحتفال بذكرى عيد الجهاد ، وألقى فيه مصطفى النحاس خطابا هاما وخطيرا رد فيه على كل المطاعن التى وجهت للوفد واستعرض أعمال الوفد ، وأشار الى ما ذكرته صحيفة الايكونوميست البريطانية من ان

هناك خطرا من قرب وقوع السياسة البريطانية في نفس الخطأ ، الذى وقعت فيه فى سنة ١٩١٩ وان المصريين أظهروا حرصا شريفا فترفعوا عن استغلال المتاعب التى تعانيها بريطانيا فى الوقت الحاضر ووضعوا أصابعهم فى آذانهم من ناحية الدعوة الايطالية ، وتعاونوا عمليا وفى اخلاص مع الجزر البريطانيـة المتحدة وغيرها من الدول ، المنتمية الى عصبة الأمم وأعلن مصطفى النحاس أن الوفد المصرى اجتمع مع الهيئة الوفدية ، فى ١٢ نوفمبر وقرر توجيه الدعوة الى الأمة بجميع طبقاتها ، وعلى اختلاف هيئاتها ، وجماعاتها بعدم التعاون مع الانجليز مادام اعتداؤهم قائما على الدستور والاستقلال وانه اذا لم تستقل الوزارة فان الوفد لا يؤيدها بعد الآن ، وان كل وزارة تقبل أن تتعاون مع الانجليز مع استمرار اعتدائهم على الدستور والاستقلال هى وزارة خارجة عن البلاد ويقاومها الوفد بما يستطيع » • وأنهى مصطفى النحاس خطابه بقوله : اننا لا نكره توحيد الجهود ، ولكننا مع التجارب الماضية ، يستحيل علينا أن نقبل ائتلاف يعود بالضرر ، أو ميثاقا تذروه الرياح ، وانما يكون توحيد الكلمة نزول الجميع على مبادىء الأمة وأن يعمل كل من ناحيته لهـا ففى ميـدان العمل متسـع للجميع ! » وانى باسم الوفد المصرى أدعو الشعب المصرى بأسره تحقيقا لوحدة الجهود الى الاستمساك بهذه المبادىء ، والاستبسال فى الدفاع عنها وأن تعلن جميع الهيئات على اختلاف نزعاتها فى غير مواربة ولا ايهام ، المطالبة بعودة دستور الأمة ، ناجزا ، غير مؤجل ، وكف عدوان الانجليز عنه ، وعن استقلال البلاد بهذا ، وبهذا وحده تكون الوحدة القوميـة • لقد ظهر المستور وبرح الخفاء ، وعرفتم ما يراد بدستوركم ويبيت لقضيتكم فلا تستبيحوا للمعادين عزة حرمتكم ، لانكم ان استسلمتم ضيعتم نهضتكم وأهنتم وطنيتكم وأغضبتم أرواح شهدائكم ، وهذا يوم الجهاد ، والتضحية فاجمعوا فيه على الجهاد أمركم ، واعقدوا على التضحية عزمكم ، فما تغلو تضحية من أجل مصر !! » •

★★★

وقد جاء فى كلمة الأستاذ أحمد حسين رئيس جمعية مصر الفتاة ـ وكان مقررا القاؤها أيضا فى اجتماع خاص : ان الدعوة الى الاتحاد والتعاون دعوة تصادف هوى فى نفوس المصريين ، ولكن الوفد ، يعترض عليها واذا صح أن « الجهاد » كانت تعبر عن رأى الوفد فأغلب الظن اننا سنسمع فى خطاب اليوم ، رفض دعوة الائتلاف والدعوة الى ما يسمونه اســــــتقلال كل حزب مع تمسكه بمطالب الوفد ، وأرجو أن تذكروا أن مطالب الوفد لم تعد معروفة ، ولا مفهومة ، والوفد ، أصبح من المرونة بحيث أنه يقبل اليوم ما قد لا يخطر على عقل مصرى أن يقبله ، ومع ذلك فانى أتفق مع الوفديين فى أن الائتلاف اذا تم ، على الطريقة الماضية فانه سيؤدى الى نفس النتائج التى انتهى اليها الائتلاف الأول : اتفق مع الوفديين فى هذه الناحية ولكنى أختلف معهم ، فى أنهم لهـذا السبب

يرفضون الائتلاف · أما أنا فأبحث عن علاج لهذه الحالة ، أبحث عن ضمانات لهذا الائتلاف ، وهذا هو ما يقضى به المنطق ، وما يقضى به الواجب ، ويقترح أحمد حسين باسم مصر الفتاة ، على الأحزاب السياسية أن تحتمى فى مؤتمر وطنى ، وأن تضع ميثاقا قوميا فى وثيقة مكتوبة ، وأن يوقع عليه كل سأسة مصر ، وأن يقسموا فى نهايته ألا يقبلوا أى وزارة ، أو يشتركوا فى وزارة ، أو يعاونوا وزارة الا على أساس هذا الميثاق ، وحرفيته الدقيقة فاذا خرج واحد من الموقعين على الميثاق عليه واستهان بأحكامه فانه يعتبر مرتكبا لجريمة الخيانة العظمى ، وأن يثبت ذلك فى نهاية الميثاق ويقول عبد الرحمن عزام ، اذا كانت الأحزاب والجماعات السياسية ، وأولو الرأى من الأمة لا يجدون وسيلة للعمل المشترك ، فلا أقل من أن يرموا جميعا الى هدف مشترك · هـذا الهدف هو استقلال مصر ، والا تقوم فيها حكومة الا على ارادة الشعب ويخاطب عبد الرحمن عزام الشباب بقوله : اعلموا ان المستقبل لكم فالخير والشر عائد عليكم ، وهذا الضعف الذى ترونه أمامكم من الشيوخ ذهب عاجلا ، أو آجلا وفيه رجال تعودوا أن يطأطئوا رءوسهم للقوة ، وقد ذاقوا طعم الجاه والمنصب ، وزاد حرصهم على الحياة ، ونما فى نفوسهم الحقد ففسدت قلوبهم وأنتم معقد الآمال ، أنتم الذين ترفعون الرأس عاليا : أنتم الذين صفت نفوسكم من الحقد ، والحسد ، أنتم الذين يتمثل فيهم جيش النهضة ورمز الاخلاص والشجاعة ، والاتحاد ، فاحملوا راية الجهاد وسيروا على ضوء الشعلة التى أوقدها سعد فى ١٣ نوفمبر ١٩١٨ نحو الهدف الاسمى ، نحو الاستقلال التام : سيروا الى القوة القومية ·· الى المجد ولا تلهكم سفاسف الساسة بمصر ، الى أن تستقر فى المكان اللائق بها ، الى أن يصير استقلالها حقيقة واقعة ، وأن تصبح أرادتها فوق كل ارادة وأن تكون خالصة لكم ، ولمن يرثها من بعدكم ·· ! » ·

***

هذا بعض ما كان سيقال فى المؤتمر الذى منعت انعقاده وزارة توفيق نسيم باشا ونكمل ـ فيما يلى ـ مسيرة الشباب فى ثورة الشباب ·

الفصل الثانى

يوم الجهاد فى عيد الجهاد

ثورة شباب مصر

وكانت قوات البوليس ـ فى العاصمة ـ قد اتخذت كل الاحتياطات للحيلولة دون قيام مظاهرات واضطرابات : كانت أول مدرسة تظاهر طلابها فى هذا اليوم « ١٣ نوفمبر ١٩٣٥ » مدرسة شبرا الثانوية ، وقد أدى تجمهر الطلبة وتظاهرهم ، الى وقوع سلم المدرسة فأصيب ١١ طالبا من طلبة المدرسة ورغم ذلك الحادث الأليم خرج الطلبة واستقلوا الترام قاصدين وزارة المعارف ، وتبعهم طلبة مدرسة الفنون والصناعات بالعباسية ، وطلبة مدرسة التجارة المتوسطة . وقد قام طلاب هاتين المدرستين بالتزود من قطع الأخشاب والحجارة من عمارة كانت تشيد حديثا وظلوا يقذفون بها الجنود والضباط ، مما أدى الى اصابة كل من الملازم أول عبد الحميد أفندى فوزى والملازم أول عبد اللطيف أفندى كرارة ، وأطلقت الأعيرة النارية « ١٢ عيارا » وتفرق الطلبة ، وكان عددهم يتراوح بين ٢٠٠ ، ٣٠٠ طالب . ومن بين طلبة الفنون والصنايع الذين أصيبوا محمد عبد الغنى ، واستمرت المظاهرات وكانت قوية عنيفة فى ميدان الاسماعيلية . وأصيب يوسف ابراهيم الغـاياتى « كلية الحقوق » وفى شارع قصر العينى . تضاعفت خطورة الحالة ، اعتقل من طلاب الطب : محمد محمد غلاب ومن طلبة التجارة مراد لوقا ، محمد كامل ، ومحمود عيد ، ومحمد سعيد ، ومن طلبة مدرسة الدواوين : صلاح عزت ، واشترك طلاب المعهد الازهرى فى المظاهرات وقد منعت قوات البوليس اجتماع مصر الفتاة الذى تحددت اقامته ، فى كازينو آل لطف الله بالجزيرة .. وقد تظاهر أكثر من ٥٠ شخصا من جمعية مصر الفتاة وقد أعتقل البوليس ١٤ شخصا منهم : محمد أفندى صبيح رئيس تحرير الصرخة وابراهيم أفندى شرف الدين وأحمد أفندى على من محررى الجريدة . وفى هذا اليوم صدرت الأوامر ـ بعد الظهر ـ الى جنود الجيش المصرى وضباطه بالاشتراك مع رجال

البوليس فى قمع المظاهرات والمحافظة على النظام ، وقد رابط جنود الجيش فى ميدان الاسماعيلية وشارع قصر العينى ، ومعهم العصى الغليظة والخوذات فوق رءوسهم ! .

★★★

وقال بلاغ صادر عن وزارة الداخلية ان عدد المصابين الذين نقلوا الى مستشفى قصر العينى ١٩ من رجال البوليس ، ١٨ من الأهالى والطلبة بينهم ٩ من تلاميذ مدرسة شبرا الثانوية سقط بهم سلم المدرسة ، وأشار البلاغ الى وقوع صدام بين البوليس وطلبة المعهد الدينى . والمعهد الأحمدى ، وبعض المدارس فى طنطا وبلغ عدد المصابين من رجال البوليس ٤٥ منهم ١٣ اصابة شديدة وناشد بلاغ وزارة الداخلية الجمهور ، أن يخلد الى السكينة ، فالموقف دقيق والاخلال بالأمن يجر مخاطر كثيرة ، على البلاد وكرر البيان النصح للطلبة أن يرجعوا الى مدارسهم ، ويعلن البيان أن الوزارة على أتم استعداد لمواجهة الحالة ولاقرار الأمن والنظام ، بكافة الوسائل اذ تنشر الصحف البريطانية أنباء الاضطرابات التى حدثت فى يوم ١٣ نوفمبر ١٩٣٥ ، وتتوقع جريدة الايفننج ستار ان يطوح قرار الوفد بوزارة نسيم باشا فقد كان الوفد يؤيد نسيم باشا على أنه سيعيد الى البلاد دستور ١٩٢٣ .

★★★

وتقول الايفننج ستار : ولما لم يتم هذا كانت النتيجة أن النحاس باشا قد صادف صعوبة شديدة فى منع المتطرفين من اتباعه عن مهاجمة الوزارة . وتقول الجريدة : الآن يصرخ الزعماء ، المصريون جميعا ، بصوت واحد ، والصعوبة القائمة الآن هى الى أى حد يستطيع نسيم باشا ، أن يقف فى وجه صراخهم وهو فى موقفه المعروف من القصر ، وعدم تأييد الشعب له ، والجدير بالذكر أن الأستاذ الدكتور محمود عزمى ، قد ذكر — ضمن ذكرياته — أنه عندما قام الموظفون سنة ١٩١٩ بما قاموا من اضطرابات ، واضرابات طلب المتظاهرون الى توفيق نسيم ان ينضم الى حركتهم فما كان منه الا أن أجابهم قائلا : أما أنا فلم أصب بعد بمرض الوطنية !

وتستمر المظاهرات فى يوم ١٤ فبراير ١٩٣٥ ، ويقتحم البوليس « أحد الضباط الأجانب ومأمور قسم السيدة زينب وبعض الكونستبلات والجنود ، مشرحة قصر العينى ويفتحون عنوة احدى الثلاجات ويسرقون جثة أحد الشهداء ثم حملوها الى خارج المستشفى حيث وضعوها فى سيارة لورى ، وانطلقوا بها الى حيث لا يعلم موظفو المستشفى .

★★★

وبعد ان انتهت تلك العملية عادوا على الفور واستخرجوا جثة الشهيد محمد عبد المجيد الطالب بكليـة الزراعة ، الذى استشهد أمس برصـاص الكونستبلات هاتفا بحياة مصر وقد كانت الجثة موضوعة فى احدى الثلاجات داخل غرفة المشرحة فحملوها وصنعوا بها ما صنعوا بالجثة الأولى لفوها فى قماش ، ووضعوها بعد ذلك فى سيارة لورى وانطلقوا بها الى حيث لا يعلم أحد وجهتها ! هذا ومن المعروف أن بعض الطلبة كانوا قد عارضوا نقل الجثتين ، الا أن رجال البوليس حطموا أبواب الثلاجة مدعين أنهم أهل الشهيدين ! وعندما عرض عليهم الطلبة أن يصحبوهم ، الى حيث يمكن تشييع الجنازتين ، رفض « الأقارب المزعومون » ٠

★★★

وكان محمد محمود باشا قد توجه بدعوة الى الأمة يدعوها مرة أخرى الى الاتحاد متجاوزا ــ فى سبيل هذه الدعوة ــ عن كل تعريض ولمز ، « وأمد يدى للتشاور مع كل مخلص للاتحاد من الزعماء فانى أذكرهم بأنهم بتحقيق هذه الوحدة يلبون نداء الواجب ويحملون عبء القضية للوطن عن أبنائهم فلعل الله يجمع كلمة الآباء ، لخير الوطن ولانقاذه من محنته ٠ فانهـا اذا اجتمعت رد اجتماعها حقوق مصر اليها ورد بذلك الأمن والطمأنينة الى ربوعها : ان الساعة عصيبة : والموقف دقيق ، والوطن يدعو أبناءه جميعا للوقوف صفا واحدا دفاعا عنه : هانذا قد دعوت وبلغت فليشهد الوطن وأبناؤه » ٠ وكان الرصـاص الغزير ، قد أطلق على طلبة الجامعة ، وكانت معركة دامية قد وقعت عند كوبرى عباس وكان ضباط انجليز وكونستبلات انجليز قد ظهروا فى الميـدان ولهم ــ كما قيل ــ وقتئذ شهرتهم البعيدة فى الرماية ، وكان من بين الطلبة الذين أصيبوا : محمود عبد الحكم ، محمد عبد الله مكى ، رجائى كامل حسين ، ومحمود عيد « كلية الآداب » وعبد القادر حسن زيادة « كلية الحقوق » وابراهيم شكرى وقد أصيب فى فخـذه « كلية الزراعة » كمـا أصـيب البكباشى ليزاريك والكونستابل ادوار أكاتور ٠٠ وكان من آثار ملحمة ذلك اليوم ، استشهاد محمد عبد الحميد مرسى « كلية الزراعة » الذى قضى نحبه متأثرا بنزيف فى تجويف الصدر وكانت آخر كلماته ــ كما سبق أن ذكرنا ــ تحيا مصر ، وكانت أخت الشهيد ــ الآنسة احسان مرسى ــ تعمل ممرضة فى قصر العينى ، وتقوم بعملها بين زميلاتها وزملائها ومعهم أطباء المستشفى الكبير قد استقبلت شقيقها دون أن تعلم من أمره شيئا ، ولكنها دمعت حين رأت أخاها الطالب يلفظ أنفاسه الأخيرة وينتهى ، الى آخرته ، والجدير بالذكر أن البكباشى ليز قومندان حرس الوزارات عندما نقل الى مستشفى قصر العينى لاسعافه من اصابته كان يفتخر بأنه قتل ثلاثة برصاص مسدسه ! وقد أسعف من اصابته وانصرف ، وأغلقت الجامعة ــ بناء على قرار من الجامعة ــ كما أغلق نادى الاتحاد الجامعى فى ١٤

نوفمبر ١٩٣٥ نظرا لأن اجتماع الطلبة فى الكليات هو المشجع الأول لعوامل الاخلال بالنظام ، وكان من بين المصابين فى ١٣ نوفمبر حسن أفندى يس وكذلك أصيب حمد سيف النصر بك ٠

★★★

وقد صححت الصحف واقعة سرقة الجثتين وقال رجال البوليس ان جثة الطالب محمد عبد المجيد مرسى ، كانت موضوعة فى غرفة المشرحة ، وكان الدكتور بلال يحمل مفتاح الغرفة ، ولما حضر رجال البوليس ولم يجدوا المفتاح ، اتصلوا بوكيل المستشفى مصطفى بك فهمى وبواسطة رجال المستشفى فتحت الغرفة واستخرجت الجثة ، ووضعت فى عربة نقل الموتى رقم ٢١٢٥ - وليس فى سيارة لورى كما أشيع - وسافرت بالطريق الزراعى الى الاسكندرية ٠ ويكتب الأستاذ العقاد ، عن وزارة نسيم قائلا : كل الوزارات المصرية كانت خيرا من الوزارة النسيمية » ، وتعطلت الدراسة فى الأزهر ٤٥ يوما ٠

★★★

وتحتفل مصر بيوم شهيد دار العلوم « على طه عفيفى » وكانت جثة على طه عفيفى قد وضعت - كما قالت الصحف الصادرة يومئذ - فى غرفة المشرحة تحت حراسة بعض ممرضى المستشفى ، وأبلغ أحد الحانوتية مأمور قسم السيدة زينب الصاغ محمود أفندى عاشور انه علم أن الجثة ستسرق من المشرحة ، حتى لا يتمكن البوليس من أخذها ودفنها واتصل البوليس بوكيل مستشفى قصر العينى الذى أكد لهم أن هذا الذى يقوله الحانوتى غير معقول ، ولا يمكن أن يحدث ، ولكن البوليس ، لم يطمئن فأقام حصارا كبيرا حول مستشفى قصر العينى حتى شاطىء النيل ، وحضر على باشا ابراهيم عميد الكلية ٠ ووكيل المستشفى مصطفى بك فهمى ، والدكتور خليل عبد الخالق ، ورجال القسم السياسى ، والجنائى بحكمدارية العاصمة . وبذل الجميع أقصى جهودهم واستنفذوا آخر حيلهم مع الطلبة لكى يظهروا الجثة ، واعدين بأنهم سيسمحون لهم بتشييعها كما يشاءون وذلك بعد أن يئسوا من العثور على الجثة ٠

وفى الساعة الواحدة بعد الظهر ذهب الحانوتى الى المأمور ، وأبلغه أن الجثة سرقت ، واكتشف المأمور ووكيل المستشفى أن الثلاجة التى كانت الجثة قد وضعت بها مكسورة ، واشتبه البوليس فى طالب بكلية الطب ، وفتشوا منزله فلم يعثروا على الجثة وبعد أن وعد اللواء رسل باشا حكمدار العاصمة ، الطلبة بموافقته على تشييع جنازة الشهيد ، ظهرت الجثة ، وكانت مخبأة فى غرفة المحاضرت ، وخرجت الجنازة من مستشفى قصر العينى يتقدمها طلبة دار العلوم

وكلية الطب والحقوق وبعض طالبات الجامعة وكان النعش محمولا على أعناق الطلبة وجاء تقرير الطبيب الشرعى ليؤكد أن الشهيد ضرب على رأسه بعصا مرتين ، وقد نجم عن الضرب ان دخلت عظام الرأس فى المخ ٠

وتنتقل الاضرابات من القاهرة ، والاسكندرية الى شبين الكوم ، والجيزة ، والمنصورة ، وبنها ، ومشتهر ، وسوهاج ، وأسيوط ويقلد بوليس أسيوط بوليس القاهرة ، فيفتح الكوبرى فى أسيوط ليقطع طريق المتظاهرين ٠

★★★

ولم تكن الحركة حركة طلبة فقط ، وانما كانت حركة عمال أيضا ٠ وقفت طويلا عند أحد البيانات الصادرة عن نقابة عمال طرق النحاس : « كان البيان يقول بالحرف الواحد : اجتمعت الهيئة التنفيذية لنقابة عمال طرق النحاس بالقاهرة وذلك فى الساعة الثالثة بعد ظهر يوم السبت ١٦ نوفمبر ١٩٣٥ ، وظلت مجتمعة الى الساعة الرابعة والنصف مساء ، وكان محور هذا الاجتماع تلبية واجب وطنى ، وشعور كامن حساس قد استفزته حكومة قيل انها خير حكومة أخرجت للناس فاذا بها تعلن عن نفسها بعملها ، انها شر حكومة أخرجت للناس ، وقد أصدرت الهيئة القرارات الآتية : الاحتجاج الصارخ على أعمال الحكومة التى تأتيها ويبدو أنها ستتمادى فيها ولم تخجل من أنها قد أصبحت بعيدة كل البعد عن ثقة الشعب و ٠٠ و ٠٠ وتتخذ النقابة قرارا بالاضراب يومى الأحد والاثنين ١٧ و ١٨ نوفمبر حدادا على شهداء الوطن الأوفياء الذين صدقوا ما عاهدوا عليه الوطن وما بدلوا تبديلا وكان رئيس النقابة التى أصدرت هذا البيان : إبراهيم شوشة ، وكان سكرتيرها العام عبد السلام بلح ٠٠

★★★

وكان من بين تعليقات الصحف البريطانية على الأحداث الجارية فى مصر ما نشره مراسل الاوبزرفر فى القاهرة حيث قال : لقد كانت المظاهرات الأخيرة ، وما سفك فيها من دماء سببا جديدا يدفع نسيم باشا الى الاصرار على بقائه فى الحكم ليستطيع أن يعيد النظام ٠ الى ما كان ولينفذ ما يعتقده واجبا يدعوه ضميره الى أدائه ، ونعنى بذلك ادارة شئون الأمة فى هذا الظرف الدولى العصيب ومن الأمور المعروفة أن الوزراء موافقون على أعمال رئيس الوزارة ، وهـــذه الأعمال من التصرفات الحازمة التى اتخذت كوسيلة وحيدة لقمع الهياج الذى أشار به المعارضون تعزيزا لاحتجاجهم ، الى أن يقول مراسل جريدة الاوبزرفر : لا شك أن موقف الأحرار الدستوريين قد أرغم الوفد على أن يدافع عن مركزه وأن يقحم نفسه فى ميدان المزايدة ٠٠ أما الوفد فما كان له أن يتكدر من تعرض السير هور للمسألة الدستورية لأنه كان عالما بها منذ ستة أشهر على أن الذى

آله انما هو ذكر المسألة علنا ومن جهة أخرى كان ذلك سببا فى أن المعارضة تشتد فى مطالبة الوزارة بالاستقالة مع أن الوفد فى الواقع يريد بقاءها أكثر مما يريد الانكليز ، ومن رأى بعض الأذكياء أن اصرار نسيم باشا على بقائه فى منصبه ليس معناه غضب الوفد عليه كلا : فان الذى يثير غضب الوفد حقا هو استقالة الوزارة تنفيذا لرغبـــة الوفد الظـــاهرة فالواقع أن الغرض من معارضة الوفد للوزارة انما تهدئة أنصاره المتطرفين من جهة ومزاحمة الأحرار الدستوريين فيما يودون أن يكسبوا به عطف الرأى العام من جهة أخرى .

***

ولقد سبق أن نشرنا بعض ما جاء على لسان مكاتب جريدة « الأوبزرفر » البريطانية فى القاهرة عن معرفة الوفد - ومنذ ستة أشهر - برأى الحكومة البريطانية ، الذى أعلنه سير صمويل هور ، ومن أن معارضة الوفد ، لوزارة توفيق نسيم باشا - التى أجمع الشعب على ضرورة التخلص منها - ليس - فى رأى مراسل « الاوبزرفر » - الا من قبيل المناورة .

ونضيف أيضا ، ما جاء على لسان هذا المراسل من انه من رأى الوفد عدم التمادى فيما يزيد موقف الوزارة حرجا ويدلل على رأيه بما يلى :

« ما زعمه النحاس باشا عن توعك صحته وامتناعه عن الذهـاب الى المسجد ، لصلاة الجمعة وعدم قيامه بواجب زيارة الجرحى كما فعلت السيدة صفية زغلول - ويلاحظ أن النحاس باشا لم يذهب الى الجرحى فى الأيام الأولى لوقوع الحوادث .

***

ويمضى مراسل الاوبزرفر فى رسالته التى نشرها بتاريخ ١٧/١١/١٩٣٥ قـائلا :

« ولقد كان معروفا أن رئيس الوفد جرى على سنة الصلاة أسبوعيا فى ظروف المحن السياسية خصوصا عقب « هياج » كهذا الهياج ، الذى حدث فى هذا الأسبوع ، ولم يعرف عنه ، من قبل انه امتنع عن القيام بأية حركة يرى من الممكن أن تخلق فرصة لتأليف مظاهرات تؤدى الى تفاقم الاضطرابات !

***

على أن الحكومة البريطانية - كما يبدو من اتجاهات الرأى العام البريطانى ، ومما نشرته الصحف البريطانية ومن تعليقات الكتاب والسياسيين - انها كانت قلقة الى أبعد حدود القلق لما وصلت اليه حال الأمن فى مصر ولعنف المظاهرات ، التى قامت فى كل أنحاء البلاد ، ولشدة الهتافات ، التى كان يطلقها المتظاهرون ،

ضد بريطانيا . ورغم أن الحكومة البريطانية كانت منشغلة يومئذ بالانتخابات البريطانية الا أنها بعد اجتماع لمجلس الوزراء البريطاني لبحث الأحوال في مصر ، رأت أن عوامل القلاقل المصرية ليست سطحية بل هي عميقة وخفية في وقت واحد .

***

وقد أعلنت مصر ، عن اضراب عام في يوم ٢٢ نوفمبر وأعلنت الصحف المصرية عن مشاركتها في هذا الاضراب ، وقامت بريطانيا ـ كعادتها في مثل تلك المناسبات ـ بمناورات للاسطول البريطاني في مياه الاسكندرية حتى يعرف المصريون أن الاسطول البريطاني الذى ضرب الاسكندرية في ١١ يوليو ١٨٨٢ ، وكان ضرب الاسكندرية مقدمة لنزول القوات البرية الى مصر ، تمهيدا للاحتلال البريطاني ، على استعداد لضرب الاسكندرية مرة أخرى ، و .. و .. ولكن المصريين لم ينزعجوا أبدا لهذه المناورات بل لقد اعتبر الوطنيون المصريون قيام الحكومة البريطانية بهذه المناورات سبة للوطنية المصرية ودعا هؤلاء الوطنيون المصريون الى مقاطعة شهود تلك المناورات من قبل المصريين ، وأنذروا كل من يحضرها ، بالويل والثبور وعظائم الأمور .

« وزغم أن الوفد المصرى احتج لدى عصبة الأمم ، على الأحداث الأليمة التى وقعت في مصر ، الا أن الحكومة البريطانية ـ كما روت صحيفة « المانشستر جارديان » البريطانية ـ رفضت ابداء رأيها في هذا الاحتجاج ، أو في هذا الذى سمته بعض الصحف البريطانية « نداء » لا احتجاجا !!

***

وقد اهتمت الصحف البريطانية بما حدث في « بيت الأمة » يوم ٢١ فبراير حيث خطبت في الجماهير فتاة لا تتجاوز الرابعة عشرة من عمرها ، خطبة تلتهب حماسة رغم أن البوليس ، كان يقبض ـ بالجملة ـ على كثير ممن تجمهروا حول بيت الأمة ، وكان عددهم يزيد على المائتين !

ولم تعلق الصحف البريطانية الصادرة في ٢٢ نوفمبر ، على ما حدث في مصر ، في يوم الحداد . وان كانت قد أبرزت أحداث ذلك اليوم ، واعتقال حوالى ٥٠٠ من الطلبة واطلاق « الرش » من رجال البوليس ووصفت صحيفة الديلى هيرالد يوم ٢٢ نوفمبر ـ يوم الحداد ـ بأنه اليوم الذى يمثل وبحق الاحتجاج المنظم ، المؤثر ، في الموقف البريطاني حيال مصر .

***

وحول مناورات الأسطول البريطاني في مياه الاسكندرية نشرت صحيفة « ستار » البريطانية مقالا ، سجلت فيه أخطاء السياسة البريطانية في مصر ،

ان من بين ما قالته صحيفة « ستار » : يندر أن يفوت ممثلينا فى مصر
رص ، حتى يتحقق الوقوع فى الأخطاء ، فالغضب الذى أظهره المصريون على
ريح السير صمويل هور ، ورفض الموافقة على دستور سنة ١٩٢٣ ، دستور
ر الديمقراطى ، ازداد تجلى التعبير عنه بانفراد حضرة صاحب السمو الأمير
مد على بحضور مناورات الاسطول البريطانى فى مياه الاسكندرية ، ورفض
ور كثير من الشخصيات البارزة من المصريين الذين وجهت اليهم الدعوة » ٠

والأمير محمد على ـ كما تقول صحيفة « ستار » : « شخصية جذابة محبوبة
المجتمع البريطانى ، وهو صديق شخصى للسير مايلز لامبسون ، ولكنه من
ارضين لسياسة القصر » ٠

ولعل هذا الذى قالته صحيفة « ستار » البريطانية يكفى لكشف الأمير
مد على ، وميوله البريطانية ٠

***

ونستأذن فى الوقوف عند دعوة كريمة راحت فى استحياء تدعو الى وحدة
دة والزعماء من أجل مصر التى أضناها تمزق وحدة الأبناء ٠

الفصل الثالث

وبدأت الدعوة إلى توحيد صفوف الزعماء والقادة

وبعد تلك الالمامة السريعة باتجاهات الرأى العام البريطانى تجاه الأحداث الخطيرة التى وقعت فى مصر ، نعود الى تلك الأحداث ذاتها ٠

لقد استمرت المظاهرات والاضرابات فى كل أنحاء البلاد ، شاركت كل طوائف الشعب ، من محامين ، وصحفيين ، وأطباء ، وعمال ، وتجار فى الاضرابات وفى مظاهرات الحداد ، ولم يعرف أن فئة مصرية واحدة قد شذت عن المشاركة فى أحداث نوفمبر ١٩٣٥ ٠

وفى الوقت الذى كانت الاضطرابات قائمة ، كانت المحاكمات تجرى فى كثير من المحاكم ، بصورة مستعجلة لمحاكمة من اعتقلوا فى تلك الاضطرابات ٠ وكم كان مؤلما أن بعض الذين اعتقلوا لم توجه اليهم من تهم الا تهمة « الهتاف بحياة الأمة ، وحياة مصر » ٠٠ !!

وأذكر من بين ما ذكره المحامون الموكلون بالدفاع عن المعتقلين العبارات التالية : « هؤلاء الشبان هم صفوة أبناء هذه الأمة ٠٠ هم أملنا فى الحياة ٠٠ فى المستقبل ٠٠ هم رجال الابوة للبنوة الصالحة ٠ ان الدفاع يعتقد أن الاتهام سينظر اليهم النظرة البعيدة عن كل أسراف ، من ناحية سوء القصد منه أو معنى الاجرام فيه ٠٠ » ٠

لقد غضبت الأمة غضبتها الكبرى ، وسحبت من الوزارة ثقتها . وطلبت منها الاستقالة ٠ فاذا بالادارة تسيل الدماء ، وتزهق الأرواح ، كان الهتاف لمصر جرم ٠

★★★

يقول الأستاذ جبريل شحاتة معوض المحامى :

« فان يكن الهتـاف لمصر جرما ٠٠ فأنا أهتف فى الجلسـة بحياة الأمة وأتحدى النيابة أن تقاضينى » ٠

« ان هؤلاء المتظاهرين لم يرتكبوا ما يحاكمون عليه ، بل قاموا بعمل نبيل يجب أن تظاهرهم فيه النيابة ، وأن تظاهرهم المحكمة ٠ ولكنهم يقولون لنا القانون القانون » ٠

ويتساءل بعد تلك العبارة الأستاذ أحمد حسين المحامى قائلا :

« يا سيدى القاضى : هل انت تجلس فى خدمة القانون أم أن القانون فى خدمتك ٠٠ أما أنا فأقول بحق ، معبرا عن روح التشريع أن القاضى والقانون يجلسان فى خدمة العدالة ٠ فالقضاء هو العدالة ، والقانون هو العدالة ٠ من ذا الذى يقول ان القانون مظهر من مظاهر الظلم ٠ من الذى يجرؤ على القبول ، بأن القاضى يجلس فى خدمة الظلم ٠٠ لا أحد ٠٠ لا أحد ٠ فالنيابة هى العدل فاذا ما تعارض القانون والعدالة ، فليتحطم القانون ، وليحطمه القاضى ، حارس العدل وأمين العدل ٠

« ان مصر تشاطر هؤلاء الأبرياء عواطفهم وآراءهم ٠

« ان مصر تظاهرهم وتغضب لغضبهم ٠

« ان مصر باسرها تنتظر حكمك ، وهى تطالب كل مصرى أن يقوم بواجبه ، وأنت مصرى قبل أن تكون قاضيا » ٠

***

والجدير بالذكر ٠٠ أن بعض القضاة كانوا يحرصـون على عدم ادخال السياسة فى المحاكمة ٠ ففى محكمة السيدة زينب ، التى كان يرأسها الأستاذ عبد العزيز محمد ، وكان من المتهمين مراد لوقا ، ومحمد محمود الغراب ومحمد كامل الدماطى ، ومحمد أنيس الدفراوى ، وكان من المحامين عنهم : ابراهيم عبد الهادى ، وزهير صبرى ، وكرم عبد الهادى ، وأحمد حسين ٠ قال القاضى ، وهو يعلق على كلمة لأحد المحامين التى قال فيها « ان الوزراء لم ينصفوا التاريخ ولم ينصفوا الأمن » ٠

قال القاضى :

« ليس المجال مجال خطابة ، فنحن فى قضية جنائية » ٠

وعندما اصر الأستاذ واصـف رزق الله على الاسـتمرار فى الكلام فى السـياسة ٠٠ منعـه القاضى ٠٠ وان كان القاضى ، قد أفرج فيما بعد عن جميع المتهمين بكفالة ثلاثة جنيهات لكل منهم ٠

وكان من بين قرارات اللجنة الادارية للحزب الوطنى ، أثر اجتماعها برياسة الأستاذ حافظ رمضان ، رئيس الحزب : الاحتجاج أشد الاحتجاج على الفظائع ، التى ارتكبتها الحكومة فى الحوادث الأخيرة ، وما أفضت اليه من سفك دماء الأبرياء ، وضياع أرواح الشهداء ، وتحميل الانجليز والوزارة القائمة مسئولية هذا الفظائع ٠

***

وكان الحزب الوطنى قد ناشد من دعوا لمشاهدة مظاهرة الأسطول البريطانى من المصريين الا يلبوا هذه الدعوة المهينة للشعور الوطنى ، وبخاصة فى وسط الحزن القومى العام ٠

وكان من بين قرارات اللجنة الادارية للحزب الوطنى : ضرورة اخراج القضية المصرية ، من الحيز المصرى الانجليزى ٠٠ الى الحيز الدولى ، ودعوة الزعماء المصريين الى ارسال وفد قومى الى جمعية الأمم للاتصال بها ، ونشر الدعاية والدفاع عن القضية المصرية وردها الى وضعها الصحيح ٠ كما طالبت اللجنة الادارية زعماء أن يرجئوا النزاع الدائر بينهم حول شروط الائتلاف وأن يجعلوا الائتلاف فى ذاته سابقا على شروطه ، حتى اذا اجتمعوا تقديرا للكوارث الحاضرة ، تفاهموا فيما يجب أن يضعوه من شروط ويرسموه من خطط ، تتناسب والموقف الحاضر فتكون هذه الخطط والشروط نتيجة تآلفهم واتفاقهم ٠

***

ومن الصفحات المؤثرة فى تاريخ مصر ٠٠ صفحات الشهيد محمد عبد الحكم الجراحى الذى كان قد ترك الدراسة فى فرنسا ، وحضر الى مصر قبل أسبوعين فقط ليلتحق بكلية الآداب ٠ وكلماته الأخيرة ، قبل أن يسلم الروح ، والاحتفال الرهيب بتشجيع جنازته كل ذلك من الصفحات الرائعة التى يجب أن يتوقف عندها أبناء مصر بين فترة وأخرى ليستمدوا منها العظة والعبرة ٠

وصف اليوزباشى عباس زغلول اللحظات الأخيرة من حياة محمد عبد الحكم الجراحى ، فقال :

« كان الشهيد فى نوبته الغاشية مؤمنا بأنه ملاق ربه عما قليل ، فكان عباس زغلول يسأله عما يريده من طعام أو شراب ، ولكنه لم يستمع منه الى جواب ٠ غير أن الشهيد قبل لحظات من ملاقاة ربه ، طلب منه أن يسلم له على أخيه طالب الهندسة فى جامعة « شفيلد » ٠ ثم امتدت الغشية اليه فكان لا يفيق منها ٠٠ الا « ليهتف لتحيا التضحية » ٠٠٠ انى أموت ٠ تحيتى الى أخى « على » ٠ أنا محمد عبد الحكم » ٠

***

والجدير بالذكر ٠٠ أن قطارا خاصــا قام من القـاهرة ، متجهـا الى الاسكندرية ، وقد أقل بعض المصريين والأجانب ، الذين قبلوا الدعوة الانجليزية الى مشاهدة مناورات الاسطول البريطانى بمياه الاسكندرية ٠ ومن بينهم : الأمير محمد على ، ومحمد توفيق نسيم باشـا ، وعلى ماهر باشـا ، وأحمـد عبد الوهاب باشا ، وعزيز عزت باشا ، وعبد العزيز محمد بك ، وكمال ابراهيم بك ٠ ومن بينهم أيضا صليب سامى بك ، وصادق أمين باشا ، وحسن نشأت باشا ، وسيزوستريس سياروس باشا ، وعبد الملك حمزة بك ، وشريف صبرى بك ، وحسين سرى بك ، ومحمد حيدر بك مدير عموم السجون ٠٠ وكان رجل الأعمال الوحيد الذى دعى فى الدعوة هو أحمد عبود باشا ٠

والجدير بالذكر أيضا ٠٠ انه عندما تقرر اقامة صلاة الغائب على أرواح الشهداء حاصر الجنود المسلحون الجامع الأزهر ، والمشهد الحسينى ٠٠ حيث منعوا جماهير المصلين من الدخول ٠

على أن ذلك الحصار لم يمنع جماهير المصلين من دخول الجامع الأزهر والمشهد الحسينى ، حيث أقام المصلون صلاة الغائب على أرواح الشهداء الطاهرين ٠ وبعد الصلاة قبض رجال البوليس على أكثر من ١٥٠ شخصا نقلوا فورا الى قسم عابدين ٠

***

وقد عمدت الوزارة الى تعطيل الصحف ، ومصادرتها ٠

وكم كان مؤلما أن مستر « كين بويد » قد ذهب الى ادارة المعاهد الدينية ، ثم انتقل الى مكتب فضيلة الأستاذ الشيخ المراغى شاكيا الى فضيلته طلبة القسم الثانوى من المعهد الازهرى ٠ ثم نهض مستر « كيمبويت » بعد ساعة قضاها فى مبنى المعاهد الدينية ومكتب شيخ الأزهر ، منذرا وموعدا ٠

وقد عقد مجلس الأزهر الأعلى جلسة سريعة ، تقرر فى أثرها ، وقف الدراسة فى الأزهر أسبوعا كاملا ٠

والجدير بالذكر كذلك ٠٠ أن أساتذة الجامعة قد أبوا الا أن يشـاركوا طلبتهم فى احتجاجهم على الأحداث الجارية وكان أول المحتجين من أســاتذة الجامعة ٠٠ هم أساتذة كلية التجارة ، حيث اجتمع أساتذتها ووضعوا بيانا ، احتجوا فيه على الحكومة الانجليزية ، لاعدائها المتواصل على حقوق مصر ، وتدخلها فى شئونها الداخلية تدخلا ٠٠ لا يتفق مع أبسط قواعد القـانون الدولى ٠ كما احتجوا أيضا على استعمال وسائل العنف فى قمع المظاهرات السلمية ، وعلى ما أهدر من دماء الطلبة ٠ وكان الذين وقعوا أول احتجاج من أساتذة الجامعة عن كلية التجارة بالذات هم : على الزينى ، ابراهيم جرجس ،

أحمد ابراهيم ، محمد عبد الرحمن حافظ ، محمد توفيق سكر ، وهيب مسيحه ، محمد عبد الكريم ، زكي حسن ، نسيم كامل سليم ، محمد وهيبة ، مليكة عريان ، رضوان خالد ، عبد العزيز مهامة ، عبد المنعم ناصر الشافعي ، نجيب يوسف ، سليم أمين حجاج ٠

***

وبعد كلية التجارة توالت الاحتجاجات من أساتذة بقية الكليات ٠

هذا ٠٠ وفي يوم ٢٦ نوفمبر ١٩٣٥ أصدر الوفد المصرى بيانا الى الأمة المصرية ، دعا فيه الى تكوين « جبهة وطنية » على الأسس الآتية :

- أن يعلن الجميع استقلال الأمة استقلالا صحيحا تاما ٠
- أن يطالب الجميع بعودة دستور ١٩٢٣ فورا ومن غير تأجيل ، ويكون ذلك برفع التماس بهذا المعنى الى جلالة مليك البلاد ٠
- أن يضرب الجميع عن الحكم حتى يعود دستور الأمة اليها ٠

ومما يذكر ، أن الوفد المصرى وهو يدعو الى تكوين جبهة وطنية ، قد أصر في بيانه هذا على أن يتحدث عن « المنشقين من صفوف الأمة » ٠٠ وأن يعيب على رئيس حزب الأحرار الدستوريين ، أنه قال : « ان تحقيق الاستقلال المنشود يكفى فيه وعد من الانجليز بالمفاوضة بعد انتهاء الأزمة الدولية » ٠

وكان من بين ما عقب به الوفد المصرى على ما نسب الى محمد محمود باشا ، رئيس حزب الأحرار الدستوريين ، ما جاء في بيانه : « انها لجريمة خطيرة ضد حقوق البلاد ، ولكنها ليست الأولى من خطيئاتهم ٠٠ قد أقسموا جهد ايمانهم ليحطمون الدستور أنقاضا ، فعطلوه الى أجل غير محدود باسم النظام ، وعادوا اليوم يحاولون تعطيله باسم الاستقلال » ٠

وقد ختم الوفد بيانه هذا بدعوة المصريين الى الحذر من الخديعة ، واتقاء الوقيعة ، والحرص على الوحدة « حرصكم على نهضتكم ٠٠ اسلكوا سبيل التضحية والكرامة الى حريتكم ٠٠فما كان يثنيكم عنها تآمر المتآمرين ومكروا ومكر الله ، والله خير الماكرين » ٠

***

ويصدر محمد محمود باشا بيانا يناقش فيه موقف الوفد ، من دعوته ــ محمد محمود باشا ــ الى وحدة الصف ، والى أنه ــ أى محمد محمود باشا أيضا ــ اقترح أن تعلن انجلترا قبولها لمشروع المعاهدة الذى انتهى اليه النحاس باشا نفسه ، ليعود الدستور ، وينعقد البرلمان ، فتبرم المعاهدة ، حتى تستقر الحياة

النيابية بابرامها ، وحتى تتبين البلاد حسن نية انجلترا ازاءها فتظل على معاونتها الصادقة فى هذه الأزمة الدولية الحاضرة

***

ويقول محمد محمود باشا . « بدل أن يلبى النحاس باشا هذا النداء الذى نادى به هو فى ٨ سبتمبر الماضى ، والذى يجمع كلمة الأمة ويوحد صفوفها بما يحمل انجلترا على النزول على ارادتها .. أبى الا أن يصدر بيانا ، ظن أنه يضرب به هذه الوحدة فى صميمها ، بأن يطعن علينا ، ويخترع لذلك الأباطيل ، وبأن يتهمنا ، ويتهم أصدقاء الوحدة ، كى يلفت أنظار الأمة ، عما هو ماض فيه من تأييد هذه الوزارة الصديقة ، التى فرطت فى كل شىء ، وفى الدستور قبل كل شىء ، وظلت مع ذلك متمتعة بصداقته وتأييده الى اللحظة التى أصدر فيها بيانه الأخير فقد خلا هذا البيان من كل اشارة للوزارة ، والى اهدارها دم الشهداء الذين أهدرت دمهم ، والى انجلترا ووقوفها فى سبيل استقلال مصر . وكل ما انطوى عليه انما هو سفسطة وجدل ، يؤخر قضية مصر ولا يقدمها ، ويفت فى أعضاد الناهضين من الشباب بهذه الحركة المباركة ، فيردهم الى مثل ما كانوا فيه من يأس ، قبل أن ننادى فى البلاد بالدعوة الى الوحدة لاستكمال استقلال البلاد ، ولدفع التدخل الأجنبى فى شئونها » .

***

ويقول محمد محمود باشا :

« أقل الناس ذكاء يعلم أن السياسى الذى لا تعظه التجارب ، سياسى قصير النظر ، ضعيف الحيلة . وقد دلت التجارب فى السنوات العشر الماضية على أن الدستور وسيلة غير صالحة لتحقيق الاستقلال .. ولا أدل على ذلك من أن النحاس باشا نفسه ، أخذ بيده وثيقة الاستقلال مرتضيا اياها لمفاوضاته ، حائزا للثقة الاجماعية من برلمانه سنة ١٩٣٠ فذهب الى لندن ، ثم عاد بعد أن أضاع الاستقلال ، وعرض الدستور للضياع .. يفاخر بأنه ان كان قد خسر المعاهدة ، فقد كسب صداقة الانجليز . ولم يلبث بعد أن طوح بالدستور ، كما طوح بوثيقة الاستقلال ، وكأنما يريد اليوم أن يعود الدستور ليكرر هذه المأساة مرة أخرى » .

ويتساءل محمد محمود باشا قائلا

« أفيكون خائنا لوطنه من جاء بوثيقة الاستقلال ، فأعاد بها الدستور ، ومهد لابرام معاهدة بين مصر وانجلترا ؟ .. أم الخائن لوطنه ، ولو عن غير قصد منه ، هو من ضيع الاستقلال ، وضيع الدستور جميعا » ؟ ..

« وأقول عن غير قصد ، لأنني أربأ بنفسي من أن أتهم مصريا بالخيانة ٠٠ فاذا اختلفت وجهة نظرى مع وجهة نظر غيرى ، فله دينه ولى ديني » .

وينهي محمد محمود بيانه أو « نداءه » للأمة ، كما سماه ، بقوله :

« ان وحدتكم هي سبيل نجاتكم ، والاستقلال هو مطلبكم منذ قمتم قومتكم فى سنة ١٩١٩ ، والفرصة اليوم سانحة لاستكمال ما عزمتم أمركم ، وعقدتم ارادتكم ، ووحدتم جبهتكم ٠٠ فاذا دللت انجلترا على حسن قصدها ازاء وطنكم بأن صرحت بقبولها المعاهدة التى ارتضت وارتضيتم ٠٠ أعاد لكم دستوركم مستقرا حصين السياج ، فاعملوا لهذه الوحدة ، وادعوا الخارجين عليهـا الى الانضمام اليها ، وهم لا شك نازلون على ارادتكم ، ما رأوا حزمكم وتصميمكم على استكمال استقلالكم ، فان فعلتم ، وانتم لا شك فاعلون خدمتم بلادكم خدمة صادقة ، لا يشوبها هوى ولا غرض ، وتركتم لجيلكم مجدا يفاخر به الأجيال ٠٠ ولتحيا مصر » ٠

***

كما دعا عبد الرحمن بك فهمي ، بعد صمت طويل واعتكاف أطول ٠٠ الى وحدة الصف ٠ وعبد الرحمن فهمي هو أحد الوطنيين الأصلاء الذين كان لهم ماضيهم المشرق فى الكفاح الوطنى السرى والعلنى ٠٠ قبل وأثناء ثورة ١٩١٩ وبعدها ٠ كان قد آثر اعتزال العمل فى السياسة ٠٠ بعد حادثة مصرع « السير لى ستاك » سردار الجيش المصرى ، والحاكم العام للسودان ٠٠ لأن وحدة مصر ـ كما قال ـ قد تفككت ، والأحزاب قد تعددت ، والحركة السياسية قد تحولت عن وجهتها الطبيعية ٠

***

وكان من بين الأسباب التى دعت عبد الرحمن بك فهمي الى العمل ما ارتآه من أن الظروف التى تمر بها البلاد تحتم الدعوة الى وحدة الصفوف ، والتلاقى عند الغاية التى يجب أن يعمل المصريون من أجلها ٠٠

وقد تحدث عبد الرحمن بك فهمي الى محمد محمود باشا بصفته رئيسا لحزب الأحرار الدستوريين ، فسره مثله ، كما قال ، روحه الطيبة ، ورغبته فى التوفيق على الأساس الذى اجتمعت عليه كلمة الأمة فى سنة ١٩١٩ حينما أجبرت انجلترا على أن تنزل عند ارادتها وتحسب حسابها ٠

كما تحدث فى أمر توحيد الصفوف الى حافظ رمضان بك رئيس الحزب الوطنى ، وصدقى باشا رئيس حزب الشعب ، وحلمى عيسى باشا رئيس حزب الاتحاد ٠ وقد قبل الثلاثة ٠

وكان مما صرح به عبد الرحمن بك فهمى فى ٢٧ نوفمبر ١٩٣٥ :

« يؤسفنى كل الأسف أن أقول ان ما قبله الجميع ، وما نادى به زعيمنا الخالد سعد زغلول رحمه الله ، وما اجتمعت عليه كلمة الأمة ، لم يوافق عليه دولة النحاس باشا ، فهو يرى بأن الاجماع يجب أن يكون على الدستور .. لا على الاستقلال » .

***

ويمضى عبد الرحمن بك فهمى قائلا :

« ولكننى مازلت أرى بأن حكمة النحاس باشا ووطنيته سوف يحولان بينه وبين الاستمرار فى هذه السياسة التى يفرح لها الغاصب ، ويدمى لها قلب المواطن » .

ولم يقطع عبد الرحمن فهمى الأمل فى وحدة الصف مؤكدا بأنه سوف يستأنف جهوده مهما كانت درجة معارضة البعض لهذه الدعوة .

هذا ..وقد راح الشباب يضغط على زعماء الأحزاب ، وفى مقدمتهم الوفد من أجل توحيد الصفوف . وكان من بين البرقيات التى وصلت الى بيت الأمة ، تطالب بتوحيد الصفوف ، برقية وقعها عن الجامعيين : شفيق عبد الله ، سيد محمود عبد الحميد أبو زيد ، محمد عنبر ، أحمد البهى . وعن دار العلوم : محمد على ، والعوضى الوكيل ، وغيرهم وغيرهم ..

وقد عقد الجامعيون مؤتمرا اشترك فيه أكثر من الفى طالب فى مدرج كلية الطب ، كما اشترك فيه عدد كبير من طالبات الجامعة ، وممرضـات مستشفى قصر العينى . كما كان من بين المجتمعين فوج من طلاب الجامعة الازهرية . وقد افتتح المؤتمر « الأديب » نور الدين على طراف الطالب فى كلية الطب . كما تحدث بعد تلاوة أى الذكر الحكيم أحمد محيى الدين « دار العلوم » ، وفريد زعلوك « كلية الحقوق » ، ومصطفى السعدنى « كلية الآداب » ، وجلال الحمامصى « كلية الهندسة » .

***

وألقى فى نهاية المؤتمر الأديب محمود حسن اسماعيل قصيدة من عيون الشعر . واشترك فى المؤتمر أيضا وفى نهايته الأديب محمد بلال « الطالب فى كلية الطب » . وبعد ذلك كله ، أصدر المؤتمر قرارات هامة . وقد قامت ادارة المطبوعات بابلاغ الصحف ، كل الصحف ، ان نشر هذه القرارات سوف يعرض الصحف التى تشرتها للمصادرة .

ولهذا ·· لم تستطيع أية صحيفة نشر أى قرار من هذه القرارات ، التى قررها مؤتمر الجامعيين ·

هذا ، وقد راح الكتاب المصريون يوظفون كل امكاناتهم وقدراتهم للدعوة الى رأب الصدع ووحدة الصف · وكان من بين ما كتبه الدكتور محمود عزمى ، مقـال عنيف تحت عنوان « يتراشقون وبيزنطة تحترق ·· فلينعم الانجليز ولتشقى مصر ·· لكن لعل الشباب ينقذ ما يهدمه الشيوخ » وقد جاء فى نهاية مقال الدكتور محمود عزمى :

« انما نحن نعرف أن بيزنطة تحترق وأن أهلها يتجادلون ويتراشقون ، وخير لبيزنطة وأهلها أن يفيقوا ويتعاونوا على اطفاء الحريق الذى سيكونون هم أول وقود له ·· اذا تركوه يمتد ويأتى على الأخضر واليابس جميعا · والحق أن اليأس من الشيوخ قد أخذ يتغلب على ما كنا نود أن تظل عامرة به قلوبنا من حسن الظن بالناس وحسن التفاؤل بالمستقبل القريب · ولذلك فاننا نتقدم للشباب داعين له بالتوفيق فى حركته الطاهرة ، وقد وضعت فيه مصر كل آمالها مادام شيوخها قد أنزلوا بها ما أنزلوا من مصائب ولعل لهذه الكنانة حقا ·· ربا يقيها شرور أعدائها وشرور أبنائها على السواء » ·

وتتوالى احتجاجات أساتذة الجامعة ·· من كل الكليات ··

وكان من بين هؤلاء الأساتذة المحتجين الدكاترة : أحمد زكى ، على مصطفى مشرفة ، أفلاطون بك ، عبد الرحمن عثمان ·· و ·· الخ ·

هذا ·· وقد احتجت الصحف ، كل الصحف ، على تصرف ادارة المطبوعات التى هددت بمصادرة أية صحيفة تنشر « مقررات » مؤتمر الجامعيين ، وقالت بعض هذه الصحف : اننا غير مستعدين لتلقى اشارات تليفونية من ادارة المطبوعات أو وزارة الداخلية ، تهدد الصحف بالمصادرة ·· اذا هى نشرت قرارات اتخذها شباب الجامعة ، وعرفها مئات الألوف من أبناء الشعب ·

***

وقد كتب الأستاذ عباس العقاد فى « روز اليوسف » مقالا حول الدعوة الى وحدة الصفوف والاختلاف حول من يعود أولا ·· الدستور أم الاستقلال · وكان من بين ما قاله :

« ان الائتلاف على أى حال خير من الاختلاف » ·

وقد ختم العقاد مقاله هذا مخاطبا المصرى الناظر الى مستقبل بلاده بقوله :

« ان الحقيقة لأظهر من أن تحتاج الى اسهاب ، اختصر الطريق ، وارجع الى نفسك فى أعماق ضميرك واسألها هل أحبط الوفد المصرى رجاء الانجليز

برفض الائتلاف ؟ ·· ان استطعت أن تقول نعم : فأنت من أعداء الائتلاف · أم أنه استحال عليك أن تفهم أن الانجـــليز قد أحزنهم قرار الوفد المصرى ، واستحال عليك أن تنـــكر انه قد أرضاهم وحقق رجائهم ، فأنت أقرب الى الحقيقة ، وأدرى بمصلحة الأمة فى الحالتين ، من أن تستمع الى جدال » ·

***

والجدير بالذكر أيضا ــ وكان ذلك موضع هجوم من الصـــحف ــ أن الحكومة ، عندما قررت استخدام خراطيم المياه لتفريق المتظاهرين ·· لم تكن أفواه هذه الخراطيم تحمل ماء نظيفا كما هى العادة ، وانما كانت تحمل مياها قذرة من المجارى·· !!

***

ونعود الى الحديث عن أجمل أيام مصر وأعظم أبناء مصر أيام النضال الذى قادة شباب ١٩٣٥ ·

الفصــــل الرابع

صــورة لشـباب وزعماء ١٩٣٥

● كان من بين صور المبالغة فى استخدام البوليس القسوة فى تفريق المتظاهرين من الشباب المصرى انه استخدم خراطيم المياه ، ولم تكن المياه ، التى تحملها تلك الخراطيم ، مياها نقية كتلك المياه ، التى يشرب منها خلق الله ، ولم تكن مياها عادية ، كتلك المياه التى تروى منا الحدائق أو تغسل بها أرض الشارع ٠٠ وانما كانت مياها قذرة للغاية ، بل كاملة القذارة من أنابيب المجارى ٠٠

وقد علق الأستاذ « يوسف » فى جريدة روزاليوسف اليومية (أول ديسمبر ١٩٣٥) على هذا الاجراء الوحشى بقوله :

« أية فظاعة فى التفكير ؟ وأى تفنن فى ابتكار الأذى ، وأى اهدار للآدمية وأى استهتار بالكرامة البشرية ؟ انى لأفضل ألف مرة ان أقتل رميا بالرصاص على هذا الأسلوب المهين المزرى بانسانيتى المهدر لآدميتى ٠٠ حتى الماء الذى تجده الحيوانات شربا لها حتى الماء الذى يغسل فيه الدواب ، حتى هذا الماء تستكثره الحكومة على رعاياها المتظاهرين ٠٠ هذا حرام ، واثم كبير ٠ وهل نحن حملنا على الوزارة لاستعمالها طريقة القتل السريع ، لتستدير من ناحية أخرى فتبتكر أسلوبا للقتل البطىء ، بالماء الملوث المليء بالجراثيم والأمراض ألهذا الحد هانت أرواح الشباب وأعمارهم ؟ انه اذلال أرفضه وترفضه كل كرامة انسانية ٠٠ انه اذلال أبشع من القتل الصريح من أفواه البنادق ، ومن سنان السيوف »

***

ووسط هذا الجو المشحون بالمآسى والدماء بدأت لندن ــ ولندن بالذات ــ تتحدث عن الجبهة الوطنية المصرية وعن عدم التوافق بين مزاج الوفديين ، ومزاج

الأحرار الدستوريين . وتعود الصحف البريطانية — فى أوائل ديسمبر ١٩٣٥ — لتؤكد من جديد ، أن الوفد يعتبر المعاهدة مع بريطانيا أمرا ثانويا يلى فى الأهمية دستور ١٩٢٣ بينما ان الأحرار الدستوريين ، والأحزاب الأخرى تصر على وجوب تقديم المعاهدة فى الأهمية قبل كل شىء .

ويقول مراسل صحيفة « الاوبزرفر » البريطانية فى القاهرة :

« ان الوفد باصراره على تقديم الدستور أولا ، يسعى بوثوق للاستيلاء على الحكم ، بشرط ان تكون الانتخابات حرة ، أما الأحرار الدستوريون فانهم لا يمتلكون الفرصة لتولى الحكم ، بمقتضى دستور ١٩٢٣ ولكن اذا عقدت المعاهدة أولا فانهم بصفتهم أبطال هذه الخطة السياسية يتمكنون من تبوء مقاعد الحكم » .

وينقل الساسة المصريون الحزبيون المعركة الداخلية بينهم من صفحات الصحف ، ومن ساحات الاجتماعات السياسية والمؤتمرات الحزبية الى الشوارع ، فتقوم أعداد وفيرة من الشباب فى الساعة العاشرة والنصف من صباح يوم ٢ ديسمبر — ٦ رمضان — بالتجمع فى شارع سعد زغلول باشا ، ثم يأخذون طريقهم الى شارع الفلكى ، ولما وصلوا — وأنقل هنا عن صحف ذلك العهد — أمام دار محمد محمود باشا أخذوا يهتفون هتافات عدائية ، فأسرع خدم الدار وأغلقوا بابهـا الحديدى الكبير فى وجه المتظاهرين — وهـم من صغـار الطلبة والعمال — ولكنهم هجموا دفعة واحدة ، على الدار واندفعوا نحو بابها فى عنف فلم يحتمل الضغط وانفتح على مصراعيه واقتحم المتظاهرون الدار وكانت جيوبهم ملأى بالحجارة ، وكان البستانى يتعهد الحديقة بالماء فى هذه الأثناء ، فلما رأى هذه الجموع تقتحم الدار حول « خرطوم المياه » نحوهم فهجموا عليه وانتزعوا الخرطـوم ، من يده واعملوا فى الدار تخريبـا واتلافا فحطموا زجاج النوافذ وصعدوا الى الجناح الخاص بالدائرة ، واعتدوا على موظف ثم كسروا النوافذ والمقاعد ، ثم خرجوا منه الى الجناح الآخر الخاص بمكتب دولة الباشا وأنجاله ، واقتحموه كذلك ، وأخذوا فى تكسير الزجاج والمقاعد وأوانى الزهر . وعمد فريق منهم الى اتلاف الحديقة وحطموا شجيرات الأزهار ، وبعض المقاعد المنثورة فيها . وكانوا أثناء انهماكهم فى الاتلاف والتخريب ، يهتفون بهتافات عدائية ضد صاحب الدار وأنصاره ، ويسبونهم بأقبح السباب وأفحش القول ، وكان الخدم فى تلك اللحظة يحاولون منع المتظاهرين من الاعتداء ، أو الاتصال بالمحافظة دون جدوى ، وكان دولة محمد محمود باشا اذ ذاك فى الطابق الثانى من المنزل ولكنه لم يخرج ، ولم يتعرض للمتظاهرين ، وبعد أن أوشك كل شىء على الانتهاء وصلت قوات البوليس ، ووصل الافوكاتو ، العمومى ، والأستاذ رياض رزق الله وكيل نيابة مصر .. وتم القبض على بعض الجناة .

★★★

وهكذا كان تعامل الأحزاب فيما بينها : اذا اختلف حزب مع آخر سير بعض الملتفين حوله ، والمتعصبين له ، الى دور الأحزاب الأخرى والى منازل زعماء الأحزاب الأخرى لتدميرها ، وللقضاء على هؤلاء الزعماء ان أمكن !

وللحقيقة وللتاريخ ان الرجل محمد محمود بعد حادث الاعتداء المشين على داره لم يضعف ، ولم ينزعج على الاطلاق ، بل انه عقب انتهاء الغارة على بيته ، خرج كعادته — الى ناديه ولم يقبل ان يعطى الاعتداء على بيته ، أية أهمية لأنه اعتداء مأجورين ولا أهمية له عنده وعندما عاد من النادى ، الى منزله مرة أخرى سأل هل قبض على أحد فلما قيل له ، لقد قبض على بعض الطلبة قال أين هم فلما أشاروا الى بعضهم اتجه اليهم قائلا :

« الطلبة لا يعملون هذا العمل الصغير ، ده عمل صغير عليهم ، وانا أقدر شعور الطلبة وأعتقد ان الرعاع هم الذين قاموا بهذه الحركة .

والتفت محمد محمود باشا ، الى المحقق قائلا :

« أرجو ان يراعى فى هذا التحقيق الطلبة الأبرياء من هذا العمل » .

وعندما قال أحد المقبوض عليهم ، موجها الكلام الى محمد محمود باشا « احنا يا دولة الباشا لم نكن من المتظاهرين ، واحنا نقدر دولتكم ، ثم هتف بحياة محمد محمود باشا فاسكته دولته قائلا ، لا مش عاوز هتاف .

ووفد على الدار بعد العدوان على بيت محمد محمود باشا ، علام باشا وبهى الدين بركات « بك » ومحمود بك حسن المستشار الملكى ومصطفى عبد الرازق والدكتور منصور فهمى ، والدكتور محجوب ثابت ، وكان من بين المعتقلين الذين افرج عنهم : أحمد عفيفى سالم ، الرسام ، وفهمى فرج عثمان بائع السجاير .

***

وقد راحت بعض الجماهير ، الى محمد محمود باشا ، تهنئه على نجاته وتستنكر العدوان على بيته .

وكان من بين ما قاله محمد محمود باشا :

« ان الأرواح التى تذهب فى سبيل مصر ، لا تذهب لكى يأتى محمد محمود أو مصطفى النحاس وانما تذهب فى سبيل الاستقلال والاستقلال وحده » .

وقال ق « ان وزارة نسيم باشا بقيت عاما كاملا فى الحكم ، فلم تعد الدستور ولم تجهر ببرنامج سياستها ، بل سلمت مرافق مصر وسلمت مستقبل مصر ، وعولت على خديعة الوفد وخديعة البلاد من وراء الوفد ،

«ولما رأيت الخطر يداهم البــــلاد ، والحرب على الأبواب وكأنمـــا مصر التي تتعرض للهـــول لا شـــأن لهـــا في الأمر ناديت بالخطر وأنذرت قـــومي ليتفقـــوا وليجدوا لوطنهم مخرجا من الورطة التي ساقتهم وساقتهم اليهـــا سـياسة الخديعـة والاسـتسلام : رأيت كل هـــذا فدعوت الى الاتحـاد حتى نكون جبهة واحدة ، تدافع عن حقوق مصر وحرياتها السـياسية دعوت هـذه الدعوة ويعـلم الله انها بريئة وقد نسـيت في سـبيلها كل طعن ، وكل حفيظة وكل حقد ، وقد زرت مصطفى النحاس باشا ، واسماعيل صدقي باشا : عملت حتى يكون الاتحاد تاما ، وحتى لا يخرج أحد من رجال البلد البارزين عن الاتحاد : ان المقصود بحركتنا هذه ان تكون البلد ، بكامل طبقاتها متيقظة عاملة على انقاذ نفسها من هذه الحالة التي آلت اليها وان نوجه جهودنا الى جوهر مطالبنا مباشرة ، ولكنهم أبوا علينا ذلك ، وحاولوا أن يصرفوا النهضة الى غير وجهتها الطبيعية فسخروا رجالا مخدوعين للوصول الى أغراضهم ، ولا أحسب رجلا ولا جنديا خدم الاستعمار أحسن مما خدمه مصطفى النحاس في خطاباته التي ألقاها في الأيام الأخيرة .

« انهم يريدون أن تدور البلاد في حلقة مفرغة ، لا تعرف لها نهاية ولا لدورانها أمدا .. لا أرمي مصر بالخيانة ولو أن النحاس باشا يرمي المصريين كل يوم بالخيانة .

« انني مرة ثانية أرجو النحاس باشا أن يتدبر الأمر ، وأن يعرف ان كل ما حصل اليوم لا يردني عن جهادي ولا يثنيني عن عزمي في خدمة البلاد ، مهما نالنا من أذى ، ومهما اقتضانا الجهاد من تضحية .. ويكفيني جزاء ما رأيت اليوم من غضب عام من جميع طبقات الشعب مما شجعني على المضي في خطتي حتى يتحقق لمصر استقلالها تاما، وحتى تتمتع بالمقام السامي اللائق بحضارتها» .

***

ويلقى د. محمد حسين هيكل كلمة كما يلقى حفني محمود كلمة ، ويتحدث حافظ رمضان رئيس الحزب الوطني عن ضرورة الوحدة الوطنية القومية في أمثال هذه الأزمات ويشرح الأضرار التي تعود على البلد فيما لو لم تأخذ في تنظيم صفوفها .

وتعلق الصحف البريطانية على العدوان على بيت محمد محمود ويشير مراسل « الديلي هيرالد » الخاص في القاهرة الى الاعتداء على حفيد محمد محمود ويرثيه ، كما تشير الى سخط الأحرار الدستوريين على الحملات العنيفة التي يدبرها الوفديون ضدهم ويشير الى تهديد الأحرار الدستوريين باستقدام أعداد وفيرة من الفلاحين للدفاع عن محمد محمود باشا وليردوا عنه عدوان المعتدين ، ما دامت الدولة عاجزة عن الدفاع عنه وحمايته

وتقول التيمس البريطانية ، انه مما ضايق النحاس باشا من محمد محمود باشا انه عارض الاكتتاب الذى دعا اليه الوفد لجمع المال للاستعانة به فى الجهاد ، وأن محمد محمود قد حذر الجمهور من تلبية تلك الدعوة لأن هذا المال سينفق فيما لا نفع من ورائه للوطن و ٠٠٠

ومرة أخرى أوضح محمد محمود باشا للجماهير التى زارته فى بيته مستنكرة الاعتداء عليه ، هدفه من تفضيل العمل من أجل الاستقلال على العمل من أجل الدستور لأنه لا قيمة أبدا لأى دستور فى بلد محتل ، وقال ان الدستور ليس الا بمثابة « محلل » يراد به الوصول الى الحكم ، وعندما هتف أحدهم بسقوط الوفد نهره محمد محمود باشا قائلا : دعونا من يسقط هذه وقولوا : تحيا مصر دائما وقال محمد محمود أنا مستعد كل الاستعداد لأن أضحى بكل شىء فى سبيل استقلال مصر ، بل اننى مستعد أن أضع يدى فى يد مصطفى النحاس باشا نفسه للعمل وللتضحية ٠٠ كل ذلك فى سبيل الاستقلال ولكننى لن أقدم تضحية لشىء آخر دون الاستقلال ٠٠٠ » ٠

***

ويعقد الطلبة فى دار الاتحاد العام لنقابات العمال ـ ٥ ديسمبر ١٩٣٥ ـ مؤتمرا مشتركا يفتتحه الأديب فريد زعلوك ويتحدث فيه ابراهيم عثمان « كليه الهندسة » ومحمد برهام « دار العلوم » وأحمد طلبة صقر « كلية التجارة » وسهير القلماوى « كلية الآداب » وكذلك زكى علام « الحقوق » وعبد الرافع الشافعى « دار العلوم » وفى هذا الاجتماع الذى عقده الطلبة فى دار الاتحاد العام لنقابات العمال بعد أن حاصر « البوليس » المكان الذى كان سيعقد فيه المؤتمر من قبل مدرج كلية العلوم ـ قرر الطلبة مقاطعة التجار والبضائع الانجليزية واستنكار حملة الصحف البريطانية على القضاء المصرى الذى برأ ١٦٠ متهما من ١٨٠ قبض عليهم البوليس ، والاحتجاج على نقل وزارة المعارف لبعض موظفيها لأسباب سياسية !

وكان أول حكم صدر بالحبس فى قضايا التظاهر التى بدأت فى ١٥ نوفمبر ١٩٣٥ قد أصدره الأستاذ عبد الفتاح السيد وكان قد جلس فى كرسى النيابة فى تلك الجلسة الأستاذ عبد الله حسنى ، وكان الأستاذ مصطفى رياض هو الذى يتولى الدفاع عن المتهمين ٠ وكان المتهمان الثالث والرابع غائبين !

وقد بنى الأستاذ مصطفى رياض دفاعه على أن البوليس فى مثل هذه الحالات من التظاهر العنيف يقبض على أى فرد يتوسمون فيه انه كان من ضمن المظاهرة أو التجمهر ويلصقون به التهم جزافا ، يريدون أن يعودوا للقسم ، ومعهم اسلاب وغنائم لارضاء رؤسائهم فيتصيدون كل عابر سبيل ٠ ويسأل القاضى المتهم الأول عيسى السيد : انت لك كام يوم محبوس ؟ ويرد المتهم :

١٥ يوما ٠٠ ويقول رئيس المحكمة الأستاذ عبد الفتاح السيد : كفاية عليك ، والمرة الجاية مش عاوزين نشوف حد منكم هنا ، وكان الحكم بالحبس على عيسى السيد أول حكم يصدر على متظاهر ، وكان قد حكم على المتهم الثانى بغرامة ٥٠ قرشا وعلى كل من الثالث والرابع بمائة قرش وأمرت المحكمة أن تضـــاف المصاريف على جانب الحكومة ٠

***

وكان الانقسام قد بلغ ذروته بين الطلبة وخاصة طلبة الجامعة ، حيث التف بعضهم حول الوفد يؤيدونه فى رأيه وهو الاهتمام بالدستور ، والتف البعض الآخر حــول بعض الأحزاب يؤيدونهم فى رأيهم ، وهو الاهتمــام أولا بالاستقلال ، وبذلت محاولات شاقة ومضنية من أجل توحيد كلمة الطلبة ، وقد أصدر الطلبة بيانا فى ٦ ديسمبر ١٩٣٥ كان له دويه عند الرأى العام وقد جاء فى هذا البيان :

« لقد قام الشباب بحركته الأبية يوم عيد الجهاد ، صـارخا من اعتداء الاستعمار مطلقا صوته القوى داويا مجلجلا فى أنحاء العالم بعد ان نفد معــين صبره ، وتمزق آخر ستار عن رياء الانجليز وخداعهم ورأى الشباب أن خير وسيلة لمجابهة هذا العدو المشترك ، هو ان تكون صفوف الأمة كلها قلبا واحدا ، ويدا واحدة كالبنيان المرصوص ، أمام طغيانه وبهتانه ، « ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص ، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » (قرآن كريم) ٠ ولما ساروا فى طريقهم اعترضهم خلاف برىء فى الرأى أوجد بعض الأمل عند المستعمرين فى فشل حركتهم فراحوا يتغنون بذلك فى صحفهم ٠ واليوم وقد بدا من تصريــح وزير خارجية انجلترا فى مجلس العموم أمس اصرار الانجليز على اهدار حقوق الوطن رأى الطلبة من واجبهم ان يوحدوا جبهتهم ، ويجمعوا كلمتهم على أن يواصلوا السعى الى :

***

أولا : الاستقلال لمصر والسودان استقلالا تاما وتحقيق جميع المطالب الوطنية ومن ضمنها دستور سنة ١٩٢٣ مؤكدين العزم على تقديم كل تضحيه مهما غلت فى سبيل ذلك ٠

ثانيا : دعوة جميع الأحزاب والهيئات الى ترك المناقشات والخلافات الحزبية وأن يوجهوا جميع قواهم الى عدو الجميع المشترك وهو الانجليز ، وأن يعملوا على تكوين جبهة وطنية قوية ضدهم ، وقد وقع على هذا البيان أعضاء اللجنة التنفيذية وهم :

كلية الطب : نور الدين طراف ، ابراهيم عبود ، أحمد عبد الله ، حسن توفيق ، قاسم فرحات ، محمود لبيب الشاهد ، حافظ حسين ، عبد اللطيف جوهر ، محمد بلال ·

كلية التجارة : محمد كامل الدماطي ، أحمد طلبة صقر ، ألفونس زكي ، عبد الله بغدادي أباظة ، أحمد حلمي ·

كلية الحقوق : فريد زعلوك ، الظاهر حسن أحمد ، عبد العزيز الشوربجي ، زكي علام ، علي كريم ، فكتور مكرم عبيد ·

كلية الآداب : مصطفى السعدني ، سهير القلماوي ، عبد العزيز يونس ، محمود أبو رحاب ، أحمد بشير ·

كلية الهندسة : جلال الدين الحمامصي ، ابراهيم عثمان ، مصطفى السعيد ، عبد العزيز سامي ، عبد العزيز كامل ·

كلية الزراعة : حسن الأبياري ، مصطفى كامل منصور ، أحمد الدمرداش التوني ، حسين أبو حسين عزت ، عبد الوهاب عبد السلام حسن ·

كلية العلوم : محمود لاشين ، سعد الدين الشيشيني ، فؤاد سالم ، حبيب المصري ، عماد الدين الشيشيني ·

مدرسة دار العلوم : محمد برهان ، فؤاد أحمد ، محيي الدين عبد الحكم ·

هذا وقد كانت المانشتات الرئيسية التي تصدرت صحف يوم السبت ٧ ديسمبر ١٩٣٥ تحمل عناوين كثيرة من بينها : « الطلبة يصدرون قرارا وطنيا رائعا يزول به انقسامهم » · ويكتب الأستاذ حمادة الناحل كلمة يعقب بها على البيان الذي أصدره الطلبة جاء فيها :

« بين ذرف الدموع على أرواح أزهقت ، وجهود بذلت ، ووحدة تفككت وما كان الاختلاف الا في سبيل عقيدة أو فكرة ، ثم ما كان التلاقي الا لأن العقيدة والفكرة تركزتا في الوحدة فاستحالتا قوة يجردها الوطن فاذا بها سلاحه البتار ·· شكرا للعناية الالهية ان عاد الى الشباب وحدته ، والى الروح جديته « واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا » · ومن ثم ·· هأنذا حيث عهدني اخواني أعمل مع الجماعة في سبيل مصر ، ومن أجل قضيتها راجيا من المولى جل وعلا أن يهبني من الايمان ما أستطيع به أن أكون المصري الذي يعرف واجبه في كل حين » ·

***

ونستأذن في الانتقال الى تعقيب آخر وافانا به د· محمد بلال :

● تعقيب من الدكتور محمد بلال

السيد الأستاذ صبرى أبو المجد ..

● فى متابعتى لحلقات سنوات ما قبل الثورة لا يفوتنى ورغم انشغال الأذهان بالظروف السياسية الداخلية .. ان أعقب على كثير مما جاء ذكره . وذلك بوصفى واحدا ممن شهدوا تلك الحقبة وأسهموا بقسط فى أحداثها . ولا يخفى أن نضال الشباب قبل ١٩٥٢ يمثل حلقة خالدة فى تاريخ مصر وجزءا نابضا فى وجدان من عاشوا تلك الحقبة وأحب أن أبدى الملاحظات التالية :

أولا : كان الشهيد الأول لثورة شباب ١٩٣٥ من العمال وليس من الطلبة هو اسماعيل الخالع وقد دفن فى مدافن زينهم وليس فى مكان مجهول ..

ثانيا ــ الاسم الصحيح لشهيد كلية الزراعة صباح ١٤ نوفمبر هو محمد عبد المجيد مرسى .. وقد دفن فى مدافن العمود بالاسكندرية .. ولم يكن الذين صحبوا جثمانه مع رجال المباحث أقارب مزعومين كما ورد فى الحلقة المذكورة بل كانوا من أسرته ولكنهم تحت تهديد رجال البوليس أخفوا شخصيتهم ..

ثالثا ــ الشهيد الثالث ــ على طه عفيفى من دار العلـوم والذى سرقنا جثمانه .. كيف يتفق مع السرد السليم ان ينزل عميد الكلية ورجال المباحث يفاوضوننا على اظهار الجثمان قبل ان يخطرهم الحانوتى بنبأ اختفائه بعد الظهر ؟ ومن هو الطالب الذى فتش البوليس منزله بحثا عن الجثمان ؟ وماذا وجد فى منزله ؟ وما هو الاتفاق الذى تم بيننا وبين العميد ووكيل الداخلية والحكمدار خاصة بتشييع الجنازة ؟ الوقائع هى أن تواجد البوليس بالكلية وحصاره لها كان قائما منذ ١٤ نوفمبر وأن تصور البوليس أن الجثمان أخرج من الكلية كان سذاجة وان تفتيش منزلى بالمنيرة وبجوار الكلية بعد كسر أبوابه كان بعيدا عن العقل مما ركز حملة البحث عن الجثمان داخل الكلية بعد الظهر دون جدوى .. وأن من شروطنا للافراج عن الجثمان كان دعوة الهيئات وفى مقدمتهم رجال الأحزاب للاشتراك فى تشييع الجثمان وكان ذلك سابقة أتبعناها فى الجنازة التالية لشهيد كلية الآداب وفكرة آمنا بهـا للتقريب بين الزعماء وحشدا لمشـــاعرهم حول استشهاد أبنائهم من الطلاب اعدادا لقيام الجبهة الوطنية التى حققناها وكان الثمن هو أرواح شهدائنا الأبرار .. وكان لقيام تلك الجبهة دورها المعروف فى مواجهة الانجليز وعقد معاهدة ١٩٣٦ . وقد شيع الجثمان المخطوف قبيل الغروب فى مسجد السيدة زينب ودفن فى مدافن المجاورين .

رابعا : شهيد كلية الآداب هو محمد عبد الحكم الجراحى وليس كما جاء بالمقال محمود عبد الحكم وهذا الأخير كان طالبا بالصناعات الميكانيكية أصابه

طلق نارى من كونستابل انجليزى فى مظاهرة تالية بعد ١٤ نوفمبر وبعد حادث كوبرى عباس الثانى وأدخل المستشفى ثم أخرج بعد شفائه وقد اشتهر بأن الرصاصة اخترقت صدره بين الأوعية الكبرى للقلب وقدرت له النجاة ليعيش ويناضل من جديد ٠٠ وليس شهيد الآداب محمد عبد الحكم الجراحى صاحب السيرة الوطنية المعروفة مما يجهل اسمه بين الشهداء الأبرار وقصة استشهاده وبطولته لحظة احتضاره وخطابه لرئيس وزراء انجلترا ٠٠ حقائق لا ينساها التاريخ ٠٠

***

ولا بد أن أشير هنا الى ان فى حلقاتى السابقة للمصور عن ثورة ١٩٣٥ وبناء على طلبكم قد سردت تلك الوقائع تفصيلا وزودت المصور بمجموعة من الصور التاريخية وذكرت ان لدى أفلاما تسجيلية قامت بها كلية الطب واحتفظ بها للآن وأنها رهن اشارة هذا الجيل للعرض والعودة الى ذلك العهد الذى لا ينسى ٠ ولقد كان سردى للوقائع ينبع من أعماقى كواحد ممن احتوتهم تلك الثورة واندمجوا فى أحداثها بكل وجدانهم وايمانهم ـ سردتها يوما بيوم وواقعة بواقعة ومن مواقعها المختلفة هنا وهناك ٠٠

***

هذا عن أحداث ثورة الشباب ١٩٣٥ فى المقال المذكور غير أن هناك الكثير به من متناقضات ٠٠ منها :

أولا : ان الوزارة النسيمية لم تسمح لأى من الأحزاب بالاحتفال بذكرى عيد الجهاد الوطنى فيما عدا الوفد ٠٠ فهل يطابق الواقع التاريخى ذلك ؟ ٠٠

ثانيا : جاء فى الحلقة المذكورة ان مقالا نشر فى مجلة روز اليوسف بتاريخ ١١ نوفمبر سنة ١٩٣٥ ان وفدا من جماعة مصر الفتاة قابل دولة مصطفى النحاس باشا وانهم خرجوا من لدن الوفد مغضوبا عليهم لأنهم يدعون الى الغاء الامتيازات الأجنبية ويفكرون فى القومية الوطنية ويحاربون اللهو والانحلال ٠٠ ولست أدرك أى حكمة تاريخية يراها « المصور » فى اعادة نشر هذا المقال ضد الزعيم الذى ألغى الامتيازات الأجنبية فى مونتريه والرجل الذى عرف عنه استقامة الخلق وصلابة الجانب الدينى فى حياته ٠٠

ثالثا : ذكرت « الحلقة » أن مصطفى النحاس أعلن فى ١٢ نوفمبر ١٩٣٥ توجيه الدعوة للأمة جميعها بعدم التعاون مع الانجليز لأنهم اعتدوا على الدستور والاستقلال وأن كل وزارة تقبل التعاون مع الانجليز خارجة على البلاد ويقاومها الوفد بما يستطيع ٠ وطالب بعودة دستور الأمة ناجزا وفورا مع استقلال البلاد ٠٠ وقال موجها الخطاب للمواطنين : « عرفتم ما يراد بدستوركم وبيبيت

لقضيتكم وهذا يوم الجهاد والتضحية فاجمعوا على الجهاد أمركم واعقدوا على التضحية عزمكم ولن تغلو تضحية من أجل مصر » ٠

أو ليس عجيبا ومثيرا ان تختتم الحلقة حديثها عن مصطفى النحاس بمقال لصحيفة « الأوبزرفر » ان الوفد لم يتكدر من موقف الانجليز من الدستور فى تصريح هور لأنه كان عالما بها منذ ستة أشهر وان الوفد يريد بقـــاء الوزارة النسيمية أكثر مما يريد الانجليز ٠

دكتور محمد بــلال

وتعقيب على التعقيب

سمحت لنفسى ولأول مرة فيما يتعلق بتعليقات د٠ محمد بلال ، أن أحذف بعض الكلمات مثل كلمات الاهواء ، والظنون ، والوجه غير المنسق وغير الدقيق ، والأمور التى لا يستسيغها الذوق الوطنى ، والتناقض المقيت ، والخروج عن القيم التاريخية والخلقية ٠٠ كما اننى سمحت لنفسى بحذف بعض العبارات التى تسىء الى بعض زملاء الدكتور بلال الذين شــهدوا مثله الفترة وشـــاركوا مثله أيضا فى صنع بعض أحداثها ، وهدفى من كل ذلك ألا أخرج عن الخط السليم الذى اختططناه لأنفسنا فى تلك السلسلة الوطنية التى حظيت ولله الحمد ، بتقدير المصريين جميعا على اختلاف نزعاتهم واتجاهاتهم الحزبية وغير الحزبية والذى لا يريد د٠ بلال أن يفهمه اننا ، ونحن نحاول الكتابة عن تاريخ تلك الفترة لانأخذ جانبا معينا ولا ننحاز الى حزب دون آخر فنحن مع الحق ، ومع التاريخ العام ولسنا أبدا مع هذا الزعيم أو ذاك والذى أخذه على الدكتور بلال اننا عندما نمجد الوفد نكون منصفين وعادلين ، وعندما نسجل بعض أخطاء الوفد نصبح فى رأيه مجافين للحقيقة خارجين على المعانى القومية والقيم التاريخية والخلقية ٠ والذى لا يريد د٠ بلال أن يفهمه اننا ننقل وجهات نظر مختلفة عبرت عنها وقتئذ صحف مختلفة الآراء والاتجاهات ، وليس من الضرورى اننا عندما ننقل رأيا معينا نكون مؤمنين به أو مقتنعين به ، وفى أحيان كثيرة نحن نحرص على أن نفسر الرأى ونقيضه فى وقت واحد ، كما اننا لا نكتفى بأن ننقل وجهات نظر المصريين تجاه حادث معين وانما ننقل رأى الانجليز أيضا باعتبارهم أصحاب السلطة الفعلية فى كل ما يتعلق بأمور مصر ٠ صغيرها وكبيرها ، ونحن عندما نكتب عن تلك الأحداث التى حدثت فى مصر نكتب عنها على أنها جزء من التاريخ وهى ليست ملكا لمن شاركوا فى تلك الأحداث فقط وانما هى ملك للشعب كله وللحق وللتاريخ أيضا ٠٠

واذا كنت قد أبحت لنفسى أن أحذف من كلمة الدكتور بلال بعض الكلمات والعبارات فقد سبق أن أبحت لنفسي ألا أنشر تعليقات كثيرة عما كتبه د٠ بلال

لأنها كانت تحتوى على عبارات جارحة ، ولأنها كانت تستهدف تصفية حسابات قديمة بين بعض المشاركين فى القمصان الزرقاء وبين البعض الآخر منهم ، وليس لى من تعليق على ما ذكره د٠ بلال ، الا اننى وأنا أعود الى صحف تلك الفترة بين وقت وآخر لا أنقل الا ما جاء فى تلك الصحف التى كانت آراؤها فى الأحداث وقتئذ هى تلك الآراء التى نقلتها ، أما اننى نقلت مقالا للأستاذ فتحى رضوان عن رأى مصر الفتاة وقتئذ فى مصطفى النحاس فلم يكن الهدف منه ايذاء سمعة مصطفى النحاس ، الذى قرأ المقال وقتئذ ولم يحتج بشدة وبعنف على المقال ولم يوجه تهمة الحقد والكراهية لكاتب المقال وناشره كما فعل د٠ بلال واذا كان الهدف اعطاء صورة صحيحة وصادقة لاتجاهات الرأى العام فى مصر وقتئذ ، أما قولنا بأن الوزارة النسيمية قد سمحت للوفد بأن يحتفل بذكرى ١٣ نوفمبر دون بقية الأحزاب الأخرى ، وتساؤل د٠ بلال بقوله : هل يطابق هذا الكلام الواقع التاريخى ، فنحن نقول للدكتور بلال ان أى رأى فى هذه السلسلة ليس منسوبا الى أحد ، انما هو رأينا وهو صادق مائة بالمائة ، والحقيقة ان الواقع التاريخى يقول ما قلناه ٠٠ لقد صادرت وزارة نسيم باشا حق الأحزاب الأخرى غير الوفد فى الاحتفال بذكرى ١٣ نوفمبر ، وكان عباس محمود العقاد قد أعد قصيدة ليلقيها فى احتفال الجزيرة ، فلما صودر الاحتفال اكتفى بنشر تلك القصيدة فى روزاليوسف ، وكان أحمد حسين وفتحى رضوان قد أعدا بدوريهما كلمتين لالقائهما فى الاحتفال فلما حيل بين مصر الفتاة وبين الاحتفال بالذكرى اكتفيا بنشر الكلمتين فى الصحف ، واذا كان د٠ بلال لا يصدقنا فما عليه الا أن يخطف رجله ويذهب الى دار الكتب ليطلع على « المخطوطات » من صحف ذلك العهد ٠ وأخيرا وليس آخرا ، فليتأكد د٠ بلال وغيره اننا فى كل ما نكتبه ، ومنذ أكثر من ثلث قرن نروى بالقسطاس سيرة الأجيال ٠

صبرى أبو المجد

ونعود الى ثورة جديدة قام بها شباب ١٩٣٥ ٠

الفصــل الخامس

ثورة جديدة من ثورات الشباب عام ١٩٣٥

● سبق أن رويت بعضا من تصرفات أحزاب مصر حيال بعضها البعض في منتصف الثلاثينات وفي الصفحات التالية نقرأ معا كيف كانت بريطانيا المحتلة تسوس هذه الأحزاب » ٠

والغريب ان يختلف الزعماء حول من تكون له الأولوية ، الدستور ، أو الاستقلال في الوقت ، الذي لا يكون فيه الدستور الا في أيدى الانجليز ، ولا يكون فيه الاستقلال الا في أيدى الانجليز أى ان خلافات الزعماء ، واختلافاتهم لم تكن على أمور هم قادرون على تحقيقها أو انها في ايديهم وانما كانت في أيدى الانجليز ٠

وقد ذكر أحدهم زعماءنا وشبابنا في تلك الأيام ، بحكاية جحا وبنت السلطان ، والحكاية ــ كما رواها ذلك « الواحد » ان جحا طلب من أصدقائه ، وأهله ان يستعدوا ليوم زفافه الذى سيتم بعونه تعالى بعد أيام ، وراح الأهل والأصدقاء ، يتسابقون في الجود بالموجود وغير الموجود وقال الأهل ، ولكن يا جحا من تكون تلك سعيدة الحظ ، التى هيأتها الاقدار ، لتكون شريكتك في الحياة ، فقال جحا ، الا تعرفونها ؟ قالوا : لو عرفناها لما سألناك عنها ، قال ، اعرفوا اذن انها بنت السلطان فقال الجميع في صوت واحد بنت السلطان ؟ قاتلك الله ألا تترك المزاح يا جحا ، ولو كان من ورائه الخسائر والدمار ، وقال جحا : وأى مزاح في هذا : أقسم لكم ان المسألة أوشكت على الانتهاء ، لقد رضيت بها زوجة ولم تبق الا موافقتها وموافقة أبيها السلطان ٠٠

وزعموا ان ساستنا المصريين يتنازعون حتى اليوم على ما يجب ، ان توجه اليه جهود الشباب لا جهود الساسة ، الكبار ، وقالت الأمة المجاهدة لساستها الكبار : ما الذى ترونه الآن يا ساسة ، في ضوء هذه الدماء التى سالت بالقتلى،

والجرحى من الشباب ؟ فقال الساسة الكبار انتهى كل شىء ولم يبق الا الاتفاق ، على ايهما يجب ان يكون هدفا للجهاد استقلال البلاد المفقود أم دستورها ، الموعود ، وظل الساسة الكبار ، وهم ، على هذه الحالة من الهزل والمزاح ، ينتظرون من أنفسهم عملا جديا انتظار ، جحا لبنت السلطان ٠

★★★

ولأول مرة ، يمنع البوليس ، أصحاب القمصان الخضراء ، من ارتداء ، قمصانهم ويحتج مجلس جهاز مصر الفتاة ، على هذا المنع ٠

وتنشر الصحف نص خطاب أرسله اسماعيل صدقى باشا الى مصطفى النحاس باشا ومحمد محمود باشا بصفته الشخصية ، وليس بصفته رئيسا لحزب الشعب !

ومن بين فقرات خطاب اسماعيل صدقى باشا تلك الفقرات :

★★★

« لعل دولتيكما لا تريان فائدة تذكر من تبادل شديد الكلام ، بشأن التقديم ، والتأخير فى أمر الدستور ، ٠٠ ان المسألة لم تعد مسألة تقديم ولا تأخير ، بل أصبحت بيننا وبين بريطانيا ، مسألة دستور ، ومسألة استقلال لهذا الدستور ٠ الذى تبدى فيه الحكومة البريطانية ، رسميا بعض الآراء ، لا يمكن ارجاء التكلم فيه الى حين ، والاستقلال الذى لا يرى الانجليز انه قد جاء وقت الكلام فى استكماله ، لا يصح الاسترسال فى البحث فى تعجيل الكلام بشأنه واثارة الخلف فيما بين نواحى الرأى العام ، على هذين التقديم ، والتأخير ٠

أهيب بدولتيكما ان تجددا معى دعوتكما الى اتحاد الأمة فى هذا الوقت الخطير من حياتها العامة ، وان تتعاهدا ، معى على ان ينسى كل منا ما بينه ، وبين أخيه مما يرجع معظمه الى اعتبارات أصبحت لا تتفق والمصلحة العامة ، وأحسب ان وطنية كل منا ستنير أمامه سبيل الحق ، والمصلحة فلا يفكر منا أحد ، فى غير مصر ، العظيمة الخالدة ، التى تتألم الآن من انصراف أبنائها عن خدمتها ولا يزهو ، أحدنا بأكثريته ، أو بكفايته ومقدرته ، واننا جميعا نكمل بعضنا بعضا ، ويشد بعضنا أزر بعض ، اذا نحن اجتمعنا فى صعيد البحث والمشاورة ، بل وأسمح لنفسى ، أن أدعوكما للنظر فى اجتماع ثلاثتنا لهذا الغرض كما أرى ان لصاحب الدولة مصطفى النحاس باشا وهو أقدمنا عهدا فى المركز الرسمى ، الذى يشغله فى البلاد ، ان يدعو صاحب الدولة محمد محمود باشا ، ويدعونى لنخلو ، بعضنا ببعض موطنين النفس على اسقاط

حساب الماضى من بيننا ، ماضين بعد هذا الى التفكير فى الخطة ، التى ندعو أنصارنا وباقى أصحاب الرأى فى البلاد ، الى نهجها ٠٠ » ٠

وتدعو الصحف البريطانية ، الأحرار الدستوريين وبقية الأحزاب المصرية الأخرى الى عدم التنافر ، والتشاجر ، لأن ذلك يبعد مصر عن المفاوضة ــ كما تقول مجلة الايكونومست البريطانية ، كما أن من سوء حظ مصر ، ثانيا ، أن يبقى الزعماء ، فى اختلاف وشـــجار ، وتمضى الايكونومست البريطانية فى تعليقها على الأحداث الجارية فى مصر قائلة : ونحن نأمل أن ينجح الوفد ، ونسيم باشا ، ومحمد محمود باشا ، فى تكوين جبهة متحدة ، للوصول ، الى مفاوضة حرة ، يتفق فيها الطرفان ، على تسوية مرضية سارة » ٠

***

ويدعو الأستاذ العقاد ، نسيم باشا ، رئيس الوزارة المصرية الى أن يستقيل احتجاجا ، على تصريح الحكومة البريطانية عسى أن يكون فى هذا الاحتجاج ، بعض التكفير ويدعو الساسة المصريين الى رفض الحكم ، بعد استقالة الوزارة النسيمية وعدم قبوله ، الا على أساس احترام الحقوق ، المصرية ٠ وتسليم الدفاع عن البلاد فى هذه الأزمة العالمية ، الى أيدى المصريين وواجب الساسة ــ كما قال العقاد أيضا ــ أن يتفقوا على انقاذ الدفاع عن البلاد من أيدى دولة أجنبية ، واقامته ، على أساس الاستقلال ، وأن يتفقوا ، فى الوقت نفسه على تحريم ، المساس بدستور ٢٣ ، لأن التسليم فيه برأى الانجليز خيانة للاستقلال٠ ويدعو ، العقاد الزعماء الى الاتفاق ، وعدم فتح الجروح ، الماضية ، اتفقوا ، أولا وأفتحوا ، كل باب يؤدى الى الوفاق ، فذلك ، أجدى ، وأوجب فى فتح هاتيك ، الأبواب التى لا ينفذ المصريون منها الى مطلب واحد فى استقلال أو دستور أو ما دون الاستقلال والدستور وانما ينفذ منها الانجليز الى كل ما يريدون كما نفذوا من قبل كل ما أرادوه ، اتفقوا ، اتفقوا وأنت أيتها الأمة قديرة عليه ٠٠ الاتفاق فذلك هو الحق ، وذلك هو الواجب وانت أيتها الأمة قديرة عليه ٠٠

ويسافر الأستاذان أحمد حسين وفتحى رضوان على ظهر الباخرة النيل الى أوروبا لنشر الدعاية للقضية المصرية ٠

وتتصاعد حركة الشباب المصرية ، لتضغط على الزعماء والقادة المصريين لكى يتفقوا ويزداد احتكاك البوليس بالشباب ، ويصاب ــ عند منيل الروضة ــ الضابط الانجليزى لوكاس بك مساعد حكمدار العاصمة ، فى رأسه ، وينقل الى مستشفى الانجلو أمريكان بالجزيرة ، فى حالة خطرة ٠

ويذهب رسل باشا حكمدار العاصمة ومعه قوة بوليس كبيرة ، الى منيل الروضة حيث أصيب لوكاس بك ، وتحاصر القوة جميع المنازل التى وقعت

المظاهرات أمامها ، وتفتش منزل السيد أحمد أبو الفضل الجيزاوى عضو الهيئة الوفدية ، ويعتقل البوليس شقيق زوجه وهو من طلبة المدرسة الخديوية .

وتشتعل المظاهرات ليلا ، ويعتقل البوليس فى قسم واحد ، هو قسم الموسكى ، ٨٤ شابا ، ويشرف النائب العام ، على التحقيق حتى ساعة متأخرة من الليل .

★★★

وكانت مظاهرات الشباب ، قد بدأت تتصاعد ـ وبشكل عنيف ـ مع صبيحة يوم السبت ٧ ديسمبر عندما رأى الجامعيون تخليد ذكرى شهدائهم ، الذين سقطوا ، فى ساحة النضال ، فأعدوا نصبا تذكاريا تمثل أضلاعه السبعة كليات الجامعة ، المختلفة وتقوم أسماء الشهداء عليه معبرة عن جهود الشباب ، وكان الجامعيون ، وقد اعتزموا ازاحة الستار عن هذا النصب فى حرم ، الجامعة يوم ، السبت ٧ ديسمبر ـ قد خافوا ما عسى أن يكون البوليس ، قد بيت لهم ، من أسباب تحول بينهم وبين اقامة النصب التذكارى ، فعمدوا من جانبهم الى حمله ، على سيارة كبيرة ، من سيارات النقل ، ومضوا به تحت جنح الليل حتى بلغوا أبواب الجامعة ، ففتحوها دون عناء ، ثم أقروا النصب التذكارى تحت شجرة كبيرة وراحوا يسدلون عليه أوراق الشجر ، وأغصانه حتى لا يلتفت اليهم فى الصباح ، وشاء جماعة منهم ان يكونوا الى جانبه حفظة عليه ،وحراسا ، ولكنهم رأوا فى آخر الأمر أن يتركوه فى حراسة الليل ، بل فى حراسة الحرم الجامعى ، بل فى حراسة الله ، فلما جاء صباح السبت أخذت قوات كبيرة من بوليس الجيزة يلبس أفرادها الملابس (الجاكية) وكانوا مشاه ، وفرسانا يتسلحون فى أيديهم بالعصى ، الغليظة ، وعلى رءوسهم ، الخوذات ، أخذت قوة هائلة فى محاصرة الجامعة المصرية والشوارع المؤدية اليها احتياطا لما عسى ، آن يكون ، وراح الجامعيون يقدمون الى حرمهم المقدس من كل صوب وينتهون اليه من مختلف الكليات استعدادا ، لرفع الستار ، عن النصب التذكارى الذى أقيم عند مدخل الجامعة ، تخليدا لشهدائها الأبرار ، وتجمعت جموع الشباب فى فناء الجامعة حتى أربى عددهم على الألفين وفيهم طالبات الجامعة جميعهن وأخذوا يهتفون بالهتافات الوطنية والعدائية ضد الانجليز ، وتصريحى السير صموئيل هور واقبل الجامعيون على الموضع الذى أقروا فيه النصب التذكارى وراحوا يحملونه بين أحر ، الهتافات وأروع النداءات وأخذوا يتجهون به الى الحديقة ، التى تتوسط كليات الجامعة وبين زمرة من الزهر ، والشجر أقروا النصب الخالد ، ثم انصرفوا الى الصمت ، دقيقتين حدادا وراحوا ، بعدئذ ، يهتفون ، ويخطبون وينشدون ! واستجاب أحمد لطفى السيد ، مدير الجامعة ، الى طلب الجامعيين فى ان يشترك ، واياهم فى ازاحة الستار ، عن النصب التذكارى ونزل من مكتبه وقال وهو

يشترك فى عملية ازاحة الستار : اننى أحيى فيكم هذا الاتحاد الجامعى وتلك القوة الجامعية التى ظهرتم بها ولى الشرف العظيم ان ازيح معكم الستار ، عن هذا النصب ٠

★★★

واتجه الجامعيون ، الى كلية الزراعة ليزيحوا الستار عن النصب التذكارى ، الخاص بشهيدها محمد عبد المجيد مرسى ، وكذلك شرعوا فى الاتجاه الى مدرسة دار العلوم ، لازاحة الستار عن لوحة رخامية ، كتب عليها اسم ، على طه عفيفى ، شهيد المدرسة فاذا بهم يجدون مصلحة الكبارى ، بتعليمات من البوليس ، قد فتحت كوبرى عباس حتى لا يستطيع الجامعيون ومن معهم من الطلاب اجتيازه الى القاهرة ، ولكن الطلاب راحوا يحاولون اغلاق الكوبرى معتمدين على جهود بعض طلاب كلية الهندسة ، ومدرسة الصناعات ، وقد تمكنوا من اتمام مهمتهم بنجاح ولكن البوليس ، كان لهم بالمرصاد ، عندما اجتازوا كوبرى عباس ووجهوا بقوات البوليس التى أعدتها القاهرة لاستقبالهم : وكانت معركة كبيرة وخطيرة ، الطلاب بأسلحتهم ، وهى الحجارة ، والبوليس بالبنادق والعصى ٠

وفيما يلى تعقيب حول أول مدرسة تظاهرت بعث به الينا الأستاذ بولس نخلة جرجس ٠

مدرسة التجارة المتوسطة بالمنصورة ٠٠ أول من تظاهر

● قلتم مدرسة التجارة المتوسطة بالمنصورة كانت أول من تظاهر احتجاجا على تصريح هور وزير خارجيـة بريطانيا ويشرفنى أن أذكر اننى أول من نادى بسقوط هور صبيحة يوم ٩ أو ١٠ نوفمبر ١٩٣٥ لا أذكر ثم انتقلنا بالمظاهرة الى شارع المدارس وبه مدارس الرشاد والصنايع والثانوية ٠

وأذكر أيضا ان البوليس أطلق علينا النار أمام المدرسة الثانوية وأصيب الكثيرون ونقلوا للمستشفى الأميرى ٠

وأذكر أيضا انه فى الليلة الأولى استشهد أحد الطلبة فما كان من البوليس الا ان أخذ جثته ونقلها لبلدته المجاورة للمنصورة ودفنه سرا ٠

وهنا اجتمعنا « لجنة الطلبة » وقررنا عمل حراسـة مشددة على باقى المصابين بالمستشفى وفى اليوم التالى استشهد الطالب الثانى وكان فى السنة الأولى الثانوية ومما يذكر ان والده القاضى بالمحكمة الأهلية كان قد ألحقه بمدرسة المنصورة الثانوية من شهر تقريبا تفاديا لوجوده بالقاهرة لكثرة المظاهرات ولكن شاء قدره أن يستشهد فى المنصورة ــ وقد حاصرنا المشرحة فور نقله اليها

وشددنا الحراسة عليها واجتمعنا فى نفس الليلة وقررنا تنظيم جنازة وتفويت الفرصة على البوليس لتكرار عملية التهريب ـ وقد كانت فعلا جنازة هائلة اشترك فيها الى جانب جميع طلبة المدارس بعض الهيئات من التجار والمدرسين والمحامين والأهالى وكانت الهتافات تشق عنان الســماء مهما اضطر البوليس لمحاصرتها دون تفريق خوفا من العواقب الى أن اخترقنا المدينة ووضعنا الجثمان فى سيارة اسعاف حيث نقلتها للقاهرة لدفنها فى مقرها الأخير ٠

أما عن الشق الخاص بالقبض علينا فأذكر اننا « لجنة الطلبة » فى اجتماع لترتيب مظاهرات اليوم التالى وأذكر ان الاجتماع كان بمنزل الزميل عثمان الجواهرجى عضو اللجنة وعند خروجنا حاصرنا البوليس ونقلنا فى لورى لقسم البوليس الذى احتجزنا لليوم التالى حيث حضر محمد باشا الشمناوى عضو الوفد ومعه المرحوم الفريد قسيس المحامى والدكتور حلمى الجيار وبعدها أفرج عنا بالضمان والتعهدات ـ الا اننا بعد خروجنا وجدنا أوامر الفصل فى انتظارنا لمدة ١٠ أيام وانذارا بالفصل النهائى عند العودة للتظاهر ٠

هذا ما أردت ايضاحه

بولس نخله جرجس

بالمعـاش

ص٠ب ٣٩ أسيوط

الفصـــــل السـادس

وزير المعـارف أصدر قـرار اغـلاق الجامعـة

من حــانة ســان جيمـس

سبق أن وقفنا عند صبيحة اليوم السابع من ديسمبر ١٩٣٥ عندما صمم شباب المدارس والجامعة على أن يحتفلوا رغم أنف السلطات الحاكمة بازاحة الستار عن النصب التذكارى لشهداء لجامعة ، بل شهداء مصر ، كلها ٠

وقد قلنا ان الشباب المصرى قد احتفل بازاحة الستار عن النصب التذكارى احتفالا رهيبا ، شارك فيه ، ولا نقول اشرف عليه مدير الجامعة وقتئذ الاستاذ أحمد لطفى السيد ، وكان اجماع الشباب على التواجد فى الحرم الجامعى فى صبيحة ذلك اليوم مفاجأة مذهلة لسلطات الاحتلال البريطانى ، ولوزارة توفيق نسيم باشا بالذات التى بادرت باتخاذ أعنف الاجراءات البوليسية ، لتحول بين الشباب المصرى فى الجيزة وبين الوصول الى مدرسة دار العلوم بالقاهرة لمشاركة طلبتها فى الاحتفال بازاحة الستار ، عن اللوحة التذكارية التى تحمل اسـم شهيد دار العلوم بل شهيد مصر كلها على طه عفيفى ٠

وكان من بين الاجراءات البوليسية التى اتخذتها وزارة توفيق نسيم باشا بالاتفاق ـ بالطبع ـ مع دار المعتمد البريطانى فتح كوبرى عباس الموصل بين الجيزة ، وبين القاهرة ٠

وقد تمكن الطلاب من اغلاق الكوبرى بالاسـتعانة بجهود طلبة كليــة الهندسة ، وطلبة مدرسة الصناعات ٠

ولم يكد الطلبة ينجحون فى عبور الكوبرى ويصلون الى منيل الروضة حتى وجدوا رجال البوليس فى انتظارهم ومعهم بنادقهم ، وعصيهم الغليظة ، ولم يكن مع الطلبة من أسلحة الا الطوب ٠

ولعل أهم المفارقات العجيبة أن لجنة الطلبة التنفيذيــة العليا فى احـد اجتماعاتها قد قررت فتح اعتماد بمبلغ ثلاثة جنيهات لشراء طوب يتسلح به الطلبة

فى مظاهراتهم اتقاء لعصى رجال البوليس ، وبنادقهم وكان بعض زعماء الطلبة قد احتفظوا بصورة من هذا القرار الخاص بفتح اعتماد لشراء الطوب ٠

وقد طلبنا من بعض هؤلاء الزعماء موافاتنا بصورة من هذا القرار ، ولم يتيسر لنا حتى كتابة هذه السطور الحصول على صورة من القرار المكتوب ، ونحن نرجو ممن توجد لديه صورة من القرار موافاتنا به لنقله ورده الى أصحابه لأنه فعلا أول قرار من نوعه في تاريخ لجان الطلبة فى العالم ٠

★★★

وقد أطلق البوليس النار على الطلبة الذين لم يستطيعوا جميعا ، الوصول ، الى مدرسة دار العلوم ، حيث كان الطلبة قد راحوا منذ الصباح الباكر يخطبون شعرا ، ونثرا ، منتهين الى اتخاذ القرارات التالية : تأييد بيان اللجنة العليا ، والاستمرار فى الحركة الوطنية ، حتى تتحقق مطالب البلاد ووضع اللوحة التذكارية لشهيد دار العلوم ٠

وقد احتفل الطلبة بازاحة الستار عن اللوحة التذكارية المقامة على باب المكتبة فى صمت ، ثم خرجوا فى مظاهرة عنيفة اشترك فيها بعض الأهالى ٠

وكان من بين الطلبة الذين اعتقلهم البوليس يحيى ابراهيم شاهين ، الذى أتهم بالاعتداء بالسب على الملازم أول اسماعيل ابراهيم ضابط مباحث قسم السيدة زينب عندما رآه يحاول ضرب زملائه وكان قد هرب الى مدرسة دار العلوم، غير أن ناظر المدرسة قد أرشد البوليس عن اسمه ، لاعتقاله ٠

وكانت مظاهرات أخرى قد نشبت فى كثير من أحياء العاصمة : فى الروضة ، فى العباسية ، فى شبرا ، فى الموسكى ٠٠ هذا فى الوقت ، الذى كان يقف فيه بعض الشباب ٠٠ أمام المحاكمات المستعجلة متهمين بالتظاهر والتجمهر الخاصتين بدار محمد محمود باشا وكان يتولى الدفاع عن هؤلاء الطلبة الاساتذة سليمان عبد الحليم اليمانى ورافع محمد رافع ، ومصطفى رياض ، وزكى سرور ، وواصف ززق الله ، وعبد الرازق سلامة ، ومصطفى العسال ، ، وقد أصدر القاضى ــ عبد الفتاح حسين ــ الحكم فى قضية التظاهر بحبس كل من محسن محمد أبو طالب وجاد السيد موسى مدة شهر مع الشغل ، وتغريم محمد ابراهيم عبد الله ٦٠٠ قرش وحكم نفس القاضى فى قضية التجمهر بحبس كل من زكى الدين أبو طه ، وصبحى أحمد ، وعبد الستار الطنطاوى لمدة شهرين مع الشغل وأمر القاضى بوقف التنفيذ بالنسبة للأول ٠

★★★

وكانت النيابة ، قد قسمت قضية الاعتداء ، على منزل محمد محمود باشا الى قضيتين :

الأول خاصة بسب محمد محمود .

والثانية : اقتحام الدار واتلاف أشجار حديقتها ، وكسر أصص الأزهار وتحطيم زجاج النوافذ واتلاف ثلاث سيارات و .. و ..

وقد حدث تطور خطير فى القضية المصرية نتيجة لوحدة كلمة الشباب ، ومساعى اللجنة التنفيذية العليا للطلبة حيث صرح محمد محمود باشا لوفد من أعضاء اللجنة التنفيذية العليا بانه نزولا على ارادة الطلبة يقبل الائتلاف على أساس الدستور ثم المعاهدة وكان هذا التصريح نقلة جديدة فى سياسة حزب الأحرار الدستوريين ، الذى كان يرى المعاهدة أولا ثم الدستور .

***

وكان مما قاله محمد محمود باشا للطلبة ـ وهو قول خطير للغاية ـ :

« ان المعاهدة هى السياج للدستور ، وان الاتحاد يجب أن يكون على أساس المعاهدة حتى اذا تمت لم يبق لانجلترا ان تتدخل بأية صورة من الصور فى أمر الدستور ، ومشروع معاهدة ١٩٣٠ جاهز للتوقيع ، وأنا متفق مع دولة النحاس باشا على تأجيل مسألة السودان منذ سنة ١٩٣١ والانجليز متى رأوا فى الظروف الحاضرة ، ان وحدة مصر تحققت لتوقيع المعاهدة فانهم يرون من مصلحتهم ومصلحة مصر ومن العدل الذى تدافع عنه انجلترا ـ هكذا فى أصل التصريح !!! ـ أمام عصبة الأمم ، أن توقع انجلترا هذه المعاهدة وأنا مستعد أن أذهب غدا مع دولة النحاس باشا الى السير مايلز لامبسون كممثل لانجلترا ، فى مصر ، لنطلب ذلك ومتى فعلت انجلترا وهى لا شك تقبل متى علمت بأن توقيع المعاهدة معناه الاستعداد الصادق للوقوف الى جانبها فى الأزمة العالمية ، الحاضرة فان دستور سنة ١٩٢٣ ، يعود ، واننى لا أرى بأسا اذا أراد النحاس باشا من أن يعود برلمان سنة ١٩٣٠ وان لم يكن فيه حر دستورى واحد ليبرم هذه المعاهدة وان يوقعها النحاس باشا فالمسألة عندى أكبر من أن تتعلق بشخصى أو بحزبى ، بل هى مسألة الوطن كله فأما أن يجىء الدستور من غير معاهدة فيسأل نائب عن الاجراءات الحزبية التى تتخذ فى هذه الازمة وترى الوزارة البرلمانية القائمة أنه على حق فى سؤاله وقد يكون سببا فى الغاء الحياة النيابية وفى الغاء الدستور فذلك كلام أظنكم توافقوننى على أنه جدير بالتضحية فى سبيله » ويضيف محمد محمود باشا ، وهو يتحدث الى أعضاء لجنة الطلبة التنفيذية العليا قائلا : « ان الفرصة الحاضرة فرصة ذهبية وقد أتاحها لنا السنيور موسولينى لنربط بمعاهدة بيننا وبين انجلترا على حد تعبير الدكتور دلتون لو اننا طلبنا المعاهدة اليوم ، على ما انتهت اليه مفاوضات سنة ١٩٣٠ التى قام بها النحاس باشا لوجدنا أنصارا كثيرين جدا فى انجلترا فليكن اتحادنا على الاستقلال اذن حتى لا نضيع فرصة لا يعرف أحد متى يعود مثلها أرجوكم أن تبلغوا النحاس باشا ، صادق

تحياتي وتؤكدوا له اننى لا أرمى من وراء دعوتى الى أية فكرة ذاتية وأنا مستعد لمقابلته ، والتحدث اليه لأن التفاهم والاتفاق يكونان أدنى للتحقيق بتبادل الرأى مباشرة أكثر مما يتحققان عن طريق المفاوضة بالوساطة ومصلحة الوطن التى دعتنى لأهيب بالأمة كى تتحد تهيب بنا جميعا بعد حوادث الشهر الأخير أكثر مما كان الحال يوم الدعوة الى الاتحاد ٠٠ » ٠

***

ويصرح مصطفى النحاس لوفد من لجنة الطلبة التنفيذية العليا «بأنه يقبل الائتلاف مع دولة محمد محمود باشا بشرط أن تكون اعادة دستور ١٩٢٣ قبل ابرام المعاهدة ٠٠ » ٠

ويعلق محمد محمود باشا على تصريح هور ، الخاص بدستور ١٩٢٣ فيقول انه لمن المخجل أن يدخل رئيس الوزارة المصرية الحكومة الانجليزية فى أمر أمر الدستور ، وهو مسألة داخلية محضة » ٠

والجدير بالذكر ، أنه كان من بين خطباء دار العلوم الأديب أحمد الحوفى الذى قال ضمن ما قاله :

« لقد صرخت مصر ، وضجت من أقصاها الى أقصاها ، وجاءت ساعة الروع وفغرت القلوب فاها ، فاستبق اليها الجراحى ، والخالع ومرسى ، وعلى طه » ٠٠

***

والجدير بالذكر ــ أيضا ــ انه فى احتفال دار العلوم الذى سبق الاحتفال بازاحة الستار عن اللوحة التذكارية الخاصة بالشهيد على طه عفيفى ألقى الأديب محمود أفندى اسماعيل قصيدة رائعة جاء فيها :

مصر ظمأى وذلك الدم رى
لصداها فلا تنوحوا عليه
كم سقتنا من سلسل النيل خمرا
الم تفض كأسها سوى شفتيه
مالنا نرخص الدموع اذا ما
سفكت قطرة على شاطئيه
وهو احرى بان نسوق الضحايا
حاشدات تزف لهفى اليه

وكان من بين أبيات الشعر التى القاها الأديب الشاعر محمد أفندى برهام رئيس لجنة الطلبة التنفيذية فى مدرسة دار العلوم ــ على ما روت الصحف يومئذ :

أزجر النيل كى يضن بمائه

وليفض ساعة على شهدائه
عجبا ، جلل الأسى جانبيه
وهو يمشى كعهده فى صفائه
رب ماذا هناك حتى رأينا
كل يوم مضرجا فى دمائه !
وطن يبتغى الفكاك من الأسر
ويبغى الخلاص من أعدائه
قل لهذا الشباب ان لم يدافع
عن حماه وان وفى عن فدائه
لا تعش تحت ظله وتفيأ
غير ظلاله ، وغير هوائه
تمموا مجدكم ففى القبر ناس
وضعوا بالدماء أسس بنائه

★★★

والجدير بالذكر ، أيضا ، انه كان للاستاذ عباس محمود العقاد رأى فى ائتلاف الأحزاب نلخصه فيما يلى ، نظرا لأهميته التاريخية ونظرا لأن هذا الرأى كان من بين الأسباب التى جعلت العقاد يختلف مع رفاق دربه ومن بينهم أسرة روز اليوسف يقول الاستاذ العقاد :

« فى سنة ١٩٣٠ حصل الائتلاف بين الأحزاب المصرية ، والساسة المصريين وكان العدوان الذى تواجهه الأمة يومذاك أقل وأهون من العدوان الذى تواجهه اليوم لأن الانجليز فى ذلك الحين كانوا يتظاهرون بالحيدة فى شئون مصر الداخلية ولا يدعون لأنفسهم الحق ، فى وضع دساتيرنا واختيار المواعيد الملائمة ، لمجالسنا النيابية ، ولكنهم ينقضون اليوم ما اعترفوا به من حقوقنا حتى فى تصريح ٢٨ فبراير ويبسطون أيديهم على دواوين الحكومة كما تعودوا

فلماذا جاز الائتلاف ـ بل وجب ـ قبل خمس سنوات وامتنع بل حرم فى هذه الأيام ؟

ان الأحزاب ، لم تتغير والزعماء لم يتغيروا فى هذه السنوات لماذا قبل النحاس باشا الائتلاف بالأمس ولم يقبله اليوم ؟! انما قبل النحاس باشا ، الائتلاف بالأمس لأنه كان يحسب حسابا لزملائه فى الوفد ويعلم أنه لا يستطيع أن يسوقهم كيف يشاء الى حيث يشاء ومهما تكن من آراء فتح الله بركات وواصف غالى ، وعلى الشمسى ، وحمد الباسل ، وسلامة ميخائيل ، وفخرى عبد النور وعطا عفيفى وأصحابهم الآخرين ، فرئيس الوفد لا يستطيع أن يفرض عليهم الأوامر من عل ، وهم صاغرون وانما كان ينبغى معارضتهم كما ينبغى

معارضة الأنداد ويجرى معهم على حكم الاقناع اما الى الموافقة ، أو الامتناع فاذا أرادوا الوفاق فليس فى وسعه أن يصر على الخلاف واذا اقترحوا عليه أمرا فليس فى وسعه ، أن يرفضه ويتهاون برفضه » ٠

***

ويقول العقاد :

« الانجليز يعقدون المؤتمرات بين الدول ويستكتبون العهود ويعلمون ان كل دولة من هذه الدول تسول لها المصلحة ، أن تنقض عهدها فى يوم من الأيام ولكنهم يعلمون ان كتابة العهود على كل حال انفع ، وأسلم من ترك الأمور على عواهنها واطلاق الفوضى فى سبيلها ولولا « العهود » ، والدفاع عنها لما تغلبوا على ايطاليا فى ميدان السياسة ، العالمية واننا لنعلم انهم لا يحرصون على عهد مصون وان الدول التى وافقتهم فى توقيع العقوبات ليست بأفضل منهم فى صيانة العهود ولكن الموقف يملى ارادته على الواقفين فيه ، فيعملون للمبادىء والأصول من حيث يضمرون المصالح ، واللبانات فلماذا يا ساسة البلد ويا قادة الأراء لا تتفقون لمصلحة البلد . بحكم الموقف القهار فى هذه الظروف » ٠

« ان الموقف المتفق عليه ، ليملى ارادته ، على أصحاب الماضى المتهم وأصحاب الماضى السليم فاذا اجتمعوا الى رأى واحد فالذى يشذ عنه يضعف ويفقد الرجاء فى كل سياسة يفرضها على بلاده وهى متفقة عليه وجرمه فيها ظاهر مفضوح ، وذلك كسب للقضية الوطنية لا ريب فيه أما اذا سارت الأمور على ما نروم فقد نجح الائتلاف غاية النجاح ، وربحنا كل ما نقدره له من الارباح ولولا اننا نؤمن بحكم الموقف القهار ، لما دعونا الى الائتلاف الساسة المختلفين ونحن لا نطمئن منهم الى كثير ، ولكنهم اذا وقفوا فى الميدان ، فالفرق هنالك قريب بين الشجاع والجبان لأن الموقف يعلمهم ان الشجاعة ، أجدى لهم من الجبن وانهم يفقدون المصلحة الخاصة والعامة معا ، حين يلتفتون الى المصلحة الخاصة دون غيرها كما يفقد الجندى الشرف والحياة ، وهو يحاول ان ينجو بالحياة » ٠

***

ويلتهب الموقف ، فى البلاد ، مرة أخرى بعد التصريح الجديد لصمويل هور وبعد الموقف المخزى الذى اتخذته وزارة نسيم باشا ، ازاء هـذا التصريح وتطلق النيران على الشباب ليلا نهارا ويجتمع مجلس الجامعة ضحى ٨ ديسمبر ١٩٣٥ برئاسة الاستاذ أحمد لطفى السيد نائب مدير الجامعة المصرية ويقرر بالاجماع تأجيل استئناف الدراسة الى أجل غير مسمى ٠

وبينما كان مدير الجامعة يضع صيغة القرار دق جرس التليفون وكان المتحدث وزير ، المعارف الذى أبلغ رئيس الجامعة ان مجلس الوزراء يفكر فى أصدار قرار باغلاق الجامعة ٠

ويترك مدير الجامعة مكتبه ، ويتجه الى وزير المعارف ، ويذهب وأياه الى وزارة المالية ، ويعلن مدير الجامعة استقالته من منصبه احتجاجا على اعتداء الحكومة ، على استقلال الجامعة ٠

ويقرر عمداء الكليات وعلى رأسهم الدكتور على ابراهيم باشا عميد كليـــة الطب التضامن مع مدير الجامعة وخاصة بعد ما تأكد لهم أن وزير المعارف كان يصدر أوامره بغلق الجامعة وكان يتصل بادارة الأمن العام بصدد الجامعة وجوانبها من حانة سانت جيمس المعروفة بشارك الفى بك ٠٠

ولكن ماذا كان موقف لندن من غضبة الشباب المصرى ؟ هذا ما سنحاول الرد عليه ونحن نكمل حديثنا عن ثورة الشباب ٠

الفصل السابع

بريطانيا تثور لغضبة شباب مصر

سبق أن ذكرنا أن مجلس الجامعة المصرية برئاسة الاستاذ أحمد لطفى السيد قرر فى الجلسة التى عقدت فى ٨ ديسمبر ١٩٣٥ : « تأجيل استئناف الدراسة فى الجامعة الى أجل غير مسمى » وان مجلس الوزراء قرر « اغلاق الجامعة » وقد رأى مدير الجامعة وأعضاء مجلسها أن قرار مجلس الوزراء يعتبر تدخلا معيبا فى شئون الجامعة كما يعتبر اعتداء صارخا على استقلالها : صحيح أن الرئيس الأعلى للجامعة هو وزير المعارف ولكن من المعروف انه ليس من حق هذا الرئيس ولا من حق مجلس الوزراء مجتمعا أن يتخذ أى قرار بشأن الجامعة دون أن يكون هذا القرار نابعا من مجلس الجامعة وبلا أى ضغط من أية جهة أخرى حتى ولو كانت تلك الجهة مجلس الوزراء ، الذى من بين أعضائه وزير المعارف الرئيس الأعلى لمجلس الجامعة : ثار مدير الجامعة وثار معه عمداء الكليات ، وفكر الرئيس الأعلى للجامعة فى أن يعدل قانون الجامعة تعديلا يلغى استقلال الجامعة ويعيدها الى تبعية وزارة المعارف ، حتى تتحكم السلطة التنفيذية فى المعهد العلمى ، الأعلى بل ان وزير المعارف ، الرئيس الأعلى للجامعة راح يفاوض زميله وزير المالية ، فى شأن عدم صرف مرتبات الاساتذة فى الجامعة عقابا لهم على ثورة مدير الجامعة وعمداء الكليات والطلبة .

***

ولما كان من المفروض قانونا ان يوقع وزير المعارف على استمارات صرف مرتبات الاساتذة قبل ان تذهب الى وزارة المالية ، تمهيدا لصرفها كما هى العادة ، فقد رفض وزير المعارف أن يوقع استمارات صرف مرتبات الاساتذة المصريين وان كان قد وقع ــ كما قيل وقتئذ ــ على استمارات صرف مرتبات الاساتذة الأجانب !

وكان وزير المعارف كما سبق أن ذكرنا ـ حقيقة وليس من قبيل الفكاهة ـ يتصل بادارة الأمن العام ، بصدد أمور الجامعة وحوادثها ويتصل بوكيل وزارته وكل الجهات ذات الصلة بالجامعة من حانة « سانت جيمس » المعروفة بشارع ألفى بك ونبتت فكرة عند بعض أساتذة الجامعة فى ألا يقدم مدير الجامعة وعمداء الكليات استقالاتهم وان يبقوا فى وظائفهم مدافعين عن الجامعة واستقلالها ، بحيث يمكن أن يستقيل الجميع ، مديرا وعمداء وأساتذة ، اذا فشلوا فى الدفاع عن استقلال معهدهم العتيد ٠

★★★

وبينما أساتذة الجامعة يناقشون مدير الجامعة ، وعمداء الكليات فى تلك الفكرة اذا بمصر تقوم ولا تقعد واذا بمظاهرات الشباب والفتيات تملأ البلاد ، واذا بالصحف كلها ـ فيما عدا ، صحيفة ، أو صحيفتين ـ تصف اليوم الثامن من ديسمبر ١٩٣٥ بأنه يوم من أخلد أيام الحركة الوطنية المصرية : التقى ـ مثلا ـ الطلاب فى كلية الطب بقصر العينى ، بعد أن تعذر عليهم الوصول ، الى مبنى الجامعة فى الجيزة وقامت قوات البوليس برئاسة حضرة صاحب السعادة اللواء رسل باشا حكمدار بوليس القاهرة ، وجناب المستر كين بويد مدير الادارة الأوروبية فى وزارة الداخلية بحصار كلية الطب وصعد الطلبة الى سطح الكلية وقامت ملحمة عنيفة بين بعض الطلبة وبين القوة المرابطة أمام كلية الطب استخدم الطلبة خراطيم المياه كما استخدم رجال البوليس العصى والبنادق وما حدث فى كلية الطب حدث أيضا فى كلية التجارة وخرج الطلبة من كلية الطب أثر اتفاق تم بين عميد كليتهم على ابراهيم باشا ، ووكيل مستشفى قصر العينى د٠ مصطفى بك فهمى ، وبين رسل باشا حكمدار العاصمة ، ووكيله بيكر بك ومضمون هذا الاتفاق الا يقوم البوليس بالقبض على أى طالب من الطلبة ، المجتمعين فى كلية الطب وكذلك خرج طلبة كلية التجارة من مبنى كليتهم بعد اتفاق ، مماثل ٠ وكان البوليس لا يسمح باخراج الطلبة الا فرادى حتى لا تتاح لهم فرصة التجمع مرة أخرى والقيام بمظاهرات ٠

★★★

وقد اشتركت الطالبات فى تلك المظاهرات وكانت أول مظاهرة للطالبات مظاهرة طالبات مدرسة الأميرة فوزية حيث خرجت طالبات تلك المدرسة فى مظاهرة سلمية يهتفن للاستقلال والحرية ٠

وكانت أحداهن تحمل فى يدها العلم المصرى ٠

وكانت وزارة الداخلية طوال ذلك اليوم المشهود أشبه ما تكون بمبنى القيادة في زمن الحرب ٠ وكانت اجراءات وزارة المعارف الخاصة بمقاومة

الحركة الطلابية بالغة العنف ـ مثلا ـ أصدرت وزارة المعارف قرارات خاصة بتلاميذ مدرستى الفنون والصناعات بالعباسية ، والفنون التطبيقية بالجيزة ، من بين تلك القرارات تعطيل الدراسة بهاتين المدرستين الى أجل غير مسمى : لا يقبل بهاتين المدرستين أى تلميذ الا اذا قدم طلبا جديدا وتعهدا من ولى أمره بالمحافظة على النظام : تلغى المجانية والاعفاء المتمتع بـه بعض تلاميذ هاتين المدرستين وكذلك كان الأمر بالنسبة لمدرسة التجارة وبعد ذلك أصبح الأمر عاديا بالنسبة لكثير من المدارس : الغاء المجانية التى يتمتع بها الطلبة لاجبارهم على عدم المشاركة فى المظاهرات ضد الاحتلال الأجنبى ·

***

وما حدث فى يوم ٨ ديسمبر يتكرر وبصورة أشد فى ٩ ديسمبر ١٩٣٥ ، نزل الجيش الى القاهرة وعسكر فى حديقة الازبكية ·

شهد شقيق وزير الحقانية وهو يطل على المتظاهرين من شرفة منزله بالعمارة رقم ٢٠ بشارع قصر العينى رجال البوليس وهم يطلقون النار على المتظاهرين فأصيب هو ونجلا كريمته ـ زوجة ابراهيم أفنـدى زكى ـ وكانا طفلين كما أصيب ثلاثة من الخدم برصاص البوليس ! ولم يفعل شقيق وزير الحقانية أكثر من أن ذهب وبقية الجرحى الى مستشفى قصر العينى ومن هناك اتصل بشقيقه وزير الحقانية الذى قال عندما حضر الى المستشفى : أيه وحشية البوليس دى !

***

والطريف ـ لـو كان فى مثل تلك الحوادث الدامية ما يمكن أن يسمى بالظريف ـ أن طالبات مدرسة السنية خرجن فى مظاهرة سلمية يهتفن للحرية والاستقلال فلما وصلن الى مقربة من مستشفى قصر العينى أسرعت اليهن قوات البوليس وعلى رأسها ضابط برتبة صاغ وقبل ان يعتدى الجنود على الطالبات تقدم اليهن حضرة الضابط النشط وسألهن ماذا تقصدن ؟! ولم ينتظر الاجابة من أحد اذ قال : أولى لكن أن تنصرفن الى بيوتكن · فأجابه البعض : اننا نبدى شعورنا كمصريات وطنيات استنكارا للحوادث التى تمس سمعة البلاد ·· فاذا بالضابط الهمام يقول لهن : انتم عاوزين عرسان ! وهنا بصقت أكثر من واحدة منهن فى وجهه وتركنه يمسح الرذاذ ، الذى لمع على جبينه وعلى أنحاء وجهه ·· وكانت قسوة رجال البوليس الانجليزى لا حد لها لدرجـة أن « كونستابـل انجليزيا » اسمه ماركنز أطلق من مسدسه الرصاص على طالب أعزل فى شارع بستان ابن قريش المتفرع من شارع الحوياتى فأصابت الرصاصة صدره بالقرب من القلب · وكان هذا الطالب اسمه محمد محمود عبد الحكم ضمن طلبة مدرسة الصناعات الميكانيكية ببولاق « قسم السيارات » وخرجت طالبات مدرسـة

الأميرة فوزية في يوم ٩ ديسمبر في مظاهرة سلمية ، كانت مثار اعجاب المواطنين جميعا ، وقد أردن المرور من كوبرى فؤاد الأول الى الزمالك فالجيزة ولكن البوليس ضرب نطاقا حولهن فلم يستطعن المرور من الكوبرى الا عندما أقفل الكوبرى لكى يمر سعادة السير مايلز لامبسون المندوب السامى البريطانى، وبعد أن مر سيادته فتح الكوبرى من جديد فظل عدد كبير جدا من طالبات مدرسة الأميرة فوزية وكان قد انضم اليهن طالبات مدرسة الأميرة فوقية وكلية البنات معلقا على الجزء المتحرك من الكوبرى فترة طويلة من الزمن حتى ثارت بعض جماهير الشعب وقامت بانقاذهن من هذا الموقف الصعب !

★★★

وكانت اعداد كبيرة من المتظاهرين تقدم الى المحاكم فى جلسات مستعجلة وكان من بين تلك القضايا قضية اتهم فيها محمود عبد الحليم عاصم (كلية الزراعة) وسعد الدين الشيشينى (كلية العلوم) وتولى الدفاع عنهما محمود سليمان غنام وواصف رزق الله وأنور زقلمة ومحمد فرج الدالى وقد نظرت القضية أمام محكمة جنح الازبكية برئاسة الاستاذ السعيد رمضان وفى أثناء نظر القضية ظهر أن بائع حلوى اسمه ك٠ م٠ د ، كان يرشد البوليس الى أماكن تواجد الطلبة وقد ضربه الطلبة أكثر من علقة ساخنة ٠

وقد امتنعت عن ذكر اسم بائع الحلوى هذا لانه « بعد سنوات عديدة أصبح شخصية هامة » دخلت احدى النقابات المهنية وكان له دور خطير فى بعض الأحداث ٠

والغريب ، ان النيابة قد قدمت بائع الحلوى هذا فى القضية باعتباره متهما حتى تصبح الحكاية « مسبوكة تماما » ، وبعد أن ترافع الدفاع عن المتهمين : محمود عبد الحليم عاصم ، وسعد الشيشينى برأت المحكمة الشيشينى و « ك٠ م٠ د٠ » بالطبع وحكمت بتغريم المتهم الأول محمود عبد الحكليم عاصم ٣٠٠ قرش ٠

★★★

وثارت لندن بسبب مظاهرات الطلبة فى يومى ٨ ، ٩ ديسمبر : كانت الصحف البريطانية تنشر أخبار تلك المظاهرات فى صفحاتها الأولى : قال مندوب الديلى تلجراف : ان من بين أسباب حوادث الطلبة الخطب التى ألقاها النحاس باشا » والتى نادى فيها بالثورة !! وقال ان من بين أهم أسباب تلك الحوادث لين الحكومة فى معاملة الطلبة فقد أصدرت الأوامر الى البوليس بمنع اطلاق النار وقد تساهل القضاة الوفديون فى معالجة قضايا المظاهرات المعروضة عليهم للحكم فيها ، وقال انه لأول مرة يهتف المتظاهرون باسم نسيم باشا ،

وقال مندوب التيمس البريطانية فى القاهرة : فى خلال اليومين الأخيرين ٨ ، ٩ ديسمبر وقعت حوادث مخجلة نتيجة أعمال الرعاع وأسباب هذه الحوادث هو السماح للطلبة بالافصاح عن ميولهم فى المشاكل السياسية وقد أوشك الكولونيل لوكاس بك ان يقتل و ٠٠ و ٠٠ و » وقال مندوب التيمس : ان هناك أموالا دفعت بقصد تشجيع المظاهرات وقال مندوب جريدة نيوزكرونيكل فى القاهرة ان ثمانمائة من طلبة كلية الطب قاتلوا قوة كبيرة من رجال البوليس وانهم ظلوا يقاتلون القوة خمس ساعات وقد قذفوا البوليس بالحجارة من فوق سطوح الابنية ، وكانت الذخائر ترفع اليهم بواسطة « سلال » مشدودة بحبال ، وقد انسحبت قوة البوليس ، وتشير بعض الصحف البريطانية الأخرى الى قيام رجال الجيش بحراسة كوبرى قصر النيل ، والى اطلاق البوليس النار على الغوغاء الذين كانوا يقذفون الأتوبيسات بالحجارة ، وقد قتل واحد منهم !

★★★

وكانت مصر ، تغلى بشكل أعاد الى الاذهان ما حدث عندما نشبت ثورة ١٩١٩ ٠٠ وكان الموقف الدولى متوترا للغاية : موسولينى دكتاتور ايطاليا ، يحرز انتصارات هائلة فى الحبشة : بريطانيا تتزعم حملة الدعوة ، الى مقاطعة نظام موسولينى الخلاف بين بريطانيا وموسولينى يبلغ أشده ، ولأن ايطاليا كانت على حدود مصر فى ليبيا ، فقد خشيت بريطانيا ان يقوم موسولينى بمهاجمة القوات البريطانية الموجودة فى مصر وخاصة فى الصحراء الغربية ، بل ان بريطانيا كانت تخشى فى ذلك الوقت نشوب حرب عالمية ، جديدة ، وكانت بريطانيا تحارب فى مصر الشعب المصرى ، وكانت تخشى أن يهاجمها الايطاليون فينضم المصريون الى الايطاليين ، ولذلك انتهزت بريطانيا فرصة خطورة الأحوال الداخلية فى مصر ، وخطورة الأحوال الدولية لتدعيم من وجودها العسكرى فيها ، ولتقضى على الحركة الوطنية التى بدأت تنتشر فى كل مكان : أصدرت وزارة الحربية المصرية ، التى يسيطر عليها البريطانيون الأوامر الى جنود الاورطة الثالثة مشاة والى احدى فرق الفرسان بمغادرة ثكناتها بالعباسية وضرب خيامها فى حديقة الازبكية بالقاهرة ٠ وزعت وزارة الحربية ، قوات الجيش على المديريات والمراكز التى يخشى منها على النظام والأمن ، ومن ناحية أخرى سلمت السلطات البريطانية ــ التى كانت تتوقع الحرب وكانت تتوقع استخدام الغازات السامة فى تلك الحرب ، كميات من الكمامات الواقية لتوزيعها على الجيش المصرى المرابط فى الاسكندرية ومناطق الصحراء الغربية على أن تقوم وزارة الحربية بدفع ثمن تلك الكمامات ، الى قيادة الجيش البريطانى ٠

★★★

كانت الاجتماعات مستمرة بين سبنكس باشا المفتش العام للجيش المصرى ، واللواء فوريس باشا وكيله والقائمقام همرسلى بك رئيس العمليات

الحربية ،والقائمقام كتشنر بك مدير قسم المهمات ، اهتمت الحكومة البريطانية بشق الطرق ، فى الصحراء الغربية كما اهتمت أيضا باصلاح كل الطرق الحربية ، عززت بريطانيا سلاح الهجانة فى سيوه ، بل لقد انتقل اللواء سبنكس باشا الى الحدود الغربية للتفتيش على القوات المصرية ، المرابطة هناك وفى نفس الوقت أجريت مناورات عامة وهامة وكانت الطوافة الأميرة فوزية لا تكف عن نقل كميات من الذخائر والقنابل الخاصة بالمدافع البرية الضخمة وكذلك الفرق البريطانية من الاسكندرية الى السواحل الغربية ٠

★★★

وتستمر المظاهرات فى أيام ١٠ ، ١١ ، ١٢ ديسمبر ، ويكون للطالبات فى هذه الأيام ، دور أكثر أهمية وخطورة ، وكان هذا الدور مثار اهتمام وتعليق مندوبى الصحف الأجنبية فى القاهرة ، وكان من بينهم مندوبالنيوزكرونيكل الذى قال ضمن ما قاله وهو يصف أحداث تلك الأيام : ان طالبات المدارس الثانوية كان لهن أثر كبير فى الاضطرابات التى حدثت فى الأيام الأخيرة ، وان الحماس استولى عليهن لدرجة انهن كن يوبخن ويعنفن من البوليس ولكن كان حماسهن عنيفا ، وكانت هتافاتهن الوطنية تدوى فى الارجاء ، ودفعت الحماسة بعضهن الى الهجوم على عربات البنزين ومصابيح الكهرباء فحطمنها » ويقول مراسل جريدة الديلى ميل وهو يشير الى اشتراك الفتيات فى المظاهرات : لقد كن الطليعة اقتداء بالأساليب ، الشيوعية ، وذلك لكى تكون قوات الرجال الموجودة فى المؤخرة بعيدة عن الأذى » ووصفت الصحف المصرية أقوال هذا المراسل بالسخف والافتراء والكذب !

وقبل أن نختتم هذا الباب ننشر رسالة تلقيناها من أحد المتهمين بالاعتداء على منزل محمد محمود باشا ٠

● ربطونا نحن السبعة فى حبل لنسير الى المحكمة

الأخ الفاضل صبرى أبو المجد

تحية طيبة وبعد ٠٠

فقد يكون تكرارا لما قاله الكثيرون أن ما تنشرونه عن « سنوات ما قبل الثورة » هى تذكرة لمن نسى تاريخ فترة من أهم فترات تاريخ مصر الحديث أو من الجيل الجديد الذى تعرض لحملة تعتيم أو تزييف لأحداثها ٠٠ ولا أطيل عليك ٠

أولا : أقدم لك نفسى أنا محمد ابراهيم عبد الله المتهم فى قضية الاعتداء على منزل محمد محمود باشا ٠ واعترف للمرة الأولى بعد ٤٣ عاما أن هذا الاسم

لم يكن اسمى الحقيقى . وقد اضطررت لتغيير اسمى حتى لا يعرف أهلى فى البلد انه قد قبض على - ولانى استهونت الأمر واعتقدت ان الافراج سيتم فى اليوم التالى على الأكثر وقد مررت بهذه التجربة قبل ذلك . المهم بمساعدة مأمور قسم عابدين فى ذاك الوقت تم الاتفاق مع أهلى على ان استمر بهذا الاسم والا تعرضت لمصيبة أخرى .. وقبل أن أنتقل من هذه النقطة أحب أن أسجل ان الشعب المصرى عندما قاوم الاستعمار كانت كل فئاته تشترك فى هذا العمل كل حسب ظروفه سواء الطلبة أو العمال أو الفلاحون أو رجال البوليس.

ثانيا : لقد جاءت واقعة التظاهر والتجمهر الخاصة بمنزل محمد محمود باشا مختصرة ومرت دون ايضاح أسبابها ومبرراتها رغم أهميتها فى تطور الأحداث فى تلك الفترة .

وأحب أن أوضح من مركز المشاركة الفعلية فى الأحداث دون تأثر بأى هوى حزبى أو رغبة فى ادعاء بطولة لا داعى لها الآن .

الأحداث :

كانت وزارة توفيق نسيم باشا تتولى الحكم فى أواخر عام ١٩٣٥ وكان الوفد يؤيد تلك الوزارة لأن هناك اتفاقا قد تم معه أولا على اعادة دستور سنة ١٩٢٣ الذى كان الوفد يضعه فى أول قائمة مطالبه والأمر الثانى أن وزارة توفيق نسيم كانت هى التى ستتولى عملية اجراء الانتخابات .

وفى هذه الفترة أصدر وزير خارجية بريطانيا السير صموئيل هور تصريحا أيد فيه دستور سنة ١٩٣٠ وعارض عودة دستور سنة ١٩٢٣ . وقد أدلى محمد محمود باشا بتصريح أيد فيه السير صموئيل هور . وهنا هاجت الدنيا .. وقام الوفد بتعبئة الشعور ضد هور ومحمد محمود وانطلقت المظاهرات تهتف وتصف هور بانه ابن الطور .

***

أما واقعة منزل محمد محمود .. فقد خطب مكرم عبيد فى بيت الأمة وكنا فى شهر رمضان المبارك وكانت له قدرة سحرية على اثارة شعور مستمعيه ، مثل قوله : أيها الشباب ثوروا ثم ثوروا فوالله ان ما ثرتم ما شببتم - المهم ما أن انتهى من خطابه العاصف ضد محمد محمود باشا حتى انطلقنا فى مظاهرة غاضبة الى منزل محمد محمود باشا فى شارع الفلكى الذى لم يكن يبعد عن بيت الأمة بأكثر من ٥٠٠ متر . وأخذنا نهتف ونشير الى المنزل ونقول هذا : منزل هور - وهنا انطلقت جحافل من رجال محمد محمود المختبئين فى بدروم المنزل يحملون العصى وأخذوا يتصدون للمظاهرة بالشوم . ولما كنت من المتصدرين للمظاهرة فقد حاولنا الدفاع عن أنفسنا بقذف المنزل بالطوب ولكن رجال محمد

محمود باشا تمكنوا من امساك ثلاثة من المتظاهرين كنت أنا أصغرهم سنا الأمر الذى خفف عنى الحكم الى غرامة ٦٠٠ قرش ٠٠ وبعد أن سلمنا الى البوليس استمر التحقيق معنا بمعرفة المرحوم الأستاذ أسمر ابراهيم أسمر وكيل النيابة الى الصباح ٠٠

وفى اليوم التالى صدرت جريدة السياسة وفى صدورها بالخط الكبير عنوان « الرعاع يعتدون على منزل الزعيم النبيل » وقامت الدنيا ٠٠ المرحوم حفنى محمود يداوم اتصالاته بالسلطات العليا لاستعدائها ٠ والشباب قام بمظاهرة ضخمة ضد محمد محمود باشا تصدى لها البوليس فى ميدان الفلكى وشتتها قبل وصولها الى سراى محمد محمود باشا حيث قبض على أربعة من المتظاهرين ـ والسابع أذكر أنه كان طالبا بكلية الزراعة وقد صدر الحكم عليه بالبراءة ٠٠ وقد يكون ذلك سبب عدم ذكر اسمه ٠

والحقيقة التى أحب ان أوضحها فى هذه العجالة ٠ اننا منذ القبض علينا عوملنا أسوأ معاملة فى سجن قسم عابدين لمدة ١١ يوما وتحقيقات النيابة مستمرة ٠ ولم يقدم لنا حزب الوفد أى مساعدة ولم يسأل عنا أحد فى فترة السجن ولولا شخص مجهول لم أكن أعرفه تقدم لى وأعطانى بالطو كان يلبسه وقال لى ستحتاج اليه وأخذ يرسل لى كل يوم ما احتاج اليه من مأكل قبل ان يحضر أهلى من البلد ٠٠ هذا الشخص حضر يوم المحاكمة وبعد أن شكرته وأعدت له البالطو لم أره حتى هذه اللحظة وكل أملى أن أعثر عليه حتى أقبل يديه ٠٠

★★★

هذا هو الشعب المصرى الأصيل يا أستاذ صبرى وليس مدعى البطولة والدعاية ٠

ويوم المحاكمة أصر « لوكاس » وكيل المحافظ « رسل باشا » ان نربط نحن السبعة فى حبل ونسير من قسم عابدين الى المحكمة وهى مدرسة الآن ومكانها أمام منزل محمد محمود باشا ٠ وقد استجاب الله لدعائنا فانه بعد انتهاء الجلسة حوالى الساعة الثالثة بعد الظهر طلعت علينا جريدة البلاغ بنبأ اصابة لوكاس بحجر فى احدى المظاهرات أفقده عينه وفعلا خرج من الخدمة ملعونا من الله والناس ٠٠

وفى الجلسة كانت المظاهرة الكبرى الذى لم يتول الدفاع عنا أكثر من ١٥ محاميا ٠

حقيقة كان بعض هؤلاء الاساتذة يقومون بهذا الواجب بدافع وطنى قوى

ولكن البعض كان يفعل ذلك استجلابا للدعاية الحزبية والانتخابية لا سيما وان المرافعات كانت تنشر فى الجرائد ٠

وهذا هو كل دور حزب الوفد بالنسبة للمتهمين ٠٠

ان النضال قام به البسطاء من الشعب الذين قتلوا والذين فصلوا من أعمالهم ٠٠ والذين سجنوا ٠٠

أما زعماء الأحزاب فلم يقتل منهم أحد ٠٠ ولم يفصل منهم أحد ٠٠ ومن سجن منهم فقد أقاموا له التماثيل ٠٠

من الذاكرة ٠٠ كتبت لك ٠٠ ومن الوثائق يمكن الرجوع الى الحقائق ٠٠ وأرجو لك التوفيق ٠٠ واستمر على بركة الله ٠

محمود على شرف

وكيل وزارة التعمير والمجتمعات الجديدة

وشكرا للأخ محمود على شرف الذى عرف باسم محمد ابراهيم عبد الله ، اذ أزاح الستار عن أكثر من واقعة فى رسالته الموجزة ٠

وننتقل بعد كل ذلك الى مرحلة جديدة من مراحل نضالنا الوطنى مرحلة اجبار الشباب للقادة والزعماء على جمع الكلمة ، ووحدة الصفوف ٠

الباب الثامن

الفصـــل الأول

الشباب يجبرون الزعماء على الاتحاد فى جبهة واحدة

فى ١٢ ديسمبر ١٩٣٥ ـ ولأول مرة منذ مارس ١٩١٩ اتفق زعماء مصر ،

ووجد زعماء البلاد انهم أمام حالة جديدة هامة وخطيرة تفرض عليهم وحدة الكلمة ، فاذا بالأحزاب كلها تجتمع : الوفد المصرى ، برئاسة مصطفى النحاس ، الوفد السعدى ، برئاسة حمد الباسل باشا ، حزب الشعب برئاسة اسماعيل صدقى ، حزب الاتحاد ووكيله حلمى عيسى باشا ، كل هذه الأحزاب وغيرهـا راحت تجتمع ليل نهار على أمل الوصول الى صيغة واحدة يلتقى عندها الزعماء والقادة • وراح الشـباب ، ولجنـة الطلبة العليـا ، يجتمعون بدورهم بالساسة الحزبيين والمستقلين على أمل الحصول منهم على ما يطمئنهم على سلامة الجبهة الوطنية ، وعلى رفضهم المطلق الاشتراك فى أية وزارة تقوم على غير أساس المطالب التى تتفق عليها الجبهة الوطنية •

★★★

فى ليلة ١٢ ديسمبر ١٩٣٥ افتتحت الفرقة القومية موسمها الأول بمسرحية أهل الكهف للاستاذ توفيق الحكيم ، اخراج الاستاذ زكى طليمات وكان خليل مطران شاعر القطرين هو مدير الفرقة القومية ـ وكانما جاء عرض مسرحية أهل الكهف منسجما مع الأحوال القائمة وقتئذ ، فى مصر • وقد اشترك فى هذه المسرحية حسين رياض ، زكى رستم ، عزيزة أمير ، عمر وصفى ، منسى فهمى وكان لعرض مسرحية أهل الكهف صدى عميق عند الرأى العام والصحافة بصفة خاصة ، اذ كانت بعض الصحف تنشر الاخبار عن « أهل الكهف » فى صفحاتها الأولى ، وكأنما كانت تلك الأيام الخالدة ، أيام ثورة سياسية وثورة فنيـة أيضا ! وفى ١٢ ديسمبر ١٩٣٥ تمكن الزعماء والقادة من الاتفاق على وثيقة ترفع الى الملك أحمد فؤاد ، وقد وقع الزعماء والقادة على العريضة فى نادى

المحامين ما عدا محمد محمود باشا ، الذى وقعها أمام بقية الزعماء ، فى الديوان الملكى ، مكتب على ماهر باشا وقد وقع الزعماء على الوثيقة حسب الترتيب التالى : مصطفى النحاس ، رئيس الوفد المصرى ، محمد محمود رئيس حزب الأحرار الدستوريين ، اسماعيل صدقى ، رئيس حزب الشعب ، يحيى ابراهيم رئيس حزب الاتحاد ، عبد الفتاح يحيى ، حمد الباسل (رئيس الحزب السعدى) حافظ رمضان رئيس الحزب الوطنى ، حافظ عفيفى ٠

★★★

رفع زعماء الأحزاب العريضة التالية الى الملك :

حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك ٠٠ الجلالة مولانا الملك ٠٠

نتشرف نحن الموقعين على هذا بان نرفع الى سدتكم الرفيعة هذا الملتمس الذى تتمثل فيه ارادة الشعب المصرى مجتمعة كلمته ، منيعة جبهته ، فلقد حلت بالبلاد أزمة سياسية خطيرة اجتمع فيها الخطر الخارجى الذى يهدد البلاد بحرب جائحة الى الخطر الداخلى الذى يهدد حريتها وطمأنينتها ويمس حقها المعترف به فى تصريف أمورها ، والاستمتاع بدستورها مما أدى الى انتشار روح القلق فى البلاد واضطراب المصالح العامة والخاصة معا ، واننا لنرى بكل احترام انه ما من مخرج من هذه المحنة أو علاج حاسم لها الا بأن يعود الى الأمة فورا دستورها الصادر فى سنة ١٩٢٣ ٠ وما كنا فيما نرى صادرين الا عن الرأى الذى ارتضته حكمة جلالتكم السامية فى كتابكم الملكى الصادر الى مجلس الوزراء ، بتاريخ ١٢ ابريل ١٩٣٥ والذى ورد فيه ما يأتى بحروفه : ان أعز أمانينا كما تعلمون هو ان تحيا البلاد الحياة الدستورية التى ترضاها سواء باعـادة دستور سنة ١٩٢٣ ، معدلا ، على النحو الذى يرتئيه حسب المقتضيات نواب الأمة ، طبقـا لأحكام المواد ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، من ذلك الدستور أو بوضع دستور تصدق عليه جمعية تمثيلية وطنية وأنا مع ذلك نفضل الطريقة الأولى ٠

★★★

يا صاحب الجلالة ، اذا كان الشعب ممثلا فى هيئاته وأحزابه السياسية قد أجمع هذا الاجماع الرائع ، على وجوب عودة دستور الأمة منذ الآن فانه انما يقصد الى استقرار نظام الحكم على أساس سلطة الأمة توصلا لايجاد حكومة دستورية تعمل لاصلاح ما فسد وتحقيق استقلال البلاد ٠

ولما كان الدستور من حق جلالتكم والشعب المصرى ، ولما كنا نعلم ان من أسمى رغبات جلالتكم أن تطمئن الأمة الى سـلامة حقوقها ، ومرافقها فتهيىء لنفسها المصير ، الذى ينتظرها ، والمكان اللائق بها بين الامم ، لذلك نلتمس من جلالتكم التعطف باصدار أمركم ، الكريم باعادة دستور ١٩٢٣ فورا ، ونرفع

الى سدتكم مع هذا الالتماس ، أسمى فروض الولاء لعرشكم والاخلاص ، لذاتكم ، وما زلنا يا صاحب الجلالة لمقامكم العالى ، المطيعين المخلصين ٠

مصطفى النحاس رئيس الوفد المصرى
محمد محمود رئيس حزب الأحرار
اسماعيل صدقى رئيس حزب الشعب
عبد الفتاح يحيى ابراهيم رئيس حزب الاتحاد
حمد الباسل ، رئيس الوفد السعدى
حافظ رمضان ، رئيس الحزب الوطنى
حافظ عفيفى ٠٠
وكان حافظ عفيفى قد اختير كممثل للمستقلين ٠

★★★

وربما كانت هذه العريضة أولى العرائض السياسية فى التاريخ المصرى التى « تميزت » ــ لو جاز لنا استخدام هذه الكلمة ــ بالكثير ، الكثير ، من صور النفاق السياسى : زعماء مصر وقادتها ؛ يعرفون جميعـــا ، وأكثر من غيرهم ان الملك أحمد فؤاد يكره ــ الى أبعد الحدود ــ كل ما يمت الى الحياة الدستورية بصلة فهو الذى أقال ــ بالفعل ، وان لم يكن بالاسم ــ أول وزارة دستورية تلك التى ألفها سعد زغلول باشا ، عقب بداية الحياة النيابية فى مصر ، وهو الذى جاء بأحمد زيور باشا الذى قضى على الدستور ، وهو الذى حل برلمانا لم يطل عمره أكثر من ست ساعات وهو الذى جاء بمحمد محمود الى الحكم ، وجعله يعطل الحياة النيابية ثلاث سنوات قابلة للتجديد ، وهـــو الذى أقال حكومة النحاس باشا المتمتعة بثقة البرلمان و ٠٠ و ٠٠

ومع ذلك ، يخاطبه قادة البلاد وزعماؤها باعتباره منقـذ الدستـور ، ويرددون على مسامعه ما سبق ، ان قاله ــ رغم انهم يعرفون جيدا ، انه غير صادق فيما يقوله ــ من أن أعز أمانيه ان تحيا البلاد حياة دستورية محمـد محمود باشا ، الذى قال ، ما قال فى دستور ١٩٢٣ ، والذى عطل الحياة النيابية ثلاث سنوات قابلة للتجديد حكم فيها البلاد حكما مطلقا ، يلح فى المطالبـة بعودة دستور ١٩٢٣ قبل الاتفاق ، على انهاء المشكلة المصرية البريطانية وكان قبل أيام يصر على أن الدستور يجىء بعد الاتفاق على حل المشكلة المصرية ، البريطانية ٠

★★★

اسماعيل صدقى باشا الذى قال ما لم يقله مالك فى الخمر ، عن دستور ١٩٢٣ ، والذى الغاه لأنه لا يصلح للبلاد ، واستبدل به دستورا آخر رأى

فيه الخير كل الخير للبلاد : اسماعيل صدقي يوقع على عريضة تطالب بعودة دستور ١٩٢٣ ، فورا ، وبدون ابطاء ، حتى مصطفى النحاس ، الذى كان يرفض باستمرار وجود تنظيم سياسى باسم الوفد ، السعدى ، ويرى فى حمد الباسل ورفاقه ، انهم منشقون عن الوفد ولا يمثلون الا أنفسهم ، مصطفى النحاس الذى رفض قبل ١٢ ديسمبر ١٩٣٥ مئات المرات ، ان يلتقى فى مكان واحد بمن يمثل الوفد السعدى لأن الوفد ، المصرى كل لا يتجزأ ، ولأن الوفد المصرى هو وحده ، الذى يمثل سياسة ومبادىء سعد زغلول بعكس حمد الباسل باشا ، ورفاقه ، الذين لا حق لهم على الاطلاق فى أن يشكلوا حزبا باسم ، الوفد السعدى حتى ولا بأى اسم آخر ، مصطفى النحاس باشا ، يتراجع ، عن كل ما قاله فيمن كان يسميهم ساخرا حزب السبعة ونصف ــ حمد الباسل ورفاقه ــ ويقبل ان يضع توقيعه على عريضة تحمل توقيع حمد الباسل رئيس الوفد السعدى ويطول الأخذ والرد حول صيغة البلاغ الذى يجب ، أن يتقدم به الزعماء والقادة الى المندوب السامى ، البريطانى ويتفق الزعماء والقادة على النقاط ، الرئيسية التى يجب أن يحتوى عليها البلاغ ، كما يتفقون فى نفس الوقت على أن يحمل مصطفى النحاس باشا البلاغ الى المندوب السامى ، البريطانى ويتم اجتماع فى دار أحمد بك كامل ، واجتماع آخر فى نادى المحامين لاتمام كتابة البلاغ ويتوجه بمشروع البلاغ أحدهم الى دور الزعماء والقادة ليوقعوا عليه فى الوقت الذى كان فيه مصطفى النحاس مجتمعا بسير مايلز لامبسون ، المندوب السامى البريطانى ويصل الرسول ، الى دار المندوب السامى ومعه ، البلاغ موقعا عليه من كل الزعماء والقادة فيما عدا مصطفى النحاس ، الذى يوقع عليه ويسلمه الى المندوب السامى البريطانى والبلاغ فى مقدمته يتوجه الى حضرة صاحب الفخامة المندوب السامى لدولة بريطانيا العظمى ، ويشير فى البداية الى حرص المصريين على المطالبة بالاستقلال والى رغبتهم فى أن يتم الاتفاق بين مصر ، وانجلترا ، بتجديد علاقاتهما وحل المسائل ، المعلقة بينهما « وقد قوى أملهم فى اتمام الاتفاق حين انتهت مفاوضات الربيع فى سنة ١٩٣٠ الى نصوص رضيها الطرفان وأوشكا أن يوقعاها لولا خلاف حدث فى اللحظة الأخيرة أدى الى عدم وقوعها » .

***

ويشير بلاغ الجبهة الوطنية الى ان عدم اتمام الاتفاق ، بين مصر وبريطانيا يثير الاحتكاك من حين الى حين ولا شىء أحب الى مصر من أنى تتجنب كل سبب يدعوك الى هذا الاحتكاك ، الذى يفسد جو العلاقات بين الدولتين وعدم اتمامه ، يعوق تقدم مصر ، ويضع العقبات فى سبيل رقيها ، ويذكر البلاغ بعض الأمثلة ، على ذلك من بينها بقاء الامتيازات الأجنبية الذى يعتبر ماسا بسيادة مصر ويحول بينها ، وبين حق التشريع المالى وغير المالى ، الذى يسرى ،

على المقيمين بمصر جميعا ، كما يشير البلاغ الى وجود ادارة أوروبية الى جانب ادارة الأمن العام المصرية ، والى حرمان البلاد من أن يكون لها قوة دفاع مصرية صالحة للذود عنها « ولمعاونة حليفتها » وكذلك حرمان مصر من الاشتراك فى الحلبة الدولية وعدم دخولها عصبة الأمم لتساهم بنصيبها مع دول العالم فى خدمة التقدم ، والسلام ، كما يشير البلاغ الى أن بقاء المسائل المعلقة بغير حل يؤدى ، الى عدم استقرار الحكم ، والطمأنينة في البلاد كما يؤدى في كثير من الأحيان الى اضطراب المرافق العامة اضطرابا شملت اثارة المصريين والأجانب ، المقيمين فى مصر على السواء ويشير البلاغ . الى أنه منذ بداية الأزمة الدولية ، التى نشأت عن نزاع ايطاليا والحبشة فى هذا العام ازداد المصريون يقينا بضرورة المسارعة الى عقد معاهدة مصرية ، بريطانية كما يشير ، البلاغ الى مشاركة مصر فى النزاع الايطالى الحبشى بتوقيع الجزاءات على ايطاليا بناء على دعوة من عصبة الأمم ، كما اتخذت بريطانيا اراضى مصر . ميدانا لاستعداداتها الحربية ، اتقاء للطوارىء وقامت الحكومة ، المصرية من جانبها بتمهيد كل ما تستطيع من أسباب الدفاع عن المواصلات وتهيئة الجيش ونقل وحداته الى الجبهات ، التى تقضيها الظروف ويتحدث البلاغ فى أكثر من فقرة ، عن أهمية عقد معاهدة بين مصر ، وبريطانيا ، كما يتحدث أيضا عن أهمية مشروع الاتفاق الذى وصل اليه الطرفان المصرى . والبريطانى فى ١٩٣٠ وكيف أنه « لو أن هذا الاتفاق ، أبرم ونفذ منذ سنة ١٩٣٠ لكان المصريون اليوم أكثر اقبالا على التعاون مع انجلترا بدافع من مصلحة وطنهم وتحقيقا لمحافتهم ولكانت مصر ، فى موقف يجعل تعاونا مع انجلترا ، أقوى أثرا ، مما هو الآن ، ويرجو الزعماء ، والقادة فى بلاغهم باعتبارهم ممثلين للشعب المصرى ، على اختلاف هيئاته وأحزابه السياسية ، أن يتفضل المندوب السامى البريطانى فيبلغ الحكومة البريطانية طلبهم ، بأن تصرح ـ أى الحكومة البريطانية ـ بقبولها ـ أى الحكومة البريطانية ـ ابرام معاهدة بينها وبين حكومة مصر ، الدستورية بالنصوص التى انتهت اليها مفاوضات هندرسون النحاس وان تحل المسائل التى لم يكن قد تناولهـا الحل فى المفاوضات ، المذكورة بالروح الوطنية التى سدات تلك المفاوضات .

***

ويوقع على البلاغ الموجه الى المندوب السامى البريطانى . مصطفى النحاس اسماعيل صدقى ، حمد الباسل ، يحيى ابراهيم ، عبد الفتاح يحيى ، حافظ عفيفى .

ولا يوقع على البلاغ حافظ رمضان رئيس الحزب الوطنى لأن الحـزب الوطنى يعارض ـ منذ بداية انشائه ـ عقد معاهدة بين مصر ، وبريطانيا .

الفصل الثانى

القضاة يدافعون عن استقلال القضاء

ويرحب الزعماء ، والقادة بما انتهوا اليه من خطوات قومية ، ويتجه صدقى باشا ، بنفسه الى بيت الأمة ولشدة الزحام ، لا يتمكن من الوصول الى بيت الأمة ، فيبعث مع الأستاذ محمود رشيد ، ببطاقة الى صاحبة العصمة السيدة الجليلة ، أم المصريين مهنئا ، أياها بتأليف الجبهة الوطنية مع تحياته واحتراماته وكذلك يتوجه الغرابلى باشا : أحد الأعضاء الذين فصلهم الوفد ، المصرى الى بيت الأمة ليقابل هو ، وعبد الحميد سليمان باشا دولة مصطفى النحاس باشا ويتوجه مصطفى النحاس الى الجماهير الغفيرة التى اتجهت الى بيت الأمة بكلمات ، يهنىء فيها الشعب بدستوره الذى أجمعت الأمة على أسترداده كاملا ، غير منقوص ويتوجه بشكر خاص ، خالص الى الطلبة الذين قاموا بالبناء الأكبر فى هذه النهضة المباركة فاجتمعت حوله الأمة بسائر طبقاتها وكان من أثر ذلك تلك البوادر العظيمة بوادر النصر فى استعادة دستور الأمة وفى تحقيق استقلال البلاد كاملا . ويهتف باسم الملك الدستورى وباسم الملك الشعبى وبينما الزعماء والقادة منهمكون فى اعداد عريضتهم الى الملك ، و « بلاغهم » الى المندوب السامى ، كانت البلاد ، فى حالة فوران لا مثيل لها : قوات البوليس — مثلا — لم يخل منها شارع أو ميدان فقد أخذ — كما تقول الصحف الصادرة يومئذ — المشروفون عليها يوزعونها أدق توزيع ، تعرفه نظم الحرب ، ويألفه المتجهون الى ميادين القتال وكانت هذه القوات البوليسية على مألوف عهدها بقبض أفرادها بأيديهم على البنادق ، أو العصى ،ويتشحون على رءوسهم بالخوذات ، ويقودهم ، طائفة من الضباط ، الذين وكل اليهم توزيع هذه القوات الهائلة ، والاشراف عليها وقد كانت هذه القوات الموزعة ، على أفواه الشوارع ومسالك الميادين ، كانت تكفى وحدها لتأدية ما يريد الذين وزعوها ، وأحكموا توزيعها ان تؤديه ،

***

ولكن حكمدارية العاصمة رأت أن تبالغ فى التهويل ، مبالغة هائلة حين أخـذت تحشد جنود البوليس فى سيارات اللورى لتطوف بهم فى الشوارع نذيرا من أبشع النذر ، وأكثرها قسوة وقد بقى الجيش المصرى حريصا على المساهمة بنصيبه فى الميدان ، الذى كان البوليس الى أيام معدودات ينفرد به انفرادا فهذه الكتيبة التى احتلت كلية التجارة وصيرتها الى قاعدة حربيـــة قد خرجت عن ثكنتها الجديدة فى الصباح وراح أفرادها ، يطوفون بسياراتهم الكبيرة ، فى العاصمة ، وتجاوزت قوات البوليس أبعد مدى من الكثرة فى هذه المنطقة التى ينظر المشرفون على توزيع البوليس اليها نظرة خاصة وهى المنطقة التى تبدأ من ميدان الاسماعيلية وتنتهى الى مستشفى قصر العينى ٠

★★★

فالبوليس يذكر لهذه المنطقة كثير خطرها ، وموفور ما ازدحم عليها من حوادث ومن أجل ذلك كثرت قواته كثرة هائلة وكان توزيعها على أدق نظام ، حتى أصبحت هذه المنطقة محتلة احتلالا ، عسكريا هائلا ومع هذا فان العاصمة بقيت تزدحم شوارعها بالمظاهرات ازدحاما لم يخل شبر واحـــد من تسجيل هتاف المتظاهرين لمصر وحريتها واستقلالها التـام ولم تكن المظـاهرات تملأ شوارع القاهرة ، والاسكندرية ، وطنطا والزقازيق ، وأسيوط ، وغيرها ، وغيرها من المدن الكبرى وحسب وانما امتدت الى المراكز ، والقرى ؛ قرأت مثلا عن مظاهرات قامت فى صالحجر « غربية » اشترك فيها الشيخ محمد يوسف فايد ، والشيخ أحمد الدربى ، ومحمود محمد فايد ، وقرأت عن اجتماع شباب المنزلة ، وتأييدهم الجبهة الوطنية واستنكارهم تدخل الانجليز فى شئون مصر الداخلية ، واحتجاجهم على الصحف البريطانية لما لغطت به من هراء نحو القضاء المصرى ، ونحو القضاة المصريين ، ومقاطعتهم البضـائع الانجليزيـة بطريقة جدية ، عملية ، ووقع على قرارات شباب المنزلة : زكى السودة ، رأفت جلباية « كلية الحقوق » على السودة « كلية التجارة » أحمـد السقطى فؤاد رحمـو « دار العلوم العليا » ، أنور الشيلى ، عبد المنعم شحاته « الفنون والصناعة » محمد سويدان ، محمد عنبر ، أحمد صقر « الأزهر الشريف » عبد الغفار حمزة حكيم عزيز ، الدسوقى عبد الجواد « المدارس الثانوية » محمد محمود العريان « المدارس الصناعية » وقد اعتقل البوليس فى يوم واحد « ١٢ ديسمبر » ٨٠ طالبا فى بنى سويف ، وكان البوليس يقتحم المنازل ، ويقبض على من فيها من الطلبة وقد استمرت عملية القبض على الابريـاء حتى منتصف الليـل ، واستخدم البوليس وسائل العنف والضرب والاهانة والأذى بكل ألوانه ، وأنواعه الأمر الذى دعا الأهالى الى الشكوى المرة ، من تصرفات البوليس ، الى النيابة ، وكان يشرف على التحقيق الاستاذ ثابت بك ثروت رئيس النيابة وكانت لجنة الدفاع عن الطلبة المعتقلين قد شكلت من الأساتذة على كمال حبيشة بـك ،

وقسطندى برسوم ، وعبد العال محمود ، وزكى شعيب المحامين وكان من بين المعتقلين نجلا سعادة على اسلام باشا ، وأنجال محمد بك على سليمان والشيخ تهامى معارف وعباس أفندى كرم ، ولم يسمح رئيس النيابة للصحفيين بحضور التحقيق والجدير بالذكر • ان عبد العزيز باشا فهمى رئيس محكمة النقض والابرام كان قد قرأ فى جريدة الأهرام ان حضرة صاحب السعادة حكمدار البوليس قد أرسل منشورا الى أقسام البوليس جاء فيه أن حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء قد أطلق يد البوليس ، فى قمع المظاهرات مع ضمان التعضيد الكلى من جهة المحاكم ، ويكتب عبد العزيز فهمى باشا خطابا الى وزير الحقانية يقول فيه : ان اطلاق يد البوليس فى قمع المظاهرات بلا شبهة من حق دولة رئيس الحكومة ، بل من واجبه لان قوانين البلاد يجب احترامها وتنفيذها على الوجه الأكمل الذى يستقر به النظام ، وأما ضمان التعضيد الكلى من جهة المحاكم فانها عبارة لم نتبين المراد منها تماما فان كان المراد بها أن القضاء مستعد دائما للعمل بما توجبه القوانين الموضوعة لاستتباب الأمن والنظام ، وان هذا الاستعداد مضمون دائما وفيه بطريق اللزوم ، التعضيد الكلى للبوليس واعانته على القيام بواجبه ، فان هذا المراد يكون مرادا حقا سليما لا غبار عليه اما ان كان المراد بتلك الجملة أن القضاء لم يكن فى عمله من قبل ما يشجع رجال البوليس على القيام بواجباتهم القانونية وان دولة رئيس الحكومة ضمن تعديل القضاء لخطته ، فان هذا المراد الذى يتبادر أيضا من هذه العبارة المذكورة ، يكون مرادا خارجا عن سلطة مريده ولا تقبله كرامة القضاء ، ويطلب عبد العزيز فهمى باشا رئيس محكمة النقض والابرام من وزير الحقانية ، ان يطلب الى من يلزم بيان حقيقة المراد من تلك العبارة ، وأرجو – هكذا قال عبد العزيز فهمى باشا – ألا يكون المراد بها غير المعنى الأول » •

★★★

ويرد وزير الحقانية على رئيس محكمة النقض والابرام قائلا : تسلمت كتاب سعادتكم الخاص بمنشور سعادة حكمدار القاهرة ، الى ضباطه فطلبت من وزارة الداخلية ان تبعث الى بهذا المنشور وفهمت منه ما قدرتموه فى فرضكم الأول من أن المقصود به هو استعداد القضاء دائما للعمل بما توجبه القوانين لاستتباب الأمن والنظام وقد اتصلت مع ذلك بحكمدار القاهرة فأكد لى أنه لم يقصد غير هذا المعنى وانه بعيد عن التفكير فيما يمس استقلال القضاء وكرامته •• » •

وهكذا كان رجال القضاء ، كبارا يدافعون عن استقلال القضاء ، حتى لا تمتد اليه يد معتد آثم ، أو حتى لا يفكر احد فى النيل منه تماما مثلما كان رجال الجامعة ، رجالا كبارا • يدافعون عن استقلال الجامعة • ويرفضون أى

تدخل فى شئونها ، ولو كان هذا التدخل من قبل ـ مجلس الوزراء الذى يوجد ضمن أعضائه وزير المعارف الرئيس الأعلى للجامعة ٠

★★★

والجدير بالذكر أيضا أن المحاكم التى كان يحاكم بها الشبـاب كانت تبدو أشبه بالثكنات الحربية حيث ترابط داخلها ومن حولها قوات بلوك الخفر ، المسلحة وما أكثر المعارك التى نشبت حتى فى داخل المحاكم بل وأثناء انعقاد الجلسات بين المتهمين ورجال البوليس الموجودين داخل الجلسات وفى قضية مظاهرة المنيل التى أصيب فيها الاميرالاى لوكاس بك مساعد الحكمدار بفرقة ب اصابة خطيرة وكان أحد المصابين ابراهيم أفندى رشاد قد أصيب فى عينـه اصابة خطيرة فلما سئل عن ظروف اصابته قال : ان رسل باشـا حـكمدار البوليس ضربه بعصاه كما ضرب غيره من المتهمين عند القبض عليهم وذلـك أمام أحد وكلاء النيابة ٠

وقد وقف الأستاذ صبرى أبو علم يترافع عن المتهمين ، وكـان من بين ما قاله : شارك مدير الجامعة وعمداؤها الطلبة فى شعورهم الوطنى وبين هؤلاء العمداء ، عميد أجنبى نزل يحيى هذا الشعور النبيل وخلع قبعته احتراما وتحية ٠

★★★

المدير والعمداء اشتركوا مع الطلبة فى ازاحة الستار عن النصب التذكارى فعلى النيابة أن تجىء بالمدير والعمداء وتحشرهم عدا فى هذا القفص ووسط مرافعة الأستاذ صبرى أبو علم قال الأستاذ محمد كامل البندارى : خرجوا شوية عساكر علشان يخففوا الزحمة : عاوزين نتنفس ! وأصدر القاضى حكمه بتسليم حسام الدين ثابت والسيد عبد الفتاح ومعتمد عبد العزيز وشوقى عبد الرحيم لذويهم لحداثة سنهم وتجديد حبس محمد على عوض الله أربعـة عشر يوما ، والافراج بكفالة عن كثير من المتهمين و ٠٠ و ٠٠

★★★

وقد نجحت مقاومة الشعب فأعادت دستور ١٩٢٣ على النحو الذى نفصله فى الفصل التالى :

الفصل الثالث

العودة الى دستور ١٩٢٣

كان هذا يجرى فى مصر ، فماذا كان رأى الانجليز فى كل الذى يجرى فى مصر ؟

● اهتمت الصحف البريطانية الى أبعد الحدود بالعريضة التى رفعتها الأحزاب الى الملك مطالبة بدستور ١٩٢٣ ، وكذلك بلاغ الأحزاب السياسية الممثلة فى الجبهة الوطنية الى المندوب السامى البريطانى بخصوص : مطالبة الحكومة البريطانية ، باعلان موافقتها على التفاوض مع مصر ، لوضع حل للمشكلة المصرية ـ البريطانية على أساس مشروع اتفاق النحاس ـ هندرسون ، والذى كان قد توصل اليه الجانبان المصرى ، والبريطانى فى عام ١٩٣٠ .

وكان مما نشرته جريدة « التيمس » البريطانية ، ان مقابلة نسيم باشا ، للمندوب السامى ، جعلت الصحف المصرية تقرر القول ، بأن استقالة الوزارة راجعة الى ان نصيحة الحكومة البريطانية ضد دستور ١٩٢٣ ، على انه لا يوجد من الأسباب ما يؤيد هذا الحدث والاحتمال والمرجع هو أن نسيم باشا ، اقتنع بأن من المرغوب فيه الآن وجود شخص آخر على رأس الوزارة ، وقد كان فى اتحاد الأحزاب فجأة على خطة واحدة ، عنصر جديد يسوغ لنسيم باشا ، ان يقدم استقالته .

وتقول التيمس البريطانية : أما مسألة وجود خلف لنسيم باشا ، فلا تزال فى مكانها من الخطورة ، على ان الضرورة تحتم قيام حكومة قوية اذا كان من المرغوب فيه الا تتطور الحالة وتنتهى بنتائج جديدة تنجم عن الاضطرابات .

وتشير صحيفه « المورننج بوست » الى أن على ماهر باشا سيتولى تأليف الوزارة القادمة ، وان من بين أعضائها حسن صبرى بك ، ومحمود شاكر بك

« هذه هي المرة الأولى التي يشار فيها الى احتمال تولى على ماهر باشا » رئاسة الوزارة » ٠

★★★

وأشارت « التيمس » وهي تتحدث عن الأحوال الحاضرة في مصر — الى أن أول ثمرة للاتحاد الذى جاء فجأة هو استقرار رأى نسيم باشا على الاستقالة ، ولقد كان مركز نسيم باشا عسيرا بعد أن تحول جلالة الملك الى دستور ١٩٢٣ ، وانه الآن أشد ، عسرا بسبب ما تركه جمود السياسة البريطانية من آثار نفسية ان مشروع معاهدة ١٩٣٠ لم يوقع الخلاف على مسألة السودان ، وان مواده العسكرية غير ملائمة للظروف الحاضرة في البحر الأبيض المتوسط ، وقد جاءت الحوادث الأخيرة معززة للانتقاد الموجه الى فكرة نقل الجنود البريطانيين ، الى منطقة القناة ، وينحصر هذا الانتقاد في أن ذلك النقل سيكشف حدود مصر الغربية ، ويحق لنا أن نعتقد بأن الزعماء ، المصريين الذين اتحدوا على المطالبة بتوقيع معاهدة سنة ١٩٣٠ يدركون معنى الالحاح في وجود مشروع تقضى كل مادة فيه على نفسها بنفسها ولا يمكنهم ان يأملوا فى انتظار تعهد من الحكومة البريطانية بالمفاوضة في الوقت الذى يجدونها فيه مشغولة بأزمة دولية أو أن تسمح لهياج الطلبة أن يؤثر فيها ، ولا ريب ان من الممكن اتخاذ حلول بكل حكمة ترضى الأماني المصرية المعقولة ومثال ذلك عقد محالفة عسكرية دفاعية بين انجلترا ومصر ؛ تؤكد التعاون البريطاني المصرى ولا ندرى ، لماذا تعجل الحكومة البريطانية ، مع تعذر حل مسألة امتيازات الأجانب ، بالتنازل عن هذه الامتيازات القديمة مقابل عقد اتفاق ، تلتزم الدول بمراعاته على ألا يمس هذا الاتفاق الحالة ٠٠ الا بعد أن تنسج الدول الأخرى على منوال انجلترا ، اعتقد حلا كهذا ، يبدد ما ظهر من غيوم في الجو المصرى ٠

★★★

ويقول مراسل « روتر » فى القاهرة : ان الجبهة الوطنية المتحدة من الوفديين والأحرار الدستوريين قرروا الموافقة على معاهدة سنة ١٩٣٠ التى تشترط ان تتحمل بريطانيا الدفاع عن مصر ، ورعاية شئون الأجانب والأقليات وان معاهدة سنة ١٩٣٠ لذات أهمية خاصة بالنسبة للازمة الدولية الحاضرة ، واعتبار الاسكندرية قاعدة للاسطول البريطاني في البحر الأبيض المتوسط وقوات الجيش الايطالى المحتشدة فى ليبيا وتنص هذه المواد على انسحاب الجيش الانجليزى من منطقة قنال السويس ٠

وتقول جريدة « الديلى ميل » كان لا بد للملك من مهلة للتفكير وقد رددت بعض الدوائر ، انه يتمهل ليحصل من الوفد على بيان نهائى يشرح فى المستقبل قبل اذاعة البيان الخاص ، باصدار الدستور : أن الموقف الرسمى البريطانى

أزاء حالة مصر ، هو انها لا يمكنها التدخل فى شئون مصر الداخلية ، ولكنها تبدى أسفها فى الوقت نفسه لعمل مثل اعادة دستور سنة ١٩٢٣ الذى عطل قبل ذلك مرات ومن حقها ان تنظر الى الحالة نظرة انزعاج ولكن موقفها سيظل على حاله دون تغيير وهى على استعداد لأن تستأنف المفاوضات قريبا » .

وقالت جريدة « الديلى هيرالد » : ان السير صمويل هور ليس بالرجل الذى يصلح لمعالجة المشكلة المصرية أو المشكلة الحبشية ، انه رجل فاشل ، وليس فى استطاعتنا تحمل فشله وهو يتصرف فى الشئون الخارجية ..

وفى ١٢ ديسمبر ١٩٣٥ رفع توفيق نسيم باشا الى الملك رسالة قال فيها :

★★★

«قد ظهر الحق ووضح الخفاء وجاء تصريح الحكومة البريطانية الأخير على لسان وزير خارجيتها بأن ما سبقه من التصريح بشأن دستور مصر كان نصيحة أبديت على حسن نية وسلامة وطيبة بناء على الاستشارة واستطلاع الرأى ، ولكن ولسوء الحظ اسىء فهمها فأدى ذلك الى فورة غضب صونا للحق ، واحتفاظا به وهى لا تلبث أن تهدأ وتستقيم الأمور فى نصابها ، وبعد ان تغير الحكومة الانكليزية تقاليدها وسيرتها خصوصا مع دولة صديقة يربطهـا بهـا اشتراك المصالح وتبادل حسن القصد ، والمنفعة .

★★★

« وأصبح من حق الملك والشعب ان يرجع اليهما فى وضـع الدستور بمقتضى تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ، الذى دعمه وأيده تصريح السير صمويل هور وزير خارجية انكلترا الذى قرر فى خطبته الأخيرة بتاريخ ٥ ديسمبر الجارى بالبرلمان الانكليزى ان أمر الدستور متروك لمصر ، وانه لم يقصد فيما قال لا املاء شىء ولا الزاما بأمر ولقد أخذت الحكومة للأمر عدته ، بناء على ما أبدته أغلبية الأمة من الرغبة فى دستور سنة ١٩٢٣ فطلبت من جلالتكم اعادة هذا الدستور فى كتابها بتاريخ ١٧ ابريل ١٩٣٥ ووافقتم جلالتكم فى ردكم ٢٠ ابريل سنة ١٩٣٥ على ذلك وبعد مباحثات طويلة بيننا وبين المندوب السامى أوشكت ان تنتهى على أساس هذه العودة ، قبل ان يأتى تصريح السير صمويل هور الأخير ، بأيام هذا التصريح الذى قرر هذا الحق ، مؤيدا ومدعما ، لتصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ : فالحكومة المصرية تقرر من الآن عودة دستور سنة ١٩٢٣ ملتمسة من جلالتكم اصدار الأمر الملكى القاضى بذلك ، وهى بحمد الله الذى وفقها الى اعلان ذلك بعد المجهودات التى بذلتها فى هذا السبيل ، وكل من ساعدها على نيله ، وانه لمن دواعى الغبطة والسرور ان يتم فى القريب العاجل

الاتفاق المأمول بين بريطانيا العظمى ومصر ، الدولتين اللتين تجمعهما المصلحة المشتركة وتربطهما من زمن روابط الصفاء والمودة تحقيقا لمستقبل سعيد يعود علينا بالخير العميم والنفع العظيم ، وبذلك نكون قد قمنا بالواجب علينا ووفينا بعهدنا « للبلاد » . ان العهد كان مسئولا ، وتكون أرضينا الحق والضمير وكذلك وفقنا الى ارضاء كل الأمانى ورغبات البلاد وصح ان نقول خاتمين : « مات الدستور ليحيا الدستور وانى لجلالتكم العبد الخاضع والمخلص الأمين » .

***

ويصدر الملك أحمد فؤاد الأمر الملكى رقم ١١٨ لسنة ١٩٣٥ الذى أعاد العمل بدستور سنة ١٩٢٣ .

وقد وقع الملك على هذا الأمر ، ووقع بعده على الأمر الملكى محمد توفيق نسيم رئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية وعبد العزيز محمد وزير الأوقاف ، وكامل ابراهيم وزير الزراعة ، وأمين أنيس وزير الحقانية ، وأحمد عبد الوهاب وزير المالية ، وعبد العزيز عزت وزير الخارجية ، ومحمد توفيق عبد الله وزير الحربية والبحرية ، وعبد المجيد عمر وزير الأشغال العمومية والمواصلات ، وأحمد نجيب الهلالى وزير المعارف العمومية والتجارة والصناعة .. » .

***

والغريب ، انه بعد ان وقع الملك أحمد فؤاد الأمر الملكى باعادة دستور ١٩٢٣ صرح توفيق نسيم باشا ، بتصريح غريب قال فيه :

« اننا بعد تقديم الشكر لله تعالى على تتويجه جهودنا الطويله بالنجاح ، وبعد اعرابنا عن شكرنا واخلاصنا لجلالة الملك المعظم نحيى حسن النية والبادرة اللتين أظهرتهما الحكومة البريطانية بسعيها لازالة سوء التفاهم الذى أحدثته فى مصر مع الأسف تصريحات السير صمويل هور التى القاها عن غير قصد وبحسن نية فى الجيلوهول » .

ثم يقول رئيس وزراء مصر :

« ولا يفوتنا ان نشكر بوجه خاص سعادة السير مايلز لامبسون السفير البريطانى من أجل ما أظهره أثناء مفاوضاتنا الطويلة على الأخص خلال شهرى نوفمبر وديسمبر من تقدير صحيح للموقف حتى أوشكت ان تنتهى المفاوضات على أساس عودة دستور ١٩٢٣ ، قبل تصريح السير صمويل هور الأخير » .

ويهيب رئيس الوزارة المصرية — فى الختام — بالشعب المصرى كافة صغاره وكباره ولا سيما بالطلبة ان ينصرف كل الى عمله ودروسه ويترك للحكومة مهمة تنفيذ الدستور راجين ان يكون العهد الجديد الذى يبدأ اليوم عهد خير وسلام ، للبلاد » .

ويقول مصطفى النحاس عن عودة دستور ١٩٢٣ : هذا اليوم هو عيد الأمة لأنه يوم نصر لها فى جهادها ، اليوم اذ يعود الى الأمة دستورها يحق لكل مصرى أن يسر لتلك الثمرة الأولى من ثمار جهاد الأمة ، وواجب الوزارة الآن ان تسرع فى اجراء الانتخابات لكى تيسر للأمة ممثلة فى نوابها وشيوخها ان تختار الحكومة الدستورية التى تتولى توقيع المعاهدة .

ويقول محمد محمود : ان الدستور مطلوب ولكنه يجب ان يقرن بالاستقلال والسيادة والكرامة والحرية تتمثل جميعها فى الاستقلال ، والدستور يظهر سلطة الأمة فى الداخل ، وعنوان الحكم ، ولا تظنوا ـ كان محمد محمود يخاطب حوالى خمسين طالبا من طلاب الجامعة كانوا قد قاموا بزيارته ـ اننا نمتنع عن دخول الانتخابات اذا جاء وقتها وانما ندخلها ونحن نضمر قبل دخولها ، وفى حلبتها ، وبعد استوائنا فى مقاعدنا النيابية نضمر السعى ، الى الاستقلال وابرام المعاهدة المحدودة لعلاقاتنا بالانجليز ونحن من الآن نتخلى ومستعدون دائما للتخلى عن مظاهر الحكم والنيابة معا ، اذا تحققت آمال الأمة فى الاستقلال . وليوقع المعاهدة من يوقع ، فالمطلب الاسمى هو الاستقلال ، وأمامكم تشيكوسلوفاكيا فقد جاء الرئيس مازايك من أمريكا ووقع معاهدة فرساى ، وذهب الى بلاده يحمل وثيقة الاستقلال قبل ان يقوم فيها دستور ، أو يتقرر نظام للحكم » .

★★★

وقال د. محمود عزمى تحت عنوان « عاد الدستور وكأنه لم يعد : » .

« نسيم باشا يجعل للانجليز الحق الأول فى منحه وفى منعه » ويقول د. محمود عزمى مضيفا : هذه هى المرة الأولى التى نذكر ان رئيس وزارة مصرية قد اجترأ فيها على ان يضمن كتابا مرفوعا الى حضرة صاحب الجلالة ملك مصر ، بصدد النظام الدستورى المصرى مثل تلك العبارات المستندة الى أحاديثه مع المندوب السامى البريطانى والى تصريحات يدلى بها وزير الخارجية البريطانية ـ هكذا كان يكتب د. عزمى ، الثاء فى بريطانيا بدلا من الطاء ـ فى خطبة انتخابه أو فى بيانه لمجلس العموم البريطانى ! واذن فنسيم باشا لا يتورع عن جعل الحق الأول فى منح الدستور لمصر ، ومنعه عنها للانجليز ووزارة خارجيتها ودار مندوبها السامى ، ولا يتورع عن تضمين هذا البهتان الماس بكرامة مصر ، والمعتدى على سيادتها وثيقة من أخطر الوثائق الرسمية ، للدولة المصرية ، التى ابتيلت بتوليه رياسة حكومتها فى هذه الأوقات العصيبة : وبعد فقد كانت الدلالات كلها منذ أذيع الأمر ، الملكى باعادة دستور ١٩٢٣ اعادة نظرية واذيع معه كتاب نسيم باشا لجلالة الملك ناطقة باستمرار خيبة أمل البلاد فى نسيم باشا ووزارته ، وناطقة بعدم انزلاق الأمة الى الانخداع ، بهذه المظاهر ، التى

يحسبها صاحب دولة هذا الزمان انها معينة له ، ومعينة للانجليز معه على بقائه فى الحكم واستمراره الى ان يتم واجبه الذى فرض على نفسه فيه ان يسلم للانجليز ما بقى ـ من حقوق ومرافق وله فى هذا المضمار سابقة مشهورة هى سابقة حذف السودان من لقب الملك فى الدستور » .

***

وتحت عنوان « أضاع الاستقلال ، وجلل الأمة بالهزيمة فى يوم نصرها » كتب الأستاذ عباس محمود العقاد يقول :

« ماذا استفدنا من دستور يعيده توفيق نسيم على هذا النمط ، الا تضييع الاستقلال وافساد الأمر كله على الأمة فى يوم نصرها واجتماع رأيها ، واقتراب رجائها .

« أكان حراما على نسيم باشا أن تمر به هذه الفرصة دون أن ينتفع بها الانجليز أكبر انتفاع يتوقون اليه ودون ان تخسر فيها القضية المصرية أكبر خسارة تخشاها ؟ ماذا كان على الرجل لو انه قال انه يطلب الدستور لأن الموانع قد زالت من طريق الدستور ؟ ماذا كان عليه لو انه قال ان الدستور من حق الملك والشعب ولهذا يطلبه وقد حان أوانه من الملك باسم شعبه » .

ويقول ، العقاد مخاطبا نسيم باشا رئيس مجلس الوزراء :

« يا نسيم باشا ، يرحمك الله دع البلاد وشأنها ودع دستورها واستقلالها ودع اتفاقها واختلافها ، فحسبها وحسبك ، ما جنيت عليها وحسبها وحسبك ما أفسدت من حاضر جهادها ، وسابق سعيها .. ومقبل رجائها : انك لا تخطو خطوة ، ولا تقول كلمة الا وفيها ضياع لحق ، واعتراف بعدوان فكفى ما صنعت للانجليز : كفى ما صنعت بمصر كفى ما أفسدت من أمور يعييها الاصلاح استرح ، وارحنا يرحمك الله ، فان كثيرا على رجل واحد ان ينكب البلاد كما نكبتها فى عام ، وبعض عام » .

***

ولا تتوقف المظاهرات وانما تزداد قوة ، وعنفا . وكل ما فعلته وزارة توفيق نسيم باشا لتهدئة ، الحالة ، انها رفعت الحصار عن بيت الأمة ! وان النيابة العامة بدأت تفرج عن بعض المتهمين وقد اجتمعت لجنة الطلبة التنفيذية للمدارس ، الخصوصية والثانوية فى ١٥ ديسمبر وقررت تهنئة الأمة ، بعودة دستور ١٩٢٣ وعدم الاكتفاء بعودة الدستور ومواصلة الجهاد ، وبث الدعوة فى أفراد الشعب حتى تنال الأمة الاستقلال التام لمصر والسودان ، الثقة التامة بالجبهة الوطنيــة لتحــذير الأمة من الدسائس الاستعمارية ـ مطالبة رئيس الوزراء بالغاء القوانين الاستثنائية التى صـــدرت فى عهــد وقف الدستور ،

والافراج عن المحكوم عليهم فى الحركة الوطنية الأخيرة وانتداب وفد من اللجنة لمقابلة وزير المعارف ومطالبته باعادة الطلبة المفصـولين ـ مقـاطعة التجارة الانجليزية بطريقة عملية ، الاشتراك مع لجنة الطلبة العليا فى تأبين الشهداء ٠

وقد كان أعضاء اللجنة الذين وقعوا هذه القرارات : محمود التونى ، أحمد السيسى ، عبد المنعم عبد الرحمن ، عبد الوهاب حسنى ، السيد عبد الغنى زكى ، محمد محمود السبع ، جمال عبد الناصر ، حسين وصفى النشار ، حسنين محمد حسنين حمـادة ، رجائى كامل ، محمد عدلى الشنشناوى ، فريد أحمد راشد ، عبد الحميد محمد ، محمد عبد الحميد سالم ، أحمد فؤاد ، محمد أحمد الراغب ، صلاح أحمد عبد الله ، أحمد الشافعى ، أحمد حسين ، حسن علاء الدين ، سـليم بباوى ، عبد الحى اسـماعيل ، ابراهيم لطفى ، حسن محمد عبد الرحمن ٠

***

واجتمعت الجبهة الوطنية فى ١٥ ديسمبر بحضور : مصطفى النحاس محمد محمود ، اسماعيل صدقى ، على الشمسى ، حمد الباسل ، حلمى عيسى ، حافظ رمضان ، عبد الرحمن الرافعى ، الدكتور أحمد ماهر ، وحافظ عفيفى ٠٠ وقررت مطالبة الوزارة ، باصدار قانون الانتخاب ، والغاء القـوانين الاستثنائية واقترحوا على الوزارة ان تستقيل اذا لم يتم تنفيذ ذلك خلال ثمان وأربعين ساعة ٠

وعادت الوزارة بعد اشـتداد المظـاهرات الى محاصرة الأندية مثل نادى المحامين ، ونادى العمال ٠ ولوحظ أن مظاهرات الطالبات قد شـملت جميع المدارس الثانوية ٠ وكانت مظاهرات المطالبات فى هذه المرة بل ولأول مرة ، تمر بدور الأحزاب وتطلب من الزعماء والقادة أن يتحدثوا اليهن ، وقد حيا فيهن اسماعيل صدقى شباب الأمة اليقظ وأبدى فرحته الكبيرة بعودة دستور ١٩٢٣ ، الذى كان قد الغاه دولته فى سنة ١٩٣٠ ودعت جمعية مصر الفتاة الى تجنيد جيش المقاطعة ومهمة جنود هذا الجيش الامتناع عن مشترى بضائع العدو ، وان ينصحوا غيرهم باتباع هذا السبيل !

والجدير بالذكر ، ان النحاس باشا قد توجه الى الطلبة بضرورة الكف عن الاضطرابات بعد أن طلب الى نسيم باشا أن يستخدم جميع ما لديه من نفوذ ، فى منع تكرار المشاغبات فى الشوارع ، وأن المندوب السامى البريطانى

طلب من نسيم باشا ، أن تتخذ الحكومة المصرية التدابير اللازمة لحماية الأجانب والجنود البريطانيين من اعتداءات الطلبة ·

***

وفى ١٦ ديسمبر ١٩٣٥ أصدرت محكمة النقض والابرام حكمها فى قضية شعبان أفندى حافظ ـ وكانت من القضايا التى أثارت انتباه الجماهير ـ وهو يقضى بنقض حكم البراءة المطعون فيه من النيابة ، واعتبار ما وقع شروعا فى ترويج مذهب يرمى الى تغيير مبادىء الدستور الأساسية ، ومعاقبة المتهم بالحبس مع الشغل ثلاث سنوات ·

وقد أصدرت لجنة الطلبة التنفيذية بيانا وايضاحا الى الأمة أكدت فيه على أن أهدافها من ثورتها كان : الحصول على الدستور كجزء من الاستقلال ، ولا يغنى عنه تحقيق الاستقلال ، والمطالبة بابرام المعاهدة فى غير ابطاء ، وقد أقسمنا على ألا نهدأ ، أو نلين حتى نحصل على الغايتين معا ·

***

ويقول البيان : ومما لا شك فيه ان الفضـل فى اعادة دستور ١٩٢٣ باعتراف الجميع راجع الى الشباب فهم الذين ضحوا ، وهم الذين بذلوا · وهم الذين عملوا على توحيد الأمة ، وهم الذين زحزحوا الوزارة من موقعها · ووصف البيان والايضاح موقف الوزارة من الحركة بأنه موقف لا يحبه مصرى لوطنه ، ولا يرتضيه فقد قاومت الحركة الوطنية بقوة الرصاص فقتل من قتل من شباب الأمة البواسل بغير ما داع وانتهكت فى جرأة عجيبة حرمات البلاد الأساسية بان :

● اعتدت على استقلال الجامعة ، واستقلال القضـاء ـ ملأت السجون بالطلبة والعمال ، ولا ذنب لهم ، الا تعبيرهم عن مطالب بلادهم ـ اعتدت على حرمة المنازل والدور ، كما اعتدت على حرية الصحافة وأبقت القوانين الشاذة معمولا بها ، ولم تحاول الغاءهـا وكرر الشباب العهد بأنهم مسـتمرون فى حركتهم ، مستهينون بأية تضحية فاتحون صدورهم لأى أذى ما دام كفاحهم فى سبيل الاستقلال التام حتى يحصلوا عليه ، وترجو لجنة الطلبة التنفيذية بوصفها الممثلة للشباب المصرى من الشعب المصرى أن يشاطرهم كفاحهم ، ويلحوا عليه فى أن تكون مظاهراته بعيدة عن التخريب والاعتداء بكل أنواعه ، ويوقع على البيان :

● كلية الطب : نور الدين طراف ، أحمد عبد الله ، ابراهيم عبود ، قاسم فرحات ، أعضاء اتحاد : عبد اللطيف جوهر ، حسنى الغامرى ·

● كلية الآداب : مصطفى السعدنى ـ عضو اتحاد ـ طلعت خالد ، سامى ناشد ، عثمان عسل ، محمود يوسف رضوان .

● كلية الحقوق : الظاهر حسن ، أحمد عبد العزيز الشوربجى ـ عضوا اتحاد ـ محمد حسن حمزة ، طاهر نعمان ، محمد أبو بكر الهوارى ، مراد يس ، أحمد شرف الدين ، خليل جمال الدين ، عبد الغفار متولى ، محمود فهمى ، أبو غدير ، حمادة الناحل .

● كلية الهندسة : جلال الدين الحمامصى ، ابراهيم عثمان ، مصطفى السعيد ، أعضاء اتحاد ، عز الدين كامل .

● كلية الزراعة : حسين الابيارى ، أحمد الدمرداش التونى ـ عضوا اتحاد ـ عبد المقصود عزت ، حسين حلمى ، فؤاد على ، محمد محمد سرحان .

● كلية التجارة : عبد الله بغدادى أباظة « عضو اتحاد » ابراهيم الدسوقى ، أحمد حلمى ، أحمد شلبى .

● دار العلوم : محمد برهسام ، أحمد محيى الدين ، سعيد العجان ، سليمان النمكى .

● الفنون التطبيقية ، أنور الصدر ، محمود قدرى .

★★★

ووسط ذلك الغليان العنيف يقع اعتداء على جندى بريطانى واحد فاذا بالصحف البريطانية تعلن ثورتها على مصر ، وعلى حكومة مصر ، واذا بالسير مايلز لامبسون المندوب السامى البريطانى فى مصر ، يقدم احتجاجا عنيف اللهجة الى رئيس الوزارة المصرية ، بسبب محاولة الاعتداء على جندى بريطانى واحد بينما لم تثر الصحافة البريطانية ولم يثر المندوب السامى البريطانى لمصرع الكثيرين من أبناء مصر ، الذين لقوا مصرعهم ببنادق البوليس ، الذى يشرف عليه ، ويوجهه ويصدر اليه الأوامر رسل باشا الانجليزى ! .

ويعتذر نسيم باشا رئيس الوزراء للمندوب السامى البريطانى .

ويعرب عن أسفه العميق لمحاولة الاعتداء على جندى بريطانى وهو الذى لم يعرب أبدا عن أى مشاعر ، بعد أن امتلأت الشوارع بدماء الشباب المصرى .

★★★

والجدير بالذكر أن آخر مقال كتبه الأستاذ عباس محمود العقاد فى روزاليوسف اليومية كان فى ١٨ ديسمبر ١٩٣٥ وكان بعنوان « خطة لم تتغير ، ولكننا قادرون على تغييرها » ، وفى هذه المقالة يقول :

« فى مصر يشتغل الانجليز بالتحصين السياسى كما يشتغلون بالتحصين العسكرى ويعنون بالحاضر والمستقبل ، أشد من كل عناية رأيناها منهم فى أيام الاحتلال ، فالوقت وقت اشتغال بالقضية المصرية لا وقت اهمال لهذه القضية ، ولكنهم أهملوها ، لأننا نحن كنا نستحق الاهمال . أما اليوم فلا سبيل الى اهمالها ، مع اتفاق الكلمة ويقظة الشعور » .

ويقول العقاد :

« العراقيل المصطنعة فى طريق المسألة المصرية ، انما تنشأ على الأغلب الأعم ، من طرفين اثنين أحدهما فى مصر ، والآخر فى البلاد الانجليزية . أما فى مصر ، فقد اشتهر فريق صغير من الانجليز المحليين بكراهية التوفيق بين البلدين محافظة منهم على نفوذهم ومراكزهم ، أو ذهابا منهم من شعور النقمة والمرارة الذى تخلف فى النفوس من آثار العراك اللدود فى ابان الثورة الوطنية . وأما فى انجلترا فهناك العسكريون الذين يجهلون كل شىء الا اختلاق الطوارىء ثم اختلاق العدة لاتقانها ، ولو أطيعوا كما قال أحد الساسة الانجليز لطلبوا احتلال القمر ، اتقاء المغارة من المريخ .

« وقد بدأ هؤلاء ، وهؤلاء يتحفزون .

فالانجليز المحليون المعارضون للوفاق يكتبون الى صحفهم الاستعمارية منذرين بسوء الحال ، مبشرين انحلال « الائتلاف » المصرى أو اشرافه على الانحلال .

« والانجليز العسكريون ينشطون هناك ، كما أنبأتنا الصحف للمعارضة الشديدة فى تنفيذ الشروط الحربية من المعاهدة المطلوبة » .

***

الى أن يقول العقاد :

ان الوقت ، وقت الاشتغال بالقضية .. والانجليز يهملون القضية المصرية ، لأننا كنا نستحق الاهمال . وان العراقيل المصطنعة فى طريق المسألة المصرية انما تنشأ .. من طرفين اثنين احدهما فى مصر والآخر فى البلاد الانجليزية .

وأما فى انجلترا ، فهناك العسكريون الذين يجهلون كل شىء الا اختلاق الطوارىء .

وقد بدأ هؤلاء وهؤلاء يتحفزون .

الانجليز المحليون يعارضون الوفاق ، منذرين ومبشرين بانحلال الائتلاف المصرى أو اشرافه على الانحلال ·

والانجليز العسكريون ينشطون ويعارضون تنفيذ الشروط الحربية من المعاهدة المطلوبة ·

***

ويواصل العقاد مقاله قائلا :

« ·· ولكنها عقبات يتغلب عليها الحكماء من الانجليز لو شاءوا وبذلوا العناية ، مع المشيئة ، وانما يشاءون ويبذلون العناية اذا نحن سهرنا على قضيتنا وثابرنا على السهر ، واتفقنا على المثابرة ، ولم نضيع الفرصة ، فى خلاف عقيم على من يفاوضون ومن لا يفاوضون · وفى الجبهة الوطنية ومن ورائها قوة الأمة اليقظى ضمان السداد والتوفيق » ·

وفى العدد التالى من جريدة روزاليوسف اليومية الصادر فى ١٩ ديسمبر ، يحتل مقال الأستاذ توفيق صليب الصدارة ، فى المكان الذى كانت تنشر فيه مقالة الأستاذ العقاد بعنوان « الجبهة الوطنية ، تعمل آلت على نفسها منذ نزلت الى ميدان العمل الصحفى ان تقدم من جهود الى الوطنية المصرية سلاحا جديدا ، والى الرأى الحر ، والعقيدة المنزهة أسلوبا فى الكفاح فريدا ، أتقدم اليوم وبكل فخار بكتابى الى الرأى العام ، الذى آذرنى دائما فى كل محنة وشاطرنى النصر ، والمجد فى كل موقعة كتب فيها النصر والمجد للوطنية المصرية والذى غمرنى بالتشجيع ودوجنى بالاعزاز وكان لى من مؤازرته وتشجيعه واعزازه عزاء عما كان ينزل بى من بطش القوة ، واضطهاد الظالمين ·

***

« قد تخرج اليوم ، بعض الزميلات على الناس بنبأ أو اشارة الى نبأ تخلى الأستاذين عباس محمود العقاد ومحمود عزمى عن عملهما فى جريدتى اليومية · وانى لابدأ هذا الكتاب بتوجيه أصدق التمنيات لهما فى أعمالهما الجديدة مشتركين أو منفصلين ، أما بعد فانى أرى أن أكتفى بهذا بالنسبة للأستاذ عزمى الذى يهم الصالح العام فى خلافه وايأى شىء يسير أفضل الاستغناء عن طرحه أمام الناس الا اذا شاء الأستاذ الفاضل ان يشرك الرأى العام فيه والمشيئة فى ذلك له وحده ·

أما الأستاذ الكبير العقاد ، فخلافنا معه خلاف يمس الرأى العام والنفع العام ، عن قرب ، ومن حق الناس أن يعرفوا شيئا عن تفاصيله · وانه ليؤلمنى أشد الألم أن ينتهى الأمر هذه النهاية بينى وبين العقاد بعد أن تكاتفنا فى العمل

ما يقرب من عشرة أشهر كانت فى حياتى ، ولعلها أيضا فى حياته أعز أشهر قضيتها وقضاها فى الكفاح الصارم من أجل الحق ، والضمير ، والوطن . ولكن ما يعزينى هو اننا اجتمعنا على الحق والضمير والوطن وافترقنا أيضا على الحق والضمير ، والوطن » .

***

وتقول السيدة روزاليوسف :

« ان شرارة الحركة المباركة التى قام بها الشباب طارت أول ما طارت من صحائفهـا ، وبين سطورهـا فألهبت كل قلب ، ونبهت كل غافل . حتى استطاعت الأمة أخيرا أن تقطف الثمرة ، وتستعيد دستورها منتزعا من أنياب الذئب . والجبهة الوطنية أيضا خرجت فكرتها من هذه الجريدة وكانت فكرة من القوة بحيث أنسى خلالها الماضى ، ومحا جمالها من القلوب سيئات الاحن والأحقاد فرأينا الزعماء والقادة يجتمعون على خير مصر من جديد ويوقدون بيد واحدة شموع الهدى للأمة الصابرة . المكافحة ، ولما لم يكن حزبا من الأحزاب خارجا على الجبهة الوطنية ولما كانت الأحزاب كلها قد انضمت الى هذه الجبهة ولما كنا صحيفة تعتبر منبرا من منابر الرأى العام ، فقد كان لزاما علينا ونحن أول الساعين الى تأليف القلوب وتناسى الأحقاد ألا نضع أمام الجبهة الوطنية المتحدة ، ما يعرقل سعيها الناجح فى سبيل القضية المصرية المقدسة ، هـذه هى وجهة النظر التى أدين بها وأشد ما أكرهه ، هو أن أناقض نفسى فأدعو اليوم الى تكوين الجبهة الوطنية باعتبارها المثل الأعلى للسياسة المصرية فى الوقت الحاضر ثم أعرقل هذه الجبهة بأن أضع أمامها ما لا يقدم ، أو يؤخر ، فى الصالح الوطنى واختلفت وجهة نظرى هذه مع وجهة نظر الأستاذ العقاد ، اذ هو يرى عدم الهوادة مع الجبهة ، ويرى استمرار الحملة على الوزارة الحاضرة ومطالبتها بالاستقالة » .

***

وتقول السيدة روزاليوسف . انها رأت أن تضييع نشاط الأستاذ العقاد ونشاط الجريدة فى حملة مستمرة على الوزارة أمر غير مجد ، ولا منتج لأن من تحصيل الحاصل ان نطالبها بالاستقالة ، والجبهة الوطنية لا ترى الى الآن ذلك ، وهى لن تبقى فى الحكم أكثر من أسابيع معدودة تتولاه بعدها وزارة دستورية من المؤكد أنها ستكون مؤيدة من الجبهة الوطنية ومن الخير لمصر ، أن يتجه قلم العقاد الى وجهة أخرى أكثر نفعا وانتاجا وخصوصا واننا لم نتورط ، ولن نتورط فى تأييد الوزارة بل ان موقفنا منها هو موقف المراقبة والحذر ، ولن يمنعنا أحد أن نحمل عليها ونسير فى الحملة يوم نجد ما يدعو الى ذلك من

الأسباب التى حفزتنا على اطلاق العنان لأقلامنا فى اندفاع وقوة يقين طوال الأشهر المنصرمة من عمر الوزارة ٠

وتختتم الأستاذة روزاليوسف كتابها المفتوح بقولها :

« هذا الموقف كله بين الأستاذ العقاد وبينى ، وهذا هو الذى دعاه الى ترك العمل فى جريدتى ، وانه ليؤسفنى حقا ، أن نختلف بعد ذلك التعاون الصادق الجميل ، ولكن بعض العزاء أجده فى أننا كما سبق أن قلت قد اجتمعنا على الحق والضمير ، والوطن وافترقنا على الحق ، والضمير ، والوطن ٠٠ » ٠

***

ولأول مرة — فى ٢٢ ديسمبر ١٩٣٥ — فى يوم عيد الفطر المبارك يعرف الشعب ، أن الملك أحمد فؤاد مريض وذلك من الرسالة التى بعث بها الى الشعب فى العيد ، وكذلك اعتذاره عن عدم استطاعته المشاركة فى التشريفات الخاصة بالعيد ، حيث يضطر الى الوقوف لساعات طويلة ، مما يسبب له الاجهاد الذى يؤثر على صحته ، وقد رفعت الجبهة الوطنية فى ٣٥/١٢/٢٤ مصطفى النحاس ، محمد محمود يحيى ابراهيم ، اسماعيل صدقى ، محمد حافظ رمضان ، عبد الباسل عبد الفتاح يحيى ، حافظ عفيفى — رفعت الجبهة الوطنية خطابا الى الملك تشكره على رسالته الى الشعب فى يوم العيد ، وعى تفضله باجابة ملتمسها الاتفاق مع رغبته السنية ، باعادة دستور الأمة !

ويستمر الطلاب فى مظاهراتهم ، وفى دعوتهم الحكومة الى اصدار مشروع قانون العفو الشامل ٠ وقد ظهر أن الحكومة البريطانية تعارض فى اصدار هذا القانون وقد كلف المندوب السامى البريطانى مستر وسلى رئيس قلم المخابرات التابع للادارة الأوربية بوزارة الداخلية أن يقوم بجولة فى كل أنحاء البلاد ليدرس الأحوال الداخلية ، ولكى يتصل بكبار الأعيان ، والتجار ، وأهل الرأى فى مختلف الطبقات !

وكذلك ، لكى يعد تقريرا عن نشاط الجالية الايطالية وكانت الجالية الايطالية ذات أعداد وفيرة ، وكان لها مدارسها ، وجمعياتها بل وتشكيلاتها شبه العسكرية ، وكانت بريطانيا تعلق أهمية بالغة على موقف ايطاليا على الحدود الغربية ، وفى داخل مصر ، فقد كانت بريطانيا تعتقد أن ايطاليا لا بد وانها سوف تهاجم مصر ، وكانت ايطاليا تحشد قواتها على الحدود المصرية ، وكانت بعض حوادث الحدود قد وقعت لتؤيد وجهة النظر القائلة بأن ايطاليا ستهاجم مصر ! وقد اعتذرت ايطاليا أكثر من مرة ، عن بعض حوادث الحدود التى دبرها رجالها هناك ٠

***

مظاهرات الطلبة عام ١٩٣٥ اتجد لها صدى في سوريا وفلسطين :

● الجدير بالذكر أنه ما من حدث سياسي وقع في مصر ، الا وكان له صداه في كل الأقطار العربية الشقيقة ، وقد حدث مثلا أن مظاهرات رائعة اندلعت في دمشق ونابلس في ٢١ ديسمبر ١٩٣٥ ، كرد فعل لما قام في مصر من مظاهرات .. كانت مظاهرات دمشق قد بدأت بعد الصلاة ، حيث خرج عشرات الألوف من المصلين بقيادة الأستاذ فخرى بك البارودى نائب دمشق ، وعندما بدأوا يجتازون بعض شوارع المدينة انضم اليهم عشرات الألوف هاتفين لمصر ولسورية وللاستقلال التام .

وبعد أن اتجهوا الى قبور الشهداء نثروا الورود والأزهار وخطب فيهم رجال الكتلة الوطنية .. داعين الأمة السورية الى استئناف جهادها فى سبيل الحرية والاستقلال . وكان المتظاهرون ــ كما أجمعت رسائل مراسلى الصحف الأجنبية فى دمشق ومندوبى وكالات الأنباء ــ يهتفون لمصر ولفلسطين والأقطار العربية . وقد عادوا الى المدينة بعد أن زاد عددهم على خمسين ألف متظاهر . وكان كثيرون منهم يحملون الأسلحة ، ويطلقون العيارات النارية .

وفى اليوم الأول لقيام تلك المظاهرات ٢١ ديسمبر ١٩٣٥ ــ صدرت أوامر السلطات الفرنسية التى كانت تحتل سورية الى رجال البوليس بعدم التعرض للمتظاهرين فكانوا يخلون لهم الطريق ويتوارون عند مرور المظاهرات ، بحيث لم تقع أية مصادمات .

وقد استمرت المظاهرات فى الأيام التالية ، وسقط كثيرون . وكانت الكتلة الوطنية فى سورية قد دعت كثيرين من الزعماء والأدباء ، وقادة الرأى فى مصر ، وفلسطين ، وسورية والعراق ، ولبنان ، للاشتراك فى حفل تأبين زعيم سورية الكبير ابراهيم هنانو بك ، وقد خشى الاستعمار الفرنسى من أن يتخذ حفل تأبين ابراهيم هنانو ، ذريعة لمضاعفة الاضطرابات فى سورية فراح يضع العراقيل تلو العراقيل ضد اقامة هذا الاحتفال .. خاصة وأن الحالة كانت متوترة فى سورية ، لسبب آخر غير ازدياد المظاهرات .. ذلك أن التحقيق قد بدأ مع أعضاء الحزب القومى السورى وعلى رأسهم الأستاذ أنطون سعادة بتهمة قلب نظام الحكم فى سورية ، ولبنان بالقوة العسكرية .

***

وكانت الاضطرابات . قد أشدت أيضـــا فى فلسطين . وكان المندوب السامى البريطانى فى فلسطين قد قابل فى ٢١ ديسمبر ١٩٣٥ زعماء الأحزاب العربية ، وأبلغهم أن الحكومة قد قررت انشاء مجلس تشريعى بفلسطين على الوجه التالى : ١٢ عضوا منتخبين ، منهم ثمانية من المسلمين وثلاثة من اليهود ،

وواحد من المسيحيين ، وأحد عشر معينين منهم أربعة من اليهود وثلاثة من المسلمين ، واثنان من المسيحيين ، واثنان من التجار • ويضاف الى هؤلاء جميعا خمسة موظفين بحيث يتكون المجلس من ثمانية وعشرين عضوا • ويكون رئيس المجلس انجليزيا ويشرف عليه المندوب السامى البريطانى • أما صفة المجلس فاستشارية بحتة ، وللمندوب السامى ، أن يأخذ برأيه ، أو يرفضه حسبما يرى •

وكانت المظاهرات قد اشتدت بصفة خاصة فى مدينة نابلس • وكان يقودها الطلبة الذين كانوا يهتفون بالاستقلال التام لفلسطين ويطلبون من الزعماء عدم التعاون مع اليهود والانجليز ، وكانوا يهتفون بنوع خاص لشهداء العصبة الثائرة ، التى كان يقودها الثائر الفلسطينى عز الدين القسام •

ويستقبل المندوب السامى البريطانى فى فلسطين فى ١٩٣٥/١٢/٢٢ ممثلى الهيئات والجمعيات • وبمجرد أن سلم كلا منهم نسخة من مشروع المجلس التشريعى ، أجمع ممثلو الهيئات ، والجمعيات اليهودية على رفض المشروع ، كما أعلنوا – فى الحال – أنهم مصممون على مقاطعته ، هذا بينما أعلن زعماء الأحزاب العربية أنهم مختلفون فى الرأى حول قبول المشروع أو عدمه ، وأنهم بحاجة الى أسبوعين على الأقل لبحث هذا المشروع !

وقد اتفق المسلمون ، على الامتناع فى عيد الفطر ، عن المعايدة ، وكذلك اتفق المسيحيون ، على الامتناع عن المعايدة ، فى عيدى الميلاد ، ورأس السنة ، وذلك احتجاجا ، على الحالة الحاضرة وحدادا على الشهداء •

وقد امتنع السوريون أيضا جميعا عن المعايدة احتجاجا على الحالة القائمة فى سورية •

وقد رأت بريطانيا ، ان تغير من بعض مظاهر سياستها الخارجية فاستبدلت بصمويل هور ، وزير الخارجية البريطانية المستر انتونى ايدن ، وكان وقتئذ وزيرا لشئون جمعية الأمم ، وكان صمويل هور ، قد أثار بعض البلدان وفى مقدمتها مصر ، بتصريحاته العنيفة ، وكان انتونى ايدن ، خبيرا فى مسائل الشرق ، فأرادت بريطانيا ، أن تغير بتغيير وزير خارجيتها بعض ديكور السياسة البريطانية الخارجية •

***

ونعود ، بعد ذلك الاستطراد الخارجى ، لنقول ان العمال المصرين قد حرصوا على الاشتراك فى كل أحداث البلاد •• شأنهم تماما شأن الطلبة ولما كان اسماعيل محمد الخالع ، أحد شهدائهم ، وشهداء الوطن ، فقد قرروا عقد اجتماع هام فى دار الاتحاد العام لنقابات العمال وعمل اكتتاب لأسرة شهيد

العمال والوطن وألفوا من بينهم لجنة لجمع التبرعات تـكونت من الأساتذة : رافع محمد رافع المحامى ، والأستاذ أحمد محمد أغا المحامى ، والأستاذ حسن النحاس المحامى « أعضاء المجلس الأعلى » ٠٠ والأستاذ محمود حجاج المحامى ، والأستاذ مصطفى العسال ، والأستاذ عبد الحليم رافع والأستاذ أحمد الخضرى « مستشارى » نقابات العمال وأعضاء لجنة قضايا الاتحاد العام » ٠ ومن فاضل أحمد فاضل ٠ المعلم ، محمد مصطفى ، أحمد على بدوى ، محمد ابراهيم رمضان ، عبد العال موسى رشاد دوس ، حسن السيسى ، محمد عثمان أحمد من العمال ٠

وكان الاتحاد العام لنقابات العمال ، قد قرر ــ فى ٢٢ ديسمبر ١٩٣٥ ــ تأليف كتلة برلمانية عمالية ، الغرض منها تمثيل الطبقة العاملة ببعض أفرادها ، وبمن تأنس فيهم التوفر على مبادئها ، فى البرلمان القادم ، وتأييد مبادىء الجبهة الوطنية . والعمل على دعم دوامها واستمرارها ٠

وكان الاتحاد العام ، برئاسة الزعيم عباس حليم ، قد أرسل الى أمين يحيى باشا ــ وكانوا يسمونه رسول السلام ــ أرسل اليه رسالة يبلغه فيها بالقرار الخاص بانشاء كتلة برلمانية عمالية ، ويقول فيها :

« واننى واثق أن كلا من حضرات أعضاء الجبهة المصرية وزعماء مصر السياسيين سيرحبون بهذا القرار الذى يصدره العامل المصرى لأول مرة فى تاريخنا الحديث بعد أن كان فى الماضى يعتمد على سواه فكانت النتيجة حرمانه من الحماية التشريعية حتى الآن ٠ وحرمانه مما يتمتع به من غير هذا التشريع ، كما حدث أخيرا فى مشروع قانون عقد العمل فنجد أن ما يتقاضاه العامل ، مكافأة على عمله طول حياته بمرتب أربعة أشهر ، وهذه النقطة التى انتجت قرار العمال الأخير ، ان هى الا نتيجة ليقظة البلاد التى جمعت بين زعماء الأحزاب السياسية ، فى جبهة وطنية بفضل وساطتكم وحسن بلاء زملائكم ممن اشتركوا معكم فى رسالة السلام ! »

وكان الاتحاد العام ، لنقابات عمال القطر المصرى قد احتج على مشروع قانون العمل الفردى ، وكان فى مقدمة الموضوعات التى احتجت عليها استثناء خدم المنازل من مشروع القانون اذ استثناهم القانون وحرمهم من التمتع به ، كأنهم ليسوا من العمال ولا من أبناء الأمة ولا من الجنس البشرى ، وكأنهم من الرقيق مع أن عهد الرقيق قد انتهى ، وحرمته جميع قوانين العالم ، وان المبادىء الدستورية لا تفرق بين المصريين ، وقد اعتبرتهم أمام القانون سواء » ٠

حرص عمال مصر على الاشتراك فى أحداث البلاد ٠٠ مثل الطلبة تماما ٠٠ كما قرر الاتحاد العام تأليف كتلة برلمانية عمالية ، الغرض منها تمثيل الطبقة أفرادها ٠٠ فى البرلمان ٠٠

وقد أرسل عباس حليم بمذكرة الى أمين يحيى باشا يبلغه القرار الخاص بانشاء كتلة برلمانية عمالية ‥ كما أن الاتحاد العام فى القطر المصرى ، احتج على مشروع قانون العمل الفردى ‥

● ونبدأ باستكمال ما وقفنا عنده ، حول احتجاج الاتحاد العام :

***

ويطالب الاتحاد العام ، لنقابات عمال القطر المصرى ـ ضمن ما يطالب به ـ أولا : الحكومة بأن تسارع الى الانضمام الى مكتب العمل الدولى وأن تقوم ـ ثانيا ـ بتعديل تكوين المجلس الاستشارى الأعلى للعمل والعمال بحيث يكون عدد ممثلى اتحاد العمال مساويا لممثلى اتحاد الصناعات ، ويطالب الاتحاد العام لنقابات العمال ـ ثالثا ـ باصدار قانون الاعتراف رسميا بالنقابات العمالية ، ورابعا نشر جميع مشاريع القوانين الخاصة بالعمل والعمال على صفحات الجرائد لكى تتمكن هيئة الاتحاد والنقابات من دراستها : وابداء ملاحظتها عليها • وخامسا : تحديد ساعات العمل ، بثمانى ساعات فى اليوم • وسادسا : ضرورة منح العامل يوما للراحة فى الأسبوع وشهرا فى السنة ، وتقرير نظام الاجازات المرضية • وسابعا : تقرر منح العامل مرتب شهر مكافأة عن كل سنة قضاها فى العمل • ثامنا : الغاء نظام اليومية • تاسعا : ضرورة تطبيق نظام التأمينات الاجتماعية فى مصر ضد المرض ، والاصابات والشيخوخة والعاهات المستديمة ، والبطالة والوفاة • عاشرا : الغاء نظام الوساطة للمقاولين وجعل أصحاب الأعمال المسئولين شخصيا عن كل ما يخص العمال ‥ كانت هذه مطالب العمال فى ٢٧ ديسمبر ١٩٣٥ •

***

وكان من ابرز نقابات العمال : نقابة النقل الميكانيكى ، نقابة البويات والزخرفة ، نقابة ترام القاهرة ، نقابة الطهاة العامة ، نقابة الترزية الأفرنجى ، نقابة الأحذية ، نقابة ثورنيكروفت ، نقابة البياض والزخرفة ، نقابة الساعاتية ، نقابة الممرضين ، نقابة السروجية ، نقابة الاستر ، نقابة المنجدين ، نقابة المخابز البلدية ، نقابة موظفى المحال التجارية ، نقابة الترزية العربى ، نقابة الملاحة الداخلية ، ونقابة فن الكهرباء ، نقابة متعهدى الاغذية ، نقابة مفتشى وابليسيهات السجائر ، نقابة فن النجارة ، نقابة الغزل والنسيج ، نقابة صانعى الحلوى ، نقابة نحت الجرانيت بأبى زعبل ، نقابة ورش ترام مصر الجديدة •

***

ونختم هذا الفصل برسالة هامة تلقيناها من الأخ الشاعر ، عامر بحيرى :

الشاعر عامر بحيرى يروى بعض الأسرار الوطنية :

أخى العزيز الأستاذ صبرى أبو المجد ..

تحية طيبة وبعد . فقد كان واجبا على أن أشكرك سابقا ، على نشر رسالتى اليك الخاصة بأحداث ثورة ١٩٣٥ ، وكنت قد عزمت على كتابة بعض الذكريات الأخرى ، التى تزخر بها هذه الفترة . ولكننى آثرت الانتظار ، لأفسح المجال لغيرى .. فكل من شهد هذه الفترة ، وهو على قيد الحياة الآن ، جدير بأن يسجل ما رأى وما سمع وما عمل وما علم .. لأنى أعتبر ثورة ١٩٣٥ هى « ثورة بين ثورتين » .. بين ١٩١٩ ، ١٩٥٢ .. فهى القنطرة التى وصلت فيها الحركة الوطنية بفضل جهود الشباب الى ثورة مصر الكبرى ، التى قام بها أبطـال من الجيش هم فى نفس الوقت من أبطال ١٩٣٥ .

ولما رأيتك تطلب من بعض من وردت أسماؤهم أن يكتبوا ذكرياتهم . سعدت بذلك . واذا كان اسمى لا يرد فى صحف تلك الأيام كثيرا ، فذلك انى كنت أتجنب الظهور ، لأسباب عدة .. حتى القصيدة الهامة التى ألقيتها فى الحرم الجامعى فى ٧ ديسمبر ، أشرت بيدى على المصور (بكسر الواو المشددة) أن يبعد آلة التصوير عنى وأنا ألقيها ، تجنبا للقبض على يومئذ .. (وقد ظهرت هذه الصورة على صدر عدد المصور الصادر فى يوم الخميس ١٢ ديسمبر ، ١٩٣٥ ، لحشود الطلاب وهم يستمعون لهذه القصيدة بالذات .. وهى صورة معبرة ، حبذا لو نشرت الآن مع هذا التفسير ..) .

ان يوم ٧ ديسمبر ١٩٣٥ يوم هام جدا .. وهو موضوع حديثى هذا .

ففى ليلة الجمعة ٦ ديسمبر (ولغرائب الصدف انها توافق يوم العاشر من رمضان ١٣٥٤ هـ) .. كنت فى نادى المحامين ، حيث تنظم المظاهرات الليلية ، فى احياء القاهرة .. وبدأ الشباب ينزلون من النادى حين عرفوا مكان تجمعهم ، وبقيت فى موضعى أكتب .. وحينئذ تقدم منى أحد المشرفين على النظام بالنادى – صديقى المرحوم محمد زكى علام – وقال لى : لماذا لم تقم مع زملائك ؟ فناولته الورقة فى يدى ، فقال : هل تكتب قصيدة لتلقيها غدا فى الحرم الجامعى ؟ قلت : نعم . فقال : اذن فانتظر .. وصرف الطلاب ، وبقيت فى مجلسى الى نحو منتصف الليل حتى أتممت القصيدة فى ثلاثة وثلاثين بيتا .. وسأروى هذه القصيدة هنا كلها لأهميتها :

قم يا شهيد ، فمصر فى آلامهـا نسيتك ، بين عشية وصباح !
نسيت قمصـيك بالدمـاء ملوثا مزقته ذات الجـذب والالحـاح
نسيت جبينا من شعاع طـاهر خلط التراب بصفرة التفـاح
نسيتك تحت الشمس ، ملقى فى دم هدر .. على حرم الطـريق مباح !
ترنو بعينى للسـماء كليلـة وتئن من ألم ، وبثق جراح ...
« عبد المجيـد » وأنت أول بـاذل للنفس ، دون حمى لمصر مباح
أنت اللواء على دمـائك تهافتت زمر الشباب كريمـة بالسـاح
ولقد هوى للموت لما أن هـوى عجـلا يضمد جراحك « الجراحى » !
ملك سـماوى حداك برحمـة فحداه شيطان ، ببطش سـلاح
دفنتك أيد بالظـلام كأنهـا لص .. يحـاذر أعين الفضـاح
لو انصفوا جعلوا ثواك حديقـة عبقت بمنعقد الشـذا نفـاح
انا استـعضنا عن وداعك مشـهدا خشعت له الأيام ، غير متـاح
خرجت تشيعه القلوب خفوقـة بمفجـر من حـزنها طفـاح

***

خرجت كبحر اللا نهاية زاخـرا والنفس فوق المـوج كالسباح !
وعـلا بـكاء الآنسـات كأنما طعن السـماء بلحنه النـواح
حتى بدا جبل المنايا .. لابسـا فى الأفق ثوب الليل ، والاتراح
ولقد أفكر كيف ضل سـبيله عند احتراق الضوء فى المصباح
عجبـا ، أهل كـره الشهيد سريره يبغى الرجـوع ليقظه وكفـاح ؟
هذا اللهيب دليل ثورة نفسـه رغم الرضى ، وضميره المرتـاح !
يا يها النصب العـزيز تحيـة لو كنت تغنى عن هدى وسماح

***

حرم يضمك فى الجوانح خافـق حين الرخـام معـرض لرياح !
لله « جامعة » حبتـك بعطفها عطف الأبـوة آية الافصـاح
جزنت لمهتص الزهـور ، وانمـا غضبت لحـق كالنهار صراح !
ورد الشهيد الحوض من فردوسه يطفى غليل النار ذات صبـاح
فسقاه ساق دون سـائر أمـة ضربت نطـاق تزاحم وتـلاح
وسعت اليه الحـور تنشد لحنها لحن الزفاف ، ولحن كأس الراح
خضبت له الحناء ، موضع جرحه خضبت البنان الرخص فى الافراح ؟

***

ومضت تقص عليه قصـة موتـه ما بين جـد خالص .. ومـزاح !
قـالت لـه : ان الشـهيد منعم وكذا الجـزاء السمح للمسماح

ان الذى خـان الشـهيد بقبره   فى الليل منزعج من الأشـباح
ان الجسوم لسوف يعلوها الصدأ   والخـلد كل الخـلد .. للأرواح
ان الدماء على نفاسـة قدرهـا   ثمن الرضى ، والصبر ، والاصلاح
وعلى شعاع من هـداها ثاقب   شعب .. يكلل سعيه بنجـاح !

***

تلك هى القصيدة .. التى لم تنشر فى الصحف يومئذ ، وان الحقتها بديوان « اليخت الذهبى » الذى ظهر فى أول يناير ١٩٣٦ بل هى وحى ثورة ١٩٣٥ .. التى كانت مصدر وحى لكثير من الشعراء بعد ذلك ..

وقد ألقيتها على الألوف المؤلفة من الشباب فى الحرم الجامعى ، صباح السبت ٧ ديسمبر ... من ذلك العام . وأعيدت واستعيدت مرارا .. كلما حضر وفد من خارج الجامعة ، طلب منى القاءها من جديد .. وكان ذلك أمام مبنى كلية الحقوق .. حتى حان الوقت ونزل مدير الجامعة وعمداء الكليات (وكان عميد كلية العلوم انجليزيا هو مستر جراهام) . فأزيح الستار عن النصب التذكارى .. ثم توجهت المظاهرة الكبرى الى كوبرى عباس ..

***

وفى وسط كوبرى عباس .. عندما أغلقه الطلاب بصورة عكسية .. فالتقت أطرافه عند زوايا حادة رهيبة .. كنت أقف لاشرف على مرور الطلاب واحدا واحدا ، من فوق قنطرة الموت .. حتى لا تحدث مضاعفات .. وتقدم منى حينئذ ضابطان للبوليس .. فقال لى احدهما : انت زعيم هذه المظاهرة ؟ قلت : لماذا ؟ قال : ان الطلاب يطيعون أوامرك ! قلت : اننى أقوم بعمل انسانى .. وحينئذ همس للضابط زميله ، فتركنى الى حين .. ولما انتهى مرور الطلاب وتوجهت مع آخرين للخروج من ناحية الروضة ، وجدت الكوبرى مغلقا بكردون من البوليس ، واللواء سليم زكى يجلس فى ناحية منه ، يصدر أوامره .. والطلاب يخرجون تحت اشراف البوليس واحدا واحدا .. وعندما جاء دورى للمرور .. نادانى ذلك الضابط .. ولكنى استطعت أن أفلت منه مسرعا ، وأندمج فى مؤخرة المظاهرة .. وفى نفس اللحظة صدر الأمر بضرب المظاهرة بالعصى الغليظة والبنادق من الخلف ، وبدأت المعركة الرهيبة ، واختلط الحابل بالنابل .. وبالرغم مما أصاب الطلاب من ايذاء شديد ، الا انهم قاموا بالدفاع عن أنفسهم ببطولة .. وألقى أحد الرياضيين من رماة « الجلة » .. بحجر أحكم تصويبه ، نحو لوكاس بك ، نائب الحكمدار الانجليزى .. وعندئذ بدأ اطلاق الرصاص . وكنت حينئذ قد لجأت مع البعض الى حديقة شرقى شارع المنيل ، تتصل بقصر الأمير السابق محمد على .. وكانت الحديقة خالية ، الا أن البوليس دخلها وأحسسنا بالرصاص يقترب .. فلجأنا الى المنازل فى غرب المنيل ..

وهنا كنت أرى جموع الشعب تشترك فى احراق مركبات الأتوبيس ، وكانت انجليزية لشركة ثورنكروفت ...

***

حوالى العصر ، كنت مع البعض فى منزل صديق لنا ، هـو المرحـوم ابراهيم محمود عيسى ، وكان والده موظفا كبيرا بمجلس النواب ، فأخبرنا أن البوليس قد حاصر المنطقة كلها ، وسيقبض على كل من يجده من الطلاب . ونصحنا بالتعجيل بالانصراف .. وعندئذ توجهنا الى شاطىء النيل ، وكان المكان خاليا .. فاستأجرنا قاربا ، عاد بنا الى شاطىء الجيزة ، قبالة حديقة الحيوان .. ومن هناك ركبت الترام عائدا الى القاهرة ..

هذه احداث ذلك اليوم .. فيما أذكر اننى شاركت فيه .. وقد بقيت أيضا أشياء هامة تتصارع مثل التدريب العسكرى ، التى لم يشر اليها من تحدثوا عن القمصان الزرقاء ، والخضراء .. وقد نشأت هذه الحركة فى كلية الآداب ، وكنت مشتركا فيها .

***

أما عن الشعر .. وقد كان سلاحا فى المعركة .. فأهم ما أذكر ان الدكتور أحمد زكى أبو شادى رحمه الله أقام مهرجانا فى الاسكندرية لشهيد الوطنية عبد الحكيم الجراحى ، وعضو جماعة أبوللو .. وكتب الى خطابا للمشاركة فى ذلك ، فانتدبنى اتحاد كلية الآداب ، واتحاد الجامعة لتمثيلهما فى ذلك الحفل .. الذى أعده مهرجانا شعريا تاريخيا .. عظيمـا .. وقد جمع الدكتور أبو شادى كل الكلمات والقصائد التى ألقيت فى عدد من مجلة « الامام » بتاريخ يونية ١٩٣٦ .

ولعل فى هذا ما يكفى للتعبير عن « بعض » ما عندى .. الآن .. مع مضاعفة شكرى لك على اتاحة هذه الفرصة النادرة .. لتذكر شباب اليوم ببعض أعمال شباب الأمس .. وليعلموا ان حب الوطن من الايمان ..

تحياتى لك وتقديرى ..

المخلص : عامر محمد بحيرى

***

الفصـــل الرابـع

بريطانيا تجاهلت حكومة نسـيم باشـا

وراحت تفاوض زعماء الجبهة الوطنية

ومع آخر أيام عام ١٩٣٥ افتتح مؤتمر الجراحة الدولى ، الذى اشترك فيه ممثلو ٣٨ أمة فى مبنى الجامعة المصرية ، وكان طلاب الكليات السبع : وطلاب المدارس الثانوية ، ومدارس الفنون قد تأهبوا لاسماع العالم كله صوت مصر ٠ فالتقى منهم حوالى خمسة آلاف طالب عند مدخل الجامعة ، يهتفون بحياة مصر والسودان ، والحرية والاستقلال ، وفى داخل القاعة كان طلاب آخرون يهتفون كلما وفد على قاعة المؤتمر ، أحد الوفود : وكان هتافهم بسقوط انجلترا باللغة العربية ، وباللغة الانجليزية ، وباللغة الفرنسية ، وفجأة رفعت صورة الشهيد محمد عبد الحكم الجراحى ، فزادت حماسة الطلاب : واشيع فى قاعة الاجتماعات ان الوفد البريطانى سوف ينسحب من المؤتمر وقيل ان الانجليز طلبوا ترضية ، وانهم قبلوا الاستمرار فى المؤتمر حتى تجىء الترضـــية ، وثارت الصحف البريطانية لأن الطلبة تظاهروا أثناء افتتاح مؤتمر الجراحة ، الدولى ، الذى خطب فيه نجيب الهلالى وزير المعارف ، وكان الملك أحمد فؤاد ينوى افتتاح هذا المؤتمر ، ولكن الأطباء نصحوه بعدم مغادرة فراشه ٠٠ حرصا على صحته ٠

★★★

وكان الطلبة قد انقسموا فيما بينهم : بعضهم يفضل الانتظام فى سلك الدراسة بعد عودة الدستور والبعض الآخر يرى الاستمرار فى المظاهرات ، والاضرابات حتى يتحقق الاستقلال ٠٠ أو على الأقل ، تتقدم بريطانيـا نحـو تحقيق الاستقلال خطوات جديدة ، البعض رغب فى التقيد برأى الجبهة الوطنية فى ضرورة الانتظام فى الدراسة ، والبعض الآخر رفض الاستجـابة الى نـداء الجبهة الوطنية لأن انجلترا لا تزال تراوغ وتماطـل فى تحقيـق المطـالب القومية و ٠٠ وقد انتقلت انقسامات الطلبة من القاهرة الى الاقاليم ، وذلك رغم

توالى البيانات من الزعماء والقادة ، التى تدعو الطلبة الى العودة الى دراستهم . ومن بين تلك النداءات التى امتلأت بها صفحات الصحف ، بيـان من شيخ الجامع الأزهر ، الاستاذ الأكبر الشيخ مصطفى المراغى وقد قال فى بيانه :

لا شىء أحب الى الوطن والى القادة فيه من أن يخلد الطلبة الى السكينة وأن يحافظوا على النظام ، وان يقبلوا على واجبهم العلمى ، اقبالا ، يشغلهم بالعلم وحده » .

ومن بين ما جاء فى ذلك البيان يقول الشيخ المراغى :

« انى أرى انه من خير الوطن ومن مصلحته المجدية علينا حقا ان يترك الأمر ، كله للقادة والزعماء ، حتى يتمكنوا من العمل فى جوهادىء ، يستطيعون معه السعى لخير البلاد ولمصلحتها ، وذلك انى أرى أن الاضطراب فى هذا الظرف الدقيق مما يعوق سير الأعمال النافعة ويقف بها دون ما نرجو لها من نجـاح وتوفيق .

***

ومع بداية العام الجديد عام ١٩٣٦ بدأ المندوب السامى البريطانى يستقبل الزعماء المصريين .

وقد قابل فى ٢ يناير ١٩٣٦ محمد محمود باشا رئيس حزب الأحـرار الدستوريين وقد انصب حديث محمد محمود مع المندوب السامى البريطانى ، على موضوع واحد ، هو موضوع المعاهدة وضرورة الاسراع فى أبرامها لضمـان سير الأمور فى مجرى لا يبعث على القلق .

ومع ٣ يناير ١٩٣٦ ، تشتعل الجامعة والمدارس مرة أخرى ، ويصاب ٢٥ طالبا فى مظاهرات مدرسة واحدة ، هى مدرسة فؤاد الأول الثانوية ، وكان من المصابين الطلبة كمال رفعت ، محمد عبد الوهاب ، أحمد أحمد حسنين ، فريد حزام ، صلاح الدين الضوى ، عبد الرحمن سعيد ، محمد ثروت ، اسماعيل فرن ، زايد سامى ، كما أصيب أيضا حسن مصطفى النشار « مدرسة النهضة » عبد المنعم محمد عبد الرحمن سباك ويبلغ من العمر عشر سنوات .

وكان طلبة مدرسة فؤاد الأول الثانوية ، عندما رأوا زملاءهم يصابون برصاص البوليس وهراواتهم قد اندفعوا نحو مقاعد الدراسة فحطمها البعض واتجه آخرون الى غرفة الطعام حيث حطموا المقاعد والأطباق وأوانى الماء ، وحطم قسم ثالث غرفة المعمل وما فيها من عقاقير وأدوات ، كما حطم كثير من لطلبة أصص الأزهار والأشجار الصغيرة ، ثم اندفعوا الى مخزن العهدة ، فاتلفوا ما فيه ، ومزق بعضهم الخرائط المعلقة فى غرفة الجغرافيا ، وحطموا نموذج الكرة الأرضية وقد ثمنت هذه الخرائط وحدها بمبلغ ٦٠٠ جنيه و ٠٠ و ٠٠

وبعث الأستاذ حافظ رمضان بك رئيس الحزب الوطني بخطاب مفتوح الى دولة رئيس الوزراء يقول فيه :

يا صاحب الدولة ..

لا تزال الأحداث تتعاقب ولا يزال ايماني بحق مصر ، على الجميع يحملني مهما لزمت الصمت وآثرت السكوت ، على أن أجهر بالحق ، مرة ومرة ثانية .

لم أخطيء يا صاحب الدولة لو دعوتك قبلا الى الاستقالة وها هي الأيام تتوالى وأنت على عهدك أشد ما تكون استمساكا بالحكم ، لغير سبب ظاهر وانني مهما أخفيت الأسباب وانبهمت الدوافع لا أزال أجد نفسي مضطرا الى أن أنبه الى الخطر وأدق الناقوس لمن يريد أن يستمع ، ولا أدري فيم بقاؤك في الحكم بعد أن تخطى المندوب البريطاني حكومتك ومد يده الى رجال الجبهة يجادلهم في شئون الدولة وبعد أن وقف الشعب حائلا بينك وبين حفل الافتتاح في مؤتمر الجراحة وفي ركابك رجال السلطة التنفيذية ، الا ترى يا دولة الوزير ان الارادة الاجماعية توجهت اليك في اعتزال الحكم : هل ترى دولتكم أن بقاءكم في الحكم تبرره بالاعتمادات المالية ، التي تقررها وزارتكم للدفاع عن المواصلات البريطانية !

أم مبرره ما تحتمله دولة أجنبية من هذه الاعتمادات لتقف في الغد منادية بحقوق جديدة باسم البذل في أعمال التحصين والدفاع !

ان مبرره عجز وزارتكم عن انفاذ قانون العفو ، عن الطلبة بعد أن القت في سمع الجمهور ان العقبة ، في سبيل انفاذه هي تدخل دار المندوب البريطاني ثم لم تلبث هذه الدار أن تترك الناس أحرارا في أن يفهموا انها لا تعارض وان مرجع الأمر ، في ذلك الى وزارتكم .

صدقني يا دولة الوزير ، ان تجاهلك كل هذه الأحداث وتجاهلك التقاليد ، وتغاضيك عامدا ، أو غير عامد ، عما يظهره الشعب كل يوم يدعوني بعد أن هيأت لكم الأحداث المفاجأة مكان الصدارة ، ان أدعوك للمرة الأخيرة ان تعتزل الحكم » .

ويتعرض حافظ رمضان ، لحملة عنيفة من الصحف الوزارية ، لأن الوزارة النسيمية ليست وزارة استقرار ، بل وزارة انتقال وبقاؤها في الحكم لن يتجاوز أشهرا قليلة ستسلم زمام الحكم ، بعدها الى الوزارة الدستورية ، وان استقالة الوزارة الزيورية قد يقيم امام الجبهة مشكلة البلاد في غنى عنها .

***

وتفاجأ البلاد مرة أخرى ببيان من لجنة الطلبة التنفيذية العامة بالقاهرة. تشكر للطلبة حسن تقديرهم للموقف ورجوعهم ، الى الدراسة ، وترك الفرصة للجبهة الوطنية للعمل واستجابة منهم لزعيم البلاد دولة الرئيس الجليل مصطفى النحاس باشا .

ويوقع عن كلية العلوم : محمود لاشين ، سعد الدين الشيشينى ، عماد الدين الشيشينى ، كمال حليم ، عبد الغنى محمود ، اسماعيل السباعى ، صبرى سامى .

وعن كليو الحقوق : محمد فريد زعلوك ، محمد زكى علام ، فيكتور مكرم عبيد ، عبد المنعم شوقى ، على كريم ، عبد المنعم ندا ، أحمد عبد النبى ، نصيف مرقص حنا، على حسيب ابراهيم مغازى .

عن كلية الآداب : سهير القلماوى ، عبد العزيز يونس ، محمد حسين الزيات ، عبد القادر حجاب ، أحمد كمال يونس : أحمد بشر ، عبد الهادى نجم الدين .

وعن كلية الزراعة : أحمد الدمرداش تونى : محمد عبد السلام حسن ، حسين أبو حسين ، محمد عزت عبد الوهاب ، زكى شمس الدين ، محمد أبو المجد التونى ، حسن سالم .

وعن كلية التجارة : محمد كامل الدماطى ، التونسى زكى مرقص ، أحمد طلبه صقر ، محمود فتحى عمر ، فرج محمد ابراهيم ، نجيب وهبة ، عبد الجواد عابد ، حسن شعبان العيسوى .

وعن كلية الطب : محمد بلال ، يوسف فهمى ، قاسم فرحات ، حافظ حسنى ، يوسف رشاد ، أحمد لطفى ، مظهر عاشور ، صلاح فهمى محمد قناوى ، محمود الشاهد .

***

ويصدر « لاشين » عضو اتحاد الجامعة ، وعضو اللجنة التنفيذية بيانا يقول فيه :

« أعلن فى ايمان انى حين كنت عضوا فى اللجنة التنفيذية وبعد أن انسحبت منها ما كنت أعمل ، الا ما يوحيه الى ضميرى ، متجها فى ذلك الى صالح مصر وحدها وما كنت فى يوم ما لاناوىء ، هيئة أجمعت الأمة ، على أنها الأمة ، ويؤلمنى كل الألم أن تقوم حركة سافلة تفسد على وعلى الشباب ما قام بعمله ، فى سبيل مصر ، من تنظيم صفوفه ، وتقوية أجسامه بأن استخدموا ذلك « دعاية سوء » فاتخذوه وسيلة للتغرير بأمة اجمعت كلمتها ، على أن الوفد

هو الممثل لها ، وأناشد أخوانى الذين اشتركوا معى فيما سمى « كتلة الطلبة القوميين » ان تتفتح عيونهم وتتيقظ ضمائرهم ، حتى لا يتخذهم الغير ، وسيلة الى نيل مآربه ، وافساد الغرض ، الذى قمنا من أجله ، وحيث انه قد اتضح اتصال بعض الأعضاء بهيئة من الهيئات وكانوا بذلك خارجين عن قوانين الكتلة وأسسها فقد قررت انسحابى من هذه الكتلة داعيا الشباب الذى استصوب فكرتى حين ناديت بهـا ان يحذوا حذوى ، فيمـا فعلت ومازلت لمصر ، الخادم الأمين !

ة

***

وتجتمع اللجنة التنفيذية لطلبة الدقهلية الممثلة لجميع مدارس المنصورة فى ٣ يناير ١٩٣٦ ، وتتخذ قرارات عديدة ، من بينها استنكار انقسام اللجنة التنفيذية العليا ، ودعوة أعضائها الى الاتحاد والترابط ، كما ترسـل اللجنة خطابا الى أصحاب الدولة ، والسعادة زعماء الجبهة الوطنية ، مستنكرة تصريح مستر أنتونى ايدن ، وزير الخارجية البريطانية الذى قال فيه « أنه على استعداد لبحث المسألة المصرية بعد المامه بها ، حيث أنه حديث عهد بوزارته » .

***

ويقول البيان :

« أليس من المعقول أن يرشح وزير لوزارة ويتولى شئونها ، من غير أن يكون على خبرة بجميع تلك الشئون وبخاصة وأن كل انجليزى يدخل فى السلك السياسى لا يجهل القضية المصرية بحذافيرها ، فنهيب بكم أنتم زعماء الأمة وقد أخذتم على عواتقكم خدمة مصر ، أن ترسلوا الى المندوب السامى كتابا تطلبون فيه تحديد موعد قريب لابرام معاهدة ١٩٣٠ »

ويوقع البيان : عنتر قابيل ، السيد عبد الرشيد ، محمد سامى حسين ، أحمد مرسى حسين ، محمود عزت حسين عثمان محمد عثمان الجواهرجى .

***

وفى الزقازيق يقرر اتحاد الطلبة بمديرية الشرقية ، تأييد الجبهة الوطنية ودولة رئيسها ، ومطالبة الحكومة باصدار العفو ، عن الطلبة المحكوم عليهم ، والاحتجاج ، على تدخل انجلترا فى شئوننا الخاصـة ، كمـا يعلن الطلبة أنهم منتظمون فى دروسهم تلبية لنداء دولة الرئيس الجليل مصطفى النحاس باشا .

ويقرر الطلبة أيضا اقامة نصب تذكارى ، للشهداء ، باحد الميادين الهامة وتكون توقيعات ممثلى الاتحاد كما يلى .

● **المعهد الديني :**

محمد متولى الشعراوى ، محمد عبد المنعم خفاجة ، محمد يوسف شلبى محمد السيد شمس الدين ، محمد الحسينى ٠

مدرسة الصنايع : محمد على عطية ، محمد فتحى ابراهيم ، محمد أحمد حسن ٠

مدرسة فؤاد الأول ، محمد فهمى حسن ، السيد عبد الحميد مرسى ، السيد عبد الهادى ؛ نزيه رزق ٠٠

***

وفى ٣ يناير ١٩٣٦ ، وفى الحفلة التى أقامتها لجنة الطلبة العامة ، بالشرقية القى الأستاذ الشيخ متولى الشعراوى قصيدة فى حفل تأبين الشهداء أستعيدت ــ كما قالت الصحف الصادرة فى ٤ يناير ١٩٣٦ ــ مرارا لما فاضت به من حماسة ووطنية وبلاغة ٠

وتجرى كلية الزراعة انتخابات اللجنة التنفيذية التى تنوب عن طلبة الكليات فتنال أغلبية الأصوات بالترتيب التالى : أحمد الدمرداش تونى ، محمد عبد السلام حسن ، حسين أبو حسين ، زكى شمس الدين ، محمد عزت عبد الوهاب حسين الابيارى ، أبو المجد التونى حسن سالم ٠

وكان المندوب السامى البريطانى قد بدأ يستقبل أعضاء الجبهة الوطنية فرادى فاستقبل محمد محمود باشا رئيس حزب الاحرار الدستوريين فى ٢ يناير ١٩٣٦ ، واستقبل عبد الفتاح يحيى باشا فى ٧ يناير ١٩٣٦ ، وقد أثارت صحيفة الاجبشيان جازيت موضوعا ثبت أنه غير صحيح ، وهو أن الطلبة المصريين اعتدوا على العلم البريطانى ومزقوه يوم افتتاح مؤتمر الجراحة الدولى ٠ وقيل ان بريطانيا اهتمت اهتماما غير عادى بهذا الموضوع فقابل سير ألكسندر كين بويد مدير الادارة الأوربية بوزارة الداخلية توفيق نسيم باشا رئيس الوزارة المصرية لفترة طويلة ٠ كما قابل نسيم باشا ، مستر سمارت السكرتير الشرقى بدار المندوب السامى ٠٠ مقابلة غير قصيرة ٠

***

وبعد خروج مستر سمارت من عند رئيس الوزراء أمر دولته باجراء تحقيق سريع ، دقيق فى مسألة العلم البريطانى ، وما قيل كذبا عن تمزيقه ٠ وقد جىء بالعلم فى حرز والذى أحضره هو الدكتور خليل عبد الخالق سكرتير المؤتمر الدولى وقد ثبت من التحقيق أن العلم سليم لم يمس بأى تمزيق ٠

وقامت الصحف المصرية بحملات عنيفة على صحيفة الاجبشيان جازيت التى زعمت ، أن العلم البريطانى أهين فى مؤتمر الجراحة الدولى أمام ممثلى نيف وأربعين دولة « ولا يهمها حين تزعم هذا أن يكذبها فى زعمها ممثلو هذه الدول الأربعين وانما الذى يهمها هو أن تشعل النار لحظة واحدة لعلها فى هذه اللحظة تلتهم الأخضر واليابس معا وليكن بعد ذلك ما يكون » ٠

والجدير بالذكر ، أنه رغم قسوة الأحداث التى تمر بها مصر الا أن ميزة الفن والثقافة لم تتوقف ، ففى هذه الأجواء أصر وزير المعارف ـ أحمد نجيب الهلالى باشا ـ على حضور الحفل الختامى ، لموسم الأوبرا ، جرى تمثيل مسرحية تاجر البندقية لشكسبير ، وكانت الفرقة قد مثلت عدة روايات فى نفس الموسم : أهل الكهف ، والملك لير ، وأندرو ماك ،

« فى مثل هذه الأيام من العام الماضى كان التمثيل يحتضر فى مصر ، حتى قيل انه ليس فى مصر ممثلون ، وليس فيها جمهور يتذوق الفن ، فأثبتم ان فى مصر ، ممثلين وان فيها جمهورا يتذوق الفن وبذلك أنصفتم أنفسكم وأنصفتم الجمهور ٠

وسيكتب لكم في تاريخ الفن صفحة مجيدة ٠

ويشيد زكى طليمات مخرج رواية تاجر البندقية وممثل أهم أدوارها ، بما بذل حافظ عفيفى باشا ، وخليل بك مطران من انشـــاء وتدعيم الفرقة القومية المصرية التى نجحت فى موسمها الأول نجاحا كبيرا ٠

***

وفى اجتماع لمجلس الوزراء ، عقد فى ٨ يناير ١٩٣٦ تقرر منح الاستاذ زكى طليمات الموظف الفنى بدار الأوبرا وعضو الفرقة القومية مكافأة قدرها ٢٠ جنيها فى الشهر أثناء موسم التمثيل بصفته مخرجا وممثلا بالفرقة ، كما قرر مجلس الوزراء أيضا اعادة حسن مصطفى جاد الوردانى أفندى ، الذى كان يعمل مدرسا بمدارس الخاصة الملكية وفصل لأسباب سـياسية ، الى وظيفة بوزارة المعارف وبدرجته وماهيته السابقتين ٠

***

وتحتفى مصر فى هذا الجو العصيب أيضا باختيار المصرية « شارلوت واصف » ملكة جمال العالم ، ويقول الشعراء ، الكثير فى شارلوت واصف ٠

ومن بين القصائد التى أذكرها ـ وكانت شارلوت ، لا تعرف العربية ـ قصيدة الشاعر حسن عبد الحليم اليمانى ٠٠ قال فيها :

***

والحسن يا شارلوت أنت وفيك باسمة حلاه
والحسن يا شارلوت أنت وفيك زاخرة قواه ٠
أنت النداء سرى يهز الشعب محمودا سراه ٠
يجتاح اشباح الظلام ، ويوقظ الغافي صداه ٠
قد كرموا بالامس فيك النيل والصيد والهداه
قد كرموا شعب الخلود ، وكرموا أرض البناه
قد كرموا فيك الجمال ، ومهده مصر الفتاه

★★★

وتبدأ الحملات ضد القمصان الملونة :

ينزعج الانجليز من القمصان الزرقاء ويذهب سير « كين بويد » الى النادى السعدى ، ليخبر من فيه بقرار وزارة الداخلية الخاص بمنع الجماعات المنظمة من السير فى الشوارع ، والطرقات العامة وخاصـة الشبان الذين يحملـون شارات خاصة وأزياء كالقمصان الزرقاء وغيرها

ويتحدث كين بويد مع محمد بلال « أفندى » ـ وهو من الشبان الوفديين المعروفين بالذكاء والنشاط ـ كما قالت جريدة روز اليوسف وقتئذ ـ وقد طلب كين بويد من محمد بلال أن يشرح له ولمن معه ، فكرة تكوين الفرق ونظامها ، والغرض من انشائها ٠٠ فشرح لهم ما أرادوه بدقة ٠

وتقول جريدة روز اليوسف : ونحن لا نفهم معنى للتعليمات التى ظهرت بعد زيارة سير كين بويد ، والضيوف الانجليز ٠ ولا نفهم مبررا للانزعاج من تمرينات رياضية لم يترتب عليهـا أى أثر سيىء ، وقد شـهد كل منصـف للشبان فى الحركة الأخيرة بالحكمة والتزام جادتها ، وعرف كل من له عين وأذن كيف كان الشباب المثقف يمنع الغوغاء من القيام بأى عمل عدائى ما استطاع الى ذلك سبيلا

وعن القمصان الزرقاء وفكرتها وأهدافها أصـدر الأسـتاذ محمد حافظ رمضان بك باعتباره رئيسا للحزب الوطنى بيانا قال فيه :

يتحدث الكثيرون عن أصحاب القمصان الزرقاء ، وتذكر بعض الصحف ان هذا النوع من التكوين يراد به ارهاب طوائف معينة ، من المصريين واستخدامه وسيلة للضغط فى الانتخابات أو تحقيق غايات سياسية على أنى كنت عاملا فى تكوين هذه الفرق منذ بضع سنين ٠

وتالفت بالفعل جماعات البازى ، فى سنة ١٩٣٢ ، حتى لقد تقول البعض علينا فى ذلك التاريخ ببجاحة اننا نصرف الشبان عن العمل السياسى ، لم تشأ

جماعات البازى المصرى حين تكونت أن ترد مطاعن الطاعنين أما اليوم وقد لغط الكثيرون بالكلام فقد أصبح لزاما على البزاة أن يفصحوا عن غايتهم مخافة ان يظن بانهم يعملون تحت تأثير حزبى ٠

ويراد بهذا النظام ، تربية الشبيبة تربية رياضية علمية ، أخلاقية ، ولعل هذه التربية الزم الأمور لبلد محروم أهله من التجنيد الاجبارى ونسبة التعليم فيه ضئيلة جدا ، وبالفعل يخضع أفراد لبازى لدستور أخلاقى طبعوه وتداولوه منذ انخراطهم فى سلك النظام ، ولهم شعار يحملونه ، شأنهم فى ذلك شأن الجماعات الرياضية المختلفة ٠ فترى منقوشا على هذا الشعار ، رسم « البازى » ذلك الطائر المعروف بالنشاط اذ يغادر وكره قبل انبلاج الشمس ، من مشرقها كما هو رمز الشجاعة والقوة ، وعلى رأسه رسم تاجا الوجه البحرى ، والقبلى دليلا على وحدة المصريين ، وتماسكهم ٠

***

فهو اذن عمل قومى ، لا شأن للحزبية فيه والبزاة يلبسون القمصان الزرقاء منذ سنين ولم يكن يدور بخلدهم ان يسجلوا لأنفسهم هذا الرداء ٠

وقد قاموا بتمريناتهم ورحلاتهم الرياضية فى عهد الحكومات ، التى تألفت منذ سنة ١٩٣٢ ، تارة فى وادى حوف ، وتارة تحت سفح الأهرام ، وأحيانا فى أماكن خلوية بالصحراء ، ولم تفكر احدى الحكومات فى مقاومتهم ، ذلك لانهم هم أنفسهم لن يفكروا فى أن يكونوا أداة للارهاب ، أو وسيلة ضغط على غيرهم ، بل جعلوا فى مقدمة دستورهم الأخلاقى « أد الواجب ، ودع ما يكون »

والآن نرى انه يجب انارة الأذهان فيما يتعلق بالبزاة ، ذوى القمصان الزرقاء ، فهم ليسوا جماعة سياسية ولا يتأثرون بحزب معين ، بل هم هيئة ترمى الى تمرين أجسامهم ، وتقويم أخلاقهم ، حتى يستطيعوا أن يكافحوا فى مستقبلهم متاعب الحياة وهم يتقيدون بأقوم مبادىء الأخلاق فى جو يسوده النظام ، والكمال » ٠

وكان يشرف على فرق البازى الاستاذ مصطفى المنزلاوى ، وكان من بين قادة تلك الفرق ــ وقتئذ ــ الأستاذ محمد ابراهيم جمعة شاعر الحزب الوطنى ٠

***

ويستمر البريطانيون ، الذين ، كلفوا ببحث مشكلة فرق القمصان الملونة فى اجتماعاتهم ، وفى مقابلتهم للمسئولين ، من البريطانيين والمصريين تمهيدا لحل تلك الفرق ، وكان من بين هؤلاء ، الذين أوكل اليهم بحث هذا الموضوع ، لورد لويد الذى عبر عن انزعاج بريطانيا لانتشار القمصان الملونة فى مصر ،

وكذلك الرايت انوريل ابيل لوكر ، ابن عم المندوب السامى البريطانى ، فى مصر ، و « كين بويد » مدير الادارة الأوربية فى وزارة الداخلية المصرية ، الذى أنعم عليه أثناء مشاركته فى بحث تلك المشكلة بلقب « سير » وكذلك القائمقام « نويل » المفتش بحكمدارية بوليس القاهرة وبعض ضباط الجيش البريطانى ، وقد عقد هؤلاء سلسلة من الاجتماعات مع المندوب السامى البريطانى ، فى مصر ، ومع رئيس الوزارة المصرية ، ومع وزير المعارف وكذلك مع حسن فهمى وكيل وزارة الداخلية ، وحمدى محبوب ، مدير الأمن العام ، وبعض مديرى المديريات وكان الهدف من كل هذه الاجتماعات التمهيد لحل تلك الفرق ، تدريجيا ، وكان أول خطوة اتخذتها السلطات البريطانية ، والمصرية ، عدم السماح لفرق القمصان الملونة ، الزرقاء أو الخضراء بالسير فى الشوارع والطرقات العامة كما سبق أن ذكرنا ٠

وفى هذا الجو السياسى ، المتوتر ، وتحت راية الجبهة الوطنية أجريت انتخابات نقابة المحامين ٠ وقد فاز فى انتخابات مجلس النقابة ، عن المحامين الذين قضوا فى المهنة أكثر من عشر سنوات الأساتذة : كامل صدقى حصل على ١٠١ صوت ٠ ومحمد كامل البنداري ١٠٥ أحمد محمد أغا ١٠٩ ابراهيم عبد الهادى ١٠٧ وفاز الأستاذ حسين نبيه المصرى بالتزكية عن المحامين ، الذين تنقص مدة اشتغالهم بالمحاماة عن عشر سنوات ٠

كما فاز الأستاذ مكرم عبيد بمنصب نقيب المحامين ٠

وكان من بين ما قاله مكرم عبيد ، اثر انتخابه نقيبا مخاطبا زملاءه المحامين :

« الواقع انكم انما انتخبتمونى نقيبا منكم ، ولكم وليس نقيبا عليكم : ومما زاد فى جمال صنيعكم معى انكم اذ رفعتمونى الى هذا المنصب السامى لم ترفعونى ، فى عين نفسى بل على الضد من ذلك قد زدتمونى احساسا على أحساس بأننى كبير بكم قليل بنفسى » ٠

***

وكان من بين قرارات الجمعية العمومية لنقابة المحامين : تهنئة الأمة المصرية بعودة دستورها ــ دستور ١٩٢٣ ــ والمطالبة باتمام الاتفاق بين الوزارة الدستورية المصرية والحكومة البريطانية على أساس معاهدة النحاس ــ هندرسون فى سنة ١٩٣٠ ، تحقيقا لاستقلال البلاد » ٠٠ وهو ما كان الوفد يطالب به ، ولكن تدريجيا : فى البداية كان يطالب بأن تتم المفاوضات بين بريطانيا ومصر ، على أساس مشروع اتفاق النحاس ــ هندرسون ــ ثم طالب فيما « بعد » بأن تقر الاتفاق الجديد ، حكومة دستورية ، وفى قرارات نقابة

المحامين ـ وهى مؤشر له دلالته ، دعوة ، الى ان يتم قريبا الاتفاق ، بين الوزارة المصرية ؛ والحكومة البريطانية ، على أساس معاهدة النحـاس هنـدرسون ، ١٩٣٠ ، أى انه الغى الجبهة الوطنية وجعل مسألة الاتفاق بين الوزارة المصرية ، الدسـتورية ـ أى وزارة الوفد المصرى ، باعتبار ، ما سـيكون ـ والوزارة البريطانية !

★★★

وقد ذهب مجلس نقابة المحامين ، برئاسة مكرم عبيد ، الى دار اتحـاد المجلس الأعلى ، للعمال ، حيث وضع الجميع اكليلا من الزهور ، على النصب التذكارى لشهيد العمال المرحوم ، اسماعيل محمد الخالع ، ويعد مكرم عبيـد العمال ـ باسم الوفد ـ بتحقيق مطالبهم فى الحياة الدستورية المقبلة ويطالب العمال ان يكون من بين مرشحى البرلمان القادم ، حضرات الأساتذة الذين عملوا بين العمال ، فى حركتهم الأخيرة من أعضاء المجلس الأعلى ، ليكونوا المعبرين عن أمانى العمال فى الحياة البرلمانية القادمة ٠

★★★

ويقول مكرم عبيد ، ان الوفد الذى ينزل عند رغبة الأمة ، والعمال سيحقق ان شاء الله كل رغباتهم !

كم كانت مطالب العمال ، وقتئذ متواضعة ؟

انهم لا يطلبون ان يكون من بين النواب عمال ، ولكنهم يطلبون أن يكون الأساتذة من أعضاء المجلس الأعلى للعمال ـ وكلهم محامون ـ هم الذين يعبرون عن مطالب العمال من الذين يرشحهم الوفد ، للانتخابات البرلمانية القادمة ٠

كان المجلس الأعلى لاتحاد العمال وقديا ، وكان زعيم العمال ـ بعد خلاف الوفد مع الشريف عباس حليم ـ حضرة صاحب العزة ، أحمد حمدى سيف النصر بك ٠

وقد عقد مجلس العمال مؤتمرا فى ١٦ يناير ١٩٣٦ تحت اشراف المجلس الأعلى افتتحه أحمد حمدى سيف النصر بك ، وقدم الأستاذ رافع محمد رافـع سكرتير المؤتمر ، يوسف بتشو بك عضو المجلس الاستشارى الأعلى للعمل ، بوزارة الداخلية ٠

وفى هذا المؤتمر تحدث د٠ محجوب ثابت عضو المجلس الاستشارى الأعلى كما تحدث فى هذا المؤتمر الأستاذ رشاد أفنـدى دوس ، الذى ألقى كلمة العمال ، وتحدث عن آلامهم ، ومتاعبهم كما تحدث الأستاذ رافع محمد رافع عن مشروع قانون العمل الفردى ، وما به من اجحاف ، وقال ان مثل هذه المشروعات ،

اذا ما قدر لهاان تصبح تشريعا سوف تهدم ما اكتسبه العمال ، من حقوق ، نابعة فضلا عما فيها من اجحاف ٠

***

وقد تحدث أيضا فى هذا المؤتمر الاستاذ زهير صبرى ، عضو المجلس الأعلى ٠

وقد عقد المؤتمر فى ميدان الأوبرا وحضره ـ بالاضافة الى من سبق ذكر أسمائهم ـ أعضاء مكتب الاتحاد العام ، ورؤساء الاتحادات المركزية ورؤساء وأعضاء النقابات العامة ، ووفود الاتحادات المركزية ، وأعضاء مجالس ادارات النقابات العامة ـ وكان من بين قرارات ذلك المؤتمر : الاحتجاج على ما ورد بمشروع قانون عقد العمل مجحفا بحقوق العمال ومستخدمى الشركات ، وعلى الخصوص ما جاء خاصا بفصل العامل ، من عمله ، والتعويض عن ذلك ، وكذلك الاحتجاج على صدور مرسوم القانون الثانى الخاص بساعات العمل ، فى الأعمال الخطرة ، والمضرة بالصحة ، وما جاء به مجحفا ، بحقــوق العمال ، وصحتهم واغفاله الطوائف الأخرى ، المشابهة لحالة من ذكروا فيه كالطهاة ، والسائقين وغيرهم ٠

***

ومن بين هذه القرارات أيضا مطالبة الحكومة بارجاء النظر فى مشروع قانون عقد العمل واعادة النظر فى مشروع قانون ساعات العمل على وجـــه السرعة ، حتى يتيسر مناقشة القانونين فى البرلمان القادم ، بواسطة نواب الأمة ٠

ومن بين قرارات المؤتمر ، التوجه الى الديوان الملكى ، ورئيس الحكومة ووزير التجارة والصناعة لتبليغهم هذه القرارات وطلبات العمال ، وكذلك التوجه الى بيت الأمة ، لتحية حضرة صاحب الدولة ، زعيم الأمة مصطفى النحاس باشا وتبليغه رغبات العمال لتكون موضع رعايته فى الحيـــاة الدستورية القادمة ، وتبليغه رغبة العمال فى أن يكون بين مرشحى الوفد للبرلمان القادم حضرات الأساتذة من غير النواب السابقين ـ الذين عملوا فى حركتهم من أعضاء المجلس الأعلى ليكونوا بين الهيئة الوفدية ، الممثلة لهم فى البرلمان القادم ٠

***

وفى نفس الوقت ، الذى كان يعقد فيه العمـــال المنضـــوون تحت لواء المجلس الأعلى مؤتمرهم كان العمال الخاضعون لرئاسة عباس حليم ، يعملون على عقد مؤتمر خاص بهم أيضا فى دار التمثيل العربى ، تشترك فيه النقـــابة

الدولية لموظفى المحلات التجارية المختلفة ،و يتحـــدث ، فيه عباس حليم ، « الزعيم » وصالح ابراهيم من عمال ترام مصر الجديـدة وعضـو المجـلس الاستشارى الأعلى للعمل والعمال عن العمال · ويتحدث فيه أيضا بالفرنسية ـ جوزيف مورى سكرتير عام النقابة الدولية لموظفى المحلات التجارية وعضـو المجلس الاستشارى الأعلى للعمل والعمال ، وكذلك كلمة من الافوكاتو فيلكس حموى مستشار قضائى الاتحاد العام ، والنقابة الدولية لموظفى المحلات التجارية وكلمة عامة من الدكتور محجوب ثابت ـ الذى كان قاسما مشتركا بين كـل القوى العمالية وأخيرا كلمة من أحمد المصرى السكرتير ، الدولى للاتحاد العام برئاسة الزعيم عباس حليم ·

***

ولأن وزارة توفيق نسيم باشا كانت تكيل بكيلين صرحت للمجلس الأعلى لاتحاد العمال ، باشراف أحمد حمدى سيف النصر الوفدى ، بعقد مؤتمره ، فى الوقت الذى منعت فيه الاتحاد العام ، للعمال باشراف عباس حلىم ، من عقد مؤتمره ·

وأنقل هنا ـ حتى لا ينبرى أحد بتكذيب ما أقوله ـ عن الصحف الصادرة فى يوم ١٣ يناير ١٩٣٦ ، العبارات التالية :

كانت لجنة تنظيم مؤتمر العمال برياسة الشريف عباس حليم قد حددت بالاتفاق مع أولى الشأن ، موعدا لعقد المؤتمر هو الساعة العاشرة من مساء أمس بدار التمثيل العربى للتشاور فى مشروع قوانين العمال ، وأخذت وفود العمال تفد الى مكان الاحتفال قبل الموعد المحدد وقد بلغ عددها حوالى الأربعة آلاف عامل بين أجانب ، ومصريين ، ولكنهم وجدوا الدار محاصرة بالبوليس فظلوا أمامها فى انتظار وصول الشريف عباس حليم الذى وصل بصحبة الأستاذ حسنى الشنتناوى المحامى ، فطلب الشريف عباس حليم من العمال المتواجـــدين ان يذهبوا الى مقر نقابة موظفى المحال التجارية فمضوا قاصدين الى النقابة ولكن قوة من البوليس كانت قد حاصرت هذا المكان ، فلما وصل اليه الشريف ، ومعه الأستاذ حسنى تقدم الأستاذ حسنى من رئيس القوة ، وأفهمه انه قادم الآن من ادارة الأمن العام وقد اتفق مع مديرها بحضور الشريف على التصريح بعقد المؤتمر فى مكان غير دار التمثيل العربى وفى هذه اللحظة تلقى رئيس القوة أمرا تليفونيا من حكمدارية العاصمة بمنع الاجتماع فى أى مكان · وعلى هذا رأى العمال أن يكتفوا بعقد لجنة تنظيم العمل وأصدرت قرارات من بينها : الاحتجاج على مشروع عقد العمل ، وتحديد ساعات العمل ، فى المحال الخطرة ، ورفع الاحتجاج ، الى رئيس الوزارة المصرية ووزير الحقانية ووزير التجارة ·· والى سفراء الدول فى مصر ، والى مكتب العمل الدولى بجنيف ، واتحاد العمال فى

باريس ، والى رئيس محكمة الاستئناف المختلطة ورئيس محكمة الاستئناف الأهلية وكذلك الاحتجاج على عقد المؤتمر فى المكان الذى سمحت الحكومة من قبل بعقده فيه وتوجه ، العمال فى مظاهرة ، كبيرة الى دولة رئيس الوزارة فى مبنى رئاسة الوزارة وحدث ، احتكاك بينهم وبين رجال البوليس ، و ٠٠ و ٠٠

ويصرح مدير الأمن العام ، بأن مثل هذه الاجتماعات العمالية من شأنها احداث الشغب ولهذا تقرر مصادرتها ٠

وسنعود لمواصلة الحديث فى هذا الموضوع بعـــد نشر رسالتين هامتين لاثنين من أبناء بعض المجاهدين المصريين :

● كتشنر لم يدخل المنصورة

السيد الاستاذ الكبير صبرى أبو المجد

تحية طيبة وبعد ٠٠

أرجو افادة سيادتكم بنبذة من تاريخ مجاهد من أعضاء الحزب الوطنى هو المرحوم الدكتور نصر فريد طبيب العيون بالمنصورة والذى كان رئيسا لبعثة الهلال الأحمر الطبية المصرية التى سافرت الى ليبيا لاسعاف جرحى الحرب بين تركيا وايطاليا سنتى ١٩١١ ـ ١٩١٢ ٠

فى سنة ١٩١٢ قرر المعتمد البريطانى كتشنر زيارة المنصورة ضمن جولته الى عواصم مديريات القطر المصرى ـ وقد قامت المديرية بعمـل الترتيبـــات لاستقباله رسميا واقامت السرادقات أمام محطة المنصورة ٠

وقبل وصول القطار المقل للورد بدقائق ٠٠ ترك الدكتور نصر فريـد عيادته المواجهة لمحطة المنصورة وخطب فى الجماهير خطبة وطنية ضد الانجليز وأنهى خطابه بكلمة هى مادمت موجودا بالمنصـــورة فلن يدخلها انجليزى » وهنا قامت الجماهير بهدم السرادق المقام أمام المحطة وهتفت ضد المستعمرين ولم يتمكن كتشنر من دخول المنصورة ٠ وعاد من حيث أتى ٠ بعد أن أمر مدير الدقهلية فى ذلك الوقت حافظ حسن باشا ٠٠ باعتقال الدكتور نصر فريـد واحضاره الى القاهرة وتم اعتقاله بالقلعة لمدة ٦ أشهر ٠

هنا قامت الحرب الكبرى الأولى سنة ١٩١٤ ونفى الدكتور نصر فريد الى مالطة وتمكن من الهرب وتوجه الى ايطاليا التى كانت على الحياد فى ذلك الوقت، ثم سافر الى تركيا ومن هناك الى ألمانيا حيث تطوع فى الجيش الألمانى كطبيب ـ فحكمت عليه السلطة الانجليزية العسكرية بالاعدام مع مصادرة أملاكه وأمواله

بمصر · حيث أعلنت الأحكام العرفية ـ وظل بالجيش الألمانى حتى نهاية الحرب سنة ١٩١٨ ·

★★★

وبعد الهدنة عمل طبيبا بمستشفيات النمسا وألمانيا ·

وقد زامل الزعيم محمد فريد وكان يسكن معه فى حجرة واحدة طوال اقامته فى برلين حتى آخر أيامه ·

ولما لقى وجه ربه الزعيم محمد فريد قام مع الجالية المصرية بدفن جثمانه ببرلين ·

وقد أرسل للمرحوم سعد زغلول ما يفيد بوفاة محمد فريد وطلب منه بصفته رئيسا للوفد مصاريف شحن الجثة الى مصر ليدفن بها ـ ولكن للأسف لم يستجب سعد زغلول لطلبه وخطب فى الجماهير وقال « ان فلوس الوفد ليست لاحضار الجثث !! » ·

وقد قام الحاج خليل عفيفى التاجر بفاقوس بارسال مبلغ ٢٠٠ جنيه كمصاريف لشحن جثمان الزعيم محمد فريد · وقد احضرت الجثة « حيث قام الوفد بالاحتفال بتشييع الجنازة » ·

وبعد الغاء الأحكام العرفية حضر الى القاهرة الدكتور نصر فريد حيث افتتح عيادة مجانية بشارع كوبرى قصر النيل « التحرير حاليا » الى أن توفى فى يناير سنة ١٩٤٥ ·

أرجو ان تكتبوا عن تلك الشخصيات التاريخية التى لعبت أخطر الأدوار فى تاريخنا ·

أحمد نصر فريد

★★★

● نحن أبناء المجاهدين : نطالب بتكريم أسماء آبائنا

الاستاذ / صبرى أبو المجد

من موقعك فى صحافتنا الوطنية ، عودتنا دائما أن تؤرخ لتاريخنا الحديث ، بنظرة جديدة ، صادقة ، واعية ومنذ أسابيع كانت دعوتكم الوطنية الصادقة للمناضلين الأحرار ، الأحرار من زعماء الحركة الطلابية ، لكى يكتبوا ، عن تلك المرحلة النضالية ، الهامة ، والخطيرة وقد كان ، لدعوتكم الطيبة أبلغ الأثر فى نفوسنا ، جميعا ، وخاصة نحن أبناء أولئك الزعماء والقادة لحركة شباب

١٩٣٥ ، وعندما بدأت أسطر بعض كلمات ، عن أبى ، باعتباره كان رئيس اتحاد طلاب كلية الآداب وكان عضوا فى اللجنة التنفيذية ، العليـا عـام ١٩٣٥ ، لم يطاوعنى قلمى ، وجدت الكلمات تتبخر ماذا أكتب عن والدى المرحوم عبد العزيز يونس ، الذى كان من أعدى أعداء الاستعمار ، وكان خصما عنيفا للطغيان ؟ ووجدت أن المناضل الشريف صبرى أبو المجد قد كفانا بقلمه الحـر ، عبء الكتابة عن تلك الشخصيات الوطنية بما يكتبه فى تلك الحلقات السياسيـة الهامة . وتبقى كلمة أحملك مسئوليتها ، وأمانتها ، هل نطمع نحن أبناء هؤلاء القادة والزعماء الذين لعبوا ، أخطر الأدوار فى مرحلة هامة وخطيرة من مراحل نضال شعبنا أن تحملوا ومعـكم كل كتاب مصر ومثقفيهـا وسياسييها الدعوة لتكريم أسماء أبنائنا المجاهدين الذين أعطوا لبلدهم كل شىء ولم يحصلوا بعد حتى على تخليد ذكراهم وذكرى القضايا الوطنيـــة التى كافحوا من أجلها ، ولك كل تقدير .

حمدى عبد العزيز يونس

المحـامى

الفصل الخامس

على ماهر يؤلف وزارة المائة يوم

ولمواصلة الحديث عن مصر فى الفترة من نهاية ١٩٣٥ وبداية عام ١٩٣٧ يقول مدير الأمن ، الذى صرح بعقد مؤتمر مماثل فى يوم سابق يقول فيه العمال ومن يناصرونهم مثل ذلك الذى كان سوف يقال فى مؤتمر آخر ٠

يقول حمدى محبوب بك مدير الأمن العام : « ان شـكاوى العمال ان وجدت ــ تصور ! ــ تقدم للجهات المختصة ، التى تفتح أبوابها لها على مصاريعها وان للعمال ممثلين فى المجلس الاستشارى الأعلى للعمل يدافعون عنهم عنـد الاقتضاء ٠٠

ويرد عباس حليم بقوله :

« ان نظرية احتمال الشغب ، لو أصبحت قاعدة فى الحكم على الاجتماعات لتعطل الدستور ، وقضى على حرية الاجتماع ، ولذلك وضع القانون قواعد لهذه الاجتماعات لم نغفل واحدا منها فى طلب المؤتمر الأخير ، وفضلا عن ذلك ، فان تشجيع الحكومة لعمال المجلس الأعلى ، على الاجتماع ٠٠ مع أنهم حزبيون سياسيون ومصادرتها لعمال الاتحاد العام من وطنيين وأجانب ٠٠ مع بعدهم عن السياسة ، يبين ان فى المسألة تدبيرا مجهولا ، وسياسة مرسومة ٠ وأما باب الجهات المختصة المفتوح على مصراعيـه ، فقد طرقناه منذ ستة أعوام ٠ وحينما لم نسمع وراءه مجيبا ، وجد العمال انه لا محيص لهم من عقد المؤتمرات وتاليف النقابات للدفاع عن حقوقهم فى حدود القانون ٠

« واما تمثيل العمال فى المجلس الاستشارى الأعلى للعمل ، فنجيب عنه بان مدير الأمن العام بنفسه ، كان من المصوتين ضد مطالب العمال فى مشروع قانون العمل الأخير ، الذى كان من الأسباب الأولى لانعقاد المؤتمر العمالى ٠ ولم

يعمد العمال الى عقد مؤتمرهم الا بعد أن ييئسوا من المجلس المذكور ، هذه هى أبوابهم المفتوحة جميعها ، فان كان لهم باب آخر فليدلونا عليه » .

والجدير بالذكر أنه فى مؤتمر العمال الذى عقد تحت اشراف المجلس الأعلى .. كان من بين ما قاله بتشو بك عضو المجلس الاستشارى الأعلى للعمل والعمال : ان المحاكم المختلطة كانت فى أحكامها منصفة للعمال .. اذ أعطت غالبية هذه الأحكام نصف شهر عن كل سنة للعامل عند الاستغناء عنه . وبعض الأحكام أعطت العامل شهرا كاملا عن كل سنة .

وكان من بين ما قاله الدكتور محجوب ثابت : ان العامل فى انجلترا يأخذ أربعة أشهر عند فصله من العمل ، بالاضافة الى نظم التأمينات الموجودة هناك ، التى يدفعها صاحب العمل فى انجلترا ، بل وفى كثير من البلدان الأوربية بنسبة مئوية ، ويدفع مثله العامل وكذلك الحكومة .. وهو ما يسمى بالتعاون الثلاثى ، لاعانة العامل عند فصله من العمل .

★★★

ويطالب محجوب ثابت بانصاف العمال ، لأن فى انصافهم انصافا للشعب .

وكانت الحركة العمالية تكسب كل يوم الكثير بسبب نشاط قياداتها وعدم خشية تلك القيادات من مجابهة السلطة . بل ان هذه القيادات كانت تتعرض للسجن والاعتقال دون ان تضعف أو تلين ، ودون أن تتنازل قيد انملة عن حقوق العمال .

وكانت ــ وهذا مهم جدا ــ تضحيات القيادات العمالية موضع تقدير كبير جدا من العمال أنفسهم .

ونعود الى الحديث عن الجبهة الوطنية ، حيث راح المندوب السامى البريطانى السير مايلز لامبسون ، يستقبل أعضاء الجبهة واحدا واحدا فى محاولة منه لسبر غورهم ، واستكشاف نواياهم . وبينما كانت الجبهة الوطنية تواصل اجتماعاتها ونشاطاتها ، كانت تجرى احتياطات عسكرية خطيرة ، حيث كان الأفق الدولى ينذر بهبوب عاصفة شديدة .. وحيث كانت دول العالم تواصل استعداداتها العسكرية .

وبطبيعة الحال ، كانت الحكومة المصرية تسير خلف الحكومة البريطانية ، التى كانت بدورها ، خائفة جدا من الانتصارات التى كانت تحرزها ايطاليا فى الحبشة ، وكانت بريطانيا ، هى قائدة التيار العالمى الذى ينادى بفرض العقوبات الاقتصادية على ايطاليا ، وفى مقدمتها حظر البترول .

لقد أحرزت الجبهة الوطنية نصرا هائلا .. !! .. عندما ألفت لجنة لتنظيم شئون الترشيحات للانتخابات النيابية القادمة . وكان تشكيل هذه اللجنة على النحو التالى :

حافظ عفيفى عن المستقلين

مكرم عبيد عن الوفد

ابراهيم دسوقى أباظة عن الأحرار الدستوريين

عبد الرحمن الرافعى عن الحزب الوطنى

أحمد كامل عن حزب الشعب

حلمى عيسى عن حزب الاتحاد

على الشمسى عن الوفديين السعديين

كانت الجبهة تولى موضوع الانتخابات أهمية كبيرة . بل ان بعض أعضاء الجبهة كانوا يولون موضوع الانتخابات أهمية أكبر وأخطر من تلك التى يولونها لحل القضية المصرية .

كان الوفد المصرى مثلا ، يعطى أولوية خاصة للانتخابات المقبلة ، لأنه على ثقة مطلقة من أن الأغلبية فى البرلمان الجديد سوف تكون من نصيبه .

وكان الوفد المصرى يرفض فكرة الوزارة القوميـة التى تضم الأحـزاب المصرية ، لانه يريد أن ينفرد بالحكم . ويؤكد دائما ان فكرة الوزارة القومية فكرة غير مجدية .

وقد راح كثير من الزعماء ، وتيار كبير من الشباب يؤيدون فكرة تأليف وزارة اتحاد وطنى برئاسة مصطفى النحاس باشا . فقد كانت ظروف البلاد تدعو فعلا الى تأليف مثل هذه الوزارة لأن الملك فؤاد كان يعانى من مرض خطير، حال بينه وبين مباشرة عمله كما يجب ، ولأن الأوضاع الداخلية كانت تحتم تأليف مثل هذه الوزارة .

***

وقد بحث الوفد المصرى فى اجتماعه فى ٢٣ يناير ١٩٣٦ هذا الموضوع ورفض أن يشترك فى الوزارة الائتلافية ، لأن التجربة السابقة للائتلاف انتهت بالفشل . ورحب الوفد المصرى ، بقيام وزارة انتقالية تجرى الانتخابات . وفى نفس الوقت رحب الوفد على لسان مصطفى النحاس باشـا ، بانه عندما تجرى الانتخابات ويفوز الوفد بالأغلبية ، سوف يشرك أعضاء من الجبهة الوطنية فى وفد المفاوضات .

ولقد ناقشت بعض الجهات العليا الموقف ٠٠ بعد أن رفض الوفد المصرى فكرة الاشتراك فى الوزارة القومية ، واقترح البعض ان يشكل الوزارة الجديدة محمد محمود باشا رئيس حزب الأحرار الدستوريين ، على أن يشترك معه فى الوزارة ممثلو الأحزاب الأخرى فيما عدا الوفد ، ولكن المسئولين البريطانيين فى مصر عارضوا الفكرة لانهم لا يريدون أغضاب الوفد ، فى تلك المرحلة العصيبة ٠

وقد عبر مراسل « النيوزكرونكل » فى القاهرة عن رأى هؤلاء البريطانيين عندما قال انه من الصعب أن يرى المرء كيف يتسنى لأى ائتلاف ان يمثل المصريين ، ما دام الوفد ليس منضما اليه ٠

وفى هذا الجو نشط على ماهر باشا نشاطا غير عادى وقابل مصطفى النحاس بحضور مكرم عبيد ، ومحمود فهمى النقراشى ، وأحمد ماهر ، وطال الاجتماع ، واستمر تقليب الموقف على جميع وجوهه ساعتين ، كما قابل محمد محمود باشا الذى أبلغه انه ــ أى محمد محمود باشا ــ يرفض تماما فكرة اسناد رئاسة الوزارة اليه ٠

★★★

وفى ٢٣ يناير ١٩٣٦ ، يذهب مصطفى النحاس ومكرم عبيد ، وأحمد ماهر ، الى سراى عابدين ، لمقابلة على ماهر ، وكان على ماهر فى الصباح قد اتجه الى النادى السعدى وقابلهم ويتجه اسماعيل صدقى الى عابدين لمقابلة على ماهر أيضا وبعد اسماعيل صدقى ، يتجه الى عابدين محمد محمود باشا لمقابلة على ماهر كذلك ٠

واذ كان يوم ٢٣ يناير ١٩٣٦ ، يوما عصيبا فقد كان يوم ٢٤ يناير ١٩٣٦ أكثر خطورة ، مصطفى النحاس يلتقى مع على ماهر ، وعلى ماهر ، يلتقى مع محمد محمود ، وجوهر اللقاءات الاقتراح الذى تقدم به الوفد المصرى بتأليف وزارة محايدة تتولى اجراء الانتخابات وفى الوقت نفسه يؤلف الوفد الرسمى ، للمفاوضات من جميع الأحزاب ٠

★★★

ويشتغل على ماهر ، عشرين ساعة بلا انقطاع فى يوم ٢٥ يناير ١٩٣٦ ٠

انه يقابل ــ ضمن من قابلهم فى هذا اليوم الخطير ــ حافظ رمضان رئيس الحزب الوطنى وحمد الباسل باشا ، وبعد هذه المقابلات يتوجه على ماهر ، الى دار المندوب السامى البريطانى ، ليعرض ، عليه نتيجة ما انتهى اليه الرأى فى مباحثاته مع الزعماء وتستغرق المقابلة ٤٥ دقيقة ٠

ويخرج « معالى » على ماهر باشا ، رئيس الديوان الملكى من مكتب دار المندوب السامى البريطانى الى قصر القبة ليتشرف بمقـــابلة صاحب الجـلالة الملك فيفضى اليه بما دار من حديث بينه وبين السير مايلز لامبســون ٠ ثم يلتقى بعد ذلك كله بأعضاء الوفد لمدة ثلاث ساعات ونصف ٠٠ وكان عـلى ماهر يستأذن من المجتمعين ويخرج ليتحدث فى التليفون الى جهة غير معروفة ثم يعود كما تقول صحف ذلك اليوم ٠

ويجتمع الوفد المصرى لفترة طويلة وتتكرر الاجتماعات فى أيام ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ يناير وكانت بعض الاجتماعات تتم فى أماكن غير مألوفة مثل محل حلوانى « صولت » بشارع قصر النيل ، وكان د٠ محمد حسين هيكل ، ومكرم عبيد يفضلان أن يلتقيا فى هذا المكان ٠

***

وكانت قيادة الطلبة تتعامل مع الطلبة بالشفرة ٠

وفى مساء ٢٦ يناير أصدر فريد زعلوك رئيس لجنة الطلبة بيانا فى خمســة أسطر يقــول : حدث عند منتصف ليل أمس ، فى الموقف ظروف خطيرة ، تقتضى أن يتريث جميع الطلبة اليوم فأرجو أن يكون ذلك موضـع تقدير اخوانى الطلبة وفى مقدمتهم أعضاء اللجنة التنفيذية الذين لم يتيسر لى الاتصال بهم فليتريثوا جميعا ، ويراقبوا تطورات الحوادث ٠

ويسقط فى دمنهور شهيد جديد هو حمزة محمود الرومى الطالب بمدرسة دمنهور الزراعية الذى توفى اثر اصابته بطلق نارى من رجال البوليس عنـد اقتحام حكمدار البحيرة دار المدرسة بجنده يوم ٧ يناير أثناء الاضراب وسقط فى المنصورة ، شهيدان جديدان ، سقطا برصاص رجال البوليس عندما تظاهر الطلبة احتجاجا على التسويف البريطانى وهما محمد شطا محمد « ١٧ سنة » على حسين حسن « ١٢ سنة » ، وكانت مصر ، قد عادت من جديد ، الى غضبها فى ٢٦يناير،٢٧ يناير ١٩٣٦ ، وكان الذى يحمل لواء الغضب ــ فى هـــذه الأيام ــ الطلبة القوميون رغم أنف الطلبة الوفديين ٠

ولوحظ ، ان طلاب الأزهر ، قد شاركوا فى هذه المظاهـرات العنيفة ٠ وكان طلاب الأزهر ، قد سرى بينهم الخلاف الذى جعل منهم فريقين وطلب كل منهما اتحادا أزهريا ، حتى لقد استقل الأزهريون باتحادهم هذا عن كل شىء فراح فريق منهم يؤيد الاتحاد الذى يرأسه الشيخ أحمد حسن الباقورى وراح فريق آخر يؤيد الاتحاد الذى يرأسه الاستاذ عبد المجيد الغايش ٠ وكان هـذا الخلاف بين الاتحادين ــ كما أجمعت كل الدوائر ، المتصلة بالأزهر ــ مدعاة أسف بالغ ٠

***

وقد قام الاستناذ الشيخ ثابت أبو المعالى بالجمع ما بين الاستاذين الباقورى ، والغايش ، وفى اجتماع ثلاثى ، اتفقوا على أن يظهر الأزهر ، كلمة واحدة ٠

ففى ٢٧ يناير التقى فى الجامع الأزهر ، قرابة الفين من الطلاب حول المنبر ، واقبل الاستاذان الباقورى ، والغايش معا ، فقوبلا من أخوانهما بالتصفيق والهتاف ٠

وتحدث الاستاذ ثابت أبو المعالى عن الوحدة ، ومكانتها فى حياة الشعوب، كما تحدث الشيخ الباقورى حديثا ، أدرك منه الأزهريون ان الخصومة بينه وبين زميله الغايش قد استقرت فى رمسها ٠

وقد أكد الشيخ الباقورى ان الأزهريين وقد عرف منبرهم ، كيف يغذى النهضة فى بواكيرها ، ليسوا اليوم الا على ما كانوا عليه فى الأمس من قوة بأس ، وروعة ثبات وانهم فى مقدورهم ان يقودوا الثورة ، ويحملوا ، أثقل أعبائها ، على كواهلهم ٠

وسجل الشيخ الباقورى ، ان وحدة الأزهريين تستمد قوتها من وحدة الشعب الممثلة فى جبهة واحدة وان أى عبث يتناول هذه الجبهة سيكون مصير القائمين به النفور المحقق من تأييد الأزهريين ٠

★★★

وتحدث الأستاذ الشيخ عبد المجيد يوسف الغايش فأذاع مزيد اغتباط بهذه الروح ، التى أوحت الى زميله أن يحسم هذا الخلاف ٠

وتحدث فى هذا الاجتماع الشيخ محمد متولى الشعراوى مندوب اتحاد الجامعة الأزهرية فى معهد الزقازيق ، كما تحدث الى المجتمعين الشيخ عبد الرحمن عبد الحليم درويش والشيخ محمد المهدى ، والشيخ النمر والشيخ عبد الرحمن عثمان ، والشيخ عبد الرحمن الجندى وكذلك الأديب فهمى أبو غدير أفندى الطالب بكلية الحقوق ، وأحمد حسان عمر الطالب فى كلية الآداب ، وعبد الملك هاشم الطالب فى الخديوية ٠

وكان طلبة مدرسة الصناعات الزخرفية قد حرقوا المكاتب ، والنوافذ ، وأشعلوا النيران فى بعض الأخشاب التى كانت فى المعمل ، ولكن جانبا من الطلبة أسرعوا الى اخمادها قبل أن تعلق بمحتويات المعمل ٠

وكانت الحالة فى طنطا قد تدهورت حتى لقد وصل الى طنطا فى صباح ٢٧ يناير قطار خاص يحمل الاورطة العاشرة من البيادة من الجيش المصرى و ٠٠ و ٠٠

وأسخف شيء ، فى تلك المظاهرات أن كثيرين من أساتذة المدارس ونظارها وكثيرين من رجال الادارة ، كانوا يخرجون أولادهم من المدارس قبل اطلاق النيران عليهم من قبل رجال البوليس !

***

وتغلق الجامعة المصرية أبوابها مرة أخرى الى أجل غير مسمى ، وقد عاد مجلس الجامعة المصرية ، فحدد فترة الاغلاق بيوم ٤ فبراير ١٩٣٦ .

ويعقد الطلاب ، مؤتمرات ، عديدة يتخذون فيها الكثير من القرارات .

وكان من أهم هذه المؤتمرات ذلك ، الذى عقد فى ساحة الجامعة فى صباح ٢٨ يناير ١٩٣٦ والذى خطب فيه فريد زعلوك وعلى كريم ، وحمادة الناحل ، وجلال الحمامصى ، ومحمود أبو رحاب ، وابراهيم عثمان ، وعبد العزيز الشوربجى ، وأحمد الدمرداش تونى ، ومحمود شامل .

وفى دار العلوم يأبى الطلبة الا أن يتجهوا فى مظاهرة الى قصر عابدين محتجين ، على الأوضاع الراهنة ، فلما حال البوليس بينهم وبين الاقتراب من سراى عابدين اختاروا الأديبين أحمد الحوفى والسيد العجان حيث سمح لهما بالدخول الى السراى ، وتقييد اسميهما فى دفتر التشريفات ثم قابلا محمد بك حسن الأمين الأول حيث قدما اليه طلبات طلبة دار العلوم !

***

وكان من بين قرارات مؤتمر الطلبة تحميل الانجليز مسئولية الأحداث التى وقعت والتى ستحدث فى مصر ، والتى نشبت من موقفهم الشاذ وتدخلهم فى شئون البلاد .

وقد بعثت اللجنة التنفيذية العليا للطلبة بوفد الى دمنهور للتعزية فى وفاة شهيديها وكان الوفد مكونا من نصيف مرقص وابراهيم مغازى ، وحافظ شيحا ، وابراهيم الفار ، وأحمد الحوفى ، وقد ذهب الوفد الى أسرة الشهيد حمزه الرومى ، والى أسرة محمد المسلمانى وبعد زيارة أسرتى الشهيدين توجه الوفد الى سراى سعادة محمد باشا الوكيل التناول الغداء على مائدته .

وعطلت الدراسة أيضا فى الجامعة الأزهرية وفى معهدى طنطا والاسكندرية وتدهورت الأحوال فى معاهد أسيوط ، والزقازيق ، ودسوق ، ودمياط وكان الطلبة الأزهريون بعد أن أغلق الأزهر يلجأون الى الاجتماع فى بعض المساجد ، ومن بينها مثلا مسجد المؤيد ، ورغم ذلك كان البوليس يحاصر المساجد ويمنع الأزهريين من الدخول اليها .

***

وكان الطلبة ذات مرة قد طلبوا الى مصطفى النحاس أن يخطب فيهم اثر عودته من سراى عابدين فاعتذر منيبا عنه مكرم عبيد الذى قال ان النحاس باشا ما اعتذر عن الكلام ، الا لتعب خفيف طرأ عليه ، ولكنه تعب لا يخلو من راحة فان خدام الفكر يجدون راحة النفس فى متاعب الحس » ٠

***

وكان من بين ما قاله الاستاذ مكرم عبيد ردا على مراسل جريدة التيمس البريطانية : ان نغمة التفريق بين عنصرى الأمة قد عفا عليها الزمن ، وصهرتها نار الحوادث والمحن ، وليعلم خصوم الأمة ، ان أولئك الذين جمعت بينهم صلة الدم ، الموروث ، بل وصلة الدم المسفوك لن يفرق ، بينهم داعية ، أو دعاة من المستعمرين فان ما جمعه الوطن ، لن يفرقه أعداء الوطن ، وما جمعه الله ، لن يفرقه انسان : الوطنية ديننا هذا ما قاله زميلنا المغفور له سينوت حنا بك ، وبهذا نادى شهداؤنا وعلى مثل هذا تقوم فلسفة الوطن فالمسلم والمسيحى ، أخوان شقيقان فى ايمانهم الوطنى ، وما المسيحى دينا مصرى موطنا » ٠

وكان مندوب التيمس البريطانية قد حاول التفرقة بين أبناء الأمة الواحدة ، فقال ان الأقباط ، الذين ينتسب اليهم مكرم عبيد لهم ، مصلحة خاصة فى بقاء النفوذ الاستعمارى !

وكان من بين خطباء الطلبة حمادة الناحل الذى قال ذات مرة فى دار الأحرار الدستوريين اننا لا نتبع حزبا من الأحزاب واذا كان ولا بد من صلة بيننا وبينكم أيها الأحرار الدستوريون فانما هى صلة العداء ، لا الولاء ، فما قمنا قومتنا الا لنقوى الروح المصرية الخالصة البعيدة ، عن الحزبية وتحارب كل روح ترمى ، الى النفع الشخصى ونسيان مجد البلاد واستقلالها ٠

وفجأة وفى مساء ٣٠ يناير تنفرج الأزمة ويؤلف على ماهر باشا رئيس الديوان الملكى الوزارة الجديدة ويدخل معه الوزارة : أحمد عبد الوهاب ، اللواء على صدقى ، محمد على علوبة ، حسن صبرى ، صادق وهبة ، حافظ حسن ، أحمد على ٠

ونشر تعليقا آخر وأخير — فى هذا الكتاب من د٠ محمد بلال ٠

د. بلال يعقب :

الأستاذ صبرى أبو المجد

فى سياق الحديث عن القمصان الزرقاء وزيارة سيركين بويد مدير الادارة الأوربية بالداخلية وآخرين لى فى النادى السعدى وعن تعليمات معه بقرار من وزير الداخلية بمنع الفرق من السير فى الشوارع والأماكن العامة .. رأيت تصحيحا لتلك الواقعة أن أوضح بأن الحديث الذى دار معى لم يشمل تعليمات من أى نوع لسبب واحد وهام وهو انه لم يكن من حقه اصدار تعليمات للشباب وفى مقر داره كما لم يكن للشباب أن يقبلوا تعليمات منه أو من غيره لأن ذلك لا يكون عن غير طريق رئيس الوفد .. وقد دار الحديث بيننا عن الأهداف التى يسعى الشباب لتحقيقها من وراء قيام هذه الفرق .. وكان بصحبته مسئول آخر قدم على أنه موفد من وزارة الخارجية البريطانية ومسئول ثالث من أعضاء السفارة .. وتركز اهتمامهم فى السؤال عن علاقات الفرق الخارجية والتحقق من أى اتصال بالفرق المشابهة لدول المحور بأوربا (الفاشيست والنازى) وهم أصحاب القمصان السوداء بايطاليا والقمصان البنية بألمانيا .

وقد سبق أن قلت ان الضباط البريطانيين فى وزارة الداخلية لم يكفوا لحظة عن متابعة نشاط وتحركات هذه الفرق وان الحكمدار اللواء رسل ونائبه الأميرالاى فيتز باتريك كانا دائمى النشاط فى هذه المتابعة وانى كثيرا ما رأيت فيتز باتريك يرقب الاجتماعات فى بعض المعسكرات ويتحرى عن قرب بنفسه وبرجاله من أمثال القائمقام نوبل . عن تحركات الشباب .. وكثيرا ما قام بزيارات مفاجئة لى أثناء مرورى فى بعض المعسكرات مما كان يثير كثيرا من الغضب والتبرم بين صفوف الشباب وكان موضع اعتراض منى واحتجاج لدى المسئولين ..

هذا من ناحية .. ومن الناحية الأخرى فمن المناسب وللشرح التاريخى أرجو أن توضح أن فرق القمصان الزرقاء نشأت كفكرة فى أواخر ١٩٣٥ أثناء مظاهرات الطلبة وقامت فى أوائل ١٩٣٦ وسميت الفرق بعدها الشباب تحت لواء الوفد ، وهى غير جماعة البازى وأرى أن ما جاء فى حديث حافظ رمضان رئيس الحزب الوطنى عن فرق القمصان بصفة عامة يصور كثيرا من الجانب القومى والوطنى للشباب فى تلك الحقبة فى تاريخ مصر ..

تحية لابن بار : وقد أسعدنى كثيرا ما قرأته من حديث لابن عن أبيه هو الزميل الراحل عبد العزيز يونس .. كان مناضلا شريفا وعضوا بلجنة الطلبة ممثلا عن كلية الآداب مع باقى الزملاء .. وكان حريصا على حضور الجلسات ومتابعة القرارات .. وكان قوى العارضة لا يمل حديثا أو حوارا فى

سبيل القضية الوطنية يدعم رأيه بالحجة والبيان ‥ لا يترك شاردة ولا واردة دون مناقشتها حتى يتحقق وجه الصواب ‥

والحديث صورة من وفاء جيل الأبناء لجيل الآباء وقراءة كريمة لنضـــال سابق وجهاد باق على الأيام ‥ وكم يسعدنا ويملؤنا اعتزازا أن نرى أبناءنا يتصفحون كتابنا وأن يعطوا من وقتهم وكفاحهم من أجل حياتهم ساعات لمطالعة تاريخ آبائهم ‥ حينئذ نطمئن الى أن راية الكفاح من أجل مصر سوف تظل مرفوعة وأن رسالة الآباء بين يدى أبناء بررة أمناء ٠

دكتور محمد بلال

★★★

وبعد ذلك لابد فى رأينا – من أن نكتب – فى ايجاز قصة على ماهر الذى لعب أخطر الأدوار فى تاريخ مصر فى الثلاثينات ٠

الفصل السادس

سطور من تاريخ على ماهر

روينا بعض الأحداث التى صاحبت تأليف على ماهر لوزارة المائة يوم ونكمل اليوم قصة على ماهر فى ايجاز مختصر ٠٠ أين ولد وتربى وكيف برز فى الحياة السياسية محاميا نابها ثم قاضيا يصر على « حرمة » القضاء الى الدرجة التى يقف فيها فى وجه تدخل سعد زغلول ـ ناظر الحقانيـة ـ فى شئونه كقاض ٠٠ والظروف التى هيأت لعلى ماهر ان يبرز فى الحياة السياسية قبل معـاهدة ١٩٣٦ ٠

● وعلى ماهر أحد خمسة أولاد أنجبهم محمد ماهر باشا ، وكان من خيرة ضباطنا العسكريين ٠ تدرج فى سلك المناصب الى أن صـار وكيلا لوزارة الحربية ٠ ثم وقعت حادثة الحدود المشهورة ، عندما أبدى الخديو بعض الملاحظات على تدريب الجيش المصرى ، واعتبر المعتمد البريطانى تلك الملاحظات اهانة له وللضباط الانجليز ٠

وقد وقف محمد ماهر باشا الى جانب الخديو فى هذه الأزمة ، التى دفع ثمنها غاليا ، وهو اقصاؤه عن منصب وكيل وزارة الحربية ٠

والأولاد الخمسة الذين أنجبهم محمد ماهر باشا هم : مصطفى ، وعلى ، ومحمود ، وأحمد ، وأمين ٠

ولقد عمل اثنان منهم بالسياسة ووصلا الى أعلى المناصب ، فكان على ماهر رئيسا للوزارة أكثر من مرة ٠ وكان أحمد ماهر رئيسا لمجلس النواب أكثر من مرة أيضا ٠ وآخر منصب تولاه أحمد ماهر رئاسة الوزارة ، وهى الوزارة التى أعقبت وزارة مصطفى النحاس باشا ، وزارة ٤ فبراير ١٩٤٢ ٠

وكان تأليف أحمد ماهر للوزارة فى ٨ أكتوبر ١٩٤٤ · ولم يمكث فى رئاسة الوزارة أكثر من بضعة أشهر حيث اغتاله محمود العيسوى ، أحد شباب الحزب الوطنى فى أواخر فبراير ١٩٤٥ ·

***

درس على ماهر فى مدرسة الخديوية الثانوية ، ورأس جمعية كان اسمها « الهلال والنجمة » ·· أسست لتدريب التلاميذ على الخطابة والبحث ، أسوة بالجمعية الأدبية التى أنشأها مصطفى كامل فى مرحلة دراسته الثانوية ·

وقد حدث أن تلاميذ المدرسة الخديوية لجأوا ذات يوم الى الاضراب · وأراد ناظر المدرسة « المستر اليوت » أن يتدارك أسباب الاضراب ، وأن يعالجها حتى لا يلجأ اليه التلاميذ مرة أخرى ·· فنادى رئيس جمعية « الهلال والنجمة » · على ماهر ، وسأله :

ــ هل تتعهد بعدم وقوع اضراب جديد ؟

فأجابه على ماهر : بأنه لا يستطيع الوعد بذلك ، فهو ــ أى على ماهر ــ وان كان لا يحب الاضراب ·· الا أنه لا يحب الاستبداد أيضا ·· !!

وقد تخرج على ماهر فى مدرسة الحقوق · وعمل محاميا فترة من الوقت أمام المحاكم الأهلية ، وأمام المحاكم المختلطة · وقد وقع له أثناء اشتغاله بالمحاماه ، ما أغضبه ·· فقرر أن يترك المحاماة الى القضاء ·

وقف مرة محامى خصوم موكلى على ماهر يطلب التأجيل لأن لديه مستندات جديدة تتطلب هذا التأجيل · وكان على ماهر يعرف أنه ليست هناك مستندات جديدة · فنهض وأمسك بيد الزميل ، وطلب الى المحكمة ، أن تتسلم منه المستندات ، وأخذت المحكمة الأوراق التى كان المحامى يمد يده بها فوجدتها بيضاء !!

ونطق القاضى بالتأجيل ·· فاحتج على ماهر على هذا التصرف وانسحب صائحا : « أعجب لمحام يكذب ، وأعجب لقاض يصادق على الكذب » ·

***

وبعد ثلاث سنوات من اشتغال على ماهر بالمحاماة ، اختارته وزارة الحقانية للقضاء ·· فعمل فى محكمة الأزبكية ، كما عمل فى محكمة عابدين ، واهتم بأحوال الأحداث · ولم يكن يحكم عليهم قبل أن يعرف الظروف الاجتماعية لكل واحد منهم ·

ويقول الدكتور محمود عزمى : ان السنوات الخمس التى تولى فيها على ماهر القضاء ، لم يكن يتقيد بحرفية القانون ، بل كان ينظر الى القضايا التى يفصل فيها ، نظرة اجتماعية الى جانب النظرة القضائية البحتة ٠

وكان يشق عليه حين يتضح له تزوير الشهادة ، أن يخرج شهود الزور من ساحة المحكمة أحرارا هانئين ، بينما يظل المحبوسون من جراء الشهادة — التى ثبت زورها — فى السجون ٠٠ فكان حين تثبت لعلى ماهر شهادة الزور ، يأمر بادخال شهودها فى قفص الاتهام ، وباخراج المتهمين منه فى الجلسة ذاتها ، وهو لا يجهل أن التنفيذ فورا يسرى فى حالات معينة ، ليس من بينها حالة شهادة الزور ٠٠ اللهم الا أمام القاضى المدنى ٠٠ ولكنه كان يتوسع فى التطبيق ، ويقيس على ما يقع أمام القاضى المدنى فى حالة شهود الزور ٠٠ دون تقيد بحرفية القانون ٠

وكان الى جانب اجتهاده وواقعيته ، ونظرته الى المشـــاكل القضـــائية والتغييرات الاجتماعية ، يحس باستقلاله فى القضاء احساسا عميقا ٠

عرضت عليه قضية ذات مرة — اتهم فيها ممول من كبار الممولين الذين يستطيعون مغادرة القطر فى لحظات ٠ ودفع الوكيل بعدم اختصاص المحاكم الأهلية ٠ وكانت المحكمة المختلطة قد حكمت بعدم اختصاصها هى الأخرى من قبل ٠

وطلب المحامى الافراج عن موكله ٠٠ ولو بكفالة ٠

فقضى على ماهر باختصاص القضاء الأهلى ، وأفرج عن المتهم بكفالة قدرها ألف جنيه ٠ ولم يضمن الحكم أسبابا لما رآه فى أمر الاختصاص ٠

وكان سعد زغلول باشا ناظرا للحقانية ٠ فاستدعى على ماهر وحدثه فى أمر الحكم بالاختصاص ، والكفالة التى لم تكن العادة قد جرت بالذهاب بها الى هذا الحد ٠ فرفض على ماهر أن يجيب سعد باشا الى حديثه بشأن قضية ينظرها٠ وسأله على ماهر : بأية صفة يتحدث سعد باشا اليه ٠٠ !!

وفطن سعد باشا الى الأمـر ، فأجابه : أنه يتحـدث بصفة الصديق ، لا بصفة ناظر الحقانية ٠٠ !!

ولعل هذا الموقف يدل على عظمة القضاة المصريين ٠٠ وان نزاهة مواقف القضاة المصريين من الكثرة والوفرة بحيث لا تحتاج الى أى دليل ٠

★★★

وقد عمل على ماهر مفتشا فى النيابة ٠ فرئيسا لادارة المجالس الحسبية

وكان له اتصال ، قبيل الهدنة ، بالشخصيات التى كانت تعتزم تأليف الوفد المصرى .

وقامت ثورة ١٩١٩ .. بعد القبض على سعد زغلول باشا ورفاقه ، وثارت مصر كلها ثورة عارمة . ووقف لورد « كيرزون » وقال قولته الشهيرة : « ان فئة الموظفين ، وهى الفئة العاقلة المتفقهة ، ليست مع الوفد فى حركته . بل هى فى ناحية الانجليز » .

وقامت قيـــامة الموظفين المصريين وبدأت حركتهم فى مكتب مدير ادارة المجالس الحسبية ، على ماهر . الذى اقترح أن يبدأ اضراب المواطنين بعد قبض المرتبات .. حتى يكون تحمل الصرف ميسورا .

والجدير بالذكر أن على ماهر بك .. كان يرفض أن يجتمع منـدوبو الموظفين ، خارج ديوان وزارة الحقانية . بل كان يصر على أن يعقدوا اجتماعاتهم فى مكتبه بديوان الوزارة . ولما طلب اليه المستشار الانجليزى ألا يعقد لجنة الموظفين بمكتبه رفض .. وصرح بأن الموظفين يطالبون بحقوق وطنية فى فترة من فترات الأمة التاريخية . فلا تتنافى المطالبـة بهـذه الحقوق وقيام الموظفين بواجباتهم العامة .

وقد انتقمت وزارة محمد سعيد باشا من زعماء اضراب الموظفين ، فنقلت على ماهر بك فى ١٩ يونيو ١٩١٩ وكيلا لمحكمة أسيوط على الرغم من أقدميته . فرفض النقل بكتاب سجل فيه الهدف الذى تقصده الوزارة من ذلك النقل . ورفعت وزارة الحقانية كتابه الى مجلس الوزراء الذى قرر فصله .

★★★

بعد ذلك بدأ على ماهر يتفرغ للعمل فى الحقل السياسى ، فاختاره سعد زغلول باشا ، وهو فى باريس ، عضوا فى الوفد المصرى .. فشارك على ماهر فى وضع بيان قصير وقعه محمود باشا سليمان رئيس لجنة الوفد المركزية بالقاهرة .

ولم يكن البيان يتجاوز الخمسة عشر سطرا .. ولكنه كان رفضا صريحا للحماية وتأييدا تاما للاستقلال ..

وقد اعتقل على ماهر ، واعتقل معه محمود باشا سليمان ، وابراهيم باشا سعيد وكيل لجنة الوفد العامة بالقاهرة .

والجدير بالذكر أن ضابطا وثلاثين جنديا انجليزيا بخوذاتهم الحديدية ، قد حاصروا بيت على ماهر .. من أجل اعتقاله . وعندما عرف على ماهر أن الضابط الانجليزى والثلاثين جنديا جاءوا لاعتقاله ، قدم ــ متهكما ــ للضابط

سيجارا .. وسأل الضابط : هل طاف بالحديقة ليرى ما فيها من زهرة « الكريزانتيم » ؟ !!

وطلب منه الضابط أن يركب السيارة ·

فركب معه على ماهر الى ميدان باب الحديد · وهناك سأل الضابط على ماهر قائلا : انك لم تسألنى الى أين أنت ذاهب ؟ ·

فأجابه على ماهر : لا فائدة من السؤال اذا عرفت اننى فقدت حريتى ، وان رحلتى هذه ستنتهى بى الى المقام فى غرفة ذات جدران أربعة .. » !!

وأعجب الضابط الانجليزى بشجاعة على ماهر ، فقال له انك ذاهب الى « قشلاق » أو معسكر قصر النيل ·

وفى معسكر قصر النيل ، رفض على ماهر باشا ان يقوم الجنود الانجليز بتفتيشه ، لأنه قاض .. وأنه يحس بأن عملية التفتيش هذه اهانة .. له !!

وبقى على ماهر فى معسكر قصر النيل ·

ثم طلب منه بعد عشرة أيام أن يختار مكانا يقيم فيها بعيدا عن القاهرة ، فاختار أن تكون اقامته فى فندق « وينتر بالاس » بالأقصر · حيث مكث به حتى ٣ يناير ١٩٢٠ ·

والطريف أنه فى الوقت الذى حددت فيه اقامة على ماهر ، فى فندق « وينتر بالاس » بالأقصر · كان يقيم فى نفس الفندق الكاتب الانجليزى سير « فالنتين شيرول » .. ليضع كتابه عن « المسيرات المصرية » ·

وقد تعرف الكاتب الانجليزى على على ماهر .. وكثر تبادل الحديث بينهما حول القضية المصرية ·

وبعد الافراج عن على ماهر .. راح يزاول نشاطه مع الوفد المصرى وكان أحد ثلاثة ــ هو ، وعبد العزيز فهمى ، ومحمد محمود ــ رأى الوفد المصرى ايفادهم الى لندن ، لمرافقة عدلى يكن باشا ، أثناء اتصاله باللورد « ملنر » ·

وعندما حدث الخلاف بين سعد زغلول وعدلى يكن .. رفض على ماهر أن يقف الى جانب سعد · وكتب اليه أنه يختلف معه فى السياسة العامة ، ولا يمكنه تحمل مواقف الوفد منها ، ولكنه بصفته مصريا يضع نفسه رهن الاشارة فى كل عمل يفيد القضية المصرية ·

***

وآثر على ماهر أن ينسحب من العمل السياسى الى داره ، مبتعدا عن المنازعات الحزبية ·

ويعتذر على ماهر عن المشاركة فى وزارة ثروت باشا .. وان كان قد قبل أن يكون عضوا فى لجنة الدستور .

ولعلى ماهر .. مواقف رائعة فى لجنة الدستور .. نذكر منها دفاعه الحار عن حرية الصحافة ، وعن حرية الاجتماعات .

وكان من بين ما جاء فى محضر الجلسة التاسعة عشرة للجنة الدستور المنعقدة فى يوم الثلاثاء ١٥ أغسطس ١٩٢٢ ما يلى :

« حضرة على ماهر بك : أرى تقرير نص المادة الرابعة عشرة كالآتى :

« حرية الصحافة مضمونة ، فلا يجوز وضعها تحت الرقابة ، ولا تقييدها بامتياز ، والمسئولية المترتبة على اساءة استعمال هذه الحرية ، يحددها القانون . الحرية الصحفية هى المظهر الأول لسائر أنواع الحريات الأخرى . وانما أريد من اثبات هذا النص ، انه لا يمكن ، ولا للبرلمان ـ وخصوصا فى الأحوال العادية ـ وضع الصحافة تحت أية مراقبة . ولا أن يكون للسلطة الادارية الحق فى منع أحد من اصدار صحيفة . أرى أن يكون هذا الحق ثابتا مطلقا من كل قيد . فاذا أساء أحد استعماله بأى نوع من أنواع الاساءة ، ففى القانون العادى غنى وكفاية » .

ويقول على ماهر مرة أخرى ردا على سؤال للأستاذ محمد على علوبة هو :

هل يعطى للبرلمان الحق فى سن القوانين اللازمة للصحافة .. تأمينا للنظام وصونا للأعراض .. أم لا ؟!

يقول على ماهر مجيبا :

« هذا ما تكفل به قانون العقوبات ، والذى أريده ألا يكون للبرلمان ـ وخصوصا فى الأحوال العادية ـ الحق فى تقرير قوانين تبيح للحكومة مراقبة الصحف : أو عدم الترخيص باصدارها » .

وترفض اللجنة اقتراحا تقدم به على ماهر بك ، يتضمن أمرين :

أولهما : أن كل انسان له الحق فى مزاولة مهنة الصحافة ، بدون تصريح .

والثانى : انه لا يمكن اصدار قانون يجعل الجرائد تحت مراقبة أو عقوبة ادارية .

★★★

وفى الجلسة الرابعة والعشرين ، بتاريخ ٢١ أغسطس ١٩٢٢ يتكلم على ماهر مرة أخرى عن حرية الصحافة فيقول :

« حرية الصحافة قانونا معناها حرية اصدار الصحف ، لأن حرية الرأى والكتابة قد سبق لنا تقريرها ٠٠ وحرية اصدار الصحف لا تكون الا اذا لم توضع قيود وعقبات فى سبيلها ٠ وأهم القيود ٠٠ الرقابة والرخص ٠

« وليس معنى منع الرقابة ألا تحاكم الجرائد على ما تكتب ٠٠ اننى لا أرضى الفوضى أبدا ٠ ان ما أتكلم الآن عنه : الرقابة على الصحف : قبل صدورها ٠٠ وهذه هى الرقابة التى قررت الدساتير منعها ٠ فليس يصح أن تعرض صحيفة قبل نشرها على هيئة ادارية للتصريح بنشر شىء : وتحريم نشر شىء آخر فيها ٠٠ هذا لا يجوز مطلقا فى الأزمنة العادية ٠٠ ولهذا تقرر مبدأ عدم الرقابة فى بروسيا العسكرية ، وحتى فى تركيا ٠ وكما اننا لا نريد الفوضى ، فنحن لا نريد الاستبداد أيضا ٠ فأرجو أن تقرروا أن الرقابة على الصحف قبل نشرها ممنوعة »

ويقول على ماهر مرة أخرى :

« ان لكل فرد حق اصدار الصحف بلا ترخيص متى توفرت فيه الصفات التى يقررها القانون ٠٠ حتى لا تتحكم الادارة فى العطاء والمنع : ولا تمييز بين الأشخاص الذين يتقدمون لها ما داموا حائزين للصفات التى اشترطها القانون ٠

« اننا نريد أن نحول دون استبداد الادارة ، ومتى كان الطالب حائزا للشروط المطلوبة قانونا وجب ، أن يرخص له باصدار صحيفة » ٠

وتعترض غالبية أعضاء اللجنة ٠٠

ويقول توفيق دوس :

« يجوز أن يقرر البرلمان شروطا أخرى غير الشروط الشخصية » ٠

فيرد على ماهر :

« نريد أن نمنع البرلمان من هذا »

ويوافق محمد على علوبة على رأى على ماهر ، مؤكدا موافقته على عدم اعطاء الحكومة حق اعطاء الرخص أو منعها ٠ فقد يكون ـ كما يقول محمد على علوبة ـ طالب الرخصة من حزب الأقلية ٠٠ فترفض الحكومة اعطاء الرخصة ٠ والحكومة دائما من حزب الأكثرية ، فتجد مؤيدا لها فى عملها ، واذ ذاك تستبد الأكثرية بالأقلية ، استبدادا يمنعها من أن تنشر آراءها » ٠

★★★

ويوضح على ماهر فكرته فيقول :

« اشترط فى الدخول فى مدرسة الحقوق ، أن يكون الطالب حائزا على

البكالوريا ، وأن يكون سنه كذا .. فلا يصح منعه بعد ذلك من دراسة الحقوق .. مثل هذا هو ما أطلبه فى الصحافة » .

ويقول على ماهر كذلك :

« هناك فى بلاد أخرى ضمانات للصحفيين ، كاشتراط المحلفين فى محاكمتهم حتى فى الجنح .. ويمكن النص فى القانون الذى يصدره البرلمان ، على أنه لا يتولى الصحافة غير الاكفاء ، ويمكن تشديد العقوبة عند المساس بالآداب العامة .. وهذا أفضل أثرا من الترخيص والرقابة . فقد رأينا حكم قانون المطبوعات أن الجرائم التى تعتدى على الآداب لن تمس بسوء ، مع أن البرلمان له أن يمنع ذوى الاخلاق الفاسدة من احتراف الصحافة » .

ويعترض على ماهر مرة أخرى فى الجلسة الرابعة والثلاثين بتاريخ ٢١ سبتمبر ١٩٢٢ .. « على أن لجنة التحرير ـ وهى لجنة فرعية من اللجنة الدستورية العامة ـ قد انقصت شيئا مما تقرر فى اللجنة العامة ، وهو النص على أن لكل مصرى ، حق اصدار الصحف » ..

ويرد عبد الحميد بدوى قائلا :

« المادة ١٣ قررت حرية الاعراب عن الرأى بكل الطرق ، ومنها الكتابة . فلم يبق لحرية الصحافة معنى ، سوى ابداء الرأى على صورة مخصوصة ، وهى اصدار الصحف ... الخ » .

وتوافق اللجنة بالاجماع على ابقاء المادة على حالها .

« ويؤكد على ماهر مرة أخيرة فى الجلسة التاسعة والثلاثين بتاريخ ٥ أكتوبر ١٩٢٢ .. « على أن ما يريده هو ، منع تسلط الادارة على الصحف بأية طريقة من الطرق .. فلا يباح للادارة انذار الصحف أو اقفالها » .

ويقول عبد العزيز فهمى :

« نحن متفقون على منع جهة الادارة من ارسال انذارات الى الصحف أو وقفها بغير حكم قضائى . وسأتفق مع حضرة على ماهر بك على وضع الصيغة المطلوبة » .

وتوافق اللجنة على ذلك ، على أن يعرض النص فى الجلسة التالية .

وفى الجلسة التالية : يعلن عبد العزيز فهمى نص المادة ١٤ من الدستور ـ كما يلى :

« الصحافة حرة فى حدود القانون ، والرقابة على الصحف محظورة ، وانذار الصحف أو وقفها أو الغاؤها بالطريق الادارى محظور كذلك » .

ويتم اختيار على ماهر ناظرا لمدرسة الحقوق ، وبعدها يختار وكيلا لوزارة المعارف ، فوزيرا لها ٠ ثم يختار وزيرا للمالية فى وزارة محمد محمود باشا ٠ فوزيرا للحقانية فى وزارة اسماعيل صدقى باشا ٠٠ ليستقيل اثر حادث « البندارى » ٠٠ كما سبق أن أشرنا ٠٠ ويعين على ماهر فى أول يونيو سنة ١٩٣٥ رئيسا للديوان الملكى ٠٠ الى أن يختار ــ بينما الملك أحمد فؤاد قد اشتد عليه المرض ــ رئيسا للوزارة على النحو الذى سبق الاشارة اليه ٠٠

ونكمل الحديث عن وزارة المائة يوم فى الجزء الثانى من هذا الكتاب بمشيئة الله تعالى ٠

***

استدراك

من مصطفى المنزلاوى الى صبرى أبو المجد

فاتنا ــ وعذرا ــ نشر رسالة الأخ مصطفى المنزلاوى فى مكانها من الكتاب بعد الجزء الخاص بقضيتى نزاهة الحكم ، وفيما يلى الرسالة ٠

السيد الأستاذ الكبير صبرى أبو المجد ٠٠

● تحية طيبة وبعد :

نشرتم فى « سنوات ما قبل الثورة » مرافعة المرحوم الأستاذ ابراهيم الهلباوى دفاعا عن جريدة السياسة والمرحوم حفنى محمود فيما سمى وقتئذ بقضية « نزاهة الحكم » وكان كل من المرحومين ابراهيم فهمى كريم وزير المواصلات وعلى المنزلاوى وزير الزراعة قد قدما بلاغا ضد جريدة السياسة ورئيس التحرير المرحوم حفنى محمود للتحقيق فى واقعة القذف فى حقهما كل فيما يخصه أثناء تولية الوزارة وادعيا بالحق المدنى أمام محكمة الجنايات التى نظرت القضية خلال عامى ٣٤ ، ٣٥ ثم جاء فى العدد ٢٧٨٦ من المصور الصادر فى ٣ مارس سنة ١٩٧٨ انه فى يوم ٢١ من مايو سنة ١٩٣٥ حكمت المحكمة حضوريا ببراءة حفنى بك محمود ورفض الدعاوى المدنية كلها قبلة وقبل محمود باشا عبد الرازق والزمت المدعيين بالحق المدنى بالمصاريف ٠

***

ومعنى هذا الحكم هو ثبوت واقعة القذف المنسوبة الى المدعيين بالحق المدنى ويهمنى فى هذا الصدد احقاقا للحق أن أذكر ما حدث بعد ذلك من طعن أمام

محكمة النقض وأود أن أركز الحديث عن قضية المرحوم على المنزلاوى وماذا تم بخصوصها أمام محكمة النقض وقبل ذلك أرى من الضرورى دون أى اطالة أن أوضح ما نسب اليه فى جريدة السياسة مما دفعه الى تقديم الشكوى ضدها ولم يؤثر الصمت كما كان يفعل الكثيرون

نشرت جريدة السياسة فى عددها الصادر فى ٢٢ مارس سنة ١٩٣٤ مقالا تحت عنوان « وزير الزراعة يشترى ما تنتجه وزارة الزراعة فيحرم جمهور المزارعين منه » وأشارت الى أنها سبق أن نشرت من أشهر أن حضرة صاحب العزة على بك المنزلاوى قد اشترى لنفسه تقاوى برسيم من وزارة الزراعة وانه اليوم تكررت هذه المسألة فأخذ وزير الزراعة ما تنتجه الوزارة من أشجار الفاكهة بثمن بسيط جدا كما نشرت الصحيفة المذكورة مقالا قبل ذلك بتأخره فى سداد الأموال الأميرية المستحقة فى مواعيدها .

***

وقد فحصت محكمة النقض هـذه الوقائع ومدى صحتها وانطباق حكم القانون عليها ثم أصدرت بتاريخ ٢٤ من فبراير سنة ١٩٣٦ حكمها بنقض حكم محكمة الجنايات بالنسبة لعلى بك المنزلاوى وجاء فى حكمها ما يأتى بالحرف الواحد :

« ومن حيث انه يظهر مما تقدم جميعه ان الحكم أخطأ فى تطبيق القانون على الواقعتين الثابتتين به وهما واقعة تقاوى البرسيم وواقعة أشجار المعرض ولذلك وجب نقضه بشأنهما والزام حفنى بك محمود الذى حرر ونشر مقالات القذف التى اشتملت على الواقعتين المذكورتين ومحمود عبد الرازق باشا صاحب امتياز جريدة السياسة والمسئول مدنيا عما يرتكبه رئيس التحرير من جرائم النشر بالتعويض الذى يستحقه على بـك المنزلاوى بسبب ما ناله من الضرر الناشىء عن فعلها وتقدر المحكمة هذا التعويض بمبلغ مائة جنيه يحكم به على المدعى عليهما متضامنين » .. وتراجع مجلة المحاماة السنة السابعة عشرة العدد الأول ص ٢٣ الى ٢٩ فى الطعن رقم ٢١٤٦ سنة ٥ق .

***

ومعنى هـذا الحـكم الصادر من أعلى هيئة قضائية أن ما نسبته جريدة السياسة الى المرحوم على بك المنزلاوى غير صحيح وان نزاهته ليست محل طعن وأود أن أذكر بهـذه المناسـبة أنه رحمة الله كان من أوائل من أدخل زراعة البرتقال أبو صرة فى مصر وأنه كثيرا ما أمد الجهات الحكومية بشتلات من عنده قبل أن يكون وزيرا للزراعة ويجب أن نذكر له أنه أثناء توليه الوزارة بذل جهودا متواصلة لاصدار قانون منع خلط القطن وكان الأمر يقتضى موافقة الدول

الأجنبية ذات الامتيازات وقتئذ لأنه سيسرى على رعاياها بما فيه من شروط وجزاءات وكان لهذا القانون أثره الفعال فى رفع سمعة القطن المصرى فى الأسواق العالمية وكان عماد الثروة المصرية حينئذ • ولم أشأ أن أدخل فى جميع جزئيات هذه القضية وانما أردت أن أوضح أن حكم محكمة الجنايات الذى نشر المصور مضمونه بعدده الصادر فى ٣ مارس سنة ١٩٧٨ قد ألغته محكمة النقض بالحكم المشار اليه بالنسبة للمرحوم على بك المنزلاوى وكنت أتوقع أن مجلة المصور الغراء فى حرصها على الحقيقة ستشير الى حكم النقض وأخذت انتظر وخاصة أنه فى كل عدد يختم بحث « سنوات ما قبل الثورة » بعبارة للحديث بقية كما كنت من جانبى أبحث وأنقب عن هذا الحكم لأنه يتعلق بسمعة والدى الى أن عثرت عليه ولله الحمد وأملى كبير ان ، تنشروا هذه الكلمة احقاقا للحق وانصافا لشخص ظل طوال حياته يعمل من أجل مصر دون ما جلبة أو دعاية ولم يدخر وسعا فى سبيل ذلك وقد كان من أوائل من تعاون مع زعيم الوطنية وباعث حركتها المرحوم مصطفى كامل فاختاره عضوا فى اللجنة الادارية للحزب ولم يتجاوز عمره وقتئذ الخامسة والعشرين كما كان من الذين خدموا الاقتصاد المصرى مما يشهد به معاصروه ومحاضر جلسات مجلس النواب ومعذرة اذا كنت قد تناولت سيرة والدى وجهاده فى الحياة العامة فان المقام اقتضى ذلك وشكرا جزيلا •

مصطفى على المنزلاوى

شكرا جزيلا لأستاذنا الكبير مصطفى المنزلاوى على هذا التوضيح ، الذى تنشره ونحن سعداء به الى أبعد حدود السعادة ذلك لأننا عندما أخذنا على عاتقنا بعون من الله القاء أضواء متواضعة على تاريخنا لم يخطر فى بالنا أبدا الاساءة الى أى مواطن مصرى فما بالنا بشخصية مرموقة كشخصية المرحوم على المنزلاوى رحمة الله ، على أننا لم نشأ أن نكتب عن حكم النقض الصادر فى قضيتى نزاهة الحكم لأننا لا نزال غارقين بعد فى أحداث عام ١٩٣٥ وعندما سنصل الى فبراير ١٩٣٦ سوف نكتب وبالتفصيل عن حكم محكمة النقض فى هاتين القضيتين الهامتين اللتين شغلتا الرأى العام المصرى لفترة طويلة ص • أ

***

والى اللقاء فى الجزء الثانى من سلسلة سنوات ما قبل الثورة باذن الله ومشيئته •

سنوات ما قبل الثورة بالصور

هذه مجموعة صور نادرة تمثل مرحلة هامة من مراحل تاريخنا ننشرها هنا شاكرين لأصحابها موافاتنا بها لتكون ضمن وثائق هذا الكتاب : الصـور تعود إلى الثـورة العرابية وثورة ١٩١٩ وما بينهما والعشرينيات والثلاثينيات أيضا



(١) شريف باشا ، أبو الدستور المصرى . دستور ما قبل الثورة العرابية وأثناءها



(٢ ، ٣) الخديو توفيق باشا وزوجته ثم
ابنهما الخديو عباس حلمى الثانى



(٤) أحمد عرابى باشا
مفجر ثورة ١٨٨١





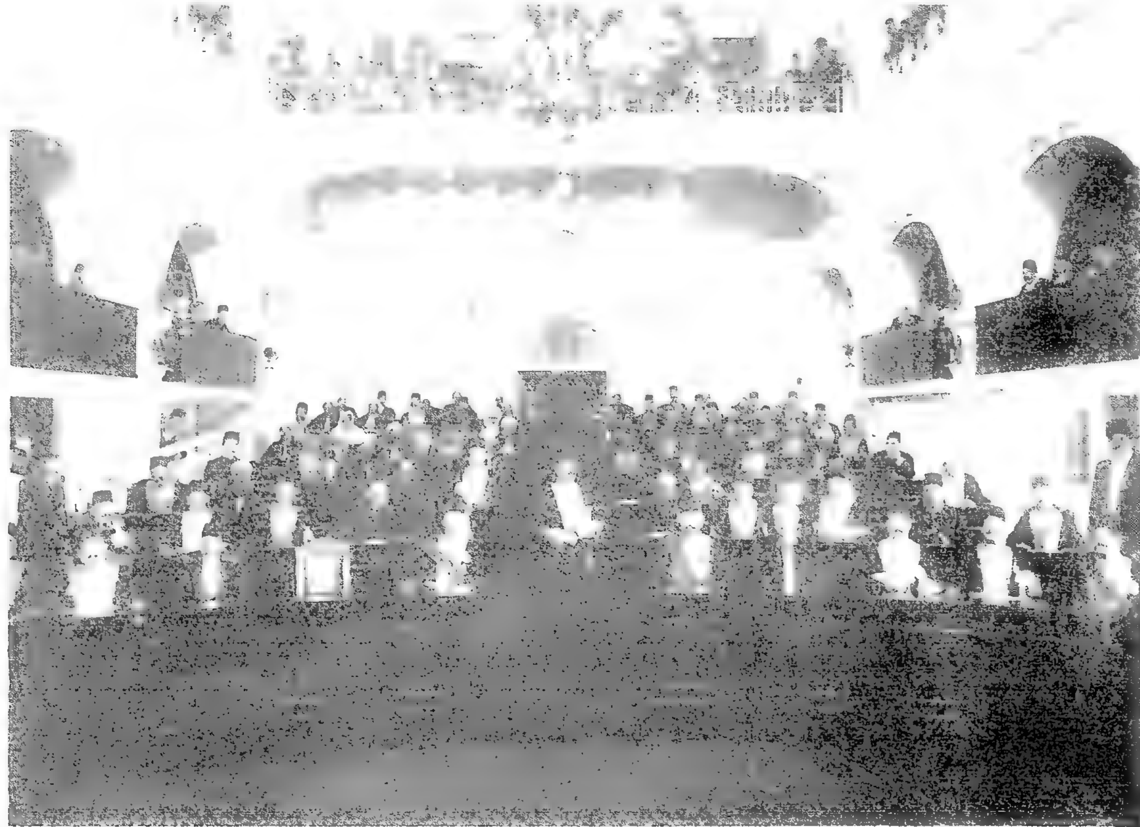
(٥) عرابى باشا فى المنفى (سيلان ـــ سرى لانكا) مع بعض ضيوفه الاجانب



(٦) جيدان هانم زوجة الخديو عباس حلمى الثانى وقد كتبت مذكرات عن المرأة فى مصر



(٧) الخديو عباس حلمي يفتتح معرض المنسوجات بنادي جمعية مصر [illegible]



(٨) الجمعية التشريعية وفى الصدر الأعضاء يتقدمهم سعد زغلول باشا وكيل الجمعية



(٩) مصطفى كامل مؤسس اللواء والحزب الوطنى



(١٠) مصطفى كامل
وشقيقه على فهمى
كامل



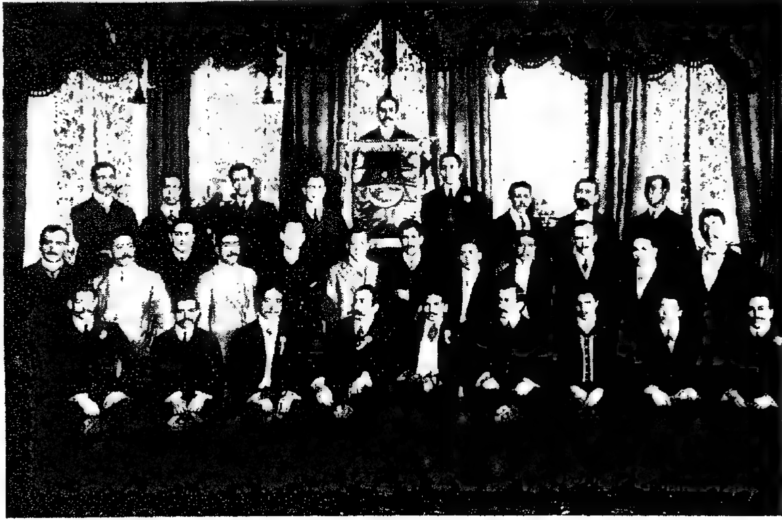
(١١) الشيخ عبد العزيز
جاويش ثانى رئيس لتحرير اللواء
بعد مصطفى كامل



(١٢) محمد فريد خليفة مصطفى كامل عندما كان
وكيلا للنائب العام



(١٣) الجمعية التشريعية



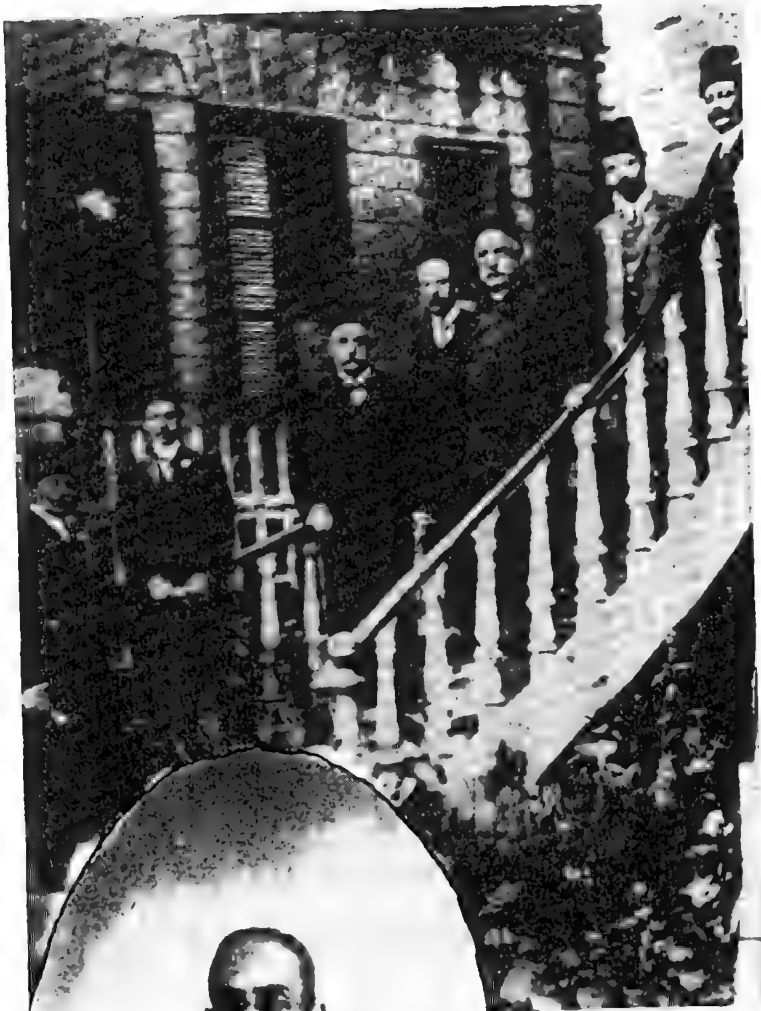
(١٤) محمد فريد فى زيارة له
لجمعية مصرية أسست فى لندن



(١٥) محمد فريد وبعض المصريين الذين تطوعوا فى الجيش التركى فى الحرب العالمية الأولى

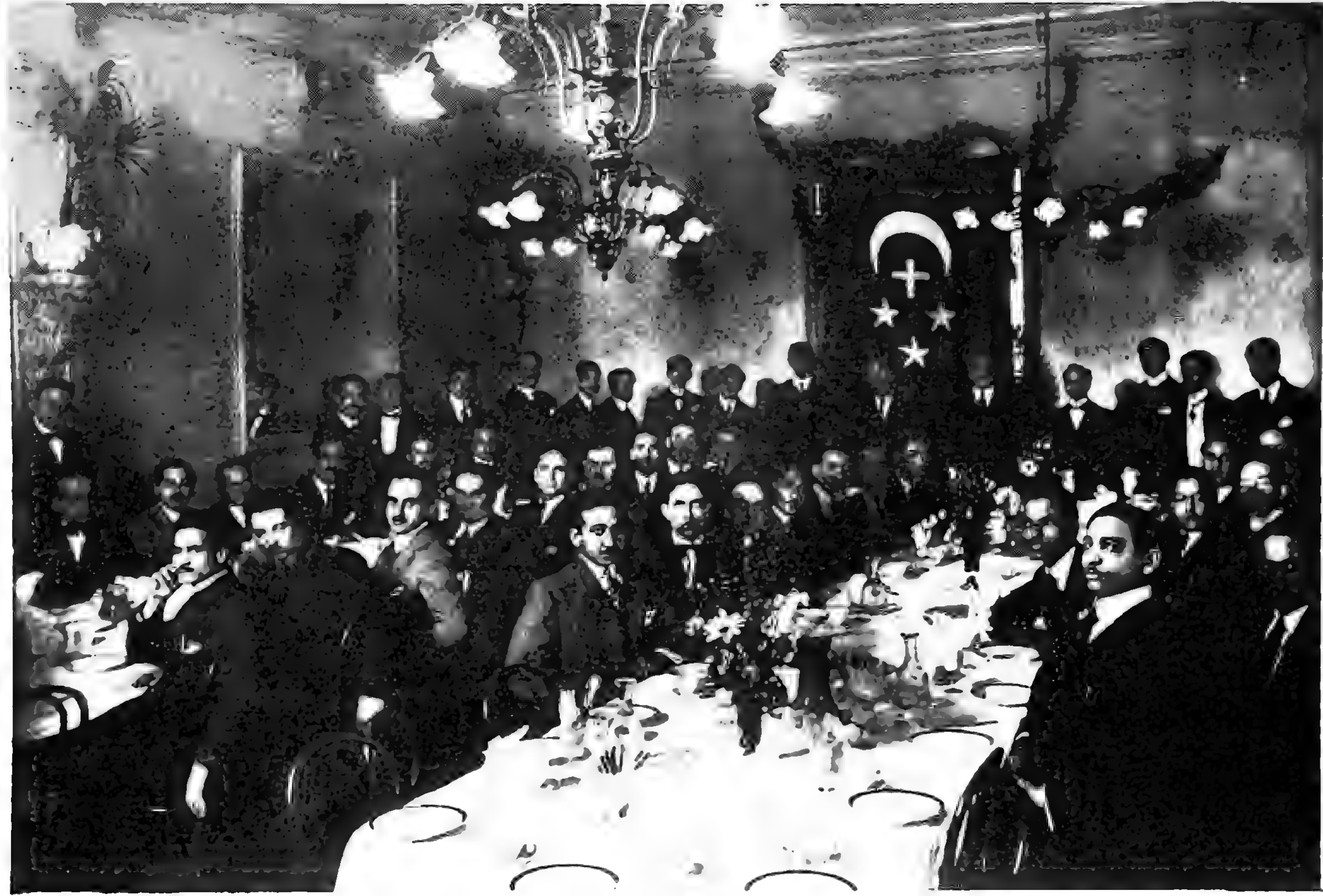


(١٦) محمد فريد
وابنه وبناته





(١٧ ، ١٨) نادى المدارس
العليا وبعض اقطابه ثم
آخر صوره لمحمد فريد



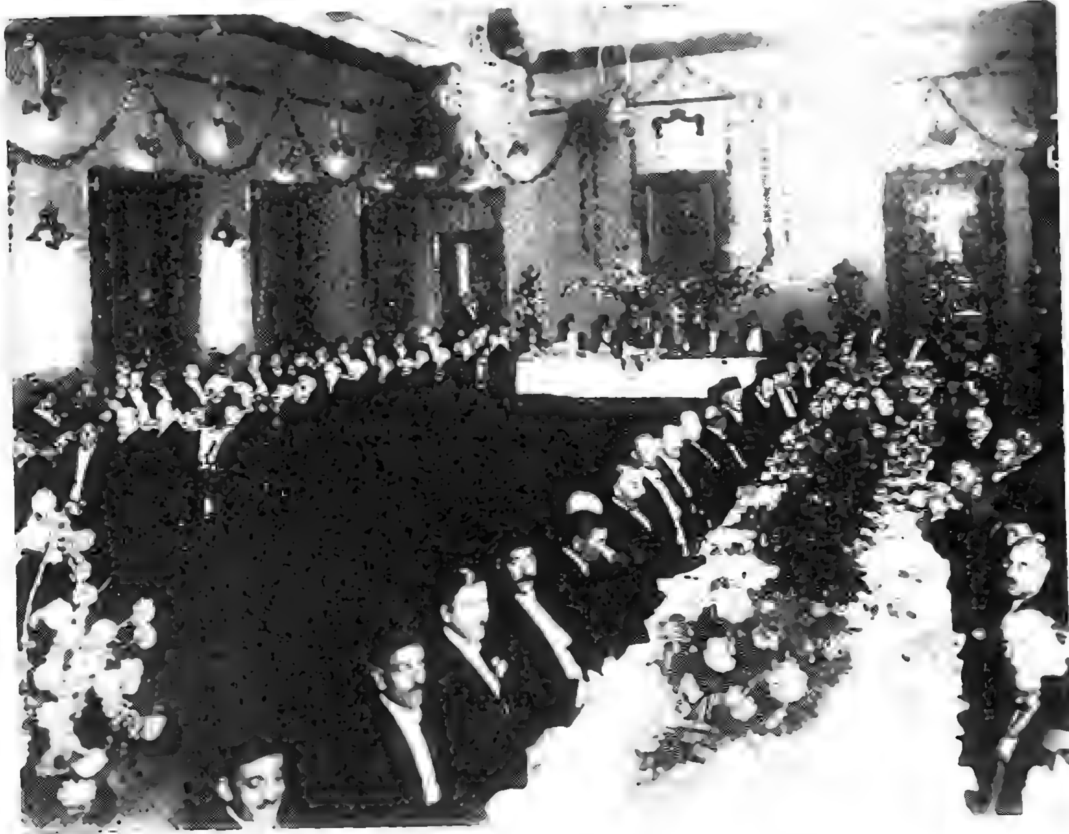
(١٩) اجتماعات الشباب المصرى فى ظل الهلال والصليب



(٢٠) سعد زغلول بين عدلى يكن ، وعبد الخالق ثروت وفتح الله بركات
واسماعيل صدقى



(٢١) سعد زغلول فى إحدى حفلات تكريمه



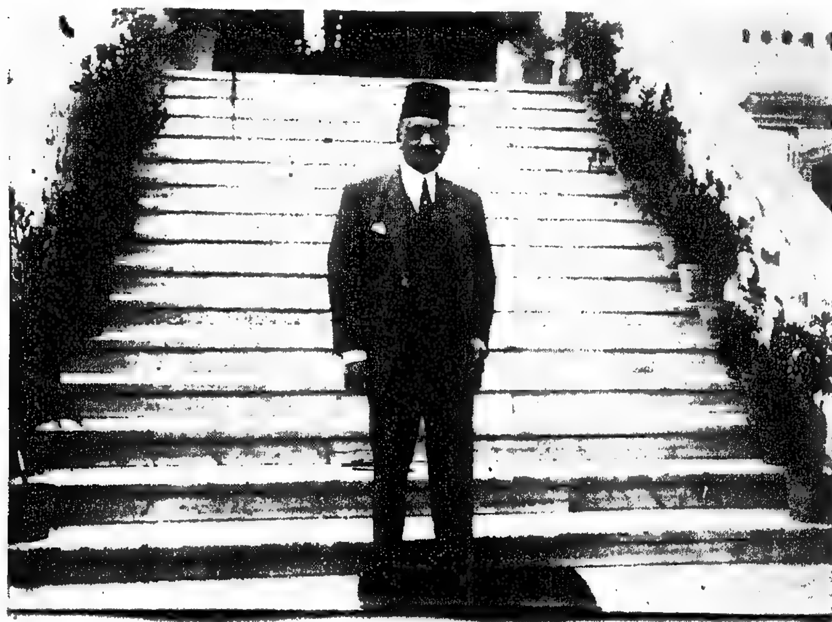
(٢٢) فى تكريم سعد زغلول أيضا



(٢٣)علي شعراوي باشا



(٢٤)عبد الخالق ثروت باشا



(٢٥)عدلي يكن باشا

(٢٦)النواب الوفديون يكرمون سعد زغلول



(٢٧) أم المصريين صفية زغلول تتوسط مصطفى باشا النحاس ومكرم عبيد باشا



(٢٨) يوسف وهبه باشا



(٢٩)توفيق نسيم باشا



(٣٠)حمد الباسل باشا



(٣١) الملك أحمد فؤاد



(٣٢) الملكة نازلى



(٣٣ ، ٣٤) الملكة نازلي بين ابنها فاروق وبناتها









(٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧)نازلى وابنها فاروق



(٣٨)فاروق وأمه نازلى فى سويسرا



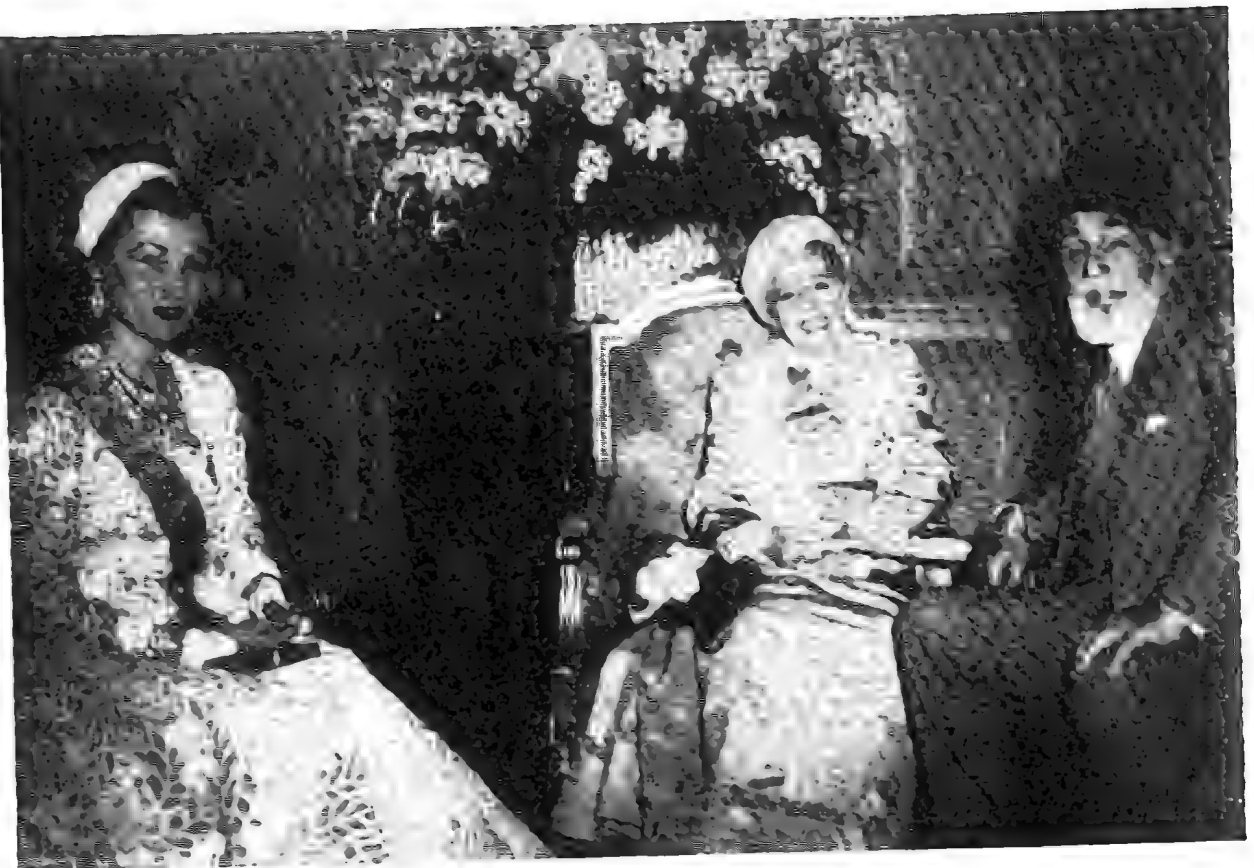
(٣٩) فاروق ملكا



(٤٠) فريدة ملكة مصر



(٤١) فريدة ملكة مصر



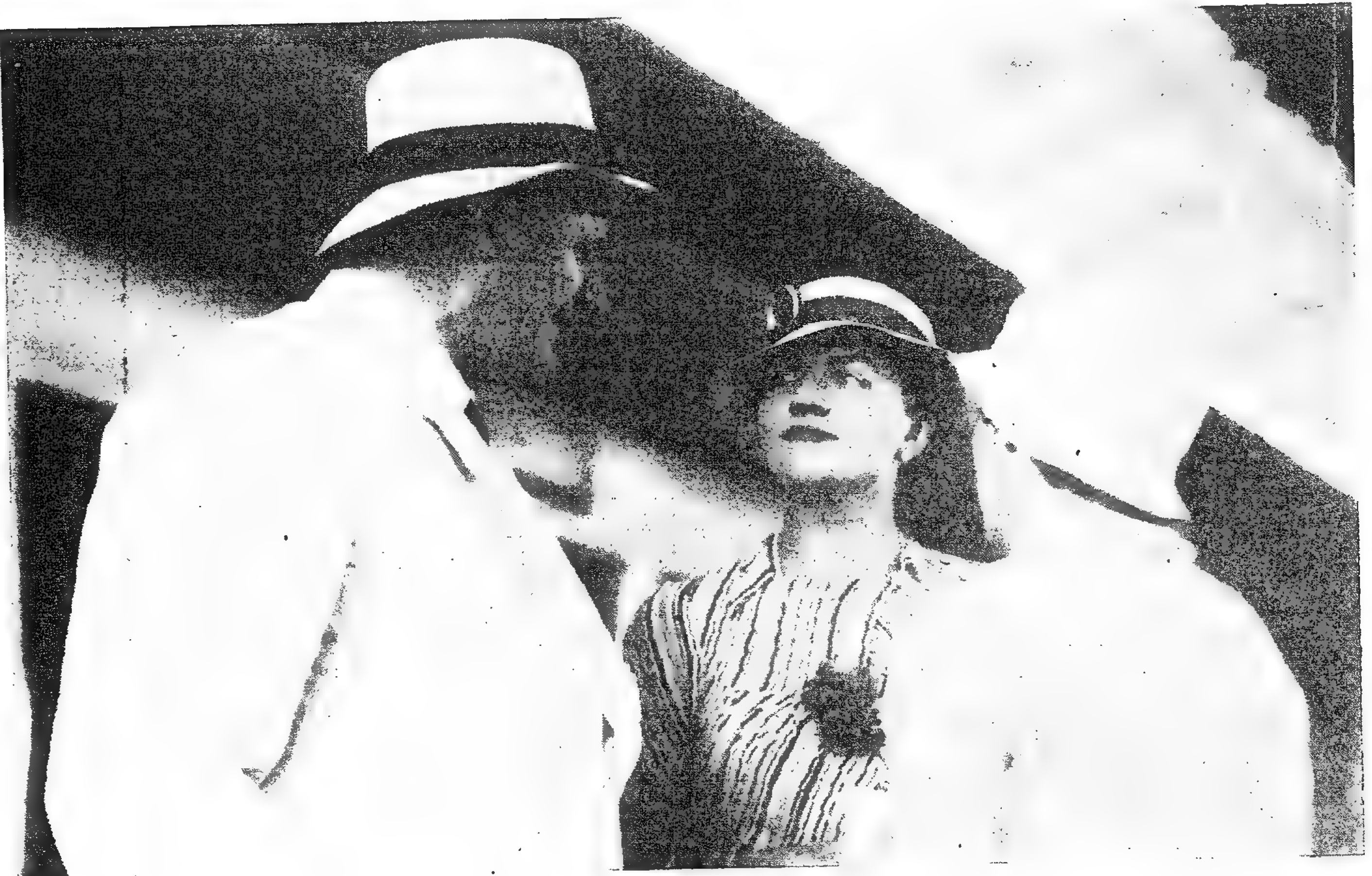
(٤٢) الأمير محمد على ولى العهد ونسل شاه





(٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥) ملوك غير متوجين كانوا يمثلون بريطانيا فى مصر ولكنهم كانوا
ملوكها غير المتوجين ، ونجت كيتشنر ، لورد كيلرن





(٤٦) لورد كيلرن (سير مايلز لامبسون سابقا)



(٤٧) مصطفى النحاس باشا خليفة سعد ورئيس الوفد



(٤٨) حافظ رمضان باشا رئيس الحزب الوطنى .. آخر رئيس له



(٤٩) علي ماهر باشا ووزارة المائة يوم



(٥٠) محمد محمود صاحب اليد الحديدية وبعض الوزراء



(٥١ ، ٥٢ ، ٥٣) : محمد محمود باشا ، ثم هو مع على ماهر ، والشيخ المراغى







(٥٤) عدلى يكن باشا وقد أصبح رئيسا لمجلس الشيوخ مع قطاوى باشا ومحمد محمود خليل



(٥٥) مراد سيد احمد باشا ، طه حسين ، لطفى السيد وآخرون فى زيارة لكلية الآداب



(٥٦) مصطفى النحاس باشا واقطاب الوفد



(٥٧) د . أحمد ماهر ، ولطفى السيد وآخرون



(٥٨) مكرم عبيد باشا وزملاؤه المحامون .



(٥٩) أحمد لطفى السيد باشا أستاذ الجيل



(٦٠) حفنى محمود باشا صاحب قضيتى نزاهة الحكم ، وكان فيلسوفا ساخرا



(٦١) القمصان الزرقاء التى شكلها الوفد مع توفيق دياب



(٦٢) د . محمد بلال قائد فرق القمصان الزرقاء وبعض رجاله



(٦٣) مصطفى النحاس باشا يستعرض بعض فرق القمصان الزرقاء وإلى جانبه د. محمد بلال



(٦٤) القمصان الخضراء التى شكلتها جمعية مصر الفتاة ومن بين المشتركين جمال عبد الناصر



(٦٥) حتى الحزب الوطنى شكل القمصان البنى . فى الصور/ محمد محمود وحمد الباسل و د. هيكل وشباب الحزب الوطنى زمان !



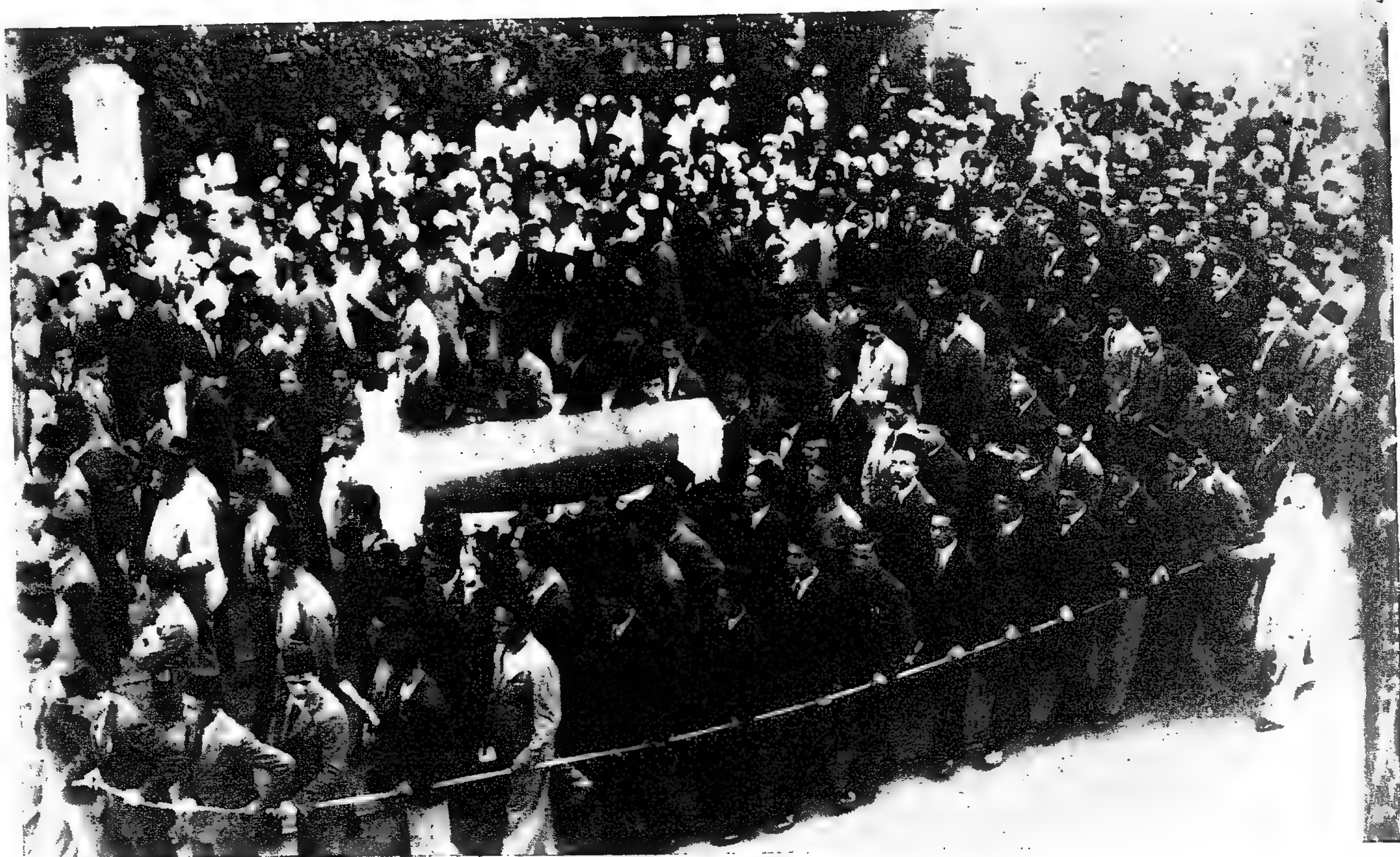
(٦٦) شباب عام ١٩٣٥ يتظاهرون



(٦٧) مصطفى النحاس
وقد أصيب بجروح
فى إحدى المظاهرات



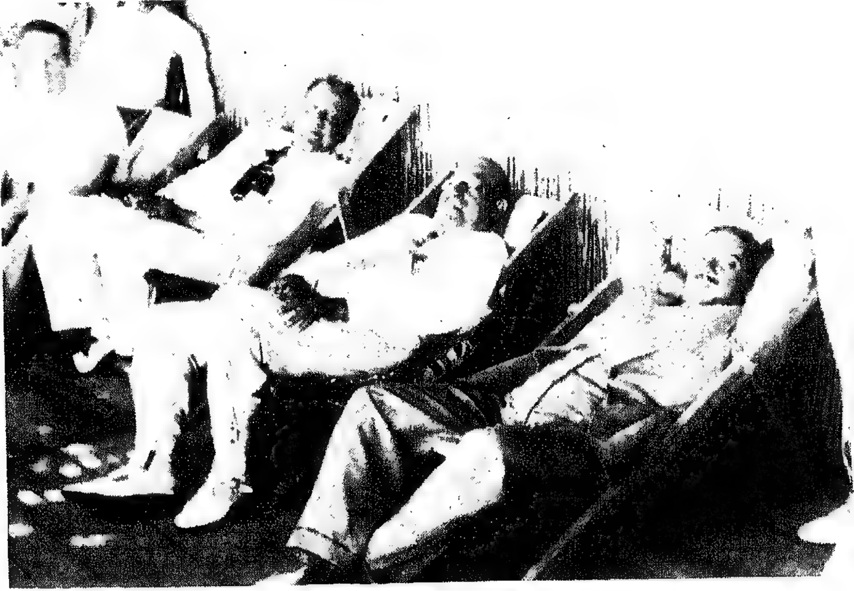
(٦٨) البوليس يتصدى لشباب ١٩٣٥



(٦٩) جنازة لشهداء الشباب



(٧٠) البوليس يتأهب لمظاهرات الشباب



(٧١) الزعماء على البلاج يستريحون ، مصطفى النحاس ومكرم وآخرون



(٧٢) مكرم عبيد محمولا على اعناق الشباب



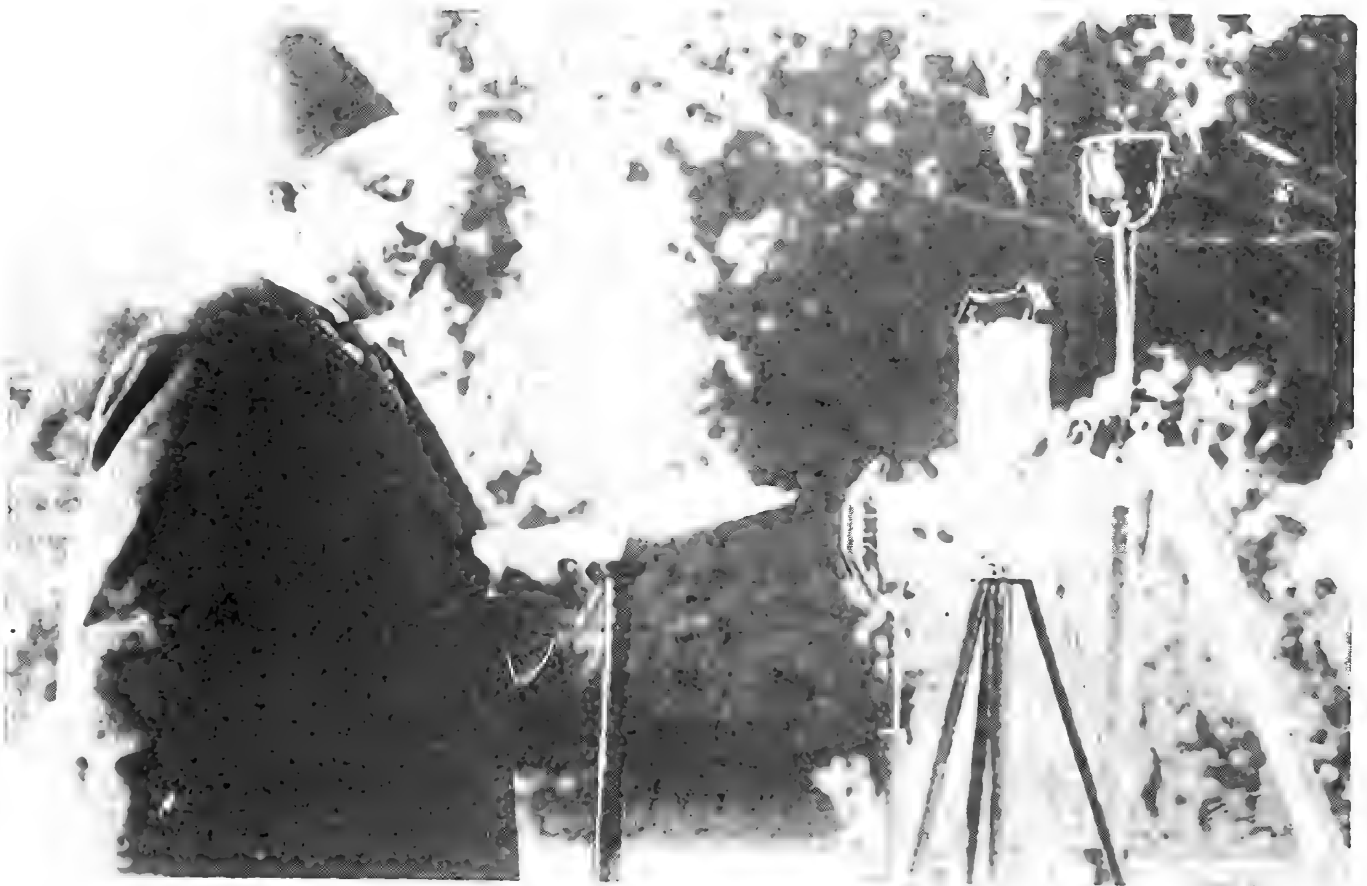
(٧٣) إبراهيم الهلباوى شيخ المحامين فى إحدى الحفلات

(٧٤) أحمد حسين وحافظ محمود وفتحى رضوان واحدى قضايا مجلة الصرخة





(٧٥) عزيز المصرى أبو الضباط الأحرار



(٧٦) طلعت حرب زعيم الاستقلال الاقتصادى



(٧٧) قاسم أمين : الرجل الذى حرر المرأة وقضية مظاهرة السيدات المصريات

قضية مظاهرة السيدات المصريات

أمام محكمة الجنح المستأنفة

مرافعة المجاهد الكبير الاستاذ مكرم عبيد

حماسة الجماهير والهتاف للدستور والحرية أمام دار المحكمة

جلسة حافلة — تعديل ليس من حق النيابة وتهمة جديدة — مرافعة الاستاذ مكرم عبيد — النظام والخصومة السياسية — الانتخابات فى مصر بعد العراق — خصومة وحشية — ماذا تقول السيدات فى التحقيق — الوزارة وكرامة النساء — لماذا لم ترفع الدعوى على المعتدين ؟ بيت القصيد — (الترحيل) الى سجن الاجانب — التطبيق القانونى — قرار المحكمة — الهتاف للدستور والحرية والرئيس الجليل والاستاذ مكرم

لمندوب (الجهاد) القضائى

جلسة حافلة

كان بوليس الوايلى قد اعتقل صباح يوم إجراء الانتخابات المدنية الحسينية حضرات السيدات والآنسات :

حرم ابراهيم بك نور الدين ، حرم حسن نبيه بك ، فاطمة احمد كامل بك ، دولت الزينى ، نعمت عباس ، زينب عباس ، حسنة شعبان القبانى ، جليلة البحراوى ، زينب لبيب ، شريفة هيبرى ؛ وهيبة نيازى ؛ جميلة الجمال ؛ نعيمة عوض سليمان ، عزيزة سامى ، ليزا ميخائيل مقار ، جميلة رشوان ، عريفة محمود طلعت ، أثناء وجودهن فى مكتب حضرة الاستاذ احمد محمد أنا المحامى وقدمتهن نيابة الوايلى الى المحاكمة

أن يثبت فى محضره « ان النيابة تطلب تطبيق القانون باعتبار ان السيدات ألفن اجتماعا عاما من غير اخطار كان يمكن أن يدخله ودخله بالفعل أشخاص ليست بايديهم تذاكر دعوة »

الاستاذ مكرم : وأنا أرجو ان يثبت فى المحضر أن هذا التعديل ليس من حق النيابة اذ ليس للنيابة أن تعدل التهمة أمام المحكمة الاستئنافية وتحرم الدفاع من الدرجة الابتدائية ولذلك نعتبر أن هذا التعديل باطل وفوق ذلك فاننا لم نعلن به من قبل وهذا على فرض جواز تعديل التهمة ونقول إن ذلك لا يصح مطلقا .

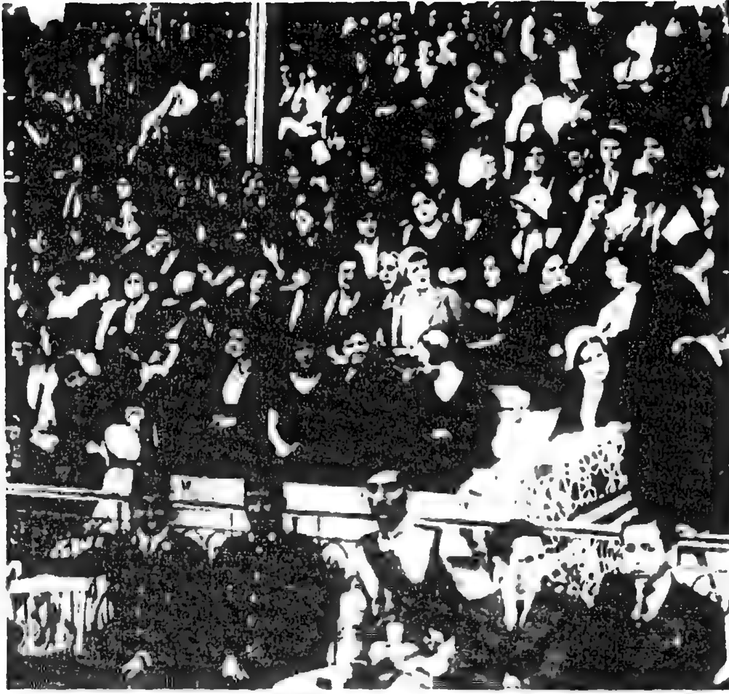
تهمة جديدة .



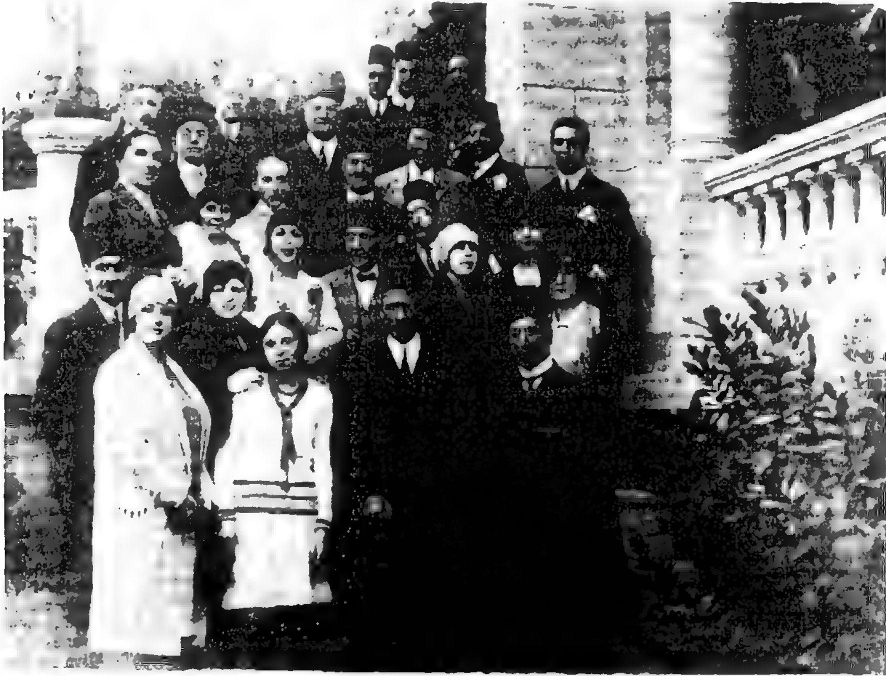
(٧٨) أول اجتماع لمبرة محمد على برئاسة هدى هانم شعراوى



(٧٩) الطالبات المصريات يتظاهرن



(٨٠) مؤتمر نسائى هام يحرسه الرجال



(٨١) لطفى السيد وأحمد شوقى وروز اليوسف وفرقة فنية أجنبية



(٨٢) كريمة حفنى محمود باشا وزى العصر ـ زى الطبقات الراقية



(٨٣) أحمد حشمت باشا ، جورج أبيض سيلفان أحمد شوقى فى صورة فنية



(٨٤) صورة فنية : سعيد لطفى ، محمد عبد الوهاب ، وسامى الشوا



(٨٥) الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين ولفيف من الطلاب الشرفيين وبعض الشخصيات يتوسطهم ـ جالسا على الأرض ـ محجوب ثابت بك



(٨٦) الحاج أمين الحسينى ومحمد على علوبة وحفنى محمود ، وسعد اللبان ، ومحمد العشماوى والشافعى اللبان فى زيارة مدرسة الأميرة فريال الابتدائية بالعباسية



(٨٧) الملك عبد العزيز آل سعود فى زيارته التاريخية لمصر ، فى الصورة د . هيكل باشا ، ومحمود فهمى النقراشى باشا



(٨٨) الحاج بشير السعداوى رئيس حركة تحرير ليبيا والمجاهد الإسلامى الكبير

فهرس

سنوات ما قبل الثورة

يناير ١٩٣٠ ـ ٢٣ يوليو ١٩٥٢

صفحة

صفحة

صفحه

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٤٩٣٠ / ١٩٨٧

ISBN ـ ٩٧٧ ـ ٠١ ـ ١٤٦٤ ـ ٢

لعلها التجربة الأولى من نوعها فى دنيا التأليف أن يكتب الشعب تاريخه بنفسه وأن يجمع الكتاب الواحد بين الرأى والرأى الآخر عندما رأى المؤلف ، وهو شاهد عيان على ما حدث فى سنوات ما قبل الثورة أن يكتب ما شاهده وما عرفه أبى إلا أن يشرك معه فى كتابته الأحياء من الساسة الذين شاركوا فى صنع الأحداث كما أبى إلا أن يفتح الباب على مصراعيه لكل صاحب رأى وصاحب تجربة فى هذه السنوات التى سبقت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . إنها تجربة جديدة نأمل أن يكون التوفيق قد واكبها والرأى أولا وأخيرا للمتخصصين والدارسين والقراء .

الثمن ١٣ جنيهاً

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

صبري أبو المجد

سنوات ما قبل الثورة

١٩٣٠ - ١٩٥٢

الجزء الثاني



سنوات ما قبل الثورة

يناير ١٩٣٠ - ٢٣ يوليو ١٩٥٢

صبرى أبو المجد

الجزء الثانى



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٨٨

الاخراج الفنى والغلاف : محمد قطب

الى أرواح هؤلاء : أهدى هذا الكتاب

● الى كل شهيد ، قاتل وقتل فى سبيل الله والوطن وروى بدمه الطاهر ثرى مصر الطاهر ٠

● الى كل مواطن مصرى ، والى كل مواطنة مصرية آمن بحق بلده ، فى الحرية والاستقلال والديمقراطية وبذل جهدا ـ أى جهد ـ لتحقيق ما يؤمن به ٠

● الى كل من قال ، أو كتب ، أو أذاع أو نشر ، أو تغنى بكلمة حب فى مصر ، لخير مصر ، ولتحرير مصر ٠

● الى أرواح كل زعمائنا وقادتنا الأخيار الذين عشقوا مصر ووقفوا على خدمتها أرواحهم ، وأموالهم ، وأهليهم ودافعوا عنها ضد كل قوى البغى والطغيان فأصابوا أم أخطأوا : أرواح أحمد عرابى ، عبد العال حلمى ، على فهمى الديب ، طلبة عصمت ، محمود سامى البارودى ، يعقوب سامى ، محمد عبيد ، وعبد الله نديم وغيرهم ، وغيرهم ممن أشعلوا أهم ثورات القرن التاسع عشر ـ ثورة ١٨٨١ ـ ثم كانوا ـ بسبب التدخل الأجنبى والخيانة والرشوة ـ وقودها وضحاياها : الى أرواح مصطفى كامل ، ومحمد فريد وعلى فهمى كامل ، وأحمد لطفى ، وأحمد وفيق وعبد اللطيف الصوفانى وعبد العزيز الصوفانى ، وأمين ، وعبد الرحمن الرافعى ، وعبد الحميد سعيد ، ومحجوب ثابت وحافظ رمضان ، ومحمد محمود جلال ، وعبد المقصود وعبد الغفار وعبد الحليم متولى ، وفكرى أباظة ، وغيرهم وغيرهم من أبناء الحزب الوطنى الذين ملكوا وما تركوا وكانوا خير الأبناء فى مدرسة الصوفية الوطنية المصرية ٠

● والى أرواح محمد عبده وقاسم أمين ، وطلعت حرب وأحمد شوقى ، وحافظ ابراهيم وغيرهم ، وغيرهم من ذوى الفكر المستنير الذين ساهموا فى حركات الاصلاح الاقتصادية والأدبية والفكرية ٠

● ثم الى أرواح سعد زغلول ومحمد محمود ، واسماعيل صدقى ، وعبد الخالق ثروت ، وعدلى يكن ، وعبد العزيز فهمى ولطفى السيد ، ومصطفى النحاس ، ومكرم عبيد ، وأحمد ماهر ، ومحمود فهمى النقراشى ، وغيرهم وغيرهم ممن شاركوا فى اشعال ثورة ١٩١٩ ، فى بداياتها الأولى وكان لهم جهدهم الذى لا ينكر وفضلهم الذى يجب أن يذكر ويذكر ، ويذكر ! ٠

● الى أرواح حسن البنا ، وأحمد حسين ، ومصطفى الوكيل الذين نحتوا فى الصخر أفكارا جديدة ، وكانوا جنودا أوفياء لدينهم ، ولمصرهم الحبيبة ٠

● الى أرواح كل هؤلاء وأمثالهم ومن على شاكلتهم ، الى تلاميذهم وأنصارهم ، ومن اقتدى بهم : أهدى كتابى هذا ، عن سنوات ما قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ : تلك الثورة التى شاركوا جميعا فى التمهيد لها ٠

والله ولى التوفيق ؟

يوليو ١٩٨٨ صبرى أبو المجد

مقدمة ومدخل الى الكتاب :

مصر فى ٦٠ سنة [١٨٦٥ ـ ١٩٢٥]
ايجابيات وسلبيات : « ما لنا ، وما علينا »

عندما بدأت أكتب ـ فى مجلة المصور القاهرية ـ عن سنوات ما قبل الثورة ـ ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ـ لم أكن أتوقع أن أستمر طويلا فى الكتابة ، كما لم أكن أتوقع أن تستقبل كلماتى بتلك الدرجة من الحماس والفرحة والقبول ، كنت فى البداية ، أعتقد أن قرائى سوف يكونون من أولئك الذين عاشوا ، وعايشوا تلك السنوات والذين يمكن أن يروا فى كتابتى انعكاسا ، لماض عاشوه ، أحبوه ، أم كرهوه ، شقوا ، أو نعموا به : سيرون أنفسهم فيما أكتب . وسأعيد عليهم ذكريات علقت بنفوسهم ، ووجدانهم ٠

وما أن مضيت فى الكتابة بضعة أسابيع حتى اكتشفت ، فيما تلقيت من رسائل ومكالمات وفيما استقبلت من زوار ، أن شباب مصر ، هم أكثر الناس اقبالا على ما يكتب عن تلك السنوات من غيرهم ٠

وأذكر أن بعض الوزراء يومها اتهمونى بأننى أفسد عليهم أبناءهم فهم يسألونهم كل خميس : لماذا لم تقولوا لنا هذا الذى يكتب ، وينشر ؟؟ ٠

لماذا أخفيتم عنا كل ذلك التاريخ المشرق ؟ لماذا حاولتم ، أن تقطعوا الصلة بين هذه الأيام ، وما سبقها من أيام ؟ ولست بناس أبدا خطابا جاءنى من الاستاذ محمود نجم ، وكان وقتئذ مديرا لمدارس الليسيه بمصر الجديدة ، قال فى خطابه انهم فى المدرسة ـ وهى للعلم مدرسة لغات ـ قد أجروا استفتاء بين طلبتها وطالباتها عن الكاتب الذى يرغبون فى الحوار معه ، والموضوع ، الذى يفضلون أن يكون موضوع الحوار وأن الأغلبية فى هذا الاستفتاء كانت معى ، ومع الموضوع الذى أكتب فيه وهو « سنوات ما قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ » ، وما أكثر الدعوات ، التى تلقيتها من الجامعات المصرية ، كل الجامعات المصرية والمعاهد والمدارس ، والكثير من تجمعات الشباب وقصور الثقافة وغيرها ، وغيرها ، لكى أتحدث عن سنوات ما قبل الثورة ولقد قضيت عامين كاملين ،

متحدثا فى ذلك الموضوع ، من أقصى البلاد الى أقصاها : من أســوان الى الاسكندرية حتى لقد خشيت أن يطغى الحديث عن سنوات ما قبل الثورة عما أكتبه . أو أؤمن به من قضايا أخرى ، وفى كثير من البلدان العربية ، التى زرتها ، فى تلك الفترة ، التى بدأت فيها أكتب عن سنوات ما قبل الثــورة كانوا يدعوننى الى الحديث عن تلك السنوات ٠

وكنت أعجب لاهتمام الاخوة العرب ، بالحــديث عن تــلك الســنوات رغم أنها مصرية فى الغالب عربية فى حالات قليلة ٠

وعرفت أن الاخوة العرب يتحمسون للكتابة عن تلك السنوات لأنهـــا أولا عن تاريخ مصر ، التى يحبونها ، بل يعشـــقونها ولأنهم يعتبرون تلك السنوات جزءا من تاريخهم أيضا ٠

ولأن الكثيرين منهم سمعوا الكثير عن تلك الســـــنوات ، من آبائهم ، وأجدادهم ٠

واكتشف أن كثيرا من الأخوة العرب فى الثلاثينات والأربعينات كانوا كأبناء مصر تماما : بعضهم يتحمس لهذا الحزب المصرى أو ذاك ، بعضهم يؤيد هذا الزعيم المصرى أو ذاك ٠ حتى فى الأندية الرياضية ، كانت هناك ـ فى بعض الأقطار العربية ـ انتماءات لهذا النادى المصرى أو ذاك ٠

وحتى فى دنيا الغناء كنت تجد فريقا من هذا البلد العربى أو ذاك يتحيز لهذا المطرب أو ذاك أو لهذه المطربة أو تلك ٠

وعندما دخلت فى العمق ـ كما يقولون ـ ورحت أقول قولة الحق مجردة ٠ أغضبت الجميع ، جميع من ينتمون أو كانوا ينتمون الى الأحزاب السياسية فى سنوات ما قبل الثورة ، حتى أساتذتى وزملائى من أبناء الحزب الوطنى أخذوا على أشياء كثيرة : انتقادى لهجرة محمد فريد الى أوروبا سنة ١٩١٢ وتفضيلى ، لبقائه فى مصر فالجهاد فى سبيل الوطن داخل الحدود أفضـــل وأقوى مرات عديدة من الكفاح خارج الحدود ، وكذلك أخذوا على انتقادى للذين قبلوا أن يرشحوا أنفسهم فى الانتخابات على أساس دستور ١٩٣٠ الذى أصدره اسماعيل صدقى باشا ٠

وكان بعضهم يقول لى : لقد جنينا المر من دستور ١٩٢٣ ، فهل تطالبنا بأن نتحمس له ونوقف عجلة الزمن حدادا عليه ؟ ٠

وكنت كلما أشدت بحزب معين أو بشخصية حزبية معينة أتلقى رسائل ، التهنئة والتشجيع ، فان انتقدت ذلك الحزب ، أو أية شخصية أخرى من رموزه

تلقيت رسائل عتيقة بعضها موضوعي أو يمكن أن يكون موضوعيا وأكثريتها تمتلىء بالشتائم والسخائم ٠

ولقد أعلنت عن ضيقي وتبرمي من ذلك ، وفي ذات مرة فكرت في أن أتوقف عن الكتابة ، وكفاني ما نلت بسببها من خصومات ٠

وأعلنت عن ذلك الضيق والتبرم والعزم على الاكتفاء بما كتبت ٠

وكانت المفاجأة تلقيت العشرات من الرسائل ممن أعرف وممن لا أعرف تدعونى الى الصبر والتحمل . وعدم التأثر بتلك الحملات ٠

ومن بين تلك الرسائل التى هزتنى بحق رسالة من الدكتور محمـــود محفوظ وزير الصحة الأسبق وأستاذ علاج الأورام بالاشعاع والطب النووى ورئيس مجلس ادارة الجمعية المصرية ، لنشر الثقافة والمعرفة العالمية ــ ولم أكن قد شرفت بمعرفته ــ وقد جاء في هذه الرسالة التى زادتنى قوة وبعثت فى ــ كما قلت يومذاك ــ الأمل الذى أرجو أن يبقى ما بقيت الحياة : أهديك تحية الاسلام ، والسلام وأكتب اليك بعد أن قرأت لك مؤخرا تعقيبا على من لم يتفق معك فيما تكتب عن تاريخ مصر المعاصر ، وذلك فى عدد ١١ يناير ١٩٨٠ والذى قرأته عند عودتى من الخارج أخيرا : لقد أحسست ، فى تعقيبك مرارة وأسى ، تسيل من قلبك الى قلمك . وكلمك فخشيت عليك انقباض النفس وانحباس الفكر ، وعزوف الارادة . وانزواء القلم ، عما تقوم به من عمل تاريخى ثقافى حضارى شامخ فبادرت بالكتابة اليك لأعبر عن تقدير متواضع لما تقوم به من عمل رائع فأنت تسجل لأهم قضايا التاريخ السياسى : لحقبة من الزمن اعتورها تغيير اجتماعى ، وثقافى سريع الخطوة ، متعدد الاتجاهات ، كانت فيـــه مصر والمصريون بوتقة تفاعلت فيها روح مصر الشابة ، المتطلعة للحرية والتقـــدم والمتعلقة بالقيم الانسانية الأصيلة المتصارعة مع دكتاتورية القصر ، وأطمـــاع القــوى الأجنبية وعلى رأسها الانجليز ٠ فأنت تكتب وتسـجل لتاريخ هــذه الحقبة ، والتاريخ ركن من أركان الثقـــافة والمعرفة ولذلك أفردت الـكتب السماوية له فيها مكانا واهتماما لما فيه ومنه ، من رسالة حضارية وانسانية يحملها من السلف الى الخلف ٠

وما كان التاريخ ليخلو من اختلاف فى تفسيره وتلك سنة الخالق فى الخلائق ولكن الخطأ كل الخطأ أن نخرج فى الرأى عن الموضوعية العلمية ، الى حدود الاسفاف والنزق والخروج عن المألوف والمعروف حاجبا تلك الاشراقة الحضارية والثقافية والعلمية ، فهل لى ــ دكتور محمود محفوظ ــ أن أسألك العفو عن من جهل قدر المعرفة والعلم والتاريخ ، كما أسألك المزيد ، وفقك الله الى كل ما تريد فالله سبحانه وتعالى بارك فى المعرفة والعلم وجعلهما فى أعلى مراتب التقوى والايمان والسلام عليك ومنك ولك ، » ٠

وكنت آنفر من كثير من الضغوط حتى لا أقول ما عنـــدى وحتى أحجب الوثائق التى جاءت الى عن طريق اخوة أعـزاء لا هم لهم ، الا نشر الحقيقـة كاملة ٠

وكانت ثمة اغراءات مادية هائلة ، قدمها من يملكون المـال ولا يريدون للحقائق أن تظهر وخاصة بعض فلول الأحزاب القديمة الذين كانوا يرون أن استمرارى فى هذا الطريق كشف لبعض المستور من أعمالهم التى يتنكرون لها اليوم ٠ على أننى وقد أيقنت أن هذا الذى أقوم به أخطر عمل ثقافى وحضارى قمت به قررت الاستمرار فى العمل مهما تكن النتائج ومهمـــا تكن المصاعب والمتاعب خاصة وأن كل ما كنت ألقاه من عنت وارهاق ومصاعب ومتاعب كان يهون الى جانب موجات الاعجاب والتقدير ، والرضا ٠

ولم ألبث أن عرفت عند كثير من القراء والأصدقاء والعاملين فى الحقل العام ، أننى مخزن الوثائق التاريخية وأن من الأفضل بالنســـبة لمن يملك بعض الوثائق التاريخية أن يوافينى بها لأنها عندما تكون لدى تكون أفضل من بقائها فى الأدراج عنده لا يستفاد منها ٠

وقد سبق أن ذكرت قصتى مع عبد الخالق فريد الذى غضب لأن الدولة استولت على مذكرات أبيه بقرار وأبلغ اليه عن طريق أحد «المحضرين» ، فقدم الى أكثر من مائتى خطاب لوالده محمد فريد لم يعرف أحد بها حتى كتـابة هذه السطور سواه ، وسوى والدته ، العظيمة طيب الله ثراها ٠

كما سبق أن ذكرت قصتى مع الأخ الصديق جمال مدكور ابن عبد الخالق باشا مدكور سر تجار العاصمة وأخذ عمالقة الوطنية المصرية قبل ، وفى أثناء ، وبعد ثورة ١٩١٩ وذلك عندما جاءنى ذات صباح يحمل حقيبة ملأى بالصور والأوراق القديمة قائلا : لقد اجتمعنا بالأمس كمجلس أسرة وقررنا اهداءك كل هذه الصور والوثائق التاريخية القديمة ، التى كانت ضمن مخلفات أبى لكى تستفيد منها خاصة وأننا لم نستفد منها فى الماضى ، ولا أعتقـــد أننـــا يمكن أن نستفيد منها فى الحاضر ، أو المستقبل ٠

وأذكر اليوم قصة جديدة لم يعرفها أحد من قبل ٠

كان فى مقدمة زملائى فى مجلس الشورى الأخ والصـــديق والزميل سميح طلعت أحد وزراء العدل السابقين ، وقد ربطتنى به علاقة قوية متينة لما كان يجمعنا من آراء واتجاهات فى كثير من الأحيان ودعانى يوما الى زيارته فى منزله بشارع الهرم ولم أعرف المناسبة التى دعانى لزيارة بيته بسببها وبعد أن شربنا القهوة ، وتجاذبنا أطراف الحديث قام الى مكتبه وأخرج بعض

الملفات السرية للغاية . قائلا : هذه الملفات كانت لأبى ، وأبى كما تعلم ، هو عبد اللطيف طلعت باشا ، الذى كان وكيلا للديوان الملكى ، ولعب أخطر الأدوار فى بدايات الحرب العالمية الثانية ٠

وقد أصر الانجليز ـ بعد أن أحكموا قبضتهم على الحكومة المصرية ـ على اقصاء أبى من السراى ٠

وقد اخترتك لأهديك تلك الوثائق وأنا على ثقة من أنك سوف تستفيد منها ٠

وكان الرجل متحمسا لهذا الذى قام به الى أبعد حدود التحمس . وفى بعض الأحيان ، كان يوقظنى من نومى فى ساعة متأخرة من الليل ليزف الى نبأ عثوره على ورقة ، أو وثيقة هامة ضمن الأوراق ، المبعثرة هنا وهناك فى منزله ٠

وأكثر من ذلك كان يقوم هو وعلى نفقته بتصوير بعض الأوراق ، التى كان يرى الاحتفاظ بها ، ويعطينى الأصل أو يعطينى الصورة حسب أهمية الأوراق بالنسبة له ٠

ووافاه الأجل المحتوم ، بعد أسابيع من قيامه بتلك العملية ، عملية اهدائى بعض الأوراق والوثائق التاريخية وكأنما كانت تلك الأوراق والوثائق التاريخية أمانة لديه أداها كاملة قبل أسابيع من رحيله المفاجىء ٠

وآخر المفاجآت السارة بالنسبة لى ، عندما حمل الأخ والصديق ـ رفيق العمر ـ أحمد سعيد فى سيارته ، مجلدات من جريدة النظام ، التى كان يصدرها المرحوم والده الاستاذ سيد على أحد صحفيينا الكبار الذين لم يأخذوا بعض حقوقهم فى التكريم والذى كان واحدا من بضعة صحفيين أرسلهم الزعيم مصطفى كامل ، الى فرنسا ، فى بعثة دراسية يتلقون فيها دروسا فى الصحافة العملية فى باريس مثل الفيجارو ، وغيرها من كبريات الصحف الفرنسية ٠

وكان من بين تلك الأعداد التى أحضرها ـ مشكورا ـ أحمد سعيد ، أعداد من عام ١٩١٩ ، وهى أعداد نادرة للغاية ذلك لأن السلطات البريطانية كانت تصادر الصحف الوطنية وكانت دار الكتب السلطانية ـ وقتئذ ـ لا تحصل على تلك الأعداد بطبيعة الحال فخلت منها الدار ٠

وقد أفادتنى مجلدات النظام الى درجة كبيرة خاصة انها كانت فى حالة جيدة عكس المجلدات الموجودة فى دار الكتب عن تلك السنوات التى تطرقت اليها عوامل البلى لكثرة تداولها ، ولقدم العهد بها ٠

وأستطيع أن أزعم أنه قد أصبحت لدى اليوم ثروة هائلة من الوثائق التاريخية لا أعتقد أن كثيرين فى مصر ، يملكونها .

وهذه الثروة كانت ولا تزال سندا لى ، فى كثير مما أكتبه .

***

وكان الالحاح على شديدا فى ضرورة جمع ما كتبته عن تلك السنوات فى مجموعة من الكتب وشجعنى على ذلك الأخ الصديق الدكتور سمير سرحان رئيس مجلس ادارة الهيئة المصرية العامة للكتاب الذى قام ورجاله بجهد كبير فى اخراج الجزء الأول من سنوات ما قبل الثورة وكذلك الجزء الثانى الذى أقدمه اليوم لقراء العربية .

وكما أننى لم أكن أتوقع ذلك النجاح الذى تحقق « لسنوات ما قبل الثورة » . عندما نشرت بعض الفصول منها فى المصور ، فاننى لم أكن أتوقع ذلك النجاح الهائل الذى تحقق للجزء الأول من سنوات ما قبل الثورة .

كل الصحف المصرية تقريبا كتبت عنه .

كثير من مجلاتنا الكبرى : المصور ، آخر ساعة ، أكتوبر ، روز اليوسف نشرت فصولا منه : كثير من كتابنا تناولوا الكتاب بالتعليق . وكانوا فى تعليقهم من الكرماء .

واختار ما كتبه اثنان من الزملاء الأعزاء لا لشيء الا لأنه لم تكن تربطنى بهما صلة صداقة سابقة على ما كتباه عن سنوات ما قبل الثورة ، أولهما الزميل الأستاذ حسن عامر ، ولقد هزنى ما كتبه عن الكتاب ، ومؤلفه الى درجة أننى ذكرت ذلك أكثر من مرة فيما كتبت من مقالات وفيما أذعت من أحاديث : كان ما كتبه حسن عامر ، أشبه بوسام هام :

« واذا كنا قد تعودنا ألا نكرم كتابنا ومفكرينا الا بعد رحيلهم ، فان حسن عامر قد خرج على هذه القاعدة فكرمنى فى حياتى » .

وأختار فقط هنا ـ للذكرى وللشكر فى نفس الوقت وللتاريخ أيضا ـ فقرات مما كتبه حسن عامر عن الجزء الأول من كتابى سنوات ما قبل الثورة : هذا كتاب جدير بالترشيح لدرجة الدكتوراه صاحبه ليس باحثا ، هاويا ، راويا للتاريخ ، لكنه صانع للتاريخ ، شريك بأدوار مختلفة فى أحداث مختلفة : بقدر علمه ، ومساهمته فى العمل الوطنى ، بقدر احترامه ، لشرف الكلمة ، وأمانة الحكم ، وعدالة القاضى ، بقدر ما لديه من وثائق ، ومعلومات ، والجهد المضنى الذى بذله فى جمعها وتصنيفها فهو جدير بانشاء كرسى جامعى ، يحمل اسمه ، رمزا للفضل ، والعلم ، والأمانة والوطنية .

الانطباع الذى يبرق فى الذهن عنـــد رؤية الكتاب لأول مره : بساطة العنوان و « عاديته » ، وايحاؤه بأن ما فيه ليس جديدا ٠

ماذا يضيف عن هذه الفترة التى قتلت بحثـا ، ودراســـة من المؤلفين والأكاديميين ؟ لكن الانطباع السلبى سرعان ما يتلاشى بمجرد أن تفتح الصفحة الأولى ٠

الصفحات تسرقك ، تسلمك لا اراديا الى خير ما تطـــوف به على أحداث جديدة ، شواهد لم تختبر بعد ، أسماء تغافل عنها المؤرخون وأولو الأمر ، أحكام باطلة رغم أدلة البراءة ، شرفاء ظلمهم التاريخ الذى نعيشه : أستشهد على ذلك بقـول أحد المؤرخين الذين قرأوا الكتاب قال : ان هـــذا القطـــاع المستعرض من التاريخ المصرى ، منحه صبرى أو المجد أصالة وعمقا ، وأضاف اليه ما يجبرنا على اعادة النظر فى كثير من الأحكام المستقرة ٠

صبرى أبو المجد أنكر فضله الذاتى » ٠

الى أن يقول حسن عامر : مصر اليوم فى الكتاب : ربما كان صدور هذا الكتاب فى هذا الوقت بالذات صدفة ، لكنها صدفة تخدم موضوعها أيضـــا ما يسعى اليه فريق من الباحثين لاعادة كتابة التاريخ الوطنى ٠

وقد شهدت القاهرة مراجعة جزئية لهـــذا الجديد فى مؤتمر عقد منذ شهرين حول الموضوعية والذاتية فى كتابة التاريخ : صدفة الصدور تخـدم موضـوعيا أيضا ما يجرى الآن من تفاعلات على الساحة المصرية بعد أحد عشر عاما من التعددية الحزبية ، فى هذا الكتاب تقرأ تاريخ مصر ، تتعرف على الزعماء القدامى ، الكاتب كان موضوعيا عندما تناول الوفد والاخوان المسلمين ٠ وحزب مصر الفتاة والآخرين :

ان ضخامة الجهد والعمل الذى بذل فى هذا الكتاب وتعدد مصادر البحث وموضوعية الأحكام ، وثراء أرشيف الكاتب بالوثائق ، والشواهد ، والمذكرات تسمح بعرض بعض الاقتراحات الى من يهمه الأمر ٠

● أن يتفضل أحد عمداء كليات الآداب بتشكيل لجنة لدراسة الكتاب واعداد تقرير عنه بما يستحق درجة علمية ٠

● أن تدرس احدى الجامعات انشاء كرسى فى دراسة التاريخ المعـــاصر باسم المؤلف ٠

● أن يعاد تكريم الرجل بجائزة الدولة التقديرية أو بوســـام ، رفيع المستوى فى العلوم والآداب :

وفى جريدة الأيام التى تصدرها كلية الآداب بجامعة الاسكندرية ، وتحت عنوان « مع عاشق التاريخ تلميذ الرافعى أبو المجد الجبرتى » ، كتب الزميل أحمد الجابرى يقول : علمت أن الدكتور عاطف غيث عميد كلية الآداب بجامعة الاسكندرية قد رشح كتاب « سنوات ما قبل الثورة » للأستاذ صبرى أبو المجد ليكون ضمن الوثائق الأساسية لمكتبة الاسكندرية وأنه فى سبيله الى عقد مائدة للحوار فى الجامعة يدعى لها أساتذة التاريخ والاجتماع والعلوم السياسية والاجتماعية لمناقشة المؤلف .

وعن الكتاب يقول الكاتب الصحفى : تعرضت مصر فى فترات تاريخية لحالات حادة من الصعود ، والهبوط ، وكنا نفاجأ خلالها بالأسرار التاريخية تذاع عبر الأثير من الاذاعة البريطانية من بعض كتاب انجلترا بالرغم من أن لدينا العديد من الأساتذة الأفاضل فى جامعاتنا المصرية ، وبالرغم من أن لدينا العديد من المراكز العلمية ، التى تحتوى المذكرات والوثائق لتاريخية وبالرغم من أن لدينا مؤرخون فى العصر الحديث مهتمون بكتابة التاريخ : « وقد أطل علينا هلال جديد فى سماء مصر ، بين نجوم الكتب التاريخية قلب نظرتنا الى الأحداث رأسا على عقب : نوع جديد من الوثائق : كشف أسرار كثير من الوقائع ، صفحاته من أخطر وأهم ما قدمه عاشق التاريخ فى تاريخ حياته كلها : مؤلف الكتاب : مؤرخ مصر الحديث وعاشق تاريخها ، الصحفى الكبير ، والكاتب المحقق الذى ارتفع رصيده السياسى ، كمحارب ومقاتل فى مهنة البحث عن المتاعب ،

وتمضى الأيام قائلة : « ان الكتاب الجديد ـ « سنوات ما قبل الثورة » ـ ثمرة جهاد مضى منذ سنوات وسنوات ،ونحن نرشح مؤلف هذا الكتاب للحصول على درجة الدكتوراه : انه ليس مجرد باحث هاو للتاريخ ، ولكنه ـ وبحق ـ واحد من صناع التاريخ وبالتالى فهو مؤرخ من نوع جديد .

نحن نطالب بكرسى جامعى يحمل اسمه رمزا للوفاء وللأمانة العلمية التى يتميز بها ورمزا للكلمة الشريفة التى يحمل لواءها .

وفى نفس الوقت تكريما للوطنية المصرية التى يبذل المؤلف جهده لزرعها فى قلوب وأفئدة شباب مصر : ـ وخاصة شباب الجامعات والمعاهد والمدارس ـ نصف الحاضر ، وكل المستقبل » .

وأبادر فأقول أننى ما اخترت ما كتبته الجمهورية الا لأضرب المثل على اهتمام الصحف بالكتاب لا لغرض آخر .

كما أننى لم أختر ما كتبه أصدقاء ، وأبناء عديدون كمحمود عبد المنعم

مراد ، وأحمد زكي عبد الحليم وغيرهما من كبار الاخوة والزملاء ، خشية أن تكون العلاقات الشخصية التي تربطني بهم لها دخل فيما كتبوه عني وعن كتابي وان كان هؤلاء الكتاب لا يمكن أبدا أن تكون للعلاقات الشخصية ـ أية علاقات شخصية ـ أي تأثير على ما يكتبونه فهم من خيرة الكتاب والأدباء .

أما ما كتبته الأيام فقد اخترته لأنه يمثل رأيا لصحيفة تصدر عن كلية من أعرق كليات الآداب في مصر .



أردت من الاشارة الى ما سبق ذكره ، التأكيد على أن الشعب قد أصبح ـ وتلك ظاهرة جديدة أو متجددة ـ يولى اهتماما بالغا ، بتاريخه وخاصة اذا ما كتب هذا التاريخ بوعي وأمانة ، وموضوعية وكان كاتبه مشاركا في كثير من الأحداث التاريخية وعلى معرفة وثيقة بكل الشخصيات ـ أو بأغلبها اذا أردنا الدقة ـ التي لعبت أخطر الأدوار في تلك السنوات المشرقة بالآمل الحلو المورقة بالكفاح الوطني الذي لم تر مصر له مثيلا من قبل .

على أنني للأمانة التاريخية أحب أن أقول أنني عاشق للتاريخ لأنني في الأصل عاشق لمصر ، وربما كان عشقي لمصر ، هو الذي حرضني على عشق تاريخ مصر .

عشقي لمصر هو الذي دعاني الى كتابة تاريخ مصر :

في كثير من الأحيان أرى أن الكتابة عن تاريخ مصر تختلف عن غيرها من الكتابات وعندما اكتب أنا بالذات عن تاريخ مصر ، لا أستهدف نشر حلقات في الصحف تثير بعض الجدل ، ولا أستهدف اضافة كتاب جديد الى المكتبة العربية ، انما أريد بما أكتبه عن مصر وتاريخ مصر المشاركة في اعداد أجيال جديدة تعشق ، مصر ، وتاريخ مصر ، وتبذل قصارى جهدها لفرض ارادتها على التاريخ ، وتغيير مجراه الى ما فيه الأفضل ، والأحسن ، والأكثر تحقيقا لآمال الجماهير : وفي بعض الأحيان يستبد بي الحماس وأنا أكتب ما أكتبه عن التاريخ فأخرج عن هدوء المؤرخ وأعود الى ما كنته في شبابي ، ثائرا ، ولكن بالكلمة ، مكافحا ولكن عن طريق اعادة كتابة التاريخ : وقد اتهمني الصديق الكبير ، الدكتور يونان لبيب رزق ، بأنني وأستاذي عبد الرحمن الرافعي والأستاذ فتحي رضوان من مدرسة التعظيم والتأثيم التي تعظم أعمال شخصيات الحزب الوطني ، وتؤثم أعمال غيرها من الشخصيات .

وقد رددت عليه فورا مؤكدا له ، أنني ما كنت في يوم من الأيام من تلك المدرسة : مدرسة التعظيم والتأثيم .

صحيح انني من أبناء الحزب الوطني ، وأنصار مصطفى كامل ومحمد فريد ، بل انني كنت ولا أزال من غلاة أولئك الأبناء والأنصار ، ولقد قضيت زهرة شبابي سجينا ، بسبب انتمائي الى ذلك الحزب ، وتحمسي لقادته الأوائل ، ومع كل ذلك كانت لي آرائي الخاصة فيما يتعلق بالتاريخ وشخوصه .

ما أكثر ما كتبت عن أحمد عرابي ورفاقه ، وثورة ١٨٨١ وما أكثر ما ناديت برد اعتبار هؤلاء الزعماء والقادة ورد ممتلكاتهم اليهم ، بل ما أكثر ما دعوت الى اعادة رفات من مات منهم في سيلان (سيرى لانكا) .

وما أكثر ما كتبت عن قاسم أمين ، ودعوته ، وما أكثر ما انتقدت في نفس الوقت بعض زعماء الحزب الوطني وخاصة محمد فريد وهجرته ، والانقسامات التي حدثت داخل صفوف الحزب الوطني في اثر تلك الهجرة .

وكذلك ما أكثر ما انتقدت عدم قدرة زعماء الحزب الوطني ، على الاندماج في ثورة ١٩١٩ والمشاركة فيها مشاركة تبيح للحزب أن يلعب دورا هاما في توجيهها .

ثم انني كنت من أوائل من اعترف من أبناء الحزب الوطني بزعامة سعد زغلول وأشاد بدوره الوطني الكبير ، في قيادة ثورة ١٩١٩ ، رغم اختلافي معه في كثير مما قام به قبل ذهابه في ١٣ نوفمبر ١٩١٨ للقاء ، المعتمد البريطاني في مصر ، سير ريجنالد وينجت هو وعلى شعراوى وعبد العزيز فهمي ، ورغم اختلافي معه في قبوله الحكم وترؤسه الوزارة المصرية عقب فوز حزبه [الوفد] في انتخابات عام ١٩٢٤ .

وقد خصص الأستاذ محمد زكي عبد القادر يومياته ، في الأخبار (١٩٥٤/٤/٢٩) عندما كتب عن كتابي « الجلاء أقوى طريق للسلام » تحت عنوان « ما لهم ، وما عليهم » .

وقد جاء فيما كتبه أستاذنا زكي عبد القادر بالحرف الواحد : أتممت اليوم قراءة كتاب الجلاء للأستاذ صبري أبو المجد وهو من الشبان الذى نشأوا في حضن الحزب الوطني وآمنوا بمبادئه ، وأعجبني منه أنه كان مخلصا في عرضه لأدوار القضية المصرية ، لم يحاب الحزب الوطني ولم يبخس غيره من الأحزاب حقهم : فبينما مجد مصطفى كامل وأشاد بجهاده ، أخذ عليه أنه لم يقطع صلته بالخديو عباس الا في عام ١٩٠٤ .

وعنده ــ عند صبري أبو المجد ــ أن مصطفى كامل كان يجب أن يفعل ذلك حينما بدأ الخديو يتنكر للحركة الوطنية ويمالىء المحتلين ، ويساند وزارة مصطفى فهمي التى باعت بواخر مصلحة البوستة الخديوية وعبدد بواخرها

أحد عشر ب ٠٠٠ر١٥٠ جنيه وكانت الحكومة قد اشترت ثلاث بواخر منها بمبلغ ٠٠٠ر٢٠٠ جنيه وكان الثمن الذى بيعت به تلك البواخر يعادل صافى ربحها فى أربع سنوات فقط ٠

ويقول الأستاذ الكبير محمد زكى عبد القادر فيما كتبه أيضا بالأخبار : « ومع تمجيد صبرى أبو المجد لجهاد محمد فريد يأخذ عليه أنه بعد خروجه من السجن ترك مصر ، وكان من واجبه ألا يفعل فانه اذا كان قد تابع جهاده فى أوروبا الا أن الجهاد الحقيقى الفعلى فى مصر ٠

واذا كان مؤلف كتاب الحياد قد أخذ على سعد زغلول « دفاعه عن مد امتياز قناة السويس فى الجمعية العمومية على الرغم من أنه ليس الوزير المختص » كما أخذ عليه قبوله تولى الحكم وكان الأجدر به ـ فى رأى المؤلف ـ أن يظل حيث هو زعيما للثورة متحررا من قيود الحكم ومع ذلك فقد أنصفه فقـــال : انه أول زعيم مصرى فلاح اختار لأعضــاء الوزارة « أفندية » وحارب الانجليز والسراى حربا مكشوفة ٠ وأول زعيم فلاح تحمل أعباء الكفاح من نفى وتشريد وهو فى سن الشيخوخة » ٠

وبعد أن تناول زكى عبد القادر بعض موضوعات الكتاب قال : يجرى المؤلف على هذا النحو فى كتابه من ذكر المفاخر والمثالب ووزن الرجال دون تحيز أو تأثر ، بمذهب من المذاهب أو انحراف إلى حزب أو جماعة ٠

وهذا ـ زكى عبد القادر ـ ما نرجوه من كل من يعرضون لتاريخ جهادنا فان ما من زعيم ظهر فى مصر ، الا كانت له أخطاؤه وكان له ضعفه وكان له فى الوقت نفسه فضله وجهده ، ومن الخير أن نكون منصفين وعلى الأقل ، مع من أصبح الموت يحول بينهم وبين رد الهجمات الظالمة عليهم » ٠



وقد أحسست باننا ظلمنا مصطفى النحاس ظلما بينا ، حتى لقد اعتقل الكثير ممن شيعوا جثمانه وظلوا فى غياهب الاعتقال شهورا عديدة ٠

وكان من الصعب بل من المستحيل على أو على غيرى الكتابة عنه ٠

ولم تكد الرقابة على الصحف ترفع وتحل الذكرى العاشرة لوفاته حتى انبريت فى المصور وبصورة أذهلت الجميع حتى لقد عاتبنى أحد المسئولين الكبار عتابا كان أشبه باللوم على ما كتبته ٠

كتبت تحت عنوان : مقال تأخر نشره ١٠ سنوات ، « مصطفى النحاس زعيم وطنى شجاع كان قائد مصر ، وضميرها » ، كان المقال فى أربع صفحات ،

ثم أعدت الكرة فى الاسبوع الثانى والاسبوع الثالث والاسبوع الرابع : ١٦ صفحة كتبت عن مصطفى النحاس ورئيس الدولة يهاجم مصطفى النحاس فى كثير من خطبه وكنت أنوى الاستمرار فى الكتابة لولا أن أستاذنا فكرى أباظة رئيس تحرير المصور وقتئذ رفض أن أستمر خوفا على من ناحية ٠

ومن ناحية أخرى حتى لا يتعرض المصور للمساءلة ٠

ومن ناحية ثالثة - كما قال لى فكرى أباظة - « لا تنس أننى وأنت من أبناء الحزب الوطنى الذين وقفوا من النحاس باشا موقف الخصومة عندما جاء بالمعاهدة المصرية البريطانية فى ٢٦ أغسطس ١٩٣٦ ، وعندما قبل الحكم فى ٤ فبراير ١٩٤٢ » ٠ ولم يكن أحد فى مصر وقتذاك - أغسطس ١٩٧٥ - يجرؤ على أن يكتب كلمة واحدة عن مصطفى النحاس ٠

وكتبت ما كتبته عن مصطفى النحاس الزعيم الوطنى الشجاع ٠٠ وأنا لست من حزبه وانما من حزب يختلف باستمرار مع حزبه ٠

ولكن كتابتى كانت عن اقتناع بأن مصطفى النحاس كان ولا يزال لم يأخذ بعض حقه : وأذكر من بين ما كتبته وقتئذ عن مصطفى النحاس : أصدر القاضى مصطفى النحاس حكما ضد محب باشا فثار اللورد كتشنر - المعتمد البريطانى فى مصر - وهدد مصطفى النحاس بالفصل ٠

وفى ثورة ١٩١٩ فصل القاضى مصطفى النحاس وكان معاشه ١٥ جنيها فقط ! » ٠

وقد ناديت فيما كتبته عن مصطفى النحاس - ٢٩ أغسطس ١٩٧٥ - كتاب التاريخ أن يقتصدوا فى الدفاع أو الهجوم وألا يكيلوا التهم جزافا لمن مات فليس هناك أقسى ، ولا أمر على النفس من الهجوم على من لا يستطيع الدفاع عن نفسه لأنه مات : لقد تعرض مصطفى النحاس فى حياته لأقسى الحملات ، التى وجهت الى زعيم معاصر ، كانت بعض القوى تختلف فى كل شىء ، وتلتقى عند الهجوم على مصطفى النحاس :

كان الرجل فى حياته يهاجم من أجل الشىء ، ونقيضه فى نفس الوقت ٠ فالبعض يهاجمه لأنه ارتمى فى أحضان السراى والبعض الآخر ، يهاجمه لأنه كان « عدوا للسراى » والحقيقة التاريخية الثابتة تؤكد أن الرجل لم يكن صديقا لهذه الجهة أو تلك ، ولم يكن عدوا لهذا الشخص ، أو ذاك الا بقدر ما يرى أن الصداقة أو العداوة يمكن أن تفيد قضية البلد حسبما يرى ويعتقد ٠

وقد يكون الرجل فى اعتقاده مصيبا أو مخطئا ولكنه فى كل من الحالتين ، حالة الخطأ ، وحالة الصواب لا يعبر الا عن فكر وطنى صادق لا يستهدف عرضا شخصيا أو مصلحة ذاتية ٠

ومصطفى النحاس يعتبر بحق نموذجا صادقا للمواطن المصرى فى نبله وصراحته وايمانه ، ورجولته وفى شجاعته ، وفى نزاعته الخ » .



ومن المضحكات المبكيات أنه فى أحد المؤتمرات «المنظمة» من الخارج والتى اريد بها تعليمنا الالتزام والموضوعية فى كتابة التاريخ المعاصر قال أحد الزملاء ، ممن لم يسبق لى أن قرأت له عملا تاريخيا واحـــدا : قال ان بعض الكتابات الصحفية تستخدم فى الصراع السياسى وليس من باب العلم التاريخى وضرب مثلا بما أكتبه قائلا : اننى لا اكتب تاريخا لأننى متحيز للحزب الوطـنى ولثورة يوليو وهذا ليس تجريحا فى « زميلنا » ــ هكذا قال الأستاذ نبيل عبد الفتاح ــ ولكنه مثال يضرب لوضع هذه النوعية من الكتابات فى حدودها عندما تستخدم فى البحث العلمى » ومثال آخر ذكره الأستاذ عبد الفتاح « كتابات صالح العشماوى » التى لا يمكن أن نعتمد عليها قط فى كتابة تاريخ الاخوان لأن العشماوى كان منخرطا فى المعارك السياسية التى دارت بين الاخوان ورجال يوليو .

وكل هذه الكتابات تعكس الانقسام الذى حدث منذ مطلع الدولة الحديثة والتفكك فى البنية الفكرية والاجتماعية للمجتمع المصرى » ولعلى لم أقرأ من قبل مثل هذا الكلام ولعلى لم أجد سبيلا ، الى فهمه فمن ناحية أنا لا أخلط أبدا بين كتاباتى السياسية اليومية ككاتب ســـياسى له فكره الخاص وبين الكتابات التاريخية بدليل أننى لم أتحيز للحزب الوطنى الذى انتسبت اليه منذ مطلع حياتى والى أن ألقى وجه ربى وبدليل أننى كتبت كتابات عديدة عمن أختلف واياهم فى الرأى : مصطفى النحاس ، محمد محمود ، أحمد ماهر ، ثم أننا اذا أسقطنا ما كتبه عبد الرحمن الرافعى لأنه حزب وطـــنى وأسقطنا ما كتبـه د. محمد حسين هيكل لأنه حر دستورى وأسقطنــا ما كتبـــه لطفى السيد وعبد العزيز فهمى لأنهما بالفكر والاتجاه مع الأحرار الدستوريين ، وأسقطنا ما كتبه حسن البنا عن الاخوان المسلمين لأنه قائد الاخوان المسلمين .

ولأننا ــ مثلا ــ اذا أسقطنا ما كتبه مصطفى كامل ، ومحمد فريد وعلى يوسف وغيرهم وغيرهم لأنهم حزبيون ، ماذا يبقى لنا اذن من الكتابة التاريخية .

خطورة هذه الدعوة تكمن فى أنه لن يكتب التاريخ ــ فى رأى الكاتب ــ من له علاقة بالتاريخ .

وللعلم فاننى لم أقل فى يوم من الأيام أننى مؤرخ أو أننى أكتب تاريخا وانما أقول باستـــمرار وأركز على هـــذا الــذى أقوله : اننى أقدم كتابات لشخصيات مصرية وطنية ولأحداث مصرية وطنية فيها تاريخ ، وفيها أدب وفيها

شعر ، وفيها اقتصاد وفيها فلسفة وأهم من ذلك كله فيها دفء الحياة لا برودة القبور .

وهذا حسبي : دروس لمواطني عن شخصيات مصرية ، وعن أحداث وطنية ، أريد بها العظة والعبرة وبعث الصوفية الوطنية المصرية الأصيلة من جديد .

انني في كثير من الأحيان أومن بأن لدى الكثير ، الكثير ، مما يجب أن أقدمه لبني وطني كل ما أعرفه من حوادث . وأخبار وأسرار ، ودراسات لبعض الأحداث ولبعض الأشخاص ردائما أدعو الله سبحانه وتعالى ، أن يمكنني من أداء هذه الأمانة ، كما أحب وكما ينبغي أن تؤدى الأمانات .

بل انني أدعو الله أن يطيل الأجل حتى أتمكن من أداء ما أريد أداءه لمواطني الأعزاء .

وقبل أن أنتقل الى الحديث عن بعض الأعمدة ، والثوابت في تاريخنا الوطني والقومي في المائة عام الأخيرة ، أريد أن أتوقف عند بعض الآراء والمعتقدات ، التي لها أكبر الأثر فيما أقدمه من دراسات :

● تاريخ كل أمة من الأمم ، حلقات تتصل بعضها ببعض ، متشابكة ، متواصلة ، لا يمكن فصل حلقة عن بقية الحلقات ، كل حلقة تؤثر وتتأثر بغيرها من الحلقات ، وهذه الحلقات ميراث حضاري تتوارثه الأجيال تلو الأجيال ، وما يحتويه هذا التاريخ من قيم حضارية يجب أن تستفيد منه كل الشعوب وكل الأمم ، باعتبار أن تلك القيم الحضارية ميراثا للانسانية جمعاء ، وليس لشعب من الشعوب .

● اذا كنت قد أوليت اهتماما خاصا بالفترة من ١٨٦٥ حتى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ مرورا بافتتاح قناة السويس ، والابتلاء بالديون الخارجية الكثيرة ، وتركيزا على ثورة ١٨٨١ التي قادها أحمد عرابي وثورة مصطفى كامل وفريد التي بدأت مع بدايات القرن العشرين ، وثورة ١٩١٩ التي قادها سعد زغلول باشا وكذلك ثورات ١٩٣٥ ، ١٩٤٦ ، ١٩٥٢ التي قادها شباب مصر ، كل شباب مصر ، فمرد ذلك ايماني الوثيق بأن هذه الفترات أغنى فترات التاريخ المصري وأكثرها خصوبة في العمل الوطني بالاضافة الى أنني أؤمن ايمانا قاطعا بأن هذه المراحل من حياة شعبنا المصري ، لا تزال بكرا لم تكتشف بعد رغم كثرة ما كتب عنها وما صدر حولها من مجلدات : لا أزال أرى أن هذه المراحل بحاجة الى بحث جديد ، والى رؤية جديدة ، لما بها من أحداث كما أنها بحاجة الى اعادة نظر فيما صدر عنها من أحكام تصور البعض أنها قطعية وما هي بقطعية : انها أحكام مؤقتة آن الأوان ، لنقضها ، أو ابرامها .

● لقد مضى حين من الدهر . كنا نسمي الثورة العرابية « هوجة عرابى » وكنا نطلق على زعيمها لقب « العاصى » . أحمد عرابى . ثم راحت تلك الظروف . التى استوجبت اصدار تلك الأحكام . وأصبح واجبا علينا تغيير تلك الأحكام وقد حدث . ولكن ليس بالدرجة الكافية والمقنعة : فى العاصمه المصرية ــ القاهرة ــ تماثيل لسعد زغلول ومصطفى كامل . ومحمد فريد وطلعت حرب ولا يوجد تماثيل لأحمد عرابى ورفاقه بالرغم من أن عرابى ورفاقه يسبقون فى العمل الوطنى الثورى مصطفى . وفريد وسعد . وهذا دليل اكيد على ان نظرتنا لتلك المراحل ، ولأبطال تلك المراحل ، لانزال ضيقة الأفق وغير عادلة ، بل أقول لا تزال نظراتنا وأحكامنا غير منصفة الى حد كبير .

● يجب أن ننظر الى كل دراسة من دراسات تلك المراحل ، على أنها وجهات نظر خاصة بأصحابها . ليس هناك أبدا من أحكام قاطعة . أو يمكن أن تكون قاطعة ، ثم ان وجهات نظرنا لا تعنى أن وجهات النظر الأخرى . المناهضة لها . غير سليمة ، أو غير ناضجة .

● يجب أن نحترم كل الدراسات وكل وجهات النظر مهما اختلفنا واياها فكل واحد له رأيه ومن الواجب علينا أن نحترم كل الآراء اتفقنا معها أو اختلفنا واياها لأنه اذا كان كل واحد منا سوف يتحزب ويتعصب لوجهة نظره فلن نصل أبدا الى الحقيقة التى ننشدها أو يجب أن ننشدها جميعا .

● لى رأى خاص فيما يتعلق بنشر الوثائق الاجنبية ، أيا كانت الجهة التى صدرت عنها تلك الوثائق ، انها بالنسبة لى ، وأرجو أن تكون بالنسبة لغيرى ليست أكثر من تحقيقات البوليس أو النيابة تعرض على القاضى وله أن يأخذ بها أو ببعضها وله أن يهدرها كلها : الوثائق الأجنبية ليس لها حجية الا قبل الجهات التى صدرت عنها أما ما عدا تلك الجهات فلا « حجية » لها على الاطلاق : ماذا يمكن أن نسمى ــ مثلا ــ وثيقة صدرت فى أيام الاحتلال عن شخصية مصرية فأدانتها تلك الوثيقة أو مجدتها ؟ هل فى الادانة ، جريمة ، وهل فى التمجيد شهادة طيبة ؟ : لا أستطيع أبدا أن أعطى الآخرين سلطة اصدار الأحكام على شخصيات مصرية ، وعلى أحداث مصرية مهما حسنت نوايا هؤلاء الآخرين .

● على كل من يريد أن تكون له وجهة نظر سليمة فى شخص ما أو فى حدث ما أن يحاول أن يعيش فى الظروف التى أحاطت بذلك الشخص ، أو بذلك الحادث والا كان حكمنا على الأحداث والأشخاص غير سليم : لا أتصور أننا فى أواخر الثمانينات نجلس فى مكاتبنا المكيفة الهواء ، وأمامنا آلات الكومبيوتر والتلكس وأحدث أدوات الاتصال بالخارج ثم نحكم على علاقة مصطفى كامل بفرنسا ، أو بالخديو عباس حلمى بدون أن نحاول تصور تلك الظروف الداخلية والخارجية ، والشخصية ، والحزبية التى أحاطت مصطفى كامل ،

والخديو والعلاقات المصرية الفرنسية بعد الاتفاق الفرنسى ، البريطانى فى ١٩٠٤ ٠

● البعض يتصور أن تحمسه لشخصية ما يدفعه الى أن يتحمس لما كانت تحمس له تلك الشخصية وأن يعادى الشخصيات التى كانت تعاديها تلك الشخصية ، ومن الممكن ، بل من الضرورى أن أكون مؤيدا لشخص ما وفى نفس الوقت ، مؤيدا لمن وقف من هذا الشخص يوما ما موقف الخصومة والا كان معنى ذلك أننا سنظل دائما داخل دوامة الحزازات الشخصية والحزبية ، وأضرب على ذلك مثلا اذا جاز لمصطفى النحاس مثلا ، أن يختلف مع الأحرار الدستوريين فى سنة ١٩٢٨ أو سنة ١٩٣٧ فلا يمكن أبدا لمن يعيش فى أواخر الثمانينات أن ينعكس حبه لمصطفى النحاس الى عداوة ، لمحمد محمود ، وللدكتور هيكل والا كان معنى ذلك — أيضا — أنه بعد ذهاب بعض الشخصيات التاريخية وبعد انتهاء بعض الأحزاب نظل متحزبين ، متحمسين ، كما كان آباؤنا وأجدادنا : ان هذا التمزق وهذا التشدد فى التحزب ، ضار بالحاضر ، قاتل للمستقبل ٠

● أكرر ما سبق أن قلته مرارا وتكرارا ، لست مؤرخا وان كان يشرفنى أن أكون كذلك كما أننى لست راوية ، وفى نفس الوقت لست مصورا فوتوغرافيا ينقل بالصورة أحداث الماضى وانما أنا سياسى ٠ مصرى ، عربى ، وطنى قومى له آراؤه ، وأفكاره واتجاهاته ورؤياه الخاصة فى بعض الأشخاص وبعض الأحداث ولديه كم كبير من المعلومات ، يريد أن يوصله الى كل مصرى وكل مصرية ليثير فيه العاطفة الوطنية المصرية وليحثه على أن يعمل بحماس لخدمة الشعب والوطن : وانطلاقا من ذلك فان آرائى الخاصة لا أسعى الى فرضها ٠ بل لا أدعو الناس الى الاقتناع بها ٠

كل ما أريده حقا وصدقا ، أن يضعها الجميع فى اعتبارهم ان شاءوا أخذوا بها وان شاءوا رموا بها عرض الحائط ٠

● لدى — مثلا — فكرة مؤداها أن الصهيونية لعبت أخطر الأدوار فى التمهيد لاحتلال مصر فى السنوات الأخيرة من حكم اسماعيل معتمدة على القروض التى كانت بعض البيوت الاقتصادية ، كبيت آل روتشيلد تقرضها لاسماعيل باشا وتكملة لهذا الرأى أقول ان الصهيونية والاستعمار وجهان لعملة واحدة ٠

● رأى آخر فى تقسيم التاريخ المصرى فى المائة عام الأخيرة ٠

من رأيى أنه منذ فتح قناة السويس الى نفى اسماعيل باشا يشكل وحدة زمنية وسياسية مستقلة أو شبه مستقلة كما هو الحال بالنسبة للفترة التى تبدأ بتولية الخديو توفيق باشا وتنتهى فى ١٤ سبتمبر ١٩٨٢ تاريخ دخول

القوات البريطانيـة العاصـمة المصرية وكذلك بالنسبة للفترة التى تبدأ من ١٤ سبتمبر ١٨٨٢ وتنتهى بوفاة توفيق باشا ٠

وكذلك الفترة التى تبدأ بتولية الخديو عباس حلمى العرش الى اليوم الذى هاجر فيه محمد فريد مصر [٢٦ مارس ١٩١٢] ومن ذلك التاريخ ، الى ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ، ومن ٢٨ فبراير ١٩٢٢ - تصريح ٢٨ فبراير - الى ٢٦ أغسطس ١٩٣٦ [توقيع معاهدة ١٩٣٦] ومن ذلك التاريخ حتى ٤ فبراير ١٩٤٢ ، ومن ٤ فبراير ١٩٤٢ الى ٨ أكتوبر ١٩٤٤ [اقالة وزارة النحاس] ومن ٨ أكتوبر ١٩٤٤ ، تشكيل وزارة د٠ أحمد ماهر الى ٢٦ ينـاير ١٩٥٢ [حريق القاهرة] ومن حريق القاهرة الى ٢٢ يوليو ١٩٥٢ : كل فترة من تلك الفترات تمثل من وجهة نظرى وحدة سياسية وزمنية مستقلة ، أو شبه مستقلة ٠

● وفى مقدمة ما أؤمن به الى حد كبير ، أنه لكى ندرس سنوات ما قبل الثورة جيدا ، ولكى نعى أحداثها جيدا ولكى يكون حكمنا على الأشخاص جيدا ينبغى أن نعود الى الوراء الى السنوات الأخيرة من حكم الخديو اسماعيل باشا : لا اتصور - مثلا - أن نتحدث فى سنوات ما قبل الثورة (١٩٣٠ - ١٩٥٢) عن الأحزاب المصرية الحزب الوطنى ، حزب الأحرار الدستوريين ، دون أن نعود الى الجذور القديمة للأحزاب المصرية ، وخاصة الحزب الوطنى الذى قامت على أكتاف أعضائه بعض أعباء ثورة ١٨٨١ ٠

وكذلك لا أتصور أن أتحدث عن الامتيازات الأجنبية والغاؤها فى مصر دون أن نتحدث عن القروض الأجنبية التى اقترضها اسماعيل باشا والتى دخل الفرنسيون والانجليز مصر أول ما دخلوا لضمان حقوق أولئـك الدائنين وفى الجزء الأول من هذا الكتاب حرصت فى المقدمة - أو المدخل كما أسميته - على الاشارة الى أهم الأحداث والوقائع والشخصيات التى تناولتها فى الكتابة عن سنوات ما قبل الثورة على ضوء ما لدى من وثائق وأوراق تاريخية لم تنشر من قبـــل ٠

وفى هذه المقدمة - أو فى هذا المدخل كما أسميته أيضا - حرصت على أن أتوسع فى الحديث عن بعض الأحداث وبعض الموضوعات التى رأيت أن لها أهمية خاصة بالنسبة للتاريخ المصرى ولسنوات ما قبل الثورة بالذات وقد تعبت فى اختيار تلك الأحداث وتلك الموضوعات وتعبت أكثر وأكثر فى تقديمها بتلك الصورة الموجزة والجديدة فى نفس الوقت ٠

وقد وجدتها فرصة طيبـة لكى أعطى قرائى وقارئاتى جرعات من مركز ـبضم الميم - التاريخ المصرى اعتمادا على كتب ودراسات غير متداولة وعلى

وثائق لا أعتقد أنها متوافرة لدى الكثيرين ولا أقول عندى وحدى أخذا بمبدأ التواضع الذى ألتزم به باستمرار فى كتاباتى بل فى حياتى ٠

وأرجو من كل قارىء ، وكل قارئة أن يؤمن بأن ما سأقدمه هنا فى هذه المقدمة أو فى هذا المدخل له علاقات وثيقة بما سيكتب عن سنوات ما قبل الثورة ان لم يكن فى الجزء الثانى ، الذى أقدمه اليوم ففى الأجزاء التى تليه بمشيئة الله٠

● وقد اخترت بداية المقدمة أو المدخل ، السنوات الأخيرة لحكم اسماعيل باشا لأنها كانت من أسباب ثورة ١٨٨١ ـ ثورة عرابى ورفاقه ـ ولأن أثارها ـ وخاصة كثرة القروض كانت من الأسباب التى أدت الى الاحتلال البريطانى لمصر . بل لقد امتدت الى ما بعد الاحتلال البريطانى لمصر وقد كان اسماعيل باشا ـ مهما تكن أخطاؤه بل جرائمه الكبيرة والخطيرة ـ مصلحا له بصماته القوية على كل ما جرى فى مصر فى أيام حكمه : كانت له فتوحاته الخارجية ، وكانت له غزواته السياسية وكانت له نزعته الاستقلالية عن الباب العالى ثم كان له جهده البارز فى اتمام حفر قناة السويس وفى بيع أسهم مصر فيهـــا «بتراب الفلوس» ، وكانت له اهتماماته الكبيرة والخطيرة بالنسبة للجيش المصرى فاليه الفضل كل الفضل فى انشاء العديد من المدارس الحربية : المدفعية ، الفرسان ، المشاة ، مدرسة أركان الحرب ، مدرسة صف الضباط ، وكانت له اهتماماته البالغة بالأسطول المصرى ٠ فهو الذى بعث الحياة فيه من جديد وهو الذى جدد المدرسة البحرية بالاسكندرية ، وهو الذى أحيا البحرية المصرية حتى لقد جاء ـ كما جاء فى احصاء اسماعيل سرهنك باشا ـ أن عدد سفن الأسطول المصرى بلغ ١٨ سفينة بالاضافة الى ثلاث سفن حربية أخرى مخصصة لتنقلات الخـــديو ٠

ومن بين تلك السفن : محمد على ، سفير ، جهاد ، لطيف ، كورفت ، الخرطوم ، دنقلة ، وبعض هذه السفن صنع فى أمريـــكا والبعض الآخر فى انجلترا وفرنسا وايطاليا والأهم أن بعض السفن قد صنع فى الاسكندرية ٠

وكان لمصر ثمانية طرادات وسفن للنقل ، من بينها : الطور ، أسوان ، أسيوط ، الجعفرية ، سمنود ، عجمى ، وكان لمصر أسطول تجارى هائل ، لا مثيل له فى كثير من دول أوروبا ٠

والجدير بالذكر أنه ـ طبقا لاحصاء سرهنك باشا ـ وصل عدد الجيش المصرى الى ٨٩٫٠٠٠ جنديا وضابطا بالاضافة الى ١٫٨٩٠ تلميذا فى المدارس الحربية المصرية و٣٠٫٠٠٠ مقاتل يرابطون فى السـودان أى أن جيش مصر فى مصر والسودان بلغ عدده (١٢٠٫٠٠٠ مقاتلا) ٠

● أكبر جرائم اسماعيل باشا ديونه وفوائدها الباهظة تلك الديون التى استغل معظمها فى كثير من الأمور التى لا أهمية لها والتى لم تكن الا تحقيقا لنزواته الشخصية حتى تصبح – كما قال – مصر قطعة من أوروبا ٠

بدأت ديون اسماعيل باشا فى عام ١٨٦٤ بقرض قيمته ٢٠٠ر٧٠٤ر٥ جنيها انجليزيا وفى العام التالى كان القرض الثانى ٣٠٠ر٣٨٧ر٣ جنيهـــا انجليزيا ٠

ثم كان فى ١٨٧٣ ما سمى بالقرض المشئوم وقيمته ٠٠٠ر٠٠٠ر٣٢ جنيها وهذا القرض الكبير المشئوم ، لم يدخل منه الخزانة العامة سوى ٠٧٧ر٧٤٠ر٢٠ أى أن ٣٧٪ من قيمته ضاع ٠

وكانت ايرادات الدولة – مثلا – فى ١٨٧٧ قد بلغت ٠٠٠ر٥٨٩ر٩ جنيها خصص منها لحملة الأسهم وحدهم ٠٠٠ر٠٠٠ر٦ جنيه وقد قدرت ديون اسماعيل باشا فى الفترة من ١٨٦٤ الى ١٨٧٨ بمبلغ ٣٦٠ر٣٥٤ر١٢٦ جنيها وكانت تلك القروض – كما سبق أن قلنا – بداية التدخل الأجنبى فى شئون مصر فمن لجنة كيف التى جاءت فى ديسمبر ١٨٧٥ لفحص مالية مصر ، الى انشاء صندوق الدين والرقابة الثنائية [البريطانية والفرنسية] على مالية مصر الى لجنة عليا أوربية للتحقيق فى ٢٧ يناير ١٨٧٨ الى الاحتلال البريطـــانى لمصر فى ١٤ سبتمبر ١٨٨٢ ٠

● كان الاحتفال بافتتاح قناة السويس حدثا عالميا غير مسبوق فى أى بلد من بلدان العالم ، وصفه فرديناند دلسبس فى مذكراته بقوله : ١٧ نوفمبر ١٨٦٩ فى قرننا هذا ولعله لم يحدث فى أى قرن من القرون كلها أن أقيم احتفال يشبه احتفالنا فى عظمته وجلاله ، لقد ظلت شركات العالم الملاحية شهرا كاملا قبل الاحتفال تنقل الى مصر ، مدعوى الخديو اسماعيل من ملوك أوروبا وملكاتها ، وأمرائها وعظمائها السياسيين وقد أدهش خديو مصر كل ملوك أوروبا بجمال ما أعده لهذا الاحتفال وقد أكد الملوك أنفسهم بأنهم لم يعرفوا فى حياتهم أياما كالتى أمضوها فى ضيافة مصر ٠

وكانت الامبراطورة أوجينى قد أقلت البارجة الفرنسية ليجل [النسر] ٠

وكان من كبار الضيوف الذين حضروا الافتتاح الأمير عبد القادر الجزائرى أمير الجزائر الذى كان – كما قال دلسبس – قد اشتهر بحروبه ضد فرنســا وبسالته فى تلك الحروب ٠

وكان موضع الحفاوة من كل المدعوين خاصة عربان مصر الذين اشتركوا فى الاحتفال ٠

● وصف المسيو فونتان أحد الذين حضروا الاحتفال بافتتـــاح قناة السويس فى كتابه « رحلة غريبة فى قناة السويس » حفلة الافتتاح بقوله : أقيمت أمام رصيف الامبراطورة أوجينى ثلاث صـفوف من المقصورات الجميلة أولها وأقربها من الرصيف للعظماء من الضيوف ، ثانيها بين الرصيف والبحر كان الجزء الأيسر للعلماء المسلمين والأيمن لرجال الدين المسيحى ، بدأ الاحتفال بموكب تقدمه رئيس تشريفات الخديو زكى بك وتلاه أركان حرب الدوارع ثم أميرة البلاد الواطئة معطية ذراعها لولى عهد مصر ، توفيق باشا ، ثم البرنس هنرى أمير البلاد الواطئة و ٠ و ٠

ثم سارت خلف الأعـــلام الامبراطورة أوجينى متأبطة ذراع الامبراطور فرانسوا جوزيف ثم سار خلفهما خديو مصر ، ثم الأمير عبد القادر ٠

● وصف احمد شوقى يوم الافتتاح وما بعده بكلمات أدبية رائعة اشار فيها الى مشاركة مشايخ الاسلام ، وأساقفة النصارى وكهنة اليهود فى الاحتفال والى الألف سرادق التى نصبها الخديوفى الصحراء ، والى اطلاق المدافع وتقدم يخت الامبراطورة أوجينى فى القناة ٠ وبعده يخت فرانسوا جوزيف امبراطور النمسا ويخت فريدريك غليوم أمير بروسيا ٠

وذكر أن عدد السفن التى أقلت المدعوين كان عددها ٦٨ سفينة ٠

وكان مما قاله شوقى مخاطبا ولديه والمناسبة مروره بالقناة فى طريقه الى المنفى :

تلكما يا ابنى القناة اقومكما فيها حياة ، ذكرى اسماعيل ورياه وعليـا مفاخر دنياه : دولة الشرق المرجاة وسلطانه الواســـع الجاه : طريق التجارة المنارة ومشرع الحضارة » ٠

ثم قال شوقى وهو يتحدث عن نفيه الى اسبانيا : ان للنفى لروعة وأن المناى للوعة وقد جرت أحكام القضاء بأن نعبر الماء ، حين الشر مضطرم واليأس محتدم والعدو منتقم والخصم محتكم ، وحين الشامت جذلان مبتسم : نفانا حكام عجم أعوان العدوان والظلم ٠ ضربونا بسيف لم يطبعوه ولم يملكوا أن يرفعوه أو يضعوه سامحهم (المحتل) فى حقوق الأفراد وسامحوه (الحكومة المصرية) فى حقوق العباد ٠

وما ذنب الشعب اذا لم يستح الجلاد ٠

ويقول شوقى مرة أخرى عن القناة :

القناة وما أدراكا ما القناة : حظ البلاد الأعبر من التقاء الابيض والاحمر بيد أنها أحلام الأول وأمانى الممالك والدول : الفراعنة حاولوها والبطالسة

زاولوها والقياصرة تناولوها والعرب لأمر ما تجاهلوها الى ان جرى القدر لغايته وآتى اسماعيل بآينه ، فانفتح البرزخ بعنايته والتقى البحران تحت رايته فى جمع من التيجان لم يشهدوا اكليله قد كان يتوج فيه لو شهدته جيوشه وآساطيله .

وما اسماعيل الا قيصر لو أنه وفق . والاسكندر لو لم يخفق : ترك لكم عز الغد ، وكنز الأبد والمنجم الأوحد والوقف الذى ان فات الوالد . فلن يفوت الولد » .

ويحاول شوقى آن يستنطق الصحراء ورمالها فيقول : فها هنا وضع للنبوة المهد ، وابتدأ بها العهد فأقبل صاحب المقام . ومحطم الاصنام ، وبناء البيت الحرام خليل ذى الجلال والاكرام : هاجر الى مصر أكرم من هاجر . ثم انقلب منها بأم العرب هاجر .

وفى هذه الثنيات طلع يوسف يرسف فى القيد وهو للسيارة يسير من كيد الى كيد ..

والى هذا الفضاء خرج موسى حين زيل زويله (أى زال جانبه ذعرا وفرقا) وطلبه قتيله وزين له الفرار خليله فحوته هذه الرمال فاذا الأمن سبيله واليمن دليله .

وعلى هذه الارض مشت السماء الطاهرة والنيرة الزاهرة والآية المتظاهرة أم الكلمة وطريدة الظلمة سرحوا فى عرضها فاخرجوها من أرضها ..

وينهى شوقى قصيدته غير المنظومة بقوله : وتريا اسماعيل بعث الحاضرين وحشد الحافرين وقرب المسافة للمسافرين ، غير وجه السفر فقيل ما بلغ غاية الظفر وقيل وقع الحافر فيما حفر ثم انظروا اليوم تريا القناة فى يد القوم (الانجليز) ان امنوا ركزوها وان خافوا هزوها .

وفى كلام شوقى هذا تورية تحتمل معنى الرمح وقناة السويس .

الجانب الكئيب فى قناة السويس

.. أما الجانب الكئيب والحزين فى قناة السويس فيتمثل - مثلا - فى السخرة : لقد حدث فى حفر قناة السويس . أفظع ألوان السخرة والتعذيب . ومنذ يوم ٢٥ ابريل ١٨٥٩ الذى أقيم فيه - فى بور سعيد - احتفال مهيب قام فيه دلسيبس بضرب أول معول فى أرض القناة واقتدى به الحاضرون من أعضاء مجلس ادارة شركة القناة ... منذ ذلك اليوم . بدأت أخطر عمليات السخرة فى التاريخ .

لم يكن عدد سكان مصر يزيد وقتئذ عن ستة ملايين من البشر ٠

وكان عدد الذين استخدموا فى حفر قناة السـويس يزيد عن ٥٠ ألف عامل ، وكان بعضهم يموت فى الطريق الى القناة من الجوع ، أو البرد ، أو المرض أو الخوف ٠

وكان عمال الحفر يستبدلون مرة كل شهر وكان الجباة يتولون خطف الفلاحين من قراهم بقوة القانون ٠ ويبعثون بهم ـ وأحيـانا يربطونهم فى سلاسل ـ الى مناطق الصحراء الجرداء ٠

وكانت شركة القناة القائمة على الحفر لا تهتم أبدا بتغذية أولئك العمال ولا بصحتهم بطبيعة الحال ٠

وكانت لا تدفع لهم أجورا مناسبة بل وفى معظم الأحيان لم تكن تدفع لهم احورا على الاطلاق ٠

وفى عام ١٨٦٢ ـ بالذات ـ ضج العمال بالشكوى من العفن الذى أصاب البسكويت الذى كان يقدم اليهم ـ تصور عمال حفر يتغذون بالبسـكويت العفن الذى كانت عليهم توزعه الشركة ـ كما ضجوا بالشكوى من ندرة الماء ومن الاوبئة التى انتشرت بينهم وقتلت الكثير منهم فكانوا يموتون كالذباب ٠

وليس أدل على سوء الحالة الصحية ، التى ذهب ضحيتها آلاف المصريين من العمال والفلاحين بسبب اهمال الشركة ـ ما ننقله عن مذكرات نوبار الخطية والوثائق الرسمية المستمدة من محفوظات وزارة الخارجية البريطانية فى لندن ووزارة الخارجية الفرنسية فى باريس جمعها د ٠ محمد صـبرى وقدمها فى دراسة له عن « فضيحة السويس أكبر فضيحة مالية فى القرن التاسع عشر » :

● أرسل الوالى من الصعيد ٥٠٠ جندى كانوا موضع عنايته ورعايته فأركبهم سفينته البخارية الخاصة فى النيل حتى القاهرة ومنها انتقلوا بالسكة الحديد الى الزقازيق ومن هناك ذهبوا الى وجهتهم فى البرزخ ٠

وعلى الرغم من احتياطات الحكومة فانهم لم يستطيعوا البقاء يوما واحدا وثاروا على ضباطهم فى اليوم التالى لوصولهم وفروا هاربين ٠

وقد قدر بعض الكتاب الفرنسيين عدد العمال (الحقيقى) ب ٢٥ ألفا ونحن لا نمارى فى صحة هذا الرقم اذا أسقطنا من الحساب المثل ـ ٢٥ الفا أيضا ـ من عدد العمال الذين يتجمعون بأمر السلطات من شتى النواحى وهذه العملية الدقيقة قد تستنفد مدتها شهرا » ٠

ومهما كان من الأمر فان أولئك الكتاب يعترفون صراحة بالخسارة الكبيرة التى أصابت الزراعة والأشغال العامة بسبب تسخير هذا العدد الضخم فى أعمال القناة دون أعمال الزراعة .

● كتب أوليفيار بريت أحد كبار مهندسى الشركة فى كتاب له أصدره عن تاريخ قناة السويس فى عام ١٨٦٢ كتب يقول : « وحتى بعد انزال عدد العمال الى رقم ٢٥٠٠٠ فاننا نعترف بان الزراعة قد حاقت بها خسارة جسيمة بسبب حاجة الشركة الملحة ومطالبها التى لا تنتهى : صحيح أن الحكومة المصرية قد استعملت أحيانا عددا أضخم من العمال وربما اجتمع منهم فى صعيد واحد مائة ألف ، ولكن كان ذلك لفترة قصيرة من الزمن نسبيا .

وفى أوقات من السنة كانت العناية بالزراعة تتطلب اليد العاملة كلها ، فى حين أن الشركة منذ ١٨٦١ ولسنوات طويلة مقبلة تحتاج بصفة مستديمة الى ٢٥٠٠٠ عامل .

وهذا بلا ريب وضع غير طبيعى » .

● وفيما تقدم اعتراف صريح بأن الشركة خرقت اتفاقية ٢٠ يوليو ١٨٥٦ التى نصت المادة (٢) منها على أن عدد العمال يجب أن يراعى فيه حاجة الزراعة الى اليد العاملة فى مراقبتها وعبثا حاول نوبار باشا انقاص عدد العمال الى ٦٠٠٠ مع زيادة الأجور الحالية غير المجزية ، ولكن مجلس ادارة الشركة اجتمع فى ٢٩ أكتوبر ١٨٦٣ ورفض الطلب الذى تقدم به نوبار باشا .

● للعلم كان الفلاح الذى يجبر على العمل فى حفر القناة يتحمل نفقات الطريق والأسفار ، ولا يتقاضى من الشركة ــ اذا تقاضى ــ الا قرشين صاغ فى اليوم مع أنه يأخذ من العمل فى الحقل ستة قروش .

ولم تكن المدة التى يسخر فيها الفلاح أو العامل فى الحفر أقل من ٥٠ يوما .

وللعلم أيضا ــ كما تؤكد سجلات وزارة الخارجية الفرنسية عن برقية لنوبار ــ ان مصر كانت تخسر سنويا نتيجة لقصور الانتاج المترتب على نقص الأيدى العاملة المسخرة فى القناة ما لا يقل عن ٤٠ر٠٠٠ر٤٠٠ فرنك .

السخرة فى حفر القناة

● وتقول الكاتبة الفرنسية الكبيرة مدام جولييت آدم فى كتابها : « انجلترا فى مصر » عن موضوع العمال المصريين الذين سخروا لحفر القناة ، ومما قالته ــ وهى الكاتبة الفرنسية المرموقة ــ يكمل ما قاله بعض الكتاب

والسياسيين الفرنسيين عن هذا الموضوع الخطير : « كان العمل فى القناة بطيئا فى البداية لقلة خبرة العمال بالعمل وقلة عددهم ولأن المياه العذبة كانت ترد الى مكان حفر القناة بكل صعوبة قبل ان تحفر ترعة الاسماعيلية ٠

ولما رأى دى لسبس هذه الصعوبات استعان بوالى مصر ســعيد باشا فزاد عدد العمال عشرة آلاف عن العدد الذى كان مقدرا من قبـــل فى شرائط الشركة فصار خمسة وثلاثين الف عامل ٠

كان هؤلاء العمال ـ مدام جوليت آدم ـ يساقون الى العمل بلا أجر عن طريق السخرة وكانوا يسامون سوء العذاب من شدة الهجير وقلة الغذاء ومشاق العمــل حتى ان عــددا كبيرا منهم يربو على ٢٠٠ ألف نسمة قد مات بسبب الأمراض التى ولدتها لهم هذه المتاعب دون أن تقدم الشركة أو الحكومة المصرية عوضا عنهم لاسرهم وأهلهم » : ومدام جولييت آدم ، التى تشهد تلك الشهادة من كبريات الكاتبات الفرنسيات ، وكانت زوجة لرجل فرنسا الكبير ادمون آدم من أكبر زعماء الحزب الجمهورى الفرنسى ولها أكثر من خمسة وأربعين كتابا من أنفس الكتب فى كافة الموضوعات وهى الأم الروحية لمصطفى كامل ٠

● وقد ذكر الأستاذ نجيب مخلوف فى كتاب له غير متداول عن نوبار باشا : أن نوبار باشا طلب انقاص عدد الفعله الذين نشتغل الواحد منهم بأجر فرنك بل أقل فى اليوم ، ونقد حق لنوبار يطلب انقاصهم وينظر اليهم بعين الأهمية وهو لم يطلب سوى الغاء الأشغال الشاقة وقد خفى على الموسيو ـ هكذا فى الأصل ـ ديليسبس ما لطلبه نوبار باشا من الأهمية فاحتج ببراعته المعروفة على طلب انقاص العدد وبنى احتجاجه على أن القوانين العثمـــانية كلها تجيز السخرة ومع ذلك كان اشتغال الفلاحين المصريين فى السويس لا يعد سخرة فى رأى دليسبس ٠

ولكن فات الموسيو ديليسبس ان الدستور لا يجيز تلك السخرة وان المادة ١١٠ من قانون الجزاء العثمانى تحرمها تحريما صريحا ٠ أما قوله أن اشتغال الفلاحين المصريين ليس بسخرة فلم يكن يقنع نوبار باشا بأكثر مــن قوله ان القانون العثمانى يجيزها ، ونوبار ـ هكذا يقول مؤرخه نجيب مخلوف ـ ولعلها أول كلمة طيبة تقال فى نوبار باشا ـ كان ميالا أشد الميل الى الافكار الحرة ويتألم كل التألم من نزع حرية الألوف حبا بمنافع الأجانب وكان اذ ذاك عشرون ألف عامل يشتغلون بشركة السويس تاركين عيالهم وحرفهم وزراعتهم بالقسر عنهم ٠

زد على ذلك انهم كانوا مضطرين للرجوع وقت صرفهم على نفقتهم الخاصة وبعضهم كانت منازلهم بعيدة جدا فاذا أضيفت هذه المتاعب الى خسارتهم فى

زرعهم وضرعهم وتجارتهم وسائر مرافقهم اتضح مقدار العناء والبـــلاء الذى كانت تقاسيه البلاد من جراء استخدام أبنائها قسرا واضطرارا ٠

وبمضى مؤرخ نوبار باشا قائلا :

« ولو كان العناء مقصورا على العشرين ألف المذكورين لهـان الأمر قليلا ولكن العشرين الفا كانوا يشتغلون ونحو أربعين الفا كانوا قادمين أو آخذين بالاستعداد للقدوم محل الشغل فليس بالهين السهل على نفس الوطنى الأبى أن يرى نحو ستين الفا مبعدين عن عيالهم وعن الزراعة والصناعة والتجـــارة وليس لهم من فائدة تعوضهم عن بعض الخسارة وتهون عليهم المتاعب » ٠

● شهادة أخرى لها وزنها :

قال المدير الأول للاشغال فى أحد تقاريره : ان من اعظم المنافع هـــو استطاعتنا أن نحفر بأيدى العمال معظم ما يمكننا حفره من القنال البحـرى بين بحيرة التمساح والبحر الأحمر ومما يجب ملاحظته ان هذه الطريقة لحفر القناة لا تنحصر منفعتها فى تسهيل العمل والاسراع به بل تعود بتقليل النفقات كثيرا فان المتر المكعب من اليابسة بأيدى العمال لا يقتضى من النفقة سوى ثلثى ما يقتضيه المتر الذى يحفر بالآلات ٠

فالظاهر مما تقدم أن الذى يحمل كبار رجال الشركة على استخدام ذلك العدد العظيم كان حدا للاقتصاد لا للضرورة العظيمة والحاجة الماسة ٠

وكان ديليسبس قد وعد بأنه لن يحتاج الى أكثر من خمسة آلاف عامل، ولكنه الجشع !!

كنا أسبق دول العالم فى انشاء حياة نيابية حقيقية

● وكان من أخطر ما مر بمصر طوال القرن التاسع عشر تلك الحيـــاة النيابية التى عاشتها مصر بين مد وجزر ، بين قوة وضعف ، وقد سبقت مصر كثيرا من الدول الأوروبية فى الحياة النيابية ٠ والجدير بالذكر أن محمد على باشا قد أسس ديوانا عاليا يتداول مع أعضائه فى الشئون المتعلقة بالحـكومة قبل الشروع فى تنفيذها وكان رئيس هذا المجلس يسمى كتخدا بك ، أو كتخدا باشا وهو بمثابة وكيل محمـد على ، أو نائبـه ثم ألف محمد على ــ فى عام ١٨٢٩ ــ مجلسا أسماه مجلس المشورة يتألف من كبار رجال موظفى الحكومة والعلماء والاعيان برئاسة ابراهيم باشا ٠

عدد أعضاء ذلك المجلس ١٥٦ منهم ٣٣ من كبار الموظفين والعلماء ، ٢٤ من مأمورى الأقاليم ، ٩٩ من كبار أعيان القطر المصرى . وكانت مهمة المجلس قاصرة على مسائل الادارة والتعليم والأشغال العامة وكان رأيه استشارى بحت وقد عقد المجلس أول اجتماع له فى ٢ سبتمبر ١٨٢٩ فى قصر ابراهيم باشا (القصر العالى) . ومن الاعضاء الذين حضروا ذلك الاجتماع السيد البكرى نقيب الاشراف ، حسن أغا رئيس بوابى الركاب العالى وناظر المواشى الاميرية ، وخليل أفندى ناظر الترسانات ، ومحمد أمين أفندى ناظر الابنية الاميرية ، حسين بك ناظر الأرز والغلال ، وحافظ أفندى معاون الفابريقات ، محمد أفندى ناظر المنسوجات ، كاشف أفندى باشكاتب الوقائع المصرية ، وسامى أفندى محرر الوقائع وابراهيم أغا مأمور طنطا وابراهيم بك مأمور نبروه ويوسف أفندى مأمور فوه وصالح أفندى مأمور ميت غمر والسنبلاوين والحاج عبد الرازق أغا مأمور محلة دمنة .

● ومن قرارات المجلس في اجتماعه الاول – على ما ذكر الأستاذ عبد الرحمن الرافعي – أن يكون عمل الفلاحين فى التطهيرات وبناء القناطر واصلاح الجسور فى أشهر توت وبابه وكيهك وطوبة وأمشير وبرمهات وبؤونة لأن الفلاحين بقية أشهر السنة يكونون مشغولين بالزراعة والحصاد وجنى القطن .

ومن قراراته أيضا أخذ ألف غلام من القاهرة وبولاق ومصر القديمة لتشغيلهم بالأجرة فى فابريقات الحكومة وكذلك أخذ الصالحين من المتسولين للعمل بهذه الفابريقات مع ترتيب أرزاق يومية لهم . ومن قراراته أيضا الزام الموظفين ومشايخ البلاد والعمد الذين تمتد أيديهم الى الرشوة – أو كما جاء فى القرار البرطيل – أو سلب أموال الأهالى برد ما أخذوه ومجازاتهم بالعقوبات الشديدة .

ولم يطل عمر هذا المجلس ، لأن محمد على حصر السلطة فى سبعة مجالس أولها الديوان الخديوى وديوان الايرادات وديوان الجهادية ودواوين البحر والأسطول والترسانة وتجهيز المهمات والقروض وسائر حاجات الصناعة والمستشفيات البحرية ثم ديوان المدارس (الابتدائية والتجهيزية والخصوصية العالية) والكتبخانات ودور الكتب والاسطبلات الكبرى فى شبرا ثم ديوان الأمور الافرنجية والتجارة المصرية .

وديوان العلاقات الخارجية ثم – أخيرا – ديوان الفابريقات . ادارة فابريقات الطرابلش فى فوه وكافة الفابريقات التى توجد فى كل أنحاء مصر .

مجلس الشورى يمثل الشعب

● وعندما تولى اسماعيل باشا فكر فى انشاء مجلس شورى على نظام جديد سماه مجلس شورى النواب وقد أنشأ اسماعيل فى ١٨٦٦ ذلك المجلس ووضع له نظاما فى لائحتين : أسمى الأولى « اللائحة الأساسية » وأسمى الثانية « اللائحة النظامية » .

ولم يكن للمجلس ـ كما تقول أحـــكام اللائحتين ـ سلطة قطعية فى أى أمر من الأمور وقراراته بمثابة رغبات ترفع الى الخديو وله فيها القول الفصل وعدد أعضاء المجلس لا يزيدون عن ٧٥ عضوا ينتخبون لمدة ثلاث سنوات ، ويتولى انتخابهم عمد البلاد ومشايخها فى المديريات وجمـاعة الأعيـــان فى القـاهرة والاسكندرية ، وكان عدد نواب كل مديرية بحسب تعداد سكانها وينتخب واحد أو اثنان عن كل قسم من أقسام المديرية بحسب كبر القسم وصغره . وينتخب ثلاثة نواب من القاهرة واثنان من الاسكندرية وواحد من دمياط .

وسن النائب لا يقل عن ٢٥ سنة ولابد من أن يكون ملما بالقراءة والكتابة ، وكان هذا الشرط قد وضع بعد مضى ثمان عشرة سنة على تأسيس هذا النظام ، وقد كان الخديو هو الذى يعين رئيس مجلس شورى النواب ووكيله ويتمتع أعضاء المجلس أثناء انعقاد المجلس بشىء من الحصانة البرلمانية فلا ترفع عليهم دعوى جنائية فى أثناء الانعقاد الا اذا ارتكب أحدهم جريمة القتل .

● وتنص لائحة المجلس على أن أعضـــــاء المجلس يحضرون الى المجلس بملابس الحشمة ويكون جلوسهم فيه بهيئة الأدب ، ولا يجوز لأى عضو نشر مناقشات المجلس أو طبعها الا باذن من رئيس المجلس والا كان عرضــــة للجزاء الذى يوقعه المجلس . وكان تشكيل المجلس يعتبر منحة من الخديو ولذلك كانت سلطته شكلية .

ومن أبرز أعضاء مجلس شورى النواب :

نواب القاهرة ـ مثلا ـ موسى بك العقاد ، الحاج يوسف عبد الفتاح ، السيد محمود العطار .

نواب الاسكندرية ـ مثلا ـ الشيخ مصطفى جميعى ، السيد عبد الرازق الشوربجى .

نواب روضة البحرين (الغربية والمنوفية) .

الغربية : أتربى بك أبو العز ، على كامل عمدة القصرية .

المنوفية : الحاج علي الجزار عمدة شبين الكوم ، محمد أفندى شعير عمدة كفر عشما ، أحمد أبو حسين عمدة كفر أبو ربيع ·

من نواب البحيرة : الشيخ محمد الصيرفي عمدة قلمبشات ، حسنين حمزة عمدة البرنجات ، أحمد دبوس عمدة نكلة العنب ، الشيخ محمد الوكيل عمدة سمخراط ·

ومن نواب الشرقية والقليوبية الحاج نصر منصور الشواربى (قليوب) الامام الشافعى أبو شنب (عمدة الخانكة) محمد الشواربى (قليوب) أحمد أفندى أباظة (منيا القمح) ·

ومن نواب الدقهلية هلال بك ، سيد أحمد أفندى نافع عمدة دنديط ، محمد بك سعيد (نوسا البحر) الشيخ العدل أحمد عمدة جزيرة القباب ·

من نواب الجيزة عامر أفندى الزمر ، ابراهيم المنشاوى عمدة زاوية دهشور·

من نواب المنيا وبنى مزار ابراهيم الشريعى (عمدة سمالوط) ميخائيل اثناسيوس عمدة اشروبية ، حسن أفندى شعراوى عمدة الطاهرة ·

ومن نواب أسيوط : سليمان أفندى عبد العال (ساحل سليم) عثمان غزالى (عمدة بنى رزاح) ، رميح شحاتة (عمدة القوصية) وحميد أبو ستيت من أولاد عليوة (جرجا) ومن نواب قنا واسنا محمد سحلى (عمدة فرشوط) وأحمد على اسماعيل عمدة السليمية ، أما نائب دمياط فقد كان على بك خفاجى ·

وقد افتتح المجلس فى ٢٥ نوفمبر ١٨٦٦ وكان رئيسه اسماعيل راغب باشا · وقد ألقى الخديو خطبة العرش فى حفله الافتتاح ، التى ركزت على الشورى « وشاورهم فى الأمر ، وأمرهم شورى بينهم » · وجاء فى خطاب الرد على خطبة العرش اشادة بالعزيز ابن العزيز ذلك الجناب الأفخم والداورى الاكرم ، الذى قام بتنظيم أمورها على ساق وقدم وشمر عن ساعد الجد والاجتهاد من تجديد ما انهدم واحياء ما انعدم وأخذ يداوى تلك العلل ويسد ما تخلل بعد أبيه من الخلل الخ ، الخ · وقد أعلن الرئيس ختام الدورة فى ٢٤ يناير ١٨٦٧ ، وألقى خطبة وجيزة شكر فيها الخديو على منشآته العظيمة الموجبة لازدياد عمران الوطن وعلى الأخص انشاء هذا المجلس · وانعقد المجلس لدورة ثانية فى ١٦ مارس ١٨٦٨ انتهت فى ٢٣ مايو ١٨٦٨ · وكان الانعقاد الثالث فى ٢٨ يناير ١٨٦٩ وانتهى فى ٢٢ مارس ١٨٦٩ ·

● أجريت الانتخابات الجديدة فى ١٨٧٠ وكان من أبرز نواب المجلس الجديد فى القاهرة السيد أمين الدنف ، السيد يوسف العقبى ·

ومن نواب الغربية والمنوفية الشيخ عيسوى الشريف (ابيار) السيد الفقى (عمدة كمشيش) شاهين أحمد الجنزورى عمدة تلمشط والشيخ أحمد عبد الغفار عمدة تلا ، على محمود كفر المصيلحة ٠

وكان الانعقاد الأول فى أول فبراير ١٨٧٠ ٠

وكان دور الانعقاد الثانى قد بدأ فى ١٨٧١ ، ثم بدأ الانعقاد الثالث فى ٢٦ يناير ١٨٧٣ ٠

وقد توقفت أعمال المجالس فلم يدعى للانعقاد أو لم تتم انتخابات جديدة فى عامى ١٨٧٤ . ١٨٧٥ ٠ وفى عام ١٨٧٦ دخلت الحياة النيابية عصرا جديدا ٠

● وكانت الهيئة النيابية الثالثة مفخرة لمصر وللحياة النيابية ونذكر هنا ــ للتاريخ وللاشادة بهذه الهيئة ــ بعض أعضائها : نواب القاهرة : محمود بك العطار ، عبد السلام بك المويلحى ، يوسف العقبى ٠

نواب الاسكندرية : سليمان العزبى ، عبد الرزاق الشوربجى ٠

الغربية : عثمان الهرميل (عمدة محلة مرحوم) محمــود سالم (عمدة كفر سالم) أحمد سالم (عمدة دهتورة) مصطفى هرجة شيخ أبو صير ٠ ومن نواب المنوفية مصطفى غنيم الانبــابى (عمدة جزى) ابراهيم حسن (عمدة الباجور) سليمان حسين عامر (عمدة جنزور) ومن نواب البحيرة : ابراهيم الديب (عمدة صفط العنب) أبو زيد الحناوى (عمدة كفر عفرانة) ومن نواب الدقهلية : متولى أفنــدى أبــو شريف (عمــدة ديرب) عبد الوهاب الشيخ (عمدة دقادوس) شلبى حسين (عمدة سلكا) ٠

ومن نواب الشرقية أيوب أيوب (عمدة الصوة) محمد رجب كســـاب (عمدة غيته) سيد أحمد رضوان (عمدة ميت العز) على عامر (عمدة العزيزية) على خليل (عمدة السعديين) ٠

ومن نواب القليوبية : مصطفى علام (سنديبس) وعبد الفتاح زغلول (ميت كنانة) ٠

ومن نواب الجيزة : رزق عكاشة (عمدة المنيا والشرفا) وحسين عطا الله (عمدة برنشت) وفضل الزمر (عمدة ناهيا) ٠

ومن نواب بنى‌سويف : محمد راضى (عمدة أنفسط) وعلى كســـاب (عمدة نزله كساب) ٠

ومن نواب الفيوم : أحمد جاد الله (عمدة السيليين) وأحمـــد الدهشان (عمدة اهريت) ٠

ومن نواب المنيا وبنى مزار : بدينى الشريعى (عمدة سمالوط) محمد محمد أبو طالب (عمدة برطباط) خليل عبد الرحيم (عمدة الفشن) حنا يوسف (عمدة نزلة الفلاحين) .

ومن نواب أسيوط محمد عبد الوهاب (عمدة السهامية) وعبد الرحمن وافى (عمدة بنى عدى) ميخائيل فرج (عمدة دير مواس) .

ومن نواب جرجا : ابراهيم حسن أبو ليلة (عمدة الريانية) عثمان أحمد همام (عمدة أولاد اسماعيل) محمد حساب عمدة داود وميت سهيل) وعبد الشهيد بطرس (البلينا) .

ومن نواب قنا محمد عبد الله (عمدة دشتلة) وطايع سلامة (عمدة القبلى قامولا) .

ومن نواب اسنا : أحمد عبد الصادق (أسوان) محمد سلطان (اسنا) .

● وقد اجتمع مجلس شورى النواب فى طنطا اجتماعا غير عادى فى ٧ أغسطس ١٨٧٦ وذلك لتقرير ابقاء نظام المقابلة وفى هذا الاجتماع برزت فكرة محاسبة الحكومة والرقابة على تصرفاتها . ولأول مرة يؤلف المجلس لجنة من بين أعضائه للذهاب الى وزارة المالية ، لاستحضار الكشوف المطلوبة ولبحث المتحصل من المقابلة قدره ثلاثة عشر مليونا من الجنيهات . وقد افتتح الخديو اسماعيل دور الانعقاد الأول فى ٢٣ نوفمبر ١٨٧٦ وكان بصحبة توفيق باشا وزير الداخلية ، وحسن كامل وزير المالية ، وحسن باشا وزير الحربية وشريف باشا وزير الحقانية والخارجية وانهى الدور فى ١٥ فبراير ١٨٧٧ وبدا الدور الثانى فى ٢٨ مارس ١٨٧٨ وانتهى فى ٢٧ يونيو ١٨٧٨ .

وكان آخر دور لانعقاد المجلس فى عهد الخديو اسماعيل ذلك الذى بدأ فى يناير ١٨٧٩ ، وانتهى فى يونيو ١٨٧٩ .

وقد لوحظ أن هذه الدورة تميزت بالمناقشات البرلمانية الواعية والحرص على كرامة البلاد .

وقد أبدى النواب استياءهم من تأخير ارسال المشروعات المالية اليهم مع مضى عشرين يوما على افتتاح المجلس .

وقد وصف الأستاذ الدكتور سيد صبرى أستاذ القانون الدستورى بكلية الحقوق (جامعة فؤاد) بأن هذا المجلس أخذ يعارض الحكومة ويطالب بحقوق دستورية . وقد شجعته الصحافة على المضى فى هذا الطريق وعندما ذهب رياض باشا وزير الداخلية فى ٥ ابريل لينهى دورة اجتماعه رفض المجلس ان ينفض وقام عبد السلام المويلحى زعيم المعارضة وصرح باسم البرلمان بأن أعضاءه

لم يفعلوا شيئا وان مهمه الاشراف على أعمال الوزارة لانزال أمامهم وعدا يدعوهم الى البقاء ، وقد أيده جميع الأعضاء بالاجتماع والتفوا حوله وظل المجلس يوالى اجتماعه ، عاد رياض باشا الى الخديو برأى المجلس · وأيد الخديو حركة النواب والأعيان وكبار الموظفين والعلماء ورجال الجيش بمنح السلطة المتمتعة بها المجالس النيابية الأوروبية وان تكون الوزارة مسئولة أمام المجلس عن الشئون المالية والداخلية وأن تكون الوزارة من المصريين ·

الفلاح المصرى يحتضر ويفقد أرضه وانتاجه ·

● ولابد من كلمة عن الفلاح المصرى فى تلك السنين المرة التى وصل التدخل الأجنبى فيها بعد اشتداد أزمة الديون الى الذروة : كان الفلاح المصرى بين شقى الرحى : الخديو اسماعيل والاسرة الحاكمة التى تستغل الفلاحين المساكين باستمرار استغلالا بشعا ، والحكومة التى تشفى غلها ــ باستمرار أيضا ــ من الطبقة الكادحة · اما بفرض ضرائب باهظة واما بالاستيلاء على المحاصيل الزراعية الخاصة بصغار المزارعين ، هذا بالاضافة الى ما يلقاه الفلاحون من المرابين الأجانب الذين كان يحميهم النفوذ الفرنسى والنفوذ البريطانى الذى أخذ يتزايد باستمرار فى شئون البلاد الداخلية وخاصة فى أمورها المالية والاقتصادية : وصفت صحيفة التيمس البريطانية فى ١٥ ابريل ١٨٧٨ ما يقاسيه الفلاحون من جيش الموظفين الأجانب الذين جيىء بهم لاصلاح اقتصاد مصر فلم يفعلوا أكثر من انهم ضاعفوا من خطورة الأزمة الاقتصادية ، وحددوا لأنفسهم مرتبات ضخمة ، زادت فى مجموعها عن ٦٠ر٠٠٠ جنيه فى السنة فى مقابل الأعمال التافهة التى يقومون بها · وتمضى التيمس قائلة : الفلاحون الذين جرفهم السيل يساقون الى المحاكم لدفع المتأخر عليهم من الضرائب ، لقد استمر تحصيل الضرائب من أولئك الذين جرفهم السيل من منازلهم كما جرف منازلهم ، ودوابهم وآلاتهم الزراعية ·· استمر تحصيل الضرائب على شدته وقسوته : ويؤكد كثير من سكان الوجه البحرى أن الربع الثابت من ضرائب هذا العام (١٨٧٩) يجرى تحصيله بنفس الوسائل الشديدة· التى كانت متبعة من قبل ·

ولعمرى ــ مراسل التيمس فى القاهرة ــ أن ذلك ليحمل على الاستغراب اذا قرن بما سمعه من الاشاعات عن موت الفلاحين فى منعطفات الطرق . وخراب مساحات واسعة من الأراضى وافتقارها من جراء الاعباء المالية الفادحة وبيع الزراع لدوابهم والنساء لحليهن وتهافت المرابين على دور الرهن وملئها بسنداتهم وازدحام المحاكم بقضايا نزع الملكية والواقع ــ التيمس أيضا ــ ان حالة الفلاحين قد تحرجت وضاقت بهم السبل وسدت فى وجوههم المنافذ حتى ان أسلسهم قيادا ، بدأ يسمع أنينه ·

ويقول مراسل التيمس أيضا فى ٢٣ يناير ١٨٧٩ : يوجد فى القاهرة الآن مئات من العمد والمشايخ كل يمثل قرية من القرى جاءوا لتقديم العرائض بطلب تخفيض الضرائب ، ولقد حاصروا أبواب الوزارات حتى أنك تراهم متربصين حولها ينتظرون دخول الوزراء وخروجهم بينما عرائضهم قد غطت بلاط المصالح الحكومية ٠

وقد نقل عن التقارير الرسمية المصرية والأجنبية أن المحاكم المختلطة التى أنشئت فى عام ١٨٧٦ كانت بمثابة أداة مروعة لاستعباد الفلاحين من الوجهة الاقتصادية وقد أدى نظام المحاكم المختلطة ـ كما جاء فى تقرير لورد دوفرين ـ الى تقوية رغبة الفلاحين فى الاستدانة لأن أملاكه أصبحت تعتبر ضمانة قانونية لما يستدينه ، ولم يكن الأمر كذلك قبل انشاء تلك المحاكم ومن وجهة أخرى أعطى هذا النظام للدائنين سلطة بيع أملاك الفلاحين المدينين ، متى ثقلت ديونهم ٠ وقد قيل فعلا أنه فى سنة ١٨٧٦ ٠ أصبح معظم الفلاحين لايملكون الأراضى التى يزرعونها وأن تسعة أعشار الأراضى تابعة لطبقات أخرى ، وقد زادت الأموال المدونة فى قوائم الرهن من ٥٠٠ر٠٠٠ جنيه عام ١٨٧٦ الى ٧ر٠٠٠ر٠٠٠ فى عام ١٨٧٩ خاصة فى الدين ، وفى ٢٠ أغسطس ١٨٨٠ يشير مراسل التيمس أيضا الى أن الفلاح المصرى أصبح غارقا فى الديون أكثر مما كان غارقا فيها فى زمن مضى ٠ فهبوط النيل ، وعجز المحصول يؤديان الى انتقال قسم كبير من الأراضى الى الأجانب ٠

القروض بداية التدخل الأجنبى

● ولابد لنا من أن نشير ولو بايجاز شديد الى بداية التدخل البريطانى فى شئون مصر باندفاع شديد خاصة بعد شراء بريطانيا أسهم مصر فى قناة السويس ، وكانت بريطانيا فى البداية تعارض حفر قناة السويس عن طريق شركة فرنسية وكانت فرنسا باستمرار تخشى من التدخل البريطانى فى الشئون المصرية ، ونذكر انه عندما قام اسماعيل باشا بمساعدة فرنسا فى مد الخطوط الحديدية فى بعض أنحاء مصر صاح المحامى الفرنسى المشهور باروش : ان هذه الخطوط أشبه ما تكون بسيوف نارية امتدت الى أحشاء فرنسا ٠

وكانت وجهة نظر المحامى الفرنسى الشهير أن هذا العمل الذى قام به اسماعيل باشا بمساعدة من فرنسا سوف تستفيد منه بريطانيا التى راحت تفكر فى العودة من جديد الى البحر الأبيض المتوسط بعد أن كانت قد قامت بالجلاء عن بعض الجزر التى كانت قد احتلتها ٠ وبعد أن كانت فعلا قد تاهبت

للجلاء عن مالطــة وكان من رأى باروش وغيره من السياســـيين الفرنسيين ، المعارضين للتوسع البريطانى فى أفريقيا وآسيا أن فتح قناة السويس للملاحة البحرية سوف تستفيد منه انجلترا أكثر مما تستفيد منه فرنسا ، وقد ذكرت احدى الصحف الفرنسية (صوت باريس) أننا نحن الفرنسيين الذين جذبنا بريطانيا الى وادى النيل : أفقد كنا ــ صوت باريس ــ وحدنا أصحاب الخطوة فى مصر قبل أن يذهب اليها دلسبس بمشروعه عن القناة ذلك المشروع الذى عارضته بريطانيا بكل قوة ، ثم دعونا بريطانيا لكى تجىء الى وادى النيل ، دعونا خصمنا اللدود بل عدونا اللدود ، دعوناه لكى يطردنا رويدا ، رويدا وها نحن ــ صوت باريس ــ الجانون على أنفسنا العاملون على تأييد نفوذ عدونا فى مناطق نفوذنا واحلال سلطته مكان سلطتنا » وقد تحقق ما حــذر منه روش وما تنبأت به صحيفة صوت باريس عندما نجحت بريطانيا فى شراء أسهم مصر ــ فى قناة السويس ــ لقد كان لمصر من أسهم القناة ١٧٦ر٦٠٢ سهما تعادل نصف أسهم الشركة التى بلغت ٤٠٠ر٠٠٠ سهما ، وكان سعيد باشا قد اشترى تلك الأسهم بمبلغ ٣ر٤٢٦ر٠٠٠ جنيه ولكن اسماعيل باشـــا ــ وتلك كبرى خطاياه ــ عرض تلك الأسهم للبيع وكان عددها فى الأصل ١٧٧ر٦٤٢ سهما باع منها اسماعيل قبل عام ١٨٧٥ ، ١٠٤٠ سهما وقد عرض اسماعيل باشا تلك الأسهم ــ أولا ــ على فرنسا وكان اثنان من كبار الماليين الفرنسيين يتفاوض مع وزير المالية المصرى (اسماعيل باشا) لشراء تلك الأسهم نظير ٩٢ مليون فرنك ، وسافر أحدهما الى باريس للتفاهم مع حكومته على تلك الصفقة التى كان يرغب فى عقدها كل من ادوارد درفيه وشقيقه أندريه ، غير أن الحكومة الفرنسية لم ترحب بالعرض فى البداية ثم اذا بدزرائيلى رئيس الوزراء البريطانية يتصل بزميله رئيس الوزراء الفرنسية ليفهمه خطورة تدخل الحكومة الفرنســـية فى شراء تلك الأسهم ، مؤكدا أن المسألة ــ مسألة شراء الأسهم ــ ليست مسألة اقتصادية بل مسألة سياسية تمس المصالح البريطانية فى الصميم وكان مما قاله دزرائيلى أن بريطانيا ستقف موقف العداء لكل من يتقدم لشراء تلك الأسهم، وتراجع الماليون الفرنسيون عن الشراء كما تراجعت الحكومة الفرنسية ، وراحت الحكومة البريطانية التى لم تكن قد اشترت سهما واحدا من أسهم القناة تفكر فى شراء تلك الأسهم وجرت مفاوضات بين قنصل بريطانيا فى مصر الجنرال ستانتون باشا وبين اسماعيل صديق باشا وزير المالية المصرية وفى ١٥ نوفمبر ١٨٧٥ اتفق اسماعيل وستانتون على دفع مبــلغ ٣ر٩٧٦ر٥٠٠ جنيهــا ثمنا لـ ١٧٦ر٦٠٢ سهما من أسهم القناة ٠

ولكن من أين لبريطانيا ــ الحكومة البريطانية ــ بهذا المبلغ والبرلمان الانجليزى فى أجازة ولاسبيل الى دعوته ، وهنا تطل الصهيونية العالمية من جحرها ممثــلة فى بيت رونشــيلد المالى الاسرائيلى الذى ناب عن الحــكومة

الانجليزية فى تقديم المبلغ المطلوب حتى انعقاد البرلمان البريطانى فى فبراير ١٨٧٦ لاقرار الصفقة ٠

فى يوم ٢٥ نوفمبر ١٨٧٥ ـ بعد عشرة أيام فقط من بداية المفاوضات ـ تم توقيع العقد بين الخديو اسماعيل باشا وبين حكومة جلالة ملكة بريطانيا وكتب دزرائيلى الى ملكته مبشرا بالخبر السعيد ، وبعثت الملكة الى رئيس وزرائها «تهنئة بهذا الحادث الخطير والعظيم » فى تاريخ امبراطوريتنا ولكن المبلغ الضخم المطلوب هو الذى يؤلمنى » يؤلم الملكة بطبيعة الحال ٠

الصهيونية العالمية والاستعمار وجهان لعملة واحدة

● وحول الصفقة الكبرى التى اعتبرها بداية نجاح بريطانيا فى تحقيق مشروعها التدبير الخاص باحتلال مصر ، ودور الصهيونية العالمية فى تحقيق تلك الصفقة يقول الأستاذ عباس محمود العقاد فى بحث له عن ١١ يوليو ١٨٨٢ ـ ضرب الاسكندرية ـ يقول بالحرف الواحد : من العوامل التى مهدت للاحتلال البريطانى لمصر عامل هام لايجوز اهماله عند تقدير الواقع فى كل مسألة خطيرة ولاسيما المسألة المصرية وهو عامل الصهيونية التى تسمى أحيانا باليهودية الدولية ٠

وقد رأينا طائفة من المؤرخين يتكلمون عن هذا العامل الهام ، فى سياسة العالم ، كأنه هيئة منظمة تتألف من شيوخ محنكين يجتمعون فى عواصم مختلفة ويصدرون فى كل اجتماع قرارا يتبع الى موعد الاجتماع التالى ويوشك أن تنطبق الحوادث فى هذه الفترة حرفا حرفا على ما رسموه ورتبوه ٠ ومن بين تلك الحوادث التى لعبت فيها تلك الهيئة المنظمة والتى لعب فيها التدبير المقصود بين أقطاب الصهيونيين من وحدة الغرض والقدرة على اغتنام الفرص والانتشار فى جهات العالم ، التى تفتح لهم منافذ الفرصة فى أماكن متعددة مع استقبالهم جميعا بأسواق المال والتجار التى تتصل سرا وجهرا بمسائل السياسة وسنرى فيما يلى مثالا للتدبير ، الذى يتم فى حينه خطوة بعد خطوة على غير تفاهم سابق فيظهر بعد حين كأنه خطة مرسومة وضعها أناس متفاهمون أملوها على أتباع يدينون لهم بصدق الطاعة واخلاص النية ولا تفاهم فى الحقيقة والا املاء : اتفق فى سنة ١٧٩٨ سنة الحملة الفرنسية أن يهوديا فرنسيا أذاع فى باريس خطابا الى قومه يدعوهم فيه الى تأليف مجلس عام يضم اليه مندوبين من اليهود المنتشرين في أنحاء العالم ويكون اجتماعه الأول في باريس لتقديم طلب الى الحكومة الفرنسية يسألونها أن تساعدهم على رد وطنهم القديم ويشفعون هذا الطلب بالسعى الى الاستانة لاقناع السلطان العثمانى بقبوله ، وقد جاء في ذلك الخطاب أن البلاد التى

يريدونها تشمل الوجه البحرى فى مصر ، الى عكا والبحر الميت وشواطىء البحر الأحمر وهى رقعة من الأرض تجعلهم سادة التجارة الهندية والعربية والفارسية وان فرنسا يمكن أن نستمال الى هذه المهمة بما يخصها به من الربح ، والعوض والمقايضة على النفوذ ، وقد بلغ النفوذ الصهيونى أوج القوة والشهرة بين الانجليز ـ كما يقول العقاد ـ فى تلك الحقبة وكان رئيس الوزراء الاسرائيلى ـ لورد بيكنسفيلد ـ دزرائيلى ـ يتولى الحكم من سنة ١٨٧٤ الى سنة ١٨٨٠ وهو الذى اشترى أسهم مصر فى قناة السويس من الخديو اسماعيل وخطابه الى الملكة فيكتوريا عن هذه الصفقة يدل على كثير حيث يقول :

الآن تمت ، وهى فى يديك سيدتى ، أربعة ملايين من الجنيهات وتكاد تؤدى فورا ، ولم يوجد غير بيت واحد ، يعقدها هو بيت روتشيلد : لقد سلكوا مسلكا عجبا ، بذلوا المال بفائدة قليلة وباتت حصة الخديو اليوم كلها ملك يديك سيدتى .

وقد يتراءى لنا أهمية العمل الذى أقدم عليه دزرائيلى بتشجيعه بيت روتشيلد على اقراض الخديو اذا عرفنا أن حملة الاحتلال قد حدثت فى عهد وزير الأحرار غلادستون وأن غلادستون كان معارضا فى الاحتلال . وقد استقال أحد وزرائه استنكارا لضرب الاسكندرية ولكن قروض روتشيلد وغيره قد صورت المسألة بصور الحيطة لحماية حق الدائنين . وقد كان دزرائيلى وراء اقناع دلسبس بالترحيب بشراء الحكومة الانجليزية لتلك الأسهم ، مغريا له بالمعونة الدولية التى تضمنتها شركة القناة اذا تعددت الحكومات التى تنتفع بها ولما حصل دزرائيلى على الأسهم ، قال فى جلسة أمام مجلس النواب البريطانى يوم ٢١ من فبراير ١٨٧٦ : اننى لم أزل من زمن أوصى بالحصول على أسهم القناة . وقد عقدتها صفقة مالية وسياسية واعتبرتها صفقة لازمة لتمكين الامبراطورية وهذا الذى أعنيه اليوم ، وقد ارتاحت اليه البلاد التى تفهمنى جيدا وتقبلته بالغبطة والسرور ، أما الذين انتقدونى من أجل هذه الصفقة فهم كما يخيل الى لا يفقهون المسألة على هذا الوجه » . من هذا القبيل ـ العقاد ـ أثر النفوذ الصهيونى فى السياسة الدولية وفى المسألة المصرية على الخصوص : اتفاق فى الغرض ، واغتنام للفرصة ، وتوزيع للعمل بين دوائر السياسة والمال فى مختلف الجهات .

● ويقول تيودور روذستين ـ الذى كان سكرتيرا للزعيم السوفييتى لينين فترة من الزمن ـ يقول عن تلك الصفقة التاريخية : حدث ان اسماعيل باشا عندما أحرجه دائنوه فى سنة ١٨٧٥ ووجد نفسه فى حاجة شديدة الى المال لسد نهم دائنيه أن عرض أسهم مصر فى شركة قناة السويس وما أسرع ما وقف المستر دزرائيلى ـ رئيس الوزارة البريطانية اذ ذاك ـ على رغبة

الخديو هذه ، وفى الحال قرر شراء هذه الأسهم بمساعدة بيت آل روتشيلد فى لندن .

ولعمرى لقد كان هذا عملا ليست له سابقة فى تاريخ انجلترا لأنه كان عملا من أعمال المضاربة الجريئة .. نعم ان الأسهم عادت بالربح الوفير فيما بعد ولكن لم يكن من حق الحكومة أن تقامر بأموال الأمة فى مشروع ربما عاد بالخسارة والضرر وفى الواقع لم يوجد فى انجلترا يومئذ من أنحى بالأئمة على المستر دزرائيلى على عمله هذا . ومن جهة أخرى كان من البدع المستحدثة أن تشترك الحكومة الانجليزية فى عمل تجارى خاص بدون اذن من البرلمان وبمساعدة أهل البيوتات المالية .

ولكن السر فى هذا العمل الذى لا نظير له يمكن ادراكه من الأطماع السياسية التى كانت حكومة دزرائيلى تحدث نفسها بها حيال مصر بعد أن خفت صوت فرنسا ، فقد علقت كبيرة صحف لندن « التايمز » بتاريخ ٢٦ نوفمبر ١٨٧٥ على تلك الصفقة أن الجمهور هنا وكذلك فى البلاد الأخرى سينظر الى هذا العمل العظيم الذى قامت به الحكومة من وجهته السياسية لا من وجهته التجارية فهو بمثابة مظاهرة للاعلان عن نيات معينة والمبادرة بالعمل الى تحقيقها فمن المستحيل أن نفرق فى أذهاننا بين شراء أسهم قناة السويس وبين علاقات انجلترا بمصر أو بين مصير مصر وما يحيط بمستقبل الامبراطورية العثمانية من المخاوف ، فاذا أدت الثورة والاعتداءات من الخارج والرشوة من الداخل الى سقوط تلك الامبراطورية سياسيا وماليا فقد يتعين علينا ايجاد الوسائل التى تكفل سلامة ذلك القسم من أملاك السلطان لما لنا به من الصلة الوثيقة .

● ويمضى روذستين قائلا : وليس من ريب فى أن الباعث على شراء أسهم القناة كان توقع ما يؤدى اليه اعلان تركيا افلاسها من انهيار تركيا ومصر معا .

واذا كان القدر لم يجر بما توقعوه لتركيا ، فقد عزموا أن يحققوه فيما يختص بمصر ، وهكذا رأينا انجلترا بعد شراء أسهم القناة تخطو أول خطوة علنية للتدخل فى شئون مصر .

وكما هى العادة فى كل المشروعات الاستعمارية اتخذت الامور المالية أداة الاعتداء فانه لم يمض ثلاثة أسابيع على ما رزئت به مصر من هبوط سنداتها فى بورصة لندن حتى بادر الجنرال استانتون قنصل بريطانيا العام فى القاهرة الى اخطار اللورد دربى بما أظهره له الخديو منذ أيام من الحاجة الى رجال أكفاء يلمون بالنظم المتبعة فى مالية حكومة جلالة الملكة لمعاونة ناظر المالية المصرية على معالجة الفوضى التى اعترف بها سموه فى تلك النظارة و .. و ..

ولم يمض سوى يومين على عقد الصفقة الخاصة بشراء الاسهم ، حتى بادر وفى ٢٧ نوفمبر ١٨٧٥ الجنرال اسنانتون باخبار اللورد دربى برغبة الحكومة المصرية فى ارسال لجنة خاصة الى مصر وكان هذا دليلا على ما بين هاتين المسألتين من الارتباط فشراء الاسهم كان عملا سياسيا أرادت انجلترا أن يكون لها حق قوى يسوغ لها امتلاك مصر اذا ما انحلت أجزاء الدولة العثمانية كما أنه لم يكن ارسال البعثة من ناحية انجلترا الا سعيا وراء تعزيز هذا الحق بأسرع ما يمكن لتحمل الخديو نظير صنيعها عنده على قبول ارشادها فى شكل رقابة مالية أيا كان نوعها .

● ووصلت بعثة « كيف » التى فشلت فشلا ذريعا بسبب طهارة الخلق وشرف النفس اللذان تمتع بهما مستر كيف شخصيا وبسبب معارضة الخديو للتدخل البريطانى ، وكان كيف قد أكد فى تقريره أن موارد مصر اذا احسنت ادارتها قامت بسداد الديون المصرية وان حالة مصر المالية لا تدعو الى اليأس . بل انها حسنة ودخلها كاف لوفاء الديون وفاء عادلا ، حالة مصر ثابتة ، لان لها موارد كافية قد نمت فى الماضى وزادت زيادة عجيبة وليس ثمة ما يحول دون نموها ورقيها كذلك فى المستقبل ، ولكن بريطانيا لم تقبل ما جاء فى تقرير مندوبها كيف وانما راحت تلجأ الى أساليب أخرى لتسيطر — ماليا — على مصر ، وبعد السيطرة المالية تجىء السيطرة العسكرية التى بدأت تأخذ أولى خطواتها فى ١١ يوليو ١٨٨١ حيث بدأ الأميرال سيمور يطلق قنابل مدافعه وبوارجه على الاسكندرية .

● ويروى مستر بلنت — صديق مصر والمصريين والانجليزى الحر — كيف ان الخديو اسماعيل أقام وليمة لمستر كيف وبعثته الى مصر أقامها فى الكشك الخديوى القائم على سفح الأهرام ، وكانت من المآدب الشائقة التى تعود اسماعيل أن يبهر بها عيون الأوربيين فلم يكن يعوزها شىء مما يدل على الفرق الشاسع بين غنى صاحبها وفقر أولئك الذين أقيمت المأدبة فى الحقيقة على حسابهم ، ومد لنا السماط على مرأى جمهور من الفلاحين الذين يكادون يموتون جوعا والذين جاء السير كيف لانقاذهم من الخراب ، ومع ذلك لم يظهر على أحدنا أنه فطن الى هذا التناقض فأكلنا كما شئنا وشربنا أفخر الشمبانيا ، ومضى كل منا فى وجهته ولم أستطع الى الآن وبعد الاحاطة بكل ما هنالك أن أدرك حقيقة الحال وما فيها من الشقاء .

● بعد بعثة كيف Cave (الانجليزية ، التى أرادت بها انجلترا تمهيد السبيل للتدخل العسكرى البريطانى أنشىء صندوق الدين فى ٢ مايو ١٨٧٦ ليكون وصيا على مصر ، لا على أموالها وحسب ، ثم أنشىء مجلس أعلى للمالية فى ١١ مايو ١٨٧٦ ثم فرضت الرقابة الفرنسية والانجليزية على مصر فى ١٨

نوفمبر ١٨٧٦ وأن يتولى الرقابة انجليزى وفرنسى ، الاول – وقد سمى مفتشا عاما – يراقب الايرادات والآخر – وهو مفتش عام أيضا – يراقب المصروفات ، و • و •• وعهد اسماعيل باشا الى نوبار برئاسة مجلس النظار وحدد الخديو فى ٢٨ أغسطس ١٨٧٨ مهام ذلك المجلس كهيئة مستقلة عن ولى الأمر تتميز بتضامن أعضائها فى المسئولية وكون قراراتها تتخذ بالأغلبية ، وقد بادر الخديو فاعتبر اختصاصات ذلك المجلس – حتى لا يقال انها تمت بضغط أجنبى – متفقة مع أحكام الشريعة الغراء •

● ورأس نوبار باشا تلك الوزارة التى سميت بالوزارة الأوروبية ، لوجود وزيرين أجنبيين أحدهما انجليزى والآخر فرنسى فيها • وأصبح نوبار باشا وزيرا للخارجية والحقانية واختير رياض باشا للداخلية وراتب باشا للحربية والسير ريفرس ويلسون للمالية ومسيو دى بلنيير للاشغال وعلى باشا مبارك للمعارف والأوقاف ومن « مميزات » أعمال تلك الوزارة أنها « نجحت » فى الحصول من بيت روتشيلد على قرض الثمانية ملايين من الجنيهات ونصف المليون مقابل رهن الأملاك التى نزل عنها بعض أفراد الأسرة الخديوية ومقدارها ٤٢٥ر٧٢٩ فدانا ، وعهد بادارتها الى الدومين الذى تديره لجنة دولية من ثلاثة أعضاء أحدهما فرنسى والآخر انجليزى والثالث مصرى ، وقد كان تأليف الوزارة الأوروبية وفيها وزيران أجنبيان من المسائل التى أصابت الكبرياء المصرى في الصميم فلأول مرة يشترك وزيران أجنبيان في وزارة مصرية بالاضافة الى عدم ثقة المصريين فى رئيسها نوبار باشا ، وكانت أولى مهام تلك الوزارة حماية الدائنين الأجانب . وكانت تلك الوزارة تبسط الرزق على الأجانب وتقتر على الموظفين المصريين ، وقد أحالت ٢٥٠٠ من الضباط المصريين على الاستيداع. وذلك توفيرا للنفقات ، وقد أبلغ بالقرار وزير الحربية ، الامر الذى أدى الى ثورة ستمائة منهم – فى ١٨ فبراير ١٨٧٩ – برئاسة البكباشى لطيف بك سليم ، وقد أحاط المتظاهرون بعربة نوبار باشا . على مقربة من وزارة الخارجية ، ولكن نوبار باشا لم يكترث بهم وأمر سائقه بالمسير ، وقد تعدى المتظاهرون على السائق ، وأمسكوا بتلابيب رئيس مجلس النظار وطرحوه أرضا واعتدوا عليه بالضرب ، وعندما أراد سير ريفرس نجدته وقام بضرب المتظاهرين بعصاه هجم المتظاهرون عليه وشدوه من لحيته وأدخلوه هو ونوبار باشا الى سراى الوزارة واحتلوا غرفها وقاعاتها ، ولجأ القناصل الأجانب الى الخديو لاعادة الأمر الى نصابه وقد لبى الخديو دعوتهم وذهب اليهم فأفسح له المتظاهرون الطريق وهتفوا بحياته •

● ولكن بعض المتظاهرين لم يتوقفوا عن الهياج ، واقترب – كما يقول الأستاذ عبد الرحمن الرافعى – واحد منهم من الخديو يريد أن يمسكه من ذراعه فاجفل منه الخديو وأمر الحرس أن يفرقوا المجتمعين بالسلاح فشهر الحرس

سلاحهم ، وعندئذ دوت طلقة رصاصة لم يعرف مصدرها وأطلق الجنود النار ولكن فى الهواء فلم يصب أحد من المتظاهرين بسوء وان كان قد جرح بعضهم ، كما جرح تشريفاتى الخديو وهو الى جانب مولاه اذ اصابته ضربة سيف من أحد الضباط • ومن ثم تفرق الضباط وأطلق سراح الوزراء المحبوسين وأمر الخديو بحراستهم الى منازلهم •

بدايات الثورة العرابية

● وحول غضب الضباط على نوبار باشا وولسون يقول تيودور روذستين : أهاج هذا الحادث وقتئذ النفوس وكان بلا ريب نذير سوء بما سيتمخض عنه فانه دل على أن الشعب المصرى مهما بلغ ضعفه شأن كل شعب زراعى يعيش جماعات متباعدة فانه لن يضعف أمام الاستبداد الداخلى والخارجى فان هذا الجيش المصرى أو بالأحرى ضباطه يستطيعون مقاومة الأوربيين وأنهم لن يحجموا عن ذلك اذا تغلب عليهم اليأس . ومن العبث أن نسمى هذا الحادث وما تلاه من الحوادث المماثلة له . بمجرد شغب عسكرى فان ما سعر به الشعب عن بكرة أبيه ولكنه لم يكن قادرا على ابداء رغبته أو العمل بطريقة منظمة ، وقد ضج الناس مطالبين بتخفيض فائدة الدين وعودة السلطة الى الخديو باعتبار ذلك العلاج الوحيد لتخفيف سخط المصريين الشديد ، ثم أخذت أنهار الصحف تفيض بوصف سوء الحالة التى يعانيها الفلاحون ومع أن التقارير الرسمية أكدت ان معظم الاشاعات مبالغ فيها فان الأشخاص الذين كانوا وقتذاك فى مصر وصفوا المجاعة وصفا يفتت الأكباد وأعلنوا أن الفلاحين المصريين أشبه شىء بالأشباح •

على أن العمل الجرىء الذى قام به الضباط لم يفتح عين أوروبا فحسب بل فتح عين مصر أيضا ، فقد كان بمثابة شرارة كهربائية فى جو مفعم بالسخط والتذمر فلا تسل عما أدى اليه انفجار ذلك النذير من مظاهرات الى اجتماعات عقدها المشايخ والأعيان والعلماء أقروا فيها التعجيل بوقف النظام الحاضر وألفوا منهم وفودا قابلت الخديو ووعدته بالمعونة فى نضاله مع الأوروبيين وطلبت أن يكون للأمة نصيب فى حكم البلاد •

ويؤكد روذستين أن الخديو اسماعيل برىء من تهمة اعداد مؤامرة الضباط وكل ما فعله أن استفاد من أمور الواقعة !!

● ويؤكد روذستين أن الأوربيين لو كانوا صادقين فى دعواهم الخاصة بتحسين الأحوال المالية لمصر ما كلفهم الأمر أكثر من أن يردوا فوائد الدين

الى الحد المعقول وأن يستعينوا بنواب الأمة فى تجديد نظام البـــلاد ماليـــا واقتصاديا ولو أنهم فعلوا ذلك لأقاموا مصالح الدائنين على أسس وطيدة ، ولحالوا دون عودة استبداد الخديو اسماعيل الذى كانوا يعتبرونه أســـاس البلاء • ولكن ـ روذستين ـ لم يكن فى نية سادة مصر الأوربيين أن يقدموا على أحد هذين الأمرين ، فاما عقد البرلمان فأمر لا سبيل الى النظر فيه لأن مصر الدستورية كانت تقضى قضاء مبرما على ما كانت انجلترا وفرنسا تبيتانه سرا من النيات السياسية لمصر واما تخفيض فوائد الديون فقد كان ولابد من اللجوء اليه ان عاجلا وان آجلا •

ويقول مؤرخ نوبار باشا ـ نجيب مخلوف ـ أن الخديو قد أوعز للضباط بأن يتظاهروا ثم يقول واذا لم يكن قد أوعز اليهم فانه على الأقل أظهر رضاه على ما فعلوه ، وادعى ويلسون الوزير البريطانى فى وزارة نوبار باشا ـ فى رسالة بعث بها الى مستر بلنت فى ٣٠ أبريل ١٨٧٩ أن الخديو هو الذى دبر مؤامرة لقتله لم تنجح ولكنه عومل أسوأ معاملة وأن حكومته ـ الحكومة البريطانية ـ تركته تحت رحمة القضاء وان الخديو يعصر البلاد لآخر قرش وليس فى الطاقة تأخير الخراب : والبلاد بأسرها سائرة الى الدمار وهى موبوءة بالفساد •

● وكان مجلس النظار قد كلف ـ فى ٢٧ مارس ١٨٧٩ ـ رياض باشا وزير الداخلية للتوجه الى مجلس شورى النواب لابلاغ أعضائه بفض انعقاد المجلس ولم يكد رياض باشا يتلو المرسوم الخاص بفض الدورة حتى نشـــبت معركة عنيفة هى الأولى من نوعها حيث قال النائب محمد أفندى راضى ان مدة المجلس لم تتم بعد ، وقال عبد السلام المويلحى بك أن المجلس طالب عدم قطع أى أمر فى أى شىء الا باشتراكه وعاد محمد أفندى راضى ليؤكد ان المجلس لا يمكن صرفه الا اذا نظر فى المسائل التى طالب بها وكذلك الميزانية ، ووجه الكلام الى رياض باشا قائلا : لقد أحضرتم أصحاب الجرانيل وأكدت عليهم بعـــدم درج شىء فى جرانيلهم مما يتعلق بمجلس الشورى والأجانب ، وفى هذا نوع من التضييق وقال رياض باشا انه لم ينبه على كتاب الجرائد الا فيما يتعلق بدرج أشياء فى جرائدهم تخدش أذهان العامة •

ويقول محمد أفندى راضى اننا ننتظر من جناب الخديو أن يوافق على اعطاء المجلس حقوقه وطلباته ، ويستقر رأى المجلس على أن يرسل صـــــورة من المحضر للمعية السنية وصورة أخرى لمجلس النظار •

● وبعد يومين ـ أى فى ٢٩ مارس ١٨٧٩ ـ يتقدم النواب بعريضة الى الخديوى يستنكرون فيها مسلك الوزارة فى امتهانها حقوق المجلس معترضين على المشروع ، الذى أعدته ـ وقتئذ ـ الوزارة ـ وكانت تنوى اصداره والذى

تعلن فيه الحكومة المصرية فى حالة افلاس ، وأكد الأعضاء رفضهم لقرار الوزارة بفض المجلس وأعلنوا امتناعهم عن تنفيذ المرسوم ، وقد اجتمع الأحرار فى دار السيد البكرى فى هيئة جلسة وطنية مطالبين - فى بيان لهم - بتأليف وزارة وطنية مستقلة واقصاء الوزيرين الاوربيين عنها واقتراح اسناد الوزارة الى شريف باشا تكون مهمتها انقاذ البلاد من التدخل الأوروبى ومن الحكم الاستبدادى وتقرير نظام دستورى يحقق أمانى الشعب ·

● وفى ٢ ابريل ١٨٧٩ اجتمع بدار اسماعيل راغب باشا كل من شريف باشا وشاهين باشا وحسن راسم باشا وجعفر باشا والسيد على البكرى والشيخ الخلفاوى والشيخ حسن العدوى ، وكثير من الأعيان والعلماء والنواب والمأمورين حيث وضعوا ما سمى باللائحة الوطنية التى تتضمن تسوية مالية تقوم على أساس أن ايرادات الحكومة تكفى مصروفاتها بما فيها أقساط الديون العامة ونصت اللائحة أيضا تقرير مبدأ المسئولية الوزارية أمام المجلس : أى تعيين رئيس مجلس للنظار بأمر الحضرة الخديوية يختار النظار وبعد قبولهم من الحضرة الخديوية تتشكل هيئة النظارة وتكون مسئولة أمام مجلس النواب ···

● وقد وقع على اللائحة أعيان البلاد وذواتها ، ونوابها وعلماؤها وشيخ الاسلام وبطريرك الأقباط وحاخام الاسرائيليين ، ٩٣ من ضباط الجيش . وقدم وفد من (الجمعية الوطنية) العريضة الى الخديو اسماعيل باشا فأقر مطالبهم واستجاب لهم ووافق على اللائحة الداخلية وبعث بنسخ منها بعد ترجمتها الى قناصل الدول فى مصر واستدعى الخديو وكلاء الدول الأجنبية فى مصر فى ٧ ابريل وأبلغهم بنبأ اللائحة الوطنية التى رفعت اليه وطلب منهم ابلاغ نصها الى الدول وأخبرهم باستقالة وزارة محمد توفيق باشا وأنه عهد بالوزارة الجديدة الى شريف باشا وقد استدعى شريف باشا وطلب منه أن تكون نظارته مصرية وطنية وتكون مسئولة أمام مجلس النواب ورأت وزارة شريف باشا - فى أول عمل لها - اقرار مجلس شورى النواب على استمرار انعقادم وعقد المجلس جلسته الأولى فى ١٧ مايو ١٨٧٩ وحضر شريف باشا الجلسة وأعلن انه مفوض من الحكومة ليقدم الى المجلس اللائحة الأساسية (الدستور) ووعد بتقديم لائحة الانتخاب بعد أيام وقد وعد النواب بأنه لن يضع أى قانون ولا يبدل أى شىء من القوانين الموجودة الا باقرار مجلس النواب · ثم تقرر - فيما بعد - عزل الخديو اسماعيل فى ٢٦ يونيو ١٨٧٩ ·

٣ أيام لهـا تاريخ

● واذا كان يوم ١٧ نوفمبر ١٨٦٩ ـ يوم افتتاح القناة يذكرنا باسماعيل باشا المسرف المتلاف فان يوم ٢٦ يونيه ١٨٧٩ يذكرنا بنهـايـة كل مسرف متلاف ، فى ذلك اليوم وصلت رسالة تلغرافية الى سراى عابدين تسلمها أولا زكى باشا السر تشريفاتى ، وكانت الرسالة مصدرة بعنوان : اسماعيل باشا خديو مصر السابق ، وخشى السردار أن يحمل الرسالة الى الخديو السابق وكذلك أجفل خيرى باشا المهردار (حامل الختم) الى أن أقبل شريف باشـا فرأى من واجبه أن يحمل الرسالة بنفسـه الى الخديو الذى تسلم الرسـالة وقرأها وطلب الى شريف باشا ، أن يدعو اليه الأمير توفيق باشا فورا ، وكان توفيق باشا قد تلقى رسالة برقية أخرى باسـناد منصب الخديوية اليـه وصحب شريف باشا الخديو الجديد الى الخديو السابق وخاطب الخديو السابق « اسماعيل باشا » الخديو الجديد ، ابنه توفيق باشا بقوله : يا أفندينا » وسلمه الحكم ، وقد رحل اسماعيل باشا ـ بعد أن تقرر من الباب العالى اعفاؤه من مهمته ـ الى ايطاليا فى ٣٠ يونيو وقال الخديو السابق . للخديو الجديد مودعا : لقد اقتضت ارادة سلطاننا المعظم أن تكون يا أعز البنين خديو مصر ، فأوصيك باخوتك وسائر الأمراء واعلم انى مسافر وبودى لو استطعت قبل ذلك أن أزيل بعض المصاعب التى اخاف ان تؤجب لك بعض الارتباك على اننى واثق بحزمك وعزمك ، فاتبع رأى ذوى شـوراك وكن أسـعد حالا من أبيك » وقد أقلت الباخرة «المحروسة» ، الخديو السابق أقلته الى نابولى الذى قضى سبعة عشر عاما يحكم مصر بارادته المنفردة ٠

● ويذكرنى ١٧ نوفمبر ١٨٦٩ كما يذكرنى ٢٦ يونيو ١٨٧٩ بيـوم ثالث يختلف عن اليومين السابقين وذلك يوم ٢ مارس ١٨٩٥ يوم وفاة الخديو اسماعيل باشا فى تركيا ونقل جثمانه ـ بحرا ـ الى الاسكندرية وكان حفيد اسماعيل باشا ، الخديو عباس حلمى الثانى فى انتظار جثمان جده فى سراى رأس التين وقد رافقه الى محطة السكة الحديد ، وقد أقلت زوجة الخـديو السابق وحاشيتها قطارا خاصا وأقل السردار الأسبق وغيره من كبار رجال الدولة قطـارا خاصا خصصت عربة منه لجثـة الفقيد ، وقد بقيت الجثـة فى حراسة جيش الاحتـلال الى جانب الجنود المصريين ، وقد وقف فى سـاحة ميدان الأوبرا عشرون جملا على كل منها صندوقان مملوءان طعاما ووراء الجمال ست جاموسات كبار وكانت الجاموسات وحمولة الجمال ما يسمى بالكفـارة واشترك فى الجنازة ضباط الجيش بملابسهم العسكرية مشـاة على الأقدام ثم حرس السردار على ظهور الجياد بملابس زرقاء ، كما اشترك الفقهاء ومشـايخ الطرق والذاكرون والأشراف ومشايخ التكايا والدراويش ورواد طلبة العـلم بالجامع الأزهر ثم تلاميذ دار العلوم ، والرؤساء الروحانيون وقائد الاحتـلال

وكبار ضباطه ثم وكلاء الدول وقناصلها وبعد كل أولئك سار الخديو عباس حلمى ، والى جانبه صاحب الدولة الغازى مختار باشــا عن يساره . وكان الخديو يرتدى ملابس المشير ، وفى ميدان الأوبرا انفصل الجثمان عن المشهد وكانت عربة الخديو فى انتظاره فركبها عائدا الى سراى القبة ، وعاد القناصل ووكلاء الدول الى منازلهم : أيام ثلاثة تحمل دلالات خطيرة : يوم تشرف . ويومان سوداوان بل مغرقان فى السواد .

● كان التدخل الأجنبى فى مصر قد وصـــل الى كل مرافق البلاد فى السنوات الأخيرة من حكم الخديو اسماعيل باشا ، فيما عدا الجيش الذى لم يحاول الأوربيون ــ الدخلاء ــ الوصول اليه لأن معظم قياداته كانت شركسية أو غير مصرية ، وكان هناك ــ من قبل الدول الدائنة ــ ثقة مطلقة فى قيادات الجيش والاطمئنان الى عدم خروجه على الشرعية ولذلك لم يكن أحد يتوقع أبدا أن يتحرك الجيش المصرى وأن ينوب عن الشعب فى التعبير عن غضبه وسخطه على التدخل الأوروبى وضرورة العمل على التخلص من هذا التدخل والقضاء عليه .

● وبعد عزل الخديو اسماعيل باشا الحاكم القوى ومجىء الخـديو توفيق باشا الحاكم الضعيف بدات فى الجـو السياسى احتمالات التغيير والتبـديل فى صورة الحكم . وقد كان الفرمان الخاص بتولية توفيق باشا قد تأخر عن موعده مما بعث القلق فى نفس الخــديو توفيق باشا وما جعــله يحاول الارتماء ــ بصورة مؤقتة ــ فى أحضان شريف وما جعــله يؤكد عزمه على بذل الجهد وصرف الهمة الى التماس أحسن الوسائل لازالة هذا الاخلال المفسد لكثير من المصالح فيقرر الاقتصاد الحق القانونى فى نفقات الحكومة وقد أعاد شريف باشا تشــكيل وزارته وقد دخلها محمــود سامى البارودى كوزير للمعارف والأوقاف .

● وقد حرص الخديو توفيق باشا على أن ينص فى أمر اعتمــاد تأليف الوزارة على ضرورة أن تكون الحكومة دســتورية ونظارها مســئولين وانه ــ توفيق باشا ــ اتخذ هذه القاعدة ــ مسئولية الوزارة ــ للحكومة مســلكا لا أتحول عنه فعلينا ــ الخديوى توفيق ــ تأمين شورى النواب وتوسيع قوانينها لكى تكون لها اقتدار فى تنقيح القوانين وتصحيح الموازين » .

وبادر الخديو بتخفيض مخصصات أسرته ، وغير ذلك من الخطوات التى أعادت بعض الرضا الى النفوس الثائرة القلقة !

ولكن لم يكد يصل الفرمان السلطانى فى ١٧ أغسطس ١٨٧٨ حتى أراد الخديو التخلص من شريف باشا وتولى هو ــ الخديو ــ رئاسة الوزارة فى ٢٨ أغسطس ١٨٧٨ ولكنه عاد فى ٢١ سبتمبر ١٨٧٩ فكلف رياض باشا بتشكيل

الوزارة وقد ترك رياض باشا لقنصلي انجلترا وفرنسا مهمة تصريف الأمور الهامة والخطيرة وفقا لمصالح الدول الدائنة ٠

● وكان من الأخطاء التي وقعت فيها وزارة رياض التنازل عن أرباح مصر فى قناة السويس وكان قدره ١٥٪ من مجموع الارباح وذلك مقابل ضـــئيل جدا (٢٢ مليون فرنك) وهو مبلغ كان من الممكن لمصر أن تجنيه من أرباحها في القناة ، لبضع سنوات ٠

وفى عهد رياض باشا بدأ تحرك الجيش اما بسبب تسريح عدد كبير من الضباط بدعوى عدم قدرة الدولة على مواجهه مرتبات الضباط والجنود وكان الجيش قد تعود أن يتأخر صرف المرتبـــات الشهرية لأيام أو لأسابيع وكان التحرك عنيفا وقويا ابتداء من الهجوم على قصر النيل واطلاق سراح ثلاثة من الضباط) عرابى ، على فهمى الديب ، عبد العال حلمى) كانوا قد اعتقلوا فى أول فبراير ١٨٨١ أثر تقدمهم بعريضة احتجاج على وزير الحربية رفقى باشا ومرورا باجبار الخديو على اقالة رفقى باشا الى أن بلغت الثورة أوجهـا فى ٩ سبتمبر ١٨٨١ حيث قام الجيش بمظاهرته الكبرى مطالبا ـ باسم الأمة ـ بعزل رياض باشا وتشكيل مجلس النواب وابلاغ عدد الجيش الى العدد المعـين فى الفرمانات السلطانية (١٨ ألفا) ثم كان مـــا كان من تأليف شريف باشا وزارته الثالثة ٠

الثـورة فى قمة النجـاح

● وعن أثر نجـاح عرابى وزملاؤه فى يوم عابدين قال الفريد اسكاون بلنت : استيقظت مصر فى صباح اليوم التالى لنعرف أن المسألة لم تكن مسألة عصيان فقط بل كانت ثورة أيضا وأنه قد وضع حد المحكم الاستبدادي الذى طال عليه الزمن ٠

وقد وعد الخديو أن يجمع الأعيان ويمنح الدستور وأن تحكم بلاد الفراعنه والمماليك والباشوات الترك من الآن فصاعدا على مقتضى قوانين الحق والعدل لا بواسطة الاجانب ولكن بواسطة نواب الشعب المصرى أنفسهم ٠

● وكانت الأشهر الثلاثة التى أعقبت هذه الحادثة الشهيرة من أسعد الأوقات التى مرت بمصر ، من الوجهة السياسية ، ويسرنى أنى حظيت بمشاهدتها بعينى رأسى ولو أنى كنت سمعت بها سماعا لشككت فيها وعندى أنها لم يكن لها شبيه فى الأيام التى رأيتها فى مصر ، وأخشى أن تكون مقطوعة النظير من الأيام التى يمكن أن أراها ، فجميع الاحزاب الوطنية وجميع ســكان القاهرة اتحدوا لتحقيق الفكرة الوطنية وشاركهم الخديو فى ذلك على ما ظهر يومئـذ للناس ، وكان قد سر بعد انقضاء الأزمة بنجاح دسيسته ضد رياض والمراقبة

الثنائية البغيضة وقد وثق بأن شريف لابد ان يخلصـــه عاجلا أو آجـلا من عرابى ٠

● ثم ان شريف وزملاءه من وجهاء الأتراك لم يكونوا لذلك أقل سرورا بعودة السيطرة اليهم بل ان الأتراك الرجعيين أنفســـهم قد سروا بما سموه انتصارا على أوروبا ونجا العسكريون من كابوس الخطر الذى طالما هددهم وارتاح المصلحون المدنيون للحرية التى اعتقدوا اليوم أنهم لابد حاصـــلون عليها ٠ أما الذين شكوا وأساءوا الظن لنهاية فقد اعترفوا كذلك بأن النتائج قد بررت الالتجاء بدا لهم فجأة كما يبدو الفجر بعد ليل مختنق طويل ٠

وتصاعدت من أنحاء مصر صيحة فرح وسرور لم يسمع مثلها على جوانب النيل منذ مئات السنين ٠

وقد حدث فعلا أن الناس كان يستوقف بعضهم بعضا فى شوارع مصر، ويتعانقون على غير تعارف سابق ، ويبتهجون معا لعصر الحرية المدهش الذى بدا لهم فجأة كما يبدو الفجر بعد ليل مخيف طويل ٠

وكانت الصحف قد أسرعت بنشر الانباء السارة وقد حررتها رقابة الناس أن يجتمعوا ويتكلموا بلا خوف اينما شاءوا فى الاقاليم وبلا وجل من تدخـل البوليس والجواسيس ٠

وقد سرت عدوى السرور الى كل الطبقات فالمسلمون والمسيحيون واليهود قد سروا جميعا وشاطرهم السرور جماعة الأوربيين الذين كانت لهم صـــلات وثيقة بالحياة الوطنية ٠

وقد اعترف القناصل الاجانب أنفسهم بان العصر الجديد خير من العصر القديم وان رياض قد أخطأ وان أعمال عرابى اذا لم تكن كلها سديدة فليست كلها خطأ » ٠

● بعد تأليف وزارة شريف باشا التالية وهى الوزارة التى رحب بهـــا الشعب على نحو ما جاء فى كلمات اسكاون بلنت توالت الاحداث السياسية فى مصر بسرعة غريبة على ما هو معـــروف من اســـتمرار التدخل الفرنسى والانجليزى بصفة خاصة والأوربى بصفة عامة حتى فى وضع الدستور المصرى بين مصر وبريطانيا والهزيمة الكبرى لنا فى موقعة التل الكبير ودخول الانجليز ومن اســـتقالة وزارة شريف باشـــا الى تأليف وزارة سامى البـــارودى التى ألفها بضغط من العسكريين وكان أحمد عرابى باشـــا فى تلك الوزارة وزيرا للحربية والبحرية ، وبعد استقالة تلك الوزارة ووقوع مذبحة الاســـكندرية فى ١١ يونيو ١٨٨١ وضرب الاسكندرية فى ١١ يوليو ١٨٨١ ونشوب الحرب بين مصر وبريطانيا والهزيمة الكبرى لنا فى موقعة التل الكبير ودخول الانجليز العاصمة المصرية فى ١٤ سبتمبر ١٨٨٢ وبداية عهـــد جديد من الاحتـــلال

البريطانى لمصر ، أسوأ أنواع الاحتلال الأجنبى اذا جاز القول بوجود احتلال سيء واحتلال أسوأ ٠

ولاننا أكثرنا من الحديث عن وجهات نظرنا فى كل تلك الأحداث عند الكلام عن ثورة ١٨٨١ (ثورة عـرابى) أو هوجة عـرابى كما كانوا يسمونها فاننى أستأذن فى نقل بعض وجهات نظر الأجانب وخاصة من عاصروا تلك الأحداث ووجدت لديهم معلومات دقيقة عن تلك الأحداث :

● يقول سير أوكلند كولفين ، وكان عضوا فى هيئة الادارة المدنية بالهند قبل أن ينقل الى مصر وقد حضر مظاهرة الضباط فى ٩ سبتمبر أن عرابى قد جاء الى قصر عابدين فى الفين وخمسمائة جندى وثمانية عشر مدفعا « ان الماء الهادىء لا يوجد الا فى الأعماق وهو المبـدأ المنقوش تحت صـورة (دارنج هاستنج) على جدران المجلس الاستشارى فى كلكتا بالهند ٠

وكان كولفين قد نصح الخديو بأن يسبق خصومه الى العمل ومادام رياض يزعم أن هناك آلايين مواليين له فعليه أن يستدعيهما الى ساحة عابدين مع من يمكن جمعهم من رجال البوليس المسلحين وأن يقف على رأس هذه القوة ويقبض بنفسه على عرابى فور حضوره ولكن الخديو رفض رغم تأييـد ستون باشا الأمريكى لهذا الاقتراح ٠

● يقول كولفين : ركبت عربة خلف الخديو وركب الوزراء أيضا كما ركب خمسة أو ستة ضباط مصريون فى عربة ستون باشا وذهبنا الى عابدين حيث خرج آلاى الحرس هاتفا بأحر عبارات الولاء للخديو ٠ ثم استأنفنا السير الى القلعة حيث رحب بنا الآلاى الموجود بها ترحاب آلاى عابدين ولو أننا علمنا أنه كان يبعث قبل وصولنا ببعض الاشارات الى آلاى عرابى بالعباسية مما جعل الخديو يصمم على الذهاب توا الى قشلاق العباسية ٠

وبما أن الساعة بلغت وقتئذ الثالثة والنصف بعد الظهر فقد الححت على الخديو ليعود الى القصر مستصحبا آلاى القلعة ويرأس هذه القوة بعد ضم آلاى الحرس والبوليس الحربى اليها ٠ ولكنه سار قدما الى العباسية ٠ حتى اذا بلغناها فى الرابعة مساء (وكان الوزراء قد انفصلوا عنا فى القلعة ليعودوا الى القصر) عرفنا ان عرابى سار بألايه الى عابدين ٠ فرجعنا ادراجنا الى المدينة ٠ ولما بلغنا مدخلها سلك الخديو طريقا طويلا ٠ ودخل القصر من أحـد أبوابه الخلفية ٠ حيث قفزت من العربة ورجوته عدم البقاء فى القصر والخروج توا الى الساحة ٠ فوافق على طلبى وخرجنا معا وجاء فى أثرنا خمسة من الضـباط الوطنيين وستون باشا وضابط أو اثنان من الأوربيين تفصـل بيننا وبينهم مسافة غير قليلة ٠

● وقد كانت الساحة ممتلئة بالجنود المصطفين حتى أطرافها ليذودوا عنها الجماهير . ودلف الخديو اليها فى شىء من الثبات متجها صوب جمهرة من الضباط فى وسط الساحة بعضهم راجلون والبعض الآخر راكبون . فقلت له اذا وفد عرابى عليك فاطلب منه سيفه . ومر من معه بالتفرق والانصراف ثم در حول الساحة وكلف كل آلاى على حدة بالانصراف . وهنا تقدم عرابى على صهوة جواده . فأمره الخديو بالترجل حيث ترجل وتقدم لتأدية التحية العسكرية ومن خلفه عدد من الضباط وحارس شرع حربة على بندقيته .. وفى تلك الآونة همست فى اذن الخديو قائلا « هذه لحظتك » فأجاب : « نحن بين أربع نيران » فقلت له : « تشجع » .. ولكنه مال على ضابط وطنى فى يساره ليأخذ رأيه . ثم اذا به يكرر عبارته السابقة قائلا : « ماذا يمكننى عمله . نحن بين أربع نيران ولا شك أننا مقتولون » !! .

● التفت الخديو بعد ذلك الى عرابى وطلب اليه اغماد سيفه فأغمده . وسأله الأمير عن معنى حركته . فأجاب عرابى بأن الجيش جاء الى الساحة باسم الشعب الذى يمثله . ولهذا فهو باسم الشعب المصرى يصر على تحقيق مطالب ثلاثة لن ينصرف بقواته قبل اجابتها .. وعند ذلك تحول الى الأمير قائلا : « هل سمعت ما يقول ؟ » فنصحته بالعدول عن مناقشة مثل هذه المسائل مع قائمقامات فى جيشه . واقترحت أن يرجع الى القصر ويتركنى لمعالجة الموقف . فرضخ لرأيى وبقيت أناقش عرابى وحدى محذرا من خطورة الموقف بالنسبة له ولأعوانه . وموضحا ضرورة انصراف الجند قبل فوات الوقت .. وبعد ساعة تقريبا حضر السير تشارلز كوكسن ووقف الى جانبى أثناء المناقشة .

أما مطالب عرابى الثلاثة فكانت :

أولا ــ اسقاط وزارة رياض بأكملها .

ثانيا ــ دعوة البرلمان للانعقاد .

ثالثا ــ زيادة عدة الجيش الى ١٨٠٠٠ جندى .

وبعد انتهائى من المناقشة استأنفها السير تشارلز مع عرابى والعصاة بعض الوقت . وانتهى الأمر بموافقة الخديو على عزل الوزراء بشرط تأجيل المطلبين الباقيين الى ما بعد الرجوع بشأنهما الى الباب العالى . فوافق عرابى على هذا الحل . غير أنه قامت صعوبة أخرى حول الرجل الذى ينتخب لرئاسة الوزارة . وذلك لان عرابى وأتباعه رفضوا اسما أو اسمين عرضهما الخديو عليهم . ومع هذا لم يكد يبدى الخديو استعداده لدعوة شريف باشا حتى قوبل تصريحه بالهتاف بحياته ، وسارع عرابى وزميلاه الى التماس مقابلته لتحديد ولائهم له . فأذن بالمقابلة . وانصرف الجيش عقب ذلك الى معسكراته فى هدوء .

● وكانت المفاوضات مع شريف باشا لكى يرأس الوزارة الجديدة قد تعثرت ولكنه ، ازاء تعهد النواب والعسكريين بتأكيد ولائهم للنظام ، قبل فكرة تأليف الوزارة مع شرطين تقدم بهما عرابى وهو اعادة محمود سامى البارودى الى وزارة الحربية والثانى تنفيذ القانون العسكرى المعتمد من القومسيون فى الحال وان كان قد احتفظ لنفسه بحق استبعاد أهم مادة فى القانون العسكرى وهى الخاصة بزيادة الجيش الى ١٨٠٠٠ جندى » ومما قاله سير شارلز كوكسن : كان لحادث عابدين دلالاته ونتائجه فقد دل على وجود حزبين ضد الخديو أحدهما جيش متمرد يرتعد خوفا من معاقبته ، والآخر رجال مدنيون من بقايا اسماعيل يتظاهرون بحب الدستور ويتطلعون ـ كما قال كرومر ـ الى تحقيق أهداف وطنية « مغشوشة » ولكن نظرا لأنهم يمثلون العناصر المدنية فى المجتمع فانهم يعارضون أية فكرة ترمى الى تأليف حكومة عسكرية بحتة ٠

● ولا شك ـ كرومر أيضا ـ أن اهتمام الساسة كان منصرفا الى فصل هذين الحزبين عن بعضهما والحيلولة دون اندماجهما معا لأنه اذا اعتقد الحزب الوطنى المكون من أولئك المدنيين أن آماله لن تتحقق الا بتأييد الجيش ٠٠ فان سلطة الخديو لا تتقوض وتتلاشى فقط ، بل ان كل أمل فى انشاء نظام للحكم تسود به السلطة المدنية على السلطة العسكرية لن يتحقق ومن الحكم المأثورة عن البرنس بسمارك قوله : « ان السياسة هى الحرفة التى تعلمنا كيف نساير أسلوب الزمن وكيف ننتفع من الظروف والاحوال التى لا تكون فى صالحنا ٠٠ » وقد كان أحجى بالخديو فى ذلك الظرف أن يتصرف بوحى من هذا المبدأ السياسى ، سيما وأنه يكره هذا الحزب وذاك على السواء وان مصلحة أسرته المالكة من جهة ومصلحة بلده من جهة أخرى توجبان عليه مداراة الحزب الثانى (الحزب الوطنى) ليستطيع كسر شوكة الحزب (العسكرى) على الدوام ولكنه لم يكن مع الاسف من الكفاية السياسية بحيث يدرك كيف يغتنم الفرصة حين تسنح له ٠ ويضيف كرومر الى ذلك قوله ـ وهو يتحدث عن غدر الحكام الشرقيين ودسائس القصور الحاكمة وعن العقبة التى لها ما يبررها وهى أن وراء كل اجراء حكومى مؤامرة ! وقد كان أحرى بالخديوى أن يدرك أن أقل همسة تنم عن سوء نيته تكفى للقضاء على سمعته واخلاص شعبه له وان الحذر التام هو الواجب الذى يتحتم عليه اتباعه ولو اتبع الخديو خطة تقوم على الشجاعة والصراحة مع القضاء على دسائس القصر بشدة لكان من المحتمل ان ينجح فى ازالة مخاوف الضباط ٠

● فى برقية بعث بها سير ماليت الى حكومته فى ٢٦ ديسمبر ١٨٨١ وصف فيها حركة الشعب والجيش بأنها حركة مصرية لا شبهة فيها ضد استبداد الحكم التركى ومع انها موجهة فى الاصل ضد الاتراك فانها فى

صميمها مصرية وطنية تعنى فى الوقت الحاضر بتجنب الاساءة الى الاوروبيين لحاجتها اليهم فى الصراع القائم ، بينها وبين خصومها المباشرين ورغم ذلك لا تستطيع أن تبذل ودها للاوربيين أو تتمنى شيئا غير التخلص منهم فى يوم من الأيام ٠

● ويقول كولفين بصراحة ووضوح : ليس من الحكمة عدم تشجيع حركة التحرر التى تسير قدما الآن ولعل من الحق أنها تواجه بين الأوروبيين خصوما لا يقلون عنهم من الأتراك ولكننى أعتقد أن الحركة ترجع على الأخص الى نمو الروح الوطنية وتهدف الى منفعة البلاد واذن فمن خطل السياسة ان نحطمها وبما اننى اتمنى لها النجاح يبدو لى انها يجب ان تعلم من الابتداء حدودها التى لا ينبغى تخطيها والا فان رغباتها تزداد وآمالها تتسع بحيث يؤدى العجز عن بلوغها الى هزيمة نكراء ، ويجب كذلك فى كل ما تم عمله الى الآن ـ أو الذى ينبغى عمله مستقبلا ـ أن لا يتاح للحكومة المصرية أو الاعضاء النواب نسيان أن للدولتين هيمنة مباشرة على مالية البلاد ، وأنهما مصممان على الاحتفاظ بتلك الهيمنة ٠

● ويقول كولفين أن خط السير الذى يشير باتباعه فى الظروف الدقيقة الخاصة بنظم الأحوال المدنية هو تنويه الدولتين بواسطة وكلائها السياسيين ، تنويها صريحا حازما عما يملكان من مصالح مادية فى الادارات الأوربية وعزمهما على المحافظة عليهـا ٠ مع ترك الحرية للمصريين فى اتخاذ ما يروق لهم من الاجراءات التى يديرون بها شؤون البلاد الداخلية ما دامت لا تتعـارض مع الاوضاع التى اكتسبتها الدولتان ٠

واذا كان الواقع أن ثلاثة شركاء يتقاسمون الادارة المصرية فان واجب الدولتين المحافظة على نصيبيهما فى هذه الشركة وتقويته وذلك اذا لم تكونا على استعداد لتعديل هذا النصيب ٠ سيما وان المصريين الآن فى حـالة تطـور وتبدل

لا يمكن للمصريين أن ينظروا الى المسائل بغير اهتمـام أو يسـمحوا بمناقشتها واقرارها بغير أن يدلوا برأيهم فيها ٠ فاذا لم نتفاهم معهم من الابتداء بشىء من الصراحة ٠ فان الموقف يتمخض عن كثير من سوء التفاهم الذى يزيد فى مرارة علاقاتنا بهم ٠ أكثر من تأثير البلاغ المزمع ارساله عن نوايا الدولتين ٠ وبخاصة فى هذا الوقت الذى يوشك مجلس النواب أن يجتمع فيه » ٠

● وينقل كرومر واقعة لا أدرى مدى صحتها وان كنت فى نفس الوقت لا أستبعد حدوثها : الواقعة أن ضابطا من ضباط الجيش مر على الفلاحين فى حقولهم وابلغهم بان الاطيان المملوكة لاصحاب الاراضى هى ملك حـلال لهم ٠ ويعلق كرومر على الواقعة بقوله : « فى كلمة مختصرة كانت جميع العـلامات

العادية للثورات قد تكاملت » ويقول سير كوكس : ان الاضطراب وعدم الاستقرار في المديريات دفعا الاعيان وغيرهم من ذوى الاملاك الى التحلل من التحالف الذى تسرعوا في عقده مع الحزب العسكرى والى محاولة التخلص من سيطرة هذا الحزب · وكان عرابى وزملاؤه قد حاولوا عزل الخديو واسقاط حكم اسرة محمد على وقد ايدتهم فرنسا في عزل الخديو ، ثم عادت – كعادتها وقتئذ – في التراجع عن موافقتها على عزل الخديو ·

● والذى يهمنى قبل أن أنتهى من الحديث عن تلك المرحلة الهامة من تاريخ مصر والتى كانت أساسا لما حدث في مصر بعدئذ فمأساة الديون التى اقترضها اسماعيل كانت من الأسباب التى أدت الى وقوع الاحتلال البريطانى ، الذى ظل جاثما فوق أرض مصر حتى عام ١٩٥٦ والهزيمة العسكرية المرة التى وقعت فى التل الكبير فى ١٢ ، ١٣ سبتمبر ١٨٨٢ دعت الانجليز الى تسريح الجيش المصرى والى ضرورة السيطرة على عملية اعادة بنائه من جديد ، كما أن الحياة الحزبيه التى بدأت فى السنوات الاخيرة من حكم اسماعيل والتى تمثلت فى قيام الحزب الوطنى الذى كان الجناح المدنى لثورة ١٨٨١ كانت المناخ الذى ثبتت فيه بقية الأحزاب السياسية الأخرى كحزب الأمة وحزب الاصلاح على المبادىء الدستورية : يهمنى أن أركز على رأى اللورد كرومر عميد الاحتلال البريطانى لمصر والذى ظل يحكم مصر ، بجيش الاحتلال البريطانى أكثر من عشرين عاما ؛ حكمها بالحديد والنار ، ولا شىء غير الحديد والنار : يهمنى أن أنقل عن كرومر هذا رأيه فى الثورة العرابية كخصم عنيد لتلك الثورة :

● يقول كرومر : لا شك أن عرابى – كتابع للخديو – كان مذنبا بتهمة التمرد ، فلو أنه حوكم بعد القبض عليه أمام محكمة عسكرية ثم أعدم فورا لما جانب هذا العمل أصول العدالة ، ولكن عرابى كان من الناحية الأخرى بطلا فى أذهان طائفة من الانجليز بينما من الوجهة السياسية المحضة كثر البحث والتساؤل عما اذا كان من الحكمة أن يتسبب اعدامه فى رفعه الى مرتبة الأبطال الشهداء وفوق هذا ليس من السهل تفصيل حدود الثورة المشروعة بعقلية الجماهير وبيان أين نبدأ وأين تنتهى : أى تحديد المرحلة التى ينتقل فيها معسكر للسلام وعدو للمجتمع ، الى مرتبة القائد الذى يتزعم حركة سياسية نشأت لبلوغ أهداف سياسية وتستحق العطف عليها الى حد ما على الأقل : ان ما اصطلح الناس عليه من مبدأ النجاح يصلح للبت فى هذا السؤال فمن المعلوم أنه يصعب تبرير الثورة الفاشلة · أو اعفاء الذين أثاروها من تحمل النتائج المترتبة على تصرفاتهم وحتى من وجهة النظر هذه لم يكن من السهل البت فى مصير عرابى ·

فلو أن هذا الثائر ترك وشأنه فى ثورته لما كان هناك أدنى شك فى انتصاره ولكن بما أن خذلانه يرجع الى التدخل البريطانى ، فمن الحق المطلق

لبريطانيا أن تقرر هي مصيره • ولم يكن من الممكن الارتياب في نوع ذلك القرار • فالرأى العام البريطاني لم يوافق على اعدام المسجونين في جرائم سياسية ، ومن الطبيعي أن تسايره الحكومة الى نهاية من هذا النوع •• وتأييدا لهذا كتب لورد جرانفيل وزير الخارجية يقول :

(ان حكومة جلالة الملكة طلبت الى الخديو أن يعـالج الأمر بطريقة أكثر انسانية وتمشيا مع قواعد المدنية الحديثة • وأن يباشر حقه السامى فى استعمال الرأفة اذا تبين أن عرابى لايمكن أن يتهم بجرائم أخرى غير الخيانة والثورة) •

على أنه كان مشكوكا فيه من الابتداء امكان تطبيق أى جرم من الجرائم التى تستحق أقصى عقوبة فى شرعة الشعوب المتمدنة على عرابى وكان من المحقق أيضا عدم مناسبة اطالة الاجراءات • وبقاء البلاد فى حالة غليان • ومن هنا كان أفضل ما تنتهى الحكومة البريطانية اليه هو تقرير نفى عرابى وأعوانه الرئيسيين فى الحال •

ولكن من الأسف أن هذا لم يحدث ، وأن الأمر العجيب الذى حدث هو أن مصير المسجونين لم يوكل الى الحكومة القوية التى دحرت الثورة • وانما وكل الى الحكومة الضعيفة التى أثبتت عجزها عن قهرها !!

لقد سلمت الحكومة البريطانية عرابى وزملاءه المعتقلين الى الخديو وربما كانت هناك ندحة ولو قليلة تبرر هذا المسلك • لو أن تسليمهم للخديو كان حقيقيا ـ أو كانت الحكومة البريطانية باعتبار تقرير جلاء جنودها عاجلا • قد وقفت بعيدة • بينما الحزب التركى يمعن ـ تحت حماية الحراب البريطانية ـ فى الانتقام من العرابيين واشاعة الهلع فى قلوب من تحدثهم نفوســـهم على الثورة مستقبلا •

ولكن كلا الأمرين كان غير مرغوب فيه ومستحيلا حصوله • ولذلك كان تسليم المسجونين غير حقيقى فى الواقع • وكان على الخديو أن يتظاهر بالنظر فى أمر عرابى على أن لايخطو خطوة واحدة بغير موافقة الحكومة البريطانية •

وأكثر من ذلك أنه عندما ألفت الحكومة المصرية محكمة لمحاكمـــة عرابى استقر الرأى بلا شك وبحق أيضا على أن تكون المحاكمة وهمية • ومن هنـــا نشأت عند الحكومة المصرية فكرة انتقامية غير منتظرة • شرعت بهـــا فى خلق أشياء تزيد فى الظروف التى تسوغ اعدام عرابى • فى حين أصرت الحـكومة البريطانية على أن تكون المحاكمة علنية عادلة يتمثل فيها مستشار أوربى يدافع عن المسجونين •

ولقد اضطرت الحكومة المصرية الى الخضــوع • وتلا ذلك اقرار شروط المحاكمة بعد مناقشات طويلة • وفى ٧ نوفمبر وصل لورد دوفرين الذى أوفد

لمصر فى مهمة خاصة الى القاهرة فاستشف لأول وهلة ان الضرورة تقضى بانهاء الاجراءات الخاصة بعرابى وتأكد من التحقيق الابتدائى انه لايمكن اتهام عرابى الا بتهمة الثورة وقد وضع دوفرين الترتيب الآتى ، يعترف عرابى بأنه مذنب لثورته على الخديو : تحكم المحكمة عليه بالاعدام ، يعدل الحكم الى النفى الى سيلان ، وقد استقال رياض باشا احتجاجا على نجاة عرابى من عقوبة الاعدام ، وكان رياض باشا يرى ان اعدام عرابى ليس مجرد اجـراء عادل بـل ضرورة تحتمها مصلحة الدولة ٠

وقد حمل الأوربيون والباشوات على ليونة المحاكمة ، بينما من الناحية الأخرى استقبلت الجماهير تعديل الحكم بالاستحسان ٠

نهاية مؤلمة للثورة العرابية

● كانت بعض قيادات الحزب الوطنى ـ الجناح المدنى لثورة ١٨٨١ ـ ثورة عرابى ـ قد اختلفت مع الحزب العسكرى الذى كان قد انفرد بالسـلطة فى منتصف ١٨٨٢ ، وكان ذلك الاختلاف من أهم الأسباب التى أدت الى هزيمة تلك الثورة ، ولو قيض للوئام بين الحزبين العسكرى ، والوطنى أن يستمر لما نجحت بريطانيا ومن خلفها الخديو توفيق باشا فى الحاق الهزيمة بالثورة ، كان من الممكن ـ مثلا ـ ان تنهزم الثورة فى معارك القتال لأنها تقاتل الامبراطورية البريطانية بجيوشها البرية وأساطيلهـا البحرية ، التى تخيف وقتئذ الدول الكبرى ، ولكن كان لابد من أن تبقى ارادة الأمة ، حتى بعد هزيمة الثورة موحدة٠

وكان سـلطان باشا ، رئيس مجلس النـواب ، والمتزعم الجنـاح المدنى للثورة قد نكص على عقبيه فمن تأييد للثورة فى البداية ، الى مجاهرة بالعداء لها فى النهاية ، وكان سلطان باشا ـ أداة قوى البغى والطغيان ـ قد تحالف مع الخديو ، وكان السلطان ـ ألعوبة الدول الكبرى والصغرى وقتئذ ـ قد تنكر بدوره لأحمد عرابى بعد أن منحه الوسام المجيدى ، وبعد أن علق عليه الآمال الكبيرة فى التخلص من الأسرة الخديوية التى خرجت ـ الى حد ما ـ على طاعته ، لجبنه وضعفه وارتمت فى أحضان القوة الكبرى الناشئة « بريطانيا العظمى » ، ووجد عرابى نفسه وحيدا : فرنسا ، وانجلترا وتركيا والخديو وبعض قيادات الحزب الوطنى ضده الى جانب فرسان الملك جورج التى لعبت أخطر الأدوار فى القضاء على ثورته ، وأعنى بها الرشاوى ، التى لجأت اليها بريطانيا لاستمالة بعض الناس ، وبعض القبائل ، وكم كان محزنا بالنسبة لهـؤلاء الخونة أنهم وجدوا صفائح الذهب ، التى أعطتها بريطانيا لهم ـ ليقفوا الى جانبها ضـد الثورة ـ مغشوشة ، سطحها فقط هو الذى وضعت فيه جنيهات ذهبية أما الجزء

الأكبر من تلك الصفائح ، فقد كان مملوءا بالحديد الخردة ، وهذا جزاء كل من يخون بلده ، وشعبه : استسلمت الثورة ، ودفع الألوف من أبنائها الثمن ، وجيء الى مصر ، بداهية من أكبر دهاة الاستعمار ، ودهاقنته ليسيطر على مصر ، وأعطى كل الصلاحيات ليفعل في مصر ، وبمصر ، ما يشاء دون رقيب أو شريك ٠

● ونجح كرومر في ان يفرض بقوة السلاح سيطرته على مصر ، وأجرى التغييرات ، والتبديلات في مرافق البلاد كما أراد حتى باع السفن الحربية : والمصانع المدنية والحربية بتراب الفلوس ، وحتى ألغى أو كاد يلغى تدريس اللغة العربية في المدارس ، مستبدلا اياها باللغة الانجليزية ، وكانت الكتب الانجليزية التي تدرس للتلاميذ والطلاب في المدارس مليئة بالشتائم ، والاتهامات ، ضد الاسلام والمسلمين ، والعرب والعروبة ٠

● ولكن كل ذلك الذي قام به كرومر لم يصل الى جوهر الشعب ، لم ينجح في النيل من صلابة المصريين : لم يستطع أن يغير ذلك المعدن الشعبي النفيس الى صفيح ، ولئن كان الشعب المصري قد هزم في ثورة ١٨٨١ ودخلت القوات الغازية عاصمته ، ولئن كان حيل بين المصريين وبين انشاء جيش قوى ، ولئن طرد وعذب كل من كانت له انتماءات أية انتماءات الى الثورة ، و ٠ و٠ الا أن جوهر الشعب ظل نقيا ، فما أن ولى الحكم والى متفتح يتميز بالشباب والرغبة في خدمة الشعب ، اما لأنه أو لأن مستشاريه رأوا في ذلك مصلحته ، واما لأنه كان في بداية حياته ، راغبا رغبة أكيدة في خدمة بلده ٠٠٠ ما أن وضعت السلطة الشرعية الاسميه في يد هذا الشاب ـ عباس حلمي الثاني ـ حتى بدأت الوطنية المصرية تظهر من تحت السطح ، وحتى راحت القوى المصرية الوطنية المنظمة في الحزب الوطني ، تلتف حول الخديو وتحاول تأييده في كل ما اتخذه من خطوات ايجابية لصالح مصر والمصريين ، ثم جاء مصطفى كامل الزعيم الملهم ، ليبعث الحزب الوطني من جديد وليقود البعث المصري ، الوطني ، القومي ، من جديد أيضا ٠

وقد كانت الأوضاع في نهايات القرن التاسع وبدايات القرن العشرين مختلفة ومتشابكة ، ومعقدة أيضا ٠

ولذلك لم ينجح بعض الكتاب الذين كتبوا عن تلك المرحلة في ، أن يتعمقوا في تفهم تلك الأوضاع ، تفهما حقيقيا ، حتى تجيء آراؤهم صائبة ، وتجيء كتاباتهم منصفة ٠

● كانت بريطانيا العظمى في تلك الفترة قوة كبرى ناشئة ، تتميز بالحيوية والانطلاق وكانت قد حققت انتصارات كبيرة في آسيا وأفريقيا وأوربا ، وكانت قد أقامت بعض التحالفات مع القوى الجديدة الناشئة كألمانيا وهولندا ،

وكانت قد سيطرت سيطرة تامة على مساحات شاسعة من الأراضي في الهند ، واستراليا وافريقية مكنتها من أن تتزعم الدول الأوروبية عامة ، وكان انتصارها في مصر ـ ١٤ سبتمبر ١٨٨٢ ـ ساحقا للغاية ٠ وكانت قد نجحت في تكميم أفواه الشعب المصري وفي أن تستولى على كل خيراته وفي أن تتحكم الى حين في كل مقدراته ، وكانت فرنسا ـ شريكتها في التآمر على مصر ـ قد خرجت من الحرب السبعينية مضعضعة ، منخنة الجراح ، وكان شعورها بالنسبة لبريطانيا مملوءا بالعداء ، ذلك أن فرنسا هي التي كانت قد بدأت تتجه الى استعمار مصر ، وفرنسا هي التي تحملت في البداية عبء مشروع قناة السويس من ناحية بحث الفكرة وتنفيذها في المرحلة الأولى ، وكانت بريطانيا معارضة لذلك المشروع ، حتى أنها لم تكتتب بسهم واحد في شركة القناة ٠

● وكان الدائنون الفرنسيون بمصر يمثلون في البداية قوة ضغط خطيرة على مصر ، وقد اتفقت فرنسا وانجلترا على السير معا خطوة ، خطوة ، ويدا ؛ بيد ، للتدخل في شئون مصر ، ووضعها تحت السيطرة الفرنسية البريطانية : كانت ـ مثلا ـ المراقبة الثنائية ، من ممثلي ، انجلترا ، وفرنسا ، في الوزارة الأوروبية كان وزيران أحدهما فرنسي بلنيير والآخر انجليزي هو ويلسون ، وكان الضغط على الخليفة العثماني من أجل تنفيذ بعض الخطوات التي تريدها بريطانيا وفرنسا ، كان دائما ضغطا فرنسيا بريطانيا : بريطانيا وفرنسا اصرتا على عزل الخديو اسماعيل باشا وضغطتا على السلطان لاصدار فرمان بذلك ٠

● فرنسا وانجلترا كانتا وراء اختيار ولي العهد توفيق باشا ليكون « خديويا » لمصر ، وقد ضغطتا على السلطان للموافقة على هذا الاختيار فلما تأخر الفرمان الخاص بتولية توفيق باشا حكم مصر من قبل السلطان قامت فرنسا وبريطانيا بالضغط على السلطان لاصدار الفرمان ، وكانت فرنسا وراء العهود التي قطعها دلسبس لعرابي ، بأن يحمي القناة من دخول القوات البريطانية الغازية لمصر ، كما كانت أيضا فرنسا وراء اذن دلسبس للقوات البريطانية بالدخول الى الاسماعيلية ومنها الى الوادي والتل الكبير ولكن فرنسا أحست ـ ولها الحق ـ بأنها خرجت من العملية كلها بصفقة المغبون : انجلترا أكلت كل شيء ولم يبق لفرنسا ، الا الفتات ، بل ان هذا الفتات أبت انجلترا الا أن تقاسمها فيه ، ولذلك راحت فرنسا تحقد على انجلترا وتحاول أن ترد لها الصاع صاعين فبدأت تثير الخديو الجديد (عباس حلمي الثاني) ضد التدخل البريطاني ، وراحت تدس له في قصره العناصر التي تدفعه الى الثورة على كرومر ، وكذلك بدأت تحتضن حركة مصطفى كامل التي قامت في الأصل لمحاربة الاحتلال البريطاني ، الذي تنظر فرنسا نحوه نظرة حقد وكراهية لمصالحها الخاصة ، بطبيعة الحال ٠

● وكان هناك السلطان ، رجل أوروبا المريض ، الأسد الرابض على ضفاف البوسفور والذى لم يعد يملك الا سلطات أدبية على امبراطوريته الواسعة الأرجاء التى بدأت تمرض وتشيخ ، وكانت مصر لا تزال حتى بعد احتلال القوات البريطانية أراضيها جزءا من دولة الخلافة ، السلطان هو الذى يعين والى مصر .

● مصر تدفع الجزية للسلطان .. السيادة التركية على مصر اسمية ظاهرة وواضحة لا يمكن محاربتها ، لأنها من ناحية لا ضرر منها بالمقارنة الى العدو الجاثم فوق صدور البلاد ، وهو الاحتلال البريطانى ثم انها متعلقة بالخلافة الاسلامية ، وللخلافة الاسلامية وقتئذ - رغم عدم وجود قوة مادية لها - تتمتع بنفوذ أدبى ضخم فى جميع أنحاء العالم الاسلامى : الرباط بين مصر وتركيا رباط قوى ولكن الكلمة فى مصر ، ليست لتركيا ، ولا لمصر ، وانما للاحتلال البريطانى : حتى الخديو لم يكن يستطيع أن ينعم على رعاياه بالألقاب : بك ، باشا . وكان يقترح على السلطان والسلطان هو الذى يصدر الفرمانات الشاهانية الخاصة ببراءات تلك الألقاب .

● وكان الدعاء للسلطان على منابر المساجد كلها ولا يمكن أبدا لأى امام أن يخطب الجمعة ، دون أن يدعو للسلطان ، حتى بعد أن أعلنت الحماية على مصر ، وراحت بريطانيا تقطع ذلك الرباط الذى بين مصر وتركيا لم تنجح فى أن تقطع الدعاء على المساجد وانما غيرته من الدعاء له بالنصر ، الى الادعاء له بالتوفيق ، والى جانب بريطانيا وفرنسا ، وتركيا ، كان يوجد خديوى شاب ، بدأ بداية طيبة وخطا خطوات هامة نحو معارضة الاحتلال ، ويوجد حزب وطنى يقوده شاب ملهم لا هم له الا تحرير بلاده .

● وقد أخطأ بعض الكتاب فى تصورهم للعلاقة التى قامت بين الخديو ومصطفى كامل ، والعلاقة التى قامت بين الحركة الوطنية المصرية وبين تركيا ، والعلاقة التى قامت بين الحركة الوطنية المصرية ، وبين فرنسا .

ولو أنصف هؤلاء لأعادوا كل شىء الى أصوله ، ولنظروا الى كل تلك العلاقات نظرة موضوعية : عندما يقوى مصطفى كامل علاقته بتركيا - دولة الخلافة الاسلامية - لايكون مصطفى كامل تابعا لتركيا وانما هو - مصطفى كامل - كقائد لحركة وطنية لا يريد أن يغضب دولة لها سيادتها الاسمية على مصر ، ثم هو لا يريد أن يغضب الجماهير المصرية ، المنضوية تحت لوائه ، والتى ترى فى الخلافة العثمانية ، رمزا يجب الالتفاف حوله .

● وعندما تتقرب فرنسا الى مصطفى كامل ، أو يتقرب مصطفى كامل الى فرنسا فليس فى ذلك الا السياسة الحكيمة من الجانبين : مصطفى كامل ضد

الاحتلال البريطانى ، وفرنسا ضد الاحتلال البريطانى ، وعدو عدوى صديقى ، ثم ان هذه العلاقة ليست علاقة تبعية بدليل أنها تغيرت عام ١٩٠٤ بعــد أن غيرت فرنسا توجهاتها السياسية ورأت مصلحتها فى الاتفاق الودى مع انجلترا تطلق بريطانيا يد فرنسا فى الجزائر ، وتونس ومراكش ، وتطلق فرنسا يد انجلترا فى مصر والسودان . وكذلك كان الأمر مع الخديو : الخديو يقف الى جانب الحركة الوطنية ويناصرها ويعادى الاحتلال البريطانى ، اذن لابد من أن تقف الحركة الوطنية بقيادة مصطفى كامل الى جانبه ، الى أن يغير موقفه فتتقارب مع الاحتلال البريطانى ويتفق واياه على اقتسام السلطة ، أو اقتسام المنافع فتخرج الحركة الوطنية على الخديو (الحاكم الشرعى) .

● الخديو يرى فى الحركة الوطنية قوة ضخمة هو فى أمس الحاجة اليها للانتصار فى معركته ضد كرومر : انه يدعم الحركة الوطنية يقــويها ، يمدها بالمال والنفوذ ، و . و . وهو الحاكم الشرعى للبلاد ، ليس أجنبيا وليس معاديا للتوجهات الوطنية ، ولكن عندما يعمل الخديو على تفتيت الحركة الوطنية وخلق أحزاب جديدة تتصارع وتتقــاتل ، لابد من الخروج على الخديو ، ومناصبته العداء ، وليس فى ذلك ما تؤاخذ عليه الحركة الوطنية المصرية بل انه ليحسب لها أنها يقظة : تســتفيد من كل الظروف وكل الأشــخاص ، مادامت تلك الاستفادة لا تغير لها مبدأ ، ولا تفرض عليها أية التزامات تعوق حركتها .

بداية ثورة صحفية شعبية

● ولكى تتضح الصورة تماما لابد أن نشير الى صحافتنا فى تلك الفترة ولو من قبيل التسجيل : كانت « الحوادث اليومية » ـ كما يقول طانيوس عبده ـ بكر الصحف العربية فى العــالم أجمع اصــدرها الجنرال بونابرت فى القطر المصرى ١٧٩٩ ، وعهد بتحريرها باللغة العربية الى اسماعيل بن سعد الخشاب وعاشت ثلاث سنين اختفت حين رجع نابليون بونابرت الى فرنسا من مصر ، سنة ١٨٠١ .

ثم تلتها « الوقائع » فى ٢٠ نوفمبر ١٨٢٨ التى أصــدرها محمد على باشا الكبير لنشر اعلانات وأوامر الحكومة الرسمية بعناية الدكتور كلوت بك وقد فوض ادارتها وتحريرها الى رفاعة بك بن رافع الطهطاوى .

وفى ١٨٦٣ صدرت : موسوعة الطب لصاحبها محمد على باشا البقلى رئيس الأطباء بمصر وساعده بتحريرها ابراهيم الدسوقى وهى أول مجلة صــدرت باللسان العربى فى القطر المصرى وكان شعارها : يخرج من بطونهــا شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس .. ثم صدرت فى ١٨٦٦ صحيفة وادى النيــل (سياسية علمية أدبية) لعبد الله أبو السعود .

ثم نزهة الأفكار (سياسية أسبوعيه) صدرت بالقاهرة ١٨٦٩ لصاحبها ابراهيم المويلحى بك ومحمد بك عثمـــان جلال ، ولم يظهر من هذه الجريدة غير عددين واحتجبت ·

وفى ١٧ ابريل ١٨٧٠ صدرت « روضة المدارس » المصرية لصاحبها على فهمى بك نجل رفاعة بك الطهطاوى ·

وفى ١٨٧١ صدرت « النحلة الحرة » لصاحبها القس لويس صابونجى ·

وصـــدرت جريدة أركان حرب الجيش المصرى وكان يحررها نورى بك قائمقــام ·

وفى ٣١ ديسمبر ١٨٧٥ صدرت الأهرام ــ بالاسكندرية لصاحبيها سليم وبشارة تقلا ، ثم أصبحت يومية تصدر من القاهرة ·

وفى ١٨٧٧ أصدر الشيخ يعقوب صنوع « أبو نظارة زرقاء » صدرت فى القاهرة ثم غضب على يعقوب الخديو اسماعيل فنفاه الى الخارج وفى باريس أصـدر هنـاك يعقوب صنوع الجريدة وصـــدرت « مصر » لسـليم نقاش وأديب اسحاق ، كما صدرت « الوطن » لميخائيل عبد السيد وهى أول جريدة قبطية فى مصر ·

وفى ١٨٧٨ صـــدرت « القاهرة الحرة » لسـليم فارس الشـــدياق « والبوسفور » باللغتين العربية والفرنسية لصاحبها بول جيرو ·

ثم أصدر أديب اسحاق وسليم نقاش « التجارة » فى ١٨٧٩ ، وأصدر سليم نقاش ــ فى ١٨٨٠ ــ المحروسة ·

وفى عام ١٨٨١ أصدر أحمد بك حمدى « المنتخب » كما أصــدر أديب اسحق « مصر » وصدرت جرائد الثورة العرابية : « التبكيت والتنكيت والتواد وتوفيق ، والحجاز التى سماها عرابى « لسان الأمة » وكان صاحب معظم هذه الجرائد عبد الله نديم ·

● وأصـــدر حمزة فتح الله ــ بالاسـكندرية ــ (١٨٨٢) البرهان والاعتدال كما أصدر عبد الله نديم اللطائف وأصدر حسن الشمسى « السفير » ·

ولم تصدر جرائد جديدة فى ١٨٨٣ ·

وفى عام ١٨٨٤ صدرت الزمان لصاحبها الكسان صرفيان ·

وفى عام ١٨٨٥ أصدر الشيخ محمد بيرم (الاعلام) وأصدر يعقوب صروف وفارس نمر ، وشاهين مكاريوس (المقتطف) أقدم مجلة علمية فى مصر ·

وفى ١٨٨٦ صدرت « الشفاء » للدكتور شبلى شميل .

وفى ١٨٨٧ صدرت « الأحكام » لنقولا توما المحامى . « والصحة » لحسن بك رفقى (تفتيش الصحة العمومية ، وابراهيم بك مصطفى بالمدرسة الطبيــة) .

وفى ١٨٨٨ صدرت الراوى ــ فكاهية ــ لخليل زينة والمنارة لسليم الخورى .

وفى ١٨٨٩ أصدر صروف ومكاريوس « المقطم » وكان صدورها فى شهر فبراير ــ وأصدر ــ فى سبتمبر ــ الشيخ على يوسف « المؤيد » كما صدرت « الآداب » لمحمد مسعود وأصدر فى ١٨٩٠ يوسف آصاف المحامى (المحاكم) .

وفى ١٨٩١ أصدر جمال الصويح « الاعلان » لخدمة التجارة والصناعة « والفرائد » لجرجس زكى وفوزى حنا .

وفى ١٨٩٢ أصدر جورجى زيدان مجلة « الهلال » و « الاستاذ » لعبد الله نديم وأخيه عبد الفتاح نديم .

و « الفتاة » وهى أول مجلة نسائية للسيدة هند نوفل وقد صدرت فى ٢٠ نوفمبر ١٨٩٢

وفى ١٨٩٣ أصدر أحمد عبد اللطيف « النديم » و « المهندس » لأحمد كامل المهندس و « المدرسة » لصاحبها مصطفى كامل .

(وفى ١٨٩٤ صدرت « الفيوم » لصاحبها ابراهيم رمزى و « الأهالى » عن الجمعية الأهلية وصاحب امتيازها رئيس الجمعية اسماعيل أباظة (بك) و « المشير » لسليم سركيس . وأصدر فى عام ١٨٨٥ ابراهيم المويلحى بك « مصباح الشرق » و « سوق العصر » وهى جريدة هزلية .

وفى ١٨٩٦ أصدر محمد توفيق وبطرس المصرى مجلة « حمارة منيتى » و « الصاعقة » لأحمد فؤاد و « الحماية » لشاكر أباظة ومحمد توفيق الأزهرى « والكرباج والعفريت » لصاحبها عبد الله القدس و « العمدة » لحسن بك يونس عمدة منفلوط .

وفى ٣١ يناير ١٨٩٨ صدرت « أنيس الجليس » لصاحبتها البرنسيس السكندر فيرينوه .

(وفى عام ١٩٠٠ صدرت مجلة « التمثيل » لمحمد أمين ، وبيومى ابراهيم ، ومجلة المجلات لمحمود حسيب ، « اللواء » لمصطفى كامل « والهوانم » ــ مجلة نسائية ــ لهنرى برى وأحمد حلمى ، والمرأة فى الاسلام لابراهيم بك رمزى نظيم .

وفى ١٩٠٢ ظهرت « ظريفة المعانى » وكتب فى أول صفحة منها « مجلة هبلة لابسة لها سبله تشوق الناس لها احساس تنبع أثر كل حرة » ، والخلاعة لراغب حسن والمودة «نسائية» لابراهيم رمزى وعزت حلمى . والزمار لشاهين الخازن وسليم العازار ٠

وفى ١٩٠٦ صدرت فتـــاة الشرق (١٥ أكتـوبر) للسيدة لبيبة هاشم

وفى ١٩٠٧ صدرت (٩ مارس) « الجريدة » شعارها : من حقق النظر وراض نفسه على السكون إلى الحقائق وان آلمتها فى أول صدمة كان اغتبـاطه بذم الناس اياه أكثر من اغتباطه بمدحهم اياه : ابن حزم ٠

ورأس تحرير الجريدة أحمد لطفى السيد وكانت المجلة لسان حال حزب الأمة ٠

كما صدرت خيال الظل لأحمـد حافظ عوض ، وفى ١٩٠٨ صـــدرت السياسة الأسبوعية (بالألوان) لصاحبها عبد الحميد زكى ٠

وفى يوم السبت ٢ مايو (١٩٠٨) بالاسكندرية ظهرت جريدة وادى النيل لمحمد الكلزة ، كما صدرت مجلة الجنس اللطيف لصاحبتها ملكة مسعد . كما صدرت البعبع لرضوان فريد ٠

والبلاغ المصرى لاسماعيل بك شيمى ٠

وفى ١٩١٥ صدرت اللطائف المصورة (١٥ فبراير) لصاحبها اسكندر مكاريوس والسفور لعبد الحميد حمدى ٠

والجدير بالذكر انه فى عام ١٩١٨ صدرت جريدة فلسطين أصـــدرها الجيش البريطانى باسم أخبار فلسطين وكانت تصدر كل يوم خميس فى سينا وتوزع مجانا فى مصر وفلسطين ٠ كما صدرت صحيفة « الهوانم » لعبد الحميد سالم ، ولم يصدر منها سوى عدد واحد ثم اختفت ٠

وفى أيام الثورة ــ ثورة ١٩١٩ ــ صدرت صحيفة باسم « الوفد المصرى » كانت توزع سرا ومصدرها غير معروف وذلك بعد اندلاع نار الثورة ٠

وفى ١٩٢٠ صدرت جريدة الأخبار (٢٢ فبراير) عن شركة الصحافة الوطنية برئاسة فؤاد بك سـلطان يحـررها أمين الرافعى ، وكان مؤسسهـا يوسف الخازن ٠

وقد ظهرت صحيفة باسم اسرائيـل (أول ابريل) للدكتـور البرت موصيرى ، وروضـة البلابل ــ أول مجلة موسيقية ــ والمرأة المصرية لبلسم عبد الملك ٠

وفى ١٩٢١ صدرت الاستقلال (١٥ مايو) لسان حال الحزب الديمقراطى ولم تصدر منها غير بضعة أعداد كما صدر الكشكول المصور لسليمان فوزى ٠

وفى ١٩٢٣ (أول يناير) صدرت البلاغ لعبد القادر حمزة أفندى والصور المتحركة (أول مجلة سينما فوتغرافية) (١٠ مايو) لمديرها محمد توفيق ثم مجلة ترقية الفتاة لنبوية موسى (٥ يونيو) الخ ، الخ ٠

وكانت للشعر الوطنى دولة وصولة

● وكان للشعر الوطنى دوره الرئيسى فى الثورة العرابية وفى الحركة الوطنية التى قادها مصطفى كامل ومحمد فريد ثم كان له دوره الأقل تأثيرا فى ثورة ١٩١٩ وفى أعقاب ثورة ١٩١٩ وحتى عام ١٩٣٠ حيث عادت للشعر دولته وصولته ٠

ورافع لواء الشعر الوطنى ـ بلا جدال ـ هو محمود سامى البارودى باشا أحد أقطاب الثورة العرابية ٠

وقد نفى مع من نفى من زعماء الثورة العرابية الى سيلان أو سرنديب كما كانوا يسمونها وقتئذ (سيرى لانكا الآن) ٠

وصف البارودى الفساد فى أيام اسماعيل باشا فقال :

قامت به من رجال السوء طائفة ... أوهى على النفس من بؤس على ثكل
من كل وغد يكاد الدست يدفعه ... بغضا ويلفظه الديوان من ملل
ذلت بهم مصر بعد العز واضطربت ... قواعد الملك حتى ظل فى خلل

● وقال فى بعض المعارك التى خاضها كجندى مقاتل :

ولما تداعى القوم واشتبك القنا ... ودارت كما تهوى على قطبها الحرب
وزين للناس الفرار من الردى ... وماجت صدور الخيل والتهب الضرب
صبرت لها حتى تجلت سماؤها ... وانى صبور ان ألم بى الخطب

● ووصف نفسه وهو فى السجن قائلا :

شفنى وجدى وأبلانى السهر ... وتغشتنى سمادير الكدر
فسواد الليل ما أن ينقضى ... وبياض الصبح ما أن ينتظر
لا أنيس يسمع الشكوى ولا ... خبر يأتى ولا طيف يمر
بين حيطان وباب موصد ... كلما حركة السجان صر

الى أن يقـــول :

كلمــــا درت لأقضى حـــاجة | قالت الظلمة مهــلا لا تــدر
ظلمـــة ما ان بهـــا من كوكب | غير أنفــــاس ترامى بالشرر

● وفى المنفى قال البـارودى « أجمـــل » و « أحلى » و « وأقسى » و « أعنف » شعره :

قال مثـــلا :

أبيت حزينـا فى سرنديب ســـاهرا | طـوال الليـالى والخليـون هجـد
اذا خطرت من نحو حلوان نســـمة | نزت بين قلبى شـعلة تتـوقد
شـــباب واخـوان رزئت ودادهم | وكل امرىء فى الدهر يشقى ويسعد

وقال ولعله من أجود شعره

ولما وقفنـــا للـوداع وأســبلت | مدامعنـــا فوق الـترائب كالمزن
أهبت بصـــبرى أن يعود فعزنى | وناديت حلمى أن يثوب فلم يغن
وما كنت جربت النـــوى قبل هـذه | فلما دهتنى كدت أقضى من الحزن

● ويرثى زوجته قائلا :

يا دهـــر فيـم فجعتنى بحليلة | كانت خلاصـــة عـدتى وعتـادى
ان كنت لم ترحم ضناى لبعدها | أفــلا رحمت من الأسى أولادى
ألا عللانى بالتعـــازى وأقنعـــا | فـــؤادى أن يرضى بهن تعـــازيا
والا أعينـانى عـلى النـوح والبكا | فشـــأنكما شـــأنى وما بكما بيـــا

● وقال اسماعيل صبرى باشا عندما سقطت وزارة مصطفى فهمى باشا (نوفمبر ١٩٠٨) .

عجبت لهم قالوا سقطت ومن يكن | مكانك يأمن من ســـقوط ويسلم
فأنت امرؤ ألصقت نفسك بالثرى | وحرمت خوف الذل ما لم يحرم
فلو أسقطوا من جيث أنت زجاجة | على الصخر لم نصدع ولم تتحطم

● ومن « شوقيات » أحمد شوقي في وداع كرومر (١٩٠٧) .

أيامكم أم عهد اسماعيلا ... أم أنت فرعون يسوس النيلا
أم حاكم في أرض مصر بأمره ... لا سائلا أبدا ولا مسئولا
يا مالكا رق الرقاب ببأسه ... هلا اتخذت الى القلوب سبيلا
لما رحلت عن البلاد تشهدت ... فكأنك الداء العياء رحيلا

● وقال شوقي بعد مرور عام من مأساة دنشواي :

يا دنشواي على رباك سلام ... ذهبت بأنس ربوعك الأيام
شهداء حكمك في البلاد تفرقوا ... هيهات للشمل الشتيت نظام
مرت عليهم في اللحود أهلة ... ومضى عليهم في القيود العام
كيف الأرامل فيك بعد رجالها ... وبأي حال أصبح الأيتام ؟

● ومن رثائه ـ أحمد شوقي ـ في مصطفى كامل :

يتساءلون أبالسلال قضيت أم ... بالقلب أم هل مت بالسرطان
الله يشهد أن موتك بالحجا ... والجد والأقدام والعرفان
ان كان للأوطان ركن قائم ... في هذه الدنيا فأنت الباني
بالله فتش عن فؤادك في الثرى ... هل فيه آمال وفيه أماني
وجدانك الحي المقيم على المدى ... ولرب حي ميت الوجدان
فلو أن أوطانا تصور هيكلا ... دفنوك بين جوانح الأوطان
أو كان للذكر الحكيم بقية ... لم تأت بعد رثيت في القرآن

● ومن أروع ما قال شوقي بعد عودته من منفاه (١٩٢٠) :

ويا وطني لقيتك بعد يأس ... كأني قد لقيت بك الشبابا
ولو أني دعيت لكنت ديني ... عليه أقابل الحتم المجابا
أدير اليك قبل البيت وجهي ... اذا فهت الشهادة والمتابا

● ومن قول شوقي في وحدة السودان ومصر :

فمصر الرياض وسودانها ... عيون الرياض وخلجانها
وما هو ماء ولكنه ، ... وريد الحياة وشريانها

تتسمم مصر ينابيعه … كما سم العين انسانها
وأهلوه مذ جرى عذبه … عشيرة مصر وجيرانها

● وقال أحمد شوقى فى رثاء عبد اللطيف الصوفانى قطب الحزب الوطنى يصف أبناء الحزب الوطنى ورجاله ، القدامى وعلى رأسهم مصطفى كامل شهيد الوطنية المصرية ٠

فتاهم بالشباب ضحى … ما أعظم الذبح والفداء
ومات أبطالهم جياعا … فى غير أوطانهم ظماء
لو أرادوا متاع دنيا … لأدركوا الحكم والثراء

الى أن يقول مخاطبا أبنا الحزب الوطنى :

شرعتموا للشباب دينا … كدينهم بيننا سواء
لما أتيتم به جعلتم … رأس تعاليمه الجلاء
جمعتم مصر ثم سرتم … فكنتم الجمع واللواء
وما عرفتم لغير مصر … وغير أحبابها ولاء
لم تمسحوا للعميد رأسا … ولا نفضتم له حذاء

والعميد هنا هو كرومر رجل الاحتلال البريطانى العتيد ٠

● ومن روائع حافظ ابراهيم فى دنشواى وهو يخاطب المحتلين لمصر :

أيها القائمون بالامر فينا … هل نسيتم ولاءنا والودادا
خفضوا جيشكم وناموا هنيئا … وابتغوا صيدكم وجوبوا البلادا
واذا اعوزتكم ذات طوق … بين تلك الربا فصيدوا العبادا
انما نحن والحمام سواء … لم تغادر أطواقنا الأجيادا

● وتبلغ بحافظ ابراهيم المرارة : فيقول :

أمة النيل أكبرت أن تعادى … من رماها وأشفقت أن تعادى
ليس فينا الا كلام والا … حسرة بعد حسرة نتهادى

● ويصل الشعر بدولة الشعر درجة مخيفة حتى ليقول أحمد شوقى مخاطبا مكماهون المعتمد البريطانى فى مصر ٠

أوضح لمصر الفرق بين السيادة والحماية
وازل شكوكا بالنفوس تعلقت منذ البداية

ودع الوعود فانها فيما مضى كانت رواية
أضحت ربوع النيل سلطنة وقد كانت ولاية
فتعهدوها بالصلاح وأحسنوا فيها الوصاية

● ثم يقول شوقي – وهذا أضعف ما قاله في حياته – مخاطبا الانجليز ·

أنتم أطباء الشعوب وأنبل الأقوام غاية
أني حللتم في البلاد لكم من الاصلاح غاية
أن تنصروا المستضعفين فنحن أضعفهم نكاية
أو تعملوا لصلاحنا فتداركوه الى النهاية
لا تأخذون بالكلام لا تأخذونا بالكلام

من رسائل مصطفى الى مدام جولييت آدم

من رسائل مصطفى كامل الى مدام جولييت آدم حقائق وأفكار وآراء وانجاهات وسياسات واسرار يحسن – من وجهة نظرى – التركيز عليها نختار بعضها على سبيل المثال لا الحصر · فى ٣٠ مارس ١٨٩٧ رسالة تقول ان فرنسا تظهر بمظهر من يريد الكل أو لا شىء : فى استطاعة فرنسا أن تزاحم انجلترا فى ميدان التعليم ، ومن المؤكد أن المصريين كانوا يهجرون فى الوقت الحاضر مدارس الحكومة الانجليزية ليؤموا المدارس الفرنسية اذا كان لها وجود ·

وفى ١٢ مايو ١٨٩٧ يكتب مصطفى كامل قائلا : أنت تعلمين خطتى نحو تركيا وما أراه واجبا نحوها وقد اعترف كثير من أصدقائنا اليونانيين بانه من السياسة الحكيمة لمصر ، ان تكون مع تركيا بما ان الانجليز محتلون وطننا العزيز ·

وفى ٢١ يونيو ١٩٠١ كتب مصطفى كامل يقول : يسافر الخديو بعد عشرة ايام إلى ديفون لا الى لندرة وكان الانجليز يؤملون سفره اليها لتقديم واجب الاحترام ، للملك ولكن يغلب على ظنى أنه رأى كيف كا نعليه تأثير سياحيتين متواليتين الى لندرة على أنه لا يزال وطنيا فلا تعتقدى فيما يتقولونه عنه ، نعم ان عنده بعض الاندفاع ولكن هل يمكنه أن يستسلم لحماسته بعد حادثة فاشودة ·

● وفى ٢٨ مارس ١٩٠٤ كتب مصطفى كامل : لدى نبأ أزفه اليك ، ذلك أن جلالة السلطان قد أنعم على بلقب باشا وقد نشرته التلغرافات الرسمية،

وجرائد الاستانة كافة وان سرور والدتى وأهلى وأصـدقائى لعظيم : النهائى تتقاطر من كل صوب والوطنيون المصريون قد سروا ، لبلوغى هـذا الشرف فى سن الثلاثين ولو أن ذلك لا يهمنى » وفى ١٥ ابريل ١٩٠٤ يقول : أساء لينا مسيو دلكاسيه بالاتفاق الانكليزى الفرنسى . لأن تعهد فرنسا بعدم مطالبتها بريطانيا بالجلاء دفن المسألة المصرية وحكم علينا من قبلكم : الانجليز أظهروا رسميا حنقهم على الخديو بسبب الحفاوة التى قابلك بها ، فقد أرسل اليه اللورد كرومر هذين اليومين مذكرة من نظارة الخارجية الانجليزية يبدى فيها استياء الحكومة البريطانية من تعدد المقابلة التى وجهت الى من اشتهرت بعدواتها لانجلترا .

● وفى ٢٨ أكتوبر ١٩٠٤ كتب مصطفى كامل : سيدتى العزيزة وصلت الى القاهرة الاثنين الماضى ٢٤ الجارى وأول عمل عملته كان ارسال مكتوب للخديو أعرب فيه عن قطع علاقاتى بالسراى وقد اشتغلت به الصحافة جميعها وجريدة ليجيت التى تنشر بالفرنسـبه والانجليزية والتى طالما هاجمتنى أنصـفتنى وأطرت عملى ، وكذلك ذكرت الجرائد الانجليزية هذا التقاطع : اللحظة الراهنة أهم لحظة فى حياتى بعون الله وقد اتخذت طريق الاستقلال التام ، والجهاد الكبير ووثوقى عظيم .

٣ فبراير ١٩٠٥ : اختتمت حركة الصحافة على مشروع الجامعة بمقـالة ارسلها اليك مع هذا والناس جميعاً موافقون استحسانا على هذه الفكرة ولكن لا أمل لهم فى الأسرة الخديوية وقد كتب الى حسين باشا واصف يقو ل أنه مستعد ان يدفع ألف جنيه فى اليوم الذى تتألف فيه لجنة افتتاح الاكتتاب وكذلك وعد عمر سلطان بمبلغ كهذا أما الأمراء فانى معهم لمن الصابرين .

●● ٢٢ مايو ١٩٠٥ رأى بعض الأفراد أن الجامعة تقتضى نفقات طائلة وعلى ذلك قرروا ارسال فريق من الشبان لتلقى العلم فى أوربا فجمعوا خمسه آلاف جنيه فى جلسة واحدة غير أنهم أرادوا أن يكون الخـديو منهم فأوفدوا البرنس حيدر لمقابلته بالاسكندرية فلم يحصل على شىء وانتى لفى بأس من مساعدة الخديو !! .

٩ يونيو ١٩٠٥ ان فكرتى بانشاء الجامعة الوطنية قد توجت بالنجاح فانها انتقلت الى أيدى أمراء بيت حليم وقد قرروا مبدئيا ايفاد فريق من الطلاب الى أوروبا ليتخرج منهم أساتذة وطنيون ، وبلغ الاكتتاب حتى الآن ثمانيـة آلاف جنيه ٢٠٠٫٠٠٠ فرنك وسنشرع فى بقيـة الاكتتاب بعـد انقضـاء الصيف .

● وعما قام به مصطفى كامل فى انجلترا فى أعقاب حادث دنشواى ، كتب مصطفى الى مدام جولييت آدم يقول : سفرى الى لندرة كان مفيدا وقد تعرف الى كثير من النواب وبعض النظار وكبار الكتاب وكلهم متلهفون على معرفة الحقيقة فى مصر وأحدثت حادثة دنشواى تأثيرا سيئا فى انجلترا من شأنها افهام العالم أجمع أن المصريين يكرهون الاحتلال خلافا للتأكيدات الرسمية ولفت نظره الى مصر ، أكثر من ذى قبل وكان ذلك الخطاب بتاريخ ٢٣ يوليو ١٩٠٦ ·

● ● وفى ١٣ أغسطس ١٩٠٦ كتب مصطفى كامل : غدا تذكار ميلادى اذ ابلغ الثانية والثلاثين وما عساى أن أعيش ايضا لأخدم مصرنا العزيزة وعلى كل حال فانى لا أترك لحظة تمر من حياتى بدون أن أغرس حبها فى قلوب مواطنى ، وأتمم عملى الى النهاية ··

وفى ٢٣ نوفمبر ١٩٠٦ : توصلت الى انشاء شركة توصية وطنية رأس مالها عشرون الف جنيه (٥٠٠٫٠٠٠ فرنك) لتأسيس جريدة فرنسية انجليزية وقد عينت مديرا لها بلا مراقبة مدة حياتى ويرون فى هذا العمل أكبر مظاهرة من الحزب الوطنى ، انى أود أن يكون لى مساعدون من كبار كتاب فرنسا يكون من بينهم شخصك الموقر واثنان أو ثلاثة من اصدقائك من كتاب السياسة والأدب فهل لك ان تتفضلى وتعتنى بذلك ·

● وكان آخر خطاب بعث به مصطفى كامل الى مدام جولييت آدم بتاريخ ٧ يناير ١٩٠٨ ، وقد جاء فيه : انى مريض منذ السابع عشر من نوفمبر وقد بذلت مجهودا فوق الطاقة لالقاء خطابى فى الجمعية للحزب الوطنى وأن نجاحى السياسى ونجاح المسألة المقدسة ، التى اناضل عنها يفوقان كل ما آملته ، أما صحتى فهى بين اليأس والرجاء والاطباء مطمئنون الآن والسبب فى انتكاسى بعد خطبتى راجع الى وفاة صــديق حميم ، كان من أشــد ، وأكبر نصرائى ، (المرحوم لطيف باشا سليم) واذا تحسنت صحتى بعد اسبوعين أسافر لأقيم فى أسوان شهرا هذا ما يختص بالسياسة والصحة ·

وأما ما يختص برسالتك فانها تفتن كل العالم وانك تؤلمينى كثيرا بمنعها ، حدثينا عن البرتغال ولا تكونى فى صف الملك ، وعن المجهودات التى بذلهـا التشيك فى سبيل نهضتهم وغير ذلك مما يعد عندك بالألوف وأعفى عنى اذا لم أكتب اليك كثيرا فان كثرة الكتابة تتعبنى كثيرا ، المخلص لك بكلياته ·

● وبعد أيام وصل الى مدام جولييت آدم ــ فى ٢٧ فبراير ١٩٠٨ ــ خطاب لا من مصطفى كامل وانما من شقيقه على فهمى كامل وقد روى أنه أثناء حديثه مع شقيقه صبيحة الاثنين لاحظ أن لونه أخذ يتغير وعينه تحدق فيه ثم أخذ يوصيه فى كلمات قصار بالاهتمام بعمله بحكمة ، وروية ، وما جاء عليها حتى لزم الصمت وكاد يغيب عن الوجود ·

● وعن جنازة مصطفى كامل قال على فهمى كامل : « ما حدث فى الأوائل والأواخر أن رجلا بلغ أربعة وثلاثين ربيعا صار خلف نعشه حوالى نصف مليون نسمة وهم جميعا يبكونه . وقد بلغ ما تقاطر على الى الآن من اشارات البرق ١٣٣٣٤ اشارة و ٨٤٢٠ مكتوب حزن ورثاء وحملت نابغة مصر ذكرانا وانانا شارة الحداد عليه أربعين يوما بالرغم من شدة معارضة مستشار المعارف دانلوب : ظن الانجليز أن المعارضة قد ماتت بموت مصطفى فى مصر ولكننى أؤكد لك أيتها السيدة الموقرة أن العمل الذى أسسه أخى سيثمر ثمرا يانعا وانه خدمنا حتى فى موته » .

● وقد كان فى مقدمة الأسباب التى أدت الى نجاح مصطفى كامل ، ومن بعده محمد فريد والحزب الوطنى أن الاعتماد فى الحركة الوطنية المصرية كان على الشعب وان العمل كان فى مختلف الميادين . فى الميادين السياسية والاجتماعية والاقتصادية . وفى الميادين التعليمية ولعلنا نستطيع أن نوفى تلك النقاط عندما نتحدث عن جذور الأحزاب السياسية فى مصر .

زوجة الخديو عباس تكتب عن المرأة المصرية

● وقد نجحت زوجة الخديو عباس حلمى ـ ومطلقته فيما بعد ـ جويدان هانم ـ فى اعطاء صورة للحياة الاجتماعية فى أوائل عهد عباس حلمى الثانى وفى اعطاء صورة للعلاقات التى كانت تربطه بكرومر ، وبغيره من الأمراء والنبلاء قالت ـ مثلا ـ عن زفة عروسين اتيح لها أن تشهدها : كانت العروس ترتدى ثوبا من الأطلس موشى بالذهب وعلى رأسها تاج مرصع بالجواهر يتدلى من تحته نقاب يشمل كل جسمها وفى هذا النقاب اربعة احجار كريمة عند الجبهة والذقن والخدين وفى أذنيها قرطان من البرلنت وفى جيدها ويديها عقود وأساور لا عدد لها : أعلنت ربة البيت بأن الزفة ستبدأ ، وهرعت السيدات الى غرف الاستقبال ووقفن صفين وحملت الجوارى الى الهوانم أكياس الذهب ، ثم فتح الصالون ووقفت العروس على بابه برهة ثم بدأت تسير بخطوات صغيرة وقد تدلت من التاج الذى على رأسها خيوط طويلة من الذهب وسارت الدادة وبعض الجوارى أمام العروس يدعون لها بالوقاية من العين والحسد وكلما تقدمت انحنت لها السيدات وألقين الذهب والزهور تحت اقدامها وكل سيدة تحاول أن تأخذ خيطا من الخيوط الذهبية لأنهم يعتبرن أن هذا يجلب الحظ ، وبعد ان أتمت العروس طوافها عادت الى الصالون وجاءت الراقصات : كانت أجسام الراقصات تقريبا عارية وجعلن يتثنين ويتلوين على أنغام الموسيقى ثم يقتربن برؤوسهن من الزائرات وينظرن اليهم بتوسل وكانت الهوانم يلصقن الذهب فى وجوه الراقصات فلما لم يعد فى وجوههن مكان خال أخذت قبضات من الذهب تتناثر عليهن وهن يلتقطنه من صيحات الفرح والسرور وبعد ذلك عدن الى الشرفات لنرى ما يجرى وبعد أن فرغن من تناول العشاء وشرب

القهـوة طبت ربة البيت من السـيدات السماح للعريس بالحضـور بنفسه يشكرهن على التنازل بالتشريف : وقف العريس بالباب مبهوتا وقد أخذه بريق الجواهر ولألأة الوجوه التى تنظر اليه ثم انحنى حتى كاد يلمس الأرض · ثم أخذته أمه من يده وقادته الى مكانى حيث قدم لى القهوة بيد ترتعش ولما انتهيت من شربها انحنى مرة أخرى وغادر الصالة ·

● وتقول جويدان هانم - أو خانم كما كانوا يقولون وقتئذ - أنها أرادت أن تحضر افتتاح قناطر النيل فتنكرت فى زى رجل وارتدت طربوشا ، وبدلة ، وردنجوت وعطرت منديلها . ولم يكد الخديو يرانى أمامه حتى تملكته الدهشة فانه لم يتوقع أن يرى مثل هذا السكرتير الأمين وفرح كلانا لهذا الموقف فرحا شديدا وطلب منى الخديو ألا أتكلم حتى لا ينفضح أمرى وتقول ان أحدا لم يعلم بسرها الا طورنستين باشا والدكتور كاوتنسكى بك والخادم فريدريك ورأيت فى الأقصر - الثيران تدير السواقى لرفع الماء لرى أرض ذلك الفلاح الفقير الذى يعيش مع حيوانه فى كوخ متهدم من الطين ، سقفه من قش الأذرة وتقول ان النيل يطعم هذا الفقير وذاك الغنى على السواء : وسارت السفينة نحو السد الذى سيضمن تنظيم الرى وتوزيع الماء على أرض الشمس الدائمة وتمضى زوجة الخديو فى وصف ذلك الاحتفال وكيف أن ابنة الدوق أوف كنـوت سألت طورنستين باشا « عن ذلك الفتى الذكى الجميل فأدخل هذا على نفسى الزهو شأن كل رجل يعرف أنه أعجب سيدة من الطبقات العالية » ·

وفى ٨ فبراير ١٩٠٩ وضع الخديو الحجر الاساسى فى بناء سد النيل وكان قد مضى عليه ثمانية عشرة عاما فى الحكم وكان قد أصبح فلاحا يحب الأرض ويجيد العناية بها حتى أصبح من أشهر مزارعى القطر المصرى تنتـج أرضه احسن المحاصيل ·

● وتقول جويدان هانم : جلس الخديو على العرش وهو فى الثامنة عشرة من عمره ولم تكن الظروف حسنة ولم يجد فى بداية حكمه تعضـيدا كافيا فان اللورد كرومر لم يكلف عناء الاتصال بنفسية ذلك الخديو الصغير فان السياسة الحجرية لاتعرف معنى العواطف والشعور فكان اللورد كرومر لاينظر الى الخديو الا كرئيس عنيد للرأى وربيب غير محبوب لأنه كان يضطر لمخاطبته بلقب يا صاحب السمو وهو يعلم أن الخديو ليس له من الأمر الا هذا اللقب على حين انه كان يشعر بأنه هو الحاكم الحقيقى وكان هذا كافيا لأن ينظر اللورد الى الخديو كدمية يجب عليها الطاعة ولكن الطاعة كانت غريبة على خلق الخديو من الصغر ، كان قوى العزم عنيد الرأى وفوق ذلك كان يحب الكفاح ، ولعل هذا الخلق تولد فى نفسه عندما شعر بالمسئولية الملقاة على عاتقه والتى كان فى امكانه الاضطلاع بها دون أن يضطر الى الوقوف موقف الدفاع ، أمام هذا العدو القوى الذى كان فى امكانه أن يذله كحاكم وكانسان ·

وليس من المعقول أن خديويا ـ ولو كان نصف وطنى فقط ـ يقبل صداقة ديكتاتور أرغم على قبوله من قوت معـادية وكل نظرة اليه تذكرة بضـعف بلاده وهزيمة أسلافه فكان أصعب وقت مر على الخديو هو الوقت الذى امتد اليه ظل كرومر فى مصر . فانه كان يعامل الخديو باعتبار أنه صبى فى الثامنة عشرة غير عابىء بحدته ولا احتجاجه وانى ـ جويدان ـ اتهم اللورد كرومر بأنه السبب فى بعض خبث الخديو .

● وتقول زوجة الخديو أنه كان تاجرا اكثر من التجار بزن الاشـياء بمقدار ما تدره من الأرباح فكانت ميناء المنتزه مؤجرة الى أحد الصيادين الذى كان يبيعنا ما يلزمنا من الجمبرى .

وما يلزم السراى من الفاكهة كنا نأخذها من متعهد آخر . وأثناء سفرنا كانت كل الزهور والرياحين تباع وكل ذلك من أجل الكسب والكسب مبوع بالاقتصاد والتوفير فى الغالب وكانت الملابس اذا تلفت بطانتها لا ترمى ولا تهمل بل تعمل لها بطانة جديدة ، وتقول ان الخديو ـ فيما يتعلق بأرقام الفواتير ـ لم يكن ينظر الا الى المفردات ولذلك كان كثير من الموردين يضـعون الأثمان دائما بالأرقام الصغيرة فلا يرى فيها الخديو شيئا .

● وتقول زوجة الخديو . لم يكن لعباس الثانى أصدقاء بمعنى الكلمة فرفقاء الصبا أصبحوا ياورانا أو تشريفاتية فقط ، وأما صداقة الماضى فلا ذكر لها ، وعلى العموم فان التاج يفصل بين الملوك وبين الماضى والحكام يعيشون دائما فى دائرة منعزلة فلا هم بقادرين على النزول عن مستواهم . ولا أفراد الشعب بقادرين على النظر اليهم الا باعتبـار انهم حكام ، ومنذ عرفت عباس الثـانى وددت ان لو كنت رجلا لكى أصبح صـديقا يخلص له . باعتباره صديقـا لا سيدا ، بيد أنى لو كنت رجلا لما استطعت التعرف به .

● وعن جد زوجها اسماعيل باشا وزوجاته قالت جويدان هانم : في ميسى رأيت أرملتى اسماعيل باشا جالستين فى شرفة الفندق وعلى وجهيهما النقاب الأبيض وهما تدخنان وتستمعان الى نغمات الموسيقى : كان لاسماعيل باشا أربع زوجات وعلى عكس المألوف كان هؤلاء الزوجات صـديقات لا شحناء بينهن ولا بغضـاء ، وقد ألف بينهن حبهن لرجل واحد هو اسـماعيل وقد استطاع اسماعيل أن يضم اليهن صديقة خامسة وهى امرأة قد وقع اسماعيل فى حبهـا : كان اسماعيل اذا أحب لم يترك لمحب بعده مجـالا . واذا أهدى أغدق حتى أغرق واذا أراد البناء فانه يهدم حيا بأكمله ليشيد عليه ما يريده ويستعمل آلاف الأيدى فى البناء يعملون على ضوء الشمس نهارا وتضىء لهم المشاعل ليلا ، وعلى هذا المنوال قامت سراى الجزيرة التى بناها خصيصـا للامبراطورة أوجينى لتكون لها مقاما أثناء زيارتهـا لمصر ولو استطاع لأحال مصر ، كلها الى روضة غناء تخطر فيها هذه الملكة الجميلة .

● وقد كان فى مقدمة الاحداث السياسية والاجتماعية التى حدثت بمصر تلك الحركة الاجتماعية والسياسية ، التى قادها قاسم أمين (١٨٦٣ ـ ١٩٠٨) لقد كان صدور كتاب « تحرير المرأة » بمثابة بعث جديد للحياة الاجتماعية الجديدة وقد أحدث ذلك الكتاب ثورة سياسية وفكرية هائلة ، وبالرغم من أننا عندما ننظر اليه اليوم نجده كتابا عاديا لا يحمل أية ثورة بل أى اصلاح ولكننا لكى نعى جيدا أهمية صدور ذلك الكتاب فى تلك المرحلة المبكرة من تاريخ حركتنا الوطنية المصرية ينبغى أن نعود الى الماضى ، لنعيش ذلك المناخ ، الذى كان موجودا وقت صدور الكتـــاب وعندما نعود الى تلك الأيام ونعيش فى مناخها نرى أن الكتاب ـ تحرير المرأة ـ كان يحمل بين طياته ثورة سياســية وفكرية واجتماعية غير مسبوقة . وقد قدم قاسم أمين لكتابه بكلمة موجزة قال فيها : كل مسألة من المسائل التى أجملتها فى هذه الأسطر القليلة يمكن أن تكون موضوعا لكتاب على حدة وقد تعمدت الاختصار فيها حتى ترتبـط تلك المسائل ببعضها كأنها حلقات سلسلة واحدة ، وغاية ما أريد هو أن أستلفت الذهن الى موضوع قل عدد المفكرين فيه لا أن أضـــع كتابا يوفى الكلام فى شأن المرأة ومكانتها من الوجود الانسانى وقد يوضع مثل هذا الكتاب بعـد سنين متى نبتت هذه البذرة الصغيرة ونمى نباتها ، فى أذهان أولادنا وظهرت ثمراتها ، وعملوا على اقتطافها والانتفاع بها .

ويقول قاسم أمين انه طرق بابا من أبواب الاصـلاح والتمس وجهـا من وجوهه فى قسم من أفراد الأمة له الأثر العظيم فى مجموعها « وأتيت فى ذلك بما اظنه ـ قاسم أمين ـ صوابا فان أخطأت فلى من حسن النية ما أرجو معه غفران سيئة خطئى ، وان أصبت كمـا أظن وجب على المتعلمين أن يعملوا على نشر ما أودعته فى هذه الوريقات وتأييده بالقول والعمل .

● ويحرض قاسم أمين على التفكير وعلى القوة فى الجدل وأن يعمل المسلم على أن يغير أسلوب حياته بما يناسب الزمان والمكان ، فمن الذى يمكنه أن يتصور أن العوائد لا تتغير بعد أن يعلم أنها ثمرة من ثمرات عقل الانسان ، وان عقل الانسان يختلف باختلاف الأماكن والأزمان : المسلمون منتشرون فى أطراف الأرض ، فهل هم أنفسهم متحدون فى العادات وطرق المعـاش من ذا الذى عليه أن يدعى ان ما يستحســنه عقـل الســـودانى يستحسـنه عقـل التركى أو الصينى أو الهندى أو أن عادة من عادات البدوى توافق أهل الحضر او يزعم أن عوائد أمة من الأمم مهما كانت بقيت جميعها على ما كانت عليه من عهد نشأتها ، بدون تغيير .

● ويعلو صوت قاسم أمين ـ فى كتابه تحرير المرأة ـ قائلا : من احتقار

الرجل للمرأة أن يملأ بيته بجوار بيض أو سود أو زوجات متعددة يهوى الى أيهن شاء منقادا الى الشهوة سوقا بباعث الترف وحب استبقاء اللذة غير مبال بما فرضه عليه الدين من حسن القصد فيما يعمل .

من احتقار المرأة أن يطلق الرجل زوجته بلا سبب !

من احتقار المرأة أن يقعد الرجل على مائدة الطعام وحده ثم تجتمع النساء من أم وأخت وزوجة ويأكلن ما فضل منه .

من احتقار المرأة أن يعين لهـا محافظا على عرضهـا مثل أغا ، أم خادم يراقبها ويصحبها أينما تتوجه .

من احتقار المرأة أن يسـجنها فى منزل ويفتخر بأنها لا تخرج منه الا محمولة على النعش الى القبر .

من احتقار المرأة أن يعلن الرجال أن النساء لسن محلا للثقة والأمانة .

من احتقار المرأة أن يحال بينها وبين الحياة العامة والعمل فى أى شيء يتعلق بها فليس لها رأى فى الأعمال ولا فكر فى المشارب ولا ذوق فى الفنون ولا قدم فى المنافع العامة ولا مقام فى الاعتقادات الدينية ، وليس لها فضيلة وطنية ولا شعور .. بلى !!

ويقول قاسم أمين ، المرأة انسان مثل الرجل لا تختلف عنه فى الأعضاء ولا فى الاحسـاس ولا فى الفـكر ولا فى كل ما تقتضـيه حقيقـة الانسـان من حيث هو انسان اللهم الا بقدر ما يستدعيه اختلافهما فى الصنف .

ويقول قاسم أمين — فى كتابه — ان من رأيه أن المرأة لا يمكنها أن تدير منزلها الا بعد تحصيل مقدار من المعارف العقلية والأدبية . وأنه لا شيء يمنع المرأة المصرية من أن تشـتغل مثل الغربية بالعلوم والآداب والفنون الجميلة والتجارة والصناعة الا جهلها واهمال تربيتها : المرأة تحتاج الى التعليم لتكون انسانا يعقل ويريد وينقل قاسم أمين عن الفونس دوبريه — الكاتب المجيد فى بعض كتبه « ان كنت أستحق نخرا فان لامراتى نصفه » ويقول : ان من رأيه أن من يعتمد على جهل امرأته مثله كمثل أعمى يقود أعمى مصيرهما أن يقعـا فى أول حفرة تصادفهما فى الطريق .

ويقول قاسم أمين ، انه لا زال يدافع عن الحجاب ويعتبره أصلا من أصول الآداب التى يلزم التمسك بها غير أنه يتطلب أن يكون منطبقا على ما جاء فى الشريعة الاسلامية ، ويقول انه اذا كان الغربيون قد غلوا فى اباحة التكشف للنساء الى درجة يصعب معها أن يقصون المرأة من التعرض لثارات الشـهوة ولارضاء عاطفة الحياء ، فقد تغالينا نحن فى طلب التحجب والتحرج من ظهور

النساء لأعين الرجال حتى صيرنا المرأة أداة من الأدوات أو متاعا من المقتنيات. وحرمناها من كل المزايا العقلية والأدبية التى أعدت لها بمقتضى الفطرة الانسانية وبين هذين الطرفين وسط هو الحجاب الشرعى الذى أدعو اليه وينقل قاسم امين عن لاروس تحت كلمة خمار : كانت نساء اليونان يستعملن الخمار اذا خرجن ويخفين وجوههن بطرف منه كما هو الحال عند الأمم الشرقية وقال : ترك الدين المسيحى للنساء خمارهن وحافظ عليه ، عندما دخل فى البلاد فكن يغطين رءوسهن اذا خرجن فى الطريق وفى وقت الصلاة ، وكانت النساء تستعملن الخمار فى القرون الوسطى خصوصا فى القرن الثالث عشر حيث صارت النساء تخفف منه الى أن صار كما هو الآن نسيجا خفيفا يستعمل لحماية الوجه من التراب والبرد ولكن بقى بعد ذلك بزمن فى اسبانيا وفى بلاد أمريكا التى كانت تابعة لها .

ونقل قاسم أمين عن ابن عابدين : وعورة الحرة جميع بدنها حتى شعرها النازل فى الأصح خلا الوجه والكفين والقدميز على المعتمد ، وصوتها على الراجح وذراعيها على المرجوح وتمنع المرأة الشابة من كشف الوجه لا لأنه عورة بل لخوف الفتنة ، ولا يجوز النظر اليه بشهوة ، أما بدونها فيباح ولو كان جميلا .

ويقول قاسم أمين فى نهاية كتابه : آن الوقت الذى يجب فيه على الحكومة وعقلاء الأمة وأرباب الأقلام أن يوجهوا التفاتهم الى حال المرأة المصرية ، فانى لا أرى مسألة تمس بحياة الأمة أكثر منها ولا أحق منها بأن تكون موضوعا لنظرهم ، ومجالا لآرائهم وأفكارهم .

وقد تعرض قاسم أمين بعد كتابه تحرير المرأة وبعد كتابه « المرأة الجديدة » لموجة من السخط حتى لقد كان عدد الساخطين عليه أكثر من أولئك الذين عرفوا فضله .

وكان مصطفى كامل من زاوية سياسية من بين المهاجمين لكتاب تحرير المرأة لقاسم أمين .

وقد كان قاسم أمين أصدق وأرق من رثا مصطفى كامل وهل هناك كلمات أرق من تلك الكلمات : ١١ فبراير ١٩٠٨ يوم الاحتفال بجنازة مصطفى كامل هى المرة الثانية التى رأيت فيها قلب مصر يخفق ، المرة الأولى كانت يوم تنفيذ حكم دنشواى . أما فى يوم الاحتفال بجنازة صاحب اللواء فقد ظهر ذلك الشعور ساطعا فى قوة جماله وانفجر بقوة هائلة سمع دويها فى العاصمة ووصل صدى دويها الى جميع أنحاء القطر : هذا الاحساس الجديد ، هذا المولود الحديث الذى خرج من أحشاء الأمة ، من دمها وأعصابها ، هو الأمل الذى يبتسم فى

وجوهنا اليائسة : هو الشعاع الذى يوصل حرارته الى قلوبنا الجامدة الباردة : هو المستقبل ·

قضايا شـــعبية كبرى

ومن القضايا التى كان لها تأثيرها البالغ فى نفوس الجماهير والتى أحدثت دويا هائلا فى الرأى العام المصرى قضية دنشواى · وقضية ذكرى دنشواى ، وقضية محاكمة محمد فريد ، لأنه حسن « بتشديد السين » كتاب وطنيتى ، وكذلك قضية مقتل بطرس غالى باشا ، وكان الرأى العام يولى هذه القضايا أهمية بالغة وكانت الصحف تنشر بتوسع شديد مرافعات النيابة والدفاع ، يوما بيوم·

وقضية دنشواى أولى تلك القضايا الهامة والخطيرة التى أيقظت من جديد الشعور الوطنى · وقال فيها حافظ ابراهيم :

قتيل الشـــمس أورثنا حيـــاة وأيقظ هاجع القــوم الرقود
فليت كرومر قد بات فينـــا يطوق بالسـلاسـل كل جيـد
ويتحف مصر آنا بعـــد آن بمجلود ومقتول شــــهيد
لننزع هـــذه الاكفان عنـــا ونبعث فى العوالم من جـديد

كانت هيئة المحكمة برئاسة بطرس غالى باشا وعضوية المستر جودفنا هيبينز وفتحى بك زغلول ومستر بوند وقد مثل الادعاء ابراهيم الهلباوى بك .

وقد ورد فى مرافعة الادعاء أن الحرمة أم محمد قد أصيبت بعيار نارى من الضباط ولكن البندقية لم تطلق الا وهى فى يد الأهالى حال أخذها من الضباط : ان حرق الجرن والادعاء بالاصابة هما دعوتان كاذبتان لأن المتهمين كانوا لا يريدون فقط الانتقام لصيد الحمام ، أو لحرق الجرن ، أو لاصـابة الجرحى بل الغرض الحقيقى هو رغبتهم فى اعدام الضباط ·

ثم نرون فى التحقيق وفى شهادة الضباط أن الضرب كان على الرأس وان اصابة الميجر بين كوفين على الذراع لم تكن قصدا ، بل كانت حال دفاعه عن رأسه بذراعه وكل الاصابات لم تكن فى غير الرأس والعنق والأكتاف لأنهم كانوا يريدون الاجهاز عليهم وقتلهم قتلا وقد أغمى على الميجر بين كوفين ثلاث مرات ولم يكتف المتهمون بذلك بل انهم قصـدوا العربات وأنزلوهم منهـا وضربوا السائقين وكسروا المركبـات فأراد الضـباط النجـاة ، ركضـا فأمسكوهم ، وأخذوهم ، حتى لا يصلوا الى الحكومة ويخبروها بما أصـابهم لأنهم لم يكتفوا بالقتيل بل أرادوا أن يسلكوا معهم بما يناسب مقامهم ، فحاولوا أن يفعلوا معهم ما كانت تفعل محكمة التفتيش فى أسبانيا مع المذنبين فأخذوا يضعون

التبن حولهم لاحراقهم ويشيرون لهم بأنهم يرغبون فى ذبحهم ٠٠ ما بالكم أيها القوم نار صدوركم تشتعل وتزيد اشتعالا ٠

ويقول ممثل الادعاء : أن نية القتل ـ قتل الانجليز ـ كانت موجودة عند الزعماء وكذا الاصرار عليها وان المشاركين لهم متفقون فى ذلك الاصرار وأما القتل حصل بموت المستر بول وان بقية الضباط شرع فى قتلهم ٠

وجاء فى كلام محمد يوسف بك أنه من القحة أن نعتدى على جيش الاحتلال بسبب حمامة أو حمامات اذ لم يسمع عن العرب شىء من ذلك فجيش الاحتلال يكرم حيث ينزل ولكن الذين اعتدوا عليه لم يكن اعتداؤهم الا فى ظـروف لا يترتب عليها ما يقول المدعى العمومى ٠

أما اسماعيل بك عاصم فقد ذكر أن هذه هى المرة الثانية التى تنعقد فيها المحكمة المخصوصة . وقد كانت الأولى فى عام ١٨٩٧ فى حادثة قليوب وكنت محاميا فيها ، وكان الاعتداء على أورطة وهى سائرة بهيئتها العسكرية ٠ وكان الاعتداء من صغار لا يعرفون وحكم فيها بالرأفة ، فكان الحكم مما ارتاحت له الأمة والهيئة الحاكمة والمرة الثانية ـ وهى هذه الحادثة ـ لم يكن فيها طابور عسكرى ولا رجال الجيش بصفة عسكرية وانما كان المعتدى عليهم أفرادا سائرين أما للنزهة أو للصيد ولم يكن الأهالى يعرفون أنهم من جيش الاحتلال الا بعد ان حصل ما حصل ٠٠ وأسفاه !!

وقد قضى فى هذه القضية ـ كما هو معروف ـ باعدام على حسن محفوظ ويوسف حسين سليم والسيد عيسى سالم ومحمد درويش ، على ان يتم الاعدام شنقا فى قرية دنشواى كما قضت المحكمة بالأشغال الشاقة المؤبدة على محمد عبد النبى ، المؤذن ، وأحمد عبد العال محفوظ ، وعلى أحمد محمد السيسى بالأشغال الشاقة ١٥ سنة وكذلك قضى على محمد على أبو سمك ، وعبده البقلى ، وعلى على شعلان ومحمد مصطفى محفوظ ورسلان السيد ، والعيسوى محمد محفوظ بالأشغال الشاقة سبع سنين وكذلك قضت المحكمة على حسن اسماعيل السيسى وابراهيم حسانين السيسى ومحمد السيد على بالحبس مع التشغيل سنة واحدة ويجلد كل واحد منهم خمسين جلدة ٠ وان ينفذ الجلد أولا بقرية دنشواى وكذلك قضى على السيد الفولى ، وغريب عمر محفوظ والسيد سليمان خير الله وعبد الهادى حسن شاهين ومحمد أحمد السيسى بجلد كل واحد منهم خمسين جلدة ، بقرية دنشواى ٠

وكان ضـــحايا الحـــادث من الجانب البريطـــانى الكابتن بول الذى أصيب اصابات عادية ، ثم مات بسبب ضربة شمس أصـــابته بعد ساعات من الاعتداء عليه واصابة الماجور بين كوفين بكسر واصابات أخرى ، وكذلك الكابتن

بوسنك والملازمان سمويك ، وبورتر ، باصابات عادية ! هؤلاء هم الضحايا الذين اقتصمت لهم المحكمة بتلك الأحكام الظالمة التى سبق ن أشرنا اليه .



قضية أخرى نتصل بحادث دنشواى اطلق عليها ذكرى دنشواى . وكان الشيخ عبد العزيز جاويش قد كتب فى اللواء ـ ٢٨ يونيو ١٩٠٩ ـ مقالا تحت عنوان « ذكرى دنشواى » بدأه بقوله : سلام على أولئك الذين كانوا فى ديارهم آمنين مطمئنين فنزل بهم جيش الشؤم والعدوان فأزعج نفوسهم ، واحرق حصادهم فلما هموا بصيانة أرزاقهم التى عملوا فى سبيلها أجسامهم ، ودابتهم ، وأرضهم وقاموا عليها نحو حول يتعهدونها بالسقى والخفارة ويرقبونها فى البكرة والعشى قيل انهم مجرمون ، فسيقوا فى السلاسل والأغلال ، وصلبوا على مرأى ومسمع من زوجاتهم وأمهاتهم وبناتهم ، وعيالهم وأصدقائهم وجيرانهم.

سلام على تلك الأرواح التى انتزعها بطرس باشا غالى رئيس المحكمة المخصوصة بقضائه من مكانها فى أجسامها كما تنزع سلوك الحرير من خلال الشوك : قبضها بيده فقدمها قربانا الى ذلك الجبار الظالم الغاصب القاهر ، القائم فى بلادنا بنفاقنا وضعة مقاصدنا . المستبد بالأمر فينا بسبب تفرقنا وضعف عزائمنا ، المسيطر علينا بنفر يخشون الانجليز أكثر مما يخشون الله . ويرغبون فى المال والرقى ولو شقيت فى سبيل ذلك بلادهم ، واستبيحت حرماتهم .

وأنهى الشيخ عبد العزيز جاويش مقاله بقوله : فلتذكر الأمة اليوم الذى أيقظها من سباتها ، وبصرها بعدالتها ، وملأ قلوبها بالعظة والعبره ونفوسها بالحمية والغيرة . ألا فلتذكر الأمه الثامن والعشرين من شهر يونيو ولتذكر أن للاحتلال أعوانا من بينهم يجب محاربتهم بالبغض ومعاملتهم بالحذر، وسوء الظن. أولئك الذين روى فى أمثالهم على أمير المؤمنين عن النبى عليه السلام الحديث الشريف « انى لا أخاف على أمتى مؤمنا ولا مشركا ، أما المؤمن فيمنعه الله بايمانه ، أما المشرك فيقمعه الله بشركه ولكنى أخاف كل منافق الجنان . عالم اللسان ، يقول ما تعرفون ويفعل ما تنكرون » اذكروا هذا اليوم ، واذكروا معه من أخذ بأيدى هذه الأمة الى النهوض ، اذكروا معه مصطفى كامل باشا أمام الحرية الوطنية وأستاذ الأمة المصرية واقتدوا به لعلكم ترشدون » .

وحوكم الشيخ جاويش أمام محكمة جنح عابدين برئاسة القاضى محمود بك على سرور وكان فى كرسى النيابة عبد الحميد بدوى ، ووقف الأساتذة المحامون اسماعيل بك الشيمى وأحمد لطفى بك ومحمود بسيونى يترافعون عن الشيخ . وكانت التهمة الموجهة اليه اهانة القضاة ومحمد بك يوسف المحامى المدعى بالحق المدنى فى قضية دنشواى ، وقد حكم على الشيخ فى محكمة أول درجة بالغرامة ثم استأنفت النيابة الحكم .

وأمام محكمة جنح مصر الابتدائية المنعقدة بصفة استثنائية وقف الشيخ ، كانت المحكمة برياسة بوغوص بك أغوريان وكيل المحكمة وعضوية ابراهيم بك بولس والمستر كك بكوث القاضيين ، وكان عبد الحميد بدوى ، وكيلا للنائب العام الذى قال ان مقالة الأستاذ الشيخ عبد العزيز جاويش قد امتلأت بالمطاعن والاهانات .

وقد جاء فى مرافعة الأستاذ اسماعيل الشيمى ، أن الشرع الشريف بين مراتب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لغير الحاكم أربع وهى : التعريف . الوعظ . والكلام اللطيف . السب والتعنيف ، ثم المنع قهرا بطريق مباشر ، وردد الشيمى بك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : لا ينبغى لامرىء شهد مقاما فيه حق الا تكلم به فانه لن يقدم أجله ولن يحرمه رزقا هو له » وقال الشيمى بك : لا يجوز للقاضى ان يمتنع عن استماع ما يقدمه المدعى عليه من الدفع الشرعى الذى لو صح لترتب عليه عدم توجيه الخصومة عليه بل يجب على القاضى شرعا الاستماع لهذا الدفع وتكليف الدافع اثبات صحة ما دفع به .

وكان من بين ما قاله أحمد بك لطفى قوله : ان واجب الصحفى كواجب ربان السفينة الجارية فى بحر لجى متنائى الساحلين : كلاهما متى تبين الخطر عن بعد وجب عليه أن ينبه الناس أولا الى ما هو وشيك الوقوع وأن يعمل على ما ينجيهم من هذا الخطر ويجنبهم وقـوعه ثانيا ، والا كان كل منهما مفرطا فيما عليه وكان أول الهالكين .

ويقول الأستاذ أحمد لطفى فى النهاية : مأمورية القضاء فى هذه القضية سامية كبيرة وعمل الدفاع شريف ومركز النيابة حرج يحرجه الحق والقانون . فالمطلوب من حضراتكم أن ترجعوا الى القانون ، ثم ترجعوا الى ضمائركم : ترجعوا الى القانون ثم الى العدل بعد أن تصموا آذانا عن كل قول غير الذى تسمعونه فى المرافعات العلنية فان فى ضمائركم السليمة روح العدالة والانصاف لا تردد لحظة فى القضاء بالحق : واننا واثقون بعدالتكم ، وانا مطمئون لحكمكم فابحثوا قضيتنا وان كان بحثها يكلفكم عنـاء واعلموا أن حكمكم سيكون موضوع بحث العالم المصرى . والعالم العربى واعلموا أنكم بحكمكم العادل ستكتبون لأنفسكم فى التاريخ مجدا عظيما وتشيدون للحق صرحا عاليا » .

وكان الحكم بحبس الشيخ عبد العزيز جاويش ثلاثة شهور حبسا بسيطا قضاها الشيخ بكل جنان واطمئنان . وقد احتفى الشعب بالشيخ بعد خروجه من السجن فكرمه أجمل تكريم وقلده فى فندق شبرد ـ الفندق التاريخى ـ وسام الشعب وقد كتب عليه ° وهو من الذهب الخالص : تذكار الشعب الى الشيخ عبد العزيز جاويش اعترافا بوطنيته الصـــادقة كما نقش عليه الآية الشريفة « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونتلو أخبـاركم »

وكان بين ما قاله أحمد لطفى بك : يقولون بم تحتفلون وعلام تختلفون ؟ أتمجدون سجينا قضت عليه المحاكم بالحبس ، أو ترفعون الى درجات الكمال وجلالاته السجن ؟ ، يقولون وهم يحتفلون بالخائنين ، يسعون لنزيد لأنه عاد من سفر ولأنه يتزوج ولخالد لأنه رزق بولد ، يحتفلون بالغنى ، يحتفلون بالمال أما نحن فنحتفل بالبؤس ، لأننا نحفل بالآلام ، نحفل بالمصائب ، نحفل بكل جلل مادام السبب فيه خدمة للوطن فلهم أعيادهم ولنا أعيادنا ٠

وكان من قصيدة للشاعر عبد الحليم حلمى المصرى وهو يخاطب الشيخ جاويش :

وجعلت تقتحم الصعاب لما تشاء بلا نصير
ورأيت كيف نرى احتفاء الناس بالرجل الغيور
هـذا جزاء مجاهد ذاق العسير على اليسير

● وأخطر تلك القضايا ـ بلا جدال ـ قضية مقتل بطرس غالى باشا رئيس وزراء مصر فى ٢١ فبراير ١٩١٠ ، وقد تعمد كثير من الكتاب والمؤرخين اغفال تلك القضية ، خشية ما بها من حساسيات فالقاتل مسلم ، والقتيل قبطى ، وقد لعب الانجليز على اختلاف الديانة بين القاتل ، والقتيل ، بخبث ، بالرغم من أنه لا علاقة على الاطلاق بالدين والأسباب التى استند اليها القاتل ـ ابراهيم ناصف الوردانى ـ لقتل رئيس النظار ، ولعل فى مقدمة مايلفت النظر فى ملف تلك القضية : ماكتبه الأستاذ ناصف أفندى جندى المنقبادى المحامى : الى رئيس تحرير جريدة « الاكلير » التى تنطق بالفرنسية ، وقد جاء فى رسالته : حضرة رئيس التحرير : اسمح لى بصفتى مصريا أن أقرر بعض نقط تتعلق بمقتل بطرس غالى باشا رئيس الوزارة المصرية : ليس من اختصاصى تقدير عمل ابراهيم الوردانى ولكننى أريد أن أبدد التهم التى أشاعها الانجليز فى العالم كله ضد هذا الشاب ليقللوا من النتيجة السياسية لعمله فلقد اتهموه بأنه فتى مختل الشعور ، قليل الذكاء وانه أطاع داعى التعصب (الاسلامى) بقتله بطرس باشا غالى المسيحى ، الذى يقولون انه كان حرا ووطنيا : أنا أعرف الوردانى شخصيا وهو فتى شديد الذكاء كثير المعارف ملء صدره الوطنية الحرة ، وليس رجلا متعصبا ولم يقدم على عمله الا، بداعى الوطنية المتحمسة بعد أن ضاق صدره ـ كما ضاق صدرنا جميعا ـ من السياسة الانجليزية التى كان بطرس باشا غالى ينفذها باجتهاد ، وأنا بصفتى قبطيا ـ أعنى مصريا مسيحيا ـ أصرح بأن حركتنا هى حركة وطنية مجردة ، ترمى الى الترقى والحرية وما تهمة التعصب الاسلامى الا من اشاعات الانجليز التى يشيعونها ليبرروا المظالم التى يرتكبونهـا فى مصر » ٠

● اغتال ابراهيم ناصف الورداني بطرس غالى باشا ، لأنه رأس المحكمة المخصوصة التى حكمت بالاعدام على قرية دنشواى كلها ، وهو ـ بطرس غالى باشا ـ الذى أعاد قانون المطبوعات وسلط سيفه على رقاب الصحف والصحفيين ولأن ـ بطرس غالى باشا ـ كان له دور كبير فى مشروع مد امتياز قناة السويس وقد وجه الى ممثلى الأمة ـ أعضاء الجمعية التشريعية ـ الذين رفضوا المشروع عبارات عنيفة ، وكان الوردانى فى الجلسة التى تفوه بها بطرس غالى هذه العبارات التى أهاجت نفس الوردانى وجعلته ينتقم على بطرس غالى ، وقد خرج الوردانى من تلك الجلسة وهو يقول : يجب ان تسقط تلك الوزارة لأنها تستمد سلطتها من الانجليز لا من الأمة . قبض على الكثيرين من معارف الوردانى وأصدقائه على أساس أنهم شركاء فى الجريمة فصمم على أنه الفاعل وأنه لم يشترك معه الا اثنان يده وعقله ، وظل ثابتا على رأيه هذا ، الا أن حكم عليه بالاعدام ونفذ فيه الحكم شنقا . وكان قد قدم الى محكمة الجنايات كل من محمود أنيس وعلى مراد المهندسين وعبده البرقوقى ، وشفيق منصور الطالبين بمدرسة الحقوق وعبد الخالق عطية المحامى وعبد العزيز رفعت المهندس ، وحبيب حسن ومحمد كمال طالب بكلية الهندسة الى جانب ابراهيم الوردانى . ولكن قاضى الاحالة متولى بك غنيم أفرج عن المتهمين جميعا ما عدا الوردانى المعترف بأنه قتل بطرس غالى باشا مع الاصرار والترصد ، والذى ضبط متلبسا بالجناية وشهد شهود الرؤية عليه ، أحيل الوردانى الى محكمة الجنايات ، وكان الحكم عليه فى ٢٢ مارس ١٩١٠ ـ أى بعد شهر من وقوع الجريمة ـ ترافع فى القضية عبد الخالق ثروت باشا النائب العمومى وطالب بشنق المتهم وترافع عن المتهم محمود أبو النصر وأحمد بك لطفى وابراهيم الهلباوى : كانت المحكمة برئاسة دلبرأوغلى وعضوية أمين بك على وعبد الحميد بك رضا وكان الحكم فى ١٨ مايو ١٩١٠ باعدام ابراهيم ناصف الوردانى شنقا وقد نفذ فيه الحكم .



● ومن القضايا الهامة التى كان لها دويها الشعبى الهام ، قضية السيد السادات ضد الشيخ على يوسف صاحب المؤيد والست صفية السادات ، وكان الخديو عباس حلمى يقف الى جانب الشيخ على يوسف وقد كان وقوف الخديو عباس حلمى الثانى الى جانب الشيخ على يوسف من الأسباب التى أغضبت مصطفى كامل من الخديو ، وقد كتب أحمد شفيق باشا فى الجزء الثانى من كتابه « مذكراتى » فى نصف قرن ، ما يلى . لما ثارت قضية زواج صاحب المؤيد ، وعمل الخديو لتأييده من وراء الستار زاد نفور مصطفى كامل من خطة الخديو فلما سافر سموه الى ديفون هذا العام (١٩٠٤) زاره هناك مصطفى كامل وصارحه برأيه فى مضار هذه الخطة وبين له أن الرأى العام ، لا يعطف على الشيخ ، ثم حدثه فى أمور أخرى من هذا القبيل وكان حديثه للخديو بلهجة شديدة فغضب الخديو وغضب مصطفى كامل ايضا فلما عاد الثانى الى

مصر ، اعتزم قطع العلاقات بينه وبين الخديو فأرسل الى الخطاب التالى لسببه للخديو ، وينقل أحمد شفيق نص الخطاب الذى كتبه مصطفى كامل فى ٢٥ أكتوبر وأرسله من القاهرة الى الخديو . ويعقب أحمد شفيق على هذه القطيعة بقوله : وقد دامت الحال كذلك حتى كانت ١٩٠٦ حيث وقعت حادثة دنشواى فرجعت الصلات بينهما بوساطتى ، ويقول أحمد شفيق فى مكان آخر من كتابه . فوجئنا فيما سلف بقطع العلاقات بين الخديو ومصطفى كامل فى ١٩٠٤ فلما عزم مصطفى كامل على السفر لأوربا لقيامه بالمدافعة عن شناعة حادث دنشواى . رأى أنه من الواجب عليه ان يعيد العلاقات الحسنة بينه وبين الخديو ، حتى يستنير برأيه ويظاهره على اثارة الرأى العام فى أوربا وانجلترا ضد هذا الحادث فكانت الخديو بوساطتى ، فوافق عباس وأبلغت مصطفى كامل ذلك فسافر الى باريس فلندرة وقام بحركة ضد كرومر ، وخطب هناك خطبا كثيرة فى مجمع من الكبراء . كما كتب عدة مقالات فى الصحف الفرنسية ، وخصوصا الفيجارو . وأسهب جهوده باثارة الرأى العام الانجليزى نفسه على شناعة الاجراءات التى اتخذت وما وقع فى مجلس العموم الانجليزى من استجوابات كان له أثره فى صدور العفو عن مسجونى دنشواى .

● وانتقل الى حكم المحكمة الذى صدر فى ١١ أغسطس ١٩٠٤ ، معتمدا على نص الحكم ، الذى صدر فى ١١ أغسطس ١٩٠٤ بحضور حضرة العلامة الفاضل الشيخ أحمد أبى خطوة أحد أعضاء محكمة مصر الشرعيه .

● وقد ورد فى الأسباب الخاصة بفسخ العقد : حيث أن الخصوم اتفقوا على حصول عقد زواج الشيخ على يوسف صاحب المؤيد بصفية بنت السيد عبد الخالق السادات بدون علم والدها ، ورضاه بمنزل السيد توفيق البكرى بوكالة الشيخ حسن السقا خطيب الأزهر الشافعى المذهب الأجنبى منها على الكيفية المبينة بقسيمة الزواج الوارد ذكرها وحصل النزاع بينهم فى صحة هذا العقد وفساده فقال وكيل المدعى السيد أحمد عبد الخالق السادات أنه غير صحيح لعدم علم ورضاء والدها وعدم كفاءة الشيخ على يوسف المدعى عليه لموكله بوجه من الوجوه لأن موكله شريف حسينى والشيخ على ليس بشريف بل ليس بعربى ولاحترافه بحرفة لا يكون بها كفؤا لموكله الذى هو شيخ السجادة الوفائية وناظر على أوقاف أجداده التى يعيش منها و . . و .

وقد قال وكيلا المدعى عليهما أن العقد صحيح خاصة وأن والدها رضى بالشيخ على خطيبا لها المدعى وأخبر بذلك كثيرين وأنه قبض مهرها ولأن الشيخ على كفء لابنته ، وان المدعى والمدعى عليه متكافئان نسبا وحسبا ومالا ، وديانة وحرفة وفى كل شىء يتعلق بالكفاءة وهما شريفان المدعى حسنى . والمدعى عليه حسينى .

وقال وكيل الشيخ على أن موكله أكثر كفاءة من المدعى لأنه ليس بشريف وموكله شريف حسينى وهو أكثر مالا من المدعى وصاحب حرفة شريفة والمدعى لا حرفة له ولأن موكله عالم ، وأكثر من المدعى حسبا لأن الحسب هو الجاه وأما الاسلام والحرية فلم ينكر واحد منهما على الآخر شيئا منهما .

وعن الصحافة جاء ما يلى فى الحكم بالحرف الواحد ، وحيث أن حرفة الصحافة التى نسبها المدعى عليه لنفسه قسمان ، قسم يبحث فيه عن فنون وعلوم مخصوصة للارشاد . كالمجلات الغير يومية وهذه شرفها ، بمقدار شرف ما نبحث فيه وهى صحافة جليلة وهذا القسم لا يدعيه المدعى عليه لنفسه ، وقسم لا يختص بموضوع مخصوص وهو عبارة عن ارشـــاد من تتكون منهم الامة أى المملكة بارشاد الأفراد والعائلات والهيئة الاجتمـــاعية والحكومة فهى معدة لارشاد الأمة وبالجملة فهى عبارة عن الارشاد بما يلزم من ســـياسات النفوس والعائلات والملك والمراقبة وهى صحافة جليلة جدا ، ولا يمكن القيام بها الا بعد الاستحصال على كل معداتها من العلوم الاجتماعية وغيرها من علوم تهذيب الأخلاق ، ودراســـة أخلاق الناس ، وعوائدهم وسياسة الحكومات والتمييز فيما عليه والصحيح منــه ومعــرفة كيف يعالج الفســـاد ، وكيف يزيله ويرقى الأمة ويهذب الاخلاق ويلزم لذلك ان يكون القائم بها أشد الناس محافظة على الكمالات والآداب حتى يمكنه أن ينفع بنصحه وارشاده ، وأن يرقى الأمة المنحطة ويستمر فى ترقيتها ان لم تكن منحطة وهذا لا يتأتى الا اذا كان القائم بها من الطبقة الأولى ذكاء وعلما بالسياسة الداخلية والخارجيـــة وعلما اشتغل بها فى غير هذه الديار أكابر الناس عقلا وفضلا واشتغل بها فى هذه الديار بعض الفضلاء برهة من الزمان ولا يمكن المدعى عليه أن يدعى لنفسه بالأخلاق وتهذيبها وأن يعلم كيف ينصح وكيف يستفاد من نصـــحه ولذلك هذه الصحافة لأن تقلبه فى المبادىء بغير سبب وتعرضه للشخصيات فى ثوب المصالح العامة وسكوته عن بعض ما يلزم الكلام فيه لارضاء بعض من يهمه رضاه وكثرة أضراره عندما يريد أن ينفع ، وغير ذلك مما هو معروف يمنعه من دعوى القيام بهذه الصحافة لنفسه ولا تذهب به بعيدا بسرد شىء من ذلك لأنه معروف مشهور ، ونقف معه فى هذه الحادثة التى هى موضوع النزاع والبحث اليوم ولا نزيد عليها فاذا يكون المدعى عليه ليس مشتغلا بالصحافة قائما بها وانما هو مشتغل بشىء يشبهها ، اشتغل بها لأغراضه ملبسا له ثوب الارشـــاد والمصلحة العامة وهذا اشتغال نعتبر اشتغالا بأخس الحرف فلا يكون محترفا بحرفة شريفة .

وفى الحكم أن الشهادة فى الكفاءة يكفى فيها أخبار الشهود للقاضى بما يعلمون ولا يشترط فيها لفظ أشهد ولا التزم لأنها لاستكشاف حال المتخاصمين، وحيث انه بهذه الحالة يكون عقد نكاح الشيخ على يوسف صاحب المؤيد بصفية

بنت السيد أحمد عبد الخالق السادات حصل مع عدم كفاءة الشيخ على للسيد أحمد عبد الخالق السادات و . و . . .

ولهذه الأسباب حكمنا للسيد أحمد عبد الخالق السادات المذكور على السيد على يوسف صاحب المؤيد وصفية بنت السيد أحمد عبد الخالق المذكور بعدم صحة عقد زواجهما المذكور وعدم جواز اجتماعهما ، وقد نظرت القضية أمام محكمة استئنافية برئاسة قاضى أفندى مصر وعضوية العلامة الشيخ أحمد ادريس والعلامة الشيخ محمد ناجى وقضت المحكمة بتأييد الحكم المستأنف وصحته !!

صفحات من كتاب الحزب الوطنى

● ولعلى أكون أول من أزاح الستار عن جهود الحزب الوطنى فى أثناء الحرب العالمية الأولى وفى اعقابها . بين يدى وأنا أكتب هذه الكلمات مذكرة الحزب الوطنى المصرى الى الحكومات المحاربة والمحايدة تبدأ بالعبارة الآتية : ان الحزب الوطنى المصرى الذى كان ولا يزال من مبادئه «مصر للمصريين» والذى وقف نفسه للدفاع عن وطنه العزيز ضد أى اعتداء أو احتلال أو تداخل أجنبى تحت أى اسم أو بأية صورة يخاطب اليوم بهذه المذكرة كل الحكومات بلا استثناء حتى انجلترا وحلفاءها تاركا للعواطف والميول جانبا ملقيا بنفسه فى أحضان السياسة العالمية الحقة : اننا نريد أن نبين أن الحاجة الى السلم التام والى العدل والى الحق تحتم على كل الحكومات أن تساعد الحزب الوطنى على تحرير مصر من الاحتلال الانجليزى الذى تحول ظلما وعدوانا الى حماية فى ١٨ ديسمبر ١٩١٤ .

● وينهى محمد فريد تلك المذكرة ـ التى كتبها في استوكهلم فى ١٠ فبراير ١٩١٧ ووقعها باسم رئيس الحزب الوطنى المصرى ـ بقوله : ان مصر اذا أعطيت الحرية والاستقلال لجديرة بأن تبرهن للعالم انها ما فقدت شيئا من خصائصها الأصلية وانها لم تهدم ما لبناة الأهرام من ميزات أولئك الذين بهروا العالم بالهياكل ومقابر الملوك ، ان مصر لا تعرف المطامع الاستعمارية ، وليست لها آمال خارجية ولا تطمع فى أن يمتد ملكها أكثر من حدوده الطبيعية وانما تطلب أن تعيش حرة وأن ترتع فى بحبوحة السلم ، وأن يكون لها تحت الشمس مكان يليق بها بما لها من خصائص ، وما لأهلها من ذكاء وأن الحزب الوطنى المصرى يطلب من الحكومات المحايدة ألا تعترف بما قامت به انجلترا فى مصر فى أيام الحرب والا كان هذا الاعتراف خروجا على حقوق الحياد ، ويجب أن يظلوا على انكار هذا العمل وأن ينكروا جوازات السفر التى تعطيها السلطات هنا والسفراء هناك وأن قبول مثل هذه الأعمال الصادرة عن قوة غاشمة غير معروفة من الحقوق الدولية العامة يساوى الاعتراف المضمر بهذه الأفعال التى لا تستند الى حق ولا تعتمد على صواب وان حزبنا ليطلب من حكومتنا العثمانية ومن حلفائها

تقديم المسألة المصرية الى مؤتمر السلام القادم لأجل تسويتها نهائيا بما يهوى الشعب المصرى حسب فائدته وان الصلح الذى يترك مصر لانجلترا سيكون صلحا أعرج وسيحمل الانسانية على حرب تكون أفظع من الحرب الحاضرة .



● وبين يدى ايضا صورة من المذكرة التى قدمها الحزب الوطنى المصرى فى ١٠ أكتوبر ١٩١٧ الى اللجنة الاشتراكية الدولية التى كانت تمهد لمؤتمر استوكلهم ، والمذكرة أكثر تفصيلا من المذكرة السابق الاشارة اليها ، وقد بدأت تلك المذكرة بالاشارة الى سياسة بريطانيا الكاذبة ذات المواعيد الخادعة والايمان الحانثة والى تبديد الاحتلال البريطانى للثروة المصرية وبيع المحصولات بأبخس الأثمان والى ما قامت به سلطات الاحتلال من اعتقال للمواطنين ومن التجائها الى التجنيد الاجبارى وحشد مليون ونصف مصرى لمساعدة ذلك الاحتلال . وفى النهاية — نهاية المذكرة تطالب المذكرة باسم مصر أن يكون لمصر حقها الطبيعى فى أن تحكم نفسها بنفسها ذلك الحق الذى اعترفت به وقررته جميع الدول فى مؤتمر لاهاى والذى تزعم دول الحلفاء أنها تستمر فى الحرب من أجله ، وقد نشرت صحف استوكهلم هده المذكرة ، كما نشرت ملخصات لها العديد من صحف العالم .

● وعندما دعا رئيس لجنة السلام بمدينة استوكهلم المسيو كارل لندهاجن العضو بالبرلمان السويدى ومحافظ المدينة مندوبى الأمم المستعبدة الى اجتماع خاص فى ٩ نوفمبر ١٩١٧ فى قاعة فيكتوريا لسماع شكاواهم وحضر ذلك الاجتماع أكثر من ستمائة مدعو من أقطاب السياسة وفطاحل قادة الرأى العام وكان الشيخ اسماعيل الصفايحى القاضى — سابقا — بتونس أكبر الحاضرين سنا فقد تولى القيام بتوجيه الشكر الى اللجنة ورئيسها نيابة عن ممثلى الشعوب المضطهدة : ألقى كلمة باللغة العربية وقام بترجمتها محمد فريد بك الى اللغة الفرنسية وكان مما قاله الشيخ الصفايحى أننا لا نستطيع أن نتحمل تلك العبودية وسنبحث عن الوسيلة الفعالة للخلاص منها الا وهى القيام جماعة ضد الظالمين واقلاق السلام العام ، بطريقة أفظع من الحرب ، وكانت الآنسة ساكوك قد قامت بترجمة تلك الكلمة عن الفرنسية الى اللغة السويدية ، وتكلم الشيخ عبد العزيز جاويش فى ذلك الاجتماع عن مراكش بالنيابة عن السيد محمد العتبى الذى منعه مرضه عن الحضور ونجح الاجتماع نجاحا هائلا وأعد المؤتمر تقريرا عظيما . وكان ممثلى مصر فى ذلك المؤتمر : محمد فريد بك والشيخ عبد العزيز جاويش والدكتور على علوى ، وفيما يلى مقدمة ذلك التقرير : اجتمع مندوبو أمم الجزائر ، وتونس ، ومصر ، والقوقاز ، والهند ، ومراكش وطرابلس والطوزانية بمدينة استوكهلم فى شهرى أكتوبر ، ونوفمبر ١٩١٧ للبحث عن الطرق الفعالة لتحرير بلادهم من نير الاحتلال الأجنبى ، وحل جميع

المسائل الخاصة بأوطانهم بواسطة مؤتمر الصلح المقبل طبقا للحق الطبيعى لكل أمة فى ان تحكم نفسها . بنفسها ·

وأشار التقرير الى أن كل من تكلم بالنيابة عن الامم المستبعدة حرر مذكرة تفصيلية عن الأسباب التى بنى عليها مطالبه وقد وزعت تلك المذكرات فى جميع الأرجاء ·

● ولم تكن مذكرات الحزب الوطنى التى كان يكتبها فريد بك ، ومعاونوه ويبعث بها الى المؤتمرات الدولية والى الشخصيات المعروفة فى العالم كله بمناصرتها لقضايا الحرية والاصرار : لم تكن تلك المذكرات قاصرة على شرح المسألة المصرية من الوجهة القانونية وحسب وانما ركز بعضها على حالتنا الاجتماعية والعلمية والأدبية فى سنوات الحرب العالمية الأولى وخاصة حالة العمال المصريين وبؤسهم . والزراع المصريين وشقائهم والطلبة المصريين وفقرهم العلمى ··· من تلك المذكرات ، تلك التى تقدم بها الحزب الوطنى الى مؤتمرات برست ليتوفسك وقد وزعت على جميع الاعضاء ، كما وزعت فى جميع أنحاء العالم الا مصر بطبيعة الحال ، وقد أنهى فريد بك تلك المذكرة بقوله : تطلب مصر من مؤتمر برست لينوفسك أن يعترف صراحة بحقها فى أن تقرر بنفسها أمر المصير الذى ترغب فيه وشكل الحكومة الذى يتفق ومركزها وأخلاقها وعاداتها ، اما مباشرة بأخذ رأى الأمة واما بجمعية دستورية تنتخبها الأمة بحرية تامة ولكن ضمانا لسير الانتخابات أو اقتراح الأمة على أحسن و « أفضل » حال يكون من الضرورى سحب الجيش الانجليزى من مصر ، وكذلك جميع الموظفين المدنيين الانجليز . وكان المصريون المقيمون فى برلين وهم عبد الملك حمزة ، وأحمد طاهر ، ومنصور رفعت ، وعلى علوى ، والشيخ جاويش وفريد بك قد بعثوا بتلغراف بتاريخ فى ٢٣ ديسمبر ١٩١٧ الى مؤتمر برست ايتوفسك يلفتون به النظر الى ضرورة تحرير مصر طبقا لمبدأ الجنسيات الذى أقرته جميع الدول والذى أعلنه سوفييت بتروجراد · وبنى المصريون فى برلين طلبهم الخاص بتحرير مصر على الحق الطبيعى لكل أمة أن تحكم نفسها بنفسها وتبت فى مصيرها و · و ·

وفى نهاية التلغراف جاءت العبارة الآتية : ان حرية البحار التى هى أحد المبادىء الأساسية للديمقراطية على وجه عام والاشتراكية الروسية على وجه خاص لا يمكن أن تضمن ضمانا كافيا مادامت قناتنا تحت اشراف أية دولة كبرى ، ومصر وحدها ، مصر الحرة هى التى تستطيع أن تحميها وتضمن لجميع الأمم حرية المرور فيها وقت الحرب والسلام » ·

● وربما كنت أول من لفت الأنظار الى ذلك التلغراف الذى أرسله الحزب الوطنى ـ بعد أيام من عقد مؤتمر برست ليتوفسك الى لينين ، رئيس الحكومة

الســـــوفيتية شكرا له على ما صرح به من ضرورة تحرير مصر ، وحصـــولها على استقلالها ، وفيما يلى ذلك التلغراف الذى توصلت اليه بعد جهد جهيد ، وأكون بذلك أول من ينشره فى العالم بأسره :

تتشرف لجنة الحزب الوطنى بأن تعرب عن شـــكرها الأدبى لحكومتكم الديمقراطية بمعنى الكلمة بمناسبة تصريحها بأسمى وأغلى ما يمكن أن تصبو اليه الانسانية من المبادىء المتعلقة بالحرية والمساواة ، ان هذه المبادىء ، التى صرحتم بها وأنتم مجردون عن الهوى والغرض قد أنعشت النفوس وأحيت فى الأمم المستعبدة ميت الآمال فى حياة جديدة ملؤها السعادة والرفاهية : حياة قائمة على تحريرها من أغلال أصحاب رءوس الأموال وأصفاد محبى الاستعمار : ان اللجنة تشكركم بصفة خاصة على التلغراف اللاسلكى الذى أرسلتموه الى جميع الحكومات طالبين فيه تحرير مصر ، وترجو منكم أن تكلفوا مندوبيكم فى مؤتمر برست ليتوفسك بأن يطلبوا تحرير مصر من نير الاحتلال الانجليزى : ان المسألة المصرية مسألة دولية فى الواقع نظرا لمركزها الجغرافى ٠٠ الخ ، الخ ٠

● وكان خليل مدكور الذى كان من أقرب أصدقاء محمد فريد وتلاميذه والذى عمل سكرتيرا لفريد فى أخريات أيامه قد ذكر لى أن محمد فريد كان على علاقة طيبة بلينين ، عندما كانا يعيشان فى شارع واحد فى مدينة جنيف ، وقد حاولت أن أعثر على رد لينين ، على برقية الحزب الوطنى ولكنى لم أعثر على هذا الرد ، ولعله ، ضمن محفوظات الحكومة السوفيتية أيام كان يرأسها لينين ٠

● وقد كان للشيخ عبد العزيز جاويش جهوده الرائعة فى الحرب العالمية الأولى وقد اختلف مع فريد بعض الوقت ، ثم عادت الأمور الى مجاريها الطبيعية والشيخ جاويش لم يعرف طوال تلك السنين طعما للراحة ، جاب ـ كما يقول الأستاذ أحمد وفيق ـ سهول وجبال أوروبا من الدردنيل الى سويسرا ، ثم منطقة القتال النمسوية الى السويد وطوى فيافى آسيا من البوسفور الى قناة السويس ، دون كلل أو ملل ينتهز وقت الراحة عقب تحرير المقالات أو القاء الخطب والمحاضرات العديدة : لتأليف الكتب وتصنيفها وكلها دائرة حول المسألة المصرية : كان يكتبها باللغات الانجليزية ، والعربية أو الألمانية التى أتقنها كما أتقنها محمد فريد وصحبه ، وسافر الشيخ جاويش مع الحملة المصرية ، وبقى فى القدس الشريف ثم عين مديرا لجامعة القدس وجامعة المدينة التى كان يراد انشاؤها وعاد الى الاستانة واستمر فى اصدار مجلة العالم الاسلامى وكانت لا تقل أهمية واهتماما بالاخراج واختيار كتابها من كبار الساسة وعظماء الرجال عن أية مجلة أوروبية كبرى ولدى مذكرات خطية للشيخ جاويش أعتقد ان نشرها سوف يحدث دويا وطنيا هائلا !! ٠

● ومن قيادات الحزب الوطنى فى أوروبا ـ أيام الحرب العالمية الأولى ـ اسماعيل لبيب الذى هاجر مع الزعيم محمد فريد منذ عام ١٩١٢ وسار معه

أينما رحل وقد عاد الى مصر عام ١٩١٤ ، ثم عاد الى الآستانة ليكون فى مقدمة قادة الحملة المصرية التى أعدت لتحرير مصر من ناحية سيناء ! وعندما أصدر المسيو دلوز كتابه « الحالة فى مصر » مؤيدا فيه الاحتلال البريطانى ، رد عليه اسماعيل لبيب فى كتاب أسماه « مركز مصر » تحدث فيه عن المسألة المصرية من نواح عديدة : مالية وصناعية وزراعية وصناعية ، وحربية وبحرية ٠

وقد ألف اسماعيل بك مع محمد فهمى وعلى الشمسى ، ويحيى الدرديرى وكيل جمعية أبى الهول بجنيف كتابا عن مصر أسموه : مصر ، ومؤتمر السلام ، وتكلموا فيه عن مصر ، ومبادىء ويلسون واستقلال مصر قبل احتلال انجلترا لهـــا ٠

● وقد وضع محمد فهمى فى سنة ١٩١٧ كتابا أسماه المسألة المصرية منذ عهد محمد على حتى اعلان الحماية على مصر ، وكان يلقى المحاضرات والخطب فى المؤتمرات الدولية ، ويكتب المقالات الطنانة فى كثير من كبريات الصحف العالمية وقد شنت عليه جريدة الطان الفرنسية حملة شعواء بمناسبة خطبة عن مصر فى المؤتمر الاشتراكى الذى عقدت بمؤتمر لوزان سنة ١٩١٥ وكانت صحيفة الطان قد حرفت كلامه لتستثير الحكومة السويسرية ضـــده . ولتحملها على اخراجه من بلادها ارضاء للمستر لويد جورج السياسى ، البريطانى المعروف الذى كان محمد فهمى قد انتقده نقدا مرا ، لموقفه وموقف حكومته من مصر ٠

● وكان د٠ منصور رفعت يقيم فى سويسرا ، وقت أن أعلنت الحرب ، وقد حقق معه البوليس السويسرى وأنذره بأنه اذا وزع صحيفته فى سويسرا فلن تتوانى الحكومة السويسرية فى اخراجه من بلادها ، ولكن د٠ منصور رفعت ــ كما يقول أحمد وفيق ــ لم يلتزم بتعليمات البوليس السويسرى فعمد الى توزيع الصحيفة على صناديق البريد الخاصة وقامت الســـلطات السويسرية باخراجه من أرضها وبالفعل اتجه الى ألمانيا وبقى بها الى أن أعلنت الهدنة وقد أصدر عوض البحراوى واســـــماعيل كامل ــ من قادة الحزب الوطنى مجلة أسمياها « مصر » ، وكانت تصدر فى سويسرا فى الخامس عشر من كل شهر ٠

● ومن قادة الحزب الوطنى ــ فى الخارج أيضا ــ عبد الملك حمزة ، الذى هاجر الى مصر مع رفاقه فى أغسطس ١٩١٤ وعاش فى الاستانة ثم برلين وأصدر هو والشيخ جاويش مجلة العالم الاسلامى باللغة الألمانيـــــة وكتب فيها كبار الساسة الألمان ، والأتراك ، والعرب ٠ ومن بين هؤلاء القادة بل وفى مقدمتهم أحمد وفيق الذى أقام فترة طويلة فى ايطاليا كان فيها ــ كما فى غيرها من العواصم الأوروبية ــ صوت مصر ، المدوى وكانت له عـلاقات وثيقـــة بكبار الاشتراكيين فى ايطاليا ، ولقد أوشكت على الانتهاء من كتاب عن جهود فريد بك ورفاقه فى المنفى معتمدا على كثير من الوثائق التى لم تر النور بعد وفى مقدمتها

أكثر من ٢٠٠ خطاب بعث بهما محمد فريد من المنفى . الى أهله وأصـــدقائه وتلاميذه فى الحزب الوطنى : لقد كان هؤلاء الأبناء بقيادة فريد بك فى المنفى المعبرون الحقيقيون عن آمال شعب مصر بعد أن قام الاحتلال بكبت أنفاس الشعب المصرى طيلة سنين الحرب فلم يسمع للشعب المصرى صوت ، ومن الغريب أن هؤلاء الذين كافحوا وقاتلوا وتعذبوا فى سبيل خدمة القضية المصرية سنوات عديدة لم يذكرهم أحد من بنى جلدتهم ، بينمـــا ذكروا أولئـك الذين كانوا يتمسحون بأعتاب الاحتلال البريطانى فى مصر وبأذيال سلطان مصر وقتذاك .

مذكرة سرية للخديو عباس حلمى الثانى

● وقبل أن ننتهى من الحديث عن جهاد الشعب فى أيام الحرب العالمية الأولى يسعدنا أن ننشر نص مذكرة كان قد بعث بها الخديو السابق عباس حلمى الثانى الى ملك البلجيك (فى ١٥ أبريل ١٩١٦) وهى ضمن المذكرات التى لم تنشر من قبل والتى شرح فيها الخديو للملك ألبير ظروف منعه من العودة الى مصر . وسوف ننشر تلك المذكرات فى كتابنا عن محمد فريد فى المنفى اذا ما كان فى العمر بقية : قال الخديو عباس حلمى :

وصلت الى الاستانة بارحة عيد الدستور التركى . وحضرت فى الساعة الثامنة من صباح اليوم التالى العرض العسكرى لســـنة ١٩١٤ حيث دعانى الصدر الأعظم الى حفلة استقبال فى المساء . وهناك تعرفت بمستشار السفارة الانجليزى الذى كان يقوم بأعمال السفير .

وفى اليوم التالى ذهبت لتأدية الزيارة الرسمية الى الباب العالى . وعند خروجى منها وقع على اعتداء ، ولم تعن سفارة انجلترا بأمرى لدى الســـلطات التركية التى أجرت تحقيقا مدنيا أرسل تقريره الى مجلس الحرب دون أن تترتب عليه ولا على التحقيقات القضائية أية نتيجة .

وكان من أمر سفارة انجلترا أن أظهرت عدم اكتراثها التام .

وقع الاعتداء فى ٢٦ يوليه وفى ٢٨ من الشهر ذاته كان اعلان الحرب من النمسا على صربيا ، وتلته الاعلانات الأخرى المعروفة التى انتهت فى ١٣ أغسطس باعلان انجلترا وفرنسا الحرب على النمسا .

ولما رأيت الحوادث تتداعى بسرعة قررت العودة الى مصر فى الحال — على الرغم من حالتى الصحية — كى أقوم بواجباتى نحو بلادى . فأصدرت الأوامر ليختى بالاستعداد للسفر ، كما أخطرت بذلك جميع أعضاء الأسرة الخديوية المصطافين فى ذلك الوقت بالاستانة .

وعاد سر لويس مالت السفير من اجازته ولم يعدني ليسأل عن صحتي ، بل لم يعلني بعودته . زاعما أن المراسم تقضي بأن تكون أولى الزيارات المتبادلة من قبلي أنا .

فلما أصبحت قادرا على الخروج قصدت سفارة انجلترا وأديت زيارته دون أن أقابل السفير لأنه كان متغيبا عن الدار . ومضت الأيام الى أن جاء اليوم الرابع والعشرون من شهر سبتمبر ، فزارني ترجمان شاب أعلنني أن السفير يريد مقابلتي ليبلغني أن انجلترا لا تنظر الى وجودي في الاستانة بعين الرضا .

ويوم الاثنين ٢٦ أكتوبر زارني السفير وأكد لي في بداية حديثه أن العلاقات بين الحكومة البريطانية والحكومة العثمانية قد وصلت الى حالة تجعل استمرار اقامتي في الاستانة أمرا غير مرغوب فيه من جانب الوزارة الانجليزية . فأفهمته أني لا أتمسك اطلاقا بالبقاء وأني مستعد للعودة الى بلادي في الحال .

عندئذ صرح لي السفير في وضوح بأن الحكومة البريطانية ليست على هذا الرأي وأعلنني أن حكومته ترغب في أن تراني مسافرا الى ايطاليا حيث تتعهد الحكومة باستئجار دار لي في مدينة ايطالية أختارها .

ولما كنت حرا في حركاتي وتنقلاتي الى حيث أشاء فقد عرضت عليه أن أقصد الى سويسرا أو الى أي بلد محايد آخر ، فاعترض بأن المجاعة ضاربة أطنابها في سويسرا فلا أستطيع الذهاب اليها ، وأن الحالة الوحيدة التي تقبلها انجلترا انما هي حالة اقامتي في ايطاليا .

وأمام رفضي نهض وانسحب ، ولم تكن بيني وبينه بعد ذلك علاقة . وغادر السفير الاستانة في ٣ نوفمبر .

واني أود أن الاحظ أن السفير قبل انتهاء الحديث ـ وحين كان يتهيأ للانسحاب ـ سألني هل لدي شيء أقوله له ، فأجبته أني معتمد على عدم تحيزه في نقل أنباء حركاتي وأعمالي في الآستانة الى الحكومة البريطانية .

ثورة الشعب في ١٩١٩ (جذور العمل الفدائي)

● لي رأي خاص أومن به الى أبعد حدود الايمان ، ومنذ فترة طويلة واعتز به في الوقت ذاته الى أبعد حدود الاعتزاز وهذا الرأي يتلخص في أن ثورة ١٩١٩ من أعظم ثورات العالم ، فهي ـ مثلا ـ أول ثورة في أفريقية وأسيا بعد اعلان الهدنة في نوفمبر ١٩١٨ .

وهى — مثلا من ناحية أخرى — كانت نموذجا لغيرها من الثورات وخاصة بالنسبة للهند حيث أكد المهاتما غاندى زعيم الهند ، أن الهند اقتدت بمصر فى ثورتها ضد الاحتلال البريطانى ٠

ومن ناحية ثالثة ، كانت هذه الثورة تلقائية ، لم يقم أحد بتنظيمهـــا ولا الاعداد لها بدليل أن زعماء مصر وقتئذ : سعد زغلول وعبد العزيز فهمى ، ومحمد محمود . قد فوجئوا بها ٠

وبدليل أن بعضهم قال لزعماء الشباب الذين بدأوا الثورة فى ٩ مارس ، بدون تخطيط : دعونا نعمل فى هداء ٠

ومن ناحية رابعة — مثلا — أنها كانت شعبية بكل ما فى كلمة شعبية من معان ، فقد جمعت الشعب كله ، وهى كانت للمسلمين والمسيحيين ، وهى ليست ثورة طبقة معينة ، وانما هى ثورة جميع الفئات والطبقات والاتجاهات والميول، والعقائد ، وقد أحببت تلك الثورة منذ طفولتى وكنت أحب الاستماع الى قصص أبطالها من أبى وأعمامى وأخوالى وأقاربى ، وكل أبناء قريتنا ، الذين كانوا يحلو لهم الكلام عن تلك الثورة ، بأكثر مما كان يحلو لهم الكلام عن « هوجة عرابى » و « الولس » — الخيانة — الذى كسر عرابى ٠

وكان يوجد على مقربة من قريتنا بعض المعالم التاريخية والاماكن الأثرية ذات العلاقة الوثيقة بتلك الثورة ٠

وكم تمنيت — حتى وأنا طفل صغير غير مميز — لو أنهم أقاموا متحفا صغيرا فى كل قرية أو مدينة شهدت أحداثا من أحداث تلك الثورة ٠

وعندما كبرت وانتقلت الى العاصمة ، كان يحلو لى باستمرار أن أسـعى الى أولئك الذين شاركوا فى احداث تلك الثورة ٠

وكنت باستمرار أسميهم الشهداء الاحياء ٠

وكان هؤلاء الشهداء يقصون على ما لم أقرؤه فى الصحف ولا فى الكتب وكان بعضهم وقد صام عن الكلام سنوات حتى لا يضار باعتباره من قيـادات ثورة ١٩١٩ قد انطلق فى الحديث معى عن : أسرار تنشر للمرة الأولى ٠

بطولات ، لم يعرف أحد عنها شيئا بدأنا نسمع عنها ٠

وفى عام ١٩٥٣ ، حملت آلة تصوير وكنت قد اقتصدت ثمنها من مرتبى المتواضع بل الهزيل يومئذ وانطلقت أطوف مصر من أقصاها الى أقصاها باحثا عن أولئك الشهداء الأحياء ٠

وكلما سمعت عن واحد من زميل له ، أخذت عنوانه ، وانطلقت اليه •

واذكر انني قضيت أكثر من اسبوعين فى أسيوط ، من أسيوط الى ديروط ومن ديروط الى كل الاماكن التى شهدت احداثا ثورية هامة فى مديرية أسيوط وقتئذ •

وفى الشرقية قضيت أيضا أكثر من أسبوعين باحثا ومنقبا حتى بعض القبائل التى تسكن فى أماكن ثانية ، كنت أسعى اليها •

وقد حز فى نفسى وأنا فى التل الكبير ان الانجليز كرموا قتلاهم فى موقعة التل الكبير ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ سبتمبر ١٨٨٢ فى لوحات تذكارية قائمة بينما نحن لم نكرم شهداءنا ولم نرفع لوحة واحدة تشير الى أنه كان هنا أعنف قتال عرفته مصر فى تاريخها الحديث •

وفى الاسكندرية عشت فى مهرجان وطنى هائل ، وخطير ، فلم يكد الحاج رمضان زيان شيخ فدائيى الاسكندرية يعرف الهدف من رحلتى الى الاسكندرية حتى قادنى الى كل زملائه وغير زملائه ممن شاركوا فى تلك الثورة •

وقد أسعدنى أنهم جميعا ـ وبدون استثناء ـ لم يفقدوا أبدا أرواحهم الثورية ولم يحزنوا أبدا لأنهم أنفقوا شبابهم فى خدمة تلك الثورة بل كانوا يؤكدون لى أنهم لو أعيدوا الى شبابهم ، لعادوا الى ما كانوا عليه ثوارا مقاتلين •

كانوا يقولون ذلك والمجتمع قد ظلمهم ظلما بينا فلم يعرف لهم سابق جهادهم وحسب وانما تعمد الانتقام منهم ، فسلبهم حقوقهم !

● وقد أعجبت الى حد كبير بشخصية د سيد محمد باشا ـ وباشا كنية لا لقب ـ كان أحد زعماء الطلبة فى ثورة ١٩١٩ وكان أشجعهم وأقدرهم على الانتقال من مكان الى مكان •

ثم كان صاحب ذاكرة حديدية وما أكثر الجلسات التى استمعت فيها الى أحاديثه عن تلك الثورة كيف بدأت وكيف سارت ثم كيف بلغت الذروة ، ثم كيف أصابها دواعى الضعف بعد أن تسرب الى قادتها وباء الفرقة والانقسام • كان يروى لى الكثير من أغانى الثورة ، وأناشيدها :

يا عم حمزة ، احنا التلاميذة . ما يهمناش ، فى القلعة نبات ولا فى المحافظة •

مستبيعين ، ناس وطنيين ، واخدين ع العيش الحاف والنوم من غير لحاف •

ومرة ذكر لى أن وفدا من زعماء الطلبة ذهب الى بيت زعيم الأرمن فى مصر ، الذين انضموا للانجليز وكان الانجليز قد سعوا لاحداث انشقاق بين مصر والنزلاء الاجانب لكى يظهروا أن الثورة ليست ثورة تحررية وانما هى ثورة ضد النزلاء الأجانب ·

وبعــد حوار شاق ، ومرير ، نجح الطلبة فى اقناع زعيم الأرمن ومن معه بأن الانجليز هم وراء دفع الأرمن الى معاداة مظاهرات الشباب ·

وقد استطاع زعيم الأرمن بتفاهمه مع رئيس الجالية أن يوقف الخــوارج من الأرمن عند حد ·

ويذكر لى أنهم ــ زعماء الطلبة ــ لم يكونوا يجدون أسلحة يستخدمونهــا فى تلك الثورة ضد قوات الاحتلال البريطانى بعد أن اعتمدوا على العصى والطوب والخناجر ، والسكاكين ، فلجأوا الى أصحاب صالونات الحلاقة ليأخذوا منهم الأمواس التى يستخدمونها فى بقر بطـون الخيل التى يركبها الانجليز وهم يطاردون المواطنين حتى اذا سقط الجواد كان من السهل القبض على راكبه ·

● وعن جريدة المصرى الحرة التى أصدرها سيد باشا وزملاؤه من الطلبة قال سيد باشا : اكتشف الانجليز أمر تلك الجريدة فرأينا أن نسرع فى نقل مطابعها الى مكان آخـر فحملناها على ثلاث عربات كارو وانزوينا بها فى زقاق بعيد ، وكنت أرتدى الثياب البلدية ، فرجعت الى رأس الشارع خشية أن يكون أحد جواسيس الانجليز قد تبعنا وصح ما توقعت فقد رأيت بعضهم يتابع خطانا، ولكن هذا البعض لم يكشف أمرى فاقترب منى وسألنى : هل رأيت عربة محملة بالحديد ، فأجبته بلهجة أولاد البلد : اننى رأيتها تتجه بسرعة الى ناحية بعيدة أشرت اليها ·

وهكذا اتجهت المطابع التى أخفيناها عند أحد أصحاب الكارو ثلاثة أيام حتى نقلناها الى بيت مواجه لقسم الخليفة ·

وقدرأينا أن وجودنا بالقرب من القسم يبعد عنا الشبهة اذ لا يخطر ببال أحد أن يباشر الثائرون نشاطهم فى مواجهة قسم البوليس ·

● وكان زعماء الثورة يتنكرون فى أزياء وسمات مختلفة الا أن أحدهم وهو الحاج أحمد جاد الله ، وكان عمره يزيد على سنين سنة ، كان يكتفى بترك لحيته البيضاء مرسلة أمامه وكانت لحيته هذه تبعد الشبهات عنه ، عندما كان فى حوادث القاء القنابل على الانجليز واغتيالهم ·

وكان الأستاذ حسن كامل الشيشينى أستاذا فى مدرسة التجارة ، ولكن دروسه كانت دروسا وطنية ، رأيت الاستاذ الشيشينى لأول مرة عند الحاج

أحمد جاد الله بشبرا ـ وكان الحاج أحمد جاد الله أحد زعماء العنابر ـ وقد توثقت الصلة بيني وبينه ، وأزعم أن الرجل الثائر من داخله الهادىء فى مظهره، كان أحد الذين نجحو فى دفعى الى مجال العمل الفدائى ·

● وكان الشهود يقولون أنهم رأوا بين الثائرين رجلا طويلا ذا لحية بيضاء ولكن الانجليز كانوا يبعدون هذه الاوصاف من قائمة المتهمين وهم يظنون أن اللحية مستعارة ، وكانت زوجة الحاج جاد الله وهى شيخة مسنة تعاون زوجها وزملاءه فى حركة الكفاح فتجلس على مقربة من المكان المعين لغـــزو الثائرين وتتظاهر بأنها تضرب الودع وتشوف البخت ، فيأتى زملاء زوجها ويتظاهرون بأنهم يودون معرفة طالعهم ، بينما هم يمدون أيديهم خلسة الى السفط (السبت) الذى تضعه بجانبها ويلتقطون منه القنابل ، والمفرقعـــات والمسدسات التى يستأنفون بها نشاطهم ضد المستعمرين حتى اذا ما انتهت عمليتهم عادوا اليهـا وأخفوا المسدسات التى يستأنفون بها نشاطهم ضد المستعمرين فتعود بها الى المنزل بينما هى تنادى فى الطريق ·· نشوف البخت ونضرب الرمل ، زين نبين ·

وقد ظل الحاج جاد الله مستترا خلف لحيته البيضاء فأبعدت عنه الشبهات مدة أربع سنوات ثم كشف أمره وألقى القبض عليه وقدم للمحاكمة ·

وفى المحكمة جلس القضاة الانجـــليز يحاكمونه فكان يطلب منهم أولا ـ عندما يوجهون اليه سؤالا ـ أن يصلوا على النبى وكان يرفض الاجابة على أى سؤال الا اذا صلوا على النبى بصوت مرتفع ، ويصلى القضاة الانجليز على النبى ولكن أحمد جاد الله ، يقول : وكمان صلوا على النبى ·

ويظل كذلك سبع مرات ثم ينفى الاتهام عن نفسه قائلا : بقى واحد شيخ زيى يقدر يمسك مسدس ويقتل ، يا ناس دانا رجلى والقبر كمان زيدوا النبى صلاة ·

وكانت محاكمة أحمد جاد الله قفيفة الظل فكان الحاج أحمـــد يكثر من القاء الطرف والنكات حتى اضحك المحكمة أكثر من عشرين مرة ولم يفقد الشيخ أعصابه الا مرة واحدة ، عندما زارته أمه فى السجن وقد بلغت من العمر مـا جعلها لا تستطيع السير ، الا على عكازين فلما رآها كذلك بكى ، فغضبت الأم ، وقالت له : أتبكى ؟ اذن أنت لســت ابنى ولا أعرفك ، ان ابنى كما أعرفه لا يبكى وهو يجاهد :

وصرخت به وهو الذى بلغ الستين : كن رجلا ، يا ولد ·

● ويروى لى عريان سعد ـ وكان صديقا عزيزا ـ قصة تحوله مـن

طالب فى كلية الطب الى قاتل ، لقد تطوع - وهو المسيحى - لقتل يوسف وهبه باشا ، المسيحى ، حتى لا تقوم فتنة طائفية كتلك التى حدثت أيام أن قتل ابراهيم ناصف الوردانى بطرس غالى باشا رئيس الوزراء ٠

وكان يوسف وهبه قد خرج على اجماع الأمة ، فقبل رئاسة الوزارة ٠

ذكر لى عريان سعد ، كيف كان بعض الشيوخ والقسس يصيحون فى الكنائس : أقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا ٠

ورأى أن يقوم هو بقتل يوسف وهبه باشا ولم يكن قد بقى على تخرجه من كلية الطب سوى أسابيع قليلة ٠

وعندما ألقى القنبلة على يوسف وهبة باشا لم يترك مكانه . والا فان الغرض من ارتكاب جريمته ، لن يتحقق . اذ من المحتمل ، أن يتهم أحـــد المسلمين بقتله ٠

واعترف عريان سعد بأنه القاتل وأنه قبطى كرئيس الوزراء ٠

ولكنه يفترق عنه بأن دينه الوطنية ٠

ونجا رئيس الوزراء من الموت وعرض على عريان مبلغ عشرين الف جنيه ليدل على شركائه فى الجريمة ، ولكنه رفض ٠

وقال محاميه الانجليزى ، أن كل قاتل ، يبقى عنده بعد ارتكاب الجريمة أمل فى الهرب وواحد فى المليون هو الذى لا يمكن أن يكون عنده هذا الأمل ، والواحد فى المليون هذا هو عريان يوسف سعد ، وقضى عليه بالاعدام ولكنهم خففوا عنه الحكم الى الأشغال المؤبدة ، وقد بقى فى السجن عشر ســـنوات حتى أفرج عنه ، وكان كل زملائه قد اصبحوا رؤساء وزارات ، ورؤساء مجلس نواب ووزراء ولكنه ٠٠ قنع بوظيفة صغيرة الى أن أنشئت الجامعــة العربية فكان أحد موظفيها ! الفنيين ! وللعلم سيد باشا هرب من مصر بعــد أن دخل الشقاق بين زعماء الثورة واتجه سرا الى ايطاليا ، عاش هناك ست سنوات حصل فيها على دكتوراه فى العلوم وظل عاطلا حتى سنة ١٩٣٦ حيث عينه النقراشى فى احدى وظائف وزارة المعارف !!

● واذا كان الشىء بالشىء يذكر كما يقولون فان تقرير شفيق منصور الذى كتبه عن حوادث الاغتيالات فى مصر فى ٢٠ يونيو ١٩٢٥ والذى أرسله رسل باشا حكمدار البوليس مع مخصوص (ملازم أول بندرس المعين بسجن مصر للمحافظة على المحكوم عليهم فى قضية مقتل (المأسوف عليه السردار) قد اشار الى حادثة يوسف وهبة باشا وانه تقرر اغتيال يوسف وهبة باشا فى منزل الصوفانى بحضور الصوفانى بك وعبد الرحمن الرافعى بك ، وأحمد

ماهر ، ومصطفى حمدى (ضابط بوليس) وأنه أخذ رأى النقراشى (بك) على انفراد وانتدب مصطفى حمدى من فرع تابع الى عبد الحى كيرة الذى كان تابعا الى مجموعة د. أحمد ماهر ، وذهب مصطفى حمدى مع عريان سعد للقيام بتمرينه .

وأنه فى يوم الحادث سلمت الى القاتل قنبلتان ومسدسان وبالطو أصفر .

وقد كذب الرافعى وماهر ، والنقراشى ما جاء فى تقرير شفيق منصور ، كذلك كذبه عريان سعد الذى اعترف بأن القنبلة قد اشتراها من أحد الايطاليين وان مصطفى حمدى لم يرافقه وانه لا يعرفه مطلقا وانه لم يذهب الى منزل الصوفانى مطلقا ، ولم يكن عضوا فى جمعية سرية لارتكاب الجرائم والحادثة وقعت فى ١٥ ديسمبر ١٩١٩ .

وكان تقرير شفيق منصور قد ذكر أيضا أن القرار الخاص باغتيال اسماعيل سرى باشا قد اتخذ فى منزل الصوفانى . وبحضور ماهر ، وشرارة بك والرافعى بك وشفيق منصور .

وانتدب ماهر للعمل واختير أحمد توفيق للتنفيذ وهو من فرع كيرة وجرح فى ظهره من القنبلة ، كما يشير التقرير أيضا الى حادث محاولة اغتيال محمد شفيق باشا وكيف أخذ القرار بالطريقة السابق الاشارة اليها وتم أخذ رأى النقراشى بواسطة ماهر .

● كما أشار التقرير أيضا الى حوادث محاولات قتل كل من حسين باشا درويش وتوفيق نسيم باشا وثروت باشا ومستر براون بوزارة المعارف والبمباشى كييف والسير ينجوت وحسن باشا عبد الرازق واسماعيل بك زهدى وغيرهما ، الحوادث التى اتهم بالاشتراك فيها محمود فهمى النقراشى وأحمد ماهر ، والحاج أحمد جا الله وآخرين ، وهى التى عرفت بقضية الاغتيالات السياسية . . . .

● كان المحامون أمام قاضى الاحالة عن ماهر ، والنقراشى ، مصطفى النحاس ، مكرم عبيد ، محمد نجيب الغرابلى وكان دفاع مكرم عبيد عن زميليه ماهر والنقراشى قطعة من الأدب الرفيع وقد بدأها بقوله : ارجو ان يعذرنا حضرة القاضى اذا ما طمعنا فى الكثير من وقته وسعة صدره فهذا الكثير انما هو قليل بازاء ما نطمع فيه من عدله وحسن تقديره ، ولقد شاء الله أن يبلوك فجعل حياة المتهمين وديعة بين يديك وان يشرفك فصور العدل كلمة تخرج من بين شفتيك فاقض بما أنت قاض فانا لقضائك مطمئنون ، غير أن القضية ليست قضية المتهمين فقط بل هى من وجهتها العامة قضية خطيرة فى ذاتها ، وفى نتائجها وليس ذلك لأنها قضية حزب من الاحزاب فان شفيق منصور

كان سخيا فى توزيع التهم على أحزاب مختلفة أو بالاحرى ، على أفراد ينتسبون الى أحزاب مختلفة ٠

ولكن القضية قضية الوطن المصرى والنهضة المصرية من وجهتها السياسية وقضية الحرية الشخصية أو مأساتها من وجهتها الجنائية فمن الوجهة السياسية تنحصر القضية فى نقطة واحدة ٠ وهى هل حدث حقيقة أن عددا من كرام المصريين الذين اشتركوا فى النهضة المصرية ووهبوها اقصى ما فى نفوسهم من خير ومن جهد قد اشتركوا فى جرائم القتل السياسى فكانوا قتلة سفاكين لدماء الابرياء من الانجليز وغير الانجليز ٠

أقول كلا وأنادى بملء فمى كلا : ويكفى للتدليل على براءتهم أن أقول أنهم وطنيون مخلصون فى وطنيتهم لان الوطنية وهى الفضيلة القصوى لا تتفق مع القتل ، وهو الرذيلة السفلى ولأنه من المحال أن يكون الشر سبيلا الى الخير، كما انه لم يقل أحد أن الخير طريق الى الشر ٠

ولأنه ما من حق مهما سما يتعارض مع الحق الأسمى وهو حق الحياة ٠

فاذا استنكرت الوطنية المصرية جرائم القتل فليس ذلك لأنها ضارة بنا أو بغيرنا فحسب بل لأنها شر فى ذاتها وما نحن الا طلاب خير ، ولأنها اعتداء على حياة الغير وحريتهم وكل ما نطلبه هو أن نعيش تحت الشمس احرارا ولأنها ظلم بين ، وما نحن الا طلاب عدل ، وحرام ألف حرام أن نضيف الى مظالم الغير ظلما من أنفسنا لأنه اذا صح ان الظلم فى يد القوى قوة فهو فى يد الضعيف ضعف ، ان اليد التى مددناها ولا زلنا نمدها الى الانجليز والأجانب يد شريفة طاهرة كما أنها يد أبية فان أخذوها فهى لهم وان رفضوها فالله لنا » ٠

ويستأذن مكرم عبيد فى ان يطعن فى تصرفات هيئتين محترمتين من نظامنا المصرى الا وهما البوليس والنيابة ، ويقول : ويزيد اسفى لأنى كرجل من رجال القانون فى نصه وروحه ٠

ويسمى مكرم عبيد تلك القضية بأنها قضية الاستثناءات فالأفضل أن يسأل المتهم ، ولكن فى هذه القضية يجرى التحقيق بعيدا عن المتهم ، ولا يسأل الا مرة أو مرتين ٠

والأصل أن لا يحبس المتهم حبسا احتياطيا حتى يقوم عليه الدليل ، أما هنا فالمتهمون حبسوا أشهر عسى ان يقوم عليهم دليل ٠

الأصل أن لا يسجن انسان سجنا انفراديا لمدة أكثر من أسبوع بشرط أن يكون محكوما عليه فى جريمة أولا وارتكب ما يخالف لوائح السجن ثانيا ،

أما عنا فقد حبس المتهمون حبسا انفراديا بدل الاسبوع الواحد . أربعين أسبوعا ، تقريبا ولم يحكم عليهم فى تهمة ما .

● ويطيل مكرم عبيد الحديث عن الحالة النفسية لشفيق منصور فيقول ضمن ما يقول : انى واثق أنه لو تنسى لأى محكمة أن ترى شفيق وحالة الجنون أو الجنون التى كان فيها لما أقامت لأقواله أى وزن .

ولست فى ذلك مستنتجا بل نقرر حقيقة واقعة : والبحث فى نفسية شفيق والتعمق فى هذا البحث قد يحتم على الباحث أن يفعل كما فعل دانتى اى ينزل الى الجحيم ، فقد كان شفيق فى جحيم من نفسه ومن سجنه واذا كانت الحكومة تظن أنها قد عاقبته باعدامه فهى مخطئة فقد مات المسكين مرات عديدة قبل ان يموت موته الاخير .

وقال مكرم : وعد شفيق بتخفيف العقوبة اذا هو اعترف على شركائه وثبت أن اسماعيل صدقى باشا والهلباوى بك وعبد الملك حمزة أبلغوه هذا الوعد .

وقد كان الوعد أقسى من الوعيد فكان أثره عليه أقسى من الحمى على الجسم ولذلك كان يندفع اندفاع المحموم ويهذى هذيانه فى اتهام الأبرياء بدون حساب أو ضمير ، وكلما عاد الى صوابه عاوده شبح المشنقة المخيف وهكذا كان الوعد مصدر عذاب لهذا المسكين حتى أنه حرم من راحة اليأس واليأس احدى الراحتين .

ويقول مكرم عبيد مخاطبا قاضى الاحالة ، أما هؤلاء المتهمون الابرياء فقد تعذبوا كثيرا ولم يذنبوا لا قليلا ولا كثيرا .

ولقد وضع الله هناءهم وشقاءهم فى كفة الميزان الذى بين جنبيك فاذا خلوت الى نفسك يا حضرة القاضى فاذكر ما عاناه ويعانيه هؤلاء المتهمون وأحمد الله انك قاض وأن العدل من حقك بل من واجبك ، اذكر ما يعانيه هؤلاء المتهمون من ظلم ، واظلام وما هم عليه من ثبات ورباطة جأش واذا رأيتهم رجالا لا يبكون ولا يستبكون فارحم شجاعتهم فهى شجاعة الصابرين والصبر أمر من البكاء .

وأذكر آلامهم فهى فى طيات الخفاء والجبان يجزع دون أن يتألم بينما الشجاع يتألم ولا يجزع ، وما ذلك الا أن الألم يتغلغل فى نفسه لا ترطبه دمعة ولا تسلبه أنة !!

● ولكى نعطى صورة جيدة وجديدة ـ فى نفس الوقت ـ للحياة فى مصر ، فى عام ١٩١٩ بعد أن نشبت فيها الثورة الشعبية التى أسميناها ثورة ١٩١٩ تعتمد فى اعطاء تلك الصورة على أعداد من الصحف التى صدرت فى ذلك الوقت ، والتى يعتبر تواجدها سليمة غير منقوصة ثروة تاريخية هائلة وفى مقدمة ما نعتمد عليه أعداد من جريدة النظام التى كان يصدرها الصحفى الوطنى الكبير الأستاذ سيد على الذى كان فى مقدمة من بعث بهم مصطفى كامل الى فرنسا لدراسة الصحافة هناك دراسة علمية منطــورة ، والتى أهدنيها صديق العمر الأستاذ أحمد سعيد الاعلامى الكبير ومدير صوت العرب الأسبق فكان كريما للغاية •

وسأحاول فى تلك الصورة التى أرسم بها الحياة وقتئذ أن أهتم بالجوانب السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والتعليمية ، لتكوين الصورة كاملة غير منقوصة ، ولكى ينتقل القارىء من أيامنا هذه ، ليعيش مع شعبه فى ١٩١٩ مع ملاحظة أن الرقابة على الصحف وقتئذ كانت قاسية وعنيفة وكانت لا تسمح بنشر أخبار الثورة الا نادرا •

وكان بعض الصحفيين الأذكياء يتحايلون على تلك الرقابة فينشرون بعض ما يريدون نشره من أحداث ووقائع بطرق مختلفة وأساليب متباينة ـ اهتمت مثلا ـ الصحف فى ١١ أغسطس ١٩١٩ باعتصاب (أى اضراب) عمال الترام مؤكدة أن عمــال المترو يتوعدون باضراب لهم أيضا وذلك بســبب غــلاء المعيشة الذى بلغ مبلغا لا يطاق وقيام المدير الجديد لشركة الترامواى باستبدال العمــال بغيرهم ، رويدا رويدا فيطردهم واحــدا وراء الآخر بلا محاكمة ولا مناقشة •

ويؤكد هذا المدير الجديد أن كل ما يقوم به من أعمال بوحي من مجلس ادارة الشركة فى بروكسل •

وتشير الصحف الى مطالبة عمال المترو بجعل ساعات العمل ثمانية وزيادة ثلاثين فى المائة من الأجر وثلاثة أيام راحة فى الشهر ومعالجة المريض ومكافأة من يترك الخدمة بمرتب شهر عن كل سنة وأن يكون للعــامل حق الركوب مجانا وعلاوة سنوية وأن يــكون لكل قسم من أقسام العمــل لائحة تقرها نقابتهم •

وتنشر الصحف أنباء عقد اجتماع لمحافظ القاهرة بحضور أحمد لطفى بك وزكى أفندى العريبى ، وأمين أفندى عز العرب وحسين أفندى رياض صبحى

المحامون عن عمال ترام العاصمة : كما تشير الى المذكرة التى قدمها لطفى بك عن حقيقة مطالب العمال القاضـــية بأخذ فائدة على تامينــاتهم المودعة لدى الشركة ٠

و « يعتصب » فى ٣٠ أغسطس ١٩١٩ عمال محاليج القطن بدمنهور لأنهم يعملون من ستة عشرة ساعة الى ثمانية عشرة ساعة كل يوم ويتقاضون على ذلك أجورا تافهة لا تقوم بلوازم العيش فى هذه الأيام التى اشتد فيها الغلاء الى حد لم يكن فى الحسبان ٠

ويشكو العمال فى نفس الوقت من تشغيل الأطفال اناثا وذكورا فوق طاقتهم وتشغيل النساء ليلا فى ظروف تدعو الى تداخل من يهمه الآداب العامة ٠

● وتنشر الصحف ـ فى ٨ سبتمبر ١٩١٩ بيان الحزب الديمقراطى وتدعو الجماهير الى الانضمام اليه ليقوى وكيف أنه لا يقصد هدم بناء بناه غيرنا انما نرفع صرحنا ونكتب على أبوابه آمالنا ونرسم فيه خطتنا التى نتبعها فى الأمل والعمل ٠

ويعلن بيان الحزب عن شعار الحزب « حقنا نطلبه وواجبنا نؤديه » وكان مجلس ادارة الحزب من ابراهيم الشواربى المحامى ، وأحمد أبو النصر المحامى ، وأمين عامر المحامى وحسين يوسف المحامى ومحمـــــد سامى كامل الطبيب ، ومحمود عزمى المحامى ، مصطفى عبد الرازق سكرتير المعاهد الدينية ، الدكتور منصور فهمى ، عزيز سيدهم المحامى ٠

ومبادىء الحزب الديمقراطى تتلخص فى استقلال مصر داخليا وخارجيا وتفويض الشعب سلطته الى هيئة نيابية تنتخب على أكمل طريقة لتمثيله تمثيلا صحيحا ٠

ويكون من اختصاص تلك الهيئة فرض الضرائب ومحاسبة الحكومة والمساواة بين المصريين فى الحقوق والواجبات وحرية القول والكتابة والاجتماع وجعـــل التعليم الابتدائى عاما واجباريا ومجانيا للبنين والبنات وترقية الطبقات العاملة أدبيا وماديا واعانة من لا يستطيع العمل والاعتراف بحق كل شعب فى حكم نفســـه ٠

● والجدير بالذكر أن كل الطوائف كانت قد أنشأت نقابات خاصة حتى كان البعض من أعضاء أية فئة يعلنون عن انشاء نقابة لهم مهمـــا كان عـدد الأفراد ، وغالبا ما يتخذون شخصية بارزة ليعهدوا اليها بمهمة المستشار الخاص بنقابتهم وأذكر أن عمال الاسبرتو قد اختاروا الاستاذ منصور فهمى مستشارا لنقابتهم ، وأذكر أنه كان لكتبة المحامين نقابتهم ولمأذونى الشرع نقابتهم بل ان

الكثير من فئات الطلبة كانت لهم نقاباتهم ، فلطلبة دار العلوم نقابتهم ولطلبة المعاهد نقابتهم ولطلبة مدرسة المهندسخانة نقابتهم وعمال الكنس والرش بهذه المدينة أو تلك لهم نقابتهم .

● وكان للمرأة المصرية نشاطها فى كل المجالات فالى جانب اشتراكها وتنظيمها للمظاهرات ، كان لها نشاط آخر ، من بينه ـ مثلا ـ : جمعيـــة السيدات المصريات ببورسعيد مثلا تحيط علم الأمة بأنها قررت الاعلان بطريق النشر على صفحات الجرائد الحرة بتحذير الشعب المصرى فردا فردا من الجنس اللطيف والنشيط من التوقيع على أية ورقة كانت لها علاقة بلجنة اللورد ملنر لا بوجه من الوجوه ولا بسبب من الأسباب حيث أننا فيما سبق قد وكلنا نحن جميعا الوفد المصرى الكريم فى المطالبة بتحرير بلادنا ونحن نحتج بشدة ونتبرأ من كل انسان يخالف ذلك) .

وتنشر الصحف للآنسة سعاد أحمد ببنى سويف بيانا قالت فيه أنها فتاة مصرية تحب بلدها من كل قلبها ، « وباسم مصر ، أطلب الى كل مصرى وكل مصرية أن يعملا على مقاطعة لجنة ملنر ، مقاطعة تردها بخفى حنين » .

وتنشر الصحف كلمة لحنيفة أحمد كشك (الاسكندرية) قالت فيها أنها تألمت جدا لمرض محمد فريد بك وأنها تضم صوتها الى صوت المطالبين والمطالبات بعودته الى وطنه ، وان كنت ـ حنيفة ـ على ثقة مطلقة من أنه يفضل أن يبقى فى الخارج مجاهدا فى سبيل الوطن الى أن تنال البلاد استقلالها .

● وتنشر الصـحف ـ فى أواخر أكتوبر ١٩١٩ بيـــانات موجزة عن مظاهرات القاهرة وكيف أن مصلحة التنظيم طلبت من وزارة الحربية عدم ايفاد الموسيقى العسكرية الى حديقة الأزبكية حتى تصدر أوامر أخرى ، وبذلك لم تصدح الموسيقى فى يوم الأحد الماضى خشية حدوث مظاهرة كالتى وقعت فى مساء الجمعة السابق .

وقد تظاهر طلبة مدرسة الجمعية الاسلامية الثـــانوية وخرجوا بمظاهرة مروا بها على بعض المدارس الالهامية والرشاد ، وغيرها وكانوا يهتفون بتضامن الطلبة وبحياة سعد باشا وسقوط الاستبداد .

وتشير الصحف الى مظاهرات قامت بها صـــغار الطالبات فى مدارس البنــات وتخللت بعض الشـــــوارع وهن يهتفن لمصر ، وللحرية وقد انتهت مظاهراتهن بسلام .

ويحضر الأستاذ محمد أفندى كامل البندارى المحامى ، أمام محكمة الجنح الجزئيــة فى عابدين يوم ٤ نوفمبر للدفاع عن الطلبـــة المحتجزين فى قسم

الأزبكية · ومن بين أولئك المتهمين محمود عبد السلام ، ومحمـــود رشدى وعبد المجيد أحمد زكى نجيب والشيخ أحمد عمار بالأزهر الشريف وكامل محمد من الفلاحين وراتب يوسف (حمال) وعوض حسن (طباخ) وصديق محمد (خادم) ·

● وتنشر الصحف فى ٢٩ أكتوبر ١٩١٩ تلغرافا بعث به طالبات مدرسة المعلمات الى رئيس الوزراء محتجات على اطلاق الرصاص على المتظاهرين العزل بالاسكندرية وكذلك أضربت طالبات مدرسة المعلمات بها يوما كاملا وأرسلن تلغراف احتجاج الى رئيس الوزراء على ما حدث بالاسكندرية من قتل النفوس وعدم سحب الجنود الانجليز من شوارع الاسكندرية ·

وقد أمر قاضى محكمة عابدين ، بالافراج عن المقبوض عليهم فى الحوادث التى سبق الاشارة اليها لأن النيابة لم تحصل على اذن بالقبض من القاضى الجزئى المختص ·

● وتنشر جريدة النظام فى ١٤ نوفمبر ١٩١٩ ورقة من أوراق الشاعر الكبير حافظ ابراهيم وتهديها الى الأمة المصرية وقد كان من بين أبيات قصيدة حافظ ابراهيم التى لم تنشر من قبل :

ولت بشـــاشة دنيـــانا ودنيـــاك ... وفارق الأنس مغنـــانا ومغنـــاك
حماك دونى أســـود لا يطاولهـــا ... شاكى السلاح فكيف الأعزل الشاكى
وجشـــمونى على ضـــعفى وقوتهم ... أن أمسك القول حتى عن تحـــاياك
وارصدوا لى رقيبـــا ليس يخطئه ... هجس الفؤاد اذا حاولت ذكراك
يحصى تردد أنفـــاسى ويمنعنى ... نفح الشـــمائل ان جازت برياك
منعت حتى من النجوى وسلوتها ... وكم تعللت فى البـــلوى بنجواك
ما كاد يـــأتى على نفس ويـــوردنى ... موارد الحتف الا حبـــك الذاكى
تناولت ما وراء النفس غايتـــه ... وقر فى خلجان القـــلب مثواك
قالوا سلا عنك غدرا وابتغى بدلا ... وكان بالأمس من أوفى رعاياك
كم لى أحاديث شوق لا تنافحهـــا ... زهـــر الرياض ولا يسمو بها الحاكى
أن تنكريها فكم طار الرواة بها ... الى حماك وكم قد عطرت فاك
ســـتعلمين اذا ما الغمرة انحسرت ... من صـــد عنك ومن بالنفس فداك
رميت عنك الى أن خاننى وترى ... ولم أضن فى اسارى عهد نعماك

● وتنشر الصحف فى ١٤ ، ١٥ نوفمبر احتفالات مصر بعيد الجهاد ، ولم يكن قد ســـمى بعد عيـــد الجهاد وانما ســـمى ببدء النهضة الوطنية ·

وكان الاحتفال الأكبر قد أقامه الشيخ الوقور محمود سليمان باشا رئيس لجنة الوفد المركزية حيث اجتمعت ـ كما قيل فى الصحف ـ الأمة بأسرها وكان من بين الذين شهدوا الاحتفال الأكبر : ابراهيم باشا سعيد ، ومحمود باشا أبو حسين وعبد الخالق باشا مدكور وعبد الرحمن فهمى بك وحافظ بك عفيفى ، وويصا واصف بك وسينوت حنا بك والدكتور محجوب ثابت وأحمد بك الشيخ وأمين بك الرافعى وحفنى بك محمود . ومحمد عبد الكريم بك عسران وعبد الحليم البيلى بك ونحو خمسة آلاف مصرى هتفوا للوفد وللحرية والاستقلال وقد ألقى فى الاحتفال الشيخ مصطفى القاياتى قصيدة قال فيها :

قد سعينا نطلب الحق وما بين أيدينا رصاص أو أسل
فاشهدوا فينا وعنا أبلغوا أنكم أنتم مع الحق رسل
قد خلعنا النير عنا فانشروا ، أن شعب النيل بالنيل استقل

وكان من الخطباء فى ذلك الحفل الأب القمص سرجيوس ·

وعندما ذكر بعض ما حدث له فى معتقل رفح قوبلت كلماته بالتصفيق والهتاف ودعت كلماته محمود باشا أبو حسين الى تقبيله فى جبينه بين هتاف عال وتصفيق حاد ·

وألقى الشيخ زكى مبارك أبياتا وأعقبه الشيخ مهدى علام الطالب بدار العلوم ·

وألقى قصيدة عصماء من بين أبياتها :

سعد وكيل القطر من شيخ الى طفل وليد
كل يعضد رأيه والرأى من سعد سديد
والله يجعل نجمه رغم الأعادى فى صعود
يا سعد والأنباء تنمي ما تشاء وما تريد
قالوا سنجعله رئيسا للوزارة من جديد
ظنوا بأن حقوقنا سلع تساوم كالعبيد
ليست مطالبنا لتقبل أن تنقص أو تزيد

الى أن يقول :

فليحيى سعد مجاهدا عن حوضنا أبدا يذود
ولنحيى عيد جهادنا عيد الهناءة والسعود

وتوالى الخطباء وخرج الجميع الى الأزهر الشريف حيث كان قد سبقهم اليه أكثر من ثلاثين ألف مصرى ·· ووقف الشيخ محمود أبو العيون وبيده العلم

المصرى ، وعلى رأسه علم أخضر نقشت عليه آيات التضامن والوحدة ووقف الى جواره الأب سرجيوس والاستاذ العالم مصطفى القاياتى الخ . الخ .

● وتنشر الصحف ـ وخاصة النظام ـ فى ٢٠ نوفمبر نبأ وفاة الزعيم الفريد محمد فريد وتنشر تاريخه بالتفصيل كما تنشر آخر خطاب له بعث به الى صهره اسماعيل بك لبيب يقول فيه : اننى فى حدود ألمانيا الآن ، وسائر فى طريقى الى برلين لاجراء عملية جراحية وأنا متوكل على الله .

وكان فى مقدمة المعزين محمود سليمان باشا واسماعيل صدقى باشا .

وأرسل سعد باشا زغلول الى على بك الشمسى تلغرافا هذا نصه : « موت فريد بك أحزننا فنعزيكم العزاء الجميل » .

وأرسل حمد باشا الباسل وعبد اللطيف المكباتى . ومصطفى النحاس البرقية التالية : « تأثرنا تأثرا شديدا لموت فريد بك فنعزيكم العزاء الجميل » .

● وقد تألف الحزب المستقل فى منزل الدكتور عبد الحميد بك العرابى بعضوية محمد أفندى ابراهيم هلال وشريف باشا وعزمى باشا وحسين بك تيمور وتوفيق بك شهاب الدين وحسن بك مراد أعضاء مجلس الحزب وانضم الى مجلس الحزب الأساتذة عبد الباقى سرور محرر الأفكار السابق وعبد الحليم أفندى الغمراوى المحرر بالنظام ، وثلاثة من الطلبة أولهم من الحقوق ، وثانيهم من المهندسخانة وثالثهم من دار العلوم و . و .

نهضـــة اقتصـــادية

● وطلعت حرب محرر النهضة الاقتصادية التى قامت بمصر فى أعقاب ثورة ١٩١٩ بل وقبلها بقليل من مواليد قصر الشوق بجهة الجمالية بالقاهرة وكان أبوه من عائلة حرب بناحية ميت أبو على من رجال أعمال الزقازيق ، وقد آمن ـ منذ مطلع شبابه ـ بأن النهضة السياسية لابد وأن تسير الى جانبها نهضة اقتصادية وأن الأعمال المالية والصناعية والتجارية يجب أن تعتمد على المصريين بعد أن تهرب منها الكثيرون وقد دعا طلعت حرب الى ضرورة علاج مشاكلنا الاقتصادية ، بالاعتماد على المصريين وأموالهم فى مؤتمر عقد بالقاهرة سنة ١٩٠٨ ولم تجد دعوته النجاح المرجو فأعادها فى ١٩١٠ ونشر كتابا كان عنوانه « علاج مصر الاقتصادى ومشروع بنك للمصريين أو بنك الأمة » وراح يكتب فى الصحف مؤيدا دعواه بكل الأدلة وما أن اشتعلت ثورة ١١٩٩ حتى رمى بفكرته فى أتون تلك الثورة ونجح فى ربط الاقتصاد بالسياسة ونجح فى ذلك الى حد كبير واستطاع مع بعض رفاقه أن يعلنوا ـ فى ٧ مايو ١٩٢٠ ـ ميلاد بنك مصر ، الذى كان ـ وحده ـ ثورة اقتصادية : بدأ البنك متواضعا

للغاية برأس مال قدره ثمانون ألف جنيه ، كانت أسهم البنك مصرية لا يملكها الا المصريون ، وتعرض قيام بنك مصر ، لمزيد من السخرية بضآلة رأسماله وتوقع الكثيرون للبنك ، الفشــل الذريع ولكن طلعت حــرب لم يأبه بتلك الحمــلات الساخرة فأعلن أن برنامج البنــك يتلخص فى تشجيع المشروعات المشروعات الاقتصادية المختلفة التى تعود على البنك وعلى البلاد بالخير الجزيل وفى المساعدة على انشاء الشركات المالية والصناعية والتجارية والزراعية وكذلك انشاء الغرف التجارية والنقابات التعاونية للزراع والصناع والتجار وبث روح العمل والتضامن فى الشبيبة المصرية والحث على وضع أساس سليم للتربية الاقتصـــادية ٠

وأشرف طلعت حرب على أعمال البنك مبتعدا ــ ومنذ اليوم ــ عن السياسة الحزبية حتى يكون بنك مصر ، لجميع أبناء مصر وزاد بسرعة رأس مال بنك مصر وأصبحت له شهرة عالمية ٠

وبدأ طلعت حرب المرحلة الثانية من برنامجه الاقتصادى فأنشأ ــ أول ــ ما أنشأ ــ مطبعة ومكتبة مصر ثم وجه عنايته الى القطن ــ المحصـــول الرئيسى للبلاد ــ فجعل له سلسلة حلقات متصلة بعضها ببعض كالحليج والنقل ، والغزل والنسيج والتصدير والتأمين ٠

وبعد القطن جاء ــ فى التصنيع ــ دور الحرير والكتان.واتجه طلعت حرب بعد القطن والحرير والكتان الى النقل فى البحر ، وفى النهر وفى الجو ، ثم اتجه الى السينما وكان أول من وظف السينما لصالح مصر والمصريين وأول من ساهم فى توجيه السينما وجهة وطنية قومية أثرت الى حد كبير فى وجدان الشــعب المصرى ٠

ولم يكن بنك مصر ، بقيــادة طلعت حرب ينــافس المشروعات الحكومية ولا الحكومة ، وانما كان يتعاون معها ، فى كل المجالات : فى البناء والانشــاء والتعمير وكسب ثقة الوزارات المتوالية ، كلهــا اذ لم يكن الرجل يؤيد وزارة ويعارض وزارة ، وانما كان متعاونا مع جميع الوزارات ، حتى راحت الوزارات كل الوزارات ــ بعد أن قويت شوكة البنك ــ تخطب وده ، وليست بقــادرة ــ حتى اذا أرادت وصممت ــ أن تنال من البنك شيئا ٠

وكان طلعت حرب من دعاة الوحدة العربيـــة ، وأول من طبق الوحدة العربية تطبيقا عمليا دون شعارات أو هتافات ٠ كان بنك مصر ، سوريا ــ لبنان ، أول لبنة فى الوحدة العربية فكان اعداده لبواخر مصرية تقوم بنقل الحجاج ، وانشاؤه للعديد من الفنادق المصرية فى الأراضى المقدسة وقيامه بسك عمـــلة سعودية ، لتثبيت أسعار النقد هناك ٠

ونجحت الثورة المصرية . العربية الاسلامية فى مجال الاقتصاد الى أبعد الحدود ، ثم عاد طلعت حرب بعد أن ارتفع بناء الاقتصاد المصرى الى مجال الآداب والفنون فشيد دار التمثيل العربى بحديقة الأزبكية وشجع المسرحيات المصرية والعربية والغنائية ونجح طلعت حرب ، ومن ورائه بنك مصر فى هذا المجال ـ مجال الفنون والآداب ـ نجاحا باهرا . ثم تسلل الحقد السياسى . الى قلوب بعض السياسيين ـ كما جاء بالتفصيل فيما أثبتناه فى سنوات ما قبل الثورة ـ فتآمروا ضد طلعت حرب وخيروه بين أمرين من أخطر الأمور ، اما أن يترك البنك ، واما أن يقوموا هم باغراق البنك وكانت ظروف الحرب واعلان الأحكام العرفية وفرض السيطرة الأجنبية على البلاد . تمكن هؤلاء الحاقدين من تنفيذ تهديداتهم فآثر طلعت حرب ، أن يفتدى البنك ، بنفسه . وأن يقدم له بتلك التضحية وثيقة الخلاص ، ولم يطل به المقام بعد تلك التضحية الغالية فاستأثرت به رحمة الله فى بلدة العنانية بالقرب من دمياط فى ٢١ أغسطس ١٩٤١ .

● ويطيب لى أن أنقل لمحات لطلعت حرب ، من خطبة القاها فى مساء الجمعة ، ٧ مايو ١٩٢٠ فى الاحتفال بتأسيس بنك مصر ، فى دار الأوبرا وذلك لاعطاء صورة عن آمال الرجل ، وطموحاته والحياة الاقتصادية وقتئذ ! ان فكرة تأسيس بنك مصر برءوس أموال مصرية ، يعمل لمصلحة مصر قبل كل مصلحة سواها ليست بالحديثة بل هى فكرة قديمة قد أراد الله تحقيقها الآن فى أنسب الأوقات ، وأوفق الظروف فما علينا الا أن نشمر عن ساعد الجد والاخلاص للسير به الى الأمام ، ففى البلاد أموال عظيمة بعضها مخزون ، معطل . وبعضها فى بنوك أجنبية وكلاهما لا تستفيد البلاد منه شيئا مذكورا .

أحصى جناب المستشار المالى للحكومة المصرية ودائع الحكومة المصرية وودائع الأفراد فى بنكين اثنين ـ البنك الأهلى ، وبنك الانجلو ـ بما يربو على ٣٥ مليونا من الجنيهات ، ولو أننا قلنا أن نصف تلك المبالغ للمصريين ، وكان توظيف هذا النصف لصالح مصر ، وشئونها الاقتصادية ، أليس فى ذلك أكبر خدمة للبــلاد وأهلهــا .

ويقول جناب المستشار المالى أن مجموع المبالغ التى شغلتها مصر ، فى الخارج فى المدة المنقضية من سنة ١٩١٥ الى سنة ١٩١٩ مبلغ ١٥٢ مليونا : ١٣ مليونا المودع من الحكومة ومن الحراسة الرسمية لأموال الأعداء : ٦٥ مليونا لحساب اصدار البنوك ، ٦٠ مليونا من البنوك والشركات ، ١٤ مليونا من الشركات والأفراد ، وهذا تقدير تقريبى أيضا .

ويطرح طلعت حرب فى خطابه سؤالا ، خاصا بتأسيس مدارس للتجارة العليا والمتوسطة والليلية : هل قامت البنوك والشركات بتشغيل أحد منهم ؟ اللهم لا ، الا النادر الذى لا حكم له بينما نجد الباقين فى الغالب كتابا فى المصالح الحكومية .

ويرد طلعت حرب على الاعتراضات التى وجهت الى فكرة انشاء بنك مصرى، وفى مقدمة تلك الاعتراضات : اننا أردنا لبنك مصر ، ورأس ماله صبغة مصرية فاثبتنا تعصبنا وتأخرنا فى المدنية وأنه ليس فى مصر ، من يصلح لأعمال البنوك وان الأمة مع كل الطبل والزمر اللذين أحاطا بالمشروع لم يمكن أن يجمع منها سوى ٨٠٫٠٠٠ جنيه من أسماء كثيرين اكتتب كل منهم ، بمبلغ زهيد مما يدل على أن الأمة غير مستعدة للأعمال الاقتصادية ثم ماذا يراد أن يعمل بمثل هذا المبلغ الزهيد الذى قد لا يفى ربحه لدفع أجرة « المحل » ومرتبات بعض الموظفين ٠

واننا ـ طلعت حرب ـ نرد على هذه الانتقادات ضاربين عرض الحائط بالسباب والشتم اللذين تخللا ويتخللان عبارات هؤلاء المعترضين الذين لا يرضيهم طبعا أن يشاركهم مصرى فى تلك الأرباح التى يربحونها من المصريين كأن الله تعالى قد خصهم بها دون غيرهم ، فتراهم ، يعادون شخصيا كل من يحاول من أبناء البلاد أن ينال شيئا منها ويقاتلونه ويعتبرونه معتديا عليهم ٠

● ويرد طلعت حرب على تلك الحملات والانتقادات ، ويذكر ـ ضمن ما يذكره ـ أن أحد المحلات الفرنسية التجارية باسكندرية قد نصح تجار بلاده بأن لا يوكلوا عنهم فى مصر ، غير فرنسيين ويبلغهم استياء مواطنيه من وجود وكلاء ، غير فرنسيين عن بعض البيوت التجارية الفرنسية ٠

« وها هى ذى أمريكا تشترط فى سفن الملاحة المملوكة لها أن تكون «أهلية» أى يكون جميع أصحابها أمريكيين وأركان حربها أمريكيين ، وأن تكون مصنوعة فى دار صناعة أمريكية ، وكذلك اليابان ، وسويسرا ، يقصرون الأعمال التجارية على مواطنيهم ويبلغ بطلعت السخرية بنقاده ومعارضيه الى أن يقول أنهم يرموننا بأننا جهلاء لانصلح لادارة بنك ، فحقهم أن يشكرونا على أننا من أول الأمر أردنا أن نحمل نتيجة جهلنا ـ لا قدر الله ـ لأنفسنا ولا يشاركنا غيرنا فيها فما بالهم يناقضون أنفسهم ! ويكون طلعت حرب واضحا ، فبنك مصر ، لن يستثمر أمواله الا فى وجوه سليمة مأمونة تحقق أرباحها فى الأجل المحدد لها بالأصل والربح ، وبربح آخر ، للعمل ولن يشتغل بنك مصر فى المضاربة لنفسه ، ولن يساعد الغير عليها ، وهو ـ بنك مصر ـ ليس جمعية خيرية ولا ملجأ للعاطلين ولكنه محل تجارة يعمل عملا تجاريا على مبادىء وأصول قويمة لن يحيد عنها ان شاء الله ٠

وعندما احتفل بافتتاح فرع مصر فى المحلة الكبرى فى ١٤ سبتمبر ١٩٢٤ قال طلعت حرب : ان فى القطر المصرى عيبا جوهريا فى تكوين طبقاته العاملة وتوزيع جهودها على مختلف نواحى الانتاج ٠

● وقد نشأ هذا العيب اخلال فى التوازن الاقتصادى والمالى ويكفى للتدليل عليه أن نقارن بين العاملين فى الانتاج الزراعى ، والعاملين فى الانتاج الصناعى ، ثم العاملين فى التجارة ، عندئذ نرى أن العاملين – بين مصريين وأجانب ذكورا واناثا – يبلغون فى الأعمال الزراعية ٤ر٠٠٨ر٩٠٠ شـــخص ، فى حين أنهم لا يزيدون عن ١٥٧ر٥٢٦ فى الأعمال الصناعية أى أن المشــتغلين بالصناعة لا يزيدون عن ثمن العاملين فى الزراعة فى حين لا يزيد عدد المشتغلين بالتجارة عن ٢٧٦ر٥١٠ أى نصف المشتغلين بالصناعة . ١/١٦ من المشتغلين بالزراعة ، ويذكر طلعت حرب عن صناعة النسيج فى مصر أنه لما أقامت ترنسا معرضا عاما فى ١٨٦٧ وأراد الخديو اسماعيل أن تشترك مصر فيه وقع الخيار على أحسن مايعرض من منسوجات البلاد ومصنوعاتها فكان مما وقع عليه الاختيار منسوجات من المحلة الكبرى قطنية عرضت في مجموعة رقم ٢٧ من هذا المعرض ، وصوفية عرضت فى مجموعة ٢٨ منه وفوط من الصوف والحرير عرضت فى مجموعة ٢٩ وقد أثبت هذه الحقيقة مسيو شارك ادمون المكلف من قبل الحكومة المصرية وقتئذ بتنظيم القســم المصرى فى هــذا المعرض ، أثبته فى مؤلف له طبع فى نفس العام (١٨٦٧) .

● وقال طلعت حرب أيضا فى دمشق فى ٧ موليو ١٩٢٥ عندما كرمه المجمع العلمى العربى : أنشأنا أول بنك مصرى قومى ، بأموال مصرية بحتة وبادارة مصرية بحتة وقررنا أن تكون المراسلات فيه بين عملائه باللغة العربية وأن تكون حساباته باللغة العربية ، فهزأ بنا الهازئون ، وقالوا أن المحاسبة من واردات الغرب وأنها فن من فنونه غير قابل للانتقال الى الشرق بغير لغة الغرب ولكنا أهملنا استهزاءهم وأجرينا مراسلاتنا وكتبنا تقاريرنا باللغة العربية » ، وعن بنك مصر قال ان أرباحه تدرجت من ثلاثة آلاف جنيه فى سنة ١٩٢٠ الى ٩٢ ألف جنيه فى سنة ١٩٢٤ وأن الودائع والأمانات فيه وهى بارومتر الثقة العامة به بدأت بمائتى ألف جنيه فأصبحت حوالى ثلاثة ملايين من الجنيهات فى سنة ١٩٢٤ .

● وعندما احتفل بمشاهدة بعض الصور المتحركة التى صنفتها شركة مصر للتمثيل والسينما وعرضتها فى تياترو حديقة الأزبكية مساء يومى ٢٩ ، ٣٠ ١٩٢٧ تحدث – أمام المشاهدين – طلعت حرب قائلا : منذ يوم أن اخترعت السينما فى مصر ١٨٩٥ والرواية مظهره الأعظم ، ومن أجل الرواية اتسعت صناعات السينما فوجدت مصانع لصنع الأشرطة الخام ، ووجدت مصانع تصنع آلات لأخذ المناظر ولتحميض الأشرطة وتلوينها وتشغيلها وطبعها و . و . ومن أجل الرواية ومن أجل اقبال الجماهير عليها تكونت طبقات جديدة من الفنانين :

ومن أجل الرواية وجدت أحياء كاملة بل وجدت مدن كاملة قائمة بذاتها ، بجبالها ووديانها وأنهارها ، وبحيراتها وبيوتها ، ليجرى فيها التصـوير بآلة

التصوير الخاطفه ، ومن اجل الروايه ومن اجل اقبال الجمهور عليها تكونت الشركات السينمائية ، ودور السينما و ٠٠ و ٠٠

وأشار طلعت حرب الى انشـــاء مصنع كامل الاســتعداد لأخذ المناظر بماكينات و ٠ و٠ فى شقة كبيرة من عمارة مطبعة مصر فى شارع الدواوين ٠ وقد استحضرنا هذه الماكينات من الخارج لاستحالة صنعها فى مصر ، وللوصول الى نتيجة مرضية ـ أى اخراج أشرطة مصنوعة صنعا فنيا ـ عانينا الكثير من المتاعب حتى انتهينا بعد عامين الى استخدام جمـــاعة من الفنيين الأوروبيين القادرين على مزاولة هذه الأعمال الفنية ٠ وتبعا لخطتنا وهى أن تكون المعاهد التى نقيمها بمثابة مدرسة لتدريب المصريين ألحقنا بجوار كل فنى أوربى مصريا يتعلم منه وطمأنا الأوروبى على مستقبله حتى لا يبخل بتعليم المصرى و٠ و ٠

وقد أشار طلعت حرب الى ضرورة استخدام أشرطة الســينما المصرية للتعليم ولمقاومة الدعاية الأجنبية الباطلة وللأغراض العلمية وللدعاية لمحاصيل البلاد الزراعية وعن منتوجاتها الصناعية وعن تجارتها ٠ ويقول طلعت حرب : ـ أننا أنشأنا شركة مصرية تجارية تؤدى خدمات عامة ليس من خصائص الدولة أن تقوم بها مباشرة ولهذا فان عملنا لا ينظر فيه الى الربح ولكننا لا نريد لشركة مصرية مساهمة أن تعيش بخسارة لأن الشركة التى تؤدى وظيفتها بخســارة لا تستطيع أن تعيش طويلا ، لا نقصد الى الربح فى ذاته فالغاية العامة مقدمة على ربح الشركة الخاص ٠

وعندما احتفل بنك مصر فى ٧ مايو ١٩٣٥ على مرور خمسة عشر عاما على انشائه كان من بين ما قاله طلعت حرب عن نشاط البنك : لقد أنشأنا مطبعة وشركات لصناعة الورق ولحلج الأقطان وللنقل والملاحة وللتمثيل والســينما ولنسج الحرير وللغزل والنسيج لمصايد الأسماك للكتان لتصدير الأقطــان ، وللطرق ، وللسياحة و ٠ و ٠

وان سبب نجاح بنك مصر هو الابتعاد عن زحام السياسة والحزبية وليس ذلك ناتجا عن عدم اكتراث بمصالح البلد العليا ، وانما أخذا بالحكمة المأثورة « لكل عمل رجال » ٠



● ومن الأمور التى اعتبرها البعض بديهيات أو مسلمات ـ بضم الميم وفتح السين واللام ـ لايجوز مناقشتها موضوع تصريح ٢٨ فبراير : لقد رفضناه عند صدوره وربما كانت هناك وقتئذ ظروف تبرر ذلك الرفض ولكن بعد انتهاء الظروف الوقتية التى أدت الى الرفض بعد أن تولى سعد زغلول الذى كان فى مقدمة المهاجمين لذلك التصريح ، بناء عليه كان من الضرورى أن نبحث ـ من جديد ـ أمر ذلك التصريح وان نفتح آذاننا ، وقلوبنا وأذهاننا لسماع أصوات

المدافعين عنه ، ولكننا لم نفعل ، فنحن ـ وبكل أسف شديد ـ فى كثير من القضايا التاريخية ، ننظر نظرة عاطفية بحتة ، ونصدر أحكاما قاطعة لانعود عنها، حتى بعد ان تنكشف لنا الحقيقة ، وهى أننا كنا فى أحكامنا من المتسرعين ٠

● وربما كان من الأمور التى شدت الجماهير ، الى ما كتبته وأكتبه عن سنوات ما قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ انه لا توجد بديهيات أو مسلمات واننى لا أتقيد برأى سابق أو حتى باتفاق الآراء من زمن معين حول الحكم على موضوع معين وانما أناقش الأمر بعيدا عن التأثر بأى حكم سبق ، محاولا ان أعيش فى الظروف الموضوعية التى كانت موجودة ، وقت حدوث ذلك الامر ، ثم لا أفيد نفسى ـ وأنا أصدر حكمى ـ الا بما أعتقد أنه الحق ، والا بما يتفق مع ما أراه من منطق ! ٠

وقد كنت فى مقدمة الذين رفضوا تصريح ٢٨ فبراير بل ونددوا به ولكننى سمعت اسماعيل صدقى يدافع عنه ، ثم قرأت فى مذكراته فيما بعد أوجه الدفاع عن هذا التصريح ، وقلت فى نفسى ، لماذا لاندع الرجل يدافع عن عمل شارك فيه وكان مؤمنا بجدواه ٠

● قال اسماعيل صدقى باشا فى مذكراته ، انه بعد استقالة عدلى يكن باشا وبعد ان اقتنع اللورد اللنبى بضرورة تغيير السياسة البريطانية فى مصر ، التى تقوم على العنف ، واغتصاب الحقوق ، وانه لابد من الالتجاء الى سياسة التفاهم والمسالمة ، بدا اللورد اللنبى يتصل بعدلى يكن باشا وبثروت باشا وبه ٠ ـ اسماعيل صدقى باشا ـ وذلك بغية وضع مشروع يمكن أن يكون أساسا للمفاوضات المقبلة ولاتفاق مقابل بيننا وبين الانجليز دون أن تلتزم مصر ، بشىء ٠

واتصل اللنبى بكثير من الأوربيين أصحاب المصالح فى مصر ، وفى مقدمتهم البارون فرمان فان دى بوش الذى كان نائبا عموميا بالمحاكم المختلطة وقتئذ وكان البارون يتمتع بثقة السلطان فؤاد وصداقته وكنا ـ ثروت باشا وأنا ـ نداوم الاتصال بعدلى يكن باشا نستمع الى اشاراته وقد وضعنا مشروع تصريح ٢٨ فبراير وتوليت كتابة هذا المشروع باللغة الفرنسية ٠

واتفقنا مع اللورد على أن يقدمه الى حكومته وان يصرح به دون أن تلتزم به مصر ٠

وأهم ما فى التصريح : اعلان رفع الحماية عن مصر ، والاعتراف باستقلالها وما يترتب عليه من نتائج دولية وداخلية والغاء الأحكام العرفية التى أعلنت فى نوفمبر ١٩١٤ كل هذا مع احتفاظ انجلترا ، بتأمين المواصلات البريطانية والدفاع عن مصر ضد كل اعتداء خارجى وحماية الأجانب ومسألة السودان ، وذلك الى حين يتسنى ابرام اتفاقية بين مصر وانجلترا ٠ وفى أوائل يناير ١٩٢٢

سافر اللورد الى لندن ، وبعد تباطؤ ، وتردد من الحكومة البريطانيـة وافقت الحكومة البريطانية على اعلانه فى ٢٨ فبراير من تلك السنة ثم قدمه الى مجلس العموم لمناقشته ، وفى يوم ١٥ مارس ١٩٢٢ أعلن اســتقلال مصر ، وأصبح السلطان فؤاد ملكا ٠

ويقول صدقي باشا عن أعمال وزارة ثروت باشا : لقد أعلنت تلك الوزارة استقلال مصر ، وأعلنت ان لجنة الدستور التى أنشأتها قد انتهت من وضع ذلك الدستور أنها ألغت الحماية والغت وظائف المستشـارين الانجليز فى وزارات الحكومة ولم تستبق منهم سوى مستشارى المالية ، والحقانية مع قصر مهمتهما على ابداء الرأى والمشورة ، ومما يؤسف له أن البلاد قد سمعت بدعايات ضد تصريح ٢٨ فبراير كانت من أهم ما سبب استقالة وزارة ثروت باشا ٠

وشهد شاهد من أهلهم

● ويكتب المارشال ويفيل فى كتابه « اللنبى فى مصر » فضلا عن تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ مستهلا اياه بكلمة شكسبير « طمئنوا أنفسكم أيها السادة فسأنهى هذا الصراع ٠

ثم يقول ويفيل : كان تصريح حكومة الملك فى فبراير ١٩٢٢ وهو الذى الغيت به الحماية على مصر وأعلنت فيه مصر دولة مستقلة ذات سيادة ، الحد الفاصل الملحوظ فى تاريخ العلاقات بين بريطانيا ومصر ، وهو أعظم عمل قدمه اللنبى فى تاريخه السياسى ٠

ولقد انتقد منه هذا العمل وأسيء فهمه بل لقد قدم للناس مشوها ٠

ويمكن تلخيص وجهة نظر اللنبي ووجهة نظر الحكومة البريطانية حتى ذلك الوقت فيما يلى : بعد عرض المسألة على البرلمان لالغاء الحماية والاعتراف باستقلال مصر على شريطة أن يرتبط المصريون بشروط خاصة ببعض المصالح والحقوق الانجليزية وأهمها سلامة مواصلاتنا الامبراطورية، وحماية الأجانب فى مصر ، ومركزنا فى السودان وهذا ما رفضه المصريون ثم نصح اللنبى الحكومة البريطانية بوجوب الغاء الحماية واعطاء مصر الاستقلال فى الحال كما يجب على بريطانيا العظمى أن تعلن احتفاظها بحرية العمل اذا تطلبت مصالحها ذلك فى بعض المسائل التى عرفت فيما بعد باسم التحفظات ٠

وعارضت الحكومة البريطانية ٠

● وعاد اللنبى يؤكد وجهة نظره من جديد ، واتهم اللنبى بالهجوم وتصويب غدارته الى رأس الحكومة ، وقد أبلغ اللنبى بأن الحكومة البريطانية لاتستطيع

الموافقة على مقترحاته ، واقترحت الحكومة البريطانية ـ فى ١٨ يناير ١٩٢٢ عن اللنبى ارسال اثنين من مستشاريه الى لندن (سير جلبرت ومستر ايموس) ليوضحا المسألة أكثر • وأجاب اللنبى بأن مستشاريه موافقان على وجهة نظره وان ارسالهما الى الوطن (انجلترا) فيه مضيعة للوقت •

وأرسل أحد مستشاريه مستر سلبى وكرر فى برقية شخصية لوزير الخارجية البريطانية (كيرزون) حججه الرئيسية مبينـــا له خطر التأخير ، وختمها بتقديم استقالته اذا رفضت مشورته •

واعتبر بعض الوزراء البريطانيين الذين يجهلون أن اللنبى عنـــدما أرسل الاستقالة أرسلها فى برقية شخصية ولم يقدم استقالته بصورة نهائية ، اعتبر هؤلاء الوزراء استقالة اللنبى ، كما لو كانت محـــاولة من قاطع طريق راجل يريد أن يلحق بعربة الحكومة •

وفى ٢٤ يناير بعثت الخارجية البريطانية باقتراح ان يوافق المصريون على مطالبنا أولا ثم تلغى الحماية •

وأجاب اللنبى بأنه سيحاول وأن لم يكن له أقل أمل فى أن يرضى العمل بتلك الشروط وزير مصرى •

وقدم اللنبى استقالته رسميا وبصورة نهائية وقدم المستشارون الأربعة فى الحكومة المصرية استقالتهم ، بعد أن ربطوها باستقالة اللنبى ، وعادت وزارة الخارجية البريطانية تتهم من جديد اللنبى الذى أعطى الأمل فى امكان ايجـاد وزارة مصرية جديدة تستطيع العمل بتلك السياسة ، و ••

وكان ما أعلنته الوزارة • وقد قررت تعيين بديل للنبى •

وكان اللنبى قد أصر على وجهة نظره بأن الأزمة لن تنتهى (بين مصر وبريطانيا) الا بتصريح من جانب بريطانيا •

وغادر اللنبى مصر فى ٣ فبراير ، ولقد كانت أخبار الحماس البالغ الذى ودعه به المصريون والبريطانيون والأجانب لا فى القاهرة فحسب بل فى سائر المحطات الأخرى على طول الطريق ثم فى الاسكندرية أول سبب جعل مناوئيه فى الوطن يشكون فيما اذا كان من السهل عليهم التخلص من شخص بلغ حب الناس له هذا المبلغ •

وقد استقبله سير هنرى ويلسون رئيس هيئة أركان حرب الامبراطورية والسير فيليب شتوود والمستر سلبى وكانت حالة اللنبى المعنوية طيبة فلم يلبث ان أعلن لاصدقائه فى الحال أنه لن يتزحزح قيد أنملة كما أنه لن يحاول اقناع

أحد رافضا بذلك من أصدقائه النصيحة التى توقع مجيئهم من أجلها ٠ وعلى الرغم من تحذيره بأن الوقت لم يحن بعد للتوجه الى وزارة الخارجية الا أنه صمم على سرعة الذهاب الى دوننج ستريت ليترك لهم الرسالة التى يرد بها على ما أسماه الاتهام الخبيث فى برقية ٢٨ يناير التى أرسلتها له وزارة الخارجية ٠

وقد منع وزير الخارجية عرض تلك الرسالة التى تركها اللنبى على الملك وعلى حكومته كما هو المعتاد فى مثل تلك الرسائل ٠

وعندما قابل ـ فى المساء ـ كيرزون وزير الخارجية اللورد اللنبى مازحا بقوله : انها رسالة قوية تماما ، وثيقة هامة ولابد أن الشخص الذى كتبها ماهر جدا ٠ قال اللنبى بعد أن صدم بتلك المبادرة غير اللبقة : كلا لم أكتبها أنا ولكنى موجود فى كل كلمة من كلماتها ومستعد ان أمضى كل سطر منها اذا كانت لاتعجب حضرة اللورد ٠٠ لقد كتبها رجل حاذق بالفعل ٠

وأنفق كيرزون وقتا طويلا مع اللنبى لكى يقنعه بأن يسحب استقالته مؤكدا له أن ماحدث بالنسبة له حدث بالنسبة لكيرزون ذاته عندما كان نائبا للملك فى الهند ، ولم تكن الحكومة البريطانية تقبل مقترحاته ولكنه مع ذلك لم يكن ليستقبل ٠

والغريب ان كيرزون سأل اللنبى عن طريق ايجاد خلف له فى مصر ، وأردف قائلا : انها ستكون أكثر صعوبة ٠

وقال اللنبى : لو سألتنى النصح لقلت لك أرسل رجلا فى مثل كفاءتى أو خيرا منى لو استطعت أن تجده ٠

ويحاول كيرزون بعد ذلك النقد المر الذى وجهه اليه اللنبى ترطيب الجو فيسأله ـ يسأل اللنبى عن مكان اللادى اللنى ويرد عليه اللنبى بطلقته الأخيرة : لقد تركتها ورائى فى مصر خشية وقوع الاضطرابات لو صحبتها معى ٠

وحاول مستر لويد جورج رئيس الوزارة اخراج اللنبى من الوضع الذى خندقه فيه والذى لم تجد فى اخراجه منه أدلة وزارة الخارجية ٠

وقابل رئيس الوزراء المعتمد البريطانى فى مصر ، لورد اللنبى وكان معه مستشاروه وقد جرى مناقشة مقترحات اللنبى ، وتولى المستشار ايموس الدفاع عنها و٠و ٠

ولكن رئيس الوزراء ، لم يقنع بتلك الأدلة التى ساقها ايموس فما كان من اللنبى الا أن انهى المناقشة قائلا : لا فائدة من المناقشة أكثر من ذلك ، لقد أخبرتك بما أعتقد ضرورته ولا تريد أنت ذلك وليس من شأنى أن أرغمك عليه

ولقد انتظرت خمسة أسابيع ليصدر القرار فلن أستطيع الانتظار بعد اليوم أكثر من ذلك وســوف أخبر أنا لادى اللنبى لكى تعود الى الوطن ٠٠ فنهض حينئذ رئيس الوزارة ووضع يدى على ذراع اللنبى قائلا : لقد انتظرت خمسة أسابيع يالورد اللنبى فهل يضيرك أن تنتظر خمسة دقائق أخرى ٠

ثم أعلن موافقته على مقترحات اللنبى مع بعض تعديلات ـ فى الصيغة ـ لا أهمية لها ٠

ووافقت الحكومة البريطانية على مقترحات اللنبى رغم معارضة تشرشل وكيرزون الذى كان يتحدث عن غباوة أولئك الجنود ٠

● حتى فى البرلمـان حاولت الحـكومة أن تغطى فشلها فى اقناع اللورد اللنبى بالعـدول عن مقترحاته وقبـولها ـ فى النهـاية ـ فادعى مسـتر أوستن تشمبرلن الذى كان يتحدث باسم الحكومة فى المجلس فان الحكومة لم تتراجع ، كل ما فى الأمر ، أن اللحظة التى جمعتنا بلورد اللنبى وجها لوجه قد أزالت كل خلافاتنا معه ، اذ أدرك فى الحال أننا لا نستطيع تغيير الحالة القائمة فى مصر فيما يختص بتلك المسائل من غير أن نحصل على ضمان نهائى بقدرتنا على حماية مصالحنا والقيام بتعهداتنا ، ولم يحتج اللنبى على هذا الكلام مادا قد حقق هو ما أراده ولا يزال الكثيرون ـ المارشال ويفيل ـ لا يغفرون للنبى هذا الموقف اذ باع جواز المرور وضيع مركزنا ـ كبريطانيين ـ فى مصر ٠

وقد ظل اللنبى يذكر للويد جورج موقفه الشـجاع هذا حينما عارض مقترحات اللنبى ـ فى البداية ـ بكل شجاعة ، أيدها ـ فى النهـاية بعد ان اقتنع بها ـ بكل شجاعة أيضا ٠

ويذكر ويفيل أن واحدا من أصدقائه ـ أصدقاء اللنبى ـ قال له ، أثر خطاب فى مأدبة أقيمت بعد ذلك بسنوات ٠ لقد خيبت أمل الصحافة اذ جاءوا وفى ظنهم أن يسمعوا منك هجوما على لويد جورج فأجابه اللنبى فى الحال : « أهاجم لويد جورج ، انى لأحب هذا الرجل ٠ لقد كسب هو الحرب ، ولكن بحق السماء لانقل له ذلك » ٠

● يمضى المارشال ويفيل فى الحديث فى فصل آخر « مصر الاستقلال » بعد أن يصدره بكلمة لجيبون : « أول النعم الأولى الاستقلال » وبأبيات لردبارد كبلنج تقول :

أكانت الناس يهديها الآلة ، أو تصوبها أغلى الخناجر ٠

أو كان الأسرع ان يموت المرء بالسيف أو الأرخص أن يموت بالانتخاب !

الدولة المقدسة أو الملك المقدس ، أو ارادة الناس المقدسة ٠

فلا شأن لهذه مع شيء لا يحس : هيىء المدافع ، ثم اقتل !!

● يشير المارشال ويفيل الى أن المشكلة الاولى بعد اعـــلان تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ كان وضع الدستور والغاء الأحكام العرفية التى استمر العمل بها زهاء ثمانى سنين وتعويض الموظفين الأجانب و ٠ و ٠

وقد حلت هذه المشكلات بنجاح ٠

ويذكر أن المصريين قبلوا الى حد ما وعلى كره منهم ، وباعتبارها دفعة من الاستقلال التام ، قبلوا تصريح ٢٨ فبراير ٠

ويقول ويفيل ان أعوام ١٩٢٢ ، ١٩٢٣ ، ١٩٢٤ كانت أعوام صراع ثلاثى أطرافه الثلاثة الملك والجماعة التى تضم معظم المثقفين من المعتدلين ، والتى يصح تسميتها بحزب الأحرار ، ثم الحزب الشعبى الذى ينادى بزغلول رئيسا له ٠ ويقول ويفيل أن اللنبى كان الحكم الذى يتدخل أقل تدخل مستطاع لكنه ينفخ فى صفارته بحزم عندما تقع أسوأ الأخطاء وأشدها وضوحا متجاهلا ـ شأن كل حكم نزيه ـ صياح الجماهير ونقدها عند كل قرار لا يحبونه ٠

● ويقول ويفيل أن الملك فؤاد بعد أن أصبح ـ ملكا وقد كان قبل تصريح ٢٨ فبراير سلطانا ـ زاد غروره وأصبح عاملا هاما فى الســـياسة المصرية ، ولم يكن كذلك من قبل أن يصـــبح ملكا ، وكانت المبارزات بينه وبين اللنبى قوية ، وعنيفة وكان كل من الطرفين ـ فى هذه المبارزات يميل الى الآخـــر ، ويحترمه ٠

وكانت المناقشات بينهما ـ أحمد فؤاد واللنبى ـ يغلب عليها المودة ، ولقد قدر اللنبى دهاء الملك كما احترم الملك وفاء اللنبى ٠

● ويشير ويفيل الى أن عام ١٩٢٢ انتهى بجريمة وحشية حمقاء اذ ضرب بالرصاص فى ٢٧ ديسمبر الدكتور روبسون المحاضر بمدرسة الحقوق فى وضح النهار بينما كان عائدا على دراجته من عمله الى بيته ٠

ولقد أثارت هذه الجريمة أعمق الشعور بالغضب فى نفوس الجاليـــة البريطانية وكان معظمه موجها ضد ضعف اللنبى المزعوم ٠

ويصدر الدستور ، ويلغى الحكم العرفى وتحل مســـألة التعويضـــات الخاصة بالموظفين الأجانب ٠

وعاد سعد زغلول من المنفى فى ١٨ سبتمبر ١٩٢٣ ٠

وكانت الانتخابات الجديدة وجاء عام ١٩٢٤ ـ عام زغلول كما أسماه المارشال ويفيل ، والذى بدا بالنصر فى الانتخابات ، ويتولى ســـعد الوزارة ،

ثم كانت كارثة مقتل السيرلى ستناك سردار الجيش المصرى والحاكم العام للسودان والتى كانت كما قيل عند اعدام دون رانجتون ـ وكما قال ويفيل ـ أسوأ من جريمة أنها غلطة فاحشة ! ٠

صفحات من الكتاب الأبيض

● وأستسمح القارىء فى أن أنقل له عن الكتاب الأبيض الذى أصدرته الحكومة البريطانية عن الأحداث التى وقعت فى عامى ١٩٢١ ، ١٩٢٢ :

● من الفيلد مارشال فيكونت اللنبى الى المركيز كيرزون أوف كدلستن (١٧ نوفمبر ١٩٢١) ان مستشار وزارة الداخليــــة ونائب المستشـــار المالى ومستشار وزارة المعارف ونائب المستشار القضائى مجمعون على أن كل قرار لا يسلم بمبدأ استقلال مصر ، ويستبقى الحماية يجر لا محالة الى خطر جدى من نشوب ثورة فى البلاد جميعها ويفضى على أى حال الى الفوضى التامة فى الادارة فتصبح الحكومة مستحيلة ٠

من الفيلد مارشال اللنبى ٠٠ الى كيرزون : ٧ ديسمبر ١٩٢١ زارنى عدلى باشا بعد ظهر اليوم وقال انه سيقابل السلطان غدا وانه سيقدم على الأرجح استقالته التى حادث فى شأنها عظمته قبــــل ذلك ، وفى هذه الحالة يعرض السلطان على الأرجح على ثروت رئاسة الوزارة ٠

أكد لى عدلى أنه هو شخصيا سيظل مؤيدا لحكومة السلطان ولقوى القانون والنظام ، وزاد على ذلك أنه ليس عنده يأس من المستقبل وان كان قد خاب أمله ٠

● من الفيلد مارشال اللنبى الى كيرزون بالتلغراف ٠

١١ ديسمبر ١٩٢١ : لايسعنى الا أن أطلب اليكم والى حكومة جـلالة الملك أن تصدقونى اذا قلت انه ليس ثمة مصرى ـ كائنـــا ما كانت آراؤه الشخصية ـ يستطيع أن يوقع أية أداة لا تتفق فى رأيه مع الاســتقلال التام وكذلك فانه من الضرورى العدول نهائيا عن الفكرة القائلة بأن المسألة المصرية يمكن تسويتها بواسطة معاهدة ٠٠ اذا لم نكن مستعدين أن نثبت بعملنا أن لنا ثقة بالمصريين فيخيل الى انه ليس من المحتمل ان نحملهم على التعاون معنا ٠

من الفيلد مارشـــــال ٠٠ ٢١ ديسمبر ١٩٢١ نشر زغلول فى الصحف احتجاجا على أمرى بمنع اجتماعه يوم الجمعة ونعت أمر المنع هذا بأنه أول قسط من السياسة البريطانية الجديدة وناشد المصريين ان يظهروا بمثل هذا المظهر ٠

كانت القاهرة أمس مسرحا للاضطرابات بمناسبة عودة الأستاذ مكرم وكيل زغلول من لندن وقابله زغلول فى المحطة وهتفت له الجماهير المصطفة فى الطرقات وسمعت نداءات ضد البريطانيين •

وفى المساء ضرب جنديان أحدهما من آلاى الملك والثانى من آلاى « است سرى » بالرصاص فى الشوارع فى الحى الجنوبى من القاهرة فمات أحدهما وجرح الثانى وفر القتلة •

وأتى مصدر اليوم أمرا ـ تحت الأحكام العسكرية ـ بمنع زغلول من كل اشتراك فى السياسة وستحذر جرائده كذلك من التهييج ، وصدر الأمر الى كبار أنصاره : عاطف بركات بك وفتح الله بركات باشا ومصطفى النحاس باشا وسينوت حنا بك وأمين عز العرب أفندى وجعفر فخرى بك ووليم مكرم عبيد آفندى • أن يلزموا بيوتهم تحت مراقبة البوليس وأن يكفوا عن الأعمال السياسية •

● من النبلد مارشال (٢٣ ديسمبر ١٩٢١) •

تلقيت رد زغلول على تعليماتى التى أصدرتها اليه بأن يذهب الى منزله فى الريف وان لايشتغل بالسياسة •

وتلقيت كذلك أسماء من تضامنوا معه ، مكرم سينوت حنا ، النحاس ، أما الآخرون فلم يجيبوا بعد ما عدا صادق حنين الذى أضيف الى القائمة وقد أطاع •

وأعطيت البارحة تعليمات بالقبض على زغلول وزملائه الثلاثة وقد نفذ القبض على زغلول دون أن يقع حادث ما ، اذ أرسلته الى السويس حيث يظل فى معسكر النقل الهندى منتظرا الابعاد •

ويسرنى أن اتلقى بالتلغراف تصديقك على ابعاده ، وشركائه واذ ذاك ابعدهم بأسرع ما استطاع وعندى أن سيلان أوفق مكان لأنها مقرونة فى الأذهان باعتقال عرابى ، فمن شان اسمها أن يحدث تأثيرا عظيما •

● كان رد سعد زغلول على اللنبى : بما أنى موكل من قبل الامة للسعى فى استقلالها فليس لغيرها سلطة تمنعنى عن القيام بهذا الواجب المقدس ، لهذا سأبقى فى مركزى مخلصا لواجبى وللقوة أن تفعل بنا ما تشاء أفرادا وجماعات فاننا جميعا مستعدون للقاء ما تأتى به بجنان ثابت وضمير هادىء علما بأن كل عنف تستعمله ضد مساعينا المشروعة انما يساعد البلاد على تحقيق أمانيها فى الاستقلال التام •

● من الفيلد مارشال ـ ٢٣ ديسمبر ١٩٢١ : قامت البارحة مظاهرات خارج منزل زغلول وفرق البوليس المتظاهرين ، وقتل اثنان من المشاغبين وجرح تسعة والقى القبض بعد ظهر اليوم على سينوت حنا ومصطفى النحاس ومكرم والبركاتين ـ عاطف بك بركات وفتح الله بركات باشا ، اد كانوا قد ابوا أن يطيعوا تعليماتي وسيذهبون على الفور الى السويس ، وقد أحدث هذا العمل الذي اتخذناه هرجا عظيما وظلت حالة القاهرة مضطربة أثناء النهار وارتكب الرعاع أعمالا عنيفة . وتخريبا ٠

وفي الساعة العاشرة صباحا استولت السلطات العسكرية على أزمة المدينة طبقا لترتيبات سابقة ٠

وقد اضطر الجنود الى اطلاق النـار فقتل مصريان وجرح آخر على ما ثبت الى الآن ٠

وكان أحد القتيلين زعيم عصابة تقيم متراسا لتعوق سير الجنود أما ثانيهما فقتل على اثر طلقة من مسدس رميت بهـا سـيارة ملأى بالجنـود ٠٠ قامت بالاسكندرية مظاهرات فرقت ووزع عدد عظيم من النشرات المحرضة على الفتنة والخبر الوحيد الذي ورد من الأقاليم يقول ان طنطا قامت بها مظاهرات ، ولكن الجنود البريطانية أرسلت اليها ونحن قابضون على ناصية الحال ٠

ويوافق كيرزون على نفي زغلول ورفاقه الى سيلان وكيرزون يضيف الى ذلك قوله : اذا ظهر أن هناك اعتبارات تحولت دون اعتقالهم في سيلان فيمكن نفيهم الى سيسل ٠

● من الفيلد مارشال ٢٤ ديسمبر ١٩٢١ (أيضا) هذه قائمة الخسائر في القاهرة بعد المراجعـة : من البريطـانيين لا أحد ومن المصريين ثلاثة قتلى وأربعة عشر جريحا ٠

وهذا بيان الأمكنة الموجودة بها التسعة أشخاص الذين أمرتهم بالكف عن الأعمال السياسية : ستة منهم الآن في السويس ينتظرون الابحار منها على باخرة نقل في ٢٨ ديسمبر ٠

وثلاثة هم صادق حنين وأمين عز العرب وجعفر فخري أطاعوا أمري وهم تحت مراقبة البوليس ٠

● ٢٤ ديسمبر : من الفيلد مارشال .. قبل السلطان أمس استقالة عدلي يكن باشا ، وكان الاضطراب الفعلي أقل ولكن الحالة مازالت غير مستقرة ، وقد هوجمت مدرسة بنات تابعة للحكومة صباح اليوم وحدثت خسـارة جسيمة والمدارس جميعها مضربة واضراب موظفي الحكومة عام الآن ٠

وقد أعلن انه لثلاثة أيام وهو ينفذ بالارهاب وأنا أتخذ التدابير لحماية من يرغبون فى العمل ٠

● بلغ عدد القتلى من المصريين فى القاهرة أحد عشر ، وقتل الرعاع فى ٢٢ ديسمبر أوروبيا وهو رجل فيه شذوذ ويقطن حيا فقيرا ٠ وكانت سيدة انجليزية مستقلة مركبة مفتوحة فهاجمها الرعاع وقذفوها بالحجارة فى حى بولاق وقد نجت من الأذى البليغ بأن اتخذت مظلتها درعا فمزقت الأحجار المظلة وهذه أول مرة اعتدى فيها على امرأة فى كل السنوات الثلاث الماضية ٠

وجملة المقبوض عليهم الى اليوم ١٨٦ ٠

● الاسكندرية : لم يطرأ تغيير والحالة مملوكة الآعنة وجملة المقبوض عليهم ٣٨٩ من بينهم مائتان وثلاثة وعشرون صبيا ٠

وصلت الطرادتان سرس وسناتور منطقة القناة ٠

بورسعيد قامت اليوم مظاهرات مسلحة وأخيرا سلمت المدينة للجنود الذين اضطروا أن يطلقوا النار على جمهور أبى يتفرق بعد انذاره ٠

الاسماعيلية : يصل غدا الطراد سباروهوك ٠

السويس : تسلم الجيش اليوم المدينة يصل الطرد (سيغ) صباح الغد ٠

يجرى القبض على مهيجين مشهورين من القاهرة فى جملتهم كامل حسين محامى حركة النقابات فى هذه البلاد ٠

● من الفيلد مارشال ٠٠٠ ١٢ يناير ١٩٢٢ ، حدث انشقاق فى الوفد الذى أعيد تكوينه ٠٠٠

استقال أمس عبد العزيز فهمى والمنتظر أن يعلن ستة أعضاء آخرين انفصالهم غدا ٠٠

من الفيلد مارشال ٠٠٠ ٢٣ يناير ١٩٢٢ : نشر الوفد منشورا مساء اليوم ، يدعو المصريين الى رفض التعاون مع الانجليز بأية طريقة ، وأن يقاطعوا كل البضائع الانجليزية والمنشور مفرغ فى قالب حاد وهو تحد مباشر لسلطتى وقد أمرت بتعطيل الجرائد التى نشرته جميعا ٠ وعملت على منع اذاعته ، وأمرت بالقبض على موقعيه وهم حمد الباسل وويصا واصف وعلى ماهر ، وجورج خياط وواصف غالى ومرقص حنا وعلوى الجزار ومراد الشريعى والثلاثة الاخرون أعضاء منتخبون حديثا ، وقد أبرق وكيل روتر بالنص الكامل للمنشور ٠

● من المركيز كيرون أوف كدلستون الى الفيلد مارشال فيكونت اللنبى .

القاهرة : هذا هو بيان الحال المشار اليه ترسله ، لكم لنشره يوم الاثنين : دعى فخامة نائب الملك للذهاب الى انجلترا لكى يقدم لحكومة جلالة الملك المعلومات الواقعية ويبدى لها رأيه فى الحال الحاضرة وعما دار من المخابرات بينه وبين الوزراء السابقين فيما يختص بحكومة هذه البلاد فى المستقبل ويظهر أن هناك شعورا فى بعض الدوائر ، بأن بريطانيا قد رجعت أو أوشكت أن ترجع عن موقفها المنطوى على التسامح والعطف، على أمانى المصريين وأنها تنوى الانتفاع بمركزها الخاص فى القطر المصرى لاستيفاء نظام سياسى وادارى لا يتفق والحرية التى صرحت باستعدادها للاعتراف منها ٠

وتمضى المذكرة فى تبيان المبادىء التى تسير عليها الحكومة البريطانية ومن بينها — وعلى سبيل المثال — ان الحكومة البريطانية لا تنوى مطلقا ان تسلم تحت ضغط الاضطراب والعنف بما هى على استعداد لمنحه مراعاة لأنه حق فى ذاته فانها قد جاهرت بأنها مستعدة لأن تطلب من البرلمان البريطانى رفع الحماية المعلنة على مصر والاعتراف بمصر دولة ذات سيادة بشرط ضمان المواصلات البريطانية و ٠ و ٠

● من الفيلد مارشال : طبقا لتعليماتك سأصل الى لندن عن طريق تريستا برفقتى السير جلبرت كليتون ، ومستر ايموس وغدا أصدر البيان الذى يشمل ثانى تلغرافيكم المؤرخ فى ٢٨ يناير ٠

● من المركيز كرزون أوف كدلستن الى الفيلد مارشال (٢١ فبراير ١٩٢٢) ٠

يا جناب اللورد

أرسل اليك مع هذا صورة من الوثائق الآتية :

(أ) تصريح بانهاء الحماية على مصر وستطلب حكومة جلالة الملك من البرلمان أن يوافق عليه ٠

(ب) كتاب ترفعه الى السلطان عند ابلاغ عظمته التصريح السابق ٠

(ج) وحكومة جلالة الملك مقتنعة بأن أهل مصر سيثبتون أنهم أهل للاستقلال الذى نالوه الآن وانهم سيبرهنون باستعمالهم اياه على أن الثقة التى وضعت فى أيديهم ليست فى غير محلها ٠

وكان ذلك التصريح أهم حدث سياسى فى مصر منذ قيام ثورة ١٩١٩ وكانت له نتائجه الخطيرة ، كما يتضح فيما بعد ٠

البـــاب الأول

الفصل الأول

من تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢
الى معاهدة ٢٦ أغسطس ١٩٣٦

● استسمح – عذرا – فى أن أتيح لاسماعيل صدقى باشا ، فرصة الدفاع عن وجهة نظره فى الأمور السياسية التى أعقبت صدور تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ، بعد أن أكثرت وغيرى من ترديد الأمور المسلم بها من جانبنا دون أن تتيح للرأى الآخر أن يظهر واضحا وجليا . قال صدقى باشا : استقالت وزارة عبد الخالق ثروت باشا التى كنت أحد أعضائها فى نوفمبر ١٩٢٢ وكانت هذه الوزارة هى التى وقعت الحماية وأعلنت استقلال مصر وألفت لجنة الدستور .

وتم فى عهدها وضعه واحالته الى اللجنة التشريعية ونجحت فى صيانته أثناء وجودها من أن تعبث به العناصر الرجعية التى كانت ممثلة فى بعض رجال السياسة والمستوزرين .

وكان همنا نحن الثلاثة – عدلى وثروت ، وأنا – بعد استقالة هذه الوزارة ان يصان الدستور من أى عبث ، وأن يصدر سريعا وألا تنجح تلك العناصر فى الحيلولة دون اصداره أو تعمل لتأخيره أو تعديله بحيث تضعف فيه الصفة الديمقراطية . وكان الانجليز وقتئذ متفاهمين معنا على الدستور اذ كان كل خوفهم من الطابع الاستبدادى للحكم ولم يكن بيننا وبينهم خلاف الا على المادة الخاصة بلقب « ملك مصر والسودان » .

وقد نجحت مساعينا فى الوصول الى اصدار الدستور فى سنة ١٩٢٣ ثم أعلنت الانتخابات لبرلمان ١٩٢٤ فرشحت نفسى لمجلس النواب فى دائرة « سنداببسعل » التى تتبعها بلدتى ، « الغريب » .

واذ ذاك نشأت فكرة الأغلبية الساحقة برياسة سعد زغلول باشا فرشح الوفد أمامى الأستاذ نجيب الغرابلى ، وعلى الرغم من كونه رجلا فاضلا الا أنه لم

يكن ابن الدائرة ولم يكن معروفا بها وكنت أعتقد اننى سأنجح فى دائرتى لأن جهودى فى خدمة بلادى وماضى فى الجهاد واشتراكى فى الفوز باستقلال مصر بتصريح ٢٨ فبراير كان كل ذلك يضمن النجاح ، ولكن شخصية سعد زغلول فى ذلك الحين كانت شخصية جبارة وفى الوقت نفسه جذابة غمرت البلاد بقوتها وشدة تأثيرها واجتاحت أمامها كل شئ .

وأصبح الاعتقاد فيه يشبه الاعتقاد بالأنبيــــاء فلم أفز فى الانتخابات الا بأقل من ثلث الأصوات وسقطت أمام منافسى الوفدى غير المعروف اذ ذاك لأهل الدائرة .

وهنا أستطيع أن أقول ان الانتخابات لم تكن حرة ولا أقصد من ذلك أنه كان هناك ضغط ادارى استعمل ضدى بل أعنى انه كان هناك ضغط نفسانى أوجدته شخصية سعد زغلول وهو والضغط الادارى سواء فى بلد لم تصل بعد الى درجة النضوج السياسى ولم تتكون فيها الروح الدستورية .

● ويمضى اسماعيل صــدقى باشــا قائلا : على الرغم من سقوطى فى الانتخابات وعدم اشتراكى فى البرلمــان أنا والذين حصلوا على الاســتقلال والدستور فاننى كنت مرتاحا لهذه المرحلة الأولى التى فازت بها البلاد ، وقد لزمت وقتئذ الحياد فلم أشترك فى أى نشاط سياسى طوال مدة قيام وزارة المغفور له سعد زغلول باشا فى الحكم حتى وقعت كارثة مقتل السردار ، وأقول كارثة لأنها كادت تعصف باستقلال البلاد وتضيع علينا ما كسبناه ، ولهذا حين دعيت للاشتراك فى وزارة زيور باشا التى خلفت وزارة سعد باشا لم أتردد فى القبول لأنى شعرت أنه من واجبى فى هذه الظروف أن أساهم فى انقاذ البلاد من ورطتها وأن أعمل على صيانة استقلالها .

وقد توليت فى تلك الوزارة الداخلية وكانت مسئولياتها عظيمة بعد تلك الكارثة .

● وفي ابان الاضطرابات الشديدة كان همى أن يعود الأمن الى نصابه كما كان من أول واجباتى ان أعنى بالقبض على قتلة السردار ، لأنه لو لم نفعل أو قصرنا فى ذلك لازدادت الحالة سوءا بيننا وبين الانجليز خصوصا وقد نص عليه فى الانذار الموجه لسعد باشا فضلا عن أنه كانت هناك أيد أجنبية تعمل لهدم الاستقلال وضياع حقوق مصر والسودان ..

● ويمضى اسماعيل صدقى باشا ــ أيضا ــ قائلا : لا أنكر أننا فى وزارة زيور باشا قد أقدمنا على اجراءات جريئة أملتها علينا الظروف العصيبة فى ذلك الحين ، وقد كان الوفد يعتبرنى فى ذلك الحين عدوا متحديا لهذه الدولة خصوصا بعد مقتل السردار التى أتهم فيه بعض المنتسبين الى الوفد ، لذلك أقدمنا على

تعديل قانون الانتخابات ، ومع ذلك فاز الوفد فى تلك الانتخابات ، ولما انعقد مجلس النواب فاز سعد زغلول بمائة وثلاثة وعشرون صوتا ضد عبد الخالق ثروت باشا الذى فاز بخمسة وثمانين صوتا فأقدمنا على حل مجلس النواب وكان اجراء الحل من الجانب المصرى فقط ٠

● وأستأذن فى اضافة كلمات أخرى ٠

● بدأت الهيئة النيابية الاولى وكان دور الانعقاد العادى الأول فى ١٥ مارس ١٩٢٤ وانتهى الدور فى ١٠ يوليو ١٩٢٤ وكان رئيس المجلس ، أحمد مظلوم باشا ووكيلاه أحمد محمد خشبة وحمد الباسل وبدأ دور الانعقــاد الثانى فى ١٢ نوفمبر ١٩٢٤ وانتهى فى ٢٤ نوفمبر ١٩٢٤ ٠ أى بعد ١٢ يوما ، وكانت هيئة المكتب كما هى ٠

● الهيئة النيابية التانية بدأ دور انعقادها الأولى ٢٣ مارس ١٩٢٥ وقد أختير سعد زغلول لرئاسة المجلس الأمر الذى أغضب الحكومة فاستصدرت مرسوما ملكيا بحل المجلس بعد ساعات من بدء انعقاده ، وكان وكيلا المجلس على الشمشى ، وويصا واصف ٠

● بدأ الانعقاد العادى الأول للهيئة النيابية الثالثة فى ١٠ يونيو ١٩٢٦ وانتهى فى ٢٠ سبتمبر ١٩٢٦ وبدأ الانعقاد العــادى التانى فى ٢٨ نوفمبر ١٩٢٦ ، وانتهى فى ١٤ يوليو ١٩٢٧ وكان رئيس المجلس ســعد زغـلول ووكيلاه ويصا واصف ، ومصطفى النحاس ٠

● أما الدور الثالث ، للانعقاد العادى فقد بدأ فى ١٧ نوفمبر ١٩٢٧ وانتهى فى ٢٨ يونيو ١٩٢٨ وقد اختير مصطفى النحاس لرئاسة المجلس فلما ألف الوزارة فى مارس ١٩٢٨ أختير بدلا منه ويصا واصف ، وكان ويصـــا واصف قد اختير ، وكيلا للمجلس فى نفس دور الانعقاد هو وحسن هلال فلما أصبح رئيسا للمجلس ، وخلا منصب الوكيل أختير أحمد رمزى بدلا منه ٠

● كانت الهيئة النيابية الرابعة قد بدأت انعقاد دورها العادى الأول فى ١١ يناير ١٩٣٠ وانتهت فى ١٧ يونيو ١٩٣٠ وكان رئيس المجلس ويصا واصف ووكيلاه عبد السلام فهمى جمعة وعبد الخالق عطية ثم صدر مرسوم ملكى فى ١٢ يوليو ١٩٣٠ بفض دور الانعقاد الأول للفصل التشريعى الرابع ثم صدر مرسوم ملكى آخر فى ٢٢ أكتوبر ١٩٣٠ بابطال العمل بدستور ٢٣ وحل مجلس الشيوخ ، والنواب ٠

● أما الهيئة النيابية الخامسة التى جاءت وفقا لدستور ١٩٣٠ الذى أصدره اسماعيل صدقى ، فقد بدأ دور الانعقاد الأول فى ٢٠ يونيو ١٩٣١

وانتهى فى ٢١ يوليو ١٩٣١ وكان رئيس المجلس محمد توفيق رفعت باشا ووكيلا المجلس محمد علام وعلى المنزلاوى .

وكذلك ـ وبنفس هيئة المكتب ـ بدأ دور الانعقاد العادى الثانى فى ١٧ ديسمبر ١٩٣١ وانتهى فى ٧ يوليو ١٩٣٢ ، وكان دور الانعقاد الرابع قد بدأ فى ١٥ ديسمبر ١٩٣٢ وانتهى فى ٢٧ يونيو ١٩٣٣ ، وكان رئيس المجلس محمد توفيق رفعت ووكيلاه محمد علام ، ثم محمد زكى ، على المنزلاوى ، ثم حسين هلال .

وكان دور الانعقاد العادى الزابع قد بدأ فى ١٤ ديسمبر ١٩٣٣ وانتهى فى ٢٨ يونيو ، وكان الرئيس هو محمد توفيق رفعت والوكيلان ، ابراهيم دسوقى أباظة ومحمد حسين ، وفى ٣٠ نوفمبر ١٩٣٤ صدر أمر ملكى بإبطال العمل بدستور ١٩٣٠ وحل مجلسى الشيوخ والنواب ثم صدر أمر ملكى آخر فى ١٢ ديسمبر ١٩٣٥ بالعودة الى العمل بدستور ١٩٣٠ وحل مجلسى الشيوخ والنواب ثم صدر أمر ملكى آخر فى ١٢ ديسمبر ١٩٣٥ بالعودة الى العمل بدستور ١٩٢٣ ، وكانت الهيئة النيابية السادسة ، وقد بدأ دور الانعقاد الأول فى ٢٣ مايو ١٩٣٦ وانتهى فى ٢٤ أغسطس ١٩٣٦ ، بينما بدأ دور الانعقاد الثانى فى ٣١ نوفمبر ١٩٣٦ وانتهى فى ٢٤ يوليو ١٩٣٧ وكان رئيس المجلس الدكتور أحمد ماهر ، ووكيلاه على حسين وكامل صدقى و . و .

● هذا عن الحياة النيابية فى تلك المرحلة ، أما فيما يتعلق بالوزارة ، فنذكر أن سعد زغلول كان قد ألف وزارته الأولى فى ٢٨ يناير ١٩٢٤ .

وكان الوزراء فيها : محمد سعيد باشا (وزارة المعارف) محمد توفيق نسيم باشا (المالية) أحمد مظلوم باشا (الأوقاف) حسن حسيب باشا (الحربية والبحرية) محمد فتح الله بركات باشا (الزراعة) مرقص حنا بك (الأشغال العمومية) مصطفى النحاس بك (المواصلات) واصف بطرس غالى أفندى (الخارجية) محمد نجيب الغرابلى أفندى (الحقانية) وقد كانت المرة الأولى فى تاريخ الوزارات المصرية أن يختار اثنان من الأفندية وزيران !!

● وفى ٢٤ نوفمبر ١٩٢٤ ألف زيور باشا على النحو التالى : أحمد زيور باشا للرئاسة والداخلية والخارجية .

ـ وكان سعد زغلول قد احتفظ بوزارة الداخلية فى وزارته الأولى والأخيرة ـ : أحمد محمد خشبة (للمعارف ، والحقانية مؤقتا) عثمان محرم باشا (الاشغال) محمد السيد أبو على باشا (الزراعة) محمد صدقى باشا

(الأوقاف) يوسف أصلان قطاوى باشا (للمالية) نخلة جورجى المطيعى (المواصلات) محمد صادق يحيى باشا (للحربية والبحرية) وقد أجريت تعديلات كثيرة على وزارة زيور باشا ، اذ تم تعيين أحمد موسى باشا للحقانية واسماعيل صدقى باشا للداخلية ثم عبد العزيز فهمى للحقانية ونقل يوسف أصلان قطاوى للمواصلات وتعيين على ماهر للمعارف ومحمد على علوبة للأوقاف وتوفيق دوس بك للزراعة .

وكان هذا التعديل الجوهرى قد تم عندما استقال زيور باشا فى ١٣ مارس ١٩٢٥ ، وعهد اليه الملك بتأليف الوزارة الجديدة ثم كان ما كان من عودة زيور باشا (٣٠ نوفمبر ١٩٢٥) الى الداخلية والخارجية ونقل حلمى عيسى باشا الى المواصلات ونقل محمد توفيق رفعت الى الأوقاف .

● استقال زيور باشا فى ٧ يونيو ١٩٢٦ وتولى الوزارة بعده ـ فى ٧ يونية ١٩٢٦ ـ عدلى يكن باشا . وقد احتفظ عدلى يكن باشا الى جانب الرئاسة بوزارة الداخلية وتولى عبد الخالق ثروت باشا وزارة الخارجية وأختير فتح الله بركات باشا للزراعة ومحمد نجيب الغرابلى باشا للأوقاف ، أحمد محمد خشبة بك للحربية والبحرية ومحمد محمود باشا للمواصلات وأحمد أبو السعود باشا للحقانية . ومرقص حنا باشا للمالية وعلى الشمسى للمعارف ، وعثمان محرم بك للاشغال .

ولكن وزارة عدلى يكن لم تستمر طويلا فى الحكم ، ففى ٢٦ ابريل ١٩٢٧ استقال عدلى يكن باشا وعهد الملك الى عبد الخالق ثروت باشا بتأليف الوزارة الجديدة فألفها فى نفس اليوم ، وكان من بين وزرائه : جعفر ولى باشا (الحربية والبحرية) أحمد زكى أبو السعود باشا (الحقانية) فتح الله بركات باشا (الزراعة) مرقص حنا بك (الخارجية) محمد نجيب الغرابلى باشا (الاوقاف) على الشمسى باشا (المعارف) أحمد محمد حشبة باشا للمواصلات (ويلاحظ أن الافندية اصبحوا باشوات والبكوات أصبحوا باشوات أيضا) وعثمان محرم باشا للأشغال ، ومحمد محمود باشا للمالية وهم أعضاء الوزارة السابقة مع تغيير فى بعض المناصب الى جانب دخول جعفر ولى باشا .

وهذه الوزارة قد واجهت العديد من المصائب ، من بينها أزمة (مايو ـ يونيو ١٩٢٧) وقد بدأت تلك الازمة باقتراح للجنة المالية فى مجلس النواب بالغاء منصب سرداء الجيش المصرى ، وكان المنصب شاغرا بعد مقتل السير لى ستاك و . و .

وفى عهد هذه الوزارة توفى سعد زغلول فى ٢٣ أغسطس ١٩٢٧ وانتخب مصطفى النحاس باشا خلفا له .

ثم استقالت وزارة ثروت باشا فى ٤ مارس ١٩٢٨ وخلف النحاس باشا ثروت باشا فى رئاسة الوزارة ·

● وقد ألف النحاس باشا وزارته الائتلافية من جعفر ولى باشا (للحربية) واصف بطرس غالى باشا (للخارجية) الغرابلى باشا للأوقاف ، على الشمسى باشا (للمعارف) ، أحمد محمد خشبة باشا (الحقانية) محمد محمود باشا (المالية) محمد صفوت باشا (الزراعة) ابراهيم فهمى كريم بك (الاشغال) مكرم عبيد أفندى (للمواصلات) ·

وقد واجهت هذه الوزارة أزمة قانون الاجتماعات الذى اعترضت عليه بريطانيا بدعوى أنه يعرض للخطر سلامة الاجانب ·

وقد انذرت بريطانيا الحكومة المصرية بضرورة سحب مشروع قانون الاجتماعات هذا فاستجابت الوزارة للانذار البريطانى ثم كانت اقالة وزارة النحاس فى ٢٥ يونيو ١٩٢٨ بسبب نقض الائتلاف الذى قامت عليه الوزارة، وكانت اقالة وزارة النحاس أول أقالة لوزارة مصرية منذ صدور دستور

● ألف محمد محمود باشا وزارته ، بعد اقالة وزارة النحاس فى ٢٧ يونيو ١٩٢٨ وقد احتفظ محمد محمود باشا لنفسه الى جانب الرئاسه بالداخلية وشارك معه فى الوزارة جعفر ولى باشا (الحربية والبحرية) والاوقاف مؤقتا (عبد الحميد سليمان باشا (المواصلات) أحمد محمد خشبة باشا (للحقانية) ، نخلة المطيعى باشا (للزراعة) ، على ماهر (للمالية) ، ابراهيم فهمى كريم (للأشغال) ، حافظ عفيفى بك (للخارجية) ، أحمد لطفى السيد بك (للمعارف) ·

وهذه هى الوزارة التى حلت البرلمان ، وعطلت الدستور لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد ·

وقد استقالت تلك الوزارة فى ٢ أكتوبر ١٩٢٩ وتألفت وزارة عدلى يكن باشا الثالثة فى ٤ أكتوبر ١٩٢٩ وتولى وزارة الخارجية فى تلك الوزارة أحمد مدحت سليم باشا وتولى عبد الرحيم صبرى باشا (صهر الملك فؤاد) وزارة المواصلات كما تولى حسين درويش باشا وزارة الحقانية ومصطفى ماهر باشا (المالية) وحسين واصف باشا (الاشغال) وواصف سميكة باشا (الزراعة) وأحمد على باشا (الأوقاف) وحافظ حسن باشا (المعارف) ومحمد أفلاطون باشا (الحربية) واعيدت الحياة الدستورية واجريت الانتخابات · وفاز حزب الوفد فى تلك الانتخابات ، كما هو الحال فى كل انتخابات حرة ·

واستقالت وزارة عدلي يكن باشا وألف النحاس باشا وزارته الثانية في أول يناير ١٩٣٠ على النحو التالى · مصطفى النحاس باشا للرئاسة والداخلية ، حسن حسيب باشا للحربية والبحرية ، واصف بطرس غالى باشا للخارجية ، محمد نجيب الغرابلى باشا للحقانية وعثمان محرم باشا للأشغال ومحمد صفوت باشا للزراعة ومكرم عبيد أفندي للمالية ، محمود فهمي النقراشي للمواصلات ، بهى الدين بركات بك للمعارف ، محمود بسيونى أفندى للأوقاف ·

ولم تستمر الوزارة النحاسية الثانية طويلا فى الحكم اذ استقالت وجاء اسماعيل صدقى باشا ليرأس الوزارة الجديدة التى ألغت دستور ١٩٢٣ وجاءت بدستور جديد وكانت بحق وزارة انقلابية ·

وقد دخل مع صدقى باشا فى الوزارة التى ألفها فى ٢٠ يونيو ١٩٣٠ ـ ـ وقد احتفظ بالرئاسة والداخلية والمالية ـ : محمد توفيق رفعت باشا (الحربية والبحرية) عبد الفتاح يحيى باشا (الحقانية) حافظ حسن باشا (الاشغال والزراعة) على ماهر باشا (المعارف) توفيق دوس باشا (المواصلات) محمد حلمى عيسى باشا (الاوقاف) حافظ عفيفى باشا (الخارجية) ·

● ومن رأيى ضرورة الاهتمام بوجهة نظر الاجانب في كثير من المسائل الوطنيــة وخاصة اذا ما كان هذا الأجنبى على صلة وثيقة بمصــادر الأخبــار وبالشخصيات المهمة صانعة التاريخ ، ومن تلك الشخصيات ـ مثلا ـ المارشال ويفيل الذى أرخ للورد اللنبى ·

وقد اخترت بعض ما كتبه ويفيل عن وزارة سعد زغلول فاتحة الحيــاة النيابية الحديثة ، وكان مما كتبه عن تلك الوزارة :

كانت سنة ١٩٢٤ فى مصر عام زغلول ، فلقد طلعت عليه وهو ســيد مصر الأعلى لو استثنينا القوة الساهرة لبريطانيا العظمى وراء الموقف · وكان فى اعتقاده أن يستطيع شل هذه القوة بمفاوضاته مع حكومة العمــال التى تألفت فى انجلترا منذ عهد قريب ·

كان سعد زغلول حاكما غيورا بغير الحنكة السياسية أو الادارية ، ومفوضا طنانا ضيق الأفق لا كفاءة عنده فى التفاهم · ثم عجلت بسقوطه ـ الذى لم يكن بد من حدوثه بسبب هذه العيوب ان عاجلا وان آجلا ـ آخر العام جريمة يعتبر فشله فى قيادة أنصاره مسئولا عنها الى حد كبير · وانتهى العام بالتخلص منه ـ فى الواقع ـ كشخصية رئيسية فى محيط السياسة المصرية كما سبق له ذلك مدة طويلة ولو بقى اسمه بعد ذلك يحتفظ بتأثيره في الشعب · لقد وضعت أول محاولة للحكم الوطنى فى مصر منذ آلاف السنين فى الكفة فشالت به ·

ابتدأ العام ولا تزال وزارة يحيى ابراهيم فى الحكم ولو أنها خضعت ــ تماما ــ لمشيئة الملك فؤاد · ولما أدرك بفطنته أن انتصار الزغلوليين فى الانتخابات أمر لا مفر منه راح يعلن عن مجاملته للوفد ، ومع ذلك فقد كان يؤمل فى خلق معارضة قوية من أصحاب الأملاك ربما تتألف منها نواة حزب ملكى فى يوم ما · وكان يوم ١٢ يناير اليوم المحدد لأول انتخابات لبرلمان مصر الجديد فسافر اللنبى فى ٧ يناير برحلة الى السودان ظنا منه أن الحكمة تقتضيه التغيب فى اثنائها وترك مهام دار المعتمد يتولاها الوزير كير مدة غيابه ·

ولو أنه لم يكن هناك شك أبدا فى نتيجة الانتخابات الا أن نجاح الزغلوليين التام قد أدهش الجميع ، الملك ودار المعتمد والمعتدلين من المصريين بل والزغلوليين أنفسهم ، إذ أعلن فى مجلس النواب ١٩٠ عضوا من أعضائه البالغ عددهم ٢١٤ عن تأييدهم لزغلول · حتى أن رئيس الوزراء نفسه سقط فى الانتخابات ثم قدم استقالته بعد قليل ·

ومضى ويفيل قائلا :

● نظمت حتى فى حفلة افتتاح البرلمان المظاهرات ضد الحكم البريطانى فى السودان ، وما فتئت حقوق المصريين فى ادارة السودان التامة موضوع التهييج فى البرلمان والصحافة واستمرت الدعاية فى السودان نفسه بغير هوادة وبعنف خطير · وثمة علامات أخرى مزعجة · فقد قتل فى ابريل طالبان مصريان جاويشا من قوة الطيران الملكى ، وكانت هذه أولى الحوادث من نوعها من منذ سنة تقريبا ، كما هوجم فى البرلمان بعنف مركز السير لى ستاك كسردار للجيش المصرى ، ورفض البرلمان الموافقة على الدفعة السنوية التى تدفعها مصر لجيش الاحتلال ، ورفض الموافقة على قرار تعويض الموظفين الأجانب الذى أصدرته وزارة « يحيى » ، وهددت الأمور بخلق أزمة فى أواخر يونيه عندما أعلن لورد بارمور فى مجلس اللوردات أن الحكومة البريطانية لم تكن لتنوى التنازل عن مركزها فى السودان ، فلقد أثار هذا الاعلان الاحتجاجات والمظاهرات فى مصر ، وصرح زغلول فى مجلس النواب بأن لن يمكن كسب شىء بالمفاوضات ما دامت هذه وجهة النظر البريطانية ، وبأنه نوى أن يستقيل : ولكن لم تكن استقالته بالجدية على الرغم من تقديمها للملك اذ سرعان ما أقنع باستمراره فى الحكم · ثم خفف من حدة هذا التوتر التصريح السلمى الذى أدلى به مستر رامزى ماكدونالد فى مجلس العموم ، وأعدت بعد ذلك العدة لعقد اجتماع فى لندن فى نهاية سبتمبر » ·

وعن وزارة سعد زغلول وحادث اغتيال السير لى ستاك سردار الجيش المصرى قال ويفيل :

قبض زغلول على البلاد بيد من حديد بتعيينه بعضا من أشد المتطرفين من أنصاره فى المناصب الهامة دون نظر الى مقدرتهم الادارية • وبفصله من يشك فى ولائهم له من مديرى الأقاليم ، وباتخاذه اجراءات صارمة لقمع خصومه السياسيين • ثم صمم بعد ذلك على خلق أزمة ما كما صمم على حرمان القصر من القدرة على مقاومة أوامره الديكتاتورية • ونفذ ذلك فى ١٦ نوفمبر باستقالة مفاجئة وبتعبئة جيشه من الطلبة والرعاع ليمروا فى الشوارع ويتظاهروا مطالبين بعودته • وبلغت مناورته غايتها بعد اجتماع دام ساعتين مع الملك اذ سحب استقالته بعد أخذه لبعض التعهدات منه • بينما كان الطلبة ـ جنوده المدربون ـ يواصلون الهتافات خارج القصر « سعد أو الثورة » • فلما غادر زغلول القصر شكرهم علانية وصرفهم •

بلغ حينئذ زغلول القمة في قوته وربما كان يحلم بديكتاتورية كدكتاتورية مصطفى كمال بتركيا • فلقد بلغ من اعتقاده بقوته أن عامل رئيس موظفى اللنبى ـ وقد أرسل لمناقشته فى الاستشارة القضائية ـ بخشونة وتهور مما أوجب تذكيره بأنه انما يخاطب ممثل الحكومة البريطانية • ولكن ندر أن وقع العقاب على سوء استعمال القوة بمثل السرعة التى وقع بها هـذه المرة • اذ حدثت ـ بعد ثلاثة أيام من انتصاره فى القصر ـ جريمة سببها فشله فى كبح عنف المتطرفين الذين لا يبالون من أنصاره • فأدى ذلك الى سقوطه من الحكم •

فبعد الظهر بقليل من يوم ١٩ نوفمبر فى الساعة الواحدة والنصف أطلق الرصاص على السردار سير لى ستاك بينما كان عائدا الى منزله من وزارة الحربية وجرح فى مواضع ثلاثة ، كما أصاب الرصاص ياوره الكابتن ب٠ك من فرقة Blackwatch وسائق السيارة وكان استراليا وجنديا سابقا يدعى مارش •

وتوفى السير لى ستاك قبل منتصف ليل اليوم التالى بالمستشفى الانجليزى الأمريكى ، لقد كان رجلا ذا جاذبيـة شـخصية فائقـة ، مضى عليه فى مصر والسودان ٢٣ سنة وقد خدم مصر وانجلترا باخلاص وأحبه كثيرا المصريون والانجليز واحترموه ولقد تركت هذه الجريمة أعظم الأثر فى القاهرة ومصر • أما استنكار الجالية البريطانية فكان شديدا وجه بعضه لـ لألنبى اذ اتهمه كثيرون بتخطيه حدود التحمل لهياج المصريين هذا ، بينما انتشرت الدهشة والذعر فى الدوائر السياسية المصرية من نتائج هذه الجريمة •

كان ٢٢ نوفمبر ـ يوم جنازة السير لى ستاك ـ يوم درامة مثيرة • فلقد استشاط بعض من أعضـاء الجالية البريطانية غضبا عندما علموا بأن زغلول والوزراء المصريين ـ وهم المسئولون فى نظرهم عن الجريمـة الى حد كبير ـ سيحضرون صلاة الجنازة بالكنيسة الانجليزية ، حتى قامت بينهم محاولة لارغام اللنبى على تغيير الترتيبات التى ستتخذ ، الا أنها فشلت تماما حين قال لهم

ان السردار رئيس للجيش المصرى ومسئول أمام الحكومة المصرية فمن الصواب والحق ان يشترك أعضاؤها فى جنازته ٠

ولا يمكن ان ينسى ذلك المنظر الذى كان فى كنيسة « القديسيين » ٠ فقد أرسل الملك فؤاد ياوره نائبا عنه ، بينما لاح على وجوه الوزراء المصريين ــ وعلى رأسهم زغلول ــ ما كانوا يحسونه من التوتر وما كانوا يرونه من عداء لهم فى نظرات البريطانيين الموجودين بالكنيسة وازدحمت الكنيسة الصغيرة فى نفس الوقت برجال البحرية البريطانية ، والجيش وبالمدنيين من أعضاء الجالية ، وبرجال السلك السياسى فى كامل ثيابهم ، كما حضر ممثلو جميع الجنسيات الأجنبية فى مصر ٠ بينما قد تألف فى الخارج موكب كبير يضم كل الجنود البريطانيين حتى كادوا يبلغون فى طول موكبهم المقبرة نفسها كما تجمعت الجماهير الغفيرة على طول الطريق وبدا اللنبى فى داخل المقبرة ببذلته الحاكية شخصية جليلة مرهوبة تشعر بوطأة الانفعال العميق ولو أنه انفعال مكتوم ٠ ثم وقف وحده قبالة النعش ما يقرب من عشر دقائق ينتظر وصول لادى ستاك وابنتها ٠ ثم حمل النعش أخيرا الى القبر ــ بعد صلاة بسيطة قصيرة ــ على أكتاف ثمانية من الضباط الانجليز ممن يعملون بالجيش المصرى ٠ ولقد اشترك الأمراء المصريون والشيوخ والنواب فى الموكب الطويل الذى كان يستغرق مروره بأحد الأماكن ساعة من الزمن حتى كاد يخيل الى المرء أن القاهرة خرجت كلها لتشاهد تلك الجنازة ، فلما وقف أللنبى بجوار المقبرة عليه التأثر الشديد كما تجلى فى وجهه أنه مقدم على قرار خطير ، ولم يقع فى تصرف الجماهير فى القاهرة ما يمكن أن تغلب عليه ، أما فى الاسكندرية فقد وقعت بعض المظاهرات التى كان يهتف فيها « يسقط الانجليز » وذلك خارج الكنيسة التى أقيمت بها الصلاة التذكارية ٠

ولكن لم تنته دراما ذلك اليوم بالجنازة ، فقد كان مقررا أن يجتمع البرلمان فى الخامسة من ظهر ذلك اليوم وراحوا ينتظرون فى قلق ما سوف يتخذ من قرارات بينما ظن أن الحكومة ربما تستقيل ٠ وراح أللنبى بدوره فى دار المعتمد ينتظر بصبر فارغ برقية من وزارة الخارجية اذ كان مصمما على تقديم الانذار النهائى للحكومة المصرية بعد ظهر ذلك اليوم ٠ وكان قد أبرق للوطن بشروطه المقترحة وطلب منهم الرد ظهر ٢٢ نوفمبر ٠ فلما أن انقضى الظهر ولم يأت الرد بلغ نفاد الصبر باللنبى مداه ، فقد كان مصرا على تسليم المذكرة لرئيس الوزراء قبل أن يجتمع البرلمان فى الخامسة ٠ كان يخشى أن يقدم زغلول استقالته قبل أن يتم هو ذلك ، فلما بلغت الرابعة والربع رأى أنه لا يستطيع انتظار موافقة وزارة الخارجية أكثر من ذلك وكان قد أمر فرقة فرسان لانسرز Lancers بأن تقف بجانب ثكنات قصر النيل بعد انتهاء الجنازة ثم أمرها الآن بالقيام بحركة استعراض أمام دار المعتمد لتحرسه فى ذهابه الى مكتب

رئيس الوزراء . لقد ندر أن استخدم أللنبى الاستعراض والاحتفال ، ولعلها المرة الوحيدة التى تعمد فيها أستخدام الأساليب المسرحية . ولكن كان لا يزال أمامه قرار خطير ليتخذه ، فبينما هو يغادر دار المعتمد ليركب عربته اذا بأحد موظفيه يهرع اليه . لقد وصلت البرقية التى طال انتظارها من وزارة الخارجية وراحوا يحلون شفرتها ، وكانت برقية طويلة وبذلك وضح أنها ليست موافقة تامة منهم على مقترحات أللنبى . وانتظر نحو حتى اذا أدرك أنه مستحيل أن يتم حل شفرتها قبل الساعة الخامسة قرر أن يمضى فى تنفيذ انذاره بغير تردد فسار ـ ببذلته الرمادية العادية ـ بين حرسه من اللانسرز يقصد رئيس الوزراء ، وكان مكتبه فى مواجهة دار مجلس النواب حيث راح النواب يتجمعون فيه انتظارا لعقد الجلسة وبعد أن تلقى من الفرسان تحيتهم وصدح موسيقاهم دخل اللنبى الى غرفة رئيس الوزراء ثم قرأ عليه بالانجليزية مطالبه وترك له نسخة منها بالفرنسية ثم عاد الى داره » .

● ورغبة فى اعطاء صورة كاملة عن الحياة السياسية فى مصر بعد تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ نستأذن فى الاستعانة برأى كاتب أوروبى مستنير هو مارسيل كولومب ، الذى لعب دورا هاما فى الحركة الاشتراكية فى الشرق الأوسط والذى قدم ـ وبحق ـ دراسات مستنيرة ، وناضجة عن فترة هامة من فترات تاريخنا المعاصر : يقول مارسيل كولومب : ابتداء من عام ١٩٢٤ وحتى عام ١٩٣٦ لم يعتل الوفد منصة الحكم الا لمدة تقل عن عامين من مارس ١٩٢٤ الى ديسمبر ١٩٢٤ ، ومرة ثانية وعلى فترتين برئاسة مصطفى النحاس باشا . أولاهما من مارس الى يونيو ١٩٢٨ والثانية من يناير الى يونيو ١٩٣٠ وهكذا يتبين لنا أن أى مجلس نيابى لم يستطع ان يكمل دورنه ومدتها خمس سنوات كما حددها الدستور ولذلك فان الدورات البرلمانية التى انتهت دون حدوث أزمة دستورية تفضها فجأة قبل الموعد المحدد لفضها من الأمور النادرة .

ويشير مارسيل الى أن سعد زغلول منذ وصوله الى الحكم أعلن عن استعداده لأن يبدأ مع بريطانيا العظمى مفاوضات حرة من كل القيود ، وكان عليه بعد ذلك أن يؤكد فى مجلس النواب أنه بوصفه رئيسا للوزراء سيواصل تنصله من تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ الذى سبق أن استنكره بوصفه رئيسا للوفد .

وقد شهد نوفمبر ١٩٢٤ أول صراع بين الملك ومجلس الوزراء ، فقد تصور رئيس مجلس الوزراء ـ سعد زغلول باشا ـ باسم الدستور أن بمقدوره أن يطمع فى أن يفرض على القصر سلطة اشرافه على تعيين كبار موظفى البلاط وقدم سعد استقالته فى ١٥ نوفمبر وعلى الفور اجتمع مجلس البرلمان وجدد الثقة به واجتاحت المظاهرات شوارع القاهرة متجهة نحو قصر عابدين ، وتوجه وفد من مجلس الشيوخ لمقابلة الملك الذى اضطر فى النهاية الى أن يرضخ وأن يقبل

الاقتصار على حدود دوره كحاكم دستورى ليست لآرائه التى تتصل بشئون الدولة فاعلية الا اذا صادق عليها رئيس مجلس الوزراء والوزراء المختصون ، وأعلن سعد زغلول للجماهير التى كانت تهتف له انه قد يبقى فى السلطة بفضل الله وارادة الأمة ، أما والأمر كذلك فانه ليبدو الآن أن الوضع الداخلى فى مصر جد مناسب لتدخل من جانب بريطانيا العظمى تدخل كأنما قد حدث بكل ما فيه من شدة وحزم كافيين لتخدم بطريقة مباشرة قضية الملك بتخليصه من رئيس وزارة مشاغب ومتعب دون أن يكون عليه ـ على الملك ـ أن يتحمل أمام الرأى العام مسئولية الأزمات الوزارية ، وحسب المعلومات التى لدينا الآن فليس ثمة ما يمكن أن يسمح لنا بأن نؤكد وجود اتفاق ولو ضمنى بين الملك فؤاد واللورد اللنبى ومع هذا فمن الممكن الافتراض بأن التوتر بين الملك فؤاد ومجلس الوزراء لم يكن منبت الصلة كلية بالتشدد والعنف فى السياسة البريطانية الذى أعقب اغتيال سير لى ستاك الحاكم العام للسودان والمأجور بالجيش الانجليزى وسردار الجيش المصرى ٠

وهنا نقطة غامضة معتمة بطريقة تبدو ولو أن بريطانيا العظمى كانت متأكدة ان بامكانها أن تعتمد على صمت القصر ، وموافقته على قيامها ـ قيام بريطانيا العظمى ـ بتوجيه ضربة قاصمة للوطنية المصرية التى كان زعيمها بالنسبة البريطانيا خصما صعب المراس ، كما لو كان بالنسبة للملك حكومة تتشدد وتتمسك بروح الدستور ونصه ٠

● وعن أحمد زيور باشا يقول مارسيل كولومب : هو رجل مسالم ، لطيف ولين العريكة يأخذ الناس والاشياء بشكل تهكمى مرح ، لكنه كان فى نفس الوقت أقل صلاحية مما يلزم لكى يلعب الدور الذى فرض عليه ولذلك لم ينجح فى أن يحول دون حدوث الانقسامات التى سرعان ما بدت لتهدد الحكومة ذلك أن آراء ومفاهيم حزبى الأحرار الدستوريين والاتحاد بالرغم من الرغبة المشتركة التى تحركهما وهى تفتيت نفوذ الوفد كانت غير متفقة الى حد لا يمكن معه دوام الوفاق الذى قام بينهما ، فالاتحاديون الملتفون حول رئيس الديوان الملكى لم يروا فى الصراع ضد الوفد الا خطوة أولى نحو اعادة قيام الحكم الفردى فى مصر ، وحيث أنهم يعيشون فى كنف القصر ، فقد كان حكم القصر هو ما كانوا يعملون على تدعيمه هادفين بذلك الى ضمان استمرارها فى السلطة ٠ لذلك تحملوا على مضض أن يوجد بينهم ثلاثة من الوزراء الذين لا يشاركونهم لا وجهات نظرهم السياسية ولا مطامحهم البعيدة ٠ أما عن الآخرين ـ الأحرار ـ فلم يكن اغفال الدستور فى الواقع بالنسبة اليهم فى ديسمبر ١٩٢٤ سوى اجراء وقتى فرضته الظروف ، لكن الدستور سوف يعود حتما بمجرد أن تسنح الفرصة ويسمح الوضع الداخلى فى مصر بعودة الحياة النيابية ٠ ولهذا السبب فقد ساورهم شىء من القلق وهم يوافقون على حل

مجلس النواب للمرة الثانية ، كما زاد تأخير اصدار قانون الانتخابات وكذا القيود التي وضعت على حرية الصحافة في يوليه ١٩٢٥ من معارضيهم وبالاضافة الى ذلك فان سلطة رئيس الديوان الملكي المتزايدة والنفوذ الذي كان يمارسه على بعض المصالح الحكومية والتصرفات المالية التي انغمس فيها ، كل ذلك مما جعلهم يتململون من ائتلاف كان يتأكد لهم يوما بعد يوم وبشكل ملموس أنه أكثر اضرارا بمصالح حزبهم وبمصالح مصر من « ديكتاتورية الوفد البرلمانية » .



● وبعد سفر رئيس الوزراء في بداية صيف عام ١٩٢٥ زادت الخلافات لدرجة ملموسة وفرض يحيى ابراهيم باشا ـ الذي أصبح رئيسا للوزراء بالنيابة ـ على مصر « وزارة قصر » حقيقية ، حتى أن الأحرار الدستوريين لم يستطيعوا أن يقنعوا أنفسهم بقبول ادانة هيئة كبار علماء الأزهر للشيخ على عبد الرازق الذي ألف كتابا عن « الاسلام وأصول الحكم » عد مخالفا للشريعة الاسلامية فعندما تباطأ وزير العدل عبد العزيز فهمي باشا في اصدار الأمر بعزل الشيخ على عبد الرازق من وظيفته في القضاء الشرعي قدم رئيس الوزراء استقالته ، لكن رفضها الملك . وللخروج من الأزمة أصدر الملك مرسوما بأقالة وزير العدل الذي اتهم في حميته الدينية ، وعندما أصبح وزراء الأحرار الدستوريين الآخرين وحيدين في غيبة رئيسهما استقالا وجرا معهما اسماعيل صدقي باشا الذي كان في ذلك الوقت في باريس وأرسل استقالته تلغرافيا . وبذلك انفض الائتلاف .



● وعين الملك في المناصب التي خلت في ١٢ سبتمبر ـ ودون انتظار لعودة زيور باشا ـ رجالا معروفين على وجه الخصوص بولائهم لقضيته . وبذلك فقدت الحكومة أكثر أعضائها تمثيلا للأمة ، ولم تعد الحكومة المشكلة الآن من وزراء اتحاديين صرف سوى أداة في يد الملك ، اذ انتهى ـ على الأقل ـ ما كان يحيط بتشكيلها من غموض ، واتخذ الصراع ضد الوفد شكلا سافرا ، فكل ما ينبغي على الحكومة الآن عمله هو أن تهيء الفرصة التي تسمح للملك باعادة تأكيد سلطته عن طريق وزارة موالية تماما لوجهات نظره . ولم يكن ثمة ما يمكن ان يعيد الوحدة الى كل الأحزاب السياسية أكثر من هذا . وعلى الفور لم يتردد لا الأحرار الدستوريين ولا اسماعيل صدقي في التقرب الى (أعداء الأمس) وفي ضم جهودهم الى جهود الآخرين لخوض الصراع ضد حكومة ليس لها نفوذ داخل البلاد بل تستمر في الحكم بارادة الملك وحدها ، صراع تحتم أن يكون الهدف منه هو اعادة الحياة البرلمانية الى البلاد ـ وكان هذا في النهاية ما يتحتم حدوثه ـ ففي فبراير سنة ١٩٢٦ أعيد قانون انتخابات ١٩٢٣ وفي مايو انتهت الانتخابات بثالث انتصار مدو للوفد وقدم زيور باشا استقالته في ٧ يونية

وكان على الملك فؤاد أن يقبلها معترفا هذه المرة بالهزيمة فى أولى محاولاته لاحياء تلك الأزمنة الخوالى التى قرر فيها جده محمد على مؤسس الأسرة الحاكمة مصير مصر باعتباره ملكا مستبدا ٠

● ويقول مارسيل كولومب ان لورد لويد ، المعتمد البريطانى الجديد ـ ذلك الموظف الكبير والحاكم العام السابق لبومباى ، والذى كان يحب أن يحيط نفسه بالابهة والملكية ، تظاهر بالعودة الى الوسائل التى أتبعها اللورد كرومر بنجاح ، كما كان يشك كثيرا فى أن تكون الوطنية المصرية ٠ قد استطاعت ان تفيد من الأحداث السابقة ٠ وفى يوم ٢٥ مايو وبعد ثلاثة أيام فقط من الانتخابات برأت محكمة الجنايات العليا بالقاهرة التى كانت تتكون من قاضـيين تحت رئاسة القاضى الانجليزى كرشو Kershow سبعة متهمين من بينهم وزيران وفديان سابقان كان يشتبه فى تورطهم فى عـدد من حوادث الاغتيـال التى ارتكبت فى عام ١٩٢٢ ضد البريطانيين ورأت لندن فى هذا أن الوطنيين المصريين لم يدركوا كما ينبغى قيمة الفرص التى تتاح ـ هكذا قال مارسيل كولومب ـ فاتخذت الاحتياطات اللازمة على الفور ، وفى ٣٠ مايو اجتمع لورد لويد مع سعد زغلول طويلا وغداة ذلك درس مجلس وزراء لندن التقارير الواردة من القاهرة ثم تقرر ارسال مدمرة الى مياه الاسكندرية ، وفى ٢ يونيـة عبرت الحكومة البريطانية فى مذكرة منها الى مصر عن تحفظاتها على الحكم الذى أصدرته محكمة الجنايات العليا وأكدت من جديد « كامل حريتها فى اتخاذ أية اجراءات تراها مناسبة فى المستقبل وتسمح لها بالقيام بالالتزامات المفروضة عليها لسلامة وأمن الأجانب فى مصر » ٠ وفى نفس اليوم قدم القاضى كرشو استقالته معلنا بحركته الاستعراضية تلك عن احتجاجه على « الأخطاء القانونية » التى وقع فيها زميلاه المصريان ٠

وتجنب سعد زغلول الأزمة التى كانت تبـدو بوادرها وصرف النظر عن تولى رئاسة مجلس الوزراء حقه الطبيعى ٠

وألح على عدلى باشا فى أن يشكل الوزارة الجديدة التى دخلها ستة من الوفديين وثلاثة من الأحرار الدستوريين ومستقل واحد ٠٠ ولكنه لم يلبث طويلا اذ استقال فى ١٩ ابريل ١٩٢٧ وولى بعده الوزارة عبد الخالق ثروت باشـا وزير الخارجية فى وزارة عدلى يكن باشا المستقيلة ٠

ويشير مارسيل كولومب الى أن النائب الوطنى عبد الحميد سعيد قد وجه سؤالا فى البرلمان لمعرفة ما اذا كان صحيحا أن ممثل انجلترا بمصر ، لم يقدم أوراق اعتماده للآن واذا كان صـحيحا فكيف سـاغ للحكومة أن تسكت على ذلك و ٠ و ٠

وكان بعض الأعيان قد وجهوا دعوة الى لورد لويد لزيارة المنيـا ، فلبى الدعـوة فى ٣٠ ابريل وقوبلت الزيارة بعاصفة من الاستهجان ووصفت بأنهـا

انتحار سياسى وأخلاقى ووصمة عار لاتنمحى وخيانة عظمى ، ووجهت اهانات بالغة الى أعيان المنيا الذين وجهوا الدعوة ، وعاملوا المعتمد البريطانى فى مصر ، وكأنه ملك غير متوج ، واكفهر الجو السـياسى ، وسيرت المظاهرات وما أن اقترحت لجنة الشئون الحربية بمجلس النـواب زيادة عدد الجيش وتقليل السلطات الواسعة المخولة لسبنكس باشا المفتش العام للجيش المصرى الذى كان يقوم بأعمال السردار وان لم يحمل اللقب ، حتى تدخل لويد وصدرت الأوامر لثلاث سفن حربية بريطانية بالتوجه الى المياه المصرية ، اثنتان بالاسـكندرية والثالثة فى بورسعيد ، وأحنت وزارة ثروت باشا برأسها للعاصفة وجددت تعيين سبنكس باشا ، لمدة ثلاث سنوات مع منحه لقب فريق ، ثم بدأت المفاوضات المصرية البريطانية التى انتهت بالفشل وباستقالة ثروت باشا ، وكانت وزارة النحاس التى ووجهت أيضـا بالعديد من الأزمات من بينها وعلى سبيل المثـال لا الحصر أزمة قانون الاجتماعات ، وكان مجلس النواب قد بدأ مناقشة قانون خاص بالاجتماعات العامة ومظاهرات الشوارع فى الطرق العمومية وكان لدى الوزراء حينئذ أسباب تدعوها الى ان توضـح أن هـذا القانون لم يكن بالشىء الجديد • فقد سبق اعلانه فى مايو ١٩٢٣ ، فى الفترة ما بين اعلان الدستور ووضعه موضع التنفيذ • وكان قد قدم بعد ذلك للتصويت عليه ، ووفق عليه فى نهاية عام ١٩٢٧ مع بعض تعديلات أهمها الحد من تدخل رجال البوليس فى الاجتماعات العامة • ولكن نتيجة لخطـأ فى الاجـراءات اقتضى الأمر اعادة القانون الى مجلس الشيوخ فى بداية عام ١٩٢٨ • وهنا فقط اكتشفت الحكومة البريطانية فجأة أن فى الأمر خرقا لتصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ وتبودلت مذكرات ، وتلقت سفن الأسطول البريطانى المرابطـة فى مالطة الأمر بالتوجه الى الميـاه المصرية وفى ٤ أبريل أرسلت لندن الى القاهرة تذكرها بالتحفظات الأربع الواردة فى تصريح ١٩٢٢ والتى تحتفظ الحكومة البريطانية بتوليتها بصـورة مطلقة وبرغم ذلك فقد أدرج مشروع القانون فى جدول أعمـال مجلس الشيوخ وفتح باب المناقشة فيه ٣٠ أبريل وفى عشية ذلك اليوم وجهت بريطانيا لمصر انذارا تطلب فيه من رئيس مجلس الوزراء « أن يتخذ فى الحال الاجراءات اللازمة لمنع مشروع القانون المنظم للاجتماعات العامة والمظاهرات من أن يصبح قانونا وأن يقدم يوم ٢ مايو قبل الساعة السابعة مساء تأكيدا كتابيا قاطعا بأنه لن يستمر فى نظر هذا المشروع والا فان بريطانيا العظمى تعد نفسها حرة فى أن تقوم بأى عمل ترى أن الحالة تستدعيه •

● وعن رضوخ النحاس باشا للانذار البريطانى يقول مارسيل كولومب بالحرف الواحد :

ولما كان مصطفى النحاس باشا قد أفاد من درس عام ١٩٢٤ فقد تراجع ووافق مجلس الشيوخ بناء على طلب من رئيس الوزراء على تأجيل المناقشات

حتى دور انعقاده التالى • وهكذا فشلت الخطة ، وعلى ذلك فلم يكن ثمة ما يمنع من عودة المشكلة من جديد فيما لو لم يتخذ الملك فؤاد زمام المبادرة منتهزا فرصة التوتر الناشب بين القاهرة ولندن والخلاف الذى دب فجأة بين الأحزاب المؤتلفة فى الحكم ليطلب الى رئيس وزرائه تقديم استقالته وحين رفض ذلك أقاله الملك وعهد الى رئيس حزب الأحرار الدستوريين محمد محمود باشا بمهمة تشكيل الحكومة الجديدة ثم أتبع هذا الاجراء باجراءات أخرى مكملة أعطته فى الواقع شكل انقلاب قصر حقيقى • ففى ٣٠ يونية ١٩٢٨ تأجل انعقاد البرلمان بمجلسيه لمدة شهر وفى ١٨ يولية أعلن حله لمدة ثلاثة أعوام قابلة للتجديد وأوقف تطبيق المادتين ٨٩ و ١٥٥ من الدستور ثم المادة ١٥٧ والفقرة الأخيرة من المادة ١٥ وقد أوضح هذا الاجراء العنيف نية الملك وعزمه على أن يعمل خارج نطاق البرلمان وفى غيبته •

ويحمل مارسيل كولومب السراى وداز المعتمد البريطانى مسئولية ما حدث ويركز على خشونة خطاب الاقالة التى جاءت مخالفة للمألوف •

ويشير الى أن محمد محمود الذى ولى الوزارة الجديدة بعد اقالة الوزارة فشل فى مهمته ، كما فشل من قبل زيور باشا •

ويقول أن بريطانيا هى التى أجهضت وزارة محمد محمود وأجبرت الملك ــ حرصا منها على الوصول الى معاهدة مصرية بريطانية يوقعها حزب الأغلبية ــ على أن يعدل عن أقامة نظام فردى ، يعمل لصالحه •

ويؤكد مارسيل ان بريطانيا العظمى وجدت نفسها تتيح للوفد من جديد أن ينتصر ويعود الى الحكم •

لقد ولى عدلى يكن باشا الحكم وأجرت وزارته الانتخابات حيث حصل الوفد على ١٩٨ مقعدا من ٢٣٢ ، واستسلم الملك فطلب الى مصطفى النحاس أن يشكل وزارة جديدة لم تصمد طويلا ، فاستقالت بسبب السودان • و • و •

● وكدليل على وحدة المشاعر والعواطف بين كل أبناء الأمة العربية تجاه مصر تسوق مثلا يحمل فى طياته أقوى الأدلة على وحدة الأمة العربية : مات سعد زغلول فى ٢٧ أغسطس ١٩٢٧ ، ولم تكن وفاته رزءا للشعب المصرى وحسب ،ولكن للأمة العربية كلها : فى العراق مثلا ، أقيمت عشرات من حفلات التأبين فى العاصمة العراقية ، بغداد •• وفى كثير من المدن الكبرى كالموصل ، والبصرة والنجف وكربلاء •

وتبارى السياسيون والشعراء والأدباء فى الافاضة عن مشاعرهم تجاه سعد زغلول ، وكانت سلطات الاحتلال فى العراق وأذنابها وعملاؤها ، تنظر الى هذه الاحتفالات نظرة كلها ريبة وحقد ، وتحفز حتى أن أحد خطباء حفل من تلك

الحفلات وهو الأستاذ رفائيل مطي ، وكان يعمـــل في وزارة الداخلية ملاحظا لديوان الرسائل ، ما كان ينتهي من القاء خطبته في ذلك الحفل مؤنبا سعد زغلول حتى صدر قرار بفصله نهائيا من عمله ·

وكان ذلك الفصل خيرا وبركة على الأستاذ رفائيل ، فما أن فصل من عمله في وزارة الداخلية ، حتى تفرغ للصحافة ، ليصبح واحدا من أشهر الصحفيين العراقيين ·

ومما يجدر بي أن أذكره ان الكاتب العراقي خلف شوقي أمين الداودي بادر بجمع العديد من القصائد ، والكلمات التي ألقيت في الاحتفالات بذكرى سعد زغلول والتي نشرت في كثير من الصحف العراقية وغيرها ، جميعها في كتاب أسماه ذكرى سعد زغلول والتي نشرت في العراق وقامت المكتبة الوطنية في بغداد بطبع هذا الكتاب على نفقتها ·

وقد قدم الكاتب لكتابه بكلمة رقيقة قال فيها : قلب مصر ، يخفق للمرة الرابعة : المرة الأولى يوم تنفيذ الحـــكم في مسجوني دنشواي والثانية يوم الاحتفال بجنازة مصطفى كامل والثالثة يوم وفاة البطل محمد فريد أما اليوم (٢٣ أغسطس (آب) ١٩٢٧ فقد خفق قلب مصر للمرة الرابعـــة يوم نعي النعاة ، سعدا ·

وقد ترجم لحياة سعد الأستاذ روفائيل بطي ، واشترك في تأبينه ، الأستاذ عبد الرزاق الناصري وعطا عوم ، ومظفر الزهاوي وكمال الزهير ورءوف خطاب والآنسة ف· ح ، ويوسف رجب ، وعلي محمود ، وسليمان قصي سعيد الحاج ثابت وابراهيم حلبي عطا ·

وضم الكتاب عشرات من القصائد في مقدمتهـــا قصائد جميل صدقي الزهاوي ، ومصطفى جواد ، ومحمد على الشيخ يعقوب وأكرم أحمد وابراهيم أدم الزهاوي وخضر عباس الطائي ، وعبد الحســين الآزري وربـــاب الكاظمي ، ولجميل صدقي الزهاوي في هذا الكتاب أكثر من قصيدة كان مطلع أولاها :

لقد كان ســعد خير قرم مجـــاهد ... ولكن ســـعدا قد مضى غير عائــد
وكان لجيش الحق في مصر قائدا ... فخر وظـــل الجيش من غير قائد

وكان مطلع ثانيها :

كذبتنـــا الحيـــاة فهي تداجي ... وأرى الموت واضــح المنهـــاج

وفيهـــا

كبر الحزن في العـــراق لســـعد ... فهو في مأتم على البعــد شاجي
شاركت بغداد الكنـــانة فيـــه ... فهي في لهف مثلهـــا وهيـــاج

ان سعدا لمصر ، مصر لسعد كشقيقين في الهوى والتناجي
وقد تغذى كلاهما بلبان النيل حتى تشابها في المزاج

وقد جاء في القصيدة الثالثة :

فوجئت مصر بالنعي فكادت أرضها من هول المصاب تمور

وكانت قصيدة بشارة أفندى الخورى صاحب جريدة البيرق قد اختارها أدباء لبنان فى اجتماعهم بنقابة الصحافة لتلقى باسمهم فى حفل الأربعين لفقيد الشرق العظيم سعد زغلول باشا وقد جاء فيها :

قالوا دهت مصر دهياء فقلت لهم هل غيض النيل أم هل زلزل الهرم
قالوا أشد وأدهى قلت ويحكم اذن لقد مات سعد وانطوى العلم
لم لا تقولون ان العرب قاطبة تيتموا كان زغلول أبا لهم

وكان شاعر لبنان العظيم شبلى ملاط قد قال فى سعد :

نعي النعاة لنا سعد فروعنا ان المقطم قد مادت رواسيه
ومر بالهرمين النيل ملتهبا كأنما الجمر فى أضلاع واديه
لا مصر جنت مآقيها ولا بلد فى الشرق ضنت على سعد مآقيه

الى أن يقول :

يا أم مصر ، وبنت الأكرمين يدا وزوج سعد التى تبكى تنائيه
هيهات ينسى ولن ينسى صفيته بيت صفية ركن من مبانيه
قد رافقت سعدا فى أيام محنته وشاطرته العنا فى مايقاسيه
يا سعد قل لى وذابت حين قالها أنا انتهيت وأغفى فى دياجيه

وكان شاعر القطرين ، خليل مطران قد قال فى سعد

صفية الطهر آتاك الجهاد حلى لم تؤتها فى الخدور الأنفس السقم
لك الجمالان فى خلق وفى خلق وزينتاك بكل منهما تؤم

وما دمنا قد تحدثنا عن الشعر فاننى أذكر ما قاله أحمد شوقى فى رثاء ثروت باشا حيث قال :

يموت فى الغاب أو فى غيره الأسد كل البلاد وساد حين تتسد
قد غيب الترب شمسا لاسقام بها كانت على جنات الشرق تتقد

الى أن يقول :

ياثروة الوطن الغـــالي كفى عظـة
للنـــاس انك كنز في الثرى بـدد

لم يطغك الحكم فى شتى مظاهره
ولا استخفك لين العيش والرغـد

تغدو على الله والتاريخ فى ثقة
نرجو فتقدم أو تخشى فتتئـــد

أما عبد المحسن الكاظمى شاعر العراق العظيم فقد قال فى سعد أروع قصائده بعد عام من وفاة سعد ومنها :

ولى القضـــاء فقال شاهد عدله
العدل منذ اليـوم عاش دواما

ان التى فتحت بفضل جهـــاده
قد أحكمـوا ايصـادها احكاما

دار النيابة ليس تنسى بأسه
يعلو بهـــا فتحاسب الحكاما

لم يمض عام والحياة عزيزة
حتى تراجـــع عزها أعـــواما

واذا الحوادث خص مصر لهيبهـا
عم العـــراق شرارها والشـــاما

عبثوا بأحكام الشرائع واعتـــدوا
ودعـوا التحكك بالنظـام نظـاما

حفلوا بأنفســـهم وقالوا حفلة
عنت البــلاد لوجهنـــا اكراما

هل جـــاز عنـد الله أمر منافق
صلى الصلاة بريبة أو صـــاما

ولربما خضـــع الأخس تزلفـا
ليصيب جـاها أو يصيب حطاما !

الى أن يقول :

ومن المصـائب والمصائب جمـــة
والعسف سل على الرقاب حساما

ذو العمى يصــبح بيننـــا متكلما
وفصيحنـــا لايستطيع كلامـا

وهمو همو الاصـفار مهما حاولوا
أن يجعلوا اصـــفارهم أرقاما

ورغبة منا فى اتاحة الفرصة للرأى الآخر بعد أن طال حديثنا ، فى هذا الكتاب وفيما سبق عن الرأى الذى نؤمن به والذى نسلم بصحته - نترك المجال - مرة أخرى لاسماعيل صدقى ليتحدث وباسهاب عن حكمه ، ابتداء من عام ۱۹۳۰ خاصة وأن رأى اسماعيل صدقى باشا فى هذا الموضوع ظل باستمرار محتجبا وغير معروف - يقول صدقى باشا :

كانت الرغبة متجهة الى اختيارى لتأليف الوزارة على أثر اقالة النحاس باشا فى يوليو ۱۹۲۸ وخوطبت فى ذلك خطابا شبه رسمى وتهيأت لتأليفها بل ووضعت أسماء الوزراء الذين وقع عليهم اختيارى ليتعارفوا معى .

وكان المندوب السامى البريطانى فى ذلك الحين هو لورد جورج لويد وكان من الطبيعي أن يكون أميل الى شخص تربى فى انجلترا كمحمد محمود باشا بتاثير البيئة العلمية الواحدة والمدرسة الانجليزية الواحدة وقد أدت المشاورات العليا الى اختيار محمد محمود باشا لتأليف الوزارة ·

وفى مساء ٢٦ يوليو من تلك السنة بينما أنا منتظر فى بيتى الدعوة الى القصر فوجئت بالتليفون بالقرار الجديد ·

كان اللورد جورج لويد ـ كما يقول اسماعيل صدقى باشا ـ قد نقل الى انجلترا وحل محله فى مصر سير برسى لورين ، وكان المندوب السامى الجديد يختلف عن سلفه بانه سياسى يمتاز بالمرونه ·

جاءت وزارة محمد محمود باشا وكان هدفها أن تقضى على الأوتوقراطية البرلمانية التى أقامها دستور ١٩٢٣ بطغيان الاكثرية على الأقلية فاستقر الرأى عندها على أن تؤجل الحياة النيابيه وتوقف الدستور ثلاث سنوات قابلة للتجديد فاصبحت البلاد بذلك تحكم حكما غير برلمانى ·

ولم تعمر وزارة محمد محمود باشا طويلا فقد استقالت فى أكتوبر ١٩٢٩ وخلفتها وزارة المرحوم عدلى يكن باشا الثالثة وكانت وزارة انتقال أعقبتها وزارة النحاس باشا ، ولكن هذه الوزارة لم تلبث غير خمسة أشهر وثمانية عشر يوما واستقالت فى يونيو ١٩٣٠ على أثر عدم نجاحها فى مفاوضات هندرسون ·

وفى اليوم الذى استقالت فيه وزارة النحاس باشا قابلنى زكى الابراشى باشا فى نادى محمد على ونقل الى رغبة الملك فؤاد فى دعوتى لتأليف الوزارة فرجوته أن يبلغ جلالته ما يأتى : اننى أفخر بثقة جلالته ، ولكنى أود أن أخبره أنه اذا تم اختيارى لهذا المركز الخطير فستكون سياستى أن امحو الماضى بما له ، وما عليه وأن أنظم الحياة النيابية تنظيما جديدا يتفق ورأيى فى الدستور واستقرار الحكم ·· فنقل الأبراشى باشا ذلك الى جلالة الملك ثم عاد فأبلغنى ارتياح جلالته الى هذه السياسة ، وتم تعيينى لتأليف الوزارة فأخذت فى اختيار زملائى وخاطبت بعض أصدقائى من المستقلين والاحرار الدستوريين وحزب الاتحاد وكنت انتظر من الأحرار الدستوريين أن يتعاونوا معى فرفض محمد محمود باشا و · و ·

وذهبت اليه أنا وعلى ماهر باشا وتحدثت معه فى ذلك وأفضيت اليه باننى جئت لنفس الغرض الذى ألف وزارته عام ١٩٢٨ من أجله مع اختلاف فى الطريقة والأسلوب وعاهدته أمام بعض زملائنا أن أترك الحكم بعد أداء رسالتى وتحقيق هذا الغرض ، وقلت له بالنص : انى عابر سبيل ومتى انتهت مهمتى فى القضاء على الفوضى تخليت عن الوزارة ·

فاصر محمد محمود باشا على موقفه . وابى أن يتعاون معى فسمحت لنفسى ان أتجه الى بعض رجاله فانضم الى منهم حافظ عفيفى باشا مستقلا عن الاحزاب، وبعد أن اخترت زملائى استأذنتهم وتركتهم فى منزلى ريثما أقابل المندوب السامى البريطانى سير برسى لورين للتحدث معه فى بعض الشئون السياسية وقد أبلغته فى هذه المقابلة نبأ تكليفى بتأليفى الوزارة ولم يكن حتى هذه الساعة قد وصله النبأ ، فقال سعادته : اننى لا أعلم شيئا قبل الآن ، عن هذا التكليف ولكنى أرى أنك أتيت فى وقت غير مناسب .

فقلت له : لماذا ؟ فاجاب لأننى امضيت نحو شهر فى مفاوضة زعماء الاغلبية لوضع مشروع اتفاق بين مصر وبريطانيا وكان املى أن نجد المخرج للوصول الى اتفاق ، وأبديت له استعدادى للتفاوض معه . وقال لى المندوب السامى . مادام الملك فؤاد قد كلفكم بتأليف الوزارة فلا اعتراض لى على ذلك وعدت الى زملائى وكنت قد تغيبت عنهم مدة طويلة حتى قلقوا فأخبرتهم بما حدث .

● ويقول اسماعيل صدقى انه — بعد أن أجل انعقاد البرلمان شهرا — لم يكن ينتظران تكون المعارضة تشبه حربا أهلية مبعثها كراسى الحكم ولكن للأسف حدثت حوادث مؤلمة سواء فى القاهرة أو فى الاسكندرية أو بعض مدن الريف ولم يكن للحكومة فيها الا المحافظة على النظام ، ومنع العابثين من الاخلال بالأمن وتحدى القوانين .

وعلى الرغم مما كان يدبره البعض من أعمال لاتتفق ومصلحة البلاد فقد استطعت وقتئذ أن أحافظ على هيبة الحكومة وأن أقضى على الاضطراب .

ويقول صدقى باشا أنه فى ١٦ يوليو ١٩٣٠ صرح مستر ماكدونالد رئيس الوزارة البريطانية بأن بريطانيا تلتزم — فى الأزمة الدستورية فى مصر — الحياد الدقيق — ونظرا للحوادث التى وقعت بمصر وقد أرسلت التعليمات الى المندوب السامى لتبليغ صدقى باشا أنه لابد أن نعده مسئولا عن حماية أرواح الأجانب وممتلكاتهم فى مصر كما كلف السير برسى لورين أيضا بأن يبلغ النحاس باشا انه يجب أن تحل مشاكل مصر الداخلية دون أن تتعرض أرواح الأجانب للخطر واننا نعده كذلك مسئولا مع الحكومة » وقد ورد صدقى باشا مؤكدا أن هذا التبليغ الخاص بمسألة مصرية داخلية فيه عدوان على تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ويؤكد أيضا أن المحافظة على أرواح الأجانب فى مصر ، من مسئوليات الحكومة المصرية ولم يبق الا أن أرجو سعادتكم أن تعربوا للحكومة البريطانية عما تراه الحكومة المصرية فى عبارة التبليغ التى تشير الى مسئولية غيرها . فانها وان كانت لم يهمها طبعا الا الحرص على أرواح الأجانب وأموالهم قد تحمل على أنها غض من سلطان الحكومة القائمة ، وتشكيك فى انفرادها بالمسئولية وهى وحدها

التى تسأل عن حالة البلاد وتخاطب فى هذا الشأن فيجر ذلك الى ما قصد اليه من تلك الاشارة مما قد يعيق من قوة التدابير التى تقضى بها اعادة النظام » .

● وعن الدستور الجديد الذى أصـــدره اسماعيل صدقى باشا يقول صدقى باشا : لا أرانى مسرفا اذا قلت ان فريق الاوتوقراطية كان قد جرب عدة مرات فى الحكم فأبدى فيها عجزا وأوشك أن يلحق فى كل مرة بالبلاد وسمعتها ضررا بليغا ولا شك أن داء البلاد الوبيل كان فى ذلك الحين ، طغيان فئة اتخذت من الدعاية التى تنشرها بين الناخبين والنواب جميعا ســببا محدودا للحــكم والتحكم فان هى أقصيت عن الحكم حاولت استثارة عطف الجماهير بدعوى اضطهادها لدفاعها تارة عن استقلال البلاد وعن الدستور تارة أخرى فهى فى سبيل مصلحتها الخاصة كانت تصرف البلاد عن سبيل الخير وتشغلها عن حل مشاكلها واصلاح شؤونها .

لذلك رأيت أن مصلحة البلاد الكبرى تفرض على القائمين على أقدارها أن يمحو الماضى بما له وما عليه وأن يصدر دستور جديد ، يستفتح به صفحة جديدة فى تاريخها الحديث واذا كانت الضرورات الجأتنى الى انتهاج هذا السبيل ، فالتاريخ العام للحياة النيابية حافل بمثل هذه الظاهرة : ظاهرة ابدال دستور بدستور .

● وقد وضح نسيم باشا ــ وكان وقتئذ رئيسا للديوان الملكى ــ مذكرة ضمنها عدة ملاحظات على بعض مواد الدستور المقترح ولكن الملك لم يوافقه على هذه الملاحظات وكان يميل الى استقرار الحكم .

واستطعت فى خلال الفترة التى حكمت فيها بعد صدور الدستور الجديد أن أقوم باعمال هامة فى الاصلاح العام ، مازالت آثاره حتى الآن سواء فى نواحى الاصلاح الزراعى كمشروعات الصرف والرى وتعلية خزان أسوان أو فى الاصلاح العمرانى كاقامة الجسور وتجميل المدن ، وانشاء طرق الكورنيش بالاسكندرية، أو فى الاصلاح الاقتصادى كمعالجة الأزمة الاقتصادية والعمل لتخفيف وطأتها فى مصر بعد تدابير لا تزال بقية آثارها ولا يخفى أن الأزمة التى كانت قائمة لم تكن مصرية فحسب ، بل كانت أزمة عالمية لم يشهد العالم مثلها فعملت على الأخذ بيد السكان فقراء وموسرين ، ممن كان أثر هذه الأزمة واقعا عليهم أكثر من غيرهم وهم المزارعون ، فعملت على ابعاد أيدى المرابين عنهم وأكثرهم من الأجانب وقد دام أثره الطيب الصالح حتى وقتنا الحاضر .

● وعن الذين لم يؤيدوه من حزب الأحرار الدستوريين قال : ومن العجيب ان الباقين من الأحرار الدستوريين ائتلفوا مع الوفد وكانو قد عانوا منه ما عانوه بحجة أننى اعتديت على دستور ١٩٢٣ .

وفاتهم أنهم هم الذين أجلوا الحياة النيابية وأوقفوا الدستور ثلاث سنوات قابلة للتجديد وحكموا البلاد أربعة عشر شهرا حكما وصفوه هم بأنه حكم ديكتاتوري ·

● وعن نظام اسماعيل صدقي قال مارسيل كولومب : عندما قدم مصطفى النحاس استقالته في ١٧ يونيو ١٩٣٠ ظنت السراي أن فرصتها قد حانت وكانت تدخر لاسماعيل صدقي مهمة الغاء دستور ١٩٢٣ واعطاء مصر بمواءمة بريطانيا العظمى دستورا ، وقانون انتخابات جديدين ·

ومع ذلك فان هذه المحاولة الأخيرة لم تصمد لاختبار الزمن ـ وهو بالغ القسوة بالنسبة الى حكومة ترتكز على قوة الشرطة والجيش ولاتكترث لمعارضة الوفد التي تحظى بأغلبية برلمانية كبيرة للغاية انضم اليها الأحرار الدستوريون الذين ظلوا أوفياء لسياسة التوازن بين القوى المتصارعة ، كما كان العهد الجديد يتضمن نقاط ضعفه التي عجلت هي وعدم شعبيته باندحاره فقد تفجرت فضائح مالية مست بعض الوزراء المشتركين في الحكم ثم حدث ماهو أخطر اذ لم يتردد اسماعيل صدقي صانع الدستور ـ الذي كان الهدف الأساسي منه تقوية سلطات العرش ـ في أن يصطدم بتزايد سلطات الملك فقد تولدت في سياق الأحداث اليومية أمور وخلافات أدت برئيس الوزراء الى الاستقالة من منصبه في سبتمبر ١٩٣٣ بعد عهد شبه ديكتاتوري استمر في الحكم لما يقرب من تسعة وثلاثين شهرا · وكان ذلك بمثابة ادانة ضمنية لنظام ١٩٣٠ وجهها اليه نفس الرجل الذي كان يعد محركه الأول طيلة ثلاث سنوات · عندئذ وغداة استقالة الوزراء التابعين لحزب الأحرار الدستوريين وكما حدث عام ١٩٢٥ بدأت السراي تمارس ديكتاتورية شبه مطلقة من خلال حكومة لا قوة لها ولا نفوذ يشغل مقاعدها تحت رياسة عبد الفتاح يحيى باشا وزراء ينتمون لحزب الاتحاد · ولم يتردد اسماعيل صدقي باشا نفسه في أن يضم صوته الى أصوات المعارضة القائمة على الوفديين والأحرار الدستوريين · وساد القلق الرأى العام وانفجرت فضائح مالية جديدة · وفي مجلس النواب ارتفعت أصوات تطالب بتشكيل لجنة تحقيق برلمانية وأتهم وزيران كان يساندهما موظف كبير غير مسئول بالسرأى يشغل منصب مدير القصور والخاصة المكية هو محمد زكي الابراشي باشا بالفساد والاختلاس · وسرعان ما أصبح الأبراشي باشا هذا وهو خادم للتاج بالغ الحماسة وتابع أمين للملك كما أنه هو الذي يدير للملك ثروته ويزيدها حتى تضاعفت بمهارة نادرة يمكن أن يقال عنها أنها مهارة عارية من كل حيطة ، سرعان ما أصبح هو المنفذ الأمين لرغبات سيده ، وبدأ دوره يتزايد بسبب تدهور صحة الملك · لقد كان هذا الرجل الطموح الدساس يمارس وظيفة رئيس الديوان دون أن يشغل هذا المنصب ويحمل لقبه كما كان تدخله في شئون حكومة عبد الفتاح

يحيى الضعيفة أمرا ملموسا مما أضاع الثقة بالعهد الذى بدأ يضمحل شيئا فشيئا أمام الضربات الموجهة اليه · وكما حدث عام ١٩٢٥ فقد حاولت بريطانيا العظمى عن طريق نصائحها أن تقاوم هذا الوضع الصعب واضطر الملك تحت الحاحها الى أن يبعد تابعه المخلص · أما مجلس الوزراء فقد تلقى هو الآخر « نصيحة » باستبعاد كل الوزراء الذين أحاطت الريبة بسلوكهم واستقالت الوزارة فى ٦ نوفمبر ١٩٣٤ · وفى ٣٠ نوفمبر ١٩٣٤ عطل رئيس الوزراء الجديد محمد توفيق نسيم باشا دستور ١٩٣٠ وسعى الى حل البرلمان · ورأى الملك « صاغرا » وقد هزمه حلفاء الأمس انهيار محاولته الثالثة لاقامة حكم فردى · على أن دستور ١٩٢٣ لم يعد على الفور · ولكن كان على الملك أن يتعهد — وحتى اعلان دستور جديد — بأن يحكم بوساطة وزرائه وعلى مسئوليتهم « طبقا لمبادىء الحرية والمساواة التى كانت دائما قوائم النظام الدستورى فى مصر

ومن الجائز هنا أن تكون بريطانيا العظمى قد داعبها الأمل فى قيام عهد جديد يقيم على ضوء التجارب السابقة مصالحة بين دستورى ١٩٢٣ و ١٩٣٠ الا أن — الملك فؤاد رفض ذلك وأعلن فى ١٨ ابريل ١٩٣٥ أن من الأوفق أن يعود دستور ١٩٢٣ · ولعله كان بذلك يريد أن يعجل بعودة الوفد الى السلطة مع أمل ظل يراوده بأن شيئا لن يقف بعد فى طريقه بمجرد أن تفشل التجربة الوفدية الجديدة فى أن يحقق حلمه الخاص بقيام حكم فردى · ولقد كان هذا على الأقل هو الرأى الذى عبرت عنه بعض الصحف الانجليزية وهى تفسر ذلك الدعم الذى يهيؤه للوفد هذا التحول العجيب فى موقف الملك ·

الا أن الخطر الايطالى كان يتعاظم خلال هذه الفترة وكانت بريطانيا لاتقل عن مصر شعورا بخطورته · وفى القاهرة بدأ جميع المعارضين للنظام وأنصار دستور ١٩٢٣ يلحون فى ضرورة بدء المفاوضات · وحينئذ بدا أن من السهل الوصول الى اتفاق واستطاعت بريطانيا بسهولة أن تعدل عن مشروعاتها فسحبت تأييدها لتوفيق نسيم الذى استقال فى ٢٢ يناير · وشكل على ماهر باشا رئيس الديوان الملكى وزارة انتقالية لاجراء الانتخابات · لكن الأجل لم يطل بالملك فؤاد ليشهد انتصارا جديدا للحزب الذى لم يكف ، هو مطلقا عن محاربته ، فمات ·

وننتقل بعد ذلك الى أهم حدث مصرى سعودى ، ونعنى به عقد معاهدة صداقة بين البلدين الشقيقين ·

الفصل الثانى

معاهدة صداقة بين مصر والمملكة العربية السعودية
أول معاهدة بين دولتين عربيتين مستقلتين

● كانت مسألة العلاقات بين مصر والمملكة العربية السعودية كما يقول د. محمود عزمى من المسائل الشائكة التى طال انتظار تسويتها ، والتى طالما تاقت الأمة المصرية الى التغلب على العقبات التى كانت « مصر الرسمية » ، تقيمها فى سبيل هذه التسوية .

وقد حاول أكثر من رئيس وزارة مصرى أن يتغلب على هذه العقبات فلم يكن التوفيق حليفه .

حاول سعد باشا ، ولم يفلح .

وحاول ثروت باشا ، ولم يفلح .

وحاول عدلى باشا ، ولم يفلح .

كما حاول النحاس باشا ، ولم يفلح .

ذلك لأن الخلاف بين المملكة العربية السعودية ، ومصر الرسمية لم يكن راجعا الى مسائل ذات صفة عامة ، بل كان ممتزجا باعتبارات شخصية متصلة بمقامات سامية يدق ، أمر التفاهم معها فى مثل هذه الحالات » .

ونفتح قوسا ، لنؤكد على حقيقة هامة لم يستطع د. محمود عزمى أن يصرح بها وقت أن كتب كتابه « على هامش التاريخ المصرى الحديث : الأيام المائة » تلك الحقيقة التى نقولها اليوم هى أن الملك فؤاد ، كان بصفة شخصية ، غير راغب على الاطلاق فى تسوية المشاكل ، التى بين مصر والمملكة ، العربية السعودية .

وليس هذا وقت شرح الأسباب التى كانت تدفع الملك أحمد فؤاد ، الى الوقوف فى سبيل أية تسوية بين مصر والمملكة العربية السعودية » .

ونقفل القوس ٠

ويستطرد محمود عزمى قائلا : « أقدم على ماهر باشا ، على معالجة هذه المشكلة الشائكة التى فشل فيها أولئك الرؤساء السابقون ووفق فيها توفيقا عظيما ، استند الى تقدير اخلاصه غير المشوب والى احسان تصويره ، للمصلحة المصرية ، واحكام تضامنها مع اعتبارات « التاج » ٠

وتولى ماهر باشا بنفسه المفاوضة مع مندوب المملكة العربية السعودية ، الذى جاء الى مصر ، تلبية لطلب الحكومة التى أظهرت من تلقاء نفسها أكيد رغبتها فى تسوية المسائل المعلقة بين البلدين وانتهى الأمر الى اقرار معاهدة تستند ، اليها العلاقات بينهما » ٠



وقد تحدث بافاضة فى هذا الموضوع د٠ محمد حسين هيكل ، فى كتابه « مذكرات فى السياسة المصرية » ، فأشار الى موضوع ارسال المحمل من مصر ، وحدوث خلاف بين السعودية حول القوة ،التى ترافقه وامتناع مصر ، عن ارسال المحمل نفسه فى عام ١٩٢٦ ٠ والى موضوع الخلافة وذهاب الشيخ محمد مصطفى المراغى الى الحجاز فى عام ١٩٢٦ ، للحديث فيه مع جلالة الملك عبد العزيز آل سعود وعن اضطراب الجو بين الدولتين منذ ١٩٢٦ حتى ١٩٣٦ ، الى أن يقول: « علمت قبيل سفرى الى الحج ان على ماهر باشا يريد أن يعيد العلاقات بين الدولتين ، فذهبت اليه وعرضت عليه معاونتى لتحقيق مقصده فذكر لى انه يسره تمهيد الجو لمحادثات تكفل نجاح هذا المقصد وكنت مقتنعا من جانبى بأن بقاء القطيعة لا خير فيه ٠

سافرت الى الحجاز على ظهر الباخرة كوثر وانى لفى بهوها يوما بعد أن ارتديت رداء الاحرام ، اذ تقدم الى حاج محرم ، لم أكن قد رأيته من قبل وقدم نفسه ٠٠ ذلك هو الشيخ حسن البنا ، وقد ذكر لى يومئذ أنه ألف جمعية الاخوان المسلمين ، لتهذيب الناس تهذيبا اسلاميا صحيحا وانه يطمع فى تعضيد مؤلف « حياة محمد » ـ أى الدكتور هيكل ـ لهذه الجماعة بل يطمع فى قبولى رياستها ٠٠ والرجل لبق حسن الحديث حلو الالقاء وعرفته بعد ذلك أثناء مقامنا بالحجاز ، اذ كان الحجاج من بلاد الأرض المختلفة يجتمعون ويتحدثون فى مختلف شئونهم فكان يقف فى كل جمع خطيبا واعظا ، يتلو آى القرآن فى مناسباتها ويلقى خطبة فى عبارة بليغة وعربية فصيحة ٠

وقيل لى وأنا بالحجاز ان له صلة بالحكومة السعودية وانه يلقى منها عطفا ومعونة ٠

فلما فاتحنى فى أمر جمعيته ذكرت له ان بث الدعاية لتهذيب الناس على هدى الدين الحنيف أمر حسن جدير بالتشجيع ولكن أعمالى فى التأليف وفى السياسة لا تدع لى مجالا ، لقبول ما دعانى اليه ·

وقضيت بالحجاز ستة أسابيع اتصل أثناءها على ماهر باشا بالحكومة السعودية وقد أوفدت الى مصر ، السيد فؤاد حمزة وكيل خارجيتها ، ليتم المفاوضات وليوقع مع مصر ، معاهدة مودة ، وصداقة ، ولم آل جهدا خلال هذه الأسابيع فى التحدث الى ذوى النفوذ من رجال الحكومة السعودية حديث مودة خالصة ·



ولان معاهدة الصداقة بين مصر والمملكة العربية السعودية كانت أول معاهدة صداقة توقعها مصر ، مع دولة عربية شقيقة ، ولأن نصوص هذه المعاهدة قد اشتملت على كثير من المبادىء الهامة فى العلاقات بين الاخوة الأشقاء أجد لزاما على أن أشير ، الى بعض نصوص تلك المعاهدة التى وقعت فى ٨ مايو ١٩٣٦ ـ آخر يوم فى وزارة على ماهر ـ وقد وقعها ، عن الجانب المصرى ، على ماهر . وعن الجانب السعودى ، فؤاد حمزة ·

● سميت المعاهدة ـ أولا ـ باسم معاهدة الصداقة ، بين المملكة المصرية ، والمملكة العربية السعودية وفى ديباجة المعاهدة : مجلس وزراء ، المملكة المصرية متوليا حقوق جلالة ملك مصر الدستورية وحضره صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية ـ نظرا لما لدى المملكتين المصرية ، والعربية السعودية من خالص ، الرغبة فى توثيق عرا الصداقة بينهما قد اتفقا على عقد معاهدة تثبت فيها قواعد علاقاتهما الودية ·

● والمادة الأولى من هذه المعاهدة تنص ، على أن تعترف الحكومة المصرية بأن المملكة العربية السعودية دولة حرة مستقلة ذات سيادة مستقلة استقلالا تاما مطلقا ·

● بينما المادة الثانية تقول : يكون بين المملكة المصرية . والمملكة العربية السعودية ، وبين رعاياهما سلام دائم وصداقة خالصة ، ويتعهد كل من الطرفين بأن يحافظ على حسن العلاقات مع الطرف الآخر وأن يسعى بكل ما لديه من الوسائل ، لمنع استعمال بلاده قاعدة للأعمال غير المشروعة ، الموجهة ضد السلم ، والسكينة فى بلاد الطرف الآخر ·

● وتنص المادة الثالثة من معاهدة الصداقة ، على أنه تنشأ بين المملكتين المصرية والسعودية علاقات التمثيل السياسى والقنصلى

● والمادة الرابعة : يتعهد صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية بتسهيل اداء فريضة الحج ، واقامة الشعائر الدينية الاسلامية للمسلمين من الرعايا المصريين ويعلن انهم يتمتعون اثناء اقامتهم فى الحجاز بالامن على اموالهم وأنفسهم بالحرية الشخصية وفى الحدود الشرعية ، وعلى العموم بالمعاملة والحقوق الممنوحة أو المعترف بها لرعايا أولى الأمم بالتفضيل ٠

● وتنص المادة الخامسة من المعاهدة على : أنه عملا بالتضامن والتعاون الاسلامى يوافق صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية على تمكين الحكومة المصرية اذا رأت من مصلحة الحجاج وزوار المدينة التطوع ، لعمارة الحرمين الشريفين أو اصلاح المرافق المتصلة بهما من تلك العمارة وذلك الاصلاح ، كما يوافق على عمل كل التسهيلات اللازمة لقيام الحكومة المصرية بهما وتشمل المرافق المشار اليها تعبيد الطرق التى يسلكها الحجاج أو الزوار ، واضاءة الحرمين ، وما حولهما وتوفير مياه الشرب وغير ذلك من الأعمال والمنشآت التى تهدف الى توفير راحة الحجاج والزوار ، أو المحافظة على صحتهم ٠ وتتفق الحكومتان مقدما على التصميمات الخاصة بالأعمال المشار اليها ٠



ويرسل جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ٠٠ طيب الله ثراه ٠ الى على ماهر باشا البرقية التالية فى ٨ مايو ١٩٣٦ :

« حضرة صاحب الدولة على ماهر باشا رئيس الوزارة الأفخم ٠٠

« اطلعنا على نص المعاهدة ، التى وقعتموها مع مندوبنا فؤاد حمزة والمحتوية على سبع مواد ، واشعارا بموافقتنا عليها نرسل لكم هذه البرقية ونسأل الله أن يتولى الجميع بتوفيقاته ويجعله فاتحة عصر ، سعيد بين البلدين »



ويرسل على ماهر باشا ، البرقية التالية الى جلالة الملك عبد العزيز آل سعود : « حضرة صاحب الجلالة المعظم « مكة المكرمة » ٠٠

« انى سعيد بتلقى برقية جلالتكم بالموافقة على المعاهدة التى نرجو أن تقوى العلاقات الودية بين البلدين وتسهل أداء فريضة الحج ، على جميع المسلمين ٠ وتفضلوا جلالتكم بقبول عظيم الشكر وأخلص التمنيات » ٠

« علی ماهر »

ولست أعتقد ، انه في دنيا التعاقدات ، الدولية معاهدة اتسمت بمظاهر الحب والود والاخاء والتعاون المشترك كمعاهدة الصداقة بين المملكة العربية السعودية ومصر ٠

ولست ، أعتقد أيضا أن معاهدة سعد بتوقيعها المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها وفى مقدمة هؤلاء : المسلمون في مصر ٠ وفى المملكة العربية السعودية سعادتهم بتوقيع تلك المعاهدة ٠

والجدير بالذكر أن العلاقات بين مصر والسعودية كانت قد قطعت فى أعقاب ما عرف بأزمة المحمل ، تلك التى وقعت فى مكة المكرمة فى ٢٨ يونيو ١٩٢٦ الموافق يوم الأربعاء ١٨ ذى الحجة ١٣٤٤ ٠

وكانت صحيفة أم القرى التى كانت تصدر فى مكة المكرمة قد خصصت افتتاحيتها فى العدد الصادر بتاريخ ١٩ ذى الحجة ١٣٤٤ ــ ٢٩ يونيو ١٩٢٦ للحديث عن تلك الأزمة بمقال عنوانه : نزعة وقى الله شرها » وقد جاء فى ذلك المقال : سبحانك لا نحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك لك الحمد كله ، ولك الشكر كله لأنك الدافع لكل شر والواقى من الفتن ولولا عنايتك ولطفك ، يارب لهلك كثير من عبادك المؤمنين » ٠ وتفصل أم القرى التى اتخذت شعارا قول الله تعالى : (وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها) على أن صحيفة « أم القرى » تكتب عن تلك الأحداث ــ من وجهة نظرها ــ قائلة :

ان ركب المحمل المصرى جاء من جدة الى مكة المكرمة واستقبل بكل ترحاب وايناس ونزل فى مكانه المعتاد ، وزاره جلالة الملك مع أولاده وبعض حاشيته فى نزله ومساء الثامن من ذى الحجة قبل الغروب سار المحمل من مكانه قاصدا عرفات وكان يحيط به نفر من حرس جلالة الملك يمنعون الناس من المرور فى طريق المحمل ليكون المحمل فى راحة من زحام الناس ٠

ولقد سار المحمل بكل راحة وهناء حتى بلغ آخر منى حيث كانت خيام النجديين تملأ ذلك الوادى واذ ذاك لم يسمع الناس الا أصوات الأبواق تتصاعد من رجال ركب المحمل وهذه ينكرها أهل نجد ولا يعرفونها ولم يكن أحد ليعلم سببا لصوت البوق فى ذلك المكان وما درى غير الذين يفقهون اشارة الأبواق ، ماذا كان يراد من تلك الأصوات وماذا فهم الجند منها لأنها كانت تضرب مشعرة الجند بأوامر تتعلق بالموقف ٠

تصاعدت أصوات الأبواق من المحمل وعلا التكبير والتهليل وتراجع صداه فى بطن الوادى واذ ذاك أقبل بعض البدو من النجديين الذين كانوا يخيمون بالقرب من طريق المحمل الى جهة المحمل ينكرون بألسنتهم ضرب الأبواق فى ساعة من ساعات العبادة ٠ وفى مشعر من مشاعر الحرم فردهم رجال الحرس

الملكي الخاص بعنف وشدة فلم ينتهوا وكان ذلك قريبا من بهو جلالة الملك فأوصل الجند الخبر لجلالة الملك فأمر نائبه سمو نجله الأمير فيصل أن يسير الى محل المحمل ليمنع أى اعتداء هنالك ولكن سموه سار مسرعا بغير أن يأخذ قوة معه فلما وصل الى المكان وجد بعض البدو يتفوهون بألفاظ السباب ويتبادلونها وتجاوز بعضهم فرمي الحرس ببعض الحجارة فطلب من رجال المحمل أن لا يتجاوزوا موقعهم وانكفأ على البدو يعرفهم بنفسه لأن الليل كان قد أقبل ويطاردهم بمن معه من حرسه وحرس جلالة والده ، وأرسل لجلالة والده يطلب منه زيادة على ما معه . ففى الحال أمر جلالة الملك أكبر أنجاله الأمير سعود أن يذهب لنجدة أخيه بقوة من الجند وبينما الأمير سعود يسرع بجمعه والأمير فيصل يكافح بنفسه وهو يهدىء روع رجال المحمل لم يشعر الحجيج الا والرصاص ينفذ من أفواه بنادق جنود المحمل الى صدور الحجيج ووراء ذلك قنابل تضرب يمنة ويسرة تقتل الآمنين المطمئنين وما هى الا لجة والناس بين ملب ومهلل حتى أقبل معظمهم من كل حدب يهرع نحو مخرج النار وفيهم العدد العظيم الذى لم يعلم شيئا عن الخبر ، ولا درى الا وقذائف النار تقع عليه ، وعلى من حوله ، كانت الفتنة صغيرة ، فى طور السباب والشتائم فلم يشعر الناس الا والنار تقذف وقوة الأمير سعود لم تصل ولو تريث رجال المحمل حتى تصل القوة لما أصابهم شيء ولا وقع . ما وقع » ! .

وتمضى أم القرى من وجهة نظرها فى رواية ما حدث من صدام وكانت أم القرى قد اختارت فى مكان بارز من صفحتها الأولى قول الشاعر :

قومى هم قتلوا أميم أخى ... فاذا رميت أصابنى سهمى

وكانت قد اختارت أيضا ـ فى ٢١ ذى الحجة ١٣٤٤ ـ ٢ يوليو ١٩٢٦ أبياتا من الشعر جاء فيها :

قال ابن جنى التغلبى :

لتغلب أبكى اذا ثارت رماحها ... غوائل شر بينهـا متثلم
وكانوا هم البانين قبل اختلافهم ... ومن لا يشد بنيانه يتهدم

وقال بن وقاص الحارثى :

ألا لا تلومانى كفى اللوم ما بيا ... فما لكما فى اللوم خير ولا ليا

وكانت جريدة أم القرى قد أصدرت قبل هذا العدد ، ٧٨ عددا اذ كانت تصدر مرة فى الأسبوع · وكان مدير الجريدة الشيخ يوسف ياسين ·

وبتوقيع المعاهدة المصرية السعودية فى ٨ مايو ١٩٣٦ انتهت تماما تلك الأزمة التى تسببت فى قطع العلاقات بين مصر والسعودية منذ ٢٩ يونيو ١٩٢٦ حتى توقيع تلك المعاهدة ·

الفصل الثالث

انتخابات عام ١٩٣٦
ومشكلة الوصاية على الملك فاروق

وكانت وزارة علي ماهر باشا قد تألفت في ٣٠ يناير ١٩٣٦ لاجراء انتخابات حرة لا تتدخل فيها الحكومة ، وكان من وزرائها : أحمد على باشا ، وحافظ حسن باشا ، ومحمد علي علوبة ، وكان قد استقال من حزب الأحرار الدستوريين قبل أن يدخل الوزارة وحسن صبرى بك ، وأحمد عبد الوهاب باشا ، وصادق وهبة باشا ، وعلى صدقى باشا ، وكانت قد استصدرت مرسوما ملكيا في ١٣ فبراير ١٩٣٦ بتعيين وفد يتولى التفاوض مع الحكومة البريطانية من أجل توقيع معاهدة صداقة ، برئاسة مصطفى النحاس باشا وعضوية محمد محمود باشا ، واسماعيل صدقي باشا ، وعبد الفتاح يحيى باشا ، وواصف بطرس غالى ، د. أحمد ماهر ، على الشمسى باشا ، عثمان محرم باشا ، حلمى عيسى باشا ، الأستاذ مكرم عبيد ، حافظ عفيفى باشا ، الأستاذ محمود فهمى النقراشي ، وأحمد حمدى سيف النصر بك .

وكان هذا الوفد يمثل أحزاب الوفد ، والأحرار الدستوريين ، والشعب ، والاتحاد ، كما يمثل المستقلين أيضا . وقد اعتذر الحزب الوطنى ، عن المشاركة في ذلك الوفد ، استمساكا بسياسة « لا مفاوضة الا بعد الجلاء » ،ولأن الجلاء لا يجب أبدا أن يكون موضع مساومة أو اشتراط « شروط » في مقابل تحقيقه ، هذا بالاضافة الى أن كل الأحزاب المشتركة في الانتخابات قد أنفقت على تقصير مدد الانتخابات لمجلس الشيوخ حتى يتمكن الشيوخ المنتخبون من المشاركة في تشكيل مجلس الوصاية على الملك فاروق الذى لم يكن قد أكمل السن الدستورية . وكانت النية قد اتجهت على أن تتفاهم الأحزاب على توزيع الدوائر الانتخابية فيما بينها غير أنها لم تنجح في تحقيق ذلك الهدف وقد ترك حزب الوفد لأعضاء هيئة المفاوضة دوائرهم الانتخابية فلم يرشح من جانبه أحدا في تلك الدوائر .

وتعتبر انتخابات مايو ١٩٣٦ من أبرز أحداث ذلك العام ٠

والجدير بالذكر أن حافظ رمضان رئيس الحزب الوطنى لم ينجح فى انتخابات مجلس النواب ، وكان يرى أن اجراء أية مفاوضات مع بريطانيا مع وجود الاحتلال البريطانى فيه يعنى الاكراه ، الذى يضعف من ارادة الدولة ، التى هى الطرف الضعيف فى تلك المفاوضات ٠



● أجرت وزارة على ماهر ، الانتخابات لمجلسى النواب والشيوخ حيث صدر مرسوم دعى بمقتضاه الناخبون الى انتخاب أعضاء مجلس النواب فى ٢ مايو على أن تكون الاعادة فى حالة عدم حصول المرشحين على الأغلبية المطلقة فى ١٠ مايو ، وكذلك نص المرسوم على دعوة الناخبين لانتخاب أعضاء مجلس الشيوخ فى ١٦ ، ٢٤ مايو ١٩٣٦ ، فلما توفى الملك عدل الموعد الى ٧ ، ٨ مايو بعد مجلس النواب وقد سقط فى تلك الانتخابات عبد الرحمن فهمى بك عميد الفدائيين المصريين والزعيم العمالى المعروف ـ وقتئذ ـ وذلك فى دائرة نقطة بوليس العزب رقم ٢ ولم يحصل الا على ٢٦٤ صوتا ، رغم الجهود التى بذلها كثير من السياسيين المصريين من كافة الأحزاب لانجاحه وحصل منافسه محمد عبد الصمد أفندى على ١٥٥٠ صوتا وقد انتخب ٠

وفى دائرة سنباط غربية لم ينجح مرشح الوفد عوض أحمد الجندى الذى حصل على ٢٦٥٠ صوتا ، بينما نجح منافسه محمد راغب عطية على ٦٦٧٨ صوتا وقد أعلن انضمامه للوفد فور نجاحه فى تلك الانتخابات ٠

وقد نجح فى دائرة سخا غربية الدكتور عبد الحميد سعيد وحصل على ٤٧٠٥ أصوات وحصل منافسه فؤاد خير الدين على ٢٣٤٣ صوتا ٠ وعبد الحميد سعيد كما هو معروفَ من أقطاب الحزب الوطنى ٠

وكان فى مقدمة الصحفيين الفائزين فى تلك الانتخابات الأستاذ محمد توفيق دياب عن دائرة سنهوا ومنشأة فتحى : وفى دائرة منيا القمح حصل رياض المصرى أفندى على ١١١٧ صوتا وحسن مرعى بك ، ب ٧٤٤٧ صوتا وقد انتخب ٠

وأعيدت الانتخابات بين الأستاذ فكرى أباظة أفندى « ٢٨٧٠ » والشيخ محمد عثمان عبد القادر « ٣٠٠٦ » فى دائرة أبو حماد « شرقية » وقد نجح الأستاذ فكرى أباظة فى الاعادة وحصل على ٤٠٢٣ صوتا وكان من الفائزين فى هذه الانتخابات محمد صبرى أبو علم أفندى « وفدى » وقد حصل على ٥٠٤٩ عن دائرة منوف وأحمد أحمد عبد الغفار بك دائرة تلا وقد حصل على ٤٦٨٩ صوتا ٠

وحصل اسماعيل رمزى باشا على ٦٤١٢ صوتا فى دائرة تمى الامديد ولم يحصل د٠ محمد حسين هيكل بك الا على ٢٧٠١ صوت ٠

وكذلك نجح محمود نصير بك « دائرة المنصورة » وحصل على ٢٩٤٢ صوتا وحصل د٠ محمد حلمى الجيار على ١٩٥٥ صوتا ، ونجح أيضا فى دائرة كفر داود عبد العزيز عبد اللطيف الصوفانى من أقطاب الحزب الوطنى وحصل على ٥٦٢٣ صوتا وحصل منافسه الجارحى عبد السيد حميدة أفندى على ٤٥٦٣ صـــوتا ٠

ونجح من أقطاب الحزب الوطنى أيضا محمد محمود جلال فى دائرة بنى مزار ـ المنيا ـ وحصل على ٦٥٥٣ صوتا ، ونال منافسه محمد سعودى أفندى على ٥٠٢٦ صوتا ٠



وفى دائرة الحسكة « أسيوط » فاز رشوان محفوظ باشا « حر دستورى » على منافسه عبد الرحمن حفنى الطرزى ٠

وانتخب محمد محمود باشا رئيس حزب الأحرار الدستوريين عن دائرة البربا « أسيوط » وحصل على ٧٠٣٠ صوتا وحصل منافسه على عثمان حماد على ٢٩٧٤ صوتا ٠

وفى دائرة البلينا « جرجا » فاز فؤاد أبو ستيت أفندى « ٦٤٢٤ صوتا » وفى دائرة كفر بداوى القديم « الدقهلية » فاز محمد عبد الجليل أبو سمرة وفى دائرة القلينى « شرقية » فاز محمد عزيز أباظة ٠



وفى مقــدمة التعليقــات على الانتخابات ، التى أعجبتنى ما كتبه الأستاذ عبد الرحمن فهمى سكرتير عام لجنة الوفد المصرى وقطب الحركة العدائية ومن أبرز الوجوه التى لم تنجح فى الانتخابات حيث قال تحت عنـــوان « يوم الانتخابات ،وما حدث فيه » : فى فترة الترشيحات من جانب الوفد المصرى ، عرض على الوفد بعد حديث لى مع صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا أن يترك لى دائرة الصف من مديرية الجيزة فاعتذرت له مع وافر الشكر ، ثم عاد الوفد مرة أخرى ، فعرض على أن يترك لى دائرة ثانية هى دائرة « ناهيا » احدى دوائر الجيزة أيضا ٠

ولكننى كررت الاعتذار وكررت الشكر ذلك اننى رأيت لنفسى ألا أبارح القاهرة فترة الانتخابات وفيها من وجوه السياسة بظروفها الدقيقة ما يشغلنى عن كل شىء ٠

على أننى وقد التزمت هذا الموقف حيال ما عرضه الوفد المصرى على فى مرتين متتابعتين اذا بوفد من جمهرة كبرى من الموظفين والأهالى والعمال المنتمين الى الدائرة التانية فى شبرا ، تفد على أكثر من مرة ملحة فى أن أرشح نفسى عن هذه الدائرة . والواقع أن سابقة عملى للعمال قبل اعتزالى السياسة والى جانبها احساس آخر ، أكد لى بأن التوفر على معركة انتخابية فى قلب العاصمة لم تقعدنى عن ملابسة الظروف التى تجتازها البلاد ، قد مهدا لى اجابة دعوة الداعين ، والتقدم الى دائرتهم مرشحا نفسى .

لقد تحريت فى هـذه المعركة الفكرة . التى دعوت اليهـا ، وخرجت من أجلهـا من اعتكافى وهى أننـا مصريون ، وأننا اخوة فلم أستخدم فى معركة ، الانتخابات اذن سلاح المهاترة أو النزول الى مستوى الاسفاف أو شراء الثقة بأى ثمن كان ، وانما حرصت جهدى على أن تكون المعركة من جانبى بعيدة عن هذه الظواهر ، نائية عن كل ما يشين الرجل الشريف .

وجاء يوم الانتخاب فاذا به يتمخض فى طائفة من لجان الانتخاب عن سوءات ومخالفات لا أريد أن أفصل أمرها بعـد أن بعثت عنها شـكاوى الى جهة الاختصاص » .



ويمضى عبد الرحمن فهمى الذى كان سكرتيرا عاما للوفد بالقـاهرة أثناء ثورة ١٩١٩ قائلا :

« انتهت نتيجة الانتخابات على نحو لا أستطيع معه الا القول بأن دائرة بلغ عدد الناخبين فيها ستة آلاف ناخب لم يتقدم منهم لاعطاء صوته أكثر من ثمانمائة أو ألف ناخب .

وفى هذا أوضح دليل على ما نرجو أن يشهده المستقبل للناخبين من عناية توحى اليهم بأن يستعملوا حقهم الكامل .

ومن المحقق أنه لا شىء أحب الى من القول بأننى وقد أحصيت عدد الذين سجلوا الأصوات لى وأحصيت الى جانب ذلك جملة المخالفات التى ارتكبت فى بعض لجان الانتخابات قد هنأت نفسى بأولئك الذين كانوا الى جانبى خلصاء من غير سوء لم يدفع بهم لا وعد ، ولا وعيد ولا بيع ولا شراء .

وقد خرجت بهذا كله وأنا كثير الاطمئنان الى أننى أديت واجبى فى نزاهة وأمانة وصدق » .



وينهى عبد الرحمن فهمى بك كلمته القاسية المريرة ، بقوله :

واذا كنت قد أديت الخدمة ، لوطنى : فى نهضته الكبرى عن طريق اللسان والعمل الى حد قرب عنقى من حبل المشنقة ومن السجن الطويل ، والمعاناة الشاقة فانى أضع اليوم الى جانب هاتين القوتين ، اضع قلمى فى الميدان لتكون الخدمة للوطن الخالد ، باليد والقلب ، واللسان ، متجاهلا خصومة أى انسان ، راضيا بالعمل حيث يدعو الصالح الوطنى العام » .



ولا تعرف الانتخابات مرشحا أثار عدم نجاحه هزة فى الحياة العامة ، قدر عدم نجاح د. محمد حلمى الجيار . لقد تلبد الجو فى المنصورة يوم الانتخابات وتم اعتقال الكثير من أنصار منافسى الجيار .

وبعد ظهور الانتخابات وتاكد عدم نجاح الدكتور الجيار فى تلك الانتخابات قامت مظاهرات عنيفة فى المنصورة ، وامتلأ مستشفاه الكبير ، بالمئات من انصاره وقد خطب الجيار ، أكثر من مرة فى الوفود ، التى كانت تفد على مستشفاه حيث كان يكرر أسفه لهذا العراك ، البرلمانى البعيد عن الأخلاقيات ، واعتماد منافسه على الطريق ، غير الشرعية ، لاستمالة الناخبين اليه ، حتى لقد تولى هو بنفسه – اى الدكتور الجيار – القبض على بعض هؤلاء الذين يستخدمون وسائل غير مشروعة وسلمهم الى النيابة .

وكان من بين ما قاله الجيار : ان قضية الاخلاق اذا اصبحت على هذه الصورة وبمثل هذه العلانية فان « الربح » السياسى للبلاد فى قيام برلمانها لا يعوض بعض الذى نخسره من أخلاق الناس .

وقد وجه د. حلمى الجيار الى شعب المنصورة كلمة قال فيها : انه وان لم يكن لى النصر فى الصناديق ، والاوراق فقد نلته واحرزته فى القلوب ويكفينى فخرا مظاهر العطف والتأييد من جميع الطبقات مثقفين واهلين .

وينهى الجيار كلمته بقوله : فى النهاية أقول للجميع لنترك ، الجدل فى أمر مضى ، وانقضى .

ولنجدد الجهاد لتأدية رسالتنا : لمصر تحيا وفى سبيلها نموت .

وما كادت معركة الانتخابات لمجلس النواب تنجلى عن فوز الوفد بالأغلبية الساحقة حتى راح الجميع – فى انتخابات مجلس الشيوخ – يتسابقون لانجاح مرشحى الوفد . حتى لقد فاز بالتزكية فى يوم ٥ مايو ١٩٢٦ ، ٤٧ شيخا .

وكان فى مقدمة الفائزين بالتزكية اللواء على باشا فهمى « شبرا » الأستاذ عزيز ميرهم (بولاق) محمد صفوت باشا « الوايلى » الشيخ عباس الجمل « الدرب الأحمر » حسين شفيق المصرى « السيدة زينب » .

وفى الاسكندرية ابراهيم بك سيد أحمد «العطارين» فهمى حنا ويصا بك « اللبان » دولة عبد الفتاح يحيى باشا « منيا البصل » ومحمد محمود خليل بك « شبين القناطر » ، والشيخ على رمضان الطوبجى « بندر المنصوره » والشيخ حسن عبد القادر « المحلة الكبرى » واحمد حنفى أبو الفضل الجيزاوى « الجيزة » وغيرهم ، وغيرهم ممن فازوا بالتزكية ، بدون اجراء أية انتخابات .

ولقد كان عدم وجود منافس أمام مرشح ما ، يعنى فوزه فى تلك الانتخابات عن تلك الدائرة دون حاجة ، الى اجراء انتخابات .

وكان من بين من فازوا فى مجلس الشيوخ ـ بعد اجراء الانتخابات ـ حامد الشواربى باشا « دائرة قليوب » وعبد الرحمن فتوح افندى « دائرة زفتى غربية » وحصل على ١٣٢١٤ صوتا بينما لم يحصل منافسه محمد علام باشا الا على ٣٥٠٤ اصوات .

والأستاذ بيومى مدكور بك « دائرة الحوامدية » .



وقد كان الاعضاء ، المعينون فى مجلس الشيوخ هم : محمد توفيق نسيم ، على ماهر ، جعفر ولى ، أحمد مدحت ، محمد توفيق رفعت ، أحمد على ، حافظ حسن ، عبد الحميد سليمان ، أحمد محمد خشبة ، يوسف أصلان قطاوى موسى فؤاد ، محمد على علوبة ، محمد علام ، حسن صبرى ، كامل ابراهيم ، صادق وهبه ، على صدقى ، امين سامى ، محمد طلعت حرب ، محمود يوسف رشاد ، الكسان ابسخرون ، حسن مظلوم غالب ، عبد الحكم عسكر ، عبد الرازق القاضى ، على كمال حبيشة ، ابراهيم الهلباوى ، محمد حسين هيكل ، أحمد كامل ، وهيب دوس ، محمد حافظ رمضان ، احمد جمعة ابو ستيت ، مصطفى راضى ، خليل ثابت ، أنطون الجميل ، زكى ويصا ، أحمد حسين ، محمد على سليمان ، على عبد الرازق ، د. زكى ميخائيل بشارة ، عبد الرحمن عوض ، د . عبد الخالق سليم ، يوسف الجندى ، محمود شاكر عبد اللطيف ، محمد مرزوق ، يوسف عبد اللطيف ، ميشيل رزق ، عبد الرحمن البيلى ، محمد حسين ، حسن محمد الوكيل ، عفيفى البربرى ، محمد عبد اللطيف ، محمد زايد جلال .

وقد وقع على مرسوم التعيين على ماهر رئيس مجلس الوزراء ، ووزير الداخليـة ووزير الصحة العمومية بالنيابة ، وزير الأشغال ، حافظ حسن ،

ووزير المالية ، أحمد عبد الوهاب ، وزير الحقانية والأوقاف أحمد على ، وزير المواصلات والتجارة والصناعة ، حسن صبرى . وزير الحربية ، والبحرية على صدقى ، وزير المعارف على علوبة ، وزير الزراعة صادق وهبة .



وتعلق جريدةالتيمس البريطانية على انتخابات مجلسالنواب قائلة : ان اغلبية الناخبين أعطت أصواتها للمرشحين الوفديينوبمقارنة الانتخابات الحالية بالانتخابات الأخيرة « انتخابات اسماعيل صدقي باشا » يظهر أن الانتخابات الحالية كانت حرة تماما ولم يستعمل أى ضغط ، أو تشديد ، على النـاخبين حتى ان النـاخبين في بعض الـدوائر شكوا من أنهم لم يستطيعوا ان يبيعوا اصواتهم كما جرت العادة .

وقالت التيمس ورغم ذلك القول فان « عشرة » أشخاص قتلوا فى دائرة سنهوا

وقالت المورننج بوست : ان الانتخابات لمجلس النواب انفضت دون حادث ، اذا استثنينا حادثا واحدا فى الوجه القبلي قتل فيه شخصان !! » وقد أصيب حافظ رمضان بك بهزيمة شديدة فى دائرة قسم الخليفة .



ولم تكنالصحف البريطانية تهتم بالانتخابات المصرية وحسب ، ولكنها كانت تهتم وربما باهتمام أكبر بمسألة الوصايةعلى الملك فاروق وفى الوقت ، الذى كانت فيه تلك الصحف تدعي ، ان بريطانياتلتزم بالحياد فى موضوع الوصاية على العرش كانت فى نفس الوقت تحرص على الدعوة ، الى أن يكون الأوصياء ، على العرش من المعتدلين .

وقد كان من بين ما نشرته جريدة التيمس البريطانية فى هذا الموضوع ، ان السير مايلز لامبسون اجتمع بالزعماء المصريين وقال لهم ان بريطانيا لا تريد ان تتدخل فى مسألة الوصايةعلى العرش ، ولكنا نرجو ان يكون الرجال الذين يؤلف منهم مجلس الوصاية مستعدين لعقد المعاهدة والمساعدة على اقامة خير العلاقات بين البلدين .

ويقال ــ هكذا قالت التيمس البريطانية ــ ان السير مايلز لامبسون تلقى من الزعمـاء تأكيدات تبعث على الارتياح فى هذا الشـان ، ويوجد كذلك من الاسباب ما يبعث على الاعتقاد ، بان الزعماء ، ارتضوا بان يؤيد البرلمان تعيين رجال من المعتدلين .

وقد أحدث هذا الخبر ـ كما تقول التيمس ـ تأثيرا حسنا جدا فى الدوائر التى كانت تخشى الا يقنع الوفد ، بالاغلبية الكبيرة ، التى ينالها فى البرلمان فيتنسب ان يكون صاحب الكلمة فى مجلس الوصاية ٠

وتقول صحيفة الديلى تلجراف البريطانية بصريح العبارة : « ولم يحن الوقت بعد للتكهن بأسماء أعضاء مجلس الوصاية ، ولكن يظهر أن حظ نسيم باشا فى أن يكون واحدا من أعضاء المجلس قد قل وزاد حظ الأمير محمد على كثيرا ٠

ولا جدال ـ هكذا تقول صحيفة الديلى تلجراف ـ فى ان الأمير محمد على باعتباره عضوا من أعضاء الأسرة المالكة سيكون أكفأ من غيره للوصاية بما له من مقام محترم ٠

وتقول صحيفة الديلى هيرالد ـ البريطانية أيضا : ان الأمير محمد على أعلى أفراد العائلة المالكة مقاما وهو على نقيض الأمراء الآخرين يحصر اهتمامه فى الفنون أكثر منه فى السياسة وقد تجذبه الحوادث الأن الى الميدان السياسى ٠



ويصل فاروق الى القاهرة فى ٦ مايو ١٩٣٦ قادما من لندن ـ بالبحر ـ فى الوقت الذى كان فيه البرلمان الجديد يتأهب لاختيار أعضاء مجلس الوصاية على العرش ٠

وفى ٨ مايو ١٩٣٦ يجتمع البرلمان المصرى لأول مرة بعد اعادة دستور سنة ١٩٢٣ ٠

وتكون جلسة البرلمان ، « مجلس النواب ومجلس الشيوخ » من أخطر الجلسات فى تاريخ الحياة النيابية ، المصرية ٠

وكان أول عمل قام به البرلمان فض المظروفين الخاصين بوصية الملك أحمد فؤاد ، وكان أحدهما مودعا فى مجلس الوزراء والآخر مودعا فى ديوان جلالة الملك ٠

وكانت المفاجأة ، لقد كان المظروف المودع فى رئاسة مجلس الوزراء ، سليما لم يمس ، أما المظروف المودع فى ديوان الملك فلم يكن كذلك ، بل كان مفتوحا ٠

وتقول جريدة اكسبريس ـ البريطانية ـ فى مقال افتتاحى لها ـ ان الأمير فاروق يتعلم الآن فى انجلترا فى مدرسة ضباط المدفعيــــة وأنه لا يمكن أن يعهد بالوصاية الى غير الأمير محمد على صديق بريطانيا ٠

وتقول المورننج بوست ، ان الملك فؤاد ، الذى كان سلطانا فى سنة ١٩١٧ ، وصار ملكا فى سنة ١٩٢٢ أثبت أن الشرق الأدنى كالشرق الأقصى ، وأن مصر تشبه الهند من أن نظام الحكم البرلمانى غير ملائم لها ٠

وتشير الصحيفة على الملك فاروق ، ألا يحذو حذو والده فى أوتقراطيته ٠

وتأمل أن تكون اقامته فى انجلترا قد غرست فيه النزعة الديمقراطية ٠

وتقول النيوز كرونيكل : لقد كان للملك أحمد فؤاد حدوده ونشاطه . ولكنه كان عاملا من عوامل استقرار الحكم ، أما وقد ذهب أحمد فؤاد فلا غنى للسياسة المصرية من أن تبحث عن قطب جديد لدائرة سياستها ٠



وعن الملك أحمد فؤاد قالت صحيفة التيمس البريطانية : ان مصر . فقدت بوفاة الملك أحمد فؤاد عاهلا من المدرسة ، التركية ، القديمة ٠ لقد كان يعرف ، كل ما يستحق المعرفة فلم يفته سوى أشياء يسيرة ، ولكن هذه الاشياء اليسيرة كانت أكثر مما عرفه بعض وزرائه من صناعة الحكم ٠

ويمكن أن يقال عن الملك فؤاد أنه مثال مدهش لتأثير الوراثة ٠

وقد مالت الحكومة البريطانية فى أول الأمر الى اعتباره من هواة الاشتغال بالأمور العلمية فاذا جاوز ذلك الى الاهتمام بشىء آخر فالاهتمام بالشئون الشخصية ولكن الحرب هيأت له الفرصة فانه بعد وفاة السلطان حسين عرض عليه العرش ، ولكنه فى ذلك الحين وفى أثناء النزاع الذى دار بين الوفد ، والسلطات البريطانية ــ وقد نشأ ذلك النزاع بعد أن وضعت الحرب أوزارها ــ ظل الجانبان يعتقدان أن الملك فؤاد ، لا يعنى بالشئون السياسية حتى اذا نودى باستقلال مصر واتخذ السلطان لقب ملك شرع يظهر مطمحه لأن يكون حاكما حقيقيا لمصر ٠



وكان من جراء وفاة سعد زغلول وتنحى الحكومة البريطانية من التعرض لشئون مصر ــ هكذا فى الأصل ــ أن تمكن أحمد فؤاد من ادراك مقصده وتوسل الى ذلك بوزراء بارعين (محمد محمود باشا واسماعيل صدقى باشا : الدكتاتوريين) ثم تخلى عنهما حالما أخذا يبديان مظاهر الاستقلال ، الأمر الذى خشى منه على انتقاص « حقوق » العرش ٠

وتعود مرة أخرى جريدة الديلى تلجراف ، لتؤكد ــ على لسان مندوبها فى القاهرة ــ على أن مصر تواجه أزمة تجاوز أكبر من كونها نزاع دستورى عادى ،

وتذكر الجريدة البريطانية أن الوفد كان قد أصر على قيام برلمان سنة ١٩٢٧ وان هذا الاقتراح ، الذى تقدم به الوفد هو آخر ما لدى الوفد من حلول ، وان الدوائر الحكومية ، وسائر الجهات توجس خوفا من دكتاتورية حزب من الأحزاب ، وتقول ان الوفد ومعه بقية الأحزاب يرى أن على ماهر ، لا يبقى فى الحكم أكثر من عشرة أيام تيسر فى خلالها دعوة ، البرلمان للانعقاد ، فاذا تجاوز هذه المدة يفقد الوكالة التى جعلته فى منصب الوزارة بوفاة الملك .



وتشير الصحيفة ، الى ما سبق ان قاله على ماهر ، من انه يسترشد فى جميع أعماله بالرأى الدستورى فاذا اجتمعت الأحزاب كلها على حل آخر فانه يتخلى عن خطته .

وتشير الصحيفة أيضا ، الى ان هناك حركة ضد وجود احد من المتقدمين من اعضاء الاسرة المالكة فى مجلس الوصاية ـ محمد على توفيق ـ وهو عضو يظن ان الملك فؤاد لم يدخله فى الذين اختارهم ، واذا كان الملك ، لم يقم باختيازه ، فمعنى ذلك ، انه لا يريد اشراكه فى الوصاية .

وترى الصحيفة ان مجلس الوصاية يدير ممتلكات الخاصة الملكية ، والأوقاف الخصوصية وهى ممتلكات واسعة ، وعليه ، أن يسوى مسائل مهمة خاصة بالأسرة الملكية فمن الانصاف للأسرة أن يكون واحد من أعضائها نفسها فى المجلس ليدير هذه الشئون .

ولكن المفهوم ، ان جميع الأحزاب لا تميل الى ادخال أحد من الأسرة الملكية فى مجلس الوصاية وقال وفدى معروف أن فى سلطة البرلمان ، أن يرفض أيا من الذين عينهم الملك فؤاد ، وهذا يثبت ما يسود الأذهان ، وهو أن أكثرية الوفد ، فى البرلمان تصر ، على أن يكون أعضاء مجلس الوصاية من أنصار الوفد ، وقد يقول قائل : « ان هذا الأمر ، لا أهمية له ، لان الملك فاروق يبلغ سن الرشد بعد سنة » !



وتبدى الصحيفة البريطانية ، فى أكثر من عدد من أعدادها ضرورة أن يكون أحد من أفراد الأسرة المالية من الأوصياء على العرش ، بالرغم من أن الملك فؤاد لم يسم أحدا من أفراد تلك الأسرة من الذين وصى بهم فى الوثيقة التى سبق أن كتبها : لقد كان الملك فؤاد يضع ثقة لا حد لها فى نسيم باشا الذى كان من أعظم المقربين اليه وعدلى يكن باشا الذى توفى واشتهر فى حياته بوساطته بين الأحزاب فى الأزمات السياسية ومحمود فخرى باشا صهر الملك .

وتؤكد الصحيفة البريطانية على أن موقف الحكومة البريطانية قد أصبح ـ فى مصر ، صعبا للغاية ، بينما هى ـ أى بريطانيا ، الملجأ ، الأخير المسئول عن شئون مصر : ان الجو المقبل ـ كما تقول الصحيفة البريطـانية ـ ليس صافيا والأمل بعقد معاهدة صار أقل مما كان ٠

وتقول الصحيفة أيضا كلما أمعن المرء فى البحث والنظر ، تبين له ما كان عليه الملك فؤاد من بعد نظر فى مواقف كثيرة كالموقف الحالى تعقد فيه الاعتبارات السياسية ، المسألة الدستورية ، وكيف كان الملك ركنا من القوة يعول عليه فى مثل هذه المسائل ٠

لقد كان الملك فؤاد يعتقد بنظام الحكم المطلق ويؤثر أن يحكم بدون دستور ولم يكن يؤمن بالبرلمان والانتخاب ٠

ومع أن بريطانيا هى التى اختارت الملك فؤاد ، لتولى عرش مصر ، الا أنه لم يكن آلة فى يد وزارة الخارجية البريطانية ٠



● وفى هذا الجو المحموم ، يدخل الايطاليون أديس أبابا بعد أن هرب هيلاسلاسى ، من العاصمة الأثيوبية ويقرر حزب العمال البريطانى فى مؤتمر استثنائى وجه الدعوة اليه ، انه يجب ألا يســمح لايطاليا بأن تقتطف ثمرة اعتدائها ، غير المشروع والوحشى ، على أثيوبيا ٠

وقد صار من المحتم على الأعضــاء المخلصين لعصــبة الأمم بأن يتمسكوا بالتدابير ، التى اتخذت ضد ايطاليا وأن يسعوا لتوسيع نطاقها حتى تفوز سلطه عصبة الأمم ، فى الوقت الذى تتقبل فيه الدوائر الرسمية ، البريطانية سقوط العاصمة الأثيوبية بكثير من السكينة مؤكدة ان من الواجب انتظار سير الحوادث فيما بعد : هل تضع ايطاليا ، أحد الرؤوس ـ الشخصيات الأثيوبية الكبيرة ، من الأسرة المالكة ـ على رأس نظام الحكم فى الحبشة ، مؤيدة الجيش الايطالى ، أم تقرر ايطاليا تحويل الحبشة الى مستعمرة عادية ! فى هذا الهجوم المحموم ـ داخليا وخارجيا يدلى السنيور موسولينى بحديث خطير الى المستر واردبرايس مندوب جريدة الديلى ميل البريطانية يقول فيه :

لم يخطر ببالى قط أن أمس مصالح الامبراطورية البريطانية ولم يخطر ببالى أيضا ايذاء انجلترا : ان مصر ، لا تهمنا وكذلك فلسطين وليس لايطاليا مطالب استعمارية أخرى ٠

وعندما يسأله واردبرايس عن شروط الصلح يقول موسولينى : لا يمكننى أن أقرر الآن ذلك نهائيا ، ذلك لأننى لا أعرف مع من أعقد الصلح ، بعد قرار الامبراطور ٠

ثم يضيف موسوليني قائلا : لقد استقرت السلطة الايطالية استقرارا راسخا فى الحبشة ونحن نريد سلاما دائما !



وينشر المحرر الدبلوماسى لجريدة الديلى هيرالد مقالا ، عن المحادثات المصرية البريطانية فى نفس اليوم الذى سقطت فيه أديس أبابا ، ونشر فيه حديث موسولينى مقالا هاما — وصريحا — يقول فيه : ان طريقة مواجهة الزعماء ، المصريين بخبراء بريطانيين ضالعين فى الشئون الحربية ، فى البر والبحر والجو وتفسير البواعث الفنية ، التى تقتضى زيادة جيش الاحتلال ، والمواقع التى يحتلها بدلا من نقصه ، وبعضها حبطت حبوطا تاما ، فالمصريون وليس عندهم مستشارون خبيرون فى الناحية الفنية لا يستطيعون أن يحكموا حكما صحيحا ، على قوة هذه الأدلة أو ضعفها ، فيشعرون أن فى الأمر حيلة عندما يقال لهم — مثلا — ان الضرورة تقتضى بقاء ، الحاميات البريطانية فى القاهرة والاسكندرية والسلاح الجوى فى هليوبوليس « مصر الجديدة » ويبدو لهم أن القول ليس الا محاولة للتنصل فى التسليم بما سلم به الانجليز فى مشروع عام ١٩٢٠ وربما كان الخطأ ، الكبير ، أو الجريمة الكبرى السعى ، المتعمد لجعل مصر غير قادرة على أن تتولى الدفاع عن نفسها وليس هناك ما يفسر لنا لماذا لا تملك مصر قوة دفاعية كافية كان يمكن انشاؤها بمساعدة البريطانيين الفنية ٠

ومن اللغو أن يقال أن المصرى ليس بجندى مجيد فريد ٠٠ أثبت المصريون بقيادة ابراهيم باشا أنهم جنود أكفاء فحاربوا الترك وغلبوهم ثم انهم حاربوا فى السودان وأحسنوا الحرب ولكن لم يتح لهم فى العهد الحديث أن يحاربوا بقيادة ضباطهم المصريين ٠ فالضباط المصريون لا يسمح لهم بأن يتولوا مقاليد القيـــادة ٠



وقد احتج اللورد ملنر — من زمن بعيد — على تلك الخطة وما فيهـا من قصر نظر ولكن تنفيذ الخطة استمر متعمدا لتسويغ بقاء الاحتلال البريطانى فى مصر ٠

نحن منعنا المصريين من انشاء هيئة أركان حرب على درجة من الكفاءة لتنظيم جيش مصر ، وقيادته فأصبحت مصر الآن لا تملك خبراء عسكريين أكفاء فى الشئون العسكرية مع البريطانيين وعلاوة على ذلك تعمدنا ابقاء الجيش المصرى بغير معلم عسكرى واحد ومن دون مدفعية ثقيلة وفرضنا على مصر نزع سلاح كان أشد فى وقته من نزع السلاح الذى فرض على المانيا اثر هزيمتها فى الحرب العالمية . والآن نقول للمصريين أيها الأصـــدقاء : الواقع ، أنكم لا تصلحون للدفاع عن بلادكم ٠

ولذلك نريد أن تبقى جيوشنا فى كل مكان للدفاع عنكم أنندهش عندما ترى المصريين يرتابون فى أقوالنا ويظنون أننا سيئو النية ؟ ٠



ويصـــل الملك فاروق الى مصر وتسبقه حملة دعائيـــة هائلة من الاشادة بتقواه ، وتأثره بالتعاليم الدينية وتستمر تلك الحملة تزداد كل يوم قوة ، وتركيزا وبطبيعة الحال لا تعرف الجماهير شيئا عما كان يحدث للملك فى لندن وما كان يحدث من الملك ٠ ولو أن عزيز المصرى باشا كان قد فتح فمه وتحدث عن تلك المؤامرات التى كان يحيكها أحمد حسنين وعمر فتحى ضد فاروق فى لندن ، وكيف استطاعا أن يحيلا الفتى الطيب الى شاب منحرف : يدخل عليه عزيز المصرى غرفته ــ كما روى لأنور السادات ــ فى الصباح فيجده نائما بملابس السهرة والخمر تفوح من فمه : كان أحمد حسنين وعمر فتحى يقودان فاروق الى دور الفساد فلا يعود الا فى الرابعة صباحا ويعود مخمورا فينام ويلقى بنفسه القاء على أقرب مقعد أو وسادة » ٠ لو أن عزيز المصرى فتح فمه يومئذ لكان فى الامكان انقاذ الملك مما تردى اليه ٠

على آية حال وصل فاروق الى الاسكندرية فالقـاهرة وحظى ــ أول من حظى ــ بمقابلته صاحب السـعادة سير مايلز لامبسون المنـــدوب الســامى البريطانى ٠



وفى الساعة الرابعة بعد ظهر يوم ٨ مايو ١٩٣٦ يجتمع مجلسا البرلمان « النواب والشيوخ » فى هيئة مؤتمر غير عادى ، فيعلن المرسوم الصادر بدعوة مجلس النواب ، ومجلس الشيوخ ويعلن بعد ذلك وفاة الملك فؤاد ٠

ويتولى أمين سامى باشا رياسة المؤتمر باعتباره أكبر الاعضاء سنا : ويتولى السكرتارية محمد متولى بك والى يمينه الأستاذ محمد خطاب فالأستاذ ابراهيم عبد الوهاب بينما يجلس على يساره الأستاذ أمين عثمان والأستاذ عز العرب ، ويقبل على ماهر باشا رئيس الوزراء ومعه الوزراء ويتحدث على ماهر عن الملك ، ويتلوه زعيم الأغلبية البرلمانية ، كما يتحدث محمد محمود واسماعيل صدقى ومحمد حلمى عيسى « رؤساء أحزاب الأحرار الدستوريين والشعب والاتحاد » ثم يتحدث بعدهم حافظ رمضان باسم الحزب الوطنى وينهض الشيخ المحترم لويس فانوس ليقدم اقتراحا فلم يكد يبدأ الحديث حتى كانت يد زميله القديم الشيخ حسن عبد القادر قد استقرت على فمه فلم يستطع الكلام وبعد ربع ساعة قضاها الجميع حدادا على الملك الراحل استمع الجميع الى تبليغ « المناداة بفاروق

الأول ملكا على مصر ، ويعلن على ماهر ان الملك الجديد قد خفض ميزانية مخصصات جلالته من مائة وخمسين ألف جنيه الى مائة ألف جنيه ، ويقول على ماهر قبل أن تأخذ هيئة المكتب فى فحص اختام المظروفين اللذين يحتويان على وثيقة الوصاية : ان المظروف المحفوظ فى مجلس الوزراء وجد مقفلا ، أما المظروف المحفوظ فى ديوان الملك فقد وجد مفتوحا ، وتتلى رسالة من محمد شوقى باشا السكرتير الخاص للملك ومن مراد محسن باشا ناظر الخاصة ومن دولة نسيم باشا الذى كان خاتمه موضوعا على الشمع ، الذى أغلق به المظروفان حيث كان يتولى رئاسة الديوان الملكى ، تقول الرسالتان ان الملك طلب المظروف المحفوظ فى ديوانه مرتين متعاقبتين فى يوليو وأكتوبر ١٩٣٥ ولكنه بعد فحصه لم يمسه بتحوير أو تبديل ، ويتولى مصطفى النحاس ومحمود غالب « عضوا مجلس الشيوخ » فحص المظروفين وينتقل بعض الأعضاء الى حيث يوجد المظروفان ولكن النحاس باشا يقنعهم بصواب عملية الفحص ·

ويقول على ماهر · ان كنتم فى شك من ضم نسيم باشا فاستدعوه ليقرر فى ذلك رأيه الاخير ، ولكن هيئة المكتب تفحص المظروفين وتتاكد من ان الذين وصى بهم الملك الراحل ليكونوا أوصياء على العرش هم عدلى يكن باشا ومحمود فخرى باشا وبعد الاستراحه ، يقف مصطفى النحاس مؤكدا ان أول شىء فى اقرار مجلس الأوصياء ، أن ينعقد عليهم الاجتماع ليكون مظهرا من مظاهر ، رضا الأمة بأجمعها لذلك اجتمع ممثلو الأحزاب والهيئات قبل أن نجتمع هنا واتفقنا على ما نعرضه عليكم لتقبلوه بالاجماع وقد وضعتم ثقتكم فى ممثليكم ولذلك أرجو ان تقروا بالاجماع ان يكون مجلس الاوصياء مؤلفا من صاحب السمو الأمير محمد على باشا وصاحب المعالى عزيز عزت باشا ، وصاحب السعادة شريف صبرى باشا فاذا وافقتم كنتم عند حسن ظننا بكم ·· »

ويتطلع المؤتمر الى محمد محمود باشا ليقف مؤكدا الاجماع فى هذه الناحية وتلتئم الجلسة مرة أخرى ليقسم الأوصياء الثلاثة اليمين الدستورية على أن يحترموا الدستور وقوانين الأمة المصرية ويحافظوا على استقلال الوطن وسلامة أراضيه وأن يكونوا مخلصين للملك وكان مصطفى النحاس قد أشاد فى كلمة له بالملك الراحل فى تطور أحوال الأمة « واذا لم يكن من حقى أن أسبق التاريخ فيما سجله لجلالته من المجهودات والأعمال فانى أرى لزاما على وقد كان لى الشرف العظيم بأن أتصل بالفقيد عن قرب أثناء قيامى بواجباتى الرسمية ، أن أنوه بما كان لجلالته من شخصية ممتازة وجذابة معا وما جبل عليه من موهبة سامية ، ونشاط متصل فى تسيير دفة الأمة » ·

ولان الوفد المصرى لم ينجح فى فرض نسيم باشا كأحد الأوصياء على العرش حرص نسيم باشا منذ أن عرف أن بعض الزعماء فى الجبهة الوطنية عارضوا فى

اختياره اذ عرفت له سياسة ناهضنها الأحزاب رأى نسيم باشـــا أن يعتزل الحياة العامة وقد عرضت عليه رياسة مجلس الشيوخ قبــل اجتماع المؤتمر البرلمانى فاعتذر عن قبولها ونردد أنه سوف يستقيل من عضوية مجلس الشيوخ أيضا طلبا للراحة ورغبة فى العزلة ٠

ويقدم على ماهر باشا استقالته الى مجلس الوصاية على العرش فتقبــل الاستقالة ويكلف المجلس مصطفى النحاس باشا زعيم الأغلبية البرلمانية بتأليف الوزارة الجديدة فى ١٠ مايو ١٩٣٦ وهى ثالث وزارة يؤلفها دولته ٠

الفصل الرابع

مصطفى النحاس يؤلف وزارته الرابعة ويخرج محمود فهمى النقراشي من الوفد

● شكل مصطفى النحاس باشا ـ فى ٩ مايو ١٩٣٦ ـ وزارته الثالثة ، التى تعتبر أهم وأخطر الوزارات الوفدية لا فى تاريخ الوفد المصرى وحسب وانما فى تاريخ رئيس الوفد مصطفى النحاس باشا نفسه نظرا لخطورة الأحداث ، التى وقعت خلال فترة حكم تلك الوزارة ونظرا لما أصيب به الوفد ـ كحزب ـ فى الداخل من ازمات ، وانقسامات •

وكان مصطفى النحاس قد شكل وزارته الاولى فى ١٦ مارس ١٩٢٨ محتفظا لنفسه ـ الى جانب رئاسة الوزارة ـ بوزارة الداخلية وكان وزراؤه هم : جعفر ولى باشا « الحربية والبحرية » ، واصف بطرس غالى باشا« الخارجية » محمد نجيب الغرابلى باشا « الاوقاف » على الشمسى باشا « المعارف العمومية » ، أحمد محمد خشبة باشا « الحقانية » محمد محمود باشا « المالية » ابراهيم فهمى بك « الاشغال العمومية » محمد صفوت باشا « الزراعة » مكرم عبيد افندى « المواصلات » •

ولم يكن حزب الوفد وحده هو الذى شكل الوزارة وانما كان الى جانبه فى الوزارة مستقلون ، ووزراء ينتمون الى حزب الأحرار الدستوريين ولذلك سميت بالوزارة الائتلافية غير أن الائتلاف الوزارى لم يدم طويلا فسرعان ما استقال محمد محمود باشا وجعفر ولى باشا « من الدستوريين » وأحمد خشبة باشا « وفدى » وابرهيم فهمى بك « مستقل » •

وكان السبب الرئيسى في استقالة هؤلاء الوزراء ، الوثيقة التى نشرت حول اتفاق مصطفى النحاس وويصا واصف وجعفر فخرى ، ووالدة الأمير سيف الدين « أحد أمراء الأسرة المالكة ، الذى اتهم بالجنون ووضع تحت وصاية الملك فؤاد » •

وكان قد نسب الى المحامين الثلاثة ، النحاس ، وويصا واصف وجعفر فخرى ، انهم تعاقدوا مع والدة الامير سيف الدين للدفاع على رفع الحجر عن ابنها لقاء أتعاب قدرت بـ ١٣٠ ألف جنيه ولما كان هذا المبلغ – وقتئذ – يعتبر باهظا بالنسبة لاتعاب المحامين فقد نسب الى مصطفى النحاس انه استغل مكانته السياسية ، لاجراء هذا التعاقد الذى اعتبره البعض بمثابة رشـوة ، وانتهز الملك أحمد فؤاد الفرصة . فأقال وزارة النحاس باشا فى ٢٥ يونيـه ١٩٢٨ بالخطاب التالى :

« عزيزى مصطفى النحاس باشا .

« لما كان الائتلاف الذى قـامت على أساسه الوزارة قد اصيب بتصدع شديد ، فقد رأينا اقالة دولتكم ، شاكرين لكم ولحضرات زملائكم ما أديتم من عمل فى خدمة البلاد .

« فؤاد »

ويحال مصطفى النحاس الى مجلس تأديب المحامين ولكن مجلس التأديب هـذا ، يبرىء ساحة مصطفى النحاس بشا ، وزميليه .. مؤكدا أن الاتفاق لا غبار عليه من ناحية شرف المهنة ، ولا ينال من نزاهة المحامى .

وكان مصطفى النحاس – كما اتضح من التحقيق – قد تنازل عن توكيله فى القضية بعد ان اسندت اليه رئاسة الوزارة . ولكن السراى كانت تريد أحداث سابقة خطيرة فى تاريخنا السياسى ، فأقالت الوزارة النحاسية ، وكانت تلك الاقالة أول سابقة من نوعها .



اما الوزارة الثانية لمصطفى النحاس باشا ، فقد شكلـها فى اول يناير ١٩٣٠ ، واحتفظ لنفسه الى جانب رياسة الوزارة بوزارة الداخلية . واشترك معه فى وزارته الثانية حسن حسيب باشا «الحربية والبحرية» . واصف بطرس غالى باشا « الخارجية » محمد نجيب الغرابلى باشا « الحقانية » . عثمان محرم باشا « الاشغال العمومية » . محمد صفوت باشا « الزراعة » . مكرم عبيد افندى « المالية » . محمود فهمى النقراشى افندى « المواصلات » . محمد بهى الدين بركات بك « المعارف العمومية » . محمود بسيونى أفندى « الاوقاف » .

وقد تنازل مصطفى النحاس عند تشكيله الوزارة عن حقه الدستورى . عندما استبعد الملك أحمد فؤاد من التشكيل الوزارى .. على الشمسى باشا . والجدير بالذكر أنه عندما خرج مصطفى النحـاس من مقابلة الملك – بعد أن عرض عليه أسماء الوزراء وبعد أن وافق على اعتراض الملك على ، على الشمسى

باشا ـ عرض على ، على الشمسى باشا منصب وزير مصر المفوض فى روما . ولكن الاخير رفض هذا المنصب .. الأمر الذى آكد استقامته السـياسية والوطنيـة .

وكان تعيين محمود فهمى النقراشى آفندى فى هذه الوزارة رغم اتهامه فى الكثير من القضايا السياسية ، واعتراض المندوب السامى البريطانى على ادخاله الوزارة .. بمثابة قوة وطنية جديدة .. صارمة ونزيهة ، أضيفت الى الوزارة الثانية لمصطفى النحاس ، والتى كانت وزارة مفاوضات .



وقد بدأت الوزارة عملها بالمفاوضات مع بريطانيا فى ٣١ مارس ١٩٣٠ .. وكانت مفاوضات شاقة وعصيبة ، ولكن الوفد فى هذه المفاوضات قد قبل وجود قوة بريطانية فى قناة السويس . غير ان المفاوضات تحطمت على صخر السودان ، حيث أصرت الحكومة البريطانية على ألا يجىء فى المعاهدة ، فيما يتعلق بمستقبل السودان ، عبارات ملتوية مطاطة .



وفى عهد هذه الوزارة وصل أول طيار مصرى الى مصر من أوربا على متن طائرته الخاصة فى ٢٥ يناير ١٩٣٠ . واعتبر الشعب وصـول محمد صدقى الطيار المصرى من الأحداث التاريخية .



وبمجرد عودة الوفد المصرى من المفاوضـات ، اثر قطعهـا فى ١٨ مايو ١٩٣٠ ، بدأت المؤامرات ضد وزارة النحاس باشا الثانية . وكان حزب الاحرار الدستوريين فى مقدمة اولئك الذين راحوا يكيدون للوزارة ، ويرفعون الى الملك ملتمسات باقالتها ، لانها جاءت لمهمة خاصة ، وقد انتهت هذه المهمة . هذا الى جانب أن الكثيرين من المعارضين للوزارة استغلوا تجميد الوزارة لكبار الموظفين من غير الوفديين ، واتهام الوزارة بالديكتاتورية أبشع استغلال .

ويقوم الخلاف بين الوزارة والملك أحمد فؤاد ، على تعيينات الشيوخ الجدد . ويرفـع مصطفى النحاس فى ١٧ يونيو ١٩٣٠ استقـالته من الوزارة لعـدم « تمكننامن تنفيذ برنامجنا ، الذى قطعنا على أنفسنا العهد بتنفيذه » .. وكان الوفد قد رتب مظاهرة شعبية فى ٢٠ مايو ١٩٣٠ لمحاولة ارهاب الملك . فكان الملك أحمد فؤاد أسرع من الوفد فى التحرك ، فقبل استقالة مصطفى النحاس فى ١٩ مايو ١٩٣٠ وعهد بالوزارة الى اسماعيل صدقى باشا ، العدو اللدود للوفد وللحياة الدستورية .

وكانت وزارة مصطفى النحاس الثالثة فى ٩ مايو ١٩٣٠ مشكلة على النحو التالى : مصطفى النحاس باشا « الرئاسة والداخلية والصحة العمومية » واصف بطرس غالى باشا « الخارجية » عثمان محرم باشا « الاشغال العمومية » محمد صفوت باشا « الاوقاف » • مكرم عبيد « المالية » •محمود فهمى النقراشى « المواصلات » • أحمد حمدى سيف النصر « الزراعة » • محمود غالب بك « الحقانية » • على فهمى باشا « الحربية والبحرية » • عبد السلام فهمى جمعة بك « التجارة والصناعة » • على زكى العرابى بك « المعارف العمومية » •• وكل الوزارة من الوفديين •



وقد جاء فى كتاب مصطفى النحاس الى مجلس الوصاية المؤلف من الامير محمد على « رئيسا » ، وعبد العزيز عزت باشا ، ومحمد شريف صبرى باشا « عضوين » •• ان الوزارة تجعل نصب عينيها تحقيق استقلال البلاد بابرام معاهدة مودة وتحالف مع الدولة البريطانية الصديقة • وجاء فى ذلك الخطاب : ان من اول اغراض الوزارة « تمكين صلات الولاء والثقة بين العرش والامة ، وتوطيد النظم البرلمانية على الاسس الديمقراطية المعمول بها فى البلاد العريقة فى الحكم النيابى •



والجدير بالذكر ان الظروف كانت مواتية للوزارة الوفدية الى أبعد حدود المواتاة • فالسراى ـ بعد وفاة الملك فؤاد ، وتولية ابنه فاروق ، الذى لم يكن قد بلغ بعد سن الرشد ، ووجود مجلس وصاية ضعيف هزيل ـ ، كانت مهيضة الجناح ، لا حول لها ولا طول • ورئيس مجلس الوصاية لا هم له الا التزلف للوفد ورئيسه ومحاولة ابعاد الملك الشاب عن السلطة ، الى أن تبلغ سنه الواحدة والعشرين •

كما أن الحكومة البريطانية •• كانت تسعى الى توقيع معاهدة الصداقة المصرية ـ البريطانية ، قبل ان تتبدد غيوم السياسة الدولية •

كانت وزارة مصطفى النحاس باشا الثالثة لديها القوة لكى تفرض ارادتها •

ولكنها لم تستطع نظرا للظروف الداخلية للوفد ذاته كحزب ، حيث بدأت أخطر الانشقاقات فى تاريخ الوفد المصرى ، ونعنى بها خروج محمود فهمى النقراشى باشا من الوفد ، او اخراجه منه ، وبعده كان خروج الدكتور أحمد ماهر ، الذى كان قد انتخب رئيسا لمجلس النواب • كما ان الوفد فى هذه المرحلة الهامة من تاريخه لم يعتمد على ما كان يتميز به كحزب ، عن بقية الأحزاب الأخرى ، لم يعتمد على صلابته فيما يتعلق بعلاقته بالسراى •

والجدير بالذكر أيضا أنه عندما تولى الملك فاروق سلطاته الدستوريه فى ٢٩ يوليو ١٩٢٧ عهـد فى أول أغسطس ١٩٣٧ الى مصطفى النحـاس باشا بتشكيل وزارته الرابعه ٠

وفيما يلى نص خطاب الملك الى مصطفى النحاس :

عزيزى مصطفى النحاس باشا

انى وقد حملت الامانة التى عهد الله بها الى ، معتمدا عليه سبحانه وتعالى لأجد فيكم ، وقد أحرزتم الثقة الكبرى فى عظيم اخلاصكم وولائكم وصادق وطنيتكم ، وقدمتم تلك الخدمات المجيدة بحسن جهادكم وسداد رأيكم ، وثبات عزمكم » ، ويمضى التكليف الملكى قائلا : « تعهد اليكم رياسة مجلس وزرائنا وانا على يقين انكم بواسع خبرتكم وسمو تدبيركم ستواصلون جهودكم الموفقة بمعاونة من تختارونهم على تحقيق أمانى ورغائبى فى اسعاد شعبى ٠٠ الخ ٠



وقد أخرج مصطفى النحاس من الوزارة اربعة وزراء هم : محمود فهمى النقراشى ، ومحمد صفوت ، ومحمود غالب ، وعلى فهمى ، وأدخل بدلا منهم وزراء جدد هم : محمود بسيونى « الاوقـاف » ٠ محمد محمود خليـل بك « الزراعة » ٠ محمد صبرى أبو علم « الحقانية » ٠ عبد الفتاح الطويل « الصحة العمومية » ٠



ويعتبر أستاذنا عبد الرحمن الرافعى اخراج النقراشى باشا من الوزارة نقطة تحول في حكم الوفد ، فيقول :

« كان اخراج الوزراء الأربعة ، وخاصة النقراشى ، موضع دهشة الرأى العام ، لأن النقراشى كان بلا مراء دعامة كبرى من دعائم الوفد ، وذهب الناس مذاهب شتى فى تحليل هذا التغيير الخطير فى تأليف الوزارة ٠

وحجه النحاس فى اخراج النقراشى انه كان كثير المعارضة داخل الوزارة وان سير العمل يقتضى تجانسا وانسجاما داخل هيئتها ٠

وفى الحق ـ الرافعى ـ ان ما أخذه النحاس على النقراشى لم يكن يسوغ اخراجه من الوزارة ، لان المعارضة داخل الوزارة ، اذا كانت مبنية على ما يعتقده المعارض ، صوابا وصادرة عن نية صادقة فليس لرئيس الوزارة أن يتبرم بها ٠٠ ما دام المعارض يذعن آخر الأمر لقرار الأغلبية ، ولا يخرج عن الجماعة ٠ والتبرم بمثل هذه المعارضة ، معناه تحبيذ الخضوع والانصياع لاتجاه الرئيس فى الخطا

والصواب معا ، وليس هذا من الديمقراطية ولا من الوضع السليم فى شيء • والنقراشى كان يصدر عن حسن قصد ، وعن استمساك بالاستقامة والنزاهة ، فلم يكن من الحق والانصاف ، أن يجازى على ذلك باخراجه من الوزارة • وكان واجبا على النحاس أن يكون فى رئاسته نصيرا للنزاهة مؤيدا للحق ، وأن يبذل كل جهد لاستبقاء النقراشى • كان فى استطاعته أن يفعل ذلك ، ولكنه لم يفعل •• بل تعمد اقصاءه ، وهذا مأخذ عليه ـ ولا ريب ـ كبير » •

ويقول الأستاذ الرافعى :

« ان النقراشى ، كان يعارض التصرفات التى تمس سمعة الحكم وسلامته ، وكان يبغى أن يكون حكم الوفد قوميا نزيها ، فعارض فى الاستثناءات والمحسوبيات • وقد كان فى مقدمة الأشياء أو الموضوعات التى عجلت باقصاء النقراشى » معارضته انفاذ مشروع توليد الكهرباء من خزان أسوان بالطريقة التى ارتأتها وزارة النحاس ، وهى اعطاء العملية ـ عملية توليد الكهرباء ـ لشركة الكهرباء الانجليزية ، دون عرضه على خبراء عالميين ، ودون طرحه فى منافصة عالمية ، ولم يكن النقراشى وحده هو الذى اعترض على تلك العملية ، بل شاركه فى الاعتراض محمود غالب ومحمد صفوت • وقد رأى الثلاثة ضرورة عرض الموضوع على البرلمان ، قبل الاتفاق مع أية شركة من الشركات » •

ويقول الأستاذ عبد الرحمن الرافعى :

« ان اخراج النقراشى من الوزارة كان نقطة التحول فى سياسة الوفد فى الحكم • لقد آخذ بعد ذلك يسلك فيه سبيلا لا يتفق مع الروح القومية ، ولا مع الاستقامة والنزاهة •• والنزاهة هى أساس الحكم الصالح فى كل بلد • ولا يمكن لأمة أن تنهض دون حكم نزيه ، عادل سليم • ثم ان اخراج النقراشى ، معناه أيضا ، تغليب روح الخنوع والخضوع لكل ما يراه الرئيس ، سواء أخطأ أو أصاب • والحياة السياسية التى أساسها الخضوع لأهواء الرئيس ، هى نوع من الحكم المطلق •• تختفى فى ظله فضائل الشجاعة والكرامة والحرية والنزاهة والاستقامة • وقد اقترن هذا التحول باضفاء سمات الزعامة المقدسة على النحاس ، والدعوة الى الخضوع لكل ما يراه • وأرادوا بهذه الظواهر المفتعلة أن يرهبوا كل من يخالفونه فى الرأى أو يناقشونه فيه ، ويؤلبون عليهم الجماهير احراجا لهم وتشويها لسمعتهم • وفى هذا انحدار بالبلاد وبالحكم الى هوة الديكتاتورية البرلمانية ، التى لا تختلف عن الحكم المطلق فى مساوئه وأوزاره ، ورجوع بالأمة الى الوراء فى مجال الحياة السياسية والأخلاقية ••

« هذا وقد سعى النحاس فى استرضاء النقراشى عن طريق الاغراء وعرض عليه مقابل اقصائه عن الوزارة عضوية مجلس ادارة شركة قنال السويس ،

وهى عضوية تدر على شاغلها دخلا ماليا كبيرا يتزاحم عليها طلاب الربح والثراء ٠٠ ولكن النقراشي رفض هذه العضوية ، فبرهن على تمسكه بنزاهته واستقامته وكرامته ، وخاصة لانه لم يكن غنيا ولا ذا مال ، وهذا مثل نادر بين الرجال ، ولا سيما فى هذا العصر الذى نعيش فيه » ٠



ولست أنسى ما حييت ، مرة جئت فيها من قريتى الى العاصمة : القاهرة ، وكنت وقتئذ صبيا ، فرأيت مظاهرة صاخبة ، جمعت أعدادا كبيرة من الجماهير، وكانت تهتف « يسقط النقراشى النزيه » !!

وهذا قد أكد لى فيما بعد ، كيف أن الجماهير توجه فى بعض الأحيان توجيها سيئا ، بدليل أن المظاهرة أو المظاهرات التى كانت توجه ضد النقراشى، كانت تهتف بسقوطه ، وهى لا تعرف أية جريمة ارتكبها النقراشى المفترى عليه ، وبدليل انها كانت تضيف الى اسمه صفة « النزاهة » ٠٠ وهى لا تعرف أنها بذلك تسىء الى نفسها قبل أن تسىء الى الرجل الذى تتظاهر ضده ٠



وعن تشكيل مصطفى النحاس باشا لوزارته الرابعة ، يقول الدكتور محمد حسين هيكل :

« رفض الملك فاروق أن يكون الأستاذ يوسف الجندى وزيرا ، وكان الأستاذ يوسف نائب زعيم المعارضة بمجلس الشيوخ ، ثم كان الوكيل البرلمانى لوزارة الداخلية فى الوزارة السابقة ٠

وكان مشهودا له ــ وهو المحامى الشاب ــ بالبراعة البرلمانية الممتازة ، فى المعارضة ٠٠ لم يكن لنا نحن الأحرار الدستوريين أن نعترض على هذا الحادث بعد أن تألفت الوزارة الجديدة ، فقد اعترض الملك فؤاد من قبل على تعيين أحد الدستوريين لغير سبب ٠٠ الا انه لا يطمئن لسياسته ٠ وأريد منى أن أناقش هذا الرفض من الناحية الدستورية ٠ فكان من رأيى أن المسئولية فيه على الرئيس الذى يؤلف الوزارة ، ولا يتمسك بمن يرشحه ٠ واذ كنا فى ذلك العهد نؤيد النظام القائم ، فقد رأينا أن ندع هذا الحادث يمر فى غير تعليق ٠ وليس طبيعيا ، وقد أصبحنا فى المعارضة ، أن نتخذ موقفا غير هذا الموقف بالنسبةللاستاذ يوسف الجندى ٠ لذلك آثرنا أن ندع الأمر يصرفه الملك الشاب مع رئيس الوزارة ، صاحب الأغلبية البرلمانية » ٠



وحول اعتراض مصطفى النحاس على رفض الملك تعيين يوسف الجندى وزيرا ، يقول الدكتور هيكل :

« ان مصطفى النحاس بعد أن قبل توقيع مرسوم تأليف الوزارة ، بدون الأستاذ يوسف الجندى معناه انه اقتنع بحجة الملك ، فارتضاها .. فان لم يكن قد اقتنع ، فقد كان واجبا عليه بحكم الدستور أن يرفض تأليف الوزارة ، وأن يتمسك بقائمته التى قدمها ، وللملك عند ذلك رأيه .

ولكن النحاس باشا ، لم يسلك هذا المسلك بل نزل على اعتراض الملك .

ثم بدأت صحفه تنشر أن الوزارة تبحث موضوع الأستاذ يوسف من الناحية الدستورية . وما أحسب النحاس باشا فاته ، أن توقيع مرسوم التأليف يسقط حجته فى الاعتراض على ما حدث .

ترى أكان الغرض مما ينشر فى صحفه يومئذ عن البحث الدستورى نوعا من الارهاب غير المنتج ؟ .. أم كان ترضية أفلاطونية للأستاذ يوسف الجندى ؟ .. أم قصد به توجيه الراى العام وجهة خاصة ؟! ..

« أحسب ان البحث لم يكن جديا ، وأن النحاس باشا ، قبل تأليف الوزارة ، خشية تكليف غيره بتأليفها ، ان هو تشبث بتعيين الأستاذ يوسف ، وخشية ما يترتب على ذلك من حل مجلس النواب ، واجراء انتخابات جديدة ، تدور معركتها .. حول الخلاف بينه وبين الملك الشاب » .



وحول اخراج النقراشى باشا من الوزارة قال د. هيكل : « أدى استبعاد النقراشى باشا ، وغالب باشا من الوزارة بعد الاحتكاك الذى حدث بين النحاس باشا ، والقصر أثناء تاليفها .. الى خلق جو ازدادت فيه الخصومات على ما كانت عليه من قبل وأعان على تزايدها ما أشيع من أن الدكتور أحمد ماهر رئيس مجلس النواب يؤيد النقراشى باشا وغالب باشا ولم يكن من شأن هذا الجو أن يسكن من حدة الخصومة التى كانت قائمة بين المعارضة والحكومة فى عهد الوصاية من بعد أن أبرم البرلمان معاهدة الود والصداقة كما سماها النحاس باشا ومعاهدة الشرف والاستقلال كما سماها مكرم عبيد باشا . اغتبطنا ـ د. هيكل ـ نحن الأحرار الدستوريين بهذا الوضع الجديد ، اذ رأينا فيه اضعافا لشوكة الوزارة التى نناوئها وتناوئنا . وكان طبيعيا وهذه هى الحال أن تعمل الوزارة على محاربة خصومها لاضعاف شوكتهم كما يحاربونها هم لاضعاف شوكتها » .



● ويضيف د. هيكل الى ذلك قوله : « استأنفت الوزارة عملها في هذا الجو ، فجرت على الونيرة التى جرت عليها فى عهد الوصاية ، وسارت فى الحكم سيرة حزبية متطرفة ، ولذلك عززت فرق القمصان الزرق ، التى أنشأتها من قبل على غرار القمصان السوداء الفاشية ، والقمصان الرمادية النازية ، لتبعث الرهبة الى نفوس خصومها .

وبدأ الناس يتحدثون فى مركز الوزارة ، وفى حظها من البقاء . وكان الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى ، شيخ الجامع الأزهر ، من مستشارى القصر ، وكان من رأيه أن يخلف الدكتور أحمد ماهر « عضو الوفد ورئيس مجلس النواب » مصطفى النحاس فى رئاسة الوزارة ، لأن الدكتور ماهر يؤيد النقراشى وغالب باشا فى موقفهما من النحاس باشا ومكرم باشا . وكنا معشر الأحرار الدستوريين نطمع فى أن يتولى رئيس حزبنا محمد محمود باشا رياسة الوزارة المقبلة ، لاننا نحن الذين جاهدنا الوفد ، وقاومنا حكمه واصابنا ارهابه بالأذى ، ولان الدكتور أحمد ماهر لم يكن له حزب يناصره ، فاذا هو اختلف مع النحاس باشا ، خيف أن يكون مصيره ومصير النقراشى باشا ، كمصير الذين خالفوا النحاس حين الحديث عن الوزارة القومية فى سنة ١٩٣١ ، فلا يلبثون حين يخرجون على النحاس باشا ، ان يدمغهم بتهمة الخيانة . فيضعف مركزهم أمام الرأى العام ، ولا يستطيعون الصمود لنشاط المنظمات الوفدية ، التى تدربت أدق تدريب على التظاهر والاخلال بالنظام » .



وحول الوزارة النحاسية الرابعة أيضا ، يقول د. يونان لبيب رزق :

« النقراشى قطب من أقطاب الوفد ، له فضل على النحاس .. لانه هو الذى رشحه للوزارة . كما ان له صلة نسب بالسيدة أم المصريين ، الى جانب المكانة الخاصة التى كان يتمتع بها لدى الزعيم سعد زغلول . ومن جانب آخر . فقد كان من أهم العناصر النظيفة فى الوفد ، الوحيد من وزراء الوزارة السابقة . التى سلمت وزارته من المحاباة والاستثناءات . يضاف الى كل ذلك ما عرف عن الرجل من زعامة للشباب الوفدى ، ومن طاقة تنظيمية هائلة .

ومع كل هذا فقد كانت الذريعة التى استندت الزعامةالوفدية اليها ، لاقصاء النقراشى عن الوزارة هى عدم التجانس وهى ذريعة مطاطة وان كل ما شاع وقتها أن السبب الرئيسى وراء هذا الاقصاء ، رغبة وزير المالية مكرم عبيد باشا فى اقصاء العناصر القوية عن الحزب ، أملا فى أن يرث زعامته بعد النحاس .. وكان الانشقاق الذى أصاب الوفد نتيجـة لاخراج النقراشى من الوزارة الجديدة ، بالاضافة الى الصراع الذى احتدم بين الملك وهذه الوزارة أهم ما أثر فى تاريخها ، وقد ارتبط كل من الحدثين بالآخر ، فبينما أدى انشقاق

الحزب الكبير الى اغراء القصر بالوزارة النحاسية الرابعة وسعيه الى التخلص منها ، فان الاختلافات بين الملك والوزارة ، قد غذت هذا الخلاف ، وأدت الى توسيع شقته » ٠



ففى خلال الأسابيع التى أعقبت تشكيل الوزارة الجديدة ، بدون النقراشى، انتهزتها الصحف الموالية للقصر وبالذات البلاغ للهجوم على ما سمته عصبة النحاس ــ مكرم ، أو عصبة الشر على حد تعبيرها ، وذكرت أن الهدف من استبعاد النقراشى ، هو تمهيد الطريق لفرض أوتوقراطية الرجلين ومع أى احتمال يلوح بتسوية الخلافات داخل حزب الوفد كانت البلاغ تتدخل لافساد هذه الاحتمالات ٠

وكان أبرزها محاولة تعيين النقراشى فى مجلس ادارة شركة قناة السويس، واستمر القصر فى طريقه لتعميق الخلافات وبدأت جهوده تثمر ، بتصريحات يدلى بها النقراشى ينتقد فيها سياسة الحكومة رغم أنه لم يكن قد خرج ، أو أخرج من الوفد ، ثم اذا بالبيان السياسى الخطير على حد وصف البلاغ والذى وجهه النقراشى ، الى الشعب المصرى فى ٧ سبتمبر ١٩٣٧ يعلن فيه خروجه على الزعامة الوفدية ، وقد تضمن البيان انتقادات شديدة لسياسة النحاس بالسعى لتقديس زعامته ، هذه السياسة التى صحبها عصى ذوى القمصان الزرقاء تهوى على رءوس من لم يؤمن بها من الوفديين » وتصور الملك الشاب أن الفرصة سانحة لما يمكن أن نسميه بالاستيلاء على الوفد من الداخل فالنقراشى وان كان قد هاجم الزعامة الوفدية الا انه لم يهاجم الوفد ، كما انه عندما اتخذ الحزب قراره بفصل النقراشى ، من عضويته فان زميله الدكتور أحمد ماهر رئيس مجلس النواب أدلى بتصريح يعرب فيه عن دهشته من هذا القرار وعن رأيه بأنه ما زال يعتبر زميله النقراشى ، عضوا فى الوفد ٠



وكان اصرار النقراشى وأحمد ماهر ــ كما يقول د٠ يونان لبيب رزق ــ على بطلان قرار اخراج النقراشى من الوفد وراءه ما تكشفه لنا الوثائق ، البريطانية ، وما سميناه بمحاولة الاستيلاء ، على الوفد من الداخل ، ذلك انه قد جرت خلال تلك الأيام مشاورات بهدف تشكيل زعامة وفدية جديدة ، يقوم الرجلان بتأليفها مما يؤدى الى سقوط الزعامة النحاسية للوفد والى احلال زعامة جديدة محلها مدينة بوجودها لمساندة القصر وكان الانجليز قد حذروا من خطورة هذه المغامرة على الملك الجديد ، كما أن على ماهر ، المستشار الرئيسى للقصر آنذاك لم ترقه الفكرة ، وخشى من نتائجها ٠



أما مارسيل كولومب فيقول فى كتابه : تطور مصر ١٩٢٤ ـ ١٩٥٠ ـ عن اخراج النقراشى من الوزارة ، والوفد : سبق أن تفجرت داخل مجلس الوزراء الخلافات بين وزير المالية ، مكرم عبيد باشا وبين وزير المواصلات محمود فهمى النقراشى باشا ، الذى كان قد نحول عن طريق المصاهرة الى أحد أفراد أسرة صفية زغلول أرملة الزعيم الوطنى الكبير التى اعتبرت منذ وفاة زوجها سعد زغلول أما للمصريين وفى أغسطس انحاز رئيس الوزراء الى جانب وزير المالية وأخرج النقراشى باشا من الحكومة مع ثلاثة من مساعديه وبذلك انحاز محمود فهمى النقراشى باشا الى جانب المعارضة وجر وراءه أحمد ماهر باشا رئيس مجلس النواب ، كان هذا الانشقاق بالغ الأهمية وقد أدى ـ كما أدت كل الانشقاقات السابقة التى حدثت فى تاريخ الوفد ـ الى نشأة حزب سياسى جديد اتخذ لنفسه اسم الهيئة السعدية تمييزا ، لنفسه عن الحزب السعدى ، الذى أنشأه حمد الباسل باشا عام ١٩٣٠ وقد أدى هذا الانشقاق الى تحطيم وحدة الوفد كما شجع السراى ، على أن تقاوم بمزيد من الفاعلية سياسة التخويف التى كان يتبعها ازاءها رئيس الوزراء » ٠



ومن ناحية أخرى خصص د٠ محمد فريد عبد المجيد حشيش فصلا كاملا ، من رسالته عن « الوفد ـ ١٩٣٦ ـ ١٩٥٢ » عن الانسلاخات والانشقاقات فى الوفد ،وعن انشقاق ماهر ، النقراشى ٠ ومحمود غالب ، يقول د٠ حشيش : فى ٣٠ أغسطس ١٩٣٧ خاطب النحاس باشا الجماهير فأشار الى الخلافات المتكررة ، التى كانت تدور فى مجلس الوزراء بين النقراشى من ناحية ، ومكرم عبيد من ناحية أخرى « ولذلك فتحقيقا لعامل الانسجام بين أفراد المجلس رأيت ـ هكذا قال مصطفى النحاس بالحرف الواحد ـ اخراج النقراشى ، لكن برضائه مع الاحتفاظ بوفديته » ويشير مصطفى النحاس فى خطابه المذكور الى ما تصوره المعارضة بانه خلاف بين مسلم وقبطى فينفى هذا بشدة ويصف الخلاف بأنه فتنة يراد بها فرض النقراشى على النحاس وبعد أن يوضح د٠ حشيش وجهة نظره فى البيانات التى كان يصدرها غالب باشا ضد مشروع كهربة خزان أسوان وردود مكرم عبيد باشا عليها يشير الى أن الخلاف بين النقراشى باشا وصحبه ، والنحاس باشا ومن معه قد بدأ فى اثر توقيع معاهدة التحالف والصداقة بين مصر ، وبريطانيا فى ٢٦ أغسطس ١٩٣٦ فبعد توقيع ، المعاهدة اعتقد النحاس باشا أنه كسب بالمعاهدة صداقة الانجليز وصار محل ثقتهم وقد توصل الى الغاء الامتيازات الاجنبية والخلاص منها شيء ثمين حقيقة بالنسبة لمصر والمصريين يضاف الى هذا ان مصطفى النحاس تخلص من الملك فؤاد ، وهو عدو الوفد ، اللدود ، وانتقـال العرش الى فاروق الذى لايخشى شره آنذاك كل هذا جعل النحاس يعتقد ان من حقه ان يتسامى ، ويتكبر ـ كما يذكر الرافعى فعز على

زملائه ، القدماء ، ورفقائه فى الوفد أن يظهر بمثل هذا المظهر فأطلقوا ألسنتهم فى انتقاده وكان أول من أطلق لسانه بانتقاده محمود فهمى النقراشى ، وشاطره هذا الشعور محمود غالب وصفوت وكانوا لا يكتمون تبرمهم من سوء معاملتهم وتطور حالته النفسية ويرجع البعض هذه الحالة النفسية الى زواج النحاس غير المتكافىء الأمر الذى أدى الى وضعه فى موقف غير ملائم فلا شك ان الزوجة الصغيرة ذات النفوذ الكبير على زعيم الوفد ، كان لها تأثيرها الكبير مما أدى الى تعيين الأقارب فى مناصب هامة ، الأمر الذى أدى الى تجريح زعيم الوفد ، وخلق له الكثير من المتاعب وكثيرا ما كان محمود غالب يذيع منبرما أن زوجة النحاس تطلب منه ــ فى وزارته ــ بعض الأعمال التى تتنافى والمصلحة العامة هذا ومن ناحية أخرى ــ كما يقول د. حشيش ــ نفوذ مكرم فقد كانت سلطته ــ كسكرتير للوفد وصديق مقرب لرئيسه ــ تتزايد باستمرار ، وكان استئثاره بالنفوذ والسيطرة على النحاس باشا يقوى ويشتد فأثار ذلك أعضاء الوزارة ولا سيما أعضاء الوفد منهم ، أمثال ماهر ، والنقراشى ومن ثم تولدت الحساسية والانفعالات فى نفوسهم ، الأمر الذى أدى ، الى شقاق ثم الى الانشقاق . وقد ساعدت السياسة التى اتبعها النحاس باشا بعد عودته ، من مؤتمر مونتريه على نمو هذا الاتجاه وفى شهادة نجيب الهلالى أمام محكمة الثورة يقول نجيب باشا ان الخلاف له جذور قديمة منذ وزارة توفيق نسيم وكان من رأى النحاس ومكرم عبيد تأييد نسيم ، كى يعود الدستور فنسيم باشا كان همزة الوصل بين الوفد والانجليز .. هذا بينما كان النقراشى وماهر يريان عكس هذا الرأى ، كما أن مصطفى النحاس ومكرم كانا من المتحمسين لخروج فاطمة اليوسف وجريدتها روز اليوسف من الوفد لمهاجمتها نسيم باشا ، بينما كان ماهر والنقراشى مؤيدين لفاطمة اليوسف، وصحيفتها وبعضهم يرى ان اخراج فاطمة اليوسف من الوفد ، كان تمهيدا أو مرتبطا بخروج ماهر والنقراشى من الوفد .

ويرى د. حشيش ان مشروع الكهرباء لم يكن سوى المفجر لشحنة الخلافات ، كما يرى فى نفس الوقت ان الوفد ، أو مصطفى النحاس كان حريصا على تهدئة الموقف واسترضاء النقراشى ، عن طريق الاغراء ، فعرض عليه بعد اقصائه من الوزارة عضوية مجلس ادارة شركة قناة السويس .



ويرى د. حشيش وبناء على ما ذكره مكرم عبيد باشا ، أكثر من مرة ، ان النقراشى قد وافق على هذا العرض فى البداية ، كما يرى أيضا ، ان النحاس باشا كان يتردد فى موقفه ازاء النقراشى ، تتنازعه الحيرة ، بين عواطفه ، وزمالة الكفاح وذكريات الماضى ، وبين رغبة لا قبل له بها . كان النحاس بذكائه ، يدرك أن النقراشى من أكفأ رجال الوفد ، وله بينهم كثير من الأصدقاء ، ولا سيما

صديقه الأكبر ماهر ، وفي الوقت نفسه كان هناك من يلعب ، دورا آخر ، كان هناك مكرم الصانع الأول لكل انقسام حدث في الوفد في الثلاثينات فمكرم هو الذى اختلف مع نجيب الهلالى وأدى هذا الخلاف الى خروج ثمانية أعضاء من الوفد فى ١٩٣٢ ومكرم هو الذى غضب على فاطمة اليوسف وطردها هى وجريدتها من الحزب ثم ان مكرم هو الذى حارب العقاد ، كاتب الوفد الأول ، وفصله من الوفد ١٩٣٥ وفى عام ١٩٣٧ سعى سعيا حثيثا الى طرد اثنين من دعامات الوفد ، وأركانه القوية ماهر والنقراشى ٠

ويقول د٠ حشيش ان الباحث فى أمر الانقسامات التى حدثت فى الوفد طوال تاريخه لا يجد مثل هذه المعارك وهذا العنف الذى صاحب انقسام عام ١٩٣٧ فقد كان لأحداثه ومعاركه صدى كبير ، ذلك لأن النقراشى ــ حينئذ ــ كان معدودا ــ وبحق ــ من أركان الوفد القديمة والقويمة ، وكان موثوقا بنزاهته، واستقامته ، فلا غرو ان التف حوله جماعة كبيرة من أنصار الوفد وشبابه الا انه من ناحية أخرى ، كان هذا الالتفاف حول النقراشى وشعوره بأنه على حق ازاء تصرفات الوزارة التى كانت مثار الانتقاد مثل انشاء فرق القمصان الزرقاء ، والاستثناءات ، لعل هذا أشعر النقراشى وهما أنه سيكسب الجولة ضد النحاس ومكرم فبالغ فى قوته ، ومما يفسر هذا الشعور ولا يبرره أنه أجاب عن سؤال ألقى عليه عقب تلك الأحداث عما يريد أن يفعله فقال سأسعى لانشاء حكومة عادلة اعتقد ان مصر ، بحاجة اليها ٠



وكنت مندهشا لانقسام الوفد على نفسه ، أمام الخلاف الذى نشب بين النقراشى من ناحية وبين النحاس ومكرم من ناحية أخرى ، ولا سيما وقد توقع الوفد ــ وكان صادقا فى توقعه هذا ــ ان غضب أحمد ماهر رئيس مجلس النواب نغضب صديقه وزميل كفاحه ورفيق المشنقة فى ١٩٢٥ النقراشى أن يقف الى جانبه يسانده ويدافع عنه ، وقامت أم المصريين صفية زغلول بالوساطة فجمعت الزعماء الأربعة: النحاس، ومكرم، وماهر، والنقراشي، وناشدتهم الاتفاق حرصا على وحدة الوفد الا أنها فشلت فى رأب الصدع ، الذى أصاب بنان الوفد ، ذلك لأن الأيدى الخفية كانت تعمل فقد قامت لجان الوفد ، بعدة حملات شديدة شنتها على النقراشى بعد هذا الاجتماع بقصد تحطيمه و ٠ و ٠ وكان النقراشى ــ باعتراف جميع المصادر ــ عنيدا صلب الرأى ، لا يركن الى المهادنة فأصدر بيانا فى ٧ سبتمبر ١٩٣٧ رد فيه على ما سماه الحملة الكاذبة وطالب فى هذا البيان بحل القمصان الزرقاء واحترام الشورى ، ودعا فى نهاية البيان حكومة الوفد الى المساواة بين المصريين واحترام حرياتهم ، وخطا خطوة أخرى فامتنع عن حضور اجتماع الوفد الذى حضره كل الأعضاء فى الاسكندرية ٠



وفى ١٣ سبتمبر ١٩٣٧ اجتمع الوفد وناقش موقف النقراشى ، ثم أذاع بيانا باعتباره منفصلا عن الوفد وكان هذا القرار باجماع رئيس وأعضاء الوفد ما عدا د. ماهر الذى أعلن أنه لا يزال يعتبر النقراشى عضوا فى الوفد كما امتنع عن ابداء الرأى العضو . ابراهيم سيد أحمد .

ويقول د. حشيش اننا لا نستطيع أن نعتبر خروج ماهر والنقراشى كان انسلاخا او تطهيرا لقيادة الوفد فلفظ انسلاخ يطلق على الأفراد الذين خرجوا ، أو أخرجوا من الوفد ، بمفردهم ثم ذابوا ، ولم يتركوا أثرا مثل جماعة صدقى ، وأبو النصر ومجموعة البيلى لكن ماهر ، والنقراشى ومحمود غالب لم يذوبوا ولم يكن من الممكن أن يذوبوا فتاريخ ماهر والنقراشى الممتد من أحداث ثورة ١٩١٩ ، ولا سيما دور أحمد ماهر مع عمه عبد الرحمن فهمى فى اللجنة المركزية ، والقاء القبض عليهما وتقديمهما لمحكمة الجنايات بتهمة الاغتيالات السياسية فى يونية ١٩٢٥ واقتراب حبل المشنقة منهما ثم اشتراكهما فى وفد المفاوضات الخاص بمعاهدة ١٩٣٦ وتوليتهما : النقراشى وزارة المواصلات وأحمد ماهر رئاسة مجلس النواب . ورأى ماهر فى المعاهدة ، باعتبارها ليست الا خطوة فى سبيل الاستقلال ، وكان رأيا جريئا ، وفريدا ورفيعا ارتفع من بين رجال الوفد الذين نظروا الى المعاهدة على انها معاهدة الشرف والاستقلال ، بالاضافة الى ظروف خروج ماهر . والنقراشى فى عام ١٩٣٧ يجعلنـــا نرجح تسميته انشقاقا بمعناه ومفهومه اللغوى والمادى يختلف عن الانقسامات الأخرى التى وقعت فى الوفد قبل ١٩٣٦ هذا بالاضافة الى أن الانشقاق الذى حدث بخروج ماهر والنقراشى من الوفد قد تولد عنه انشاء هيئة لها أنصـــارها فى الأقاليم وفى الريف .



ان خــروج النقراشى ثم ماهر من الوفد ، كان انشقاقا بمعناه اللغوى والمادى ، بمعنى خروج جزء من قاعدته سواء بدافع القربى ، والصلات العائلية بين المنشقين وذويهم كما حدث لعائلة غالب مثلا أو بدافع الاقتناع بأن موقف المنشقين كان سليما بينما كان موقف النحاس ومكرم ــ فى تصورهم ــ تطرفا ، وتحزبا لا داعى لهما .

ويقول الأستاذ محمد التابعى : ان الوفد ــ أو النحاس ومكرم ــ رأى بعد اخراج النقراشى من الوزارة استرضائه فهو ــ أى النقراشى ــ معدود يومئــذ من كبار أقطاب الوفد وله نفوذه وأنصاره وخصوص بين شباب الوفد . وأعضاء الهيئة الوفــدية رأوا أن يسترضـــوه فعرضـــوا عليه منصب مندوب الحكومة المصرية لدى شركة قناة السويس ، وكان المنصب شاغرا يومئذ ، ولمن يشغل هذه الوظيفة أو هذا المنصب مكافاة سنوية قدرها خمسة آلاف جنيه ، ويقول

الأستاذ التابعي ، أن النقراشي قد قبل المنصب ولكن جريدة البلاغ . قالت في مقال لها انها لا تصدق خبر قبول النقراشي لهذا المنصب لأنه مشهود له بالنزاهة والاعتزاز بالنفس ، وانه لا يمكن أبدا أن يساوم على مبادئه وعلى نزاهته ، فيتراجع عن خطوة خطاها الى أخرى وقد أعلن النقراشي أنه لم يقبل المنصب المعروض عليه . وانه ماض في سياسته وفي معارضته مشروعات عثمان محرم وزير الأشغال » .



وأفتح قوسا لأقول : « انني على ثقة مطلقة من أن النقراشي . ــ وقد لقى الرجل ربه ــ لم يقبل على الاطلاق منصب عضو مجلس ادارة شركة قناة السويس، وقد سمعت منه شخصيا ذلك : « فما الذي كان يدعوني الى قبول المنصب ؟ هل هو المال ؟ انني لم أفكر أبدا في المال » ثم انه لا يعقل أبدا أن النقراشي ، الذي حارب الاحتلال الأجنبي لم يكن من المعقول أبدا ، أن يعمل في خدمة شركة أجنبية تسير في خط هذا الاحتلال وتعمل ، على تدعيمه . بل انها لتعتبر نفسها قطعة فرنسية في أرض مصرية » .

وأقفل القوس ، لأقول ، ان التابعي ــ رحمه الله ، قد ذكر في كتابه « من أسرار الساسة والسياسة » ان الملك فاروق أقام حفلة في حديقة قصر أنطونيادس ، ابتهاجا بخطبته للآنسة صافيناز ذو الفقار ــ الملكة فريدة فيما بعد ــ اشترك فيها النحاس ، وجميع الشيوخ والنواب ، والوزراء ، وكبار موظفي القصر ، وتخلف مكرم عبيد ، عن حضور الحفلة لوعكة أصابته وحضر الحفلة أيضا النقراشي باشا وما أن رآه الشيوخ والنواب والوفديون حتى أحاط به عدد كبير منهم يرحبون به ويرجونه أن يسوى الخلافات التي بينه وبين زملائه أعضاء الوفد ، وبينما هم كذلك ، أقبل مصطفى النحاس ورأى النقراشي فتقدم منه ومد اليه يده ، وتصافح الرجلان ، وصفق الحاضرون ، وهتف الأستاذ حسن يس بحياة النحاس وردد الحاضرون الهتاف ثم هتف بحياة النقراشي وردد الحاضرون الهتاف وهنا تعانق النحاس والنقراشي ودوى التصفيق الحاد ، وعلا ، الهتاف وتفاءل الحاضرون خيرا واستبشروا بعودة المياه الى مجاريها بين النقراشي، ومصطفى النحاس ، ويذكر الأستاذ التابعي ، انه ذهب ــ بعد الحفلة ــ ليعود مكرم عبيد في داره فروى له ما حدث بين النقراشي والنحاس وكيف ان مكرم باشا ، بعد أن استمع منه الى القصة بحذافيرها تحدث الى النحاس باشا قائلا : مبروك يا باشا ؟ ثم قال فيما بعد وكأنما كان النحاس يسأل : مبروك على ايه فقال مكرم : مبروك الصلح مع النقراشي ، وفهم التابعي ، ان مكرم عبيد فهم من النحاس انه لا صلح مع النقراشي وان مكرم قال للتابعي بعد ذلك : أنا كمان استغربت الخبر وقلت مش معقول ، وكان مكرم عبيد ــ كما يقول محمد التابعي ــ يؤمن الايمان كله في ذلك الوقت بان كل عضو يختلف مع رئيس

الوفد مصطفى النحاس يجب أن يبتر ، من جسم الوفد ، بلا تردد أو رحمة : كان هـــذا هو مبـدأ مكرم عبيد في عام ١٩٣٧ ، وهو نفس المبدأ الذى طبقه النحاس باشا على مكرم عبيد باشا فى عام ١٩٤٢ ٠



ويقول الأستاذ التابعي ، ان مكرم عبيد قد ذكر له أن غضب ام المصريين على الوفد ورئيسه لم يكن بسبب اخراج النقراشي باشا ، من الوفد وان كانت الفرصة الملائمة ، للاعلان عن ذلك الغضب ، وان مكرم عبيد قد قال : لقد أدخلوا فى روعها أنها جان دارك في مصر ، وقالوا لها ـ أقاربها ٠ وأنسباؤها ـ أن الوفد أخطأ يوم سافر أعضاؤه لتوقيع معاهدة ١٩٣٦ ولم يصحبوها معهم بصفتها أرملة سعد زغلول ! وان الوفد ، لم يعد يستشيرها كما كان فى الماضى ، بل يعتبرها كما مهملا وكسب النحاس ومكرم خصما جديدا قويا فى شخص زوج سعد ، وأم المصريين وكانت صفية هانم زغلول ملكة ، مصر ، وكانت نازلى تحترم أم المصريين ، احتراما شديدا ولا عجب فقد كانت الآنسة نازلى صبرى تقبل يد صفية هانم زغلول قبل أن تصبح سلطانة مصر ، وزوج السلطان فؤاد ٠

وهكذا ـ يقول التابعي ـ لم يكن قد مضى على عودة فاروق من رحلته الى أوروبا وممارسته لسلطاته وحقوقه الدستورية شهران اثنان حتى كانت حكومة الأغلبية الوفدية تواجهه جبهة قوية معارضة مكونة من رأس الدولة ، فاروق وجميع كبار موظفى القصر ، على ماهر : وأذنابه فى القصر ، أحزاب الأقلية وفوق هذا وذلك خلاف فى صفوف الوفد يوشك أن ينتهى بخروج النقراشى وماهر من الوفد مع عدد من الشيوخ والنواب ، كل هذه العوامل مجتمعة أضعفت هيبة الوفد فى نفس فاروق ومن ثم أقدم على ما كان مترددا فى الاقدام عليه خوفا من قوة الوفد ، وشوكته وتحدى حكومة الوفد ، وأصدر أمره الكريم بتعيين على ماهر ، رئيسا للديوان فى شهر أكتوبر ١٩٣٧ وكان هذا التعيين ايذانا بسياسة التحدى التى سار عليها فاروق ورجاله ، سياسة التحدى ، للوفد ، ورئيس الوفد ، وحكومة الوفد ، وأغلبيتها الماحقة فى مجلسى البرلمان وايذانا بسياسة الاستهانة والاستهتار بسلطة البرلمان ، وحقوق الشيوخ والنواب ممثلى الأمة أو بعبارة أخرى سياسة استهانة القصر واستخفافه بالحكم النيابى وحقوق ، وحريات الشعب » ٠



وتتساءل بعد كل الذى قلناه : من يكون محمود فهمى النقراشى الذى كان اخراجه من الوفد ، ومن الوزارة نقطـة تحول خطيرة فى مسار الوفد كحزب

له الأغلبية الشعبية ، والأغلبية البرلمانية : يعتبر محمود فهمي النقراشي بلا جدال من أنظف وأطهر الشخصيات السياسية التي عرفها التاريخ المصرى كما أنه بلا جدال . من أصلب وأقوى القيادات الحزبية في نصف القرن الماضى .



وقد يختلف المرء ، مع محمود فهمي النقراشي في آرائه ، واتجاهاته ، السياسية ، والحزبية ولكن لا أحد يستطيع الا أن يحترم هذه الآراء . والاتجاهات السياسية ، والحزبية ، ويحترم أولا ، وقبل كل شيء . الرجل الذي يؤمن بها .. كان محمود فهمي النقراشي من خيرة المصريين الذين رفعوا راية الكفاح الوطني في ثورة ١٩١٩ وكان في مقدمة من اشتركوا في العمل السرى تحت الأرض في الاسكندرية وفي القاهرة بعد الاسكندرية !



ومحمود فهمي النقراشي . كما روى ذات مرة ، وكان مقلا للغاية في أحاديثه الصحفية ، وغير الصحفية من مواليد الاسكندرية في ٢٦ ابريل ١٨٨٨ وقد حصل على الشهادة الابتدائية من مدرسة جمعية العروة الوثقى ، وكان ترتيبه الأول في لجنة الاسكندرية كما كان أول الناجحين في شهادة البكالوريا في مدرسة رأس التين الثانوية ثم التحق بمدرسة المعلمين العليا وبعد الليسانس أرسل في بعثة تعليمية الى جامعة نوتنجهام بانجلترا . وبعد عودته اثر حصوله على دبلوم تلك الجامعة عمل مدرسا في مدرسة راس التين الثانوية ثم العباسية الثانوية ، ثم ناظرا للمدرسة الراقية في الهياتم .



وكان النقراشي قد تعرف الى سعد زغلول عندما كان ناظرا للمعارف. ولذلك ، عندما بدأت ثورة ١٩١٩ وألقى اللورد كيرزون في مجلس اللوردات خطابا باسم الحكومة البريطانية وصف ثورة ١٩١٩ بأنها قامت « للسلب والنهب » ، و . .و . وأثنى على الموظفين المصريين ورجال البوليس والجيش المصرى لانهم لم يشتركوا في الثورة ، وصور اللورد كيرزون موظفي الحكومة المصرية بأنهم ينحازون الى الاحتلال والمحتلين وكان أن تألفت لجنة من مندوبي الوزارات والمصالح وكان النقراشي هو مندوب وزارة المعارف ، وكتبت اللجنة عريضة احتجاج الى السلطان . والى المندوب السامي البريطاني والى سائر معتمدى الدول الأجنبية في مصر ، وأعلن مندوبو الموظفين اضرابا عاما في جميع

الوزارات والمصالح لمدة ثلاثة أيام فى البداية ٠٠ حتى يطلق سراح المعتقلين وعلى رأسهم سعد زغلول باشا ٠



وتعتقل السلطات البريطانية فى مصر محمود فهمى النقراشى ، وعلى عمر بك ، وحسين بك فتوح وأحمد بك فريد ، وفؤاد بك شيرين وغيرهم ، وغيرهم وتم نفى المعتقلين فى بلدة رفح ، حيث مكثوا بها ١٥ يوما حيث افرج عنهم ، وان لم تسمح الحكومة ، باعادتهم الى وظائفهم الى ان تألفت وزارة محمد سعيد باشا « الثانية » فأمرت باعادة محمود النقراشى ناظرا لمدرسة السويس ، وبعدها نقل الى وزارة الزراعة للعمل بقسم الادارة والاحصاء و ٠٠ و ٠

وعندما اعتقل الفريق الثانى من الوفد المصرى : حمد الباسل باشا ومرقس حنا باشا ٠ وواصف غالى باشا ومراد الشريعى بك ومحمد علوى الجزار بك ٠ وجورج خياط بك ، وويصا واصف بك اجتمع محمود فهمى النقراشى بزملائه فى الجهاد حيث ألفوا الفريق الثالث الذى حل محل الفريق ، الأول ، والثانى ، وكان من بين هـذا الفريق الثالث ، الشيخ مصطفى القاياتى ، ومحمـد نجيب الغرابلى والدكتور نجيب اسكندر وفخرى عبد النور ، وعبد الستار الباسل ، ومحمود فهمى النقراشى وبمجرد الحكم على الفريق الثانى ، تم القبض على الفريق الثالث وأودع أفراده ثكنات قصر النيل ، لمدة ثلاثة أشهر الى أن أفرج عنهم حيث عين النقراشى مفتشا بالتعليم العام ، ثم مساعدا للسكرتير العام ، لوزارة المعارف الى أن اختاره سعد زغلول فى يونيو ١٩٢٤ وكيلا لمحافظة مصر ٠



وبعد أربعة أشهر اختاره وكيلا لوزارة الداخلية وفى الحفل الذى أقيم لتكريم النقراشى خطب سعد زغلول خطبة قال فيها : اننى ما أحببت محمود فهمى النقراشى ، واخترته الا لثقتى بكفاءته ولما أعهده فيه من الوطنية والحكمة فى تصريف الأمور ٠

ولما استقالت وزارة سعد أحالت وزارة زيور محمود فهمى النقراشى الى المعاش ثم اعتقلته ٠



وظل معتقلا ثلاثة أشهر الى أن ظهرت براءته فأفرج عنه ، وبعد ثلاثة أشهر من الافراج عنه اعتقل هو وأحمد ماهر ، حيث بقيا معتقلين عاما وخمسة

آيام وبعد محاكمة مثيرة ، قضى ببراءتهما وكان سعد زغلول يولى قضية ماهر والنقراشى أهمية بالغة وكان يشترك مع المحامين المترافعين عنهما كواحد منهم فى منزله ــ بيت الأمة ــ وان لم يقف أمام القضاء ٠

وكانت حكومة سعد باشا ، قد استقالت أو أقيلت بمعنى أدق ، عقب اغتيال السير لى ستاك باشا ــ الحاكم العام للسودان ، وسردار الجيش المصرى فى ١٩ نوفمبر ١٩٢٤ ــ وخلفتها وزارة زيور باشا حيث تم فى عهدها محاكمة المتهمين بمقتل السير لى ستاك باشا وقد قضى فى ٧ يونيو ١٩٢٥ على عبد الفتاح عنايت وعبد الحميد عنايت وابراهيم موسى ، ومحمود راشد ، وعلى ابراهيم محمد ، وراغب حسن النجار ، وشفيق منصــور وقضى عليهم جميعا بالاعدام واستبدل بحكم الاعدام الأشغال الشاقة المؤبدة بالنسبة لعبد الفتاح عنايت ، كما قضى بحبس محمد صالح سنتين ، وكانت محكمة الجنايات ، التى نظرت القضية برئاسة أحمد عرفان باشا ، وعضوية المستر كرشو ، ومحمد مظهر بك ٠

وقد حاولت حكومة زيور باشا ايجاد صلة بين قضية الاغتيالات السياسية وحوادث القتل السياسى التى وقعت على البريطانيين من قبل وكان من المعتقلين فى قضية الاغتيالات السياسية : أحمد ماهر ، محمود فهمى النقراشى ، حسن كامل الشيشينى ، وعبد الحليم البيلى ، محمد أفندى فهمى ، على محمود عثمان مصطفى ، والحاج أحمد جاد الله ، وكانت هيئة المحكمة مؤلفة من المستر كرشو رئيسا وكامل ابراهيم بك وعزت بك عضوين وكان فى مقــدمة المترافعين من المحامين عن هؤلاء المتهمين : زهير صبرى عن على محمد على وابراهيم رياض عن أحمد جاد الله ومصطفى النحاس ، مرقص حنا ومكرم عبيد ، ونجيب الوايلى وسلامة ميخائيل ومحمد يوسف عن الدكتور أحمد ماهر والنقراشى ، وعبد الله حسين عن محمود عثمان مصطفى ، وأحمد لطفى ومصطفى الشوربجى عن الأستاذ حسن كامل الشيشينى ووهيب بك دوس عن عبد الحليم البيلى ٠



وفى ٢٥ مايو ١٩٢٦ صدر الحكم بالاعدام شنقا على محمد على فهمى على وبراءة جميع المتهمين ٠

ولم يكن القاضى كرشو ، موافقا على براءة ماهر والنقراشى والحاج أحمد جاد الله ، ومحمود عثمان مصطفى فقدم استقالته من منصبه بعد الحكم ، وبناها ، على اعتراضه على براءة ماهر والنقراشى وجاد الله ٠

وكان سجن ماهر والنقراشى فى المرة الأخيرة شاقا ، وعنيفا الى درجة أن النقراشى كان ذات مرة ينشد بعض الأشعار انشادا عاليا عند مرور أحمد ماهر

أمام غرفته ، فظن رجال السجن ان لهذا الانشاد معنى آخر ، فحققوا معه ، لمعرفة سبب انشاده الأشعار وبالغوا فى تعذيبه . ولما كان الكلام محرما فى السجن ، وكذلك كانت الكتابه فقد أنفق النقراشى وقته فى مطالعة « صبح الأعشى » كله ، والاجزاء الأربعه ، التى قد صدرت من كتاب « نهاية الارب » وراجع كثيرا من الكتب العلمية التى لم يكن قد اطلع عليها الا مرة واحدة ودرس كذلك كتابات سبنسر فى فلسفة التربية •



وعن قضية الاغتيالات السياسية ، التى اتهم فيها ماهر والنقراشى ، كتب صبرى أبو علم فى الكتاب الذهبى للمحاكم الاهلية يقول : نزل الستار على قاعه محكمة الجنايات عقب محاكمة المتهمين بمقتل السردار ثم رفع بعد عام لتشهد هذه القاعة محاكمة أكبر منهـا خطرا وأجل شأنا تلك هى قضية الاغتيـالات السياسية وهى القضية التى تمخضت عنها التحقيقات فى قضية مقتل السردار ، وكان شفيق منصور ، صلة الوصل بين القضيتين وكانت اعترافاته ، وتقاريره حجر الزاوية فى التحقيقات الجديدة ، وعلى أساس هذه الاعترافات اتهمت النيابة العمومية ، الدكتور أحمد ماهر وزير المعارف فى وزارة سعد زغلول باشا ، والأستاذ محمود فهمى النقراشى وكيل الداخلية بها ، والأستاذ حسن كامل الشيشينى المدرس بمدرسة التجارة العليا ، والأستاذ عبد الحليم البيلى ، سكرتير المفوضية المصرية بأنقرة وبعض العمال بارتكاب حوادث اغتيال الرعايا الانجليز وبعض المصريين •



واستأثرت القضية باهتمام الجمهور والساسة فى مصر ، وبريطانيا لما لبعض المتهمين من مركز خطير ، ولخطورة الملابسات التى أحاطت بالقضية والنتائج السياسية التى تترتب على الفصل فيها ورئى الا تنظر القضية أمام الدائرة التى فصلت فى قضية مقتل السردار ولم يخل تشكيل الدائرة الجديدة من صعوبات استدعت عقد الجمعيـة العمومية لمستشارى محـكمة الاستئناف وأخيرا شكلت المحكمة من جناب المستر كرشو ، رئيسا ، وكامل بك ابراهيم وعلى بك عزت مستشارين وجلس فى كرسى النيابة حضرة مصطفى بك حنفى وتولى الدفاع ، فى القضية طائفة من كبار المحامين •

وأصبحت قاعة محكمة الجنايات وأصبح قفص الاتهـام فيها ملتقى أنظار الرأى العام المصرى والبريطانى •

ولم يكن فى فضاء القاعة ما يتسع لكل من يرغبون فى شهود المحاكمة فحدد عدد من يسمح لهم بدخول القاعة وأقيمت الحواجز ، والموانع حولها وأصبح ما يدور فيها ويجرى فى ساحتها يدون فى الصحف ويطير الى الخارج •

وقد كانت جهود المحامين فى هذه القضية شاقة فقد بلغت صحف التحقيق بها نيفا وثلاثة آلاف عدا الملحقات وتوفر المحامون على دراستها واستيعابها ، قبل بدء المحاكمة ٠

وكان استجواب الشهود آية من آيات الفن القضائى ، ثم جاء دور الدفاع وترافع ، المحامون فكانت مرافعاتهم صورة حية للبيان الساحر ، والمنطق السليم، كانت مرافعاتهم من وحى قلوبهم وعقائدهم ، وكان الكثيرون منهم تربطهم بالمتهمين روابط أعظم توثقا من الصداقة ودافع المتهمون عن سمو الحركة الوطنية وتجردها من النوايا الاجرامية فكانوا فى دفاعهم ملهمين موفقين ٠

وفى الوقت الذى كانت ألسنتهم تفيض بالسحر حلالا ، تتنزل فوق منصة القضاء : كانت عيونهم وقلوبهم مشدودة الى القفص حيث وقف رجال كرام عليهم ، وأعزاء على مصر فكانت نبراتهم أبلغ من عباراتهم وأشد تأثرا ٠

وتوفى المرحوم أحمد بك لطفى بعد صدور الحكم بقليل فكانت قضية الاغتيالات السياسية آخر قضية كبرى ترافع فيها ، وكانت آخر عهده بهذه القاعة ٠



وكان يجرى فى نفس الوقت خارج القاعة صراع انتخابى بين الوفد ، ومن ائتلف معه من الأحزاب وبين حزب الاتحاد ٠

وكان الواقفون على ما يجرى خلف ستار الحوادث السياسية يدركون مقدار ما بين الحكم الذى يخرج من داخل هذه القاعة والحكم الذى يخرج من صناديق الانتخاب من صلة وتلازم ، وشاءت الأقدار أن يصدر حكم القضاة ، وحكم الناخبين فى وقت واحد : أصدر القضاة حكمهم بعد دفاع دام شهرا ببراءة خمسة من المتهمين هم : الدكتور أحمد ماهر ، والأستاذ محمود فهمى النقراشى ، والأستاذ حسن كامل الشيشينى ، والأستاذ عبد الحليم البيلى ، والحاج أحمد جاد الله ، وصدر حكم الناخبين لصالح الائتلاف ومرشحيه ٠

واهتزت البلاد طربا لهذه النتائج كلها وشرع الساسة يتبادلون الرأى فى استثمار هذه النتائج ، وأخيرا تعكر الجو ، حين خرج جناب المستر كرشو على تقاليد القضاء فكتب الى وزير الحقانية يعلن أنه كان معارضا فى براءة الدكتور أحمد ماهر ، والحاج أحمد جاد الله وقال انه اعتبر من واجبه الخروج على مبدأ المحافظة على سر المداولة فتوجه بعد اصدار الحكم الى دار المندوب السامى ، واطلع فخامته على رأيه باعتباره حاميا للأجانب !! وعقب وصول هذا الخطاب

استقالت الوزارة وشكلت بعد ذلك وزارة حضرة صاحب الدولة عدلى يكن باشا فتولى المرحوم أحمد زكى أبو السعود باشا ، وزير الحقانية فيها الرد على الخطاب واستقال جناب المستر كرشو » !!

وقد ظلت دار المندوب السامى تعترض باستمرار على اشتراك أحمد ماهر والنقراشى فى أية وزارة وفدية ، وتقيم الدنيا ولا تقعدها لان ماهر والنقراشى فى رأيها ، ليسا سياسيين ، بل هما ارهابيان كبيران !! وقد سبق لنا أن أشرنا الى ثورة الرأى العام البريطانى عندما أصر مصطفى النحاس على اشراك محمود فهمى النقراشى ، وأحمد ماهر فى الوفد المصرى ، للمفاوضات !!



وعن الوزارة النحاسية ، الرابعة يقول عبد الرحمن الرافعى طيب الله ثراه • استحدثت الوزارة أسلوبا جديدا من الارهاب ساعدها على تدعيم أركان الدكتاتورية البرلمانية وذلك باصطناعها فرقا سميت « فرق القمصان الزرقاء » التى كانت فى الأصل تشكيلات منظمة ترمى الى النهوض بالروح الرياضية ثم اصطبغت فى عهد هذه الوزارة بالصبغة السياسية الحزبية : وتحولت عن مقصدها السليم لأن التشكيلات الرياضية يجب ، أن تكون بعيدة عن الاصطباغ بصبغة حزبية وأن تبقى دعامة من دعائم الروح ، التى تدعو الى الود والاخاء بين الرياضيين لا الى اثارة الخلاف بينهم •

خرجت هذه الفرق ــ هكذا يقول عبد الرحمن الرافعى ــ فى عهد وزارة الوفد عن المعنى الرياضى وصارت أداة سياسية لارهاب خصوم الوفد السياسيين وأخذت تتسلح بالعصى والخناجر ، وتعتدى على اجتماعات المعارضين وفضت بعضها بالقوة ، واعتدت ، أيضا على أشخاص المعارضين وعلى الصحف المعارضة استفحل شأنها بضم أشياع من احط الطبقات اليها ، فصارت وسيلة لاهدار حرية الرأى والفكر ، وافساد أداة الحكم ، وكان أفرادها يقتحمون الدواوين ويملون ارادتهم على الرؤساء والموظفين والى جانب هذا الارهاب المستمر من القمصان الزرقاء تصدت الوزارة للصحف المعارضة وأرهقتها بالتحقيقات والمصادرة واعتقلت النيابة بعض الصحفيين بدعوى اتهامهم فى جنح صحفية فكان هذا وذاك مظهرا من مظاهر الضغط والاضطهاد •

ويؤخذ أيضا على وزارة النحاس الرابعة ــ كما يقول عبد الرحمن الرافعى ــ انها لم تعن العناية الواجبة بالنهوض بالجيش ولم تعمل عملا ، جديا فى انشاء مصانع للأسلحة والذخائر ، وتسليح الجيش وانشاء الأسطول وتعزيز قوة الدفاع الوطنى مع أن الفرصة ، كانت مواتية لها ، وكل ما عملته فى صدد انشاء

مصنع للذخيرة والأسلحة ، انها قررت تاليف لجنة فنية لدراسة هذا المشروع ولكن اللجنة لم تؤلف وقررت فى سبتمبر ١٩٣٧ استدعاء خبير عسكرى من انجلترا للاستعانة به على وضع الشروط والمواصفات الخاصة بانشاء هذا المصنع ولم تنفذ قرارها وأرجىء تنفيذ المشروع . أى أنها لم تعمل شيئا لانشاء مصانع الذخيرة والأسلحة ومن المأخذ عليها أنها قررت اعادة العمل بالمرسوم بقانون رقم ٢٢ لسنة ١٩٢٩ الصادر فى غيبة البرلمان ، والخاص بحفظ النظام بمعاهد التعليم بعد أن كان الوفد يرى أن هذا المرسوم مخالف للدستور وقد عده البرلمان الوفدى سنة ١٩٣٠ باطلا بطلانا أصليا ولكن وزارة النحاس بعد أن رأت التذمر من سياستها قد استفاض حتى سرى الى صفوف طلبة الجامعة ، قررت اعادة العمل بهذا المرسوم ..



ويأبى عبد الرحمن الرافعى الا أن يوجه النقد - فى نفس الوقت الذى انتقد فيه الوزارة النحاسية الرابعة - الى خصوم الوزارة الوفدية الذين استعجلوا الأمر وأرادوا أن يعالجوا مساوىء الوزارة النحاسية بالاستعانة بالسراى « وأقصد موظفى السراى » وهذا العلاج لا تؤمن مغبته لانه يزيد فى سلطة رجال السراى ، ويجعل زمام الحكم فى أيديهم وليس من السهل بعد اللجوء ، اليهم أن يسير النظام الديمقراطى وتنمو تربية الشعب السياسية ولكن هكذا شاء حظ مصر ، العاثر ألا تستقر أوضاع الحكم على أساس صالح مستقيم وينتهز رجال السراى فرصة استعداء المعارضة للوزارة الوفدية وانتقال تلك المعارضة الى صفوف الشباب ، وخاصة طلبة جامعة فؤاد ، وقد رأى أحمد لطفى السيد بعد أن اشتدت اضرابات الطلبة تعطيل الدراسة فى كليات الجامعة أسبوعا يبدأ من ٢٥ أكتوبر ١٩٣٧ وأصدرت الجامعة قرارا بذلك ولكن الوزارة رفضت الموافقة على هذا القرار فاستقال لطفى السيد من منصبه وكان رجال السراى قد عمدوا ، الى وضع العراقيل أمام الوزارة النحاسية ، وخاصة فى موضوع تعيين أحد أعضاء مجلس الشيوخ : كانت الوزارة الوفدية قد رأت ترشيح فخرى عبد النور بك ، لعضوية مجلس الشيوخ ولكن السراى اعترضت ورشحت بدلا منه عبد العزيز فهمى باشا وأخذ رجال السراى يثيرون موضوع ، القمصان الزرقاء ، ويطلبون باسم الملك حل حركة القمصان الزرقاء ، بل ان الملك فاروق نفسه تحدث فى هذا الموضوع مع مصطفى النحاس . والغريب : ان دار المندوب السامى ، البريطانى ، التى تحولت فيما بعد الى دار السفير البريطانى كانت تقوم بدور الوساطة بين الوفد والسراى بل كانت فى بعض الأحيان تقف الى جانب الوفد ، دون السراى !! وكانت تدعو الى الابقاء على الوزارة الوفدية بوصفها وزارة الأغلبية البرلمانية !!



وكان من رأى د٠ محمد حسين هيكل ان الوزارة الوفدية قد أخطأت عندما شددت من حملة الارهاب التى واجهت بها خصومها : كانت المظاهرات تؤازر القمصان الزرقاء فى هذه الحملة : ولقد نما الينا ذات مساء من شهر ديسمبر ١٩٣٧ أن د٠ محمد محمود باشا ، سيتعرض لهذا الارهاب كما يتعرض غيره وذهبنا اليه فى منزله فكنت أنا والأستاذ كامل البندارى المحامى ، وعبد الجليل بك أبو سمرة ، ورشوان محفوظ باشا ، وآخرون ٠ ولم يطل بنا المقام حتى سمعنا ان مظاهرة كبرى تقترب من ميدان الفلكى وانها ربما سارت فى شارع الفلكى ، الى منزل محمد باشا محمود وانها قد تقتحم المنزل ، وعرفنا ان محمد محمود باشا ، قد اتخذ عدته لمثل هذا الاحتمال فاستعد للدفاع عن نفسه وعن داره ، وسرنا ما عرفنا من ذلك ، وأن وددنا ألا يبلغ الأمر مبلغ الاشتباك المسلح وتأتى المظاهرة ، وتقترب من بيت محمد محمود ويأمر محمد محمود رجاله باغلاق بوابة بيته اغلاقا محكما ٠



الى أن يقول د٠ هيكل : بلغت المظاهرة المنزل فوجدت بابه محكم الاغلاق فحاولت اقتحامه وسمعنا أعيرة نارية تدوى ، وأراد الباشا ، أن يطمئننا فقال : لا تنزعجوا فان حرس الدار قديرون ، على صدهم ، ثم أنه أراد الخروج بنفسه فمنعه الحاضرون مخافة أن تصيبه رصاصة طائشة ، فقد كثرت الطلقات النارية كثرة جعلتنا نشعر، وكأننا في معركة حربية حامية الوطيس وأسرع أحد الحاضرين الى التليفون مرة أخرى يتحدث الى حكمدارية البوليس وصور لها ما هو حادث لكن الطلقات النارية ظلت تدوى زمنا قبل أن يحضر البوليس ولعله كان ينتظر أن يخطر بأن المتظاهرين اقتحموا الدار ثم يتحرك لضبط الواقعة على حد تعبيرهم فلما عرف أن الدار انقلبت حصنا منيعا وان محاولات المتظاهرين لاقتحامها ذهبت سدى ، وان هؤلاء ، المتظاهرون ، معرضون للنيران تحصدهم ٠ أسرع بالمجىء فلما رأى المتظاهرون البوليس تفرقوا بعد ان كانوا يحاولون تسلق الدار من خلفها لولا أن صدتهم النوافذ المحكمة الاغلاق ، فلم ينالوا مآربهم ٠

وعن تحقيق النيابة قال د٠ هيكل : حققت النيابة ما حدث ولم يمنعها مقام محمد محمود باشا من أن تفتش منزله ، فلم تجد به غير مسدسه هو ، وكان التحقيق متجها كله ، الى معرفة الوسيلة ، التى قاوم بها محمد باشا ورجاله المظاهرة غير أن التحيقق لم ينته الى نتيجة ثم حفظ ٠



كان لهذا الموقف الذى وقفه محمد محمود باشا من المظاهرة ، المتمتعة بحماية الحكومة أثره فى تفكير أولى الأمـر ، ممن يريدون التخلص من النحاس باشا

ووزارته ويخشون أن يجر ذلك الى اضطراب العاصمة واراقة الدماء فيها فقد استطاع هذا الزعيم بمفرده أن يقاوم سلطان النحاس باشا وحكومته ، وقد كفى ظهور البوليس ليولى المتظاهرون الادبار عند ذلك اطمأنت النفوس الى أن سلطان الحكومة فى حماية المظاهرات هو الذى يجعل لهذه المظاهرات من الخطر ، ما تخشى عواقبه فلو انها لم تجد من الحكومة الحماية والرعاية لما استطاعت شيئا ، بل لما أقبل أحد على التظاهر وان أجزل له الأجر ٠

وعندما ذهب د٠ هيكل : الى لطفى السيد قبل أن يستقيل من الجامعة للتحدث معه فى أمر اقامة حفل تأبين للمرحوم محمود باشا عبدالرازق ولاستئذان لطفى السيد ، فى أن يكون من بين خطباء ذلك الحفل ٠ كان طلبة الجامعة مضربين فتجمهروا حوله ، فلم يقل لهم ، أكثر من أن المعارضة أدت واجبها وعلى كل مصرى ، أن يؤدى واجبه ، ثارت صحف الوفد ، وطالبت بالتحقيق مع د٠ هيكل ويقول د٠ هيكل : ان مظاهرات الجامعة ، كانت من الشواهد القوية ، على انصراف الشباب المتعلم ، من تأييد الوزارة وعلى أن الوزارة تلجأ الى سياسة الارهاب ، بالمظاهرات وبالقمصان الزرقاء تستر بها خوفها وانزعاجها وينبغى لها أن تتوارى من خوفها بتخويف خصومها ، لتظل ماضية فى سياستها الحزبية المتطرفة ، على أن هذا الارهاب ، لم يزعج ، المعارضة ، بل ظل اقتناعها راسخا بأن أيام الوزارة فى الحكم معدودة ، وكان هذا الاعتقاد يزداد كلما ازدادت صلات محمد محمود باشا بالقصر توثقا ، وكان كثيرون يتحدثون عن هذه الصلات ويرتبون عليها النتائج ، التى يطمئن اليها تفكيرهم ٠



ويقول د٠ يونان لبيب رزق : « أمام كل هذه المخاطر ، التى شعرت الوزارة الوفدية انها تحيط بها بدأت تتصرف وقد بنت هذا التصرف أساسا على السعى لتأييد شعبية الوزارة ، والبلوغ بامكان استخدام هذه الشعبية أمام أى مؤامرات تبدو من جانب القصر وتم ذلك بطريقتين :

الطريقة الأولى : « فى تلك الجولات الواسعة التى أخذ يقوم بها النحاس باشا فى مختلف المديريات ليلقى الخطب فى المحلة الكبرى وفى المنصورة وفى الاسكندرية وفى المنيا وهو لا يريد بذلك تأكيد شعبيته وحسب بل يريد أكثر من ذلك التحذير من أى محاولة للمساس به » ٠

الطريقة الثانية : تدعيم تنظيم القمصان الزرقاء ، الموالى للوفد لاستخدامه فى المواجهة المحتملة ٠ وتم هذا التدعيم بأكثر من وسيلة : منها تركيز ولاء الجماعة فى شخص النحاس بوضع قسم جديد لها جاء فيه : « أقسم بالله أن أظل مجاهدا لوطنى تحت لواء زعيمى مصطفى النحاس لآخر رمق فى حياتى »

وفيها الاسراع بزيادة عدد أصحاب القمصان الزرقاء ويذكر أحد التقارير البريطانية أن مكرم عبيد قد حث زعيم هؤلاء ، على بذل كل جهد لرفع عددهم الى مائة ألف ومنها الحصول على المبالغ ، التي تمكن من استيعاب هذه الأعداد الجديدة في الجماعة وكان سبيل الزعامة الوفدية الى ذلك انفاق جانب من المصروفات السرية لوزارة الداخلية في هذا الوجه ، هذا وقد رفض القصر توقيع قانون زيادة الاعتماد الخاص بالمصروفات حتى لا يتخذ الوفد من القمصان الزرقاء التي ينفق عليها المصروفات السرية أداة للضغط عليه .

وتنشر احدى الصحف البريطانية « الأوبزرفر » أن مصطفى النحاس بعد أن زار روما وبرلين راودته الآمال في أن يصبح دكتاتورا ، كما أنه قد بدأ يغار من شعبية الملك .

وكان علي ماهر ، قد عين في ٢٠ أكتوبر ١٩٣٧ رئيسا للديوان الملكي بدون أخذ رأي الحكومة ، كما تحتم بذلك التقاليد الدستورية وتقول صحف المعارضة أن الوفد حاول اشراك السفارة ، البريطانية في هذا الموضوع حتى تقف الى جانبه غير ان السفارة ، أكدت ان هذا الموضوع من اختصاص الملك وحـــده !



وقد بعث محمد محمود باشا رئيس حزب الأحرار الدستوريين الى السفارة البريطانية خطابا يحتج على التداخل في أمر من أمور مصر الداخلية كما أن بعض الصحف الوطنية راحت تحذر بريطانيا من مغبة التدخل في شئون مصر الداخلية .

وقيل ان الملك فاروق في أثناء لقاء له بمصطفى النحاس في ٢٦ أكتوبر ١٩٣٧ طلب من النحاس حل جماعة القمصان الزرقاء ، وسلمه بحثا قانونيا يؤكد أن وجود هذه الجماعة مناف للدستور .

وكان أيضا من بين أسباب الخلاف بين الوفد ، والقصر أن حكومة الوفد أعدت مرسوما بقانون يتم بمقتضاه تخفيض نسبة النجاح لطلاب الجامعة مستهدفة بذلك الحصول على شعبية بين الطلاب ولكن القصر رفض التوقيع على هذا المرسوم لانه لم يعرض على مجلس الجامعة ، قبل أن يعرض على الملك !

وفي ٢٠ ديسمبر ١٩٣٧ ، كما تقول الوثائق البريطانية : رسائل سير مايلز لامبسون الى مستر ايدن وزير الخارجية البريطانية . يبلغ السفير البريطاني رئيس ديوان الملك . والملك نفسه ان الملك قد يفقد ثقة الحكومة البريطـانية وتأييدها اذا ما استمر في سياسته وانه بذلك يعرض عرشه للخطر !!

ولا تجدى سياسة تخويف الملك من قبل الحكومة البريطانية ·

ولا تجدى سياسة استعراض العضلات الشعبية التى سار عليها الوفد وخاصة المظاهرات الوفدية العنيفة التى كانت تسير فى شوارع القاهرة · بل وفى ميدان عابدين ذاته منادية « النحاس ، أو الثورة » ·

يبدو أن الملك أو مستشاره الأول على ماهر كان واثقا من نفسه الى أبعد حدود الثقة ، وكان مطمئنا الى أن الوفد قد خسر ، الكثير ، وانه لن يستطيع أبدا أن يكسب معركته ضد القصر بل أن الملك ، لم يعد يكتفى بالضغط سرا على حكومة الوفد ، وانما راح يظهر فى المعركة بصورة علنية حتى أنه ليطل من شرفة عابدين على مظاهرات طلبة الأزهر ، المؤيدة له ، ليحييها ، وكأنما يريد منها أن تستمر ، وتكون المظاهرات بداية لأحداث كثيرة وخطيرة تقع فى مصر ·

الفصل الخامس

الصراع بين القصر ، والوفد يصل الى الذروة

● انقسم شباب مصر فى أواخر عام ۱۹۳۷ على نفسه ، انقساما خطيرا ، أدى الى حدوث نتائج مؤسفة للغاية : تحولت ـ مثلا ـ شوارع القاهرة ، والاسكندرية وكثير من عواصم المديريات الى ساحات صراع دموى تتقاتل فيه فرق القمصان الزرقاء ، والقمصان الخضراء ، فى كل جامعة ، وفى كل كلية ، بل في كثير من المدارس الثانوية، وحيث يوجد المشايعون للوفد، والمشايعون للسراى وكان الأزهر كله ضد الوفد ، ومع السراى ، وكان فاروق ـ الملك ـ قد أحس بقوته وبضعف حكومة الوفد ، فآثر أن يلعب ورقته ضد الحكومة القائمة بصورة سافرة وغير لائقة فى نفس الوقت ، حتى أنه ليخرج الى ألوف الطلبة الأزهريين المتظاهرين فى ساحة عابدين من شرفة قصر عابدين ، محييا ومشجعا بل ومستزيدا من المظاهرات والاضطرابات ، وما كان للملك أبدا أن يخرج عن حياده بين الأحزاب ويقف ضد الحكومة ، المؤيدة من البرلمان مهما كانت الأخطاء ، التى وقعت فيها تلك الحكومة ، وكان الأحرى بمستشارى الملك وعلى رأسهم على ماهر باشا ، وكان الأحرى بأحزاب المعارضة مهما اشتد بينها وبين حكومة الأغلبية الخلاف أن تقف ، الموقف الدستورى السليم ، فلا تدع للملك ومستشاريه ، أن يعصفوا بحكومة الأغلبية لانه اذا ساهموا هم فى تمكين الملك ، ومستشاريه من العصف بحكومة الأغلبية ، أصبح من أسهل الأمور على الملك ، وعلى مستشاريه أن يعصفوا بالأحزاب الصغيرة وخاصة تلك التى لا تعتمد على تأييد شعبى ، فالملك عندما يعصف بحزب الأغلبية يصبح من السهل عليه أن يعصف بأحزاب المعارضة ٠



وقد كان فاروق وقتئذ طرى العود غير قادر على الدخول فى صراع مع الوفد خاصة وحكومة بريطانيا تؤيد الوفد ، أو على الأقل لا تقف الى جانب السراى فى أى خلاف أو اختلاف مع الوفد ، ولم يكن فاروق ، الذى لم يكن قد

تجاوز عامه الثامن عشر الا بشهور يقوى على معاداة الوفد أو على الأقل يفكر فى أن يخوض ضده معركة عنيفة ضارية ما لم يكن مستشاروه ، وما لم تكن قيادات أحزاب المعارضة قد رتبت الدخول فى معركة مع الوفد وأكدوا ، له ، انه سوف يحقق بشبابه الغض وبثقة الجماهير الطيبة فى نواياه ما لم يحققه والده ، الداهية الأكبر ، أحمد فؤاد ٠



والمؤرخ المنصف مهما يكن رأيه فى تجـاوزات الحكومة القائمـة وقتئذ لا يستطيع الا أن يوجه اللوم ، الى مستشارى الملك ، والى الأحزاب المعارضة التى أيدته تأييدا مطلقا ضد سلطة الشعب الممثلة فى الحكومة الوفدية ذات الأغلبية البرلمانية ٠

وقد أحست تلك الأحزاب ، بخطئها الكبير هـذا بعـد أن أقيلت وزارة النحاس ، وجاءت أحزاب الأقلية لتحكم باسم السراى وراح مستشارو الملك ، وعلى رأسهم على ماهر ، يلعبون برئيس الوزراء الجديد كما يحلو لهم ، ولذلك لم تمض سوى بضعة أشهر على اقالة الوزارة الوفدية ، حتى صاح كبيرهم قائلا : انما أكلت يوم أكل الثور الأبيض والقصة معروفة ، وهى من أبرز قصص بيدبا ، الفيلسوف الهندى : ثلاثة ثيران كانوا فى أجمة ، لا يشاركهم فيها الا أسـد ضعيف هزيل ، لا يستطيع أبدا أن ينال منهم جميعا شيئا ، وذات يوم قال الأسد ، الضعيف الهزيل لثورين من النيران الثـلاثة : ان لونى على لونكما ولا يفضحنا فى أجمتنا هذه الا الثور الآخر ذا اللون الأبيض فلو تركتمانى آكله ، لصفت لنا الأجمة وعشنا فى سرور ، وحبور ، وقال الثوران : الأحمر ، والأسود: دونك فكله ، فأكل الأسد الثور الأبيض ، وبعد أيام جاء الأسد الضعيف الهزيل وقال للثور الأحمر : ان لونى كلونك ، ولا يفضحنا فى أجمتنا هذه الا الثور الأسود فلو تركتنى آكله ، لصفت لنا الأجمة « وقال الثور الأحمر : دونك فكله ، وبعد أيام من أكل الثور الأسود جاء الأسد الضعيف الهزيل متنمرا ، وهو يقول للثور الأحمر : انى آكلك لا محالة » فقال الثور الأحمر وقد أحس بدنو أجله وبالخطيئة التى ارتكبها في حق زميليه : انما أكلت يوم أكل الثور الأبيض » ٠



لقد ساعدت أحزاب الأحرار الدستوريين والشعب والاتحاد الملك الضعيف الهزيل على أن يفترس الوفد ، ليفترس بعد الوفد بقية الأحزاب الأخرى ، وكانت أكبر الأخطاء فى تاريخنا السياسى أن ترك للشاب ذى الثمانية عشر ربيعا ، ولمستشاريه وعلى رأسهم على ماهر ، أن يعبث بحياتنا النيابية هذا العبث الذى كان له أثره فى اخراج قطار السياسة المصرية عن مساره الطبيعى ، الى مسار آخر هو مسار الدكتاتورية المطلقة ، دكتاتورية السراى ، والسراى التى تلعب

السفارة البريطانية بأمورها ، الصغيرة ، والكبيرة ، كما يلعب فتيان السيرك ، وفتياته بالدمى فى مسرح العرائس !! واذا كان أحمد حسنين ، وعمر فتحى قد لعبا أخطر الأدوار فى تنشئة فاروق نشأة سيئة ، عندما كان فاروق يتلقى العلم فى لندن ، وكان أحمد حسنين ، وعمر فتحى يتوليان مهمة الاشراف على ولى العهد ، فان على ماهر ورجال القصر ، وبعض زعماء المعارضة هم المسئولون عن افساد فاروق كملك بعد أن تولى سلطاته .



ونعود مرة أخرى للحديث عن الصراع بين الملك ، والوفد ، والصراع داخل الوفد كحزب ، مركزين – هنا – على أقوال بعض المؤرخين المصريين والأجانب حتى لا ننفرد بالتعبير عن وجهة نظرنا :

يقول – مثلا – جاكوب لاندو فى كتابه « الحياة النيابية والاحزاب فى مصر عام ١٨٦٦ – ١٩٥٢ » مال حزب الوفد لمركزية قاهرة ظهرت مع تكوين القمصان الزرقاء ، وتفشت العصبيات والمحسوبيات فى الحزب فطرد محمود فهمى النقراشى ، وأحمد ماهر من الحزب الوفدى ليكونا الحزب السعدى مع مجموعة صغيرة من الوفديين السابقين ، وبالرغم من أن هذا الخلاف قام أساسا على نوازع شخصية الا أن الحزب الجديد – الحزب السعدى – أعطى بعض الاهتمامات للاقتصاد المصرى .

ويقول مارسيل كولومب فى كتابه « تطور مصر ١٩٢٤ – ١٩٥٠ » : حين توفى الملك فؤاد فى ٢٨ أبريل ١٩٣٦ كان ابنه الأمير فاروق فى لندن حيث يواصل دراسته ، وقد نودى به ملكا فى نفس اليوم ، ولما يتجاوز عامه السادس عشر فقد ولد فى ١١ فبراير ١٩٢٠ ولذلك كان لابد من انشاء مجلس للوصاية ، وقد خلف الملك فاروق ملكا لم يستطع قط أن يحوز محبة شعبه ومن ثم فانه سرعان ما أحرز شعبية حقيقية واسعة النطاق ، ليس مصدرها هذا الشباب وحده فقد كسب عطف كل المصريين بسبب شبابه الغض وبساطته الحقيقية ، ونزولا على نصيحة مربيه الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر ، راح يزور مساجد القاهرة مرة فى كل أسبوع ..

وتسلم الملك زمام سلطاته الدستورية محاطا بهتافات الشعب بأسره ثم بعد ذلك بشهر جاء اعلان خطبته لاحدى فتيات البورجوازية المصرية كى يعلى من مكانته..

كان الوفد يرقب – والهواجس تنتابه – تزايد حماسة الشعب للملك وعلى هذا فان ذلك لم يزده – أى الوفد – الا اصرارا على استغلال صغر سن الملك لوضعه تحت وصايته ، ولكن رغم محاولات الوفد جر الصراع الى مجال الدستور

كما كان يجرى زمن الملك فؤاد ، فان أحدا في مصر ، لم تنطل عليه الخدعة ، ومنذ ذلك التاريخ تضاعف الصراع القائم بين الوفد والسراى بسبب وجود ملك ينافس الوفد نفوذه مع فارق هام ، هو أن مصر كانت تتخذ جانب مليكها في هذه المرة ، وسرعان ما عادت تتجمع حول العرش ، أحزاب الأقلية التى لحقت بها الهزيمة فى انتخابات مايو ١٩٣٦ وعادت المعارك القديمة ، التى كان قد خنقها قيام الجبهة الوطنية لتتسع ولتبلغ المدى الذى وصلته فى الماضى ٠

ومن جديد عادت توجه للوفد نفس الاتهامات وتعيب عليه استبداده وتسلطه وتوجه اللوم علنا الى رئيس الحكومة الاستبدادية وحكمه المطلق وكشف الكثيرون عن طموحه الى الحكم الديكتاتورى كما أن تنظيم حركات الشباب الوفدى فى منظمة شبه عسكرية قد أكد حقيقة هذه الانتقادات ٠



ولم يستطع الوفد ـ فى مواجهة الأزمة التى كانت تتجمع ـ أن يحصل على تأييد الجامعة الأزهرية التى كان لشيخها نفوذ حقيقى على فكر الملك بل وعلى العكس ، من ذلك فقد استثارت الحكومة مشاعر الجامعة العريقة ثم جلبت على نفسها العداء المكشوف من جانب هذه الجامعة بسبب بعض المشروعات التى كانت الحكومة تعدها فما أن انتشر الهمس بأن الحكومة تستعد لأن تنقل الى المحاكم الوطنية اختصاص نظر قضايا الأحوال الشخصية التى كانت حتى ذلك الوقت تعرض على المحاكم الشرعية حتى وجه الشيخ المراغى تحذيرا مدويا الى رئيس الوزراء يناشده العدول عن توجيه لطمة جديدة الى الشريعة أكثر من سابقاتها ، وفى نفس الوقت فان موافقة وزير المعارف العمومية على السماح للطلاب غير المسلمين بعدم حضور دروس القرآن كانت سببا فى تقديم استجواب فى هذا الشأن الى البرلمان وأخيرا فقد قوبل انشاء منصب مفتى الديار استقبالا بالغ السوء فى الأوساط الأزهرية كما كان تعيين الشيخ محمد أبو زيد فى هذا المنصب ـ وهو الذى سبق له أن ألف تفسيرا للقرآن أدين منذ صدوره فى عام ١٩٣١ ـ موضوعا لانتقادات مرة ، وكانت هذه الاجراءات التى قوبلت بهجوم عنيف من جانب علماء الأزهر ، هى السبب الرئيسى لعدة اشتباكات ومشاجرات قامت بين طلاب الجامعة الأزهرية وطلاب الجامعة المصرية زاد من اشتعالها ذلك الصراع الخفى الذى ظل قائما بين القمصان الخضراء التى كان يقودها المحامى أحمد حسين والقمصان الزرقاء ، التابعة للوفد ، وكان أتباع أحمد حسين يتخذون موقف الدفاع عن الاسلام ازاء ما يتهدده من أخطار ، وينسبون الى الآخرين أفكارا ومشاعر الحادية جعلتهم يظهرون بمظهر الخطرين على البلاد ٠



وجرت بين هذين التنظيمين صدامات وحشية واستطاع خصوم الوفد بمهارة أن يستغلوا هذه الاضطرابات التى قسمت تلاميذ المدارس وطلاب

الجامعات الى جماعتين متنافرتين كما أن اسناد وزارتى المالية والخارجية الى مكرم عبيد باشا ، وواصف بطرس غالى باشا ، قد أعطى لهؤلاء الخصوم ، الفرصة للتنديد بالحكومة » الى أن يقول مارسيل كولومب : وكان الموقف الذى تبنته الحكومة منذ تولى الملك فاروق يفسر ـ باستمرار ـ على أنه دليـل جديد ، على سياستها الحقيقية ، وقد أبدى كل من الشيخ المراغى والأمير محمد على رئيس مجلس الوصاية رغبتهما فى اعطاء طابع دينى على حفلة التتويج ، لكن رئيس الحكومة اعترض على ذلك اذ رأى فى احتفال من هذا النوع بدعة خطيرة تتعارض وروح السنة ، وكان على الملك أن يكتفى بأداء القسم على احترام الدستور ثم يتجه حسب البرنامج الذى أعدته الحكومة فى اليوم التالى ـ وكان يوم جمعة ـ للوقوف على قبر والده فى مسجد الرفاعى حيث حضر صلاة الجمعة ، تلك كانت الحفلة الدينية الوحيدة ، التى صاحبت توليه العرش ، أما علماء الجامعة الأزهرية الذين كانوا يحلمون بأن يجعلوا من مصر مركزا للعـالم الاسلامى فقد امتلأت قلوبهم موجدة ٠٠٠



كان هذا الاحتكاك الأول هو بداية أزمة كان لابد لها أن تؤدى بعد ستة أشهر بالكاد ، الى عزل الوزارة ، ولم يكن الوفد مستعدا لمواجهة مثل هـذه الأزمة ٠٠٠ وهكذا كانت ستة أشهر من حكم الملك فاروق كافية لالحاق الهزيمة بخصم لم يستطع والده أحمد فؤاد طيلة حكمه ، أن يقهره » ٠

ويقول الأسـتاذ عبد الرحمن الرافعى فى ٢٠ أكتوبر ١٩٣٧ عين على ماهر باشا رئيسا للديوان الملكى وقد كان يشغل هذا المنصب سنة ١٩٣٥ فى عهد الملك فؤاد ، وظل يشغله الى أن تولى الوزارة سنة ١٩٣٦ ، وبقى شاغرا طيلة هذه المدة : جاء هذا التعيين على غير رغبة الوزارة ، وقد اعترضت عليه ، ثم أذعنت وسلمت بالأمر الواقع ومع أن هذا التعيين كان بمثابة قاعدة ارتكاز فى السراى لخصوم الوفد ونذيرا بقرب هبوب العاصفة فان وزارة النحـاس لم تعمل على اصلاح أخطائها ، فى الحكم ، واستمرت على سياستها فى المحسوبية الحزبية ، والعائلية ، واستفحل خطر القمصان الزرقاء وامتد تيار السخط الى صفوف الشباب وظهرت فى الجامعة « جامعة فؤاد الأول » حركة تذمر واستياء من تصرفات الوفد ، وخاصة بعد فصل النقراشى من الوزارة والوفد ، وانضمت جمعية مصر الفتاة التى يرأسها الأستاذ أحمد حسين وهى تمثل عنصرا نشيطا من الشباب المثقف الى هذه الحركة فاتسع نطاق المعارضة ٠٠ ويقول الأستاذ الرافعى : بدأت أمواج المظاهرات والتجمعات ضد وزارة الوفد تتدفق فى المحيط الجامعى وكليات الأزهر فى أواخر أكتوبر ١٩٣٧ ٠



كانت هذه المظاهرات نتيجة رد الفعل لسياسة الوفد فى اقحام الطلبة فى السياسة الحزبية فقد كان له بين صفوف الطلبة لجان وثيقة الاتصال به تروج لسياسته الحزبية ، وتمدها حكومة الوفد بالعون المادى والتأييد المعنوى ، ونشأ عن ذلك ان المتذمرين من سياسة الوفد من الطلبة تجمعوا هم أيضا ، ونظموا صفوفهم ووقفوا للفريق الأول موقف المناظرة ، والخصومة ، مما أدى الى اضعاف تكوينهم الوطنى والأخلاقى ، والعلمى ۰ وقد رأى مدير الجامعة حينئذ أحمد لطفى السيد تفاديا من تفاقم الاضطراب فى محيط الجامعة تعطيل الدراسة فى كلياتها أسبوعا من ٢٥ أكتوبر وأصدرت ادارة الجامعة قرارا بذلك ، ولكن الوزارة لم توافق على هذا القرار فاستقال أحمد لطفى السيد من منصبه ۰

وفى يوم الثلاثاء ٢١ ديسمبر سنة ١٩٣٧ قامت مظاهرة كبيرة أمام قصر عابدين قوامها جموع زاخرة من طلبة الجامعة وطلبة الأزهر المعارضين للوزارة وأخذوا يهتفون بحياة الملك هتافات مدوية وأطل عليهم الملك من شرفة القصر محييا لهم مما زاد فى حماستهم ، وهتافهم ۰



ويبدو ان هذه المظاهرة قد أعدت لتكون ردا على مظاهرة من انصارالوفد نادوا فيها « النحاس او الثورة » ووافقت لحظة قدوم المظاهرة المعارضة مجىء مكرم عبيد وزير المالية ووزير الخارجية بالنيابة الى السراى لحضور حفلة تقديم سفيرى اليونان ، والمجر اوراق اعتمادهما الى الملك ، فهتف المتظاهرون ضد مكرم عبيد عند دخوله السراى وحطموا زجاج سيارته وقد نسبت الوزارة تدبير هذه المظاهرة الى اتفاق بين السراى والمعارضين !!

وفى هذه الظروف والملابسات تفاقم الخلاف بين السراى والوزارة واتخذ شكل ازمة دستورية تناولت عدة امور معقدة ، وطلبت السراى ان يحل هذا الخلاف وأن تؤلف هيئة المحكمين من رئيس الوزارة ومن رؤساء الوزارات السابقين وبعض ذوى المراكز التشريعية والدينيـة ، فرفضت الوزارة هذا التحكيم ، وقد سعى السفير البريطانى « السير مايلز لامبسون » فى تسوية الأزمة ببقاء وزارة النحاس فى الحكم ، والتساهل بين الجانبين ولـكن السراى أصرت على موقفها » ۰۰

اما د ۰ يونان لبيب زرق فيشير ـ بالاضافة الى ماسبق ان نقلناه عنه ـ الى ماكانت تنشره الصحف المصرية فى ٢٠ ، ٢١ ديسمبر ١٩٣٧ بخصوص استعراض العضلات الشعبية الوفدية وتسيير المظاهرات فى الشوارع هاتفة : « النحاس أو الثورة » ثم يقول : كان واضحا أن الحزب الكبير قد خانه التقدير فى هذه المرة فهو عندما كان يستخدم هذا الاسلوب من خارج موقع السلطة ،

كان فى الامكان قبوله على أساس أنه يعبر أساسا عن شعبية جارفة أما استخدامه وهو فى السلطة فقد بدأ فيه الاختلاق او الصنعة ، لا سيما اذا لوحظ ان فرق القمصان الزرقاء هى التى كانت تقود المظاهرات ، الوفدية : من جانب آخر فان القصر كان قادرا بدوره على انتهاج نفس الأسلوب فسارت مظاهرات كبيرة مؤيدة للملك وكانت تتشكل على الأغلب من طلبة الأزهر ، واتجهت الى قصر عابدين ليخرج الملك لتحيتها أكثر من مرة ايحاء منه بالموافقة عليها ورغبته فى استمرارها » ٠



وفى وسط الأزمة خرج الدكتور أحمد ماهر رئيس مجلس النواب الوفدى ببيان يدين فيه الوزارة الوفدية يقول فيه : انها أفسدت الأمن ، والتعليم ، والعمال ، وخنقت الحريات ولم تضرب مثلا صالحا للحكم « البلاغ ١٩٣٧/١٢/٢٤ » ٠

وقد بذلت محاولة أخيرة للخروج من الأزمة عندما اقترح على ماهر ، رئيس الديوان الملكى تاليف لجنة تحكيم من رؤساء الوزارات ووزير الحقانية ورؤساء مجالس النواب والشيوخ ورؤساء محكمة النقض ورؤساء المستشارين الملكيين السابقين والموجودين وقتذاك ، ومع قبول الوزارة لفكرة التحكيم الا أنها رفضت تشكيل اللجنة على هذا النحو ورأت أن تقوم اللجنة البرلمانية التى يغلب عليها الوفدية بدور التحكيم وكان من الطبيعى أن يرفض القصر اقتراح الوزارة وواضح من ذلك أن الأزمة قد وصلت الى طريق مسدود ، وتقرر اقالة الوزارة ٠٠



وكان الشيخ المراغى ينصح الملك ، بأن يؤلف أحمد ماهر الوزارة تنفيذا لسياسة الاستيلاء على الوفد من الداخل ، وقد نظر الى الدكتور أحمد ماهر ، باعتباره الفارس الذى يمكنه الاعتماد عليه فى تنفيذ هذه السياسة ، خاصة انه والنقراشى ظلا يشكلان قوة من أهم قوى الحزب الكبير ٠ « ولكن لم تلبث أن تبددت المحاولة كما تبددت فى كل مرة من قبل ٠ ففى الاجتماع الذى انعقد أثناء المرحلة الأخيرة من مراحل الأزمة الوزارية التى أطاحت بوزارة النحاس وهو الاجتماع ، الذى ضم الهيئة الوفدية البرلمانية واتفق فى ٢٣ ديسمبر فى هذا تحدث النحاس بافاضة عن موقفه من الأزمة ، وقال : انه قد وافق على موضوع حل القمصان الزرقاء ، وعدل عن مسألة اليمين الدستورية لرجال الجيش أما تعيين عبد العزيز فهمى عضوا بمجلس الشيوخ فهو ما تمسك برفضه » وتبع ذلك أن شرح مكرم عبيد قرارات لجنة الوفد ، المركزية فى شأن الأزمة ثم أعطيت الكلمة

لأحمد ماهر ، فأبدى وجهـة نظره ووصى بالاعتدال والحـكمة ولم يؤيده من الحاضرين سوى ثلاثة أعضـاء ، أكثر من ذلك فقد واجهته جمـاعة من هؤلاء بمظاهرة عنيفة هتفت بسقوطه ، وبحياة النحاس •

لقد وصل الصراع بين القصر والوفد الى الذروة وتأهب القصر تماما ــ بعد أن اطمأن الى الجانب البريطانى ــ • ليوجه ضربة قاصمة الى الوفد المصرى ، والى حكومته !! واستغلت « البلاغ » وروز اليوسف هذا الصراع استغلالا جيدا فكان أن لهما دورا هاما فى اسقاط وزارة النحاس باشا •

الفصـــل الســادس

روز اليوسف والبلاغ تسقطان وزارة النحاس

لا جدال فى أن صحيفة البلاغ قد لعبت من الناحية الصحفية ، الدور الأول، والأكبر فى كشف الوزارة النحاسية وتعريتها أمام الجماهير ، بتلك الحملات الصحفية المركزة ، التى وجهتها ضد وزارة النحاس والذين عاشوا تلك الفترة يذكرون كيف أصبحت البلاغ قوة صحفية كبرى تتخاطفها الأيدى وتتأثر بها الجماهير فى نفس الوقت خاصة بعد اخراج النقراشى باشا من الوزارة الوفدية حيث اعتبرت البلاغ اخراج النقراشى باشا من الوزارة بمثابة تمهيد لفرض أوتقراطية مصطفى النحاس ، ومكرم عبيد وكان لمشاركة الأستاذ عباس محمود العقاد فى تحرير البلاغ الأثر الخطير فى اضعاف الحكومة الوفدية ٠



وكانت البلاغ على صلة وثيقــة بالقصر ، الذى كان يمـدها « بذكاء » « ومقدرة » بالوثائق والأخبار التى تحرج الحكومة الوفدية ، وتضعف من شأنها فى مواجهة الجماهير ٠

وصاحب البلاغ ، ومحرره ، هو الأستاذ عبد القادر حمزة وقد حصل على التصريح باصداره فى ١٦ ديسمبر ١٩٢٢ وأصدر العدد الأول منه فى ٢٨ يناير ١٩٢٣ تحت شعار كلمة سعد زغلول الخالدة : « يعجبنى الصدق فى القول والاخلاص فى العمل وأن تقوم المحبة بين الناس مقام القانون » وقد وقف البلاغ منذ البداية الى جانب محمود فهمى النقراشى وأحمد ماهر وقد نشر البلاغ بتاريخ ١٩٣٧/٣/٢٤ تصريحـا للدكتور أحمـد ماهر ، كان أول تصريحـاته المعادية للوزارة الوفدية وقد جاء فى البلاغ : اغتنم الدكتور أحمد ماهر رئيس مجلس النواب فرصة اجتماع الهيئة الوفدية البرلمانية فأدلى برأيه الصريح فى الوزارة

النحاسية وأساليبها فى الحكم منذ أن تولت أمره الى اليوم وفيما عقد له اجتماع الهيئة الوفدية من منع أى وفدى من تأليف الوزارة اذا ترك الوزراء ، الحاليون مناصب الحكم أو أقيلت الوزارة النحاسية منه ثم قال ان الظروف تغيرت بعد المعاهدة فلا سبيل لتحويل تأييد الأمة السابق للوفد فى سعيه للاستقلال الى ميدان جديد ، وأعلن أحمد ماهر أن الناس لم ينعموا فى عهد الدستور بما يجعلهم يهبون للدفاع عنه بوحى من ضمائرهم وان وزارة الوفد ، هى المسئولة عن ذلك لان الدستور عبارة عن حريات يجب أن تكون مكفولة وصرح بأن هذه الحريات لم تكفل فى عهد الوزارة الحاضرة وان الوزارة لم تضرب للناس مثلا للحكم الصالح ، ومن بين المقالات العنيفة التى عارضت بها صحيفة البلاغ حكومة الوفد مقال بتاريخ ٢٨ سبتمبر ١٩٣٦ بعنوان : « اضطهاد حرية الرأى ـ تصرف البوليس يراد به الارهاب » : لا يجوز أن تكون الحرية ، فى العهد الدستورى ، أصدق منها تحت الحماية والحكم العرفى وقد اختتمت البلاغ مقالتها بالكلمة التالية : لسنا وحدنا اذن نعيب هذا السلوك بل يعيبه معنا زملاؤنا الوفديون ، وهناك اذن ضرب من الاجماع على استنكار هذا الاضطهاد للحرية ، فهل يكون من الاسراف فى الأمل أن نقول اننا نرجو ، أن يترك الناس أحرارا فى حدود القانون وألا يصيبهم الازعاج والتضييق والمطاردة مثل ما أصابهم الآن ، وفى البلاغ الصادر فى ٦ أكتوبر ١٩٣٦ ، وتحت عنوان : المحسوبية ، ومساوئها : اساءة الى البلاد ، والى الحكومة نفسها : يجب أن تكون ثقة الناس بالعدل ، والحق رائد الحكام ‥ » ويجىء فى نهاية المقال : ان المحسوبية بلاء عظيم وآفة ما بعدها آفة لا تصاب الأمم بأفتك منها فاذا رآنا القراء نلح فى التحذير منها فليعذرونا فلسنا نعرف ما هو أوخم منها عاقبة » ‥



وفى يوم ٩ أكتوبر ١٩٣٦ كانت افتتاحية البلاغ تحمل العنوان التالى : محنة المحسوبية دفاع لا ينهض مع الأسف : حول الميزات التى يتمتع بها أقارب دولة رئيس الوزراء ، وأنسباؤه » ويحمل البلاغ حملة عنيفة على لابسى القمصان الزرقاء : يدعو ـ مثلا ـ فى ٢٠ نوفمبر ١٩٣٦ الى ضرورة اصدار تشريع بتحريم الاشتغال بالسياسة ، على لابسى هذه القمصان ٠ ويشير الى ما حدث فى انجلترا حينما قرر مجلس العموم البريطانى باجماع أعضائه تحريم ارتداء ، القمصان الملونة ، وبتحريم الاشتغال بالسياسة على لابسيها ، وذلك حماية لحرية الرأى، ومن أجل سلامة الأمن فى الداخل ويدعو البلاغ شباب مصر ، الى أن يبتعدوا عن شوائب ، الحزبية السياسية ، التى أن منها شيوخها ٠



وتكون افتتاحية صحيفة البلاغ فى أول ديسمبر ١٩٣٦ : لابس قميص أزرق يطعن بالخنجر أحد الأهالى فى شبرا : من هم المسئولون الحقيقيون عن

استمرار حوادث ، القمصان الملونة ، ويعود البلاغ فى اليوم التالى ٢ ديسمبر ١٩٣٦ الى الحديث عن : « مسئولية الحكومة عن حوادث ، ذوى القمصان الزرقاء ، وحرج مركز رجال الأمن بسبب رعاية الحكومة لهذه الفرق » .

وفى ٦ ديسمبر ١٩٣٦ يحذر البلاغ : التنظيم الجديد لذوى القمصان يؤدى الى الدكتاتورية ، ويهدم الدستور ، لانه ينشىء هيئة سياسية عسكرية تابعة لشخص رئيس الحكومة .



وأستطيع أن أقول بضمير المؤرخ والقاضى فى نفس الوقت ، انه لولا الحملات العنيفة التى قامت بها البلاغ ومعها روز اليوسف ، لما استطاعت السراى أن تتخلص بسرعة من حكومة الوفد بعد أشهر قليلة من تولى الملك فاروق سلطاته الدستورية :

صحيح أن القصر ، كان يستطيع اقالة الوزارة الوفدية ، أو غير الوفدية ، عندما يريد ولكنه ما كان يستطيع اقالة وزارة الأغلبية ، البرلمانية والشعبية بمثل تلك الدرجة من البساطة ، والسهولة ، وعدم التخوف من حدوث ردود فعل قوية لتلك الاقالة لولا ، تلك الحملات القوية ، والعنيفة ، والمركزة التى وجهت ضد الوزارة الوفدية .

لقد كانت السراى حقيقة ذكية للغاية وهى تمهد ، لتلك الحملات ، وكذلك كانت أكثر ذكاء ، عندما اختارت الوقت المناسب لتلك الحملات ، ثم كانت فى قمة الذكاء عندما حاولت الابتعاد عن مثيرى تلك الحملات .

وقد ساعدها على النجاح فى مهمتها الخاصة باضعاف الحكومة الوفدية ان جماهير وفيرة من القاعدة ، الشعبية الوفدية ، كانت قد خرجت على الوفد ، كما أن جماهير أخرى وفيرة ، قد خشيت مغبة وقوع الوفد أسيرا . للدكتاتورية ، التى كان بعض قادة الوفد ، يدفعون رئيس الوفد اليها ، هذه الجماهير الكارهة للدكتاتورية ، والكارهة لتعالى الحكومة الحزبية ، الوفدية ضاقت ذرعا بأخطاء الحكومة الوفدية ، التى كانت تتكاثر ، يوما بعد يوم ، بل ساعة اثر ساعة ، كما أن جماهير أخرى من اللاحزبيين ، والمعتدلين قد أصيبت بخيبة أمل فى الوزارة ، الوفدية ، التى كادت تحول الحكومة الى حكومة نحاسية لحما ودما وهذه الجماهير اللاحزبية ، والمعتدلة فى نفس الوقت ، قد خرجت عن عدم حزبيتها وعن اعتدالها وراحت تبدى رأيها فى ضرورة التخلص من الوزارة الوفدية .



وللحقيقة والتاريخ ، نقول أن الصحافة المعارضة للوفد وللوزارة الوفدية ، ولم تكن وقتئذ ، تملك مالا ، وفيرا ، أو غير وفير قد قادت الرأى العام فى تلك الفترة وانى لأذكر وقد كنت وقتئذ ، صبيا ، غير مدرك ، كيف كانت الجماهير تتسابق من أجل الحصول على البلاغ فى المساء ، فقد كانت البلاغ مسائية بل انى لاذكر كيف كان كثير من معارفى وأصدقائى من الشباب يتسابقون ، ليحفظوا عن ظهر قلب ، كثيرا من العبارات ، التى كانت ترد فى مقالات عباس محمود العقاد ، وكانت مقالاته ، الهامة تحتل الصفحة الأولى كلها ، من جريدة ، البلاغ ، بل لقد كانت بعض مقالات . العقاد تحتل الصفحة الأولى كلها ، وأجزاء كثيرة من الصفحات الأخرى .



وكان العقاد ــ اذا لم تخنى الذاكرة ــ لا يقسو ، ولا يشتد فى مقالاته الى أعلى درجات القسوة والشدة ، الا عندما يهاجم مكرم عبيد باشا أو مصطفى النحاس باشا .

وقد كان الأستاذ عبد القادر حمزة صاحب ، البلاغ ، ورئيس تحريره فى كثير من الأوقات ، من الذكاء ، بدرجة كبيرة اذ كان يختار الحملات التى تقوم بها البلاغ من ذلك النوع ، الذى يثير الجماهير ، بل لقد كان بذكائه ، المفرط ، لا يختار موضوعات لحملات البلاغ ، الا تلك الموضوعات التى قد سبق للجماهير أن أبدت ضيقها ، وضجرها منها ، فموضوع الحملات الخاصة بالقمصان الزرقاء ، وكانت حملات البلاغ على القمصان الزرقاء أكثر حملاته نجاحا ، لم يحدث أن ركز عبد القادر حمزة والبلاغ معه عليها الا بعد أن « انفلت العيار » أو بمعنى عسكرى انفلت الضبط والربط عند كثيرين ممن انضموا لفرق القمصان الزرقاء .

وحتى لا أحمل المسئولين عن فرق القمصان الزرقاء كل تبعة مسئوليات ما وقع من القمصان الزرقاء من مآسى أو جرائم ، أقول ان كثيرين كانوا يرتدون القمصان الزرقاء وكانوا يستغلون عملية ارتدائهم ، لتلك القمصان لتحقيق أغراضهم الشخصية وغالبا ما كانت تلك الأغراض ، أغراضا تخريبية ، أو لصوصية فى الوقت الذى لم يعرف عنهم ، ولا عن جرائمهم ، قادة فرق القمصان الزرقاء شيئا .



اقول أن صحيفة البلاغ رأت أن الشعب قد ابتدأ يضيق ذرعا بتلك الأخطاء ، بل والجرائم ، التى وقع فيها لابسو القمصان الزرقاء ولا أقول الفرق المنضمة لمنظمات القمصان الزرقاء ، كما ابتدأ الشعب يضيق ذرعا بتلك

التجاوزات السياسية التى قامت بها بعض لابسى القمصان الزرقاء ومعاركهم العنيفة مع خصومهم من لابسى ، القمصان الخضراء ، بصفة خاصة وخصومهم الحزبيين ، بصفة عامة فبدأت البلاغ تركز على ضرورة حل فرق القمصان الزرقاء كما راحت تركز على كل ما يرتكب منسوبا الى لابسى القمصان الزرقاء ، من مآس ، أو جرائم ، أو تجاوزات .



ولقد سبق لى أن أشرت الى بعض ما جاء فى جريدة البلاغ عن القمصان الزرقاء فى ٦ ديسمبر ١٩٣٦ تحت عنوان : التنظيم الجديد لذوى القمصان يؤدى الى الدكتاتورية ويهدم الدستور لانه ينشىء هيئة سياسية . عسكريه تابعة لشخص رئيس الوزراء بوصف أنه زعيم الأمة » وقد جاء فى ذلك المقال : بعد طول التردد أصدر الوفد بيانا ينظم فرق الشباب الوفديين من ذوى القمصان الزرقاء ، وفى هذا البيان يعلن صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا رئيس الوفد المصرى أن هذه الفرق تابعة لدولته وأن الغرض منها تكوين روح رياضية ونظامية وأن لها مجلسا تنفيذيا يدير شئونها ، وينوب فى ذلك عن صاحب الدولة النحاس باشا . والبيان يحظر حمل العصى ، أو الأسلحة أو الظهور بالقميص الأزرق فى غير الأوقات التى يحددها المجلس الأعلى .



وأول ما يلاحظ على هذا البيان أننا كنا ننتظر قانونا ينظم الفرق الرياضية التى نشأت أو تنشأ ويجردها من كل صبغة عسكرية أو شبيهة بالعسكرية ، وينأى بها عن الأحزاب أو الجماعات السياسية ، أو رجال السياسة ويحصر نشاطها على الرياضة فى الحدود النافعة المعقولة فلم يصدر القانون والمفهوم اذن انه لن يصدر بعد ذلك اكتفاء بهذا البيان ، والبيان صادر من رئيس الوفد المصرى ، وقد نص فيه صراحة على أن فرق الشباب الوفدى تابعة لزعيم الأمة حضرة صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا رئيس الوفد المصرى ، وبه صار الأمر أخطر مما كان ، اذ لا شك الآن أن هذه الفرق سياسية ، أو أداة لهيئة سياسية بصفة رسمية ، ويمكن أن نفهم وأن يفهم كل انسان بسهولة أنها أكثر من أداة سياسية لهيئة سياسية ، ويعنى ذلك أنها أداة لفكرة دكتاتورية فردية يراد العمل على اقامتها فلأول مرة فى بيانات الوفد يوصف صاحب الدولة ، أو ما يسمى هو نفسه على الأصح ، زعيم الأمة ، ولأول مرة يعلن ــ الى الأمة ، أن هذه الفرق تابعة لدولته لا للوفد ولا سواه و .. و .. وتنهى صحيفة البلاغ هذا المقال بالعبارة التالية : من حقنا ، ومن حق كل نائب وكل غيور على النظام الدستورى ، أن نسأل صاحب الدولة النحاس باشا كيف يمكن التوفيق بين النظام الدستورى الذى يقوم على حرية الرأى ، وكفالة هذه الحرية اذا كان دولته صاحب جيش من لابسى القمصان الزرق وكان هؤلاء تابعين لدولتــه

شخصيا ، ومدربين على الطاعة والنظام وعلى عدم المعارضة فى أمر من الأمور التى نعرض عليهم أو توكل اليهم واذ وجد لدولته غدا معارضة لسياسته من داخل البرلمان ، أو خارجه وهو يعرف أن له هذا الجيش الطويل العريض فماذا يمنع أن يغريه ذلك باستخدامه ، أو التهديد بخنق هذه المعارضة وحتى من غير تهديد يكفى هذا الجيش المطيع لدولته لخنق الآراء المخالفة له وهذه هى الدكتاتورية بعينها . ولا يمكن ان ينهض حكم دستورى صحيح مع وجود هذه الفرق ، وتنظيمها على هذا النحو وتبعيتها لشخص زعيم الأمة كما يوصف فى البيان .



وفى اليوم التالى ١٩٣٦/١٢/٧ ــ وفى الصفحة الأولى ــ كما هى العادة بالنسبة لحملات البلاغ على الوفد المصرى ــ نشرت البلاغ مقالا تحت عنوان : فرق القمصان سبيل الدكتاتورية : نشوءها فى أوروبا طبيعى مع المعارضة ، ولكن دولة النحاس باشا فى الحكم ومعه البرلمان والأمة فماذا يبغى من وراء هذه الفرق » ، وقد جاء فى هذا المقال : لينظر دولة النحاس باشا معنا وليقل لنا فى أى أمة دستورية حدث ، ان زعيم أغلبية كانت له ، فرق منظمة مدربة على الطاعة ، والنظام ولها مجلس تنفيذى يصدر اليها الأوامر فتفعل ما تؤمر به بلا تردد أو معارضة ؟ ان كان هذا قد حدث فى أية أمة دستورية كانجلترا أو فرنسا فليبق هذه الفرق وليهنأ بها دولته ، ولكن نحن المخطئين والسبب بسيط وهو أن وجود هذه الفرق معطل لعمل البرلمانات ، وقاض على حرية الرأى وخانق ، لكل معارضة فوجودها ووجود الدستور لا يتفقان ، فاما هى واما الدستور : انما تنشأ هذه الفرق من حيث يراد ان تقوم الدكتاتوريات على أكتافها فهى فى ايطاليا قد نشأت وأثمرت ، كما كان لابد أن تفعل دكتاتورية السنيور موسولينى ونشأت فى ألمانيا وأدت فى النهاية الى دكتاتورية هتلر » .



بل أن البلاغ ينشر فى ١٩٣٦/١٢/١٢ مقالا تحت عنوان : القمصان الزرق عقبة فى سبيل الغاء الامتيازات : هكذا تقول جريدة المانشستر جارديان وقولها صحيح» ، «وتشير البلاغ الى تساؤل المانشستر جارديان ــ كبرى صحف الأحرار فى انجلترا ــ فى مقال رئيسى كتبته أمس عن لابسى القمصان الزرق ما مركزهم ؟ وهل هم من الطلبة وحدهم ، أو يجوز لأى شخص يميل الى المغامرة أن ينضم اليهم فى مقابل بضعة شلنات ؟ وهل هم خاضعون للبوليس أى للنحاس باشا بصفته وزيرا للداخلية ، أو هم مسئولون أمام الوفد وحده أو بعبارة أخرى أمام النحاس باشا بصفته رئيسا للوفد ؟ ورجحت فى مقالها أن تجد الحكومة المصرية مفاوضاتها مع الدول ذات الامتياز فى مصر ، ستكون صعبة من جراء هذه الفرق »

وتقول البلاغ : الذى نخشاه الجارديان له محله لأن المسئوليه فيها ضائعة والأمر فيها غير جلى ومعقول حين يعقد مؤتمر الامتيازات ويدور البحث فيما يجب فعله أن تطلب الدول الاطمئنان على رعاياها وأن ترى فى وجود هذه الفرق الكبيرة المنظمة خطرا على الأمن والنظام ، وأن تتخذ بعد ذلك حجة للتمسك بما فى يديها من امتيازات ، والاحجام عن النزول عنها لأن الأمر ليس أمر خطب وفصاحة وذلاقة وانما المسألة مسألة شيء واقع مخوف العواقب ..



وقد كان عبد القادر حمزة باشا - صاحب البلاغ فى مقدمة من عارضوا المعاهدة المصرية ، البريطانية التى وقعت فى ٢٦ أغسطس ١٩٣٦ والتى أطلق عليها مكرم عبيد باشا معاهدة الشرف والاستقلال ، ولم يكن عبد القادر باشا معارضا للمعاهدة من ناحية المبدأ ، لانه كان أصلا من مدرسة الوفد المصرى التى كانت تؤمن بضرورة تحديد العلاقات المصرية البريطانية فى معاهدة ، ولكنه كان يعارض المعاهدة فى نقطتين كان يراهما جوهريتين للغاية أولاهما : المسألة العسكرية - فى المعاهدة ، ومسألة السودان . وكان عبد القادر حمزة باشا يرى أن عملية انشاء الثكنات البريطانية الخاصة بالجيش البريطانى فى مصر ، باهظة التكاليف الى درجة كبيرة فضلا عما فى اقامتها على الأراضى المصرية من جرح للكرامة المصرية ، ومن أشهر المقالات التى نشرها البلاغ حول هاتين النقطتين مقالة بعنوان : فى الجيش المصرى ، ومهمة البعثة العسكرية البريطانية : تحرير مصر من القيود التى كانت على الجيش ، وأول مكسب يجب تحقيقه وبسرعة « العدد رقم ٤٢٨٥ الصادر فى ١٩٣٦/١٢/١ » ومقالة أخرى عن السودان نشرت بالعدد رقم ٤٢٩٠ الصادر فى ١٩٣٦/٩/٧ م وكان عنوانها : المعاهدة المصرية ووقعها عند اخواننا السودانيين ، وكيف كانوا يرجون الوحدة ، فجاءت المعاهدة بغير ذلك .



وللحقيقة وللتاريخ نقول ان معارضة البلاغ لما جاء فى معاهدة ١٩٣٦ عن المسائل العسكرية ، وعن السودان ، كانت معارضة بناءة للغاية ولم تكن تستهدف اضعاف الجانب المصرى ، حتى بعد التوقيع على المعاهدة ، وعند بداية تنفيذها وانما كانت المعارضة تستهدف تقوية مركز الجانب المصرى ، ودعمه ، ليستطيع الحصول على حقوق أكثر من تلك التى حصل عليها ، كما أن هذه المعارضة لم تلجأ أبدا الى الاسفاف أو التجريح أو النيل من وطنية المفاوض المصرى .

وكان البلاغ يعمد الى نشر الأخبار التى تؤيد وجهة نظره الخاصة بمعارضة المعاهدة ، والتى تؤكد أنه كان على حق ، عندما عارض - وبشدة - هاتين النقطتين الخطيرتين كما أن البلاغ لم يكن يغفل أبدا ، نشر الايجابيات التى تحققت عند

تنفيذ المعاهدة ، وان كان يفتح صدره لنشر كل الأحاديث ، والخطب والمقالات ، التى تصدر عن السياسيين المعارضين للمعاهدة ، ويوليها أهمية خاصة ٠



ومن المقالات التى نشرها البلاغ فى صدره كافتتاحية ، يوم توقيع المعاهدة. المقالة التى حملت العنوان التالى ـ المعاهدة وحرية الرأى ـ ابراز جانب الرضا ، واخفاء جانب المعارضة ، سياسة ليست فى مصلحة مصر ، ولا فى مصلحة العلاقات المصرية البريطانية ٠

وقد جاء فى تلك المقالة أن الانجليز أنفسهم يفطنون الى خطورة التقليل من أهمية الجانب المعارض للمعاهدة ، كما أنهم ـ أى الانجليز ـ يتوجسون خيفة من عواقب اخفاء هذا الجانب كما نتوجس : لهذا ـ هذا ما قالته البلاغ ـ نرجو أن يكون ما حدث الى الآن من المساعى ، لابراز جانب الرضى ، واخفاء جانب المعارضة، آخر ما يحدث من هذا القبيل أولا لأنه عبث ، وخاصة اذا كانت الآراء مما يتعذر خنقه ، وقمعه ٠ وثانيا لأنه ليس من مصلحة أنصار المعاهدة أنفسهم ٠ وثالثا لانه ليس من مصلحة العلاقات بين مصر ، وبريطانيا . وهى علاقات ينبغى أن تكون قائمة على الصداقة الصريحة لا على صداقة رسمية ٠



وبعد يومين ـ فى ٢٨ أغسطس ١٩٣٦ تكون افتتاحية البلاغ : اضطهاد حرية الرأى : تصرف البوليس يراد به الارهاب : لا يجوز أن تكون الحرية فى العهد الدستورى أضيق منها تحت الحماية والحكم العرفى « ويشير البلاغ الى واقعتين قام بهما البوليس ، عندما اعتقل بضعة من الشبان كانوا يوزعون منشورات تحمل العنوان التالى : مصر الفتاة والمعاهدة ، والى مصادرة كتاب لرئيس جمعية مصر الفتاة ، ويرد البلاغ على قول الوزراء الوفديين بأنهم لا يعلمون بأمر هاتين الواقعتين بقوله : ان الدستور ، لا يعرف مسئولا ، غير الوزارة ، وليس من كرامة الوزارة أن تحيل المسئولية على مرءوسين فرارا من احتمال التبعة فان هناك تبعة تلزم الحكومة ولا شك ولا مهرب لها عنها ٠



ويقول البلاغ أيضا فى نهاية مقاله هذا : لسنا وحدنا الذين نعيب هذا السلوك ، بل تعيبه معنا زميلاتنا الوفدية وهناك اذن ضرب من الاجماع على استنكار هذا الاضطهاد للحرية فهل يكون من الاسراف فى الأمل أن نقول اننا

نرجو أن يترك الناس أحرارا فى حدود القانون وألا يصيبهم من الازعاج ، والتضييق والمطاردة مثلما أصابهم الى الآن ٠

وكان البلاغ يشير الى مقالة نشرها الأستاذ حافظ بك عوض ، رئيس تحرير كوكب الشرق ، وصاحبها يعلن فيها استياءه من القبض على بعض الشبان ، وقد تساءل فى مقالته بحق : فيم كان القبض وفيم كان اطلاق سراح المقبوض عليهم !!



والجدير بالذكر ـ وهذا ما تفخر به الصحافة المصرية ـ أنه بعد أن وافق البرلمان على المعاهدة ، وأصبحت المعاهدة نافذة المفعول توقفت معارضة البلاغ ، فيما يتعلق بالمعاهدة ، كمعاهدة ، وذلك لا من قبيل الاعتراف بالأمر الواقع ، ولكن نزولا عند رأى الشعب ، الذى وافق ممثلوه ، بما يشبه الاجماع على المعاهدة ٠



ومن المقالات التى يجب أن نذكرها للبلاغ ، ونشيد بها فى نفس الوقت ، تلك التى نشرها فى ٢٨ نوفمبر ١٩٣٦ تحت عنوان : واجباتنا بعد المعاهدة : تقوية الجيش ، وتعجيل الجلاء ، والمضى فى أعمال الاصلاح ، وقد جاء فى ذلك المقال : ان المعاهدة توجب أشياء ، وتبيح أشياء ، وبعض هذا أهم ، وأولى بالتقديم من البعض الآخر فمن الأهم بناء الثكنات وانشاء الطرق ليتسنى أن ينتقل الجيش البريطانى الى معسكراته الجديدة خارج العاصمة ، واعادة تنظيم الجيش المصرى وتقويته وتسليحه بالأدوات الحديثة ، لتكون لنا ـ فى وقت معقول ـ قوة كافية للدفاع عن البلاد ، ضد كل عدوان عليها ، وليتيسر أن ترحل القوات البريطانية من بلادنا اكتفاء بما عندنا ، من وسائل الدفاع ، وليس ثمة أى وجه ، أو عذر للتهاون فى ذلك أو الاحتجاج للتقصير فيه بأى سبب من الأسباب ، لكثرة النفقات وقلة الموارد ، وشحها ، فان أمة تقصر فى اعداد العدة للذود عن كيانها ، لا يمكن أن تكون أهلا ، للاستقلال الذى تسعى له ، وتلح فى طلبه مهما كلفتها هذه العدة من مال وجهد ٠ ولا تعد ـ اذا تهاونت ـ الا عابثة هازلة ٠ ونحن نربأ بأنفسنا أن نكون هازلين ٠

وينهى البلاغ مقاله هذا بالعبارة التالية : كل ما نريد أن نقوله ، ان الامتحان الذى نجتاز دوره الآن يشهده عالم كبير وأن علينا أن نجتازه بما يحقق الأمل فينا ، ويولد الثقة بنا ، ويغرى بالتعويل علينا ، ويصد عن الطمع فينا ، ولا سبيل الى ذلك بغير الجد ، والاخلاص وتقديم الأهم ، على المهم ، أو السار ، أو الخلاب المظهر ، وتعهد المرافق الحيوية بالاصلاح ، والترقية ورفع مستوى الأمة ماليا وصحيا وعلميا ٠

ان البلاغ الذى حمل أثناء المفاوضات لعقد المعاهدة على التكاليف الباهظة ، التى سيتحملها الشعب بقيامه ببناء ثكنات الجيش البريطانى على نفقته ، لم يتردد عندها أصبحت المعاهدة نافذة المفعول وبعد أن أقرها ممثلو الشعب ، فى المطالبة بتعجيل بناء الثكنات : بناء الثكنات التى كان يعارضها ٠

وذلك فى رأيى أسلوب من أرفع أساليب المعارضة الموضوعية البناءة ، وفى نفس الوقت نزول عند حكم الشعب فيما ارتآه من التوقيع على المعاهدة ٠

واذا كان البلاغ قد اشتد فى حملته على القمصان الزرقاء ، وتتبع ــ بالنشر ــ كل ما نسب الى بعض المنتسبين اليها من أخطاء ، وجرائم ، على النحو الذى فصلناه فيما سبق ، فان البــلاغ لم يـكن يتردد أبدا فى نشر كل التصــحيحات والتصويبات ، والبيانات التى ترسلها اليه قيادة القمصان الزرقاء ، فليس معنى معارضة موضوع معين أن يقفل باب النشر أمام الجهة التى تعارضها ؛ بل على العكس ، كان ــ البلاغ ــ وقد كان الحق معه ــ يرى أن من حق قارئه عليه أن يعرف الرأى الآخر معرفته للرأى الذى تنادى به البلاغ ، أى أن البلاغ كان يرى ــ وكان الحق معه فيما يراه أيضا ــ أن من حق أية جهة تناولتها ، المعارضة بالنقد أن ترد على كل ما وجه اليها ، وأن يحظى الرد بأهمية لا تقل أبدا عن الأهمية التى أعطاها البلاغ لرأى القائمين على أمره ٠



ففى الوقت الذى كان البلاغ ينشر فيه : مشاجرة خطيرة بين فريقين من ذوى القمصان الزرق ، اصــابة ٧ أشخــاص أحدهم ، أصيب بضربة خنجر ، وشروع فى قتل زميله لابس قميص أزرق ، الجانى يذهب الى المجنى عليه فى داره ويطعنه بالخنجر ٠ حوادث دمنهور الدامية بين القمصان الزرقاء ، والقمصان الخضراء ، ومشاجرات القمصان الزرقاء ، كان البلاغ ينشر مقالات عن القمصان الزرق من بينها مقال بعنوان : عنوان مجد مصر « ٤ نوفمبر ١٩٣٦ » تولى كاتبه الدفاع عن لابسى القمصان الزرقاء ، أمام حملات الصحف الأجنبية على القميص الأزرق بدون مبرر ٠ وقد جاء فى هذا المقال : هذه الدعايات التى تقوم بهـا الصحف الأجنبية تسىء الى مصر ، والمصريين ، والى القميص الأزرق بوجه خاص ، ولا ندرى على أى وجه تقوم تلك الحملات المتتابعة : أيريدون تقويض هذه الفرق الوطنية ؟ أيريدون فناءها ؟ كما تنشر فى ٥ ديسمبر ١٩٣٦ بيانا مستفيضا للأستاذ زهير صبرى صاحب فكرة القمصان الزرقاء ، كما يقول البيان ، ويشير الأستاذ زهير صبرى فى بيانه هذا الذى نشره البلاغ فى مكان بارز الى أنه لا يرأس أى فريق من الفريقين المتنازعين ، والمختلفين ، وكل ما هنالك أننى رئيس رابطة الشبان الوفديين ٠ وهذه تشكيلات يعود تاريخها الى عام ١٩٣٢ وأما فكرة تكوين فرق ذوى القمصان الزرقاء فقد دعوت لجان الشبان الوفديين الى مؤتمر وأشرت عليهم بالانخراط فى صفوفها و ٠٠ و ٠٠

ويقول الأستاذ زهير صبرى أيضا انى من الذين يرون الابقاء على هذه الفرق ، مع اصلاح شأنها ، ونظامها لتكون فرقا رياضية بحتة ، ويدعو الأستاذ زهير صبرى فريقى القمصان الزرقاء ، اللذين ينتميان الى الوفد أن يتركوا التنابز والشقاق حتى لا يفسدوا الغرض من تكوينهم ٠٠ كما ينشر البلاغ أيضا تكذيبا صادرا من الاديب أحمد أفندى الشافعى سكرتير القيادة العامه لفرق ذوى القمصان الزرقاء ، ينفى وجود علاقة بين صبحى رمضان ، المتهم فى حادث الاعتداء على محمد محمد النشار ، فى شبرا بفرق القمصان الزرقاء ، كما ينشر البلاغ أيضا بيانا للأديب على عبد الحليم أفندى السكرتير السابق بالمعسكر العام لمركز القيادة لفرق القمصان الزرقاء يرد فيه على بيان أحمد الشافعى ، كما ينشر البلاغ أيضا بيانا للأديب محمد بلال أفندى ردا على بيانى على عبد الحليم ، ومصطفى صقر ، بل أنه ينشر ردا من على عبد الحليم ومصطفى صقر ، على بيان محمد بلال و ٠٠ و ٠٠ و ٠



والذى لاحظته من قراءاتى الجديدة للبلاغ ، أنه لم يكن يعارض النحاس باشا عندما يكون فى الخارج فى مهمة قومية ، بل لقد كان يحرص على أن يولى أخباره — فى الخارج — أهمية خاصة ، وكان يحرص ، على نشر أخبار استقباله فى مصر اثر عودته ، من الخارج ، كما أنه كان يولى أيضا أهمية لأخبار من يعارض البلاغ بل وصورهم أيضا ، أى أنه لم يكن يقاطع أخبار معارضيه حرصا منه على أن يكون وفيا لقرائه ، فلا يحجب عنهم أى خبر ومن رأيى أن هذا الأسلوب الرائع فى المعارضة كان فى مقدمة الأسباب التى أدت الى نجاح البلاغ كجريدة يومية يقرؤها المعارضون ، والمؤيدون بل المؤيدون قبل المعارضين ٠

وللحقيقة ، وللتاريخ ، أقول أن الصحفيين المؤيدين ، والمعارضين وقتئذ ، كانوا قمما فى المعارضة والتأييد : يتبادلون فى الصباح وفى المساء ، ومن خلال الصحف ، الحملات ، العنيفة والقاسية ، بل والجارحة فى بعض الأحيان ولكن الخلاف أو الاختلاف فى الرأى ، لا يفسد ما بينهم ، وبين بعضهم من ود ، اذ كانت العلاقات بين الصحفيين المؤيدين والمعارضين ، على المستوى الشخصى ، كانت فى الغالب قوية ، بل انهم غالبا ما كانوا يجتمعون ليلا ، ناسين أو متناسين الحملات ، التى يقومون بها ، ضد بعضهم ذلك لانهم يؤمنون بأن ما بينهم وبين بعضهم على المستوى الشخصى ينبغى أن تقوى أواصره ، وان اختلفت آراؤهم ، واتجاهاتهم السياسية ، والحزبية ، ان الخلاف أو الاختلاف فى الرأى — من وجهة نظرهم — لم يكن أبدا أكثر من أمور طارئة ينبغى ألا تؤثر فى علاقاتهم ، الشخصية كما أن هذا الخلاف أو الاختلاف فى الرأى لا ينبغى أن يتحول الى معارك عنيفة تنتقل آثارها الى علاقات الاخوة ، والزمالة ، التى تربط بعضهم بعضا ٠

وأعود الى الحديث عن البلاغ لأقول انه كان يولى أهمية خاصـة بالدكتور أحمد ماهر ، وبالنقراشي حتى قبل أن يبدو أى ضوء ينبىء عن توقع حـدوث خلاف بينهما ، وبين النحاس باشا : أكانت تلك الأهمية الخاصة نتيجة روابط شخصية تربط صاحب البلاغ بالنقراشي ، وأحمد ماهر ؟ أم كانت تلك الأهمية نتيجة لما اتصف به صاحب البلاغ من بعد نظر فى كل ما يتعلق بمسار السياسة، المصرية ، واتجـاهاتها ؟ سـؤالان لم أسـتطع أن أقطع فى الاجابة عنهما برأى حاسـم !

على أية حال ، فان موقف البلاغ من وزارتى النحاس ، الثالثة والرابعة كان كما سبق أن ذكرت فى مقدمة الأسباب التى أدت الى تعجيل القصر باقالة الوزارة الوفدية كما كان فى مقدمة الأسباب التى مهدت الجو الشعبى لتقبل تلك الاقالة ، أو على الأقل ، لعدم حدوث مضاعفات شعبية بعد الالتجاء الى الاقالة ، وهناك اجماع على أن البلاغ استطاع أن يدق مسمارا هاما ، وخطيرا فى نعش الوزارة النحاسية الرابعة ٠



والحديث عن دور روز اليوسف ، فى اضعاف الوزارة النحاسية الرابعة ، يحتاج الى أكثر من فصل ذلك أن العلاقات ، بين الوفد ، وروز اليوسف لم تكن دائما علاقات طيبة فى أكثر المراحل ، التى أيدت فيها روز اليوسف ، الوفد ، فما أكثر الحملات التى قادتها روز اليوسف ، ضد خصوم الوفد ، وفى نفس الوقت ما أكثر الحملات التى قادتها روز اليوسف ، ضد الوفد ، وليس المجال هنا مجال تاريخ علاقة روز اليوسف بالوفد ، تأييدا أو معارضة ، ويكفى أن أشير ـ مجرد اشارة ـ الى تلك العلاقات من واقع ذكريات الأستاذة فاطمـة اليوسف ، وقد بدأت مجلة روز اليوسف فنية ، ثم تحولت بعـد مائة وأربعة وثلاثين عددا الى مجلة سياسية ٠ عندما أقال الملك أحمد فؤاد وزارة مصطفى النحاس ، وعهد بالحكم الى محمد محمود باشا اذ نشرت المجلة صورة كاريكاتيرية تمثل محمد محمود يدوس على الدستور وهو صاعد الى مقعد الوزارة ، وقد صودر العدد وكانت المصادرة ـ كما قالت السيدة فاطمة اليوسف ـ قد بدت لى غريبة بل مثيرة للأعصاب الى أقصى حد ، وذهبت فاطمة اليوسف ، الى النحاس باشا زعيم الأمة فى بيت الأمة بغير موعد سابق ولا استعداد ، لتروى له قصة مصادرة المجلة بعد أن قدمت له نسخة كانت تحملها من العدد المصادر وكان النحاس باشا ، ومكرم عبيد جالسين معا ، وحولهما بقية أعضاء الوفد الكبار ، وقال مكرم عبيد للسيدة فاطمة اليوسف : لك الفخار يا سيدتى : وقد سارت هذه الكلمة ، كما قالت السيدة فاطمة اليوسف ـ بعد ذلك مثلا ـ واستدعى مصطفى النحاس بعض المحامين الشبان منهم محمد صلاح الدين ، وصبرى أبو علم ، وسليمان غنام ٠ وكلفهم برفع دعوى مستعجلة بطلب الافراج فلما رفضت الدعوى عـاد

المحامون فطالبوا بالتعويض وحكمت المحكمة على الحكومة بمائتي جنيه كتعويض: قرش صاغ واحد ، عن كل عدد من ال ٢٠٠٠٠ نسخة المصادرة !

وتوثقت الصلة بين النحاس وفاطمة اليوسف حتى أنه عندما أعلنت خطبة النحاس ، الى الآنسة زينب الوكيل نشرت روز اليوسف بعض تفاصيل شخصية عن حياة النحاس ، وأنواع الأطعمة التي يفضلها ، وحبه الخاص للبن الزبادي و ٠٠ و ٠٠ فاذا بالنحاس يحدث السيدة فاطمة اليوسف تليفونيا ، غاضبا ليقول لها : « ياست هو أنا زى أمينة البارودي ، وسهير رياض عشان تنشروا عنى الأخبار دى » يريد بذلك أنه ليس من زهرات المجتمع البارزات حتى تروى عنه هذه القصص ٠



وتبقى روز اليوسف ما يزيد على السنوات السبع معارضة ، مؤيدة للوفد وقد زار النحاس باشا ، ومعه مكرم عبيد ، دار روز اليوسف ، وخطب مكرم خطبة رنانة في عمال مطابع روز اليوسف ٠ وكانت تلك الزيارة تكريما لروز اليوسف على كفاحها الوطني حيث كانت السلطات لا تكف عن مصادرتها وتزج برؤساء تحريرها في السجون ، في عدد غير قليل من القضايا ٠

بعد أن ألف نسيم باشا وزارته كتبت السيدة فاطمة اليوسف خطابا مفتوحا الى الملك فؤاد تطالبه فيه باعادة الدستور ، وانهاء الحالة الشاذة القائمة واستدعاها مكرم عبيد ليسألها عمن طلب منها كتابة هذا الخطاب ٠ ودارت بينهما مناقشة طويلة قالت فيها السيدة فاطمة اليوسف ، انها تعبر عن رأيها الخاص وبعد فترة رأت السيدة فاطمة اليوسف أن تصدر روز اليوسف أسبوعية، ويومية ، وتروى السيدة فاطمة اليوسف أنها عندما عرضت على الأستاذ عباس محمود العقاد ، الانضمام الى أسرة روز اليوسف اليومية رفض في البداية العرض، لانه لا يقبل أن يعمل في جرنال يحمل « اسم » واحدة ست ثم عاد الأستاذ العقاد موضحا وجهة نظره ، عندما عاتبته السيدة فاطمة اليوسف فقال ان اعتراضه كان على تسمية الجريدة باسم شخص أيا كان ولو كانت الجريدة تحمل اسم سعد زغلول نفسه ، لأبدى تلك الملاحظة ٠



ولم يعجب النحاس باشا معارضة جريدة روز اليوسف الأسبوعية لوزارة توفيق نسيم واستدعى السيدة فاطمة اليوسف ليبدى لها اعتراضه على معارضة وزارة نسيم قائلا لها : أنا ماحبش تناقشيني في السياسة ، انتي يعني عايزه محمد محمود وصدقي يرجعوا : احنا تعبنا ، وتقول السيدة فاطمة اليوسف : وخرجت قبل أن يتم حديثه ، وكلمته « احنا تعبنا » ، التي أسمعها منه لأول مرة

ترن فى أذنى ، وقد شعرت أن هناك شيئا يباعد ، بينى وبين الوفد وان بقيت المجلة وفدية ٠



وصدرت جريدة روز اليوسف اليومية ٢٥ مارس ١٩٣٥ ، وبدأت المتاعب مع الوفد الذى تؤيده الجريدة ، وكان سبب تلك المتاعب ، أن الوفد يؤيد وزارة توفيق نسيم باشا ، بينما تعارضها روز اليوسف ، وكان العقاد ، قد سن قلمه الحاد لمهاجمة نسيم باشا بكل عنف ، وأبدى مكرم عبيد باشا أن الوفد غير راض عن سياسة روز اليوسف ، وهدد الجريدة بأنه سوف يصدر بيانا ضدها اذا استمرت الجريدة فى الهجوم على وزارة توفيق نسيم ٠ وكتبت فاطمة اليوسف خطابا الى مكرم عبيد توضح فيه سياسة الجريدة وقالت فى خطابها : لقد ضحيت مختارة بكل ما أملك من مال ونشاط فى سبيل الوفد ، وقد لاقيت فى هـذا السبيل ، كافة أنواع العسف ، والجور من مختلف الوزارات التى تقلبت فى الحكم ، ولم أكن يوما فى جهادى عن مصر ، وفى دفاعى عن الوفد ، مدفوعة بدافع غير الوطنية الصميمة ، ولم أتخذ من هذا الجهاد وسيلة لأكل العيش ، والله والوطن فيهما العزاء ، فيما لاقيت وما سألقى ٠

ورد مكرم عبيد على رسالة السيدة فاطمة اليوسف فى ١٢ أغسطس ١٩٣٥ ، قائلا : انه عرض رسالتها على دولة الرئيس الجليل فأكد له أن الوفد غير راض عن خطة الجريدة ثم قال : « انك لتعلمين ان الوفد لا يحجر على حرية انسان ما ، أو صحيفة ما ، ولكن اذا رأت احدى الصحف المنتمية للوفد ، أن تنتهج خطة تغاير خطة الوفد فعليها أن تتحمل نتائج ما تنتهج » ٠

وأوعز مكرم عبيد ، الى صحيفة « الجهاد » بأن تهدد ـ بطريق غير واضح ـ « روز اليوسف » بنشر قوائم المصروفات السرية ، التى كانت تعطيها الوزارات السابقة للصحفيين » ٠

وردت روز اليوسف ، ملحة على الوزارة القائمة بأن تنشر قوائم المصروفات السرية ، ثم تحدت الوزارة ، فى أكثر من مرة مطالبة بنشر تلك القوائم ، ولكن الوزارة النسيمية لم تقبل الدخول فى معركة تحد ضد روز اليوسف ٠

وبعد ، الغمز ، واللمز ، راحت الجهاد تهاجم روز اليوسف ، مطلقة على أسرة تحريرها اسم « فرقة روز اليوسف » ، وتولت روز اليوسف الرد على هجوم صحيفة الجهاد الوفدية بعنف شديد ، وتوسطت السيدة الجليلة أم المصريين من أجل وقف حملة الجهاد ، على روز اليوسف ، وحملة روز اليوسف على الجهاد ٠



وتوقفت روز اليوسف ، ولكن الجهاد لم يتوقف بل لقد زاد فى هجومه على روز اليوسف وعلى الاستاذ العقاد ، الى أبعد مدى حتى لقد وصف الاستاذ

محمد توفيق دياب ، صاحب الجهاد ورئيس تحريره الاستاذ عباس محمود العقاد بأنه مصاب بالبارانويا والجنون .

وخرجت الجهاد ، وروز اليوسف على غير المألوف فى الجو الصحفى من ضرورة وقف الحملات ، عند حد معقول أو مقبول ! ..

وأخيرا وبعد اجتماع للوفد المصرى استغرق أربع ساعات ونصف الساعة اشتدت فيه المناقشات قرر الوفد فصل روز اليوسف لانها قد اجترأت على نشر مقالات تتضمن الطعن على الوفد ومكانته من الامة ولذلك فان هده الجريدة ، لاتمثل الوفد فى شىء ولا صلة ليا به » .

وكان قرار الفصل فى ٢٨ سبتمبر ١٩٣٥ .

ولم تخف روز اليوسف ولم ترتجف من قرار الفصل هذا ، بل على العكس أصدرت ملحقا خاصا ، يحمل عنوانا ساخرا جاء فيه : الوفد المصرى يحل القضية المصرية : جلسة خطيرة يحضر لها من الاسكندرية .

وفى العدد الخاص نشرت روز اليوسف آية كريمة ـ اختارها الاستاذ كامل الشناوى وهى « قول الله تعالى » : قد افترينا على الله كذبا أن عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها ، الا أن يشاء الله ، ربنا ، وسع ربنا كل شىء علما » ـ صدق الله العظيم ـ ونشرت روز اليوسف كلمة سعد زغلول الخالدة : الصحافة حرة تقول فى حدود القانون ، ما تشاء ، وتنتقد ما تريد ، وليس من الرأى أن نسألها لماذا تنتقدنا بل الواجب ، أن نسأل أنفسنا ، لم نفعل ما تنتقدنا عليه ؟ .





وكان أعضاء الوفد المصرى قد قدموا من الاسكندرية الى القاهرة خصيصا لاتخاذ قرار بفصل روز اليوسف ولما عادوا الى الاسكندرية انقلب المودعون للنحاس باشا وزملائه فى محطة القاهرة الى مهاجمين لروز اليوسف ومنادين بحياة النحاس .

وتحيط الجماهير بدار روز اليوسف وتخرج اليهم صاحبتها لتهتف بسقوط النحاس ، ومكرم .

وعنفت المعركة بين الوفد وروز اليوسف ووجدت روز اليوسف الجماهير الشعبية العريضة تقف الى جانبها ضد الوفد .

ولجأت وزارة توفيق نسيم فى محاربة روز اليوسف الى كثير من الوسائل ، غير المشروعة ومن بينها دفع مبالغ ضخمة لمتعهدى الصحف ليتلاعبوا فى توزيع الجريدة .

وقامت ثورة الشباب فى نوفمبر ١٩٣٥ ، وتبنت روز اليوسف هذه الثورة وراحت تبذل قصارى جهدها للابقاء على جذوتها مشتعلة ، وعاد دستور ١٩٢٣ وتولى على ماهر الوزارة ٠ وكانت خسائر روز اليوسف اليومية ــ كما تقول السيدة فاطمة اليوسف فى مذكراتها ــ قد وصلت الى مبلغ ٢٦ ألف جنيه غير ستة آلاف جنيه لتجار الورق ، وألفين لبنك مصر ، و ٠٠ وقامت فاطمة اليوسف برهن مصوغاتها ، ومن بينها سوار ورثته عن أمها و ٠٠ وكانت حجوزات كثيرة ، تعرضت لها صاحبة روز اليوسف من بينها حجز على ملابسها الداخلية كما أصر صاحب الحجز وكان صحفيا مرموقا ، بكل أسف ٠٠



وجاءت وزارة النحاس ، وبلغ الاضطهاد الوفدى القمة ، وصدر قرار من مجلس الوزراء بالغاء رخصة روز اليوسف اليومية ، لانها لا تصدر بانتظام ، واذا كانت الجريدة اليومية قد عطلت فان الجريدة الاسبوعية ، قد انطلقت رغم أن الحكومة الوفدية قد راحت تحاربها بل وتحرض من كان ضامنا لها على سحب ضمانه ، وتعرضت روز اليوسف الاسبوعية لمحنة اذ كان لابد من أن تدفع السيدة فاطمة اليوسف مبلغ الضمان ١٥٠ جنيها والا أغلقت ايضا ، ولكن فاطمة اليوسف بذلت المستحيل ، وقاومت ودفعت الضمان بعد أن أقرضها أحد المعلنين مبلغ مائة جنيه وبعد أن أرسل اليها مصطفى القشاشى صاحب الصباح كمية من الورق ، باعتها بخمسين جنيها ، بل أكثر من ذلك سيقت السيدة فاطمة اليوسف الى السجن ، سجن النساء ، وفى الصباح زارها كثيرون من بينهم ابنها احسان عبد القدوس ، وكان وقتئذ تلميذا فى مدرسة فؤاد الأول الثانوية ٠

واضطرت الحكومة ، أن تفرج عن فاطمة اليوسف فلقد كان اعتقال سيدة صحفية ، ووضعها فى السجن ، شيئا جديدا على الصحافة الشرقية ٠٠



وللحقية وللتاريخ نقول أن روز اليوسف « المجلة » و « السيدة » ، لم تلن لهما قناة رغم كل صنوف التعذيب والاضطهاد ، ومازلت أذكر تعليقا رائعا كتبته روز اليوسف على ما نالها من ضغط كان عنوانه : أقوياء كما كنا ، راسخون كما بدأنا » وقد جاء فى هذا التعليق : تألبى علينا أيتها الوزارة ، واحشدى قواتك ورجالك وافعلى أكثر مما فعلت ، وضاعفى عسفك ، وغضبك وانزلى بنا مقتك ، وسخطك وابتكرى أساليب من الظلم ، والاضطهاد ، وصادرى وعطلى ، وهيئى ، الحبال و « احضرى » أساور الحديد تضعينها فى أعناقنا ، وأيدينا ، افعلى ذلك وأضعاف ذلك فان هذا البلاء ، كله لن يوازى راحة الضمير التى

ننعم فيها ولن نفضل على بلاء النفوس : نفوس الذين باعوا ضمائرهم وأقلامهم لك ولاساليبك الباطشة أما انتم يا قراءنا الأوفياء هاكم روز اليوسف الاسبوعية قوية كما كانت ، راسخة كما بدأت ، مجاهدة ، كما عهدتموها ، لم ولن يؤثر فيها قرع الطبول ولا دق السيوف ولا دوى المدافع ، ولا رنين الذهب ٠



وعندما قطعت الحكومة عن روز اليوسف حق نشر الاعلانات القضائية ونقول حق نشر الاعلانات القضائية ، لان نشر الاعلانات القضائية ، حق ثابت لكل صحيفة لها قراؤها ، كتبت روز اليوسف معلقة على ذلك القرار العجيب والظالم فى نفس الوقت تقول :

فى هذا العهد الدستورى يعود مدير المطبوعات يساوم الضمائر ، ليبيع فيها ويشترى باسم الحكومة ، ويبذل للصحافة « نصائحه الثمينة » ويلوح أمامها بنقود الخزانة التى هى من أموال الشعب ، لينفقها على هذه ، ويغرى تلك من الصحف ٠ نحن لانهادن الباطل ، من أجل كنوز الأرض كلها ، وليساوم من يشاء ، ان يساومه ، وقد عشنا أغلب حياتنا الصحفية محرومين ـ باختيارنا ـ من صداقة الحكومات المتتابعة وما يلحق بهذه الصداقة من اعلانات وأموال سرية ، وعلنية ، وخدمات مشروعة وغير مشروعة فلنضف الحكومة الحاضرة الى قائمة الحكومات السابقة ٠



وتعبر روز اليوسف عن دستور عملها قائلة : اذا كانت الحكومة على حق ٠ صفقنا لها ، لأنها على حق لا لأنها تعطى نقودا واذا كانت على باطل هدمناها ولو تشفعت لنا بالخمسة والثلاثين مليونا التى هى مجموع ايراداتها » ٠

وتبالغ حكومة الوفد ـ حكومة الأغلبية الشعبية ٠ والبرلمانية ـ فى ايذاء روز اليوسف فتقطع عنها امتياز تليفونها المجانى ، الممنوح لكل الصحف ، حتى تلك التى لا تصدر الا حسب التساهيل وتحرمها من حقها فى صرف تذاكر السكة الحديد ، نصف المجانية التى كانت حقا مباحا لكل صحفى ، أى صحفى ٠

وقد كانت الحكومة تضطهد روز اليوسف ، ولكن كثيرين لم يكونوا يعبأون بهذا الاضطهاد بل كانوا يمدون يدهم لمساعدة روز اليوسف غير خائفين من « غول الحكومة » وفى مقدمة هؤلاء طلعت حرب الذى لم يكتف بتأجيل سداد ديون بنك مصر ، على روز اليوسف وانما أقرضها مبلغا كبيرا من المال ، أعانها على سداد المطلوب منها ، يوم تخلى عنها ـ كما قالت فى رسالة خاصة بعثت بها الى طلعت حرب ـ كل انسان فى محنتها التى نزلت بها لانها جهرت

بعقيدتها ، ولانني جعلت من صحيفتي ميدانا لأصحاب الاقلام الحرة » بل ان روز اليوسف ، لتعرض على طلعت حرب الضمان لسداد ديونها ، أن تتفق مع شركة مصر ، للتمثيل السينمائي على اخراج شريط سينمائي تمثل فيه مع شدة مشاغلها ، ومتاعبها ، ونقول فاطمة اليوسف انها قد اتفقت مع أحمد سالم مدير شركة مصر للتمثيل والسينما على أن كل الشروط التى يضعها خاصا بالشريط السينمائي ـ الفيلم ـ الذى سوف تمثله وفاء لديونها على بنك مصر ويوافق عليها طلعت حرب باشا سوف نقبلها بلا نظرة واستعادة أو قراءة ، أى بدون قيد أو شرط من قبلها ٠٠ وتنهى فاطمة اليوسف رسالتها الى طلعت حرب باشا قائلة : ليس يعنى هذا بحال من الأحوال أننى أتوقف عن وضعها فى أعظم رجل فى مصر » ٠

أو يوافق عليها طلعت حرب باشا سوف تقبلها بلا نظرة أو استعادة أو قراءة ، أى بدون قيد أو شرط من قبلها ٠٠ وتنهى فاطمة اليوسف رسالتها الى طلعت حرب باشا قائلة ق ليس يعنى هذا بحال من الاحوال اننى اتوقف عن سداد الأقساط ، حتى يتم ذلك بل انى لابذل المستحيل لاستمرار الوفاء وشد ماالقاه من التعب اذ أحاول ذلك ولا أفعل هذا كله الا لكيلا أضيع عبثا ثقة وضعها فى أعظم رجل فى مصر ٠



واذا كان لى من تعليق على تلك الازمة المالية الطاحنة التى تعرضت لها روز اليوسف الصحفية ، بسبب موقفها من الوفد المصرى كحزب ، وموقف الوفد المصرى منها كصحفية كانت تؤيده ، ثم اختلفت معه ، فانني أقول أن من العيوب التى نأخذها ، على الوفد المصرى ، أنه كان يستخدم السلاح المادي ـ وهو أكثر أنواع الاسلحة رهبة ـ للضغط على خصومة السياسيين وبخاصة أولئك الذين كانوا معه ، ثم خرجوا عليه ، أو أخرجوا من حظيرته ٠

ومازلت حتى هذه الساعة ، اذكر مواقف متشابهة لسعد زغلول باشا رئيس الوفد المصرى من حليفه سنوات وسنوات ، وخصمه السياسى فيها بعد أمين الرافعى ، أحد اقطاب الوطنية المصرية وشهيد الصحافة المصرية ، والعربية ، بلا جدال ٠٠



وامين الرافعى من أصدق واوفى تلاميذ مصطفى كامل ومحمد فريد ، نشأ فى حجر الحزب الوطنى منذ أن كان طالبا فى مدرسة الحقوق الخديوية ٠ ثم أصبح من ابرز كتاب الحزب الوطنى ، ورئيسا لتحرير جريدة الشعب ـ

بعد الاختلاف الذى نشب بين صفوف ورثة مصطفى كامل حول ملكية اللواء ـ وعندما قامت الحرب العالمية الأولى وأعلنت قوات الاحتلال الحماية على مصر فى ٢ نوفمبر ١٩١٤ وكان لابد من ان تنشر الصحف المصرية ، الخاضعة لرقابة الاحتلال البريطانى البيان الخاص باعلان الحماية البريطانية على مصر ، وبعد مداولة قصيرة بين أمين الرافعى ، وشقيقه عبد الرحمن الرافعى ، وعبد الله طلعت بك مدير الجريدة تم الاتفاق على اغلاق جريدة الشعب حتى لا تنشر الجريدة اعلان الحماية المشئوم ، والبلاغات التى تتبع الحماية البريطانية ، ووقع أمين قرار اغلاق الجريدة ، فى وقت بلغت فيه ذروة النجاح والانشار ، والرواج ، والمكانة الصحفية اذ كانت أوسع الجرائد انتشارا وكان الجمهور يتلقفها كل صباح وأعلنت الجريدة ـ جريدة الشعب ـ فى ٢٧ نوفمبر ١٩١٤ انها ستحتجب من اليوم ، وانها ستعود الى الظهور بمشيئة الله ، وكان قرار أمين الرافعى باغلاق جريدة الشعب كما أجمع المؤرخون اول احتجاج مصرى على الحماية البريطانية .



ويعتقل أمين الرافعى ، وشقيقه عبد الرحمن الرافعى فى طرة ، ثم يفرج عنهما ويطلب السلطان حسين من أمين الرافعى عند لقائه به ، وشقيقه غداة الافراج عنهما أن يصدر جريدة الشعب فيقول أمين الرافعى : عندما يقرر الحزب الوطنى اصدار الجريدة سوف نصدرها ..

وفى ٢٢ فبراير ١٩٢٠ ـ فى عنفوان اشتداد ثورة ١٩١٩ ـ يصدر أمين الرافعى جريدة الأخبار عن طريق شركة الصحافة الوطنية ـ توصية بالأسهم ، رأسمالها عشرة آلاف جنيه ، وكان يرأس الشركة فؤاد سلطان بك ، نجل عمر باشا سلطان أحد أصدقاء مصطفى كامل الحميمين ، وأحد كبار أنصاره ، وكان فؤاد سلطان وقتئذ وكيلا لبنك مصر ، وكان سعد زغلول باشا وقتئذ فى باريس فأبرق مهنئا أمين الرافعى بصدور الأخبار داعيا له بالتوفيق ، والنجاح راجيا أن تؤثر الصحيفة فى الجمهور أثرا محمودا وأن يقضى بها على الأضاليل التى يبثها المهووسون فى العقول والأوهام التى يوسوسون بها فى الصدور وأن تكون خيرا للغاية الشريفة التى نسعى اليها » ويطلب سعد زغلول من عبد الرحمن فهمى بك أحد أقطاب اللجنة المركزية للوفد وقتئذ العمل على أن تكون جريدة الأخبار أول من يقود الرأى العام لانها معتبرة جريدة الوفد المعبرة ، عن أفكاره وخططه وقلم محررها الفاضل ـ أمين الرافعى بك ـ أقدر الأقلام على التعبير عن هذه المقاصد ، فعليك ـ هكذا يخاطب سعد ـ عبد الرحمن فهمى ـ أن تهز همة أمين الرافعى ، وأن تبلغه بأننا ننتظر من وطنيته وحسن تقديره لمنفعة

القضية أن تخصص كل يوم ، مقالة فى هذا الموضوع ، حملة صحفية لتأييد المطالب الوطنية المصرية ـ وليس ذلك على كفاءته بكثير » ٠



ويكتب سعد الى عبد الرحمن فهمى فى ٧ مايو ١٩٢٠ قائلا : قرأت فى جريدة الأخبار حملة يدافع فيها حضرة أمين بك الرافعى ، بقلمه البليغ عن الوفد وأعضائه ، ويخطىء الخارجين عليه ، والناقدين لخطته فارتحت لنفاذها لأنها الأولى من نوعها وأرجو أن يستمر حضرة الكاتب المومأ اليه ـ هكذا فى أصل الخطاب ـ فيما ابتدأه لأنه لا يكفى أن يسكت عن هذا الموضوع ويترك القلم فيه لغيره ممن لا يعرفون الحقيقة مثله ولا يحكمون الدفاع مثل احكامه ، وينبغى ألا يتركوا الرأى العام يطيش مع الطائشين أو يخمد مع الفاترين وأن تسلكوا الوسط بين السبيلين والله ولى التوفيق ٠

ويرسل سعد الى أمين الرافعى برقية ينشرها فى الأخبار يقول فيها : الرافعى بك مدير الأخبار بالقاهرة ان مقالاتكم عن خطة الوفد تستوجب موافقتى وهى جديرة ، بكل أنواع المديح فأشكركم ، سعد زغلول ٠

وتتحدث صحيفة كوكب الشرق « الوفدية » عن صحيفة الأخبار فتقول : كان أمين بك الرافعى أول من بايع الأخبار لسان حال الوفد الشبيه بالرسمى وبلغت مقطوعية « توزيع » الأخبار اليومية أعظم عدد استطاعت أن تخرجه المطابع وتوزعه صحيفة فى مصر وكان مراسلو الصحف الانجليزية فى مصر يتسابقون الى ادارة جريدة الأخبار علهم يظفرون بخبر ، أو تعليق أو رأى من الزعيم الصحفى « أمين الرافعى » فى ذلك الحين يبرقونه الى صحفهم ٠٠



ويخوض أمين الرافعى ، أعنف المعارك دفاعا عن سعد زغلول عندما اختلف معه أكثرية أعضاء الوفد المصرى وعندما يعتقل سعد زغلول للمرة الثانية ، وينفى ٠٠ يقود أمين الرافعى أعنف الحملات مطالبا بالافراج عنه ، و ٠٠ و ٠٠ و ٠٠

ثم يختلف أمين مع سعد ، اختلافا موضوعيا بحتا ٠ كان سعد زغلول لا يرى الدخول فى مفاوضة رسمية مع بريطانيا دون النظر الى مطالب الشعب التى أبداها فى صورة تحفظات على مشروع ملنر ، ثم رأى العدول عن رأيه

فى هذا وعارضه أمين الرافعى ، وأصر على ضرورة تعديل أساس المفاوضات قبل الدخول فيها ويطلب أمين الرافعى من سعد زغلول الا يقبل اية مفاوضة مع بريطـانيا الا اذا اعترفت مسبقا بالحقوق الرئيسية لشعب مصر بما فيـه حريته واستقلاله ·

ويحاول سـعد زغلول اقناع أمين الرافعى بالعدول عن معارضته لخطة الوفد ولكن امينـا لم يقبل فتكون القطيعة وبكل أسف لا يقف الخلاف عند الحد الطبيعى فى مثل خلافات الرأى ويجند الوفد المصرى مظاهرات ضد أمين الرافعى ، لعل القوة تقنعه اذا لم يقنع بالنقاش ! ولكن أمينا كصاحب رأى وعقيدة لا تقنعه القوة ·



ويحاول وسطاء الخير اقناع أمين بالعدول عن رأيه فلا يقتنع أيضا كما يحاول هؤلاء الوسطاء اقناع سعد زغلول بعدم الالتجاء الى القوة لدفع أمين الرافعى الى السكوت فلا يقبل سعد ، ويشتد الصراع بين الوفد وأمين الرافعى ويقول سعد زغلول مخاطبا الجماهير ذات مرة : لا تقرأوا جريدة الأخبار فأنا أقرؤها نيابة عنكم » · ويهبط توزيع الأخبار من أعلى رقم فى الصحافة المصرية وقتئذ الى أدنى رقم خاصة وكان المتعهد الوحيد لتوزيع الصحف متأثرا ، الى أبعد حدود التأثر بالوفد المصرى اما لانه يخشى جماهيره العريضة واما لانه يريد أن يكسبه الى جـانبه كقوة سياسية ، ولذلك فقد كان يعمد الى حجز جريدة الأخبار فى المخازن والى عدم عرضها فى السوق ، الأمر الذى عرض الأخبار لأزمة مالية عنيفة قضت أو أوشكت أن تقضى عليها ويسمع سعد زغلول عن بعض تلك الأزمة المالية ، التى تعرض لها أمين الرافعى والأخبار فيعرض مساعدته على أمين الرافعى ويرفض أمين الرافعى مساعدة سعد زغلول قائلا فى رسالة مؤرخة فى سبتمبر ١٩٢٣ : وقع لى أحسن وأعظم وقع ما علمته من استعداد معاليكم لاقراضى مبلغا كبيرا من المال أعالج به الأزمة التى تجتاز الأخبار الآن على أن أرده عندما تتحسن حالة الجريدة وانى لعاجز عن أداء واجب الشكر لكم حيال النفسية الكبيرة التى دفعتكم الى ذلك وأرجو أن يكون اعترافى بالقصور خير معبر عما تكنه نفسى نحوكم ، ونحو عملكم النبيل ولكن وأنا واقف على حالة الأخبار الآن أرى أن هذه الحالة لا تحتمل علاجا فقد دخل المريض دور النزع الأخير وحرام اقراضى مالا ليس هناك أمل فى رده ، فليقف مجهودى الضعيف عند السهر ، على هذا المريض حتى يسلم نفسه الأخير اذا قضت بذلك مشيئة الله ··



والقصة طويلة ، قصـــة صراع الوفد المصرى كحزب مع جريدة الأخبار ومعارضته ، واصراره على أن تكون بالقوة منبرا فان عجزت القوة فليكن الاقراض

طريقا لوضع الأخبار تحت سيطرة الوفد . وآمل أن أكمل قصة الوفد مع الأخبار ، وخاصة عندما أصبح الوفد فى الحكم يمنع ، ويمنح ، وعندما راح أمين الرافعى يعارض حكومة سعد زغلول منذ أن ألقى رئيسها سعد زغلول خطاب العرش بدون اشارة الى استقلال مصر وتوالت هجمات الوفديين على الأخبار محاولة تدمير مبناها الذى كان يقيم بالدور الأعلى منه أمين الرافعى وأسرته ٠٠ !!

لقد كان الوفد المصرى ، سواء أكان يرأسه سعد زغلول أم مصطفى النحاس مخطئا الى أبعد حدود الخطأ عندما كان يستخدم سلاح الارهاب ضد الصحافة ، وخاصة تلك الصحف التى كانت تقف الى جانبه ثم اختلفت معه ، أو اختلف هو معها !



وأعود الى الحديث عن روز اليوسف بعد الاشارة الى موضوع أمين الرافعى وخلافه واختلافه مع الوفد ، وكانت الاشارة ضرورة وواجبة : أعود الى تكرار ما سبق أن ذكرته ، وهو أن الحديث عن روز اليوسف الصحفية والصحيفة يحتاج الى أكثر من فصل فدور روز اليوسف فى التاريخ المصرى كصحيفةرأى ودور روز اليوسف - فاطمة اليوسف - فى التاريخ الصحفى كصحفية جريئة شجاعة لا تتردد فى خوض أعنف المعارك دفاعا عن رأيها ، هذا الدور - دور الصحيفة والصحفية - بلا جدال من الأدوار الخالدة فى حياتنا الصحفية ٠



وللعلم ، صدر العدد الأول من روز اليوسف فى يوم الاثنين ٢٦ أكتوبر ١٩٢٥ ، مجلة أسبوعية أدبية مصورة ، فى ست عشرة صفحة بقرش صاغ واحد وقالت السيدة روز اليوسف فى افتتاحية هذا العدد : عجبوا اذ سميت صحيفتى باسمى وقالوا : نزعة الى الشهرة ، أية شهرة ؟ الطبل العزاف أذنى منه فى صمم ، ولم العجب ؟ أليست صحيفتى قطعة من نفسى !! لماذا لا يكون اسمى عنوان صحيفتى ؟ وتأمل السيدة روز اليوسف فى أن توفق لتكون قوة مهذبة وأن تدخل اسم المسرح الى كل أذن وأن تبعث اسمه فى كل دار وبذلك أكون أديت واجبا ، وذا حسبى ٠٠

والطريف أن الأستاذ عبد القادر المازنى قد هاجم فى أول عدد لمجلة روز اليوسف فكرة اشتغال الممثلة القديرة روز اليوسف بعمل ليس لها فيه مجال ، ويتساءل المازنى أيها خير للفن أن تبقى روز ممثلة أو أن تصدر مجلة أو تنقلب كاتبة ؟ ٠ وأوجز فأقول انى لست ممن يعتقدون أن الممثل البارع

يمكن أن يكون فى كل حال كاتبا بارعا أو أن ما يوفق اليه المرء فى باب من الأبواب يمكن أن يدفق الى مثله فى أى باب آخر يخطر له أن يطرقه ؟ ويتساءل المازنى : اذن لماذا تعالج السيدة روز اليوسف فنا ، غير الذى خلقت له ، وهيأت لها فطرتها أسباب النجاح فيه ؟ لا أدرى فلعلها نزوة ، وعسى أن تكون قد جاشت نفسها باحساسات قوية غامضة كما يحدث لنا جميعا ، فاندفعت تبغى الافضاء بها والكشف عنها والترفيه عن نفسها عن طريق ذلك ، أو لعلها ملت أن تظل عمرها تحيا على المسرح غير حياتها وتلبس ما يخالف عواطفها وخوالجها وآراءها ويجرى على لسانها بما يوضع عليه فاشتاقت من أجل ذلك أن تخلع كل هذه الثياب المستعارة وأن تبدو لنا كما هى على الحقيقة لا على المجاز ؟ .



ويقول الأستاذ المازنى : وأحسب أن من قلة الذوق أن تكون كلمتى اليها فى أول عدد من مجلتها ولكن عذرى انى أشد اعجابا بفنها وأعظم ضنا بمواهبها من أن تطاوعنى نفسى على تشجيعها على هجر المسرح ، والانصراف الى الكتابة وفى مرجونا ألا تعدم وسيلة للتوفيق بين رغبتها هذه وبين حق الفن عليها : هناك اذن على المسرح مجالك يا سيدتى فارجعى اليه ، واذا أبيت الا المجلة فلتكن سلوى « لاشغالنا » وقد فاتنى أن أسأل أستاذنا الكبير عبد القادر المازنى بعد أن نجحت مجلة روز اليوسف ذلك النجاح الكبير عما اذا كان قد بقى مصرا على رأيه فى أن تبقى روز اليوسف ممثلة مسرحية ؟

وعلى أية حال فقد تولت السيدة روز اليوسف في نفس العدد الأول الرد على المازنى وكان من بين ما قالته : أعتقد أن كل عمل مجيد يكون في أوله نزوة طارئة، ثم يستحيل الى فكرة فاذا رسخت أصبحت يقينا مجنونا » وتمر روز اليوسف المجلة ـ بأزمة مالية ـ تهددها بعدم الاستمرار فى الصدور ويلعب المسرح دورا هاما فى انقاذ تلك الصحيفة اذ تنال روزاليوسف ، الممثلة جائزة الدولة فى احدى مباريات التمثيل ، وتكون قيمة الجائزة ثمانين جنيها مصريا كانت كافية كما تقول السيدة روز اليوسف لاقالة المجلة من عثرتها واصدارها فى ثوب قشيب . ثم أخذت روز اليوسف ، الصحيفة والصحفية تتجه الى السياسة بالتدريج ، وكان سبيلها الى ذلك الاتجاه تأييد الدستور ، والذود عنه أمام الهجمات الضارية ، التى كان يقوم بها القصر ودار المندوب السامى البريطانى ومع دخول روزاليوسف مجال السياسة لم تفقد هويتها كمجلة فنية رائدة وابتداء من العدد الصادر فى ٢٤ مارس ١٩٢٦ صدرت روزاليوسف صحيفة اسبوعية أدبية سياسية مصورة ومع بداية عامها الثالث تطورت المجلة من صحيفة فنية الى صحيفة سياسية تؤيد الوفد ورئيسه الجديد مصطفى النحاس

وأصبح الأستاذ محمد التابعى محررا لمعظم أبواب المجلة ولاسيما الجانب السياسى منها رغم أنه كان ـ وقتئذ ـ موظفا بالبرلمان ٠



ويقول الدكتور ابراهيم عبده فى كتابه عن روزاليوسف أن روزاليوسف بدأت فى أواخر سـنة ١٩٢٧ تنشر مقالات تحت عنوان : ملوك أوروبا تحت ستار الظلام » وقد عرضت هذه المقالات لحياة الملوك الشخصية فى صراحة ما بعدها من صراحة وكان آخر تلك المقالات مقالا بعنوان : الخديو اسماعيل ، والملكة فيكتوريا معلومات لذيذة لم يسبق نشرها وذلك فى العدد رقم ١١٠ بتاريخ ١٥ ديسمبر ١٩٢٧ ٠ ورأى الملك فؤاد فيها مساسا شديدا بسيرة والده اسماعيل وكان الملك فؤاد مؤمنا بهذه السيرة ايمانا منقطع النظير فطلب الى سلطات الدولة أن تأخذ روز اليوسف بشدة وعنف وأن توقع بها عقابا رادعا وتقسو على المحرر المسئول عن هذا المقال ٠



وسيق ابراهيم خليل الذى كان يتولى المسئولية الادارية للمجلة ، كما يتحمل مسئوليتها فى غياب صاحبتها فى أوروبا ، سيق الى السجن وتحت ضغط الظروف اعترف بأن الاستاذ محمد التابعى هو كاتب المقال فقبض عليه ولم يفرج عنهما الا بكفالة كبيرة كأنهما من السوقة ، أو القتلة ، أو اللصوص ثم صدر قرار النيابة بوقف المجلة حتى تختار صاحبتها مديرا جديدا مسئولا عنها تطبيقا للقانون وأعلن فى روزاليوسف نبأ اغلاق الصحيفة ابتداء من ٢٧ ديسمبر الى أن استأنفت الصدور فى ٢ فبراير ٢٨ بافتتاحية وقعها عبد العزيز الصدر الذى كانت المجلة تطبع فى مطبعته وقبل رئاسة التحرير حتى تعود صاحبة روزاليوسف من باريس وقد تركت مصادرة روزاليوسف أثرا عظيما فى الهيئات الصحفية من فرنسية وانجليزية فعلقت على هذا الحادث وبخاصة جريدة التيمس مما جعل لروز اليوسف لأول مرة ، كمـــا تقول السـيدة روز اليوسف فى ذكرياتها مقاما مقدرا فى النشاط الصحفى العالمى ٠



والجدير بالذكر أن السيدة روزاليوسف كانت تعمد الى التخلص من آثار قرارات تعطيل مجلتها باصدار مجلة روزاليوسف ولكن بأسماء مجلات أخرى كمجلات « الرقيب » وصدى الحق ، والشرق الادنى ، ومصر الحرة ولكن البوليس كان يتعقب تلك المجلات فيصادرها ايضا كما حدث بالنسبة لعدد من الرقيب كان قد تم طبع ثلاثين ألف نسخة منه وكذلك صدى الحق حيث داهم البوليس الجريدة وهى تطبع فصادر عشرة آلاف نسخة وكذلك مجلة مصر الحرة وكان عدد

الاعداد التى صودرت من تلك المجلات خمسة أعداد ، كان قد طبع منها كلها ١٠٤٫٠٠٠ نسخة ٠

وتعود روزاليوسف من جديد بعد أن احتجبت فترة طويلة متوقفة بقرار من وزارة محمد محمود ، ولكنها تعود سيرتها الاولى فى مهاجمة تلك الوزارة التى ماجاءت - كما قلت المجلة - الا لتئد الدستور وتلقى مجلة روز اليوسف - كما سبق أن أشرنا - من وزارة اســـماعيل صدقى ، ما لقيتـه من وزارة محمد محمود ٠

وكانت المجلة فى عهد وزارة اسماعيل صدقى وفدية ١٠٠ ٪ ٠

وكان من الأمور الطبيعية بالنسبة لروز اليوسف فى عهد اسماعيل صدقى، أن تعطل أو تصادر ويساق كبار محرريها الى السجن ، بين آونة وأخرى ٠



وقد حـدث فى أغسطس ١٩٣١ ، أن ألغى اســماعيل صدقى رخصـة روز اليوسف ، ولم تعد الا بعد أن أصدر اسماعيل صدقى دستوره الجديد ، وفى المقال الذى كتبته السيدة روز اليوسف عقب اعادة صدور المجلة « أول أغسطس ١٩٣١ » قالت فيه أن المجلة كان لابد أن يصدر منها خلال الستة أعوام الماضية ٣٦٠ عددا ولكن هذا الرقم اختزل بحيث لم ير القراء الا مائة وخمسة وثمانين عددا فقط والفرق بين الرقمين - كما قالت السيدة روز اليوسف - أما أنه طبع وصودر وأكلته وسمنت عليه جرذان المحافظة حتى أصبحت كالعجول٠ وأما أنه عدت عليه الازمات السياسية ، كل أزمة تقتطع منه قطعة ، تارة باسم الآداب ، وأخرى باسم اضطراب الخواطر ، وحماية النظـــام وباسم كل شىء الا الشىء الحقيقى الوحيد : أن هذه الجريدة عاشت ماعاشت راضية أن تجوع ولا تأكل بثدييها ، آبية أن تضع يدها فى الايدى التى عبثت بالحرية وباعت بالثمن البخس ، كل كرامة للبلاد » وتقول روز اليوسف مرة ، وهى تستقبل عاما جديدا من عمر مجلتها ، وعمرها أيضا : معللة طغيان السياسة على الفن والأدب فى المجلة : لقد اتسع نطاق السياسة فى المجلة الفنية ، واتسع حتى اشتمل البيت كله ، وحتى اصبحت السياسة هى صاحبة الفن والأدب الى جوارها فى جناح الضيوف ٠ أن الهناء الذى رفرف على هذه المجلة فى عامها الأول طغت عليه كلمات الشئوم والمحن ، وأعياد ميلادها فى ذلك اليوم صادفتها كلها سجينة أو مقبورة أو موضوعا على فمها القفل ، والرتاج » ٠



وتقول روز اليوسف : من أجل شهوات بضعة رجال وضعت أمامنا كرامه نفوسنا ، وكرامة بلادنا فى جانب ، ووضعت فى الجانب الآخر صفرة الذهب . ولمحة الجاه ، وقيل لنا : اختاروا فان كانت الأولى فاقلاق المضاجع والمصادرة بين الحين والحين ، والقفل . والتعطيل ، وان كانت الثانية فجنة عرضها الارض والسماء ، لا ترون فيها الشمس ، ولا الزمهرير . فاخترنا أن نكون أسياد انفسنا أسياد عواطفنا ، حماة بلدنا . وليكن بعد ذلك طعامنا الحنظل . وشرابنا الصاب !



وتطلق روز اليوسف ، بعض الأسماء الفكاهية ، على بعض الوزراء : فوزير المعارف هو « وزير التقاليد » ، ووزير الزراعة هو وزير الدودة والسباخ ، ووزير المواصلات هو وزير المصارين والسباق .

واحدى الوزارات هى وزارة التساهل والتفريط .

وتطلق أيضا روزاليوسف بعض النكات على رؤساء الاحزاب ، فحافظ رمضان باشا - مثلا - هو رئيس الحزب الوطنى وزعيم الاناقة والرشاقة والملحقات !

والظريف ، أن بعض أسماء هؤلاء الوزراء ، « الرسمية » تنسى أو يتم تناسيها فى بعض المجتمعات ولا يطلق عليهم الا أسماء روز اليوسف .

كما ان روز اليوسف قد اهتمت الى أبعد حدود الاهتمام بالكاريكاتير والزجل، حتى لقد استطاعت ان تجعل من الزجل والكاريكاتير سلاحين من امضى اسلحة الصحافة .

كما أن روز اليوسف - المجلة - كانت بحق ميدانا صال فيه أقطاب الصحافة المصرية وجالوا ، وحققوا أعظم الانتصارات ، وخاصة فى الثلاثينات والاربعينات . وفى نفس الوقت كانت روز اليوسف بحق أيضا المدرسة التى تخرج فيها أجيال كثيرة من الصحفيين أصبحوا فيما بعد عمالقة الصحافة المصرية .

من الكلمات التى أذكرها بل أكاد أحفظها تلك التى افتتحت بها روز اليوسف - المجلة - عامها التاسع ، وكانت تحت عنوان : عهود ، وكلمات ، وقد جاء فيها . « سنوات وسنوات » لولا أمل يعمر قلوبنا ، ونزعة الى الجهاد تغمر نفوسنا ، لكانت سنين محن متعاقبة ، ما من ضربة وجهت الى حرية الرأى الا وكان سهمها الأول آخذا سمته نحونا ، أغلقت هذه الجريدة مرات ، ونزلت بها خسائر مادية فادحة ، ونالنا الظالم وصعاليكه فى مسالك عيشنا ، وحرياتنا ، وتثاءبت أبواب

السجون ولكننا بقينا خالدين لم تغير لنا الكروب وجها ، ولم يبدل لنا الاضطهاد عقيدة ، بقينا وعلى وجهنا نفس السمة الساخرة التى رسمتها النفس المطمئنة يوم أن اعتزمنا أن ندخل فى صفوف المجاهدين عن الوطن جنديا بسيطا ، جنديا شارته الفداء وشعاره التضحية من أجل مصر ٠

ولكن لماذا أطلت الحديث عن صحف الأخبـــار لأمين الرافعى والبـــلاغ لعبد القادر حمزة وروز اليوسف للسيدة روز اليوسف وغيرها من صـــحف الرأى ؟ ٠

ربما لأننى أعشق صحافة الرأى ، أيا كان هذا الرأى ولو كان مخالفا للرأى الذى أراه وربما لأننى من المؤمنين بأن صحافة الرأى فى مصر ، لم تنل ما تستحق من اهتمام ورعاية ، وتاريخ أمين صادق ، وربما لأننى أحاول أن أقول لشباب اليوم من أبناء الصحفيين أن أضابير الصحف القديمة غنية بالكنوز الوطنية الرائعة وان عليهم ، أن يغرقوا فيها كما أغرق يوميا ليجدوا ما أجد من متعة ، وليعرفوا الحاضر والمستقبل عن طريق معرفة الماضى جيدا ٠

وعلى أية حال فلن أطيل فى الحديث عن روز اليوسف الصحيفة والصحفية أكثر مما أطلت ، وكل ما استأذن فيه صديقى القارىء أن أمر مرورا عابرا على بعض الأخبار والتعليقات التى قرأتها فى روز اليوسف بدءا من العدد ٣٦٧ وانتهاء بالعدد ٤٢٥ ، مؤكدا اننى لن أطيل فى عملية المرور هذه التى ما أردت بها ــ فى هذه المرة ــ الا اعطاء صورة سريعة عن صحافة الرأى ، أيام زمان ، ١٩٣٤ ــ ١٩٣٥ ــ ١٩٣٦ الخ ، الخ ٠



● من بين ما نشرته روز اليوسف فى العدد رقم ٢٦٧ برقية بعث بها المجاهد الكبير مكرم عبيد من أسوان الى الأستاذ محمد التابعى بمناسبة مرور عشر سنوات على اشتغاله بالصحافة منها ثمان فى جريدة روز اليوسف وقد جاء فى تلك البرقية ٠٠ « وكن على ثقة من أن لك فى قلب وفى عقل كل وفدى مكان التقدير ، والاعجاب ، قلت كل وفدى وكان الأولى أن أقول كل مصرى والكلمتان مترادفتان بل كل شرقى ، عربى فالكل عرف لك فضلك واخلاصك ، وأسلوبك البديع ، والمبتدع ٠٠ وصلتنا اليـــوم فى أســـوان « روز اليوسف » فتخاطفها الناس ــ أى تخاطفوا المجلة لا صاحبتها ــ سلامى واحترامى للســـيدة المحترمة روز اليوسف وأبلغك واياها تحيات دولة الرئيس الجليل » وقد كانت البرقية بالطبع قبل أن تختلف روز اليوسف مع الوفد المصرى ، ورئيسه وسكرتيره العـــام ٠



● فى العدد ٢٨٤ كتب أستاذنا فكرى أباظة الى « سيدتى روز » مستأذنا فى السفر الى أوروبا عدة أسابيع لا هربا – كما قال – من النيابة ومحكمة الجنايات – وسجن قرة ميدان فانى أعلم – هكذا قال فكرى أباظة – ان فيك الكفاية للنيابة ولمحكمة الجنايات ولسجن قرة ميدان ويقول فكرى أباظة : واليوم الذى تصبحين فيه « زبونة دائمة » لهذه الجهات الثلاث فى سبيل حرية الرأى هو أعز يوم لدى الجنس اللطيف اذ تكونين « بريمادونة » السياسيات المصريات على مسرح النيابة والمحكمة والسجن كما كنت بريمادونة المصريات على مسرح التمثيل ! ٠



● ويقول فكرى أباظة بأسلوبه الساخر : أسافر يا صديقتى لاننى مريض بداءين ومهدد بخطرين ٠ أما الداء الأول والخطر الأول فهو داء الجبن ، أعاذ الله جسمك الرقيق منه ، ومن أعراضه ومضاعفاته : أشعر اليوم بأن توالى الضغط الحكومى على الصحافة والصحفيين أصابنى بنوع من الضعف ، فشل ذهنى فلا يفكر بنضج كما كان يفكر ، وشل يدى فلا تكتب ولا تسطر شجاعة كما كانت تكتب وتسطر ، وشل قلبى فلا ينبض ولا يدق ، بحماسة ، وقوة كما كان ينبض ويدق ٠

● ويقول أستاذنا فكرى أباظة أيضا ٠٠ خشيت يا صديقتى أن يصبح هذا الداء العارض داء أصيلا فبادرت بالهرب الى أوروبا للاستشفاء والتداوى ٠ هناك يا صديقتى أشم نسيم الحرية فيملأ صدرى شجاعة وجرأة وحدة وشدة ومخاطرة ، ومغامرة ٠٠ هناك أكتب وأثور فلا يراجعنى فيما أكتب لبيب بك عطية ولا السيد بك مصطفى ولا الأستاذ محمود منصور وهناك أخطب فلا يلسعنى بالعصا المستر رسل ولا المستر هلز ، ولا ملز ، ولا العزيز الذكى سليم بك زكى ، وهناك أصفق وأهتف فلا أصطدم بطاسة « هندنبرج » النحاسية ولا بخيول عنترة العبسية العربية ، أما الداء الثانى ، والخطر الثانى فهو داء الطقطان وخطر الطقطان ٠ ويقول فكرى أباظة أنه يفضل أن يموت مثلا أمام قشلاق قصر النيل ، أو مثلا أمام القلعة أو مثلا على ضفاف القنال ، أو مثلا فى فيافى السودان « من أن أموت فقط « بالطقطان » والطقطان الذى يشير اليه فكرى أباظة فسببه بقاء الوزارة على الرأس والعين ، من أجل خاطر سى برسى لورين و ٠٠ و ٠٠



● وتكتب روز اليوسف فى عددها ٢٧٣ عن وزير الأذية وقطع العيش محمد شفيق باشا الذى لا ترتاح صحته الغالية الا اذا وفر لخزانة الدولة أكبر مبلغ مستطاع عن طريق رفت عشرات المواطنين ولكن لمعاليه حسنة عند الله

لا تنكر وهى أنه يصدر عكننته لزملائه ، الوزراء ، وعلى الأخص دولة رئيسهم ومعالى وزير التقاليد » ٠

وتشير روز اليوسف فى عددها رقم ٣٣٣ الى قضية روز اليوسف حيث كان موعد صدور الحكم فى الاستئناف الذى رفعته السيدة روز اليوسف والنيابة العمومية فى الحكم الذى أصدرته محكمة عابدين الجزئية بحبس السيدة روز اليوسف ثلاثة أشهر ، مع وقف التنفيذ ، لاتهامها بالقذف فى حق دولة محمد محمود باشا ، وتشير ــ روز اليوسف الى الحكم الذى نطق به حضرة صاحب العزة أحمد نشأت بك رئيس محكمة مصر والذى به يقضى على السيدة روز اليوسف بخمسين جنيها غرامة » وتعلق الجريدة على هذا الحكم قائلة : وهذه الجريدة وصاحبتها التى لقيت ما لقيت فى سبيل الدفاع عن المبدأ الوفدى القويم ، تتلقى اليوم حكم القضاء صابرة راضية ، مطمئنة معاهدة الأمة على الوفاء بما قطعته على نفسها من عهد ، وهو الذود عن قضيتها المقدسة تحت راية الوفد ، ولواء زعيمه المفدى ٠

● من الخطابات المفتوحة التى كانت توجهها مجلة روز اليوسف كل أسبوع الى العظماء والصعاليك خطاب ــ العدد ٣٩٩ ــ الى صاحبة الجلالة شارلوت واصف ، التى رفعت رأس مصر عاليا ، وبس : فى هذا الخطاب رنة فرح وفخار تدقها نواقيس قلوبنا معتزة بتتويجك ، وأنت المصرية التى ربى جسمها على الفول المدمس ملكة للملكات أمريكا وأوروبا وسائر قارات الدنيا ، الروبابيكيا وسواء أكان انتخابك عن جمال فاتن حقا أو أن سعر الجمال ، كان رخيصا فى تلك المباراة فجاء انتخابك من باب الأعور فى مملكة العمى سلطان فها أنت تحملين شهادة الدكتوراه وزيادة فى القد المائس والوجه الصبيح ، ولكن الشهادات شىء والغاية شىء آخر ولا سيما ما كان متعلقا بالسعى فى الحياة وارتكاب صالح الأعمال مما يدخل فى الغمز ، بالعين والحاجب ، وعليه بقى عليك أن تثبتى انك أهل للتاج الذى ترفعينه على رأسك ومدد يا صاحبة الجلالة وها نحن نترقب كراماتك فى شقلبة العقول ، وتعذيب قلوب عباد الله من الجنس الخشن » ٠



● من هذه الخطابات أيضا ــ بعد أن اختلفت روز اليوسف مع الوفد ــ خطاب نشر بالعدد ٤٠٧ الى صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا ، الشهير بالرئيس الجليل جاء فيه عندما استولت هذه الوزارة على مقاليد الحكم هرعت اليها تهنئها بالمنصب الجديد ، وخرجت من لدنها ، وفى احدى يديك طبلة وفى الأخرى مبخرة ٠ وبين شفتيك مزمار ، ومضت الوزارة فى عملها فكان أول العبث تعيين الخبير البريطانى اياه مزودا بحق الاتصال ، وطار المصريون الى رئيسهم

الجليل وهو أنت ، يقولون له الحق ، لقد تم تعيين الخبير ، وطرت بدورك الى رئيس الوزارة تبلغه ما قاله لك المصريون وانتظر الشعب كلمتك فلم ترد بل قلت : انك مبسوط من هذه الوزارة والسلام · وتمضى روز اليوسف فى خطابها وتكون النهاية · ووقعت كارثة الاسـكندرية التى أصـبحت بفضـل رياستكم الجليلة جزءا من أملاك التاج البريطانى وسألك المصريون ، أما من حرب تشنها على الوزارة ، فوقفت يا باشا تعجب من هذا الكلام ، وتقول : اذا كانت هذه الطبلة فى يمينى ، وهذه المبخرة فى يسارى ، وهذا المزمار فى فمى ، فمن اين لى بالحركة والكلام !



● وفى العدد رقم ٤٥٩ تكون افتتاحية روز اليوسف زجلا جاء فيه :

الوفد زودها من كل ناحية
وكل يوم له فى مصر ، تزويد
ما كنت أحسب أن أحيا الى زمن
يسيئنا فيه وفد ، وهو محمود
يا رب هل من صنيع منك ينقذنا
فعيشنا كله هم ، وتسهيد
ان البلاوى على قلبى ملهلبة
نارا بقلبى فهل للقلب تبريد ··



● وفى العدد ٤٦٢ تشير روز اليوسف الى أن بين أعضـاء الوفد حركة اشمئناط ظلت تزداد من وقت الى آخر ، حتى وصلت الى الحد الذى يفوق قدرة الانسان على الاحتمال حتى ولو كان وزاريا ، وأولى بوادر هذا الاشمئناط نشأت من جراء قفز أفراد أسرة الوكيل الى الوظائف والمناصب بمعدل خمسين درجة فى الدقيقة وعدم اصغاء الرئيس الجليل الى نصـائح الوزراء واعتراضاتهم · وتشير روز اليوسف الى ما تردد من اقتراح وفدى ظهر باهداء الرئيس الجليل قصر الزعفران ، ثم تشير الى أن اقتراحا آخر ظهر بمنحه ثلاثمائة فدان من أطيان الحكومة وكيف أن تعديل هذين الاقتراحين كان يتم بناء على اعتراض الدكتور ماهر ، والنقراشى وكيف ان مناقشة حاميـة وقعت فى مكتب رئيس الوفد ، ارتفع فيها صوت النقراشى حتى أصبح مسموعا خارج الغرفة وكيف أن النقراشى هدد رئيسه النحاس بالاستقالة من الوفد والوزارة أيضا اذا أصر على قبول المكافأة المزعومة ثم ان النحاس باشا عدل عن قبول هذه الاقتراحات فى آخر لحظة معلنا انه يريد أن يعيش فقيرا · ويموت فقيرا · وتقول روز اليوسف

أن هناك جهودا تبذل لاقناع رئيس الوفد بأن صحته لم تعد تحتمل أعباء رئاسة الوفد وأن من المصلحة أن يقبل رئاسة مجلس النواب ..



● وفى العدد ٤٦٣ تقول روز اليوسف أن الدكتور أحمد ماهر لا يزال غاضبا على الرئيس الجليل « دولة بارك الله فيكم » اثر تصرفاته فى حكايات الأوقاف والتعيينات ، وبيت الاستقلال وهو البيت الذى اقترح الأستاذ محمود بسيونى اهداءه الى النحاس باشا بمناسبة نجاحه فى توقيع معاهدة ١٩٣٦ ، ويقول أحمد ماهر ، ان هذه المسائل ، المختلف عليها لا تتعلق بالنحاس باشا ولكنها مسألة سمعة الوفد ونزاهة الوفد وقد أيد الدكتور فى موقفه محمود فهمى النقراشى باشا الذى كان شديد التحمس لرفض الاقتراح الخاص ببيت الاستقلال ولم يرتد اليه صفاء الذهن الا على اثر عدول الرئيس عنها . وتقول روز اليوسف أن ٩٠٪ من أعضاء الهيئة الوفدية يؤيدون الدكتور ماهر فى موقفه النبيل .



وفى العدد التالى ٤٦٤ تقول روز اليوسف « دولة بارك الله فيكم » يقاسم الآنسة أم كلثوم هتاف الشعب ، والموضوع عن افتتاح أولى حفلات فيلم نشيد الأمل وحضور النحاس باشا وحرمه هـذه الحفلة ومقابلته بمظاهرة من أصحاب القمصان الزرقاء وأصحاب الحناجر القوية الذين انبثوا فى جوانب القاعة بهتافات عالية تحمل اسم النحاس زعيم الحرية .

وتشير روز اليوسف الى قيام مظاهرة عامة داخل دار السينما تهتف بحياة أم كلثوم وكيف وقف النحاس ، اثر هذه المظاهرة الخاصة بأم كلثوم يحيى الجماهير من بنواره الخاص كأنما يستكثر على أم كلثوم هذه المظاهرة ، التى لم تنظم ، ولم تدبر ، فتعمد مقاسمتها تحية الجمهور وتقديره و .. و ..



● وتنشر روز اليوسف فى العدد ٤٦٥ زجلا يخاطب فيه النحاس باشا ، السير مايلز لامبسون قائلا :

يا حتة من قلبى يا شاغل قوى بالى
لولا محبة فؤاد لشخصك الغالى
ما كنت أجيلك ولا أحكى لك على حالى
فيه مسألة والعشم انك تنفذها .

حاجة بسيطة حتعملها لنا طوالى
كشف الرتب غاب قوى والصبر ضاع منا
خبطت على بابه ماحدش سأل عنا
والموعودين فى انتظار ولامتى نستنى
أصبحت منا ، وعلينا فى معاهدتنا
امضى من انجلترا ، يا رب تتهنا

● وعن الدكتور احمد ماهر ، تقول روز اليوسف ـ العدد ٤٧٠ ـ أصبح لا حديث له ـ حين يتحدث ـ الا عن هـذه الفوضى التى غرقت فيها الوزارة الى أذنيها وهذا التطور فى نفسية « دولة بارك الله فيكم » مما جعل سمعة الوفد فى نفوس أنصاره ومعارضيه على السواء تهبط الى ما تحت الصفر وأشد ما يؤلم الدكتور الكبير هو جيش المحاسيب والأقرباء الذين يحتلون مناصب الدولة ، ووظائفها وكل عدتهم كارت يحمل اسم أحد الوزراء ٠



● ومرة أخرى فى العدد ٤٧٢ تنشر روز اليوسف زجلا ، تحت عنوان .ايه أصلك وايه « أصدك » تقول فيه على لسان روز اليوسف :

مين كان يقول انى أشوف المر ، فى عهدك
ويبقى سيف المصادرة لعبة فى يدك
ياما رفعتك عشان تفلح تكيد ندك
وياما شفت الهوان والحبس والتعطيل
لحد ما عرفنا ايه أصلك ، وايه « أصدك » ٠٠

وفى الزجل على لسان النحاس :

سيبك يا شيخة وخلينى أسير وحدى
ما دمت هايص يغوروا الكل من بعدى
اشمعنى يعنى اللى كان بيقول « أنا وحدى »
يعنى بسلامته كان احسن منى ، مش معقول
مين زيى دلوقتى ، ما تقولى ومن قدى
دستور ما دستورشى ، مش شغلى آدينى باقول
جرنال يبستفنى يسنكر كده على طول

وفى هذا القدر ـ كما أرى ـ ما يكفى لاعطاء صورتين دقيقتين لصحيفتين من أبرز صحف المعارضة فى مصر : البلاغ وروز اليوسف وقبلهما لمحة عن واحد من أهم رواد صحافة الرأى فى مصر : أمين الرافعى ٠

الباب الثانى

الفصل الأول

محمد محمود يرأس وزارة جديدة تجرى الانتخابات !!

ما أكثر ما تساءلنا : على من تقع المسئولية فيما يتعلق بافساد فاروق ، وما أكثر ما تحدثنا عن الصراع بين الوفد وبين القصر ، والصراع بين الوفديين والوفديين ٠

وفيما يتعلق بالتساؤل عن افساد فاروق قلنا ان المسئولية تقع على أحمد حسنين ، وعمر فتحى ، اللذين فشلا فى الاشراف على تربيته وتعليمه فى لندن ، عندما كان يتلقى العلم ، فى لندن ، كما ألقينا مسئولية افساد فاروق ملكا ، ـ وفى بداية حكمه ـ على أحزاب الأقلية التى وقفت الى جانبه بدون وجه حق ضد حزب الأغلبيـة الشعبية والبرلمانية ـ حزب الوفد المصرى ـ كمـا ألقينا المسئولية أيضا على حزب الأغلبية الشعبية والبرلمانية الذى استبد بالأمر ، وأراد فرض دكتاتورية شبه عسكرية على البلاد ، بفرق ، القمصان الزرقاء ، التى أنشأها والتى أصبحت ذراعا وفدية طويلة ، تضرب المعارضين لحكومة الوفد فى الجامعة ، وفى المدارس ، وفى الشارع أيضا ، ولاننا سوف نعود فيما بعد الى الرد بافاضة على هذا السؤال : على من تقع مسئولية افساد فاروق أميرا ، وملكا ، فقد اكتفينا بذلك القدر ، الموجز على أمل العودة ، الى محاولة الرد على هـذا السؤال فيما بعد وعندها يظهر جليا وأمام الرأى العام المصرى ، نتائج ، فساد الملك فاروق ٠

وقد أطلنا فى الحديث عن الصراع بين الوفد والسراى بسبب خطورة هذا الصراع على الأوضاع السياسية فى مصر فى سنوات ما قبل الحرب العالمية الثانية وفى أثنائها وقد اعتمدنا فى دراستنا عن هذا الصراع ، على أقوال بعض المؤرخين الأجانب وبعض المؤرخين المصريين ، محايدين ، أو مؤيدين ، للوفد ، أو للسراى حتى نعطى القارىء صـورة شبه مكتملة لكل الآراء فى هـذه النقطة الهامة ،

بالخطيرة ، نقطة الصراع بين الوفد والسراى ، كما تحدثنا فى نفس الوقت ، عما كان يحدث داخل الوفد ، المصرى نظرا ، لخطورة الانقسام ، الذى حدث فى صفوف الوفد فى مرحلة من أخطر مراحل ، التاريخ السياسى ، المصرى ، ونعنى به الانقسام ، الذى بدأ يتخذ صورة شرخ كبير ، فى بنيان الوفد باخراج ، النقراشى باشا ، من الوزارة ثم من الوفد ، وما تبع ذلك من وقوف دكتور أحمد ماهر رئيس مجلس النواب الوفدى والعضو البارز فيه الى جانب زميله ، وصديقه فى الكفاح الوطنى وفى عضوية الوفد محمود فهمى النقراشى باشا .



وكان هذا الانقسام ، قد دخل مرحلة هامة وخطيرة فى ٢٣ ديسمبر ١٩٣٧ ـ اى قبل أسبوع من اقالة وزارة النحاس باشا ـ حيث شرح مكرم عبيد باشا قرارات الوفد فى الصراع بين الوفد والسراى وحيث تحدث أحمد ماهر عن ضرورة الاعتدال والحكمة ، غير أن أغلبية الهيئة الوفدية البرلمانية وقفت الى جانب النحاس باشا « ٢٢٨ عضوا » ولم يقف الى جانب الاعتدال والحكمة ، الذى كان يمثله أحمد ماهر أكثر من ثلاثة أعضاء ، بل أكثر من ذلك بعد انتهاء اجتماع الهيئة الوفدية البرلمانية فوجىء أحمد ماهر العضو ، البارز فى الوفد المصرى ، حتى تاريخ تلك الجلسة بمظاهرة عنيفة هتفت بسقوطه وبحياة النحاس باشا ، بل أن بعض المتظاهرين حاولوا الاعتداء على أحمد ماهر ، الأمر الذى أجبر أحمد ماهر ، على أن يتخذ لنفسه خطأ ، أكثر وضوحا فى الصراع الوفدى وأكثر تعبيرا ، عن ممالأته لمحمود فهمى النقراشى ، والذى عجل بنهاية وزارة مصطفى النحاس .



لقد كانت السراى تراهن على أحمد ماهر ، كحصان رابح يستطيع أن يحدث انشقاقا خطيرا فى صفوف الوفد ويستطيع أن يحصل على أغلبية برلمانية أو شبه برلمانية ، تنقل الوزارة ، بطريقة دستورية من النحاس ، الوفدى الى أحمد ماهر الوفدى ، دون ، أن تؤدى عملية الانتقال هذه الى حل البرلمان ، والمجىء بعهد جديد ، ونظام جديد ، وكان الشيخ مصطفى المراغى صاحب المشورة ، المطاعة ، عند الملك الشاب فاروق فى مقدمة أولئك الذين يؤيدون ترشيح أحمد ماهر ، لرئاسة الوزارة ، الوفدية .

وقد ظهر جليا للسراى خطل هذا الرأى وخطؤه ، فى نفس الوقت لأن الوفد ، أيد مصطفى النحاس تأييدا مطلقا وقرر بوضوح وصراحة فصل أى وفدى ، يقبل تأليف الوزارة أو يشترك ، أو يؤيد ، وزارة لا يرأسها النحاس باشـــا .

وعلى الفور ـ فور الانتهاء من اجتماع ، الهيئة الوفدية البرلمانية ـ اتجه الرأى ، الى تكليف محمد محمود باشا زعيم المعارضة فى مجلس النواب ورئيس

حزب الأحرار الدستوريين وصاحب اليد القوية أو الحديدية ، كما كانوا يطلقون عليه ، عقب تأليف وزارته الأولى ، فى ٢٥ يونيو ١٩٢٨ اثر اقالة وزارة النحاس التاريخ يعيد نفسه !

وكأنما كان هذا الاتجاه مؤكدا ، أكثر من أى حدث تاريخى آخر ، أن باشا الأولى فى ٢٥ يونيو ١٩٢٨ ٠

ومحمد محمود من مواليد ١٥ أبريل ١٨٧٧ فى ساحل سليم مركز أبو تيج، ووالده محمود سليمان باشا من كبار ملاك الأراضى بها ومن الشخصيات التاريخية التى لعبت دورا هاما فى التاريخ المصرى قبل الحرب العالمية الأولى وفى بداية ثورة ١٩١٩ وهو ـ محمد محمود ـ وهو من خريجى الجامعات البريطانية « كلية باليول بجامعة اكسفورد » ، وقد منح شهادتها النهائية مع درجة أستاذ وعندما عاد الى مصر ، عين مفتشا بالمالية ثم انتقل الى وزارة الداخلية حيث عمل بها مفتشا ثم مستشارا ، وعين مديرا ، للفيوم ثم البحيرة ٠



وكان محمد محمود من أوائل الذين شاركوا فى تشكيل الوفد ، المصرى ، وقد اعتقل مع سعد زغلول باشا ونفى مع حمد الباسل وصدقى باشا الى مالطة وبعد الافراج عنه سافر الى الولايات المتحدة الأمريكية حيث أتفق مع السياسى المحامى الأمريكى المعروف مستر فولك للدفاع عن القضية المصرية فى المحافل الدولية وعند الرأى العام الأمريكى ، وقد وضع مستر فولك مذكرة هامة كان لها أثرها الخطير فى شرح القضية المصرية أمام الرأى العام العالمى بصفة عامة والرأى العام الأمريكى بصفة خاصة ٠ وإن لم تنجح تلك المذكرة ، وان لم تنجح جهود مستر فولك فى تحويل وجهة النظر الأمريكية عن ممالأتها لبريطانيا ، التى كانت تحتل وقتئذ مصر ، والتى كانت تحرص على أن يكون لها فيها وضع خاص بعد انتصارها الرائع فى الحرب ، العالمية الأولى ٠

وبعد أن توالت الأحداث فى مصر بعد أن هدأت ثورة ١٩١٩ وبعد الصراع العنيف بين سعد زغلول باشا وعدلى يكن باشا ، وهو الصراع الذى قسم البلاد الى قسمين « سعدى » و « عدلى » والذى ارتفع على أثره شعار : الاحتلال على يد سعد خير من الاستقلال على يد عدلى » ٠٠

بعد ذلك الصراع العنيف خرج محمد محمود باشا على الوفد منضما الى عدلى يكن باشا وكان ما كان من تأليف حزب الأحرار الدستوريين واختيار محمد محمود باشا وكيلا له ، وقد دخل محمد محمود باشا الوزارة لأول مرة ضمن وزارة عدلى يكن باشا التى ألفها فى عام ١٩٢٦ ودخل وزارة ثروت باشا ثم وزارة النحاس باشا الأولى حيث استقال منها على ما أوضحنا سابقا ٠

وقد كانت المشاورات تجرى لتشكيل وزارة جديدة ، تخلف وزارة مصطفى النحاس فى الوقت ، الذى كان فيه الوفد ، المصرى على ثقة مطلقة من أن القصر ، لن يستطيع أبدا اقالة وزارة شعبية قوية ٠

● يقول د٠ محمد حسين هيكل : عرفت أن وزارة النحاس ستقال يوم الخميس الأخير من ديسمبر ١٩٣٧ ومع هـذا التقيت بمكرم عبيد باشا مساء الأربعاء ، داخل قاعة الجلسة بمجلس الشيوخ بعد مقابلة على ماهر باشا عصر ذلك اليوم ، وقلت له خيرا : لعلكم وفقتم الى حل للاشكال القائم بينكم وبين القصر ؟ وأجابنى : « نعم ، والحمـد لله ٠٠ » وعجبت لما سمعت مما يخالف ما أعرف لكن صبح الخميس ما كاد يتنفس حتى أذاعت الصحف ملحقا بالأمر الملكى الذى أقال الوزارة ونصه :

أمـر ملكى رقم ٣٨ ٠٠

عزيزى مصطفى النحاس باشا ٠٠٠

نظرا لما تجمع لدينا من الأدلة على أن شعبنا لم يعد يؤيد طريقة الوزارة فى الحكم ، وأنه يأخذ عليها مجافاتها لروح الدستور وبعدها عن احترام الحريات العامة ، وحمايتها ، وتعـذر ايجاد سبيل لاصـلاح الأمور على يد الوزارة التي تراسونها ٠ لم يكن بد من اقالتها ، تمهيدا لاقامة حكم صالح يقوم على تعرف رأى الأمة تستقر به السكينة والصفاء فى البلاد ويوجه سياستها خير وجهة فى الظروف الدقيقة التى تجتازها ويحقق آمالنا العظيمة فى رقيها وعزتها ٠

وانى اذ أشكر لمقامكم الرفيع ، ولحضرات زملائكم ما تم على أيديكم من الخير للبلاد ، أصدرت أمرى هذا لمقامكم الرفيع بذلك ٠

صدر بسراى القبة فى ٢٧ شوال ١٣٥٦ ، ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧ ٠

« فاروق »



وتألفت وزارة محمد محمود باشا ، الثانية على النحو التالى :

محمد محمود باشا : رئيسا للوزارة ووزيرا للداخلية ، اسماعيل صدقى باشا وزير دولة ويتولى وزارة المالية ، عبد الفتاح يحيى باشا وزير دولة ، ويتولى وزارة الخارجية ، أحمد محمد خشبة لوزارة الحقانية ، عبد العزيز فهمى باشا ، وزير دولة ، محمد حلمى عيسى باشا لوزارة الأوقاف ، أحمـد لطفى السيد ، باشا ، وزير دولة ، محمد بهى الدين بركات بك لوزارة المعارف العمومية ، حسن صبرى باشا ، لوزارة المواصلات ، حسين رفقى باشا ، لوزارة الحربية والبحرية ، حسين سرى باشا لوزارة الأشغال العمومية ، مراد وهبة باشا ، لوزارة

الزراعة ، أحمد كامل بك لوزارة التجارة ، محمد حافظ رمضان بك ، وزير دولة ، محمد حسين هيكل بك وزير دولة ، محمد كامل البنداری بك لوزارة الصحة ٠

كانت وزارة محمد محمود باشا مؤلفة من ستة عشر وزيرا بزيادة خمسة وزراء على الوزارة السابقة ، التى كانت مؤلفة من أحد عشر وزيرا وكانت وزارة محمد محمود تضم ثلاثة من رؤساء ، الوزارات السابقين وكانت الوزارة تضم أربعة ممن ارتبطت أسماؤهم بثورة ١٩ ، فالى جانب محمد محمود باشا ، كان عبد العزيز فهمى ثالث ثلاثة ذهبوا الى دار المعتمد البريطانى فى ١٣ نوفمبر ١٩١٨ مطالبين بريطانيا بالجلاء ، عن مصر ، الى جانب اسماعيل صدقى باشا ، وأحمد لطفى السيد باشا ، وقد اشترك فى وزارة محمد محمود باشا ، الثانية ولأول مرة فى تاريخ الحزب الوطنى ، حافظ رمضان رئيس الحزب ٠



وأستأذن فى أن أنقل هنا فقرات من مذكرات د٠ محمد حسين هيكل ، وكان من أبرز أعضاء الوزارة « المحمدية » ، أو « المحمودية » الجديدة : أقسم الوزراء اليمين بين يدى الملك بعد ظهر يوم الخميس ٣١ ديسمبر١٩٣٧ ودعينا لصلاة الجمعة مع الملك بمسجد القبة فى اليوم التالى ، انقضى يوم الخميس ، وأصبحنا نهار الجمعة وذهبنا الى المسجد نصلى مع الملك ، هناك علمت ان فرق القمصان الزرقاء ، التى تألفت فى ظل الوزارة الوفدية لم يبق لها أثر ، وان الأماكن التى كانت تدرب فيها قد خلت فلم يبق لواحد من أصحاب هذه القمصان فيها أى وجود ٠٠ كما علمت بأن الهدوء شمل أرجاء الدولة جميعا ، وكأن لم تكن فى البلاد ، الى صبح الامس وزارة وفدية ، وان ما كان البعض يتحدث عنه من قيام الثورة والاضطراب ومن الدماء تسيل فى الشوارع ، انما كان حديث خرافة ، ولم أعجب لما سمعت من ذلك ولم يعجب له غيرى فقد كنا جميعا نعلم ان الحكومة كانت تنفق على فرق القمصان الزرقاء من المصروفات السرية ، أما وقد أيقن أفراد هذه الفرق ، أن مرتباتهم انقطع مصدرها وانهم يجب أن يلتمسوا لكسب العيش وسيلة أخرى فقد انصرفوا يلتمسون هذه الوسيلة شأنهم شأن كل مأجور على عمل ، لا يصدر فى القيام به عن ايمان ثابت فى نفسه ، وكيف نريد لهذه العصابات من شذاذ الآفاق «!!» أن يؤمن أفرادها بشىء ، غير مصلحتهم الذاتية العاجلة يقتضونها وهم فى أمن وطمأنينة بحماية الحكومة لهم من ثورة الرأى العام عليهم ، واعتدائه عليهم فاذا زايلتهم الطمأنينة وفاتهم النفع العاجل تفرقوا ، شذر مذر ، ولم يبق لتشكيلاتهم من أثر ٠

● ويقول الدكتور هيكل ، أن أول محك لشعبية الوفد كانت انتخابات نقابة المحامين فقد كان انتخاب النقيب ، منذ عام ١٩٢١ ، يسفر عن فوز الوفد ولا تسل ــ هكذا يقول د٠ هيكل ــ عن اغتباطنا حين علمنا أن الانتخابات تمت

فأسفرت عن أغلبية لغير الوفديين وعن انتخاب محمد على علوبة باشا نقيبا للمحامين فقد كانت هذه النتيجة حجة قائمة عندنا على انصراف الرأى العام عن الوفد ، وعن النحاس باشا داعية بذلك الى اطمئناننا ، والى استتباب السكينة والأمن فى البلاد ·



● ويقول د. هيكل ، ان محمد محمود باشا قد ذكر له بعد قليل من تأليف الوزارة أن الملك لم يكن يريد أن يعقد قرانه فى عهد النحاس باشا فلما أقيلت وزارته وتألفت وزارة محمد محمود باشا حدد جلالته يوم ٢٠ يناير ١٩٣٧ ، لعقد القران وقد أصدر الملك أمره ، بتغيير اسم الآنسة صافيناز كريمة يوسف ذو الفقار باشا المستشار بمحكمة الاستئناف المختلطة وحفيدة محمد سعيد باشا الذى تولى رئاسة الوزارة فى مصر ، غير مرة ، أصدر الملك أمره بتغيير اسم صافيناز الى فريدة وقد اختار لها هذا الاسم المبتدىء بحرف الفاء تأسيا بوالده الملك فؤاد اذ دعا أبناءه جميعا بأسماء مبتدئة بهذا الحرف ·



● ويقول د· هيكل أن وزارة محمد محمود باشا رأت أن تحل البرلمان بعد أن خشيت أنها اذا تقدمت اليه لا تنال ثقته ، الأمر الذى يضعف مركزها ، وعن الانتخابات يقول د· هيكل انه بعد أن أعلن تعديل الدوائر الانتخابية انصرف كثيرون ممن يودون ترشيح أنفسهم عن الوفد ، الامر الذى يوحى بأن الوفد لم يعد له – كما كان فى الماضى – ما كان له من سلطان على الناخبين حين كانوا يقولون : لو رشح الوفد حجرا ، لوجب انتخابه ، فيستمع اليهم الناس وتكون لهم الاغلبية الساحقة ، أما أن ينصرف الناس عنهم ، فلا يجدون لهذا العدد العظيم من الدوائر مرشحين فهذا أمر ، له دلالة وله من غير شك سببه وعلته » وكان هيكل من المعارضين لتعديل الدوائرالانتخابية رغم مشاركته فى الوزارة ، التى قامت بعملية التعديل هذه ، وينتقد د · هيكل الاوضاع القائمة وقتئذ انتقاداعنيفا فمن أسف أن الشعب يرى الامور بالعين ، التى يراها بها الموظفون ويقف من الحكم ، موقف المتفرج لا موقف صاحب الحق ومن شأن المتفرج أن يتحمس للمنتصر وان يطرب لانتصاره وان يزدرى المنهزم ويدمغه باحتقاره كما ان هذا المتفرج – فى الانتخابات – لا يشعر بأن عليه واجبا يؤديه أكثر من ان يلتمس السلامة لنفسه حتى لا يصيبه من هذه المعركة اذى وان يقول للمنتصر فى أخر المعركة مرحى مرحى · أما الشعب الذى يؤمن بأنه صاحب الحق ومصدر السلطات بالفعل فلا يرضى ان يقف من المعركة الانتخابية موقف المتفرج ، ولايقنع بالنقد والتجريح يوجهه حزب لحزب ، أو جماعة لجماعة بل يريد من هؤلاء الذين يطلبون توكيله ان يعينوا له حدود هذا التوكيل وهو واثق من أنهم لن

يستطيعوا خـداعه ، لان له ارادة وقدرة يستطيع بهما أن ينزع توكيله ممن يتخطون حدود هذا التوكيل أو يسيئون التصرف فى حدوده ، ولأن هذا الشعب مصدر السلطات حقا ، ورأيه هو المهيمن على السلطـات جميعـا يقر عملهـا ما أحسنت ويثور عليها ان أساءت ، وهو فى ثورته غير محتاج الى العنف بل يكفيه أن يظهر غضبه ، ليعلم الذين أثاروا هذا الغضب أنهم لم يبقوا موضع ثقته وان عليهم أن يعيدوا اليه الأمر ، ليقول كلمته فتكون العليا لا راد لها ولا معقب عليها



● ويقول الاستاذ عبد الرحمن الرافعى عن وزارة محمد محمود باشا ، الثانية أن هذه الوزارة كانت مترددة بين مواجهة البرلمان ، وحل مجلس النواب دون التقدم اليه ، فقد أفضى الدكتور أحمد ماهر ، وكان رئيسا لمجلس النواب الى رئيس الوزراء أن كثيرا من أعضاء المجلس انضموا اليه فلا خوف على الوزارة من طرح مسألة الثقة ، ولكن الوزارة تبينت من تحرياتها ، أن الدكتور ماهر كان مسرفا فى تفاؤله وان أغلبية أعضاء المجلس بقوا مع النحاس خوفا على مراكزهم الشخصية فآثرت الوزارة حل المجلس دون أن تواجهه ٠



وعن الانتخابات التى أجرتها وزارة محمـد محمود باشا يقول الأستاذ الرافعى : تدخلت الوزارة اداريا لصالح كثير من مرشحيها ، وأنصارها فلم تكن فى جملتها حرة ولا سليمة ، وليس هذا الوضع من الدستور فى شىء وكان نتيجتهـا نجاح ١٩٣ من أنصـار الحكومة من الأحرار الدستوريين والسعديين « حزب ماهر ، والنقراشى » ، ٥٥ من المستقلين الموالين للحكومة ، و ١٢ من الوفديين ، ٤ من الحزب الوطنى والمجموع ٢٦٤ نائبا ٠

ولم يتوافر فى المجلس الجديد ـ كما يقـول أستاذنا الرفعى ـ عنصر الاستقلال وحرية الرأى بين النواب بل ظهروا ـ فى الجملة ـ على نقيض ذلك وان كانوا أكثر استقلالا من النواب الوفديين ولم يكن للمجلس راى فى قيام الوزارت وسقوطها ، وتعديلها ، بل كانت الازمات الوزارية تنشأ ، وتنتهى وتعدل الوزارة او تستقبل وتعين الوزارة التى تخلفها دون أى دخل للبرلمان ، والنواب يذعنون لكل وضع تريده السراى ولكل تعديل وتبديل فى الوزارة بغير ما أعتراض او استنكار وتجلى هذا المظهر بمجرد ظهور نتائج الانتخابات فقد أراد محمد محمود أن يدخل فى وزارته تعديلا يتناسب مع هذه النتيجة لكى يجعل لوزارته طابعا دستوريا فحيل بينهوبين اجراء هذا التعديل وغلبت عليه كلمة رئيس الديوان وبقيت الوزارة ، كما ألفت ، كأن لم تحصل انتخابات ٠

واذكر عن تلك الانتخابات وقد كنت يومئذ غير مدرك لصغر سني أنني سمعت كلاما كثيرا على تلك الانتخـابات التى جرت فى دائرة سـمنود ، حيث كان مصطفى النحاس باشا وعلى المنزلاوى بك مرشحين فى تلك الانتخابات عن تلك الدائرة .

ورغم أن على المنزلاوى كان يتمتع فى قريته وما حولها بتأييد قوى ، الا أن مصطفى النحاس كان يتمتع فى عاصمة المركز ـ مركز سمنود ـ وما حولها ، بتأييد جارف ولم يكن يتصور أحد أن مصطفى النحاس يمكن أن يسقط فى دائرته ، لولا تدخل الحكومة الى جانب مرشحها على المنزلاوى بك فقد ظل مصطفى النحاس منذ بداية الحياة النيابية نائباعن سمنود ، كما ان خدماته لابناء الدائرة وعرفان أبناء هذه الدائرة لافضال مصطفى النحاس عليهم كانت تفرض نجاحه فى سهولة ويسر . وقد بعث الينا الأخ الكبير الأستاذ مصطفى المنزلاى ـ نجل على بك المنزلاوى تعقيبا على هذا الكلام نشرناه فى آخر الكتاب .



والذى لا جدال فيه أن الحكومة ، قسـمت الدوائر الانتخابية تقسيما من شأنه اراحة مرشحيها والتضييق على خصومها ، كما أنها فى كثير من الدوائر قد تدخلت تدخلا مباشرا ـ بل ومعيبا ـ لصالح مرشحيها ، وحلفائها ، ولاسقاط المرشحين الوفديين .

صحيح ان كثيرين من السياسيين القدامى قد خرجوا من الوفد مع ماهر والنقراشى وصحيح أن جماهير ، عريضة قد تركت حزب الوفد بسبب اقالة فاروق للحكومة الوفدية ، وصحيح ان الوفد وجد ـ كما يقول د . هيكل ـ صعوبة فى الحصول على مرشحين فى كل الدوائر الانتخابية و . و . ولكن لا أحد حتى ولو كان فى مقدمة أنصار وزارة محمد محمود باشا ـ كان يتصور ، ان الوفد المصرى فى اية انتخابات حتى ولو كانت تلك الانتخابات قد تمت باشراف صدقى باشا ـ الخبير فى التدخل الحكومى فى الانتخابات ـ يمكن ان يخرج من تلك الانتخابات بـ ١٢ مقعـدا لا أكثر ولا أقل وأن تسقط القيـادات الوفدية ، كل القيادات الوفدية فى تلك الانتخابات فلا يفلت منها شخص واحد الامر الذى يؤكد حقيقة ان الانتخابات فى كثير من الدوائر ـ ولا نقول الكل ـ قد شابها كثير من أوجه الضغط والاكراه ..



وحول موضوع الانتخابات يقول الاستاذ محمد زكى عبد القادر فى كتابه : « محنة الدستور » : لو اجرت الحكومة هذه الانتخابات بشىء من الحياد لهان الأمر ولكنها أجرتها بصورة مجافية لكل قواعد الحرية ، بحيث يمكن القول بأنها فرضت أشخاص الناجحين فرضا والنتائج التى أسفرت عنها أكبر دليل

يدين الوزارة ووسائلها فقد نجح ١٩٣ ، من الدستوريين والسعديين ، ٥٢ من المستقلين ، ١٢ من الوفديين ، ٤ من الحزب الوطني ، وليس من المعقول أن ينقلب الرأى العام هذا الانقلاب السريع ، فينصرف عن الوفد فى مثل هذه المدة الوجيزة الى حد انه لا يحصل على أكثر من ١٢ مقعدا ودون أن تقع تطورات أصيلة فى تفكير الناس فضلا عن أن الاقالة وشعور الناس بأن الأمر ، أخذ يرتد الى السراى جعلهم يغضون عن كثير من أخطاء الوفد ويؤثرونه بتأييدهم على أنه خط الدفاع ضد دكتاتورية القصر . ثم هناك دليل آخر هو : كيف يحصل حزب الأحرار الدستوريين فى انتخابات سنة ١٩٣٨ على أكثر من مائة مقعد وهو الذى لم يحصل فى انتخابات سنة ١٩٣٦ ، على أكثر من ستة مقاعد ؟ واذا صح أن الناس انصرفوا عن الوفد فليس من المؤكد أن انصرافهم كان الى الاحرار الدستوريين لانهم لم يأتوا بأعمال شعبية فى الفترة ما بين سنة ١٩٣٦ ، وسنة ١٩٣٨ فقد اشتركوا كما اشترك غيرهم فى توقيع معاهدة ١٩٣٦ ولم تكن معارضتهم لاعمال الوزارة الوفدية معارضة ناجحة ، بل كانت أقرب الى الكيد منها الى المعارضة . ثم أن توليهم الحكم بعد اقالة الوزارة دون سبب مفهوم أضعف مركزهم الشعبى فوق ضعفه وأحس الناس أنهم لم يتغيروا عما كانوا عليه فى سنة ١٩٢٨ .



والأمر بالنسبة للسعديين فيه ما يقال أيضا فان حزبهم لم يتألف الا قبل الانتخابات بفترة قصيرة ، وكانوا الى ما قبل شهرين أو ثلاثة من اجراء الانتخابات وفديين ، اشتركوا فى كل أعمال الوزارة الوفدية ، وقراراتها ولا يكفى لكى يحصلوا على تأييد كبير من الشعب ان يخرجوا من الوفد ، ذاكرين الفساد ، والمحسوبيات والرشاوى ، ثم جاء اقرارهم الضمنى لاقالة وزارة الوفد ولاسلوب الحكومة فى اجراء الانتخابات ، سببا جعل الناس يستريبون فى أمرهم .



وهنا لابد من توضيح الموقف وتحديد المسئوليات فان خروج النقراشى وماهر من الوفد سواء كان هذا الخروج بارادتيهما أم بقرار من أعضاء الوفد ، كان طبقا — لما ذكراه — ان الوفد خرج عن الخطوط التى رسمها سعد زغلول فبطش بالحريات وسار سيرة المحسوبية ، والحزبية ، فى شئون الحكم ، ولو استمسكا بقواعد الدستور والفا حزبهما الجديد واتجها الى الرأى العام ببيان أخطاء الوزارة : وينتقدانها ويحاولان كسب الرأى العام الى صفهما لما كان على موقفهما غبار ولكن أمر انشاء الحزب الذى أنشآه مفهوما .

ولكنهما أقرا اقالة الوزارة ، وأقرا أساليب الحكومة الجديدة فى الانتخابات ، وقبلا أن ينجح أنصارهما بالضغط والارهاب وليس فى هذا شىء

يقبله سعد زغلول أو يرضاه ، وليس فيه ما يتفق فى قليل أو كثير مع القواعد الدستورية السليمة ، التى تقول أن الأمة مصدر السلطات ، وهما وانصارهما يعرفون أن السراى أصبحت باقالة الوزارة الوفدية واجراء انتخابات سنة ١٩٣٨ سيدة الموقف لانها تعرف أن الانتخابات لم تكن حرة وان الحكومة القائمة وان حظيت بأغلبية البرلمان لا تستند الى أى تأييد شعبى فالوضع الذى ارتضاه الحزب السعدى وضع غير دستورى من رأسه الى قدمه ، ولم يكن هذا علاجا لفساد الحكم الوفدى ولن يكون ، ولكنه كان نقلا للسلطة أو مساعدا على نقلها من الشعب الى السراى واذا كان من حظوا بالثقة الشعبية قد أساءوا استعمالها فانهم ليسوا خالدين ، وسيعرفهم الشعب حتما ، وسينصرف عنهم فى وقت قريب أو بعيد والشعب أولا ، وأخيرا هو صاحب الحق ، يمنحه من يشاء ، ويحرمه من يشاء وليس لاحد أن يفرض عليه وصاية » ..



وقد أكون مع الاستاذ محمد زكى عبد القادر فى كل ما ارتآه فيما يتعلق بالانتخابات ولكننى أختلف معه الى حد كبير ، فيما يتعلق بالقاء مسئولية ما جرى فى الانتخابات على الحزب السعدى خاصة وانه كان يشكو طوال فترة الانتخابات من الحكومة ، وهو غير ممثل فيها ، كما أنه كان يقيم الدليل تلو الدليل ـ أثناء الانتخابات ـ على أن الادارة تتحيز ضده لا معه ، ثم أنه ـ فى النهاية ـ كان يرى أن الانتخابات ، لم تكن لصالحه تماما بقدر ما كانت فى صالح الاحرار الدستوريين فلقد دخل الحزب السعدى الانتخابات بعدد غير قليل من الكوادر الوفدية ، التى كانت قد تعودت النجاح ، فى كثير من الانتخابات وقد كان الحزب السعدى يطمع فى أن يكون له الأغلبية فى تلك الانتخابات ، فلما لم يحصل على مايريده لم يشأ الاشتراك فى الحكم فور الانتهاء من عملية الانتخابات فالحزب السعدى بلا جدال ليس مسئولا ، أبدا عما حدث فى الانتخابات لانه لم يكن شريكا فى الحكومة وان كان شريكا فى معاداته للنظام السابق ..



ويقول د . يونان لبيب رزق ، عن وزارة محمد محمود باشا الثانية : كان مطلوبا تجربة جديدة دون تعطيل دستور ١٩٢٣ ، أو تغييره وتمثلت التجربة الجديدة ، فى تدخل الادارة فى الانتخابات مما ترتب عليه سلسلة طويلة من المجالس النيابية انبثق تشكيلها من رغبة القصر وقد بدأت وزارة محمد محمود فى تنفيذ خطتها باستصدار المرسوم الملكى بحل البرلمان الوفدى وقد هاج النواب الوفديون الا أن الشرطة تمكنت من اخراجهم من المجلس بعد قراءة المرسوم ، وتبع ذلك أن أخذت الوزارة فى القيام بعمليات فصل واسعة

للموظفين الوفديين ، واحلال موظفين معروفين بولائهم لها محلهم ، فى نفس الوقت كانت الحكومة تقوم بالاعداد لانتخابات مجلس نواب جديد ٠

وقد استخدمت وزارة محمد محمود كل ثقـل الادارة لتشكيل مجلس « لا وفدى » وكانت أهم القوى الكبيرة ، التى دخلت الانتخابات التى جرت فى عام ١٩٣٨ :

١ ـ الحكومة التى تسمى مرشحوها بالمرشحين القوميين على أساس أن الوزارة تمثل ائتلافا قوميا ، بدون الوفد وقد نال بالطبع هؤلاء كل معونة من الادارة ٠

٢ ـ الهيئة السعدية التى كانت قد تشكلت خـلال هذه الشهور يقودها أحمد ماهر ، والنقراشى بعـد انسلاخهما عن الحزب الكبير وقد تحـرك هؤلاء بحرية فى عدد كبير من الدوائر ، الانتخابية ، وقد انبعث توفير هذه الحرية من رغبة كل من القصر ، ومحمد محمود فى التنصل من تهمة تزوير الانتخابات ومن الرغبة أيضا فى هدم الوفد ، على أيدى المنشقين عنه ، واظهار أن الحزب الكبير قد انقسم على نفسه الى وفد سعدى ، يمثل أغلبية الوفديين و « وفد نحاسى » يمثل أقليتهم ٠

٣ ـ الوفديون : وقد بلغت الضغوط ذروتها طوال أيام الانتخابات ٠

ونحب أن نشير الى رأى أحد الثقاة الأجانب فى هذه الانتخابات ، هو رأى مارسيل كولومب في كتابه «تطور مصر ١٩٢٤ ـ ١٩٥٠» «ترجمة زهير الشايب» تقديم دكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى هذا الرأى هو : فى أكتوبر ١٩٣٧ عهد الملك الى على ماهر باشا برياسة الديوان الملكى غير عابىء برأى مصطفى النحاس ، وأخيرا أصدر الملك فى ٣٠ ديســـمبر ١٩٣٧ ـ وهو ـ أى الملك ـ واثق من شعبيته ، قراره الخاص باقالة الحكومة ، وحل مجلس النواب . وكلفت الحكومة التى شكلها محمد محمود باشا رئيس حزب الأحرار الدستوريين باجراء انتخابات جديدة وأجريت هذه الانتخابات فى مارس من العام التالى ، وكانت هزيمة الوفد فيها ساحقة فقد سقط مرشحوه الأقوياء ، أمثال مكرم عبيد باشا سكرتير الحزب ومحمود بسيونى بك رئيس مجلس الشيوخ وزكى العرابى باشا ، والهلالى بك ، وعثمان محرم باشا ، أما مصطفى النحاس باشا فقد فشل فى دائرته « سمنود » فى الحصول على عدد الأصوات اللازمة لنجاحه وهكذا كانت ستة أشهر من حكم فاروق كافية لالحاق الهزيمة بخصم لم يستطع والده فؤاد طيلة حكمه ، أن يقهره ٠٠



وكان د٠ محمد حسين هيكل قد ألقى ، على كاهله كوزير دولة لشئون وزارة الداخلية النصيب الأوفى من تنظيم الحملة الانتخابية ، وكان محمد محمود

باشا قد ألقى خطابا سياسيا فى ميدان الاسماعيلية « ميدان التحرير الآن » أعلن فيه عن برنامجه الانتخابى كرئيس للحكومة وكان من بين ما قاله : تألفت هذه الوزارة لتقيم النظام الدستورى بروحه الصحيحة فتقيم حكما صالحا ، مكان حكم أغضب الشعب فخرج عليه ليستقر فى مصر ، الأمن ، والطمأنينة ، تهيىء بهما الجو لاستئناف الحرية ، والنظـام وتمهد بهما لاعمـال الاصـلاح ، التى يقتضيها العهد الجديد ، . وكان من بين ما قاله : نحن بحاجة الى اذاعة الروح الدستورية وتمكينها فى شئوننا العامة ، بحاجة الى الجو الذى تعيش فيه الحريات وتترعرع ، بحاجة الى الأخذ بأسباب التربية السياسية الصحيحة ، واشاعة تقاليد الحكم السليم : بحاجة الى وضع الأسس الكريمة للحياة القومية ورفع مستوى الحياة العامة والخاصة ، بحاجة الى توفير أســباب الكفاح فى المعترك الدولى ، وأسباب الدفاع عن سلامة أراضينا » .

ويعلن محمد محمود أن الوزارة الحاضرة قد عقدت العزم على أن تسير بالبلاد ، فى هذا السبيل وأن تتضافر وإياها على بلوغ هذه الغاية فهى تعمل على استثمار كل ما فى البلاد من القوى الطبيعية وهى تحرص على تماسك عناصر الشعب ، ووحـدة صفوفه وعلى بقاء التعـاون والوئام بين الاقباط والمسلمين ويتفقان فى المستقبـل كما كانا فى المـاضى وهى ــ أى الحكومة ــ مصرة على القضاء ، على كل دعاية قد يشتم منها روح التفريق بينهما وهى مطمئنة الى انها تستحقق للبلاد بذلك كل ما هى جديرة به من تقدم وارتقاء .. »



وقد كان للدكتور محمد حسين هيكل رغم اشرافه على الانتخابات رأى خاص فى الانتخابات التى أشرف على اجرائها وماسبقها من انتخابات ، ويتلخص هذا الرأى فى ، أننا ــ هكذا قال بالحرف الواحد ــ : قد سلخنا أربعة عشر عاما أو تزيد فى الحياة البرلمانية ومنذ خمسة عشر عاما صدر الدستور يقرر أن مصدر السلطات كلها الامه وقد كررت الصحف وكرر الخطباء عبارة « مصدر السلطات » هذه آلاف المرات خلال تلك الاعوام الخمسة عشر وكان المفهوم أن يتطور تصور الناس لشئون الحكم ليطابق هذا المبدأ ، فيرون الحكومة وكيلا عنهم ، تستمد سلطانها من سلطانهم وتعمل فى حدود وكالتها لصون حقوقهم والاشراف على واجباتهم .



على أن ماحدث من هذا التطور كان بطيئا لا يكاد الانسان يحسه فأول ما تقتضيه وكالة الحكومة بكل أدواتها عن الامة أن يشعر الجميع ، على اختلاف الوانهم ، ومشاربهم مؤيدين كانوا للوزارة القائمة أو معارضين لها ان هذه الاداة

الحكومية ترعى حقوقهم جميعا على سواء وتنفذ القانون فيهم على سواء ، وانها تأمر وتنهى فى حدود القانون لحسابهم جميعا لا لحساب طائفة على حساب طائفة أخرى ولا لحساب حزب على حساب حزب آخر لكن هذه المبادىء الاولية فى الحكم الدستورى عامة وفى الحكم البرلمانى خاصة ، لم يكن لها أثر محسوس فيما شهدت من صلة الشعب بالحكومة بل كان الظاهر للعيان أن رجال الحكومة يشعرون بأنهم لا يستمدون سلطتهم من الامة ولا من القانون ، وانهم على العكس من ذلك مسلطون على الامة يوجهونها وفق ارادتهم ولا يتجهون وفق أرادتها ويعملون لحسابهم أكثر مما يعملون لحسابها وتعنيهم مصلحتهم ٠ وقلما تعنيهم مصلحتها !



ويقول د ٠ هيكل : ومن أسف أن الشعب يرى الامور بالعين ، التى يراها بها الموظفون فاذا سمع حديثا ، عن اصلاح شئونه حسبه من قبيل القصص التى تتلى عليه لتلهيته كما تتلى عليه قصة الزير سالم ، أو أبو زيد الهلالى وخيل اليه ان ما هو فيه قدر محتوم لا يستطيع أحد له تحويلا ، ولا تبديلا ٠ ويعلل د٠ هيكل ذلك كله قائلا : انه الجهل من ناحية ، والاستبداد الذى رزحت تحت نيره اجيال ، متعاقبة من ناحية اخرى فالجـاهل يضطرب ولا يثور والمستبد يقمع الاضطراب والثورة جميعا ٠ باسم القانون حينا ٠ وباسم النظام حينا آخر ، ولم يكن يسيرا ان تنتقل الامة من ظلمات الجهل الى نور العلم فى أقل من جيل ولم يكن يسيرا كذلك أن تغير تصورها للأشياء تثور على ما ألفت أجيالا طويلة وقد أتاح هذا الجهل للذين أوتو أيسر حظ من العلم أن يحسبوا أنفسهم من طبقة غير طبقة الأمة فمن حقهم أن يستعلوا عليها ، وأن يستبدوا بها ولو أن غشاوة الجهل زالت عن البصائر والابصار ، وانتشر التعليم بين طبقات الامة فشعر الموظفون كبارا وصغارا بأنهم ليسوا خيرا من غيرهم مكانا وأنهم يقومون فى وظائفهم ، بأعمال يستطيع غيرهم من أبناء الشعب أن يقوم بمثلها ، اذن لتغير الحال ٠ ولتطور تصور الأمة لمعنى الحكم ، ولآمن الجميع بأن عبـارة « مصدر السلطات كلها الامة » لها مدلول قوى يجعل الحكومة وكيلا عن الامة حقا يعمل لحسابها ، لا لحسابه ، ويؤثر مصلحتها على مصلحته ثم يرى مصلحته الذاتية مرتبطة بمصلحة هذا المجموع ، الذى يوليه سلطاته ويكفل له حريته وحياته » ٠

ونستأذن القارىء فى جولة سريعة خاطفة فى صحافتنا خلال المرحلة الأولى من مراحل وزارة محمد محمود باشا الثانية ، وما كان يشغل الرأى العام وقتئذ ، وعلى سبيل المثال ، لا الحصر ، بالطبع :



● فى ١٩٣٨/١/٦ طالبت صحيفة كوكب الشرق الوفدية الدكتور أحمد ماهر والنقراشى باشا والدكتور حامد محمود بالعودة الى الوفد ، المنزل الأول الذى نشأوا فيه ووجدوا من أجله احترام الناس وتقدير الملايين . وحذرت من انضم اليهم من الشيوخ والنواب ، الوفديين من الانتقال الى صف الأقليات ، وتقول الصحيفة فى نهاية تحذيرها هذا : أما وقد أبيتم أن تمشوا الى آخر هذا الطريق المعوج الوعر ، والخطر ، فلتتلقوا على رءوسكم ما أنتم تستحقونه !!

● فى ١٩٣٨/١/٨ ، تهتم الصحف المصرية بذهاب العديد من الشباب الى دار مدرسة مصطفى كامل لرؤية تمثال مصطفى كامل ، فى دار المدرسة ، وتشير الصحف الى الخطاب الوطنى الثورى الذى ألقته عزيزة عباس عصفور الطالبة بكلية الحقوق وقتئذ كما تشير الى البرقيات التى أرسلها هؤلاء الشباب الى الجهات المسئولة لاخراج تمثال مصطفى كامل السجين فى مدرسته ، ويتوجه هذا الشباب بعد ذلك الى د. أحمد ماهر ، فى مكتبه للتحدث اليه فى أمر هذا التمثال السجين الذى تم اعداده من ربع قرن مضى ، وقد أكد د. ماهر ، لمن زاره من الشباب ان من الواجب الوطنى البحث عن مكان لائق ينقل اليه هذا التمثال .

● أشارت الصحف الى القضية المتهم فيها حسان أبو رحاب أفندى ، ومصطفى الحفناوى أفندى الطالب بكلية الحقوق ، لأنهما نشرا كتابا عن حكومة الوفد اعتبرته الجهات المختصة معاقبا عليه .

تولى الدفاع عن المتهمين عبد الرحمن الرافعى ، عبد الرحمن البيلى ، مصطفى مرعى .



● كانت الصحف تهتم بأخبار الوفود ، التى تزور د. أحمد ماهر فى مكتبه فى مجلس النواب وفى ١٩٣٨/١/٩ أفردت الصحف ، أمكنة بارزة لخطاب الدكتور أحمد ماهر رد فيه على بيان مصطفى النحاس بخصوص خلافه مع النقراشى باشا ، ومما قاله د. ماهر : لقد رأينا أن لدى مصطفى النحاس باشا ومكرم باشا رغبة جامحة فى الاستبداد ومواصلة مستمرة للعدوان على الحريات والكرامات وعلى كل عزة فى النفس وكل كرامة فى الرجال : قيدوا الحريات وانتهكوا حرمات القوانين والدستور وصبرنا ونصحنا لهم مرة ومرة أخرى فأهملوا النصح واستمروا فى غيهم وانساقوا فيه حتى لم يبق فى قوس الصبر منزع » ويقول أحمد ماهر : لقد ضحى مصطفى النحاس باشا فيما مضى وخدم بلاده وأخلص وكان من الخير له بعد ذلك أن يقرن فخر ماضيه بحسنات حاضره ويقف عند هذا الحد ، اما أن يتنكر فى حاضره للمبادىء التى احترمها فى ماضيه فذلك ما لا تجدى فيه شفاعة ..

● في الأهرام الصادر في ٢٦ يناير ١٩٣٨ يكتب توفيق الحكيم رسالة الى صديقه الدكتور منصور فهمي بك بدأها قائلا : ما دمنا قد اتفقنا على أن العمل قد حان له أن يحل محل الكلام . وما دمت يا صديقي قد طلبت الى أن أمضى في ذكر التفاصيل فان أول ما ينبغي عمله هو وضع البرنامج ، وقد ترد على بأن وضع البرامج هو أيضا مما يدخل في منطقة الكلام ، ولكن ما الحيلة اذا كانت حتى هذه الخطوة الأولى في سبيل العمل . لم نخطها بعد : ان كل النهضات التى قامت بها الحكومات الجديدة في بلادها خصوصا بعد الحرب ، انما تمت وفق منهج مرسوم ، تحدد لتنفيذها زمن معلوم فقالوا هذا النظام خمسى ، وهذا عشرى ، تبعا لعدد السنوات التى قرر الاخصائيون . انها لازمة لظهور المشاريع » ويتساءل توفيق الحكيم في رسالته عما اذا كان قد وضع نظام ثابت لمحو الأمية من البلاد في ظرف سنوات معلومة ، وعما اذا كانت لدينا مشروعات اقتصادية درسها الخبراء ، وقرروا لها زمنا تنم فيه وتخرج للبلاد في نهايته وسيلة جديدة من وسائل الانتاج تزيد الثروة الأهلية الزيادة التى تتعادل مع نمو عدد السكان وتسد الحاجات المنتظرة والمطالب المستقبلة وعما اذا كان الباحثون قد درسوا سياسة ثابتة للتعليم الجامعي ، و ٠٠ و ٠٠



ويرد توفيق الحكيم على هذه التساؤلات قائلا : انه لم يوضع شيء بعد ـ حتى على الورق ـ لتحديد العمل والزمن الذى يقتضيه التنفيذ لمختلف فروع نهضتنا بل انه لم ينظر الى الآن حتى فيما يجب البدء به حالا من هذه الطرائق المختلفة تبعا لحاجة البلاد حتى لا يضيع علينا الوقت ؟

● ويرد د٠ منصور فهمي ، على توفيق الحكيم في أهرام ٢٧ يناير ١٩٣٨ متسائلا : أفلا ترى أن الخطط المستقيمة للأعمال قد رسمت باحكام ، واتقان ولكنها لا تلبث أن تلتوى وتفسد ، اذا كانت نفوس من بيدهم تعهدها ، وتحقيقها، فيها ضعف وفيها فساد ٠

أما ترى الرأى الناضج يجيء به من الناس من لا يجد لشخصه من مرضى القلوب قبولا ، فيهدر الرأى حينئذ وتتلاشى فوائده ؟ ويرد د٠ منصور فهمي على تساؤلاته ، قائلا : في خلط الأعمال وفي اعتداء الشخصيات على المصالح داؤنا الاجتماعى القتال فانشد اذن للنفوس أسباب البر ، والسلامة من هذا المرض والوهن الخلقى فاذا برئت نفوسنا منه وخلص منطق الناس من أثر هذا الداء العضال تتلاقى العقول السليمة ، والفطر القويمة بالعواطف البريئة ، السامية ، التى لا تسممها الأهواء وتفوز الأمة من هذا التواصل وهذا اللقاء بخير السعى ، وخير العمل ٠



● كانت افتتاحية جريدة الأهرام فى يوم الجمعة ٤ فبراير ١٩٣٨ عن الجدل السياسى بين زعمائنا .. والافتتاحية ، تعقب على ثلاثة بيانات أو ثلاث وثائق صدرت عن الحكومة والمعارضة ، وعن الحزب الجديد ـ الهيئة السعدية ـ برئاسة أحمد ماهر ، والنقراشى . وتقول الأهرام : من حق الزعماء أن يصدروا ما شاءوا من البيانات فيعلنوا فيما يبدو لهم من الآراء فى سياسة البلاد العامة ، بل ان ذلك لواجب عليهم ولا سيما فى هذا الوقت الذى اشتد فيه نشاط البلاد السياسى ، واستدبرت فيه الأمة مرحلة من مراحل حياتها البرلمانية لتستقبل مرحلة جديدة ، نعم ليس على زعمائنا من حرج ، اذا هم عمدوا الى المساجلات يبدى فيها كل فريق رأيه ويقرع حجة مخالفة للسياسة ، بحجة مثلها ثم يكون الرأى فى النهاية للأمة ، فهى المرجع وهى الحكم ، ذلك أن مساجلات الزعماء تبصر الرأى العام بالحقائق ، وتكشف له ، عما قد يغم عليه من دقائق الأمور ودخائلها وتنير له الطريق فيرى الحجة واضحة فيسلكها فى غير عناء ، بل هى دروس يتلقاها الجمهور من قادته فتتكفل له التربية السياسية ، الصالحة » .



● وكان محمد محمود باشا بصفته رئيسا للوزراء ، قد أصدر بيانا عن موقف حكومته حيال البرلمان ، الذى حله والأسباب التى دعته الى حله . ودفعته الى اجراء انتخابات برلمانية جديدة . وكان مصطفى النحاس باشا رئيس الوفد قد « رفع » ونواب الوفد عريضة الى الملك « يلتمسون » فيها قيام وزارة محايدة تباشر عملية الانتخابات القادمة ، وكان د. أحمد ماهر ، ومحمود فهمى النقراشى باشا والدكتور حامد محمود قد أصدروا بيانا وجهوه الى الأمة ، يبسطون فيه موقفهم ، وتقول الأهرام : لقد جاءت بيانات زعمائنا ، عنيفة شديدة فى ألفاظها مليئة بالتراشق ، بالتهم ، وتبادل الصاق العيوب على صورة لا يرضاها الصديق بل لعلنا لا نغلو اذا قلنا ان المرء لا يملك نفسه حين تطالعه هذه الصورة من أن يشتد به الأسف على ما انتهى اليه التطاحن السياسى بين زعماء البلاد وقادتها ، ومما يبعث على التفكير ويدعو الى اطالة التأمل ان هذه الظاهرة ـ ظاهرة الترامى بالألفاظ ، التى ينبغى أن يتنزه عنها الجدل السياسى ـ لا ترجع الى اليوم ، ولا أمس القريب ، غير انها مع هذا تزداد شدة ، واستفحالا حتى بات المخلصون يشفقون على الأمة من عواقبها وما قد تنتهى اليه ـ لا قدر الله ـ من سوء المصير وتقول الأهرام : أى شر أعظم من أن ينقل المراسلون الأجانب الى صحفهم ، ما يرون ، وما يسمعون فاذا مصر تبدو أمام العالم ، فى صورة بلد تفرقت . كلمة أبنائه ، وأصبح ، بعضهم حربا على بعض .



● وقد كانت تعليقات الصحف الأخرى على حل مجلس النواب واجراء انتخابات جديدة مختلفة ومتباينة حسب وجود كل صحيفة فى جانب المعارضة

للحكومة أو فى جانب التأييد : جريدة المصرى ، المعارضة قالت : ان يوم حل مجلس النواب هو يوم الدستور بكل ما فيه من قوة ، وسلوى ، ورهبة ويوم الأخلاق بكل ما تعنى من كرامة ورجولة وبطولة ، وتقول المصرى ٠ حل اليوم « المرقوب » -- يوم الحل ـ فاذا النواب أكرم نفسا ، وأقوم خلقا ، وأثبت جنانا ، وأمتن ايمانا من أن يرهبهم سيف المعز ، أو يغريهم ذهبه ؟ ٠

● وتقول جريدة « السياسة » المؤيدة ، للحكومة أن واجب الحكومة ـ وهى تشرف على عملية الانتخابات طبعا ـ أن تسلك السبيل الدستورى الصحيح ، وأن تكون حازمة بحيث تصون الأمن والنظام فاننا نتصور ونحن نسطر هذه الكلمات ، الحالة النفسية التى يعانيها النحاس باشا وانه سيخرج عن حدوده كما عودنا ، فصيانة لكرامة الأمة يجب أن تتخذ كافة الاحتياطات ضد كل تمرد ، أو عبث بالنظام ٠

● وتقول جريدة الجهاد ، المعارضة للحكومة تحت عنوان : هزيمة الوزارة قبل الشروع فى المعركة ٠ « ان الوفديين ـ هكذا قالت الجهاد ـ يخرجون من هذه المعركة ، وأعلام مصر خافقة فوق رءوسهم ، ولم يسمح لهم القدر بأن يستخدموا قواهم فى البرلمان لان خصومهم فروا قبل بدء المعركة ، ولم يجدوا ملجأ ، يحميهم من عار الخذلان سوى سلطة جلالة الملك فلجأوا الى الاستعانة بها لكى يبقوا مدة أخرى فى الحكم ولكن يوم النصر الحاسم قريب فالشهران سيمضيان سراعا فخير للوزارة أن تعمل ليومها كأنها تموت غدا ، وأن تترك الأمة طليقة فى اعلان مشيئتها » ٠



● وفى صدر البلاغ ـ المؤيد للحكومة ـ مقال تحت عنوان : « نهاية عهد دابر » جاء فيه : مستحق للحل بحكم الدستور ، ومستحق للحل بحكم الأخلاق ومستحق للحل بحكم الأحزاب والشيع السياسية على اختلاف المصالح ، والآراء ، بل مستحق للحل بحكم الاقتصاد ، وتدبير مال الدولة ، لأن خزانة الأمة قد أنفقت على البرلمان فى السنتين الماضيتين زهاء مليون جنيه دون أن تستفيد منه بفائدة غير التصفيق ، لمصطفى النحاس ، ودعوته الى الولائم وشكره على حضورها ، وليته كان تصفيقا باخلاص أو عقيدة مع ذاك فها نحن أولاء ، قد رأينا عاقبة ذلك التصفيق وعاقبة تلك الدعوات وعاقبة ذلك الشكر على الحضور ٠

● ومن الطريف أن جريدة الأهدام فى ٤ فبراير ١٩٣٨ قد علقت فى صفحتها الأوعلى على خبر سبق نشره هو أن «صاحب المجد النبيل» عباس حليم ، قد أسس جمعية لمحاربة المحسوبية ٠٠ والتعليق يقول : « لقد أنشئت تلك

الجمعيــة لمحـاربة المحســوبية على غرار الجمعيــات الأخرى التى سبق تأسيسها لمكافحة التدرن الرئوى ، ولمكافحة دودة القطن ، وللقضاء على الملاريا و ٠ و ٠ »



وينتقد كاتب التعليق ـ فى سخرية . بالطبع ـ تأسيس جمعية لمكافحة المحسوبية فى الوظائف فقط ، رغم أن المحسوبية فى الوظائف من شر أنواع المحسوبيات وأشدها باعثا ، على الشكوى ، واحراجا ، للصدور ومثارا للمتاعب، ويقول كاتب التعليق ان الاكتفاء بانشاء جمعية مكافحة المحسوبية فى الوظائف فقط كمن يحاول أن يستأصل جانبا من الداء ثم يدع جوانبه الأخرى فلا يلبث أن يعاود الجسم آلام العلة ، فالمحسوبية ـ عامة ـ فى مصر داء قديم ومرض طال عليه الزمن ، ففى كل واد أثر منه » ولا يجد كاتب التعليق من علاج ، للمحسوبيات كلها ـ كل أنواع المحسوبيات ـ الا الدعوة الى العدل فان فى العدل ضمانا للقضاء على المحســوبيات ٠ وما اجتمع العــدل والمحســوبية فى مكان الا ولى احداهما فرارا » ٠

● وتهتم الصحف المصرية الصادرة فى فبراير ١٩٣٨ ، بصدور قصــة « سارة » للأستاذ عباس محمود العقاد ، وتقول الأهرام عن سارة : عودنا الأستاذ العقاد ، أن يمهد لكتبه الكثيرة بمقدمات تشرح فكرتها ولكنه لم يشأ فى مؤلفه الجديد ، أن ينحو هذا النحو وترك للقارىء أن يختار له ما شاء من النعوت ٠

ولقد أحسن المؤلف فلبست سارة قصة بالمعنى المألوف المعروف وليست كذلك كتابا وانما هى بين القصة والكتاب بل انها قصة وكتاب معا ، وهى بعد هذا تقوم على تصور حوادث مادية وروحية ، ان صح هذا التعبير ، ونعنى بذلك العراك النفسى ، الذى كثيرا ما خالج بطل القصة همام فجعل من شخصه الواحد ، شخصين وثلاثة أشخاص ، تتنازع كل منهم عوامل حائرة بين الشك واليقين والهدى ، والضلال ، وهنا يبدع المؤلف ما شاء ٠ فى هذا التحليل النفسى بأسلوب يتجلى فيه شرف البيان وثروة الفن ٠



● وتعلق الصحف المصرية ، والأجنبية الصادرة في فبراير ١٩٣٨ أيضا على زواج اليوزباشى الطيار أحمد ناجى على بساط الريح فى جو الأهرام وكان من بين ما قالته جريدة سوار الباريسية : اذا كان الخديو اسماعيل قد قال ان مصر قطعة من أوروبا ، فانه يمكن أن يقال اليوم ان مصر ، قطعة من أمريكا ، فزواج ناجى فى الجو ، مطابق لتقاليد هوليوود ، وكان أحمــد ناجى قد تزوج ، فى الطائرة ، وكان هذا الزواج متعبا للزوجين ، العروسين ، اذ كانت الطائرة تهتز بمن كانوا بها بسبب اصطدامها بالرياح الشديدة فى منطقة الهرم ٠

● ومما لفت نظرى فى الأهرام فى ٢٠ فبراير ١٩٣٨ أن الأستاذ محمد زكى عبد القادر قد نشر فى صدر الأهرام فى بابه الشهير « نحو النور » وكان عنوان الباب : « جناية السياسة » ، وقد كان مما جاء فى مقال أستاذنا زكى عبد القادر: انحط مستوى الوظائف العامة فى مصر خلال الأعوام العشرة الأخيرة انحطاطا يدعو الى الأسف والاشفاق ، ومن المحزن ، أنه فى الوقت الذى يتقدم فيه التعليم ويزداد المتعلمون وتكثر شهاداتهم ودرجاتهم فى الوقت الذى يتوطد فيه مقام الجامعة وتنشأ فيه أقسام عالية للدكتوراه ينحط مستوى الموظفين وهذا كله جناية السياسة ، وجناية الاحزاب فقد حسبت أغلب الحكومات أن وظائف الحكومة أهون شىء يمكن الانعام به على الانصار والمحاسيب ، ومن هنا كانت الفوضى ، وكان أن قفز الى الوظائف فى هذه السنوات العشر ، أشخاص لا كفاية لهم الا اجادة الهتاف ، والتصفيق واحسان الملق ، وسبك الاكاذيب ، وكان أن اتجه ـ وهذا مما يؤسف له ـ بعض المتعلمين ، تعليما عاليا فى سبيل تحقيق أملهم فى الحصول على وظيفة نحو الاحزاب ، يهتفون لها ويصفقون لا عن اعتقاد ، ولا عن اخلاص ولا ايمان بمبادئها ، ولكن عن اعتقاد بأن هذا وحده سبيل الوصول ، وعن ايمان بأن الشهادة أو الاجازة لاقيمة لها ، ان لم تقترن بهذا التهريج » .

وينهى الأستاذ محمد زكى عبد القادر ، كلمته تلك بقوله : ان أوائل فرقهم فى الاجازات العالية ، لا يجدون عملا ، بينما يرون الهتافة والمصفقين والكذابين والمضللين والدجالين ، والمشعوذين يحتلون الوظائف أفرادا وجماعات .



● وتكون كلمة الاستاذ محمد زكى عبد القادر فى صدر الأهرام الصادر فى ٢٦ فبراير ١٩٣٨ وفى زاوية « نحو النور » تحت عنوان : « الخصومة السياسية » يشيد فيها بموقف للدكتور أحمد ماهر ، عندما رفض باعتباره الأستاذ الأعظم لمحفل الشرق الماسونى أن ترفع صورة صاحب المقام الرفيع ، مصطفى النحاس باشا من صور القاعة الكبرى ، فى المحفل ، ويشيد بماقاله أحمد ماهر : أن الخصومات السياسية ينبغى الا تؤثر فى العلاقات الشخصية ويشيد أيضا الأستاذ زكى بما قاله أحمد ماهر من أنه يجل صاحب المقام الرفيع ، مصطفى النحاس باشا على الرغم مما بينهما من الخلاف السياسى ، ويقول الأستاذ محمد زكى عبد القادر لو حدث مثل هذا فى انجلترا أو فى غيرها من البلاد الدستورية العريقة ، مالفت نظر أحد ولا استشار كلمة من انسان ، أما فى مصر فانه جدير أن يلفت النظر لانه مثل غريب ، على ماتعودنا من خصومة حادة لاتفرق بين الشخص والمبدأ ، بل تتقدم نحو غايتها تحطم الاخلاق ، والفضائل وتعطى الشعب أسوأ الأمثلة » ويشير الأستاذ محمد زكى عبد القادر الى ماكتبه انتونى ايدن ـ عندما آثر أن يعتزل عمله كوزير للخارجية البريطانية ـ

الى مستر شمبرلن رئيس الوزارة البريطانية فى كتاب استقالته قائلا ، انه لايستطيع أن ينسى المساعدات والنصائح التى كان يبذلها له دائما ، وان اختلافهما فى الرأى لايمكن أن يمحو ذكريات صداقتهما أو يؤثر فيها ، ويرد مستر تشمبرلن على ايدن ، شاكرا له معاونته المخلصة مؤكدا أن لاشىء مما جرى يقلل من اعجابه بمواهبه ، ومحبته له ، ويقول صاحب نافذة « نحو النور » : بمثل هذا الفهم الواضح السمح لروح الدستور ، ونطاق الخدمة العامة ، تقف بريطانيا العظمى بتقاليدها المجيدة ، الحامية الأولى للديمقراطية ورمز الأمان ، والسلام للفكر الحر ، والايمان الصادق والانسانية المهذبة .



● ومن مساجلات توفيق الحكيم ، و د . منصور فهمى يكتب توفيق الحكيم فى الأهرام « ٢٦ مارس ١٩٣٨ » قائلا : فى كل بلد راق حدود مقدسة تقف عندها الخصومة ، وأسلحة لا يلجأ اليها أبناء الوطن الواحد فاقحام الدين مثلا فى ميادين الخلاف السياسى آمر لايمكن أن يحدث فى أى شعب ديمقراطى متحضر ، فالديمقراطية ليست كلمة تقال فى الخطب لانها جملة ذات رنين ، ولا هى بناء شامخ يسمونه البرلمان ، لكن الديمقراطية هى روح المساواة ، والاخاء ، وحرية الفكر ، المكفولة للجميع وان كل طعنة تصيب كتلة الوطن فتحللها الى عناصر وطوائف ، انما هى طعنة مسمومة تصل مباشرة الى قلب الأمة ، وصميم الديمقراطية ، كذلك ينبغى أن نتذكر دائما أن الخصم فى المبدأ هو مواطن مصرى قبل كل شىء ، وان خصومة المبادىء ، ليس معناها القضاء المبرم على الاشخاص ، بكل الاسلحة .. لتكن الخصومة فى حدود التنافس على القيام بخدمة المجموع ، وليعتقد كل فى خصمه ، ان عجزه يوما عن خدمة بلاده على الوجه المطلوب لا يمنع من استطاعة ذلك فى يوم آخر ، وينهى توفيق الحكيم كلمته بقوله : فلتكن اذن السهام المصوبة من طرف الى طرف فى غير مقتل من الشخصية والآدمية والشرف ، فليس من مصلحة الوطن أن تفرش أرضه بصرعى وقتلى من أبنائه العاملين ، انما المصلحة هى فى أن تتداول السواعد ، ادارة العجلة ، وأن تتهيأ لكل يد الفرصة لخدمة البلاد » .



● فى مشروع الميزانية المصرية للعام المالى « ١٩٣٨ / ١٩٣٩ » قدرت المصروفات بمبلغ ٤٠٫٥٢٠٫٠٠٠ جنيه مقابل ٣٦٫٩٩٢٫٨٢٠ جنيها فى الميزانية الحالية فتكون الزيادة نحو ٣٫٥٢٧٫٠٠٠ج٠م ، وهذه الزيادة تجىء بسبب الاهتمام بالعلاج ، والتعليم ، والدفاع و . و الزيادة - مثلا - فى اعتمادات مشروع مياه الشرب فى القرى - تبلغ ٢١٢٫٠٠٠ جنيه مصرى

الزيـادة ـ مثلا ـ فى التعليم رغبة فى التوسـع فيه بمختلف أنـواعه تبلغ ٢٨٥ر٠٠٠ جنيه مصرى : تنفيذ كادر القضـاة يتطلب ١٦ر٠٠٠ جنيه فى السنة ، تحسين وتعزيز الوظائف ، فى ميزانيات الداخلية والبوليس والخفر ، ٥٨ر٠٠٠ جنيه ، لتحسين حالة العمال فى شتى المصالح طبقا لقرارات مجلس الوزراء ١٨ر٠٠٠ جنيه • والمقارنة بين ميزانية عام ١٩٣٩/٣٨ ، وما بعدها من ميزانيات ضرورية •• وهامة ! •



● من أخبار ذيول المعركة الانتخابية أن مصطفى النحاس باشا رئيس الوفد المصرى قد بلغ النائب العام بصورة اقرار رفعه اليه متولى محمد شريف أفندى الموظف بمصلحة المساحة بسوهاج والذى كان مندوبا لوزارة الداخلية ، فى لجنـة ١٢ رزيقات التابعة لدائرة الضبعية : هذا الاقرار يشكو من حدوث تلاعب فى انتخابات دائرة الضبعية لصالح سعادة أحمد عبود باشا : وبأمر الأستاذ عبد اللطيف بك محمـود ، الأفوكاتو العمومى ، باجـراء التحقيـق ويستدعى المواطن متولى محمد شريف لسماع أقـواله وتطلب منه النيـابـة احضار أصول الكشوف التى كانت الصحف الوفدية قد نشرتها عن انتخابات دائرة الضبعية •

انشقاق فى الحزب الوطنى
بسبب اشتراك رئيسه فى وزارة محمد محمود باشا

وقد أحدث قبول حافظ رمضان باشا الاشتراك فى وزارة محمد محمود باشا رغم التزام اعضاء ، الحزب الوطنى بعدم الاشتراك فى أية وزارة فى ظل الاحتلال البريطانى ، تصدعا خطيرا • فى صفوف الحزب الوطنى •

وكان الحزب الوطنى وقتئذ غير مستعد لقبول مثل هذا التصدع الذى حدث فى الحزب ، وقد تزعم عبد الرحمن الرافعى ، ومحمد محمود جلال وفكرى أباظة وعبد المقصود متولى وغيرهم من قادة الحزب الوطنى وأعضاء لجنته الادارية الحركة التى لم تعترف باشتراك حافظ رمضان باشا فى الوزارة واعتباره ، غير ممثل للحزب الوطنى وانما هو ممثل لشخصه ، لا أكثر ، ولا أقل وكان ان وجدت لجنتان اداريتان للحزب الوطنى ، احداهما تؤيد حافظ رمضان والأخرى تعارض اشتراكه فى الوزارة و • و •



وقد استمعت أكثر من مرة الى حافظ رمضان باشا ـ فى بيته ـ وهو يوضح الاسباب التى دفعته الى المشاركة فى وزارة محمد محمود باشا ووزارة حسن صبرى باشا فيما بعد ، وقد جادلته فى وجهة نظره هذه طويلا . ولم يستطع رحمه الله اقناعى فقد كنت من المؤيدين لوجهة النظر المضادة القائلة بضرورة عدم اشتراك الحزب الوطنى فى أية وزارة الا اذا تبنت تلك الوزارة مبادىء ، الحزب الوطنى رسميا وبذلت قصارى جهدها لتنفيذ تلك المبادىء •

وقد كنت ولا أزال من المؤمنين بأن الحزب الوطنى قد خسر كثيرا كحزب ، وكشخصيات قيادية فى الحزب عندما قبل مبدأ المشاركة ، فى بعض الوزارات

بدليل . أن حافظ رمضان باشا لم يستمر طويلا فى الحكم ، بل ولم يحقق من اشتراكه فى الوزارة ، أى مكسب للحزب الوطنى ، وبدليل أن المرات التى ، قبل فيها بعض قيادات الحزب الوطنى ، كعبد الرحمن الرافعى ، وعبد العزيز الصوفانى وزكى على كانت قليلة ، بل ونادرة وكان أولئك ، الذين قبلوا الاشتراك فى الحكم من قيادات الحزب الوطنى موضع لوم ، وتثريب من زملائهم فى الهيئة الادارية للحزب ومن الكوادر الشابة ، التى لم تغفر لهم جميعا وقوعهم فى هذا الخطأ التاريخى الجسيم ! •



وقد حاول حافظ باشا أن يوضح وجهة نظره فى موضوع قبوله للحكم أكثر من مرة أما فى خطبه السياسية ، وكان حافظ باشا حقيقة من الخطباء ، العباقرة ، وأما فى أحاديثه الى الصحافة ، وأذكر أنه أدلى بحديث الى الأستاذ كامل الشناوى ، وكان وقتئذ قطبا من أقطاب جريدة الاهرام وقد نشرت الاهرام الحديث فى عددها الصادر فى ٢٥ نوفمبر ١٩٤٩ وكان كامل الشناوى رحمه الله.

قد حاول في بداية حديثه ، اثارة حافظ رمضان ولأهمية الحديث يعتبر في نظرى من الاحاديث السياسية الممتعة التى تجمع بين ذكاء الصحفى وثقته فى نفسه وبين عبقرية السياسى ، الذى يتحدث الى الصحفى ، وسعة ادراكه فقد آثرت ، أن انقل للقراء مقدمته : فكرة صائبة ، حية ، قوية ، ومضت فى عقل مصطفى كامل ونبضت فى قلب محمد فريد ، هكذا كان الحزب الوطنى ، « وهز حافظ رمضان رأسه علامة الموافقة وعقب قائلا : أن ما تقوله ، صحيح فالحزب الوطنى فكرة نبعت من الشعب ولذلك آمن بها واعتنقها وقلت له ـ قال كامل الشناوى لحافظ رمضان ـ اريد أن أقول أن الحزب الوطنى كان كذلك ، فيما مضى ، أما اليوم فان أصدقاءكم ـ وما أكثرهم ـ يتساءلون فى حزن ومرارة : ما هو الحزب الوطنى ، انه لم يعد فكرة ولم يصبح حزبا : وقال حافظ باشا غاضبا من قال ذلك : أن الحزب الوطنى دائما فكرة وحزب معا : قلت : لاتغضب منى ، فلست اتهجم ولست اتجنى ولكننى أحاول أن أكون صريحا مع رجل يرأس حزبا مبادئه صريحة ، وهدفه صريح » • ونجحت محاولتى فقد تركنى حافظ رمضان أتكلم دون أن يقاطعنى بكلمة أو اشارة ، أو نظرة ، وقلت له : أن الحزب الوطنى لم يعد فكرة منذ أن اشترك برجاله فى الحكم فقد وجدهم الناس وزراء مثل سائر ! الوزراء لا حماسة ولا تطرف من أجل الجلاء : صحيح انكم كنتم تقولون ، وانتم فى الحكم : لا مفاوضة الا بعد الجلاء ، ولكن هذا كلام فقط ، وقد سمعنا قولتكم خارج الحكم ، أكثر مما سمعنا ، داخل الحكم ، فهل قبلتم أن تكونوا! وزراء لكى تقولوا ما كنتم تقولونه وأنتم غير وزراء ؟ لان الوزير الذى

يتكلم ولا يعمل أولى به أن يقبع فى داره ، ومن الاسف ، انكم لم تعملوا شيئا ايجابيا باشتراككم فى الحكم ، حتى اخطاؤكم لم تكن ايجابية .



والحزب الوطنى لم يصبح حزبا ، لان للأحزاب نظام ، وتقاليد ليس من بينها كما ــ هو حادث عند غيركم ــ ان يكون فى الحزب الواحد عدة أحزاب لكل منها اتجاه ينقض الاتجاهات الاخرى ، وليس من بين تقاليد الاحزاب ــ كما هو حادث عندكم ــ الا يكون للحزب لجان تنفيذية أو فرعية ، ولا صحف تنطلق بلسان الحزب الوطنى .

وقال حافظ رمضان : ان صدرى يتسع ، للصراحة ،ولكنه يضيق بالتجنى ، والواقع ، ان كلامك فيه جمع من الصراحة والتجنى والذى يعنينى الآن ، أن أصحح معلوماتك :

لقد امتنع الحزب الوطنى ، عن الاشتراك فى الحكومات قبل أن يكون للبلاد دستور وبرلمان ، وكان ذلك مفهوما لان الحكومة المصرية كانت تستمد بقاءها من رضى ، المحتلين ، أما بعد أن صار للبلاد حياة نيابية فان الحكومات أصبحت دستورية ، وأصبح واجب الحزب الوطنى ، أن يشترك فى الحكم لتنفيذ خططه السياسية ، فان جهود الشعب لا تجدى الا اذا تضافرت مع حكوماته ، وقد كانت بعض الحكومات المصرية قبل قيام الحياة النيابية ، تساعد الحركات الشعبية الوطنية خفية من وراء الستار ، وكنا نقدر هذه المساعدات حق قدرها ، وما حدث فى مصر حدث مثله ، فى أكثر الأمم التى منيت بالاحتلال ولأضرب لك مثلا بالبلاد الايطالية عندما احتلتها النمسا ، اشتدت مقاومة الايطاليين لمحتليهم ، وكان كافور الوزير الايطالى ثم رئيس الوزراء فى ظل الاحتلال يساعد حركة المقاومة الوطنية من طرف خفى ، وقد أفادت هذه المساعدات بلاده فى التخلص من نير الاحتلال وكان يقول لزعماء ، الحركة الوطنية : فى رائعة النهار أنكركم ولا أعرفكم وفى ظلام الليل أمد يدى اليكم وأساعدكم بكل قواى » وكم من حكومات مصرية فى عهد سيطرة الانجليز مدت يدها الى الشعب فى ظلام الليل ، فالوزير الوطنى حتى فى ظل الاحتلال يستطيع أن يفيد بلاده . لقد كنا وزراء فى ظل الدستور فقط وكنا وطنيين .

وتستطيع أن تقول وأنت مطمئن ، الى صحة ما تقوله ، أن الحزب الوطنى لم يرفض الاشتراك فى الحكم ، ولم يقبل الاشتراك فى الحكم الا وهدفه الأساسى تحقيق مبادئه ، الوطنية والمثالية وقد حققنا بعض هذه المبادىء : حققناها بطريقة ايجابية وليس بطريقة سلبيه ، كما تزعم .



لقد رفض الحزب الوطنى الاشتراك فى وزارة المغفور له عدلى يكن باشا ، عام ١٩٢٦ وهى الوزارة التى جاءت وليدة الائتلاف ٠٠ رفضنا الاشتراك فيها لأننا كنا نعلم ، ان هذه الوزارة قد تألفت للتفاوض مع الانجليز قبل تحقيق شرط الجلاء ، وفى عام ١٩٢٨ دعانى المغفور له محمد محمود باشا الى الاشتراك فى وزارته ورفضت لأننى عرفت انه « سيوقف » الحياة النيابية وهو أمر يتنافى مع مبادىء ، الحزب الوطنى ، أما الوزارات التى قبلنا الاشتراك فيها فهى وزارة محمد محمود باشا فى آخر عام ١٩٣٧ وقد اشتركنا فيها لانه لم يكن من برنامجها الدخول فى مفاوضات مع بريطانيا وانما كانت مهمتها معرفة رأى الأمة عن طريق الانتخابات بعد ما وقعت فى البلاد أحداث خطيرة ٠

وعلى اثر ظهور الانتخابات انسحبت من الوزارة ٠

ووزارة المغفور له حسن صبرى باشا ، وقد تألفت فى زمن الحرب ، ولابست تأليفها ظروف عصيبة دقيقة اقتضت أن يكون فى الوزارة رجال يستطيعون أن يقفوا فى وجه أى اعتداء ، ضد السيادة المصرية ولم يحن الوقت بعد لكى أكشف الستار عن هذه الظروف ، وكل ما أستطيع أن أقوله ، اننى كنت مجندا فى الوزارة « الصبرية » لتأدية عمل وطنى خطير ، وقد أديناه ، ولو لم تشترك فى وزارة حسن صبرى باشا ، لوقعت الكارثة ، التى حلت بالبلاد ، عقب استقالة الوزارة السرية عام ١٩٤٢ ! (وزارة حسين سرى باشـــا) وقلت ــ كامل الشناوى ــ : ان التاريخ الذى سردته له قيمته وله خطره ولكننى لم أتبين عملا ايجابيا محددا ولم أتبين فيه أيضا أى كسب طارىء ، للحزب الوطنى ٠ وكان الأستاذ حافظ وأنا أطرق أذنه بهذه الكلمات يشرب كوب ماء ، فالتفت الى ، وقال : اننى لم أتم بعد سرد التاريخ ، ألا تنتظرنى حتى أفرغ من كوب الماء ، ان الشاعر يقول :

فى فمى مـــاء ، وهل ينطق من فى فيه مـــاء !

وعن المستقبل يقول حافظ رمضان : ان المستقبل بيد الله سبحانه وتعالى ونحن نعد العدة ، لكى يكون لنا فى مقبل الأيام ، أغلبية برلمانية ان لم يكن فى هذا الجيل ، ففى الجيل القادم : ان الحزب الوطنى لا ييأس لانه على حق والحق مهما يكن بطيئا ، فانه يصل حتما » ٠



واذا كان الشىء بالشىء يذكر ، كما يقولون ، فاننى لا أنسى ما كتبه أستاذنا الكبير عبد العزيز البشرى ــ طيب الله ثراه ــ عن حافظ رمضان ، ورغم القسوة التى كانت تتسم بها كتابات عبد العزيز البشرى عن حافظ رمضان ، وغير حافظ

رمضـــان الا انها كانت قســوة محببة الى النفس : يقول البشرى ، عن حافظ رمضان : لو أنك لم تكن رأيت محمد حافظ رمضان بك وبدا لك أن تتمثل رئيس الحزب الوطنى ، القائم على المطالبة بمصر والسودان مضافا اليهما الملحقات سواء منها ما فى يد الانجليز أو ما فى يد الطليان ، وما فى يد الأحباش ، وجلاء الجيش الانجليزى بلا قيد ، ولا شرط ، ولا مساومة بل ولا مفاوضة ولا اتفاق ، ولا ، ولا ، لما استطاع ذهنك أن تتخيله الا رجلا عنيفا حاد الطبع ثائر الأعصاب اذا قاولك وبخاصة فى شأن عام ينفجر عن مثل بركان ، ولكن ما أعظم خيبة الخيال حين تقع عيناك على حافظ رمضان ويضمك فى مجلسه فانه لا يروعك الا أن ترى رجلا وادعا ، هادىء السعى ، بطىء الحركة الى درجة الجمود ، تكاد تقطع بأنه قد فقد كل الاتصال بين أعضائه ، وبين معارف وجهه حتى لتوشك ألا تتغير عليها شىء من مظاهر ، العواطف المختلفة ، وانه ليتحدث اليك فى القانون ويتحدث اليك فى السياسة ويتحدث اليك فى جميع الأسباب الدائرة بين الناس فيجيد الحديث اجادة ينقطع من دونها الوصف ، جزالة علم وصحة رأى ، وقناعة حجة ، وقوة بيان ، فى حلاوة ونبرة وعذوبة صوت ·· والواقع ان الله تعالى قد وهب ، هذا الرجل ، قصدا واعتدالا فى كل شىء فهو معتدل ، الخلق ، والتكوين ، معتدل الأخلاق ، والسجايا ، معتدل الحركة والسعى ، معتدل الحديث والرأى وهو فى الوقت نفسه ، رئيس الحزب الوطنى ، ومبدؤه المطالبة بمصر والسودان والملحقات وجلاء الجيش الانجليزى عن جميع البلاد ، بلا مساومة ، ولا مفاوضة ولا اتفاق : الحق أنى لو كنت فى موضع حافظ رمضان بك لكانت مهمتى ، أشق مهمة رجل فى التاريخ ، غـير أن حافظ بك يضطلع بها فى غير كلفة ، ولا عنـاء وللعظيم العظائم » وينهى عبد العزيز البشرى حديثه عن حافظ رمضان ، قائلا : اذا كان التطرف فى الرأى السياسى ضربا من الشعر ، فما أعذب هذا الشعر وما أحوج تكافؤ النزعات السياسية اليه ، على انه اذا تجاوز حده وخرج على أفقه ، فقد أصبح له ، فى توجيه سياسة البلاد شأن آخر ·

ولو كان لى ـ لعبد العزيز البشرى بالطبع ـ من شىء لدعوت « بشركة حافظ رمضان : عبد الحميد سعيد اخوان » فخيرتها بين أمرين : اما ترك «التقالى» فى الاستجوابات والعوض على الله ، ولو مؤقتا فى الملحقات واما أن تتولى الوزارة ، وعندها مهلة شهرين لتجىء فيها بالنيــل ، من منبعه الى مصــبه والملحقات ، وملحقــات الملحقــات والجـلاء ، الكامل بلا مســاومة ، ولا تفــاوض « وكمان » بلا اتفاق : على شرط أن تؤخذ عليها التعهدات بعدم «حططان» الكتف على أوروبا وقت الأزمات » ·

وأرجو أن يقبل منا القارىء العذر اذا كنا قد حرصــنا على أن نعطى أهمية كبيرة لاشـــتراك حافظ رمضان باشا رئيس الحزب الوطنى فى وزارة محمـد محمـود باشـا « الثـانية » لما لمشاركة الحزب الوطنى فى الحـكم من

أهمية بالغة ، وقد أبدينا معارضتنا لاشتراك الحزب الوطنى رغم المبررات ، التى ساقها حافظ باشا ، لتبرير ، اشتراكه فى الوزارة . ونقلنا صورة لحافظ رمضان باشا ، فى المرآة ، كما رآها الكاتب الساخر المعروف عبد العزيز البشرى رحمه الله ، لا لشيء الا للتدليل على ما كان يلقاه أبناء الحزب الوطنى من تهكم وسخرية لتمسكهم بمصر والسودان وزيلع وبربر ومصوع « الملحقات » ، وقد كانت مجلة روز اليوسف لا تصف حافظ رمضان باشا الا بأنه رئيس الحزب الوطنى وزعيم الأناقة والرشاقة والملحقات . وحافظ رمضان ـ للعلم ـ هو ثالث رئيس للحزب الوطنى بعد مصطفى كامل ومحمد فريد ، وقد ظل مركز رئيس الحزب الوطنى شاغرا بعد وفاة محمد فريد فى ١٥ نوفمبر ١٩١٩ لوجود خلافات جذرية فى صفوف اللجنة الادارية ، ولوجود كثير من قيادات الحزب الوطنى مثل على فهمى كامل بك ـ شقيق مصطفى كامل فى المنفى بأمر من سلطات الاحتلال البريطانى فى مصر .



وقد اجتمعت اللجنة الادارية للحزب الوطنى فى ٩ مايو ١٩٢٣ وقررت انتخاب حافظ رمضـــان (بك) رئيســا للحزب عملا بالمادة التاسعة من قانون الحزب الصادر فى سنة ١٩٢٢ وكان الانتخاب قد تم بموافقة كل من أحمـد لطفى بك ، عبد اللطيف الصوفانى بك ، الدكتور اسماعيل صدقى بك ، اسماعيل بك لبيب ، حسن خيرى بك ، محمد بك أحمد الشريف ، محمد بك فؤاد المنشاوى الدكتور محمود ناشد بك ، عبد الرحمن الرافعى بك ، محمود بك نصير ، محمد عبد المجيد العبد ، اسماعيل حافظ ، محمد رمضا ن، سعيد بك طليمـــات محمد زكى على ، أحمد وجدى ، مصطفى الشوربجى ، عبد المقصود متولى ، محمد فؤاد حمدى ، أحمد وفيق ، أعضاء اللجنة الادارية للحزب الوطنى .

وقد أصدر حافظ رمضان اثر انتخابه رئيسا للحزب الوطنى بيانا تقدم فيه « بالشكر الجزيل لأعضاء الحزب الوطنى ، ولباقى المواطنين على الثقة التى مازالوا يغمروننا بها برسائلهم ، المشجعة وكنا نود أن نعبر لهم عن عواطفنا فى ظروف أخرى حتى لا تشوبها شبهة الرغبة فى الرياسة ، والله يعلم أننا من أزهد الناس ، وأبعدهم عن مظهرية الزعامة مهما كنا قريبين من روحها ونزعتها الفعالة ، ولكننا لبينا دعوة اخوان قضت ارادتهم أن يسابقوا الزمن فى جمع شمل الحزب وضم صفوفه ، وقد اتسعت دائرة العمل ، وضاقت ساعاته وعلى كل نصير له ، وكل منتم اليه وعلى كل مستعصم بمبادئه نعتمد كما نعتمد على الله » .

« وان لنا من زعيمينا السابقين القدوة الحسنى ، والمثل الأعلى وان « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا » صدق الله العظيم .

وكان الزعيم سعد زغلول يستشفى فى اكس ليبان فبعث اليه حافظ رمضان ببرقية يقول فيها : انه بمناسبة حلول عيد الفطر المبارك وانتخابى رئيسا للحزب الوطنى ، أبلغكم أطيب الأمانى التى أرجوها لكم ، ولكل عزيز لديكم مشفوعة بذكريات الصداقة ، القديمة التى بيننا وانى لأرجو أن أراكم قريبا بيننا على أرض مصر الخالدة التى شغفنا جميعا بحبها مع كل من قضى عليهم النفى بالبعد عنها » وكانت برقية حافظ رمضان الى سعد زغلول دعوة مخلصة . الى ضم الصفوف وتوحيد الكلمة وقد رد سعد زغلول على حافظ رمضان ببرقية قال فيها : ان تلغرافكم المنبىء ، بانتخابكم رئيسا للحزب الوطنى والذى ضمنتوه أمانيكم الطيبة بمناسبة العيد أدخل على السرور فأشكر لكم ذلك وأقدم لكم تهانى الشخصية » .



ورحبت الصحف المصرية وقتئذ بانتخاب حافظ رمضان لرياسة الحزب الوطنى ، ووضعت مجلة اللطائف ، المصورة صورة حافظ رمضان على غلاف عددها الصادر فى ٢٨ مايو ١٩٢٣ تحت عنوان الرئيس الجديد للحزب الوطنى وكان من بين ما كتبته اللطائف عن حافظ رمضان ما يلى : أجمع أعضاء الحزب الوطنى على انتخاب رئيس لهم خلفا للمرحوم محمد بك فريد فقررت لجنة الحزب الادارية ، انتخاب الوطنى الصميم المعروف صاحب العزة محمد بك حافظ رمضان فنهنىء عزته ، بثقة حضرات زملائه ، به كلل الله بالنجاح مساعى العاملين لمصلحة مصر » .

وقد اشتهر حافظ رمضان فى تاريخ الوطنية المصرية ، اذ كان فى مقدمة العاملين مع المرحوم مصطفى كامل باشا فى أول نهضته قبل صدور اللواء سنة ١٩٠٠ وتكوين الحزب الوطنى سنة ١٩٠٧ وظهرت وطنيته ومكانته السابقة فى خطبه العديدة نخص بالذكر خطبة تأبينه للمرحوم مصطفى كامل وخطبته التى تليت فى مؤتمر بروكسل سنة ١٩١٠ ، وخطبته فى المؤتمر الوطنى المصرى بمصر الجديدة سنة ١٩١٢ ، وخطبته السنوية فى تأبين المرحوم مصطفى كامل ، باشا والمرحوم محمد بك فريد و .. و .. وبالرغم من أن الحزب الوطنى برئاسة حافظ رمضان كان فى مقدمة الداعين لاجتماع المؤتمر الوطنى فى ١٩ فبراير ١٩٢٦ والذى قال فيه أحمد شوقى بك :

التأمت الأحزاب بعد تصدع ... وتصافت الأقلام بعد تلاح
سحبت على الأحقاد أذيال الهوى ... ومشى على الضغن الوداد الماحى
وجرت أحاديث العتاب كأنها ... سمر على الأوتار والأقداح
ترمى بطرفك فى المجامع لا ترى ... غير التعانق واشتباك الراح

وفى هذه القصيدة قال شوقى حكمته المأثورة :

صوت الشعوب من الزئير مجمعا   فاذا تفرق كان بعض نباح

اقول رغم ان الحزب الوطنى كان له دور فى جمع الصفوف والتئام شمل الأحزاب وتأليف وزارة قومية برئاسة عدلى يكن الا أن الحزب الوطنى ، رفض المشاركة فى تلك الوزارة وذلك لمخالفة الوضع الوزارى لمبادئه ، المعروفة مع قيام الاحتلال ٠

وقد عبر ، عن امتناع الحزب ، الوطنى عن المشاركة فى الحكم المؤرخ أحمد شفيق باشا فى حولياته السياسية فقال :

« أصبح من الضرورى بعد انتصار الأحزاب السياسية فى اعادة الدستور ، أن تشكل وزارة ائتلافية من رجال هذه الأحزاب ماعدا الوطنيين الذين من مبدئهم ألا يتولوا مناصب الحكم مع وجود المحتلين فى البلاد » ٠



وكان حافظ رمضان قد صرح قبل استقالة وزارة زيور باشا وتكليف عدلى يكن بتشكيل الوزارة الجديدة فى ٩ ديسمبر ١٩٢٥ لجريدة الانفورماسيون بقوله : يمكننى أن أصرح لك فى غير مواربة ان الحزب الوطنى الذى أتشرف برئاسته ليس له مطمع وزارى فى الحالة الحاضرة ، ان برنامجنا واضح جدا ، وهو يفرض علينا خطة صريحة جلية ولكن فى انتظار حوادث جديدة قد رأينا ألا نضع أية عقبة فى سبيل وزارة تعمل على اعادة الحياة البرلمانية ونبذل الجهد فى ادارة أعمال البلاد فى طريق الرقى ، فالحزب الوطنى هو وطنى قبل أن يكون حزبا » ٠

وقد كتبت صحيفة اللواء المصرى ــ لسان حال الحزب الوطنى ــ فى عدد ١٥ مارس ١٩٢٦ تقول : أن الحزب الوطنى لم يكن فى أى وقت من الأوقات سواء قبل الحرب أو بعد الحرب يرمى الى تملك ناصية الحكم ، وهو زاهد فى هذا الأمر زهدا تاما ما دام الاحتلال قائما فى البلاد ، لانه على يقين بأن حكومة ما لا تستطيع أن تخدم الأمة خدمة صادقة نافعة فى حرية واختيار والا اصطدمت به صدمة تكشف عن ضعف غالبية البلاد ، وهنا تكون الطامة الكبرى سواء كان الموقف شريفا بترك الحكم ، أو ذليلا بالرضوخ والعدول عن خدمة البلاد الا وفق مرامى الغاصب ٠



وللعلم ــ أيضا ــ كان الحزب الوطنى برئاسة حافظ رمضان فى مقدمة الداعين الى وحدة الصفوف وائتلاف الأحزاب وتشكيل الجبهة الوطنية فى ديسمبر

١٩٣٥ غير أن الحزب الوطنى عندما وجد أن الأحزاب المصرية متجهة الى الدخول فى مفاوضات مع بريطانيا تستهدف عقد معاهدة بين مصر وبريطانيا انفصل الحزب الوطنى ، عن الجبهة ولم يقبل المشاركة فى وفد المفاوضات الذى تألف برئاسة مصطفى النحاس وعضوية محمد محمود ، اسماعيل صدقى ، عبد الفتاح يحيى ، واصف بطرس غالى ، د. أحمد ماهر ، على الشمسى ، عثمان محرم ، حلمى عيسى ، مكرم عبيد ، حافظ عفيفى ، محمود فهمى النقراشى ، وأحمد حمدى سيف النصر ، وكانت وجهة نظر الحزب الوطنى فى عدم المشاركة فى المفاوضات - كما عبر عنها الأستاذ عبد الرحمن الرافعى - تتلخص فيما يلى : ان سياسة الحزب الوطنى فى عدم المفاوضة قبل الجلاء منسجمة تماما مع مبادئه لانه وهو حزب الجلاء مادام متمسكا بالجلاء ولا يقبل ما دونه لا يرضى الدخول فى مفاوضات بين مصر ، وبريطانيا والاحتلال قائم لان جوهر القضية بينهما هو فى الاحتلال والجلاء فاما جلاء ، واما احتلال ، والجلاء هو الدواء الوحيد للاحتلال كما قال المرحوم محمد بك فريد والأصل أن الاستقلال حق طبيعى ثابت لا يقبل المناقشة فلا يصح أن يجعل هذا الحق موضع شك أو مساومة والمفاوضة والاحتلال قائم وسيلة قصد بها تشكيك الأمة المصرية فى حقها فى الجلاء ، وايمانها به والوسيلة الطبيعية للجهاد هى المطالبة المقرونة بالمقاومة أما المفاوضة فهى من الناحية البريطانية وسيلة لكسب الوقت وصرف الأمة عن التمسك بالجلاء ومن الناحية المصرية وسيلة للتراخى فى المقاومة وقبول الأمر الواقع تحت أوضاع مختلفة ؟! وقد سبق ، لمصطفى كامل أن قال : نحن مسلوبون والانجليز هم السالبون ونحن طلاب حق مقدس والانجليز هم مغتصبو هذا الحق فلا سبيل الى الاتفاق بيننا وبينهم الا باعترافهم بحقنا ورده الينا ؟ .



هذا الى أن المفاوضات والاحتلال قائم فيها معنى الاكراه الأدبى والمعنوى الماثل فى الاحتلال ذاته والاكراه يفسد معنى المفاوضات ونتيجتها ويحمل المفاوض المصرى تحت تأثير هذا الاكراه على المساومة فى الجلاء والتساهل فى وجود الاحتلال تحت أى اسم كان وهذا ما يتعارض قطعا مع مبدأ الحزب الوطنى الأساسى ، وهو الجلاء ، على أن المفاوضة قبل الجلاء تشبه من بعض الوجوه ، استفتاء الشعوب فى تقرير مصيرها مع قيام الاحتلال الأجنبى الذى تستفتى فى شأنه وقد اتفقت الآراء على أن مثل هذا الاستفتاء غير صحيح ولا سائغ لما يلامسه من الاكراه السافر أو المقنع وان الاستفتاء الصحيح يجب أن يسبقه الجلاء والمفاوضة الصحيحة يجب ، أن يسبقها الجلاء .

وقد كان محمد فريد يطلب من المؤتمرات الدولية الاعتراف للأمة المصرية بحقها فى تقرير مصيرها بطريق الاستفتاء على أن يسبق الاستفتاء جلاء الجيش الانجليزى عن البلاد وكذلك جلاء الموظفين المدنيين البريطانيين لضمان صحة

الاستفتاء ! وكان حافظ رمضان باشا وزملاؤه من أعضاء الحزب الوطنى الأعضاء فى مجلس النواب ومجلس الشـــيوخ قد عارضوا معاهدة ١٦٣٦ وكان مجمل الأسباب التي دعت حافظ باشا الى معارضة تلك المعاهدة ـ والتى وردت بالتفصيل فى خطابه بمجلس الشيوخ فى ١٦ نوفمبر ١٩٣٦ ـ ان معاهدة سنة ١٩٣٦ كرست الوجود العسكرى البريطانى فى مصر ، الى جانب ان هذه المعاهدة قد أقرت التحالف المصرى ، البريطانى هذا الى جانب ان وجود الاحتلال كما قال حافظ رمضان بالحرف الواحد ، يتعارض مع استقلال البلاد مهما كانت صفته وينتقص من سيادتها •

وبعد الحديث عن الحزب الوطـنى وحافظ رمضان باشــا رئيس الحزب الوطنى ، وقصة الخلاف بين أعضاء الحزب الوطنى ، حول دخول حافظ رمضان باشا وزارة محمد محمود باشا ننتقل الى قصة الصراع بين محمد محمود باشا رئيس مجلس الوزراء وبين على ماهر باشا ، رئيس الديوان الملكى •

الفصل الثالث

رئيس الديوان ضد رئيس الوزراء

سبق أن أشرنا الى تدخل علي ماهر باشا رئيس الديوان الملكي في شئون الحكم ، بصورة سافرة ، بل بصورة منفرة يأباها أى وزير يحرص على الكرامة ، الشخصية ، والكرامة الوطنية معا ، وقد أشرت الى صورة من صور هذا التدخل ، المقيت ، فبعد أن أجرت وزارة محمد محمود باشا الانتخابات البرلمانية ، وحصل حزب الحكومة ـ حزب الأحرار الدستوريين ـ على الأغلبية ، بادر محمد محمود باشا ـ كما تقضي بذلك الأصول الدستورية ـ الى رفع استقالته ، الى الملك وكان مفروضا على الملك ـ اذا أراد حقا احترام الدستور ـ أن يقبل تلك الاستقالة وأن يكلف محمد محمود باشا بتشكيل الوزارة الجديدة ، ولكن الملك بناء على نصيحة رئيس ديوانه ، لم يقبل استقالة محمد محمود ، ولم يكلفه بتأليف الوزارة وبعد فترة غير قصيرة ، عهـد الملك الى محمد محمود باشا ، بتأليف الوزارة الجديدة ، وقدم محمد محمودباشا كشفا بأسماء الوزراء ، الذين سوف يتعاونون معه فاستبقى الملك الكشف معه ، وطلب من محمد محمود باشا كشفا ثانيا تلاه طلب كشف ثالث ، ورابع وخامس و٠٠و٠٠ فلما قيل لمحمد محمود باشا من بعض رجاله ان الكشوف ترفض على ما يبدو لخلوها من اسم « كامل البنداري باشا » أحد وزراء حكومته ٠٠ قـام محمد محمود باشا بتقديم كشف جديد به اسم كامل البنداري ٠

وبمجرد تقديم هذا الكشف الذى يضم اسم البنداري صدرت مراسيم تشكيل الوزارة الجديدة ولكن ليس بهااسم كامل البنداري كوزير ، وكان من أولى اللطمات التى وجهت للوزارة الجديدة ، ومن أقواها ، أنه فى اليوم التالى لاداء الوزارة اليمين الدستورية ، أمام الملك ، فوجىء رئيس الوزراء والوزراء بالصحف تنشر امرا ملكيا بتعيين كامل البنداري باشا وكيلا للديوان الملكى وكان من أوجب الواجبات على القصر اذا أراد احترام الدستور أن يأخذ رأى

الوزارة الجديدة فى هذا التعيين باعتبار أن وكيل الديوان الملكى موظف حكومى . ولكن القصر لم يفعل ذلك ، فدلل ـ ولو أن الامر لم يكن أبدا بحاجة الى تدليل ـ على مجافاة القصر للدستور نصا وروحا منذ اليوم الأول لتأليف الوزارة محمد محمود باشا ، الجديدة ـ الوزارة الثالثة ـ بدأ الصراع قويا ، وعنيفا بين محمد محمود رئيس الوزارة ، وعلى ماهر رئيس الديوان .

محمد محمود ، يرى أنه رئيس الوزارة المسئول أمام البرلمان بمجلسيه ، وعلى ماهر يرى أنه صانع هذا البرلمان والبرلمان يجب أن يكون مسئولا أمامه !!

محمد محمود يريد أن يحكم علنا . وعلى رؤوس الأشهاد متحملا مسئولية الحكم بشكل كامل غير منقوص ، وعلى ماهر يريد أن يحكم من وراء ستار بحيث لا يكون رئيس الوزراء ، والوزراء ، الا منفذين لسياسته ملبين لأوامره .

وليت على ماهر اكتفى بأن يكون هو وحده الحاكم من وراء جدران القصر الملكى ولكن مطامعه كانت تتضاعف باستمرار فبعد أن استمر التدخل فى شئون الحكم ، وبعد أن وجد الوزارة القائمة لاتعارض هذا التدخل ، راح ـ فى البداية ـ يضع العصى فى الدواليب ـ كما يقولون ـ أمام وزارة محمد محمود كما راح يسمم الآبار فى طريقها .



وكان هدف على ماهر باشا ، من ذلك كله أن يثبت للرأى العام المصرى عجز الوزارة القائمة عن تحمل مسئولياتها ، حتى يتطلع الرأى العام ، الى وزارة قوية يرأسها رجل قوى مثل على ماهر !!

كان هدف على ماهر بعد اضعاف الوزارة القائمة ، وشل حركتها ، أن يقفز هو الى الحكم كمنقذ للأمة ، وللسراى ، وللمعارضة من حكومة محمد محمود باشا .

وكانت وزارة محمد محمود باشا ، الثالثة قد شكلت فى ٢٧ ابريل ١٩٣٨، على النحو التالى :

محمد محمود للرئاسة والداخلية ، اسماعيل صدقى للمالية ، عبد الفتاح يحيى للخارجية ، أحمد محمد خشبة للحقانية ، محمد حلمى عيسى للمواصلات أحمد لطفى السيد ، وزير دولة ، حسن صبرى للحربية والبحرية ، حسين سرى للأشغال ، مراد وهبة للتجارة والصناعة ، أحمد كامل ، للصحة ، محمد حسين هيكل للمعارف ، رشوان محفوظ للزراعة ، الشيخ مصطفى عبد الرازق للاوقاف.

ولم يدخل الوزارة الجديدة كل من : عبد العزيز فهمى ، بهى الدين بركات، حسين رفقى ، محمد حافظ رمضان ، ومحمد كامل البندارى .

وكان عبد العزيز فهمى قد أصيب « بالقرف » ـ وعذرا لاستخدام هذا التعبير ـ من العمـــل الوزارى وكان بهى الدين بركات قد منى بهزيمة فى انتخابات رئاسة مجلس النواب ، وكان حافظ رمضان قد اســـتجاب لضغط اللجنة الادارية للحزب الوطنى فلم يشترك فى وزارة محمد محمود باشا ، الثالثة ، بعد أن رأى أن اشتراكه فى وزارة محمد محمود باشا ، الثانية أحدث تصدعا فى صفوف الحزب الوطنى ٠

وكانت بداية وزارة محمد محمود باشا ، الثالثة بداية ضعيفة للغاية رغم اشتراك عدد من الشخصيات القوية فيها أمثال اسماعيل صدقى ، و أحمد لطفى السيد ، وهيكل ، والشيخ مصطفى عبد الرازق الذى كان اشتراكه لاول مرة فى الوزارة حدثا سياسيا بارزا بعد أن رفع القصر عنه « الفيتو » الذى كان قد وضعه على اشتراكه فى الوزارة من قبل بعد أن أصدر شـــقيقه الأستاذ على عبد الرازق كتابه « الاسلام وأصول الحكم » الذى رأى فيه الملك فؤاد ، محاربة لمطامعه السياسية التوسعية !!



وسر هذه البداية الضعيفة لا يعود ، لوجـود على ماهـر فى السراى ، ومعارضته لكل ما تقوم به الوزارة وحسب ، وانما لان حزب الأحرار الدستوريين الذى كان ينتمى اليه ، رئيس الوزارة لم يكن قد أحرز الأغلبية البرلمانية ، صحيح أنه أحرز عددا من الكراسى يفوق ، ما أحرزه الوفد ، والسعديون ، ولكنه ـ أى حزب الأحرار ـ لم يكن يستطيع أن يحكم بدون المستقلين ، كما أن وجود السعديين ولهم عدد وفير من كراسى مجلس النواب خارج الحكم كان يضعف الوزارة فاذا أضفنا الى ذلك كله ، أن المعارضة الوفدية ، بقيادة الاستـــاذ عبد الحميد عبد الحق رغم أنها لم تكن تزيد على اثنى عشر نائبا ، كانت قادرة على أن تضاعف من أزمات الوزارة الجديدة ، كما أن الانسجام الوزارى لم يكن موجودا فى الواقع ، بسبب تطلعات بعض « الوزراء » وبسبب عدم التزامهم بالسياسة ، التى تضـــعها الوزارة وأبرز نموذج ، لهذا « اللا انسجام » ، هو حسن صبرى باشا ، الذى كان يطلق عليه ، البعض خميرة العكننة للوزارة ، والذى كان يعتمد ، على صلاته بالمسئولين البريطانيين والذى كان يجاهر بانه موضع ثقة القصر أكثر من غيره ، كما أنه كان يرى ، انه كان أكثر الوزراء كفاءة ومقدرة و ٠٠٠ و ٠٠٠

وكان حسن صبرى وزيرا ، للمواصلات فى الوزارة الثانية ، لمحمد محمود باشا أما فى الوزارة الثالثة ، فقد كان وزيرا للحربية ، والبحرية ولم يكن ، لوزارة الحربية والبحرية ، أهمية تذكر فى الوزارت السابقة ، غير ان نشاط حسن صبرى باشا ٠ « وطموحاته » ، وحركاته « وتحركاته » جعلت لوزارة

الحربية والبحرية ، أهمية ، جديدة وقد لعب على ماهر باشا ، على التناقض القائم ، بين الاحرار الدستوريين ، ولكن نتائج هذا اللعب ، لم تحقق الكثير مما كان يريده على ماهر ، خاصة ، وان شقيقه أحمد ماهر ، رئيس الهيئة السعدية كان يعرف جيدا مطامع شقيقه على ماهر ، وكان لايقره باستمرار على سياسته الميكافيلية كما أن العلاقات ، التى كانت تربط بين محمد محمود رئيس حزب الاحرار الدستوريين وأحمد مـاهر ، رئيس حزب الهيئة السعـدية ، كانت علاقات ، قوية قائمة على الاحترام المتبادل ولذلك وقفت منـاورات على ماهر ومؤامراته على الوزارة ، وعلى محمد محمود عند حد لم تتجاوزه ، ولم يكن لها أثر كبير فى تغيير الوزارة وان كان لها أثر كبير فى اعاقة مسيرتها ٠

وعندما أحس على ماهر باشا وهو الرجل الذكى أن مناوراته ، لم تحقق بسرعة ما كان يريده ، بادر ــ كما تقول : مراسلات سير مايلز لامبسون الى لورد هاليفاكس وزير الخارجية ــ فى ٨ مايو ١٩٣٨ ، الى تقديم ، استقالته من منصبه كرئيس للديوان الملكى مدعيا أنه بعد النجاح فى تجاوز الأزمة الوزارية ، وبعد ان استقرت الامور ، فقد انتهت المهمة ، التى أنيطت به ، ويظهر لى ان نجم أحمد حسنين باشا فى داخل القصر ، كان قد بدأ يصعد ويزاحم على ماهر ، شخصيا فاثر أن يلجأ الى هذه المسرحية الجديدة التى واجهت الوزارة الجديدة ، التى لم يكن قد مضى بعد على تشكيلها أكثر من أحد عشر يوما ، وأقول مسرحية لان أحد لا فى داخل القصر ، أو فى خارجه كان يعتقد أن على ماهر باشا جاد فى الاستقالة من رئاسة الديوان ٠



وكان على ماهر باشا ، قد ذكر فى خطاب استقالته الذى رفعه الى الملك ، أن سبب الاستقالة يعود الى ظروف خاصة ، وقد أشارت صحيفة « المقطم » الى أن الناس قد فوجئوا ، بهذه الاستقالة وما كاد يذاع النبأ حتى تعددت الشائعات فى الباعث على هذه المفاجأة ، التى ما كان أحد يتوقعها ولا سيما أن رفعة ماهر باشا ظل الى ما بعد الظهرفى ديوانه يباشر عمله ، ويستقبل زائريه ٠

وقالت جريدة « البلاغ » أن النبأ وقع عند الناس موقع الدهشة وجعلوا يتساءلون ، لماذا هذه الاستقالة ، فى هذا الوقت وليس فى الجو ، ما يحمل عليها ، وذهب المتسائلون ، مذاهب فى تفسيرها فبعضهم عزاها الى أسباب سياسية والبعض الآخر عزاها الى ظروف شخصية وقالت البلاغ :

ان ماهر باشا عندما يقول ان الاستقاله لظروف خاصة فهو صادق فى قوله هذا فهو لا يقول شيئا ، ليخفى شيئا آخر بل يقول الحقيقة كاملة واذن ليس لاستقالته صلة بتعديل الوزارة ، ولا بأية مسألة أخرى من المسائل العمومية ٠٠



أما جريدة المصرى ـ الوفدية فقد أكدت ان الاستقالة سوف يعقبها حدوث مفاجآت فى هذه الأيام ، القليلة • وتقول جريدة الوفد المصرى ـ لسان حال الوفد المصرى : مهما يكن سبب الاستقالة المباشر ومهما تكن العوامل السطحية التى انتهت بأن يقرر على ماهر باشا رفع استقالته من رئاسة الديوان فان هذا السبب ، وتلك العوامل لا تخرج عن أن تكون أمـورا ثانوية ومظاهر غـير جوهرية • ولكن الجوهر ، فى الموضوع كله ، أن هذا الانقلاب الذى كان على ماهر باشا ، أحد أبطاله ، ومدبريه قد انهار ركنه ولن تلبث باقى أركانه أن تنقض على رءوس مدبريه اذ لم يعد مفر ، من أن تتجه السياسة العليا ، فى الاتجاه الصحيح الذى يقوم على أساس من رضى هذا الشعب •

ويؤكد مراسل جريدة التيمس البريطانية فى القاهرة أن أسباب الاستقالة غير معروفة بالضبط ، ويؤكد مكاتب جريدة المانشستر جارديان فى القـاهرة أيضا ، ان هناك أسبابا شخصية دعت على ماهر ، الى تقديم استقالته ، بينما يقول مكاتب الديلى ميل ــ فى القاهرة أن الاستقالة أحدثت دويا عظيما فى الأوساط السياسية ويقول مراسل الديلى تلجراف فى القاهرة : علمت من مصدر وثيق أن سبب الاستقالة يرجع الى خلاف فى الرأى حول موظف كبير ، فقد قدم مجلس الوزراء مرسوما بتعيين هذا الموظف الى الملك فاروق لتوقيعه ولكن جلالته يرى أن لديه ما يدعو الى الشكوى منه • أما جريدة الأهرام فقد قالت : ان هذه الاستقالة لا تمت الى الشئون العامة بسبب ، وانما هى لظروف خاصة وليس لنا ــ هكذا قالت الأهرام ــ أن نعرض لتلك الظروف الخاصة ما دام صاحب الجلالة قد أحيط علما بها ، ولم ير جلالته فيها ما يدعو رئيس الوزارة الى الاستقالة من المنصب الذى قلده اياه •



وتقول الأهرام أيضا : أن صاحب المقام الرفيع رئيس مجلس الوزراء ــ محمد محمود باشا ــ قد اتصل تليفونيا من مرسى مطروح ببعض الجهات مستفسرا عن أنبـــاء الاستقالة وبواعثها ولم تقل الأهرام أن رئيس مجلس الوزراء اتصل برئيس الديوان الذى ظل معتكفا طول اليوم ــ ١٩٣٨/٥/٩ ــ فى فندق مينا هاوس ولم يقابل الا بعض كبار رجال القصر ، وفى مقـدمتهم أصحاب السعادة مراد محسن باشا ، وكامل البندارى بك ، وأحمد حسنين باشا • وقالت الأهرام : أن سعادة الدكتور أحمد ماهر شقيقه ــ وصاحب العزة عبد الرحمن فهمى بك ــ خاله ــ قد زاراه فى مينا هاوس كما زاره فى أوائل الليل عبد الوهاب طلعت باشا الذى حمل الى رفعته الأمر الملكى التالى والمؤرخ فى ٩ مايو ١٩٣٨ أى فى اليوم التالى لتقديم الاستقالة

عزيزى على ماهر باشا اطلعنا على خطابكم المرفوع الينا فى ٨ مايو الحاضر باستقالتكم من رئاسة ديواننا لظروف خاصة ، حدت بكم الى ذلك وأنا مع

تقديرنا لهذه الظروف الخاصة يسرنا وأنتم دائما مثل أعلى ، فى الاخلاص ، والوفاء ، لوطنكم ومليككم أن تستمروا فى رئاسة ديواننا بما عرفناه عنكم من صدق العزيمة ، وكمال الاقتدار فتضيفوا بتفانيكم فى أداء الواجب صفحة رفيعة القدر الى تاريخ جهودكم المحمودة ، الأثر فى خدمة وطننا وبيتنا الملكى ، مما يحفظ لكم على الدوام أجمل الشكر وأبلغ التقدير من لدنا ، وأصدرنا أمرنا هذا الى مقامكم الرفيع بذلك .

« فاروق »

صدر بسراى عابدين فى ٩ ربيع أول ١٣٥٧ ، ٩ مايو سنة ١٩٣٨ .

وكان رئيس مجلس الوزراء قد سافر الى مرسى مطروح على متن طائرة خاصة من طائرات شركة مصر للطيران التى أبقت الطائرة الخاصة تحت تصرفه هناك فى مرسى مطروح وكان رئيس مجلس الوزراء قد رأى أن يذهب الى مرسى مطروح لعرض فرق الجيش المصرى المعسكرة هناك ، وبعد أن فتش ثكناتهم عاد الى جناحه الخاص بالفندق ، الذى ينزل به ، ثم اتصل بصاحب الدولة عبد الفتاح يحيى باشا وزير الخارجية ، ليبلغه أنه قد يعجل بعودته الى القاهرة بسبب استقالة رئيس الديوان الملكى ، غير أنه بعد أن عرف أن المسألة قد انتهت ببقاء رئيس الديوان فى وظيفته ، آثر أن يبقى ثمانى وأربعين ساعة استكمالا لأسباب الراحة ، وعاد محمد محمود باشا فعلا فى صباح يوم ١١ مايو ١٩٣٨ من مرسى مطروح الى القاهرة ، ولكن فى طائرة حربية خاصة من طائرات سلاح الطيران المصرى ..



وما دمنا قد أشرنا الى سلاح الطيران المصرى فقد وجب علينا أن نشير الى أنه بينما كان الشاب عبد المنعم سرى من طلبة الكلية الحربية الملكية يتدرب كعادته فى الساعة العاشرة من صباح يوم ٩ مايو ١٩٣٨ على الطيران الحربى فى مطار ألماظة وبعد أن حلق وحده فى جو المطار وتجاوزه قليلا نحو الغرب راح يقوم باحدى حركات التدريب الجوى بأن ينقلب بطائرته ظهرا لبطن ثم يعيد لها مسيرتها الأولى فى شبه دورة أفلت زمام الطائرة من يده أثناء انقلابها فلم يتمكن من اعادتها الى وضعها الأول وهوت مقلوبة به على غير هدى ثم مالبث أن سقطت طائرته فتحطمت وأصيب عبد المنعم سرى بجراح خطيرة أفقدته الوعى ، والنطق ..

وكانت وزارة الحربية قد رأت فى الأشهر الأخيرة أن تلحق بعض طلبة السنة النهائية فى الكلية الحربية بسلاح الطيران الحربى المصرى ، حيث يتعلمون فنون الطيران ، ويتدربون على قيادة الطائرات توطئة ، لتعيينهم بعد تخرجهم فى سلاح الجو المصرى فكان عبد المنعم سرى أول شهداء تلك الدفعة ، ولست أعرف ترتيبه بين شهداء سلاح الطيران المصرى ولان مؤامرات على ماهر

باشا ، ضد محمد محمود باشا ، ووزارته ، لم تتوقف بمرور الأيام ولان محمد محمود باشا كان عنيدا ، الى درجة خطيرة ، لا يقبل أبدا أن ينهزم فى معركة قرر الاستمرار فى خوضها ٠



ولان ما يربط محمد محمود باشا ، بأحمد ماهر باشا كان قويا ومتينا ، رأى محمد محمود بثاقب نظره ، وكان حقيقة من ذوى العقول الناضجة ، التى قد تختلف معها ، ولكنك لا يمكن أبدا الا أن تنحنى احتراما لها ، رأى محمد محمود ، انه للقضاء على مؤامرات على ماهر ، لابد من تقوية وزارته ، وتقوية وزارته لا يمكن أن يتم الا بتأليف وزارة جديدة من حزبى الأحرار الدستوريين، والسعديين صاحبى الأغلبية فى مجلس النواب ، وأدع الأستاذ الدكتور يونان لبيب رزق ليشرح الفكرة الجديدة ، التى هبطت على محمد محمود باشا ، والتى وصفتها الوثائق الانجليزية بالذكاء ونعنى بها تأليف وزارة دستورية ، سعدية٠٠ يقول د٠ يونان : رأى محمد محمود باشا أن تأليف وزارة من الحزبين صاحبى الأغلبية (١٧٠ نائبا) مما يكفل للوزارة الجديدة أغلبية قوية حتى اذا لم يؤيدها أحد من المستقلين ، ومن ناحية أخرى فقد رأى رئيس الوزراء ، انه بهذا الاجراء سوف يتمكن من الحد من دسائس القصر ودسائس على ماهر ، وقد ذكر محمد محمود فى لقاء له مع السفير البريطانى فى ١٥ يونيو ١٩٣٨ ، أن هذه الوسيلة خير من الرد على كل عمل من القصر بمثله وما يترتب على ذلك من اشتداد النزاع بين الطرفين من ناحية أخرى بعد أن أخفقت محاولات الزعامة الوفدية فى الغاء الانتخابات التى جرت بتهمة التزوير فقد أخذت فى السعى الى الايقاع بين الحزبين صاحبى الأغلبية فى البرلمان ٠

وسعيا لتفويت الفرصة على الوفد جاءت فكرة تأليف الوزارة الجديدة ، وهى الفكرة التى عبرت عنها « البلاغ » وقتذاك بقولها : ان الهدف من تأليف الوزارة الجديدة القضاء على أمل النحاسيين فى اثارة خلافات ، ومنازعات بين الحزبين الكبيرين اللذين يستند اليهما بناء العهد الحاضر تقضى عليهما وعلى عهدهما ٠

ومن البديهى أيضا ــ هكذا تقول البلاغ فى ١٩٣٨/٦/٢٣ : أن استقرار العهد الحاضر معناه القضاء الأخير على النحاسيين من ناحية تالية فان زعماء السعديين ، لما كانوا من أقطاب الوفد فانهم قد شاركوا فى العمل الوزارى وكانت لهم سمعتهم العريضة التى اكتسبوها من ممارسة هذا العمل ، وكان معنى ضم هؤلاء الى الوزارة بما اتصفوا به ــ كما يقول المقطم ــ من الذكاء والحنكة والخبرة والادارة وصدق الوطنية ما يعزز الوزارة ويقويها ٠

وبالوعى بكل هذه الاعتبارات بدأ محمد محمود اتصالاته بالسعديين ، يعرض عليهم اشراكهم فى وزارته ونجح فى الحصــول على موافقتهم بالرغم مما كان يمكن أن تعنيه هذه الموافقة من دخول أحمد ماهر ، زعيم الهيئة السعدية فى صراع مع أخيه على ماهر ، رئيس الديوان الملكى ، وبينما يسعى محمــد محمود الى تدعيم وزارته من خلال الاتصالات كان يجريها مع السعديين كان على ماهر ، ينــاور لافساد هذا السعى ففى ١٧ يونيو وبعد يومين فقط من معرفة نية رئيس الوزراء لتعديل وزارته فى هذا اليــوم يلتقى على ماهر ، بالنحاس باشا على كورنيش الاسكندرية ثم يزوره فى داره بالرمل ، ويظل هذا اللقاء ، وتظل تلك الزيارة موضع تكهنات كثيرة حتى تكشف لنا الوثائق البريطانية عما دار فيها وكيف أنهما كانا جزءا من مناورة كبيرة ضد خطة محمد محمــود لتأليف الوزارة الجديدة فقــد أبلغ على ماهر النحــاس فى هذين اللقاءين أن الوزارة الحاضرة ليست محل الرضا ولا مفر ، من سقوطها عاجلا أو آجلا وسأل النحاس عما يرتضيه لكى ينسى الماضى ، فأجاب بأن كل مايطلبه هو تعيين وزارة محايدة تكون مهمتها اجراء انتخــابات عادلة ، وتكليف الحــزب الفائز بالأغلبية بتأليف الوزارة الجديدة ، ثم جرى بعد ذلك ، كما جاءنى رسائل لامبسون الى هاليفاكس فى كتاب « تاريخ الوزارات المصرية » تأليف د. يونان لبيب رزق ، اشراف حسن يوسف ، حديث عمن يتم ترشيحه لتأليف الوزارة المحايدة ، ولم يكن على ماهر ، رئيس الديوان بالطبع .



ويقول الأستاذ محمد التابعى ، فى كتابه «من أسرار الساسة والسياسة» عن لقاء على ماهر ، بمصطفى النحاس على الكورنيش .. ان على ماهر ، بعث الى مصطفى النحاس رئيس الوفد يطلب منه أن يقابله سرا على الكورنيش فى مكان ما برمل الاسكندرية ، وفى ظلام الليل أما لماذا طلب أن تكون المقابلة على الكورنيش لا فى دار أحدهما فان السبب بسيط . خاف رفعة على ماهر باشا ، أن يراه أحد وهو يدخل دار مصطفى النحاس أو أن أحدا يرى النحاس ، وهو يدخل داره وسوف يكون من الصعب تفسير أو تبرير هذه الزيارة ، أما اذا رآهما أحد معا وهما يتحدثان على الكورنيش فان من السهل أن يقال ساعتئذ ، ان المقابلة تمت بطريق الصدفة ، النحاس باشا يحب المشى ، على قدميه ، وكذلك رفعة رئيس الديوان فأية غرابة فى أن يلتقى الاثنان مصادفة على الكورنيش بينما كل منهما يتنزه سائرا على قدميه .

وكان غرض على ماهر ، من هذه المقابلة هو التفاهم مع زعيم الوفديين ، والتفاهم على اسقاط وزارة محمد محمود خصم الوفد العنيد .



وهكذا ـ يقول الأستاذ التابعي ـ ولما يمض على وزارة محمد محمود ستة أشهر ـ الوزارة الثانية بالطبع ، وبداية الثالثة ـ بدأ السيد على ماهر يعمل على اسقاط الوزارة التى كان قد جاء بها وداس بها على الأغلبية البرلمانية وعلى جسد الدستور ٠٠ لماذا ؟ لكى يتولى هو رئاسة الوزارة : نفس العقبات ، ونفس العراقيل التى كانت توضع فى طريق مصطفى النحاس وضعت فى طريق محمد محمود ، ونفس الشائعات التى كان يذيعها ويروجها أعوان ، على ماهر فى عهد وزارة مصطفى النحاس عادت وبعثت من جديد ٠٠٠

وقد كان لقاء الكورنيش من الأحداث السياسية الهامة ، التى شغلت الأذهان فترة طويلة وتسببت فى كشف أوراق على ماهر الذى كان يصر ـ باستمرار ـ على أن لقاءه بمصطفى النحاس ، كان مصادفة ٠

ولكن محمد محمود لم ينس لعلى ماهر لقاء الكورنيش هذا الذى استهدف التضحية به وبوزارته كما أن مصطفى النحاس لم ينس بدوره لعلى ماهر ، هذا اللقاء ، بعد أن اكتشف أنه لم يكن الا مجرد « لعبة » أراد أن يلعبها على ماهر فى الوقت الضائع !!

وكان محمد محمود صريحا فى معالجة الموقف ، رغم أن أعصابه كانت قد تعبت للغاية لقد خير القصر بين وزارة يؤلفها على ماهر ، ولا تتمتع بتأييد الأحرار الدستوريين ، والسعديين ، وبين وزارة يؤلفها محمد محمود من الحزبين الكبيرين ٠

وللحقيقة وللتاريخ نقول أن أحمد ماهر قد وقف بحق موقفا أخلاقيا رائعا ، فلم يقبل التخلى أبدا عن صديقه محمد محمود رغم التأكيدات التى تلقاها بأن رئاسة الوزارة سوف تكون من نصيبه اذا ما فض تحالفه مع محمد محمود ٠



● فوجىء الدكتور محمد حسين هيكل بدعوة من محمد محمود باشا ، رئيس الوزراء لتناول الغداء فى نادى اليخت الملكى ، ليتعارف الوزراء القدامى بالوزراء الجدد ، قبل أن يتوجهوا بعد الظهر لأداء اليمين الدستورية أمام الملك، ورغم أنه كان وزيرا ، ووزيرا مرموقا فى وزارة محمد محمود باشا الا انه كان يجهل الاتصالات التى أجراها رئيس الوزراء ، ورئيس حزب الأحرار الدستوريين ، الذى ينتمى اليه د٠ هيكل ، بل الذى يعتبر د٠ هيكل أحد أقطابه لاشراك الهيئة السعدية فى الوزارة وقد تساءل د٠ هيكل : لم يحدث هذا التعديل الوزارى وأى داع دعا اليه ؟ ويجيب د٠ محمد حسين هيكل على هذا التساؤل بقوله : لم أعرف من ذلك شيئا على سبيل التحديد أو القطع ، الى ساعة وصلتنى الدعوة لتناول طعام الغداء ، صحيح ان شائعات بهذا التعديل كانت

تتردد ، ولكننى لم أكن أصدقها ، فقد كنت أوثر دائما أن يضطلع بالحكم حزب واحد ، فاذا انضم اليه بعض المستقلين كان قبولهم الاشتراك معه بمثابة قبول منهم لسياسته وخططه ، أما أن يشترك حزبان أو أكثر فى وزارة فلم يكن يروقنى الا اذا اقتضته ضرورة وطنية استدعت تأليف وزارة قومية • ولم أكن أشعر يومئذ بقيام هذه الضرورة ، وبخاصة بعد أن انتهت الانتخابات وفاز الأحرار الدستوريون فيها بالأغلبية النسبية لجميع الهيئات التى يتكون منها مجلس النواب •



وقد ذكرت فى هذه المناسبة ما حدث فى انجلترا عام ١٩٣٤ حين فاز حزب العمال بالأغلبية النسبية ، وحين كان نوابه يؤلفون الأغلبية المطلقة مع نواب حزب الأحرار فأيد الأحرار ، العمال الذين تولوا وحدهم الحكم ، وألف مستر رامزى ماكدونالد حكومة العمال الأولى ، صحيح ان وزارة العمال تلك لم تستطع أن تعمر طويلا واضطرت الى اجراء انتخابات بعد عامين من تأليفها فاز فيها المحافظون بأغلبية ساحقة وقضى على حزب الأحرار قضاء يكاد يكون مبرما، لكن هذا الاجراء فى تأليف الوزارة من حزب واحد ، كان الاجراء الدستورى السليم وكنت لذلك أؤيده ، وأؤيد أن يكون مثله فى مصر ، لكننى فوجئت بالتعديل الذى حدث وأدى الى اشراك السعديين فى الحكم فلم يكن لى بد من قبول الأمر الواقع ، وبخاصة لان رئيس الوزارة كان رئيس حزبى ولاننى بقيت فى التعديل وزيرا للمعارف وكنت معتقدا اننى أستطيع أن أقوم فيها باصلاح يتحقق به للتربية والتعليم خير وفير •

على أن ذلك لم يمنعنى بعد قليل من أن أسأل محمد باشا عن السبب فى هذا التعديل وفى اسناد وزارة المالية الى الدكتور أحمد ماهر ، واسناد وزارة الداخلية الى النقراشى باشا وهاتان الوزارتان هما أكبر الوزارات وأشدها اتصالا بمصالح الجمهور المادية العاجلة • وأقوى الوزارات كذلك أثرا فى حياة الأحزاب المصرية •



وقد كان محمد محمود يقوم باتصالاته مع أحمد ماهر والنقراشى ، بصفة سرية ، للغاية ، حتى أن كبار رجال حزبه لم يكونوا يعرفون أبدا أسرار تلك الاتصالات الأمر الذى يؤكده دكتور محمد حسين هيكل وزير المعارف فى وزارة محمد محمود وقطب الأحرار الدستوريين الذى يقول : انقضى شهر مايو ، وسافر الملك الى مصيفه بالاسكندرية ، وأقبل شهر يونيو وأننى فى مكتبى بالوزارة يوم الأربعاء الأخير من شهر يوليو ، اذ تلقيت دعوة من رئيس الوزراء

لتناول طعام الغداء بنادى اليخت الملكى بالاسكندرية ظهر الغد ، من ذلك اليوم، وعجبت فيم عسى تكون هذه الدعوة ؟ ثم علمت أن الوزارة عدلت ، وأن رجال الهيئة السعدية اشتركوا فيها وأن هذه الدعوة للغداء ، وجهت لأعضاء ، الوزارة الجديدة ليتعارفوا حول المائدة ، وليحلفوا اليمين بين يدى جلالة الملك بعد الظهر ، من ذلك : لم يحدث هذا التعديل وأى داع دعا اليه ؟ لم أعرف عن ذلك شيئا ، على سبيل التحديد أو القطع الى ساعة وصلتنى الدعوة لتناول طعام الغداء ، صحيح أن شائعات بهذا التعديل كانت تتردد ولكنى لم أصدقها ٠٠

وكان الرجل صريحا فى جوابه ، لقد كان اتجاه السياسة المصرية قبل أن تسند الوزارة اليه أن تسند الى الدكتور ماهر ٠ وأغلبية الأحرار الدستوريين على السعديين فى مجلس النواب لا تتجاوز بضعة أصوات ، والمستقلون مستعدون لتأييد أية وزارة قائمة ، أما وقد أبدى السعديون استعدادهم للاشتراك فى الوزارة فمن الخير أن يشتركوا فيها بدل أن يناوئوها مناوأة لا يستطيع أحد أن يتكهن بنتيجتها وقد تكون هذه النتيجة لضعاف الحزبين لمصلحة الوفد ، لهذا رأى هو ، ورأى على ماهر باشا والدكتور أحمد ماهر أن من الخير اشتراك الحزبين فى الوزارة وتحقيقا لهذا الخير تم التعـديل ودخل فيه مع الدكتور ماهر ، والنقراشى باشا ٠٠ محمود غالب باشا والأستاذ سابا حبشى فتولى غالب باشا وزارة المواصلات وتولى الأستاذ سابا حبشى وزارة التجارة والصناعة٠



ويقول د٠ هيكل ، نقلا عن محمد محمود باشا ، ان ماهر والنقراشى أبديا رغبتهما فى أن يتولى أولهما المالية ، وثانيهما الداخلية وأنه ــ أى محمد محمود ــ لم ير بأسا فى تحقيق رغبتهما ــ حرصا على تحقيق الفكرة من اشتراك الحزبين فى الوزارة ، ويقول د٠ هيكل أيضا ، نقلا عن حفنى محمود (بك) شقيق محمد محمود باشا ، أن حفنى محمود ــ وهو من أشهر صناع المقالب فى تاريخ السياسة المصرية ــ أنه ــ أى حفنى محمـود ــ هو صاحب الاقتـراح باسناد الوزارتين الى هذين الرجلين لان اتصالهما بالمصالح المادية للجمهور يسرع بمن لم تتحقق منافعهم المرجوة للانصراف عن تأييد السعديين ، ويعقب د٠ هيكل على ذلك الكلام بقوله : عجبت لهذه الحجة ولم أشارك صاحبها رأيه لا من الناحية الحزبية ، ولا من ناحية المصالح العامة ٠



أما الأستاذ عبد الرحمن الرافعى فكان له رأى آخر فى اشراك الهيئـة السعدية فى الوزارة : « وقد اضطر محمد محمود الى اشراك الهيئـة السعدية فى الوزارة ونصحه بعض أعضاء حزبه لانه رأى فى وجود الهيئة السعدية ،

خارج الحكم ، ما يضعف وزارته ويجعلها هدفا لمعارضة واسعة المدى فى مجلس النواب فرأى بازاء مركز وزارته المقلقل ، أن يسندها باشراك السعديين فيها تفاديا من سقوطها وقيام وزارة من هؤلاء أو برئاسة رئيس منهم ، وكان محمد محمود فى ٢٤ يونيو ١٩٣٨ قد رفع الى الملك الخطاب التالى :

« مولاى صاحب الجلالة ..

لقد حرصت فى تشكيل وزارتى الأخيرتين على أن أوفر لهما الطابع القومى عملا باشارة جلالتكم عما توجبه الظروف التى تجتازها البلاد من تضافر القوى والأخذ بأسباب الاستقرار وشعورا بما فى الوحدة القومية من الخير للبلاد وحسن القيام على مرافقها العامة ، وانى أحمد الله انى وفقت الى تحقيق تلك الوحدة بأكبر قدر مستطاع . على أنى أرى أن ادراك ما أرجوه من السعادة والتقدم للشعب المصرى الكريم ، يجب أن تكون هيئة الوزارة أبلغ مظهرا للقومية وأجمع لأركانها مما بلغناه حتى الآن ، لذلك لا يسعنى الا أن أرفع لسدتكم العلية استقالة الوزارة لتدبر جلالتكم الأمر ، بما عهدته فيكم البلاد من نظر موفق ورأى صائب » .

ولم يكن الملك ، الذى يخاطبه محمد محمود باشا بهذه اللغة ، وهذه اللهجة قد تجاوز العشرين من عمره بعد ولكنها لغة العصر ، ولهجته ، وأسلوبه معا !!



وقبل الملك الاستقالة فى نفس اليوم شاكرا لرئيس الوزارة والوزراء ، ما أدوه للبلاد من الخدمات .

ويعهد الملك فى نفس اليوم الى محمد محمود بتشكيل الوزارة ، وزارة قومية جديدة تتعاون على خير هذه البلاد وتقوم بنهضة سريعة فى ميادين الاقتصاد والتربية والصحة ، وفى خطاب التكليف ترد العبارتان التاليتان :

● فى هذه الأيام التى تتنافس فيها الأمم نريد أن نعمل هنا فى هدوء وسكينة لنضرب مثلا عاليا للحياة السليمة الطيبة .

● وفى علاقتنا الدولية ، أود أن نذكر دائما ، أننا بفطرتنا شعب ديمقراطى وأن واجبنا يقتضى التعاون مع الديمقراطيات العظمى ، فى العالم ، والمحافظة على العلاقات الودية مع الدول جميعا .



وفي نفس اليوم أيضا – يوم ٢٤ يونية – تتألف الوزارة الجديدة ، فكل شيء فيما يبدو كان معدا بعناية ، ويحرص محمد محمود ، في خطابه الى الملك ، والخاص بتشكيل وزارته على أن يؤكد – في البداية – على أن وزارته وزارة قومية تستلهم من سعادة الشعب ، وصلاح حاله أنبل طرائق الحكم ، وأوثقها ، الى تحقيق الغايات العالية « وأن وزارته ستبذل كل ما أوتينا من قوة وقدرة في سبيل العمل على استكمال وسائل الدفاع عن البلاد وتقوية دعائم الديمقراطية ، وحفظ مقوماتها ، والأخذ بأسباب الاصلاح الاجتماعي واقامة كيان البلاد الاقتصادي على أسس متينة ، وتعهده وسط شدائد الحياة الاقتصادية العامة بما يؤكد له القوة والثبات ونشر التربية الصحيحة في مختلف الطبقات ورسم سياسة تعليمية مع حاجات البلاد وتبعاتها وآمالها وتوفير أسباب الصحة لنجعل من الشعب المصري العزيز شعبا سليما قويا في الحرب أو في السلم .

ويكتفي محمد محمود برئاسة الوزارة .. ويكون تشكيل الوزارة على النحو التالي : عبد الفتاح يحيى للخارجية ، د. أحمد ماهر للمالية ، أحمد محمد خشبة للحقانية ، محمود فهمي النقراشي للداخلية ، حسن صبري للحربية والبحرية ، محمود غالب للمواصلات ، حسين سري للأشغال ، د. محمد حسين هيكل للمعارف ، رشوان محفوظ للزراعة ، مصطفى عبد الرازق للأوقاف ، حامد محمود للصحة ، سابا حبشي للتجارة والصناعة .

ويخرج من الوزارة ممثلا الأحزاب الصغيرة : حلمي عيسى (حزب الاتحاد) أحمد كامل (حزب الشعب) .



وكان مراسل صحيفة الديلي تلجراف البريطانية في الاسكندرية قد أبرق لصحيفته قبل أن تعلن مراسيم التشكيل للوزارة الجديدة أن محمد محمود باشا قد قابل الملك مقابلة طويلة ، وانه أبى أن يصرح بشيء عقب تلك المقابلة وأن الملك قد استدعى رئيس مجلس الشيوخ والنواب ومعنى هذا الاستدعاء أن حالة دقيقة قد قامت بخصوص تشكيل الوزارة الجديدة ، وتقول صحيفة الديلي تلجراف بعد ذلك ترى الدوائر المتصلة بالقصر أن الأزمة الوزارية ترجع في الحقيقة الى أن القائمة التي قدمها رئيس الوزراء محمد محمود باشا ، قد خلت من ممثلي حزبي الاتحاد والشعب من أحزاب الأقلية ، ويظهر أن على ماهر قد أبى الا أن يحدث أزمة وزارية بخصوص عدم اشراك ممثل حزب الاتحاد ، الذي كان يوما ما – على ماهر – من أبرز أعضائه وكذلك حزب الشعب في الوزارة الجديدة بينما أصر محمد محمود على عدم اشتراك هذين الحزبين في وزارته الجديدة ! .

وكانت صحيفة التايمز البريطانية قد نشرت فى يوم ١٩٣٨/٦/٢٤ ـ يوم قبول استقالة الوزارة المحمدية ، الثالثة ، وتشكيل وزارتها الرابعة الجديدة ، أن محمد محمود باشا قد قابل الملك مقابلة طويلة ورغم أن محمد محمود قد وصف تلك المقابلة لمندوب الصحيفة بأنها مقابلة مرضية جدا الا أن مندوب التايمز قد وصف ما قاله محمد محمود باشا عن تلك المقابلة بأنه قول يتميز بالحيطة الشديدة والحذر !! وقالت التايمز فى نفس اليوم أيضا أن دخول السعديين الوزارة الجديدة سوف يثير غضب النحاسيين واحتقارهم ، ونقلت عن القيادات السعدية قولها : اننا نعمل للمصلحة العليا للبلاد لأن حالة عدم الاستقرار السياسى القائمة الآن ، لا تلائم نمو النظام الدستورى البرلمانى ، نموا صحيحا ، وقالت « التايمز » : لقد استولى السعديون على المناصب الوزارية الهامة وهذا دفع بعض الذين يراقبون مجرى الأمور الى القول بأن السعديين سوف يصيرون الشركاء البارزين فى الائتلاف الجديد ٠



والجدير بالذكر أن مجلة آخر ساعة قد نشرت فى يوم اعلان تشكيل الوزارة الجديدة موضوعا سياسيا قالت فيه أن محمد محمود باشا كان قد أبلغ القصر الملكى فى أول يونيو ١٩٣٨ بأنه لا يريد البقاء فى الوزارة بسبب حالته الصحية ، وهنا فوتح الدكتور أحمد ماهر فى أمر توليه الوزارة فقال انه يفضل فى الوقت الحاضر ألا يتولى رئاسة الوزارة ، وكذلك أعلن على ماهر باشا أنه يفضل ـ حاليا ـ البقاء فى منصبه كرئيس للديوان الملكى ، وأن البعض رشح محمد محمود خليل بك رئيسا للوزارة الجديدة ثم عدل عن هذا الترشيح ، ووضعت آخر ساعة معادلة قاسية للغاية : محمد محمود يبقى فى رئاسة الوزارة لأن على ماهر ، وأحمد ماهر لا يقبلان رئاسة الوزارة الآن ، وأن محمد محمود سيخرج من الوزارة يوم أن يقبلها على ماهر أو أحمد ماهر !! ٠

وكانت تلك المعاملة من أقسى ما ووجهت به وزارة محمد محمود من نقد وسخرية ٠

ومما كتبه « المصور » ـ العدد الصادر فى أول يوليو ١٩٣٨ ـ عن شخصية د٠ أحمد ماهر ٠ وزير المالية الجديد ، أن بها نزعة عملية سريعة وثيقة الصلة بالروح الدكتاتورية ، التى يغلب عليها طبع البت والحسم ، وعدم التردد ، وأحمد ماهر ، الى جانب هذا ذكى ولماح ، مشتعل ، ثم هو جرىء ، لا يعبأ كثيرا بصيحات الرأى العام ، مادامت لا تتفق والمصلحة ، فلا نظنه يتسامح كثيرا أمام ولولة المدينين وراغبى التقسيط ، والتأجيل والواقع أنه سيرحم خزانة الدولة أكثر مما يرحم خزائن الأفراد ٠

ويتمنى كاتب المصور ـ فكرى أباظة فيما أعتقد ، حيث أن المقال غير موقع من أحد ـ ألا يصطدم أحمـــد ماهر ، مع على ماهر ، ولكنى لا أستبعد هذا الاصطدام فالعباقرة لا يعنون كثيرا بالصلات ولا بالقرابات ، وســوف يكون منظرا ظريفا فى نوعه ، اذا اصطدم شقيقان ·

وأحمد ماهر ـ كما جاء فى المصور أيضا ـ عصبى هو أيضا ، ونورى ، ومجدد ومبتكر ، فلا شك فى أن حياته فى الوزارة ستكون مفعمة بالمفاجآت . ولكن تقديره دائما سليم لأنه اكتسب ـ بحكم الخبرة ـ ذوقا سليما فى الحكم على الوقائع والأشياء ·

وهو بلا شك وزير مالية من الطراز الأول بل قطب من أقطاب المال ومن عمد الاقتصاد فى هذا البلد فمن حقنا أن نتوقع انتعاشا ودما جديدا فى وزارة المالية فهو فى بيته ، وفى بيئته » ·



وعن محمود فهمى النقراشى كتب المصور يقول : النقراشى باشا · بطبيعته ومهنتـــه السابقة فى التعليم ودوره الســـياسى الذى لعبـه طويلا ، منظم تنظيما عسكريا ، لا يمنح ثقته الا بطلوع الروح ، يدرس ويحسم ، لا يقبل رجاء بعد البت · ولا الغاء ، ولا تبديلا ، لا يعرف التردد ، ولئن بدا فى خارج الحكم صخرة لا تلين ، فهو فى داخل الحكم ذو منطق سليم ، أثبت ذلك فى عهوده التى تولت وفى وزارته التى تولاها ، والذين يعرفونه معرفة شخصية يعلمون أنه سياسى كيس ذو دهاء لا يبدو على مظهره ، ولا على أعصابه » ·

وفى هذه الأيام تنشر جريدة المصرى ، أن محمد محمود باشا ، رفض فكرة تأليف لجنة تحكيم ، للفصـــل فى الخلاف بين الوزارة والسراى ، وهى اللجنة التى سبق للسراى ، أن اقترحتها فى عهد وزارة النحاس باشا ، والتى رفض النحاس الاقتراح ، الخاص بها ويجرى التحقيق فى هذه الرواية بناء على بلاغ قدمه محمد محمود للنائب العام ، ويستدعى كل من أصحاب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا ، ومحمد محمود باشا ، وعلى ماهر باشا ، للادلاء بأقوالهم أمام نيابة الاستئناف ·

ويكتب فكرى أباظة فى افتتاحية المصور الصادر فى ٢٢ فبراير ١٩٣٨ عن اقطابنا العظماء وكان من بين ما كتبه فكرى أباظة « ثلاثة من أصحاب المقام الرفيع فى تحقيق بل هم الثلاثة الأول فى الدولة : أحدهم يتزعم الملايين ، وأحدهم يتزعم الحكومة وأحدهم يتزعم مستشارى الملك فى السراى تقتنصهم النيابة العمومية يوما بعد يوم ، لتعلم أيهم الصادق وأعوذ بالله ان قلت العكس ، والجمهور فى الخارج ، يلغط ، ويملأ القهوات ، والبارات ، والصالونات ، وقد

وضع أقدار هؤلاء الأقطاب ، والعظماء فى ميزان التهمة ، والتهمة قد تكون أدبية ، وقد تكون جنائية وهى فى تجردها من العنصر الجنائى قد تكون أدهى وأمر من تهم قانون المطبوعات •



ويمضى فكرى أباظة قائلا : لو أننا أجرينا تحقيقا شعبيا ، ومثل هؤلاء العظماء أصحاب المقام الرفيع أمام المحقق الشعبى لوجه اليهم هذه الأسئلة :

س : أيليق أن تبعثر الأخبار العالية منكم هكذا على الناس ؟ •

س : أيليق أن يكذب أحدكم الآخر وأن تتناقضوا فى الوقائع ؟ •

س : أيليق أن يثار هذا الموضوع فى التحقيق ؟

س : أيليق أن يقحم اسم الملك فيما شجر بينكم من خلاف ؟ •

هذه الأسئلة وأمثالها أسئلة رزينة ، ولو علم أصحاب المقـــام الرفيع الثلاثة ، كيف يعلق الناس على الحادث ، وكيف يصوغون التعليق فى أساليب التهكم وصيغ الدهشة وكيف وضعوا النكت المحكمة ، وأرســلوها على موائد الوسكى وموائد القمار ، لأشفقوا على أنفسهم قبل أن يشفقوا على الدولة وقبل أن يشفقوا ، على مقام الزعامة وقبل أن يشفقوا على مكاناتهم عند الشـــعب وعند الجمهور •

أمة تعسة ، تعسة حقا •• رفعت هؤلاء الأقطاب الى مقام الجلال ، والاكبار ، والى قمة التقديس ، ولكنهم أبوا أن يمتلكوا هذه القمم العوالى ، فنظروا الى سفح الجبل ، وعلموا الأمة أن تيأس من أقطابها وأن تراجع نفسها فى هـــذا المنح وأن تتسلى بأخبارهم وقصصهم ونوادرهم وهيأوا للشباب الذى لم ينضج بعد أن يطمع فى مناصبهم العليا فيقول عنهم : انهم انتهوا أنهم مودة مولية انهم ليسوا برجال هذا العصر » •

ويقول فكرى أباظة عن مقابلة على ماهر والنحاس : سمعت أحد الشبان يقسم أن على ماهر هو الذى طلب مقابلة النحاس وأنه عرض أولا أن تكون المقابلة فى شارع الكورنيش فان لم يكن ففى محل اكسنافون فان لم يكن ففى طريق الصحراء فان لم يكن ففى ميناهاوس فى القاهرة وأن النحـــاس رد قائلا : لى دار فى شارع حمام السيدات بجوار الكازينو فلتكن المقابلة فيه ، وأخيرا ، اتفق صاحب المقام الرفيع مع صاحب المقام الرفيع على ألا تكون المقابلة فى أرض محايدة ، بل تكون فى البيت •

ولكن شابا آخر أخذ يلطم وجهه متحمسا ويقول والله النحاس هو الذى طلب مقابلة على ماهر بالحاح وأن المقابلة حصلت فى الاتوموبيل بجوار تفتيش السيوف ، ويتساءل فكرى أباظة قائلا : أرأيتم كل هم الفريقين المتحمسين ،

انما اتجه لا الى موضوع المقابلة ، وانمـــا الى من طلب الود وطلب الوصـال أما ما عدا ذلك من شئون الدولة فلا يقام له وزن ولا نستطيع نحن أن نفيض فيه أن نسجل النكت ، التى أرسلها أصحاب الحظ لأن هذا مؤلم . ومن جهة أخرى لأن النيابة تمنعنا من تناول موضوع التحقيق مراعاة للصالح العـام ، بعد أن ملأ حديثه القصور والأكواخ وبعد أن تطرطشـــت أخباره فى قصر الدوبارة ، وهيلوبوليس والصناديقية وعششى الترجمان وكان مصطفى النحاس قد قال : أمام النيابة ـ فى التحقيق ـ ردا على سؤال النائب العام الخاص بمن طلب المقابلة هل النحاس أم على ماهر ، قال النحاس : أنا طلبت ؟ هو طلب .. هو جالى البيت وخلاص .



وقيل أن تفاصيل المقابلة تمت على النحو التالى :

فى اليوم الذى تمت فيه المقابلة خرج النحاس باشا يتمشى فى شـــارع الكورنيش على مسيرة خطوات من كازينو سان استفانو فلم يلبث ماهر باشا أن خرج من الكازينو فاذا النحاس باشا فى انتظاره فسلم عليه ، وأخذا يتمشيان فى الشوارع المحيطة بالكازينو ، ذهابا وايابا ـ كالعشاق ـ الى أن وصلا أخيرا الى منزل النحاس باشا ، وهو لا يبعد عن الكازينو بأكثر من خمسين مترا فالتفت رفعة النحاس باشا ، الى رفعة على ماهر باشا قائلا : عندك مانع تشرب فنجان قهوة ؟ فسأل على ماهر باشا : أين ؟ قال النحاس باشا : « عندى فى البيت » وأشار الى البيت الذى كانا واقفين أمامه ، فرد ماهر باشا قائلا : ماعنديش مانع ! .

وفعلا دخلا البيت وجاءت القهوة ، واعتذر على ماهر عن تناولهـــا لأنه لا يشرب القهوة فى الليل .

وقد أمر النائب العام بحفظ التحقيق فى رواية « المصرى » بعد استجواب ثلاثة من أصحاب المقام الرفيع : مصطفى النحاس باشا ، محمد محمود باشا على ماهر باشا .

وعندما كان يثار موضوع هذه المقابلة أمام على ماهر باشا ، كان يقول :

أنا لست ملزما أن أؤدى حسابا أمام الوزراء فمن حقى أن أقابل من أشاء وأتحدث فيما أشاء ، وفق المصلحة العامة ومع كل هذا فأنا لم أتعمد اخفـــاء خبر المقابلة بدليل أننى أنبأت بها لطفى السيد باشا وزير الداخلية .



وكان علي ماهر باشا بعد المقابلة قد عاد الى كازينو سان استفانو وهناك جلس ولطفي السيد باشا فترة طويلة تحادثا فيهما في أمور شتى ، وامتد الحديث الى مسألة معينة استشهد فيها لطفي السيد برأى قال انه رأى النحاس بشأنه . فما كان من علي ماهر ، الا أن قال للطفي السيد : لا ٠٠ النحاس باشا رأيه مش كده انا شفته قريب . وفهمت رأيه ٠ وقبل أن يسافر محمد محمود باشا ، الى لندن للتفاوض مع الساسة البريطانيين بخصوص موضوع ثكنات الجيش البريطاني ، وكان هذا الموضوع يشغل جيدا بال محمد محمود باشـــا ووزرائه ، لأنه يكلف ميزانية الحكومية المصرية فوق ما تتحمل ، وكان من رأى محمد محمود باشا ووزرائه ضرورة تخفيض تكاليف تلك الثكنات ، التقى محمد محمود بعلي ماهر ، ودار عتاب حار حول مقابلته بالنحاس باشا ، وكيف انه لم يعلم بأمرها الا من الصحف وقال ماهر باشا : انه تصور أن لطفي السيد سوف يبلغه خبر تلك المقابلة ، وقال محمد محمود لم أسمع من لطفي باشا أى شيء عن تلك المقابلة ٠



واعتبر موضوع مقابلة النحاس بعلي ماهر منتهيا بالنسبة لكل من علي ماهر ، ومحمد محمود وبذلك اسدل الستار ٠ على أشهر مقابلة سياسية عرفتها مصر لا في عام ١٩٣٨ وحسب بل فيما سبق هذا العام ، وما تلاه من أعوام ٠

كانت مراكز القوى في قصر عابدين وعلى رأسهم علي ماهر باشا رئيس الديوان تحكم من وراء ستار ، أو تحكم أمام ستار ، ولا يستطيع أحد مساءلتها اما لأنها فوق كل مساءلة ٠٠ واما أنه لا يجوز مساءلتها ، لأن هناك مسئولين آخرين بحكم الدستور ، وبحكم القانون ٠٠ بينما هي أمام الدستور ، وأمام القانون ٠٠ غير مسئولة على الاطلاق ٠

ولقد كان علي ماهر باشا يطمح ــ كما سبق أن ذكرنا ــ في أن يلي الحكم كرئيس للوزارة ، يسانده برلمان « مهذب » يقول له كن فيكون !! ٠

ولا أحد يعارض أبدا هذا الطموح ، فمن حق كل مواطن ــ وخاصة اذا كان صاحب مواهب متعددة كعلي ماهر ــ أن يطمح في رئاسة الوزارة ٠ ولكن الذي نأخذه على علي ماهر باشا ، أنه كان يسعى للوصول الى الحكم بأسلوب ملتــو غير مستقيم ، لا يلجأ اليه عادة ، الا ذوو النوايا الخبيثة والأساليب غير المقبولة ٠



ومن أجل تحقيق هذا الطموح ، كان علي ماهر ، وخاصة بعد أن ارتفــع الى مستوى القمة ، أو رفعته الظروف الى مستوى القمة ، اثر وفاة الملك أحمد

فؤاد ومناداته بفاروق ملكا ، كخليفة لوالده ٠٠ كان على ماهر يكيـــد لوزارة النحاس باشا باستمرار ، وخاصة فى شهورها الأخيرة ، ويضع فى سبيلها العراقيل العديدة ٠٠ مستغلا جهل الملك الصغير بأساليب الحـكم ، وحرص مجلس الوصاية برئاسة محمد على توفيق على ارضاء الوفد والانجليز ، وارضاء مصالحهم الشخصية فى وقت واحد ٠

وقد وقعت وزارة مصطفى النحاس فى كثير من الأزمات التى دفعها اليها دفعا ٠٠ على ماهر ٠

وقدكانت وزارة مصطفى النحاس تستطيع بتأييد من الشـــعب ، تجنب هذه الأزمات ٠٠ ولكنها لفرط تمسكها بالحكم ، ولفرط معاداتها لكل رأى مخالف لقيادتها من بين أنصارها والعاملين معها فى حقل واحد ٠٠ ما كانت لتخرج من أزمة الا لتقع فى أزمة أخرى أعنف وأشد من سابقتها ٠ هذا بالاضافة الى التجاء وزارة النحاس فى شهورها الأخيرة الى الأساليب الديكتاتورية التى أعمتها عن تبين الطريق السليم ٠

وتقع أحزاب الأقلية فى خطأ كبير ، عندما نساعد على ماهر باشا على النيل من وزارة الأغلبية ، ووزارة مصطفى النحاس باشا ٠٠ كراهية منهـــا لتلك الوزارة ، لا حبا فى على ماهر والسراى ٠

ساعدت أحزاب الأقلية على ماهر ، حتى أسقط وزارة النحاس باشا ٠ فلما آل الحكم الى أحزاب الأقلية ، وجد على ماهر أنه صاحب اليد الطولى فى اسقاط وزارة النحاس ، وفى المجىء بأحزاب الأقلية ، فراح يعبث بالوزارة التى هى ــ كما كان يعتقد جازما ــ من صنعه ٠



وقد كانت أحزاب الأقلية التى أصبحت بعد الانتخابات التى أجرتها تملك الأغلبية تستطيع أن توقف على ماهر باشا عند الحدود الدستورية ، منذ اليوم الأول ، الذى استندت فيه الى البرلمان الجديد ، ولكنها لم تفعل ٠٠ الأمر الذى دفع على ماهر الى الاستمرار فى سياسة التدخل بعنف لم نعهده فى حياتنـا السياسية من قبل ٠٠ حتى عندما كان حسن نشأت باشا يدير مقاليد الحكم باسم السراى وباسم الانجليز فى أعقاب وزارة سعد زغلول باشا ، التى استقالت ــ أو أقيلت بمعنى أدق ــ اثر مقتل السير لى ستاك باشا ، سردار الجيش المصرى والحاكم العام للسودان ٠

وكم أشفق المحبون لمحمد محمود ، والمقدرون لنبله الشخصى وكبريائه الوطنية ٠٠ من مغبة تدخل على ماهر باشا بتلك الصورة المؤلمة والمفزعة معا ٠٠ ولكن الرجل النبيل ــ كما يحلو لأصدقائه أن يصفوه ــ كان يعرف جيدا ، أن

استقالته من الحكم ، تعنى العودة الى حكم الوفد ، الذى كان لا يطيقه · وكان محمد محمود يتحمل كل « تداخلات » على ماهر فى أمور الحكم ، على اعتبار أنه هو وعلى ماهر ·· فى قارب واحد ·· وان أى كارثة تلحق بهذا القارب ، فانما تلحق به وبعلى ماهر فى وقت واحد ·· ولذلك صبر وصابر على أمل أن يبتعد على ماهر عن تدخله فى الحكم ، وعلى أمل أن يفيق فاروق لنفسه ولنظام الحكم الذى ينتسب اليه ، ولكن الأيام أثبتت لمحمد محمود أنه كان واهما فى كل تصوراته السياسية ، وأن على ماهر كان يريد أن يلى الحكم ، اليوم قبل الغد ·

وأبرز مثال على تدخل على ماهر فى أمور الحكم بصورة معيبة ، ما حدث منه بالنسبة للمشاركة فى مؤتمر لندن لبحث القضية الفلسطينية :

دعا المشتغلون بالمسألة الفلسطينية ، الى مؤتمر يعقد بالقاهرة فى أكتوبر ١٩٣٨ ، ولم تكن الحكومات العربية ـ كما يقول الدكتور محمد حسين هيكل ـ تأخذ بنصيب فى هذه المؤتمرات العربية ، بل كانت تقف منها موقف الحياد · لكن محمد باشا محمود ، رأى أن تبدى وزارته العطف على هذا المؤتمر ، فدعا المؤتمرين الى وليمة كبرى ، ألقى فيها خطابا ، أيد فيه مطالب العرب من أهل فلسطين ، تأييدا حارا · وظن الناس أن ينتهى هذا المؤتمر الى ما تنتهى اليه المؤتمرات كلها : الى قرارات توضع ، ويوافق عليها المؤتمر ، ثم ينصرف كل مشترك فيه الى وطنه · وصدق هذا الظن على المؤتمرين · لكنه لم يصدق على الموضوع الذى عقد المؤتمر من أجله ، فانجلترا كانت قد أوفدت لجنة لبحث مطالب العرب فى فلسطين والتماس الوسيلة للتوفيق بين العرب واليهود ، توفيقا عادلا فى نظر اللجنة ، ودعت الحكومة البريطانية ، بعد ذلك الى مؤتمر مائدة مستديرة ، يحضره رجالات العرب · يبحثون فيه مع الساسة الانجليز ، عن حل لهذه المشكلة العويصة ·



وكان محمد محمود باشا يريد أن يسافر بنفسه الى هذا المؤتمر ، راجيا أن يكون له فخر المشاركة فى تفريج أزمة العرب من أهل البلاد المقدسة · وكان الرجل مغتبطا بما يرجو أن يقوم به من ذلك ، أيما اغتباط · لكننا فوجئنا والكلام للدكتور هيكل ـ فى اللحظة الأخيرة ، بأن رئيس الوزارة لن يمثل مصر فى مؤتمر هذه المائدة المستديرة ، بل يمثلها على ماهر باشا ، رئيس الديوان الملكى ·

وسافر على ماهر باشا مصطحبا معه عبد الرحمن عزام «بك» وأسندت رياسة الديوان الملكى بالنيابة الى كامل باشا البندارى ··

ما سبب هذا الانقلاب المفاجىء ؟ ·

اذا كانت مشـاغل رئيس الوزارة فى مصر تحول بينه وبين السفر الى انجلترا ، فلماذا لم يسافر وزير الخارجية ، عبد الفتاح يحيى باشا ؟ ٠

لقد كان هذا هو الطبيعى ، ولم يكن طبيعيا أن يسافر رئيس الديوان فى مهمة قد تترتب عليها مسئولية سياسية ، وهو بحكم مركزه ، وبحكم تعيينه بأمر ملكى بغير رأى الوزارة ولا اقتراحها ، لا يشارك الوزارة فى المسئولية الدستورية ٠ لكنك ، لن تلتمس تفسيرا دستوريا لهذا الأمر ، فتفسيره أن الوزارة ، هى التى انتدبت على ماهر باشا ، فهو لا يسافر بصفته رئيسـا للديوان ، بل بصفته نائبا عن الوزارة ٠ والوزارة تحمـل لذلك مسئولية أعماله ٠٠

هذا هو التحليل الدستورى ٠

أتراه متفقا مع الواقع ؟! ٠

يجيب الدكتور هيكل عن هذا التساؤل قائلا :

« أما أنا ، فلم أعلم أن الوزارة ندبت على باشا ماهر لهذه المهمة ، لأن هذا الندب لم يعرض على مجلس الوزراء » ٠

ولأننى أريد أن أستأذن القارىء فى أن أستمهله لأتحدث عن مؤتمر المائدة المستديرة فى لندن بافاضة فيما بعد ، فأحب أن أشير الى حادثة ، قد يراها البعض صغيرة ، وقد يراها البعض كبيرة ٠٠ ولكنها صغيرة كانت أم كبيرة ، توضح بجلاء ٠٠ كيف كانت الأمور تجرى فى سراى الملك ٠٠ !!

كلنا نعرف جيدا أن كامل البندارى عندما كان وزيرا فى وزارة محمد محمود الثانية ـ وزيرا للصحة ـ كان متهما بأنه رجل على ماهر فى الوزارة : وكان ينقل الى على ماهر تفاصيل ما يجرى فى مجلس الوزراء ٠٠ الأمر الذى أغضب محمد محمود باشا ، رئيس الوزراء ، أكثر من مرة ٠٠ والأمر الذى دفع محمد محمود باشا رئيس الوزراء الى أن يطلب من بعض وزرائه ألا يتصلوا بالسراى ٠٠ الا عن طريقه ٠ فهو ـ أى رئيس الوزراء ـ الذى يجب أن يطلع الملك على ما يشاء من شئون الدولة ، وأن يكون هو وحده ، الذى ينقل الى الملك مباشرة ، أو عن طريق الديوان ، ما يريد الملك الوقوف عليه ، أما أن يصطفى رئيس الديوان وزيرا من الوزراء ، ينقل اليه ما يجرى فى الوزارات وفى مجلس الوزراء فذلك مظهر من مظاهر عدم الثقة برئيس الوزارة ، وهـو بعد ـ كما يقول الدكتور هيكل نقلا عن محمد محمود ـ عمل لا يليق أن يقوم به وزير ٠

وقد خلت كل الكشوف ــ كما سبق أن ذكرنا ــ التى قدمها محمد محمود باشا ، الى السراى ، والمتضمنة أسماء الذين قبلوا التعاون معه فى الوزارة ، من اسم كامل البندارى ٠٠ الأمر الذى أدى الى أزمة وزارية ، وأدى الى رفض الكشوف التى تقدم بها رئيس الوزراء الى الملك لخلوها من اسم كامل البندارى ٠ فلما أضاف محمد محمود باشا اسم كامل البندارى ، انتهت الأزمة وشكلت الوزارة أخيرا فى اليوم التالى ٠

وبينما كان على ماهر باشا فى لندن ، كثرت الأحاديث عن تدخل رئيس الديوان فى أمور الحكم ، كما كثرت الأحاديث عن سيطرته الكاملة على الملك الشاب ٠

وفى مناسبة رأس السنة الهجرية ، أذاعت محطة الاذاعة اللاسلكية ، بيانا ألقاه الملك يهنىء فيه الشعب بالعام الهجرى ٠ وجاء فى هذا البيان كلمات عن « تمسكه كوالده ، برأيه ، وأن أحدا لا يستطيع أن يزحزحه عن هذا الرأى » ٠

كان هناك اجماع من الشعب ومن المسئولين ، على أن المقصود بتلك العبارة هو على ماهر شخصيا ، فلم يكن أحمد حسنين ، فى مركز هام وخطير فى السراى يمكن أن تعنيه تلك العبارة ، ولم يكن كامل البندارى ، رئيس الديوان الملكى بالنيابة وقتئذ ، هو المقصود بتلك العبارة ٠٠ اذ المفروض أنه هو الذى وضع بيان الملك ، أو شارك فى وضعه على الأقل ٠

وعاد على ماهر بسرعة ، وقد آلمته تلك العبارة بشكل أفقده أعصابه ٠٠ لقد تصور أن كامل البندارى قد انتهز فرصة غيابه فى لندن للتقرب من الملك على حسابه ٠ وأصر على ماهر على ألا يبقى رئيسا للديوان ، اذا بقى البندارى باشا وكيله ٠ ورغم توسط كثير من أصدقاء الطرفين ، لدى على ماهر ٠٠ الا أنه أصر على قراره هذا ٠ وكان على ماهر يؤكد لكل من قابله أنه مقتنع ، الى أبعد حدود الاقتناع ، بأن كامل البندارى لم يحفظ عهده فى غيابه ، وأن ما لديه من معلومات فى هذا الأمر لا يتطرق اليها الشك ٠

ويظهر نبل محمد محمود باشا ، فيقابل الملك ويتحدث اليه فى الأمر قائلا :

اذا كان لابد من أن يترك أحد الرجلين القصر ، فمن رأيه كرئيس للوزراء ، الا يكون على ماهر فله من سابق خدمة الملك ، وفى خدمة والده ــ ما له ٠

وتم تعيين كامل البندارى باشا وزيرا مفوضا لمصر فى بروكسل ٠

على أن كثيرين من السياسيين المعاصرين ، يؤكدون أن كامل البندارى كان بريئا مما نسبه اليه على ماهر ، وأن بطانة الملك وقد ضايقها سيطرة على ماهر على القصر ، انتهزت فرصة غيابه للتخلص منه ٠

ولدى من المؤشرات ، ما يؤكد أن حسنين باشا ، كان له دخل فى هذه العملية ، خاصة وأنه عندما كان رائدا لفاروق ، وفاروق يتلقى العلم فى لندن ، قد أثر عليه بصورة هائلة فى كثير من الأمور السياسية وغير السياســيه ٠ ودليلى أنه بعد أن استقال على ماهر باشا ، من رئاسة الديوان ، ليتولى الوزاره ، ترك منصب رئيس الديوان خاليا ، ليعود اليه بعد أن يترك الوزارة ٠ ولكن حسابات على ماهر قد أخطــأت فى هذه المرة ، لقد استقال من رئاسة الوزارة ــ بعد أن ألفها فى ١٨ أغسطس ١٩٣٩ ــ فى ٢٧ يونيو ١٩٤٠ ٠٠ لكنه لم يشغل منصب رئيس الديوان ، وانما شغل المنصب شخص آخر ، هو أحمد حسنين ، الذى عين رئيسا للديوان الملكى فى ٢٧ يوليو ١٩٤٠ ، أى بعد شهر من ترك على ماهر الوزارة ٠ ويقول الأستاذ محمد زكى عبد القادر عن أحمد حسنين باشا : أنه رجل دارس فاهم ، لبق ، مهــذب ، عارف بالتيــارات والاتجاهات ٠ جمع الى ثقافته الغربية ، الماما كافيا بالحياة المصرية ٠ وكان على صلات حسنة ، وعلى صلات وثيقة بالاسرة المالكة ٠ ويظهر أنه تمرس بحياة القصور ، وما يزكو فيها من دسائس وتيارات ، ووعى كل شىء من هذه الناحية ، وأراد لذلك أن يلعب دوره بمهارة ٠ وقد أدرك منذ اللحظة الأولى ، التبعـات الثقيلة التى ألقيت على كاهله ، وأدرك أنه أضــحى أقوى رجل فى القصر ، وربما فى مصر ٠

« لقد سلك أحمد حسنين الطريق الذى حاول أن يسلكه على ماهر ، أراد أن يوطد مركز الملك فى الشعب ، لا ليعطى الملك سلطات يستحقها ، ولكن لكى يحكم هو من ورائه ٠ وكما فكر على ماهر ، فكر أحمد حسنين ٠٠ ظن أنه وضع « فاروق » فى جيبــه ، وأنه يســتطيع بما توفر له من لباقة وما أكده من علاقات طيبة هنا وهناك ، أن يوفق خيرا مما وفق على ماهر ٠ ولعله كان يضحك ، وهو الأمين الأول للقصر ، حينما كان يلمح مجهودات على ماهر للسيطرة على فاروق ، وحينما كان يلمح نيــات رئيس الوزارة ورئيس الديوان قبل ذلك ، فقد كان واثقا من الأرض التى يقف عليها مطمئنا الى أن دور على ماهر ، موشك على نهايته » ٠

والذى أستطيع أن أقوله ، أن أحمد حسنين بذكائه الخارق ، قد لعب لعبته فى غياب على ماهر ، ليتخلص منه ، ومن كامل البندارى فى وقت واحد ٠ فتحقق له ما أراد بالنسبة لكامل البندارى ، ولم يتحقق ما أراده بالنسبة لعلى ماهر ٠٠ الا فيما بعد ٠

الباب الثالث

الفصل الأول

مصر والقضية الفلسطينية
وقضية الوحدة العربية

موضوع هام وخطير أثاره فى مجلس النواب بتاريخ ٣١ مايو ١٩٣٨ ، النائب المحترم محمود أبو رحاب الذى كان قد وجه سؤالا الى رفعة رئيس الوزراء محمد محمود باشا ، عما اعتزمته الوزارة دفاعا عن فلسطين وبقائها جزءا لا يتجزأ من الجسم الاسلامى وعما اذا كان اتخذ أى اجراء دبلوماسى فى هذا الصدد نزولا ، على رغبة الأمة ·

وقد أجاب محمد محمود باشا ، ببيان ضاف قال فيه : تقدر الحكومة خير تقدير عواطف الشعب المصرى نحو فلسطين ، وحرصه على طمأنينة أهلها وسلامتهم ، وهى منذ وليت الحكم قد أخذت نفسها بمعالجة أسباب شكواهم بالوسائل الدبلوماسية ممتلئة أملا بأنها سوف تصل الى حل عادل يطمئن اليه أهل فلسطين ، ويستريح له العالم العربى ، ولا تزال الحكومة تواصل السعى مع الدولة الحليفة ابتغاء الوصول الى هذه الغاية ، منتهزة كل فرصة لمعالجة المشكلة وحلها على النحو الذى يتحقق به العدل ، وتطمئن له النفوس و··و··

ويشكر النائب محمود أبو رحاب رئيس الحكومة على اجابته راجيا منه أن يضاعف مجهوده الكريم لان الأمة العربية تتطلع اليه فهو رجل الفضل ، ورجل السلام ·

وكان النائب المحترم الشيخ محمد عبد اللطيف دراز ، قد وجه أيضا سؤالا مشابها ، الى رئيس مجلس الوزراء الذى اكتفى برده على محمود أبو رحاب، وكان من بين ما علق به الشيخ محمد عبد اللطيف دراز أنه أراد بتوجيه السؤال الى رئيس الوزراء ، أن يدلى ببيان يعبر فيه عن عواطف الأمة المصرية نحو فلسطين القطر الشقيق ، وكان النائب المحترم ، عبد الحميد سعيد قد وجه أيضا سؤالا مشابها ، لرئيس الحكومة ، وقد عقب على اجابة رئيس الحكومة بقوله :

ان فلسطين الشقيقة المعذبة التي تربطها وايانا روابط قوية متينة ، تأكلها النيران أكلا ، وتنتابها المصائب وينصب عليها العذاب ان السياسة الانجليزية اليهودية ترمى الى اقامة دولة يهودية » . وحذر النائب الوطنى عبد الحميد سعيد من خطورة ما يراد بالمسجد الأقصى ، وقال بلهجة قوية « كان يجب على مصر ، قائدة النهضة العربية الاسلامية بل كان يجب على الحكومة أن تكون أسرع الحكومات فى الدفاع عن فلسطين والمسجد الأقصى ، والا أضعنا كرامتنا أمام العالم العربى ، وأمام العالم الاسلامى » .



ويطالب النائب المحترم محمود لطيف بك بمناهضة فكرة تقسيم فلسطين كما يطالب بمعرفة ما اتخذته الحكومة المصرية ، ازاء الاعتداء الذى وقع من الحليفة بريطانيا على المسجد الأقصى ، ويكتفى رئيس الحكومة ، بالقول ، بأن الحكومة الحاضرة قائمة بواجبها خير قيام فى هذا الموضوع .

وبينما تقابل الأغلبية كلمة رئيس الحكومة بالتصفيق يعلن النائب المعارض محمود لطيف بك ، أنه سيحيل سؤاله الى استجواب .



وأضيف الى ما سبق أن المحامى ، والمستشار السابق ووكيل مجلس النواب الأسبق محمد توفيق خليل ــ تفضل ــ رغم شيخوخته ــ بزيارتى مهديا اياى تقريرا من أعمال المؤتمر البرلمانى الرابع والثلاثين ، للاتحاد البرلمانى الدولى ، الذى انعقد فى مدينة لاهاى ــ هولندا ــ فى الفترة من ٢٣ الى ٢٧ أغسطس ١٩٣٨ .



وكان وفد مصر الى ذلك المؤتمر قد تألف برئاسة محمد توفيق خليل ، وكيل مجلس النواب وقتئذ بعد أن اعتذر عن المشاركة فى المؤتمر رئيس مجلس النواب محمد بهى الدين بركات باشا وكان الوفد قد شكل من أعضاء مجلسى الشيوخ والنواب التالية أسماؤهم : « من النواب » ممدوح رياض ، محمد فكرى أباظة ، عطا عفيفى بك ، رينيه قطاوى بك ، محمود أبو الفتح ، ومن « الشيوخ » : عبد الحميد أباظة بك ، وهيب دوس بك ، ميشيل رزق .

وتقرير الوفد المصرى المقدم من محمد توفيق خليل بك ، الى مجلس البرلمان المصرى ، والذى يقع فى حوالى تسعين صفحة ، من أهم التقارير البرلمانية ، وهو من زاوية القضية الفلسطينية وثيقة هامة تؤكد أن شعب مصر،

كان يحمل عبء الدفاع عن الشعب الفلسطينى أمام المحافل الدولية فى وقت لم يكن فيه الاحتلال البريطانى لفلسطين ، المتحالف مع الصهيونية يسمح لصوت الشعب الفلسطينى أن يرتفع خارج فلسطين ·



وكم وددت ، لو اتسع المجال لنشر نص خطاب ممدوح رياض ، أحد أعضاء الوفد المصرى الذى ألقاه فى المؤتمر فى مساء ٢٢ أغسطس عن القضية الفلسطينية ، والذى يقع فى حوالى خمس وعشرين صفحة ·

وكم وددت ، لو اتسع المجال ، أيضا لنشر تفاصيل المناقشات الحامية ، التى دارت بين النائب ، المصرى ممدوح رياض ، ومستر ريس ديفز عضو مجلس العموم ، البريطانى ، ليعرف من لا يعرف ، أو من يعرف وينكر أنه يعرف أن مصر ــ ومصر وحدها وقتئذ ــ كانت الترجمان ، الصادق ، الأمين عن آمال وأمانى وآلام ومتاعب الشعب الفلسطينى ·

فقط أشير الى بعض ما ورد فى خطاب ممدوح رياض ، الذى ألقاه باسم مصر شعبا وحكومة ، كما أشير مجرد اشارة الى ما دار بين ممدوح رياض وريس ديفز داخل جلسات المؤتمر البرلمانى الدولى ·

وقبل ذلك كله ، أحب أن أسجل هنا ــ للتاريخ ــ موقفا وطنيا ، برلمانيا رائعا ، وقفه الاخوة المصريون المشاركون فى المؤتمر ، لقد ورد فى التقرير السنوى للسكرتير العام للاتحاد البرلمانى والذى ألقى فى المؤتمر ، وهو يستعرض الأحداث البرلمانية ، فى العالم كله ، أن أمرا ملكيا قد صدر باقالة وزارة مصطفى النحاس باشا فى ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧ لمعارضتها للدستور ·

ولم يكن من بين أعضاء وفد مصر ، الى المؤتمر البرلمانى الدولى الا عضو واحد ، أو اثنان ينتميان الى الوفد المصرى كحزب ، بل لقد كان غالبية الأعضاء ، يعارضون حزب الوفد المصرى معارضة شديدة ولكنهم جميعا لم يقبلوا أن تتهم وزارة مصرية فى مجتمع دولى ، وفى وثيقة دولية بمعارضتها للدستور ·



وفور انتهاء السكرتير العام للاتحاد البرلمانى الدولى ، من القاء تقريره السنوى اجتمع الأعضاء المصريون وقرروا بالاجماع ، أن يطلبوا الى السكرتير العام حذف تلك الفقرة الخاصة بمعارضة وزارة النحاس باشا ، للدستور ،

من التقرير السنوى . بل وكتبوا مذكرة بهذا المعنى ، سلمت للسكرتير العام فى ٢٥ أغسطس ١٩٣٨ ، وعلى الفور وافق السكرتير العام ـ والمؤتمر ـ على حذف تلك العبارة . بل ان السكرتير العام للاتحاد البرلمانى الدولى ، اعتذر عن كتابته لتلك العبارة مؤكدا آنه نقل هذه العبارة ، عن نص الأمر الملكى الخاص باقالة الوزارة كما نشر فى جريدة « الطان » الفرنسية ، وجريدة « التايمز » الانجليزية . وذكر السكرتير العام ، ان من صالح مصر ، أن تسهر على صحة الأخبار التى تنشرها عنها أمهات الصحف فى العالم كما أن من صالح مصر أن توافى المنظمات الدولية بعدد من الوقائع المصرية باللغة الفرنسية أو اللغة الانجليزية .



أما خطاب ممدوح رياض عن القضية الفلسطينية ، فقد كان بمثابة وثيقة خاصة بالقضية الفلسطينية تؤكد أن فلسطين بلد عربى ، وأن العرب هم أصحابها وسكانها منذ أجيال عديدة ، وأنه يجب على المجتمع الدولى ، وعلى دولة الانتداب . بريطانيا أن تلتزم بمصالح العرب ، أصحاب البلاد الأصليين ، وألا تفضل على مصالحهم مصالح المهاجرين ، اليهود .

ويطالب ممدوح رياض ـ باسم مصر ـ شعبا ، وحكومة ـ بضرورة مراعاة أحكام القانون الدولى العام ، بالنسبة للشعب الفلسطينى ، وضرورة تنفيذ مبادىء الرئيس الأمريكى ولسون ، التى تعترف بأن لكل شعب حقه فى تقرير مصير بلاده .

ويؤكد ممدوح رياض ـ بالأرقام ، والتقارير والبيانات الرسمية ـ أن فلسطين اكتظت الآن ـ أغسطس ١٩٣٨ ـ بالسكان الى أقصى درجة تتفق وموارد البلاد الطبيعية من زراعية واقتصادية ، فيكون من خطل الرأى ، وقلة التبصر بالعواقب مواصلة العمل بسياسة اباحة مهاجرة اليهود الى فلسطين ، على الرغم من معارضة أهل البلاد فى ذلك مع الاعتراف لليهود ، بأنهم يمرون الآن ـ أغسطس ١٩٣٨ ـ بظروف عصيبة من اضطهاد ، ونفى يجعلهم فى محل عطف ورعاية شاملة من الانسانية كلها .



على أن هذا العطف ـ هكذا قال ممدوح رياض بالحرف الواحد ـ وتلك الرعاية . لا يجب أن تبديا على حساب فلسطين وحدها ولا سيما أن فلسطين ـ حتى على فرض امكانية مضاعفة عدد سكانها الحاليين ، وقبول نصف مليون من المهاجرين الجدد بها ، وهو فرض جدلى تأباه طبيعة البلاد ـ ، لا تكفى لتأتى للعالم بحل قاطع للمشكلة اليهودية ، اذ أن اليهود يبلغ عددهم فى العالم بأجمعه

١٦ أو ١٧ مليونا ، فليس فى ايواء فلسطين لنصف مليون منهم وهو فرض لا يمكن تحقيقه حل للقضية اليهودية فى العالم ، بينما أن الظلم كل الظلم للأغلبية العربية ، فى فلسطين التى ليست أقل من غيرها استحقاقا للعطف والانصاف ، ولا يمكنها أن تصبر على الضيم ٠

ويقول ممدوح رياض : أن العمل على انقاذ اليهود من محنتهم لا يكون بتوجيه أنظارهم شطر فلسطين ، التى لا تتسع لايوائهم ، بل هناك فى العالم ، مناطق وأنحاء لا يتناسب عدد سكانها مع خصب تربتها ، ومواردها الطبيعية ، وتسمح أحوالها بايواء اليهود بها ، على شرط أن تصفو النفوس ، وتعدل عن الأنانية أخذا بنصرة المضطهدين ٠

ولعل ذلك يتم فى المستقبل القريب ، لتصبح فلسطين ـ تلك الأرض المقدسة ، التى استحالت الى ميادين قتال ـ مقرا ومصدرا للوفاق والوئام والاخاء » ٠



ورغم أن خطاب ممدوح رياض قد استغرق أكثر من ضعف الوقت المصرح به ، لكل الأعضاء ، الا أن جميع الأعضاء ظلوا يستمعون اليه ـ والكثيرون منهم وقوفا حول المنبر ـ كما يقول التقرير ـ زهاء نصف ساعة ٠



ويقف مستر ريس ديفز ، عضو مجلس العموم البريطانى ، ليأخذ على الخطيب المصرى انتقاد الطريقة التى تنتهجها بريطانيا فى معالجة المشكلة الفلسطينية ، من غير أن يتقدم باقتراح مفيد لحل المشكلة ، ويقول مستر ديفز أن أوروبا اليوم تؤلف معسكرين ، معسكر الدول الدكتاتورية من جهة ، ومعسكر الدول الديمقراطية من جهة أخرى فلا يصح أن تسترسل الدول الديمقراطية فى مهاجمة بعضها بعضا فى حين أن الدول الدكتاتورية توحد جبهتها ، وتنظم صفوفها وتوطد تضامنها ٠

ويأخذ مستر ديفز على الأستاذ ممدوح رياض أنه يتدخل فى الشئون الداخلية لدولة أخرى هى بريطانيا !

ويقف ممدوح رياض مرة أخرى ، ليؤكد أنه أبدى وجهة نظر بلاده فى مشكلة فلسطين ووجهة النظر هذه : انه لابد من البحث عن بلاد غير فلسطين تتسع ليأوى اليها الشعب اليهودى ، المضطهد الآن فى كثير من البلاد ، واذا كانت بريطانيا قد بذلت ، كما تقول كل ما تستطيع لحل المشكلة الفلسطينية فقد اتضح لها أن هذا الحل فى الأوضاع الحاضرة يكاد يكون مستحيلا ، فلابد من تعديل الأوضاع القائمة !

والجدير بالذكر أن مصر ، طلبت أن يدرج فى جدول أعمال المؤتمر المقبل اقرار مبدأ هام هو أنه لا يجوز لحكومة أجنبية أن تملى ارادتها ، على حكومة أخرى فيما يختص بشكل الحكم ، ونظامه » ·

وجرت مناقشات طويلة انتهت برفض الاقتراح المصرى بأغلبية ١٧ ضد ١٤ صوتا !!

وان كان المؤتمر قد وافق بالاجماع على القرار التالى : يقرر المؤتمر البرلمانى ، أنه مقتنع تماما بأن هناك شرطا جوهريا لابد من تحقيقه لاستتباب السلام ، والوئام ، بين الشعوب واطراد التعاون الدولى فى مصلحة جميع البلاد وهو أن يعترف بلا جدال لكل دولة بحقها فى تقرير نوع الحكم الذى ترتضيه لنفسها ، وذلك بغير تدخل الشعوب ، أو الحكومات الأخرى فى هذا الشأن بأية وسيلة ·



لقد كانت القضية الفلسطينية ـ كما هى لا تزال الى اليوم ، وستبقى دائما ـ القضية العربية الأولى بالنسبة للشعب العربى فى مصر ، وكانت القضية الفلسطينية فى تلك المرحلة قد دخلت مرحلة جديدة من مراحل تطورها بعد أن اشتد الصراع العربى الاسرائيلى ، وبعد أن رفض العرب ، واليهود الحلول ، التى اقترحتها لجنة التحقيق البريطانية الملكية حيث اعتبرها الطرفان ـ عمليا ـ قد زادت المشكلة تعقيدا ، على تعقيد ، وكانت لجنة التحقيق ذاتها قد ذكرت فى تقريرها أن مقترحاتها ، لن تحقق مطالب العرب ، واليهود ، ولذلك فهى ـ أى لجنة التحقيق الملكية ـ قليلة الثقة فى أن تلقى مقترحاتها ، رفضا أو قبولا ، وكانت لجنة التحقيق الملكية قد رأت تقسيم فلسطين بين العرب ، واليهود وكان معنى التقسيم الذى اقترحته اللجنة أن العرب سيضطرون الى الموافقة على أن تخرج من سيادتهم منطقة من البلاد استوطنوها زمنا طويلا ، وبسطوا عليها سلطانهم أجيالا ، متعاقبة وكان هذا التقسيم بالنسبة لليهود أنهم ـ وهذا منطقهم وقتئذ ـ سيضطرون الى الاكتفاء بأقل مما كانوا يطمعون فيه ، والعرب ـ كما تقول بياناتهم وقتئذ ـ يعتبرون التقسيم كارثة لانه يقيم دولة فى جزء من صميم بلادهم الأصلية وهم يعتقدون ان كل ربح يناله اليهود انما ينتزع من أكبادهم ويقتطع من صلب حقوقهم ، واليهود ـ وكان هذا أيضا منطقهم وقتئذ ـ كانوا يعتبرون التقسيم كارثة لانه يحول دون انشاء الدولة التى منوا أنفسهم بانشائها منذ صدور وعد بلفور ولانه يخصهم ـ كما جاء مشروع التقسيم الذى اقترحته لجنة التحقيق الملكية البريطانية ـ بشقة لا تزيد على أربعة آلاف كيلومتر محصورة فى البلاد العربية مما يجعلها معرضة للخطر فى كل لحظة وأنه فضلا عن ضيقها ، فهى لا تتسع لهذه الآلاف المؤلفة من مهاجريهم من مختلف الأنحاء

والأقطار وكانت الشقة الضيقة التى اقترحت لجنة التحقيق الملكية البريطانية اعطاءها لليهود ، لا تضم القدس كل القدس ، ولا تضم الخليل وبئر سبع وغزة ، وخان يونس وأريحا واللد ، ورام الله ، وطولكرم وجنين ، ونيسان ، ومجدو و ٠٠ و ٠٠ لانها كلها وعشرات غيرها من المدن الفلسطينية ، كانت ضمن القسم العربى طبقا لما جاء فى مشروع التقسيم الذى تقدمت به لجنة التحقيق الملكية البريطانية : ولن أطيل فى الحديث عن الأحداث ، التى مرت بالقضية الفلسطينية ، ولا مشروع التقسيم فذلك كله وارد ــ وبالتفصيل ــ فى دراستنا عن الصراع العربى الاسرائيلى وأحب ــ والشىء بالشىء يذكر كما يقولون ــ أن أشير ، الى بعض أحاديث الوحدة العربية ، التى كانت تتردد وقتئذ فى تلك الفترة ــ فترة وزارة محمد محمود باشا الثانية ــ وبعض الأحاديث التى أعنيها هنا استفتاء اشترك فيه بعض الزعماء ، والساسة ، وأعلام الأدب والثقافة وقد كان الاستفتاء من اعداد كاتب صحفى سورى هو الأستاذ محمد شاكر الخزرجى زار مصر ، والعراق وبلدانا عربية أخرى وكان معه سؤاله الهام ، الوحدة العربية ، هل من سبيل الى تحقيقها ؟ ٠

وهذه اجابات بعض المصريين كما وردت فى هذا الاستفتاء :

● محمد محمود باشا ــ رئيس مجلس الوزراء المصرى وقتئذ :

تثير فكرة العروبة فى نفسى ذكرى تلك المدنية الباهرة ، التى قامت فى الشرق وشع نورها فى جميع الأقطار بظهور الاسلام وتعاليمه الخالدة ، وانى لألمح ضوء هذه المدنية ينبعث من جديد مما يملأ نفسى أملا فى قرب تحقيق تلك الرابطة لخير الشرق والانسانية ٠

● بهى الدين بركات باشا ، رئيس مجلس النواب المصرى الأسبق :

تربط مصر بالبلاد العربية صلات حميمة بعضها وثيق وبعضها ضعيف والبعض الآخر وسط بين هذا وذاك ومن البداهة أننا اذا ما تعهدنا هذه الصلات بالعناية ، وعملنا على توثيق ما بين البلاد العربية من روابط ، اقتصادية وثقافية ، أمكن أن تجنى هذه الأقطار من وراء ذلك الخير الكثير ، وهذا هو من رأيى ما يجب على الجيل الحاضر أن يعمل على تحقيقه ما استطاع الى ذلك سبيلا ٠

● حلمى عيسى باشا ــ أحد وزراء المعارف السابقين :

أعتقد أننا لسنا بحاجة الى أن ننشد وحدة عربية فالعرب مرتبطون منذ الفتح الاسلامى بروابط تاريخية وثيقة ، لغتهم واحدة ، وفنونهم ــ وأساسها

الفن العربى – واحدة ، وادابهم واحدة ، ودينهم واحد مرده القرآن والحديث ، انما الذى يتعين على البلاد العربية أن تقوم به هو التبادل الاقتصادى والتعاونى ومما لا ريب فيه سيكون عظيم الأثر فى توثيق الروابط بين تلك البلاد و ٠٠ و ٠٠

● دكتور على ابراهيم باشا – نابغة الطب والجراحة فى مصر :

طالما ناديت ولا أزال أنادى بجمع شمل أطباء العرب واحياء الطب العربى وتوحيد المصطلحات الطبية وها أنذا أنادى بالعمل على ربط الثقافات العربية بعضها ، ببعض ولقد حققت الجمعية الطبية المصرية ، التى أتشرف برئاستها جزءا من هذه الأمنية ، وعلى رجال السياسة فى الأقطار العربية أن يقوموا من جانبهم بمجهودات ، أوسع نطاقا فى جميع نواحى الحياة الثقافية وجعلها كتلة واحدة واعادة عزها ، ومجدها القديم ٠

● أحمد عبد الوهاب باشا أحد كبار رجال الاقتصاد :

الوحدة العربية أمنية أبناء العرب جميعا لكنها حتى الآن ، لا تزال حلما أكثر منه حقيقة ، وعندى أن وسائل تحقيقها كثيرة متنوعة ومنها ما هو اجتماعى ، ومنها ما هو اقتصادى ، ولو أن هناك هيئة مشتركة تمثل بلاد العروبة تتولى دراسة هذه الوسائل التى تقرب البعد ، وتحقق ما لا يزال حتى الآن فى عالم الخيال ٠

● نجيب الهلالى باشا : (وزير سابق)

لقد الفت أمم الغرب عصبة للتعارف والتعاون وخدمة السلام وتقدم الحضارة فما أولى الشعوب العربية بمثل هذا التعاون وهى ذات الماضى ، المجيد ، المشترك ، ومن رأيى أن أفضل الوسائل لتحقيق هذا التعاون ، العمل على تقريب الثقافات العربية واحكام الروابط الأدبية بين أبناء الشعوب العربية المختلفة ٠

● توفيق دوس باشا : (وزير سابق)

ان وجود البلاد العربية فى بقعة واحدة وارتباطها بوحدة اللغة والثقافة ، والتقاليد ، كفيلة بأن تجعل منها فى المستقبل القريب كتلة واحدة ، وما من شك فى أنها ستصبح يومئذ قوة لا يستهان بها وعندى أن على الزعماء فى كل قطر ، من هذه الأقطار أن يبثوا روح القومية العربية فى بلادهم بعيدا عن التحزب الدينى ، وعندئذ فقط يتحقق ذلك الحلم الجميل !

● د٠ محمد حسين هيكل باشا : (وزير سابق)

أنا ممن يؤمنون بالفكرة على أن يكون أمامنا مثل أعلى ٠ والوحدة العربية ، انما تتحقق يوم يقوم فى الشرق العربى ذلك الرجل الالهى ، الذى يدوى صوته

فى الآفاق فيسمع الناس بها ، ويقتدون بحياتهم الدعوة ، التى يريد أن تنشر فى الخافقين ، اما أن تكون الوحدة العربية مقصودا بها تحرير أمم الشرق العربى او تحسين أحوالهم فذلك أمر هين وهو فى رأيى ليس خيرا من الفكرة القومية ٠

فليعمل الدعاة لما يدعون اليه اليوم ان شاءوا لكنى أرجو أن يجىء اليوم الذى يقوم فيه الدعاة للمثل الأعلى ٠

● د٠ طه حسين « بك » :

أنا من أشد الناس حبا للوحدة العربية وحرصا على أن يكون الاستقلال القومى ، الوطنى أساسا لها ، وعلى أن تكون الثقافة والتعاون الاقتصادى من أهم الوسائل المؤدية اليها ، وليس من شك فى أن الدعوة الى انشاء جماعة تمثل الأمم العربية وتتبادل الرأى فى مشاكلها المختلفة من أنفع الدعوات وأقومها ، فلعلها تجد من قادة الرأى فى البلاد العربية استعدادا حسنا ٠

● عباس محمود العقاد :

الوحدة العربية من حيث التعاطف قائمة لا تحتاج الى دعوة ومن حيث اللغة والثقافة آخذة فى التمكن والشيوع ومن حيث المصالح الاقتصادية ، يستطاع تدبيرها وتنظيمها على مدى الأيام ٠

أما الوحدة العربية من حيث الحكم فلست من أنصارها لاننى أميل الى المزيد من التخصص والاستقلال ولا أحب المزيد من التواكل والاندماج وخير من وحدة الحكم تعاون صادق يقوم على تبادل الشعور وتبادل المصالح وتبادل الآراء ، فاذا جاءت الأيام بما ليس فى الحسبان فذلك اذن حكم الأيام الذى لا حكم بعده لانسان ٠

● عبد القادر المازنى :

ربما كان ايمانى بالوحدة العربية راجعا الى أننى عربى فما فى دمى قطرة واحدة ، غير عربية ولله الحمد وللذين يظنون أن الوحدة العربية حلم جميل ليس الا ٠٠ أقول اننا كنا جميعا فيما مضى أمة عربية واحدة بفضل النهضة ، التى أزخر الاسلام تيارها فالذى كان من قبل يسهل أن يكون كرة أخرى ، ثم اننا أبناء لغة واحدة مهما تناءت بنا البلاد ولا قيمة للفواصل التى أوجدها الاستعمار فان هذا عارض يزول وأول ما نحتاج اليه هو الايمان بالوحدة العربية، أما الوسائل فتجىء بعد ذلك فى أوانها وعلى مقتضى الأحوال والظروف ٠

● توفيق الحكيم :

انني على الرغم من رغبتى فى تكوين شخصية مستقلة ٠٠ لكل أمة من الأمم العربية أحب أن نتذكر دائما أننا ازاء الغرب لنا صفة واحدة تجمعنا وينبغى لنا أن نحافظ عليها ، فأوروبا اليوم عندما تبين لها خطر الحروب ، التى تقوض المدنيات ارتاعت وخافت على مصير ما تسميه « الروح الأوروبى » فعقدت من أجل ذلك المؤتمرات دعى اليها كبار مفكرى الأمم الأوروبية وبعد أن رأوا الأخطار التى تهدد هذا الروح الأوروبى ونحن الشرقيين لنا من غير شك كذلك ما نستطيع أن نسميه الروح الشرقى ، أى طابعنا الفكرى ، وطريقة نظرنا الى الأشياء ، وعقائدنا وتقاليدنا واحساسنا بالجمال الذهنى ومشاعرنا نحو مظاهر الطبيعة المختلفة وأسلوبنا فى التعبير عن حقائق الأشياء فاذا نادينا بالوحدة العربية فانما ، ذلك لندعم كتلة الروح الشرقى أمام كتلة الروح الأوروبى ٠

● فكرى أباظة :

الوحدة العربية فى نظرى عصبة أمم عربية ترعى مصالح أعضائها السياسية ازاء الدول الكبرى الطامعة فيها أو ذات العلاقات الوثيقة بها فاذا كانت فكرة الوحدة العربية هى هذا أو شيئا منه فسوف نصطدم بعقبات سياسية فانه ليخيل الى أن نوعا من الأنانية السياسية قد بدأ يتسرب الى الدول العربية وكأن كل واحدة تقول : « حسبى مصائبى » فاذا كان حدسى غير صحيح وأتمنى على الله أن يكون كذلك فان هذه المجاملات المتبادلة بين الأمم العربية تصلح فيما بعد أن تكون أساسا لكتلة واحدة ، ولكن على الراغبين فى هذا التشكيل أن يعينوا أولا المصلحة ، فى هذه الوحدة بشجاعة ، وقوة ، كما عليهم أن يعقدوا المؤتمرات الدولية للدعاية كل عام فى دولة من دول العرب ، مستعينين بالصحافة وبأسواق الأدب وبالرياضة وبالمؤتمرات الفنية اذ كلها وسائل تقرب الى الذهن فوائد الوحدة ، وترسخ فى القلب ضرورتها ، ومتى أثمرت هذه الدعايات جاء دور الأقطاب فوضعوا قواعد هذه الوحدة ودستورها ٠٠٠ ؟



ولقد حرصت أن أذكر وبالتفصيل ، وبالنص آراء تلك الشخصيات المصرية التى جمعت العديد من القادة السياسيين والاقتصاديين وكبار الكتاب والأدباء لا لأؤكد أن انتماء مصر العربى ، أصيل ، وقديم ، فذلك ما لا يحتاج الى تأكيد ، كل الذى أردته : اعطاء صورة لتفكير بعض القيادات المصرية فى الوحدة العربية وفى أسلوب تحقيقها فى منتصف الثلاثينيات ٠

الفصل الثانى

مؤتمر نسائى فى القاهرة
لنصرة القضية الفلسطينية

نشير الى حدث عربى هام وقع فى أكتوبر ١٩٣٨ ، ونعنى به انعقاد مؤتمر للمرأة العربية للدفاع عن فلسطين · وهذا المؤتمر يؤكد ، أن المرأة العربية بصفة عامة ، والمرأة المصرية بصفة خاصة ·· كانت عند مسئوليتها التاريخية ، بالنسبة للقضية الفلسطينية ·

ودور المرأة العربية فى فلسطين ، دور رائع وبناء ··

ساهمت المرأة الفلسطينية فى ثورات ١٩٢٩ ، و١٩٣١ ، و١٩٣٣ ، و١٩٣٦ ·· و ·· و · الخ · وقد قتل وسجن الكثير من الفلسطينيات ، كما أن الاتحاد النسائى المصرى برئاسة هدى شعراوى قد لعب أخطر الأدوار فى القضية الفلسطينية ودفعها الى الأمام ·

واذكر ــ والذكرى تنفع المؤمنين ــ أنه فى ٩ يونيو ١٩٣٦ عقد الأتحاد النسائى المصرى ، اجتماعا لبحث الحالة فى فلسطين ، وأصدر باجماع الآراء ، قرارات خاصة « باكتتاب كل ذى نفس كريمة يستفزها الظلم والاستبداد » ، وتشكيل لجنة من عضوات الاتحاد لجمع التبرعات ، والاحتجاج على تنفيذ وعد بلفور ، الذى بث بذور الكراهية والشقاق ، وأقام الفوضى والثورة محل المحبة والسلام ، فى تلك الأراضى المقدسة · كما قرر ارسال برقيات الى الساسة البريطانيين بطلب وضع حد لهذه السياسة البريطانية الخرقاء ، المخالفة لمبدأ احترام الشعوب الضعيفة ، ومناشدة نساء العالم وعصبة الأمم ، تأييد نساء فلسطين فى قضية العرب القومية ، والدعوة الى وقف الهجرة الصهيونية التى تقضى على العدالة بسلب أمة بأسرها حقها الطبيعى فى الحياة ·

دعا الاتحاد النسائى المصرى ، نساء الشرق لعقد مؤتمر للدفاع عن فلسطين، وكانت الدعوة الى هذا المؤتمر باسم هدى شعراوى فى ٤ سبتمبر ١٩٣٨ ، وكان من بين كلمات النداء الموجه الى نساء الشرق لعقد المؤتمر ، تلك الكلمات :

« برا بالعهد الذى قطعناه على أنفسنا نحن نساء الشرق ، ووفاء بالوعد الذى ارتبطنا به مع أخواتنا العربيات فى المؤتمرات الدولية المتعددة ، وهو أن نعمل متضامنات على نشر الوئام بين الشعوب ، كل منا فى بلادها ، وأن نسعى بكل الوسائل المشروعة الى منع الحرب ومساعدة جمعية الأمم فى توطيد أركان السلام العالمى . وحسم أسباب النزاع بين الدول ، بالتسوية السلمية ، قررنا عقد مؤتمر نسائى شرقى للنظر فى الحالة المؤلمة التى تعانيها فلسطين ، منذ سنين عديدة ، تلبية لصوت ضمائرنا ولاستغاثة الانسانية المعنية فى تلك البقاع المقدسة » .

وتوجه هدى شعراوى نداء الى سيدات مصر ، قبل وصول عضوات المؤتمر الى القاهرة ، تطلب فيه من كل مصرية « أن تعمل فى دائرتها ، بكل ما تستطيع من حول ، للأخذ بناصر الحق . وأن تقوم كل واحدة منهن بواجب الترحيب والتعضيد للضيوف الجديرين بسمعة مصر ومكانتها بين الأمم العربية » .

ويحلو لى أن أشير ــ للتاريخ ــ الى أن المؤتمر عندما انعقد فى القاهرة فى ١٤ أكتوبر ١٩٣٨ ، اختار السيدة هدى شعراوى لرئاسته ، واختار وكيلات عنها : السيدة عادلة بيهم ، حرم الأمير مختار الجزائرى « سورية » السيدة ايفلين جبران بستوروس « لبنان » الآنسة صبيحة الهاشمى ، « العراق » السيدة وحيدة حسين الخالدى والآنسة زليخا الشهابى « فلسطين » ، والسيدة نفيسة محمد على علوبة ، والسيدة أمينة فؤاد سلطان « مصر » .

وكانت سكرتارية المؤتمر من بهيرة نبيه العظمة ، وسنية الأيوبى « سورية » نجلا جورج كافورى ، وحياة نور بيهم « لبنان » رفيعة الخطيب « العراق » ساذج نصار وعقيلة شكرى ديب « فلسطين » جميلة عطية أبو شنب ، ودرية فهمى وايفا حبيب المصرى ، وتحية محمد « مصر » .

وكانت مندوبات فلسطين على النحو التالى : السيدات والآنسات طرب حرم عونى بك حسين الخالدى . عقيلة شكرى ديب ، زليخا الشهابى ، متيل مغنم مغنم ، ميمنة الشيخ القسام ، ساذج عقيلة نجيب نصار . رفقه الشهابى التاجى . سعاد حرم فهمى الحسينى . مارى نجيب أبو الشعر . فاطمة وزاهية النشاشيبى . صبحية التميمى . مريم هاشم .. وغيرهن .. وغيرهن .

وكانت من مندوبات سورية فى المؤتمر ، السيدات والآنسات : بهيرة حرم نبيه بك العظمة . ثريا الحافظ . فطينة كريمة نبيه بك العظمة . حرم

محيي الدين باشا الجزائري · نازك العابد · أسما عقيلة فارس بك الخوري · مرة داغستاني ·· و ·· و ··

وكان من بين مندوبات مصر ، الى جانب السيدة هدى شعراوي كل من السيدات والآنسات : نفيسة حرم محمد علي علوبة باشا ، أمينة حرم الدكتور فؤاد سلطان بك · بسيمة حرم عبد الرحمن رضا باشا · عزيزة حرم الدكتور حسين هيكل باشا · بهيجة حرم حسن بك رشيد · انصاف حرم الدكتور منصور بك فهمي · ومنيرة نابت وماري كحيل · وحواء ادريس · ونعيمة الأيوبي · وزينب الغزالي ·· و ·· و ·· الخ ·

وكان انعقاد هذا المؤتمر في هذا الوقت بالذات دفعة قوية للنضال الفلسطيني خاصة أن الشعب المصري قد رحب بانعقاد هذا المؤتمر على أرض مصر ، وقد رحبت الصحف المصرية ، التي تصدر باللغة العربية والتي تصدر باللغات الأجنبية في مصر فيما عدا جريدتين تصدران بالفرنسية ، كان لهما موقف معاد لذلك المؤتمر تجلى فيما صدر عنهما من تعليقات غير ودية تجاه شعب فلسطين ·

كانت جلسة افتتاح المؤتمر النسائي بدار جمعية الاتحاد النسائي المصري بالقاهرة في الساعة الخامسة من مساء يوم السبت ٢١ شعبان ١٣٥٧ ، ١٥ أكتوبر ١٩٣٨ ، وكانت جلسة الافتتاح برئاسة هدى شعراوي ·

● حضر الجلسة « عدد كبير من الزائرين ، والزائرات في مقدمتهم ـ كما قيل يومئذ في وصف حفل الافتتاح ـ بعض عقيلات الوزراء ، والوزراء السابقين وزعماء الوفود العربية في المؤتمر البرلماني العالمي الذي انعقد بالقاهرة ، وقد أعد للرجال مكان خاص في شرفات قاعة الاجتماع ·

وافتتحت جلسة الافتتاح بنشيد فلسطين الذي نظمه خصيصا لتلك المناسبة الشاعر محمود أبو الوفا ، ولحنه الأستاذ محمد القصبجي وأنشدته تلميذات مدرسة الاتحاد النسائي المصري وكان من بين كلمات ذلك النشيد :

يا فلسطين اسلمي نلت السلامة
اسلمي يسلم لنا شعب الكرامة
أرخص الأرواح في حفظ الذمار ···
وأرتضى بالموت في حب الديار
يا له شعبا أصيل الافتخار
لم لا يبلغ في العز مرامه ···



بعد ما أصبح عنوان الكرامة
يا فلسطين أيا قدس السلام
كيف عدت الآن مهدا للخصام
عجبا والظلم للفرد حرام
كيف يرضون للشعب أن يضام
ظلموه ، حكموا فيه الغريم
جرحوه ، شردوا عنه الزعيم
أخرجوه من حمى ، البيت الكريم
لم يراعوا لحمى البيت كرامة
لا ، ولم يخشوا من الناس الملامة
يا بنات الشرق هذا يومكن
فى فلسطين صبايا مثلكن
قتلت أو شردت رجالهن
تركوا الأطفال فى أحضانهن
لم يجدن الآن من يرحمهن
ويعيد النور فى بسماتهن
يا الهى ، يا الهى كن لهن
وصن الشرق ونوله مرامه
وأعد يا رب للشرق مقامه

وتفتتح السيدة هدى شعراوى المؤتمر بكلمة تشكر فيها الحاضرات ممن « تكبدت متاعب السفر وانتقلن الى مصر من اخواتنا الفلسطينيات ، والعراقيات، والسوريات ، واللبنانيات ، والايرانيات لمشاركتنا فى هذا الاجتماع ، الخطير للبحث فى الحالة المحزنة التى تجتازها فلسطين ، وللتشاور معنا فى الطرق العملية للوصول الى حل هذه المشكلة على أساس العدل ، والانصاف وللاحتجاج على أعمال الظلم ، والارهاب التى ترتكب فى تلك البقاع المقدسة .

وتمضى السيدة هدى شعراوى قائلة : « أعبر لحضراتكم عن سرورنا واغتباطنا بهذا الاتحاد الذى شد أزرنا ووحد صفوفنا وزاد العروبة قوة ، ومتانة فى هذا الظرف الدقيق ، باشتراك الجنسين فى الدفاع عن هذه القضية العادلة اشتراكا فعليا ، سيكون له أثره المنتج فى حلها ان شاء الله كما سيكون فى سجل تاريخ نهضة الشرق الحديثة صحيفة بيضاء اذ يظهر للعالم أجمع أن محنة فلسطين لم تثر خواطر رجال الشرق وحسب بل أفزعت نساء الأقطار العربية عامة وروعتهن بفظاعتها ووحشيتها ومنافاتها لقواعد العدل ، ومبادىء الانسانية

وانتهاكها لحرمات الحق والسلام فقمن يشاركن الرجال لانقاذ فلسطين المعذبة من جور الاستعمار الانجليزى والاحتلال الصهيونى » ٠

وعن وعد بلفور تقول هدى هانم شعراوى : تثور فلسطين اليوم وتجاهد لا لنيل استقلالها فقط بل للنجاة من حكم الاعدام الذى أصدره علينا « بلفور » بتصريحه المشئوم وتريد الحكومة الانجليزية تنفيذه بكل فظاعة ووحشية » ٠

وتقول هدى شعراوى : يقولون أنه لبس من السهل أن تتقهقر دولة قوية كبريطانيا العظمى ، تعتمد على قواتها البحرية ، والبرية والجوية ، وتذعن لمشيئة شعب أعزل لا سلاح له الا ايمانه بالحق ولكن الرجوع الى الحق فضيلة وأفضـــل للقوى ألا يستعمل قواته الا ازاء أنداده وأقرانه أو يحتفظ بها لوقت الحاجة ٠

وتقول هدى شعراوى : من الغريب ، أن الشعب الانجليزى الذى كان يفاخر بأن لبريطانيا شرف القضاء على الرق ، وحماية الأمم الضعيفة يرضيه اليوم أن تقوم حكوماته بمهنة النخاسة ، فى أبشـــع مظاهرها بمحاولتهـــا فرض الصهيونيين على شعب كامل رغم أنفه ، وتمليكه أراضيه بيد أن النخاسين فى الماضى كانوا على الأقل يتركون للعبد حرية اختيار سيده مهما بلغ الثمن الذى يعرض عليهم » ٠

وتشير هدى شعراوى الى تخلى بريطانيا عن شعب الحبشة ، بعد عدوان موسولينى عليه ، والى تخلى بريطانيا أيضا عن تشيكوسلوفاكيا اثر هجوم هتلر عليها ، ثم تقول : ان بريطـــانيا العظمى لا تستأسد ، الا على الأمم الضـــعيفة ولا تحترم الا القوة ، على اختلاف أنواعها ، ولا يخفى على حضراتكن ما لليهود من قوة الدينار » ٠

وتنهى هدى شعراوى خطابها الجامع بقولها : لما كنا نريد أن نعيش فى وئام مع اليهود المواطنين فانا نطالبهم بالتضامن معنا فى ارجاع الصهيونيين عن أحلامهم الخرافية فى التشبث بتحقيقها » ٠

وتشكر هدى شعراوى رفعة محمد محمود باشا رئيس حكومتنا الرشيدة على المجهودات القيمة التى يبذلها فى الدفاع عن فلسطين فى كل فرصة سنحت له كما تشكر رئيسة المؤتمر فى نفس الوقت الصحافة العربية النزيهة التى طالما ساعدتنا فى تنوير الرأى العام واطلاعه على الحقائق بانتصارها للحق ، والعـــدل ٠



كما تشكر أيضا السيدة هدى شعراوى كلا من واصف غالى باشا ، الذى كان أول مصرى ارتفع صـــوته رســـميا بالدفاع عن فلسطين فى عصـــبة الامم وعبد الفتاح يحيى باشا على دفاعه الأخير عن فلسطين فى تلك العصبة ٠

وترسل هدى شعراوى من أعلى المنبر تحية الاعجاب والتقدير الى أبطال فلسطين المجاهدين والى زعمائهم الأحرار ومبعديهم وعلى رأسهم سماحة السيد أمين الحسينى أفندى داعية الله أن يكلأ بعنايته ورعايته اليتامى والثكالى والأرامل اللاتى أصبحن لا موئل لهن ولا نصير الا الله سبحانه وتعالى ٠

وبعد خطاب هدى شعراوى يجىء خطاب السيدة طرب عبد الهادى كريمة الشهيد سليم الأحمد عبد الهادى ، وعقيلة عونى بك عبد الهادى أحد زعماء فلسطين المبعدين ـ وقتئذ ـ وعضو اللجنة العربية العليا ، ومندوب المرحوم الملك الحسين فى مؤتمر فرساى ٠

وكان خطاب السيدة طرب عبد الهادى ـ بحق ـ صرخة مدوية لشعب فلسطين البلد العربى ، الذى يراد افناء شعبه العربى ، وابادتهم واجلاؤهم عن ديارهم ، واخراجهم من أوطانهم ، ليحل محلهم شعب غريب عنهم ٠ صرخة مدوية لفلسطين التى تآمرت أقوى دول الأرض ، وأدهى شعوب العالم ، على افنائها ٠٠ فلسطين التى تشاهد اليوم مأساة فظيعة لم يشاهد العالم لها مثيلا وتنزل بها مظالم ، لا عهد للعصور المظلمة بأشباهها : فلسطين التى يتيتم أطفالها ، ويشنق شيوخها وشبابها ويشرد رجالها ، وتدمر مدنها وقراها ، وتنسف بيوتها ، وتحشى سجونها بالأبرياء ٠

وبعد هدى شعراوى وطرب عبد الهادى يجىء صوت سورية ممثلا فى عقيلة نبيه بك العظمة من زعيمات سوريا وسكرتيرة لجنة السيدات للدفاع عن فلسطين وعضو جمعية « يقظة المرأة الشامية » بدمشق ٠

وفى خطاب السيدة بهيرة نبيه العظمة تحديد واضح لما يجب ، على عضوات المؤتمر اتخاذه من قرارات وتوصيات :

● فلسطين بلاد عربية على المؤتمر تأييد عروبتها ٠

● المطالبة بسد أبواب الهجرة الصهيونية ووقفها عند حدها بل بوقفها تماما ٠٠

● لابد من المطالبة بانهاء الانتداب البريطانى على فلسطين ٠

● لفلسطين الحق الطبيعى والشرعى فى الحرية والاستقلال فيجب على المؤتمر تأييد هذا الحق ، والمطالبة به ٠

● الدعوة الى مقاطعة بريطانيا اذا هى أصرت على ارتكاب ما ترتكبه فى فلسطين من ابادة وتعذيب و ٠٠ و ٠٠

● الدعوة الى مقاطعة اليهود ، فى كل بلد يضم العرب والمسلمين الى أن يرتدعوا عن موقفهم ويرتدعوا عن تمثيل روايتهم الى غير ذلك من المطالب ٠

ويكون خطاب السيدة نجلا كفورى عقيلة الأستاذ جورج كفورى بك ــ من أدباء لبنان ــ قطعة أدبية ممتازة : تدعو السيدة نجلا كفورى الى ارسال الوفود لا الى جمعية الأمم ، ولا الى أى بلد من بلدان الغرب بل الى العرب فى أقاصى صحاريهم وشواطئهم ، والى المسلمين فى أربعة أركان المعمورة والى المسيحيين فى أطراف الدنيا ، ليعرف الجميع ما ترتكبه بريطانيا من فظائع فى ثالث الحرمين وأولى القبلتين وليعرفوا أن بريطانيا تريد تسليم قبر المسيح الى اليهود ٠

ان وراء فلسطين سبعين مليونا من العرب ٠

ان وراء فلسطين مئات الملايين من المسيحيين المتدينين ٠ بل أن وراءها كل ذى وجدان حى وضمير سليم ٠

وتنهى السيدة نجلا كفورى خطابها بقولها :

لقد أسمعتكن لهجة قد تبدو غريبة عن المرأة فأستميحكن عذرا ، اذا ثقلت على أسماعكن الرقيقة هذه اللهجة الجافية ٠

ان الناس عندما يسمعون بمؤتمر نسائى يعقد لبحث مأساة فلسطين لا يتصورون ، الا جماعة من النساء يندبن ويبكين بالدمع السخين ، ولكن لأول مرة نريد ألا نحقق هذا الظن فينا ٠

لقد بكى العرب مرة واحدة ، على أطلال الحمراء ٠
ولن يبكوا مرة ثانية على أنقاض فلسطين ٠
ان فى فلسطين مبكى واحدا ولن يكون فيها مبكى آخر للعرب ٠



وتتوالى خطب العضوات السيدة ايفلين بستروس مؤلفة كتاب «يد الله» ٠٠ وعقيلة جبران بك بستروس من وجهاء لبنان والسيدة وحيدة حسين الخالدى عقيلة الدكتور حسين بك الخالدى رئيس بلدية القدس سابقا ، وكان منفيا فى جزيرة سيشل أثناء انعقاد المؤتمر . وهى وان مثلت فلسطين فى المؤتمر ، الا انها كانت عراقية ٠ الآنسة صبحة ياسين الهاشمى كريمة الزعيم ياسين باشا الهاشمى ، أحد رؤساء الوزارات العراقية ٠ السيدة عقيلة شكرى ديب رئيسة جمعية تهذيب الفتاة الأرثوذكسية بالقدس ، السيدة عزيزة عثمان لبيب من سيدات ايران المتمصرات ، حرم الدكتور عثمان لبيب بك ، زليخا الشهابى ، سكرتيرة جمعية السيدات العربيات بالقدس ، ايفا حبيب المصرى (مصر) ٠

ثم تلقى تلميذة من تلميذات مدرسة الاتحاد النسائى القصيدة التى نظمها الأستاذ أحمد محرم لمناسبة انعقاد المؤتمر ومطلعها :

جمعن المشارق (فى المؤتمر)
فقل للمغارب : أين المفر

وفى قصيدة أحمد محرم تلك الأبيات :

هو الظلم هيج كل القوى
فما تستكن وما تستقر
وراع الكرائم فاستلها
وأطلقها من وراء الستر



الى ان يقول أحمد محرم :

وجئن يغرن على عينه
وينفذن من نابه والظفر
فيا لك من نمر فاتك
وباللواتى يصدن النمر
أخذن السهام فسددتها
لطاف الأنامل بيض البنان
تذيب الحديد ، وتفرى الحجر
تميل زلازلها بالجبال
وتمضى نوافذها فى السرر
(فلسطين) خطبك غول الخطوب
وذعر الزمان ، ورعب القدر
تنام ، البراكين عن همها ،
وما نام بركانك المتفجر !



وفى اليوم التالى تكون الجلسة الثانية : خطب مستفيضة من السيدة نازك العابد بيهم (لبنان) السيدة سعاد الحسينى (فلسطين) الآنسة رفيقة الخطيب (العراق) ملك حمدى حلاوة — حرم أحمد حلاوة بك من كبار تجار القاهرة (من سيدات فلسطين البارزات) آنسة حنيفة أحمد على علوبة (بك) ، وكانت وقتئذ يافعة وطالبة بمدرسة الليسيه ، مارى وزير (العراق) آنسة نبيهة ناصر (فلسطين)، ربا القاسم (فلسطين) منيرة ثابت (مصر) زينب الحكيم (مصر) .

ويقيم النادى الفلسطينى بالقاهرة حفل شاى لعضوات المؤتمر يرحب باسم النادى الأستاذ محمد على الطاهر ويقدم للضيفات الآنسة ميمنة كريمة المرحوم الشيخ عز الدين القسام ، أول شهيد عربى استشهد فى الثورة الفلسطينية ·

ومن بين كلمات ميمنة :

« لست أول فتاة أستشهد أبوها فى سبيل العرب فبينكن من مندوبات البلاد العربية الكثيرات فقدن أعزاءهن اما شنقا ، على الأعواد أو رميا بالرصاص من أجل احياء مجد العرب : فهل الشهيد سليم الأحمد عبد الهادى الا والد طرب عبد الهادى ؟ وهل الشهيد لطفى الحافظ الا والد ثريا عبد الحافظ الريس ؟ وهل الشهيد عارف الحسينى مفتى غـزة والشهيد عكر النشاشيبى والشهيد كامل البديرى الا أقارب لكثيرات من مندوبات فلسطين ، وهل الشهيد يوسف العظمة وزير حربية سورية فى عهد الاستقلال الثاوى فى ميسلون الا عم قطينة العظمة، وهل الشهيد الأمير عز الدين الجزائرى الا سليل الأسرة الجزائرية الممثلة فى مندوبات سورية وهل فقيد العرب الشهيد ياسين الهاشمى ، الا أبو صبيحة ؟ حقا لقد صدق الشاعر حين قال :

ما بيننا يوم الفخار تفاوت

أبدا كلانا فى المعالى مغرق



وكانت الجلسة الختامية للمؤتمر فى ١٨ أكتوبر ١٩٣٨ ·

وفى كلمة هدى شعراوى اشارة ، الى « بعض النيات الحسنة التى دفعت أفرادا قلائل من المواطنين والمواطنات اليهـود الى توجيه نداءاتهم على صفحات الجرائد الفرنسية يناشدوننى فيهـا أن أعمل على التآلف بين العرب واليهود ليتكون منهم كتلة قوية تقاوم السياسة الأوروبية التى وصفها بعضهم بالسفك ، والتعطش الى الدماء ، وألا نعيد عهد قابيل ، وهابيل » · وتقول هدى شعراوى « ومع تقديرى لهذا الشعور الرقيق أقول ، اننا كنا أول من يعطف على اليهود ويستنكر الظلم الواقع من أوروبا ولكن الصهيونيين باعتمادهم على القوة الغاشمة التى يثور عليها هؤلاء المثابرون وتغذيتها بأموالهم لاغتصاب حقوق العرب حال دون فكرة الاتحـاد وجعلـنا ننفر منهم ولا نثق بصدق قولهم وقد كان الاولى بحضراتهم ان يوجهوا مثل هذه النداءات الى المغتصبين الظالمين والى المشجعين بسكوتهم على ارتكاب هذه المظـالم فى فلسطين فان كانوا صادقين حقـا فيما يقولونه وما ينشرون فليؤيدوا مقرراتنا وليجهروا باستنكارهم وسخطهم على وعد بلفور الذى كان وبالا علينا وعليهم » ·

ويشير البيان الختامى للمؤتمر الى مراحل تطور القضية الفلسطينية منذ نشوب الحرب العالمية الاولى وعدم قيام الحلفاء بتنفيذ وعودهم للعرب والى وعد

بلفور والانتداب البريطانى ، ولجان كراين ، وشو ،وتقرير سمسون ، ومؤتمر بلودان الذى رفض تقسيم فلسطين ، كما يشير البيان الى ما قاله واصف غالى باشا فى عصبة الأمم عن القضـية الفلسطينية « ان مسألة فلسطين تهم مصر حكومة وشعبا الى أقصى حد ، بالنظر الى علاقات الجوار الدائمـة بين البلدين والى العلاقات التاريخية والدينية ، التى تربط مصر والاماكن المقدسة بروابط أخوية قائمة على أساس وحدة اللغة والدين ، والحضارة التى تربطنا بالشعب الفلسطينى » كما يشير البيان أيضا الى الكلمة التى قالها واصف غالى باشا فى عصبة الأمم أيضا : « أن الحق والعدل يقضيان بأن تظل فلسطين للفلسطينيين هذا حق طبيعى فى أبسط اشكاله واوضحها » ٠

وتؤيـد قرارات المؤتمر مطـالب العرب فى فلسطين بالغـاء الانتـداب البريطانى ، على فلسطين وانشاء دولة دستورية ذات سيادة فى فلسطين واعتبار وعد بلفور باطلا من أساسه ولا قيمة له ، ويرفض المؤتمر تقسيم فلسطين رفضا باتا وفورا واعتبار فلسطين وحدة تامة لا تتجزأ ٠ بالاضافة الى استنكار سياسة بريطانيا فى فلسطين وضرورة اسداء المساعدة العربية للشعب الفلسطينى و٠٠و٠

وتلقى السيدة متيل مغنم عقيلة الاستاذ مغنم مغنم ومؤلفة كتاب « المرأة العربية » باللغة الانجليزية (فلسطين) كما تلقى الآنسة زينب الحكيم (مصر) والآنسة منيبة ثنيـان كريمة عبد اللطيف بك ثنيـان ـ من علماء العراق ـ وزليخـا الشـهابى (فلسطين) وساذج نصار عقيلة الصحفى نجيب نصـار وصاحب جريدة ، الكرمل (حيفا) ، يلقى هؤلاء كلمات فى الجلسة الختامية ٠

وفى المؤتمر ، ألقيت رسائل من السيدات والآنسات ابتهاج زعيتر (نابلس) أنيسه الخضراء (عكا) فائقة مدرس (حلب) اسمى طوبى (عكا) حميدة الجراح (عكا) ، وألقيت قصائد تحية للمؤتمر ، من فايزة سعيد عبد الحميد (نابلس) فوزية سلامة

وترسل سيدة أجنبية تقيم فى مصر ، الى هدى شعراوى قصيدة بالانجليزية (وهى صورة لتفكير ذلك العصر) وفيما يلى ترجمة القصيدة :

الناس أجمعون ، كانوا يخشون الأسد البريطانى
وكانوا ، يرتجفون من هيبته ويرهبون هجمته
حتى جاء يوم تقدم موسولينى ، اليه بثبات
ولوى ذيله فى غير وجل
زأر الأسد وفغر فاه
وكان بلا أنياب ليس فيه ما يخيف

ورمجر فى دهشة وقال :

وقعوا العقوبات

وهذا كل ما أمكنه أن يقول ٠

وللتاريخ نقول أن للدكتور ابراهيم ناجى قصيدة عن فلسطين مطلعها :

أخذ العين والفؤاد جميعا :
قبسا من جوانب الشرق بادى

جمع الأهل والأحبة والشمـ
ـل ولم الشتات بعد البعاد

أيقولون ، أنا أمم شتى وقو
م تفرقوا ، فى البلاد

كذب ما يقول عنا الأعادى
وضلال تخرص الحساد

الى أن يقول ابراهيم ناجى :

يا فلسطين أيها الوطن الدامى
تقبل سلام هذا الوادى

يا أنين الجراح فى الأساد
وزئير ، الأساد فى الأصفاد

قد سمعناك داويا فى حمانا
فمددنا الى حماك الأيادى

ويختتم ابراهيم ناجى قصيدته بقوله :

فلقاء ولا أقول وداعا
نحن منكم غدا على ميعاد

حيث يغدو المآب تحقيق حلم
ويكون اللقاء كالأعياد



وللتاريخ أيضا نقول أن الآنسة أم كلثوم ، قد تبرعت بالغناء فى حفلة أقيمت بدار الاتحاد النسائى المصرى لصالح منكوبى فلسطين فى ٢٤ أكتوبر ١٩٣٨ شارك فيها أمير الكمان سامى الشوا ، وكان صافى ايراد الحفلة ـ وهو ايراد نموذجى للغاية ـ قد بلغ ٧٢٠و١٠٣ مليم جنيه أضيف الى المبالغ المتحصلة من التبرعات لصالح مندوبى فلسطين ٠

وللتاريخ أيضا نقول ان هدى شعراوى دخلت فى معركة عنيفة مع صحيفتين ناطقتين باللغة الفرنسية تصـدران فى مصر أطلقتا على عـرب فلسطين نعوتا لا تتفق مع الحقيقة وتتنافى كل المنافاة مع بطولتهم وشجاعتهم ٠

احتجت هدى شعراوى على هاتين الصحيفتين البورص اجيبسيان وجورنال ديجيت لتحيزهما ضد العرب وأرسلت الى كل منهما خطابا قالت فيه :

« يدهشنا أن جريدة كجريدتكم تصدر فى مصر ، ويقرؤها جمهـور من المصريين تسمح لنفسها أن تسمى المجاهدين الأبطال الذين يدافعون عن كيانهم وحريتهم وحقوق بلادهم بقطاع الطرق فهل بلغت فيكم روح التحيز لدرجـة تجعلكم تقلبون الأوضاع اذا كان فى فلسطين يا جناب رئيس التحرير قطاع طرق ، فليس هم العرب بكل تأكيد » ٠

وترد صحيفة جورنال ديجيت على خطاب هدى شعراوى قائلة :

« فى فلسطين وطنيون ولكن الذى تجهله السيدة هدى شعراوى باشا هو أن هنالك مئات من قطاع الطرق الحقيقيين انضموا الى الارهابيين للقتل والنهب والاحراق تحت ستار الجهـاد فى سبيل الاستقلال ولقد قـرأت السيدة هدى شعراوى باشا فى الصحف يوميا أن هناك أطفالا قتلوا ونساء ذبحن ، وفتيات انتهكت حرماتهن ومنازل أحرقت فكل هذه الجرائم المنافية للانسانية يفضل أن يكون المسئول عنها اللصوص وقطاع الطرق ، على أن يكون المسئول عنها من الوطنيين الحقيقين الذين نحترمهم ونقدرهم حق قدرهم ، فهل تريد السيدة هدى أن نسجل الجرائم على أولئك الوطنيين ، ليحكم القارىء النزيه ، أينا أحسن نصحا فى خدمة قضية العرب ؟

وترد هدى شعراوى على تلك الكلمة العنيفة بكلمة أعنف تقول فيها :

« أن الوطنيين ولا سيما اذا كانوا من العرب لا يقتلون النساء ولا الأطفال ولا ينتهكون حرمات الفتيات فتلك أعمال منافية للانسانية لا يقترفها الا قطاع الطرق والمتوحشون من الرجال الذين اقفرت قلوبهم من الايمان » ٠



وتقول هدى شعراوى : « اذا كانت الاخبار التى تصل الينا بواسـطة صحيفتكم تعلمنا بأن هؤلاء الارهابيين العرب ـ كما تلقبونهم ـ فى دفاعهم المشروع قد قطعوا بعض خطوط السكك الحديدية ، أو قطعوا بعض الأسـلاك التليفونية أو دمروا بعض الأكواخ أو أطلقوا النار على بعض المعتدين فكم من اخبار غيرها تنبئنا يوميا أن بلادا برمتها نسفت بالديناميت ونهبت أمتعتها ، وقتل الكثير من نسائها ورجالها وكابد شبابها أبشع أنواع التعذيب فى سبيل

استخلاص اعتراف منهم وكم من أبرياء شردوا فى المنافى وكم من نساء أودعن فى السجون وكم من شيوخ وأطفال قتلوا بالقنابل التى ترميها بعض البنات فى الأسواق ، وكم مزق الرصاص أجسام المؤمنين أثناء الصلاة فى معابدهم المقدسة بحجة توطيد الأمن أو استتباب النظام • أى نعت يا سيدى يمكن أن نطلقه على مقترفى مثل هذه الأعمال ؟ واذا كان من الصعب عليكم أن تجهروا بهذا النعت فلابد من أن يكون من قرائكم النزيهين الذين تحكمونهم بيننا من تتوافر لديه شجاعة التصريح به بدلا منكم ••• » •

وللتاريخ أيضا نقول ان هدى شعراوى كانت قد أرسلت خطابا مفتوحا فى ١٥ نوفمبر ١٩٣٨ الى رئيس أساقفة كنتربرى ذكرته فيه بما أقدم عليه بعض الطائشين بمصر من اغتيال المرحوم السير لى ستالى باشا ، وكيف أن صوت أسقف كنتربرى لم يرتفع دفاعا عن قرار الانتقام الذى اتخذته الحكومة البريطانية ضد مصر المسكينة بارغامها على سحب جيشها من السودان ، وبفرض نصف مليون جنيه دية لم تقبلها زوج الفقيد وبالاقتصاص ممن تثبت ادانته فى هذه الجريمة وباحتلال الجمارك المصرية فى الاسكندرية وبالتدخل فى شـــئون البلاد الداخلية تدخلا غير مشروع ، وكل ذلك يا صاحب القداسة رغم الاعتذارات التى ملأنا بها أجواز الفضاء ، ورغم استنكار الأمة المصرية بجميع هيئاتها لذلك الاعتداء الشنيع •

الى أن تقول هدى شعراوى :

« والآن يقوم فى فلسطين جند دولتكم بقتل الأرواح البريئة من الرجال والنساء والأطفال مسلمين ونصارى وبترويعهم • وتعذيبهم بكل أنواع التعذيب والاهانة وبنسف قراهم ، وبيوتهم و •• و •• كل هذا يجرى فى فلسطين منذ سنين عديدة ، ولم يرتفع لكم صوت بالشفقة ولم تقيموا فى كنائسكم صلاة الرحمة على تلك الأرواح البريئة التى يزهقها جندكم لدفاعها عن الحق والواجب •

« واليوم نسمع صوتكم عاليا بالاحتجاج ضد الألمان لأنهم فرضوا على اليهود الألمانيين غرامة ، عقابا لهم على الانتقام البشع الذى قام به ، على ممثل دبلوماسى ألمانى ـ فرد من عنصرهم • جاهز بأنه ارتكب هـــذه الجريمة امتقاما من ألمانيا •

وتسأل هدى شعراوى رئيس أساقفة كنتربرى : عما اذا كانت القسوة مباحة للبعض دون الآخر •• وان كانت الرحمة فى نظركم وقفا على اليهود دون غيرهم من البشر ؟ نرجو أن ترشدونا لأننا أصبحنا ازاء هذه التصرفات المتناقضة لا نعرف الفرق بين حلالها وحرامها •

وتتلقى هدى شعراوى فى ٢٩ نوفمبر ١٩٣٨ من ديوان رئيس أساقفة كنتربرى ردا يقول فيه :

« بالرغم من أن مركز رئيس الأساقفة الرسمى لا يجعله مسئولا بصفة مباشرة عن القرارات ، التى قد تتخذها حكومة جلالة الملك الا أنه سيستمر بصفته عضوا فى مجلس اللوردات وبصفته الشخصية فى بذل كل ما فى وسعه للوصول الى حل يضمن العدالة للعرب ولليهود » .

وتستمر هدى شعراوى ويستمر معها الاتحاد النسائى المصرى فى مواصلة الدفاع عن القضية الفلسطينية فترسل هدى شعراوى خطابا الى السفير البريطانى بمصر – فى ٤ ديسمبر ١٩٣٨ – بمناسبة اغتيال السيد موسى شومان شقيق السيد عبد الحميد شومان بأيدى الجنود الانجليز فى بيته أمام زوجته وولده . وبمناسبة اعادة اعتقال الأستاذ صبحى بك الخضرا ، ونقله الى مكان مجهول لا يعرف أحد ما يعانى فيه من شقاء وتعذيب وأن زوجته المسكينة فى أشد حالات اليأس والقلق تبحث عنه سدى فى كل مكان .

وتبلغ هدى شعراوى السفير البريطانى فى القاهرة احتجاج جميع نساء البلاد العربية والشرقية على ما سلكته السلطة البريطانية ازاء عرب فلسطين الذين لا ذنب لهم ولا جريرة الا الدفاع عن حياتهم وكيانهم القومى المهدد ، بأشد الأخطار .

وعندما اجتمع مؤتمر المائدة المستديرة فى لندن أرسلت هدى شعراوى تلغرافا الى كل من مستر نيفيل تشمبرلن رئيس وزراء بريطانيا ، والى مالكولم ماكدونالد وزير المستعمرات البريطانية باسم نساء العرب لتذكير الساسة البريطانيين بوعودهم واعطائهم حقهم فى تقرير مصيرهم ، كما ترسل فى ٢ مارس ١٩٣٩ تلغرافا الى على ماهر باشا فى قصر سان جيمس بلندن – حيث انعقد المؤتمر ، تقول فيه :

« فخورات بدفاعكم الجدير بالاعجاب عن قضية العرب ، نقدم الى رفعتكم تهانينا الحارة » .

ويرد على ماهر ، على هدى شعراوى قائلا :

« أثر فى كثيرا تلغرافكم الرقيق ، نرجو أن تعيد مساعينا التى أعقبت مساعيكم الى فلسطين حقوقها والى البلاد المقدسة طمانينتها » .

وقبل أن أختتم حديثى عن «مؤتمر المرأة العربية والشرقية» ، الذى عقد بالقاهرة فى أكتوبر ١٩٣٨ ، والذى رأسته السيدة الجليلة هدى شعراوى .. أحب أن أشير الى مشاعر مصرية ، شاركت فى هذا المؤتمر ، وكان لها دور كبير فى انجاحه ، وهى « الآنسة » ايفا حبيب المصرى ، رئيسة تحرير مجلة « المصرية » وسكرتيرة المؤتمر .. والتى قالت ، تعقيبا على انتهاء المؤتمر :

« اسمحوا لى أن أنسى فضيلة التواضع قليلا لأؤكد ، أن السيدات أثبتن أنهن أكثر شجاعة من الرجال ، ولا يظن أحد أننى أنتصر لجنسى ، بل هى الحقيقة الواقعة ، وحسبنا أن نطالع قرارات المؤتمر وبرقياته الى ساسة أوربا ، لنرى ٠٠ تحت أى روح ، وبأى أسلوب كتبت ٠

« لقد جهرنا بصوتنا ، وقلنا : ان المشكلة الفلسطينية ، خلقتها دول أوربا ، وتحدينا أساطين العالم ، حملناهم وزر تلك الأعمال الشنيعة ، وأعلنا أننا لا نبالى بالسياسة وظروفها ، ولا نخضع لأى مؤثر كان الا الانتصار للحق ونصفة المظلوم ٠ ولذلك جاءت قرارات المؤتمر النسائى ، أقوى من قرارات المؤتمر البرلمانى العربى للرجال ٠٠ »

وأهم ظاهرة برزت فى هذا المؤتمر ـ كما قالت ايفا حبيب المصرى ـ انقراض « الحجاب » وانتصار « السفور » ٠ واننا لندهش ، لو علمنا أن مندوبات كافة الدول اللاتى اشتركن فى هذا المؤتمر ، متحجبات فى بلادهن ، وانهن حضرن الى مصر متحجبات بالفعل ، ولكنهن جميعا ـ وبغير استثناء ـ حضرن جلسات المؤتمر سافرات ٠ فكانت خطة جليلة وحاسمة وقد انتهزت هدى هانم شعراوى هذه الفرصة ، فقالت لهن انها تتمنى أن يعدن الى بلادهن سافرات يتمسكن بالسفور ويقمن بالدعوة اليه ٠

وتشير ايفا حبيب المصرى ، الى برقية بعث بها مراسل جريدة « التايمز » فى القاهرة ، الى جريدته فى لندن يقول فيها :

« لقد أثبت المؤتمر أن المرأة الشرقية على جانب كبير من الثقافة ، وأنها تستطيع أن تقف على المنبر باتزان وتخطب بلهجة خطابية قوية ، وقد اشتركت ثلاث سيدات من نابلس ، التى تعتبر معقل الرجعية ، وظهرن سافرات وهذا دليل آخر على أن آخر حجر فى الرجعية قد انهدم ؟ ٠

وتقول ايفا حبيب المصرى ، انها قد تعرفت على الآنسة صبيحة الهاشمى ، كريمة ياسين باشا الهاشمى ـ العراق ـ واكتشفت أنها كانت زميلة لها فى كلية سميث بأمريكا ، ونالت درجة الـ B.A وأن صبيحة تحافظ على الحجاب فى بلدها ، ولم تظهر سافرة بعد عودتها من أمريكا الا هنا بمصر ، أثناء انعقاد المؤتمر ٠٠

وتشير ايفا حبيب المصرى ، الى اشتراك أربع عراقيات فى المؤتمر ، كلهن شابات لا يتجاوزن الثلاثين ، وجمالهن أقرب ما يكون الى الجمال المصرى ٠ ومن بين العراقيات الأربع الآنسة رفيعة الخطيب ، وهى طالبة فى الجامعة المصرية ٠



وإذا كان الشيء بالشيء يذكر .. كما يقولون .. فانني أحب أن أشير الى بعض ذكريات هدى هانم شعراوى ، روتها بمناسبة ذكرى عيد الجهاد (١٣ نوفمبر ١٩١٨) عندما ذهب سعد زغلول باشا وعبد العزيز فهمى باشا ، وعلى شعراوى باشا — زوج هدى شعراوى — الى المعتمد البريطانى مطالبين باستقلال مصر وكيف .

تقول هدى هانم شعراوى :

« ان الصداقة بين المرحوم سعد باشا ، وبين زوجها المرحوم شعراوى باشا تعود الى عهد بعيد يسبق قيام ثورة ١٩١٩ بكثير . وعندما تقدم سعد زغلول لخطبة السيدة الجليلة صفية هانم زغلول ، أخذ والدها المرحوم مصطفى باشا فهمى ، رأى على باشا شعراوى فى هذا الزواج ، لأنهما كانا صديقين . فامتدح شعراوى باشا سعد زغلول وزكاه . وحين اختلف سعد باشا مع عدلى اسماعيل سرعنك باشا ، طلب الى على باشا شعراوى أن يكون حكما ، وارتضيا بالفعل ، الحكم الذى أصدره » .

وتقول هدى شعراوى بالحرف الواحد « لما عاد سعد من باريس ، بعد أن انقسم الوفد لأول مرة ، سألت زوجى : هل ستقابل سعدا فى المحطة ؟ .. فقال : لا . فقلت له : ان مصر بأكملها ستقابله . فرد على قائلا : لتقابله مصر كلها الا « على شعراوى » . !

ولكننى ذهبت الى المحطة على رأس اللجنة المركزية للسيدات ، وقابلت سعدا . فلما كان اليوم التالى لوصوله ، جاء الى بيتنا وزار زوجى ، وقال : « انا جاى للباشا أشوفه زعلان منى ليه . وتعاتبا عتابا طويلا اشتركت فى خلاله معهما فى المناقشة ، ولم يكن زوجى قد أخبرنى بشىء ، عما نشب بينه وبين سعد فى باريس من خلاف . ثم حدث الخلاف ، وكان من رأى زوجى أن يتولى رياسة وفد المفاوضات مع بريطانيا ، عدلى باشا .. لا باعتباره رئيس الحكومة . ولكن ليكون سعد بعيدا وليبقى — على تعبيره — بعبع نخوف بيه الانجليز وقت اللزوم .. باعتبار سعد زغلول زعيم الأمة وقائد الحركة الوطنية » .

وتستطرد هدى شعراوى قائلة :

« ذهبت الى بيت سعد زغلول ، بعد أن قطع عدلى باشا مفاوضاته مع كيرزون ، وكان سعد مختلفا مع زوجى ، فلما أنبأته صفية هانم بوجودى طلب مقابلتى ، فاعتذرت وقلت : « أكلمه من وراء الباب » .. لأن الحجاب كان الى ذلك الوقت قائما ، ولأنى خشيت أن أقابل « سعد » و « انكشف عليه » مع ما بينه وبين زوجى من خلاف .. »

« وفعلا ، وقفت خلف الباب أتحدث اليه ، وطلبت اليه أن يقابل عدلى بالمحطة ، كما سبق أن قابله عدلى ، خصوصا أن عدلى « لم يسلم البضاعة » وقطع المفاوضات رافع الرأس ٠٠ فقال لى سعد « لو رضيت أنا بذلك فغيرى لا يرضى » ٠ فسألته : من هم الغير ؟! ٠ فقال « مش عارفاهم ٠٠ الأمة » ٠٠ وكان استقبال عدلى بالبيض والطماطم ٠٠ و ٠٠ و ٠٠ الخ ٠ »

وتقول هدى شعراوى : « وجلست فى حجرة مكتبى أكتب خطابا لسعد ، فدخل على شعراوى باشا وقال : ازاى تكتبى لسعد جوابات وأنا زعلان منه ؟ قلت له « يا باشا ٠٠ التى تكتب ليست مدام شعراوى باشا ، بل رئيسة اللجنة المركزية للسيدات » ٠ فنظر الى مليـا ثم انصرف ٠ فحسـبت أنه مستاء ٠ لكن كم كان سرورى حين جلسنا الى المائدة وقت العشاء ، فاذا به كعادته من الصفاء والسرور ٠ ولعله انسحب ساعة كتابة الجواب ، لأن ردى أعجبه « وظللت مع سعد مؤيدة له ، مختلفـة مع زوجى ، ولم أختلف مع سعد ٠٠ الا بعد أن توفى زوجى الى رحمة الله ٠٠ » ٠

وتقول هدى شعراوى : ان بدء اختلافها مع سعد ، كان عندما أعلن موقفه من توفيق نسيم باشا ، اثر الغاء النص على السودان فى الدستور ، عندما قال كلمته المأثورة عن نسيم باشا « انه يستحق تقدير الوطن » ٠

وجاء بعد ذلك عيد ١٣ نوفمبر ، فاذا بى ـ تقول هدى شعراوى ـ لأول مرة ، لا أتلقى دعوة ووقف سعد يومها يخطب ويشيد بذكرى نسيم وأغفل ذكرى الآخرين من زملائه ، ومنهم زوجى ٠٠

وطلعت جرائد الوفد فى الصباح ، تقول : انى كنت موجودة ، وكنت أستقبل السيدات فكان من الضرورى أن أنشر غداة ذلك اليوم ، انى لم أكن موجودة ولم أدع ٠ فكتب لى سعد باشا بعدها ، جوابا من « مينا هاوس » ٠٠ حيث كان يقيم يومئذ ، يعتذر من عدم ارسال الدعوة ٠ ويقول : ان ذلك لم يكن مقصودا ٠ فبعثت له بالرد أقول ، انى غير مستاءة من اغفال دعوتى ، وانما أنا أخالفه فى خطته ، حيال نسيم باشا وموقفـه ، فزادت علاقاتنـا تعكيرا ٠٠

ثم جاء تصريح سعد زغلول فى مجلس النواب ـ وكان وقتئذ رئيسا للوزارة ـ بمناسـبة اثارة موضـوع السـودان ، وقوله : « ليس عندنا تجريدة ٠٠ الخ » ٠٠ فنشرت كتابا مفتوحا أرد عليه ، وانتقد هذا التصريح ٠ وقلت له : كيف تقول ذلك ، والروح المعنوية هى التى قمنا على أساسها ، وهى أقوى من القوة المسلحة ، وبعدها اجتمعت اللجنة المركزية للسـيدات وحصلت مناقشة طويلة ، على اثرها انقسمنا الى قسمين : فريق أيدنى ، ومنه

السيدة عزيزة فوزى ، والسيدة احسان القوصى ، وفريق ظل مع سعد ، ومنه السيدة شريفة رياض ، ومدام ويصا ، ومدام خياط ، والسيدة نعمت حجازى ٠

وفى آخر الأزمات الدستورية ، التى وقعت قبل وفاة المرحوم سعد زغلول باشا ، فكر العقلاء فى ضرورة الاتفاق بين زعماء البلاد وقادتها ٠٠

وتقول هدى شعراوى :

« لقد ذهبت الى سعد فى بيته وكنا فى شهر رمضان ، ولبثت معه ثلاث ساعات ، وتحدثنا فى أمر ازالة سوء التفاهم بينه وبين ثروت باشا ، فأصر سعد زغلول على أن يأتى اليه ثروت فى داره ويطلب صفحه ، واقترحت أن يكون الاجتماع فى مكان آخر ، وخرجت دون أن أوفق فى اقناعه ٠ ولكن فى اليوم التالى ، ذهب سعد الى ثروت بنفسه وتم التفاهم بينهما ، ثم أعقب ذلك اتحاد الجميع ، وبدأ سعد يقدر خصومه ٠٠ ويعترف بمكانتهم ٠ واجتمع بعدلى وبثروت ، وأحاطوا به ٠٠ فكانوا عصبة واحدة ، وتناسى الجميع الماضى بما فيه ٠ وفى أهنأ الساعات وأسعدها ، فى وقت اعتراف الجميع بفضل الجميع ، وتقدير الكل لهفوات الماضى وأخطائه ٠٠ اختطف الموت سعدا فى تلك الساعة الحرجة التى كانت البلاد أحوج ما تكون اليه خصوصا وقد آزره اخوانه وخصومه على السواء » ٠

وبعد كل ما سبق من الحديث عن مؤتمر المرأة الشرقية للدفاع عن القضية الفلسطينية الذى عقد بمصر ننتقل الى الحديث عن مؤتمر آخر خصص لبحث الوسائل الكفيلة بحل الصراع العربى ـ الاسرائيلى الذى عقد فى لندن !

الفصل الثالث

محاولة فى لندن لحل الصراع العربى الاسرائيلى
مؤتمر هام فى لندن

ضم المؤتمر البرلمانى ، الذى عقد بالقاهرة فى أكتوبر ١٩٣٨ ، العديد من مختلف أقطار الشرقين الأقصى والأدنى والبلاد الاسلامية . افتتحه محمد على علوبة باشا ، كرئيس للوفد المصرى .

وقد كان من بين الذين شاركوا فى هذا المؤتمر : فارس بك الخورى ، رئيس البرلمان السورى ، ومولانا كفاية الله ، مفتى الهند ورئيس جمعية العلماء فيها . والسيد عبد الرحمن الصديقى ، مندوب العصبة الاسلامية فى الهند ، والأستاذ عبد الخالق الطريسى مندوب تطوان « المغرب الأقصى » ، والأستاذ محمد المكى الناصرى ، مندوب المغرب ، ورئيس البعثة المغربية فى مصر .. وغيرهم .

وبالرغم من أن هذا المؤتمر لم يتخذ قرارات ايجابية تدعم قضية الكفاح الفلسطينى .. الا أنه كان دافعا للحكومة البريطانية الى التفكير فى عقد مؤتمر لندن فيما بعد .

لقد رأت الحكومة البريطانية ـ بعد ما رأت من اجماع الشعوب الشرقية وعطفها على فلسطين ـ أن الوقت قد آن لعقد مؤتمر دولى ضخم فى لندن ، يبحث عن ايجاد حل سلمى عادل ، لمشكلة فلسطين « يرضيها ويحقق رغبة الشعوب الشرقية والاسلامية ، التى تحرص بريطانيا على أن تظل علاقاتها بها ، علاقة مودة وسلام » .

ولو لم يكن لهذا المؤتمر البرلمانى ـ عند بعض المعلقين ـ من فوائد الا الدعوة لعقد مؤتمر لندن .. لكفى .

والصحف المصرية الصادرة فى نوفمبر وديسمبر ١٩٣٨ ، كانت تكتب باستمرار عن رغبة محمد محمود باشا رئيس الوزراء ، فى السفر الى مؤتمر

لندن الخاص بفلسطين والى أنه ـ أى محمد محمود باشا ـ أعد وجهة نظر الحكومة المصرية ، اعدادا مدروسا ، اعتنى بتفاصيله عبد الحميد بدوى باشا ، وكامل سليم بك ٠٠

وبعض الصحف المصرية أكدت أن سفر محمد محمود باشـــا الى لندن للاشتراك فى المؤتمر ، قد سبقته « عدة مخابرات شفوية وتحريرية » ، وأن رئيس الوزراء المصرى ، تلقى من زميله رئيس الوزراء البريطانى رسالة رقيقة يعرب له فيها عن اغتباطه ، لو استطاع رفعته ـ محمد محمود باشـــا ـ أن يرأس وفد مصر فى هذا المؤتمر ٠ وأن محمد محمود باشا أبرق لرئيس الوزارة البريطانية ، عن استعداده لتلبية الدعوة ، على شرط تحديد الأسس التى ستدور عليها المفاوضات ، وبيان مدى استعداد بريطانيا « الحليفة » لحل هذه المشكلة ٠

وتؤكد هذه الصحف أيضا ، أن رئيس الوزراء المصرى ، قد تلقى طائفة من البرقيات ، من عرب فلسطين ، يلتمسون اليه فيها ، « أن يجشم نفسه مشقة السفر من أجلهم » ويعلنون فيها اطمئنانهم الى حل مشكلتهم بفضـــل تدخله ٠٠

وتشير الصحف المصرية ، الى أن وجهة نظر مصر ، وقتئـــذ ، كانت تتضمن الاقتراحات التالية :

● تشكيل حكومة وطنية ، ومنح الشعب الفلسطينى نظـاما دستوريا اسوة بغيره من الشعوب الشرقية والعربية ٠

● وقف هجرة اليهود الى فلسطين ، وتحديد مناطق نفوذهم الاقتصادى فى البلاد ٠

● تنصيب أحد الأمراء الشرقيين على عرش فلسطين ٠

وحول الاقتراح الأخير ، أشارت الصحف المصرية ، مرات متعددة ، الى أن من بين المرشحين لعرش فلســـطين ، الأمير عمر الفاروق ســـليل سلاطين آل عثمان والأمير محمد عبد المنعم نجل الخديوى السابق عباس حلمى الثانى ٠٠ الذى انتهز الفرصة ، فزار بيروت والتقى بسماحة مفتى فلسطين ، الحاج أمين الحسينى ٠

والجدير بالذكر ، أن محمد على علوبة باشا ، كان قد سافر وحـــده الى لندن للمشاركة فى المؤتمر ٠ وكان من المعروف فى البداية أن هـــذا المؤتمر سيؤجل الى أوائل عام ١٩٣٩ حتى تشـــترك فيه غالبية الدول العربيـــــة والاسلامية ٠

وقد أجرى محمد على علوبة باشا ، اتصالات مع المسئولين البريطانيين كوزير المستعمرات ، ووكيله ، وبعض أعضاء مجلس اللوردات ، ومجلس العموم ، كما أجرى اتصالات مع كبار محررى الصحف الانجليزية الكبرى ، ومع كثير من الجماعات والهيئات البريطانية ٠٠ وكل ذلك من أجل احاطة الرأى العام البريطانى بعدالة القضية الفلسطينية ٠

وعندما عاد علوبة باشا الى القاهرة ، تحدث عن الانقسام الذى حدث فى صفوف القيادة الفلسطينية المشاركة فى الاعداد للمؤتمر ، والذى تمثل فى خروج فخرى بك النشاشيبى ـ أحد الزعماء الفلسطينيين ـ على الاجماع الفلسطينى ، واستنكار كل القيادات الفلسطينية لموقف فخرى بك ، وفى مقدمتهم شقيقه راغب بك النشاشيبى ، الذى أعلن استنكاره لموقف شقيقه ٠

وكدليل على حسن نية بريطانيا تجاه العرب وقتئذ ، كما قالت الحكومة البريطانية ، بادرت تلك الحكومة باطلاق سراح خمسة من الزعماء الفلسطينيين ، كانوا قد نفوا الى جزيرة سيشل ، وظلوا بها خمسة عشر شهرا ٠ وهؤلاء الزعماء هم : أحمد حلمى باشا ٠ والحاج يعقوب الغصين بك ٠ والدكتور حسين بك الخالدى ، ورشيد بك ابن الحاج ابراهيم بك ٠ وعواد سابا بك ٠٠ وقد جيء بهم من سيشل الى القاهرة ، حيث استقبلهم شعب مصر ، أروع استقبال ٠ وحيث كرمتهم الحكومة والمعارضة أروع تكريم ٠٠

والجدير بالذكر ، أنه عندما كرم مصطفى النحاس ـ رئيس الوفد المصرى ـ زعماء فلسطين ، الذين كانوا منفيين فى سيشل ، دارت أحاديث طيبة ، بين أعضاء الوفد المصرى وكان من بينهم بعض الذين نفوا الى سيشل ـ فى ثورة ١٩١٩ ـ قال أحمد حلمى باشا وزملاؤه من الزعماء الفلسطينيين : ان الحركة الوطنية الفلسطينية مدينة لثورة ١٩١٩ ، التى كانت بمثابة الشرارة ، التى انطلقت من مصر الى كافة البلدان العربية والشرقية ٠٠ وفى مقدمتها الهند ٠

ومع مطلع عام ١٩٣٩ ٠٠ بدأت الوفود العربية والاسلامية ، التى تقرر اشتراكها فى مؤتمر لندن لبحث القضية الفلسطينية ، تتوافد على القاهرة ، وكان فى مقدمتهم الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود ـ الذى كان ـ وقتئذ ـ نائبا عن والده فى الحجاز ، وكان وزيرا لخارجية المملكة العربية السعودية ، وشقيقه الأمير خالد بن عبد العزيز آل سعود ، وكذلك الأمير سيف الاسلام ، ولى عهد اليمن ورئيس وفدها فى المؤتمر ٠ وكان وفد شرق الاردن الى المؤتمر برئاسة فؤاد الخطيب باشا ، مستشار امارة شرق الأردن ، وعضوية عبد الله بك النمر وزير ماليتها ٠٠ و ٠٠ و ٠

والجدير بالذكر أن هذه الوفود رافقت الملك فاروق ، عنـــدما ذهب الى « مسجد قيسون » لأداء فريضة الجمعة • وكانت المفاجأة أن فاروق هو الذى أمهم جميعا فى الصلاة • وقد اعتبر ذلك ــ وقتئذ ــ حدثا هاما ، حيث كان من بين الذين أدوا الصلاة خلف فاروق الأميران السعوديان فيصـــل وخالد آل سعود ، والأمير اليمنى سيف الاسلام •

وربما كانت تلك « العملية » من بنات أفكار على ماهر •• الذى كان حريصا ــ كما سبق أن ذكرنا ــ على أن يرأس وفد مصر الى مؤتمر لندن ، رغم أنه كان ــ وقتئذ ــ رئيسا للديوان الملكى •

وقد سبق لنا أن ذكرنا ــ على لسان الدكتور محمد حسين هيكل باشا ــ الذى كان وزيرا للمعارف ، فى وزارة برئاسة محمد محمود باشا : أن مجلس الوزراء لم يبحث موضوع اشتراك على ماهر باشــا فى الوفـد •• وبمراجعة الصحف المصرية ــ الصادرة وقتئذ ــ تبين لنا أن مجلس الوزراء ، أقر تأليف وفد مصرى برئاسة الأمير محمد عبد المنعم ، وعضوية على ماهر رئيس الديوان ، وحسن نشأت باشا سفير مصر فى لندن •

وكنموذج للتخبط الذى رافق اختيار أعضاء الوفد المصرى المسافر الى مؤتمر لندن ، تقول : انه فى اللحظة التى كان يتأهب فيها الوفد المصرى لمبارحة القاهرة فى طريقه الى لندن ، أضيف اسم عبد الرحمن عزام بك ، الذى كلف بالسفر من الحجاز مباشرة الى لندن • وفى لندن أخطر عزام بك بأنه قد أصبح سكرتيرا للوفد المصرى وكان اختيار عبد الرحمن عزام بك ، بهـــذه الصورة المفاجئة ، سببا فى حدوث أزمة وزارية ، بحثها مجلس الوزراء فى جلســة عاصفة •

وكل ما أخشاه ، أن أكون قد أطلت فى الكتابة عن القضية الفلسطينية ، عما قبل مؤتمر لندن وعما بعده ، ما قبـل الكتاب البريطـانى الأبيض الخاص بفلسطين ، وما بعده أيضا ، وربما كان عذرى أن هذه الفترة ــ الأشهر الأخيرة من عام ١٩٣٨ والأشهر الثمانى الأولى من عام ١٩٣٩ كانت من أخطر مراحل القضية الفلسطينية ، فلسطينيا ، وعربيا ، وبريطانيا ، ودوليا • وربما كان عذرى أيضا أن مشاركة العرب فى مؤتمر لندن بتلك الصورة شبه الاجماعية ، كان شيئا جديدا على العمل العربى المشترك ، خاصة وأن معظم الدول العربية ، لم تكن بعد قد تحررت من أغلال الاستعمار البريطانى والفرنسى والايطـالى ، وربما كان عذرى ــ فى الاطالة ــ أيضا ، أن هذه الفترة التى أطلت فى الكتابة عنها كانت الفترة السابقة للحرب العالمية الثانية ، حيث جمـد الفلسطينيون ثورتهم على أمل أن تنصفهم بريطانيا بعد الحرب وحيث علقت دول عربية كثيرة الآمال على الوعود البريطانية التى قطعتها لهم بأن يكون كل شىء على ما يرام

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وحيث انتهز اليهود الفرصة ـ فرصة الحرب العالمية ـ وتمكنوا من السيطرة شبه الكاملة على فلســـطين بما أدخلوا من مهاجرين ، وبما دربوا من جيوش ، وبما استفادوا من اللعب على كل الحبال ، والأكل على كل الموائد و ٠٠ و ٠٠

وقبل أن أذكر فى نقاط موجزة ، ما حـــدث فى مؤتمر لنـــدن الخاص بفلسطين ، وما أعقب اعلان بريطانيا كتابها الأبيض ، الذى فصل كل اتجاهاتها وبرامجها ، وأهدافها السياسية فى فلسطين ، أحب أن أشير الى بعض ما جاء فى دراسات عربية وفلسطينية ، عن تلك المرحلة حتى تكون الصورة أشمل ، وحتى يكون مجال نشر الآراء المختلفة والمتباينة أوسع وحتى ـ وهذا هو الأهم ـ لا نستبد برأينا فى مثل هذه الموضوعات القومية الحيوية ٠

فى دراسة أعدها ـ ونشرها فى بغداد عام ١٩٧٠ ـ الاستاذ عبد الحميد العلوجى عن المد الصهيونى بين الهجرة والهجرة المضادة ، حديث طويل عن كفاح الثوار العرب وبطولاتهم واشارة الى ما ذكره الجنرال هنرى ميتلاند ولسون قائد القوات البريطانية فى الشرق : ان خمسمائة من الثوار العرب يحاربون فى الجبال لا يمكن التغلب عليهم بأقل من فرقة بريطانية كاملة السلاح وحديث عن القوات البريطانية التى تصدت للثوار الفلسطينيين ، والتى بلغت ثمانين ألف جندى تحت امرة الجنرال ديل ثم الجنرال ويفيل وفى تلك الدراسة أيضا كلام عن الثورة الفلسطينية المضادة التى تمثلت فى « عناصر حزب الدفاع التى شكلت عصابات اجرامية اسمها فصائل السلام لتقوم ببعض الأعمال البشعة ، وتنسبها للثورة بهدف تنفير الجماهير منها » وكذلك كلام عن الاتفاقية التى عقدتها الحكومة البولندية ٠ والوكالة اليهودية لتنظيم نقل رؤوس الأموال اليهودية من پولونيا الى فلسطين وكيف توصل فلاديمير جابوتنســـكى الى اتفاق خاص مع بعض المسئولين البولونيين لتزويد منظمة الارجون زفاى بشتى المساعدات واجتماعه ـ فى صيف ١٩٣٧ ـ بملك رومانيا كارول الثانى الذى وعده بتشجيع الهجرة الى فلسطين ، والذى وعده أيضا بمحاربة كل مشروع للتقسيم ٠٠ كما تشير تلك الدراسة أيضا الى ظهور أول دعوة لتقسيم فلسطين فى عام ١٩٣٧ ، بناء على اقتراح لجنة بيل وكان اقتراح لجنة بيل على النحو التالى : دولة يهـــودية تشمل السهل الشمالى من اســـدود ، بما فى ذلك سهل شـــارون ، ومرج بنى عامر ، ولواء حيفا ، وألوية طبرية ، وصفد ، وعكا مع بقائها تحت الانتداب البريطانى بصفة مؤقتة ثم تضم بعد ذلك الى الدولة اليهودية ، ثم دولة عربية تشمل نهر الاردن وغزة وبير سبع وصحراء النقب والجليل ونابلس والجزء الشرقى من طولكرم وجنين وبيسان ويافا على أن تبقى القـــدس وبيت لحم والناصرة وشواطىء طبرية تحت الانتداب البريطانى مع ضرورة ربط هذه الأجزاء بساحل

البحر الأبيض المتوسط عن طريق ممر يربط بين القدس ويافا ، وفى هذه المنطقة تقع اللد والرملة ٠

وتشير دراسة الاستاذ عبد الحميد العلوجي الى أن الحكومة البريطانية اضطرت فى أكتوبر ١٩٣٨ الى الغاء قرار التقسيم تحت وطأة الثورة العربية حيث استشهد فى الأشهر الأولى من عام ١٩٣٨ أكثر من ٦٠٠٠ شهيد فلسطينى ، وحيث تم اعتقال ٢٧٥٠ فلسطينيا كما تم اعدام ٣٦٧ من الفلسطينيين الأبطال ، وأعلنت بريطانيا منع الهجرة اليهودية الى فلسطين من أجل أن تكتسب ود الثوار العرب وان كان اليهود الذين تسللوا الى اسرائيل فى الأشهر الأولى من عام ١٩٣٨ قد بلغ عددهم ١٢٨٦٨ مهاجرا ليصبح عدد اليهود حتى نهاية عام ١٩٣٨ « ٤١١٢٢٢ يهوديا » كما تشير تلك الدراسة أيضا الى اصدار الحكومة البريطانية كتابها الأبيض الذى سمح بادخال ٧٥ ألف مهاجر يهودى خلال ٥ سنوات وتقسيم أراضى فلسطين الى ثلاث مناطق يصرح لليهود فى الأولى بشرائها ولا يصرح بالشراء فى المنطقة الثانية الا بموافقة الحكومة أما الثالثة فلا يسمح لهم بالشراء منها ٠

وتقول دراسة الأستاذ عبد الحميد العلوجي أيضا أن الهجرة من ألمانيا كانت تتم بموافقة الجستابو الألمانى حيث صمم ذلك الجستابو على اخلاء أواسط أوروبا من اليهود وحيث كانت شركات الملاحة الألمانية ـ الخاضعة لهتلر ـ تتولى نقل المهاجرين اليهود الى موانىء رومانيا ومنها الى فلسطين ، وكان الجستابو يعطى هؤلاء تصريحات مزورة لدخول فلسطين ٠

وتقول تلك الدراسة أن الثورة الفلسطينية قد توقفت فى سبتمبر ١٩٣٩ بسبب اعلان الحرب العالمية الثانية بعد أن أجهضت على أيدى القوى المضادة لها ، والمتمثلة فى سلطات الاحتلال البريطانى ، وقوى الغزو الصهيونى والواجهات المرتبطة بها » ٠

● وفى دراسة لمعهد البحوث والدراسات العربية ـ بالقاهرة ـ للدكتور محمد بديع شريف اشارة سريعة الى مؤتمر لندن واستمراره بضعة أسابيع قدمت فيها الحكومة البريطانية مقترحات متعددة لم تنل قبولا من الطرفين فوضعت خطة أعلنتها بالكتاب الأبيض ٠ وتقول الدراسة ان اليهود ، رفضوا الكتاب الأبيض مبدئيا ٠ غير أن وايزمان لعب دورا مهما فى اقناعهم بقبوله لأنه يبغى من وراء ذلك تسجيل ضمان قانونى بوضع أقدام اليهود فى هذه الأراضى ، ومع ذلك كله عمد اليهود الى الفوضى واشاعة الشغب فقامت عصاباتهم من الهاجاناه وشترن بالعصيان فقطعوا خطوط الاذاعة وأحرقوا الدوائر الرئيسية للمهاجرين ونهبوا دوائر الحكومة فى تل أبيب ٠٠ ونشبت الحرب العالمية الثانية فكان موقف العرب موقف المهادنة أما الصهيونيون فقد نشطوا فزادت هجرتهم غير المشروعة ،

فدخل فلسطين أولئك الذين أفلتوا من يد النازية ومن أوربا الشرقية وأخذوا يتسللون تحت جنح الظلام وتشكلت عصابة تهريب لهم اكتشفتها بريطانيا عام ١٩٤٢ وتغاضت عنها » ٠

● وفي كتاب فلسطين للاستاذ أحمـــد فراج طايع ، الذى بدأ حياته ـ كدبلوماسى مصرى ـ فى فلسطين عام ١٩٢٧ ثم عاد اليها قنصلا عاما لمصر فى يوليو ١٩٤٧ ، ومكث بها حتى أكتوبر ١٩٤٨ ، اشارة ، الى ذلك الاضراب الذى أعلنته اللجنة العربية العليا فى عام ١٩٣٦ وكيف أن بريطانيا أرسلت قوات اضافية لاخماد ثورة الشعب الفلسطينى وكيف أن اللجنة العليا ، لم تعدل عن قرار الاضراب الا بعد تدخل حكومات العراق ، والعربية الســـعودية والاردن وكذلك اشارة الى لجنة بيل وقرار التقســـــيم الذى نادت به ورفض الفلسطينيين قرار التقسيم ، ومطالبتهم بالاستقلال التام وكذلك اشارة ، الى عرض القضية الفلسطينية أمام مجلس عصبة الامم فى ١٩٣٧/٩/١٤ وطلب ايدن ـ وزير الخارجية البريطانية الموافقة على تأليف لجنة لوضع مشروع تفصيلى لتقسيم فلسطين ، وموافقة مجلس العصبة على ذلك بشرط بقـــاء الانتداب البريطانى لحين الوصول الى قرار نهائى ٠ واشارة أيضا الى لجنة جون وودهير التى رأت عدم جدوى مشروع التقسيم لأن العرب يرفضونه ، واليهود لا يقبلونه ويشير الأستاذ أحمد فراج طايع الى دعوة الحكومة البريطانية لمصر ، والعراق ، والعربية السعودية ، والاردن واليهود ، وعرب فلسطين ، والوكالة اليهودية الى عقـد مؤتمر فى لندن اجتمع فى ١٩٣٩/٥/٧ وقد رفض العرب أن يجاسوا مع اليهود فى مؤتمر واحد ٠

كما أشار الأستاذ طايع الى مقترحات بريطانيا التى رفضها اليهود والعرب فى ١٩٣٩/٣/٢٧ ، والى اصـدار الحكومة البريطـــانية للكتـــاب الأبيض فى ١٩٣٩/٥/١٧ واشارة الى ما جاء فى ذلك الكتاب من أن انشاء دولة فلسطينية مستقلة وزوال الانتداب زوالا كاملا ، يتطلب أن تكون العلاقة حسنة بين العرب واليهود بدرجة تجعل قيام حكومة أمرا ممكنا ٠

ويقول الأستاذ أحمد فراج طايع : ان اليهود هاجمـــوا الكتاب الأبيض قائلين ان سياسة الخيانة التى تتبعها بريطانيا لا يمكن احتمالهـا وأن الشعب اليهودى سيشن عليها حربا لا هوادة فيها وبدأ يهود فلسطين فى سياسة عدم التعاون ٠

وسعى اليهود فى الولايات المتحدة الأمريكية لدى حكومتهم لتضغط على بريطانيا كما سعوا ، لدى أعضاء لجنة الانتداب الدولية ، لرفض الكتاب الأبيض وقد رفضته اللجنة بأغلبية أربعة أصوات ضد ثلاثة بحجة أن ما تضمنه الكتاب

الأبيض يتعارض مع صك الانتداب . ورفض العرب هذا الكتاب بالرغم من أن بريطانيا اعترفت مبدئيا بحق فلسطين فى الاستقلال وعدلت عن التقسيم وحددت الهجرة تحديدا نهائيا ، وقيدت انتقال الأراضى ، واستند العرب فى رفضهم الكتاب الى أن فترة الانتقال تعطى اليهود سلاحا فى معارضة استقلال العرب ، ويريد العرب حكومة وطنية فى مدة معقولة ولا يقبلون مساعدة من بريطانيا فى تحديد الدستور ، وأضافوا ، أن عبارات الكتاب غامضة فضلا عن أنه جعل اعلان الاستقلال ، أو تأجيله بعد عشر سنوات منوطا بالظروف .

ويقول الأستاذ أحمد فراج طايع : فى الواقع لم يرفض كل عرب فلسطين الكتاب الأبيض فقد قبله حزب الدفاع الذى كان يرأسه راغب النشاشيبى وكانت سياسته : خذ وطالب » .

● وأستأذن القارىء فى أن أنقل اليه فى تلك النقـــاط الموجزة بعض ما أريد أن أركز عليه من معلومات تتعلق بتلك المرحلة الهامة ، والخطيرة من مراحل الصراع ، العربى الاسرائيلى :

● قبل انعقاد مؤتمر لندن تقدمت حكومة العراق بمشروع ، لحل مسألة فلسطين يتلخص فى انشاء دولة مستقلة ذات سيادة فى فلسطين يكون الحكم فيها دستوريا بمقتضى قانون تضعه جمعية منتخبة على أن ينص هذا الدستور على المحافظة على الحقوق المدنية والسياسية لكل فلسطينى دون تفريق بين أهل البلاد فى ناحيتى الجنسية والدين وأن ينص الدستور أيضا على المحافظة على منح الطوائف المختلفة فى فلسطين سلطات واسعة فى شئونها الطائفية ، وأن ينص كذلك على منح المدن والقرى ، العربية واليهودية سلطة واسعة فى المسائل المحلية و .. و .

وكان مشروع المملكة العربية السعودية ينص على أن تكون المفاوضة بين العرب وبريطانيا وليس مع اليهود ، وأن يضمن العرب فى فلسطين تمثيلهم فى المؤتمر على أحسن وجه ممكن ، أما حكومة شرق الأردن ، فلم تتقدم بأى مشروع مؤكدة أنها ستنزل على ما يقرره ممثلو البلدان العربية !! .

● فى ١٩٣٩/١/١٧ بدأ فى القاهرة مؤتمر ، تمهيدى لبحث المســألة الفلسطينية شارك فيه عن العراق : نورى السعيد وعبد القادر الكيلانى وعن اليمن الأمير سيف الاسلام نجل الامام يحيى ، والقاضى العمرى ، والقـــاضى الشامى ، وعن المملكة العربية السعودية : الأمير فيصل آل ســعود ، وفؤاد حمزة بك ، ومن فلسطين حسين الخالدى ، وعونى عبد الهادى والدكتور فؤاد سابا ، وأمين النعيمى ، وعن شرق الأردن ، فؤاد الخطيب باشا مستشار الأمير عبد الله ، والسيد عبد الله التمر الحمود مدير الخزانة وعن مصر ، محمد محمود ،

عبد الفتاح يحيى ، محمد علي علوبة ، حمد الباسل ، الدكتور عبد الحميد سعيد و ٠٠ و ٠٠ وفي هذا الاجتماع ، يطلب المجتمعون ، من محمد محمود باشا ، أن يقبل رياسة الوفود العربية فى لندن ، فيعد خيرا ٠ ويؤجل المؤتمر التمهيدى ثلاثة أيام وتقول الصحف البريطانية أن تأجيل الاجتماع كان بسبب رغبة أبداها محمد محمود باشا فى جمع كلمة العرب فالمؤتمر ، التمهيدى فى القاهرة أهم من المؤتمر الأصلى فى لندن » : ان مؤتمر لندن استعداد لامتحان تؤديه البلاد العربية بلندن ، اذا دخلته متحدة وخرجت منه متحدة ضمنت النجاح لها ولفلسطين ٠٠

● فى ١٩٣٩/١/٢١ سافر نورى السعيد من القاهرة الى بيروت لمقابلة مفتى فلسطين الحاج أمين الحسينى ، وعاد فى نفس اليوم ونشرت صحف لندن ـ التايمز بصفة خاصة ـ تصريحا فى نفس اليوم لراغب بك النشاشيبى ، تضمن بيانا رسميا له ، وهو أنه اذا لم يخصص لحزبه ـ حزب الدفاع ـ نصف عدد الوفد الفلسطينى المسافر الى لندن فلن يشترك أحد من حزبه فى مؤتمر لندن وشكك راغب النشاشيبى ، فيما يرسل من برقيات الى الخارج ، وفيما يصدر من بيانات فى الداخل بخصوص تأييد المفتى ٠ ويحذر راغب النشاشيبى بريطانيا اذا ما اعترفت بوكلاء المفتى ، ولم تعترف بحزبه ! ويسافر الخديوى السابق عباس حلمى وابنه الأمير محمد عبد المنعم الى بيروت لمدة يومين ، يلتقيان فيهما ـ باستمرار ـ فى بلدة الزوق فى جبل لبنان مع مفتى فلسطين ! ٠

ويحتفل أبناء لبنان بالخديوى السابق ، وخاصة نقولا ابراهيم سرسق ، وحبيب بك طراد ، والسيدة ليندا سرسق ، وجان توينى بك و ٠٠ و ٠٠ ويقال ان رحلة نورى السعيد ، الى لبنان كانت بخصوص اقناع المفتى بالتفاهم حول تمثيل أحزاب فلسطين ! ٠

● فى ١٩٣٩/١/٢٧ وصل الأمير محمد عبد المنعم رئيس الوفد المصرى الى لندن ، ثم تبعه ـ فى يوم تال ـ على ماهر باشا ٠

وتتبنى الايكونوميست البريطانية الدفاع عن حزب الدفاع الفلسطينى ، قائلة انه ، يمثل ، نصف فلسطين وأن واجب انجلترا ، ألا تضحى به من أجل الاتفاق مع أمين الحسينى ٠

● ويؤلف اليهود لجنة من زعمائهم فى كل أنحاء العالم لمعاونة الوكالة اليهودية التنفيذية فى فلسطين ، فى مفاوضات مؤتمر لندن ، وتمثل تلك اللجنة شخصيات بارزة من الصهيونيين ، وغير الصهيونيين ومن الأعضاء البريطانيين الذين اختيروا لعضوية هذه اللجنة : مستر نيفيل لاسكى المستشار

الملكى ورئيس جمعية النواب اليهود • المستر جيمس دى روتشـــيلد رئيس جمعية اسكان اليهود فى فلسطين •• الماركيز ردنج ، اللورد بيرسنيد و •• و •

● ثمة ملاحظات سريعة لابد من ابدائها ، اقترح الوفد المصرى على الوفود العربية أن يمتنعوا عن الكلام فى جلسة الافتتاح لتتاح الفرصة للفلسطينيين أنفسهم لكى يشرحوا جيدا قضيتهم ، ولكى يعبروا عن مطالبهم ، استمرت مشكلة انضمام راغب النشاشيبى بك الى الوفد الفلسطينى قائمة ، وأصرت الوفود العربية ، على عدم الجلوس مع راغب بك ، وأعضاء حزبه ، طلب محمد على جناح رئيس الرابطة الاسلامية فى الهند ، والقائد الأعظم لباكستان فيما بعد أن يسمح للرابطة الاسلامية بالمشاركة فى المؤتمر ، ولـكن بريطانيـا ترفض الطلب ويرسل محمد على جناح تلغرافا آخر طالبـا اعادة النظر فى طلبـه السابق ، هدد الوفد الفلسطينى بالانســحاب من المؤتمر ، وكذلك الوفود العربية ، بسبب اصرار النشاشيبى على المشاركة فى المؤتمر ووقوف بريطانيا الى جانبه ، وحتى الساعة الرابعة من صباح يوم انعقاد المؤتمر لم تكن المشكلة قد حلت بعد وقد اقترح مستر ماكدونالد وزير المستعمرات البريطانية أنه اذا فشل الفلسطينيون فى جمع كلمتهم فسوف يتحـدث هو مع وفد النشاشيبى كهيئة منفصلة •

● تم افتتاح مؤتمر لندن فى جلستين منفصلتين احداهما مع العرب ، والأخرى مع اليهود وألقى مستر تشمبرلين رئيس الحكومة البريطانية فى هذه المناسبة خطبتين ! وكان فى خطبته أمام الوفود العربية قد أشار الى الحـوادث السيئة التى وقعت فى فلسطين والتى جلبت خسائر ، لكل المقيمين فيها • كما أشار الى ارتباط بريطانيا بفلسطين والى أمل الشعب البريطـــانى فى عودة السلام الى ربوعها •

وألقى الأمير محمد عبد المنعم كلمة باسم جميع الوفود العربية تمنى فيها حل القضية الفلسطينية كما تمنى أن تقوم علاقات ودية بين أعضـاء المؤتمر ثم ذهب مستر تشـــمبرلن الى قاعة أخرى ليجتمع مع اليهـود وكان وفدهم مؤلفا من الدكتور وايزمان ، وبرودتســـكى وبن جوريون وشرتوك وناحـوم جولدمان ، وأثنى مستر تشمبرلن على الانتظام وضـــبط النفس الذى أظهره اليهود أثناء عهد الصعوبات الخطيرة فى فلسطين وقال الدكتور وايزمان ، ان الأمر الذى نضعه نصب أعيننا فى فلسطين هو السلم ، وقال اننا نجتمع فى مرحلة مظلمة من مراحل حياتنا •• وأعلن وايزمان عن رغبة اليهود فى الاستمرار فى التعاون مع الحكومة البريطانية •

وتكلم بعد وايزمان المسيو بن زيفى رئيس المجلس الوطنى اليهودى فى فلسطين فأكد معاونة يهود فلسطين للحكومة البريطانية !

ولم يكن وفد النشاشيبي قد اشترك في جلسة افتتاح المؤتمر لاصرار وفد المفتى على عدم مشاركة النشاشـــيبي ، أو حزبه فى المؤتمر ولكن الحكومة البريطانية أصدرت بيانا رسميا : أكدت فيه أن الجهود مبذولة لايجاد وفد عربى فلسطيني موحد . ومن أجل مشكلة تمثيل النشاشيبي تأجلت الجلسة ، التي كان من المقرر أن يبسط فيها العرب وجهة نظرهم ، في القضية الفلسطينية ، وقابل فخرى النشاشيبي بك مستر ماكدونالد وزير المستعمرات البريطانية وخرج من لدنه يقول : انه أكبر رجل عاقل قابله فى حياته ! و .. و .. و .

● وقبل أن يعلن فشل المؤتمر يلقى على ماهر باشا باسم كل الوفود العربية المشاركة فى المؤتمر بيــانا نصـــح فيه الجميع بأن يكون الحل لمسألة فلسطين حلا سريعا واضحا حاسما فالعالم يتطور سريعا ، والحوادث تتلاحق ، وتتوالى والحل الوقتى الذى لا يحسم النزاع يستبقى عناصر ، الاضـــطراب والقلق ، ولا يوجد الطمأنينة الضرورية فى هذا الوقت التاريخى » . ويقول على ماهر « لأجل أن تدركوا اصرارنا على حل حاسم سريع نضع بين أيديكم صورة من الرأى العام ، فى البلاد الاسلامية كلها » ويشير على ماهر الى اهتمام العالم الاسلامى بفلسطين التى يرتبط فيها تاريخ المسلمين ، الدينى والزمنى والتى فيها مقدسات عظيمة لهم ، ويقول ان ما يحدث فى فلسطين يثير الرأى العام الاسلامى كما يشير الى احتجاج علماء الأزهر ، مرارا على الحالة الراهنـة فى فلسطين والى بذل هؤلاء المساعى الكثيرة لحمل الحكومة المصرية على العمل لدفع الخطر عن فلسطين ويقول على ماهر : « ان هؤلاء ، العلماء يتمتعون بقسط وافر من النفوذ والاحترام فى العالم الاسلامى وقد قام فى كل الأقطار الاسلامية قادة الرأى الدينى والمعاهد الدينية بمثـل ما قام به الأزهر وأعربت كل الطوائف وجميع المذاهب عن مخاوفها مما يجرى فى فلسطين » كما أشار أيضا ، الى قلق الحكومات الاسلامية جميعا والى خوفها ، مما يحدث لشعب فلسطين .

● ويشير على ماهر ، الى أن الحكومة المصرية ، طلبت مرتين أمام عصبة الأمم أن يؤتى بحـل المشكلة الفلسطينية على أساس يرضى عـرب فلسطين وقد قدم الطلب نفسه مرتين مختلفتين بواسطة وزيرى خارجية يمثلان جميع الآراء ، المصرية . على اختلاف ألوانها زد على ذلك أن الحـكومة المصرية رحبت بالمؤتمر الاسلامى الذى اجتمع فى القاهرة ، فى الخريف الماضى للدفاع عن حقوق العرب فى فلسطين .

ويقول على ماهر : أن الســـلم فى فلسطين هو لمصلحة ، الديمقراطيات الثلاث العرب واليهود ، وأهل فلسطين وهذا السلم يجب أن يؤســـس على قواعد العدل ، ويرى على ماهر ، أن العدل الواجب ، اتباعه هو الذى يكفل لجميع اليهود حقوقا متساوية مع أهل البلاد . ويلح على ماهر ، على وجوب اقامة دولة فلسطينية مستقلة فى فلسطين .

ونحن ــ على ماهر ــ مستعدون كعرب للالحاح على عرب فلسطين بقبول كل الضمانات والمصالح المعقولة ، التى تطلب منهم ٠

● يفشل المؤتمر ، ويعود ، أعضاء الوفود ، الى القاهرة لاجراء مزيد من الاتصالات مع الحكومة البريطانية عبر السفير البريطانى فى القاهرة وفى الوقت الذى يقول فيه عبد الرحمن عزام أن مباحثات لندن لم تكن فشلا تاما ، على الرغم من الحقيقة الواقعة وهى أن الاتفاق لم يتم ، وفى الوقت الذى يقول فيه عبد الرحمن عزام ــ الذى لعب دورا هاما فى مؤتمر لندن وكان مستشارا لجميع الوفود العربية فى مؤتمر لندن ــ : أن هناك مشكلة يهودية ، ومشكلة عربية ، فى العالم ، وفلسطين وحدها لا تستطيع أن تحل المشكلة اليهودية فى حين أن المشكلة الفلسطينية أكبر جدا من فلسطين ٠٠ فى هذا الوقت يصرح فخرى النشاشيبى بك لمندوب الصنداى كرونيكل بأنه يحمل فى جيبه ، الأمر باعدامه بقرار من المفتى ، وقد اطلع مندوب الصنداى كرونيكل على هذه الوثيقة وهى بتوقيع عارف عبد الرازق قائد القوات التى تنتمى الى المفتى ، ويصرح فخرى بك ــ لمندوب صنداى كرونيكل ــ تلقيت هذه الوثيقة بطريق البريد فى مساء اليوم السابق لسفرى من فلسطين وسأكون فى أمان ما دمت فى لندن ، ولكن متى عدت الى فلسطين سأكون حذرا ٠

● هذا وقد نشرت صحيفة الصنداى بكتوريال تحقيقا صحفيا هاما قالت فيه أنه يوجد وراء مؤتمر فلسطين والجهود التى بذلت فيه دفاعا عن القضية العربية مشهد رائع بديع يدعو الى التسلية فان هناك فتاة يهودية هى كلير جاكوب مضى عليها الآن أربعة أعوام ، فى فلسطين وقد وقعت فى غرام أحد زعماء العرب ، وعلم اليهود بسر اهتمامها به ، فحاولوا قتلها ولكنها فرت الى باريس ، ولما وصل المندوبون العرب ، الى بريطانيا جاءت كلير من باريس ، لتساعد الرجل الذى أحبته وكان كثيرا ما يطلب مشورتها ٠ ولكن اجتماعاتها به كانت سرية دائما وفى أثناء النزاع الذى قام به الفريقين العربيين ، وكاد يقضى على قضيتهما ، لعبت كلير دور ضابط الاتصال ، وسعت سعيها للوصول الى الاتفاق ٠

وقد حاولت أن أعرف من يكون هذا العربى العاشق ولكننى لم أستطع الجزم باسمه ، وربما كان لدى بعض الاخوة المخضرمين ، من أبناء فلسطين بقية قصة جاكوب وصديقها !! ٠

● قالت صحيفة البلاغ ، القاهرية فى ٣١ مارس ١٩٣٩ ــ وتحت عنوان : قضية فلسطين يستأنف بحثها فى القاهرة ٠ هذا أوان حل القضية الفلسطينية فليس مما يقبل ولا مما يوافق مصلحة بريطانيا ومصلحة مصر ، أيضا ٠٠ أن تظل معلقة وأن تبقى فلسطين فى حالة ثورة فى هذه الأحوال الدولية الحافلة

بالأخطار ورئيس الوزارة المصرية لا يخدم عرب فلسطين وحدهم بسعيه المتواصل لانصافهم بل يخدم بلاده أيضا وبريطانيا معها خدمة ليس أولى منها بالشكر والتقدير ٠

● تقول صحيفة البلاغ : ما كان انكار حقوق قطر مما يعين على الاطمئنان الى الصداقة والثقة بالوفاء وقد نهجت بريطانيا أرشد نهج وأحكمه حين رأت محالفة العراق ، ومصر ويقيننا أنها تكسب كل شيء ، لا تخسر أدنى شيء بمثل هذا النهج فى فلسطين وقد اعترفت من حيث المبدأ ، بأن العرب على حق فى مطالبهم ٠

● فى ١٩٣٩/٤/١٢ وصل راغب بك النشاشيبى رئيس حزب الدفاع الفلسطينى الى بورسعيد قادما من لندن بعد أن سويت مشكلة مشاركته فى المؤتمر الخاص بالقضية الفلسطينية وبعد أن قبل ممثلو اللجنة العربية العليا برئاسة المفتى مشاركته معهم ٠٠ وقد صرح فى بورسعيد بأن مؤتمر لندن لم يفشل بل أنه قد أتى بنتائج لا شك أنها ستحقق لعرب فلسطين مطالبهم وتصبح البلاد فى القريب العاجل متمتعة بحرياتها الكاملة وما ذلك الا بفضل اجماع الحكومات العربية ، وتمسكها بتلك المطالب ٠

وفي تصريحه هذا شكر أعضاء الوفود العربية التى شاركت فى مؤتمر لندن « على ما أبدوه من عطف على قضية فلسطين وما أظهروه من المهارة السياسية أثناء الاجتماعات الرسمية والخاصة لخير هذه القضية » ٠

والجدير بالذكر أن راغب بك قد عاد من فلسطين فى أواخر ابريل ١٩٣٩ ، للمشاركة فى مباحثات القاهرة الخاصة بفلسطين جنبا الى جنب مع أحمد حلمى باشا وجمال الحسينى ، وعونى عبد الهادى ، ويعقوب الغصين وحسين الخالدى وموسى العلمى ، والسيد رشيد الحاج ابراهيم ٠ وكان قد أضيف الى الوفود العربية مندوبا الهند ٠ السيد خليق الزمان والسيد عبد الرحمن الصديقى ، اللذان لعبا دورا هاما فى مباحثات القاهرة ٠

على أن محمد محمود باشا ، حتى بعد عودة الوفود العربية والاسلامية الى بلادها ــ لم يتوقف عن الاتصال بالحكومة البريطانية ــ عبر السير مايلز لامبسون السفير البريطانى فى القاهرة ــ من أجل العمل على حل المشكلة الفلسطينية ، وعندما كان يصل الى نجاح فى نقطة ما يبادر بالاتصال بزعماء العرب لابلاغهم بما وصل اليه ٠ وقد نجح محمد محمود فى الاتفاق مع الحكومة البريطانية على ألا تعلن أى قرار نهائى خاص بالمشكلة الفلسطينية قبل التشاور مع الحكومة المصرية ، وكان نورى السعيد قد دعا الحاج أمين الحسينى لزيارة بغداد فاعتذر مؤثرا أن يمر بها الأستاذ جمال الحسينى ، وقد كان وقتئذ فى زيارة للبحرين ضمن حاشية الملك عبد العزيز آل سعود ٠

وبعد أن أعلنت بريطانيا مقترحاتها فى كتابها الأبيض رفضتها العناصر الصهيونية المسئولة رفضا باتا ، كما رفضت حكومات مصر ، والعراق ، والمملكة العربية السعودية ، أن توصى زعماء فلسطين بقبول تلك الاقتراحات ! ٠٠ وكان الصهيونيون ، أسعد الناس برفض العرب للاقتراحات البريطانية لأن رفض العرب ساعدهم على بلوغ غايتهم وهى العمل على هدم المشروع البريطانى وتأجيل القرار الأخير بشأن مستقبل فلسطين الى ما شاء الله ٠

وقد احتجت قيادات أمريكية كبيرة لدى بريطانيا ، على مقترحاتها وفى مقدمة المحتجين مستر لاجوارديا محافظ نيويورك — ودائما محافظ نيويورك — ورئيس أساقفة واشنطون ، كما احتجت رئاسة الجمعية الصهيونية الجديدة — فى بريطانيا — على هذه الاقتراحات بل ان هذه الرياسة لم تكتف بالاحتجاج بل أنذرت الحكومة البريطانية ، وعلى رأسها مستر تشمبرلن ، اذا هى نفذت سياسة الكتاب الأبيض ، تلك السياسة ، التى لابد أن يكون لها أثرها الخطير على سمعة بريطانيا وسمعة الامبراطورية فى جميع أنحاء العالم ولا سيما الولايات المتحدة الأمريكية لأن شعبا منتشرا فى جميع أنحاء العالم مثل الشعب اليهودى يستطيع أن يشهر ببريطانيا ويعلن للعالم نقضها لعهودها الصريحة ويثير الشكوك من ناحية قيمة العهود البريطانية للشعوب الاخرى فى الماضى والحاضر ؟ ٠

وعارض حزب العمال ، وحزب الأحرار ، الكتاب الأبيض ، وحمل الدكتور وايزمان ، وشرتوك ، وبرونسكى — من قادة الحركة الصهيونية — حملات شعواء ، على الساسة البريطانيين المحافظين !! وحرك الصهيونيون صحف بريطانيا ، والولايات المتحدة ، وسويسرا لتهاجم الكتاب البريطانى الأبيض ٠

● من التعليقات ذات الأهمية ، البالغة ، على الكتاب البريطانى الأبيض ذلك التعليق الذى نشرته جريدة الديلى تلجراف وأشارت فيه الى تأييد مجلس العموم البريطانى لسياسة الحكومة البريطانية — ولأول مرة — فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية !

تقول الجريدة البريطانية ، ان الكتاب الأبيض أرضى العرب ، ارضاء تاما فى المطلبين الأساسيين وهما أن فلسطين لا يجب أبدا أن تكون دولة يهودية وأن الهجرة يجب أن تنتهى ٠

وتقول الصحيفة : لو أن بريطانيا سمحت للمفتى الزعيم الرسمى لفلسطين بالاشتراك فى مباحثات القاهرة لتم الاتفاق نهائيا ٠ على تسوية أساسها المقترحات البريطانية أيضا : ان القادة العرب ليسوا متحمسين تماما لنصح القادة الفلسطينيين برفض الكتاب الأبيض لأنهم يدركون أن الفلسطينيين قد

حصلوا على القدر الكافى فى الوقت الحاضر وأنه يجب أن يفضوا وقت التمرين على فن الحكم ! ٠

وتقول الجريدة أيضا أن المفتى يتلقى معونات من برلين وروما ، وكانت هذه هى النقطة التى يستغلها دائما خصوم المفتى للنيل منه ومن كفاحه ٠

وتقول الصحيفة البريطانية ، ان مقاومة اليهود للكتاب الأبيض ليست واسعة النطاق كما يريدون ، بعكس ادعاءات اليهود وقولهم ، ان معارضتهم واسعة النطاق ، فليس جميع اليهود من الصهيونيين وكثير من هؤلاء يرون أنه ينبغى لهم أن يقنعوا بما نالوه وبما وعدوا به فى جهات أخرى ثم ان المستعمرين اليهود الذين نزحوا ، الى فلسطين قبل الحرب لا ينظرون بعين الارتياح الى الألوف من المهاجرين الذين جاءوا من بعدهم ، لأنهم على الرغم من أنهم اخوانهم فى الدين فانهم يختلفون عنهم أخلاقا ، وأصلا ٠ وفوق ذلك فان كثيرين من المستعمرين الأوائل ينظرون بعين الخوف الى التيار المستمر من منافسين لا يستهان بهم بل وجد كثيرون من الذين وصلوا أخيرا أن العيش فى فلسطين أصعب من العيش فى البلدان التى جاءوا منها ٠

● وتجتمع اللجنة العربية العليا فى « الزوق » ـ لبنان ـ فى ١٩٣٩/٥/١٩ برئاسة الحاج أمين الحسينى وعضوية كل من جمال الحسينى ، وحسين الخالدى ، والفريد روك وعزت دروزه وفؤاد سابا ، وموسى العلمى ومعين الماضى وتقرر رفض المشروع ، الذى تقدمت به بريطانيا ٠

وترسل اللجنة العليا وفدا برياسة جمال الحسينى الى جنيف لاعلان رفض الفلسطينيين للكتاب الأبيض فى الوقت ، الذى يعلن فيه شرتوك ـ مدير الوكالة اليهودية ـ أن ما يقوم به الصهيونيون فى فلسطين ليس موجها أبدا ضد الشعب البريطانى ، ولا ضد الوجود البريطانى فى فلسطين بل ان هجومهم قاصر على معاداة سياسة الكتاب الأبيض ، كما يقول ان محور الصهيونية السياسى يتجه منذ نشأته مع بريطانيا وسيستمر كذلك وان الاخلاص اليهودى لبريطانيا العظمى يجب أن يكون له طابع المحالفة لا الخضوع ، اننا ـ هكذا يقول شرتوك ـ لا نثور فى وجه الانتداب الذى يعد القانون الأساسى للبلاد بل على العكس ، فان الغرض من جهادنا هو المحافظة على حرية وروح الانتداب ، ويقول شرتوك ، ان أفضل طريقة للوصول الى هذا الغرض يجب ألا يكون بالحركات الارهابية ولكن بسياسة التعمير ٠

وللحقيقة وللتاريخ ـ ونحن نختتم هذا الحديث عن القضية الفلسطينية ـ نقول ان الملك عبد العزيز آل سعود طيب الله ثراه كان قد أرسل فى ٢٩ نوفمبر

سنة ١٩٣٨ الى مستر روزفلت رئيس جمهورية الولايات المتحــدة الأمريكية خطابا بخصوص قضية فلسطين نجتزىء منه ما يلى :

● ان دعوى اليهود ، بحقهم فى فلسطين ، استنادا الى التاريخ ، لا حقيقة لها فان كان اليهود قد استوطنوا فلسطين مدة معينة بصورة استيلاء فان العرب قد استوطنوها مدة أطول من ذلك بكثير ، ولا يمكن أن نعتبر احتلال أمة لبلد من البلدان حقا طبيعيا يبرر مطالبتها به ٠

● أما دعــوى اليهــود الذين يستثيرون بهـا عطف العالم انهم مشتتون ومضطهدون وأنهم يريدون ايجاد مكان يأوون اليه ليأمنوا على أنفســهم من العدوان الذى يقع عليهم فى كثير من الممالك فان فلسطين الضيقة قد استوعبت منهم الآن مقدارا عظيما ٠

● يقول الملك عبد العزيز مخاطبا روزفلت ! ليس من العدل يا فخامة الرئيس أن تسد حكومات العالم ــ وفى جملتها الولايات المتحدة ــ أبوابها فى وجه مهاجرى اليهود وتكلف فلسطين البلد العربى الصغير بتحملهم !! ٠٠

● ان حقوق العرب فى فلسطين لا تقبل المجادلة لأن فلسطين بلادهم من أقدم الأزمنة وهم لم يخرجوا منها كما أن غيرهم لم يخرجهم منها ٠

ويقول الملك عبد العزيز : ان عرب فلسطين ومن ورائهم سائر العرب ، بل وسائر العالم الاسلامى ، يطالبون بحقهم ويدافعون عن بلادهم ضد دخلاء عنهم وعنها ومن المستحيل اقرار السلام ، فى فلسطين اذ لم يقبل ، العرب حقوقهم ، ويتأكدوا أن بلادهم لن تعطى الى شعب غريب آفاق تختلف مبـادئه وأغراضه ، وأخلاقه عنهم كل الاختلاف ٠ ولذلك فاننا نهيب بفخامتكم ونناشدكم باسم العدل والحرية ٠ ونصرة الشعوب الضعيفة التى اشتهرت بهـــا الأمة الأمريكية النبيلة ، أن تتكرموا بالنظر فى قضية عرب فلســـطين وأن تكونوا نصراء للأمن المطمئن الهادىء ، المعتدى عليه من قبل تلك الجماعات المشردة فى سائر العالم لأنه ليس من العدل أن يطرد اليهود من جميع أنحاء العالم المتمدين وأن تتحمل فلسطين الضعيفة المغلوبة على أمرها هذا الشعب برمته و ٠٠ و ٠

● وللحقيقــة ، وللتاريخ أيضـا نقول ان الملك عبد العزيز آل سعود عندما لاح تآمر نورى السعيد وحكومة العراق ، ضد سورية وفلسطين بادر جلالته فأرسل مذكرة الى نورى السعيد باشا رئيس الوزارة العراقية اشـار فيها الى انحراف حكومة العراق باستمرار عن شقيقاتها العربيات وأنه ــ أى الملك عبد العزيز ــ يتغاضى عن ذلك رغبة فى التباعد عن كل ما قد يتخذ دليلا فى الخارج ، على وجود خلاف بينه وبين حكومة العراق ، فالموقف حرج ، وليس هو موقف أطماع ٠

ويقول الملك عبد العزيز : ان فلسطين مهـــددة بالابادة من جراء الخطر الصهيوني وان سورية مهددة بالخطر الفرنسي والتركي كما أن العراق أيضا مهددة من جانب تركيا وايران وأننا نخشى اذا استمرت الأزمة الدوليـــة على حالها وبقى هذا « التشاد » بين العرب وفرنسا في ســـورية ، وبينهم وبين انجلترا في فلسطين أن تتفق الدولتان على العرب لاتقاء شرهم أثناء الحرب التى نخشى أن تدور رحاها ـ وكانت مذكرة الملك عبد العزيز الى الحكومة العراقية في ١٩ يونيو ١٩٣٩ ، أى قبل نشوب الحرب ببضعة أسابيع ، بين بريطانيـا وبين ألمانيا وايطاليا ـ وأن تطلقا يد الأتراك في سوريا والعراق ومن ورائهما ويقول الملك عبد العزيز آل سعود ليس في عزائمنا ضعف ونحن لسنا جبناء ! .. اذا اقتضت الحالة نقتحم مشاق الأمور لادراك أسمى الغايات : لقد كانت المغامرات ونحن لسنا جبناء بعون الله وتوفيقه من أسباب انتصاراتنا » ويقـــول الملك عبد العزيز أن الخطر الداهم يقضى علينا بالتعاون والاتفاق ، لأن الموقف الراهن عندما نتصوره يقض مضاجعنا ويحرمنا لذيذ الكرى فاذا لم نلتفت للأمر . ونتفق اتفاقا جديا على السير في خطة مشتركة مع العراق وسوريا ، وفلسطين فان الخطر محدق بالجميع » ٠

● وللحقيقة وللتاريخ ، أيضا ، نقـــول ان كثيرين من الســـياسيين المصريين ، والصحفيين المصريين نصحوا القادة الفلســـطينيين بقبول الكتـــاب الأبيض كخطوة أولى ، تتلوها ـ فيما بعد ـ خطـــوات أخرى ، يتم بمقتضاها حصولهم على حقوقهم كاملة ، وقد كان بعض هؤلاء الســـياسيين والصحفيين يقولون للاخوة الفلسطينيين ، لقد أصدرت بريطانيـــا تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ٠ وقد رفضته الأغلبية المصرية بقيادة سعد زغلول باشا ، الذى قال في تصريح ٢٨ فبراير ما قاله مالك في الخمر ، ولكنه اضطر فيما بعد ـ في عام ١٩٢٤ ـ أن يلى الحكم هو وحزبه على أساس هذا التصريح بل لقد ظـــل سنوات وسنوات ، يتولى حزبه منفردا ، بقية الأحزاب المؤتلفة معه الحـــكم على أساس هذا التصريح ، الذى لم يلغ الغاء تاما ، الا بمعاهدة ٢٦ أغســـطس ١٩٣٦ ـ أى بعد ١٤ عاما ٠

وقد طالب هؤلاء السياسيون والكتاب القادة الفلسطينيين بان يتحمـــلوا أعباء الحكم ، في بلادهم حتى يأتى اليوم الذى يستكملون فيه استقلال بلادهم ، تماما مثلما حدث بمصر بالنسبة لتصريح ٢٨ فبراير ، الذى رفض شعبيا ، ونفذ عمليا ونفذه من كان ينتقده بالأمس ، ولكن نصائح هؤلاء الاخوة المصريين لم يؤخذ بها فكانت النتيجة أن الكتاب الأبيض ، لم ينفذ منه ٠ الا ما جاء في صالح اليهود الى أن قامت الحرب العالمية الثانية ، وتوقفت الثورة الفلسطينية وقرر حزب العمال البريطاني مطالبة الحكومة البريطانية بالغاء الكتاب الأبيض ، الذى حدد الهجرة ، كما قرر حزب العمال في ســـنة ١٩٤٠ مطالبة حكومة

المحافظين بفتح أبواب الهجرة الى فلسطين والقضاء على كل أثر للكتاب الأبيض . وتم لحكومة العمال ما أرادته ، وكان ـ ولأول مرة فى تاريخ الولايات المتحدة ، الأمريكية ـ أن أعلن البيت الأبيض فى مارس ١٩٤٢ عن عزمه على اقامة دولة صهيونيه فى فلسطين ، وراح البريطـــانيون ، محــافظين وعمــالا ، كما راح الأمريكيون ، جمهوريين . وديمقراطيين ، يتنافسون على ارضاء الصهيونية التى ثبتت أقدامها فى الأراضى الفلسطنية ! .

وبعد الاطالة فى الحديث عن القضية الفلسطينية ، والمؤتمرات الخاصة بها والمحاولات التى استهدفت حل الخلافات العربية نجد لزاما علينا أن نعود الى الحديث عن بعض الأمور الداخلية الهامة فى مصر وفى المقدمة قضية فرضـــت نفسها على الجمع المصرى ، لما لصاحبها من مكانة مرموقة فى المجتمع ، ونعنى بها قضية الأستاذ توفيق الحكيم الذى فتح النار على المرأة المصرية بكل عنف .

الباب الرابع

الفصل الأول

عدو المرأة يفتح النار على المرأة

أود فى بداية هذا الفصل أن أشير على سبيل التذكرة ، لا أكثر ولا أقل ، الى « أزمة نفسية متعبة » تعرض لها أستاذنا الكبير توفيق الحكيم .. وكان الأستاذ توفيق الحكيم قد تعود أن يكتب فى فترات متقطعة بعض المقالات فى الاجتماع وفى السياسة ٠ ينشرها اما فى الأهرام أو فى المصور ، أو فى غيرهما من الصحف المصرية ٠٠ غير ان بعض خصوم الأستاذ توفيق الحكيم ـ وخاصة بعض أعضاء مجلس الشيوخ المصرى ـ رأوا فى تلك المقالات مقاومة للنظام النيابى القائم فى مصر وقتئذ ٠٠

وتحركت وزارة المعارف ، لتطبق على الأستاذ توفيق الحكيم المادة « ١٤٤ » من القانون المالى ٠ بل لقد أبت تلك الوزارة ، وزارة المعارف ، الا أن توقع عقوبة على الأستاذ توفيق الحكيم ، قبل أن يثار موضوع مقالاته فى مجلس الشيوخ ٠ وكانت العقوبة عبارة عن خصم ١٥ يوما من مرتب الأستاذ توفيق الحكيم ٠

وقد عقبت مجلة « المصور » فى عددها الصادر بتاريخ ٢ ديسمبر ١٩٣٨ على هذا التصرف من وزارة المعارف بقولها :

« عقوبة كهذه ، مهما كانت لأسباب شريفة وعفيفة ، ومهما كانت للمؤاخذة على رأى عام لم يقبل فيه وجه الدفاع ، تعتبر قاسية على نفوس الأدباء ، ذوى الوفاء التام للواجب ، ولم تكن ثورة الأستاذ توفيق الحكيم النفسية على العقوبة .. وانما على الوضع الذى أدت اليه الحادثة ، حتى أنه فكر فى الاستقالة ، ولكن أصدقاءه ومحبيه هونوا عليه الأمر ، وأفهموه أن الحركات « الايديالية » فى هذه البلاد لم يحن أوانها بعد ، وان الحكومة فى حاجة الى أدبه وعلمه » ٠

أنتقل مباشرة الى موضوع يحسبه البعض موضوعا شخصيا ، أو موضوعا عاديا ولكنه فى رأيى ، من الموضوعات الهامة والجوهرية ، لانه يتعلق بحرية الكاتب فيما يكتبه ٠

لقد حدث أن نشر الأستاذ توفيق الحكيم فى العدد رقم ٢٢٩ ، من مجلة آخر ساعة ، التى كان يصدرها وقتئذ الأستاذ محمد التابعى يرحمه الله ، وبتاريخ ٢٠ أكتوبر ١٩٣٨ ، مقالا بعنوان : أنا عدو المرأة والنظام النيابى ، لان طبيعة الاثنين فى الغالب واحدة : الثرثرة » · وقد جاء فى هذا المقال :

« اذا أردتم أن تأخذوا رأيى فى مشكلة الحكم فى مصر فخذوه على انه رأى رجل بعيد عن المعمعة يشرف عليها من أعلى البرج ، دون أن يكون له فيها عنزة أو خروف ·

ويقول الأستاذ الحكيم :

« أقول لكم فى صراحة ، ان هذه الديمقراطية كما تفهمونها وتزاولونها فى مصر هى أصلح أداة لتولية الحكم غير الصالح ، وأنه ينبغى لكم ، ألا تنبهروا بالألفاظ الأوروبية ولا تتقيدوا بالنظم الأجنبية ولا تترددوا فى اتباع ما فيه النفع الحقيقى وترك ما فيه الغرم ، وضياع الوقت فاذا اتضح لكم يوما أن « البرلمان » وما ينفق عليه من آلاف الجنيهات سنويا هو غرم لا غنم فيه فحولوه فى الحال الى مصنع طائرات يحتشد فيه بدل جموع الأعيان الموسرين أفواج العمال المصريين من أولئك المساكين ، المتسكعين العاطلين الذين يلتقطون فتات المقاهى ، والبارات حتى يعملوا عملا شريفا ويشيدوا مجدا خالدا : نعم فلئن كان قد كتب على القبة الذهبية أن تخرج شيئا طائرا فى الهواء فلا ينبغى أن يكون ، دائما الصياح والخطب فاذا شعرتم انكم فى حاجة الى معمل انتاج لا الى معمل كلام فانهضوا فى الحال الى تنفيذ ذلك واضعى أيديكم لتغلقوا قليلا هذا الفم الواسع الكبير حينا المتثائب أحيانا ، لتسكتوه الأعوام التى ترونها لازمة كى يتسنى للأيدى وحدها أن تنطلق عاملة فى هدوء ونشاط فالفم ، اذا سكت واليد اذا عملت استطاع الانسان أن يتقدم أيضا وهنا تتلاشى الأحزاب والأحقاد ، والأغراض وتصبح العيون كلها متجهة الى الرجل ، المنتج حقيقة ، وعند ذلك تلزم لكم حكومة لابد من أن يتوافر فيها هذه الشروط ! أن يكون أعضاؤها من اولئك الذين اشتهروا بقلة الكلام وسرعة العمل وثانيا الا يكون لاعضائها لون حزبى واضح ، ثالثا أن يكون عدد أعضائها قليلا فان خير ادارة هى الموضوعة فى الأيدى القليلة الخبيرة » ! ·

ورشح لتلك الوزارة على ماهر وحافظ عفيفى ، وعبد الحميد بدوى ، وأمين عثمان ، وعبدالسلام الشاذلى ، وعبدالرحمن عزام ، وعزيز المصرى ، وحبيب حنين المصرى ، وعبد القوى أحمد ، وعبد الواحد الوكيل ، وهؤلاء ، كما سماهم توفيق الحكيم « العشرة الطيبة » ، المشهود لهم فى جميع المناسبات بالعمل الصامت ، وقلة الميل الى الحزبية العمياء والخطب العصماء » ·

ويقول توفيق الحكيم : « ان الذى أفسد بلادنا هو تعطيل ذوى المواهب يحتشد بعضهم ضد بعض فى اقتتال عنيف مستمر لم يكن له نتيجة غير تحطيم الجميع ٠ ويختم توفيق الحكيم مقاله : فيا أهل البلد هل تروننى قد أخلصت لكم النصح ان كان الجواب لا ؟ فأنتم فى حل أن تقولوا لى اطلع من البلد وسوف يأتى اليوم القريب الذى أذكركم فيه بنصيحتى صائحا : قلنا لكم كده ، فلتم أطلع من البلد » ٠

ويغضب توفيق الحكيم ، بمقاله هذا رجال السياسة ٠ ! وزعيمات النهضة النسائية وعلى رأسهن هدى شعراوى ، ويقول توفيق الحكيم ، كان غرضى العمل المنتج ، وليس الثرثرة الفارغة وهكذا صرت عدوا للمرأة وللنظام البرلمانى وهى عداوة موقوتة طبعا بأسبابها وتزول بزوالها ٠

ويقرر محمد محمود باشا رئيس الوزارة أن يفصل توفيق الحكيم من وظيفته بقرار من مجلس الوزراء ، ولكن بعض أعضاء وزارته ـ كما قال توفيق الحكيم ـ كانوا من الادباء والمفكرين من أمثال د ٠ هيكل والشيخ مصطفى عبد الرازق ، استمهلوه رغبة فى معالجة الأمر بوسيلة أخرى فصاح فيهم : أنتم أدباء مع بعض وتريدون المماطلة ولكن اذا أنتم لم تنهوا الموضوع بعقاب رادع سريع ، فى ظرف أسبوع فلابد من اجراء حاسم بواسطة مجلس الوزراء القادم ، وكان الدكتور هيكل هو وزير المعارف فأحضر المستشار الملكى للوزارة فناقشنى فى أمر المقال ، وبعد ذلك حادث الوزير وكيل وزارته العشماوى بك فى أمر العقوبة حتى يستطيع أن يقابل رئيس الحكومة ويخبره ان العقوبة وقعت وانتهى الموضوع ٠٠ واقترح أن تكون العقوبة الرادعة وقف مرتبى لمدة عام ونصف عام فقال له العشماوى بك : ان هذا ليس من حق الوزير بل من حق مجلس التأديب٠

ويقول الأستاذ توفيق الحكيم ، انهم فكروا فى احالته الى مجلس تأديب، ولكنهم طرحوا الفكرة جانبا ففى المجلس دفاع ومرافعة ، وقد ينقلب الأمر الى مظاهرة وروح المجلس يتجه الى البراءة . وعند ذلك تكون صفعة للحكومة . وقيل للوزير ان سلطته لا تتجاوز خصم خمسة عشر يوما من المرتب ، فاضطر ايثارا للسلامة أن يلجأ الى هذا الحل ٠ وحاول الدكتور هيكل أن يقنع رئيس الحكومة بمعاونة الشيخ مصطفى عبد الرازق ، وقد كان ، ووقع بالفعل هذا الخصم بأمر وزارى جاء فيه :

« لما كان كاتب مقال : أنا عدو المرأة والنظام النيابى ٠٠ لان طبيعة الاثنين واحدة ، الثرثرة ـ وهو مدير ادارة التحقيقات فى الوزارة فقد سألناه فلم ينكر نسبة المقال اليه ، وكتب لنا خطابا يؤكد ذلك وقد ذكر فيه أن قصده لم ينصرف الى اهانة هيئة أو أعضاء هيئة من الهيئات النظامية بمصر أو خارجها ولا الى الغض من اعتبار أشخاص بعينهم ويذكر ، كذلك أنه حسن القصد فيما يكتب ٠

ولما كانت المادة ١٤٤ من القانون المالى معدلة بقرار مجلس الوزراء الذى صدر فى ٣٠ يناير ١٩٢٩ تحظر على الموظفين أن يبدو علانية ملاحظات أو آراء أو نزعات سياسية ولما كان المقال المذكور يتناول ابداء رأى الكاتب فيما يخالف النظام القائم فى مصر فضلا عما به من تعريض بالأشخاص الذين اقترح تأليف الوزارة منهم مؤداه انهم يشاركونه رأيه فى خصومة الحياة النيابية ٠

ولما كان تصرفه هذا يخالف المادة ١٤٤ من القانون المالى مخالفة صريحة ربما خفف منها أن الكاتب بدا من مناقشته بحضور صاحب العزة المستشار الملكى للوزارة انه لا يدرك بالضبط مدى ما تتسع له هذه المادة ولما كان ذلك مما يشفع دون توقيع عقوبة العزل على حسب نص المادة المذكورة لذلك قررنا خصم خمسة عشر يوما من مرتبه ٠

ويوقع القرار فى ٢٦ أكتوبر ١٩٣٨ دكتور محمد حسين هيكل وزير المعارف ويبلغ الأستاذ توفيق الحكيم مدير ادارة التحقيقات بالوزارة بهذا الأمر عن طريق وكيل الوزارة الأستاذ محمد العشماوى (بك) ٠

ويفكر الأستاذ توفيق الحكيم فى الاستقالة من الحكومة اذ كيف توقع عقوبة على مدير التحقيقات الذى من اختصاصه أن يوقع هو العقوبات على المذنبين لا أن توقع عليه العقوبات ٠ ولكن أصدقاء الأستاذ توفيق الحكيم ــ كما سبق أن ذكرنا ــ لم يروا رأيه فى تقديم الاستقالة بل رأوا أن يبقى فى وظيفته مع استمراره فى مواقفه ، وفى تمسكه بآرائه لان استقالته تريحهم ، أما بقاؤه مع آرائه فهو الذى يقلقهم ٠

ويقول الأستاذ توفيق الحكيم : بقيت فى وظيفتى أواصل الكتابة بنفس الروح والاتجاه وأتصرف فيما يعرض لى من قضايا برأيى نفسه فما أن يقع فى يدى موظف اتهم فى قضية أو رأى سياسى حتى أبرئه وأحفظ قضيته الى أن ضجت الوزارة منى ، ولم تعرف كيف تتخلص من هذا الا بانشاء ادارة جديدة ، انشاء مفتعلا صوريا أسموها ادارة التمثيل والموسيقى ونقلونى من ادارة التحقيقات الى هذه الادارة وأنا فى اجازتى فى صيف عام ١٩٣٩ ٠ وهكذا صرت مديرا لادارة التمثيل والموسيقى ، التى لا اختصاص لها الا على الورق ٠

● وللحقيقة وللتاريخ ، نقول ، ان المحنة ، التى تعرض لها الفكر فى مصر وتعرض لها الأستاذ توفيق الحكيم بسبب المقال الذى نشره تحت عنوان : أنا عدو المرأة ، والنظام البرلمانى لان طبيعة الاثنين واحدة « الثرثرة » هذه المحنة التى كانت فى عهد محمد محمود باشا رئيس مجلس الوزراء ، يومئذ وجدت

من يدافع عنها فى شخص الأستاذ حفنى محمود بك ، شقيق رئيس مجلس الوزراء محمد محمود باشا فلقد كتب الأستاذ حفنى محمود فى مجلة آخر ساعة بتاريخ ٣ نوفمبر ١٩٣٨ مقالا ، تحت عنوان غضب « الديمقراطية » قال فيه :

« أصيبت الديمقراطية فى هذه الأيام بتوتر أعصاب ، وعسر هضم ، أفضيا الى الاضطراب ، وتطور هذا الاضطراب الى غضب ، يتفجر ، وغيظ ، غير مكتوم ، فالديمقراطية اليوم خائفة على كل شىء ، ترتاب من لا شىء ، وتنزعج من أى شىء ، أزعجها توفيق الحكيم عندما كتب مقالا بمجلة آخر ساعة داعب الديمقراطية فى أشخاص نوابها المحترمين أو نواب الشعب كما يحبون أن يسميهم الناس وفى قول آخر نواب العهد الحاضر ، وفى رواية أخرى نواب الحكم الصالح ٠٠ أقول ذلك ، وأنا فى غاية الاضطراب فقد يعرضنى هذا الكلام لغضب الديمقراطية فأفاجأ باحتجاج صاخب من سعادة محمد محمود خليل بك قطب الديمقراطية فى هذا الزمان اذ ان الطريقة الديمقراطية كالطريقة الصوفية لا تستغنى فى كل وقت عن « قطب الوقت » ٠

وقد يطلب سعادة قطب الديمقراطية ــ أى محمد محمود خليل بك ــ التحقيق معى ، كما فعل مع توفيق الحكيم بل قد يذهب الى أبعد من ذلك فيرسل الى الصحف أنباء هذا الاحتجاج ، كما فعل مع معالى كبير الأمناء فى حادث التشريفات ، ولكن لماذا غضبت الديمقراطية على توفيق الحكيم ، ان مقاله ينقسم الى قسمين : أحدهما تعرض للديمقراطية كمبدأ عام ، والآخر ، تناول أشخاصا من رجال الحكم أنفسهم أما تناول المبادىء العامة فلا أظن أن الحكام ــ الأحرار الدستوريين ــ الذين غضبوا لحرية الرأى فى عام ١٩٢٥ حين أخرج الأستاذ على عبد الرازق كتاب « الاسلام وأصول الحكم » ورغب البعض فى معاقبته ، والذين ثاروا عندما نشر الدكتور طه حسين كتابه : « فى الشعر الجاهلى » وأراد أعضاء البرلمان تقييد حرية الكاتب لا أظن أن هؤلاء الأحرار الدستوريين يحللون اليوم بعض ما حرموا بالأمس خصوصا أن الأستاذ على عبد الرازق كان موظفا والدكتور طه حسين كان موظفا أيضا مثل توفيق الحكيم ٠

أما فيما يتعلق بذكر توفيق الحكيم ، لأشخاص بالذات فانه اذا كانت فى هذا العمل مجافاة للذوق السليم ٠ فليس على كل حال أبعد عن الذوق من موقف سعادة قطب الديمقراطية حينما نشرت الصحف احتجاجه على معالى كبير الأمناء ، وقد عودتنا الديمقراطية ــ فيما عودتنا ــ أنها لا تهتم كثيرا بمسائل الذوق وخفة الروح ، بدليل أن الحكومة القائمة نفسها وهى حكومة الديمقراطية ، تخلصت من رئاسة صديق الجميع الأستاذ محمود بسيونى فى مجلس الشيوخ وهو أخف الناس دما وأبعدهم عن الأحقاد الحزبية وأكثر المصريين قاطبة ديمقراطية ، وهو الذى تستظرفه الأحزاب كلها ، ويبذل معروفه لكل الطبقات ،

ولكن ذلك ، وهو كثير لم يشفع له ، واستبدلت به الحكومة الديمقراطية الرئيس الحاضر ولعل نزعة الرئيس الحالى « المالية الفرنسية » وما يبذل من « كرم » أرستقراطي غربي لا يمت الى الشرق بسبب لعل هذا يجعل مناحة الديمقراطية فى مصر قائمة عدة سنوات ·

ويمضى الأستاذ حفنى محمود ـ وكان وقت كتابة مقاله هذا عضوا بمجلس النواب ـ يمضى قائلا : « ولعل مما يقلق الديمقراطية عندنا ، ويثير غضبها هو كثرة عشاقها ، فكل حزب يتغنى بها ، ويدعى الذود عنها ، ويتظاهر بالتفانى فى هواها ، والتدله فى غرامها ، حتى تسابق الجميع فى « المزايدة » فأقلقتها كثرة المتصابين واحتشاد الطالبين فأصبحت تريد أن تعرف ما وراء هذا الكلام المعسول ، وما تكنه لها القلوب ترى ماذا يكون شأنها ، وأية فجيعة تصيبها ، لو تكشفت لها قلوب أولئك المحبين يوما فوجدت منقوشا عليها « فلتحيا الدكتاتورية » ، ويومئذ تعلن الديمقراطية اعجابها بصراحة بشخصين أولهما توفيق الحكيم » ·

« حفنى محمود »

ويقول الأستاذ توفيق الحكيم : كان من الطبيعى أن تقف جميع الصحف الحزبية ضدى لأن موقفى كان ضد الأحزاب جميعا ، اذ أن أى نقد أو طعن فى الأساس الذى يقوم عليه حكم الأحزاب وهو الحياة النيابية معناه توقف النشاط الحزبى وما كان يهمنى وقتئذ ليس هو النشاط الحزبى بل الذى كان يهمنى وقتئذ هو النشاط الانتاجى ولذلك دهشت عندما وجدت واحدا من أقطاب حزب الأحرار الدستوريين ، وهو فى الوقت نفسه شقيق محمد محمود باشا رئيس هذا الحزب ورئيس الحكومة الموجودة فى السلطة ، والمطالب بفصلى هو المنفرد بالدفاع عن موقفى ، ضد شقيقه وضد حزبه ، انه حفنى محمود ، وكان معروفا بهذه الروح الاستقلالية فى النظر والرأى ·

وافتح قوسا وأقول فيه : « اننى كنت أعرف حفنى محمود على انه أشهر صناع المقالب السياسية ، فى مصر ، وكنت أقرأ له العديد من المقالات فتستهوينى الى درجة كبيرة ، ولكننى لم أكن أتصور ان حفنى محمود هو كاتب تلك المقالات فقد كان شائعا فى سنوات ما قبل الثورة وجود « كتاب من الباطن » يكتبون المقالات الحلوة اللذيذة والرائعة ، والفاتنة فى نفس الوقت ، ولكن تلك المقالات تنسب الى الغير ممن يملكون المال والجاه ، وكان بعض هؤلاء «الكتاب من الباطن» عندما يريدون فضح من يكتبون بأسمائهم · على نطاق ضيق للغاية وعند مجموعة من الناس ـ يقرأون ، عليهم بعض المقالات التى سوف تنشر فيما بعد باسم صاحب المعالى فلان أو اسم صاحب العزة علان أو ، أو ·

ظننت وبعض الظن اثم أن حفنى محمود من هؤلاء ، الذين يكتب لهم من

الباطن ولكن عندما بدأت عملي بالمصور ، وخلال فترة التدريب ، التي طالت ، طلبت مني ادارة تحرير المصور بضعة مقالات من حفني محمود باشا ، وكان حفني محمود ، لا يأخذ أجرا على مقالاته تلك بالطبع ، وكان ذلك مما يدفع الكثيرين من أصحاب الصحف ، الى استكتابه كنت أتصل بحفني محمود باشا فيطلب مني اسم الموضوع ، الذي سوف يكتب فيه ، وعندما يوافق عليه يعطيني موعدا في مكان لا يتغير ولا يتبدل ، ناشيونال أوتيل ، في شارع سليمان باشا ، فلا نكاد نلتقي ونتبادل التحايا ونشرب القهوة ، حتى يبدأ حفني محمود في املاء مقالته على ، وأشهد أنه كان أديبا مطبوعا بحق فما أكثر ما كان يستشهد بالعديد من أبيات للشعراء المخضرمين ، وللمحدثين من الشعراء ، ولم يكن بحاجة الى التأكيد من صحة ، هذا البيت ، أو ذاك ، فقد كان يمليه من الذاكرة ، ولا أعتقد أبدا وقد جربته في ست مقالات أو سبع ، ان الذاكرة ، قد خانته ، أو أنه أخطأ مرة واحدة في رواية بيت من الشعر ، أو جملة أبيات .

وقد كان في مقدمة ما وثق العلاقة بين حفني محمود باشا وبيني ، انني رغم خلافي في الرأي مع الأحرار الدستوريين ومع محمد محمود باشا ، نشرت ، وكنت وقتئذ لا أزال طالبا في كلية الحقوق « يناير ١٩٤٦ » دراسة ربما كانت أول دراسة لي — عن محمد محمود ، حرصت في بداية هذه الدراسة على أن أؤكد خلافي مع محمد محمود ومع حزبه ، وأذكر انني قلت بالحرف الواحد : كنت في حداثة سني — وما زلت حتى اليوم — سيىء الظن الى أبعد الحدود بكثير من رجال السياسة القدامى لانهم في نظري يؤمنون بالحلول النصفية ، وأنا لا أؤمن ، يحبون التسليم بالأمر الواقع ، وأنا لا أحب ، يرغبون في النوم حتى تحين ساعة الاستيقاظ وأنا من أنصار اليقظة ولو كانت في منتصف الليل .

كنت طفلا عندما كان محمد محمود باشا رئيسا للوزارة في المرة الأولى فلم أدرى أكان يلبس قفازا حديديا أم قفازا حريريا ولم أكن أستطيع التمييز بين ديمقراطية النحاس ، ودكتاتورية محمد محمود ، ولكن وقر في ذهني وانطبع في عقلي ، أن محمـد محمود عطل الدستور ووأد الحريات ، ومن طبعي حب الدستور والايمان بالحريات .

وقيل لغيرى ولي أن محمدا يتيه على الناس بهيله ، وهيلمانه ، وجاهه ، وسلطانه ، ويتجافى عن الاتصال بالشعب ، ويتعالى على الطبقتين الثانية والثالثة بل والأولى وأنا من أولئك الذين يقدسون الشعب ويكرهون من يتعالون عليه لذلك كرهت محمد محمود ، وأبغضته .

وعن دراستي عن محمد محمود قلت أيضا — بالحرف الواحد : عقب وفاة محمد محمود في ٣١ يناير ١٩٤١ « بدأت أستعد للكتابة عن محمد محمود وفعلا انتهيت من كتابتي ؛ بعد ثمانية أشهر ، ولكن الأحكام العرفية حالت بيني وبين

نشر ما كتبته ، ثم اعتقلت ذات يوم ، أو على الأصح ذات شهور واعتقل معى ما كتبته وأفرج ، عنى ، ولم يفرج ، عما كتبته فاضطررت الى معاودة الكتابة مرة ثانية ، لم تكن أسعد من الأولى وهذا الذى بين يديك أيها القارىء العزيز هو الكتيب الثالث الذى عزمت ، على نشره فى العام الفائت « عام ١٩٤٥ » ولكن وجود الأحرار الدستوريين بصفة عامة ، وحفنى محمود باشا بصفة خاصة فى الوزارة قد حال بينى وبين النشر لأسباب تقدرها نفسى تمام التقدير » ٠

وأشهد ــ للأيام التاريخية ــ ان حفنى محمود ، رغم ما اتصف به من انه صاحب المقالب السياسية ، وغير السياسية كان من أصلب العناصر السياسية عودا ، ومن أبعدهم عن الاستفادة من السياسة ، شابا ، وشيخا ٠٠ يرحمه الله !

● وقبل أن أنتقل الى موضوع آخر ، أقول ، أن الأستاذ توفيق الحكيم لم يتوقف عن الكتابة فيما يرى أنه الحق ولو عرضه ذلك للمخاطر ، بل ظل يترك ، لقلمه العنان ، لا يقيده بأى قيد ، الأمر الذى جر عليه الكثير من المتاعب والمشاق ، وكانت وزارة المعارف قد تلقت كتابا من مشيخة الأزهر بشأن حظر كتابه « يوميات نائب فى الأرياف » بناء على شكوى من بعض القضاة الشرعيين ، فاذا بتوفيق الحكيم يتحدث الى جريدة المقطم فى هذا الموضوع ، وكان مما جاء فى حديثه : أننى بصفتى كاتبا ، اجتماعيا قد أردت فى كتابى ابراز صورة للقضاة الشرعيين ، الى جانب الصورة المرسومة للقضاة الأهليين ، ولرجال النيابة ، والبوليس وأطباء الصحة ، والعمد وغيرهم ، ولا أظن القضاة الشرعيين يتمتعون بقدرات خاصــة ، وحصــانة دينية تجعلهم فى مكان لا ترتفع اليه يد النقد ، والاصلاح والتطوير ٠

أما تدخل شيخ الأزهر فى هذه المسألة فهو ما يدعو الى الدهشة والتأمل ، والعجب وقد آن الأوان لنواجه الأمر ، فى صراحة فيما يتعلق بتدخله المتكرر فى شئون الدولة الفكرية وأن نتدبر من الآن الخطر ، الذى يهدد حرية الكتابة وحركة التأليف ونهضة العلوم اذا سيطر على الحياة العقلية فى هذا البلد المصرى بمثل هذا الروح و ٠٠ و ٠٠

ولكن ظهر ، أن شيخ الأزهر ، لم يكتب الى وزارة المعارف فقد دعا الدكتور محمد حسين هيكل وزير المعارف ، الأستاذ توفيق الحكيم مؤكدا له أن الأزهر ، لم يتدخل على الاطلاق لا فى كتابه ولا فى غيره من الكتب التى تدرس فى وزارة المعارف ٠ وقد اعتذر الأستاذ توفيق الحكيم بأن الصحفيين أفهموه صحة واقعة شكوى الأزهر ، الى وزارة المعارف ، وقيل والعهدة على الرواة ــ المقطم ، وغيرها من الصحف المصرية ــ ان الدكتور هيكل طلب من الأستاذ توفيق الحكيم ، أن يعتذر عما ورد فى حديثه بخصوص الأزهر ، غير أن الأستاذ توفيق الحكيم رفض مبديا استعداده لتحمل ما قد ينشأ على هذا الرفض من قرارات وقيل أيضا أن

الأستاذ الدكتور هيكل قال انه ، فى هذه الحالة مضطر ، الى أن يرفع الأمر الى مجلس الوزراء ، ليتخذ ما يراه ٠

ويستدعى محمد محمود خليل بك رئيس مجلس الشيوخ الأستاذ توفيق الحكيم ليتحدثا معا فى موضوع الكتاب والضجة التى أثيرت حوله ٠

وأخيرا تسوى المسألة ، ويعتبر الموضوع كله منتهيا !

والجدير بالذكر ، ان الأستاذ الكبير توفيق الحكيم كان منذ أن بدأ ينشر ما يكتبه ، أو ينشر بعض ما يكتبه يتعمد اثارة الرأى العام ، فى كثير من القضايا حتى ولو كانت عملية الاثارة تلك لا تتفق وآراؤه الخاصة وجوانياته ومن القضايا التى كان يتعمد اثارتها ، وتختلف مع طبيعته كفنان ، عداوته المصطنعة للمرأة ، فلقد ظل توفيق الحكيم معروفا بأنه عدو المرأة رقم ١ رغم أنه فى قرارة نفسه محب للمرأة ، بل عاشق لها ، وكانت تلك العداوة الزائفة قد بدأت فيما أذكر بحديث للمصور حمل فيه على المرأة المصرية وقال ، انه لا وجود للزوجة الصالحة فى مصر وأن المرأة التى تصنع صينية بطاطس فى الفرن ، أجدى عنده من المرأة ، التى تقدم له جميع دبلومات الفلسفة ، وكانت ثورة الجنس اللطيف وغير اللطيف على توفيق الحكيم ٠ وكان توفيق الحكيم ـ كما سنوفى تلك القضية حقها من الايضاح ـ أسعد الناس بهذه الثورة ، التى جعلت منه ومن الشيخ محمــود أبو العيون أشهر اثنين ـ معاديين فى الظاهر ـ للمرأة ٠ فلو كان توفيق الحكيم ـ حقا ـ معاديا للمرأة لما نجح ذلك النجاح الرائع ، فى تصوير بطلات قصصه ، ورواياته ٠

وبعد قضية توفيق الحكيم تجىء قضية أم كلثوم وهى ـ قضية أم كلثوم ـ من القضايا الطريفة التى شغلت المجتمع المصرى لفترة غير قصيرة ٠

الفصل الثاني

يدعى الزواج من أم كلثوم فتقاضيه أم كلثوم

ولكي تكون الصورة التي نقدمها لسنوات ما قبل الثورة صادقة وواضحة تماما نتوقف بعض الوقت عند قضيتين أثارتا اهتمام الرأى العام المصرى والتقت عندهما صحافة الأحزاب كلها مؤيدة ومعارضة ، وكان التقاؤها حول موضوع واحد باتجاه واحد من الأمور النادرة بل شبه المستحيلة ، وكان المدعو عبد الستار الهلالى قد ادعى الزواج من أم كلثوم سيدة الغناء العربى طالبا اياها الدخول فى بيت الطاعة . وكانت أم كلثوم قد رفعت دعوى ضد عبد الستار الهلالى فى ١٣ يونيو ١٩٣٦ وقد نظرت القضية ، أمام محكمة السيدة زينب الجزئية وكانت الجلسة قد افتتحت برياسة حضرة الأستاذ محمود سعيد القاضى ، وبحضور الأستاذ عبد الحليم البطاسى وكيل النيابة ــ وأنا أنقل هنا بعض ما ورد فى جريدة كوكب الشرق المؤيدة للوفد المصرى : عقب فتح الجلسة أخذت المحكمة فى نظر القضايا حتى الساعة الحادية عشرة ثم نودى على قضية مدعى زوجية أم كلثوم فحضر المتهم ومعه محاميه وحضرت الآنسة أم كلثوم ومعها الأستاذ فكرى أباظة ووجهت المحكمة التهمة الى المتهم فأنكرها واستدعت المحكمة أم كلثوم أمام المنصة وسئلت على سبيل الاستدلال ، من المحكمة عدة أسئلة ، أجابت عليها بأن المتهم قذف فى حقها فى حديث له مع مراسل احدى المجلات بادعائه الزواج منها وقالت انها لم تعرفه فى حياتها أبدا ، وحدثت مناقشة بينها وبين المحكمة . ثم استدعى الأستاذ أحمد حسن رئيس تحرير مجلة روز اليوسف فأقسم وقال أن مراسل الجريدة اليومية ارسل لنا خبر هذا الزواج فنشرناه بعد اطلاعى عليه وبعد ذلك بأيام حضر لى عبد الستار مع واحد اسمه حسن أفندى الهلالى موظف بالمعارف وقدمه لى وقال لى : « الجريدة كتبت أنه فقير والحقيقة أنه غنى وأعطانى صورته على أن أكتب فى الموضوع» وقال لى وقتها أنه كان يعاشرها معاشرة الأزواج وأنه أعطاها ألف جنيه وأنه بينه وبينها قضية شرعية ، ولما سألته عن مستندات هذه القضية قال انها محفوظة فى دوسيه المحكمة الشرعية بقنا فكتبت حديثا ووقع عليه ولكنى

لم أنشره فحضر بعد أيام وطلب أصل الحديث فسلمته اليه بعدها طلبت من مأمون الشناوى أخذ صورة منه وكان عبد الستار يتكلم فى الصالة الخارجية على الترابيزة الخضراء وكان الدخـول مسموحا لأى شخص فى الصالة والذى عرفنى به هو حسن أفندى الهلالى لاننى كنت موظفا معه فى وزارة المعارف ، وبعدها سألت أم كلثوم فى التليفون فقالت لى : هو انت برضه بتصدق الكلام ده ونظر الى المتهم وقال هو نفس الشخص الذى حضر لى ٠

فناقشه الدفاع فى كلامه ، وهنا قال المتهم أنا رافع دعوى نمرة ٣٩١ بألف جنيه ضد الشاهد ، فقال الشاهد ، لم يصلنى اعلان وبعد ذلك انتهت شهادته واستدعى بعده ابراهيم أفندى خليل والسيدة روزاليوسف وسمعت شهادتيهما وصدر الحكم بحبس المتهم ستة أشهر وكفالة عشرة جنيهات لوقف التنفيذ ٠

ويستأنف المتهم الحكم ، وتتحدد جلسة ١٨/١٠/١٩٣٦ لنظر القضية أمام محكمة السيدة زينب الأهلية ٠

وعن قضية الاستئناف قالت الأهرام فى ١٩/١٠/١٩٣٦ تحت عنوان : قضية القذف فى حق الآنسة أم كلثوم : تأييد الحكم القاضى بحبس المتهم ٠

كان أمس موعد نظر الاستئناف المقدم من عبد الستار الهلالى عن حـكم محكمة السيدة زينب الأهلية القاضى بحبسه ستة أشهر وتغريمه ٥٠ جنيهـا لادعائه كذبا زوجية الآنسة أم كلثوم وقذفه اياها فى حديث نشر بجريدة البلاغ وفى أحاديث أخرى الى الأستاذين مصطفى القشاشى صاحب صحيفة الصباح وأحمد حسن رئيس تحرير مجلة روز اليوسف والى السيدة روز اليوسف ٠

وقد جىء بالمتهم من السجن ووقف فى قفص الاتهـام ، وعقدت الجلسـة برياسة حضرة الأستاذ ابراهيم حلمى القاضى وحضر الأستاذ فكرى أباظة المحامى عن المدعيـة الآنسة أم كلثـوم وحضر مع المتهم الأستاذ أبو بكر سرى الدين المحـامى ٠

وقرأ حضرة رئيس الجلسة تقريره عن الموضوع على أساس التحقيقات التى تمت فى القضية وهو يتضمن أن تحريات رجال الادارة أثبتت أن المتهم لا يملك سوى ٢١ قيراطا وسهمين وان له ثمانى سوابق احداها بالأشغال الشاقة لمدة ثلاث سنوات لاتهامه بالسرقة بالاكراه ٠

محامى المتهم ــ ثابت من صحيفة سوابق المتهم خلوها من السوابق ٠

الرئيس : معلهش ٠

المحامى ــ اذن نستبعد مسألة السوابق ٠

المتهم ــ (يحاول الكلام)

الرئيس ـ أسكت حتى يأتى دورك ٠

ثم وقف الأستاذ فكرى وبدأ مرافعته قائلا : وصلنا اعلان دعـوى طاعة فاعترتنا الدهشة وذهبنا الى المحكمة الشرعية ففى أول جلسة اعتذر المتهم عن حضـور القضية لانه كان مشغولا فى المحكمة المختلطة ، وفى الجلسـة الثانية احتج بأن محاميه تخلى عنه ، وفى الثالثة لم يحضر فشطبت القضية فجددها ولم يحضر فشطبت فاستأنف الحكم ، وظل يؤجل ويراوغ دون أن يقدم دليلا على الزوجيـة ٠

ولما أبلغنا النيابة بحثت جميع جهات الحكومة عن المتهم فلم تجده فحققت النيابة البلاغ وقدمت القضية الى المحاكمة فلم يحضر الا بعد عدة جلسات وانتظرنا منه أن يقدم دليله على الزوجية واذا به يقدم لنا عدة أوراق ظاهر فيها التلاعب والتزوير ويدعى أنها خاصة بأملاكه ٠

وقدمنا لحضراتكم قائمة بها ثمانى سوابق بتواريخها ونمر قضاياها ، ولكن الحكومة تقول أنها لم تجد له سوابق والظاهر أن الحكومة كشفت عن سوابق شخص آخر لان الأوصاف التى قدمتها الحـكومة ليست هى أوصاف المتهم الحالى ٠

« وهنا وقف الأستاذ بولص أرمانيوس المحامى عن الآنسة أم كلثوم أيضا وقال أنه قدم بلاغا الى النيابة بشأن سوابق المتهم فاتضح بعـد التحقيق أن الأحكام الصادرة عليه باسم عبد الستار محمد عثمان ، ولكن صحيفة السوابق المودعة فى ملف القضية الحالية باسم عبد الستار الهلالى لأن قضايا القذف نطلب سوابق المتهم بالاسم لا بالبصمة » ٠

واستأنف الأستاذ فكرى مرافعته فقال ان المتهم لا صناعة له الا خلق المشاكل مع الناس وأراد حضرته أن يذكر حادثا وقع بين المتهم وأحد القضاة فرجا منه الرئيس ألا يستمر فى ذكر هذا الحادث ٠

وتكلم الأستاذ فكرى بعد ذلك عن تهمة القذف وكيف تحدث المتهم الى مراسل جريدة البلاغ فى دشنا عن الزوجية المزعومة وكيف حضر الى العاصمة وتحدث مع الأستاذين مصطفى القشاشى وأحمد حسن والسيدة روز اليوسف عن الزوجية وظروفها وطلب تأييد الحكم المستأنف ٠

ثم وقف الأستاذ سرى الدين المحامى عن المتهم فقال اننا نجل الآنسة أم كلثوم ولكنها مهما بلغت من الشـــهرة فانها امرأة وامرأة ضـــعيفة لها عاطفة ككل السيدات : كتبت الصحف وتحدثت الناس ان كذبا وان صدقا عن موضـــوع الزواج ، وتقدم عبد الستار للمحاكمة وأخذ أخذ عزيز مقتدر فلم يستجوب فى التحقيق اطلاقا ٠

وقد لفت نظرى فى الحكم الابتدائى ثلاثة أمور ـ أولا ـ عدم تحقيق دفاع المتهم حيث طلبنا وقف المحاكمة الى أن يتم الفصل فى الدعوى الشرعية فماذا يكون الحال لو صحت الدعوى الشرعية ·

ويدور الحوار الآتى :

الرئيس ـ على كل حال يا أستاذ هل يجوز للزوج أن يطعن فى زوجته ؟

المحامى ـ واقعة القذف والطعن لم يحقق معنا فيها ، وكان لزاما على النيابة أن تتريث فى رفع دعواها وهى الحفيظة على رفع الدعوى العمومية ·

واستأنف المحامى مرافعته فقال ، ثانيا من أدلة النيابة ضدنا ورقة قدمها مراسل جريدة البلاغ فى نجع حمادى عبارة عن حديث منسوب الى موكلى وعليه توقيع منسوب له · وقد أراد موكلى أن يطعن بالتزوير فى امضائه وهو الآن يصر على الطعن ·

الرئيس ـ تقدر تقول لنا إيه مصلحة مراسل البلاغ فى الكذب ؟

ـ خدمة القضية الشرعية لمصلحة أم كلثوم ·

واستأنف المحامى دفاعه فقال والملاحظة الثالثة التى أخذتها على الحكم ان المحكمة أخذت المتهم بالشدة ، ولا أدرى لذلك من سبب · ثم تكلم حضرته عن التطبيق القانونى ونية القذف

الرئيس ـ ما الذى منع المتهم من اثبات القضية الشرعية · وقد كان لديه متسع من الوقت من تاريخ أول اجراء اتخذ ؟

ـ لم يكن الوقت كافيا للاثبات ·

ـ هل لدى المتهم وثيقة زواج ش مية ؟

ـ لو كان معه كان انتهى الأمر ؟

الرئيس للمتهم : بماذا تريد أن ىثبت زواجك ؟

ـ عندى جوابات كثيرة أخذها المحامى ·

المحامى ـ هذا محله فى المحكمة الشرعية والقضية لا تزال قائمة ·

وبعد ذلك قررت المحكمة أن تصدر حكمها بعد المداولة · وفى الساعة الواحدة أصدرت الحكم وهو يقضى بتأييد الحكم المستأنف ·

ومما يجدر بى أن أذكره هنا اننى عندما نشرت ملخصا لقضية أم كلثوم ضد عبد الستار الهلالى استقبلت مواطنا مصريا جاء من قنا خصيصا ليروى لى بعض ذكرياته عن تلك القضية حيث كان وقت نظر القضية سكرتيرا لنيابة قنا ·

قال لى المواطن المصرى الكريم أحمد حسن جبرة : اننى الوحيد · على قيد الحياة ، الذى يعرف أسرار تلك القضيـة ، وأنا أذكر اليـوم ، تفاصيلها كأنها حدثت بالأمس : فى عام ١٩٣٦ كان يعيش ببلدة أبو مناع التابعة لمركز دشنا شخص يدعى عبد الستار الهلالى ، وكان واسع الحيلة لأقصى حد ممكن : كان متصلا بأحد المحامين المتخصصين فى المرافعة ، أمام المحاكم المختلطة التى كانت قائمة فى ذلك الوقت وكان اذا ما أراد « الحصول » على مبلغ من المال من أحد الأهالى يقوم بالتبليغ عن حادث مختلق يتعلق بهذا الشخص ويكلف محاميه بأن يرسل الى هذا الشخص ، انذارا بالواقعة التى دبرها له طالبا سداد المبلغ المطلوب والا اتخذ الاجراءات القانونية ضده ·

وكانت اجراءات المحـاكم المختلطة فى ذلك الوقت متعبـة جدا ، وتكلف مصاريف باهظة الأمر الذى يدفع الشخص المقصود بالعملية الى سداد المبلغ المطلوب منه ·

وقد أرسل عبد الستار الهلالى هذا خطابا مسجلا مستعجلا الى جريدة كوكب الشرق قال فيه أن بعض أثرياء قرية أبو مناع يعتزمون اقامة حفل زواج ويريدون الاستفسار من أم كلثوم عما اذا كانت تقبل احياء هذا الحفل نظير مائتى جنيه عن كل ليلة ·

وجاء فى خطـابه أنه نظرا لضيق الوقت ، يرجـو من أم كلثوم أن ترد تلغرافيا سواء بالقبول ، أو الرفض ، ويظهر أنه لم يكن يعرف عنوان أم كلثوم بالضبط فأرسل الخطاب الى جريدة كوكب الشرق ، لعلها تتصل بأم كلثوم ، لكى تتولى الرد عليه ولما كان هذا المبلغ ٢٠٠ جنيه فى الليلة ـ يعتبر أجرا خياليا لأم كلثوم فى ذلك الوقت فقد تولت الجريدة الاتصال بأم كلثوم التى أبرقت الى عبد الستار الهلالى بالرد التالى : « أقبل مع الشكر » ·

واحتفظ عبد الستار بالتلغراف وأرسل اليها تلغرافا آخر يعتذر عن اقامة الحفل لوفاة أحد أفراد العائلة ، التى كانت ستقيم الحفل ، وعندما حل عيـد الفطر المبارك ، أرسل عبد الستار الى أم كلثوم تهنئة ، فردت عليه شاكرة ثم أرسل تهنئة أخرى بعيد الأضحى المبارك فتولت أم كلثوم الرد عليه شاكرة ، أيضـا ·

واعتبر عبد الستار الهلالى البرقية التى أرسلتها أم كلثوم اليه بخصوص الحفلة ، المزعومة ، وردها على تهنئته اياها بعيدى الفطر ، والأضحى مستندات استدل بها على انها قبلت الزواج منه وقام برفع دعوى يطلب فيها أم كلثوم الى بيت الطاعة ، فأرسلت أم كلثوم خطابا الى صديقها فهمى بشاى ، البنيدارى وكيل نيابة قنا فى ذلك الوقت ترجو أن يوكل عنها كل المحامين الشرعيين فى قنا وأسوان حتى لا يجد عبد الستار الهلالى محاميا يترافع عنه فى قضية الطاعة ،

وكان هذا الخطاب يقطر دما وقمنا بتوكيل جميع المحامين الشرعيين فى هاتين المديريتين ولم يحضر عبد الستار الجلسة فقضت المحكمة ببطلان دعواه ولكنه كرر العملية أكثر من مرة ٠

وأخيرا وجدت أم كلثوم ألا مناص لها من رفع جنحة مباشرة ضده فتولى صديقها الأستاذ فكرى أباظة المحامى رفع الدعوى التى حكم فيها على عبد الستار الهلالى بالحبس مع الشغل لمدة ستة أشهر ٠

والغريب أنه عندما خرج من السجن كان فخورا جدا بالصور التى نشرت له وهو فى القفص ، كما كان فخورا جدا بما نشرته عنه الصحف والمجلات عن قضيته التى أثارت انتباه الرأى العام وقتئذ ، واذا كان الشىء ، بالشىء يذكر ، كما يقولون فاننا نشير الى أن مجلة كل شىء الدنيا قد نشرت فى عددها الصادر فى ١٢ أغسطس ١٩٣٦ موضوعا تحت عنوان « طلاب الزواج من الآنسة أم كلثوم : ابراهيم الفلاح يفاوضها ويتزوجها الشيخ عبد الرحيم » وقد جاء فى بداية هذا الموضوع : يعرف المقربون الى الآنسة أم كلثوم انها لا تفكر فى الزواج ، فقد أحجمت عنه الى أجل غير مسمى ، وهى تتحدث بذلك الى أخصائها قائلة : اننى أحب فنى حبا جما ، وعلى قدر هذا الحب يشتد زهدى فى الزواج اذ لا أتصور مطلقا ، كيف تعتلى مطربة أرض المسرح وهى حامل وكيف تعمل لفنها وهى مشغولة بشئون البيت ، الولد بيعيط ، والزواج مش راضى يخليها تخرج ، وغير ذلك من العوائق الكثيرة ، التى تحول بين المطربة وتجويد فنها » ٠

والواقع ــ هكذا تقول مجلة كل شىء والدنيا ــ أن الآنسة أم كلثوم متعلقة بفنها الى حد الاعجاب الشديد بنفسها وقد حدثنا أحد أفراد حاشيتها القدماء وهو الشيخ محمد طلبة بأنها كثيرا ما كانت تنهض مبكرة من فراشها ولا تفتأ تغنى حتى تبكى تأثرا بصوتها فاذا صادف أن دخل عليها أحد فسألها عن سر بكائها قالت دون تكلف لانى لا أجد من يسمعنى ، وتقول المجلة : « عندما كانت أم كلثوم تقوم برحلة فى ربوع الشام وكان من قوانينها وقتئذ الا تدخلها أية فنانة الا اذا كانت متزوجة فتخلصت أم كلثوم من هذا المأزق ، بأن عقدت قرانها على المرحوم الشيخ عبد الرحيم بدوى صاحب مطبعة الرغائب وكان يصاحبها فى هذه الرحلة ، وكان الزواج صوريا بالطبع فلم يلبث أن فسخ بعد عودتها من رحلتها ، التى استغرقت ثلاثة أشهر ، وتمضى مجلة كل شىء والدنيا قائلة : ولا غرابة فى أن تكون أم كلثوم مطمع انظار العشاق من كل طبقة ولا ريب ان الكثيرين من هؤلاء العشاق قد عرضوا عليها الزواج بشروط تختلف قلة وكثرة طبقا لاحوالهم المالية والاجتماعية ولعل أكثر هذه المحاولات طرافة أن ابراهيم الفلاح تقدم اليها بعد العفو عنه فى قضية القنابل المعروفة وكان قد أخذ المكافأة ، التى وعد بها وخيل اليه أنه يستطيع ارغام أم كلثوم على التزوج منه ظنا منه أنه أصبح مشهورا وان المكافأة ستغريها ولكنها استنكرت ذلك منه فألح عليها

وبدأ يطاردها فى كل مكان الى ان أبلغت البوليس فالقى القبض عليه ذات ليلة عند بابها وأودع السجن حتى الصباح ٠

وتقول المجلة أنه كان من بين العظماء الذين تقدموا للزواج من أم كلثوم أحد القضاة السابقين كان يعمل بالمنصورة وهو الآن موظف كبير فى وزارة الحقانية وقد كان بين ما أغراها به قطعة أرض فى الوجه البحرى تبلغ مساحتها نحـــو ٥٠ فدانا ، أراد تقديمها هدية لعروسه ، ولكن أم كلثوم آثرت ألا تتقيد بقيود الزوجة ، لأنها تحب فنها ٠

واذا كان الشىء بالشىء يذكر ، كما يقولون ، مرة أخرى وأخيرة فقد كانت أخبار أم كلثوم وأحاديثها تمـلأ الصحف والمجلات باعتبارهـا المطربة الأولى لمصر والبلدان العربية الشقيقة ٠

وتعجبنى فى الأخبار والأحاديث الفنية التى كانت تنشر فى تلك الحقبة من الزمن أنها كانت الى حد كبير جدا ، تلقائية ، صريحة واضحة ، بل مغرقة فى الصراحة والوضوح : الصحيفة لا تجامل الفنان عندما تنشر له حديثا ، أو عندما تنشر عنه خبرا اذ لم يكن لبعض الفنانين سلطـان مادى قوى وقتئذ ، والفنانة ، أو الفنان ، عندما يتحدث الى الصحافة لا ينافق الجمهور ٠٠ فقط يعبر عن مشاعره الخاصة بصدق ووضوح :

من أحاديث عبد الوهاب التى أعجبت بها حديث نشرته روز اليوسف ـ العدد ٢٤٥ ـ عن أحمد شوقى بك ، قال فى بدايته انه هو نفسه قصيدة من قصائد شوقى وانه تعرف على أحمد شوقى فى عام ١٩٢٠ عندما كان يغنى فى احدى حفلات الاستاذ عبد الرحمن رشدى بمسرح برنتانيا القديم ، والمرة الثانية التى رأى فيها شوقى ـ بعد عامين أو ثلاثة فى سان استفانو بالاسكندرية ولازمته بعد ذلك الحين فكنت استيقظ من نومى وأذهب الى داره نتغدى معا فاذا خرجت الى نادى الموسيقى الشرقى ، عصرا حيث كنت أتلقى أصول الغناء تبعنى الى هناك ثم صحبنى بعدئذ الى الكورسال لنتعشى معا ونخرج بعد ذلك الى احدى دور السينما ، ومنها الى صولت حتى ما بعد منتصف الليل ثم نفترق لنلتقى فى الغد ، وهكذا ٠

ونشرت روز اليوسف موضوعا بعنوان المعجب الصامت : ضابط كبير يتفانى فى الاعجاب بأم كلثوم ويكتفى بنظرة وتحية وقد جاء فى الموضوع ـ العدد ٢٥٠ ـ للمطربة الشابة معجبون على كل لون ، وطراز ولعل آخر طراز من هؤلاء المعجبين هو ضابط عظيم من كبار ضباط الجيش المصرى المتقاعدين ، كل آماله ومنى عينه أن يتخذ لنفسه مقعدا فى الصف الثالث من الصالة أو المسرح الذى تغنى فيه الآنسة المطربة وكان الرجل مواظبا على شهود حفلات المطربة ولم يقعده عن الجلوس فى الصف الأول الا ازدحامه بالطبقة الأولى من قـدماء

المعجبين ، أمثال المعلم دبشة ورامى فاذا انتهت أم كلثوم من الغناء انسحب الضابط الكبير الى باب المسرح الخلفى وانتظر حتى تخرج المطربة فيلقى عليها اشارة التحية من بعيد ويذهب الى داره لينام هانئا ملء عينه » .

وتنشر روز اليوسف « العدد ٢٥٠ » رساله بعثت بها أم كلثوم الى واحد من بطانتها على الحمزاوى تصف فيها استقبال الجماهير لها فى بغداد : ارسلت الحكومة مندوبا لاستقبالى رسميا وقنصل مصر ورجال المحاماة ، ورجال الطب ، والسفراء وعلى رأسهم الأستاذ معروف الرصافى الشاعر ، العراقى الكبير ورجال الصحافة على اختلاف أنواعهم وكبار العراقيين ، كانوا فى استقبالى : قدموا لى باقات الزهور ، وكانت قد اعدت لى سيارة خاصة وهى مزينة بالاعلام ، يعلوها العلم المصرى وصارت تشق الطريق بين هتاف وتصفيق الجمهور ، المحتشد على جانبى الطريق الى أن وصلت الى القصر الفخم ، الذى أعد خصيصا لضيافتى وعند دخولى باب القصر نحرت الذبائح تحت قدمى فصاح خالد أين انت يا حمزاوى لتأكل هذا اللحم ، ثم استقبلت كبار القوم ، الذين جاءوا لتهنئتى بسلامة الوصول وعلى رأسهم رئيس البلاط الملكى ومحافظ المدينة وكبار الموظفين وقد أقيمت لى فى المساء مأدبة عشاء ، فى دار القنصلية المصرية حضرها أعاظم القوم وعلى رأسهم كبير الأمناء ومحافظ المدينة والشاعر الكبير الرصافى ومتصرف البصرة تحسين بك العسكرى وكبار الموظفين وبعض القناصل الأجانب وعقيلاتهم وفى اليوم الثانى دعيت لتناول الشاى فى قصر جلالة الملك على شقيق جلالة الملك فيصل وهناك قدمنى جلالته الى جلالة الملك فيصل والى سمو الأمير عبد الله ، أمير شرق الأردن وبعد تناول الشاى أبى جلالة الملك على الا أن أبقى لتناول العشاء مع أصحاب الجلالة فشكرا لله على نعمائه .. أم كلثوم ابراهيم : عنوانى أم كلثوم أوتيل الهلال بغداد ـ هذا اسم المسرح ، ومنه تحول البوستة !

وفى العدد التالى تنشر روز اليوسف استقالة السيد مناع عطية من بلاط أم كلثوم احتجاجا على إيثارها الكتابة الى واحد فقط من أفراد بلاطها ، وجمهور بطانتها ويرفع مناع راية الانشقاق والعصيان ، ويعلن ، باسم زملائه ابراهيم الشباسى ، وتوفيق فتح الله ، وأحمد الجمال ، والمعلم دبشة الذين كونوا جمعية ـ انضمام الجمعية الى بلاط السيدة فتحية أحمد ، وابلاغ أم كلثوم فى بغداد بقرار الجمعية التى رأسها المعلم محمد دبشة !!



وتنشر روز اليوسف أيضا فى العدد ٢٨٣ موضوعا على صفحتين يحمل العنوان التالى : صحافة الأقطار الشقيقة تنعى على أم كلثوم البخل ، والاستحمام بالحليب وتنقل روز اليوسف ما نشرته صحيفة ألف باء بتاريخ ١٦ يونيو ١٩٢٣

من أن أم كلثوم قد حصلت على وسام الاستحقاق السورى ، وبالرغم من أنها تملك ٨٠٫٠٠٠ جنيها فانها طنشت عن مساعدة الجمعيات الخيرية بدمشق !!
وتقول الصحيفة : الآنسة أم كلثوم معتزة حتى فى صناعتها : ألم تر ما فعلته فى آخر ليلة أحيتها هنا فانها تركت الجمهور يدمى أكفه من التصفيق لها دقائق طوالا لعلها تستزيده مما أعطاها الله من رزق فى حلقها فلم تأبه لأحد ، ولم تلب طلب انسان : أنظرت كيف أن التغيير انتقل من جيبها الى حنجرتها ، و ٠٠٠ و ٠
وما نشرته صحيفة المضحك المبكى عند رحلة أم كلثوم الى سورية لذيذ فيما عدا هذه الفقرة التى ظهرت فيما كتبته حول تفضيل أم كلثوم على المطربات السوريات ايمون حداد ، خيرية السقا ، جميلة شاكوتى والمطالبة بأن تعطى المطربات الثلاث الوسام الذى أعطى لأم كلثوم !!

وتنشر مجلة روز اليوسف أيضا فى عددها رقم ٣٩٢ موضوعا فى صفحتين أيضا، عن خطابات الاعجاب البرىء : من والى كواكبنا، وتقول المجلة : من المعروف أيها السادة أن كواكبنا — ولا فخر — أو الأغلبية الساحقة منهن لا يعرفن عن القراءة والكتابة أكثر مما يعرفن عن علاقة زحل بعطارد أو عن مسألة قناة السويس وارتباطها بالحرب بين الحبشة وايطاليا ، واذا كانت بينهن من تعرف المئذنة من الألف فمعرفة سطحية لا تؤهلها الى الرد لا شفهيا ولا تحريريا فضلا عن الحديث عن خفقات القلب وسرعة دقاته بلهجة الخيال الرائع ، والأسلوب الفخم ، الذى يناسب المقام ٠

ولكن لابد من الاستدراك هنا ولابد من استثناء الآنسة أم كلثوم ولعل الكثيرين لا يعرفون أن مطربتنا الشابة والتى استطاعت فى مدى سنوات قلائل أن تحتل عرش الغناء دون شريك ، أو منازع لا يعرفون أن الآنسة « وداد » باعتبار ما سيكون فى فيلمها الأول تتذوق الشعر العربى وتقرأ فى الأدب العربى قراءة متصلة حتى أنها لتتخير أكثر القصائد التى تغنيها من الشعر القديم بنفسها كما أنها تحكم ذوقها الخاص فى كل ما يقدم اليها من الأغانى فترفض ما لا يلائم ذوقها المطبوع واحساسها الشعرى الرقيق ويقبل ما يتفق وميولها الأدبية ومن هنا جاءت أغانى أم كلثوم — أو غالبيتها على الأقل — من الجيد المنتقى وتؤيدنا فيما تذهب اليه مجموعات من الخطابات كتبتها الآنسة أم كلثوم فى مناسبات مختلفة بخطها وتوقيعها فاذا هى آية من آيات الفصاحة والبلاغة قد لا يسمو اليها كثير من المتأدبين ودعاة الأدب وننشر خطابا من هذه الخطابات على هاتين الصفحتين بالزنكوغراف لتدعيم قولنا بالبرهان العملى الذى لا يقبل الشك وحتى لا يظن القارىء أننا نرمى القول جزافا أو هو مجرد ادعاء على سبيل الفخار والمباهاة بمطربتنا الحسناء ٠

والخطاب الذى نشرته روز اليوسف يحمل عنوان زكريا وهذا نصه :

كفاك الله شر الهواجس والأفكار ، نم قرير العين ، مطمئن البال ، تحرسك

عيون أم كلثوم الساحرة ويرفرف حولك قلبها المملوء بحبك والاخلاص لك : دع عنك ، كل فكر وشجن ، دع ، عنك الخواطر والمحن ، دعها لمن رميتها بسهام لحظك ، وصوبت الى فؤادها نار حبك ، دعها هى تقلق وتهيم ، وتتأجج فى صدرها ، والدموع تترقرق فى عينيها ، لا تظنها تتعذب أو تشكو أو تندم : كلا يا أعز الناس عليها وأحبهم الى نفسها ، انما تهيم فى خيالات فيها نعيمها وهناؤها فيها لذتها وحياتها ، فيها سرورها وانشراحها · أن روحها المعذبة لا تشعر بأى ألم أو تحس بضجر ، بل هى فى غبطة وابتهاج تشعر فى كل وقت ولحظة ، فى كل غفلة ويقظة ، انها تصاحبك وتلازمك تنعم بقربك ، تأنس بأنسك ، ترشف من ريقك العذب ماء حياتها ، وتسمع من حديثك الشهى ما يذهب بأشجانها ، ترى فى وجهك الضاحك كل سلوتها ، وفى طلعتك المشرقة نور سعادتها ، هنيئا لها ما أطيب أيامها ، أن شفاءها فى حبك لسعادة لا تقدر ، وعذابها بعدك لهناء مستمر

« أم كلثوم »

وبعد الحديث عن قضية أم كلثوم أو قضايا أم كلثوم ننتقل الى الحديث عن قضية هامة أخرى من أخطر قضايا الثلاثينات ، انها قضية مصرع الراقصة امتثال فوزى التى كان لها ـ من بعيد أو من قريب ـ علاقة بالامتيازات الأجنبية فى مصر ·

الفصل الثالث

قضية الراقصة امتثال فوزى
وذيول الامتيازات الأجنبية

هذه قضية ليست قضية سياسية ولكنها شغلت الرأى العام المصرى وقتذاك ، كما لم تشغله أية قضية سياسية ٠

وهى ـ أى قضية مصرع الراقصة امتثال فوزى ـ تعتبر ـ شئنا أم أبينا ـ من ذيول الامتيازات الأجنبية التى كانت مفروضة على مصر والتى كانت تنقص من استقلالنا القضائى ، بل واستقلالنا السياسى أيضا وهذه القضية ـ قضية امتثال فوزى ـ وان تكن حقا قضية غير سياسية ، الا أن البعض قد أدخلها فى السياسة معتبرا ، الوزارة مقصرة الى أبعد الحدود فيما كان واجبا عليها أن تتخذه من اجراءات احتياطية لحماية حياة مواطنة مصرية بعد أن قامت هذه المواطنة بابلاغ البوليس بأن خطرا يتهدد حياتها من قبل جماعة تخصصت فى تهديد المواطنين وابتزاز أموالهم ، ولم تقم الوزارة بواجبها لحماية تلك المواطنة المصرية ٠

والقضية التى نعنيها هنا هى قضية « جريمة ملهى البوسفور » أو مصرع امتثال فوزى الراقصة ، ومن قبيل المصادفة ـ والمصادفة وحدها فيما نعتقد ـ أن تقع تلك الجريمة فى وقت كانت الهيئة التشريعية المصرية تبدأ دورة جديدة من دوراتها ، حيث يلقى رئيس مجلس الوزراء خطاب العرش فى مجلسى النواب والشيوخ باسم الملك ، ويعتبر يوم افتتاح البرلمان كما تقول الصحف الصادرة فى اليوم التالى ـ أخلد يوم فى تاريخ مصر المجاهدة : خطاب العرش أوفى خطاب فى تاريخ مصر البرلمانى ، الشعب يحيى شيوخه ، ونوابه : الهتاف للوزارة الدستورية : مظاهر البشر بافتتاح البرلمان انتخاب د٠ أحمد ماهر لرياسة مجلس النواب الخ ٠٠ الخ ٠

والقضية ـ بايجاز شديد ـ تتخلص فى أن عصابة تسمى عصابة فؤاد الشامى كانت قد أنذرت الراقصة امتثال فوزى التى تعمل فى كازينو البوسفور

الذى كانت تمتلكه السيدة مارى منصور بأنها اذا لم تدفع لها اتاوة ، سوف تنتقم منها ، وقامت امتثال فوزى بابلاغ البوليس بأمر هذا التهديد ، والأشخاص الذين قاموا بعملية التهديد ، وفى مساء ٢٢ مايو ١٩٢٠ قام أحد أفراد هـذه العصابة بقتل امتثال فوزى ·

والطريف أن منـدوبى الأهرام والمقطم والسـياسة ، وجورنال ديجبت وروز اليوسف قد ذهبوا الى صـاحب العزة مرقص بك فهمى رئيس مكتب المباحث الجنائية بمحافظة القاهرة طالبين منه التصريح لهم بحمل الأسلحة النارية لاستعمالها فى الدفاع عن أنفسهم ·

ومما قالته الصحف بعد أربعة أيام من وقوع الجريمة :

ان الصحفيين الذين سئلوا فى التحقيق هم أجرأ الشهود ، وأطلقهم لسانا فى الافصاح عن كل شىء وقد سئل مندوبو الصحف : ايجبت ، والسياسة ، واللطائف المصورة والعروسة ، وقد تعرف مصور دار الهلال على كامل الحريرى وهو الذى اعتدى على الراقصة ·· هذا عن موقف الصحفيين ، أما سائر الشهود فانهم تملكتهم عقيدة واحدة ، وهى أن التصريح منهم باعتراف كامل يقـولون فيه كل ما يعرفون ، لن ينجيهم من يد الفتوات الذين يتمتعون بسلطان لم يستطع رجال البوليس ، التغلب عليه لأنهم تركوا هؤلاء الفتوات يسـتفحل أمرهم ويمتد نفوذهم ، الى الغاية القصوى ·

ومما يدل على شدة خوف الشهود ـ كما تقول جريدة روز اليوسف ، الصادرة فى ١٩٣٦/٥/٢٦ ـ أن الممثلة مارى منصور صاحبة الصـالة التى قتلت فيها امتثال فوزى ، أخذت تتردد فى أداء شهادتها ترددا قائلة ان الذى يدفعها اليه خوفها من « الفتوات » بل لقد زادت على ذلك تأكيدها بأنها هى الأخرى أخذت تستعد لأنها ـ كما تقول ـ « ميتة ، ميتة » ·

وقد أسلفنا القول ـ هكذا تقول جريدة روز اليوسف اليومية ـ أن رجال البوليس قد اعتقلوا فى الأمس جماعة من الفتوات ونحن نرى أن الأسلوب الذى يلجأون اليه فى اجراءات القبض أسلوب شاذ لأننا علمنا أنهم يتوجهـون الى الصالات ثم يسألون أصحابها ، وصاحباتها عن « فتوات » صالتهم ، ومن المحقق أن ارشاد أصحاب الصالات ، وصاحباتها عن الفتوات ، أمر عسير لأنهم يخشون العاقبة التى يدل على خطورتها ، مصرع امتثال فوزى ، ورجال البوليس متى حسنت وسائل بحثهم استطاعوا ، أن يضعوا أيديهم على ما يريدون دون أن يلجأوا الى هذا الأسلوب الشاذ ، العجيب ، والقاتل ـ كامل الحريرى ـ معترف الآن بجريمته اعترافا كاملا ، لقد قال ان فؤاد الشامى ومختار الشامى قد حضرا اليه فى منزله ، واستدعياه الى وليمة شربوا فيها الزبيب ثم حرضاه على ارتكاب الجريمة ·

وكما أن القاتل اعترف · فكذلك اعترف بالاشتراك فى الجريمة أحد المقبوض عليهم ، ولكنه عاد يدعى أمام وكيل النيابة بأن البوليس هو الذى عذبه حتى يعترف فلما سئل عن نوع التعذيب ، لم يستطع أن يتحدث عن ذلك بشيء ·

واذا كان القاتل ، قد أشبعه الجمهور ضربا ساعة ارتكاب جريمته ، حتى أغمى عليه وأصيب ببعض الكدمات فان سخط الجمهور عليه لا يزال على أشده ولقد وضحت هذه الحقيقة لرجال البوليس الذين أخذوا يحمون المتهم فى غدواته ، وروحاته ، حتى لا يعتدى عليه الجمهور الساخط ·

ووالد القاتل رجل صالح رأى الهوة التى انحدر اليها ولده فأقصاه هو وزوجته وقرر له راتبا شهريا مقداره ١٨٠ قرشا وحين علم هذا الوالد باعتقال ولده اثر ارتكابه لجريمته الشنعاء ، حضر الى قسم الأزبكية وأخذ يشير الى تفاصيل الجريمة وقد استنكرها استنكارا شديدا ، وصب اللعنات القاسية ، على رأس ولده الأثيم ، وقد هالت الجريمة البشعة كل انسان ، فصاحب الدولة مصطفى النحاس باشا ، رئيس الوزراء ، ووزير الداخلية ، قرر انتداب اثنين من كبار موظفى الداخلية ليشهدا التحقيق ثم يتقدما الى دولته بتقرير واف شامل يحددان فيه مسئولية رجال البوليس حتى يقرر دولته فى ضوء هذا التقرير ما فيه صيانة لأرواح الجماهير وما فيه توفير الهيبة لرجال الأمن ، وما فيه ضمان حراستهم ، وكفالتهم للناس ، أما صاحب السعادة الأستاذ محمود المرجوشى بك النائب العام ، فقد علمنا أنه كتب الى المسئولين عن التحقيق يطلب اليهم التعجيل بانهائه حتى يتسنى له تقديم المتهمين الى قاضى الاحالة قبل نهاية هذا الشهر » وتجمع الصحافة ـ التى لم تكن وقتئذ لتجمع ، على شيء واحد الا نادرا ـ على المطالبة بوضع حد لنهاية « عصر الفتوات » الذين يستهينون بالمسئولين عن حراسة الجماهير · وفرض سيادة الدولة على كل شيء !! ·

وكنوع من التعمية ، لجأ اليه أفراد العصابة ، الذين لم تصل اليهم أيدى البوليس ان جريمة اغتيال راقصة أخرى اسمها سكينة ، والشهيرة بعيوشة قد وقعت فى يوم ٢٦ مايو ١٩٣٦ ـ أى بعد أربعة أيام فقط من مصرع امتثال فوزى وبأيدى بعض أفراد تلك العصابة والضحية الجديدة ـ كما تقول الصحف ـ وقتئذ ، كانت تعمل بصالة بديعة مصابنى وقد تدله فى حبها شاب من أصحاب شركات السجاير ، وأنفق فى سبيلها مبالغ طائلة ، ولكن عيوشة ، كانت كارهة للجو الذى تعيش فيه ، وكانت تتمنى أن تتخلص منه بأية طريقة ·

ولم يكد الشاب داود ٠٠ يطلب منها الزواج حتى رحبت وانتقلت الى بيت تحيا فيه حياة عائلية هانئة ، ولكن القدر كان يبتسم لها ــ كما قالت الصحف ــ فى هزء ، وسخرية عندما تصفو الليالى من الكدر اذ طارد المسكينة حتى اختلفت مع زوجها ، فطلقها ، ومضت تبدأ الحياة من جديد ، ثم تزوجت من شاب قادر على التفوه بالعبارات الخلابة وقادر فى نفس الوقت على أن يخدع بمظهره الخادع ، الكثيرات ٠ اكتشفت عيوشة فيما بعد أنه عاطل ، وصل فى تعليمه الى السنة الاولى بمدرسة التجارة المتوسطة ٠٠ احترف أن يعيش عالة على أية « خليلة » تتحمل عنه تكاليف الحياة ٠٠ وتفشل عيوشة فى زواجها الثانى ، ولأنها كانت جميلة وطيبة ، كما يقول الذين عرفوها فقد رغب زوجها الأول فى العودة الى حياته الزوجية معها ، وكذلك رغب الزوج الثانى « جمال الدين حسين » فى أن يعيش معها من جديد أيضا كزوج وكان صراع بينهما ، وكانت الغلبة للزوج الثانى الذى فرض ارادته بالقوة على عيوشة ، كان يحرص على أن توافيه كل ليلة بمبلغ كبير من المال ، وكانت عندما تتهاون فى جمع المال ينهال عليها بالضرب المبرح ، ويجبرها على أن تستأجر غرفة فى شقة ٠

وتقع الجناية : لقد سمع الجيران صوت عيوشة تصيح : الحقونى ، جمال موتنى » واقتحم الجيران الغرفة فوجدوها جثة هامدة ، والدماء تتفجر بغزارة من جميع أجزاء جسمها ، ووجدوا الجانى ممسكا بالسكين التى استعملها فى جريمته ، وهو يطعن نفسه وكانت حالته سيئة ، وعندما رأى الجانى الجمهور يقتحم عليه الغرفة ، طلب عدم اقتراب أحد منه وهو يقول : سيبونى أنا باحبها ، وقد زاد عدد الطعنات التى وجهها المتهم جمال الدين حسين الى القتيلة أكثر من عشرين طعنة ٠

ونترك جناية جمال الدين حسين ، وقتله لعيوشه لنعود الى جريمة البوسفور وما أحدثته من زلزال عنيف فى الرأى العام المصرى وقتئذ ، لنقول ان البوليس استمع الى أقوال رتيبة وأنصاف رشدى وعلية فوزى ، وحياة صبرى ويوسف عز الدين أفندى « الممثل » وانطون أفندى عيسى ابن أخت السيدة بديعة مصابنى وقرر الجميع ، انهم كانوا يعطون فؤاد الشامى ، وعصابته أموالا كانت تسمى عندهم بالمصروفات السرية ، وقد قال أحد الشهود ان هذه العصابة قد اختطفت تحية الراقصة بالقوة ، وأجبرتها على ركوب سيارة بعد أن كمموا فمها ثم أطلقوا سراحها ، فى صباح اليوم التالى ٠

وكان أحد أصحاب كازينو البوسفور خفيف الظل ، أثناء التحقيق فعندما قال ان فؤاد الشامى وعصابته كانوا يحضرون الى الكازينو ويتناولون الخمر فلما سئل : هل كانوا يدفعون الثمن ؟ فأجاب : وهى دى تيجى ! ٠

وكان المتهمون ـ وهم تحت التحقيق ـ يرهبون ضحاياهم وقد تم القبض على أكثر من ١٥٠ متهما فى هذه القضية ! ٠

وبعد أن تم عرض تقرير سريع ، عن القضـــية على دولة رئيس الوزراء صرح أحد كبار موظفى الداخلية بأن الوزارة تترقب خطوات التحقيق حتى يمكن وضع تشريع جديد ، يسد النقص الموجود الآن فى بعض القوانين ٠

وكانت أخبار جريمة مصرع الراقصة امتثال تتصدر الصفحات الاولى من كل الصحف المصرية وقد أثبت التحقيق أن هؤلاء « الفتوات » لم يكونوا فتوات صالات وحسب ولكنهم كانوا فتوات انتخابات أيضا ، كما أن « مهنة الفتونة » لم تكن مقصورة على المصريين بل كثير من الأجانب يحترفون تلك المهنة ، وكانت الامتيازات الأجنبية ، المفروضة على البلاد وقتئذ تحمى هؤلاء الفتوات الأجانب من الوقوع تحت طائلة القانون ٠

وقد رأت الحكومة بعد أن كثر عدد الفتـــوات الأجانب الذين يباشرون أعمالهم فى الملاهى الأجنبية المنتشرة فى العاصـــمة اتخـــاذ الاجراءات اللازمة لابعاد هؤلاء « الفتوات الأجانب » من البلاد ! ٠



والطريف ، أن هؤلاء الفتوات كانوا يعملون وفق تســـعيرة محـــددة ، فتحطيم المنزل بخمسين قرشا ، واحداث اصابة بمن يراد اصابته بجنيه واحد لا غير ، واصابة من يراد النيل منه بعاهة مستديمة عشرة جنيهات ، أما التهديد الشفهى ، أو الكتابى ، فلم يكن يزيد سعره على مائة وخمسين قرشا ، هـــذا عدا المصاريف التى تشمل أتعاب المحـــامى ، الذى يوكل للدفاع عن الجانى والانفاق عليه طوال مدة سجنه ! ٠

وكانت الأحياء المزدحمة بالفتوات ، الســـيدة زينب والدرب الأحمر ، والجمالية ، وبولاق ، والمناصرة ، وشارع كلوت بك بالطبع ، وكان لكل فتوة منطقة نفوذ لا يتعداها ولا يزاحمه فيها أحد ! ٠

وكان لكل فتوة ، صديقة ، أو جملة صديقات تقوم بمهمة اطعـــامه ، والانفاق عليه ، والباسه الحرير ، وتزيين أصابعه بالخواتم الذهبية ٠

والمعلومات عن الفتوة طريفة ولذيذة ولكننا نخشى أن نسرف فى الحديث عنها ، أكثر مما حددناه لأنفسنا من حيز متواضع ! وقد انتهز بعض الدعاة فرصة انشغال الجماهير بتلك القضية فانطلقوا يدعون الى الدعوة لمنع المسكرات وقد نشر الاستاذ محمد رضا ، سكرتير جمعية منع المسكرات بالقاهرة بيانا فى الصحف قال فيه :

ان الخمر منبع الضلالة ومغرس الفتنة ، ومستشارها وأس الفساد وجرثومة الشر والاجرام ، وسبب العداوة والبغضاء قال الله تعالى فى كتابه العزيز : « انما يريد الشيطان أن يوقع ، بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ، ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » .

صدق الله العظيم

لا شك أن رجال الشرطة مؤاخذون بعدم اهتمامهم بمداركة الشر ، قبل وقوعه ، والمحافظة على الأرواح قبل التعدى عليها ، لكن الخمر كانت بلا ريب المحرض الأكبر فى ارتكاب هذا الجرم ، بل العامل المهم فى اقتراف ثلاثة أرباع الجرائم الأليمة فما من تعد وقع ، ولا من جريمة ارتكبت الا كان للخمر الأثر الفعال فيها لأنها تميت عاطفة الشفقة والانسانية وتنسى الانسان المسئولية لذلك يلجأ اليها المجرمون قبل ارتكاب الجرائم وكثيرا ما حذرت جمعية منع المسكرات من آفة الخمر ، وما تجره اباحتها ، من وخيم العواقب فهى لا تورث الا حسرة ، ولا تعقب الا ندما ، ولات ساعة مندم .

فنصيحتنا الخالصة ، التى نبذلها للتخلص من عواقب هذه الآفة الخبيثة هى العمل ، على استئصالها بسن قانون يقضى بتحريمها نزولا على أحكام الدين الاسلامى الحنيف وهذا ما نرتجيه من حكمة أولى الأمر ، فينا ونواب بلادنا ، المحترمين » .

ويقول تقرير لوزارة الداخلية عن فؤاد الشامى ، زعيم العصابة التى اغتالت امتثال فوزى : نشأ فؤاد الشامى فى عائلة متوسطة الحال تقطن حى القبيبى وقد تم طرده من المدارس عندما بلغ الرابعة عشرة من عمره وعندما ساءت أخلاقه وقد أنشأ ناديا لرفع الأثقال استطاع أن يجمع فيه بعض الصبية فى حى الظاهر لقاء أجر شهرى يحصل منهم ولما كثرت مشاجراته وتعديه على الأعضاء امتنع كثيرون من شبان النادى فأقفل أبوابه ويقول التقرير أن فؤاد التحق بشركة من شركات السجائر ثم طرد منها لسوء سلوكه ، واعتداءاته المتكررة فلما أصبح بلا عمل التحق بأحد أندية القمار بوظيفة فتوة لحماية النادى من الطوارىء وجمع فؤاد حوله جماعة ممن هم على شاكلته وفرض على أصحاب متاجر الظاهر ومقاهيه ضريبة شهرية وكلما امتنع أحد أصحاب هذه المتاجر ، أو المقاهى عن دفع الضريبة فى أول الشهر ، تولت العصابة تحطيم المتجر أو المقهى ، وانتقل الى عماد الدين ففرض سلطانه ، على الشارع وملاهيه ، ومقاهيه ولم يكن أحد من أصحاب المقاهى يجرؤ ، على الابلاغ عن جرائم فؤاد الشامى وعصابته الى أن سقطت العصابة فى ٢٢ مايو ١٩٣٦ فبدأ أصحاب المقاهى ، والملاهى والصالات ، وبدأت الراقصات وغيرهن فى الابلاغ عن جرائم فؤاد الشامى ، وعصابته ولسنا بقادرين هنا على تتبع جريمة ملهى البوسفور : نشير فقط الى أن دائرة محكمة الجنايات التى نظرت القضية ، كانت

برئاسة الاستاذ كامل الرشيدى بك وعضوية ، سيد مصطفى بك وعبد الملك الجندى بك وكانت الأهرام قد نشرت صفحتين كاملتين ، أو أكثر عن الجلسة الأولى لتلك القضية بعد أن قالت عنها · انها الجريمة التى هزت الرأى العام وأثارت اهتمام السلطات وتناولتها الصحف بالنقد ، والتعليق نظرا ، للظروف والملابسات التى أحاطت بها وما كشفت عنه من اهمال بعض رجال البوليس ·



وكان المتهمون هم ، حسن ابراهيم حسن ، فؤاد الشامى وشقيقه أحمد مختار وكامل الجريرى ومحمد على خليفة وخليل موسى القصاص وعلى حسن الأخضر وعبد الحميد عبد القادر ومحمد حسن داود ، وكان الدفاع مكونا من الأساتذة · مصطفى رياض ، بسطا شكرى ، محمود متولى ، محمد عرفة ومحمد عبد المنعم وصالح جودت ، وعبد المجيد محمد ، وحكيم بقطر ، وأبو بكر سرى · وكان فى مقدمة شهود الاثبات ، محمد غانم أفندى مدير « مرسح » البوسفور والاستاذ ألبرت مزراحى ، المندوب القضائى لجريدة الجورنال ديجبت وعبد الصبور قابيل ، الصحفى ، والسيدة فهيمة الصاوى والدة القتيلة امتثال فوزى ·

وكانت حيثيات الحكم الذى أصدرته المحكمة فى ٤٤ صفحة فولسكاب وقد أثبتت تلك الحيثيات التهمة على المتهم الأول الذى باشر قتل المجنى عليها عمدا ، بطريقة طعنها فى عنقها برقبة « زجاجة » حادة الأطراف وأنه كان وقت ارتكابه الجريمة متعاطيا الخمر ، وقد حكم على فؤاد الشامى ، وبعض زملائه بالأشغال الشاقة المؤقتة ، وقد أفرج عنه فى عام ١٩٥٧ بعد أن قضى مدة العقوبة كاملة غير منقوصة وكان فى سجنه ، تلك المدة الطويلة عظة لمن يتعظ وكان بعد خروجه من سجنه مثالا ، للمجرم ، الذى يحاول أن يكفر عن جريمته ·

والجدير بالذكر ، أن بعض السياسيين الذين عاصروا تلك الأيام قد ذكروا لى أن الضباط الانجليز الذين كانوا يعملون فى البوليس المصرى بل ويسيطرون عليه ، وبعض الأجانب المتمتعين بالامتيازات الأجنبية كانوا يعملون على الاساءة الى سمعة رجال الأمن فى مصر حتى لا توافق الدول الأجنبية المتمتعة بالامتيازات فى مصر على الغاء تلك الامتيازات وكانت وزارة مصطفى النحاس الثالثة قد أخذت تمهد لالغاء تلك الامتيازات ، وتعد العدة لدعوة الولايات المتحدة الأمريكية ، وبلجيكا وبريطانيا ، وأيرلندا والأملاك البريطانية فيما وراء البحار والدانمرك وأسبانيا وفرنسا واليونان ، وايطاليا والنرويج وهولندا ، والبرتغال والسويد ، وهى الدول الاثنتا عشرة التى كان لها لرعاياها ، امتيازات خاصة تجعلها لا تخضع للقضاء ، المصرى وانما تخضع للمحاكم القنصلية فى المواد الجنائية والمدنية ، والتجارية ، والادارية والمالية وقد تم الغاء الامتيازات الأجنبية

بمقتضى اتفاقية مونتريه التى أقرها البرلمان المصرى فى يوليو ١٩٣٧ وكان وفد مصر الذى فاوض ممثلى الدول الاثنتى عشرة ، صاحبة الامتيازات برئاسة النحاس ، وعضوية كل من أحمد ماهر ، رئيس مجلس النواب وواصف غالى وزير الخارجية ، ومكرم عبيد وزير المالية ، وعثمان محرم وزير الأشغال وعبد الحميد بدوى رئيس أقلام قضايا الحكومة ..

ولا يمكننا أن نغفل ما كان يقوم به بعض الضباط الانجليز الذين كانوا يعملون فى البوليس المصرى وما كان يقوم به بعض الأجانب المقيمين فى مصر ، وذلك للابقاء على الامتيازات التى كان يتمتع بها الأجانب فى مصر وتعطى كل أجنبى حق السيادة على القوانين المصرية وعلى المحاكم المصرية ، وتجعل من المصريين ـ كل المصريين حاكمين كانوا أم محكومين ـ غرباء فى بلادهم وقد أشرنا الى استغلال أولئك ، لحادث اغتيال الراقصة امتثال فوزى ، وكيف ملأوا الصحف الأجنبية بالعويل ، على مستقبل الأمن فى مصر ، اذا ما ألغت الامتيازات الأجنبية كما أشرنا فى ذلك الوقت الى أن الحكومة المصرية كانت تتأهب وقتئذ للسعى ، لالغاء تلك الامتيازات وتفكر جديا فى عقد مؤتمر دولى ينهى ذلك العهد الأسود ، الذى يجعل من الوطنى غريبا فى وطنه . نشير اليوم الى أن حكومة مصطفى النحاس قد نجحت فيما بعد فى الغاء تلك الامتيازات فى مؤتمر مونتريه الذى بدأ أعماله فى ١٢ أبريل ١٩٣٧ وأنهاها فى ٨ مايو ١٩٣٧ وبذلك خضع الأجانب فى مصر للتشريع المصرى فى المواد الجنائية ، والمدنية والتجارية والادارية وحيث نصت اتفاقية مونتريه على الغاء المحاكم المختلطة فى ١٤ أكتوبر ١٩٤٩ بعد اثنى عشر عاما من توقيع الاتفاقية وهى المدة التى سميت ـ فى الاتفاقية ـ بفترة الانتقال ، والتى انتهى بانتهائها كل قيد أجنبى على القضاء المصرى .

وقد اعتبر الاستاذ عبد الرحمن الرافعى اتفاقية مونتريه فوزا ، كبيرا ، لمصر اذ زالت بها الامتيازات الأجنبية وانقرض فيها نظام المحاكم ، المختلطة ، وحققت مصر رسميا سيادتها على الأجانب فى التشريع والقضاء وهذا ولا شك كسب عظيم ، وفوز كبير للحكومة المصرية ، ولسيادة مصر التشريعية ، والقضائية ، والمالية والادارية .

والجدير بالذكر ـ والذكرى تنفع المؤمنين ـ أن الغاء الامتيازات الأجنبية كان مطلبا شعبيا قوميا ، ظل المصريون منذ أيام اسماعيل باشا ، ينادون به ويحرصون على تحقيقه لما فى الابقاء ، على تلك الامتيازات من مهانة ـ ما بعدها من مهانة ـ لمصر ولشعب مصر ، وكان أحمد شوقى شاعرنا الكبير ـ قد وصف فأجاد الوصف ، المهانة التى تلحق بنا من وجود الامتيازات الأجنبية عندما قال :

وفي الرومى موعظة لشعب جد فى اللعب
يقتلنا بلا قود ولا دية ، ولا ذهب
ويمشى نحو رايته فتحميه من العطب

وفي الامتيازات الأجنبية ، قال الشاعر محمد الأسمر ، فأجاد القول عندما قال :

جاء النزيل فأكرمنا وفادته واليوم نسأله شيئا من الكرم
فأعجب، لمصر ، وكم في مصر من عجب وانظر الى القلب فى الأوضاع والنظم
كدنا لما صار من عكس الامور بها نمشى على الرأس لا نمشى على القدم
كنانة الله تلك اليوم حالتها وجودها أشبه الأشياء بالعدم
لهو الأجانب فيها لهو منتصر عاثت كتائبه فى أرض منهزم
لو لم تكن رمما فى الناس ما ظفرت بنا عصائب للغربان والرخم
حطت جياعا فلما اتخمت نهضت كيما تطير فما اسطاعت فلم تقم
حامت ، علينا ، ولو ألفت بنا رمقا لأجفلت مثل ما جاءت ولم تحم
فهى الغداة بوادى النيل جاثمة مقيمة أشبه الأشياء بالهرم
فما يزحزحها شعر نصيح به ولا البليغ من الأمثال والحكم
ولا يدفع الضيم قول أنت قائله بل يدفع الضيم عزم غير منفصم

الى أن يقول محمد الأسمر :

ثوب من العار قمنا اليوم نخلعه كفى ما لبسنا منه فى القدم
كم فر من يدك الشلاء متهم يا أيها الوطن المرمى بالتهم
وكم قتيل ، على الوادى وقاتله فى الامتيازات مثل الطير فى الحرم
صعب المنال على القانون ممتنع كالنجم فى الأفق لم يدرك ولم يرم
وما ذليل له أرض لها علم ذل الرقيق يسوق الاعبد القزم
لا يفعل الخير ، بعد اليوم فاعله من يفعل الخير يندم أيما ندم
أقسمت بالله لو أغنى دمى لمشت نفسى به وقليل للبلاد دمى
هذا هو الذى لا ذل الغريب ولا مثل الذليل بلا أرض ولا علم

ويرحم الله أحمد شوقى ، ومحمد الأسمر ، ويرحم الله فى نفس الوقت شعرنا السياسى الوطنى الذى كان أقوى الأسلحة التى يمتلكها الشعب ويستخدمها فى معارك الكفاح الوطنى ٠

وبعد الحديث عن قضايا أم كلثوم وامتثال فوزى والامتيازات الأجنبية والفنوات ننتقل الى قضية أخرى كادت تزلزل البناء السياسى الحكومى ، والحزبى : انها قضية مزرعة الجبل الأصفر ٠

البـاب الخـامس

الفصل الأول

أزمة سياسية عنيفة حول مزرعة الجبل الأصفر

● وانتقل فجأة ، وبدون مقدمات الى الشهور الأخيرة فى وزارة محمد محمود باشا ، الثالثة والأخيرة ، لأقول ، ان تلك الوزارة قد تعرضت الى أزمة عنيفة كادت تقضى عليها مع نهاية عام ١٩٣٨ ، وبداية عام ١٩٣٩ ٠ بالاضافة الى تلك الازمات ، التى كان يسببها لها ، على ماهر باشا ، بل التى كان على ماهر باشا نفسه ، هو جوهرها ومحورها ، وأعنى بتلك الازمة أزمة ، « الجبل الاصفر » التى واجهها وزير الزراعة في وزارة محمد محمود ، وواجهتها ــ فى نفس الوقت ــ وزارة ، محمد محمود ، بل التى واجهت محمد محمود باشـــا نفسه ، الذى كان لا يكره شيئا فى الحياة قدر كراهيته ، أن يقال عنه ، انه ، أو أن أحد وزرائه ، يستغل الحكم لصالحه الشخصى ٠

وكانت الصحف حتى المؤيدة ، لوزارة محمد محمود باشا قاسية ، الى أبعد حدود القسوة فيما يتعلق بمعالجة تلك الازمة ، وأزمة الجبل الأصفر ، أو أزمة مزرعة الجبل الأصفر ، بمعنى أدق ، تتلخص فى أنه كان لوزارة الزراعة مزرعة كبيرة فى الجبل الأصفر ، تنتج الفواكه التى تباع كل عام بألوف الجنيهات عن طريق المزاد العلنى ، ويقول د٠ محمد حسين هيكل : تم المزاد فى تلك السنة ــ ١٩٣٨ ــ كما كان يتم فى السنوات التى قبلها ، واعتمده رشوان محفوظ باشا وزير الزراعة ، ثم جرت الأقاويل بأن اجراءات المزاد لم تكن سليمة ، وبأن مزايدين تقدموا ، تلغرافيا بزيادة كبيرة ، على العطاء الأخير ، فلم تعرهم وزارة الزراعة الا تشبثا منها فيما قيل بارساء المزاد على شخص معين وان الناس ، يتحدثون فى هذا الأمر ، اذ قدم الى مجلس النواب ، استجواب عن هذه الصفقة من أحد النواب السعديين المفروض فيهم انهم يؤيدون الوزارة ، وعجب كثيرون لهذا التصرف وتساءل بعضهم : ما بال المعارضين الوفديين ، لم يقدموا هذا الاستجواب ، وقدمه السعديون ؟

ويضيف د٠ محمد حسين هيكل : وانى لأشيع يوما جنازة أحد الكبراء اذ همس فى أذنى زميلى حسين سرى باشا وزير الأشغال وكان يسير الى جانبى

بأن الملك يريد أن يستقيل رشوان محفوظ باشا من الوزارة محافظة على نزاهة الحكم ، وان رسالة بهذا المعنى بلغت الى محمد محمود باشا وبعد أيام من هذا الحديث قدم رشوان باشا استقالته من الوزارة وقبل مجلس الوزراء الاستقالة وندب حسين سرى باشا للزراعة الى أن يعين لها وزير وطلب الى سرى باشا ان يجرى تحقيقا دقيقا فى مزاد مزرعة الجبل الأصفر وندب سرى باشا محمد رياض « بك » المستشار الملكى بلجنة قضايا الحكومة لاجراء هذا التحقيق ٠

كان طبيعيا - كما يقول د٠ هيكل - أن يحل حر دستورى فى وزارة الزراعة مكان رشوان محفوظ باشا الحر الدستورى ، ولذا اقترح محمد محمود باشا يوما ، على مجلس الوزراء ان يعين ابراهيم دسوقى أباظة « بك » وزيرا ، للزراعة ومثل هذا الاقتراح ، يذكر عادة أمام المجلس ، للعلم ٠

لكن الأمر ، اختلف عما جرت به العادة فقد اعترض حسن صبرى باشا على تعيين دسوقى « بك » أباظة وزيرا ؛ وهدد بالاستقالة من الوزارة ، اذا تم ، هذا التعيين قائلا : اذا دخل دسوقى « بك » من هذا الباب فانا أخرج من الباب الآخر ، وسئل عن سبب اعتراضه فلم يذكر الا أن دسوقى بك كان يدفع للمرشحين ، فى الانتخابات من الاحرار الدستوريين مالا ٠

ولما قيل له أن دسوقى بك سكرتير الحزب وانه كان يشرف على عملية الانتخابات لحساب الحزب ، لم يغير موقفه بل أصر عليه ، وتولتنا الدهشة لهذا الاصرار ، وبخاصة لاننا كنا مقتنعين بأن محمد باشا لم يعرض اسم دسوقى بك على مجلس الوزراء ، الا بعد ان اتفق عليه ، مع القصر ، على أن محمد باشا آثر ، أن يرجىء تعيين وزير للزراعة ٠٠ على أن تحدث فى الوزارة ثغرة باستقالة حسن صبرى باشا ، وقد تكون لهذه الثغرة من بعد نتائج غير محمودة وظل منصب وزير الزراعة ، بعد ذلك شاغرا زمنـــا ، غير قليـــل ، وكان محمد بك رياض قد انتهى من تحقيق مزرعة الجبل الأصفر الى أن رشـــوان باشا لا تشوب نزاهته شائبة اما الاستجواب الذى قدمـــه ، أحد النواب ، السعديين فيها فكان قد انتهى بالانتقال الى جدول الأعمال - بعد أن أجـــاب رئيس الوزراء عليه بأن المسألة موضوع الاستجواب أصبحت محل تحقيق ٠٠

هذه هى السطور القليلة ، التى تحدث بها د٠ هيكل عن أزمة مزرعة الجبل الأصفر ، التى شغلت الرأى العام ، المصرى أكثر من شهرين وفرضت نفسها ، معارضة أو تأييدا على الصحافة المصرية وعلى السياسة المصرية ، اذ الواقع كما يبدو جيدا لكل متتبع عن قرب لأحداث تلك الفترة العصيبة من تاريخنا الوطنى٠ ان أزمة مزرعة الجبل الأصفر ، لم تكن فى حقيقتها ، أزمة على مزاد علنى تم بصفة قانونية أو بصفة غير قانونية ، كما لم تكن أزمة ، على ضياع بضعة الوف من الجنيهات أو السعى لأسترداد بضعة الوف أخرى ، وانما كانت أزمة

حكم : المسألة لم تكن ـ كما يقال فى قريننا المصرية ـ « مسألة ملانة ، بل مسألة قلوب مليانة » والملانة كما هو معروف نبات أشبه ما يكون بنبات الترمس ، يؤكل أخضر خاصة فى أيام الاحتفال بشم النسيم ٠٠ كان على ماهر يستعجل رئاسة الوزارة ، وكان ـ بالتالى ـ يحرض رجاله فى مجلس الوزراء ٠ على وضع العصى فى الدواليب أمام محمد محمود باشا لعله يضيق بالأمر ذرعا فيستقيل ٠ ولم تكن الصحف ، تكف عن التلميح بأن القادم الجديد سيكون على ماهر ٠

قال قائل كبير : أنه لن يمضى شهران ، حتى يتربع على ماهر باشا على كرسى رياسة الوزراء ، وقال قائل ، كبير آخر ! انه خلاص قلنا خلاص ماذا : لقد بلغ محمد محمود باشا القصر ، انه سيعتزل رياسة الوزراء ٠ « المصور ٢٥ نوفمبر ١٩٣٨ » وكعادتنا فى هذه الدراسة ، وكى تكون الرؤية سليمة ، تشير ـ مجرد اشارة ـ الى بعض ما ورد فى الصحف عن أزمة مزرعة الجبل الأصفر ٠

كتب المصور فى عدده الصادر بتاريخ ١٦ ديسمبر ١٩٢٨ تحت عنوان « سحاب ولكن لا مطر » : شعور بالقلق هذا هو لسان الحال فى الدوائر ، الحكومية ، ومهما ضاعف الصحفى جهوده الاطلاعية ، والاستخبارية ، فهو لن يصل الى قول حاسم ، أو واقعة حاسمة يمكن ان يقال معها ان السماء ستمطر ولكن هناك سحابا ، انتشر على سماء الوزارة من جراء حادث وزارة الزراعة ، الى أن يقول المصور : جاءت حكاية مزرعة الجبل الأصفر فكانت ضغثا على أبالة ولم يعد الوزير المستقيل المبررات أيضا لأنه شخصيا لم يكن من المتحمسين لتنفيذ العقد و ٠٠و ٠٠ الى أن يقول أيضا : من شعور القلق هذا عادت شائعة التعديلات الوزارية والتغيرات الوزارية والسقوط الوزارى ، تبعث من قبرها فى كلوب محمد على اذ أذيع أن اسماعيل صدقى باشا سيتولى رئاسة الديوان الملكى ، وان على ماهر باشا سيتولى رئاسة الوزارة فى الشهر المقبل ٠

وفى نفس الصفحة وتحت عنوان وزير الزراعة السابق ، ينشر ما يلى : « الثابت الواضح من مجموع التحريات ان رشوان محفوظ باشا ، ضحية : ضحية أولا لثلاثة سعوا فى حادثة مزرعة الجبل الأصفر ، حتى تمت الصفقة لزيدان وكان الضحية رشوان ، وكان ضحية ثانية فى مسألة ال ١٧ موظفا بوزارة الزراعة ، الذين أحيلوا الى المعاش فقد وجد رأيا ناصحا من كبار موظفيه باخراجهم ، وتشجيعا من زملائه المختصين بالموافقة على مذكرة بصددهم ٠

الجدير بالذكر ، ان الصحف أجمعت على ان اجراء اخراج ١٧ موظفا من وزارة الزراعة واحالتهم الى المعاش ، كان نزعة دكتاتورية لا تجوز فى عهد ديمقراطى ٠

وكان رشوان محفوظ باشا ضحية ثالثة لأنفة محمـــد محمود باشا ، وكبريائه ورغبته فى ألا يقع فيما وقع فيه رؤســاء الوزارات الســابقون من تضحية الوزير الذى ينتشر حوله اللغط سواء كان مظلوما ، أم غير مظلوم ٠

● والخبر الأهم ، ان السراى كان لها أيضا رأى حاسم فى الموضوع بلغته تليفونيا لرئيس الوزراء ، ومن حسن الحظ ، انه لم يكن يتناقض مع خطته ، ورشوان محفوظ باشا فى حادثة الـ ١٧ موظفا قدم قبل استقالته الدليل تلو الدليل ، على انه استأنس برأى المختصين فأيدوه ، وفى حادث مزرعة الجبل الأصفر اعتمد على فتاوى قلم قضايا الحكومة فى الجملة وفى التفاصيل ٠

وافتح قوسا ، لأقول ، ان كثيرين من النواب قد احتفلوا بتكريم ابراهيم دسوقى أباظة بك ـ وكيل مجلس النواب وقتئذ وكانت الحفلة رائعة افتتحها رئيس مجلس الوزراء وحضرها الوزراء السعديون والدستوريون ، ونشرت الصحف الكثير من صفحات تاريخه « اذ كان بعد تخرجه فى مدرسة الحقوق من رجال الحزب الوطنى والمتصلين بمصطفى كامل باشا ، وبزغ نجمه فى الصحف تحت أمضاء « الغزالى أباظه » بأسلوب فذ فى نوعه ، وخلاب فى رشاقته وجارح فى لذعه وموقفه التاريخى الذى لا ينسى كان فى ثورة ١٩١٩ حينما كان مأمورا لضبط الجيزة ، وحرر وثيقته التاريخية التى كانت مستند المحامى ، الأمريكى مستر فولك عندما كان يدافع عن القضية المصرية فى الولايات المتحدة الأمريكية وقد كان سكرتير لجنة الوفد العامة فى القاهرة أبان تشكيله الأول وانتخب فى جميع البرلمانات واختير ، وكيلا لمجلس النواب مرة أخرى قبل هذه المرة ، ورشح اسمه أكثر من مرة ليكون وزيرا » أكان احتفال النواب بوكيلهم دسوقى أباظة ، ردا على اعتراض حسن صبرى باشا ـ ممثل القصر فى الوزارة وقتئذ ـ على اختياره وزيرا ، أم كانت المسألـــة مصـــادفة ؟ لا أستطيع الاجابة عن هذا السؤال ! واقفل القوس ٠

وتشير الصحف ، الى أن ضجة كبرى قامت فى حزب الاحرار الدستوريين من جراء الاجراءات الخاصة باستقالة رشوان محفوظ باشا ، وقالت الصحف ان كثيرا من الأعضاء هددوا بالاستقالة من الحزب اذا لم تسو المسألة ، بما يحفظ كرامة رشوان ، وكرامة الحزب بأسره ، وقالت الصحف أيضـــا ، ان نوابا وشيوخا ينتمون الى حزب الاحرار ، أصروا ، على الا يملأ المنصب الوزارى ٠ الشاغر ، الا بعد ان ينتهى التحقيق ، فاذا ثبتت براءة رشوان باشا ، أعيد الى منصبه ، من جديد ، وكما قالت الصحف ، ان نوابا وشيوخا آخرين تركوا لرفعة رئيس الوزراء ، محمد محمود باشا حق اختيار الوزير الجديد ، من بين صفوفهم ! وقالت صحف أخرى ان الجو مكهرب فى حزب الاحرار الدستوريين وانه لا بد من الانتظار ، بعض الوقت حتى يصفو الجو ٠

ولكن محمـــد محمود باشا كان فى واد ، وشيوخه ونوابه ، فى واد آخر ! فقد كان فعلا ، قد اتفق مع السراى على اختيار الوزير الجديد ، من غير الأحرار الدستوريين ٠

ومزرعة ، الجبل الأصفر ، التى ثارت حولها الازمة ــ كما نشرت الصحف يومئذ ــ تبعد بضعة أميال عن القاهرة : مساحة الجزء المنزرع منها أشجارا ، على وجه الدقة ٦٦١ فدانا ، منزرعة « برتقال سكرى » ٠ وصيفى وشموطى ، وأبو سرة ، ويوسف أفندى ، ومساحة المنزرع منها ليمونا لا تتجـــاوز ٢٤ فـــدانا ٠

وقد بيعت ثمارها فى عام ١٩٣٧ بعشرين ألف جنيه !!

أما مجلة الاثنين التى كانت تصدرها دار الهلال ويرأس تحريرها الكاتب الرشيق الفكه حسين شفيق المصرى فقد قالت فى افتتاحية عددها الصادر فى ١٩ ديسمبر ١٩٣٨ ، تحت عنوان : « طهروا سمعة الحكم » : تركت مسألة الجبل الأصفر وراءها زوابع وأعاصير بعد أن اقتلعت وزيرا من مقعده ولا يدرى احد من عسى ، ان تقتلعهم من موظفين ، وغير موظفين وليست هذه أولى المسائل التى أثارت الغبار فى وجوه وزراء ، وموظفين كبارا فقد تعودت مصر ، ان تستنشق هذه الروائح الكريهة وتعنى بها وقتا قصيرا ثم تنساها ، لتستقبل مسألة أخرى وهكذا تظل هذه الأمة التعسة تتعثر فى شباك تلك المسائل ، التى تمس ، الضمير ، والخلق ، والوجدان ٠

وشر هذه المسائل لا يقف عند حد الذين تغمرهم بسيئاتها ولكنها تنتقل مباشرة الى الشعب ، فتسرى عدواها الموظف الصغير يرى أنه مادام رئيســه الكبير قد أحاطت به الشبهات ٠ فلا بأس من ان يزج بنفسه فى غمارهـــا والشعب نفسه عامة وخاصة يفقد بالتدريج صحة ادراكه لخطورة هذه المسائل ما دامت تتكرر أمامه فى كل وقت وما دامت المسئولية لا تحصر ، فيستوى لديه الجرم الشنيع والحادث التافه وفى ذلك الخطر الأكبر ، على الأخلاق والقانون ٠

الى أن تقول مجلة الاثنين ــ التى لم تكن وقتئذ تهتم بالسياسة الا قليلا وفى حيز لا يتجاوز فى المتوسط بضع صفحات ــ : « الذى نريده أنه مادام ثمة قانون يرهب الجميع فيجب أن يمتد سلطانه الى كل مسألة من هذه المسائل ، فيجرى التحقيق فيها ، وتحدد الجريمة بحدودها الأربعة ويؤخذ المسئول ، أو المسئولون ، الى حيث يكفرون عما اقترفوه وتنكشف براءة الرجل الذى أصابه رصاص الأقاويل والاشاعات وفى ذلك صون للعدالة أولا وتطهير لسمعة الحكم ثانيا وزجر للنفوس الضالة ان تستمرىء العبث بحرمات القانون مادامت واثقة من أن هذا القانون لن يتخطى حواجز الشهوات ليصل اليها » ٠

وتنهى مجلة الاثنين إفتتاحيتها بقولها : « نحن لا نعنى بالأشخاص ولكننا

تعنى بسمعة الحكم وبالقدوة السيئة ، التى يمنحها أولئك المسئولون لمرءوسيهم وللشعب كافة ، ونعنى بذلك تطهير سمعة الابرياء • وقد أحسنت الحكومة بمسارعتها الى فتح التحقيق لاظهار المسئولية فى هذه الحادثة » •

والذى نرجوه أن يعرف الجمهور نتـــائج التحقيق ، مهمـــا تنـاول من شخصيات فالويل لأمة تستسيغ هذا العبث بقانونها وتصبر على هـــوان الفضائح حتى ليصبح تحت كل حجر ، من بناء نهضتها فضيحة تقودها الى مستقبل مظلم • وحياة شاقة بائسة » •

وتقول مجلة الاثنين — فى نفس العدد — أن استقالة رشوان محفوظ باشا كانت بناء على نصيحة الدوائر العليا — القصر — والحاح رئيس الوزراء •

وتقول المجلة ، ان ابراهيم فهمى باشا ، وكيل وزارة الزراعة ، الذى سبق أن أحاله وزير الزراعة رشوان باشا محفوظ الى المعاش هو الذى نشط فى بسط وقائع وشرح حوادث أزمة الجبل الأصفر حتى بلغت التفاصيل موضوع استقالة رشوان محفوظ باشا» وقالت المجلة أيضا : ان بعض الوزراء قد اجتمعوا، وناقشوا الحالة لاقناع محمد محمود باشا باقناع رشوان محفوظ باشا بدوره بتقديم استقالته وقالت أيضا مجلة الاثنين أن محمد محمود باشا قال لأحمد ماهر بالحرف الواحد : « شوف يا ماهر بك •• رشوان باشا قريبى وأنا أعرفه أكثر من غيره وذمته فوق كل شك ولكن أنا معاك فى أن اللى حدث فى البتاعة دى اللى اسمها المزرعة كان غلطة من موظفين هو رئيسهم وغلطة من نـاس تانيين هو صديقهم » وتقول مجلة الاثنين ان رشوان محفوظ باشا ، أصر عندما فاتحه محمد محمود باشا فى أمر الاستقالة أن تكون استقالة مسببة ، ولكن محمد محمود باشا نصحه بأن تكون الاستقالة بسبب ضعف صحته وهــذا ما حدث ! ولم تكن صحة رشوان محفوظ باشا فى يوم من الأيام أحسن وأفضل مما كانت وقت أن قدم استقالته لأسباب صحية !

المؤسف انه فى يوم تقديم الاستقالة أقام محمود غالب باشا مأدبة غداء للوزراء لم يدع اليها رشوان محفوظ باشا بالرغم من ان استقالته لم تكن قد قبلت بعد !

وقد اعتذر أحمد ماهر عن حضور الغداء ، لأنه كما يقول المقربون اليه يعتذر دائما ، عن دعوات الغداء فى يومى السبت ، والأحد ، لانهما يومـــا سباق الخيل ، وهو مغرم بهذا السباق ، وقد قيل أيضا ان هذه المأدبة ، التى أقامها وزير سعدى لزملائه الدستوريين ، والسعديين قد أظهرت وجود فتور بين الوزراء السعديين والدستوريين الذين يشكلون الوزارة القائمة حتى أن الدستوريين لم يبادلوا السعديين كلمة واحدة ، وعندما اكتمل عدد المدعوين ودعوا الى المائدة راحوا يأكلون فى صمت طويل حتى قطع عليهم صمتهم هذا

صاحب الدعوة بسؤاله : أيه ده مالكم ساكتين ليه ؟ ورد محمد محمود باشا وهو يحاول أن يصطنع ابتسامة ما على شفتيه : الظاهر انه من الجوع . وحتى بعد أن انتهى المدعوون من تناول الغداء ، انقسموا الى مجموعات كثيرة ، كل مجموعة اما سعدية ، واما دستورية ، وقال الذين لبوا الدعوة أن محمد محمود باشا ظل صامتا طوال الفترة التى قضاها عند غالب باشا . وكان يتلقى أحاديث زملائه فى شىء كثير من الامتعاض ؟

وقد ظلت الصحف فترة طويلة ولا حديث لها الا عن أزمة مزرعة الجبل الأصفر وعن تعيين وزير جديد للزراعة خلفا لرشوان محفوظ باشا ، وقالت بعض الصحف ان محمد محمود باشا قابل فى نادى الجزيرة السير مايلز لامبسون ودار بينهما حديث حول « استقالة احد الوزراء والمشكلة الحزبية الداخلية التى تواجهه فى سبيل اختيار الوزير الجديد » وقالت بعض الصحف أيضا : ان الاحرار الدستوريين قد انقسموا فيما بينهم حول من يخلف رشوان محفوظ باشا ، وان محمد محمود كان دائم التركيز على ضرورة اختيار دسوقى أباظة بك وزيرا للزراعة ، وانه — هكذا كانت الصحف تقول — قد أكد لدسوقى أباظة بك — ، انه لن يمضى أسبوع واحد ، حتى يوافق الملك ، على اختياره وزيرا للزراعة و .. و .. و ..

وقيل أيضا على لسان أحد المقربين الى على ماهر ردا على السؤال الخاص بتعيين وزير جديد للزراعة : هم مالهم مستعجلين قوى ، على تعيين وزير للزراعة ، دالوزارة كلها يمكن تستقيل قبل ما يتعين وزير زراعة جديد ، ويقول المقرب الى على ماهر باشا ، انه عندما قال له هذا القول ، أضاف : دا طبعا بينى وبينك ، أما اذا وصل الى الصحف « فأنا لا قلت ولا عدت » ، وانتهز الفرصة بعض السعديين ، ليكسبوا كرسيا وزاريا جديدا فرشحوا من عندهم ابراهيم عبد الهادى بك ، ومحمد محمود ذو الفقار بك ليكون احدهما وزيرا للزراعة ، وذلك ليكون لهم أغلبية فى مجلس الوزراء ، وقيل أيضا أن بعض الاقطاب السعديين طلبوا من د. أحمد ماهر مفاتحة محمد محمود باشا فى هذا الموضوع ، موضوع اختيار وزير سعدى ، لوزارة الزراعة مادام الدستوريون لم يتفقوا بعد على اختيار واحد منهم يشغل هذا المنصب ، وقيل ان أحمد ماهر قال بصريح العبارة : ان مفاتحتى لمحمد محمود باشا فى مثل هذا الموضوع معناه تقويض الائتلاف القائم بيننا وبين الأحرار الدستوريين ، وكان عبد الحميد بدوى باشا قد أنهى تحقيقه الخاص بمزرعة الجبل الأصفر ، وكان رأى عبد الحميد بدوى باشا : ان تصرفات جميع موظفى وزارة الزراعة ، حتى الموقوفين منهم لا غبار عليها . وقيل ان التحقيق وان لم يدن احدا من موظفى وزارة الزراعة الا أن الشبهات حامت حول البعض منهم ، وان محمد محمود باشا عندما عرف أن هناك شبهات تحوم حول بعض الموظفين طالب بتقديم هؤلاء الى محكمة تأديبية للفصل فى أمرهم قائلا : انه لا يمكن أبدا ، ان يتهم

فى وزارته بما كان هو ينهم به الغير فى الماضى القريب ، ولكن ظهر ان هـذه الشبهات فى رأى بعض من درسوا القضية من رجال القانون ، لا تكفى حتى لتقديم من حامت حولهم الشبهات الى المحاكمة التأديبيـــة ، ولعب عبد الحميد بدوى باشا دورا هاما فى اقناع محمد محمود باشا بأنه لا داعى أبدا للمحاكمة التأديبية اعتمادا على الحديث القائل : أدرأوا الحدود بالشبهات ٠

وحول النقطة الأخيرة نشرت « المصور » فى عددها الصادر فى ٢٨ ابريل ١٩٣٩ : يظهر ان حكاية الجبل الأصفر لا تريد أن تنتهى ، فقد اعترفت الوزارة أثناء استجوابها فى البرلمان بأن التحقيق أسفر عن وقوع بعض « مخالفات » من بعض الموظفين ووعدت بالنظر فى أمر هؤلاء المخالفين ، وهذا جميل ، ولكن كيف يكون ؟ قالوا ان عبد الفتاح بك نور سكرتير الوزارة الموقـــوف معين بمرسوم ملكى ولا يجوز قانونا مجازاة موظف معين بمرسوم بخصم أيام من راتبه أو وقفه ، عن عمله أو حتى بتخفيض درجته أو مرتبه بغير محاكمة فى حين انهم يقولون ان المخالفات التى ارتكبت لا تدخل ضمن ما يصح محاكمة الموظف من أجله أو وقفه عن عمله ، لأن الوقف لا يكون الا لتهمة يجوز من أجلها الحكم بالحبس ، أو الفصل ، أو الاحالة الى المعاش ٠

ولكن محمد محمود باشا وهو الذى ضحى بزميله وقريبه الوزير المستقيل يأبى الا أن يوقع الجزاء ، ويؤيده فى هذا الرأى كل من حسين سرى باشا وزير الدفاع ومحمد رياض بك وزير الأشغال ، ويعترض الدكتور أحمد ماهر ومعه بعض الوزراء على حق الوزير فى مجازاة الموظف الكبير المعين بمرسوم دون محاكمة تأديبية ويصرون على هذا الرأى حتى لا يكون الجزاء منطويا على مخالفة جديدة ، وأخيرا احتكم الفريقان الى مشرع الدولة ومفتيها عبد الحميد بـدوى باشا ، ومن جهة أخرى اعتزم أحد النواب الوفديين ان يتقدم الى النيابة طالبا محاكمة من أسفر التحقيق الادارى عن ادانتهم ٠

وكان المصور ، قد نشر فى نفس العدد كلمة أخرى عن مزرعة الجبـــل الأصفر ، جاء فيها :

كان الشغل الشاغل لمجلس النواب فى الأسبوع الماضى حكـــاية الجبل الأصفر ، وكان اقبال الجمهور على مشاهدة هذه المسرحية ، عظيما جدا ، ونحن فى مصر نهتم بالفضائح الداخلية ، أكثر من اهتمامنا بأى موضوع آخر فلم تظفر المعاهدة المصرية حين نظرها بجمهور حاشد حافل تكدس فوق بعضه كما شهد استجواب الجبل الأصفر ، وكما شهدت معركة البرتقال ، واليوسف أفندى ، والليمون الحلو ، والبنزهير ٠

وانتهى الاستجواب بعد أيام وليال الى عمك « الرول » ٠٠ وعمنا « الرول » هذا هو بطل مجلس النواب ، فكم احتمل المسكن من انتقالات اليه من بدء الحياة النيابية حتى اليوم فما من استجواب واحد انتهى بغير الانتقال الى الرول

« جدول الأعمال » والاكتفاء بما قاله الوزير ، وأظرف ما فى الموضوع ، ان الحكومة ـ فى مجموعها ـ خرجت تجر أذيال المديح ، والثناء والوزير السابق خرج من الاستجواب سليما ، وانصب جام غضب الحكومة ، والمجلس على الموظفين ·

ويقترح المصور ، ان يضاف الرول المصرى ـ جدول الأعمال ـ الى عجائب الأهرام ، وخزان أسوان ، بين عجائب الدنيا كلها ، عشت أيها الرول ما عاشت الحياة النيابية ودمت للحكومة وللمعارضة خير ملجأ ، عند اللزوم ··

وكانت مجلة روزاليوسف ـ فيما يبدو لى ـ غير متعاطفة على الاطلاق مع رشوان محفوظ باشا ، ففى عددها الصادر فى ٣٠ ابريل ١٩٣٩ قالت : يقول الدستوريون ان معالى محمد رياض بك وزير الزراعة بالانابة لم يلق ـ فى مجلس النواب ـ البيان المتفق عليه ، وان يدا خفية سلمت معالى وزير الزراعة ، المنتدب فى آخر لحظة البيان الذى ألقاه وان خشبة باشا ، وهيكل باشا ، ومصطفى عبد الرازق بك فوجئوا بذلك البيان ، فقد كان من المتفق عليه أن يبرز رياض بك شرف ونزاهة رشوان باشا ما دام معاليه واثقا تمام الثقة من نزاهته ، ولكن رياض بك لم يبرز فى بيانه شرف ونزاهة رشوان باشا ، التى ترتفع فوق كل شك » وتقول روزاليوسف « قيل ان رشوان باشا استقال من حزب الاحرار والحقيقة ان سعادته لم يستقل ، بعد · وانه اذا استقال فلن يستقيل وحده وانما سيستقيل معه عدد كبير من الاحرار الدستوريين ! » ·

وتنشر روزاليوسف ـ فى نفس العدد ـ مقالا لأحمد معبدبك تحت عنوان « الدستوريون والسعديون بعد مناورات استجواب المزرعة » يقول فيه معبد بك : لا شك ان هناك مناورات و « حركات » قام بها اصدقاؤنا السعديون أثناء نظر الاستجواب الخاص بصفقة المزرعة لم نكن ننتظرها منهم ، ويقول كاتب المقال ان التحول المفاجىء فى موقف السعديين كان بسبب تدخل النائب السعدى سليمان بك بدوى الذى كان أول من أثار فى مجلس النواب فى سبتمبر ١٩٣٨ موضوع مزرعة الجبل الأصفر لا للمصلحة العامة كما كان منتظرا ، بل لمصلحة خاصة به ، فقد أثبتت ـ هكذا جاء فى مقال أحمد معبد ـ دوسيهات وزارة الزراعة الخاصة ببيع ثمار المزرعة أنه شريك للفريق ، المناهض لمحمد زيدان ، ومزايد سابق فى صفقة المزرعة عدة سنوات و ·· و ·· وان سليمان بك بدوى قد اضطر عندما شعر بضعف مركزه بعد تقديم الاستجواب الى سحب استجوابه بعد أن اتفق مع حضرة النائب المحترم أحمد والى الجندى على السير فى الاستجواب !!

ويقول أحمد معبد بك ـ وهو فى نفس الوقت عضو فى مجلس النواب ـ انه كان قد اتفق مع عبد الجليل أبو سمره بك ، على التقدم باقتراح أملاه ابراهيم عبد الهادى بك كان نصه : بعد سماع المناقشات ، والمداولات وسماع بيان

الحكومة يقرر المجلس انه ليس هناك أى غبار على مسلك الوزارة ويقترح قفل باب المناقشة والانتقال الى « جدول الاعمال » وقد وقع على هذا الاقتراح ١٢٠ نائبا من مختلف الأحزاب ، ومن بينهم بعض الوفديين ثم فوجىء الجميع ، باقتراح آخر مقدم من ٢٠ نائبا سعديا يقترحون قفل باب المناقشة والانتقال الى « جدول الأعمال » وفرق كبير ـ هكذا يقول أحمد معبد بك فى مقاله ـ بين الاقتراحين •

ويمضى كاتب المقال قائلا انه سأل ابراهيم عبد الهادى عن السبب فى هذه الحركة المضادة فأحاله على معالى الدكتور ماهر فلما سألنا ـ هكذا يقول أحمد معبد ـ معالى الدكتور ماهر قال انه يرى الاكتفاء بالاقتراح المقدم من السعديين ، واننا اذا أصررنا على تقديم اقتراحنا فمعاليه ليس مسئولا •

ويقول كاتب المقال ، انه وعبد الجليل أبو سمره قابلا رفعة رئيس الحكومة. محمد محمود باشا ـ ورئيس حزب الأحرار فى نفس الوقت ، وتحدثا معه فى كل ما يتعلق بهذين الاقتراحين فاحالهما الى أحمد ماهر !!

ويقول كاتب المقال ان السعديين لم يستمعوا الى المناقشة التى جرت حول هذا الموضوع ، بل انهم انسحبوا بانتظام ! » •

ويرد ابراهيم عبد الهادى وأحمد والى الجندى فى العدد التالى من روزاليوسف على مقال أحمد معبد بك عضو مجلس ادارة حــزب الاحــرار الدستوريين ، أما ابراهيم عبد الهادى فيقول ان الموضوع بسيط جدا فلا مناورات ، ولا تيارات شديدة من هنا أو هناك ، كل ما فى الأمر ، ان اقتراح معبد بك وزملائه قد قدم بعد الاقتراح الذى سبق لبعض الأعضاء تقديمه ، وينفى ابراهيم عبد الهادى ان النواب السعديين قد انسحبوا من قاعة الجلسة ولو بدت حركة كهذه لما فاتت تقدير الصحفيين وهم بحمد الله يحصون كل صغيرة وكبيرة ويسجلون ما يجرى فى المجلس عن قصد ، وعن غير قصد ••

وكان رد أحمد والى الجندى ، عنيفا للغاية واذا كانت روزاليوسف قـد نشرته عملا بحرية النشر ، فقط حرية النشر ، كما قالت فأنا شخصيا لا أستطيع أبدا أن أعيد ما نشرته روزاليوسف ، ولو كانت عملية اعادة النشر هذه تتم بعد عشرات السنين من وقوع الجريمة •• جريمــة قلاف نائب فى حق نائب آخر •



وفى العدد التالى ـ ١٤ مايو ١٩٣٩ ـ تفتتح روزاليوسف صدرها لرد أحمد معبد بك على ابراهيم عبد الهادى ، وفى هذا الرد يقول معبد بك انـه سعيد بأن نكتشف ان ما حدث من السعديين أثناء نظر استجواب مزرعة الجبل الأصفر كان نتيجة لسوء تفاهم ، ويشير أحمد معبد الى أن الدكتور أحمد ماهر ، استدعاه وبعض زملائه مؤكدا لهم ان الائتلاف بين الاحرار الدستوريين والسعديين

بخير ٠٠ وانه ـ أى الدكتور أحمد ماهر ـ صديق لرشوان محفوظ باشا وانه يتشرف بتلك الصداقة ! وتنشر روزاليوسف ـ فى حوالى نصف صفحة ، رد أحمد معبد على أحمد والى الجندى ، ومرة أخرى لا أستطيع أبـــدا ، ان أعيد ما نشرته روز اليوسف عملا بحرية النشر ٠ لا خوفا من قانون العقوبات ، ولكن خوفا من أن أوذى مشاعر القراء !!

وكانت روز اليوسف قد نشرت فى عددها الصادر فى ٧ مايو ١٩٣٩ ان رشوان محفوظ باشا يعانى من أزمة نفسية هائلة وانه لم يعد يتحكم فى أعصابه ويسيطر عليها ، وانه لم يعد يثق بوعود محمد محمود باشا التى أصبحت كوعود هتلر فى المحافظة على السلام ، وان كل ما يطمع فيه رشوان محفوظ باشا ، أن يعود الى وزارة الزراعة ، ولو لمدة أسبوعين فقط ، خاصة وانه لا يقبل الاستمرار فى وزارة يشترك فيها محمد محمود والسعديون !

ويجتمع حزب الاحرار الدستوريين فى منتصف مايـــو ١٩٣٩ ويحضر الاجتماع أكثر من ستين عضوا من أعضاء مجلس الشيوخ ، والنواب بمن فيهم رشوان محفوظ باشا الذى يحضر لأول مرة اجتماعا لحزب الأحرار الدستوريين بعد خروجه من الوزارة ٠

وقيل أن أحمد عبد الغفار بك قد تحدث فى بداية الاجتماع عن خزينة الحزب وما أصابها من الهزال الذى كان نتيجة اعراض الأعضاء عنها ، وقد كان حديثه ـ كما قالت بعض الصحف ـ مؤثرا اســـتدر دموع الحاضرين وان لم يستدر نقودهم للأسف !

ويعرض الأعضاء لمسألة وزير الزراعة : ويقـــول بعضهم ان وجود هذا المنصب شاغرا طيلة هذه المدة يحمل على الظن بأن حزب الأحرار الدستوريين فقير فى الرجال ويصر بعض الأعضاء ، على ضرورة تعيين وزير للزراعة فى أقرب فرصة ٠

وهنا وقف أحد النواب وقال : الذى فهمته من رفعة رئيس الوزراء ، أن مسألة تعيين وزير للزراعة ليست من اختصاص مجلس النواب ، ولا من اختصاص مجلس الوزراء وانما أصبح التعيين من اختصاص الملك وحده ٠

ونكتفى بالحديث عن أزمة واحدة هى أزمة مزرعة الجبل الأصفر لننتقل الى الحديث عن أكبر مفجر للأزمات فى تلك الأيام ، ونعنى به الفريق عزيز على المصرى باشا ٠

الفصل الثانى

عزيز المصرى باشا مفجر الأزمات

لم يكن رشوان محفوظ باشا ، وحده خميرة العكننة بالنسبة لوزارة محمد محمود باشا بل لقد وجدت الى جانبه خميرة عكننة أخرى اسمها عزيز على المصرى .

وعزيز على المصرى لم يكن وقتئذ وزيرا ، وانما كان مفتشا عاما للجيش المصرى ، وقد قام عزيز على المصرى بزيارة مفاجئة الى العراق وأثارت رحلته الى العراق ضجة كبيرة وبادرت بعض الصحف بسؤال بعض المصادر المسئولة فى الوزارة عن رأيهـا فى رحلة عزيز على المصرى الى العراق ، فأجابت تلك المصادر بأنها لا تعرف شيئا عن تلك الرحلة ، وعندما سئل عزيز على المصرى عن رحلته المفاجئة الى العراق قال :

لقد أمضيت العامين الأخيرين فى مصر ، دون أن أزاول عملا ما ، أو أعرف لنفسى مكتبا بل لبثت طوال هذين العامين ملتزما بيتى لا أباشر من مهام وظيفتى قليلا ولا كثيرا ، لذلك فكرت فى السفر الى العراق لمجرد النزهة فقط ، ولزيارة زملاء لى فيه قدماء ! جمعتنى بهم سابق خدمتنا فى الجيش العثمانى ، أمثال نورى السعيد باشا ، وطه الهاشمى باشا ، وجودت بك ، وغيرهم من رجال الحكومة العراقية .

وعندما سئل عزيز المصرى عما اذا كان قد حصل على ترخيص بالسفر من وزارة الدفاع أجاب طبعا فقد طلبت كتابة الى معالى وزير الدفاع الترخيص لى بذلك ولم أعد معدات سفرى ، الا بعد ورود الترخيص الكتابى بهذا السفر .

ويسأل عزيز المصرى عن أسباب عدم مباشرته أعباء وظيفته كمفتش عام للجيش المصرى كل هذه المدة ، فيجيب بقوله :

لا أدرى ، والذى يسأل عن ذلك هم ولاة الأمور . وكل ما أعرفه أنى قابلت وزير الدفاع الحالى عقب تعيينه لتهنئته . ولم تستغرق هذه المقابلة غير دقائق ، كنت أنتظر أن تثار فيها مسألتى ، أو أن يحدد لى موعد لمقابلة أخرى للتفاهم ، على هذه المشكلة ، ولكن لم يحدث !

وفى الفيللا ، الخاصة بعزيز على المصرى — فى ضاحية عين شمس — راح عزيز على المصرى يتحدث باستمرار الى كل من يقابله عن زيارته للعراق . وكان من بين ما قاله : أليس عجيبا أن تهتم الصحف بنزهة أقوم بهـــا الى العراق لا تستغرق سوى بضعة أيام ، دون أن تهتم بالعطلة البعيـــدة المدى ، التى منحتنى اياها الحكومتان الأخريان والتى تجاوزت سنتين ، وأنا مفتش عام الجيش المصرى وأتقاضى مرتبا عن هذه الوظيفة ومرتبى مدرج فى ميزانيـــة وزارة الحربية ؟! .

الى أن يقول عزيز المصرى :

اننى دهش حقا حيث تقوم قيامة الصحف من أجل غيابى بضعة أيام ، ثم تغمض العين عن تلك الأجازة القهرية ، التى أتمتع بها بالرغم عنى . ثم يقول : اننى متعطل عن العمل ، وقد حيل بينى وبين اختصاصات منصبى ، ولعل من المضحك أنه ليس لى فى وزارة الحربية مكتب خاص أو حجرة خاصة ، أو عامة فى الوقت الذى يتمتع فيه أصغر مرءوس لى — بحكم منصبى — بالمكتب والحجرة .

وعندما يسأل عزيز المصرى مرة أخرى عن أسباب الرحلة ، التى قام بها الى العراق يقول :

عندنا مثل قديم يقول : الفاضى يعمل قاضى ، وبما أننى فاضى حقا فقد طبقت المثل بحذافيره ، وعملت قاضى ، ولكن فى العراق لا فى مصر ! .

ويذيع عزيز على المصرى ، السر الحقيقى وراء زيارته للعراق ، فيقول :

بعض ولاة الأمور فى العراق ، وهم من أصدقائى الأوفياء ومن زملائى الذين اشتركوا معى فى كثير من المواقع الحربية دبروا فيما بينهم مؤامرة صغيرة لكى أزورهم وأستمتع بوجودى بينهم ردحا من الزمن فزعموا أن هناك اختلافا بينهم وأنهم ارتضونى حكما ولم يسعنى الا أن أكون عند حسن ظنهم ، وسافرت الى هناك ، وكانت رحلة ممتعة ، وكانوا يحتلون أسمى المراكز ، وأخطرها فى الدولة العراقية .

وكانت القنبلة التى ألقاها عزيز على المصرى المفتش العام للجيش المصرى من القنابل الهامة والخطيرة التى تعود أن يلقيها بين آونة وأخرى ، ولم تنفجر

تلك القنبلة فى المعسكر الوزارى حيث يعتبر عزيز على المصرى موظفا كبيرا من موظفى وزارة الدفاع المصرية ، وانما انفجرت فى الرأى العام المصرى الذى فوجىء ، لأول مرة ، بأن المفتش العام . للجيش المصرى الذى كان منصبه هذا من أهم المناصب ، التى تمخضت عنها معاهدة ١٩٣٦ ، لا يجد عملا يقوم به ، بل لا يجد مكتبا ، يجلس عليه ! ٠



وعزيز على المصرى من الشخصيات العسكرية النادرة ، التى فرضت ارادتها على التاريخ العربى : عزيز على المصرى ثائر ، بطبعه ، ثائر على كل شىء وعلى الكثير من الناس كما يتضح من تلك الصورة التى رسمتها له صحيفة السياسة الأسبوعية ٠

● ومن المقالات الجميلة ، التى تناولت حياة عزيز على المصرى ما نشرته ، عنه السياسة الاسبوعية فى عددها الصادر فى ٢٠ مارس ١٩٣٧ تحت عنوان : « فى المرآة » قالت السياسة : « يذكر الذين سمعوا مارش عايدة قوة أثره فى النفس ، حتى ليحركها الى الحرب ، ويدفع صاحبها الى الاقدام على المغامرة فرحا بها ، ناسيا كل ما ربما يكون من آثارها ، والحق ، أن هذا اللحن كغيره من ألحان الثورة والحرب وفى مقدمتها ، المارسيليز يذرنا فى حالة نفسية غير ما ألفنا ٠٠ انى لأسائل نفسى ماذا يكون شأننا لو أننا سمعنا هذه الألحان ، كل يوم صبح مساء ، وأى طابع تطبع به روحنا ؟ وقد حرت فى الجواب على ذلك زمنا ، أما اليوم فلا حيرة ولا تردد فى الجواب وهو محسوس أمامى أراه كما أراك وأتحدث اليه كما أتحدث اليك ، هذا الجواب هو عزيز على المصرى باشا : نعم فهذا الرجل لحن حربى : هو مارش عايدة وهو المارسيليز وهو ما شئت من هذه الألحان التى تتحرك الجيوش لسماعها ، وتسير على نغماتها ، مأخوذة بها وقد ارتسم أمامها ما تصوره هذه الألحان من صور المجد والفخار والظفر ٠٠ هو كذلك ، فى روحه وفى تفكيره ، وفى اعتدال قامته اعتدالا مستويا ، لم تغير منه الحوادث ولا السنون ، وهو كذلك فى ايمانه ، الذى لا يتزعزع ، وفى ثقته بالله وبنفسه وفى مواجهته الحياة ، وأوصابها ، وفى حكمه على الأشخاص والحوادث حكما قاطعا لا تردد فيه حتى لكأنه مجلس عسكرى أو أمر قائد يصدره ، الى جيشه كيما يتحرك لمواجهة العدو » ٠

وبعد أن تشير السياسة الاسبوعية الى مشاركة عزيز على المصرى فى الدفاع عن طرابلس ، وبرقة حيث كان على رأس فريق من القوات التركية وكان معه ، أنور باشا ، وكمال أتاتورك ، وحيث كان المصريون يرددون اسمه مقرونا

بالفخار ، أن يكون لمصر هذا الحظ فى الدفاع عن بلد اسـلامى ضد الغزو « الاوربى » كما تشير الى مشاركة عزيز على المصرى فى الثورة العربيـة فى الحرب العالمية الأولى واختلافه مع القائمين بأمر تلك الثورة ثم تشير الى عودته ، الى تركيا وألمانيا ثم عودته ، بعد أن انتهت تلك الحرب الى وطنه حيث أقام به ولم يكن ماضيه شفيعا له أول عودته لدى الحكومة المصرية ، وعلاقتها بالانجليز ، وعلاقة الانجليز بها ما نعرف اذ كان عزيز فى الحرب العالمية الاولى واقفا فى صف الأعداء ، لصاحب الجلالة البريطانية ، وتشير السياسة الى الاصرار على ابعاد عزيز على المصرى عن الجيش الأكبر ثم تعيينه مديرا ، لمدرسة البوليس ليتولى تنشئة الجيش الأصغر ، والى أنه جعل مدرسة البوليس مدرسة الرجولية والفروسية ، الى أن اختير لمرافقة « الأمير » فاروق فى دراساته بانجلترا وعودته من انجلترا ليجد منصبه فى مدرسة البوليس قد تولاه غيره ، وليجد نفسه فى وظيفة فى وزارة الداخلية لا يدرى ما هى ولا يدرى كيف ينفع ، أو ينتفع فيها بمواهبه .

وتستمر السياسة الاسبوعية فى مقالها عن عزيز المصرى قائلة : لم يكن عزيز على المصرى أكثر استقرارا اذن فى وطنه مما كان محاربا نائيا عن أرض الوطن فمن مدة الغربة ، الى مدرسة البوليس ، الى مرافقة أمير الصعيد ، الى مقر مجهول فى وزارة الداخلية ، كما كان يتنقل من ملاجىء العصابات بمقدونيا الى طرابلس فالى بلاد العرب فالى تركيا ، وألمانيا وهو وفى حالة تجواله من ربع فى الأرض ، الى ربع ، وتنقله من منصب فى الدولة الى منصب ، ينظر بعين القائد الذى يذرع الميادين أمامه ، فتترامى الميادين ويطوى بعضها بعضا ، لأن الغاية لا تحول دون تراميها طيا ، ونشرا ودون استقرارها الى حال من الظفر أو الهزيمة ، كان شعوره شعور القائد المحارب لا يبطره الظفر ، ولا تحطمه الهزيمة بل يرى فيما يقع من هذا وذاك موعظة وعبرة لا يغير الظفر من رأيه فى خطأ وقع لأن الحظ أراد الظفر ولا تغير الهزيمة من رأيه فى بطولة بطل كان جديرا بأن ينتظر فخانه الحظ ، ورده الى التراجع والانحدار ، فالنجاح الذى يصفق له الجمهور أيا كان سببه لا يفرح به القائد ، المحنك الا أن يكون عن مقدرة تشهد بها الأعمال ، وكل ظفر أتى بغير اقتدار هو فى رأيه حجة لاجىء اليها اللئام وقيمة الرجل الحقة فى نظر هذا القائد هى أداؤه الواجب فى كل الأحوال كائنة ما تكون الظروف ، المحيطة به وكائنة ما تكون النتيجة التى يؤدى اليها قيامه بالواجب وانما يحاسب المرء عن نيته ، وعمله ، لا على النتائج التى يجنيها من وراء هذا العمل فكثيرا ما أدرك الأنذال أبعد الغايات ونالوا بهـذا النجاح احترام السواد ، وكثيرا ما قلب الحظ لكبار المصلحين ظهر المجن فانقلب السواد عليهم ، وطاح برءوس جماعة منهم ، مع ذلك بقى الأنذال أنذالا وكتب كبار المصلحين فى لوح البقاء .

الفريق حسين رفقى باشا وزير الحربيــة حيث قابله بدوره بمناسبة تعيينه فى منصبه الجديد ، وقد ظل عزيز المصرى فى هذا المنصب ، ولو بصورة غير عملية حتى ١٩٣٩/٨/٢٠ حيث اختاره على ماهر باشا ــ عندما أسندت اليه الوزارة للمرة الثانية ــ رئيسا لأركان حرب الجيش المصرى خلفا ، للواء محمود شكرى باشا الذى أحيل الى المعاش • وفى اليوم التالى لتعيينـــه فى منصبه كرئيس لأركان حرب الجيش المصرى وبينما كان يقود سيارته بنفسه متجها من القاهرة الى الاسكندرية اصطدمت سيارته ، بسيارة نقل كبيرة ، وقد تحطمت سيارة عزيز المصرى ، وأصيب هو برضوض شديدة نقل بسببها الى المستشفى ، وفور الانتهاء من اسعافه استقل سيارته بنفسه الى الفندق ، الذى كان يقيم به فى رمل الاسكندرية ومن الفندق ، انتقل الى دار الوزارة ببولوكلى حيث قابل رفعة رئيس الوزارة الذى هنأه بنجاته ثم اشترك على الفور فى المباحثات التى كانت تدور حول شئون الدفاع عن مصر ! •

وقد كان عزيز على المصرى كمفتش عام للجيش المصرى ، خميرة عكننة بالنسبة للسياسيين والعسكريين البريطانيين فى مصر ، كما كان أيضا خميرة عكننة بالنسبة لوزير الحربية ، الذى يتعامل معه ، أيا كان هذا الوزير فقد كان أسلوب عزيز المصرى أسلوبا خشنا للغاية ، صريحا الى أبعد الحدود حتى ان أحد وزراء الحربية اعتكف فى بيته مصرا ، على ألا يبـــاشر عزيز المصرى سلطاته فى الجيش وأعلن أنه لن يذهب الى مكتبه فى الوزارة ، الا اذا أبقى عزيز المصرى فى بيته • ومرة كما روى لى اللواء السابق سعيد الألفى الذى كان على صلة وثيقة للغاية بعزيز المصرى ــ سأله أحد الوزراء عما يمكن عمله ، لحل مشكلة ما ، وكان الوزير غير متخصص فى شئون وزارته ، فقال له عزيز المصرى : ليست العبرة بابداء الآراء وعرضها بل العبرة بطريقة التنفيذ : قم من مكانك ، وأنا أنفذ ما أراه • اما أن أبدى لك برأى لا تعرف كيف تقدره فلن تكون أبدا قادرا على تنفيــذ ذلك الرأى أنت تجهـــل كل شىء والجاهل لا يستطيع تحقيق شىء ما ! ومرة أخرى أوفد لزيارة بعض المحافظات النائية وعاد بعد بضعة أسابيع ليقدم تقريرا لوزير الحربية وضمن تقريره كل ما يطلبه للضباط من علاوات وترقيات وكل ما يحتاج اليه الجيش فى تلك المحافظــات من أموال ولم يتطرق ــ فى تقريره ــ الى أية مسألة عسكرية ، فلما سأله حسن صبرى باشا وزير الحربية عن السبب فى خلو تقريره من المسائل العســكرية البحتة ، قال له : لأنك رجل غير عسكرى ، لم تدخل ــ مثلا ــ كلية الأركان وبالتالى فأنت لا تفهم شيئا فى الشئون العسكرية !

وقد كان فى مقدمة الأسباب التى أدت الى الحيلولة بين عزيز على المصرى ، وبين أداء واجبه كمفتش عام للجيش المصرى ، انه ولما يمض شهر واحد ،

على صدور الأمر الملكى بتعيينه فى هذا المنصب الهام والخطير ، انتهز فرصة اجتماع عقده خريجو مدرسة البوليس والادارة للاحتفال بمديرهم السابق بمناسبة تعيينه مفتشا عاما للجيش المصرى فألقى خطابا ناريا بدأه بالاشارة الى الامتعاض والوجوم ، الذى قوبل به تعيينه مديرا لمدرسة البوليس من قبل ضباط البوليس العظام والى خيبة الأمل ، التى قوبل بها هذا التعيين أيضا من قبل القانونيين ، الذين كانوا يعتبرون هذا المنصب حقا لهم لأن القانون هو الأساس الأول للدراسة البوليسية ، فقال الأولون : كيف يسند منصب كهذا لرجل جاهل بالنظم المصرية لا يدرك من وظائف البوليس شيئا ، وقال الآخرون كيف يجلس على رأس هذا المعهد رجل عسكرى ، جاهل بعيد عن كل نواحى الثقافة ، عدو للقانون ، بطبيعة مهنته ، وحتى زاد بعضهم على ذلك فقال اننى قاطع طريق وسفاك ! كما أشار الى تبدل آراء هؤلاء وهؤلاء بعد أن قام بتطوير مدرسة البوليس •

ثم قال : والآن نرى المأساة تتكرر فمن قائل أن المفتش العام للجيش المصرى تدرب فى جيش أجنبى ، ولا علم له بالنظم الانجليزية التى فضلناها نحن والتى تحتمها المعاهدة ومن قائل ، انه لم يندرج فى الجيش المصرى حتى يتمكن من قيادته ، وهذا أخف وألطف مما قيل ، ويقال •

وبما أنى لم أتسلم زمام القيادة التى بدونها لا أتمكن من العمل ، رجحت مراعاة للظروف أن أمتنع عن الذهاب الى الوزارة ، الى أن يقضى الله أمره ••

وفى خطابه الخطير هذا قال عزيز على المصرى : ان الجيش ليس معناه السلاح ، والمعدات فقط ، ولكن هناك عوامل أخرى قد تكون أدق ، كثيرا وأنه ان كانت الأسلحة ، والعربات المصفحة فقط هى الجيش لكانت أدوات الجراحة هى كل شىء فى الطب ، ولما كانت الناس تهرع الى كبار الجراحين ، الى أن يقول : لقد قوبل تعيينى فى منصبى هذا بوجهين مختلفين : فالنزيهون المخلصون وهم أكثرية هذا الشعب بحمد الله ينضمون للرأى العام ، ويرحبون بهذا الأمر ، بل أظن أنهم هم الذين أرادوا أن أقوم أنا باصلاح الجيش وقيادته لأنهم يعتقدون ـ صوابا أو خطأ ـ انى لا أقبل عملا ، الا اذا كنت قادرا على فهمه وانجازه •• والآخرون وأريد أن أسميهم مادام موضوعنا الجيش ـ حملة الألغام المهلكة فى طريق كل مصلح يظهر فى هذه البلاد ـ فهم فى حزن شديد لهذا التعيين أو لهذا الانتخاب ، بمعنى أدق ، وبعض هؤلاء ، قد تطوعوا للأذى •

ويقول عزيز على المصرى كأنى أرى جيوش النور زاحفة على هذه الطبقة فى معسكرها المظلم وكأنى أرى طلائعها مؤلفة من جيل جديد ، لشباب مثقف واع ،

متطلع إلى الأمام • ويخاطب عزيز المصرى ـ فبراير ١٩٣٨ ـ طلائع الجيش المصرى والبوليس المصرى وشباب الجامعة ـ وكانت تلك المخاطبة الصريحة الواضحة أول مخاطبة من نوعها بعد ثورة عرابى « ١٨٨٢ » ـ يخاطب عزيز المصرى كل هؤلاء ، بقوله : كونوا النواة المفكرة فى مستقبل الجيش والوطن تآخوا فيما بينكم ، تعرفوا بكل أنواع الكتب ، ولتكن أحاديثكم مناقشة ما فى محتويات تلك الكتب : الكتاب والسيف هما الرمزان اللذان يجب أن ينقشا على راية الرقى ، ولا تتباهوا على القدامى منكم فان خير ميراث يجب علينا حفظه فى الشرق هو هذا التواضع النبيل أمام الشيوخ طيبى القلب •• » ويقول عزيز المصرى : لا يمكنكم ادراك مدى سعادتى وسرورى اذ أراكم تجروننى اليكم وتجبروننى على أن أتحدث اليكم كما كان ولدى وهو صغير يجبرنى على أن أقص عليه شيئا ! والشمس فى الصباح تفرح ، اذ ترى الشمس فى الضحى فيظن الشيخ أنه أصبح شابا وكم تبعد الحقيقة عن هـذا ولكن كل القوى الطبيعية جميلة وما أجملها اذا اجتمعت كما نحن مجتمعون اليوم) • ويختتم عزيز المصرى خطابه النارى بقوله : تأملوا صفحات التاريخ ستجدون انه ما من رجعية عاكست الزمن الا وانتهى أمرها بالهزيمة لأن نظام الله يقضى بالحركة الدائمة فى سبيل التجدد والرقى فالوقفة المعادية لهذا التقدم المندفع ، بقوة الطبيعة ، نصيبها التدحرج فى الهاوية وان مصر التى منحتى الله الحياة على يديها مرتين ، مرة عند مولدى وأخرى اذ أنقذتنى من شرك صديقى وعدوى أنور ـ رحمه الله ـ وكان قد حكم بالاعدام على عزيز المصرى قبل الحرب العالمية الاولى من قبل القادة الأتراك فى مؤامرة دبروها ضده وقامت مصر على بكرة أبيها تثير الرأى العام العربى ، والرأى العام الاسلامى ، بل والرأى العام العـالمى ضد هـذا الحكم الجائر الى أن أجبرت تركيا على الغـائه ـ مصر التى قابلتنى عند عودتى اليها عقب تصريح ٢٨ فبراير بمظاهرة بريئة مرحبة بشخصى منذ أن نزلت من الباخرة • مصر ، التى رحب بى رأيها العام عند اسناد رئاسة مدرسة البوليس الى ، والذى عاد اليوم يبتسم وابتسامته أشبه ما تكون بابتسامة أم فرحة • مطمئنة الى ولدها • مصر هذه لها الحق ، أن تأمرنى ، بأن أقضى بقية حياتى ساهرا على حدودها ، مع جيش من بنيها قادر على صد المكاره عنها لتعمل هادئة لعودتها الى زعامة المدنية ونفع الانسانية ! » •

ولست أريد أن أعتذر عن الاطالة فى الحديث عن تلك الخطبة النارية التى ألقاها عزيز المصرى والتى لم تشر اليها الصحف الصادرة وقتئذ الا من خلال سطور قليلة ، فاعتقادى الراسخ أن هذه الخطبـة كانت من أخطر الخطب التى ألقيت فى تلك الفترة والتى أثرت فى كثير من الضباط الشبان الذين استمعوا اليها وكانوا فيما بعد طليعة الضباط الأحرار ، وكانت الخطبة قد ألقيت فى فندق هليوبوليس بالاس فى٢٥ فبراير ١٩٣٨ وكانت المرة الأولى منذ زمن

طويل – التى يستمع فيها لضباط الشبان وبعض شباب الجامعة – الى مثل هذا الحديث الثائر من زعيم ثائر ٠

وكان في مقدمة الذين تحدثوا فى تلك الحفلة الأستاذ عبد الله شعيب والملازم أول لبيب تومى ، والملازم أول عبد الهادى محمود والملازم ثان يوسف غراب والملازم أول يوسف القفاص والاستاذ عبد الحميد متولى أستاذ القانون بمدرسة البوليس ٠

والجدير بالذكر أن حسين رفقى باشا وزير الحربية رفض أن يشير الى الآثار ، التى « خلفتها » خطبة عزيز المصرى الا بقوله : ان عزيز المصرى ، كضابط عسكرى كبير مسئول عما يقوله : وعن تحديد اختصاصات المفتش العام للجيش المصرى : قال حسين رفقى باشا ، ان تعديل هذه الاختصاصات ، أو تحديدها لا يكون الا بقانون خاص ، وهذا من أعمال رئيس الحكومة وهيئة مجلس الوزراء ٠٠

وعن أسباب انقطاع عزيز المصرى عن مباشرة أعمال منصبه قال وزير الحربية : اننى لا أعلم شيئا رسميا عنها ٠

وقال مصدر رسمى رفض أن يذكر اسمه : ان عزيز المصرى يريد أن تكون له اختصاصات الفريق سبنكس باشا مفتش الجيش السابق ولكن فات سعادته ، ان المفتش السابق كان يباشر فوق اختصاصاته العادية سلطة سردار الجيش المصرى بعد مقتل السير لى ستاك باشا سردار الجيش المصرى الذى بقى منصبه – اثر اغتياله – شاغرا ولم يشأ المصدر الرسمى الكبير فى وزارة الحربية أن يرد على السؤال الذى كان مطروحا بشدة فى كل الأوساط السياسية والعسكرية : لماذا بقى عزيز المصرى المفتش العام للجيش المصرى عشرين شهرا بدون رتبة عسكرية رغم محاولات ثلاثة من وزراء الحربية اعطاءه تلك الرتبة لأن رتبة لواء ، التى كان يحملها عزيز المصرى وقتئذ كانت من البوليس لا من الجيش ٠

● كان اللواء « عزيز على المصرى » المفتش العام للجيش المصرى قد دخل معركة عنيفة مع وزارة محمد محمود باشا ، بصفة عامة ووزير حربيتها بصفة خاصة لأنه لم يكن له فى وزارة الحربية مكتب خاص يمكن أن يتواجد فيه بالرغم من أن كثيرين ممن يتبعونه – على الورق – كانت لهم مكاتبهم الخاصة الفخمة ، الضخمة ، المليئة بالسكرتارية والمعاونين ، والحرس و ٠٠ و ٠

وعزيز على المصرى من الشخصيات التاريخية التى يجب أن يتناولها الكتاب والمؤرخون بالدراسة ، وقد شغلت نفسى فترة طويلة بدراسة شخصية عزيز على المصرى ، وتتبعت تاريخه لا فى مصر وحدها بل فى سورية ، والاردن ، والعراق ، كما راسلت الكثير من الشخصيات التى كان لها علاقة بعزيز على المصرى مثل الاستاذ عجاج نويهض فى لبنان ، والاستاذ مجيد خدورى فى الولايات المتحدة الأمريكية واللواء الركن ابراهيم الراوى ، فى العراق • ثم شغلتنى الظروف عن الانتهاء من اعداد هذه الدراسة التى أعتقد أنها ستكون جديدة عن عزيز على المصرى ، داعية الوحدة العربية ، مقاتل الاستعمار البريطانى ، والتركى والعثمانى ، الثائر الذى لم تهدأ ثورته حتى بعد أن تجاوز الثمانين من عمره ، المغامر الذى لم يكف أبدا عن المغامرة وهو موظف ، وهو خارج دنيا الوظيفة •• والرائد ، الذى كان يحرص على أن تكون له بصماته فى كثير من مجالات الحياة العامة •

كان عزيز المصرى قد تصور أن يد بريطانيا قد رفعت عن مصر فى أعقاب توقيع معاهدة ١٩٣٦ ، وأن الفرصة قد واتته ، ليحقق الكثير من أحلامه ، وآماله فى اعادة تنظيم الجيش المصرى ، على أسس جوهرية تهتم بالمضمون ولا تهتم بالمظهر ، غير أنه سرعان ما تأكد له أن يد بريطانيا لا تزال باقية فى كثير من الأمور ، بعد معاهدة ١٩٣٦ ، كما كانت تماما ، بل وأكثر قبل معاهدة ١٩٣٦ ، ولكنه الثائر الذى لا يهدأ ، والمغامر الذى لم تمت فيه أبدا روح المغامرة ، آثر أن يكشف أداة الحكم المصرى التى كانت لا تزال خاضعة للتأثير البريطانى ، وأن يريح ضميره ويحيط الرأى العام الذى كان يحترمه باستمرار بموقف أداة الحكم منه ، وموقفه من تلك الأداة • ولم يكن ـ كعادته ـ يكف عن مصارحة الرسميين الكبار بما تعتلج به نفسه من آراء •

قال ذات مرة ، لعلى ماهر باشا ،وكان رئيسا للوزارة ، وتربطه به صلات قوية ووثيقة : انس يا باشا أننى رجل عسكرى ، واسمح لى أن أمارس مهنة أخرى ، غير العسكرية : اسمح لى أن أقوم بتدريس التاريخ لأبناء بلدى فدراسة التاريخ هى الكتاب الأول فى الوطنية الحقة ، والمعلم الأول فى الوطنية ، لشعب لا يعرف تاريخه المجيد ، ولا يعرف المسىء اليه من المحسن ، لكم أود حقيقة أن أدرس التاريخ فى كل مكان فى مصر ، لكل المصريين على حد سواء ، ولكن ما الذى يتيح لى هذه الفرصة ويمكننى من أداء هذا الواجب •

وعندما التقى أنور السادات ـ وكان وقتئذ ضابطا شابا ـ بعزيز المصرى فى عيادة الدكتور ابراهيم حسن ـ بناء على ترتيب سابق ـ من الشيخ حسن البنا قال عزيز المصرى لأنور السادات :

عيب هذا البلد ، انه ضعيف وانه لا يجد العناصر التى تغذيه بالقوة •

ويسأله أنور السادات : وكيف نأتى بهذه القوة ؟ ٠

قال عزيز المصرى : أنتم شباب الجيش ٠ ماذا تنتظرون ؟ ومتى تعرفون مسئوليتكم الحقيقية ، ومتى تبدأون فى الاضطلاع بها ؟ ٠

ويسأل أنور السادات عزيز المصرى :

وهل تظن أننا فى داخل الأوضاع القائمة نستطيع اليوم شيئا ؟ ٠

ويجيب عزيز المصرى وقد انتفض ـ كما يقول أنور السادات ـ

تستطيعون كل شىء ، وغيركم لا يستطيع شيئا ٠ ماذا تستطيعون ؟ تنتظرون توجيها منى ، من لواءاتكم ، من حكام البلاد ، كلام فارغ ٠

وينظر عزيز المصرى الى أنور السادات ثم يقول :

لقد كان نابليون فى السابعة والعشرين من عمره ، كان مثلك ، هكذا شابا صغيرا ، ولكنه استطاع أن يكون فى تلك السن المبكرة نابليون القائد ، واستطاع أن يقود بلاده ، وجيشه ، ولم يكن يتلقى توجيها من أحد ٠

وبعد لحظات قال عزيز المصرى فى عمق :

التوجيه الوحيد ، الذى كان نابليون يستلهمه فى كل خطواته ٠٠ هو الايمان ، الايمان الذى كان ينبعث من نفسه ٠ فابحثوا عن الايمان ، ولا تعتمدوا أبدا على أحد ، الا على أنفسكم ٠

ويقول أنور السادات : وكان لكلمة الايمان فى نفسى رنين عميق ، فقد كنت أنا أيضا أبحث عن الايمان وأومن فى الوقت نفسه بأنه المخرج الوحيد لنا من الحيرة التى كان المصريون جميعا يعيشون فيها ، فلا يكادون يقدمون ، حتى يحجموا ، تيئسهم الحسرات وتزعجهم المخاوف ٠

وبرغم هذا فقد قلت له :

فقد عشت أنت مؤمنا بهدفك ، وعشت لا تعتمد على أحد وتغلبت عليك مع ذلك هذه القوى ، ونحن نريد أن نعمل ٠

ويقاطعنى ـ هكذا يقول أنور السادات ـ

اعملوا وحدكم ، واعتمدوا على شبابكم ، وايمانكم ، والذى يستطيع أن يقصى عزيز المصرى عن توجيه الملك ، والذى يستطيع أن يقصيه عن توجيه الجيش ، لا يستطيع أن يقصى شباب الجيش عنه ٠

ويقول أنور السادات عن لقائه هذا بعزيز المصرى :

كان الرجل يتكلم بانفعال شديد ، حتى كاد يغلبنى البكاء ، ولكنه عاد الى طبيعته الواثقة وقال لى :

ان كان معك خمسة أفراد مؤمنين فانى على استعداد اليوم أن أحمل طبنجتى وأتقدمكم لأى عمل لانقاذ البلد ٠

وعندما هم أنور السادات بالانصراف شعر عزيز المصرى بالمسئولية التى وضعها فوق كتفه فقال مؤكدا : لن يكون خلاص للبلد الا بانقلاب ، على أيدى العسكريين ٠

ويكمل أنور السادات قصة لقائه الأول بعزيز المصرى قائلا :

نظر فى عينى طويلا وأنا أصافحه ، ولم يقل بعد ذلك شيئا ، ولكننى عندما خرجت من عنده كانت رسالتنا قد تحددت لهدف بعيد ، نستطيع أن نراه بأعيننا وان كنا لا نتبين الطريق اليه ، وقد كان عزيز على المصرى رغم القيود المفروضة عليه ، ورغم عدم السماح له بمباشرة عمله ، كما ينبغى ، يحرص على أن يقوم ببعض الأعمال ، التى لم يكن أحد بقادر على منعه من القيام بها ، ويدلى ببعض التصريحات التى لم يكن أحد بقادر أن يحول بينه ، وبين الادلاء بها ٠

مرة ــ فى ١٤ يونيو ١٩٣٨ ــ زار الحدود الغربية ومعه القائمقام عبد العزيز بركات بك والصاغ محمود صبحى أفندى حيث استقبله أحمد أفندى عبد المنعم مفتش قسم السلوم « برانى » واليوزباشى محمد زكى محمود أفندى مأمور قسم برانى والموظفون والعمد ، والأعيان ، وقصد سعادته ومن معه ــ كما قالت الصحف وقتئذ ــ الى منزل المأمور حيث تناول طعام الغداء ، ثم غادر سيدى برانى قاصدا السلوم لزيارة الحدود الغربية ٠

ومرة ــ فى ١٢ أغسطس ١٩٣٨ ــ دعا الى بدء التدريب العسكرى فى المدارس حتى يصبح شباب مصر قادرا على المشاركة فى الدفاع عن مصر ، على أن تقدم وزارة الحربية المدربين وأدوات التدريب ، وتقدم وزارة التربية والتعليم ، الأماكن التى يتدرب فيها الطلاب ، ويقدم أولياء الأمور لأبنائهم الملابس العسكرية التى يحتاجون اليها فى عمليات التدريب تلك ٠

ومرة ثالثة نراه يقدم على زيارة المانيا ، فتقوم ثورة ضده من قبل البريطانيين فى مصر ، والتابعين لبريطانيا من المسئولين « الكبار » و « الصغار » ، ويحاول عزيز المصرى أن يوضح أمر هذه الزيارة فيقول انه زار ألمانيا ، كما زارها محمد طلعت حرب باشا ، كما زارها كثير من المصريين ، أنه ليس لهذه الزيارة أبدا أى معنى خاص ، فلقد زار تركيا قبل أن يزور ألمانيا ولكن الثورة لا تهدأ فيعرضون على عزيز المصرى منصب مدير سلاح الحدود ، ولكن عزيز المصرى يرفض هذا المنصب لأن المنصب لا يهمه فى كثير أو قليل ، وكل ما يهمه هو ما الذى يستطيع عمله فى هذا المنصب ٠

ونراهم يفكرون مرة أخرى فى الغاء منصب المفتش العام للجيش المصرى وتقوم مشكلة : ما الوظيفة الجديدة ، التى يمكن أن يقبل بهـــا عزيز المصرى خاصة وأن رئيس الوزراء محمد محمود باشا ، لا يريد أن يغضب عزيز المصرى بدرجة أكثر مما أغضبه به الآخرون من الوزراء والسياسيين ٠

وكانت العلاقات بين محمد محمود باشا وعزيز على المصرى مجمدة أو شبه مجمدة ، هذا بالرغم من أن محمد محمود باشا كان يتجنب باستمرار الاحتكاك بعزيز على المصرى ، وكان فى نفس الوقت ، يختلف معه فى أسلوبه العنيف وفى تسرعه وثورته وقدرته الفائقة على خلق الأزمات حتى تحول هو نفســه ـ عزيز المصرى باشا ـ الى أزمة ٠

الفصل الثالث

محمد محمود يخوض أعنف معركة ضد الأمراء والنبلاء

● وللتاريخ ، نقول أن محمد محمود باشا قد خاض فى تلك الأيام معركة من نوع خاص تختلف فى ميدانها وفى أسلحتها ، وفى أهدافها ، عن معاركه مع على ماهر ، والوفد ، والسراى ، والانجليز ، وقد كان موقف محمد محمود باشا ، فى هذه المعركة ، عنيدا الى أبعد حدود العناد ! عنيفا ، كما لم يعهد الناس فى رؤساء الوزارات الذين كان يفترض فيهم دائما ، الليونة والسهولة والدبلوماسية !

وقصة تلك المعركة ، باختصار شديد ، أن بعض المصريين من الأغنياء ، والموسرين ، وذوى الوجاهة السياسية والحزبية ٠٠ قد اعتقدوا أن مصر ، قد استقلت تماما ، وانها قد عادت الى أبنائها ، وانهم قد أصبحوا سادة فى أرضهم ، وديارهم ، ولكن الأيام أظهرت لهم أنهم كانوا فى اعتقادهم هذا من الواهمين : لقد كانت غالبية الأمراء ، والنبلاء ، ومن تجرى ـ ولو من بعيد جدا ـ الدماء الزرقاء فى أجسادهم ، يصرون على أنهم الأعلون دائما فى مصر ، وأن أحدا من أبناء المصريين حتى لو أصبح وزيرا ، أو رئيسا للوزراء لا يمكن أبدا أن يقترب من عتباتهم المقدسة ٠

كان هؤلاء يرون أنهم من طينة ، وبقية أبناء مصر من طينة أخرى ، يترفعون عن الحديث باللغة العربية ، لانها لغة الفلاحين المصريين ، المملوكين لهم ، ويفضلون عليها باستمرار اللغة الفرنسية ، لغة الصالونات وقتئذ ٠

لم تكن الأندية الأرستقراطية تسمح للمصريين بالدخول ، الى تلك الأندية وحتى اذا سمح لهم ، بعضويتها ، أو بدخولها ، كضيوف لم يكن من حقهم ، أن يدخلوا غرفا معينة ٠

وفى بعض الاندية الارستقراطية كان المصريون والمصريات يعاملون أسوأ معاملة وكانهم فى تلك الأندية طبقة منبوذة ٠ محتقرة ٠

وحدث ذات مرة ، أن أراد أحد أعضاء « كلوب محمد على » ــ أخطر تلك الأندية الاررستقراطية وأكثرها اعتدادا بالعنصرية التركية ــ الدخول فى احدى القاعات ، ليتناول العشاء فمنعه المترودوتيل ، من الدخول لان القاعة محجوزة لأحد هؤلاء السادة الكبار وثار العضو واتصل بمحمد محمود باشا ، رئيس الوزراء شاكيا ما حدث له من اهانة وكان رئيس الوزراء قد تلقى العديد من الشكاوى من بعض المصريين ، من أعضاء نادى الفروسية ، من سوء ما يلقونه من معاملة ٠

ويلقى محمد محمود بالقفاز فى وجه هؤلاء الأمراء ، ويقول كلمته الخالدة التى لا يزال كثير من المعاصرين يحفظونها عن ظهر قلب : « أنا فلاح وابن فلاح ، وهذه مصر ، للفلاحين من أبنائها ، ومن لا يريد أن يعيش فى مصر الفلاحين ، فليغادرها الى حيث يريد » ٠

ويتبادل محمد محمود باشا ، والنبيل عمرو ابراهيم ، الذى كان يرأس بعض تلك الأندية الارستقراطية اللكمات ، والطعنات علنا ، وعلى رءوس الأشهاد ٠٠ ولم يكن من المألوف بل ولا من المتصور ، حتى مجرد التصور ، أن يهاجم رئيس الوزراء ، الأمراء ، والنبلاء من أعضاء الأسرة المالكة والحاكمة ، بمثل تلك الصورة القاسية والعنيفة ، ولكن محمد محمود باشا ابن محمود سليمان باشا المصرى ، العريق فى مصريته ، أبى أن يهان مصريون فى بلدهم مصر !

وكما هى العادة ، انقسم الرأى العام ٠٠ ما بين مؤيد لرئيس الوزارة المصرية فى هجومه ، على الأمراء والنبلاء والمتمضرين من ذوى الدماء الزرقاء ، التركية والألبانية ، وما بين معارض له ، وكانت حجة معارضى محمد محمود باشا فى موقفه العنيف العنيد هذا ، أنه قد أعطى المسألة ــ مسألة قفل احدى القاعات فى وجه أحد أعضاء نادى محمد على ، ومسألة اهانة بعض المصريين والمصريات فى نادى الفروسية ــ أكثر مما يجب ، وانه كان يجب عليه كرئيس للوزراء ، أن يكون حكيما فيما شجر بين بعض المصريين من خلاف أو اختلاف ، كما أن بعض معارضى محمد محمود باشا ، فى هجمته المضربة تلك ، انتهزوها فرصة ، للنيل من مكانة محمد محمود باشا عند « الملك » الذى يعتبر نفسه رئيس الأسرة المالكة وعميدها ، والذى يجب عليه بدوره أن يثور لتلك السابقة الخطيرة الخاصة بمهاجمة الأمراء ، والنبلاء علنا ٠

وقد رأى البعض أنه بعد أن دخل محمد محمود باشا ، المعركة بتلك الدرجة من العنف والعناد لابد أن تقف المعركة عند هذا الحد ، ويتم الاتصال ، بمحمد محمود باشا ، وبالنبيل عمرو ابراهيم الذى لم يتأخر عن أن يكون المتحدث الرسمى باسم الأمراء ، والنبلاء ، والمدافع عن حقوقهم من أجل الصلح٠٠على أن يصدر عمرو ابراهيم بيانا مسالما يوضح فيه أن أحدا لم يكن يقصد اهانة الأعضاء المصريين ، لا فى كلوب محمد على ولا فى غيره من الأندية ٠

ومن الأمور ، التى أخذها البعض على مجلة « المصور » أنها وقفت ضد محمد محمود باشا ، ووجهت اليه اللوم لانه ، أقحم نفسه كرئيس للوزراء ، فى مسألة لا تستحق مثل هذه الضجة ٠

وينشر المصور من بين ما ينشره عن هذا الموضوع ، فى عدده الصادر فى ٢٦ مايو ١٩٣٩ ـ رسالة من سيدة مصرية حول ما حدث فى نادى الفروسية ، ولكن المصور يكتب بعض السطور كمقدمة لتلك الرسالة ، يقول فيها :

« وصل الينا هذا الخطاب مع مخصوص من سيدة مصرية فنشرناه عملا بحرية النشر ولكننا حذفنا منه بعض ما لا يجب أن يعرفه رجل عظيم كمحمد محمود باشا ، مكتفين بلفت نظر رفعته الى أنه من المستحسن أن يبتعد رفعته ، بشخصيته المحصنة ، عن النوادى ، وخفايا الأركان فلهذه الاثارة أسباب ذكرتها السيدة المصرية « الفلاحة » وحذفناها وظلمنا الواقع بحذفها اكراما للكثيرين ٠

أما رسالة هذه السيدة التى قال « المصور » أنها « لفلاحة » مصرية قد جاء فيهـــا :

سيدى رئيس الوزراء :

دهشت جدا حين قرأت نبأ ثورة رفعتكم الجديدة على ما تسميه المجلات والجرائد التى نشرت عنكم ما نشرت نظام الطبقات والتفرقة بين « التركيــة » والمصرية وتساءلت « مذهــولا » من أى تاريخ بدأت هــذه التفرقة بين المصريين والأتراك ، هل ساءلتم رفعتكم مخبركم بالتفاصيل عن تاريخ هذه الفترة الجديدة وعن الأسباب ! أقسم أنكم لم يفعلوا انما قيل لكل ـ بدون وقائع ـ أن المصريين، الفلاحين ، والمصريات الفلاحات ، يهانون فى نادى الفروسية فثرتم ثورتكم الأنوفة، العيوفة ، وطبــل المطبلون ، وزمر المزمرون معلنين مجـدا وطنيا قوميا جديرا بثقتكم يعلم الله أنكم لستم فى حاجة اليه ، ويعلم الله ، أن المطلعين يأسفون أن تهتموا بحكاية لا تستحق الا أن توضع تحت عنوان : مناقشات ، ودردشات نسائيات : أى والله يا باشا ، أن التى تكتب اليكم هذا الخطاب مصرية صميمة فلاحة تعلم أن من مؤسسى نادى الفروسية سيد باشا خشبة « الصعيدى » ، ومحمد باشا حسين « الشرقاوى » وحيدر باشا « المنياوى » وعبد الحميد بك الشواربى « القليوبى » و ٠٠ و ٠٠ وتعلم أكثر من هذا أن نجلكم العزيز محمود محمد محمود من أعضاء النادى ، وأن شقيقكم النائب المحترم حفنى محمود بك من زوار النادى ورواده بين سبب اشكالات وأزمات ، واعلموا أن هؤلاء لا يرعونكم بقدر ما يرعون أغراضهم ، وانهم يعملون لحسابهم الخاص ، على حساب الدولة »



وينشر المصور تحت تلك الرسالة ، نبذة عن الغرفة المحجوزة فى كلوب محمد على يأخذ فيه كاتب تلك النبذة ـ ويخيل لى انه كاتب تلك الرسالة ، الموقعة باسم

مصرية فلاحة فالأسلوب في الرسالة ، وفي النبذة واحد ـ جانب النادى ، ولا يأخذ جانب العضو الشاكى ، وتنتهى تلك النبذة بالعبارة التالية : وكان ما كان مما عرفه القراء وعاصرت هذه الحكاية ـ حكاية نادى الفروسية التى شرحتها ، السيدة الفاضلة فى خطابها المنشور ، وهكذا يتشاد الكبراء على التوافه كما يتشاد طلبة المدارس ، ويتساوى الشباب والكبار فى الاعصاب ٠

وفى العـدد التالى من « المصور » يكتب فكرى أباظة فى بابه المعروف : آراء حرة فى حوادث الأسبوع تأييد نزيه ، معارضة نزيهة ، تحت عنوان ضجة النوادى :

« قامت فى الأسبوع الماضى ضجة حامية حول النوادى ، وخصوصا نادى الفروسية، وكلوب محمد على ، بزعم ان الرئاسة هنا وهناك تفرق بين الطوائف ، وتعامل المصريين الفلاحين معاملة غير راضية وقد شرح قلم تحرير المصور الموقف على حقيقته ، وأقام الدليل ، على أن تلك الحكاية ترجع لأسباب شخصية وأما محاولة اثارة نعرة جديدة للتفرقة بين « هاى لايف الأتراك » والمصريين محاولة فى غير محلها ، ويرى فكرى أباظة : أن من الخطأ سماع المطاعن من جانب واحد قد يكون متحاملا ، وأن الحكم بذلك ، على خطة النوادى بطريقة خطرة جدا ، لانها غير عادلة ولان لكل نادى خصومه ، وأعداءه ولا تملك الشخصيات الكبيرة ، أن تلم بكل التفاصيل وان من الظلم البين ، أن تقضى قضاءها بمثل ذلك التسرع ، وهكذا كم هى مليئة هذه الدنيا بالمغالطات !

ويكتب فكرى أباظة فى المصور مقالا ، من أعنف مقالاته تحت عنوان : الفلاح ودموع التماسيح ، ويقول فكرى أباظة فى مقاله الذى نشر بتاريخ ٩ يونيو ١٩٣٩ : ايه يا دموع التماسيح ، دعى الفلاح فى شقائه وبؤسه وجحيمه ، وقولى لنا بالصراحة وبالحق ما الذى أغضبك ؟ دولة ويا لها من دولة ، عندما يحتاج أحد أعيانها الى وقوف « الاكسبريس » فى محطة ليصفر معلنا جاهه ، ووجاهته وسلطانه يهتف فى أذن الحكومة صائحا : وقفوا الاكسبريس من أجل الفلاح سهلوا المواصلات على الفلاح ، روجوا التجارة من أجل الفلاح ! وعندما تزنق البنوك الوجهاء الذين بذروا أموالهم فى باريس ، ومونت كارلو وقمم الالب أو هنا وهناك تسيل دموع التماسيح صائحة ٠ انقذوا الفلاح من الخراب ، قسطوا الديون من أجل الفلاح ، وتسوى ديون ثلاثين أو أربعين وجيها والفلاح لا يعلم ، ولا يفهم ولا يصل اليه نعيم الدولة ولا خيرها ، ويخرج من المعمعة بجلابيته الزرقاء « وبجحشته » العرجاء كما دخلها بجلابيته الزرقاء ، وبجحشته العرجاء ! و ٠٠ و ٠٠



وعندما يختلف ارستقراطى مع ارستقراطى فى ناد ارستقراطى على مائدة عشاء ، أو على زهرة من حديقة غناء يبرز شبح الفـلاح الهزيل ، الجوعان ،

العطشان ، من أوساط الذهب والماس والفضة والحرير ، والقطيفة ، والديكولتيه والأرمين والشيان لو ، ليكون المسكين المختلس ، المستعار المسروق ، سلاحا فى المعمعة وقد كان قبلا امعة : يا دنيا النفاق والمغالطات ما أعجبك قولى لنا بالله عليك من هو الفلاح ؟! ويرد فكرى أباظة على تساؤله قائلا : الفلاح الذى نعرفه هو ذلك الذى، لا يمتطى مرسيدز الدولة ولا باكار الدولة ولا شيفروليه الدولة والذى لا يأكل ولا يلتهم بنزين الدولة والذى لا يقبض من الدولة مالا وانما يدفع للدولة دمه ، ولحمه ، ولا يمشى الا بقدمين حافيتين خشنتين مشققتين من الوحل والمطر ، والشوك والشمس ، والنار •

والفلاح الذى نعرفه هو الذى لا يأكل الخراف والديوك الرومى ، والفراخ ، والحمام ، والجاتوه والمارون جلاسيه ، وانما هو الذى يأكل الملح والبصلة الناشفة والكرات والحشائش والخضار القرديحى ، بدون سمن أو زبدة ، والذى لا يذوق اللحم الا فى الشهر مرة من صنف العظم ، « والشغت » لا من صنف الاسكالوب، والبفتيك !

ويمضى فكرى أباظة متحدثا عن الفلاح الذى يعرفه ثم يقول : هذا هو الفلاح يا سادة فلا تزاحموه ، على اسمه ، ولا على بؤسه ، ولا على جحيمه ، وعفوا من سرقته واختلاسه واستعارته ، اذا ما ضيقت دنيا الاهواء ، عليكم الخناق ، ويخاطب الفلاح بقوله : ايها المسكين يا العوبة اللاعبين وانشودة السياسيين وسلاح المتباغضين المتحاربين ، ونغمة المنافقين وقيثارة الكاذبين ما أتعسك •• !

ورغم محاولة فكرى أباظة اخراج المعركة من اطارها بالتركيز على معاناة الفلاح ، الا انها بقيت كما هى فى اطارها الذى رسمته الأحداث لها : معركة بين المصريين الاصلاء وبين المصريين المتمصرين ، أو الاتراك المستمصرين •



وتكون مجلة روز اليوسف من الصحف التى رأت أن ما حدث فى كلوب محمد على خطأ ، غير مقصود من المترودوتيل وتأخذ على بقية الزميلات انها أبت الا أن تخلق من هذا الحادث شيئا ، وان تضيف اليه ما شاءت من رتوش ، خرج به عن حدوده •

وتروى روز اليوسف الحقيقة من وجهة نظرها قائلة أن فريد بك ثابت أحد أعضاء كلوب محمد على أراد دخول غرفة فى الكلوب فأفهمه المترودوتيل ، أن طاهر باشا كلفه بحجز الموائد ، التى بها لانه دعا اصدقاءه لتناول الطعام فى النادى ولم يقل له أن دخولها محرم على الاعضاء ومباح للزملاء كما زعمت جريدة المقطم • وتقول روز اليوسف : ولقد راق لبعض الصحف أن تتخذ من حادث كهذا موضوعا يثير فضول القراء ، الا أن اللياقة والتزام الحقائق كانتا

تحتمان على تلك الصحف عدم اثارة هذا الموضوع وصوغه بصيغة هو فى الواقع ليس منها فى كثير ، أو قليل ·

وتنقل روز اليوسف عن رشوان محفوظ باشا أحد أعضاء النادى ، القدامى قوله ان أصحاب السمو ، الامراء ، والنبلاء من أعضاء النادى ، يحرصون ، على ازالة الفوارق بينهم وبين الاعضاء حرصا شديدا خصوصا صاحب السمو الأمير محمد على أكبر الأمراء سنا ، ومقاما ! كما تنقل عنه أيضا قوله ، أن هذا الحادث ليس الا زوبعة فى فنجان ، كما تنقل روز اليوسف عن الأستاذ كريم ثابت الذى كان أول من أثار الموضوع فى جريدة المقطم قوله وهو يتحدث عن أثر هذا الحادث عند الرأى العام : شفت عظمة محمد محمود باشا تجلت فى المقال بتاعى ازاى أنا أبرزت عظمته ، بصورة واضحة · لقد اهتم الجمهور بهذا المقال اهتماما شديدا جدا حتى لقد جاءنى ، اكثر من ٥٠٠ تلغراف وجواب تهنئة على هذا المقال » ·

وتحمل روز اليوسف الأستاذ كريم ثابت مسئولية اثارة هذا الحادث !

وتنتهى المعركة التى خرج منها محمد محمود الفلاح ابن الفلاح منتصرا . وللعلم ، فقد كانت الأندية الارستقراطية فى مصر ، هى كلوب محمد على ، الذى كان يرأسه « شرفيا » الأمير محمد على ، و « فعليا » محمد طاهر باشا وكذلك نادى السيارات ، الذى كان يرأسه أيضا محمد طاهر باشا ونادى الفروسية ، الذى كان رئيسه الشرفى الأمير يوسف كمال أما الرئاسة الفعلية فقد كانت للنبيل سليمان داوود ·

وبتلك النهاية السعيدة تنتهى واحدة من المعارك القليلة والنادرة التى انتصر فيها ـ وقتذاك ـ محمد محمود باشا رئيس مجلس الوزراء ـ وقتئذ ـ فى كثير من المعارك ·

ويبقى الحديث عن معركة أخرى بطلهـــا أحمد عبود باشا « رجال المال الأجنبى » فى مصر !!

الفصل الرابع

معركة حول خطابات فيكى باشا

تعرضت وزارة محمد محمود باشا لهجوم شديد من قبل الصحف الوفدية، ولم يكن محمد محمود باشا هو المقصود وحده ، بهذا الهجوم ، وانما كان المقصود ، معه ، بل قبله د. أحمد ماهر ، وزير المالية واتخذ هذا الهجوم صورة معركة شديدة حملت اسم خطابات « فيكى باشا » .

وتبدأ قصة خطابات « فيكى باشا » ، أو معركة خطابات فيكى باشا . فى جريدة الوفد المصرى التى راحت تتهم أحمد ماهر باشا بصفة خاصة والوزارة بصفة عامة بأمور تمس نزاهة الحكم معتمدة ـ كما قالت ـ على خطابات أرسلها أحمد عبود باشا ، الى احدى صديقاته ، يقول فيها أنه متفائل بالنسبة لاعانة الحكومة « للشركة الفرعونية » لأن الدكتور أحمد ماهر قد أصبح وزيرا للمالية . وأن الدكتور أحمد ماهر قد أكد بشكل حاسم أنه سيعطيه الاعانة وان مجلس الوزراء قد وافق على منح الاعانة وان كان نشر القرار سيتأخر بضعة أيام !

وتنشر صحيفة الوفد المصرى ، ضمن ما تنشره من خطابات ، خطابا أرسله أحمد عبود الى صديقته اياها ، يؤكد فيه أنه مل الانتظار ، وأنه سيلحق بها فى باريس ، وتقول صحيفة الوفد المصرى ، تعقيبا على تلك الخطابات التى سمتها بالوثائق ، انها تمس نزاهة الدكتور أحمد ماهر ، وانها تتضمن فضيحة تفوق فضيحة نزاهة الحكم .

ويغضب أحمد ماهر ويتخذ الاجراءات القانونية الخاصة بالتحقيق مع جريدة الوفد المصرى خاصة وأن الخطابات التى نشرت مع افتراض صحتها لا يمكن أن تدينه من قريب أو بعيد كما أن مجلس الوزراء لم يتخذ قرارا خاصا باعانة الفرعونية .

وتقول الصحف الموالية للدكتور أحمد ماهر أن ما نشرته جريدة الوفد المصرى لا تتضمن شيئا يدين د. أحمد ماهر ، فالخطابات لا تحمل أكثر من اعتذارات متوالية من سعادة عبود باشا عن تأخره فى ارسال « الاعانة » الشهرية،

وعن اعطاء عذر لبقائه فى مصر ، كل تلك المدة الطويلة بدون أن يلحق بصاحبته في باريس ٠ وهذه الخطابات ـ كما قالت مجلة روز اليوسف فى عددها الصادر فى ١٠ يونيو ١٩٣٩ ـ هى من غير شك ردود على خطابات الصديقة التى تجلس وحدها فى بلاد غربة من غير مال ، أو صديق والتى كانت تنتظر أن يلحق بها فيكى باشا فى الميعاد ، المحدد ، كما أن الظروف أيضا حالت دون ارسال الاعانات المناسبة ٠ وكان يجب عليه أن يفسر هذا أو ذاك فكتب اليها يقول انه هو الآخر ينتظر الاعانة الفرعونية وأنه متفائل وكان يجب عليه أن يقول لماذا هو متفائل ، فكتب اليها يقول أن الدكتور ماهر صاحبه ، وأنه أصبح وزيرا للمالية ٠ ثم طال الانتظار ، وكثرت الشكاوى ، فكتب يقول : الصبر طيب وان الدكتور ماهر قال له بشكل حاسم ، أنه خلاص سيعطيه الاعانة ٠

وجاءه الرد بأن « صبر أيوب » عملة لا يعترف بها الباريسيون ، «فنتشها» خطابا قال فيه : أن المسألة انتهت وان مجلس الوزراء قرر منحه الاعانة بس كمان كام يوم ٠ وفرجها الله على سعادة فيكى باشا عن طريق آخر ، غير طريق الحكومة ، فكتب الى صديقته يقول لها انه مل الانتظار ، وأنه سيلحق بها على أجنحة مش عارف ايه وايه مما يجب أن يظل فى ضمير البؤس ، والليلة الظلماء ٠

هذا هو ما تضمنته خطابات فيكى باشا ولا نظن أنها تضمنت شيئا غيره ، مما يقول به الوفديون : اعتذارات لا أكثر ولا أقل من « حبيب موروط » ٠

والجدير بالذكر أن د٠ أحمد ماهر قد صرح للصحف أنه يرى أن الشركة حقا جديرة بالاعانة على الرغم من هذا الغبار الذى أثاره الوفد فى صحفه وقد صرح د٠ أحمد ماهر للصحف أيضا تعليقا على نشر خطابات فيكى باشا : أنه كان يحترم زعماء الوفد على خصومتهم له ، ولكن هذا الاحترام قد هبط الى ما تحت الصفر حين رأى هذا الاسفاف فى حملاتهم ٠

ويقول أحمد عبود باشا ، تعليقـا على اهتمـام الوفد المصرى بنشر تلك الخطابات الخاصة أنه ما كان يظن فى يوم من الأيام أن الوفد ينزل الى هذا الحد من نشر الخطابات الخاصة وأنه كان تحت يده خطابات مكتوبة من والى سيدات يعرفهن بعض زعماء الوفد حق المعرفة لكنه أعدمها بعد أن حصل عليهـا من أصحابها ، وزعماء الوفد يعرفون هذا جيدا ، ويقول أحمد عبود باشا : لو اننى لجأت الى استغلال تلك الخطابات على صفحات الجرائد لرأى الناس ، كيف تكون الفضائح حقيقة !

ويقول عبود باشا : انه عندما كان الملك فاروق يفتتح الشركة الفرعونية ويرفع العلم المصرى عليها أبدى رغبته فى موالاة الشركة بالتشجيع وأن النحاس باشا وكان فى معية الملك فى تلك اللحظة قال : احنا كمان عملنا ترتيبنا يا مولاى

عشان اعانة الشركة ، ويقول عبود أن هذه الواقعة ذكرتها الصحف في حينها ومنها جريدة المصرى ، ولا أظن أن تبرح تلك الواقعة ذاكرة النحاس باشا ٠

ويهاجم عبود باشا ، النحاس باشا ، ويتحدث ـ فى الصحف ـ كثيرا عن هداياه التى كان يتحف بها رفعته بين حين وآخر ، وهى التى لا تخلو منها غرفة من غرف بيته ، كما يذكر عبود أيضا أنه وظف أحد أقارب زوجة النحاس فى الشركة الفرعونية بثلاثين جنيها فى الشهر وكان من قبل لا يزيد مرتبه على ستة جنيهات لانه ليس لديه مؤهلات !؟ وأحاديث أحمد عبود باشا ، كانت كثيرة ، وسخيفة فى نفس الوقت ٠

وتقول الصحف ، أن السيدة التى ورد ذكرها فى خطابات فيكى باشا عبود ، والتى كان يخاطبها بقوله : حبيبتى كانت زوجة لأحد أثرياء الاسكندرية من غير المصريين وانها اختلفت مع زوجها وأن زوجها ، أجبر على أن يلجأ الى ضبطها ، ويحصل على دليل مادى ضدها لانها عارضت فى ضم أولاده اليه ، وأرهقته بمطالب مادية كبيرة ، وأنه لم يجد غير هذه الطريقة ليقف أمام القضاء طالبا ما اذا كانت تليق حقا بأن تضم أولادى اليها وفيهم بنات أم لا حرصا ـ هكذا قال الزوج بالحرف الواحد ـ على سمعة أولادى ومصلحتهم فقط خطوت تلك الخطوة٠وأود أن ألفت النظر الى أننى افترقت عن زوجتى من مدة طويلة بعد اكتشافى علاقتها مع عبود باشا ، وأنا الان فى أنتظار حكم « البطرخانة » فى قضيتى التى أطالب فيها بالطلاق ويروى الزوج قصة قضيتين لزوجته واحدة فى باريس والمنتظر أن يحكم فيها بغرامة لأن الزوجة وصديقها أخطآ فى حقى ولهذا الحكم تأثيره الكبير فى الهيئة الاجتماعية الاوربية ، لانه يبعد المحكوم عليه من الهيئة الاجتماعية ابعادا تاما ، والقضية الثانية جنحة مباشرة رفعتها ـ الكلام لا يزال للزوج ـ أمام محكمة الاسكندرية الأهلية وما زالت سائرة فى طريقها ولو أن بعض الأيدى القوية حاولت تعطيلها ٠

والغريب اننى لما التجأت الى معالى خشبة باشا وزير الحقانية قال لى : اعملوا اللى تقدروا تعملوه ٠٠ أنتم أحرار فى كل تصرف قانونى ٠ وقد عملت بنصيحة معاليه وأمكننى بعد جهد أن أحرك القضية وأنقلها الى أيدى المحكمة ، وقد طلبت رفع الحصانة عن عبود باشا منذ أول الدورة البرلمانية والى اليوم لم ينظر المجلس فى هذا الطلب فالقضية جاهزة ولا ينقصها الا رفع الحصانة عن عبود باشا وانى أخشى أن أنتظر طويلا قبل أن ترفع تلك الحصانة ، أما قضية الطلاق فقد قدمت زوجتى أخيرا عريضة للبطرخانة اتهمتنى فيها بسوء السلوك واننى عربيد ولا يجوز لى أن أشرف على تربية أولادى ، وقد أظهرت للقضاء منذ أيام قلائل مدى ضعف تلك الأكاذيب ٠ وعن قضية ضبط الخطابات الخاصة بالزوجة يقول الزوج : أن بعضها ضبط فى دارى والبعض الآخر ـ وكان كثيرا ـ ضبطه البوليس الفرنسى عندما هاجم الفندق الذى كانت تقيم به وقد

أعطت هي تلك الخطابات لعبود باشا فعثر عليها البوليس عندما فتشه واحتفظ بها ، وكان تصرف البوليس في هذه المسألة غير قانوني · وقد تمكنت من استرداد هذا الجزء من الخطابات وايداعها دوسيهات القضيتين المرفوعتين في الاسكندرية وباريس ، وعن وصول هذه الخطابات الى جريدة الوفد المصرى قال الزوج : لا أعلم ، كيف وصلت · وعندما نشرت اتصلت بوكيلي نجيب الهلالى بك وتباحثنا حتى هذه المسألة فقيل لى أن النشر مقصود به مسألة اعانة الشركة الفرعونية وهذه المسألة تهم الوفد ، وقد سمعت أن صورة الخطابات ودوسيه قضية الجنحة المباشرة مودعة فى مكتب مجلس النواب مع طلب رفع الحصانة البرلمانية عن عبود باشا ، ولا يبعد أن تكون الخطابات وصلت الى الصحف عن هذا الطريق ·

ويتقدم حسين الجندى عضو مجلس الشيوخ بسؤال الى رفعة رئيس الوزراء عما اذا كان رفعته يعلم ان فيكى باشا ، كتب خطابا آخر يقول فيه أنه دفع مبالغ كبيرة لبعض ذوى النفوذ وعما اذا كان رفعته وبعض الوزراء ، اجتمعوا فى مجلس الوزراء للاطلاع على هذا الخطاب وغيره من الخطابات الشخصية و ·· و ··

وقيل أن صاحب هـــذه الشـائعة ـ شائعة الخطاب الجديد ـ هـــو الزوج المجروح ، الذى لا يزال يحب زوجته والذى لا هم له الآن ، الا الانتقام من خصمه على طريقة رجال المال أى القضاء على خصمه ماديا ·

وكان الزوج ، قد حاول الحصول على الخطابات الخاصـة بزوجته من البوليس الفرنسى بعد أن استردتها الزوجة بحكم قضائى فلم يستطع ، فرفع دعوى أمام المحاكم الفرنسية خسرها ابتدائيا ، واستئنافيا ، ثم عاد فرفع دعوى أخرى أمام المحاكم المصرية ولكن الزوجة رفضت حتى أن تجيب بكلمة واحدة أمام المحكمة بخصوص اتهامات زوجها ، كما رفضت أن تسلم الخطابات الخاصة التى تعتز بها ، وتحرص عليها !!

وتعلق روز اليوسف على اصرار الزوج على الانتقام من الرجل الذى سلبه زوجتـه وقلب هناءه جحيما ، ولطخ شرفه بالعـار · تعلق قائلة : أمثال هؤلاء الرجال لا يستحقون منا أى عطف أو رثاء ، ونعتقد أن مكانهم ليس فى القصور ومجلس النواب ، وأن مكانهم فى اصلاحية الرجال !

ويهتم الرأى العام المصرى اهتمـاما بالغا بتلك القضية رغم أنها ـ فى الغالب ـ شخصية ولا تتعلق الا بعلاقات عبود باشا باحدى السيدات ·

أثارت تلك القضية التى اهتم بها حزب الوفد اهتماما بالغا بالعديد من التساؤلات من بينها مثلا :

هل يجوز لحزب سياسى ، أن يستخدم مثل تلك الخطابات الخاصة فى اتهـام أحد الوزراء رغم أن تلك الخطابات لا يمكن أن تقيم دليلا على ادانة أحد الوزراء ؟ كما قامت فى نفس الوقت ضجة كبيرة ، حول العلاقة التى تربط عبود باشا بتلك السيدة ، وقد دخل الزوج طرفا فى الموضـوع ، عنـدما أدلى بأحاديث الى بعض الصحف عن علاقته وزوجته بأحمد عبود ، وكيف أن أحمد عبود قد بدأ يتعرف الى زوجته « جيدا » عن طريق تعيين بعض أقاربها كموظفين فى بعض شركاته « فكان ذلك الطعم الذى أوقعنا نحن الآن » ٠

وكان البوليس الفرنسى ، قد هاجم الزوجة واستولى على بعض خطاباتها الخاصة أثناء هذا الهجوم ، ولان القانون الفرنسى لا يبيح للبوليس أن يستولى حتى عندما يهاجم منزلا وبأمر النيابة العامة على الخطابات الخاصة ، فقد رفعت الزوجة دعوى أمام المحاكم الفرنسية مطالبة باسترداد تلك الخطابات الخاصة وقد حكم لها القضاء الفرنسى بأحقيتها فى الحصول على تلك الخطابات التى لم يكن البوليس قد فضها أو عرف محتوياتها ورغم أن الزوج ـ طالب بدوره بالحصول على تلك الخطابات للاستعانة بها فى دعوى الطلاق ، التى رفعها ضد زوجته ٠ الا أن المحـاكم فى مصر وفى فرنسا رفضت اعطـاءه تلك الخطابات الخاصـة بزوجته ٠٠

وكنموذج للعلائق السياسية التى كانت تربط بعض الوزراء ببعضهم نذكر ، أن حسن صبرى باشا ، وكان وزيرا فى حكومة محمد محمود ، قد استقال قبل أسابيع من قيام الوفد بحملته على ، أحمد ماهر ، وبسبب اختلافه مع الوزراء السعديين فى مجلس الوزراء اشترك فى الحملة على ، أحمد ماهر وكان منتشرا فى الأندية والمجالس يردد الشائعات ضد أحمد ماهر ، وكان انتشاره ، كما تقول بعض الصحف ، أكثر من انتشـار جريدة الوفد المصرى ذاتها ، التى بدأت الحمـلة ٠

ولأن د٠ أحمد ماهر ، كان بريئا من اتهامه باستغلال النفوذ ، وكان فى نفس الوقت مخلصا فى دعم الشركة الفرعونية لانها تستحق الدعم ، لا لان له علاقة بصاحبها أحمد عبود ، فقد راح فى كل مكان : فى البرلمان ، وفى مجلس الوزراء ، وفى الأندية السياسية وغير السياسية يؤكد ان مشروع اعانة الشركة الفرعونية ليس من بنات أفكاره وانما مشروع الاعانة هذا قد سبق أن وضع فى عهد الوزارة الوفدية ، التى أثارت ضده تلك الحملة الظالمة ٠

وكان الرأى العام قد تجاوز موضوع الحملة على أحمد ماهر لعدم استنادها على أية أدلة لثقته فى نزاهة أحمد ماهر المجاهد الوطنى القديم ٠٠ ولكن الرأى العام ، انشغل الى فترة طويلة بالقضايا العديدة التى رفعها « الزوج اياه » ضد « زوجته » وضد « عبود » وكذلك بالقضايا التى رفعها « عبود » ضد « غريمه الزوج » تلك القضايا التى كان لها صداها فى رائعة احسان عبد القدوس « شىء فى صـدرى » ٠٠ !!

وكانت المرافعات فى هذه القضية ــ رغم انها قضية خاصة ــ تطبع وتوزع على أوسع نطاق ، وكان خصوم أحمد عبود من السياسيين والاقتصاديين قد تكتلوا ووقفوا خلف « الزوج » للقضاء تماما على عبود ، وكان عبود يعرف أن هذه القضايا بالنسبة له قضايا حياة أو موت فجند كل طاقاته ، وامكانياته للخروج منها « دون أن يقضى عليه » .

بل ان رئيس مجلس الشيوخ نفسه قد تدخل فى هذه الموضوعات فأوحى الى الشيخ حسين الجندى أن من بين خطابات فيكى باشا الى حبيبته خطابا يقول فيه أنه دفع مبالغ كثيرة لبعض ذوى النفوذ وان هذا الخطاب قد بحث أمره فى مجلس الوزراء ، وبناء على « معلومات » محمد محمود خليل بك رئيس مجلس الشيوخ ، تقدم العضو حسين الجندى بسؤال الى رئيس الوزراء يسأله عن حقيقة ذلك الخطاب ، وغيره من الخطابات الشخصية الأخرى ، ثم ظهر لحسين الجندى بك ــ فيما بعد ــ أنه « أندب » فى السؤال وأنه أسرف فى تصديقه أقوال رئيسه، رئيس مجلس الشيوخ .. !

وفى وسط هذا الجو المتوتر يقترح أحد « النواب » الظرفاء أنه عندما يعرض مجلس الوزراء موضوع اعانة الشركة الفرعونية على البرلمان يجب أن تنص الحكومة فى مشروع الاعانة هذا بأن تذهب الى خزينة الشركة الفرعونية وألا تذهب الى « جيب » الحبيبة ، بل أن هـذا العضو استمر فى « تظرفه » فرأى وضع عقوبة لأحمد عبود باشا اذا هو خرج على مشروع القانون الخاص بتلك الاعانة وأعطى الحبيبة الاعانة ، أو جزءا منها !

وفى هذا الوقت ، الذى يئس فيه أحمد عبود من تقرير اعانة شركته فكر فى اعادة الشركة الى أصحابها الأصليين ، من غير المصريين ... بدلا من شرائها تماما من أجل تمصيرها !

كما ينقل على لسان رئيس الوزراء ، محمد محمود باشا أن وزارته سوف تعدل عن مشروع الاعانة لانها لم تصبح مسألة جادة ، وانما أصبحت مسألة « كوميك » . ولكن الدكتور أحمد ماهر وزير المالية كان يميل الى اهمال هذه الضجة ، التى أثيرت حول الاعانة ، ويصر على تقرير الاعانة حرصا منه على اتمام تمصير الشركة الفرعونية ! ويؤكد محمد محمود باشا فى أكثر من مناسبة بان نزاهة الدكتور أحمد ماهر فوق « الشكوك والشبهات » .

وأخيرا يرجو الوجيه بيير قرداحى من الصحف ، أن تكتفى بما نشرته عن موضوع خطابات فيكى باشا وما دار حولها لأسباب خاصة ، وتحقق الصحف رجاء الوجيه بيير قرداحى !

ويكون آخر ما نشرته الصحف عن فيكى باشا وخطاباته زجلا نشرته روز اليوسف فى عددها الصادر فى ١٩٣٩/٧/٨ جاء فيه :

الأوله فين عيون جوليبيت تشوف
« فيسكى » أبو الشركات وقع مادريش
والثانية راحت عليه بالجملة عاديكى
مافيش اعانات ولا بقشيش
والثالثة يا وزارة ما كانشى العشم
فيكى أدوخ سنوات ودفع مافيش

ونكتفى بهذا القدر من الحديث عن غراميات فيكى باشا التى اتخذت ذريعة للنيل من وزارة محمد محمود باشا بصفة عامة ، ومن أحمد ماهر باشا وزير المالية بصفة خاصة .

وننتقل الى الحديث عن صعوبات أخرى اعترضت طريق محمد محمود باشا رئيس الوزراء .

الباب السادس

الفصل الأول

عقبات أخرى فى طريق محمد محمود

نعود الى النقطة التى سبق لنا أن وقفنا عندها ، وهى استمرار على ماهر باشا رئيس الديوان « الملكى » فى التآمر ضد وزارة محمد محمود باشا ووضع العراقيل فى سبيل أداء عملها ، بل وتسميم الابار فى طريقها ، حتى تصبح عاجزة تماما عن الاستمرار فى الحكم الأمر الذى يؤدى برئيس الوزارة محمد محمود باشا الى طلب اعفائه من الحكم وبذلك يصبح الطريق ممهدا أمام على ماهر لرئاسة الوزارة بناء على رغبة « ملكية » ، « جماهيرية » و « حزبية » ، باعتباره منقذ البلاد فى تلك المرحلة الخطيرة من المراحل التى تمر بها البلاد ويمر بها المجتمع الدولى الذى كان يتوقع نشوب الحرب بين يوم وآخر ٠

وكدليل على ما وصلت اليه وزارة محمد محمود باشا من ضعف واستكانة ما نشره الاستاذ فكرى أباظة فى عدد المصور الصادر فى ٢٧ يناير ١٩٣٩ تحت عنوان : استقرى أو فاستقيلى ٠ وقد جـاء فى مقالة الأستاذ فكرى أباظة : ثورة عجيبة فى نوعها ، ولونها : تنفجر فى داخل الوزارة ومن أعضائها ، على أعضائها فنسمع كل يوم بدخول وزير وخروج وزير وترقيع يتوالى ويتتابع ، وكل رقعة « ترم » الثوب الوزارى تجر وراءها رقعة أخرى حتى أصبح الثوب كثير البقع ، والرقع ٠٠

وثورة أخرى عجيبة فى نوعها ولونها تزحف من الجيزة تارة ومن دواوين لاظوغلى تارة أخرى ومن حى الأزهر ، ومن معاهد البنادر أحيـانا وثورة ثالثة من ناحية ثالثة هى الأولى فى الترتيب وفى الأثر ، وفى المصير ، تتجلى يوما ، وتتوارى أياما ، ولا يعرف سرها ولا برنامجها الا علام الغيوب ٠٠٠ يا أصحاب العقول ويا ارباب الألباب أيكون كل هذا من عمل الصدفة ومن صنع الخواطر ؟ أو ان فى جسم الوزارة أجزاء تشذ على جسم الوزارة أو ان فى خارج الوزارة من يعملون على « دحرجة » الوزارة أو أن حظ هذا البلد ، التعس هو هذا الحظ

الأسود المنكود ، أو ان مشكلة الفلوس هي سبب كل هذه الفوضى ، وكل هذا الاضطراب ؟ أسئلة تفد على ذهن المواطن المصرى الذى لا ناقة له ، فى الحكم ، ولا جمل والذى لا شأن له فى الحزبيةولا عمل والذى يتملكه الأسى ، حين يرى عملية الهدم تتمشى مع عملية البناء ! يتساءل هذا المواطن المصرى كيف يمكن أن يستمر الحال على هذا المنوال ؟ .

كيف يمكن ان يهدأ بال المحكومين وحال الحاكمين هذا الحال ؟ الحكومة القوية ، التى يدين لها الشعب بالطاعة والنظام والثقة هى الحكومة القوية فى ذاتها ، القوية بمن تتعاون معهم وتستند الى ثقتهم ورضائهم .. القوية بفروعها ، المدنية والادارية والعسكرية ؟ هذه هى الحكومة التى تستطيع ان تعمل وان تنجح وان تعيش ، أما الحكومة التى تثور على نفسها من نفسها والتى تصطدم خطتها مع خطة المتحكمين فى وجودها والتى لا تضمن أمانة ولا طاعة من العائشين فى ظلها ، والعاملين على تنفيذ أمرها ونهيها .. هذه الحكومة حكومة تستهدف كل يوم للطوارىء ، وتتعرض كل لحظة للاخطار ، فهى ليست حكومة استقرار ..

نصف هذا الوصف الدقيق ونحن آسفون كل الآسف لان الوصف مؤلم ، ولكن وقائعه كلها ، مسرودة هنا بأمانة وعفة ، ودقة ،هذا هو الواقع الذى لا يتسرب اليه الشك ولا يلوثه الهوى .. والحكومة مع هذا تواجه اصلاحات فى غاية الأهمية وغاية الخطر ، تنشىء جيشا جديدا فتتعثر فى الطريق تنشىء « كادرا » جديدا فتتعثر فى الطريق من الموظفين ، وهى وسط الخطر من الجيش ، تنشىء ضرائب جديد فتتعثر فى الطريق من رجال المال ، والأعمال ، وشدته ، وأزمته تطعن من الخلف فجأة وبغتة ولا تجرؤ أن تصرخ من الطعنة فتتلوى من الألم ، وترسل الأنين المكتوم .

ويمضى فكرى أباظة قائلا : يحتاج الأمر الى شجاعة وتضحية ، والحكومة شجاعة فى بعض النواحى اذ تقاوم كل هذه الجيوش المسلحة ، وغير المسلحة ، مستسلمة فى بعض النواحى لدرجة الانتحار ، هى حكومة قوية وضعيفة ، وهذا هو الاضطراب بعينه فما تجدى القوة مع الضعفاء ، وما يجدى الضعف مع الأقوياء نحن ننصحها بأن تتفاهم .قبل أن تقدم ، وبأن تزيل الصعاب التى نعرفها ، وتعرفها قبل أن تحسم وان تبسط كل الأمور ، المختلف عليها بسطا وافيا لتتفق على الأسس والنتائج ، أما أن تخطو ثم تضطر الى أن تتقهقر فهذا هو الهوان .

للمصلحة العامة نضطر مع الأسى ، والألم ، الى أن نسطر هذا نحن طلاب استقرار لأى نوع من أنواع الحكم لأننا طلاب بناء وتشييد فيا أيها الحكومة استقيلى أو فاستقرى .

ويضرب فكرى أباظة على هذه النغمة أيضا فى العدد التالى من « المصور » ـ عدد ٥ فبراير ١٩٣٩ ، فيقول تحت عنوان : « صوت النذير » وفى هذا المقال

يقول فكرى أباظة ، ليس موضوع الكلام اليوم كادرا للموظفين ، ولا تعيينات وتنقلات ولا تأويلات دستورية ، ولا تصرفات حكومية وانما موضوع كلام اليوم حياة أو موت ، فناء ، أو بقاء ، محو أو وجود ٠٠ موضوع اليوم أنه قد تنشب حرب عالمية فى أسبوع أو أسابيع ٠٠ فى شهر أو شهور فماذا يجب علينا ، ان نفعل : هل تصلح هذه الحكومة لمواجهة الخطر ؟ الجواب ، كلا هذا الجواب الحاسم، لا يقدح فى كفاءة الحاكمين ولا فى نزاهتهم ولا فى وطنيتهم وانما يقدح قدحا كاملا فى ظروفهم : هذه الحكومة لا تتمتع اليوم تماما بثقة السراى ولا برضاء السراى ، وقف الجيش بين عابدين ولاظوغلى فارتمى فى أحضان عابدين وولى ظهره نحو لاظوغلى ، هذا هو الواقع ، ولا يدفع الواقع ، ان يقال كلام غير صحيح ، يخالف ما نحسه ونعرفه ، ونراه وليس المقام حكما على المتجنى أهو الجيش ، أم الحكومة ، فذلك بحث يطول شرحه ، وأوقات الخطر ، لا تتسع للمناقشات ٠. انما نحن نرصد ما يتجلى فى الأفق وما يجرىَ فى السماء فالحكومة فى هذه الناحية بين المطرقة والسندان ٠

والحكومة أيضا تستهدف ، أو هى قد استهدفت فعلا لحملات حامية من كل طبقات الموظفين فلست تجد طبقة أو طائفة منهم راضية ولو بعض الرضا عن الحكومة الشجاعة ، التى شاء لسوء الحظ أن تصدر « الكادر » فى ظروف دولية سوداء ٠٠ هذا « الكادر » الأسود اللعين أثار الثائرة ضد الحكومة الحاضرة فلا المهندسون ولا القضاة ، ولا رجال الدين ولا موظفو الدرجتين السابعة والثامنة، ولا ، ولا ، ولا غير هؤلاء من موظفى العاصمة وموظفى الاقاليم يشعرون بالاخلاص القلبى لمن يصرفون الأمور ، وقد يكون هذا التنكر جرما ، وقد يكون هذا التمرد ظلما ، ولكن العمل وهذا هو الأمر الواقع ، وما العمل اذا مضت الظروف باعلان الحرب وهذه هى حال الحكومة وهذا هو حال الموظفين والحكومة أيضا تستهدف أو هى استهدفت فعلا ، لزحف عنيف من طلبة الجامعتين الأزهرية والمصرية فأقلقوا بال العاصمة ٠ أياما وليالى وروعوا السكان الآمنين من حين الى حين ، والحكومة أخيرا ، يناصبها العداء ، حزب معارض وراءه ملايين ، ولئن أنكرها عليه قوته فى أيام السلم ، فلسنا ننكر عليه قوته فى أيام الحرب ، ولئن الزمته بالولاء الظاهر فلست تضمن منه الولاء الباطن ، والأيام السوداء لا تطلب المظاهر وانما تطلب الصمم ٠

والحكومة الحاضرة فضلا على كل هذا ثائرة فى نفسها على نفسها ، تستهدف واستهدفت كل يوم لترقيع ، وتغيير ففى هيئتها الوزارية ثورة وزارية ولسنا نظلمها فنقول انها المسئولة عن كل هذه الأوضاع وانما المسئولية على « الظروف السيئة » وحدها فقد جاءت لتصلح وترمم ولتبنى وتشيد ٠ فواجهت كل هذه الصعاب وأثارت حولها كل هذه الثائرة ولكننا اليوم لا نحلل للتاريخ وانما نعد للخطر ، فهل هى حكومة تصلح للخطر ؟ الجواب مرة أخرى : كلا ٠

وينهى فكرى أباظة كلامه وهو يتحدث عن الحل ، بمناسبة الزعماء والاقطاب ، الذين عقدوا المعاهدة ان يباشروا تنفيذها عند الخطر ، كما يباشروا تلك المعاهدة عند التحرير ، وعند التصديق : هؤلاء هم الذين يجب أن يتقدموا للميدان يتحملون المسئولية ويتولون الرد ، على القنابل ، والمدافع والبارود : هذا هو « صوت النذير » ليسمعه الجميع وليعمل له بعد الآن ، فان الحرب ليست لها « رنديفوهات » ولا مواعيد ٠

وعندما يقول فكرى أباظة ، الهادىء ، الوديع ، هذا الكلام العنيف فى مجلة كالمصور كانت تقف موقفا محايدا بين الحكومة والمعارضة ، فمعناه ان وزارة محمد محمود قد وصلت الى درجة كبيرة من الضعف والهوان جعلت فكرى أباظة يثور على أوضاعها بمثل تلك الثورة العنيفة ٠٠

والواقع ، اننى بعد ان درست كل الظروف التى أحاطت بوزارة محمد محمود دراسة وافية كما درست فى نفس الوقت كل العقبات الخطيرة ، التى وضعت فى طريقها استغربت كيف استطاع محمد محمود باشا وهو الرجل الأبى ، العنيد أن يقبل لوزارته هذا الوضع ، الكئيب ، بل والكريه فى نفس الوقت ، وان كان بعض المتصلين بمحمد محمود باشا قد أكدوا ان الرجل قدم استقالته أكثر من خمس مرات وفى كل هذه المرات الخمس ، كانت الاستقالة ترفض ولا تقبل وان كان بعض « الخبثاء » ممن عاصروا تلك الوزارة وكانوا على مقربة من مكان صنع القرار يقولون ان استقالة محمد محمود باشا لم تكن ترفض حرصا على الابقاء على محمد محمود باشا ، ووزارته ، بل كانت ترفض من أجل ان تقبل تلك الاستقالة فى الوقت المناسب الذى يختاره مخرج « التمثيلية » ، بحيث تخرج تلك الوزارة ـ بالاستقالة أو بالاقالة ـ بعد أن تكون قد استنفدت كل أغراضها ، وبحيث لا تترك رأيا عاما يعطف عليها أو يمكن أن يأسف لاستقالتها ، أو لاقالتها ؟!

والواقع ، أن وزارة محمد محمود باشا ، كانت ـ بحق ـ وزارة سيئة الحظ للغاية فالأغلبية الشعبية ممثلة فى حزب الوفد المصرى كانت تحاربها حربا لا هوادة فيها ، والسراى كانت كذلك بتأثير من على ماهر ، والجناح السعدى فى الوزارة لم يكن متحمسا أبدا للدفاع عن تلك الوزارة بل كان يحرص على خلق المشاكل التى تسبب ثورة الجماهير ، على تلك الوزارة ، بالرغم من أن رئيس الهيئة السعدية أحمد ماهر ووزير المالية فى وزارة محمد محمود هو الذى أصر على تنفيذ الكادر الجديد على موظفى الدولة كما أصر على فرض الضرائب الجديدة والكثيرة ، على كثير من فئات الشعب وطوائفه ، وكان محمد محمود ـ لاعتبارات أخلاقية بحتة ـ يساند أحمد ماهر فى كل مواقفه ٠ دون أن يبدو منه أى ميل للتخلى عنه ، أو لتركه وحيدا فى المعركة المالية التى كان يخوضها ٠

وفوق ذلك كله بل قبل ذلك كله كانت وزارة محمد محمود باشا تواجه موقفا خارجيا صعبا للغاية ، ونعنى بذلك قرب نشوب حرب عالمية جديدة ، وكان هذا الموقف الخارجى الصعب هو أكبر بكثير من حكومة محمد محمود باشا الضعيفة الممزقة •

وقد استغل الوفد المصرى فرصة ضعف حكومة محمد محمود باشا فأصدر قرارا فى مارس ١٩٣٩ أكد فيه ان الدستور والنظام البرلمانى فى مصر ، قد أصبحا فى خطر وأن مصطفى النحاس باشا رئيس الوفد قد وضح ما جاء فى قرار الوفد مؤكدا ان قرار الوفد لم يكن فى قالب احتجاج ، ولم تتوجه ، الى ناحية معينة ، ولم تحمل المسئولية جهة بذاتها ، بل كان قرارنا ، بمثابة اعلان عن عزم الوفد وتصميمه على الا يمس الدستور أو الحياة الديمقراطية ونحن ماضون فى طريقنا ولن تأخذنا فى حقوق البلد هوادة ولا لين واثقين من حقنا مطمئنين الى انتصارنا فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض وعن اشاعة استقالة الدكتور أحمد ماهر قال النحاس وماذا يهمنا فى ذلك ليستقل ، أو ليتبق ، ولتستقل الوزارة بأكملها أو لتبق ، هذا أمر لا نتعجله فالوزير الذى يستقيل يعين غيره والوزارة اذا استقالت يمكن أن تخلفها وزارة مثلها ، انما الذى يهمنا هو أن ينتهى هذا العهد ، وتقوم فى البلد حكومة تكون وليدة انتخابات حرة • ويقول مصطفى النحاس باشا رئيس الوفد ، ان البلاد قد وصلت الى خراب لا يستطيع مصطفى النحاس ولا ألف مصطفى النحاس أن يصلحه وان كانئنا من كان لا يحسد على تولى الوزارة فى هذه الظروف السيئة وبعدما آلت اليه البلاد من خراب •

وحول سؤال النحاس باشا عن احتمال تشكيل لجنة تحكيم فى الحدود الدستورية ، يكون هو باعتباره رئيسا سابقا للحكومة ، عضوا فيها أجاب النحاس باشا بقوله لا أقبل الاشتراك فى هذه اللجنة للقيام بمثل تلك المهمة • لتعالج الوزارة وسائل بقائها بكل طريق تشاء ، أما نحن فسنظل نجاهد معتمدين على حقنا ، وثقة الأمة فينا ونحن واثقون من الانتصار فى النهاية مهما مد الله فى عمر هذا الحكم الهزيل الذى وصل البلد الى الخراب بأجلى معانيه •

يخفف من هذه الأزمة القائمة بين الحكومة والمعارضة وصول صاحب السمو الامبراطورى شاهبور محمد رضا بهلوى ولى عهد ايران ، للزواج من الأميرة فوزية شقيقة فاروق ، وابنة أحمد فؤاد ، كل ما فعلته المعارضة انها أصدرت تعليماتها الى صحفها ، وقواعدها باظهار الابتهاج ، بهذا الحادث الملكى السعيد الذى تم فى ١٥ مارس ١٩٣٩ •

وفى أثناء تلك الأزمات العنيفة ، داخليا وخارجيا يحدث فى الجامعة حدث له دويه وصداه فقد حدث فى انتخابات العميد فى كلية الآداب ان حصل الدكتور

طه حسين على ٢١ صوتا بينما حاز الأستاذ شفيق غربال على ١٦ صـوتا ، وحصل الأستاذ أحمـد أمـين على عشرة أصـوات ، وكانت المفاجأة ، اذ أرسل الدكتور طه حسين خطابا الى وزير المعارف يعتذر فيه عن قبول هذا المنصب بل ويطلب أجازة من مدير الجامعة لمدة سنة . وقال أصدقاء الدكتور طه حسين انه ـ أى الدكتور طه حسين ـ منذ أوائل العهد الحاضر كان هدفا للهجوم ، ومضايقات من البعض جعله يشعر شعورا قويا ان بقاءه فى منصب العمادة ليس مرغوبا فيه ، ويذكر أولئك الأصدقاء نماذج لما تعرض له الدكتور طه حسين واعتداء بعض الطلبة الحكوميين على كلية الآداب أعقبه خطابان ، أرسلا الى عميد الكلية لتهديده بالقتل ، اذا لم يستقل من منصبه ، فلم يعر العميد ، هذين الخطابين التفاتا بل بعث بهما الى النيابة التى حققت فى الأمر ، ولكنها عجزت عن معرفة مرسلى هذين الخطابين فطوت التحقيق .

ويقول هؤلاء الأصدقاء أيضا أن طه حسين بعد عودته من أوربا تلقى خطابات تهديد كثيرة كما خاطبه شخص مجهول ، طالبا منه ان يستقيل من منصب عميد كلية الآداب فى خلال ثلاثة أيام ، والا تم قتله !! ويفاتح د. طه حسين مدير الجامعة فى أن يستقيل من منصب العميد كما يقابل وزير المعارف ليتحدث اليه أيضا فى أمر استقالته ، ثم كانت أزمة كتاب برنارد شو حيث رأى البعض ان فى الكتاب مساسا بالاسلام ، ورأى مجلس الكلية خلو الكتاب من المساس بالاسلام .

وفى أثناء التحقيق فيما جاء بكتاب برنارد شو هاجم بعض طلبة كليـة التجارة كلية الآداب واعتدوا على طلبتها وأرادوا الاعتداء على عميد الكلية لكنه لم يكن موجودا ، فاعتدوا على مكتبه ، ازاء ذلك كله ، أصر د. طه حسين على الاستقالة من الجامعة وبعث باستقالته الى مديرها . وأضرب طلبة كلية الآداب احتجاجا ، على استقالة عميدهم فرفض مدير الجامعة استقالة العميد و . و.

كان طه حسين قد عدل عن استقالته بشرطين اثنين ، أولهما معاقبـة الطلبة الذين اعتدوا على كلية الآداب وثانيهما أن ينشر تصريح فى الصحف يؤكد أن « ليس لأية سلطة أن تتدخل فى شئون الجامعة » ، وأن يجىء هذا التصريح من وزير المعارف بالذات وبعد أن عاد طه حسين ، الى عمله فى كلية الآداب ، ومضى شهر ونصف الشهر انتهى التحقيق بتقرير لم يرض عنه طه حسين كما أن وزير ، المعارف ، لم يدل بتصريح عن استقلال الجامعة .

كل ذلك ، أدى الى الموقف الذى اتخذه الدكتور طه حسين واعتذاره عن قبـول منصب عميد كلية الآداب الذى لم يعينه أحد فيه وانما انتخبته هيئـة التدريس فى الكلية .. ولم يكتف الدكتور طه حسين باعتذاره عن منصب عميد كلية الآداب ، بل طلب أجازة من الجامعة لمدة عام ، ويتصـــل وزير المعـارف

بالدكتور طه حسين محاولا ، اثناءه عن الاعتذار ، عن العمادة ، ولكن الدكتور طه حسين ظل متمسكا برأيه ٠٠ ويعرض وزير المعارف على الدكتور طه حسين ان يوافق على ان ينقل الى ديوان الوزارة ليكون الى جانب الوزير لانه فى أمس الحاجة الى معونته ، والى الاستفادة من آرائه فى السياسة التعليمية ، ولكن الدكتور طه حسين ، يصر على رأيه ٠

وعندما يسأل د٠ محمد حسين هيكل وزير المعارف عن رأيه فى مشكلة د٠ طه حسين يقول انه لا توجد مشكلة الا اذا كانت الصحافة تريد ذلك ، فهو ـ أى الدكتور طه ـ قد اعتذر عن العمادة ، وألح فى الاعتذار فلم يكن بد من اجابته الى رغبته ٠

وينفى د٠ هيكل أن د٠ طه حسين حادثه فى أمر الاجازة ٠ « ولست أعرف ـ هكذا يقول د ٠ هيكل ـ ان كان طه حسين قد تقدم بمثل هذا الطلب الى مدير الجامعة أم لا » ، ويقول د٠ هيكل انه قد التقى « أخيرا فى احدى الحفلات مع الدكتور طه حسين وتحدث معه طويلا فى كثير من الشئون وعلى الأخص مشكلة اللغة العربية بين الأزهر ودار العلوم ، ولم يشر د. طه فى حديثه الى موضوع الاجازة ، والدكتور هيكل ، كعادته صادق ، فيما يقوله ، والدكتور طه حسين أيضا ، كعادته صادق فيما يقـــوله ، كل ما فى الأمر ، أن د٠ طه حسين حريص على استقلال الجامعة ومن المحتمل ، ان يكون قد تقدم بطلب الاجازة الى مدير الجامعة لا الى وزير المعارف حرصا منه على تأكيد استقلال الجـــامعة ، لانه ، لا يعترف لأحد ، حتى ولو كان وزير المعارف بأن له سلطانا على الجامعة ٠

واذا كان الشىء بالشىء يذكر كما يقولون ، فقد سئل د٠ هيكل عن رأيه فيما يقولون من أن الوزارة ، تعتزم اصدار بعض القوانين لتقييد حرية الصحافة ويجيب د٠ هيكل من يسأله ، بقوله : لا أزال أذكر أنك سألتنى قبل هذا السؤال أيام كانت الوزارة النحاسية تعتزم التشريع للصحافة وانى أجبتك يومئذ بالعبارة الخالدة ، التى سمعتها منأناتول فرانس أيام كنت أطلب العلم فى باريس منذ ربع قرن أثناء نظر قضية « أرفيه » « ان كل قانون يراد به الحد من حريـــة الصحافة قانون آثم » ٠٠ ذلك ما أجبتك به منذ عامين وهو رأيى لا يزال ، وطبيعى انى لست أرضى لوزارة أنا من أعضائها ، ان تحد من حرية الرأى والصحافة لكن هناك فارقا بين حرية الرأى ، وحرية الكتابة وبين اختلاق الأكاذيب والاشاعات المثيرة ، للخواطر ، خلقا متعمدا ، منظما لاغراض يجب أن تسمو عليها الصحافة النزيهة لانه لا يمت الى حرية الرأى بسبب ولذا يجب صـــون الرأى العام من شره ، فالحكومة انما ترمى الى تطهير الصحف من ارجاسها بحماية الآداب والأخلاق والاعراض عن كل ما لا يدخل فى دائرة النقد المباح وهى الى جانب ذلك جادة فى العمل على معاونة الصحافة ، ورفـــع مستواهـــا ، ورد

امتيازاتها اليها وما أظن الصحفى النزيه الا يرحب بهذا الاصلاح بمختلف فروعه ونواحيه .

ويقرر الوفد المصرى عقد مؤتمر خاص به ، وذلك فى يونيو ١٩٣٩ ولكن الوزارة تقرر منع انعقاد هذا المؤتمر بسبب « الاضطراب » الدولى ولكن مصطفى النحاس رئيس الوفد المصرى يقول ان الوزارة لم تمنع انعقاد المؤتمر الوفدى بسبب الاضطراب الدولى وانما بسبب اضطرابها هى وخوفها من اجتماع يدعو اليه الوفد فيهرع الناس من كل حدب ، وصوب ويسمع فيه صوت الأمة داويا ومع كل فان الاضطراب الدولى كان أدعى للموافقة على عقد المؤتمر لتبادل الرأى والمشاورة فيما كانت البلاد معرضة له من الاخطار ويقول مصطفى النحــاس لا معنى للاستقلال اذا لم تكن البلاد متمتعة به حقا ولا قيمة للدستور اذا لم تنفذ أحكامه ، تماما » وعن موقف الوفد ، ازاء الانجليز يقول مصطفى النحاس : طالما أن الانجليز لا ينفذون المعاهدة تنفيذا صحيحا فهم ليسوا اصدقاءنا ، فليس لنا لديهم مصلحة خاصة ولا عندنا لهم ثأر قديم انها مصلحة البلاد هى محك علاقاتنا بهم ، فهم أصدقاؤنا حين يحترمون المعاهدة وهم خصومنا حين يفعلون غير ذلك » .

أدلى مصطفى النحاس بحديثه هذا وهو يحتفل بعيد ميلاده ال ٦٠ .

ولا يبقى أمامنا ــ بعد أن طال الحديث عن وزارة محمد محمود ــ الا أن نتحدث عن آخر معاركها كما نتحدث فى الوقت نفسه عن آخر معارك محمــد محمود باشا الشخصية !! .

الفصل الثانى

محمد محمود يخوض آخر معاركه

رغم ان الموقف الدولى ، كان متوترا للغاية الا ان وزارة محمد محمود باشا « الأخيرة » كانت متورطة في مشاكل وخناقات وخلافات داخلية لم يسبق لاية وزارة سبقتها ، أن تورطت فيها ـ مثلا الدكتور هيكل كان يناصر قضية دار العلوم ، فيغضب الأزهر ، يتحدث مرة عن أفضال دار العلوم على اللغة العربية ، فيضرب الأزهر، ويعتكف شيخه الجليل، الشيخ محمد مصطفى المراغى الذى يهدد بالاستقالة من منصبه اذا لم يؤخذ برأى الأزهر فى موضوع تعيينات مدرسى اللغة العربية ، ومحمد محمود صديق شخصى للأستاذ الأكبر ، شيخ الجامع الأزهر ، وهو حريص فى نفس الوقت على الابقاء على الهدوء فى الأزهر ، وهو أيضا حريص على الابقاء ، على الدكتور هيكل فى وزارة المعارف ، وحريص على الانسجام الوزارى ، يحاول ـ محمد محمود ـ ان يعيد الأمور الى حالتها الطبيعية فيقترح مثلا أنه عندما تجرى تعيينات مدرسى اللغة العربيـــة يختار ثلاثة من خريجى دار العلوم ، وواحد من خريجى قسم اللغة العربية بالأزهر ، ويوافق شيخ الجامع الأزهر ، على هذا الحل ، ولكن د. هيكل ـ العنيـــد ـ يشترط الا ينفذ هذا الحل الا بعد تعيين كل خريجى مدرسة دار العلوم حتى عام ١٩٣٧ .

وتتطور الأمور بين الأزهر ، وبين دار العلوم وتضطرب العلاقـات بين وزير المعـارف د. هيكل وبين صديقه القـديم الأستاذ الأكبر ، شيخ الجامع الأزهر الذى قدم كأروع ما يكون التقديم كتاب « حياة محمد » لهيكل ..

بل ان مهمة الأزهر لتطرح للبحث : هل هى دينية ، أم دنيوية فقط !!

ويقول الأستاذ الأكبر ، شيخ الجامع الأزهر : ان الأزهر هيىء لدراسة الدين وتعليمه والتثقف فى اللغة العربية وتدريسها ، ليؤدى رسالته ، فيما ندب له من واجبات وأكثر من هذا ـ كما يقول الشيخ المراغى ـ أن ليس فى

الدين الاسلامي حياة دينية منفصلة عن الحياة البشرية ، بل أن الاسلام نظام اجتماعي كما أنه ينظم ما بين العبد وربه فلا يتسنى للمسلم ــ فضلا عن رجل الدين ــ أن ينفصل عن الحياة ٠٠ أما العبارة المشهورة « دعوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » فليست من أحكام الدين فى شىء !

ويقول د٠ طه حسين أن مهمة الأزهر ــ كما ينبغي أن تكون ــ هى النهوض بالاعباء الدينية والتفرغ ، للبحث العلمى ، الخالص فى شئون الدين ، ويقول أيضا : يريد الأزهر ، مثلا ، أن يخرج المعلمين فى مدارس الدولة وهذ حق له ، لا ينبغى أن ينكره عليه أحد ولكن بشرط أن يتعلم طلابه ، كما يتعلم غيرهم فى معاهد الدولة ، اذا أرادوا أن يعلموا اللغة العربية فطريقهم الى ذلك الآن دار العلوم ، وكلية الآداب ومعهد التربية ، واذا أرادوا أن يعلموا الطبيعة فطريقهم الى ذلك كلية العلوم ، وهكذا أما أن تنشأ فى الأزهر كليات وأن تمنح هذه الكليات درجات لا علم للدولة بها فهذا هو الذى لا يفهم ولا يمكن أن يساغ فى بلد متحضر ٠

أما الأستاذ محمد قاسم ناظر مدرسة دار العلوم فيقول : ظهرت فكرة خاطئة فى المناقشات الأخيرة مؤداها أن هنالك ثلاثة معاهد فى مصر تخرج مدرسى اللغة العربية ، والحقيقة أن شيئا من هذا لا وجود له ،فالجامعة الأزهرية بحكم تكوينها وتقاليدها هى جامعة الدراسات الدينية ٠ واذا كانت تعنى بدراسة اللغة العربية فلأن الدين واللغة يتصلان كل الاتصال وكذلك الحال فى الجامعة المصرية فمهمتها الحقيقية هى تثقيف طلابها فى اللغة العربية طبقا لقواعد البحث والدرس العلمى ، واذا كانت الجامعة الأزهرية والجامعة المصرية قد اتجهتها الى تخريج مدرس للغة العربية ، فهذا الاتجاه ليس أصلا فى تكوينهما انما هو عرض يخرجهما عن الغاية الأساسية التى أنشئتا من أجلها ، أما دار العلوم فمعهد أنشىء وخصص لتخريج هذا المعلم : وعنى فى تنظيم دراسته بحاجة المعلم ، وحاجة العلم وحدها ٠ وذلك من ناحيتى التكوين الفكرى والدينى معا فلكل من هذه المعاهد ، مقاسها ومركزها ووظيفتها فى الحياة العملية فى البلاد ٠

ويكون رأى الأستاذ توفيق الحكيم : أن للأزهر رسالة سامية يؤديها على مدى الاجيال فهو المعهد الذى ينهل من فيض علومه كبار فقهاء الدين حتى يلائموا بين نصوصه وأحكامه ، وبين تطورات العالم الاسلامى الحديث كذلك أرى أن الأزهر يجب أن يخرج علماء « اللاهوت » الذين يعرضون الدين للناس عرضا جميلا يسمو بأرواحهم ولن يتهيأ ذلك الا اذا كانوا مسلحين بدراسات عميقة فى أسرار الدين الاسلامى خاصة وفى الاديان كلها على وجه العموم ، أما اشتغال الأزهر بتدريس اللغة العربية أو التطلع للوظائف الحكومية فهو أمر يخرج بالأزهر عن الغرض الذى أنشىء من أجله ٠

واعتقادى ـ اعتقاد توفيق الحكيم بالطبع ـ أن نظام دراسة الأزهر ، الذى يوصل الى هذه الغاية المنشودة يجب أن يكون على أساس آخر فيعتبر الأزهر جامعة دينية تماثل جامعة فؤاد الدنيوية ، ويكون لخريجيه المقام العلمى لخريجى الجامعة الدنيوية كما أن الانتساب اليه يجمل أن يكون من حيث شرائطه ، مماثلا للانتساب الى جامعة فؤاد الأول فلا يكون ثمة أنواع من التعليم الابتدائى والثانوى منتشرة فى البيئات التى يتكون منها هذا الشعب الواحد ، المتماسك ٠

فهذه الفوارق تضع حواجز عقلية بين كل طائفة وأخرى وتجعل كل طائفة منها غير قادرة على فهم الطائفة الأخرى وسوء التفاهم الذى يقع بين طوائف شعب واحد يؤدى حتما الى تنافره وتفككه وانحلاله على حين تمتاز الدول المتدينة القوية بأنها ذات نظام واحد لكل مرحلة من مراحل التعليم ٠



وسوف نعود فيما بعد الى حقيقة قصة الخلاف بين الأزهر ، وجامعة فؤاد ودار العلوم فيما ننقله عن د٠ هيكل بوصفه وزير المعارف ، الذى كان له دوره فى اثارة هذا الخلاف كما يؤكد كثير من زملائه الوزراء ٠



وننتقل بعد تلك المشكلة الى مشكلة أخرى أثارها حسن صبرى باشا وزير الحربية ، وقد كان فى الامكان أن تمضى استقالة حسن صبرى كما تمضى استقالة أى وزير خاصة اذا ما علل استقالته بالكليشيه المعروف وهو أن الاستقالة لأسباب صحية ٠

ولكن حسن صبرى باشا لم يكن من ذلك الصنف من الرجال الذين يتركون مناصبهم بهدوء ، وكان حسن صبرى قد حرص على أن يذكر فى خطاب الاستقالة الأسباب التى رأى أنها دفعته الى الاستقالة دون مواربة ، وان كانت هناك أسباب أخرى لاستقالته سوف نشير اليها بعد أن ننقل هنا نص الاستقالة ورد رئيس الوزراء عليها :

« حضرة صاحب المقام الرفيع رئيس مجلس الوزراء ٠٠

أرجو أن تتفضلوا فترفعوا لحضرة صاحب الجلالة « مولانا » الملك المعظم استقالتى من منصب وزير الحربية والبحرية وذلك لأسباب منها :

أولها : أن فيما يراد أن يعامل به ضباط الجيش المصرى قضاء على تقاليد الجيش وهدما لاستقلاله وزجا به فى معترك الاضطرابات السياسية الحزبية مما لا أستطيع احتمال مسئوليته فضلا عما فى ذلك من مخالفة للقوانين والنظم المعمول بها فى الجيش المصرى ، وكافة الجيوش الأخرى ومن تعارض مع أحكام الدستور ٠

ثانيها : انى وقد احتفظت للجيش بتقاليده واستقلاله ، وأبيت أن يتدخل الغير فى شئونه حيل بينى وبين الاتصال بصاحب الجلالة ، القائد الأعلى للقوات البرية والبحرية مما يجعل استمرارى فى الاضطلاع بأعباء منصبى مستحيلا .

وانى شاكر لمقامكم الرفيع ولحضرات أصحاب المعالى الوزراء ما لاقيت منكم ومنهم من عون ومودة .

ولصاحب المقام الرفيع واجب الاحترام والاجلال ..

١١ ينـــاير ١٩٣٩ « **حسن صبرى** »

ويرسل محمد محمود باشا رئيس مجلس الوزراء ، الخطاب التالى الى حسن صبرى باشا الوزير المستقيل :

« حضرة صاحب « المعالى » حسن صبرى باشا ..

اطلعت على الكتاب الذى وجهتموه الى لأرفع الى حضرة صاحب الجلالة الملك استقالتكم من منصب وزير الحربية ، والبحرية وآسف كل الأسف انكم صورتم بعض مداولات الوزارة الأخيرة فى شأن الجيش بما صورتموه ، وأنتم تعلمون حق العلم ، أنه لا يخالج أعضاء الوزارة التى أتشرف برئاستها أى شك فى وجوب الحرص على تقـاليد الجيش ، واننـــا جميعا سواسية فى البعـد به عن مواطن الشبهات ، وليس صحيحا أنه زج بالجيش فى معترك الاضطرابات الســياسية والحزبية ، أو أنه وضع موضعا من شأنه أن يزج به فى ذلك المعترك وما خولف الدستور أو قوانين البلاد فى شأن من شئون الجيش .

وبعد فانى بصفتى رئيس الوزارة المسئول عن سياستها العامة أستطيع أن أؤكد لمعاليكم أنه لم يفتكم انصاف « مولانا » صاحب الجلالة فى كل ما قمتم به من عمل أو أبديتموه من رأى ، لذلك رفعت استقالة معاليكم الى حضرة صاحب الجلالة مليكنا المعظم ، راجيا من جلالته قبولها وقد تفضل بقبولها .

وانى اذ أبلغكم قبول استقالتكم أشكر لمعاليكم حسن معاونتكم وأرجو أن تتقبلوا خالص تحياتى واحتراماتى ..

القاهرة فى ١٥ يناير ١٩٣٩ ..

رئيس مجلس الوزراء
محمد محمود

وكان لحسن صبرى وزير الحربية والبحرية فى الكادر الوظيفى رأى يغاير آراء زملائه الوزراء وقد عرض رئيس الوزراء على الملك ، الاختلاف الذى طرأ فى

الجلسة الأخيرة لمجلس الوزراء ، حول موضوع الكادر الوظيفى فى الوقت الذى كان فيه حسن صبرى باشا وزير الحربية والبحرية يباشر أعماله فيشهد تجربة المدافع الفرنســـية الجديدة ، التى زود بهـا الجيش المصرى مع أعضاء البعثة البريطانية ومع مندوبى الشركة الفرنسية ، وعندما عاد حسن صبرى باشا بعد ظهر يوم ١٥ يناير ١٩٣٩ من عمله هذا بادر بارسال خطاب الاستقالة الى رئيس الوزراء ، وظهر أن خطاب الاستقالة مؤرخ بتاريخ ١١ يناير ١٩٣٩ ٠

وكان ما كان من قبول استقالة حسن صبرى باشـا من وزارة الحـربية والبحرية وعندما سئل رئيس الوزراء ، عما اذا كانت استقالة حسن صبرى باشا ستؤثر على التضامن الوزارى أجاب بقوله : « التضامن الوزارى لا يزال كما كان على ما يرام بل على خير ما يرام ونستطيع أن نؤكد أن هذا التضامن لم يتحقق فى وقت من الأوقات كما تحقق فى هذا العهد ، لقد نسينا جميعا حزبيتنا ولم نفكر الا فى الصالح القومى وكان محمد محمود قد وقف ، الى جانب أحمد ماهـر وزير الماليـة ، بكل قوة رغم تلك المشـاكل ، التى أثارها وزير المالية بمشروعاته الاقتصادية الخاصة بالضرائب الجديدة وكذلك فيما يتعلق بالكادر الجديد ، الذى كان أحمد ماهر متحمسا له الى أبعد حدود التحمس ، أما المدافع الفرنسية الجديدة ، فقد كان عددها ١٢ مدفعا وكان أقصى مرامى تلك المدافع ١٨٠ مترا ، وأدناها ١٠٠ متر وقد قام بالتجربة الجنود المصريون الملحقون بسلاح المدفعية وقد وزعت تلك المدافع على المشاة وأعلن عن ان النية متجهة الى انشاء فرقة كاملة من حملة هذه المدافع ٠

أما الأسباب الخفية التى أدت الى استقالة حسن صبرى باشا فكان من بينها أن سعادته أحس منذ شهر فقدانه ثقة احدى الجهات العليا ، وأنه عندما حاول تعرف الأسباب قيل له « بالمفتوح » أن سياسته فى وزارة الحربية ليست سياسة قومية ومن بين الأمثلة على أن سياسته ليست قومية انه حتم على وزارة الحربية أن تشترى الأسلحة والذخائر ، وما اليها من مصانع بريطانية على حين ان عطاءات هذه المصانع تزيد كثيرا على ما تستحقه منتجاتها واذا كان الجيش الانجليزى يشترى تلك الأسلحة بمثل تلك الأسعار المرتفعة فان الأمر يختلف بالنسبة لمصر ، لان الانجليز يعاونون مصانعهم بهذا الأسلوب أما مصر فيمكن أن تشترى مطالبها من مصانع أخرى بأثمان أقل ٠

وقد طلب حسن صبرى من كبير الأمناء ، أكثر من مرة موعدا للقاء الملك ، فلم يتم ذلك فكتب الى كبير الأمناء خطابا عنيفا استدعى على اثر تسلم كبير الأمناء لهذا الخطاب ، الى القصر ونوقش بشدة فى أسلوبه فألح حسن صبرى على مقابلة الملك فقيل له : أكتب ما تريد أن تقوله فى مذكرة ترفع الى الملك ٠

وكان حسن صبرى باشا دائم الاشتباك فى مجلس الوزراء ، وخاصة مع أحمد ماهر ، كان قد نقل الى حسن صبرى باشا أن د٠ أحمد ماهر ، قد قال

فى اجتماع الهيئة السعدية ، التى يرأسها أنه لن يوافق أبدا على أية اعتمادات لا تطيقها الميزانية « أما تعليمات لندن فليس لى بها شأن » وقد اعتبر حسن صبرى انه المقصود « بحكاية تعليمات لندن » اذ كان من المعروف عن حسن صبرى باشا سواء فى داخل مجلس الوزراء ، أم خارج المجلس أنه وثيق الصلة بلندن وان هذه الصلة الوثيقة كانت تدفعه الى تجاهل السراى والى الوقوف بعناد فى بعض الأمور ظنا منه أن دار المندوب السامى تحميه !

كما أن حسن صبرى باشا كان يتخطى رئيس الوزراء ، ويبعث بتقاريره الى السراى متخطيا رئيسه المباشر . ولقد لفت محمد محمود باشا نظر حسن صبرى باشا ولكنه لم يغير أسلوبه .

ورغم ما جاء فى كتاب استقالة حسن صبرى باشا من اتهام للوزراء الا أنهم جميعا تنفسوا الصعداء عندما قبلت استقالته قائلين : الحمد لله .

وقد عرض على النقراشى باشا منصب وزير الحربية والبحرية على أن يتولى محمد محمود باشا وزارة الداخلية ولكن النقراشى باشا أبى الخروج من وزارة الداخلية وقد أبدى الملك رغبته فى أن يسند المنصب الى محمد رياض بك لولا أن حسين سرى باشا قد جاهر ، بأن محمد رياض بك أولى بوزارة الأشغال حيث قضى بها سنوات عديدة وألم بكل مشاكلها .

وكان أن عين حسين سرى باشا وزيرا للحربية والبحرية خلفا لوزير المشاكل حسن صبرى باشا !

وانتهت بذلك مشكلة حسن صبرى .

أما عن مشكلة المشاكل ، مشكلة الأزهر ، والجامعة ودار العلوم ، فان الدكتور محمد حسين هيكل ، وزير المعارف يعود بها الى جذورها القديمة ، فيقول :

« وعندما كنت رئيسا لتحرير السياسة أردت يومئذ أن أجدد فى الحياة الصحفية فأدخلت فيها عناصر من الحاصلين على الشهادات الجامعية من كلية الحقوق ومن كلية التجارة فراعنى أن وجدت أكثرهم لا يستطيعون أن يصوغوا خبرا فى بضعة أسطر صياغة مقبولة أليس من واجبى وقد توليت وزارة المعارف وأصبحت المسئول عن تربية النشء وتعليمه أن أسد ما لاحظت من نقص فى هذا الشأن ؟

ولقد كان ايمانى بما على من واجب نحو لغتنا القومية أقوى من أن يزعزعه أى اعتبار فاللغة من مقومات حياة الأمة ، واتقان اللغة القومية أساس من أجل أسس التقدم فاذا استطعت أن أضع حجرا متينا فى هذا الأساس أديت لقومى

واجبا يجعلني مستريح الضمير ، أن وليت وزارة التعليم فنهضت بها نهضة كان واجبا بدؤها من عشرات السنين ٠

وأخذت أفكر في سبب ضعف شبابنا في اللغة العربية : ان الجو المحيط بهم أكثر مواتاة لاتقان هذه اللغة من الجو الذى كان يحيط بنا حين كنا تلاميذ بالمدارس الابتدائية والثانوية فهم يدرسون اليوم كل العلوم فيما خلا اللغة الأجنبية باللغة العربية وكنا نحن ندرس جميع العلوم خلا اللغة العربية بالانجليزية فى المدارس الثانوية وكنا ندرس التاريخ والجغرافيا بالانجليزية ابتداء من السنة الثالثة الابتدائية ولابد أن يكون أبناء الجيل الحاضر أكثر شعورا بالمسئولية الملقاة عليهم فى النهوض بوطنهم فالحكومة حكومتهم تسيطر على سياسة بلادهم الداخلية والخارجية أما نحن فكان الجليل من أمورنا فى يد الانجليز و ٠٠ و ٠٠

وتبادلت الرأى فى الأمر مع وكيل الوزارة فوجدته مقتنعا بأن السبب فى الضعف مرجعه الى أساتذة اللغة العربية أنفسهم ، صحيح أنهم كأساتذة يتخرجون فى دار العلوم ولكن شهادة المعاهد الدينية التى يدخلون بها دار العلوم أقل فى القيمة العلمية من الشهادة التى كان يدخل بها أسلافهم ولذلك يعتبر أبناء اليوم من دار العلوم أقل مما كان يعتبر هؤلاء الأسلاف ٠

ويمضى د٠ محمد حسين هيكل قائلا : رأيت أن ترجع وزارة المعارف الى تجربة قامت بها من قبل ، وصادفت نجاحا ذلك أن ننشىء مدرسة ثانوية لدار العلوم يؤخذ طلابها من المعاهد الدينية ثم يتعلمون فيها أربع سنوات أو خمسا قبل أن يلتحقوا بدار العلوم ، عند ذلك تطمئن وزارة المعارف الى مدرسى اللغة العربية وتستطيع أن تنهض بهذه اللغة الكريمة ، النهضة اللائقة بها ٠٠ وقد أعد عشماوى بك ـ وكيل الوزارة ـ نظام هذه المدرسة والقرار الوزارى الذى يقرره ، ووقعت أنا القرار دون أن أحتاج للرجوع الى مجلس الوزراء ٠

ويمضى د٠ هيكل قائلا : وانى لجالس يوما الى مكتبى فى مصيف الوزارة ببولكلى برمل الاسكندرية ، اذ دخل عندى الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، الشيخ محمد مصطفى المراغى وتبادلنا التحية وشربنا القهوة ، وتناول حديثنا بعض موضوعات عامة ثم قال الشيخ : جئت أطلب اليك أن ترجىء تنفيذ قرارك بانشاء تجهيزية دار العلوم الى أن يحضر محمد محمود « باشا » من أوروبا لعله يجد حلا لما بين هذا القرار وقانون الأزهر من تعارض ، وكنت أجل الشيخ وأقدر له تقديمه البارع لكتابى « حياة محمد » فلم أجد بدا من قبول طلبه وبخاصة لان محمد باشا سيعود بعد أسبوعين فلا ضرر من تأخير القرار الذى أصدرته هذين الأسبوعين ٠٠

واستأذن الشيخ وانصرف وبعد دقائق ، تحدث الى بالتليفون ، رئيس الوزراء بالنيابة عبد الفتاح يحيى باشا وطلب الى أن أرجىء تنفيذ القرار الذى طلب الى الشيخ المراغى ارجاء تنفيذه الى أن يحضر محمد محمود باشا وأخبرنى أن الشيخ عنده فى مكتبه قلت فى شىء من الحدة : لكن الشيخ كان عندى الآن وقد وعدته بارجاء التنفيذ ، فما معنى تحدثه الى دولتك فى الموضوع مرة أخرى ، أيظن أنى أعده ثم أخلف ؟ أم هو يشكونى اليك ؟ قال عبد الفتاح باشا : كلا كلا . لا شىء من هذا ، هو أخبرنى بما دار بينك وبينه وشكرك ، على وعدك فأردت أن أبلغك ما حدث » وضحكت فيما بينى وبين نفسى لهـــذا الاستدراك اللطيف ، ووضعت السماعة وتركت الموضوع الى أن يحضر رئيس الوزارة من أوروبا ويقول د. هيكل انه راجع ووكيل الوزارة قانون الأزهر ، فوجدا حجة الشيخ المراغى ترجح حجة وكيل الوزارة ورأيت النص وان أريد تأويله أدنى الى ناحيـــة شيخ الأزهر ، وبخاصة اذا وضع الأمر موضع الاحتكام الى محمد محمود باشا لذلك اعتبرت القرار الوزارى الذى صدر كأنه لم يكن من غير أن أتعرض له .. لكننى رأيت فى قانون الأزهر نصا بأن المتخرجين من كلياته يعينون فى وزارة المعارف ؟ ولما كان التعيين من حق الوزير المطلق ، اعتزمت ألا أعين منهم أحدا بأية حال .

ويقول د. هيكل : لم يدنعنى الى هذا العزم قصد التحدى ، بل عرفت أثناء دراسة الموضوع وقبل أن أصدر فيه قرارا أن وزارة المعارف عينت من قبل بعض رجال المعاهد الدينية فى وظائف التدريس فيها وان هذا التعيين انتهى الى فشل ذريع من الناحية التعليمية ومن نواح أخرى ..

ويمضى د. هيكل قائلا : على أن اعتبارا أجل خطرا زادنى اقتناعا بأنه لا يعين وزير المعارف فى وظائف التدريس بمدارس الوزارة الا من يطمئن هو الى أهليتهم وكفايتهم فمدرس اللغة القومية فى أية أمة من الأمم هو الذى يصوغ ثقافة الأمة العامة فى مناحى حياتها جميعا ، هو الذى يصقل لسان الأبناء فى لغة التفاهم ، والخطاب ، وهو الذى ينقل المختار من آثار الماضى ، الى الحاضر ، وهو الذى يكشف عما فى هذه الآثار من معانى الجمال ، وصوره و .. و ..

ويقول د. هيكل : أما معلم اللغة القومية الذى يستطيع أداء الرسالة ، كما يريدها هو فلم أكن أعتقد أن أجده من المتخرجين فى المعاهد الدينية واننى لأجده بشىء من الصعوبة فى المتخرجين فى دار العلوم .

وينسى د. هيكل الموضوع ــ موضوع انشاء تجهيزية دار العلوم « لانه اعتبر الموضوع منتهيا » ولكنه فوجىء بمحمد محمود باشا ، رئيس الوزراء ، عقب عودته من الخارج يطلب منه ــ بناء على طلب من شيخ الأزهر أن يعين حملة شهادات المعاهد الدينية العليا مدرسين للغة العربية ، تنفيذا لقانون الأزهر .

ويقول د. هيكل تعليقا على ذلك : اعتذرت لرئيس الوزارة ، وبينت له أسباب اعتذارى عن عدم اجابة هذا الطلب وشرحت له وجهة نظرى فى معلم اللغة العربية وما أردت أن أقوم به من اصلاح لمدرسة دار العلوم ، ولم أشعر آن رئيس الوزراء يخالفنى فى رأيى وان لم يوافق عليه صراحة ، وانقضت الأسابيع الأولى من السنة الدراسية ولم يحدث فى الجو ، ما ينذر بشىء ذى بال . على أن الصحف ما لبثت بعد حين أن تحدثت فى قانون الأزهر ، وما ينص عليه من أن شهادة المعاهد الدينية تؤهل لتدريس اللغة العربية والعلوم الدينية بالمدارس ثم ان ضجة بدأت تزعم بأن وزير المعارف ووزارة المعارف لا تعترض على تعيين حملة شهادات المعاهد الدينية فى المدارس الحرة فاذا أثبتت التجربة أهلية من تعين منهم ، على قدم المساواة مع أبناء دار العلوم ، لم نمنع من اختيارهم من بعد مدرسين بمدارس الوزارة .

وكان مقصدى الواضح ، من هذا البيان أن المدارس الحرة خاضعة لتفتيش وزارة المعارف وتتلقى معونتها المالية . وان كل مدرس فيها ، توضع عنه تقارير من قسم التفتيش فمن أثبتت هذه التقارير أهليته بعد سنتين ، أو أكثر يمضيها بالمدارس الحرة أمكن اختياره للتعليم بالوزارة ويقول د. هيكل : ان هذا البيان ، لم يرض رجال الأزهر ، ولم يرض أبناء دار العلوم : خشى هؤلاء أن يكون خطوة تتلوها خطوة أخرى هى التسليم بتعيين حملة شهادات المعاهد الدينية فى وزارة المعارف ، وحسب رجال الأزهر ، انهم اذا ألحوا ثم ألحوا بلغوا مقاصدهم أما هذه الخطوة فلا ترضيهم ، ولم يزعجنى ما شعرت به من عدم رضا الجانبين لأننى كنت قد انتهيت الى عزم ولم أكن أقصد التراجع قيد أنملة عنه ...

وأضرب أبناء دار العلوم ، احتجاجا على تدخل رجال المعاهد الدينية فى شئون وزارة المعارف : أضربوا مخافة انتصار رئيس الوزارة لشيخ الأزهر لما كانوا يعرفونه بين الرجلين من صلة صداقة وطيدة .

وتركت أنا هذا الاضراب أياما لم أتعرض له ، فحدثنى رئيس الوزراء فى امره . وطلب الى أن أتخذ الاجراء الذى يعيد الأمر الى نصابه حرصا على أن تسود السكينة ، ولم يكن ذلك بالأمر العسير ، فقد طلبت عميد دار العلوم وأخبرته بأنه اذا لم يعد الطلبة الى دراستهم تخليت عن قضيتهم ، وعاد الطلبة وانتظمت الدراسة فى الدار .. لكننا فوجئنا بعد زمن باضراب فى الأزهر ، استغرق أياما كذلك ثم قضى عليه ..

ويقول د. هيكل ، معلقا على اضراب دار العلوم واضراب الأزهر : ان أحدا لم يتعمق الموضوع ببحثه ، من ناحية فكرية أو مبدئية بل نظر الأكثرون فى الأمر من ناحية الفائدة المادية التى تعود على الأزهر ، أو على دار العلوم من انتصار هذا الفريق أو ذاك لم يتراجع أحد يومئذ بحثا فى اللغة العربية والسبب الذى أدى

الى ضعف الطلاب فى تحصيلها ، ولم يتناول أحد الموضوع من ناحية الجهة صاحبة الحق وفى قصور الثقافة العامة للبلاد : أهى وزارة المعارف أم المعاهد الدينية . ولم ينقب أحد فى الآثار المترتبة على هذا الاتجاه أو ذاك بل عولج الموضوع معالجة سطحية ، من ناحية اضراب المعاهد الدينية أو دار العلوم وأثر هذا الاضراب فى موقف الوزارة السياسى .

وقد أسفت يومئذ ، أن يعالج أمر ـ ذلك مبلغ خطورته ـ على هذا النحو السطحى التافه ، ولا أزال الى اليوم وسأظل من بعد يعاودنى الأسف أن نعالج الموضوعات الخطيرة التى تتصل بحياتنا القومية ، العليا على هـذا النحو غير الناضج .. ويدعو رئيس الوزراء ، د. هيكل وزير المعارف ليتحدث اليه فى هذا الموضوع الخطير الذى « تجاوز سياسة وزارة المعارف ، وامتد حتى تناول سياسة الوزارة العامة » وأنه لابد من حل يتفق مع هذه السياسة العـامة ، ويعد د. هيكل مذكرة خاصة بهذا الموضوع ، تكون أساسا للمناقشة فى مجلس الوزراء ، ويحدد محمد محمود جلسة لمجلس الوزراء ، وفى مجلس الوزراء ، اقتنع الوزراء ، بموقف د. هيكل باعتباره الوزير المسئول الذى يملك التصرف فى شئون وزارته ، ولا يجوز لغيره أن يتدخل فى شئونها فذلك نص الدستور الصريح ، وذلك ما جرى عليه العمل فى كل الأحوال . وفى لقاء فى مكتب وزير المالية د. أحمد ماهر يلتقى حسـين سرى وزير الأشغال و د. أحمـد ماهـر و د. هيكل ويكون هدف اللقاء ، بحث مسألة الأزهر ، ودار العلوم ، ويطلب د. ماهر ، وحسين سرى باشا من د. هيكل ، بعض التساهل لأن شيخ الأزهر ، يلح ، ويحرك الأزهر ، وأن هذه الحركات قد تكون سيئة الأثر فى حيـاة الوزارة ، ويسأل د. هيكل كلا من أحمد ماهر ، وحسين سرى ق وهل شيخ الأزهر على حق فيما يطلب ؟ ويجيب د. أحمد ماهر ، وحسين سرى : كلا : وأنت صاحب الحق فى الموضوع من أوله الى آخره ، ويقترح د. ماهر أن يعين د. هيكل واحدا ، أو اثنين من خريجى المعاهد الدينية على سبيل التجربة ؟ ويرفض هيكل هذا الاقتراح لأن معناه التراجع عن موقف يعترف الكل بأنه على حق فيه ، وتراجع صاحب الحق ، بأية صورة من الصور خذلان للحق ذاته ، ويقول د. هيكل : واذا كان شيخ الأزهر ، يعتز باعتبارات خاصة فأنا أعتز بالحق وبتمسكى به ويطلب هيكل من أحمد ماهر ، وحسـين سرى أن يبلغا رئيس الوزارة أنه على استعداد لتقديم استقالته من الوزارة اذا رأى هو ، وهو رئيس حزبه ، أن يقدم هذه الاستقالة ، وكان جواب الرجلين للدكتور هيكل : اذا كنت أنت لا ترضى أمام مطلب تعتقده ، حقا ، وتؤثر الاستقالة ، أفلا تكون استقالتك وقبولها تراجعا من مجلس الوزراء ، لا يجوز لك أن تعرضه له .

ويقول د. هيكل ، انتهى حديثنا فى جو أكثر صفاء من الجو الذى بدأ فيه ، وكان ذلك طبيعيا بعد أن ذكرت زميلى بكل الحلول التى عرضتها ورفضها

شيخ الأزهر ، ويوضح د٠ هيكل هذه الحلول : فيذكر ــ مثلا ــ أن يدخل من شاء من أبناء المعاهد الدينية الامتحان النهائى لدار العلوم ، فمن نجح فيه كان له الحق فى أن يعين بمدارس الوزارة ، مثل أبناء دار العلوم ٠٠ وقد أبى الشيخ المراغى هذا الحل ٠ فاقترح د٠ هيكل أن يلتحق خريجو المعاهد الدينية بمعهد التربية ، كما يلتحق به خريجو قسم اللغة العربية ، بالجامعة المصرية فأبى الشيخ المراغى ٠ واقترح د٠ هيكل أن تجرى وزارة المعارف مسابقة بين خريجى دار العلوم وخريجى المعاهد الدينية يعين الفائزون فيها فى مدارس الوزارة ، فأبى الشيخ المراغى أيضا ٠

أبى الشيخ الا أن يعين خريجو المعاهد فى مدارس الوزارة رضى الوزير أم لم يرض ٠ ويقول د٠ هيكل ، لم تنته المشكلة ، عند هذا الحد ، وما كان لها أن تنتهى عنده ٠ فقد كان للشيخ الأكبر المراغى يومئذ نفوذ مبسوط فى حياة الدولة كلها : فى سياستها ، فى نظامها فى اتجاه حكمها ، فلم يكن يسيرا أن يرد قوله اذ كان الاتجاه يومئذ الى تقوية المعاهد الدينية بزيادة عددها وفخامة عمارتها وبكل ما يمد من نفوذها ٠ وكانت السلطات تعتمد على أبناء هذه المعاهد فى الحركات السياسية ، فلم يكن يسيرا أن يرد وزير المعارف تهار هذا التوسع ، أو أن يحمى وزارته منه ٠ ولقد خطب الاستاذ الأكبر ، يوم افتتح الملك معهد أسيوط الدينى فأشار الى مثل هذه المعانى اشارة لفتت الأنظار وتهامس فى مغزاها بعض الوزراء ٠

أما والتيار مندفع هذا الاندفاع فليس من يجرؤ على صده من غير أن يعرض نفسه ، ليجرفه هذا التيار الثائر ، الفيضان ٠ ولقد بلغ من عنف ثورته ، أن فكر شيخ الأزهر ، فى ضم دار العلوم الى المعاهد الدينية حتى لا تنهض ضده حجة ، أو يبقى أمام وزير المعارف ملجأ غير هذه المعاهد ، لتدريس اللغة العربية ٠٠ ويقول د٠ هيكل : لم يزعجنى هذا التيار الجارف ولم يثننى عن موقفى ذلك لأننى أعتقد أن المبادىء السليمة منتصرة آخر الأمر لا محالة ٠ وأن من واجب من يتولى العمل العام ألا يحيد عن هذه المبادىء السليمة لأى اعتبار ٠٠

وتظل المشكلة بين شيخ الأزهر ، و د٠ هيكل وزير المعارف قائمة الى أخريات العام الدراسى ٣٩/٣٨ حيث يسأل محمد محمود باشا وزير المعارف هيكل ، عما يراه لتلك المشكلة ٠ ويقترح د٠ هيكل ، أن تؤلف لجنة برئاسة عبد العزيز فهمى تنظر الموضوع وتفصل فى الخلاف وتكون كلمتها فيه حاسمة . ويعرض رئيس الوزراء الاقتراح على شيخ الأزهر ، فيقبله ، ويؤلف مجلس الوزراء لجنة برئاسة عبد العزيز فهمى وعضوية عبد الحميد بدوى والشيخ أمين الخولى وتفصل اللجنة فى الموضوع معتبرة أن وزير المعارف هو وحده المسئول عن

معاهد العربية التابعة لوزارة المعارف أو الخاضعة لاشرافها • وهو لذلك يعين من يشاء وليس لغيره أن يتدخل فى تصرفاته فى هذا الشـأن •• وترى وجه الموافقة على اجراء مسابقة بين خريجى دار العلوم ، وخريجى كلية اللغة العربية بالأزهر ، للتعيين فى وظائف التدريس •• وتوصى اللجنة بضرورة توحيد المعاهد التى تخرج معلم اللغة العربية •

ويعقب د• هيكل على هذه القرارات ، بقوله : صدرت هذه القرارات عشية استقالة الوزارة فكان صدورها انتصارا لى ، ولكنه كان انتصارا نظريا لأن وزارة المعارف أسندت الى غيرى فى الوزارة الجديدة ••

وعن المعركة التى خاضها هيكل مع الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر يقول :

لم آسف على هذه المعركة التى خضتها يوما مع الشيخ الأكبر المراغى ، رغم ما كان بيننا من مودة اتصلت بعد ذلك الى أن انتقل ــ رحمة الله عليه ــ الى جوار ربه ، وانما دفعنى اليها حرصى على اتقان أبنائنا اللغة العربية ودقة وقوفهم على اسرارها وسلامة عبارتهم بها وحسن أدائهم لها ، ولم يكن مرجع هذا الحرص أن اللغــة العربية هى اللغــة القومية وكفى • بل كان مرجعه الى أنها لغــة البلاد الممتدة من العراق شرقا الى مراكش غربا ••

أما خطبة الأستاذ الأكبر ، الشيخ محمد مصطفى المراغى ، التى ورد ذكرها فيما قاله د• محمد حسين هيكل فقد ألقيت فى افتتاح المعهد الدينى بأسيوط فى ٢٣ يناير ١٩٣٩ ، وكان نصفها عن الملك فؤاد ، والد فاروق الذى كان حاضرا الافتتاح ، وقد جاء فيها عن فؤاد انه كان حريصا على تقاليد الاسلام وعلى مكارم الأخلاق ، كما كان حريصا على اصلاح نظم التعليم واعلاء شأن علماء الدين ، ورفعهم الى مراتبهم اللائقة بهم ، وهــذا هو السر فى انشاء هــذا المعهد ، وما فكر فى انشائه قبله من كليات الأزهر ، ودور كتبه ، ومعاهده ، وغيرها من دور العلم » وكان من بين ما جاء فى خطبة شيخ الجامع الأزهر : «... بعض شعوب الشرق بمظاهر الغرب ونظمه وأسرفت فى انتهاج كثير من ... الحياة فيه ، واستعارت الرث الخلق من ثيابه مع قليل من جديده ، ... من زيها الأول ومن هذه الرقاع المستعارة لباسا مشوها لا هو شرقى ، ولا هو غربى ، وأصبحت حياتها الاجتماعية أيضا ملفقة لا هى دينية ، ولا هى غير دينية ، وكلما هبت الريح طارت رقعة من هــذا الزى والناس فى هم مقعد ... من ضم هذه الرقاع بعضها الى بعض » الى أن يقول الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر : ألم يأن لهذا البلد الطيب آن تجتمع فيه قوى الخير فتنسج الحياة المصرية ثوبا تؤخذ خيوطه من مقومات الشعب ومزاجه ، ودينه وتاريخه ، وتقاليده ، ليستطيع السـير فيـه ، والنهوض بمبــادىء الحيــاة المريرة ، الثقيلة ، فى هذا المجتمع المادى الملىء بجموع الشهوات •

وعلى ذكر دار العلوم ، كمعهد عريق نذكر ان معركة كانت قد نشبت بين اساتذته وبين دكتور طه حسين عندما كان الدكتور عميدا لكلية الآداب حول منهج الأدب العربي للسنة التوجيهية في المدارس الثانوية ، وكان الدكتور طه قد أبدى رأيا في هذا الموضوع في اجتماع مع مفتشي اللغة العربية في وزارة المعارف ثم تقدم به في صورة مشروع جديد الى وزارة المعارف وكان من راى د. طه في هذا الموضوع : أن التاريخ من حيث هو ، فن من فنون الأدب لذلك لابد من وقفة عند أشهر المؤرخين : هيرودوت ، ثيوسيديد « من اليونان » تتليف ، تاسيت « من الرومان » الطبرى ، ابن خلدون « من العرب » ، واثنان من المؤرخين يجوز أن يتغيرا من عام ، الى عام ، وحول هذه النقطة من منهج د. طه حسين ، قالت جماعة دار العلوم : « لقد بحثت جماعة دار العلوم في هذه الفقرة وأدارت عليها وجوه الرأى لالتماس أية علاقة بين الأدب العربي ، وتاريخه ، وبين مؤرخ للتاريخ العام كهيرودوت الذى كتب تاريخه في القرن الخامس قبل الميلاد ، أى قبل أن يعرف الادب العربي ، وتاريخه بقرون طويلة وأن اقحام هؤلاء المؤرخين للتاريخ العام ، على هذا النظام من الكثرة والتكرار في تاريخ الأدب العربي ، يعد مناقضة ظاهرة للنظرية القائلة بتعيين اختصاصات العلوم ، وتحديد موضوعاتها وعدم تسليم العلماء بصحة الخلط بين مباحث هذه العلوم .

وتقول مذكرة جماعة دار العلوم ردا على منهج د. طه حسين ، لقد ذكر الفلسفة وأنها من مظاهر الحياة الأدبية ورتب على ذلك دراسة سقراط وأفلاطون من قدماء اليونان ، ولو كان كل ما يعد مظهرا من مظاهر الحياة الأدبية يجب دراسته في تاريخ الأدب العربي ، ما بقى شيء من علم ، ولا فن . ولا صناعة لا يتعرض له تاريخ الأدب العربي ويترجم للمشهورين من رجاله ، على أن سقراط وأفلاطون ، يدرسان بتوسع في المنهج الخاص بالفلسفة وتاريخها فما الداعي الى حشره في منهج الأدب العربي مرة أخرى وتقول الجماعة أيضا عن منهج د. طه حسين : ذكر أثر علم الكلام ، الاسلامى في الأدب العربي ، وساق طائفة من أسماء علماء الكلام كلهم من المعتزلة .

ومما يوجب الأسف ، والدهشة ، أن يعنى المنهاج المقترح بدراسة المعتزلة في تاريخ الأدب العربي ، دون غيرهم ، وفي ذلك ما قد يلقى في شعور الطلبة الميل الى مذهب المعتزلة دون غيره ، من مذاهب علماء الكلام ، وقد قال أهل السنة ، وهم كثرة المسلمين ، وجمهرة علماء الكلام الاسلامى في المعتزلة أنهم مارقون يظهرون العقائد الفلسفية في لباس من الجدل في الكلام .

وتمضى جماعة دار العلوم في تفنيد المنهج الذى اقترحه د. طه حسين لدراسة الأدب في التوجيهية فتقول : اقترح العميد حذف قواعد النحو ،

والبلاغة ، بناء على أن ما أخذ منها فى السنوات الأربع يعد كافيا ، وهـــذه مناقضة صريحة لما ورد فى المنهاج المعدل ، وتنتهى جماعة دار العـــلوم فى مذكرتها التى اعترضت بها على المنهاج المقترح من الدكتور طه حسين بما يلى : لا ندرى ما حفز الدكتور الى اقتراحه ، بعدما ظهر له من استعداد أساتذة اللغة العربية من أبناء دار العلوم لمواجهة هذا المنهاج ، والتغلب على ما وضع فيه من شذوذ وتكلف وهل لذلك علاقة بما جاء فى العبارة الختامية لكلام العميد اقتراحه الغريب ومن قوله : واضح أن هذا البرنامج قد يعجز أساتذة التعليم الثانوى عندنا كبقية المنهج الأولى بالسنة التوجيهية » لم يعلن ما أخفاه من نيته فى نصيحته بوجوب اصلاح برامج التعليم فى المعـــاهد ، التى تخرج أساتذة اللغة العربية ، بحيث يصبحون قادرين على تعلم هذا النحو من الأدب ، فقد بان حينئذ ما حاول العميد أن يخفف من نياته وظهر أن المسألة ليست مسألة وضع منهج ولا مصلحة تعليم ، ولا اعدادا للجامعة ، ولا لغيرها ، وانما المسألة كلها دائرة حول أساتذة اللغة العربية فى المدارس الثانوية والتبرع الجرىء بتقدير صلاحيتهم لدراسة الأدب أو عدم صلاحيتهم ، والاستدراج من جراء ذلك الى الوقوع فى هذا الشذوذ الذى لم يسبق له مثيل فى مناهج التعليم لا نظير له فى مدارس العالم ، ولا ندرى كيف ساغ لصاحب الاقتراح ، أن يعرض مصلحة التعليم فى البلاد لمثل هذه الأغراض التى لا تخرج عن الرغبة الجائرة فى اغتصاب ما لأساتذة اللغة العربية من الملكات المكتسبة بطول المران ، والتجربة ، والاستفادة الحقة من حسن اعداد المعدين للتوفر ، على دراسة اللغة العربية وآدابها ، وحمل أمانتها ، والاضطلاع بحمايتها ، والدفاع عنهـــا ، والاجتهاد فى تزويدها بكل ما يساير الحضارة فى هذا العصر ، والتعدى على اختصاص وزارة المعارف فى الاشراف الكامل ، على هذه السنة التوجيهية ، التى هى جزء متمم لمرحلة الثقافة العامة فى الدراسة الثانوية ليصل من وراء ذلك الى غرضه » .

على أية حال ان المعركة الأدبية ذات المستوى العالى التى نشبت بين دكتور طه حسين وجماعة دار العلوم ، لا يجب أن تنسينا معارك د. حسين هيكل باشا .

وعندما نعود الى معارك د. هيكل فى وزارة المعارك ، آسف وزارة المعارف يتبين لنا — بدون جهد — أنه تحول من وزير للمعارف ، الى وزير للمعارك ، أو أنه حول وزارة المعارف الى وزارة للمعارك ، والدليل على ذلك أنه لم يكد يترك وزارة المعارف ، حتى تغيرت أمور كثيرة حظيت باهتمامه ، بل تم نقل بعض الذين عاونوه فى شئون وزارته ، ومن بينهم الاستاذ محمد حسن العشماوى الذى تولى بدلا منه فور استبدال وزارة محمد محمود باشا بوزارة على ماهـر باشا ، الدكتور عبد الرازق السنهورى ، كوكيل لوزارة المعارف ، وقد كان

بين المعارك التى خاضها د٠ هيكل معركة تمصير وزارة المعارف وكانت معركة عنيفة وضارية لأنها لم تكن بينه وبين شيخ الأزهر ، أو كانت بينه وبين أحد زملائه الوزراء ، وانما كان الطرف الآخر فى تلك المعركة ، السراى ذاتها ، ممثلة فى على ماهر ، الممثل للملك فاروق شخصيا ٠

وقصة تمصير وزارة المعارف ، أو تمصير الثقافة فى مصر ، وخاصة تمصير الفنون الجميلة من القصص التى يجب أن نفرد لها الصفحات ، لقد كان لفرنسا نفوذها الثقافى ، والفنى فى مصر ، وحتى أثناء اشتداد موجة الاحتلال البريطانى لمصر بقيت بعض المناصب الثقافية حكرا على الفرنسيين ، فمدير دار الآثار المصرية فرنسى ، هو مسيو جاستون ، ومدير الفنون الجميلة مسيو هوت كير ، وبعده ريمون ، وقد رأى د٠ هيكل ، أن يعين مديرا مصريا لدار الآثار المصرية والمتحف المصرى ، وأن يكون مديرها الفرنسى الأب دريتون مستشارا فنيا ، ووقع الاختيار على الأستاذ مصطفى عامر ، ليتولى هذه الادارة ، وبينما د٠ هيكل يعمل على تنفيذ تلك الفكرة ، حمل اليه الأب دريتون بلاغا موقعا من عدد من خفراء الآثار بمنطقة الأهرام يتهمون فيه الاستاذ سليم حسن وكيل المتحف المصرى بأنه استغل نفوذه حين قيامه بالحفريات الأثرية فى منطقة أهرام الجيزة واستولى من الأموال المخصصة لهذه الحفريات ، على مبالغ طائلة لنفسه بأن كان يطلب من العمال التوقيع على أنهم قبضوا مبالغ معينة ولا يكونون هم قد قبضوا تلك المبالغ ، أو لا يكونون قد قبضوا منها الا النذر اليسير ٠

وأحال د٠ هيكل وزير المعارف البلاغ الى التحقيق الادارى ، مستغربا توقيت تقديم هذا البلاغ ، فى الوقت الذى كان يفكر فيه فى تنظيم الادارة المصرية ، ويكون البلاغ ضد سليم حسن ، وكيل دار الآثار الذى تهيئه الظروف أو هو يهيىء نفسه ليتولى منصب مدير الآثار ، وبينما التحقيق الادارى يسير فى طريقه العادى طلب على ماهر ، رئيس الديوان من د٠ هيكل ألا يستبدل بشخص معين فى لجنة التحقيق آخر وأصيب هيكل بالدهشة لما طلبه منه على ماهر ، فلقد كان هيكل حريصا على ألا يتدخل فى التحقيق بل يتركه فى جو من الاستقلال ، ولم يعرف د٠ هيكل ، ما الذى يقصده على ماهر بالضبط ، الى أن فوجىء بسليم حسن ، يدخل عليه شاكيا من أولئك الذين يحققون معه متهما اياهم بالتحيز ضده ، ويقترح د٠ هيكل ، على سليم بك أن تتولى النيابة العامة التحقيق ، فيبادر سليم بك حسن ، بالموافقة سعيدا ، مغتبطا ، ويستمر التحقيق زمنا غير قصير ، فلما انتهى أحيلت أوراقه الى النائب العام يس بك أحمد ، ويسأل د٠ هيكل ، وزير الحقانية أحمد خشبة باشا ، عن مصير التحقيق ، فيؤكد له أنه ليس فيه ما يدين سليم حسن ، وكان على ماهر يسأل يوميا عن مصير التحقيق ، حتى لقد ضاق ذرعا ببطء النائب العام ، وقال عنه : انه لم يصبح النائب العام ، بل صار « النائم العام » ٠

واستقالت الوزارة ، ولما يتصرف النائب العام فى التحقيق ، وبقى سليم بك حسن موقوفا عن عمله ، لا يتقاضى مرتبا ، الى أن تألفت وزارة على ماهر ، فى ١٨ أغسطس ١٩٣٩ ، ولم يكد مجلس الوزراء ينعقد لأول مرة حتى كان من بين قراراته احالة سليم بك حسن الى المعاش ! ٠

وكان أحمد محمد خشبة وزير الحقانية فى وزارة محمد محمود باشا قد فوتح فى المشاركة فى وزارة على ماهر الجديدة ، على أن يلى وزارة الصحة ، لا وزارة الحقانية ، وكان هذا العرض بتلك الصورة قد أريد به احراج أحمد محمد خشبة حتى لا يدخل الوزارة الجديدة ؟ ٠

أليس هو ـ أحمد محمد خشبة ٠ وزير الحقانية الذى لم يقبل الضغط على النائب العام حتى يحيل سليم بك حسن الى محكمة الجنايات ؟ ٠

كل هذه المعارك سواء فى وزارة المعارك ـ وزارة المعارف ـ أو غيرها من الوزارات أدت الى نتيجة واحدة ووحيدة هى أن الطريق أمام وزارة محمد محمود باشا أصبح مسدودا وأن محمد محمود باشا ينبغى عليه أن يرحل ، وقد كان ٠

الفصل الثالث

اجبار محمد محمود على الرحيل !!

قلت ان الدكتور محمد حسين هيكل قد تحول من وزير للمعارف الى وزير للمعارك وانه قد استطاع ايمانا منه بالدور الاصيل لوزارة المعارف ، ان يحيلها الى وزارة للمعارك .. لم يكن الرجل ينتهى من معركة الا ليدخل أخرى ، بل انه كان يخوض العديد من المعارك العنيفة والخطيرة فى وقت واحد ، وقد سبق لى أن أشرت الى معاركه مع صديقه الأستاذ الاكبر شيخ الجامع الأزهر الشيخ المراغى . بخصوص تعيين خريجى المعاهد الأزهرية العليا كمدرسين للغة العربية فى مدارس وزارة المعارف ، والى معاركه مع على ماهر والسراى بخصوص التخلص من سليم حسن بك رجل الآثار المصرية العالم و .. و .. ونترك الدكتور هيكل نفسه يروى لنا بعض المعارك التى خاضها من أجل استقلال الجامعة وقد كان هو استاذا فى الجامعة المصرية عندما كانت جامعة أهلية .. يقول د. هيكل : « أنا أؤمن باستقلال الجامعة ايمانا عميقا متأصلا فى نفسى منذ كنت طالبا بجامعة باريس لذلك لم يدر بخاطرى يوما أن أسوغ اعتداء وزير المعارف على هذا الاستقلال بحجة انه الرئيس الأعلى للجامعة حرصت على احترام هذا الاستقلال وعلى الدفاع عنه ، وكان هذا طبيعيا وقد قمت بالتدريس فى الجامعة المصرية الأهلية خمس سنوات شعرت أثناءها — أثناء التدريس بالجامعة الاهلية — بالاستقلال الصحيح وبما يدفعه هذا الاستقلال الى النفس من تقدير الواجب والمسئولية والاضطلاع بهما على خير وجه ، هذا الى أن أستاذى لطفى السيد باشا قد عين مديرا للجامعة من يوم أن أصبحت حكومية فى سنة ١٩٢٥ تحرص على استقلالها ، وحافظ عليه حتى لقد استقال من منصبه فى سنة ١٩٣١ حين فصل مجلس الوزراء اذ ذاك الدكتور طه حسين من منصب الأستاذ بكلية الآداب وظل منصب مدير الجامعة شاغرا الى أن عاد اليه لطفى باشا فعاد يحافظ على استقلال الجامعة وكرامتها ، لا جرم أن يكون احترام الاستقلال عندى من المبادىء الأساسية لحياة الدولة العامة وان الأمور لتجرى ، فى مجراها العادى اذا أضرب طلبة الجامعة عن تلقى دروسهم واجتمع

مجلس الوزراء فى الغداة فسألنى محمد محمود باشا عما أنا صانع لاعادة الأمور الى مجراها الطبيعى ، وكان الوزراء ينتظرون جوابى فلم أزد على أن قلت أن مجلس الجامعة سيجتمع غدا وسأتوجه اليه وأرأس جلسته ، وأنا مقتنع بأنه سيتخذ الاجراء اللازم لاعادة السكينة وعودة الطلبة الى كلياتهم لتلقى علومهم ٠

وكنت قد فكرت أثر هذا الاضراب فى أسبابه ، ودار بخاطرى ان عمداء الكليات وأساتذتها يقع عليهم تبعة غير يسيرة فيما حدث وما يحدث من مثله ، فاحترام الطلبة اساتذتهم لعلمهم ، وفضلهم ، وما للطلبة من ثقة بهم ، واطمئنان لرأيهم يفرضان محبة الأساتذة واحترام مشورتهم فلو ان الأساتذة بذلوا الجهد لمنع الاضراب عن طريق النصيحة والارشاد لما حدث ، ولو انهم بذلوا النصيحة فلم يسمع الطلاب لهم ، فكان جزاؤهم ان استمر الأساتذة فى القاء محاضراتهم على أقل عدد لتحطمت جهود المحرضين على الاضراب ، وبخاصة اذا أشعر الطلاب بأن المحاضرات قيمة حقا وبأن لهم فى سماعها فائدة تفوقهم ولا يسهل تعويضها اذا حال انقطاعهم عن حسن الاصغاء اليها ، أما أن يكون اضراب الطلبة وسيلة لانقطاع الدراسة فذلك غير جائز بل ذلك تحريض على الاضراب أى تحريض ٠٠

وذهبت الغد فرأست مجلس الجامعة وأدليت الى رجالها الحاضرين بتفكيرى الذى قدمت فاعتذر بعضهم بنشوز الطلبة وعدم قبولهم نصائحهم وأقر البعض رأيى ، واتفقنا على تعطيل الدراسة ثلاثة أيام تستأنف بعدها بانتظام ، على أن يبذل رجال الجامعة جهدهم لتعود الأمور الى نصابها ، وبعد انقضاء الأيام الثلاثة انتظمت الدراسة من جديد واستقرت الأمور فى نصابها الطبيعى ٠٠

على أن تفكيرى — تفكير د٠ هيكل — فى مسئولية الأساتذة أدى بى الى الانتقال خطوة أخرى ، فلو ان الأساتذة قدروا واجبهم كاملا لاستقامت الأمور أكثر من استقامتها فى الوضع الحاضر ، وأول واجب للاستاذ فى الجامعة ان يكرس كل وقته وكل جهده للعلم ، الذى يدرسه ، ينقطع له ، ولا يفكر الا فيه ، ويحاول جهده ان ينتج فى نظرياته ومذاهبه جديدا يلقى على الحياة العلمية من الضوء ما يدعونا الى الشعور حقا باننا نتقدم ، أما ان يكون رجال العلم ، كغيرهم من الموظفين يطغى تفكيرهم فى درجاتهم الوظيفية على تفكيرهم فى العلم ، وسعيهم الى تقدمه ، فذلك ما لا يتفق والحياة الجامعية التى يمتاز رجالها على من سواهم بانهم سدنة العلم وحراس محرابه ، ولو ان الأساتذة سلكوا بتفكيرهم وبحياتهم هذا السبيل ، لكان للحياة الجامعية فى نفس الطلاب أثر غير ما كان لها يومئذ ، ولكان لاستقلال الجامعة من الحرية ما يصد أية سلطة من التعرض له ، لم يكن الاضراب الذى حدث هو وحده مبعث هذا التفكير عندى بل كان مبعثه كذلك ما لاحظته من اتخاذ رجال الجامعة هذا الاستقلال للاسراع الى الرقى المادى

فى الدرجات الوظيفية فقد كانت الجامعة تبعث قرارات الترقية ليوقعها الوزير فكنت الاحظ انها تصل يوم يكون رجل الجامعة مدرسا أو أستاذا مساعدا ، أو أستاذا قد أمضى السنوات الأربع المفروضة قانونا للارتقاء من درجة الى درجة ولم تزد هذه السنوات أسبوعا ، بل لم تزد يوما واحدا وكان وزراء المعارف يوقعون هذه القرارات عادة من غير بحث أو تردد اعتمادا على ان مجلس الكلية بحثها ، ثم بحثها مدير الجامعة ومجلس ادارة الجامعة من بعده ، لذلك كانت مناصب التدريس فى الجامعة مرموقة يسعى اليها كل من وجد الوسيلة لبلوغها ٠

وقد تردد فى البرلمان غير مرة ان أساتذة الجامعة ومساعديهم ممن سمح لهم بمزاولة مهنة فى الخارج ، لا يواظبون على أداء محاضراتهم ولا ينهضون بالبحث العلمى الذى تقضى الحياة الجامعية بالانقطاع له ، لذلك سألت بمناسبة عرض قرارات الترقية لرجال الجامعة على ، عما اذا كانت هذه القرارات تصحب بما قام به من يطلب ترقيته من بحث علمى خلال السنوات الأربع المنقضية بين الدرجة التى كان عليها والدرجة التى يطلب ترقيته اليها ٠٠ ولما كان النفى جواب سؤالى طلبت الى الجامعة أن ترفق كل قرار بمذكرة عن البحوث العلمية التى قام بها من صدر القرار لمصلحته وأذكر مع الشىء الكثير من الأسف ان هذه المذكرات لم تكن تحتوى أغلب الأمر على بحث ذى بال بل كان بعضها لا يذكر شيئا ، قام به صاحبها فى السنوات الأربع ، وكان البعض يكتفى بذكر الرسالة التى قدمها صاحبها لنيل أجازة الدكتوراه ٠

ويقول د٠ هيكل ، انه أبدى ملاحظاته تلك الى مدير الجامعة وقتئذ د٠ على ابراهيم باشا فكان رده على ملاحظاته : أولئك خير رجالنا ولو لم نرقهم ، لتركونا ثم لما وجدنا من يحل محلهم ويملأ الفراغ العلمى ، الذى يخلفونه وراءهم ٠٠

ويقول د٠ هيكل انه قال لمدير الجامعة : ما بالنا لا نعتمد على الأساتذة الأجانب المشهود لهم بالكفاية والفضل فنبذل لهم من المال ما يغريهم بالحضور الينا ؟ ٠٠ بل ما بال رجال الجامعة عندنا يسعون للتخلص من كل أستاذ أجنبى ولو كان ذا سمعة عالمية ليحلوا محله ، وليرقوا الى درجته ، ويقترح د٠ هيكل ان يكون للأساتذة المصريين « كادر » لا ينقل على درجة منه أجنبى وان يكون للاساتذة الأجانب « كادر » آخر لا ينقل اليه مصرى ، فلا يطمع المصريون فى درجات الأجانب ولا يسعون للتخلص منهم ، ويعد مدير الجامعة ببحث هذه الفكرة مبديا وجهة نظره فى ألا يكون الأساتذة الأجانب ذوى كراس دائمة ٠٠ بل يكونون أساتذة زائرين فقط تتعاقد معهم الجامعة لسنة أو سنتين ويمكن تجديد عقودهم ٠٠

ويعقب د. هيكل على ذلك كله بقوله : أكان حديثى فى مجلس الجامعة وقرارى ارفاق مذكرة بحوث من يطلب ترقيتهم من رجال الجامعة وتفكيرى فيما يجب من رعاية الاساتذة واجبهم ، وعدم تخلفهم عن محاضراتهم وحديثى مع مدير الجامعة عن الاساتذة الأجانب ، أكان فى ذلك كله أو فى شىء منه مساس باستقلال الجامعة من جانبى . أنا الحريص على هذا الاستقلال وعلى حمايته ؟ لم أر ذلك يومئذ ، ولا أراه اليوم ، فاضراب الطلاب اخلال بالنظام يتعدى حرم الجامعة فاذا لم تستطع الجامعة التغلب عليه خيف أن تتدخل السلطات غير الجامعية فى شأنه فخير ان يشترك رئيس الجامعة الأعلى مع مجلس الجامعة لاعادة النظام ، الى نصابه من ان تتولى اعادته سلطات الأمر بوسائلها التى تؤذى كرامة الجامعة حين يستطاع ، تجنب هذا الايذاء اجراء كالذى لجأت اليه ، والبحث العلمى أساس الحياة الجامعية ومسوغها فاذا لم يتوفر أساتذة الجامعة عليه لم يؤدوا واجبهم على الوجه الأكمل ، والاستقلال كالحرية أداء الواجب سياجه ، والكفيل باحترامه ، والأمر كذلك فى رعاية الأساتذة واجبهم فى القاء محاضراتهم .

أما الأساتذة الأجانب والاستعانة بهم فواجب رعاه الجامعات كلها فقد كانت الحياة الجامعية فى كل البلاد وفى كل العصور قائمة على أساس من أن العلم لا وطن له ، وفى الجامعات الكبرى فى البلاد المتقدمة فى الحضارة أساتذة من جنسيات مختلفة ، لكن للملاحظة التى أبداها على باشا ابراهيم ، قيمتها ، فلا بد اذن من التوفيق بين عالمية العلم وسموه عن تدخل رجاله فى غير شأنه واستقلال الجامعة لا ينظمه قانون وانما يكفله حرص رجال الجامعة عليه ، وسموهم به فوق كل اعتبار مادى ، أو غير مادى وفرضهم الرقابة الجامعية الدقيقة على كل منتسب لمحاريب العلم حتى لا يخل أحد بواجبه عند ذلك تسمو مكانة الجامعة لا فى وطنها وحده . بل فى العالم بأسره .

وعن أسرار مجلس الوزراء ، يقول د. هيكل : بينما كان مجلس الوزراء منعقدا فى الأسابيع الأولى من عام ١٩٣٩ اذ عرض علينا رئيس الوزراء محمد محمود باشا فكرة لم تكن تخطر لأحد منا على بال : عرض علينا ان تنضم مصر الى ميثاق سعد أباد ، الذى تعاهدت فيه تركيا والعراق ، وايران ، وافغانستان ، أن تعتبر كل اعتداء يقع على احداها واقعا عليها جميعا فهى تتضامن فى دفعه بكل قوتها .. لم يخالجنى أى شك لدى سماع هذا العرض بأن الفكرة من وحى انجلترا وان مبعثها يرجع الى العناية بالدفاع عن الشرق الأوسط .. وقد اعترضت على الفكرة قائلا : ان الدول الأربع المشتركة فى الميثاق متجاورة بعضها مع بعض فالعدوان على احداها يعرض سائرها لامتداد العدوان اليها ، وهنا ثم مصلحة فى التضامن لدفع المعتدى ، أما ونحن لا نجاور أيا منها .. بل تبعد أقربها الينا مئات الأميال عنا فلا مصلحة لنا فى الانضمام الى هذا الميثاق ، وخالفنى فى هذا الرأى بعض زملائى الوزراء محتجين بأنه لمصر مصلحة فى تكوين جبهة متضامنة فى هذا الركن من العالم لان الحرب فى عهدنا أصبحت ميكانيكية

ولان الطيران الحربى ، أصبح لا يعبأ بمئات الأميال ولذلك أيدوا فكرة الانضمام الى الميثاق بمثل القوة التى أيدت بهـا عدم الانضمام اليه ، شاركنى فى ر يى جماعة من الوزراء فلما عرض الأمر للتصويت انقسم المجلس فريقين متعادلين فى العدد ، ولم يكن محمد محمود باشا قد أبدى رأيه ، لذلك قال : ان هذه المسألة الخطيرة لا يكفى فيها أغلبية صوت واحد ، لهذا لا أرى أن انضم لأى الفريقين بل أسحب الموضوع من المجلس .. وقد أعجبت أنا بتصرف محمد محمود باشا فى هذا الموقف فهو تصرف حكيم غاية الحكمة ..

وكانت وزارة محمد محمود باشا مؤلفة من الحزبين : الدستوريين والسعديين ومن المستقلين، ولكن الوزراء ـ كما يقول د. هيكل ـ كانوا لاينظرون الى المسائل من وجهة النظر الحزبية وفى أحيان كثيرة ، كان بعض الوزراء الحزبيين يختلفون مع زملائهم الحزبيين ، عند طرح موضوع معين ويلتقون بآراء زملائهم فى الحزب الآخر أو يلتقون مع المستقلين فى الرأى وكنموذج على السمو بالمسائل القومية فوق الاعتبارات الحزبية يقول د. هيكل : عرض د. أحمد ماهر وزير المالية منح شركة بواخر البوستة الخديوية اعانة من مال الدولة تتجاوز مائة ألف جنيه .. فقد اعترض بعض الوزراء بأن هذه الشركة ليست مصرية وانما هى شركـة انجليزية فعلا ، وان كانت مصرية قانونا وكانت تتستر وراء اسم أحمد عبـود باشا ودفع وزير المالية هذا الاعتراض بأن الشركة تمصرت بالفعل كما انهـا مصرية بالقانون ، وعهد مجلس الوزراء الى الاستاذ سابا حبشى وزير التجارة والصناعة أن يبحث الموضوع وأن يطلع على ملفات الشركة وأن يعرض على المجلس نتيجة بحثه ، وتقدم سابا حبشى ـ بعد بحث استغرق عدة أسابيع ـ الى المجلس مؤكدا ان الشركة ليست مصرية بالفعل ، وان اتسمت بمظاهر مصرية ، وانها لذلك لا تستحق ان تعاونها المالية المصرية ، وكان سابا حبشى وزيرا سعديا ، مع ذلك رد عليه د. أحمد ماهر ، رئيس الهيئة السعدية يفند حججه ويؤيد مصرية الشركة ، واشترك بعض الوزراء فى هذه المناقشة ثم طرح رئيس مجلس الوزراء الموضوع للتصويت وشعر أكثر الوزراء ، ان رئيس مجلس الوزراء يؤيد وزير المالية فى منح الاعانة فأثر ذلك فى رأيهم .. وفى نفس الجلسة ـ بعد أن تمت عملية التصويت ـ قدم سابا حبشى استقالته من الوزارة وعندما أعلن محمد محمود باشا ذلك قال أحمد ماهر : يظهر ان سابا بك لم يقتنع بالحجج ، التى قدمتها ، فاطلب اذن تأجيل الموضوع حتى يعيد هو دراسته من جديد ، وينظر فى هذه الحجج ، ويزنها فى هدوء .

ويقترح د. هيكل على الاستاذ سابا حبشى احالة الموضوع برمته الى لجنة القضايا لتبحث الموضوع فان أقرت الاعانة وافق هو عليها ، وان اعترضت على اعطاء الشركة الاعانة ، كان ذلك تقوية لوجهة نظره ، ويوافق الأستاذ سابـا حبشى ، على ذلك الاقتراح ، ولا يرفض هذا الاقتراح ، أحمد ماهر ، وانما الذى

يرفضه محمد محمود باشا قائلا : لا بد من الفصل في الموضوع وليفعل سابا ما يشاء ، انني لا أقر طريقته في الجلسة الماضية بحال ..

ويقول د. هيكل ، لرئيس حزبه محمد محمود باشا : لكن الأمر ، في هذا بينه وبين رئيس حزبه الدكتور ماهر باشا ، ويقول محمد محمود : ولو .. وما كان له ان يواجه ماهر باشا بمثل ما واجهه به فالدكتور أحمد ماهر ليس رئيس حزبه وكفى بل هو رجل تفاخر به أية أمة ، ان يكون وزيرا فيها ، ولكن أحمد ماهر يوافق على اقتراح هيكل ويحال الأمر الى بدوى باشا رئيس قضايا الحكومة ويبقى الأمر عنده الى أن استقالت وزارة محمد محمود باشا ..

وكان محمد محمود باشا قد صبر ، وصابر على ما يقوم به على ماهر ضده ، ولكن « للصبر حدود » كما يقولون وقد كان محمد محمود يستطيع ان يقاوم مؤامرات على ماهر كرئيس للديوان الملكي ولكن ان يصبح الملك نفسه من رأى على ماهر فهذا ما لم يستطع محمد محمود باشا قبوله بأية حال من الأحوال.

كان أحمد خشبة باشا وزيرا للحقانية وقد رفض احالة سليم بك حسن ، الى محكمة الجنايات وأوغرت بطانة الملك صدره ضد النائب العام «يس بك أحمد» وضد وزير الحقانية أحمد خشبة ، وانتهز الملك فرصة مقابلته لوزير الحقانية فاذا بالملك فاروق يوجه نقدا شديدا الى وزارة الحقانية ، ويتجه أحمد خشبة باشا ، الرجل الحريص ، على كرامته حرصه على حياته الى محمد محمود باشا الرجل الحريص أيضا على كرامة من يعملون معه ، حرصه ، على حياته ويقدم اليه استقالته من وزارة الحقانية ولكن محمد محمود باشا وقد رأى الجو المحيط بوزارته قد أكفهر بصورة لا يمكن الرؤية فيه قال له : لا تتعجل فعما قريب ، تستقيل الوزارة كلها ..

وفي يونيو والوزارة في مصيفها ببولكلى يطلب د. هيكل السفر الى لبنان لقضاء بضعة أسابيع ويوافق محمد محمود على سفر وزيره اذا وافق الملك ، ويستغرب هيكل مما يقوله رئيس الوزارة ذكرت مشورة محمد محمود باشا ليتولى أعمال الوزير الغائب ، وهو ـ أى صاحب الرأى في اجازة الغياب ، ولكن محمد محمود العليم ببواطن الأمور ، يصر على أن يوافق الملك على قيام هيكل بالاجازة ويطلب هيكل من اسماعيل تيمور بك الأمين الأول للملك أن يستأذن الملك في السفر الى لبنان ، ويبلغ اسماعيل تيمور د. هيكل ان الملك لم يأذن بسفره وكان محمد محمود بدوره قد طلب من الملك أن يسمح له بالسفر الى أوروبا للاستشفاء فاعتذر الملك بأن البلاد بحاجة الى بقائه بها ، ويقول د. هيكل ، لم يكن الجو صفوا من حول محمد محمود باشا في يوم من الأيام بل كان يواجه شتى المتاعب ، في كل حين وهذه المتاعب كلها تضنى الأعصاب ، ومحمد محمود باشا رجل يعيش بأعصابه لذلك تأثرت صحته فلم يكن بعد هذه الشهور الطوال التى قضاها في الحكم على ما ينبغى ، ولقد كان

يخفى عني وعن كثير من الوزراء ما يلقاه من متاعب وعقبات ولم يكن يفضى بها لبعض أصفيائه الا فى النادر ولقد كان يشعر فى هذا الصيف من عام ١٩٣٩ بأن المتاعب والعقبات تتراكم أمامه بغير علة تقتضى قيامها ، بل تراكهما فكان يزيده شعورا بأن الأمور ليست ميسرة أمامه ٠

واننى لفى بهو الفندق ، ظهر يوم الجمعة الثانى عشر من أغسطس اذ لقيته مصادفة فقال لى بعد ان حييته : لقد قدمت استقالة الوزارة ٠

ولم يدر بخاطرى أن أسأله عن سبب تقديمها ٠٠ على أننى علمت بعد قليل ان سعيد باشا ذو الفقار كبير الامناء ، جاء الى فندق وندسور حيث كان ينزل محمد محمود باشا وان رئيس الوزراء طلب اليه أن يبلغ الملك ، استقالته لانه علم أن على ماهر باشا ، يتصل بأشخاص يعرض عليهم الاشتراك معه فى وزارة جديدة ، وقال رجال القصر ان الملك ، هو الذى أوفد سعيد باشا ذو الفقار يطلب الى محمد محمود باشا ان يستقيل حرصا على صحته ٠٠

ولما علمت أن على ماهر باشا هو الذى يؤلف الوزارة الجديدة ذكرت مشورة محمد محمود باشا على الملك عندما اشتد الخلاف بين على ماهر باشا وكامل البندارى باشا ان يحتفظ الملك بعلى باشا وساءلت نفسى : « أكان ما حدث اليوم ردا للجميل ، أم أن السياسة لا تعرف عاطفة ولا جميلا أم أن الملك فضل رياسة على باشا ماهر ، للوزارة على رئاسته للديوان ؟ ٠٠

وعن استقالة محمد محمود باشا يقول : الأستاذ عبد الرحمن الرافعى : كان محمد محمود يقيم فى مدة الصيف فى فندق وندسور بالاسكندرية ففى يوم الجمعة ١١ أغسطس ١٩٣٩ دق جرس التليفون بالفندق واذا بالمتكلم سعيد ذو الفقار باشا كبير أمناء الملك يطلب من محمد محمود تحديد موعد ، لمقابلته بالفندق ليبلغه رسالة سامية ٠٠ وجاء فى الموعد المحدد ، وافضى اليه برغبة الملك فى استقالته وكان هذا هو موضوع المقابلة فلم يكد محمد محمود يتلقى نبأ هذه الرغبة حتى استجاب لهـــا ، وقدم استقالته الى الملك فى اليوم التالى (١٢ أغسطس) بعد أن سلخت وزارته فى الحكم نحو عشرين شهرا ٠

بنى محمد محمود ــ كما يقول أستاذنا الرافعى ــ الاستقالة على مرضه وقد كان مريضا معظم المدة التى قضاها فى الوزارة ومع ذلك لم يكن المرض ليدعوه الى الاستقالة بل كان يزمع السفر الى مرسى مطروح للاستجمام والراحة وأعدت الطوافة فوزية لهذه الرحلة فما ان تمت المقابلة بينه وبين كبير الامناء حتى بادر الى تقديم استقالته ولا غرابة فى ذلك فقد جاء الى الحكم ، وبقى فى الحكم بأمر من الملك فكان بدهيا أن يعتزل الحكم تنفيذا لأمر الملك وبعبارة أخرى انه لم يستقل لأن مجلس النواب قرر عدم الثقة بوزارته فقد كان مؤيدا من معظم أعضائه وبدا انها شبه اقالة وكان البرلمان فى عطلته الصيفية فلم يكن من الأعضاء الا أن قابلوا هذه الاقالة بالصمت والوجوم ٠

ويرى د· لبيب يونان لبيب رزق · ان الصراع ظل بين محمد محمود باشا وبين علي ماهر بين مد وجزر وفي نفس الوقت ، كان رئيس الوزراء يصارع المرض حتى اضطر الرجل الى تقديم أولى استقالاته في ٦ يوليو ١٩٣٩ ولكن الملك رفض قبولها وطلب أن يتحمل زملاء الرجل بعض أعبائه مما اضطره الى سحب استقالته · ويضيف د· يونان ، الى الروايات الخاصة باستقاله محمد محمود باشا رواية أخرى ، نقلا عن محمد محمود باشا نفسه ـ كما تقول الوثائق البريطانية ـ ان محمد محمود قال للسير لامبسون عند تقديم استقالته انه ليس من سبب لتلك الاستقالة سوى ظروفه الصحية وانه في جلسة مجلس الوزراء الأخيرة لم يتمكن من البقاء ، أكثر من ربع ساعة ·

وكانت الصحف الصادرة في ١٢ أغسطس ١٩٣٩ قد نشرت بعض الانباء عن استقالة محمد محمود باشا ومقابلة كبير الامناء له ، وكان من بين ما كتبته الأهرام :

قلنا منذ بضعة أيام في معرض الخلاف الدستورى وعن الحل المنتظر انه سيلى فض الدورة البرلمانية تطورات في الموقف السياسى وان الاتجاه ، الذى ستتجه اليه هذه التطورات لا يزال قيد البحث وما كادت الدورة البرلمانية تفض مساء الثلاثاء الماضى والميزانية تقرر على الوجه الذى عرفه القراء حتى تم بحث مختلف الاتجاهات التى يجدر ان يسير فيها التطور السياسى ، واستقر الرأى على خطة معينة ، وكان أمس يوم عطلة ومع ذلك فقد نشطت الشائعات وذاعت الروايات وأصبحت الاسكندرية وأمست وجوها حافل بالأنباء المختلفة وقد بدأت هذه الشائعات تروج مساء أمس الأول على أثر تشرف سعادة الأستاذ محمد محمود خليل رئيس مجلس الشيوخ بالمقابلة الملكية وقد سألناه عن مقابلاته وعن علاقتها بالموقف السياسى فقال · تشرفت بمقابلة « مولاى » الملك وقد لقيت من جلالته كل عناية وكل اهتمام بشئون البلاد كبيرها ، وصغيرها ·· ولم يشأ سعادته أن يزيد على ذلك ·· والذى عرفناه ان رفعة رئيس الوزراء ، قد ألغى سفره ، الى مرسى مطروح وكان موعده بعد ظهر اليوم السبت على الطوافة فوزية وقد عرفت هذا الالغاء رسميا ، على أثر زيارة صاحب المعالى سعيد ذو الفقار باشا كبير الامناء ، لرفعة رئيس الوزراء في الفندق ظهر أمس وقد علمنا كذلك انه على اثر زيارة معالى كبير الأمناء ان رفعة رئيس الوزراء محمد محمود باشا التمس تحديد موعد للتشرف بمقابلة جلالة الملك ليعرض على جلالته قبول استقالته ، واعفاءه من احتمال اعباء الحكم ليتيسر له الانصراف الى العناية الصحية ·

وقد حدد منتصف الساعة الخامسة بعد ظهر اليوم «١٣ أغسطس ١٩٣٩ » موعدا لهذه المقابلة وتقول الأهرام : وينتظر ان يتفضل « جلالة الملك » بقبول استقالة رئيس الوزراء ·

وتقول الأهرام : « والمفهوم فى الدوائر السياسية ان الملك سيعهد الى على ماهر باشا تأليف الوزارة الجديدة » ٠

وتقول الأهرام أيضا : ان محمد محمود باشا بعد ان عاد من نزهته ، على شاطىء البحر أخذ الوزراء يفدون الى الفندق تباعا واجتمعوا برفعته بعض الوقت وسيجتمعون غدا برئاسته فى بولكلى ٠٠

وفى اليوم التالى يجتمع أعضاء الوزارة المستقيلة ، وبعد كتابة الاستقالة يجمع محمد محمود باشا أوراقه الخاصة وكذلك بعض الوزراء ويتوجه محمد محمود باشا الى الملك حيث يستقبله أولا سعيد ذو الفقار وتمتد المقابلة مع الملك من السادسة والنصف الى السابعة ، وبعد أن يخرج محمد محمود من مقابلة فاروق يتجه الى رئيس الديوان الملكى على ماهر وكان على ماهر ، قد وصل الى القصر بعد وصول محمد محمود باشا بربع ساعة ٠ ويقول محمد محمود انه قد قام بأعباء الحكم هو وزملاؤه لمدة عشرين شهرا وهذه المدة ليست بالقصيرة ، فى عمر الوزارات الديمقراطية ويقول ان المرض قد اشتد عليه وان أطباءه قد نصحوه بالانقطاع عن العمل حرصا على صحته وانه ما كاد يصمم على عزمه ترك الوزارة ، ويقبل الملك منه الاستقالة حتى شعر بتحسن فى صحته بدليل انه بقى ثلاث ساعات فى مجلس الوزراء ليصفى بعض المسائل المعلقة ٠

ويؤكد محمد محمود باشا ، ان عبئا ثقيلا قد انزاح عن كاهله بمجرد شعوره بزوال المسئولية الكبرى التى كانت ملقاة على عاتقه فى تلك الأيام العصيبة ٠٠

ولكن لماذا كان اختيار على ماهر لرئاسة الوزارة ، ولم يكن أحمد ماهر ، وهو المرشح الطبيعى لها لانه هو الذى يرأس الهيئة السعدية ويستطيع الحصول ـ بسهولة ـ على ثقة البرلمان ؟

لماذا تولى على ماهر باشا وهو الرجل غير الحزبى رئاسة الوزارة والذى لم يكن له فى مجلس النواب نائب واحد ؟ سؤال يحتاج الى اجابة شافية وافية ؟

الباب السابع

« على ماهر » يخلف « محمد محمود »

● تقول التقاليد الدستورية بل النظام الدستورى المعمول به فى كل البلاد التى تحكم حكما دستوريا سليما صحيحا أنه فى حالة استقالة الوزارة أو فى حالة اقالتها ، اذا كانت الاستقالة جائزة ينبغى ـ طالما المجلس النيابى قائم أو فى النية الابقاء عليه ـ ان يعهد الى الحزب الذى له ، أكبر عدد من النواب فى ذلك المجلس ، أو يعهد الى الحزب الذى يليه فى عدد النواب على أن يضمن هذا الحزب الآخر الحصول على الأغلبية قبل تشكيل الوزارة اما عن طريق تحالفه مع بعض الأحزاب الاخرى واما عن طريق ضمان أصوات النواب المستقلين ، الذين يشكلون معه الاغلبية البرلمانية ، أما ان يتولى تشكيل الوزارة الجديدة ، رجل من خارج البرلمان ، ليس له صوت واحد فى مجلس النواب فذلك ما يعتبر مناقضا لنصوص الدستور ، ولروحه ، على حد سواء ٠

وفى حالتنا هذه ، التى لم يكن حزب الاحرار الدستوريين يملك وحده الاغلبية البرلمانية ولم يكن حزب الهيئة السعدية يملك وحده أيضا الأغلبية ، كان من الواجب ، مراعاة لنصوص الدستور ، ولروحه أن يعهد بمهمة تأليف الوزارة الجديدة الى واحد من الأحرار الدستوريين ، غير محمد محمود باشا بالطبع أو يعهد الى رئيس الهيئة السعدية أو أحد أقطابها مهمة تأليف الوزارة الجديدة ، بحيث يكون من السهل على هذا المرشح لتأليف الوزارة ، أو ذاك الحصول على الأغلبية البرلمانية ، اما أن يعهد بمهمة تأليف الوزارة الجديدة الى على ماهر باشا الرجل غير الحزبى والذى لا يسنده فى المجلس النيابى نائب واحد ، فقد كان من الأمور الشاذة سياسيا ، ودستوريا ٠

وليس صحيحا أبدا ما قيل من أن القصر لم يعهد الى د٠ أحمد ماهر بمهمة تأليف الوزارة الجديدة لان الوفد قد ركز الهجوم عليه فى بعض القضايا كقضية دعم الشركة الفرعونية التى يملكها بالاسم ، أو بالفعل ، أحمد عبود باشا ، أو

كقضية البنك التجارى ، أو غيرهما من القضايا فلقد كان من المعروف ، أن تركيز هجوم الوفد ، على شخص ما ، يعنى أن القصر يبالغ فى احتضانه ويعتبر ذلك الهجوم العنيف محسوبا له ، لا عليه ٠

وقد كان فى استطاعة القصر اذا أراد اعمال النصوص الدستورية ، أو الروح الدستورية السليمة الصحيحة ، أن يعهد بمهمة تأليف الوزارة الجديدة مثلا ـ اذا كان الهجوم على د٠ ماهر هو السبب ـ الى محمود فهمى النقراشى باشا ، نائب رئيس الهيئة السعدية أو أى قطب سعدى آخر !

كل ما فى الأمر ، على ما فصلنا فى الحلقات السابقة ـ ان على ماهر ، لم يشأ ، أن يلى رئاسة الوزارة الجديدة التى أعقبت اقالة وزارة مصطفى النحاس تاركا لمحمد محمود باشا ، القيام بمهمة اجراء الانتخابات واعداد البيت وكلها مهام صعبة وقاسية لابد أن ينال كل من يقوم بها ـ فى الغالب ـ غضب قطاع من الجماهير ـ أراد على ماهر أن يلى الوزارة ، بعد أن تكون وزارة محمد محمود باشا قد قامت بمهمة الوزارة القنطرة وبذلك يأكل البيضة مقشرة كما يقولون ٠

وربما كانت تلك النية ، المتوفرة ضـد على ماهر باشا منـذ اقالة وزارة مصطفى النحاس هى التى دفعت على ماهر الى بذل قصارى جهده حتى لا تكون لوزارة محمد محمود باشا أية شعبية ، كما أن تلك النية هى التى جعلت على ماهر يبالغ فى مرمطة » وزارة محمـد محمود باشا ، كما لم « تتمرمط » أية وزارة سابقة ٠

لم تكن المسألة ، مسألة دسـتور ، يجب أن يحترم ، أو مسـألة تقاليد دستورية يجب أن تراعى بل كانت مسألة مبيتة من القصر أو من على ماهر ، الذى يتحكم فى القصر : هذه المسألة أن يحكم على ماهر علنا ، وعلى رءوس الأشهاد بعد أن ظل عشرين شهرا يحكم من وراء ستار ٠

وأغرب ما فى الموضوع أن على ماهر باشا كان مستعجلا للغاية فى تأليف وزارته الجديدة حتى انه لم ينتظر ، حتى يقدم محمد محمود باشا استقالته أو حتى يتم اتخاذ الخطوات اللازمة ، لدفعه الى الاستقالة بل لقد بدأ يباشر اتصالاته قبل أن يقدم محمد محمود باشا بصفة رسمية استقالته وكان يعرض على بعض أصدقائه الشخصيين الدخول معه فى الوزارة الجديدة التى سوف يؤلفها ، وكان بعض هؤلاء الأصدقاء ـ وهم فى نفس الوقت ، أصدقاء شخصيون لمحمد محمود ـ يحملون الى الرجل المريض المتعب « القرفان » أنباء تلك الاتصالات وعندئذ ، ثار محمد محمود ثورة « مضرية » دفعته الى ابداء « قرفه » بصورة رسمية ، وان كان الرجل أدبا منه ، ونبلا لم يشأ ، وهو فى القصر ، لتقديم استقالته ألا يمر بمكتب على ماهر ، بصفته رئيسا لديوان الملك ٠٠ الملك الذى قدم اليه الاستقالة المطلوبة٠

وقد كان الملك على ثقة مطلقة بأن على ماهر أصلح الناس ، لتولى الوزارة فى تلك الفترة الحرجة من تاريخ البلاد ·· وقد كانت ثقته بعلى ماهر ثقة مطلقة !

وقد كانت التقاليد الدستورية لو أريد للتقاليد الدستورية أن تحترم بل كانت النصوص الدستورية ، لو أريد للنصوص الدستورية أو على الأقل ، لروح الدستور أن يكون لها وجود ، كانت التقاليد أو الدستور نصا ، أو روحا ، تفرض على ، على ماهر وهو بصدد تشكيل وزارته ، البرلمانية الجديدة ، أن يتصل برئيس الحزبين اللذين يشكلان الأغلبية فى مجلس النواب ، ليخبرهما ـ ولو من قبيل الشكل ، لا أكثر ، ولا أقل ـ بأن الملك قد عهد اليه بتأليف الوزارة الجديدة ، وأنه يطلب معونتهما ! أو تسهيل مهمته الجديدة ، ولكن على ماهر ، كان يرى أنه أكبر من الحزبين الكبيرين ، الأحرار الدستوريين ، والهيئة السعدية ، بل كان يرى أنه أكبر من المجلس النيابى نفسه ! أليس هو صانع المجلس ؟ أليس هو صانع العهد ، من الألف الى الياء ، انه لا يستشير ولكنه يأمر ، فيطاع أمره دون مناقشة !

ولو أن حزب الأحرار الدستوريين وحزب الهيئة السعدية ، كانا يحترمان حقا التقاليد ولا أقول النصوص الدستورية ، بل لو كانا يحترمان نفسيهما ، لامتنعا بتاتا حتى عن الدخول فى مناقشات مع على ماهر باشا ، بخصوص وزارته الجديدة ، حفاظا ، على كرامة الحزبين التى أهينت ، بل التى كاد يقضى عليها على ماهر ، بدون رحمة ، بل بدون ذوق !

وقد رفض حزب الأحرار الدستوريين الدخول فى وزارة على ماهر ، فى النهاية ولم يشكل هذا الرفض ، أية متاعب لعلى ماهر ، ولو أن الحزب ـ ومنذ البداية ـ قاطع المشاورات ، الخاصة بتشكيل الوزارة الجديدة لكان قد انتقم من على ماهر ، شخصيا ، انتقاما أدبيا كان سيذكر للأحرار الدستوريين ·

وكنموذج ، لتصرفات على ماهر باشا ، المرشح لتشكيل الوزارة الجديدة ، ازاء الأحرار الدستوريين والسعديين ، أنقل فقرات من مذكرات د· محمد حسين هيكل ، وهى وحدها كافية لاعطاء صورة حقيقية لتلك التصرفات ·

يقول د· محمد حسين هيكل : أزمع محمد محمود باشا ، السفر الى مرسى مطروح يستجم بها بعد استقالته ، وعلمنا أنه سيستقل اليها باخرة من بواخر خفر السواحل ، تكون أكفل لراحته من القطار ، ومن الطائرة ، ومن السيارة ·

وفى عشية سفره اجتمعنا حوله فى بهو الفندق ، فذكر لنا أنه يرحب بعلى باشا ماهر رئيسا للوزارة وأنه يوافق تمام الموافقة على أن يشترك الأحرار الدستوريون ، معه ، وأن يبقى الوزراء الدستوريون فى مناصبهم ، وأن يشغل أحمد « بك » عبد الغفار منصب وزير الزراعة مكان رشوان باشا محفوظ وأنه

عهد الى الدكتور أحمد ماهر باشا رئيس الهيئة السعدية ووزير المالية فى وزارته ليقوم مقامه فى مفاوضات تأليف الوزارة برياسة على ماهر باشا ، وذهبنا صبح الغد الى الميناء ، وصعدنا الى الباخرة وودعنا محمد باشا محمود فى سفره ، الى مرسى مطروح وتمنينا له الشفاء ، وموفور العافية ، وأقلعت الباخرة بالرجل ، الذى شغل مصر عشرين سنة كاملة خادما لها مجاهدا فى سبيل سيادتها ، واستقلالها ، وكانت استقالته من الحكم ، هذه المرة ، آخر عهده به ، وعدنا الى مكاتب الوزارة فى بولكلى ، ننتظر ما يكون من تطورات الموقف فى أمر الوزارة الجديدة ! وكان الوزراء مقتنعين بأن التأليف سيتم فى اليوم نفسه ، أو فى الغد ، اذا أراد على ماهر باشا أن يدخل بعض التعديل على الوزارة ، لكن اليوم انقضى ، وتلاه غده ، ولم يتحدث على باشا ماهر الى أحد فيما كلف به ٠

واتصل بى حسين سرى باشا بعد يومين يخبرنى أن على ماهر باشا لم يخاطبه وان عبد الحميد بدوى باشا تحدث اليه حديثا غير رسمى ، وأنه لا يريد أن يبقى وزيرا للأشغال ، ولا يرضى الا أن يكون وزيرا للمالية ٠

وفى ذلك اليوم استدعى على ماهر باشا ، أحمد خشبة باشا ، وفاتحه فى أمر الوزارة وذكر له أنه يريد أن يختار وزراء فنيين ويريد لذلك أن يكون مصطفى الشوربجى « بك » وزيرا للعدل ، ويعرض على خشبة باشا أن يكون وزيرا للصحة ، ودهش خشبة باشا لهذا العرض ، فقد كان وزيرا للعدل أكثر من مرة ومنذ سنوات طويلة كما كان وزيرا للعدل فى الوزارة المستقيلة ، وهو من رجال القانون ، فما معنى أن يكون وزيرا للصحة ، اذا كان على ماهر يريد أن يعاونه وزراء فنيون ؟ أليس يعنى هذا أنه يعرض عليه هذا العرض ليرفضه وأنه راغب فى معاونة خشبة باشا بالذات ، أو راغب عن معاونة الأحرار الدستوريين جميعـا !

ويقول د٠ محمد حسين هيكل : كنا معشر الأحرار الدستوريين نجتمع أكثر من مرة كل يوم فى فندق وندسور حينا ، وفى فندق سان استفانو حينا آخر ، وفى مكاتب الوزراء ببولكلى أحيانا ، وكنا نتناول فى أحاديثنا ما تقف عليه من اتصالات على ماهر باشا ، ويعلق كل منا بما يعن له ، وقلق بعض الشبان الذين كانت لهم صلات بمحمد محمود باشا فسافروا اليه فى مرسى مطروح يعرضون عليه ما اتصل بهم ، رغم منع الأطباء له من أن يشغل ذهنه بأى أمر ذى بال ، حرصا على صحته ٠

وقيل لى يوما ان على ماهر باشا لا يريد أن أكون معه وزيرا للمعارف وذلك لما بينى وبين الشيخ الأكبر من خلاف على مسألة الأزهر ودار العلوم ، لم يبق اذن من الوزراء الدستوريين فى وزارة محمد باشا محمود ، غير مصطفى باشا عبد الرازق وزير الأوقاف ، ولم يكن مصطفى باشا قد اختلف مع أحد خلالنا

يدعو الى عدم اختياره ، ومع ذلك لم يرد ذكره بين من يرشحهم على باشا ماهر ، لوزارته ٠

فكرنا ـ الكلام للدكتور هيكل ـ فى الموقف ، الذى يجب أن نقفه ، ولما كان محمد باشا محمود قد أناب عنه الدكتور أحمد ماهر رئيس الهيئة السعدية فى مفاوضات تأليف الوزارة ، فقد رأينا أن نتفاهم مع السعديين ليكون موقفنا ، وموقفهم من على باشا ماهر واحدا ، وذهبنا بعد ظهر يوم الثلاثاء ، الى منزل النقراشى باشا برمل الاسكندرية ، واجتمعنا بالدكتور ماهر باشا ، والنقراشى باشا ، وآخرين من زعماء السعديين ، فانتهينا الى اتفاق أن يكون موقفنا وموقفهم واحدا ، فاما أن نشترك ويشتركوا فى الوزارة ، واما أن نمتنع ويمتنعوا عن الاشتراك فيها ٠

وفى الصباح من يوم الأربعاء علمنا أن ابراهيم بك الهلباوى قابل على ماهر باشا وتحدث اليه فى تأليف الوزارة ٠ وألح عليه فى ضرورة اشتراك الحزبين فيها ، ثم اننا عرفنا بعد الظهر من ذلك اليوم ، ان على ماهر باشا ، مستعد أن يشرك معه اثنين من الأحرار الدستوريين ، هما : هلباوى بك ، وعبد المجيد بك ابراهيم صالح ، ولم يكن أيهما وزيرا من قبل ، عند ذلك اجتمعنا فى المساء وتداولنا الرأى فقر قرارنا على أن هذا التفكير من جانب رئيس الوزارة المقبلة ينطوى على تجريح صريح للوزراء الدستوريين ، فى وزارة محمد محمود باشا كما أن اشراك اثنين فى الوزارة لا يعتبر تمثيلا للحزب فيها ٠ ولذلك قررنا عدم اشتراك الحزب فى الوزارة وبلغ أحمد خشبة باشا هذا القرار تليفونيا الى الدكتور أحمد ماهر باشا ٠

وفى مساء الغد ذهبت الى مقهى ميامى بالاسكندرية واتخذت مجلسا الى جانب نافذة مطلة على البحر ، واننى لهناك اذ جاء من بلغنى ان الوزارة تألفت وان السعديين اشتركوا فيها بأربعة وزراء وان النقراشى باشا عين وزيرا للمعارف ، وانه طرب لذلك أشد الطرب وان على ماهر باشا أنشأ وزارة جديدة للشئون الاجتماعية وأسندها الى عبد الرحمن « بك » عزام ٠

وهكذا نجح على ماهر فى أن يقضى على التحالف الذى كان قد قام بين الأحرار الدستوريين وبين الهيئة السعدية ذلك التحالف الذى بلغ يوما ما من القوة ما جعل الكثيرين يعتقدون ان الحزبين سيكونان حزبا واحدا ٠٠ كما نجح على ماهر ـ فى نفس الوقت ـ فى استقطاب السعديين الذين قالوا انهم لم يقبلوا الاشتراك فى الحكم الا لخوفهم على العهد كله من أن يعصف به على ماهر فيجرى انتخابات جديدة لا يكون لهم فيها مثلما لهم وقتئذ فى المجلس القائم ٠

ويقول بعض خصوم السعديين انهم قبلوا الحكم على أمل أن يرثوا وحدهم النظام كله بعد على ماهر خاصة وان بعض قياداتهم كانوا يعتقدون أن وزارة على ماهر باشا لا يمكن أن تستمر طويلا !!

وقبل أن ننتقل الى الحديث عن الوزارة الجديدة ـ وزارة على ماهر باشا ـ يجب أن نقول ان الوفد المصرى قد ابتهج جدا لاستقالة وزارة محمد محمود باشا أو لاقالتها ، وكان من بين ما قالته صحفه وقتئذ ، قالت صحيفة الوفد المصرى : حم القضاء ونفذ السهم وأصبحت وزارة محمد محمود باشا فى خبر كان ،الى أمس فقط كانت الصحف الماجورة تقول ان لاشىء هناك وان الوزارة لم تكن فى وقت من الأوقات أقوى وأثبت على البقاء منها الآن ، بينما كانت الاسكندرية ممتلئة الأفق بأخبار انتهاء الحكم الصالح واستقالة رئيس الوزراء ٠٠ الى آخر لحظة كانوا يكذبون بل لقد كانت الوزارة فى النزع الأخير ولا يزال مصنع الاكاذيب يستغل للايهام والتضليل ، الى ان تقول صحيفة الوفد المصرى : لقد افتضح الحكم الصالح ، حتى فى تغطية نهايته وحتى فى « تكفين » رفاته ليموت كاذبا كما ابتدأ الحياة كاذبا مزيفا شاذا على الطبيعة والتكوين ٠

أما جريدة « المصرى » فقد قالت : أراد الوزاريون أن يستروا النكبة المتوقعة لوزارتهم فقالوا انها لا تستقيل الا لان محمد محمود باشا قرر نهائيا العناية بصحته أولا وقبل كل شىء ولما كانت حالته الصحية لا تساعده مطلقا على القيام بأعباء الحكم فانه يرى ضرورة تخليه عن الحكم ٠

قال الوزاريون هذا وذاك وهم يتنقلون بين مختلف المجالس والأندية وكانت هذه الحركة الغريبة فى نوعها من جانبهم دليلا على أنهم لم يروا بدا من الاعتراف بحقيقة الحالة المحزنة التى صارت اليها وزارتهم لم يدن أجلها وخلاص الأمة منها ، وقد كانت كابوسا عليها (١٩٣٩/٨/١٢) ٠

وفى ١٤ ـ ٨ ـ ١٩٣٩ تقول جريدة المصرى تحت عنوان « مأثرة كبيرة نسجلها لمحمد محمود باشا » وقد جاء فيها : علم أننا لانعرف للحكم الصالح مأثرة واحدة نذكرها له فقد كانت أيامه أسود من خافية الغراب الاسحم لايتخللها بصيص من نور ولا قبس من ضياء ، ولكن واجب الدقة والامانه يفرض علينا ان نسجل لمحمد محمود باشا أنه سافر الى مرسى مطروح عقب تقديم استقالته مباشرة وترك حزبه ووزراءه وحدهم على مدرجة من سيول الحوادث والخطوب ٠٠ الى ان تقول صحيفة المصرى : رأى الرجل ان من المهانة والمذلة لنفسيته ولكرامته ان يبقى يوما أو يومين ليتوسط لحزبه ولزملائه لدى خصمه ، الذى طعنه فى ظهره وكبر عليه ان يقول لعدوه خذ من انصارى خمسة بدل اثنين او خذ فلانا دون فلان ٠٠ لذلك عجل محمد محمود باشا بالرحيل وترك الدار تبكى من شادها وتنعى من بناها ٠

وتكتب جريدة الوفد المصرى فى ١٩٣٩/٨/١٤ تحت عنوان « اما محالفة أو لا محالفة » ٠ وقد جاء فيما كتبته : لقد كان قيام حكومة الانقلاب « تجربة » استعمارية لمحاولة القضاء على استقلال المصريين ، ذلك الاستقلال الذى اعترفت

به بريطانيا العظمى فى معاهدة صداقة ٠٠ وقد جاءت هذه التجربة قبل أن يجف المداد الذى كتبت به تلك الوثيقة الخطيرة التى ربطت ما بين الشعبين وأتت عقب الشروع فى تنفيذها على أيدى ممثلى الشعب المصرى الذين وقعوها أمناء على حقوق بلادهم ، للتخلص من قيامهم على احترامها ، وازاحتهم من الطريق ليخلو للانجليز وقد كادوا كيدهم ودبروا الغدر بالمعاهدة والشعب الذى ارتضاها والمصريين الذين أجمعوا أمرهم على احترام نصوصها والأمانة التامة فى تنفيذها ٠

أما جريدة الدستور فقد قالت فى ١٩٣٩/٨/١٤ تحت عنوان « عميد السياسة المصرية » وكان من بين ما قالته تلك الصحيفة :

هو صاحب المقام الرفيع محمد محمود باشا رئيس الوزارة السابقة ، فى رأى كاتب المقال الأول لجريدة « الدستور » وقد استهل الكاتب مقاله ذاك بما يلى :

« رجل يطمأن اليه ويعول عليه »

ذلك خلاصة ما يقال فى وصف المزايا الخاصة والعامة التى جعلت صاحب المقام الرفيع محمد محمود باشا عميدا للسياسة المصرية فى هذه المرحلة المأثورة من مراحلها الدقيقة ٠

فالحوادث المصرية كلها قد أظهرت ان هذا الرجل الذى يعتزل الوزارة اليوم رأس من رءوس مصر التى لا يتم بغيرها عمل من الأعمال الخطيرة فى تاريخ القضية الوطنية ٠

فمنذ اشترك فى ميدان السياسة المصرية لم يبرم فى البلاد أمر من الأمور الجسام الا كان له شأن بارز فيه ، ووزن معدود فى ميزانه ، وكلمة مرعية تتجه اليها الأسماع وتشتغل بها الأذهان ٠

ومضى الكاتب ، فأشار الى ما جرى عليه رفعة محمد محمود باشا فى وزارته، وما كان من تعاونه مع من اشتركوا معه فى الحكم ، وقال انه :

« بهذا المسلك الحميد قد استحق محمد محمود باشا أن يسمى عميد السياسة المصرية وشيخ الساسة المصريين ، وسيظل على هذا الاعتبار مرجعا لهم وموضعا لاطمئنانهم وتوقيرهم وصديقا للمشفقين والمختلفين منهم ، وعاملا من عوامل التدبير التى يستعان بها حيث كان فى الحكم أو فى خارج الحكم بلا اختلاف » ٠

وعند الكاتب ان رفعة محمد محمود باشا ترك المنصب وما أعطى أحدا من الناس سببا مشروعا للاستياء ، لانه كان سليم التصرف فى علاقاته وأعماله ومراميه ، ولا استثناء فى ذلك لأحد من المصريين ٠

وتقول صحيفة الاجيبشيان جازيت فى نفس التاريخ ، ان استقالة وزارة محمد محمود باشا جاءت فجأة فى وقت كان يظن فيه ان صحة رفعة محمد محمود باشا قد تحسنت الى درجة يستطيع معها استئناف نشاطه بعد راحة قصيرة ٠٠ الى أن تقول :

والواقع أن صحة رفعته ــ على الرغم من تحسنها قليلا ــ لا تحمل على الأمل فى العودة سريعا الى العمل ٠ ولذلك رأى أن يستقيل فى الظروف الحرجة الحالية ٠ وهذا ما كنا نتوقعه من محمد محمود باشا الذى طالما برهن على أن صدره يفيض غيرة على صالح بلاده ٠

وبعد أن تحدث كاتب المقال عن المجهود الذى بذلته الوزارة خلال العشرين شهرا التى تولت الحكم فيها ، وخصوصا فى تدبير المال اللازم لتسليح البلاد ٠ قال : ان المستوى النفسانى فى مصر ارتفع كثيرا خلال الأشهر الأخيرة بفضل أداة الحكم الصالحة والحكيمة ٠ وقد ظلت الحكومة سائرة بحكمة وروية فى الطريق التى اختطتها لنفسها بالرغم من العوامل المعاكسة ، التى ظلت تعترض سبيلها ٠

وأخيرا لما ساءت صحة الرئيس ، ولم يعد فى استطاعته ادارة دفة الحكم بتوجيه أعضاء وزارته ، بدأت الحكومة تتحول الى مجموعة من الأفراد يعمل كل منهم على طريقته دون أن تكون لديهم يد القائد التى تربط بينهم وتنسق أعمالهم فى سبيل صالح الحكم ٠ فلم ير محمد محمود باشا ، ازاء هذا ، الا أن يتقدم باستقالته الى جلالة الملك ٠

أما صحيفة البلاغ ، المؤيدة للعهد فقد قالت فى ١٩٣٩/٨/١٣ :

كل من يعرف شيئا عن رفعة محمد محمود باشا يستطيع أن يكون على يقين جازم انه ما كافح الضعف وقاوم الاعياء الا وهو موقن أن مصلحة بلاده تتقاضاه هذا الجهد الشاق ، وانه ما استقال الا وهو موقن أن هذه المصلحة عينها تحتم عليه رعايتها أن يتخلى عن الحكم لمن هو أصح بدنا وأقدر بهذا العمل ، فما ينظر رفعته قط الى شخصه أو يجعل باله الى منصب أو جاه ، أو تنقصه الكرامة حتى يستعيرها من ولاية الحكم ، وقد بلغ غاية ما يبلغه سياسى ، وأحل نفسه بشخصيته الكريمة وروحه النبيلة ، وسيرته القومية النزيهة ، فى أرفع المنازل وأجل المراتب ٠

وكل وزارة مصرية استقالت كانت استقالتها لأزمة أو خلاف ، أو لانتهاء مهمتها أو لان الوقت حان لتغيير السياسة العامة والأخذ فى نهج جديد الا الوزارة المحمدية ، فان قاعدة الحكم الحالى باقية كما هى ، والسياسة التى جرت عليها الوزارة واجبة الاستمرار ، والنهج لا يتغير ، ولا خلاف هناك ولا أزمة ٠

وتتكون وزارة على ماهر باشا الثانية على النحو التالى : على ماهر للرئاسة ، والداخلية ، والخارجية ، محمد على علوبة وزير دولة للشئون البرلمانية ، محمود فهمى النقراشى وزير المعارف ، محمود غالب وزير المواصلات ، حسين سرى وزير المالية الدكتور حامد محمود وزير الصحة ، سابا حبشى وزير التجارة والصناعة، عبد الرحمن عــزام وزير الأوقاف ، ابراهيم عبـــد الهادى وزير دولة للشـــئون البرلمانية ، مصطفى محمود الشوربجى وزير العدل ، عبد السلام الشاذلى وزير الشئون الاجتماعية ، عبد القوى أحمد وزير الأشغال ، محمد صالح حرب وزير الدفاع الوطنى ، محمود توفيق الحفناوى وزير الزراعة ٠

والوزارة الجديدة اعتمدت أساسا على المستقلين ٠٠ تسعة وزراء من بين أربعة عشر وزيرا ٠ أما الوزراء الحزبيون فلم يكونوا يزيدون على الخمسة هم جميعا من الهيئة السعدية ، وقد اعتذر أحمد ماهر عن دخول الوزارة الجديدة لأسباب كثيرة مختلفة قيل من بينها : انه كان على خلاف دائم مع شقيقه على ماهر فى سياسته ، أسلوبا ومنهجا ، وقيل أيضا انه فضل أن يرأس مجلس النواب بعد المتاعب التى واجهته من الوزارة لانه برلمــــانى ، ويفضــــل أن يعيش مع البرلمانيين ، وقيل أيضا انه كان يعرف أو يستنتج أن وزارة على ماهر لن تدوم طويلا ، وانه آثر ألا يحرق نفسه فى وزارة مؤقتة ، ومؤقتة بزمن قصير ، وقيل ، وقيل ، والرأى عندى أن الرجل ، أحمد ماهر ، وفاء منه للرجل محمد محمود قد آثر أن يبتعد عن الحكم لان عجلة الحكم قد بدأت تدور بطريقة عكسية ، وهو رجل صريح ، وواضح ثم ان الرجل ـ وقد عرفت ذلك من بعض المتصلين به ـ آثر أن يكون ابتعاده عن الحكم نوعا من الاحتجاج الصامت ، للطريقة المهينة التى استغنى بها عن خدمات صديقه محمد محمود باشا ٠

وكان اختيار صالح حرب ، ومصطفى الشوربجى وعبد الرحمن عزام كوزراء فى وزارة على ماهر ، واختيار عزيز المصرى كرئيس لأركان حرب الجيش المصرى ايذانا ببدء معركة مع بريطانيا ، وقد عبر سير مايلز لامبسون عن مخاوفه من تشكيل تلك الوزارة من هؤلاء الوزراء ، عبر عن مخاوفه فى خطاب بعث به الى لورد هاليفاكس وزير الخارجية البريطانية وقتئذ !

وقد كان القصر متأثرا فى ذلك بالايطاليين ، ذوى النفوذ القوى فى القصر ، يرغب فى تجنب مصر ، ويلات الحرب وكانت الحرب على وشك الوقوع ، وكان الايطاليون ، ذوو النفوذ فى القصر على علاقات وثيقة بالدوتشى موسولينى الذى كان يكن قدرا كبيرا من الكراهيـــة لبريطانيا ، ولسياســـتها الأفريقية بنوع خاص !!

وكان على ماهر مقتنعا وبصفة شخصية بان بريطانيا سوف تدخل الحرب وسوف تحث مصر على دخول تلك الحرب ، الى جانب بريطانيا تطبيقا لنصوص

معاهدة ١٩٣٦ وكان على ماهر يؤمن ايمانا قاطعا ـ وهذا ما يذكره له التاريخ ـ مؤمنا الى أبعد حدود الايمان بأن مصلحة مصر فى البقاء بعيدة عن أتون تلك الحرب ولأن على ماهر كان يعرف جيدا أن أية اصلاحات فى الجيش المصرى لن تتحقق بسبب معارضة البعثة العسكرية البريطانية المسيطرة على كل أمور الجيش المصرى ، صغيرها وكبيرها ، ولذلك فقد كان أول ما فكر فيه انشاء قوة حربية محلية لا تخضع لسلطان البعثة العسكرية البريطانية ، ونعنى بتلك القوة ، الجيش المرابط « وهو جيش اقليمى » يتألف من المجندين الذين يزيدون على حاجة الجيش العامل ، ولم تنقض مدة الزامهم بالخدمة العسكرية ومن ينضم اليهم من المتطوعين ٠٠ ومهمة هذا الجيش ـ فى السلم ـ تنمية وتعميم الخصال والفضائل العسكرية وموافاة الجيش عند الاقتضاء بما يحتاج اليه من الجند ، والقيام بما يعهد اليه من الخدمات العامة أو الخدمات الاجتماعية ٠ ومهمة هذا الجيش ـ فى الحرب ـ القيام بحراسة المرافق العامة وأداء الخدمات العسكرية المختلفة وراء ميادين القتال وانجاد الجيش عند الحاجة ، ومدة الخدمة فى الجيش المرابط لا تتجاوز ستة أشهر ، ويتولى تدريب الجيش المرابط ضباط الجيش العامل أو المحالون منهم الى المعاش والاستيداع ٠

● تحدثنا عن ذهاب وزارة محمد محمود باشا الرابعة ، والأخيرة ورأى الصحافة المصرية على اختلاف مذاهبها واتجاهاتها الحزبية فى عملية « الذهاب » هذه كما تحدثنا عن مجىء وزارة على ماهر باشا ، الثانية والظروف التى لابست عملية « المجىء » هذه وأشرنا ـ مجرد اشارة ـ الى ما تميزت به وزارة على ماهر من ضم بعض الشخصيات الوطنية التى رأت بريطانيا فى ضمها الى وزارة على ماهر نوعا من التحدى لها ، كما أشرنا أيضا ـ مجرد اشارة ـ الى حرص على ماهر على تشكيل الجيش المرابط ليكون قوة الى جانب قوة الجيش المصرى الذى تؤثر فى تسليحه وتشكيله البعثة العسكرية ، البريطانية التى كانت حريصة باستمرار على « تحجيمه » وعدم اعطائه الفرصة للانطلاق ، وقد كان اختيار عزيز على المصرى رئيسا لأركان حرب الجيش المصرى ، مثارا للمنازعات بينه وبين البعثة العسكرية البريطانية ، تلك المنازعات ، التى بدأت عندما كان مفتشا عاما للجيش المصرى ٠

واذا كان عزيز على المصرى لم ينجح فى مجابهته للبعثة العسكرية البريطانية عندما كان مفتشا عاما للجيش المصرى ، لان وزراء الحربية كانوا ضده ولان رئيس الوزراء لم يكن يريد أن يتطور الصدام بين عزيز على المصرى وبين وزراء الحربية الذين عمل معهم من ناحية وبينه وبين البعثة العسكرية البريطانية من ناحية أخرى الا أن الوضع قد تغير مع مجىء وزارة على ماهر : لقد حرص على ماهر على أن يقف الى جانب عزيز المصرى ، وحرص ـ فى نفس الوقت ـ على تقليص نفوذ البعثة العسكرية البريطانية ٠ وقد رأى السير مايلز لامبسون أن فى مقدمة

ما استهدفه عزيز المصرى بعد مجيء على ماهر باشا الى الحكم . العمل على تفويض مركز البعثة العسكرية البريطانية فى مصر • وقد كان تشجيع على ماهر باشا لعزيز على المصرى فى مقدمة الأعمال التى اعتبرتها السفارة البريطانية فى مصر معادية لبريطانيا والتى من أجلها نار الخلاف بين على ماهر وبين بريطانيا ، والتى حالت بين قيام تعاون وثيق بينهما فى المستقبل .

والجدير بالذكر أن على ماهر باشا عندما سافر الى لندن للاشتراك فى مؤتمر لندن لبحث القضية الفلسطينية كان قد تقابل مع المسئولين البريطانيين أكثر من مرة وكان هدف على ماهر من تلك المقـابلات و « الاجتماعات المكثفة » اقناع المسئولين البريطانيين بأنه لا يمكن أبدا أن يوضع فى صف السياسيين المصريين المعادين لبريطانيا بل انه فى مقدمة الراغبين فى تنفيذ معاهدة ١٩٣٦ بروح طيبة وأنه ـ أى على ماهر ـ لا يحمل فى نفسه كراهية للبريطانيين بل انه على العكس، مما يشاع عنه صديق لبريطانيا وكان على ماهر باشا أيضا قد حرص على أن يوحى للساسة البريطانيين انه القادم الجديد لحكم مصر ، وان بقاء محمد محمود باشا فى الحكم من الأمور الوقتية وانه وحده هو الذى يقرر متى تنتهى مأمورية محمد محمود باشا •

ولكن الملابسات التى أحاطت بتشكيل وزارة على ماهر واختيار بعض معاونيه للمشاركة فى تلك الوزارة ، ومحاولة ظهوره ـ منذ بداية تشكيلهالوزارة ـ بمظهر الوطنى المستقل قد أثار مخاوف سير مايلز لامبسون سفير بريطانيا فى مصر الذى لم يكن يستطيع للظروف الدولية الخطيرة التى تكتنف العالم أن يعترض على رئيس الوزراء الجديد أو على الأقل يعترض على بعض الأعمال التى قام بها حتى لا يؤول هذا الاعتراض على أنه تدخل سافر فى الشئون الداخلية لمصر !

وكان على ماهر ـ والحق يقال ـ قد أحسن استغلال ظروف تدهور الحالة الدولية ووقوع بريطانيا فى أكثر من مأزق دولى ، بل ان على ماهر لذكائه ـ ولا أحد يستطيع أن ينكر عليه ذكاءه الحاد ـ قد رأى ان بريطانيا لن تحاول أبدا فى تلك الأيام التدخل فى شئون مصر ، وخاصة وأن على ماهر ـ رئيس الوزراء ـ مؤيد الى أبعد حدود التأييد من الملك •

وأصحاب الذكاء الحاد ، ينجحون دائما ، وباستمرار ولكن عندما يخطيء الواحد منهم خطأ فاحشا واحدا فانه يفقد وبسرعة كل ما حققـه من نجاحات ولذلك فقد نجحت سياسة على ماهر باشا فى البداية فحقق كل ما كان يريد تحقيقه من تأخير تدخل بريطانيا فى كثير من الأمور ، الداخلية ، التى رأى تنفيذها ، ولكن بريطانيا التى صبرت ، على ، على ماهر طويلا ، لم تستطع بعد اعلان الحرب ودخولها الى جانب بولندا وضد ألمانيا ـ للانتظـار طويلا على على ماهر وكانت الفرصة التى استغلتها أبرع استغلال دخول ايطاليا الحرب الى

جانب ألمانيا وضد بريطانيا فكان ما كان من اصرار بريطانيا ـ بصورة رسمية سافرة ـ على احداث تغيير وزارى فى مصر ولم تكن وزارة على ماهر قد أكملت شهرها العاشر . لقد دخلت بريطانيا الحرب فى ١٠ يونيو ١٩٤٠ وأجبر على ماهر على الاستقالة كرئيس لمجلس الوزراء ـ بناء على تدخل بريطانيا ـ فى ٢٧ يونيو ١٩٤٠ .

واذا كان على ماهر قد بدأ منذ اليوم الأول لتشكيل وزارته معركة التحدى ضد بريطانيا أو ما يمكن أن يسمى بالخروج عن المألوف فى تشكيل الوزارات وضرورة استئذان بريطانيا فى كل الخطوات التى تسبق التشكيل الوزارى وتواكبه ، الا أنه قد بدأ منذ اليوم الأول تحقيق كل ما كان يريده القصر من أمور رفضت تنفيذها ، أو أرجأت التنفيذ وزارة محمد محمود باشا ، وفى مقدمة تلك الأمور ـ وعلى سبيل المثال لا الحصر ـ احالة سليم بك حسن الى المعاش ، بعد خلافه مع الأب دريتون مدير دار الآثار المصرية ، وبعد أن رفض النائب العام، أو « النائم العام » كما كان يسميه على ماهر باشا احالته الى محكمة الجنايات لأن النائب العام لم يكن يرى فيما نسب الى سليم بك حسن ما يوجب احالته الى محكمة الجنايات فجاء مجلس الوزراء بعد ثلاثة أيام من تشكيله وفى أول اجتماع رسمى له ـ ليحيل سليم بك حسن ، الى المعاش لا الى محكمة الجنايات .

وكان مجلس الوزراء قد عين فى أولى جلساته ٢٠ أغسطس ١٩٣٩ محمد كامل نبيه بك وكيلا لوزارة الاشغال ، والفريق عزيز على المصرى باشا رئيسا لأركان حرب الجيش المصرى وعبد الرازق أحمد السنهورى بك وكيلا لوزارة المعارف ـ بدلا من العشماوى بك الذى كان يقف الى جانب د. محمد حسين هيكل وزير المعارف السابق فى كثير من آرائه واتجاهاته وقراراته ، وحسن مختار رسمى بك وكيلا لوزارة المالية ، والأستاذ عبد المقصود أحمد ، وكيلا مساعدا لوزارة المالية ، واللواء حسن عبد الوهاب باشا قائدا للأساطيل الجوية !

الفصل الثانى

طلعت حرب يلقى جزاء سنمار
القصر يقيل رئيس بنك مصر

● كان من أخطر ما أقدم عليه مجلس الوزراء ، فى تاريخه ما اتخذه خاصا بطلعت حرب باشا : وادع الدكتور محمد حسين هيكل يروى قصة مجلس الوزراء الجديد مع طلعت حرب يقول د. هيكل :

أثارت احالة سليم بك حسن وجماعة من كبار الموظفين الى المعاش . على هذا النحو ، المفاجىء دهشة الناس وتسابقت الصحف ، لكن أمرا أجل خطرا كان أكثر لفتا للنظر ، فقد استدعى حسين سرى باشا وزير المالية محمد طلعت حرب مدير بنك مصر ، وتحدث اليه فى مركز البنك ، وفى دقة هذا المركز دقة توجب على الحكومة ان تتدخل لمصلحة المساهمين فيه وأصحاب الودائع ، وطلب اليه أن يتنحى عن ادارة البنك وترامى الى الناس هذا النبأ ففتحوا عيونهم واسعة من الدهشة ، فطلعت حرب هو مؤسس البنك منذ عشرين سنة ، وهو الذى انشأ شركات البنك ، واحدة بعد أخرى ، وبعث فى البلاد نهضة صناعية لم تعهدها من قبل ، وهو لهذا موضع تقدير الشعب واكباره ، واجلاله ، افيعامل رجل خدم بلاده أجل خدمة على هذا النحو المهين وهو الجدير ، بكل اكرام ، وتقدير ؟ وتولى طلعت حرب لهذه المفاجأة ، ما تولى الناس جميعا . لقد كان بنك مصر ، يعانى فى هذه الفترة أزمة تعانيها المنشآت المالية جميعا ، بسبب الازمة المالية الطاحنة التى حلت بالعالم واستمرت عدة سنين لكن الرجل لم يكن يحسب ان الأمر ، يصل بالحكومة الى أن تعامله هذه المعاملة وهو فى نظر الشعب أكبر من وزير ، وأكبر من رئيس وزراء لانه هو الذى أقام المؤسسة المصرفية الكبرى والشركات التابعة لها باقدامه فهو الذى خلق هذه المنشآت ولم يخلقه هو الا الله وهو لم يتهم يوما فى ادارة البنك ، ولم ترق الى نزاهته شبهة ، وبعض الرعاية من جانب الحكومة للبنك كفيل بأن يعاونه على تخطى هذا المركز الذى لم يبلغ

من الدقة ما يريد وزير المالية ان يصوره ، لكن وزير المالية حاسم فيما طلبه وللحكومة فى البنك ودائع ضخمة اذا هى فكرت فى نقلها الى بنك غيره ، عرضت سمعة البنك للخطر ، أى عرضت كيان البنك للخطر ، والبنك هو طلعت حرب ، هو سمعته ، وهو حياته ، وهو تاريخه الباقى ، لن تستطيع الأيام محوه ما بقى البنك دائما ووزير المالية حاسم قاطع فى طلبه ، ان يتنحى منشىء البنك عن ادارته ، وهو يضرب له موعدا ـ ثلاثة أيام ـ ليتلقى جوابه وهذا الموعد انذار نهائى معناه ان ينزل طلعت على الحكم ، أو أن تقف الحكومة من البنك موقف الخصم ٠

ما عسى تكون الخواطر ، التى مرت بنفس طلعت خلال الأيام الثلاثة التى ينتهى فى آخرها هذا الانذار النهائى وكيف قضى الرجل هذه الأيام الثلاثة وهو يفكر فى النزول عن عرش مصرفه بعد أن أقام قواعده وبعد أن قضى فيه وفى شركاته عشرين عاما كان أثناءها مقصد العشرات والمئات والألوف من المصريين شبابا وشيبا ، رجالا ونساء ، أغنياء ، وفقراء ، وكان أثناءها صاحب الكلمة المسموعة ، والرأى النافذ ٠

لقد ذهبت اليه قبل ذلك بأسابيع اجابة لرجاء من أحمد ماهر باشا وزير المالية أحدثه فى وسيلة يقترحها لدعم البنك فكبر عليه ان يسمع ان البنك فى حاجة الى دعم وأخبرنى أن كل شىء يسير على أقوم طريق ، أما وهو اليوم بازاء هذا الانذار من وزير المالية الجديد فلا مفر له من أن يتخذ قرارا اما بالتخلى عن ادارة البنك واما بالتعرض لوقوف الحكومة من البنك موقف الخصومة ٠ وآثر الرجل ، أن يتخلى عن ادارة البنك ابقاء على تاريخه فبلغ وزير المالية رأيه ، قبل انقضاء الموعد ، المحدد ، واختارت الوزارة الدكتور حافظ عفيفى باشا مديرا للبنك مكانه وتخلى كذلك فؤاد بك سلطان ، عن مركزه ، بصفته عضوا منتدبا عن مجلس الادارة وحل محله عبد المقصود أحمد ، وقبل ان نتحدث عن طلعت حرب وعن الظروف التى أدت الى التخلص منه ، نحب ان نشير الى « استقبال » الصحافة لوزارة على ماهر ، بعد أن تحدثنا ، عن « توديع » الصحافة لوزارة محمد محمود وسوف نختار « عينات » قصيرة ، وموجزة ، لما نشرته الصحف المصرية ، عن وزارة ، على ماهر وعن على ماهر أيضا ٠

اشارت صحيفة الدستور الناطقة باسم الهيئة السعدية ـ ١٩٣٩/٨/٣٠ ـ الى أن الوزارة خلت من الأحرار الدستوريين كما أشارت الى « أسف » رئيس الوزراء ، لذلك ، وأسف الكثيرين وقالت أيضا : اذا تيسر للجميع بما يتضافرون عليه من الخدمة العامة ، والأعمال النافعة ان يتبادلوا الثقة والتأييد ففى ذلك تعويض حسن ، لما كان منتظرا من مشاركتهم الفعلية فى توجيه تلك الأعمال » ومضى كاتب مقـال الدستور يقول : ان أعضـاء الوزارة البرلمانيين من النواب والشيوخ قليلون : ولكن الدستور المصرى ، وبعض الدساتير الأوربية ، الراقية

لاتوجب اختيار الوزراء جميعا من النواب والشيوخ ، الى أن يقول كاتب المقال : ولكننا لا نرى ما يمنع التوفيق بين المطلبين والجمع ، بين الكفاءة والنيابة فى وقت واحد قياسا ، على ما حصل عندنا ، أكثر من مرة وقياسا ، على ما يحصل فى البلدان الدستورية العريقة التى يتفق فيها أحيانا أن يتخلى بعض النواب عن دوائرهم من يراد الانتفاع بهم فى سلك الوزارة من ذوى الكفاءات أو ذوى المكانات وقد دللت الوزارة على عظيم رغبتها فى احكام الصلة بينها وبين المجلس باشتمالها على عضوين بارزين أحدهما لمباشرة الشئون البرلمانية فى مجلس الشيوخ ، والآخر لمباشرة هذه الشئون فى مجلس النواب ، ويختتم كاتب الدستور مقاله بقوله : هذه العناصر ، الجديدة فى الوزارة الماهرية هى العناصر التى عرفتها ميادين الوظائف وميادين البعثات السياسية فنحن نستقبلها بالرجاء وننتظر منها السداد فى صياغة مصالح البلاد وفى مقدمتها أغلى وأنفس مصالح بنى الانسان الحرية والاستقلال ·

اما جريدة المصرى فتقول تحت عنوان ، المحسوبيات العليا : وظائف تخلق للأشخاص لا رجال يخلقون للوظائف : يقول المصرى : ظهر ان جميع الوزراء الجدد ــ فيما عدا اثنين ــ هم موظفون عاديون من محافظ . ومهندس ومدير مصلحة ، ومدرس ، أما باقى الوزراء فهم بلا شك من أضعف أعضاء الوزارة المستقيلة ·· وفتح المصريون عيونهم وحدقوا فلم يروا كفايات بــل وقعت أبصــارهم على مفاجآت تجعل الوزارة الجـديدة جديرة بأن تكون أعجوبة بين الوزارات ، وأعجب ما فى الوزارة أن صاحبها لم يجترىء شــكيلها من طائفة الموظفين الذين تعج الحكومة بالمئات من أمثالهم ولكنه خلق ثلاث وزارات جديدة لثلاثة وزراء جدد ، واستحدث لهم اختصاصات ما أنزل الله بها من سلطان ·

ثم قالت جريدة المصرى : هذه أعاجيب لا نرى لها مثيلا فى بلد غير مصر ، ولا فى وزارة غير الوزارة الحاضرة ولا نعرف لها قياسا ، ولا سابقة : ونحن أمام تفسير واحد ، هو ان هذه الوزارات قد خلقت خلقا ، لأشخاص أريد التحايــل على ادخالهم فى الوزارة لتسيير أمر تشكيلها أو لارضاء الصداقة ولكن على حساب ميزانية مصر المسكينة التى عجزت عن الضرورات فأصبحنا نراها فى عهد ماهر باشا ، تتسع لما تضيق عنه ميزانية بريطانيا العظمى ·

واذا لم تكن هذه هى المحسوبية ، العليا ، المضاعفة بكسر العين وفتح الفاء فى وظائف الدولة الأساسية فما هى المحسوبية اذن ، وكيف تكون ؟

وقالت جريدة « البلاغ » معلقة على انشاء وزارة للشئون الاجتماعية ، وهى احدى الوزارات الجديدة التى انتقدت (جريدة المصرى) على ماهر ، على استحداثها ضمن الوزارات :

« ان الأمر فى الشئون الاجتماعية كان مفرقا مبعثرا ، بين وزارات ومصالح شتى وان هذه الشئون لم تكن تعد من المهام الأساسية لوزارة من الوزارات

فالتعاون ليس مهمة أساسية لوزارة الزراعة ، وشئون العمال ورفع مستواهم واستحداث أسباب الترفيه لهم فى أوقات الفراغ لم تكن عملا رئيسيا لوزارة التجارة والارشاد والدعاية والتثقيف والمحاضرات ، وما الى ذلك عمل ثانوى للوزارة التى كانت تعنى به ، وهكذا ، ومن أجل ذلك لم يكن مستغربا ألا تشعر وزارة معينة ان عليها واجبا يتحتم أداؤه على وجه السرعة وينبغى تقديمه على كل ما عداه مما تقوم به من أعمالها الرئيسية ، ثم ان هذه البعثرة للمصالح والشئون ، على وزارات كثيرة لم يكن من شأنها أن تسهل التعاون على خدمة الأغراض الاجتماعية وتنسيق الجهود فى سبيلها » ٠

ومضت « البلاغ » تقول عن الوزارة انها « أوجدت من أول لحظة لتقليدها الحكم ، شعورا بين موظفى الدولة بأن العمل مطلوب منهم بأقصى قوتهم ، وشعورا خارج دوائر الحكومة ببشائر نشاط سيكون له أثره الحميد فى حركة العمل والانتاج ، وفى روح الأمة على العموم » ٠

وكانت مجلة الاثنين قد اتجهت الى ما اتجهت اليه جريدة المصرى من انتقاد انشاء وزارات جديدة وتعيين وزراء جدد ، وكان من بين ما قالته فى هذا الخصوص : للمرة الثانية اتجهت النية الى زيادة عدد الوزراء فى مصر بانشاء وزارات جديدة وتعيين أشخاص وزراء دولة ، وهذه بدعة نعيذ مصر ، من شرورها وويلاتها فالزيادة فى مناصب الوزراء ، لا توجبها حاجة العمل ولكن الذى يوجبها ارضاء الأشخاص الحزبيين على حساب أموال الدولة وليس يجهل أحد ما ينعم به الوزير فى مصر ، من مميزات وخصائص ، فهو يقبض مرتبا ضخما ويمنح سيارة فخمة وتكون أكثر مرافق الدولة فى خدمته ولا يكاد يوجد شعب ناهض يرضى أن يثقل كواهل دافعى الضرائب لينعم بعض الأشخاص بالمناصب العالية ٠

ان الواجب اليوم يفرض النقص فى عدد الوزراء لا زيادتهم فثمة وزارات يمكن أن يشرف عن اثنتين منها وزير واحد ، وفى أكثر العهود الماضية كانت تظل احدى الوزارات من غير وزير ، يقوم على شئونها وزير منتدب ومع ذلك فما رأينا عجزا فى ادارة شئونها ٠

وعرضت جريدة « المقطم » فى افتتاحيتها لما أذاعته جريدة « الديلى هرالد » من أن « على ماهر باشا قد يحكم مصر بدون برلمان » فنفته وقالت :

« ولا ندرى لماذا يعزى الى على ماهر باشا احتمال الانفراد بالحكم بغير برلمان وقد كان من أبرز أعضاء اللجنة التى عنيت بوضع الدستور وتولى اعادة النظام البرلمانى أثناء وزارته الاولى ومهد السبيل للانتخابات وابتكر أسلوبا

لانتخاب مجلس الشيوخ بسرعة حرصا على مقتضى الدستور فى أمر الوصاية على العرش · وبين أعضاء وزارته الحاضرة وزراء شديدو الايمان بالعمل البرلمانى ونظام الحكم النيابى ·

ولكن لماذا نعتب على جريدة انجليزية اذا أشارت الى احتمال وقوع هذا الأمر ونحن ما برح بعض صحفنا يردد أنباء العزم على حل هذا المجلس أو ذاك من البرلمان أو حل البرلمان كله مع ما فى هذا الترديد من خطر حقيقى بما يقلل من هيبة البرلمان وتأثيره ويخلق حوله جوا غير صالح » ·

وانتهت من هذا الى قولها :

« لهذه الاعتبارات وسواها لا يمكن أن يخطر ببالنا أن سياسيا عبقريا كصاحب المقام الرفيع على ماهر باشا يخطر له أن يحكم بدون برلمان وخصوصا فى هذا الأوان ولا سيما بعد ما أعربت مصر عن مشيئتها من هذه الناحية غير مرة اعرابا صريحا لا يشوبه غموض ولا ابهام » ·

وقالت جريدة « البورص » فى مقال بهذا العنوان :

وعندما عرف الناس أن على ماهر باشا قد دعى الى تولى الحكم جاش الأمل فى جميع القلوب ، فان الجميع يعترفون لرئيس الحكومة الجديد بصفات بارزة · نعم انه ليس بالرجل الساحر الذى يستطيع أن يسوى جميع المشكلات بعصاه السحرية : فلن يستطيع على ماهر باشا أن يرفع أسعار القطن الخاضعة لتقلبات الأسواق العالمية ولن يستطيع تخفيض النفقات العسكرية أو تخفيض الضرائب عن الممولين ما دامت الازمة الدولية تهدد العالم · فيجب عدم التمادى فى الأمل والتفاؤل لئلا يعقب ذلك شيء من خيبة الأمل ·

ان الفلاح لم يسمع ولم ير حتى الآن الا وعودا · فان جميع خطب العرش عللته بأجمل الوعود ولكنها كانت تذهب هباء مع الريح · أما اليوم فيخيل الى انه قد صحت العزيمة على تحقيق شيء من آماله · فان الوزارة منذ أول اجتماع عقدته قد اهتمت بشئون الفلاح وأخيه الزارع » ·

وتابعت الجريدة المشار اليها كلامها فقالت :

ان الكتاب المرفوع من رئيس الحكومة الى جلالة الملك يسطر برنامجا تدريجيا ولكنه كثير النفقات ، وليس من شك ان فى الوقت الحاضر ، وحالة العالم الاقتصادية على ما هى عليه قد بلغت الضرائب المباشرة وغير المباشرة التى يدفعها الممول المصرى مستوى لا سبيل الى تجاوزه بلا خطر ، لذلك قوبل تصريح الرئيس بعزمه على الاقتصاد فى النفقات بكثير من الارتياح » ·



● وأنتقل بعد هذا العرض السريع ، لاستقبال وزارة على ماهر ، الى الحديث عن طلعت حرب الذى عاملته وزارة على ماهر أسوأ معاملة يمكن أن

يعامل بها مواطن عظيم لعب أخطر الأدوار فى تاريخ مصر ، السياسى والاقتصادى ٠ والغريب ان الجانب الاقتصادى فى شخصية طلعت حرب قـد طغى على بقية الجوانب الأخرى فى شخصيته وهى جوانب هامة وخطيرة وقد لا يعرف الا القليلون جدا أن كتابا لطلعت حرب عن المرأة ، أحدث دويا هائلا وكان اسمه « تربية المرأة والحجاب » وقد طبع فى عام ١٨٩٩ م ــ ١٣١٧ هـ وكان فى ١٤٠ صفحة من القطع الكبير ٠ وقد صدر طلعت حرب غلافه بكلمات خالدة من بينها قول الرسول عليه الصلاة والسلام « ان لكل دين خلقا ، وخلق هذا الدين الحياء » وقول على بن أبى طالب كرم الله وجهه « أكفف أبصارهن بالحجاب فشدة الحجاب خير لهن من الارتياب » وقول فاطمة رضى الله عنها « أصلح شيء للمرأة ألا ترى رجلا ، ولا يراها رجل » وقول الحسن بن على رضى الله عنه « لا تدعوا نساءكم يزاحمن العلوج فى الأسواق ، قبح الله تعالى من لا يغار » ٠

وقد جاء فى مقدمة ذلك الكتاب الفريد فى نوعه : كثر فى هذه الأيـام البحث والكتابة فى حالة المرأة ، وما يجب عليها ولها وفى طرق تعليمها ، والفضل فى فتح باب هذا البحث لكتاب تحرير المرأة الذى وضعه حضرة الفاضل قاسم بك أمين الذى يقول فيه : ان المرأة مساوية للرجل ، من جميع الوجوه وان الرجل ظالم لها فى حقوقها ، ويحث فيه على تربية المرأة ، وتعليمها كما يتعلم الرجل سواء بسواء ويقول بلزوم رفع الحجاب ، ووجوب الاختلاط لأن حجـاب المرأة ، وعدم اختلاطها مما يقيد حريتها التى منحها الله أياها ويمنع من قيامها بالعمل المكلفة به فى الهيئة الاجتماعية الى آخر ما يدعو اليه » ، ولم يكد يظهر هذا الكتاب فى عالم الوجود حتى أشيع فى بعض الجرائد ، انه تألفت لجنة فى مصر ، تحت رعاية عظيم بها لتحرير المرأة الشرقية على الطريقة التى أشار اليها حضرة المؤلف فى كتابه وأخذ الناس من ذلك الوقت يبحثون فى موضوع الكتاب وما احتوى عليه من أفكار ، وأمان ، ولقد انقسموا حزبين : حزب يـرى رأى المؤلف وهم قلائل يعدون على الأصابع والحزب الآخر وهو الأعظم عددا أجمع على استهجان ما ورد بالكتاب » ويقول انه يدعو الى بدعة فى الدين لا فى العوائد فقط ، وكلا الحزبين سلم ولله الحمد بأن الدين لا يمنع مطلقا من تعليم المـرأة وتربيتها وتهذيبها بل هو يحض على ذلك ويأمـر به ولكنهما يختلفـان فيما ينبغى أن تتعلمه المرأة وفى طريقة التعليم والتهذيب ٠

ولما رأينا ــ هكذا يقول طلعت حرب ــ هذا الجدل والكفاح بين فريقين يعزز كل منهما قوله بالشرع ، ويقول ان الحق والدين فى جانبه ، ورأينا انه لم يكد يخلو مجتمع من الكلام فى هذا الموضوع تاقت نفســنا الى البحث ، والتنقيب والدخول فيه ، ونحن نعرض على القراء نتيجة بحثنا فان أخطأنا فلنا من حسن النية ما نرجو معه غفران سيئات خطئنا وان أصبنا المرمى كما نظن فلسنا نسأل على عملنا أجرا فنقول : « أول شيء طرأ ، على ذهننا حين قرأنا الكتاب ورأينا الناس أخذت « تسلق » حضرة المؤلف بألسنة حداد ، ويحملون عليه وعلى كتابه

حملات لم نتعودها على مؤلف غيره من قبل ، انه لا بد من الأمر من شيء مهم حمل الناس على ذلك اذ لا يمكن أن يجتمع كل الناس على ضلالة ولا يخفى ان ألسنة الخلق ، أقلام الحق ، فأخذنا نسأل ، ونتساءل ونبحث ، ونتناظر ، حتى علمنا ان معظم هياج الرأى العام على حضرة المؤلف ناتج مما هو راسخ فى اذهانهم من أن رفع الحجاب ، والاختلاط كلاهما أمنية تتمناها أوروبا من قديم الزمان لغاية فى النفس يدركها كل من وقف على مقاصد أوروبا بالعالم الاسلامى، ويقولون ان لأوروبا مطامع قديمة ومآرب فى النفس يظهرها زيادة التقرب بين العالمين الشرقى والغربى ، حتى أن بعض امراء المسلمين اتخذ هذه المقاصد ذريعة يتقرب بها الى بعض دول أوروبا فى نيل مأربه ، ومن ذلك ان اسماعيل باشا خديو مصر الأسبق لما كانت نفسه تميل الى الاستقلال وتكوين مملكة مستقلة بأفريقية يحكمها هو ومن يأتى بعده من أولاده . كان عاملا على جذب دول أوروبا اليه لتساعده على تحقيق أمنيته فى مقابلة تحقيق أمنيتهم بأن يدخل العادات الأوروبية بين امته مما كان يظنه سهل المنال حتى أنه كثيرا ما كان يتظاهر ويقول ان مصر قطعة من أوروبا وان أخلاق المصريين وعوائدهم التى ورثوها ستصبح بمساعيه بعد قليل مماثلة لعوائد أوروبا وأخلاقها ليكون له من ذلك وسيلة يتقرب بها اليهم .

ويقول محمد طلعت حرب : انى أجل حضرة الفاضل قاسم أمين من أن يكون له غاية من وضع كتابه خلاف حب الخير والارتقاء ، لأمته كما هو ظاهر ، من كلامه عن تربية المرأة فانه وصف حالتها اليوم أحسن وصف ، وقال بوجوب تربيتها تربية تهذب أخلاقها ، وتقوم نفسها ، فلحضرته مزيد الشكر على ذلك وسيرانا فى هذا الكتاب داعين الى مثل دعوته رافعين صوتنا مع صوته لعل دعواتنا تخرق تلك الأذن الصماء فيهتم القوم بأمر هذه التربية وننال ضالتنا التى ننشدها وهى تحسين حالنا ، وما على الله بعزيز ، واننا مع موافقتنا لحضرته على هذا المبدأ نخالفه فى غيره فنستسمحه العفو ، عما يجده خلال بحثنا من المخالفة والمباينة فى الرأى والفكر فحضرته حر ، ولا نخاله الا أن يحب كل حر الفكر .

ويقول طلعت حرب : ولكى يطابق الاسم مسماه سمينا الكتاب « تربية المرة ، والحجاب » وهو اسم كنا نتمنى أن يجعله حضرة قاسم به أمين عنوانا لكتابه فانه أولى وأليق به من اسم « تحرير المرأة » ، حيث ان المرأة المسلمة بشهادة حضرته قد خولت لها الشريعة السمحاء منذ نحو ثلاثة عشر قرنا ، حقوقا وامتيازات لم تحصل زميلاتها الفرنجيات على جزء يسير منها الا من عهد غير بعيد ، وهى الآن قد زادت حريتها على الحد الشرعى .

ويورد طلعت حرب فى مقدمة كتابه العبارة المقررة « اذا هفا اليراع هفوة ، فالغرض مما نقدمه الجوهر لا العرض وجل غرضنا المشاركة فى البحث توصلا للحقيقة التى هى ضالتنا جميعا فما تزاحمت الظنون على شيء الا وانكشف » .

وفى الفصل الثالث من الكتاب الذى خصصه طلعت حرب ، للحجاب يشير المؤلف الى قول الرسول صلوات الله عليه : الحياء حسن ولكنه من النساء أحسن » والى قوله صلى الله عليه وسلم : ان الله اذا أراد ان يهلك عبدا نزع منه الحياء » والى قوله صلى الله عليه وسلم : « ان لكل دين خلقا ، وخلق هذا الدين الحياء » وتحت عنوان الحجاب أعظم قائد للعفة يشير الى ما قاله أحمد زكى بك سكرتير ثانى مجلس النظار فى كتابه « السفر الى المؤتمر » ان المرأة بعد كل تهذيب أراها ضعيفة ميالة أكثر من الرجل لداعى الشهوات والتفانى فى الملاذ ، فالواجب أن تكون لهن الحرية كالملح فى الطعام فان التعليم ليس بقادر أن ينزع منهن هذه الأميال وان نزع منهن الخرافات التى يبثثنها فى عقول الأطفال » كما يقول طلعت حرب . لذلك حافظ المسلمون ، على الحجاب . وحذروا من نزعه فكان الصحابة رضى الله عنهم يسدون المنافذ والثقوب ، التى فى الجدران لئلا يطلع منها النساء على الرجال أو الرجال على النساء وقد رأى معاذ امرأته تتطلع فى الكوة فضربها وكان على كرم الله وجهه يقول : « أكفف أبصارهن بالحجاب فان شدة الحجاب ، خيرا من الارتياب » ، ويشير طلعت حرب ـ فى هذا الباب الى قول عاتكة امرأة الزبير ، لما قعدت عن الخروج وسألها زوجها ألا تخرجين يا عاتكة .. لقد قالت : كنا نخرج اذ الناس ناس ، وما بهم من بأس وأما الآن فلا .

ثم ينهى طلعت حرب هذا الفصل بقوله : فهل بعد هذا دليل واثبات على أن الحجاب دافع ، أوهاما ، وارتيابا وشكوكا ، وحصن حصين للعفة والصيانة ؟

ويناقش طلعت حرب رأى قاسم أمين فى الحجاب وكونه لم يجد نصا فى الشريعة يوجب الحجاب ، على هذه الطريقة المعهودة ، وانما هى عادة عرضت عليهم من مخالطة بعض الأمم فاستحسنوها وأخذوا بها وبالغوا فيها وألبسوها لباس الدين كسائر العادات الضارة ، التى تمــــكنت فى الناس باسم الدين والدين براء منها ولذلك لا نرى مانعا من البحث فيها بل نرى من الواجب أن نلم بها ، ونبين حكم الشريعة فى شأنها وحاجة الناس الى تغييرها » .

ويقول طلعت حرب تعقيبا على تلك الفقرة من فقرات كتاب تحرير المرأة ، لقاسم أمين : نحن لا نلام اذا كنا نخالفه فى هذا الفكر ، وقلنا ان فى الشريعة نصوصا ، تقضى بالحجاب الشرعى ، ونعنى به ستر البدن ، بأكمله وملازمة المرأة، خدرها ، الا لضرورة ، أما الحجاب الحالى فلا شك انه بدعة لم يأمر بها دين ، ولم يقل بها شرع ، ويشير طلعت حرب الى قول الله تعالى وهو أصدق القائلين : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ، ذلك أزكى لهم ، ان الله خبير بما يصنعون ، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن ، أو آباء بعولتهن ، أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن ، أو بنى اخواتهن ، أو نسائهن أو ماملكت ايمانهن

أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن » صدق الله العظيم ٠

ويناقش طلعت حرب ما نقله قاسم أمين عن كتـــاب الروض فى المذهب الشافعى : نظر الوجه والكفين عند أمن الفتنة من الرجل للمرأة ، وعكسه جائز ٠ ويقول طلعت حرب ان هذا القول مرجوح ، ويخطىء قاسم أمين بانه أخذ القول المرجوح من مذهب الشافعى وترك القول الراجح الذى عليه القول عندهم ٠

ويأخذ طلعت حرب على قاسم أمين قوله ان البرقع والنقاب كانا غير معروفين فى الاسلام وهذا قول يدفعه ــ هكذا يقول طلعت حرب ــ ما جاء فى نفس كتاب تحرير المرأة من أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى المحرمة عن لبس القفازين والنقاب ، وهل لذلك معنى سوى أن النقاب كان موجـــودا ومعروفا وان كان معمولا به وواجبا ، وكان النساء يستعملنه حتى فى وقت الاحرام فنهاهن النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فى هذه الحالة فقط ٠

ويقول طلعت حرب ان الحجاب الحالى ــ ١٨٩٩ ــ غير شرعى وان النساء لسن الآن محتجات بل هن فى الحقيقة متبرجات مفسدات وان النقاب الشرعى يشترط فيه الا تبدو منه الا العين الواحدة أو العينان ٠ ويقول ان الأصل فى المرأة احتجابها وعدم ابتذالها فاللازم الرجوع الى الشرع اذا أمكن وعند عـــدم الوصول الى ذلك يلزم على الأقل عدم المغالطة والتمحك فى الشرع والدين لاعلاء فكر يخالفهما أو اظهار رأى يناقض ما أمر به الله ٠٠

ويقول طلعت حرب فى ختام مؤلفه : بعد أن تهيأ الكتـــاب للطبع وطبع معظمه ، قرأت فى المؤيد الأغر « ١٢ نوفمبر ١٨٩٩ » مقالة رائعة المعنى شائقة المبنى لحضرة صاحب الحجج الدامغة والفصاحة البالغة فريد أفندى وجدى ، ألمت بجميع أطراف هذا الموضوع بعبارة سلسلة معقولة فاتماما للفائدة ، وحفظا لهذه الدرر والغرر قد رأيت أن أختم بها كتابى ليكون ختامه مسكا ، ان شاء الله تعالى ومما جاء فى مقالة الأستاذ فريد وجدى ان المرأة أشد عبودية فى البلاد العربية منها فى البلاد الشرقية لأن حريتها ليست فى رفع الحجاب والاذن لها بالخوض فى معترك الحياة وهو ذلك المعترف الذى لا ينال الفوز فيه الا باقتحام المخاطر : معترك يأكل القوى فيه الضعيف وليست القوة والضعف فيه تتعلق بصلابـــة العضل أو بلينه فقط بل بأمور أخرى أيضا مركزها العقل وحسن التصرف بقوى الفكر ولو قارنت بين الرجل والمرأة فى هاتين الحيثيتين لحكمت لأول وهلة أن الغالب لن يكون على أية حال الا الرجل دون سواه ٠٠ » ٠

والجدير بالذكر أن خاتمـــة كتاب « تحرير المـــرأة » لقاسم أمين كانت على النحو التالى : أحسن طريقة أراها لتنفيذ ما عرضناه فى هذا الكتاب هى

أن نؤسس جمعية يدخل من الأدباء من يريد تربية بناته على الطريقـــة التى شرحناها وأن يختار لتلك الجمعية رئيس من كبـــار المصريين « ولا أظن أن الطبقات العلياء من أهل بلادنا تخلو من واحد منهم » وأن يكون عمل هــذه الجمعية فى أمرين : الأول يتعاون على تربية البنات على هذه القاعدة الجديدة ، والثانى السعى لدى الحكومة فى اصدار القوانين التى تضمن للمرأة حقوقهـا بشرط ألا تخرج فى ذلك عن الحدود الشرعية . ولكن بدون أن نتقيد بمذهب من المذاهب بل تأخذ عن كل منها ما هو موافق لحاجاتنـــا الحاضرة وضرورات عصرنا . كما حصل مثل هذا فى وضع المحكمة العثمانية وكما حصل عندنا مرارا فى بعض المسائل المتعلقة بالمحاكم الشرعية فاذا تشكلت هذه الجمعية يخف اللوم . على كل واحد من أعضائها فان قوة الانتقاد تأتى . متوزعة على جمـــلة من الأفراد فيسهل احتمالها ، ومقاومتها فلا يكون فى شدة الانتقاد ما يبعث على فتور الهمة ، وضعف الارادة ، عن العمل لأن فى قوة الجماعة من الاقتدار على الدفع ليس فى قوة الفرد الواحد ، والاجتماع هو القوة الحقيقة التى بدونهـا لا ينجح شىء .

نرى حكومتنا ـ هكذا يقول قاسم أمين ـ تهتم بمسألة صغيرة ، كمسألة الشفعة فتعين لها لجنة شرعية لتبحث فى المذاهب وتجمع ما تراه مناسبا من الأحكام . ونرى كثيرا من المصريين يدخلون فى كثير من الجمعيات مثل جمعية الرفق بالحيوان ومعارض الأزهار ، وغيرها ، ولا يضنون بوقتهم ، ولا بمالهم ، فى تعضيد مشروع من المشروعات يعتقدون صلاحيته ونرى الجرائد تنشر بين طبقات الأمة ، من المعارف ما يساعد على تربيتها ، وتهذيبها وقد آن الوقت ، الذى يجب فيه على الحكومة وعقلاء الأمة وأرباب الأقلام ، أن يوجهوا التفاتهم الى حال المرأة المصرية فانى لا أرى مسألة تمس حياة الأمة أكثر منها ، ولا أحق منها أن تكون موضوعا لنظرهم ، ومجالا لآرائهم ، وأفكارهم ..

وطلعت حرب ـ للعلم ـ من مواليد ٢٥ نوفمبر ١٨٦٧ ، أبوه من عائلة حرب بناحية ميت أبو على « الزقازيق » عاش فى القاهرة ويقال أنه ولد فى قصر الشوق ، بجهة الجمالية ، كان والده حسن محمد حرب موظفا بمصلحة السكة الحديد : نال طلعت حرب شهادة مدرسة الادارة والألسن ، التحق مترجما بقلم قضايا الدائرة السنية خلفا للزعيم محمد فريد ، الذى تولى حينذاك رياسة هذا القلم . تدرج فى هذا المنصب الى أن أصبح مديرا ، لأقلام القضايا ، ثم عمل مديرا لشركة كوم امبو و .. و . وفى شركة كوم امبو ، أحيلت عليه فى الوقت ذاته ادارة الشركة العقارية المصرية حيث تدرب على الأعمال المالية على يد خبراء ماهرين واستمر فى عمله فى هذه الشركة حتى مصرها وأصبحت عالمية رأس مالها فى أيدى المصريين . و .. و .

استفاد من ثورة ١٩١٩ فدعا الى انشاء بنك مصر وتحقق له أمله القديم هذا فى ٧ مايو ١٩٢٠ الذى هو عيد ميلاد بنك مصر وابتعد بالبنك عن السياسة والحزبية ونجح نجاحا رائعا فى انشاء مطبعة ومكتبة مصر . و .. و . وانتقل بنشاطه الى البلدان العربية . فأنشأ « بنك مصر وسورية ، لبنان » . و .. و .. واتجه الى تعضيد المسرح العربى فشيد دار التمثيل العربى بحديقة الأزبكية .

وقد توفى طلعت حرب فى ٢١ أغسطس ١٩٤١ أى بعد حوالى عام من اقالته من بنك مصر .

وحول اقالة طلعب حرب من بنك مصر ، يقول : د. عبد الرازق حسن : كان المجتمع المصرى ، قبل الحرب العالمية الثانية يموج بالحركة ، وتؤذن الظروف باحتمال تغيير كبير لمواجهة المطالب المتزايدة للسكان الذين كان يتضخم عددهم سنة بعد أخرى ولا تكفى المشروعات العامة لمواجهتها : كانت هناك مطالب عامة ملحة ككهربة خزان أسوان وانشاء صناعة للحديد والصلب واشتد النداء بضرورة تأميم قناة السويس ، وتحويل بنك مصر الى بنك الدولة واعتباره هو البنك المركزى حتى لا تتكرر مهزلة الأرصدة الاسترلينية فى الحرب العالمية الاولى لو ترك الحبل على الغارب للبنك الأهلى المصرى الذى كانت بريطانيا تسيطر على ادارته فى ذلك الوقت : كان من الواضح أن الرأسمالية الوطنية فى تناقض مع الرأسمالية الاحتكارية الأجنبية وكان من الواضح أن التزاوج الذى تم فى الثلاثينات لا يمكن أن يستمر فى أبعد من الحدود المرسومة له ، وكانت القوى الاستعمارية تخشى عند قيام الحرب العالمية الثانية أن تلعب الرأسمالية الوطنية المصرية دورا يضر بمصالحها ، كان من السهل القضاء على مشروع كهربة أسوان ، والمشروعات الملحقة ، بأحدث مشكلة سياسية نذكر كيف أدت الى تفكك أكبر حزب كان قائما فى ذلك الوقت وهو الوفد وقدمت بعض التنازلات بالنسبة لشركة قناة السويس ولم يكن هناك مفر لضرب بنك مصر ، لضمان سير الرأسمالية فى ركاب الاستعمار ، وكانت المؤامرة ، فبعد قيام الحرب سحبت الحكومة المصرية قدرا كبيرا من أرصدتها فى البنك ، وقروضها من صندوق توفير البريد ، وكان معنى ذلك نقص الأرصدة السائلة ، ووجد البنك أن الظروف العامة واضطراب السوق ، تحول دون عرض محفظة أوراقه المالية البالغ قيمتها ، أربعة ملايين من الجنيهات للبيع فى البورصة لأن ذلك يعنى انهيار السوق ، واثارة المتاعب للشركات التى يشترك البنك فى رأسمالها فأخذ الاتجاه الطبيعى ، وهو البنك الأهلى ، المصرى ، وقدم له هذه المحفظة طالبا الاقتراض عليها ، وكانت المحفظة تضم فى جزئها الأكبر سندات على الخزانة ، وسندات للدين العام ولكن يبدو أن طلعت حرب قد نسى الخطة التى قدمها فى خطاب له فى مايو ١٩٢٠ حينما ذكر ، أن لكل بلد فى العالم

سياسة مالية ، يجب أن يسير عليها واستقلالا اقتصاديا يجب أن يعمل على الحصول عليه ، والاستمرار فيه والمهيمن على هذه السياسة وهذا الاستقلال الاقتصادى فى كل بلد من بلاد العالم ، هو بنكها الوطنى الذى يحصل على امتياز اصدار البنكنوت ويكون فوق كل البنوك ، يشرف عليها ولا يزاحمها » واستطرد فى كلامه عن مهام البنك المركزى ازاء البنوك وختم كلامه بأن هذه هى وظيفة البنك الأهلى فى مصر ، الذى كان يجب أن يكون أهليا بكل معانى الكلمة وهو يعمل مزاحما للبنوك الأخرى ٠٠ أى أن طلعت حرب كما يقول د٠ عبد الرازق حسن - كان يدرك أن البنك الأهلى هو غريمه ، وانه لم يكن يقوم بدور البنك المركزى أو يعمل بسياسة استقلالية وكانت النتيجة المباشرة والمنطقية لهذا كله رفض البنك الأهلى لطلب بنك مصر ، وكان لا مفر لادارة البنك الأخير « بنك مصر » أن تخضع لتحول دون انهياره فقبلت خروج طلعت حرب ومجموعته مقابل ضمان الحكومة لودائع البنك ٠

وكما لو كان هناك استيلاء على المشروع الاقتصادى الوطنى ودخل البنك مراقبو حسابات أجانب هم : هيوات ، وبريدسون ، وثيوبى ، واحتل مقاعد ادارة البنك وشركاته مجموعة ممن عرفوا بأدوارهم فى ضرب الحياة الدستورية أو بأعمالهم المشبوهة مع الأجانب كاسماعيل صدقى ، وعبود ، والياس أندراوس ، وعلى يحيى ، والأبراشى ، وهناك أكثر من رأى يقول أنه كان وراء اقالة طلعت حرب من بنك مصر ، أحمد عبود فلقد كان لبنك مصر شركة ملاحة ، وكان لعبود - ولو فى الظاهر - شركة ملاحة أخرى هى تلك التى عرفت بالخديوية وكان طلعت حرب ضد اعانة الشركة الخديوية - الأمر الذى أدى الى عدم تدعيم مركز الشركة الانجليزية : الانجليزية فعلا التى تحمل اسم عبود « اسما » ، واعتبر أحمد عبود طلعت حرب هو المسئول عن حجب تلك الاعانة عن شركته ، وجاءت وزارة على ماهر ، وكان لعبود أصدقاء كثيرون فى وزارة على ماهر ، وحانت الفرصة لينتقم أحمد عبود من طلعت حرب ، وكان أن نحى طلعت حرب من مكانه فى بنك مصر وشركاته ، وانتصر أحمد عبود ٠

ولم يكن انتصار أحمد عبود انتصارا شخصيا بل كان انتصارا للاستعمار الاقتصادى الأجنبى ٠٠ فى مصر !

ويقول د٠ فؤاد مرسى ، ان طلعت حرب بذل محاولات كثيرة لانقاذ بنك مصر ، الا أن التعصب لدى البنك الأهلى وادارته ضد بنك مصر دفعه الى رفض انقاذ بنك مصر ٠ وهكذا وضحت مخالفة البنك الأهلى لأبسط قواعد ومبادىء العرف المصرفى ٠ وقت الأزمات مع بنك مصر ٠ وأكد أن البنك الأهلى كان يتصرف فى ضوء مصلحته التجارية وكمركز لرؤوس الأموال الأجنبية فى مصر ٠

وكان سير ادوارد لوك ، محافظا للبنك الأهلى وظل يشغل هذا المنصب من أول مارس ١٩٣١ حتى ٢٧ أكتوبر ١٩٤٠ ٠

ويقول د. محمود متولى : يتضح من الشروط التى وضعتها الحكومة آنذاك وادعت أنها فى صالح البنك وبغرض تدعيمه أن الهدف الأساسى كان طلعت حرب نفسه ، الذى كان رمزا للوطنية الاقتصادية ، وتعتبر ثورته الرأسمالية الاقتصادية ثورة فعلية من أجل التقدم ، وكانت مبادئه تتعارض بشدة مع مبادىء الاستغلال والسيطرة ، التى كانت فئة من المستغلين والمنتفعين والمتمصرين تسعى اليها وتمارسها على الشعب المصرى ، كما كانت القوى الاستعمارية تشعر بالأرض الواثقة من نفسها التى يقف عليها بنك مصر ، والخطوات التى يخطوها من أجل تصنيع البلاد وما يعنيه ذلك مستقبلا بالنسبة لها .

وقد قدم طلعت حرب استقالته أو بمعنى آخر أصر على تقديمها ، ظنا منه أن ذلك كفيل بانقاذ البنك بعد أن فطن أنه هو المقصود الأول وكان ذلك فى ١٤ سبتمبر ١٩٣٩ .

وتذكرنى عملية « ذبح » طلعت حرب ــ وعذرا لاستخدام هذه الكلمة ــ بعملية « ذبح » أخرى ، كان ضحيتها رجل الآثار المصرية العظيم د. سليم حسن ، وان كانت عملية « الذبح » الأخيرة قد اتخذت صورة الاحالة الى المعاش ، وسليم حسن ــ الضحية الثانية بعد طلعت حرب ــ من مواليد ١٨٨٦ ، فى قرية ميت ناجى مركز ميت غمر ، ومن خريجى مدرسة المعلمين العليا ، وفى ثورة ١٩١٩ حدد الانجليز اقامته ، لنشاطه الوطنى ، وبعد ثورة ١٩١٩ دخل ميدان الحفريات الذى كان مقصورا على الأجانب ، وقد تعلم ــ فيما بعد ــ العديد من اللغات القديمة وحصل على دبلوم الديانات القديمة من السوربون . ثم عمل بعد عودته من السوربون محاضرا فى كلية الآداب وكان من أشهر كشوفه مقبرة رع ، وهرم الملكة « خنت كا وس » وفى السنوات الأخيرة كلف من قبل قادة ثورة ٢٣ يولية بدراسة آثار النوبة ، فكتب عنها بحثا من أهم البحوث ، وقد توفى فى ٢٩ سبتمبر ١٩٦١ عن أربعين كتابا من خيرة الكتب ، وربما كان سليم حسن من القلائل الذين احيلوا الى المعاش ولما يبلغ الثانية والأربعين من عمره ، كما أنه من القلائل ، الذين أحدثت احالته الى المعاش ضجة عنيفة لا بين موظفى دار الآثار المصرية ، وانما بين عامة الشعب ، وهو أيضا من العلماء القلائل الذين خاضوا ــ ومبكرا ــ المعارك العنيفة ، مع الأجانب الكبار الذين كانوا يسيطرون على دنيا الآثار المصرية ، وفى مقدمتهم الأب دريتون الذى كان يتمتع بحظوة كبيرة ، عند الملك فاروق ورجال قصره .

ومما أذكره عن سليم حسن أنه كان يدعو باستمرار الى أن يكون التاريخ المصرى ، تاريخ شعب لا تاريخ حكام ، فتاريخ الشعب هو الذى يمكن أن يعتد به الشعب .

وقد تأثر سليم حسن ـ كما قال أكثر من مرة ـ بشخصية « بتاح حتب » صاحب الحكم المشهور ، وكان سليم حسن يعتز كثيرا باكتشافه مقبرة الملكة « خنت كاوس » والمعروف بالهرم الرابع ، وقد استطاع هذا الكشف أن يربط بين الأسرتين الرابعة والخامسة بعد أن كانت خنت كاس ـ أول مصرية حملت لقب ملكة ـ هى الحلقة المفقودة بينهما مع أن أولادها هم ملوك الأسرة الخامسة ، ولم تكن خنت كاوس أول ملكة حكمت مصر ، بل كانت أول ملكة ظهرت فى تاريخ العالم كله ·

ويقول سليم حسن ان الاسم الحقيقى لأبى الهول « بول جول » أى مكان عبادة الشمس ومقبرة رع وير التى اكتشفها سليم حسن بجوار أبى الهول من مقابر الدولة القديمة ، وقد كتب سليم حسن عن كشوفه الأثرية اثنى عشر مجـلدا ·

وعندما أجلس سليم حسن ذات مرة على كرسى الاعتراف أجاب أن أقصى درجات الشقاء بالنسبة للانسان : أن يسجن العالم مع الجهـــال ، وعن أشد كارثة يمكن أن تنزل به قال : أن أعيش فى وسط لا يفهمنى ، ولا أفهمه ·

ومن أحب بطلات التاريخ اليه قال : حتشبسوت ، وعن المهنة التى يفضلها قال : التأليف ، وعن الصفة التى يفضلها فى الرجل قال : أن يكون رجلا ، وعن المرأة : أن تكون أنثى ·

وعن أحقر أشخاص التاريخ فى نظره قال : الذين يخادعون بلادهم حبا فى نيل الجاه ، وعن أبغض الأشياء اليه أجاب : نكران الجميل !

وعن المكان الذى يحب أن يعيش فيه قال : فى بيتى الذى يحوى مكتبتى ، ويطل على الأهرام ، حيث أفنيت زهرة حياتى فى انجاز أحب عمل الى ·

الباب الثامن

الفصل الأول

وبدأت الحرب بين الانجليز وبين على ماهر لأسباب شخصية

● سبق أن تحدثنا عن أول القرارات التى أصدرها مجلس الوزراء برئاسة على ماهر باشا ـ أغسطس ١٩٣٩ ـ والخاص باحالة سليم بك حسن وكيل مصلحة الآثار المصرية ، الى المعاش بعد أن تقررت احالته الى محكمة الجنايات بوحى من القصر ، كما تحدثنا عن ذلك الجرم الخطير الذى ارتكبته وزارة على ماهر باشا باصرارها ، على استقالة طلعت حرب باشا رجل الاقتصاد الأول فى مصر ، من رئاسة بنك مصر ، وشركاته ، رغم أنه هو صانعها كلها بل هو بنك مصر وشركاته . وقد حاولت أن أتبين من الصحف الأسباب التى أدت الى اقالة طلعت حرب من بنك مصر أو الأسباب التى أدت الى احالة سليم بك حسن ، الى المعاش ، فلم أستطع اذ كانت الرقابة قد فرضت على الصحف والمطبوعات بعد أيام من تولى على ماهر باشا ، رئاسة الوزارة بسبب قيام الحرب العالمية الثانية ، الأمر ، الذى أكد لى أن الصحف فى أوقات الرقابة لا يمكن أبدا أن تكون مصدرا رئيسيا من مصادر التاريخ وان كان يجوز بعد توافر شروط معينة فى المؤرخ أن تكون مصدرا ثانويا !

والذى حزنت له حقيقة ، أننى لم أجد كلمات انصاف ـ فى الصحف المصرية ـ لطلعت حرب ، لا بصفته صاحب أفضال جمة ، على كل الصحف التى كانت تصدر يومئذ : أفضال عامة ، وأفضال خاصة بل بصفته الرجل الذى خاض الحروب العنيفة الشرسة ، عشرين عاما من أجل انقاذ الاقتصاد المصرى من مخالب أسود أصحاب رؤوس الأموال الأجنبية : لم أجد كلمات انصاف أو حتى كلمات رثاء لذلك الرجل الذى كان ينحت فى الصخر ، ولمدة عشرين سنة ليبنى قلاعنا الاقتصادية ، المصرية ، الوطنية بل اننى عندما حاولت تتبع كل ما قيل عن طلعت حرب ، بعد وفاته ، أو فى مناسبات أخرى عديدة ، خاصة

لى استقالة أو اقالة طلعت حرب ، من بنك مصر ،
ن الأمور العادية الطبيعية التى تحدث كل يوم فى
حكومية ٠

أمـام السلبية الخطـيرة التى يتميز بها مجتمعنـا
« الصحفى » بل مجتمعنـا كله اذا جاز لى استخدام ، التعميم فى هذه النقطة ، وأعنى بها ، أننا نبالغ فى اظهار حفاوتنا ، واحترامنا وتقديرنا ، بل نبالغ فى تملق من بيده السلطة أو المال ، أو الجاه ، أو النفوذ حتى نكاد نفسـد عليه أموره ، ونكاد نفسد أيضا على أنفسنا أمورها ٠٠٠ نعطى ــ فى الغالب ــ صاحب النفوذ أو صاحب المال ، أو صاحب السلطة الكثير ، الكثير ، الذى لا يستحقه عادة بل الذى لا ينتظره ، هو عادة ، وفى أحيان كثيرة يحس ، ذلك الذى فى يده ، المال أو الجاه ، أو النفوذ ان تملقنا له لا لشخصه وانما لماله ، أو جاهه ، أو نفوذه ، فلا يسعد بما نقدمه اليه لانه يعرف جيدا ، وأكثر من غيره أن ما يقدم اليه مرتبطا ببقاء نفوذه ، أو جاهه ، أو ماله ، وعندما يزول عنه هذا المال ، أو النفوذ أو الجاه ، يزول كل ما يقدم اليه ثم يتلاشى نهائيا ٠٠ بل يمكن أن يقدم اليه ــ عند زوال جاهه ، وماله ، ونفوذه ــ العكس تماما ، عكس ما كان يقدم اليه ، أيام الجاه ، والنفوذ والمال وقد عرفت صحفيين كبارا أنقذ طلعت حرب صحفهم ، بل وبيوتهم من « الحجوزات » بل من الخراب وكانوا دائمـا يسبحون بحمده ، ويقولون فيه بل ويكتبون عنه من قصائد ، الغزل ، والشكر ، والثناء والاشادة ، ما لم يقل من قبل ، وما لم يكتب ، لا من قبل ، ولا من بعد : هؤلاء لم يكتبوا حرفا واحدا ، عن طلعت حرب فى مأساته التى كانت بلا جدال أعنف مأساة مرت به ، بل كانت بلا جدال الضربة القاضية التى أنهت حياته ٠

وأقول ، ان صاحب المال ، أو الجاه أو النفوذ قد لا يكون بحاجة الى كل ما يقال فيه أو ما يكتب عنه عندما يكون فى الصورة لان ما يكتب عنه ، أو يقال فيه قد يصيبه فى بعض الأحيان بالتخمة أو قد يصيبه اذا كان ضعيف الشخصية ، بالغرور ، ولكنه فى أمس الحاجة الى كلمة واحدة تقال له أو تكتب عنه عندما يزول عنه جاهه ، أو ماله ، أو نفوذه لا لانه قد يكون فى أمس الحاجة الى تلك الكلمة وحسب ، بل انها قد تكون أصدق ما يقال فيه ٠

وعندما كنا صغارا فى قريتنا الصغيرة المتواضعة التى يحوطها نيلنا الحبيب بحبه ، ومائه كنا نسمع من آبائنا ، وأجدادنا : عندما يموت ، للعمدة ، حمار أو جاموسة ، أو حتى نعجة ، تذهب القرية كلها لتعزية العمدة فى حماره ، أو جاموسته ، أو نعجته ، ولكن عندما يموت العمدة لا أحد يذهب للعزاء فيه ، فلابد من التريث حتى يعرف ، القادم الجديد هل كان على علاقة طيبة ، بالراحل القديم ، أم هو من اتجاه آخر غير ذلك الذى كان يمثله العمدة الذاهب ، وفى

أية حال من حالات تقديم العزاء لا يكون السبب وراءها ، الا ارضـــاء القادم الجـــديد ! •

وأخشى أن يجرفنى الحديث عن هذا العيب الاجتماعى الخطير . فأخرج عن الخط ، الذى وضعته لنفسى فى كتابة « سنوات ما قبل الثورة » وأعود فأقول اننى ظللت سنين طويلة لا أعرف الا بين الكواليس ، الأسباب التى أدت الى احالة سليم بك حسن ، الى المعاش حتى هو نفسه لم يكن بقادر على أن يبوح بهذه الأسباب ، وقت احالته الى المعاش ، حتى لا يزيد الخرق على الراقع ، كما يقولون ، أو حتى لا يزيد الطين بلة ، فيحارب فى رزقه أو يحارب فى وجوده ، الى أن أتيحت لى فرصة لقائى به ، وتحدثت معه فى هذا الموضوع ، بعد أن أقصى الملك فاروق عن العرش ولم يعد غضب القصر تهمة تصيب المغضوب عليه بمرض معد ، يجعل الكثيرين ينأون عنه ، بل أصبح هذا الغضب وساما يضعه على صدره كل من كان « حظى » بهذا الغضب •

يقول سليم بك حسن ضمن ما قاله : يخطىء البعض عندما يتصور ان الخلاف بينى وبين الأب دريتون مدير مصلحة الآثار كان خلافا شخصيا . أو كان خلافا على تمصير المصلحة ، فقد كان الأب دريتون فى القصر ، أقوى من مدير مصلحة ، بل أقوى من وزير ، وقد كان الأب دريتون « نافذا » على الملك ، لا على كبير الأمناء ، أو رئيس الديوان فقط ، وقد كان لدى من المؤهلات ما يجعلنى أحق الناس بمنصب مدير مصلحة الآثار ، كنت أحق بهذا المنصب من أى مصرى آخر ، بل من أى أجنبى أيضا ، فلقد قمت باكتشاف آثار خطيرة فى مقدمتها هرم الملكة خنت كوس ، أول امرأة حملت لقب ملكة فى التاريخ ، وعن اكتشافاتى الأثرية أصدرت اثنى عشر مجلدا ، كان لها أهميتها العلمية لا فى مصر وحسب بل فى الخارج أيضا ، وكانت الحكومة الفرنسية تعتبر أن منصب مدير الآثار المصرية ، يجب أن يكون وقفا على الفرنسيين ، وقد حدث — أكثر من مرة — ان محمود فخرى باشا ، سفير مصر فى باريس ، حذر أكثر من مرة من تعيين مصرى فى هذا المنصب وكان من رأى المرحوم أحمد عبد الوهاب باشا أن أصبح أنا وكيلا لمصلحة الآثار ويكون الأب دريتون مديرا لها بعقد لمدة ثلاث سنوات ، بعدها أكون أنا مدير المتحف المصرى •

وكانت عملية البحث عن الآثار المصرية موزعة بين الانجليز ، والفرنسيين، والايطاليين ، بحيث يكون لكل فريق من هؤلاء ، المنطقة التى يعمل بها ، وقد استصدرت من زكى العرابى باشا — وكان وقتئذ وزيرا للمعارف — قرارا بأن أكون المشرف على عملية تقسيم المناطق الأثرية على الأجانب ، وعلى المصريين ، وكان من رأيى ، ومن رأى زملائى المصريين أن يكون للمتحف المصرى كل الآثار الثابتة السليمة ، على أن تدفع الحكومة المصرية لمن يعثرون على اثارمصرية قيمة التكاليف التى أنفقوها فى عملية البحث والتنقيب ، كما حدث بالنسبة لآثار

توت عنخ أمون حيث وافقت الحكومة المصرية ، على أن يعطى كارتر المشرف على عمليات الحفر مبلغ ثمانية وأربعين ألف جنية على ان تدخل آثار توت عنخ أمون المتحف المصرى ، ودخلت فعلا ، آثار توت عنخ أمون الى المتحف المصرى ، فيما عدا « العصا »الحادية عشرة التى لم نعرف وقتئذ أين ذهبت ؟

وعنـدما توفى الملك أحمد فؤاد ، « أوصى » بمجموعة من الآثار، التى كانت فى حوزته لصالح المتحف المصرى ، كهدية منه ، تسلمتها من أحد أمناء القصر ، ولكن عندما أصبح فاروق ملكا ، أرسل الى مراد محسن باشا ـ رجل القصر ـ ليسترد آثار والده ، باعتباره وارثا له ، ولكننى بادرت بتسجيل تلك الآثار فى سجلات المتحف لتصبح من ممتلكات الدولة التى لايمكن خروجها منها الا بقانون يوافق عليه البرلمان : وقلت لمراد محسن باشا : اننى لا أستطيع تسليمكم الآثار التى هى ضمن ممتلكات الدولة الا اذا كتبتم لى ايصالا بأنكم تسلمتموها كأمانة ترد عندما يطلب ذلك من القصر ، ورفض مراد محسن باشا وتكررت زياراته لى وكنت فى كل مرة أصر ، على وجهة نظرى .

واعتبر فاروق ماقمت به للمحافظة على الآثار المصرية جريمة ، وبدأت مؤامرات ابعادى عن المتحف ، بل محاولة تقديمى الى محكمة الجنايات ، وأذكر أن « يس بك أحمد » النائب العام وقتئذ قد سمى الاتهامات الموجهة الى بأنها سفاح ، أى اتهامات بدون أب أى بدون أساس قانونى ، وقد دفع «يس بك أحمد» ثمن وقوفه الى جانب الحق ، فى هذه القضية ، كما دفعت أنا ثمن حرصى على آثار مصر ، وان كان « يس بك أحمد » قد رد اليه حقه ، فيما بعد ، أما أنا فلم يرد الى حقى ، بل لم يرد الى اعتبارى الا بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ واخراج فاروق من مصر : لقد حاول أكثر من وزير للمعارف اعادتى الى عملى ، ولكن فاروق كان يثور باستمرار ضد عودتى ، الى العمل ، الامر الذى جعل وزراء المعارف فيما بعد لا يفكرون على الاطلاق حتى فى اقتراح عودتى الى عملى لان فاروق اعتبر مسألة خلافى معه مسألة شخصية بحتة !



وأعود بعد ذلك كله للحديث عن وزارة على ماهر باشا ، الثانية وزارة الحرب ، وزارة الأزمات الداخلية والخارجية العنيفة ، وزارة التأرجح بين تأييد سياسة ألمانيا وايطاليا « المحور » وتأييد سياسة بريطانيا « الحليفة » كما تنص معاهدة ١٩٣٦ !!

وأنقل ـ فى البداية ـ وجهة نظر مارسيل كولومب فى تلك الاحداث كما جاءت فى كتابه تطور مصر « ١٩٢٤ ـ ١٩٥٠ » ترجمة زهير الشايب وتقديم

د٠ أحمد عبد الرحيم مصطفى : «استقال محمد محمود فى أغسطس ١٩٣٩ ، بسبب مرض مزمن ، وانتهز الملك الفرصة كي يعهد بالوزارة الى على ماهر باشا ، وقبل السعديون فى الحكومة الجديدة بخمسة أعضاء بالاضافة الى تسعة من المستقلين ، بينما رفض ذلك الاحرار الدستوريون ، وهكذا جرت محاولة جديدة لاقامة حكم فردى ، وبعد ذلك بعدة أيام غزا الجيش الالمانى بولندا وفى ٢ سبتمبر أعلنت بريطانيا العظمى وفرنسا حالة الحرب ضد المانيـــا ، وكانت معاهدة ٢٦ أغسطس ١٩٣٦ ، واجبة التنفيذ وكان تطور الأزمة الدولية يلقى فى مصر ، اهتماما كبيرا وكان لكل من النظامين الهتلرى والفاشستى معجبون فى مصر بل ان رئيس وزراء سابقا ـ هو اسماعيل صدقى باشا ـ قد امتدحهما علانية فى مجلس النـواب فى ٢١ ديسمبر ١٩٣٨ وخـــلال الأشـــهر السابقة على اندلاع المعارك كانت دعايات الاذاعات الألمانية بالغة النشاط وحظيت حملاتها ضد الاستعمار البريطانى والفرنسى بترحيب خاص فى كل الأوساط بل من جانب القادة أنفسهم ، كما أن تهكمها على الديمقراطيات كان له صدى كبير ، وبدأت تنتشر شيئا فشيئا فكرة مؤداها أن انتصار ألمانيا هو السبيل لتحرير الشرق من الوصاية الغربية » ٠

ويقول مارسيل كولومب : أمكن للدبلوماسية الفاشستية ، بمهارة تامة أن تخفف من مشاعر التوجس ، التى ولدتها حرب الحبشة ، لكن مشاعر الريبة والخوف التى خلفتها الأطماع الايطالية عام ١٩٣٥ ثم تكن بلا شك قد اختفت تماما على أن القوى المتصارعة فى ذلك الصدام الذى كان يتشكل كانت تبدو فى نفس المستوى فكان الموقف منهما واحدا ، كما أن انتصار الحلفاء ، لم يكن مؤكدا ، أليس من الأفضل اذن أن نتجنب الانحياز بشكل واضح الى المعسكر المعادى لقوى المحور ؟ تلك هى السياسة الحذرة ، التى احتذاها الملك فاروق ومستشاره على ماهر باشا ، وشجعهما على هـذا موقف الحياد ، الذى اتخذته ايطاليا فى البداية ، واكتفت الحكومة المصرية بتنفيذ الالتزامات المنصوص عليها فى المادة ٧ من المعاهدة فأعلنت حالة الطوارىء ، وفرضـــت الرقابة على الصحف ، وسمح لبريطانيا العظمى باستخدام الموانى ووسائل النقل ، والمواصلات ، ونفتح قوسا ، لنقول ان بريطانيا قد دعت الملك فاروق وعلى ماهر باشا ، الى اعلان الحرب على ألمانيا ثم تخلت عن هذا المطلب بعد أن ظهر لديها أن عدم اعلان مصر الحرب على المانيا فيه مصلحة لبريطانيا ٠٠

وسوف أعود الى هذه النقطة فيما بعد ، وأقفل القوس ، وأعود الى ما كتبه مارسيل كولومب : وهو يمثل وجهة نظر جديرة بالاحترام ـ يقول مارسيل : اكتفت مصر بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع المانيا أما بقية بنود المعاهدة ، فان مصر لم تخلع عليها ـ عند دخولها فى محك التطبيق ـ ذلك التفسير الواسع الذى كانت لندن تتمنى أن تخلعه على هذه البنود ، وظهرت الى حيز العلن خلافات

بين السلطات العسكرية فى كلا البلدين وتضاعفت هذه الخلافات أثناء السنة الأولى من الحرب ، ولم تستطع بريطانيا العظمى أن تحسم هذه الخلافات كما كانت تهوى وذلك بسبب وجود أناس يتوقدون وطنية على رأس الجيش وفى صفوف الوزراء ، وفى أغسطس ١٩٣٩ عين الفريق عزيز على المصرى باشا رئيسا لأركان حرب الجيش المصرى وكان هذا الضابط الكبير الذى قلما عرف الهزيمة فى المعارك التى خاضها ، فى طرابلس فى صفوف الجيوش العربية التركية ، يقدم طواعية ، وعن طيب خاطر الأدلة على وطنيته المتطرفة ، ولهذا فقد استقبل تعيينه فى هذا المنصب بتحفظ شديد فى لندن ، وبعد ذلك بقليل وفى أول سبتمبر أنشىء جيش مرابط وضع تحت قيادة وزير الأوقاف عبد الرحمن عزام ، وهذا الجيش الذى بلغ تعداده فيما يقال ٢٥ ألف رجل كان محط آمال رئيس الوزراء وموضع عنايته ، وقد عمل قائده بهمة على أن يبث فى جنوده الحمية الوطنية ، التى تحركه هو نفسه ، منذ الوقت الذى كان يحارب فيه فى صف طرابلس ، العثمانية مثله فى ذلك مثل عزيز المصرى باشا ، وكانت شخصيته تشغل السفارة البريطانية ، مثلها كذلك مثل شخصية وزير الدفاع صالح حرب باشا .

وفى القاهرة كانت الهمسات المعادية لقضية الحلفاء تسرى وتنتقل من فم الى اخر ، وسرى الظن بان بريطانيا العظمى تنوى ان تعود لتفرض من جديد الاجراءات والقيود التى كانت قد فرضتها أثناء الحرب العالمية الاولى ، وسرى كذلك بأنها تريد أن تنشىء فرقة للعمل شبيهة بتلك الفرقة التى كان مجرد طريقة جمع أفرادها قد خلف فى النفوس ذكريات مريرة ، تردد الادعاء بأن أركان الحرب البريطانية قد اقترحت ارسال جيش من المتطوعين لخوض غمار الحرب ، على الجبهة الاوربية .

كما تردد فى ريف مصر ، بأن الدواب ، والمواشى سوف تصادر وبأن مساحة الأراضى المنزرعة قطنا ستحدد ، بل لقد قيل ان مديرى المديريات سوف يستبدل بهم ضباط انجليز

ويشير مارسيل كولومب الى استيلاء الألمان على وارسو عاصمة بولندا ، وتزايد الاعجاب بقوة الرايخ العسكرية كما يشير الى الكوارث التى ألمت بقوات الحلفاء فى النرويج ، وهولندا ، وبلجيكا ، والى ارتفاع أصوات مصرية تطالب بالتزام الحياد ، بل ان بعض هذه الاصوات ، انطلق ينادى بادخال تعديلات جوهرية على معاهدة ١٩٣٦ كانقاص فترة بقاء القوات البريطانية فى مصر ، الى عشر سنين بدلا من عشرين سنة « وهكذا ـ كما يقول مارسيل كولومب ـ نهضت الروح القومية تدعمها الدعايات الألمانية ، والايطالية ، وتشجعها بذكاء كل من الحكومة المصرية والسراى » الى أن يقول مارسيل كولومب : انتاب

السفارة البريطانية القلق ، فزاد تدخلها وضغطها على رئيس الوزراء على ماهر ، الذى اضطر للتخلى عن رئيس أركان الحرب ومنحه مرتين متعاقبتين أجازة لمدة ستة أشهر ، ثم أحيل الى الاستيداع فى ٧ أغسطس ١٩٤٠ » .

ولا نريد ان نسترسل فى الحديث عن الازمات ، التى واجهتها وزارة على ماهر بالجملة ، وانما نؤثر الحديث عنها بالتفصيل نظرا لما لها من أهمية بالغة فى تاريخ تلك الفترة الحرجة من التاريخ المصرى المعاصر !!

عندما أعلن عن تشكيل وزارة على ماهر باشا ، واختيار محمد صالح حرب باشا وزيرا ، للدفاع بها نظرت السفارة البريطانية الى تلك الوزارة نظرة شك وارتياب وتحولت تلك النظرة بعد تعيين عزيز على المصرى باشا رئيسا لأركان حرب الجيش المصرى ، الى نظرة حقد ، وكراهية ، فعزيز على المصرى معروف بعدائه الشديد للبعثةالعسكرية البريطانية ، وقد كانت أزماته معها عنيفة ، عندما كان مفتشا عاما للجيش المصرى وكانت اختصاصات المفتشالعام للجيش ، غير محدودة ، ومجىء عزيز على المصرى كرئيس لاركان حرب الجيش ، ووظيفة رئيس أركان حرب الجيش ذات صلاحيات هامة ، وذات اختصاصات كبيرة . وخطيرة محددة . ولا سبيل ، أبدا الى نكرانها وتجاهلها ، وقد حاول عزيز على المصرى فى بداية تسلمه ، لوظيفته الجديدة أن يقنع السفارة البريطانية والبعثة العسكرية البريطانية أنه راغب فى التعاون مع الجانب البريطانى ، الحليف طبقا لمعاهدة ١٩٣٦ الى أبعد حدود التعاون ولكن الجانب الانجليزى لم يقتنع أبدا بما أبداه عزيز على المصرى من نوايا طيبة كما لم يقتنع أيضا ، بأنه راغب فى هذه المرة فى التعاون مع الجانب البريطانى .

ومما ساعد الجانب البريطانى على التشكك فى اتجاهات وميول عزيز المصرى أنه ومنذ الساعات الاولى لتعيينه رئيسا لاركان حرب الجيش المصرى كان كتلةمن النشاط ، ورغم أنه أصيب فى حادث بالطريق الصحراوى وهو يقود سيارته بنفسه ، وهو فى طريقه الى الاسكندرية ، لمباشرة عمله الجديد الا أنه لم يبق فى مستشفى المواساة بالاسكندرية الا وقتا قصيرا غادر بعده المستشفى الى بولكلى لمقابلة على ماهر باشا ، رئيس الوزراء الجديد ، ثم اتجه ، بعد مقابلته لعلى ماهر باشا — مباشرة — لحضور اجتماع المجلس الفنى للجيش برئاسة محمد صالح حرب باشا وزير الدفاع وظل فى الاجتماع — رغم أنه أصيب برضوض شديدة ، ورغم أن سيارته تحطمت تماما — أكثر من ثلاث ساعات وفى اليوم التالى ، يقابل عزيز على المصرى الملك كما يقابل الجنرال مكريدى رئيس البعثة العسكرية البريطانية ، كما يستقبل كبار رجال الجيش المصرى ، اللواء حسن حسنى الزيدى باشا واللواء أحمد أحمد عطية باشا ، واللواء حسن عبد الوهاب باشـــا .

وبعد أيام قلائل يتجه بصحبة على ماهر رئيس الوزراء الى مرسى مطروح وبعد عودته مباشرة من مرسى مطروح يتجه الى سلاح المدفعية حيث يتولى تفتيش وحداته المختلفة ، بصحبة اللواء حسن حسنى الزيدى باشا القائد العام لسلاح المدفعية والقائمقام حسن محمود بك مساعد القائد العام ، والقائمقام ، محمد شاهين بك مدير مدارس المدفعية وبعض ضباط السلاح ٠

وبعد ثلاثة أيام من زيارته لسلاح المدفعية يتوجه الى الكلية الحربية ، لزيارة أقسامها المختلفة ، وللتفتيش على طلبتها وللوقوف على مدى استعدادها لاستقبال العام الدراسى الجديد وكانت زيارته تلك بصحبة اللواء مصطفى صادق باشا و ٠٠ و ٠٠ وفى اليوم التالى يتوجه أيضا الى سلاح الاشارة ، لزيارة السلاح والزيارة مدارسه وبعد ثمان وأربعين ساعة من زيارته لسلاح الاشارة يتوجه بصحبة اللواء محمد صادق باشا ، قائد قسم القاهرة لزيارة أورطة الأساس وبعد ثمان وأربعين ساعة أخرى يتوجه عزيز على المصرى الى المستشفى العسكرى بمنشية البكرى حيث يتفقد حالة المرضى من الضباط والجنود ، وقد كان فى استقباله فى المستشفى العسكرى ، الدكتور الأميرالاى باسيلى سوسو بك كبير أطباء الجيش المصرى و ٠٠ و ٠٠

وفى اليوم التالى لزيارته للمستشفى العسكرى يتجه الى سلاح الأسلحة والمهمات بالقلعة و ٠٠ و ٠٠ حركة دائبة ونشاط ، غير مألوف ، ثم حرص شديد على معرفة كل شىء وعلى اعطاء الأوامر الضرورية ، والعاجلة بدون انتظار رأى أحد غيره ، كل ذلك أثار الجانب البريطانى وأكد ان عزيز المصرى فى منصبه الجديد سوف يكون أكثر خطورة على البعثة العسكرية البريطانية وعلى السياسة البريطانية وخاصة ما يتصل منها بالجيش ، أكثر منه عندما كان مفتشا عاما للجيش المصرى هذا عن عزيز على المصرى باشا ، أما عن صالح حرب باشا فان الجانب البريطانى لم ينس أبدا أن صالح حرب باشا كان يقف دائما ، وبدون هوادة ضابطا ، وعضوا فى مجلس النواب ضد السياسة البريطانية ٠

والذى جعل الجانب البريطانى ، يخشى محمد صالح حرب باشا أكثر من اى وزير آخر فى وزارة على ماهر باشا ، انه كان يتمتع برصيد شعبى ضخم وانه كان معروفا بالاستقلال فى الرأى وعدم الالتجاء الى سياسة المداهنة أو التملق لا للسراى ، ولا للانجليز وعن تاريخ صالح حرب باشا كتبت صحيفة البلاغ فى عددها الصادر فى ١٩ أغسطس ١٩٣٩ ــ غداة توليه وزارة الدفاع ، كتبت تقول :

« أكبر ما يمتاز به صاحب المعالى اللواء محمد صالح حرب باشا تقوى الله وطهارة الضمير ومجانبة السوء عملا أو قولا ٠ ولا عجب فى أن ينحو محمد صالح حرب باشا هذا النحو الدينى ، فقد تربى تربية دينية فلما ألحق بمدرسة خفر

السواحل كتلميذ ضابط كان أكثر زملائه حرصا على تأدية الصلاة فى أوقاتها وأكثرهم تلاوة للقرآن الكريم ٠

ثم رقى الى رتبة «ملازم ثان» فكان هو الرجل الذى يركن اليه كل عسكرى مظلوم فى طلب الدفاع عنه ، وعرف بكفاءته كما عرف بنشاطه وسرعان ما رقى الى رتبة الملازم الأول فرتبة اليوزباشى ، وأعلنت الحرب العالمية وهو قائد خفر السواحل فى مرسى مطروح فلما أعلنت الحمـــاية البريطانية على مصر جمع الضباط والجنــود الذين كانوا تحت قيادته وســار بهم وبأسلحتهم الى القوة العثمانية التى كانت مرابطة خلف الحدود المصرية الطرابلسية ٠

وأمضى هو وهؤلاء الضباط والجنود طوال ســنوات الحرب العالمية بين طرابلس والمغرب وتركيا محاربين .. واستطاع خلال هذه السنوات أن يستكمل دراسته العسكرية نظريا وعمليا ، وشهد بكفاءته القواد العثمانيون فترقى فى السلك العسكرى العثمانى بجدارة واستحقاق حتى بلغ رتبة « القائمقام » ٠

وانتهت الحرب العالمية ، ثم أعلن الدستور فى عام ١٩٢٣ وكان قد صدر العفو عن المحكوم عليهم ، فرأى « محمد صالح حرب » الفرصة مواتية للعودة الى مصر فوصل اليها وما لبث أن رشح نفسه للنيابة ، ودخل مجلس النواب فكان من أقوى النواب دفاعا عن حقوق الشعب وأقواهم فى المطالبة بانشاء جيش حديث لمصر ٠

وخلا منصب وكيل مصلحة السجون فى أواخر سنة ١٩٢٨ فعينته الوزارة النحاسية وقتئذ فى هذا المنصب وبقى فيه حتى عــام ١٩٣٩ ثم اختير مديرا لمصلحة خفر السواحل ومنح رتبة اللواء وفى ١٨ أغسطس سنة ١٩٣٩ اختير لمنصب وزارة الدفاع ، وقد شهد بأعماله فى خفر السواحل خلال الأشهر القليلة الماضية كل رجال العسكرية من بريطانيين ومصريين ٠

وقد أحدث اختيـــار صالح حرب وزيرا للدفاع ضجة كبيرة فى الدوائر البريطانية خاصة فى السفارة البريطانية وقيادات القوات البريطانية فى مصر كما يتضح من الفصل التالى :

الفصل الثانى

معارك عنيفة فى الداخل وفى الخارج
وتوفيق الحكيم يفتح النار على المرأة المصرية

● اعتبرت الدوائر البريطانية تعيين محمد صالح حرب باشا وزيرا للدفاع فى وزارة على ماهر باشا بمثابة حرب اعلان ضدها ، وقد سبق أن أشرت فى الى ملخص لتاريخ صالح حرب باشا باعتباره من خيرة الشخصيات الوطنية الجديرة بالحب والتقدير والاحترام .

وقد عرفت صالح حرب باشا لأكثر من ربع قرن من الزمان وخاصة عندما كان رئيسا لجمعيات الشبان المسلمين العالمية ، وأشهد أن الرجل كان حقيقة من خيرة القادة الوطنيين المخلصين الذين يعشقون مصر والسودان ويرون فى وحدة وادى النيل دعامة قوية ، لتحرير افريقيا ، وأن هذه الوحدة هى أهم ركائز تقدم الأمة العربية والعالم الاسلامى .

ومما أذكره عن محمد صالح حرب باشا أنه فتح لنا نحن الشباب فى بداية عام ١٩٤٧ جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة لنتدرب ولندرب زملاءنا من الشباب على حمل السلاح دفاعا عن حرية وادى النيل ودفاعا عن القضية الفلسطينية ، كما أنه كان من خيرة العاملين على زرع بذور الرجولة ، والوطنية ، والثورة فى نفوس الشباب ، وكان فى تربيته للشباب قويا ، وعنيفا وصارما ومستقيما كالسيف .

ويوم يتاح للمرء ، أن يكتب عن محمد صالح حرب فسوف يرى القراء نموذجا رائعا ، للرجولة ، والتضحية والفداء لم يتغير أبدا ، ولم يتبدل ولم تهدأ ثائرته ، حتى بعد أن تجاوز الثمانين من عمره : ظل هو هو ، طالبا ، أو ضابطا فى خفر السواحل ، أو مجاهدا فى سبيل تحرير طرابلس وبرقة وبنغازى من الاحتلال الايطالى .. ظل هو ، كما هو نائبا فى مجلس النواب ، وزيرا ، أو

رئيسا لجمعيات الشبان المسلمين العالمية : شاب دائما ، بالغ العنف والثورة ، مع غيره بل مع نفسه قبل أن يكون مع الآخرين ٠

أذكر أننا كنا نفرد مكانا فى المصور لصورة شخصية عامة رسمها الرسام فايق ، وتحت الصورة ، كلمة يكتبها صاحب تلك الشخصية عن نفسه تحت عنوان « أنا » وأذكر ، أن صالح حرب فى عدد المصور الصادر فى ١٩٥١/٨/٣ ـ وكانت الحركة الوطنية المصرية فى عنفوان قوتها وثورتها ـ كتب عن نفسه يقول بالحرف الواحد : « كنت الى ما قبل ثلاثين عاما ، لا يخجلنى أن أقول أنا ، ويشهد بذلك تاريخ الجهاد والسيف ، والقلم ، وما تدلى من العنق ، أو يزدان به الصدر ، يوم كنت الفريق صالح حرب باشا القائد العام للجيش السنوسى فى افريقيا ، أما اليوم فقد أصبحت ـ كما أصبح غيرى ـ من أشباه الرجال ولا رجال ، فأى مصرى يحق له أن يمشى على الأرض رافعا رأسه ويقول « أنا » ؟ وكأنما ارادتنا من وراء ظهر الغيب ، غفيرة بنت عفان حين قالت :

وان أنتموا لم تغضبوا بعد هــذه
فكونوا نســاء لا تعــاب من الكحل

ودونــكمو طيب العــروس فانما
خلقتم لأثــواب العروس ، وللغســل

فسحقا وبعــدا للذى ليس دافعــا
ويختــال يمشى بيننــا مشــية الفحل

ألا رحمة الله على الرجولة فى مصر ، ورحم الله كل من كان فيها يستطيع أن يقول أنا » !

وقليلــون جــدا ، هم الذين يعرفون ، أن محمد صالح حرب هو قــاتل « ياسين » صاحب أسطورة ياسين وبهية ، التى جاء فيها : يا بهية وخبرينى ، ع اللى جتل ياسين ، جتلوه السود عيونى ، من فوق ظهر الهجين ٠

وقد كان أحب الاوقات بالنسبة لنا ، نحن « حواريى صالح حرب » أن نستمع اليه وهو يروى ذكرياته القديمة ، التى مضى عليها أكثر من خمسين ، أو ستين سنة ، وكأنما يقرأ من كتاب مفتوح أمامه ، ومن بين ماسمعناه عن مقتل ياسين هذا قوله : أن ياسين كان من أكبر مجرمى الصعيد ، وكان ينتسب الى قبيلة العبابدة ، وقد ضاقت الحكومة بجرائمه ويئست من القبض عليه ، وقد رأت وزارة الداخلية ، بعد أن عينت ضابطا بحدود خفر السواحل برتبة ملازم ثان أن تستعين بعمدة القبيلة التى ينتسب اليها ياسين مهددة اياه بتجريده من رتبته ونياشينه ، اذا هو لم يلق القبض على ياسين حيا أو ميتا ، ويحصل على

بك ، العمدة ، الى حيث يختفى ياسين فى مغارته ، ويطلب منه أن يسلم نفسه ، ولكن ياسين يرفض أن يسلم نفسه ويطلب من العمدة ، أن يتركه وحاله ، فهو لن يسلم نفسه حيا أبدا ، كما أنه لن يموت رخيصا • ويعتذر العمدة عن القيام بما هو مطلوب منه معلنا أنه على أتم الاستعداد ، للتخلى عن رتبته ونياشينه ، وقد حدث أن انتدبت للعمل ــ وأنا فى سلاح الهجانة ــ على شراء جمال من وادى حلفا ، وقد اشترينا من البشارية ما نحن بحاجة اليه ، ثم عدنا ومعى دليلى وهو من قبيلة العبابدة ولم يكن معى ، الا جنديان فقط ، وقد لاحظ أحدهما أن اعرابيا ينام على بطنه وبيده بندقيته ، فاذا بالدليل يلوم هذا الجندى ، لتدخله فى شئون الآخرين بعد أن عرف أن هذا الاعرابى هو « ياسين » ، وعندما حاول صالح حرب أن يعود الى المكان ، الذى كان ينام فيه الاعرابى اعترض الدليل ، الذى كان ينتمى الى قبيلة العبابدة ، التى ينتسب اليها ياسين « وحاول أن يثنينى عن عزمى ، ولكننى أبيت ، وعقلنا الجمال ، وعدت أنا والدليل الى حيث المغارة ، التى كان يوجد بها ياسين وعندما اقتربنا منه لم يشأ أن يطلق علينا النار حتى نتقدم ويكتشف أمرنا » •

ويقول صالح حرب أنه فكر فى اشعال النيران قرب المغارة حتى يدخل دخانها الى داخل المغارة ، فيجبر ياسين ومن معه على الخروج منها بعيدا « فنستطيع أن نصيبه ، ولكن ياسين بادر باطلاق الرصاص علينا فأصاب طربوش الجندى ، فانبطحنا على الأرض وأخذنا نزحف الى حيث تبرك الجمال » •

ويقول صالح حرب : أمرت دليل الطريق أن يأخذ جملا ، ويذهب بأقصى سرعة الى عزبة البوص ، القريبة ويحمله بوصا ، وبعد أن امتنع الدليل وافق ، غير أن ياسين أطلق عليه النار فأصاب « الجمل » • و •• و •• وقد حاول ياسين فيما بعد أن يهرب الى جبل آخر وتبادل صالح حرب ومساعداه النار مع ياسين ويصاب أحد الجنديين ، وكان صالح حرب لا يطلق الرصاص فى المليان ، ويأمر من معه ، بألا يطلقاه أيضا فى المليان ، فقد كان حريصا على أن يقبض على ياسين حيا ، ولكنه غير من خطته فأطلق الرصاص على الجزء الظاهر من جسم ياسين ، ويلقى ياسين سلاحه ، ويجرى ، فيجرى صالح حرب ومن معه خلفه فاذا به قد انتهى ، لقد أصابته احدى الرصاصات فى قلبه ، والثانية تحت ابطه ، والثالثة كسرت ترقوته والرابعة مست ذراعه اليمنى ، وبعد تفتيشه وجدوا فى سرواله « ختما » باسمه فتأكدوا أنه هو ، ويكتشف صالح حرب أن ياسين كان معه زوجته وطفله واذا بالزوجة بعد أن تأكدت من مصرع زوجها ياسين اندفعت تزغرد : بركة لى ، بركة لى : أى باركوا لى ، باركوا لى ، وظن صالح حرب أنها تتصنع الفرحة ، ولكن ظهر أنها كانت جادة ، وتم وضع جثة ياسين فى جوال وركبت المرأة وابنها الطفل ، وقاد صالح حرب الركب الى محطة المحاميد ، ولم يصدق المأمور أن ياسين قد قتل ، وفى اليوم التالى لمصرع ياسين

بدأت وزارة الداخلية تتوالى ، ويفد الى محطة المحاميد : الضباط من جميع الرتب ، ووكيل نيابة قنا ، ووكيل نيابة أسوان ، وكم كانت المفاجأة ، لقد بدأوا يحققون مع صالح حرب لانه قتل ياسين ، وامتنع صالح حرب عن أن يرد على أسئلة النيابة . وترك ممثلى النيابة وأرسل برقية الى مفتش الصحراء الغربية الأميرالاى الألمانى فون دومريكر بك ، وجاء مفتش من الداخلية اسـمه مستر وندسون . وذهب الى مكان الحادث هو والدليل ، وأحد الجنديين ، ووقف مفتش الداخلية مستر وندسون يقول بعد أن عاد أمام الأهالى بلغة عربية تداخلها اللكنة الانجليزية : باسم وزارة الداخلية أشكرك كثير خالص ، أنت قمت بعمل عظيم خالص ، خلصت مديريتى قنا وأسوان من مجرم ، كان خطرا على الأمن العام » والتفت الى بقية الضباط من ذوى الرتب الكبيرة قائلا : تقدروا دالوقت تناموا كويس مافيش خطر ، مافيش خوف : هذا الضابط الصغير جدا خلصكم من الخطر الكبير .

وصرفت وزارة الداخلية لمحمد صالح حرب ثمانين جنيها مكافأة ، كما أعطت للأومباشى ، والعسكريين والدليـل ثمانين جنيهـا أخرى ، وأعطى محمد صالح حرب من عنده لكل واحد من الثلاثة خمسة جنيهات ، ولم تمض أيام حتى نظم أبناء الصعيد أغنية فى ياسين راح الشعب يرددها : يا بهيـة وخبرينى ع اللى جتل ياسين ؟

والى جانب محمد صالح حرب باشا ، وعزيز المصرى ، اللذين أثار اختيارهما فى منصبيهما ثورة الانجليز ، كان أيضا اختيار مصطفى الشوربجى ، وزيرا للعدل ، وعبد الرحمن عزام وزيرا للأوقاف فى البداية ، وقائدا عاما للجيش المرابط .. من أسباب ثورة الانجليز على على ماهر ووزارته .

ومصطفى الشوربجى من تلاميذ مصطفى كامل ، ومحمد فريد ، وقد ظل على العهد ــ عهد مصطفى وفريد ــ الى أن لقى ربه ، وكان مصطفى الشوربجى من أجرأ الشباب على سعد زغلول باشا وقد قال لسعد زغلول وهو فى قمـة مجده : انه لن يوقع على توكيل الأمة للوفد المصرى الا بشروط ثلاثة من بينها أن يكون أساس المفاوضـة الاستقلال التام ، وأن تشمل المفاوضـة موضـوع السودان ، وألا يكون الوفد مفوضا من الأمة بشكل مطلق ، ولمصطفى الشوربجى العديد من المؤلفات الوطنية : « القضية المصرية » . « لا حماية ، لا اتفاق ، لا مفاوضة ، لا تحالف » . وعندما اختاره وزير الحقانية على ماهر ــ ١٩٣١ ــ ليكون مستشارا بالاستئناف رفض الملك فؤاد التوقيع على مرسوم التعيين ، غير أن على ماهر هدد بالاستقالة من الوزارة ، وقد ظل مستشارا فى محـكمة الاستئناف تسع سنوات رشح بعدها ليكون مستشارا فى محكمة النقض غير أن على ماهر كان قد اختاره وزيرا للحقانية : من نواب الحزب الوطنى ، ومن

شيوخه أيضا . أهدى مكتبته ـ ٣٥٠٠ كتاب ـ الى نقابة المحامين وكان قد تجاوز ال ٨٥ عاما من عمره وكانت قيمتها وقت اهدائها ـ ١٩٦٤ ـ تزيد على العشرة آلاف جنيه و ٠٠ و ٠٠

أما عبد الرحمن عزام ، فقد كان من خيرة الذين حملوا لواء الوحدة العربية ، والاسلامية ، فى مصر ، واليه يرجع فضل التفكير المبكر ، فى انشاء الجامعة العربية ، وقد عرفت عبد الرحمن عزام سنوات طويلة عندما أتيح لى كصحفى ناشىء أن أتابع أخبار الجامعة العربية ، بعد انشائها بسنوات قليلة ، ولم يكن رأيى وقتئذ ـ كما هو الآن بالطبع ـ فى الجامعة العربية ما يسر الأمين العام للجامعة ، وعندما كنت ألتقى به وأذكر له اعتراضاتى كشاب ثائر على مجريات الأمور فى الجامعة العربية ، كان عبد الرحمن عزام يتقبل تلك الآراء بصدر رحب ، بل كان فى كثير من الأحيان يوافقنى على بعض آرائى ، وكان يقول لى باستمرار : انها مجرد خطوة للعمل العربى المشترك ٠

وفى بعض الأحيان ، كان يسألنى ، وأنا أحاوره : لو خيرت وكنت أنت فى مكانى بين اتخاذ هذه الخطوة ، وعدم اتخاذها ؟ هل كنت تختار عدم قيام الجامعة العربية أم قيامها بتلك الصورة ، الضعيفة ؟

وفى الواقع ، كنت ـ وقتئذ ـ لا أرى ما يمنع من الانتظار وقتا أطول لكى تقوم الجامعة العربية قوية منذ البداية ، بدلا من أن تقوم بتلك الصورة الهزيلة ٠

وكان عبد الرحمن عزام ـ يرحمه الله ـ يبتسم ويقول : هذه دائما ثورة الشباب ، عندما كنت فى مثل سنك ، كنت أقول هذا الكلام ولم أكن أقبل مثل هذه الخطوات البسيطة والضعيفة ، ولكننى عندما تجاوزت تلك المرحلة ، وعندما وجدت على الطبيعة ظروف البلدان العربية كلا على حدة ، وظروف البلدان العربية مجتمعة ، وجدت أنه من المصلحة الترحيب بتلك الخطوة على أن تتبعها خطوات أخرى تطور العمل العربى وتزيده قوة ، وترابطا واندفاعا ٠ على أننى كنت باستمرار ـ ولعلى لا أزال كذلك حتى اليوم ـ أرى أن ضعف الجامعة جاء بسبب عدم التزام الأعضاء فى الجامعة بميثاق الجامعة ، وكون الدول التى تنفذ قرارات الجامعة ، هى تلك التى توافق عليها ، أما الدول التى لا توافق على أى قرار ما فهى غير ملزمة بالطبع بتنفيذ ذلك القرار ، كما أن من أهم أسباب ضعف الجامعة ، كونها ملتزمة بآراء الحكومات ، وكون التنظيمات الشعبية التى تمثل الملايين من المواطنين العرب ليست بداخلة فى اطار الجامعة العربية ! و ٠٠ و ٠٠

وحياة عبد الرحمن عزام ـ كما سبق لى أن قلت ـ مليئة بجلائل الأعمال ، تعطى الدليل القاطع على أن الايمان بالقيم والمثل العليا ، لا يمكن أبدا ـ أن يتحول الى العكس : قد يصاب ذلك الايمان فى بعض الفترات بالضعف نتيجة

لعوامل خارجية ضاغطة ، ولكن ذلك الايمان لا يمكن أبدا أن يتلاشى أو يتجه الى طريق آخر ، وبمعنى أدق لا يمكن أبدا لصاحب القيم ، والمبادىء ، والمثل العليا ، وخاصة اذا كانت تلك القيم والمبادىء ، والمثل العليا ، نابعة عن عقيدة دينية راسخة أن يتخلى — مهما ووجه بالصعوبات والمشاق — عن كل ما يؤمن به ، وما يعتقد أنه الحق ، والعدل ، وحياة رجل كعبد الرحمن عزام عبارة عن سلسلة متصلة الحلقات ، فيها فترات قوة ، وفيها فترات ضعف ، وفيها فترات تتميز بالاندفاع ، وفترات أخرى تتميز بالحكمة والاناة . ولم يحدث أن عبد الرحمن عزام — الذى كان مضطرا فى بعض الأحيان ، الى الاعتكاف أو العزلة — أن عمل عملا ما صغيرا ، أو كبيرا ، يختلف مع ضميره ووجدانه ، وتلك هى الميزة الكبرى لتلك الشخصيات الرائدة ، التى قد تجد نفسها عاجزة عن العمل فى بعض الأحيان ، وقد تحترق وهى فى حالة العجز هذه ، ولكنها لا يمكن أبدا تحت أى ضغط مادى أو أدبى ، أن تعمل عملا لا تؤمن به .

وعندما كان عبد الرحمن عزام طالبا فى المدرسة السعيدية أنشأ جمعية سماها جمعية « الرابطة الاسلامية » — وكان وقتئذ متأثرا بأفكار الحزب الوطنى — لبث الحمية فى نفوس الشبيبة ، وفى لندن بدأ يدرس الطب من عام ١٩١٢ ، ولكنه لم يكن يميل أبدا الى هذا النوع من الدراسة التى لا تتفق مع مواهبه ، واستعداده ، ولكنه رغم ذلك راح يقبل على دراسة الطب اقبالا شديدا ، وفى لندن أسس جمعية « أبو الهول » ودعا هو وزملاؤه فى الجمعية الزعيم محمد فريد ، ليقيم معهم أياما أعربوا فيها له عن حبهم ، واخلاصهم وزودهم هو بفيض من وطنيته الصادقة ، و .. عندما قامت الحرب البلقانية وكانت الهزائم تلحق بتركيا دولة الخلافة الاسلامية ، أصر على أن يلتحق بالقوات التركية فاخترق غرب أوروبا ووسطها بالقطارات حتى وصل الى ميناء تريستة على بحر الأدرياتيك وليس معه جواز سفر ولا تأشيرة لدخول أى من الدول التى تطل على بحر الأدرياتيك ، بل لم يكن معه أية ورقة الا خطاب من محرر جريدة عمالية بريطانية يؤكد أن عبد الرحمن عزام مراسل لتلك الجريدة ، المتواضعة التى لا يقرؤها أحد خارج لندن ، ومع صعوبة موقفه ، دخل النمسا ، والمجر والجبل الأسود الى أن تعرف على بعض الثوار الأرناءوط الذين استضافوه ومكنوه من الوصول الى استمبول حيث استقبله الشيخ عبد العزيز جاويش وقدمه الى كبار الشخصيات العربية ، والتركية ، ومن استمبول اتجه الى أدرنة حيث انضم الى قوات الجيش العثمانى ، التى كانت تقاتل الثوار .

ولم يكن عبد الرحمن عزام وقتئذ ، قد تجاوز العشرين من عمره ، وقصة عبد الرحمن عزام فى الحرب البلقانية كقصته فى الحرب العالمية الأولى ، فكل قصص عبد الرحمن عزام تتميز بالبطولة والرجولة والفداء ، وكلها حقيقة تصلح أن تكون مثلا يحتذى ، لا لشباب مصر ، والعالم العربى ، والعالم الاسلامى وحسب ، وانما لشباب الدنيا كلها .

وبعد تلك الرحلة الطويلة مع تلك الشخصيات الوطنية التى أثار اشتراكها فى وزارة على ماهر باشا الثانية ثائرة الانجليز نعـــود الى الأجواء السياسية المصرية ، والعربية والدولية ، التى كانت تعيش فيها وزارة على ماهر باشا ، وزارة الأزمات ، والتحديات ، والجدير بالذكر أنه بعد أيام من تشكيل وزارة على ماهر أعلنت الحرب العالمية الثانية ، وبمقتضى معاهدة ١٩٣٦ ، وبناء على اشتراك الحليفة بريطانيا فى تلك الحرب تم فرض الأحكام العرفية فى جميع أنحاء مصر ، وخول على ماهر باشا رئيس الوزراء السلطة فى اتخاذ كل التدابير الواردة فى نظام الحكم العرفى والمحافظه على النظـام والامن العام ، ورغم أن حزب الاحرار الدستوريين لم يكن مشتركا فى الوزارة ، الا أن محمد محمود باشا رئيس الحزب ، قد أكد لعلى ماهر باشا تأييده وتأييد حزبه له ، فى هذا الموقف الدولى ، المكفهر وكان الشيخ المحترم ، لويس فانوس عضــــو الهيئة الوفدية قد ابرق الى على ماهر باشا مؤيدا ، دون انتظار لقرار الوفد ، فى هذا الموضوع ، فبدأ الوفد يحاسبه لخروجه على الخط الحزبى .

ومن الأمور الطريفة ، ان مجلة المصور أجرت استفتاء لبعض الشخصيات الهامة حول مدة الحرب ، وقد كان من رأى عبد القادر حمزة باشا ــ صاحب جريدة البلاغ ــ أن الحرب ستطول الى سبعة أعوام ، وأن الحلفاء سينتصرون بعكس رأى الاستاذ عباس محمود العقاد ــ فيما يتعلق بمدة الحرب ــ الذى قال أن الحرب لن تطول اكثر من عام ونصف ، وقد كان من رأى العقاد ــ أن روسيا لن تنتصر لألمانيا فى هذه الحرب لأنى ــ العقاد ــ لا أثق فى أغراضها ، ومواثيقها كما كان من رأى العقاد أيضا ان ايطاليا لن تخرج على حيادها ولن تشترك فى الحرب ، أما الأستاذ عزيز خانكى بك فقد كان من رأيه أن الحرب لن تطول أكثر من سنة واحدة .. وأن ألمانيا ستنهزم فى تلك الحرب وسيقضى على الهتلرية القضاء الأخير .

وكان من القضـــايا التى أثارت اهتمام الرأى العام وقتئذ القضية التى حركتها النيابة العامة ضد مصطفى النحاس باشا لانه فى احدى خطبه ، نسب الى د. احمد ماهر ، وزير المالية وقتئذ أمورا اعتبرتها النيابة قذفا فى حقه ، وظلت الدعوى قائمة حتى بعد خروج أحمد ماهر باشا من وزارة المالية ، وكانت هيئة الدفاع عن مصطفى النحاس مكونة من مكرم عبيد ، أحمد نجيب الهلالى ، ومحمد صبرى أبو علم ، وعبد الفتـــاح الطويل ، ويوسف الجنـــدى ، وكامل صدقى ، وعبد الحميد عبد الحق ، وكان محامى الدكتور أحمد ماهر ، المدعى بالحق المدنى والمطالب بمبلغ عشرين ألف جنيه كتعويض هم ابراهيم الهلباوى ، محمد موسى بدر ، محمد توفيق خليل ، وعبد الرحمن البيلى و .. و ..

وقد كانت الصحافة ممثلة فى مجلس الشيوخ بفارس نمر باشا ، وعبدالقادر حمزة باشا وأنطون الجميل بك ، وخليل ثابت بك ، وكانوا كلهم من الأعضاء

المعينين . أما ممثلو الصحافة فى مجلس النـواب فقد كانوا : جبرائيل تقلا « دائرة تكلا » محمود أبو الفتوح « دائرة نقطة العرب » فكرى أباظة « منيا القمح » عباس محمود العقاد « العامرية » .

وقد كان الشباب مندفعا ، الى التدريب العسكرى ، وكان د. محجوب بك ثابت يولى هذا التدريب كل اهتمامه ، وكان هناك نشيد قومى عسكرى ، ألفه الأستاذ حسن اسماعيل ، ولحنه « الطالب » عبد الحميد توفيق زكى وكان من بين كلمات ذلك النشيد :

نحن السـيوف المشرعـات للعدا
أرواحنـا للنيـل ، والعـرش فدا
اذا دعت مصر رفعنـا العلمـا
وفى دم الأعداء خضنا أسـدا
تخالنا الأبصـار ، زوابعـا من نار
فى عزمه الجبـار ، فى قوة الأقدار
نحن السـيوف المشرعـات ،نحن الرعود
العاصفات ، فى الهول لا نخشى الدماء

وكانت كلمات ذلك النشيد تنتهى كما يلى :

يا شباب التضحيات هات مجد النيل هات وابعث النور الجديد



وكان شعار الجيش المرابط ، الذى صدر بتشكيله مرسوم ، وتم تعيين الأستاذ عبد الرحمن عزام وزير الأوقاف قائدا عاما له كان شعاره الآية الكريمة « يا أيها الذين آمنوا اصبروا ، وصابروا ، ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » .

وكان فى مقدمة الذين تطوعوا للخدمة العسكرية النائب المحترم « أحمد مرتضى المراغى » الذى قال ان أحب شىء الى نفسه أن يحمل السلاح ، ويرتدى ثياب الأنفار ، ويشترك مع اخوانه المصريين فى الجهاد والدفاع عن سـلامة البلاد » ، كما كان حسن أنيس باشا أول الطيـارين المصريين الذين تطوعوا للاشتراك فى الحرب دفاعا عن سلامة الوطن .

وكان ابراهيم عبد الهادى بك ، يطلق عليه فى وزارة على ماهر باشا الثانية لقب وزير الشباب .

وقد تحدث فى ٢٨ نوفمبر ١٩٣٩ القائد العام للجيش المصرى عزيز على المصرى عن الجندى المصرى فقال : بعد الرحلات العديدة التى قمت بها منذ أن

عهد الى برياسة أركان حرب الجيش المصرى ، أقول أن العسكرى المصرى ـجنديا ، كان أم ضابطا ـ يستطيع أن يقوم بكل ما يعهد اليه كأرقى عساكر العالم ، فالخامة اللازمة لصنع الجيش المصرى المطلوب اذن موجودة وهى من نوع جيد متين وفى الامكان عمل الأثواب اللازمة منها متى وجد من يجيد ، هذا العمل ، ومتى وجد المال اللازم » ٠

ويقول عزيز على المصرى ، ان الجيش المصرى فى حاجة الى الشباب والى جهود الشباب وحماس الشباب ، وما من جيش قوى فى العالم ، الا كان الشباب عدته وغذاءه ، ولست أقصد شباب الجسوم فقط ، وانما شباب النفوس كذلك ، النفوس الطاهرة ، المخلصة » ٠ ولا يرحب عزيز المصرى بانشاء أسطول بحرى اذ أن اجراءات الدفاع الساحلى تامة ووافية ولكن لا ضير من أن يكون لمصر أسطول صغير يعاون الدفاع الساحلى فى صد أى هجوم على حدودنا المائية ٠ اذا أريد لمصر ، أن تنفرد بالدفاع عن نفسها ، ويقول اللواء حسن عبد الوهاب باشا مدير سلاح الطيران : ان مدير سلاح الطيران ، لا يجب أن يكون مديرا فالطيران فى ذاته شىء ، والادارة شىء آخر ٠ كما يقول : أثبت الطياروں المصريون كفاءة ممتازة تستحق الثناء ، والاعجاب ٠ وقد أثنى على الطيارين المصريين السير وليام متشل قائد الطيران البريطانى فى مصر ، والشرق الأدنى ، وينفى مدير سلاح الطيران وجود أية طائرة فى مدرسة الطيران ، زاد طيرانها على ١٠٦٧ ساعة ، وعن حوادث الطيران يقول اللواء حسن عبد الوهاب باشا : هذه الحوادث ترجع الى انفعال عصبى ، قد يصيب بعض الطيارين المبتدئين ، ومثل هذه الحوادث تقع فى أية مدرسة طيران فى العالم ، بل ان مدرسة الطيران البريطانية فى أبو صوير وقعت بها حوادث لا تقل فى عددها ، عن أربعة أمثال الحوادث التى وقعت فى مدرسة الطيران المصرية ٠

وقد كان الى جانب المعارك التى تدور رحاها فى أوروبا معركة هامة وخطيرة أثارها الأستاذ توفيق الحكيم ، عندما نشر له المصور ٠

« ١١ نوفمبر ١٩٣٩ » حديثا هاما يقول فيه « لا وجود للزوجة الصالحة فى مصر » ، وكان بداية تحرش الأستاذ توفيق الحكيم للمرأة رده على السؤال التالى: ما رأيكم فى المرأة المصرية لا بصفتكم عدو المرأة بل بصفتكم من المسئولين الآن ، عن نهضتها فى وزارة الشئون الاجتماعية ؟ وكان رد الأستاذ توفيق الحكيم : لا تذكرنى بالمرأة ان الحديث عنها سواء بصفتى الشخصية أو الرسمية ، لما يعكر الدم ، لن أكثر من ألفاظ النقمة والغضب ، ولكن أسوق اليك في هدوء حديثا دار بينى أخيرا وبين نخبة من خيرة شباب مصر المسئول ، أولئك الذين اضطلعوا فعلا بأعباء ملحوظة فى المجتمع ، لقد اتفق هؤلاء بالاجماع على أنهم لا يجدون فى مصر الزوجة التى تصلح لهم زوجا ، وليس في قولهم مبالغة فالمرأة الآن في مصر ، احدى اثنتين : واحدة تخرجت بنجاح من دور السينما والملاهى ، وحذقت تقليد ممثلات

هوليود . الرقيعات ورأت كلود كولبير تصفع زوجها فى الرواية على خده الأسيل فيمسح مكان الصفع بالمنديل ، وراحت تراقص هذا وذاك وتجلس على مقعد « البار » العالى ، وتتمدد على أديم الرمال ولا تعرف من شئون الدنيا والآخرة ، غير الكلام فى الجاذبية وقلة الجاذبية التى عند الرجال ، ولا تدرك أن عليها لزوجها واجبات فهى ليست مسئولة عن بيت ولا مطبخ ، ولا أولاد لان هذا من عمل الخدم والمربيات . أما هى فوظيفتها فى الصباح الطواف بحوانيت الزينة والذهاب الى الخياطات . وفى الظهر استقبال زوجها بالطلبات ، وفى العصر التعلق برفقته ليخرج معها الى النزهة ، أو يدعها تذهب الى زوزو وشوشو ، وموشو للعب البريدج والكونكان : أظنك توافقنى على أن الرجل المحترم المسئول هو آخر من يفكر فى قبول مثل هذه المرأة شريكا محترما يسير الى جانبه فى طريق حياة جدية قد تكون عقيمة الأثر فى تاريخ بلاده ، أما النوع الثانى من المرأة فى مصر اليوم فهو نوع تخرج بنجاح فى المدارس والجامعات فحذق تقليد الرجل فى جهله بشئون البيت ومعرفته بآراء أفلاطون وأبو العلاء .

والمعركة حامية ونكتفى بهذا القدر من تلك المعركة لننتقل الى معركة أخرى أكثر عنفا هى تلك التى دارت بين السعديين والدستوريين حول رئاسة مجلس النواب ، كما سيتضح فى الفصل التالى .

الفصــل الثــالث

معركة بين السعديين والأحرار الدستوريين
حــول رئاســة مجلس النواب

● سبق أن أشرت الى تلك المعركة التى أعلنها الأستاذ توفيق الحكيم ضد المرأة المصرية ، باعتباره وقتئذ ـ عام ١٩٣٩ ـ عدوا للمرأة ، أو هكذا كان يقول هو عن نفسه ، أو يحب أن يقال عنه أنه كذلك ، بالرغم من أنه فى حقيقة الأمر ، لم يكن كذلك أبدا : لقد كان توفيق الحكيم ، ولا يزال فى مقدمة أنصار المرأة ، وان كان يحلو له بين الحين ، والحين « مناوشتها » و « مناغشتها » و « جر شكلها » .

وكنا قد وقفنا عند الرأى الذى أبداه توفيق الحكيم فى المرأة المصرية ، وكونها واحدة من اثنتين : واحدة تخرجت بنجاح ، من دور السينما والملاهى ، وحذقت تقليد ممثلات هوليوود الرقيعات ، والثانية تخرجت بنجاح فى المدارس والجامعات فحـذقت تقليد الرجـل فى جهله بشـئون البيت ، ومعرفته بآراء أفلاطون ، وأبى العلاء .

يشير توفيق الحكيم الى ذلك النوع من النساء حائزات البكالوريا ، أو الدبلومات اللاتى قد يصلحن للتدريس أو التوظف ولكنهن لا يصلحن زوجات ونساء يعرفن أفلاطون ، ولا يعرفن كيف تقلى بيضة ، فاذا مرض الطباخ أو خرج تغذى الزوج المحترم بزبدة ، أفكار أفلاطون ، أما خريجات المدارس الأجنبية ممن تعلمن قشور اللغة الفرنسية ، أو الانجليزية ، ومبادىء البيانو ، فانهن عرائس جوفاء ، صنعت فى حوانيت « الميردى ديو » أو « الدام دى سيون » ، لتوضع مع جهاز العرس ، فى بيت زوج مسكين كتب عليه أن ينكب بحمل هذه الدميـة المتحركة الناطقة بمون شير وما شيرى من حيث أراد معينا يعينه على حمل متاعب الحيـــاة .

وكلتا المرأتين لم تفهم بعد ما تعلمته فى هذه المدارس ، المختلفة غير شيء واحد : حقها المطلق فى السيطرة على الرجل ، واخضاعه ، وعدم طاعته ، وجعله خادما لمطالبها نازلا على ارادتها ، واعتبار أى حق له فى القرار ، أو الأمر ، والنهى ، تأخرا يقابل من المرأة بالاحتجاج والازدراء ٠

ويشير توفيق الحكيم الى ما جاء على لسان زوجة فاضلة فى احدى القصص الفرنسية الشهيرة التى قرأها مصادفة : « منذ الأيام الأولى لزواجى رسمت لنفسى خط سير محددا ، هو أن أسمع ، وأعمل كل ما يريده زوجى ، ولم أنحرف أبدا عن هذا المبدأ ، ولقد وجدت نفسى بذلك على خير حال ، اذ بفضل ذلك جعل زوجى يسمع ، ويعمل كل ما أريد ، هنا سر سعادتى ، وهى كما ترى قائمة على هذا المبدأ البسيط فلتفعل الزوجة ما يعجب زوجها ، يفعل هو ما يعجبها » ثم يتساءل توفيق الحكيم : هل نستطيع أن نعدد كثيرا من الزوجات عندنا اليوم يسرن على مثل هذا المبدأ البسيط ٠٠

وعندما يسأل توفيق الحكيم : كيف تكون الزوجة الصالحة فى نظره ؟ يجيب قائلا : الزوجة الصالحة فى نظرى هى تلك التى أستطيع أن آكل من طهو يدها طبقا واحدا شهيا ، ولو «صينية بطاطس فى الفرن» ، وألبس من صنع يدها رداء صغيرا ، ولو « طاقية نوم من الكستور » ، وأجد من حسن ذوقها فى ملبسها وزينتها ، ونظام بيتها منظرا جميلا ، ولو ببضع زهرات فى اناء ، وأسمع من فمها حديثا عذبا ، ولو « حدوتة القط والفار ؟ » ، وأرى فى وجهها ملامح لطيفة تنم عن حلاوة النفس ، ورقة الطبع وطهر القلب ونبل الروح ، ثم أريد بعد ذلك أن تقف حياتها على صنع كل ما أريد ، وأنا ضامن بأنها سوف تجعلنى بذلك أصنع كل ما تريد ، وهذا ما أثق بندرته فى المرأة المصرية اليوم ، ان لم يكن من المستحيلات » ٠٠

ويقول توفيق الحكيم ضمن ما يقوله فى حملته الشعواء ـ كما قالت المصور ـ عن المرأة المصرية . ان المسئول عن النوع الأول . المقلد لممثلات السينما هم الأمهات والآباء بتهاونهم فى غرس المثل العليا السليمة فى نفوس بناتهم ، وبتراخيهم فى استعمال سلطتهم الأبوية وانصرافهم عن الاشراف الدقيق على تربية البنات أما المسئول عن النوع الثانى ، المتخرج فى المدارس والجامعات فهى السياسة القديمة لوزارة المعارف فى التعليم ، فقد نجحت هذه السياسة فى قلب البنات الى صبيان ، والصبيان الى بنات ، فالبنت تحشو رأسها بكتب الولد ، والولد يرتب شعره اللامع ، كالبنت ، ويقرأ فى مثل كتبها ، فلا ترغيب فى قوة الشخصية ، ولا تدريب على ما ينمى روح الرجولة ٠

ويقول توفيق الحكيم أنه بفضل الزوجة التى تكون نفسها ، بنفسها ، وتقرأ للتسلية والفائدة فى أوقات فراغها ، وتعتمد فى ثقافتها على مطالعتها ،

ومجهوداتها الشخصية ، ولا أطلب فى الزوجة ثقافة عليا ، ولكن أريد أن تستطيع مشاركة زوجها فى سيره الطويل الشاق ، فى طريق الحياة ٠

وينهى توفيق الحكيم حديثه الثائر بقوله : كم أثرت فى نفسى صورة أخيرة للمستر تشمبرلن وهو يمشى الى جوار زوجته متنزهين فى أحد الطرق ، كل ما فى هذه الصورة يدل على أن هذين الزوجين قطعا معا على هذا النحو طريق الحياة بما فيه من هناء ، وشقاء ٠ كذلك أثرت فى نفسى كلمة اهداء صدر بها أحد كبار رجال السياسة فى فرنسا كتابا له ختم به حياة كلها كفاح : « الى زوجتى التى تشاركنى أيامى البيض وأيامى السود » ، فالى أن توجد فى مصر ، مثل هذه الشريكة لن تجد بكثرة رجالا عظاما يحتملون السير وحدهم فى طريق الجهاد والمجد حتى النهاية ٠

وكان المصور ، قد اختار لحديث توفيق الحكيم عنوانا مثيرا هو : لا وجود للزوجة الصالحة فى مصر ، وصدره بالعبارة التالية : « ان المرأة التى تصنع لى صينية بطاطس فى الفرن ، أجدى عندى من المرأة التى تقدم لى جميع دبلومات الفلسفة » ٠

وكان المصور أيضا قد قدم حديث توفيق الحكيم بالكلمة التالية : اشتهر صديقنا الكاتب الكبير الأستاذ توفيق الحكيم بعدائه للمرأة ، ولكننا لم نكن نتوقع عندما سألناه أن يحدث قراء « المصور » عن المرأة المصرية أن يحمل عليها هذه الحملة الشعواء ، ولذلك نفسح المجال للرد عليه ــ رد الجنس اللطيف طبعا ــ وسنرى أى الفريقين سينتصر فى النهاية !

وتكون الآنسة ايفا حبيب المصرى ، رئيسة تحرير « المصرية » أول من يتولى الرد ، وبعنف على الأستاذ توفيق الحكيم ٠

ويختار « المصور » لمقال الآنسة ايفا العنوان التالى : « الصراع بين عدو المرأة والجنس الناعم : الزوجة الصالحة موجودة فى مصر ، ويكون لمقال الآنسة ايفا حبيب المصرى عنوان فرعى : اختير من بين كلماته : لا يستطيع الحكم التزيه رجل يعترف بأنه « معكر الدم » فالتفكير السليم ، وتعكير الدم لا يجتمعان ٠

وتبدى ايفا حبيب المصرى دهشتها لصدور الحديث من مؤلف عودة الروح ، وأهل الكهف ، وعصفور من الشرق ، وغيرها من القطع الأدبية الرائعة ، التى يلمس فيها القارىء سمو الفكر ، والولع بالفن وبالروحيات ، وتقول : لقد طالما شاع وذاع أن الأستاذ توفيق الحكيم عدو المرأة ، وكنت أعتقد ان مثل هذا القول دعاية أدبية أو أنه ان صحت عداوته للمرأة فان ذلك يرجع الى أنه مثل بيجماليون فى تلك الأسطورة الاغريقية القديمة الجميلة ، قد رسم للمرأة فى خياله تمثالا بديعا فيه كل معانى السمو ، والجمال ، والكمال ، فكل مقارنة بين

الحقيقة والخيال ، تجعل الحقيقة شاحبة اللون الى جانب الصورة الرئيسية فى ذهنه · وتقول ايفا متسائلة : أتكون تلك الدعاية حقيقة واقعة ، وهل يكون الكاتب الكبير ، عدوا للمرأة حقيقة كارها لها ناقما عليها ، أو موتورا منها ، وتقول بعد ذلك التساؤل : انها ليست صيحة الحق ، والعلم ، والنور ، بل هى صيحة الكره والنقمة ، والكره كالحب أعمى ، بل لعله أكثر من عمى ·

وتدافع الآنسة ايفا حبيب المصرى دفاعا رائعا عن المرأة المصرية وتقول ضمن ما تقوله فى دفاعها : اذا كان طهو صينية البطاطس هو مقياس صلاحية المرأة للزوجية والأمومة ، فأين التنافر بين العلم ، والطهو ، وما الذى يمنع المرأة ، المتعلمة عن أن تجيد الطهو ، وتجيد العناية بشئون زوجها ، وشئون أولادها ، وشئون مملكتها البيتية عامة ! كما تقول : أن التعليم الصحيح ، هو الذى يوسع الآفاق ، أمام المرأة فيجعلها زوجة صالحة وأما صالحة ، ومديرة بيت صالحة ، تحسب حساب الدخل ، والخرج ، وتعرف مدى المسئولية ، وتقدر لنفسها كرامتها وكرامة زوجها وأولادها ، وتجعل فوق ذلك أقدر على حسن الطهو ، والاضطلاع بشئون المنزل ·

وتنهى ايفا حبيب المصرى مقالها مخاطبة توفيق الحكيم قائلة : تعـال يا سيدى معى ، وأنا أريك سيدات من أرقى السيدات وأوسعهن علما وثقافة لم يعرفن ولن يعرفن الجلوس الى المقاعد العالية فى البارات ، هن اللاتى يضعن ميزانية البيت ، ويراقبن المطبخ ، ويتولين الطهو عند اللزوم ، ويعتنين بثياب الأولاد والزوج ، ولكن ، الدمى ، الدمى وحدهن هن اللاتى ، ، لفتن نظـرك وعليهن وحدهن ، بنيت حكمك الغاضب الحانق ، انك يا سيدى رفيع المرتبة فى عالم الفضل ، ولك كلمة مسموعة نافذة ، فلا توجه الشباب المصرى مثل هذا التوجيه الجائر ، الظالم ، الضار ، اجعل للروحيات وللمثل العليا ولحاجتنا الشديدة الى تقويم أخلاق الناشئة مكانا من عنايتك وجميل تفكيرك ، ولعلك راجع الى الحق ، والانصاف ، فمثلك لا يصر على باطل » ·

وفى عدد ٢٤ نوفمبر ١٩٣٩ يفرد المصور أكثر من صفحة ويختار عنوانا مثيرا هو : « ثورة على الأستاذ توفيق الحكيم » وتشترك فى تلك الثورة عليه : هدى هانم شعراوى ، شريفة هانم رياض ، حرم محمد على علوبة ، وابتسام ممتاز « كلية الحقوق » وفاطمة فهمى « كلية الآداب » بالاضافة الى الآنسة بثينة عبد العزيز فهيم ، والآنسة نعمت حامد محمد ·

قالت هدى هانم شعراوى : أؤكد أن مقال الأستاذ توفيق الحكيم قد ترك آثرا سيئا فى نفوس الكثيرين ·· زوجات وأزواجا وبنات وشبابا ، بل لعلى لا أبالغ اذا ما قلت أنه ما من أحد الا استاء مما قال ·

وتقول هدى شعراوى : عجيب حقا ، أن تكون واحدة أو عشرا أو مائة أو مئات سببا فى أن يطلق حكمه على المصرية ، ويعلن ألا وجود للزوجة الصالحة فى مصر . ألم تكفه أزمة الزواج ؟ وهل يظن أنه ببث تلك الروح فى شباب مصر يؤدى خدمة لبلده أو يكون قد أصلح من شأن المرأة أم أنه يرمى الى حث الشباب على الزواج من الأجنبيات ما دامت مصر قد عقمت ولم تعد بها زوجة واحدة صالحة .

وتهاجم هدى شعراوى فى كلمتها التى اختارت لها عنوانا هو أسمى دعاية من مدير الدعاية ، تهاجم توفيق الحكيم فى الصميم ، ولقد كنت أعجب . كلما سمعت أن الأستاذ الحكيم عدو المرأة وزاد عجبى حينما وجدته عدوا ، للمرأة المصرية بالتحديد عداوة تنسيه واجبه ، كقائم بأمر الدعاية فى وزارة الشئون الاجتماعية ، وكمصرى عليه واجبات فى مقدمتها النزاهة والانصاف ومعالجة أوجه النقص ، ليصل الى الكمال لا الهدم ، والتخريب وبث روح التشاؤم والتشهير !

أما السيدة شريفة هانم رياض فقد رأت ان الذى يجب أن يرد على توفيق الحكيم هم الأزواج : لا الزوجات كى يلزموه بالحجة . وتقول فى اعتقادى أن الأزواج قد ردوا جميعا عليه وفى كل يوم يردون ، بما يتعارض مع كلامه ، ذلك لاننا ولله الحمد لم نسمع من أحد من ملايين الأزواج بل وملايين العزاب ما قاله توفيق الحكيم ونحمد الله ، على أن واحدا فقط هو الذى انطلق لسانه بهذا الكلام .

وتقول ابتسام ممتاز تحت عنوان « حتى أنت يا بروتس » أكبر ظنى أن الأستاذ توفيق الحكيم أصابته صدمة فى زمن ما من امرأة لم يكن ليوافق مشاربها ، وميولها أو العكس ، ولم يكن التفاهم بينهما على ما يرام فخيبت آماله فيها فرماها ورمى جنسها جميعا بالنقمة ، والغضب .

وتقول فاطمة فهمى للأستاذ توفيق الحكيم : اسمح لى يا سيدى أن أقول لك بدورى أنه لا وجود للزوج الصالح فى مصر ، وان شئتم فانى مستعدة لتقديم الدليـــل !

وتردد نعمت حامد محمد قول الشاعر عن المرأة :

هى شـيطان ان أفسدتها
فاذا أصلحتها فهى ملك !

وينشر المصور فيما بعد العديد من رسائل القراء ، والقارئات ويكون نشر الرسائل تحت عنوان : عدو المرأة بين خصومه وأنصاره . ثم يعلن المصور فى

عدده الصادر فى ٨ ديسمبر ١٩٣٩ عن صدى حديث توفيق الحكيم وكيف أن أحد الشيوخ المحترمين وجه سؤالا الى وزير الشئون الاجتماعية عن حديث توفيق الحكيم ، وعما اذا كان يعبر عن رأى الوزارة : وقد انتهز الأستاذ توفيق الحكيم الفرصة فأرسل الى وزير الشئون الاجتماعية كتابا قال فيه : أنه ليسرنى أن تتاح لى الفرصة لأبين أن سياق الحديث ومرماه ينصرفان بطبيعتهما الى ذلك الفريق . الذى أضر فعلا بسمعة الفتاة المصرية لسـوء فهمه مقتضيات العصر الحديث فاهمل البيت وحسب الرقى فى الترفع عن واجب المرأة الأسمى ولعل صراحتى التى تدفعنى اليها دائما رغبتى الطيبة والاطار الصحفى الذى وضع فيه الحديث قد أثارا بعض الشيء زوجات صالحات لم يدخلن فى مرمى حسابى ، عندما ألقيت الكلام الى هؤلاء أقدم أسفى وأرجو منهن أن يكن معنا عونا على هداية كل امـرأة تضل طريق التقدم الحقيقى واذا كانت الصـفة الشخصية لحديثى قد حالت دون ذكر تفصيل الوسائل الكفيلة بتحقيق هذه الغايات فانى أعلن ان تفكير معاليكم يتجه الى تدبير الأسباب المؤدية الى اعداد الجيل الصالح من فتيان وفتيات !

ويعقب المصور على خطاب توفيق الحكيم لوزير الشئون الاجتماعية الذى كان توفيق الحكيم يتبعه من الناحية الوظيفية كمدير للدعاية فى وزارة الشئون الاجتماعية ، يعقب المصور معلنا سروره « لانتهاء هذه المعركة الى نهايتها الواجبة بفضل وزارة الشئون الاجتماعية وبفضل الأستاذ توفيق الحكيم ، ثم بفضل المصور ، الذى استطاع أن يبرز الرأى العام ، بقوته ، وتياره الجارف ثلاثة أسابيع وهكذا يوضح الأستاذ الكبير توفيق الحكيم موقفه على حقيقته وكما أراد فى الواقع وهكذا تخرج الزوجة المصرية ، والفتاة المصرية ، من المعركة بفوز أدبى حاسم » .

وهكذا تنتهى المعركة التى أثارها توفيق الحكيم ضد المرأة المصرية .. تنتهى بتقهقر الأستاذ توفيق الحكيم ، تنتهى بعد أن « كسب » الأستاذ توفيق الحكيم المزيد من عداوة المرأة ، كما « كسب » فى نفس الوقت المزيد من الدعاية ، بوصفه عدوا للمرأة ، وهكذا أثبت مدير الدعاية بوزارة الشئون الاجتماعية أنه خبير بفنون الدعاية .



وننتقل بعد تلك المعركة الساخنة ، الناعمة فى نفس الوقت ، الى الحديث عن بعض ما كان يشغل الرأى العام المصرى ، فى تلك المرحلة من مراحل التاريخ المصرى ، مرحلة وزارة على ماهر باشا الثانية !

لم تكن الأمور تسير سيرا حسنا بالنسبة لوزارة على ماهر باشا فيما يتعلق بمجلسى البرلمان ، فالسعديون ، الذين قبلوا المشاركة فى وزارة على ماهر لم

يكونوا يملكون الاغلبية ، بينما الأحرار الدستوريون ، الذين لم يشتركوا فى تلك الوزارة لانهم لم يرغبوا فى الاشتراك فيها ، كما يقولون ، أو لان على ماهر باشا ، لم يكن جادا فى أمر اشراكهم فى الوزارة ، كما يقول هو ، والمتصلون به : الأحرار الدستوريون كان لهم فى مجلس النواب ٨٩ كرسيا ، وهى أقلية قوية ، كما أنهم يملكون فى مجلس الشيوخ اثنى عشر كرسيا يمكن أن يشكلوا مع الوفد ، أغلبية محترمة فى مجلس الشيوخ تستطيع اعاقة كل ما تريد الحكومة اصداره من تشريعات ٠

وكانت العلاقات بين الحزبين الكبيرين فى مجلس النواب ـ حزب الهيئة السعدية ـ وحزب الأحرار الدستوريين ـ سيئة للغاية خاصة بعد أن أحس الدستوريون بمرارة لاشتراك حلفائهم السعديين فى وزارة على ماهر دون أن يتضامنوا معهم ، فى عدم الاشتراك فيها ، وكان سوء العلاقات بين السعديين والدستوريين من الأمور التى سببت أزمات كبيرة للحكومة وان لم تستطع أن تصل الى حد النجاح فى اعاقة عمل الوزارة الماهرية تماما ٠

وقد حاول بعض وسطاء الخير اعادة المياه الى مجاريها بين الأحرار الدستوريين والسعديين ـ حلفاء الامس ـ غير أن هؤلاء الوسطاء فشلوا فى محاولاتهم ، خاصة وقد ظهر ان الشقة قد بعدت بين الحزبين البرلمانيين الكبيرين فالسعديون ـ على لسان محمود فهمى النقراشى باشا ـ يرون أن الدخول فى الوزارة مسألة قومية ، وليست مسألة شخصية « وقد اعتقد السعديون أن المصلحة العامة تفرض عليهم الدخول فى الوزارة ووثقوا ، أن تعاونهم مع أعضائها ، يحقق الغاية التى يرمون اليها على الدوام ، وهى اقامة الحق ونشر العدل واصلاح البلاد ، وتوطيد النظام ، والعمل لرقى الشعب وبث روح الفضيلة بين أفراده ، وقد أبدينا وجهة نظرنا هذه للأحرار الدستوريين فلم يأخذوا بها » والدستوريون ـ على لسان أحمد خشبة باشا ، الذى كان مفوضا من قبل محمد محمود باشا ، أثناء اعتكافه أو مرضه بمعنى ادق فى مرسى مطروح أثناء تشكيل الوزارة ، الماهرية ـ يقولون : ان على ماهر عرض عليهم الاشتراك فى الوزارة على أن يكون الوزراء : أحمد خشبة باشا ومصطفى عبد الرازق بك وعبد القوى أحمد بك ، وأن يعين د٠ هيكل وزير دولة فى نوفمبر القادم ، ورأينا أن عبد القوى بك أحمد ليس من الأحرار الدستوريين ، وان رفعة رئيس الوزراء قد آثر أن يحتفظ بوزارة العدل لمصطفى بك الشوربجى على اعتبار أنه فنى ، وكأننى لست فنيا فى وزارة العدل ولكننا ـ أحمد محمد خشبة باشا ـ لم نرفض لأنه أخذت منا وزارات كنا نشغلها فى الوزارة السابقة أو لأنه فرض علينا فرض وزيرا ليس منا ، أو ٠٠٠ بل لأننا رأينا من مفاوضاتنا مع على ماهر ، أن مصلحة البلاد تدفعنا الى هذا الرفض وقد حادثنا السعديون فى موقفنا فأكدوا لنا انهم يرون أن مصلحة البلاد تفرض عليهم الاشتراك فى الوزارة » هذا بالرغم

من أن موقف محمد محمود باشا كان يرى حتى من قبل اعتكافه ، أو مرضه بمعنى أدق أن يدخـل الدستوريون الوزارة اذا ما دخلها السعـديون ، وان يرفضوها اذا مارفضها الدستوريون ٠

ولذلك ظلت العلاقات بين الحزبين متوترة الى ان كانت معركة رئاسة مجلس النواب فكانت المواجهة بين الحزبين « المتحالفين سابقا » ، كان محمد محمود باشا رغم تقديره واعزازه للدكتور أحمد ماهر ، يرى أن يكون رئيس مجلس النــواب مستقلا لا حزبيا وقد رشح الأحرار الدستوريون بهى الدين بركات لمنصب رئيس مجلس النواب والذى أيده فى نفس الوقت الوفديون ٠ ولم يكن لهم فى مجلس النواب أكثر من ١٢ كرسيا هذا بينما أصر السعديون على ترشيح د ٠ أحمد ماهر رئيس الهيئة السعدية رئيسا لمجلس النواب ، وكانت معركة من أعنف المعارك ٠ حاول فيها على ماهر أن يقف على الحياد ولكنه لم يستطع حتى لايغضب السعديين شركاءه فى الحكم ودخل السعديون المعركة بكل مايملكون من قوة ، وأيدهم بعض المستقلين ، بل أيدهم ـ سرا ـ بعض الأحرار الدستوريين الذين كانوا على علاقات وثيقـة بالدكتور أحمـد ماهر ، بل ان أحد النــواب الدستوريين الأستاذ شفيق جبر أكد علنا أنه لن يشترك فى انتخابات رئيس المجلس لارتباطاته الوثيقة بأحمد ماهر وقد استأذن من حزبه فى أن يتغيب عن جلسة الانتخابات فأذن له حزبه هذا بينما كان بعض أقطاب الدستوريين متحمسين جدا لبهى الدين بركات باشا نكاية فى السعديين ، وقيل ان رشوان محفوظ باشا وزير الزراعة الاسبق ، الذى كان يرى أن السعديين مشاركون فى عملية اقصائه من الوزارة قال عندما رشح الأحرار الدستوريون بهى الدين بركات باشا : « النهاردة بس بقى الأحرار الدستوريين أحرار دستوريين صحيح » ومع ذلك نجح أحمد ماهر فى معركة الرئاسة وحصل على ١٤٤ صوتا وحصل منافسه بهى الدين بركات على ١٠٨ أصوات ، ووقف محمد محمود يهنىء صديقه القديم أحمد ماهر برئاسة المجلس ، كما وقف بهى الدين بركات يهنىء منافسه أحمد ماهر ، على ما حققه من فوز ، وهكذا لم ينجح ـ فى مجلس النواب ـ تحالف الدستوريين مع الوفديين ، وان كان هذا التحالف الوفدى الدستورى قد نجح فى انتخابات مجلس الشيوخ حيث تم اسقاط مرشحى الهيئة السعدية ، ذلك لأن الوفد والأحرار الدستوريين كانوا يملكون ـ كما سبق أن قلت ـ أغلبية كبيرة فى مجلس الشيوخ ٠

وأستأذن قارئى العزيز فى أن أنقل بعض ما جاء عن تلك المعركة الساخنة معركة رئاسة مجلس النواب : يقول د٠ محمـــد حسين هيكل : وافقنـــا على اعلان الأحكام العرفية ، ولم تكن موافقتنا تلك تعنى أن نفوسنا اطمأنت الى الوزارة الجديدة ، أو أننا نسينا ما حدث حين تأليفها بل كان ما حدث من دفع محمد محمود باشا للاستقالة ، ومن التماس الوسيلة لاقصاء الأحرار الدستوريين

عن الحكم عذرا لا مسوغ له فى نظرنا وكان محمد محمود باشا قد استفاد من الهدوء ومن النشاط · ومن الصحة ما يسمح له بتولى زعامة المعارضة وكان بطبيعة الحال أشدنا غضبا من ذلك الغدر وأكثرنا حرصا على أن تظهر الوزارة الجديدة فى صورة لا تحسد عليها وفكرنا فى الخطوة التى نتخذها لدرك هذه الغاية فاستقر رأينا على اعادة ترشيح بهى الدين بركات باشا رئيسا لمجلس النــواب وكان طبيعيا أن يقبل بهى الدين هــذا الترشيح لانه رئيس المجلس بالفعل ، ولانه مستقل عن الأحزاب فلا شيء يدعوه للتخلى عن هذه الرياسة فلو أنه تخلى عنها لاعتبر الناس تخليه انضماما لحزب ضد حزب آخر ، وهو حريص على صفة الاستقلال عنده والناس حريصون على أن يكون رئيس مجلس النواب مستقلا ، حتى يكون حكما بين الأحزاب التى يتألف منها المجلس ·

ولو أن على ماهــر باشا وزملاءه فى الوزارة كانوا يريدون جو ســلام برلمانى ويرتفعون برياسات الدولة فوق الاعتبارات الوقتية لوافقونا على ترشيح بهى الدين باشا ولما كانت هناك معركة حول رياسة مجلس النواب ولاستقر فى مصر تقليد صالح أن يكون رئيس مجلس النواب مستقلا ، فاذا استقر هذا التقليد بضع سنوات تأثر به اختيار رئيس مجلس الشيوخ حين تعيينه فاختير مستقلا كذلك ، لكن الدكتور أحمد ماهر باشا لم يشترك وزيرا مع أخيه على باشا ماهر رغم اشتراك حزبه فى الوزارة واذا كان الدكتور أحمد ماهر رئيسا لمجلس النواب غير مرة قبل اشتراكه فى وزارة محمد محمود باشا فقد كان مفهوما عندنا وعند الناس جميعا أنه سيكون مرشح الحكومة لرياسة مجلس النــواب ·

وعن معركة رئاسة مجلس النواب يقول د. هيكل : بدأت معركة الانتخابات للرياسة بين بهى الدين بركات باشا يؤازره الأحرار الدستوريون وبعض المستقلين والدكتور أحمد ماهر باشا يؤازره السعديون وتؤازره الحكومة وأولياؤها من المستقلين وكانت معركة حامية شــعرت الوزارة بأنها ان انهزمت فيها هددت الحكومة مركزها ولم تخف هذا الشعور ولم تترك المعركة حرة ينتخب فيها من ينتخب بل كتب بعض الوزراء فى الصحف وأدلى آخرون بتصريحات نشرتهــا الصحف كذلك وقيل فى هذه التصريحات والمقالات ان الحكومة ترى المعركة معركتها ، ولا ترضى بأن ينهزم مرشحها ولم ينس محمد محمود باشا ما كان بينه وبين الدكتور أحمد ماهر باشا من مودة أثناء قيام وزارته ولم ينس أنه عهد الى الدكتور ماهر عشية سفره الى مرسى مطروح أن يقوم مقامه فى محادثات الوزارة ولم ينس اتفاق السعديين مع الأحرار الدستوريين على أن يكون موقفهم موحدا ، بالاشتراك أو عدم الاشتراك فيها ونكث السعديون هذا الاتفاق ولهذا كله عنى ان يقود معركة الانتخابات لرياسة مجلس النواب بنفسه ودفعت هذه العناية من جانبه الى مضاعفة الحكومة جهدها من جانبها هى كذلك حتى لقد اتصلت بجماعة من أعيان الأحرار الدستوريين تغريهم وتعدهم ليعطوا أصواتهم

للدكتور ماهر باشا ، وقد ظفرت من بعضهم بما ارادت وفازالدكتور أحمد ماهر باشا باغلبية ضئيلة فى انتخاب الرياسة ويقول د ٠ هيكل تعليقا على مارآه من تدخل الحكومة فى انتخابات رئاسة المجلس أن هذا التدخل ينافى الروح البرلمانية منافاة صريحة ، فأساس الحيـاة البرلمانية الحرية ، الحرية التامة الصريحة التى لا تعرف قيدا ، ولا حدا ، وعضو البرلمان الجديرحقا باسم النائب المحترم ،أو الشيخ المحترم هو الذى يأبى أن تتدخل لديه السلطة التنفيذية فى أى أمر لان هذا التدخل ينافى حـرية النائب أو الشيخ وينافى مبدأ فصـل السلطات وينافى نص الدستور ، على أن النائب حر ، لا يملك ناخبوه ولا تملك السلطة التى عينته أن تطلب اليه أمرا على سبيل الالزام ، وأى الزام كان يشعرنى أننى مهدد فى مالى أو فى عيالى ! أو فى مكانتى ، اذا لم أسلك مسلكا معينا فى الكلام ، أو فى التصويت ، أو فى الانتخاب : ألا لئن صح أن يلام حاكم مستبد يلجأ الى سيف المعز ، وذهبه لأجدر باللوم ٠٠ ذلك الحاكم ، الذى يزعم أنه يستند الى ثقة الأمة ونوابها فى البرلمان ثم يلجأ الى الاغراء ، أو التهديد أو الى الوعد ، أو الوعيد ٠ ويقول د٠ هيكل : وانما يخفف من هذا اللوم أننا لا نزال متأثرين فى مصر بطبائع الاستبداد ، التى طبعت نظم الحكم ، عندنا أجيالا متعاقبة والتى جعلت من الحاكم سيدا يجب طاعته وان خالف القانون ٠٠ لم تتأصل فكرة الحرية بعد فى نفوس أبناء هذا الجيل الذى شهد الحكم المطلق وخضع له فلا عجب أن تبقى عالقة به شوائب من هذا الميراث الكريه لا يستطيع التغلب عليها ، أو التخلص منها ٠٠ ويأبى د٠ هيكل الا أن يرجو كل الرجاء فى أن تتطهر الأجيال المقبلة من هذا الميراث وأن تشعر أن عمل الحاكم أن يكفل لأبناء الشعب حقهم فى الحرية ولو ضد الحاكم أو ضد جمهرة الشعب نفسه ، يومئذ يكون لما تبديه الأمة من لوم ، أو تثريب موضع الحق ، ولا يخفف منه اعتبار أيا كان ، ويومئذ يثور الشعب بمن يعتدى على الحرية ويرى هذا الاعتداء ، اهدارا لحقه ولكرامته لا يمكن السكوت عليه ٠٠

وينقل على لسان محمد محمود باشا أنه قال لأحمد ماهر باشا : ثق يا باشا أننى لم أنتخبك للرئاسة لا لاننى أجحد مواهبك ولكن لاننى أردت للنـواب رئيسا مستقلا ، ويقال على لسان د٠ ماهر باشا أنه عاتب صـديقه محمـد محمود لانه ذكر فى معركة الانتخابات موضـوع البنك العقـارى الذى ادعى الوفديون أنه ماس بنزاهة أحمد ماهر فما كان من محمد محمود باشا الا أن ثار قائلا : ان رأيى فى سعادتك أبديته قبل أن تستقيل وزارتى وأنت تعرف أننى صبرت على مضض فى الحكم حتى تحدد موعد للقضية « كان د٠ ماهر قد أبلغ النيابة ضـد رئيس الوفد المصرى بسبب ما قاله عن علاقة د٠ ماهـر بالبنك العقارى » ٠٠ كل هذا لاننى أعتقد فيك ما يعرفه الجميع من نزاهتك ، وكفاءتك !

وهناك ـ فى الفصل التالى ـ بقية حـديث عن معركة رئاسـة مجلس النواب ٠

الفصل الرابع

الوفد المصرى يفتح النار على الانجليز
وعلى وزارة على ماهر باشا معا

● أشرنا الى معركة توفيق الحكيم مع الجنس اللطيف ، وكيف انتهت بتقهقر الأستاذ توفيق الحكيم فى نهاية تلك المعركة ، وسحبه ، لكل الاتهامات والانتقادات ــ أو معظمها ــ التى كان قد وجهها الى المرأة المصرية فى خطابه الذى بعث به الى وزيره ، وزير الشئون الاجتماعية ، كما أشرنا فى نفس الوقت ، الى المعركة التى دارت بين الاحرار الدستوريين ، والسعديين حول كرسى رئاسة مجلس النواب حيث رشح الدستوريون ، الدكتوربهى الدين بركات باشا ، ورشح السعديون د. أحمد ماهر ، وكيف انتهت المعركة بفوز الدكتور أحمد ماهر ، على منافسه الدكتور بهى الدين بركات باشا .

وكان نجاح أحمد ماهر بأغلبية غير متوقعة . قد أحدث ثورة داخلية فى حزب الوفد الذى كان يعارض انتخاب د. أحمد ماهر والذى كان له فى مجلس النواب اثنا عشر عضوا قيل ان بعضهم ــ رغم تأكيدات القيادة الوفدية على ضرورة انتخاب « بهى الدين بركات » والى ضرورة عدم انتخاب أحمد ماهر ــ قد أعطى صوته للدكتور أحمد ماهر ، الأمر الذى أدى الى اجراء تحقيق داخل حزب الوفد ، فى هذا الموضوع ، كما أن انتخاب أحمد ماهر أيضا بتلك الأغلبية الكبيرة ، قد أدى الى ثورة داخل حزب الأحرار الدستوريين ، اذ ثبت للقيادة الدستورية ان نوابا كثيرين من نواب الاحرار الدستوريين خرجوا على ارادة حزبهم وانتخبوا أحمد ماهر ، ولم ينتخبوا مرشح حزب الاحرار الدستوريين ، بهى الدين بركات ! ورغم أن العلاقات كانت طيبة جدا بين محمد محمود باشا رئيس حزب الأحرار الدستوريين وبين دكتور أحمد ماهر رئيس الهيئة السعدية الا أنه قد ثبت جليا ان تلك العلاقات قد ساءت بسبب تلك المعركة ، كما ساءت أكثر وأكثر ، بعد انتصار السعديين فى تلك المعركة ، على حلفائهم السابقين ، الدستوريين . ويتجلى ذلك بصورة رسمية فى تلك الكلمة التى هنأ بها محمد

محمود باشا زعيم المعارضة صديقه وحليفه السابق د. أحمد ماهر برئاسة المجلس اذ لم تتجاوز كلمة التهنئة سطرين ـ وهو أمر غير مألوف في تلك المناسبات ـ اكتفى محمد محمود بقوله : تتقدم المعارضة بدورها ـ بعد الحكومة ـ بالتهنئة الصادقة الى حضرة صاحب السعادة رئيس المجلس الموقر » لوحظ أنه لم يذكر حتى اسم رئيس المجلس المنتخب والذى يوجه محمد محمود باشا اليه التهنئة ـ ونرجو له في عمله ، كل توفيق ، ونجاح ، ان شاء الله » .

وكانت كلمة أحمد ماهر بعد انتخابه قوية للغاية وكانت ذات معان عديدة ، غير المعان التى تتجه اليها عادة كلمات الشكر والثناء في مثل تلك المناسبات ، قال د. أحمد ماهر : من الطبيعى أن يقوم من تشرفونه بالانتخاب لرئاسة المجلس بتوجيه عبارات الشكر ، والثناء على المعانى الكريمة التى ينظر اليها فى مثل ذلك الانتخاب ، وهى الاحترام والمودة والثقة المتبادلة ، ولم يفتنى فى المرات السابقة التى تشرفت فيها بهذا الانتخاب أن أؤدى ذلك الواجب ، ولكنى ألمح في هذه المرة ، واجبا آخر ، تقضى الظروف بأن أؤديه الى جانب الحمد والثناء وأن أؤكد معناه بل أقول ان ظروف هذا الانتخاب بما لابسها من نشاط واختلاف في الرأى تحتم على أن أقول كلمة فى واجب رئيس المجلس فى مثل هذه الأحوال :

ذلك أن اختلاف وجهات النظر فى الترشيح والدوافع والآراء التى حدت بكل فريق لتأييد غرضه فيه ، لا يمكن أن تكون ذات أثر فى علاقة رئيس المجلس بسائر أعضائه ، أو أحزابه مؤيدين ، أو معارضين ، تلك العلاقة المقدسة التى تقوم على أساس العدل ، والمساواة ، والاحترام المتبادل وحماية الرأى ، وكفالة الحرية ، فلا يمكن ولا يصح أن ينظر رئيس المجلس الى الوراء ، مفتشا أو منقبا بل هو أبدا متجه الى الأمام فى أداء واجبه الذى يرجو أن يلازمه فيه التوفيق .

ويقول د. أحمد ماهر : اذا كان من واجبى أن أكفل أمن المجلس ونظامه وادارة المناقشات فيه وصيانة حقوق الأعضاء ، والدفاع عن الحريات التى كفلها الدستور وأقام المجلس ، ورئيسه حراسا عليها ، فان على حضرات الأعضاء أن يتوفروا بكلماتهم على أداء واجباتهم ، وتمكين الآراء ، واحترامها ، وتوسيع الصدر للخلاف فيها ، واحلال المودة والحسنى فى المكان الأول من كل شأن من شئون العمل ، وأخيرا تمكين الرئيس من أداء واجبه ، وعونه على ذلك أحسن العون ، ويقول د. أحمد ماهر : وستجد المعارضة منى كما كانت تجد على الدوام ، حماية واحتراما للرأى ، وتمكينا من العمل بحيث تؤدى واجبها المقدس على الوجه الأكمل ، وكم هو واجب نافع ، ومفيد اذا صين من الشذوذ وأحيط بالصدق والاخلاص ، وانه ان شاء الله لكذلك ، كما أنى لن أتوانى فى أن أقف فى وجه كل من تحدثه نفسه بأن يعكر عليكم صفو عملكم ، وجلال نظامكم ، ولن أتسامح

فى هذا السبيل ، بحيث يمكن للجميع أن يجد فى هذا المكان المقدس الذى يبدى فيه رأيه ، ويرسل نشاطه المشكور ، لخدمة البلاد ، وحرياتها ، وأحب أن تسود علاقاتنا جميعا أواصر المحبة والمودة ، وأن نمضى فى عملنا مؤيدين ، أو معارضين على سنن من الصفاء ، والاخلاص حتى تتضاعف ثمرات الأعمال وتتصل خيراتها ، وتعم بركاتها .

ويأبى د. أحمد ماهر الا أن يؤكد لزميله وصديقه بهى الدين بركات باشا خالص تحيته واحترامه وتقديره لعمله المشكور فى رياسة المجلس ، التى قضى فيها زهاء العامين ، فمضى فيهما على أحسن السنن ، وأقام العدل ، والنظـام ، وأكد كفالة الحريات ، « فوجدنا جميعا ، ووجد المجلس فيه وفى رياسته خير عون على أداء الواجب على أكمل وجه » .

وفى كلمة محمد على علوبة باشا التى ألقاها باسم الحكومة اشـارة الى ما يتمتع به أحمد ماهر باشا من نشاط جم ، وذكاء متعدد ، وثقافة عالية ، وبعد عن الهوى ، وخلق كريم ، ورجولة كاملة ، تلك الصفات التى نرحب بها ونرجو منها الخير ، لأعمال مجلسنا الموقر فى دورته الحالية .



واذا كنا قد أشرنا ــ وباختصار ــ الى موقف الأحرار الدستوريين من على ماهر باشا ووزارته ، كما أشرنا الى موقف السعديين من على ماهر باشا ووزارته فاننا لابد أن نشير الى موقف الوفد من على ماهر باشا ، ووزارته حتى تكون الصورة مكتملة .

كان على ماهـر ــ كمـا سبق أن ذكرنا ــ قد حاول أن يتقرب الى الوفد المصرى ، ورئيسه مصطفى النحاس نكاية فى محمد محمود باشا ووزارته ، على أمل أن يحصل على ماهر على تأييد الوفد له اذا ما ألف الوزارة الجديدة ، وقد استجاب الوفد فى البداية الى غزل على ماهر ، ولكنه سرعان ما اكتشف انه ما أراد التقرب من الوفد الا لصالحه الشخصى ، والا لاحراج محمد محمود باشا ، فبدأ الوفد يظهر الكراهية لعلى ماهر باشا ، بصورة عنيفة حتى قبل أن يؤلف على ماهر باشا وزارته بأكثر من ثلاثة أشهر .

وقد بدأ الهجوم مركزا على على ماهر فى نهاية مايو ١٩٣٩ ، حيث راحت جريدة الوفد المصرى ، لسان حال الوفد المصرى ، تكتب بقلم « صريح » عن موقف على ماهر من حقوق العرش وما يتعلق منها بمطلق التصرف فيمن يبقى ، ومن يخرج من رجال السراى وتساءلت جريدة الوفد المصرى : من هو على ماهر ، حتى يجترىء على الوقوف من حقوق العرش هذا الموقف الذى لم يسبق له مثيل فى تاريخ البلاد ؟ وتولت الجريدة الوفدية الرد على سؤالها بتعداد كثير من مواقف

على ماهر ، وتنصله من مسئولية الانقلاب « تغيير وزارة الوفد ، بوزارة محمد محمود » والقائه ــ أى على ماهر ــ تبعة هذا الانقلاب ، على الانجليز ، فلما سعى سعيه لاحراج الوزارة فى العام الماضى (١٩٣٨) سارعت الوساطة الانجليزية الى النجدة ، وتمخضت الحركة عن اشراك الدكتور أحمد ماهر وجماعته فى الحكم .. وظهرت بعد ذلك أزمة الجيش فانتهت بما لا يريده على ماهر ، وبقى محمد محمود واستمرت الحرب بينهما . حتى بعد مفاجأة اختيار على ماهر دون محمد محمود باشا للسفر الى لندن . وكان المفهوم ، عند رجال السراى أن على ماهر ذهب ليدافع عن قضية معينة ضد محمد محمود باشا فاذا معجزة كبيرة تقع اذ كسب الانجليز ماهر باشا الى عكس قضيته ، وربطوا بينه وبين رئيس الوزارة ، ويشير الوفد المصرى الى خطاب فاروق فى عيد الهجرة والأزمة التى أحدثها على ماهر ، بسبب هذا الحديث مع البندارى باشا ، وانضمام محمد محمود باشا الى جانب على ماهر ضد وجود البندارى باشا ، فى السراى حتى ان محمد محمود ــ كما قالت صحيفة الوفد المصرى فى ٢٥ مايو ١٩٣٩ ــ هدد بالاستقالة من منصبه كرئيس للوزارة ، اذا لم يقص البندارى باشا من السراى ، استجابة لمطلب على ماهر باشا ، وبقى على ماهر فى السراى ، وأطيح برأس البندارى ، وتشير الصحيفة الوفدية ، الى أن النحاس باشا عندما صدر أمر ملكى بتعيين على ماهر رئيسا للديوان الملكى قابل الملك وأعلن لجلالته استعداد الوفد للتعاون مع على ماهر مادام الامر الملكى قد صدر ، رغم أن الوفد كان له سابقة فى معارضة تعيين نشأت باشا فى الديوان الملكى ، وتقول جريدة الوفد المصرى : لقد ظل على ماهر يقول ان لصاحب العرش الكلمة الاخيرة لا فيما يختص برجال السراى ، بل فيما يختص بموظفى الحكومة العاديين فأين موقف على ماهر اليوم من موقفه السابق ، اذ يسمح لنفسه وهو رئيس الديوان وكبير خدام العرش ، انيخير الملك بين الاستقالة وبين اخراج موظف فى السراى هو وكيل الديوان ، وبعد أن يذيع هذا فى الصحف يسترد استقالته بدعوى أنه استرضى وأجيب الى مطلبه بلا تحوير ولا تبديل ، وتقول جريدة الوفد المصرى : ياله من جد عاثر ، وياله من قدر ساخر ، ويالها من خاتمة عادلة ليس أخلق بها ولا أجدر من على ماهر !

وفى ٢٦ يوليو ١٩٣٩ تقول صحيفة الوفد المصرى عن ترشيح على ماهر باشا لرياسة الوزارة : واضع السياسة الانجليزية ان مثل هذا الترشيح ليس الا حلقة جديدة من مأساة لندن وما وراء لندن ، لان الوقائع والحوادث كلها تنطق بأن على ماهر باشا لا يمكن أن يحرز الا ثقة الانجليز وحدهم دون سائر الجهات : على ماهر ــ هكذا تقول صحيفة الوفد المصرى ــ خصم قديم من الد خصوم الأمة خرج على سعد فى مقدمة الخوارج واشترك فى كل وزارة من وزارات الانقلاب بدون استثناء ! ماهر باشا ثانيا ــ قطب من أقطاب المؤامرة ، التى أدت الى الانقلاب الحاضر ، بل لعله قطب الدائرة فيها وتقول الجريدة الوفدية لقد

أسمرت مأساة لندن ـ ذهاب على ماهر : الى لندن لحضور مؤتمر فلسطين ـ أسفرت عن نتيجة خطيرة جدا ، فى تاريخ الحكم المصرى بعد المعاهدة ، ولقد تجلت هذه النتيجة على أبشع صورها فى موقف على ماهر باشا الى جانب السياسة الانجليزية بعد عودته من لندن وأخيرا : على الوقوف موقف التحدى السافر لحق أولى من حقوق صاحب العرش ـ يبدو هذا التناقض واضحا بين موقف الوفد السابق من تعيين حسن نشأت باشا فى السراى كوكيل للديوان وموقفه اليوم من الدفاع عن حقوق صاحب العرش فى أن يعين من يشاء فى السراى دون توقيع رئيس الوزراء ، الى جانب الملك على هذا التعيين ـ فى ابقاء موظف أو اخراج موظف كبير من رجال القصر كائنة ما كانت الثقة الملكية بهذا الموظف ، هذا موقف لايمكن أن ينساه الانجليز لصديقهم الجديد على ماهر باشا ولا يجوز ان يترك بلا مكافاة سخية واليوم تتخذ هذه المكافأة شكل الترشيح لرئاسة الوزارةبعد مادبر فى لندن »

وفى ٢٩ يوليو ١٩٣٩ تستمر صحيفة الوفد المصرى ـ لسان حال الوفد المصرى ـ فى هجومها على على ماهر باشا وفى دفاعها عن صاحب العرش وتهاجم ـ فى نفس الوقت ـ انجلترا التى لا تحترم المعاهدات والحقوق والكرامات والتى تتصف ـ أساسا ـ بالغدر وخيانة العهود ، وتنهى الجريدة الوفدية مقالها الافتتاحى الذى شغل الجزء الاكبر من الصفحة الاولى بتوجيه تحذير الى بريطانيا ، بعد أن تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، وأصبح الأمر أوضح من أن تركن فيه الى الشك لا يستمع فيه الى تضليل المضللين من مأجورى السياسة الانجليزية فى هذه البلاد « وسيعلم » الانجليز ان فى مصر أمه بل أمة حية لاتخدع ولا تنام على كرامة مجروحة أو حق مغصوب ولبتأتينهم نبأه بعد حين ...

ويقف الوفد المصرى موقفا معاديا من موقف محمد محمود باشا ، الرجل المستقيل أو المقال ومن على ماهر باشا المكلف بتشكيل الوزارة الجديدة ، وتنشر جريدة المصرى فى ١٢ أغسطس ١٩٣٩ كشوفا بعدد الأيام ، التى اعتكف فيها محمد محمود باشا والتىرحل فيها الى خارج العاصمة ، أو الى خارج البلاد فأيام الاعتكاف فى ١٩٣٨ بلغت ٤٥ يوما ، وفى ١٩٣٩ بلغت ٣١ يوما ، أما عدد أيام الرحلات فقد بلغت ٧٥ يوما ، وتقول فى عناوينها البارزة : زوال كابوس الوزارة السلمانية : كبيرها يعد لوحده كتاب الاستقالة » وفى اليوم التالى تقول صحيفة المصرى التى يدير سياستها الوفد المصرى فى ١٦ أغسطس هل توأد وزارة على ماهر باشا ، وهى جنين ؟ استحكام الخلاف بينه وبين الأحرار الدستوريين وذيولهم ، وفى مكان آخر من الصفحة الأولى ، وتحت عناوين بارزة تقول « المصرى » : على ماهر باشا يبطن غير ما يظهر ، وتقول المصرى تحت عنوان : ذعر : هل قرروا عدم الاشتراك ؟ .. قيل قبل منتصف الليل ان الأحرار الدستوريين ، والماهرة ـ جماعة أحمد ماهر ـ قرروا عدم الاشتراك فى

الوزارة ماداموا لم يجابوا الى مطالبهم — وتنشر المصرى — فى صفحتها الأولى — قصيدة للأستاذ خالد الجرنوسى :

أنى أودعهم ، وليست بشـــامت
يكـفى صريع الظلم طول حســابـه
أحصى الســجل لهم ذنوبا جمـــة
أقصت هـــواة الحـــكم عن أبوابه
هــل كان هذا العـــهد الا ربقـــة
علقت بهـذا الشعب فى أثـــوابـه
جــاءوا بهــا من كل لون شـــائه
مهمــا حوى الشـيطان فى جلبــابه
فلينبح الأجـــراء مـــلء حـــلوقهم
فــالعهـــد لا يبــقى على أذنـــابـه
من مـــات فى الايام اشنع ميتـــة
هيهـات يرجعـــه نبــاح كــلابه !

وعندما تؤلف وزارة على ماهر الثانية تقول صحيفة الوفد المصرى فى ١٩ أغسطس ١٩٣٩ تحت عنوان : تأليف الوزارة الماهرية الجديدة وزارة لســد الخانة وانهاء الموقف على صورة من الصور : الفتور العام ، الذى قوبلت به فى البلاد مديح الانجليز فى الماهريين وتنديدهم بالأحرار الدستوريين تناقض ظاهر بين القول والعمل من الخطوة الاولى للوزارة الماهرية : تقول صحيفة الوفد المصرى لا نظن ان وزارة قد قوبلت عند تشكيلها من الرأى العام ، بمثل الفتور ، الذى قوبلت به هذه الوزارة ، وقامت فى وجه تأليفها الصعاب وتسابقت على تخاطف أشلائها النواجز ، والانياب ، وكان موقف الماهريين النقراشيين مهينا للغاية ! وقد قوبل من الناس بالاشمئزاز لانهم تكشفوا عن طـلاب مناصب ومشتهى مراكز حتى وان خانوا فى سبيل الظفر بها أصدقاءهم المستحدثين ، وحتى وان عف عنها الاتحاديون الشعبيون ، وهم مثلها فقراء » . وتشير صحيفة الوفد المصرى الى طعن الانجليز طعنا مرا فى الدستوريين الذين غلبوا الاعتبار الشخصى أو الحزبى على الصالح العام ، ومن المخزى — هكذا قالت صحيفة الغازيت — أن نرى حزبا كان يوما من الايام يضم المستنيرين والمسئولين يهوى وينحط الى هذا الحد ..

وفى اليوم التالى — ٢٠ أغسطس ١٩٣٩ — تنشر صحيفة الوفد المصرى موضوعا تحت عنوان : وزير فى الوزارة الحاضرة ، يقول عن على ماهر باشا :

لو ترك الامر لى لارسلته الى السجن : والموضوع عبارة عن نقل مقتطفات من مضبطة الجلسة الحادية والعشرين لمجلس النواب فى السبت ٣١ يوليو ١٩٣١ ٠ وردت على لسان النائب المحترم ، عبد الرحمن عزام تتعلق بعلى ماهر باشا وزير المعارف فى وزارة أحمد زيور باشا ــ وزارة الانقلاب على النظام الدستورى ، الشعبى وعلى وزارة سعد زغلول باشا ــ وذلك كله على النحو التالى :

النائب المحترم : عبد الرحمن عزام أفندى « ٠٠٠ فالمسألة اذن تنحصر فيما يأتى : ماذا يجب أن يعامل به وزير تصرف تصرفا مضرا ٠

« أرى أنه يجب على مجلس النواب أن يفصل مرة واحدة فى المسألة لا أن يبتعد عنها كلما دعت الحاجة ٠ ولا مندوحة من أن يصدر المجلس قرارا بهـذا الخصوص لأننا نصطدم بين حين وآخر بمسألة كهذه ، ولا نجد طريقا للعقوبة لأن القوانين العامة قد لا تمكننا من ذلك أو لأن العرف جرى فى هذه البلاد بالتسامح والصفح عن أمثال هذه التصرفات ، الا أنه يجب علينا أن نقضى على هذا العرف قضاء أبديا حتى يعلم كل وزير أنه ملزم بتقديم حساب للأمة عن تصرفاته حتى بعد تركه كرسى الوزارة ٠ فيجب أن يكون موضوع هذا الحساب وما ترتب عليه فان رأيتم تأجيله فيكون ذلك لوضع قاعدة لمحاسبة كل من فرط فى حقوق الامة من الوزراء السابقين واللاحقين ٠

« الرئيس ــ هل تعرف عقوبة خاصة ؟

« أما لوم وزير المعارف السابق فأمرضرورى الا أننى لا أجد فى اللوم عقوبة كافية لان اللوم قد يقع وقعا سيئا على وزيرله شعور ــ وزير لايراعى مصلحة بلده ــ أما أولئك الوزراء الذين عبثوا بمصالح البلاد سنة ونصفا فأرى ان كل لوم يوجه الى أى وزير منهم غير كاف ولابد للمجلس من ان يبحث عن عقوبة زاجرة ٠٠

« أما اذا رأيتم أنكم على استعداد لنظر الموضوع الآن فلا مانع من ذلك

عبد الرحمن عزام أفندى : لو ترك الامر لى لارسلته الى السجن « تصفيق » انى أعتقد أن الشقى الذى يرسل الى السجن ، انما يجنى جناية جزئية بالنسبة الى ما ارتكبه أولئك الذين اعتدوا على الدستور فانتهكوا حرمته ، واغتصبوا سلطة الأمة وبددوا أموالها التى جمعت من عرق الفلاح المسكين ، ليس ذلك فقط بل فرطوا فى حقوق البلاد وكرامتها واعتدوا على حرية الأشخاص فلا تعجبوا اذا قلت ان مثل وزير المعارف السابق ــ على ماهر باشا ــ يجب ان يرسل الى السجن لاننى لم أكن مغاليا أو مبالغا عندما أبديت هذا الرأى ، ولا تعقب جريدة « الوفد المصرى » على مانشرته من مضابط مجلس النواب تاركة التعقيب للقارىء !! وبعد ذلك الهجوم الضارى المكثف من صحافة الوفد المصرى ، بدا رفعة مصطفى النحاس باشا رئيس الوفد المصرى فى الهجوم الضارى المكثف ،

على رفعة على ماهر باشا ، فيقول فى ٢٠ أغسطس ١٩٣٩ بالاسكندرية من بين ماقاله عن على ماهر باشا مايلى : هذه طلائع عهد رأس الانقلاب ، ومؤسسه على ماهر باشا قد بدت فى أشد مظاهر القوة والجبروت وها هى مصر ترى وتشهد ، ولما ينقض على تشكيل وزارته ، الا يومان ليتفننوا فى القمع والارهاب والحيلولة بين الناس ، ودخول المنديات ودور الصحف ثم يمضوا فى مطاردتكم والاعتداء عليكم . ان حاولتم الوصول الى زعيمكم ليحدثكم عن الحوادث الجسام التى تجرى فى مصر الآن ، واذا كان الكتاب يقرأ من عنوانه فها هو عنوان عهد على ماهر باشا قد بدأ فى حرب الامة اليوم سافرا ، وقد كان بالامس متسترا : بدأ يحاربها علانية بعد أن ضمن معونة وتعضيد الانجليز ، أصفيائه الجديدين وحين اطمأن الى حرابهم تحميه ، ورجالهم يؤيدونه وأنه أصبح عندهم اليوم رجل الساعة المطلوب لاتمام تسليم البضاعة » ولعل ، أول ما امتاز به هذا العهد الجديد القديم ، ان أول قصيدة ــ كما يقول المثل ٠٠ قد جاء كفرا ٠٠ » ويوضح رئيس الوفد . بعض ما قام به ماهر ضد الحياة الدستورية من وجهة نظره ، ومن جهة نظر الوفد فيقول :

وكان ماكان ، مما تعرفون ولا تعرفون ، من تدبيرات ومكائد ، ضد حكومة الوفد ، وضد دستور الأمة ، بدأت منذ تعيين على ماهر باشا فى رياسة الديوان وأخذت تزداد ، حتى بلغت أشدها فى ديسمبر سنة ١٩٣٧ وأنا طريح الفراش ، وكان رئيس الديوان ، فارسها المجلى فى الحلبة ، يعرض الحلول ، ويساومنى فيها ، ويتخذ لنفسه ذريعة للتحدث فى الحقوق الدستورية والخلاف عليها ،وكنا أحرص الناس على المحافظة على حقوق العرش وعلى حقوق الامة الدستورية علما منا بأن أى مساس بالدستور وحدوده التى نص عليها ، فيه القضاء كل القضاء على الحكم الدستورى وعلى سلطة الأمة ويتخذ تكأة لتدخل الاجنبى وتخطى الحكومة الدستورية والوقوف وجها الى وجه أمام السلطة التنفيذية التى لاتستطيع اذ ذاك ان تقف فى وجهه أو ترفض له مطلبا ،والا كان نصيبها الاقصاء عن المناصب ،وفقدان الجاه والسلطان ٠

أخذ رئيس الديوان ــ يعد العدة من الخلف ــ لاقامة صرح الانقلاب وتدعيم أركانه ، بل أخذ يستدعى الى مكتبه فى رياسة الديوان ، وكيل الداخلية ومدير الإمن العام . وحكمدار البوليس ،ويصدر اليهم الاوامر والتعليمات بان يعدوا العدة ، ويتخذوا التدابير اللازمة عند اذاعة أمر اقالة الوزارة الدستورية ، وقد كان تشكيلها كذلك قد انتهى من أيام ٠

ألفت وزارة محمد محمود باشا صديق الانجليز القديم فأخذ على ماهر باشا يلعب من وراء الستار ألاعيبه ، وينشر حبائله ، ويتفنن فى تمثيل دوره ، الذى أخذ يتمرن عليه من زمن بعيد ، ويضع العراقيل فى طريق محمد محمود باشا ،

ليمهد الطريق لشقيقه أو لنفسه ، ولكن الطبخة لم تكن بعد قد استوت . والأسياد لم يكونوا قد ملأوا أيديهم منه جيدا ، فلم يستطع ان يعمل الا ان أشرك أخاه . وزملاءه فى الحكم ، انتظارا للفرص ، ورضوا أن يكونوا أذنابا لمحمد محمود باشا اسما وان كانوا هم العاملين فى الوزارة فعلا ، على أمل أن يواتيهم الحظ يوما فى التغلب على محمد محمود باشا ، واقصائه عن الحكم ، فتكون لأحمد ماهر أو لشقيقه الرياسة .

ومضت الشهور والأيام ، حتى واتت الفرصة على ماهر باشا سانحة بتعيينه عضوا فى مؤتمر فلسطين ، فشخص الى انجلترا ، وهناك بذل نفسه بذل السماح، وعرض خدماته وتفكيره ونشاطه على أنصار الديمقراطية ودعاتها السادة الحلفاء ، فما أن وثقوا منه ، واطمأنوا اليه ، ادخروه لليوم الذى يريدونه ، حتى اذا ما رأوا صحة صديقهم القديم لا تساعده على اتمام تقديم ما يطلبون . تخلوا عنه وهو مريض ، وظهر على ماهر على المسرح هذه المرة للعيان ، يضرب باليمين وبالشمال ، ويشكل وزارته قبل ان يستقيل محمد محمود باشا ـ تماما ـ كما فعل معنا !!

تلك لمحة خاطفة عن تدبيرات على ماهر الذى يحكم البلاد الآن مستمدا المعونة لا من الله ، ولا من الأمة التى أنبتته ، ونشأ بين ظهرانيها ولكن من الانجليزالذين يرون المصلحة العاجلة تطلب اليهم نصرته وتأييده ، وهذه هى بعض أخلاق مؤسس الانقلاب ومخترعه الذى لم يكفه ان نكبت الامة بما نكبت به فى أخلاقها ومرافقها ، وكيانها ، تلك النكبات المروعة عشرين شهرا ،فأتى على أنقاض سلفه ليقيم انقلابا جديدا فيه القضاء المبرم على الشعب المصرى المسكين .

ويخاطب مصطفى النحاس باشا على ماهر بقوله : أيها السيىء الطالع ، انك لم تعتبر بمن مضى ولم تفكر فيما أنت مقدم عليه ، بل قمت من غير تفكير ولا روية تحكم الشعب بقوة المستعمر ، الطامع ، ونسيت أن الله سيمهل لك كما أمهل لغيرك ، حتى اذا حان يومك كان أشد ممن لم تعتبر بنهايتهم وهذه هى الخاتمة الطبيعية لكل من خرج ، على اجماع أمته أو شذ عن ارادتها .

وتقول جريدة المصرى فى ٢٢ أغسطس ١٩٣٩ تحت عنوان : الجناية الكبرى على استقلال الوطن : « خطة مدبرة لتأخير الجلاء ومد أجل الاحتلال ، الى ما شاء الله .لقد خسرنا كل ماكسبناه ، بالمعاهدة ولم نكسب غير الخراب المالى ، والتعرض للفناء فى حرب طاحنة . ثم تقول المصرى : لقد انتهى بنا الانقلاب اذن ، نهاية هى غاية الخطورة فقد مكن الانجليز من تضييع جهود الأمة ، فى مدى السنين الماضية وقبر المعاهدة وسجل على البلاد تخليد الاحتلال ، الى الابد فلا اعتمادات لبناء الثكنات تدرج فى الميزانية ولا وكالة الثكنات تبقى

بعد ان أنشئت لمجرد ترقية قريب سرى باشا ولا الانجليز يفكرون أنهم تاركون البلد يوما بل على الضد هم يشيدون الأبنية لجنودهم فى محطة مصطفى باشا برمل الاسكندرية ويؤجرون الاراضى الفسيحة لمدة عشر سنوات » ٠ وبعد أيام تقوم وزارة على ماهر بتفتيش منازل مصطفى النحاس ، ومكرم عبيد ، وأحمد نجيب الهلالى ، وتشير الصحف الى ما قاله مصطفى النحاس ، عن تفتيش داره حيث فاجأت النيابة سكان المنزل على غرة منهم « وروعت السيدات ، والأطفال المقيمين به ، بل لقد وصل الأمر الى أن اقتحموا غرفة السيدة حرمى ، وهى طريحة الفراش ، وقلبوا أثاث البيت رأسا على عقب ولم يتركوا مكانا حتى دخلوه وفتشوه ، الى حد أن فتشوا ، أسرة الأطفال وأراجيحهم وأوانى الزهر ، كأننا كنا نخفى فيها شيئا يعاقب عليه القانون ، وقد فوجئت بالخبر ، وأنا فى سرادق ذكرى سعد ، فاتصلت بحضرة رئيس النيابة أسأله لماذا يفتش وعن ماذا يبحث فأجاب ان لديه أمرا بتفتيش المنزل للبحث عن أصل الخطبة التى ألقيتها يوم الأحد الماضى ، ونشرتها الصحف الوفدية فى اليوم التالى فأجبته ، اننى تعودت أن ألقى خطبى ارتجالية حسب الظروف ومقتضيات الأحوال وان السكرتير المختص يدونها عند القائها ثم يبيضها ويعرضها على فأراجعها وأقرأها وآمره أن ينشرها ٠ وهاهى ذى عادتى دائما الا فى المناسبات الأخرى كذكرى عيد الجهاد الوطنى مثلا فاننى أحضر الخطبة ثم أتلوها ، أما الخطبة التى تبحث عنها النيابة فقد كان الشأن فيها شأن جميع خطبى الارتجالية ، وأما اصلها فقد يبقى فى السكرتارية بعد نشرها وقد تلقى فى سلة المهملات ٠٠ ثم اننى ـ هكذا قال مصطفى النحاس لوكيل النيابة ـ مسئول عن هذه الخطبة التى نشرت وعن غيرها من الخطب التى نشرت متحمل كل ما يترتب عليها ولست أفهم معنى لتفتيش منزلى للبحث عما يقولون مادمت لم أنكره ولم أتنصل من تبعته

وقد أخذوا ـ هكذا قال مصطفى النحاس ـ بعد تفتيش منزلى ورقتين تافهتى الشأن احداهما مطبوعة من عبد القادر مختار بك ، وبتوقيعه يشكو فيها من الماهرين الذين ينتمى اليهم لأنهم لم ينصفوه ولم يحسنوا معاشه ، كما حسنوا معاش سلامة ميخائيل بك زميله فى الماهرية ٠ والثانية شكوى من علماء الأزهر الشريف بغير توقيع من ان جريدة المصرى لا تنشر لهم ، أخبارهم وان مندوب الجريدة فى الأزهر غير مأمون ولأن له اتصـالات بالمسئولين فى الأزهر ، وهو ينقل اليهم أخبار من يكتبون الى المصرى ٠

الفصل الخامس

سر هجوم الوفد على « الانجليز » وعلى « على ماهر باشا »

أشرنا فيما سبق الى الخطاب الهام الذى ألقاه مصطفى النحاس باشا ، رئيس الوفد المصرى بالاسكندرية · ومهاجما على ماهر باشا بقسوة شديدة موجها له الاتهام بأنه نزل الى مستوى لم ينزل اليه رئيس وزارة سابق عندما قامت وزارة بتفتيش منزله ، أى منزل مصطفى النحاس · بحثا عن أصول خطبة كان قد ألقاها بالاسكندرية ، ونضيف الى ما سبق أن ذكرناه أن مصطفى النحاس عندما أعلن عن استيائه الشديد لتفتيش منزله بأمر من النائب العام ، قال بالحرف الواحد : لو كنت رئيسا للوزارة ، ووقع ، ما وقع ما أبحث لنفسى أبدا أن آمر بتفتيش دار أى زعيم سياسى مصرى ، على تلك الصورة المزرية ، الخالية من كل ذوق ، المنافية لكل عرف ، وقانون » ·

وكان مصطفى النحاس باشاقد أشار فى خطابه أيضا الى أنه اكتشف وجود رصاص فى سيارته ، على مقربة من الأسلاك الكهربية المتصلة بموتور تلك السيارة ، وأنه قد قام بابلاغ النيابة عن ذلك الحادث وأنه ـ أى مصطفى النحاس ـ رفض أن يتهم أحدا بتدبير ذلك الحادث لأن ضميره لا يطاوعه ، فى أن يجزم باتهام أحد ·

وقد ظهر جليا أن الوفد المصرى ، كان قد أعد خطة محكمة قام بتنفيذها بحذافيرها ، وتتلخص تلك الخطة فى الهجوم فى وقت واحد ، على جبهتين : الجبهة الأولى : السياسة البريطانية ، لا فى مصر وحدها ، وانما فى كثير من أرجاء العالم ، بعدما تأكد ، للوفد ، أن السياسة البريطانية ضالعة فى المجىء بعلى ماهر ، الى رئاسة الوزارة ، وكانت الجبهة الثانية ، هى جبهة على ماهر ، وأحمد ماهر معا وقد سبق لنا أن ذكرنا الأسباب التى دفعت الوفد المصرى الى الانقلاب على على ماهر باشا ، الذى ضحك عليهم وأوهمهم ، أنه يعمل لصالحهم · ونضيف الى ذلك ، أن فى مقدمة الأسباب التى دفعت ، الوفد المصرى ، الى

تشديد الهجوم على أحمد ماهر ، كونه شقيقا لعلى ماهر ، الى جانب انه ـ أى أحمد ماهر ـ عندما خرج على الوفد ، مؤيدا محمود فهمى النقراشى باشا فى موقفه ، تسبب فى احداث شرخ خطير فى الوفد المصرى كما أن أحمد ماهر ، عندما خرج على الوفد أسرف فى الهجوم عليه ، ثم ان الوفد المصرى ، كان يريد من تشديد النكير ، على أحمد ماهر ، أن « يحرقه » سياسا فلا يصبح مرشحا . لتولى أية وزارة جديدة فى المستقبل ، أو هكذا كان يتصور الوفد .

وقد كتب أحد قادة الوفد ، المصرى ـ قد يكون أحمد نجيب الهلالى باشا ، أو محمد صبرى أبو علم باشا ـ سلسلة من المقالات فى صحيفة الوفد المصرى ، بتوقيع « صريح » ، تتضمن الهجوم الشديد القاسى ، والعنيف على أحمد ماهر باشا ، وعلى ماهر باشا ، وكانت احدى مقالات هذه السلسلة تحت عنوان : على حساب مصر : مؤامرة الشقيقين فى سبيل الحكم ، وكانت المقالة الأولى من تلك السلسلة قد صدرت بقول الله تعالى وهو أصدق القائلين : « أم حسب الذين اجترحوا السيئات ، أن نجعلهم كالذين آمنوا ، وعملوا الصالحات سواء محياهم ، ومماتهم ساء ما يحكمون ، وخلق الله السموات والأرض ، ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون » وكانت المقالة الثانية قد صدرت بقوله تعالى : « لا يغرنك ، تقلب الذين كفروا فى البلاد متاع قليل ، مأواهم ، جهنم وبئس المهاد » صدق الله العظيم .

والجدير بالذكر أن جريدة الوفد المصرى ـ لسان حال حزب الوفد المصرى ـ قد نشرت فى ١٣ أغسطس ١٩٣٩ ـ أى فى الوقت الذى كان فيه على ماهر يقوم بتشكيل وزارته ، افتتاحية موجزة ، تحمل العنوان التالى : على ماهر : عدو الشعب رقم « ١ » أصبح الانجليز فى ترشيحه للوزارة . وكان قد جاء فى تلك الافتتاحية ما يلى :

لم يسجل التاريخ السياسى لعلى ماهر باشا الا العمل على مناهضة الامه والتدبير ضد مشيئتها وارادتها كلما سنحت له فرصة فى الخفاء ، حتى لا يكاد انقلاب واحد من الانقلابات الرجعية يخلو من أصبع هذا الرجل الذى تخصص فى الكيد لهذه الأمة .

فقيامه على رأس وزارة الآن لا يمكن الا أن يكون مظهرا من مظاهر التحدى الانجليزى للأمة ، ودليلا من أدلة استهتار الانجليز بالشعب المصرى وحقوقه وكرامته اذ هم المرجع فى ترشيحه والسند الذى يرى أن يعتمد عليه ، وهم لا يمثلون هذا الدور من وراء ستار بل يمثلونه على عين الأمة وتحت سمعها ... والا فليقل لنا على ماهر باشا ، كيف استباح لنفسه أن يبعث ببرنامج وزارته وأسماء من يرشحهم للاشتراك معه فى الوزارة الى السفارة البريطانية !

علی ماهر باشا رجل تحدى الأمة فى كل مراحل جهادها ، وتحدى الأحزاب جميعها بل تحدى محمد محمود باشا نفسه وطعنه من الخلف بشروعه فى تأليف وزارة جديدة فى نفس الوقت الذى كان يعلن فيه محمد محمود باشا بأعلى صوته أن وزارته باقية ولا سبب هناك يدعوه الى الاستقالة !

وعلى ماهر باشا هو الذى وضع أساس هذا الانقلاب الذى نكبت به الأمة شر نكبة ·

وعلى ماهر باشا هو الذى عاد من لندن معتزا بالصداقة الانجليزية الجديدة فلم يتردد فى تحدى حق من حقوق العرش وذلك باصراره على اخراج البندارى باشا من القصر ·

على ماهر باشا اذن هو أصل البلوى التى حلت بالبلاد ، وهو الرجل الذى يصلح لأن يكون أداة طيعة فى يد السياسة الانجليزية التى تريد التنكيل بالشعب المصرى ، وتريد أن تنشر المجاعة بين الفلاحين ، وأن تجر على هذه الأمة الخراب السياسى والاجتماعى والخلقى فى سبيل أن تسد ما بقى لها من مطامع ، وأن تعتصر البقية الباقية من دم هذا الشعب بعد ما اعتصرت معالمه على أيدى وزارة الحكم الصالح ·

وما من ريب فى أن هذا العمل العدائى من جانب الانجليز للشعب المصرى يفقدهم كل ثقة بهم ، بل سيعلمون أن هذا الشعب الباسل سيقابل عداء الانجليز بالحزم الواجب ، والحركة العملية التى سوف يقفون أمامها مشدوهين يعضون بنان الأسف والندم ، حين يعلمون أن الشعب المصرى لم يعد يقبل هذا التمثيل الذى يقوم به السادة الانجليز وبخاصة بعد أن انكشف عنه الستار » ·

واذا كان الوفد ، المصرى ، كحزب سياسى ، قد استمر فى ملاحقة على ماهر باشا ، ووزارته بالحملات العنيفة القاسية فان على ماهر باشا ، ووزارته قد استمروا — كحكومة — فى ملاحقة الوفد ، وصحفه : لم تكتف وزارة على ماهر باشا ، رئيس الوفد ، أثناء عدم وجوده ، به ، بل راحت تفتش وبعنف منزلى مكرم عبيد باشا ، سكرتير الوفد ، ونجيب الهلالى باشا ، أحد أعضاء الوفد بل كبار قادته أثناء غيابهما عن منزليهما أيضا ·· وزارة على ماهر ، لا تكتفى بتفتيش دور الصحف الوفدية وباعتقال رؤساء تحريرها ، بل راحت تحرم تلك الصحف — كعقوبة — من الاعلانات الحكومية ، التى هى من أموال الدولة بما فيها حتى اعلانات السكة الحديد !!

ولم يترك ، الوفد المصرى ، فرصة ، تمر دون أن ينتهزها للهجوم على وزارة على ماهر ، ولاعاقة مسيرتها ، ولان الوفد كان يملك ، أغلبية محترمة فى مجلس الشيوخ فقد أتيحت له أكثر من فرصة — فى المجلس — فرض فيها ارادته،

على الحكومة ، أو على الأقل ، حال دون ، تحقيق كل الذى تريده ، وكان فى مقدمة تلك الفرص ، فرصة عرض مرسوم اعلان الأحكام ، العرفية ، على مجلس الشيوخ : لقد كان البرلمان فى أجازة عندما نشبت الحرب العالمية الثانية ، وعلى الفور ، طلبت السفارة البريطانية فى القاهرة من حكومة على ماهر ، تنفيذ المادة السابعة من معاهدة ٢٦ أغسطس ١٩٣٦ اعلان الأحكام ، العرفية ، ووضع الرقابة على المطبوعات فلم يسع الحكومة ـ وكانت العلاقات بينها وبين بريطانيا وقتئذ طيبة ـ الا أن تبادر باعلان ، الأحكام العرفية ، بمرسوم ملكى صدر فى أول سبتمبر ١٩٣٩ وتم تعيين على ماهر باشا حاكما ، عسكريا و ٠٠ و ٠٠

ودعى البرلمان لاجتماع غير عادى فى يوم الاثنين ٢ أكتوبر ١٩٣٩ ، ليعرض عليه مرسوم فرض الأحكام العرفية وكذلك المراسيم الأخرى الصادرة أثناء عطلته وذلك تطبيقا للمادة ٤١ من الدستور ٠٠ لم يكن هناك مشكلة بالنسبة لمجلس النواب فان الأحرار الدستوريين رغم عدم اشتراكهم فى الوزارة لم يقبلوا معارضة هذا المرسوم ، اتساقا مع مبادئهم ومع خطتهم الجديدة بعد أن خرجوا ، أو أخرجوا من الحكم ، ولذلك جاءت موافقة مجلس النواب بأغلبية الأعضاء ، السعديين والأحرار الدستوريين ، والمستقلين ، ضد ١٢ صوتا هم نواب الوفد ، ولكن كانت مشكلة الموافقة على هذا المرسوم فى مجلس الشيوخ ، مشكلة ، ومشكلة عنيفة بالنسبة للحكومة ، ذلك ، أن للوفد فى مجلس الشيوخ ، أغلبية وأغلبية محترمة ، وقد حرص الوفد على معارضة الأحكام العرفية ، رغم أن فرض تلك الأحكام ، كان بناء على المادة السابعة من معاهدة ٢٦ أغسطس ١٩٣٦ ، التى وقعها ، رئيس الوفد ، والوفد والتى أطلقوا عليها معاهدة الشرف والاستقلال ٠

وكان مجلس الشيوخ قد ألف لجنة من بين أعضائه لبحث هذا الموضوع كانت أغلبيتها ـ بالطبع ـ من الوفديين ، وانقسمت تلك اللجنة الى أغلبية وأقلية : وكان من رأى الأقلية استمرار الأحكام بشروط ثلاثة : حصر تطبيقها عند الضرورات العسكرية ، الرجوع ، الى البرلمان ، فى الشئون الخطيرة ، وأخيرا تخفيف الرقابة على الصحف ، وكان قد تأكد للجنة أن الحليفة بريطانيا هى التى طلبت اعلان الأحكام ، العرفية ٠

وكان تقرير اللجنة قد أشار الى رأى الأقلية ، والى رأى الأغلبية بالتفصيل ، كما أشار تقرير اللجنة الى أن رئيس الحكومة قد ذكر فى بيانه أمام مجلسى البرلمان أنه قد طلب من هذه البلاد ، اعلان الأحكام العرفية ولكن عندما سئلت الحكومة فى اللجنة عن الكيفية التى طلب بها اعلان الأحكام العرفية أشار عبد الحميد بدوى باشا الى أن هذا الطلب جاء من السفارة البريطانية كتابة وبطريقة رسمية ، الى الحكومة المصرية ، وكان هذا الطلب ، يشير الى المعونة ، التى تقدمها مصر ، للحليفة فى أوقات الحرب ، تطبيقا للمادة السابعة من

المعاهدة ـ معاهدة ١٩٣٦ ـ وهذه المعونة تتلخص فى فرض الأحكام العرفية ، وتنفيذها وكذلك اعلان الرقابة على الصحف ، والمطبوعات ، وكذلك ايجاد نظام لتفتيش السفن •

وتقول اللجنة أنها طلبت من الحكومة الاطلاع على الطلب الذى تقدمت به السفارة البريطانية الى الحكومة المصرية طالبة معونتها ولم تستطع الاطلاع على ذلك الطلب ، أو تلك المذكرة •

وتقول اللجنة فى تقريرها أيضا ، ان خمسة من أعضائها رأوا عدم استمرار الأحكام العرفية بينما رأى ثلاثة من الأعضاء استمرارها بتلك الشروط ، التى سبق الاشارة اليها ، كما يقول تقرير اللجنة ان رئيس اللجنة ، قد امتنع عن ابداء رأيه •

والجدير بالذكر أن تقرير اللجنة ناقش مناقشة موضوعية موضوع ضرورة حصر الأحكام العرفية فى المسائل العسكرية بالرغم من أنها ذكرت ان على ماهر باشا رئيس الحكومة رفض الأخذ بهذا الاقتراح ، كما أن اللجنة ناقشت أيضا موضوع سلطات الحاكم العسكرى وضرورة تقييدها وكان من بين ما جاء فى رأى الأغلبية : « ان البلاد لا تطمئن اطلاقا ، أن تجعل تنفيذ الأحكام العرفية فى يد ليست موضع الرضا منها •• فضلا عن ذلك فان قضية الحرية والديمقراطية ، التى أعلنت انجلترا ، وفرنسا الحرب ، للدفاع عنها يجب أن تشترك مصر ، فى الدفاع عنها بكل قواها ، وبكامل رضاها ، لان مصيرها يتوقف على نتيجتها تلك ومن أجل هذا يقتضى أن تكون السلطة التى تباشر صيانة هـذه المصالح التجارى مع رعايا ألمانيا كما قبض على هؤلاء ، الرعايا ، وصودرت أملاكهم •

وقد كان من بين ما جاء فى خطاب الأستاذ يوسف الجندى ، زعيم المعارضة فى مجلس الشيوخ : لا يرضينا بأن نسلم أنفسنا الى سلطان مطلق لو وضع فى يد عمر بن الخطاب نفسه لما اعتصم من الخطأ » •

على أية حال لقد وافق مجلس الشيوخ ـ فى النهاية ـ على مرسوم اعلان الأحكام العرفية بأغلبية ٦٨ صوتا ، ضد ٥٩ صوتا •

وقد اقترن اعلان الأحكام العرفية بقطع العلاقات السياسية بين مصر ، وألمانيا ، كما أصدر الحاكم ، العسكرى ـ على ماهر باشا ـ قرارا ، بمنع التعامل التجارى مع رعايا ألمانيا كما قبض على هؤلاء ، الرعايا ، وصودرت أملاكهم •

والمتتبع لسياسة الوفد المصرى حتى ذلك التاريخ (١٩٣٩) يرى أن سياسة الوفد المصرى كانت قد رسمت بوضـــوح ، وبجـلاء على أساس تنفيذ هدفين رئيسيين : البقاء فى الحكم اذا ما كان الوفد فى الحكم باعتبار الحكم حقا من

حقوق الوفد المصرى صاحب الأغلبية فى أية انتخابات حرة ، وأنه لا يجب أبدا ، أن يقصى عن الحكم بأية وسيلة دستورية ، أو غير دستورية الا اذا تخلى الناخبون عن تأييده واختاروا بدلا منه حزبا آخر ، أو جملة أحزاب ، الهدف الرئيسى الآخر للسياسة الوفدية ، ضرورة السعى الى الحكم أو بمعنى آخر يمكن أن يكون أكثر دقة فيما يتعلق بغرض السياسة الوفدية ، ضرورة السعى لاستعادة الحكم ، الذى هو حق للوفد ، دون سواه من الأحزاب الأخرى ، وعملية استعادة الحكم هذه تتطلب خوض ، أية معركة ، واستخدام أيّة أسلحة ، واعتبار كل من يقف فى سبيل عودة الوفد ، الى الحكم ، عميلا للانجليز ، خائنا للشعب !

ولهذا لابد من أن نتوسع فى بحث ذلك الموضوع الحيوى الهـــام : ماذا يحدث عندما يكون الوفد فى المعارضة أى خارج الحكم ، هذا ما سنفصـــله فى الفصل التالى ٠

الفصل السادس

عندما يكون الوفد فى المعارضة !!

تحدثنا عن السياسة التى وضعها الوفد المصرى منذ أن أقصى عن الحكم فى ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧ ، والتى تتلخص فى معارضته ـ قدر الامكان ـ للسياسة البريطانية فى مصر ، وانطلاقا من تلك السياسة كان يعارض أية وزارة وليت الحكم بعده : عارض وزارتى محمد محمود باشا ، الثانية والثالثة ، وعارض وزارة على ماهر باشا ، الثانية ، ولان العلاقة بين الوفد المصرى وبريطانيا ، وخاصة أثناء الحرب العالمية الثانية كانت تشكل ركيزة هامة وخطيرة فى السياسة المصرية فى الداخل ، وفى الخارج فاننا نستأذن القارىء العزيز فى أن نولى هذه العلاقة ما تستحق من أهمية ، خاصة ان الكلام ـ بالتفصيل ـ عن هذه العلاقة يوضح كثيرا من الأمور والأحداث ، التى وقعت فى مصر فى الفترة من ١٩٤٠ وحتى الربع الأخير من عام ١٩٤٤ ، ولاننا لا نريد أن نعرض رأينا فى مثل هذا الموضوع التاريخى الهام ، فاننا نستأذن القارىء العزيز ، مرة أخرى فى أن نستعين بالعديد من الآراء ، التى تناولت هذا الموضوع مؤجلين ابداء وجهة نظرنا ، الى ما بعد ابداء آراء الآخرين ، الذين هم من خيرة من تناولوا هذه الفترة التاريخية الهامة بالتأريخ ٠

يقـول الأستاذ عبـد الرحمن الرافعى ، وهو يتحدث عن وزارة مصطفى النحاس باشا الرابعة ، التى أقيلت فى ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧ : « يبدو أن النحاس بعد توقيع معاهدة سـنة ١٩٣٦ قد ازداد تعلقـا بالحكم المطلق ، المستند الى الدكتاتورية البرلمانية لانه اطمأن الى تأييد الانجليز له ٠ بعد أن ظفروا منه بالمعاهدة وروج لها وسماها « وثيقة الشرف والاستقلال » فحفظوا له هـذا الجميل ، وجاوزه عليه بتأييده فى حكمه ومن ثم أخذ يسير فى وزارته سـيرة « الحاكم بأمره » ، ويقصى عن حظيرة الوزارة والوفد كل من يعارضه مهما كانت منزلته السابقة فى الجهاد ٠٠

ومما يؤخذ على هذه الوزارة أنها قررت اعتبار يوم ٢٦ أغسطس وهو يوم توقيع معاهدة سنة ١٩٣٦ عيدا وطنيا وأسمته « عيد الاستقلال » ، وما هذه المعاهدة المشئومة بمعاهدة استقلال ، بل هي مهدرة له مقوضة لأركانه فجاء اعتبار يوم توقيعها عيدا وتسميته عيد الاستقلال من المتناقضات المخزية » .

ويقول الأستاذ الرافعي ، انه عندما احتدمت الأزمة الدستورية بين الوفد والسراى حول تعيين أحد أعضاء مجلس الشيوخ وحول رفض السراى توقيع مشروع قانون بفتح اعتماد اضافى طلبت الوزارة توقيعه وحول طلب السراى حل جماعات القمصان الملونة ، سعى السفير البريطانى سير مايلز لامبسون فى تسوية الأزمة ببقاء وزارة النحاس فى الحكم ، والتساهل من الجانبين ، أصرت السراى على موقفها ..

ويشير عبد الرحمن الرافعي – فى كتابه « فى أعقاب الثورة » الجزء الثالث – الى مذكرة الوفد الى الحكومة البريطانية فى أول ابريل ١٩٤٠ ، تلك المذكرة التى أحدثت كما يقول الأستاذ الرافعي رجة كبيرة فى البلاد ، لانها أول صيحة بالخروج على معاهدة سنة ١٩٣٦ من احدى الهيئات التى وقعتها ، ومن الهيئة التى اعتزت بها ، وروجت لها ، وحثت الناس على قبولها ، والمذكرة التى يشير اليها الأستاذ الرافعي قدمها مصطفى النحاس أول ابريل ١٩٤٠ الى السفير البريطانى ليبلغها الى الحكومة البريطانية ، وقد تضمنت المذكرة المطالب الآتية :

١ – تصرح الحكومة البريطانية من الآن – ابريل ١٩٤٠ – بأنه عندما تضع الحرب العالمية أوزارها ويتم عقد الصلح ، بين الأمم المتحاربة تنسحب من الأراضى المصرية القوات البريطانية جميعها سواء فى ذلك القوات المعسكرة ، قبل الحرب أو بعدها ، وأن تحل محلها القوات الحربية المصرية على أن تبقى المحالفة فيما عدا ذلك قائمة بين الطرفين بالأوضاع المبينة فيها .

٢ – عند التسوية النهائية يجب أن تكون مصر طرفا فيها وأن يكون لها اشتراك فعلى فى مفاوضات الصلح للدفاع عن مصالحها والعمل على تحقيق أغراضها معنوية كانت أم مادية .

٣ – بعد انتهاء مفاوضات الصلح يجب أن تدخل مصر ، وانجلترا فى مفاوضة يعترف فيها بحقوق مصر كاملة ، فى السودان لمصلحة أبناء النيل جميعا .

٤ – المطالبة بالغاء الأحكام العرفية .

٥ – عدم الحيلولة دون تصدير القطن المصرى ، الى البلاد المحايدة أو شرائه بالأسعار والشروط المناسبة .

ويقول الأستاذ الرافعي : أحدثت هذه المذكرة تأثيرا كبيرا ، وقوبلت – فى الجملة – باغتباط اذ كانت أول صوت ارتفع من بين الهيئات التى وقعت المعاهدة

بالانقضاض عليها ووضحت تعلق البلاد بالجلاء وجاءت ـ فيما عدا حديثها عن المحالفة وعن السودان ـ انتصارا كبيرا ، لقضية الجلاء ، ولوجهة نظر الحزب الوطنى فى هذه المسألة الهامة التى هى جوهر الاستقلال ٠

أما لدى الجانب البريطانى فقد قوبلت بداهة بالاستياء ، والتذمر ، وبالرغم من انهماك بريطانيا وقتئذ فى الحرب ورغبتها فى كسب رضا الشعوب فان جواب حكومتها ينم عن روح السخط ، والحنق ، فقد أجابت عليها برد أرسله اللورد هاليفاكس وزير خارجيتها بطريق البرق ، الى السفير البريطانى ، وهـذا بلغه الى النحاس باشا يوم ٦ أبريل ١٩٤٠ وصيغة هذا الرد كما يلى :

١ ـ أبلغوا النحاس باشا ، فى الحال أن الحركة التى قام بها ونشرت على الناس فعلا قد أحدثت لدى الحكومة البريطانية شعورا أليما للغاية ولا تستطيع الحكومة البريطانية الا اعتبار قرارات الوفد ، كمحاولة مقصورة للعب دور فى السياسة الداخلية فى حين أن بريطانيا العظمى مشتبكة فى صراع ليس أثره على مصـــير مصر واستقلالها بأقل منه على بريطانيا العظمى نفسها ٠

٢ ـ أما فيما يختص بالمسائل ، التى أثارها النحاس باشا فمن البديهى أنها تؤدى الى :

(أ) اعادة النظر فى المعاهدة المصرية ، البريطانية ٠

(ب) تدخل من جانبنا فى السياسة الداخلية المصرية ٠

(جـ) الطعن فيما نستخدمه من وسائل الضغط الاقتصادى فى الحرب ضد ألمانيا :

٣ ـ لما كانت نتيجة الحرب ذات أثر فعال بالنسبة لمصر ، ومن الجلى بلا شك للنحاس باشا ، أنه لو انتصر العدو لم يبق الا قليل احتمال فى مناقشة مستقبل مصر ضمن حدود ديمقراطية فان الحكومة البريطانية موقنة بأن المسئولين عن مصـير الشعب المصرى ومنهم النحـاس باشا سيواجهون المسئوليات التى تجابههم فى ساعة خطيرة من تاريخ العالم ٠

٤ ـ أننا نحارب لسلامة الأمم الصغيرة واحترام العهد المقطوع ، فقل للنحاس باشا ـ وأنا أحد الموقعين على المعاهدة ـ يبدو لى أنه غير مفهوم أن يشعر النحاس باشا الناس بأنه يريد التشكيك فيما للمعاهدة من صفة قطعية ورسمية ، وأنه ليسعدنى أن أتأكد أن النحـاس باشا سيعمل جهـده ، بتخفيف أثر هذه الحركة التى لم تقترن بالسداد ٠

وقد رد الوفد ، على هذه الرسالة بخطاب أيد فيه مذكرته الأولى !

ويقول د. يونان لبيب رزق ـ فى كتابه تاريخ الوزارات المصرية ، أنه عندما عين الملك على ماهر باشا رئيسا للديوان الملكى تحفظت صحف الوفد وارتاحت الدوائر البريطانية ، لهذا التعيين باعتباره ـ كما تقول الوثائق البريطانية ـ شخصية مسئولة بدلا من مناورات الرجال غير المسئولين فى القصر ، أما الصحف الموالية للقصر فقد شنت حملة واسعة على النحاس تتهمه فيها بأنه قد لجأ الى السفارة البريطانية طالبا العون فى موضوع على ماهر وأنها ـ أى السفارة البريطانية ـ لما حاولت التدخل فان رئيس الديوان الجديد ذكر للمسئول البريطانى أن هذا الموضوع من اختصاص الملك وحده » .

وقد انتهزت المعارضة الفرصة فكتب رئيس حزب الاحرار الدستوريين ، محمد محمود باشا خطابا بعث به للسفارة البريطانية يحتج فيه على التدخل الانجليزى فى شئون مصر الداخلية ، كما كتبت الأهرام ـ ١٩٣٧/١١/١٤ ـ تنصح البريطانيين بعدم استغلال المعاهدة ، لكسب امتيازات جديدة فى البلاد فان ذلك سوف يثير حالة السخط بين المصريين ويقول د. يونان لبيب رزق ، أنه عندما تعقدت الأمور بالنسبة لوزارة على ماهر باشا بعد دخول ايطاليا الحرب، فى يونيو عام ١٩٤٠ ومع ماترتب على هذا من زيادة المخاطر ، على مصر والوجود الايطالى رابض على حدودها الغربية فقد صحبه تشجيع الوزارة ، والملك على انتهاج خطة العداء نحو الوجود البريطانى والسعى الى الاتصال بدولتى المحور ، وعند هذا الحد ، تحرك السير مايلز لامبسون فكتب الى لندن ، فى ١٥ يونيو يصف على ماهر ، بأنه غير متعاون ، ولا يمكن الاعتماد عليه ، بل ولا احترامه فهو بالرغم من وعوده المتكررة قد فشل تماما ، فى توجيه الرأى العام ، الى الوجهة السليمة » ولم يبق فى طاقتى أو فى مقدورى ، أن يظل فى منصبه أكثر من ذلك ، وقد شهد النصف الثانى من يونيو ١٩٤٠ ما يمكن أن نسميه بحادثة « ٤ فبراير ، الصغيرة » ، فقد وضع البريطانيون هدفا أمامهم يتمثل فى السعى لاخراج على ماهر من الوزارة ومن الديوان الملكى على أن يحل محله أحد ثلاثة من المعروفين بولائهم ، للحليفة من طراز حسن صبرى أو حافظ عفيفى ، أو حسين سرى .

وكانت وجهة النظر البريطانية فى ذلك أن يكون رئيس الوزارة الجديدة غير وفدى ، ولكن يتمتع بثقة الوفد ، على أساس أن تعيين وزارة وفدية سيكون من شأنه اغضاب القصر ، وبعض الدوائر السياسية الأخرى ، بما يهم انجلترا أن تظل على تعاونها معهم ، هذا بالاضافة الى ما يتمتع به الوفد ـ كما تقول الوثائق البريطانية من شهرة سيئة من ناحية انعدام الكفاءة الادارية » .

ويرى مارسيل كولومب فى كتابه « تطور مصر ١٩٢٤ ـ ١٩٥٠ » : لقد تحققت الآمال البريطانية ، فقد وقعت المعاهدة المنشودة فى لندن فى ٢٦ أغسطس ١٩٣٦ على يد وفد مصرى برئاسة مصطفى النحاس باشا نفسه ورغم ذلك فلم يكن ثمة ما يشتم منه هبوط شعبية الوفد ، بل وليس من المؤكد أن يكون الرأى

العام المصرى قد تفهم مدى خطورة العمل الدبلوماسى الذى تم التفاوض بشأنه والذى جعل من مصر دولة تدور فى فلك بريطانيا العظمى وترتبط معها بتحالف لا يتضمن أية ترتيبات لتحديد مدته .

وينتقل مارسيل كولومب بعد الحديث عن توقيع معاهدة ١٩٣٦ وآثارها فى السياسة المصرية ، الى الحديث عن سياسة الوفد بعد أن أقصى عن الحكم ، فيقول : لقد عمل الوفد منذ انضمامه ، لصفوف المعارضة على أن ينفرد بذلك الدعم الحقيقى ، أو المفترض الذى تقدمه السفارة البريطانية للقصر الملكى ولكل « الرجعيين » محاولا بذلك أن يسترد شعبيته التى استطاع الملك الشاب أن يكسف بريقها الى حد ما ، وبعد ذلك وقف الوفد ضد المحادثات التى أجراها « فى روما ٨ مارس ١٩٣٨ » اللورد بيرث حول مشاكل البحر الأبيض المتوسط ، والمسائل الافريقية دون استشارة سابقة لمصر ، كما أنه رأى الاتفاق الانجليزى الايطالى المعقود فى ١٦ ابريل ١٩٣٨ بمثابة عدوان على استقلال البلاد وكيانها الدولى ونكث عهود مقطوعة ، فى معاهدة التحالف بين مصر وبريطانيا ، والتفريط فى حقوق مقدسة مقررة لمصر والسودان . كما أنه لم يخفف من انتقاداته للإتفاق الانجليزى ، المصرى ، الذى عقد فى ٤ أغسطس ١٩٣٨ حول بناء ثكنات عسكرية فى منطقة قناة السويس ، كما أصدر فى الرابع من سبتمبر (١٩٣٨) بيانا يستثير فيه الرأى العام ضد أول خرق ، لنص معاهدة ١٩٣٦ .

ومع ذلك فمع بدء العمليات الحربية فى أوروبا تغير موقف الوفد ، وبدأ تنديده ، ببريطانيا يفقد حدته تدريجيا ثم يختفى كلية على وجه التقريب من الصحف الوفدية ، تبني الوفد سياسة أكثر ملاءمة وقادرة فى الوقت نفسه على أن تضمن له ولاء الجماهير ، وعبر الوفد في مذكرة سياسية سلمها الى السير مايلز لامبسون فى أول أبريل ١٩٤٠ عن تخوفه من أن يعرض التحالف الانجليزى المصرى لأزمة أخلاقية بالغة الخطورة يمكن أن نلمح دلالات عليها عند عناصر ، بعينها من الشعب المصرى ــ حسب تعبيره ــ وعند آخرين من أبناء الشعوب العربية والشرقية » .

وكي تدرأ بريطانيا هذا الخطر لزم عليها أن تعلن منذ ذلك الوقت « أن القوات البريطانية بعد انتهاء الحرب الدائرة واستتباب السلام ، بين الأطراف المتحاربة ستنسحب كلية من الأراضى المصرية لتحل محلها قوات عسكرية مصرية ، كما أن من المسلم به ، أن معاهدة التحالف سوف تظل نافذة المفعول بين الطرفين كما اقتضى الأمر أيضا أن تؤكد بوضوح أن مصر سوف تشارك فى الترتيبات النهائية للحرب ، كما أنها ستكون طرفا فعالا فى مفاوضات السلام ، حتى تكون فى وضع يسمح لها بالدفاع عن مصالحها وحتى تحقق أهدافها المادية

والروحية ، ومن جهة أخرى فما أن يسود السلام حتى تكون حقوق مصر فى السودان موضع اعتراف من جانب بريطانيا العظمى لمصلحة سكان وادى النيل العظيم » .

ولم يكن من شأن بيان الوفد هذا الا أن يسبب بعض الضيق فى لندن كما أن رد الحكومة البريطانية كان يتسم بشىء من الحزم وفى نفس الوقت ، فان الوفد لم يتردد فى اعلان ارتباطه بقضية الديمقراطيات ، وأكد أن مصر تمد يدها للشعب الحليف وأن الشرف يقتضى من كل مصرى أن يساعد الدولة الحليفة بريطانيا ويشد من أزرها وأن يتجنب بوجه خاص كل ما يمكن أن يؤخذ على أنه طعنة فى الظهر » .

وغداة دخول ايطاليا الحرب خرج الوفد بكلماته الى حيز التنفيذ ، فمنذ ذلك الحين تغاضى الوفد ، عن المطالب المعلنة فى برنامجه وظل يعلن أنه يقف الى جانب تقديم المساعدة المخلصة لبريطانيا العظمى فى اطار معاهدة ١٩٣٦ مع رفض الزج بمصر فى أتون الحرب ، وخففت هذه السياسة شكوك السفارة البريطانية كما جعلتها فى الوقت نفسه تأخذ فى الاعتبار رغبات الشعب المصرى وبفضل هذه السياسة أيضا باتت بريطـانيا مقتنعة ـ بعـد أن أدركت ما تواجهه من صعوبات ـ بعدم امكانية تحقيق فكرة جر مصر الى الحرب وازاء ما لمسته بريطانيا من مناورات على ماهر باشا والمحاولات المتخبطة التى قام بها حسن صبرى باشا ، وحسين سرى باشا بدأ الوفد بوصفه الحزب الوحيد ، والذى لا يزال يحوز صفة الشعبية الكافية ، القادر على أن يقنع الرأى العام ، بتقبل الاجراءات التى تحتم الضرورة اتخاذها أثناء الحرب وكذا فانها ـ بريطانيا ـ لم تتردد فى أن ترغم الملك فاروق على اعادة النحاس باشا الى الحكم ، مفضلة اياه على أحمد ماهر باشا الذى بدت لها آراؤه المتطرفة بمثابة خطر على استتباب الأمن والنظام فى مصر » .

أما د. عبد العظيم رمضان فى كتابه : « تطور الحركة الوطنية فى مصر من سنة ١٩٣٧ الى سنة ١٩٤٨ » ، فيقول عن موقف الوفد من بريطانيا ومن تنفيذ المعاهدة ، المصرية ، البريطانية ، ومن دخول مصر الحرب الى جانب الحلفاء و .. و .. ، وغير ذلك من الموضوعات الهامة : واضح من حديث للنحاس باشا فى شهر نوفمبر ١٩٣٧ أدلى به لمراسلة احدى وكالات الأنباء الأجنبية بأن الصورة القائمة فى ذهنه فى حالة حدوث اعتداء من ناحية ليبيا ، أن يدافع الجيش المصرى عن البـلاد ، وتساعده فى ذلك القوات البريطانية : سيحارب أولئـك الجنود « الانجليز » معنا بصفة حلفاء لنا اذا طرأ طارىء لهذا وقد فرق هذا الحديث بين هدف مصر ، من الحرب ، وهدف بريطانيا فقال : اذا حاربت مصر فستحارب دفاعا عن سلامة أراضيها وستحارب بريطـانيا العظمى ، دفاعا عن سـلامة امبراطوريتها . فلما وقعت الأزمة العالمية فى سبتمبر ١٩٣٨ لم تتحدث احدى

الصحف الوفدية عن مسألة دخول مصر الحرب على الرغم مما كانت تهاجم به الحكومة لاهمالها اتخاذ اجراءات الدفاع عن البلاد ، والفرق بين الموقفين أن النحاس باشا عندما أدلى بتصريحه السابق كان فى الحكم ، وكانت علاقته مع انجلترا على ما يرام ولكن فى سبتمبر ١٩٣٨ ، كان فى المعارضة وكانت علاقته بانجلترا على درجة كبيرة من السوء ، ومع ذلك فعندما تحدث صدقى باشا عن ابرام معاهدة عدم اعتداء ، بين مصر وايطاليا ، اعتبرت الصحف الوفدية ان هذا الاجراء يعد انتهاكا لمعاهدة ٣٦ ، التى رأت أنهـا تلزم مصر بالمساعدة داخل أراضيها سواء كانت الحرب التى ستخوضها انجلترا ، دفاعية أم هجومية ٠

وقد اتضح موقف الصحف الوفدية من مسألة الحرب الدفاعية عنـدما قدم المارشال باليو ، الى مصر ، فى مايو ١٩٣٩ ، فقد انتقدت هذه الصحف زيارة المارشال وهاجمت تصريحاته التى أعرب فيها عما ينعم به مسلمو طرابلس تحت الحكم الايطالى » ويقول د٠ عبد العظيم رمضان : يمكن القول أن موقف الوفد كانت تتنازعه جملة عوامل : أولها تأييده لقضية الديمقراطية ، والثانى عداوته للاستعمار والثالث كراهيته للفاشية فلقد كانت انجلترا دولة ديمقراطية ولكنها كانت دولة استعمارية أيضا : لهذا كان الوفد يشدد الهجوم عليها ، بسبب ما كان يعتبره تأييدا فيها للحكم الاوتقراطى فى مصر ويعتبر ان الحكومة القائمة مدينة بمقاعدها للنفوذ البريطانى ولكنه من جانب آخر كان يكره المعسكر الفاشى بدرجة أكبر ، ويدرك مدى الخطر الذى يحيق بمصر ، فى حالة انتصاره ولهذا وقف الى جـانب المعسكر الديمقراطى ويشير د ٠ رمضان ، الى خطـاب النحاس باشا فى ١٦ يوليو ١٩٣٩ الذى ندد فيه بالانجليز الذين رأوا فى الحكم الصالح حكم محمد محمود !! ــ بقرة حلوب تجلب لهم الخير الجسيم ، والنفع العميم ، فنقضوا ما أبرموا ، وأنكروا ما وقعوا وأخذوا باليسار ما أعطوه باليمين ، وكما فعلوا بمصر فعلوا بفلسطين الشهيدة المستبسلة فقسموها باسم الانتداب ، تقسيما هو القضاء عليها والفناء لها ، ولما رفضت ما فرضوه عليها أخذوا يسومونها سوء العذاب بفعل الانجليز ، هذا فى مصر ، وفلسطين ، ثم لا يتورعون عن أن يتغنوا بالحرية ، ويعزفوا لحن العدالة والمساواة : ٠ ٠

ويقول د ٠ عبد العظيم رمضان : انفجر عداء الوفد للانجليز عندما سقطت وزارة محمد محمود باشا وألف على ماهر باشا وزارته على انقاضها ، وكانت الأنباء قد استفاضت قبل ذلك فى الصحف الوثيقة الصلة بعلى ماهر عن الاتفاق ، الذى عقده فى لندن مع اللورد هاليفاكس أثناء حضوره مؤتمر المائدة المستديرة ، وكان معروفا ان علاقاته بالسفير البريطانى قد توطدت بعد تحالفهما ضد البندارى باشا ، فقد اعتبر الوفد اعتلاء على ماهر باشا الحكم ثالثة الاثافى بعد ان تحمل المصريون من حكم محمد محمود باشا ما تحملوا ، ونشأ فى ذلك الحين اتجاه خطير فى الوفد نحو عدم الاعتراف بالمحالفة ٠ وكما قالت « المصرى » ان خطة

الوفد ليست موجهة ضد المعاهدة اذ من الخبل أن يحارب الوفد عملا من صنعه بل من مفاخره ولكنها موجهة الى اساءة تنفيذ المعاهدة والى تدخل حلفائنا الديمقراطيين ضد الديمقراطية المصرية والاستقلال المصرى » ٠

وقد هدد النحاس باشا ، الانجليز فى خطابه الذى ألقاه بالاسكندرية يوم ١٣ أغسطس ١٩٣٩ قائلا : بيننا وبينكم معاهدة فاذا كانت تنفذ حسب نصوصها وعلى قدم الاخلاص والمساواة واعطاء كل ذى حق حقه فأهلا بها ومرحبا ، والا فلا كانت محالفة ولاصداقة اذا كان من ورائها الجوع ، والعرى ، والدمار لمصر ، والغنم والكسب لكم وحدكم ٠٠٠ ويقول النحاس باشا أيضا فى خطابه « أيها الانجليز : اما صداقة وصفاء ، واما جفاء وعداء فاختاروا لأنفسكم ما تريدون » ويقول د٠ عبد العظيم رمضان : حين أعلنت الحرب العالمية الثانية بعد نصف شهر ، تقريبا من خطاب النحاس باشا ، الذى توعد فيه الانجليز ، والمعسكر ، الديمقراطى كله ، لم يتردد الوفد فى ابتلاع تهديداته السابقة ، فكتبت جريدة « المصرى » تقول أن مصر ستكون مع حليفتها انجلترا ، فى هذا الموقف الدقيق قلبا وقالبا وانما ستكون وفية لعهدها ، مؤيدة بكل قوتها الديمقراطية ضد الدكتاتورية » ٠

ولان المجال فيما أعتقد لا يسمح : بمناقشة تلك السياسة ، الا اننا نقول كتعليق سريع على تنفيذ تلك السياسة ، لا على السياسة ذاتها ، أنه ما كان للوفد أبدا ان يسرف فى توجيه الاتهامات الى معارضيه ممن يسعون للاستمرار بدورهم في الحكم ان كانوا فيه ، أو ممن يسعون بدورهم للحصول عليه ، اذا كانوا ، بعيدين عنه ، والاعتراض هنا ، على الاسلوب ، لا على المبادىء والأفكار ، ولست أقول هذا الرأى دفاعا عن على ماهر الذى « حظى » بأكبر قدر من الهجوم الوفدى عندما شكل وزارته الثانية ، اذ أن لى تحفظات كثيرة على على ماهر ، وعلى سياسته ولكننى أقول ان الاسراف فى الهجوم الشخصى ، والاسراف فى توجيه الاتهام ، ليس أبدا من أصول اللعبة السياسية النظيفة خاصة ان الاسراف فى الهجوم والاسراف فى توجيه الاتهام كان يتناقض الى حد كبير ، مع رأى الوفد المصرى فى على ماهر عندما تولى رئاسة الوزارة لاول مرة — وزارة المائة يوم — ولذلك وحتى لا تقع الجماهير فى أخطار دوامة الاسراف فى الهجو الشخصى ، وفى توجيه الاتهام ، ينبغى الالتزام بالمعارضة الموضوعية ، الهادفة البناءة ، كما ينبغى على المعارض — على الأقل — ألا يتناقض مع نفسه فيقول اليوم عكس ماكان يقوله بالامس تماما — كما أنه ينبغى الايمان ، بان شدة الهجوم ، وعنفه لا يقيدان المهاجم فى قليل أو كثير ، بل على العكس فان هذه الشدة ، وهذا العنف ، يبعدان عنه الجماهير التى لا تؤمن ، بالمعارضة ، العنيفة والقاسية بل والجارحة !

وننتقل الى آراء أخرى للوفد ، خاصة بسياسته فى الداخل عندما يكون فى المعارضة فأشير الى رأى أبداه قطب وفدى كبير عندما سئل ، عن مواصلة الوفد « الجهاد » ليكون فى الحكم وحده ، دون بقية الأحزاب الأخرى اذ قال : « ليقولوا ما يقولون ، فهذه ليست أول مرة يتهمون فيها الوفد بالتهافت على الحكم فى حين لا يطلب الوفد أن يكون فى الحكم الا لتحقيق الغاية الكبرى وهى صون ، الاستقلال ، واستكماله ، والمحافظة على الدستور ، وتحقيق سلطة الأمة فمنذ قام الدستور ، لم يصبح طلب الحكم عيبا ، اذا ما جعله حزب من الأحزاب هدفه ، اذ لا يتاح له أن يعمل ، وينفذ فكرته ووجود رأيه فى الشئون العامة الا اذا تحمل تبعة الحكم ، واضطلع بمسئولياته ، فالحكم اذن ليس غاية الوفد ، انما هو وسيلة ، وهذا هو الفرق ، بيننا وبين الأحزاب الأخرى ، ومتى أصبح الحكم شهوة من الشهوات ، وانصرفت الأحزاب عن هذه الغاية القومية ، الى التطاحن من أجل الحكم فلا يتردد حزب من الأحزاب فى اتخاذ أية وسيلة فى سبيل الوصول اليه وبذلك تضطرب الأوضاع الصحيحة وتهتز قواعد الديمقراطية الصادقة ، لا علاج لذلك الا بأن يتولى حكم الشعب من يحسنون تمثيله ، والتعبير عن مطالبه ورغباته » .

ويؤكد القطب الوفدى الكبير ، على تجارب « الوزارة القومية » التى تشترك فيها أحزاب كلها قد فشلت وأعطت المصريين درسا بل دروسا لا يمكن نسيانها أو تناسيها .. لا مجال ـ هكذا يقول القطب الوفدى الكبير ـ للوحدة ولا سبيل الى الائتلاف بعد الذى ثبت من تباين الأغراض والوسائل وانما السبل الممكنة الى تخفيف الصراع على الحكم ، هى التزام روح الدستور ، لان ذلك وحده ، هو الطريق الى الاستقرار وعندئذ ، لا يلبث التنافس على الحكم ، أن يسير فى مجرى طبيعى وتتحقق سلطة الأمة بتوليتها شئونها من تثق به وتؤمن باخلاصه .

وعن اتفاق الأحرار الدستوريين مع الوفديين ، حول ترشيحات مكتبى المجلس « مجلس الشيوخ ، ومجلس النواب » يقول القطب الوفدى : انه لم تجر بين الوفد والأحرار الدستوريين مباحثات بصدد الائتلاف وكل ما حدث لا يعدو أن يكون توافقا غير مقصود وفى مسائل كان رأى الحزبين فيها واحدا .

والوفد ليس ملزما بأن يعارض كل فكرة يراها ، الدستوريون أو غير الدستوريين من الأحزاب بل ان هذا التوافق كثيرا ما يقع على تصرف من تصرفات الوزارة نفسها ولا يمكن يومئذ أن يقال ـ عقلا ـ أن الوفد يتفاهم مع الوزارة ، أو أنه يمهد للائتلاف .

والذى لا جدال فيه « ان معارضة الوفد » لفكرة الائتلاف الحكومى لا يمكن أبدا ، أن تقبل على طوال الخط ، اذ يحتمل ـ مثلا ـ أن يكون الوفد ، على حق ، فى رفض الائتلاف فى وقت من الأوقات أو رفض الائتلاف مع حزب من الأحزاب ، أو مع مجموعة من الأحزاب ، وقد يحتمل أيضا ، أن التجربتين اللتين مرت بهما

الوزارة الائتلافية التى اشترك فيهما الوفد مع الأحزاب الأخرى فى الحكم ، كانتا تجربتين مريرتين ، ومن الممكن أيضا أن يكون الوفد ، قد أخطأ فى هاتين التجربتين ، كما أخطأت الأحزاب الأخرى ، أو بعض الأحزاب المشتركة فى الحكم ، وقد يكون خطأ الوفد باعتباره حزب الأغلبية فى الوزارة الائتلافية أكبر من خطأ ، أي حزب آخر مشترك ، فى تلك الوزارة٠وقد يكون ، العكس ، و٠٠و٠

ولكننا نقول ، ان رفض الوزارة ، القومية كمبدأ ، وكسياسة غير مقبول على الاطلاق فقد تجد أمور خطيرة تتطلب من كل السياسيين نسيان الماضى كله ، بل نسيان مصالحهم الخاصة والحزبية ، كما تتطلب منهم تخصيص كل جهودهم ، لانقاذ البلاد ، مما تتعرض له : ٠٠٠ قد تكون الوزارة القومية ، وزارة انقاذ للبلاد مما تتعرض له من أخطار وعندئذ ، يصبح رفضها بمثابة رفض للاشتراك فى انقاذ البلاد ٠

وقد يطلب حزب الأغلبية ، أو الحزب الذى يؤمن بأن الشعب أو غالبية الشعب الى جانبه شروطا معينة للموافقة على المشاركة فى تأليف وزارة قومية ، كان يجرى الاتفاق على سياسة محددة واضحة ، أو كان يتم — قبل التشكيل الوزارة — حل بعض المشاكل الناتجة ، أو كأن يطلب حزب الأغلبية ، أو الذى يرى أنه صاحب الأغلبية ، أو الذى يرى أنه صاحب الأغلبية الشعبية ، أن يكون عدو وزرائه فى تلك الوزارة ، أزيد من نصف عدد الوزراء ، أو ، أو ٠ أما رفض الفكرة من أساسها فهو خطأ سياسى بل خطأ وطنى وقد دفعت مصر — مصر كلها — فى بعض الأزمات السياسية ، الخطيرة ، التى رئى فيها تأليف وزارة قومية ورفض الوفد المصرى المشاركة فيها ، دفعت مصر ، الثمن ، وكان الثمن فى كل مرة ثمنا باهظا ٠٠ من حريتها ومن كرامتها !

ونستزيد من الحديث عن موقف الوفد المصرى ، عندما يكون فى المعارضة من « الحليفة » ٠

والمتتبع أيضا لسياسة الوفد المصرى حتى ذلك التاريخ (١٩٣٩) يرى أن سياسة الوفد كانت قد رسمت بوضوح وبجلاء على أساس تنفيذ هدفين رئيسيين لا ثالث لهما : أول هذين الهدفين : مصادقة بريطانيا عندما يكون الوفد ، فى الحكم ، من أجل ضمان الاستقرار فى الحكم ، باعتبار ، أن بريطانيا حتى بعد توقيع معاهدة ٣٦ أغسطس ١٩٣٦ هى صاحبة الكلمة الأولى والأخيرة فيما يتعلق ببقاء الوزارة المصرية ، أية وزارة مصرية فى الحكم ، وقد تجىء مثلا فى البداية ، وزارة لا ترضى عنها بريطانيا الرضاء الكامل ولكن ، لا يمكن أبدا لتلك الوزارة ، أن تستمر أو تستقر فى الحكم الا اذا ضمنت تلك الوزارة ، ذلك الرضاء السامى !

وقد تبقى وزارة من الوزارات المصرية مثلا بضعة أسابيع ، أو حتى بضعة أشهر ، وهى فى خلاف مع السفارة البريطانية حول بعض « الأمور » غير الخطيرة ولكن هذه الوزارة لا يمكن أبدا أن تستمر ، أو أن تستقر ما لم ترض عنهـا بريطانيا ، رضاء تاما • وقد وقر فى ذهن القادة الوفديين ، وخاصة بعد توقيع معاهدة ١٩٣٦ أنه لم يعد هناك ، أبدا مبرر لمعاداة بريطانيا ، وأنه لابد من أن تتحول سياسة الوفد تجاه بريطانيا من خصومة شبه دائمة الى صداقة دائمة •

وربما كان ذلك التحول الخطير فى سياسة الوفد المصرى من الأسباب الرئيسية التى جعلت كثيرين من غير الحزبيين أو على الأقل ، كثيرين من المتعاطفين مع الوفد ، يأخذون على الوفد هذا التحول الذى كان يصل فى بعض الأحيان الى نتائج تؤذى الشعور الوطنى •

وعلى عكس هذه السياسة تماما ، سياسة التحالف الدائم مع بريطانيا ، عندما يكون الوفد فى الحكم ، كانت سياسة الوفد وهو خارج الحكم ، ضـد السياسة البريطانية ، على طول الخط ، بل أن الوفد كان يتخذ وهو خارج الحكم ـ وخاصة فى الأزمات الدولية التى تتعرض لها بريطانيا أو تتعرض لها مصر ـ سياسة ، عدائية للغاية ضد بريطانيا اما انتقاما منها لانها لم تقف الى جانبه عندما أقصى عن الحكم ، واما لانه يريد أن يقوم بضغط على بريطانيا أو على غيرها

من جهات « النفوذ » لتشارك فى عودته الى الحكم ، وقد أدت هذه السياسة الى اضعاف الوفد من ناحية والى اظهاره أمام الانجليز بمظهر ذلك الذى لا يؤتمن جانبه الا عندما يكون فى السلطة •

ولن نطيل أكثر مما أطلنا فى الحديث عن « الوفد عندما يكون فى المعارضة لننهى هذا الجزء من الكتاب بعد أن نفرد جزء آخر عن الرأى والرأى الآخر •

الفصل السابع

الرأى والرأى الآخر
فى أحداث سنوات ما قبل الثورة

كما أقول باستمرار ، أنها المرة الأولى التى يكتب فيها شعبنا المصرى العظيم تاريخه بنفسه ، ومنذ أخذت على عاتقى المشاركة فى اعادة كتابة تاريخنا الحديث وأنا أحرص على الرأى الآخر ، بل أسعى اليه بنفسى ، ليكون الرأى والرأى الآخر معا فى مجلدات تاريخ سنوات ما قبل الثورة ٠

وفيما يلى تعقيبات ، وتصويبات وأسرار جديدة تذاع لأول مرة كتبها أخوة أعزاء كان لهم أو لآبائهم من قبلهم فضل المشاركة فى صنع التاريخ المصرى :

د٠ هيكل والقمصان الزرقاء

فى رسالة بعث بها الينا الأستاذ حافظ محمود النقيب الأسبق للصحفيين وردت تلك الكلمات عن « القمصان الزرقاء » و د٠ هيكل :

● الرواية لها بقية ، والبقية عندى لاننى كنت أحد شهودها ، والرواية التى أعنيها هى الفقرة الخاصة بذهاب الدكتور محمد حسين هيكل لمقابلة لطفى السيد باشا فى الجامعة للتحدث اليه فى الاحتفال بتأبين محمود عبد الرازق باشا٠٠ كان هذا فى نوفمبر سنة ١٩٣٧ وأعصاب الشباب الجامعيين متوترة جدا ٠ وقد اصطحبنى الدكتور هيكل معه وهو يقول ضاحكا « على الأقل لكى تشفع لى عند زملائك الطلبة » ٠٠

فلما بلغت السيارة بنا الى مشارف الجامعة وجدنا أبوابها موصدة وحولها « كردون » كثيف من رجال الشرطة يحاولون اقتحام الأبواب ، لكن الطلبة استطاعوا منعهم بأن سلطوا عليهم ــ من وراء الأسوار ــ خراطيم الماء الدافق ٠

وفكر الدكتور هيكل فى الرجوع ، أو على الأقل كان ذلك اقتراحا من سائق سيارته ، لكن الطلبة سارعوا الينا تحت حماية خراطيم الماء ـ وحملوا الدكتور هيكل على أكتافهم الى حرم الجامعة • ثم أعادوا اغلاق الباب جيدا •• وهناك طلب الطلاب من الرجل أن يلقى كلمة ، فلم يزد على قوله : « ان كل وطنى يؤدى واجبه فى موقعه » •• واستبدل الطلبة بالخطب هتافا لكتاب المعارضة وهم يطوفون بالرجل محمولا على أكتافهم حول فناء الجامعة •

وانتهز الدكتور هيكل فرصة دنونا من الباب الخلفى فشكر الطلبة وانصرف، وقبل أن ينصرف همس فى أذنى بأنه بعد هذه المظاهرة السياسية لا يليق به أن يصعد الى مكتب مدير الجامعة ، ثم قال لى : أما أنت فلا أحد يمكن أن يشك فى أنك واحد من طلبة الجامعة ، فاصعد أنت وحدك الى لطفى باشا واعتذر له عنى وحدثه فيما جئنا من أجله •

وعند انصرافى بعد أداء هذه المهمة لاحظت أن مظاهرة الطلبة داخل الحرم الجامعى قد تحولت الى مظاهرة عدائية لأستاذنا الدكتور طه حسين عميد كلية الآداب آنذاك بسبب انتمائه اذ ذاك الى « الوفد وعلمت أن أحد الطلبة اذ ذاك وهو حاليا من كبار المحامين ، كان قد امتدت يده بالاساءة الى طه حسين •• وحين سمع منى الدكتور هيكل بهذه الواقعة أبدى أسفه الشديد لما حدث • ولكن ما أن ظهرت صحف الصباح فى اليوم التالى حتى قرأنا على صفحات جريدة « المصرى » تحقيقا صحفيا واسعا عما حدث فى الجامعة ، وانتهى كاتب التحقيق الصحفى الى أن الدكتور هيكل لم يذهب الى الجامعة الا للتحريض على الدكتور طه !!

العجيب أن طه حسين ظل مصدقا لهذه الأكذوبة الى السنة الأخيرة فى حياته اذ رواها فيما رواه للزميل الأستاذ كمال الملاخ مما حملنى على أن أصحح له هذه الواقعة ••

وفى مساء ذلك اليوم كان الدكتور هيكل معتزما أن يصحبنى معه فى زيارة للدكتور طه فى بيته للمجاملة ، وبينما كان يتحدث فى ذلك سمعنا أصواتا هادرة فى طريقها الى مقر جريدة « السياسة الأسبوعية » بشارع الشيخ بركات ـ شارع كمال الدين صلاح الآن ـ بحى قصر الدوبارة •••• وجاء سائق سيارة الدكتور هيكل وبلغه أن آلافا من شباب القمصان الزرقاء فى الطريق الينا ، وأن الدكتور هيكل هو هدفهم •

حاول الدكتور هيكل أن يناقش الأسباب ، لكن السائق قد حمله حملا ووضعه على كرسيه فى السيارة ، وانطلق به الى بعيد •• أما أنا فقد قفزت من جهة أخرى الى الخارج •• ووقفت بعيدا أرقب هذه المظاهرة التى قلبت كل شىء

فى الدار رأسا على عقب نتيجة لأكذوبة دسها بعضهم على جريدة « المصرى » !٠٠

وبعد أربعين يوما بالضبط من هذه الواقعة سقطت وزارة النحاس باشا ، وتولى محمد محمود باشا الحكم ٠٠ فخطر لى أن أعمل كما يعمل الصحفيون بتوجيه الأسئلة الى الساسة ٠٠ وسألت محمد باشا قائلا : أظن أن أول قرار ستتخذه هو قرار بحل « القمصان الزرقاء ؟ » ٠ فابتسم الرجل ابتسامة ذات مغزى وهو يقول : « لكن لماذا ؟ ٠٠ ان النحاس باشا هو الذى سيحلها » ٠٠٠٠ وقد فسرت مذكرات « سنوات ما قبل الثورة » سر هذه الاجابة ٠

« حافظ محمود »

القمصان الزرقاء تردت فى هاوية الحزبية وتقاتل أعضاؤها

صبرى أبو المجد ٠٠

● سبق ان أرسلت الى سيادتكم خطابا تضمن ردى على ما نشر فى ــ سنوات ماقبل الثورة ــ خاص بقصة تكوين القمصان الزرقاء ٠ وكنت أعتقد ان الموضوع قد استوفى حقه من الايضاح والشرح المستند الى الحقائق التاريخية الثابتة التى لا لبس فيها ولا غموض ٠ ولكن ما أثار دهشتى حقا أننى اطلعت على ما نشرتموه بعنوان لم ينشىء الوفد القمصان الزرقاء وانما نشأت تلقائيا ٠ وما يعنينى مما ورد فى هذا المقال هو ما جاء فيه من ان الدكتور بلال هو صاحب الدعوة لقيام هذه الفرق ومنشئها ٠ وهذا الادعاء ــ كما سبق ان أوضحت ــ يجافى الحقيقة ولا يتفق مع الوقائع التاريخية التى يعرفها الذين عاصروا نشأة هذه الفرق ٠ واننى للحقيقة وللتاريخ المجردين عن الهوى والزيف أعيد سرد قصة انشاء هذه الفرق مع التوسع فى التفصيلات عما سبق نشره عسى أن يكون فى ذلك وضع للنقط فوق الحروف واعطاء كل ذى حق حقه ٠ وفيما يلى ما هو مدون فى مذكراتى عن هذه الفرق : ــ فى صيف عام ١٩٣٤ فكرت فى تكوين هيئة من الشباب اخترت ان أطلق عليها اسم « فرق القمصان الزرقاء » على ان ينضم اليها الشباب المثقف وشباب العمال والتجار والموظفون من ذوى السمعة الطيبة على أن تزكيهم لجان الوفد والشبان الوفديون للاطمئنان الى خلقهم وحسن سيرتهم ــ وكان غرضى من تكوين هذه الفرق أن

أسعى جاهدا لانتشال شبابنا من الوهدة التى أردته الحزبية الهوجاء فيها حيث أوقدت نار الخصومة العنيفة بينهم فاعتدى بعضهم على بعض الى حد القتل ـ وكان برنامجى أن أفتح المجال الواسع أمامهم للتدريبات الرياضية والكشفية وأن يتلقوا عن طريق المحاضرات الدينية والوطنية والدروس التى تجعلهم قدوة صالحة وعدة قوية للوطن ـ وعند عرض الفكرة على صديقى وزميلى الأستاذ زهير صبرى هلل لها وسر كثيرا وسافر الى الاسكندرية لعرضها على سكرتير الوفد المصرى مكرم عبيد • ووصل منه الرد المتضمن أن سكرتير الوفد رفض الفكرة « بحجة ان تنفيذها فى هذه الظروف فيه احراج لوزارة توفيق نسيم الصديقة التى تمهد لعودة الوفد الى الحكم وعلى ذلك يرجأ التنفيذ الى مستقبل قريب » وأردت أن أمهد لتنفيذ الفكرة باعادة تنظيم لجان الشبان الوفديين بحيث تكون أقرب الى ما أنشده • وفعلا أنجزنا تكوين لجان فرعية عشرية فى غضون عام ١٩٣٥ • وفى نوفمبر من العام المذكور أذيع على الملأ التصريح المشهور باسم « تصريح هور » الذى كان وزيرا لخارجية بريطانيا وقتذاك وغضب الشعب بجميع طبقاته لما ورد فى هذا التصريح من اعتداء على كرامة مصر واستقلالها •



وكان نادى المحامين يزخر كل ليلة بالمئات من الشباب وغيرهم ومن بينهم أعضاء لجنة الطلبة التنفيذية • ورأيت أن الفرصة مواتية لاخراج فكرة تكوين فرق القمصان الزرقاء الى حيز التنفيذ بدون أن تلقى معارضة لان التيار الشعبى كان جارفا وزعماء الأحزاب يتراشقون فيما بينهم بآلتهم العنيفة التى تتضمنها بياناتهم التى تنشرها لهم الصحف • وبدأت أستعرض فى ذهنى أعضاء لجنة الطلبة التنفيذية لاختيار الزملاء الذين سيشاركوننى فى التنفيذ • ووقع الاختيار على الاخوة الزملاء محمد كامل الدماطى ومحمد بلال وفهمى سليمان سيدهم وبمجرد عرض الفكرة عليهم وافقوا على الاشتراك فى تنفيذها فورا • وأعددنا القمصان الزرقاء الأربعة واجتمعنا فى مكتبى بالنادى ـ حيث كنت أشغل وظيفة سكرتير النادى منذ افتتاحه فى ابريل سنة ١٩٣٤ الى أن نقل الى مقر النقابة فى عام ١٩٣٧ ـ وبعد ارتداء القمصان سرنا فى طابور نظامى اجتاز صالة الاجتماعات بالنادى الى مكتب رئيس النادى مكرم عبيد حيث كان بداخله الرئيس مصطفى النحاس وبعض أعضاء الوفد ، ثم وقفنا صفا واحدا وقبضة باليد اليمنى على القلب ورفعنا الذراع فوق الرأس علامة تحية الفرق التى كنا اتفقنا عليها • وهتفنا « فرقة الدفاع عن الوطن والموت لأعداء مصر » وهتف مكرم عبيد فورا « برافو والموت لأعداء الوفد » وكان هذا هو قرار التصديق على قيام الفرق ، وعلم جميع الذين كانوا بالنادى بالموضوع كما نشر ثانى يوم بالصحف • وزحفت طوابير الشباب بأزيائهم المختلفة أمام النادى ، ودعوت

الرابطة العامة للجان الشبان الوفديين للاجتماع بصفتى سكرتيرها العام وأخذت الرابطة علما بموافقة الوفد على قيام الفرق وبعد بحث مستفيض وضعت الرابطة الضوابط والقواعد التى تضمن استمرار حسن نظام الفرق وسيرها فى الطريق المستقيم وتجنب الانحراف والزلل وعلى أمل أن يكون فى تكوين هذه الفرق الخير والصلاح للوطن ولأبنائه من الشباب كما قررت الرابطة أيضا توجيه الدعوة لعقد مؤتمر عام للجان الشبان الوفديين بالقطر المصرى يوم ٥ يناير سنة ١٩٣٦ بالنادى السعدى . وعقد المؤتمر فعلا وحضره مكرم عبيد سكرتير عام الوفد وألقيت فيه كلمات منى ومن الأستاذ زهير صبرى رئيس الرابطة ومن الزميل محمد بلال . وأعلن رسميا قيام الفرق . وتكون منا الأربعة مجلس قيادة للاشراف على الفرق وفق القواعد التى وضعتها الرابطة ، وبعدها دعيت لمقابلة سكرتير عام الوفد مكرم عبيد وسألنى عن الفرق والنظام الذى تسير عليه وأخبرته بالتفصيل عن كل ما سأل عنه فأظهر ارتياحه وأخبرنى أنه يوافق تماما على ما ذكرته له وانصرف معتقدا أننى ظفرت بالتأييد المطلق لما تسير عليه الفرق . وما كنت أدرى بما يدبر فى الخفاء مما كانت نتيجته أن ظهرت بوادر خلاف بينى وبين الزميل بلال وفجأة نشرت جريدة الجهاد التى كانت لسان حال الوفد ما سمى بقرار « المجلس الأعلى لفرق الشباب الوفدى » ويقضى بفصل شوقى عبد الوهاب من الفرق والتحذير من الاتصال به أو التعامل معه وفصل كل من ينفذ أوامره » واجتمعت الرابطة فى مساء نفس اليوم وحضر الاجتماع بعض أعضاء الهيئة الوفدية وعرف فى هذا الاجتماع أن تصرف محمد بلال كان بعلم سكرتير عام الوفد وبتأييد منه . وأصدرت الرابطة « وهى الهيئة الرسمية التى تشرف على لجان الشبان الوفديين بالقطر المصرى » قرارها باعتبار محمد بلال ومن يؤيده مفصولا من هيئات شباب الوفد والاستمرار فى سياسة تدعيم الفرق وتقويتها على أن تسمى باسم « فرق الرابطة العامة للجان الشبان الوفديين » وتعيين شوقى عبد الوهاب قائدا عاما لها ومنحه السلطات الكاملة للتصرف مع عرض الأمر بأسرع وقت ممكن على رئيس الوفد لوضع حد حاسم لهذه المهزلة التى لم يسبق لها مثيل . ومع الأسف عند مقابلة بعض أعضاء الوفد والهيئة الوفدية للرئيس أخبرهم «دولته» أنه لا شأن له بالفرق وان المختص بالموضوع هو سكرتير عام الوفد مكرم عبيد وعند مقابلة الأخير قال للذين اجتمعوا به أنه قصد اجراء منافسة بين شوقى وبلال وان البقاء للأصلح . وبذلك انقسمت الفرق الى فرقتين احداهما باسم « الشباب الوفدى » بقيادة محمد بلال . والثانية باسم « فرق الرابطة » بقيادة شوقى عبد الوهاب . وبناء على ما تم الاتفاق عليه بين الرابطة وبعض أعضاء الوفد والهيئة الوفدية ومنهم محمود النقراشى واللواء على فهمى والدكتور نجيب اسكندر تسلمنا حديقة شاسعة فى شبرا ملحقة بمدارس الاستقلال واتخذنا منها مقرا رئيسيا لفرق الرابطة وانفصل كامل الدماطى من مجلس قيادة فرق

شباب الوفد وانضم الى مجلس قيادة فرق الرابطة التى أصبحت تشرف على جميع فرق الرابطة فى القاهرة والأقاليم واستمر الموقف هكذا هادئا هدوء الرياح التى تسبق العاصفة الى أن انكشف المستور وتنفذ ما سبق أن اتفق عليه داخل الأبواب المغلقة وكانت ساعة الصفر هى الاعلان عن تاريخ عودة الوفد الرسمى من لندن بعد توقيع معاهدة أغسطس سنة ١٩٣٦ ففى الليلة التى سيحتفل الشعب عداتها بالوفد العائد لاحظنا ونحن داخل معسكر الرابطة بشبرا أن أنوار الشوارع المحيطة بالمعسكر قد أطفئت ثم وقفت أمام المعسكر أربع عربات لورى مليئة بذوى القمصان الزرقاء وأخبرنى قائد حرس المعسكر بأن الزميلين محمود يونس وعلى حسيب يطلبان مقابلتى عند الباب الرئيسى وانهما يرفضان الدخول وتوجهت لمقابلتهما بحسن نية وليس فى تفكيرى مطلقا ان هناك غدرا أو خيانة أو مؤامرة • وما ان وضعت قدمى فى الخارج حتى سمعت صوتا أجش يصيح من انت ؟ وبنفس حسن النية عندى أجبت أنا شوقى عبد الوهاب وفى الحال زمجر الصوت الاجش وصاح هو الدسيسة فاقتلوه — وقبل ان أفيق من هول المفاجأة شاهدت شخصا ممتلىء الجسم طويل القامة بيده شىء لم اتبين حقيقته للظلام الذى كان يحيط بنا ثم هوى بهذا الشىء على رأسى وصوته يدوى مجلجلا خذها من كامل المحلاوى وسقطت فاقد النطق تنزف الدماء منى بغزارة •



وعلمت بعد ذلك ان الغزاة الفاتحين اقتحموا المعسكر بالقوة وحطموا كل ما وصلت اليه أيديهم واستولوا على الخيام وحملوها على اللوارى كما حملوا جسمى المهلهلة الثياب الغارقة فى دمائها ووضعوها فى اللورى وعادوا الى معسكرهم فرحين بالانتصار الساحق وكانوا يهتفون فى الطريق « يسقط شوقى عبد الوهاب دسيسة الطليان » اذ أن بعضهم ذكر فى التحقيق أنه قيل لهم أن شوقى عبد الوهاب يقوم بتدريب الشبان فى معسكره بشبرا ليبعث بهم ليحاربوا فى صفوف جنود الجيش الايطالى الذى كان يحاول غزو الحبشة وقتذاك • كما علمت أيضا ان جنود البوليس قاموا بضبط الواقعة واقتادوا من استطاعوا الامساك بهم من فلول فرق الرابطة وباشرت النيابة التحقيق والبحث عن قائد الفرق الذى أختطف بعد الاعتداء عليه • واضرب صفحا عن ذكر ما حدث لى وأنا محتجز بمعسكر فرق الشباب الوفدى واوجز القول بان البوليس عثر على جثتى بداخل عربة تاكسى فوق كوبرى شبرا المجاور لمحطة سكة حديد مصر وتعذر أخذ أقوالى لخطورة الاصابة ومن المفارقات العجيبة أنه فى الوقت الذى كان الشعب يهتف ويصفق لوفد المفاوضات وهو يشق طريقه فى شوارع القاهرة كنت أنا بين يدى الطبيب الشرعى يفحص حالتى ليقدم تقريره الى النيابة • ومرة أخرى لااريد الخوض فى تفصيل ما دار فى التحقيق واكتفى بالقول بان بعض من كان بيدهم الحول والطول وجهوا التحقيق الى ما يؤدى الى اعتبار الحادث اشتباكا — أى خناقة — بين الفرقتين يحكم فيها بالغرامة أو الحبس

على المتشاجرين • ولم يأخذ العدل مجراه فى هذه القضية الا بعد صدور قانون حل القمصان الملونة فى عهد وزارة محمد محمود • ويجدر بى الاشارة الى ان ماحدث للمعسكر الرئيسى لفرق الرابطة بشبرا حدث مثله لجميع معسكرات فرق الرابطة فى الاقاليم • وبذلك يكون قد قضى على جميع فرق الرابطة بضربة واحدة ولم يبق فى الميدان سوى فرق الشباب الوفدى • وفى الحقيقة أننى لم أحاول بعد هـذا الحادث اعادة تكوين فرق الرابطة لان الضربة الغادرة كانت شديدة الوقع على نفسى وخلفت آثارا خطيرة دمـرت كل ما كنت أعتقـده فى السياسة الحزبية من قيم ومثل وأيقنت ان المجاهرة بالرأى الحر وقول الحق بدون خشية والعمل الخالص لوجه الله والوطن لا يحظى بالتقدير والاحترام من الزعماء والقادة بل تأكد لى أن هـؤلاء الزعماء قد فتحوا البـاب على مصراعيه للمحاسيب الذين يحسنون انتهاز الفرص للصعود فوق الأكتاف وأنف العاملين المخلصين فى الرغام • ولهذا فاننى بدأت أمهد لاعتزالى العمل الحزبى ، وتم هذا فى منتصف عام ١٩٣٨ • أما فرق الشباب الوفدى فقد صالت وجالت بمفردها ولها تاريخ حافل لا أريد الافاضة فى الحديث عنه ولكن يكفى أن أثبت هنا بعض فقرات وردت عن القمصان الزرقاء فى كتاب تطور الحركة الوطنية فى مصر من سنة ١٩٣٨ الى سنة ١٩٤٨ لمؤلفه الدكتور عبد العظيم محمد رمضان فى صفحتى ١٠٧ و ١٠٨ وهو بالحرف الواحد ما يلى : « وهكذا انقلبت القمصان الزرقاء من مصدر قوة رهيبة للوفد الى مصدر قوة لخصومه حتى أصبح للقصر ـ كما لاحظت جريدة « برمنجهام بوست » أقوى مما كان عليه فى العهد الأخير للملك فؤاد وأصبح الوفد ـ كما قالت الجريدة أيضـا ـ « أضعف ممـا كان » وفى الحق أن فرق القمصان الزرقاء كانت سلاحا ذا حدين • وقد اختار النحاس باشا الحد الذى ذبح به نفسه وحزبه • فأقيل ـ فى وجود القمصان الزرقاء ـ أسوأ اقالة فى تاريخه وتفرق القمصان أيدى سبأ عند أول طلقة أطلقتها حكومة محمد محمود باشا وأزيلت معسكراتهم بين عشية وضحاها فى جميع أنحـــاء البـــلاد » •

وهكذا أسدل الستار نهائيا ليس على القمصان الزرقاء فحسب بل على الفرق الملونة جميعها وأصبحت فى ذمة التاريخ وعصفت الرياح الحزبية الهوجاء بالجهود الوطنية المخلصة التى كنت أبذلها وشاركنى فيها اخوانى الكرماء المخلصون وكان مقصـدنا جميعا أن نؤدى لمصرنا العزيزة بعض ما علينـا من واجبات مقدسة حيالها •

وختاما أرجـو أن أوجه النصيحة خالصـة لأبنائنا من جيل ثورة ١٩٥٢ وما بعدها فى أن يكون عملهم وسعيهم الدءوب من أجل مصر وحدها وأن يكون رأيهم حرا صادرا من أعماق نفوسهم الصافية الشفافة وأن يضربوا من غير شفقة أو رحمة على كل غادر يدبر المؤامرات ضد الوطن المفدى أو يحاول الايقاع بأخيه فى الوطن وأن يسير الجميع وفق المنهج العظيم الذى رسمه لنا خالق السموات

والارض حيث يقول فى كتابه الكريم « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون . وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » .
صدق الله العظيم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مناضل قديم

صفحات مجيدة عن ثورة ١٩١٩ بمدينة سمنود

● يسعدنى أن اذكر فى هذه الرسالة بعض الأحداث الجليلة التى حدثت بمدينة سمنود إبان ثورة ١٩١٩ فقد كنت طالبا بمدرسة سمنود الثانوية وكان ناظرها هو الأستاذ توفيق عبد السيد وكان يلقى علينا فى بعض الأوقات دروسا فى الوطنية .

وفى صباح يوم من أيام الثورة دخل فصلنا وقال ان بعض المواطنين مجتمعون بالمسجد وانهم سيقومون بمظاهرة للاعراب عن شعورهم ضد الاحتلال الانجليزى، وطلب منا أن نتوجه الى المسجد لننضم اليهم ، فخرجنا من المدرسة ومعنا باقى التلاميذ وكان يقودنا الأستاذ ابراهيم فرج الوزير السابق ودخلنا الى المسجد وقلت كلمة قصيرة ، ثم طفنا شوارع سمنود هاتفين « الوطنية ديننا والاستقلال حياتنا » وغير ذلك من الهتافات .. الى أن وصلنا الى الشارع الرئيسى الموازى لجسر النيل ولما وصلنا الى قرب نهايته وقف المتظاهرون يستريحون وطلبوا منى القاء كلمة وحملونى على أكتافهم وكان وقوفنا بالقرب من مخزن « السلطة العسكرية » الذى تجمع فيه الحبوب التى كانت تأخذها من المواطنين بالقوة وبأبخس الأثمان وأذكر بعض الكلمات التى قلتها ، فقد قلت : « أيها المواطنون ان الوطن يناديكم .. انقذوه من قبضة الاستعمار البغيض وطهروا أرضه من آخر جندى انجليزى مهما كلفكم ذلك من جهد ومشقة .. انظروا الى السلطة العسكرية قد أخذت قوتكم رغما عنكم وبأبخس الأثمان » وأشرت بأصبعى الى المخزن فثار المتظاهرون وأخذوا يكسرون أبواب المخزن وهم يرددون : « فلتسقط السلطة العسكرية الى الأبد » واذا بضابط النقطة قد حضر ومعه قوة من عساكر البوليس مدججة بالسلاح واستعملوا الشدة فى تفريق المتظاهرين فأطلق أحد المتظاهرين عيارا ناريا أصاب الضابط وأرداه قتيلا .

ثم يمض الا وقت قصير واذا بقطار مسلح يصل سمنود وبه قوات انجليزية مدججة بأسلحتها ونزلوا من القطار وضربوا حصارا حول المدينة حتى لا يدخلها

أحد ولا يخرج منها أحد وطبعا كنت أعتقد أنى أول شخص سيقبض عليه فأسرعت الى مدينة أجا وأخبرت والدى فأمرنى أن أسافر فى الحال الى القاهرة ٠

وعلمنا بعد أن هدأت الحالة أن الانجليز أقاموا محكمة عسكرية لمحاكمة أهالى سمنود ولكن لم يتقدم للمحكمة أى فرد للادلاء بأية معلومات حتى عساكر الشرطة قرروا أنهم لا يعرفون المتظاهرين ولا من قتل الضابط ووجهت التهمه الى ضابط المدرسة وناظرها ، وحكمت عليها بالسجن سنة أشهر لكل منهما ٠ كما حكمت بالأشغال الشاقة المؤبدة على عمدة سمنود وعلى شيخ الخفراء بالاعدام وكان فى استطاعة ضابط المدرسة تبرئة نفسه اذا ما قال اننى أنا الذى خطبت فى المتظاهرين ويشهد معه الطلبة ولكن وطنيته الصادقة أبت عليه ذلك وكذا وطنية الناظر والطلبة وأنقذوا حياتى من الاعدام ٠

وبعد الافراج عن ناظر المدرسة وضابطها بعد قضاء مدة العقوبة أقامت أسرة الأستاذ ابراهيم فرج حفل تكريم لهما ودعانى الأستاذ ابرهيم فرج لحضور هذا الحفل وفعلا حضرت من القاهرة وألقيت كلمة فى المجتمعين بدأتها بترنيمة الملائكة « المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة » وكان يوما لا ينسى من أيام مصر الخالدة ٠

كامل بولس قدسى
٢٣٢ شارع بور سعيد اسبورتنج الاسكندرية

محمد حنفى الشريف

مناضل قديم مات بعيدا عن وطنه

● رحل عنا منذ أيام مناضل ومجاهد صابر ٠٠ مات غريبا عن وطنه وعاد ليطويه تراب مصر حيث وفد ٠٠٠ وحيث بذل أغلب عمره لوطنه وأفنى من أجله زهرة شبابه ٠٠

تزاملنا معا عام ١٩٣٢ حيث جمعتنا حجرة واحدة فى حى المنيرة كل فى كليته : **الهندسة والطب** ٠٠ وأمضينا معا فترة رتيبة غير قصيرة ٠٠ وما لبثنا ان انخرطنا معا فى ثورة شباب الجامعة ١٩٣٥ وهتفنا مع الهاتفين بحياة مصر وحريتها ودستورها ٠٠ وكنا نغشى المظاهرات فىساحات الكليات وشوارع القاهرة والجيزة مجتمعين تارة ومنفردين تارة أخرى ٠٠ ثم تجمعنا فى المساء غرفتنا المشتركة أو أحد سجون الاقسام ٠٠ أو زنزانتان متجاورتان بسجن الاستئناف أو قرة ميدان ٠٠

وحين أعلنا قيام لجنة الطلبة العليا كان واحدا مبرزا ممن مثلوا كلية الهندسة . ثم امتد نشاطه الى صفوف الشباب فاسهم معنا بقسط وافر فى قيام تنظيماته وكان عضوا بمجلس قيادة فرقة الشباب تحت لواء الوفد ..

ومن المعتقل عام ١٩٤٥ أعلن ترشيح نفسه نائبا عن دائرة سوهاج وابرق لوالده لينوب عنه فى اجراءات الترشيح ويسدد التامين .. وأولاده الناخبون ثقتهم .. تقديرا لكفاحه وتشجيعا له ليواصل مسيرته . وكان الوفد قد قاطع تلك الانتخابات والتى أجراها المرحوم أحمد ماهر .. وأصبح حنفى المعارض الوحيد فى تلك الدورة والتى انتهت عام ١٩٤٩ .. وكان له بها مواقف مشهورة وجولات صارخة فى مواجهة سياسة الحكومة الداخلية والخارجية ..

وفى انتخابات ١٩٥٠ التى أجراها حسين سرى كان مرشح الوفد فى دائرة سوهاج واختاره الناخبون من بين عشرة آخرين ومنهم وفدى آخر ..

وسجلت له منصــة مجلس النواب الجديد مواقف مجيدة يعتز بها كل نائب وطنى ... فلقد أسهم فى منافشة تشريعات الصحافة التى تقدم بها أحد النواب .. ثم شارك أكثر من مرة فى مناقشة القضية الوطنية وقضية فلسطين وهى المناقشة الوطنية التاريخية والتى تجاوبت مع خواطر الحكومة الوفدية وأعلن مصطفى النحاس فى أعقابها الغاء معاهدة ١٩٣٦ وقال من فوق المنصة عبارته المشهورة : من أجل مصر وقعت المعاهدة ومن أجل مصر أطالبكم بالغائها وكان ذلك فى ٨ أكتوبر ١٩٥١ .

ولقد أمضى حنفى الشريف ، ما يناهز سبع سنوات متنقلا بين السجون والمعتقلات .. حتى لقد توفى والده وهو فى سجن القناطر .. ولم يكن يفرج عنه الا ليعود بعد أيام أو أسابيع لنفس السجن أو لغيره .. ولم تكن صورة زائر الفجر غريبة على أهله وأولاده فى منشية البكرى .. وكم من مرة بذلت معه مساومات ليتخلى عن مبادئه دون استجابة منه .. وكانت حريته وسعادة أولاده دائما هى الثمن ..

وغادر أرض وطنه مرات ومرات يضرب فى الارض ويمشى فى مناكبها كلما ضاقت فى وجهه السبل فى وطنه وهو المهندس البــارع .. فسافر الى السعودية مرات ومرات ثم سافر أخيرا الى العراق حتى عاد منه أخيرا جثمانا طاهرا لمناضل شريف ..

وبين دموع زمــلاء كفاحه وعــارفى فضله حمله أبناء سوهاج الى مثواه الأخير ..

مات بعيدا عن وطنه ٠٠ ولكن ذكراه بين المناضلين الوطنيين على أرض الوطن ستبقى خالدة على مر الايام ٠٠

مات ولم يترك لاولاده أو ذويه ثروة ولكن التراث الوطنى الذى تركه يفوق كل ثروة ويفضل كل مال ومتاع ٠

لئن كنت أنعيه اليوم الى الباقين من المناضلين والاحرار من جيلنا ورعيلنا فانه أقدم للجيل الجديد مثلا ، مضيئا من شباب الماضى وصورة بارزة من ايمانه بوطنه واقدامه على التضحية فى سبيل حرية الوطن ورفعته وكرامته ٠٠ وأعرض صفحةمن صفحات الماضى وما حفلت به من بذل وعطاء وكفـاح ٠٠ ان طويت بعض الوقت فسوف تنشر حتما بعد حين ٠٠

د ٠ محمد بلال

عزيز على المصرى : فى مدرسة البوليس والادارة كان يريدهم رجالا أحرارا وفرسانا

صبرى أبو المجد ٠٠

● اطلعت على ما كتبتموه أخـيرا عن عزيز المصرى ، المفتـش العـام للجيش المصرى ٠ وقد أشرتم الى « الخطبة النـارية » ـ على حد تعبيركم ـ التى ألقاها الفريق عزيز المصرى باشا فى الحفلة التى أقـامها خريجو كلية البوليس ـ « مدرسة البوليس والادارة » ٠٠ كما كان يطلق عليها فى ذلك الحين ـ فى فندق هليوبوليس بلاس فى ٢٥ فبراير ١٩٣٨ تكريما له ، باعتباره مديرا سابقا لكلية البوليس ، وعرفانا بمآثره عليها ، وذلك بمناسبة تعيينه كأول مصرى فى ذلك المنصب الكبير ٠

ولما كنتم قد أشرتم الى شخصى ، والى زميلى الأستاذ عبد الله شعيب على اعتبار أننا كنا فى مقدمة الذين تحدثوا فى تلك الحفلة ، وحيث كنا من أعضاء هيئة التدريس للمواد القانونية فى ذلك الحين ٠ ولمـا ذكرتم فى مقالكم أنه « لعل بعض الذين استمعوا الى تلك الخطبة التى ألقاها عزيز المصرى .. يتفضلون فيبعثون الينا ببعض مشاعرهم عندما سمعوا لأول مرة فى حياتهم المفتش العام الجديد للجيش المصرى يتحدث اليهم والى زملائهم من شباب الجامعة والبوليس ، هذا الحديث الجديد فى « نوعه وأسلوبه » ٠٠ لذلك ، رأيت ان أبعث اليكم بهذه الكلمة ، التى آمل الا تقصر ، رغم قصرها ، دون تحقيق هدفها وهدفكم ٠

لا أكتمكم ان ما ذكرتموه عن ذلك « الحديث الجديد فى نوعه وأسلوبه » ٠٠ وان كان يعد جديدا غريبا حين يصدر فى اجتماع عام من مفتش عام للجيش

المصرى ، فى عهد الاحتلال الانجليزى ٠٠ الا ان مثل ذلك لم يكن جديدا على ولا غريبا على مسمعى ٠ الذى طالما استمعت منه الكثير من عزيز المصرى ، سواء فى أحاديثه الشخصية معى ومع غيرى ، أو فى تعليقاته على المحاضرات العامة التى كان يكلف بتحضيرها بعض الطلبة ، لالقائها على طلبة الكلية جميعا ٠٠ فى اجتماع كان يحضره أساتذة الكلية وضباطها ٠

كانت تعليقات عزيز المصرى تتسم بصراحة وجرأة نادرتين ، ندرة ليس وراء حدودها أى حد ، ولم يعرف مثلها من قبل ولا من بعد ٠ اذ كانت تعليقاته من ذلك الطراز الذى يثير عليه رجال الحكم ، لاسيما ان العهد كان وزارة صدقى باشا ، ذات النزعة الديكتاتورية ٠

ولقد كان عزيز المصرى يهدف من وراء تعليقاته ــ فيما كان يهدف اليه ــ الى ان يجعل من الطلبة والضباط ، رجالا يحسنون بعملهم وخلقهم خدمة بلادهم ، وان يجعل من مدرستهم ــ على حـــد تعبير مقالكم ــ « مدرســة الرجولة والفروسية » ٠٠ بل « مدرسة الحرية » ٠٠ على حد تعبيره فى الحفلة التى أقيمت بمناسبة تركه مدرسة البوليس ، واختياره رائدا لفاروق ولى العهد حين بعث به والده الملك فؤاد الى انجلترا للدراسة عام ١٩٣٥ ٠

والحقيقة أنه قد ربطتنى بذلك الرجل العظيم ــ منذ التحاقى بهيئة تدريس المواد القانونية فى الكلية فى العام الدراسى ١٩٣٢/١٩٣٣ ــ رابطة قوية ، زادها قوة مرور السنين حتى سنة انتقاله الى رحمة الله عام ١٩٦٤ ٠٠

وقد عرفت الكثير عن هذه الشخصية الفذة العظيمة ٠٠

رحم الله عزيز المصرى ٠٠ ولكم منى صادق التحية والتقدير ٠

د ٠ عبد الحميد متولى
أستاذ غير متفرغ بكلية الحقوق

كيف سقط النحاس باشا فى دائرة سمنود سنة ١٩٣٨ أمام على المنزلاوى

صبرى أبو المجد ٠٠

تحيــة وطيبــة وبعـــد :

أتابع باهتمام بالغ ما تنشرونه من بحوث عن سنوات ما قبل الثورة التى تبذلون فيها الجهد الجهيد لانارة الطريق أمام أبنـــاء الجيل الجديد وذلك بروح وطنية صادقة ٠

وقد جاء تحت العنوان الآتى :

« تمت هزيمة النحاس باشا الأولى فى دائرة سمنود على يد المنزلاوى مرشح الحكومة » . وتوضيحا لظروف هذه المعركة التى عاصرتها آرى احقاقا للحق بيان الأمور الآتية :

أولا : لم تكن هزيمة النحاس باشا ضد المنزلاوى فى انتخابات سنة ١٩٣٨ هى الهزيمة الأولى بل سبقتها هزيمة أخرى فى انتخابات سنة ١٩٢٥ اذ انتخب وقتئذ على المنزلاوى بك نائبا بمجلس النواب عن هذه الدائرة وقد حاز الوفد المصرى أغلبية كبيرة فى تلك الانتخابات ولم يكن النحاس باشا الوزير الوفدى السابق بين الفائزين وعندما علم بهذا النبأ رئيس الوفد سعد زغلول باشا أرسل اليه برقية مجاملة يقول فيها : « ان لم تكن معنا بجسمك فأنت معنا فى مجلس النواب بروحك » وكثير من الذين عاصروا نتائج تلك الانتخابات ما زالوا يذكرون عبارات البرقية التى خص بها زغلول باشا زميله فى الوفد المصرى .

ثانيا : ليس صحيحا أن المنزلاوى بك كان مرشح الحكومة فى انتخابات سنة ١٩٣٨ بل تقدم لترشيح نفسه مستقلا عن الأحزاب وكان قد استقال من حزب الأحرار الدستوريين قبل ذلك بسنوات ولم يرد اسمه فى قائمة مرشحى الحزب وانما تقدم فى تلك المعركة معتمدا على الله وعلى ماضيه وجهاده السياسى منذ مطلع شبابه فضلا عن صلاته الوثيقة بالدائرة التى لم تنقطع منذ أن فاز فى انتخابات الجمعية التشريعية سنة ١٩١٣ على منافسيه قبل الحرب العالمية الأولى وحين كان النحاس باشا بعيدا عن أى نشاط سياسى بل كان يعمل حينذاك قاضيا فى محراب العدالة .

ثالثا : عند بدء الانتخابات شعر النحاس باشا بحرج مركزه وخاصة بعد الحملات الصحفية العنيفة التى كانت قد اشتدت ضده فى أواخر عهد حكومته من كبار مؤيديه السابقين من صحفيين وسياسيين أمثال المرحومين الأستاذ عبد القادر حمزة والأستاذ عباس محمود العقاد وصحيفة روز اليوسف فضلا عن خروج بعض أقطاب الوفد أمثال الدكتور أحمد ماهر ومحمود فهمى النقراشى والدكتور حامد محمود والأستاذ محمود غالب والأستاذ ابراهيم عبد الهادى وغيرهم الذين عارضوا بشدة بعض تصرفاته فى أثناء توليه الوزارة خلال عامى ١٩٣٦ و ١٩٣٧ ونتيجة لذلك رأى النحاس باشا أو نصحه أنصاره بالتقدم فى دائرة انتخابية ثانية الى جانب دائرة سمنود أخذا بالأحوط فرشح نفسه لأول مرة فى دائرتين الأولى سمنود والثانية دائرة فى شمال الدلتا قد تكون دائرة

الزعفران على ما أذكر مؤيدا من أنصار آل سراج الدين هناك أليس فى هذا الاجراء دليل على عدم اطمئنانه بالفوز فى دائرة سمنود مسقط رأسه ؟ ٠

رابعا : جاء بدراستكم ما يلى :

« ورغم ان على المنزلاوى بك يتمتع فى قريته وما حولها بتأييد قوى الا ان مصطفى النحاس كان يتمتع فى عاصمة المركز مركز سمنود وما حولها بتأيد جارف ولم يكن يتصور أحد انمصطفى النحاس كان يمكن ان يسقط فى دائرته لولا تدخل الحكومة الى جانب مرشحها على المنزلاوى بك فقد ظل مصطفى النحاس باشا منذ بداية الحياة النيابية نائبا عن سمنود كما ان خدماته لابناء الدائرة وعرفان أبناء هذه الدائرة بأفضال مصطفى النحاس عليهم كانت تفرض نجاحه فى سهولة ويسر »

وتعقيبا على ذلك أقول ان النحاس باشا قد نال الاغلبية الساحقة فى عاصمة المركز بحيث لم ينل المنزلاوى بك سوى ١١١ صوتا من حوالى ثلاثة الاف صوت أليس فى هذا دليل على حيدة الانتخابات وأضيف الى هذا ان النحاس باشا قد وقع على أنه ليس له مندوب فى لجان الانتخابات فى قريتى أبى صير بلدة المنزلاوى وشبرا بابل بمعنى أنه لم يجد له نصيرا بهما لمراقبة عملية الانتخابات نيابة عنه وهاتان القريتان عدد الناخبين بهما يكاد يعادل عدد ناخبى سمنود فضلا عن قرى اخرى لم تكن تؤيده ٠

وفوق هذا فقد حاز النحاس باشا فى تلك الانتخابات حوالى ٤٣٠٠ صوت مقابل ٥٢٠٠ صوت حازها المنزلاوى أى أن الفارق كان فى حدود تسعمائة صوت فقط ٠ فهل هذا هو التزييف اذا عقدنا مقارنة بفارق الأصوات فى الدوائر الأخرى ذلك أن دائرة سمنود كانت محط الأنظار فاذا كانت الحكومة قد تدخلت فى دوائر أخرى فانها كانت حريصة كل الحرص على الابتعاد عن التدخل فى هذه الدائرة وخاصة ان منافس النحاس باشا لم يكن فوزه ذا أهمية لديها فلم تكن قد زالت بعد من النفوس أثار قضيته ضـد جريدة السياسة التى كسبها فى الجولة الأخيرة أمام محكمة النقض التى أدانت مسلك الصحيفة المذكورة

وأخيرا أرجو الا أكون قد اطلت فقد حاولت الايجاز قدر المستطاع ولم أذكر كثيرا من الوقائع التى عاصرتها مؤثرا التركيز على ما كان منها أكثر دلالة واعم نفعا فى كشف الغموض عن بعض صفحات تاريخنا واحداثنا قبل سنوات الثورة ٠

مصطفى المنزلاوى

قصة الخلاف بين حسن صبرى باشا وابراهيم دسوقى أباظة باشا حول التجهيز لانتخابات ١٩٣٨

أخى الاعز الأستاذ الكبير صبرى أبو المجد ..

تحية طيبة واجلالا .. وبعد ..

فلعلك لا تدرى مقدار الأكبار الذى نقرأ به لك عرضك لتاريخ ما قبل الثورة فهو عرض فيه الامانة المطلقة والحيدة البعيدة كل البعد عن المظنة . الأمر الذى افتقدناه فلم نجده منذ سنوات ..

ولقد تفضلت فذكرت فى عدد سابق أبى المرحوم ابراهيم دسوقى أباظة وانى لاشكر لك كلمة الحق التى ذكرته بها وانتهز الفرصة لاطلعك على أمر أشرت فى كتابتك أنك لا تعرف السبب فيه . والواقع ان أحدا لا يعرف هذا السبب الا نحن الذين كنا فى البيت ونعرف من دخائله ما لا يعرفه أحد .

وكان هناك اجتماع مجلس وزراء فى اليوم الذى كان محددا لتوقيع مرسوم لانتخابات عام ١٩٣٨ التى جرت فى ظل وزارة محمد محمود باشا التى ائتلف فيها الاحرار الدستوريون مع الهيئة السعدية . وكانت تلك هى المرة الاولى التى تشترك فيها الهيئة السعدية فى الوزارة بعد انشقاقها عن الوفد . وكان أبى بوصفه سكرتيرا عاما لحزب الأحرار هو الذى يعد قوائم الترشيح بالاتفاق مع الهيئة السعدية . وبينما كان أبى مشغولا بهذا العمل المضنى دق جرس التليفون فى بيتنا وكان المتحدث المرحوم حسن باشا صبرى . فطلب الى أبى ترشيح شخص معين فى دائرة معينة فقال أبى :

ـ ان هذه الدائرة بها شخص سعدى ومتقدم لها مرشح على مبادىء حزب الأحرار الدستوريين ولهذا لا يمكن ترشيح أحد آخر فى هذه الدائرة ..

فاذا بحسن باشا يقول :

ـ أتناقشنى ؟

ودهش أبى ولم يجد شيئا يقوله الا أن يضع سماعة التليفون دون أن يجيبه .

وبعد أن حدثت أزمة وزير الزراعة قرر محمد محمود باشا اختيار أبى لوزارة الزراعة وأعد المرسوم فعلا ..

وكان هناك اجتماع مجلس وزراء فى اليوم الذى كان محددا لتوقيع مرسوم أبى فأنهى محمد محمود باشا الجلسة وقال معتذرا للوزراء أنا ذاهب للسراى لأوقع مرسوم وزير الزراعة وقد اخترت لها وزيرا « برلنته » أى ماسة . وهو دسوقى أباظة . وظهر الابتهاج على الوزراء جميعا الا أن حسن باشا صبرى قال :

ـ دسوقى أباظة يدخل من هذا الباب وأنا أخرج من هذا الباب .

وهكذا لم يتم تعيين أبى فى هذه الوزارة .

بقى أن أكمل القصة لان فيها ما يستحق الذكر .

لقد ألف حسن باشا صبرى الوزارة بعد ذلك ولم يدخل فيها أبى طبعا . أما الذى لعله يدهشك أن أبى طوال فترة وزارة حسن باشا صبرى كان يمدح سياسته مدحا شديدا لنا نحن أهل بيته . وكنت أعجب بهذا الرجل الذى استطاع أن يجعل ميزان العدل عنده بهذه النزاهة .

ولعلك تحب أن تعرف نهاية هذه الخصومة ..

حدث بعد ذلك أن اختلف حزب الأحرار مع الهيئة السعدية فى مشكلة دخول الحرب ووضح هذا الخلاف فى أشد صوره حين رشحت الهيئة السعدية المرحوم الدكتور أحمد ماهر باشا لرئاسة مجلس النواب ورشح حزب الأحرار الدستوريين أبى . وكان موقف أبى فى هذه الانتخابات قويا . وأذكر أننا بينما نحن جالسون بحجرة مكتبه فى المنزل أن دقت باب المكتب يد مهذبة ثم فتح الباب لنرى الأستاذ ميشيل ساويرس تشريفاتى رئيس الوزراء يتوسط الحجرة ويقول فى أدب جم :

ـ دولة رئيس الوزراء ..

فقمنا جميعا وتقدمنا أبى الى بهو البيت حيث كان يقف حسن باشا صبرى وهو يقول :

ـ أهلا رئيسنا .. أهلا رئيسنا ..

اشارة الى توقع فوزه برئاسة مجلس النواب وتعانق الرجلان ثم انفردا فى غرفة الاستقبال مدة أذكر أنها تجاوزت الساعة ونصف الساعة ..

ثم انصرف حسن باشا صبرى .

وكانت المرة الأخيرة التى رأيناه فيها فقد كان افتتاح البرلمان بعد هذه الزيارة بأيام قليلة وحدث ما نعرفه جميعا ومات رحمه الله وهو يلقى خطبة العرش ..

حياك الله يا أخى صبرى فقد أتحت لى أن أروى ذكريات حبيبة الى نفسى وليس عجيبا أن يثير شخص حبيب مثلك كل ما هو حبيب الى نفوسنا ولك كل اجلالى ..

ثروت أباظة

البنداری وقصص أخری فی
سنوات ما قبل الثورة

أخی صبری :

فی مسلسلتك التاریخیة روایات لها تتمة عندی ألخصها فیما یلی :

الانتخابات البرلمانیة التی أجرتها وزارة محمد محمود فی ربیع سنة ١٩٣٨ كان من المقرر أن تكون فرص السعدیین والدستوریین فیها متساویة ، وكان محمد محمود ـ وهو زعیم الدستوریین ـ حریصا علی ذلك لدرجة أنه أبعد عن السلطة أحد أقربائه ، وهو المرحوم محمود غزالی مدیر محافظة البحیرة اذ ذاك لانه رجح كفة الدستوریین علی السعدیین ، ولم یكن أحد الحزبین یخشی قلة التأیید له فی مجلس النواب لان الاتفاق بینهما كان قائما علی أساس أن یتبادل الحزبان ریاسة الوزارة وریاسة مجلس النواب أو مجلس الشیوخ ، فحین كانت ریاسة الوزارة للدستوریین كانت ریاسة مجلس النواب للسعدیین ، وحینما آلت ریاسة الوزارة للسعدیین كانت ریاسة مجلس الشیوخ للدستوریین ٠

أما قصة الأستاذ كامل البنداری « باشا » أو « الباشا الاحمر » كما كانوا یسمونه فی الجیل السابق فخلاصتها ما یأتی :

أراد محمد محمود أن یجمع فی وزارته « وزارة أول ینایر سنة ١٩٣٨ » عنصری الشیوخ والشباب ، وكانت كلمة « شباب » اذ ذاك تطلق علی من هم دون الخمسین بشرط أن یكونوا فوق الأربعین ، فاختار لعنصر « الشباب » فی الوزارة الدكتور محمد حسین هیكل والأستاذ كامل البنداری وعدل عن اختیار المرحوم دسوقی أباظة رغم كونه سكرتیر عام الحزب لانه كان یوم تشكیل الوزارة دون الخامسة والأربعین ربما بأیام ٠٠ وكان علی ماهر « باشا » رئیس الدیوان الملكی متحمسا لترشیح البنداری ٠٠ وكان لهذا التحمس ما بعده ٠

فذات یوم دخل محمد محمود مجلس الوزراء أثناء انعقاده ، وكان قادما من القصر الملكی ، فبدأ حدیثه الی الوزراء قائلا : « اللی مش قادر یكتم أخبارنا عن السرای یبقی مش عاوز یقعد معانا » ٠

وعقب هذه الجلسة خرج البنداری من الوزارة وعین علی الفور وكیلا للدیوان الملكی ٠٠ وكان الذی اقترح هذا التعیین بطبیعة الحال هو رئیس الدیوان الملكی علی ماهر ٠

وفجأة أعلن ابراهیم الهلباوی بك شیخ المحامین وصدیق علی ماهر عن اقامة حفل تكریم للبنداری بفندق الكونتننتال وكان الهلباوی سعیدا باقامة هذا

الحفل لانه اعتبره ردا على عدم ترشيح محمد محمود له عند تشكيل الوزارة ٠٠ وفى هذا الحفل ألقى الأخ الأستاذ أحمد حسين ـ بوصفه اذ ذاك رئيسا لحزب مصر الفتاة ـ كلمة قصيرة ، لكن هذه الكلمة القصيرة كانت لها صلة ما بتفسير بعض ما حدث فيما بعد ٠

فقد حدث فيما بعد أن سافر على ماهر باشا الى لندن على رأس وفد مصرى، بقرار من الحكومة المصرية ٠ لحضور مؤتمر المائدة المستديرة فى لندن ، وكان هذا أول مؤتمر رسمى يجمع بين الدولة المنتدبة على فلسطين ، وهى بريطانيا ، وبين ممثلى عرب فلسطين واليهود وبين مندوبين من البلاد العربية بزعامة مصر ٠٠ وليت الاخوة الفلسطينيين عرفوا كيف يغتنمون فرصة هذا المؤتمر ، فقد كان المشروع البريطانى يعطيهم ثلثى فلسطين ولليهود الثلث فقط ٠٠ وكان يعطى الفلسطينيين الادارة ببعض المشاركة من جانب اليهود والمسيحيين ٠٠ لكنهم رفضوا المشروع كله بسبب بعض القيود الوقتية !!

ولقد كان طبيعيا أن يقوم بأعمال رئيس الديوان الملكى أثناء غيابه وكيل الديوان « كامل البندارى باشا » ٠٠ ولاحظ على ماهر رئيس الديوان ، وهو فى لندن ، أن تقاربا شديدا قد ظهر بين الملك وبين وكيل الديوان لدرجة أن البندارى استطاع أن يقنع الملك بتوجيه بيان سياسى « حماسى » الى الأمة ، وقد قيل اذ ذاك أن هذه « الحماسة » ترجع الى استعانة البندارى باشا بصديقه الأستاذ أحمد حسين فى كتابة هذا البيان ٠٠

من هنا جاءت استقالة على ماهر من رياسة الديوان الملكى عقب عودته من لندن ٠ لكنه لم يكتب هذه الاستقالة الا بعد أن كان قد أقنع الملك بخطأ هذه السياسة « الحماسية » ٠٠ واتفق الاثنان ـ الملك ورئيس ديوانه ـ على أن وجود البندارى بين مستشارى الملك قد صار يشكل خطرا ٠

وكما كان على ماهر قد أدخل « صديقه » البندارى الى القصر أخرجه منه ٠٠ وكان خروج البندارى هو ثمن سحب استقالة على ماهر اذ كانت استقالته فى تلك الظروف تشكل هزيمة لسياسة الملك الذى لم يكن ٠٠ ولى العرش الا منذ سنة واحدة ٠ وكان يتردد فى الأوساط السياسية أن ارتقاء الملك فاروق للعرش لم يخل من خدمة أداها له على ماهر حينما كان رئيسا للوزارة حين قرر أن ولى العهد ، أو الملك تحت الوصاية « فاروقا » ، سيبلغ سن الرشد التى تمكنه من ارتقاء العرش بالتاريخ الهجرى وليس بالتاريخ الميلادى خلافا لما هو معمول به دائما ، فاختصر بذلك حوالى عشرة أشهر من فترة الوصاية على فاروق ٠

وبقى أن أشير اشارة خفيفة الى اللبس الذى جاء عفوا فى هذه الدراسة بين « مصطفى » وبين « على » عبد الرازق ٠٠ فالوزير الذى دخل منهما وزارة محمد محمود ثم عين شيخا للأزهر هو مصطفى عبد الرازق ، وليس مصطفى هو مؤلف كتاب « الاسلام وأصول الحكم » انما ألفه شقيقه على عبد الرازق » يرحمهم الله جميعــا ٠

حافظ محمود

أسألك العفو عمن جهل قدر المعرفة والعلم

الكاتب والمؤرخ :

صبرى أبو المجد ٠٠

أهديك تحيــة الاسلام والسلام ، وأكتب اليك بعد أن قرأت لك مؤخرا تعقيبا على من لم يتفق معك فيما تكتب عن تاريخ مصر المعاصر ٠ وذلك فى عدد ١١ يناير ١٩٨٠ والذى قرأته عند عودتى من الخارج أخيرا ٠

لقد أحسست فى تعقيبك مرارة وأسى ، تسيل من قلبك الى قلمك وكلمك، فخشيت عليك انقباض النفس وانحباس الفكر وعزوف الارادة وانزواء القلم ، عما تقوم به من عمل تاريخى ثقافى حضارى شامخ ٠ فبادرت بالكتابة اليك لأعبر عن تقدير متواضع لما تقوم به من عمل رائع ٠

فأنت تسجل لأهم قضايا التاريخ السياسى المعاصر لحقبة من الزمن اعتورها تغيير اجتماعى وثقافى سريع الخطوة متعدد الاتجاهات ٠ كانت فيه مصر والمصريون بوتقة تفاعلت فيها روح مصر الشابة المتعلقة بالقيم الانسانية الأصيلة ، والمصارعة مع دكتاتورية القصر وأطماع القوى الاجنبية وعلى رأسها الانجليز ٠

فانت تكتب وتسجل لتاريخ هذه الحقبة ، والتاريخ ركن من أركان الثقافة والمعرفة ولذلك أفردت الكتب السماوية له فيها مكانا واهتماما فيه من رسالة حضارية وانسانية يحملها السلف الى الخلف ٠

وما كان التاريخ ليخلو من اختلاف فى تفسيره ، وتلك سنة الخالق فى الخلائق ٠ ولكن الخطأ كل الخطأ ، أن يخرج فى الرأى عن الموضوعية العلميــة الى حدود الاسفاف والنزق ، والخروج عن المألوف والمعروف ، حاجبا تلك الاشراقة الحضارية والثقافية والعلمية ٠

فهل لى أن أسألك العفو عمن جهل قدر المعرفة والعلم والتاريخ ٠ كما أسألك المزيد ، وفقك الله الى كل ما تريد ٠

فالله سبحانه وتعالى بارك فى المعرفة والعلم وجعلهما فى مراتب التقوى والايمان ٠

والسلام عليك ومنك ولك ٠

المخلص

د ٠ محمود محمد محفوظ

رئيس مجلس أدارة الجمعية المصرية لنشر الثقافة والمعرفة العالمية

● اؤكد للأستاذ الدكتور محمود محمد محفوظ ، أستاذ علاج الاورام بالاشعاع والطب النووى أننى وان كنت قد جزعت حقا لما ورد فى رسالة القارىء اياه ، الا أنى لم أفكر فى العزوف عن تكملة سنوات ما قبل الثورة وخاصة أن العديد من الرسائل الكريمة التى يتفضل بها على القراء الكرام ومنهم الأستاذ الدكتور محمود محمد محفوظ ، تزيدنى قوة ، وتبعث فى الأمل الذى أرجو ان يبقى مابقيت الحياة ٠ **ص ٠ أ**

اعتذار واستدراك :

وأنا أكتب عن اعادة تشكيل وزارة محمد محمود باشا الثالثة وقع خطأ مطبعى اذ ورد اسم الشيخ على عبد الرازق مكان شقيقه الأستاذ مصطفى عبد الرزاق وانى اذ أعلن اعتذارى وأسفى عن هذا الخطأ ، الذى كثيرا ما يحدث فى دنيا الطباعة خاصة وأننى سبق ان ذكرت قصة الشيخ على عبد الرازق وكتابه : الاسلام وأصول الحكم ،كيف أن الملك فؤاد قد وضع « فيتو » على آل عبد الرازق جميعا ، بسبب ذلك الكتاب وأكثر من مرة كان حزب الأحرار الدستوريين يتقدم باسم الشيخ مصطفى عبد الرازق ضمن المرشحين للوزارة فكان الملك يشطب الاسم كما أننى سبق أن قلت أن وزراء الأحرار الدستوريين قد استقالوا من وزارة زيور باشا ـ وزارة انقاذ مايمكن انقاذه أو وزارة اغراق مايمكن اغراقه بسبب الخلاف الذى نشب فى الوزارة حول كتاب الاسلام وأصول الحكم ، لمؤلفه الشيخ على عبد الرازق ، وكان وقتئذ قاضيا بمحكمة المنصورة الشرعية وقد تلقيت رسالة من أستاذى د٠ مهدى علام ، حول هذا الخطاب ، سعدت بها للغاية ، حتى لقد حببت الى الوقوع فى الأخطاء لكى أتلقى مثل تلك الرسائل المفعمة بالحب والود ، وفيما يلى رسالة الدكتور مهدى علام :

عزيزى الأستاذ صبرى أبو المجد ٠٠

أخلص تحياتى وتعبيرى عن الاعجاب بما تسطره من سنوات ما قبل الثورة وأرجو أن تأذن لى فى الاستدراك الآتى خاصا بالمرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق،

فقد جاء أن من وزراء وزارة محمد محمود باشا الثالثة « الشيخ مصطفى عبد الرازق الذى كان اشتراكه لأول مرة فى الوزارة حدثا سياسيا بارزا بعد أن رفع القصر عنه « الفيتو » الذى كان قد وضعه على اشتراكه فى الوزارة من قبل ، بعد أن أصدر كتابه « الاسلام وأصول الحكم » ، الذى رأى فيه الملك فؤاد محاربة لمطامعه السياسية التوسعية » .

والذى أصدر كتاب « الاسلام وأصول الحكم » هو المرحوم الشيخ على عبد الرازق . شقيق المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق . وقد كان كل منهما عضوا فى مجمع اللغة العربية .

ولك منى أخلص التحية والتقدير ..

المخلص

مهدى علام

الأمين العام ، لمجمع اللغة العربية

رسالة أخرى من د. مهدى علام

عزيزى الأستاذ صبرى أبو المجد ..

أعمق تقديرى لصدق الرواية ، ودقة التاريخ لما تكتبه ، وبعد .. فأنا لا أفكر مطلقا ان أنافس الأستاذ « عيسى متولى » فى موالاة الكتابة الى الصحف ، ولكن عبارة وردت فى حديث الأستاذ الفاضل « حافظ محمود » تحتاج الى هذا الاستدراك الذى أستأذنه — عن طريقك — فى أن أرسله اليك .

فقد جاء فى حديثه عن شعور الملك السابق « فاروق » بصنيع « على ماهر باشا » نحوه قبل اعتلائه العرش : « ان ارتقاء الملك فاروق للعرش لم يخل من خدمة أداها له « على ماهر » حينما كان رئيسا للوزارة ، حين قرر أن ولى العهد ، أو الملك تحت الوصاية ، « فاروقا » سيبلغ سد الرشد التى تمكنه من ارتقاء العرش بالتاريخ الهجرى ، وليس بالتاريخ الميلادى ، خلافا لما هو معمول به دائما » .

وأستأذن فى التنويه بأنه كان لهذا الرأى سابقة ، حينما عاد الأمير « عباس حلمى » من النمسا « حيث كان يدرس » — على اثر وفاة والده « الخديو توفيق » . وكان عمر الأمير أقل من ثمانية عشر عاما بالتاريخ الميلادى ، فصدرت فتوى بأن

ولى العهد ــ وهو أمير مسلم ــ تحسب سنه بالتاريخ الهجرى . وبذلك تمكن من اعتلاء « الأريكة الخديوية » باسم « عباس حلمى الثانى » .

مع أخلص شكرى وتحياتى ، لك وللأستاذ الجليل « حافظ محمود » .

المخلص
مهـدى عـلام

ورسالة من مخرج اذاعى

.. صبرى أبو المجد :

تحية واحتراما ، وبعـــد ..

فانى أتابع بشوق كل ما تكتبونه عن « سنوات ما قبل الثورة » وما تحويه من وقائع وحقائق تدخل فى سجل التاريخ ، وكان الشباب فى مصر يجهل كل ما كان يجرى فى أرض الوطن العزيز ، ولكنكم استطعتم أن توجهوا الأضواء الى كل هذه الحقائق والوقائع ، مدعمة بالصور ، فوضعتم صورة صادقة صريحة وواضحة أمام الجميع .

وأعجبت جدا بشجاعتكم الأدبية حينما نشر اسم احدى الصور خطأ وأرسل لكم أحد قرائكم يقول انه « خطأ مطبعى » وكان ردكم عليه أنه ليس خطأ مطبعيا ، ولكنه خطأ الأرشيف ، وأخذت على نفسك عهدا بأن تراجع كل شىء حتى أسماء الصور ، ونسبت الخطأ الى نفسك ، وهى شجاعة نادرة فى عالم الصحافة اليوم ، وقد لمسنا ذلك بأنفسنا ، فلم نجد صورة خاطئة ، أو اسما خاطئا ، وهذا يدل على الجهد الكبير الملموس الذى تبذلونه لخدمة كل قرائكم ، ولخدمة الوطن العزيز ، وتبيان ما كان يجرى فى الماضى تحت ستار الملكية والأحزاب .

هذه كلمة حق رأيت أن أكتبها لكم تقديرا لجهودكم فى خدمة الوطن .

محمود أبو طالب
مخرج باذاعة القرآن الكريم ــ القاهرة

تصويبات لغوية وتاريخية

صبرى أبو المجد ..

حرصى على قراءة ما تكتب يجعلنى أسأل لماذا استخدمت كلمة « دعاوة » بدل كلمة « دعاية » وهى صحيحة . وأكثر استعمالا . جاء فى القاموس المحيط للفيروز بادى جـ ٤ مادة « دعا » فى آخر المادة « ودعيت لغة فى دعوت » .وعلى ذلك يكون الاسم « الدعاية » صوابا ، وهى كلمة خفيفة وأكثر استعمالا كما ذكرت .

وتحيـــة لـكم ..

فريد رمضـان
مدير التوجيه المعنوى
« سابقا بوزارة التربية والتعليم »

● شكرا لأستاذنا « فريد رمضان » على كلمته وأحب أن أقول له أننى لا أستعمل الكلمات غير الشائعة ولكننى ، عندما أنقل نصا لكاتب معين أحرص على أن أنقل النص كما هو احتراما لهذا النص بل أننى أحرص على أن أبقى على ما به من أخطاء حتى لا أخرج على النص وان كنت أفضل بعد نقل النص ، التعليق على ما به من أخطاء ان وجدت .

ص . أ

الأستاذ صبرى أبو المجد ..

تحية طيبة واحتراما .. وبعـــد .

لقد أسعدتنا بنشر المذكرات التاريخية وأعدت الى أذهاننا كثيرا من الحوادث السياسية الهامة التى عشناها فى العشرينات والثلاثينات وهى لا شك فكرة جميلة أنعشتنا نحن الذين جاوزنا السبعين من العمر . وفقك الله وسدد خطاك .

الأستاذ الكبير ..

لقد نشرت صورة فى عدد المصور الذى صدر فى ١١ يناير سنة ١٩٨٠ للمغفور له الزعيم العظيم سعد زغلول وبجواره الأمير السعودى « فيصل » كما جاء أسفل الصورة للتعريف .

والحقيقة أن الصـــورة المجاورة للزعيم الراحل هى صـــورة الأمير سعود ابن عبد العزيز « الملك سعود بن عبد العزيز فيما بعد » وقد حضر الأمير سعود

الى القاهرة للعلاج من مرض فى عينيه وسكن هو وحاشيته بحى المنيرة بالقرب من قصر العينى وبالتحديد شارع المواردى • بالقرب من فيللا المرحوم مصطفى منير أدهم بك الذى كان سكرتيرا عاما لمصلحة التنظيم فى هذا الوقت وقد كان سيادته المرافق والمشرف على شئون الأمير طيلة مدة اقامته بمصر وترى صورة سيادته المرافق والمشرف على شئون الأمير طيلة مدة اقامته بمصر وأطال الله حياتكم وجزاكم عن عملكم هذا خير الجزاء •

والسلام عليكم ورحمة الله ••

محمد حامد ابراهيم
المراقب العام السابق لمجمع اللغة العربية

اننى أسجل أحداثا وقعت منذ نصف قرن وهى ملك للتاريخ •• لا لأفراد أو هيئات

● الله وحده يعلم كم أتحمل ، وكم أقاسى من أجل كتابة تاريخ سنوات ما قبل الثورة بالصورة التى أكتبها بها • وخلال عملى بالصحافة ، لا أذكر أننى أجهدت نفسى فى عمل قدر اجهادى فى اعداد تأريخ سنوات ما قبل الثورة ولا أذكر أبدا ، أننى فى حياتى السياسية أوليت اهتماما بتاريخ مرحلة من مراحل تاريخنا اهتمامى بتاريخ تلك الفترة الهامة من تاريخ بلادنا •

وكل ما أبذله ـــ ولله الحمد ـــ من جهد ، واجهاد ، واهتمام ، أبذله راضيا سعيدا ، لاننى أقدم ما يرتاح اليه ضميرى ، وما أجد له استجابة سريعة عند القراء كل القراء ، الذين يشجعوننى من أجل الاستمرار فى أداء تلك المهمة الوطنية الهامة والخطيرة •

ولا يضايقنى شىء ما وانا أؤدى هذا الواجب الوطنى على النحو الذى يرتضيه ضميرى الا بعض أولئك الذين يقولون أنهم ينتسبون الى الوفد المصرى ، فهذه القـلة الضئيلة التى لا تتجـــاوز فى العـدد بضعة أفراد قد دأبت على أن تشكرنى ، وتشيد بعملى اذا ما كتبت ، من وجهة نظرهم ، مع الوفد • كما أنها قد دأبت على أن تحـاول الاساءة الى عن طريق رسـائلها ، الغفل من الامضاء باستمرار بكل أسف اذا ما كتبت ، ومن وجهة نظرهم • نقدا ، ورغم اننى قلت مرات عديدة أننا نكتب للتاريخ ، والحوادث التى نتناولها بالتأريخ ، قد مضى عليها ما يقرب من نصف قرن ، وقد أصبحت تلك الاحداث ، ملكا للتاريخ ، وليست ملكا لافراد ، أو لمجموعات صغيرة أو كبيرة وانه حتى لو وقعت فى تلك

الفترة جرائم ، فلقد سقطت بمضى المدة قانونا . و . و . الخ . رغم كل ماكتبته حول هذا الموضوع من قبل الا أن بعض «الأفراد» لا يزالون يكتبون بل لا يزالون يهاجمون وبعنف كاتب هذه السطور اذا هو انتقد الوفد نقدا موضوعيا خالصا ورغم أن القيادات الوفدية القديمة ـ القيادات بحق ـ تولى كتابتنا لتاريخ تلك الفترة . كل عناية ورعاية وتتقبل . كل انتقاداتنا . برحابة صدر . بل ان بعض هذه القيادات ، التى لعبت أدوارا هامة فى رسم سياسة الوفد . لا تتوانى عن الأخذ بوجهة نظرنا فى كثير من الانتقادات التى نوجههـــا للوفد فى الحكم . أو خارجه ، الا أن بعض هؤلاء الأفراد ، يواصلون ارسال رسائلهم . الى كاتب هذه السطور ومن بين ما تلقيته كلمة جاءتنى بتوقيع « مصرى منصف » .

ولقد ســـبق لى ـ فى أكثر من مرة ـ أن دعوت هؤلاء . الى أن يقرأوا ما أكتبه كل ما أكتبه ، لا أن يقرأوا سطرا ، ويتركوا سطرا . يقرأون ما أكتبه بهدوء ، فكل شىء مضى ، وانقضى ، ونحن لا نكتب عن الماضى الا لنســـتفيد منه فى الحاضر والمستقبل ، ويكفينى فخرا ، أننى من أوائل من تحدثوا عن الماضى بايجابية وحيدة ، وقد كان ذلك الماضى القريب . قبل ان أكتبه مجهولا ، الا عند قلة من الذين عاشوا تلك الفترة وعايشوا أحداثها ، وما أكثر الشباب ، الذين يجيئون الى كل يوم ، ليقولوا لى انهم قبل ان أكتب ماأكتبه عن سنوات ما قبل الثورة لم يكونوا قد سمعوا ، باسم مصطفى النحاس . أو اسماعيل صدقى ، أو محمد محمود !! كما أنهم لم يكونوا قد عرفوا كل تلك الأحداث التى أوليتها أهمية بالغة فى دراستى عن سنوات ما قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

ولقد سبق ، لى أن قلت لهؤلاء الاخوة ـ الاخوة رغم التجائهم الى التجنى ـ اننى أنتقد كل يوم ، أشخاصا عديدين ، بعضهم ، لا يزال على قيد الحياة ، أطال الله حياتهم ، وبعضهم قد انتقلوا ، الى رحاب الله تاركين العديد من الأبناء والأحفاد ، وهؤلاء . الذين على قيد الحياة ، وأبناء وأحفاد من أنتقدهم لا يغضبون لما أكتبه بل على العكس يطلبون منى المزيد من الكتابة ، فالكتابة ـ ولو عن طريق النقد ـ تذكر ، الجماهير ، بما قام به هؤلاء ، من أجل بلدهم : ولقد سبق لى أن وجهت النقد المر الى بعض قيادات الحزب الوطنى . والى رئيس الحزب . الوطنى ، حافظ رمضان باشا لاشتراكهم فى الحكم والحزب الوطنى بالنسبة الى حياتى فقد آمنت بمبادئه منـــذ أن كنت فى العاشرة من عمرى ، ودخلت من أجل تلك المبادىء السجن عشرات المرات ، بعشرات الشهور بناء على أوامر كانت تصدر من الوزارات المصرية ، الوفدية ، وغير الوفدية ، على أننى لم أجد رفيقا واحدا ، من رفاق شبابى فى الحزب الوطنى لامنى لأننى وجهت النقـــد ، الى حافظ رمضان ، أو عبد العزيز الصوفانى أو غيرهم من قيادات حزبنا الوطنى العتيد .

الأخ ، المصرى ، المنصف يهاجمنى فى خطابه الأخير لا لأننى كتبت حرفا واحدا عن مصطفى النحاس وانما لأننى نشرت صورة له مع ليدى لامبسون فى احدى الحفلات ، تصوروا نشر صورة سبق أن نشرت فى صحف الوفد عشرات المرات يصبح نشرها اليوم - بعد أربعين سنة - جريمة من الجرائم ، أنهم بسببها بكل ما فى القوانين ، المصرية ، وغير المصرية من جرائم ..

الطريف ، ان الاخ المصرى المنصف يقول فى رسالته : لقد كان مصطفى النحاس سيد محمد محمود وعدلى يكن وحسين سرى ، وعلى ماهر ، وسيدك أيضا وان لم تكن فى الحسبان وأقول للاخ المصرى المنصف اننى لا أوافقك على ان مصطفى النحاس كان سيد هؤلاء جميعا وان كنت أوافقك ، على انه « سيدى وتاج رأسى » وبلدياتى كمان ؟ والذى يجهله الأخ ، المصرى المنصف ، اننى كنت أول من أنصف مصطفى النحاس بعد مماته ويشرفنى ان أكون أول كاتب كتب عن مصطفى النحاس بعد ان زالت الرقابة على الصحف ، كتبت عنه بضع مقالات بدأت - ولبضعة أعداد - فى عدد المصور الصادر فى ٢٨ أغسطس ١٩٧٥ ، تحت عنوان : « مقال تأخر نشره ١٠ سنوات مصطفى النحاس زعيم وطنى شجاع كان قائد مصر ، وضميرها » !!

وكان فى مقدمة ما تلقيته من خطابات من القيادات الوفدية كتهنئة على تلك المقالات ذلك الخطاب الرقيق ، الذى أعتز به الى أبعد حدود الاعتزاز ، والذى بعث به الى الأستاذ الكبير عبد الفتاح حسن المحامى ، والوزير الوفدى السابق : وفيما يلى نص ذلك الخطاب :

عزيزى الأستاذ صبرى أبو المجد ، مدير تحرير المصور ، القاهرة

هل تأذن لى فى ان أضيف قبلة جديدة الى جبينك ، سبقتها قبلات عديدة ، لا لانصافك تاريخ مصطفى النحاس بما سطرت فى عدد المصور الصادر فى ١٩٧٥/٨/٢٨ فحسب ، وانما للمنهج الذى التزمته فيما تكتب مستهدفا - دائما - رضوان الله والصالح العام - وانصاف الحقائق المظلومة ، بالكلمة الشريفة والرأى الصادق ، الأمين ، لتعلو برسالة الصحافة الى مستواها .

أسأل الله لك ولامثالك دوام التوفيق

٣٠ - ٨ - ١٩٧٥

عبد الفتاح حسن

والى اللقاء قريبا ـ باذن الله ـ فى الجزء الثالث من سنوات ما قبل ثورة ١٩٥٢ ، والله ولى التوفيق ؟

سنوات ما قبل الثورة بالصور التاريخية النادرة



كما قلت فى الجزء الأول من هذا الكتاب : إننى مدين لأولئك الأخوة الأعزاء ، الذين أمدونى بما لديهم من وثائق ، ومذكرات وصور لم يكن يتاح لغيرى أن يحصل عليها ما لم يتقدم بها إلىّ هؤلاء الأخوة الأعزاء .

وقدحرصت فى الجزء الأول من هذا الكتاب وفى هذا الجـزء وسأحرص فى الأجزاء المقبلة ان شاء الله ، أن أخصص جزءا من الكتاب للصور التاريخية النادرة حتى يستطيع القراء أن يتعـرفوا جيدا ــ بالكلمة وبالصورة ــ إلى حقيقة الحياة فى سنوات ما قبل الثورة فليس كالكلمة والصورة ما يمكن أن يجعلنا نعيش ونتعايش مع الحياة فى تلك السنوات .

وإنى أنتهز هذه الفرصة لأتقدم بالشكر الجزيـل إلى كل من أمدنى ، بوثيقة تاريخية أو صورة نادرة فلقد ساهموا بعملهم هذا فى إنجاح هذا الأثر التاريخى الذى نرجو الله جل وعلا ، أن ينفع به جماهير شعبنا العربى العظيم فى كل زمان ومكان



على أننى وقد حرصت فى مدخل كل جزء من هذا الكتاب أن أعود إلى الماضى البعيد حتى تكتمل الصورة من وجهة نظرى فإننى حريص أيضا وأنا أقدم هذا الجزء المصور من سنوات ما قبل الثورة أن أنشر صورا عديدة ، عن المـاضى البعيد أيضـا حتى تكتمل الصورة جيدا وحتى يشعر/ القارىء أنـه يعيش حقا ــ بـالكلمة والصورة ــ مع تاريخ الأجداد ، مع صور الأجداد ، أولئك الذين حكموا مصر إما بالحق ، وإما بالباطل ، وأولئك الذين قادوا مصر إلى ما فيه خير مصر فكانوا نعم الأبناء الأوفياء المخلصين وفيما يلى الصور المختارة من بين مئات الصور التى يزخر بها أرشيفى عن سنوات ما قبل الثورة ولست أرجو من ينقل بعض هـذه الصور سوى أن يشير إلى المصـدر لا أكثر ولا أقـل والله ولى التوفيق ،

ص . 1



١ ـ محمد على باشا الكبير ، واحد من أكبر «
شخصيات القرن التاسع عشر : أخطأ وأصاب



٢ ـ صورة فريدة للخديوى اسماعيل باشا
رسمها أحد كبار رسامى عصره



٣ ـ وأحمد عرابى باشا زعيم الثورة المصرية
التى قامت فى عام ١٨٨١ وسميت باسمه ،



٤ ـ صورة أخرى لأحمد عرابي باشا ولكن فى المنفى



٥ ـ صورة لأحمد عرابى وأولاده ، وأحفاده فى
المنفى (سيرى لانكا) أو جزيرة سرنديب . سيلان



٦ ـ الخديوى عباس حلمى الثانى من أبرز خديوى مصر ومن أكثرهم تأثيرا ـ بالسلب أو بالإيجاب ـ على الحركة الوطنية المصرية فى بداية هذا القرن



٧ ــ عطية الله كريمة الخديوى عباس حلمى باشا



٨ ـ الأمير محمد عبد المنعم ، طفلا مع إحدى
الكلفاوات وأحد الاغوات حيث كان للكلفاوات
ـ الخادمات ـ كما كان للأغوات ـ شأن أى شأن



٩ ـ الأمير سيف الدين أحمد نجل الأميرة شويكار مطلقة الأمير أحمد فؤاد ـ الملك فيما بعد . كانت له قضية ! قضية محاولة اعتدائه على الأمير أحمد فؤاد ، وقضية طلب رفع الحجر عنه



١٠ ـ الخديوى عباس حلمى الثانى فى أخريات أيامه وبعد أن أطاح الانجليز بعرشه بسنوات عديدة .

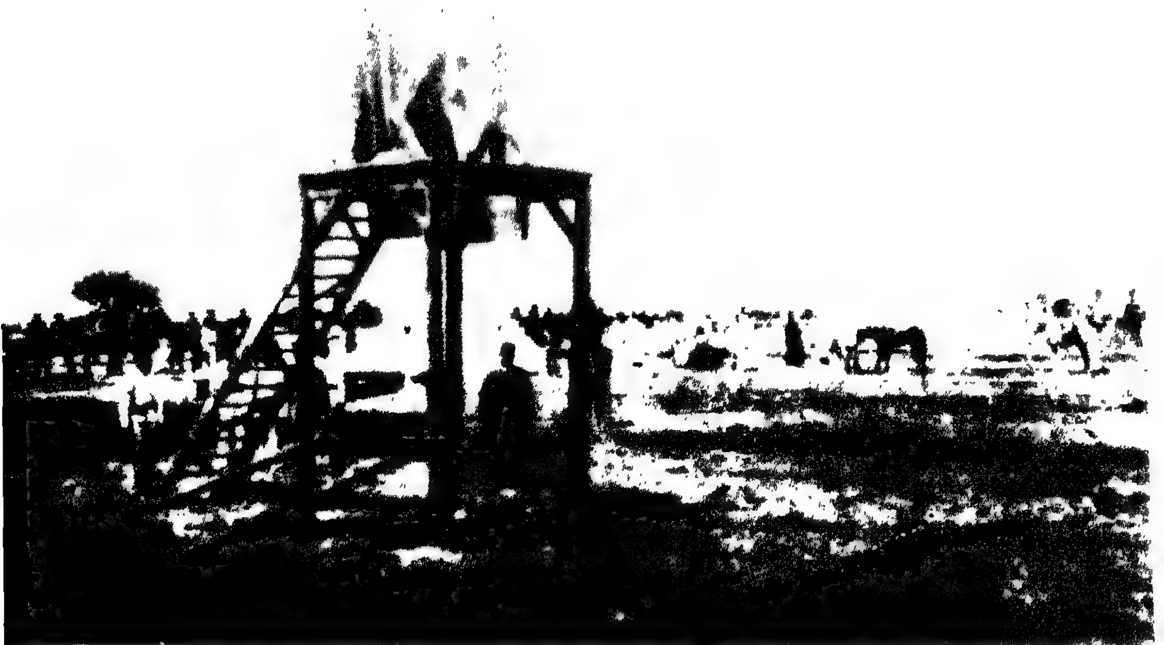


١١ ـ مصطفى كامل « فى عز الشباب »



١٢ ـ مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية المصرية .

١٣ ـ واحدة من مشانق دنشواى التى أقيمت فى قرية دنشواى ليرى أبناء القرية ، كيف يعدم أخوتهم أمام أعينهم .





١٤ ـ بطرس غالى باشا الذى رأس « المحكمة المخصوصة » التى حاكمت أبناء دنشواى واغتاله ابراهيم ناصف الوردانى وكانت رئاسته لتلك المحكمة من أسباب الاغتيال .



١٥ ـ الجامعة المصرية التى أنشأتها الحركة

١٦ ــ لأول مرة ينشر محضر مجلس إدارة الجامعة المصرية حيث جرى التصديق على منح طه حسين درجة الدكتوراه واقتراح مقابلة الخديوى له .



١٧ ـ محمد فريد قائد الحركة الوطنية المصرية بعد مصطفى كامل يتوسط لفيفا من شباب مصر الذين يتلقون العلم فى بلجيكا وقتذاك (مارس ١٩١٤)

١٨ ــ تذكرة « المسجون » محمد فريد بك
« أودة ٤٤ » «ليس له امانات » التهمة : تحسين كتاب
وطنيق » الحكم النهائى فى ٢٣ يناير ١٩١١



١٩ ـ الشيخ عبد العزيز جاوش رئيس تحرير جريدة اللواء



٢٠ ــ الشيخ عبد العزيز جاويش عقب خروجه
من السجن فى قضية مقال « ذكرى دنشواى »



٢١ ـ الشيخ عبد العزيز جاويش وبجانبه بعض الضباط المصريين (المتطوعين للحرب إلى جانب تركيا) فى الصورة حافظ رمضان وسعيد طليمات ود . اسماعيل صدقى ، وحافظ رمضان وغيرهم



٢٢ ـ سعد زغلول فى شبابه



٢٣ ـ سعد زغلول فى بداية عمله بالمحاماة [١٨٨٦]



٢٤ ــ سعد زغلول عندما اختير وزيرا للمعارف ، أو بمعنى أدق ناظرا للمعارف



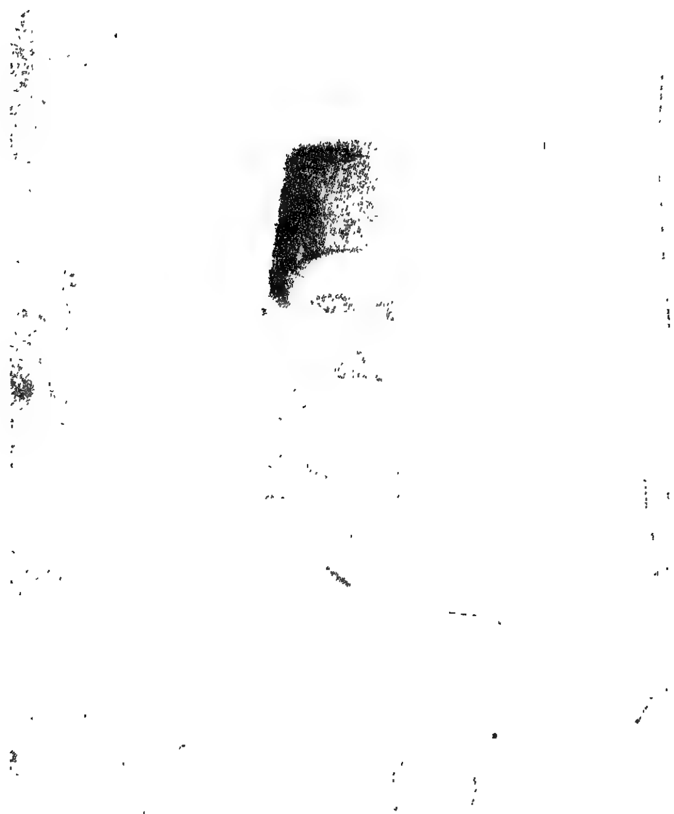
٢٥ ــ أصائيشن هانم والدة أم المصريين وقد ازدان صدرها بالوشاح الخديوى المنعم به عليها من الخديوى اسماعيل باشا بوصفها قرينة مصطفى باشا قبل أن يرأس الوزارة المصرية بسنوات وسنوات مصطفى فهمى قضى فى رئاسة الوزارة رقما قياسيا ، لم يحطمه أحد حتى الآن



٢٦ ـ سعد زغلول واقفا وإلى يمينه فتحى زغلول باشا وإلى يساره صهرة دولة مصطفى فهمى باشا وقد جلست أمامهم صفية هانم زغلول أم المصريين (فيما بعد) بجانب شقيقتيها .



٢٧ ـ مصطفى النحاس فى شبابه





٢٨ ــ مصطفى النحاس قاضي محكمة ميت غمر الأهلية : الصورة مهداه لصديقه نصر فريد حكيم العيون

٢٩ ــ صورة نادرة للأمير حسين كامل وزوجته ، قبل أن يصبح الأمير سلطانا على عرش مصر ،



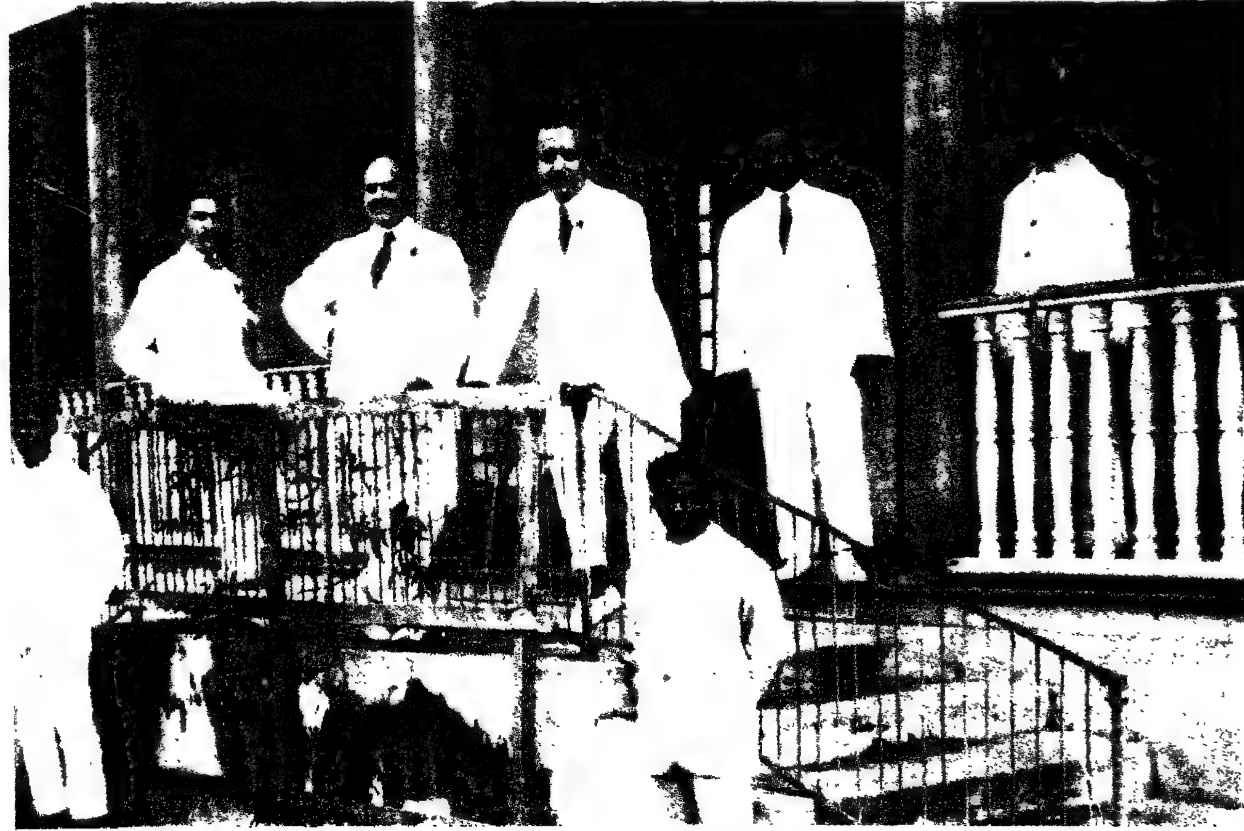
٣٠ ـ الأمير أحمد فؤاد قبل أن يصبح سلطانا ثم
ملكا على مصر



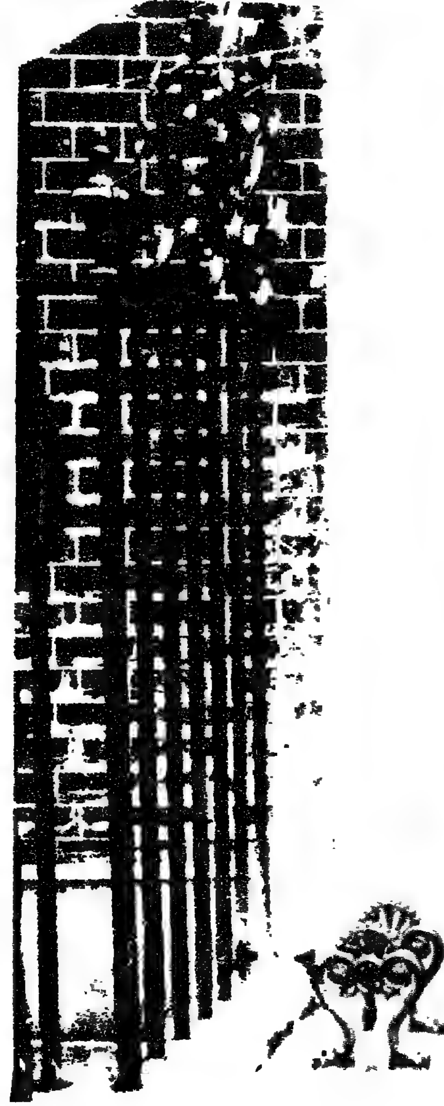
٣١ ـ الأمير الوطنى عمر طوسون والزعيم الوطنى سعد زغلول فكر كل منهما عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى فى تكوين وفد يفاوض الأنجليز



٣٢ ـ سعد زغلول وأعضاء الوفد المصرى



٣٣ ــ مصطفى النحاس ومكرم عبيد وسينوت
حنا فى منفاهم بجزيرة سيشيل





٣٤ ـ سعد زغلول بعد الانتهاء من مباحثاته مع



٣٥ ــ سعد زغلول وأم المصريين ، ومصطفى
النحاس فى باريس بعد اخفاق المفاوضات المصرية
البريطانية



٣٦ ـ أم المصريين فى أحد مواقفها المصرية
الوطنية وبعض زميلاتها فى الحركة النسائية الوطنية



٣٧ ــ سعد زغلول فى اخريات أيامه ، ومعه مصطفى النحاس وبعض المعجبين والأنصار الآنسات والسيدات وقد وضعن على صدورهن صور سعد زغلول باشا



٣٨ ـ سعد زغلول باشا وتوفيق نسيم باشا وبعض الوفديين الكبار



٣٩ ـ أم المصريين فى إحدى زياراتها



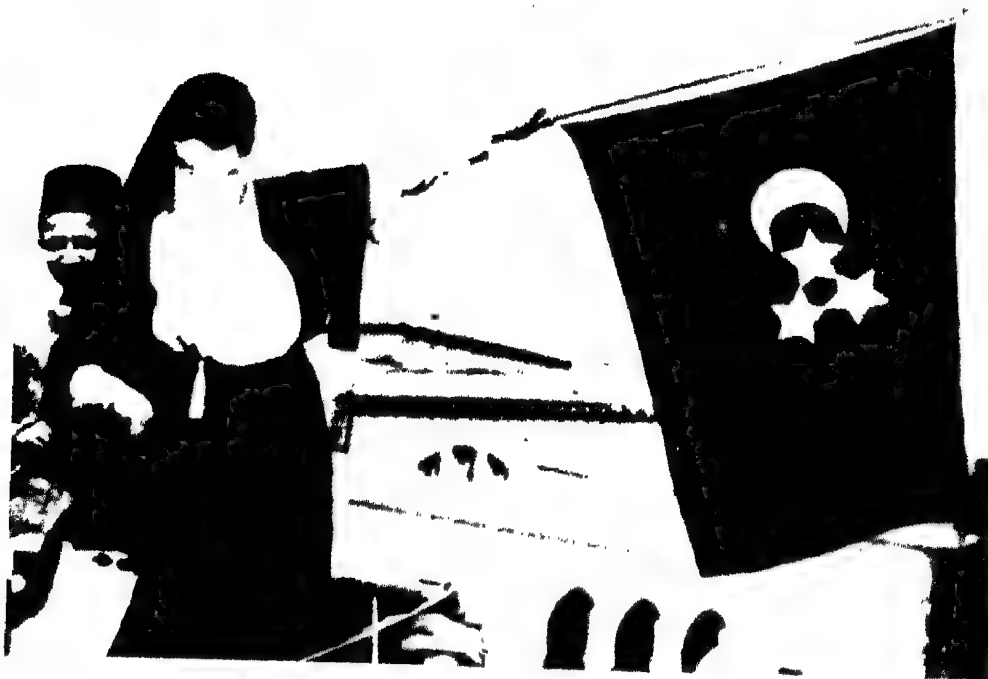
٤٠ ـ سعد زغلول باشا فى جلسة من جلسات
مجلس النواب



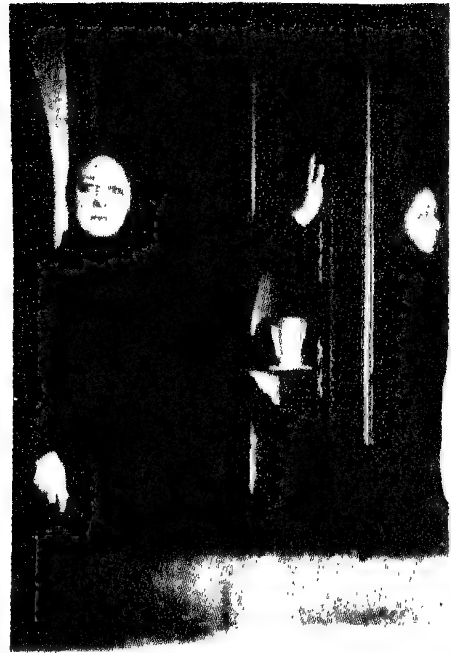
٤١ ــ أم المصريين فى سرادق اقيم بمناسـبة الاحتفال
بذكرى الشهداء



٤٢ ـ علوى بك الجزار ، محمد الباسل
مراد الشربعى، جورجى خياط ويصا واصف
مرقص حنا واصف غالى فى صورة تذكارية



٤٣ ـ لعبت المرأة المصرية دورا هاما فى إنجاح
ثورة ١٩١٩ : الصورة لواحدة من المصريات
المتظاهرات تحمل العلم المصرى





٤٤ ــ هدى هانم شعراوى وأم المصريين كان مثالا رائعا على عطاء المرأة المصرية



٤٥ ــ منيرة ثابت تزعمت حركة نسائية للمطالبة بإعطاء المرأة المصرية حق الترشيح والانتخاب . كانت تسمى عميدة المطالبات بحق الانتخاب .

نداء الى الامة المصرية

أبناء وطني الأعزاء

ودوا أن [illegible] من [illegible] من
أعضاء الوفد [illegible]
في الوقت [illegible] أن يخدعوكم
[illegible]
[illegible]
بعض الذين [illegible]
بكل ذلك [illegible]
الانجليز أن [illegible] التي [illegible]
وعن طلبكم الجلاء والاستقلال [illegible] فلا
عجب أن يكون هؤلاء وأولئك [illegible]

والآن لم يكفهم أن [illegible]
أن يكون [illegible] إلى أرض [illegible]

[illegible] كما [illegible]
ذكراه توهموا ذلك وأملوا أن تخمد [illegible] التي تتأجج في صدوركم ويدب اليأس
بعزائمكم فيهون اخضاعكم ويسهل تسليمكم

لم يكفهم أن [illegible] ولا من
جريمة إلا أنهم نادوا بحقكم [illegible] باستقلالكم [illegible] إلا في السلاح [illegible]
سلاح الحق والاقناع

إن [illegible] بأن هذا [illegible] لا بد من [illegible]
إلا شيء واحد هو أن [illegible] اعترافكم بالضعف ولو لحظة واحدة [illegible]
الاعبين أن يلعبوا بموقفكم ويحقق هذا [illegible] عليكم

ثبتوا إذن أقدامكم وانبذوا الخادعين من بين صفوفكم وذودوا ذود الأبطال عن
استقلالكم واصبروا فقد قرب نهاية الطريق فإنكم فيه بإذن الله فائزون [illegible]

٧ جمادى الثانية سنة ١٣٤٠ — صفيه زغلول

٤ فبراير سنة ١٩٢٢

٤٦ ــ نداء إلى الأمة المصرية من صفية زغلول فى
٤ فبراير ١٩٢٢

صورة الاحتجاج الذى قدمته لجنة السيدات المصرية الى قناصل الدول فى مصر

يوم ٨ مارس سنة ١٩٢٢

ياجناب السفير

انكم تمثلون الحق . ومن العدل أن يمد اليكم صاحب الحق المهضوم

انكم لا تجهلون ياجناب السفير انه لا حاجز لإنجلترا وسيلة من شأنها ان تجرح عزة الشعب المصرى وكرامته وتثير وجدانه وتهيج غضبه الا استعملوها

لقد صادروا كل انواع الحرية فردية كانت أو سياسية وأذاقوها صنوف العذاب فى ظل الحكم العرفى . وما زالت الاحكام العرفية بعد مضى اعوام الحرب وثلاثة اعوام من السلم تثقل كاهل مصر وتثير أنينها . والجرائد ما بين مكممة ومعطلة ان لم تكن مصادرة . وخيرة المصريين يبعدون خارج البلاد أو يلقون فى غياهب السجون بطريقة غير مشروعة ومنهم من وقعت عليه عقوبة الجلد الشديدة . والاجتماعات العمومية محرمة والمظاهرات السلمية يمزق شملها رصاص البنادق وأخيراً وضعوا ايديهم على ممثل البلاد الاكبر رأس الحركة الوطنية وأبعدوه الى المنفى ثم هم يريدون بعد ذلك ان يقنعونا بان هذا فى صالح القضية المصرية . ويريدون كذلك أن يقنعوا العالم بأن حكومتنا الشعبي رضى بالسياسة الخداعة : سياسة الكذب . سياسة الارهاب التى يجرون عليها فى معاملتنا

وعندنا ان الاحتلال والحماية ومشروع ملنر ومشروع كرزون والتصريح لمصر سواء فى الغاية وهى تمكين انجلترا من وضع يدها على مصر . يغيرون فى الصيغ ويحورون فى العبارات بين بلاغ وبلاغ ولكن المطامع أو الضمانات باقية لا تتغير . وان تغيرت فالى ما هو أسوأ وأشد ظلما

لقد قر قرارهم على عملية البتر ولكن السلاح الذى اعدوه لذلك تارة يخفونه اتقاية وطوراً يظهرونه صورة امام أعين المريض . ولكن مصر تأبى كل الاباء ان تخضع لعملية كهذه لانها صحيحة الجسم ولا تريد الا ان تعيش عيشة الحرية والاستقلال

ياجناب السفير

الا تستطيع دولتكم العظيمة التى حاربت لنصرة الحق أن تؤكد لانجلترا حسن نيتها ازاءنا فتهدىء بذلك من روعها وأن تصرح لها انها لا تريد ان تمس استقلالنا بسوء . اذ ليس من العدالة ان يقع شعب بأكمله تحت نير الاجنبى الغاصب لمجرد خشية وتوهم فى هيمنة دولة اخرى . وان تصرح دولتكم لانجلترا انها لا تريد مطلقاً ان تترك مهمة الدفاع عن مصالحها فى مصر لغيرها وانها تستطيع ان تدافع هى عنها ان لم تجد الكفاية من صداقة الشعب المصرى واحترامه للقانون

والسيدات المصريات اللاتى يعبرن عن اراده الشعب المصرى يرجونكم ياجناب السفير ان تبلغ حكومتكم وشعبكم النبيل شعور مصر العام : وهو ارجاع سعد زغلول باشا رئيس الامة المحبوب فى الحال والغاء الاحكام العرفية وفك اعتقال جميع المسجونين السياسيين والغاء الرقابة وجميع الاجراءات الاستثنائية

وانتخاب جمعية وطنية تتولى وضع دستور للبلاد وتأليف وزارة حائزة للثقة وممثلة لمصر لا للسلطة الانجليزية

نريد الاستقلال التام معنى لا لفظاً نريد صداقة الشعوب الحرة واحترامها وتفضل ياجناب السفير بقبول فائق احترامنا؟

القاهرة فى ٨ مارس سنة ١٩٢٢ هدى شعراوى

الفت راتب منيره علوى نعمت حجازى استروبصا روجينه خياط احسان احمد فريده قسطيوش

شريفه رياض عنايت سلطان رانى واصف عزيزه فوزى نعيمه ابو اصبع فيقه رفيق

٤٧ ـ صورة الاحتجاج الذى قدمته لجنة السيدات المصريات إلى قناصل الدول بمصر فى ٨ مارس ١٩٢٢ . الاحتجاج بتوقيع هدى شعراوى وألفت رباص ومنيرة علوى ، ونعمت حجازى واستر ويصا واخريات ، وآخريات

قرار السيدات المصريات

في يوم الخميس ٣٠ اكتوبر ١٩٢٤ اجتمع السيدات المصريات بمنزل حرم علي باشا شعراوي وقررن ما يأتي

(١) الاحتجاج على الحكومة الانجليزية بشأن تصرفاتها الاخيرة في المسألة المصرية وبالاخص مسألة السودان وان يبلغ هذا الاحتجاج الى الحكومتين المصرية والانجليزية

(٢) المقاطعة العامة لكل ما هو انجليزي داخل مصر وخارجها ومطالبة الحكومة المصرية بمشاركة الشعب في هذه المقاطعة ويكون ذلك

(أ) سحب الودائع والاموال التي لها في البنك الاهلي

(ب) سحب مكتب الحكومة المصرية في انجلترا لمباشرة مشترواتها والغائه او نقله لمملكة اخرى

(ج) منع سفر العمال المصريين الى السودان واستدعاء الموجودين منهم في عمل الخزانات هناك ومن كان منهم مرتبطا بعقد لمدة معينة فيؤمر بالعودة عند انتهاء تلك المدة [illegible] تساعد مصر بأيدي ابنائها على اقامة تلك الخزانات التي هي اتم خطر على مصر.

(٣) طلب الافراج عن جميع المقبوض عليهم في السودان بسبب الحوادث السياسية الاخيرة التي لا يعاقب عليها قانون العقوبات المصري والعمل على عدم تنفيذ الاحكام الصادرة عليهم

(٤) فتح كلية الخرطوم واعادة التدريس فيها

(٥) انه تطلب حكومة مصر بحقها في ادارة السودان حتى يتم لها الاختصاص بالسلطة بكل الوسائل اللازمة مستمدة لتأييدها فيها

(٦) طلب رفع الراية المصرية الحالية على جميع محلات الحكومة عسكرية كانت او ملكية في جميع مديريات السودان

(٧) تشكيل لجنة من السيدات تسمى لجنة المقاطعة وكذلك تشكيل لجنة اخرى من الرجال تعمل على تنفيذ قرارات هذه الجمعية

الامضاءات

[illegible]

٤٨ ــ قرار للسيدات المصريات فى ٣٠ اكتوبر ١٩٢٤ بمقاطعة كل ما هو انجليزى التوقيعات فى أسفل القرار

نداء النســـــــاء

الي الشعب المصرى

أيها المواطنون :

لئن حرمت المرأة المصرية من مباشرة حقها في الانتخاب بجانبكم في هذا الوقت العصيب . فليس في الوجود قوة تستطيع أن تحرمها حقها الطبيعى في الاشتراك معكم في هذا المعترك بالفكر والقلب والعاطفة . تشترك معكم في هذه الحرب الانتخابية العاصفة التي أثارتها السياسة الانجليزية . بعد أن تبينت أصراركم الخطير على الوقوف في وجهها ومصادمتها (بالرفض) وبالاستخفاف بكل ما يمكن أن ينزله بكم جبروت القوة التي ترتكز عليها هذه السياسة الاستعمارية

فاليوم نشارككم (نحن نساء النيل) في اجتياز هذه العاصفة بكل ما أوتينا من قوة فكرية ومادية ولئن كنا قد منعنا من مباشرة حق الانتخاب ، فاننا نستطيع أن نهمس في آذنكم برأينا في (المرشحين) للنيابة عنكم ، حتى تكونوا في مباشرة عملية الانتخاب ، مسترشدين برأينا الى جانب رأيكم وتصبح بالتالي نوابنا معبرين عن رأى الجنسين من بني الوطن

ان الموقف دقيق ، والساعة رهيبة ، فقد رضي نفر من أبناء مصر أن يسايروا الغاصب لتسليمه (كل ما يمكن تسليمه) ... من حقوق الوطن - تحت شعار (انقاذ [illegible] ما يمكن انقاذه) ، وما أراد هذا النفر بكلمة (انقاذ) غير (التسليم) ، وبعد أن وقف في وجهه زعيمنا (سعد زغلول) معتمدا [illegible] الجامعة ،

أيها المواطنون .

٤٩ ــ نداء النساء إلى الشعب المصرى لتشجيع انتخاب الوفديين بعد استقالة سعد زغلول ومجيء وزارة زيوار باشا (وزارة انقاذ ما يمكن انقاذه أو اغراق ما يمكن اغراقه بمعنى أدق)



٥٠ ـ فى مارس ١٩٢٥ تم افتتاح نادى الاتحاد
النسائى المصرى بقصر الدوبارة كما يظهر فى الصورة



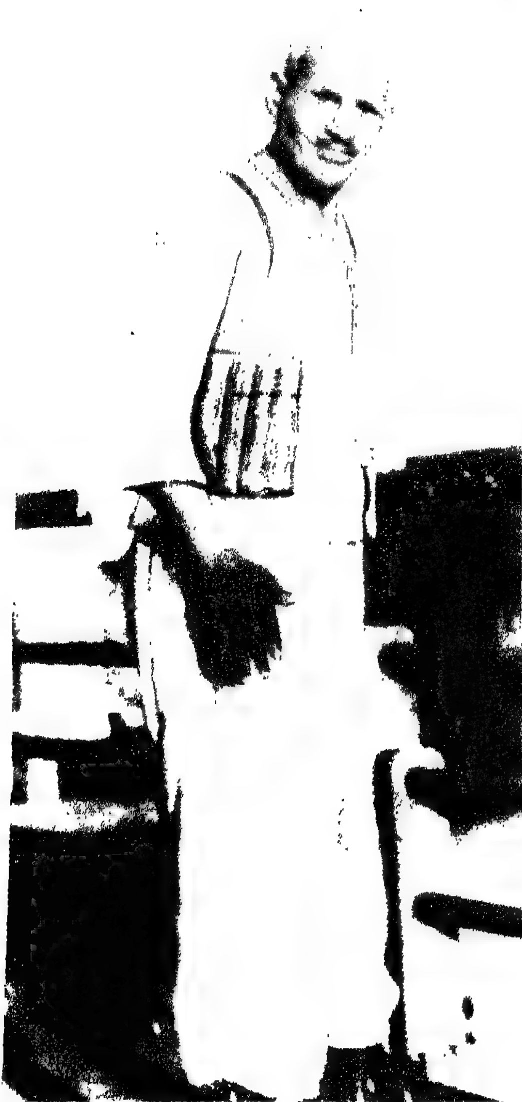
٥١ ـ لعبت الحركة الفدائية المصرية دورا هاما فى تحرير مصر وكان للفدائيين المصريين عطاؤهم الكبير فى خدمة قضية مصر والسودان ، ابراهيم موسى زعيم عمال العنابر أعدم فى قضية اغتيال السيرلى ستاك سردار الجيش المصرى وكان مثالا رائعا للرجولة والفداء ونكران الذات .



٥٢ ـ عربان سعد واحد من قيادات العمل الفدائى المصرى : كان عليه أن يقتل يوسف وهبة باشا ويبقى فى مكان حتى لا يتهم مسلم باغتيال وزير مسيحى



٥٣ ـ سيد باشا واحد من قيادات العمل الوطنى فى ثورة ١٩١٩



٥٤ ـ أسعد مشرقى اخذ « تأبيدة من أجل مصر ، وزامل ـ فى السجن ـ الكثير من رؤساء الوزارات والوزراء وعمل ـ بعد ٢٥ سنة سجنا لأتهامه فى حوادث ديروط سنة ١٩١٩ ـ خفيرا لكوبرى المعاهدة : نموذج رائع للعطاء وللتضحية .



٥٥ ـ عبد الخالق عنايت عمل فى الحركة الفدائية ثم هرب ، واستطاع أن يصبح من أشهر أطباء النمسا : دعوت إلى رجوعه إلى مصر فعاد فى أغسطس ١٩٥٣ ولم يعرف فضله فعاد حيث لقى كل تكريم من الشعب النمسوى العظيم .



٥٦ ـ على عبد اللطيف قائد الحركة الوطنية فى السودان « اللواء الأبيض » اتهموه بالجنون وقضى سنوات عديدة فى مستشفى الأمراض العقلية بالعباسية . وكنت وحدى الذى ازوره وأحمل إليه بعض ما استطيع من أطعمة وهدايا إلى أن لقى ربه



٥٧ ـ عبد القادر شحاته أحد قيادات العمل الفدائى (١٩١٩) وأسرته قمت بالتقاط الصورة عندما زرته فى بلدته مركز ديروط وكنت أبحث عن الشهداء الأحياء لأسجل مالا يعرفه الناس عن تاريخهم وتاريخ الحركة الوطنية



٥٨ ــ لورد اللنبى المعتمد البريطانى فى مصر ، والذى واجه ــ فى مصر ــ ثورة ١٩١٩ وصاحب فكرة إصدار تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢



٥٩ ــ أحمد فؤاد السلطان الذى أصبح ملكاً على مصر وشهد أعنف الاحداث التى مرت بمصر ابتداء من ثورة ١٩١٩ حتى ثورة الشباب فى ١٩٣٥



٦٠ ـ السير برسى لورين يصافح السير ستيوارت القائد العام للجيش البريطانى



٦١ ـ برس لورين فى افتتاح البرلمان المصرى ،
إنه يعامل كملك



٦٢ ـ السير برسي لورين المندوب السامي
البريطاني ، في مصر وإلى جانبه أحمد حسنين باشا



٦٣ ــ على أثر انتخاب النحاس باشا رئيسا للوفد المصرى أقام واصف غالى باشا حفلة خاصة بتلك المناسبة حضرها زعماء الوفد من بينهم حمد الباسل باشا ، على الشمسى باشا ، بهى الدين بركات باشا وأحمد ماهر ، ومحمود النقراشى



٦٤ ــ محمد محمود باشا يفتتح مستشفى الرمد بالزقازيق



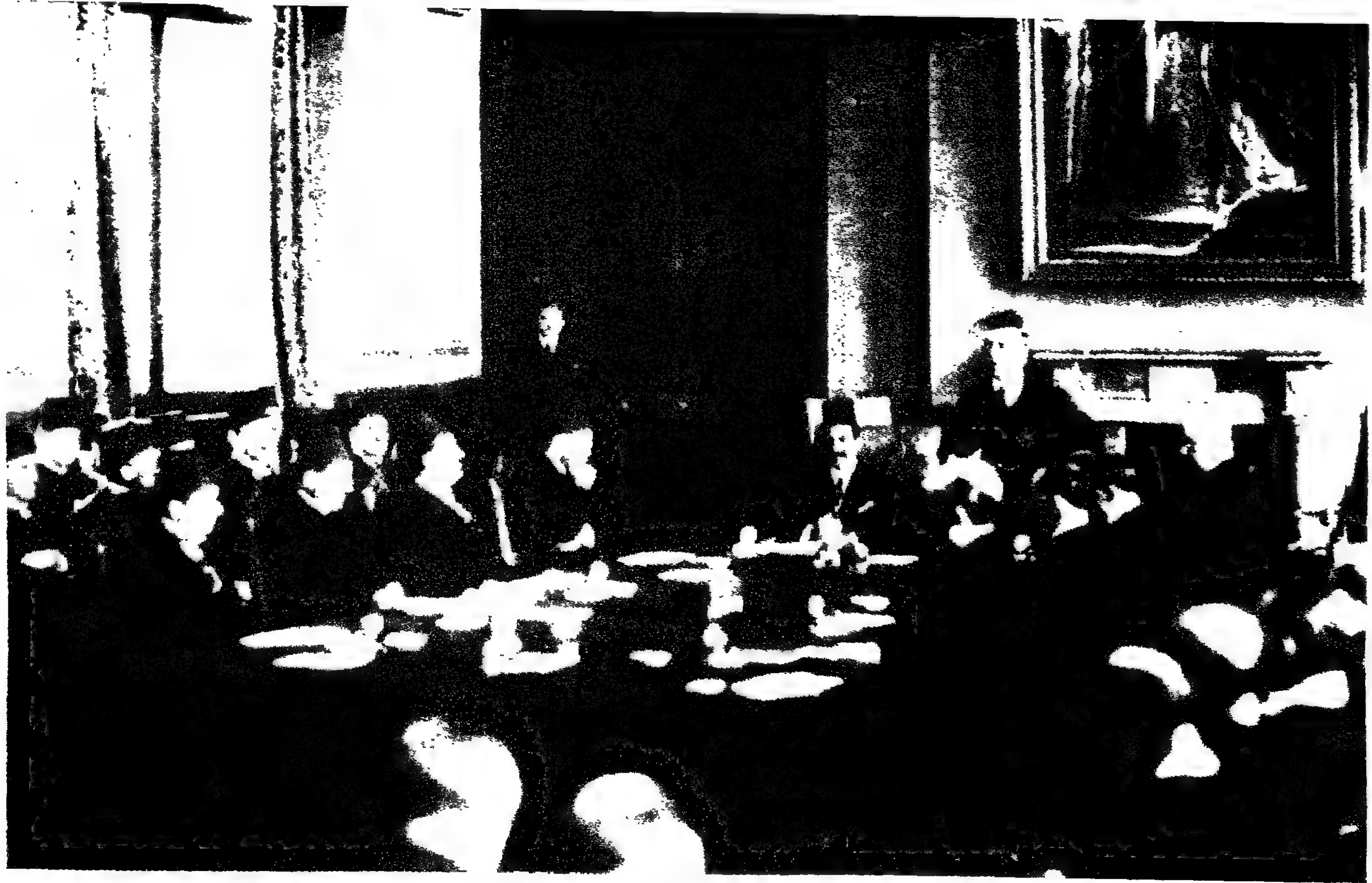
٦٥ ــ عبد الخالق ثروت باشا وأمين الرافعى بك والاستاذ جمال مدكور فى بوخارست



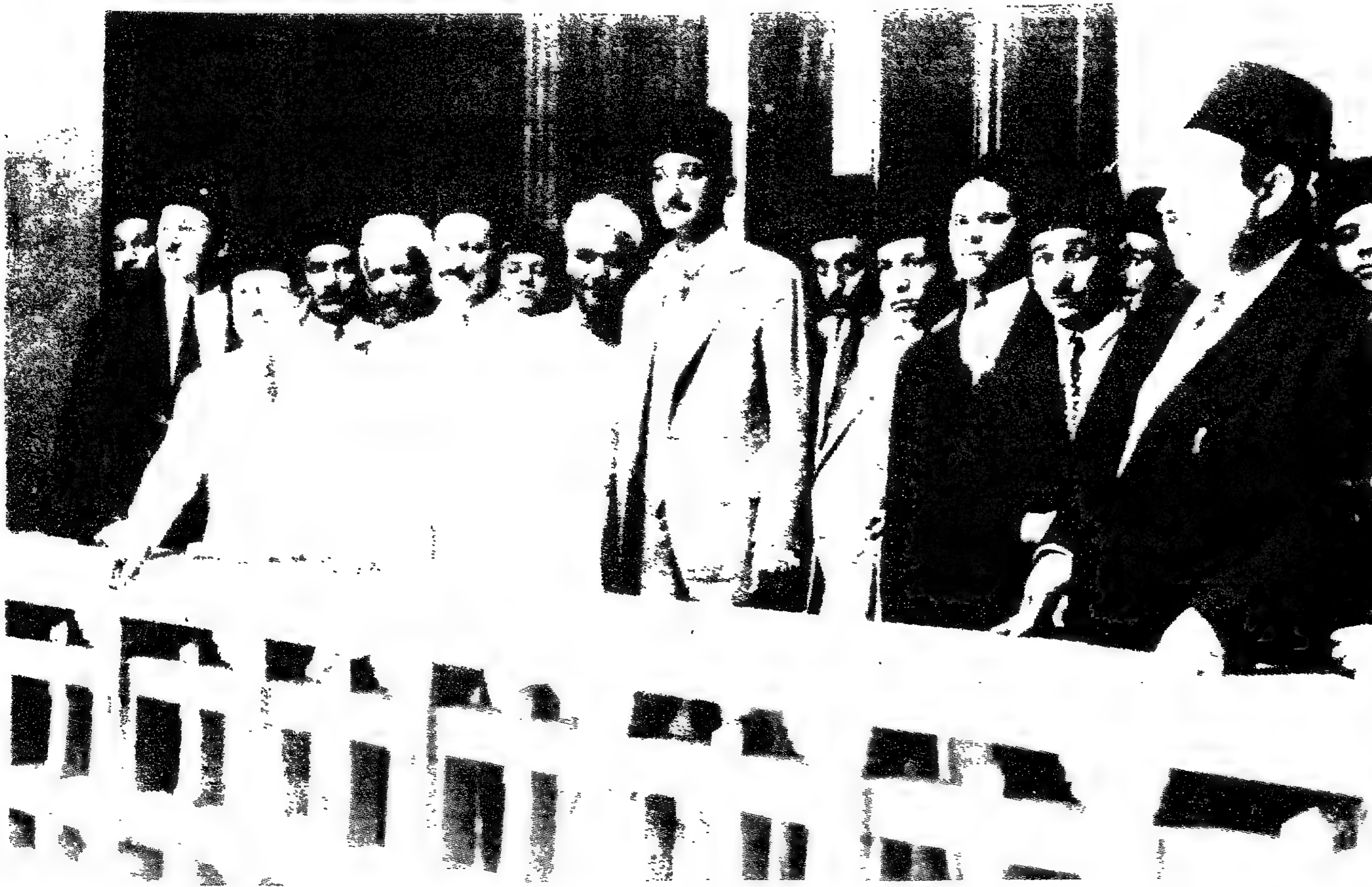
٦٦ ـ عدلي يكن باشا يرأس وفد المفاوضات مع بريطانيا ومع يوسف سليمان باشا وتوفيق دوس باشا وأحمد طلعت باشا



٦٧ ــ مصطفى النحاس ، مكرم عبيد ، وعثمان محرم عند وصولهم إلى لندن فى ١٩٣٠/٣/٢٦ للتفاوض مع مستر هندرسون وزير الخارجية البريطانية



٦٨ ـ المفاوضات المصرية البريطانية « فى قاعة لوكارنو » بلندن : النحاس باشا يرأس الوفد المصرى ، مستر هندسون وزير الخارجية البريطانية يرأس الوفد البريطانى (١٩٣٠/٣/٣١) .



٦٩- عقب خروج عباس محمود العقاد من السجن بعد انقضاء العقوبة التى حكم عليه بها بتهمة العيب فى الذات الملكة ، ذهب مباشرة الى ضريح سعد وإلى النادى السعدى حيث استقبله النحاس باشا رئيس الوفد



٧٠ ـ مكرم عبيد باشا بعد خروجه من الوزارة
فى لندن : (١٩٣٠/٩/٣)



٧١ ـ صدقى باشا يخطب فى حفل شاى أقامته
جمعية الصناعات (١٩٣١/٣/١٤)



٧٢ ـ كان عباس حليم زعيما لبعض نقابات
العمال الصورة له مع بعض القيادات العمالية



٧٣ ـ لفيف من رجال القضاء من بينهم يس أحمد بك ، أمين حسنى بك ، أمين زكى بك ، خليل غزالات بك حسن زكى محمد بك ، أحمد نظيف بك ، سليمان السيد سليمان بك ، على زكى العرابى، ومن بينهم بعض القضاة فى قضية نزاهة الحكم ،



٧٤ ـ حسن صبرى باشا يرأس بعثة مصرية سافرت إلى بريطانيا من بين أعضاء البعثة طلعت باشا وصادق حنين باشا ، وحافظ عفيفى باشا ويوسف نحاس بك (أبريل ١٩٣٥)



٧٥ ـ طلعت حرب باشا فى سينما ستوديو مصر
لمشاهدة فيلم « دنانير »



٧٦ ـ مراد سيد أحمد باشا وزير مصر المفوض
ببرلين وعلى بك مرعى القائم بأعمال وزيرنا المفوض
فى بودابست



٧٧ ـ توفيق نسيم باشا يستقبل وزير خارجيةالحبشة (أثيوبيا)



٧٨ ـ مصطفى النحاس باشا عند مغادرته القطار فى محطة اسكندرية ، بجانبه الأستاذ محمد التابعى



٧٩ ـ محمد محمود باشا وبعض أنصاره



٨٠ ـ أحمد حسنين باشا يحضر نيابة عن الملك (٢٥/١/١٩٣٨) مهرجان الآداب الذى أقيم بالأوبرا الملكية ابتهاجا بالزفاف الملكى ،



٨١ – الدكتور محمد بلال في اجتماع وفدي يقف خطيبا



٨٢ ــ الشيخ حسن البنا فى اجتماع للاخوان
المسلمين وبجانبه الصاغ محمود لبيب أحد الضباط
الأحرار ، القدامى



٨٣ ـ د . محمد حسين هيكل فى اجتماع لحزب
الأحرار الدستوريين



٨٤ ـ أحمد حسين فى اجتماع يضم قادة الأخوان
المسلمين وبعض أعضاء مصر الفتاة



٨٥ ــ مكرم عبيد باشا يخطب فى بعض انصاره فى



٨٦ ـ عزيز عزت باشا أحد الأوصياء على العرش يسلم مقود جمل المحمل لرئيس بعثة الحج وإلى جانبه النحاس باشا .



٨٧ ــ مصر تحتفل فى فبراير عام ١٩٤١ بعودة المحمل ، حسين سرى باشا والشيخ المراغى فى مقدمة المحتفلين



٨٨ ـ عزيز عزت باشا ، ومحمد شريف صبرى
باشا الوصيان على الملك فاروق إلى أن بلغ سن الرشد
كان مجلس الوصاية برئاسة الأمير محمد على ،



٨٩ ـ الأمير محمد على باشا ، كان يتطلع إلى
عرش مصر . باستمرار فى الصورة مع بعض الأمراء



٩٠ ـ النبيل عباس حليم فى حفل افتتاح البرلمان
وفى الصورة حسين سرى باشا



٩١ ـ النقراشى وأحمد ماهر ، وعباس حليم
وحامد محمود وحسن صبرى باشا فى انتظار النحاس
باشا قبل أن يخرج ماهر والنقراشى من الوفد



٩٢ ـ عبد الفتاح يحيى باشا خلف اسماعيل صدقى باشا فى رئاسة الوزارة ، وفى رئاسة حزب الشعب الذى كان اسماعيل صدقى باشا قد أنشأه ثم أصبح ـ فيما بعد/وزيرا للخارجية .



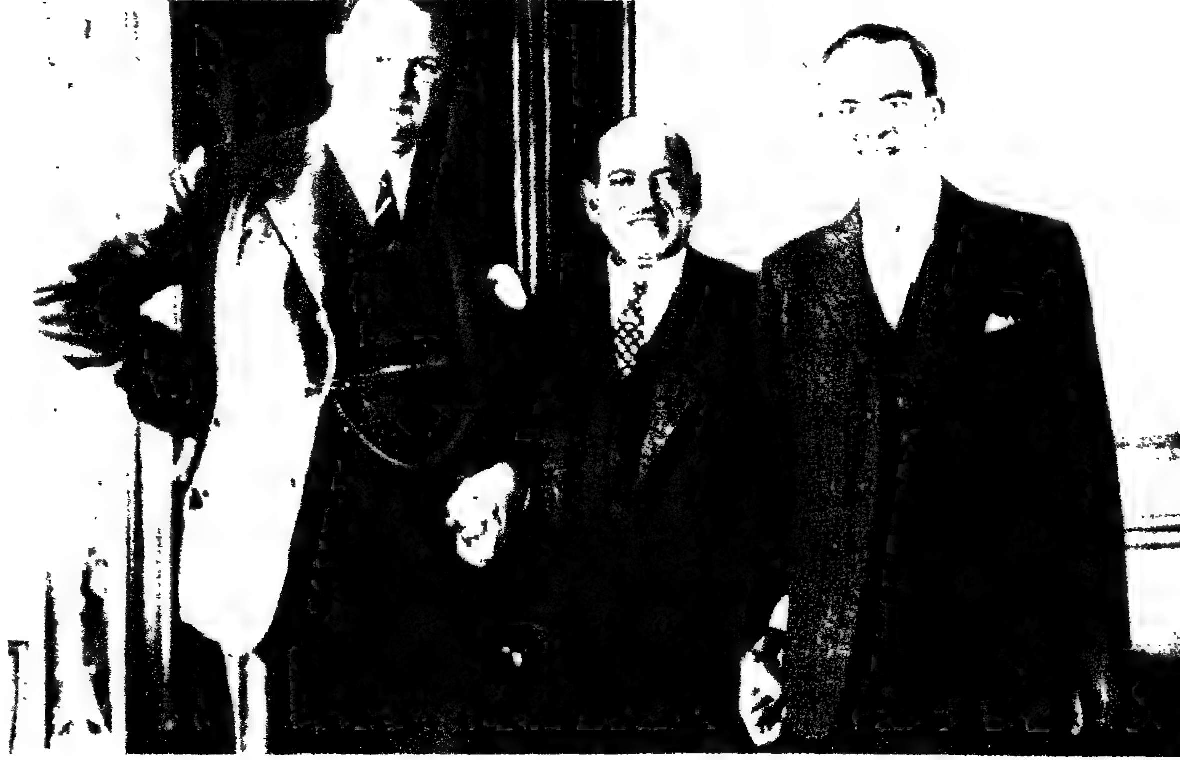
٩٣ ــ لورد كيلرن والأمير محمد على توفيق
والميول الانجليزية للأمير محمد توفيق كانت هى التى
توجهه دائما



٩٤ ــ لورد كيلرن وحسين سرى باشا ، كان
حسين سرى باشا ميالا للسياسة البريطانية



٩٥ ـ لورد كيلرن يقوم بتصوير إحدى الحفلات المصرية



٩٦ ـ النحاس باشا ولورد كيلرن ، « يدا ، في يد » : صورة مخيفة



٩٧ ـ لورد كيلرن فى واحد من مطابخ الجمعيات الخيرية



٩٨ ـ مظاهرات ضد اسماعيل صدقى باشا



٩٩ ــالنحاس باشا وقد أصيب فى واحدة من المظاهرات العنيفة



١٠٠ ـ فى واحدة من المظاهرات العنيفة التى قامت بالمنصورة أصيب سينوت حنا عندما أراد أن يفتدى زعيمه النحاس باشا وفارقته روحه لأن الجرح كان قاتلا



١٠١ ـ أصيب مكرم عبيد فى واحدة من المظاهرات العنيفة والنحاس باشا يزوره فى المستشفى



١٠٢ ـ صورة لمكرم عبيد جريحا يرقد فى المستشفى



١٠٣ ــ غضبة شباب مصر فى أواخر عام ١٩٣٥



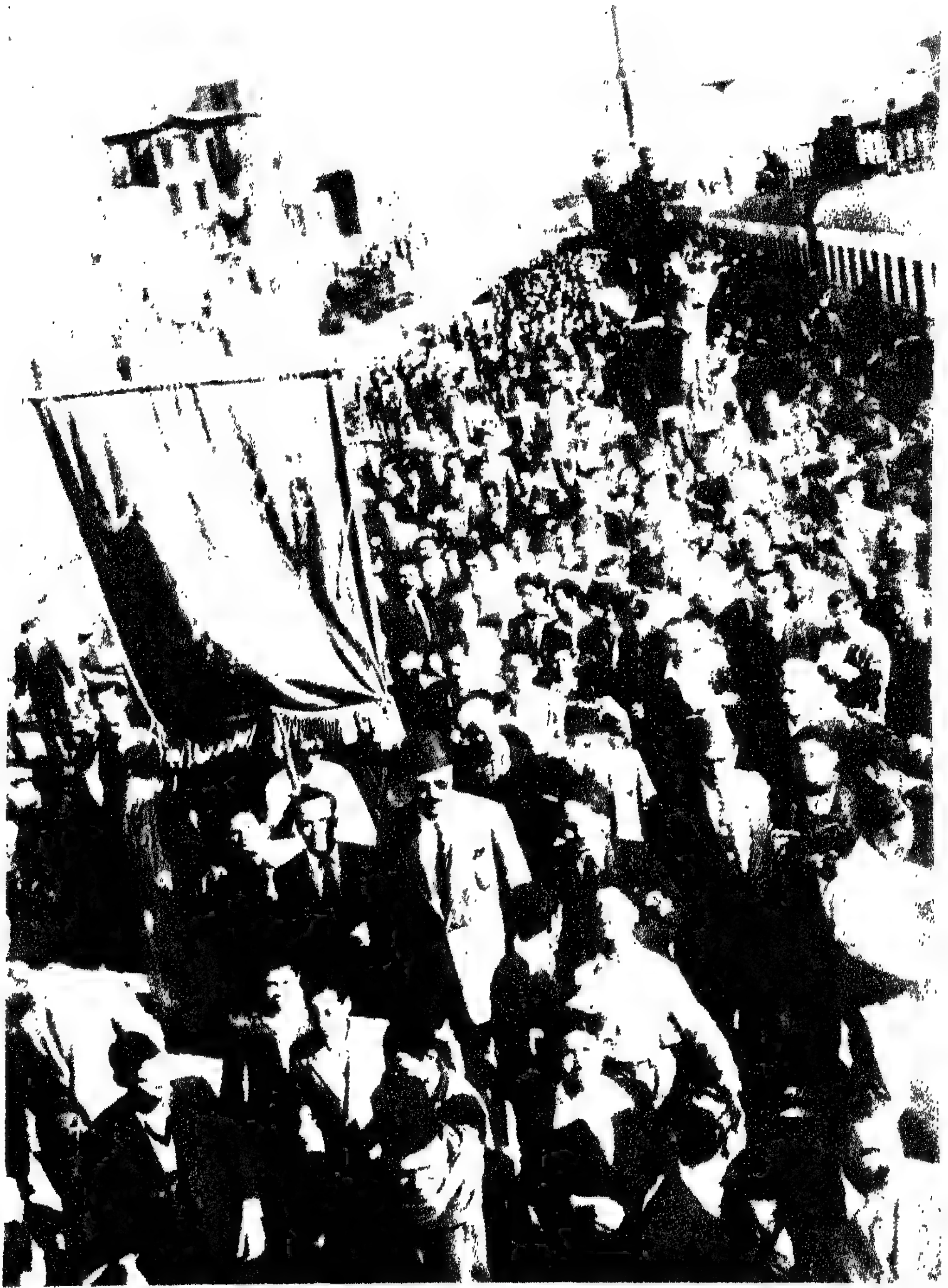
١٠٤ ـ كانت أم المصريين رغم شيخوختها
تحرص على زيارة جرحى المظاهرات الوطنية فى
المستشفيات



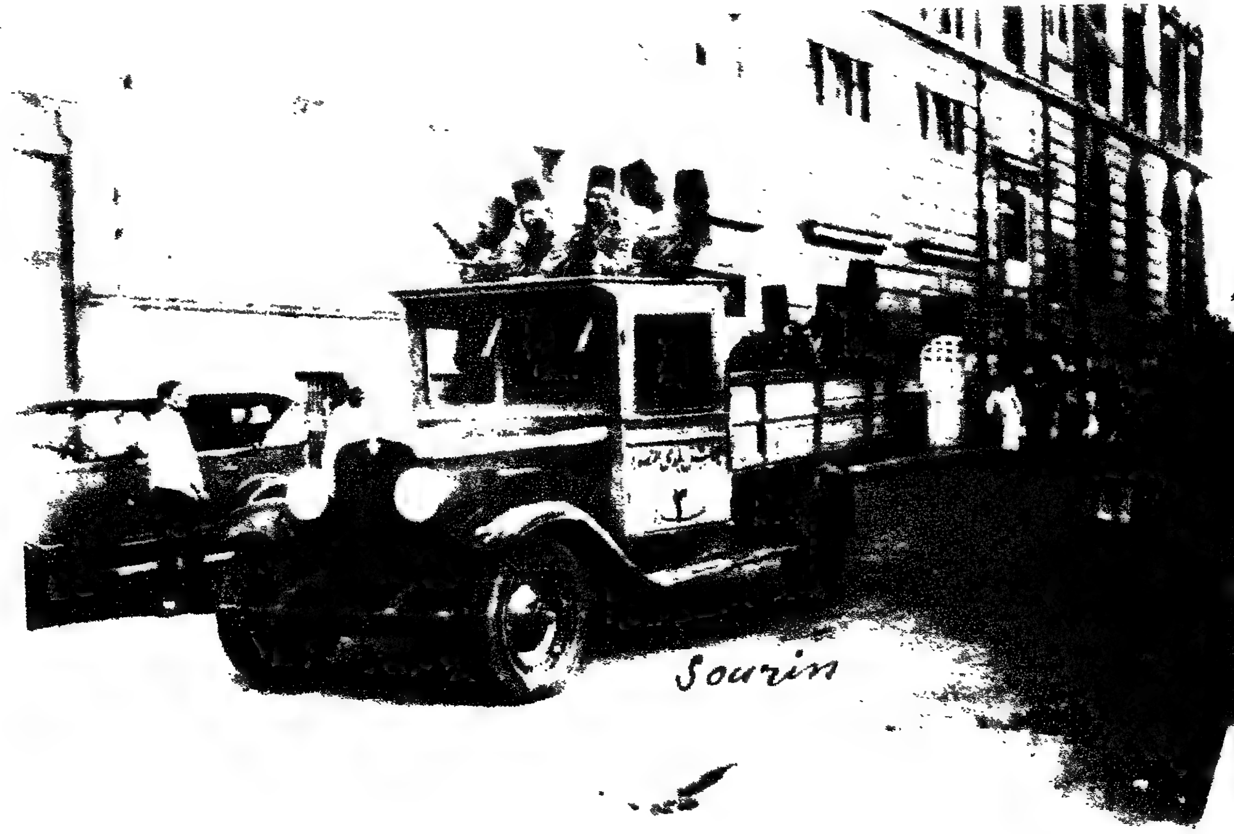
١٠٥ ـ من أوائل شهداء الجامعة فى ثورة ١٩٣٥ .



١٠٦ ـ عبد المجيد مرسى من أبرز شهداء ثورة شباب ١٩٣٥ أن قافلة الشهداء طويلة .



١٠٧ ـــ مظاهرة من مظاهرات حزب العمال المصرى ـــ لقد كان للعمال حزبهم فى الثلاثينيات .



١٠٨ ـ البوليس بأسلحته يترقب واحدة من المظاهرات الشعبية .



١٠٩ ــ البوليس يحاصر محكمة استئناف مصر فى
باب الخلق ، بالقاهرة



١١٠ ـ جماهير الشعب فى ميدان عابدين وقد
خرجت متظاهرة ، غاضبة



١١١ ـ البوليس وقد اصطدم بمظاهرة قام بها
شباب الجامعة لتأيد قضية الشعب الفلسطينى



١١٢ ـ أحمد فؤاد ، الملك ، مات الملك ، ليحيى الملك : ويحل محله فاروق



١١٣ ـ أحمد فؤاد صبيا ، وفاروق صبيا ، أيضا والشبه بين الأب وابنه واضح فى الصورة .



١١٤ ـ الملكة الأم نازلى والطفل فاروق ولى العهد



١١٥ ـ فاروق كشافا أعظم



١١٦ ـ فاروق عندما تولى العرش ولم يكن قد
بلغ بعد سن الرشد



١١٧ ـ فاروق ووراءه دائما ، على ماهر باشا إلى
أن أبعدهما عن بعضهما الانجليز



١١٨ ـ فاروق ودرجة الدكتوراه الفخرية من جامعة فؤاد



١١٩ ـ فاروق فى إحدى جولاته بالغربية



١٢٠ ـ فاروق وقد أطلق لحيته



١٢١ ـ يقبل أحد الجنود يد الملك فاروق التى
مدها له ، فى استرخاء واضح



١٢٢ ـ أحمد حسنين باشا رائد الملك فاروق؛ رئيس ديوانه .



١٢٣ ـ شريف صبرى باشا شقيق الملكة نازلى وخال الملك فاروق



١٢٤ ـ الملكة نازلى بعد وفاة زوجها الملك أحمد فؤاد



١٢٥ ـ الملكة نازلى والأميرة فوزية وزوجها ولى عهد ايران وقتذاك



١٢٦ ـ الملكة فريدة والامبراطورة فوزية ،
وزوجها الامبراطور (شاهنشاه ايران) والأمير
يوسف كمال



١٢٧ ـ على ماهر باشا ينحنى ليقبل يد
الأمبراطورة فوزية والأمبراطور يبتسم



١٢٨ ــ العروسان الامبراطوريان وخلفهما والدة « العريس » الايرانى



١٢٩ ـ الملكة نازلى وزوج ابنتها يقرآن ورقة
هامة وفوزية وحماتها ينتظران النتيجة



١٣٠ ـ الملك فاروق وشقيقته فوزية بعد أن عادت من ايران مطلقة !! والمرض باد عليها



١٣١ ـ الأميرة شويكار فى قمة اناقتها رغم شيخوختها



١٣٢ ـ الملكة نازلى ملكة على عرش الأناقة



١٣٣ ـ فاروق وفريدة قبل الانفصال



١٣٤ ـ فريال باكورة زواج فاروق من فريدة
وراء أسوار الغيب



١٣٥ ـ صورة لفريال تبتسم للحياة



١٣٦ ـ فريدة وفريال



١٣٧ ــ الأميرة فوزية (الامبراطورة سابقا ،)



١٣٨ ـ الأميرة نسل شاه تفتتح دارا جديدة لمبرة
الأميرة فريال



١٣٩ ـ الملكة نازلى فى الجمعية الزراعية الملكية
وفؤاد أباظة باشا رئيسها يتولى الشرح للملكة



١٤٠ ـ الأميرة شويكار وبعض المتطوعات على
ماكينات الخياطة للبر أو هكذا كانوا يقولون



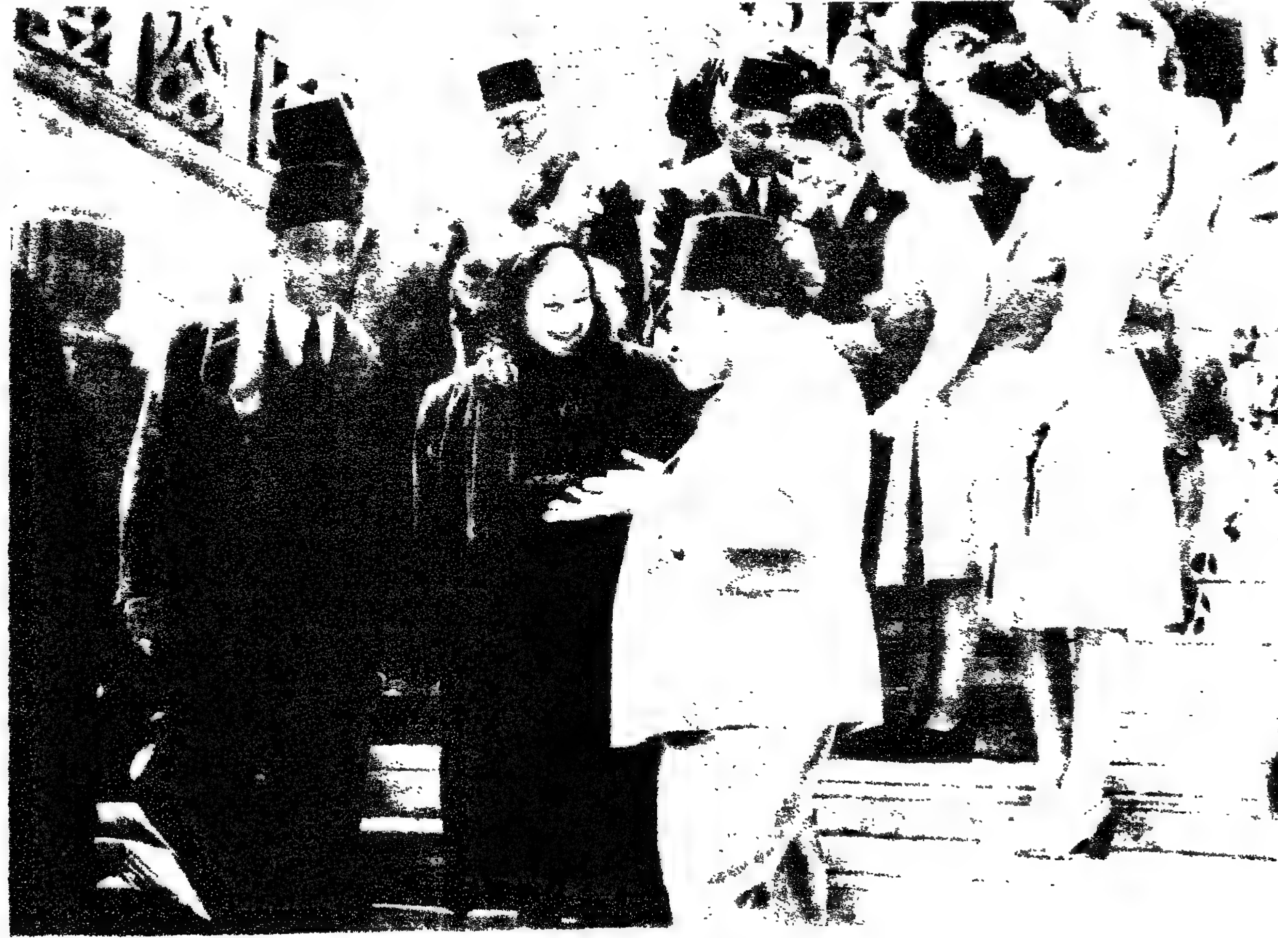
١٤١ ــ شويكار أغنى أميرات البيت/المالك مع
صورة للفقر المدقع فى أحد شوارع الزمالك بالقاهرة



١٤٢ ـ نـاهـد رشـاد عنـدمـا كـانت وصيفـة للامبراطورة فوزيـة فلما طلقت الأمبراطـورة بقيت وصيفـة فى القصر ، وصيفـة وصديقـة ، لصاحب القصر



١٤٣ ـ الملكة نازلى والأميرتان فائزه وتحية فى
إحدى حفلات وزارة المعارف



١٤٤ ــ هدى هانم شعراوى فى إحدى الحفلات



١٤٥ ـ هدى شعراوى وسيزا نبراوى على الباخرة سفنكس فى الطريق إلى فرنسا .



١٤٦ ـ هدى شعراوى وحواء إدريس فى صورة تذكارية نادرة



١٤٧ ــ هدى شعراوى وحواء إدرس فى بيروت (أغسطس ١٩٤٤ للتحضير لتكوين) الاتحاد النسائى العربى : الصورة فى منزل السيدة أمان اللاذقى



١٤٨ ــ حواء ادريس فى زى فولكلورى



١٤٩ ــ الكاتبة مى زيادة نموذج رفيع للأدب الرفيع



١٥٠ ـ أم كلثوم سيدة الغناء العربى فى شبابها



١٥١ ـ لجنة سيدات الهلال الأحمر برئاسة حرم
حسين سرى باشا ،



١٥٢ ـ طالبات السنة الخامسة علمى فى واحدة
من مدارس البنات



١٥٣ ـ الأميرة نسل شاه فى حفلة خيرية : زهرة بين الزهور



١٥٤ ـ زينب الوكيل حرم النحاس باشا فى الباخرة محاسن



١٥٥ ـ حرم النحاس باشا وحرم مكرم عبيد باشا في صورة



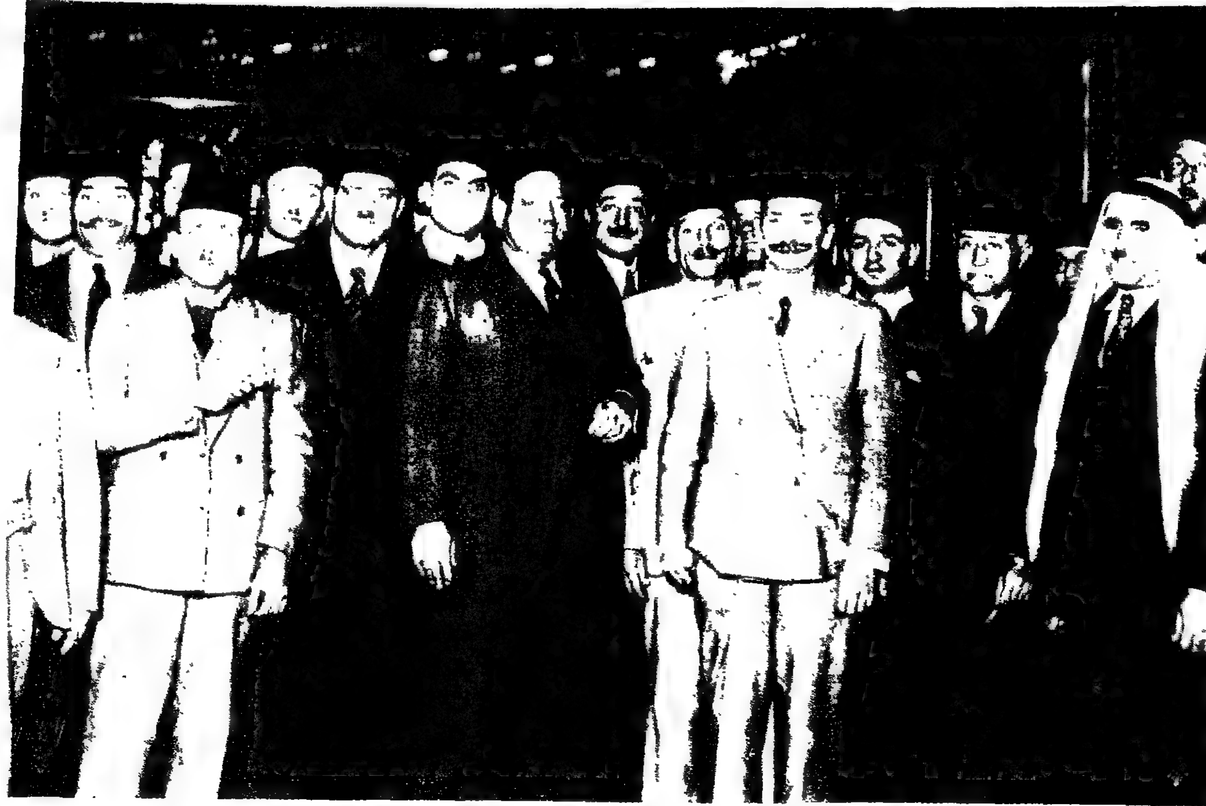
١٥٦ ـ زينب هانم الوكيل حرم مصطفى النحاس باشا



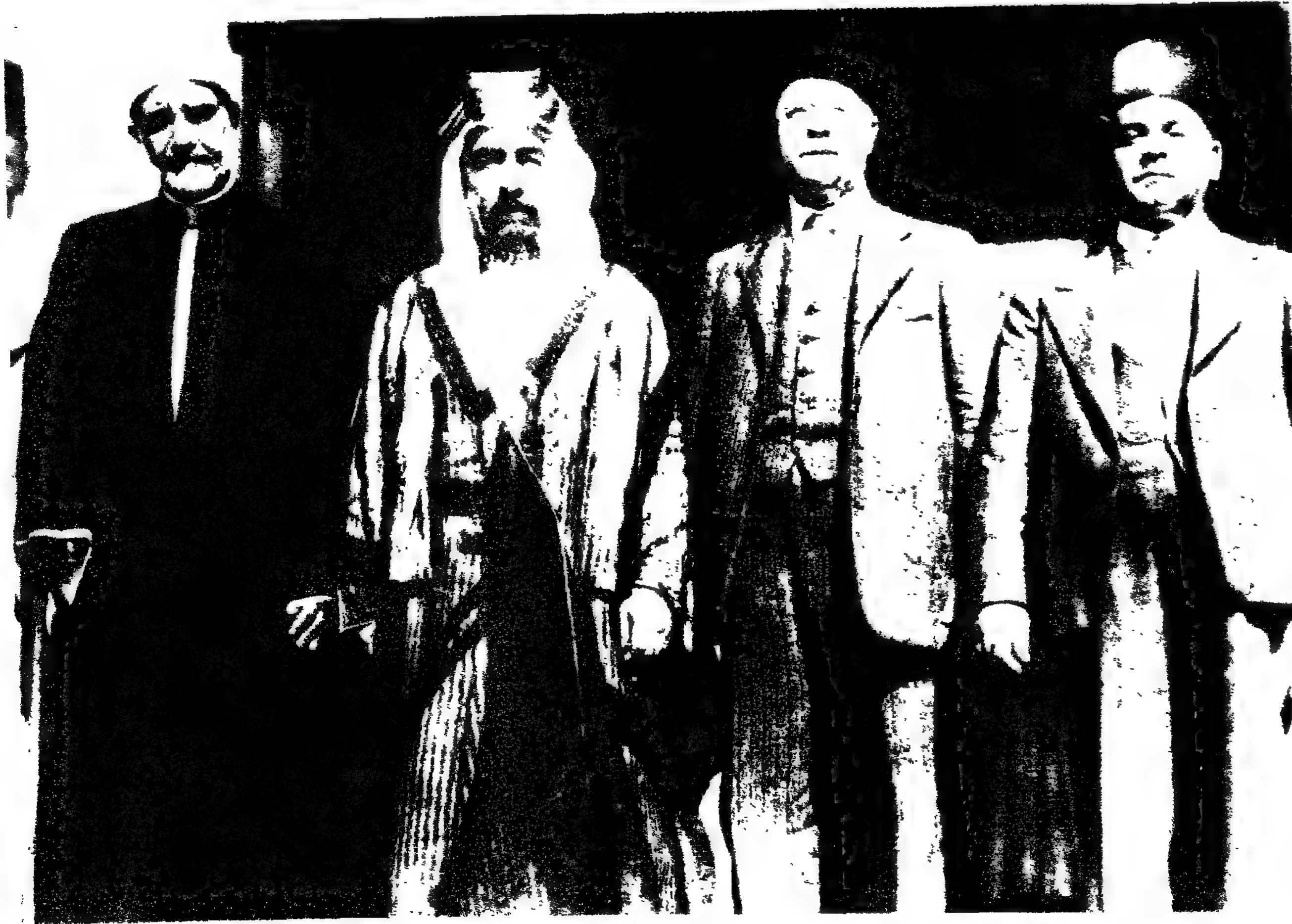
١٥٧ ـ المفتى الأكبر الحاج أمين الحسينى رئيس الهيئة العربية العليا وابراهيم دسوقى أباظة باشا والشيخ محمد عبداللطيف دراز فى صلاة العيد



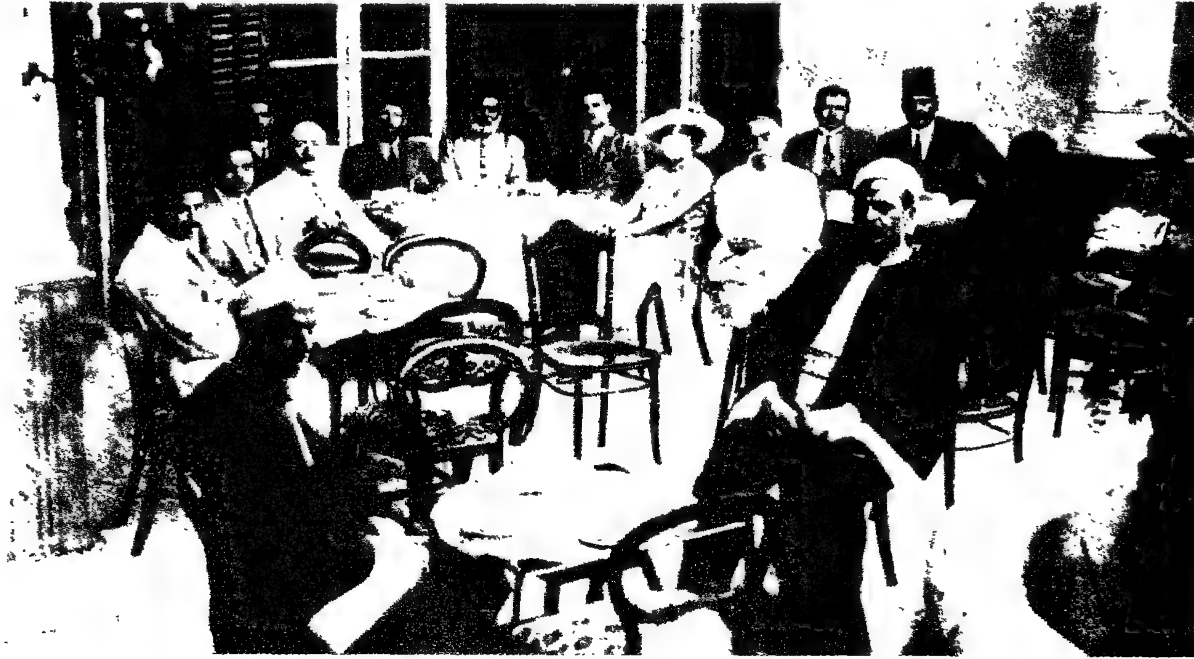
١٥٨ ـ أعضاء البرلمان يتقدمهم أحمد ماهر باشا ، فى طريقهم إلى مصطفى النحاس باشا لتهنئته بنجاته من محاولة اغتياله



١٥٩ ـ فى الأسبوع الأول من يناير ١٩٣٩ شارك النحاس باشا فى الحفل الذى أقيم لتكريم الزعماء الفلسطينين العائدين من منفاهم بجزيرة سيشيل : فى الصورة أحمد حلمى باشا وبقية الزعماء



١٦٠ ــ الأمير عبد الله أمير شرقى الأردن فى زيارة له بمصر قبل أن يصبح ملكا للاردن وإلى جانبه الشيخ المراغى



١٦١ – حفل عربى فى بيت شيخ العروبة أحمد
شفيق باشا



١٦٢ ــ سفير الأورطة المصرية إلى السودان فى ٢٤/١٢/١٩٣٧ ويرى ادريس عبد الحى الموظف بالبرلمان المصرى ــ وهو سودانى ــ وقد اتشح بالعلم المصرى



١٦٣ ـ الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر
مصطفى المراغى فى أحد فصول جامعة الأزهر
يتحدث والأستاذ والطلاب يستمعون



١٦٤ ــ رسالة عن الفراء وأثره فى النحو للأستاذ الشيخ ابراهيم عمر هندية ، لجنة المناقشة برئاسة الشيخ غرابة وعضوية الشيخ أبو النجا والشيخ عبد الحميد عيسى والأستاذ أحمد نجاتى



١٦٥ ـ الشيخ المراغى كان زعيما دينيا وزعيما سياسيا

١٦٦ ـ الشيخ المراغى فى الأزهر بين طلبته



١٦٧ ـ سليم حسن بك رائد علماء الأثار المصريين وأكثرهم وطنية : كانت له مع السراى خصومة عنيفة .



١٦٨ ـ محمود غالب باشا قاضيا ثم وزيرا ،



١٦٩ ــ محمد توفيق دياب من رئاسة تحرير الجهاد
إلى السجن وبالعكس



١٧٠ ــ عباس محمود العقاد : كاتب عملاق
وشاعر ، مجدد ، خلاق



١٧١ ـ محمد على علوبة باشا واحد من أشهر المحامين المصريين الذين تخصصوا فى الدفاع عن القضية الفلسطينية



١٧٢ـ مصطفى النحاس وأحمد ماهر قبل الانفصال



١٧٣ ـ عزيز المصرى باشا وابنه الوحيد ، الذى
أقام فى الولايات المتحدة الأمريكية لأن أمه أمريكية



١٧٤ ـ مكرم عبيد باشا وابـراهيم عبد الهـادى باشا



١٧٥ ـ الشيخ المراغى والنقراشى باشا



١٧٦ – ابراهيم عبد الهادى باشا ومحمود غالب باشا



١٧٧ ـ النحاس باشا ، والسفير صادق المجددى ، سفير الأفغان المقيم دائما فى مصر ، لقد اتخذ المجددى من مصر وطنا دائما له ،



١٧٨ ـ مصطفى النحاس باشا وعبد السلام جمعه باشا تولى كل منهما رئاسة مجلس النواب



١٧٩ ـ الأمير عمر طوسون باشا من قيادات مصر الوطنية وكان دائما سباقا لمعاونة المشروعات الوطنية وخاصة الجانب الاقتصادى



١٨٠ ــ الأمير يوسف كمال من أغنى أمراء البيت المالك وكان القطار يمشى ساعات فى أراضيه الواسعة ، ولم يكن يشغله فى حياته سوى كلبه .



١٨١ ــ محمد الباسل باشا نموذج للعطاء الوطنى الخالص



١٨٢ ـ شريف صبرى باشا فى قصره



١٨٣ ـ عزيز المصرى باشا فى آخريات أيامه



١٨٤ ـ د . طه حسين ومعاركه السياسية والأدبية .



١٨٥ ـ لطفى السيد استاذ الجيل وكل الأجيال

١٨٦ ـ طلعت حرب باشا زعيم مصر الاقتصادى



١٨٧ ـ عبد اللطيف طلعت باشا كان الانجليز يكرهونه عندما كان وكيلا للديوان الملكى





١٨٨ ـ محمد التابعى رائد الصحافة العربية الحديثة



١٨٩ ـ صورة رسمية للدكتور محمد حسين هيكل باشا



١٩٠ ـ د . محمد حسين هيكل رئيس حزب الأحرار الدستوريين يخطب



١٩١ ـ الشيخ حسن البنا
المرشد العام للاخوان المسلمين



١٩٢ ـ محمد على علوبة باشا خارجا من محطة القدس عند وصوله اليها للمشاركة فى مؤتمرها الاسلامى ،



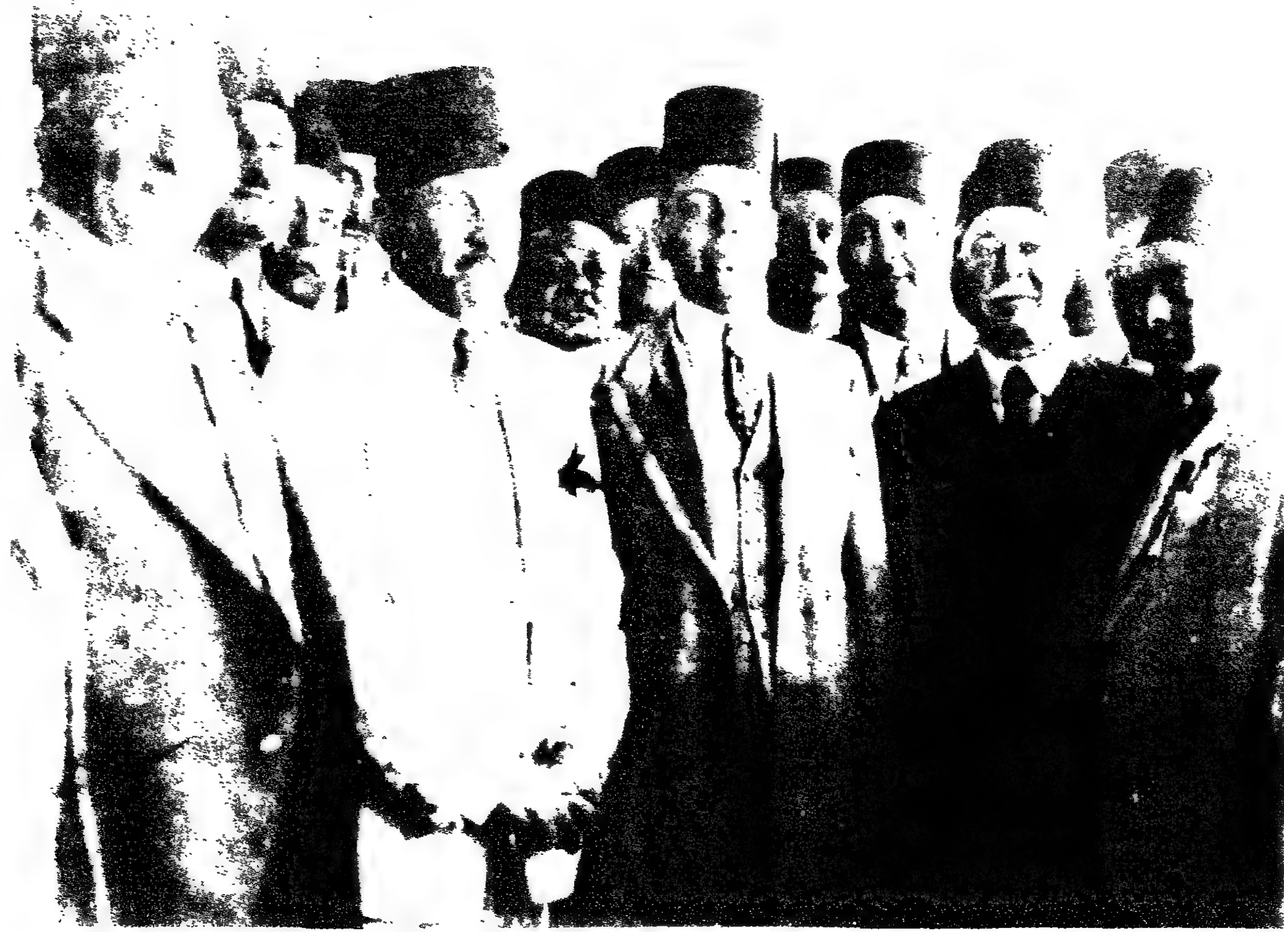
١٩٣ ـــ الأمير محمد على والنقراشى باشا مبتسما



١٩٤ ـــ الامير محمد على وشريف صبرى باشا .



١٩٥ من الزعماء الذين لم ينالوا بعض حقهم من التخليد والدراسة ، عدلى يكن باشا رغم أنه من الشخصيات التاريخية الفذة



١٩٦ ـ محمد محمود باشا ، وعلي ماهر باشا



١٩٧ ــ لفيف من زعماء مصر : مصطفى النحاس باشا ، محمد محمود باشا ، حمد الباسل باشا ، اسماعيل صدقى باشا ، وحافظ عفيفى باشا



١٩٨- فى اخريات ايام وزارة محمد محمود باشا الأخيرة قابل محمد باشا ، الملك فاروق ونصح رئيس الوزراء الملك بأن يرعوى وكان قاسيا فى نصائحه ، فى نهاية اللقاء : رجا الملك فاروق من محمد محمود أن يبتسم وهو يقابل الصحفيين فى أثر المقابلة حتى لا يقال أن هناك أزمة وزارية ، وقال محمد محمود باشا : أنا محمد محمود ولست يوسف وهبى هذه الواقعة جاءت فى مذكرات فاروق التى لم تنشر بعد : فى الصورة مع محمد محمود وحافظ عفيفى



١٩٩- فى أزمة مع الملك فؤاد سنة ١٩٢٧ أيام وزارة محمد محمود باشا : سئل محمد محمود من الصحفيين وهو فى روما : هل ستكون فى معية الملك عند عودتك من روما ؟ وقال محمد محمود للصحفيين : كلا ، ولكن الملك فؤاد حجز على الباخرة التى استغلها ، وكانت أزمة : محمد محمود يرافق الملك فؤاد فى العربة الملكية



٢٠٠ - فى أيام محمد محمود الأخيرة ــ وهو للعلم واحد من الشخصيات البازرة التى تختلف معها ولكنك لا تملك إلا احترامها ــ محمد محمود ، يعود من مرسى مطروح ، : الصورة فى محطة سيدى جابر بالاسكندرية واحد أنصاره يحاول تقبيل يده .

استدراك هام

سقط سهوا إسم المناضل القديم شوقى عبد الوهاب تحت رسالته النشورة فى الفصل الأخير صفحة ٥٥٢ ونأسف لهذا الخطأ غير المقصود :
من . م

الفهرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٨/٥٤١١

ISBN ـ ٩٧٧ ـ ٠١ ـ ١٨٨٠ ـ ×

كما قلت فى الجزء الأول من كتابى : سنوات ما قبل الثورة : لعلها التجربة الأولى من نوعها فى دنيا التأليف .

أن يكتب الشعب تاريخه بنفسه وأن يجمع الكتاب الواحد بين دفتيه الرأى والرأى الآخر أقول فى الجزء الثانى من هـذه السلسلة إننى كنت أتوقع هذا الإقبال الرائع على هذا الكتاب من جماهير الشعب لأنهم يقبلون على تاريخهم . . هم الذين كتبوه لا بل هم الذين صنعوه ولست سوى مسجل لصفحات تاريخ مشرق صنعه شعب عظيم معطاء .

كالبحر يمطره السحاب
وماله فضل عليه لأنه من مائه

الثمن ١٥ جنيهاً

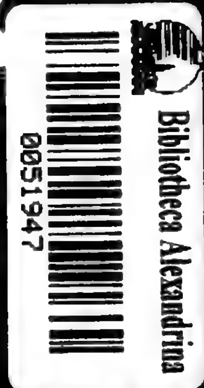
مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

صبري أبو المجد

سنوات ما قبل الثورة

١٩٣٠ - ١٩٥٢

الجزء الثالث



سنوات ما قبل الثورة

صبرى أبو المجد

الجزء الثالث



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٨٩

الاخراج الفنى : محمد قطب

الاهــداء

الى مصر :

مصر الحياة والوجود

مصر ، البلد ، والولد ،

مصر الأب والأم والزوج والأبناء والبنات والأحفاد وأحفاد الأحفاد

مصر الأهل والأصدقاء ، والمعارف والزملاء

مصر الشيوخ والشباب والكهول والفتيان

مصر الأمل والرجاء والحب والعطاء والولاء والانتماء

مصر الماضى والحاضر والمستقبل

مصر القوة والمنعة .. القاهرة دوما لغزاتها ، المنتصرة باستمرار على أعدائها المرتفعة الى الأبد هاماتها وأعلامها وراياتها .

مصر الوطنية ، المصرية ، القوية الجارفة

مصر المالكة والمملوكة ، العاشقة والمعشوقة

مصر ، التى وهبتنا كل ما تملك ووقفنا عليهـا نحن كل ما نملك ..

اليها : والى أبنائها البررة بها ، العاشقين لهـا ، المتأهبين دوما للدفاع عنهـا وللتضحية بالمهج والأرواح فى سبيلها ..

اليها : واليهم : أهدى كتابى هذا : قصيدة حب وعشق وهيام فى مصر ولمصر : مصر الجديدة دائما وأبدا بكل الحب والعشق والهيام ..

صـبرى أبو المجـد

البـــاب الأول

الفصل الأول

المدخل الى الجزء الثالث من سنوات ما قبل الثورة

قبل أن أخط حرفا واحدا فى هذا المدخل ولا أسميه المقدمة لا بد لى أن أسجد شاكرا لله جل وعلا ، أن مكننى من القيام بهذا الجهد الوطنى الذى طالما تاقت نفسى الى القيام به داعيا الله سبحانه وتعالى أن يوفقنى لتكملة هذا الجهد بالصورة التى أتمناها وأرجوها ، كما أنه لابد لى – فى البداية أيضا – من أن أشكر كل الزملاء والأبناء فى مصر وفى الأقطار العربية الشقيقة لاستقبالهم الحار لهذا الجهد المتواضع والكتابة عنه – وباستفاضة – فى صحفهم المتخصصة وغير المتخصصة فقد أحاطوا مشكورين سلسلة كتبى عن « سنوات ما قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ » بكثير من العناية والرعاية والاهتمام ، والدراسة الجادة الموضوعية وكذلك الأخوة الأعزاء الذى تقلوا فصولا كاملة من هذه الكتب فى صحفهم ومجلاتهم توسيعا لدائرة القراء المستفيدين أو الذين يمكن أن يستفيدوا من هذا الجهد : على أننى فى كثير من الحالات وعندما يبالغ الاخوة والأبناء والزملاء بالاشادة بهذا الجهد أوقن انه ليس موجها الى الجهد ذاته ، بقدر ما هو موجه الى الموضوع الذى تناوله ذلك الجهد ٠

ولقد أحسست بفرحة طاغية – وذلك ليس من عادتى – عندما وجدت العديد من الأخوة العرب ، يتناولون هذه الكتب فى صحفهم ، بحرارة ، واهتمام كما يتناوله الأخوة الأعزاء فى مصر تماما على أساس أن كل ما يتعلق بمصر من معلومات وتأريخ يتعلق بهم شخصيا فلمصر مكانتها الفريدة فى القلوب والعقول وما نهتم به هنا فى مصر خاصا بتاريخ مصر ، يهتمون هم به بنفس الدرجة من الحماس ، أما القراء والقارئات الذين أقبلوا – رغم ارتفاع أسعار الكتب اللاارتفاع بل للحمى التى لحقت بالأسعار العالمية للورق – على هذه الكتب حتى كادت تنفد من الأسواق ، فلن أفيهم أبدا حقهم من الشكر والثناء ، لقد أقبلوا

على هذه الكتب اقبالا لم تسهد له دنيا المكتبات مثلا الا فيما ندر : والذى لا شك فيه أن السبب فى ذلك الاقبال مرده الى أن هذه الكتب ليست من عملى وحدى وانما هم مشاركون فيها بالجهد ، والعرق ، فمنذ فتحت الباب للحوار الجاد البناء فى موضوع سنوات ما قبل الثورة وأصررت على أن يأخذ الحوار مجراه الطبيعى حتى ولو كانت هناك فى الحوار ثمة تجاوزات من قبل بعض القراء وأنا أشعر حقيقة أننى لست مؤلف هذه الكتب وحدى وانما جماهير الشعب هى شريكتى — بأكثر من النصف — فى اعداد هذه الكتب .

ولعلها التجربة الأولى من نوعها فى دنيا التأليف ان يكتب الشعب تاريخه بنفسه وان يجمع الكتاب الواحد بين الرأى والرأى الآخر : عندما رأيت — وأنا شاهد عيان على ما حدث فى سنوات ما قبل الثورة أن أكتب عما شاهدته ، وما عرفته ، وعما شـــاركت فيه وأبيت الا أن أشرك فى كتابتى الأحيـاء من الساسة الذين شاركوا فى صنع بعض الأحداث فان لم يوجدوا سعيت الى أبنائهم وأحفادهم لعلى أجد عندهم جديدا ، على اننى لم أكتف بذلك وانما فتحت الباب على مصراعيه لكل صاحب رأى وكل صاحب تجربة فى هذه السنوات التى سبقت ثورة ١٩٥٢ فجاءت تلك السلسلة على نحو جديد فريد لم يسبقنا اليه أحد من قبل .

سلسلة كتب سنوات ما قبل الثورة اذن ، ليست من تأليفى وحدى كما سبق أن قلت ، وانما هى من تأليف الجماهير ذاتها صاحبة التـاريخ المجيـد الخالد ، الذى نحاول أن نسجل بعض صفحاته : ولقد كنت أحس بالكثير من المرارة وأنا أحاضر عن تلك الكتب أو أشترك فى مناقشة ما جاء فيها وأسـمع من الشباب من يقول ، اننا لا نملك ثمن تلك الكتب ، ولأن المسألة ، ليست مسألة فرد ، أو اثنين أو ثلاثة ، أو حتى مجموعة أفراد بل تشمل العديد من الأفراد والجماعات فلقد اقترحت على الأخ الصديق الدكتور سمير سرحان رئيس مجلس ادارة الهيئة العامة للكتاب أن تتولى الهيئة عملية نشر طبعات شعبية من هذه الكتب ومن غيرها توسـيعا لدائرة القراء كما اننى اقترحت على الوزارات المصرية المعنية — الثقافة والتربية والتعليم والاعلام ، والمجلس الأعلى للشباب والرياضة وغيرها وغيرها — أن تدخل مشترية فى سوق الكتاب ثم تتولى تقديمه ، بثمن رمزى الى الشباب أو تمكينهم من قراءته فى المكتبـــات ، وأماكن تجمع الشباب وغير الشباب وفى المدارس والجامعات والأحياء الشعبية : ان الثقافة يجب أن تدعم كما يدعم الرغيف سواء بسواء ، بل ان دعم الثقافة فى كثير من الحالات بالنسبة لكثير من طوائف الشعب وفئاته ، وفى المقدمة الشباب يجب أن يسبق أى دعم آخـر فالأمراض التى يمـكن أن تنجم عن قلة التغذية مثلا ليست أبدا أخطر من الأمراض التى يسببها الخواء الفكرى .

وأنتقل مباشرة الى الحديث — وفى البداية أيضـا — الى الانتقادات التى وجهها بعض الاخوة والزملاء ، الذين تناولوا سلسلة كتب سنوات ما قبل

الثورة فى ندواتهم أو مقالاتهم ، أو فى خطابات ، يعنوا بها متشكورون - الى وأحمد الله سبحانه وتعالى لأن كل الانتقادات ليست موجهة الى المنهج الذى اتخذته عونا لى فى كتابة هذه السلسلة ، ولا الى الأسلوب ، ولا الى الأهمية العلمية للكتاب وانما تناولت تلك الانتقادات التى سعدت بها الى أبعد حدود السعادة بعض جزئيات ، وردت فى هذه الكتب يجرى الاختلاف أو الخلاف عادة حولها لأنها من الأمور القابلة للجدل ، وللحوار فى كل زمان ، ومكان ، ولن أتعرض هنا للرد على كل الانتقادات التى أعطيتها أهمية كبيرة على كل ما عداها فى هذا المدخل فلقد توليت الرد عليها فى وقت صدورها ، وانما سأكتفى بذكر أمثلة فقط أى سيكون الرد على سبيل المثال لا الحصر ، ومن بين تلك الأمثلة ما ذكره الأخ الأستاذ الدكتور عاصم الدسوقى فى الندوة التى نظمتها الهيئة العامة للكتاب فى معرض الكتاب الدولى الواحد والعشرين بخصوص ابراهيم الهلباوى ، وكونى قد أوليته اهتماما خاصا بما نقلته عن مرافعته فى قضية نزاهة الحكم ، بالرغم من موقفه المزرى فى قضية دنشواى وقبوله - رغم موجة الاستياء الشعبى التى سبقت وواكبت حادث دنشواى وقضية دنشواى - منصب المدعى العمومى ، فى تلك القضية .

وأبادر فأقول اننى أنظر الى الأحداث التاريخية حدثا ، حدثا ، أوليه أهمية بالغة ، أتناوله من جميع جوانبه : أحاول ان أعيش فى الجو ، الذى وقع به ذلك الحادث : أتصور الظروف التى كان يعيشها المجتمع وقتذاك ، ثم أتقمص شخصية واحد ممن كانوا يعيشون فى تلك المرحلة ممن يتصفون ، بالعدل ، والحيدة ، ثم بعد ذلك كله وبعد الدراسة المتأنية الجادة وقراءة كل الأوراق الخاصة بذلك الحدث ، أقول كلمتى فى الحادث وفى المشاركين فيه ، بموضوعية كاملة .

ثم ان رأيى فى واحد من هؤلاء ، الذين شاركوا فى مسئولية هذا الحادث ، لا يجب أبدا أن يمتد الى رأيى فى هذا الشخص بالنسبة لأحداث أخرى .

وبصورة أكثر دقة وتصويرا : هناك - بالنسبة لى - زاويتان هامتان بالنسبة لأى فرد من الأفراد ، الذين نطلق عليهم شخصيات عامية زاوية أنظر فيها الى دوره فى حادث ما ، وزاوية أخرى لا علاقة لها بالأولى أنظر فيها اليه جملة لا تفصيلا .

وفيما يتعلق - مثلا - بالأستاذ ابراهيم الهلباوى ، أرى أنه أخطأ بل أجرم فى قبوله منصب المدعى العمومى ، فى قضية دنشواى وأرى أنه ما كان ينبغى أبدا أن يقبل هذا المنصب كما أننى أرى أن حججه مرفوضة تلك التى قبل على أساسها المنصب الذى لم يدم الا أياما قلائل هى أيام نظر القضية من بينها - مثلا - أنه اذا رفض المنصب فان آخرين من المحامين سوف يقبلون وربما يكونون أقل وطنية منه وربما يطاوعون المحتل ١٠٠٪ فيطالبون باعدام كل

المتهمين فى القضية ، ذلك أننى أرى أنه كان يجب أن يرفض ، هو شخصيا ، ويدعو الى رفض المحامين جميعا هذا المنصب حتى يضطر الانجليز الى تعيين « مدعى عمومى » منهم هم ، لا من المصريين وأنا أوافق ابراهيم الهلباوى على أن العامل المادى لم يكن له أدنى اعتبار فى قبوله هذا المنصب فما أخذه فى هذه القضية من أتعاب لا يزيد عن متوسط ما كان يتقاضاه فى أية قضية عادية أخرى ، ثم انه ـ عندما قبل مهمة المدعى العمومى ـ كان يعرف أن مكتبه قد يقفل بالضبة والمفتاح لأنه يسبح ضد التيار الوطنى ، كما أننى أعرف شخصيا ان ابراهيم الهلباوى عندما قبل هذا المنصب لم يكن راغبا فى أن يعين وزيرا ، أو نائبا عاما أو مستشارا لأنه منذ البداية ـ بداية حياته العملية ـ كان يؤثر دائما المحاماة وكان يفضلها على أية وظيفة أخرى من بينها الوزارة ، ان قبول ابراهيم الهلباوى هذه المهمة التى لم تدر عليه مالا ، ولم تقربه من سلطات الاحتلال كان نتيجة فهم خاطىء وقد اعترف ابراهيم الهلباوى بخطئه ، وطالب الشعب أكثر من مرة بأن يغفر له ، هذا الخطأ بل هذه الخطيئة ، ولقد تعذب ابراهيم الهلباوى على المستوى الشخصى عذابا دونه أى عذاب آخر فقد تأثر مكتبه كمحام الى حد كبير وابتعد كثير من المتقاضين عن التعامل معه ، حتى أنه فكر فى أن يقفل مكتبه لفترة ما حتى ينسى الشعب جريمته .

بل وأكثر من ذلك كان شباب مصر ـ شباب الحزب الوطنى ـ يتتبع ابراهيم الهلباوى فى كل مكان يذهب اليه ليضايقه وكان يلقى محاضرة فى نادى حزب الأمة وقبل أن يبدأ محاضرته قام الشباب الوطنى باطلاق الحمام ، فى القاعة ، مما أحدث هرجا ومرجا و « أعجزه » عن القاء محاضرته ، على النحو الذى كان يريد واطلاق الحمام هنا يعنى اشارة الى حادث دنشواى ، الذى قام ابراهيم الهلباوى فى قضيته بدور المدعى العمومى . وربما كان حافظ ابراهيم أقسى من هاجم ابراهيم الهلباوى فى قصيدته التى حفظها عن ظهر قلب كل شباب مصر ، وكانوا يرددونها باستمرار فى كل مناسبة وطنية وأشهر أبيات تلك القصيدة :

أنت جلادنا فلا تنس أنا   على يديك قد لبسنا الحدادا

وكان ابراهيم الهلباوى دائم الشكوى من عدم تحقيق العدالة فى الظلم ، كما كان يقول : لقد أجرمت فى حق بلدى وشعبى ، وفى حق المتهمين لأننى ترافعت كمدع عمومى فى تلك القضية ودفعت وحدى الثمن ، بالرغم من أن هيئة المحكمة التى أصدرت الأحكام الظالمة التى شكونا منها ، لم تنل بعض ما نلته من غضب شعبى لا مثيل له ، وكانت المحكمة التى أصدرت الأحكام فى قضية دنشواى برئاسة بطرس غالى باشا وعضوية كل من المستر هينز نائب المستشار القضائى والمستر بوند وكيل محكمة الاستئناف الأهلية

والقائمقام لادلو القائم بأعمال المحاماة والقضاء بجيش الاحتلال وأحمد فتحى بك زغلول (باشا) رئيس محكمة مصر الابتدائية أعضاء .

ولم يكن ابراهيم الهلباوى يظن أن رئيس المحكمة بطرس غالى باشا سوف يلقى مصرعه بيد شاب وطنى اسمه ابراهيم ناصف الوردانى وسيكون من بين الأسباب التى تذرع بها القاتل لارتكاب جريمته أنه رأس المحكمة المخصوصة التى حاكمت المتهمين فى قضية دنشواى .

على أية حال فقد ظل ابراهيم الوردانى منفيا من ضمير الشعب منذ حادث دنشواى فى ١٣ يونيو ١٩٠٦ الى أن وقع حادث اغتيال بطرس غالى رئيس الوزارة المصرية .

وكان الرأى العام يولى هذه القضية ـ قضية مقتل بطرس غالى ـ أهمية بالغة ، ويظهر عطفه على القاتل وكانت القيادة الوطنية الممثلة فى الحزب الوطنى ، تسعى بكل ما تملك من قوة لانقاذ رأس القاتل من المشنقة ، ولذلك جندت أعاظم رجال المحاماة فى مصر للدفاع عن القاتل ولأهمية ابراهيم الهلباوى كمحام ضليع يحتل الصدارة فى مهنة المحاماة فقد سعى أقطاب الحزب الوطنى الى ابراهيم الهلباوى ليشترك فى الدفاع عن ابراهيم ناصف الوردانى ؛ فوجدها الهلباوى فرصة العمر ، وكانت بمثابة رد اعتبار له : ان التجاء القيادة المصرية الوطنية اليه للدفاع عن متهم من شباب الحزب الوطنى ، يؤكد أن التيار الوطنى المصرى الجارف قد غفر له زلته وراح يبدأ معه صفحة جديدة .

وقد رحب الهلباوى بذلك وأعد لمرافعته اعدادا هائلا وكان عبد الخالق ثروت باشا النائب العام ـ وقتئذ ـ قد طالب برأس المتهم ابراهيم ناصف الوردانى وكانت المحكمة برئاسة مستر دلبر أوغلى وعضوية أمين بك على ، وعبد الحميد رضا بك المستشارين وكان من أبرز المحامين عن الوردانى أحمد بك لطفى من أوائل نقباء المحامين فى مصر ، وكذلك ابراهيم الهلباوى الذى كان قد انتخب نقيبا للمحامين أكثر من مرة .

وكانت مرافعة ابراهيم الهلباوى قطعة من الأدب الرفيع ، الممتزج بالسياسة الدقيقة بالاضافة الى المستوى القانونى الرائع ، وقد حفظنا ـ كشباب وطنى ـ الكلمات التى اختتم بها الهلباوى مرافعته وقد جاء من بين ما حفظناه : « خدمت نحو الخمسة والعشرين عاما محاميا ، ولم يخطر ببالى يوما أن أسأل أو أقرأ سبب اختيار الرداء الاسود ، حلة رسمية للمحامى الذى يتشرف بالدفاع بين يدى القضاء ولا سبب انتخاب اللون الأخضر ، للوسام الذى تزدان به صدور من عهد اليهم اصدار الأحكام النهائية ، أما الآن وقد أبعدت عنى هذه القضية كل راحة ، وجعلتنى مرآة لتلك القلوب المتفطرة كأم المتهم وشقيقته وباقى أهله أقول : ان كان مختار هذه الألوان أراد باللون الأسود رمزا للحداد والمصائب للمحامى الذى يقوم بالدفاع عن المتهم ، وباللون الأخضر الذى

يتجلى به صدر القاضى الرمز الى الطاووس ذى الريش الأخضر وهو مثال ملائكه الرحمة فنعم الاختيار : كأننا نحن فى القاعة أمام أولئك القضـاة المتشبهين بملائـكة الرحمة على سطح هذه الأرض ، نقوم على نوع ما بمأمورية شـبيهة بمأمورية أولئك الأحبار فى هياكلهم الذين اتخذوا متلنـا ثياب الحداد وهم يتضرعون الى مبدع السموات والأرض بأن يفيض على الأرواح الذاهبة الى دار الخلود سحب رحمته وغفرانه » • ويمضى ابراهيم الهلباوى وهو يخاطب القضاة الذين يقف أمامهم قائلا :

ونحن هنا نقول لكم انكم تذكرون انه ليس دائما بمقدور الانسان الضعيف أن يحمى نفسه من الخطر ، ومن الزلل وأن يعيش معيشة الملائكة ، فتقبلوا دعاءنا فى طلب الرحمة للأحياء كما يتقبلها من أنابكم حكما فى عباده ، والذى علمنا أنه كما أن من صفاته العدل فان من صفاته الرحمة وعلمنا فوق هذا أن الرحمة فوق العدل •

ويتوجه ابراهيم الهلباوى الى ابراهيم ناصف الوردانى قائلا :

والآن لى كلمتان أوجههما الى المتهم بين يدى القاضى : الأولى أنى اذا كنت قاسيا عليه فى نعته فلأنى خاضع لقانون ليس دائمـا ـ من سوء البخت ـ ملتئما فى أحكامه مع ما توصى به الذمة والضمير لأنه مضطر فى أحوال كثيرة رعاية لسلامة المجتمع البشرى وصيانته أن ينظر نظرة أخرى فى تعريف الحلال والحرام ، ونحن المحامين أحق الناس بالأدب والخضوع لهذا القانون فاذا قبل الدفاع عذرك أيها المتهم ، وعرضه على قاضيك فعليك أنت أيضا أن تقبل قبولا حسنا عذر الدفاع فيما خالفك فيه من عقائدك السياسية : الثانية : انى اذا أنزلتك منزلة المجرمين العاديين وطلبت لك الرحمة والغفران فلأن ذلك واجب أيضا يقتضيه الدفاع ولكن اذا أبت نفسك أن تعيش بين السلاسل والأغلال وأن تعيش معاملا معاملة الأشقياء ، وقطاع الطرق فارفع نفسك عن هذا السبيل وتقبل نبال الموت تقبل البواسل فالموت آت لا راد له ان لم يكن اليوم فغدا • اذهب الى لقاء الله الذى لا يرتبط الا بعدالته المجردة عن الظروف والزمان والمكان: اذهب مودعا منا بالقلوب والعبرات ، اذهب فقد يكون فى موتك بقضاء البشر عظة لأمثالك أكثر من حياتك : اذهب فان قلوب العباد اذا ضاقت عليك فرحمة الله واسعة » •

ومنذ ذلك التاريخ (١٩١٠) وابراهيم اللهباوى فى ضمير الشعب قمة من قمم المحاماة ومن قمم السياسة •

ولقد أختير الهلباوى عضوا فى لجنة الدستور التى شكلت لوضع دستور جديد هو الذى أطلق عليه فيما بعد دستور سنة ١٩٢٣ •

وكان لابراهيم الهلباوى فى اجتمـاعات لجنة الدستور مواقف دستورية رائعة ، ثم أصبح ابراهيم الهلباوى من أعمـدة حزب الأحرار الدستوريين ،

وقد انتخب أكثر من مرة نقيبا للمحـــامين وكان يطلق عليه فى أيامه الأخيرة شيخ المحامين ٠

ان وجهة نظرى فى مثل هذا الموضوع تتلخص فى أن من أخطأ أو أجرم مرة أو أكثر من مرة لا يجب أبدا أن نصدر عليه الحكم بالموت الأدبى ، وانما يجب أن نحاسبه على ما اقترف ان صوابا وان خطأ ، دون أن يتعدى ذلك الحساب الى كل ما قام به فى حياته من أعمال طيبة ٠

لا أتصور أن يظل ابراهيم الهلباوى يدفع جريمة ارتكبها فى عام ١٩٠٦ الى الأبد ولا أتصور أبدا أن يشطب بأستيكة كل ما قام به الهلباوى فى حياته المديدة من جلائل الأعمال لمجرد أنه أخطأ خطأ بسيطا أو خطأ مركبا بل لمجرد أنه ارتكب جريمة من الجرائم ، ثم ان القانون نفسه قد أعطى لمن حوكم فى جناية ما أن يطالب قضائيـا أو قانونيا برد اعتباره ، أى ان ذلك الذى ارتكب جريمة قتل ولم ينفذ فيه حكم الاعدام وانما حكم عليه بالأشغال المؤبدة ، أو المؤقتة من حقه أن يرد له اعتباره ومن الظلم الا نعامل ابراهيم الهلباوى كما يعامل المجرمون العاديون !!

وانتقل بعد ذلك الى الحديث عن نقد آخر وجهه ـ فى نفس الندوة التى سبق الاشارة اليها ـ الأخ الأستاذ جلال السيد ، وهو أننى أوليت اهتمـاما لمقتطفات من مذكرات اسماعيل صدقى باشا بالرغم من أن « اسماعيل باشا كان دكتاتورا » « وكان عدو الشعب » وكان أوتوقراطيا ومعاديا للديمقراطية الى غير ذلك من الصفات التى أطلقت على اسماعيل صدقى باشا ٠

وكان الأخ الأستاذ جلال السيد ، عندما وجه هذا النقد ، لم يقرأ الجزء الأول من « كتاب سنوات ما قبل الثورة » وراجعته فيما قال ، مؤكدا له أننى فى جزء كبير ، من الجزء الأول تحدثت ـ باستفاضة ـ عن اسماعيل صدقى باشا ، وحكومته بل اننى خصصت أكثر من بابين من أبواب الكتـاب منها ثلاثة عشر فصلا عن حكم اسماعيل صدقى باشا : صدقى باشا يحكم بالحديد والنار : صدقى باشا يعلن الحرب على الصحافة وعلى الشعب : البدارى أفظع حادث تعذيب شهدته مصر فى الثلاثينات : معقبات حادث البدراوى : استقالة وزارة اسماعيل صدقى : بطل البدارى يروى قصته لأول مرة : صـحافة الشعب تسقط دكتاتورية اسماعيل صدقى باشا ٠ هـذه المقالات دفعت بكتابتها الى السجون : نظام اسماعيل صدقى ينهار من الداخل : صدقى باشا أول حاكم يرتكب جريمة اعتقال المرأة فى مصر ، ويأمر باعلان حالة الطوارىء ليمنع تأبين عمر المختار : تسليم واحة جغبوب : بالكلمة وبالنكتة والشعر والزجل حارب شعب مصر دكتاتورية اسماعيل صدقى باشا : وسقطت دولة اسماعيل صدقى باشـــا » ٠

وقد عاتبنى بعض القراء أثر صدور الجزء الأول من الكتاب لأننى لم أشر

الى وجهة نظر اسماعيل صدقى باشا فى نظام حكمه وفى فترة حكمه ، ولم أقم بتسجيل الرأى الآخر بالنسبة لحكم صدقى باشا .

ووجدت أن العتاب فى محله فرغم كراهيتنا لاسماعيل صدقى باشا ، ورغم يقيننا بمعاداته للشعب ، وللديمقراطية ورغم اختلافنا معه فى كل ما قام به من أعمال فان ذلك لا يجب أن يمنعنا من أن نسـجل له وجهة نظره فعدنا الى مذكراته واقتطفنا منها فقرات حاول بها اسماعيل صدقى باشا أن يبرر بعض ما ارتكبه من أخطاء بل من جرائم .

واعتقد اننا لم نتجاوز دائرة الصواب عندما نقلنا بعض فقرات من مذكرات اسماعيل صدقى باشا ، بل اننا لو كنا قد أحجمنا عن الاشارة الى ما جاء فى تلك المذكرات وهى من وجهة نظر كاتبها ، خير دفاع عن سياسته لكنـا من المخطئين : اننا يجب ألا نخشى أبدا تسجيل الرأى الآخر ، ان فى ذلك التسجيل دليل قوة لا دليل ضعف : اننا يجب أن نبادر الى تسجيل وجهة نظر الآخرين ونحترمها ، نحترم وجهات نظر الآخرين حتى يحترم الآخرون وجهات نظرنا .

ثم ان كل شىء قد انتهى : أحداث التاريخ تلك قد انقضت ، أصحابها سواء أكانوا على حق ، أم باطل ، قد ذهبوا الى لقاء ربهم ولن تجديهم كلمة حق تقال فيهم أو كلمة باطل ، تلصق بهم كما أن الأحداث لن تعود الا فى صور أخرى ويجب علينا أن نتحاشى تكرار الأخطاء كما يجب علينا أن نعمل على تكرار الأعمال الجيدة أو الممتازة التى سبق أن تمت .

العدالة تفرض علينا أن نعبر عن وجهة النظر ، وما يخالفهـا ، الرأى والرأى الآخر ، صنوان ، لا تظهر أهمية واحد منها دون ذكر الأخرى ثم ان احترام الذات يفرض علينا أيضا أن نحترم وجهات نظر الآخرين ومهما اختلفت وجهات نظرنا فلابد من أن نحترم آراء الآخرين ليحترم الآخرون آراءنا : ولست بحاجة الى القول بأن محاولة اخفاء الرأى الآخر دليل ضعف فالأقوياء لا يخفون ، أو لا يحاولون ان يخفوا وجهات النظر المختلفة مع وجهات نظرهم وفى الموضوع أنسمح لأنفسنا ان نكتب عن عهد معين أكثر من مائة وعشرين صفحة نلصق فيها بحكام ذلك العهد وصاحبه كل ما فى قاموس قانون العقوبات من جنح وجنايات ثم نضن على صاحب ذلك العهد ، ببضع صفحات يحاول فيها تبرير بعض أخطائه وخطاياه : ويبقى بعد ذلك أن نشير الى موضوع آخر ، لا يقـل من وجهة نظرى — عن الموضوعين السابقين ، أهمية وخطورة ذلك موضوع ، انتمائى الى الحزب — حزب مصطفى كامل ومحمد فريد — والخشية من أن يكون لهذا الانتماء أثره أو تأثيره على ما أكتب ان سلبا وان ايجابا . ان مدحا للحزب الوطنى ، وان ذما أو نقدا لخصومه .

وقد سبق لى عشرات المرات ، أن كتبت عن هذا الموضوع كما سبق لى

أن نحدثت عنه في كثير من الندوات والمحاضرات : وانتمائى للحزب الوطنى شرف أدعيه لنفسي لأنه واقع ، ولأنه المحيط ، الذى بدأ فيه تكوينى الوطنى ثم اننى مدين للحزب الوطنى بصياغة فكرى واتجاهاتى الوطنية ورغم ما سببه لى هذا الانتماء الصادق والأصيل من محن وارزاء الا اننى سعيد به حريص عليه ولو عادت بى الحياة مرة أخرى لاخترت نفس الطريق ونفس الحزب ، ونفس الانتماء وما أكثر ما قلت أن الحزب الوطنى ، لم يكن بالنسبة لنا حزبا بالمعنى المتداول ، له مقاره واشتراكاته وشروط عضويته ، وسجلات أعضائه وواجبات وحقوق الأعضاء : لم يكن الحزب الوطنى بالنسبة لنا كل ذلك ، أو بعض ذلك وانما كان - ولا يزال - منبعا فكريا خالصا : تيارا وطنيا متدفقا ، اختيارا أخلاقيا لا نملك غيره ، لقد بدأت حركة الاعتقالات بالنسبة لى شخصيا منذ كنت فى الثالثة عشرة من عمرى وربما قبل ذلك بعامين وكنت أعتقل لا لذنب اقترفته ولا لتهمة ، اساق بسببها الى السجن وانما كنت أعتقل لأننى من الحزب الوطنى ، محسوب على الحزب الوطنى ، ضمن كشوف الخطرين على الأمن من أبناء الحزب الوطنى ، ولم أكن وقتذاك أعرف مقر الحزب الوطنى بل لم أكن قد تعرفت بعد على رئيسه وأعضائه القياديين ، بل وأكثر من ذلك : فى الجامعة : كنا نقود الحركة الطلابية ، ننظم المظاهرات والاضطرابات لسقوط الحكومات وتشكيل حكومات جديدة ، نخطب فى المؤتمرات وفى المظاهرات ، دون أن يصدر الينا - كشباب من شباب الحزب الوطنى - أية تعليمات أو توجيهات من قيادات الحزب الوطنى لأننا نعرف واجبنا جيدا ونعرف ما نقوله وما نفعله جيدا ، ولأننا وهم - قيادات الحزب الوطنى - ينبع تفكيرنا من مصب واحد ، ومادامت المصالح الشخصية غير واردة ، ومادام الهدف الحزبى الخاص غير متوافر فان كل الذين ينبعون من فكر واحد يسيرون فى نفس الطريق وان اختلفت سرعة السير .

. طيلة الفترة التى امتدت منذ بدأت العمل السياسى ، وانتهت فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ اعتقلت وسجنت عشرات المرات ، لانتمائى للحزب الوطنى .

خلال تلك الفترة نظمت عشرات الاجتماعات الخاصة بنشر دعوة الحزب الوطنى ، كتبت العديد من المقالات تمجيدا لقيادات الحزب الوطنى الذين رحلوا الى جوار ربهم : قمت بواجبى الحزبى على أفضل ما يكون القيام . أعطى ولا آخذ أضحى ولا أستفيد حتى الكفالات فى القضايا السياسية ، وكانت بالعشرات من الجنيهات فى وقت كان الجنيه جنيه - لم نكن نطلب من حزبنا كغيرنا من شباب الأحزاب الأخرى أن يدفعها وانما كنا ندفعها من جيوبنا وأحيانا كان آباؤنا وأمهاتنا يضطرون الى بيع ما يقتاتون من قمح وأذرة ، بل ومواشي - وللمواشى أهميتها القصوى بالنسبة للفلاح - حتى نسدد تلك الكفالات : وهذا واجب حزبى ، وهذا التزام حزبى ، لابد من أن تحرص عليهما أشد الحرص : بل حرصنا على حياتنا وأكثر ، ولكن عندما يتصدى الواحد لكتابة التاريخ ، أو لاصدار

الأحكام يتخلى تماما عن انتمائه الحزبى تماما كما يفعل المحامى من أبناء أى حزب عندما يختار للعمل فى القضاء ٠

عندما أكتب تاريخا أو أبدى رأيى فى واقعة تاريخية لا أتأثر أبدا بميولى الحزبية ، لا يمكن أبدا أن أؤيد رأيا ارتآه الحزب الا اذا وجدت لدى قناعات خاصة بذلك ولا يمكن أبدا أن أقف موقف المعارضة فى قضية ما — وأنا أكتب تاريخا — لأن الحزب الوطنى ، وقف موقف المعارض فى تلك القضية ، ولذلك كان لى بعض الظروف التى أزعم — وعــذرا ، ووقانا الله شر الغرور — اننى حريص كل الحرص على انتمائى الحزبى ، بل أننى مستعد أن أذهب من أجل هذا الانتماء ، الى أبعد مدى ، حتى الى حبل المشنقة : أؤيد القرار الذى اتخذه حزبى وحتى ولو كانت لى عليه تحفظات ما دمت قد أبديت وجهة نظرى ، قبل اصدار القرار ولكن ، عندما أرتدى رداء كاتب التاريخ أنسى تماما اننى حزب وطنى : كل الحوادث وكل الناس أمامى سواء بسواء بما فيها الأحداث الخاصة بالحزب الوطنى ، أو بغيره من الأحزاب وبما فيها كل الشخصيات التاريخية المنتمية للحزب الوطنى أو لغيره من الأحزاب ، وقد أيدت — مثلا — مواقف أحمد عرابى فى الثورة التى حملت اسمه ودافعت عن تلك المواقف دفاعا حارا بالرغم من أن الحزب الوطنى كان يقف موقف الخصومة ، لأحمد عرابى خاصة بعد التصريحات التى نسبت اليه بعد فشل الثورة العرابية ، بل أكثر من ذلك أوقفت الكثير من جهودى للمطالبة برد أموال العرابيين التى كانت قد صودرت أثر فشل ثورتهم وكذلك رد اعتبارهم : عارضت موقف مصــطفى كامل من الخديو فى المرحلة التى كان فيها الوفاق على أشده بين الخديو ومصطفى كامل قبل خطاب القطيعة اياه فى ٢٧ أغسطس ١٨٩٨م وكنت أتمنى أن تكون القطيعة قبل ذلك التاريخ بفترة غير قصيرة ٠

عارضت هجرة محمد فريد الى أوروبا فى عام ١٩١٢ لأن مكان المعركة ضد الاحتلال فى الداخل لا فى الخارج وكتبت فى هذا الموضوع أكثر من مرة حتى لقد غضب منى أستاذنا عبد الرحمن الرافعى والمستشار ، عبد الخالق فريد نجل الزعيم الوطنى محمد فريد ٠

انتقدت موقف من كان خارج السجون والمعتقلات فى نوفمبر ١٩١٨ وفى مارس ١٩١٩ لأنهم لم يقودوا الثورة بما عرف عنهم من قوة وصلابة وجرأة واستعداد للاقتحام كما انتقدت بعض قيادات الحزب الوطنى لأنهم حتى بعد وفاة محمد فريد واشتعال نار الثورة المصرية فى ١٩١٩ لم يقطعوا الخيوط الواهية ، التى كانت تربطهم بالخديو السابق ٠

وكان الحزب الوطنى يقف موقف العداء لسعد زغلول وكنت وحدى من أبنــاء الحزب الوطنى الذى أقر بزعامة سعد زغلول وباعتباره أول زعيم مصرى فلاح قاد أصحاب الجلاليب الزرقاء من أجل تحقيق الديمقراطيــة والاستقلال

انتقدت وبشدة موقف الحزب الوطنى من حكومات الأقليـــات وتأييدها نكاية بحزب الوفد الذى اختلف معه الحزب الوطنى ، وعلت نبرة النقد عنـدما قبل أعضاء من اللجنة الادارية للحزب ان يرشحوا أنفسهم فى انتخابات اسماعيل صدقى بعد أن استبدل دستور ١٩٢٣ بدستور ١٩٣٠ .

وكنت وحدى من شباب الحزب الوطنى الذى أقر بزعامة مصطفى النحاس رغم اختلافى الشـديد معه ومع الوفد فى حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ، وقبلها بتوقيعه معاهدة ١٩٣٦ فأنا كما سبق ان قلت أنظر الى الأحداث فرادى كما أنظر الى الأشخاص حسب الأعمال التى يقومون بها عملا ، عملا ، ثم أنظر الى كل شخص ككيان مستقل بذاته وقد طالبت ولا أزال أطالب برد اعتبار مصطفى النحاس فهو الزعيم المغبون الذى ظلم فى عهد الثورة ، كمـا ظلم فيما قبل الثورة . وكذلك لا زلت أطالب ، بنقل جثمانه الى ضريح سعد ليجتمع الزعيمان فى قبر واحد : ان أخطاء مصطفى النحاس لا يمكن أبدا أن تشبه أخطاء الزعماء الآخرين ، المعاصرين له لأنها من ناحية : قليلة العدد ثم لأنها من ناحية أخرى لا تمس الضمير الوطنى ولا الوجدان الوطنى .

ولقد كنت متهيأ لهذا النقد من قبل ، منذ ان قرأت البحث الذى أعده الأخ الدكتور يونان لبيب رزق متهما اياى أنا وأستاذى عبد الرحمن الرافعى والأستاذ فتحى رضوان بأننا نحن الثلاثة من مدرسة التعظيم والتأثيم ، أى التى تعظم أعمال شخصيات الحزب الوطنى وتؤثم أعمال غيرها من الشخصيات ، فتناولت هذا الموضوع لأهميته فى مقدمة الجزء الثانى من كتاب سنوات ما قبل الثورة مؤكدا أننى ما كنت فى يوم من الأيام من تلك المدرسة : مدرسة التعظيم والتأثيم : صحيح ـ مقدمة الجزء الثانى ـ اننى من أبناء الحزب الوطنى ، وأنصار مصطفى كامل ومحمد فريد بل اننى كنت ولا أزال من غلاة أولئك الأبنـــاء والأنصار ولقد قضيت زهرة شبابى سجينا بسبب انتمائى الى ذلك الحزب وتحمسى لقادته الأوائل ومع ذلك كانت لى آرائى الخاصة فيما يتعلق بالتاريخ وشخوصه .

ولعلى بذلك الايضاح قد نجحت فى حسم تلك المسألة التى أثارها بعض الزملاء الأصدقاء للتأكيد على هويتى الوطنية الأصيلة الناجمة عن انتمائى للحزب الوطنى وان خشى البعض أن تؤثر فى نتائج ما أصـل اليـه من أحكام ولكنى بالأمانة وللأمانة ما تأثرت فى يوم من الأيام بأية انتماءات حزبية ، أو بأية عواطف شخصية فى أى حرف خطه قلمى : اننى ومنذ أن بدأت أحمل القـلم آليت على نفسى أن أكون قاضـيا عادلا ، لا يصدر حكما الا بعد دراسة متأنية جادة وبعد الاستماع الى أقوال كل أطراف الموضوع فان اقتنع ضميرى بأن المسألة قد أصبحت جاهزة للحكم ، أصدرت حكمى لوجه الله ، والتاريخ ، غير متأثر على الاطلاق بأى هوى شخصى ، أو تأثير حزبى

ولست أنفي حماسي ، للدفاع عن الحزب الوطني فلقد ظللت طيلة حياتي اقوم بمهمة الديدبان الذي يذود عن الحزب : مبادىء ، وتاريخا ، وشخوصا شريطة أن يكون الدفاع بالحق وبالمنطق لا بالانتماء ولا بالعاطفة وعندما أدافع عن الحزب الوطني فانما أدافع عن جزء من التاريخ المصري الذي هو ـ الحزب الوطني ـ جزءمنه : على أنني لا أسكت أبدا ، عندما يمس أحدهم أية شخصية تاريخية لا تتصل بالحزب الوطني من قريب ولا من بعيد ، فتلك رسالة آمنت بها منذ مطلع شبابي ولازلت مصرا على الاستمرار فيها مهما كلفني أداء تلك الرسالة من أعباء ، ومهما حملني تنفيذها من تضحيات ، عندما وجه البعض هجوما عنيفا ضد أحمد عرابي متهما اياه بكثير من التهم التي لا أساس لها من الصحة ، انبريت للدفاع عنه بكل ما أملك من قوة وساعدني في مهمة الدفاع ، انني « أملك » أوراقا خاصة بأحمد عرابي لا أعتقد أنها بحوزة أحد غيري وهذه الأوراق تعطيني القدرة على الدفاع عن عرابي بقوة تدعو الى الاقتناع .

وكذلك عندما وجه البعض نقدا ، ونقدا مريرا الى طلعت حرب وانطلق النقد من أيدلوجية خاصة دافعت بالحق عن طلعت حرب مؤكدا انه وان كان في بداية حياته ، قد ساعد الخديو ، أو بعض رجاله عندما كان يعمل معهم وانه وان كان قد خدم بفكره وخبرته ، بعض الاقطاعيين المصريين ، فاننا لا يجب أبدا أن ننسى له ، انه بانشائه بنك مصر ، وشركاته ، قد مصر ـ بتشديد الصاد ـ الاقتصاد المصري وحماه من رأس المال الأجنبي كما أن طلعت حرب قد أنشأ مدرسة من الاقتصاديين المصريين الذين يعتمدون على العلم ، والخبرة كان لها فيما بعد الفضل الأكبر في ازدهار الاقتصاد المصري . وبهذه المناسبة ـ مناسبة الحديث عن الهجوم على بعض الشخصيات المصرية التي لعبت أدوارا هامة في حياتنا الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ـ أرى اننا لا نزال نغلب آرائنا ، الخاصة ونتأثر بميولنا الحزبية فيما نكتبه خاصة بتاريخ بعض شخصياتنا البارزة بالرغم من ان أبسط ما يجب أن يتوفر ، للكاتب من شروط تؤهله للكتابة التاريخية ان يكون محايدا وغير متحاز .

وأقولها بصراحة ووضوح ، في هذا المدخل وقد قلتها مرارا وتكرارا أن من أخطر الأمور على شبابنا ، وعلى حاضرنا ومستقبلنا ان نهيل التراب دائما وأبدا على كل صفحة طيبة من صفحات تاريخ بلادنا وأن ننقد بل نهاجم وبعنف بعض الشخصيات التاريخية ذات الأثر المجيد في تاريخنا المعاصر . لقد تعرضت شخصيات كثيرة لموجات من الهجوم الذي لا مبرر له الأمر الذي جعل شبابنا يتمزق من داخله لأنه لا يجد شخصية من الشخصيات التاريخية خلت تماما من الشوائب والانتقادات العنيفة التي توجه اليها . كل شخصياتنا التاريخية في كل المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، بل والعسكرية تعرضت خلال نصف القرن الماضي موجات هائلة من الهجوم المر الذي لا يستند في غالبه الى حقائق ثابتة .

ونحن لا ننكر أبدا ان لكل شـــخصية من تلك الشخصيات مثالبها ، ونقائصها وأخطاءها ونحن لا نطلب من أحـد ان يتجاوز عن ذكر تلك المثالب والنقائص والأخطاء فذلك ما لا يتفق ـ من وجهة نظرنا ـ مع المنهج السليم ، لتناول الأحداث التاريخية والكتابة عن تلك الشخصيات العامة ، كل ما نطلبه وما نلح عليه ألا نبالغ أبدا فى ذكر تلك المثالب والنقائص والأخطاء وأن نحاول وضعها فى اطارها الصحيح وان نعى جيدا الظروف التى وقعت فيها تلك المثالب والنقائص والأخطاء وإن نحاول ان نضع أنفسنا فى مكان تلك الشخصيات التى نكتب عنها ، ثم أنه يجب ألا نكتفى بذكر الأخطاء والنقائص ، والمثالب وانما يجب لتحقيق العدالة أن نشير الى ما تتمتع به تلك الشخصيات من فضائل ان كانت تتمتع بها فعلا ونذكر الأعمال الطيبة التى قامت بها تلك الشخصيات ان كانت قد قامت فعلا ببعض الأعمال !

ان تاريخنا ملىء بالشخصيات الطيبة الجديرة حقا بكل تقدير واحترام والتى يمكن ان تتباهى بها الدول الأخرى اذا كانت قد سعدت بوجودها ضمن أبنائها وفى بعض الدول الكبرى والصغرى التى تفتقر الى شخصيات تاريخية تجدها تخترع شخصيات جديدة لتلهم شبابها المثل العليا وفى أحيان كثيرة تضخم بعض الشخصيات وتضفى عليها من الخيال ما يجعلها شخصيات تحتذى أو يجب أن تحتذى ، أما نحن فاننا نهدم كل ما لدينا من شخصيات هامة نجعل من الحبـــة قبة ومن القبة هرما أكبر اذا ما تناولنا تلك الشخصيات بالحديث ٠

وفى أحيان كثيرة نعمد الى اصطياد بعض الأخطاء أو بعض الكلمات التى قيلت ـ مثلا ـ فى ظروف خاصة لنجعل منها أهرامات كثيرة ثم نبنى على تلك الأهرامات أهرامات أخرى ، ثم نصدر تبعا لكل ما بنيناه ، وانطلاقا من كل ما ضخمناه أحكاما تكون دائمـا وأبدا ظالمة ٠ ولعلى لم أجد كتابا ، كثيرين ـ كما هو الحال عندنا بكل أسف شديد ـ يعيشون معارك قديمة انتهى أجلها منذ سنوات بعيدة ، ولعلى لم أجد أيضا مؤرخين ـ مثلما هو الحال عندنا ـ يحاسبون البعض على النوايا ، ويعتمدون فى توجيه الاتهامات لشخصيات معينة على وثائق كتبها وصدرها أعداء طبيعيون لتلك الشخصيات ٠

ولعلى أيضا لم أجد ـ فى غير بلدنا ـ أناسا يعيشون طيلة حياتهم أسرى ميولهم واتجاهاتهم الحزبية ، بمعنى ـ مثلا ـ ان نعيش ونحن فى عام ١٩٨٩ المعارك الحزبية التى عاشها أجدادنا فى الثلاثينات فمن المعروف مثلا أن هناك خلافا حادا كان بين الحزب الوطنى والوفد المصرى هـــذا الخلاف مثـلا كان موجودا فى الثلاثينات والأربعينات فهل من المعقول ان تبقى آثار هذا الخلاف قائمة حتى اليوم وكأنه ابن اليـــوم : الذين كانوا ـ مثـلا ـ يخاصـمون سعد زغلول فى ١٩٢٤ ، لأمر ما ، يخاصمونه اليوم لنفس الأمر رغم مرور أكثر من ستين عاما على زوال أسباب ذلك الاختلاف ، والذين نشأوا على الخلاف مع

الحزب الوطني من الوفديين ـ مثلا ـ يبقى الخلاف لديهم ـ كما هو رغم زوال أسبابه ، وانقضاء كل ما يتعلق به ـ وبكل أسف شديد انتقلت العدوى الى بعض الكتاب والمؤرخين الذين لهم ارتباطات حزبية ، أو على الأقل يتعاطفون مع هذا الحزب أو ذاك فنرى مثلا من يتعاطف أو من كان يتعاطف مع الوفد المصرى أو كان منضما اليه ، عندما يكتب عن الحزب الوطنى ـ حزب مصطفى كامل ومحمد فريد ـ تفيض كتاباته مرارة وقسوة ، وكذلك من كان متعاطفا ، أو منضما للحزب الوطني عندما يكتب عن الوفد تفيض كتاباته أيضا مرارة وقسوة ، الأمر الذى جعل معظم تلك الكتابات متأثرة بانفعالات شخصية أو بانتماءات حزبية مما جعلها ـ تلك الكتابات ـ لا تتصف بالموضوعية ومما أذكره وما كان لى أن أكتب الاسم الا لأنه أخ ، وصديق عزيز ، أعتز بصداقته واخوته ـ ان الأستاذ لمعى المطيعى ، كتب مقالا عن مصطفى كامل ضمن مقالاته وأبحاثه الجيدة والممتازة ـ بالعدد الذى صدر من جريدة الوفد فى ٤ فبراير ١٩٨٨ كانت عناوينه كما يلى بالحرف الواحد : **مصطفى كامل** : هذه الأمة بلانى الله بأن أكون واحدا من أبنائها : ١٩٠٤ جولييت آدم تزور الاسكندرية والقاهرة والمنيا وأسيوط والأقصر وأسوان : الخديو عباس الثانى ينفق على تعليم مصطفى كامل ورحلاته فى أوروبا : مصطفى كامل يهاجم قاسم أمين تقربا للخديو وقد استفزتنى كل تلك العناوين فيما عدا العنوان الخاص بمدام جولييت آدم ذلك لأن التعسف كان واضحا للغاية فيها : لقد اختار الكاتب عبارة وردت فى خطاب خاص بعث به مصطفى كامل الى صديقه الحميم ، فؤاد سليم فى بداية حياتهما السياسية وفى وقت تحالفت فيه كل الظروف ضد الحركة الوطنية وازدادت فيه الدسائس ضد كل العاملين باخلاص فى صفوف الحركة الوطنية المصرية وهى عبارة لا يمكن أبدا أن يقولها مثل مصطفى كامل الا فى حالة يكون قد كفر فيها بالناس وبالأحداث : لم يذكر الكاتب المفضال من كل ما قاله مصطفى كامل الا تلك العبارة ، نسى أو تناسى الكاتب الصديق أن الذى ينسب اليه تلك الكلمة هو أكثر من تغنى بحب مصر : هو أحد عشاقها البارزين القائل : ان روحى تتغذى من حب الوطن وبدونه لا أستطيع الحياة اذ لا قيمة للحياة بغير هذا الحب الرائع : ان حب الوطن يفيض على المرء كل سلوى وكل سعادة حتى فى شقائه وبخاصة فى الشقاء ، حيث لا يجد الانسان القوة والأمل الا فى هذا الحب ٠

ما دامت هذه الشعلة الوطنية تغذيني وتؤازرني فانى لا أهاب شيئا ، ولا أحدا فى الوجود : من أشق الأعمال ان يجاهد المرء ضد الزمن ، والحوادث والناس : سأبقى حتى الممات حاملا لواء الاستقلال اذ أجد حياتى فى تلك العقيدة وبغير هذه الشعلة الوطنية لا أستطيع الحياة ٠

● لو انتقل فؤادى من الشمال الى اليمين أو تحولت الأهرام عن مكانها

المكين ، لما تغير لى مبدأ ولا نحول لى اعتقاد بل تبقى الوطنيـــة رائدى ونبراسى ويبقى الوطن كعبتى ومجده عاية آمالى ٠

● ان مصر جديرة بأن تحب بكل قوة ، بكل عاطفة ، بكل جارحة ، بكل نفس ، بكل حياة ٠

نسى الكاتب المفضال شعر حافظ وشوقى فى مصطفى وفى عشق مصطفى لمصر - مثلا - نسى قول حافظ :

لك اللـه يا مصـــطفى من فـتى ... كثـير الأيـادى كثـير العـدا
اذا ما حمـــدتك بين الرجـــال ... فأنت الخليـق بـأن تحمـدا
وكنـا نيـاما حين كنت سـاهدا ... فأسهدتنا حزنا وأمسيت غافيـا
فيانيــل ان لم تجر بعـد وفاتـه ... دما أحمـرا لا كنت يا نيـل جاريا
ويا مصر ، ان لم تحفظى ذكر عهده ... الى الحشر لازال انحلالك باقيـا
سـنشهد فى التاريـخ انك لم تكن ... فتى مفردا بل كنت جيشـا غازيا

ونسى الكاتب أيضا قول شوقى :

يا صب مصر ويا شـهيد غرامهـا ... هـذا ثرى مصر فنم بأمـان
اخلع على مصر شبـابك غاليـا ... والبس شـباب الحـور والولدان
فلعل مصرا من شبـابك ترتـدى ... مجدا يتيه به على البـلدان
مصر الأسيفة ، ريفهـا وصعيدها ... قبر أبر على عظـامك حانى
أقسـمت انك فى التراب طهـارة ... ملـك يهـاب سـؤاله الملكان

ولست أدرى ماذا فى أن ينفق حاكم البلاد الشرعى على تعليم شاب من أبناء بلده الذين يتوسم فيهم الخير ، حاكم البلاد الشرعى هو الذى ينفق ، وواحد من أبناء الشعب هو الذى يجرى الانفاق عليه : كان يمكن أن يكون الأمر موضع استنكار - مثلا - لو كانت الجهة التى انفقت على تعليم مصطفى كامل هى بريطانيا أو فرنسا أو ملك بريطانيا ، أو رئيس جمهورية فرنسا ، وماذا أيضا فى ان ينفق الخديو ، خديو مصر على رحلات شاب وطنى من شباب مصر : يكافح الاحتلال الأجنبى : انه لا ينفق مثلا - على رحلات شاب مستهتر يفضى لياليه فى الحانات وعلب الليل وعلى موائد القمار ، وانما ينفق على شاب وطنى يستغل كل دقيقة فى حياته كاتبا وخطيبا ومتحدثا ومحاورا فى فضح الاحتلال الأجنبى وكشفه أمام الرأى العام الأجنبى : ولا ضير هنا - على الاطلاق - على من ينفق وعلى من ينفق عليه هذا اذا تأكدت فعلا ، عملية الانفاق ٠ فما بالنا اذا كانت عملية الانفاق تلك لم تتأكد بعد ٠

وربما كان الدافع الرئيسى لاستفزازى بما جاء فى عناوين المقال لا بما

جاء فى المقال نفسه فالمقال يختلف الى حد كبير عن عناوينه : أن العديد من الشباب الذين قرأوا هذه العناوين ــ وفى أحيان كثيرة ، يقرأ البعض العناوين دون أن يقرأوا المقالة ــ قد عبروا لى عن قلقهم وحيرتهم · وقد تساءل بعضهم : مصطفى كامل الذى تتغنون بأمجاده ونضاله ووطنيته وعشقه لمصر ؟ أهـــذا هو الزعيم الذى اتخذتموه لأنفسكم قدوة وتدعونا اليوم لأن نقتدى به ؟ ماذا يمكن ان يقال فى زعيم من ذم ، وهجاء أكثر من أن يقال عنه انه قال : هذا الأمة بلانى الله بأن أكون واحدا من أبنائها ·

وقد انفعلت بسبب خطورة هذا المقال وتوليت الرد عليه بسرعة وبادر الأخ الصديق الأستاذ مصطفى شردى ــ رحمه الله رحمة واسعة ــ بنشر مقالى الأول ردا على بعض ما نشره الأخ الصديق الأستاذ لمعى المطيعى وان كان المجال لم يسمح بنشر المقال الثانى الذى رددت فيه وبموضوعية تامة على كل ما أثير فى هذا المقال ·

ولو كان المقال عن غير مصطفى كامل وفيه بعض التجنى على شخصية أخرى غير شخصية مصطفى كامل ، ما ترددت على الاطلاق فى الرد عليه ، فان من ألزم واجباتنا الوطنية ككتاب وطنيين أن نذود عن حمى تاريخنا وأن نبقى لشخصياته التاريخية على احترامها وتقديرها ــ أى الشـــخصيات التاريخيـــة التى نعنيها ــ حقيقة جديرة بكل حب وبكل تقدير ، فلنتعاون جميعا كتابا ومؤرخين على أن نقيم صرح العدالة المطلقة فى كل كتاباتنا وخاصة الكتابات التاريخية منها لأنها تؤثر فى وجدان الشباب بل تساهم فى صنع هذا الوجدان الذى لا يجب أبدا ان يهتز بسبب عبارة وردت على لسان شخصية تاريخية ثم أثبتت الأيـام بآلاف البراهين والأدلة على أن تلك العبـارة لم تكن أكثر من فلتة لسان لشباب يحارب كما قلت فى كل الجهات وكل الجبهات ··

وقد جاء فى الكلمة التى بعثت بها الى « الوفد » ونشرتها ــ مشكورة ــ ما يلى :

مما ضاعف من ألمى وحزنى فيما يتعلق بالهجوم على مصطفى كامل ، ان الهجوم يجئ فى وقت استشرت فيه الهجمات على كثير من زعماء مصر ، حتى لا يكون بمصر فى تاريخها كله زعيم لم يجرح ــ بتشديد الراء لم يهل عليه التراب ·

واعتقادى الشخصى أيضـا انه لو ان الأستاذ لمعى المطيعى قد تأنى فى دراسته عن مصطفى كامل ، وقرأ كل ما كتب عن مصـطفى كامل ، أو معظم ما كتب عن مصطفى وخاصة من تلاميذه وأنصاره ومعاصريه مؤيدين له كانوا أم معارضين لما خرج فى دراسته بتلك الأحكام المبتسرة ، بل الظالمة ، لا بل التى لا تستند الى أى أساس من المنطق أو العقل وقد وضحت تماما سوء نية الأخ والصديق لمعى المطيعى ــ وعذرا فأنا أحبه وأقدره أخا وصديقا ــ عندما

اختتار كلمة ، قال انها وردت فى احدى رسائل مصطفى كامل الى فؤاد سليم فى ٢٩ أغسطس ١٨٩٥ ـ وهو لم يتجاوز الواحدة والعشرين من العمر، وجعل منها مانشيتا رئيسيا لمقاله تلك هى كلمة : هذه الأمة بلانى الله بأن أكون واحدا من أبنائها : لم يختر مثلا كلمة مصطفى كامل « لو لم أكن مصريا لوددت أن أكون مصريا ، أو كلمة : بلادى بلادى لك حبى وفؤادى ، لك حياتى ووجودى لك دمى ونفسى ، لك عقلى ولسانى ، لك لبى وجنانى ، فأنت أنت الحياة ولا حياة الا بك يا مصر ٠

لو كان الأستاذ لمعى حسن النية ـ وعذرا مرة أخرى ـ لاختار بدلا من تلك الكلمة التى لم يقم دليل على قولها ـ كلمات لمصطفى كامل كتلك التى قال فيها : ان روحى تتغذى من حب الوطن ، وبغيره لا أستطيع الحياة ، اذ لا قيمة للحياة بغير هذا الحب الرائع العظيم الذى يفيض على المرء كل سلوى ، وكل سعادة حتى فى شقائه وبخاصة فى الشقاء ، حيث لا يجد الانسان القوة والأمل ، الا فى هذا الحب ، أو قول مصطفى كامل : لو انتقل فؤادى من الشمال الى اليمين أو تحولت الأهرام عن مكانها المكين ، لما تغير لى مبدأ ، ولا تحول لى اعتقادا ، بل تبقى الوطنية رائدى ونبراسى ، ويبقى الوطن كعبتى ومجده غاية آمالى » وتبدو عملية التجنى على مصطفى كامل واضحة جلية من الكاتب ٠

ولست أرى فى علاقة الحركة الوطنية وعلى رأسها مصطفى كامل ضميرا من تقرب تلك الحركة من فرنسا ، أو ضيرا من تقرب تلك الحركة من كاتبة فرنسية ذائعة الصيت مثل مدام جولييت آدم ، فمدام جولييت آدم من أشهر الكاتبات الفرنسيات ، بل من أعظم شخصيات فرنسا وكتابها « انجلترا فى مصر » من خير ما ألف فى القضية المصرية ، بل ان الرأى العام العالمى لم يعرف القضية المصرية على حقيقتها الا من ذلك السفر الجليل وزيارة مثل هـــذه الكاتبة الفرنسية الجليلة لمصر فى يناير ١٩٠٤ من الأعمال الوطنية المتميزة ، وقد استضافها فى المنيا عمر بك سلطان ، وقد زارت آثار بنى حسن برفقة مصطفى كامل والأمير حيدر فاضل ، وقد استقبلت فى أسيوط استقبالا شعبيا هائلا أعده حسين بك فهمى وأحمد بك خشبه والسيد كامل بك خشبه ٠ وقد ذهب هؤلاء بها الى البلينا حيث تناولوا الشاى بمنزل عبد اللطيف بك أبو ستيت ، ثم الى الأقصر حيث استقبلها عبد الكريم بك العمـــارى ويس بك اندراوس ، وفى اسنا تناولت وضيوفها الشاى فى منزل متولى بك حزين ومدنى أفندى حزين ٠

وقد رحب بالضيفة الكبيرة مصـــطفى كامل فى مقال له نشره باللواء (٢٤ فبراير ١٩٠٤) وأسماها فى مقاله بأميرة من أكبر أميرات الرأى والقلم والسياسة ، وقال انها عشقت مصر من قديم ، وشغفت بها من عهد شبابها ودافعت عنها بقلمها السيال السنوات الطوال » وأولم لها الخديو عباس حلمى

الثانى مأدبة عشاء فى قصر القبة فى ٢٤ فبراير ٠ وقد بقيت فى مصر ستة أسابيع ، وكتبت عن تلك الزيارة مقالا رائعا فى صحيفة الجولوا الفرنسية قالت فيها : ان أرض مصر تضم كل المدنيات السابقة وسماء مصر هو أول سماء مزقت فيها السحب حيث سمح بذلك للانسان ان يشعر بوجود الخالق ٠ ولم يعهد التاريخ أمة بلغت من القوة والعظمة ما بلغته الأمة المصرية » الى أن قالت : ان استرداد مصر لنفسها أمر تكرر الى حد أنه صار قانونا فى تاريخها يؤكد أن مصر ستبقى الى الأبد مصر » ٠

وللعلم فان مدام جولييت آدم من مواليد ١٨٣٦ ومصطفى كامل من مواليد ١٨٧٤ أى انها تكبره بثمانية وثلاثين سنة ، وقد التقى مصطفى كامل لأول مرة بمدام جولييت آدم فى سبتمبر ١٨٩٥ وكان عمره واحدا وعشرين عاما وكانت مدام جولييت آدم فى التاسعة والخمسين من العمر ٠

واذا كانت الحكومة الفرنسية قد تنكرت للقضية المصرية فى ٨ ابريل ١٩٠٤ فى أعقاب الاتفاق الودى الذى وقع بين فرنسا وانجلترا فى نفس اليوم ، فان الشعب الفرنسى لم يتنكر أبدا للقضية المصرية ، وانما ظل صديقا لمصر ، وفيا للقضية المصرية ، ومن الأمور الجديرة بالتوضيح ، علاقة مصطفى كامل بدولة الخلافة العثمانية حيث أساء الأخ لمعى المطيعى فهم تلك العلاقة ، وما أكثر ما كتبنا عن تلك العلاقة فيما كتبناه ٠ عن مصطفى كامل ومحمد فريد وأمين الرافعى والحزب الوطنى ٠ وكنا نظن ان تلك العلاقة قد وضحت للأذهان ووضعت فى مكانها الصحيح : لم تكن أبدا تلك العلاقة علاقة تبعية ، وانما كانت علاقة قوم ينشدون الاستقلال وهم يرون ان هناك سيادة اسمية لتركيا على مصر ، ولذلك فلم يكونوا يريدون اغضاب تركيا وانما كانوا يريدون ضمها الى صفوفهم لتقف وإياهم ضد الاحتلال البريطانى ٠

وقد كان الشعب المصرى عاشقا لتركيا حتى فى الحرب العالمية الأولى ٠ كان يطرب لأى انتصار تحققه تركيا ، بل لقد رحب الشعب المصرى عندما قيل له ان هناك حملة تركية تريد دخول مصر ، لتحريرها من الاحتلال الأجنبى ٠ وللعلم الأستاذ لمعى المطيعى فان الوفد المصرى الذى كان يرأسه سعد زغلول باشا قد أرسل وفدا الى لوزان أيام مؤتمر الصـــــلح ، وكذلك أرسل الحزب الوطنى وفدا آخر وكان من مهام هذين الوفدين الاتصال بالجانب التركى ليتنازل عن سيادته الاسمية على مصر : ان عدو عدوى صديقى ٠ وقد وضع تشرشل يده فى يد ستالين فى الحرب العالمية الثانية ليتمكن الحلفاء من هزيمة هتلر ٠

أما الحديث الذى أطال فيه الأستاذ لمعى المطيعى عن علاقة مصطفى كامل بالخديو عباس حلمى الثانى ، فأحب أن أؤكد للأستاذ لمعى المطيعى ان عباس حلمى الثانى لم يكن كرومر وانما كان الحاكم الشرعى للبلاد ، وانه كثيرا ما وقف الى جانب الحركة الوطنية المصرية مما أغضب عليه الانجليز ، وسبب له أكثر

من أزمة معهم ، وربما يذكر الأستاذ لمعى المطيعى ان شباب مصر الوطنى ، فى مرحلة من المراحل كان مغرما بالخديو الشاب عباس حلمى الثانى حتى أنه حمل عربته على الأكتاف ، وربما يذكر الأستاذ لمعى المطيعى انه حتى بعد ان نفى الانجليز عباس حلمى فى أوائل الحرب العالمية الأولى ، كان الشعب يردد فى أغانيه : الله حى عباس جى » .

لقد كان عباس حلمى الثانى حاكما مصريا شرعيا ، وقف الى جانب الشعب فوقف معه الحزب الوطنى بقيادة مصطفى وفريد ، وعندما وقف الى جانب الاحتلال تنفيذا لسياسة الوفاق بين السلطة الشرعية والسلطة الفعلية . وقف الشعب والحزب معه ضد الخديو . والحديث عن العلاقة بين مصطفى كامل والخديو وبين محمد فريد والخديو وبين الحزب الوطنى والخديو ، تحتاج الى أكثر من كتاب ، وحسبى هنا أن أقتطف من مذكرات الخديو عباس حلمى الثانى التى نشرها « المصرى » عام ١٩٥١ ما يلى : لقد قيل فى أيام كفاح مصطفى كامل العنيفة اننى كنت خصمه ، وقيل أيضا أنه كان صنيعتى وليس هناك ما هو أشد بعدا عن الحقيقة من هذا الذى خيل . ان مصطفى كامل كان لا ينتمى الا الى نفسه ، كان رجلا من الصفوة » عاش بايمانه ومات بايمانه .. أما أنا عباس حلمى فما كنت أبدا وحيه ، وما كنت أبدا خصمه .. بل كان زعيما رائدا وجنديا يحارب تحت راية مثله العليا » .

أما الكلمات الأخرى ، التى لم يتسع المجال لنشرها ربما لقسوتها واختلافها مع سياسة الصحيفة وربما لطولها فقد كانت تحت عنوان ، حتى لا يتمزق شبابنا أكثر مما هو ممزق : انصفوا زعماءنا ولا تهيلوا عليهم تراب الظلم والحقد وعدم العرفان بالجميل » . وقد أبديت فيها ــ فى البداية ــ أن مما أعطى للهجوم على مصطفى كامل ومحمد فريد فيما بعد أهمية خاصة عندى ، انه نشر فى صحيفة يومية واسعة الانتشار لا يعد قراؤها بالألوف ولكن بمئات الألوف وأغلب هؤلاء من الشباب الذين يخشى عليهم من تلك الأحكام التاريخية المبتسرة التى لا تعتمد أصلا على حق أو منطق أو عدل ولا تعتمد ــ اذا ما اعتمدت ــ الا على كلمة قيلت هنا ، أو قيلت هناك بل فى أحيان كثيرة لا تعتمد على أى شىء الا الرغبة ــ وعذرا ، وأسفا أيضا ــ فى تجريح الحزب الوطنى بقيادة مصطفى كامل ومحمد فريد فى وقت نحن أحوج ما نكون فيه الى الابقاء على النماذج الوطنية المخلصة دون أن نوجه اليه الطعنات تلو الطعنات وقد تصورت نفسى واحدا من طلبة المدارس الاعدادية أو الثانوية الذين يدرسون ضمن ما يدرسون سطورا عن مصطفى كامل ومحمد فريد والحزب الوطنى ضمن ما يدرسونه من أحداث التاريخ المعاصر : تصورت نفسى طالبا فى مدرسة ثانوية أو اعدادية وأنا أقرأ ما نشر عن مصطفى كامل ، أغلب الظن اننى سأصاب بالاحباط بالاضافة الى اننى سأصاب بقدر غير قليل من البلبلة والشك والقلق » .

وكان من بين ما قلته أيضا : لا يجوز أبدا أن نجيء بعد ما يقرب من ثمانين عاما على وفاة مصطفى كامل ، وسبعين عاما على وفاة محمد فريد ، لنقول انهما ـ مصطفى كامل ومحمد فريد ـ كانا من صنائع الخديو عباس حلمى ، وتركيا ـ وكان الأخ الصديق الأستاذ لمعى المطيعى قد وجـه نفس تهمة العمالة لتركيـا والخديو التى وجهها الى مصطفى كامل الى محمد فريد فى مقال تال لمقالة عن مصطفى كامل ـ وطالبت ـ فى هذا الكلمات ان يعيش الكتـاب والمؤرخون بالتخيل فى الأجواء التى عاشها مصطفى وفريد وان يدرسوا جيدا الظروف الداخلية والخارجية التى كانت تحيط بمصر فى السنوات التى كان فيها مصطفى كامل ومحمد فريد يقودان الحركة الوطنية المصرية ٠

وقد أعلنت فى تلك الكلمة استغرابى من أن يركز ـ فى هذه الأيام بالذات ـ الهجوم على مصطفى كامل ومحمد فريد دون توجيه أى نقد الى سياسة قيادات حزب الأمة وحزب الاصـلاح على المبـادىء الدستورية التى كانت ـ فى الغالب ـ ممالئة للمحتلين أو على الأقل غير متصادمة مع سياسة المحتلين ٠

وقلت أيضا ، نقع نحن السياسيين فى خطأ فاحش عندما نكتب ـ مثلا ـ عن الخديو عباس حلمى الثانى ـ فى الثمانينات ـ وفى أذهاننا الصورة الكريهة التى كانت عن ذلك الخديو فى العشرينات عندما كان الاحتلال البريطانى جاثما فوق صدورنا يرضعنا لبن كراهية هذا الحاكم الذى رفض الوقوف الى جانب المحتلين فى الحرب العالمية الأولى وأثر الوقوف الى جانب دولة الخلافة الاسلامية وحيث كان يجلس على العرش الملك أحمد فؤاد الذى كان يخشى دائما من ان يخطف منه عرشه الخديو السابق عباس حلمى الثانى والذى كان يصدر تعليماته باغلاق أية صحيفة تذكر بالخير الخديو عباس حلمى الثـــانى بل الذى كان ـ أحمد فؤاد ـ يحرم دخول السراى كل على كل من يظن أن له علاقة ـ أدنى علاقة ـ بالخديوى عباس حلمى : وكان الملك أحمد فؤاد ـ وابنه فاروق مـن بعده ـ يضع فيتو على الشخصيات التى كانت على علاقة طيبة بالخديو عباس حلمى أو ـ على الأقل ـ قالت فيـه كلمـة طيبة ، كان يرفض تعيين تلك الشخصيات وزراء أو مديرين أو أية وظيفة يجرى تعيينها بمرسوم ملكى ٠

لا تزال نظرتنا ـ كسياسيين ومؤرخين ـ الى الخديو عباس حلمى الثانى متأثرة بنظرة الانجليز اليه ونظرة الملك فؤاد ، والملك فاروق من بعده اليه : لم نحاول الا نادرا النظر الى الرجل نظرة مجردة : نظرة عادلة منصفة الى تاريخ رجل حكم مصر ـ ولو أسميا ـ فترة طويلة من الزمن أصاب فيها ـ بلا جدال ـ وأخطأ واذا كان قد تلون وتقلب ، هاجم الانجليز وصادقهم ، عاداهم ، وتحالف معهم ، فمن من الحكام المصريين ـ فى سنوات ما قبل الثورة ـ لم يفعل ذلك ومن كان بلا خطيئة فليرمه بحجر » ٠

وتقلت فى كلماتى بعض عبارات وردت فى مذكرات الخديو عباس حلمى

الثانى قال فيها : ان التحليل التاريخى لحكمى سيبين يكل جلاء أنى لم أكن قط ذلك الغلام الذى زعمه صحفى فرنسى ولا كنت ذلك الثائر الماكر الذى يخضع للضغط اليومى من المعتمد والقنصل البريطانى ٠

ما كنت غلاما أو ثائرا ماكرا يوم وقع حادث حلفا ــ ١٨٩٤ ــ وانما كنت شابا فى مقتبل العمر لم أحط نفسى بمن يطمعون الظفر لمصر بسيادتها وكيف يلومونني لأنني أظهرت ذلك النفور الطبيعى نحو مغتصبى بلادنا الطامعين فيها والذين كانوا قد صرحوا منذ سنة ذلك الاحتلال ــ ١٨٨٢ ــ والمرة بعد المرة دون أن يفوا بوعودهم ، وعلى رأسهم لورد دوفرين أنهم يتأهبون للجلاء عن مصر ٠

عندما ارتقيت العرش لم يكن بامكانى اختيار حاشيتى بنفسى : لقد وجدتها كما هى ولم يكن لى من أمرها شىء وما كان يسعنى أن أقبلها أو أرفضها : ان الدور الوطنى قد تحدد وتجلى بوجه عام فى عهدى وقد ظهر ذلك الروح فى اخلاص أكثر زعماء مصر ، جلدا ، وبلاغة وموهبة ، مصطفى كامل » كان مصطفى يرأس حزب الشـــباب المتطرف وكان حزب أعيـــان البلاد ــ الحزب المحافظ ــ يأتمر بأمر الشيخ على يوسف وقد أدركت بعد قليل استحالة ضم الفريقين ــ الفريق المحافظ ، وفريق الشباب ــ وصار لزاما على أن أسعى عند كل منهمـــا سعيا خاصا » ٠

وفى كلماتى نلك أنقل فقرات من رسائل لمصطفى كامل ، لم يكن ينفى فيها ــ فى مطلع شبابه ــ انه يتلقى دعما من الخديو للقيام برحلاته الى أوروبا للدعاية للقضية الوطنية المصرية ، ولكن أى دعم ؟

فى خطاب بعث به مصطفى كامل الى صديقه فؤاد سليم مؤرخ فى ١٦ أكتوبر ١٨٩٥ ــ وكان اليأس قد استبد بمصطفى كامل ــ قال مصطفى :

اننى فى ضيق نظرا لأن الخديو لم يرسل لى من المال ما يكفينى للسفر الى مصر اذ أن مقدار ما بعثه لى يكفى فقط لأسدد به نفقات الاقامة واننى صممت على عدم رجوعى الى مصر لأن وجودى فى فرنسا مهم جدا للقضية التى كرست لها نفسى جسدا وروحا وهى قضية الدفاع عن مصر ، ولقد قررت ألا أعود الى مصر الا اذا يئست من معاونة الوطنيين وانى حاليا يائس من واحد وهو الخديوى ولكن أليس فى استطاعة والدك والهلباوى ومحمـــد سالم ، أن يرسلوا لى سنويا ٤٠٠ جنيه ما داموا يعتبرون أنفسهم وطنيون ويقدرون جهودى الوطنية ، واذا كانوا غير قادرين على مساندتى فانى سأعود الى مصر يائسا فاقدا الأمل ليس من أجل الجلاء فحسب بل من أجل مستقبل الأمة المصرية ، وتأكد يا صديقى العزيز انى لم أمكث فى مصر بعد عودتى دون أن أرى النصر أكيدا : سوف أنتحر ولا أعيش فى وسط أمة جامدة بالاضـــافة الى أنى لا أعرف اليأس الا بالموت معا ٠

بلغ والدك سلامي باسم الوطن المقدس وليس باسم الصداقة التمس منه وحده ان يرسل لى مبلغ (١٥٠ جنيه) هذا الشهر لهذه السنة كلها ولن أطلب منه شيئا بعد ذلك » ٠

وفى السنة المقبلة (١٨٩٦) سوف أدبر أمرى فوالدك يدفع ١٥٠ جنيه ، والهلباوى ١٥٠ جنيه ومحمد سالم ١٠٠ و ٤٠٠ جنيه من هؤلاء الوطنيين الثلاثة ستكون لها قيمة كبيرة عندى أكبر من نقود العباس (عباس حلمى الثانى) ويظهر ان مصطفى كامل لم يتلق من صديقه أو من والد صديقه فؤاد سليم أى دعم فكتب الى صديقه هذا فى ٢١ أكتوبر ١٨٩٥ يقول : استلمت بالأمس كتابك واؤخر الجواب عليه لوقت آخر وأسألك الآن ان تجيبنى على رسائلى لأعلم ان كنتم نساء أم رجالا والسلام ٠

وفى ٦ نوفمبر ١٨٩٥ ، يكتب مصطفى كامل الى صديقه الحميم فؤاد سليم قائلا : انى أشكرك على امدادك لى بالأحداث التى جعلتنى أرى بوضوح ان من بينكم لا يوجد أشخاص لا يمكن لوطنى مثلى ان يعتمد عليهم انت تقول انه لا يوجد فى مصر شعب جرىء ، قادر على مساندتى ولكن أيها البائس ، والدك وأصدقاء والدك هؤلاء وطنيون هم جزء من هذا الشعب أكفاك هزلا : انى أرى انكم وطنيون عندما يكون الخديوى وطنيا ولستم وطنيين عندما يكون العكس » ٠

ومرة فى ٢٢ يوليو ١٨٩٨ كتب مصطفى كامل الى أخيه الأعز محمد فريد يقول : أخى ليس لى من غيرك ما لى معك من الحرية فاسمع : اتفقت نهائيا على طبع كتاب الخطب ومجموعة دفاعى عن الوطن الحزين وتعهدت بدفع مبلغ ثلاثين جنيها مرة واحدة ودفع أربعين بعد ظهور الكتاب والثلاثين يجب دفعها يوم الجمعة القادم ٢٩ الشهر الجارى فأرجوك غاية الرجاء ان ترسل لى يوم وصول هذا أى يوم الخميس ٢٨ الجارى ٥٠٠ خمسمائة فرنك بالتلغراف بواسطة الكريدى ليونيه لا عدمتك أخا وفيا وصديقا حقيقيا » ٠

وكان مصطفى كامل فى ٦ يوليو ١٨٩٥ قد كتب الى أستاذه وصديقه عبد الرحيم أحمد رسالة يقول فيها بعد ان ألقى محاضرة فى مدينة تولوز الفرنسية عن القضية المصرية حضرها أصحاب الصحف التى تصدر فى المدينة والمحررين بها وجمع كبير من المسئولين بتلك المدينة التى حصل منها مصطفى كامل على ليسانس الحقوق وعرض « النور الكهربائى » بعض صور عن مصر قدمتها الجمعية الجغرافية ، وقد نشرت وكالات الأنباء العالمية ملخصا للمحاضرة وتناقلته الجرائد الباريسية كلها تقريبا ونشرتها — نصا — بعض الصحف التى تصدر فى تولوز : قال مصطفى كامل فى رسالته الى عبد الرحيم أحمد : دعوت بالأمس بعض الرجال الذين خدمونى وساعدونى هنا فى نشر الاعلانات وتحضير قاعة الخطابة واليوم أدعو أرباب الجرائد وأخطب فيهم خطبة قصيرة توافق المقام وأذكر لكم أن حضورى هنا كسب لمصر : كل أهل تولوز وخصوصا

رجال التحرير ا الصحافة] فيها الذين صاروا تحت امرنى ورغبتى بلا ثمن أما عن المصاريف التى صرفت لأجل الخطابة فهى : سكة حديد [١٢٠ فرنك ذهاب وإياب ١٦ ساعة مسافة السكة الحديد] وأجرة القاعة والخدم ، والاقامة وطبع الخطبة وتوزيعها وارسالها بالبوستة ، كل ذلك وصل للآن نحو ٦٥٠ فرنكا ولكننى مع الاعتدال والتدبير لا أصرف الا ما يوافق المصلحة ويعود نفعه على خدمة مصر » ٠

للعلم : كان مصطفى كامل وقت ذاك لم يتجاوز الواحد والعشرين من العمر : يكتب ، ويخطب وينظم الاجتماعات فى بلد أجنبى ويطبع محاضراته الوطنية ، ويوزعها ، الى جانب مصاريف السكة الحديد والسفر بالسكة الحديد يستغرق ١٦ ساعة مستمرة : ١٦ ساعة فى القطار دون استراحة . و ٠ و ٠

وبعد ذلك كله نقول عنه أنه عميل للخديو وان هناك مصطفين كاملين واحد قبل ١٩٠٤ ، وواحد آخر بعد ١٩٠٤ ٠

ونتساءل : أليس فى ذلك القول اساءة بالغة لتاريخ مثل هذا الشاب الوطنى ، عاشق مصر وشهيد غرامها ؟ ٠

وأرجو أن يكون مفهوما تماما أننى ما اهتممت هنا بموضوع الهجوم على مصطفى كامل ومحمد فريد الا للوصول الى النتيجة الهامة التى استهدفها دائما من اثارة مثل هذه الموضوعات وهى أننا نظـلم أنفسنا ونظلم تاريخنا ونظلم الشخصيات البارزة فى تاريخنا بمثل تلك الأحكام السريعة السهلة كما أننا نظلم الحق ، والحقيقة والواقع عندما نتخذ من الهجوم على بعض الشخصيات التاريخية مودة من المودات التى تظهر فجأة ثم تختفى فجأة والتى تبدو أحيانا وكأنها فرصة للانتقام من بعض تلك الشخصيات تحقيقا لأهداف سياسية أو حزبية مؤقتة ، أو دائمة ، فجأة ــ مثلا ــ نتحامل على محمد على الكبير ، نتبرأ منه ، ننفى عنه صفة الحاكم المصرى ، نلحق به كل التهم التى يمكن أن توجه الى أى حاكم ، نستهين بكل الأعمال التى قام بها أو نفذها أو خطط لها وننسى ــ مثلا ــ ان شعب مصر هو الذى اختاره طواعية فى استفتاء شعبى منقطع النظير وفى وقت كانت فيه أوروبا تقاسى الأمرين من الحكم الأوتوقراطى المطلق ، ونتناسى ، أن مصر فى عهده قد انطلقت سياسيا واقتصاديا ، وصناعيا وحربيا الى الدرجة التى هددت الباب العالى فى تركيا وربما لولا التدخل الأوروبى لأصبحت مصر ، من أوائل القرن التاسع عشر دولة كبرى !

ونحن ــ مثلا ــ لا نذكر لاسماعيل باشا الا ديونه التى إقترضها بفوائد فاحشة والا غزواته النسائية فى دنيا الغرام والهيام ناسين أو متناسين ، أن جزءا كبيرا من تلك الديون قد أنفق على مصر لتصبح قطعة من أوروبا وأن جيوش اسماعيل ــ التى هى فى نفس الوقت جيوش مصر ــ قد ساهمت فى القضاء على الرقيق ، وفى القضاء على الجهالة فى نفس الوقت ، وكانت تلك

الجيوش سببا فى ادخال المدنية الحديثة فى كثير من دول افريقيـــة : ننسى ــ مثلا ــ لاسماعيل باشا أنه منشىء الحياة النيابية فى مصر ، وأنه أول من شجع المعارضة ، صحافة وتيارات سياسية وقـد يقال أنه شجع المعارضـة ليستعين بها على التدخل الأجنبى فى شئون بلاده وقد يقال ، وقد يقال ولكن الذى لا جدال فيه أن الرجل كان الى حد كبير حاكما مستنيرا ولو أننا وضعنا فتوحاته ، وغزواته وانجازاته العمرانية فى كفة ووضعنا سيئاته بل وجرائمه فى كفة أخرى لرجحت الكفة الأولى .

وقد جاء علينا وقت ظلمنا فيه أحمد عرابى ، كانت كتبنا المدرسية ، تسميه العاصى أحمـد عرابى ، كان البعض ــ منـا ــ يطلق عليه اسـم عرابى الخائن ، كان بعض مؤرخينا يصفونه بالجهل ، والأمية العسكرية وبالضعف وقلة الحيلة وكان مجرد محاولة انصاف الرجل بكلمة ، مجرد كلمة يتعرض قائل تلك الكلمة للمحاكمة أو للطرد من وظيفته كما حدث بالنسبة لبعض مدرسى التاريخ فى المدارس الثانوية الذين نقلوا ، من وظائفهم ، ومن مدارسهم لأنهم أكدوا فى دروسهم لتلاميذهم ان عرابيا لم يكن عاصيا ولا خائنا وانما كان ثائرا بل رائدا من رواد الثورة : وكذلك الحال بالنسبة للخديو عباس حلمى لم نذكر له ، الا انه كان متلونا يعارض بعض الحكام الانجليز فى مصر ثم يتحالف معهم ، لتحقيق مصالحه الشخصية ، أو لأية أسباب أخرى : لم نذكر للخديو عباس حلمى الا أنه جمع أموالا طائلة من كذا ، وكذا ، والا أنه كان يضرب الحركة الوطنية المصرية مرة ويعمل على تقويتها مرة أخرى ، وهكذا .

وعباس حلمى ــ شئنا أم أبينا ــ أول حاكم من أسرة محمد على ، أحب مصر حبا جما وخاصة فى السنوات الأولى من حكمه ، عندما ولى الحكم ، وهو فى الثامنة عشرة من العمر ، كما أنه أول حاكم مصرى من أسرة محمد على واجه الانجليز الذين يحتلون بلاده مواجهـة صريحة سببت له الكثير من الأزمات كما أنه ــ عباس حلمى الثانى ــ وقف مؤيدا للحركة الوطنية المصرية منذ عام ١٨٩٢ حتى عام ١٩٠٤ ــ على الأقل ــ ثم تخلى عن هذا التأييد عندما رأى فرنسا تتخلى عن مناصرتها للحركة الوطنية المصرية وتتحالف مع بريطانيا بعد أن اتفقتا ــ فرنسا وانجلترا ــ على اطلاق يد فرنســـا فى الجزائر ، واطلاق يد انجلترا فى مصر وقد نذكر للخديو عباس حلمى أنه لم يكن كوالده صنيعة لانجلترا ففى أحيان كثيرة يمكن أن نعتبر عدم الانصياع الكامل للاحتلال ميزة اذا ما قارنا عـدم الانصياع الكامل بالتبعية الكاملة ، وعبـاس حلمى الثانى شئنا أم أبينا له بصماته على السياسة المصرية والحركة الوطنيـة المصرية رغم مرارة الاحتلال البريطانى وقسوته ، وينبغى علينا اذا ما أردنا الانصاف أن نقول ما للرجل ، وما عليه ، أما أن نحرمه من كلمة الحق وأما أن نجعل منه شماعة لكل الأخطاء التى وقعت فى عصره [١٨٩٢ ــ ١٩١٤] فليس من الشجاعة فى شىء .

وكذلك جاءت علينا فترة من الفترات قسونا فيها على سعد زغلول : قلنا ـ مثلا ـ أنه امتطى المد الثورى فى عام ١٩١٩ واستغله لصالحه ، قلنا عنه انه استفاد من الثورة دون أن يكون له فضل الاعداد لها بل وجد من بيننا ـ وقد وصلوا الى أعلى المناصب ـ أى كانوا وزراء ـ من اتهم سعد زغلول بالخيانة والعمالة لبريطانيا والاتفاق معها على كثير من الخطوات التى نفذتها بريطانيا فى مصر وخاصة الشهور التى ولى فيها الحكم وكذلك الأمر بالنسبة لمصطفى النحاس : ركزنا على أمور صغيرة مثل الثراء الذى هبط على زوجته والقبلة اياها التى طبعها على يد الملك الشاب فاروق ومثل التضارب من القصر ، فى وزارته الأخيرة وعندما اسمى تلك الأمور ، صغيرة فانما أعنى صغيرة بالنسبة الى ما قدمه مصطفى النحاس لبلاده فى تاريخه الوطنى المشرف قبل ان يحترف السياسية كقاض وبعد أن احترفها كعضو فى الوفد المصرى ، ثم رئيسا له ننسى لسعد زغلول انه أول زعيم مصرى فلاح افتخر بأنه زعيم الرعاع أو من كان يسميهم الانجليز رعاعا ، وأنه أول زعيم تباهى بزعامته للابسى الجلابيب الزرقاء [الفلاحين] : سعد زغلول أول زعيم مصرى وقف أمام ملك أوتقراطى مستبد موقف الندية ، وصعد الأزمة معه فى مسألة من يختار الأعضاء المعينين فى مجلس الشيوخ : الملك يقول ان الملك هو الذى يختار وسعد زغلول يقول ان الملك لا يحكم الا عن طريق وزرائه وان مجلس الوزراء هو الذى يختار الأسماء ، والملك هو الذى يصدر قرار التعيين فلما اشتدت الأزمة اتفق الملك وزعيم الشعب ـ على النحو الذى فصلناه فى الجزء الأول من هذا الكتاب ـ على الاحتكام الى فان دوش النائب العام فى المحاكم المختلطة المصرية وقبل الملك قرار الحكم الذى أيد موقف سعد زغلول فى أن الملك يباشر سلطته عن طريق وزرائه وتعيين نسبة الخمسين من أعضاء مجلس الشيوخ هو من سلطات مجلس الوزراء ، الذى يقترح الأسماء على الملك ويصدر الملك المرسوم الملكى بتعيين تلك الأسماء فى مجلس الشيوخ ٠

نسينا لمصطفى النحاس مقاومته للاحتلال البريطانى فى كثير من أيام حكمه ونسينا أنه نام ، فى محطة سكة حديد بنى سويف كنوع من المقاومة لدكتاتورية اسماعيل صدقى ، عندما حال اسماعيل صدقى ، بين مصطفى النحاس وبين دخوله بنى سويف : نسينا أو تناسينا المواقف الوطنية الكبيرة والكثيرة لمصطفى النحاس تلك المواقف التى سجلناها بالتفصيل فى سلسلة مقالات لنا بالمصور : تحت عنوان : مقال تأخر عشر سنوات : مصطفى النحاس زعيم مصر ، ووجدانها الحر الشجاع [٢٣ أغسطس ١٩٧٥] ٠

كانت ولا تزال أحكامنا على كثير من زعمائنا قاسية للغاية ، وكانت ولا تزال أحكامنا على كثير من زعمائنا أيضا مبالغ فيها الى حد كبير : نحن نظلم البعض فنحرمه من ثمرة كفاحه ونتوقف عند بعض الأمور الصغيرة لنجعل منها

مدخلا للمؤاخذة ، والنقد ، بل والهجوم الضارى ونحن ـ أيضا ـ نتملق فى أحكامنا : البعض ننسب اليهم ـ مثلا ـ ما لم يقوموا به : نضخم مثلا الأعمال البسيطة التى قاموا بها : نتناسى دائما الأخطاء بل الخطايا التى اقترفوها ونحن لا نطلب الا العدالة المطلقة ، نحن لا نريد ممن يكتب تاريخا ـ وقد أصبحت كتابة التاريخ بكل أسف شديد بلا روابط ، ولا ضوابط ـ ان يكون صادقا وأمينا يقول الحق ، ولا شيء غير الحق : يذكر ما للرجل وما عليه : يحكم على الشخصية العامة فى كل عمل قامت به ، ويكون حكمه خاصا بكل عمل على حدة ، ثم يحكم على الشخصية العامة ، حكما عاما له ما يبرره ، أو على الأقل يكون له حيثياته .

وأحب هنا أن أركز فى هذا المدخل على خطأ نقع فيه جميعا نحن الكتاب والمؤرخين : اننا نعطى اهتماما بالغا للزعماء والقادة دون أن نعطى نفس الاهتمام للشعب ، وما كان لزعيم ، أو قائد ، أن يقوم بعمل ما بمفرده ولا بد أن يساعده الشعب ، على تحقيق آماله ، نحن نذكر للزعيم أو القائد كل الأعمال الجيدة ، التى قام بها ، ننسى أو نتناسى فى أحيان كثيرة : الشـــعب هو الذى قام بتلك الأعمال وانه لولا ، الشعب لبقيت تلك الأعمال مجرد أفكار أو مشروعات فى ذهن القائد أو الزعيم دون أن تنفذ .

والانصاف يقتضينا أن نذكر فضل الشعب فى كل عمل جيد نكتب عنه دون أن ننسب كل فضل الى القائد ، أو الزعيم : ان حركة التاريخ تؤكد أن الشعب هو صانع كل شيء : هو الأداة المنفذة لكل اصلاح ، هو البانى لكل حركة عمرانية ، هو الجيش الذى يحقق ـ فى الحروب ـ الانتصارات ، وما دور الزعيم ، أو القائد هنا الا دور الموجه ، دور المفكر ، ولذلك فان هناك زعماء وقادة تاريخيين ، ملكوا الكثير من أوجه العبقرية ولم يتح لهم ، أن يتركوا بصماتهم على التاريخ لأنهم كانوا حكما على شعوب ليست لديها القدرة على البناء والعمل : أكان محمد على ، أو اسماعيل باشا ـ مثلا ـ يستطيعان اقامة الدولة التى أقامها كل منهما ؟ أكان يحقق تلك الانتصارات والانجازات التاريخية التى قام بها كل منهما لولا شعب مصر : رجاله ونساؤه ، شبابه ، وكهوله ؟؟

اننا ـ وتلك احدى نقائصنا ـ نعطى كل اهتمامنا لعبقرية الأفراد دون ان نعطى عبقرية الشعوب ما تستحق من اهتمام .

ولقد حاولت ، وأحاول باستمرار فى كل ما أكتبه أن أكتب عن دور الشعب سلبا أو ايجابا ، واذا كان بعضنا يخشى ان يكتب عن سلبيات الشعب ، واذا كان بعضنا ـ اذا كتب ـ لا يكتب الا عن ايجابيات الشعب ، فاننى أحاول دائما جهد الاستطاعة أن أكتب عن ايجابيات الشعب وسلبياته فى أية مرحلة أكتب عنها .

وأحب هنا أن أركز على أبرز سلبيات اهتمامنا بالحكام ، دون اهتمامنا بالشعب صانع الحكام وصانع الأعمال التاريخية التى تنسب الى بعض أولئك الحكام ، وذلك اننا عندما ننسب كل عمل ، الى الحاكم ، وننقص باستمرار من قدر الشعب ودوره يظن البعض أن شعبنا لا يصنع شيئا وان كل عمل كبير تم انما قام به الحاكم وحده ، وبالتالى فان كل الأمجاد تنسب الى الحاكم ، والحاكم قد يكون أجنبيا ، أو قد يكون من سلالة أجنبية وهنا ينسب كل فضل الى الحاكم الأجنبى دون ذكر للشعب الذى قام بتلك الأعمال ثم تجىء النتيجة السلبية المؤسفة ومؤداها أن مصر - مثلا - لم تقم بأى عمل خلال الفترة ، التى حكم فيها محمد على لأنه غير مصرى : ألبانى كما تعارفنا ، تركى قح ، كما يؤكد أستاذنا د. شفيق غربال ، ونعتبر الفترة التى حكم فيها محمد على مصر فترة حكم أجنبى لا مصرى .

وليس هناك من قسوة أشـــد من تلك القسوة ، التى ننهى اليها تلك النتيجة السلبية التى نقدمها نحن أو يقدمها البعض ، بما « تميز » به - من قدرة فائقة على النفاق ، أو الجهل المطلق - فنقول - مثلا - أن سعد زغلول أول حاكم مصرى رأس وزارة مصرية ونقول - مثلا - أن جمال عبد الناصر - أول مصرى رأس جمهورية مصر وقاد شعب مصر .

وليس فى ذلك الا الظلم البين الذى استشرى فى كثير من الأحيان فجعل الكثيرين منا يعتقدون ان مصر لم تحكم حكما مصريا خالصا الا فى سنوات قليلة وتلك مقولة لا تستند أبدا الى أى أســاس سليم ان الشعوب وخاصة الشعوب العريقة تمتص كل العناصر الأجنبية وتحيلهـا الى عناصر وطنيـة : الشعوب ، وخاصــة الشعوب العريقة قادرة دوما على أن تكسر حدة الغازى أو الدخيل ، تذيبه فى بوتقتها حتى يتحول بعد فترة من الزمن الى مواطن أصيل ضمن مواطنيها . اننا لو جرينا - مثلا - وراء أنساب الملوك ورؤساء الجمهوريات والحكام فى أوروبا وأمريكا وأعدنا هؤلاء الى جذورهم الأولى لاتضح لنا العجب العجاب ، فملوك انجلترا - مثلا حسب جذورهم الأولى - ليسوا انجليز أصلاء ومعظم رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية ، ليس أمريكيين « أصلاء » ، وكذلك بعض الرؤساء الفرنسيين والألمان واليونانيين ، ولو أننا أخذنا بالمنطق ، الذى يحكم به هنا في مصر أن مصر لم تحكم حكما مصريا خالصا الا في سنوات قليلة من عمرها الطويل لوجدنا دولا ، كبيرة وصغيرة فى أوروبا وأمريكا لم تحكم الا حكما أجنبيا اذا ما عدنا الى الجذور الأولى ، لملوكهـا ورؤســاء جمهورياتها ورؤساء حكوماتها ؟ أليس من الظلم أن نقول مثل هذا القول عن مصر فيشب شبابنا على أنه لم يحكم حكما مصريا الا فى سنوات قليلة ، وبقية تاريخه كله كان مستعبدا يحكم بأجانب !!

وقبل أن أنتقل الى موضوع آخر ، هام وخطير من موضوعات المدخل الى فهم أحداث التاريخ المعاصر أحب أن أشير الى ظاهرة يتميز بها فهم البعض لأحداث التاريخ وأشخاصه ، فمن كثرة تركيزنا على أقوال معينة وأحداث معينة ، أننا ـ أو أجيال كثيرة منا ـ لا تعرف عن بعض الأشخاص الا المعلومات التى ارتبطت بواقعة معينة فمثلا ، نجد أجيالا كثيرة لم تعرف عن ابراهيم الهلباوى الا أنه المدعى العمومى فى قضية دنشواى أما فيما عدا تلك الواقعة من أحداث تاريخه ، فان أحدا لا يعرف عن بقية التاريخ شيئا : تاريخه فى المحاماة ، كقطب من أقطاب المحاماة وكنقيب من أبرز نقباء المحامين لأكثر من دورة ، دوره فى لجنه اعداد الدستور عام ٢٢ ، وعام ١٩٢٣ ، مساهمته فى انشاء حرب الاحرار الدستوريين ، وغير ذلك من الأمور ، الهامة فان الكثيرين لا يعرفون عن تلك الأمور شيئا ، لأن صفة المدعى العمومى فى قضية دنشواى قد طغت على كل شيء وطمست كل تاريخ مشرق ٠ مثال آخر يتسم بالظلم ، البين ، يتعلق بعبد الخالق ثروت باشا وعبد الخالق ثروت باشا ، كان من أبرز رجال القضاء ، كما كان رئيسا للوزارة المصرية فى أخطر مراحل التاريخ المصرى : الحرب العالمية الأولى ، وما بعدها وقيام ثورة ١٩١٩ ، و ٠ و ٠ ولكن عبد الخالق ثروت باشا ليس معروفا فى أذهان الجماهير أو أغلبية الجماهير بكل أسف الا انه رئيس الوزارة الذى كان مغرما بمنيرة المهدية ، والذى كان يعقد مجلس الوزراء فى عوامتها والذى غنت له ـ وحده منيرة المهدية : تعالى يا شاطر نروح القناطر ٠

وقد أحدث ذلك لأسرته ، وخاصة حفيده رشدى غالب حسين رشدى مرارة شديدة جعلته يهتف من أعماق أعماقه فى رسالة لم تنشر بكل أسف اذ حالت الظروف القاهرة دون نشرها ، وبقيت عندى كوثيقة تاريخية ذلك أن الرجل (الحفيد) أزاح فى تلك الرسالة عن أسرار كثيرة من حياة جده ولعلى فى مناسبة قريبة أنشر تلك الرسالة المطولة ، التى كانت بعنوان : اتركوا العظماء يرقدون فى مقابرهم فى سلام آمنين وكانت الرسالة تعليقا على احدى فوازير رمضان ـ شهر الصوم والقرآن ، شهر العبادات والخيرات شهر الحسنات والطيبات وكان فى مقدمة تلك الرسالة : توسمت ان يحقق هذا البرنامج الغرض المنشود منه أو المفروض فيه متمثلا فى الترفيه علينا بتقديم التسلية الهادفة من خلال الامتحان القائم على فلسفة النقد البناء والمداعبة بالنكتة الطريفة الخفيفة المستحبة الا آنه هالنى وروع كل الطبقة الواعية المستنيرة أن يتناول هذا البرنامج الأجوف سير : عظماء التاريخ من عمالقة الحكم والسياسة ورواد الوطنية والفكر وأرباب السيف والقلم وأساطين الفن وصانعى الأمجاد بأسلوب تشمئز منه النفوس الأبية ويانف له الذوق الرفيع وتستنكره ، الأخلاقيات الكريمة تطالعنا بصورة كريهة لتكون موضوعا لمسابقة هزلية واهية ، « حظيت » بشرف تشويه تاريخ هذا العالم الكبير والأمر ـ رشدى غالب حسين

رشدى – من كل ذلك وأدهى المادة العلمية فهى بلا تجنى ومع مزيد الأسف كشكول ، دسم من الأخطاء الفاحشة ، وموســـوعة ضخمة من المغـالطات والافتراءات والمهاترات : كل هذا الابداع والخلق الفنى والثقافة العميقة قدمها بكل أسف أكبر جهاز اعلامى مرئى ومسموع فى الدولة خصص لتسلية الصائم الكريم : المهم أن كل هذه المآسى قد ارتكبت باسم الفن والفن منها براء ، وقدمت بدعوى الثقافة الهادفة وهى فى حقيقتها جهالة هدامة وعرضت بغرض الاضحاك ولكنه ضحك كالبكاء .

ويمضى رشدى غالب حسين رشـدى قائلا : لو تصور بعض الأدعيـاء أنهم أوصياء على التاريخ واستباحوا لأنفسهم فى استعلاء ويغير استحياء تشويه تاريخ هذا العالم فاننا لن نسمح أبدا لأى مخلوق على وجه الأرض أن يمد يد العبث أو يبث روح التهريج لتشويه تاريخنا القومى بكل ما يزخر به من مجد وعز وفخار .

وليعلم هؤلاء – رشدى غالب حسين رشدى – ان التاريخ القومى لكل دولة بمثابة الأصل للانسان والجذور للأشجار والأساس للبنيان والانسان بلا أصل لقيط شريد والشجرة بلا جذر ضعيفة تقتلها الرياح وأعاصير والبنيان بلا أساس نخل مهدد بالانهيار والســـقوط فما بالهم يقوضون هـذه الدعائم القوية الراسخة .

واذا استبحت لنفسى – رشـدى غالب – وقـد تملكتنى بعض الأنانية المفترضة فى الانسان أن أترك القضية العامة لأتطرق لاحدى خصوصياتها وأن أصحح حقيقة تاريخية شوهتها بكل أسف تلك الفوازير ، حقيقة وان كانت قد تغيب عن أذهان قلة قليلة من الشباب الا أنها راســـخة بفضل الله تعالى ووعى أبناء هذا البلد الأمين فى نفوس الغالبية العظمى من رجالات وشـيوخ الأمة الأكرمين .

هذه الحقيقة ... هى السيرة العطرة لجدى المغفور له صـاحب الدولة « حسين رشدى باشا »

هذا الرجل الذى احترق فى أوائل القرن العشرين ليضىء شعلة الجهاد والوطنية وليكون منارا ونبراسا .

الرجل الذى أفنى صحته وطاقته وقودا لثورة ١٩١٩ ليكون قدوة تحتذى ومثلا شرودا فى التضحية وانكار الذات تســـجل أعماله فى ســجل الخالدين ليدخل بهـا التاريخ من أوسع أبوابه مرفوع الرأس شامخ القامة مهيب الجانب كعلم خفاق للحركة القومية المصرية وليرقد فى رحاب الله فى أعلا عليين أبيض الوجه ناصع السيرة نظيف اليد .

فلقد تبوأ حسين رشدى أرفع المناصب وأسماها عن جدارة واقتدار فى وقت كان المصرى غريبا فى وطنه مغلوبا على أمره ٠

بدأ بداية فى خدمة بلاده بعد أن حصل على أعلى اجازة للقانون فى العالم من جامعة السربون بفرنسا ـ مفتشا للغة الفرنسية بوزارة المعارف العمومية فكبيرا لمفتشى اللغات الأجنبية بها فقاضيا فمستشارا بالمحاكم المختلطة والأهلية فوزيرا للأوقاف فوزيرا للحقانيــة « العدل » والخارجية والمعارف العموميــة والداخلية فرئيسا لمجلس الوزراء زهاء خمس مرات فقائم مقاما خديويا فرئيسا لمجلس الشيوخ ، كما تولى شرف رئاسة اللجنة التى وضعت دستور ١٩٢٣ « الأب الشرعى لكل ما أعقبه من دساتير ومواثيق » ورئاسة هيئة انشاء الجامعة الأهلية المصرية كما عمل أستاذا غير متفرغا بل متبرعا لتدريس القانون الدولى العام بهذه الجامعة الشامخة ٠

حسين رشدى الذى وقع فى لندرة فريسة للشلل أثنــاء مرافعته عن القضية المصرية فى مفاوضات المطالبة بالاســتقلال عندما احتد على « اللورد كيرزون » صارخا فى وجهه « يبدو يا جناب اللورد انك تجهل تاريخ بلادك لأنك لو رجعت بذاكرتك للماضى القريب لتذكرت أن الشعب المصرى الذى تستخف به ، وجنود جيشه اللذين تستهين بهم سبق أن ألقوا بقيادة جدى « طبوزاده الكبير » بقادتكم وجنود جيشكم فى البحر « مشيرا بذلك الى معركتى الحماد ورشيد الشهيرتين » ٠

ثم استطرد قائلا له : وسيجىء قريبا اليوم الذى سنحاربكم فيه وجها لوجه وربما سأكون فى هذا الوقت شيخا هرما لا يقوى على الحركة ولكننى سأطلب من أربعة من الجنود الأشداء حملى أثناء قتالكم ٠٠٠ كلا فلن أعطل هؤلاء الجنود عن آداء واجبهم المقدس بل ســأزحف بنفسى على بطنى وأتقدم الصفوف ولن نرجع من معركة المصير الا بعد أن نسحقكم ونمحى هذه الوصمة من جبين مصر ».

هذا هو الرجل الذى كان فى مقدوره ان يحظى بتاج مصر أثناء جلوسه على عرش البلاد قائما مقاما خديويا فى الفترة بين خلع عبــاس حلمى الثانى وتعيين السلطان حسين كامل فأبى زهدا فى كل شىء : فى زخرف الحياة الدنيا ـ ما عدا عشقه لمصر ـ هو بعينه حسين رشدى الذى تفادى بثاقب بصيرته وراجح عقله وواسع ادراكه وبعد نظره الســــــياسى ضم مصر الى ممتلكات الامبراطورية البريطانية العظمى جاهدا فى تضييق نظام الحماية ، لحين الفرج الذى كان يلوح عن قريب : الرجل الذى وقف فى وجه ولى الأمر عندما أراد أن ينص فى دستور سنة ١٩٢٣ على أن « الملك هو مصدر السلطات » وأصر هو على أن الأمة هى مصدر السلطات جميعا ٠

وقال كلمته المشهورة « والله لو أصر ولى الأمر على وجهة نظره فيؤسفنى أننى لن أستطيع الاستمرار فى التعاون مع ملك غير دستورى مثله » ٠

حسين رشدى المحرك الأول لثورة ١٩١٩ الذى عرض عنقه لحبل المشنقة حيث كان المسئول الأول عن أمن الدولة ونظامها فى وقت كان فيه للانجليز اليد الطولى على البلاد ٠

الرجل الذى جمع التوكيلات لسعد زغلول ورفاقه ليكسبهم أهلية الدفاع عن القضية المصرية باسم جماهير الأمة ٠

هو نفسه الذى كان يأمر فى الخفاء بتسهيل مأمورية قطع سبل المواصلات والسكك الحديدية لعرقلة حركة جنود الاحتلال فى مواجهة الثوار وهو الرجل الذى ابتدع فكرة اضراب الموظفين عندما كررت الحكومة البريطانية معارضتها فى سفر المفاوضين المصريين الى لندن بعد صدور المبادىء « الولسنية » التى تعطى للشعوب حق تقرير المصير ، فآثر أن يلازم فى غير ما استقالة تعبيرا عن قضيته وثوريته وايعازا للموظفين بالاضراب مثله وحثهم عليه ليوقع السلطات البريطانية تحت ضغط حكومى وشعبى ويجبرها على الموافقة على سفر المفاوضين ٠٠٠ الأمر الذى تحقق فعلا ٠٠٠

وما أروع رده على مشروع برونيت الخاص بنظام مصر النيابى فى ذاك الوقت والذى جمع فى الهيئة التشريعية للبلاد بين الأجانب والوطنيين ونص على زيادة الأجانب على الوطنيين والمعينين على المنتخبين ــ ذلك الرد الذى كانت تتلقفه الأسماع والأبصار فى لهفة وحماس والذى لولاه لتحولت الأمور المصرية عن المجرى الذى سارت فيه الى اليوم ــ حيث كان يقول رحمه الله على حد تعبيره بالعامية « أنا الديدبان الذى ناديت عندما أطلعت على مشروع « برونيت » وقلت : جاى الحقونى فقد دهمنا الخطر يا رجال » ٠

وما أروع كلمة حسين رشدى الشهيرة حينما طلب اليه « اللورد ملنر » أن يجمعه بفريق من المصريين للتحدث اليهم فى شأن أعمال « لجنة ملنر » اذ قال له بالحرف الواحد « انى آسف جــدا يا جناب اللورد فوالله لو طلبت منى أن أجمع لك ثلاثة قطط من شوارع مصر لمناقشتك فى موضوع أعمال هذه اللجنة ، لما استطعت اليه سبيلا » وكانت هذه العبارة التاريخية هى القول الفصل الذى قوض آمال تلك اللجنة البغيضة وأنهى مهمتها الاستعمارية ٠

هذا هو الرجل الذى أطلق عليه فى موسوعة التاريخ العالمية « رشدى مصر الكبير : هذا هو حسين رشدى الذى كان منزله ومكتبه قبلة لأصــحاب الحاجة والسائلين والضعفاء والمساكين ، الرجل الذى دخل الحكم سليل أسرة عريقة ابن بيت كريم أصحابه من سراة القوم وخرج منه صفر اليدين يزهو برصيد هائل من المحبة والاجلال والتبجيل والعرفان بالجميل ٠

كنت أتمنى من اللذين سمحوا لأنفسهم ان يتعرضوا لسيرة هذا الرجل الكبير ويأن يتجنوا عليه افتراء زاعمين انـه عقد مجلس الوزراء فى العوامة الخاصة لسلطانة الطرب « السيدة منيرة المهدية » ان يتحروا الحقائق بدقة ويرجعوا للوثائق الرسمية ويعملوا حكم العقل والمنطق الذى يبدو واضحا انهم قد أعطوه أجازة مفتوحة لحين سرد هذه المهاترات السخيفة ... اذ كان يتعين على هؤلاء السـادة الأفاضل أن يرجعوا الى مضـابط مجلس الوزراء المحفوظة بأرشيف هذا المجلس الموقر أو بدار المحفوظات وانى أتحدى هؤلاء الأدعياء أن يجدوا بهذه الوثائق الرسمية تصريحا أو تلميحا يشير الى أن جلسات مجلس الوزراء قد عقدت فى يوم ما « بعوامة منيرة المهدية » واسمحوا لى أن أسأل هؤلاء المغاوير بعض الأسئلة وأترك لهم الاجابة عليهـا وليحكم الرأى العـام الواعى المثقف .....

١ ـ هل كان يسمح ولى الأمر مهما تصورنا اعتباطا فساد النظام وسقوطه أن يسمح للوزارة المصرية أن تنحدر الى حد عقد اجتماعاتها الرسمية بعوامة خاصة لأى مطربة مهما كانت منزلتها ؟؟!! وهل كانت تسمح بذلك حتى دولة الاحتلال نفسها ؟؟ !!!

٢ ـ هل تولت الحكومة نقل أجهزة مجلس الوزراء من سكرتارية فنية وأخرى ادارية وآلات كاتبة وملفات ومستندات ومراجع وكبار موظفى المجلس وحرس الوزراء ، وركبت شـبكة تليفونات ونظمت حركـة المرور وأقامت استحكامات الأمن وأشرفت على الضـبط والربـط بعوامة منيرة المهدية لعقد اجتماعات مجلس الوزراء بهذه « العوامة المحظوظة » ؟؟ !

٣ ـ هل يتصور أن جميع السادة الوزراء وكبار موظفى الدولة فى ذاك الوقت وكانوا جميعا بلا استثناء من أفاضل الناس وأعلام الجهاد والوطنية تربعوا على كراسى الحـكم تباعا ، قد وافقوا وقبلوا على ان أنفسهم أن ينزلقوا الى هذا المنحدر ؟ ولم يعترض واحد منهم على هذه البدعة الغير كريمة ؟ ! ؟

٤ ـ ما هى الحكمـة وما هى الضرورة الملحـة التى تجبر كبير الوزراء المسؤول الملقب بصاحب الدولة والذى وصل الى هذا المنصب الرفيع بواسع ادراكه وراجح عقله وصواب رأيه بعد أن عركته التجارب وصـقلته المواقف ودربته الأيام بأن يضع نفسه وزملاءه الأشراف فى هذا الموقف الحرج العجيب ؟؟ فلو افترضنا جدلا سفسطائيا لا طائل منه : أنه آثر هذا الموقف الشاذ لعلاقة شخصية ومآرب خاصة بينه وبين صاحبة العوامة الفاضلة فالمعقول والمقبول أن يأتى لزيارتها وحده فى جو بسيط هادىء ولبس فى موكب ضخم وبطانة هائلة تعكنن المزاج !!!

وان كان المقصود أن يزورها للاستمتاع بفنها الراقى وصـوتها الساحر الشجى الذى تربعت بفضله على عرش الغناء حقبة من الزمان فالمنطقى أن يزورها

هو والسيدة الفاضلة قرينته أو بعض من يصطفيهم من الأصدقاء المحببين الى قلبه فى جو شاعرى على ضفاف النيل وليس فى جو حكومى مكهرب !!!

ولهذا الموضوع قصـة ... فالمعلوم ان حسين رشدى قـد قضى طفولته وشبابه فى ربوع أوربا حيث تلقى تعليمه من رياض الأطفال حتى حصوله على أعلى اجازة فى القانون من جامعة السربون متنقلا فى المدارس ومعاهد العلم ذات النظام الداخلى بكل من سويسرا وفرنسا وبعد تخرجه من الجامعـة الفرنسية الشهيرة وكان ترتيبه الأول بامتياز مع مرتبة الشرف العليا صرحت له الحكومة الفرنسية لكفاءته وجدارته العلمية بأن يزاول مهنة المحاماة وسمحت له بفتح مكتب لهذه المهنة فى باريس واصبح أول اجنبى يتمتع بهذا الامتياز الكبير فى جميع انحاء فرنسا ، وبحكم ثقافته الأوربية ومسايرته لركب الحياة فى هذه البلاد المتقدمة كان شغوفا بحب الفن الراقى يطرب للأداء الرائع ويحنى قامته احتراما للأصالة والابداع والابتكار ، ويبهره احترام المواطن الأجنبى وتقديسه للمصنفات الفنية فى الوقت الذى كان يعتبر الفن فى مصر بكل أسف مهنة غير محترمة تصادف امتعاضا من العامة والخاصة وتحارب علانية وخفاء وترفضـــها القيم والعادات العتيقة وينفر منها الناس لتصورهم أنها من وسائل الترفيه والتسلية فى المواخير والبارات – الى الدرجة التى كانوا يطلقون فيها على الممثلين والممثلات « فئة المشخصاتية » يتنكر لهم المجتمع وتتبرأ الأسر الكريمة من الأبناء الذين يمتهنون الفن بصفة عامة .

فأراد حسين رشدى وهو صـــاحب الذوق الرفيع والاحســاس المرهف والنفافة التقدمية أن ينصف الفن فى بلاده وأن يضعه فى المكانة اللائقة بـه تحت الشمس وأن يكرمه فى شخص القائمين عليه ومن هـــذا المنطلق كانت بداية علاقته بسلطانة الطرب وشادية عصرها السيدة منيرة المهدية فكان يحضر فى المقصورة المخصصة له هو والسيدة قرينته بعض حفلاتها الكبرى وينحنى ليقبل يدها على الطريقة الغربية فى مصافحة السيدات بعد انتهاء الحفل اعرابا منه على ثنائه وتقديره لما تقـــدمه من روائع وتكريما للسـمو الفنى فى أجلى معانيه – وكأن لسان حاله يقول أنظروا أيها الناس ان حسين رشدى سليل البيت الكريم وشيخ الوزارة المصرية يحنى قامته اجلالا للفن الأصيل .... لعل فى هذه اللفتة الكريمة عبرة لمن يعتبر وقدرة تحتذى لدفع الفن والفنانين دفعة قوية نحو النهوض والارتقاء .

ولما كان حسين رشدى نصيرا وظهيرا للفن فقد دعته السيدة منيرة المهدية فى عوامتها بمناسبة ختام موسمها الغنائى بملهى « الهامبرا » بالاسكندرية لحضور حفل خاص أقيم تكريما للرجل الذى أكرم الفن وتقديرا لأياديه البيضاء وعرفانا بفضله ، ولما كان الشخص المحتفى به هو رئيس الوزراء بجلال قدره ومكانته ، فمن البديهى أن تدعو أيضا جميع السادة الوزراء لتحقيق الوسط

المتجانس والصحبة المتآلفة وكوسيلة ذكية من وسائل الدعاية لفنها الراقى الذى لا يحضره الا صفوة القوم من الحكام والكبراء ، ولما كان حسين رشدى رحمه الله خفيف الظل مليح الفكاهة يقدس عمله الى الدرجة التى لا يستطيع الفكاك من التفكير فيه حتى فى أوقات الترويح عن النفس ـ نظر الى المنضدة التى يجلس عليها ومن حوله وزراءه وقال متفكها مداعبا زملائه ... « الآن يا سادة وقد حضر الجميع فلنفتتح الجلسة ... » وهنا قهقة الجميع ضاحكين وقالوا فى صوت واحد : حتى هنا يا دولة الباشا .

هذه هى القصة الحقيقية وهذا هو الواقع الذى لم تمتد اليه يد العبث والتشويه ذكرها أقرب المقربين اليه ممن حضروا فعلا هذا الاحتفال ولا داعى لذكر اسمه الكريم مكتفيا بالدعاء له بالصحة والعافية وطول البقاء ، راجيا منه ألا ينفعل عند سماع أو مشاهدة هذه المهاترات مؤكدا له أن حسين رشدى قد ترك سلالة من صلبه أقسمت أن تتصدى « بالسوط والمرصاد » لكل من تسول له نفسه بالنيل من سيرته الكريمة الناصعة .

هذا هو موقف من تصر الفن فخذله بعض الأدعياء المتسلقين ...... ومن دفعه دفعة تقدمية هائلة ، ومن انحدر على يديهم الى أسفل سافلين ، أسلوب بناء مشرف يواجه معاول هدم مخزية ..... وشتان بين الثريا والثرى ـ والله خير الشاهدين » .

ولعل فى تلك الصرخة المدوية الخاصة برجل أدى واجبه فى خدمة بلده كأروع ما يكون الأداء وكان فى كل حياته السياسية والقضائية مثلا يحتذى ما يدعونا الى التروى والانصاف فى كل أنواع الكتابة وخاصة الكتابة التاريخية وهل هناك أقسى من ان ينسى تاريخ مثل هذا الرجل الوطنى ولا يذكر له الا انه جمع مجلس الوزراء فى عوامة الفنانة الكبيرة منيرة المهدية » .

★★★

والموضوع الآخر الذى وددت لو اهتم به الكثير من الكتاب والمؤرخين هو ما أسميته تجاوزا الاقطاع التاريخى الذى منينا به أخيرا وقد تكون منبنا به من زمن بعيد ولكن ليس بتلك الصورة الرهيبة التى نشكو منها الآن ذلك أننا ـ وربما كان ذلك موروثا من عصور قديمــــة ـ لا تهتم عادة الا بالرجل الأول فى أى مجال دون اهتمام بمن حوله وقد يكونون ـ عملا ـ أهم وأفضل وأكثر عطاء منه : عندما نهتم مثلا بالملوك والحكام ، ننسى أنه كان الى جانبهم أمراء ومساعدون ومستشارون أدوا واجبهم فى خدمة ملوكهم وشـــعبهم فى خدمة حاكمهم كأفضل ما يكون الأداء ، فيما يتعلق ـ مثلا ـ بالأسرة المالكة فى فى مصر ـ المالكة سابقا ـ أولينا اهتماما بمحمد على واسماعيل وتوفيق وعباس حلمى وحسين كامل وأحمد فؤاد وفاروق ، وضربنا صفحا عن أمراء آخرين ،

لعبوا أدوارا خطيرة فى دنيا السياسة والحكم فى مقدمتهم – وعلى سبيل المثال لا الحصر – فرع أسرة حليم الذين كان لبعضهم نشاطهم فى توجيه السياسة فى دولة الخلافة الاسلامية ذاتها ، وبين هؤلاء – وعلى سبيل المثال لا الحصر – الأمير كمال الدين حسين ابن السلطان حسين كامل ، الذى رفض أن يلى عرش مصر لأنه حبا لا يريد أن يساوم عليه وكذلك الأمير عمر طوسون الذى كان له اهتماماته الدائمة ، والدائبة بقضية مصر والسودان وبكثير من قضايا الجيش ، والزراعة والعمل الاجتماعى .

وفيما يتعلق – مثلا – بثورة ١٨٨٢ أولينا اهتمامنا بأحمد عرابى ونسينا زملاءه ورفاقه الذين قادوا معه الثورة العرابية ، وكان لهم عليها ، وعليه أكبر الفضل ، بل ان أحدهم – عبد العال حلمى – قد رفض ان يستسلم بعد الهزيمة المرة فى التل الكبير ، وظل يقاوم فى دمياط الى أن وجد أن المقاومة لن تجدى ، ومثله – مثلا – على فهمى الديب ، دئب الثورة العرابية الذى أجمع المؤرخون الأجانب الذين أرخوا للثورة العرابية : انه كان قائدا لا يقل أهمية عن كثير من القواد العالميين البارزين بل اننا لا نزال نصر على بقاء رفات عبد العال حلمى ، ومحمود فهمى ، ويعقوب سامى فى سرى لانكا وعلى الروبى فى مدينة سواكن لأنهم ماتوا فى المنفى ودفنوا هناك ولم يفكر أحد من المسئولين فى اعادة تلك الرفات كما فعلت الجزائر مثلا بعبد القادر الجزائرى ، لم نهتم برفاق عرابى : طلبة عصمت ، ومحمود فهمى ومحمد عبيد وغيرهم ، وغيرهم من أبطال تلك الثورة الذين شرفوها بعلمهم وتضحياتهم وشرفتهم بأن كانوا من بين قوادها بل اننا لم نهتم بمن أعدموا بعد هزيمتنا فى ١٤ سبتمبر ١٨٨٢ وظهر ، باعتراف الأعداء – أعداء الثورة – انهم كانوا مظلومين .

وفى الحركة الوطنية المصرية ، التى قادها فى نهاية القرن التاسع عشر مصطفى كامل كان اهتمامنا بمصطفى كامل وحده ثم جرى الاهتمام فيما بعد – ولكن ليس بالصورة المرضية – بمحمد فريد ، وكاد ثالث الثلاثة أمين الرافعى أن يذهب فى زوايا النسيان لولا أننى – وذلك من فضل الله – وقفت جزءا من جهدى على الكتابة عنه والمطالبة بانصافه حتى تحقق فى مارس ١٩٨١ ما لم أكن ولا أحد غيرى يحلم به اذ منح اسم أمين الرافعى أرفع وسام فى الدولة وهو عادة لا يمنح الا لرؤساء الدول ولكننا نسينا أو أنسينا الكثيرين من قادة الحركة الوطنية : أحمد لطفى ، على فهمى كامل ، أحمد وفيق ، عبد اللطيف الصوفانى ، عبد الحميد سعيد ، حافظ رمضان ، محمد محمود جلال ، الأشقاء عبد المقصود ، وعبد الغفار ، وعبد الحليم متولى بالاضافة الى عبد العزيز جاويش ومحمود أبو النصر .

وفى ثورة ١٩١٩ جرى الاهتمام بسعد زغلول وحده دون غيره من الزعماء : صحيح ، أنه كان أكثرهم بيانا وأثبتهم جنانا وأكثرهم عبقرية والهاما ولكن

كان الى جانبه آخرون بعضهم شاركه النفى والبعض الآخر اعتقل وسجن وأوذى فى اعتقاله وسجنه فى قرة ميدان وسجن الجيزة [السجن الاسود] وآخرون قدموا — فى خدمة الثورة ولاستمرارها — أرواحهم ، ومع ذلك نسيناهم ، او أنسيناهم ومن بين هؤلاء وعلى سبيل المثال لا الحصر — حمد الباسل ، سينوت حنا ، جورج خياط ، واصف غالى ، عبد الخالق مدكور ، محمد محمود ، اسماعيل صدقى ، محمود سليمان ، أمين الرافعى ، عبد العزيز فهمى ، على شعراوى ٠

وفى مجال الاصلاح الدينى جرى الاهتمام بالشيخ محمد عبده والشيخ مصطفى المراغى ، ولم نهتم أيضا بعلماء آخرين كان لهم دورهم فى ذلك المجال ، الشيخ الظراهرى ، الشيخ عبد المجيد سليم ، الشيخ بخيت والشيخ عبد الرحمن قراعة ، السيخ عبد المجيد اللبان ، — وعذرا لعدم ترتيب الأسماء — والشيخ محمد شاكر والشيخ عليش و ٠ و ٠

وفى مجال الأدب : الكتابة والشعر ، اهتممنا بشوقى ولم نهتم بحافظ ولا مطران ، ولا الكاشف ولا أحمد نسيم ، ولا الجارم ولا محمد عبد المطلب ولا بأحمد زكى أبو شادى ولا بعبد الحليم المصرى كما أننا اهتممنا بالعقاد ، وطه حسين ، وأحمـــد أمين وتوفيق الحكيم ولم نهتم — كما يجب — بالمازنى وتيمور والبشرى وأحمد حسن الزيات ، ومصطفى صادق الرافعى ، ومحمد السباعى و ٠ و ٠

وفى مجال الفنون : الغناء ، والمسرح والسينما والموسيقى جرى الاهتمام بسلامة حجازى وسيد درويش ومحمد عبد الوهاب وأم كلثــوم ٠ ويوسف وهبى وزكى طليمات دون اهتمام بزكريا أحمد والخلعى ، وأحمد علام ، وفتحية أحمد والقصبجى ، و ٠ و ٠

وكذلك فى كل المجالات الســـياسيه ، والحزبية والأدبية ، والفنيـــة والاقتصادية يجرى الاهتمام بالقمم الظاهرة فقط ، وقد يكون هناك قمم غير ظاهرة ، وقد تكون هناك شخصيات أخرى قدمت أكثر مما قدمته القمم ذاتهـا ولكن حيل بينها وبين الظهور وبالتالى فلم يكن من حظها أن تعرف ، ويكتب لها الخلود : فى أحيان كثيرة تأخذ بعض القمم أكثر من حظهـــا على حســاب الآخرين وفى أحيان كثيرة أخرى يقفز الى القمم ويستولى عليها من هو دون المستوى ونحن لا نريد أبدا أن نحول دون أن تأخذ القمم حقها بل وأكثر من حقها وانما نريد أن ينتهى ذلك الاقطاع بأن ينال التاريخ الحق ، كل من يستحق وفى ذلك ما فيه ان لم يكن عدالة مطلقة فعدالة شبيهة بالمطلقة و قريبة منها وفى ذلك ما يكفينا نحن أولئك الساخطين على الاقطاع التاريخى الذى يسير على قاعدة : من عنده يعطى ويزاد ومن ليس عنده رغم انه يستحق يسلب

منه ما عنده غصبا عنه : وأحب أن أؤكد هنا على ما سبق لى أن أكدته فى الجزئين الأول والثانى من هذا الكتاب وفى مناسبات أخرى عديدة وهى أننى لا أكتب تاريخا ولا جغرافيا ولا تربية وطنية أو قومية ، ولا سياحة فى الصحف والمجلات القديمة ، وقد يكون ما أقدمه بعض أولئك أو كل أولئك وقد يضاف اليه أشياء أخرى لم ترد فيما سبق ذكره : مواطن مصرى عربى ، عادى قرأ كثيرا واستوعب كثيرا ، واستمع الى الكثيرين وجرى طويلا ، وطويلا جدا وراء الناس . والأحداث والوثائق والأضابير : الى جانب كل ذلك ، شارك ما وسعه الجهد فى كثير من الأحداث الوطنية والقضايا القومية مما أتاح له فرصا لم تتوافر لكثير من الكتاب السياسيين : لقد جمعت — وذلك من فضل الله — بين القلم ، والعمل كما أتاح لى العمل الوطنى ان اقترب الى قلوب كثير من السياسيين الوطنيين وأعرفهم على طبيعتهم بعيدا عن الرسميات والبروتوكولات وما أقوله هنا ليس تفاخرا ، أو تعاليا وانما أقوله ، وأذكره تحدثا بنعمة الله جلا وعلا .. هذا المواطن المصرى العربى ، العادى وجد لديه كمية كبيرة من المعلومات ، والخبرات والوثائق ، والمذكرات التى لم تر النور من قبل فآثر أن يقدمها لمواطنيه المصريين والعرب فى صورة جديدة ، سهلة القراءة ، والاستيعاب لعل بعض مواطنيه وخاصة الشباب منهم يستفيدون منها علما ، وخبرة ، وعظة ، وعبرة .

ولذلك ترانى أقول لمن يحاول أن يصنف كتابى هذا — وهو أثمن ما قدمت من وجهة نظرى — ضمن الكتب التاريخية انه ليس كذلك وأقول فى نفس الوقت ، لمن يحاول أن يصنفه ضمن الكتب الأدبية حذار أن تفعل ذلك وأقول أيضا لمن يحاول أن يصنفه ضمن كتب المذكرات والذكريات الشخصية والسياسية انه — أيضا — ليس كذلك وانما هو : جهد من نوع خاص ، وبصورة جديدة ، وبأسلوب وطريق خاصين للغاية ومن أجل ذلك ترانى كالطائر الحر الطليق ، انطلق من واقعة تاريخية بحتة الى واقعة أدبية صرفة ثم أحلق مدة فى سماء الاقتصاد ومرة أخرى فى دنيا الذكريات والمذكرات وفى بعض الأحيان ترانى أنتقى زجلا ، أو شعرا يمكن أن يساعدنى فى أداء الرسالة ، التى أردت تبليغها بطريقتى الخاصة وأسلوبى الخاص ، وقد أتحدث وأطيل الحديث فى واقعة بسيطة ، لم تأخذ من كتب التاريخ أكثر من سطر أو سطرين فأقدمها فى صفحات كثيرة وأحيانا فى فصل قائم بذاته وربما أكثر من فصل ولى من ذلك هدف كبير أرجو تحقيقه ، وقد أمر مرور الكرام على واقعة تاريخية مهمة للغاية أكل عليها الدهر وشرب كثيرا واحتلت من صفحات التاريخ الكثير ، الكثير ، لأنها استهلكت ، ولا تستحق فى نظرى أكثر من الاشارة من قريب أو من بعيد .

وقد ترانى أتفادى الحديث عن شخصية من الشخصيات التاريخية التى احتلت مراكز هامة فى التاريخ المعاصر ، واهتم ببعض الشخصيات المقهورة ، التى لم يعرف الكثيرون عنها شيئا لأننى أريد المساهمة فى القضاء على الاقطاع

التاريخى ولأنى أريد أن أقدم الى النور شخصيات عاشت فى الظلام ، ظلام التاريخ لأنها لم تجد من يدعو لها أو ينصفها أو يقوم بتقديمها للناس .

وفى بعض الأحيان استرق السمع ، وأحاول النفاذ الى الجدران والأبواب المغلقة لكى أصل الى سر مدفون منذ عشرات السنين ، وهو حيث هو لا يعلم به أحد ، وفى بعض الأحيان أيضا ترانى لا أتقيد أبدا بأحكام سابقة رغم انها توشك أن تكسب حجية الشيء المقضى به ، ورغم أن الكثيرون يرون أن عدم التقيد بها من رجس الشيطان : أرى عيبا ، ما لم يكن الناس منذ زمن يرونه عيبا ، وأرى طيبا ما أجمع الكتاب والمؤرخون على أنه ليس بطيب ! وقد أبدو قاسيا فى بعض الأحيان .

وقد أبدو رحيما فى أحيان أخرى وفى كل من حالتى القسوة أو الرحمة لا أريد أبدا أكثر من ضرورة الالتزام بالحق ، والمنطق والعدل ، ولم أخجل أبدا من أن أقول الحق ولو فى مواجهة الشعب بل لعلى لم أجبن مرة واحدة فى أن أقول للشعب أنك أخطأت يوم سكت على كذا وأجرمت يوم كذا ، وكذا : فى مرة من المرات ، كتبت أقول ، ضرب الانجليز الاسكندرية بمدافع أسطولهم فى ١١ يوليو ١٨٨٢ واحتلت قوات الانجليز القاهرة فى ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢ وكان من الممكن ان تجلو القوات البريطانية عن مصر فى أعقاب هذين التاريخين ولكن الذى حدث ان الجلاء تأخر من سـنة ١٨٨٢ الى سنة ١٩٥٦ فمن المسئول عن هذا التأخير ؟ وأبادر فأقول أننا نحن المسئولون : كلنا مسئولين عن هذا التأخير : نحن المسئولون لأننا سمحنا لطائفة تنسب الى مصر ، ان تتحكم فى مستقبل مصر وان تخون قضية مصر ، نحن المسئولون لأننا مكنا لطائفة من جنود جيش الاحتلال وصنائع جيش الاحتلال ان تتحكم فى مستقبل مصر ، وتذل شعب مصر ، من المسئولون أولا وحكامنا مسئولون أخيرا : من يتصور أن من كان رئيسا لمجلس النواب وأحد أعمدة الحياة النيابية المصرية وأحد رواد ثورة ١٨٨١ يخون مصر ، وجيش مصر ويرتمى — كما ارتمى محمد سلطان باشا — فى أحضان الانجليز وخديو الانجليز .

من يتصور أن رجلا كالشيخ محمد عبده الذى كان مفتيا للثورة فى ابان مجدها ، وكان أحد أعمدتها ، يوم كانت ذات أعمدة ، يهجو الثورة وينتقص من قدرها ويقول :

قامت عصـــابات جند فى مدينتنا　　بعزل خـبر رئيس كنت راجيـه
ذاك الـذى أنعش الآمـال غيرتـــه　　وخلص القطر فارتاحت أهاليـــه
قاموا عليــه لأمر كان ســـــبدهم　　يخفيــه فى نفســه ما الله مبديه

ومن يتصور أن حادثا عاديا طبيعيا يذهب ضحيته جندى بريطانى كان يصطاد الحمام فى دنشواى وكانت وفاته بسبب ضربة الشمس التى أصابت

هذا الجندى ، ويقتل الانجليز فلاحا مصريا حاول انقاذ هذا الجندى قبل ان يموت ، تؤلف محكمة مخصوصة يشترك فيها عباقرة القانون فى مصر ثم يحكموا بالاعدام على أربعة من خيرة أبناء مصر ، ثم يتم اعدامهم على مرأى من أهاليهم ، يبقى بطرس غالى رئيس المحكمة وفتحى زغلول أحد أعضائها على قيد الحياة ينعمون بالمال والجاه ، من يتصور مثلا أن شاعر النيل ، حافظ ابراهيم ، فى لحظة من لحظات الضعف يخاطب كرومر ، عميد الاحتلال البريطانى مستعطفا فيقول :

ان ضاق صدر النيل عما هاله يوم الحمام ، فان صدرك أرحب
أو كلما باح الحزين بأنة أمست الى معنى التعصب تنسب
رفقا عميد الدولتين بأمة ليست بغير ولائها تتعذب
ان أرهقوا صياذكم فلعلهم للقوت ، لا للمسلمين تعصبوا
ولربما ضن الفقير بقوته وسخا بمهجته على من يغضب
كن كيف شئت ولا تكل أرواحنا للمستشار فان عدلك أخصب

والغريب أن قائل هذا الشعر يقول فى نفس الوقت :

ان البلية ان تباع وتشترى مصر وما فيها والا تنطقا
كانت تواسينا على آلامنا صحف اذا نزل البلاء وأطبقا
فاذا دعونا الدمع فاستعصى بكت عنا أسى حتى تغص وتشرقا
مالى أنوح على الصحافة جازعا ماذا ألم بها وماذا أحدقا
قصوا حواشيها وظنوا أنهم أمنوا صواعقها فكانت أصعقا

والغريب أيضا أن يقول هذا الكلام المنكر حافظ ابراهيم المصرى ، شاعر النيل ، وهو يخاطب كرومر بطل دنشواى ، بينما يقول خليل مطران شاعر القطرين ، مصر والشام يقول :

كسروا الأقلام ، هل تكسيرها يمنع الأيدى أن تنقش صخرا
قطعوا الأيدى هل تقطيعها يمنع الأقدام من أن تركب بحرا
حطموا الأقدام هل تحطيمها يمنع الأيدى أن تنظر شزرا
اطفئوا الأعين هل اطفاؤها يمنع الأنفاس ان تصعد زفرا
اخمدوا الأنفاس : هذا جهدكم وبه منجاتنا منكم فشكرا

وقد بلغ بى الحماس ان قلت متسائلا عن الآثار التى خلفتها الحرب العالمية الأولى فى مصر : اعلان الحماية ، تخويل القوات البريطانية حقوق الحرب فى

الأراضي والموانى المصرية ، اعلان الأحكام العرفية ، فرض الرقابة على الصحف - عزل الخديو الشرعى وتعيين آخر من أسرة محمد على بديلا عنه ، ملء السجون والمعتقلات بالوطنيين : أبنـاء الحزب الوطني ، حشد أكثر من ١٧٠٠٠٠ر١ مصرى في فرقة العمال والحمالة لخدمة بريطانيا ، ١٢٠٠٠ر١٢ مصرى من الريف يساقون الى الميدان بلا غذاء ولا غطاء ويدفع بهم في مقدمة القوات المحاربة ، اهداء ثلاثة ملايين ونصف المليون من الجنيهات كمنحة من الحكومة المصرية الى الحكومة البريطـانية التي تنازلت مشكورة ، فقبلت تلك الهدية الثمينــة : تســاءلت ماذا كان رد الفعــل لكل تلك الجرائم التى ارتكبهــا الانجليز وصنائعهم ؟ هل استقال أحد من الوزراء ؟ هل استقال أحد كبار الموظفين ؟ هل احتجت الجمعية التشريعية ؟ لم يحدث شيء من هذا كله : مواطن مصرى واحد أعلن احتجاجا قويا على الحماية البريطانية : صفع الاحتلال البريطــانى صفعة قوية . لطم الحكام المصريين لطمة قاسية : لم يخش السجن ولا الاعتقال ولا خسارة ألوف الجنيهات ، التى لحقت به : لم يخش انجلترا ولا ممثل بريطانيا في مصر ، كان ذلك المواطن هو أمين الرافعى الذى أغلق صحيفة الشعب ـ أهم وأكبر وأخطر الصحف اليومية في مصر وقتذاك ـ حتى لا ينشر قرار الحماية البريطانية في صحيفته : أما بقية الوزراء ، والحكام ، والمسئولين ، والصحفيين ، وأعضاء الجمعية التشريعية فقد نعموا بخيرات مناصــبهم فى ظـل الاحتلال البريطاني : نعموا بالمرتبات المغرية والمناصب العالية : خدموا مصالح بريطانيا وخانوا مصالح مصر : وكافأتهم بريطانيا على الخدمة اياها ، وعلى الخيانة اياها أيضا ؟ .

كان رئيسهم صاحب عطوفة فأصبح صاحب دولة .

وكان لقب الوزير : صاحب السعادة ، فأصبح صاحب المعالى .

وقبلهم كان الحاكم الشرعى ، المختار من قبل ممثل الاحتلال صاحب سمو فأصبح سلطانا !!

وهـذا كل الذى كانو يريدونه : عاشـوا وماتوا ، بل ماتوا قبل أن يعيشوا : عاشوا أذنابا في ظل الاحتلال الأجنبى ، وبحماية سيوفه ، وبنادقه ، ودباباته » ، وبلغ بى الحماس أيضا ولا أقول الجرأة ان قلت تعقيبا على حديث لى عن ثورة ١٩١٩ : كان من الممكن أن يجلو الانجليز عن مصر ، فى أعقاب ثورة ١٩١٩ والتى اشترك فيها الشعب بجميع طوائفه وهيئاته اشتراكا جعل العالم كله يتطلع الى مصر ، ويعجب بكفاح مصر ، كان من الممكن أن نجلوا القوات البريطانية عن مصر ، فى أعقاب ثورة ١٩١٩ شأن كل الثورات الناجحة الواعية لولا وجود الملك . وكانت مصر قد تحولت من سلطنة الى مملكة .. افتخر الملك « الجديد » في خطاب رسمى ، الى رئيس مجلس وزرائه بأنه تولى بالاتفاق مع

دولة الحماية ــ نفس النص ــ عرش السلطنة المصرية على أن يكون هذا العرش من بعدنا لوثتنا » ٠

وكان من الممكن أن تنجح ثورة ١٩١٩ وتجبر انجلترا على الجلاء عن مصر لولا أن زعماء هذه الثورة تعجلوا المغانم ٠٠٠ وآثروا السلامة على الكفاح ٠

كان من الممكن أن تنجح الثورة نجاحا كاملا ، وتطرد جنود الاحتلال من مصر لو ان زعماء الثورة لم ينقسموا الى أحزاب تتقاتل وتتصــــارع من أجل الحكم ٠

كان من الممكن أن تنجح الثورة لو لم يقبل ساستنا الحلول العرجاء ولو لم تقع مصر فريسة لمأساة المفاوضات ٠

كان من الممكن ان تجلو بريطانيـا عن مصر لو عالجنا أمورنا الوطنية لا كسياسيين متحزبين وانما كمكافحين ثائرين ٠

كان من الممكن ان يجلو الانجليز عن مصر سنة ١٩١٩

بل كان من الواجب ان يجلو الانجليز عن مصر

ولكن ٠٠٠ ؟

هل تجدى « لكن » !

قامت ثورة سنة ١٩١٩

وانتهت ثورة سنة ١٩١٩

وراح العهد الذى كان يحكم فيه المصريون مصر باسم بريطانيا

وجاء العهد الذى يحكم فيه المصريون مصر باسم مصر لصالح بريطانيا

راح العهد الذى تحكم فيه بريطانيا مصر علانية

وجاء العهد الذى تحكمها فيه من وراء ستار

راحت الطبقة الحاكمة التى كانت تجاهر بولائها لانجلترا

وجاءت طبقة أخرى تبذل كل جهودها لتنفيذ السياسة البريطانية ٠

راح الحكام المصريون الذين يتشيعون لانجلترا ١٠٠٪

وجاء حكام مصريون يتشيعون لانجلترا أقل من ١٠٠٪ (قليلا) ٠

راح حكم كرومر الذى يستند على الجيش الانجليزى

وجاء حكم اللنبي الذى يعتمد على بعض الأحزاب المصرية ولم يتغير الا المظهر ، أما الجوهر ، فقد بقى كما هو ، ويا له من جوهر ، سىء شنيع فظيع • بل أكثر من ذلك قلت وأنا أتحدث عن معقبات الوزارة الشعبية الأولى وزارة سعد زغلول التى استقالت أو أقيلت بعد حادث مقتل السير لى ستاك فى ٢١ نوفمبر ١٩٢٤ ، وبعد ان وافقت وزارة سعد زغلول ، على كثير من المطالب التى تقدمت بها بريطانية كثمن ــ ويا له من ثمن ــ لدم سير لى ستاك سردار الجيش المصرى والحاكم العام للسودان ، وكانت بريطانيا قد حددت مطالبها من سعد زغلول رئيس حكومة مصر فيما يلى :

● الاعتذار الكافى عن الجريمة •

● القيام بالتحقيق لمعرفة مرتكبى الجريمة وتقديم المجرمين ــ أيا كانوا ، ــ وأيا كانت مناصبهم ــ للعقاب الذى يستحقونه •

● منع المظاهرات السياسية الشعبية •

● تدفع الحكومة المصرية لحكومة جلالة ملك بريطانيا غرامة قدرها نصف مليون جنيه •

● الأمر فى مدى ٢٤ ساعة بسحب الضباط المصريين من السودان •

● اخطار المصلحة المختصة بأن حكومة السودان ستزيد أراضى الجزيرة التى تزرع بالرى ، من ٣٠٠٫٠٠٠ فدان الى مساحة غير محدودة •

ولست أدرى حقيقة ما علاقة مقتل السردار بزراعة القطن فى الجزيرة ومساحة المزروع من ذلك القطن ! والغريب والمريب ، أن المطالب البريطانية الرسمية ــ وهى غير المطالب التى تقدم بها لورد اللنبى ــ قد خلت من حكاية التعويض ومن موضوع زراعة القطن بالجزيرة ، لأن المطالبة بثمن دم لورد اللنبى ــ أمر مشين ، بينما مسألة تعويض الموظفين ورى السودان مسألتان لا علاقة لهما بالقتل ، وافقت وزارة سعد ــ وليتها ما وافقت ــ بل ليتها استقالت بكرامتها دون أن تقبل الانذارات والمطالب البريطانية بل الأوامر ، البريطانية •

وذهبت كما قلت وزارة سعد زغلول وجاءت وزارة أحمد زيور •

وذهبت وزارة الاغراق ، وجاءت وزارة انقاذ ما يمكن انقاذه ، أو اغراق ما يمكن اغراقه بمعنى أدق •

وافق زيور على كل المطالب البريطانية ، بل الأوامر البريطانية ، وأضاف اليها العديد من عنده • اعتقل المواطنين المصريين ، وأجلى الجيش المصرى عن السودان ، وخلا الجو ، للجيش الانجليزى ، أجل البرلمان شهرا ، ثم قام

بحله وأجرى انتخابات جديدة لمجلس نـواب جديد ثم حله بعد ست سـاعات من انعقاده ٠٠ ويعين مستر بريفال مستشارا قضائيا لوزارة الحقانية ، وتعود الأحوال الى ما كانت عليه قبل الاستقلال ، بل وأكثر من ذلك يقام حفل تكريم لمستر بريفال المستشار القضائى الجديد ويخطب فى الحفل عبد العزيز فهمى وتوفيق دوس والهلباوى وأحمد نجيب برادة ٠٠ تسلم وزارة زيور واحة جغبوب الى الايطاليين كما سلمت كل أمور مصر ، الى البريطانيين ٠

وتدور العجلة من جديد ، بل تستمر ساقية الحكم فى الدوران : يذهب أحمد زيور ومحمد السيد أبو على ، وجورجى المطيعى ، ومحمد صـــدقى ، ومحمود صدقى ، ويوسف أصـــلان قطاوى ٠ وتأتى وزارات أخرى يرضى الانجليز عن بعضها ولا يرضون عن البعض الآخر ، ولكن جوهر الســـياسة البريطانية فى مصر ، كما هو لم يتغير ولم يتبدل : مفاوضات ، ومباحثات : نبدأ ، وتنتهى بالفشل حكومات تذهب وأخرى تجىء وجنود الاحتلال يرابطون فى مصر ، والأحزاب يحارب بعضها الآخر ، ولكن جوهر ، المقـاومة الشعبية ، كائن فى قلـ ب الشعب ، لم تنطفىء جذوته أبدا وما أروع حافظ ابراهيم وهو يقول ــ ونحن نذكر دائما ما لكل واحد ، وما عليه بالصدق والأمانة ــ ما أروعه وهو يخاطب فى بداية الثلاثينات الانجليز ، الذين أساء مخاطبتهم فى منتصف العشرة الأولى من سنى القرن العشرين يقول حافظ ابراهيم للانجليز :

حولوا النيل واحجبوا الضوء عنا ... وأطمسوا النجم وأحرمونا النسيما
واملأوا البحر ان أردتم سـفينا ... واملأوا الجـو ان اردتـم رجـوما
وأقيموا للعسف فى كل شبر ... « كونستبلا » بالسوط يغرى الأديما
إننـــا لن نحول عن عهـــد مصر ... أو ترونا فى التراب عظما رخيما

ومن أجل ذلك كله ، أرجو منك ــ قارئى العزيز ٠٠ قارئتى العزيزة ــ أن تغفرا لى أن أنا انتقلت فجأة من الثورة العرابية ، الى ثورة ١٩١٩ ، واذا أنا مزجت بين مآسى الوزراء المصريين قبل ثورة ١٩١٩ والوزراء المصريين بعد ثورة ١٩١٩ ٠ كما أرجو أن تغفرا لى اذا وجهت اللـــوم ، الى حافظ ابراهيم ، واذا أنا أشدت فيما بعد بحافظ ابراهيم واذا أنا أشدت بأحمد شوقى وانتقدت قبل ذلك ، وبعد ذلك أحمد شوقى وكذلك اذا أنا أشدت ببعض السياسيين ثم انتقدتهم ، أو انتقدتهم ثم أشدت بهم فلكل من الحالتين ــ حالة الاشادة وحالة النقد ــ موقعه وأسبابه ومبرراته ٠

***

وانتقـل بعـد ذلك الاستطراد ، والاستيضاح وشرح المنهج والاسلوب والفلسفة والتحذير من بعض السلبيات والالحاح على مداواة بعض النقـــائص

وغير ذلك من الأمور التى استنفدت مامر من صفحات طوال انتقـــل الى بعض رءوس الموضوعات التى أراها ذات فائدة لمن يريد فهم أحـــداث ســـــنوات ما قبل ثورة ١٩٥٢ والعودة بكثير من الأمور الى منابعها الأصلية وجذورها الأولى وأحب أن أوضح نفسى بالنسبة لهذه النقطة فأقول اننى لا أتخير من الموضوعات الا ما أعتقد ان له فائدة تاريخية ووطنية وفى أحيان كثيرة تبدو اختياراتى معبرة الى حد ما عن الموضوعات التى يتناولها الجزء الذى أكتب مدخله والحقيقة اننى ـ وربما أكون فى ذلك المنهج أو فى ذلك غير متبع لأصول البحث العلمى وكما سبق أن قلت غير مقيد بأنه أصول منهجية ، أو علمية سليمة ، لأننى لا أسعى الى اعطاء دراستى تلك صيغة علمية محددة ـ اننى أرى الوقائع الخاصة بمرحلة من المراحل الهامة ، أو الخاصة بجملة مراحل يربطها خيط واحد ٠ أراها جزءا واحدا لا يتجزأ ، بحيث لا يستطاع فصل فترة زمنية معينة عما سبقها ، أو تلاها بل اننى أرى الوقائع ، والأشخاص الذين لعبوا أدوارا هامة فى تلك المرحلة ، بمثابة جسم واحد له كيانه المستقل بل له حياته المستقلة أيضا ٠

وأنا ـ وعذرا لأساتذتى الكبار ـ لا أستطيع مثلا أن أكتب عن الثورة العرابية ويكون ما أكتبه مفهوما ، ومقبولا ، ومستساغا بدون ان اكتب عن الظروف السياسية والاجتماعية التى مرت بها مصر ، قبـل تلك الثـــورة بسنوات عديدة ٠

أنا ـ وعذرا لأساتذتى الكبار ـ لا أستطيع مثلا أن أكتب عن الثورة القرن يمكن أن يكون شافيا ووافيا مالم نتطرق فى الكتابة قبل ذلك الى السنوات التى أعقبت دخول القوات البريطانية العاصمة المصرية فى ١٤ سبتمبر ١٨٨٢ ٠

بل اننى اعتبر الكتابة عن ثورة ١٩١٩ دون التمهيد بالكتابة عن الثورة العرابية وما بين الثورتين (١٨٨١ ـ ١٩١٩) كتابة ناقصة ٠ وكذلك لا أستطيع أن أكتب ـ مثلا ـ عن حزب الاحرار الدستوريين الذى انشىء عام ١٩٢٢ دون ان أكتب عن حزب الأمة الذى أنشىء عام ١٩٠٧ فما حزب الأحرار الدستوريين فى نظرى الا امتدادا لحزب الأمة ، لا بأشخاصه وحسب وانما بفلسفته أيضا ٠

وانطلاقا من هذا الفهم أبذل قصارى جهدى فى مدخل أى جزء من أجزاء كتابى « سنوات ما قبل الثورة » لكى أقدم عصيرا مركزا لبعض الأحداث وبعض الوقائع يمكن أن تفسر بعض ما حدث فى السنوات التى أكتب عنها بتفصيل (أعنى السنوات من ١٩٣٠ حتى ١٩٥٢) ٠

وفى بعض الأحيان أحاول أن أدعم هـــذا المدخل ، بما يمكن أن يسمى ـ وعذرا لهذا التعبير غير العلمى ـ فاتح شهية يدفع القارىء الى الاستزادة من المعرفة فيما يتعلق برؤوس الموضوعات التى أشير اليها فى كل مدخل وأرجو أن

يصدقني القارىء القول اذا ما قلت ان انتقاء رءوس الموضوعات تلك وما أراه من مفاتيح يمكن أن تكون مدخلا لفهم محتويات الكتاب من أشق الأمور على النفس وأن عملية الاختيار تلك تستنفد مني الكثير من الوقت والجهد ·

وفي نفس الوقت تراني - كصحفي - أحاول أن يكون كل ما أقدمه جديدا بالنسبة لجمهور القراء ، بل بالنسبة للكثير من الدارسين والأساتذة اعتمادا على مالدى من وثائق لاتوجد عند الكثيرين · وأبدأ بالحديث عن فترة مظلمة أو شبه مظلمة في تاريخنا ، حكم عباس باشا الأول ، وسعيد باشا وبداية حكم اسماعيل باشا معتمدا على كنز علمي ثمين لا أعتقد ان له مثيلا ، عند كثير من الدول والشعوب وأعنى تقويم النيل لأمين سامى باشا الذى هو من خيرة علمائنا الأجلاء وللتدليل على المكانة العلمية الفريدة ، التى وصل اليها أمين سامى باشا نذكر أن الكابتن لاينس مؤلف كتاب الجغرافيا الطبيعية للنيل وحوضه اراد أن يعد بحثا من أبحاثه المختلفة ، فانتظر خمسة عشر شهرا ، الى أن يصدر كتاب « مقياس الروضة » لامين سامى باشا وكتب لاينس الى أمين سامى فى ١٠ أبريل ١٩٠٧ يطلب منه بروفة من كتابه · وكانت المطبعة الأميرية تقوم بطبعه وفى ٣ فبراير ١٩٠٨ أعاد لاينس الكرة فكتب الى أمين سامى باشا يسأله عن كتابه « مقياس الروضة » وعما اذا كان سينشره قريبا وهل من الممكن الحصول على مسودة منه فى حالته الجاهزة · « لقد سبق لى - لاينس - أن طلبت من سعادتكم هذا الطلب من سنتين وحيث أنى لم أتمكن من الحصول على الكتاب فقد أرجأت بعض مباحث لى عن الرياح الموسمية والأمل التكرم علينا اما بصورة من الكتاب ، أو بنسخة من تجربة طبعه لأن تعطيل البحث فى هذا الموضوع مما يدعو الى الأسف » الحاح جينس وتأخير كتابة بحثه عن الرياح الموسمية لمدة سنتين لأنه يعرف ان كتابا سوف يستفيد منه فى الطريق ، درس للقراء ، وللكتاب أيضا ، والجدير بالذكر - وهذا أيضا درس للكتاب وللقراء - ان أمين سامى باشا رد على الكابتن لاينس فى مايو ١٩٠٨ مؤكدا له استعداده « لتقديم كل الملاحظات التى يطلبها حتى يتيسر لجنابكم نشر مؤلفكم حالا ، فالتمس - أمين سامى باشا - تعيين النقط اللازمة لكى أبادر بالتفرغ لاستخراجها من المجموعات التى أودعتها كتابى الذى يحتاج ظهوره الى وقت آخر لانفرادى بالعمل مع كثرة أشغالى المدرسية - كان أمين سامى باشا ، ناظرا للمدرسة الناصرية - وطروء المرض السابق اخطاركم به » وفى ذلك من صور التعاون العلمى ، المثالى ما يجدر الاشادة به ·

ويظهر أن لاينس - وكان مديرا لمصلحة المساحة ، كان بحاجة الى الكتاب كله فانتظر حتى ١٨ فبراير ١٩٠٩ بعد أن عرف أن بالامكان حصوله على نسخة من بروفة الكتاب وقد ذكر لاينس أنه سيرحل عن مصر بعد ثلاثة أشهر -

من ١٨ فبراير ١٩٠٩ – وكرر الرجاء – فى رسالة الى أمين سامى باشــا – فى حصوله على صورة من الكتاب أو بنسخة من تجربة طبعه » وقد أجيب لاينس الى طلبه عن طريق أحمد حشمت باشا ناظر المالية ، وقد وصلت التجربة الى لاينس دون مقدمة الكتاب ، فبعث يطلب المقدمة فأجيب أيضا الى طلبه ، وقد قدم لاينس تقريرا عن الكتاب الى اللورد سيسل وكيل وزارة المالية مشــيدا بالجهد الخارق الذى بذله أمين سامى ٠

نموذج آخر لما ينبغى ان يكون عليه العالم ، العامل من دقة فى البحث وصبر فى الدراسة وجلد عليها أيضا ٠ فعندما عرف أمين سامى باشا أن صاحب كتاب « النجوم الزاهرة » قد استشهد فى بياناته الخاصة بالنيل ، بكتاب درر النجوم وانه – أمين سامى باشا – لم يجد فى كشف الظنون ذكر لمؤلف الكتاب ولم يعثر عليه فى مصر « وبعد بحث طال أمده – أمين باشا سامى – علمت أنه يوجد فى مكتبة داماد زاده ابراهيم باشا بالقسطنطينية فمازلت أجد فى البحث حتى اطلعت عليه وعلى كتاب كنز الدرر وجامع الغرر ، وكلاهما لأبى بــكر عبد الله بن أيبك صاحب صرخد الخ ٠

ويروى أمين سامى باشا ، كيف طلب من « عدة الاسلام وحجة السيوف والأقلام وقدوة القادة العظــام وثقــة الغزاة الفخـام وســياج الملة المولى أحمد مختار باشا ، ممثل دولة الخلافة فى القاهرة ، فى كتاب له يقول فيه : انه يقوم منذ سبع عشرة سنة فى وضع كتاب يبحث فيه عن أحوال النيل وهو الآن على شرف التمام ولم أدخر جهدا فى تحريره بالأخذ عن أوثق المصادر بما حملنى على الرحلة الى دور الكتب بأوروبا لتصحيح بعض مسائله ، وقد وجدت فى بعض كتبها العربية بعض فصول عن كتاب يسمى درر التيجان ، علمت بعد انه يوجد فى احدى مكاتب الاستانة المحلية فى مكتبة داماد زاده ابراهيم باشا بجانب جامع شاه زان فأتقدم الى مكارمكم مستمدا معرنتكم فى تسهيل استعارتى اياه لمدة لا تزيد على أسبوع من وصوله الى خدمة للتاريخ وللعلم الذى أنتم من أكبر أنصاره ٠ وقد تفضل صاحب السعادة العالم الجليل يعقوب أرتين باشا بأن يتسلمه من دولتكم وأن ما نعهده فيكم من محبة العلم ، ومؤازرة أهله ، يطمع كاتب هذه السطور فى تحقيق أمنيته » ، ويرد أحمد مختار باشا برسالة الى فضيلتلو أمين سامى أفندى – فلم يكن أمين سامى قد حظى بعد بالباشوية – يقول فيها انه مع عظيم الأسف لا يمكنه مد يد المساعدة فى هذا الأمر لأن اخراج الكتاب من المكتبات ممنوع بحكم القانون ، ويقترح الغازى أحمد مختار باشا على أمين سامى أفندى بالحضور بنفسه الى الاستانة وتصرفوا أسبوعا من وقتكم لاتمام هذه المهمة » ويتفق أمين سامى مع صديقه أحمد زكى باشا على السفر الى الاستانة ومباشرة العمل هناك ولكن أحمد زكى باشا يقع – كما قال فى رسالة له الى

أمين سامي مؤرخه فى ١٤ أكتوبر ١٩٠٩ ـ فى اخبولة نصاب غشاش كذاب من ضباط الجيش العثمانى واسمه سعد الله بك عزت مأمور فتوغرافية أركان حرب فسلب منى ٩٠ جنيها (تسعين) وقدم لى أوراقا سأعرضها عليك وأضاع منى زمنا نفيسا ، والذى عرفنى بهذا المحتال النصاب هو أمين الخانجى الكتبى بالأزهر ، ومع ذلك فسأخذ صورة للكتاب بالفتوغرافية على طريقتى ٠

درس آخر : لقد كتب ج٠ أ٠ كريج مدير المساحة بمديرية الجيزة الى صديقه أمين سامى طالبا أن يتفضل عليه ببعض المعلومات عن كتـــابه الذى سيصدر بخصوص مقياس الروضة ، وهى : من أى زمن تبتدىء بياناتكم ؟ وهل هى عن كل يوم ؟ ، هل عملت موازنة بين المقاييس المتنوعة المعروفة هناك ؟ هل يمكننى الاطلاع على تجارب الكتاب ؟ » مصلحة المساحة ، بمديرها الانجليزى، نجرى وراء كتاب تحت الطبع لمعرفة بعض البيانات التى يمكن أن تفيدها فى عملها ، درس آخير : يقوم جناب لورد سيسل وكيل نظارة المالية بابداء رغبة فى مقابلة أمين باشا سامى ناظر مدرسـة المعلمين الناصرية فى الســاعة الحادية عشر من صباح «الغد» الاثنين الثامن والعشرين من شهر أغسطس ١٩١١ ، « وفى تلك المقابلة يعرض وكيل وزارة المالية أن تقوم نظارة المالية بشراء أصل كتاب تقويم النيل ولكننى ــ أمين سامى باشا ــ رأيت مع تقديم شكرى لجنابه أن يسمح لى أن أقوم أنا بنفقات طبعه على حسابى حفظا لكيانه الأصلى كما وضع بدون تصرف فى موضوعاته العلمية ، وملاحظاته التاريخية ٠٠ » وبعد ذلك الاستطراد الذى استفدت منه أنا شخصيا أنتقل الى مهمة أخرى وهى اختيــار بعض رءوس موضوعات وأرى أنها هامة للغاية ، كما أنها أيضا صعبة للغاية وسنلتزم دوما بنصوص ما ورد فى الكتاب :

● ٢٩ ذى الحجة ١٢٦٤ : مديرية المنوفية : طلبا لرفاهية الأهالى كان محصول الكتان بمديرية المنوفية يورد للاشوان (ج شـونة) الأميرية بسعره المعلوم ولكن ظهـر بعـد البحث ، والتنقيب ان هذا الصنف اذا لم يورد فى الاشوان ويباع بين اصحابه يكون أفيد وأولى لراحتهم ورفاهية الرعية لذلك قرر المجلس المنعقد يوم الأربعاء ٢٩ ذى الحجة فى القلعة ، ان يرخص للأهالى فى بيع محصولهم كما يريدون ، وقد وافق لدينا اتباع ذلك ٠

● وكان مجلس الجهادية قد سبق له فى ١٥ ذى الحجة ١٢٦٤ أن بحث موضوع تأهيل وزواج العساكر وكيف تجاوز الموضوع حده فصار العســاكر يتركون خدماتهم ، ويهملون وظائفهم ايركنوا الى الزواج غير مبالين بواجباتهم العسكرية فصدر أمر بمنع زواجهم ولكن لوحظ أخيرا أن العساكر المواظبين على أعمالهم ، والمطيعين لضباطهـــم والمتعاونين للتعليمات والنظافة والممتازين بين

أقرانهم بهذه الصفات لو أجيز لهم الزواج بكون ذلك مكافأة لهم وسببا لسعى باقى اخوانهم فى تهذيب الأخلاق لينالوا ويستحقوا هذه الرخصة فتنتشر الأخلاق الحسنة ، والفضيلة بين أفراد الجيش فبناء على ذلك قرر المجلس (مجلس الجهادية) هذا الترخيص .

● عدد المدارس ٨ (المبتديان ـ الفروزة الأميرية ، الالسن والمحاسبة ، السوارى بالجيزة ، الطوبجية بطره ، الطب والصيدلة والولادة ، المهندسخانة ؛ الرسالة المصرية الى أوروبا) وكانت الميزانية ٥١٦٢٣ جنيها و ١٦٠ مليما للعلم ، كان عدد التلاميذ فى أيام محمد على ٩٠٠٠ تلميذ . وكانت ميزانية التعليم ٨٨٣١٥ جنيها .

● فى ٢٢ ربيع الثانى ١٢٦٥ صدرت ارادة الكتخداى مصر تقول : كان ولى نعمتنا والدنا الكبير قد اتخذ جميع أراضى الحكومة تحت ادارته باعتقاد أن هذا يكون باعثا لرفاهية الأهالى من جهة ويوافق مصلحة الحكومة من ناحية أخرى ولكن تحقق أخيرا أن الخلق (يعنى الشعب) نظروا وانزعجوا من هذا القرار خصوصا مسألة العجز والتلفيات فانها سببت سجنا لبعض المأمورين وقضت بعزل مأمورين آخرين فبناء عليه قررنا أن نحفظ الجفالك والتفاتيش لأفراد أسرتنا وأن نترك الأراضى الأميرية الباقية حرة وابطال تقاسيط الديون ورأينا من المناسب تسهيل الدفع أو تعطى للمتعهدين ، وقد حررنا هذا لكم للمبادرة بتنفيذه .

● ارادة أخرى للكتخدا : كانت صدرت ارادة مخصوصة من جانب الحكومة بمنع الأهالى من وقف أملاكهم ولكن ظهر أن هذه الارادة خاطئة ليكون كل شخص حرا فى وقف أملاكه حسب حكم الشرع الشريف المحمدى ، ولا يتعرض له أحد ولا يمنعه وقد أصدرنا أمرنا هذا لتعلنوه للمقامات اللازمة لتنفيذه (٢٥ رمضان ١٢٦٥) .

● ارادة أخرى لمحافظ مصر السابق : حسن باشا (١٢٧٢) بينما كنت أملا ، ومنتظر منك الخدمات الحسنة اذ سمعت ، وعلمت انك تعودت الدخول لمحل مأموريتك بين الساعة الثالثة والرابعة والخروج فيها بين التاسعة والعاشرة مرارا وامرار أوقاتك فى مطالعة الكتب والقيام بأداء الصلاة فى نصف النهار وهذا المنهاج قد سبب تأخير الأمور الواقعة ، وتعويقها وقضى بتجمد زيادة عن مائة وخمسين قضية ، وحيث ان أمور ومصالح العباد عندى أقوم ، وأهلا من كل شيء كما أكدت لكم مرارا وتكرارا ونبهت عليكم شفويا وتحريريا ، وحيث أن حركاتك هذه تمنعك عن مواصلة رؤية وتسوية أمور العباد التى هى أفضل من العبادة . وهذا مخالف للأصول وحيث انى لا أرضى

ببقاء المصالح الأميرية الواقعة ودعاوى وخصومات الأهالى والرعية مرمية ومتراكمة على بعضها ولا أريد أيضا قبول واستخدام الأشخاص الذين يقبلون ويروجون هذه الأحوال فبناء عليه ، ولوقاية دعاوى ومصالح العباد من ورطة التأخير والتعويق ، الذى هو دائما من منظورى ولتوسيع المجال لكم عرضا وطولا لتلاوة الكتب يجب ان تنسحبوا لمنزلكم وتقيموا فيه ناعما مستريحا ، لذلك حررنا لكم هذا لاتباعه ٠

● وارادة تالية لأدهم باشا محافظ المحروسة الجديد (١٥ ربيع الأول ١٩٧٢) تشير الى ما قام ـ حسن باشا وما ورد ذكره ـ تقريبا ـ فى الارادة الأولى ، وتقول الارادة أيضا : « بناء على امرته ـ حسن باشا ـ بترك الخدمة السابقة للاستراحة فى منزله ليتفرغ لقراءة الكتب » وتطلب الارادة من المحافظ الجديد « عندما تحاط علما بالارادة الجديدة يجب أن نبادر بالذهاب الى محل مأموريتك فى الميعاد اللازم وأن تباشر رؤية وتسوية المصالح والأشغال أولا بأول ، وأن تبذل أقصى مجهودك لازالة القضايا المتراكمة فى أقرب وقت وفرصة وأن تستجلب لطرفنا الأدعية والأثنيـــة الخيرية وتتجنب من الحركات والحالات الجالبة للندامة وقد حررنا لك هذا لاتباعه ٠

● من بيان الضبط والربط الداخلى من المدارس : يجب على التلاميذ اظهار الاحترام والطاعة لناظر وأساتذة ومساعد أساتذة المدارس الملحقين بها ويجب على التلاميذ المصريين الامتثال واحترام الأوقات المخصـــصة للتلاميذ الفرنسيين بخصوص الاكل والنوم ، والدخول الى مجـــال الدروس وكافة الحركات ، وكل تلميذ مصرى يخالف هذه الأحوال يجازى بالتوقيف فى المدرسة ويمنع من الخروج للفسحة ، وبيات التلاميذ فى الخارج ممنوع منعا باتا مهمـا كانت الدواعى والتلاميذ مسئولون عن الأشياء والكتب وسائر أدوات التدريس ، الموجودة فى عهدتهم وبناء عليه يكلفون بتعويض ما يتلفونه ولا يجوز ادخال أى رسم ، وتصوير وكتاب الى المدرسة بدون أمر الناظر واذا خالف أحد هذا الأمر يعاقب بمصادرة الأشياء التى أدخلها وممنوع بالمرة احراز التلاميذ لورق اللعب والزهر (زهر الطاولة) وسائر أدوات اللعب والبخت ممنوع ، كما أن ادخال المأكولات وأنواع المشروبات للمدرسة مثل النبيذ والعنبرية أيضا ممنوع وجميع الأشياء والخطابات والطرود الواردة بأسماء التلاميذ لا تسلم قبل نظر اطلاع ناظر المدرسة عليها ولا يسمح لأحد من التلاميذ الخروج من المدرسة بأية حجة أو وسيلة خلاف أيام الآحاد وأيام العطلة التى تقرر بمعرفة دار العلوم ، ومن أجل النظافة والحرص على الصحة ، يعطى لكل تلميذ صابونة بسعر ستين سنتيما كل ١٥ يوم ، وكل شهر يجرى قص الشعر ، مرة ، ولابد من اجبار التلاميذ على أخذ حمام ساخن كل جمعة فى موسم الصيف بخلاف الحمامات الباردة واجبار التلاميذ على أخذ حمام ساخن كل خمسة عشر يوما فى موسم

الشتاء : كل هذا على حساب المدرسة أما العطريات ومواد الزينة السائرة التى تؤخذ من المزينين (الحلاقين) فيسوى حسابها من طرف التلاميذ . أما لزوم الهيئة والضيافة فهى سترة مفتوحة من الامام من الجوخ الأزرق ، وبنطلون من الجوخ الأزرق ، وصديرى من الكازمير الأزرق بأزرار صفراء : هذا فى الشتاء ولا يجوز تبديل تلك الكســـاوى من طرف التلاميذ بأى عذر وحجـة ، وفى الصيف : الكسوة عبارة عن سترة مثل السترة الشتوية وصديرى أبيض من منسوج البيكة وبنطلون أبيض من منسوج البيكة .

والحذاء من الجلد اللامع وغير اللامع ، الأسود لموسم الشتاء ، واسفارين . يعنى وجزمة مكشوفة من الجلد اللامع وغير اللامع لموسم الصيف .

ويلبس التلاميذ فى داخل المدرسة مريلة سنجابية اللون ، ومفتوحة من الأمام من منسوج الكندير فوق ملبوساتهم العادية ويتحزمون عليها ويلبسون بنطلونا من النسيج عينه .

● ومن بين الارادات أيضا ارادة فى ٧ شوال ١٢٧٥ موجهـة الى ناظر المالية محمود باشا تتضمن أن امتيازا للمسيو برسه بخصوص طحن الدقيق بواسطة الوابور مدة خمسة عشر عاما قد منحه والدنا ساكن الجنـان ، وقـد باعه برسه ، لبرتلا وحيث اننا قد اشترينا الامتياز المذكور بمبلغ أربعين ألف فرنكة مصرى بشرط تسديد المبلغ فى مدة خمسة عشر شهرا من تاريخ أمرى مع تسوية ستة فى المائة ربحا لحين اتمام سداده ، فبناء عليه قد اقتضت ارادتى اعطاء المسيو برتلا تحويلا على الخزانة بهذا المال حسب الأصول الجارية .

● وفى ٢٠ ربيع الثانى ١٢٧٩ يصدر الوالى أوامره الى أحمد شفيق بك ناظر المالية نصه : اقتضت ارادتى صرف مبلغ خمسة وعشرين ألف فرنك من خزانة المالية وارسالها الى ديوان الخارجية لتوصيلها الى قنصل فرنسا العـام وهذا احسان منا واعانة لبناء المستشفى المقرر انشـــاؤه فى بندر السويس لأهالى البلاد والأجانب على السواء ، وارادة أخرى لأحمـــد رشيد بك أيضـا بخصوص اعفاء شركة المساجرى امبريال من دفع الجمارك على كل المهمات الواردة والمهمات والأدوات التى ستحضر من داخـل القطر المصرى ، لعمـــل الحوض المذكور على السكة الحديد لغاية بندر السويس مجـانا أيضـا فلذلك يجب ان تبادروا بمخابرة وكيل مصلحة الســكة الحديد وأمين الجمرك لاجـراء مقتضاه على الوجه المحرر .

● وارادات أخـرى متنوعة ، أمر كريم لمحافظـة مصر (٥ ربيـع الأول ١٢٩٠) منطوقه : اقتضت ارادتنا أن منزل سليم باشا فتحى السابق مشراه للميرى الكائن بجهة الأزبكية قد صار تسليمه لاجعاله مدرسة الى الخواجات.

وعلى هذا ينبغى تسليم المنزل المحكى عنه - وأنا التزم دوما بالنص - لديوان المدارس وارادة آخرى الى ديوان المدارس منطوقها : بناء على ما أعرضتموه !! شفاها عن لزوم تخصيص محل لاجعاله مدرسة الى الخواجات قد اقتضت ارادتنا أن يخصص لذلك منزل سليم باشا فتحى السابق مشتراه للميرى .. الخ .

● وأمر الى دولتلو حسن باشا مخدوم الحضرة الخديوية (٦ ربيع الأول ١٢٩٠) منطوقه : قد أحسنا اليكم بمبلغ خمسة وثلاثين ألف جنيه انجليزى برسم تدارك ومشترى المفروشات والموبيليات اللازمة الى السراى التى أعطيناها اليكم حتى انه بمعرفتكم تجروا مشترى المفروشات والموبيليات المذكورة حسبما تريدوا !!!

● وأمر آخر فى نفس التاريخ الى دولتلو المشار اليه منطوقه : بما أن المنزل الذى أعطى الآن الى أخيكم حسين باشا باسكندرية يساوى ثمنه تقريبا خمسة وثلاثين ألف جنيه والمنزل السابق أعطاه لكم بذاك الطرف يساوى تقريبا خمسة وعشرين ألف جنيه ، فلأجل المساواة قد أحسنا اليكم بمبلغ عشرة آلاف جنيه نقدية تكميلا لقيمة منزلكم حتى انه يكون مساوى قيمة منزل أخيكم .

● فى ٢٩ شعبان ١٢٩٠ صدر أمر كريم للخاصة الخديوية منطوقه : حيث ان كانت - فى الأصل هكذا - الموجودات والمفروشات والموبيليات والفضيات وسائر ما تحل عليه داخل سرايات الجيزة ، وعابدين ، والرمل من كلى ، وجزئى هو ملكا !! للثلاثة هوانم حرمنا برنجى وايكنجى وأوجنجى بالمساواة بينهن ، فاذا كان من ذلك شيء يكون أثمانه ليست مخصومة ، فتجرى خصمها وقيد تلك الموجودات بدايرة فامليتنا بأسماء المشار اليهم وأصدرنا أمرنا هذا لكم لتعلموه ، وتجروا مقتضاه كما هو مطلوبنا ! حاشية : هذا وقد أعطينا وملكنا الثلاثة سرايات المذكورة ، وهم عابدين والرملة والجيزة الى الثلاثة هوانم حرمنا (١ جى ، ٢ جى ، ٣ جى المشار اليهن عنه بالمساواة فيلزم طلوع الحجج بأسمائهن » .

ويظهر أن الخديو اسماعيل باشا كان يرقم زوجاته ، زوجة رقم ١ الخ .

● وفى ٨ شعبان ١٢٩٢ صدرت ارادة لناظر المالية بتخصيص مرتب قدره خمسماية كيس فى الشهر لحضرة صاحب الدولة أخينا مصطفى باشا فاضل ومرتب آخر قدره خمسون كيسا لثلاثة من صاحبات العصمة زوجاته المحترمات ومثل ذلك خمسون كيسا لعثمان بك المتأهل وخمسون كيسا لكل من كريمتيه المصونتين نازلى هانم وعزيزة هانم وقد أصدرنا تحريراتنا اللازمة

في هذا الباب الى صاحب السعادة كبورق بك صرافنا بالاستانة لقيدهم على هذا الترتيب ابتداء من شهر سبتمبر الحالى ·

● وارادة للسردار راتب باشا (٢٧ ذى القعدة ١٢٩٢) تقول أن مخدومنا حسن باشا قد توجه اليكم ليشترك فى الحرب الدائرة بين حكومتنا وبين الملك حنا ملك الحبشة وانه سيكون برتبة الميرلاى ضمن هيئة أركان الحرب ، فبناء عليه يجب أن تستصحبوه معكم دائما فى الموقع الذى تنتقلون اليه ، وحاشية للارادة السابقة تقول : نحيطم علما أن الميرلاى يوسف شهدى بك سيلازم مخدومنا المشار اليه (حسن باشا) بوظيفة ياور وادوارد زهران أفندى بوظيفة كاتب · فلذلك لزمت التحشبة (من الحاشية) ·

● ويصدر الخديو أمرا كريما لوزارة المالية (٢١ شعبان ١٢٩٣) : بناء على أمرنا الصادر لدولتكم شفاها حررنم الى طرف الاستانة بضميمة مائتين وخمسين ليرة عثمانلى على مرتب عفتلو نازلى هانم كريمة المرحوم مصطفى فاضل باشا لايلاغ مرتبهما (شهرى) خمسماية ليرة عثمانلى اعتبارا من أول شهر جونيو سنة ٧٦ وتروموا استحصال أمرنا الرسمى للاعتماد بموجبه ، وحيث ان ما حررتموه بالأحرى على هذا الوجه هو من مقتضى ارادتنا فلزم اصداره لدولتكم اعتمادا لما ذكر · ثم أمر كريم أخر فى نفس التاريخ باعتماد مبلغ ٤٢٢١ قرشا ، ٣٦ فضة صرف من محافظة الاسكندرية فى أجر عربيات وعربيات كارو ، لزوم فاملية وعائلة المرحوم مصطفى فاضل باشا ولزوم خليل باشا يكن ، واخوته وعائلاتهم لكون هذا المبلغ نقيد بعهد المحافظة ، يرام التصريح بما يجرى نحو سداده ، وحيث أنه من مقتضى ارادتنا خصم المبلغ المرقوم بأبعادية المحافظة المذكورة على طرف الديوان والمراجعة على أوراقه بالمالية والوقوف على صحته حسب الأصول فأصدرنا أمرنا هذا لدولتكم وطبه الانهى والأوراق المتعلقة به ·

المبلغ :

مليم	جنيه	
١٩	٢١٢٣	أجر عربيات ركوب وعربيات كارو فى نقل فاميلية وعائلة المرحوم مصطفى فاضل باشا من محطة السكة الحديد باسكندرية الى الرمل عند توجههم من المحراوسة بناء عليما ما تصرح به من المعينة ·
٣٠	١٢١٨	أجرة عربيات فى نقل عفتلو نازلى خانم كريمة المرحوم المشار اليه من الرمل الى الترسانة عند سفريتها للاستانة مع اتباعها بناء على طلب نصرى بك ·
٢٧	٧٧٩	أجر عربيات ركوب وعربيات كارو لزوم خليل باشا يكن وأخوته ، وعائلهم وعفشهم من الترسانة الى محطة السكة الحديد على تصريح المعية ·

● ونأتي ــ بعد تلك الجولة السريعــة فى أكثر من ١٥٧٥ صفحة من تقويم النيل ــ الى الحديث عن مظاهرة عسكرية لصرف مرتبات ثمانية عشر شهرا تأخر صرفها لعامة المستخدمين بدوائر الحكومة فى ٢٥ صفر ١٢٩٦ ــ ١٨ فبراير ١٨٧٩ وتحت ذلك العنوان جاء ما يلي : أخرت الحكومة صرف المرتبات لمستخدميها هذه المدة الطويلة فأدى ذلك الى غاية ما يخطر بالبال من شـــظف العيش ، وضنك الحال ، وغليان الصدور . ولكن شدة الحكومة واعتمادها على قوتها العسكرية فى كتم الأفواه وابعاد كل متذمر ، عن دائرة الوجود ظلت الحال على ما هى عليه من السكون الى أن شكلت وزارة نوبار باشا المختلطة فدخلها عضو انجليزى للمالية هو ريفرس ، وعضو فرنسى هو دوبلينير للأشغال وفى هذا الوقت كان البكباشي لطيف سليم أفندى صهر شاهين باشا ناظر الجهادية مدرسا بمدرسة أركان الحرب والقائمقام سعيد بك من قدماء تلامذة مدرسة سان سير بفرنسا فاجتمع هذان النابهان العريقان فى الحرية بشهم ثالث هو محمد أفندى صالح قومندان مدرسة البيادة وحرروا عريضة لرئيس الوزراء يشرحون فيها ما وصل اليه حال الضباط من سوء الحال بسبب تأخر المرتبات فى هذه المدة الطويلة وانتشر ذكر هذه العريضة فى الجيش وجاء الضـــباط لوضع امضاءاتهم عليها بثكنة المدارس الحربية بالعباســية ، وتم الاتفاق بين الجميع على تقديم العريضة لمجلس النظار وعلى أن يكون محل اجتماع الضباط ساحة الشيخ عبد الله مارين بميدان عابدين وعلى أن يأخذوا معهم بعض أعضاء من مجلس شورى النواب فاجتمعوا من كل صوب فى تلك الســاعة متقلدين سيوفهم ، وخطب فيهم لطيف باشـــا حاثا على الاتحاد ، وضبط النفس ثم ساروا قاصدين ديوان المالية ولما بلغوا شارع الدواوين لمحوا عربات نوبار باشا وولسن وآخرين مارة بالنظـار فأوقف الضــباط العربات ، وتولوا تسييرها واعادتها الى الديوان ثم حاصروا ديوان الماليــة من جميع الجهــات من الداخــل والخارج وقدموا العريضة ، وبعد قليــل حضر اسماعيل باشا خديو مصر ودخل المالية تتبعه فئة من جنود الحرس تجمعت خلف الضباط محيطة بهم ثم أشرف الخديو على الضباط وطلب منهم الانصراف وألحوا فى صرف المرتبات وتلكئوا فى الرجوع فأشار الخديو اشارة بيده لقائد الفئة فاطلقوا بعض طلقات نارية بلا رصاص تنبيها وارهابا فتفرق الجميع ، ثم أمر بالقاء القبض على نحو عشرين ضابطا وارسالهم الى الطوبخانة مسجونين بها منهم لطفى سليم باشا وسعيد نصر باشا وقومندان مدرسة السوارى وقومندان مدرسة البيادة والطوبجية ثم زار الخديو فرق العباسية للتهدئة لخواطرهم فقال الضباط بلسان واحد : « اننا لن يهدأ لنا بال الا اذا أطلقتم سراح اخواننا وصرفتم مرتباتنا » فوعدهم خيرا وعاد ، ثم شكلت الحكومة مجلسا عسكريا لمحاكمة الضباط وتدخلت القناصل فصدر الحكم بالبراءة .

● روى السير ريفرس ولسون ما جرى قائلا : أصبح موقف الوزارة حرجا؛ فالمالية خاوية لأن القرض الذى أريد الحصول عليه من آل روتشيلد لم يتم بعد وما كان ليتم قبل التثبت من الضمانة الكافية ويضاف الى ذلك أن تحويل أملاك الخديو أى جعلها صالحة لضمان هذا القرض قد وقف فى سبيله بعض العوائق ، وأصر آل روتشيلد على أن تكون الأطيان خالية من كل مانع وفى الوقت نفسه قد تواردت المطالب على الوزارة وقد اتفق أن كثيرين من القناصل وجهوا الى النظارة كثيرا من اللوم لما رأوا الدولة مضطربة الى حد أنها لم تستطع أن تدفع مرتبات الموظفين » ويروى ولسن : أن النظارة عمدت الى انقاص الجيش الذى كان عدده ـ بمقتضى الفرمان ـ ١٨ ألف جندى والى الغاء البحرية تماما وانقاص الجيش الى سبعة آلاف ولقد قوبل ـ ولسن ـ هذا الانقاص بالارتياح فى الجيش نفسه فكثير منهم سر بعودته الى قريته واعفائه من الخدمة الاجبارية ، وما أسف أحد سوى بضع مئات من الضباط استغنى عن خدماتهم وبذلك حرموا من مرتباتهم .

● ويروى ولسن أن الخديو استفاد من كل تلك الاجراءات بعد أن رأى النظارة تهاجم من جهات متعددة حتى أخذ يستعيد سطوته الأولى ومما بعث فيه هذا النشاط أن طائفة الأفاكين الذين حوله أخذوا يحسنون له استرجاع نفوذه لترجع اليهم أيامهم الأُلى ولتعود اليهم مصالحهم التى فقدوها والذين ساءهم الغاء السخرة وانشاء مصلحة المساحة وجباية الضرائب على نظام ثابت .

وقد استدعاني ـ ولسن ـ الخديو فى ١٨ فبراير ١٨٧٩ الى عابدين واستبقاني فى حضرته زمنا طويلا ثم استأذنته وتوجهت الى المالية ، وبينما أنا فى الطريق اذ لمحت عن كثب طائفة من الضباط بعربة نوبار باشا يهددونه بالقتل فسارعت اليه ثم ركبت معه فى العربة وطوقته بذراعى فوقيته وقع السيوف عليه ومع هذا أصابنى بعض الأذى . ولبثت معه حتى وصلنا الى وزارة المالية محاصرين مدة ساعتين ثم انتشر الخبر بسرعة البرق فأسرعت الى زوجتى ولما بلغت نظارة المالية منعت من الدخول وزجرها بعض العساكر فلم تحفل بهم ودخلت بعد أن أصيبت بضربة على ذراعها كانت تتألم منها ولما وصلت الأنباء الى الخديو ركب فى حرسه ومعه قناصل الدول والنظار وجاء الى وزارة المالية فوجد الهياج والصياح بالغين حدهما وكان هذا الصياح مصدره الضباط الذين تأخر صرف مرتباتهم فاخترق الصفوف ثم جاء الى حجرتنا فى نظارة المالية ، ولما مد يده لمصافحتى قبضت يدى عنه لأن الشك خالجنى فى أن ما أصاب نوبار باشا اما باغرائه واما باقراره وحينئذ قال سموه : سأذهب اليهم لكى أكلمهم » فخرجنا وراءه ولما أشرف عليهم من السلم خطب فيهم بلغة الآمر الناهى فهدأ روعهم قليلا غير أن أحد الضباط خرج من بين الجمع وأمسك بمعطف الخديو

وفاه بلغة بذيئة فتقطب وجه الخديو وأصدر أمره من فوره باطلاق النار فتفرق الجميع وانتهت الحادثة ، أما ما لحقنى من الأذى فقد جاء سمو الأمير حسن فى ٢٥ فبراير ١٨٧٩ بصفته سردار الجيش الى دار السفارة البريطانية وكان حاضرا وقتئذ المستر فيفان وعدد من الجالية الانجليزية فوقف سمو الأمير وأعرب الى بالنيابة عن الخديو والجيش المصرى عن أسـف على ما فرط من رجال الجيش وما أصابونى من الأذى ومما يجمل ذكره أنه ثبت فى ذهنى أن أحد الضباط الذين هاجمونا كان عرابى باشا ولما أحس نوبار أنه غير مرضى عنه من الخديو وأن ممثلى الدول لا يعطفون عليه قدم استقالته وبهذا تمت الخطوة التى أرادها الخديو لادراك غرضه اذا خرج أقوى عنصر فى الوزارة ، وأراد الخديو أن يكون ناظرا للنظار ، فلم يجد موافقة منا وبعد أخذ ورد استقر الرأى على تعيين ولى العهـد توفيق بشرط أن الناظرين (الوزيرين) الانجليزى والفرنسى لهما حق المنع فيما تريد الحكومة اجراءه ، وقد تبين أن تعيين الأمير توفيق مكان نوبار لم تكن الا خدعة ومهزلة ، فقد ظهر لنا أن الخديو لا يريد الابقاء على عنصر أجنبى فى النظارة وقد تحقق له ذلك بعد أن كلف شريف باشا بتشكيل نظارة وطنية بحتة بدون أى وزير أجنبى .

● من الأسرار الخاصة بخلع الخديو اسماعيل باشا أن انجلترا وفرنسا اتفقتا على رفع اسماعيل باشا من مركزه وأن مسيو ترتلو قنصل جنرال فرنسا قابل الخديو نيابة عن الدولتين وبلغه ما اتفقت عليه الدولتان من ضرورة تنازله فأخبره اسماعيل باشا أنه مولى من قبل السلطان وليس للدولتين شأن فى أمر تعيينه فأخبره القنصل بأنه اذا تأخر فى قبول اقتراح التنازل عن العرش فان من سيتولى بعده لن يكون ابنه توفيق باشا ولى العهد ، وانما سيكون دولة حليم باشا ، ورفع الخديو الأمر الى السلطة العلية ، فوافقت على اقتراح الدولتين لأن اسماعيل كان قبل ذلك قد شرع فى تشييد مدرعتين من أكبر المدرعات بمعامل انجلترا وعند اتمامهما بلغ دولة حليم باشا الباب العالى مساعى اسماعيل باشا واستعداده للمحاربة فطلب الباب العالى بوساطة سفيره فى انجلترا وضع يده على المدرعتين وارسالهما الى الاستانة ورأى اسماعيل باشا أنه لا مناص من الرضوخ لأمر بريطانيا وفرنسا فوافق على التنازل ، وأعد نفسه للرحيل وكان لخروجه من قصر عابدين أسف وحزن لحريمه ولجواريه ولذويه وآل بيته ، ولما وصل الى المحطة وجد الأبسطة والطنافس مفروشة الى أن يطأها ، وودع ذويه وأهله ، ولم يطأ فى محطة القبارى ما فرش من طنافس وأبسطة .

وقد روى سـير ولسن فى مذكراته أنه غادر الاسكندرية بعد خلعـه بيومين مع كثير من الأبهـة والعظمة ، وقد ظن النـاس أنه حمل معه مقادير كبيرة من النقود ، ولكنى أعتقد غير هذا ومع أن حكمه كان مصحوبا بالقسوة والعنف فلم يكن هناك شك فى أن الشعب أسف على خلعه ولو أنه عاد ـ ولسن ـ

لتقبلوا حكمه بارتياح وانشراح لأنهم كانوا يؤثرونه على أى حاكم آخر منهم ـ ولو جاء بمنفعة لهم ـ يستند الى ادارة أجنبية ، وقد وجدته فى منفاه يعتقد أن أكبر أسباب خلعه تصريح انجلترا فى برلمانها وموقف ممثليهـــا فى مصر ومما هو جدير بالذكر أنه احتمل مصيبة خلعه بصبر وجلد ، فكنت ـ ولسن ـ أراه فى باريس ولندن هاشا باشا وما سمعته يقول كلمة سوء فى أحد من الذين سعوا فى خلعه الا واحدا كان يظنه مخادعا له وفى الحق أن كثيرين من الذين انتفعوا منه وشملتهم نعمته قلبوا له ظهر المجن ولم يظهروا شيئا من العطف والاعتراف بالجميل .

● وأستأذن فى أن أنقل هنا ـ فى هذا المدخل ـ نص قانون الانتخاب الذى صدر فى ٦ جمـــــادى الأولى ١٢٩٩هـ (٢٥ مارس ١٨٨٢م) لا لشىء الا للتدليل على أن مصر ، فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، كانت أسبق بكثير من الدول الأوروبية فى تحقيق الحياة الديمقراطية السليمة .

تنص المادة الأولى من هذا القانون على أن حق الانتخاب لكل مصرى من رعايا الحكومة المحلية سواء كان مولودا فى مصر أو متوطنا أقام فيها مدة لا تنقص عن عشر سنوات على شرط أن يكون بالغا من العمر احدى وعشرين سنة كاملة وأن يدفع للحكومة من مال الضرائب أو الرســـــوم المقررة أيا كانت ما يبلغ خمسمائة قرش ميرى فى السنة ولا يكون فى حال من الأحوال المعينة فى المادة الرابعة والخامسة من هذه اللائحة .

وتنص المادة الثانية على ما يلى :

من كان عليه من أرباب العائلات هذا المقدار من المال الأميرى عن أطيـــان أو عقارات يمتلكها وان كانت مكلفة باسم غيره فله حق الانتخاب .

أما المادة الثالثة فتنص :

يثبت حق الانتخاب لمن يأتى ذكرهم ولو لم يكن عليهم المبلغ المقرر ، وهم :

أولا : العلماء الحائزون رتبة التدريس أو المشهورون بصفة العالمية .

ثانيا : القسس وسائر الرؤساء الروحانيين من المسيحيين .

ثالثا : حاخامات الاسرائيليين .

رابعا : المدرسون فى المدارس الميرية والمكاتب الأهلية والحائزون للشهادات العالية .

خامسا : أرباب الوظائف الملكية سواء كانوا فى الوظائف أو متقاعدين .

سادسا : ضباط العسكرية ســـواء كانوا فى الخدمة أو مســـتودعين أو متقاعدين ٠

سابعا : وكلاء المرافعات (الأفوكاتية) المقبولون فى المجالس النظامية

ثامنا : الاجزاءية والأطباء والمهندسون ٠

وتنص المادة الرابعة :

المنتمون لدولة أجنبية لا حق لهم فى الانتخاب ٠

أما المادة الخامسة فتنص على : يحرم من الانتخاب من يأتى ذكرهم ، وهم :

أولا : الفاقدون للحقوق المدنية أو السياسية وهم الذين صدرت عليهم أحكام نهائية من المجالس النظامية بالأشغال الشاقة أو الدنيئـــة أو بالنفى أو الاقامة فى الليمان أو بالسجن ستة شهور لجناية أو حكم عليهم بارتكاب سرقة أو خيانة أو احتيال أو اضاعة مال الميرى أو انتهاك حرمة الآداب والأديان أو طردوا من الخدمة الميرية بحكم أو قرار من أحد المجالس النظامية ٠

ثانيا : المحكوم عليهم بالسجن ثلاثة أشهر أو بغرامة تقوم مقام هذه المدة لوقوع مخالفة منهم فيما يتعلق بالانتخاب على مقتضى أحكام هذا القانون ٠

ثالثا : الذين حكم عليهم بالافلاس ولم يعيدوا شرف أسمائهم ٠

رابعا : الذين كانت لهم بيوت للعب القمار أو الفحشاء أو خدموا فى تلك البيوت ٠

وجاء فى المادة السادسة :

يكون لمصر مائة وخمسة وعشرون نائبا على مقتضى هذا التقسيم وهو : للقاهرة عشرة نواب ، وللاسكندرية أربعة ، ولكل من دمياط ورشيد والسويس نائب على حدة ، وبورسعيد تتبع دميـــاط والاسماعيلية الشرقيـــة والعريش والسويس ، ولمديرية القليوبية أربعة : اثنان عن مركز قليوب ، وواحد عن كل من مركزى شبرا وطوخ ، وللشرقية ثمانية : واحد عن بندر الزقازيق ، واثنان عن مركز بلبيس ، والبقية عن باقى المراكز ٠ ولمديرية الدقهلية ثمانيـــة : واحد عن المنصورة ، واثنان عن مركز ميت غمر ، والبقية عن باقى المراكز ، ولمديرية المنوفية تسعة : اثنان عن شبين ومركز سبك ، واثنان عن مركز تلا ، ولمديرية الغربية أحد عشر : واحد عن طنطا ، وواحد عن المحلة الكبرى وسمنود ، والبقية من التسعة للمراكز لكل نائب وكل مركز يتبعه بندر ٠ والبرلس يتبع شربين ٠ ولمديرية البحيرة خمسة : واحد عن مركز دمنهور وأبو حمص وبندر دمنهور ، والبقية لباقى المراكز لكل مركز نائب ٠ ولمديرية الجيزة أربعة : واحد

عن بندر الجيزة وقسم البدرشين ، والبقية عن باقى الأقسام لكل قسم نائب • ولمديرية بنى سويف أربعة : اثنان عن قسم بنى سويف وبندره ، وواحد عن قسم ببا ، وواحد عن قسم الزاوية •ولمديرية الفيوم ثلاثة :واحد عن البندر ، والاثنان الباقيان عن القسمين • ولمديرية المنيا سبعة : واحد للبندر ، واثنان لقسم قلوصنا ، وواحد للفشن ، وواحد لقسم بنى مزار • ولمديرية أسيوط تسعة : واحد للبندر ، واثنين لقسم ملوى ، والبقية عن باقى الأقسام لكل قسم نائب • ولمديرية جرجا سبعة : واحد عن بندر سوهاج ، واثنان عن قسم طحطا والبقية عن باقى الأقسام ، ولمديرية قنا خمسة • واحد عن البندر : والبقية عن الأقسام ، ولمديرية اسنا أربعة : واحد عن البندر وقسمه ، وواحد عن قسم السلمية ، وواحد عن ادفو ومعاونة أسوان ، وواحد عن حلفه ، ويكون لقبائل العربان ثمانية نواب : اثنان من عرب المنيا ، واثنان من عرب البحيرة ، واثنان من عرب الشرقية ، واحد من عرب القليوبية ، وواحد من عرب الفيوم • ولمحافظات السودان ومديرياتها اثنا عشر نائبا •

ولا يجوز فى جميع الأحوال انتخاب نائب من مركز عن مركز آخر فى مديرية واحدة ولا انتخاب نائب من مديرية عن مديرية أخرى عدا القاهرة والمدن والمحافظات •

وحددت المادة السابعة : دوائر للانتخاب على مقتضى المادة السابقة وينشأ فى كل دائرة جدول يتضمن أسماء الذين يحق لهم الانتخاب فى حدود تلك الدائرة •

ونصت المادة الثامنة على : بلاد المديريات كل بلد يبلغ عدد الذكور من أهله خمسمائة نفس فما فوق يكون له دائرة انتخاب تخصه ، والبلاد والعزب والكفور الصغيرة تضم جملة منها بعضها الى بعض ، بحيث لا يكون الذكور من سكان الجملة أكثر من ألف نفس فى دائرة واحدة ، وفى مصر والاسكندرية يكون لكل تمن من أتمان المدينة دائرة مخصوصة •

وقد كانت الحياة النيابية المصرية نموذجا رائعا للديمقراطية الحقة والحرص على احترام الرأى والرأى الآخر ، وقد كانت تلك الحياة النيابية السليمة هى التى مهدت لثورة ١٨٨١ ثورة أحمد عرابى ورفاقه •

● ويخيل الى أن الحركة الوطنية المصرية قد انخدعت بكل أسف فى الفريد اسكاون بلنت فظننته نصيرا لها منذ بداية عهد الخديو توفيق وما كان بكل أسف الا متعاونا مع المخابرات البريطانية ولكن على مستوى عال للغاية • للغاية • فكانت تقاريره ورسائله ترفع الى رئيس الوزراء البريطانى مباشرة •

ومذكرات بلنت وتاريخه السرى لاحتلال انجلترا لمصر وصداقته لأحمد عرابى والعرابيين تؤكد أنه لعب دورا خطيرا فى التمهيد للاحتلال البريطانى وفى نقل وجهات نظر وخطط القيادات المصرية الى القيادات البريطانية ويعنينى هنا ، أن أشير فى هذا المدخل الى ما ذكره بلنت عن أحد عملاء بريطانيا فى مصر وهو بالمر ، يقول بلنت :

لم يجد ولسلى القائد البريطانى عناء كبيرا أمامه عندما أنزل جنوده الى البر وليس بينه وبين القاهرة سوى خطوط التل الكبير التى لم تكن قد تمت بعد ولكن المكتب السرى للجيش الانجليزى أراد أن يزيد تأكده وطمأنينته فاتخذ الاحتياطات السرية التى ألفت استعمالها الجيوش المتحاربة فى الحروب الحديثة وان كانت تنكرها على الدوام • ومن العدل أن أدون ما فعله الجيش الانجليزى فقد وقعت فى يدى أهم حادثة من هذا النوع •

كانت وزارة الحرب ووزارة البحرية قد عقدتا النية منذ أوائل السنة أن يكون الهجوم على مصر من ناحية قناة السويس وتقدر فى أواسط يونيو أن تمهد السبيل لذلك بالرشوة بين بدو الشرق وكان الفضل فى اقتراح هذه الخطة يعود الى لورد نورثبروك الذى كان يفتخر بنجاحه فى هذا الصدد ، فقد كنت فى ربيع سنة ١٨٨١ فى الصحراء الشرقية للقنـــاة وكنت قد تعرفت ببعض مشايخ القبائل فى بيت المقدس •

وأغريت سفارتنا فى الاستانة بالسعى فى فك أسرهم من بيت المقدس لأن هؤلاء الشيوخ قد يؤدون لنا بعض الخدمات اذا كانوا على صفاء مع انجلترا وعرف لورد نورثبروك بهذه القصة فتذكرها فى هذه الأزمة المصرية واستغل اسمى بعد أن أضاف اليه الذهب فى استخدام هؤلاء البدو ضد عرابى •

ولم يكن فى انجلترا فى ذلك الوقت من يعرف العربية سوى ادوارد بالمر أستاذ اللغات فى كامبريدج وقد استدعى فى ٢٤ يونيه الى المكتب السرى لكى يزور نورثبروك ويتناول معه طعام الفطور وهناك عرض عليه أن يقوم برشوة هؤلاء البدو ، وقد عرض عليه ٥٠٠ جنيه للمصاريف الابتدائية ووعده بالمكافأة فى حالة النجاح وقبل سفره ــ أى فى ٢٦ منه ــ جاء وزارنى وقال لى أنه مسافر الى الاسكندرية لكى يكون مكاتبـــا لصحيحة ذى ســـتاندرد وطلب خطابات التقدمة الى أصدقائى فى مصر لكى يتعرف عليهم مؤكدا أنه يعطف على الحركة وسينصرها فى رسائله على الدوام •

وكان قوله هذا بمثابة الغطاء يخفى به عمله الحقيقى •

وكان البرنامج الذى وضعته وزارة البحرية لبالمر هو أن يذهب أولا الى

الاسكندرية لكى يتفاوض مع الأميرال سيمور ثم يذهب من هناك توا الى يافا والصحراء الواقعة فى الجنوب الغربى من غزة ثم يتعرف بقبيلتى (كذا ، وكذا) اللتين كنت أدافع عنهما منذ ١٨ شهرا وأنا بفلسطين ٠

وقد وصل بالمر الى الاسكندرية وأخبره أمير البحر سيمور بأنه سيضرب الاسكندرية قريبا وأنه ـ بالمر ـ ذهب الى يافا على ظهر سفينة تابعة لأمير البحر يخفق فوق رأسه العلم البريطانى ومعه بحاران لكى يحملا له البندقية والمسدس .

وفى يافا نزل عند القنصل البريطانى شابيرا اليهودى الذى أرسل ابنه معه الى غزة لكى يهيىء له رحلته فى الصحراء ٠

وفى غزة ارتدى لباسا عربيا والتقى بأفراد من قبيلتى (كذا ، وكذا) ٠

ـ وأعتذر أنا ـ المؤلف ـ عن عدم ذكر اسمى القبيلتين متعمدا حتى لا أنكأ جراحا اندملت ـ ٠

وكان أحد هؤلاء البدو قد أقسم لبالمر أنه يستطيع أن يضـــمن سلامة القناة ضد عرابى نفسه اذا استطاع بالمر تخليص ثلاثة من المشايخ من السجن .

وقد أطلق بالمر على نفسه اسم عبد الله أفندى ٠ وكان بالمر (عبد الله) أفندى ينشد الشعر العربى للبدو فى ضوء القمر ٠

وما أريد التأكيد عليه هنا أن بالمر قد نجح نجاحا « رائعا » فى التمهيد لجيش الاحتلال البريطانى كى يدخل مصر كما أنه نجح فى قطع خطوط التلغراف الموصلة بين سوريا وكان رجاله قد أخذوا معهم صندوقا ممـــلوءا بالديناميت لتحقيق هذا الغرض ٠

ويقول بالمر أنه أنفق بين ثلاثة آلاف وثمانية آلاف جنيه على البدو فى البداية وشاركه العمل عميل آخر اسمه جبل كان قد وصل الى السويس ومعه ضابط آخر ومعهم ٢٠ ألف جنيه لكى يعطياها لبالمر ٠

والذى لا نشك فيه أن بلنت كان يعرف جيدا مهمة بالمر وجيل حتى وان حاول فى مذكراته نفى معرفته مهمتهما السرية ٠

وكان أحمد عرابى قد وثق ثقة مطلقة فى بلنت ٠

ومن بين الخطابات التى أرسلها اليه بعد هزيمته خطاب بتاريخ ٢٢ نوفمبر ١٨٨٢ والآخر فى ٢٢ ديسمبر ١٨٨٢ وقد خاطبه مستهلا خطابه : صـــديقى وروح حياتى ومهجة روحى ومنقذى ويلفريد بلنت أدامه الله وأبقاه ٠

وقد جاء في الخطاب الأول أن ـ عرابي ـ يأمل اذا ما كان في العمر بقية ـ أن يعيش طليقا في دمشق مع أولاده بعيدا عن السياسة فان لم يسمح له السلطان بذلك فهو يفضل ان يقطن لندن (مجاورا لاخواننا من محبي الانسانية ومساعديها ٠٠ أعيش هناك كرجل حر في أرض الحرية) ٠

وفي خطابه الثاني اشتكى أحمد عرابي من حرمان أبنائه من أن يرثوا ممتلكاته وقد أكد عرابي أنه سيصحب معه الى منفاه في حديقة آدم (سيلان) ابنه محمد وزوجته وخادمته وخادمه الخاص فقط ٠ كما أنه سيترك اخوته مع أقاربه في القرية وسيبعث بابنه محمد الى مصر لاستصحاب من تبقى من زوجاته ، وأولاده الى المنفى ٠

ما ذكره بلنت عن لقاء سيمور وبالمر ، واخبار الأول (سيمون) الثاني (بالمر) بأنه سوف يضرب الاسكندرية يناقض تماما كل ما جاء في البيانات البريطانية حول الأسباب التي دعتهم الى ضرب الاسكندرية ، وكانت هذه الأسباب لا وجود لها عندما قابل سيمور بالمر ٠

● ولما كان من الأمور المثيرة للجدل دوما العلاقة بين مصطفى كامل ومحمد فريد ٠ من ناحية وبين تركيا ، والخديو عباس حلمي الثاني من ناحية أخرى وقد سبق أن أوضحنا تلك العلاقة بالنسبة لمصطفى كامل ونوضحها بالنسبة لمحمد فريد في السطور التالية :

كان محمد فريد من الشخصيات الهامة التي كان لها أثرها في حياة الخديو عباس حلمي الثاني وكذلك كان الخديو عباس حلمي الثاني بالنسبة لحياة محمد فريد ٠٠ كانا عدوين لدودين في كثير من الأحيان وكانا حليفين يحذر كل منهما الآخر في بعض الأحيان ، مرة تقوى العلاقات بينهما وتشتد ومرة تتراخى وتضعف ثم تتلاشى ٠٠ ترمومتر العداوة ، يرتفع ، وينخفض باستمرار وهذا هو الخديو عباس حلمي الثاني من وجهة نظر محمد فريد كما جاء في مذكرات محمد فريد ٠

يروي محمد فريد في مذكراته التي لم يشملها الضياع ، قصة لقائه في أغسطس ١٩٠٤ بالخديو هو ومصطفى كامل وكيف احتدمت المناقشة بين الخديو ومصطفى حول قضية زواج الشيخ علي يوسف ـ صاحب المؤيد من صفية بنت السيد عبد الخالق السادات واحتقار الخديو للرأي العام وقوله أنه : اذا لبس برنيطة ومشى في البلد ما حد يتكلم ، ويروي فريد غضب مصطفى كامل وقوله لفريد : « لابد من قطع علاقاتي مع هذا الرجل » ثم ذهاب فريد الى الخديو في اليوم الثاني ، ودهاء الخديو وعدم تحدثه في موضوع غضب مصطفى كامل عنه وانصرافه في الحديث مع فريد عن الزراعة وعزبة كانت له بجهة فايد بالقرب من قناة السويس ٠

ويروى فريد كيف قطعت العلاقة بين الخديو والحزب الوطنى عامين كاملين من ١٩٠٤ الى ١٩٠٦ الى أن توسط الدكتور صادق رمضان فى الصلح فاجتمع الخديو ومصطفى كامل ومحمد فريد والدكتور صادق ولطيف سليم باشا وتم الاتفاق على تأسيس الحزب الوطنى وجريدتى ليتندار اجيبشيان وذى اجيبشيان ستاندارد ٠

ويذكر فريد كيف أن لطيف سليم باشا كان يعارض باستمرار العمل مع الخديو أو الثقة به لأنه رجل أنانى يفضل دائما منفعته الشخصية على الصالح العام ولأنه جربه جملة مرات ، فكان يخونه ولا يفى بما اتفقوا عليه ، وكان لطيف باشا يكرر قوله : هذه كلها قناطر مررنا عليها ووجدناها غير موصلة للطريق ٠٠ ويذكر فريد لقاء الخديو به وبمصطفى وصادق رمضان فى جامع سيدى التبرى بجنينة القبة والتحدث معه فى أمر بيعه الرتب والنياشين واعتراف الخديو بها وكونها من أعمال طيش الشباب ووعده بعدم الرجوع اليها ٠ ويؤكد فريد أن الخديو لم يشترك بماله فى شركة ليتندار وكان رأسمالها ٢٠ ألف جنيه وان كان قد أوعز الى الكثيرين من الأغنياء بالدفع فدفعوا ٠٠

ويتحدث فريد ـ بافاضة ـ عن محاولات الخديو عباس لكيلا « ينتخب محمد فريد لرئاسة الحزب الوطنى بعد وفاة مصطفى ، وكيف طلبه الخديو عقب انتخابه رئيسا للحزب الوطنى وهنأه وأشاد بوطنيته ونزاهته قائلا عنه أنه ليس طالب شهرة أو مال أو وظيفة ، ويقول فريد أن عباس عرض عليه مساعدة الجرائد بالمال « فرفضت حتى ـ كما يقول فريد وبالحرف الواحد ـ لا أكون أسيره وطوع أمره » ٠

« ورأى الرجل عقب ذلك بأنى لست ممن يطيعون أوامره اطاعة عمياء فأخذ يدس الدسائس لاسقاطى من جهة ويظهر لى التودد من جهة أخرى وفى أبريل سنة ١٩٠٨ وقبل أن يسافر فريد الى أوروبا ـ للسير فى طريق مصطفى حتى لا يقال أن الحركة ماتت بموته ـ وليظهر للرأى الأوروبى ـ أن حركتنا قوية لا تقوم بقيام شخص أو لا تسقط بموته قابل الخديو وطلب منه ألا يرسل خلفه من يسعى ضده أو يعرقل مساعيه كما فعل فى الماضى عندما أرسل حافظ عوض وأباظة باشا والشيخ على يوسف ، لمعاكسته فى لندن ويروى فريد المحاولات الانجليزية التى بذلت من أجل أن يصمت عن الاحتلال ولا يطالب بالجلاء مكتفيا بطلب الاصلاحات الداخلية والدستور وذهابه الى الزقازيق وطعنه فى الوفد الأباظى الذى سافر الى لندن ، ويقول ان ذلك كله أغضب الخديو منه ، ثم يذكر سفر الخديو الى لندن مع بطرس غالى باشا واتفاقه مع الانجليز ٠

« ومن ذلك اليوم أيقنت أن الرجل خاننا واتفق مع الانجليز بواسطة بطرس باشا والسير ألدون غورست المعتمد البريطانى فى مصر ، فكتبت فى

اللواء مقالة شديدة ضده بعنوان : « ماذا يقولون ؟ » كانت سببا في طعن جريدتي المؤيد والأهرام اللتين تأتمران بأوامر المعية علي وفتحت باب المناقشة في سياسة الوفاق وزاد الخلف بيننـــا ـ نحن معشر الحزب الوطني ـ وبين الخديو ورجاله » .

ويذكر فريد المقالات التي نشرها في جريدة الهلال العثماني التي كان يصدرها الشيخ جاويش بمال جمعية الاصلاح والترقي ومقالاته ضد الخديو في جريدة لى سييكل الفرنسية ومحاولات الخديو شطب اسمه من نادي المدارس العليا حيث كان قد تبرع بمكتبته ثم تنتقل مذكرات محمد فريد فجـــأة الى المحاولات التي قام بها توفيق بك زاهر القاضي ـ وهو ممن لهم علاقة بالخديو من عهد التلمذة ـ للصلح مع الخديو وقول فريد :

اني لا أعارض في ذلك اذا قبل الخديو شروطنا فاذا كان يريد الصلح حقيقة فتكلم أنت مع اخواننا في مصر ، واذا اتفقت معهم على شيء فأخبروني لأبدي رأيي » .

وكذلك محاولة مشابهة قام بها يوسف صديق باشـــــا رئيس ديوان الخديو ، ومحاولات أخرى عديدة لم يكتب لها النجاح ..

وفي ٩ أكتوبر سنة ١٩١٣ تذهب مدام روشبرون الى محمد فريد موفدة من قبل الخديو للاتفاق معه على الصلح ، وقالت له مدام روشبرون أنها قابلت الخديو فأظهر لها أســـفه مما حصل وأخبرها بأنه يريد أن تكون هي واسطة الصلح وأنه أعطاها فعلا مصاريف السفر ، ويقول فريد : « أجبتها بأني مستعد للصلح على شروط أن تكون المخابرة بيني وبينه مباشرة بلا وسيط وبدون حضور أحد أيا كان » ثم يقول فريد بعد ذلك : « يظهر أنها ألعوبة من الألاعيب السابقة وأن الرجل لا يريد الاتفاق حقيقة » .

وحول انشاء وزارة للأوقاف كتب فريد يقول : ان الخديو يصرف كثيرا من ايرادات الأوقاف الخيرية في شئونه الخاصة والكل ساخط على الخديو وسرقته لأموال فقراء المسلمين وكثيرا ما طلبنا منه صرف هذه الأموال في انشاء المدارس فلم يقبل ويقال انه أخذ في هذين الشهرين ثلاثين ألف جنيه دفعها من قسط عليه لأحد البنوك ونتمنى جميعا أن تؤخذ منه أوقاف العائلة الخديوية وتضم الى نظارة الأوقاف حتى يحصل المستحقون على نصيبهم منها » وبعد ذلك يقول فريد :

ومن الأخبار السارة والهامة وضع نظام لمنح الرتب والنياشين يغل أيدي الخديو عن بيعها بيع السلع للعمد والأعيان وهي أيضا نتيجة من نتائج طمعه وسوء تصرفه مع أنه تعهد أمامي أنا ومصطفى كامل والدكتور رمضان بك بأنه

عدل عن الأمور التى أساسها الطيش والشبوبية » هذه ألفاظه هو « ولكن حب المال غلبه فنزل به الى هذا الحضيض : أساس عيوب هذا الرجل أنه يفضل مصالحه على المصالح العامة ٠٠ »

وينتقل محمد فريد ـ فى مذكراته ـ الى صفحات أخرى ـ تبين علاقته الجديدة بالخديو فيقول : فى ٣ مارس سنة ١٩١٤ وقت الغذاء مع جاويد بك وعمر ناجى بك ـ من أركان لجنة الاتحاد والترقى ـ أخبرنى ناجى أنه لما قابل الخديو عند سفره الى بنغازى دار الحديث بينهما عن الحزب الوطنى فقال عباس أنه : لا يخشى أحدا خلافى لأنى صلب ، ولا يمكن استمالته » ٠

ويقول فريد فيما بعد أن عبد العزيز عمران الطالب بالطب وصل الى جنيف ـ حيث كان فريد يقيم وقتئذ ـ وأخبره أن لجنة الحزب قد أوشكت على الاتفاق مع الخديو ولذلك فهم يطلبون منه عدم الطعن عليه وان الصوفانى بك سيحضر هذا الصيف « ١٩١٤ » مع بعض الاخوان لمقابلته وأكد عبد العزيز عمران أن استعفاء حافظ عوض من المعية وتعيينه رئيسا لتحرير المؤيد مقدمة لتركه المعية ويعقب فريد على ذلك بقوله : « لا أصدق لأن المؤيد لسان حال المعية ولأن الخديو لم يتفق مع لجنة الحزب على من يكون خلفا لحافظ عوض حسب طلباتى السابقة وهى أن يعين رجال المعية بالاتفاق السرى معنا » ٠

وعندما وصل اسماعيل لبيب الى جنيف قال لمحمد فريد أن الاتفاق تم بين اللجنة والخديو وأن الأخير دفع ألف جنيه مساعدة لجريدة الشعب وأنهم اتفقوا على أن يقابل الخديو محمد فريد للاتفاق معه على ما يلزم عمله لخدمة المسألة المصرية ويقول فريد : طلبت من اسماعيل ألا يسافر حتى يحضر المقابلة ان حصلت ويكون كل شىء بعلمه حتى لا يدعى الخديو بما لا يحصل على أنى لهذه اللحظة لم أثق بهذه الأعمال ولا بهذا الرجل لأن كراهيته لى مستحكمة ولابد أن يكون يدبر شيئا للايقاع بى أو تسوىء شخصيتى ولذلك سأسير معه بكل احتراس » ٠

وقرب نهاية شهر يولية ١٩١٤ كتب فريد يقول : يظهر أن الخديو لا يريد مقابلتى لأنه يعتقد أنه اشترى « الشعب » وأنه أوقع الخلاف بين أعضاء اللجنة بسبب قبض عبد الله المساعدة المالية بدون علم بعضهم وبعد أن تقرر فى اللجنة عدم الاتفاق معه فهو بذلك حصل ما يريد ولا يهمه الاتفاق معى وستظهر الأيام ما يبطن » ، ويروى فريد كيف قابل يوسف صديق مدام روشبرون بخصوص تأجيل مقابلة الخديو لمحمد فريد ، الى ما بعد سفره الى الآستانة أى فى شهر سبتمبر وأنها قالت له : لابد من الانتهاء من الاتفاق قبل انعقاد مؤتمر الطلبة فى ٢٥ يوليو حتى يعلم ماذا يجب عمله لو تم الصلح ويقرر خطة السير بناء على هذا الاتفاق وكيف وعدها يوسف صديق بتبليغ اقتراحها ، وكيف تلقت

ـ روشبرون ـ من يوسف صديق تلغرافا يخبرها بأن الوقت غير متوفر بسبب السفر الى الآستانة .

ويعلق فريد على ذلك بقوله : أطلعت اســــماعيل بك لبيب على نص التلغراف الى مدام روشبرون واتفقنا على أن يكتب لعبد الله بك مؤكدا أن الرجل « يحاورنا ويداعبنا ولا يخلص فى عمله وأن الأولى والأصلح للحزب هو الابتعاد عنه والسير بعيدا به عن كل سلطة كما كانت خطتنا ، وكما يجب أن تكون وبناء عليه أخذت فى تحضير الخطبة التى سألقيها فى المؤتمر وكلها دائرة على وجوب الابتعاد عن الخديو وأن سبب ما لحق بلجنتنا الحزبية من الفشل هو التقرب منه فى مبدأ الأمر وتدخل من يأتمرون بأمره أو يراعونه من الأعيان والذوات » .

وفى مكان آخر من مذكرات محمد فريد يشير الى الاعتداء على الخديو عباس ثم يقول : « بعد التفكير طويلا فى الحالة الحاضرة واشتعال أوروبا بالحرب وخوف انكلترا من قيام مستعمراتها رأيت أن أكتب للخديو جوابا خصوصيا أقتصر فيه بانتهاز هذه الفرصة لاعلان الدستور بمصر . وينهى فريد خطابه للخديو مستحلفا اياه بحق مصر ألا يدع هذه الفرصة تمر بدون أن تستفيد مصر منها « فهى فرصة لا تعوض ويكفينا أننا لم نستعد للمطالبة بالجلاء فلنكفر عن هذا التقصير فى حق أمتنا بأن نسعى فى انالتها الحكم الداخلى على الأقل ، وانكم لو فعلتم ذلك لخلدتم اسمكم فى التاريخ ولمالت الأمة اليكم بكليتها ميلا حقيقيا لا ميلا صوريا كالذى تريد البرهنة عليه وفود المنافقين الذين يسوقهم الحكام سوق الأغنام » .

ثم يفصل فريد موضوع سفره الى الآستانة ومقابلته ليوسف صديق باشا الذى أخبره بأن الخديو ممنوع من السفر لمصر ..

كما يتحدث فريد عن لقــائه بالخديو : قابلنى الخــديو بــكل بشــاشة وتصافحنا على أن ننسى كل ما فات ثم طلب منى أن أزور رجال الحكومة التركية وأقنعهم باخلاصه فى العمل وذلك لتحققه من اعتقادهم فيه عدم الاخلاص بسبب أعماله السابقة وبالأخص أثناء حرب طرابلس حيث أطلع الانكليز على خطط تهريب الأسلحة والضباط فوعدته بذلك » .

وتمضى مذكرات محمد فريد فى الحديث عن توطيد العلاقات بينه وبين الخديو وسعى فريد لجذب الخديو ، حتى لا ينضم الى ألمانيا نهائيا ويروى فريد اصرار الخديو على السفر الى فيينا بمجرد الاتفاق على تعيين عمه قائمقام له « فيعطيه الارادة الشعبية ويسافر » . أما أنا فأبقى هنا لأسافر مع عمه الى مصر » ... ثم تروى المذكرات قصة سفر الخديو الى فيينا بعد أن ساءت العلاقة بينه وبين

الأتراك وكيف أن فريد أصر على اللحاق بالخديو لتهدئة ثورته ثم يشير الى عزل الخديو واستقباله له فى فندق ـ مونتريال بفيينا ـ بعد أن حجز لى مكانا بهذه اللوكاندة العظيمة كما يقول فريد وعند الاشارة الى ما نشرته صحيفة فرانك فيرنس زيتونج عن المنشور الذى طبع بناء على رغبة الحزب الوطنى واقتراحه بل واعداده ، وبه منح الدستور من الخديو ، قال فريد أن الخديو كذب هذا الكلام فى الصحف وقال ان ذلك الأمر كان فى النية ولكنه لم ينفذ للآن وهذا التكذيب ناشىء من خوفه من أن الانجليز يصادرون أملاكه فى مصر فهو ما يزال يراعى مصالحه الخصوصية رغما عن وصول الحالة الى هذه الدرجة ويروى فريد كيف كان الخديو يعمل فى نفس الوقت مع ايطاليا ، ويعقب محمد فريد على قول البرنس محمد على شقيق الخديو ، أن أخى أحرق نفسه فلماذا أحرق نفسى أنا الآخر » وذلك لأنه يخشى مصادرة أمواله فانظر الى أى درجة يؤثر حب المـــال على الانسان حتى ينكر أقرب الناس اليه فى أشد المواقف حرجا .. » .

ويقول محمد فريد أنه اتفق مع الخديو على اصدار جريدة أسبوعية بالفرنسية فى جنيف للدفاع عن حرية مصر ، وقد دفع لنا ١٥٠ جنيها انجليزيا على ذمة المشروع وسننفذه قريبا . وفريد يعنى صحيفة « صدى مصر » ويقـــول أن الحكومة السويسرية لم ترد على طلب اصدار تلك المجلة لا نفيا ولا ايجابا ولذلك قررنا طبعها وتوزيعها خارج سويسرا فقط حتى اذا لم تمانع الحكومة وزعناها فى سويسرا أيضا بعد عددين أو ثلاثة .

ويتحدث محمد فريد ـ طويلا ـ عن خيانة عباس وتخابره مع الأعداء بخصوص المسألة المصرية من وراء ظهر فريد ورفاقه ويروى على لسان يوسف صديق أن الخديو كتب تفويضا لبولو باشا ـ أحد رجال المال الفرنسيين فى كل أشغاله الخصوصية وفى المسألة المصرية ـ ويظهر أن عباس ـ كما يقـول فريد نقلا عن شفيق باشا ـ لم يوقع على هذا الخطاب بل حرره غيره ، ويقال أنه بخط خليلته مدام لوزانج ويروى محمد فريد محاورات الخديو معه ومع رفاقه بخصوص سياسة الملاينة مع تركيا ـ بعد أن اختلف معها ـ وتهـــديد الخديو بأنه ينوى الانقلاب والانحياز للانجليز .

« يؤيد هذا الرأى ما قاله الخديو لروشبيرون فى فريبورج وكرره لها فى مقابلة رسمية لم يخبرنا بها من أنه مصمم على ترك السياسة بل والاستقالة اذا صممنا على اتباع سياسة محاسنه الأتراك « وبما أن هذا الرجل أنانى ومحب للمال فلا يعقل أنه يستقيل ويفقد أمواله فى مصر والدولة بدون مقابل يضمنه له الانجليز » .

ويعود فريد الى الحديث عن مبلغ الأربعة ملايين مارك التى قبلها الخديو من ألمانيا وكيف أن اسماعيل لبيب وشفيق باشا كلماه بشدة فى هذا الموضوع حيث اعترف الخديو بقبض المبلغ وبأنه أرسل مليونين الى المسيو كابو على يد

المسيو بولو ، ولكن بولو لم يسلمه الا مليونا وأكل الثانى بدليل أنه اشترى أرضا بفرنسا بنصف مليون وأن عشرة آلاف جنيه كانت حولت لباريس لمشترى أسهم من جريدة الفيجارو وبعد أن وجدوا سمسارا خاف من أن يكون فى الأمر سر سياسى فأعيد المبلغ الى لوسرن ، وأودع باسم يوسف شريف باشا ووعدهم الخديو برد المبلغ الثانى ، بعد عمل الحساب ، كما يروى فريد أنه زار الخديو فيما بعد وطلب منه رد المبلغ الى ألمانيا ولامه من طرف خفى على اشتغاله بهذه المسائل ، الحاطة من كرامته فلم يعد برد المبلغ بل قال ان هناك حسابات كثيرة ستدفع منها أما عن طلب سفره الى الآستانة فانه رفض بالمرة ...

قال محمد فريد أن خصومى من السياسيين قد أشاعوا بأنى عقدت أنا والخديو مع ألمانيا اتفاقا على أن نترك لهم ادارة البلاد المصرية مدة ١٥ سنة مقابل أن يضمنوا لنا استقلالنا الداخلى وامتيازاتنا القديمة وأكدوا هذا الخبر حتى أدخلوا الشك فى قلوب بعض طلابنا فى برلين وكتبوا الى مستفسرين عن الحقيقة فأرسلت اليهم تلغرافا من برلين هذا نصه « رائز فالش » أى كله كذب .

وتنتقل المذكرات الى مايو سنة ١٩١٦ وكانت الأزمات قد توالت من جديد فقضت على ما بين محمد فريد والخديو عن علاقات خاصة بعد أن ضاعف الخديو اتصالاته السرية بخصوم البلاد ويقول فريد : طلبنى الخديو فامتنعت عن مقابلته بالمرة لما يظهره الرجل نحونا من عدم الاستمتاع بل والاحتقار ، ويقول فريد أنه وعلى الشمسى صمما أيضا على رفض الاجتماع بالخديو رغم محاولات السيد كامل واسماعيل لبيب . حفظا لكرامتنا : ان الرجل الذى لوث اسمه بأخذه نقود ألمانيا وامتنع عن العودة من ألمانيا والنمسا والذى أجرى مخابرات مع انجلترا أولا وأخيرا بشأن أموره الخصوصية والذى كنا ندافع عنه حتى اتهمنا معه أنه يعاملنا بهذا الاحتقار ثم يعود ويطلبنا لمقابلته كأننا من خدمه تقريبا ويوجهنا حسب أهوائه وسأصمم على الرفض ما لم يحصل ما يوجب تغيير تفكيرى » .

وتخلو المذكرات لفترة طويلة من الكتابة عن الخديو فيما عدا الاشارة الى مقابلة عابرة بين الخديو ومحمد فريد . وفيما عدا تعيين أحمد فريد ابن أخ محمد فريد تشريفاتيا فى المعية الخديوية وفى أكتوبر سنة ١٩١٧ ينشر فريد فى مذكراته خطابا تلقاه من أحمد فريد يبرر فيه قبوله وظيفة تشريفاتى قائلا :

« اننى لا أقصد خدمة الوطن فقط بل أقصد خدمتك أيضا بوجودى فى الآستانة لأن عدم تزعزع مكانتك فى الآستانة وبقاء مقامك فيها كما كان أولا وحصول النتيجة التى نتمناها للوطن على يديك كما حصل البدء فيها ليس فيه فخر لك بمفردك فقط بل الفخر يشاركك فيه جميع العائلة ويتوارثه أبناؤها جميعا لذلك عولت مع التوكل على الله على قبول أمر الخديو فاذا استقام استمريت

وان اعوج اعتزلت فأنت فى برلين ولبيب فى جنيف وأنا فى الآستانة لخدمة وطننا العزيز ، وفقنا الله وقوانا للوصول الى النتيجة التى نرجوها من أعماق قلوبنا » ٠

ويرد فريد على خطاب أحمد فريد بقوله : « جوابك وصلنى ولا حاجة لى بأن أقول لك بأنه أدهشنى لأنى ما كنت أتصور أو أتخيل مطلقا أنك تقبل الدخول فى خدمة الخديو بعد قولك لى أكثر من مرة بأن الاشتغال مع هـــذا الرجل غير ممكن بل مستحيل لعدم اخلاصه فى العمل وتذبذبه ٠ نعم انى أعلم من مدة ميلك الى الوظائف والترقى وهذا أمر طبيعى على شرط أن يكون ـ من جهة ـ يشرف ولا يحط بقدر الانسان كخدمة عباس باشا ٠٠ هذا الخبر أحزننى كثيرا لأنه أضر بسمعتك لدى جميع المصريين على اختلاف ميولهم وما كنت أحب أن تقبل هذا الأمر لنفسك ولكن قدر فكان فلا حول ولا قوة الا بالله » ٠٠ ويقول محمد فريد فى ختام خطابه : أما علاقتى وعلاقة الحزب مع الخديو فاشرحها فى الجرائد وأرسل لك نسخا مما أكتب فى هذا الباب أو غيره ٠٠ أكرر الأسف وأطلب من الله ألا تصلك عدوى هذا الرجل وبطانته النتنة وأن تخرج من هذه البؤرة طاهر الذيل كما دخلتها ٠

● وعن العلاقة بين محمد فريد وتركيا والخديو عباس تقول أيضـا :

● عندما زار محمد فريد الآستانة فى ١٢ ابريل سنة ١٩٠٩ لأول مرة فى حياته كتب يقول : وصلت الآستانة فى ١٢ ابريل وفى صبيحة ١٣ منـه حصلت الحركة الارتجاعية المشهورة التى انتهت بعزل « السلطان » عبد الحميد بقوة حزب الاتحاد والترقى وهمة البطل شوكت باشا ٠

ومن غريب المصادفات أنها حصلت صبيحة وصولى فأخذت أرسل الأخبار تلغرافيا للواء فى اليوم مرتين أو ثلاثا وكانت أخبارى أصدق أخبار الجرائد لأنى كنت أستقبها من أصدق المصادر حتى قال بعضهم انى كنت على علم بما سيحصل هناك ولذلك سافرت فجأة والحقيقة أن سفرى كان لتوثيق الروابط بين حزبنا وبين رجال حزب الاتحاد ٠

وينتقل محمد فريد ـ فى مذكراته ـ الى وصوله الى الآستانة بعد أن قرر الهجرة من مصر ـ فى ٣١ مارس سنة ١٩١٢ وكيف استقبله الاتحاديون أحسن استقبال ، وكتابته للعديد من المقالات فى صحيفة الهلال العثمانى التى كان يصدرها الشيخ عبد العزيز جاويش بأموال حزب الاتحاد وكذلك فى صحيفة الجون ترك ٠

ثم يروى بصراحته المعهودة كيف كان مجتمعا بأحمد رضا بك يوم أن اجتمع بعض الضباط فى استامبول مطالبين بحل مجلس النواب بدعوى حصول

ضغط من الاتحاديين وقت الانتخاب وكيف قال أنه من الأوفق الحكم على هؤلاء الضباط بالاعدام فى أقرب وقت قبل استفحال الأمر وكيف أن رأيه لم يؤخذ به فتفاقمت الحركة وسقط الاتحاديون وتشكلت وزارة أحمد مختار باشا التى كان من بين أعضائها كامل باشا صديق الانجليز المشهور ، بوظيفة رئيس مجلس شورى الدولة .. ويقص كيف داخله الخوف على نفسه لعلمه بعلاقة كامل باشا بالانجليز من جهة وبالخديو من جهة أخرى وكيف أخبر زوجته ـ التى كانت تعيش وقتئذ معه بالآستانة ـ وأفهمها أن صالحه يقضى عليه بالابتعاد عن تركيا حتى تتغير الأحوال « ثم يروى قصة رحلته من الآستانة وتفتيش منزله وعدم عثور البوليس على أى دليل ضده فيما عدا خطاب أرسله الى زوجته يخبرها فيه بعزمه على عدم العودة للآستانة مادام حزب الارتجاع فى الوزارة وبأنه يترك لها الخيار فى البقاء بالآستانة أو العودة الى مصر » .

ويروى فريد بعد عودته الى الآستانة مرة أخرى فى مايو سنة ١٩١٣ واهتمامه بنادى الطلبة المصريين هناك ويقول أن محمـــود مظهر الذى أطلق الرصاص على الخديو فى ٢٥ يوليو ـ كما يغلب الظن ـ كان من بين أعضاء ذلك النادى .

ثم يروى فريد كيف طلب مقابلة سعيد حليم باشا ـ الصدر الأعظم ـ وكيف ذهب بناء على موعد سابق الى الصدارة لمقابلته غير أنه لم يقابله « فانصرفت على أنى لا أعود وذلك لأنى تحققت بأن جبنه وخوفه من الخديو حملاه على عدم مقابلتى بعد أن وعد » .. وسعيد باشا ـ الصدر الأعظم ـ من أسرة محمد على باشا وينتسب الى فرع حليم وقد كان يطمع فى خديوية مصر ويبذل كل جهده لكى يحكم مصر .

ويروى فريد مقابلاته لأنور باشا هو وعبد الحميد سعيد ليشرح الأخير له الحالة كى يزداد شجاعة على شجاعة فى مهاجمة الانكليز بمصر ثم مقابلته له مرة أخرى ، وقد كلمته فى مساعى الصدر وما فاه به من العبارات الجارحة للأمة المصرية » فأجابنى بما أجاب به الخديو بأن الرجل لا يهتم به مطلقا ولا بالأمة ، فشكرته وأعطيته خمسة طلبات لطلبة مصريين يريدون الدخول فى المدرســة الحربية » .. وكان الصدر الأعظم قد قال للأمير ابراهيم حلمى باشا ، وسيف الله بك يسرى : « اذا تحرك الحزب الوطنى فى مصر أو رفع رأسه بعد دخول الجيش التركى فهو سيأمر بنفى ومعاقبة أعضاء الحزب وطبعا رئيسه فى المقدمة وأنه سيكون فى مصر « سينوب » لنفى الوطنيين المصريين كما توجد سينوب فى تركيا لنفى المعارضين للحكومة وأن الصدر الأعظم قال لهما : أنه نبـــه على طلعت بك وأنور باشا بعدم مقابلة فريد » .

وتكلم محمد فريد ــ طويلا ــ فى مذكراته عن وجوده بتركيا فى بداية الحرب العالمية الأولى وسعيه الحثيث لارسال حملة تركية الى مصر تطرد الانجليز بمساعدة الشعب المصرى ومقابلاته العديدة لأنور باشا وزير الحربية وخليل بك رئيس مجلس النواب ثم يروى كيف تلا خطبة فى ٣ ديسمبر سنة ١٩١٤ فى مسرح الشتاء بجنينة الملة كان بها عبارات يفهم منها أنه لا يخشى تهديدات سعيد حليم باشا الصدر الأعظم بالنفى الى سينوب اذا تكلم أو أتى عملا ضد السياسة التى ترمى الى اعادة مصر الى الحظيرة التركية كما أنه برهن فى خطبته أنه لا سلطة لسعيد باشا فى الحكم وان كان صدرا أعظم ثم تحدث بافاضة عن محاولات الأتراك أو بعض ساسة الأتراك مداعبة الحزب الوطنى ليساعدهم على فتح مصر وبعدها ينفذون ارادتهم الاستبدادية فى بلدنا .

ثم يروى كيف نصحه الشيخ عبد العزيز جاويش ألا يحمــل الدبوس « الذى عملناه فى جنيف المكتوب عليها مصر للمصريين والذى قررنا أن يكون شعار المصريين المخلصين » وقد قال لى الشيخ جاويش أن منظره فى صدرى وصدر اخوانى يغيظهم كما يغيظهم محافظتى على قومية مصر فى كل كلامى وكتاباتى وقال لى أن سليمان شكرى بك وبهاء الدين مناسترلى اللذين كانا معنــا فى اجتماعات القمسيون الأولى التى حررنا فيها بعض المنشورات تألما جدا من قولى اذ ذاك : يجب علينا الاحتراس فى كتاباتنا حتى لا يقول أعداؤنا أن رجال الحزب الوطنى يريدون تسليم مصر للأتراك » .. ثم يروى فريد كيف سعى مرارا لاعادة العلاقات بين تركيا والخديو وكانت قد تأثرت كثيرا بسبب مساعى سعيد حليم باشا ــ الصدر الأعظم ــ لاغضابه حتى لا يستطيع أن يســتولى على خديوية مصر ، وكيف انتقل الخديو من الآستانة الى فيينا هربا من مضايقات سعيد حليم ثم يروى محاولاته مع ألمانيا لكى تضغط على حليفتها تركيا لاصدار ارادة سنية مؤداها أن القصد الوحيد للحملة الزاحفة على مصر هو ازالة السلطة الانجليزية واعادة مصر الى أبنائها يتدبرون أمرها وتحت امرة الخديو الذى يريدونه ثم يروى محاولاته مع الكثيرين لاخراج فرنسا من تحالفها مع انجلترا واتفاقهــا مع تركيا .

ثم يذكر تفاصيل العديد من محاولاته مع الساسة والأتراك وكيف قابل ذات مرة أنور باشا وتحدث معه فى ضرورة لقائه « بالصدر الأعظم » وكيف اشترط على أنور باشا كذلك أن يحسن الصدر الأعظم مقابلتى لأنى ، لا أتحمل أقل اهانة وعلى شرط أن أكون حاملا لشارة الحزب الوطنى المكتوب عليها « مصر للمصريين » والتى كان الصدر الأعظم قد غضب بسببها فوعدنى أنور باشا بكل ذلك ويروى فريد مقابلته للصدر الأعظم فى تريكوى « فأحسن مقابلتى جيدا ثم يروى فريد مقابلته ليوسف صديق باشا والسيد كامل ــ من رجال الخديو ــ وكيف سألاه ماذا يكون العمل فيما لو هزم الأتراك وانتصر الانجليز وقول فريد

نجتهد حينذاك في تجهيز الثورة في مصر ، أما الاعتراف بالحماية مهما كان شكلها ومهما أعطانا الانجليز من الامتيازات فلن يحدث مطلقا .

ويتحدث محمد فريد عما أشيع عنه في الأوساط التركية من أنه اتفق مع الألمان ضد تركيا وكيف طالبه أصدقاؤه في الآستانة بالعودة اليها لمحاربة الدسائس ضده وقطع ألسنة الدساسين ثم يقول :

لما أتت الى هذه الأخبار « هممت بالسفر الى الآستانة ولم يوافقني اسماعيل لبيب لاعتقاده أن القصد تحريضي على الذهاب اليها حتى أمنع من الخروج منها ثانيا الى أوربا أو حتى ينتقم مني بأى شكل آخر كان أرسل الى الشام مثلا وهناك يدسون لى من يقتلنى كما فعلوا ذلك في العام الماضي مع عزت أفندي الجندي الذي كان يشتغل مع الادريسي ولكني خاطرت بنفسي وصممت على السفر لأتأكد من الحقيقة بنفسي حتى اذا أيقنت أن حزب الاتحاد انقلب على بسبب تمسكي بحق مصر والدفاع عنها فأكون في حل من الانفصال عنه بل ومن محاربته جهرا مرتاح الضمير وعلى ذلك سافرت وبمجرد وصولى الآستانة قابلت أحمد فريد ابن أختي زهره هانم وكان بنفس الاوتيل الذي نزلت فيه فأكد لى كل هذه الاشاعات وشرح لى مساعي حزب الصدر وقال لى أن الصدر نفسه كلمه ضدى وبخصوصي » ثم يروى فريد كيف أن الاشاعات قد أثرت على بعض رجال الحكومة وبالأخص على طلعت بك وكيف أنه حاول في ٢ فبراير سنة ١٩١٥ مقابلة أنور باشا في منزله فلم يستطع بالرغم من أن أنور باشا كان يقابله في أى وقت يذهب اليه في منزله ويروى فريد كيف أنه ذهب الى دار الصدر الأعظم لتأدية الواجب السياسي . وبعد أن انتظرت وقدمت لى القهوة حضر أحد الخدم وأبلغني سلامه وقال أنه يشكرني على زيارتي ويأسف لعدم امكانه مقابلتي لأنه أخذ مسهلا ولا ينزل من الحريم اليوم وأنه يرجوني بأن أحضر في أى وقت أريد ولعلمى أن هذا العذر منتحل . انصرفت على نية عدم العودة وفعلا لم أحضر اليه بعد ذلك » .

ويروى فريد أنه قابل الدكتور أحمد فؤاد وقال له :

« انى أتعجب من أن الاتحاديين يستمعون لمثل هذه الدسائس بعد ما أديناه لهم من الخدمات في مصر من سنين مضت » .. ثم يتحدث محمد فريد بعد ذلك عن التقارير التي قدمت ضده وكيف أنه أصر على التمسك بحريته المطلقة « في زيارة من أريد وانى أعتبر هذه المراقبة اهانة لى ودليلا جديدا على عدم ثقة رجال الحكومة بى » ثم تحدث عن مقابلته لطلعت بك واحالة طلعت بك الموضوع برمته الى مدير الأمنية العمومية (الأمين العام) ويقول فريد : داخلني الريب في أن احالة المسألة الى مدير الأمنية العمومية تفيد أنهم يريدون استجوابى

كمتهم وبما أن الحكومة عرفية فلا يبعـــد أن يحيلونى على المجلس العسـكرى لمحاكمتى بالخيانة » ٠

ولذلك لما عدت الى الفندق أخبرت أحمد فريد ابن اختى بملخص ما دار ولم أخف عنه تخـــوفى من غدر هؤلاء الأشرار وأخبرته أنى عزمت على أخبار سفارة ألمانيا بكل ذلك لتحمينى اذا قصدونى بشر ولتساعدنى على السفر من داخل الدولة وعلى أخبار جاويد بك لأنه يميل الى وربما يقدر على مساعدتى على الخروج من هذا الشرك وهكذا حصل : أخبرت البارون أوبنهايم بكل ما لدى وقابلت جاويد بك فى النادى التركى وقصصت عليه أعمال طلعت بك فوعدنى بالتكلم معه وأخذ يهـــدىء خاطرى وقلت له : ان لم أحضر باكر الى الساعة السادسة مساء فأخبر سفارة ألمانيا وجاويد بغيابى اذ ربما أكون قد حجزت » ٠

ثم يفصل محمد فريد ماذا دار بينه وبين عزيز بك (عند التحقيق معه) :

س : هل أخذت نقودا من الخديو عباس ؟

ج : نعم ولا عيب فى ذلك لأنه خديو البلاد الشرعى ولا يعتبر أخذ فلوس منه خيانة ٠

س : هل أخذت نقودا من ألمانيا ؟

ج : أبدا ـ وقلت ذلك غاضبا ـ ثم قلت ولم تســـألنى هذه الأسئلة الجارحة ، أنا متهم بالخيانة لألمانيا صديقتكم وهب أنى أخذت منها نقودا فهل هى من الأعداء المحاربين « سكوت » ٠

س : مم تصرف الآن ؟ ٠

ج : اسأل أنور باشا فهو الذى يعطينى ما أعيش منه ٠

س : كم أعطاك ؟ ٠

ج : اذا كان ضروريا ذكر المبلغ فهو ٤٥٠ جنيها تركيا أعطاها لى فى يونيو الماضى للصرف على بعض الأمور الصحفية وعلى نفسى ثم يروى فريد كيف سأله عزيز بك عن خلافه مع أحمد فؤاد والشيخ جاويش وكيف رد على هذا السؤال بقوله أنه ليس على خلاف مع فؤاد فهو صنيعته وهو الذى رباه وصرف عليه ولم يختلف معه فى شىء أما الشيخ فلا رأى له أعرفه وهو ليس من لجنتنا الادارية ولا من حزبنا بل كان كاتبا بالأجرة يكتب فى صالحنا ما نأمره به ، ثم سأله عزيز بك عن الحزب الوطنى ٠ والقول بأنه غير موجود وقد رد فريد على ذلك بقوله : ان حزبنا الآن بعضه مشتت فى أوروبا والبعض مختف فى مصر فحالة حزبنا الآن حزب الاتحاد أثناء اضطهاد عبد الحميد لكم ومع ذلك تريدون أن تقولوا أن الحزب الوطنى قد تشتت أو غير موجود بالمرة ٠ وبالتالى فلا معنى لأكون رئيسا لحزب غير موجود فأنا مستعد للاقرار بأننى متنـــازل

عن الرئاسة لأنى شبعت شهرة فضلا عن أن مثل هذا التنازل لا يفيدكم بشىء لأن اسمى لا يزال هو المسموع فى أوروبا وينهى فريد المقابلة بقوله : هاك ما عندى من الأقوال أرجوك أن تبلغها حرفيا مع جميع ما قلته لك من الملحوظات الى طلعت به وتبلغه استيائى من هذه المقابلة ومن تلك المراقبة الشديدة فان أراد بيانا أوضح فأنا تحت طلبه ومستعد للاجابة مع العلم بأنى أعتبر نفسى حرا فى أن أقابل من أريد رغما عن جواسيسكم العديدين مصريين وغير مصريين ٠

وينقل محمد فريد ما دار بينه وبين جاويد بك الذى أعطاه صورة مظلمة عن الأحوال فى تركيا واضطرار تركيا الى قبول الصلح قبل نهاية عام ١٩١٦ وكيف أنهما تدارسا حالة مصر بعد الصلح وكيف قال له جاويد بك : اما أن ترجع الحالة الى ما كانت عليه قبل الحرب أى بقاء الاحتلال مع اعادة السيادة العثمانية واما الرجوع الى ما كانت عليه مصر قبل ١٨٨٢ أى جلاء الانجليز عنها مقابل جلاء الألمان عن بلجيكا ـ أى جعل مصر مستقلة تماما وعلى الحياد المطلق كما كانت بلجيكا قبل الحرب ٠

ويروى فريد أنه قال بضرورة بقاء قنال السويس الآسيوية فى قبضة الدولة حتى يمكننا الاستمرار على حركتنا الوطنية ويمكن للدولة مساعدتنا فى ادخال السلاح والاستعداد للثورة حتى تقوم عند سنوح الفرصة وأهم شرط أن يكون بمصر جيش قوى يمكنها من الدفاع عن استقلالها ضد كل مهاجم أيا كان ٠ ثم يعود فريد الى الحديث ـ مرة أخرى ـ عن مقابلة عزيز بك له وسؤاله عما نقل على لسانه بالحرف الواحد : احترسوا فى الكتابة حتى لا يقول اخواننا المصريون بأننا سلمنا مصر للأتراك خصوصا ونحن متهمون بذلك من قبل : وقول فريد : نعم قلت ذلك ولم أزل أكرره لأن هذا اعتقادى ولم أتحول ويعقب فريد على ذلك بقوله : انى أذكر هذه المسائل لأبرهن على غدر الأتراك وعلى أنهم كانوا يراقبون حركاتى وأقوالى من أول الأمر رغما عن تأييداتهم الكاذبة بعدم الطمع فى مصر ٠ ويروى فريد مثلا على ذلك لقاءه بجلال الدين عارف الذى كان يتمرن بمكتبه فى مصر وأصبح وقتئذ نقيبا للمحامين بالآستانة وأستاذا بمدرسة الحقوق ومن تلاميذ الصدر الأعظم : أنه لم يزرنى ولا مرة واحدة أثناء المدة الأخيرة التى قضيتها بالآستانة وهى أكثر من شهرين بخلاف عادته ٠ وكيف أن عمر رضا المحرر القديم بجرائد الحزب الوطنى كتب مقالة فى ذكرى مصطفى كامل لتنشر فى صحيفة تصوير أفكار ومنع الرقيب العسكرى نشرها لأن الأتراك لا يريدون أن تذكر مصر فى جرائدهم بصفتها مطالبة بحريتها وذكر مصطفى كامل يجر حتما ذكر مطالب المصريين ٠

ثم ينتقل محمد فريد فى مذكراته الى علاقاته بالساسة الأتراك بعد سقوط وزارة سعيد حليم ومجىء وزارة طلعت باشا بك « سابقا » وقوله للحاج

عادل بك على ذكر سعيد حليم : أن العائلة الخديوية لا يخرج منها انسان طيب ذكرا كان أو أنثى حتى ولا فرع حليم فانهم جميعا فاسدون مفسدون » ويذكر فريد كيف أرسل هو والمصريون المقيمون بألمانيا برقيات تهنئة لطلعت باشـــا للتشفى فى حليم ثم يذكر عدم اهتمام الأتراك بضياع البلاد العربية منهم ثم يقول عند كلامه عن زيارته لجاويد بك ناظر المالية العثمانية عندما زار برلين فى سبتمبر ســنة ١٩١٧ : ان معاملة رجال الدولة نحوى قد تغيرت كثيرا أى تحسنت من عهد انتصار الانجليز عليهم وابعادهم عن مصر نحو غزة « الشام » لأنهم فقدوا أو كادوا يفقدون الأمل فى فتح مصر وجعلها ولاية عثمانية كما كان يتمنى سعيد حليم وأحمد جمال باشا أو كما كانوا يمنون أنفسهم فى فتحهـا لأنفسهم هذه الفكرة المشــئومة التى جعلتهم وحكومتهم يحاربوننى بواسطة الجاويش والغلمان أعوانه لأنى مازلت ولا أزال مصرا على أن مصر للمصريين » ، ويضع محمد فريد خطا على الجملة الأخيرة ويقول محمد فريد عند الكلام عن جمال باشا ـ السفاح الأعظم ـ : هذا الرجل طامع فى فتح مصر لنفسه ويكره المصريين الأحرار وبالطبع أنا فى مقدمتهم لاعلانى دائما حقوق مصر ومجاهرتى بمقاومة كل من يقول بغير ذلك أيا كان ٠

● ومن المقالات التى ترد على اتهام الحزب الوطنى ومحمد فريد ـ ومن قبل مصطفى كامل ـ بالتبعية للخديوى عباس حلمى الثانى تلك المقالة التى نشرتها الأهالى فى عددها الصادر فى ١٧ يوليو ١٩١٢ تحت عنوان « هكذا هم يعادون العرش ويغرسون فى البلاد بذور الحقـــد والمؤامرات ولا يفهمون أنهم يخونون الوطنيين » ٠ وقد جاء فى ذلك المقال :

ما كان أغنى فريد بك عن أن يجاهر فى هذا الوقت بعدائه للعرش أو أن يدل على مبلغ هذا العداء ٠

نعم ما كان أغناه عن ذلك فان هذه المؤامرة ـ وهى كما قلنا نتيجة طبيعية لعمله فى ثلاث سنوات ـ اعتراف صريح ودليل ليس بعده دليل

ولقد كنا نتمثله فى وقت كهذا منكرا المؤامرة معلنا أن حزبه حزب هدوء وسلام مقرا بخطئه فى الماضى متخذا منذ اليوم خطة الاخلاص للأريكة الخديوية فاهما فى ذلك منهج سلفه ومؤسس حزبه المرحوم مصطفى باشا كامل ٠

كنا نتمثله جازعا من النتيجة التى وصلت الحركة الوطنيـــــة لها مشفقا على هذه البلاد التى يدعى الحب لها جاعلا حدا لمحاربته العرش والدعوى على سمو الأمير بالأكاذيب والترهات ٠

هكذا لعمرى كنت أتمثله ولكن فريد رجل لا تهدأ له ثائرة معصـــوب العينين لا يريد أن ينظر ما ينظره الناس جميعا ســـلط نزعته الشخصية على

وطنيته فغلبت البغضاء فى نفسه كل وطنية وكل رؤية وأصـــبح أينما اتجه لا يرى الا غرضا هو تفريق القـلوب عن العرش يبذل فيه نفســـه ونفيسه ولو خربت البلاد بعد ذلك ولعله حين سمع خبر المؤامرة فرح وطرب وقال هذه ثمرة من ثمار جدى وكدى بل هذه شرارة من نار قدمت لها الحطب ثلاث سنوات طوال لأنفخن فيها ولأجمعن لهـــا الكذب كله حطبـــا حتى تعود شرا وعذابا مستطيرا ٠

نعم أراد فريد بك أن ينفخ فى هذه السرارة وأن يقدم لها حطبا من الكذب فكتب فى جريدة « السييكل » الباريسية يقول :

بعد قدوم السير الدون غورست الى مصر معتمدا لدولتـه تأسس الحزب الوطنى فاجتمعت جمعيته العمومية فى ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٠٧ وخطب فيهـا المرحوم مصطفى كامل آخر خطاباته ثم توفى فى ١٠ فبراير سنة ١٩٠٨ وبعد وفاته بأربعة أيام انتخبت رئيسا للحزب مكانه ٠ وحينئـذ حاول الخديو أن يجعلنى أتبع سياسة مضادة لخطتنا ونصح لى أن لا أذكر الجلاء وأن لا أعمل عملا يسىء الى الانكليز بالاجمال نصح لى أن أعترف اعترافا ضمنيا بالاحتلال ٠ ولأجل أن يظهر ولاءه لانكلترا ذهب الى لندرة فى سنة ١٩٠٨ ٠ فلما رأينا هذه السياسة الجديدة قطعنا علاقاتنا معه وابتدأت أحمل عليه فى جريدة اللواء التى كانت اذ ذاك لسان حال الحزب الوطنى حملة صحافية شديدة رن صداها فى البلاد ٠ ومن ذلك العهد ابتدأ الخديوى ووزراؤه يضطهدون الحزب الوطنى ونشر فى سنة ١٩٠٩ قانون المطبوعات التى قبر سنة ١٨٨٢ » ٠

ثم حكى حكاية الجرائد التى أوقفت أو تعطلت وحكاية حبسه ثم فراره حين أريدت محاكمته مرة ثانية وختم مقالته بقوله :

« تلك هى الحالة التى وصلت اليها مصر فالخديوى متحد مع انكلترا ومعهما بعض المداهنين من جانب والأمة كلها طالبة حريتها من جانب آخر ٠

هكذا يقول فريد ٠ يعترف الآن بأنه منذ تولى رئاسة الحزب بعد وفاة المرحوم مصطفى كامل فصل الحزب عن العرش وجعله يعادى الأريكة الخديوية ٠ ذلك اعتراف لم نكن فى حاجة اليه بعد الشواهد التى عرفناها وعرفها المصريون أجمعون ٠ لم نكن فى حاجة اليه لأن الدكتور عثمان بك غالب وعلى الغاياتى قالاه من قبل ولأن مقالات « ماذا يقولون » لا تزال كلمة « يجب خلعه » تحت صورة سمو الأمير كان وهو يكتب هذه الكلمة حامى اللواء وكان فريد بك اذ ذاك فى تحرير اللواء ٠ كلا لم نكن فى حاجة الى هذا الاعتراف لا بل ان تعمده القعود فى الاوبرا والموسيقى تلحن السلام الخديوى والناس كلهم وقوف كان اعترافا لا يحتمل شكا ولأن هذه المؤامرة وهى غرس يده أدل من كل دليل وأفصح من

كل اعتراف كلا أيضا لم نكن فى حاجة الى الاعتراف ولكننا مع ذلك أصبحت لنا به حجة على حزب يقول أن أول مبادئه أن يخلص للعرش وأن يبقى سمو الأمير على رأس الحركة الوطنية ٠

اذا كان فريد بك يكذب وكان الحزب الوطنى وصــحفه ولجنته الادارية وأعضاؤه يكذبون حين كانوا يدعون الاخلاص للعرش واذن انحرف الحزب عن مبدئه وخان عهد مؤسسه وضل طريق واجبه ٠ نعم وهذا هو الذى أدى به الى الفشل والاضمحلال ٠

أما قول فريد بك أن سمو الأمير حاول أن يحمله على الاعتراف بالاحتلال وأن سموه الآن فى جانب والأمة كلها فى جانب فما أدناه وشاية وما أسقطه كذبا ٠ نصح له سموه بذلك منذ تولى رئاسة الحزب أى منذ ثلاث سنوات فلم ينتصح له وأبت عليه نفسه الكبيرة الا أن يعاديه ويحمل عليه اللواء حملة رن صداها فى البلاد فليت شعرى لماذا بقى هذا السر مكتوما الى اليوم فى صدره لو أنه لم يعاد العرش كما يدعى لهذا الســـبب ولو أن لم يجاهر بعدائه ولم يحمل حملات يقول هو أن صداها رن فى البلاد لكان من المفهوم أن يحفظ هذا السر ٠ فأما وهو قد عادى وحمل عليه ولم يدع نوعا من أنواع الوشاية الا وشى به فأدل الدلائل على كذب هذه الوشـاية الجديدة سـكوته عنها كل هـــذا الزمن ٠

ليست هذه الوشاية بأكبر من وشايته يوم اتهم سمو الأمير فى مقالات « ماذا يقولون » ببيعه وطنه وبلاده لقاء قرض اقترضته الخاصة الخديوية فكيف رضى فريد بك أن يصون هذا السر فى صدره فى وقت كان يحمل فيه على سمو الأمير ويتهمه فيه ببيع عرشه وبلاده بمبلغ مقبوض ٠

كفى ذلك مكذبا لفريد بك وكفى العالم ما يعرفه عن غيرة سمو الأمير على بلاده هو حاكمها وصاحب عرشها وممثل وطنيتها ووجودها ٠ لا بل كفى أن تكون الحرية التى تطلبها الأمة انما تطلبها لهذا الأمير وعرشه ليكون سمو الأمير أول مصرى وأول وطنى وهو كذلك فعلا عنه أخذت الحركة الوطنية وبجانبـه نمت وازدهرت حتى اذا فصلها عنه فريد بك بجهله وحمقه لم يكن لها الا أن تتهدم فانهدمت ٠

★★★

● وأختار هنا فى هذا المدخل صفحات قليلة من مذكرات الخديو عباس حلمى الثانى والتى أنوى بمشيئة الله لو كان فى العمر بقية ، أن أنشرها كاملة وأعلق عليها وقد قطعت مرحلة لا بأس بها فى هذا العمل الذى أعتقد أن المكتبة العربية بحاجة اليه لأنه سوف يجيب على كثير من التساؤلات الهامة التى لم نجد اجابة كافية شافية كما أن مذكرات الخديو فى حد ذاتها تلقى أنوارا كشافة

على كثير من أحداث التاريخ المصرى فى الفترة التى ولى فيها عباس حلمى الثانى أريكة الخديوية المصرية (١٨٩٢ - ١٩١٤) بل وما بعد ذلك التاريخ الى أن لقى الرجل ربه ، أختار صفحات تكشف ظلام الظروف التى أقصى فيها الخديوى عن عرشه فى ديسمبر ١٩١٤ :

وجدتنى طوال عهدى أكافح شبرا بشبر كفاحا لا هوادة فيه للاحتفاظ بشخصية مصر الدولية فلما أقبل الصراع العالمى الكبير الأول ليحطم فجأة توازن القوى سنحت الفرصة لخصومى الألداء « اللورد كرومر واللورد سيسل واللورد ملنر » وأشياعهم بواسطة اللورد كتشنر كى ينفذوا انتقامهم الوضيع بخلعى عن عرش أسلافى وقد وجدت انجلترا فى ذلك العمل وسيلة لتأخير احتمال الجلاء وهو احتمال لم يكن موضع تفـكير جدى ولتحقيق أهـداف سياستها الاستعمارية دون عقبات وكانت جراحى وعلى الأخص جرح لسانى قد أمسكتنى فى الآستانة بلا حراك ولكن الخط التلغرافى المباشر بينى وبين الوصى وقصر عابدين منذ ٤ أغسطس سنة ١٩١٤ قد وضع بناء على أمر لندن تحت رقابة رسـل (باشـا) الحمكدار الانجليزى للبوليس المصرى وقد تأكدت من ذلك فى اليوم التالى بفضل محمد ابراهيم رئيس ادارتى التلغرافية وأن فى هـذا ما يفسر ما كان يطرأ على البرقيات التى كنت أبعث بها الى الوصى وتلك التى يرسلها الى من تأخير أو تعديل متعمد أو الغاء - وكنت لم أزل خديوى مصر ولم تكن تركيا قد دخلت الحرب - ! وكانت قد أعادت الطمأنينة الى نفسى معلومات دبلوماسية ورسمية بلغتنى من مصدر موثوق به الى حد بعيـد وكنت آمل مادامت تركيا محتفظة بحيادها أن تظل مصرح خارج ميدان الصراع : كان الصدر الأعظم منذ منتصف أغسطس قد أكد للمسيو بونيار السفير الفرنسى ولممثـل بريطانيا العظمى حياد تركيا كما أكد أن بحارة الطرادين الألمانيين « وجوبن » و « برسلو » الراسيين فى ميناء الآستانة سوف ينزلون الى البر ويرحلون الى ألمانيا وقد أيد الرئيس ريمون بوانكاريه ذلك فى عام ١٩٢٨ - فى ذكرياته التى نشرها بعنوان « فى خدمة فرنسا » الجزء الخامس صفحتى ٨١ ، ٨٢ - ولم أكد أسترد من عافيتى ما يمكننى من مغادرة قصرى فى ســتيبوكلى على البسفور كى أعود الى مصر حتى رأيت مستشار السفارة البريطانية الذى لم يبد أى اهتمام بحادث الاعتداء على ولم يقبل قط ليسأل عن صحتى ويحمل الى برقية من ميلن شيتهام زميله فى القاهرة تقول ان كل شىء هادىء فى مصر وأن حرارة الجو التى لا تزال مرتفعة قد تؤذى جروحى ونصحنى ممثل بريطانيا العظمى أن أبقى فى تركيا حتى يتم شفائى ولكن الوصى من جانبه كان يطالب بعودتى مطالبة ملحة وكانت تلك لعبة مزدوجة بين لندن والقاهرة ونحن اليوم نعرف تفسيرها فلقد كان الغرض منها احراجى وقد أحسست منذ يوم ٣ أغسطس وأمام الصراع المحتدم أن من واجبى ألا أؤخر رحيلى وانى أريد أن كون فى وطنى

كى أدرس مع مواطنى موقفنا الجديد فلما صار يختى المحروسة على أهبة الاستعداد أبلغت سفارة انجلترا ــ فقد كان الانجليز ما يزالون السادة فى مصر ــ قرارى القاطع بالعودة الى القاهرة وكنت قد لحظت ، أن السير لويس ماليت سفير انجلترا لم يحضر بعد عودته من اجازته ليؤدى لى الزيارة المعتادة وقد كان رده عندما أبديت له دهشتى من ذلك الموقف أن جعلنى أفهم أن على أنا أن أكون البادىء بالزيارة وقد ذهبت اليه فلقد كنا فى لحظة خطيرة ودقيقة لا تسمح بمناقشة مسائل البرونوكول وقد تبدت لى منه بوضوح أمارات نواياه السيئة نحوى وفى مستهل الأسبوع الرابع من شهر سبتمبر طلب أن يحضر لرؤيتى كى يبلغنى رسالة شفوية من حكومته التى لا تنظر بعين الرضا الى وجودى فى الآستانة وتقترح على أن أغادر الآستانة للاقامة فى ايطاليا طوال المدة التى نستمرها الحرب وهى تضع تحت تصرفى فيلا ولكنها تمنعنى من الذهاب الى سويسرا « أتكون تلك الفيلا هى (لافورينا) فى نابولى نفس الفيلا التى استقبلت وعرفت مرات اسماعيل صبرى باشا (جدى) قبل أن يذهب لينهى حياته فى المنفى فى الآستانة التى أبعد اليها والتى يراد اليوم أن أبعد أنا عنها ؟ ليكونن ذلك نموذجا جديدا على خفة الظل البريطانية ولم أكن قد نسيت كرم الضيافة الذى وهبته ايطاليا لجدى اسماعيل ولكل منفى عظيم أحب أن يلوذ بذلك البلد الرائع الكريم .

ولكنى ولم أتعود مثل تلك الدعوات من قبل تابعت اتصالى برئيس مجلس نظارى الوصى الذى عينته قبل سفرى بالاجازة على عادتى فى كل صيف والذى كان قد أقسم بين يدى يمين الولاء بحضور شيخ الأزهر الشيخ سليم البشرى وينشر الخديوى جميع البرقيات التى « كنت أبعث بها الى الوصى بشأن عودتى الى مصر ومعها ردودها التى لم يكن يصلنى بعضها على ما قيل رغم أن تركيا كانت لا تزال محايدة .

وأذكر من ذلك على سبيل المثال أن البرقية التى تحمل تاريخ ١٧ أغسطس من الوصى رشدى باشا تشير الى برقية أرسلت فى الأيام السابقة وقد نشر نص تلك البرقية بعد ذلك فى الصحف المصرية وكلها كغيرها لم تصلنى قط وقد أحيط الوصى علما بهذا الموقف الغريب المؤلم فأوصل الى مذكرة تحمل توقيعه وهذا هو نصها بالكامل بدون تحريف أو تغيير « يستخلص من الخطاب الذى سلمه محب باشا لتوفيق بك أنى لم أحط صاحب السمو بمعلومات عن الحالة أو على الأقل بالمعلومات الكاملة عنها وانى لأتساءل ما اذا كانت بعض برقياتى لم تصل أو أن أحدا قد أذاع لدى سموه بهذه الشائعات الزائفة التى أجهلها بطبيعة الحال جهلا لم يكن فى امكانى معه أن أخطر سموه بها أم أن سموه لديه بعض المشاغل الخاصة التى تفوتنى ويؤسفنى أن محب باشا

لم يكلف نفســـه عنـاء تحـديد النقط التى يبـــدو أنى لم أخطر بها سموه أو كان اخطـــارى بهـــا ناقصا ولقد كان من الســـــهل أن يقـــول ذلك اما فى خطاب أو شفويا على لسان الرسول الذى حمل الخطاب الى وأعتقد أنى أبلغت صاحب السمو فى برقياتى أولا بأول كل ما من شأنه آن يهمه أو يوضح له الحالة فى الظروف الحاضرة وقد كلفت شفيق باشا من جهة أخرى أن يقدم لسموه تقريرا شفويا تكميليا وأن يرفع الى سموه على الأخص بضع ملاحظات رأيت من واجبى أن لا أضمنها برقياتى « وأعيد فى هذه المذكرة رواية كل ما وقع منذ بدء الحرب » وأول نقطة جديرة بالذكر فى ترتيب الأحـداث الزمنية هى قرار لمجلس النظار يقضى قبل دخول انجلترا الحرب بسريان قواعد الحياد التى اتبعت من قبل عند وقوع الحرب الروسية اليابانية ويأتى بعد ذلك القرار الذى اتخذه مجلس النظار بعد دخول انجلترا الحرب باتخاذ اجراءات للدفاع عن مصر وقد أرسلت الى سموه بهذا الشأن برقيتين تفسيريتين وقد سلمت محمد فهمى بك نسخة منها وأضيف الى ذلك أنى منذ ذلك الحين قد غدوت واثقا عن طريق المستشارين العائدين من انجلترا أنه لولا ذلك القرار لكان قد أعلن ضم مصر الى الامبراطورية « وتأتى بعد ذلك الاجراءات ذات الضرورة الاقتصادية :

١ ـ اعطاء الأوراق المالية (البنكنوت) قوة الدفع ٠

٢ ـ منع تصدير الغلال والمواد الغذائية ٠

٣ ـ اعلان ـ الموراتوريوم أولا بالنســـبة للكمبيالات ـ والصـــفقات التجارية عموما ثم بالنسبة للسندات التجارية بوجه عام

٤ ـ اقفال البنوك لمدد قصيرة ٠

٥ ـ تحديد التعريفة القصوى للغلال والضروريات ٠

٦ ـ دراسة وسائل تمويل محصول القطن وهى دراسة لم تتم بعد وأحب أن أضيف ردا على سؤال وجهه صاحب السمو الى عن طريق محمد فهمى بك إنى أعلنت من تلقاء نفسى وليس بايعاز من الوكالة البريطانية ضرورة اتخاذ اجراءات للتحوط فى عودة صاحب السمو بيخته المحروسة خشية أن يتعرض اليخت لهجوم السفن الألمانية ٠

وهذه أمور جديدة أحب من واجبى أن أطلع صاحب الســـمو عليهـــا لقد شكلت أمس :

١ ـ لجنة لدراسة الحالة من ناحية تموين الغلال ووسائل المحافظة على مصالح البلاد من تلك الناحية ٠

٢ ـ لجنة فى القاهرة وفى الاسكندرية لدراسة حال العمال العاطلين ووسائل معاونتهم ٠

وقد سلمت محمد فهمى بك أيضا الوثائق المتعلقة بذلك ٠

وقد أبلغنا شيتهام اليوم أن قائد جيش الاحتلال بناء على تعليمات تلقاها من لندن سيبلغ ممثلى وقناصل ألمانيا والنمسا أن عليهم مغادرة الأراضى المصرية « وقد تم فعلا ابلاغ ذلك الى قنصل النمسا فى القاهرة فى رسالة من قائد جيش الاحتلال سلمها اليه ضابط من الجيش البريطانى وقد حضر القنصل الى وزارة الخارجية ليحتج على هذا الاجراء باسم ممثل دولته الدبلوماسى الموجود فى الاسكندرية وليسأل عما اذا كان هذا الاجراء قد اتخذ بالاتفاق مع الحكومة المصرية وقد أجبنا شفويا بما يأتى :

« ان صيغة التبليغ وطريقة انهائه اليكم تردان على سؤالكم فالقرار صادر من السلطة العسكرية البريطانية وليس عملا دبلوماسيا صادرا من الحكومة المصرية » وقد شغلت اليوم أيضا بقرار أصدرته لجنة بورصة الاسكندرية وحددت به تصفية عقود القطن بسعر $\frac{3}{8}$ ١٥ ريالا للقنطار وقد رأينا من واجبنا أن نلغى ذلك القرار ونعطل مؤقتا عمل البورصة وقد سلمت محمد فهمى بك محضرا بمداولاتنا بالمرسوم الصادر بهذا الصدد وهاتان الوثيقتان تقدمان عناصر التفسير اللازم وقد وقع فى القاهرة صباح اليوم حادث مؤداه أن عمالا عاطلين قد توجهوا الى الحكومة وقد انضم اليهم بعض الدهماء طالبين العون ثم تفرقوا فى جماعات فى أنحاء المدينة وارتكبوا بعض أعمال النهب الصغيرة فاستولوا على بعض الخبز من واجهة المخابز وشىء من المواد الغذائية من بعض محال البقالة وقد قمعت الحركة فى الحال وألقى القبض على مدبريها واستتب النظام ، و لايفتأ شيتهام فى كل محادثاتى معه من الناحية السياسية يكرر أن انجلترا قد حصلت مع الحكومة التركية على تأكيد بأن تركيا لن تدخل الحرب الى جانب ألمانيا وأن الحكومة الانجليزية من جانبها قد أعطت تركيا وعودا من بينها وعد بعدم تغيير نظام الحكم السياسى والدولى فى مصر وقد حانت الساعة لاتخاذ قرار بشأن سفر المحمل والحجاج فلقد تضافرت اعتبارات اقتصادية ومصاعب عملية ضد ارسال المحمل بل أن المفتى نفسه وقد سئل فى ذلك سرا فقد أفتى بعدم سفر المحمل ولقد كنت أميل ولازلت الى سفره فان بعض ذوى النيات السيئة قد يستغلون عدم سفره استغلالا سيئا وكل ما يلزم هو فرض تأمين كبير لرد الناس عن السفر للحج كما حدث فى عام الكوليرا وقد ذكرت ذلك للوكالة البريطانية ولفت نظرها الى أن منع المحمل سيستغل أيضا ضد الاحتلال وقد كان الانجليز الى اليوم متفقين معى على ارسال المحمل ولكن جراهام جاء فى صباح اليوم ليقول لى أن بعثة المحمل فى حالة نشوب الحرب مع تركيا ـ وهى حرب غير محتملة

ولكنها ممكنة ستتعرض للهجوم من جانب الأتراك ، من جهة أخرى ليعلن أنه يستحيل عليـــه فى هـذه الســـنه أن يضـــمن مصلحة الحجر الصحى ، لذلك منع الحج وانى أرجو صاحب السمو أن يدرس المسألة ويبين لى وجهة نظره حتى أنعرف بمقتضاها وربما كان فى الوسع أن نكتفى بارسال الكسوة بغير بعثة الى حيفا أو جده كما تنقل من هناك بمعرفة السلطات التركية ومهما يكن من شيء فانى أرجو صاحب السمو نظرا ، لداعى السرعة أن يبعث الى بالبرق وجهة نظر سموه وقد أرسلت مع فهمى بك دوسيه المسألة كلها .

أول سبتمبر سنة ١٩١٤

امضاء

حسين رشدى

وكان الانجليز الموجودين فى مصر يسوفون فى قراراتهم لأن اللــورد كتشنر فى لندن كان يعمل على كسب الوقت وعنـــدما هدأت مخاوف اللورد كتشنر التى أثارها في نفسه انسحاب المارن ولما ثبتت الجبهة الفرنسية ـ الألمانية فى نهاية الاسبوع التانى من سبتمبر قرر أن يروى ظمأه الى الانتقام وأن يحصل على ابعادى النهائى عن مصر وهذا ما يفسر الموقف العدائى الذى اتخذه السير ماليت السفير الانجليزى ضدى فى مستهل الاسبوع الرابع من شهر سبتمبر فى الوقت الذى تلقيت فيه مذكرة رشدى باشا والتبليغ الشفوى بمنعى من دخول سويسرا والأمر بأن أقصد ايطاليا حتى نضع الحرب أوزارها وقد كانت العناية التى تقتضيها حالة جروحى وعلى الأخص جرح لسانى والجراحة التى كان محتملا أن تجرى لى كافية لتبرير اختيارى سويسرا دون غيرها من البلاد المحايدة لاقامتى وكان قد صار من الضرورى اجراء جراحة لى لاخراج الشظية التى سكنت لسانى وقد تمت تلك العملية فى سويسرا فى مستهل عام ١٩١٥ وقد وجدت فى سويسرا على عكس ما أكده لى السير ماليت والوصى المصرى حالة عادية وملائمة للجراحة ولنقاهتى ولقد أيد اللورد جراى أوف فالا دون لصديقى الرايت أونورايل روبرتسون مسئولية اللورد كتشـــنر فى خلعى وأنبـــائى روبرتسون بحديثهما ـ وفيما يلى هذا النص مكتوبا بخط يده ومأخوذا من رسالته التى بعث بها من لندن بتاريخ ٣ يونيه سنة ١٩٢٩ .

٢٤ بمبروك جاردنز لندن فى ٢ يونيه سنة ١٩٢٩ .

سيدى :

لقد اعتقدت دائما منذ وقفت على الوقائع أن الاجراء الذى اتخذ فى سنة ١٩١٤ قد أملته الكراهية الخاصة للورد كتشنر وربما كان فى وسعك أن تدلنى على ما يجب قوله ـ وليأذن لى سموكم أن أؤكد له رغبتى الصادقة الآن وفى كل وقت فى خدمة مصالحه واصلاح الخطأ الذى آنتم ضحيته ٠

المخلص لكم

ج٠م٠ روبرتسون

وقد شكرت اللورد جراى أوف فالا دون (السير ادوارد جراى سابقا) الذى أيد لى فيما بعد كل ما كان قد أدلى به لصديقى ج٠م روبرتسون وفيما يلى الخطاب الذى بعثت به اليه :

الى صاحب السعادة اللورد جراى أوف فالا دون الوزير السابق لوزارة الخارجية البريطانية لندن ٠

حضرة اللورد

أخطرنى صديقى القديم الرايت أونورايل ج٠م روبرتسون بالمقابلة التى تمت بشأنى فى الاسبوع الماضى بينه وبين سعادتكم وانى لحريص على أن أشكر لك يا حضرة اللورد مشاعرك الطيبة التى عبرت عنها نحوى والرضا العظيم الذى ملأت به نفسى وقد كنت لحظت خلال عهدى وأثناء الأعوام التى كنت فيها على رأس وزارة الخارجية البريطانية أنكم تتخذون دائما موقفا يمليه عليكم حرصكم على العدالة وكنت مؤمنا بأنه ما من عمل غير عادل يمكن أن يصدر عنكم وتستطيع أن تقدر يا حضرة اللورد مدى الغبطة التى أحسست بها عندما علمت أنكم شخصيا كنتم بعبدين عن كل الاجراءات الظالمة وغير الشرعية التى اتخذت بشأنى عند وقوع الحرب الكبرى وقد حرصت على أن أبلغك كل تقديرى وشكرى وتفضل يا حضرة اللورد بقبول أخلص مشاعرى ٠

عباس حلمى

وقد كان أردن هولم بيمان من كبار الاخصائيين فى المسائل الشرقية ورئيسا فى قسم الاستعلامات فى مصر وقد عين من قبل فى عام ١٨٧٩ بالقنصلية البريطانية العامة فى القاهرة فى وظيفة مترجم عربى وعاش فى القاهرة أكثر من عشرة أعوام وشهد أحداث عام ١٨٨٢ والاحتلال وتتبع مولد الاشراف البريطانى وتطوره فى عهد اللورد كرومر كما صحب كتشنر أثناء حملة دنقلة وقد قضى فى القاهرة مرة أخرى بضعة أعوام خلال الحرب العالمية الأولى وبعدها فى خدمة ادارة مكافحة الجاسوسية بادارة المخابرات السرية بوصفه مديرا لعدة أقسام وذلك حتى سنة ١٩٢٠ وفى يوليه ١٩٢٧ نشر فى صحيفة « كنتمبورارى ريفيوى » مقالا أنشر منه هنا الأجزاء الهامة :

« تدل كل المعلومات المعروفة عندى على ان الخديوى (عباس الثـــانى) قد بذل كل ما فى وسعه لاقناع السلطات البريطانية فى الاستانة بضرورة عودته الى مصر وقد نشر رشدى مجموعة من الرسائل التى كان قد كتبها الى الخـديوى بوصفه وصيا وتدل هذه الرسائل على أن الخديوى لم يكن ينوى على الاطلاق البقاء خارج بلاده ولكن انجلترا هى التى انتهى بها الأمر بعد قليل من التردد الى منعه من العودة الى مصر وقد فرض عليه السير لويس ماليت السفير البريطانى الاقامة فى نابولى فى سكن معد له هناك ـ وهى المدينة التى كان قد نفى اليها جده ـ دون أن يترك له حرية الاقامة فى سويسرا بناء على طلبه « ويتضح من جميع المراسلات أن رشدى باشا لم يطلع الخديوى على ما يدور فى مصر اطلاعا كاملا وأنه لم يلب دعوة الخديوى له للحضور الى الآستانة كى يقدم له تقديرات عن الأحداث ولم يبعث اليه برسول خاص يليق بمركز الوصى وتكون له صفته وقد دافع رشدى عن نفسه ضد هجوم الرأى العام على موقفه بقوله أنه قد خشى أن لا تكتفى انجلترا باعلان الحماية على مصر بل تضمها الى الامبراطورية وتضع على عرشها أميرا هنديا وليس أبلغ فى الرد على الزعم من أن السير ادوارد جراى فى (مذكراته عن خمسة وعشرين عاما) لا يذكر مثل تلك الفكرة ويتضح ذلك من السطور الأخيرة ـ فى الفصل الخامس والعشرين من تلك المذكرات ، وأن كل ما ورد فى الصحف وكل ما كتب بهذا الشأن يثبت أن رشدى لم يبد حسن تقدير للحالة السياسية وأنه كان فى الامكان الوصول مع الخديوى الى حل آخر غير اعلان الحماية التى صارت فيما بعد منبع جميع الصعاب التى وقعت فى مصر .

ويؤكد أولئك الشهود والكتاب الذين عاصروا تلك الفترة وألموا بظروفها أن وزارة الخارجية البريطانية كانت تجد نفسها مسوقة الى اتباع الأمر الواقع الذى يفرضه اللورد كتشنر العـدو الشخصى للخـديو وقد عرف فى عامى ١٩١٢ ـ ١٩١٣ أن اللورد كتشنر قد وعد الأمير سعيد حليم بعرش مصر وقد كان الأمير صدرا أعظم فى تركيا ويقول غير هؤلاء ممن سجلوا ذكرياتهم عن حادث الاعتداء على شخص الخديوى فى الآستانة قبل نشوب الحرب أن ذلك الاعتداء لم يكن الا بايعاز من الأمير سعيد حليم ولا تزال الصحف تكتب فى هذا الموضوع ولا أدرى متى تكف عن ذلك ، أما مازعم عن ضم مصر الى الامبراطورية وعن ادعاء رشدى باشا بأنه قد حال دون ذلك فان ذلك لم يكن غير حجة واهية وقد أيد اللورد جراى (أوف فالادون) أيضا فى مذكراته أن انجلترا لم يكن فى وسعها القيام بذلك ففى الصفحة ١٧١ من الجزء الثانى من تلك المذكرات تستطيع أن تقرأ « أن ضم مصر الى الامبراطورية كان سيفضى الى غلطة سياسية كبيرة فان الوقت لم يكن ملائما لمواجهة ذلك الخطر وقد كشف الرئيس بوانكاريه رئيس الجمهورية الفرنسية من جانبه فى ذكرياته التى تحمل عنوان « فى خدمة

فرنسا » فى صفحة ٤٤٤ من الجزء الخامس أنه « منــذ ٢٠ نوفمبر أخطرت الحكومة الانجليزية فرنسا أنها لا تفكر فى ضم مصر وأنها تكتفى بالحماية » ٠

لقد كان اللورد جراى على حق عندما قال أن ضم مصر ليس أمرا هينا ، وقد ترك الوصى المصرى نفسه فريسة لخداع رجال بريطانيا فى مصر وأخطأ فى عدم الاستماع الى ما طلبته اليه أن يحضر الى الآســتانة ليتفاهم معى بمجـرد اصطدامه بالعقبات التى تحول دون عودتى الى مصر وقد كررت دعوتى له فى ٢٩ سبتمبر بعد وصول رسالته المذكورة ولكنه تهرب من ذلك وانى آســف على ما صدر منه ٠

وقد قطعت علاقاتى من تلك اللحظة مع السفير البريطانى فى الآستانة ومع الانجليز وبعد مدة قصيرة زرت سفير ألمانيا فى الآستانة فاستدعى أنور باشا ودارت بيننا مناقشة انتهت بأن مد الى يده طالبا الى أن نتهادن اذن فقد كان هناك ما يدبر فى خفية عنى وكان فى الوسع أن يفترض المرء وجود مؤامرة ضدى تحاك خيوطها فى الخفاء ــ وأن هذا من الممكن فان أعضاء تركيا الفتاة وعلى الأخص أنور كانوا يتبعون سياسة استعمارية عثمانية وعنصرية طورانية بينما كنت بوصفى أميرا لمصر لا يسعنى ولا يسع شعبى الا أن نرمى الى هدف واحد هو استقلال مصر وحدها وتحريرها ــ وفى ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ أعلنت الحكومة البريطانية الى كل الدول أن (مصر) وقد وضعت تحت الحماية البريطانية وأن السيادة التركية قد زالت) وبعد يومين كتب القائم الانجليزى بالأعمال فى القاهرة ميلن شيتهام الى عمى الأمير حسين كامل باشا يخطره أنه قد اختير سلطانا لمصر لا كنائب للامبراطورية العثمانيــة الزائلة وكان معنى ذلك الغاء الخديوية الغاء تعسفيا وكان قد جاء فى تصريح اعلان الحماية فى ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ أننى قد انضممت الى أعداء صاحب الجلالة البريطانية وكانوا قد دبروا اذن مؤامرة خلعى ٠٠

لقد كنت آخر الخديويين :

وانتقلت اذن جميع حقوق وامتيازات سلطان تركيا والخديوى الى صاحب الجلالة البريطانية وأن اعلان الحماية وقبول عمى الأمير حسين كامل لىدويان فى نفسى كأنهما نواقيس زوال حريتنا ٠

فلقد كان معناهما أن يمتد الاحتلال البريطانى لمصر الى أجل غير مسمى ، ذلك الاحتلال الذى قيل عنه انه مؤقت ــ وصار دخول الحرب والدفاع عن مصر من صميم اختصاص الانجليز وقد فرض اعلان الحماية على عمى أن يجعــل اتصالات الحكومة المصرية بجميع ممثلى الدول الأجنبية فى القاهرة على طريق المعتمد البريطانى وهذه هى الطريقة الانجليزية التى وصفها اللورد ملنر بأنها

تقوم على اختراع مبادىء قانونية تهربا من تبرير تصرفاتها وانى لم أقر مطلقا « حق الفتح » الذى نغنى به اللورد سالبرى فى عهـده ذلك أن هذا الحق المزعوم لم يكن له وجود فان الاحتلال لم ينظر اليه يوما ما من جانب الانجليز أنفسهم كفتح لمصر وانما كان مهمة مؤقتة بالاتفـاق بين الخديوى والحكومة البريطانية ولم يكن يعطى الانجليز مطلقا الحق فى أن ينصرفوا كما يشاءون فى مستقبل مصر وكان اعلان حالة الحرب مع تركيا الفرصة المنشودة لانجلترا أنها غدت منذ تلك اللحظة تملك كل سلطات السلطان والحكومة العثمانية وكل حقوق الخديوى المعزول فهى تستطيع أن تحدث كما تشاء أى تغيير النظام السياسى فى مصر .

وينتقل الخديو عباس حلمى الثانى الى المسـتقبل قائلا : اذا كانت انجلترا لا تضمر أية نية عدوانية استعمارية تجاه مصر فما عليها الا أن تجلو عن مصر واذا ما كانت انجلترا حريصة حقا على رفاهية السودانيين وحريتهم وسيادتهم فلماذا لا تؤيد خير الحلول الممكنة فتدع مصر تنشىء ولايات النيـل المتحدة حجر الزاوية فى كل تنظيم سلمى للشرق الأوسـط ثم يقول : ان التكتيك الحربى الجديد لا يقوم على صفات الجنود بل على عدد السكان أو بمعنى آخر ما يدعونه فى الأسلوب المتداول « طعمة المدافع » ويقوم كل بلد باجراء احصائيات سيتعرف منها الحد الأقصى لما يستطيع أن يقدمه من قوات ليقدر بناء على ذلك مدى قدرته على قهر خصـمه والثابت احصائيا أن الجزر البريطانية لا تستطيع أن تقدم جيشـا كافيا للدفاع عن الامبراطورية ولكنها بثرواتهـا ومواردها تستطيع أن تقيم وتسلح جيشا قويا واذا كان الانجليز فى وقت السلم يحتلون مصر بقوة انجليزية بحتة فانهم فى وقت الحرب سـيضطرون الى جلب قـوات من المسـتعمرات تزيد عن ستة أضـعاف تلك القـوة ولقـد جنـد الانجليز خـلال الحرب الكبرى زهاء مليـونى عامل مصرى ويحتمـل أن تجنـد انجلترا فى الحرب المقبـلة مليونى جنـدى مصرى مأجور فاذا كانت مصر قادرة على تقديم مليونى جندى فانى أفضل أن أراهم يكونون جيشا مصريا للدفاع عن البلاد بوسائلنا الخاصة .. وانشاء هذا الجيش يقتضى بطبيعة الحال انشاء مختلف المدارس العسكرية للضباط وصف الضباط وللجنود ولأركان الحرب وللمدفعية والمصفحات والطيران والدفاع المضـاد للطائرات وللخرائط الحربية والنقل والهندسة وقبل كل شىء معاهد الأبحاث العلمية ومعاملها وأنه لعبء ثقيـل ولكن ما يؤدى اليه ذلك ـ كله ـ من عون فعلى فى الشرق الأوسط سـيجعل من انجلترا أسـيرة مصروانى آمل أن يساهم قبول مصر فى هيئة الأمم المتحـدة وتحكيم الهيئة فى كل نزاع بين انجلترا ومصر بطريقة حاسمة فى تدعيم التفاهم بين البلدين ونحن نرجو بكل ما فينا من قوة أن لا يقف أى اعتبار شخصى أو تعصب حائلا دون افادة البلاد

من مشروع معاهدة تضمن لمصر استقلالها الدائم وتكون مستوحاة من مبادىء السلام والحكمة والانصاف وسيعرف الوضع الجديد كيف يسد الثغرات ، هذه هي النصيحة الخالصة التي أقدمها لبلد أحبه ولا تستطيع قوة في العالم أن تمنعني من الاهتمام بمصيره » .

★★★

● وننتقل فجأة الى الحديث وبسرعة عن دولة الشعر التي لعبت دورا هاما في تدعيم الوحدة العربية وذلك يفرض علينا ذكر بعض النماذج من قصيدة لعبد المحسن الكاظمي في الذكرى الأولى لسعد زغلول من بينها الأبيات التالية :

رحل الزعيم أبو البلاد ولم يؤب — وأقام حيث أقام أبو العباد أقاما
لم يمض عام والحياة عزيزة — حتى تراجع عزها أعواما
واذا الحوادث خص مصر لهيبها — عم العراق شرارها والشاما

★★★

عبثوا بأحكام الشرائع واعتدوا — ودعوا التمسك بالنظام نظاما
حفلوا بأنفسهم وقالوا حفلة — عنت البلاد لوجهنا اكراما

★★★

لبسوا لها ثوب الخداع وألزموا — ثقه الضعاف بأمرهم الزاما
هل جاز عند الله أمر منافق — صلى الصلاة غريبة أو صاما ؟

★★★

ولربما خضع الأنيس تزلفا — ليصيب جاها أو يصيب حطاما
ومن المصاب والمصائب جمة — والعسف سل على الرقاب حساما

★★★

ذو العي يصبح بيننا متكلما — وفصيحنا لا يستطيع كلاما
ولقد نرى في العالمين عجائبا — وتقدما بين الأنام أناما
وهموهمو الأصفار مهما حاولوا — أن يجعلوا أصفارهم أرقاما

ومن بين أبيات تلك القصيدة الرائعة يقول الكاظمي :

هذه بنو مصر وتلك بناتها — ملء الفجاج كرائما وكراما
الرافعون لمصر رايات العلا — والرافعات وما رفعن لثاما
يا سعد ان ترحل وحسبك — أمة خلفت فيها البأس والاقداما

وكان الكاظمي قد سبق له أن قال في ذكرى الأربعين لرحيل سعد قصيدة رائعة يقول فيها مخاطبا أم سعد زغلول :

ما كنت يا أم سعد والأمهات سواء
أنبت سعدا ولكن لم تنبتي النظراء
أأربعين نهارا لا تبصرين ضياء
أأربعين نهارا لو تسمعين نداء
أأربعين نهارا حرمت ذاك اللقاء

الى أن يقول فى نهاية قصيدته :

أبناء سعد هلموا نصارع اللأواء
مضى أبوكم فكونوا لمن مضى خلفاء
خلاكم حامل العب ء فاحملوا الأعباء
تآزروا وأفيقوا واستخلصوا الأمناء
فما تأخر شعب يضيق بالأكفاء
ضل البنون اذا لم يقدسوا الآباء

والجدير بالذكر أن كل الشعراء العرب فى العشرينات والثلاثينات كانوا أشبه بأسرة واحدة ٠

فى كل قطر عربى أكثر من بلبل صداح وكلهم كانوا ينغنون بالعروبة ويهتفون بالاستقلال ٠ وكم كان أحمد شوقى رائعا وعظيما عندما قال فى أسبوع تكريمه (ابريل ١٩٢٧) :

يا عكاظ تألف الشرق فيه من فلسطينه الى بغدانه
افتقدنا الحجاز فيه فلم نعثر على قسه ولا سحبانه
حملت مصر دونه هيكل الد ين وروح البيان من فرقانه

الى أن يقول فى النهاية :

رب جار تلفتت مصر توليه سؤال الكريم على جيرانه
كان شعرى الغناء فى فرح الشر ق وكان العزاء فى أحزانه
كلما أن بالعراق جريح لمس الشرق جبينه فى عمانه
وعلينا كما عليكم حديد تتنزى الليوث فى قضبانه
نحن فى الفكر بالديار سواء كلنا نشفق على أوطانه

ونذكر أن العقاد ارتجل قصيدة من أروع قصـــائده عقب خروجه من السـجن بعد أن قضى العقوبة التى حكم عليه بهـا فى قضية العيب فى الذات الملكية ٠

وكان عباس العقاد قد قال فى آخر جلسة من جلسات مجلس النـواب الوفدى (١٩٣٠) : ألا فليعلم الجميع أن هذا المجلس مستعد أن يسحق أكبر رأس فى البلاد فى سبيل صيانة الدستور وحمايته » ٠

خرج عباس محمود العقاد من سجنه مباشرة الى ضريح سعد ثم الى بيت الأمة ــ بيت سعد ــ حيث أنشد :

الى الذاهب البـــاقى ذهاب مجدد ... وعند ثرى سـعد مثـاب ومسـجد
الى مراجع الأحرار فى الشرق كله ... الى قبلة فيهــا الامام يوسـد
خرجت له أسعى وفى كل خطوة ... دعــاء يـؤدى أو ولاء يـؤكد

الى أن يقول عباس محمود العقـاد :

وكنت جنين السجن تسعة أشهر ... فها أنا ذا فى سـاحة الخلد أولد
ففى كل يوم يولد المرء ذو الحجى ... وفى كل يوم ذو الجهـالة يلحد
وما غيبتنى ظلمـة السجن عن سنى ... من الرأى يتلو فرقدا منـه فرقد
عداتى وصـحبى لا اختلاف عليهما ... سيعهدنى كل كما كان يعهـده

وكان العقاد قد خاطب أبناء مصر فى عيد الجهاد (١٩٣٥) بقصيدة قال فيهـا :

وقد هون الأمر انْ قد غدا أجير الهتاف دعى العظم

وحتى غدت كل تصفيقة تبوىء فى المجد أعلى القمم

وفى ٤ سبتمبر ١٩٣٥ نشرت روز اليوسف اليومية فى صفحتها الاولى ما أسمته بنشيد الجائزة الأولى « على مقتضى الحال » ، لم نذكر مؤلفه وان كان النشر فى الصفحة الأولى يؤكد أنه للاستاذ عباس محمود العقاد ، وقد جاء فى ذلك النشيد :

الى الوراء ، الى الوراء الى الوراء

الى الـوراء كل يـو ... م فى الصباح والمساء

الى كرومر الحنـون

والى هـــون ولمســون
وسمبسون وكل جـــون
الى الـــوراء بالقـــلوب الى الـــوراء بالعيـــون
الى الوراء ، الى الوراء ، الى الوراء
وفى ركاب المســتشار
يمشى الكبار والصــغار
والزارعـــون والتجـــــار
والشاخصون فى انتظار على اليمين واليســـــار
الى الـوراء ، الى الـوراء الى الـــوراء
أما العـــلوم ، والفنون
ما كان منهـــــا أو يكون
فهم عليهـــــا مشرفون
ونحن من خـلف الـــركا ب راكعـــون ســـاجدون
الى الـوراء ، الى الـوراء الى الـــوراء
لهم اذا شـــاءوا العطـــــاء
وما لنــــا منهم جـــــزاء
أن يأخــذوا منا الرداء
فقــط الطعـــام والشرا ب والكســـاء والغطـــاء
الى الــوراء ، الى الــوراء الى الـــوراء
الى الـــوراء لا الأمـــــام
الى الـــوراء ، باحـــترام
على الدوام ، وفى الختــام
وكل يـــوم بانتظـــــام وكل عـــام والســـلام
الى الــوراء ، الى الــوراء ، الى الــوراء

وعندما افتتح مصطفى النحاس فى ٢٣ يونيو ١٩٣٥ دار العمال ، كان لعباس محمود العقاد قصيدة من أروع عيون الشعر ، مطلعها

حى دار العمـــــال بالاقبـــال وترقب لهـــا بلوغ الكمـــــال

ومما خاطب به العقاد ، العمال :

نعـــم جيش الســـلام أنتم اذا جرد البغي جيشــــه لاغتيـــال
لكم العدة التي ما استطاعت أمة قط تركهـــا في نـــزال
ولكم أذرع شــــداد وأيــــد من حديد وأظهر من جبـــال
ولكم في اتحادكم رأس مال ان فقدتم دخـــائر الأمـــوال
كيف ترعى عنـــاية الله أرضا باء فيهـــا المجـــد بالاقـــلال
ينسج الخز والحـــرير ويمشى حافيـــا في الرقاع والأسمال
ويشيد القصـــور وهو شريد في زوايا الكهوف والأطـــلال
ويدر الغـــنى وما في يديه شـــبقة الوالدين والأطفـــال
يهب المترفين عمـــر فــــراغ وهو باكى الأيام باكى الليالى
زال ظـــلم تعين بالله مصرا من أذاه في مقبـــل الأجيـــال
أيهـــا المنقـــذون بنيـــة مصر من فتـــور ومن ضنى أو كلال
أنتم الكف والذراع وأنـــتم قـــوة في يمينهـــا والشمال
حظـــكم حظهـــا من العـــلم والصـــحة والبـــأس والحجى والجمـــال
كلمـــا نالهـــا نصيب من الخـــير فأنـــتم لـــكم نصيب نـــال
أعجب الناس عامل في بـــلاد صاح فيها : ما للبـــلاد ومالى
لا تقولوا العمـــال حسب وأنتم في بلاد تمـــوج بالعمـــال
ان مصرا تنـــال من غاصـــبيها أجر بخس وخـــدعة ومطـــال
وهي أرض للواغلين عليهـــا سطوة أشـــعبية ألا يقال
كل من في جوانب النيل عان مســـتغل الجهـــود والآمـــال
كلهم غارس الآخر يجـــنى ثمر المـــال والثرى ، والرجـــال
واذا تفرقـــوا طبقـــات جمعتهم جـــوامع الأغـــلال
واذا قيل موسر ، وفقـــير فقصاراهما الى اســـتغلال
ما لكم منصـــف ولا لبنيهـــا منصـــف قبل يوم الاســـتقلال

● ومن الشخصيات التى ظلمناها نتيجة لظروف خاصة ٠٠ كانت تمر بها وبالبلاد فترة توليها المسئولية السيخ محمد الأحمدى الظواهرى شيخ الجامع الأزهر (١٩٢٩ ــ ١٩٣٥) وأيا كان الرأى فى الشيخ الظواهرى وفى آرائه بالنسبة لاصلاح الأزهر وبالنسبة لموضوع الخلافة الاسلامية وعلاقته بالملك فؤاد ان سلبا وان ايجابا فان الشيخ الظواهرى بلا جدال من الشخصيات التى لعبت دورا هاما فى تاريخ الأزهر وفى تاريخ حياتنا السياسية ٠

وأعتمد هنا فى هذا المدخل على أوراق خاصــــة به قام ابنه ــ نيـابة عنه بعد وفاته ــ بنشرها ولكن برغبته ورضاه عندما كان حيا ٠

ويعجبنى فى أوراق الشيخ الظواهرى كلمات وردت على لســـــان ابنه الدكتور فخر الدين الأحمدى الظواهرى يتحدث فيها عن شيوخ الأزهر فيقول ٠٠ لم تكن تغرهم الدنيا بزخرفها ولم يكونوا ليسعوا لادراك متاعها الا بالقـــدر الضئيل الذى يحفظ لهم الحياة بسيطة ومحتملة ٠

كانوا يكتفون بدور بسيطة يسكنونها لا يكاد فيها من الأثاث الا القليل وكانوا يكتفون من زاد الدنيا بما يزودون به من الصلاح والعبادة ٠

لم يسعوا أبدا للسلطان ولم يجروا أبدا وراء مادة أو منفعة انهم لم يعملوا أبدا وما كانوا يليق بهم أن يعملوا ــ على اقتناء ثروة واسعة مالية أو عقارية وانما كانت الثروات التى ينشدونها هى ثروات العلم والمعرفة وتلقين العلوم وكانوا لا يعتزون الا بالدروس التى يلقونها للطلبة أو العلماء ٠٠ ولا يفخرون الا بأبنائهم العلماء الذين يتخرجون على أيديهم ٠

انهم كانوا فقراء فى الدنيا وكانوا يفخرون أيضا بذلك ٠

كانوا بسيطى الثياب وبسيطى الطعـــام بسيطى المســـكن ٠٠ بسيطى الركائب : انهم كانوا بسيطين فى كل شىء من متاع الحياة ولكن مع هذا فقد كان السلطان يسعى اليهم بدل أن يسعوا اليه ٠

وكان الشعب يجلهم ويحترمهم لأشخاصهم لا لمراكزهم ٠

وكان لهم وقار وهيبة ، من شخصياتهم وليس من نفوذهم أو مناصبهم ٠

انهم لم يخشوا قول الحق أبدا فى أى مناسبة ٠

ولم يتملقوا الحكام أبدا فى أى ظرف وما كان يضير الواحد منهم أن يقول الحق لولى الأمر حتى لو كان هذا الحق يغضب الحاكم ٠٠

ومما يجب أن نذكره أنه فى الفترة التى تولى فيها الشيخ الظواهرى منصب شيخ الجامع الأزهر ٠٠ تم افتتاح كلية أصول الدين وكلية الشريعة حتى لقد أطلق عليه منشىء الجامعة الأزهرية الحديثة ٠

ومن الحوادث التاريخية الهامة فى حياة الشيخ الظواهرى كما جاء فى تلك الأوراق رغبة الملك فى تعيين الشيخ الظواهرى شيخا للجامع الأزهر عقب وفاة الشيخ أبو الفضل الجيزاوى سنة ١٩٢٧ ووقوف القانون عقبة فى سبيل ذلك وبقاء هذه الوظيفة شاغرة لمدة عشر شهور بعد ذلك ٠٠ بسبب تدخل

اللورد جورج لويد المندوب السامى البريطانى ورغبته فى ترشـــيح الشيخ المراغى .

ومن بين الأحداث الهامة فى حياة الشيخ الظواهرى تعيينه شيخا للجامع الأزهر فى أكتوبر سنة ١٩٢٧ بعد الغاء القانون الذى كان لا يعطى الحق فى تعيين الرؤساء الدينيين الا عن طريق مجلس الوزراء واســـتقالته من مشيخة الأزهر فى ابريل ١٩٣٥ بسبب الأزمة المصرية البريطانية التى قام بها المستر بيترسون نائب المندوب السامى البريطانى أثناء مرض الملك فؤاد وذلك على اثر الطلبات البريطانية وقتئذ ومنها ، ابعاد عبد الفتاح باشا يحيى من رئاسـة الوزارة وابعاد زكى الابراشى باشا عن السراى واعادة توفيق نسيم باشا لرئاسة الوزارة وابعاد الشيخ الظواهرى عن مشيخة الأزهر واعادة الشـــيخ المراغى اليهـــا .

ومن تلك الحوادث أيضا الاختلاف بين النحاس باشا رئيس الوزارة سنة ١٩٤٢ وبين رجال السراى حول الغاء القـــانون الخاص بحق الملك فى تعيين الرؤساء الدينيين أو عدم الغائه : النحاس باشا يرى أن القانون لا يزال قائما ويطلب اخراج الشيخ المراغى من مشيخة الأزهر بمقتضاه والسراى ترى أنه غير قائم منذ الغائه عند تعيين الشيخ الظواهرى وقد تم رفض طلب النحاس باشا فى اخراج الشيخ المراغى .

وفى تلك الأوراق أيضا ما قاله الملك فؤاد للشيخ الظواهرى عندما أراد تعيينه شيخا للجامع الأزهر فى أكتوبر سنة ١٩٢٩ عن طريق الأبراشى باشا الذى قال للشيخ الظواهرى أن جلالة الملك قد اختار فضيلتكم لتكون شيخ الجامع الأزهر الجديد وجلالته يعرف أن هذا المنصب كثير المتاعب ولكنه يعرف أيضا أن فضيلتكم خير من يزيل الصعاب فهو شديد الثقة فيكم ..

ومما يذكره الشيخ الظواهرى للتاريخ أن السلطان حسين كامل اختاره لرئاسة بعثة الحج وعندما دخل على السلطان يتلقى منه الأمر الملكى بذلك قال له بالحرف الواحد : يا مولاى انى صغير السن وقد أكون تبعا لذلك صغير العقل ولكنى مخلص لمولاى اخلاصا عظيما فهل يأذن لى فى الكلام بصراحة » .

فقال له السلطان : نعم فقال الشيخ الظواهرى « أن الناس يشيعون انكم سترسلون الى الحجاز من يبايع الشريف حسين بالخلافة فهل هذا هو الغرض الحقيقى من البعثة ؟ فقال السلطان حسين : أبدا وأنا لا أريد مطلقا الا تمثيل العلماء المصريين فى الحج وخاصة أن هناك دولا اسلامية أخرى أوفدت علمـاء لهذا الغرض ونبه الشيخ الظواهرى الى أنه قد تكون هناك مفاجآت ليست فى الحسبان تتسبب فى احراج مركز مصر ويقترح الشيخ الظواهرى على السلطان حسين العدول عن هذه الفكرة فقد يكون ذلك صوابا وبعـــد فترة استدعى

الشيخ الظواهرى لمقابلة السلطان مرة آخرى فوجده غضبان وبادره بقوله : انك لا تريد النصيحة بل نريد النخلص » .

ويذكر الشيخ أنه قال للسلطان اذا كان مولاى مصرا على تنفيذ هذه الفكرة يجب أن يكون الوفد من الشيوخ المسنين لا من مثلى ولا من مثل الشيخ الخضرى فقال السلطان مثل من ؟ فذكر له ، أسماء الشيخ النجدى والشيخ الطوخى والشيخ بخيت .

وظهرت أمارات الغضب على السلطان ويذكر الشيخ الظواهرى أن لفيفا من المشايخ قد استدعوا لمقابلة محمود شكرى باشا رئيس الديوان ولكنهم أدخلوا على السلطان خطأ فما كاد السلطان يراه من بينهم حتى قال له : لماذا أتيت ؟ أنه لا يجوز أن تكون فى بيتى ولو أستطيع رفض مقابلتك لفعلت ... نحن قد عرفنا ما عندك بالنسبة لنا » .

وسكت الشيخ والتفت السلطان الى بقية المشايخ الآخرين يسألهم عن رأيهم فى السفر الى الحجاز من يرشحون فاقترح بعضهم الشيخ عبد الرحمن عليش ثم اقترحوا غيره ـ ولكن الشيخ بخيت عندما سأله السلطان رأيه فيمن يرشحه لهذه المهمة قال أصلح عالم لهذه المهمة هو الشيخ الأحمدى الظواهرى وخرجنا من هذا اللقاء ـ الشيخ الظواهرى ـ وقد أشاع الشيخ بخيت أن السلطان غاضب على وأنه ينوى رفتى أو نقلى الى معهد صغير » .



وما أريد الاشارة اليه هنا فى هذا المدخل فيما يتعلق بموضوع الاقطاع التاريخى ووجوب محاربته هو أننا يجب أن ندرس حياة الشخصيات التاريخية اتفقنا معها فى الرأى أم عارضناها ولا ينبغى أيضا أن تبقى مثل هذه الشخصيات فى عالم النسيان .

ومن الشخصيات التى أرى أنها قد غبنت تاريخيا الى حد كبير ولم تلق الا النسيان شخصية الفدائى المصرى أحمد عبد الحى كيرة ..

وأحمد عبد الحى هذا كان من قدامى الفدائيين المصريين الذين لعبوا دورا هاما فى الحركة الفدائية المصرية قبل وفى أثناء ثورة ١٩١٩ .

لم يكن أحمد عبد الحى كيرة طالب الطب وقتذاك يبدو على مظهره ما يوحى بأنه من الفدائيين بل لقد كان مظهره يدل على العكس تماما فما من مرة قامت فيها مدرسة الطب أو المدارس العليا بمظاهرة الا وكان أحمد عبد الحى كيرة فى مقدمة الممتنعين عن المشاركة فى تلك المظاهرة الوطنية حتى لقد أطلق عليه بعض زملائه من قبيل السخرية لقب « ابن اللنبى » وذلك اشارة الى أنه انجليزى الميول والأهداف .

كان عبد الحى كيرة يشترك فى العمل الفدائى مع أحمد ماهر والنقراشى ويقوم بأعمال فدائية تتسم بالقوة وتتصف بالبطولة فلما انكشفت بعض أسرار الحركة الفدائية وكانت الحلقة التى تضم أحمد عبد الحى كيرة من الحلقات التى اكتشف أمرها بادر أحمد عبد الحى كيرة بالفرار من مصر بعد أن اتفق بعض زملائه مع ربان باخرة ايطالية على قبوله فيها مقابل ٢٠٠ جنيه .

ومما يجدر بنا أن نذكره أن قبطان الباخرة قال قبل يوم واحد من رحيل الباخرة أنه لا يقبض المبلغ المتفق عليه الا ذهبا .

ولما كان الوقت ضيقا فقد انتشر أصـــدقاء عبد الحى كيرة وزملاءه فى القاهرة والاسكندرية يستبدلون الورق بالذهب حتى اشترى بعضهم الجنيــه الذهبى بـ ١٥٠ قرشا .

وفى بضع ساعات سلم المبلغ الى القبطان وقبل ابحار الباخرة بنصف ساعة كان الطالب أحمد عبد الحى كيرة مختبئا فى حجرة من حجرات الباخرة بينما رجال البوليس والجواسيس يبحثون عنه فى كل مكان .

نزل عبد الحى كيرة فى أول ميناء ايطالى وحيدا مطاردا من القانون وبعد بضعة أيام شعر بحركات غير عادية حوله فأيقن أن السلطات الايطالية جادة فى البحث عنه ففر الى ألمانيا فورا وهناك انقطعت الموارد عنه فلم يكن يستطيع أن يبعث الى والده بعنوانه حتى يرسل اليه ما يحتاجه من مال ولم يكن هو بطبيعة الحال يستطيع أن يعطى أصدقاءه عنوانه فى ألمانيا خشية الوشاية به فقد خلع عبد الحى أحمد كيرة ثيابه الأنيقة وراح يشتغل بتقطيع الأخشـــاب من الغابات ليكسب ثمن الطعام ولا نقول المسكن لأنه قد اتخذ من الشـــوارع والحدائق مسكنا له .

وأحس بالجواسيس حوله فى ألمانيا فهرب الى تركيا على أمل أن تحميــه سلطات تركيا من البولس المصرى ولم تيأس السلطات الانجليزية فى مصر من اعادة أحمد عبد الحى كيرة الى مصر لمحاكمته على ما اقترفته يداه وأرسلت اليه العديد من الجواسيس الخبثاء يفتعلون صداقته مرة ويهددونه مرة أخرى وكان لتجربته فى العمل الفدائى تحت الأرض قادرا على كشفهم جميعا واحــدا وراء الآخر وعمل أحمد عبد الحى كيرة فى تركيـــا فى مجالات كثيرة ففتح مقهى بالاشتراك مع مصرى آخر ثم أغلقه هربا من الجواسيس ، عمل ممرضا فى أحد المستشفيات التابعة لمصلحة السكة الحديد ثم انتقل الى العمل فى مناطق أخرى من أجل لقمة العيش وقد كان مسدس أحمد عبد الحى كيرة لا يفارقه أبدا وكان دائما مستعد للانطلاق .

ونزل الخديوى عباس حلمى الثانى الى استانبول يحيط به العشرات من الجواسيس والبوليس السرى والعلنى وكان قد قيل له أن فى استانبول شابا مصريا يقيم على مقربة من قصره ينوى اغتياله وأن هذا الاغتيال هو ثمن العفو عن هذا الشاب من قبل السلطات البريطانية فى مصر التى اتفقت معـــه على العفو عنه واعادته الى مصر ان هو اغتال الخديوى عباس حلمى الثانى ٠

وعاش الخديوى فى جو من الرعب وضاعف من احتياطات الحراسة من حوله ومن حول قصره كما اعتمد على البوليس التركى لحمايته أيضا ولكن فى صبيحة أحد الأيام وبينما كان الخديوى جالسا فى حجرة مكتبه يطالع الصحف والبريد اذا بشاب ينتصب واقفا أمامه فسأله الخديوى : من تكون ؟أجاب ـ أحمد عبد الحى كيرة ـ تهالك الخديوى على مكتبـــه بعد أن فقد أعصابه وأيقن أن الموت على مقربة منه ٠

وأخرج الشاب أحمد عبد الحى كيرة مسدسه ورماه أمام الخديوى وهو يقول له : يارجل أنت فى قبضة يدى الآن : لســـت أعجز عن نيلك مهمـا اتخذت من احتياطات ٠

ثق أنه لم يخطر ببالى أن أفعل ما صوروه لك ٠ لقد كنت خديويا لمصر وأنت الآن بلا سلطة وما كان لى أن أحارب رجلا أعزل من كل سلاح ٠

ومضى أحمد عبد الحى كيرة بعد أن قام بتحية الخديوى السابق عبـاس حلمى الثانى ثم استعاد مسدسه ٠

وحاول الخديوى أن يتخذ فيما بعد من أحمد عبد الحى كيره صديقا أو سندا ولكن أحمد عبد الحى كيرة رفض أن ينشىء أية علاقة بالخديوى ٠

وقد كان الدكتور أحمد ماهر قد اعتقل فيما سمى بقضـــية الاغتيالات السياسية وكانت السلطات البريطانية فى مصر تريد تسليم رقبة أحمد ماهر الى المشنقة بأى ثمن ٠ ولما كان أحمد عبد الحى كيرة شريكا لأحمد ماهر فى أكثر من عملية فدائية وكانت شهادته وحدها تكفى لادانة أحمد ماهر والحكم عليه بالاعدام وبعثت الســلطات البريطانية فى مصر اليه فى تركيا برسول يجس نبضه لعله يعود الى مصر ويلقى بشهادته ضد أحمد ماهر ٠

وفشل الرسول ولحقه رسول آخر ـ وكان أحمد عبد الحى كيرة لا يجد قوت يومه الا بشق الأنفس وكانت ثروة أبيه قد ضاعت وكانت أمه حزينـة لغيابه عن مصر وعدم استطاعتها رؤيته ٠

وكان والده قد أضاف عشرات السنين الى شيخوخته بســـبب الظروف القاســـية التى يعيشـــها ابنه فى الغربة وراح الرســـول الانجليزى الكبير

يتفاوض مع أحمد عبد الحى كيرة وقد وضع أمام عينيه كيسا من النقود فيه عشرة آلاف جنيه يضاف اليها ضمان العفو والعودة الى الوطن والتخلص من آلام الاغتراب والاضطهاد وكان الثمن أن يكون أحمد عبد الحى كيرة واحدا من شهود الاثبات ضد الدكتور أحمد ماهر ·

ورفض أحمد عبد الحى كيرة وعاد الموظف الانجليزى الكبير يضاعف العرض وهو أربعون ألفا من الجنيهات ولكن الشاب المصرى أحمد عبد الحى كيره آثر الاضطهاد والغربة والفقر والعذاب ورفض أن يقول كلمة واحدة ضد أحمد ماهر :

وفى عام ١٩٣٥ اغتيل أحمد عبد الحى كيرة فى تركيا وبكل أسف شديد لم تتحرك المفوضية المصرية فى الآستانة لمتابعة التحقيق والبحث عمن اغتالوا أحمد عبد الحى كيرة وذلك بدعوى أنه يحمل الجنسية التركية ·

وأغرب ما فى الأمر أن جريدة كوكب الشرق التى كان يرأس تحريرها الدكتور أحمد ماهر كانت الجريدة الوحيدة التى لم تنشر كلمة رثاء فى الفقيد أحمد عبد الحى كيرة الذى أنقذ أحمد ماهر من حبل المشنقة ! ·



وقبل أن أختتم هذا المدخل الذى طال أكثر مما ينبغى أحب أن أشير الى رؤوس الموضوعات التى ضمنها الجزء الأول والثانى من سنوات ما قبل الثورة حتى تكون حلقات البحث متصلة أمام القراء الأعزاء ·

أشير الى أن الجزء الأول من سنوات ما قبل الثورة قد تحدث عن صدقى باشا وسنوات حكمه الرهيبة وحادث البدراوى وما أعقبه من استقالة الوزارة وصحافة الشعب التى أسقطت ديكتاتورية اسماعيل صدقى والمقالات التى دفعت بكتابها الى السجون وانهيار نظام اسماعيل صدقى من الداخل وكيف أن صدقى باشا كان أول حاكم يرتكب جريمة اعتقال المرأة فى مصر ويأمر باعلان حالة الطوارىء ليمنع تأبين عمر المختار ·

وقد تحدثنا فى الجزء الأول من سنوات ما قبل الثورة عن تسليم واحة جغبوب وعن دور الكلمة والفكرة والشعر والزجل فى اسقاط ديكتاتورية اسماعيل صدقى كما تحدثنا عن وراثة عبد الفتاح يحيى باشا الساعد الأيمن لصدقى باشا لحزب الشعب والوزارة وكيف انقلب الساعد الأيمن لصدقى باشا على صدقى باشا نفسه ·

كما تحدثنا عن اتصال الوفد بالانجليز والسراى لاستبدال عبد الفتاح يحيى بتوفيق نسيم ·

وفى نفس الوقت خصصنا فصولا عديدة عن « اسماعيل صدقى وعبد الفتاح يحيى ووزراؤهما فى قفص الاتهام » وقضاة مصر ومحاموها مفخرتان

لمصر كما تحدثنا عن شيخ المحامين ابراهيم الهلباوى وجورج فليبيدس منشىء البوليس السياسى فى مصر ٠

وقد خصصنا الباب الرابع من الجزء الأول من سنوات ما قبل الثورة عن مقدمات ثورة ١٩٣٥ وأحاديثنا مع زعماء تلك الثورة وعن القمصان الزرقاء والخضراء وقد أتحنا الفرصة لكل شباب الوفد ومصر الفتاة لابداء الرأى فيما حدث فى تلك الفترة ٠

أما الفصل الخامس فكان عن « العقاد يفتح النار على النحاس ومكرم ومعركة التمهيد للمفاوضات المصرية والبريطانية وبداية معركة الانتخابات والانقسامات الداخلية ، كما تحدثنا فى هذا الفصل أيضا عن الثورة الفلسطينية وصداها فى مصر وخصصنا الباب السادس والسابع والثامن لفصول عديدة عن الملك فؤاد ومجلس الوصاية الذى حكم مصر بعد وفاة الملك فؤاد وثورة الجهاد عام ١٩٣٥ واجبار الشباب زعماء البلاد على الاتحاد فى جبهة واحدة والغاء دستور ١٩٣٦ واعادة دستور ١٩٢٣ ووزارة المائة يوم التى ألفها على ماهر ٠

أما الجزء الثانى من سنوات ما قبل الثورة فقد خصصناه لانتخابات ١٩٣٦ ووزارتى النحاس باشا الثالثة والرابعة والصراع بين القصر والوفد ووزارة محمد محمود باشا والانشقاق الذى حدث فى الحزب الوطنى بسبب اشتراك رئيسه حافظ رمضان فى وزارة محمد محمود باشا ٠

وفى هذا الجزء تحدثنا بافاضة عن مصر والقضية الفلسطينية ، مصر وقضية الوحدة العربية وعن أول مؤتمر نسائى دولى فى القاهرة برئاسة السيدة هدى شعراوى لنصرة القضية الفلسطينية وشارك فيه ممثلات عن المرأة فى كثير من الأقطار العربية والاسلامية ٠٠

وقد حرصنا فى هذا الجزء على أن نهتم ببعض القضايا الاجتماعية والفنية مثل معركة توفيق الحكيم مع المرأة المصرية وادعاء أحدهم الزواج من أم كلثوم وقضية هذا الادعاء فى المحاكم الى جانب قضية الراقصة امتثال فوزى وعلاقتها بالامتيازات الأجنبية فى مصر ٠

وفى الأبواب : الخامس والسادس والسابع والثامن من الجزء الثانى أفضنا فى الحديث عن الأزمة السياسية التى تعلقت بمزرعة الجبل الأصفر وعن عزيز المصرى مفجر الأزمات وعن المعركة العنيفة التى خاضها محمد محمود باشا ضد الأمراء والنبلاء بسبب منع أحد الباشوات الفلاحين من دخول نادى محمد على كما تحدثنا بافاضة عن العقبات التى وضعها على ماهر باشا رئيس الديوان الملكى ضد محمد محمود باشا رئيس الوزراء وقتئذ وكيف تمكن على ماهر باشا من أن يخلف فى رئاسة الوزارة محمد محمود باشا ٠

وقد تحدثنا أيضا فى هذه الأبواب عن اقالة طلعت حرب من رئاسة بنك مصر ارضاءا للسراى ٠

ثم تحدثنا باقاضة عن الحرب التى بدأت بين الانجليز وبين على ماهر وعن المعارك بين السعديين والأحرار الدستوريين حول رئاسة مجلس النواب وعن هجوم الوفد على الانجليز وعلى على ماهر باشا ٠

وقد حرصنا فى الجزء الأول كما حرصنا فى الجزء الثانى كما حرصنا فى الجزء الثالث على نشر كل الآراء التى وصلتنا حول ما نشرناه عن سنوات ما قبل الثورة حتى ولو كانت هذه الآراء تحمل الينا الانتقادات المرة بل تحمل العديد من الشتائم والسخائم ٠

لقد أردنا لأول مرة أن يكتب الشعب تاريخه بنفسه وأن يشارك أبناؤه فى التعليق على كل ما يريدون التعليق عليه فيما يتعلق بأحداث التاريخ ٠

وننشر فى هذا المدخل مجموعة من الوثائق تنشر للمرة الأولى بل أكاد أجزم أنها لم تر النور من قبل الا فى هذا الكتاب بل ويمكن أن نقول أنه قد لا يوجد منها نسخة أخرى ضمن وثائق قصر عابدين ٠

لقد كانت تلك الوثائق أجمل هدية تلقيناها من المستشار أحمد سميح طلعت وزير العدل السابق رحمه الله ونجل عبد الوهاب طلعت باشا رئيس الديوان الملكى بالانابة فى فترة من أحلك فترات التاريخ فى مصر ٠

عبد الوهاب طلعت الذى أصر الانجليز على اخراجه من الديوان الملكى لأنهم كانوا يجدون فيه عدوا شديد المراس وقد انصاع فاروق لارادتهم فأخرجه من الديوان ٠

وفيما يلى الوثائق الهامة التى يسعدنا نشرها للمرة الأولى ونحتفظ بحقوق نشرها ٠

أولا : مذكرات عن أخطاء ارتكبها النحاس باشا فى وزارته الرابعة [١٩٣٧] مقدمة الى الملك من عبد الوهاب طلعت باشا وبخطه :

١ ــ **تعمد تغيير يمين الضباط** وقت حفلات التتويج على وجه من شأنه أن يزج بالجيش فى الشئون السياسية الداخلية وعدم عرض صبغة اليمين الا وقت تأديتها لوضع جلالة الملك أمام الأمر الواقع ٠

٢ ــ **عدم رعاية الحق الدستورى لجلالة الملك** فى تعيين الوزراء وتجاهل واجب اللياقة ومقتضيات العرف عند تشكيل الوزارة باختياره الوزراء واعدادهم فى منزله استعدادا للتشرف بمقابلة جلالة الملك قبل أن يعرض أسماءهم على جلالته مبدئيا للموافقة عليها فلما لم يوافق جلالة الملك على أحد الأسماء شطبه رئيس الوزارة بنفسه من جوابه المرفوع للسدة الملكية وانتهى الأمر على ذلك

حاول بطرق لا تتفق مع حسن الكياسة حمل جلالة الملك على تعيين هذا الإسم وزيرا فلما لم يفلح ألح فى تعيينه وكيلا برلمانيا كما كان فوافق جلالة الملك مجاملة لرئيس حكومته ٠

٣ ــ مجلس الدفاع الأعلى :

لما عرض على العتبات الملكية مشروع القـــانون الذى أقره البرلمان خاصا بانشاء مجلس الدفاع الأعلى وهيئة أركان الحرب ــ هذا المشروع الذى لقى قبل تقديمه للبرلمان معارضة مبدئية ومناقشة طويلة من مجلس الوصـــاية للوزراء حرصا على حق جلالة الملك بصفته القائد الأعلى للجيش ــ لم يشأ جلالة الملك رفض توقيعه فى الوقت الذى أولى فيه رفعة النحاس باشا غالى ثقته فشرفه مولاى بالتوقيع السامى وأمر أحد رجال حاشيته بالاتصال برفعة النحاس باشا وابلاغه الرغبة السامية فى تعيين كبير الياوران عضوا فى هذا المجلس (وقد جاء فى المادة الثانية أنه يجوز أن يضم الى هذا المجلس عضوا أو عضوان بمرسوم ويكون التعيين لمد سنتين) ٠

ومع أنه أبلغت هذه الرغبة السامية الى رفعته يوم تشكيل الوزارة فى سراى القبة العامرة وذكر مرة بها فانه لم يتقدم بشىء للآن ٠

عدم احاطة جلالة الملك بأعمال مجلس الدفاع :

٤ ــ جلالة الملك بحكم كونه القائد الأعلى للقوات البرية والبحرية يجب أن يحاط علما بكل شىء يتعلق بالجيش ومع أن جلالته طلب الى النحاس باشا أن يحيطه بكل ما يعرض على مجلس الدفاع الأعلى الا أن السراى لا تعلم من أمر هذا المجلس الا ما تنشره الجرائد المحلية ومع تذكير رفعته بذلك غير مرة فانه لم يعمل على تحقيق هذا الطلب ٠

عدم ابلاغ جلالة الملك المسائل الهامة فى الوقت المناسب :

٥ ــ اصدار قرارات من مجلس الوزراء فى مسائل هامة ونشرها فى الجرائد ومضى بضعة أيام دون تبليغها لجلالة الملك مما حدا بجلالته أن يبعث بكبير أمنائه الى رفعة النحاس باشا لتوجيه نظره الى ذلك كما حدث فى مسألة مؤتمر البحر الأبيض المتوسط ٠

٦ ــ **عدم رعاية حق جلالة الملك فى رياسة مجلس الوزراء** وذلك بنظر مسائل كثيرة غير مستعجلة يوم الجلسة لم تكن واردة فى الجدول رغم التحدث مرارا مع رفعة الرئيس بأن يرسل المسائل قبل نظرها بثمان وأربعين ساعة

وتوجيه نظر وزير المالية من جلالة الملك شخصيا الى ذلك لكي يتسنى لجلالته استعمال حقه في رياسة المجلس عند وجود مسائل هامة من ذلك عدم تبليغ تقرير لجنة الاصلاحات فى الحجاز المقدم للوزارة فى ١٣ يوليه سنة ١٩٣٧ الا يوم نظر هذه المسألة بالمجلس في ١٩٣٧/١٠/١١ وبعد أن طلبه من رفعة الرئيس .

٧ ـ القمصان الملونة :

تقدمت شكاوى الى جلالة الملك من جهات متعددة عن خطر أصحاب القمصان واعتداءاتهم على حرية الناس وأمنهم وأن وجودهم لا يتفق وأحكام الدستور وأنه لو ظلت حالهم كما هي الآن فسيكونون شرا مستطيرا على البلاد .

ولما أشار جلالة الملك على رئيس حكومته بحل الفرق الوفدية وأطلعه على القانون الذى سن فى انجلترا مهد الديموقراطية وأعرق الأمم الدستورية باسم Public irder Bill فبدلا من العمل على تحقيق هذه الرغبة التى قصد بها وقاية النظام الاجتماعى من حوادث الشغب ذهب رفعة النحاس باشا فى احدى خطبه الى امتداح هذه الفرق والدفاع عن كيانها .

مسألة المهندس البحرى وانكار حق الملك فى تعيين موظفى حاشيته :

٨ ـ تصرفه تصرفا أخطأه التوفيق فى مسألة المهندس البحرى باستصداره قرارا من مجلس الوزراء فيها قبل أن يتم التفاهم على ما أثير حولها من مناقشة مع ان هذا المهندس عين فعلا فى وظيفته من ١٩٣٦/١٠/١٠ فلم تعرض مسألته على اللجنة الحكومية الا فى ١٣ يوليه سنة ١٩٣٧ ولم يعرض قرار اللجنة على مجلس الوزراء الا فى ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٣٧ وحسبك هذا دليلا على أن المسألة لم تكن من الاستعجال بحيث لا يمكن ارجاؤها الى أن يتم التفاهم عليها بسبب ما وجه نظرهم اليه من سابقة عرضها على مجلس الوصاية الموقر صاحب الحق فى ذلك وموافقته على التعيين .

وتلكؤه فى تنفيذ ما طلبه جلالة الملك من أخذ رأى لجنة قضايا الحكومة فى ذلك وفى تبليغ رأى اللجنة .

وظهر من سير المناقشات التى دارت مع رفعته الميل الى انكار الحق المخول لجلالة الملك فى تعيين موظفى حاشيته وفى تجاهل مدى المرسوم الصادر فى ٨ فبراير سنة ١٩٢٥ رغم أنه أصبح مصطلحا دستوريا فى كل الوزارات التى تعاقبت على الحكم ومنها وزاراته الثلاث الأولى .

٩ ـ **مسألة تعيين دولة رئيس الديوان** وموقف رئيس الحكومة من ذلك فى البداية والنهاية مما هو قريب للأذهان وتحدثه الى وفدى المنيا والقليوبية بأحاديث لا تتفق وما يجب من رعاية لجلالة الملك .

١٠ _ **مسألة تعيين أعضاء مجلس الشيوخ** وعدم رعايته لحق جلالة الملك فى ذلك واخلاله بقواعد تمتبل الكفايات فى المجلس رغبة فى الاكثار من أنصاره بدون رعاية للكفايات مع أن حكمة تعيين الأعضاء فى مجلس الشيوخ هى لرعاية هذا الغرض ٠

١١ _ **مسألة الرتب والنياشين** ورغبة رئيس الحكومة فى الحد من سلطة جلالة الملك التى يتمتع بها بموجب الأوامر المعمول بها والتى لا تتنافى مع قواعد الدستور ٠

١٢ _ **تجاهل نظام التشريفات فى عيد الفطر** وذلك باصدار تعليمات للمديرين والمحافظين بعدم حضورهم هم والأعيان خلافا لما جرت عليه التقاليد من قبل ٠

١٣ _ **تعمد الصلاة فى مساجد غير التى يتوجه اليها جلالة الملك** واحاطة ذلك بمظاهر لا تتفق وواجبات اللياقة ٠

١٤ _ **تعمد عدم الحضور ليلة القدر** هو والوزراء مع انهم دعوا الى ذلك وتأجلت جلسة البرلمان الى الساعة التاسعة لهذا الغرض ٠

١٥ _ **اخراج العمال يوم تشريف جلالة الملك عاصمة ملكه ويوم افتتاح** البرلمان مسلحين بأدوات من المصالح الحكومية التابعين لها بقصد الاعتداء على كل من يهتف بحياة جلالة الملك دون النحاس باشا ٠

١٦ _ **اصدار أوامر للبوليس بتشتيت كل مظاهرة** يكون الهتاف فيها قاصرا على جلالة الملك وعدم التعرض للمظاهرات التى تهتف للنحاس باشا ٠

١٧ _ **الاكثار من القاء الخطب والتشدق فيها بسلطة الأمة والدستور** فى غير مناسبة بقصد بث **شعور خبيث فى الجمهور** ضد جلالة الملك ٠

١٨ _ السير بالأداة الحكومية الى الاستئثار بالحكم ٠

ثانيا _ ملخص

مسألة الصلاة فى الأزهر

(فى يوم الجمعة التالى ليوم مباشرة جلالة الملك سلطته الدستورية)

لما كان اليوم التالى لليوم الذى يحلف فيه جلالة الملك اليمين الدستورية قبل مباشرة سلطته هو يوم جمعة رؤى أن يؤدى جلالته صلاة الجمعة فى جامع كبير له تاريخ مجيد كالجامع الأزهر حيث يخطب الأستاذ الأكبر خطبة الجمعة المناسبة للحال كما يجرى فى المساجد التى يغشاها جلالة الملك لتأدية فريضة الجمعة ٠

فما كان من رفعة النحاس باشا الا ان أبدى معارضة فى ذلك بحجة ان الصلاة فى الأزهر عقب حفلة التوليـة من شأنهـا صبغ هذه الحفلة بالصبغة الدينية والاشعار بأنها تتمة لأجراءات التولية خصوصا بعد المقدمات التى ذكرت فى الجرائد بصدد اقامة حفلة دينية لهذا الغرض ٠

وطلب رفع التماسه رجاء ان يعدل جلالة الملك عن الصلاة فى الأزهر فى هذا اليوم منعا لكل تأويل وقال ان اجابة جلالة الملك رجاءه هذا فيه شد لأزره وتقوية لحكومته وفت فى عضد المعارضة والا فانه اذا أصر جلالة الملك على الصلاة فى الأزهر فانه يضطر للتخلى عن الحكم قبل ان تتم حفلات التولية ٠

ولما سئل رفعته اذا كان له اعتراض على الصـلاة فى جامع عمرو بدلا من الأزهر كان رده ان جامع عمرو له نفس المعنى الدينى ولذلك فانه يرجو اختيار مسجد آخر غير هذين الجامعين وأتسيح وقتئـذ أنه طلب أن لا يكون الخطيب شيخ الجامع الأزهر ٠

وكان جلالة الملك لايزال فى أوروبا فرأى بحكمته السامية ارضاء لرئيس حكومته ان يبلغه بواسـطة أحد كبـار حاشيته انه مع عدم اقتنـاعه بوجاهة الاعتراض على الصلاة فى الأزهر فان جلالته اكراما لخاطر رئيس حكومتـه واجابة لرغبته قد رأى ان تكون الصلاة فى جامع الرفاعى ٠

وقد طلب رفعة النحاس باشا ان يطلع على الخطبة التى سيلقيها الخطيب فأجيب الى طلبـه مع ان جامع الرفـاعى بمستخدميه تحت اشراف الأوقاف الملكية دون غيرها وهذا يدل دلالة قاطعة على مبلغ التدخل غير اللائق من جانب رئيس الحكومة فى هذا الأمر وكيف سـايَر جلالة الملك رئيس حكومته فى رغباته الى أبعد حد ٠



ثالثا : البرقية المرسلة الى سعادة نشـأت باشا لتبليغ الرسالة الملكية الى جلالة الملك جورج (١٨ يونيو ١٩٤٠) ٠

حسن نشأت باشا : الرسالة البرقية الآتية ترفعونها بنفسكم الى جلالة ملك بريطانيا من قبل جلالة مولانا الملك مع رسالة شفوية من جلالته تعبر عن أصدق التحيات وأخلص التمنيات لجلالة الملك جورج السادس ٠

« طلب سفير جلالتكم عند مقابلتى اليوم احداث تغيير عاجل فى الوزارة الحاضرة وصحب هذا الطلب بعبارات تهديدية وخارجة عن حد اللياقة ٠ وانى مع تقديرى لظروف بريطانيا العظمى وتمنياتى الصادقة لخيرها أجد من الصعب أن أسلم بطلب كهذا فيه تدخل صريح فى طريقة حكم البلاد وفيه أكبر المساس بالحقوق التى طالما ناضلت من أجلها بلادى وسلمت بها بريطانيا العظمى فى المعاهدة التى عقدت بينها وبين مصر ٠

على ان الخطة الودية التى اتخذتها حكومتى فى الظروف الحاضرة وأيدها البرلمان بمجلسيه تعبر أصدق تعبير عن روح الشعب المصرى بأكمله كما أن حكومتى تمضى بكل اخلاص فى تنفيذ ما تقتضيه المعاهدة بما يتفق ومصلحة البلدين ٠

ولا يخالجنى شك فى أن جلالتكم ترون أن ليس من مصلحة بريطانيا نفسها أن تظهر فى مصر بتدابير من شأنها دفع البلاد الى قلاقل لاتعرف نتائجها٠

ولقد كان يودى لو أن مصر تمكنت من عهد بعيد من اعداد جيش عظيم كامل العدة يكون عاملا ذا أثر فى الحرب الحاضرة ٠

ويسرنى أن أتلقى من جلالتكم ما يؤيد حسن العلاقات الودية ويتفق مع المساعدات التى تبذلها مصر لبريطانيا عن طيبة خاطر ٠

واغتنم هذه الفرصة لأؤكد لجلالتكم عظيم اخلاصى وثابت مودتى ٠

رابعا : البرقية الواردة من نشأت باشا الخاصة برفع رسالة جلالة مولانا الملك الى جلالة الملك جورج ٠

لندرة فى ١٩ يونيه ١٩٤٠ ٠

حضرة صاحب المعالى رئيس ديوان جلالة الملك ـ القاهرة ٠

عملا ببرقيتكم الصادرة فى ١٨ من الشهر الحالى قد قابلت جلالة الملك جورج مدة خمس وعشرين دقيقة وكان ذلك فى الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم فى بكنجهام ٠

وقد أبلغت جلالته أمانى حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم ، له ولجلالة الملكة ، كما أبلغته التأكيدات الخاصة بصدق معاونة مصر لحليفتها وسلمت جلالته نصا كاملا للرسالة لأنى لم أستطع أن أنتظر اجابتكم على برقيتى المرسلة صباح اليوم ٠

ولما قرأ جلالة الملك الرسالة بأكملها أمامى استأذنت فى شرحها اجمالا ٠

وقال جلالته اننا كنا دائما أصدقاء نعمل سويا وأنه يجب أن نكون كذلك فى هذه الحالة الخاصة ٠

وبعد حديث طويل عن حالة مصر وعن الحالة الدولية قال جلالته عند انصرافى :

« سأرسل برقية الى جلالة الملك فاروق ولكم أن تبلغوه تمنياتى وأن تقولوا له انى سأفضى برسالته الى حكومتى وانى أتعشم أن تظل المعاونة الوثيقة قائمة بين بلدينا » ٠

ومما يهمكم معرفته انى ألححت لدى جلالته على ترك مسألة اعلان مصر للحرب جانبا الى اليوم الذى يتوغل فيه الايطاليون فى البـلاد لأن المصريين يوقنون عند ذاك أنهم يحاربون فى سبيل قضيتهم الشخصية أما ان دفعت مصر الى اعلان الحرب قبل الأوان فان المصريين قد يذهب بهم الظن الى أنهم يحاربون فى سبيل القضية الانكليزية وحدها .

تقبلوا تحيـاتى

السـفير

خامسا ـ مذكرة

بشأن مقابلة عبد الوهاب طلعت باشا

لحضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا

بكفر عشما ، فى يوم الأربعاء ٢٦ يونيه ١٩٤٠

توجهت لمقابلة رفعة مصطفى النحاس باشا ، بكفر عشما ، فى السـاعة الخامسة والنصف من بعد ظهر يوم الأربعاء ٢٦ يونيه ١٩٤٠ .

ولما اجتمعت به وذكرت له كيف ان رأيه يختلف اختـلافا بينا عن آراء بعض الأحزاب الأخـرى ، وسـألت رفعتـه عن اقتراحاته من الوجهـة العملية ، فأجاب :

اذا أخذ بفكرة الوزارة المحايدة ، يكون العمل كما يأتى :

١ ـ تتألف الوزارة ، رئيسا وأعضاء ، من محايدين .

٢ ـ هذه الوزارة يرضى عنها جميع الأحزاب أو من يرغب من الأحزاب .

٣ ـ يسند هذه الوزارة من يرغب فيهـا من الأحزاب ، ويداومون الاجتمـاع لمساعدتها فى تصريف الأمور وفى مراقبتها .

٤ ـ تمهد الوزارة للانتخابات الحرة .

ولا بأس من ترك البرلمان فى عطلة من غير اجتماع الى الوقت الذى يرغب فيه فى اجتماع البرلمان ، فيحل مجلس النواب عندئذ وقبل اجتماع البرلمان . وعلى أى حال يحصل الحل قبل بداية الدورة المقبلة بشهرين .

٥ ـ **الوزارة المحايدة وكيف تشكل**

رئيس الوزارة ، يصح ان يكون سعادة سيف الله يسرى باشا ، لأنه قد يرضى على ما أعلم بعض الأحزاب .

وسألت رفعته : « اذا ما رؤى تكليف رفعتكم بتأليف الوزارة ، فما رأى رفعتكم فى ذلك ؟ » • فأجاب :

مع شكرى الوافر على هذه الثقة ، فانى أسمح لنفسى بالاعتذار عنها للأسباب الآتية :

أولا : لأنى أقصد حقيقة الى وحدة الأمة فى هذه الظروف الدقيقة ، ولا يتيسر الوصول الى هذا الغرض بكونى أتولى الوزارة لأن فى هذا التكليف اغضاب لبعض الآخرين من الأحزاب ان لم يكن لجميعهم •

ثانيا : لأنى لا أستطيع العمل فى الظروف الحاضرة مع أدوات الحكم (وأقصد الموظفين الذين تركزت أداة الحكم فيهم فى اقامة هذا الانقلاب من وقت اقالتى الى الآن فى جميع المصالح العمومية برفت كل من كان يعتبر ان ميوله وفدية أو انه يمت الى بصلة قرابة أو نسب أو مصاهرة أو بمبدأ وفدى ، واحلال غيرهم محلهم ، أو بترقية الآخرين ترقية استثنائية وسيلة لكسب معونتهم لمن خلفونا فى الحكم وبغضهم لنا ، أو بركن الآخرين من الفريق المنقول بأنه منسوب لنا واحتضان غيرهم ، أو بنقل الفريق الأول من المراكز الهامة واحلال غيرهم محلهم ••• الخ) •

وفى هذه الظروف تكون مهمة الحكم على شاقة وغير مجدية • ولا أريد كما قلت فى اجتماع قصر عابدين ، ان أحدث انقلابا فى الظروف الحاضرة ، حتى أستطيع الحكم مع رجال يخلصون لى وللملك وللوطن ، لأنى ان أقدمت على هذا الانقلاب أبعدت عنى جميع الأحزاب تقريبا ، فضلا عن ان حالة الحرب التى هى على الأبواب لا تتطلب ذلك •

فمن الحكمة اذن ، ان يتولى الأمر وزارة محايدة كما قلت ، وهى تستطيع ان تعمل مع هذه الأداة ، أى اداة الحكم ، بقدر الامكان ، الا ما تأخذ عليه اخلاله بوظيفته فى عمل هذه الوزارة المحايدة معهم • وبذلك يكون الجميع مطمئنين الى العمل معها لمصلحة البلاد •

ولما طلبت الى رفعته رأيه فيما اذا رأى مولاى ان لا مندوحة من تكليفه بالوزارة ، أجاب رفعته :

اذا كنت أوافق ، سأستسمحه فى عمل كل التغييرات — (كان الملك دخل فى الوسط) • ثم قال ، انه فى خدمة مولانا على الدوام •

سادسا : محضر مجلس الوزراء بجلسته المعقودة فى ١٩ سبتمبر ١٩٤

عقد المجلس برياسة حضرة صاحب الدولة حسن صبرى باشا رئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية والخارجية ، بديوان الرياسة فى يوم الخميس ١٩ سبتمبر سنة ١٩٤٠ الساعة الواحدة بعد الظهر ، وبحضور جميع حضرات أصحاب المعالى الوزراء ٠

بيانات دولة الرئيس بعد مقابلاته للسفير البريطانى والجنرال ولسون :

ذكر دولة الرئيس انه علم فى يومى ١٧ و ١٨ سبتمبر الجارى من السفير البريطانى والجنرال ولسون أن الايطاليين قد استولوا على السلوم وسيدى برانى ٠ وان هذه خطة وضعتها القيادة العليا البريطانية لاستدراجهم من طرابلس والتمكن من ضربهم وايقاع الخسائر بهم ٠ وقد نجحت هذه المناورة البريطانية كما قدر لها عند وضعها ٠ فقد وصل الى سيدى برانى حوالى ٧٠ ألف ايطالى بمعداتهم الحربية فتلقاهم هناك الاسطول البريطانى والطائرات البريطانية بنار حامية فكانت خسائر الطليان فادحة ٠ وهم الآن داخل الحدود المصرية وبينهم وبين مراكزهم الأصلية فى طرابلس التى يستمدون منها الماء والذخائر والمدد مسافة تزيد على ١٢٠ كيلومترا تهددها الطائرات والأساطيل البريطانية فى كل وقت ٠

وقال دولته أن السفير والجنرال ولسون كانا فى حالة عظيمة من الغبطة والتهلل والتفاؤل بسبب النتائج التى تمت للآن ٠ حتى ان السفير نفسه لم يستطع ان يكتم هذه الحالة عند خروجه من دار الرياسة فاستدعى الصحفيين وأطلعهم على ما يشعر به هو والجنرال ولسون من الغبطة والسرور لنجاح المناورة البريطانية ٠ كما ذكر دولته انه علم من السفير ان قطعا كبيرة من الأسطول البريطانى قد انتقلت من بحر الشمال الى البحر الأبيض المتوسط فتضاعفت قوة أساطيل الحليفة فى هذا البحر ٠ بل لعل البحر الأبيض لم يشهد فيما مضى مثل هذه القوات البحرية الكبيرة ٠

وعلم دولته كذلك ان ذهاب السفير الى السويس فى الاسبوع الماضى لم يكن لصيد السمك كما اذيع فى حينه وانما كان لاستقبال عشر سفن بريطانية وصلت فى حراسة قافلة بحرية وكانت كلها ملأى بالجنود والذخائر ٠ فقد وصل حوالى ٣٠ ألف جندى وكان من ضمن السفن سفينة كبرى حمولتها ٣٢ ألف طن ٠

وهنا ذكر دولته أنه بالاتفاق التام بين السلطات المصرية والبريطانية العسكرية قد سحبت القوات المصرية من مرسى مطروح الى منطقة خلفية وصلت محلها بعض القوات البريطانية التى وصلت آخيرا ٠

بيانات دولة الرئيس بعد مقابلته للدكتور احمد ماهر باشا :

ذكر دولته ان الدكتور أحمد ماهر باشا قابله صباح اليوم وتقدم اليه بطلبين :

الأول : ان يوافق على عقد البرلمان فورا نظرا للحوادث التى جدت على حدود مصر الغربية باستيلاء الايطاليين على سيدى برانى •

الثانى : ضرورة بحث ما اذا كان قد آن الأوان لدخول مصر الحرب تنفيذا لقرار البرلمان بعد ما توغل الايطاليون فى الأراضى المصرية مسافات بعيدة •

وقال دولته انه لم يوافق على الطلب الأول لأن الحوادث التى يشير اليها الدكتور ماهر باشا هى باعتراف الانجليز أنفسهم مجرد مناورة لاخطر فيها على مصر والمناورات كثيرة فى الحروب فلا معنى لدعوة البرلمان عند وقوع كل مناورة •

وفيما يختص بالطلب الثانى صرح دولته انه يرى انه لم يحن الوقت بعد لتنفيذ قرار البرلمان الذى يشير اليه الدكتور ماهر باشا • اذ لم يجد جديد يستدعى الرجوع الى المجلس بشأنه فضلا عن أن الاجماع معقود على ضرورة تجنيب مصر ويلات الحرب وكوارثها ما استطعنا الى ذلك سبيلا •

مناقشة موقف مصر ازاء الحرب :

ثارت فى المجلس بعد ذلك مناقشة طويلة حول ما يجب ان يكون عليه موقف مصر ازاء التطورات الأخيرة التى وقعت فى الصحراء الغربية •

وأسفرت المناقشة عن رأيين مختلفين متعارضين :

ـ رأى يقضى بأن الوقت قد حان لان تتخذ الحكومة قرارا حاسما بدخول الحرب الى جانب الحليفة بعد أن توغل الطليان فى الأراضى المصرية ١٢٠ كيلومترا •

ـ ورأى يقضى بانه ليس من مصلحة مصر الآن ان تعلن انها فى حالة حرب مع ايطاليا لأن ما حدث هو مجرد مناورات حربية باعتراف الحليفة نفسها•

تكلم فى تأييد الرأى الأول أصحاب المعالى محمود فهمى النقراشى باشا ومحمود غالب باشا والأستاذ ابراهيم عبد الهادى بك وعلى أيوب بك وأحمد عبد الغفار بك •

وتكلم فى تأييد الرأى الثانى دولة الرئيس وأصحاب المعالى محمد حلمى عيسى باشا ومحمود فهمى القيسى باشا ومحمد حافظ رمضان باشا ومحمد حسين هيكل باشا والأستاذ عبد المجيد ابراهيم صالح بك •

تتلخص حجج أنصار الرأى الأول فى ان على مصر واجبين :

– واجب تحتمه المعاهدة وهو يقضى بأن تقدم مصر داخل حدودها كل المساعدات الممكنة التى تطلبها الحليفة منها فى وقت الحرب • وقد أدت مصر هذا الواجب على أكمل وجه باعتراف الحليفة نفسها •

– وواجب يحتمه الشعور الوطنى وهو يقضى بأن تنهض مصر للحرب تدافع عن أراضيها اذا ماهجمها عدو مغير • وقد أظهرت حوادث الاسبوع الأخير ان الطليان (رغم تصريحات موسيلينى فيما يختص بنياته السلميه نحو مصر واليونان وبقية ممالك البحر الأبيض) قد توغلوا فى الأراضى المصرية حوالى ١٢٠ كيلومترا واحتلوا السلوم وسيدى برانى • ابلغ عدد قواتهم المغيرة سبعين ألفا أو يزيدون • وان هذه حالة لايجوز ان تعتبر مجرد مناورة حربية • اذ هى فى الواقع غزو متعمد لمصر • والعهد بالمناورات ان تكون القوات فيها قليلة العد وتكون المسافات فيها قصيرة ترتد منها القوات المغيرة الى مواقعها الأصلية بعد اتمام مهمتها • وليس الأمر كذلك فى الحالين • واذا كان الانجليز يذكرون ان هذه مناورة دبروها فقد تنقلب عليهم هذه المناورة والحرب محال• انما الواقع الذى لاشك فيه ان الطليان قد توغلوا مسافة ١٢٠ كيلومترا فى الأراضى المصرية فليس من المعقول ولا من المقبول والحالة هذه ان يقع ذلك الاعتداء ونترك الانجليز يتولون وحدهم الدفاع عن مصر ويظل المصريون واقفين مكتوفى الأيدى كأن شيئا خطيرا لم يقع ولا يعنى مصر فى كثير أو قليل• واذا كانت مصر لاتتخذ قرارا حاسما الآن وتهب للدفاع عن أراضيها مع جيوش الحليفة وتدخل الحرب بعد ان توغل الطليان فى الأراضى المصرية هذه المسافات البعيدة ، فمتى تدخل مصر الحرب تنفيذا لقرار البرلمان واجابة لدوافع الشعور الوطنى ؟ وما هى النقطة أو المنطقة التى عندها تدخل مصر الحرب وتشترك فى شرف الدفاع عن أراضيها ؟ وعلى كل حال يجب الآن دعوة البرلمان وعرض الموضوع عليه حتى تخلى الوزارة نفسها من المسئولية •

وزاد أنصار هذا الرأى على ذلك قولهم بضرورة توحيد القيادة فى الجيشين المصرى والانجليزى ، حتى يأخذ الجيش المصرى مكانه فى نظام الدفاع • وقولهم بأن سحب القوات المصرية من مرسى مطروح الى نقطة خلفية وراء خط مرسى مطروح – سيوه قد تم من غير علم مجلس الوزراء ، مع ان المجلس قد سبق ان أقر بقاءهم هناك • وتساءلوا من الأسباب المبررة لهذا الاجراء الذى فوجئوا به فى هذه الجلسة مفاجأة •

فأجاب معالى وزير الدفاع الوطنى ان نقل القوة المصرية من مرسى مطروح كان بناء على تفاهم واتفاق بين السلطة العسكرية البريطانية والسلطة العسكرية المصرية اذ رئى من المصلحة انشاء خط دفاع ثان وراء خط مرسى مطروح –

سيوه فى منطقة الضبعة استكمالا لوسائل الدفاع عن مصر كما رئى تعزيز القوة المصرية الموجودة الآن فى سيوه بالقوة الخفيفة الميكانيكية الموجودة الآن فى القصابة • وقد صدر الأمر بهذه التعديلات كلها بناء على اقتراحات المؤتمر الحربى الذى عقد فى الوزارة بحضور ممثلين عن الجيش المصرى والجيش الانجليزى • وقال دولة الرئيس ان مسألة توحيد القيادة ستتم حتما اذا استقر الرأى على دخول مصر الحرب • وأكد دولته ان القيادتين فى الوقت الحاضر متفقتان أتم الاتفاق على كل التفاصيل •

هذا وتتلخص حجج أنصار الرأى الثانى فى ان المصلحة تقضى بضرورة التريث وعدم استعجال الحوادث مادام ان الحليفة نفسها تؤكد ان ما حدث للآن ان هو الا مجرد مناورات عسكرية طبقا لخطة موضوعة وليس من شأنها ان تغير الموقف أو تهدد مصر بأى خطر • وللانجليز مصلحة كبرى فى الدفاع عن امبراطوريتهم وفى طلب المصونة من مصر عند الحاجة • وهم أدرى بالموقف منا فلا معنى لأن ننزعج مصر أو تتسرع فى اتخاذ أى قرار بينما الانجليز مطمئنون ومغتبطون بما تم الآن • واذا كانت ايطاليا لم تعلن الحرب على مصر واكتفت بتوغل جيوشها كما يعتقد بعضنا ، أو بالتورط فى الدخول فى أرضنا كما تقول الحليفة ، فعلى مصر كذلك ان لا تعلن الحرب على ايطاليا • وان تكتفى بأن تشترك فعلا فى المقاومة والدفاع • اذ ان من أخطر الأشياء أن تعلن مصر رسميا عن خطة عدائية أو شبه عدائية فى هذا الوقت خصوصا والحليفة نفسها لم تطلب ذلك • ومجرد الاعلان يعطى ايطاليا حق الغزو والفتح لبلادنا • وغير خاف ان الجيش المصرى ليس من القوة بحيث يستطيع ان يرجح كفة على كفة أو يغير من مجرى الحوادث • ولكنه مع ذلك (ومصر فى الوضع الحالى) يستطيع ان يخدم شئون الدفاع خدمة كبرى فيحمى المرافق الحيوية والمناطق التى ليست فيها قوات انجليزية وينشر بوجوده الطمأنينة فى البلاد • وهذه كلها مسائل لايستهان بها بل هى ٥٠٪ من الدفاع عن البلاد •

وهنا قال دولة الرئيس ان المقياس الصحيح لقبول أو رفض أى اقتراح هو معرفة النتيجة التى ستترتب على تنفيذه • فأيهما أجدى وأنفع لمصر وحليفتها : دخول مصر الحرب أم بقاؤها بعيدة عن الحرب فى الوقت الحاضر على الأقل ؟؟

هذا هو السؤال الوحيد الذى يترتب على الجواب عليه اصدار القرار • اما ما عدا ذلك من الاعتبارات النظرية أو العاطفية فينبغى ان يشغل مكانا ثانويا • وقال دولته انه سبق فيما مضى ان تحدث مع السفير البريطانى وقواد الجيش والأسطول وسلاح الطيران البريطانيين • واقنعهم بأن دخول مصر الحرب بصفة رسمية ضد ايطاليا فيه خطر عظيم على مصر وعلى الانجليز أنفسهم • ذلك لأن الانجليز فى الوقت الحاضر ينتفعون بموقف مصر الحالى

أكبر منفعة ممكنة • ويتلقون منها أقصى ما يمكن من المســـاعدات ، فطرق المواصلات المصرية والكبارى والمرافق العامة كلها سليمة ولم تفكر ايطاليا فى الاعتداء عليها لأنها ليست فى حالة حرب مع مصر واما اذا أدخلت مصر الحرب رسميا فانها تصبح عدوة صريحة لايطاليا وتستطيع الطائرات الايطالية بقنبلة واحدة ان تهدمأو تخرب كبرى كفر الزيات تخريبا ليس فى مصر كلها من يستطيع اصلاحه فينقطع الاتصال بالاسكندرية • ويصبح هذا الثغر ومن فيه فى معزل خطير • وقنبلة أخرى على القناطر الخيرية تشل حركة الرى فى الوجه البحرى • وقنبلة ثالثة على محطة القاهرة قد تحدث من الحرائق فى المخازن وتحدث من التخريب ما تتعطل معه كل المواصلات بين الوجهين البحرى والقبلى• هذا عدا ما يصيب المدن المصرية والآثار والجوامع من تخريب الغارات الجوية • وما قد يصيب المرافق الحيوية العــامة كالمياه والنــور والمجارى من التعطيل الخطير • وماذا تــكون النتيجة ؟ يحدث فى مصر من الاضطراب والشقاء من جراء الحرب وويلاتها ما هى فى غنى عنـــه الآن بموقفها الحالى • ثم تحرم الحليفة من كل مساعدة مصرية وتصاب خطط الدفاع بالضربة القاضية • ثم قال دولته ان السفير والمسئولين من رجاله قد اقتنعوا بذلك اقتناعا تاما حتى انهم لم يعاودوا الكلام معه فى هذا الموضوع مرة أخرى •

ــ فاذا كان الانجليز أنفسهم راضين ومستريحين لبقاء الحالة على ما هى عليه الآن •

ــ واذا كانوا (وهم حلفاؤنا ولهم السيطرة التــامة على البحار بقوة اساطيلهم) يؤكدون ان ماحصل فى الصحراء الغربية ما هو الا مناورة دبروها لاخراج الطليان من معاقلهم وقواعدهم فى طرابلس واستدراجهم مسافات بعيدة الى سيدى برانى حتى يكون وراءهم خط طويل يتحكم فيه الاسطول البريطانى والطائرات ويصـــبح الطليـــان مضــــطرين لأن ينقلوا عليـــه الماء والبنزين والذخائر والامدادات والمؤن ــ فيصبحوا ويمسوا فى مركز من أحرج المراكز وأخطرها •

ــ واذا كان الانجليز فوق ذلك كله قابضين على ناصية الموقف ويقولون بأن فائدتهم من عدم دخول مصر الحرب أكبر وأشمل من دخولهـــا ، فكيف لاعتبارات نظرية أو عاطفيـــة لا نعير كل ذلك وزنا ونزج مصر فى الحرب زجا لاخير فيه بل سيكون من شأنه ان يجـر على مصر وحليفتهـا أضرارا جسيمة وأخطارا عظيمة •

لهذه الاعتبارات كلها لايرى دولته داعيا لدعوة البرلمان اذ لم يجد جديد باعتراف الحليفة نفسها وانما هى مناورات عسكرية تحدث الوقت بعد الوقت بين الجيوش المتحاربة • ولا يرى دولته كذلك مصلحة فى اتخاذ أى قرار يكون من شأنه أن يوقع بمصر وحليفتها فى أخطار ومغامرات لا يعلم مداها الا الله •

الى هنا بانت وجهات النظر بيانا واضحا أمام المجلس ، فاقترح دولته أخذ الرأى للانتهاء الى قرار فى هذا الموضوع الحيوى الخطير .

فرأى فريق من حضرات الوزراء ـ وقد بلغت الساعة منتصـــف الثالثة بعد الظهر ـ ارجاء البت فى ذلك الى جلسة تعقد يوم السبت القادم . فوافق المجلس على ذلك ، على ان تعقد الجلسة القادمة فى الساعة الثانية عشر ونصف بعد ظهر يوم السبت القادم .

ورفعت الجلسة .

السكرتير العام لمجلس الوزراء

ويبقى أخيرا لا أخرا ، أن أعلن عجزى عن شــكر الهيئة العــامة للكتاب وعلى رأسها الأخ الصديق الفنان د. سمير سرحان وفنانيها واداريها والعاملين فى مطابع تلك الهيئة التى أعطت هذه السلسلة الوطنية القومية كل عناية ، ورعاية واهتمام حتى ظهرت فى ذلك الثوب القشيب الذى دعا القراء الأعزاء للاقبال عليها بلهفة وحماس ، كما أعلن ـ فى نفس الوقت ـ عجزى عن شكر الاخوة والزملاء ، من الصـــحفيين والكتاب الذين اســتقبلوا تلك الســـسلة استقبالا طيبا وكتبوا عنها عشرات الصفحات فى كل الصحف والمجلات فى مصر ، وفى البلدان العربية الشقيقة ، أما الاخوة ، الأخوات ، القراء ، والقارئات فلن أتقدم اليهم بأى شكر لأنهم هم أصحاب هذه السلسلة ، قراؤها وكتابها ،

والله ولى التوفيـــق ؟

الفصل الثانى

هذه الخطبة تسببت فى اغتيال أمين عثمان باشا

نشير فى بداية هذا الفصل الى آراء للدكتور محمد فريد عبد المجيد حشيش فى بحثه عن « حزب الوفد ١٩٣٦ ـ ١٩٥٢ » ، الذى حصل به على درجة الماجستير فى التاريخ الحديث ، ونعتذر اذا لم يتسع المجال لنشر كل آراء الدكتور حشيش فى رسالته عن علاقة الوفد ببريطانيا لأنه لم يخصص فصلا معينا عن هذا الموضوع ، وانما تحدث عن العلاقة فى عديد من فصول رسالته • يقول د • حشيش وهو يتحدث عن الأزمات التى استحكمت بين الوفد وبين القصر فى الشهور الأخيرة من وزارة مصطفى النحاس باشا ـ أواخر أكتوبر ، وأوائل نوفمبر ١٩٣٧ ـ والتى تردد بعدها أن الملك لابد وأن يقيل وزارة النحاس : « بقيت الورقة الأخيرة ، ولا نستطيع أن نجزم ، هل لعب الوفد بها حقيقة أم اعتقد أنها خاسرة فتجنبها ، أعنى تدخل السفارة البريطانية • فقد أذيع فى بعض دوائر القاهرة ، أن السفارة البريطانية ـ وكانت صلتها قوية بالنحاس ـ قد تدخلت للتوفيق ، ولتضييق دائرة الخلاف وان السفير « اللورد كيلرن » بذل مساعيه لبقاء وزارة النحاس فى الحكم ، والتساهل من الجانبين ، وهذا يقودنا الى سؤال جوهرى ، يطرح نفسه : هل كان تدخل السفارة البريطانية ـ لو كان حقيقة قد حدث ـ يعنى بالضرورة انه كان استجابة لرغبة وفدية أبديت كما يحاول البعض تصويره ، أم أن الامر ، لا يعدو مجرد وساطة خير حاولت بها السفارة فى خبث ودهاء ، أن تعجم عود الطرفين من ناحية وأن تؤكد أن الأمر مازال بيدها رغم عقد المعاهدة من ناحية أخرى ، وعلى أى حال ، هذا اجتهاد من جانبنا ، الا أننا نشير الى اعتبارين : الأول أن السفير البريطانى ، كان قد زار كلا من النحاس والملك فى النصف الثانى من ديسمبر ١٩٣٧ ، ويبدو أن هاتين الزيارتين ، كانتا سببا للاعتقاد ، الذى سبق أن أشرنا اليه وهو أن الحكومة أو السفارة البريطانية مصممة ، على أن يبقى الوفد فى الحكم لأنه الحزب ، الذى فاوض وعقد المعاهدة ،

ولأن العلاقات بين رئيس الوزراء ، والسفير البريطانى كانت قوية للغاية ، الاعتبار الثانى أن حكومة الوفد اذاعت بيانا رسميا نفت فيه انهـا لجأت الى السفارة البريطانية طالبة منها التدخل فى أزمة اختصاص السلطات وهذا لم يقنع الكثيرين ، ويذكر الأستاذ محمد التابعى أن أمين عثمان هو الذى قام بتلك الاتصالات وكان يؤكد للوفديين « النحاس ، ومكرم » بلسان السير مايلز لامبسون أن حكومته لن تسـمح باقالة الوزارة وذلك لأن أمين عثمـان كان صديقـا شخصيا ، للسفير البريطانى » .

وعن سياسة الوفد فى فترة الحرب يقول د. حشيش : « ان الوفد ، ما هو الا جماعات وقطاعات من الشعب حينئذ ، فكان من الطبيعى أن يمثل اختلاجاته ، وميوله ، ولذلك نجد أن الوفد ينتقل بميزان الولاء ، من معسكر الى معسكر آخر فلم يكن حزبا عقائديا بالمعنى المعروف لكن ولاءه كان الى جانب معسكر الديمقراطيـة أكثر منه الى جانب معسكر النازية والفاشية . ولكى ننصف الحقيقة نقول انه لم يكن ولاء فى انحيازه الى المانيا أحيانا بقدر ما كان مجرد خروج من دائرة بريطانيا باعتبار انها هى التى تمثل الاستعمار وهى التى تحتل البلاد ، ولولا هذا الاحتلال لما انجرفت فى تيار الحرب ونيرانها ، فمنذ البداية تحس بانزعاج الوفد نتيجة تدعيم نفوذ المحور ، وانتشار القوى الفاشستية فى مصر فنجده يسارع بمحاولة تقوية نفسه وتدعيم صفوفه ، ونلاحظ أن الوفد كان دائما ينتهز فرصة وجوده فى المعارضة ويقوم بمثل تلك المحاولات فقد حاول الوفد فى عام ١٩٣٨ ان يعقد مؤتمرا لكنه لم يتمخض عن نتائج هامة ثم حينما تطورت الأحداث من نشوب الحرب ، واعلان الأحكام العرفية ، كل هذا منح الوفد فرصة الهجوم ــ كعادته ــ على الأحزاب المعادية له من ناحية .. وانجلترا من ناحية أخرى فقد ظهرت موجة منتظمة من المقالات المعادية لانجلترا فى الصحف الوفدية بالشكل الذى شجع دولتى المحور ، ثم حينما جرت مناقشة فى مجلس النواب فى أوائل يونية ١٩٣٨ حول نفقات الجيش ، أكد النواب الوفديون أن السفير البريطانى ، ورئيس البعثة العسكرية البريطانية يسيطران على مصر سـيطرة لا تقل عن سيطرة المعتمد البريطانى والمفتش العام ، قبل توقيع المعاهدة . وأنكر محمد محمـــود باشا فى مؤتمر صحفى هذه التهمة التى أثارها الوفد الا أنه يلاحظ ، من ناحية أخـــرى ان الصحيفتين الناطقتين باسم الوفد قد خففتا بعد ذلك من لهجة العداء نحـو بريطانيا وكفتا عن انتقاد المعاهدة ، بل أكثرت هاتان الصحيفتان من الاشارة الى الاعجاب بالحلفاء لأنهم يمثلون فى رأيها ، المعسكر ، الديمقراطى ، وهنا لا بد أن نطرح سؤالا : هل كان الوفد حقيقة يؤيد الحلفاء تحت تأثير التشابه العقائدى ؟ فى الواقع أننا نستبعد هذا لعدة اعتبارات أولا لأن بريطانيا لم تكن نصيرة للديمقراطية دائما فى مستعمراتها ، ثانيا : لأن الوفد لم يكن حزبا عقائديا . ثالثا : لأن أسلوب الوفد كان يتغير حسب تغير الموازين وحتى

لا نتهم بالتجنى نسارع فنقول أن ديدنه فى هذا التغير كان لا شك ينبع عن رغبة وطنية كما يتصورها ٠

ونقول ــ للأمانة التاريخية ــ ان الآراء السابقة ليست للدكتور حشيش ، وانما قد جمع العديد من الآراء فى بحثه مشيرا الى صاحب كل رأى ٠

وحول مذكرة الوفد الى الحكومة البريطانية بتاريخ أول ابريل ١٩٤٠ يقول د٠ حشيش وهو يتساءل : أكانت المذكرة تمثل اتجاه الوفد وسياسته ، ازاء بريطانيا أم كان الغرض منها مجرد الدعاية السياسية ؟ ويجيب د٠ حشيش عن تساؤله هذا بقوله : اختلف المؤرخون والباحثون ، المعاصرون ازاء تقييم تلك المذكرة فبينما رآها البعض تعبيرا عن نوع من اليقظة السياسية من جانب الوفد بكل تأكيد ، وان توقيتها يزيد فى أهميتها اذ أنها جاءت فى وقت كانت بريطانيا قد بدأت تدرك فيه خطورة الموقف العام بالنسبة لها فى مصر ٠٠ رآها البعض مجرد حركة للاستهلاك المحلى وأنها ربما لاشعار الجانب البريطانى بأن الوقت قد حان لاجراء التغيير ، وقد أخذ عليها البعض الآخر مطالبتها بالابقاء على التحالف لأن هذا معناه اعتراف بضرورة الربط بين السياسة الخارجية لكل من البلدين مما قد يفسح المجال لتفسيرات أخرى قد يكون من بينها الدفاع المشترك لتنظيم هذا التحالف وقد رجح للبعض أن هذه المذكرة مناورة سياسية باعتبار أن الوفد كان خارج الحكم حينئذ وحينما تولى الحكم فى فبراير ١٩٤٢ لم يطالب الانجليز بشىء ، وعجب البعض لتقديمها الى السفير البريطانى لأن هذا معناه أن تلجأ أية هيئة سياسية الى السفير الذى يمثل دولة الاحتلال ٠

« ومهما يكن الرأى فى تلك المذكرة ــ د٠ حشيش ــ ومهما يكن الدافع اليها فانها لا شك كانت الصيحة الأولى للخروج عن دائرة معاهدة ١٩٣٦ ، وممن ؟ من الحزب الذى رأينا كيف مهد لها وشارك فى صنعها ووقع عليها ثم دق الطبول لها : ها هو الوفد أول الخارجين على المعاهدة ، حقيقة أنه عندما تولى الحكم امتدح التحالف ، وأطنب فيه الا أن هذا لا يغير من الواقع شيئا وهو أن حزب الوفد لم يكن حزبا عقائديا ، ثم أن الآثار التى ترتبت على هذه المذكرة توحى بقيمتها السياسية اذ بينما نجد أنها من الناحية الأخرى ، قد أثارت الاستياء ، والتذمر لدى الحكومة القائمة والجانب البريطانى ولا شك أن نشر المذكرة أظهر الوفد بمظهر المدافع عن أمانى مصر القومية » ٠

ونستأذن القارىء فى أن ننتقل به فى جولة سريعة فى صحيفتى « الوفد » و « الوفد المصرى » الناطقتين باسم الوفد المصرى ، مشيرين الى بعض المقالات والتعليقات والأخبار التى تحدد علاقة الوفد بالانجليز ان سلبا وان ايجابا ٠

كتبت ــ مثلا ــ صحيفة « المصرى » فى عددها الصادر فى ٢٢ أغسطس ١٩٣٩ ، قبيل نشوب الحرب العالمية الثانية ــ تحت عنوان « الجناية الكبرى

على استقلال الوطن » ، خطة مدبرة لتأخير الجلاء ومد أجل الاحتلال الى ما شاء الله : « لقد خسرنا كل ما كسبناه بالمعاهدة ، ولم نكسب غير الخراب المالى والتعرض للفناء فى حرب طاحنة » وجوهر مقال المصرى أن معاهدة ١٩٣٦ كانت قد نصت على بناء ثكنات فى منطقة القنال تنتقل اليها القوات البريطانية الموجودة فى القاهرة والاسكندرية ، و ٠٠ وقد رأت وزارة على ماهر ـ أول ما رأت ـ أن حالة الخزانة العامة لا تسمح ببناء الثكنات ، كما رأت تلك الوزارة الغاء ما كان يسمى بوكالة الثكنات ٠ وتعتبر صحيفة المصرى ارجاء بناء الثكنات بأنه طبخة محضرة وخطة مدبرة لتأخير الجلاء عن مصر ، وأن المقصود من ذلك مجاملة بريطانيا حتى لا تتعرض قواتها فى منطقة القنال للخطر ، و ٠ و ٠ الى أن تقول « المصرى » لقد انتهى بنا الانقلاب ـ اقالة وزارة النحاس والمجىء بوزارة محمد محمود ، ثم وزارة على ماهر ـ الى نهاية فى غاية الخطورة فقد مكن الانجليز من تضييع جهود الأمة فى مدى الستين عاما الماضية وقبل المعاهدة ، وسجل على البلاد تخليد الاحتلال الى الأبد فلا اعتمادات لبناء الثكنات تدرج فى الميزانية ولا وكالة الثكنات تبقى بعد ان أنشئت لمجرد ترقية قريب لحسين سرى باشا والانجليز ينكرون أنهم تاركون البلد يوما بل على الضد هم يشيدون الأبنية لجنودهم فى محطة مصطفى باشا برمل الاسكندرية ويؤجرون الأراضى الفسيحة لمدة عشر سنوات ٠

وقد عارضت صحيفة الوفد المصرى مرسوم اعلان الأحكام العرفية عند مناقشته أمام البرلمان منسجمة مع اتجاه الوفد المعارض لاستمرار الأحكام العرفية وكان مما قالته فى افتتاحيتها التى كتبها الأستاذ أحمد قاسم جودة وكان وقتئذ ـ ٨ أكتوبر ١٩٣٩ ـ مديرا لتحرير وادارة الجريدة : ان أمر اعلان الأحكام العرفية موكول للحكومة المصرية لا للحكومة الحليفة ومن الخطأ أن يقول قائل أن الأحكام العرفية انما أعلنت الآن تطبيقا للمعاهدة فالأحكام العرفية هى الأحكام العرفية سواء جاءت بسبب يتصل بالمعاهدة كما هو واقع الآن ، أو بسبب آخر لا يتصل بها كما ينص القانون رقم ١٥ لسنة ١٩٢٣ وحق البرلمان فى نظرها ، وتقرير استمرارها ، أو عدم استمرارها حق ثابت بنص الدستور لا تستطيع المعاهدة ولا يعقل أن تنسخه ، ومصر هى صاحبة الكلمة أولا وأخيرا فى تقدير الظروف التى تقتضيها اجراء تصرف خطير كاعلان الأحكام العرفية ٠

وكان الاحتفال الذى أقامته جمعية خريجى كلية فيكتوريا فى فندق الكونتننتال فى ٧ فبراير ١٩٤٠ فرصة طيبة ليبدى فيها الوفد رأيه بصراحة فى السياسة البريطانية كما كانت المناسبة التى « ذبح » فيها أمين عثمان باشا نفسه ، عندما أعلن عن زواج بريطانيا الكاثوليكى بمصر ٠ كان فى مقدمة الذين شهدوا الاحتفال من المصريين : شريف صبرى باشا ، مصطفى النحاس باشا ، عبد الفتاح يحيى باشا ، وأحمد ماهر باشا ، مكرم عبيد باشا ، والسيدةقرينته ،

أحمد حمدى سيف النصر باشا ، أحمد حسنين باشا ، أحمد نجيب الهلالى « بك » عبد الفتاح الطويل « بك » يوسف الجندى بك ، حسين سرى باشا ، وعلى الشمسى باشا والسيدة قرينته وتوفيق دوس باشا والسيدة قرينته وبهى الدين بركات باشا وصادق وهبة باشا والسيدة قرينته وأحمد لطفى السيد باشا ومحمد صفوت باشا وفؤاد أباظة باشا والدكتور فارس نمر باشا وجبرائيل تقلا باشا وأسعد باسيلى باشا ومحمد السيد شاهين « بك » محافظ القاهرة وعلى أمين يحيى بك وأمين يوسف بك وحفنى محمود بك ، والأستاذ أحمد مرسى بدر وغيرهم وغيرهم ٠

ومن الانجليز الذين شهدوا الاحتفال السير مايلز لامبسون وعقيلته ، والسير ادوارد كوك محافظ البنك الأهلى والسير هنرى باركر رئيس الجالية البريطانية فى الاسكندرية والسير روبرت جريج العضو البريطانى فى صندوق الدين والسير الكسندربويد والسير فرانك واطسون ومستر سمارت ومستر ديفز والمستر هاملتون ومستر بيزلى ، ومستر فرنس ومستر بنيت ومستر ازوالد فينى والرايت أونورابل سيسل كامبل ومستر سمبسون وعقيلاتهم ٠

ومن رجال الجيش البريطانى سير ارشيبلد ويفل القائد العام للجيوش البريطانية فى الشرق الأدنى واللادى ويفل وعقيلته والجنرال ويلسون القائد العام للقوات البريطانية فى مصر والسير وليام مشيل القائد العام للطيران فى الشرق الأدنى وعقيلته ٠ وكان أمين عثمان هو خطيب الاحتفال بدون منازع ونظرا لأهمية كلمته فقد آثرت نقلها بنصها وفصها لأنها كانت أكبر جريمة ارتكبها فى حياته ، وكانت حياته هى الثمن الذى دفعه لتلك الكلمة ٠

قال أمين عثمان :

« سأتكلم اليوم عن الحب فالحب أمر مهم فى حياتنا وهو أهم فى نظرى من القاء خطبة بعد العشاء !

وسأتكلم عن طريق الغزل واعتقد أننا طلبة كلية فكتوريا القدماء نعرف ما هو الغزل ، وقد تعلمنا فيما تعلمناه فى الكلية أن نكون خبراء فى أساليب الغرام !

وهناك ثلاث طرق للحصول على المرأة : أولها أن تغزو المرأة ، أى أن نستولى عليها بالقوة وثانيها أن تتزوج منها زواج العقل ، وثالثها أن تتزوج منها زواج الحب ٠

والسياسة البريطانية جربت طرق الغزل الثلاث مع مصر ٠٠ ففى أول الأمر حاولت بريطانيا أن تكتسب حب مصر بالقوة فتزوجت منها عن طريق الغزو فلم تسعد الزوجة ولم يسعد الزوج :

وكانت ثورة وطلاق !

وفى المرة الثانية تدخل دعاة التفاهم وقالوا فلنصالح الزوجة مع الزوج وكان هذا زواج العقل ٠٠ ولكن هذا الزواج لم يكن سعيدا دائما فقد كانت معاهدة سنة ١٩٣٦ عبارة عن زواج عريس واحد من ١٣ عروسا وبعض الزوجات حاضرات هنا وبعضهن غائبات وأقصد بهؤلاء الثلاثة عشر زعيما الذين وقعوا المعاهدة !

ولكن زواج العقل هذا لم يعجبنا نحن خريجى كلية فيكتوريا ونحن كما قلنا خبراء فى الغرام ! نحن نؤمن بزواج الحب ، وهذا ما دعوناكم الى الاحتفال به اليوم أو على الأصح للعمل على الوصول اليه ٠٠

لعل بعضنا غاضب لأننى شبهت مصر بامرأة وشبهت بريطانيا بالرجل ، ولكنى أفضل هذا التشبيه فالمرأة دائما تأخذ من الرجل خير ما عنده ٠ وسلوا المتزوجين يقولون لكم الخبر اليقين !

ان مهمتنا نحن وسطاء الغرام ان نقول للرجل قل لها انك تحبها ٠٠ وان نقول للمرأة أنه لا يحب سواك ٠ ونعود للرجل ونقول له انت لا تعرف كيف نتقبلها ٠٠ونشهد دلال المرأة وبرود الرجل فنقول للمرأة حذار أن تتركيه يذهب غاضبا هذه المرة فهو ذاهب الى الحرب ووقت الشدة هو خير وقت يستجيب فيه الرجل لنداء الغرام ٠

ونقول للانجليز : أنتم باردون بطبعكم حذار أن تتدللوا بل أحيطوا الزوجة بكل عناية ٠ والا فهى ستذهب بعيدا ٠ والخطاب كثيرون ٠

وهكذا ينجح وسطاء الخير ويتم زواج الحب الذى نريده وهو أقوى أنواع الزواج !

سادتى :

انى متفق مع الألمان فى مسألة واحدة وهى ان المعاهدات قصاصة ورق ولكن اختلف معهم ، فهم يقولون بوجوب تمزيقها وأنا أقول لا بل يجب أن نحتفظ بها ٠٠ انى أؤمن أن قيمة المعاهدة ليست بالمواد التى تضمنتها بل بالروح التى أمليت بها واذا أمكن أن نحتفظ بالروح التى فيها نلنا خيرا كثيرا ٠

ونحن نقول للانجليز نحن حلفاؤكم لا لأننا وقعنا المعاهدة ولكن لأننا نعتقد أنكم تحاربون لنفس الغرض الذى نسعى اليه وهو تحقيق العدالة بل انى سأذهب الى أبعد من ذلك وأقول اننا كنا سنؤيد الانجليز لو لم يحاربوا من أجل الحق لأن زاوجنا بهم زواج كاثوليكى أى لا طلاق فيه ٠٠ واذا حدث واستطعنا أن نحصل على فتوى بالطلاق منكم ٠ وكان لنا ان نبحث مرة أخرى عن عريس آخر فسنختاركم مرة أخرى ٠٠ وأرجو اذا اخترتم أن تختارونا أيضا !

يتهمنا بعض الناس اننا أنصار الانجليز وأقول اننا نحن طلبة فيكتوريا القدماء نحب مصر أولا ونحب انجلترا ثانيا ٠٠ ولكن اذا اختلفت المصلحتان فمصلحة مصر هى أولا وأخيرا ولكن من حسن الحظ أن مصلحتنا واحدة ، وأننا نذكر أعمالكم فى مصر بالخير وصـــحيح انكم ارتكبتم أخطاء ولكن جل من لا يخطىء ٠

سيداتى سادتى ـ أنا واثق من النصر وواثق من الصداقة وحسن النية بين مصر وبريطانيا ، ولكن لا صداقة بلا ثقة ٠ فثقوا بنا ما دمنا نثق بكم ٠ ولا تخافوا أيها الانجليز منا اذا قوينا فقوتنا قوتكم وقوتكم قوتنا ، وهذه القوة المشتركة هى التى ستخرجنا من الظلام الى النور ٠

ولقد أردنا ان نقدم دليلا على ثقتنا ليس بالكلام بل بالعمل ! تعرفون ان فى الزواج شيئا اسمه « الدوطة » وسندفع الآن دوطة لبريطانيا ومن حسن الحظ أن التقاليد فى انجلترا ان تكون الدوطة بسيطة وهذه الدوطة هى مبالغ سنتبرع بها للجيش البريطانى فى مصر وللأعمال الخيرية التى تقوم بها لادى لامبسون للنساء والأطفـال ٠٠ وأظنكم تدهشـون لأنى اخترت أعمال لادى لامبسون الخيرية ذلك لأن لها فضلا لا يعرفه أحد ولعلكم تذكرون انه عندما حضر سير مايلز لامبسون الى مصر فى المرة الأولى كان عازبا ولهذا مكث سنة دون أن يعمل شيئا وبعد ان تزوج من لادى لامبسون رأينا المعاهدة المصرية البريطانية ورأينا الخير الكثير ٠٠ فاعترافا بالجميل سنقسم هـذه المبالغ بين الجيوش البريطانية وأعمال لادى لامبسون الخيرية ٠٠

وقد تبرع رفعة على ماهر باشا بمبلغ مائة جنيـه ومحمد محمود باشا بخمسين جنيها والنحاس باشا بخمسين جنيها وبهى الدين بركات بخمسين جنيها وعبد الفتاح يحيى باشا ب ٢٥ جنيها ومكرم عبيد باشا ب ٢٠ جنيها وكل من الدكتور أحمد ماهر باشا والنقراشى باشا وحسين سرى باشا وحلمى عيسى باشا بعشرة جنيهات وكامل بولس حنا بك بخمسين جنيها وأخيرا المفاجأة الكبرى وهى ان السيدة قوت القلوب الدمرداشية تبرعت بخمسمائة جنيه ٠

وأقول لكم ان الفضل فى هذه التبرعات يرجع الى الملك فاروق فهو الذى قاد هذه الحركة ولعلكم تذكرون ان جلالته تبرع للترفيه على الجيوش الانجليزية فى مصر بخمسمائة جنيه ٠ اقترح أن أرسل باسمكم برقية شكر لجلالته على المثل الطيب الذى ضربه فسرنا على منواله وان نرسل برقية أخرى لصـــاحب السمو الملكى الأمير محمد على فقد تبرع سموه أيضا لجنود الجيش البريطانى بمبلغ كبير » ٠٠

وكانت كلمة مصطفى النحاس باشا ــ فى البداية ــ بمثابة تحية لمن انالوه شرف الكلام فى تلك المناسبة ، باسم الضيوف « غير أن هذا الشرف يقترن بمسئولية كنت ولا شك أنوء تحت عبئها لو لم أكن أشعر بأنى أترجم

عما فى قلوبكم وأنفسكم وأعبر ـ بكل اخلاص وصراحة ـ عن أفكار أولئك الذين يقدرون فى هذه الساعة العصيبة قيمة الصداقة ويعطونها كل معانيها »٠

وعبر مصطفى النحاس عن سروره العظيم ، والخطير اذا جاز هذا التعبير « لاشتراكنا الليلة فى هذا المظهر الرائع للصداقة الوطيدة ، والتعاون الأكيد ، بين مصر وانجلترا ، لم تكن الصداقة ولم يكن التعاون فى يوم من الأيام ضروريين كما هو لنا الآن ، كما اننا لم نفهم قط كما نفهم اليوم فوائد التحالف الذى عقدناه فى سنة ١٩٣٦ فربط مصائر شعبينا برباط واحد لمصلحتهما المشتركة وفى سبيل مستقبل مجيد كله الثقة وكله النجاح ٠

ان موقعى المعاهدة ـ أيها السادة ـ لم يشكوا يوما فى أنها كانت ضرورة عاجلة وقد وردنا مورد السلام بين مصر وبريطانيا ، بقلوب عامرة ، وعزائم راسخة فى اقامة دعائم الصداقة بينهما يوما على أسس وطيدة من الثقة والكرامة ، وتبادل الاحترام » ٠

ويتحدث مصطفى النحاس عن معاهدة ، ١٩٣٦ وعن يوم توقيعها فيقول . كان يوما عظيما لمصر يوم سجلت المعاهدة ، استقلالها ، فقد جاهدنا لهذه الاستقلال بكل حماسة ولكن دون حقد ، وها هم أولاء خصومنا بالأمس قد أصبحوا لنا أصدقاء ، كما أصبحنا لهم أصدقاء ، وصداقتنا ليست وليدة النصوص ، ولكنها وليدة العواطف التى أملت الاتفاق ونحن نعلم ان الضمان لاخلاص الطرفين وحسن نيتهما لم يكن فى توقيعهما على المعاهدة بل فى الرغبة الصادقة التى حفزت كلا منهما » ٠ وينفى مصطفى النحاس ، أن تكون خلافات جديدة قد حدثت ، « ولكن الصيادين فى الماء العكر يلوحون بعض الأحيان ـ لغايات يؤسف لها ـ بشبح الخلاف وما كان يجب أن يحدث هذا نعم لا يجوز الآن على الخصوص أن يحل شىء من عدم الثقة أو يطرأ على جو علاقاتنا أقل الغمام ، ونحن جميعا ـ مصريين وبريطانيين ـ جديرون بأن نبدد هذا الغمام المصطنع ونعيد الماء على مجراه بفضل التفاهم المتبادل ، والاخلاص الصريح ، ويدعو مصطفى النحاس الى توحيد الجهود المصرية البريطانية أمام العدو المشترك « عاملين بروح المعاهدة روح الثقة والاخلاص ، انها الحرب ـ أيها السادة ـ وللحرب واجبات تفرضها على الجميع : على من يحارب وعلى من لا يحارب ، على من لم يدع الى القتال بعد وعلى من يستعد للقتال اذا حانت ساعة القتال » ٠

ويختتم مصطفى النحاس كلمته بقوله :

« ٠ اننا نحن وأمم الشرق الاسلامى جميعها نعرف الخطر علينا من انتصار الأعداء فهم لن يترددوا فى أن يبسطوا وسائلهم الوحشية على أبعد الأقطار ٠٠

لقد طالما أعربنا بكل قوانا عن سخطنا الشديد على الدكتاتوريات — وعلى الخصوص تلك التى تكره الضمائر وتذل كرامة الانسان — ان فلسفتها فلسفة شنيعة ، فلسفة بربرية ، والحرب تدور اليوم على رحى لا يسمح لأحد من الناس بأن يصرف اهتمامه عنهـا اذ يراد أن نعرف هل لا تزال حرية العقيدة وحرية الفكر من حقوق الانسان الطبيعية بل يراد أن نعرف هل لا يزال للانسان حق الحيـــاة ؟ •

فى هذه الساعة العصيبة على الخصوص يجب أن تتجلى الصداقة المصرية البريطانية فى جو الحادثات ، اذ أن تضحيات اليوم هى التى تمهد لحصاد الغد • فعلينا — مصريين وبريطانيين — أن نؤيد هــذه الصــداقة دون تردد بأصدق جهودنا ، ومن كل قلوبنا وليشمل الاخاء والتعاون جميع هؤلاء الذين يتألمون وينتظرون كما ننتظر — ولكن ، واحسرتاه ، فى وابل من الدم والدمع والحداد والخراب — ساعة زوال هذا الكابوس من القلق المقيم •

اننا ننادى : تحيا الصداقة المصرية البريطانية ، يحيـــا حليفنا ، تحيا الديمقراطيات العاملة • لأننا نود أن تعود الى العالم بأقصى سرعة ممكنة حالة السلام فى ظل سابغ من الأمن والحرية والعدل » •

أما سير مايلز لامبسون فيبدأ كلمته بقوله : « ان الملك فاروق عندما تبرع بمبلغ كبير من المال للترفيه عن الجنود البريطانيين الذين يخدمون مصر ، فقد بدأ دحرجة الكرة والكرة التى بدأت دحرجتها بيده الكريمة ستستمر فى التدحرج » • ويشير مايلز لامبسون الى الصفة القومية التى امتاز بها عشاء كلية فيكتوريا حيث اجتمع الليلة عدد كبير من الزعماء المصريين البارزين وان هذا ليدل كما دل عندما اجتمعت الجبهة المتحدة التى تفاوضت فى عقد معاهدة التحالف على ان هناك مسائل ، ترتفع على الحزبية وتوحد بين الأحزاب ويعلن سير مايلز لامبسون شكر بريطانيا شعبا وحكومة على المساعدات التى قدمها لنا الشعب المصرى ، بمقتضى معاهدة التحالف خاصة وأن المحافظة على المعاهدات فضيلة نادرة فى أيامنا هذه •

ويعطى سير لامبسون درسا عنيفا لأولئك الذين يعنيهم التحامل القديم فلا يريدون لمصر أن تتعاون مع بريطانيا • ثم يقول كذلك : لم أكن لأتصور أن أى اعجاب سطحى بألمانيا القديمة أو المداهنة لسادتها الحاضرين قد حملا ، أى انسان هنا ، على أن يتخيل أن الخطر على مصر ، لم يكن له من وجود ويقول مايلز لامبسون أيضا : التحالف لا يتناقض مع الاستقلال القومى المصرى بل هو الوسيلة التى يمكن بها المحافظة على المصالح المصرية •

ويمضى سير لامبسون فى ترديد أمجاد الاحتلال البريطانية لمصر ، ويدعى أن بريطانيا قد جاءت الى مصر على غير ارادتها الى حد ما !

ثم ينفى سير مايلز لامبسون شائعة وجود رغبة لبريطانيا فى التدخل المباشر فى سياسة مصر ، الداخلية ، واصفا هذه الشائعة بأنها « سخيفة » ، كما ينفى أيضا ان بريطانيا طلبت ارسال ١٥٠ ألف جندى مصرى الى الميدان الغربى ، ويؤكد ان مثل هذا القول مجرد من كل أثر للحقيقة « فاننا لم نطلب رجلا واحدا من مصر » ثم يقول معقبا على ذلك : اننى لا أحتمل الصبر ، مع هؤلاء الذين يحبون ان يعكروا المياه أولا ثم يصطادوا فيها .. الى أن يقول سير مايلز لامبسون منذرا ، ومحذرا « اننا معتزمون ان نحتفظ بولائنا لمعاهدة التحالف وان نحترم حقوق مصر . ان مجرد ظهور أمثال هذه الشائعات يدل مع الأسف على ان عمـــال الشر منتشرون . وهـؤلاء مهمتهم ومبعث سرورهم — لأغراض ليس من الصعب تبينها — أن يبذلوا الجهد فى غرس بذور التفريق والشك . وانى لأوجه الى عمال الشر هؤلاء كلمة تحذير فأقول « ان الشعب البريطانى شعب صبور بطبيعته . ولكن هذا زمن حرب ، ومجهودنا الوطنى كله موجه لكسب الحرب ، وصبرنا على أى شىء يعترض طريق هذا الغرض العظيم ليس بالصبر الذى لا ينفذ ..

اننا لا نحارب لمجرد المحافظة على سلامتنا وحريتنا . اننا نحارب فى سبيل مثل دولى أغلى وعظيم ، ينحصر فى تخليص العالم من التهديد المستمر للسلام وللحياة الدولية المنظمة المستقرة . اننا نحارب — كما قال مستر نيفل تشمبرلين فى حديث ألقاه بلندن فى ٣١ يناير — للدفاع عن كل أمة مهددة بالخوف من أن يكون مصيرها مصير تشيكوسلوفاكيا وبولونيا وما يهدد فنلندا اليوم ، اننا نحارب للدفاع عن حق الأمم المستقلة فى أن تعيش فى سلام فى ظل قوانينها وفى التمتع بعاداتها وتقاليدها . وليس فى مقدورى ان أختم ما أريد أن أقوله بغير أن أقتبس بعض ملاحظات أبداها منذ أيام لورد هاليفاكس فى حديث له مع السفير المصرى فى لندن وهى :

« لقد أظهرت ألمانيا بما لا يحتمل زيادة ايضاح انها لا تقيم أى وزن على الاطلاق لآمال الشعوب الصغيرة واستقلالها . اذن ليس هناك أية مسألة غير ان مصر وان لم تكن أمة محاربة لألمانيا بالفعل فان الحرب الحاضرة تحمل فى طياتها مصلحة حيوية لمستقبلها .

ولا يجوز ان يشك أى انسان فى ان الشعب البريطانى مصمم التصميم كله على ان يكسب هذه الحرب مهما كلفه هذا النصر من ثمن . وعلى تلك النتيجة يتوقف مستقبل مصر ! .

وهذا هو الصدق الصريح غير المزوق ، وهو صدق أجرؤ على أن أعتقد بان جميع الحاضرين فى مأدبة الليلة يقدرونه ويوافقون عليه » .

الفصل الثالث

مع بدايات الحرب العالمية الثانية :
من أسرار السياسة البريطانية فى مصر

تعمدت فى الفصل السابق الوقوف عند حادثين ، أو حدثين هامين أولهما احتفال خريجى كلية فيكتوريا بما ألقى فيه من خطب غرامية من جانب بعض السياسيين المصريين وبما ألقى أيضا فيه من تهديدات سافرة علنية أطلقها السفير البريطانى فى مصر سير مايلز لامبسون ٠

ولست أدرى كيف ولماذا تحمل الزعماء الموجودون فى ذلك الاحتفال كل تلك التهديدات خاصة وكان على رأسهم مصطفى النحاس باشا ، وأحمد ماهر باشا ٠

وقد يرد البعض بأن التهديدات لم تكن موجهة ضد الزعماء المشاركين فى الحفل ، وانما هى موجهة ـ فى الأصل ـ الى على ماهر باشا رئيس مجلس الوزراء ومن معه من الوزراء والحاشية وحتى ، لو كانت التهديدات مقصورة على على ماهر باشا ووزرائه وحاشيته وحاشية الملك لكان من أوجب الواجبات على الحاضرين من زعمائنا أن يثوروا على تلك التهديدات الصادرة من سفير مهما يكن مركزه ، ومهما تكن الحراب البريطانية التى تسنده قد جاوز اختصاصاته وحدوده وصفته بكثير ٠

الحادث الثانى أو الحدث الثانى الذى وقفنا عنده هو المذكرة التى أرسلها الوفد المصرى بعد بضعة أسابيع الى الحكومة البريطانية عبر السفير البريطانى ، خاصة بالموقف السياسى والتى تتعارض تماما مع خطبة مصطفى النحاس باشا فى حفل خريجى كلية فيكتوريا !! ٠٠

ولأننا نرى فى هذين الحادثين أو الحدثين أهمية بالغة ولأن آثارهما كانت خطيرة للغاية فاننا نستأذن القارىء العزيز فى أن نعود اليهما مرة أخرى

مؤكدين ، ان الوقوف عند هذين الحادثين أو هذين الحدثين سيساعدنا كثيرا عندما ندرس حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ٠

واختار من بين الصحف المصرية الصادرة وقتئذ واحدة أو اثنتين لتتبع آثار خطب حفلة خريجي كلية فيكتوريا بما فيهـا من غرام عنيف مشبوب ببريطانيا وبما فيها من تهديدات بريطانية عنيفة لا تتفق أصلا ، وذلك الغرام العنيف المشبوب الذى ظهر جليا فى تلك الحفلة ٠ وأرجو من القارىء العزيز أن يلاحظ أن الرقابة على الصحف كانت موجودة ٠ وكان الرقيب العام يحذف كل ما يمس الحليفة بريطانيا من قريب أو من بعيد ، وهذا ما يفسر الحذر الشديد الذى بدأ فيما سطره الصحفيون والكتاب من كلمات حول حفل خريجي كلية فيكتوريا ٠

فى ١٦ فبراير ١٩٤٠ ، كتبت مجلة المصور « العدد ٨٠١ » تقول تحت عنوان « عشاء فيكتوريا » : لم أسمع ولم أقرأ فى الحفلة لفظا عربيا واحدا ، صحيح المدرسـة انكليزية ولكن الحفلة تقـام فى أرض مصرية والقائمين بها مصريون و٠و ٠٠ لا أدرى لماذا استحسنت غياب على ماهر رئيس الحـكومة المصرية فلا أظن أن جو المكان والاجتماع كان يلائم أعصابه وكان الله فى عون النحاس باشا ، ومكرم عبيد والآخرين ، برع أمين عثمان باشا فى خطبته براعة كبرى وقد جرى فى هذا التعبير عن زواج انكلترا الرجل من مصر المرأة ، وأخذ يحلل حب الواجب وحب العقل وحب الغرام تحليلا متظرفا لطيفا ولكن الزوج سير مايلز لامبسون كان زوجا شرقيا ، لم يداعب زوجته مصر مداعبة الغربيين الناعمين ، بل مداعبة الزوج الخشن ، كان الطعام لذيذا متقنـــا وكان النبيذ الأبيض والأحمر كثيرا وكانت الشمبانيا فياحة على كل لسان » ٠

وفى مكان آخر من « المصور » وفى صفحات السياسة والحرب جـــاء مايلى تحت عنوان « حفلة الموسم السياسية » : تخصصت كلية فيكتوريا فى الاجتماعات العليا والسياسـية العليا ، وتخصصت فى أنها احتكرت زعمـاء الجبهة الوطنية تدعوهم فيقبلون الدعوة عن طيب خاطر ، وتستخطبهم فيخطبون عن طيب خاطر «وتحبسهم» أربع ساعات طوالا فى جو غير منعش ، «فينحبسون» عن طيب خاطر ٠٠ كان الخطيب الأول ـ الرسمي ـ أمين عثمان باشا فأشعل سيجاره الكبير ثم سـحب نفسا ، أو نفسين ثم تدفق يتكلم بأسلوب تهكمى استعمارى ٠ وقد كانت لغته الانكليزية طبيعية منسابة وأخذ يشرح نظرية حب الواجب وحب الحب ثم أغدقها على مصر وانجلترا ، فكان من سوء حظ مصر أنها كانت الزوجة وظلت الاستعارات تتوارد ، حتى كان من سوء حظ أقطاب الجبهة الـ ١٣ أنهم جميعـا كانوا زوجـات والزوج واحد وهو انكلترا وكان أمين عثمان باشا مرهفا فاختار النسوية لمصر ليسيطر بها على قلوب المستمعين ولكنه كان يستدرك دائما حتى لا يفجع المصريون بهذه التسمية فيضطر لاختيار

« الزواج الكاثوليكى » وما كان ليستطيع الزواج الاسلامى لأنه يبيح الطلاق. مثنى وثلاث وحق الطاعة ليس عملية طبيعية فى حفلة سياسية كهذه • وانتهى. الاجتماع بعد أربع ساعات ورتب كشوف المتبرعين وحصلت مناورات لطيفة ، وشرفت الحفلة السيدة قوت القلوب « الدمرداشية » وحسنا فعلت لأن وجودها كان انسجاما بين الفيكتوريين القدماء وبين محبى الائتلاف المصرى البريطانى. من زمن بعيد •

أما مجلة روزاليوسف فقد قالت فى عددها الصادر فى ١٧ فبراير ١٩٤٠ تحت عنوان : « أطعم الفم يستحى اللسان » : « حفلة الخريجين القدماء لكلية فيكتوريا خميرة لحديث طويل المدى كيفمـا قلبته ، طالعك منه ما يغريك. باستئناف الحديث من جديد وهذه ميزة الحفلة وشارة الحدث الكبير ، وما قاله الزعماء ليس بالأمر الجديد الذى لم يعرفه الجمهور بعد أن رددته الصحف خلال الاسبوع الماضى وعلقت عليه • وما قاله الزعماء ليس أمرا عاديا بل أن فيه وما لم يســـمعه منهم فى غير ذلك المكان • والآن نتساءل هل ما قالوه جاء صادرا حقا عن عقيدة خالصة أم هى خطب مدبرة ، وأحاديث مجهزة أم هو وحى المكان والهام الساعة وثمار أطبـاق الأكل الشهية التى كانت تتحدث بدورها عن حذق الطباخ الذى جمع على مائدة واحدة أشخاصا ما كانوا يجتمعون ولو ناديت على اجتماعهم بالانجيل والقرآن أغلب الظن أنهم كانوا مخلصين فيما قالوا لأن ارتفاع نغمات الأمعاء بفعل رائحة الطعام تحرك كوامن النفس وتغمر العقـــل الباطن ـ والأمعاء من البواطن ـ فلا يـكون الكلام الصـــادر الا صادقا فى التعبير عما تكنه خبايا النفوس » •

وبعد تلك المقدمة الطويلة تقول روزاليوسف ان خطاب رفعـة محمد محمود باشا بالنيابة عن مصر انجليزى الاسلوب انجليزى الالقاء صريح متزن الا انه أحسن التعبير عن رغبات مصر فى كثير من الأنفة والكبرياء ولم يخطىء رفعته حينما صرح بأن الشيطان الذى نعرفه خير من الشيطان الذى لم نتشرف بعد بمعرفته • لم يخطىء محمد محمود باشا لأننا الآن فى موقف لا نملك فيه الا التسليم بما هو واقع وقد يكون الواقع خيرا من المجهول وهذا من فلسفة الحكماء التى هى كل زادنا فى هذه الأيام •

وتحدث رفعة النحاس باشا بالنيابة عن ضيوف الحفلة فكان الحديث فى طرفه حور وشرود ولا ندرى ، اذا كان حقا ، أحسن التعبير عن آراء الضيوف أو عن آراء نفسه •

والجدير بالتسجيل ان حديث النحاس باشا قوبل عند الانتهاء بالتصفيق الحاد من الجميع والابتسام الفاتر من جانب أحمد ماهر •

والقى سعادة أحمد ماهر باشا خطابه القاء أحسن الرد فيه على خطباء المسائدة الطويلة مع الاتسام بالمكر والتلميح الحاذق •

لا ندرى ما الذى أهاج فى سعادة أمين عثمان باشا « عرق » الفكاهة والتنكيت فى هذه الحفلة وما الذى ذكره بتعدد الزوجات والزواج الكاثوليكى وغير الكاثوليكى ، ولماذا جاء خطابه فياضا بكل هذه الملاحة والطرافة والمداعبة حتى أتعب نفسه وأتعب السامعين : شرب السفير البريطانى نخب ملك مصر وشرب النحاس باشا نخب ملك بريطانيا وشرب أمين عثمان باشا نخب الملكين فى كأس واحدة قل لى بعد هذا : ان أمين عثمان باشا لا يقدر على شىء ما ، وبماذا كانت الصحف تحكى ، وتعيد لو أن سعادته تمسك بالوقار ، وقار المكان ، ووقار السياسة الانجليزية ووقار السياسة المصرية قبل كل شىء .

وتنشر روز اليوسف — فى نفس الاسبوع — زجلا عن أمين عثمـــان باشا تقول فيه :

يا ماشي تخبط بغصن زتون على الابواب
وتوزع الشهد من فمك على الاحباب
وتقسم الجنة حتة حتة ع الاحزاب
لكل مؤمن بسحرك سهم فى الجنة
ولكل حزب وزعيم فيها رصيد وحساب
تعبت روحك . فى ده قال لى ، ودا انقال له
وانبح صوتك وأوتار صوتك انحلوا
وحفيت من الجرى حتى تربى لك كاللو
والمغربى مغربى والشامى فضل شامى
واللى يتعب أهى الراحة أفضل له
ارتاح مافيش فايدة لو شهدك عصير الراح
والجنة بابها اتقفل بالضبة والمفتاح
والحلم اللى أنت شفته كان آمل وهو راح
ارتاح ولو ساعة واحدة فى النهار واهبط
والبوسطجى يلف لفة يا أخى ويرتاح

وفى نفس العدد ، تقول روزاليوسف ان أمين عثمان باشا منذ خروجه من وكالة وزارة المالية أصبح يشغل عضوية مجالس ادارة فى بعض الشركات والبنوك وكلها بريطانية وبهذا أصبح دخله منها مع المعاش الذى يتقاضاه من الحكومة المصرية يزيد على ثلاثة آلاف جنيه فى العام « عام ١٩٤٠ » .

واعتقد أن أحدا لم يخطب خطبة تســـبب فى جر المتاعب على صاحبها مثل أمين عثمان باشا الذى شاء له سوء حظه أن « ينكت » « ويستظرف »

ويخرج على التقاليد المتبعة فى مثل تلك الحفلات الرسمية فيقول هذا الكلام الذى اغضب شعب مصر عليه

وقد كانت خطبة أمين عثمان باشا فى حفلة خريجى كلية « فيكتوريا » فى مقدمة الاسباب التى استند عليها الشبان الوطنيون الذين اغتالوا أمين عثمان باشا فيما بعد ٠٠ فى الساعة السابعة والنصف من مساء ٢٥ يناير ١٩٤٦ ٠

لقد كان أمين عثمان باشا فى احتفال خريجى كليـــة فيكتوريا « خطيبا لا خطيبا » أو كما قال أحمد شوقى فى مصطفى رياض باشا أحد كبار الوزراء المصريين المتعاونين مع الاحتلال البريطانى وكان مصطفى باشا قد بلغ السبعين من عمره ولكنه فى الاحتفال بتأسيس مدرسة محمد على الصناعية بالاسكندرية فى عام ١٩٠٤ ، أبى الا أن يتطـــوع للخطابة فيمتدح اللورد كرومر المعتمد البريطانى فى مصر ويمتدح الاحتلال البريطانى الامر الذى جعل الرأى العام المصرى يثور ثورة عارمة ضد مصطفى رياض باشا ، ترجم أحمد شوقى تلك الثورة فى قصيدة من أروع قصائده ، يقول فيها :

كبير الســـــابقين من الكرام	برغمى أن انالك بالـــــكلام
مقامك فوق ما زعموا ولكـن	رأيت الحق فوقك والمقـــام

الى أن يقول :

غمرت القوم أطراء وحمـــدا	وهم غمروك بالنعم الجســـام
رأوا بالأمس أنفـك فى الثريا	فكيف اليوم أصبح فى الرغام
خطبت فكنت خطبـا لا خطيبا	أضيفت الى مصائبنا العظـام
لهجت بالاحتـلال ومـــا أتاه	وجرحك منه لو احسست دام
وهل تركت لك السبعون عقلا	لعرفان الحلال من الحـــرام

● ولقد سبق لى أن اشرت مجرد اشارة الى مذكرة الوفد المصرى الى الحكومة البريطانية عبر السفير البريطانى فى القاهرة فى أول ابريل ١٩٤٠ أى بعـــد بضعة اسابيع من ذلك الخطاب الحلو الجميل الذى خاطب به النحاس باشا الحليفة والحلفاء ٠ كما سبق لى أن أشرت الى رد الحكومة البريطانية على مذكرة الحكومة البريطانية ٠ كما سبق لى أيضا أن اشرت الى صدى مذكرة الوفد عند كثير من السياسيين المصريين والمؤرخين المعاصرين وكنت قد وعدت بنشر نص مذكرة الوفد ورده على الرد البريطانى ، ولكنى وجدت ان نشر النص سوف يأخذ حيزا كبيرا من تلك السلسلة الى جانب ان فيه تفصيلات كثيرة اعتقد انها فقدت اهميتها الآن مثل موضوع أسعار القطن

واكتفى اليوم بنشر بعض فقرات من تلك النصوص

● تبدأ مذكرة الوفد باثبات اخلاص الشعب المصرى للحقيقة فى وقت شدتها وللديمقراطية فى ابان محنتها ، حفيظا على شرف العهد ، غير متردد فى ان تقوم مصر بواجبها كاملا رغم تكاليف هذا الواجب واخطاره ٠٠ وذلك برغم الانقلاب الدستورى فى ديسمبر ١٩٣٨ الذى أقصى فيه الشعب وحكومته عن ادارة شئون البلاد والذى باركته الحليفة واستغلته لصالحها رغم أحكام المعاهدة فى نصها وفى روحها ٠

● وتقول المذكرة أنه ما كاد الجو الدولى يضطرب وتبدو فى الافق نذر الحرب حتى اعلن رئيس الوفد أن مصر تمد يدها الى الشعب الحليف وان واجب الشرف يقضى على كل مصرى ان يعضد الحليف ويشد أزره وأن يتجنب كل مناواة تعتبر طعنا فى ظهره ، وتؤكد المذكرة على أن مصر الأمة الصغيرة قد تحملت وتتحمل عن حليفتها الكثير من اعباء الحرب وأوزارها ، مما يكاد يودى بمرافقها ، وينقض ظهرها ، ومما أدى الى فقدان الميزانية توازنها والى نفاذ الاحتياطى الحكومى وتعرض البلاد لازمة مالية تهدد بالكارثة ٠

● وتشير المذكرة الى ان الحليفة لم تقدر لمصر ما قامت ، وتقوم به ، بل أنها حاولت استغلال الظروف القائمة فوضعت العقبات فى وجه تصدير القطن والحاصلات الاخرى ، ولم تشتر محصول القطن بل عرضت شراء جزء منه بسعر منخفض كما حاولت تحويل البنك الاهلى المصرى وهو بنك انكليزى الى بنك مركزى للدولة ، الى جانب ان الحليفة طلبت اعلان الاحكام العرفية مما أفسح المجال لاستغلالها من جانب الحكومة القائمة ضد ارادة الشعب حتى أصبح المصريون فى عهد الاستقلال وكأنهم آلة عمياء ، صماء لا يسمع لهم صوت فى تصريف شئون بلادهم ولا يدرون أين هم مسوقون بل ولا قدرة لهم على الشكوى مما هم اليه مسوقون ٠ وتحذر المذكرة من الخطر الاكيد الذى قد يكون أيضا على الابواب والخوف من استهداف المحالفة المصرية البريطانية الى أزمة روحية خطيرة بدت ويا للاسف بعض بوادرها بين أفراد الشعب المصرى ، بل وامتدت الى غيره من الشعوب العربية والشرقية ٠

● وتطلب المذكرة من بريطانيا أن تحدد موقفها وان تقوم من المحالفة وتنفيذها بالنصيب الذى قمنا به ، وان تستجيب الى المطالب ، التى تقدم بها الوفد المصرى والخاصة بضرورة انسحاب بريطانيا من الاراضى المصرية عندما تضع الحرب اوزارها ويتم عقد الصلح ، وان تكون مصر عند التسوية النهائية طرفا فيها وبعد انتهاء مفاوضات الصلح تدخل انجلترا ومصر ، فى مفاوضات يعترف فيها بحقوق مصر كاملة فى السودان لمصلحة أبناء وادى النيل جميعا ٠٠ وفيما يختص بالأحكام العرفية المعلنة الآن فى مصر تطالب الحليفة بالتنازل عنها تنازلا تاما واخطار الحكومة المصرية بهذا التنازل ٠ وما من شك فى أن الحكومة البريطانية اذا ما اعلنت تنازلها عن مطلبها بصدد الاحكام العرفية

لم تجد الحكومة المصرية مسوغا لابقائها اذ أصبح الأمر فيها على أى حال بين الحكومة المصرية والشعب المصرى يفصلان فيه ويسويان حسابه • وقد فاتنا أن نشير - فيما سبق ونحن بصدد الحديث عن صدى تلك المذكرة - ان الحزب الوطنى ومصر الفتاة قد أيدا الوفد المصرى فى مذكرته •• بعكس السعديين ، والاحرار الدستوريين !!

واستأذن القارئ فى أن أشير الى تقرير ، السير مايلز لامبسون عن تلك المذكرة نشره الأساتذة - د• محمد جمال المسـدى ، د• يونان لبيب رزق ، د• عبد العظيم رمضان فى دراسة هامة لهم عن مصر ، والحرب العالمية الثانية صدرت عن مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية لمؤسسة الاهرام • يقول تقرير لامبسون :

« أدى ظهور الوفد ، فى الميدان السياسى بسياسة قومية متطرفة الى تأكيد مكانته وقدرته على المشاغبة •• أن بيان الوفد الذى يتضمنه هذا الخطاب الذى سلمه النحاس باشا الى فى أول أبريل قد يتضح أنه يمثل نقطة تحول فى تاريخ العلاقات المصرية البريطانية بعد المعاهدة : ان طلب الوفد انسحاب قواتنا من مصر عند اقرار السلام • يبدو أنه قد أصبح الاساس النظرى للسياسة المصرية، فالدكتور أحمد ماهر باشا الذى كان يوجه عام حصيفا كل الحصافة فى الامور الدولية قد أصبح الان يتبنى علنا - بعبارات ولو أنها دبلوماسية وسليمة الا أنها أقرب الى الفهم مما يقوله النحاس باشا - مضمون النظرية التى يقول بها الوفد وهى ان اعادة تسليح مصر ، على نطاق واسع ، بسبب متطلبات الحرب ينبغى ان يجعل من الممكن ان تجلو قواتنا جميعا عن مصر ، عند اقرار السلام ، بدلا من انسحابها الى منطقة القناة ، الا أنه يقرن ذلك بتصريحات تدعو الى الاعجاب عن التضامن المصرى الانجليزى ، اما على ماهر باشا فليس له اتباع فى البلاد وقد قام بنشاط وطنى للحصول على شعبية قبل زيارته للسودان وزياراته التى تميزت بالديماجوجية للاقاليم ، ولكنها لم تترك اثرا كبيرا ، لذلك فهو لا يستطيع ان يترك المعارضة تفوقه فى اثبات وطنيتها والوفد بتلك الحركة التى قام بهـا سيضطر الى التحرك قبل الاوان فقد كانت تنسب الى على ماهر خطط كتلك التى تضمنها بيان الوفد ، وكان الاعتقاد العام أنه ينتظر حتى يتمكن من تقوية مركزه واضعاف مركزنا - انجلترا - قبل أن يفصح - الوفد - عن خططه بطريقة علنية ، لكن الوفد انتزع الآن مكان الصدارة فى هذا المجال ونظرا لنفوذه الواسع وتنظيماته المنتشرة فى أنحاء البلاد فانه يبدو أن الاحتمال الغالب هو أن الصراع السياسى الداخلى فى مصر قد يدور حول مشكلة اجراء تعديلات كثيرة فى المعاهدة عند اقرار السلام مع ما يصاحب ذلك عادة من مزايدات تقوم بها الأحزاب ، فيما تتقدم به من مطالب وطنية ••

لقد عادت الراية الوطنية ثانية الى يد الوفد ، وقد يجد على ماهر باشا نفسه فى نفس الوضع الذى كانت الحكومات المختلفة المعارضة للوفد ، تجد نفسها فيه فى فترة ما قبل المعاهدة أى وضع المضطر الى جانب تجنب الظهور بمظهر العقبة فى طريق الأمانى الوطنية : هناك تحيز ضد الأجانب فى كل دولة تخضع للاحتلال الأجنبى وهذا التحيز قد زاد شدة مناورات حزب وطنى يتمتع كالوفد بتأييد غالبية الشعب ، ان أى نجاح فى اثارة شعور عدائى ضد البريطانيين فى مصر ، يكون له أثره خارج مصر ايضا ، وقد افصح الوفد بكل جلاء عن عزمه على جر الأمم الشرقية الاخرى الى حملة ضد بريطانيا ..

ومازال الوفد يتمتع بمنزلة ، كبيرة فى العالم العربى ، وأن محاربة منظمة منه لاستغلال ما يشعر به الفلسطينيون والسوريون من ظلم ستزيد الشعور ضد الحلفاء ، فى العالم العربى كما تزيد من المصاعب التى تواجهها كل من بريطانيا العظمى وفرنسا فى وضع البلاد العربية تحت جناحها » .

هكذا كان رأى بريطانيا فى التقارير الرسمية السرية فيما يتعلق بمذكرة الوفد الى الحكومة البريطانية ، أما رأى بريطانيا الرسمى العلنى فقد تمثل فى التبليغ البريطانى التالى الموجه الى السير مايلز لامبسون السفير البريطانى فى القاهرة بتاريخ ٦ ابريل ١٩٤٠ :

« من لامبسون ، الى هاليفاكس ٤ مايو ١٩٤٠ » ..

١ ـ بلغوا النحاس باشا فى الحال ان الحركة التى قام بها ونشرت على الناس فعلا قد أحدثت لدى الحكومة البريطانية شعورا أليما للغاية ولا تستطيع الحكومة البريطانية الا اعتبار قرارات الوفد كمحاولة مقصودة للعب دور فى السياسة الداخلية فى حين أن بريطانيا العظمى مشتبكة فى صراع ليس أثره على مصير مصر واستقلالها بأقل منه على بريطانيا العظمى نفسها .

٢ ـ أما فيما يختص بالمسائل التى أثارها النحاس باشا فمن البديهى أنها تؤدى الى :

(أ) اعادة النظر فى المعاهدة البريطانية المصرية .

(ب) تدخل من جانبنا فى السياسة الداخلية المصرية .

(جـ) الطعن فيما نستخدمه من وسائل الضغط الاقتصادى فى الحرب مع ألمانيا .

٣ ـ لما كانت نتيجة الحرب ذات أثر فعال بالنسبة لمصر ، ومن الجلى بلا شك للنحاس احتمال مناقشة مستقبل مصر ضمن حدود « ديمقراطية »

فان الحكومة البريطانية موقنة بأن المسئولين عن مصير الشعب المصرى ومنهم النحاس باشا سيواجهون المسئوليات التى تجابههم فى ساعة خطيرة من تاريخ العالم ٠

٤ ــ اننا نحارب لســـلامة الأمم الصغيرة واحترام العهـد المقطوع فقل للنحاس باشا ــ وأنا أحد الموقعين على المعاهدة ــ يبدو لى أنه غير مفهوم أن يشعر النحاس باشا الناس بأنه يريد التشكيك فيما للمعاهدة من صفة قطعية ورسمية ٠ وانه ليســعدنى أن أتأكد أن النحاس باشا سيعمل جهـد طاقته لتخفيف أثر هذه الحركة التى لم تقترن بالسداد » ٠

الفصل الرابع

بين الوفد المصرى ووزارة على ماهر باشا
معركتان برلمانيتان عنيفتان

سبق أن تحدثنا عن احتفال خريجى كلية فيكتوريا ، ذلك الاحتفال الذى خطب فيه مصطفى النحاس باشا أخطر خطبة مشيدا بالتحالف المصرى البريطانى وخطورته وأهميته ، ذلك الاحتفال الذى ألقى فيه أمير عثمان باشا الخطبة ، التى أودت بحياته والتى تحدث فيها عن الزواج الكاثوليكى الذى يربط بريطانيا بمصر وذلك الاحتفال الذى ألقى فيه مايلز لامبسون سفير بريطانيا فى مصر خطبته التى ملأها بتهديد المصريين ، ووعيدهم اذا هم لم يقفوا الى جانب بريطانيا .

وقد تحدثنا عن مذكرة الوفد المصرى التى بعث بها الى الحكومة البريطانية عبر السفير البريطانى فى القاهرة والى رد الحكومة البريطانية على تلك المذكرة . ونبدأ بنشر رد الوفد المصرى على رد الحكومة البريطانية بنصه ، لأهميته التاريخية ، وهو فيما يلى :

« حضرة صاحب السعادة السير مايلز لامبسون سفير بريطانيا العظمى فى مصر » ..

يا صاحب السعادة :

لى الشرف أن أبلغ سعادتكم انى عرضت على الوفد المصرى فى اجتماعه المنعقد فى النادى السعدى فى يوم الاثنين ٨ ابريل الحالى الرد التلغرافى الذى بعث به سعادة اللورد هاليفاكس وزير خارجية بريطانيا العظمى والذى بلغتمونى ترجمته الفرنسية فى يوم ٦ ابريل ، ردا على قرارات الوفد والهيئة الوفدية البرلمانية السابق تقديمها الى سعادتكم لابلاغها الى الحكومة البريطانية ، كما عرضت عليه الملاحظات التى أبديتها لسعادتكم شفويا على هذا الرد ، فوافقنى الوفد عليها باجماع الآراء ، وكلفنى ابلاغ سعادتكم تأييده لها ، لابلاغها الى الحكومة البريطانية .

وان الوفد ليأسف أشد الأسف لان الحكومة البريطانية فى الوقت الذى تطالبنا فيه بالعمل على تخفيف وقع المذكرة التى قدمناها لها ، لا تخطو هى من جانبها أية خطوة فى سبيل ارضاء الشعب المصرى باجابة مطالبه الحقة ، العادلة، فتقيم الدليل ظاهرا محسوسا على رغبتها فى مشاطرته آلامه وآماله ، كما يشاطر هو الشعب البريطانى آماله وآلامه ، ويخفف بذلك الأثر الممض الذى يحسه الشعب المصرى ، والذى جهدنا صادقين كيما تقنع الحليفة ـ لا بمحاولة تلطيفه فحسب ـ بل بمعالجته علاجا حاسما وعاجلا ، حتى لا يعوق الشعبين الحليفين خلاف ، أو سوء فهم ، أو سوء تأويل ، عن متابعة الهدف المشترك الذى نرمى اليه جميعا ، متساندين ، متعاهدين ، ألا وهو انتصار الديمقراطية نصرا عاجلا وحاسما • وما كنا لنجهل ما يشير اليه رد الحكومة البريطانية من خطورة الحرب القائمة ، ومبلغ خطرها على مصر وبريطانيا معا ، بل ما كنا فى معاونتهم لكم بما فى وسعنا ، وبمافوق وسعنا لنجهل ما يلوح به ذلك الرد من أن انتصار العدو لا يترك لمصر أملا فى صيانة حريتها ، واستكمال ديمقراطيتها •

نعم •• أدركنا ذلك كله ، ومن ثم لم ندخر رغبة ، ولا قوة ، ولا تضحية ، فى سبيل الدفاع عن بلادنا ، وعن شرف عهدنا ، وكان تقديرنا لمسئوليتنا عن مصير الشعب المصرى ، ومصير المحالفة التى ارتبط بها الشعب المصرى ، ومصير المبادىء التى جاهد ويجاهد لها الشعب المصرى هو الذى حدا بنا الى أن تقدم للحكومة البريطانية قرارات الوفد وهيئته البرلمانية ـ أو بالأحرى رغبات الأمة المصرية ـ اذ ما من قرارات صورت ما استقر فى قرارة نفسها من احساس • وصادفت لدى جموع الشعب ما صادفته من رضاء ، بل وحماسة كهذه القرارات التى حملت طابع الاخلاص على جبينها ، وجاءت فى مناسبتها ، وفى حينها •

ومما يزيدنا أسفا على أسف ، أن نجد فى رد الحكومة البريطانية تأويلا لتلك القرارات لا يتفق وما وضعت له ، بل يناقض ما وضعت له ، ورمت اليه ، فقد كانت صيغتها جلية صريحة ، لا تؤدى ـ ولا يمكن أن تؤدى ـ الى تدخل الحكومة البريطانية فى شئوننا الداخلية ، بل ان القرارات قد اتخذت فى الواقع للتخلص من هذا التدخل ووضع حد له سواء فى مسألة الأحكام العرفية التى طلبنا الى الحكومة البريطانية أن تتنازل عنها ، وتتركنا وشأننا مع الحكومة المصرية لكى نصفى معها حسابنا ، أو فى مسألة القطن ومحاصيلنا الزراعية الأخرى التى طالبنا الحكومة البريطانية بوقف تدخلها فيها فتمتنع عن اقامة العراقيل دون تصديرها ، أو دون إيجاد أسواق حرة لها ، وأثمان تتناسب وتكاليف انتاجها ••

فلسنا ندرى اذن من أين استمدت الحكومة البريطانية تأويلها الخاطىء لقراراتنا ، وهى لم تتضمن فوق ما تقدم سوى المطالبة بجلاء القوات البريطانية

بعد الحرب وعقب الصلح — والاعتـراف بحقوق مصر كاملة فى السـودان — والاشتراك فى مؤتمر الصلح — وهى مطالب أبعد ما تكون عن فكرة أو شبهة التدخل من دولة أجنبية فى شئون مصر الداخلية !

بل لعل سعادتكم تذكرون انى صرحت لكم عندما سلمتكم هذه القرارات تصريحا قاطعا لا لبس فيه ولا ابهام ، بأننا لا نقبل أى تدخل من جانب الحكومة البريطانية فى مسائلنا الداخليـة ، وأكثر من ذلك فانكم عندما بلغتمونى رد الحكومة البريطانية وتلوتم على الفقرة التى تشير الى هذا « التدخل » لم يسعنى الا أن أذكركم بتصريحى السـابق ، وأن أحتج على هـذا التـأويل الخاطىء لقراراتنا ، وأن أطلب اليكم تبليغ هذا الاحتجاج الى سعادة وزير الخارجيـة البريطانية — وأن الوفد ليؤيدنى كل التأييد فى هذا الاحتجاج ٠

بيد أن رد الحكومة البريطانية تضمن معنى آخر لا يسعنا أن نسكت عليه — وهو قولها أن فى القرارات نقضا للمعاهدة وتعديلا لنصوصها — والواقع أننا لسنا نحن — كما يظن سعادة اللورد هاليفاكس — الذين نشكك فى معـاهدة الصداقة والتحالف بين مصر وبريطانيا التى كان سعادته أحد موقعيها ، وكان لنا شرف توقيعها ، وكانت — هى — ثمرة مجهوداتنا منذ ثمانية عشر عاما ٠

على أنه ليس فى قرارات الوفد شىء يتعارض مع روح المعاهدة ، بل ان تنفيذ هذه القرارات هو وحده التنفيذ الصحيح — والممكن — لنصوص المعاهدة المتعلقة بها ، وذلك لانه ازاء استحالة بناء الثكنات وجلاء القوات البريطانية الى المنطقة المحددة لها فى المعياد المحدد له — وهى استحالة نجمت عن عمل الطرف البريطانى وعن ظروف الحرب — ستواجه البلاد حتما بحالة لا مفر فيها من أحد احتمالين :

فاما أن تبقى القوات البريطانية محتلة جميع البلاد المصرية ، شمالا ، وجنوبا وشرقا وغربا — واما أن تجلو هذه القوات وتنسحب من مصر جميعـا بعد أن أصبح حصرها فى مكان واحد مستحيلا ٠

وما من شك فى أن الاحتمال الأول — أى بقاء القوات البريطانية فى البلاد المصرية جميعا — يترتب عليه نقض صريح للمعاهدة من أساسها ، لان الجلاء هو حجر الزاوية فيها فلا مناص اذن من تحقيق الاحتمال الثـانى وانسحاب القوات البريطانية من الأراضى المصرية ، لان فى هذا الجلاء وحده تحقيقا للغرض الأساسى من المعاهدة ولا سيما بعد أن استكمل الجيش أهبته ، وعدته ، طبقا لمقتضيات المعاهدة وبعد أن أسفر التعاون بين الجيش المصرى والبريطانى على امكان احلال الجيش المصرى محل القوة الصغيرة البريطانية التى كان مفروضا أن تعسكر فى منطقة قناة السويس حتى يتم تدريب الجيش المصرى فيحل محلها فى الوقت المناسـب وحسـبكم تمحيص الأسباب التى أبدينـاها فى مذكرتنا

السابقة ، لتتبينوا وجه الحق فى مطلبنا ، وأن لا نقض فى المعاهدة ، ولا تعديل لحكمها أو لحكمتها •

انه اذا اقتضى الأمر تعديلا للمعاهدة فالحكومة البريطانية آخر من يصح له الإعتراض على فكرة التعديل فى ذاتها وقد لجأت هى الى تعديل نص هام من نصوص المعاهدة فى اتفاقها الأخير مع صاحب المقام الرفيع محمد محمود باشا عندما كان رئيسا للحكومة المصرية ، وجاء فى صلب هذا الاتفاق أنه تعديل لاحدى مواد المعاهدة المصرية البريطانية ـ فليس مفهوما اذن لماذا تسمح الحكومة البريطانية بتعديل المعاهدة عندما يكون التعديل لمصلحتها وفى غير ما ضرورة ماسة تقضى بها ظروف البلاد وحالتها ، بينما يكون ما نطالب به من تعديل « على فرض انه تعديل » غير مسموح به من الحكومة البريطانية • رغم أن الظروف القاهرة تدعو اليه ، ومصلحة البلدين ترتكز عليه •

أفيكون التعديل فى احدى الحالتين مسموحا وفى الأخرى مرجحا والمعاهدة هى هى ، والمتعاهدان هما هما !!

وكذلك لسنا نفهم كيف نرى الحليفة فى مطالبنا العادلة ، والمتواضعة ، الخاصة بتصريف أقطاننا ومحاصيلنا ، مساسا بالضغط الاقتصادى أو الحصار التجارى ضد ألمانيا •• !

فاننا طالبنا وما زلنا نطالب الحليفة بأن تشترى هى منا أو تترك غيرها من المحايدين يشترون •• وحسبنا أن تتخذ الحليفة فى هذا الشأن من الاحتياطات ما اتخذته مع غيرنا وأن تعامل أقطاننا ومحاصيلنا معاملتها للأقطان والمحاصيل الأمريكية التى تضاعفت صادراتها ، واتسعت أسواقها وارتفعت أثمانها ـ بينما انحطت صادراتنا وكسدت أسواقنا وانخفضت أسعار محاصيلنا بحيث أصبح السعر الذى يباع به القطن والمحاصيل الأخرى لايكاد يفى بمصاريف انتاجها ، ولا سيما بعد أن زادت زيادة كبيرة أسعار السماد والفحم وباقى أنواع الوقود والواردات مما أثقل كاهل الفلاح المصرى وكاد يقصم ظهره واذا كانت انجلترا تشترى من بلاد البلقان والبلاد المحايدة بضائعها وحاصلاتها خوفا من تسربها الى الأعداء أفلا يكون ذلك أدعى لأن تشترى منا أقطاننا أو تسمح بتصريف محاصيلنا ، نحن الأصدقاء والحلفاء ؟

ذلك هو مجمل ردنا على ما جاء فى الرد البريطانى ، وذلك هو موقفنا من قراراتنا ـ لا تغيير منا فيها ولا احراج لكم منها •

وها هى ذى ألمانيا تعتبر مصر بلدا معاديا وهو موقف منها لا نخشاه ؟ فلم يبق الا أن تحقق الحليفة مطالب الشعب المصرى منها ليكون لها موقف منا نرضاه •

وأخيرا ، فقد ألغت شقيقتنا العراق الأحكام العرفية فى أرجائها ، دون أن ترى حليفتنا مبررا لمطالبتها باستمرارها رغم ارتباطهما بمصالح جوهرية وحزبية كارتباطنا ، وبمحالفة كمحالفتنا ــ فلا معنى اذن لاصرار الحليفة على بقاء الأحكام العرفية فى مصر ، وهى نعلم أن المصرى ليأبى أن يساق الى واجبه سوقا ليناضل عن الديمقراطية والحرية ، ويختنق فى جوها خنقا ، هذا ردنا نرجو ابلاغه الى الحكومة البريطانية وتلك قراراتنا أملتها معـــا روح واحدة فى صراحة واباء يحدوهما معا شرف الصدق وشرف الصداقة سواء بسواء ٠

وللحقيقة وللتاريخ نقول : ان الوفد المصرى خلال تلك الفترة التى بدأت فى ابريل ١٩٤٠ قد اتخذ موقفا متشددا جـدا تجاه السياسة البريطانية ، ولا يتفق هذا الموقف أبدا مع موقف الوفد الذى أعلنه النحاس باشا فى احتفال خريجى كلية فيكتوريا ٠

لقد كانت مذكرة الوفد المصرى الى الحكومة البريطانية عنيفة للغاية ، وكان رد الوفد المصرى ، على رد الحكومة البريطانية أشد عنفا ، ولم يكتف الوفد المصرى بتبادل المذكرات بينه ، وبين الحكومة البريطانية ، بل راح يتخذ كل ما يستطيع اتخـاذه من خطوات وقرارات لاثارة رجل الشارع ضد السـياسة البريطانية فى مصر أو ضد حكومة على ماهر باشا ، التى كانت أيضا تخوض أعنف المعارك ضد الحكومة البريطانية التى كانت تتهمها ــ تتهم حكومة على ماهر ــ بمعاداة بريطانيا وفرنسا « الحلفاء » وبمناصرة ألمانيا وايطاليا واليابان « المحور » ٠

وكان محمود بسيونى ، ويوسف الجنـدى ، وحسين محمـد الجندى ، الأعضاء فى مجلس الشـيوخ حيث للوفد المصرى أغلبيـة محترمة قد وجهـوا استجوابا الى رئيس الوزارة على ماهر عن منع الرقابة نشر كل تعليق ، أو تأييد للمذكرة ، المتضمنة قرارات الوفد المصرى والهيئة الوفدية البرلمانية ، وعن عدم نشر الرد البريطانى وجواب الوفد المصرى عليه ، وعن موقف الحكومة المصرية من الرد البريطانى ، وعن المطالب التى جاء هذا الرد جوابا عليها ٠

وفوجىء الشيوخ الوفديون بأن الوزارة ، لم تطلب ــ كما هى العادة ــ تأجيل مناقشة ذلك الاستجواب أربعة أسابيع أو خمسة ، وانما طلبت مناقشة الاستجواب حالا ٠٠ الأمر الذى ترتب عليه تغيير مسار أعمال المجلس بصرف النظر عن كل المسائل المدرجة فى الجدول لتبدأ أعنف جلسات مجلس الشيوخ المصرى ٠

فى تلك الجلسة التى بدأت مساء ٢٠ ابريل ١٩٤٠ استهل الأستاذ يوسف أحمد الجندى بيانه بقوله : انه يأسف لان رئيس مجلس الوزراء قد وصف العمل المجيد الذى قام به الوفد بارساله مذكرته الى الحكومة البريطانية بأنه

عمل شاذ ، ثم تطرق الأستاذ يوسف الجندى الى القول بأنه لم يتعرض مجلس من مجالسنا التشريعية فى العهد الحاضر ، أو فى عهد مضى لموضوع له أهمية وخطورة هذا الموضوع الذى نحن بصدده .

وأشعر ـ هكذا قال الأستاذ يوسف الجندى ـ بأن من يتكلم فى هـذا الموضوع سواء أكان أحد المستجوبين ، أم أحد حضرات الأعضاء المحترمين فى هذا المجلس الموقر ، يشعر بثقل المسئولية الملقاة ، على عاتقه فى كل فكرة ، وفى كل كلمة تصدر منه من هـذا المنبر المقدس ، لما لهذا الموضـوع من أهمية وخطورة ، لانه من جهة ، متعلق بمصالح حيوية خطيرة ، ومن جهة أخرى يرتبط كل الارتباط بعلاقات هى فى منتهى الدقة والأهمية بيننا وبين الحليفة ، فاذا كان هذا شعورى كمتكلم فى هذا المجلس فانى أعتقد أن شعور الحكومة لا يقل مطلقا عن شعورى ، وأنها قبل أن تجيب عن هذا الاستجواب ستراجع نفسها ، مرة وثانية وثالثة ، وستحسب حسابا دقيقا لكل كلمة تفوه بها أمام هذا المجلس الموقر .

ويقول يوسف الجندى : ان الوفد المصرى الذى ألف فى سنة ١٩١٨ والذى حمع كبار شيوخ الأمة ، ونوابها لا ينكر مطلقا الفكرة الوطنية التى دان بها الحزب الوطنى ، وعلى رأسه المغفور له مصطفى كامل باشا : أن الرجل الوطنى لا يجدر به مطلقا أن ينكر فضل الوطنيين ونحن لا ننكر للحزب الوطنى فضله .

وعن ضرورة الغاء الأحكام العرفية رغم الحرب القائمة قال الأستاذ يوسف أحمد الجنـدى : ان الأحـكام العرفية لا داعى لها ، وان الأسـباب التى قامت بسببها والمصالح التى نفكر فى صيانتها يمكن أن تصان وتحفظ بتدبير آخر غير الأحكام العرفية ، ومن المستحيل على أى فكر أن يذهب الى أن مثل هذا الطلب يعتبر تدخلا من الحليفة فى الشئون الداخلية ، لان الأحكام العرفية كما قلت أعلنت بنـاء على طلبها ، وعندما يسأل الشيخ عبـاس الجمل زميله يوسف الجندى ، المزيد من الافصاح يقول الشيخ يوسف الجندى : ان الأحكام العرفية أعلنت بناء على طلب الحليفة ، فمن واجبى أن أقنعها بأنها لا محل لها الآن ، فاذا ما طلبت منها هذا الطلب فلا يعتبر ذلك تدخلا فى شئوننا الداخلية .

وكان معارضو الوفد قد أخذوا على الوفد أنه راح فى مذكرته الى الحكومة البريطانية يطلب رفع الأحكام العرفية ، بينما الأحكام العرفية فى بقائها ، أو الغائها شأن مصرى داخلى لا يجوز اقحام الأجنبى فيه ! وكانت الحكومة المصرية ترى أنه لا يمكن للحكومة المصرية أن تلغى الأحكام العرفية بدون موافقة الحكومة البريطانية !! '

ويستمر مجلس الشيوخ حتى سـاعة متـأخرة من الليل فى مناقشـة الاستجواب ، وتستكمل المناقشة فى اليـوم التالى ، ويكون يوسف الجنـدى

بلا جدال هو فارس الحلبة ، رغم أنه لم يكن وقتئذ زعيم المعارضة ، بل كان الأستاذ محمود بسيونى هو زعيم المعارضة ، وكان غائبا لمرضه عن شهود تلك الجلسات الهامة ٠

وكان من بين الموضوعات التى رد عليها الأستاذ يوسف الجندى ما أثاره على ماهر باشا ، رئيس مجلس الوزراء من أن الوفد قد خرج بمذكرته ، على العرش ورغم اعتراض رئيس المجلس ، على اقحام اسم الملك فى تلك المناقشات السياسية يصر يوسف الجندى على توضيح وجهة نظره ، بل أن الأستاذ يوسف الجندى يطلب من على ماهر رئيس الوزراء أن يطلب حذف هذه العبارة من مضبطة المجلس حتى لا يكون له حق التعقيب عليها ، ولكن على ماهر لا يوافق على حذف العبارة الخاصة بالخروج على العرش من المضبطة فاستمر يوسف الجندى فى توضيح وجهة نظر الوفد قائلا وبالحرف الواحد : ان العرش قبل أن يجرى على السنتنا فهو ماثل فى قلوبنا و ٠٠ و ٠٠ ويرد رئيس الوزراء أكثر من مرة على كلام يوسف الجندى ، بل ويقاطع رئيس الوزراء يوسف الجندى أكثر من مرة ، حتى ليقول يوسف الجندى ــ البرلمانى الممتاز ــ اذا كان المقصود من هذه المقاطعة المستمرة أن أمتنع عن ذكر الوقائع المهمة ، فانى لا أمتنع عن ذكرها بهذه الوسيلة ولو بقيت فى موقفى حتى مطلع الشمس ٠

ويذيع على ماهر باشا ــ فى مجلس الشيوخ ــ سرا مؤداه أنه عندما طلب رفعة مصطفى النحاس باشا مقابلة السفير البريطانى استأذن السفير البريطانى على ماهر باشا فى مقابلة مصطفى النحاس باشا !!

ويقول يوسف الجندى وكأنما لاحت له فرصة التغلب ــ فى المناقشة ــ على رئيس الوزراء على ماهر باشا ــ ما دام السفير البريطانى قد استأذنك فى المقابلة ، وما دمت تعرف أن فى تقديم النحاس باشا للسفير البريطانى مطالب الوفد ، يعتبر خروجا على العرش ، فقد كان واجبا عليك ألا تأذن للسفير البريطانى بمقابلة مصطفى النحاس باشا باعتبارك رئيسا للحكومة المصرية !

ويقول على ماهر : وهل سبق لى أن اطلعت على هذه المطالب حتى أعترض على المقابلة بشأنها ، سبق أن فسرت احترامى لشخص النحاس باشا وما كان ذلك يسمح لى الا بأن أوافق على هذه المقابلة فهل هذه المجاملة منى تحسب على ٠

يوسف الجندى : المقابلة طلبت وحدد موضوعها ولابد أن يكون السفير البريطانى أخطر رفعة على ماهر باشا بالغرض الذى من أجله طلبت هذه المقابلة ، قولوا كان يجب عليكم أن تتقدموا للحكومة بهذه الطلبات وأن عدم تقدمكم بها يعتبر خروجا على النظم والدستور ٠

رئيس الوزراء : قلتم أن الحكومة لا تمثل الأمة وانكم أنتم الذين تمثلونها ٠

يوسف الجندى : ما كان لنا أن نتقدم بمثل هذه المطالب للحكومة التى حلا لها أن تطعننا بهذه المطاعن ، لنفرض أننا كنا مخطئين فى طريقة التقدم ، ففرق بين أن يقال أنكم أخطأتم فى طريقتكم ، لان التقاليد تقضى بكذا وكذا ، وبين أن يقال أننا خوارج على الأمة ، وعلى العرش ، وعلى الدستور ·

هذا الفارق يعطينا فكرة صحيحة عن النظرة التى ينظر بها رفعة على ماهر باشا لنا ونحمد الله أن هذه النظرة ظهرت فى هذا المجلس لتكون أكبر مبرر لما فعله الوفد من أنه لم يتقدم للحكومة بهذه الطلبات ، الحكومة التى تعتبرنا خوارج ·

رئيس الوزراء : الحكومة تعتبر هذا التصرف خروجا على الدستور ، وعلى القوانين ولم تقل أنكم خوارج ·

ويقول الأستاذ يوسف الجندى : ان الأمير عمر طوسون قد كتب خطابا الى رئيس الوزراء بخصوص السودان ، وأن الرقابة حذفت معظم ما جاء فيه من الطلبات الجوهرية ، واقتصرت اباحة النشر على ما فيه مدح وثناء فى رفعة ماهر باشا ، وقد اعترض باشمعاون دائرة الأمير اعتراضا شديدا على ذلك ويرد على ماهر ، على ما قاله يوسف الجندى بقوله : ماذا فعل رئيس مجلس الوزراء لقد وصل اليه خطاب فرد عليه بأحسن رد ·

ويطلب يوسف الجندى من أعضاء مجلس الشيوخ أن يوافقوا على تأييد الطلبات التى تقدم بها الوفد ·

ويتحدث د· محمد حسين هيكل فيقول : اننا فى خدمة البلاد ، لا نبغى فخرا ، كالجندى فى الميدان يفنى فى سبيل وطنه ، لا ينتظر أجرا ، أو مثوبة ، ويناشد د· هيكل المجلس الروية ، وطالب بأن تسمو النفوس الى القوة والاتحاد فى وقت أذيع فيه من لندن شائعة اقتراب القوات الألمانية والايطالية من حدود يوغسلافيا ، واننا يجب أن نعتبر أنفسنا مجندين ومطالبين بتوحيد الصفوف والكلمة ، وأنه يجب أن ننظر الى القضية التى نناصرها ، نظرة الحق والتمسك، وأن نكون دائما مشتركين فى تفكيرنا ، وأن نتغاضى وأن ننسى كل شىء !

والجدير بالذكر ، أن على ماهر باشا قد وصف مذكرة الوفد بأنها ثورة ، وكذلك وصفها حسن صبرى باشا ·

وقد رد حسين الجندى ــ أحد الشيوخ الوفديين ــ بقوله : ما هى هذه الثورة ؟ حزب له رأيه ، كما أن له مكانته واعتباره ، وضميره ، وشرفه هل يجوز له أن يتقدم بطلباته ، لحكومة يعتقد هو فيها أنها لا يمكن أن تنظر فى طلباته للخلاف الذى بينها وبينه ويعتقد أنه اذا تقدم لها بهذه الطلبات فانه يكون متناقضا مع نفسه !

وكما أثير موضوع مذكرة الوفد فى مجلس الشيوخ منذ ٣٠ ابريل ١٩٤٠، فقد أثير هذا الموضوع أيضا فى مجلس النواب ولكن بصورة أخرى ، فى مجلس الشيوخ ، كان الشيوخ الوفديون هم الذين تقدموا باستجواب رئيس الحكومة ، أما فى مجلس النواب فلقد تقدم النائب المحترم على المنزلاوى باستجواب الى رئيس الوزره بشأن ما اعتزمته الحكومة من سياسة لوقف تلك المحاولات التى يحاولها « حزب الوفد » لدى دولة بريطانيا العظمى ، لحملها على التدخل فى شئون مصر الداخلية والخارجية ٠

وقد وقف رئيس الوزراء وطلب مناقشـــة الاســتجواب حالا قائلا : ان الظروف الحاضرة لا تسمح بأن تؤجل مناقشته لان المسألة فى غاية الأهميـة والحكومة على تمام الاستعداد للمناقشة ٠

وعارض الأستاذ فكرى أباظة مناقشة الاستجواب حالا مفضلا أن تؤجل مناقشة الاستجوابات الى أجل غير مسمى نظرا للظروف الحاضرة لان الحرب قائمة والدول مضـطربة ولا يليق بمجلس نوابنـا أن يشغل نفسـه بمناقشة هـذا الاستجواب فى هذه الظروف الدقيقة والخطر على الأبواب ٠

ويؤيد الأستاذ حسن الجداوى الأستاذ فكرى أباظة فى رأيه بينما يرى د٠ بهى الدين بركات أنه يجب أن ينظر الى المستقبل لا الى الماضى فى مثل هذا الظرف العصيب وألا نبذر بذور شـقاق قد لا تحمد مغبته فى هـذه الظروف الحرجة ، وينقسم المجلس ــ مجلس النواب ــ بين مؤيد لمناقشة هذا الاستجواب ، ومعارض للمناقشة ٠

ويقول على المنزلاوى : لقد قدمت هذا الاستجواب بعد تفكير طويل وما كنت أقل من اخوانى وطنية ، ولكننى أرى أن هذا الوقت ملائم للمناقشة فيه ، ولو سمحتم لى بالكلام لوجدتم ذلك فى مصلحة الوطن ٠ لقد قرأت المناقشات التى دارت فى مجلس الشيوخ ، بشأن مذكرة الوفدى وأرى أن مصلحة البلاد الحيوية تقتضى وضع حد لمثل هذه الأمور وأن تستجوب الحكومة فيما يجب أن تعمله ازاء هذا التصرف ٠

ويقول رئيس الوزراء : ان هذا الظرف يقتضى أن تكون الحكومة التى تخدمكم قوية ، ولا تكون الحكومة قوية اذا قام غيركم يتحدث عن حقوق هذه الأمة ، والكلام لا يحتـــاج الى مناقشات فى مسائل شخصية ، ويمكنكم أن تتناولوا الموضوع من الناحية الدستورية ، يوجد برلمان وتوجد حكومة تتكلم باسم البــلاد ، فاذا سمحتم لغيرها بهـذا الحق ، فان الحكومة ستستقيل ، وتستقيل حالا ، ويتقدم على ماهر من المجلس طالبا الثقة ، ويقول الأســتاذ ابراهيم عبد الهادى : ان استجواب مجلس الشيوخ أريد به ألا ينتهى ، ويقول الأستاذ محمود سليمان غنام : ان رئيس الحكومة هو الذى طلب تأجيل هذا

الاستجواب . ويقول الأستاذ عباس محمود العقاد : اذا كان للحوادث أن تعلمنا ماذا يجب أن تصنع الحكومة لمنع هذا التدخل الأجنبى ، وما يجب أن تعمله مع من يخرجون على الدستور ، والتقاليد فان الوقت الحاضر هو وقت النظر فيما يتعلق بالتدخل الأجنبى ، وقد رأينا عاقبة التساهل مع أمثال هؤلاء .

ويقول الأستاذ عبد الحميد عبد الحق : لا أدرى كيف يسمح الرئيس بمثل هذا الكلام ؟

ويقول د. أحمد ماهر رئيس المجلس : لم أسمع شيئا لأعترض عليه .

ويقول الأستاذ غنام : انك تتغاضى عند اللزوم فتقرر انك لم تسمع .

ويسأل رئيس المجلس الأستاذ غنام ، أن يقول له ما قاله العقاد ، ويقول الأستاذ غنام : لا يصح أن يتهم مصرى فى هذا المجلس بأنه خارج على الدستور ، والتقاليد ، وأنه يطلب التدخل الأجنبى ، بل ان هذا الكلام لا يصح أن يقول مثله العقاد على الأخص .

ويقول د. ماهر : اذا صح ما قاله الأستاذ عبد الحق يرفع ما قاله الأستاذ العقاد من المضبطة .

ولكن الأستاذ العقاد يستمر فى الكلام ، ويطلب منه رئيس المجلس أن يسكت فلا يسكت العقاد مؤكدا أن مجلس النواب ليس هو المجلس الذى يؤجل استجوابا يتعلق بالكرامة .

ويأخذ رئيس المجلس رأى المجلس فى مناقشة الاستجواب حالا أو فى عدم مناقشته فتزيد الأغلبية المناقشة فورا ، وتحدث معركة كلامية بين مقدم الاستجواب ، وبين الأستاذ عبد الحميد عبد الحق وبين الأستاذ على المنزلاوى فى ذكر الأسباب التى دفعته الى تقديم استجوابه هذا .

ويقول على المنزلاوى : ان كل رجل يدعى النيابة عن الحكومة هو رجل يكذب ، ويزور ويجب أن يحاكم ، ويقول محمود سليمان غنام : بلغ النيابة اذا ما شئت .

ويقول رئيس الوزراء : آن الوفد يطعنه ، وحكومته من الخلف ، ولست أدرى كيف دفعهم سكوتنا الى تقديم هذا الاستجواب : ان سكوتنا لم يكن ضعفا، ولكنه كان تساهلا لاننا مصريون نحترم احساس بعضنا بعضا .

ولقد أصبحت المسألة جد خطيرة بعد أن تقدموا باستجواب يريدون من البرلمان اقرار تصرفهم هذا وأنا متمسك باحترامى الكامل لتلك الهيئة التى أبت هذا التصرف .

لقد كان سكوتنا موجبـا لتهـدئة الحالة ، وسألتهم أن يتنـازلوا عن استجوابهم ، فقالوا لا نتنازل والموقف الآن لحضراتكم لتفصلوا هل الحكومة هى التى تمثل البلاد أو الوفد هو الذى يمثل البلاد ، وهل يسمح المجلس لأى حزب أن يتقدم الى دولة أجنبية بمطالب أم لا ؟

وتحدث مشادة بين عبد المجيد ابراهيم ، بك ، وبين رئيس المجلس الذى قاطعه قائلا : انه لا تتكلم فى موضوع الاستجواب •

وتتطور الأمور فى الجلسة ••

ويلقى الأستاذ عبد الحميد عبد الحق كلمة ينسحب فى اثرها ومعه النواب الوفديون

ويوافق المجلس على اقتراح يقضى باستنكار كل عمل يقوم به فرد ، أو جماعة ، ويرمى الى التدخل الأجنبى كمـا يقضى الاقتراح ، الذى وافق عليه مجلس النواب باستنكار كل اجـراء يقلل من الثقة بالحـكومة المتمتعة بثقة المجلس •

ويعترض د• بهى الدين بركات باشا ، على هذا الاقتراح ، قبل أن يأخذ الرئيس الرأى عليه قائلا : ان هذا اقتراح لا يجوز قبوله لانه يتضمن استنكار عمل ليس من أعمال الحكومة ولا علاقة له بالأعمال البرلمانية ، ويرد رئيس المجلس على ذلك قائلا : ان الاقتراح لا ينص على استنكار عمل هيئة معينـة وانتقل المجلس ـ كما هى العادة دائما ـ الى جدول الأعمال •

الفصل الخامس

من هاليفاكس الى لاميسون الى فاروق :
على ماهر باشا يجب أن يذهب !

سبق أن ركزنا ـ وبصورة مكثفة ـ على المعركتين العنيفتين اللتين نشبتا في مجلسى الشيوخ والنواب ، حول المذكرة ، التى كان الوفد المصرى قد بعث بها الى الحكومة البريطانية عبر السفير البريطانى فى القاهرة ·

ونضيف اليوم ، ان معركة أخرى جانبية قد نشبت بين الدكتور أحمد ماهر رئيس مجلس النواب ورئيس الهيئة السعدية ، وبين حلفائه السابقين « الأحرار الدستوريين » بخصوص « المعاملة السيئة » التى لقيها بعض نواب الاحرار الدستوريين من رئيس المجلس وقد كان من بين ما قاله أحمد عبد الغفار بك نيابة عن زملائه من النواب الأحرار الدستوريين : أرجو أن يفهم المجلس فى هدوء أن الشدة التى اعتاد استعمالها معنا رئيس المجلس مرارا من غير مناسبة ، ولا داع والتى ظهرت مع عبد المجيد ابراهيم « بك » الليلة هى عمل يستدعى العتب الشديد على الرئيس ·

وقد فكرت أنا وزملائى ، أن ننسحب من الجلسة احتجاجا واستنكارا ، ولكن خشينا أن يئول انسحابنا تأويلا غير الذى نريده ونلفت نظر الرئيس الى أننا لم نعد نتحمل مثل هذه المعاملة » ·

ويرد د· أحمد ماهر ، رئيس المجلس على ما قاله العضو المحترم أحمد عبد الغفار بك بقوله : لا يجوز لأحد من حضرات النواب أن يوجه كلاما الى الرئيس أو الى النواب وأنا لم أمنع النائب المحترم عبد المجيد ابراهيم « بك » من الكلام ، بل هو الذى انسحب من تلقاء نفسه ، وليس هناك اعتداء على أحد ، أو شدة مع أحد ، وأرجو مراعاة اللائحة الداخلية وأنا أحترم كل حضرات النواب من أى حزب وبخاصة نواب المعارضة ، وهذا المنبر ، هو لحرية الرأى ولكن يجب أن تسهلوا مهمتى لنطبق اللائحة ·

وعندما أراد أحمد عبد الغفار « بك » أن يرد على رئيس المجلس د· أحمد ماهر انتقل اليه محمود فهمى النقراشى باشا قائلا له : « مفيش داعى للكلام بقى ، نبقى نشوف المسألة دى بعدين » وجلس أحمد عبد الغفار « بك » فى مكانه وهو يقول : طيب نبقى نسويها بعدين » ·

وانتهت الأزمة ، التى أثارها النواب من الأحرار الدستوريين وان لم تنته الأزمة التى وقعت بين رئيس المجلس وبين الأستاذ عبد الحميد عبد الحق زعيم المعارضة الوفدية فى مجلس النــواب والتى بلغت ذروتهــا بانسحاب النــواب الوفديين من الجلسة احتجاجا على « الحجر الشديد على حرية الرأى » · وكان من بين ما قاله عبد الحميد عبد الحق : ان الحكومة الحاضرة ــ حكومة على ماهر باشا ــ لم تلجأ ، الى تلك المناورة التى لجأت اليها بخصوص هذا الاستجواب الذى كان يناقشه المجلس ، الا لانها أضعف من أن تطلب من الحكومة البريطانية الطلبات التى طلبها الوفد المصرى من الانجليز ·

وقد كان موقف حكومة على ماهر باشا ــ فى الحقيقة ــ صعبا للغاية فهى على خلاف عنيف مع الأحرار الدستوريين الذين يشكلون فى مجلس النواب قوة هائلة وخطيرة · كما أن لهم فى مجلس الشيوخ أقلية ، وان كانت ضئيلة للغاية الا أنها غدت ذات خطورة عندما مدت يدها للتعاون مع الأغلبية الوفدية فى مجلس الشيوخ ·

وكان الوفد المصرى يعرف جيدا ، وأكثر من غيره ، أية أزمات عنيفة تقوم بين الحكومتين المصرية ، والبريطانية فاذا به يشن حربا شعواء ، ضــد حكومة على ماهر ، التى أجبرت على أن تحارب فى أكثر من جبهة قوية فى وقت واحد ، وفى مكان واحد ··

وللحقيقة وللتاريخ نقول أن حكومة على ماهر باشا ، رغم ضعف مركزها ، ورغم تشديد الهجوم عليها من الحكومة البريطانية ومن الوفد المصرى الا انها لم تستسلم أبدا للضغط البريطانى ولم تغير من موقفها تجاه بريطانيا ، التى كانت بريطانيا تعتبره « موقفا متصلبا » ، كما انها لم تغير من موقفها تجــاه « دولتى المحور » وهو الموقف الذى كانت بريطانيا تراه « موقفا ممالئا » ·

لقد ظلت حكومة على ماهر تنفذ الشعار الذى اختطته لنفسها منــذ بداية الحرب ، وهو ضرورة تجنيب مصر ويلات الحرب ، وهو الشعار الذى رحب به الشعب واعتبره بحق ضرورة وطنية يجب على كل حكومة وطنية أن تلتزم به ·

كما أن حكومة على ماهر ــ حقيقة ــ لم تتردد فى تنفيذ بعض الأمور ، التى كانت بريطــانيا ترى أنها معادية لها ، وذلك مثــل زيارة على ماهر باشا ــ يصحبه وزيرا الدفاع والأشغال ــ للسودان دون استئذان بريطانيا المسيطرة على الأمور فى السودان ، وقد زار على ماهر باشا ــ ورفاقه عطبرة ، الخرطوم ،

وأم درمان ، وواد مدني ، وسنار ، وكوستي ، وملكال ، وبحر الزراف ، وبورسودان ، وطافوا بالمؤسسات المصرية في الري والتعليم والجيش وبعض المعاهد ، والمصالح ، والنوادي ٠

وكان علي ماهر أول رئيس وزارة مصرى في العهد الحديث يزور السودان أثناء توليه الحكم ، وقد نجحت هذه الزيارة نجاحا رائعا أغضب بريطانيا ، الى حد كبير ، كما أن هذه الزيارة عمقت أواصر الوحدة الطبيعية ، التي تجمع شمال الوادي وجنوبه ٠

كما أن حكومة علي ماهر ، حرصت على ازاحة الستار عن تمثال مصطفى كامل أصلب سياسي معاد للاستعمار البريطاني في مصر في بداياته الأولى ، رغم تأجيل الاحتفال بازاحة الستار أكثر من مرة ، كما أن ذلك الخطاب الذي ألقاه علي ماهر أمام الملك في حفل ازاحة الستار كان يحق من أروع ما ألقى في تلك الفترة من خطب وطنية وقد اعتبرت بريطانيا ، ذلك الخطاب موجها الى السياسة البريطانية الاستعمارية في مصر ، وكان من بين ما قاله علي ماهر في تلك المناسبة الوطنية القومية :

كلما ذكر مصطفى ظهر اسمه في هالة من المجد ، وانتشر ذلك النور الساحر ، الذي يملأ النفوس رهبة واجلالا ٠٠ في هذه الساعة يطيب لنا أن نجتمع في ظل المبادىء التي أفنى نفسه ، وجسمه فيها ، في ظل الاخلاص الذي مات عليه فأحيا أمته ، ودفع شبابها الى ميادين الكفاح والعلا ٠ نجتمع أمام ذلك التمثال الذي يحرك النفس ، وهو صامت لان جلال التاريخ ، وجلال الذكرى في شخصه يلتقيان ٠ كانت حياة مصطفى قصيرة : لم تكن كحياة غيره من الزعماء والقادة ، سلسلة أعمال توصف ، وتحلل ، وانما كانت هذه الحياة كلها التي تعلو ، على كل حصر وتحليل ، صوتا يخيل الى سامعيه أنه يهبط من السماء ، صوتا كصوت الماضي ، رن في الوادي فانتبه ولا تزال أصداؤه تتجاوب وتمتد بعد الموت ٠

كان مصطفى يحمل في قلبه صورة الوطن أنى سار أو أقام فكان قلبه مقتدرا على جمع القلوب ، تخفق كلما خفق وتشاطره حمل السراء ، والضراء ٠ وكان الشباب ـ شباب الوادي ، وعدته ـ جنوده المجندة ، تأتلف وتلتف حول لوائه كان هو قائدها ، وهاديها !

كان مصطفى شعلة ذكاء وحماسة كان خير محام عن خير قضية ، وكان في دفاعه يهب لنصرة الحق ، والعدل ، وكان جلدا على الكفاح لا يبرح يناضل حتى يصرع الباطل ، ويرمي السهم في مقاتله !

مات مصطفى فكان موته ، أول شاهد على تغلغل الروح الوطنية في مختلف الطبقات وأول دليل على أن في هذه الأمة قوة بل قوى حيوية كامنة اذا وجد من يحركها ويتعهدها أتت بالمعجزات ٠

فلنذكر مصطفى ، ولنطف بتمناله ، ولنأخذ من موته معنى للحياة والحرية والأمل » ٠

ولست أعتقد أبدا أن زعيما مصريا قد تجرأ فى « حضرة الملك » أو فى غير حضرة الملك فألقى مثل هذا الكلام عن مصطفى كامل باعث النهضة الوطنية المصرية الحديثة ، التى ما قامت الا لمحاربة الاحتلال البريطانى ٠

دخلت ايطاليا الحرب الى جانب ألمانيا فى ١٠ يونيو ١٩٤٠ ، وكثرت المطالب البريطانية من حكومة على ماهر ، ولكن على ماهر ، كان يرفض تحقيق تلك المطالب ، بل كان يرفض حتى تحقيق بعض تلك المطالب ٠

ويجتمع مجلسا البرلمان : الشيوخ والنواب فى ١٢ يونية — أى بعد دخول ايطاليا الحرب بثمان وأربعين ساعة — حيث يلقى على ماهر باشا رئيس مجلس الوزراء فى جلستين سريتين بيانا عن سياسة الحكومة المصرية ازاء دخول ايطاليا الحرب وكان مجمل الخطوط الرئيسية لتلك السياسة ، تجنيب مصر ويلات الحرب مع وفاء مصر بتعهداتها ، وتقديم أكبر عون ممكن لبريطانيا — الحليفة — فى دفاعها عن الحق ، والحرية فى حدود معاهدة ٢٦ أغسطس ١٩٣٦ — معاهدة الصداقة والتحالف — وأن يكون موقف مصر ، دفاعيا مع قطع العلاقات السياسية مع ايطاليا ، واعتقال معظم رعاياها فى مصر ٠

ويقر المجلسان — مجلسا الشيوخ والنواب — حكومة على ماهر ، وسياسة الحكومة ، وتقوم الحكومة البريطانية ولا تقعد ، وتعلن بريطانيا الحرب — بصورة مكشوفة — ضد وزارة على ماهر باشا ٠٠

وفى منتصف الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم ١٧ يونيو ١٩٤٠ — أى بعد ٥ أيام فقط من موافقة مجلسى البرلمان على سياسة وزارة على ماهر باشا — يقابل السفير البريطانى السير مايلز لامبسون الملك فاروق ، ليقول للملك أنه يحمل اليه رسالة شفهية من اللورد هاليفاكس وزير الخارجية البريطانية ، فيطلب منه فاروق أن يدون تلك الرسالة كتابة : وينتحى السفير البريطانى ركنا من أركان غرفة الملك ويكتب وبالقلم الرصاص الرسالة التالية :

« من الواضح ، ان على ماهر — يلاحظ أنه حرمه من القابه — لا يجرؤ على مواجهة الصعاب والأخطار التى تنطوى عليها حتما الحالة الحاضرة بالنسبة لمصر ، وحتى اذا أجابنا الى مطالبنا فانه لايخفى أن ذلك مخالف لارادته ورأيه ولا يمكن أن يستمر الحال على ذلك ٠

وبناء عليه فان تعليماتى اليكم هى :

أن تخبروا الملك فاروق ، أن أسوأ سياسة فى وقت الحرب انما هى سياسة الشك ٠

ان موقف على ماهر ، لا يتفق مع روح المعاهدة ، ولا يمثل شعور مصر والشعب المصرى ، بل لا يخدم مصالح مصر العليا .

ومن الضرورى والحالة هذه تأليف حكومة أخرى .

ورسائل لورد هاليفاكس وزير الخارجية البريطانية الى سير مايلز لامبسون السفير البريطانى فى القاهرة ، ورسائل لامبسون الى هاليفاكس فى تلك الأيام ، العصيبة من تاريخ مصر والعلاقات المصرية البريطانية تؤكد أن سير مايلز لامبسون ، فى لقائه بالملك فاروق لم يطالبه بأن تذهب وزارة على ماهر باشا ، وحسب ، وانما حمل اليه مع طلب تبديل الوزارة تهديدات كثيرة من بينها ــ مثلا ــ احتمال التدخل العسكرى البريطانى ان لم يخرج رئيس الوزراء وكذلك احتمال أن تفرض بريطانيا الأحكام العرفية البريطانية على مصر ، كما حدث فى الحرب العالمية الأولى ، كما حمل مايلز لامبسون الى الملك أيضا التهديد بانزاله عن العرش ، ووضعه تحت الرقابة حتى لا يلجأ الى ايطاليا » .

وبعد لقاء الملك بسير مايلز لامبسون ، سفير بريطانيا فى مصر ــ بريطانيا، التى عقدت مع مصر فى ٢٦ أغسطس ١٩٣٦ معاهدة صداقة وتحالف ــ يستدعى الملك زعماء البلاد فى الساعة الخامسة بعد ظهر السبت ٢٢ يونيو ١٩٤٠ ويلبى الدعوة الى هذا الاجتماع : على ماهر باشا رئيس مجلس الوزراء ، مصطفى النحاس باشا رئيس مجلس الوزراء السابق ورئيس الوفد المصرى أحمد زيور باشا، رئيس سابق للوزارة ، محمد محمود خليل بك رئيس مجلس الشيوخ ، أحمد ماهر باشا رئيس مجلس النواب ورئيس الهيئة السعدية ، محمد صالح حرب باشا وزير الدفاع ، محمد توفيق رفعت باشا رئيس سابق لمجلس النواب ، محمد حلمى عيسى باشا رئيس حزب الاتحاد الشعبى ، محمود بسيونى رئيس سابق لمجلس الشيوخ ، محمد بهى الدين بركات رئيس سابق لمجلس النواب ، محمد حافظ رمضان رئيس الحزب الوطنى ، مصطفى عبد الرازق وكيل حزب الأحرار ، نائبا عن محمد محمود الذى اعتذر لمرضه ، عبد الحميد بدوى كبير المستشارين الملكيين ، عبد الوهاب طلعت وكيل الديوان الملكى « ليدون محضر الاجتماع » .

ويفتتح الملك الاجتماع ، ويشير الى المسائل التى سيتناولها البحث ، ويطلب من الحاضرين أن يبحثوا الأمور بكل حرية ، ثم يغادر الملك الاجتماع ، ويتداول المجتمعون الموقف ، بعد أن عرضه عليهم بتفصيل على ماهر ، ويدوم الاجتماع حتى الساعة العاشرة والدقيقة العاشرة مساء ، وينتهى الاجتماع بقرار بالموافقة على استقالة وزارة على ماهر ، ويجىء فى القرار : أنه ازاء اصرار على ماهر باشا ، على الاستقالة فانهم يضعون الأمر ، بين يدى الملك ليتصرف فيه بحكمته و . . » .

ويقـــدم على ماهر باشا ، فى اليـــوم التالى ٢٣ يونيو ١٩٤٠ استقالة الوزارة •

وفى ٢٤ يونية ١٩٤٠ ، يستدعى الزعماء ، والكبراء مرة أخرى الى قصر عابدين للبحث فى تأليف وزارة قومية تواجه الظروف العصيبة التى تواجهها البلاد ، ويرفض مصطفى النحاس باشا الاشتراك فى هذه الوزارة القومية ، حتى ولو كان رئيسا لها ويصر على تأليف وزارة محايدة يكون أول عمل لها حل مجلس النواب القائم فورا ، واجراء انتخابات حرة ليس مهما أن تتم فى ظرف الستين يوما ، التى نص عليها الدستور ، بل تتم عندما تسمح الظروف بذلك ، ويفشل هذا الاجتماع ••

ولكن الملك يرسل وكيل ديوانه ، عبد الوهاب طلعت بك الى النحاس باشا فى كفر عشما بالمنوفية ، حيث كان يقيم ليعرض عليه تأليف وزارة قومية برئاسته ويعتذر النحاس باشا طالبا أن تكون الوزارة وفدية لحما ، ودما •

وفى ٢٨ يونيو ١٩٤٠ يصدر المرسوم الملكى بتأليف وزارة حسن صبرى باشا من السعديين والأحرار الدستوريين ، والحزب الوطنى ، والمستقلين وذلك على النحو التالى :

حسن صبرى باشا للرئاسة ، والداخلية ، عبد الحميد سليمان باشا ، للمالية ، محمد حلمى عيسى باشا للعدل ، محمود فهمى النقراشى باشا للداخلية ، محمود فهمى القيسى باشا للدفاع الوطنى ، صليب سامى بك للتموين ، محمود غالب باشا للمواصلات ، محمد حافظ رمضان باشا للشئون الاجتماعية ، محمد حسين هيكل باشا للمعارف ، الشيخ مصطفى عبد الرازق بك للأوقاف ، ابراهيم عبد الهادى للتجارة والصناعة ، أحمد عبد الغفار بك للزراعة ، على أيوب وزير دولة ، عبد المجيد ابراهيم ، وزير دولة ، على ابراهيم باشا للصحة !

أربعة وزراء من الهيئة السعدية ، أربعة وزراء من الأحرار الدستوريين ، ممثل الحزب الوطنى وآخر لحزب الاتحاد الشعبى ، ستة وزراء مستقلين ، بالاضافة الى رئيس الوزراء وهو أيضا مستقل •

وكانت وجهـة نظر الحـكومة البريطـانية ، فيما يتعلق برئيس الوزراء الجديد ، أن يكون « غير وفدى » ولكنه يتمتع بثقة الوفد •

ولم تكن الحكومة البريطانية تصر على تأليف وزارة وفدية لحما ودما – فى هذه الفترة – على أســاس أن تعيين وزارة وفدية سيكون من شأنه اغضــاب القصر ، وبعض الدوائر السياسية الأخرى مما يهم انجلترا أن تظل على تعاون معهم ، هذا بالاضافة – كما يقول لورد هاليفاكس الى لامبسون فى رســالة بتاريخ ١٦ يونيو ١٩٤٠ – الى ما يتمتع به الوفد من شهرة سيئة من ناحية انعدام الكفاءة الادارية •

وكان اشتراك محمد حافظ رمضان باشا ، فى وزارة حسن صبرى باشا سبب نشوب خلاف عميق فى الحزب الوطنى ، لقد سبق لحافظ رمضان باشا ، أن اشترك فى وزارة محمد محمود باشا الثانية فى سنة ١٩٣٧ ، وقد اعتذر بأن الوزارة قد ألفت على عجل ، ولم يكن لديه متسع من الوقت لأخذ رأى اللجنة الادارية للحزب الوطنى وسكتت اللجنة الادارية - كما يقول الأستاذ عبد الرحمن الرافعى - عن هذا الاشتراك خاصة وأن حافظ رمضان باشا ، لم يشترك فى وزارة محمد محمود باشا الثالثة ، فلما وقعت أزمة يونيو ١٩٤٠ ، واستقالت وزارة على ماهر ، اجتمعت اللجنة الادارية للحزب الوطنى ، يوم ٢٤ يونية وبحثت الموقف وهل يشترك الحزب فى الوزارة الجديدة ، اذا دعى لذلك ، أم لا يشترك ، فقررت اللجنة عدم الاشتراك فيها ، ثم ألفت وزارة حسن صبرى باشا وفيها حافظ رمضان باشا ، فوقع الانقسام فى اللجنة الادارية للحزب الوطنى ، بين معارض لموقف حافظ رمضان باشا لمخالفته قرار اللجنة ، ومؤيد له فى موقفه ٠٠ » ٠

وما سبق ذكره ، لم يكن الا مجمل الأحداث الخطيرة التى وقعت فى شهر يونية ١٩٤٠ ، وانتهت باستقالة وزارة على ماهر باشا ، بل باقالتها ، اذا أردنا تقرير الواقع الصحيح ٠

لقد كانت وزارة على ماهر مؤيدة من البرلمان بمجلسيه ، ولم يكن قد مضى على اعلان هذا التأييد الجماعى أكثر من عشرة أيام ، كما أن الوزارة كانت أيضا مؤيدة من الملك ومن الشعب الذى وقف خلفها يؤازرها ويناصرها ويدعمها فى تنفيذ سياستها الرامية الى تجنيب مصر ويلات الحرب ولكن بريطانيا الدولة الحليفة التى كانت قد وقعت فى مصر فى ٢٦ أغسطس ١٩٣٦ معاهدة تقول ان الوضع الخاص لبريطانيا فى مصر قد انتهى الى غير رجعة وان العلاقات الجديدة بين الدولتين تقوم ، منذ توقيع المعاهدة على أسس من المساواة الكاملة ٠ بريطانيا الحليفة التى لم يكن قد انتهى العام الرابع على توقيع معاهدة الصداقة، والتحالف معها تأبى الا أن تفسخ تلك المعاهدة وتمزقها اربا اربا فتتدخل فى أمر خاص بسيادة مصر واستقلالها لا تكتفى بأن تطلب ابعاد وزارة مؤيدة من الملك والشعب والبرلمان والمجىء بوزارة أخرى بل تهدد بفرض الأحكام العرفية البريطانية على مصر وبعزل الملك ونفيه خارج البلاد ٠

ونحن نخطىء اذ نلوم بريطانيا على تدخلها فى أمور مصر الداخلية ومساسها باستقلال البلاد ، وانما اللوم يجب أن يوجه الى زعماء البلاد وقادتها الذين عجزوا عن الارتفاع الى مستوى الحدث الهام والخطير الذى سببه التدخل البريطانى ٠

كان مطلوبا من زعماء البلاد وقادتها أن ينسوا ما بينهم من خلافات واختلافات فى الرأى وأن يقتدوا حتى ببريطانيا التى واجهت ظروف الحرب

بوزارة قومية ، وأن يعيدوا الى الوجود جبهتهم الوطنية التى تالفت فى عـام ١٩٣٥ ، ولم تكن الظروف التى فرضـت تكوينها قد هددت استقلال البـلاد كظروف عام ١٩٤٠ ٠

واعتقادى الراسخ أن زعماءنا وقادتنا لو أنهم وحدوا صفوفهم وارادتهم ، وواجهوا التدخل البريطانى يدا واحدة ، وقلبا واحدا لأنقذوا البلاد من تدخل اخر على مستوى أوضح وأظهر وأخطر وقع فى فبراير ١٩٤٢ ٠

من يتصور أنه لا يوجد من بين قادتنا وزعمـائنا من احتج على التدخل البريطانى ، ووقف موقفا مشرفا يذكره له التاريخ ٠

من يتصور أن قادتنا وزعماءنا الذين منحهم الشعب كل شىء عجزوا عن الرد على بريطانيا عندما داست استقلال البلاد وكرامتها بالنعال البريطانية ! ٠

وأقولها مخلصا ، ان الأطماع الشخصية والأنانية والحزبية وعدم الارتفاع الى مستوى الأحداث السياسية الخطيرة التى تتعرض لها البلاد ، كان السبب الرئيسى فى هزيمة شعبه مصر فى معركة يونيو ١٩٤٠ وكان سببا ـ أيضا ـ فى تحريض بريطانيا على الاستمرار فى التدخل فى شئون البلاد ، وفى الحاق المهانة بها ٠

وحول تلك النقطة يقول أستاذنا عبـد الرحمن الرافعى : لقد توحـدت الصفوف فى انجلترا خلال الحرب وتكونت وزارة ائتلافية جمعت بين المحافظين والأحرار ، أما فى مصر فان التطاحن الحزبى قد استمر على الرغم من أن مصير البلاد ومصير العالم كله كانا فى ميزان القدر ٠٠ وهذا دليل على مبلغ ما شاب النفوس والحياة السياسية عندنا من أنانية وأطماع شخصية ونقائص أخلاقية ليست من الوطنية فى شىء ٠

وعن الظروف التى أدت الى الأزمة المصرية ، البريطانية يقول د٠ محمد حسين هيكل : كانت الوزارة قد عينت الفريق عزيز المصرى باشا رئيسا لأركان حرب الجيش المصرى ، وعزيز باشا رجل تعلم الفنون العسكرية الألمانية ولم يخف فى يوم من الأيام اعجابه بألمانيا أمـام موجـة الاعجـاب بانتصار الألمان المتواصل ترتفع فى مصر وعزيز باشا هو رئيس أركان حرب الجيش المصرى والوزارة المصرية تأبى أن تعلن الحرب على ألمانيا والانجليز الرسميون وغـير الرسميين فى مصر يشعرون من أعماق نفوسهم بهول ما يصيب أبناء وطنهم فى ميادين القتال ويرون بأعينهم هذا الذى يقع فى مصر ، ويسمعون أن عبد الرحمن عزام بك ، وزير الشئون الاجتماعية ، وصالح حرب باشا وزير الحربية يتحدثان ـ فى كل مجلس ـ عن انتصارات الألمان ، وهزائم الانجليز فلا عجب أن تمتلئ نفس السفير البريطانى ، وأعوانه فى السفارة البريطانية والمشيرون عليه من الانجليز المقيمين فى مصر ، حفيظة على هذه الوزارة ، التى رفضت مجاراتهم ،

فى اعلان الحرب وأصرت على هذا الرفض وأن يروا فيما تقـــدمه من المعـونة لانجلترا فى حدود المعاهدة نوعا من النزول على الحكم لا يرضاه من ضعضعت الهزيمة نفسه فلم يعد قادرا على كبح غضبه أو اخفاء حفظيفته !

ويقول د. هيكل : انه تحدث مع الرايت أونورابل سسل كامبل مدير شركة ماركونى فى مصر حول موقف وزارة على ماهر باشا من الحرب وموقف انجلترا منها وكان كامبل صريحا فى حديثه : ان الوزارة تنفذ المعاهدة بسخاء ، ولكنها تنفذها تنفيذ الكاره الساخط لا الصديق الحريص على معاونة صديقه ، وقد أثار حـــديثه فى نفسى ــ نفس د. هيكل ــ الكلمة العربية القديمة عن الاحسان : « ان الناس لا يسألون ، كم أعطى ، ولكنهم يسألون كيف أعطى » وعلى هذا كانت الحالة النفسية القائمة بين الوزارة المصرية والسلطات البريطانية فى مصر ، مشوبة بقدر عظيم من عدم الثقة وعدم الاطمئنان الى المستقبل .

وكان السفير البريطانى سير مايلز لامبسون من أشد البريطانيين تأثرا بهذه الحالة النفسية ، وهو لم يكن يخفى فى أحاديثه لأصدقائه ومعارفه من المصريين ما يخالج نفسه من هذا الشعور كما أنه لم يكن يقف فى حديثه ، عن موقف مصر ، من انجلترا عند الوزارة بل كان يتخطى الوزارة الى العرش ، وصاحبه ، ويذكر أن فاروق ألمـانى الهوى يسر لانتصـــارات النازية ولهزائم انجلترا ، وكان يستشهد بحوادث لا أعرفها . لكننى كنت أعلم ان الملك فاروق كان مستريحا لعدم اعلان مصر الحرب ، وانه كان يرى فى هذه السياسة خيرا لمصر كثيرا » .

ويقول د. هيكل : ان انجلترا شكلت وزارة قومية تضم العمال والأحرار مع المحافظين برئاسة ونستون تشرشل . وعندما انهارت فرنسا فى الحرب ، انتهزت ايطاليا الفرصة فدخلت الحرب شريكة مع ألمانيا لعلها تظفر بنصيب من مغانمها عند عقد الصلح : أدى دخول ايطاليا الحرب الى تطور جوهرى فى موقف مصر وانجلترا ، فايطاليا تحتل ليبيا ومن ثم تتاخم مصر فى برقة ، وقد تولى الجنرال جراتسيانى قيادة القوات الايطالية فى ليبيا ليتوجه بها الى مصر . ويجعل من أرضها ميادين لقتال انجلترا فيهـا ، وقالت حكومة ايطاليا انهـا مضطرة لدخول الأراضى المصرية لاخراج الانجليز منها وانها رغم ذلك ، تحترم استقلال مصر ، ولا تريد بحال أن تعتدى على هذا الاستقلال أو تمسه .

ويعلن على ماهر باشا أن مصر ستقف موقف المدافع عن نفسها اذا اعتدى عليها ، ولكن بريطـانيا لم تكن مطمئنة الى نوايا الحـكومة المصرية .. وكان د. أحمد ماهر ، أول من نادى ان مصر ، لم يبق لها مفر من أن تعلن الحرب على المحور « ألمانيا وايطاليا » وأن تتخذ لهذا الموقف كل أهبة ، وكل عدة ، ولم يكن للرأى الذى نادى به د. أحمد ماهر صدى فى الرأى العام المصرى . وكانت ساسة محمد محمود باشا ــ وقد اشتدت العلة به فلزم فراشه ــ يرى

رأى الدكتور أحمد ماهر ، على أنه لم يشأ أن يبدى رأيه هذا لأعضاء حزبه٠٠و٠ وأننا لكذلك ننتظر ما سوف تتطور اليه الحوادث ، اذ علمنا أن الحكومة البريطانية وجهت عن طريق سفارتنا فى مصر ، الى الملك فاروق تبليغا بأن حكومته لا تقف منها موقف الصديق ، وانها فى ريب من نواياها ، ورأى الملك حين رفع اليه هذا التبليغ أن يستنير برأى أولى الرأى فى البلاد فوجهت الى الأحزاب بأمره دعوة أن تبعث مندوبيها الى اجتماع يعقد بقصر عابدين للتشاور فى الموقف ، واختار محمد محمود باشا مصطفى عبد الرازق لينوب عن حزب الأحرار الدستوريين فى هـذا الاجتمـاع ٠ وهناك عرض على ماهر باشا على المجتمعين ما قامت به وزارته من معاونة انجلترا فى حدود المعاهدة ، وما تلقته من خطابات الشكر على هذه المعاونة ، لكن الحاضرين وفى مقدمتهم أحمد ماهر باشا رأوا الخير فى أن تستقيل وزارة على ماهر باشا ، بعد أن انعدمت الثقة بينها وبين الحكومة البريطانية ، وبعد أن أصبح تعاونهما غير ممكن ٠

وعلى اثر هذا القرار ألقى على ماهر باشا فى البرلمان تصريحا طعن فيه طعنا جارحا على موقف انجلترا من مصر ، وعلى تصرف سفيرها الاستبدادى مع وزارة مصر ، مما جعل عودته الى الحكم والحرب قائمة أمرا غير ممكن وجعل منه خصما صريحا لممثل انجلترا فى مصر ، وخصما صريحا لانجلترا نتيجـة لذلك ، ورفع على ماهر باشا استقالة وزارته الى الملك فقبلها ٠

الفصل السادس

زعماء مصريون يطلبون من بريطانيا
اقالة وزارة علي ماهر

● سبق ان تحدثنا عن واحدة من اخطر الازمات السياسية فى التاريخ تلك الازمة التى نتجت عن اصرار بريطانيا على ان يذهب على ماهر ، ووزارته وأن تجىء وزارة أخرى ترضى عنها الحليفة « بريطانيا » ونكمل فى هذا الفصل قصة التدخل البريطانى ، المزرى والمعيب والذى تقبله القصر والزعماء السياسيون بالخنوع والاستسلام ·

يقول د· محمد حسين هيكل :

وأخذ الملك ـ بعد أن رفع على ماهر استقالة وزراته ـ يتبين من عسى يكون الرجل الذى يعهد اليه بتأليف الوزارة الجديدة ، ليتلافى الموقف الذى ادى الى استقالة الوزارة الماهرية ، وكان طبيعيا ان يكون هذا الرجل ممن تصلهم بالسفير البريطانى مودة تمكنه من مواجهة الاحداث ، الدقيقة المتوقعة نتيجة لدخــول ايطاليا الحرب ، واستقر الرأى على ان يعهد لحسن صبرى باشا بتأليف هــذه الوزارة الجديدة · وعرض حسن صبرى باشا على الاحرار الدستوريين معاونته والاشتراك فى وزارته فقبلوا الاشتراك فى هذه الوزارة ، وقد رأى حسن صبرى باشا قبل ان يصله التكليف الرسمى بتأليف الوزارة أن يتصل بالسفير البريطانى وكانت بينهما مودة ليطمئن على ألا تتعرض وزراته بعد تاليفها لما تعرضت له وزارة على ماهر باشا من قبل الحكومة البريطانية فلما اطمــأن الى ذلك ألف الوزارة من الأحرار الدستوريين ، ومن السعديين ومن المستقلين » ومن بين ما ذكره د· محمد جمال المسدى ود· يونان لبيب رزق ود· عبد العظيم رمضان عن الازمات التى قامت بين بريطانيا وبين حكومة على ماهر باشا : بعد أن اضطر لامبسون الى التخلى عن طلب دخول مصر ، الحرب ضد ايطاليا ، بدأ منذ ١٣ يونيو يتبع سياسة جديدة تتفق مع توجيهات وزارة الخارجية البريطانية ·، وهو ، ولاء ،

وتعاون الحكومة المصرية بالكامل ، واتجه لامبسون الى تشديد الضغط على « على ماهر » لتنفيذ طلبات بعينها ، وهى طلبات تخدم مصالح بريطانيا السياسية والعسكرية من جهة ، ويؤدى تنفيذها من جهة ثانية الى ســوء العلاقات بين على ماهر وايطاليا بما يمنع قيــام تفاهم بينهما على حساب بريطــانيا ، كما يؤدى عدم تنفيذها الى كشف موقف على ماهر بما يؤدى الى طرده من الوزارة ، والحصول على وزارة تتعاون بولاء مع بريطانيا : أى أنها سياسة احراج وتوريط على ماهر ، ويقول لامبسون ، لأحمد حسنين عندما قابله فى ١٢ يونيــو ١٩٤٠ ان رئيس الوزراء ، على ماهر ، لو نفذ ما يريدون فسوف يقبلون التعامل معه ، لكن حينما يتضح أنه يخدعنا مع الايطاليين سيكون على الملك فاروق ، لصالحه ولصالح بلاده أن يتصرف ، ويطلب لامبسون من أحمد حسنين باشا أن يحذر الملك من الاخطار المقبلة ، وفى نفس الوقت كتب لامبسون ،الى هاليفاكس عن المطالب التى مازال على ماهر مترددا فى اجابتها وهى :

(أ) ضرورة اعتقال من لا يزال طليقا من الالمان بسرعة رجالا كانوا أم نساء وذلك بسبب نشاط الطابور الخامس ٠

(ب) ضرورة القيام فى الصحف والاذاعة بدعاية مضادة للدعاية الايطالية، ومع أن رئيس الوزراء قد وعد بذلك فانه يعوق القيام بما وعد ٠

(جـ) تم اطلاق سراح بعض من سبق اعتقالهم ، من الايطاليين بالمخالفة لما طلبنا ٠

(د) هناك ما يدل على عدم الرغبة فى العمل طبقا لما نريده من وقف جميع أنواع التعامل تجــاريا وماليا مع ايطاليا ، ومصــادرة المؤسســات الايطالية فى مصر ، وتجميد الحسابات الايطالية فى البنوك المحلية و٠و٠ رئيس الوزراء لم يوافق بعد ذلك رغم استعداد وزير المالية حسين سرى للتعاون فى هــذا المجال ٠

(هـ) يعارض على ماهر بعناد تعيين حكام عسكريين ، بريطانيين لثــلاث مناطق عسكرية ، ويضيف لامبسون الى ذلك قوله : انه يكاد لا يوجد شك فى أن على ماهر يتبع سياسة ذات وجهين بين بريطانيا ، وايطاليا وأنه يعمل على تسهيل الأمور للايطاليين ، وانه يتلاعب بطريقة مغلفة فيما يختص بالجيش المصرى ، وقال لامبسون ان على ماهر يصر على القيام باحتجاج قوى على موقف الحكومة المصرية من تلك المطالب ، وفى ١٤ يونيو يقابل لامبسون على ماهر ويثير معــه بعض المطالب البريطانية ، كسرعة رحيل رجال المفوضية والقنصلية الايطالية وحتى يتم ذلك يجب وضع كردون حول المفوضية والقنصلية الايطالية ، الهدف منه منع اتصالهما بالناس فى الخارج و٠و٠

ويقول لامبسون ، ان علي ماهر ، قال له انه يدين بالولاء لشعبه ، ولنفسه فقط ، وحين قال له لامبسون ، أنه يدين بالولاء للمعاهدة قال علي ماهر : أنه ينفذ المعاهدة نصا ، وروحا وزيادة ، ويصف لامبسون ، موقف علي ماهر ـ بعد المقابلة ـ بأنه موقف المراوغة أو عدم التعاون الصريح ، وأنه حين يعد فانه لا ينفذ ما يعد به والسبب يرجع الى صفة علي ماهر ، التى لا تمكنه من العمل باستقامة ولكن أهم من ذلك هو خوفه من اثارة ألمانيا ، وايطاليا فى وقت بدت فيه الموازين مائلة بشكل كبير ضد الحلفاء ، وأن سياسته حينئذ هي الحصول على شعبية عن طريق عدم دخول الحرب ، بشعب قد أفزعه شبحها ٠

والجدير بالذكر ان لورد هاليفاكس وزير الخارجية البريطانية ، لم يكن يريد لمصر ان تدخل الحرب بعكس سير مايلز لامبسون السفير البريطانى فى القاهرة ثم عاد لامبسون فوافق على وجهة نظر هاليفاكس بشرط قيام حكومة مصرية تقوم بتنفيذ الاجراءات اللازمة لسلامة القوات البريطانية ، وان تنفذها فى الحال ، وكان سير مايلز لامبسون مقتنعا تماما ، بان حكومة علي ماهر تراوغ وتماطل فى تنفيذ ما تطلبه بريطانيا منها خاصة بعد هزيمة فرنسا ، ولذلك رأى لامبسون ، ان علي ماهر ينبغى ان يذهب ٠

ويقول د٠ محمد جمال المسدى ، و د٠ يونان لبيب رزق ، و د٠ عبد العظيم رمضان ان مقابلة لامبسون لعلي ماهر فى ١٤ يونيو كانت المقابلة الاخيرة بينهما وكانت تلك المقابلة فى نفس اليوم الذى دخل فيه الالمان باريس ، وبعدها بيومين تولى بيتان السلطة وطلب الهدنة وأصبح تسليم بريطانيا في نظر الكثيرين مسألة وقت : كان لهذا تأثيره على الجو ، الذى ساد المقابلة ، فقد سادها التوتر ، وكان صداما حقيقيا بين لامبسون ، وعلي ماهر ، اتخذ الى حد ما صبغة الاتهام والطلب الملح من جانب لامبسون ، والدفاع والرفض الضعيف من جانب علي ماهر ، موقف الحلفاء هذا يوضح صواب رأى لامبسون من ان السبب الاساسى فى موقف علي ماهر ، هو الخوف من أثارة المانيا ، وايطاليا كما أنه يوضح قول علي ماهر حين واجهه لامبسون بما سيكتبه الى هاليفاكس عن موقفه من المطالب البريطانية ، أن ولاءه لشعبه ولنفسه فقط، وقوله ان الظروف قد تغيرت حين لفت لامبسون نظره ، الى رأيه السابق بأن مصر ستدخل الحرب لو دخلتها ايطاليا ، ويلاحظ على كثير من مطالب لامبسون وبخاصة تلك التى رفضها علي ماهر ، كان الغرض منها اما توريط علي ماهر ، مع الايطاليين مما سيؤدى الى سوء العلاقات بين مصر ، وايطاليا وأما الى الحرب ، مثال ذلك طلب عزل المفوضية الايطالية ، وتفتيشها ، وتفتيش رجالها أو نقل السلطة فى المناطق التى تهم السلطات العسكرية البريطانية الى تلك السلطات بما يضمن لها حرية العمل ، والحق ـ المسدى ، ورزق ، ورمضان ـ ان المقابلة كانت صداما بين ولاءين : ولاء علي ماهر لشعبه ، ولنفسه ، وقد رأى مصلحة

مصر فى البقاء خارج الحرب ، وعدم اساءة علاقاتها بدولتى المحور مع التزام حدود المعاهدة مع الحليفة ، ورأى مصلحته فى الحصول على شعبيته بالتمشى مع الاتجاه السائد ، وهو تجنيب مصر مخاطر الحرب ، وولاء لامبسون لبلاده فى ساعة محنتها ، وقد رأى صالحها فى التوسع فى تفسير التزامات مصر ، بمقتضى المعاهدة، لتصبح التزاما لمصر ، بتنفيذ كل ما يطلبه الجانب البريطانى ، وقد ألمح على ماهر للامبسون خلال المقابلة عن ذلك بقوله : ان ولاءه لشعبه ، ولنفسه فقط، ورد لامبسون بأن ولاءه للمعاهدة أيضا ، وعاد الى نفس المعنى حين شرح فى مجلس الشيوخ فى ١٤ يونيو سياسته وأسباب الخلاف بينه وبين الجانب البريطانى قائلا : ان بعض طلبات الجانب البريطانى ، كانت تؤدى بذاتها أو بمجموعها الى حالة الحرب المقرر تفاديها ، فنشأ الخلاف ويتلخص جوهر الخلاف الحالى فى التعارض بين مصلحة الدولتين فكل منا عمل بما يمليه عليه الولاء والاخلاص لوطنه » ٠

وفى ١٥ يونيو أرسل لامبسون ، الى هاليفاكس ، يخبره بما وصلت اليه العلاقات مع على ماهر ، وأن الموقف يتدهور بسرعة ، وقد وصلتنى – لامبسون – رسائل يائسة من كل من محمد محمود والنحاس باشا ، بأنه يجب أن يذهب على ماهر ، وأن يذهب بسرعة ، لانقاذ البلاد ، ويؤسفنى – لامبسون – أيضا ٠ أن هذا هو ما وصلت اليه بنفسى بعد تردد ، فلا يوجد ظل للشك فى أن على ماهر ، غير متعاون ، ولا يعتمد عليه ، وانه جدير بالاحتقار الشديد ، فلم يقم بتوجيه الرأى العام الى الطريق الصحيح ، رغم وعوده المتكررة ، بحيث أصبحت – لامبسون أيضا – أعتقد انه لم يكن فى الحقيقة يعتزم أن يفعل ذلك على الاطلاق ، لا نستطيع ، ولا تستطيع مصر ، أن تبقيه فى الوزارة أكثر من ذلك ؟ » ٠

ويقول لامبسون أيضا فى تقريره الى هاليفاكس : انه وكل مستشاريه مقتنعون بأن خير طريقة هى أن تسأل النحاس باشا ، باعتباره أبو المعاهدة ، والرجل الذى لا يزال يسيطر على الرأى العام عن رأيه فى أنسب وزارة تخلف الوزارة القائمة ، ويقول لامبسون : انه يستعد لقبول وزارة وفدية خالصة لو فضل النحاس باشا ذلك ، وأننى – لامبسون – أعتقد أن النحاس باشا ، سيعمل معنا بولاء رغم كل أخطائه ، فهو مقتنع بالخطر الايطالى ، ويكره الديكتاتورية ، وانه ينظر الى بريطانيا العظمى باعتبارها أمل مصر الوحيد ٠

ويقول لامبسون أيضا : ان الجنرال ويفل يشاطره الرأى فى ان تغيير الوزارة فى الحال أصبح الآن أمرا أساسيا ، « انه مستعد لشد أزرى اذا استدعى الأمر » لكن أيا منا على أية حال لا يعتقد ان الملك سيصمد فى وجهنا لقد تضاءلت شعبيته وكثير من المصريين مستاءون من مجونه وعدم مراعاته

للمسئولية ومن الضرورى بطبيعة الحال أن يمنع على ماهر ، من العودة الى السراى حيث يكون أخطر منه فى منصبه الحالى ٠

ويقول لامبسون أيضا فى تقريره لهاليفاكس ان حسين سرى حثه على التخلص من على ماهر ، فى الحال ، وان حسين سرى قد أكد له - أى للامبسون - ان على ماهر ، لا يعمل مع الجانب البريطانى بولاء ٠

ويكتب هاليفاكس الى لامبسون فى ١٦ يونيو ١٩٤٠ مخولا اياه مقابلة الملك لطلب تغيير الوزارة ، فمن الجلى أن على ماهر ليست لديه الشجاعة اللازمة لمواجهة المصاعب ، والمخاطر ، التى لابد أن يحملها الموقف الحالى لمصر ، ويخول هاليفاكس للامبسون ، أن يقول للملك ان سياسة التردد هى أسوأ سياسة تتبع فى زمن الحرب ، وكان من رأى هاليفاكس أن تضم الوزارة الجديدة أكبر عدد ممكن من العناصر ، وقد يكون من الحكمة ، أن نحصل لو أمكن على رئيس وزراء غير وفدى يؤيده النحاس بدلا من مفاتحة النحاس باشا ، فالى جانب عدم كفاءة الوفد الادارية - لاشك أنك - لامبسون - ستقدر ان وزارة وفدية خالصة لن تثير عداء السراى فقط ، بل عداء دوائر سياسية أخرى لتعاونها معنا قيمة كما أن معاكساتها قد تكون خطيرة ٠

ويحرص هاليفاكس فى خطابه للامبسون على التأكيد على ان موقف القوات المسلحة المصرية ذو أهمية كبرى « وأرجو أن تحصل الوزارة الجديدة على ولائها ، وولاء غالبية الشعب » ٠

ويتحرك لامبسون بعد وصول تعليمات هاليفاكس اليه ، بسرعة فيوالى اتصالاته بالنحاس ومحمد محمود عن طريق وسيط يعتمد عليه ، ويعرف ان رأى الوفد تأليف وزارة وفدية خالصة ، وان كان الوفد يوافق على تشكيل مجلس حرب يتكون من رؤساء الأحزاب الأخرى ٠٠ ولم يوافق النحاس ، ومحمد محمود ، على اسناد الوزارة الى حافظ عفيفى ، أو حسن صبرى ، كما رفض محمد محمود اسناد الوزارة الى عبد الفتاح يحيى ، وان كان محمد محمود يوافق على أن يشكل الوزارة الجديدة سيف الله سرى الذى يمكن أن يحظى بتأييد الوفد ، والأحرار الدستوريين ، وربما السعديين أيضا !

وكان لامبسون يؤيد تشكيل وزارة محايدة برئاسة سيف الله سرى ٠

والوثائق البريطانية ، تقول ان لامبسون طلب أن تذهب وزارة على ماهر ، وأن يذهب بسرعة ، ولا يعود الى السراى ، لأن التجارب أثبتت بما فيه الكفاية ان وجوده فى السراى يجعل مهمة أية وزارة تتولى السلطة مستحيلة ٠٠ وعندما يسأل الملك فاروق السير مايلز لامبسون عن الوزارة ، التى يوصى بتشكيلها يقول لامبسون أن تكون برئاسة شخص ينفذ المعاهدة نصا وروحا

ويتمتع بتأييد الشعب ومن المؤكد أننا لا نعلق قبول المنصب على أن تعلن مصر الحرب ، وينصح لامبسون الملك بأن يستشير محمد محمود بوصفه زعيم المعارضة ، ومصطفى النحاس باشا باعتباره زعيم أكبر حزب شعبي في البلاد، ويوافق الملك على استشارة محمد محمود ، ولكنه يعترض بشدة على استشارة النحاس ، ولكن لامبسون يقول للملك : أنا لا أطلب أن تسند اليه الوزارة ، وان ما اقترحته هو أقل ما يمكن أن تفعله جلالتك لمصلحة بلادك ، بل وحتى لمصلحة عرشك ، بدون شك » ٠

ويلجأ لامبسون الى التهديد ، ذاكرا للملك ان الجنرال ويفل ينتظر بقلق عودته ليعرف الى أي مدى سينفذ الملك ما يطلبون ، ويرجو لامبسون الملك بألا يلعب بالنار ، وان يتبع نصيحته ، والا يجعل على ماهر يقوده في الطريق الخطا بنصائحه الخطرة ٠ ولم يلتزم فاروق بشيء ، وان كان قد أشعار الى انه بحاجة الى وقت للتفكير ٠

وينحرك على ماهر بسرعة ، فيبعث ببرقياته الى السفير المصرى في لندن يشرح فيها موقفه ويشرح فيها أيضا أن المطالب البريطانية غير معقولة مثل اعتقال أطباء المستشفى الايطالى ، وترك المستشفى بدون أطباء ، وكذلك طلب بريطانيا اعتقال ١٢ ألف ايطالى معظمهم من العمال ولا شأن لهم بالسياسة ، كما أنهم يستقرون في مصر منذ أجيال ويطلب على ماهر ، من لورد هاليفاكس تجنب العقبات ، والاعتدال والصبر ٠

ويبعث الملك أيضا برسالة الى ملك بريطانيا عن طريق السفير المصرى في لندن يشكو فيها من تدخل السير البريطانى في القاهرة في شئون مصر ، بطلبه تغيير الوزارة المصرية فورا كما أن السفير ـ هكذا يقول فاروق في رسالته الى ملك بريطانيا ـ يصحب طلباته بعبارات تهديدية جارحة خارجة عن حد اللياقة ٠ ويقول الملك للامبسون ـ عن طريق أحمد حسنين ـ انه قد بعث برسالة الى ملك انجلترا وانه لا يستطيع أن يغير الوزارة قبل أن يصل رد ملك بريطانيا ، ولكن لامبسون أصر على موقفه ، وقد بذل حسن نشأت باشا سفير مصر في لندن ، جهودا شاقة لدعم مركز على ماهر ، في الوقت الذى بذل فيه لامبسون سفير بريطانيا في مصر ـ جهودا شاقة أيضا لسرعة الاجهاز على على ماهر ٠

وكان لورد هاليفاكس مترددا في اتخاذ موقف حاسم تجاه على ماهر بعد أن بدأت آثار حملة على ماهر في لندن تظهر ، ولكن لامبسون كان قد اتفق مع الجنرال ويفل القائد العام للقوات البريطانية في الشرق الأوسط وقائد سلاح الطيران على ضرورة اقصاء على ماهر بسرعة ، والا فان الأحكام العرفية البريطانية سوف تعلن في مصر ، ويتولى البريطانيون آمر البلاد ، وأخيرا يوافق لورد هاليفاكس ، على خطة لامبسون ، و ويفل ، وفي مقدمتها التهديد باعلان

الأحكام العرفية البريطانية ، واعلانها بالفصل ، ويخول هاليفاكس ، للامبسون انه اذا ما تحدث الملك فاروق عن التخلي عن العرش ، فله - اى لامبسون - أن يقبل تخليه ، وسيكون من الضرورى حينئذ ألا يبقى طليقا فى مصر ، والا يخرج من نطاق السفارة البريطانية ، حتى لا يصبح مطالبا بالعرش فى أيدى ايطاليا وبوصول رد ملك بريطانيا قدم على ماهر استقالته ، وكان ما كان من دعوه العديد من الشخصيات المصرية لمقابلة الملك ، على النحو الذى سبق أن أشرنا اليه ، وكان فى مقدمة الذين رأوا أن تدخل بريطانيا اعتداء على الاستقلال ينبغى عدم التسليم به ، وان على ماهر ، وصالح حرب ، وعبد الوهاب طلعت وكيل الديوان ، ومحمد محمود خليل هم أصحاب الرأى المتطرف !!

وكان هناك اتجاه بتشكيل وزارة قومية وأصحاب هذا الرأى عبد الفتاح يحيى ، واسماعيل صدقى ، وقد وافق على ماهر ، أما رأى النحاس فكان ضرورة تأليف وزارة محايدة ، نرضى عنها وتؤيدها الأحزاب تقوم بحل البرلمان القائم وتجرى انتخابات جديدة حين تسمح الظروف بذلك ٠ وقد أيد الجميع ، سياسة على ماهر ، فيما يختص بتنفيذ المعاهدة ، وتجنيب البلاد ويلات الحرب « وأن تغيير الوزارة ، لا يجب أن يؤدى الى تغيير السياسة » واستنكر الجميع التدخل البريطانى ، وقد رفض النحاس باشا حق أية دولة أجنبية فى التدخل فى تعيين وزارة فى بلد مستقل كمصر ، وازاء اصرار على ماهر ، على الاستقالة رأى أن يترك الأمر للملك ٠

ويبلغ الملك مايلز لامبسون أن وزارة على ماهر ، قد استقالت ، وانه بسبيل تشكيل وزارة جديدة ، ويصر لامبسون على أن تكون الوزارة الجديدة مرضيا عنها من قبل النحاس باشا ومؤيدة منه ، وعندما اعترض الملك على استدعاء النحاس لأخذ نصيحته ، أصر لامبسون على الحصول على اجابة عن ذلك ، بنعم ، أو بلا فى نفس اليوم ، وان كان لامبسون قد أشار الى أهمية أن تكون الاجابة « بنعم » ، وكان الملك قد حاول أن يحتفظ لنفسه بحق اختيار رئيس الوزراء الجديد فدعا رؤساء الأحزاب ومن بينهم النحاس باشا للاتفاق على رئيس الوزارة الجديدة ٠

واختلف الزعماء حول تأليف الوزارة الجديدة ، وترك الأمر من جديد للملك ٠ ويستعجل لامبسون تأليف الوزارة الجديدة ، وقابل عبد الوهاب طلعت «بك» النحاس باشا فى كفر عشما فأصر النحاس على تأليف وزارة محايدة ، ولم يستحسن النحاس باشا ، أن يكلفه الملك بتأليف وزارة جديدة لأنه لا يريد أن يعمل مع أدوات الحكم القائمة ، ولأنه لا يريد أن يحدث انقلابا فى أدوات الحكم يسىء الى الأحزاب الأخرى ويتنافى مع ظروف الحرب ،

ولم يستمر الجانب العسكرى البريطانى فى تأييده للامبسون الذى كان يرى تأليف وزارة وفدية ، بسبب عدم وجود قوات كافية فى مصر ، وبذلك اضطر لامبسون الى قبول الأمر الواقع والاكتفاء بذهاب وزارة على ماهر ، ومراقبة سلوك الملك !!

ومن الوثائق البريطانية والمصرية التى اعتمد عليها الدكاترة ، محمد جمال الدين المسدى ، ويونان رزق ، وعبد العظيم رمضان وصلاح العقاد فى تاريخ تلك الفترة ، ننتقل الى محكمة الجنايات التى نظرت قضية اغتيال أمين عثمان باشا وكان على ماهر قد سئل عن ألوان الخلافات التى قامت بينه ، كرئيس للحكومة ، وبين الحكومة البريطانية أثناء وزارته الثانية ، وكان من بين ما قاله على ماهر باشا :

بدأ الخلاف بمجرد اعلان المانيا الحرب ، كانوا يتوقعون أن تعلن مصر الحرب على المانيا ، ثم حصل أن رأينا لمصلحة مصر ونحن مصريون ، ألا تدخل مصر الحرب ، واكتفينا بقطع العلاقات السياسية ، والمسألة مسألة ظروف ، وكان تقدير ذلك متعلقا ، بما يقضى به الصالح ، ولأن الدخول وعدم الدخول يتعلق بالاستعداد وكنت أقول أن شعبا له حضارتان لا يمكن أن نسوقه الى الموت فى غير مصلحة بلده خصوصا وأن السفير سئل ، ما هو موقف مصر فى نهاية الحرب وهل تستكمل كل استقلالها ، فأجاب بأنهم لا يمكنهم أن يعدوا بشىء وكفاهم وعد بلفور أثناء الحرب الأولى فى فلسطين وفى بداية العمل ، اتجهنا لتنفيذ المعاهدة لأن واجبنا الأول أن نعمل لمصر بصفتنا مصريين وبعد ذلك نعمل لحليفة مصر بما توجبه المعاهدة وقد عملنا بما توجبه المعاهدة وما يزيد عليه وما دام لا يتعارض مع مصالح مصر ، وبعد اعلان الأحكام العرفية قالوا ان لهم اتفاقا سابقا وهو أن الحكام العسكريين يكونون من الانجليز فرفضت •

وعندما سئل : هل قالوا مع من كان الاتفاق السابق ؟ أجاب على ماهر بقوله : مع الحكومة السابقة واشترط القواد البريطانيون ألا يتركوا سلامة الجيش فى الصحراء ، فى أيد أخرى غير القواد البريطانيين وهذا كان تعليلهم فطلبت من السفير البريطانى فى مصر ، الأوراق التى تم بموجبها مع الحكومة السابقة هذا الاتفاق ، فأجاب السفير بأنه لا توجد أوراق تحت يده وقال انه طلب هذا الطلب وقبل شفويا وكان فى حكومة محمد محمود باشا فكانت اجابتى : ان الصحراء الغربية أرض مصرية ، ولا يمكن أن يتولى الأمر فيها الا مصرى ومصر مسئولة عن سلامة الجيوش ، فى أراضيها ومسئوليتها من جهة مواطنيها ولا محل للتخوف مقدما •

وبعد ذلك حصلت مسائل كثيرة جدا منها انه كان وقت ذهابى للسودان، كان يراد تعطيل سفرى بأى طريقة • فقال السفير : اذا سافرت تكون كسائح ، قلت زى تشرشل ما يروح اسكتلندا وهو رئيس وزارة فأنا سأزور

السودان ، وأنا رئيس وزارة ، ولن ينوب عني احد لانى أعتبر نفسى فى أرض مصريه . وبالفعل لم انب عنى احدا ، وكان معى وزير الدفاع ووزير الاشغال ، ولم ينيبا عنهما أحدا : كانت الاعمال ترد لنا بالطائرة فسولى تصريفها ومن المسائل البارزة ان وزارتنا كانت تتجه الى خارج القطر والى الحالة الدوليه وكانت عندنا معلومات كامله فقبل دخول ايطاليا الحرب بستة اسابيع أستدعيت السفير البريطانى والجنرال ولسون وأخبرتهما بأن لدينا معلومات دقيقة بأن ايطاليا داخلة الحرب حتما فقالا ان المعلومات التى لديهما من سير برسى لورين سفيرهم فى روما تنفى ذلك وان الايطاليين يريدون كسب المال والمنافع الاقتصاديه فقلت لهم : بلغوا ذلك لوزارة الخارجية البريطانيه ورأيت أن أستعد ، وكان يوجد بمصر ٧٠٫٠٠٠ ايطالى بمصر منهم ١٢٫٠٠٠ فى سن الخدمة العسكرية ومدربون تدريبا حسنا . وفى حالة وقوع حرب لا يمكن للبوليس العادى أن يعتقلهم جميعا وأنا لا أريد أن أستعين بالجيش البريطانى ولا بالجيش المصرى ولذلك قلت للسفير انه سيصدر منى أمر بنزع السلاح الموجود فى كل مكان من بين جميع السكان ويجب أن يشمل هذا الأمر ، البريطانيين والفرنسيين واليونانيين كما يشمل الايطاليين وقلت له أيضا ان من الواجب أن أعلن انه سيحصل تفتيش والا كان الأمر ، بلا نتيجة ولابد أن أفتش بيوت انجليز ، وفرنسيين ويونانيين حتى لا أفرق فى المعاملة بين رعايا الدول ، كانوا مغتبطين بهذا الحل وما توصلت اليه من ضبط أسلحة عند الايطاليين دعانا الى تفتيش كل بيت أو ناد ايطالى حتى القنصليات ورأيت أن أعرض بعد ذلك على الملك أن يغادر فيروتشى بك القطر المصرى ويأخذ أجازة لرعويته الايطالية لأنه ليس من المناسب أن يعتقل وهو فى السراى فحضر فيروتشى وقابلنى وقلت له ان الملك فؤاد أكرمك والملك فاروق يعطف عليك ويجب ألا تكون مصدرا للمتاعب فارجو أن تأخذ ثلاثة أو أربعة أسابيع أجازة ، فقال لا مفيش حرب ، قلت له روح اسأل ماتسولينى وزير ايطاليا المفوض ، فاذا أكد لك انه لا توجد حرب أقعد ، وان لم يضمن هذا تعال وأنا أعطيك « الباسبور » فى نصف ساعة وفى اليوم التالى حضر ، وطلب الباسبور فأعطيته له وفورا واستدعيت السفير البريطانى والجنرال ويلسون وأخبرتهما بما حصل ، وكان عملى معهما بغاية الصراحة ، وقال لى السفير : كيف تعطى فيروتشى باسبور وربما يعود كبراشوتشت — فقلت له ان فيروتشى عمره ٧٠ سنة وانت عمرك ٥٠ سنة فهل من كان فى سنك يمكنه أن يكون براشوتسيت ويلقى بنفسه من حالق فأجاب الجنرال ويلسون مستحيل لأنه يجب أن يبدأ التدريب على ذلك فى سن العشرين فقلت له : جاوب السفير .

الباب الثانى

الفصل الأول

أسرار اقالة على ماهر كما رواها بنفسه في محكمة الجنايات

● سبق لنا أن تحدثنا عن العلاقات بين على ماهر باشا كرئيس للوزارة المصرية وبين بريطانيا العظمى حليفة مصر بمقتضى معاهدة ١٩٣٦ وذلك على ضوء ما جاء في شهادة على ماهر باشا نفسه فى محكمة الجنايات أثناء نظر قضية الاغتيالات السياسية « مقتل أمين عثمان باشا » وفى بداية هذا الفصل نكمل شهادة على ماهر باشا .

● يقول على ماهر : ان ايطاليا أعلنت الحرب وانه استدعى السفير البريطانى وقال له سأعلن تصريحا بمجلس النواب ، وعرض عليه صورة التصريح ، وهو أن مصر ، لن تدخل الحرب الا اذا هوجمت المدن المصرية ، أو مواقع جنودنا ، أو حصل التعدى عليها باستفزاز فقال اذا هاجم الجنود الايطاليون الجنود البريطانيين فقال على ماهر : لا شأن لنا فى هذا « وكان وقتها موقف الجنود البريطانيين صعبا جدا وكل ما عندهم ٢٨ مدفعا ضد الطائرات منها ٢٠ فى الاسكندرية لحماية الأسطول ، و ٨ لحماية الورش بتاعتهم وباقى القطر لا يوجد به شيء يحميه » .

ويقول على ماهر — فى المحكمة أيضا — انه كان ثمة اتصال دائم بالفرنسيين وكانوا يستعدون فى تونس وكان هناك اتفاق مع الانجليز حول الألمان الموجودين فى مصر من نعتقلهم ومن نخرجهم من البلد وكان هذا الاتفاق بين السلطة المصرية والألمان ، والبريطانيين وقد أبلغ الاتفاق الى برلين وكانت برلين فاهمة مركز مصر ، فقالت اننا لا نتعرض للمصريين فى ألمانيا مطلقا ، وبعد ذلك غير الانجليز رأيهم ، وطلبوا منع سفر كثيرين من الألمان وكانت نتيجة ذلك أن الألمان اعتقلوا بعض المصريين وكان قد نبه على المصريين فى ألمانيا أن يغادروها فى الحال وبقى بعضهم هناك ، وحصل أن قناصل المانيا

مروا عن قنال السويس فى مركب انجليزية بعد الهند فوقفنا المركب وأنزلنا القناصل ليكونوا رهينه مقابل المصريين الذين اعتقلهم الألمان وجاءنى خطاب شخصى ظريف من السفير البريطانى يقول أننا سنتبادل مع ألمانيا بقناصل انجليز فى ألمانيا والقناصل الانجليز من عائلات كبيرة ، وفى حالة مرض ، ويخشى وفاتهم ، وقال هذه ضربة نقدرها اذا أفرجت عنهم وسلمتهم للسلطات البريطانية ، وقد وجد البوليس المصرى عندما فتش أحد القضاة الألمان وكان يعمل بالمحاكم المختلطة فى مصر اوراقا تدل ، على أنه كان يقابل هتلر ، كما وجدنا أوراقا تدل على المعاهدة بين المانيا وروسـيا ، ولم تكن المعاهدة قد وقعت بعد وفى هذه الأوراق ان ألمـانيا وروسيا اتفقتـا على تقسيم بولندا وقد حددت فى احدى الخرائط مناطق التقسيم فأخذت هذه الأوراق واستدعيت السفير وأطلعته عليها فأبلغ وزارة الخارجية وطلبوا هذه الأوراق ، للاطلاع عليها فأعطيتها للسفير على سبيل الأمانة والوديعة ٠

وقد طلب السفير البريطانى أن أفتش المفوضـية الطليانية والوزير الايطالى المفوض فى مصر وتفتيش الأمتعة والجيوب والملابس وبيت السفير ، وقد طلب منى السفير أيضا ألا أسمح لطليـانى بالسفر الا للسفير وموظفى المفوضية وكان ردى اذا اعتقلتم السفير الايطـالى الكونت جراندى سـفير ايطاليا فى لندن ، فسوف أعمل المثل فى مصر وأما التفتيش فأنا أرفضه بل وقلت لهم : اذا أردتم التفتيش ، ففتشوا أنتم ولن أحتج ، ولكننا لن نفتش أحدا فالكونت جراندى موضع التكريم فى بلادكم فلا أعـاملهم أنا الا بقواعد العرف الدولى ٠

وقد طلب السـفير البريطانى ، كما قال على ماهر اعتقال اسـماعيل صدقى باشا وتوفيق دوس باشـا ، وأحمد كامل باشا وأحمد حسين وقد رفض على ماهر بالطبع أن يعتقل أحدا منهم ٠ وقد أكد توفيق دوس باشا — وكان أحد المحامين فى القضية — تلك الواقعة وكانت حجة السفير فى الثلاثة الأول أنهم أعضاء بمجالس ادارة شركات المانية ، فكانت اجابتى — على ماهر — انه لا ستبعد أن نكون هناك ، بريطانيون فى مثل هذه الشركات لأن ألمانيا كانت صديقة لبريطانيا قبل الحرب ، أما الأسـتاذ أحمد حسين فقد كان منسوبا اليه انه صدر منه هتاف عدائى أثناء مقابلة السفير !

وقال على ماهر : لم أشأ أن أعتقل أحدا وقلت للسفير انى مستعد أن أقدم أحمد حسنين للمحاكمة وليكن فى علمك أنه سيقضى بالبراءة فاقتنع وعدل عن المحاكمة ٠

وقال على ماهر ، ان الانجليز طلبوا دخول مصر الحرب فعلا أثناء وزارته، عند اعلان المانيا الحرب وثانيا عند دخول ايطاليـا الحرب ومرة ثالثة بعد خروجه من الوزارة ٠

وعندما سئل على ماهر : عندما كنت رئيسا لديوان الملك سنة ١٩٣٧ هل تدخل السفير البريطانى بأى شكل ليمنع اقاله النحاس باشا ؟ اجاب على ماهر بقوله : أيوه حصل وكنت فى سراى القبة فاتصل بى السفير ووجه لى كلمة بأن آكون مسئولا عن كل ما يحدث فى حق الوزارة اليوم فأجبته انى أنا مسئول دايما اليوم ، وغدا ، وفى بيتى ، وهنا ، وقلت له عايز أعرف بأى حق تكلمنى بهذا الحديث وانا من الذين وقعوا على المعاهدة فتمهقر وقال : أنا أتكلم كصديق ، قلت : كصديق اتفضل . فطلب ألا تكون الاقالة الليلة ، فقلت له أصبر لما أستأذن ، وعرضت الامر ، وكان المتفق فى الأصل قبل طلبه آن تكون الاقالة فى الصباح ولذلك آخبرته أنه لا يحصل شىء فى تلك الليلة وقلت له من قبيل المداعبة : أنت المسئول عن الأمن الليلة ، فكان جوابه انه أراد أن يتخلى عن المسئولية ، ورجانى ، أن أقابل مكرم باشا فى تلك الليلة ، وفعلا . انتقلت الى سراى عابدين وهناك قابلت مكرم باشا . وكان معه ، أمين عثمان باشا .. وعندما سئل على ماهر باشا عن الصفة التى اشترك فيها أمين عثمان باشا فى الحديث أثناء تلك المقابلة قال على ماهر ، تسأل عن ذلك أمين عثمان باشا .

● وقد جاء فى شهادة على ماهر باشا .. فى محكمة الجنايات ، قضيه الاغتيالات السياسية ـ مقتل أمين عثمان باشا ـ ان أمين عثمان باشا ، قد أحيل الى المعاش ، فى أول أو ثانى جلسة لمجلس الوزراء ، لأسباب كثيرة من بينها ـ كما يقول على ماهر ـ مواقفه غير المشرفة منذ مفاوضات ١٩٣٦ ، ولأنه لما كان وكيل وزارة كان يخشاه ، بعض الوزراء ، لصلته بالسفارة البريطانية ولأن « مذهب » على ماهر فى فن الحكم « أن وكيل الوزارة هو الذى يتولى العمل بأكمله ، أما الوزير ، فليس له الا التوجيه السياسى والنظر فى الشكاوى ، والرقابة اللازمة ، على الأعمال) فعماد العمل فى الوزارة هو الوكيل وكان أمين باشا ، يعمل قليلا جدا فى وزارة المالية ، وكان عمله خارجا عنها ،وكان لدى معلومات تدل على أن الدوسيهات متروكة بالمئات بدون تظريف وبما أن الحالة الدولية كانت خطيرة ، وتقتضى أن يكون العمل دقيقا ، رأيت « الأولى » أن يحال الى المعاش ، فاتصلت فورا بمحافظ البنك الأهلى ، وطلبت اليه ـ وكان عندهم كراسى فاضية فى مجلس الادارة ـ أن يعينه فى احداها ، فقبل ذلك بسرور وأحيل الى المعاش وبعد احالته زارنى السفير وقال لى أتعشم أن تعتمد على أمين باشا فى المسائل الصغيرة ، التى ينقلها الى ـ أى السفير ـ منك ـ أى من على ماهر ـ فقلت له ـ هكذا قال على ماهر باشا ـ أظن أن هذه المنفعة لا يمكن الاستفادة بها لأنه أحيل الى المعاش ، ولم يكن السفير يعرف أنه أحيل الى المعاش ..

● وعن المواقف ، غير المشرفة ، التى وقفها أمين عثمان باشا فى المفاوضات ١٩٣٦ قال على ماهر : كنت فى رياسة الوزارة سنة ١٩٣٦ وكنت

وزيرا ، للداخلية والخارجية ، والقيت على مسئوليتى التمهيد للمفاوضات وازالة كل العقبات فى ذلك العهد ، لأنه كان هناك رغبة فى أن تجرى المفاوضات فى دار السفارة وكانوا ممتنعين عن أن يشترك فيها أخى المرحوم أحمد ماهر باشا والنقراشى باشا ، من أعضاء المفاوضات وقدموا ما يشبه الانذار بأنه فى حالة اخفاق المفاوضة يستردون كامل حقوقهم ، وطبعا توصلت الى آن تكون المفاوضات فى الزعفران ، وأن يقبل أحمد ماهر باشا ، والنقراشى باشا أعضاء بدون اعتراض وبأن يسحب الانذار ، وعرضت جميع الرسائل ، التى تبودلت فى هذا الشأن ، على جميع رؤساء الأحزاب فى مصر ، وبعد ذلك حصلت وفاة الملك فؤاد ، كنت متتبعا المفاوضة وكانت الطلبات البريطانية ، كثير ، ومبالغا فيها فاستدعيت السفير ، وسألته اذا كان يريد حقيقة أن يصل الى حل للقضية أو يريد أن يفشل العمل فأجاب بالطبع انه يريد أن يصل الى نتيجة فبينت أن طلباتهم غير معقولة ، وفيها اضاعة للوقت وان هذا لا يحتمل ، فأجاب بأن الذنب ليس ذنبه لأن أمين باشا عثمان أفهمه — أى سير مايلز لامبسون — ان النحاس باشا ، يساوم كثيرا ويريد دائما أن ينقص ٥٠٪ من الطلبات الانجليزية ، فنصحهم أمين عثمان أن يطلبوا ٢٠٠٪ علشان ينزلوا الى ١٠٠ ٪ وعملوا بهذه النصيحة وقدموا طلبات مبالغا فيها •

● وفى المحاكمة أيضا قال على ماهر باشا ، ان بداية الأزمات بينه وبين السفير البريطانى كانت احالة أمين عثمان باشا ، الى المعاش ، وان الانجليز كانوا معترضين على اشتراك النقراشى ، وماهر فى وفد المفاوضات لأنهما كانا متهمين فى مقتل السير لى ستاك ، سردار الجيش المصرى ، والحاكم العام للسودان ، وقد صحح على ماهر ، المعلومات للسفير البريطانى ، قائلا ، ان النقراشى ، وماهر ، لم يتهما فى قضية السردار وانما اتهما بعد ذلك فى قضية المؤامرة وقال على ماهر ، ان الانجليز كانوا متشددين أكثر بالنسبة لماهر ، والنقراشى وكان التشدد أكثر بالنسبة لأحمد ماهر باشا ويقول على ماهر أيضا أن السفير البريطانى زاره ذات مرة ليقول له انهم فى سراى المنتزه يعطون أنوارا للطائرات الايطالية لتساعدها على أداء مهامها وأن على ماهر قال له : هذا غير حقيقى وأنه — أى لامبسون — يعرف ذلك ، ولم أعر هذا الموضوع أى اهتمام ، كما قال على ماهر أيضا ، انه بعد أن قبلت استقالته — بعد أن ظلت معلقة أربعة أيام — تلقى رسالة من الجنرال ولسن يذكر فيها أنه آسف جدا لوقوع هذه الأزمة السياسية وان العسكريين ليس لهم دخل فيها وان تقدير المسألة فى نظره أنه حصل تعارض بين ولاءين وكل منا يقدم دولته على الأخرى وهذا طبيعى ، وأكد على ماهر ، ان الجنرال ولسون — فى خطابه — قد وجه الشكر الجزيل على المعاونة القيمة والسريعة التى كان يلقاها من الحكومة المصرية كما شكره أيضا على انه فى كل مرة كان يطلب مقابلته ، كان على ماهر ، يجيبه الى ذلك وتمنى الجنرال ولسون فى خطابه لعلى ماهر ، استمرار

العلاقة الطيبة وتمنى أيضا أن يكون له الحق فى أن يطلب مقابلة على ماهر ، ويكلمه فى المسائل العامة .

● ويقول حسين سرى باشا ، فى شهادته أيضا ـ أمام محكمة الجنايات ، التى كانت تنظر قضية اغتيال أمين عثمان باشا ـ أنه أثناء المفاوضات الخاصة بالثكنات وكنت وقتئذ وزيرا للأشغال ، وقابلت مستر تشمبرلن رئيس الحكومة البريطانية واتفقنا معه على أسس تعديل معاهدة ١٩٣٦ فيما يتعلق بالثكنات ، وأوكلنا الى عبد الحميد بدوى باشا رئيس أقلام القضايا ـ هكذا قال سرى باشا ـ مهمة الاتفاق مع الرجال القضائيين بوزارة الخارجية البريطانية على وضع نصوص هذا التعديل ، ويقول سرى باشا ، أن بدوى باشا قال له : لقد وجدت أمين عثمان باشا فى وزارة الخارجية البريطانية ، ويسأل سرى باشا ، محمد محمود باشا فى ذلك ، فقال محمد محمود باشا : لأننى أعرف علاقاته (الطيبة) برجال الخارجية البريطانية وأنه يمكنه المساعدة لتسهيل مأمورية بدوى باشا اذا كان هناك خلاف فى النصوص وبعد ذلك ـ سرى باشا يقول ـ كلفنى محمد محمود باشا أن أكون همزة وصل بين بدوى باشا ، وبين الانجليز فكانت دهشتى ، عندما علمت أن أمين عثمان باشا هو المدافع عن وجهة النظر البريطانية ، وكانت هذه أول علاقة ، بينى وبين أمين عثمان باشا ولم أهضمها كمصرى .

وفى سنة ١٩٣٩ لما كلفنى على ماهر باشا بتولى وزارة المالية ، قال ان وكيل المالية هو أمين باشا . ووجوده غير مستحب فقلت له هذا الرجل لم أعمل معه الا فى تعديل المعاهدة فى الصيف الماضى ولا أرى أى مانع من احالته ، الى المعاش ، ويمضى حسين سرى باشا قائلا : بعد عشرين يوما من تأليف الوزارة زارنى أمين باشا ، وقال أنه يضع نفسه تحت تصرفى حتى يكون همزة الوصل ، بينى وبين السفير البريطانى وقال أنه يمكن أن أعينه مديرا لمكتبى فقلت له أشكرك وأنا غير محتاج الى معاونتك ويدهشنى ، كثيرا أن تطلب منى هذا الطلب وأنا وقعت على مرسوم احالتك ، الى المعاش ، فقال : لا .. أنا عارف أن الذى أحالنى هو على ماهر وليس أنت فقلت له : أحب أن أصارحك ان ماهر باشا ، طلب هذا صحيح ، ولكنى لأننى أنا الوزير المسئول كان لابد من أن أوافق ، وقد وافقت ، وينفى حسين سرى ما نشر فيما بعد من أنه طلب أن يكون أمين عثمان باشا وزيرا فى وزارته ويقول اذا كنت قد رفضت أن يكون مديرا لمكتبى فكيف أقبل أن يكون وزيرا معى .

ويقول الأستاذ محمد التابعى : فى ذكرياته عن الأيام التى سبقت طلب اقالة على ماهر باشا ، ان على باشا كان فى البداية ، ومنذ أول سبتمبر ١٩٣٩ من أنصار دخول مصر الحرب ، وانه قد قال لزملائه الوزراء بأنه دعاهم للاتفاق على صيغة قرار اعلان الحرب على المانيا ، وان الأستاذ عبد الرحمن عزام ، قد

ذكر له أن نصوص معاهدة ١٩٣٦ لا تلزم مصر ، بدخول الحرب ، وكان على ماهر يؤمن بأن نصوص المعاهدة تحتم على مصر دخول الحرب الى جانب بريطانيا حليفتها وأن على ماهر طلب من عبد الرحمن عزام أن يسوى هذه المشكلة ـ مشكلة اعلان مصر الحرب على ألمانيا ، وعدم اعلانها ـ مع السفير البريطانى السير مايلز لامبسون • ويقول الأستاذ التابعى : كان على ماهر يعتقد فى أول شهور الحرب أن النصر سيكون لبريطانيا وفرنسا ولذلك كان من رأيه أن تعلن مصر الحرب ضد ألمانيا ثم عدل على ماهر ، عن هذا الرأى مكتفيا بتقديم جميع المساعدات والتسهيلات الممكنة لبريطانيا حتى انه تلقى خلال الأشهر العشرة التى تولى فيها الحكم ، ثلاثة وثلاثين خطاب شكر من الجنرال ويلسون القائد العام للقوات ، البريطانية فى الشرق الأوسط ، وكانت خطابات الشكر تلك على الولاء الصادق ، والتعاون المخلص ، الذى يلقاه الجنرال ويلسون من رفعة على ماهر باشا ، ويقول الأستاذ التابعى : ان على ماهر ظل ، على ولائه ، واخلاصه لبريطانيا وقضية بريطانيا من شهر سبتمبر ١٩٣٩ الى شهر يونيو ١٩٤٠ ، أما من شهر يونية والشهور التالية فان رفعته نقل ولاءه واخلاصه ، من بريطانيا وحلفائها الى المانيا وحليفتها ايطاليا ، كان على ماهر يعتقد فى أول الحرب أن النصر لبريطانيا وفرنسا ولكن انتصارات المحور بدأت تتوالى وراحت دول أوروبا تسقط واحدة ، بعد واحدة ، تحت سنابك جحافل هتلر : بولندا ، الدانمرك ، النرويج ، هولندا ، بلجيكا • وظل على ماهر ، على ولائه ، واخلاصه لأنه كان يعقد الأمل على فرنسا ، وخط دفاعها ماجينو ولكن هتلر حطم خط ماجينو وانهارت فرنسا ، واستسلمت ولم يحل منتصف يونيو ١٩٤٠ حتى كان هتلر يدخل باريس ، والى جانبه جورنج مارين من تحت قوس النصر فى ميدان « لاتوال » وهنا تحول على ماهر باخلاصه وولائه الى المانيا ولا أستطيع ـ هكذا يقول التابعى ـ ان ألوم الرجل فلعله كمصرى مخلص كان يطلب الخير ، والأمان ، لبلاده ، ومن هنا حرص على أن يقف دائما ، الى جانب الفريق الغالب المنتصر ، وعلى كل حال فان على ماهر باشا ، لم يضيع وقتا قبل أن يطلق لسانه بالسخرية ، والتشهير ببريطانيا ، وفرنسا وضعف جيوشهما ، وكان على ماهر باشا يقول ان بريطانيا سوف تستسلم بعد شهر واحد ، وكان اللواء صالح حرب يقول : بل بعد شهرين اثنين : ويتصل خبر تلك الأحاديث ، بالسلطات البريطانية فى مصر •

وكان فاروق بدوره قد بدأ يسخر من بريطانيا وفرنسا وينكت عليهما فى مجالسه ، كان الى جانبه بعض الأمراء الشبان المتحمسين لالمانيا النازية مثل عمر الفاروق وعباس حليم وكذلك كان خدمه الخصوصيون من الايطاليين ، بوللى ، وبيترو ، وقيل ان فاروق خرج للصيد ذات مرة ومعه بعض رجال السلك الدبلوماسى الأجنبى ، ومن بينهم لامبسون وأراد مايلز لامبسون اطراء

مهارة فاروق في اصابة الهدف ، فقال له عبارة اعجاب فى هذا المعنى وعلى الفور قال فاروق : طبعا لأن بندقيتى صناعة ألمانية » وقهقه فاروق ، ومن معه من الأمراء الشبان *

ورأت بريطانيا أن على ماهر ، الذى شكره الجنرال ويلسون من قبل فى ثلاث وثلاثين رسالة على صادق ولائه حسن تعاونه قد انقلب الى النقيض وأخذ يقيم العراقيل ، والعقبات أمام السلطات البريطانية العسكرية فى مصر ، وأخذ الملك ، يقتفى أثر رئيس وزرائه وأرسل وزير خارجية بريطانيا يومئذ اللورد هاليفاكس برقيته المشهورة : على ماهر ، يجب أن يذهب *

ويقول الأستاذ محمد التابعى ، ان الانذار الذى وجهه لامبسون ، الى الملك ، كان يحمل قيام وزارة وفديه ، أو على الأقل وزارة ، يرضى عنها الوفد ، ويرسل فاروق ، عبد الوهاب طلعت باشا لمقابلة النحاس باشا ، وكان النحاس باشا قد ترك القاهرة خوفا من الغارات الجوية ، ولجأ الى ضيافة أصهار السيدة زوجته فى كفر عشما وقابله عبد الوهاب طلعت وبلغه نص برقية لورد هاليفاكس ونصيحة سير مايلز لامبسون ثم قال ان الملك يستشيره فيما يجب أن يفعله ، ولكن بينما كان مصطفى النحاس يتأهب للعودة الى القاهرة وجمع أعضاء الوفد وعرض الأمر عليهم تمهيدا لاستصدار قرار برأى الوفد ، اذ بالأمر الملكى يصدر الى حسن صبرى باشا بتشكيل الوزارة ، وكانت مفاجأة للوفد ومفاجأة للسفير البريطانى ، مفاجأة أغضبت النحاس كما أغضبت سير مايلز لامبسون وأسرع أحمد حسنين باشا ــ فى رواية الأستاذ التابعى ــ الى السفارة وقابل السفير ليسأله عن سبب غضبه ويقول السفير البريطانى لأحمد حسنين لقد كان كلامى واضحا وهو أن الحكومة البريطانية تنصح باسناد الحكم الى وزارة وفدية ، أو على الأقل وزارة يؤيدها الوفد ، وقال حسنين باشا ، وهو يتظاهر بالدهشة : ولكن حسن صبرى صديقكم وقد اخترناه بالذات لهذا السبب ، وقال لامبسون : نعم حسن صبرى ، صديقى ولكن الصداقة شىء والسياسة شىء اخر : وزارة حسن صبرى لا هى وزارة وفدية ولا هى وزارة ، يؤيدها الوفد ، وأجاب حسنين ، وهو يمعن فى اظهار الدهشة • اذن فهذه غلطتى أنا وأنا المسئول عن هذا الخطأ ولكننى أقول انصافا لنفسى اننى حرصت عند اختيار أعضاء الوزارة على أن يكونوا جميعا من أصدقائكم حرصا ، على توافر التعاون الذى لابد من وجوده فى الظروف الحاضرة بين السلطات البريطانية ، والمصرية ومن هنا اخترنا حسن صبرى ، ومحمد محمود فهمى القيسى أليس صديقا لكم ؟ ، وراح حسنين باشا يذكر أسماء أعضاء الوزارة ، الجديدة ويشفع كل اسم فيها بنفس السؤال : أليس صديقا لكم ثم أنهى حديثه ودفاعه ، بأن الغلطة غلطته هو ، وانه المسئول عن هذا الخطأ المؤسف ولكن يشفع له حسن نيته ورضى سير مايلز لامبسون ، أو تظاهر ، بالرضا ووقفت المسألة عند هذا الحد •

● ونظرة سريعة الى الصحف الصادرة وقت حدوث الأزمة السياسية ، التى أودت بوزارة على ماهر بانذار من بريطانيا ، العظمى ، رغم ارادة الملك ، والبرلمان ، وكثير من الأحزاب ، تقول ـ مثلا ـ صحيفة « المصرى » ٢٤ يونية ١٩٤٠ أن الملك ، عندما التقى لأول مرة بالزعماء قال لهم بعد أن صافحهم وأذن لهم بالجلوس أن الحالة خطيرة وسوف يشرح لكم على ماهر باشــا تفاصيل الأمور ، ويقدم لكم وزير الدفاع ما تحتاجون اليه من بيــانات عن الشــئون العسكرية وبعد ذلك تتداولون للوصول الى رأى فيها ٠٠ وبينما كان على ماهر ، يعرض التفاصـيل سأل النحاس باشــا على ماهر باشــا هل طلبت الحكومة البريطانية كتــابة أو شفويا ، اعــلان الحرب ؟ وقال على ماهر ان الحكومة البريطانية لم تطلب شيئا من هذا ، فقال النحاس : اذن لماذا لا يقضى على هذه الشائعات ، ويصارح الشعب بالحقائق وذكر على ماهر ، باشا مقابلة السفير البريطانى للملك وما جرى فيها وكيف أن السفير بلغ الملك تعذر التعاون مع الوزارة القائمة ، وذكر على ماهر ، المسعى الذى قام به حسن نشأت باشا سفير مصر فى لندن لدى لورد هاليفاكس ولم يتل على ماهر ، الرسالة التى أرسلتها له الحكومة المصرية فى هذا الصدد ، وانما تلا رد وزير الخارجية البريطــانية وقد جاء فيه ان الوزارة المصرية قامت بجميع ما طلبته السلطات البريطانية منها ولبت جميع رغباتها ، ولكن ظهر منها ما لا يطمئن الى روحها ولهذا فانهم يطلبون تغييرها ، وكرر اللورد هاليفاكس فى رده ما أعلنته الدوائر ، البريطانية فى القاهرة ولندن من أن انجلترا ، لا تريد ولا تنوى أن تطلب من مصر دخــول الحــرب ٠

وأشار ماهر باشا الى مقابلة نشأت باشــا بعد ذلك ، لملك انجلترا ، وذكر ، ان رد ملك انجلترا ، بلغ الى ملك مصر ، وهنا طلب سعادة بهى الدين بركات باشا من ماهر باشا ، ان يطلعهم على الرد ، وكرر الطلب ثلاث مرات وتلا ماهر باشا الرد فاذا به على نحو ما جاء فى رد وزير الخارجية ولم يتل رفعته الرسالة التى أرسلت الى نشأت باشــا للتشرف بمقابلة الملك جورج السادس ٠ وطرح على ماهر على الحاضرين أن يقرروا هل للحكومة البريطانية حق المطالبة بتغيير وزارة مصرية ؟ وهل يؤيدون وزارة على ماهر باشــا فى سياستها ، الخارجية ، وعندما سئل النحاس باشــا عن رأيه ، بعد أن تكلم الحاضرون طويلا فى هذا الشأن ، قال انه دونه كتابة ووقعه ذاكرا أن رأيى ورأى اخوانى أعضاء الوفد ، المصرى توخينا فيه مصلحة البلاد وحدها دون النظر الى أى اعتبار آخر وكان رأى الوفد كما يلى : لا شك فى انه ليس لدولة أجنبية أى حق فى التدخل فى تعيين وزارة فى بلد مستقل كمصر وأن المعاهدة بين مصر ، وبريطانيــا العظمى تقتضى من الطرفين أن ينفذاهــا بالروح التى وضعت بها ، وفيما يختص بالوزارة المصرية فان رغبة الشعب المصرى متجهة الى تعيين وزارة جديدة محايدة يرضى عنها جميع الأحزاب ويؤيدونها وتجرى انتخابات جديدة حرة فى الوقت الذى تسمح به الظروف وهذا هو الحل الذى

يكفل فى رأيى ورأى اخوانى أعضاء الوفد المصرى تضافر الأمة المصرية لمصلحة البلاد ، فى الظروف الخطيرة التى تجتازها وأراد بعض المجتمعين ، أن يجزئوا هذا البيان ويأخذوا الشطر الأول منه على أنه رد على السؤال المطروح عليهم فأبى النحاس باشا ذلك وقال ان التصريح ، كل لا يجزأ ، وخاطب النحاس باشا على ماهر فى صراحة مذكرا اياه برأيه الذى أبداه له منذ البداية وكيف حمله مسئولية هذا النظام ، ومسئولية تصرفاته فى السياسة الخارجية هذه التصرفات التى وصلت البلاد ، الى الأزمة الحالية مع أنها تتعلق بمسائل تافهة مثل اعتقال ايطاليين أو تفتيشهم ولا تتعلق بادخال مصر الحرب كما أشيع ٠

وكان المجتمعون قد اتفقوا جميعا على أن استقالة الوزارة فى محلها وبحثوا فى أمر الوزارة ، التى تخلفها فتكلم عبد الفتاح يحيى طويلا فى أمر الوزارة الائتلافية ورفض النحاس باشا فكرة الوزارة الائتلافية مؤكدا ـ من جديد ـ أن رغبة البلاد متجهة الى وزارة محايدة ليس لرئيسها ولا لأحد من أعضائها صبغة حزبية ولم يشترك واحد منهم فى الانقلاب الدستورى الذى حل بالبلاد على أن تسير دفة الأمور بتعضيد الأحزاب وأن تمهد لانتخابات حرة لا ضغط فيها ولا اكراه فى الوقت الذى تسمح به الظروف وعند هذه الوزارة تلتقى الغاية العليا ، من توخى خدمة البلاد ، والسير بها ، فى هذه الأيام العصيبة سيرا طبيعيا ، ويقول النحاس ردا على سؤال لعلى ماهر ، ان مجلس النواب لابد وأن يحل ثم تستفتى الأمة متى استطاعت الوزارة التى هى موضع ثقة الجميع ، القيام بهذه المهمة فوق ، المهام الثقيلة التى ستلقى على عاتقها من جراء الظروف القاسية ، التى نحن بصددها ، ويقول على ماهر أن نيته كانت متجهة فعلا ، الى أن تكون الدورة البرلمانية الحالية آخر دورات البرلمان ، الحاضر ، ونحله قبل الدورة القادمة ، وتؤلف هيئة من رؤساء الوزارات السابقين ورؤساء البرلمان ، السابقين وغيرهم لاستشارتها فى المسائل ، الهامة ، قال على ماهر ، أن الوزارة الجديدة يمكن أن تعمل مثل ذلك فقال النحاس ان هذه مسائل تفصيلية يسهل الاتفاق عليها متى حسنت النيات وانتهى المجتمعون الى وضع الأمر بين يدى الملك لمعرفة كلمته وعاد الملك ، الى الاجتماع فلما سمع بالقرار شكرهم وانصرف ٠

وكان على ماهر قد ذهب قبل ظهر يوم ١٩٤٠/٦/٢٣ الى مكتبه فى الرياسة ، واستقبل الفريق عزيز المصرى رئيس أركان حرب الجيش المصرى والموجود الآن فى أجازة مدتها ستة أشهر ومحمد شرارة باشا وكيل الخارجية ، وفى الساعة الثانية عشرة الا ربعا قابل الملك ورفع استقالته ثم عاد وبقى فى دار الرياسة ومعه مصطفى الشوربجى بك وعبد الرحمن عزام بك ، وعبد الحميد بدوى باشا كبير المستشارين الملكيين ٠ وفى الساعة الثالثة والدقيقة الأربعين ذهب على ماهر ، الى عابدين ، لمقابلة الملك لمدة ربع ساعة ورافق الملك فى زيارته لمسجد الرفاعى حيث زار فاروق ضريح والده ٠٠ ثم قابل على ماهر ،

الملك للمرة الثالثة ولمدة عشرين دقيقة ثم عاد الى ديوان الرياسة حيث قابل محمد محمـود بك رئيس مجلس الشيوخ وعبد الملك حمزة بك رئيس لجنـة العلاقات الخارجية ، بمجلس النواب ٠

وكان فاروق قد استقبل فى نفس اليوم : السير مايلز لامبسون ، سفير بريطانيا ، العظمى فى مصر وجناب سير أرشيبالد ويفل القائد العام للقوات البريطانية فى الشرق الأوسط وينفى أحمد ماهر ، ان على ماهر كان ينوى حل البرلمان ويقول ان على ماهر ، كان ينوى التوسع فى وزارته بايجاد هيئة استشارية تقوم بجانب الوزارة وتعمل معها أثناء عطلة البرلمان وبعد انعقاده لاستشارتها والاستعانة برأيها فى كافة المسائل الهامة وفكرة حل البرلمان التى نسبت الى على ماهر باشا ، لم أسمع بها ولم أقرأ عنها الا ما جاء فى جريدة المصرى ، والذى نذكره لوزارة على ماهر ، انه كان رئيسا للوزارة ، وكانت الرقابة على الصحف قوية ، وشديدة وعنيفة ولكنه كان يســـمح لجريدتى المصرى ، والـوفد المصرى بمهاجمته ، دون ان تتدخل الرقابة لحذف هـذا الهجوم ، الذى كانت الرقابة تستطيع ــ بما لها من سلطة ــ حذفه !

● والجدير بالذكر ، أن جريدة التيمس البريطانية قد رشحت الدكتور أحمد ماهر باشا ، ليتولى رئاسة الوزارة أثناء تلك الأزمة ، وقد ذكر مراسل التيمس فى القاهرة انه يكاد يكون من المحقق أن الدكتور أحمد ماهر هو الذى سيؤلف الوزارة الجديدة وينتظر أن يكون شكلها مماثلا للوزارة السابقة ٠٠ ويلوح أن من المتفق عليه أن جميع زعماء الأحزاب موافقون على سياسة الدكتور أحمد ماهر الخارجية وهى أن تنفذ المعاهدة ــ بولاء ــ نصا وروحا مع أبعاد مصر عن الحرب اذا أمكن ، ويقول مراسل التيمس انه فى الامكان ضم وزيرين وفديين الى وزارة أحمد ماهر ويقول مراسل التيمس فى القاهرة : الدكتور أحمد ماهر هو خير زعيم يصلح لتولى الوزارة فى الأحوال الحاضرة وهو ذو تاريخ حافل بالخدمات الصادقة ، لبلاده وهو رجل ذو خلق قوى مستقيم وليس من عادته التلاعب بالألفاظ أو التخلص من وضع القرارات ! ٠

● وعن الاجتماع الثانى للشخصيات البارزة فى مصر ، الذى تم فى قصر عابدين فى منتصف الساعة الثانية عشرة ظهرا تقول الصحف أن الزعماء تشرفوا بمقابلة الملك فى مكتبه ، وبعد أن صافحهم قال لهم : اننى متعب وقد دعوتكم لتتداولوا فى تكوين وزارة تمثل جميع الأحزاب ، بقـدر الامكان ، ويؤيدها البرلمان ، واختيار من ترشحونه لرياسة هذه الوزارة وآملى ان يكون فى القرار الذى تصدرونه خدمة لبلادنا العزيزة فى هذا الظرف العصيب ، وقد تولى عبد الوهاب طلعت باشا ، تدوين الآراء والمناقشات ، وقد ذكر النحاس باشا فى البداية ، انه ما زال عند رأيه من ان الوزارة المحايدة هى أسلم الحلول والقسم الأول من النطق الملكى يمكن تحقيقه فى الوزارة المحايدة اذ ما دامت

ستؤلف باتفاق جميع الهيئات والأحزاب فانهـا تعد ممثلة فيهـا ٠٠ ويقول مصطفى النحاس بعد حل مجلس النواب فور تأليف الوزارة الجديدة واجراء انتخابات جديدة ليس من الضرورى أن تتم فى المواعيد المقررة فى الدستور لأن ظروف الحرب لا تسمح للتفرغ للأعمال الانتخابية : صحيح أن الحرب غير قائمـــة فى مصر الآن ولكن طبيعـــة الحال السائدة فى مصر تمنع ذلك ٠ الى أن يقول وهكـذا تجرى الوزارة المحايدة الجـديدة ، الانتخابات فى الوقت المناسب طالت المدة أم قصرت وأن الحكومة التى تشكل بالكيفية السابق ذكرها تحكم البلاد بلا مجلس نواب ، الى أن يتم الانتخاب فى الوقت المناسب مهما تطل المدة لأن الضرورات تبيـح المحظورات ، ويعارض النحاس فكرة تأليف وزارة قومية وعارض أحمد ماهر فكرة حل مجلس النواب الحاضر ٠٠ وقال الشيخ مصطفى عبد الرازق أنه من الممكن التوفيق بين نظرية رفعة النحاس باشا فى قيام وزارة محايدة ، وبقاء مجلس النواب الحاضر ، وقال حلمى عيسى باشا : ان الوزارة المحايدة لا تساعد على الاستقرار الداخلى ولابد أن تؤلف وزارة من جميع الأحزاب ٠٠ وقال حافظ رمضان باشا : الأفضل أن تؤلف وزارة قومية برياسة النحاس باشا ٠٠ وكان من رأى عبد الفتاح يحيى باشا تأليف وزارة قومية برياسة رجل محايد ٠

وعاد النحاس باشا الى تأكيد وجهات نظر الوفد وكون الوفد لا يريد أحداث انقلاب وان الظروف التى وجد فيها مجلس النواب الحالى ، لا يمكن لى ، ولا للوفديين بحال ان يوافقوا على ابقائه سندا ، لأية وزارة تعمل نحن الوفديين على التضافر معها ، والحل الدستورى ، حل البرلمان ، القائم واجراء انتخابات جديدة فى الوقت المناسب !!

ومرة ثانية لم يتفق الزعماء ، على رأى معين ، ورفع عبد الوهاب طلعت محضر ، الاجتماع ، الى الملك ، ثم عاد ، الى الزعماء يبلغهم ، أن الملك اطلع على ما حدث وسيتبع النظام الدستورى فى قراره وسيتصل بالزعماء ، بحسب ما تقضى به ارادته « ارادة الملك » ٠

وللتاريخ ، نقول ان على ماهر ، باشا بعد أن رفع استقالته ، اتجه الى مجلس الشيوخ وألقى بيانا هاما وخطيرا جاء فيه :

قدمت بالأمس لجلالة مولانا الملك استقالة الوزارة فتفضل جلالته بقبولها وقد منعتنى اعتبارات كثيرة من أن أحيط مجلسكم الموقر علمـا بما جرى فى فى حينه وتمنعنى الآن اعتبارات أخرى من شرح الحوادث والوقائع وقد كنت أريد الليلة أن أقتصر على شكر حضراتكم فرادى وهيئـــة المجلس الموقر على المعاونة التى لقيتها الحكومة من هذا المجلس سواء أكانت فى شكل تأييد أم انتقاد فقد كنا نستفيد من النقد الحر الذى يقصد به الخير العـام كمـا كنا نستفيد من التشجيع الذى يقودنا الى خدمة البلاد والصبر على الصعاب ٠

كنت أود أن أقتصر على هذا الشكر الخالص لشيوخ الأمة وممثليها ولكنى وجدت واجبا على لمجلسكم وللبلاد الا أدع سبيلا لبعض الشائعات والأقاويل التى تسىء الى الحقيقة كل الاساءة ٠

لقد عرضت على حضراتكم سياسة الحكومة بالنسبة للحرب التى وقعت بين حليفتنا وايطاليا وكانت هذه السياسة مستمدة من روح الشعب ورغباته فوافقتم عليها بالاجماع وكان لا بد لى قبل اتخاذ أى قرار خطير ان ألجأ الى حكمة شيوخ الأمة كما كان لا بد لى وقد أراد منا حلفاؤنا الاشتراك فى الحرب أن أقدر المصلحة العليـا للبلاد وأن أحترم دسـتورها وأتقدم اليكم بالراى وخصوصا بعد أن أعلنت ايطاليا أنها لا تريد أن تجر مصر وغيرها من الدول التى ذكرتها الى الحرب فلو اننى وافقت ممثل الحليفة على طلبه اشتراك مصر فى الحرب من غير أن ارجع الى البرلمان لكنت معتديا على دستور البلاد ٠٠

فضلا عن أن السـياسة التى أوحتها التجارب والحوادث كانت تحتم على تجنب البلاد ويلات الحرب سواء أكان ذلك بطريق مباشر أم غير مباشر فلما صدر قرار البرلمان بتأييد سياسة الحكومة قضى هذا القرار على طلب اشتراك مصر فى الحرب وأعقب ذلك ما قرأتموه فى الصحف من بعض البيانات التى تصرح بأن بريطانيا لا تريد من هذه الحكومة ولا من أية حكومة مصرية أخرى اعلان الحرب ٠

وقد وضعت الحكومة نصب عينيها المصلحة العليا للبلاد متوخية اجابة طلبات الحليفة ما دامت هذه الطلبات لا تجر مصر الى حالة تخالف السياسة التى أقررتموها ولكنها رأت فى بعض هـذه الطلبات أنها تؤدى بذاتها أو بمجموعها الى حالة الحرب المقرر تفاديها فنشأ الخلاف ٠

وفى الوثائق الرسمية المودعة فى محفوظات رياسة مجلس الوزراء ووزارة الخارجية الكثير من هذه المطالب ٠٠

ويتلخص جوهر الخلاف الحالى فى التعارض بين مصلحة الدولتين فكل منا كان يعمل بما يمليه عليه الولاء والاخلاص لوطنه ٠٠

الفصل الثانى

الضباط الشبان الأحرار
يفكرون فى اعادة على ماهر الى الوزارة بالقوة

● لا يزال الحديث متصلا عن الأيام الأخيرة فى حياة وزارة على ماهر باشا والأزمات التى قامت بينه وبين الوفد المصرى ، والانجليز ، من ناحية ، وبين الأحرار الدستوريين ، والسعديين ، والمستقلين من ناحية أخرى ، والتى انتهت باقالة على ماهر باشا ، بتعليمات من الانجليز ، أو باستقالته اذا ما أردنا الالتزام بنصوص الوثائق الرسمية ، وقد سبق لنا فى الحلقة السابقة أن اقتطفنا بعض فقرات من البيان الذى ألقاه على ماهر باشا ، فى مجلس الشيوخ فى ٢٤ يونية ١٩٤٠ وفيما يلى فقرات أخرى من ذلك البيان الهام ، والخطير :

يقول على ماهر باشا :

● وأخيرا فوجئت البلاد بطلب تغيير الحكومة باعتبار أنها لا تعبر عن رأى الشعب ولا عن شعور المصريين ولا تصدر عن مصلحة مصر ولا تعمل بروح المعاهدة وترتب على ذلك ان التجأ ممثل الحليفة – مع شديد الأسف – الى الوسائل العتيقة التى كانت تعرفها هذه البلاد قبل أمضاء المعاهدة •

جمع جلالة الملك رؤساء الوزارات السابقين ورئيسى الشيوخ والنواب الحاليين ورؤسائهما السابقين ورؤساء الأحزاب المصرية وأتيحت لى فرصـــة لعرض تفاصيل الحوادث التى وقعت فى الأسابيع الأخيرة فكان رأيهم أن عمل الحليفة تدخل فى شئون مصر يمس استقلالها ورأوا لاعتبارات شتى أن تقبل استقالة الوزارة التى كانت من مبدأ الأمر تحت تصرف جلالة الملك فرجوت جلالته أن يقبلها وقد تفضل بقبولها •

واذا كانت الحـكومة البريطـانية الحليفة قد عدلت عن المطالبة باشتراك مصر فى الحرب أو تعدل عما من شأنه أن يجعل هذه الحرب أمرا واقعا ، فانها لا شك تيسر مهمة من يتولى الحكم بعدى وترضى الشعور العام المصرى •

ويقول على ماهر :

ليس تجنيب مصر ويلات الحرب ، أمرا قد أوحى به الخوف أو أملاه الجزع أو الاطمئنان الى نوايا الدول الأخرى كلا ، بل الحقيقة الواضحة هى أنه ليس على هذه البلاد المستقلة أى التزام لحليفتها أكثر مما ورد فى المعاهدة ..

فمصر وحدها ـ حكومة وبرلمان ـ هى التى تقدر مصلحتها وقد قالت كلمتها فى هذا الشان بعد امعان وتفكير طويل .

فلا يظنن أحد أن المصريين يرغبون عن التضحية والفداء دفاعا عن حريتهم واستقلالهم فالتاريخ حافل باستبسالهم فى الدفاع عن وطنهم .

وينهى على ماهر بيانه بقوله :

لقد فتحت هذه الوزارة بتخيلها عن الحكم الطريق الى مصريين آخرين وانني لا أشك فى أن الوطنية الصادقة التى تنطوى عليها ضلوع الساسة المصريين ستظهر جلية فى هذه الساعة مهما تعاقبنا فى الحكم فستكون الغاية مصر : كرامتها واستقلالها وسلامتها .

ان واجب الوفاء يقضى بأن نؤدى لحليفتنا المعونة التي التزمنا بها بارتياح واخلاص . ومصلحة مصر هى فى أن يسود الهدوء البلاد وإن نعتصم بالسكينة وأن نثق بمستقبلها فان هذه البلاد من فجر نهضتها وهى تسير فى طريقها مجتازة كل عقبة فى سبيلها مطمئنة مؤمنة بمصيرها .

● وقد عقبت صحيفة « المصرى » على بيان على ماهر باشا وتحت عنوان « بين بيانين » عقبت قائلة : نشرنا أمس ما اتصل بنا من بعض المصادر ، التى يوثق بها عما حدث فى ذلك الاجتماع ، الذى عقد فى سراى عابدين العامرة واذا كان قد وقع خطأ فان ذلك ، لا يرجع الا الى التكتم الذى أحيط به الاجتماع والى تعذر الحصول ، على بيانات وافية ممن اشتركوا فيه فان رئيس الوفد المصرى ، غادر القاهرة ، على أثر الاجتماع وأبى بعض من اتصلنا بهم الافضاء بشيء مطلقا .

واننا نضرب صفحا ، عن بعض الكلمات النابية التى وردت فى بعض الصحف ، التى تعبر عادة عن آراء رفعة على ماهر باشا لأننا لا يضيق صدرنا عادة من الجدل والنقاش بل يتسع صدرنا الى ايراد تصريحات رفعته ، وتصريحات سعادة شقيقه الدكتور أحمد ماهر باشا ، لبعض الصحفيين أمس .

وقد نشرنا فى مكان آخر من الجريدة البيان الذى تلاه رفعته فى مجلس الشيوخ أمس وفيه قال كما قال فى تصريحاته للصحفيين : ان ممثل الحليفة

طلب اليه اشتراك مصر فى الحرب ، وقد كنا نود كثيرا لو أن رفعته أكد هذا التأكيد منذ صدر البيان البريطانى فى القاهرة ولندن ، ذلك البيـان الذى لم يكتف بنفى تلك الشائعات بل رمى مروجيها بسوء النية وقال ان السلطات البريطانية لم تطلب ولن تطلب من أية حكومة مصرية الاشتراك فى الحرب ..

لقد نشر هذا البيان فى جميع الصحف بلغة صريحة جلية ، ورغما عن ذلك لم نسمع كلمة واحدة تنفيه من رفعـة رئيس الوزارة السابقة حتى اذا قامت هذه الأزمة ـ أزمة الوزارة ـ وعدم التعاون معها ، واستقالت الوزارة ، وقبلت الاستقالة ، خرج رفعتـه من ذلك . الصمت الطويل ، يؤكد أن ممثل الحكومة البريطانية طلب اليه اشتراك مصر فى الحرب فأبى ، فتقدم بطلبات تؤدى الى حالة الحرب ، المقرر تفاديها فنشأ الخلاف : هذا ما قاله على ماهر باشا أمس ، أما الدوائر البريطانية فقد قالت منذ أيام ، ان كل ما تطلبه السلطات البريطانية هو أن تنفذ المعاهدة باخلاص ، بحروفها وروحها ، وأنها لا تشـجع أى عمل يحتمل أن يكون من شـأنه عرقلة الأعمـال العسـكرية البريطانية .

● وتقول جريدة « المصرى » أيضا : قد كنا نود ، وقد تخطى رفعته ، التقاليد والاعتبارات ان يضمن بيانه لمجلس الشيوخ ، تلك المطالب التى يرى انها تؤدى الى حالة الحرب وترى الدوائر البريطانية أن رفضـها يتنافى مع حروف المعاهدة ، وروحها .

وقد تضمن البيان البريطانى اشارة عظيمة الخطر وهى الا تشجع الحكومة المصرية أى عمل يحتمل أن يكون ، من شـأنه ، عرقلة الأعمال العسـكرية ، البريطـانية ، وقد كنا نود ، أن نسمع من رفعة على ماهر باشا منذ ظهر ذلك البيان ، ما ينفى ان هناك أى عمل يخشى منه على تلك الأعمال ، ولكن رفعته لزم الصمت أياما عدة ، ثم جاء بعد قيام الأزمة وتسويتها بقبول استقالته يؤكد أن ممثل الحليفة طلب منه اشتراك مصر فى الحرب : على أننا لا نريد أن نلقى ظلا من الشك على تصريحات رفعته اذ ان الأمر بينه وبين الدوائر البريطانيـة التى أصدرت ذلك البيان ، بالشكوى من طريقة تنفيذ المعاهدة وبين ممثـل الخليفة الذى قال رفعته انه طلب اشتراك مصر فى الحرب ، حتى اذا لم يجبه الى غايته عمد الى مطالب تؤدى الى حالة الحرب ان الأقاويل كثيرة فى هذه المسائل كلها وتتردد فى بعض الدوائر المطلعة روايات نمسك القلم عنها !

وقد كنا نود حقيقة الا يظهر الخلاف بين الزعماء والقادة حول موضوع التدخل البريطانى فى شئون مصر مهما كانت أوجه ومظاهر الخلاف بين الزعماء والقادة أنفسهم ، فعندما يكون هناك خلاف ، أو اختلاف بين الحاكم المصرى وبين أية قوة أجنبيـة ينبغى ان تختفى الخلافات والاختـلافات بين القـادة والسياسيين والأحزاب والهيئات المصرية ، حتى لا يضعف مركز الحاكم المصرى

وحتى يواجه المصريون القوى الأجنبيـة ، بارادة واحدة وكلمة واحدة ٠٠ وروح واحدة ؟!

● ولم يكتف الوفد المصرى ، وصحفه بالتنديد بموقف على ماهر باشا من الدولة الحليفة ، بل راح يهاجم أولئك الذين أعلنوا تأييدهم لعلى ماهر ووزارئه وكان على ماهر قد حظى بتأييد شعبى جارف ، لموقفه من بريطانيـا وكونه أول رئيس وزارة مصرية يعلن - وبصراحة - الأسـباب الحقيقـة لاستقالته ، وكان كثير من المستشارين بمحاكم الاستئناف بمصر وأسـيوط قد قدموا الى على ماهر باشا خطابات بتأييد سياسة وزارته فى الموقف الحاضر ، وقد حاولت صحيفة الوفد المصرى التقليل من شأن تأييد القضاة ، لعلى ماهر باشا فقالت : الذى حدث ، أن بعض حضرات المستشارين وفى مقدمتهم ، أحمد صفوت بك ، والأستاذ سليمان حافظ وأحمد على علوبة بك دعوا زملاءهم للغرض المشار اليه - وهو تأييد وزارة على ماهر باشا - فذهب منهم عدد قليل ولما خوطب الآخرون فى الأمر لم يوافقوا عليه وانتهى الأمر بالخطـاب الذى أشارت اليه الصحف موقعا عليه من ١٣ مستشارا من ٤٥ مستشارا فى محكمة الاستئناف أما عريضة محكمة النقض ، فقد امتنع عن توقيعها لمثل هذه الاسباب أعضاء آخرون فى مقدمتهم حضرة صاحب العزة محمد فهمى حسين بك : وتمضى جريدة الوفد المصرى قائلة : هذا مثل واحد مما يذاع ويسجل تسجيلا يخالف ماندعو اليه وما ينبغى أن يدعو اليه كل عاقل ، مخلص لقضية بلاده فى هذه الظروف من وجوب التدقيق وبعد النظر » ٠

● والجدير بالذكر أن وزارة على ماهر باشا ، رغم تقديم استقالتها ، لم تتوان عن العمل الدائب لحماية مصر من الغارات الجوية التى كانت تستهدف بالدرجة الأولى العاصمة الثانية الاسكندرية ، كما تستهدف فى نفس الوقت العاصمة الأولى القاهرة وكثيرا من المدن الكبيرة والصغيرة ، بل ان صـفارات الانذار ، لم تكن تنقطع فى كثير من أنحاء البـلاد ، مثل بورسعيد والزقازيق وطنطا ، بل وأشمون ، وكفر الزيات و ٠ و ٠ وكان من بين ما اتخذته وزارة على ماهر باشا من اجراءات فى الاسكندرية مثلا ٠ نقل محفوظات جمـارك الاسكندرية كالوثائق والمعاهدات البحرية والتجارية وكذلك اخلاء ملجأ العجزة فى الاسـكندرية التـابع لوزارة الأوقاف وكان عدد نزلاء هذا الملجأ ٩٤ كهلا نقلتهم الوزارة الى مزارعها فى بلدة السنطة بمديرية الغربية ، كما اتخذت الوزارة اجراءات لحماية ١٣ مليون كيلو جرام من الدخان ، كانت موجودة فى جمارك الاسكندرية ، وكان اسـتهلاك مصر من الدخان - وقتئـذ - ٦ ملايين كيلو جرام بخلاف ماتستهلكه الجيوش الأجنبيـة المعسكرة فى مصر ، وكان بعض الأهلين فى الاسـكندرية قد تعودوا أن يسكنوا بين آكيـاس الرمـل الموضوعة أمام المنشئات الحكومية ، مما أدى الى تمزيق تلك الأكياس وقد أدى

ذلك الى اصدار بيان من محافظة الاســـكندرية يدعو هؤلاء المواطنين الى عدم السكنى وسط أكياس الرمل !

● وقد سافر فى يوم ١٣ يونيو ١٩٤٠ ـ وحده ـ ٢٣٢ ايطاليا بينهم ١١١ من رجال السلكين السياسى ، والقنصلى الايطالى فى مصر والباقون من أفراد الجالية الايطالية وقد ودعهم الأستاذ محمد ياسين مدير مكتب وزير الخارجية الى حيفا باسم الحكومة المصرية كما قام بتسليمهم جوازات الأمان المصرى كما كان فى توديعهم فى محطة القـاهرة مسيو برونو القـائم بأعمال المفوضـية السويسرية فى القاهرة وقد اتصل مسيو برونو بسعادة محمد شرارة باشـا وكيل وزارة الخارجية وشكره على وسائل الراحة والطمأنينة التى أعدت فى القطار الخاص الذى قام بنقل الايطاليين من مصر وقد اعتذر عن السفر أحد الايطاليين واسمه السنيور دى فارو وكان يعمل مقاولا فى القاهرة ، وقد عاد الايطاليون الى بلدهم بطريق سورية وتركيا ، ورومانيا ويوغسلافيا وكان قد سافر فى نفس اليوم الذى غادر فيه الايطاليون ، القاهرة ، المصريون المقيمون فى روما من الأراضى الايطالية كما غادر فى نفس اليوم المصريون المقيمون فى بنغازى ـ وكانت ليبيا وقتئذ منكوبة بالاحتلال الايطالى ـ وكذلك المصريون المقيمون فى الحبشة ، الأراضى الليبية ، والأراضى الحبشية فى طريقهم ، الى بلادهم ، وذلك بمقتضى اتفاق خاص بين الحكومتين المصرية ، والايطالية ، عبر السفارة السويسرية فى القاهرة المشرفة على المصالح الايطالية فى مصر ، وكان مكتب الحاكم العسكرى الكائن فى ١٢ شــــارع شامبليون بالقـاهرة يعلن للايطاليين المقيمين بمصر ان يتوجهوا اليه فى الصباح وفى المساء ، لتسهيل مهمة ترحيلهم الى بلادهم ، وكان مدير هذا المكتب ، قد أعطى لكل ايطالى يقيم فى مصر رقما بحيث يتم تسفير كل دفعة يتراوح عددها بين ٢٠٠ ايطالى ، و ١٠٠٠ ايطالى ، عندما تتوافر وسائل نقلهم من مصر ، الى ايطاليا ..

● وتقول الصحف ، الصادرة فى ٢٨ يونيو ١٩٤٠ ، ان مفاجأة جديدة قد حدثت أمس ٢٧ ـ ٦ ـ ١٩٤٠ فى الأزمة الوزارية اذ كان الرأى متجها الى تأليف وزارة محايدة برئيسها وأعضائها ، لكن هذا الاتجاه تحول مرة أخرى فقد عرف منذ الساعة الثانية بعد الظهر أن « جلالة الملك » سيتفضل بالعودة الى القاهرة بعد تغيب ثلاثة أيام ويعهد الى حضرة صاحب السعادة حسن صبرى باشا ، بتأليف الوزارة الجديدة ، وتقول الصحف ، ان وكيل الديوان الملكى عبد الوهاب طلعت باشا ، قد عاد الى القاهرة بعد ان كان قد قابل امس الملك فى قصر المنتزة ورفع اليه نتيجة المشاورات فى شأن تأليف الوزارة وعلى أثر وصول عبد الوهاب طلعت باشا الى مكتبه فى عابدين وافاه محمد محمود خليل

بك رئيس مجلس الشيوخ والدكتور أحمد ماهر باشا رئيس مجلس النواب وعبد الحميد بدوى ، باشا كبير المستشارين الملكيين وقد عقدوا جميعا اجتماعا دام نحو ساعتين أثناء انعقاد هذا الاجتماع كان رفعة على ماهر باشـا موجودا بمكتبه فى وزارة الخارجية حيث قابل كثيرين فى مقدمتهم محمـد على علوبه باشا وحسين سرى باشا وكانت شائعة قد انطلقت تقول ان على ماهر سيسافر الى عزبته بالقصر الأخضر ولكن رفعته كذب تلك الشائعة ، مؤكدا أنه باق فى القاهرة ليكون على مقربة من تطورات عاجلة فى الموقف الوزارى قد تبدأ فى المساء ، وفى الساعة الأولى بعد ظهر يوم ٢٧ ـ ٦ ـ ١٩٤٠ توجه رسول من قصر عابدين الى دار سعادة حسن صبرى باشا بشارع الجبلاية ، بالجزيرة ، يحمل رسالة ملكية وفى الساعة الخامسة مساء ، قابل حسن صبرى باشا ، الملك فى قصر عابدين ولدى خروج حسن صبرى باشا من مقابلة الملك صرح بأن الملك يكلفه بتشكيل الوزارة الجديدة ثم توجه حسن صـــبرى باشا الى مجلس النـواب حيث التقى بالدكتور أحمـد ماهر باشا ، ومن مكتب رئيس مجلس النواب ، اتصل حسن صبرى باشا بعلى ماهر باشا فى القناطر الخيرية و • و • وفى الوقت الذى أعلن فيه رئيس الهيئة السعدية ، استعداد حزبه للتعاون مع حسن صبرى باشا اتصل الدكتور ماهر باشا بالدكتور هيكل باشا ليعرض عليـه اشتراك الأحرار الدسـتوريين فى الوزارة الجديدة فاستمهله د • هيكل حتى يتصل بمحمد محمود باشا ، اما الوفد المصرى ، فقد أعلن انه لا يؤيد الوزارة الحاضرة لا فى رياستها ولا فى طريقة تكوينها مؤكدا على لسان رئيس الوفد ، مصطفى النحاس باشا ، انه لا يؤيد الا وزارة يكون رئيسها ، وأعضاؤها من المحايدين وكان أحمد محمد حسنين قد ذهب فى يوم ٢٧ يونيو ١٩٤٠ الى دار السـفارة البريطـانية ولم يعلن شـيئا عن سبب تلك الزيارة ولا أسماء الذين التقى بهم حسنين باشا فى دار السفارة البريطانية •

والطريف انه فى وقت تلك الأزمة العنيفة اذاعت وزارة الأوقاف على مامورياتها ، واقسامها المختلفة منشورا يتضمن تكليف خطباء المساجد أن تكون موضوعات خطباء المســاجد الحث على نظـافة الجسم والملبس والمأكل ، والمشرب وتصر الصحف الوفدية الصادرة فى يوم م٢٦ ـ ٦ ـ ١٩٤٠ على حدوث انقسام فى صفوف الأحرار الدستوريين حول موضوع الاشتراك فى الوزارة الجديدة وتنقل تلك الصحف على لسان حنفى محمود بك أنه استقال من حزب الأحرار الدستوريين وانه قدم استقالته الى أحمد خشبة باشا ، والشيخ مصطفى عبد الرازق ، وكيلى حزب الأحرار الدستوريين وان كانت بقية الصحف الأخرى قد أشارت الى تأليف الوزارة الجديدة برياسة حسن صبرى باشا ، واشتراك السعديين والدستوريين فيها وان الوزارة الجديدة قد قابلت الملك وان الملك قال للوزراء ، الجدد بعد أن أدوا اليمين القانونية : ليس عندى ما أقوله لكم فأنتم

تعرفون كل شيء ، ونصيحتي اليكم أن تكونوا مصريين ومصريين قبل كل شيء ، فالظروف دقيقة واني أعود فأقول لكم ، كونوا مصريين ، ومصريين قبل كل شيء » وعقب خروج الوزراء من مقابلة الملك ، يرفض رئيس الوزراء الجديد التصريح بشيء عن برنامج الوزارة الجديدة لأنه متعب ، ويريد أن يستريح ، وان كان رئيس الوزراء ، المتعب ، والذى يريد ان يستريح قد انتقل عقب انصراف الوزراء من قصر عابدين الى دار السفارة البريطانية حيث قابل السفير البريطاني ومكث معه مدة طويلة !! وكان أحمد حسنين باشا ، الأمين الأول للملك ، قد قابل السفير البريطانى قبل ان يؤدى الوزراء ، الجدد اليمين القانونية بساعتين !! وكان حسن صبرى باشا ، قبل ان يؤدى اليمين القانونية قد طلب من حافظ رمضان ، باشا ، أن يتصل بمكرم عبيد باشا ، ليعرض عليه اشتراك الوفد فى الوزارة الجديدة ، ولم يشأ مكرم باشا ، ان يوافق ، أو يعارض الا بعد الاتصال بالنحاس باشا ، وفور اتصاله بالنحاس باشا يبلغ مكرم عبيد باشا حافظ رمضان باشا برفض الوفد الاشتراك فى الوزارة الجديدة وبانه — أى الوفد — لا يؤيد الوزارة الجديدة وكان النحاس باشا وقتئذ قد غادر كفر عشما الى الشهداء لتأدية فريضة الجمعة فى مسجد سيدى محمد شبل وعاد النحاس باشا من الشهداء بعد أن زار أحمد أبو الفتح فى داره .

ومما نشرته الصحف المصرية ، عن الأزمة المصرية ، البريطانية الخاصة بضرورة ذهاب وزارة على ماهر باشا يتضح — ومن مراجعة الوثائق ، المتبادلة بين مصر ، وبريطانيـــا — ان على ماهر باشا شخصيا ، كان هو سر الأزمة لا وزارته وأثناء اشتداد الأزمة ، الوزارية ، اجتمعت اللجنة الادارية ، للحزب الوطنى واستمعت الى شرح دقيق قام به رئيس الحزب حافظ رمضـــان باشـــا وكان قرار اللجنـــة الادارية : عدم اشتراك الحزب فى الوزاره الجديدة ، اذا ما طلب اشتراكه .

ومما نشرته الصحف المصرية أيضا يتضح ، ان كلا من حزبى الأحرار الدستوريين والسعديين كان يعمل ، على ان يرأس الوزارة الجديدة أحد قادة هذين الحزبين ، اللذين يؤلفان الكثرة فى مجلس النواب .

أما عن أثر سياسة تجنيب مصر ويلات الحرب التى اتخذتها وزارة على ماهر باشا شعارا لها ، والتزمت به الى أبعد حدود الالتزام وعن أثر اجبار على ماهر باشا على الاستقالة فى نفوس الضباط الشبان ، فيقول الرئيس محمد أنور السادات فى كتابه « صفحات مجهولة » : كانت نيران الحرب قد اقتربت كثيرا من أرضنا العزيزة ، فقد بدأت جيوش ايطاليا تغزو منطقة مرسى مطروح ، وكان الدفاع

عن هذه المنطقة منقسما ، بين ثلاثة قطاعات قطاعين بريين يحتلهما الجيش المصرى وقطاع بحرى يدافع عنه الانجليز ، كنا نحارب رغم أن مصر لم تكن قد أعلنت الحرب ، وكانت سياط العذاب التى تلفعنا نحن الجنود والضباط تتلاحق علينا مع الليل والنهار ، ومع الأحداث المتعاقبة التى تمر بها البلاد .. كان موقف مصر من هذه الحرب موقفا مائعا ، ولم يكن من السهل تحديده فى صورة مفهومة واضحة وكان من المؤكد ان هذا الموقف ، ان تحدد فلن تكون مصر هى التى تحدده على التأكيد : كانت سياسة مصر التى أعلنها رئيس حكومتها ، عند اعلان الحرب هى سياسة تجنيب مصر ويلات الحرب ، ولم تكن مصر تستطيع أن ترسم لنفسها سياسة أوضح من هذه ، وأكثر حسما ، وتحديدا فقد كانت هناك المعاهدة ، وكان جنود الاحتلال يملأون بلادنا ، وطائراتهم تجثم على صدور مطاراتنا وتنطلق منها الى الميادين الغربية الحافلة بالموت ودباباتهم تختال فى شوارعنا ومن فوقها جنود حمر الوجوه ، ومخازن ذخيرتهم ترصع أرجاء الوادى بالبارود والقنابل وأسلحة الدمار وكانت أرضنا فوق ذلك حقلا كبيرا يشرب حبات العرق من جباه آبائنا واخواننا ليخرجها قمحا للغاصبين .

وكان موقفنا نحن ضباط الجيش وجنوده هو الموقف الضنك فسياسة تجنيب مصر ويلات الحرب ، لم يكن معناها أننا لن نحارب فعلا ، وكان الذى يشقينا هو ان نسأل أنفسنا : نحارب من أجل من ؟ فهل كانت سياسة تجنيب مصر ويلات الحرب تحمل هذا المعنى واضحا وترسم خطة كاملة الى نهايتها : لقد كانت تشير الى شيء ، وترنو الى أمل ، وهذا الشيء ، وهذا الأمل ، هو الذى فهمته مصر منها وفهمه الانجليز أيضا : فهمته مصر ، فحاولت ان تستبشر به وفهمه الانجليز فابرق رئيس وزرائهم تشمبرلين الى سفير انجلترا ، كيلرن برقية قصيرة حاسمة : يجب ، أن تستقيل حكومة على ماهر » وكانت هذه البرقية كانها القضاء الذى لايرد ، فاستقالت فعلا حكومة على ماهر ، لأنها أشارت بسياستها الى شيء ورنت الى أمل وفهم الانجليز الشيء والأمل ، لم يكن أمر مصر اذن فى يدها ، بل كان فى أيدى الانكليز ، وكنا ننظر الى المستقبل على هذا الوجه فلا يلبث ان يرتد الى الماضى ، الى الحرب العالمية الأولى التى سيقت فيها مواكب آبائنا مسخرين الى ميادين القتال يحفرون الخنادق ليموتوا فى أحشائها ، ويحملون الروث ليدفنوا تحت أكوامه ويلعقون العرق ليوفروا كئوس الشراب للانجليز ويجلب الماضى صور بعضه بعضا فلا يشير الى بارقة أمل فى مستقبل البلاد تحت تلك الأوضاع تجلب صورة الثورة المجيدة التى أشعلها الشعب عام ١٩٠٩ فأطفأها زعماؤه يوم وصلوا الى الحكم وأصبحوا أحزابا مطايا للانجليز ، ويجلب صورة الثورة المجيدة التى أشعلها الشباب عام ١٩٣٥ لتجمع الأحزاب فى حزب واحد لمصر فاجتمعت الأحزاب فى حزب واحد لتوقيع معاهدة الصداقة والتحالف مع الانجليز وتجلب صور شقاء كثير ، فقر ،

وعرى وانقسامات ، وتضحيات ودماء ، يتحالف فوق انقاضها الزعماء والانجليز وما تغير الزعماء ولا خرج الانجليز ولكن قامت الحرب وبدأت بوادر شقاء جديد ماض كله حسرات ومستقبل كله مخاوف وحرب قائمة لابد أن نصلاها حتى فى ظل سياسة تجنيب مصر ويلات الحرب » ويقول الرئيس السادات أن أوامر صدرت للجيش المصرى بان تنسحب الفرقتان المصريتان اللتان تقومان بالدفاع فى القطاعين البريين لتحتلهما قوات بريطانية ، حتى تنفرد بريطانيا بالدفاع عن المنطقة كلهـــا ، وان تترك القوات المصرية أسلحتها ، وتسلمها للقوات البريطـانية التى ستحتل القطاعين وهاج الضباط وماجوا وتحرج الأمر جدا وصممنا على ألا نترك سلاحنا ولو اقتضى ذلك أن نموت عن آخرنا ٠

الفصل الثالث

لأن حافظ رمضان باشا قبل الوزارة
الحزب الوطنى ينشق على نفسه

عبر الضابط أنور السادات عن عدم رضاء زملائه الضباط فى تدخل الانجليز فى اقالة وزارة على ماهر فقال :

« كنت أجد فى هذه الأجواء فرصة مناسبة لنجعل من فكرة الحياة حقيقة مجسمة يشارك فى حمل أعبائها الجيش كله والشعب كله أيضا ، وكنت أعتقد أن أى احتكاك منا بالانجليز سيقفز بفكرة الحيـاة مائة عام الى الأمام ، وبدأنا نضع خطة كان من زملائنا فيها « البكباشى » أحمد حسن وجميع الضباط الصغار حتى رتبة يوزباشى بلا استثناء : كانت قوتنا هناك قوة مختلطة تسمى القوة الحقيقية وكانت تتكون من خلاصة الجيش المصرى تضم زهرة سلاح المدفعية وبقية الأسلحة الأخرى فوضعنا خطتنا على أساس أن تعود هذه القوات فتحتل وهى فى طريقها الى القاهرة كل المرافق العامة ، ثم تفرض حكومة على ماهر مرة أخرى بعد استقالته المعروفة المدوية : كنا اذ ذاك فى شهر سبتمبر وكان على ماهر قد استقال فى شهر يونيو وكان الشعور القومى ضد الانجليز قد بلغ أقصى مداه فى البلاد ، وصدرت الأوامر لنا فعلا بالانسحاب وترك أسلحتنا فرفضنا ترك السلاح وتقدمنا الى القاهرة ولأكثر من سبب تبين لنا أن تنفيذ هذه الخطة سيكون وبالا علينا فقد أدركنا على أساس تقدير الموقف اننا لن نستطيع أن ننجح فيها الى نهايتها فاكتفينا بالعودة بأسلحتنا كاملة ، واعتبرنا هذا نصرا كافيا لنا فى مرحلة جهادنا الأولى وعلى الرغم من كل هذه الأحاديث التى دارت بشأن هذه الخطة والتمهيدات التى كنا قد بدأنا نقوم فعلا بها ، فان الانجليز لم يكتشفوا منها أى شىء ولكنهم فى الوقت نفسه أدركوا سيطرة روح العداء لهم على ضباط الجيش الصغار وأيقنوا أن هذه الروح قد تلعب دورا خطيرا أخطر من ذلك الدور فى يوم قريب وبدأنا نحن نكون هدفا لعيون الانجليز حينما كنا فى القاهرة أو فى أى سلاح من أسلحة الجيش ننتقل اليه ، والكسب الأكبر

الذى كسبناه من هذه الحادثة هو عودتنا الى القاهرة فقد جمعتنى القاهرة فورا بجميع أصدقاء منقباد ماعدا جمال الذى كان لا يزال فى السودان · وفى القاهرة بدأت اجتماعاتنا تتوالى وتتركز وأخذنا نفكر فى شىء نقوم به على أساس من الدراسة الكاملة وبحيث يكون توقيته الكامل فى أيدينا نحن لا فى أيدى الظروف وحدها وكان فى خيالنا رجلان نريد أن نتصل بهما وأن نشركهما معنا فى عملنا الكبير على ماهر وعزيز المصرى رئيس هيئة أركان حرب الجيش وهو الرجل الذى وقع اختيارنا عليه ، عندئذ لكى يقود ثورتنا وحاولنا أن نتصل بعلى ماهر ، فلم نستطع وحاولنا أن نتصل فى طريقنا اليه بالاخوان المسلمين أيضا » ·

والاستقالة المدوية التى أشـار اليهـا أنور السادات فيما كتبه عن أثر سياسة تجنيب مصر ويلات الحرب فى نفوس المصريين عامة والضباط الشبان بصفة خاصة كانت أخطر الاستقالات فى تاريخ مصر الحديث ذلك لانها وضعت النقط على الحروف ، لأول مرة وأفصحت عن الأسباب الرئيسية التى أدت الى الاستقالة أو الاقالة ولان استقالة على ماهر باشا وثيقة تاريخية هامة فاننا قد حرصنا على نشرها بنصها فيما يلى :

مولاى ·· يمر العـالم بفترة من أحـرج فترات التاريخ البشرى وبلادنا العزيزة القديمة ، التى عاصرت أقدم المدنيـات وشهدت أعظم الحوادث ، تمر اليوم بامتحان عديم النظير ومما يقوى ايماننا فيما نطمع اليه وجود ملك طموح على رأس نهضتها يخفق قلبه بآمالها وقد استمدت الوزارة سياستها فى الأيام العصيبة التى مرت بها منذ قيام الحرب من روح الشعب ورغباته فأيدها البرلمان، واطمأنت اليها الأمة وكان من أقصى امانينا أن نمضى فى هذه السياسة حتى نؤدى واجب الوطن وتجتاز البـلاد هذه الأيام فى أمن وسـلام ، ولكن أصبح الاستمرار فى الحكم متعذرا لأسباب قاهرة خارجة عن ارادتنا ، وارادة الشعب لهذا أرانى مضطرا الى رفع استقالتى الى مقامكم السامى ، وأنا قوى الأمل فى أن البـلاد فى ظلال رعايتكم ستخرج من هـذه المحنـة مرفوعة الرأس عزيزة الجانب ·· الخ ، الخ »

« ٢٢ يوليو ١٩٤٠ »

عـلى ماهـر

كان خطاب استقالة وزارة على ماهر باشا ، فريدا فى بابه ، لانه ــ ولأول مـرة ــ كشف عن الأسباب التى أدت الى الاستقالة ولم يتـذرع بالمرض ، أو بالظروف الخاصة ، كما جرت العادة عندنا فى مثل تلك الحالات وكذلك ، كان خطاب قبول الاستقالة الذى بعث به الملك فاروق الى رئيس وزرائه على ماهر باشا فريدا فى بابه أيضا ، فلم يعرف التاريخ خطاب قبول استقالة قد احتوى على مثل تلك الكلمات الرقيقة التى جاءت فى رسالة فاروق ، الى على ماهر والتى بدأت بكلمة عزيزى على ماهر · وقد جاء فى تلك الرسالة قول فاروق ، يخاطب على ماهر : لقد كان من أشد بواعث الأسف لدينا ما حدا بكم الى رفع استقالتكم

الينا ولا شك ان البلاد ستحفظ لكم بالذكر الحميد على مر الزمان تلك الهمم العالية ، والوطنية الصادقة التى سستم بهـا أمورها فى حرص على طمأنينتها وسلامتها ، واستقلالها فلكم منا خير الثناء وجميل التقدير ٠

٢٢ يونيو ١٩٤٠ فـاروق

وقد كان شباب قد حفظ ـ عن ظهر قلب ـ خطاب استقالة على ماهر باشا ، وخطاب قبول تلك الاستقالة وكان شعب مصر كما سبق أن ذكرت قد اعتبر على ماهر باشا بسبب موقفه من بريطانيا ، وبسبب سعيه ، لتجنيب مصر ويلات الحرب وبسبب اعلان الأسباب الحقيقية لاستقالة وزارته و ٠٠ و ٠٠ بطلا قوميا أحبه الشعب من كل قلوب أبنائه حبا قويا ، وقدره الشعب تقديرا ما بعده تقدير ، وقد رد على ماهر باشا على ما أظهره تجاهه شعب مصر من حب وتقدير ، بالكلمة التالية : مواطنى الأعزاء ٠٠ تقبلت ببالغ التأثر ووافر الحمد والتقدير ماغمرتمونى به من أصدق العواطف وأنبل الشعور ، فأتشرف بالاعراب لكم جميعا عن خالص الشكر وعظيم الاغتباط بهذا المظهر الجميل لحيوية هذه الأمة الكريمة واتجاهها صوب الغايات القومية السامية وانى لأشعر ازاء العواطف النبيلة التى أظهرها الشعب الكريم بالوفود الكثيرة والرسائل المتوالية ، بمبلغ ما أنا مدين به من شكر جزيل ووفاء عظيم ، راجيا من الله سبحانه وتعالى ، أن يحقق لمصر العزيزة كل خير وسعادة ٠ على ماهر

وقد نشرت الصحف كلها ـ فيما عـدا الصحف الوفدية ـ الكلمة التى وجهها رئيس الوزراء المستقيل الى شعب مصر شاكرا موقفه الكريم منه على أن شعب مصر لم يكن هو الذى قدر وحده موقف على ماهر باشا بل أن الشعب العربى كله قدر موقف على ماهر المناهض للاستعمار البريطـانى ، وأذكر أن الأهرام فى عددها الصادر فى ٧ يوليو ١٩٤٠ ـ وبعد أن ذهبت وزارة على ماهر باشا وذهب نفوذها ـ نشرت كلمة وقعها عربى فلسطينى جاء فيها :

قضى الأمر ، واستقالت وزارة رفعة على ماهر باشا ، بعد أن تركت لها فى قلب كل مصرى خير أثر وأحسن ذكرى واعظم تقدير وقد أعلنت الأمة المصرية الكريمة بمختلف الطرق وشتى الوسائل تأييدها لسياسة على ماهر باشا وزملائه وأعربت عن شعورها الحى تجاه أولئك الرجال الذين دافعوا الى ساعتهم الأخيرة بالحكم عن حقوق مصر ومصالح شعبه كاملة ، أما وقد قال المصريون كلمتهم عن وزارة على ماهر باشا وهم أصحاب الشأن الأول فقد وجب علينا أن نقول كلمة خالصة فى الموضوع فوزارة مصر تعتبر عادة وزارة العالم العربى وما يهم مصر يهم شقيقاتها الأقطار العربية المجاورة فكيف الحال ووزارة على ماهر باشا ضمت عددا من رجالات العرب وأبطال المسلمين مثل محمد على علوبة وعبد الرحمن عزام ، وصالح حرب واخوانهم ، والعرب الذين يحفظون لجميع الوزارات المصرية

السابقة عطفها على القضية العربية وتأييدها لحركة الجهاد فى الأقطار الشرقية يعلنون على الملأ أجمع ، انهم وجدوا من وزارة على ماهر عطفا حقيقيا ، وتمدبا أكيدا على القضية العربية عامة والقضية الفلسطينية خاصة وان القضية العربية شقت لها طريقا فى المحافل والأوساط السياسية والرسمية والشعبية فى مصر على عهد وزارة على ماهر باشا لم نعهده لها من قبل فمن اهتمام جدى بقضية فلسطين ، ومصير فلسطين وبمصير العاملين من أبنائها ، الى العناية بشئون سورية ، الى المؤازرة فى حل الخلافات الوضعية القائمة بين بعض الممالك العربية الى توطيد العلاقات التجارية والاقتصادية وتمكين الصلات الثقافية والدينية مع العالم العربى والى غير ذلك من الأمور الكثيرة والأعمال المبرورة التى قامت بها وزارة على ماهر باشا ٠

ويقول العربى الفلسطينى فى كلمته : والعرب وهم يعتبرون المصريين على مختلف أحزابهم ، ونحلهم وجماعاتهم ، اخوانا لهم يأسفون كل الأسف لاستقالة وزارة على ماهر باشا خصوصا بسبب تلك الظروف التى أحاطت بالاستقالة ويرجون أن تنال قضاياهم القومية من الوزارة الجديدة العطف والتأييد واتمام رسالة على ماهر باشا كما يرجون منها العمل على أن يحقق العرب فى مختلف اقطارهم وأمصارهم ، أهدافهم الوطنية ٠

ويزجى المواطن العربى الفلسطينى التهنئة الى على ماهر باشا وزملائه الفخام على صراحتهم الوطنية ، ولموقفهم الشريف العظيم الذى كان له أكبر الأثر وأبعد التأثير فى مختلف الأوساط السياسية العربية ٠

ويغلب على ظنى ، وأرجو ألا أكون مخطئا فى تقديرى اذا ما قلت ، ان صاحب تلك الرسالة التى نشرتها الأهرام كان الأستاذ محمد على الطاهر الزعيم الفلسطينى المعروف وصاحب جريدة الشورى وربما كان سبب احجام الأهرام عن نشر اسمه والاشارة اليه ب « العربى الفلسطينى » الخوف من أن يناله ـ وهو الفلسطينى الثائر ـ الضرر من قبل السلطات البريطانية فى مصر ، التى أصبح لها بعد اقالة وزارة على ماهر باشا ولا نقول استقالتها الحول والطول والكلمة الأولى والأخيرة فى كل ما يتعلق بأمور البلاد صغيرها وكبيرها وكان محمد على الطاهر نزيل السجون والمعتقلات وخاصة فى أيام الحرب العالمية الثانية ٠

وبعد الحديث عن الأزمة المصرية البريطانية التى واجهت على ماهر باشا وأقصته عن الحكم ولا نقول أسقطته ننتقل الى الحديث عن وزارة حسن صبرى باشا التى أعقبت وزارة على ماهر باشا ، وكان قد سبق لنا أن أشرنا الى بعض الظروف التى اكتنفت تشكيل وزارة حسن صبرى باشا وحرص أحمد حسنين باشا على اختيار حسن صبرى باشا بالذات لعلاقته الطيبة بالانجليز ، واخفاء اسمه ـ فى البداية ـ عن السير مايلز لامبسون ، السفير البريطانى فى مصر

الذى كان مصرا على تأليف وزارة محايدة يرضى عنها الوفد ، اذا لم يقبل الوفد تشكيل الوزارة !

ومن بين الذين كانوا على دراية ومعرفة بظروف تأليف وزارة حسن صبرى باشا ، الأستاذ محمد التابعى الذى سبق لنا أن أشرنا الى بعض كتاباته عن تلك الفترة الحرجة من تاريخ البلاد كما أنه ــ أى الأستاذ التابعى ــ كان على مقربة من الجهات التى كانت تصنع القرار وخاصة أحمد حسنين باشا ، يقول الأستاذ محمد التابعى : حدثنى أحمد حسنين باشا رحمه الله عن سبب اختيار حسن صبرى باشا رئيسا للوزارة وعدم الأخذ بنصيحة سير مايلز لامبسون وهى اسناد الحكم الى وزارة وفدية أو وزارة يؤيدها الوفد ، فقال : لقد كان رأيى دائما أن الوفد هو القوة الشعبية الوحيدة فى هذا البلد وانه بهذه الصفة أحق بالحكم من جميع الأحزاب الأخرى لانه يتمتع بثقة الناخبين وأنا أعتقد كذلك أن الوفد قوة يمكن استغلالها فى استخلاص حقوق البلاد من الانجليز ولقد عملت ولا أزال أعمل على تسوية جميع الخلافات بين الملك ومصطفى النحاس وازالة أسباب سوء التفاهم التى خلفها عام ١٩٣٧ وما تلاه ، وهذه خطوة لابد منها قبل عودة المياه الى مجاريها الطبيعية أى قبل عودة الوفد الى تولى الحكم ومن هنا نفهم لماذا رفضت أن أعمل بنصيحة سير مايلز لامبسون ، لان العمل بهذه النصيحة كان معناه أن الوفد وهو القوة الشعبية الوحيدة وقوتها ، فى استخلاص حقوقها من انجلترا انما يعود الى الحكم بارادة الانجليز وهذا أمر ليس فى مصلحة البلاد ولا فى مصلحة الملك ، ولا فى مصلحة الوفد نفسه وأظن أنك توافق على أنه من مصلحتنا جميعا أنه اذا عاد الوفد الى الحكم فيجب أن يعود بالطريق الشرعى السليم أو بموافقة صاحب العرش ، لا بارادة الانجليز .

ورأيت ــ الكلام لأحمد حسنين باشا ــ أن نقوم بمناورة تمويه ، وتضليل ذرا للرماد فى عيون السفير البريطانى فطلبت من الملك أن يوفد عبد الوهاب طلعت لمقابلة النحاس باشا فى كفر عشما لكى ألفت أنظار السفارة وعيونها الى كفر عشما وأصرفها عما يجرى فى القاهرة وهكذا بينما كان عبد الوهاب طلعت فى كفر عشما كنت أنا قد اتصلت بحسن صبرى وأعضاء وزارته وأعددت المراسيم بتشكيل الوزارة .. وفوجىء السفير البريطانى بوزارة حسن صبرى وبالأمر الواقع : صحيح ، أن حسن صبرى باشا صديق للسفير البريطانى وللانجليز ولقد أخذنا بهذا السبب كسرا لحدة التحدى ، فقد كان اغفال نصيحة السفير البريطانى تحديا منا لا شك ولكن حسن صبرى باشا مع ذلك مصرى وطنى مخلص لبلاده قبل كل شىء .

وحسن صبرى باشا ــ للتاريخ ــ رجل من خيرة السياسيين المصريين ، بلا جدال وقد وصفته صحيفة بريطانية عندما عين وزيرا مفوضا لمصر فى بريطانيا بأنه يجمع فى شخصه خير صفات مصر القديمة ومصر الحديثة وقد

تخرج حسن صبرى باشا فى مدرسة المعلمين العليا ودرس القانون ، ونال الاجازة فيه • ولم يكتف بذلك بل درس القانون الانجليزى ، ورغم ذلك فقد آثر أن يبدأ عمله فى المحاماة الشرعية ، وقد لا يعرف الكثيرون أن حسن صبرى باشا قد تولى التدريس فى الأزهـر ولعله أول معلم حديث قام بتدريس الرياضـة والطبيعة والتاريخ والجغرافيا فى الأزهر ، وهو ــ بدون جدال ــ أول «أفندى» تولى منصب مفتش للعلوم الحديثة ، فى الأزهر ، وعندما أختير مستشارا قضائيا لوزارة الأوقاف آثر أن يحتفظ بمكتبه كمحام وقد دخل حسن صبرى مجلس النواب سنة ١٩٢٦ عن دائرة الصبرية التى توجد بها ضيعته ، والتى بنى بها قرية نموذجية وفى عام ١٩٣٠ انتخب عضوا بمجلس الشيوخ ورئيسا للجنة المالية وقد دعى للاشتراك فى الوزارة ثلاث مرات فاعتذر حتى لا يتورط فى الخلافات الحزبية ولكنه وقد كان رئيسا للجنة المالية بمجلس الشيوخ لم يستطع الاعتذار عن تولى وزارة المالية فى وزارة عبد الفتاح يحيى باشا عام ١٩٢٣ ، وبعد وزارة المالية تولى وزارة التجارة والمواصلات فى وزارتى عبد الفتاح يحيى باشا ، وعلى ماهر باشا « الوزارة الأولى » وكذلك وزارة الدفاع فى وزارة محمد محمود باشا الثانية وكان حسن صبرى باشا يرى أن قبوله رئاسة الوزارة بعد تلك الأزمة العنيفة التى أطاحت بوزارة على ماهر يعتبر من جانبه تضحية كبيرة خاصة وأنه قبل أيام من تكليفه بتشكيل الوزارة كان مريضا لمدة شهرين وكان مرضه العنيف يحتم عليه أن يبقى بعيدا عن أجواء التوتر ، التى تتميز بها وقتئذ حياتنا السياسية ، ولكن حسن صبرى باشا قبل الحكم لعله يستطيع المساهمة فى تخفيف الأزمات التى كانت تحيط بالبلاد داخليا وخارجيا ولم يبق حسن صبرى باشا فى الوزارة سوى أربعة أشهر صعدت بعدها روحه الى بارئها وهو يلقى خطاب العرش كرئيس للوزارة فى ١٤ نوفمبر ١٩٤٠ وكان قد شكل وزارته الأولى والأخيرة فى ٢٨ يونيه من نفس العام ١٩٤٠ وقد حرص حسن صبرى باشا فى خطـاب تشـكيل وزارته أن يؤكد على أنه لم يقبل التكليف بتشـكيل الوزارة الا بناء على أمر الملك وهو أمر ــ كما يقول حسن صبرى باشا ــ واجب التنفيـذ •

والوطن يقتضينى ألا أتأخر ، أو أتردد فى حمل التبعة أيا كانت الصعاب والعقبات ، فأمام مصلحة الوطن لا صعاب ولا عقبات » •

وقد احتفظ حسن صبرى باشا برئاسة الوزارة ووزارة الخارجية • وتولى عبد الحميد سامى باشا وزارة المالية ، ومحمد حلمى باشا وزارة العدل والنقراشى باشا وزارة الداخلية ومحمود فهمى القيسى وزارة الدفاع الوطنى • وصليب سامى « بك » وزارة التموين ومحمود غالب باشا وزارة المواصلات وحسين سرى باشا وزارة الأشغال العمومية ، ومحمد حافظ رمضان وزارة الشئون الاجتماعية ومحمد حسين هيكل باشا وزارة المعارف العمومية والشيخ مصطفى عبد الرازق

بك وزارة الأوقاف والأستاذ ابراهيم عبد الهادى وزارة التجارة والصناعة وأحمد عبد الغفار بك وزارة الزراعة ، والأستاذ على أيوب وزيرا للدولة والأستاذ عبد المجيد ابراهيم صالح وزيرا للدولة وعلى ابراهيم باشا لوزارة الصحة العمومية : وحول دخول محمد حافظ رمضان باشا رئيس الحزب الوطنى الوزارة لابد من وقفة ، وقفة طويلة فى نفس الوقت وفى البداية نقول أن وجهة نظر الأستاذ عبد الرحمن الرافعى وزملائه فى اللجنة الادارية للحزب الوطنى كانت تتلخص فى أن حسن صبرى باشا وقد أوضح فى بيان ألقاه فى مجلس النواب أن وزارته حريصة على الوفاء بتعهداتها لحليفتها بريطانيا وأنها تقوم بتنفيذ معاهدة التحالف والصداقة بروحها ، ونصها وأنها ستستمر على السياسة التى أقرها البرلمان فى ١٢ يونيو ١٩٤٠ « واذ كان ممثلو الحزب الوطنى فى مجلس الشيوخ والنواب لا يقرون معاهدة سنة ١٩٣٦ فقد رفضوا الثقة بالوزارة على هذا الأساس وأعلنوا ذلك فى كلا المجلسين » وكان اشتراك حافظ رمضان باشا فى وزارة حسن صبرى باشا سببا لخلاف كبير بين أعضاء الحزب الوطنى ٠٠ وقد بدأ الخلاف فى دائرة ضيقة باشتراكه فى وزارة محمد محمود الثانية سنة ١٩٣٧ اذ كان اشتراكه بدون قرار من اللجنة الادارية للحزب فلما فوتح فى ذلك اعتذر بأن الوقت لم يكن يتسع لعقد اللجنة قبل تأليف الوزارة ، فانها ألفت على عجل وسكتت اللجنة حتى استقالت وزارة محمد محمود وألف وزارته التالية دون أن يشترك فيها حافظ رمضان باشا فلما وقعت أزمة يونيو ١٩٤٠ واستقالت وزارة على ماهر اجتمعت اللجنة الادارية للحزب يوم ٢٤ يونيو وبحثت فى الموقف وهل يشترك الحزب فى الوزارة الجديدة اذا دعى للاشتراك فيها أم لا يشترك ، فقررت اللجنة عدم الاشتراك فيها ثم ألفت وزارة حسن صبرى باشا وفيها حافظ رمضان باشا فوقع الانقسام فى اللجنة الادارية بين معارض لموقف حافظ رمضان باشا لمخالفة قرار اللجنة ومؤيد له فى موقفه ٠

وكان الأستاذ عبد الرحمن الرافعى قد نشر بوصفه سكرتيرا للحزب الوطنى ، فى الصحف بيانا حول موقف الحزب من اشتراك رئيسه محمد حافظ رمضان باشا ، وقد نشر البيان فى ٣ يوليو ١٩٤٠ ، وقد جاء فى هذا البيان :

بادر الحزب الوطنى الى تحديد موقفه من الأزمة السياسية التى لابست استقالة وزارة على ماهر باشا فاجتمعت لجنته الادارية بمكتب الأستاذ عبد المقصود متولى المحامى مساء يوم الاثنين ٢٤ يونية ١٩٤٠ وحضر اجماعها سعادة الأستاذ حافظ رمضان باشا وبحثت اللجنة فى موقف البلاد ، وواجب الحزب حيال هذه الأزمة وعرضت لفكرة الوزارة الجديدة ، ومشروع تأليفها وهل يشترك الحزب فيها أم لا يشترك ، فرأت بعد دراسة الموقف من جميع نواحيه ألا يشترك فى تأليفها اذ يحرص الحزب الوطنى من يوم تأسيسه على أن يكون حزب مبادىء وعقائد لا حزب أشخاص ومناصب فما كان له أن يشترك فى وزارة تسير على

غير مبادئه وبعد ذلك لا تكون الحياة الحزبية والحياة السياسية أداة نوعية تنشد مصالح البلاد العليا » .

ويمضى بيان سكرتير الحزب الوطنى قائلا : « من أجل ذلك قررت اللجنة فى اجتماعها المذكور ، عدم اشتراك الحزب الوطنى فى الوزارة الجديدة وتعهد سعادة حافظ رمضان باشا ، أمام اللجنة أن ينزل على رأيها ويحترم قرارها ولكن لم يمض على هذا العهد ، ثلاثة أيام حتى خرج عليه الأستاذ حافظ رمضان باشا باشتراكه فى الوزارة ، لذلك اجتمعت اللجنة الادارية يوم السبت ٢٩ يونيو بمكتب الأستاذ عبد المقصود متولى للنظر فى الأمر ، فرأت أن اشتراك معالى حافظ رمضان باشا فى الوزارة فى الملابسات السابق ذكرها هو خروج على قرار اللجنة وعلى العهد الذى قطعه على نفسه وعلى مبادىء الحزب مما يستدعى اعتباره متخليا عن رئاسة الحزب وعن عضويته ، فلهذه الأسباب قررت اللجنة الادارية للحزب الوطنى اعتبار معالى محمد حافظ رمضان باشا متخليا عن رئاسة الحزب وعن عضويته » .

ورد الأستاذ محمد حافظ رمضان باشا ، على بيان الأستاذ عبد الرحمن الرافعى ببيان جاء فيه :

قرأت فى الصحف صباح اليوم بيانا لحضرة صاحب العزة سكرتير الحزب الوطنى قال فيه : ان اللجنة الادارية اجتمعت وقررت ألا يشترك أحد من أعضاء الحزب فى الوزارة الجديدة وانها عادت فاجتمعت وقررت أن اشتراكى فى هذه الوزارة يعتبر تخليا منى عن رياسة الحزب وعضويته .

ووضعا للأمور فى نصابها أرى أن أضع الوقائع الآتية تحت نظر الرأى العام : لما تحرج الموقف السياسى واشتدت خطورة الأزمة فى أواخر أيام الوزارة الماضية رأيت أن أقف حضرات أعضاء اللجنة الادارية للحزب الوطنى على حقيقة ما وصلت اليه الأمور وأن أبحث معهم فيما يحسن أن يكون عليه موقفنا حيال الحالة الطارئة

بيد أنى لم أستطع الاتصال بأكثرهم لغيابهم عن القاهرة ، فاجتمعت بمن تيسر لى الاجتماع بهم من حضراتهم ، ولبثنا نقلب الرأى على مختلف وجوهه ثم انصرفت من الاجتماع دون أن يضع الحاضرون قرارا فى الموضوع ، وبعد انصرافى علمت تليفونيا من أحد حضرات الزملاء أن هناك رأيا يؤثر عدم اشتراك الحزب فى الوزارة .

ازاء هذا اتصلت ببقية أعضاء اللجنة فى القاهرة والإسكندرية وغيرهما وعرضت عليهم الأمر ففهمت من حضراتهم أنهم يقدرون دقة الموقف ويرون أن الحزب الوطنى الذى شغل مكانا رفيعا فى الحركة الوطنية وكان له أثر مذكور

فى نهضة البلاد لا ينبغى له أن يبقى فى معزل عن الاشتراك فى انقاذ الموقف وفى تسيير سياسة الوطن وتوجيه مصائره ، ومن ثم كان قبول دخول الوزارة ٠

يتبين من هذه الوقائع أن اشتراكى فى الحكم لم يكن خروجا على قرار صدر من اللجنة الادارية ، وانما كان نزولا على رغبة فريق كبير من حضرات أعضائها ٠٠

على انى وقد شهدت مولد الحزب الوطنى ونموه وعملت فى خدمة مبادئه منذ الساعة الأولى ، واشتركت زهاء الأربعين عاما فى تسيير دفته مع من عملوا من الأبرار المخلصين واحتملت مع زملائى ما اسهدفوا له من أزمات وما خاضوا من معارك وألمت فى الماضى والحاضر بمواطن القوة والضعف فى تصرفاته وأعماله وازاء ما لمسته أخيرا من تعدد الاتجاهات واختلاف الأفكار وتباين الأساليب أرى من حق الحزب على أن أضع لسياسته اتجاها واضحا وقاعدة ثابتة يزيلان هذا التعدد فى الأفكار ، وذلك التباين والتشتت فى الآراء ، ولذا دعوت حضرات أعضاء اللجنة الادارية جميعا الى اجتماع يعقد بمنزلى فى الساعة التاسعة من مساء يوم الخميس ٥ يوليو وقد تفضل أكثرهم بقبول هذه الدعوة ٠٠

وانى أرجو من حضرات الأعضاء الذين لم أستطع الاتصال بهم أن يعتبروا هذا دعوة لكل منهم ٠٠

ومن رأيى أن الحزب الوطنى الذى قبل أن يشترك فى جميع الهيئات النيابية بقصد الرقابة والهيمنة على أعمال الحكومة لا يجوز له أن يأبى الاشتراك فى الحكومة نفسها ، حتى يكون صوته أقرب الى السمع ، ورأيه أقرب الى الاستجابة ٠

وما كان لوطنى يقدر الظرف الشديد الذى تجتازه البلاد أن يتخلى عن تلبية نداء الوطن اذا دعاه ، والا كان تخلفه فرارا من الواجب ونكوصا عن العهد فى أدق المواقف وأحرج الساعات » ٠

ولم يقف الانشقاق الجديد فى الحزب الوطنى عند قيادات الحزب الوطنى، وانما امتد الى الكوادر فقد اجتمع مثلا رؤساء اللجان الفرعية ، للحزب الوطنى فى العباسية ، والدرب الأحمر ، والخليفة ، والسيدة ، ومصر القديمة ، والجيزة ، وامبابة بدعوة من حضرة عباس أفندى الزير ، وبعد أن وقف الحاضرون الجلسة حدادا على المرحوم الدكتور عبد الحميد سعيد أصدروا قرارات جاء فيها تهنئة معالى حافظ رمضان باشا باسناد منصب الوزارة اليه وتجديد الثقة به ومطالبته بأن يعمل على عدم جر البلاد الى حرب لا مصلحة لها فيها واعتبار القرار ، الذى أذاعه سكرتير الحزب الوطنى غير معبر ، عن آراء غالبية حضرات

أعضاء اللجنة الادارية والجمعية العمومية ، للحزب اذ ان حضراتهم يؤيدون رئيس الحزب فى سياسته الرشيدة وكذلك طالب المجتمعون حافظ رمضان باشا بدعوة اللجنة الادارية للحزب الى الاجتماع للنظر فى قرار سكرتير الحزب وأن يعقد الجمعية العمومية لتنتخب أعضاء هذه اللجنة ، وعقدت اجتماعات أخرى لتأييد القرار الخاص باعتبار حافظ رمضان باشا متخليا عن رئاسة الحزب الوطنى ، وتوالت البيانات من حافظ رمضان باشا ، ومن عبد الرحمن الرافعى بك كما هو واضح فى الفصل التالى ٠

الفصل الرابع

اللجنة الادارية للحزب الوطنى تنقسم الى أغلبية بزعامة عبد الرحمن الرافعى بك وأقلية بزعامة حافظ رمضان باشا

سبق أن تحدثنا عن آثار استقالة وزارة على ماهر باشا ، أو اقالتها بأمر الانجليز فى نفوس ضباط الجيش المصرى ، بصفة عامة والضباط الأحرار ، بصفة خاصة ، وكما تحدثنا عن بعض الظروف ، التى أحاطت بتشكيل وزارة حسن صبرى باشا ، وقد أشرنا فى نهاية الحلقة الى اشتراك محمد حافظ رمضان باشا رئيس الحزب الوطنى فى تلك الوزارة ومعارضة أغلبية أعضاء اللجنة الادارية ، للحزب الوطنى لتلك المشاركة وقد حرصنا ، على أن ننشر البيان الذى أصدره حافظ رمضان باشا ، والبيان الذى أصدره عبد الرحمن الرافعى بك فى الصحف ردا على بيان حافظ رمضان باشا ، وننشر اليوم البيان الثانى لعبد الرحمن الرافعى بك تعقيبا على الاجتماع الذى دعا اليه حافظ رمضان باشا وهذا نصه :

« ان الاجتماع الذى عقد أمس الخميس ٤ يوليو ١٩٤٠ بمنزل معالى حافظ رمضان باشا وقيل فى البيان المنشور عنه أنه اجتماع اللجنة الادارية للحزب الوطنى هو اجتماع باطل فى أساسه ، فلا يعبر ، عن رأى اللجنة الادارية ، ولا عن مبادىء الحزب الوطنى ، لان معالى حافظ رمضان باشا الذى دعا اليه لم تكن له صفة فى عقده ، ولذلك رفض معظم أعضاء اللجنة الادارية حضوره استمساكا بقراريها الصادرين فى ٢٤ يونية و٢٩ يونية ١٩٤٠ ، وقد حضره فريق منهم لمجرد الاعتراض على قانونيته ولا يستطيع حافظ رمضان باشا أن يجادل فى قانونية الاجتماع الأول للجنة الادارية فى ٢٤ يونية لأنه هو الذى طلب عقده وحضره فعلا واشترك فى مناقشته وتعهد فيه أمام اللجنة ، باحترام ما تقرر فى صدد اشتراك الحزب الوطنى أو عدم اشتراكه فى الوزارة الجديدة ، وحضر هذا الاجتماع ، مع معالى حافظ رمضان باشا كل من عبد الرحمن الرافعى، عبد المقصود متولى ، محمد محمود جلال ، فكرى أباظة ، محمد على المهندس ، ابراهيم رياض ، اسماعيل العسيلى ، عبد العزيز الصوفانى ومن بينهم جميع

ممثلى الحزب فى مجلسى البرلمان ، وقررت اللجنة فى ذلك الاجتماع عدم اشتراك الحزب فى الوزارة ، وصدر القرار بموافقة الجميع ماعدا صوتا واحدا ، وهو صوت الأستاذ عبد العزيز الصوفانى وهذا هو القرار القانونى الملزم ، لمعالى حافظ رمضان باشا وأعقبه القرار الصادر فى ٢٩ يونيو باعتباره متخليا عن رئاسة الحزب ، وعضويته كنتيجة حتمية لمخالفته للقرار الأول ..

ويمضى البيان فيقول : فهذان هما القراران المعبران ، عن رأى الحزب الوطنى ، وموقفه أما الاجتماع الذى عقد أمس فانه فضلا عن عدم قانونيته فقد حشرت فيه أسماء لبعض من انقطعت صلتهم باللجنة ونشاط الحزب الوطنى منذ عدة سنين ، كما انهم ذكروا اسم الأستاذ فكرى أباظة ضمن الحاضرين والموافقين ، وهو لم يحضر مطلقا ، ولم يشترك معهم . فى أى قرار ..و..و..

أما البيان ، الذى كان حافظ رمضان باشا قد نشره تأييدا لموقفه ، فقد جاء فيه : ان اللجنة الادارية قد انعقدت فى دار رئيسها معالى حافظ رمضان باشا وبناء على دعوته وقد حضر الاجتماع : محمد حافظ رمضان باشا ، والدكتور اسماعيل صدقى بك ؛ والأستاذ عبد العزيز الصوفانى ، واسماعيل العسيلى ، والدكتور محمد عبد الحى بك ، الأستاذ منصور القاضى ، الأستاذ محمد فريد شريف المحامى وعلى البسيونى بك .. ويقول البيان : « ان اللجنة استمعت الى بيان معالى حافظ رمضان باشا رئيس الحزب عن الموقف السياسى فى مصر ، ومدى التطورات لاطلاعهم ، على سيرها ، وقد عرض حافظ رمضان على المجتمعين ، الخطة التى رأى أن ينتهجها ازاء خطورة الحال ووجوب الانتهاء فيها الى رأى عاقل تحقق تنفيذه المصلحة الوطنية فى أن يكون الحزب الوطنى كهيئة سياسية عاملة — واقفا ، أولا بأول على تطورات الموقف السياسى والملابسات السريعة ، التى تلازم هذه التطورات » ..

وفى هذا الاجتماع — كما جاء فى بيان حافظ رمضان — قال حافظ رمضان باشا أنه قبل الاشتراك فى الوزارة بدافع من شعوره كرئيس حزب مسئول عن التوجيه العام لسياسته ، وبدافع ما استخلصه من الآراء ، التى حصل عليها من حضرات الأعضاء ، ولحرصه كل الحرص على ألا يظل الحزب الوطنى واقفا من الأحداث السياسية الخطيرة الجارية فى مصر ، موقفا سلبيا ، فتأدية الحزب واجبه الوطنى الشريف فى الموقف العصيب الذى تقفه البلاد ، عمل من أوجب ما تقتضيه دقة الموقف ، وسلامته من الناحيتين الوطنية والحزبية ، ولا يتسنى هذا الا بالاشتراك فى أعمال الحكم وتولى معالجتها عن طريق مباشر على ضوء ما رسمته مبادىء الحزب الوطنى » .

وقد ذكر حافظ رمضان باشا أيضا أن مسايرة الحوادث ومراعاة ملابساتها أمران تقضى بهما طبيعة الأشياء وان خدمة برنامج الحزب لا تكون بالتزام خطة واحدة جامدة لا تتغير ، وانما تكون بالأخذ باصلح ما يمكن الأخذ به لتحقيق

العرض الأصيل وليس تغيير الخطة معناه تغيير المبدأ ، فالمبدأ باق لا يتغير ، أما الأساليب والخطط فتختلف باختلاف الأحوال الطارئة والضرورات الناشئة، وضرب حافظ رمضان باشا مثلا لذلك بما حدث وما زال يحدث فى كثير من الأحزاب السياسية التى التزمت وقتا طويلا خطة اجتناب الحكم ثم عدلت عنها خضوعا لتغيير الأحوال ، وأشار حافظ رمضان باشا الى موقفه من وزارة ، المغفور له عدلى يكن باشا واعتذاره عن الاشتراك فيها والى اعتذاره كذلك عن الاشتراك فى وزارة رفعة محمد محمود باشا الأولى للظروف والاعتبارات التى كانت قائمة وقتئذ ، كما أشار الى قبوله الاشتراك فى وزارة محمد محمود باشا الثانية وانه كان يبنى خطته فى كل هـذه الحالات على ما يستوحيه من آراء زملائه ، فى الحزب ، وما يمليه عليه الواجب فى كل هذه الحالات .

وقال حافظ رمضان باشا أيضا : « ان الواجب الأول فى هذا الوقت العصيب الذى تقضى فيه المروءة ، ويقضى فيه واجب الذمة والأمانة للوطن والملك ان يحرص كل عضو فى الحزب بل كل مصرى على بقاء الحزب الوطنى كتلة واحدة قوية سليمة وان يسهل له التدخل بقوة وعلى عجل لتأدية واجبه وانقاذ الموقف ما استطاع الى ذلك سبيلا .

ويطلب حافظ رمضان من أعضاء اللجنة الادارية ، ان يبحثوا الموقف بكل حرية للوصول الى رأى صريح ، ويقول حافظ رمضان ان البيان الذى نشره صاحب العزة الأستاذ عبد الرحمن الرافعى بك لا يجد فيه ما يحمله على الغضب ولا ما يحفزه ، الى اتخاذ أى اجراء عملى وذلك لأنه باتصالاته المتوالية بحضرات أعضاء الحزب الوطنى فى أنحاء البلاد يثق كل الثقة بأن هذا البيان لا يعبر الا عن رأى فريق قليل العدد ، من الزملاء ، ذلك لأن اللجنة الادراية ، لم تجتمع ولم يدع اليها أعضاؤها ولو صح ان قرارا مثل هذا قد صدر لكان من أوليات اللياقة ان أبلغ شخصيا مثل هذا القرار ، لا ان أطلع عليه فى الصحف كما يطلع عليه سائر الناس .

ويقول بيان حافظ رمضان باشا : ان اللجنة الادارية للحزب الوطنى قد قررت باجماع الآراء ما عدا الأستاذين ، عبد المقصود متولى ، وابراهيم أفندى رياض موافقة حافظ رمضان باشا بوصفه رئيسا للحزب على تصرفاته وتأييد اشتراكه فى الوزارة ، كممثل لهذا الحزب يعمل جهد طاقته للنهوض بواجبه الوطنى وتحقيق مبادئه ، والمساهمة فى انقاذ الموقف الذى وقفته البـلاد ، أخيرا .

وقد كاد ذلك التصدع ، الذى أصاب بنيان الحزب الوطنى ، الضعيف ، الهزيل بالمقارنة الى صرحه القديم ، الهائل ، العظيم : كاد ذلك التصدع ، يقضى على الحزب الوطنى ، رغم ان حافظ رمضان باشا ومن معه وعبد الرحمن الرافعى

بك ، ومن معه لم يعمدا أو لم يعمد أحد من فريقيهما ، الى تجريح الطرف الآخر ، أو أى واحد من الطرف الآخر بل اقتصرت البيانات التى أذاعها حافظ رمضان باشا بصفته رئيسا للحزب الوطنى ، والتى أذاعها عبد الرحمن الرافعي ، بصفته سكرتيرا للحزب وناطقا باسم أغلبية أعضاء اللجنة الادارية للحزب ــ السلطة الرسمية والشرعية للحزب ــ اقتصرت البيانات على تدعيم . حجج كل فريق ، واضعاف حجج الفريق الآخر ، دون مساس على الاطلاق . بالأشخاص .

وقد انحصر الخلاف بين الطرفين : حافظ باشا ومن معه ، وعبد الرحمن الرافعي بك ومن معه فى نقاط واضحة محددة ، من بينها ــ مثلا ــ هل يجوز للحزب الوطنى أن يشترك فى الحكم ، فى ظل الاحتلال الأجنبى ، أم لا يجوز له الاشتراك فى الحكم ، وحتى اذا جاز له فى ظروف خاصة ان يشترك فى الحكم هل يشترك فى أية وزارة من الوزارات ، أم ان هناك قيودا ، على من يريد أن يشترك من رجالات الحزب الوطنى فى أية وزارة كأن تكون تلك الوزارة متفقة فى منهاجها مع المنهاج الوطنى للحزب الوطنى ، ثم هل من حق رمضان باشا كرئيس للحزب أن يشترك فى وزارة كرئيس للحزب وباسم الحزب دون أن يحصل على قرار من اللجنة الادارية للحزب أم أن حافظ رمضان كرئيس للحزب يملك حق التحرك السياسى فيقبل الاشتراك فى وزارة معينة وبعد ان يشترك فى تلك الوزارة ، يعرض على اللجنة الادارية سياسة الوزارة ، وسياسته فى تلك الوزارة ، فان حصل على تأييد استمر ، فى الوزارة ، كعضو فيها وأن قوبل بمعارضة قوية ، كان عليه ان يستقيل من الوزارة ثم ما هى اللجنة الادارية ، التى تتحكم فى أمور الحزب الوطنى ما عددها ، ما سلطاتها ، وهل من حق واحد من أعضاء اللجنة الادارية انقطع سنوات وسنوات عن حضور اجتماعات اللجنة ، ان يحضر فجأة للمشاركة فى اجتماع لا لشىء الا ليؤيد ، أو يعارض وجهة نظر معينة ، و . و .

وكنا نحن الذين تربينا فى أحضان الحزب الوطنى ، ولم نكن بعد قد بلغنا « الحلم السياسى » نحزن ، لما أصاب حزبنا من تصدع ، وانشقاق فقد كانت آمالنا فى هذا الحزب قوية للغاية ، وكان على رأس تلك الآمال ن يتحول الحزب الوطنى من حزب أقلية ، الى حزب أغلبية كما كان أيام مصطفى وفريد ، وكنا نعمل ونحن صغار على ان نكتشف العناصر الوطنية ، فنحرص على المشاركة فى بعض الندوات والحفلات الاجتماعية والدينية والثقافية والأدبية ونثير ــ فى الوقع نفسه من المناقشات ــ أية مناقشات سياسية ــ نكتشف بها العناصر ، الواعية المخلصة الراغبة فى التضحيات وكم كانت سعادة الواحد منا عندما كان يحصل على « كشف » يعتز به ، كان يحس بأنه اكتشف كنز قارون ، وكم كان يحزننا أكثر وأكثر أن بعض الصحف المصرية قد اتخذت من ذلك ، التصدع ، والانشقاق فى صفوف الحزب الوطنى مادة « للتريقة »

على الحزب الوطنى ، وكان من أشد ما حزنا له ، حزنا لم يكن يعادله حزننا على موت أقرب الناس الينا ، أن حملت مجلة الاثنين ، التى تصدر عن دار الهلال حيث فكرى أباظة رئيس تحرير المصــور واحد أعمدة دار الهلال ، على الحزب الوطنى ، وكان من بين ما كتبته فى عددها الصادر فى ١٢ أغسطس ١٩٤٠ تحت عنوان ، على ماهر باشــا فى الحزب الوطنى : للحزب الوطنى فى كل مناسبة حكاية تذكرنا بحكاية جحا عندما قيل له : عد غنمك ، فكان جوابه : واحدة واقفة ، والثانية نايمة ، وأعضاء الحزب الوطنى ــ مع حفظ الفــارق ــ قايلون ولكنهم يغضبون لأتفه الأسباب ، من ذلك انه عندما تألفت الوزارة القائمة ودخلها معالى حافظ رمضان باشا اجتمع الحزب الوطنى وقرر عزل معاليه من رئاسته ، وبعد يوم واحد اجتمع الحزب الوطنى برمتــه وقرر بقاء معاليه رئيسا ــ وللعلم هذا ليس بصحيح على الاطلاق ، ثم جرت ــ هكذا قالت مجلة الاثنين ــ مناقشــات ، ومساجلات ، على صفحات الصحف بين الحزب الوطنى رقم ١ ، والحزب الوطنى رقم ٢ حول أيهما الحزب الوطنى وهناك شائعة لانزال تتوكأ على عكازين ، تقول ان مباحثات ومفاوضــات تدور حول ترشيح رفعة على ماهر باشا لرئاسة الحزب الوطنى وتذهب هذه الشائعات الى أبعد حد فتؤكد ان هذا الترشيح قد يعلن قريبا ، وان طائفة من الشخصيات البارزة التى ســاهمت فى الحــزب الوطنى قديما قد تنضم الى الحزب ، على أساس جديد ٠

على أية حال فقد كنا نحن صبيان الحزب الوطنى ، ولا أقول شبابه فلم نكن بعد قد وصلنا الى سن الشباب نقف فى الجانب الذى يقف فيه عبد الرحمن الرافعى بك ، لا لأنه بلدياتنا ، ولا لأنه كان أستاذا لنا ، نعرفه ويعرفنا ولأننا نحن لا نعرف ــ وقتئذ ــ حافظ رمضان باشا ولا يعرفنا ٠ ولا لأننا كنا قد وعينا جيدا البيانات التى أصدرها حافظ رمضان باشا وعبد الرحمن الرافعى بك و ٠٠ و ٠٠ وانما وقفنا الى جانب عبد الرحمن الرافعى لأنه ، لم يكن وزيرا ولم يكن فى السلطة ، ولم يكن يملك الجاه ، والنفوذ الذى يملكه حافظ رمضان باشا باشتراكه فى الوزارة كان يملك مكتبـــه ، لا أكثر ولا أقل الى جانب اننا وجدنا محمد محمود جلال بك الذى كنا نعتبره قديسا من قديسى الوطنية وعبد المقصود متولى الذى كنا نعتبره ــ وبحق ــ محمد فريد رقم ٢ ، الى جانب فكرى أباظة ، وجدنا الأقطاب الثلاثة ، عبد المقصود متولى ، محمد محمود جــلال ، فكرى أباظــة ، يقفون مع من لم نعرف من أقطــاب آخرين ، هم ، وعبد الرحمن الرافعى فى جانب واحد ، يختلف مع حافظ رمضان باشا بسبب اشتراكه فى وزارة حسن صبرى باشا ٠

واقف عند ملاحظتين هامتين اعتبرهما من المبادىء الأخلاقية ، فى الصحافة وفى السياسة التى يجب ، أن نقف عندها طويلا ، أولاهما : ان فكرى أباظة

وهو رئيس تحرير « المصور » رفض أن يكتب حرفا واحدا من هذا الاختلاف في المصور ، وعندما سألته ــ فيما بعد بالطبع ــ من سبب تجاهله ، لأمر ، ذلك الخلاف ، رغم أنه كان يستطيع ، أن يقدم ــ في هذا المجال ــ أخبارا طازجة لم يسبقه اليها صحفي آخر لأنه الصحفي الوحيد ، المتشارك في ذلك الخلاف ، قال : لأنني من ناحية المبدأ ، لا أهتم ، أو يجب الا أهتم بالخلافات الحزبية حتى لا تزداد حدتها ، ثم انني وأنا طرف في هذا الخلاف لا أستطيع ، ان أكتب عنه فقد أظلم الجانب الذى أنا فيه أو أظلم الجانب ، الذى اختلف واياه ، الى جانب أن المصور ليس صحيفة الحزب الوطني » .

أما الملاحظة الأخرى فتتعلق بعبد الرحمن الرافعي الذى رفض بدوره أن يكتب حرفا واحدا ، عن هذا الخلاف في مذكراته ، وعندما كتب عنه بضعة أسطر في كتابه ــ في أعقاب الثورة ــ جاءت الكتابة عرضا وعندما طلبت من عبد الرحمن الرافعي أن يوضح لى وجهة نظره في هذا الموضوع أجاب : لم أشأ أن أعطي هذا الخلاف ، أهمية تاريخية لأنه ــ في البداية وفي النهاية ــ خلاف عائلي بين أسرة واحدة ، انتهى أمره دون أن يترك ، أية معقبات ، الى جانب ، انني خشيت اذا أنا كتبت عن هذا الخلاف الا يستقيم ميزان العدل في يدى فأظلم جانبا أو أحابي الجانب الآخر .. « للعلم » بقى هذا الخلاف قائما ، بين أبناء الحزب الوطني ، حتى عام ١٩٤٦ ، أى استمر ست سنوات كاملات دون أن يمتد الخلاف ، المبدئي الى الأشخاص أى دون ، أن يقوم أى طرف بتخريج الطرف الآخر حتى من بعيد ، بدأ الخلاف في يونيو ١٩٤٠ وانتهى في نوفمبر ١٩٤٦ » .

وكان الأستاذ محمد زكي علي قد أختير سكرتيرا للحزب الوطني ، ومنذ أن عين في أواخر عام ١٩٣٢ مستشارا بمحكمة الاستئناف اختير الأستاذ عبد الرحمن الرافعي ليخلفه في هذا المنصب الهام ، وكان الأستاذ عبد الرحمن الرافعي ، يعمل بالمحاماة ، في مدينة المنصورة فانتقل الى القاهرة ، ليخلف الأستاذ محمد زكي علي في سكرتيرية الحزب الوطني ، وفي مكتبه الذى أخلاه منذ تولى القضاء ، وكان انتخاب اللجنة الادارية للأستاذ الرافعي في ٢٦ ديسمبر ١٩٣٢ ، وقد انتخب عبد الرحمن الرافعي ، في أكتوبر ١٩٣٩ عضوا بمجلس الشيوخ .

وجد عبد الرحمن الرافعي كسكرتير للحزب الوطني فكرة زيارة قبرى مصطفى كامل ومحمد فريد في أيام الأعياد بعد أن كانت تلك الفكرة قد انقطعت سنين طويلة ، وكان عبد الرحمن الرافعي ، كسكرتير للحزب الوطني يكتب مقالات في الصحف عن ذكرى ، مصطفى كامل ، وذكرى محمد فريد ، وذكريات الحوادث التاريخية الهامة كضرب الاسكندرية في « ١١ يوليو » واحتلال القاهرة من قبل القوات البريطانية في « ١٤ سبتمبر » ، و .. و ..

واذا كان الشيء بالشيء يذكر كما يقولون فاننا نذكر انه بعد ان تشكلت وزارة حسن صبرى باشا ألقى حسن صبرى باشا ، بيانا وزاريا فى مجلس الشيوخ والنواب ، وعارضه فى مجلس الشيوخ عبد الرحمن الرافعى بك وكان من بين ما قاله عبد الرحمن الرافعى عند مناقشته لبيان وزارة حسن صبرى باشا : لقد جاءت وزارة حسن صبرى باشا فى أعقاب تدخل أجنبى اضطر وزارة على ماهر باشا الى الاستقالة ، كما أن وزارة حسن صبرى أعلنت فى بيانها ان علاقة مصر ، ببريطانيا سيكون أساسها تنفيذ معاهدة ١٩٣٦ بروحها ، ونصها وكان من بين ما قاله الأستاذ عبد الرحمن الرافعى بالحرف الواحد : ان تأييد الوزارات ، أو عدم تأييدها يرجع ، الى أمرين أولهما الملابسات والظروف التى تألفت فيها الوزارة ، وثانيهما ، مناهجها ، ومبادئها وأنا لا أؤيد الوزارة لأنها تقوم على أساس يخالف مبدئى بصفتى عضوا فى الحزب الوطنى وأنتم يا حضرات الشيوخ تعلمون رأينا فى معاهدة التحالف التى أبرمت ، فى عام ١٩٣٦ ، وتعلمون وجهة نظرنا فى العلاقات ، التى يجب أن تكون بين مصر ، وبريطانيا العظمى ، فالعلاقة التى يجب أن تكون بين البلدين يجب أن يكون أساسها الجلاء ، الذى طالما دعونا وما زلنا ندعو اليه وننادى به طوال السنين ، ولذلك لا يمكن ونحن دعاة هذا المبدأ ، القويم أن نؤيد وزارة تقوم على غير هذا الأساس ٠

ويقاطع رئيس الجلسة سليمان باشا السيد ـ وكيل مجلس الشيوخ ـ الأستاذ عبد الرحمن الرافعى طالبا منه الا يخرج عن الموضوع ، وان يقصر كلامه على بيان الوزارة ويقول عبد الرحمن الرافعى : انى أتكلم فى بيان الوزارة الذى جاء فيه ان علاقتنا وببريطانيا سيكون أساسها تنفيذ معاهدة التحالف ، والصداقة بروحها ونصها وهذا الأساس ، لا نقره بحال ٠

ويتدخل حسن صبرى باشا ، رئيس الوزارة فى المناقشة ـ قائلا : لقد أقسم حضرة الشيخ المحترم على احترام قوانين البلاد ، ومعاهدة الصداقة صدر بها قانون يجب احترامه ٠

ويجيب عبد الرحمن الرافعى قائلا : أنا لا أزال متمسكا برأيى ، ولقد كنت دائما ممن عارضوا معاهدة الصداقة والتحالف والأحزاب والجماعات تطالب الآن ـ ١٩٤٠ ـ بالجلاء ، وهو الرأى الذى طالما نادى به الحزب الوطنى من قديم ، وحققت الأيام صحته ، فلا يليق بنا فى الوقت الذى اتفقت فيه الأحزاب والجماعات على صحة هذا المبدأ وقامت تطالب بالجلاء ، ان نتخلى عنه ولا يتفق مع مبادىء الحزب الوطنى أن نؤيد وزارة تقوم ، على غير هذا الأساس ٠

ويعود حسن صبرى باشا رئيس مجلس الوزراء الى موضوع اليمين الدستورية فيخاطب عبد الرحمن الرافعى قائلا : وماذا يقول حضرة الشيخ

المحترم في اليمين التى أقسمها على احترام قوانين البلاد ويتدخل الأستاذ يوسف الجندى زعيم ، المعارضة الوفدية قائلا : ان القسم على احترام قوانين البلاد لا يمنع أى عضو من انتقاد قانون أو طلب تعديله .

ويقول الرافعي : نعم ، ولى أن أعترض على أى قانون ، وأطلب تعديله . أو الغاءه ويخاطب الرافعي زملاءه أعضاء مجلس الشيوخ بقوله : ان المبادىء . التى يدين بها الحزب الوطني والتى أثبتت الأيام صحتها هى : ذلك التراث ، الوطني المقدس ، الذى تلقيناه عن أسلافنا العظام ، فلا يجدر بنا ، ان نتنازل عنها ، أو نتراخى في التمسك بها . !

وكان البيان الذى ألقاه حسين صبرى باشا باسم الحكومة فى مجلسى البرلمان ـ الشيوخ والنواب ـ قد أشار الى الظرف الدقيق ، الذى تألفت فيه الوزارة ، والذى لا يخفى على أعضاء مجلسى البرلمان ، كما أشار الى أنه وزملاءه قد قبلوا الوزارة اطاعة لأوامر الملك وعلى أمل تأييد الأمة لهم وقد جاء فى بيان الوزارة أيضا : ان أساس سياستنا الخارجية العمل على أن تكون علاقاتنا بالبلاد الأجنبية فى غير ما أثرت فيه الحرب على خير حال من المودة ، والصفاء وبعد البيان الوزارى بصيانة الاقتصاد الوطنى وتشجيع الانتاج ، الداخلى فى شتى نواحيه حتى تعود دورة التعامل على وجه ينقذ الزارع والتاجر وكل ذى مصلحة فى هذه البلاد من الركود الحاضر ، ويقابل حسين صبرى باشا بالتصفيق الشديد من أعضاء مجلسى النواب والشيوخ عندما يؤكد أن الحكومة مقدرة مسئوليتها فى المحافظة على استقلال البلاد ، حريصة على تجنيبها شرور الحرب ، ثم يقول : فى هذه الفترة الوطنية ، من ساعات التاريخ التى تتجلى فيها خصائص الأمم وتظهر مميزاتها يملؤنى اليقين بأن مصر بتاريخها المجيد ، ووحدتها القوية وصادق ارشاد نوابها وشيوخها ستخرج من هذا الاضطراب أوفر كرامة ، وأعز جانبا » .

وكان الأستاذ ابراهيم دسوقى أباظة ـ عضو مجلس النواب ـ أول من عقب على البيان الوزارى فشكر للوزراء شجاعتهم بقبولهم ، الحكم فى وسط هذه العواصف الهوجاء ويشير دسوقى أباظة ـ بالخير ـ الى ما يتميز به على ماهر باشا من صفات ويقول ان البلاد ، أعجبت بعلى ماهر باشا لأنه ضرب مثلا خالدا فى التضحية بمركزه من أجل عقيدته وفى سبيل بلاده ويطلب الأستاذ محمد محمود جلال تفسيرا ، لما جاء فى خطاب استقالة على ماهر من أنه استقال لأسباب قاهرة خارجة عن ارادته وارادة الشعب ، وبعد محمد محمود جلال تحدث الدكتور حنفى أبو العلا ، والشيخ محمد عبد اللطيف دراز وأحمد المليجى بك فأبدوا أسفهم للاعتداء على حقوق الأمة وحرص أحمد المليجى

مك ، على ان يذكر ، لوزارة على ماهر انها كانت فى كل سياستها ، معبرة عن الشعب المصرى أصدق تعبير » ٠

وأشار فكرى أباظة الى ان تبليغا بريطانيا سبق تأليف الوزارة كان الهدف منه ، أن تؤلف شخصية سياسـية الوزارة ، ولكن تلك الشخصية رفضت بتاتا ، المركز المعروض عليها حرصا على الواجب ، القومى وحذر فكرى أباظة ، وأنذر من آثار التدخل البريطانى فى أمور مصر الداخلية مؤكدا أنه لابد مؤثر على ما بين مصر وبريطانيا من عهود ، ومواثيق ٠

حسن صبرى باشا ينتصر على الملك فاروق في معركة رئاسة الديوان الملكى

● سبق ان أشرنا فيما سبق الى الخلاف العنيف الذى شجر بين أعضاء اللجنة الادارية للحزب الوطنى بسبب اشتراك حافظ رمضان باشا رئيس الحزب فى وزارة حسن صبرى باشا حيث أيد اشتراك رئيس الحزب فى الحكم بعض أعضاء اللجنة الادارية وحيث عارضت أغلبية تلك اللجنة مبدأ المشاركة فى الحكم وخاصة فى وزارة قالت فى بيانها الرسمى فى مجلسى الشيوخ والنواب أنها ملتزمة بتنفيذ معاهدة ٢٦ أغسطس ١٩٣٦ نصا وروحا ، بينما كان الحزب الوطنى معارضا وبشدة لتلك المعاهدة .

وفى ختام الفصل السابق أشرنا الى موقف بعض الشيوخ والنواب من وزارة حسن صبرى باشا حيث أيدها البعض وعارضها آخرون .

والجدير بالذكر ، ان الوزارة الجديدة ـ على غير ما تعارف النواب والشيوخ ـ استقبلت فى مجلسى البرلمان استقبالا فاترا للغاية بل ان أحدا لم يصفق لرئيس الوزراء الجديد ولا للوزراء الجدد ، عند دخولهم قاعتى البرلمان وان التصفيق لم يحدث ـ للوزارة الجديدة ـ الا عندما أعلنت الوزارة ، على لسان رئيسها أنها ملتزمة بتنفيذ « السياسة الماهرية » التى أقيلت بسببها وزارة على ماهر باشا .

واذا كان الحزب الوطنى قد انقسم على نفسه بسبب اشتراك حافظ رمضان باشا فى الوزارة ، فان حزب الأحرار الدستوريين انقسم بدوره أيضا على نفسه بسبب تأييده لوزارة حسن صبرى باشا ، ومشاركته فيها فكان دسوقى أباظة وعبد الجليل أبو سمرة وحفنى محمود وحامد العلايلى فى ناحية وبقية أعضاء الحزب فى ناحية أخرى . بل ان حفنى محمود شقيق محمد محمود رئيس الحزب قد استقال من الحزب وكان من بين ما ذكره ، كمبرر لاستقالته

« أنه لما شرع رفعة علي ماهر باشا في تأليف وزارته الثانية في الصيف الماضي أبي حزب الأحرار الدستوريين الاشتراك فيها لأنها لا تمثل البرلمان ، تمثيلا صحيحا ، وقد أراد رئيسها أن يفرض أسماء معينة وان يعطي للأحرار الدستوريين من الوزارات ما يريد اعطاءه ، ويمنعهم مما يريد منعهم منها ، لذلك كان طبيعيا ان يقف الحزب من وزارته هذا الموقف ، فيرفض الاشتراك في الحكم ·

ولما شرع حسن صبري باشا في تأليف وزارته رأيت — الكلام ، لحفني محمود — ان الشكل الذي يريد دولته تأليف وزارته به لا يمثل البرلمان تمثيلا تاما فصارحت اخواني برأيي ، في رفض الاشتراك في هذه الوزارة كما رفضوا الاشتراك في وزارة علي ماهر باشا لنفس الأسباب الموجودة في تأليف هذه الوزارة ، فلم يقبلوا فاحتججت بأن موقف الحزب لا يكون معقولا ولا منطقيا ، فقد كانوا يقولون اننا لا نشترك في الوزارة الماهرية لأنها ليست برلمانية ثم هم يشتركون في الوزارة الصبرية وهي ليست برلمانية أيضا · ازاء هذا التناقض في الرأي وجدتني لا أستطيع الاستمرار في الحزب وفضلت الاستقالة » ·

أما موقف الوفد من وزارة حسن صبري باشا فكان واضحا محددا ، وقد عبر عن هذا الموقف الأستاذ يوسف الجندي زعيم المعارضة الوفدية في مجلس الشيوخ ، كما عبر عن هذا الموقف أيضا الأستاذ عبد الحميد عبد الحق ، زعيم المعارضة الوفدية في مجلس النواب ·

وقد كان من بين ما قاله الأستاذ عبد الحميد عبد الحق : ان البلاد في هذا الظرف تمر بحقبة مملوءة بالمشاكل مرشوقة بالأشواك والمستقبل مليء بالعجائب والاحتمالات ، وهي حقبة يجر الخطأ الصغير فيها الى نكبات كبيرة قد تهدد مركز البلاد السياسي ، والمالي ، والاجتماعي فاذا وجب أن يتولى الحكم دائما وزارة قوية فان هذا الشرط أوجب في هذه الظروف حتى تستطيع الوزارة القائمة أن تواجه المشكلات ، وأن تتربص للمفاجآت ، ويقاطع الأستاذ عبد الحميد عبد الحق من قبل أغلبية أعضاء مجلس النواب ، عندما يقول : ومهما قيل فان هذه الوزارة ليست هي الوزارة التي تعتمد عليها البلاد ، في هذه الظروف » بل أن المقاطعة لتشتد والضجة تتزايد عندما يقول : لقد ولدت هذه الوزارة ضعيفة غير موثوق بها ، ويكفي أن الوفد المصري الذي يمثل البلاد لا يؤيدها بأي حال من الأحوال · ان الهيئة التي أمثلها لا تؤيد هذه الوزارة لا رغبة في الاحتفاظ بالحكم لنفسها ، كلا ولو أنها فعلت ذلك ، لوضعت الأمور في نصابها ، لأنها هي التي تمثل الأغلبية ولكنها لا تثق بهذه الوزارة لاعتبارات وطنية محضة · أن الوفد لم يقترح الحكم لنفسه ولكنه رأى أن مصلحة البلاد العليا تقتضي ان تتولى الحكم وزارة قوية محايدة واشترط

الا يرضى عنها الوفد فقط بل أن ترضى عنها جميع الأحزاب تحقيقا لمصلحة البلاد • وعندما تشتد مقاطعة النــواب لزعيم المعارضة الوفدية ، يطلب د • أحمد ماهر ، رئيس المجلس وزعيم الهيئة السعدية المشتركة فى الحكم والمعارضة الى أبعد الحدود ، للوفد ، يطلب من النواب الا يقاطعوا زعيم المعارضة الوفدية • ويمضى الأستاذ عبد الحميد عبد الحق فى كلمته قائلا : فان كانت نظرية الوفد فى ذلك أنه من السهل أن نجتمع الأحزاب خارج الحكم تؤيد الوزارة المحايدة ، وتوجهها ، وتهيبها قوة أمام جميع الظروف الطارئة ، وكانت نظرية الوفد أيضا أنه لو تم ذلك لكان لدى الأمة هدنة تجمع فيهــا شملهــا وتداوى جراحها وتؤسس أمورها على أسس من الحق والمصلحة : لو حصل ذلك ، وأخذ برأى الوفد ، لاستطاعت الوزارة ان تجابه المشكلات العويصة ، لكن بكل أسف أبى اللذين فى الحكم الا أن يجعلوها وزارة حزبية ينقصها تأييد الوفد ففقدت تأييد البلاد •

وعندما يقول الأستاذ عبد الحق : ان الوفد قد تعفف عن الحكم ، ولم يقترحه لنفسه ، انطلقت أصوات تقول ومن الذى عرض الحكم عليكم ؟ فيقول الأستاذ عبد الحميد عبد الحق : الذى أقوله لكم هو الذى حصل فقــد عرض على رفعة مصطفى النحاس باشا أن يكون رئيســا لوزارة ائتلافية فرفض بل وأخذ رأيه فيما اذا كان يقبل الحكم منفردا ، فأبى ، وتنطلق أصــوات كثيرة متسائلة : ولماذا أبى ؟ ويقول الأستاذ عبد الحق : لأنه فضل مصلحة الوطن على مغانم الحكم وشهواته وتصفق المعارضة لتلك الكلمة تصـــفيقا شديدا لم يقول الأستاذ عبد الحميد عبد الحق : انى أقرر باسم المعارضــة ان الوزارة بتشكيلها الحالى أضعف من أن تواجه مشكلات البلاد •

ويمضى الأستاذ عبد الحميد عبد الحق زعيم المعارضة الوفدية قائلا : عبر رئيس الوزارة بنفسه مقرا بأن مركز الحكومة المالى خطير وان مركز الأمة المالى لا يقل عنه خطورة •

ومع اعترافه بذلك فاننى أعجب كيف لبى الدعوة الى الحكم بالقبول قبل أن يدرس تفاصيل هذا الموقف ليرى اذا كان يملك الوسائل لمعالجة هــذه الحالة • واذا كان فى استطاعته أن ينقذ الموقف :

ان الذى يقبل الحكم بهذه الصورة لا تهمه المسئولية •

ولقد كانت نظرية رئيس الوزراء أن يتولى الحكم أولا ثم يبحث بعد ذلك عن العلاج • وهذا موقف لا يقبله نواب يقدران المسئولية لأنى لكى أثق بهذه الوزارة أولا يجب أن أعرف مبلغ قدرة هذه الوزارة على حل المشاكل القائمة •

وعندما يواجه الأستاذ عبد الحميد عبد الحق ، بضجة من غالبية النواب ، يخاطبهم قائلا :

لا تضـــجوا لقد سئل رئيس الوزراء صراحــة ما هو برنامجكم فقـال لا تسألنى عن البرنامج أن الذى يهم هو تأليف الوزارة أولا ثم البرنامج ثانيا ٠

وهذا منطق معكوس فالبرنامج أولا فاذا بحثته العقول وارتضته الضمائر فان تأليف الوزارة يكون ثانيا ٠٠

ومن أهم أسباب عدم الثقة بهذه الوزارة ان الذين يؤلفونها هم وزراء الهيئات التى تولت الحكم فى الوزارات الثلاث السابقة ٠ وهذا وحده كاف لأن نصدر حكما بعدم الثقة بها : ان هذه الوزارات الثلاث قد أوردت البلاد موارد التلف ٠ فاينما تلفتنا وجدنا نكبات بعضها فوق بعض ٠ السبب فى وجودها هو سوء حكم هذه الوزارات وعدم بعد نظرها ٠

فميزانية الدولة مختلة اختلالا شديدا وتموين البلاد من السماد والغاز وغيره مختل اختلالا أشد وسياسة الدفاع لم تصب أى نجاح وحماية المدنيين ناقصة أو غير موجودة فهل الذين أوصلوا البلاد الى هذه الحال يمكن أن يكونوا محل ثقة الأمة فى هذه الظروف الدقيقة ؟

لو حللنا الأمور لوجدنا أن عدم بعد النظر هو السبب فى وقوع هذه النكبات « ضجة » ٠

لأن الظروف التى نجتازها كانت ظاهرة للعيان معروفة لكل انسان منذ أكثر من سنتين ولم يكن يعوز البلاد لتجنب مصائبها الا وزارات مخلصة بعيدة النظر ولو قليلا « ضجة شديدة » ٠

وفوق ذلك كله فان البداية التى بدأت بها الوزارة تؤيد ما أقوله فى انها لم تدرس شيئا وأنهـا لا تشـارك الأمة فى احساسهـا بالمخاطر المائية التى تجتازها ٠ والا فكيف ارتضى ضميرها أن تتقدم لكم وزارة مكونة من ستة عشر وزيرا تبلغ مرتباتهم التى تصل لأيديهم أكثر من ٤٠ ألف جنيه وتصل تكاليفهم مع مكاتبهم وسكرتيريهم وسياراتهم الى ما يقرب من ١٠٠ ألف جنيه ٠

ان هـذه البـداية السيئة تدل على أن الحكومة لا يهمها مصير البـلاد ولا تشارك الأمة فى محنتها ٠٠

اننى أسائل رئيس الوزارة ما هى المصلحة التى اقتضـت أن تكون الوزارة مكونة من ١٦ عضوا ؟ انه لم يكن الدافع لتحديد هذا العدد مصلحة البلاد وانما هو ارضاء شهوة الأحزاب على حساب خزانة الدولة ٠٠

لقد رأوا عدد الوزارات لا يكفى لارضاء الجميع فخلقوا وزارة جديدة هى وزارة التموين ولما لم يكف ذلك أيضا أضافوا وزراء الدولة « ضجة شديدة » ٠٠

ان وزراء الدولة هم من أصدق أصــدقائى ولكن هذا لا يمنع من أن أسائل ما هو العمل الذى سيؤديه هؤلاء السادة لأنفسهم أو للبلاد « ضجة » ..

وكما بدأت الوزارة ضعيفة غير مقدرة مركز البلاد المالى فانهــا بدأت ضعيفة من الوجهة السياسية ..

ويقول زعيم المعارضة الوفدية الأستاذ عبد الحميد عبد الحق :

ـ لقد قرأنا اليوم فى جريدة البلاغ ان الحكومة ستتنازل عن السلطة القضائية التى هى عنوان استقلال البلاد الى محاكم عسكرية انجليزية نبيح لها أن تحاكم وهى فى أرض مصرية الأجانب الذين يرتكبون جرائم مخلة بأمن الدولة .

ان هذا رجوع بمركز البلاد السياسى القهقرى : انه تنزيل لها الى أيام الاحتلال .

ان الوزارة التى تقبل ذلك لهى عنوان الضعف وانها دلت بذلك على أنها أضعف من أن تحافظ على مصالح البلاد .. « ضجة » .

ان أنصار الوزارة يقولون : أصبروا على الوزارة . ولكننى أقول لكم أننا فى زمن تفعل الساعة فيه فعل السنين . وان الصبر لم يعد مفتــاح الفرج « ضحك ومقاطعة » بل هو مفتاح الشقاء والتعاسة ، لذلك أطلب منكم الا تصبروا وان تبدوا رأيكم بعدم الثقة بهذه الوزارة ..

ويزيح الأســتاذ يوسف الجندى ، زعيم المعارضــة الوفدية فى مجلس الشيوخ الستار عن كثير من الأسرار التى سبقت اســـتقالة وزارة على ماهر باشــا ، فيقول : ان الوفد المصرى كان منذ بداية أزمة الوزارة ضــد التدخل الأجنبى . ويشير أيضا ، الى ان مصطفى النحاس الذى وصف فى هذه القاعة بأنه الساقط فى الانتخابات ، قد استدعاه الملك أكثر من مرة لمشاورته مع بقية الزعماء لايجاد مخرج لتلك الأزمة الخطيرة التى اكتنفت البلاد ، ويقول عن النحاس باشا ، انه كان أول المتكلمين ، وأول المستشــــارين وكان أول المستنكرين ، للتدخل الأجنبى .

وعندما يقول يوسف الجندى ان الوفد المصرى اقترح ، ان تقوم على أمور البلاد فى هذه الفترة العصيبة ، وزارة محايدة تؤيدها الأحزاب طلب منه حسين صبرى باشا ، رئيس الوزارة أن يكمل : وبغير برلمان أيضا .

ويقول الأستاذ يوسف الجندى : أما فيما يتعلق بالبرلمان ، فانه رئى ، أن يؤجل فى الوقت الحاضر بعد أن أقر الميزانية وأظن أنه من التعسف أن تطلبوا من الهيئة التى أعلنت كل هذه الأدوات لهدمها ان تلتمس من هــذا البرلمان تأييدا ، ولذلك كان الاقتراح الذى طلبه زعيم الوفد سيؤدى ، الى

صفاء النفوس والى اشراك الجميع فى الحكم ، والى فكرة ايجاد هدنة بين الجميع تتصافى معها القلوب ..

ويقول الأستاذ يوسف الجندى ان الوزارة غير مؤيدة من الشعب ، فيقول له رئيس الوزارة : كيف وقد حصلت الوزارة أمس ، بالفعل ، على الثقة من مجلس النواب .. ويقول يوسف الجندى - فى أدب جم - دون ان يطعن فى مجلس النواب : كل الظروف تؤكد انها غير حائزة على هذا التأييد ، وباعتبارى ممثلا للهيئة الوفدية ، وباعتبارى معترفا بأن الوفد يمثل أغلبية البلاد وان الوزارة يعوزها تأييد الوفد لا يسعنى الا أن أصارح الوزارة القول اننا لا يمكننا تأييدها لأنها لا تستطيع أن تحوز ثقة البلاد ..

ويتحدث يوسف الجندى عن الظروف المالية ، التى تمر بها البلاد : ان الاحتياطى نفد فيما عدا أحد عشر مليونا من الجنيهات « محبوسة » .. وبذلك لا يعتبر فى الواقع احتياطيا ، بالاضافة الى ثمانية ملايين من سندات الدين الموحد ، الممتاز وهذه السندات لا يمكن التصرف فيها بالرهن أو بالبيع .

وفوق هذا فان خزينة الحكومة مدينة بثلاثة ملايين من الجنيهات للبنك الأهلى ، ويقول رئيس الحكومة متسائلا : وهل هذا من عمل الحكومة الحاضرة ؟ ويرد الأستاذ يوسف الجندى قائلا : انها نتيجة تصرف الرجال والأحزاب الذين تولوا الحكم من يناير ١٩٣٨ الى الآن والوزارة الحاضرة مكونة م نهؤلاء الرجال وهذه الأحزاب .

ويعقب حسين سرى باشا على كلام الأستاذ يوسف الجندى قائلا : وكانت من تصرف رجل قبل هذاالتاريخ أيضا لأن كل ما عمل كانت نتيجة لارتباطات الوزارات السابقة فاضطرت الحكومة المتعاقبة ان تفى بها ..

ويقول الأستاذ يوسف الجندى : انه طالما أهاب فى لجنتى المالية والدفاع وزراء المالية ، والدفاع ، أن يضغطوا المصروفات وأن يزيدوا الانتاج القومى ، وألا يكون سمة توسع فى مشروعات الدفاع الا بقدر ما تدعو اليه حاجات البلاد واصلاح المرافق الأخرى فكانت الملايين تنساب سنه الى أخرى حتى نفدت الملايين وأقفرت الخزانة ، ويتمنى يوسف الجندى ان تكون الملايين التى انسابت فى سبيل الدفاع قد أثمرت فلقد سمعنا - هكذا يقول يوسف الجندى - فى الجلسة السرية ، تصريحات محزنة ، ولا أريد ان أكرر ما سمعته فى الجلسة السرية لمجلس الشيوخ كل الذى أستطيع أن أقوله ، ان الاسراف وعدم التدبر قد لازم هذه التصرفات ، ولم نشعر للآن بأن فى الاستطاعة انقاذ الموقف !

ولقد كانت نظرية رئيس الوزراء أن يتولى الحكم أولا ثم يبحث بعد ذلك عن العلاج . وهذا موقف لا يقبله نواب يقدرون المسئولية لأنى لكى أثق بهذه الوزارة على حل المشاكل القائمة .

ويؤكد الأستاذ يوسف الجندى فى نهاية كلمته على أن تكوين الوزارة ليس هو التكوين الذى يضمن تأييد الأمة فى أشد الأوقات حرجا وانه ليس من المصلحة فى شيء ، ان تنال هذه الوزارة ثقة الأمة أو تأييد أى مجلس من المجلسين ، وانه لم تتح لنا الفرصة للأيام القليلة التى قضتها فى الحكم حتى الآن ، ان نحكم على تصرفاتها الا أننى باسم ، المعارضة الوفدية ، لا نؤيد الوزارة لأنها لا تستطيع ان تحل المشاكل التى كان أغلب أعضائها والأحزاب المؤيدة لهم ، السبب فى وقوعها ان المعارضة الوفدية ، تؤكد انها غير راغبة فى الحكم بأى حال ونرجو أن يتدبر المسئولون فى ايجاد حل مناسب موافق ترضى عنه جميع الأحزاب ولا أخص حزبا دون آخر ولا طائفة دون طائفة ‥ وفى الختام ندعو الله ان يوفق البلاد لما فيه السداد ‥

والحق ، يقال ان حسن صبرى باشا رئيس الوزارة كان رحب الصدر ، لا يعبس لهجوم ، ولا يبتسم لدفاع ، ولم يقاطع معارضيه الا عندما تعجب أحد أعضاء مجلس الشيوخ ، من أنه لم تقم ، فى طول البلاد وعرضها مظاهرات احتجاج ، على التدخل الأجنبى وقد اكتفى حسن صبرى باشا بقوله ، تعقيبا على تلك الكلمة : نحن الحكومة نحتج على الدعوة الى التظاهر ولا نقبل هذا مطلقا ، ويقول المعلق البرلمانى لجريدة البلاغ معقبا على سلوك حسن صبرى باشا فى تلك الجلسة العاصفة من جلسات مجلس الشيوخ : فى الحق أن سعة الصدر كانت مهارة برلمانية من حسن صبرى اذ ظل الخطباء ، يضعف بعضهم بعضا ويرد بعضهم على بعض ، حتى لم يجد ما يدعو الى الرد ، ويقول المعلق البرلمانى للبلاغ : مما استوقف أنظار النقاد البرلمانيين فى شرفتهم أن النصر كان معقود اللواء ليلة البارحة لكل خطيب ولحساب وجهة نظر الأهداف القومية ․ وأن الضعف حالف بوضوح كل خطيب حزبى ، وكان أكثر القوميين براعة وهيب دوس بك فهو الذى قال فأحسن القول وتحدى فأحكم التحدى وواجه شيوخ الشمال بقوة ضجوا لها حينا ثم عادوا فأصغوا مكرهين أمام الدليل الواضح والحق المبين ․

وكان من بين ما قاله وهيب دوس يخاطب الوفديين : دعوا حديث البلد والزعماء واطووا هذه الصفحات فقد خذل البلاد زعماؤها ! واذا ضج شيوخ الشمال « الوفد » جلجل صوت وهيب بك يجيب : أيوه يا يوسف يا خويا خذلها زعماؤها وخانوها لأنكم تشكون اليوم تدخل الأجنبى ، الذى طلب اقالة وزارة على ماهر المؤيدة منكم ومن الأمة وزعماؤكم الذين أنكروا التدخل هم الذين أجمعوا ، على وجوب قبول استقالة ماهر باشا فكأنهم أقروا التدخل الأجنبى فعلا !

وعندما كان الأستاذ يوسف الجندى يتحدث عن رأى الوفد فيما حدث بعد اقالة وزارة الوفد وعن رأيه فى حل المجلس ، وتأليف وزارة محايدة و ‥

و ٠٠ قال وهيب دوس بك بصوت يكاد يزلزل قاعة المجلس : وبعدين يا يوسف؟ ويقول يوسف الجندى : فى ايه ؟ ٠ ويقول وهيب دوس فى أخرة الضغوط دى يايوسف اللى ابتدأت من سنة ١٩٢٩ ، وبقينا فى سنة ١٩٤٠ وأنتم لسه فى الوزارة المحايدة ، وحل المجلس وبطلان الانتخابات وفرنسا العظمى التى ضاعت والعروش التى ثلت ، والامبراطوريات التى محيت كل هذا لم يغير من العقلية التى ألفت الضغوط القديمة ٠

وبهذا القدر يمكننا ان نكتفى بالحديث عن استقبال وزارة حسن صبرى باشا وبقى أن يرد الجميل لأحمد حسنين باشا والمعروف ـ كما سبق أن ذكرنا ـ أن أحمد حسنين باشا الأمين الأول للملك فاروق ، كان هو صاحب فكرة اسناد الوزارة الى حسن صبرى ، بل كان هو الذى بذل جهودا شاقة ومضنية من أجل أن تمر مسألة اختيار حسن صبرى باشا ، لرئاسة الوزارة فى هدوء وفى سرية تامة وبعيدا عن أعين السفارة البريطانية فى القاهرة وكان حسن صبرى باشا يعرف أكثر من غيره فضل أحمد حسنين باشا عليه فآثر أن يرد له الجميل بسرعة ، وبعملية لا تقل أهمية عن اختياره رئيسا للوزارة : لقد كان منصب كبير الأمناء، شاغرا منذ اختيار على ماهر باشا لرئاسة الوزارة للمرة الثانية وكان على ماهر باشا قد رفض تعيين أى شخص فى هذا المنصب الذى كان يعتبره حقا خالصا له ، وكان يحرص على الابقاء عليه شاغرا ليشغله عندما يترك الوزارة ، وكان السفير البريطانى يخشى أن يعينه الملك فى هذا المنصب بعد استقالته ، أو اقالته من الوزارة ، وبذلك يكون على ماهر رئيس الديوان الملكى أكثر خطورة على السياسة البريطانية من على ماهر رئيس الوزراء وقد حرص السفير البريطانى سير مايلز لامبسون على أن يؤكد للملك أكثر من مرة ، بطريق مباشر وبطرق غير مباشرة ٠٠ ان بريطانيا لن تستريح أبدا لتعيين على ماهر باشا رئيسا للديوان الملكى ، وكان كثيرون يطمعون فى هذا المنصب الهام والخطير ٠ كما كان كثيرون أيضا يحاربون اسناد هذا المنصب الهام والخطير الى أحمد حسنين باشا بالذات خوفا من أن يستشرى خطر نفوذه فى السراى وخوفا من أن يصبح هو ، وهو وحده ، المسيطر الأول والأخير على الملك ، وكان هناك كثيرون أيضا يرحبون بأن يتولى هذا المنصب عبد الوهاب طلعت بك وكيل الديوان الملكى لأنه رجل بلا أطماع ، ولأنه ليس خطيرا كأحمد حسنين٠

وعندما تم انتداب عبد الوهاب طلعت بك ـ بعد أيام من تأليف حسن صبرى باشا لوزارته ـ فى رياسة الديوان رحب هؤلاء بذلك الانتداب الذى كان له ـ كما رأى المصور ـ وقعه الحسن فى جميع الدوائر المصرية ، فالرجل هو المستحق الأول للمنصب بحكم المران ، ولم يكن من الممكن انتداب غيره فى هـذا الظرف فضلا عن أن هـذا الانتداب قد قطع خط الرجعة على الشائعات السخيفة ، وعلى المساعى السخيفة أيضا فنهنىء سعادته على هذه الثقة : « سجل

المصور رأيه هذا فى عدده الصادر فى ٢٦ يوليو ١٩٤٠ ــ وفي العدد التالى مباشرة ــ العدد الصادر فى ٢ أغسطس ١٩٤٠ ــ نشر المصور أول حديث لرئيس الديوان الجديد معالى أحمد حسنين باشا مع مقدمة تقول : كانت الوفود لا تزال تتقاطر على السراى لتهنئة صاحب المعالى أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكى بشخصيات يخطئها العــــد ، من الزعماء والأقطـــاب وكبـــار رجال الدولة ورجال مختلف الأحزاب وبينما أنا ــ أى كاتب الخبر ، أو الحديث ــ فى صالون الانتظار ، أنتظر دورى فى المقابلة اذ بمعاليه يترك المكتب مسرعا ، ثم يعود بعد دقائق ، فلما سألت عن السبب علمت أن أحد الأمراء قدم لتهنئته فأسرع معاليه لاستقباله فى الطابق الأول حتى لا يكلفه مشقة الصعود اليه فكانت كياسة ولباقة لا نستغرب من أحمد حسنين ودخلت مكتبه فاستقبلنى هاشا باشا ، وكان رقيقا وظريفا فذكرنى بآخر مقابلة لى معه فى سراى رأس التين وتلطف مع المصور وهو يلتقط صـــورنه قائلا : ازاى القيافة عجبــاك ؟ وأردت أن أظفر باجابتـــه عن بعض أسئلتى ولكنه اعتـــذر قائلا : لا لزوم للكلام ، أنا لا أحب الجعجعة ولكنى ما زلت أحاوره وأداوره وهو يبتسم ابتسامته الرقيقة حتى سألته ما هو شعورك ، وقد تقلدت هذا المنصب الخطير ؟ فقال : شعورى أنا انى مش قده ، وربنا معين ؟ ولكنه عندما سئل عن الأساس الذى سيبنى عليه سياسته فى هذا المنصب الخطير ؟ قال ان هذا سؤال لا يمكن الامتناع عن الاجابة عنه ، وفى اجابته قال ان خدمة البلد تكون عن طريق خدمة الملك كما قال ان سياسته حيال الجميع : أن يكون بابه مفتوحا للجميع : للصغير والكبير ، وحيال كافة الهيئات والأحزاب ، فالكل عندى سواء قبل أن آتى الى هذا المنصب وبعد أن توليته ٠

وفى الأسبوع التالى ــ ٩ أغسطس ١٩٤٠ نقل المصور على لسان د٠ محمد حسين هيكل باشا وزير المعارف وعضو الأحرار الدستوريين ان حسنين باشا أصلح رجل لمنصب رياسة الديوان لعدة أسباب يحتاج اليها هذا المنصب أولا لهدوئه واتزانه وثانيا لبعده ، عن الأغراض فهو رجل لا يريد من وراء منصبه غرضا سياسيا ولا مطمعا شخصيا و ٠٠ و ٠٠ وينقل المصور أيضا على لسان ابراهيم عبد الهادى بك وزير التجارة والصناعة وعضو الحزب السعدى : ليس هناك خلاف على ما أعتقد ، أن معالى أحمد حسنين باشا أكفأ رجل لهذا المنصب ، لأنه محبوب من جميع الأحزاب والهيئات وليس له خصوم ، كما أن ماضيه النظيف وتجاربه الطويلة فى الشئون العامة ، تجعل منه مثلا كاملا للرجل الذى يشغل منصب رئاسة الديوان بحق ، وجدارة ٠

وكان رأى محمد حافظ رمضان باشا وزير الشئون الاجتماعية ورئيس الحزب الوطنى ، ان اختيار أحمد حسنين باشا لهذا المنصب فى هذا الوقت بالذات كان موفقا للغاية ، لما يمتاز به أحمد حسنين باشا من صفات محببة الى كل شخص ، والى كل حزب ، والى كل هيئة من الهيئات المصرية والأجنبية ٠

ولم يظفر المصور برأى آخر من الوفديين لأن تقاليد الوفد ، الا يبدى الأعضاء رأيا أو قرارا فى شأن من الشئون الا بعد موافقة الوفد كهيئة مجتمعة وان كان أحد الوفديين الكبار قد قال أن الوفد قد رحب بتعيين أحمد حسنين باشا فى هذا المنصب اذ كان مصطفى النحاس زعيم الوفد ، أول المهنئين لأحمد حسنين باشا ويقول الأستاذ محمد التابعى عن كيفية اختيار أحمد حسنين باشا لهذا المنصب ، انه بعد شهر واحد من تولية حسن صبرى باشا الحكم تقدم حسن صبرى باشا الى الملك يلتمس تعيين أحمد حسنين باشا ، رئيسا للديوان الملكى ، وكانت حجته أن المنصب المذكور شاغر منذ عام وأنه ما دام حسنين باشا هو الذى يقوم فعلا بأعمال رئيس الديوان فان من المرغوب فيه أن يعين رسميا فى هذا المنصب المذكور وأعتقد ــ وان كنت أعرف ــ الأستاذ التابعى ــ ان ليس تحت يدى دليل يبرر هذا الاعتقاد ــ أن حسن صبرى باشا انما تقدم بهذا الطلب استجابة لرغبة وتلميح من حسنين باشا أو لعله أراد أن يكافىء حسنين على حسن صنعه يوم أشار باختياره رئيسا للوزارة التى خلفت وزارة على ماهر وعلى كل حال فان فاروق رفض فى أول الأمر ، أن يعين أحمد حسنين رئيسا للديوان لأنه كان يريد أن يحتفظ بالمنصب المذكور ، لعلى ماهر باشا ولم يكن ينتظر سوى الفرصة المناسبة ، التى تتحسن فيها العلاقات بين الانجليز وعلى ماهر لكى يعينه رئيسا للديوان ، ولكن حسن صبرى لم يسكت ، بل مضى يكرر هذا الطلب أو هذا الترشيح وفاروق يرفض حتى نشأ ما تسميه الأزمة الوزارية لان حسن صبرى باشا جعل بقاءه فى رئاسة الوزارة رهنا بتعيين أحمد حسنين باشا رئيسا للديوان ٠

وأخيرا وافق فاروق وصدر الأمر ، بتعيين أحمد محمد حسنين رئيسا للديوان الملكى ٠

الباب الثالث

الفصل الأول

نازلي ملكة مصر «السابقة» تقع في غرام أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكي

أنهينا الفصل السابق باصرار حسن صبرى باشا رئيس الوزارة ، على ضرورة تعيين أحمد حسنين باشا ، رئيسا للديوان الملكي وممانعة الملك فاروق في هذا التعيين ، حيث كان فاروق يصر على أن تبقى الوظيفة شاغرة ليحتلها على ماهر بعد زوال الأزمة بينه وبين بريطانيا ، وحيث كان حسن صبرى باشا يريد أن يرد الجميل لأحمد حسنين باشا لانه ـ أى حسنين باشا ـ كان وراء اختياره للوزارة ·

ونكمل في هذه الحلقة حديثنا عن أحمد حسنين باشا ، الذى اختلفت فيه الآراء بشكل كبير ، كما نكمل حديثنا أيضا عن وزارة حسن صبرى باشا ، التى كانت تمر منذ يومها الأول بظروف قاسية رهيبة لان الأحزاب المصرية كانت مختلفة عليها ولان أحمد ماهر باشا رئيس مجلس النواب ورئيس الهيئة السعدية المشتركة في الوزارة كان يريد أن يفرض سياسته الخاصة بضرورة الدخول في الحرب ، الى جانب بريطانيا والخروج عن سياسة تجنيب ، ويلات الحرب ، التى ارتضتها البلاد كلها الى جانب أن الملك ـ رغم وجود أحمد حسنين باشا في منصب رئيس الديوان الملكي ـ كان ينظر الى وزارة حسن صبرى باشا ومنذ البداية نظرة شك وارتياب ! ·

والجدير بالذكر ، أنه عندما رددت بعض الدوائر أن حسنين باشا ، سوف يلي منصب رئيس الديوان ، وأنه فوتح في الموضوع ، بادر أحمد حسنين باشا بالتصريح بأنه لم يفاتح في تولى هذا المنصب في هذه الأيام ، وقد طلب سعادته من الصحفيين أن ينفوا نفيا قاطعا هذا الخبر ، فانا ـ هكذا قال أحمد حسنين باشا ـ أستطيع أن أخدم ملكي ووطني في منصبي الحالي على أحسن وجه ، وأعتقد ان منصب رئيس الديوان أكبر مني ، ولا أريد أن أتولى منصبا أشعر فيه بأنني أصغر منه » ·

وقال أحمد حسنين باشا : انه « رجل صحراء ، وجبال وأنه غير أهل لهذا المنصب ، ولو رأى الناس جميعا أنه أهل له » •

وقد قال « المصور » بعد أن صدر قرار التعيين : أن حسنين باشا ، أراد بهذا الكلام أن يتفادى به ترشيحه لرياسة الديوان اذ ليس من طبعه أن ينغمر فى لجج واجبات هذه المناصب الخطيرة ، وانه كان مبالغا فى تسعير شخصيته وان خطته فى اقصاء نفسه عن منصبه المعد له ، بحكم السوابق ، وبحكم المران لم تنجح وأنه أمر قاطع •

وقال المصور ، أيضا عن حسنين باشا : انه الرجل الذى وكل اليه المغفور له الملك فؤاد أن يكون رائد ولى العهد يحتكر ثقة الملك ، واحترام رجال الخليفة ، ومحبة رجال الأحزاب وهذا تسلح كامل فى هذه الفترة ، من فترات الوطن الدقيقة •

ولقد لمح السياسيون ــ هكذا قال المصور ــ فيما مضى توارى أحمد حسنين عن ميدان السياسة المتلاطم الأحقاد ، والحزازات ، و « النمر » فلعفة وكبرياء ، ولكنه كان وثيق الصلة بالأسرار والخفايا فلم يلعب دوره الا حين دعى ولم يتبرع بالعمل الا حين طلب وكلف ، والذى قهر الصحراء وتجلت فى فيافيها وهضابها وانجادها عزيمته وشكيمته لا يصعب عليه أن يقهر المشاكل ويبدد الصعوبات ان وقعت لا سمح الله •

وقال المصور عن أحمد حسنين أيضا أنه ابن السراى ، ورجل البروتوكول وانه الجنتلمان فضلا عن كونه « اسبور » وأنه دبلوماسى خطير وانه والد طارق ، وهشام ، وجيدة ، ونازلى ، وأنه زوج السيدة لطيفة هانم كريمة سيف الله يسرى باشا والأميرة شويكار وأنه أحسن لاعب شيش فى مصر ، وأن أقرب أصدقائه هم شريف صبرى باشا ، ومحمد محمود باشا ، وشقيقه حفنى « بك » وسمير ذو الفقار « بك » ، وأن بينه وبين الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى المراغى وعلى ماهر باشا صداقة ومحبة ووداداً وان له أصدقاء كثيرين من الانجليز خصوصا فى انجلترا حيث يتمتع بمكانة ممتازة •

وأحمد حسنين باشا ــ كما قال المصور ــ كريم سخى ، ينفق كل ما يملك وليس للمادة عنده قيمة تذكر ، وأن الملك فؤاد ، عندما اختاره لمرافقة ولى عهده فاروق الى انجلترا قال له : لم أجد خيرا منك أئتمنه على أحسن شىء عندى » •

وقد كان أول من تولى منصب رئيس الديوان الخديوى ــ فى عهد الخديو اسماعيل ــ أحمد طلعت باشا وكان يسمى « المهردار » أى حامل أختام الخديو ، وقد تولى أحمد خيرى باشا هذا المنصب فى عهد الخديو توفيق ، فلما قامت الثورة العرابية لم يقف الى جانب الخديو ، وفضل الاستقالة لأن وراءه أطفالا صغارا « وخلفه فى هذا المنصب محمد ثابت باشا » •

وفى عهد الخديو عباس حلمى الثانى قسم الديوان الخديوى الى ثلاثة دواوين : الديوان العربى وقد رأسه محمود فهمى باشا ، الديوان التركى وقد رأسه محمود شكرى باشا ، أما الديوان الافرنجى فقد تولاه دومر تينو باشا ، وقد شغل هذا المنصب ــ منصب رئيس الديوان الخديوى ــ بعد أن تمت اعادته الى سابق عهده ، حسن عاصم باشا وأحمد شفيق باشا ويوسف صديق باشا ومحمد عارف باشا ومحمود شكرى باشا ٠

وفى عهد الملك فؤاد ، كان يتسم اختيار رئيس الديوان الملكى من بين رؤساء الوزارات السابقين وكان أول من تولى هذا المنصب من الرؤساء السابقين محمد توفيق نسيم باشا وأحمد زيور باشا ، وعلى ماهر باشا وقد تولى على ماهر هذا المنصب مرتين ، مرة فى عهد الملك فؤاد ، ومرة أخرى فى عهد الملك فاروق ، وكانت أول مرة يتولى فيها على ماهر رئاسة الديوان بعد أن اضطربت الأمور فى البلاد ، واستقال أحمد زيور باشا فى ١١ مايو ١٩٣٥ ، وقد ظل على ماهر باشا فى رئاسة الديوان الى أن اختاره الملك فؤاد ليرأس الوزارة فى ٣ يناير ١٩٣٦ ، ثم عاد على ماهر باشا ، الى الديوان مرة أخرى فى ٢٠ أكتوبر ١٩٣٧ ، واستمر فى رئاسة الديوان الى أن كلفه الملك فاروق بتشكيل وزارته الثانية فى ١٨ أغسطس ١٩٣٩ ٠

والجد الأول لأحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكي ، كان الفريق أحمد حسنين باشا من كبار رجال الجيش المصرى ، أما الجد الثانى الحاج حسنين فقد كان بدوره ضابطا من ضباط جيش محمد على الكبير ، أما والده فقد كان الشيخ محمد حسنين البولاقى ، أحد شيوخ الأزهر الشريف ٠

وقصة أحمد حسنين مع الصحراء ، تصلح أن تكون فيلما سينمائيا رائعا ، فلقد أحب الرجل الصحراء ، وعشقها وكشف الكثير من أسرارها ، واكتشف ضمن ما اكتشف بعض واحاتها ، التى لم تكن قد اكتشفت بعد ، ومما يذكرونه من دراسته لتقاليد البدو ، وعاداتهم ، أن قافلته مرت ببدوية حسناء فتقدم أحمد حسنين قبالتها ، وركع على احدى ركبتيه وسدد بندقيته الى موضع قدميها وأطلق النار وكان دقيقا فى احكام الهدف بحيث أصاب الطلق النارى ٠٠

ومثل العمل الجرىء « الشاذ » يعتبر تكريما لفتيات العرب يفخرن به ويعتبرنه شرفا رفيعا يحلمن به ويتسابقن الى نيله ٠

وربما كانت الصحراء هى التى علمت أحمد حسنين باشا الصبر ، فقد وكان ملكا من ملوك الصبر ٠

ومما رواه بعض أصدقائه ، عن « كمية الصبر » التى كان يحملها فى نفسه أحمد حسنين ، أنه أختير ليحمل رسالة الى أحد الملوك الجبابرة الذين لا يطيقون أن يعترض ارادتهم أحد ، وآثر الملك الا يستقبل أحمد حسنين ، بل آثر أن يتسلم الرسالة التى يحملها أحد رجاله فما كان من أحمـــد حسنين الا أن رفض أن يسلم الرسالة لغير الملك يدا بيد ، ولما قيل له : ولـكن جلالة الملك فى مقره الصـيفى ولن يعود سريعا قال أحمــد حسنين : سأنتظر الى أن تحلو له العودة ، لكننى لن أسلم الخطاب الا لجلالته ، وقيل له : كما تريد ، وسوف تنتظر طويلا ، وقال أحمد حسنين : كما تريدون ، لست مستعجلا ، وبدأت تجربة الصبر : راح حسنين يطوف فى المتاحف وهو مراقب من الصباح الى المساء ، وبعد ثلاثة أيام جاءه مندوب الملك ليقول له : ان الملك قرر عدم العـودة قريبا ، وقال أحمد حسنين لمندوب الملك : لست مستعجلا ، فبعد أن أنتهى من زيارة المتـاحف سأزور المسـاجد ، ثم القصـور القديمة ثم الدور التاريخية ، ثم المكتبات ، لأننى عازم على كتابة تاريخ الفنون الجميلة فى هذه البلاد ، وذهل الرسول ، وبعد أن عاد الملك استقبل أحمد حسنين وأعجب به ، وطلب منه أن يبقى فى بلاده مدة من الزمن ، فلمـا تردد أحمـد حسنين باشـا فى اجابة الطلب ، قال له الملك : اتعـلم يا باشا بعـد زيارتك المتاحف والمساجد يجب أن تزور السجون وقاعات التعذيب ، وأن تضع كتابا عن فن الاحتفاظ سرا بالأصدقاء الأعزاء المقربين ٠

ولعل أحدا من كتابنا وصحفيينا لم يعرف أحمد حسنين باشا مثلما عرفه الاستاذ محمد التابعى ، وقد لا يعلم الكثيرون أن آخر ليلة قضاها أحمد حسنين كانت فى منزل الأستاذ التابعى ٠

وفى اليوم التالى لتلك السهرة ، وبينما كان عائدا من قصر عابدين الى بيته فى الدقى صدمته سيارة ضخمة من سيارات الجيش البريطانى ، وكأنما أراد القدر ، أن تكون نهاية الرجل الذى ظل طويلا يدعو الى التقارب المصرى البريطانى عن طريق سيارة ضخمة من سيارات الجيش البريطانى ٠

وقد كتب الأستاذ محمد التابعى الكثير من ذكرياته ، عن أحمد حسنين باشا الصديق أو السياسى وقد ترددت طويلا فى أن أنقل عن الأستاذ التابعى قصة حب الملكة نازلى لأحمد حسنين ، اذ ليس من طبعى أن أخوض فى مثـل تلك المسائل الخاصة ٠

وعندما فاتحت بعض أساتذتنا الكبار فى هذا الحرج ، الذى أشعر به وأنا أكتب ــ نقلا عن الأستاذ التابعى ــ قصة غرام الملكة نازلى بأحمد حسنين ، قالوا لى : ولكنك كتبت عن قصة غرام فيكى باشا ــ أحمد عبود ٠

وقلت لأن قصة غرام فيكى باشا ، كانت ذات تأثير فى السياسة المصرية وقد أثيرت فى المحاكم المصرية والفرنسية ، وقيل لى : وكذلك كان لقصة غرام الملكة نازلى تأثير كبير فى السياسة المصرية ، بل لقد كان لها تأثير أكبر من تأثير قصة غرام أحمد عبود باشا .

وقررت أن أحتكم الى القراء فلعلهم يستطيعون اخراجى من هذا الحرج ، الذى أشعر به فيؤيدون كتابة قصة الغرام هذه أو يعارضون كتابتها .

وكان رأى القراء بما يشبه الاجماع ضرورة تناول قصة هذا الغرام مع اسناد كل رواية الى صاحبها .

وأعود ، الى ما كتبه الأستاذ التابعى عن أحمد حسنين باشا ، بعيدا عن قصة غرامه بالملكة نازلى يقول الأستاذ التابعى : كانت شخصية أحمد حسنين موضع خلاف بين الذين عرفوه . هل هو بطـــل مصرى ، وطنى مخلص يقدم مصلحة بلاده على كل ما عداها ؟ أم هو خائن وصنيعة للانجليز ولا بأس من أن يضحى بمصلحة مصر ، فى سبيل مصلحة ذاتية يحققها له الاستعمار ؟ هل هو السبب المباشر فى فساد الحكم ، وفساد فاروق ، وفســـاد الأسرة المالكة والفضائح التى وقعت فى السنوات القليلة السابقة على قيام الثورة ؟ تباينت الآراء واختلفت فى هذا الرجل أحمد حسنين : الرجل الذى كان يمسك بخيوط السياسة المصرية ، فى فترة حرجة حالكة فى تاريخ مصر ما بين عام ١٩٤٠ ، وعام ١٩٤٦ ، الرجل الذى كان يقيم الوزارات ، ويسقط الوزارات ، وهو فى نفس الوقت حريص على أن يبدو فى تصرفاته وأقواله ، كرجل لا يعرف شيئا مما يقع فى البلد ، ولا يد له فى أى أمر يقع بل ويؤكد لمعارفه أنه لا يفهم شيئا فى السياسة .

كان فى وقت ما بطل مصر فى الشيش ، أو المبارزة بالسيف ونازل أبطال هذه اللعبة فى أوروبا وانتصر على كثيرين منهم .

وحاول فى يوم ما أن يكون أول مصرى يقود طائرته الخاصة ، بمفرده من أوروبا الى مصر ، وسقطت به طائرته مرتين فى فرنسا ، وفى ايطاليا ونجا من الموت مرتين وأصلح عطب الطائرة واستأنف طيرانه لولا أن الملك فؤاد أرسل اليه برقية يأمره فيها بالعدول عن الطيران الى مصر والعودة بأول باخرة ، وجاب مجاهل الصحراء الغربية مع الرحالة الانجليزية السيدة روزينافورس ، وكان أحمد حسنين صاحب الفكرة ، ومنظم الرحلة ، وعقلها المدبر وقائدها وقد تستر على زميلته الانجليزية فزعم أنها مسلمة ، وأنها زوجته وألبسها ثيـابا عربية وأسـدل على وجهها حجابا كثيفا والا لما سمح زعماء القبائل لهذه المســيحية الأجنبية بالتوغل فى مجال سلطانهم والتعرف على أسرار الصحراء وعاش أحمد حسين مع روزينا فوريس أسابيع عديدة فى مجاهل الصحراء ، وكانا ينامان

معا ، فى خيمة واحدة ، ولكنه لم يحاول أن ينال منها أما هى فقد حاولت ولكنه أبى وأعرض وسأله الأستاذ التابعى مرة : وقد قدت قميصك من دبر ؟ وضحك رحمه الله وقال : كلا فان المسألة لم تصل الى هذا الحد ، قلت ــ قال الأستاذ التابعى بالطبع ــ لكنى لا أفهم فقد كنت يومئذ فى عنفوان شبابك وروزينا امرأة جميلة تشتهى ، وكنتما فى الصحراء أسابيع عديدة ووحدكما فى خيمة واحدة وكان مرافقوك من البدو يعتقدون أنها زوجتك وما أنت بولى الله ، أو قديس فماذا اذن وضحك مرة أخرى وقال : لأن الأزهر انتصر فى هـــذه المرة ، على اكسفورد والمعنى الذى أراده أحمد حسنين أن النشأة الدينية فى بيت أبيــه وما ورثه عن أبيه العالم الأزهرى المتمسك بأحكام دينه الحنيف ، انتصرت على عوامل التحرر أو التحلل التى تركتها فى نفسه دراسته فى جامعة اكسفورد ٠

ورغم أن روزينا وضعت عن الرحلة كتابا أشارت فيه اشارة عابرة الى أحمد حسنين واصفة اياه بأنها كان أجيرها ومترجما لها أثناء الرحلة وأنه لم يكن يعنى الا ببجامات نومه الحريرية وزجاجات الكولونيا التى حملها معه فى رحلته الى الصحراء فقد رفض أن يرد عليها ويفند مزاعمها لأنه يرفض منازلة امرأة غير أنه قام فى العام التالى وبمفرده برحلة ثانية اكتشف فيها واحة الكفرة وكان لاكتشافه الخطير ، كما يقول الأستاذ التابعى دور كبير فى جميع أنحــاء العالم واجتمعت الجمعية الجغرافية ، الملكية فى لنــــدن ، ومنحته ميداليتها الذهبية ، وانهالت عليه النياشين والأوسمة من مختلف الدول تقــديرا لهــذا الاكتشاف ٠

وفى حفلة ساهرة ، التقى أحمد حسنين بروزينا فوريس وكان يعلق على سترته وسام سان لازار الذى أنعمت به عليه الحكومة الايطالية وهو من أرفع الأوسمة شأنا فى ايطاليا ، وتقترب منه روزينا محيية ثم سألته ساخرة : هذا وسام سان لازار ، ترى أى عمل استحققت عليه هذا الوسام ؟ وأجابها أحمد حسنين بالانجليزية طبعا **For my chastily Rosita**

أى أننى استحققته بفضل طهارتى يا روزينا وامتقع لون روزينا فوريس وولت ظهرها فقد كانت الغمزة صريحة مكشوفة مفهومة ٠

وقال أحمد حسنين : نعم فقد ثأرت لنفسى ولكنه كان انتقاما خسيسا ندمت عليه فيما بعد بل ان العبارة لم تكد تخرج من بين شفتى حتى أدركت أننى تصرفت بخسة وفظاظة وندمت وفكرت فى أن أعتذر اليها ولكنى أشفقت من أن اعتذارى قد يزيد من حرجها وألمها ٠ وفى واشنطون ، عرضوا عليه ان يقــوم برحلة يطوف فيها بعض المدن الأمريكية الكبيرة ويلقى بهــا محاضرات ، عن رحلته مقابل ٢٥ ألف دولار على شرط أن يلقى المحاضرات وهو يرتدى ثياب البدو ، التى كان يرتديها فى الصحراء ، أثناء رحلة الاستكشاف ورفض العرض لأنه لا يريد أن يكون أراجوزا ٠

ويقول الأستاذ التابعى ، أن أحمد حسنين لم يكن بطلا ، ولم يكن خائنا وانما كان رجلا ذا مطامع واسعة كثيرا ما فلح فى اخفائها وراء قناع من الزهد فى المناصب والجهل بالسياسة واسرارها كان يطمع فى ان يكـــون رئيس الوزارة والرجل الاول فى الدولة ولكنه لم يمض الى هذا الهدف مبـاشرة وفى خط مستقيم ، كلا : فان هذه السياسة لم تكن سياسة أحمد حسنين الذى كتب عنه مرة زميله فى الدراسة ، وصديقه حفنى محمود فقال أنه فاجأه مرة وهو يقرأ كتابا وحاول أحمد حسنين ان يخفى الكتاب من صديقه حفنى محمود ولكن حفنى استطاع ان يقرأ عنوان الكتاب وكان الكتاب هو « الامير » لمؤلفـه السياسى الداهية « ميكافيللى » الذى وضع كتـابه على أساس ان الغاية تبرر اتخاذ كل وسيلة وهكذا فضح حفنى محمود سياسة صديقه حسنين : السياسة الميكيافيللية ، سياسة الخبث ، واللف والدوران وكل وسيلة مشروعة فى سبيل تحقيق الغرض ، والوصول الى الهدف وكل غرض شريف ما دام فى خدمة الامير ، أى الحاكم ، وكان الامير يومئذ هو دولة ، والدولة هى الامير ٠

وكان البرنامج الذى وضعه أحمد حسنين ذا خطوات : الخطـــوة الاولى رئاسة ديوان الملك والخطوة الثانية رئاسة الوزارة وبين الخطوتين : خطوة لابد منها لتثبيت والتأمين ودعم المركز ، وهى الزواج من نازلى أم الملك فاروق ٠

ولا يكتب الأستاذ عبد الرحمن الرافعى ، عن تعيين أحمـد حسنين فى منصب رئيس الديوان الملكى ، الا بضعة اسطر ينهيها بقوله : اقترن وجود أحمد حسنين باشا فى هذا المنصب بحوادث جسيمة وزاده نفوذه على ما كان لحسن نشأت باشا سنة ٢٤ ــ ١٩٢٥ ولعلى ماهر ١٩٣٧ ، ١٩٣٨ ، ١٩٣٩ » وللأستاذ محمد زكى عبد القادر رأى فى أحمـد حسنين جاء فيه : بدأت الأمور تتكشف بتعيين أحمد حسنين رئيسا للديوان ، بعد نحو شهر من ترك على ماهر مركز الحكم وبذلك خرجت السراى تقريبا على نفوذ ، على ماهر ، أو اخرج هو من حسابها ٠

ولا شك انه شعر بألم شديد لتعيين أحمد حسنين فاق ألمه ، لاضطراره الى الاستقالة لانه فقد بذلك المكان الذى قدر انه سيظل رابضا فيه ويكون قاعدة لسياسته ، والمنطلق الذى يوجه منه الامور على ما يشاء ، ويعد يوم ٢٧ يوليو ١٩٤٠ وهو يوم تولى احمد حسنين رئاسة الديوان الملكى ، تاريخا فاصلا فى حياة على ماهر فحتى هذا التاريخ وسواء فى حياة الملك فؤاد ، أو منذ تولى فاروق العرش كان على ماهر ، أثيرا لدى السراى أما بعد هذا اليوم فمن كان يدرى ماذا يكون هو بالنسبة للسراى ؟ ٠

ولو كان أحمد حسنين رجلا ضعيف الشخصية لما ضاق على ماهر بالامر، ولتوقع ان يتخلص منه ولكن الوضع كان على العكس من ذلك ، فان أحمد حسنين

رجل دارس فاهم ، لبق مهذب عارف بالتيارات والاتجاهات جمع الى ثقافته العربية ، الماما كافيا بالحياة المصرية وكان على صلات حسنة بالانجليز ، وعلى صلات وثيقة بالأسرة المالكة وقد لعب أحمد حسنين دورا خطيرا فى السياسة المصرية وقد سجل التاريخ أنه حمى الملك السابق كما سجل له أنه عجل بانهيار عرشه فهناك خطوط لا تزال غامضة فى هذه الفترة من تاريخ مصر ولكن الرجل كان شبيها بعلى ماهر من بعض الوجوه مختلفا عنه من وجوه أخرى ٠

ويظهر أنه تمرس بحياة القصور ، وما يزكو فيها من دسائس ، وتيارات ووعى كل شىء من هذه الناحية واراد ان يلعب دوره بمهارة وقد أدرك منذ اللحظة الاولى التبعات الثقيلة التى القيت على عاتقه وأدرك انه أضحى أقوى رجل فى القصر وربما فى مصر وان وجود قوة شعبية لا تكرهه فى هذا الوقت ولكن من الممكن ان تكرهه فى أى وقت اخر امر لا يمكن السكوت عليه ولابد من التمهيد للقضاء عليها ٠

وكما فعل على ماهر ، أراد أحمد حسنين ان يخلق من الملك السابق شخصية مقدسة تدين لها الجماهير بالحب والولاء ، صرفا لها عن الولاء للدستور وكان ممكنا ـ هكذا يقول الأستاذ محمد زكى عبد القادر ـ ان يخدم أحمد حسنين الملك السابق بخير من هذه الفعلة لو حاول ان يحفظ ولاء الشعب للدستور ، والملك على السواء ولكنه سلك الطريق نفسه ، الذى حاول أن يسلكه على ماهر ٠ أراد ان يوطد مركز الملك فى الشعب لا ليعطى الملك سلطات يستحقها ولكنه لكى يحكم هو من ورائه وكما فكر على ماهر فكر أحمد حسنين فى أنه وضع الملك السابق فى جيبه وانه يستطيع بما توفر له من لباقة ، وما أكده من علاقات طيبة هنا وهناك ان يوفق خيرا مما وفق ، على ماهر ، ولعله كان يضحك ـ وهو الامين الاول للقصر ـ حينما كان يلمح مجهودات نيات رئيس الوزراء، ورئيس الديوان قبل ذلك فقد كان واثقا من الارض التى يقف عليها مطمئنا الى ان دور على ماهر موشك على نهايته ٠

والذى يؤكد ما قاله الاستاذ محمد زكى عبد القادر ، أنه بمجرد ان تولى أحمد حسنين رئاسة الديوان الملكى راح ـ مستعينا بأصدقائه من كبار الصحفيين ـ ينظم حملة دقيقة لاظهار الملك فاروق ، فى ثوب الوطنى المستقيم ، الراغب فى العمل للنهوض بالشعب ، بينما كانت ، أعمال الملك الحقيقية تتنافى تماما مع ما تحمله الصحافة المصرية من أخبار وتعليقات ومقالات كما أنه بذل قصارى جهده لاحتضان بعض الحركات الوطنية الشابة ٠

الفصل الثانى

الملك فاروق يهدد بالقتل أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكى

من أخطر الموضوعات التى طرحتها فى هذا الكتاب الحياة الخاصة للشخصيات التاريخية ، التى كان لها أثرها المباشر ، أو غير المباشر فى صنع الأحداث ، والناس

وقد قلت ، وأنا أعرض هذا الموضوع على القراء اننى أشعر بحرج شديد وأنا أقترب من قصة العلاقات الخاصة ، التى كانت تربط الملكة السابقة نازلى بأحمد حسنين باشا ٠

خاصة ، وأنا أكتب عن أحمد حسنين باشا وقد أصبح مركز قوة فى السراى بل أصبح مركز القوة الوحيد فى السراى بعد احتجاب على ماهر باشا ، راضيا ، أو مكرها عن السراى وعن التأثير على « من فى السراى » ٠

وقد طرحت على القراء الموضوع برمته محتكما اليهم لعلهم يستطيعون اخراجى من الحرج الذى أشعر به فيؤيدون كتابة قصة غرام الملكة نازلى بأحمد حسنين أو يعارضون كتابتها ٠٠ انتظرت حوالى اسبوعين لاتيح للقراء ، وللقارئات بالطبع فرصة المشاركة فى هذا الحوار ٠ والحقيقة ، اننى منذ ان التزمت امام شعبنا ، بالقيام بمحاولة متواضعة لاعادة كتابة تاريخنا ولالقاء الأضواء على بعض حوادثه ، وأشخاصه ، الهامة والمهمة وأنا أشعر بأننى أمشى على الشوك ومرد ذلك ، أننى لا أكتب للخاصة وحدهم ، فتكون كتابتى ، وفقا للمقاييس العلمية المتعرف عليها وحسب وانما أنا أكتب أيضا للعامة لجماهير الشعب ، والكتابة التاريخية لجماهير الشعب تتطلب الالتزام بكثير من القواعد ، قد لا تتطلبها الكتابة للخاصة ٠

بل ان هناك محاذير كثيرة ، يجب على من يكتب للعامة ان يتحاشاها ، وألا يقترب منها ، بعكس ما يكتب للخاصة الذين قد لا يلقون بالا لتلك المحاذير لأنهم فى العادة متخصصون ، كتاب تاريخ أو قراء تاريخ ٠

ثم اننى لا أكتب لطائفة واحدة من أبنـاء شعبنا ، كالشباب مثلا ، وانما أنا أكتب لكل طوائف الشعب وفئاته لذوى الثقافات العليا وذوى الثقافات المحدودة لو جاز لى استخدام هذا التعبير ٠

ثم اننى ــ وهذا أخطر مافى الموضوع ــ ارتاد ميادين كثيرة ، لم يرتدها الا قلة ضئيلة من الكتاب ، أغلبيتهم كانوا ذوى اتجاهات خاصة ، والتزامات حزبية ضيقة الأفق ، كما أننى أيضا ــ وأرجو أن يحمل هذا الكلام على محمل الاحساس بثقل المسئولية ، لا المفاخرة ، أو التباهى ــ الجأ ، الى الخوض فى الكتابة عن موضوعات بكر لم يطرقها ، أحد غيرى خاصة بعد ان فرض الكتاب على أنفسهم بعد قيام ثورة ١٩٥٢ الا يكتبوا عن سـنوات ما قبـل الثورة الا منتقدين ، ثم اننى ــ وهذا مما سـاعدنى على أداء مهمتى ــ عايشت تلك الفترة ، التى أكتب عنها وكنت فى بعض الأحيان قريبـا ، من شخصيات ، كبيرة ، كان لهـا أثرها ، ان سلبا ، وان ايجابا فى صنع أحداث تلك الفترة ثم ان القراء ــ وهذا مما يعقد مهمتى ، أكثر وأكثر ــ يثقون فيما اكتبه وبالتالى، فان أية سقطة ولو صغيرة من جانبى ستكون كبيرة عند القراء تطبيقا للقاعدة القائلة : « حسنات الابرار سيئات المقربين » ٠ وقد تلقيت العديد من الردود ، بعضها فى صورة خطابات أو مكالمات خاصة وبعضها نتيجة حوار كنت طرفا من أطرافه ٠

وأذكر أننى ومجموعة من الأصدقاء والزملاء كنا مدعوين لحضور افتتاح ندوة اعلاميـة لبحث تقرير ماكبرايد كان من بينهم حسب ترتيب الجلوس سعـد الدين وهبه ، صلاح عبد الصـبور ، صفوت الشريف ، عدلى حشـاد ، ممدوح رضا ، واثير الموضوع الذى طرحته للمناقشـة فاذا بالأخوة الزملاء ، جميعا ، وبدون استثناء ، يؤيدون وجهة النظر القائلة بعدم حجب أية معلومات أو وقائع عن القراء وكذلك ، كان رأى كل الأخـوة ، القراء ، الذين كتبـوا أو تحدثوا الى فى أمر هذا الموضوع ، الذى احتكمت فيه الى القراء ، لم يشذ رأى واحد فيطلب عدم الاشارة الى العـلاقات الخاصة التى كانت تربط بين الملـكة السابقة نازلى وأحمد حسنين ، وأية علاقة خاصة أخرى تتصل من قريب أو من بعيد بمحاولة اعادة كتابة التاريخ بعيدا عن الحساسية فنحن لا نكتب تاريخنا كل يوم ، ونحن اذا لم نكتب التاريخ اليوم على حقيقته وبعض الذين يعرفون دقائق وقائعه أو بعض الذين شاركوا ــ بالسلب أو بالايجاب ــ فى صنع بعض أحداثه على قيد الحياة فلم يستطيع أبناؤنا أو أحفادنا كتابة تاريخ تلك الفترة

التى عشناها ، تكون بعض معالم تلك الفترة ، أو بعض أحداثها ، قد طمست ، أو أخفيت .

هذا من ناحية المبدأ أما من ناحية الموضوع فأقول ان ما بين يدى من معلومات ، عن قصة غرام الملكة السابقة نازلى لا يتعدى ما كتبه الأستاذ محمد التابعى وهو بلا جدال حجة فى الموضوع لتلك العلاقة الوثيقة ، التى تربطه بأحمد حسنين ولأنه - وتلك ميزة من مميزات التابعى رحمه الله - لم يحاول كما حاول كثيرون غيره المتاجرة بالتاريخ أو الاساءة الى بعض أصدقائهم ومعارفهم بل وأصحاب النعم عليهم بعد أن زال عنهم أثر الجاه ، والمنصب والمال وانما ظل وفاؤه لمن كان وفيا لهم فى حياتهم وفاءه لهم بعد مماتهم بالاضافة الى مقال واحد كتبه الأستاذ حافظ محمود عن غراميات أحمد حسنين لايخرج فى مجموعه ، عما كتبه الأستاذ التابعى الى جانب نبذ وفقرات نشرت فى هذا الكتاب أو ذاك ممن تناولوا الكتابة عن « فاروق ملكا » اما فى حياته واما بعد مماته ، ولم تكن كل تلك المعلومات ، تشجعنى حقيقة ، على ان أخوض فى قصة غرام الملكة السابقة نازلى رغم انها معلومات ثابتة ، ووقائع مؤكدة ، ولكننى حرصا ، منى ، على المزيد من التأكد والتوثيق ظللت أبحث وألهث وراء معلومات جديدة ، تزيدنى طمأنينة على طمأنينتى ، الى ان كان الاسبوع الماضى ، عندما اتصل بى الأستاذ أمين محمد فهيم الذى كان واحدا من خيرة من عملوا فى السراى ، وكان فى نفس الوقت السكرتير الخاص ، لفاروق ، والذى صحبه - باذن من المسئولين فى مصر - الى المنفى ، ليصبح كاتم أسراره ، اتصل بى الأستاذ أمين محمد فهيم ، ليهنئنى على الاسلوب الذى أتناول به كتابة تاريخنا ، باعتباره شاهدا من شهود ذلك التاريخ وانتهزت فرصة تفضله بمحادثتى لاسأله - وهو الرجل الصادق والأمين فى نفس الوقت ، والذى أعرفه جيدا منذ عام ١٩٤٣ - سؤالا واضحا محددا : أكانت ثمة علاقة خاصة تربط الملكة السابقة نازلى بأحمد حسنين ؟ ، وقبل أن يرد الأستاذ أمين محمد فهيم : على سؤالى قلت له لقد أقسمت اليمين ، كمحام ، وانت الآن تقول ما تقوله للتاريخ ولم يعد لك فى دنياك ما يدعوك ، الى أن تقول الا الحق « ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه أثم قلبه » وغير ذلك من التحذيرات والتأكيدات ، والرجاء الخاص بتحرى ، الصدق والأمانة ، والانصاف و . و . مما خشيت أن يغضب الأخ ، الأستاذ أمين فهيم ، وقال لى الأستاذ أمين فهيم دون تردد « نعم كانت هناك علاقة خاصة ، بل كان هناك غرام قوى بين الملكة السابقة نازلى والمرحوم أحمد حسنين باشا ، ولم أعتمد ، فى رأى هذا على ما سمعته فى القصر ، من هذا الجانب ، أو ذاك وانما اعتمد فى رأى هذا على ما رأيته أنا شخصيا بعينى رأسى » .

ورجوت الأستاذ أمين فهيم أن يبعث الى برسالة مكتوبة يؤكد فيها ، ما قاله ، ليطمئن قلبى فتفضل وبعث الى بتلك الرسالة - المنشورة فى الفصل

الأخير من هذا الكتاب ـ والتي أعتبرها بحق ـ ولما أعرفه عن الأستاذ أمين فهيم من خلق رضى ومن صدق وأمانة ـ من الوثائق الهامة التي تثبت وجود علاقة خاصة بين أحمد حسنين ونازلي ٠

هذا الى جانب ، قرينة أخرى ترددت في الاشارة اليها لولا انها خاصة بالتاريخ وهي أن بعض الشبان الوطنيين كانوا يكتبون على أرض الشارع ، في ميدان عابدين وبخط كبير جدا الكثير من العبارات التي توضح علاقة أحمد حسنين ، بالملكة نازلي ليقرأها الملك فاروق ٠

وسوف ، نعود ، الى صور المقاومة الشعبية لطغيان الملك في الوقت المناسب ٠

وبعد تلك المقدمة ، الطويلة ، والضرورية في نفس الوقت ، نعـود ، الى أحمد حسنين ، ونازلي نكمل ـ في البداية ـ حديثنا عن أحمد حسنين ثم نبدأ حديثنا عن نازلي عبد الرحيم ، صبري ، ملكة مصر السابقة ، وبعد ذلك نكتب عن علاقتهما معا ! ٠

وقد ظلت الصحف المصرية ـ كما هي العادة ـ لأسابيع عديدة تكتب عن أحمد حسنين باشا ، بمناسبة اختياره رئيسا للديوان الملكي ٠

وكان من بين ما كتبته صحيفة الاثنين ـ مثلا ـ في عددها الصـــادر في ٥ أغسطس ١٩٤٠ : في الاسبوع الماضي صدر أمر ملكي بتعيين أحمد حسنين باشا ، الأمين الأول لجـــلالة الملك رئيســـا للديوان الملكي وبذلك ارتدت جميع الشائعات ، على أعقابها وارتاح كثير من رجال السياسة ، كان همهم الدائم طوال الأسابيع الماضية هو منصب رئيس الديوان الملكي ٠

وفي اليوم الذي صدر فيه الأمر ، الملكي بالتعيين لم يكن أحد يعرف شيئا عنه ، حتى أولئك الذين يعرفون دائما أسرار السياسة ، كانوا يجهلون ذلك ولكن المصادفة وحدها كشفت السر ، لقد اتصل أحدهم بموظف كبير في السراي ، وسأله عن حسنين باشا وأجاب ذلك الموظف الكبير : أن حسنين باشا ، سافر الى انشاص ، وسوف يعود منها مسرورا ، وجرى البحث طويلا ، حول « السرور » الذي يعود به حسنين باشا من انشاص حتى عرف بأنه منصب رئيس الديوان الملكي ، وعاد حسنين باشا الى القاهرة ، وضل الكثيرون سبيلهم في التعرف على مكان وجوده : اذا سألوا عنه في مكتبه في السراي قالوا : كان هنا ، ونزل ٠

واذا سألوا عنه في المنزل قيل : خرج من بدري ولسه مارجعش ٠

وأخيرا تأكد ، بعض الزملاء ، من وجوده في منزله ، وعندما طلبه أحدهم ردوا عليه بالكليشيه المحفوظ : خرج من بدري ، ولسه مارجعش ٠

وهنا ذكر المتكلم اسم أحد العظماء على أنه هو الذى يسأل وسرعان ما تحدث حسنين باشا ، بنفسه ، ولما عرف الحيلة ضحك منها وتأيد النبأ ، الذى وقع ٠

ومما يذكر أن حسنين باشا كان فى الاسبوع الماضى مدعوا فى حفلة أقامها الأستاذ عسران عبد الكريم بمنزله ، واجتمع فيها الدكتور ماهر باشا وبعض الوزراء وعبد الرحمن البيلى ، وحفنى محمود بك وفريق من الصحفيين ، وتحدث ، المدعوون عن حسنين باشا وتكتمه وحرصه على ألا يقول شيئا وقال صحفى خبيث : بعد أسبوع من تأليف وزارة حسن صبرى باشا قيل لحسنين باشا : أنت تعرف ان فيه وزارة تألفت ؟ فأنكر معاليه ـ أحمد حسنين باشا ـ أنه سمع بشىء من هذا القبيل ٠

وتمضى مجلة الاثنين قائلة : يمكن القول ، ان معالى حسنين باشا قد استحق التقدير ، الشخصى من كل من يحيطون به منذ كان طالبا فى جامعة اكسفورد ففى تلك الأيام بدأت رجولته ، تتجلى للعيان ، ولم تلبث عائلات انجليزية عريقة بعد أن عرفت مزاياه ، أن فتحت أمامه أبواب بيوتها ، رغم ما هو معروف عن الانجليز ، من التحفظ والنفور من الاختلاط بالآخرين ٠

وتقول مجلة الاثنين : انه عندما عاد حسنين باشا ، من رحلته الى الصحراء رغب اليه المغفور له ، الملك فؤاد ، أن يلقى محاضرة عن هذه الرحلة ، وتم ذلك فى دار الأوبرا وفى موعد القاء المحاضرة ، حضر الملك فؤاد ، وأصغى الى المحاضرة ، وبعد انتهائها تفضل فدعا الرحالة اليه فى مقصورته ، وبلغه ثناءه واعجابه ٠

وقد عين حسنين باشا فى السلك السياسى سكرتيرا للمفوضية المصرية بواشنطون ، عند أول انشاء لهذه المفوضية ، وكان هو أول من رفع العلم المصرى بيده على دار المفوضية ٠

وهو يجمع ما يكتب عنه ويلصق ذلك فى البومات عنده ، وقد شهدها يوما أحد أخصائه فدهش لذلك ، لما هو معروف عنه من تواضعه الجم ، ونفوره من الدعاية ، ولما سأله عن ذلك ، أجاب : اننى احتفظ بها لطارق ، لكى يطلع يوما على ما كان يكتب عن أبيه !!

واذا كان الملك أحمد فؤاد ، قد حرص على ان يحضر محاضرة ألقاها أحمد حسنين ، عن رحلته الى الصحراء فى دار الأوبرا ، فان فاروق أحمد فؤاد ، قد حرص بدوره على ان يشهد حفل تأبين أحمد حسنين فى نادى السلاح الملكى، وان يفتتح قاعة أحمد حسنين بالدور العلوى من النادى ، وان يستمع الى محمد طاهر ، وهو يلقى كلمة عن أحمد حسنين يقول فيها : شاهدت هذه القاعة أحمد حسنين صبيا ينطلق من مدرسته فى موعد الانصراف متأبطا كتبه ،

مرتديا سراويله القصيرة ميمما شطر هذا النادى ، فيلتقى بلاعبى السلاح ، من الأعضاء فينازلهم ويبارزهم يغلبهم تارة ، وتارة يغلب وهو فى الحالتين يغالب نفسه ويروضها ، كيف تواجه الشدائد بقلب ثابت ، والهزيمة بصبر لايعتريه يأس ، والنصر بثقة لايشوبها زهو

وأعود مرة أخرى الى ماكتبه الأستاذ محمد التابعى عن أحمد حسنين حيث يقول : استطاع هذا الشاب أحمد محمد حسنين ، ابن الشيخ محمد حسنين المدرس بصحن الأزهر الشريف ، أن يفتن ، ويخلب لب الفتاة لطفية كريمة صاحبة السمو الأميرة شويكار . مطلقة أحمد فؤاد ، وأم بنته صاحبه السمو الملكى الأميرة فوقية ٠

وتزوج أحمد حسنين من لطفية ، وأصبح من اصهار الأسرة المالكة ، وزوجا لأخت الأميرة فوقية ، كريمة الملك فؤاد ، وكان فؤاد قد تصالح قبل ذلك بسنوات مع مطلقته شويكار ٠

وهكذا عزز حسنين مركزه ، وثبت قدمه على أولى درجات السلطة فى دنيا المناصب ، والجاه ، والنفوذ ، فأى رئيس أو وزير ، بل وأمير ما كان يجسر يومئذ أن يتجاهل هذا الشاب ــ أحمد محمد حسنين ــ صهر الأسرة المالكة ، وزوج كريمة الزوجة الأولى لصاحب العرش والتاج ، كانت هذه هى الخطة او الخطوة الأولى ٠

وقد سميتها ــ الأستاذ التابعى ــ خطة أو خطوة لأنها كانت مرسومة ، ولأن الزواج لم يكن مقصودا لذاته ، بل كان وسيلة للوصول الى غرض أو هدف مقصود فى طريق النجاح ، وتحقيق المطامع الواسعة ، والدليل الذى لا يحتاج معه أو بعده الى دليل آخر ان حسنين يوم تزوج من المغفور لها السيدة لطيفة لم يكن يحبها ، لقد استطاع أن يفتنها ، ويخلب لبها ، ويوقعها فى حبه ، أما قلبه هو فكان خاليا من أى حب لها ٠

صحيح أنه لم يكن يكرهها ، كلا ، ولكنه لم يكن يحبها يوم خطبها ويوم تزوج منها ، وبعد الزواج لا قبله ، وبعد المعاشرة ، أو العشرة ، وبعد أن أنجبت له أولاده ، أحبها حسنين ، أو كما قال لى هو نفسه : ان لطيفة كريمة ، رقيقة حنون تستحق كل حب ، وهى أم مثالية ، ولقد أحببتها ، كما لم أحب امرأة أخرى ٠

وأفتح قوسا لأقول أننى تعرفت الى السيدة لطيفة العبد قرينة الأستاذ حامد العبد ، وهو غير حامد العبد الذى كان من خيرة الوطنيين المصريين الذين لعبوا فى صمت دورا هاما ، وخطيرا فى ثورة ١٩١٩ ، وكان رحمه الله ، يملى على بعض مذكراته عندما كان يستقبلنى ، وأنا أخطو خطواتى الأولى فى بلاط صاحبة الجلالة ، تعرفت الى حامد العبد زوج السيدة لطيفة هانم العبد الذى كان يحدثنى

ا‌لبيرا عن زوجته ، « الملاك الطاهر » حتى لقد كتبت مقالا فى الأهرام سقط اسمى منه سهوا ، فى ٢١ مايو ١٩٥٤ وكان بعنوان : لطفية العبد ، فى ذكراها الثانية : ملاك من البشر وقد اختتمت مقالى بالكلمات التالية : لقد كانت لطفية العبد بحق ، انسانة كريمة نموذجيه ، نزلت الى صفوف الشعب راضيه مختارة ، فى الوقت الذى كان يتعالى فيه من يحيطون بها على هذا الشعب ، ولم تنزل اليه راغبة فى دعاية أو طامعة فى جاه ، بل نزلت الى الشعب عن ايمان راسخ وعقيدة ثابتة بأن أقدس ميدان يمكن أن يجد فيه الانسان السعادة والأطمئنان هو ميدان الخير • أن لطفية العبد الانسانة التى عاشت ، واحبت البشر جميعهم ، لايمكن أن ينسى ذكراها ، وان جهادها فى معركة القنال ، وكفاحها من أجل تسلم الأسرى من الانجليز وكذلك الجرحى الذين كانوا ضحيه العدوان الانجليزى الغاشم ، لا يمكن أن ينساه المواطنون الأحرار •

لقد كانت لطفية العبد كاتبة ، وشاعرة ، ولكنها كانت فى دنيا الخير أكتب ، وأشعر ، وكانت في لحظاتها الأخيرة لاتفكر الا فى بلدها وفى مشروعها الخيرى الكبير ، الذى وضعت له تصميما تكلف ربع مليون جنيه ويشمل ثلاثة مستشفيات ، وحجرة عمليات بالتليفزيون ، ومطعما ، ومسجدا ، ومدرسة : رحمها الله رحمة واسعة ، وجعلها قدوة حسنة لأولئك الذين يسعون الى الخير ، ويعملون لما فيه اسعاد البشر •

وأقفل القوس عند هذا الحد ، راجيا أن نتاح لى الفرصة ، لأكتب عن لطفية العبد ، وعن حامد العبد ـ هذا وذاك ـ فى فرص أخرى •

وأعود الى ما كتبه الأستاذ محمد التابعى عن أحمد محمد حسنين ولطفية هانم يقول الأستاذ التابعى : كان زواج أحمد حسنين من لطفية خطوة فى سبيل تحقيق مطامعه الواسعة ، وكان طلاقه لها خطوة أخرى فى نفس الطريق ، وقبل ان تكتب عن قصة طلاق أحمد حسنين من لطفية هانم ، نروى وفى اختصار شديد قصة نازلى عبد الرحيم صبرى •

كانت ثورة ١٩١٩ على أشدها ، وكان كل من فى مصر من أبنائها الاصلاء قد اشتركوا فى تلك الثورة ، وكانت وزارة حسين رشدى باشا الرابعة قد استقالت ، وبقيت البلاد شهرا كاملا بدون وزارة الى أن فوجئت البلاد بوزارة جديدة رأسها محمد سعيد باشا كان هدفها كسر شوكة الثورة ومحاولة اعادة البلاد الى حالتها الطبيعية تحقيقا للارادة البريطانية •

واذا كان تأليف وزارة محمد سعيد باشا مفاجأة ، فقد كان الزواج السلطانى فى تلك الظروف الدامية أكثر من مفاجأة •

كان تأليف الوزارة فى ٢١ مايو ١٩١٩ ، وكان الزواج السلطانى فى ٢٤ مايو ١٩١٩ اى بعد تأليف الوزارة بثلاثة أيام ، ولم يكن هناك من مقدمات

لهذا الزواج الا اعلان موجز صادر عن سراى السلطان بأن السلطان احمد فؤاد قد اختار الآنسة نازلى كريمة عبد الرحيم باشا صبرى وزير الزراعة فى وزارة محمد سعيد باشا لتكون شريكة حياته . وكان السلطان أحمد فؤاد بعد ان طلق زوجته السابقة الأميرة شويكار أعزب ولم يكن هناك احتفال بهذا الزواج ، الا اجتماع عائلى فى الصباح فى سراى البستان لم يحضره من الأمراء الا عمر طوسون ، وكمال الدين حسين ويوسف كمال وعلى حيدر ومحمود حمدى كما حضره محمد سعيد باشا ووزراؤه ومن بينهم والد العروس عبد الرحيم باشا صبرى ومحمد شكرى باشا ناظر الخاصة ، وقد اعتذر الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوى شيخ الجامع الأزهر عن حضور الحفل فتولى كتـــابة العقد الشيخ محمد ناجى رئيس المحكمة الشرعية العليا الذى خلع عليه السلطان بعد كتابة العقد خلعة سلطانية عبارة عن ساعة ذهبية وثلاثمائة جنيه .

ولم يشترك فى حفل المساء أى مطرب أو مطربة بل لم يشترك أى موسيقى على الاطلاق ، لأن أصوات القنابل ورصاص المدافع كانت تطغى على أية أصوات أخرى موسيقية أو غير موسيقية .

وفى ١١ فبراير ١٩٢٠ أعلن مولد الأمير أحمـد فؤاد ، واقترن مولده بلطمة سياسية أصـابت الكبرياء الوطنيـة فى الصميم اذ يبلغ فيلد مارشال اللنبى صاحب العظمة السلطان فؤاد بأن حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى قد أعادت النظر فى نظام وارثة السلطنة المصرية ، وانها قد اعترفت بنجل عظمة السلطان فؤاد وليا للعهد ، على أساس قاعدة الأكبر من الانجال فالأكبر واعتبر أحمد فؤاد هذا التبليغ البريطانى منة من بريطانيا تستحق الشكر وتؤدى الى تدعيم مصالح بريطانيا فى مصر .

وقد احتج الحزب الوطنى على التدخل البريطانى فى نظام العرش وأصدر بيانا بهذا المعنى لم يستطع نشره فى الصحف فوزعه فى نشرات مطبوعة وبلغه الى معتمدى الدول الأجنبية فى مصر واعتبر الحزب الوطنى فى بيانه موضوع وراثة العرش من المسائل المصرية البحتة التى لايحق لبريطانيا التدخل فيها . وبعد أن يعلن الحزب الوطنى احتجاجه الشديد على موقف بريطانيا يعلن فى بيانه أن جميع الوسائل التى تتخذها الحكومة البريطانيـة فى تنفيذ اغراضها السياسية ازاء مصر ، قائمة على سلطان قوتها ، وعلى الأحكام العرفية المعلنة فيها فان جميع الأعمال الناتجة عنها تعتبر بغير شـــك غير مشروعة ولا جائزة لأن الأمة وحدها هى المالكة للتصرف فى جميع حقوقها السياسية وبما ان الأمة المصرية لاتزال ولن تزال متمسكة بحقوقها المقدسة وانها لا تعترف لانجلترا بمركز خاص فى مصر ، يخولها أى حق او أية صفة للتدخل فى شئون البلاد السياسية سواء كانت بخصوص العرش أو الوراثة أو غيره .

ونعلن اللجنة الادارية للحزب الوطنى ان من واجبها ، عدم السكوت على كل عمل سياسى يراد به الافتراء ، على حقوق ، البلاد ، كلها ، أو بعضها وانها لا تزال تعمل على تحقيق مبدئها القاضى باستقلال مصر التام مع سودانها . وملحقاتها استقلالا غير مشوب باحتلال أو حماية ، أو وصاية ، أو أى تدخل أجنبى » .

وقد رفع بيان اللجنة الادارية للحزب الوطنى ، على فهمى كامل ..

وقد احتج محمود سليمان باشا بصفته رئيسا للجنة الوفد المركزية على التدخل البريطانى أيضا معتبرا احتجاجه هذا معبرا عن رأى الأمة المصرية .

وقررت السلطة العسكرية البريطانية فى مصر فرض الرقابة على الصحف فى ٥ مارس ١٩٢٠ وأضربت الصحف ، المصرية كلها تقريبا ثلاثة أيام ابتداء من ٦ مارس ١٩٢٠ حتى ٨ مارس ١٩٢٠ احتجاجا على فرض الرقابة على الصحف .

وكان بيرم التونسى يصدر بدون تصريح : « المسلة لا جريدة ولا مجلة » وكانت المسلة تحوى هجوما دائما على الاحتلال ، والمحتلين ثم رأى صاحبها أن يهاجم السلطان حسين هجوما عنيفا فنشر فى عددين : زجلا آثار ثائرة السلطان الذى أصدر أمره باعتقال بيرم التونسى ولكن بيرم كان قد احتمى بالقنصلية الفرنسية فى الاسكندرية ، لأنه كان يتمتع بالجنسية التونسية أو الفرنسية بمعنى أدق ولم يستطع السلطان حسين ، بجلالة قدره أن يحاكم بيرم التوسى لأنه رعية أجنبية ولأن سلطانه لا يمتد ، الى رعايا الدول الأجنبية ، وقد أودع بيرم التونسى سجن الحضراء ، بالاسكندرية لمدة أحد عشر يوما ، الى أن تم ترحيله، الى مارسيليا ومنها الى تونس ولأن الزجل اياه يعتبر قطعة أدبية وفنية ذات قيمة تاريخية فاننا نذكره فيما يلى وكان البيت الأخير هو الذى آثار ثائرة السلطان حسين ، واعتبره هجوما شخصيا عليه وعلى السلطانة نازلى .

يقول بيرم :

البنت ماشية من زمان تتمخطر

والغفلة زارعه فى الديوان فرع أخضر

يا راكب الفينون وقلبك حامى

أسبق ع القبة وطير قدامى

تلقى العروسة تشبه محمل شامى

وجوزها يشبه فى الشوارب عنتر

وحط زهر الفل فوقها وفوقك

وشانها الشبشب يكون على دوقت

ونزل النونو القديم من طوقك

بطلع فى طوعك لا الولد يتكبر

العطفة من قبل النظام مفتوحة

والوزة من قبل الفرح مدبوحة

وكان الزجل التانى ، الدى نظمه بيرم التونسى **بعد مولد فاروق :**

البامية فى البستان تهز القرون

وجنبها القرع الملوكى اللطيف

والديدبان يرمح يجيب الزبون

وربة الجارية تجيب الرغيف

شوف الميرات حصل ولاد البطون

ودخل الأغراب « فاميلية » « على »

يابادشاه دانت ابنك ظهر

ربك يبارك لك فى عمر الغلام

ينزل يلعلط تحت برج القمر

ياخسارة بس الشهر كان موش تمام

وكانت الجماهير تحسب مدة الحمل بالنسبة للفاروق : زواج الوالد بالوالدة تم فى ٢٤ مايو ١٩١٩ ، الميلاد كان فى ١١ فبراير ١٩٢٠ .

وكلمة بادشاه يعنى السلطان ، اما فاميلية على فالمقصود بها أسرة محمد على .

الفصل الثالث

عندما كانت نازلى الملكة سجينة القصر الملكى

● كعادتنا فى تأصيل كل حـدث ، وفى تاريخ كل شـخصية من الشخصيات التى يكتب عنها ـ بدأنا نكتب عن نازلى عبد الرحيم صبرى ، التى أصبحت ـ وثورة ١٩١٩ فى أوجها ـ سلطانة على مصر ، باسم السلطانة نازلى ، ثم أصبحت ، بعد ما يقرب من تسعة أشهر ، أما لولى العهد فاروق وقد اضطرتنا ظروف البحث الى الاشـارة الى أزجال بيرم التونسى التى قالها ، هجاء فى أحمد فؤاد ، ونازلى رغم ما بها من ايماءات واشارات يرفضها عادة ، البحث العلمى ، ويتعفف عن ذكرها المؤرخ المنصف ولكن لأن تلك الأزجال ـ وقد نسرت أكثر من مرة ـ قد استخدمت فى حالات كثيرة كسلاح سياسى للهجوم على فؤاد، وفاروق من بعده ، ولان بعض الجمعيات السرية قد طبعتها ووزعتها فى أكثر من مناسبة من مناسبات حركة المقاومة الشعبية فقد آثرنا ألا نغفل الاشارة الى تلك الازجال لاهميتها التاريخية من ناحية ، ولانها تعطينا صورة حقيقية ، لبعض الأسلحة ، التى كان يستخدمها بعض أدبائنا وشعرائنا وزجالينا فى مقاومتهم للاحتلال البريطانى ، وفضائح الاحتلال البريطانى فى تلك الفترة الحرجة من تاريخنا الوطنى ، وهى الفترة التى واكبت واعقبت ثورة ١٩١٩ .

وقبل ان ننتقل من الحديث عن الزجال بيرم التونسى ، الى بقية الحديث عن نازلى عبد الرحيم صبرى ، تقول ان بعض القراء الح علينا ان ننشر بقيـة الزجل الثانى لبيرم التونسى ، والذى آثرنا عدم نشره فى الفصل السابق وهو كما يلى :

مالناش قرون كنا نقول « ماما »
وناكل البرسيم بالقفة
سلطان بلدنا حرمته جابت

ولد ، وقال سموه فاروق

فاروق فارقنا بلا نيلة

دى مصر مش عايزه لها وذيلة

دى عايشة بالقوة وبالتيلة

ومين بقى يلحس دى الفيفة

يا دابة ليه مانتيش حداية

خدتيه ورحتى ع الجبلايه

جبت لنا خبره وكأنك جاية

تدق لك فى البيت زفة

يا عزرائيل اخلص بقى تاوى

ناقص سوا ، وديه عالنار

وخد كمان جوليا قطاوى

ياما الزمان كشف « أسرار »

واذا كان الكاتب المنصف ، لا يستطيع أن يعفى نفسه من ابداء رأيه فى بعض الاحداث ، وفى بعض الناس ، ايمانا بفكرة معينة لا يؤمن بها وحسب ، وانما يدافع عنها باستمرار ، وانطلاقا من ذلك ، أقول أننى أشعر بأن نازلى عبد الرحيم صبرى وخلال تلك الفترة ، التى بدأت ، بزواجها من أحمد فؤاد وانتهت بوفاته كانت تمثل ضحية من ضحايا الملك فؤاد ، فهى لم تكن اكثر من فتاة من بنات الشعب ، كان جمالها وبالا عليها ، وجدت نفسها ، فجأة ، وبدون أية مقدمات تساق الى البلاط السلطانى . ولعلها ــ كما يقول بعض من عرفنها وقتئذ ــ تتمنى ان تزف ، الى الشاب الذى كانت تحبه وكان هو يحبها من افراد أسرتها ، بدلا من أن تزف الى السلطان أحمد فؤاد ، الذى لم يكن فى مصر من يحبه ، لقبوله السلطنة من يد ممثل الاحتلال البريطانى فى مصر .

وربما كان السبب الرئيسى ، الذى جعلنى احكم على نازلى أنها كانت فى تلك الفترة مجرد ضحية لا أكثر ولا أقل ، الحديث الاول ، والاخير ، الذى أدلت به نازلى فى حياتها ، كسلطانة ، وكملكة أى منذ عام ١٩١٩ حتى عام ١٩٣٥ . والحديث الوحيد ، بل الاوحد ، الذى اعنيه هنا هو الحديث الذى أدلت به الملكة نازلى فى فبراير ١٩٢٢ الى الصحفية والمؤلفة الامريكية جريس هوستون ولما احدثه هذا الحديث الخطير من آثار فى داخل البلاد وخارجها أصدر الملك

أحمد فؤاد ، تعليماته بألا تقابل الملكة ، أى صحفى ، أو أية صحفية على الاطلاق ولاهمية هذا الحدث أيضا نشير الى بعض أجزاء منه لاعطاء صورة واقعية عن حياة ملكة سابقة من ملكات مصر ..

تقول جريس هوستون وهى تقدم حديثها مع الملكة نازلى :

قرأت فى طفولتى قصة العصفور والقفص الذهبى . ولكنى لم أر عصفورا حقا داخل قفص من ذهب الا حينما قابلت « الملكة » نازلى ملكة مصر الجميلة .. والملكة نازلى نموذج حى لهذه الاسطورة بل هى مثل بارز لمأساة المرأة أو بالاحرى الملكة الشرقية فى مصر الحديثة .. ولقد آمنت بعدما عرفت قصتها بالمثل القائل : « مصدوعة الرأس التى تحمل تاجا » .

وقد تفضلت جلالتها فأذنت لى بأن أختلس نظرة الى السجن الفخم ، الذى تقبع فيه والى العزلة الوثيرة التى تحيا فيها فى قصر عابدين أو على الاصح مقاطعة عابدين . فهو أفخم قصر رأيته فى حياتى .

ولقد تم هذا فى نفس الوقت الذى كانت مصر تتحول فيه بواسطة تصريح بريطانى ، الى مملكة مستقلة ذات سيادة .. وكانت نازلى تتحـــول فيه أيضا الى « ملكة » صاحبة جلالة بجوار زوجها الملك فؤاد الأول ..

ولقد خرجت من عند الملكة نازلى وأنا أؤمن بان هذه الملكة الصريحـــة الطموح سيدة ذات روح متحررة وأنها ستنتهز أول فرصة سانحة لكى تحطم كل القيود التى تضعها التقاليد حول عنقها وتهرب من السجن الشامخ الذى تعيش فيه !

ولقد نشأت الملكة نازلى ، وعاشت حتى زواجها فى بيئة مصرية متحررة، وكانت أمها من صديقات صفية هانم زغلول الحميمات ، كما كانت من مؤيدات حركة المراة الجديدة وزعيماتها . ولكنها ككل الزعيمات الوطنيـــات فى مصر نفضت يدها من نازلى وأمها بعد زواج نازلى ، ذلك لأنها كانت تؤمن بأن الملك فؤاد صنيعة البريطانيين وأنه لا يحب المصريين .

ولم تفقد الملكة نازلى أملها فى أن تحصل على حريتها . وكما قالت لى : لا تريد أن تكون اقل استمتاعا بالحرية من أبنـــة زوجها الأميرة فوقية ، فهى فى مثل سنها ولكنها تتمتع بحرية واسعة وتسافر الى أوربا كل عام ، وتحضر الحفلات ســافرة الوجــه وذلك فى الوقت الذى لا تقابل الملكة نازلى احدا الا أقاربها أو بعض صديقاتها ، وأقصى رحله يســـمح لها بها هى الرحلة من قصر عابدين فى القاهرة الى قصر رأس التين فى الاسكندرية وهى كما قالت جلالتها «مدينة رطبة جدا لا احبها» ولقد قيل لى فى السراى – حينما طلبت المقابلة – ان جلالتها تتمتع بحرية تامة وانها تستقبل من تريد .. ولكن احدى صديقاتها

اكدت لى انها لا تخرج من السراى مطلقا ٠٠ وانها ايضا لا تقابل الا عددا معينا من السيدات ٠٠ السيدات فقط لا الآنسات ، وان هؤلاء يدرجن اسماءهن فى كشف تعده كبيرة الوصيفات مدام قطاوى باشـا ، وتعرضـه على الملك الذى يشطب منه كما يشـاء ثم يعيده اليها ، ولقد تحققت بنفسى من هذا كله بل وجدت ان مقابلة الملكة نازلى أصعب بكثير من مقابلة أى ملكة أخرى ٠٠ ووجدت أيضـا اننى لن أصـل اليها الا بالطريقة التى تصـل بها الى أى شئ آخـر « الواسطة » !

لقد توسطت لى « ليدى كونجريف » زوجة القائد العـام البريطانى ، وأخبرتنى أن على أن أكتب اسمى أولا فى الكتاب الملكى « سجل التشريفات » فيحدد لى موعد بعد ذلك ٠

وذهبت مع « ليدى كونجريف » فى سيارة يقودها سائق انجليزى يجلس بجانبه خادم أسود فى ثياب ذهبية مزركشة ، وحين وصـلنا قصر عابدين ، اجتزنا عددا من البوابات الضخمة حتى وصلنا جناح الملكة ٠ ووجدنا على الباب عشرة حراس عمالقة فى ثياب أنيقة ومدججين بالسلاح ٠٠ لحراسة المدخل ، ثم فتح لنا الباب « أغا » طويل وأغلقه على الفور ووجدنا انفسنا فى ردهة فاخرة الى حـد البـذخ وتوسطت الردهة ثلاث سـيدات جميلات وتقـدمت أولاهن بابتسامة رقيقة خلابة وقادتنا الى منضدة من الرخام الفاخر وقدمت لنا قلما من الفضة لنكتب اسمينا فى الكتاب ٠٠ وكتبت اسمى وكتبت « ليدى كونجريف » اسمها ، وقالت لى أن هذا هو كل ما علينا ان نفعله ٠٠

ولم يتحدد الميعاد الا بعد شهر من كتابة اسمى وبعد سعى متواصل من الدكتور « هاويل » الوزير الأمريكى المفوض فى القـاهرة ، وفى اليوم المحدد توجهت الى القصر أنا ومسز «هاويل» وبعد أن مررنا بكل البوابات والطقوس السابقة صعدنا السلم الضخم الى غرفة استقبال الملكة ٠٠ وقد اجتزنا فى طريقنا بوابة أنيقة محلاة بنقوش الذهب والفضة ، ووقف عليها اثنان من الأغوات فى ثيـاب مزركشـة تبعث على الهيبة والاعجاب ٠ ثم وجدنا أنفسنا فى غرفة واسعة بهـا ما يقرب من عشر وصيفات يبدين فى جمالهن وأناقتهن وسحرهن كالحوريات ومن هـذه الغرفة دخلنا غرفة أخرى كان بها سيدة واحدة مهيبة الطلعة ، تبـدو بشعرها البلاتينى وثوبهـا الباريسى الأنيق ، مثالا للجاذبية والأناقة والسحر الفرنسى ٠٠ وكانت هذه هى مدام « جوزيف أصلان قطاوى » « باشا » كبيرة الوصيفات التى أخذت فى رقة ولباقة تفهمنا طقوس ومراسيم مقابلة ملكة الشرق وبينما كانت تتحدث كنت أجول ببصرى فى الروعة والفخامة والجو الخيالى المحيط بنـا ٠٠ وأتصور كيف يغرق ملوك الشرق وملكاته أنفسهم فى الترف والنعيم ناسين حياة شعوبهم ٠

وسارت مدام قطاوی وسرنا وراءها الى الملكة ٠٠ وكانت « جلالتهـا » واقفه فی غرفة واسعه ، تحت صورة ضخمة لحميها الخديو اسـماعيل وقد ارتدت ثوبا من القطيفة الخضراء الغامقة من صنع باريس وغطت أصابعهـا بمجموعه من الخواتم الماسيه البراقه ويدلى من أذنيها قرط تعلق به ماسة فی حجم البندقه ، وكان سعرها معقوصا وفوق « الموضة » الباريسيه ولكنها وضعت فی مؤخرته مشطا كبيرا على الطريقه الاسبانيه وكان لون بشرتهـا أبيض ناعما ٠٠ وشفتاهـا رقيقتين وعيناها مكحلتين على الطريقة الشرقية التی تضفی على عيون المصريات سحرا ، وبدت جلالتها بسيطة جذابة كماسة نادرة من التی كانت تتحلى بها ٠٠ ولم تكد عينی تقع على هذا الجمال الساحر الخلاب حتى أخذت ، ولم أملك الا أن أقول : « اننی أدرك الآن يا صاحبـة الجلالة ٠٠ لماذا يصر الملك على أن يحجبك عن لقاء الناس والصحفيين » ؟ ٠

وضحكت جلالتها ضحكة عالية مرحة رفعت على الفور الكلفة بيننـا ، وقالت فی أسلوب طبيعی رقيق : « آه يا سيدتی ٠٠ ولكن يجب ألا تقولی هذا للملك ٠٠ بل يجب أن تؤكدی له اننی أسـتطيع الخروج ومقابلة الناس فی أمان فهو غيور ٠٠ غيور جدا ٠٠ جدا » ٠

وضحكت وقلت لها : « له حق ٠٠ وعلى كل فان الرجال جميعا فی هذا سواء » ٠

واستطردت جلالتها تقول وعلى شفتيها ابتسـامتها المرحة : « لا ٠٠ ليس الى هذا الحد ٠٠ وبهذه المناسـبة أخبرينی هل اخترعوا حقـا فی أمريكا تليفونا يرى فيه المتكلمون بعضهم ؟ » ٠

وقلت لها : « لا أدری ٠٠ ولكن لماذا ؟ »

واستغرقت جلالتها فی الضحك ثم قالت : « جاءنی الملك منذ بضعة أيام قلقا مهمومـا وقال لی لقد اخترعوا فی أمريكا تليفونا يرى فيـه المتكلمون بعضهم وانه سيعمم فی العالم قريبا ٠٠ وهذه المسألة تشـغله اذ لا يدری هل يسمح بادخاله فی القصر أم يرفع التليفونات كلها من هنا ٠٠ تصوری ٠٠ انه غيور غيور الى درجة لا تطاق » ٠

ولم يـكن فی حـديث الملـكة أية مرارة أو ألم بل كانت فی وجهها ٠٠ حسناء فی الثانية والعشرين من عمرها ٠٠ قبلت مصيرها وأصبحت تجد متعة فی وجودها وسط أولادها وجواهرها ولكن ٠٠

وقلت لها : « كان يجب أن تتفقـا قبل الزواج على حدود الغيرة ، وقيودها كما نفعل عندنا فی أمريكا ٠٠

وضحكت جلالتها ضحكة مرحة صافيـة على طريقتها ، وقالت : « يبدو — يا سيدتي — انك مازلت تجهلين تقاليد الشرق . مع ما قيل لي من المامك الشامل بأحواله ، ان الفتاة عنـــدنا تحتجب من ســـن الرابعة عشرة تحطر أول ما تخطر في الثامنة عشرة أو قبلها بأنها ستتزوج فلانا ، وكل ما عليها هو ان تستعد وقد قيل لي وانا في الثامنة عشرة من عمري ان علي آن أستعد لأتزوج السـلطان ولما عارضت وكان العريس يكبرني بسـنوات عديدة تعجبوا ، وقيل لي كيف ترفض بنت الشعب يد السلطان » .

وأخذت جلالتها تضحك في صفاء بينما سبحت وأنا أفكر فيما أعرفه من قصة هذا الزواج ، وكيف قضت ثلاثة أسـابيع في البكاء ، والصراخ ، قائلة انها لا تريد أن تفنى شبابها مع رجل في سن أبيها وانها لا تريد أن تعيش الى جوار رجل لا يعيش في قلب أحد من رعـايـاه ، ثم كيف تغلب نظام الأسرة التركي ، ووجدت هي أن زواجها أصبح أمرا لا مفر منه وكيف ظلت تقاوم حتى آخر لحظة حتى لقد تم الزواج بلا احتفال ولا صخب كما هي العادة ولم يشهده سوى أسرة العروسين من الرجال وسيدتين فقط احداهما مدام قطـاوي ، وطبعـا لم يفرح او يخفق قلب أحد في مصر لزواج الملك المتعجرف الذي كان يعيش في خوف دائم من شعب بلاده .

وتسأل جريس هوستون الملـكة نازلي قائلة : هل ترين الحرية قادمة الى نساء مصر ؟

وترد نازلي على الفور : ان الحرية قادمة لا شك في ذلك ولكنهـا قادمة ببطء وأنا فرحة بها وادعو الله صباحا ومسـاء ، الا تلقى فوزية نفس مصير أمها وأن تستمتع بالحرية فتستطيع أن تتزوج ممن تريد ، وتسافر ، وتذهب ، وتجيء الأمر الذي لا أستطيعه أنا » .

وعبرت غمامة حزن في وجه الملكة — هكذا قالت جريس هوستون — ولكنها ما لبثت أن استعادت مرحها بسرعة وقالت : ان فوزية ستأخذ بثأري لا مناص !

وتسأل الملكة نازلي من قبل جريس هوستون : أظنك على علم بحركة المرأة الجديدة وكفاحها ، فما رأيك فيها ؟

وتقول نازلي : انني أعرف طبعـا شيئا مما يفعلن ، وأنا شـديدة الاعجاب بهن وان كنت لن أجني شـيئا من ثمار حركتهن ولكن سـتتمتع بها فوزية .

وعن هواياتها المفضلة تقول نازلي : انها تحب السـفر ، وقد طلبت من الملك مرارا أن يصـحبها معه في أسفاره فلم يوافق ، لغيرته الشـديدة

عليها كما يقول ، انها لم تسافر الى أوروبا الا عندما كانت فى الثالثة عشرة من عمرها وتقول نازلى انها تحلم بزيارة أمريكا وانها لا نسافر الا الى الاسكندرية التى لا تحبها ، وتفضل عليها اوروبا ولكن الملك غيور غيور جدا .. وتقول الملكة نازلى تعليقا على غيرة الملك أحمد فؤاد . ان هذا حمق وغباء فظيع ! كما تقول أيضا نازلى : انه يصعب عليها أن تحصل على كتاب انجليزى واحد ، عن المرأة . وعندما تسألها جريس هوستون عن الطريقة، التى عليها بها أن ترسل بكتاب أمريكى جديد عن المرأة قالت لها : آرسليه، الى مدام قطاوى ليمر على رقابة الملك قبل أن يصل الى يدى .

وتنهى جريس هوستون حديثها مع نازلى الملكة بقولها .

دخل الخدم ، يحملون ، القهوة ، والفطائر وحينما انتهينا من تناولها وقفت الملكة اشارة بنهاية الزيارة ، ووقفنا وسلمنا مودعين ،وتركت نازلى ملكة مصر . الجميلة كما التفيت بها محوطة بالأزهار النادرة ، تحرسها روح الخديو وفى آخر الردهة استدرت مرة أخرى لأنظر اليها وكانت لا تزال واقفة فلوحت لها بيدى على طريقتنا الأمريكية ، وتناست جلالتها التقاليد ، وأخذت تلوح لى بيدها البضة الجميلة ذات الماسات البراقة : رأيتها هى الأخرى ماسة نادرة ، فى صندوق فاخر ، ولكنه صندوق معتم ، مظلم » .

وكان قد وفد ، الى مصر ، قبل جريس هوستون ، صحفيون أمريكيون نشروا المقالات العديدة ، عن أحمد فؤاد ، الملك الذى يعيش فى القرون الوسطى ، ويعامل زوجته كمملوكة ، لا ملكة ، والذى أغلق عليها باب سجن رهيب ترفضه أية امرأة أخرى من بنات الشعب .

وكان من بين ما كتبه هؤلاء عن نازلى أنها لا تستطيع أن تقابل والدها أو شقيقها الا باذن من أحمد فؤاد ، وكثيرا ما كان يتأخر ، الحصول على هذا الاذن شهورا طويلة بل ان الملكة لم تكن تستطيع أن تزور بيت والدها أو بيت أحد من قريباتها الا باذن خاص من الملك ، على أن تتم الزيارة فى ظل حراسة مشددة لا تستطيع نازلى أن تروى أمامها — أمام الحراسة — أى شيء عما تلاقيه من ظلم ، وعنت وارهاب وحدث ان زارت مصر ، سيدة بريطانية مرموقة تخدم فى البلاط الملكى البريطانى وسمعت الكثير عما تعانيه الملكة نازلى فرغبت فى التعرف عليها ، ولم يستطع الملك أن يرفض طلب هذه السيدة البريطانية لادى سان جريف .

وتملكت نازلى السعادة عندما عرفت بنبأ زيارة لادى سان جريف . ووجدت فى تلك الزيارة فرصة ترجو فيها من السيدة البريطانية ، أن تنقل الى ملكة بريطانيا ، اليزابيث زوجة الملك جورج الخامس رجاءها — أى رجاء

نازلى ـ بأن تتوسط ، وزوجها الملك جورج الخامس ، لدى الملك أحمد فؤاد. لكي يخفف عنها بعض القيود ، المفروضة عليها ٠

وفوجئت الملكة نازلى ، أثناء لقائهـا بلادى سان جريف باصرار مدام قطاوى باشا ، وصيفتها ، على البقاء بل أن نظرات مدام قطاوى لنازلى كانت جامدة للغاية وكأنها تحذرهـا من أية كلمة ســتقولها للادى سان جريف وانتهت المقابلة دون أن تتمكن الملكة نازلى من أن تتصـارح لادى سان جريف بمتاعبها وآلامها ٠ وخلال السبعة عشر عاما التى قضتها نازلى أسيرة سجن الملك أحمد فؤاد ، لم تتمكن الا مرة واحدة من السفر الى الخارج ، وللعـلاج: وكانت الحراسة ، المفروضة عليها لا تمكنها حتى من أن تســتقبل بعض صديقاتها اللاتى كن يقمن بفرنسا وقت وجودها هناك ، للعلاج ٠

وقد ســمعت من بعض النفــاة ، الذين عملوا فى السراى ايام الملك أحمد فؤاد ، ان نازلى كانت سعيدة الى ابعد حدود السعادة ، بوفاة زوجهــا أحمد فؤاد ، حتى عندما جىء بهـا لتلقى نظرة الوداع ، على جسده المسجى فى ردهة قصر عــابدين ، كانت حاسرة الوجه ولأول مرة منذ تزوجت ، أحمد فؤاد ، وكانت تبدو وكأنهــا ذاهبة الى حفلة راقصـة ، وكانت أول تعليمات أصدرتهـا عقب عودتها من رؤيه جثمان زوجهــا طرد الوصيفات ، « والكلفاوات » وخدم القصر ، الذين كان الملك فؤاد وضعهم لمراقبتها ، وفى مقدمتهم ادريس ، الخادم الخــاص للملك ، أحمد فؤاد ـ وموضــع سره وصاحب النفوذ الأول فى السراى بالنسبة لموظفى السراى ٠

ولم تكد أيام الحداد ، على الملك السابق أحمد فؤاد تنتهى حتى انفجرت « نازلى » « وفجرت » كما يقولون ، وبدت مسئوليتها عن كل ما ارتكبته من فضائح ، وجرائم ! وأعود الى ما كتبه الأســتاذ محمد التابعى ، عن الملكة السابقة نازلى وكان الأستاذ التابعى أقرب الناس الى أحمد حسنين ، وأكثر الصحفيين المصريين معرفة بما يجرى فى السراى يقول الأســتاذ التابعى : بالحرف الواحد : بقيت نازلى سجينة القصر ، أو فى قفص من ذهب ، سبعة عشر عاما ، هى الربيع ، وخير ما فى العمر ، وسنوات الصبا ، والشباب ، أخيرا ، تحررت يوم مات « سجانها » الملك ، أحمد فؤاد ، وكان ربيع عمرها ولى ومن بعده الصيف أوشك كذلك أو كاد ٠

وانطلقت نازلى ـ بشراهة ونهم ٠ تنهل من عيون الحياة وتطفىء نار الظمأ الذى أحرق أحشاءها السنوات ، الطوال ٠

وكثر الهمس ، وذكرت أســماء بعض ضــباط الحرس ، وموظفى القصر ، ثم تركزت الشائعات حول اسمين ، وهما أحمد حسنين ، والياور ـ البكباشى يؤمئذ ـ عمر فتحى ٠

وما من شـــك ، في آن ملكة مصر ، يومئذ ، ـ نازلى ـ كانت تريد أن تلهو بالرجلين وأن نضرب أو تضارب أحدهما بالآخر وأن تنير الغيرة فى صدر هذا ضد ذاك وأن تتلذذ بمشاهده ، الغيرة والمنافسة بين رجل الحاشية الوسيم ، وضابط الحرس ، الرشيق ، وأن تعبث ، وتلهو ٠

ولقد سمعت من حسنين هذه الحكاية : طلبت منه الملكة نازلى ذات يوم ، أن يمر عليها فى الساعة كذا لكى يصحبها الى حفلة ما فى المساء ٠

وذهب حسنين باشـا فى الموعد ، ووقف ينتظر ، ثم طلب من احـدى وصـيفات الملكة أن تذكر جـلالة الملكة بموعد الحفلة ، وأن حســـنين فى الانتظار وقالت الوصيفة : ولكن جلالة الملكة غادرت القصر من ساعة وذهبت فعلا الى الحفلة ٠

وسألها حسنين : ذهبت وحدها ؟

قالت الوصيفة : كلا ، فقد صحبها عمر فتحى بك ٠

روى لى ـ للأستاذ التابعى ـ حسنين هذه الواقعة ، قال :

وقد سألت الوصيفة عما اذا كانت جلالة الملكة ، خرجت وحدها وأنا أعرف مقـدما ، أن الجواب سـيكون : أنها خرجت مع عمر فتحى ، فلم تكن تلك أول مرة تحاول فيها أن توقع بينى . وبين صديقى عمر فتحى ٠

ويقول الأستاذ التـــابعى : ولكن لعبه نازلى لم تطل لأن أحد الرجلين ـ عمر فتحى ـ لم تكن له مطامع ولأنه طول خدمته فى القصر كان حريصا ، على أن يكون فى « حاله » وأن يؤدى واجبات منصبه فقط ومن ثم فقد انسحب باختياره ، وترك الميدان خاليا أمام حسنين هذا من جهة ، ومن جهة أخرى، فان احمد محمد حســـــنين ، كان أدهى بكثير مما قدرت نازلى وكان أحمد حسنين يعرف نازلى أكثر مما يعرف ، أى موظف آخر من موظفى القصر ! كان يعرف الكثير عن سجنها وعذابها وغيرة زوجها ، وحسرتها ، وتلهفهـا على الحياة المرحة الطليقة ومن هنا قرر فى نفسه أمرا ، أن يتركها تشده، وتصده ، وتعرض وتقبل وتروح اوتعود ، وأن تغازل هذا تستلطف ذاك ، وهو دائما هادىء يبتسم ، لا يغار ، ولا يثور ، وهو يمد لها فى حبـــال الصيد ، كما يمد الصياد الماهر ، المجرب ، فى خيط السـنارة التى علقت فيها سمكة عنيدة السمكة تشد ، وتجذب ، وتقفز ، وتغوص وتطفو وتقاوم، والصياد يرخى من خيط السنارة ٠ حينا ويشده حينا وهكذا ، الى أن تخور قوى السمكة وتستسلم وهكذا فعل حسنين الى آن تعبت نازلى واستسلمت أو أسلمت قيادها لأحمد حسنين ، وبدأت هى التى تغار ، والتى تحاسـب حسنين أين كان ، ومع من ، وماذا فعل ، وكيف أمضى ســـهرته ؟ الى آخر ما تفعله المرأة التى تحب بعد أن تكون قد جاوزت سن الشباب ٠

ويؤكد الأستاذ التابعى ، ان أحمد حسنين لم يكن يحب نازلى ولكنه كان حريصا على استرضاء ملكة مصر ، وأن ملكه مصر وصاحبه النفود الأعلى عند ابنها فاروق فقد كان فاروق يحب أمه ، ويحترمها ، بل ويخشاها ويخشى غضبها ويعمل لها حسابا ولا يخالف لها أمرا ، وكان أحمد حسنين يعرف هذا كله ويدرك أن الذى يسيطر على نازلى يستطيع عن طريقها أن يسيطر فى نفس الوقت على الملك فاروق .

وقد سبق ، لى أن أشرت الى ما ذكره أنور السادات فى كتابه « صفحات مجهولة » عن سر خطير رواه له ، عزيز على المصرى باشا ، وهو أن أحمد حسنين ، وعمر فتحى ، القيا فى روع فاروق ، عندما كان يتلقى العلم ، فى لندن — وكان عزيز على المصرى قد اختير من قبل فؤاد — ليشرف على تربية ابنه فاروق — ألقى فى وهم فاروق — ان عزيز المصرى مدسوس عليه من أبيه .

وسأل السادات :

أبوه ؟

ويقول عزيز على المصرى : نعم ، فان فاروق كان يبغض أباه أشد البغض ، يبغضه من كل قلبه ، وكان يقدس أمه تقديسا شديدا ، فألقى هؤلاء فى وهمه انى أنا عزيز المصرى ، أشيع الأقاويل عن أمه ، وانى أريد أن ازيلها من الوجود لكى ينفرد أبوه بحبه وانى أعمل الآن على دس السم لها .

ويسأل السادات عزيز على المصرى : عرفت أنت كل ذلك ؟

البـاب الـرابـع

الفصل الأول

الوزراء السعديون يصرون على دخول مصر الحرب
وأغلبية مجلس الوزراء تتهمهم بالخفة والتسرع

● عـذرا ، للقراء وللقارئات اذا كنت قد أطلت فى الحديث عن الملكة نازلى ، وعن رئيس الديوان الأسبق أحمد حسنين باشـا ، وأقول فى البداية كتبرير لتلك الاطـالة ، اننى وكثير من المعاصرين نؤمن ايمانا جازما بأن نازلى وأحمد حسنين كانا فى مقدمة الشخصيات التى أدت الى تدمير الملك السـابق فاروق من الداخل : نازلى بانطلاقتها ، التى لا تعرف الحدود ولا القيود ، وأحمد حسنين ، بطموحاته ، الكبيرة ، والهائلة التى لم تكن تفرق بين الوسائل المشروعة، وغير المشروعة ، وقد فوجئت ، وأنا أغرق نفسى فى موضـوع نازلى ، وأحمد حسنين وعلاقتهما ، المثيرة ، بمن يهمس فى أذنى ممن كانوا مطلعين على بواطن الأمور ويقول لى بالحرف الواحد : « يجب أن تضع الى جانب الشخصيات التى أدت الى تدمير فاروق من الداخل كنازلى ، وأحمد حسـنين ، الملكة السـابقة فريدة » وربما كان ــ صاحبنا ــ يقصد أن فاروق أحب فريدة فلما كفرت بحبه لسلوكه الشخصى المعيب شاركت ببعدها عنه فى تدميره عن غير قصد ٠

وأشهد أننى كدت أصعق ، لما سمعته عن الملكة السابقة فريدة وعن دورها فى تدمير الملك السابق فاروق ، ولم أصدق ما قيل لى لولا أن قائل هذا الكلام ممن أثق ثقة مطلقة فى كلامه وقد آثرت ، أن أرجىء الكلام فى الحديث عن دور الملكة السابقة فريدة الى أن أستمع ، الى آخرين حول تلك النقطة التى لا أعتقد انها قد دارت فى مخيلة واحد من المعاصرين لسنوات ما قبل الثورة ، كما أرجأت الكلام فى هذا الموضوع ، أيضـا الى أن يتجمع لدى الحقـائق الثابتة ، التى تجعلنى قادرا ، على تناول هذا الموضوع ، بالموضوعية والأمانة ، والصدق ، التى هى ــ كما اعتز دائما ــ السمات التى أرجو الله مخلصا ألا أحيد عنها وأنا أحاول ان أكتب عن سنوات ما قبل ثورة ١٩٥٢ بتجرد ، كامل ٠

وأعود ، الى ما أنهيت به حيث قلت ، ان أحمد حسنين باشا ، كان يعرف جيدا ، ان الملك السـابق فاروق ، يحب أمه بل ويقدسها ، وان الطريق الى الوصول الى السيطرة على الملك السابق لا بد وأن يكون عن طريق أمه نازلى .

وقـد استشهدت للتأكيـد على أن فاروق كان يحب أمه نازلى ، بل ويقدسها ، بمـا قاله عزيز على المصرى لأنور السـادات ، فلقد قال عزيز على المصرى : ان فاروق كان يبغض أباه أشد البغض ، يبغضه من قلبه وكان يقـدس أمه تقديسـا شديدا » ومما قاله عزيز على المصرى ، للسـادات : ان أولئك الذين كانوا يريدون زحزحة عزيز على المصرى عن القيام بدوره كرائد لفاروق ، عندما كان وليـا للعهد ، يتلقى العلم ، فى لندن ، القوا فى روع فاروق ، ان عزيز المصرى يشيع الأقاويل عن أمه نازلى وانه يريد أن يزيلها من الوجود لكى ينفرد أبوه بحبه ، وأن عزيز على المصرى ، يعمـل على دس السم لأمه نازلى : وأضيف اليوم ، الى ما سبق ذكره فى الفصل السابق قول عزيز على المصرى ، كرد على سؤالين سألهما له السادات : اننى عرفت ذلك ـ أى مؤامرات المحيطين وقتئذ بفاروق ـ يوم أرسل فاروق ، الى أبيه خطابا يهدده فيه « ان لم يسحبنى فورا من مهمتى ، وقد سحبنى أبوه ، فعلا وتركته لهـذين المفسدين ـ أحمد حسنين وعمر فتحى ـ يفسدانه على نفسـه ، ويفسـدانه أيضا ، على وطنه ثم تلاحقت الدسائس ، والمؤامرات لتقصينى ، عن كل مكان أستطيع فيه ان أوجه الشباب لأن فاروق يعرف ، كيف أوجه أنا الشباب » .

وأعود مرة أخرى الى ما كتبه الأستاذ محمد التابعى ، من أحمد حسنين باشا ـ وكان الأستاذ التابعى كما ذكرت أكثر من مرة ، على صلة وثيقة بأحمد حسنين باشا ، كما أنه كان ـ وتلك ميزة من مميزات الأستاذ التابعى ـ ممن أنصفوا أحمد حسنين بعد وفاته ، ولم يقبل ، كما قبل آخرون ، أن ينهشوا فى سيرته ـ بعد أن لقى ربه ـ ممن كانوا أقرب الناس أليه فى حياته ، بل كانوا من صنائعه .

يقـول الأستاذ التـابعى وهو يروى غرام الملكة نازلى بأحمد حسنين : « ان القصة بدأت تأخذ الصورة العلنية مع بداية رحلة فاروق ، وأمه الى أوروبا فى ٢٧ فبراير ١٩٣٧ ، وكان أحمد حسنين لم يقبل أن ترافقه زوجته السيدة لطفية يسرى فى هذه الرحلة ، كما فعل آخرون من حاشية الملك ، وكيف أدى عدم قبوله مرافقة زوجته له فى تلك الرحلة الى اشعال النار فى بيته .

وفى تلك الرحلة بدأ أحمد حسنين يفرض وصايته على الملكة السابقـة نازلى ، الحريصة على الانطلاق الى أبعد حدود الانطلاق ، كما بدأ الحديث ينتشر فى مصر ، وفى الخارج ، من وجود علاقة خاصة تربط الملكة الأم ، بأحمد حسنين الأمين الأول للملك الذى لم يكن قد ولى سلطاته الدستورية .

ويقول الأستاذ التابعى : وقد كان الصحفى المصرى الوحيد الذى رافق ، ـ وعلى نفقته الخاصة ـ الملك فى رحلته تلك : « ان الأثر الذى انطبع يومئذ فى

نفوسنا هو أن نازلى هى التى تجرى وراء حسنين ، وأن حسنين « تقيل »
ثم لعله كان يتعمد أن يثير غيرة نازلى عليه فى بعض الظروف ، فقد لاحظت أن حسنين باشا كان يحرص على التودد ، والتظرف ، والتحدث مع كل سيدة أو آنسة جميلة يلقاها فى قاعة الفندق ، اذا كانت الملكة نازلى موجودة ، بل كان يطلب منا اذا رأى مع أحدنا فتاة جميلة من المقيمات فى الفندق أن يقدم اليها ، ثم يدعوها للرقص ، أو لتناول شراب ما ، كل هذا اذا كانت الملكة نازلى موجودة ترى وتسجل ، وتنقر بأصابعها على المائدة ، الصغيرة ، أو على ذراعى المقعد ، بغضب ، وعصبية ، أما اذا لم تكن موجودة ، فان حسنين كان قليل الاكتراث بالسيدات والآنسات ، وكان لا يتحرك لدخول أية جميلة مهما كان جمالها يبهر الابصار أو يلفت الأنظار .

وأكبر ظنى — ظن الأستاذ التابعى — ان فاروق لم يكن يومئذ يخامره أى شك فى سلوك أمه ، أو فى حقيقة علاقتهـا بأحمد حسنين : كان فاروق يومئذ لا يزال يحسن الظن بأمه ، ويحسن الظن برائده أحمد حسنين ، ان أحدا منا لم يكن يعتقد ان حسنين باشا ، ممثل بارع ، وان كل اشارة منه بحساب وكل خطوة بحساب ، وكل نظرة ، وكل عبارة موزونة بالدرهم ، والمثقال وانه — فى كلمة واحدة — لا يفعل شيئا اعتباطا ، أو لوجه الله .

انه لم يكن يحب نازلى ، وهذا أمر كان مفروغا منه ، عند الذين يعرفون أحمد حسنين ، ولكنه كان حريصا على أن تحبه هى ، ومن هنا كان يتعمد أن يثير غيرتها لماذا ؟ لماذا يحملها على أن تحبه ، بينما هو لا يحبها ؟ لكى يخضعها لارادته ، ويسيطر عليها ، وقديما قالوا : ان الأقوى بين كل محبين اثنين ، هو الذى يحب أقل من صاحبه » والذى يسيطر على نازلى ، يسهل عليه أن يسيطر — من ورائها — على فاروق .

وكان الأمر واضحا لكل ذى عينين ، وقد كنا فى أوربا فى صيف عام ١٩٣٧ .

وعاد أحمد حسنين من رحلة أوربا ليجد النار — كما يقول الأستاذ التابعى مشبوبة فى بيت الزوجية والألغام مهيأة للانفجار ، وليس صحيحا ، أبدأ — كما تأكدت تماما — ان لطفية هانم زوجة أحمد حسنين باشا كانت هى التى طبعت أزجال بيرم التونسى فى أحمد فؤاد ، ونازلى ، وابنهما فاروق ، فأسلوب المنشورات لا يتفق أبدا مع رقة لطفية هانم ولا مع ما عرف عنها من تعال عن الالتجاء الى مثل هذه الأسلحة ، الرخيصة ، وربما كان موضوع المنشورات تلك من الأمور التى افتعلها البعض للنيل من الملكة نازلى ومن فاروق نفسه ، خاصة وأن الكثيرين — وفى مقدمتهم الأمير محمد على توفيق الذى كان وقتئذ رئيسا لمجلس الوصـاية ، على فاروق — كان لا يطيق نازلى ، لأنها ليسـت من الأسرة المالكة ، ولأنها كانت تحتقره ، وهو بدوره كان يبادلها احتقارا باحتقار ، وربما

لجأ بعض أنصار محمد على توفيق الى طبع تلك المنشورات تقربا منه ، وربما كانت قضية المنشورات كلها من الألف الى الياء ،لا أساس لها من الصحة .

ويقول الأستاذ التابعى : أن مراد محسن باشا كان ينافس حسنين باشا على السلطة ، وعلى مركز الرجل الأول فى القصر ، وقد كان مراد محسن باشا قد سافر الى أوروبا لمقابلة الملك فى مهمة رسمية ، ثم عاد منها بعد أيام حاملا الكثير من القصص ، والروايات عن أحمد حسنين ، وعلاقته بالملكة الأم ، وليس صحيحا أيضا أن حكاية المنشورات تلك وتوجيه لطفية هانم الاهانات الى الملكة السابقة كانت من بين الأسباب التى أدت الى طلاق أحمد حسنين من السيدة زوجته ، لأن موضوع المنشورات ، أو توجيه الاهانات الى الملكة السابقة نازلى كان فى منتصف عام ١٩٣٧ ، بينما واقعة الطلاق ، لم تتم الا فى عام ١٩٤٢ .

وحتى تكون الصورة متكاملة ، وكل الآراء مطروحة نقول أن مراد محسن باشا -كما نسب اليه - قال أنه يعرف أكيدا أن الملك فاروق يكره حسنين فى قرارة نفسه ، ولكنه كما يظهر ويبدو من تصرفاته يخافه ، ويتقى شره ، وحسنين يعرف ذلك ،ومن هنا يعمل من جانبه على اتقاء بطش الملك ، عن طريق السيطرة التامة على أم الملك ، الملكة نازلى وهناك - بالمقابل - آراء أخرى قد يصفها البعض بالشطط - وهى أن أحمد حسنين لم يكن بدوره يحب الملك فاروق ولم يكن أبدا يعمل لصالحه ، بل أن علاقة أحمد حسنين بأمه نازلى كانت جزءا من خطة موضوعة لتدمير الملك فاروق من الداخل .

وأصحاب هذا الرأى يقولون أيضا أن أحمد حسنين لم يكن يحب نازلى ولا فاروق وانما كان يحب نفسه ونفسه فقط وأنه كان حريصا - وباستمرار - على ارضاء الجانب الانجليزى صاحب القوة الكبرى في مصر ويستدل أصحاب هذا الرأى بأن دار السفارة البريطانية قد غضبت الى أبعد حدود الغضب عندما أثير - فى مجلس النواب - موضوع مطالبة احدى المدارس الصناعية مرة ومرتين لأحمد حسنين باشا لكى يسدد ما عليه من ديون لها ، لأنها صنعت له أثاثا لم يدفع ثمنه .

فى تلك الجلسة ، التى أخرج منها فكرى أباظة - رحمه الله - بقوة البوليس لتحذيره مجلس النواب من التطرق ، الى مثل هذا الموضوع الدقيق الخاص بذمة رئيس الديوان الملكى ، بعد ساعة واحدة من انتهاء تلك الجلسة ذهب سير والتر سمارت السكرتير الشرقى لدار السفارة البريطانية فى القاهرة ليقابل رئيس مجلس الوزراء مصطفى النحاس باشا ليقول له بالحرف الواحد : ان الحكومة البريطانية التى تؤيد بقاء وزارة رفعته ضد رغبات القصر نفسها ، والحالة هذه مسئولة عن تصرفات الوزارة وانها لا تقر تصرفات نوابه فى جلسة اليوم ، وتنظر الى هذه الحملة ضد رئيس الديوان بعدم الارتياح ويرجو سمارت من رئيس الوزارة أن يعمل شيئا يزيل به الأثر السيىء الذى خلفته تلك

الحملة الظالمة في النفوس ، واقترح جنابه أن يحذف من مضبطة الجلسة كل ما قيل حول حسنين باشا •

ووافق النحاس باشا •

وتم فعلا حذف ما دار في تلك الجلسة عن أحمد حسنين باشا •

ويقول أصحاب هذا الرأى أيضـا ، ان الملك فاروق عندما رشح أحمد حسنين لرياسة الوزارة بعد شهور من حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ كان يريد أن يضرب الوفد بأحمد حسنين وكان له ثقة مطلقة من أن الانجليز سوف يرحبون بحسنين باشا ، رئيسا للوزارة و • و • وغير ذلك كله من الآراء التى وأن لم أقتنع بها شخصيا ، الا انني سوف أناقشها عندما يجيء دورها •

وأعود الى ما قاله مراد محسن باشا ، من أن فاروق لم يكن يحب أحمد حسنين في قرارة نفسه ولكنه كان يخافه ويتقي شره فأقول : انني أميل الى حد ما لهذا الرأى الذى قد يبرره رفض الملك فاروق ، تعيين أحمد حسنين باشا رئيسا للديوان الملكى واصراره على هـذا الرفض ، لولا اصرار حسن صبرى باشا ـ بدوره ـ على تعيين أحمد حسنين باشا رئيسا للديوان الملكى وتهديده ـ أى حسن صبرى باشا ـ بأحداث أزمة وزارية لم يكن الملك فاروق مستعدا لها خاصة بعد هزيمته فى معركة على ماهر باشا وتأكده أن عرشه كان على وشك أن يطير منه لو انه استمر فى تأييده لعلى ماهر باشا ووزارته •

وعلى أية حال سواء ، أكان فاروق يحب أحمد حسنين أم يكرهه أو كان أحمد حسنين يحب فاروق أم يكرهه ، فلقد أصبح أحمد حسنين باشا رئيسا لديوان الملك : هو الذى يتحكم عمليا فى سياسة القصر بل هو وحده الآمر الناهى فى القصر خاصة وأن السياسى ذا الناب الأزرق ، الذى كان الملك فاروق يحترمه ، ويثق فيه ، ونعنى به على ماهر باشا قد أقصى بناء على تعليمات من بريطانيا عن الوزارة ، بل أقصى عن الحياة العامة تماما ، حتى دوره كعضو فى مجلس الشيوخ لم يكن بقادر على أن يؤديه كما يجب • لأن بريطانيا لم تكن مكتفية بتحديد اقامة على ماهر باشا فى قصره الأخضر بل كانت تطلب باستمرار من حسن صبرى باشا أن يعتقل على ماهر باشا لأن له نشاطا قويا معاديا للحلفاء » وسوف نعود فيما بعد الى الحديث عن قصة المطالبة باعتقال على ماهر باشا والتجائه الى مجلس الشيوخ وتحديد اقامته فى القصر الأخضر •

وننتقل بعد ذلك كله الى الحديث عن أخطر أزمة واجهت وزارة حسن صبرى باشا عندما رأى الوزراء السعديون اعلان الحرب على ايطاليا أن توغلت قواتها فى منطقة الصحراء الغربية وتقدمت فى سبتمبر واحتلت السلوم ، وبقبق وسيدى برانى فى يوم ١٦ سبتمبر ١٩٤٠ ، ولما لم يؤخذ برأى الوزراء السعديين تقدموا ـ محمود فهمى النقراشى ، محمود غالب ، ابراهيم عبد الهادى ، على أيوب ـ باستقالة مسببة وقدموها فى ١٩٤٠/٩/٢١ وقالوا فيها :

اجتمع مجلس الوزراء لتحديد موقف مصر ازاء هجوم الجيش الايطالى على أراضيها وتوغله فيها ومحاولة تثبيت أقدامه بها مما لا يدع مجالا للشك فى تصميمه ، على غزوها خلافا ، لما أعلنه السنيور موسولينى من أنه لا يضمر اعتداء عليها •

ورغما عما حرصت عليه من تجنب أى تحرش أو استفزاز من جانبها فكان رأينا أنه لا محل للتردد فى المبادرة لتعزيز الدفاع عن البلاد والتقدم بهذا القرار الى البرلمان ، تنفيذا للخطة التى حددتها الحكومة من قبل بشأن الحرب أمام المجلسين فأقرأها عليها تلك الخطة الصريحة فى وجوب الدفاع عن البلاد اذا توغل العدو فى أرضيها :

ولسنا بغافلين عما تتعرض له مصرنا العزيزة من ويلات الحرب ولكن خيرا لمصر وأكرم لعزتها وأصون لاستقلالها بأن تتحمل هذه الويلات من أن تحمل عار الجبن والاستكانة والاعتماد على غيرها فى الدفاع عن نفسها •

وبما أن أغلبية مجلس الوزراء لم تشاطرنا هذا الرأى فلا يسعنا أن تتضامن معها فى تحمل مسئولية ما ذهبت اليه من أن الحالة لم تصل بعد الى ما يقتضى اتخاذ موقف ايجابى وعرضه على البرلمان •

لذلك نتشرف بتقديم استقالتنا راجين التفضل بقبول وافر شكرنا على ما لقيناه من دولتكم ومن حضرات أصحاب المعالى الزملاء من حسن التعاون وكريم الزمالة •

ورغم رقة خطاب استقالة الوزراء السعديين ورغم موضوعيته وبعده عن الجدل العقيم واكتفائه بابداء وجهة نظر ــ صائبة كانت أم خاطئة ــ الا أن أصحابها راحوا ، يعرضونها قلما فشلوا فى اقناع زملائهم بها آثروا ترك المنصب الوزارى ، رغم ذلك فان خطاب قبول الاستقالة كان قاسيا وعنيفا للغاية ولعل هذا الخطاب لا سابقة له ، لأنه وصف زملاء كانوا الى ما قبل تقديمهم الاستقالة وزراء ، مشاركين فى الحكم بالخفة ، والتطير من كل حادث أو طارىء وفيما يلى نص الخطاب الذى بعث به حسن صبرى باشا الى الوزراء المستقلين •

حضرة •••

شئتم ان تسجلوا فى كتاب استقالتكم الذى وقعتموه مع زملائكم الثلاثة أمورا رأيتها الى الاغراق والتطير أدنى منها الى القصد والانصاف وانه ليؤسفنى أن أرانى مضطرا أن أسجل من ناحيتى فى الرد عليكم الحقيقة سافرة وضعا للأمور فى نصابها فقد فرضتم على مجلس الززراء أنتم وزملاؤكم اقتراحا خطيرا يرمى الى الزج بالبلاد وفورا فى أتون الحرب ومعمعانها من غير مصلحة ظاهرة أو ضرورة ظاهرة فرفض المجلس بالاجماع اقتراحكم وظللتم وحدكم مقدميه ومؤيديه ورأى اخوانكم ان التريث أحق وأخلق حين البت فى مصائر البلاد وأقدارها حتى تنكشف خفايا النيات وتتأكد بوادر الغايات •

متى كانت مصائر الامم تعالج بالخفة والتطير من كل حادث أو طارىء وانما تساس وتعالج بالروية والتدبر وتقدير العواقب : ان سلامة الوطن يجب أن تظل وحدها غاية الغايات ·

واذا كان واجبنا فى الأوقات العادية فهو فى هذه الأوقات العصيبة الزم وأوجب ·

وانى اذ أبلغكم قبول استقالتكم أقدم لكم خالص الشكر على ما سلف من جهودكم وصادق معونتكم وأرجو لكم التوفيق فى خدمة البلاد واستمرار المعاونة على ما فيه الخير العام وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ·

رئيس مجلس الوزراء : حسن صبرى ·

وقبل أن أتحدث وبالتفصيل عن أهم وأخطر أزمة وزارية تعرضت لها وزارة حسن صبرى باشا ، أقول ان الموقف الذى وقفه الوزراء السعديون كان بحق ناتجا عن قناعة شخصية لديهم ولدى رئيسهم أحمد ماهر باشا بالذات من ان مصلحة البلاد تقتضى الدخول فى الحرب الى جانب الحلفاء ، وقد دفع أحمد ماهر باشا فى فبراير ١٩٤٥ حياته ثمنا لهذه القناعة ، وأقول أيضا ان موقف حسن صبرى باشا من زملائه كان موقفا متعجرفا الى حد كبير ، فقد كان الرجل واثقا ، الى أنه سيد الموقف ولذلك فلم يكن يولى أية أهمية لحزب الهيئة السعدية الذى كان له قرابة التسعين نائبا فى مجلس النواب ، وقد كان حسن صبرى باشا يستطيع أن يعالج الأزمة الوزارية بشىء من الحكمة والصبر ولا يفرط فى شركائه فى الحكم بسرعة والملاحظ ان استقالة السعديين قبلت على الفور ، وبعد ساعات من تقديمها الى رئيس مجلس الوزراء ناهيك عما فى خطاب قبول الاستقالة من ألفاظ عنيفة وقاسية ، كما سبق أن أشرنا ·

وبعد ذلك العرض السريع للأزمة ندخل فى التفاصيل :

يقول د· يونان لبيب رزق : بالرغم من ان حسن صبرى لقد انتهج حيال الحرب نفس الموقف الذى انتهجه على ماهر ، بتجنيب مصر ويلاتها ، الا أن خطة التعاون التى التزم بها حيال الحليفة قد أدت ، الى تحسن الأمور بين الطرفين وعلى نحو واضح ، ولكنه فى نفس الوقت أدى الى توتر العلاقات مع السعديين الذين كانوا يشكلون أهم المجموعات ، الحزبية ، التى تتألف منها وزارته ·

فبعد أسابيع قليلة من تشكيل الوزارة بدأ الدكتور أحمد ماهر رئيس الهيئة السعدية ورئيس مجلس النواب فى شن حملة سياسية تستهدف أن يكون لمصر ، دور ، أكثر تحديدا فى الحرب ، وتعزو المصادر البريطانية هذه الحملة ، الى عدة دوافع منها ايمانه حقيقة بأن ذلك سيكون من مصلحة مصر ، ومنها انه كان يأمل من خلال هذه الحملة فى الوصول الى رياسة الوزارة ·

وقد نتج عن هذه الأهداف المتعارضة لسياسة كل من حسن صبرى والسعديين توالى الأزمات بين الطرفين وأولى هذه الأزمات نتج عن القرار الخاص بنقل النقراشى من وزارة الداخلية الى وزارة المالية ، وبينما يرى المراقبون ان القرار المذكور كان معقولا ، للغاية فانهم يرون أن طريقة رئيس الوزراء فى تنفيذه ، كانت فجائية وفظة الى درجة كادت تؤدى الى استقالة كل الوزراء السعديين ، بل أكثر من ذلك الى استقالة بعض الوزراء ، الدستوريين .

الأزمة الثانية صاحبت محاولات التقدم الايطالى فى الأرض المصرية منذ ١٤ سبتمبر ١٩٤٠ والتى وصل فيها الايطاليون الى سيدى برانى فورا أصدر أحمد ماهر ، عدة بيانات يتحدث فيها من أن هذا الغزو يستلزم اشتراك مصر فى الدفاع عن أراضيها .

وقد انتهت المناقشات حول هذه البيانات فى مجلس الوزراء بالتصويت حول سياسة الوزارة وحصل الرجل ــ حسن صبرى من خلال عملية التصويت ــ على ثقة وزارية ، ولم يكن هناك مندوحة أمام الوزراء السعديين سوى الانسحاب من الوزارة فى مواجهة هذا الموقف وبخروج السعديين من الوزارة بما لهم من أغلبية فى البرلمان ، كان لا بد أن يتمخض عن ذلك حرج لوزارة حسن صبرى ، الا أن هذا الحرج قد تأجل لنحو شهرين الى حين افتتاح الدورة البرلمانية فى ١٤ نوفمبر ١٩٤٠ .

وفى تلك الأثناء كان واضحا وبالرغم من ضعف مركز الوزارة ، ان أحدا لم يكن راغبا فى التخلص منها : القصر : كان راغبا فى بقائها خوفا من أن يؤدى سقوطها ، الى عودة الوفد ، أو رئاسة أحمد ماهر ، للوزارة وكان القصر ، يعارض سياسته النشيطة فى الحرب أما الأحرار الدستوريون ، فقد كانوا فى حالة انقسام بعد ابتعاد القيادة القوية ، وكذلك الوفد لم يكن مشغوفا بتحمل مسئولية الحكم فى هذه الأوقات ، الحرجة من تاريخ البلاد » .

وكان حسن صبرى باشا قد أجرى فى وزارته تعديلا سريعا تولى بمقتضاه حسين سرى باشا وزارة المواصلات الى جانب وزارة الأشغال التى كان يتولاها ، أصلا كما عهد الى عبد الحميد سليمان باشا بتولى وزارة المالية وصليب سامى وزارة التجارة والصناعة بدلا من التموين ، كما تولى ــ بمقتضى ذلك التعديل ــ عبد المجيد صالح وزير الدولة وزارة التموين .

ويقول د. محمد حسين هيكل ، أن حسن صبرى باشا وقبل أن يصله التكليف الرسمى بتأليف الوزارة ، اتصل بالسفير البريطانى ، وكانت بينهما مودة ليطمئن ، على ألا تتعرض وزارته ، بعد تأليفها لما تعرضت له وزارة على ماهر باشا من قبل الحكومة البريطانية فلما اطمأن الى ذلك ألف الوزارة من الأحرار الدستوريين ، ومن السعديين ومن المستقلين ولم يناقش أعضاء الوزارة

فى برنامجها فلما اجتمع مجلس الوزراء ، بعد اجتماعه التقليدى الأول أثيرت مسألة الحرب وموقف مصر منها ولم يكن طبيعيا فى ذلك الظرف ، أن تثار مسألة داخلية رغم شعور الأحرار الدستوريين بأن اسناد وزارة الداخلية الى محمود فهمى النقراشى باشا نائب رئيس الهيئة السعدية ، فيه مساس بحزبهم لا يسهل عليهم قبوله ، وذلك لأن وزير الداخلية هو المتصل ، بمصالح الأعيان فى الأقاليم وهو المتصرف فى شئون العمد ، وهو صاحب الأمر ، والنهى فى رجال الادارة وهو الذى يستطيع لذلك أن يفيد حزبه على حساب الأحزاب الأخرى فائدة جسيمة : أثيرت أذن مسألة الحرب ، وموقف مصر منها ولم يكن الطليان الى يومئذ قد قاموا بأكثر من مناوشات على الحدود ، التى تفصل بين مصر ، وبرقة فلم يتخطوا حدود مصر ، ولم يعتدوا على شبر من أراضيها واذا كانت وزارة على ماهر قد أعلنت أن مصر ستدافع عن أراضيها ، اذا اعتدى عليها فقد تم الاتفاق فى هذه الجلسة الأولى من جلسات مجلس الوزراء ، على أن تحارب مصر ، الطليان اذا تقدموا ، الى مرسى مطروح ، أول مرفأ مصرى على البحر الأبيض المتوسط ، وأول مركز للقوات المصرية المسلحة فى صحراء مصر الغربية ·

ولم يكن لمصر ، أن تعلن حربا لمجرد اجتياز الطليان الحدود عند السلوم لأن القوات المصرية لم تكن ترابط هناك وبين السلوم ، ومرسى مطروح ثلاثمائة كيلو من جهة الصحراء ، لم يحسب من قبل حساب الدفاع عنها فلا مسوغ لأن تعلن مصر ، الحرب ، دفاعا عن هذه المنطقة وهى لا تملك هذا الدفاع ، ولا تريد أن تجعل من اعلان الحرب مظاهرة كلامية لا حربا بالفعل · اتفق رأى الوزراء جميعا على هذا الرأى ، ثم رأى محمد محمود باشا أن تثار مسألة وزارة الداخلية وطلب الى عبد المجيد ابراهيم صالح « بك » وكان وزير دولة فى الوزارة ، أن يبلغ حسن صبرى باشا اصرار الأحرار الدستوريين على أن يكون وزير الداخلية مستقلا ، اذا هو أراد الاحتفاظ برجال الحزب فى وزارته ووعد حسن صبرى باشا بتحقيق هذا الطلب بأسرع ما يستطيع » ويقول د· هيكل أن حسن صبرى باشا لم يتمكن من الوفاء ، بوعده ، طوال ثلاثة أسابيع كما يقول أيضا أن محمد محمود باشا ، كان من رأيه أن يستقيل الوزراء ، الدستوريون من الوزارة وان محمد محمود باشا قد بلغ رغبته تلك الى عبد المجيد ابراهيم بك عن طريق رسول خاص بلغه عبد المجيد ابراهيم بك بأن الوقت ، غير مناسب لاستقالة الوزراء الدستوريين ، خاصة بعد أن استجاب حسن صبرى باشا الى مطلبهم بابعاد محمود فهمى النقراشى باشا من وزارة الداخلية وان عبد المجيد ابراهيم بك ، لم يشأ أن يبلغ أعضاء حزب الأحرار الدستوريين ، رغبة رئيسهم حتى لا يتخذ الحزب قرارا يعارض رغبة رئيسه ·

وقد قيل أن محمد محمود باشا كان يرى أن حسن صبرى باشا لن يجيب السعديين ، الى مطالبهم بدخول الحرب فآثر أن يستقيل وزراء الأحرار

الدستوريين لاحداث أزمة وزارية يجيء ، على أثرها أحمد ماهر باشا رئيسا للوزارة !!

ومما يذكره د. هيكل عن اجتماع مجلس الوزراء الذى بحث فيه أعضاؤه موضوع الحرب ، أن الوزراء السعديين أثاروا هـذا الموضـوع ، ولم يكن الايطاليون قد وصلوا الى مرسى مطروح ، وأن الدكتور هيكل قد أكد أن بحث مسألة الحرب لا مبرر له الآن اذ الايطاليون لا يزالون فى سيدى برانى وبين سيدى برانى ومرسى مطروح مائة كيلومتر .

ولكن حسن صبرى باشا – كما يقول د. هيكل – رأى أنه من الخير أن يفصل منذ اليوم فى هذا الموضوع بعد أن يتناوله بالمناقشة .

ويقول د. هيكل أن حسن صبرى باشا كان من رأيه ألا تعلن مصر ، الحرب حتى لو أن الايطاليين دخلوا القاهرة : فموقفنا فى هذه الحرب موقف معاونة ، لحليفتنا انجلترا فى حدود المعاهدة المعقودة بين البلدين وايطاليـا تحارب انجلترا ، ولم نعلن الحرب على مصر ، وقد تحدثت – حسن صـبرى باشا – الى السياسيين والى العسكريين ، البريطانيين واتفقنا رأيا ، على أن بقاء مصر دولة غير محاربة أجدى على انجلترا من اعلانها الحرب على ايطاليا أو المحور وما دام الأمر ، كذلك فيجب أن تكون سياستنا تجنيب مصر ويلات الحرب ما استطعنا وكل اعتبار لا يمكن ان ينهض الى جانب هذا الاعتبار ، وتشبث السعديون بموقفهم ودافعوا عنه بأن كرامة مصر تأبى عليها ، أن تطأ أرضها قوات أجنبية فلا تدافع عن نفسها وانه اذا كان واجبا على مصر ، أن تعاون حليفتها فى الحرب من غير أن تشترك معها فاما أن يكون ذلك حين لا تكون مصر ، نفسها ميدانا للحرب فى هذه الحالة تكتفى مصر ، بأن تقدم لبريطانيا ، داخل حدودها ما نصت عليه المعاهدة من صنوف المعاونة ، أما ان تكون أرض مصر ، ميدانا للحرب ، فلا تدافع عنها فذلك هو التسليم بأن انجلترا تدافع عن مصر ، وأن مصر ، فى حمايتها أما أن تدفع مصر ، من يدخلون أرضها وتعاونها انجلترا فى ذلك بوصفها حليفتها فهـذا الحفاظ على الكرامة القومية وعلى الاستقلال وهو الذى يدفع عن مصر تهمة قبولها حماية انجلترا اياها .

الفصل الثانى

د ٠ أحمد ماهر باشا أشجع سياسى مصر عرفته سنوات ما قبل الثورة

سبق أن تحدثنا عن أعنف أزمة مرت بوزارة حسن صبرى باشا ، عندما أصر الوزراء السعديون على ضرورة دخول مصر الحرب وعندما أصر حسن صبرى باشا بدوره ـ وكان ذلك غير منتظر منه ـ على ضرورة الالتزام بسياسة وزارة على ماهر باشا السابقة الخاصة بتجنيب مصر ، ويلات الحرب : يقول دكتور محمد حسين هيكل باشا ـ وكان وزيرا ، للمعارف فى وزارة حسن صبرى باشا ـ أنه قبل اجتماع مجلس الوزراء للمرة الثانية لاستكمال بحث موضوع دخول مصر الحرب اتصل بحسن صبرى باشا ، ليعرف منه حقيقة الموقف ، وسر تصلبه ازاء مطلب الوزراء السعديين ، بضرورة دخول مصر الحرب ، الى جانب الحلفاء فاذا بحسن صبرى باشا يؤكد ، للدكتور هيكل باشا ، ان الانجليز انفسهم مقتنعون ، بخطة حسن صبرى باشا فى بقاء مصر ، دولة غير محاربة ٠

ويذكر أيضا الدكتور هيكل باشا قول الشيخ الأكبر محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الازهر من أنه لاناقة لمصر ، فى هذه الحرب ، ولا جمل ٠

وللشيخ الاكبر ـ كمايقول د٠ هيكل ـ فى المقامات المصرية ، العليا أثر لا يمكن تجاهله وعندما يجتمع مجلس الوزراء ، ويثار من جديد موضوع دخول مصر الحرب استكمالا للمناقشة ، التى بدأت فى الجلسة السابقة بدأ للوزراء ، كما يقول د٠ هيكل ٠ ان حسن صبرى باشا كان معتزما أمرا وقد عرض الأمر للتصويت فكان السعديون وحدهم هم الذين قالوا باعلان الحرب وأبدى حسن صبرى باشا ان هذه مسألة جديدة لا يمكن التعاون مع اختلاف الرأى فيها فهى تتقدم كل ما سواها وتتصل بشئون الحكم كلها ، فلما رأى السعديون ذلك منه وان لا مفر من تركهم مناصبهم فى الوزارة خرجوا منصرفين يقدمون استقالتهم ٠

ولم يبطىء حسن صبرى باشا بل استصدر المرسوم الملكى باحلال وزراء الدولة محل الوزراء المستقلين ، وتولى هو وزارتى الداخلية والخارجية ، وبهذا تم تعديل الوزارة من غير حاجة الى ادخال عناصر جديدة فيها • وعن اثر استقالة الوزراء السعديين ، يقول د• هيكل : ان الاستقالة لم تثر دهشة الرأى العام وكأن الرأى العام ــ فيما عدا السعديين ــ قد رحب بنظرية تجنيب مصر ، ويلات الحرب ايما ترحيب ، وكان ينظر بعين الريبة ، الى الدعوة ، لاعلان مصر ، الحرب على المحور هــذا الى جانب أن الملك ، كان يؤيد النظرية التى يؤيدها الرأى العام •

وكان الانجليز قد انتهوا ، الى عــــدم معارضــتها ويدافع أحمد ماهر ، عن رأيه أمام البرلمان ، ويطرح حسن صبرى باشا الثقة بوزارته ، على البرلمان فيحصل على أغلبية تؤيدها ، ويطلب السفير البريطانى من رئيس الوزارة ، اعتقال على ماهر باشا فيرفض حسن صبرى باشا بل يؤكد اعتزامه على الاستقالة اذا تشبث السفير البريطانى بطلبه فيتنازل السفير مؤقتا ، عن طلب اعتقال على ماهر باشا ولكنه فى نفس الوقت يطلب ابعاد عبد الوهاب طلعت باشا وكيل الديوان الملكى من القصر الملكى بحجة أنه متشبع بسياسة على ماهر باشا منذ كان رئيســا للديوان ثم رئيســا للوزارة ، ومن بينهم جمــاعة من أصل ايطالى يعملون فى وظائف مختلفة بالسراى ، وقد رأى الملك فاروق فى هذا الطلب من المساس بذاته ما لا يسمح بالنظر فيه ، وتدخل حسن صبرى باشا فى الامر، للتغلب على حالة توشك ان تتكرر ، فقد وقر فى نفس السفير البريطانى ، ان « جلالته محورى الهوى » يميل الى الالمان والى الايطاليين ويتمنى لهم النصر على الانجليز ويزيح د• هيكل السر ، عن نقطة كانت غامضة عند البعض ، بخصوص تعيين أحمد حسنين باشا رئيسا للديوان الملكى ، فيقول انه دخل يوما على حسن صبرى باشا بمكتبه بوزارة الخارجية فسأله حسن صبرى باشا فيمن يصلح رئيسا للديوان الملكى ، ذلك أن الديوان لم يعين له رئيس منذ أن انتقل على ماهر باشا من رئاسته الى رياسة الوزارة ، بل عين وكيله عبد الوهاب طلعت باشا رئيسا بالنيابة ، ويقول د• هيكل : لما وجه الى حسن صبرى باشا هذا السؤال قدرت أنه يريد أن يتفادى تكرار الموقف ، الذى نشأ عما طلبه السفير البريطانى خاصا برجال القصر ، وذلك بتعيين رئيس للديوان لا مطعن على ميوله من ناحية الانجليز ، وفكرت فى الأمر هنيهة ثم اقترحت تعيين أحمد حسنين باشا ، وكان يومئذ الأمين الأول للملك ، فحسنين باشا رجل تلقى علومه العليا بجامعة اكسفورد ، وله أصــدقاء كثيرون من البريطـانيين ، وكان موضع ثقة الانجليز فى الحرب العالمية الأولى حين كان سكرتيرا ، للجنرال مكسويل وقال حسن باشا لدى سماعه اقتراحى ، لقــد فكرت ، أنا كذلك فى حسنين باشا ولا أشك أن الملك يرحب بهــذا الاختيار فحسنين من أكثر النــاس اخلاصــا لشخصه منذ كان رائدا له ، أيام ارسله والده لتلقى العلم فى انجلترا •

وبعد أيام قلائل عين الملك حسنين باشا رئيسا للديوان الملكى ، ثم أعفى عبد الوهاب طلعت باشا من خدمة الديوان مشكورا ٠

ويقول د٠ هيكل ، وهو يعطي من قريب صورة صادقة عن حياة حسن صبرى باشا : كانت هذه المواقف ــ تعيين أحمد حسنين ، واخراج ، عبد الوهاب طلعت ، و٠٠ و٠٠ التى تنشأ عن مطالب السفير البريطانى ، تقتضى تفكيرا من جانب رئيس الوزراء ، للتغلب عليها وكانت تقتضيه مشقة وجهدا غير قليل

وحسبك ــ لتصوير هذا الجهد ، وهذه المشقة ــ ان الملك لم يكن قد بلغ الحادية والعشرين وان السفير البريطانى الشيخ كان لا يطمئن لميول جلالته تجاه بريطانيا وان مهمة رئيس الوزراء كانت نلطف ما يثور ، الحين بعد الحين بين صاحب العرش ، وممثل القوات البريطانية ، المنتشرة فى طول البلاد وعرضها متأهبة للقتال فى حرب يراها الانجليز حرب حياة أو موت ، ولم يكن حسن صبرى باشا يومئذ ، فى عنفوان الشباب ، أو قوة الرجولة بل كان شيخا تدور سنه حول السبعين فكان لهذا الجهد وهذه المشقة من الأثر فى صحته ، ما يحتم عليه الفرار من القاهرة ، الى الصحراء أو الى القناطر الخيرية ، ليستجم اخر الاسبوع ، وبعض أيام كان يستعيد نشاطه وزاد من احتياجه الى الاستجمام والراحة انه كان يشكو علة فى القلب يحاول ما استطاع معالجتها ومقاومتها ، ولقد كان من اثر هذا المجهود وهذه العلة أن هدت قوة الرجل الذى كان قبل ذلك بسنة واحدة مضرب المثل ،فى النشاط ، والقوة ، لقد كنت ادخل الى غرفته بوزارة الخارجية أول ما تولى الوزارة فيلقانى واقفا وقفة الجندى فاذا فرغنا من الحديث ودعنى الى باب الغرفة والى باب البهو الطويل المتصل بها فلما انقضت ثلاثة اشهر فى رياسته للوزارة كان قلما يدخل الى غرفته أو الى مكتبه بل كان يبقى فى منتصف البهو المتصل بالغرفة وكان يعتذر أحيانا عن عدم قدرته على القيام برد التحية ، وبلغ من أمره أن اضطر للسفر الى الاسماعيلية ليستشير الدكتور جودبل الفرنسى ذا الشهرة الفائقة فى أمراض القلب وقد نصحه الطبيب ان يستكين الى الراحة ابقاء على نفسه ولعله حاول أن ينتهز فرصة يستريح فيها من أعباء رياسة الوزارة التماسا بهذه الراحة ، ولعله كان يرحب بالخلاص من تبعاته لو أنه وجد لهذا الخلاص سبيلا ٠

ويقول د٠ هيكل أيضا : ان الصحف نشرت يوما ان هناك تفكيرا فى الانعام ، على رئيس الوزراء بوشاح محمد على ثم نشرت الصحف أن الملك أرجأ الانعام بهذا الوشاح ، وذهبت قبل الظهر من ذلك اليوم اقابل حسن باشا بوزارة الخارجية اتحدث اليه فى بعض الشئون فوجدته مرتديا الردنجوت فقلت بعد أن حييته : خيرا ٠ قال : انى ذاهب الآن لمقابلة الملك وأرجوك ، أن تنتظر هنا حتى عودتى فلما عاد قلت خيرا واجابنى لقد ضحك على الشاب ولم يرد ٠

وانتقال بى الى حديث آخر عند ذلك ذكرت فعل الألفاظ المعسولة فى النفس وبخاصة اذا تنازع النفس ، عاملان قويان : عامل المنصب الرفيع ابقاء على الجاه ، وعامل الصحة المتداعية ، إبقاء على الحياة ٠

وعن وزارة حسن صبرى باشا ، يقول الدكاترة : محمد جمـــال الدين المسدى ، ويونان لبيب رزق ، وعبد العظيم رمضان : لقد استمرت وزارة حسن صبرى باشا فى نفس الخط السياسى للوزارة السابقة ــ وزارة على ماهر باشا ــ وان كان قد اتفق فى مجلس الوزراء ــ كما سبق ان ذكرنا ــ على أن تعلن مصر الحرب اذا ما تقدم الطليان الى مرسى مطروح ، أول ميناء مصرية تقع على البحر الابيض المتوسط ٠

ومثل هذا الموقف الوسط ــ المسدى ويونان رزق وعبد العظيم رمضـان ــ الذى اتخذته حكومة حسن صبرى قد صدر عن عدة اسباب اهمها أنها وهى وزارة مفروضة على القصر ، كان من الطبيعى أن تكون مرفوضة منه كما أن الوفد القوة الشعبية الرئيسية ، ومع مشاركته فى المفاوضات التى جرت وقت اسقاط وزارة على ماهر قد رفض قبول حسن صبرى باشا للوزارة الجديدة من ثم فقد كان اتخاذ هذا القرار باعلان الحرب ، يمكن أن يؤدى الى ضغوط ، على الحكومة من القصر ومن الرأى العـام ٠٠٠ وبالرغم من بدء الغزو الايطـالى للأراضى المصرية للقصف الجوى الا أن وزاره حسن صبرى قد أصرت على سياستها بعدم اعلان الحرب طالما أن القوات الايطالية لم تصل الى مرسى مطروح ٠

حقيقة انسحب السعديون ، من الوزارة احتجاجا ، على موقف رئيسـها و٠و٠ الا ان كافة الاطراف لم ترغب فى توريط الرجل باتخاذ القرار باعلان حالة الحرب خاصة وان ما اخذ الراديو الايطالى يعلنه من اذاعة ميدانية انها لن تقصف المراكز المصرية طالما لم تشترك فى الحرب قد لقى استجابة واسعة من جماهير الشعب ٠

وقد سجل السفير البريطانى فى القاهرة فى أواخر اكتوبر ١٩٤٠ هذا فى تقرير رسمى ارسله الى لندن وقال فيه أنه من المستحيل اجبار مصر على اتخاذ القرار باعلان الحرب على ضوء اتجاهات الرأى العام المصرى فى الوقت الحالى ٠٠ وحتى نعطى صورة كاملة ، أو شبه كاملة لما احاط بوزارة حسن صبرى باشا ، التى الفت رغم أنف الشعب والبرلمان ، والرأى العام ، والسراى ولما احاط بخروج السعديين من تلك الوزارة أو باخراجهم منها اذا صـح لى استخدام هذا التعبير ٠

ابدأ بالحديث عن جلسة مجلسى النواب التى عقدت فى ٢١ أغسطس ١٩٤٠ قبل نشوب الازمة الوزارية بين حسن صبرى باسا وبين السعديين وعلى رأسهم د٠ أحمد ماهر ٠

وكان أحمد ماهر ، باشا قد حرص على ان يتولى الاستاذ محمد راغب عطيــة بك وكيــل المجلس رئاســة تلك الجلســة وأن يجلس هو ـ.ومنــذ بدايتها ــ فى المقاعد الخلفية لمقاعد الوزراء ٠٠ وكان إسماعيل صدقى باشا ــ عضو المجلس ــ قد تقدم بسؤال الى رئيس مجلس الوزراء ، للاستعلام منه عما اذا كان رئيس الحكومة يرى ما يدعو الى تعديل موقف البرلمان والحكومة من تجنيب مصر ويلات المغـامرات بالحرب وكان اسـماعيل صــدقى باشــا متهما وقتئذ أيضا بأنه « محورى الاتجاه » معاد للسياسة البريطانية

وكان توجيه هذه التهمة الى اسماعيل صدقى باشا من الأمور الغريبة حقا ، غير ان السفير البريطانى فى مصر كان يرى هذا الرأى فى اسماعيل صدقى باشا ، وقد عرف عنه انه طالب باعتقال اسماعيل صدقى باشا ، أو على الاقل، تحديد اقامته ٠ ولكن كانت الجهات المصرية المسئولة ــ على اختلاف الوزارات ــ تحجم عن تنفيذ رغبة سير مايلز لامبسون السفير البريطانى فى القاهرة

وقد أدلى حسن صبرى باشا ببيان موجز للغاية لا يتجاوز بضعة أسطر أكد فيه « أنه لم يطرأ ما يدعو لأى تعديل فى سياسة الحكومة التى أشارت اليها فى بيانها ، الذى ادلت به فى مجلس البرلمان بمناسبة ولايتها للحكم ، وقد صفق الأعضاء لبيان رئيس الحكومة ، ولكن لم يكد رئيس الحكومة ينزل من فوق المنبر حتى صعد النائب السعدى ممدوح رياض الى المنصة متأبطا أوراقه ومتجها الى المنصة ليسأله النائب الدستورى عبد الجليل أبو سمرة « بك » هل سيتكلم الليلة فى بيان الحكومة ؟ ويجيب ممدوح رياض ، ان هذا من حــق المجلس : ويقول الأستاذ عبد الجليل أبو سمرة ، وسط ضجة عنيفة : اطلب التأجيل لنستعد نحن للمناقشة ولتستعد الحكومة أيضا ! وترتفع اصــوات تطالب بالكلام ويسأل عبد الجليل أبو سمرة ، وضح اذن ما يراد الكلام فيه ؟ ٠

ويقف فكرى أباظة الى جانب عبد الجليل أبو سمرة ، مؤيدا اياه فى طلبه تأجيل المناقشة لان المسألة التى يراد مناقشتها دقيقة وخطيرة ويجب دراسة الموقف حتى لا تلقى الاقوال على عواهنها ولان رئيس الجلسة ، الأستاذ راغب عطية بك قد قال ان بيان رئيس الحكومة فيه مساس بأحد اعضاء المجلس وهو الدكتور أحمد ماهر ، وان من حق هذا العضو ، وغيره من الاعضاء ان يقوموا بالرد ، فقد استغرب بعض الاعضاء ، ما قاله رئيس الجلسة وخاصة ان البيان كان واضــحا ولا يمس من قــريب أو بعيــد الدكتور ماهر ويرى محمــد توفيق خليل بك ــ عضــو المجلس ــ ان من حق أعضــاء المجلس مناقشــة بيان الحكومة حتى ولو كان ما القاه رئيس الحكومة ردا على سؤال ، وليس بيانا ، ويعود عبد الجليل أبو سمرة بعد ان وجد ان الابواب قد سدت أمام راغبى عدم التعقيب على بيان رئيس الحكومة يعود ليقول : اذا اردتم فتح باب المناقشة فلتكن الجلسة سرية ويقول الاستاذ عبد الحميد عبد الحق ــ زعيم

المعارضة الوفدية - ان البيان الذى ألقاه رئيس الحكومة لم يعد ردا على سؤال لا يملك الرد عليه الا صاحبه ، كما تقضى بذلك اللائحه الداخلية للمجلس فاذا كان هذا الرد هو اقرار الخطة التى سبق ان اقرها المجلس فلا داعى للمناقشة واذا كان الرد بالتعقيب على البيان هو النظر فى تدبيرات أخرى فأظن أنه لا يوجد فى المجلس من يعارض فى التأجيل للاستعداد ، والتدبير

ويؤكد ممدوح رياض ان بيان رئيس الحكومة ولو أنه جاء فى صورة رد على تصريحات صدرت عن رئيس الجلسة د. ماهر باشا ولذلك يجب ان يكون د. أحمد ماهر أول من يتكلم فى هذا الموضوع .

ويقول على المنزلاوى بك - أحد أعضاء المجلس - ان ما أدلى به رئيس الحكومة الليلة هو بيان وليس برد على سؤال ويجب علينا ان نناقش بيان الحكومة والنواب على استعداد دائما للمناقشة فى شئون البلاد ، خصوصا فى الظروف الحاضرة وطلب التأجيل لا يكون فى أمور خطيرة وفى ظروف عصيبة وعندما يسأل عبد الجليل أبو سمرة عن الخطورة تقوم ضجة ، ويقف الدكتور أحمد ماهر لينبنى على ما قاله الأستاذ محمد توفيق خليل بك من أن وضع المسألة قد تغير بعد ان القت الحكومة بيانها ، ومن واجب المجلس مناقشته وان تكون هذه المناقشة فورا حتى لا يبقى هناك لبس فى الموقف يتعلق بافكار الرأى العام . ويؤكد أحمد ماهر ، ان وضع المسألة فعلا قد تغير وان هناك لبسا فى الأفكار ، وهذا ما يريد هو - أى د. ماهر - ايضاحه ويقول أحمد ماهر متسائلا : هل ارادت الحكومة فى قرارها الخاص بالحرب ان تمتنع عن الدفاع عن نفسها اذا هوجمت هذا ما يعنيه صدقى باشا فى سؤاله ؟ هل اذا دقت ساعة الخطر يوجد فى هذا المجلس من يرى أن تتأخر مصر عن الدفاع عن نفسها ؟ اننا اذا طالبنا الحكومة الآن ، أن تبين لنا حقيقة غايتها وحقيقة ما ترمى اليه فانما نطلب واجبا علينا لوطننا ، وأنفسنا ويجب على الحكومة أن تعلن ما نطالبها به والا فاننا نخرجها من هذا المجلس بلا ثقة منا .

ويطلب أبو سمرة ، جعل الجلسة سرية ، ولكن ممدوح رياض يقول مافيش حاجة سرية ويقول فكرى اباظة : « اذا كان الرد بالكلام وذكر عبارات الفروسية والشجاعة والبطولة فنحن مستعدون ، ويقول أحمد ماهر : ان بيان الحكومة يلقى لبسا فى الموضوع ، وقد يفهم منه صدقى باشا أنها تقره ، على عدم دخول الحرب ولهذا فاننا نريد منها بيانات والا فيكون لها شأن اخر معنا و.و. .

وينتهى النقاش ، الحاد ، العنيف بعقد جلسة سرية لمجلس النواب ومجمل ما جاء على لسان د. أحمد ماهر فى تلك الجلسة أنه لا يطلب رسم سياسة جديدة لكنه يطلب تفسيرا للقرار السابق .

وأفتح قوسا لأقول : ان الدكتور أحمد ماهر كان ومنذ قيام الحرب العالمية الثانيه ـ تلك حقيقة لا يمكن أبدا انكارها ـ يعلن عن ضرورة دخول مصر الحرب الى جانب الحلفاء وقد ظل يعلن عن رأيه هذا رغم قناعته التامة ، بأن الرأى العام المصرى يعارض تلك الفكرة ٠

ومنذ قيام ايطاليا بغزو الاراضى المصرية ، وأحمد ماهر فى كل احاديثه الخاصة والعامة وفى كل خطبه الرسمية ، وغير الرسمية يؤكد ان انتصار ايطاليا اكبر كارثة على الشعب المصرى وان انتصار بريطانيا فى الحرب اكبر قاعدة لمصر من الناحيتين السياسية والاقتصادية ٠

ورغم أننى كنت واحدا ممن عارضوا آراء أحمد ماهر تلك بل رغم أننى كنت واحدا من الذين اتهموا فى قضية مقتل أحمد ماهر باشا ، وقضى فى السجن شهورا طويلة ولم يفرج عنه حتى بعد اعدام محمود العيسوى ، قاتل احمد ماهر وبعد ثبوت الادلة على براءتى ، اقول رغم ذلك كله ان أحمد ماهر كان اشجع السياسيين المصريين على الاطلاق الذين وقفوا الى جانب قضية الحلفاء ، ولو ان الحلفاء قاموا بحصر لبعض الشخصيات الكبيرة ، التى وقفت ومنذ اللحظات الاولى لنشوب الحرب العالمية الثانية الى جانب الحلفاء لكان د٠ أحمد ماهر ـ بحق ـ من أبرز تلك الشخصيات ، لقد كان وقوف أحمد ماهر الى جانب الحلفاء ، ناتجا ، عن عقيدة ثابتة وليس لرغبة منه فى ان يلى منصب رئيس الوزراء ، فقد كان الرجل ـ وهذا ما سمعته منه اكثر من مرة ـ يرى ان منصب رئيس مجلس النواب من أخطر مناصب الدولة وأنه لو خير بين رئاسة المجلس ورئاسة الوزارة ، ولم تكن هناك ضرورة عامة ما ليرأس الوزارة ما اختار الا رئاسة المجلس ٠

وهناك سياسيون مصريون ، كثيرون وقفوا الى جانب الحلفاء عندما كانوا يحكمون ويتولون الوزارات ، ولكنهم قبل ان يلوا المناصب الوزارية ، أو بعد تركهم ، للمناصب الوزارية كانوا لا يكفون عن اعلان عدم وقوفهم الى جانب الحلفاء ٠

كانت وجهة نظر أحمد ماهر كما سمعتها منه شخصيا وكان قد دعانا كقيادات طلابية لنلتقى به بعد ان اصبح رئيسا للوزارة كما كان قد دعا شخصيات كبيرة فى اجتماعات سابقة ، ان موقف بريطانيا من مصر ، وموقف مصر من بريطانيا قد تغير بعد توقيع معاهدة ١٩٣٦

وقد كان أحمد ماهر من ابرز الموقعين على تلك المعاهدة ، ولذلك فان بريطانيا قد تحددت علاقتها الجديدة بنا بعد معاهدة ١٩٣٦ لم تعد الدولة المحتلة ، وانما اصبحت الدولة الصديقة والحليفة وكان أحمد ماهر يخشى ان تنتصر المانيا أو ايطاليا فى الحرب لانه كان يخشى لو وقعت مصر تحت نير

الاحتلال الالمانى ، أو الايطالى فان أية دولة من هاتين الدولتين الفاشيتين ، سوف تغير النظام المصرى الديمقراطى بنظام آخر ديكتاتورى على غرار ما هو متبع فى المانيا وايطاليا وفى ذلك كما كان أحمد ماهر يقول ، هدم لكيان الشعب المصرى وقضاء على استقلاله وحريته ، كما كان احمد ماهر يأمل ، انه بعد انتصـــار بريطانيا فى الحرب قد نظفر فيها بما لم نظفر به منذ أن وقعنا معاهدة ١٩٣٦ فترفع القيود الموجودة فى تلك المعاهدة ٠

وأقفل القوس لأقول أن أستاذنا فكرى أباظة قد وصف جلســة النواب هذه بقوله : امتــاز هذا الأسبوع العجيب بمعركة سياسية عجيبة بين دولة اسماعيل صدقى باشا وسعادة احمد ماهر باشــا ، الأول زعيم المتحمســين لتجنيب مصر ويلات الحرب والثانى زعيم المتحمسين لاشتراك مصر ــ بأسرع ما يمكن ــ فى شرف الدفاع عن الديمقراطية ولم يتردد دولة صدقى باشا فى جميع أدواره البرلمانية فى التمسك بخطته ولم يتردد ، سعادة أحمد ماهر باشا فى جميع أدواره البرلمانية فى التمسك بخطته ، ولم يعبأ الأول بما يعانيه فى سبيل ذلك « مما لا يخفى على القارىء » ولم يعبأ الثانى بما يعانيه فى سبيل ذلك حتى ولو كان ذلك قد أدى للاصطدام بسياسة شقيقه وللاصطدام بالرأى العــــام ٠

والذى لا شك فيه أن الاثنين قد تطرفا فى خطيهما ، فمصر لا يمكن أن عاجلا أو آجلا أن تتجنب ويلات الحرب على اطلاقها ومصر من الناحيــة الأخرى لا يجوز لها أن تسبق الحوادث ، وأن تتعجل تقرير خطة سريعة لم تحتمهــا الظروف بعد ٠

كانت هذه المعركة بين صدقى باشا وأحمد ماهر باشا ، تدور منذ زمن ليس بالقريب حتى تمخضت فولدت سؤالا صغيرا ــ اجازة ــ شـــكلا رئيس مجلس النواب د٠ أحمد ماهر ، من باب اللياقة فانتقلت المعركة بينهما الى جلسة الاربعاء الماضى بمجلس النواب ٠

وفى هذا الميدان الفسيح يغيب الفارس الذى أقام المعركة « اســـماعيل صدقى » ويجول الفارس الاخر « أحمد ماهر » ويصول معتمدا على حزبه الكبير، وعلى اللائحة المرنة التى دانت له ومكنته من الكلام احدى عشرة مرة ٠

ولكن المعارضة بجميع انواعها واحزابها والتى تحتل صفوف اليسار كما يؤازرها المستقلون صمدت لزعيم الهجوم ، العاجل وثبتت فى مراكزها فاستمر النضال ودامت المعركة ساعتين ثم تقررت الاستراحة ومناورات « الانتراكت » والكوريدورات والاستراحات فى جميع البرلمانات هى المناورات المحكمة الحاسمة ولقد استطاعت المعارضة التى ترى أنه لم يجد جديد على المواقف ، يستدعى رسم خطة جديدة فى صدد دخول مصر الحرب وأن تجمع جموعها وتلم شملها

وتحشد حشدها وأن تربط أنصارها بالأمصار ، لتكون كتلة واحدة ففعلت ونجحت وأكرمها الجيش الأكبر فهدنة نظيفة يتفق فيها الطرفان على تأييد السياسة السابقة التى يتزعمها على ماهر بشروطها وقيودها حتى يجد الجديد ورفع السلام علمه الرفراف على قبة البرلمان ، وانتهت المعركة ٠

وقد كان للدكتور طه حسين ـ فى تلك الازمة السياسيه حول تجنيب مصر الحرب ، أو دخولها الحرب ـ كان له رأى اخر ، اذ كان ضد الحياد ، وكان يقول : ما أظن احدا من الذين يقودون الراى فى مصر ، أو يرون لأنفسهم قيادة الرأى يرضى أن يهيىء الشباب المصريين لحياة الحياد هذه التى تقوم على الخوف والجبن ، وعلى الاثرة وحب النفس والتى تنتهى الى اهدار عزة الوطن وكرامته فى سبيل امن الفرد ، ولذته وما اظن أحدا من الشباب المصريين يقبل من قادته الضعفاء ان وجد هؤلاء القادة ان يعلموه حياة الحياد هذه وان يلقوا فى روعه ان امن الفرد يجب ان يكون اعظم خطرا من عزة الامة وكرامتها واستقلالها ويقول د٠ طه حسين لا أكاد أفرق بين هذه الأخطار الغريبة التى تحتاط لها الحكومة قبل أن تقع وبعد هذا الخطر الداهم ، خطر الحرب قبل أن يأتيها النذير لأنه علم فاذا قيل للمصريين لا تغيروا قبل أن يغار عليكم فلا أقل من أن يتبين المصريون متى يغار عليهم ولا أقل من أن يهيأ المصريون لدفع الغارة اذا صبت عليهم وما أدرى الى أحد حد ، هيىء المصريون للدفاع المادى عن أنفسهم اذا حملت اليهم الحرب وان كنت أراها قد حملت اليهم بالفعل منذ عهد بعيد ولكن الشيء الذى أعرفه معرفة يقين ، هو ان المصريين لم يهيأوا كما ينبغى أن يهيأوا لدفع الغارة المعنوية عن أنفسهم اذا صبت عليهم هذه الغارة المعنوية ٠

وما أرى الا أنها قد صبت عليهم منذ زمن بعيد ، منذ أن أعلنت الحرب بل قبل أن تعلن الحرب الى أن يقول د. طه حسين : ما أظن أن حديث الحياد وحديث الحرص على تجنيب مصر أخطار الحرب ، من شأنه أن يشيع فى روح المصرى ما ينبغى أن يشيع فيها من القوة والرجولة والبأس الذى ينبغى أن يمتاز به كرام الناس حين تلم الخطوب أو حين يكون المامها منتظرا ، فلندع اذن هذه الأحاديث التى لا تعنى شيئا ولنتجنب خداع الشعب بالآمال والأمانى وليؤثر ضعاف الناس أنفسهم بهذه الآمال الكاذبة ، التى تعلل بها أنصار الحياد ، ولنقل للمصريين أنظروا ، فليس بينكم وبين الخطر الا لحظات قد تطول وقد تقصر ، وأكبر الظن انها لن تطول ٠

ويخرج د٠ طه حسين عن حذره الكبير فيما كتبه عن الحياد ليكون اكثر وضوحا بعد ذلك ، فيما كتبه عن الشعب الديمقراطى الذى يحارب لحرصه على الحياة الحرة وعن الشعوب المستعبدة التى تساق الى الحرب كارهة لها ٠

ويكون من بين ما كتبه د٠ طه حسين : نحن دولة ديمقراطية ، نحب حريتنا ونحرص عليها ولكن كثيرا جدا من افراد الشعب المصرى يشكون فى أنهم

يستمتعون بالديمقراطية حقا فاذا جد الجد فمن أشد الخطر وأقبح النكران نستقبل الخطوب وقلوبنا مختلفة وضمائرنا مبتاعدة فعلينا أن نؤلف بين هذه القلوب المختلفة وان نقنع الضمائر المصرية كلها بان الديمقراطية المصرية ليست وقفا على فريق من المصريين دون فريق وانما هى خط مشترك بين المصريين جميعا وبأن العدل السياسى والاجتماعى ليس شجرة مباركة أصلها ثابت وفرعها فى السماء وهى تظلل المصريين جميعا ، ولعلها تستطيع أن تظلل غير المصريين أيضا •

ويبقى بعد ذلك سؤال هام وخطير – على الاقل من وجهة نظرنا – ماذا كان موقف الوفد من حركة أحمد ماهر باشا ، ودعوته الى الوقوف بجانب الحلفاء بل اعلان الحرب على ايطاليا وألمانيا ، دولتى المحور ؟ والوفد كما هو معروف هو صاحب معاهدة ١٩٣٦ وهو الحزب الشعبى الكبير الذى طالما نادى بعد توقيع معاهدة ١٩٣٦ بالوقوف الى جانب الحليفة بريطانيا •

لم يكد أحمد ماهر ، ينشط فى دعوته لدخول الحربه ، الى جانب الحلفاء، حتى قابل الوفد تلك الدعوة ، بحملة شديدة عنيفة ، على الدكتور أحمد ماهر حتى أصبح – كما تقول مجلة آخر ساعة العدد ٣٠٩ – نقد الدكتور ماهر « اكليشيها » ثابتا فى الصحف الوفدية مثل « يعجبنى الصدق فى القول والاخلاص فى العمل ومقابلات الرئيس الجليل •• » •

ويسمى بعض الوفديين الدكتور أحمد ماهر الدكتور ديجول نسبة الى الجنرال الفرنسى ديجول الموجود فى انجلترا الان •

وقيل أيضا – على السنة الوفديين – أنه لا خلاف بين المصريين حول الوقوف الى جانب الديمقراطيات ، ومعارضة الدكتاتوريات ولكن الحلفاء ، لن يستفيدوا من حركة الدكتور أحمد ماهر ، لأن أغلبية الرأى العام لا تؤيد السعديين ، هذا بالرغم من ان الدكتور أحمد ماهر ، قد أكد أكثر من مرة ، بأن حركته تلك ليست أبدا حركة حزبية بل هى حركة قومية بدليل أنه يجتمع مع أقطاب الأحزاب ومع المستقلين وأنه قد استطاع أن يجذب الى مناصرة الحلفاء بعض المستقلين ومن بينهم شريف صبرى باشا وعلى الشمسى باشا •

وفجأة مات حسن صبرى باشا رئيس مجلس الوزراء وهو يلقى خطاب العرش

تحدثنا عن الفكرة ، التى آمن بها د٠ أحمد ماهر باشا رئيس الهيئة السعدية ، ورئيس مجلس النواب ، وهى ضرورة دخول مصر الحرب ، الى جانب الحلفاء بعد أن هاجمت ايطاليا ـ احدى دول المحور ـ مصر ، وواصلت احتلالها للساحل الشمالى المصرى حتى سيدى برانى ٠

وقد تساءلنا ـ فى الفصل السابق ـ عن رأى الوفد المصري فى دعوة أحمد ماهر خاصة وان الوفد المصرى يفتخر ـ فى مقدمة ما يفتخر به ـ بأنه صاحب الفضل فى توقيع معاهدة « التحالف والصداقة » بين مصر وبريطانيا فى ٢٦ أغسطس ١٩٣٦ ، وقد كان نقد أحمد ماهر باشا ـ بعد أن قام بدعوته تلك ـ فى الصحف الوفدية ـ كما قالت مجلة آخر ساعة فى عددها رقم ٣٠٩ « اكليشيا » ثابتا مثل « يعجبنى الصدق ، فى القول والاخلاص فى العمل ـ كلمة سعد زغلول التى كانت تتصدر الصحف الوفدية ـ واكليشيه مقابلات الرئيس الجليل » ٠

كما ان بعض الصحف الوفدية ، كانت تطلق على د٠ أحمد ماهر ، لقب الجنرال أحمد ماهر أو الدكتور ديجول ، نسبة الى الجنرال ديجول قائد المقاومة الفرنسية ، الذى كان قد هرب من فرنسا ـ بعد انهيارها امام جحافل الجيوش الألمانية ـ الى انجلترا ليشكل تنظيم « فرنسا » الحرة ٠

والذى نستطيع أن نؤكده اليوم ان الوفد كان على أتم استعداد لمناقشة دعوة دخول مصر الحرب الى جانب الحلفاء ، لو انها جاءت عن طريق سياسى آخر ، غير الدكتور أحمد ماهر ، الذى كان الوفديون يكنون له قدرا كبيرا من الكراهية لوقوفه الى جانب صديقه محمود فهمى النقراشى عندما اختلف مع الوفد ولان أحمد ماهر ، والنقراشى قد شكلا حزب الهيئة السعدية الذى ضم العديد من الشيوخ والنواب الوفديين !! ٠

ذلك بالرغم من أن أحمد ماهر باشا كان يصر على أن دعوته تلك ليست دعوة حزبية بل هى دعوة قومية حتى أنه الف لجنة من بعض الحزبيين والمستقلين للدعاية للفكرة وعرض على الوفد الاشتراك فيها ، مؤكدا أن الهدف من تشكيلها الدعوة لفكرة دخول مصر الحرب الى جانب الحلفاء ومحاربة الدعايات التى يقوم بها البعض ضد روح معاهدة ١٩٣٦ ، وقد رفض الوفد الاشتراك فى تلك اللجنة بدعوى أنهم ـ أى الوفديين ـ يؤمنون بوجوب أنصار قضية الحلفاء ٠

وكانت اللجنة التى دعا أحمد ماهر الى أنشائها قد ضمت من المستقلين : شريف صبرى باشا ـ خال الملك فاروق وشقيق الملكة نازلى ـ وعلى الشمسى باشا وصادق وهبه باشا ومن السعديين أحمد ماهر وممدوح رياض ، ومن الأحرار الدستوريين أحمد خشبه باشا ومن الاتحاديين الشعبيين : عبد الرحمن البيلى ٠

ولكن دعوة أحمد ماهر لم تكن لتلقى استجابة شعبية لان الرأى العام كان يؤمن بسياسة تجنيب مصر ويلات الحرب التى رفع لواءها على ماهر باشا ووزارته !! والجدير بالذكر أن مجلة آخر ساعة قد نشرت فى عددها رقم ٢١٠ قصة الخلافات بين حسن صبرى باشا والسعديين على أنها « شهر عسل ، وانقضى » ٠

وكان من بين ما قالته : ان شهر العسل لم يتم الا شهرين : وشهران مدة طويلة فى عمر الزواج السعيد » ٠

لقد قطع دولة اسماعيل صدقى باشا على العروسين شهر العسل بسؤاله الموجه الى رئيس الوزراء عن نشاط الدكتور ماهر باشا وذهب ماهر باشا الى وزارة الخارجية حيث اطلعه رئيس الوزراء على الرد الذى أعده على السؤال ، « وتضايق » الدكتور أحمد ماهر ، من صيغة الرد ، وقال أنها صيغه « عايمة » تحتمل المعنيين ٠

وهو ـ أحمد ماهر ـ يريد جوابا صريحا ٠

وقال د٠ ماهر أنه سيثير المسألة فى مجلس النواب ٠

وفى جلسة مجلس النواب كرر أحمد ماهر فى كلامه أربع مرات جملة : « اذا لم تكن سياسة الوزارة هى السياسة التى فهمناها فيجب أن نسحب الثقة منها »

وفى المرة الخامسة قال : « يجب أن نخرجها من هنا » وأشار بيده علامة الاخرا

وتمضى آخر ساعة فى رواية كل ما يتعلق بشهر العسل بين حسن صبرى باشا والسعديين ذلك الذى انتهى بتأييد غالبية النواب لوزارة حسن صبرى باشا واخراج السعديين من تلك الوزارة ٠

ويلوح لى — على ضوء ما قرأت وما سمعت — أن حسن صبرى باشا كان مطمئنا تمام الاطمئنان الى قوة وزارته ، لا بسبب التأييد الذى تلقاه من بريطانيا وهو أهم العوامل الحاسمة فى الموقف ، ولا لأن حسن صبرى كان على ثقة من أن القصر ليس راغبا — فى تلك الايام — فى أبعاده عن الوزارة و٠ و لم يكن حسن صبرى باشا مطمئنا الى قوة وزارته الى هذين العاملين القويين وحسب ، بل كان مطمئنا ايضا الى عامل اخر لم يكن ظاهرا على السطح ، ونعنى به تأييد الوفديين له فى موقفه المعادى للسعديين !

ففى اثناء اشتداد الازمة بين حسن صبرى باشا وبين السعديين ذهب حافظ رمضان باشا الى مصطفى النحاس باشا موفدا من قبل حسن صبرى باشا يعرض على الوفديين الاشتراك فى الحكم لان الظروف التى تواجهها البلاد تتطلب أن تكون الأحزاب كتلة واحدة فى مواجهة الخطر الدائم » ٠

ورغم ان النحاس باشا رفض العرض الذى قدمه حسن صبرى باشا عن طريق حافظ رمضان باشا الا أنه — أى النحاس باشا — أكد لحافظ رمضان باشا ارتياح الوفد ، لحسن صبرى باشا ، كرئيس وزارة وأنه — أى النحاس باشا — يتمنى لو ان حسن صبرى باشا ألف وزارة محـــايدة تحظى بتأييد الوفد ٠٠

وكان الرأى الرسمى للوفد ، أنه اذا خير بين وزارة يرأسها أحمد ماهر باشا ، ووزارة يرأسها حسن صبرى باشا ، فان الوفد يفضل بلا شك حسن صبرى باشا ، ألف مرة !

وكان النحاس باشا قد مرض وزاره كل الأقطاب ، وزعماء الأحزاب وقام النحاس باشا ، بعد شفائه من مرضه ، بزيارة كل من استفسروا عنه فى مرضه ومن بينهم د٠ أحمد ماهر باشا ، والنقراشى باشا ، وقد فهم البعض من استفسار الزعماء عن صحة النحاس باشا ، ومن زيارة النحاس باشا للزعماء الذين يختلف واياهم ، امكانية قبول الوفد أن يشترك واياهم فى الحكم ، ولكن الوفديين البارزين ، أكدوا ان الاستفسار عن صـــحة النحاس باشا وزيارة النحاس باشا ، لمن استفسروا عن صحته أثناء مرضه شىء ، وقبـــول الوفد الاشتراك مع هؤلاء فى الحكم شىء آخر !

ولم ييأس حسن صبرى باشا من قبول الوفد الاشتراك فى وزارته وقد بالغ فى تقديم العروض ، للوفد حتى أنه — كما قيل — عرض على الوفد ، أن يكون وزراؤه ستة أو سبعة ، بينما لا يزيد عدد الوزراء الدستوريين فى تلك الوزارة على ثلاثة وزراء ٠

ولم يكتف حسن صبرى باشا باجراء حوار مع الوفد حول اشتراكه فى الوزارة بل راح يتخذ – كرئيس للحكومة – العديد من الاجراءات التى يمكن أن ترضى الوفد كحزب ، ولقد سمح – رغم وجود الرقابة – للصحف الوفدية بتوجيه انتقادات عنيفة الى أحمد ماهر باشا رئيس مجلس النواب ، كما أنه سمح للاذاعة الحكومية ، أن تذيع بيانا طويلا ، وجهه النحاس باشا الى الأمة فى احدى المناسبات ، ورغم كثرة عدد الوسطاء ، الذين بعث بهم حسن صبرى باشا ، الى النحاس باشا وبعض أقطاب الوفد ورغم كثرة الاجراءات التى اتخذها كرئيس للحكومة لارضاء الوفد الا أن الوفد ظل مصرا على عدم قبوله الاشتراك فى وزارة قومية داعيا – وبالحاح – الى تأليف وزارة محايدة برئاسة حسن صبرى باشا ، أو سيف الله يسرى باشا ، تجرى الانتخابات

ولكى يضمن الوفد تأييد الاحرار الدستوريين لفكرة تأليف وزارة محايدة، اقترح على بعض زعماء الاحرار الدستوريين أنه فى حالة حل مجلس النواب القائم والدعوة لاجراء انتخابات جديدة فان الوفد سوف يترك مائة دائرة مقفولة للاحرار الدستوريين لا يرشح فيها احد من الوفديين ٠

ولكن قادة الأحرار الدستوريين أيقنوا بأن عصفورا فى اليد خير من عشرة على الشجرة ، واذا كان لهم فى هذا المجلس حوالى التسعين دائرة فان حصولهم على مثل هذا العدد فى المجلس القادم أمر مشكوك فيه خاصة وأن تجاربهم مع الوفد لا تبشر بخير فى المستقبل اذ من الممكن ، الا يرشح الوفد ، وفديين فى المائة دائرة ، غير أنه قد يشجع مستقلين ، على خوض الانتخابات ، فى تلك الدوائر ، فيضمن لهم الفوز ، وينضمون الى الوفد بعد ظهور نتائج الانتخابات وبذلك ، لا يكون الوفد قد أخل بوعده وهو – حينئذ – لا يملك ان يرد نوابا يريدون الانضمام اليه ٠

وقد حاول حسنين باشا أكثر من مرة ، نظرا لصلاته ، الوثيقة بالعديد من القادة الوفديين أن يقنع الوفد بقبول فكرة الوزارة القومية ، لان الظروف الخطيرة ، والحرجة ، التى تمر بالبلاد تجعل تأليف وزارة قوميـــة ضرورة وطنية ٠

وقد ألح حسنين باشا على أحد القادة الوفديين من أصدقائه ان يقنـع القادة الاخرين بتلك الفكرة ، غير ان ذلك الوفدى الكبير رفض بلباقة اعطاء وعد ، بقيامه بتلك المهمة لانه يعرف جيـدا ، ان الوفد يرفض تأليف وزارة محايدة ، وكان من بين ما قاله ذلك الوفدى الكبير : لندع الحديث فى تأليف وزارة قومية الى المستقبل فمن يدرى فقد يغير الوفد رأيه اذا ما دخلت مصر الحرب واذا كان مرض النحاس باشا قد أحدث فى البلاد هذه الهزة ، التى وصلت الى الاعماق وجمع حوله الزعماء ورجال مصر حتى ذهب رفعته ، بعدها

يصافحهم واحدا ، واحدا ، فان دخول الحرب الى مصر ، كفيل فى اعتقادى — اعتقاد الوفدى الكبير — بأن يحدث هزة ، أعمق ، وأبعد أثرا » ٠

واذا كان الوزراء السعديون ، على رأسهم د٠ أحمد ماهر ، قد غضبوا من موقف حسن صبرى باشا منهم ، ونفريطه فى أمر تعاونه معهم فى الحكم ، فقد كانوا أكثر غضبا من حلفائهم الأحرار الدستوريين الذين لم يستقيلوا من وزارة حسن صبرى باشا ، تضامنا معهم ، خاصة وأن حفنى محمود بك — أحد قادة الاحرار الدستوريين ، وشقيق محمد محمود باشا ، رئيس حزب الاحرار الدستوريين — قد أعطى تأكيدات لأحمد ماهر باشا بأن الأحرار الدستوريين ، يتفون مع حلفائهم السعديين قلبا وقالبا ، وانهم يعتبرون موضوع دخول مصر الحرب الى جانب الحلفاء متعلقا بالكرامة الوطنية ٠

ويظهر لى أن الاحرار الدستوريين بموقفهم هذا كانوا يردون على موقف مماثل وقفه السعديون ، عندما كان على ماهر باشا يقوم بتشكيل وزارته الثانية: لقد تعاهد الأحرار الدستوريون والسعديون ، على أن يكون لهم موقف موحد من موضوع الاشتراك فى وزارة على ماهر ، فاما أن يدخلوها معا ، واما أن يعتذروا عن الاشتراك فيها معا ٠

وكان على ماهر باشا راغبا فى اشراك السعديين معه فى وزارته ، وغير راغب فى اشراك الدستوريين ، ولذلك فقد راح يضع العراقيل امام اشتراك الدستوريين فى تلك الوزارة ، وبلغ به الامر أنه أصر على أن يختار من الاحرار الدستوريين ، من يريد أن يشتركوا معه ، فى الوزارة دون أن يعطى هذا الحق للحزب ، الذى له ، بل عليه ان يتولى ترشيح من يرغب فى ترشيحهم للاشتراك فى الوزارة ، فلما وافق الدستوريين على اعطاء هذا الحق لرئيس الوزراء ، وكانوا بذلك مفرطين فى حقوقهم ، وضع على ماهر عقبة جديدة ، وخطيرة قطعت كل أمل فى اشراك الدستوريين معه فى وزارته ، وكانت تلك العقبة هى اصرار على ماهر باشا على ترشيح عبد القوى أحمد باشا لوزارة الاشغال على أنه من الاحرار الدستوريين ، ولم يسبق له — فيما نعلم — أن دخل حزب الاحرار الدستوريين ، الا زائرا !!

وقبل السعديون الاشتراك فى وزارة على ماهر باشا تاركين حلفاءهم الدستوريين خارج الوزارة ولذلك آثر الدستوريون فى هذه المرة ، أن يردوا الصاع صاعين لحلفائهم السعديين ، فقبلوا الاستمرار فى وزارة حسن صبرى باشا ، رغم استقالة حلفائهم السعديين !

وقد ظل التوتر قائما بين الاحرار الدستوريين والسعديين ، رغم تلك العلاقات الوثيقة التى كانت تربط محمد محمود باشا رئيس حزب الأحرار الدستوريين بالدكتور أحمد ماهر باشا رئيس الهيئة السعدية !!

هذا ، وللأمانة التاريخية نقول ــ نقلا عن ألسنة بعض أصدقاء أحمد ماهر باشا الذين نعتز بآرائهم ، وصدقهم ــ ان أحمد ماهر لم يكن يريد حربا هجومية بل كان يريد حربا دفاعية ، بمعنى أننا لا نهاجم دول المحور ، وانما فقط نكتفى بالدفاع عن أراضينا ، والفرق بين الحرب الهجومية ، والحرب الدفاعية ــ كما يقول اصدقاء الدكتور أحمد ماهر ــ كالفرق بين السماء والأرض !

وللامانة التاريخية أيضا ، نقول ان دار السفارة البريطانية فى القاهرة لم تتدخل ابدا فى الخلاف الذى شجر بين حسن صبرى باشا ، رئيس الوزارة من ناحية ، وبين أحمد ماهر باشا رئيس الهيئة السعدية ، والسعديين من ناحية أخرى ، بل ان رجال السفارة البريطانية قد حرصوا خلال أيام الأزمة على أن ينقطعوا عن زيارة حسن صبرى باشا ، والوزراء السعديين .

وقد كان السفير البريطانى فى زيارة رسمية لرئيس الوزراء قبل اعلان بيانه فى مجلس النواب ، وقد حرص أصدقاء السفير وأصدقاء رئيس الوزارة ، أن يعلنوا ان السفير البريطانى لم يسأل رئيس الوزراء عما احتواه بيانه ، وأن رئيس الوزراء لم يشأ أن يخبر السفير البريطانى ورجال سفارته ، قد آثروا عدم التدخل فى تلك الازمة ، فقد كانوا جميعا ، على ثقة مطلقة من ان الجانبين المختلفين ، لا يسعيان الى خدمة بريطانيا وان اختلفت وجهات نظرهما فى كيفية القيام بأداء تلك الخدمة !

وعند هذا الحد ، نتوقف عن الحديث ، عن أعنف أزمة « هاجمت » وزارة حسن صبرى باشا ومن اسباب وذيول خروج أو اخراج الوزراء السعديين من تلك الوزارة ، خاصة وأننا نشعر بأننا قد أطلنا فى الحديث عن وزارة حسن صبرى باشا ذاتها ، التى لم تعمر طويلا فى الحكم ، فلقد تألفت فى ٢٧ يونيو ١٩٤٠ ، وانتهت بوفاة رئيسها حسن صبرى باشا وهو يتلو خطاب العرش بين « يدى » الملك وامام مجلسى البرلمان فى ١٤ نوفمبر ١٩٤٠ بعد ان اجهد الرجل نفسه الى أبعد حدود الاجهاد ، منذ أن ولى رئاســـة الوزارة ثم تضاعف ذلك الاجهاد بعد خروج أو اخراج الوزراء السعديين من الوزارة ، رغم أن السعديين بعد أن حظيت وزارة حسن صبرى باشا بثقة أغلبية أعضاء مجلس النواب ، وبعد ان تخلى عنهم حلفاؤهم الدستوريون ، لم يضعوا العراقيل ، امام وزارة حسن صبرى باشا ، بل راحوا يوجهون كل طاقاتهم وامكاناتهم ــ وقد كانت فعلا كثيرة ، وكبيرة ــ لتحقيق نصر مؤزر فى انتخابات رئاسة مجلس النواب .

وكان بعض السياسيين ، يعارضون فى اعادة ترشيح الدكتور أحمد ماهر لرئاسة مجلس النواب بعد أن أصبح زعيما للمعارضة ، وبعد أن خرج ، أو اخرج حزبه من الوزارة ، وكان السعديون يردون على ذلك القول بانه لا يوجد ابدا أى نص فى دستور أية دولة برلمانية ، يمنع رئيس المجلس النيابى ، من

أن يكون له رأى مخالف لرأى الحكومة ، المهم ، ان يكون رئيس المجلس فى ادارته للجلسات بعيدا كل البعـــد عن الانحياز للحكومة ، أو للمعارضة وقد أثبت الدكتور أحمد ماهر ــ كما كان السعديون يرددون ــ انه فى رئاســـته للمجلس محايد ، بل ومتزمت فى حياده ٠

ورغم ان انتخابات رئاسة مجلس النواب كان محددا لها نصف نوفمبر ١٩٤٠ ، الا أن المعركة الخاصة بتلك الانتخابات قد بدأت فى أكتوبر ١٩٤٠ ، وكانت بدايتها ساخنة جدا بسبب الظروف الحزبية المتميعة وقتئذ :

فالدستوريون ، ولهم فى المجلس حوالى التسعين نائبا ، ورغم الصلات الوثيقة التى تربط بين احمد ماهر باشا ، رئيس الهيئة السعديه ، ومحمد محمود باشا رئيس الاحرار الدستوريين ، كانوا يفضلون الا ينتخب الدكتور أحمد ماهر ، رئيسا للمجلس ، لانهم يفضلون أن يكون رئيس المجلس مستقلا ، ولهذا السبب ، ولأسباب آخرى أيدوا ترشيح د٠ بهى الدين بركات باشا ، لرئاسة المجلس فى الدور السابقة ، فلما كانت الدولة الحالية ــ دور نوفمبر ١٩٤٠ ــ حاولوا اقناع بهى الدين بركات باشا بمعاودة ترشيح نفسه لرئاسة المجلس ، ولكن بهى الدين بركات ، الذى لم يكتب له الفوز فى معركة عـــام ١٩٣٩ امام أحمد ماهر ، رفض ترشيح نفسه مفضلا ، ان يعطى كل جهـــده للجمعية الخيرية الاسلامية التى يرأسها بالرغم من تحريض الدســـتوريين والمستقلين اياه ، لخوض تلك المعركة ، التى كان المستقلون ، والدستوريون يرونها ــ بالنسبة لبهى الدين بركات باشا ــ سهلة للغاية « ففى انتخابات عام ١٩٣٩ ، ورغم اشتراك السعديين فى الحكم ، ورغم تأييد الحكومة لأحمد ماهر باشا ، الا أنه لم يستطع الفوز عليه الا بثمانية عشر صوتا ، والان ــ عام ١٩٤٠ ــ والسعديون ليسوا فىالحكم ، ليس هناك ما يغرى هؤلاء الثمانية عشر صوتا بانتخاب الدكتور ماهر » ٠

وعندما فشل الدستوريون فى اقناع د٠ بهى الدين بركات باشا بترشيح نفسه لرئاسة المجلس ضد د٠ أحمد ماهر باشا ، أجمعوا على ترشيح أحد أقطابهم لرئاسة المجلس ، وهو ابراهيم دسوقى أباظة « بك » ٠

وكان الدستوريون بترشيحهم لدسوقى أباظة « بك » رئيســـا لمجلس النواب ، متناقضين مع رأيهم السابق الذى عبر عنه أنه رغم احترامه ، وحبه لأحمد ماهر ، الا أنه يفضل ان يكون رئيس المجلس ، مستقلا لا حزبيا !

وقد حاول ابراهيم دسوقى أباظة « بك » بعد اجماع الدستوريين عـلى ترشيحه لرئاسة المجلس ان يقنع الشيخ مصطفى عبد الرازق وزير الاوقاف بترشيح نفسه ضد د٠ أحمد ماهر ، غير ان الشيخ مصطفى عبد الرازق ، آثر

الا يخوض تلك المعركة ، غير المضمونة ! آثر الا يخوض تلك المعركة غير المضمونة. ورغم أنه لم يكن للوفديين في ذلك المجلس أكثر من دستة نواب الا أن القيادة الوفدية كانت تصر على أن يعطى النواب الوفديون ، أصواتهم لدسوقي أباظة بك، لا حبا في دسوقي أباظة « بك » ولكن كراهية في أحمد ماهر باشا ، ورغم اصرار القيادة الوفدية على أن يعطى النواب الوفديون أصواتهم لدسوقي أباظة ، السعديين كانوا على ثقة مطلقة من أن نصف هؤلاء النواب على الأقل ، سوف ينتخبون « القطب الوفدى القديم » د٠ أحمد ماهر ، وقد فعل هؤلاء الستة ذلك في الانتخابات الماضية رغم تأكيد القيادة الوفدية عليهم بضرورة انتخاب د٠ بهى الدين بركات منافس د٠ أحمد أحمد ماهر ٠

وكان المستقلون ، في المجلس ــ وهم أغلبية كبيرة ــ منقسمين فيما بينهم، حول انتخاب د٠ أحمد ماهر : بعضهم يؤثر أحمد ماهر ، البرلماني الممتاز وبعضهم يفضل دسوقي اباظة ، الحر الدستورى ، وبعضهم وقع في حرج شديد لانه يجمع بين صداقة أحمد ماهر ودسوقي اباظة وكان من بين هؤلاء الاصدقاء ، د٠ حنفي أبو العلا ، الذى أثر ان يخرج من الموقف المحرج ، بالالتجاء الى أبناء دائرته « محرم بك » ليستشيرهم فيمن ينتخبه لرئاسة المجلس ، فعقد سلسلة من الاجتماعات اشترك فيها كثير من ناخبيه ، وكانت اغلبية هؤلاء الناخبين تؤكد ميلهم الى انتخاب دسوقي اباظة وذلك بسبب معارضتهم لموقف د٠ أحمد ماهر من دخوله الحرب ، الى جانب الحلفاء !

وكان من بين الاعضاء الدستوريين الذين لا يكفون عن اعلان تأييدهم، لاحمد ماهر رغم التحذيرات ، التى وجهها له ، رئيس الحزب ، واقطابه ، الا أنه كان مصرا على ان عامل الصداقة أقوى الف مرة من عامل الحزبية وقد أصر الأستاذ شفيق جبر ، على التمسك بتأييد انتخاب الدكتور أحمد ماهر لرئاسة المجلس رغم اصرار الحزب على فصله منه ٠

ورغم ان على ماهر باشا ، لم يكن عضوا في مجلس النواب بل كان عضوا بمجلس الشيوخ الا أنه كان يملك عصبية هائلة في مجلس النواب وكان قد أشيع ان على ماهر ، يحارب ترشيح شقيقه أحمد ماهر لرئاسة المجلس لمعارضة أحمد ماهر ، لسياسة تجنيب مصر ويلات الحرب ، التى رفعت لواءها وزارة على ماهر غير ان الاستاذ سعد اللبان من أصدق أصدقاء على ماهر ، قد نفى هذه الشائعة نفيا باتا وأعلن عن استعداد على ماهر لاصدار بيان مكتوب ينفى به تلك الشائعة المغرضة التى تحاول افساد العلاقة بين الأخوين الشقيقين !

وكان على ماهر قد بدأ يجمع حوله انصـــاره من المثقفين ، الذين كانوا يؤيدون رأيه فى موقفه من الحرب وكانوا يزورونه باستمرار فى بيته ، وكانت السفارة البريطانية تنظر بحذر شديد الى هذا التحرك ، الذى يقوم به على ماهر خاصة وقد نقل على لسان أحد أصدقائه ، مصطفى الشوربجى بك أن على ماهر باشا بسبيل انشاء ناد سياسى يجمع أنصاره لأن بيته يضيق ، بهم ، ولأن بيته يبعد عن آخر محطة للترامواى ، بنصف ساعة مشيا على الأقدام ٠

هكذا كانت الأمور ، تجرى فى الأسابيع الأخيرة ، لوزارة حسن صبرى باشا وقد سعدت الى حد كبير ، وأنا أقرأ فى روز اليوسـف فى ٢٦ أكتوبر ١٩٤٠ فى العدد الذى احتفلت فيه بتتمة خمسة عشر عاما من تاريخهـــا ، تحليلا سياسيا للأستاذ احسان عبد القدوس لعله كان من أوائل التحقيقات التى كتبها فى روز اليوسف والتى حرص على أن يوقعها باســم : احســان محمد عبد القدوس ، وكان التحقيق تحت عنوان : كلمة حق ٠٠ زعماؤنا على حقيقتهم » وقد جامل بداية هذا التحقيق : احتارت اقلامنا فى زعمائنا وحرنا فى دلهم ودلالهم فما من زعماء أمة من أمم العالم مر عليهم مثل هذا الموقف الذى يمر بنا دون أن يقدروا نتيجة الخطر ، الذى ينجم عن انقسامهم ، واختلافهم ودون ان يسارعوا ، الى الاتحاد ، ووضع أيديهم فى أيدى البعض حتى يقفوا صفا واحدا فى مواجهة الخطر وينقل احسان عبد القدوس على لسان مستقل كبير سأله احسان عن فكرة « الوزارة المحايدة » التى ينادى بها الوفد وعما اذا كانت ستتحقق قريبا ، ويقول المستقل الكبير : ومالها الوزارة دى ! اليس حسن صبرى مرضيا عنه من جميع الجهات ؟ ألم يثبت أنه يستطيع التفاهم مع جميع الاحزاب بمن فيهم الوفديون والسعديون ؟ واليست الاعصاب بفضله هادئة ، والأمور تسير فى سيرها الطبيعى دون دوشة ولا أزمات ؟

ويتساءل احسان عبد القدوس عن عدم قيام هيئة تقف بجـانب وزارة حسن صبرى ما دام قد ثبت ان جميع الاحزاب ترضى عنها ولماذا لا يتنازل النحاس باشا عن طلباته الخاصة بالوزارة المحايدة والبرلمان ولماذا لا يتنازل أحمد ماهر عن رأيه وينضم الى رأى الاغلبية الساحقة حتى يسهل الجمع بينه وبين بقية الزعماء ٠

ويرد احسان على تساؤلاته تلك ، فى نهاية تحقيقه ، أو مقاله السياسى بقوله : تذكرت أن الامر يستدعى التضحية وان التضحية هى الصفة الوحيدة التى تنقص زعماءنا

وتمتلىء الصحف اليوميـــة الصادرة فى صبيحة يوم ١٤ نوفمبر ١٩٤٠ بخطب الزعماء والقادة ، التى القوها فى اليوم السابق يوم عيد الجهاد ، وكان

البرلمان قد دعى للانعقاد في ذلك اليوم ، ١٤ نوفمبر ، وفى الساعة الحادية عشرة الا ثلثا انتقل الملك من قصر عابدين الى دار البرلمان يرافقه حسن صبرى باشا رئيس مجلس الوزراء واصطف الامراء ، والنبلاء على يمين الملك فى « قاعة العرش » بينما اصطف على يساره رئيس الوزراء والوزراء وكان حسن صبرى باشا متشحا بوشاح محمد على الذى كان قد أنعم به عليه الملك ، فى صباح ذلك اليوم ٠

وتسلم حسن صبرى باشا خطبة العرش من الملك فى الساعة الحادية عشرة والدقيقه الخامسه ، وبدأ فى تلاوتها بصوت هادىء رزين ولكن فى بطء ، وتريث ، وظن المستمعون لاول وهلة ان مرجع هذه الاناة فى التلاوة يعود الى قصر الخطبة ولكن رئيس الوزراء لم يكد يصل الى منتصفها فى خلال سبع دقائق حتى بدت عليه علامات الاعياء فعلت وجهه ــ كما قالت صحف المساء التى صدرت بعد ساعة أو ساعتين من وقوع الحادث ــ صفرة شديدة ثم ضعفت قواه وخر فى موضعه مستلقيا على ظهره ، وأحاط به الوزراء يحاولون اسعافه، وجىء له بكوب ماء ، وأكمل محمد محمود خليل بك رئيس مجلس الشيوخ تلاوة خطبة العرش فأتمها فى خمس دقائق ٠

وقد حاول الدكتور على ابراهيم باشا وزير الصحة اجراء عملية التنفس الصناعى لرئيس الوزراء واستدعى رجال الاسعاف لنقله ، الى أحد المستشفيات غير ان روحه قد فاضت الى بارئها ٠٠

الفصل الرابع

فاروق يعرض رئاسة الوزراء على رئيس ديوانه أحمد حسنين ليتخلص منه

أنهينا الفصل السابق بالحديث عن نهاية حياة حسن صبرى باشا ، رئيس مجلس الوزراء ، وهو يلقى خطاب العرش نيابة عن الملك فاروق ، كما تقضى بذلك التقاليد الدستورية ، المعروفة وقتئذ ، وقبل أن نتحدث بالتفصيل عن تلك النهاية ننقل هنا — كوثيقة تاريخية — أقصر خطاب عرش عرفته سنوات ما قبل الثورة :

« حضرات الشيوخ ، حضرات النواب

أحييكم أجمل تحية ، وأسأل الله لكم فى مهمتكم توفيقا تزداد به الأمة قوة وتعتز به اتحادا يكفل خير الوطن واستقلاله وأمنه وسلامته .

لقد وقفت مصر من الحرب التى تستعر نارها ويمتد لهبها الآن غربا وشرقا موقفا أرادته الاناة ، واقتضته الحكمة ، وأدى اليه الحرص الأكيد على سلامة البلاد والوفاء بالعهد فنفذت معاهدة الصداقة والتحالف مع بريطانيا العظمى بنصها وروحها تنفيذ اخلاص وصدق وعملت على أن تكون علاقتها مع سائر الدول ، فى غير ما أثرت فيه الحرب علاقات مودة وصفاء ، وأقامت تنظر الى تطورات الحوادث بعين اليقظة ، واثقة بنفسها ، مطمئنة الى حليفتها ، حريصة على سيادتها واستقلالها ، محتاطة لدرء كل ما يمسهما عاملة على أن تظل رغم تقلب الأحوال الدولية ، آمنة ، محتفظة بكيانها .

ولا تزال هذه السياسة التى أقررتموها خلال الدورة البرلمانية السابقة والتى اتجهت اليها ارادة الأمة سياسة حكومتى ، وهى عظيمة الرجاء فى أن تؤتى هذه السياسة خير ثمراتها ، وان يتم لمصر بفضلها كل ما ترجوه وتصبو اليه .

وقد رأت حكومتى ان معالجة ما نشأ عن الحرب من اضطراب فى شئون البلاد الاقتصادية خير كفيل بنجاح هذه السياسة فواجهت الحالة بكل ما استطاعت من وسائل ، والفت فى حليفة مصر العظمى العون الصادق على ما أرادت • اتفقت معها على شراء محصول القطن الجديد ، ونظمت معها السوق المالية ، وبذلك استقرت المعاملات فلم يكن للتقلبات التى حدثت فى الخارج كبير الأثر فى مصر •

واتجهت حكومتى الى صيانة الاقتصاد الأهلى وتشجيع الانتاج الداخلى فى شتى نواحيه ، فكان من أثر ذلك كله أن عادت دورة التعامل فى أنحاء البلاد على نحو اطمان الجميع اليه • وزاد فى طمانينتهم ما أبدته حكومتى من حرص على تموين البلاد بكل ما هو ضرورى لها فى الظروف الاستثنائية الحاضرة •

ولم تصرف ظروف الحرب حكومتى عن العمل لاستكمال استقلال البلاد ، ولا عن اضطلاعها بأعباء الاصلاح فيها • لقد أقر البرلمان فى الدورة الماضية الاتفاق الذى ألغى صندوق الدين كما عاون الحكومة بتأييده لها فيما نهضت به من أعباء الاصلاح فى حدود طاقة الخزينة التى تأثرت تأثرا محسوسا بالأحوال العالمية الحاضرة •

وتجرى الحكومة فى المستقبل على الخطة العملية التى جرت عليها حتى الآن واثقة من معاونتكم وتأييدكم كى يتصل الاصلاح بمرافق الدولة كلها وتظل البلاد آمنة مطمئنة فى هذا الدور الدقيق من تاريخ العالم •

لقد كانت الحكمة رائد الأمة المصرية فى جميع أحوالها وكان حرصها على استقلال الوطن واستمساكها به واتحادها فى سبيله أمنع سياج له وأعز زائد عنه ، وأنتم ممثلو الأمة ، أولتكم ثقتها وحملتكم أمانتها فانهضوا بالأمانة وحققوا الثقة عاملين بحكمة الأمة وحرصها يستقم ميزان العدل والأمن والطمأنينة فى البلاد • لقد وفت مصر بعهودها وحافظت على طيب العلاقات مع سائر الدول فى الخارج فتخطت البلاد خلال الشهور التى انقضت منذ كانت الحرب الحاضرة أدق الظروف وأعصب الأوقات •

ولى عظيم الرجاء فى ان تظل الحكمة رائدنا وان يصبح العزم الصادق عدلنا •

لحظ الله وطننا العزيز بعنايته ، وشمله برعايته ، ووفقنا جميعا فى خدمته، ليعز جانبه وتعلو كلمته •

انه سميع مجيب » •

أما كيف انتهت حياة حسن صبرى باشا فجأة فقد قالت المصادر المقربة من القصر ومن البرلمان ومن أسرة حسن صبرى باشا ، ان الرجل الوطنى

المصرى ، الصادق الصريح ، حسن صبرى قد استيقظ فى ساعة مبكرة جدا من يوم ١٤ نوفمبر ١٩٤٠ فصلى الفجر حاضرا ثم أخذ فى قراءة بعض آيات من القرآن الكريم ٠

ولما شعر بالتعب أخذ حقنة من الكيرومين ، التى اعتاد ان يأخذها فى مثل ذلك الحالات وخرج من منزله مصطحبا معه الأستاذ ميشيل ساويرس ـ من كبار رجال رياسة الوزارة ـ فى نزهة قصيرة حول الجزيرة بالقرب من الشارع الذى يحمل اليوم اسمه فى الزمالك ـ بالقاهرة ٠

وخلال تلك النزهة قال انه طلب من وزارة الدفاع أن تمنح ابنه الملازم أول منير صبرى أجازة ليتسنى له حضور حفلة افتتاح البرلمان ، ليشترك فى الاستماع الى خطاب العرش ، الذى سيلقيه لأول مرة فى حياته ، ولكن وزارة الدفاع رفضت طلب رئيس مجلس الوزراء ٠

وعاد حسن صبرى الى منزله ، ليستبدل ملابسه وليذهب الى سراى عابدين ، حيث قابل الملك الذى فاجأه بتسليمه الوشاح الأكبر من نيشان محمد على ٠

وبعد أن تسلم الوشاح من الملك ، اتجه الى غرفة التشريفات ، الى أن تحين لحظات قيام الموكب الملكى ٠

فى غرفة التشريفات ناول الأستاذ ميشيل الوشاح ، طالبا منه أن يعاونه فى ارتدائه ، ولما كانت النياشين الكبيرة تعاد الى السراى الملكية عقب وفاة أصحابها ، فقد سأل « دولته » الأستاذ ساويرس قائلا : يا نرى كام واحد قبلى لبس النيشان ده ٠

وقال له الأستاذ ساويرس : « ده باين عليه جديد يا باشا » ٠

وبعد أن ارتدى الوشاح جلس على مقعد وثير فى غرفة التشريفات ، فأقبل عليه أحمد حسنين باشا ، ومراد محسن باشا ، ليهنئاه فقال لهما : « أنا حاسلم عليكم وأنا قاعد ، أحسن أنا تعبان شويه ومش قادر أقوم ٠٠ » ٠

وصافحهما وهو جالس فى مقعده ، وطلب من الأستاذ ميشيل أن يتفق مع المصور ، واينبرج على موعد يصوره فيه بالوشاح الجديد ٠

هذا ما حدث قبل أن يرافق رئيس الوزراء الملك ، الى مبنى البرلمان ، أما ما حدث بعد أن أغمى عليه ، فقد سبق أن ذكرنا بعضه ٠ فى الفصل السابق ، ونضيف أنه عندما أغمى على رئيس الوزراء ، وأراد البعض نقله من « منصة العرش » الى البهو الفرعونى ، لم يجدوا مفاتيح الباب القريب منه ، فقاموا بكسر الباب ، ووضع رئيس الوزراء على الأرض والتف حوله الى جانب الدكتور على ابراهيم باشا وزير الصحة ، الدكاترة : حامد محمود ، ونجيب اسكندر ،

وحلمى الجيار ، وعبد الرحمن عوض ، وفؤاد رشيد ، واختلفت الصحف فيمن قام باجراء عملية التنفس الصناعى لحسن صبرى باشا ، أهو على باشا ابراهيم ، أم الأستاذ فؤاد رشيد ، ولكن ثبت أن الذى قام بذلك هو الدكتور حامد محمود ودخلت السيدة الجليلة قرينة رئيس الوزراء ، منيرة هانم ، على زوجها وهو بين الموت والحياة ، وقالت أنه قد تعود على تناول حقن معينة فى وقت الأزمات ، واتصل بعضهم بالمنزل لارسالها الى مبنى البرلمان ٠

وجاء الملك ، وقف فى أحد أركان الغرفة وسأل الدكتور على ابراهيم باشا : هل هناك أمل ؟ وهز الدكتور على ابراهيم باشا رأسه علامة تدل على أنه لا أمل ، على الاطلاق ٠

وكان الدكتور ماهـر موجودا فراح يواسى ابنـه اسـماعيل صبرى ، بعد أن أعلن الأطباء أن الروح قد صعدت الى خالقها ، وقام د٠ ماهر « بتوصيل » حرم الفقيد الى الباب الخارجى ، وكان البروتوكول يقضى بأن يخرج الأمراء أولا ، ولكن الدكتور أحمد ماهر ضرب بالبروتوكول عرض الحائط ، وأفسح الطريق لزوجة الراحل العظيم الذى نقل جثمانه الى منزله فى سيارة اسعاف تابعة للقصر ٠

وكان الذى تولى تحرير شهادة الوفاة هو على ابراهيم باشا ٠٠

واذا كان الشعب ــ كما أذكر جيدا ــ قد استقبل وزارة حسن صبرى باشا بفتور ، بل بضيق شديد ان لم يكن بغضب ما بعده من غضب ، فقد ودع الشعب الرجل وداعا حافلا مهيبا ، شارك فيه كل قادة البلاد ، وزعمائها وجماهير كثيرة من كافة طوائف الشعب ، الذى عرف للرجل أخيرا ــ وبعد وفاته قدره ، ومكانته ، ووطنيته ، وجرأته ، وصراحته ٠

ومن بين ما رواه الأستاذ الشيخ عبد المجيد اللبان ــ وكان وقت وفاة حسن صبرى باشا ــ شيخا بكلية أصول الدين وكان فى نفس الوقت قد تتلمذ على يدى الأستاذ حسن صبرى ــ أن قليلين من رجال الأزهر استقبلوا تدريس العلوم الحديثة بالأزهر ، بثورة عنيفة ، بينما أغلبية الأزهريين قد استقبلت ذلك بترحاب شديد ، وقد كان الأستاذ حسن صبرى أفندى هو مدرس الرياضة الذى رحب به الجميع ، الراضون عن تدريس العلوم الحديثة ، والساخطون على تدريسها ٠

ويمضى الشيخ اللبان قائلا : ان الأستاذ حسن صبرى كان يلقى دروس الحساب على الأزهريين فى مدرسة خليل أغا ، وكانت وقتئذ فى المكان الذى توجد به ادارة الأزهر ، وقد بلغ من اهتمام الأزهريين بدراسة الحساب والجغرافيا وغيرهما مما كان يطلق عليه العلوم الحديثة أن بعض الأزهريين كانوا ينظمون مواد تلك العلوم ، شعرا ويحفظونها عن ظهر قلب ٠

ويذكر الشيخ اللبان أن الأستاذ على شقير قال فى كروية الأرض وكانت تدرس فى علم الجغرافيا :

والأرض قالوا انها دائرة كبيرة الحجم شبه الكرة ٠

ويرى الشيخ اللبان أن حسن صبرى ، ظل يدرس العلوم الحديثة فى الأزهر ، خمس عشرة سنة ، حتى أختير عضوا فى المجلس الأعلى للأزهر ، حيث كان آكثر أعضائه صراحة وجرأة : وقد حدث أن طلب الشيخ سليم البشرى طيب الله ثراه ، وكان شيخا للجامع الأزهر ، نقلى ــ هكذا يقول الشيخ عبد المجيد اللبان ــ حيث كنت أقوم بالتدريس ، فى معهد الاسكندرية الدينى ، الى معهد أسيوط وذلك لأن جهة من الجهات طلبت ذلك ، وعندما عرض الأمر على المجلس الأعلى أصر حسن صبرى على معرفة أسباب النقل ، فلما قيل له ان جهة ما هى التى طلبت النقل ، رفض الموافقة على طلب النقل ، وظل يكافح الى أن أقنع بقية أعضاء المجلس الأعلى ، وكان أن سحب الشيخ سليم البشرى مذكرته ، وبقيت حيث كنت مدرسا ، بمعهد الاسكندرية الدينى » وكانت الجهة التى يعنيها الشيخ اللبان السراى ٠

وقد قام مجلس النواب بتأبين حسن صبرى باشا فى جلسة خاصة بتاريخ ١٨ نوفمبر ١٩٤٠ وقد جاء فى كلمة رئيس المجلس د٠ أحمد ماهر : ان وفاة حسن صبرى باشا خسارة كبرى ، للبلاد ، خصوصا فى هذا الظرف ، العصيب ، الذى نحن أحوج ما نكون فيه الى جهود العاملين المخلصين الذين كان حسن صبرى منذ نشأته فى طليعتهم ٠ لقد حرمنا من جميل سعيه ونزاهته فى العمل ٠ وصدقه فى القول واستقلاله فى الرأى وحسن تصريفه للشئون العامة وشغفه بجمع الكلمة ورغبته الآكيدة فى ضم الصفوف وتوحيد القصد رغم اختلاف الوسائل ، والجهود ٠٠ » ٠

ويتوجه د٠ ماهر نيابة عن أعضاء المجلس ومن فوق منصته بخالص العزاء الى السيدة الفاضلة عقيلة حسن صبرى باشا والى أبنائه ، وأفراد أسرته الكريمة ٠

وكان حسين سرى باشا قد خلف حسن صبرى باشا ، فى رئاسة الوزراء وقد كان مما قاله حسين سرى باشا فى مجلس النواب ، باسم ، الحكومة الجديدة : بقلوب تفيض بالآسى ، والآسف ، أتحدث الآن ، عن الرجل العظيم ، المغفور له حسن صبرى باشا ، وقد كان بالأمس قوة ، وكلمة ، وعملا ، صالحا ، يملأ السمع والبصر ، ويثير الاكبار والاعجاب واذا هو الآن مجرد ذكرى تثير اللوعة والألم ٠

لقد ظل رحمه الله يغالب المرض ويغلبه ، ويقاوم الضعف ، ويقهره ، ويعمل بالعقل ، الرصين ، وتجارب السنين ، والحكمة البالغة والاخلاص الوقير

حتى وافاه القدر المحتوم فوقع ، أمامكم فى هـذه القاعة الكبرى رافعـا علم المجاهد ، وخطاب العرش يتدفق من فيه مع ما كان يعانيه فراح شهيد الواجب ، الوطنى بل راح مثلا ، أعلى ، فى التضحية لمصلحة الوطن ·

وكان من بين ما قالته صحيفة الديلى تلجراف ــ فى مقالة افتتاحية طويلة ــ : لقد سطا الموت على رئيس وزراء شعب صديق حليف ، فطويت بذلك صفحة ناصعة مجيدة من صفحات شخصية ممتازة كانت تبشر بالخير لمصر ، وخاصة فى هذه الأيام التى لا يستغنى فيها عن حكمة الرأى وعظم النفوذ » ·

وتعبر الصحيفة البريطانية عما تحس به بريطانيا من خسـارة لوفاة حسن صبرى باشا ، وهى خسارة يشعر بها خاصـة الوزراء البريطانيون ، ويزيد فى الآسف ما هناك من اعتبارات شخصية ، وسياسة اذ كان الفقيد رحمه الله ، موضع حب الناس واحترامهم ، عندما كان وزيرا مفوضا لمصر ، فى لندن فمنذ بضع سنين · وهم لا يزالون ، لهذا الاحترام ، وذلك الحب ، محافظين والحق ، انه ليس من السهل ، اليسير ملء الفراغ ، الذى خلفه الرزء ، فى الفقيد حسن صبرى وطويت ، بذلك ، صفحة حسن صبرى باشا كرئيس للوزراء ·

وبدأت ، صفحة جديدة ، لحسين سرى باشا ، رئيس الوزراء ، الجديد » ·

ويقول الأستاذ محمد التابعى : فى مساء نفس اليوم ، الذى توفى فيه حسن صبرى باشا ، صدر مرسوم ملكى يكلّ الى عبد الحميد سليمان باشا القيام بأعمال رئيس الوزراء ريثما يتم اختيار الذى يخلف حسن صبرى باشا ، فى رئاسة الوزراء ·

وكان هذا المرسوم مناورة تمويه ، وتضليل أخرى من حسنين باشا ــ كما يقول الأستاذ التابعى ــ لأن السفارة البريطانية ، قد فهمت ــ كما فهم الناس ــ من انابة عبد الحميد سليمان باشا للقيام بأعمال رئيس الوزراء ، ان أمر اختيار الرئيس الجديد للوزارة قد يطول ويستغرق بضعة أيام ، ولكن السفارة والسفير والوفد ، والأحزاب : كل هؤلاء فوجئوا ــ بعد يوم واحد ــ باختيار حسين سرى باشا رئيسا للوزراء ·

ويروى الأستاذ التابعى قصة اختيار حسين سرى باشا ، لرئاسة الوزراء ، نقلا عن أحمد حسين باشا بقوله : يقول حسنين باشا بالطبع : كلمنى الملك بالتليفون فقلت له ، هل يأذن لى مولاى بمقابلته ؟ · فقال : أيوه ، لكن خليك فى مكتبك ، وأنا جاى عندك ·· وجاء فاروق ، وقد تكلف هيئة الجد وعرض على رئاسة الوزارة ، وكان على ماهر باشا هو السياسى ، الوحيد الذى استقبله الملك سرا ، بعد وفاة حسن صبرى باشا واستشاره فى الموقف

وادركت ـ هكذا يقول حسنين باشا ـ ان ترشيحى لرياسة الوزراء جاء من جانب على ماهر ، وانه مقلب من رفعته ،لكى يتخلص منى نهائيا : يعنى أبقى رئيسا للوزارة أسبوعين ، أو شهرا ، ثم أقال ، أو أرغم على الاستقالة ، وأخرج من السراى الى دارى لأبقى فيها نهائيا • أدركت هذا بالبديهة ولأن فاروق ، الذى كان يعارض ويرفض تعييني رئيسا للديوان لا يمكن أن يكون هو صاحب فكرة تعييني رئيســا للوزارة ، الفكرة اذن فكرة ، على ماهر ، ولغرض خفى •

ويقول أحمد حسنين : اعتذرت بأدب عن قبول المنصب الكبير •

وقال لى الملك : لا تتسرع : فكر شوية ، كمان ، وسوف أعود اليك

وتركنى ، وانصرف ، وهنا دخل عبد الوهاب طلعت باشا ، فطلبت أن يوافينى بدوسيهات رؤساء الوزارات والوزراء ، السابقين •

وفى ادارة المحفوظات بقصر عابدين ملف أو دوسيه خاص لكل رئيس وزارة سابق ، وكل وزير سابق وكل زعيم سياسى من السياسة المصريين

عاد الملك وسألنى : هيه •

وقلت له : ياتقعدنى جنبك ياتخرجنى من السراى ، وســأل المــلك يعنى ايه

وقلت : أنا لا أصلح لهذا المنصب ثم ان الناس سوف تقول أن حسنين ربى فاروق وكسب نفوذا ، عنده لكى يستغل هذا النفوذ ويعمل نفســه رئيس وزارة ، بينما فى البلد عشرات ممن يصــلحون خــيرا منه لهــذا المنصب ، وتساءل فاروق : زى مين ؟ قلت : هذا ما أبحث فيه الآن وقال فاروق : ضرورى هذا المساء ، تقول لى مين ، قلت : سمعا وطاعة سوف أقدم اسم المرشح ، هذا المســاء •

وعاد فاروق ، بعــد نحو ساعة ، وسألنى مين بقى يا سيدى ، الذى ترشحه ؟ وقلت حسين سرى • وصاح فاروق : أعــوذ بالله دا راجل بتـــاع الانجليز ، مش ممكن ، شوف لك حد تانى وتركنى وخرج •

وجلست أنتظر عودته ، وكنت أعرف ان فاروق لا يستريح الى حسين سرى ولا يحبه رغم وجود صلة النسب العائلية ورغم اجتماعه به مرارا ، فى سهرات الأسرة ، فقد كان حسين سرى زوجا لخالة الملكة فريدة •

ويقول أحمد حسنين : انه وضع استقالته اذا لم يعين حسين سرى باشا وانه قد أخذ يشرح للملك سر اختياره لحسين سرى باشا « فهو نسيبك وهو أحرص الناس على حقوقك ونحن فى ظروف عالمية ومفاجآت دولية خطيرة •• والحكم الآن فى أيدى أحزاب الأقلية ، التى لا تمثل البلاد ، والوفد صــاحب

الأغلبية الحقيقية ، مقصى عن الحكم ، وتعيين رجل مستقل غير حزبى مثل حسين سرى فى رياسة الوزارة قد يخفف ولو قليلا من حدة خصومة الوفد للسراى ، ثم ان حسين سرى ، رجل مقبول عند الانجليز ، وسوف يسكتون على تعيينه كما سبق ، ان سكتوا على تعيين حسن صبرى باشا ولا يلحون ولا ينذرون بوجوب قيام ، وزارة وفدية : يعنى اننا بتعيين حسين سرى نتفادى الاصطدام الآن بالانجليز ، ووافق الملك ، على اختيار حسين سرى باشا لرياسة الوزارة .. وراح رسل القصر يبحثون عن حسين سرى باشا ، الى أن عثروا عليه ، وكلفه الملك بتشكيل الوزارة « وكان ذلك فى مساء ١٥ نوفمبر ١٩٤٠ » .

وبعد ساعتين ، تم تشكيل الوزارة وأدى الوزراء ، اليمين الدستورية فى الساعة الثامنة مساء وكان أول المهنئين لحسين سرى باشا الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر الشيخ محمد مصطفى المراغى وعبد الوهاب طلعت باشا وكيل الديوان الملكى ، وعلى الشمسى باشا رئيس مجلس ادارة البنك الأهلى وصالح حرب باشا ، والسفير البريطانى سير مايلز لامبسون . و . و .

ويقول الأستاذ الدكتور يونان لبيب رزق ، فى كتابه « تاريخ الوزارات المصرية » الذى أشرف عليه الأستاذ حسن يوسف – وهو الذى عايش جزءا من تاريخ الوزارات المصرية وشارك فى أحداثها وخاصة خلال الفترة من ١٩٤٢ الى ١٩٥٢ يقول : حتى لا يفاجأ البريطانيون بتعيين رجل لا يرغبونه فى المنصب الذى خلا بوفاة حسن صبرى باشا ، فقد بادر السير مايلز لامبسون ، الى الالتقاء ، برئيس الديوان أحمد حسنين باشا وحذره من تعيين محمد محمود خليل بك رئيس مجلس الشيوخ . كرئيس للوزارة وذلك ، بعد أن ترددت الأقوال عن أن النية تتجه الى هذا التعيين وقد ساق السفير البريطانى فى القاهرة لحسنين باشا الأسباب ، التى تدعو بريطانيا الى عدم الثقة فى مرشح ، القصر ، وكان منها ما هو معروف من علاقة وثيقة بين خليل بك وعلى ماهر باشا كما كان منها أيضا ما هو معروف من آراء ، الرجل ، التى يدافع عنها باستمرار عن المصالح الايطالية ، فى مصر .

وحين سأله حسنين عمن يرشحه السفير البريطانى أجاب لامبسون أن هذا ليس من شأنه ولكنه يطلب رجلا ، محل ثقة وقدرة والحرب على أبواب البلاد ، ثم ان أفضل الصيغ قيام لحكومة تتكون من ائتلاف الأحزاب ولكن اذا تعذر ذلك فبالامكان اقامة حكومة محايدة تسندها كل الأحزاب أو على الأقل لا تعارضها ثم يشير السير مايلز لامبسون من هذا الى وجود عدد من الرجال القادرين ، على تاليف حكومة من هذا النوع ، مثل حافظ عفيفى أو على الشمسى ، وهما معروفان باخلاصهما ، للمعاهدة بالاضافة الى تمتعهما بثقة الشعب المصرى ، والحكومة البريطانية : هكذا تقول الوثائق البريطانية ، كما أن هذه الوثائق « من لامبسون ، الى هاليفاكس » تقول أيضا : فى صباح اليوم التالى

• ١٥ نوفمبر ١٩٤٠ » يتصل رئيس الديوان أحمد حسنين باشا بالسير مايلز لامبسون ويبلغه بصورة سرية للغاية أن النية قد استقرت ، على تكليف حسين سرى باشا وزير الأشغال فى الوزارة السابقة بتأليف الوزارة الجديدة وقد أبدى السفير البريطانى ارتياحه للاختيار ووصف سرى باشا ، بأنه صديق للبريطانيين ورجل على قدر كبير من النشاط والتصميم بالرغم من بعض ميوله الاوتقراطية ٠

شيء آخر ، دعا السير مايلز لامبسون لابداء ، ارتياحه لاختيار حسين سرى باشا وهو ما كان يجهر به دائمـا من أقوال تنضـح بالكراهية لعلى ماهر باشا العدو اللدود « آنذاك للبريطانيين » ٠

أما د٠ محمد حسين هيكل فيؤكد ، ان حسين سرى باشا ، أثناء تشييع جنازة « حسن صبرى باشا » ضحى ١٥ نوفمبر ١٩٤٠ طلب اليه أن يخاطب زملاءه الوزراء ، الدستوريين لكيلا يغيب أحد منهم ، عن القاهرة بعد ظهر هذا اليوم عند ذلك ، عرفت أنه كلف بتأليف الوزارة الجديدة ٠

ويضـيف د ٠ هيكل ، الى ذلك قوله : ذهبت بعد ظهر يوم ١٥ نوفمبر ١٩٤٠ الى رياسة مجلس الوزراء بدعوة من حسين سرى باشا ، والتقيت هناك بعبد المجيد بك ابراهيم صالح ، وتحدثنا فى تأليف الوزارة ، واتفقنا على أن يضم للأحرار الدستوريين وزير ، جديد ، انتهى رأينا ، الى أن يكون ، محمد « بك » عبد الجليل ،أبو سمرة ، وعمل سرى باشا فى المستقلين ، بضمه للوزارة حسن صادق « بك » ! وكيل المالية ، وجعله وزيرا لها وكذلك تم تأليف الوزارة ودعى أعضاؤها للاجتماع ، واتفقت كلمتهم على أن برنامجها هو برنامج ، الحكومة السابقة ٠٠

وكان تأليف وزارة حسين سرى باشا ، الأولى ، على النحو التالى : حسين سرى : للرئاسة والداخلية والخارجية : محمد حلمى عيسى : للعدل ، صليب سامى ، للتجارة والصناعة ، محمد حسين هيكل للمعارف ، الشيخ مصطفى عبد الرازق : للأوقاف : عبد القوى أحمد : للأشغال ، أحمد عبد الغفار للزراعة ، عبد المجيد ابراهيم صالح : للمواصلات والتموين ، على ابراهيم للصحة ، حسن صادق : للمالية ، محمد عبد الجليل ، أبو سمرة للشئون الاجتماعية ، يونس صالح : للدفاع الوطنى ٠

ولوحظ ، أن أحدا من الحزب الوطنى ، لم يشترك فى وزارة حسين سرى باشا ، وقد قيل ، كتبرير لعدم اشتراك حافظ رمضان باشا فى وزارة حسين سرى باشا أن الحزب لا يقبل الاشتراك فى وزارة تتعارض مبادئها مع مبادىء الحزب الوطنى ، ولم يكن هذا التبرير ، معقولا ، لأن سياسة وزارة حسين سرى كانت هى سياسة وزارة حسن صبرى ويخيل الى أن حافظ رمضان باشا

رئيس الحزب الوطنى ، قد رفض الاشتراك فى الوزارة الجديدة لأنه لم يستطع أن يحقق بعض ما كان يطالب به الحزب الوطنى فى وزارة حسن صبرى ، كما أن مقاومة غالبية ، أعضاء اللجنة الادارية للحزب الوطنى لاشتراك حافظ رمضان ، باشا فى الحكم ، كانت قد تضاعفت . أثناء وزارة حسن صبرى باشا ، الأمر الذى دعا حافظ باشا الى عدم الاشتراك فى وزارة حسين سرى وقيل أن صحة حافظ رمضان باشا لم تمكنه من الاشتراك فى الوزارة وكان حسين سرى ، قد عرض على عبد الرحمن الرافعى بك أن يشترك الحزب فى الوزارة ولكنه بعد التشاور مع زملائه ، قرر الاعتذار عن المشاركة فى الوزارة وكان حسين سرى من مواليد « ١٨٩٢ » وكان والده ناظرا للأشغال وهو من خريجى السعيدية الثانوية ، وقد حصل على دبلوم الهندسة من جامعة لندن ١٩١٥ وكان متخصصا فى شئون الرى وقد عمل مساعدا ، لمدير أعمال شئون الرى بوزارة الأشغال وتدرج فى وظائف وزارة الأشغال الى أن أصبح وكيلا لها ، وقد تولى وزارة الأشغال فى عام ١٩٣٧ كما ولى بعدها وزارات ، الدفاع والمالية والمواصلات وقد قيل عن حسين سرى ، انه نجح نجاحا كاملا ، كوزير ، للأشغال ونجح نجاحا ، قريبا من الكمال فى وزارة الدفاع ولكنه لم ينجح الا نجاحا نوعيا ، كوزير للمالية .

وكان حسين سرى ، وقت تشكيله الوزارة من أصغر رؤساء ، الوزارات سنا ، اذ لم يكن أصغر رؤساء الوزارات سنا اذا استثنينا الأمير محمد توفيق باشا الذى كان قد ألف وزارة فى عهد والده اسماعيل باشا ، وكان محمد توفيق باشا وقتئذ وليا للعهد !

والجدير بالذكر ، أنه بعد أيام من تشييع جنازة حسن صبرى باشا ، وتأليف حسين سرى باشا وزارته الأولى قام الملك فاروق برحلة صيد ، الى البركة الملكية بناحية المنصورية وكان يرافقه فى رحلته تلك النبيل اسماعيل داود والنبيل حسن طوسون والدكتور فؤاد سلطان وياوره اليوزباشى عز الدين عاطف ، و . و .

الفصل الخامس

معركة عنيفة بين الحليفين « الأحرار الدستوريون والسعديون» حول رئاسة مجلس النواب

تحدثنا عن المناورة السياسية ، التى واكبت تشكيل وزارة حسين سرى باشا ، وكيف ان الملك فاروق ــ بتحريض من على ماهر باشا وكما يقول أحمد حسنين ــ عرض على أحمد حسنين ، تشكيل الوزارة ، بغية التخلص منه ومن نفوذه فى السراى ، وكيف فهم ، أحمد حسنين ــ كما يقول أيضا ــ المؤامرة ورفض تشكيل الوزارة ، وفى نهاية الحلقة أشرنا الى نوع من الاستهتار الملكى ففى تلك الأيام السياسية ، العصيبة آثر الملك فاروق أن يقوم برحلة صيد الى بركته الملكية ، قرب المنصورية يرافقه فيها عدد من النبلاء والأصدقاء بل لقد وجد لديه الوقت ليشترك ، فى معرض اقامته الجمعية الزراعية الملكية .

وكانت الجمعية الزراعية الملكية قد نظمت فى ذلك الوقت معرضا للكلاب عرض فيه ١٣٠ كلبا من مختلف الفصائل والأشكال وقد اشترك الملك فاروق ، فى هذا المعرض ببعض كلابه من بينها كلبه المشهور « كلودو » وقد فاز كلب الملك فاروق ــ بالطبع ــ بالجائزة الأولى من الفصيلة الذئبية !

وقد روى لى الأستاذ أمين محمد فهيم السكرتير الخاص للملك فاروق أن فاروق قد ذكر له ، أن كل أصدقائه تنكروا له ، بعد الثورة وانه ــ أى فاروق ــ سأله ــ سأل أمين فهيم ــ ذات مرة : أتعرف من هو أوفى مخلوق عرفته فى حياتى ، وقال ، أمين فهيم : فلان ، ورد فاروق : لا ، وقال أمين فهيم : لعله ، فلان أو فلان ، وقال فاروق : لا هذا ، ولا ذاك ، انه لا يخطر على بال أحد انه لورينو .

ولورينو ــ كما يقول الأستاذ أمين محمد فهيم ــ هو الكلب البوليسى الخاص بفاروق ، الذى ظل يلازمه ، كظله ، ولما مات ، أمر فاروق باعداد قبر

له ، بقصر المنتزه تعلوه ، لوحة رخامية عليها اسمه الأصلى كما هو وارد فى شهادة أصله ٠٠ « كلودوفون دنهاوزن » ٠

كان هذا يجرى بينما الغارات الجوية التى شنتها الطائرات الايطالية قد احالت ، الكثير من أحياء الاسكندرية الى ركام ، تلك الغارات التى وصفها حسين سرى باشا رئيس مجلس الوزراء ، بأنها مؤلمة ، ومؤسفة للغـاية ، لأنهـا أصابت الفقراء ٠

وكان حسين سرى باشا ، قد حرص مع بداية توليه الوزارة ، على أن يؤكد أنه مستقل لا ينتمى الى أى حزب ، فالعدالة بين الجميع ، هى رمز ، الحكم ، الحاضر العدالة بين جميع الألوان ، والأديان والنزعات والحق ، وحده هو الفيصل ، وفيما عدا ذلك ، عمل سريع ، وبت سريع وقد كان أول ما رزئت به وزارة حسين سرى باشا وفاة وزير الدفاع ، يونس صالح باشا الذى وافته المنية بعد أيام من تقلده وزارة الدفاع ٠

أما أولى الأزمات ، التى واجهت الوزارة الجديدة ، فقد كانت بلا جدال أزمة انتخابات رئيس مجلس النواب : وكان حسين سرى باشا ، يحرص ، على أن تتوثق علاقاته بالسعديين وعلى رأسهم ، الدكتور أحمد ماهر ، باشا ، وفى نفس الوقت كان حريصا على ارضاء الدستوريين ، الذين رشحوا ، الأستاذ ابراهيم الدسوقى أباظة ، وكانوا ينتظرون من رئيس الوزارة ، أن يقف ، الى جانبهم باعتبـارهم ، الحزب الوحيـد الذى تعتمد عليه ، الوزارة فى مجلس النواب ٠

ولكن حسين سرى باشا ، فيما يبدو كان صريحا ، وواضحا ، للغاية مع السعديين ومع الدستوريين ، ولذلك ، أعلن أنه ووزارته ، على الحيـاد فى معركة رئاسة مجلس النواب ، ولذلك لم يظهر للحكومة فى هذه الانتخابات ــ كما يقول د٠ هيكل ــ أثر وقد اشتد وطيس معركة رئاسة المجلس ، غير أن المعركة لم تطل اذ أجريت الانتخابات فى ١٨ نوفمبر ١٩٤٠ ــ أى بعد أربعة أيام من وفاة حسن صبرى باشا وأسفرت عن فوز الدكتور ماهر باشا ب ١٣٠ صوتا بينما حصل الأستاذ ابراهيم دسوقى أباظة على ١٠٩ أصوات ونال صدقى باشا ــ الذى لم يكن مرشحا ــ صوتين كما نال النائب عيسوى صقر ــ الذى لم يكن مرشحا أيضا ــ صوتين ، ونال توفيق دوس باشا صوتا واحدا ، وفور اعلان انتخاب د٠ ماهر باشا ، رئيسا لمجلس النواب ، صعد أحمد ماهر ، الى المنصة ليشكر النواب جميعا ، على ما أملاه ضمير كل واحد منهم على نفسه فى صدد هذه الانتخابات وخص بالذكر ، أولئك الذين تفضلوا باعطائه أصواتهم وهم يخالفونه فى الرأى ذلك لأنهم فرقوا بين ما يقتضيه هذا المركز من اعتبارات وبين الرأى السياسى ، لشاغله وقال د٠ ماهر انه لا يعتبر انتخابه ، دليلا ، على أى اتجاه من الاتجاهات ٠

وكان جميلا ورائعا — أن يقف الشيخ مصطفى عبد الرازق وزير الأوقاف — الحر الدستورى — نيابة عن الحكومة ، مهنئا ، الرئيس الجديد ، للمجلس مؤكدا ان موقف الحكومة كان موقف حياد ، لأنها ترى أن هذا الأمر ، من اختصاص النواب وحدهم ، والحكومة لا تفرق بين أى عضو يرى الأعضاء أنه أصلح لرياسة مجلسهم والحكومة لا ترى فى الدكتور ماهر — الرئيس الجديد — الا صديقا كريما سواء ، أكان فى المعارضة ، أم فى جانب التأييد • وتحدث النائب محمد محمود جلال باسم الحزب الوطنى وكان من بين ما قاله :

سيدى الرئيس الموقر : فى مدى الأحد عشر عاما ، التى تشرفنا فيها بتداول شئون وادى النيل المحبوب بين جدران هذا المجلس وما فارقت فيها مقعدى هذا — كنت واياكم ، على خلاف فى الرأى ولكننا قدرنا فيكم دائما ، الحزم فى الرياسة والنزاهة فى توجيه المناقشات ، وشهدناكم تعطون الحق فى الكلام لكل من يطلبه دون أى تمييز مهما اختلفت الظروف وانما ينظر الى هذا التقدير حين يأتى الانتخاب للرياسة ولهذه الصفات اللازم توافرها فيمن ينتخب لرئاسة المجلس ، الموقر ، اتجه الذين أولوكم ثقتهم ، وعلى هـذا الأساس أهنئكم بهذه الثقة » •

كانت معركة رئاسة مجلس النواب من أعنف المعارك ، وأكثرها سخونة ، وكانت بحق صورة للحياة السياسية والحزبية منها بنوع خاص ، وتعطينا الصحف الصادرة وقتئذ وهى تتناول هذا الموضوع صورة حية لحياتنا السياسية والحزبية فى بداية الأربعينات تقول مثلا مجلة روزاليوسف ، وهى تصف جلسة الانتخاب : « كانت جلسة حافلة ، عامرة وكانت أعصاب الجميع مرهقة الى حد التوتر وكان « فرسا الرهان » يجلسان فى مقعديهما تبدو عليهما سمات الهدوء ، الذى يسبق العاصفة وعلى الرغم من أن الدكتور ماهر كان يحتفظ بهدوء كبير ، فان أصابعه كانت تعبر عن ثورة مكبوتة ، وكانت فى يده ورقة يخط عليها أرقاما أغلب الظن أنها كانت حسبة يقوم بجمعها وطرحها واخراج النتائج أما الدسوقى بك فقد كان بادىء الاضطراب والتأثر طوال فترة الانتخاب ، فلما باتت تباشير النتيجة غادر المجلس قبل اعلانها ليستعيد هدوءه فى مكان آخر •

وكان النواب الوفديون قد اتفقوا فيما بينهم على ألا يضعوا أوراقهم فى صندوق الانتخاب قبل أن يعرضوها على كبيرهم الأستاذ عبد الحميد عبد الحق ، ويوافق عليها •

وكان الأحرار الدستوريون يعرضون أوراقهم أيضا على لجنة مؤلفة من أقطابهم كانت مهمتها الكشف على أوراق زملائهم والاستيثاق من مطابقتها لقرار الحزب ، ولكن أحد النواب من الأحرار الدستوريين وصف هذا الاتفاق بأنه اتفاق بارد لأن فيه معنى الشك فى ذمة النواب مع أن نوايا النواب يجب أن

تكون فوق مستوى الشبهات لأن المسألة مسألة ثقة ، وأدرك النواب السر في ثورة زميلهم حينما تبين لهم أنه أعطى صوته لمرشح السعديين ، وعندما قام الدكتور ماهر ليعطي صوته عثرت قدمه في بساط القاعة عثرة خفيفة فتفاءل الأستاذ الدسوقي بك واعتبرها بداية طيبة له وقال : أهو سقط قبل الانتخاب ، وعندما قام الأستاذ الدسوقي بك ليعطي صوته قال الله أكبر فارتفع صوت من الخلف يقول : على من طغى وتجبر ، وكان مفهوما أن الدكتور بهي الدين بركات باشا سيعطي صوته للدسوقي بك أو على الأقل ، لن ينتخب الدكتور ماهر ولكن الذي حدث ان سعادته لم يعط صوته لا للدكتور ماهر ولا للدسوقي بك ولكنه وضع في صندوق الانتخاب ورقة بيضاء من غير سوء ٠

واتجهت الأنظار الى الأستاذ سابا بك حبشي وتساءل كثيرون ماذا يكون موقفه من زعيمه السابق هل يعطيه صوته ، أم يحتفظ به لخصمه ، وتعثر سابا بك في خفره ، ووضع ورقته في صندوق الانتخاب ثم ابتسم للدكتور ماهر في حياء ، وهنا أدرك النواب ، أن زميلهم وان كان قد استقال من الهيئة السعدية الا انه لا يزال يحتفظ بصداقته للدكتور ماهر ٠ وكان السائد ان الأستاذ شفيق جبران لن يحضر الجلسة حتى لا يتورط في اعطاء صوته لصديقه الدكتور ماهر ، وبذا يكون قد خرج ، على قرار حزبه ولكن « شفيق » حضر الجلسة وأعلن لزملائه في صراحة أن مسألة الرئاسة تخص كل نائب ، وكل نائب حر في أن ينتخب من يشاء من غير رجوع الى حزبه ، ومن هنا فهم الجميع أنه خارج على حزبه وأن صوته سيعطيه للدكتور ماهر ، ولأول مرة يظهر شفيق جبر على المسرح بوجه عار لم تمسسه يد الماكيير على أنه ما كادت تعلن نتيجة الانتخاب حتى كان أول مهنئي الدكتور ماهر ، هو الأستاذ شفيق جبر ، وقد كانت التهنئة علنية وأمام اخوانه النواب الأحرار ومال زميل على زميل وقال : شفيق جبر ، بيلعب على المكشوف ٠ فقال الآخر : أحسن من اللي بيلعب من وراء الستار ٠

وعند فرز الأوراق ، استبعدت لجنة الفرز أربع أوراق ، قالت عنها أنها باطلة ، من بينها اثنتان استبعدتا لأن على احداهما الدكتور أحمد ماهر مشطوب ومكتوب تحته اسم الدسوقي بك ، وعلى الورقة الأخرى اسم الدسوقي بك مشطوب ومكتوب تحته اسم الدكتور ماهر ، وصاحبا هاتين الورقتين أحدهما النائب المحترم حسنين سعيد والآخر هو النائب المحترم حامد العلايلي » ٠

وتقول روزاليوسف عن معركة انتخاب وكيلي مجلس النواب ما يلي :

● كان الأحرار الدستوريون قد وعدوا الأستاذ عبد الحميد عبد الحق — زعيم المعارضة الوفدية في المجلس — بتأييده اذا رشح نفسه لوكالة المجلس نظير تأييد الوفديين لهم في انتخابات رئاسة المجلس وبناء على هذا الاتفاق أعطى جميع النواب الوفديين أصواتهم للدسوقي بك أباظة ٠ ولم يخرج واحد منهم

على المجموع ويعطى صوته للدكتور أحمد ماهر بدليل أنهم جميعا أطلعوا الأستاذ عبد الحق ، على أوراق الانتخاب قبل ان يلقوها فى الصندوق •

● بعد ظهور نتيجة الانتخاب ذهب « معالى » أحمد بك عبد الغفار و « معالى » عبد المجيد ابراهيم و « معالى » عبد الجليل أبو سمرة بك الى غرفة الدكتور أحمد ماهر ، واختلوا به وتشاوروا فى بقية انتخابات المجلس فاقترح الوزراء الدستوريون أن تبقى الترشيحات كما كانت فى العام الماضى على أن يرشحوا محمد بك توفيق خليل مكان الدسوقى أباظة بك الذى كان وكيلا للمجلس فى العام الماضى ، ومعنى ذلك أنهم تخلوا عن ترشيح الأستاذ عبد الحميد عبد الحق ، وقبل الدكتور أحمد ماهر ، الاقتراح ولكنه اشترط على الدستوريين أن يؤيدوا ترشيح الأستاذ عبد الرحمن البيلى لرئاسة لجنة المالية بالمجلس وقبل الدستوريون هذا الشرط ، وسمع الأستاذ عبد الحميد عبد الحق بالخبر فاتصل « بمعالى » أحمد بك عبد الغفار و « معالى » عبد الجليل أبو سمرة بك تليفونيا وقال لهما : عيب ، الوزيران ، زعيم المعارضة الوفدية بضرورة تلافى حدوث هذا العيب وعاد الأحرار الدستوريون لبحث موضوع تأييد ترشيح عبد الحميد عبد الحق لوكالة المجلس ولكنهم اتفقوا على ألا يتفقوا • وأفتح قوسا بسيطا ، لأقول : ان روز اليوسف نشرت كاريكاتيرا مع موضوع انتخابات مكتب مجلس النواب يقول أحدهما للآخر : أنا مبادئى أنظف مبادىء سياسية فى البلد ، ويرد عليه الآخر بقوله : طبعا مادام بتغيرها كل ثلاثة أشهر وأقفل القوس بسرعة ! •

● وتنهى روز اليوسف ما كتبته عن معارك انتخاب رئيس ووكيلى رئيس مجلس النواب بقولها : يجب أن نسجل للأستاذ عبد الحميد عبد الحق موقفا جديرا بالثناء فقد رشح نفسه لوكالة المجلس ، وكانت الأصوات التى نالها تدل دلالة واضحة على ماله من مكانة طيبة بين زملائه النواب ، النواب الذين يضمهم مجلس لا يعترف به حزب الأستاذ عبد الحق •

وقد حمد الكثيرون للنائب الوفدى ترشيح نفسه ، واعتبروا هذه الخطوة من جانب الوفد فى الاعتراف بمجلس النواب دليلا على الاتجاه نحو الحق ، وكان أول اشتراطاته حل هذا المجلس لأنه لا يمثل الأمة تمثيلا صحيحا ، ونحن وان ساءنا سقوط الأستاذ عبد الحق فى هذه الانتخابات الا اننا نهنئه بما ناله من أصوات تدل على تقدير واعتراف له بالكفاية الشخصية : لقد كانت انتخابات المجلس هذا العام تنم عن روح دستورية تليق بنواب أثبتوا أنهم جديرون بعضويتهم ، حريصون على المبادىء الدستورية وحرية الرأى التى كفلها الدستور !!

أما مجلة المصور ، فقد كتبت فى باب « سكلانس » ، الذى يحرره « محسوس » ، وهو لقب كان يختاره أستاذنا فكرى أباظة ليوقع به مقالاته

وتعليقاته ، المتحررة من كل قيد ، تقيده به دار الهلال أو الحزب الوطنى ، أو أى قيد آخر : يقول الملحوس تحت عنوان : المعركة الكبرى . الله أكبر ، الله أكبر ، ولله الحمد : انتهت مصر من معركتها الكبرى الخاصة برياسة مجلس النواب ، ومناصب الوكلاء والسكرتاريين والمراقبين ، وتفرغت للمعارك الصغرى الدائرة فى أوروبا بحرا ، وجوا ، وبرا .

غير أننا نسجل للتاريخ هذه الظواهر ـ جمع ظاهرة ـ الاجتماعية :

أولا : عرف الوفد من قديم الزمن بأنه كتلة وأن التماسك والتساند هما طابعاه ، والسعديون ، وفديون وقد ظلوا محتفظين بالطابعين والكتلة .

أما الحزب الدستورى فقد عرف منذ وجد بأنه عدة أحزاب فى حزب . فآل عبد الرازق حزب ، ورشوان باسا محفوظ وجماعة من أسيوط فنازلا حزب ، وحفنى محمود بك حزب ، والبحاروة حزب ، والمدهش مع كل هذا التفكك أن الحزب الدستورى معروف فى قاموس السياسة المصرية بأنه أبرع حزب فى المعارضة وسر قوته فى موظفى الحكومة الكبار الذين « ترستقوا » ـ ترستق معناها تمكن ـ من زمن فى مناصب الدولة الكبرى ، ومن هنا نعرف سر فشله عندما يذوق النعيم ، وسر نجاحه عندما يذوق الجحيم .

ثانيا : للتاريخ ، نثبت فى هذه المجلة أن المناصب الوزارية « هانت » ، أى والله العظيم هانت لدرجة أنه قد أصبح يتطلع اليها كل « حزبى » يأتى عليه الدور ، ولدرجة أنه أصبح يتطلع اليها كل شاب ناشىء مهدت له الحزبية قليلا من السمباتى ، والدردحة ، والقبول ، أى والله هانت المناصب الوزارية حتى ملأت أدمغة الناشئين من خيرة المتخرجين فى أكبر جامعات الثقافة الأوروبية ، وكانت نتيجة ذلك أن كل طامع فى المجد متعجل له أخذ يشترى الوصول اليه بأساليبه ، وأحلامه ومبادئه ، فرماها كلها فى السوق ليشترى بها الأمل السريع .

ثالثا : التطلع للمناصب الوزارية شغل شبابنا كما شغلهم التطلع لأى منصب ولو كنت قد درست مثلى روح التهافت على وظائف الرقابة والسكرتارية بمجلس النواب لعلمت اننا فى موجة أخلاقية كبرى تعصف بالأغصان اليانعة من شبابنا المأمول فيه : كل مرشح كان يتصل بمختلف الأحزاب جهرا ، ان أمكن وسرا ان لم يمكن ، وهذه أساليب « العمد » من الطراز القديم لا يفرق الباحث الاجتماعى فيها بين المتعلمين وغير المتعلمين . وهكذا أسفرت معركة الانتخابات فى مجلس النواب ، عن نمر ومناورات ومؤامرات ، وألاعيب ، وخداع ، وعليه العوض » .

وتقول أيضا مجلة المصور ، عن ترشيح الأستاذ عبد الحميد عبد الحق لوكالة المجلس : ان الترشيح قد عرض على الهيئة الوفدية البرلمانية للنواب ،

فوافقت عليه وان النحاس باشا شخصيا قد وافق على هذا الترشيح قبل اعلانه وأن موافقة الوفد ــ كوفد ــ على هذا الترشيح قد تمت بالاجماع !

وكان هذا الذى قاله المصور ردا على ما قيل من أن الأستاذ عبد الحميد عبد الحق قد رشح نفسه لوكالة المجلس بصفة شخصية ، فأكد المصور على لسان مصدر وفدى موثوق به أن ترشيح الأستاذ عبد الحميد عبد الحق لم يكن بمبادرة شخصية منه بل كان باجماع الوفد والهيئة الوفدية البرلمانية .

وقد نشر المصور حديثا للدكتور أحمد ماهر عقب انتخابه رئيسا للمجلس قال فيه : لا أزال على اعتقادى من أن أكثرية مجلس النواب يشاركوننى فى الرأى فى وجوب الاشتراك فى الدفاع عن البلاد خصوصا بعد الاعتداءات الايطالية الأخيرة ، ولكننى لا أعتبر فوزى برياسة المجلس دليلا على أن جميع الأصوات التى حصلت عليها تشاركنى الرأى أو تدل على أى اتجاه من الاتجاهات ، فاننى أعتقد أن بعض الذين أعطونى أصواتهم يخالفوننى فى الرأى ، كما أن بعض الذين أعطوا منافسى أصواتهم يوافقوننى ، وقد أعلنت على أثر انتخابى أننى سأدافع عن رأيى وسأطلب الى الجميع تأييده ، وأنى مؤمن كل الايمان بأن اخلاصى فى الدفاع عن مصلحة البلاد ، كفيل بأن يكشف للأمة أن الدعوة التى أدعو اليها هى أول واجب يقوم به زعماء البلاد فى ظروفنا الراهنة ، التى أصيبت فيها باعتداءات منكرة » .

ويقول د. أحمد ماهر ، انه لا يفرق فى الوقت الحاضر ، بين اعلان الحرب ، وحالة الدفاع ، فقد كانت الحرب فى العصور الماضية مقيدة بقوانين وكان لاعلان الحرب معنى قانونى معروف ، أما اليوم فقد صارت بعض الدول تعتدى على البعض الآخر دون أن تعلن الحرب عليها كما فعلت ألمانيا مع بولندا والدانمرك وهولندا ، وبلجيكا وكما فعلت اليابان مع الصين باعلان الحرب وقيام حالة الدفاع فى الوقت الحاضر سيأتى ونحن فى هذه الآونة ازاء اعتداءات من ايطاليا علينا فواجبنا الآن ، أن نهب للدفاع عن كياننا ونرد المعتدى على بلادنا فالوقت ليس وقت اعلان الحرب ولكنه وقت يجب علينا أن ننهض فيه سريعا بالدفاع ، هذا ما تدعو الهيئة السعدية اليه وليس صحيحا اننا تقهقرنا فى دعوتنا ولا تنازلنا عن شىء من رأينا » ! .

وفى حديث أدلى به حسين سرى باشا ، رئيس الوزراء الجديد الى المصور ، نفى فيه نيته فى احداث أى تغيير وزارى فى هذه الآونة بل طلب رئيس الوزراء الى المصور ان ينفى على لسانه هذه الشائعة ، ليتهيأ للوزارة جو من الصفاء تستطيع فيه القيام بمهمتها فى خدمة البلاد ، كما أكد رئيس الوزراء فى حديثه أيضا أنه لا علاوات حرب للموظفين ، ولا تخفيضات فى مرتباتهم ، ويؤكد رئيس الوزراء أيضا أن المعاهدة المصرية البريطانية ، كانت عاملا عظيما فى الانتصار البريطانى على الايطاليين فقد أوفينا بعهودنا ، وقمنا بتسهيل الأعمال

الحربية ، وقدمنا المساعدات اللازمة للجيش البريطانى ليستطيع أداء مهمته على الوجه الأكمل وقد استفادت بريطانيا بهذه المساعدات فى انتصارها العظيم على الايطاليين ، كما استفادت مصر » .

ويختار الله الى جواره يونس صالح ، وزير الدفاع ، بعد أن حضر الاحتفال بافتتاح مشروع مياه الشرب فى الفيوم ، وكان يونس صالح من خريجى مدرسة الحقوق عام ١٩٠٣ وكان من زملائه فيها جعفر والى باشا ، وتوفيق دوس باشا ، ورشوان محفوظ باشا ، وزكى العربى باشا ، وقد اتهم فى بعض حوادث ثورة ١٩١٩ وسجن ـ رهن التحقيق ـ مدة طويلة ، ثم أفرج عنه فعاد الى العمل بالمحاماة ، ومن المحاماة عمل كمدير لأكثر من مديرية ، ثم عين مستشارا ملكيا مساعدا ، ثم رقى الى منصب مستشار ملكى فى أوائل عام ١٩٣٩ ، ويونس صالح باشا من قبيلة جهينة مركز شبين القناطر .

وكان قد قضى حياته كلها أعزب عزوفا عن الزواج ، وقد أجرى حسين سرى تعديلا فى وزارته ، فنقل حسن صادق وزير المالية الى وزارة الدفاع واختار عبد الحميد بدوى باشا رئيس قضايا الحكومة وزيرا للمالية ..

وكان حسين سرى يعلق آمالا كبيرة على قبول عبد الحميد بدوى للوزارة بعد ان رفضها مرات عديدة اذ كان يرى فى عبد الحميد بدوى بوصفه من أساطين القانون محاميا بارعا يمكن أن يتولى الدفاع عن الحكومة فى مجلسى البرلمان خاصة بعد أن قويت المعارضة بانضمام السعديين اليها !!

وعن اختيار حسين سرى باشا ، لعبد الحميد بدوى باشا ، يقول د. هيكل باشا : كان حسين سرى شديد الحرص على مركز وزارته ، وكان يتلمس فى تصرفاته الا يصدر عنه ما قد يضر بهذا المركز ، فهو لم يكن السياسى المغامر ، الذى كان حسن صبرى باشا ، ولم يكن رئيس حزب يعتمد على قوة برلمانية يطمئن اليها ولم يكن له من التجارب السياسية على مر السنين ، ما يجنبه هذا التلمس ، فقد قضى حياته موظفا فى وزارة الأشغال ، وكان والده اسماعيل سرى باشا وزيرا للأشغال ، وكانت له عند رجالها مكانة الأب من أبنائه ، وكان الذين تولوا وزارة الأشغال بعده من المهندسين المصريين يقدرون مكانته هذه فيهم وكانوا يسبغون على حسين باشا من التقدير ، ما يوجبه نشاطه الشاب ، وحسن ادراكه لواجب المهندس فى وزارة الأشغال ، ولهذا بلغ حسين سرى باشا أن أصبح وكيل وزارة الأشغال فى سنوات قليلة فلما ألف محمد باشا محمود وزارته فى سنة ١٩٣٨ كان لسرى باشا ، عند الملك فاروق مكانة خاصة عاونت كفاءته فاختاره محمد محمود باشا وزيرا للأشغال معه ، وقد حدثنى حسين باشا بأنه سيخلف محمد محمود باشا فى رياسة الوزارة ، فلما ألف على ماهر باشا وزارته فى سنة ١٩٣٩ خلفا لمحمد محمود ، شعر سرى باشا بشىء من المرارة ، لكنه لم يفقد الأمل وكان ذلك شأنه

حين ألف حسن صبرى باشا وزارته ، فلما فاجأت المنية حسن صبرى باشا وألف هو الوزارة بعد أن اشترك مع هؤلاء الرؤساء الثلاثة ، الذين سبقوه ، واجهته صعاب عديدة فشعر بالحاجة الى تقوية سنده فى الوزارة ، ولما كان قد قضى حياته موظفا فقد لجأ ، بادىء الأمر ، الى اختيار موظف ممتاز ، محترم من الجميع ضمه الى وزارته وحسب فى هذا الضم التقوية الكافية له ، وللوزارة ، هذا الموظف الممتاز هو عبد الحميد بدوى باشا رئيس لجنة قضايا الحكومة ، والذى اعتـذر قبل ذلك فلم يقبل غـير مرة أن يكون وزيرا لأنه كان بكفاءته الفقهية العالية وذكائه النادر وبمنطقه الدقيق شديد الحرص على أن يظل فى رئاسة لجنة القضايا فلما فكرت وزارة محمد محمود باشا فى انشـاء مجلس الدولة وأن يكون رئيسه غير قابل للعزل اتجه تفكير المسئولين الى أن يكون بدوى باشا رئيس مجلس الدولة فلما لم يصدر التشريع بانشاء هذا المجلس بقى رئيسا للجنة القضايا ثم قبل أن يعاون سرى باشا وزيرا للمالية .

ولعله قبل هذا المنصب بعد أن كان قد اعتذر عن قبول مثله من قبل لأنه اعتبره تمهيدا لرياسة الوزارة : جرى من بعد بينى وبين حسنين باشا رئيس الديوان الملكى حديث ذكر لى أثناءه ان القصر كان يرشح بدوى باشا لرياسة الوزارة ، يوم تضطر وزارة سرى باشا للاستقالة لسبب أو لآخر ، أكان بدوى باشا يعلم بهذه النية من جانب القصر ؟ ذلك ما لا أعلمه وما لم أفكر فى سؤاله حسنين باشا عنه لأن الظرف الذى جرى فيه هذا الحديث بينى وبين رئيس الديوان كان قد باعد بين بدوى باشا ورياسة الوزارة وقد رحب الوزراء جميعا ورحبت معهم باختيار بدوى باشا وزيرا للمالية واعتبرنا ذلك كسبا للوزارة عظيما ، وهنأت أنا سرى باشا حين طالعنى بهذا النبأ تمهيدا لصدور المرسوم ، بتنفيذه وقد اعتبر المثقفون فى مصر هذا التعيين نصرا لسرى باشا لأن علم بدوى باشا ومكانته كان لهما فى نفوسهم تقدير بالغ غاية السمو » ..

الباب الخامس

الفصـــل الأول

أكبر عقلية قانونية فى مصر يوقع وزارة حسين سرى باشا فى خطأ قانونى ودستورى جسيم

● سبق أن أشرنا الى رغبـة حسين سرى باشـا ، فى تعزيز وزارته وتقويتها ، أمام الحملات التى يمكن أن توجه لها من المعـارضين فى مجلسى البرلمان ، خاصة بعد أن انضم السعديون الى أولئك المعارضـين بل أصبحوا أقوى المعارضين للوزارة ٠

وقد اعتبر حسين سرى باشا ، قبول عبد الحميد بدوى باشا رئيس لجنة قضايا الحكومة الاشتراك فى وزارته كوزير للمالية كسبا كبيرا للوزارة لما يتمتع به بدوى باشا من مميزات شخصية عالية ، ومن كفاءة قانونية متميزة وعبد الحميد بدوى ـ حقا ـ من خيرة الشخصيات السياسية ، والقانونية ، لا فى نطاق الوطن العربى وحسب ، وانما على النطاق العـالمى ، ولعل أبرز عربى ، وشرقى ساهم فى وضع ميثاق الأمم المتحدة ، وقضى سنوات عديدة فى محكمة العدل الدولية كقاض ، وكنائب للرئيس ، كان هو عبد الحميد بدوى ، بل لعلى لا أذكر أن مصريا أو عربيا ، قام أعضاء مجلس الأمن برثائه عندما مات ، غير عبد الحميد بدوى وعبد الحميــــد بدوى ، من مواليد المنصـــورة « ١٨٨٧ » وان كان قد نشأ بالاسكندرية ، وتلقى تعليمه الابتدائى فى مدرسة جمعية العروة الوثقى ، وتلقى تعليمه الثانوى فى مدرسة رأس التين ، وكان عبد الحميد بدوى من أبرز خريجى قسم اللغة الانجليزية بمدرسة الحقوق ، وكان ترتيبه الأول ، وكان من بين زملائه فى التخرج « ١٩٠٨ » حسن نشأت ، حسين هيكل ، نجيب الغرابلى ، نجيب سالم ، السيد العشرى ، وهيب دوس ، مصطفى الصادق ، توفيق الشناوى ، عبد الحميد مصطفى ٠

وفور تخرج عبد الحميد بدوى عين فى النيابة فى طنطا ، ثم فى الاسكندرية، ولما كان كل مدرسى وأساتذة مدرسة الحقوق من الأجانب وقد رغبت الحـكومة

المصرية ، فى تمصير تلك المدرسة ، فكان لا بد من ارسال بعثة من خريجى الحقوق الى أوروبا ليعودوا مدرسين ، وأساتذة فى مدرسة الحقوق .

وفى عام ١٩٠٩ اختارت الحكومة عبد الحميد بدوى ، وبهى الدين بركات ، وعبد الحميد أبو هيف فى أول بعثة لدراسة القانون ، وقد قضى عبد الحميد بدوى فى تولوز ، عاما واحدا ، وكان قد سمع بأن خير من يجيد اللغة الفرنسية فى فرنسا هم أهل تولوز ، ولم يكن ذلك صحيحا اذ الصحيح أنها « توز » ، لا تولوز ، وقد اختلط على عبد الحميد بدوى الأمر لا سيما أنه لم يكن يعرف من اللغة الفرنسية وقتئذ ، الا المبادىء البسيطة ، وكان العام الذى قضاه عبد الحميد بدوى فى تولوز عام دراسة اللغة الفرنسية كلغة ، ثم انتقل بعد تولوز ، الى جرينوبل لأن جامعة باريس كانت ـ وقتئذ ـ مركزا للنشاط السياسى ، وكان المطلوب بالنسبة لطلبة البعثات المصرية أن يذهبوا الى أماكن ليس فيها عمل سياسى ، خاصة وان العمل السياسى كان ـ وقتئذ ـ محرما على طلبة البعثات .

وحصل عبد الحميد بدوى على درجة الدكتوراه من جامعة جرينوبل ، كان أول مصرى يحصل على درجة الدكتوراه من تلك الجامعة ، وكان أحد الأساتذة الفرنسيين الذين أشرفوا على اعداد رسالة عبد الحميد بدوى هو مسيو باديفان ، الذى عين بعد خمسة وثلاثين عاما قاضيا فى محكمة لاهاى الدولية مع تلميذه المصرى د. عبد الحميد بدوى .

وعاد عبد الحميد بدوى من جرينوبل ليعمل مدرسا بمدرسة الحقوق ، ثم اختاره عبد الخالق ثروت باشا وزير الحقانية فى وزارة حسين رشدى باشا « ١٩١٤ » ليكون سكرتيرا فنيا له ، وقد استفاد عبد الحميد بدوى من خبرة عبد الخالق ثروت باشا وعلمه الغزير الوفير .

وفى ثورة ١٩١٩ ، أريد النيل من بعض القانونيين المصريين ذوى النشاط الوطنى ، ومن بينهم عبد الحميد بدوى ، الذى نقل الى طنطا ، وقد اختار ـ فيما بعد ـ عدلى باشا ، الأستاذ عبد الحميد بدوى ليكون سكرتيرا لوفد المفاوضات المصرية البريطانية ، فبذل جهودا شاقة مضنية فى اعداد كل ما يتعلق بتلك المفاوضات ، وتكررت الاستعانة به من قبل بعض الوزراء ، ورؤساء الوزارات فيما بعد ، فى كثير من الأمور السياسية ، والقانونية المستعصية .

وكانت لجنة قضايا الحكومة ، لا يدخلها مصرى كل من فيها أجنبى .

وعندما أراد عدلى يكن باشا ـ وكان وقتئذ رئيسا للوزارة ـ ادخال عبد الحميد بدوى كمصرى ـ فى لجنة قضايا الحكومة ـ آثر أن يطرق باب ادخال المصريين ، الى تلك القلعة برفق فاقترح ـ فى استحياء ـ على مسيو

بيولا كازيللي رئيس لجنة قضايا الحكومة أن يقبل تعيين عبد الحميد بدوى مستشارا ملكيا مساعدا فى لجنة قضايا الحكومة بالرغم من أن عدلى يكن باشا كان يرى أن عبد الحميد بدوى أحق بأن يكون مستشارا ملكيا ، لا مستشارا ملكيا مساعدا ، وكم كانت المفاجأة عندما قال مسيو بيولا كازيللي لعدلى يكن باشا ردا على اقتراحه الخاص بقبول تعيين الأستاذ عبد الحميد بدوى مستشارا ملكيا مساعدا : لا يا دولة باشا ، ان لجنة قضايا الحكومة ، لا تقبل أن تعين بدوى بك مستشارا ملكيا مساعدا ، ولكنها تكون سعيدة جدا لو قبل عبد الحميد بدوى أن يعين مستشارا ملكيا ٠

وكان عبد الحميد بدوى أول مصرى يعين فى لجنة قضايا الحكومة وأول مصرى يعين ـ فيما بعد ـ رئيسا لها ٠

واذا كان عبد الحميد بدوى عضوا فى لجنة الثلاثين التى وضعت دستور ١٩٢٣ فقد كان فيما بعد ركنا هاما من أركان الوفد المصرى الذى ألغى الامتيازات الأجنبية التى كانت عبئا ثقيلا وكريها على المصريين طوال سنوات الاستعباد والاستعمار ، وذلك فى عام ١٩٣٦ ٠

وقد دعا ثروت باشا ، عبد الحميد بدوى للاشتراك فى وزارته التى ألفها فى ٢٥ ابريل ١٩٢٧ ، ولكن عبد الحميد بدوى رفض الاستجابة الى رجاء أستاذه ثروت باشا ، وظل على رفضه المنصب الوزارى طويلا لأنه كما كان يقول يؤثر المنصب القضائى على المنصب الوزارى ٠

وقد سئل عبد الحميد بدوى غداة تعيينه وزيرا للمالية فى وزارة حسين سرى باشا ، عن مسألة اصدار قوانين الأحوال الشخصية بمراسيم دون مناقشتها فى البرلمان ، واعتبار البعض ذلك مخالفة دستورية ، وقد أجاب بدوى باشا عن ذلك السؤال بقوله : ان هذه المسألة لم تنته فيها الى رأى وان كان معظم الأمم الدستورية الأخرى قد أخذت بطريقة أو بأخرى تجعل من تلك القوانين الجامعة Code جملة واحدة لا تقبل التعديلات ، الحزبية ، ولا تكون محلا للمناقشات العامة ، لأنها مسألة فنية ، والقوانين الجامعة كالبنيان المرصوص لا تمس ناحية منه دون أن تتأثر سائر نواحيه ٠

وقد كان بدوى باشا يعرف دائما بأنه حلال المشاكل الدستورية والقانونية ، وبأنه مفتى الدولة القادر على أن يجد لكل معضلة حلا ٠

وقد كان أستاذنا الكبير عبد الرزاق السنهورى يقول دائما عن عبد الحميد بدوى أنه أكبر عبقرية فى القانون ظهرت فى مصر فى العصر الحديث ٠

ومما نذكره هنا ، أن أستاذنا فكرى أباظة كعادته دائما فى الخطابات المفتوحة التى يرسلها الى من يشاء ، باسم من يشاء أيضا ، قد تصور أن

المغفور له ثروت باشا قد كتب رسالة الى عبد الحميد بدوى بمناسبة اختياره وزيرا للمالية ، وكان من بين سطور تلك الرسالة :

عزيزى بدوى :

سـلام من الآخرة ، الى الدنيا ، سـلام من أحب من أحببت ، الى أحب من أحببت ، فى عالم الواجب ، وعالم الدواوين أخبرونا ـ هنا ـ انك قبلت أخيرا ما رفضته كثيرا ، فقلنا لقد وفق حسين سرى ، الى ما لم يوفق من كانوا أقرب اليك وجدانا ، وأكثر عليك سلطانا ، ولكنك فى ظرف أجلت وصفه كما أنت مجيد دائما ، انك لم تقبل المنصب ، اختيارا ، ولا تعيينا ، وانما قبلته تجييشا وتجنيدا ، فاقبل وليقبل معك حسين سرى ، التهنئة من عدلى وسعد ورشدى وباقى من خبروك ، وعرفوك موظفا نموذجيا ، ومصريا عبقريا » .

وعن وزارة المالية يقول فكرى أباظة : وزارة المالية وزارة ضخمة عاتية ، هى فى نظرى وزارة الوزارات ، أليست هى الدكتاتورة التى فرضت سلطاتها على كل الوزارات ، انت رجلها حقا ولكنك تتجند فيها فى ظروف عنيفة ومن طبعك ـ كما عرفتك ـ ان تحتال قبل أن تحسم والتحايل يحتاج وقتا طويلا ، ويبدو لى أن العصر الحديث غير عصرنا القديم ، يبدو لى ان طابع العصر الحديث هو الحسم ، قبل التحايل .

وطول البـال حيلة لا تعالج سرعـة الحوادث ، والأحـداث ، وأخشى ما أخشاه عليك ان تكون اقامتك الطويلة فى كهفك الفقهى وعشرتك الطويلة لنظم الحكم السابقة قـد أورثت طبيعتك المهل ، والتريث ، والتردد ، وهى كلها صفات لا تساير العصر الحديث ، عصر السرعة والجنون .

كان اسلوبنا فى الحكم ـ فيما مضى ـ اسلوب الاحتمال ، والمجاملة ، والمصادقة سواء أكان ذلك فى عالم الديبلوماسية أم عالم المالية ولكن الشعوب اليوم تقتنص حقوقها اقتناصا ، وسلاحهـا القوة ، لا الضعف ، والطلب ، لا الرجاء ، والاستقلال لا الانتظار ، فأرجو أن يكون عبد الحميد بدوى باشا قد تطور ، وقد « تعصر » وقد ارتدى رداء السياسة الجديدة ، وخلع رداء السياسة القديم » .

ويدعو ثروت باشا ، عبد الحميد بدوى باشا ـ أو هكذا تخيل فكرى أباظة ـ الى استغلال ملكته فى حسن التعبير ، والتصريف والتحويل والتحايل على اللفظ والمعنى : لعلك تستطيع بفضـل براعتك ، فى اللغـة والأسـلوب ، ان توفق بين « اعـلان » الدفاع و « تقرير » الدفاع فيكون لك ، ولبراعتـك اللغوية ، فضل جمع الخصمين على « جملة » والتوفيق بين الرأيين ، ورأيى ـ رأى ثروت باشا ـ ورأى الذين هنا معى : ان الخلاف تصلحه جملة ، ويوحده تعبير .

وما أراد فكرى أباظة تبيانه على لسان ثروت باشا ، ان بامكان عبد الحميد بدوى أن يصلح بين سرى وبين السعديين وبين السعديين وبين الدستوريين ، بين أولئك الذين يقولون بدخول مصر الحرب اذا توغلت ايطاليا فى الأراضى المصرية وبين الذين يقولون اذا ابتدأت ايطاليا التوغل فى الحدود المصرية بين القائلين بأنه على مصر أن تقرر حقها فى الدفاع عن نفسها وليس الاعلان فقط من ذلك الحق و ٠ و ٠

وبدأت وزارة سرى باشا تستعد لمواجهة البرلمان خاصة وكانت لجنتا الرد على خطاب العرش فى مجلسى النواب والشيوخ ، تواصل اجتماعاتهما : لجنة الرد فى مجلس النواب وأغلبيتها من السعديين ترى أن خطاب العرش موجز ، مقتضب من حيث الخطة السياسية ازاء موقف مصر من الحرب وان الوزارة ، كان يجب عليها أن تحدد تحديدا يشبه الأرقام متى تنطبق شروط دخول مصر الحرب وفى أى ظرف وعند حدوث أى حادث ، وبمعنى أدق تقييد السلطة التنفيذية بالقيد الواضح لا المبهم ، هذا بينما ترى الأقلية فى لجنة الرد على خطاب العرش فى مجلس النواب ان الحكمة السياسية الناضجة تستلزم بقاء النص على ما هو عليه فان هذه المسائل الخطيرة ، يجب الا تكتنفها الشروط ، ولا البنود ما دام المجلس موجودا فى كل وقت اذا جد جديد ٠

أما فى مجلس الشيوخ فان لجنته قد شكلت من المستقلين والوفديين والسعديين ، والدستوريين وتحمس بعض أعضاء اللجنة لبحث مشروع الرد على خطاب العرش بصفة مستعجلة ، ولكن رئيس المجلس ــ محمد محمود خليل بك ــ اقترح ان يؤجل نظر مشروع الرد حتى يبت مجلس النواب فى الموقف وحجته فى ذلك أن مجلس الشيوخ من الوجهة الدستورية هو الفرملة الميكانيكية لمجلس النواب ، ولا تجوز الفرملة قبل سير الآلة الميكانيكية وانما بعد مسيرها وطروء ما يستلزم هذه الفرملة ٠

وقد أخذت اللجنة المختصة بنظرية الفرملة هذه ، فأجلت جلسة مجلس الشيوخ الى أجل غير مسمى ، وسافر الرئيس ــ رئيس المجلس ــ الى الاسكندرية ، ليخلو بنفسه ٠

وقد وضع أنطون الجميل بك مشروعا للرد بأسلوبه الكيس الذكى ووضع الشيخ عباس الجمل عن السعديين مشروعا معارضا آخر ومشروع أنطون الجميل بك ، يمتاز بلباقته وأناقته فهو لا يقول للوزارة أن خطابك مقتضب لم يتضمن خطة مالية عامة ولا اجتماعية عامة وانما يقول : كنا نرجو أن تعلن الحكومة أن خطتها فى كذا وكذا هى كيت ، وكيت ٠

وكان المجلسان يتأهبان ــ فعلا ــ لأعنف المعارك وأشدها ٠

وكانت أولى ثمـار اختيار بدوى باشا وزيرا البلد فى حديث عمليـة اسقاط نصف أعضاء الشيوخ وعدد أعضاء المجلس وقتئذ ١٤٧ عضوا بينهم بعض الوزراء ورئيس الشيوخ وفى المجلس ٦٨ وفديا ١٨ دستوريا ١٦ سعديا ٣٩ مستقلا ، ٣ اتحاديين شعبيين ٢ حزب وطنى ومجموع هؤلاء ١٤٦ والباقون هم الوزراء مضاف اليهم المقاعد الخالية ومن هؤلاء ٥٩ عضوا من المعينين أى ما يوازى خمسى مجموع الأعضاء ، والباقون ، هم المنتخبون وعددهم ٨٨ عضوا ٠

والأعضاء الحاليون تنتهى عضويتهم فى مايو ١٩٤١ ولكن الدستور ينص على أن تجرى الانتخابات للشيوخ الجدد ، بدل الذين يسقطون بالاقتراع قبل انتهاء الدورة بستين يوما أى فى مارس من هنا بدأ التفكير جديا للسير فى الاجراءات التى يقتضيها اسقاط نصف الأعضاء !

وبدأ الخلاف ــ فيمـا يتعلق برئيس المجلس هل مدة بقـائه تحسب بالسنة أم تحسب بالدورة وبالرجوع الى السوابق الدستورية ظهر أن رشدى باشا عومل على أنها دورات بينما يحيى ابراهيم باشا ــ وقد كان كل منهما رئيسا لمجلس الشيوخ ــ عومل على أنها سنوات كان الخلاف قائما بينما الدستور يقول بالسنوات لا بالدورات ولم يكن الخلاف عن كلمتى السنوات والدورات وحسب بل كان هناك خلاف أشد وأخطر : هل يمـكن أن تتم الانتخابات فى موعدهـــا الدستورى أم لا يجب أن تتم ؟ وهل عدم اجراء الانتخابات يقتضى عدم اجراء التعيين أم لا ؟

وعن هذه النقطة الخطيرة ، بل النقاط الخطيرة يقول د٠ هيكل : واجهت الوزارة بعد تولى بدوى باشا منصبه فيها مشكلة من مشاكل الفقه الدستورى كان للرأى الذى انتهى اليه فيه آثار بعيدة المدى فى حياة مصر البرلمانية من بعد : ومنشأ هذه المشكلة ان مجلس الشيوخ كان يحل موعد تجديده النصفى فى ٧ مايو ١٩٤١ فينتخب النصف من أعضـــائه المنتخبين ويعين النصف من المعينين ، ولما كان المجلس قد انتخب كله فى ٧ مايو ١٩٣٦ فقد وجب اجراء القرعة التى يتعين بها من يخرجون من أعضائه ومن يبقون منهم وكان واجبا أن تجرى هذه القرعة قبل ٧ مارس ١٩٤١ ليتسنى اجراء الانتخابات للتجديد النصفى قبل ستين يوما من انتهاء مدة الأعضاء الذين يخرجون بالقرعة وقد رأى سرى باشا بمشورة بدوى باشا أن الخير فى عدم اجراء الانتخابات بحجة قيام الحرب وعدم تعريض البلاد الى هزة لا تتفق ، وما يقتضيه المجهود الحربى من طمأنينة الأمة واستتباب السكينة بين ربوعها ٠

ولعل سرى باشا قدر كذلك أن عدم اجراء الانتخابات للشيوخ يكون سابقة تطوع له عدم اجراء الانتخابات للنواب عام ١٩٤٣ ، على انه لم يقل بطبيعة الحال من ذلك شيئا ، وما كان له أن يقوله والفصل التشريعى لمجلس النواب مستمر الى سنتين أخريين لا يعلم أحد ما يحدث خلالهما ٠

وقد أفتى بدوى باشا بأن تأجيل الانتخاب لمجلس الشيوخ لا يقتضى تأجيل التعيين محل الأعضاء المعينين الذين انتهت مدتهم أسوة بزملائهم المنتخبين فخروجهم وتعيين غيرهم مكانهم لا يترتب عليه أى اضرار بالمجهود الحربى لذلك صدرت الفتوى باجراء القرعة للمعينين بعد أن تجرى القرعة للمنتخبين !

وقد اعترض ممثلو حزب الوفد فى مجلس الشيوخ على هذه الفتوى بأن عدم اجراء الانتخاب يقتضى عدم اجراء التعيين لأن الحكمة فى التعيين سد الفراغ الذى لا تسده الانتخابات سواء فى الكفايات التى يحتاج المجلس الى توافرها فيه أو فى موازنة الأحزاب بالمجلس ·

وكان لحزب الوفد فى مجلس الشيوخ يومئذ عدد من الأعضاء اذا انضم اليه فريق محترم من المستقلين تكونت أغلبية مناهضة للحكومة وقد اعتمد حزب الوفد فى مقاومة فكرة الحكومة على نفور الأعضاء جميعا من القرعة حرصا منهم على بقاء عضويتهم فى المجلس وخشية كل منهم أن أدى القرعة ، الى خروجه منه على أن الوزارة أعلنت بلسان رئيسها انها ستجرى القرعة اذا لم يقم المجلس باجرائها ، وعللت ذلك بأنها لا تستطيع أن تجارى المجلس ، تعطيل حكم من أحكام الدستور ولذلك كانت المعركة بين السلطتين التنفيذية والتشريعية بالغة العنف ·

ويتراجع المجلس عن وجهة نظره بعد أن خشى أن تقوم الحكومة باجراء القرعة فتكون تلك سابقة دستورية خطيرة وأجرى مجلس الشيوخ القرعة فى ٧ مارس ١٩٤١ ، وبدأ بالأعضاء المنتخبين وكان عددهم ٨٨ عضوا ، فأعدت لذلك أوراق بعددهم ، كتب على ٤٤ منها «يخرج» وعلى ٤٤ منها «يبقى» وطويت الأوراق ووضعت مطوية فى كيس وخلطت بعضها ببعض خلطا تاما ثم نودى على الأعضاء المنتخبين بأسمائهم وأخذ كل منهم يسحب من الكيس ورقة يسلمها لمكتب المجلس ، فيعلن رئيس المجلس خروج العضو أو بقاءه وأتبعت هذه الطريقة أيضا مع الأعضاء المعينين ، وكان عددهم ٥٩ ، فوافق المجلس على أن يكون عدد الباقين ٣٠ ، والخارجين ٢٩ ، وسحبت أوراق القرعة على هذا النحو ، وأما الغائبون من هؤلاء ، وهؤلاء ـ كما يقول أستاذنا الرافعى الذى كان وقتئذ عضوا بمجلس الشيوخ وكان ممن أصابتهم قرعة الخروج من الأعضاء المنتخبين ـ فقد كان رئيس المجلس يتولى سحب ورقة القرعة بالنيابة عنهم معينون كانوا أم منتخبين · وفى ٢٤ مارس ١٩٤١ صدر مرسوم بأسماء الشيوخ المعينين بدلا من الذين خرجوا بالقرعة وبارجاء الانتخاب فى الدوائر التى خلت بالقرعة استنادا الى قيام حالة الحرب وقتئذ ·

ورغم ان لجنة تحقيق صحة العضوية بالمجلس قد أقرت مرسوم التعيين كما أقرت صحة تعيين الأعضاء المعينين ، وقد أقر المجلس أيضا تقرير لجنة صحة العضوية ···

ورغم ان الأعضاء المعينين ظلوا يباشرون أعمالهم كأعضاء في مجلس الشيوخ من ٧ مايو ١٩٤١ الا أن النحاس باشا عندما ولى الحكم فى ٤ فبراير ١٩٤٢ ـ وكما يقول د. هيكل ـ رأى أنه لا بد من قارعة تلفت اليه نظر البلاد من أقصاها الى أقصاها ويفهم منها الجميع ، أن الأمر كله بيد الوزارة وأن الهيئة التشريعية العليا فى البلاد بيد الوزارة أيضا ، استصدر مرسوما بالغاء التعيينات التى أجرتها وزارة حسين سرى باشا فى ٧ مايو ١٩٤١ ، بحجة أن التعيين مكمل للانتخاب وانه لذلك يجب ان يتم بعد الانتخاب لا قبله ، فاذا لم يجر انتخاب وجب الا يجرى تعيين ، ووجب أن تمد مدة الشيوخ المعينين كما تمد مدة الشيوخ المنتخبين .

ويقول د. هيكل : ان الأستاذ على زكى العرابى ـ وكان وزيرا للمواصلات فى وزارة النحاس باشا ـ قد عارض استصدار مرسوم بالغاء تعيينات الشيوخ التى أتمتها وزارة حسين سرى باشا ، حين عرض الأمر على مجلس الوزراء ، وكانت حجته فى الاعتراض ان السلطة التنفيذية ، استنفدت حقها باجراء التعيين وان الوزارات المتعاقبة يكمل بعضها بعضا فهى السلطة التنفيذية المتصلة وان اختلف أشخاصها وعلى ذلك لا يجوز لوزارة أن تنقض ما أتمته وزارة أخرى فى حدود حقها المشروع بالدستور أو بالقانون ، لكن مجلس الوزراء لم يأخذ بهذه الحجة واستصدر المرسوم الخاص بالغاء التعيينات التى أجرتها وزارة حسين سرى باشا .

وقد أثبت على زكى العرابى باشا رأيه هذا فى مقال نشره بمجلة القانون والاقتصاد .

وسوف نعود الى هذا الموضوع الهام والخطير أكثر من مرة ، بعد ان اضطررنا الى الاشارة اليه باعتباره من أهم وأخطر الأعمال القانونية التى قام بها بدوى باشا اثر اشتراكه فى وزارة حسين سرى ، والذى كان ـ الموضوع بالطبع ـ من الأمور التى أثرت على تطورنا البرلمانى فى سنوات ما قبل الثورة .

الفصل الثانى

مطلوب تحديد نشاط الشيخ حسن البنا بتعليمات من السفارة البريطانية فى القاهرة

تحدثنا عن نجاح حسين سرى باشا ، رئيس مجلس الوزراء فى اقناع عبد الحميد بدوى باشا ، رئيس قضايا الحكومة بقبول وزارة المالية ٠

كما تحدثنا عن عبد الحميد بدوى باشا ، باعتباره كفاءة قانونية عالمية ٠
وقد اسهبنا فى الحديث عن عبد الحميد باشا ، لانه ـ اى عبد الحميد بدوى ـ رغم شهرته العالمية ، لم يكتب عنه ، لا كثيرا ولا قليلا ، ولانه لم ينل بعد حقه من الدراسة ، والتاريخ اذ كان الرجل رحمه الله من أولئك الذين يؤثرون العمل ، الصامت بعيدا عن كل الأضواء ! ٠

وقد أشرنا ـ فى نهاية الفصل السابق ـ الى اجراء القرعة بين أعضاء مجلس الشيوخ ، المعينين ، والمنتخبين ، وطبقا ، لفتوى عبد الحميد باشا ، تم تعيين أعضاء خلفا لمن خرجوا ، بالقرعة من المعينين ، ولم تجر الانتخابات لاختيار الأعضاء ، لمن أخرجتهم القرعة ، من الأعضاء المنتخبين ٠

وقد رأى البعض اننا ظلمنا عبد الحميد بدوى باشا وبالتالى وزارة حسين سرى باشا ، عندما اعتبرنا ـ ولسنا من فقهاء ، القانون الدستورى ـ هذا العمل خطأ قانونيا ودستوريا جسيما ٠

ونحن لسنا بحاجة الى ان نعيد تأكيد ما سبق أن كررناه هنا عشرات المرات من اننا نحكم ضميرنا وعقلنا ، فى كل ما نكتبه ، دون أن تكون لمشاعرنا الخاصة ، أية علاقة بالأحكام ، التى نصدرها ، ورغم تقديرنا الكبير ، لعبد الحميد بدوى باشا ، ذلك الذى تجلى فيما كتبناه عنه الا اننا ـ حتى ولو كنا من غير فقهاء ،

القانون الدستورى ـ ترى بحكم الدستور ، والقانون والمنطق ـ ان الظروف القاهرة ، لا يمكن أبدا ان تتجزأ بمعنى أنه اذا كنا فى حالة قد رأينا أن الظروف تحتم ، عدم اجراء الانتخابات فيها ، فان تلك الظروف يجب ان تحتم فى نفس الوقت عدم اجراء تعيينات ·

ورغم ان التعيينات ، لا تتعلق بالأمن ، ولا بالظروف الداخلة والخارجة التى تحيط بالبلاد الا ان حكمة التشريع ، من الأخذ بمبدأ التعيين ، كانت نحتم الابقاء على الأوضاع كما هى ، تعيينا ، وانتخابا الى أن تزول تلك الظروف القاهرة التى تمر بالبلاد ، ان مبدأ التعيين ، يراد به ، كما فهمنا من مضابط لجنة الثلاثين التى وضعت دستور ١٩٢٣ ·· دعم ، مجلس الشيوخ بالكفاءات ، التى لم تشأ ، ان تقحم بنفسها فى الانتخابات ، وبالكفاءات التى رأت أن تدخل معركة الانتخابات ولم يكتب لها الفوز فى تلك الانتخابات ·· أى ان عملية التعيين مكملة ، لعملية الانتخابات وليست أبدا منفصلة عنها ، ولا سابقة عليها بأية حال من الأحوال ·

وسوف نعاود ـ كما سبق ان قلنا ـ الحديث عن تلك القضية ، لأنها كانت من أعقد المشاكل الدستورية التى واجهت حياتنا النيابية ، طيلة عشر سنوات فلقد استصدر حسين سرى باشا مرسوما ملكيا فى ٧ مايو ١٩٤٠ بتسمية الأعضاء ، المعينين فى مجلس الشيوخ بدلا ممن خرجوا بالقرعة ، ثم جاءت وزارة مصطفى النحاس ، لتلغى ، ذلك المرسوم بعد ما وليت الحكم فى ٤ فبراير ١٩٤٢ ولتستصدر مرسوما جديدا آخر ثم جاءت وزارة د· أحمد ماهر فى أكتوبر ١٩٤٤ لتلغى مرسوم حكومة الوفد ، ولتستصدر مرسوما جديدا وعندما جاءت وزارة الوفد فى يناير ١٩٤٥ أبت ، الا أن تلغى المرسوم الذى استصدرته وزارة أحمد ماهر باشا وتستصدر مرسوما جديدا ، ونترك هذه المسألة الآن لنعود ، الى الحديث عن الأزمات ، التى واجهت وزارة حسين سرى :

يقول مارسيل كولومب عن الأزمات التى واجهت حكومة حسين سرى باشا ، بعد أن يتحدث عن الحرب ، فى الصحراء الغربية ، ووصول الألمان ، والايطاليين الى مرسى مطروح ، واحتلال المحور لجزيرة كريت حيث راحوا يهددون تهديدا جديدا وجادا للأرض المصرية ، الأمر الذى اعتبر مقدمة لانهيار بريطانيا العظمى و ·· و ·· بعد أن تحدث مارسيل كولومب عن كل ذلك ، يقول : كان من المستحيل ألا يكون لهذه الأحداث انعكاساتها ، فى مصر ، وفى مايو ١٩٤١ قبض على عزيز على المصرى باشا ، وقدم للمحاكمة بتهمة قيامه بمحاولة لمغادرة مصر ، على متن طائرة حربية ·

وفى الاسكندرية كانت الغارات الجوية تبث الرعب فى نفوس الناس

وبلغ توتر الأعصاب فى العاصمة مداه وانقسم الوزراء ، فيما بينهم واضطر حسين سرى باشا فى يونيو ١٩٤١ الى اجراء تعديل وزارى ولما كانت سياسته أكثر تعاطفا من سياسة سلفه مع بريطانيا العظمى ، بصورة واضحة فقد حاز تاييد السعديين الذين قبلوا فى ٢١ يوليو خمسة مناصب فى وزارته ، التى شملها تعديل واسع وأخيرا فان المقاومة ، التى أبدتها قوات الحلفاء ، ابتداء من يوليـــو الى نوفمبر ١٩٤١ ، والى سد طريق الاسكندرية فى وجه القوات الايطالية ، والألمانية ثم الهجوم المضاد الذى قامت به قوات الحلفاء تجاه الغرب ، كل هذا منح القاهرة نبرة من هدوء البال وفى ٨ ديسمبر استخلصت طبرق وبعد ذلك بأسبوعين اضـــطر الفيلق الافريقى الى الجلاء ، عن بنغازى متقهقرا حتى العجيلة ودعم هـــذا النصر موقف الحكومة المصرية لكنه لم يضـــع حدا لمتاعبها ، بل لقد ازدادت هذه المتاعب خلال الشهور الأخيرة لعام ١٩٤١ ، اذ أثار الارتفاع الملموس فى أعباء المعيشة ، الذى فشل رئيس الوزراء فى أن يوقفه ، احتجاجات قوية فى كل الأوساط .

ويعود هذا الارتفاع فى تكاليف المعيشة لأسباب عدة ، أولها نقص المواد الضرورية ، فالمنسوجات العادية التى يجد فى طلبها الجزء الأكبر من الشعب قد اختفت من الأسواق ، اما البترول اللازم للاستخدام المنزلى « الكيروسين » فلم يعد بالامكان العثور عليه ، واختفت المواد الضرورية كالزيت والســكر ، وقل المعروض من الخبز وخلط دقيق القمح بدقيق الذرة ، وضاعف اضطراب ، المواصلات من القحط ، كما لم تؤد القيود ، التى فرضت على نقل الحبوب ، من محافظة الى أخرى الى تحسين الوضع ، حتى اقتضى الأمر ، تخصيص حصة من المواد التموينية لكل محافظة « مديرية » لكن الجهود ، التى بذلتها فى هذا الصـــدد ، وزارة التموين لم تحقق النتائج المرجوة منها ، فقد عملت الهيئة المختصة بطريقة سيئة وارتكبت كثيرا من الأخطاء اما المسئولون ، الذين أوكلت اليهم المهمة ، فقد ظلوا يتخبطون ، المرة تلو الأخرى وكانوا فى مجموعهم ، غير معدين لتسيير الأمور المعقدة الخاصة ، بالمصالح المشرفة على توزيع حصص التموين ، كما لم يكونوا فى وضع يمكنهم من منع المضاربين من تخزين المؤن ، أملا فى ربح فاحش يجنونه فيما بعد ، ولذا انتشرت السوق السوداء ، فى كل مكان ! لم تلق مسئولية هذه المساوىء على الحكومة وحدها ، التى اتهمت بقصر النظر وانما القت المسئولية ، فى ذلك أيضا على بريطانيا ..

وتضاعفت حيرة الحكومة عندما قدم وزير المالية « عبد الحميد بدوى باشا » استقالته لأسباب غامضة فى ٢ يناير ١٩٤٢ وتولى منصب وزير الماليـــة ، حسين سرى باشا الذى كان يحتفظ لنفسه ــ بالإضافة الى رئاسة الوزارة ــ بمنصب وزير الداخلية ، واســتقبل مجلس النواب بتحفظ شــديد ، تضخم صلاحيات رئيس الوزراء وازداد السخط ، عندما قررت الحكومة بناء على طلب

بريطانيا ، العظمى ، أن توقف علاقاتها مع الدولة الفرنسية « حكومة فيشى » ، وقدمت على الفور أربعة استجوابات ألى مكتب المجلس ، وامتدح كل الخطباء ، ـ وكان اقدرهم فى التأثير ، على سامعيه اسماعيل صدقى باشا ـ الخدمات ، التى قدمتها فرنسا ، لمصر ، فى المجالات الثقافية ، والاقتصادية ، والسياسية وثار النواب فى حدة ضد قرار ، لا يمكن ان يفرضه التطبيق الدقيق لمعاهدة ١٩٣٦ فحكومة فيشى لم تكن قد أعلنت الحرب ، على بريطانيا العظمى •

وكان تجميد العلاقات الدبلوماسية مع فرنسا « حكومة فيشى » قد تقرر ، بينما كان الملك موجودا فى الصعيد وأصر ، الملك الذى لم يؤخذ رأيه فى الأمر ، على ضرورة أبعاد وزير الخارجية ، وفى ٢ فبراير ١٩٤٢ قدمت الحكومة بكامل هيئتها وكانت تتمتع بدعم السفارة البريطانية استقالتها ، وقبلها الملك فاروق وانفجرت الأزمة ـ أزمة ٤ فبراير ١٩٤٢ ـ التى شاءت الظروف لها ان تأخذ مسحة درامية !!

وحول قطع علاقات الحكومة المصرية بحكومة فيشى ، نذكر ، أن مصدرا مسئولا ، فى وزارة الخارجية المصرية قد أكد فى بيان رسمى نشرته الأهرام فى ٩ ـ ١ ـ ٤٢ ، أن حكومة فيشى ، وان لم تعلن الحرب على بريطانيا الا انها تعاونت مع حكومات المحور ، فى حربها ضد بريطانيا العظمى ، بطرق مباشرة ، وغير مباشرة كما يشير البيان ، الى ان بريطانيا طالبت الحكومة المصرية بقطع علاقاتها مع حكومة فيشى لقيام موظفى هذه الحكومة بأعمال تتنافى مع سلامة الجيوش البريطانية فى مصر وقد عالجت الحكومة هذه الحالة فى بادىء الأمر باتخاذ اجراءات فردية ضد بعض هؤلاء الموظفين فاعتقل ، بعضهم ، ورحل البعض ، غير أن توالى الحوادث ـ كما يقول البيان ـ جعل هذه الاجراءات الفردية ، تعجز عن أداء الغرض المطلوب فكررت الحكومة البريطانية طلب قطع علاقاتنا السياسية مع حكومة فيشى قائلة : « ان اعتقال موظفى حكومة فيشى وترحيلهم أو استبدالهم ، لا يغير موقف هذه الحكومة فكل موظف بها فى مصر ، سيقوم بنفس الأعمال المشكو منها تنفيذا لسياسة حكومته » •

ويقول البيان ان الحكومة كانت خلال فترة المحادثات ، التى ظلت بضعة أشهر دائمة الاتصال بمعالى محمود فخرى باشا ممثلها ، فى فيشى لابلاغه تطور الحوادث ليعد العدة ، لما قد تتمحض عنه تلك الحوادث وخاصة فيما يتعلق بشئون الطلبة المصريين المقيمين فى فرنسا سواء فى المنطقة المحتلة أو غير المحتلة •

ولقد كان من المتوقع ان يتسع وقت الحكومة لترحيل هؤلاء الطلبة قبل البت فى أمر قطع العلاقات ، مع حكومة فيشى ولكن الحكومة البريطانيه تلقت أخيرا أنباء جعلتها تتعجل قرار الحكومة المصرية فى هذا الموضوع فلما عرض

الأمر على الحكومةرأت أن فرنسا ليست الى الآن فى حالة حرب مع بريطانيا ، غير ان تصرفات الحكومة الفرنسية ، لا تدع مجالا للشك فى أعمالها العدائية لبريطانيا ، ويقتضى ذلك الحيطة من أعمال موظفيها ، وكذلك رأت الحكومة ان من الواجب عليها نحو حليفتها بريطانيا القضاء على أسباب شكواها فقررت انهاء التمثيل الدبلوماسي لحكومة فيشى فى مصر ، ليغادر وزيرها وموظفو مفوضيتها أراضى مصر ويؤكد البيان رغم ذلك القول ان هذا القرار ، لم يكن ليجعل حكومة فيشى فى صف واحد مع الحكومات ، التى قطعت مصر علاقاتها السياسية بها ، والتى هى فى حالة حرب مع بريطانيا بل كان الغرض الاكتفاء الآن بالاجراء الذى يزيل أسباب شكوى الحليفة دون تعدى هذا الغرض ·

والبيان يؤكد ، ان مصر لم تقطع علاقتها بحكومة فيشى وانما وقفت تلك العلاقات لا أكثر ولا أقل ·

ويقول الأستاذ عبد الرحمن الرافعى – عن بعض أزمات وزارة حسين سرى – : فى يناير ١٩٤٢ استقال بدوى باشا من وزارة المالية ، ولم يعرف مجلس النواب ، ولا مجلس الشيوخ لماذا استقال بدوى باشا ولا أعلن كلاهما – مجلس النواب ، ومجلس الشيوخ – عـــدم ثقته به بل كانت استقالته مباغتة ومفاجئة ، للمجلس وقيل انه أجبر عليها فصدع بالأمر ، واستقال ·

وقد كانت كل التعديلات الوزارية تحدث بعيدا عن توجيــه البرلمان ، مما يدل على انهيار النظام الدستورى الصحيح ، كما يقول الأستاذ الرافعى : « استهدفت وزارة حسين سرى فى أواخر أيامها لأزمات ومشـاكل ، عدة ، أدت الى استقالتها » ، فالمستوزرون من أعضاء البرلمان ، وبعضهم ممن أعطوا سرى باشا ، ثقتهم كانوا يعملون جاهدين على ان يحلوا محل وزارته فافسدوا ، العلاقات بينه وبين القصر ، وانتهزوا فرصة قرار مجلس الوزراء ، فى يناير ١٩٤٢ قطع العلاقات مع حكومة فيشى الفرنسية « وكانت موالية للمحور » فاثاروا ، عليه غضب القصر ، مما اضطر صليب سامى وزير الخارجيــة الى تقديم استقالته ، وجاءت أزمة ، التموين فزادت موقف الوزارة حرجا ، وزلزلت مركزها ، الى حد بعيد ، فقد اضطربت الحالة المعيشية للسواد الأعظم من الناس وخاصة فى توزيع ، الخبز ، ولم يحن الأسبوع الأخير من شهر يناير ١٩٤٢ حتى شح ، هذا الغذاء ، الأساسى للشعب واستعاض عنه الموسرون بالبطاطس ، والمكرونة ، وما الى ذلك ، وصار الناس فى بعض أحياء القاهرة يتجمعون على المخابز ، للحصــول على الخبز ، ويتخطفون الرغيف من حامله فى الشوارع والطرقات واقترنت هذه الأزمة المعاشية بأزمة حادة اذ قامت مظاهرات صاخبة لم يعرف على وجه التحقيق مصدرها نادى فيها المتظاهرون بسقوط بريطانيا وهتفوا : الى الأمام يا روميل ، تقدم ، يا روميل ، وكان الألمان بقيــادة الجنرال روميل يتقدمون نحو مصر فاضطربت أعصــاب الانجليز أمام هذه المظاهرات

والهتافات وطلبوا الى سرى باشا ، وضع حد لها فلم يستجب ، الى طلبهم ، اذ أدرك ان الزمام قد أفلت من يده ولم ير ، ازاء هذه العواصف ، التى هبت عليه ، وعلى وزارته سوى الاستقالة فقدمها يوم ٢ فبراير ١٩٤٢ ، وبناها على حاجته ، الى الراحة !

ويرى د٠ يونان لبيب رزق ، ان حسين سرى باشا رأى ان استمرار اعتماده على الأحرار الدستوريين وحدهم ، بينما تمزقهم الخلافات الداخلية ، ليس من الصواب ، فى شيء وقد اتفق ، مع القصر على تشكيل وزارة جديدة ٠

وكان الملك فى مايو ١٩٤١ قد دعا زعماء جميع الأحزاب ، للالتقاء به حيث جرت الأحاديث عن الموقف الدولى وعن ضرورة الاسراع بتشكيل حكومة قومية ، وقام سرى باشا باجراء اتصالات واسعة لتحقيق هذا الهدف لم تؤد ، الى أى نتيجة مع أهم الأحزاب وأكبرها مع الوفد فقد رد النحاس باشا على ما عرضه القصر ورئيس الوزراء ، بالموافقة على حكومة ائتلافية تحت رياسته، أو حكومة برياسة سرى باشا الا انه فى أى الحالتين علق قبوله على شرط حل مجلس النواب القائم واجراء انتخابات جديدة ولم يكن رئيس الوزراء ليقبل مثل هذا الشرط ٠

وبفشل تحقيق التعاون مع الوفد سعى رئيس الوزراء الى التعاون مع السعديين ٠

وبالرغم من تعثر هذا السعى فى البداية الى انه قد انتهى أخيرا بتشكيل وزارة جديدة من المستقلين ، والدستوريين ، والسعديين ، على النحو التالى :

حسين سرى ٠٠ للرئاسة والداخلية ، أحمد محمد خشبة للمواصلات ، عبد الحميد بدوى للمالية ، صليب سامى للخارجية ، محمود غالب للعدل ، محمد حسين هيكل للمعارف ، مصطفى عبد الرازق للأوقاف ، د ٠ حامد محمود للصحة ، ابراهيم عبد الهادى للأشغال ، عبد القوى أحمد للوقاية المدنية ، حسن صادق للدفاع ، ابراهيم الدسوقى أباظة للشئون الاجتماعية ، محمد راغب عطية للزراعة ، د ٠ عبد الرحمن عمر للتجارة والصناعة ، حامد جودة للتموين !

ويقول د ٠ يونان لبيب رزق ، ان تشكيل وزارة حسين سرى الثانية على هذا النحو أغضب الوفد الذى رأى ان السعى لاتفاق وطنى قد تمخض عنه ضم السعديين ألد خصومهم ، الى الائتلاف الوزارى ونتج عن ذلك أن أخذ الوفد يشن حملة عنيفة على الوزارة وعلى الانجليز ، بدأها النحاس باشا بخطبة عنيفة فى الاسكندرية فى ٤ أغسطس « ١٩٤١ » اتهم فيها الجانب البريطانى بخرق وتحطيم استقلال البلاد ، واقتصادياتها : فى نفس الوقت ، فان النكسات

التى واجهها البريطانيون آنذاك بالاضافة الى اشتداد الغارات الجوية على المدن المصرية ، قد أعطت وقودا للحملة ضد الانجليز ، يضاف الى كل ذلك ان القصر قد وجدها فرصة ليبدى الملك ألوانا من التعاطف مع الحملة التى يقودها ، الوفد ضد الانجليز ، سواء استمرارا للسياسة التى ظل يتبعها ، منذ وقت ، أو رغبة فى كسب شعبية من خلال تحالفه مع الحزب الكبير .

ومن تقرير سير مايلز لامبسون السفير البريطانى فى القاهرة الى أنتونى ايدن وزير الخارجية البريطانية فى نهاية عام ١٩٤١ ، جاء ما يلى : بتلخيص التغييرات السياسية الأساسية خلال هذه السنة « ١٩٤١ » يتضح منها ان هيبة الحكومة المصرية ، قد تدهورت الى حد بعيد ، وقد بدأت الوزارة عهدها بتأييد من العناصر غير الحزبية ، وكان من المعتقد أنها تتمتع بمعونة الملك ، ولكن فى نهاية السنة بدأ ان لاصديق لها سوى البريطانيين ، فخصومة الوفد لها زادت حدتها كما ان سياستها بعدم التعاون مع الأحزاب الأخرى قد أصبحت أكثر وضوحا ، أكثر من ذلك فقد زاد الاعتقاد بقدرة النحاس باشا على اجبار اعضاء البرلمان الوفديين على الاستقالة ، اذا رغب فى ذلك ، اما بالنسبة للسعديين ، فقد تم مؤخرا تهدئتهم بمنحهم منصبين وزاريين هامين ، وزارة التموين ، ووزارة الاشغال العامة ، وبالرغم من ذلك فهم لا يتعاونون مع الحكومة بقدر كاف ، اما الاحرار الدستوريون ، فلا يزالون يعانون من انشقاقاتهم الداخلية التى يغذيها اقارب محمد محمود باشا : أن رئيس الوزارة لم يعد يتلقى عونا يذكر من الملك ، وانه لن يمضى وقت طويل ، حتى يصبح لعلى ماهر اليد العليا فى السراى ولتوضيح ماجاء عن اختلافات الاحرار الدستوريين ، فيما بينهم ، نقول أن العلة اشتدت على محمد محمود باشا رئيس حزب الاحرار الدستوريين فى يناير ١٩٤١ ، وفى الثلث الاخير من يناير من ذلك العام سأل الدكتور محمد حسين هيكل باشا ، الدكتور على باشا ابراهيم وكان صديقا وطبيبا لمحمد محمود عن حال المريض العظيم ، فقال له د. على ابراهيم انه لم يبق له فى الحياة الا أيام ويستريح بعدها من علة الحياة وعنائها .

ونعى الناعون فى الساعات الأولى من أول فبراير ١٩٤٠ ، رئيس حزب الأحرار الدستوريين .

ويقول د . هيكل عن محمد محمود : حزنت للنبا ، وان لم يفاجئنى ، وان وجدت فيه نجاة للرجل من آلام احتمالها ، وما كان حزنى من شبح الموت وهو غايتنا جميعا بل ذكرت فى هذه اللحظة ، ما كان للرجل من مواهب وسجايا وهبها جميعا هبة سماح لخدمة وطنه ، وأمته ، فعز على نعيه وأشفقت ألا تجد مصر من تجمع له هذه المواهب ، والسجايا فيضعها فى خدمتها بالروح الرقيقة والنزاهة الخالصة والكرامة التى يعتز بها صاحبها ويقرها ، كما فعل هذا الزعيم النبيل الذى اختاره الله الساعة الى جواره .

لم يكن محمد محمود باشا سهل القيادة ، كان وجهه الأسمر المستدير ، وعيناه السوداوان حادتى النظر ، وانفة التسامح ، تصد عنه من الف رفع الكلفة ، وتحمل على الظن ان به صلفا عرف عن أمثاله من أبناء طبقته ، وكان سكوته الطويل يغرى على الاعتقاد بانه رجل يعتز بجاهه ، وماله ، فلا يعنى بما سواهما ، فاذا استطعت أن تكشف لنفسك عن ذات نفسه نبدت لك صورة تختلف عن هـذه الصـورة الظاهرة تمـام الاختلاف ، ورايته رجلا ذواقا للادب ، يروى منه الشيء الكثير ، كثير الاطلاع على التاريخ العام ، وعلى السياسى بوجه خاص ، فيه وداعة ، ورقة ، وفيه دعابة وظرف ، وفيه الى جانب ذلك كبر عن الدنايا وترفع عن الصغائر ، وفيه حب للخير ، يصاحبه طموح لأبعد الغايات ، وأعز المطالب .

وقد أعفاه مال ابيه من أن يفكر فى المال ، وجمعه ، وسمت به دراسته فى صـدر الشباب بجـامعة أكسفورد ، عن الزلفى للانجليز ، ذوى الكلمـة النافذة فى حكم مصر حين عاد الى وطنه ، وشغل وظائف الدولة فى حكومته ، ودفعه سموه عن الزلفى ، واعتزازه بماله وجاهه ، واعتداده بنفسه وبكرامته الى ترك مناصب الحكم ، حين اراد الانجليز غير مايريد ، ولما لم يكن قد بلغ الاربعين ، وكانت الحرب العالمية الاولى يومئذ فى أشد مراحلها فلما اذنت الحرب بالانتهاء دعا زملاءه رجال مجلس ادارة الجامعة المصرية الأهلية ، فألفوا الوفد المصرى ، واختاروا لرياسته سعد زغلول باشا ، بعد أن ضموا اليهم من رجال الجمعية التشريعية ، من يكفل للوفد تمثيل الامة المصرية تمثيلا شبيها بالرسمى ، أن لم يكن تمثيلا رسميا

وأفتح قوسا بسيطا ، لأقول أن لى بعض الاعتراضات على تلك الفقرة الخاصة بتشكيل الوفد التى وردت فى كلام الدكتور هيكل ، وسوف أوضح تلك الاعتراضات فى وقت آخر ، ومكان آخر ، وأقفل القوس بسرعة ، لا تقل كلمات د . هيكل عن زعيمه محمد محمود ، وهى من أرق وأجمل ماقيل عن محمد محمود ــ رحم الله محمد محمود ، وهيكل معا ــ يقول د. هيكل : من يومئذ ــ يوم تأليف الوفد المصرى ، الى أن اختاره الله الى جواره ــ وهب الرجل نفسه ، وحياته ، وكل مواهبه هبة سماح ، لخدمة وطنه و . و .

وكان الرجل فى كل مواقفه الوطنية ، رجل كفاح ، وصراحة ، ونزاهة ، لاترقى اليها ريبـة ، ولا تعلق بهـا شائبـة ، من لمصر بمثـل هذه المواهب و والسجايا ، يهبها صـاحبها هبـة سماح ، لخدمة وطنـه ، وأمته ما وهبهـا محمد محمود ، خلال هذه الثلاث والعشرين سنة فى اقدام وجرأة ، ليس كمثلهما اقدام ، ولا جرأة .

ارتسمت امام ذهنى صـورة من هذا التاريخ الحافل لهذا الرجـل الذى اختـاره الله الى جواره ، قبـل ان يكمل الرابعة والستين من عمره ، فحزنت

اشفاقا على مصر فلما تنفس الصبح ، فكرت فى تشييع جنازة الرجل الى مقره الأخير ، وكان قد تقرر ان تقوم فى الساعة الثالثة بعد الظهر ٠

واذ كنت ـ د ٠ هيكل ـ وزير المعارف فقد رأى رجال التعليم فى أرجاء القاهرة جميعا ، أن يشاركونى فى تشييعه ، كما شارك فيه من رجالات الدولة ، ومن طبقات المثقفين جميعا كل من كان يقدر للرجل مزاياه ومواقفه ، وهؤلاء كانوا جلة أهل مصر ، خصومه ، وأنصاره على سواء ، فلقد كان الجميع يجلونه ويحترمونه ، وان خالفوه فى الرأى ، وسـار حسين سرى رئيس الوزارة فى الصف الأول للمشيعين وصحبنا جثمان الفقيد الى مقره الأخير ، فلما وورى التراب ألقى سرى باشا كلمة فى تأبينه ، وألقيت كلمة وجيزة سكبت فيها كل عواطفى ، كل ما أكنه للرجل العظيم من مودة واحترام ٠

وتحدثنا فى ليالى المأتم ، عمن نختاره رئيسا لحزب الأحرار الدستوريين خلفا لمحمد محمود باشا ، ثم اتجهنا جميعا الى اختيار عبد العزيز فهمى باشا ، وتردد الرجل معتذرا بانه اعتزل السياسة فى فترة ولايته القضاء رئيسا لمحكمة الاستئناف ، ثم رئيسا لمحكمة النقض ، بين سنة ١٩٢٨ ، وسنة ١٩٣٥ ، وقد استعنا على تردده ، هذا بخلة من أصدقائه ، فانتهى الى الاقتناع وتولى رياسة الحزب للمرة الثانية بعد أن كان قد تولاها للمرة الأولى فى سـنة ١٩٢٥ ثم استقال منها فى سنة ١٩٢٦ » ٠

واذا كان حزب الاحرار الدستوريين ، ومنذ مولده عبارة عن مجموعه من الأحزاب الصغيرة داخل الحزب الكبير فقد تضاعف عدد تلك الأحزاب غداة وفاة محمد محمود باشا ، وبعد اختيار عبد العزيز فهمى باشا للرئاسة لا خلافا حول مكانة الرئيس الجديد فقد كان الرجل موضع احترام الجميع ، ولكن حول مدى ما يمـكن ان يقدمه الرئيس الجديد للحزب وهو فى ظروفه الصـحية غير المواتية ٠

ومن بين الأزمات التى اعترضت وزارة حسين سرى باشا ، أزمة خاصـة بالشيخ حسن البنا ـ يرحمه الله ـ وكان للدكتور هيكل علاقات طيبة بالشيخ حسن البنا المرشد العام للاخوان المسلمين وقد سبق للشيخ حسن أن عرض رئاسة الاخوان المسلمين على الدكتور هيكل عنـدما التقيا فى موسم من مواسم الحج ، قد اعتذر الدكتور هيكل وقتئذ عن قبول ذلك العرض ، عن تلك الأزمة يقول د٠ هيكل : كان الانجليز شديدى الحساسية وبخاصة ازاء ما يبديه بعض ذوى الرأى من المصريين من ميولهم المحورية ، وازاء بعض العناصر ذات النشاط من سواد الشعب ، وكانت جمـاعة الاخوان المسلمين قد تألفت قبل ذلك ـ عام ١٩٤١ ـ بأعوام قليلة على انهـا جماعة دينية تدعو للتخلق بالأخـلاق الاسلامية ، وللأخذ بقواعد التشريع الاسلامى فى النظام المصرى وكان الشيخ حسن البنا هو الذى دعا لتأليف هذه الجماعة فكان مرشـدها العام ، وكان

الشيخ حسن معلما للغة العربية فى مدرسه المحمدية الابتدائية الأميرية ، وقد بلغت السلطات البريطانية رئيس الوزارة حسين سرى باشا ان هذا الرجل ــ حسن البنا ــ يعمل فى أوساط جماعته لحساب ايطاليا ، ورغبت اليه فى العمل على الحد من نشاطه ، ورأى سرى باشا ان نقل الرجل من القاهرة الى بلد ناء بالصعيد يكفل هذا الغرض ، فحدثنى فى الأمر ، وطلب الى نقله الى قنا ولم أجد بأسا باجابة طلبه ، فنقل مدرس فى مدرسة ابتدائية أمرا ذا بال ، اذ يقع مثله خلال العام الدراسى فى كل سنة ولا يترتب عليه أى شىء ، لكن نقل الشيخ حسن البنا أدى الى مالم يؤد اليه نقل مدرس غيره ، فقد جاءنى غير واحد من النواب الدستوريين يخاطبنى فى اعادته الى القاهرة ويرجونى فى ذلك بالحاح. ولما لم اقبل هذا الرجاء ذهب هؤلاء النواب الى رئيس الحزب عبد العزيز فهمى باشــا ، وطلبوا اليــه ان يخاطبنى فى الأمر ، وخاطبنى الرجل فذكرت له أن حسين سرى باشا هو الذى طلب الى نقل الشيخ حسن البنا بحجة أن له نشاطا سياسيا وان النشاط السياسى محرم على رجال التعليم ، كما أنه محرم على غيرهم من الموظفين واننى لا مانع عندى من اعادة الرجل الى مدرسة المحمدية كما كان اذا أبدى سرى باشا عدم اعتراضه على اعادته ، وخاطب عبد العزيز باشا سرى باشا فى الأمر وذكر له الحاح طائفة من النــــواب الدستوريين ذوى المكانة ، ووعد سرى باشا باعادة النظر فى الموضوع ثم أبدى لى انه لايرى مانعا من اعادة الرجل الى القاهرة فاعدته ٠ وترى أأحسن سرى باشا فى تراجعه هذا أم أساء ؟٠٠ لعله خشى أن يزداد ضغط النواب جسامة ، وبخاصة حين رأى سؤالا يقدم الى البرلمان فى هــذا الشأن ، فاراد اتقاء ما قــد يجر اليه من نتائج ؟ لكن الذى لاشبهة فيه ان تراجعه أشعر الشيخ حسن بأن له من القوة ما يســـمح له بمضاعفة نشاطه من غير ان يخشى مغبة ذلك النشاط ، وان هذا كان له أثره فى تطور جماعة الاخوان المسلمين فيما بعد ، وكما رغب الانجليز فى الحد من نشاط حسن البنا رغبوا كذلك الى سرى باشا ان يعمل فى الحد من نشــاط على ماهر باشا هذا وفى الفصل التالى المزيد من التفاصيل ٠٠

الفصــل الثــالث

كيف نشأت جماعة الاخوان المســلمين
وكيف حــدث أول انشقاق فى صفوفها

● تحدثنا ــ اجمالا ، وبدون ذكر أية تفاصيل ــ عن بعض الأزمات ، الكبيرة ، التى اعترضت وزارة حسين سرى باشا ٠

وكان آخر ما أشرنا اليه من الأزمات تلك التى حدثت بسبب ذلك النشاط الذى كان يقوم به الشيخ حسن البنّا ، المرشد العام لجمعية الاخوان المسلمين والذى اعتبرته بريطانيــا معاديا لها ومواليا للمحور ، وقد طالب السفير البريطانى سير مايلز لامبسون ، من حسين سرى باشا رئيس الوزراء أن يضع لذلك النشاط حدا ٠

وقلنا أن رئيس الوزراء اتصل بالدكتور محمد حسين هيكل باشا وزير المعارف ، باعتبار أن الشيخ حسن البنــا يعمل فى وزارة المعــارف معلما ، وجرى الاتفاق بين رئيس الوزراء ووزير المعارف على نقل الشيخ حسن البنا من المدرسة المحمدية الابتدائية الى مدرسة من مدارس قنا الابتدائية ٠

وكانت نتيجة ذلك النقل ثورة بعض نــواب حزب الأحرار الدستوريين ضد القرار الذى اتخذه وزيرهم ــ د٠ هيكل ــ وخاطب رئيس حزب الأحرار الدستوريين الجديد ، الأستاذ عبد العزيز فهمى باشا وزير المعارف من أجل الغاء ذلك القرار ، وقد تم الاتفــاق بين وزير المعــارف ورئيس الوزراء على الغاء ذلك القرار ٠

وكنت قد قلت أن وزارة حسين سرى باشا قد تضاعفت حيرتها عندما قدم وزير المالية عبد الحميد بدوى باشا ، استقالته لأسباب غامضة فى ٢ يناير ١٩٤٢ ٠

وقد زارنى أحد كبار رجال الاقتصاد ، المعاصرين لتلك الأحداث وروى لى سبب استقالة د · عبد الحميد بدوى باشا المفاجئة ــ وهو سبب شخصى بحت ــ ورغم ثقتى المطلقة فى علم محدثى ، وفى خلقه الا اننى آثرت عدم طرق ذلك الموضوع الى أن تتجمع لدى العديد من القرائن والوثائق الخاصة بأسباب تلك الاستقالة المفاجئة !!

وأعود الى الحديث عن الشيخ حسن البنا ، وعن حركة الاخوان المسلمين التى آثارت فى منتصف عام ١٩٤١ ثائرة بريطانيا ، ودعت السفير البريطانى الى أن يطلب من رئيس الوزراء ــ حسين سرى باشا ــ تقييد نشاط الشيخ البنا بصفته المرشد العام ، لجماعة الاخوان المسلمين · وفى البداية ، أقول اننى لن أؤرخ فى هذه السطور القليلة ، لا للشيخ حسن البنـا ، الذى كانت تجمعنا به أواصر قوية ومتينة ، ولا لحركة الاخوان المسلمين ، التى كنت على صلة بها ، وخاصة فى الفترة من ١٩٤٤ حتى ١٩٥٢ ·

كل الذى أستطيع أن أقوله الآن ، لا يزيد على ملخص عاجل وسريع لبداية اشتغال الشيخ حسن البنا بالعمل الاسلامى ، وبداية انشاء جماعة الاخوان المسلمين ·

والشيخ حسن البنا ــ كما هو غير معروف ــ من مواليد قرية المحمودية « البحيرة » : ولد فى أكتوبر ١٩٠٦ ، وكان والده الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا مأذون المحمودية ، وامام مسجدها ، وكان واحدا من تلاميذ الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، وقد جمع الشيخ أحمد الى وظائفه فى القرية ، حرفة اصلاح الساعات ولذلك كان لفظ الساعاتى ، يضاف الى الاسم فى أوقات كثيرة ·

وقد حرص الشيخ أحمد البنا على أن يتعلم ابنـــه فى كتاب القرية ، ومنه الى مدرسة ابتدائية ، ومدرسة للمعلمين و ·· و ·· ثم استقر به المقام فيما بعد فى دار العلوم ، الى أن تخرج فيهـا فى عام ١٩٢٧ ، ولم يكن قد تجاوز عامه الواحد والعشرين ·

وكان الشيخ حسن البنا سواء فى دراسته الابتدائية ، أو فى مرحلة الاعداد بدار العلوم ، أو فى دار العلوم ذاتها ، من ذوى النشاط الدائب المستمر فى العمل الاسلامى ، وكان حريصا على أن يكتب ــ حتى وهو طالب فى مدرسة دار العلوم ــ فى المجلات الدينية ، وخاصة فى مجلة الفتح التى كان يصدرها الأستاذ محيى الدين الخطيب

وبعد أن تخرج الشيخ حسن البنا ، فى دار العلوم ، كان باستطاعته السفر الى الخارج فى احدى البعثات التعليمية ، ولكنه آثر البقاء فى مصر ، مفضلا التدريس على مواصلة تعليمه فى الخارج ، وكانت أول وظيفة تسلمها الشيخ حسن البنا فى مدرسة ابتدائية بمدينة الاسماعيلية فى ١٩ سبتمبر ١٩٢٧ ·

وكانت الاسماعيلية وقتئذ أرضا خصبة لأى عمل اسلامى فمعسكرات الاحتلال البريطانى فى الاسماعيلية ، والتل الكبير ، وغيرهما تثير فى نفس أى شاب مصرى ضرورة العمل لتحرير مصر من نير الاحتلال البريطانى ، ووجود شركة قناة السويس فى الاسماعيلية ، وسيطرتها على كثير من أمور القناة ، يؤكد أن الاستعمار الاقتصادى لمصر لا يقل فى خطورته عن الاستعمار العسكرى .

والشيخ حسن البنا — بلا جدال — خطيب نادر المثال ، وله ذكاؤه الذى يفوق ذكاء كل زملائه وأقرانه ، وهو قبل ذلك كله وبعد ذلك كله ، يؤمن بأن له دورا فى خدمة الاسلام والمسلمين ينبغى أن يقوم به .

وليس هناك من مكان خصب للعمل الاسلامى أكثر من مكان يبعد كثيرا من العاصمة ، وضجيجها ، وعجيجها ، ويبعد كثيرا — فى نفس الوقت ، عن كل أجهزتها سواء تلك التى تسيطر عليها الحكومة ، أو تسيطر عليها السفارة الأولى ، التى تتحكم فى أمور البلاد صغيرها وكبيرها !

بدأ الشيخ حسن البنا ، يعمل فى الاسماعيلية : فى المدرسة ، فى المسجد ، فى البيوت ، فى كل مكان يمكن أن يصل اليه صوته ، كان يدرس لتلاميذه فى النهار ، وكان يدرس لأولياء أمور تلاميذه فى الليل ، وسرعان ما التف حوله الكثيرون من المؤمنين بالعمل الاسلامى .

وجاءته فى ذى القعدة عام ١٣٤٧ هـ مارس عام ١٩٢٨ جماعة من العاملين فى المعسكرات البريطانية فى التل الكبير ، لتضع أيديها فى يديه على العمل لخدمة الاسلام ، وأقسم الجميع على أن يكونوا جندا لرسالة الاسلام ، وما دمنا اخوة فى خدمة الاسلام فنحن — كما قال يومئذ الشيخ حسن البنا — « الاخوان المسلمون » .

وكان للشيخ حسن البنا — طيب الله ثراه — قدرة فائقة على كشف العناصر الطيبة ، ولم يكن يمل أبدا من أن يقضى الساعات الطوال بحثا عن عنصر واحد ، يعتقد انه عنصر ممتاز أو على الأقل يمكن أن يكون جيدا ، أو ممتازا ، بل انه — وهذا عن تجربة شخصية معه — لم يكن يضيق ذرعا بأن يقضى ليلة كاملة مع شباب لم يتجاوز الخمسة عشر عاما ، يحاول أن يقنعه بفكره ، ويجذبه الى صفه .

وكان الشيخ حسن البنا أقوى ذاكرة يملكها انسان ما

فى حفل عام ، يصافحك ، يسمع اسمك ، وقد لا يكون لقاؤك ... تجاوز دقيقة ، أو بضع ثوان ، ولكنه عندما يقابلك بعد سنين يناديك باسمك ، كأنما الصورة التى انطبعت فى ذهنه عنك لم تفارق ذهنه أبدا ، وسرعان

ما انتشرت فكرة « الاخوان المسلمين » ، وأنشئت شعب عديدة فى بورسعيد ، والسويس ، وأبو صوير ، وشبراخيت ، و ٠٠ و ٠٠

وبدأت التبرعات تنهال على الشيخ حسن البنا وجماعته من هنا ومن هناك ، وكان من بينها خمسمائة جنيه من شركة قناة السويس وتمكن الاخوان المسلمين أن يبنوا بهذه التبرعات أول مسجد لهم فى الاسماعيلية عام ١٩٣٠ ، وبعد المسجد تم بناء مدرسة للبنين ، وأخرى للبنات ، كما تم انشاء محل تجارى صغير ٠

وعندما أعود الى أيام صباى ، أذكر أن التبرعات هذه كانت سببا فى قيام خلاف بينى وبين الشيخ حسن البنا ـ طيب الله ثراه ـ ولم أكن قد تجاوزت الخامسة عشرة من عمرى بعد ، فلقد اكتشفنى الشيخ حسن البنا ، وأنا أخطب فى اجتماع نظمته جمعية الاخوان المسلمين فى المنصورة ، وأعجب بى ، وبعد الاحتفال دعانى الى أن نسير معا فى شارع البحر » ، وقطعنا ليلتئذ الشارع مرات ومرات ، وكان الشيخ حسن البنا ـ وهذا من مظاهر عبقريته الفذة ـ يدفعنى الى الانضمام الى جماعة الاخوان المسلمين ، وكنت يومئذ من تلاميذ الحزب الوطنى ، وكان السبب الذى لم أدخل من أجله يومئذ جماعة الاخوان المسلمين ، ان جماعة الاخوان المسلمين بالمنصورة تأخذ مائتى جنيه تبرعا من الحكومة ـ بلدية المنصورة ـ وكان قد وقر فى ذهنى يؤمئذ أن أحدا لن يستطيع مهاجمة الحكومة ، أو الخروج عليها وهى تعينه بمبلغ من المال ، أى مبلغ ٠

وقد قلت يومئذ للشيخ حسن البنا وكان بالنسبة لى فى منزلة الأستاذ : اذا رفضتم المبلغ الذى تعينكم به الحكومة هو أنا أنضم فورا للاخوان المسلمين » وأذكر يومها ، انه قال لى : ـ رحمه الله ـ « انت مثالى أكثر من اللازم » ٠

ولم أذكر هذه القصة ، الا لاعطاء فكرة عن مدى ما كان يبذله الرجل من جهود ، وما كان ينفقه من وقت من أجل تجنيد صبى ، أو شاب لا يملك من دنياه شروى نقير !!

طلب الشيخ حسن البنا ، فيما بعد أن ينقل الى القاهرة ، وأجيب الى طلبه فى صيف عام ١٩٣٢ وكان أحد أشقائه الأستاذ عبد الرحمن البنا قد أنشأ فى القاهرة جماعة اسمها « جماعة الثقافة الاسلامية » وكان لتلك الجماعة نشاط كبير فى العاصمة ، وبمجرد نقل الشيخ حسن البنا الى القاهرة تم دمج جماعة الثقافة الاسلامية فى جمعية الاخوان المسلمين ، وانتقلت جماعة الاخوان المسلمين من مرحلة الى مرحلة ، بل لقد أصبح لجماعة الاخوان المسلمين فيما بعد ، مقار وسكرتيرية ، وموظفون متفرغون ، الأمر الذى مكن الجماعة من أن تبدأ فى اقامة مؤتمرات عامة أقيم أولها فى مايو ١٩٣٣ ، وكان خامسها فى عام ١٩٣٩ ٠٠

وكما هى العادة دائما فى كل عمليات البناء السياسى تبقى الجهود موحدة ، متكتلة ، متراصة ، فى المراحل الأولى للبناء ولكن عندما تبدأ العملية فى الاتساع تبدأ عادة الانشقاقات ·

وكان أول انشقاق أصاب جماعة الاخوان المسلمين مع بداية الحرب العالمية الأولى ، ذلك الانشقاق الذى أدى الى خروج مجموعة كبيرة من الاخوان المسلمين سرعان ما أنشأت جمعية أخرى ، أطلقت على نفسها اسم جمعية شباب سيدنا محمد « صلى الله عليه وسلم » والأقوال كثيرة فى الأسـباب التى أدت الى ذلك الانشقاق ، البعض يقول : ان من بين تلك الأسباب الخلاف حول صلة جماعة الاخوان المسلمين بعلى ماهر ، وخشية البعض من أن يؤدى التصاق الجماعة بعلى ماهر الى أن تكون أداة يضرب بها على ماهر الوفد ، فى الوقت الذى كان جائزا للعضو فى جماعة الاخوان المسلمين ، أن يكون وفديا فى نفس الوقت ·

وقيل ان من بين تلك الأسباب الخلاف حول دور الأستاذ أحمد السكرى فى الجماعة والخشية أيضا من أن يكون للأستاذ أحمد السكرى وهو وثيق الصلة بعلى ماهر دوره فى نقل « الاخوان المسلمين » الى معسكر على ماهر !!

وقيل أيضا أن من بين أسباب الانشقاق ، الخلاف أو الاختلاف حـول مصير الأموال التى جمعت لدعم نضال عرب فلسطين بواسطة الاخوان المسلمين ، وعدم موافقة البعض على تخصيص جزء من هذه الأموال لدعم حركة الاخوان المسلمين فى داخل مصر ، واصرار البعض على أن هذا التخصيص لا يضر عرب فلسطين ، وانما يفيدهم بطريقة أخرى ·

وقيل أيضا أن من أسباب ذلك الانشقاق ، قيام خلاف حول الأساسيات العقائدية التى يجب أن تسترشد بها الجماعة ، وكان من رأى البعض الاعتماد على السواعد فى نشر الدعوة ، بينما كان من رأى البعض الآخر وعلى رأسه الشيخ حسن البنـا ، العمل بالآية القرآنيـة الكريمـة « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن ، أن ربك أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » ·

وكان الشيخ حسن البنـا يطلق على من خرجوا عليـه « المتعجلين » ، « والقلقين » ، وكان باستمرار يحذرهم ·

وقد كان من بين صور ذلك الانشقاق ، ان مجلة « النذير » التى بدأت أكتب فيها ولأول مرة فى حياتى ، ولم أكن قد تجاوزت عامى السادس عشر عن : النواحى الاسلامية فى قضية الفلاح » ، وكان الشيخ حسن البنا هو الذى وجهنى الى هذا الاتجاه ، مجلة النذير : خرجت على الجماعة : صاحبها ومديرها والمشرف عليها و ·· و ··

ورغم كثرة عدد الانشقاقات التى حدثت فى صفوف الجماعة ، ابتداء من عام ١٩٣٧ حتى عام ١٩٤٠ الا ان الجماعة لم تتأثر بتلك الانشقاقات ، لا من حيث عدد الأعضاء ، ولا من حيث النفوذ ٠

وفى كتاب « الاخوان المسلمون » للدكتور ريتشارد ميتشيل ، ترجمة عبد السلام رضوان ٠ ما يفيد ان قرار نقل الشيخ حسن البنا قد صدر فى ١٩ مايو ١٩٤١ ، وانه فى ٢٠ مايو حل شخص آخر محل عبد الرحمن عزام فى قيادة الجيش المرابط ، وكان عزيز على المصرى قد فشل فى هربه من مصر ليلة ١٥/١٦ مايو ١٩٤١ ٠

وعن واقعة النقل يقول د٠ ميتشيل ــ وبكل أسف لم أعثر على مراجع عربية موثوق بها توضح لنا واقعة نقل الشيخ حسن البنا ولعل من يستطيعون اجلاء مثل هذه النقطة يوافوننا بكل ما لديهم عنها من معلومات ــ يقول د٠ ميتشيل عندما بدأت الحرب أعلن الاخوان المسلمون فى خطاب الى على ماهر رئيس الوزراء عن تأييدهم لعدم اشتراك مصر فى الحرب ، ولقصر المساعدات المقدمة فيها لبريطانيا ، على ما يلزمها به نص معاهدة ١٩٣٦ وفيما عدا ذلك ، واصلت الجماعة فى القاهرة شرح قضيتها ٠ كذلك قامت بدور فعال فى اثارة المشاعر الوطنية ضد بريطانيا ، بالرغم من وجود حالة الحرب ، وهو الأمر الذى واجهته بريطانيا بالحزم ، حرصا على تأمين مؤخرتها ٠

وبعد نقل حسن البنا للصعيد فى مايو ١٩٤١ استخدم موقعه الجديد كمقر للجماعة ــ وكان السكرى قد نقل فى نفس الوقت الى الوجه البحرى ــ وواصل نشاطه علنا ، وقد أدى نقله الى قيام مناوشة برلمانية فقد انتهز الوفديون الفرصة ، لاحراج الحكومة لأسباب أخرى لا صلة لها بالبنا وعندما برر حسين سرى رئيس الوزراء نقل البنا بأنه أهمل فى أداء عمله كموظف بوزارة المعارف ، أعدت قيادة الجماعة مذكرة لتقديمها خلال المناقشات البرلمانية ، أرفقت بها صورة للملفات تالتفتيش بوزارة المعارف ، لتفنيد ملاحظات حسين سرى ٠

وفى شهر سبتمبر أعيد البنا والسكرى الى القاهرة الا أنه ألقى القبض عليهما وعلى عبد الحكيم عابدين ٠ أمين عام الجماعة فى أكتوبر ، أثر انتهاء أحد الأجتماعات الجماهيرية ، المناهضة لبريطانيا ، وأصدرت الحكومة فى نفس الوقت قرارا بوقف صحف الجماعة « التعارف » ــ و « اشعاع » وصحيفة « المنار » المعروفة التى أوكل ورثة رشيد رضا أمرها للبنا ، مؤخرا كما حظر على الصحف نشر أية أنباء عن الاخوان أو عن الاجتماعات التى يقيمونها وفى نفس الشهر تم الافراج عن المعتقلين خشية حدوث رد فعل برلمانى ، مضاد للحكومة فضلا عما قيل عن الضغط الذى مارسه القصر فى هذا الصدد ، وكانت تلك هى المحنة الأولى ــ على حد تعبير الاخوان ــ التى تصيب الجماعة ٠

وللأمانة التاريخيــة نقول : ان الشيخ حسن البنا نفى انه كان يعرف على ماهر خلال وزارته عام ١٩٣٩ ، وان الذى كان يعرفه هو صالح حرب باشا ، كما انه كان يعرف عزيز على المصرى جيدا ، وكان عزيز المصرى يحاول باستمرار أن يجمع بين جماعة الاخوان المسلمين ، وبين جماعة مصر الفتاة ، كما كان عزيز المصرى يحاول أيضا أن يقوم بدور الوسيط بين الاخوان المسلمين وبين الضباط الأحرار ، على النحو الذى يصــفه أنور الســادات فى كتابه « صــفحات مجهولة » والذى سنعود للحديث عنه ، عندما تكتب عن عزيز المصرى ، والاخوان المسلمين ، والضباط الأحرار ٠

ونعود الى الحديث عن بعض الأزمات التى واجهت وزارة حسين سرى باشا ، وبتفصيل أكثر ٠

يقول د٠ هيكل : انه اذا كان قد وجد فى مصر وفى غير مصر ، هيئات باسم فرنسا الحرة تعضد ديجول فقد بقى فى مصر ، وفى غير مصر فرنسيون مؤيدون للمارشال بيتان وحكومة فيشى وهؤلاء كانوا موضع ريبة من السلطات البريطانية وكانت الريبة تبلغ فى شأن بعضهم مبلغ الاتهام ، من هؤلاء مسيو ريمون مستشار الفنون الجميلة بوزارة المعارف الذى اتهمه البريطانيون ، بأنه مبالغ فى مناصرته للمارشال بيتان ويدعو له ، ضد فرنسا الحرة وقد حدثنى سرى باشا فى شأنه فطلبت الرجل فى مكتبى وخاطبته فيما ينسب اليه ، فلم يخف انه يناصر حكومة فيشى وانه ، وهو الجندى القديم الذى خاض ، غمار الحرب العالمية يعرف واجبه الوطنى ، كما يعرف أن عليه لمصر واجب ألا يقوم فيها بنشاط سياسى يخالف اتجاه حكومتها وذكر انه لا يقوم بأى نشاط من هذا القبيل ، وقال هيكل ، لقد تبين أن مسيو ريمون لا يستطيع اخفاء رأيه فى سياسة بلاده ، وابداء الرأى ليس نشاطا سياسيا خاصا وهو لا يزيد على اظهار رأيه ، لمن سأله عنه وهو لا جناح عليه حين يفعل ، ويقول د٠ هيكل انه بلغ حديثه مع مسيو ريمون الى سرى باشا ، ولكن السلطات البريطانية لم تقنع ولم تقتنع بما هو دون اعتقال الرجل فاعتقل » ٠

وعن استقالة بدوى باشا يقول الدكتور هيكل بلغنى فى النصف الأخير من ديسمبر أن مركز عبــد الحميد بدوى باشا فى الوزارة غير ثابت وانه سيضطر الى الاستقالة ، وان سرى باشا رغم ما بينه وبين الحميد بدوى من صداقة ، ورغم تقديرنا جميعا لبدوى باشا ومكانته فلن يستطيع سرى باشا ولا غــيره من الوزراء ان يفعلوا شيئا فى أمر اســتقالة بدوى باشــا ، ويقول د٠ هيكل ، انه زار حسنين باشا رئيس الديوان الملكى فألقاه فى مثل موقف سرى باشا ، من استقالة بدوى باشا وانه يأسف لأن اضطرار بدوى باشا للتخلى عن منصب وزير المالية لم يبق فيــه مجال للتفكير فى رياسة الوزارة وكان بدوى باشا ــ كما يقول حسنين باشا ــ منظورا اليه فى القصر على انه

خلف لسرى باشا ــ فى رياسة الوزارة ويقول د . هيكل انه سافر الى أسوان وكان الملك ورئيس ديوانه قد سافرا اليها ، وكنت فى هذا المشتى البديع ، أسمع من الأحاديث عن استقالة بدوى باشا ما جعل كل رجاء فى تلافيها غير ممكن ، وبالفعل قدم بدوى باشا ، استقالته الى رئيس الوزراء . وعرضت الاستقالة فى جلسة ٥ يناير ١٩٤٣ وقرر مجلس الوزراء قبول الاستقالة بغير مناقشة ، لأن الوزراء جميعا كانوا يعلمون ، انه لا جدوى من المناقشة .

وفوجىء الوزراء ، بأن عرض رئيس مجلس الوزراء أن تقطع مصر علاقتها بحكومة فيشى الفرنسية ، ولم يكن أحد منا ــ د. هيكل يقول ــ يتوقع أن يعرض يومئذ هذا الموضوع الذى تأجل من قبل غير مرة ، وطالب فى مجلس الوزراء مصطفى عبد الرازق باشـا وزير الأوقاف ، ارجاء النظر فى هـذا الموضوع ، وأجابه رئيس الوزراء فى عنف : ينبغى أن نبت اليـوم فى هذا الموضوع ومن لم يعجبه ذلك ، فله أن يتصرف بما يشاء » .

ويقول د. هيكل ان هذه اللهجة لم نعجبه وانه قال : انى وزير المعارف ، ولنا فى فرنسا عشرات بل مئات من أبنائنا الطلاب يجب ان نرعى مصلحتهم وقطع العلاقات يضر بهم ، ضررا بليغا و .. و ..

ونولتنى الدهشة ــ د. هيكل ــ عندما رأيت جميع الوزراء يوافقون على قطع العلاقات مع حكومة فيشى ، وقد امتنعت وامتنع مصطفى باشا عبد الرازق عن التصويت ..

ويقول أحمد حسنين : ان الملك سوف يغضب لهذا القرار ، الذى لم يؤخذ رأيه فيه ويسأل د. هيكل ، عما اذا كان لديه حل لهذه المشكلة قبل أن ينشر قرار مجلس الوزراء ؟ ويقول هيكل انه قال لحسنين باشا : أحسب الرجوع فى قرار مجلس الوزراء رجوعا مطلقا غير ممكن فكما عرفت أنت بهذا القرار ، فقد عرفته السفارة البريطانية وعرفته الحكومة البريطانية ، و . و . والرأى عندى ان يخفف من صيغة القرار وان يجعله وقف العلاقات ، مع حكومة فيشى بدل أن يكون قطع العلاقات .

ويتصل حسنين باشا بسرى باشا رآجيا منه ، الموافقة على اقتراح هيكل باشا ويوافق حسين سرى باشا ، ويعتكف صليب سامى باشا وزير الخارجية بمنزله دون مرض ولا علة ، ويقول د. هيكل ان رئيس الديوان بلغه بأنه هو الوزير المسئول عن علاقة مصر الدولية ، وان واجبه كان يقتضيه أن يعترض على ما طلبه رئيس الوزراء من قطع العلاقات مع حكومة فيشى اما ولم يفعل ، فيلزم داره ، وبلغ صليب سامى رئيس الوزراء بما قيل له ، وأبدى استعداده لتقديم استقالته من منصبه ، فطلب منه حسين سرى ألا يفعل على أمل أن يسوى

الأمر مع الملك ويظن حسين سرى بعد أن تحدث الى الملك حول موضوع صليب سامى أن المسألة قد سويت فيطلب من صليب سامى أن يذهب الى مكتبه ويباشر عمله ، لكنه لم يلبث على ذلك غير يومين ، ثم اتصل به رئيس الديوان من جديد وأعاد عليه ما كان قد ذكره له وطلب اليه أن يكف من جديد عن الذهاب الى الوزارة فكف الرجل ، واعتكف فى بيته ٠

وفى قضية الاغتيالات السياسية « مقتل أمين عثمان باشا وأخرين » ، استدعى حسين سرى باشا للشهادة ولكنه كان متحفظا ، بشكل غير طبيعى فى كل ما يقوله وخاصة عن الفترة التى ولى فيها الحكم من ١٥ نوفمبر ١٩٤٠ حتى ٢ فبراير ١٩٤٢ ٠

سئل حسين سرى باشا عن الطلبات التى لم تكن فى صالح مصر وطلبتها منه بريطانيا ، فقال : انه لا يعتقد أن هذا السؤال يمكن الرد عليه لأنه من أسرار الدولة وان هذه مسائل سياسية كبرى من واجبه الا يشير اليها ٠

وكان من بين ما قاله حسين سرى باشا عن أمين عثمان باشا وعلاقته بالانجليز : عندما كلفنى على ماهر باشا بتولى وزارة المالية ، قال له ان وكيل وزارة المالية هو أمين عثمان ووجوده غير مستحب ويقول حسين سرى ، انه بعد حوالى عشرين يوما من تكليفه بالوزارة زاره أمين عثمان وقال انه يضع نفسه تحت تصرفه ليكون همزة الوصل بينه وبين السفير البريطانى واقترح أن يعينه مديرا لمكتبه ثم يقول حسين سرى باشا ، انه شكر أمين عثمان على ذلك وأبدى له دهشته من أن يطلب منه هذا الطلب ! ٠

ونفى حسين سرى ان يكون السفير البريطانى هو الذى طلب منه ان يعين أمين عثمان وزيرا ، فى وزارته ويرفض حسين سرى ان يذكر الأسباب التى دعته الى عدم التعاون مع أمين عثمان باشا ٠

ويقول حسين سرى باشا ، ان من بين أسباب استقالته المقابلة التى تمت بين أمين عثمان باشا ود٠ أحمد ماهر باشا ٠

وفى قضية الاغتيالات أيضا أدى د٠ هيكل الشهادة مؤكدا أن من بين الأسباب التى أدت الى استقالة حسين سرى باشا ، قطع العلاقات مع حكومة فيشى ، ودقة مركز صليب سامى باشا وزير الخارجية ، وعدم استطاعة سرى باشا حمايته ، وقيام مظاهرات كثيرة ضد حسين سرى باشا من بينها تلك التى قامت فى ٢١ يناير ١٩٤٢ « وكنا كأحرار دستوريين نقيم حفلة لذكرى محمد محمود باشا ، وكانت تلك المظاهرة قد اشترك فى تدبيرها بعض الكبراء»٠

الفصل الرابع

فى جلسة سرية هامة لمجلس النواب
زعيم المعارضة يلقى خطابا يستغرق ٦ ساعات

● تحدثنا ـ اجمالا ، لا تفصيلا ـ عن نشأة جماعة الاخوان المسلمين عام ١٩٢٨ فى الاسماعيلية وتطورها ، الى أن أصبحت قوة كبيرة فى عام ١٩٤١ كما تحدثنا أيضا عن الأسباب التى أدت الى نقل الشيخ حسن البنا ، المرشد العام للاخوان المسلمين من المدرسة المحمدية الابتدائية بالقاهرة الى مدرسة ابتدائية بقنا ، وذلك للحد من نشاطه السياسى ، الممالىء للمحور كما قالت السفارة البريطانية وقتئذ كما تحدثنا أيضا عن الظروف السياسية التى أدت الى الغاء قرار النقل وعودة الشيخ حسن البنا الى المدرسة المحمدية الابتدائية معززا مكرما ، وقد تحدثنا ـ فى الفصل السابق أيضا ـ وبتفصيل فى هذه المرة عن بعض الأزمات التى اعترضت وزارة حسين سرى باشا ـ وزارة الأزمات كما نحب أو نسميها ـ ونكمل فى هذا الفصل ما أنهينا به الفصل السابق ·

ربما كانت أخطر الأزمات التى واجهت وزارة حسين سرى باشا ـ ومنذ البداية ـ أزمتها مع مجلس النواب ولم تكن أزمة وزارة حسين سرى باشا مع مجلس النواب أن رئيس المجلس الذى انتخب بعد بضعة أيام من تشكيل وزارة حسين سرى باشا كان معارضا الى أبعد حدود المعارضة لتلك الوزارة فما كان الدكتور أحمد ماهر رئيس مجلس النواب الا محايدا ، ومحايدا من طراز يدعو الى الاعجاب والتقدير غير أن الأزمة الحقيقية فى مجلس النواب بالنسبة لوزارة حسين سرى باشا كان فى وجود السعديين خارج الحكم والسعديون ـ للحقيقة ـ كانوا منظمين كحزب الى حد كبير ولم يكن هناك سعدى واحد ، يمكن أن يخرج على اجماع الحزب كما هو الحال بالنسبة للأحرار الدستوريين مثلا ، ولم يكن ذلك بسبب سلطان أحمد ماهر باشا رئيس الهيئة السعدية أو محمود فهمى النقراشى باشا نائب الرئيس ، بل كان مبعث ذلك حقيقة أن ما يجمع بين أعضاء الحزب علاقات الاخوة والزمالة قبل أن تكون العلاقات

الحزبية ، هذا الى جانب وجود قيادات للسعديين كانت تتميز ـ وهذه شهادة لها ـ بالقدرة الفائقة على التنظيم الحزبي .

وكان أول ما واجه الوزارة السرية ـ وزارة حسين سرى باشا ـ من امتحانات رهيبة امتحانها الأول مع مجلس الجواب الذى كان كما قلت معقلا للسعديين الذين كانوا يملكون قرابة تسعين كرسيا فى المجلس ، وكانوا فى نفس الوقت يملكون ـ عن طريق الحب ـ كراسى كثيرة من كراسى المستقلين الذين كانوا بدورهم يشكلون قوة كبيرة من قوة المجلس .

وحتى أستطيع اعطاء صورة حقيقية ، لما كان يدور فى مجلس النواب وقتئذ ـ فى بداية الأربعينات ـ لابد من أن أقف كالعادة وقفة موضوعية أمام جلسة من أخطر جلسات مجلس النواب ، وهى الجلسة الخاصة بطرح الثقة بوزارة حسين سرى باشا .

وكان الدكتور أحمد ماهر باشا رئيس المجلس قد تخلى عن منصة الرياسة ليجول ويصول فى قاعة المجلس خطيبا برلمانيا من الطراز الأول ، وهو لخبرته البرلمانية الطويلة كان على ثقة مطلقة من آن أعضاء المجلس الكبار فى السن لن يستطيعوا السهر طويلا فى تلك الجلسة كما أنه كان على ثقة مطلقة أيضا من أن الكثيرين من النواب المستقلين الذين لا ناقة لهم فى موضوع تأييد الوزارة أو معارضتها سوف يضيقون ذرعا بكثرة الخطب وعنف المناورات فيعمدون الى طلب الراحة وبذلك يخلو جو المجلس للسعديين الذين يمكنهم اذا تعاون معهم بعض المستقلين حجب الثقة عن الوزارة .

وكان السعديون قد قاموا قبل جلسة الثقة بهجوم عنيف قاده ـ كما قالت مجلة آخر ساعة المصورة ، العدد ١٥ ديسمبر ١٩٤٠ ـ الجنرالان ابراهيم عبد الهادى ، وممدوح رياض ، وبقى المارشال الدكتور أحمد ماهر باشا جالسا ، الى منصة الرياسة يرقب المعركة بالنظارات المعظمة حتى اذا ما رأى نجاح الزحف أو بوادر خطر على ميمنة الجيش السعدى أو ميسرته نزل الى الميدان وأطلق قنابله فى الميدان ، وقد بدأ السعديون هجومهم بالتظاهر بأنهم سيتخذون خطة الدفاع ولن يقوموا بأى هجوم ، ومن هنا بدأت أحاديثهم فى الأسبوع الماضى عن الوزارة تلين وتسيل رقة وعذوبة وكان حديث السلام والوئام والحمام واليمام يحتل أغلب اجتماعات السعديين والدستوريين وشاع فى بعض الدوائر ان السعديين سيدخلون الوزارة وانهم تقهقروا من مواقعهم أو أن لا خلاف بينهم وبين الدستوريين على الاطلاق ، ومن هنا انطلقت الزغاريد خلف شائعات صلح الحزبين التوأم ، ونام الأحرار الدستوريون ملء جفونهم مطمئنين الى أنهم وضعوا فى جيبهم اخوانهم السعديين .

وفجأة قام السعديون بمناوشات على الحدود فأمطر السعديون رئاسة

مجلس النواب أسئلة واستجوابات عن موقف مصر من الحرب ووجوب قيامها بالدفاع عن نفسها واستعانوا كثيرا بالحكمة القائلة : ما حك جلدك مثل ظفرك ، فتول انت جميع أمرك » .

واستيقظ الدستوريون من أحلامهم الذهبية وسألوا الدكتور ماهر باشا : صحيح خصامك ولا هزار . وأجاب الدكتور ماهر باشا ، أن المسألة هزار وانها لحفظ المظاهر فقط ، وعندئذ عاد الدستوريون الى نومهم العميق » .

وعن موقف النواب الوفديين من المعركة بين السعديين والوزارة قيل أن النواب الوفديين مصممون على سياسة تجنيب مصر ويلات الحرب وانهم ايضا مصممون على أن سياستهم أيضا تقضى بتجنيب مصر ويلات الدكتور ماهر باشا .. ولهذا فان النواب الوفديين سوف يكتفون بمعارضة الوزارة فى المسائل الداخلية البحتة كمسألة المخابىء ووجوب الاسراع فى انشائها ، وكمسألة الانتخابات الحرة و . ، هذا عن استعداد السعديين والوفديين لجلسة الثقة ، وكانت الحكومة بدورها قد استعدت من جانبها وكأنها « فى حالة حرب » ، ونصحها المتمرسون على تاكتيكات كواليس المجلس أن تجرى بروفة على الثقة بالحكومة قبل أن تطلب الثقة ، وفى هذه البروفة تستطيع أن نعرف من سيقف معها ، ومن سيقف ضدها ، ولذلك بادر رئيس الحكومة بأن طلب أن تكون مناقشة خطاب العرش فى جلسة سرية ورفض السعديون وجرى بحث هل يكون النقاش فى أن تكون الجلسة سرية أم علنية ، وفازت الوزارة بأغلبية ثمانين فى المائة .

وقال هيكل باشا ان معركة السرية العلنية هى بروفة المعركة الكبرى وما دامت الوزارة قد اجتازت البروفة بنجاح فستنجح فى المعركة الكبرى نجاحا باهرا .

وفى احدى الجلسات ظل أحمد ماهر باشا يخطب ست ساعات وهو رقم قياسى لم يحدث من قبل ــ ولعله لم يحدث من بعد ــ فى تاريخنا النيابى .

ووصفت خطبة أحمد ماهر باشا فى المجلس ، من قبل بعض الوزراء بأنها حرب أعصاب تستهدف تأجيل الجلسة وظهر أن حسين سرى باشا أيضا كان بدوره مصرا على مواجهة حرب الأعصاب الماهرية بأعصاب من حديد ، فبينما كان أعضاء المجلس يتناوبون الخروج ، أثناء خطبة الدكتور ماهر باشا ليشربوا سيجارة ، أو فنجان قهوة ظل حسين سرى باشا فى مقعده لا يبرحه طوال الساعات الست .

واشترك مصطفى عبد الرازق فى حرب الأعصاب هذه فقد جلس يدون كل كلمة يقولها الدكتور ماهر باشا حتى اذا انتهى من الصفحة ، مزقها واستمر يكتب من جديد وتساءل النواب ما السر فى هذا فقيل لهم أن مصطفى

عبد الرازق بك رأى أن هذه خير طريقة لاضاعة الوقت وتروى مجلة آخر ساعة المصورة ـ العدد ٢٩ ديسمبر ١٩٤٠ ـ ما حدث فى المجلس عند أخذ الأصوات على الثقة فتقول بالحرف الواحد :

فعندما نودى على الأستاذ عبد الحميد عبد الحق قال « ثقة » ٠

وصاح أحد النواب السعديين « يا روحى » ٠

فصاح الأستاذ غنام : هذه كلمة تقال فى البارات لا فى مجلس نواب ٠

ووقف الأستاذ عبد الحميد عبد الحق وقال : لقد فعلنا هذا لكيلا ترمونا بالحزبية ٠

وأراد النواب الوفديون أن يمسكوا بخناق السعديين ولكن الدكتور ماهر باشا اعتذر للوفديين ٠

وقال النائب محمد سالم جبر الوفدى « ثقة تامة » ٠

وصفق المجلس عندما قال الأستاذ سابا حبشى « ثقة » ٠

وقال الأستاذ فكرى أباظة « ثقة » « ثقة » وضحك النواب وقالوا . عاوز يحسبها صوتين !

وقال أحمد بك مختار : عدم ثقة

وقال الأستاذ مصطفى فوده « ايه ؟! ٠٠ ده أنا ثقة أوى » ٠

وصاح الشيخ عيسوى صقر « ثقة بالثلث » ٠

ومما يلاحظ أن هذه أول مرة يقرر فيها الوفديون الثقة بوزارة ليست منهم ٠

وكانت نتيجة الاقتراح أن قرر ١٢٢ نائبا الثقة بالوزارة وقرر ٦٨ نائبا عدم الثقة بها ٠ وقد يدهش القراء حين يعلمون أن عدد النواب السعديين ٨٦ فأين ذهب الباقون ؟

ونجيب على هذا بأن بعض النواب السعديين تغيبوا فجأة كحسين سعيد بك والشيخ خليل أبو رحاب وغيرهما ٠

وبلغ عدد المتغيبين ٤٩ ومع ذلك فلو فرضنا وكان هؤلاء كلهم من أنصار الدكتور ماهر باشا وحضروا لما استطاع أن يخذل الوزارة » ٠

وعن تلك المعركة البرلمانية الكبرى قال المصور ـ ٣ يناير ١٩٤١ ـ ان واجبنا الصحفى النزيه أن تسجل للدكتور أحمد ماهر باشا « نصرين » :

النصر الأول انه ــ هو شخصيا ــ رجل يؤمن بما يدعو اليه ايمانا قويا ، وقد دافع عن نظريته ست ساعات ونصف ساعة فى الجلسة السرية ، أحاط بموضوعه من جميع نواحيه والنصر الثانى أنه أول برلمانى دفع الحكومة ــ سواء برغبته ، أو ضد مصلحته ــ الى طرح الثقة ، وهو تقليد برلمانى لم تتمتع به مصر الا هذه المرة ، وشاركه فى هذا حسين سرى باشا الذى أقدم بكل شجاعة وثبات على طرح الثقة وطلبها مرارا : ولا شك أن أحمد ماهر باشا تحفة برلمانية رائعة ولذلك يخرج دائما من معاركه وهو محل تقدير أصدقائه ، وخصومه على السواء » ٠

ويشير المصور الى أن موضوع الثقة وإن كان قد أثير فى جلسة سرية ، الا أن أخذ الرأى على تلك الثقة لا بد وان يكون فى جلسة علنية ، ولأن الجلسة انتهت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل رأى رئيس الجلسة تأجيلها لعدم وجود جمهور يحقق علنية الاجتماع ٠

وقال الفقه كلمته « بأن فتح الأبواب للجمهور هو العلانية » وتمسك مكتب المجلس بأنه لا جمهور وحينئذ لا علانية ، وفجأة ، كما يقول المصور ، أطلت عمتان وارتفع طرابيش من الشرفات فنظر اليهم أحمد ماهر باشا نظرة المستسلم وصاح ، ليكن ٠

ويرى المصور ان المعركة الانتخابية ــ تلك قد أسفرت عن النتائج الآتية : أن الدستوريين حين يجدون ، يجدون وأن بعض السعديين « تسلل » و « توارى » ٠ وهذا شيء جديد ، ولم يكن معروفا عن تلك الكتلة المتراصة فقد زاغ أكثر من ٢٩ عضوا ، وقال البعض أن من بين نتائج تلك المعركة أن اشتراك السعديين فى الوزارة قد أصبح أمرا مستحيلا ، وكان رأى هذا البعض مخطئا بطبيعة الحال فليس معنى معارضة السعديين للحكومة فى مبدأ من مبادئها السياسية عدم قبولهم المشاركة فى تلك الحكومة فقد يغير أحد الطرفين : الحكومة أو السعديين وجهة نظره تجاه ذلك المبدأ ويلتقى الطرفان ، وهذا ما حدث فيما بعد !

وقد شكر حسين سرى باشا لمصطفى النحاس باشا تأييد النواب الوفديين له ، وحمل رسالة الشكر الأستاذ محمود أبو الفتح الذى كان قد اقترح على حسين سرى باشا أن يتوجه لزيارة النحاس باشا لتقديم الشكر فآثر حسين سرى أن يشكر النحاس باشا عن طريق الأستاذ محمود أبو الفتح صاحب الاقتراح !! وقد استدعى الملك فاروق حسين سرى باشا ، وبعد جلسة الثقة فهنأه بثقة النواب فى وزارته !

وكانت نتيجة المعركة بالنسبة للسعديين قاسية للغاية ، فلأول مرة يتخلى السعديون عن مبدأ الوحدة الذى كانوا يتميزون به على غيرهم من

الأحزاب ، ولأول مرة يخرج أكثر من عشرين نائبا على الاجماع السعدى . ولأول مرة يشمت فيهم حلفاؤهم الدستوريون ، ويقولون عنهم انهم انتهوا . غير ان أحمد ماهر باشا كان رياضيا ، فلم يفقد حماسه وقوة شكيمته وحرارة دفاعه عن وجهة نظره بعد تلك الهزيمة التى لحقت به وبحزبه ، اذ سرعان ـ بعد ساعات قليلة من الاعتكاف للراحة ـ ما راح يباشر نشاطه وكأنه لم يخسر معركة من كبريات المعارك التى خاضها ، بل لقد كان الرجل بحق كريما مع نفسه ومع الآخرين وخاصة أولئك الذين عارضوه فى وجهة نظره فعقب على كون الأكثرية لم تؤيد وجهة نظره بقوله : انى أقدس حرية الرأى ، وأحترم آراء اخوانى مؤيدين ومخالفين ، وقد أتاح لى حضراتهم فرصة لسماع كل ما أدليت به واعتبر ذلك النقاش الطويل مكسبا لحياتنا النيابية لأنه أظهر بجلاء شديد حرص نواب البلاد على المصلحة العامة سواء أكانوا مؤيدين أم معارضين . ولست ممن يغضبهم مخالفة آرائهم فصدرى يتسع لكل رأى ومن الذين خالفونى أصدقاء لى اعتز بصداقتهم ولكن خذلانى ـ كما يسميه بعض خصومى ـ ليس معناه نزولى عن رأيى ولا تسليمى بوجهة النظر الأخرى » .

ولا يتوانى أحمد ماهر عن توضيح وجهة نظره فى كل مكان وفى كل مجال ، بل لا يتوانى رجاله أيضا عن توضيح وجهة نظر رئيس الحزب والحزب فى كل مكان وفى كل مجال .

ومما أذكر للقطب السعدى الكبير الأستاذ محمد راغب عطية وكيل مجلس النواب وقتئذ انه قال تعليقا على تلك المعركة ، معركة الثقة بالحكومة :

« لقد كان الموضوع الذى عالجناه من أخطر الموضوعات التى تعرض لأمة من الأمم ولا تقف نتائجه عند حد أبناء هذا الجيل بل انها تمتد الى أجيال قادمة وقد قضينا فى دراسته ثلاث جلسات متواليات ، وتبارى الخطباء من كل حزب ولكن لسان أى خطيب لم ينزلق الى كلمة جارحة . وفى الواقع لا يوجد منهزمون أو منتصرون فى تلك المعركة ، فنحن جميعا لم ندخل المعركة بأشخاصنا ولم يكن محورها أغراضنا وأهواءنا ولكن دخلناها لنؤيد فكرة ونصون حقا .

ويقول الأستاذ محمد راغب عطية : اننى جد فخور بموقف الدكتور ماهر باشا اذ ظل ست ساعات يخطب فى أسلوب مرن ، وبعبارات ملتهبة حتى آمن خصومه قبل أنصاره بأنه أفضل خطيب برلمانى فى مصر » .

وللعلم ، كان السعديون يستطيعون الانسحاب من جلسة الثقة قبل أخذ الرأى . اذ يصبح العدد بعد انسحابهم غير قانونى ولكنهم رفضوا الالتجاء الى هذا الاسلوب غير البرلمانى .

وقد حاولت كثيرا ، ولا أزال ، الحصول على ملخص لما دار فى تلك

الجلسات السرية الثلاث التي نوقش فيها موضوع دخول مصر الحرب الى جانب الحلفاء ، أو عدم دخولها ٠

ولقد سبق لى أكثر من مرة ان ناشدت قدامى البرلمانيين أو أبناءهم وأحفادهم أن يتصلوا بنا اذا كانت لديهم أوراق عن تلك الجلسات السرية ولعل الصديق الكبير الدكتور صوفى أبو طالب رئيس مجلس الشعب سابقا يحاول العثور على مضابط الجلسات السرية لمجلس النواب أو لما يمكن أن يكشف الأضواء عما قيل ودار فى تلك الجلسات ، باعتبار أن تلك الجلسات السرية تعتبر جزءا هاما ، وخطيرا من تاريخنا البرلمانى ٠

ولقد سبق لبعض البرلمانيين القدامى أن ذكروا فى مقالات لهم فيما صدر عن ذكرياتهم ومذكراتهم مقتطفات مما قالوه فى تلك الجلسات ، وكانوا يفعلون ذلك على استحياء حتى لا يقال انهم انتهكوا حرمة السرية ٠

واعتقادى الراسخ انه لا حرمة للسرية الآن بالنسبة لأحداث مضى على وقوعها أكثر من أربعين سنة ، وهى أحداث ليست شخصية ولكنها أحداث عامة تتعلق بكثير من قضايانا ٠ فهل يظهر لنا من يحمل بيده مصباحا لينير أمامنا سبيل الكشف عما دار بتلك الجلسات السرية ؟

هذا ما نأمله ونرجوه ٠

أما ما جاء فى مضابط مجلس النواب عن تلك المعركة الخطيرة فلم يزد على قول رئيس الوزراء حسين سرى باشا : انه يمكن تقسيم الرد على خطاب العرش الى قسمين : الأول خاص بالسياسة الداخلية وترى الحكومة ان تكون مناقشة هذا القسم فى جلسة علنية ٠ أما القسم الثانى ، وهو الخاص بالمسائل الحربية والخارجية فتطلب الحكومة أن تناقش فى جلسة سرية ٠ أما ما جاء على لسان رئيس المجلس د٠ أحمد ماهر ، فهو لم يزد على الكلمات التالية : طبقا للمادة ٤٥ من اللائحة الداخلية يعقد المجلس بهيئة سرية بناء على طلب الحكومة ، أو عشرة من أعضائه ، ويرى حضرة صاحب الدولة رئيس الحكومة أن تناقش المسائل الحربية والخارجية فى جلسة سرية غير أن البحث فى موضوع السرية يجب أن يسبقه اخراج من رخص لهم فى الدخول ٠

وبناء على هذا تخلى الشرفات من الزائرين قبل البدء فى المناقشة ٠

وهنا أخليت الشرفات وغادر الموظفون قاعة الجلسة وذلك فى الساعة الخامسة والدقيقة الخامسة والأربعين مساء ٢٣ ديسمبر ١٩٤٠ ٠

وفى الساعة التاسعة والنصف مساء رفعت الجلسة على أن تعود الى الانعقاد الساعة الخامسة من مساء غد ٠

وفى الساعة الخامسة والدقيقة الخامسة والعشرين من مساء يوم الثلاثاء ٢٤ ديسمبر ١٩٤٠ ، أعيدت الجلسة سرية .

وفى الساعة الثانية عشرة والدقيقة العشرين مساء أعيدت الجلسة علنية برياسة حضرة النائب المحترم محمد راغب عطية بك وكيل المجلس :

حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء طلب من هيئة المجلس الموقر الاقتراع على الثقة بالوزارة بمناسبة سياستها الخارجية والحربية التى ناقشها المجلس طويلا فى الجلسة السرية .

حضرة النائب المحترم الدكتور أحمد ماهر باشا : وأنا أثبت احتجاجى على تصرف الحكومة بمنعها عرض بيانها على النــواب ، فى وقت يسمح لهم بدرسه ومناقشته وابداء رأيهم فيه ، لهذا فانى أقرر باسمى وباسم زملائى اننا لا نثق بمثل هذه الحكومة .

تصفيق من مقاعد اليسار .

حضرة النائب المحترم الدكتور محمد بهى الدين بركات باشا : كنت أود أن تكون معارضة الحكومة مرتكزة على انها قيدت حرية الرأى حقا ، أو لأنها تصدت لأحد من حضرات النواب ، لكننا فى الواقع قضينا ثلاث ليال فى بحث الموضوع ، والحكومة نفسها هى التى طلبت أن نسمح رئيس الهيئة السعدية فأدلى سعادته ببيانه ، وعرض المسائل ست ساعات كاملة ، وبعد ذلك اقتصرت الحكومة على ان تلقى بيانا قاصرا فى الواقع ، ونفس الأمر على ذات الاقتراح الذى قدمه زعيم الهيئة السعدية نفسه .

هتاف وتصفيق من مقاعد اليمين .. بعد ذلك لا أفهم مطلقا أن تحتقر اوقات النواب بمثل هذه الدرجة ، وأن يستهان بهم بمثل هذا الهوان « هتاف وتصفيق من اليمين » .

حضرة النائب المحترم الدكتور أحمد ماهر باشا ــ أؤكد لحضراتكم جميعا اننى لم أفهم مما يشكو سعادة زميلى المحترم الدكتور محمد بهى الدين بركات ، لأن الذى حدث بعد انتهائى من كلامى ، هو أن صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء أدلى ببيان مكتوب ، فقلت اننى أريد مهلة لأقرأ هذا البيان فى هدوء لعلنا نصل الى اتفاق فى تفصيلاته أو فى مجموعه ...

« ضجة »

فرفض هذا الطلب ولم أفهم سببا لهذا الرفض مطلقا ، هــذا ما أردت أن أثبته فى مضبطة الجلسة لا أكثر ولا أقل .

حضرة النائب المحترم محمد عبد الملك حمزة بك ــ أرجو أن تسمحوا لى

بكلمة هادئة جدا ، أتوجه بها الى دولة رئيس مجلس الوزراء ومعالى الدكتور ماهر باشا رئيس الهيئة السعدية .

تفضل دولة رئيس مجلس الوزراء وألقى بيانا ، أرى فيه لأول وهلة أن وجهة نظر الحكومة قد تتلاقى مع وجهة نظر المعارضة . ولعلنا فى جو هادىء فى وقت قصير لا يتجاوز نصف ساعة يخلو فيه دولة رئيس الحكومة ومعالى الدكتور ماهر باشا واثنان على الأكثر نصل الى اتفاق تام . « ضجة شديدة ومقاطعة » .

حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء — تطلب الحكومة الاقتراع على الثقة بالوزارة بمناسبة سياستها الخارجية والحربية .

الرئيس — هل توافقون على ذلك ؟

« موافقة عامة » .

أخذ المجلس فى الاقتراح على الثقة بالوزارة بالمناداه بالاسم .

الرئيس — ليتفضل حضرات النواب الذين امتنعوا عن ابداء الرأى بابداء أسباب امتناعهم .

حضرة النائب المحترم الأستاذ حسن صالح الجداوى — أنا أعتقد فيما يتعلق بموضوع الثقة الا يطالب نائب بابداء أسباب امتناعه .

حضرة النائب المحترم الأستاذ محمد محمود جلال — لقد امتنعت عن ابداء الرأى لأن أحد أساسى الخطة التى تناولها خطاب العرش يرتكز على تنفيذ معاهدة سنة ١٩٣٦ ، تلك المعاهدة التى رفضتها ، وما زلت أرى فيها مصدر الضرر .

حضرة النائب المحترم عبد المنعم للوم — وجهتا نظر الهيئة السعدية والحكومة تلتقيان عند نقطة واحدة ، الا وهى مستقبل مصر ، وحرية مصر ، بل وكيان مصر ، وكنت أفهم جليا أن نختلف فى مسائلنا الداخلية لا سياستنا الخارجية ، ولو ان الأعصاب هدأت قليلا ، لخرجنا الليلة جميعا وكلمتنا واحدة ، ومن أجل ذلك امتنعت عن ابداء الرأى .

الرئيس — أسفر أخذ الرأى عن الثقة بالوزارة بأغلبية ١٢٢ صوتا ضد ٦٨ صوتا وامتناع ثلاثة أعضاء عن ابداء الرأى .

« تصفيق من مقاعد اليمين والوسط »

الرئيس — قدم حضرة النائب المحترم الأستاذ محمود سليمان غنام اقتراحا نصه :

« اقترح أن ينبت فى مضبطة الجلسة العلنية الحالية بيان الحكومة الذى ألقى الليلة فى الجلسة السرية » .

فهل توافقون على ذلك ؟

«موافقة عامة » .

بيان حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء .

« فى جلسة ٢١ أغسطس سنة ١٩٤٠ قرر مجلسكم الموقر تأييده للقرار السابق الصادر من المجلس فى ١٢ يولية سنة ١٩٤٠ والذى قصد به الى أن مصر التى لا تضمر عداء أو كراهية لأية دولة ، لا يمكن لها الا أن تقوم للدفاع عن نفسها بكل ما تملك من قوة اذا اعتدى على أراضيها أو جيوشها .

فالسياسة المرسومة فى هذا القرار وهى السياسة التى اتبعت حتى الآن برضاء الأمة وتأييدكم تقوم على مبدأين أساسيين أولهما تنفيذ المعاهدة المصرية البريطانية ، وثانيهما الدفاع عن الوطن .

فأما تنفيذ المعاهدة فقد قامت وما زالت تقوم به الحكومة فى اخلاص وصدق على أكمل الوجوه وأوسعها ، وقدمت للحليفة كل معاونة ممكنة ولقد رأت الحليفة فى مناسبات مختلفة ان تشكر لها هذه المعاونة .

وأما الدفاع عن الوطن فقد استعدت له الحكومة بكل ما وسعها من قدرة ، ومع ان الخطر ابتعد على أثر الانتصار الذى أحرزته القوات البريطانية فى معارك الصحراء الغربية ، فان الحكومة ما زالت تواصل الاستعداد .

واذا استهدف الوطن ــ لا قدر الله ــ لما يستدعى الدفاع عنه فالحكومة على أتم الأهبة لأداء واجبها المقدس وهى تجدد لكم العهد بالرجوع اليكم كلما جد جديد .

ان مصر المستقلة الحريصة كل الحرص على استقلالها وأن جيشها ليعرف واجبه فى الذود عن كرامتها وفى الوطنية المصرية ما يسمو بها دائما الى القيام بالواجب حينما تدق ساعته وما الحكومة الا منكم شعورها من شعوركم ونهجها من نهجكم ، تجعل نصب عينيها فى كل وقت أن تستحق ثقتكم لخير الأمة وخير البلاد ان شاء الله » .

الرئيس ــ هل توافقون على تأجيل ما بقى من جدول الأعمال الى الجلسة المقبلة !

« موافقة عامة »

الرئيس ـ والآن هل توافقون على أن تكون الجلسة يوم الثلاثاء ١٤ يناير سنة ١٩٤١ ٠

« موافقة عامة »

« رفعت الجلسة الساعة الواحدة صباحا والدقيقة العاشرة على أن تعقد الجلسة المقبلة الساعة الخامسة من مساء يوم الثلاثاء ١٤ يناير سنة ١٩٤١ »

واذا كان الشيء بالشيء يذكر كما يقولون فاننا نذكر ان مجلس النواب قد ناقش في جلسة ٤ فبراير ١٩٤١ استجوابا موجها الى رئيس مجلس الوزراء من النائب المحترم السيد على راتب عما جاء ببيان مستر ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا ، الذى أذاعه بالراديو على الشعب الايطالى خاصا بمصر ، وقد كان من بين ما جاء في شرح النائب السيد على راتب لاستجوابه ، انه في اليوم الثالث والعشرين من شهر ديسمبر ١٩٤٠ أذاع بالراديو جناب المستر تشرشل خطابا موجها الى الشعب الايطالى جاء به : « هل كان من الضرورى مهاجمة مصر التى هى تحت الحماية البريطانية ؟ » وقد أصدرت الحكومة بلاغا رسميا حاولت فيه أن تخفف من وطأة كلمة الحماية مصححة الترجمة في زعمها ومستعملة عبارة « في حمى بريطانيا » والحقيقة أن معنى الترجمتين « حماية ، لاحمى » وقد ظهر ذلك جليا في الاجابة التى أجاب بها سعادة السفير البريطانى صاحب الدولة رئيس الحكومة فقد استعمل سعادته كلمة تحت الحماية البريطانية وهى الترجمة التى ذهبت اليها الوزارة ، ونحن ان شكرنا للوزارة مبادرتها بالملاحظة أو الاستفسار ، فانى أرجو أن يبين لنا السيد رئيس الوزراء السبب الذى ألجأ الوزارة الى استعمال كلمة تفسير ٠٠ نطلب الى السفير البريطانى أن يفسر ، أو يئول الكلمة التى جاءت في خطاب جناب رئيس الوزارة البريطانية ، وكنت أرى الاحتجاج أولى في هذا الموضوع ، وأشار مقدم الاستجواب الى نقطة أخرى هى أن وزير خارجية بريطانيا اذ أجاب عن استفهام الوزارة المصرية ، قال ان ونستون تشرشل عندما استعمل الألفاظ المشار اليها انما كان في باله الالتزام البريطانى بالدفاع عن مصر تحقيقا للمعاهدة المصرية البريطانية وتساءل مقدم الاستجواب أى التزام هذا ؟

ثم يجيب قائلا : أنا لا أفهم كيف سكتت الوزارة على هذه الاجابة وأرجو أن أسمع من دولة رئيس الحكومة ما يطمئننى على هذه المسألة ٠

وقال رئيس الوزراء ، ان رئيس الوزارة البريطانية في اذاعته لم يعبر عن مصر انها تحت الحماية بل أشار الى انها في حمى بريطانيا ، وقارن رئيس الوزراء بين كلمتى Protection التى عبر بها رئيس الوزراء البريطانى عن مصر وبين Protectorate اذ أن الكلمة الأولى تعنى الدفاع ، أو دفع الاذى أما الثانية فتعنى الحماية ويؤكد أن خطاب السفير البريطانى الذى بعثت به

اليه السفارة البريطانية يؤكد المعنى الأول ، ويقف النائب أحمد والى الجندى ليؤكد ـ نقلا عن قراءاته فى كتب الأدب وفى التفسيرات التى وضعت لمختلف الكلمات العربية ـ أن حمى أسوأ من حماية كان من الخير أن يعف عن كلمة حماية أى عن السيىء !

ويقول رئيس الوزراء ، انه اذا كانت كلمة حمى تؤذى سمع النائب المحترم فليأخذ كلمة دفع الأذى ، وقد استخدمت كلمتى « الحمى » ودفع الأذى !

ومما ينبغى علينا أن نذكره ، ان النائب المحترم محمد محمود جلال قد تحدث فى هذا الموضوع فشكر رئيس الوزراء ، لأنه اتصل بسعادة وزير انجلترا المفوض فى مصر لدفع هـــذا الالتباس ، فقاطعه النائب أحمد والى الجندى قائلا : تقصد السفير البريطانى ، فقال محمد محمود جلال بل أقصد الوزير المفوض البريطانى لأن السفارة آتية من المعاهدة التى لا أعترف بها ـ

الفصل الخامس

استجواب في مجلس النواب لأن كلية العلوم رفضت قبول بعض الناجحين في الثانوية العامة

● سبق أن تحدثنا عن أخطر جلسات مجلس النواب تلك التى دامت ثلاثة أيام وكان انعقادها بصفة سرية ، وكان خطيبها أحمد ماهر باشا ، رئيس المجلس ، وزعيم المعارضة والذى ظل أكثر من ست ساعات يخطب بدون ان يستريح ، وبدون أن يدع رئيس الوزراء ، والوزراء والنواب ، يستريحون ، وانتقلنا من تلك الجلسات التاريخية ، الى مناشدة البرلمانيين ، والسياسيين القدامى ، وصديقنا الدكتور صوفى أبو طالب رئيس مجلس الشعب ، ان يبذلوا قصارى جهدهم للوصول الى المحاضر ، أو شبه المحاضر التى يمكن ان تكون قد كتبت بطريقة أو بأخرى والتى سجلت اما تفصيلا ، واما جملة ما دار فى تلك الجلسات السرية ، الخطيرة ، وكان استاذنا فكرى أباظة رحمه الله قد ذكر لى ان بعض الاعضاء قد قاموا ، بكتابة ما دار فى تلك الجلسات وأنه يحتمل ، ان يكون لدى سكرتيرية مجلس النواب من قام بتسجيل تلك الجلسات •

وانتقلنا بعد ذلك ، الى الحديث عن جلسة صاخبة أخرى دارت فى مجلس النواب أيضا حول – كلمة وردت فى خطاب ونستون تشرشل رئيس الوزارة البريطانية خاطب فيها الشعب الايطالى ، وفهم منها – من عبارة تشرشل – ان مصر فى نطاق الدول المشمولة ، بالحماية البريطانية •

وقد وقفنا ، عند وصف النائب المحترم ، محمد محمود جلال بك (حزب وطنى) السفير البريطانى بأنه وزير بريطانيا المفوض فى مصر ، فلما قاطعه النائب المحترم أحمد والى الجندى : تقصد السفير البريطانى ؟ اجابة محمد محمود جلال بصريح العبارة : بل أقصد الوزير ، المفوض البريطانى لان السفارة آتية من المعاهدة التى لا نعترف بها •

والجدير ، بالذكر أن الحزب الوطنى قد عارض معاهدة ١٩٣٦ وأصر ، على عدم اعترافه بها ولأن التمثيل الدبلوماسى ، بعد معاهدة ١٩٣٦ قد ارتفع، من الجانب المصرى من وزير مفوض الى سفير ، وانخفض من الجانب البريطانى، من « المندوب السامى » الى سفير ، فقد أصر الحزب الوطنى ، على عدم الاعتراف بالسفير البريطانى ، على اعتبار أن السفارة من آثار معاهدة ١٩٣٦ ، التى لم يعترف بها أصلا .

ونكمل حديثنا عن بقية ما دار فى تلك الجلسة حول عبارة ونستون تشرشل وكان محمد محمود جلال قد شكر لوزارة حسين سرى باشا ، مبادرتها السريعة بسؤال الحكومة البريطانية ، عما ورد فى خطاب ونستون تشرشل .

● وأكد محمد محمود جلال أن شكر الحزب الوطنى للوزارة ، يحمل معنى كبيرا نسجله ونغتبط به ، يزيد فى قدره ، أن يصدر منا نحن الذين نقف على الدوام ، موقف المعارضة من كل وزارة تقوم على الوضع الذى لا نرضاه « غير أننا فى هذه المسألة ، على الخصوص ، ومن هذا المكان نزكى هذه السرعة ونغتبط بها ونعتقد أن فيها برهانا على خالص مواقفنا ، وصادق نيتنا » .

ويؤكد محمد محمود جلال مرة أخرى على أن الصفاء بين متعاقد ومتعاقد يقضى بأن يكون الطرفان على حذر لأن العقد الذى لا يكون ترجمة صادقة بين الطرفين لا يلبث أن ينهار » وقد شاهدنا مصارع معاهدات ظنت لهـا الأبدية فانمحت فى أسرع من لمح البصر ويقول محمد محمود جلال : أن معاهدة ١٩٣٦ لا تزال مصدر الضرار ، فقد فتحت أبوابا ، ولم تقفل ابوابا ، لهذا لا نزال نرد اليها مصدر هذا الضرار ، وما نراه كل يوم ، من الدولة البريطانية مشككا فى نيتها يقدم الدليل على أنهـا ماضية فى خطتها التى بدأتها منذ عام ١٨٨٢ » .

ويقترح أحمد مرتضى المراغى ان نغلق هذا الباب ولا نحمل الالفاظ أكبر من معانيها أما الأستاذ أحمد عبد الحليم أبو سيف فقد راح يتساءل : لا أدرى ، أنحن فى مجلس نواب ، أم فى جلسة المجمع اللغوى ؟ ثم يقول لقد كان أولى بنا وأجدر ان نتحرك ونتحمس ازاء التوغل والاعتداء الايطالى على استقلال البلاد .

ويرى النائب المحترم على المنزلاوى بك ، ان الاطالة فى مناقشة هـذا الاستجواب ليس فى صالح الوطن اطلاقا ، وان كثرة التأويلات والبحث فيها قد يؤذى قضية البلد ، ويطلب على المنزلاوى بك ، الاكتفاء بتصريح رئيس الوزراء فلا نتوسع كثيرا أو قليلا فى هذا الموضوع ، ويكفى أننا نحن

نعتز باستقلالنا وفي أيدينا وحدنا ان نبقى مستقلين أو أن نفرط فنضيع هذا الاستقلال ، أما الكلام الذى لا جدوى وراءه فمضيعة للوقت »

ويرى كذلك الأستاذ محمد محمود جلال ان الذى قيل فى هذا البـاب كاف ٠

ويعود صاحب الاستجواب السيد على رانب ليناقش لغويا رئيس الحكومة فيمـا قاله مؤكدا ان « معنى دفع الأذى » لا يمـكن للكلمـة التى وردت على لسان رئيس وزراء بريطانيا ، أن تقصد هذا المعنى الا مع استعمال حرف جر ، ولست ادرى من اين جاء دولة رئيس الوزراء بكلمة «حمى» ثم يقول : ان استجوابى لم أجد ردا عليه حتى الان » ويقول رئيس الوزراء مؤيدا ما قاله على المنزلاوى بك من أنه يجب اعتبار ما قيل فى هذا الاستجواب كافيا ٠

ويقول رئيس المجلس : لم يبق احد من طالبى الكلام ، فلننتقل الى جدول الاعمال ٠

وتم الانتقال ـ كما هى العادة دائما فى نهاية مناقشة كل استجواب ـ الى جدول الاعمال ٠

وكانت السفارة البريطانية فى القاهرة قد أجابت على استفسار الحكومة المصرية بخطاب بعثت به الى حسين سرى باشا رئيس مجلس الوزراء ، بتاريخ ٢٧ ديسمبر ١٩٤٠ وكانت رياسة مجلس الوزراء ، قد بعثت بخطاب الى مجلس النواب بتاريخ ١٥ يناير ١٩٤١ أرفقت به خطاب السفير البريطانى ، الى رئيس وزراء مصر ، برجاء ايداع الرد مكتب المجلس لاطـلاع حضرات الأعضـاء ، المحترمين عليه ، وكان النائب محمد شعراوى هو أول من توجه ، من النواب، الى رئيس الوزراء بسؤال حول تفسير الكلمة التى وردت فى اذاعـة مستر تشرشل يوم ٢٣ ـ ١٢ ـ ١٩٤٠ ٠ والجدير بالذكر ، أنه فى نفس الجلسة ـ جلسة ٤ مارس ١٩٤١ ـ نوقش استجواب وجهه النائب محمود لطيف بك الى وزير المعارف العمومية ، عن المعـاملة المجحفة ، التى حدثت بكلية العلوم ، بخصوص قبول بعض التلاميذ بها وعدم قبول بعضهم الاخر

وكان النائب محمود لطيف قد قدم لاستجوابه بكلمة قال فيها : أن التعليم حق عام لكل انسان فى حدود ما قررته اللوائح ، والقوانين فاذا ما سار الأمر على هذا المنوال فلا اعتراض أما اذا انحرف أولو الأمر ، بممارسة اللوائح والقوانين وجب بحث الأمر وتحديد المسئولية ورفع الظلم عن المظلومين ٠

وقال أيضا محمود لطيف : ان الاسـتجواب ليس نزاعا بين جهتين مختلفتين انما هو فى الواقع تقارب فى البحث بين الهيئة التشريعية والسلطة

التنفيذيه يراد به الوصول الى وضع الامور فى نصابها ورفع الظلم ، وأعادة الحق الى صاحبه ؟!

ويرد د٠ محمد حسين هيكل وزير المعارف العموميـــة ، على مقـــدم الاسجواب بأنه سبق ان قابل مقدم الاستجواب اكثر من مرة . وتحدث واياه فى موضوع الاستجواب ورغم ذلك لم يذكر له مقدم الاسنجواب أن من بين الذين قبلوا استثناء فى كلية العلوم ، ابن رئيس نيابة ، وابن رئيس قسم الطلمبات بوزارة الأشغال ، الأمر الذى أثار ضحك حضرات النواب ، عندما ذكر الاسمين ، لأول مرة ، ويؤكد د٠ هيكل ان الاستجواب لا ينصب اساسا ، على وجود استثناءات صارخة ، أو غير صارخة فى كلية العلوم ، وانما ينصب أساسا الى قول عميد كلية العلوم ــ ويظهر أن هذا صحيح ــ أنه غير مقيد بترتيب وان له الحق ، فى قبول من يشاء ويقول وزير المعارف ، أنه كان باستطاعة مقدم الاستجواب أن يوجه اللوم ، الى عميد كلية العلوم لو أنه طبق كلامه هذا فقبل أشخاصا متأخرين ورفض قبول أشخاص متقدمين عنهم فى الترتيب ولكن الواقع ــ فى حدود ما أعلم ــ ان الأشخاص الذين قبلوا كان مجموعهم فوق ٦٠ ٪ فى قسم الرياضة البحتة واعدادى الطب وأقل من هذه النسبة بعض الشىء ، فى اعدادى الطب البيطرى ٠

ثم يقول د٠ محمد حسين هيكل وزير المعارف ، بصراحته المعهودة :

حدث ان تقدم الى كلية العلوم أحد أبنـــاء خريجى مدرســـة المعلمين السلطانية طالبا قبوله بصفة استثنائية فرفضت الكلية طلبه ، فتقدم بطلبه الى مجلس الجامعة فقرر هذا المجلس ــ قياسا على الحق المخول له بمقتضى المرسوم الذى يبيح له قبول أبناء الاطباء بكلية الطب دون التقيد بمجمـــوع درجاتهم ــ ان يقبل بصفة استثنائية عددا من أبناء المهندسين بكلية الهندسة وعددا من أبناء الزراع بكلية الزراعة ، وعددا من أبناء المعلمين بكليتى الآداب والعلوم « ضجة » وبناء على هذا القرار قبل ابن المراقب فى كلية العلوم ، ومن هذا ترون حضراتكم انه لا لوم على كلية العلوم لان مجلس الجامعة هـــو الذى قرر قبول ابن المراقب ٠

حدث بعد ذلك ان تقدم لكليات الجامعة جميع الطلاب الذين رأوا أن ينتفعوا بهذا الاستثناء ، فوجدت الكليات ان فتح باب الاستثناء ، ضرره أكثر من نفعه ، وطلبت ــ وفى مقدمتها كلية العلوم بلسان عميدها ــ من مجلس الجامعة أن يعيد النظر فى قراره ، لأن فتح باب الاستثناء فى التعليم من أضر ما يكون وقد تحدثت فى هذا الشأن مع مجلس الجامعـــة وأبديت رأيى فى الموضوع لانى بطبعى اكره الاستثناء اطلاقا ٠

بحث مجلس الجامعة الامر وتناقش فيه وقرر الغاء قراره الاول وعدم

اجراء أى اسننناء على الاطلاق ، فكان الاستثناء الوحيد الذى قرره مجلس الجامعة خطأ أوصوابا ، وكلنا نعلم ان القاضى يخطىء أحيانا فى حكمه هو ذلك الاستثناء الخاص بابن أحد مراقبى الوزارة ، والذى أؤكده لحضراتكم أن وزارة المعارف او على الأقل وزيرها لم يكن له علم بهذا الموضوع ، لان القبول فى كليات الجامعة من اختصاصها وليس لوزارة المعارف به شأن • أما عن الحالتين الأخريين اللتين أثارهما الليلة حضرة المستجوب فأقرر انى على استعداد لبحث حقيقتهما ، لأنى لم أعلم بهما قبل الان ، والذى استطيع أن أعد المجلس به صراحة ــ اذا كانت قد حدثت استثناءات أخرى غير ذلك الاستثناء الذى قرره مجلس الجامعة ــ انى على استعداد للنظر فى كل طلب قدم لكلية العلوم فى حدود ما قررته النظم واللوائح ، لانصاف المظلومين ، اما اذا كان لم يحدث غير الاستثناء المذكور فانى لا أجد مبررا لمؤاخذة كلية العلوم ، بل يجب ان تشكر على عملها فى العدول عن القرار الخاص بفتح باب الاستثناءات •

ويرى المجلس استكمال بحث الاستجواب فى جلسة ٢٥ مارس ١٩٤١ •

وفى جلسة ١٨ مارس ١٩٤١ ناقش مجلس النواب الاستجواب المقدم الى وزير المالية ورئيس مجلس الوزراء من الأستاذ عبد الحميد عبد الحق زعيم المعارضة الوفدية فى المجلس » عن تعيين بعض أعضاء مجلس النواب والشيوخ حراسا على أموال الالمانيين والايطاليين وكيف ان العدد الاكبر والاهم من هذه الحراسات قد أسند اليهم ، كما أن وكيلى أحد الاحزاب بعد اشتراك حزبهما فى الحكومة قد عينا حارسين بالرغم من أن ذلك يعتبر ــ فى نظر المستجوب ــ معطلا لرقابة البرلمان ومتعارضا مع الدستور ، واستجواب آخر مقدم الى وزير المالية ، ورئيس الوزراء عن السياسة التى أتبعتها الحكومة فى تعيين الحراس على أموال الألمان والطليان فى القطر المصرى بصفة عامة •

وقد وافق المجلس على ضم الاستجوابين ، وتحدث الاستاذ عبد الحميد عبد الحق ، عن استجوابه مؤكدا ان الحكم الديمقراطى يعتمد على أساس نظرية فصل السلطات ، بحيث لا يجوز الجمع بين سلطتين من هذه السلطات فى يد واحدة ، وأشار عبد الحميد عبد الحق الى أن هذا الموضوع كان أول الموضوعات التى ناقشها المؤتمر البرلمانى الدولى الذى عقد فى باريس عام ١٩٣٦ وكان فى مقدمة القرارات التى أصدرها ذلك المؤتمر ــ بعد ان بحث ذلك الموضوع طويلا ــ ضرورة زيادة الضمانات التى تضمن حرية النائب واستقلاله لأن أعضاء المؤتمر ، رأوا أنه اذا لم تضمن هذه الحرية ، وهذا الاستقلال فان هذه الادارة القوية وهى مجلس النواب ومجلس الشيوخ ستصاب بالشلل سواء بالاغراء أو التهديد ويذكر الاعضاء بنص قرار من تلك القرارات التى أصدرها البرلمان الدولى ، الثالث والثلاثون والذى يقول : مع التحفظ فيما

يختص بالحالة الخاصة لكل بلد فانه يجب الا يباشر أى عضـــو من الهيئة التشريعية مدة نيابته ، وظائف فى الادارة العامة العاملة للبلاد .

ويقول الأستاذ عبد الحميد عبد الحق وهو يتحدث فى صميم الاستجواب ان الحارس فى موقف اضعف من مركز الموظف فالوزير لا يستطيع أن يفصل الموظف من عمله طبقا لارادته ولمجرد تحكمه لان هناك قوانين ولوائح تحمى الموظف من عنت الوزير ولكن اذا ما أراد الوزير العبث فى الحراسة فانه يستطيع بخطاب بسيط منه أن ينهى مأمورية الحارس ، ويأمره بمغادرة العمل الذى أسند اليه ولا مسئولية على الوزير فى ذلك .

ويرد عبد الحميـــد عبد الحق على من يقول ان الحراسة ليست محــرمة تحريما تاما : فمــا أشبهها فى نظرى ، بالطـلاق ، فهو أمر حــلال أبغض الحلال الى الله ، ومن هذا تكون الحراسات حتى من وجهة النظر أبغض الحلال الى الله ويروى الأستاذ عبد الحميد عبد الحق نماذج تلك الحراسات فيقول : موظف فى الدرجة السادسة يتعاطى راتبا قدره سبعة عشر جنيها ظفر بمرتبات من الحراسات المختلفة حتى بلغ مجموع راتبه ١٠٤٠ سنويا ، أى ما يقرب من ٩٠ جنيها فى الشهر : موظف فى احدى الحراسات يحصل من الحراسة على مرتب يعادل مرتبه كموظف فى النيابة ، محام بأحد الأقاليم يعمل بالحراسة ولا يذهب الى عمله الا بين حين وآخر : أحد الحراس من النواب عين ابنه للحراسة التى يديرها لقاء مبلغ شهرى قدره عشرون جنيها .

ويقول عبد الحميد عبد الحق ، ان هذه الحالات التى ذكرها انفـا ــ ومثلها كثير ــ ما كانت لتحدث ، لو لم يكن الحراس نوابا وما كان ليـوافق عليها الوزير ، أو الحارس العام ، لو كانت هذه الحراسات لغير الشــيوخ والنواب .

ثم يقول : ناحية أخرى يتمثل فيها الاهمال المؤدى الى التفريط لقد بلغ الأمر ببعض حضرات النواب أن ارتضوا لأنفسهم ، أن يعملوا موظفين لدى بعض الحراس ، وأظن أن ذلك انحدار لهؤلاء النواب من المرتبة العليـا التى أرادها الدستور لهم ، الى مرتبة أخرى لا ترتضونها حضراتكم كثيرا .

وينهى عبد الحميد عبد الحق كلمته بقوله : أن النواب هم أولو الأمر ، الذين وضعهم الدستور قبل أولى الامر جميعا وبعد ولى الامر الاول مباشرة فجدير بهم أن يكونوا عيونا ورقباء على ادارات الحكومة لا أن يكونوا مرءوسين ومراقبين وأنا لا أقصد بكلامى هذا نائبا بالذات ، بل أقصـــد خدمة الحياة النيابية فى ذاتها كما أقصد خدمة سمعة النواب .

وتقابل كلمة زعيم المعارضة الوفدية بالتصفيق الحاد ولا تخرج ، كلمــة عطا عفيفى بك عن كلمة عبد الحميد عبد الحق الا قولته « اذا لم يكن هنـاك

نص حرفى قانونى يمنع الوزارة من تعيين الحراس فان الحروف ليست هى كل شىء فى القانون فان بجانبها روح القانون L'Esprit de laloi بل وفوقهما خلق القانون La Mora le de lalot وهو المثل الاعلى الذى يتجه اليه المشرع

ويقول عطا عفيفى بك ، انه دهش عندما تم تعيين أحدهم حارسا ، فلما سئل عن السر فى هذا التعيين أجاب : انه قطب سياسى فاته أن يدخل الوزارة فوجب أن يعوض بهذا المركز » .

كما قال بأن الحكومة عينت حراسا على بنوك ومؤسسات بعضها معين عليه بالفعل حراس . وينصح عطا عفيفى رئيس الوزارة بأن يكون شعاره فى الحكم شعار السنيور سالا زار رئيس وزراء البرتغال عندما سئل عن سر نجاحه فقال : لقد نجحت لانه ليس لى حزب ولا أنصار ولا أصحاب » ..

ويرد د . عبد الحميد بدوى باشا وزير المالية على صاحبى الاستجوابين محذرا أن يفهم مما قاله الأستاذ عبد الحميد عبد الحق أن الادارة المصرية ــ فيما يتعلق بالحراسات ــ سيئة ، ثم يقول ، ان الوزارة لم تعين حراسا من حضرات الشيوخ والنواب وكل ما جرى على يديها انها ضمت الى بعض حضرات النواب ممن سبق تعيينهم حراسا حراسات جديدة لحفظ التوازن بين المكافأة المقررة والعمل الذى يجزى عنه الحارس .

ويرى وزير المالية أن كل الوزارات قد استقرت على تعيين النواب والشيوخ حراسا اذ لا يوجد مانع دستورى للجمع بين عضوية النواب أو الشيوخ والقيام بأعمال الحراسة بل ان هذا الجمع لا يتعارض مع الدستور وتعيين النائب أو الشيخ حارسا ، لم يمنعه الادلاء بآرائه بحرية فقد وجد حراس كثيرون يعارضون الحكومة ذاتها .

ويبدى وزير المالية استعداد الحكومة لمراعاة ما يستحسنه المجلس فى هذا الشأن .

ويعقب الأستاذ فكرى أباظة على بيان الحكومة بقوله : لقد حولت الحكومة الاستجواب الذى كان موجها اليها الى استجواب موجه اليكم معشر النواب !

كما قال : ان الحكومة لا تملك الا شيئا واحدا هو أن تلغى هذه التعيينا ، اذاما طالبها المجلس بذلك ، وبذلك وضعتكم فى مركز دقيق اذ أوقعتكم فى الفخ !

ويقترح فكرى أباظة ، على زملائه النواب الذين عينوا حراسا أن يستقيلوا من هذه الحراسات ثم يقول : من سوء الحظ أن هذه التعيينات

شملت جميع الأحزاب عدا الحزب الوطنى ثم يقول أيضا : لقد أصبح هـذا الاستجواب موجها الى هـذا المجلس والى مجلس الشيوخ والمطلوب منكم ـ النواب ـ أن تحكموا بينكم وبين أنفسكم وأن تنصفوا الدولة والمصلحة العامة وكرامة النيابة والأمة من أنفسكم بالذات » ٠

وفى جلسة ٢٥ مارس ١٩٤١ يرد د ٠ هيكل على ما أثاره النائب محمود لطيف حول قبول طالبين فى كليـة العلوم ـ استثناء ـ فيقرر ، أن الطالبين اللذين أشار الى حالتيهما النائب محمود لطيف لم يقبلا بكلية العلوم ، وانما قبلا بالقسم الاعدادى لكلية الطب البيطرى ، ولم يقبلا فى الأقسام الأخرى ٠

ويقرر د ٠ هيكل أن الاستجواب لم يقم على أساس ويطلب من النائب، مقدم الاستجواب موافاته بأية حالة استثناء فان ملف كلية العلوم ، موجـود أمامنا ونحن مستعدون ، أن نعرضه على حضراتكم الآن أو نودعه مكتب المجلس ليبحثه من يشاء ٠

ولكن النائب محمود لطيف بك يعود الى التعقيب ليؤكد ان كلية العلوم حابت بأوسع ما تتسع له هذه الكلمة من معـان ابن رجل كبير فى وزارة المعـارف وفى الوقت نفسه قطعت سـبيل التعليـم ، على مصريين يدفعون الضرائب ولهم ما لغيرهم من الحقوق ٠

ويذكر محمود لطيف : ان الجامعة قررت قبـول ابن فهيم بك فى ٢٢ أكتوبر ١٩٤٠ ، بحجة أن والده تخرج فى مدرسة المعلمين السـلطانية وان الجامعة تريد احياء ذكرى هذه المدرسة ، كما يقول أيضا : ان هناك طالبـا آخر تقدم الى كلية العلوم ، ورفض طلبه ، رغم ان والده تخرج فى مدرسـة المعلمين السلطانية أيضا وخدم التعليم ما يقرب من ٢٥ سنة ٠ ورغم ان طلبه قد قدم فى أغسطس الماضى ، أى قبل طلب ابن فهيم بك ، ولا تعليل لذلك ، الا ان والد من قبل طلبه موظف كبير بالوزارة ، ووالد من رفض طلبه مدرس صغير بمدارسها ٠

ويقول محمود لطيف بك ان الجامعة عندما وجدت انها أخطأت فى اتخاذ قرارها سارعت الى الغائه بعد ان انتفع به ابن الموظف الكبير ، وبين اتخـاذ القرار والغائه أسبوع واحـد، ويقول محمود لطيف : ان الطالب الذى يرى نفسه محروما من التعليم ، لأن أباه فقير ، أو لأن أباه ضعيف النفوذ ، وفى الوقت ذاته يرى طالبا آخـر يتمتع بالتعليم لأن لوالده نفوذا لابد أنه سـيثور على الهيئة الاجتماعية ويفكر فى الانتقام ممن حرموه فكأن الوزارة فى الواقع ، هى التى ربت فيه روح القسوة والاجرام ٠

ويؤكد محمود لطيف ، ان الأمر ليس مقصـورا على أن طالبا حرم من

التعليم ، بل هو فى الواقع جناية على الأخلاق والتعليم : ما كنت أعتقد أن يصدر مثل هذا العمل من رجال التعليم وهم الأطباء الروحيون الذين يغذون ويعالجون نفوس النشء لأنه اذا كان هذا شأنهم فلا شك أن لرجال البوليس العذر اذا استعملوا القسوة فى أعمالهم .

ويحاول النائب عبد الحليم أبو سيف راضى أن يبحث مع المجلس طريقة للوصول بالاستجواب الى نتيجة عملية بدلا من الانتقال ـ كما هى العادة ـ الى جدول الأعمال .

ويقول الأستاذ عبد الفتاح عزام : أنه ليس للحكومة أن تقف فى وجه طالب ما دام مستعدا لدفع المصروفات المدرسية ويقابل كلامه بضجة شديدة ويقابل من رئيس المجلس بهدوء وسكينة لأن كلامه خارج عن الموضوع وباستطاعته أن يقدم اقتراحا بقانون لتعديل أحد القوانين أو احدى اللوائح المتعلقة بهذا الأمر .

ويسمى النائب أحمد والى ما حدث بأنه امتياز للطوائف بل هو كارثة ويطلب تأجيل النظر فى الاستجواب الى جلسة أخرى « يوافينا فيها وزير المعارف بالرأى القانونى واحالة سجل كلية العلوم الى لجنة المعارف لجلاء الحقيقة الغامضة حتى نتبين النتيجة التى ننشدها عند ذاك اذا أصدرنا حكما يكون مدعما ومستندا الى حقيقة واقعة .

ويقول وزير المعارف . لم يكن أمام الجامعة من بد وقد وجدت نفسها ازاء مشكلة كثرة عدد الحاصلين على شهادة اتمام الدراسة الثانوية القسم الخاص هذا العام . حيث بلغ عددهم ٢٨٠٠ طالب بينما عدد الأماكن الخالية بها لا تتسع لأكثر من ١٥٠٠ من تحديد شروط القبول بها بحدود خاصة ولذلك أعلنت انها لن تقبل فى مختلف كلياتها طالبا يقل مجموع درجات نجاحه عن ٦٠٪ رغم أن الحصول على ٥٠٪ من مجموع الدرجات هو شرط النجاح وحين وصل الى علمى هذا القرار ورغم ان للجامعة الحق فى تقريره وليس لوزير المعارف بحسبانه الرئيس الأعلى للجامعة حق التدخل فى تفاصيل تصرفاتها اللهم الا ما أوجب قانون الجامعة ذاته رفعه اليه منها لاقراره .

كتبت لها أقول : انى لا أستطيع أن أتصور حائلا دون قبول هؤلاء الطلاب الا ضيق الجامعة وأننى لا أستطيع كذلك ارهاقهم باشتراط حصولهم على ٦٠٪ وانه ما دام شرط النجاح هو الحصول على ١٤٠ درجة وما دامت الجامعة كذلك لا تضيق بهذا العدد فلنسهل على أبنائنا الطلبة بغيتهم فى طلب العلم .

وقد رأت الجامعة ان لهذه الاعتبارات وجاهتها ، غير أن الأماكن بهـا لا يمكن أن تتسع لهذا العدد الكبير من الطلاب ، ورغم ذلك فقد عملت كل ما أستطيع عمله لقبول أكبر عدد ممكن من الطلاب .

هـذا هو الوضع الصحيح للمسألة والواقع أنه فيما عدا الحالة الخاصة التى تكلمت عنها فى جلسة سابقه ، وهى قبول طالب بذاته بناء على قرار مجلس الجامعة ، أعـود فأكرر أنه لم يقع أى استثناء . يقول حضرة النائب المحترم المستجوب : ان ابن رئيس نيـابة مصر قبل استثناء والذى أؤكده لحضراتكم ان مجموع درجات هذا الطالب ١٦٤ر٥ ، وأن هذا المجموع أكبـر مجموع لطالب قبل فى الطب البيطرى ، ولا يمكن اذن ، والأمر هكذا ، ان نتهم كلية العلوم بأنها حابت هذا الطالب واستثنته لأنه ابن رئيس نيـابة مصر .

واذا كنتم تنادون بضرورة القضاء على محاباة أبناء ذوى الجاه والنفوذ، فاظنكم كذلك لا تريدون من وراء هذه الصيحة حرمان هؤلاء الأبناء حقوقهـم لمجرد أنهم أبنـاء ذوى الجاه ، حتى لا يصدق فينا قول قاسم أمين « أعرف أناسا حكموا بالظلم ليشتهروا بين الناس بالعدل » .

ثم يقول د . هيكل ، انه قد التقى بالنائب المستجوب بعـد الاستجواب وانه تحدث معه فى أمر ستة من الطلبة أعطاه أسماءهم وكان من بين تلك الأسماء ، ابن لمدرس بالمدارس الثانوية ، ولو تيسر لى وقتذاك ، أن أحابيه كما يجوز أن يفهم هذا اللفظ ، أو أن أقدم له خدمة لما تأخرت ولفعلت ذلك بغاية الرضاء ولكن شيئا من ذلك لم يحدث اذ بعـد أن ظهر لى أن مجمـوع درجات ابن رئيس النيابة ، ١٦٤ر٥ درجة ، وبعد أن أخبرنى لطيف بك أنه لا يوجد مانع لدى الطالب فى الالتحاق بقسم الطب البيطرى ـ وكان ذلك منذ شهر على ما أتذكر ـ تلقيت خطابا من الطالب نفسه يقول فيه أنه يرغب فى دخول قسم العلوم أو القسم الاعدادى بالطب ؛ فخوطب والد هذا الطالب بأنه ابنه غير حاصل على مجمـوع الدرجـات التى تخول قبـوله بأحـد هذين القسمين وان درجاته لا تبيح له دخول غير قسم الطب البيطرى ، فرفض وسحب أوراق ابنه .

وقد عاد الطالب مرة أخرى ـ بعد أن تكلم معه حضرة النائب المحترم لطيف بك ـ وطلب قبـوله بأحـد القسمين اللذين لا يسمح مجموع درجاته بالالتحاق بهما ، وباعتبـارى وزير المعـارف كنت أود اجابة طلبه خصوصـا أنه ابن لأحد المدرسين ، أى اننى أعتبره ابنا لى كذلك ، ولكن كلية العلوم أجابت بأنها قد وضعت قواعد للقبـول فلا يمكن أن تحيد عنها . ومن ذلك ترون حضراتكم انه اذا كانت كلية العلوم تلام على شىء فما ذلك الا لأنهـا لم تستعمل المرونة السياسية فتغير من القواعد التى وضعتها .

ولقد ذكرت لحضراتكم ان حضرة النـــائب المحترم لطيف بك ، قدم الى خمس حالات ، ولقـد بينت له أسباب قبول هذه الحالات ، وكان بينها حالة ذكرها لحضراتكم اليوم ، وهي خاصة بابن أو أخ لأحد أساتذة كلية العلوم، غير أن هذا الطالب كان حاصلا على مجموع الدرجات التى تخول له حق دخول كلية الطب البيطرى بل كان مجموع درجاته يربو على مستوى مجموع آخر من قبل بالكلية بسبع درجات أو ثمان ، واذن لم يكن فى قبول هذا الطالب أى استثناء •

والذى أريد بيانه لحضراتكم أنه عندما قابلنى النائب المحترم لطيف بك سردت له المسألة تفصيلا ، وبينت له حالة كل فرد وأنه لم يكن هنـــاك أى استثناء ، فطلب منى قبول الطالبين اللذين تكلم عنهما فى كليـة الطب البيطرى فوعدته بأننى سأخاطب عميد كليـة العلوم فى شـأنهما ما دامت درجاتهما تؤهلهما للقبول ، واتصلت بالعميـد فأجابنى بأنه ليس من الميسور قبولهما الآن وقد أوشك العام الدراسى أن ينتهى ولما قابلنى النائب المحترم لطيف بك اليوم وأخبرته بذلك وافقنى على ان كلية العلوم لم تخرج فعـــلا عن القواعد التى وضعتها •

وما دام الأمر كذلك فاننى أصرح لحضراتكم انه ليس من الأمور الهينة أن نتهم — من أجل كلمة تقال او شكوى تقدم — هيئة من أعلى الهيئات لهـا فى نظرنا ونظركم كل احترام ، ولها استقلالها المعترف به والذى نغار عليـه جميعا ، تلك هى هيئة الجامعة التى أتشرف برياستها ، والتى لا أشك مطلقا أنكم تحرصون معى على ألا يتدخل أحد فى شئونها ما دام القانون لا يسـمح له بهذا التدخل » •

ولست أريد أن أطيل ، فى الحديث عن هذا الاستجواب الهام ، والخطير، اكثر مما أطلت فقط أنهى كلامى عنه بكلمات قالها د • هيكل وزير المعارف العمومية ، عندما سأله الأستاذ على أيوب : أين الرقابة البرلمانية : فرد عليه قائلا :

نحن لا ننكر على المجلس هذه الرقابة ولكن ليس من الميسور اتهام رجال الجامعة بالمحاباة ، واذا كنا لا نثق برجال الجامعة فبمن اذن نثق ، وهى التى تخرج لنا كل عام عظماء الأطباء وأعلام القانون ؟

وفى رأيى أن التعرض لرجال هذه الهيئة فى قراراتهم كالتعرض لرجال القضاء فى أحكامهم •

لقد ذكرت لحضراتكم اننى أودعت مكتب المجلس ملف الموضوع ، وحضرة عميد الكلية موجود الآن فأرجو ممن يريد الكلام من حضراتكم أن يحدد الوقائع

ونحن مستعدون للرد عليها ، أما عن مسألة ابن رجل الطلمبات ففى ظنى أنه ليس بالرجل الذى له المكانة التى تجعل عميد الكلية يخضع لطلبه ، ولكن واقع الامر أن لابنه حق الالتحاق بالقسم البيطرى فالحق به ، كما الحق ابن رئيس النيابة • لأنه كان أول طالب له هذا الحق بحكم مجموع درجاته ، فليست هناك اذن استثناءات لا يبيحها القانون أولا يقرها العدل » •

هذا وقد اشترك فى الجلسة رئيس الوزراء ، بعد ما ترك الجلسة ، الدكتور هيكل ، وبعد أن يعود هيكل الى قاعة الجلسة ، يؤكد أن قرار الجامعة لم يلغ الا بعد شهر أو يزيد وبعد أن رأى ان هذا القرار قد يؤدى الى ظلم من هم أكثر كفاءة لحساب من هم أقل كفاءة ، ولذلك عدل عنه لا عن هوى ولا عن شهوة ولكن لمصلحة العلم » •

واعتقادى الراسخ ، ان المناقشات التى دارت حول هذا الاستجواب وما قيل فيها من جانب النائب المستجوب ـ بكسر الواو ـ والوزير المستجوب ـ بفتح الواو ـ تمثل قمة الديمقراطية بل تمثل فصلا رائعا من فصول حياتنا النيابية •

وبعد الحديث عن التعليم ننتقل الى الحديث عن المعتقلين السياسيين والرقابة على الصحف :

الباب السادس

الفصل الأول

مجلس النواب يناقش قضايا المعتقلين السياسين والرقابة على الصحف

● تحدثنا ، عن بعض الاستجوابات التى وجهت الى وزارة حسين سرى باشا ، وواجهتها تلك الوزارة ـ للحق ، وللتاريخ ـ بثقة كبيرة ، وموضوعية تامة وقد حرصنا ، على التركيز ، على تلك الاستجوابات ، بالذات ، رغبة منا فى اعطاء صورة صادقة واقعية ، لبعض جوانب حياتنا النيابية فى تلك الفترة ، الحرجة من تاريخنا ، تلك التى كانت تتسم بالقلق الشديد : القلق حول كل شىء والقلق لدى كل انسان ٠

وكما هو معروف ، وبسبب ظروف الحرب ، كانت ، الرقابة الشديدة ، العنيفة مفروضة على الصحف بأمر من الحاكم العسكرى العام ، غير ان اتفاقا ، أو شبه اتفاق ، كان قد تم بين وزارة على ماهر باشا وبين البرلمان ، بمجلسيه على ان ما يدور تحت قبتى المجلسين لايخضع للرقابة ٠

وقد وفت ، وزارة ، على ماهر ، باشا ـ حقيقة ـ بما التزمت به ، ازاء هذا الموضوع ، أمام البرلمان وحاولت الوزارات التى أعقبت تلك الوزارة ، القيام بذلك الالتزام ، ولكن ليس بالصورة التى التزمت بها وزارة على ماهر ، باشا ، الواثقة من نفسها ، ومن تأييد الرأى العام لها ٠

ولأن ما كان يدور فى جلسات مجلسى الشيوخ والنواب كان لا يخضع للرقابة ، فقد كان الشعب يعرف كل ما يدور فى كواليس السياسة عن طريق، نشر محاضر جلسات المجلسين ! ٠ ويمكننا القول ، وبدون أية مبالغة من جانبنا أن البرلمان بمجلسيه ، كان طوال تلك الفترة القلقة من تاريخ مصر الرئة الوحيدة ،التى يتنفس منها الشعب ، ولأن البرلمان كان كذلك ، كما كان ما يدور فيه وتحت قبته ، لايخضع للرقابة فقد ازداد ، اهتمام ، الحكومة

والمعارضة بما يدور فى المجلسين ، وانتقلت ميادين المعـارك من الصحف ، والمنتديات السياسية والشارع المصرى الى مجلسى الشيوخ ، والنواب .

وقبل أن ننتقل الى الحديث ، عن بقية الاستجوابات الهامة ، التى ووجهت بها وزارة حسين سرى باشا نستأذن القارىء الكريم فى ان نقف قبل ذلك عند بعض المواقف البرلمانية الهامة وعلى سـبيل المثال لا الحصر كمـا نقول نحن القانونيين :

● أثناء مناقشة خطاب العرش ، وفى جلسة ١٤ يناير ١٩٤١ ، انتقد النائب ، محمد محمود جلال بك « حزب وطنى » خطاب العرش ، ومشروع الرد على خطاب العرش ، المقدم من لجنة الرد ، على خطاب العرش المؤلفة من أعضاء ، من المجلس ، وذلك لأن خطاب العرش ، ومشروع الرد عليه جاءا خاليين من الاشارة الى السودان . وعاب محمد محمود جلال ، على الرقابة على الصحف تعنتها فى كثير من الأمور ، فقد منعت نشر بيان ، للحزب الوطنى عن « مركز مصر ، فى الحرب » بينما وافقت على نشر آراء ، وبيانات ، أخـرى فى هذا الشأن ، وطالب ، محمد محمود جلال بعدم الاستمرار فى فرض الرقابة على الصحف ..

● عند مناقشة مجلس النواب للاستجواب ، الخاص بتعيين أعضـاء البرلمان حراسا على أموال الألمان والايطاليين والذى سـبق الاشارة اليه قال عبد الحميد عبد الحق ، زعيم المعارضـة الوفدية فى المجلس – . ان أبغض الحلال ، الى الله ، الحراسات وانه يجب ، على العاقل ، وعلى النائب لأنه عاقل ، ان يتجنب المراكز التى تدعو الى وضعه مواضـع الشبهات ، وقد حذرنا ، النبى صلى الله عليه وسـلم من ذلك ، ومن هذه المراكز ، الحراسات ، وقال عبد الحميد عبد الحق : ما من حالة ضربت عليها حراسة ، قضائية ، الا لحقت بهـا الخسارة ، ومن طريف ما عثرت عليه ، قول الزمخشرى هناك ، أسـماء واضداد ، فاذا قيل الحارس قصـد ضـده ، لكثرة وقوع عدم الأمانة فى الحراسات ، ويقول الحجازيون : أردته ، أمينا فوجدته حارسا ، وعندما احتج النائب أحمد والى الجندى على هذا الكلام ، وقامت ضجة شديدة قال الأستاذ عبد الحميد : هذا كلام الزمخشرى ، وقال الأستاذ شفيق جبر ، موجها كلامه للأستاذ أحمد والى الجندى : أنا أحتج عليك انت ، لأن كلامك هذا يفهم منه انك المقصود ، دون غيرك وقال الأستاذ عبد الحق : أنا لا أتكلم عن أشخاص النواب وانما أنا أتكلم عن الحراسة رقصدى انها تجلب الشبهات ، وعندما قال رئيس المجلس د . أحمد ماهر ان هنا متسعا لسبر المناقشات وأرى ، أن أشكر الأستاذ عبد الحميد عبد الحق ، لأنه تكلم فى الموضوع ، دون ان يشير الى أى نائب ، قال الأستاذ عبد الحميد عبد الحق ، وعلشان خاطرك ، أنا مش حاكمل كلام الزمخشرى .

● ناقش النواب ، فى جلسة ٢٣ يونيو ١٩٤١ ، الاستجواب ، المقدم ، الى رئيس الوزراء ، حول الغارات الجوية ، التى قامت بها الطائرات، المعادية على الموانى المصرية وطالت المناقشات ، التى اشترك فيهـــا كثير من النواب ، ولم يكن رئيس الوزراء ، موجودا فى تلك الجلسة التى انتهت بأخذ الرأى ، على اقتراحين خاصين بهذا الاستجواب وبينما كان رئيس المجلس فى الجلسة التالية ـ جلسة٢٣ يونية ١٩٤١ ـ يهم بقراءة الاقتراحين ، واحدهما بالعودة الى جدول الأعمال والثانى بتنبيه الحكومة ، الى ضرورة الاستعداد ، واتخاذ العدة للحوادث قبل وقوعها ، طلب رئيس الوزراء الكلمة ، والقى بيانا ناريا أكد فيه ، ان وزارته تربأ بنفسها عن أن تلقى مسئولية ما وقع من أحـداث على الوزارات السابقة ، وأكد أيضـا أن وزارته تربأ بنفسها عن أن تحتمى بغيرها فى احتمال التبعات ، وقال ان الغارة ، التى وقعت على الاسكندرية من حيث شدتها ، وطول زمنها ، وعدد الطائرات ، التى قامت بها ، ومن حيث الأثر ، الذى أحدثته فى نفوس أهالى الاسكندرية ٠٠ تجاوزت كل التوقعات ٠

وفرق بين هلع ، وهجرة ، ينتجان عن حوادث ، لم تكن شدتها تتوقع ، بالقيـــاس الى الماضى ، فتعمل الحكومة على تهدئة الهلع ، وتنظيم الهجرة ، وبين هلع ، وهجرة ، لم يكن لهما داع جدى تثيرهما الحكومة وتعجز بعد ذلك عن التهدئة ، أو التنظيم تاركة للظروف اصلاح ما فسد : المفاجىء الجديد فى الغـارات الأخيرة ، والذى لم يكن لهذه الحكومة ولا لأى حكومة غيرها ، قبل بمنعه عند حصوله هو حالة الذعر ، الشديد الذى أصاب الأهالى بعد أن الح ، عليهم اطلاق القنابل طول الليل ، وبشدة لم يسبق لهم بها مثيل ، فمضوا على وجوههم ، لا يلوون على شىء حتى وصلوا ، محطات السكة الحديد والطرق ، ملتمسين الخروج ، من المدينـــة مزدحمين على وجه يلحق أشـــد ، الخطر ؛ بالصحة ، والأمن ٠ ويقول رئيس الوزراء ، ان الحكومة عالجت حالة الذعر ، تلك باللين والحكمـــة ، والسرعة والنظـــام ، ويضرب رئيس الوزراء : ـ حسين سرى باشا ـ المثل ، ببريطانيـا التى امتحنت فى هذه الشئون أقصى امتحان ، والتى بلغت فيها تدابير الرقابة أقصى ما بلغته من الكمال ، والاتقان، ولا يزال كثير من مسائلها محل جدل وخلاف ولا يزال سيل النقد على اعمالها ، يفيض من كل جانب ٠

ويقول رئيس الوزراء :

تقبل اذن الخلاف فى الرأى على صلاح نظام ، أو تدبير ، أو عدم صلاحه، ونصغى بكل عنـــاية واهتمـــام لكل ما يقال ، فى هذا المجلس من آراء ، واقتراحـات وليس لشىء من تلك الآراء ، والاقتراحات صـفة الالزام ، حتى تؤاخذ الحكومة على عدم العمل ، بكل ما يبدو لعضو من أعضاء هذا المجلس

الموقر ان يشـــير به ، اما توجيـه اللوم الى الحـكومة فلا يسعنا الا ان نرفضه ، بقوة ٠

لذلك ولأن هذا الاستجواب وغيره من الاستجوابات ، التى امتلأ ، بها جدول أعمال جلسة الأربعاء ، الماضية تنم ، عن الرغبة فى منع الحكومة ، من العمل المنتج ، لا نرى الحكومة ، بدا من طرح الثقة !

ويسأل ، رئيس المجلس ، رئيس الحكومة عما اذا كانت الحكومة تطلب أجلا لأخذ الرأى على الثقة ، كما يعطيها الدستور الحق فى ذلك قال رئيس الحكومة ، انه يطلب أخذ الرأى فورا ٠٠ وقال رئيس المجلس ، أن أحدا ، لم يكن يتوقع ، ان يلقى رئيس الوزراء مثل هذا البيان ، فى هذه الجلسة ، لذلك من حق من يشاء ، من الأعضاء ، ان يناقش هذا البيان ٠

وتكلم بعض النواب وكان من بينهم الأستاذ ابراهيم عبد الهادى فقال :

ان المجلس لا يعطل عمل الحكومة ، وان مسألة طرح الثقة كان وقتهـا عقب المناقشات لا بعد اقفال باب المناقشات وقال الأستاذ على أيوب : ان فى بيان الحكومة تعريضا بالأعضاء ، وعندما قال ان الحكومة مست ، المجلس ، قال رئيس المجلس ، انه سمع بيان رئيس الحكومة ولو كان فيـه ما يمس كرامة المجلس ، لما أجـازه ، ثم قال ، ان البيـان يمس ، المعارضـة ؛ لا المجلس ، ويقول رئيس المجلس : ان عنده ، اقتراحا باقفال باب المناقشة ويوافق المجلس على هذا الاقتراح ، ويعرض رئيس المجلس أيضـا اقتراحا بالانتقال الى جدول الأعمال ويعلن أن من يقول نعم يوافق ، على الاقتراح ويعطى صوته ، بالثقة ، ومن يقول : لا ، يعلن عدم الثقة ٠

وفازت الحكومة بثقة مائة وثلاثة وعشرين عضـوا وحجب عنها الثقة ٦٠ عضوا ، وكان من بين الذين أيدوا الحكومة ، بعض النواب السعديين وكان من بين من حجبوا الثقة بعض الوزراء ، الدستوريين ، المشتركين فى الحكومة اما الوفديون فكانت أصواتهم بعدم ، الثقة ٠

● وفى مجلس النواب جلسة ٩ يوليو ١٩٤١ ، يعرض الاستجواب الموجـه لدولة رئيس مجلس الوزراء من حضرات النـواب المحترمين ، عطا عفيفى بك ، والأستاذين عبد المجيد نافع ومحمد عبد الرحمن نصير بشأن تصرفات دولته مع رفعة على ماهر باشـا ، عضـو مجلس الشيوخ ويتخلى — وبسرعة — الدكتور أحمد ماهر باشا ، عن رئاسة الجلسة ويتولى محمد راغب عطية بك ، وكيل المجلس الرئاسـة ، ويجلس رئيس المجلس فى صفوف الأعضاء ، أليس هو شقيق على ماهر باشا ، الذى يتعلق الاستجواب به ؟

ويتحدث — فى البداية — عطا عفيفى بك مؤكدا ، انه لو كانت المسألة بين على ماهر باشا وحسين سرى باشا مسألة نزاع شخصى لما تقدم باستجوابه ، ولكن

المسألة غير ذلك ، انها مسألة عامة فلقد « أمر » رئيس الوزراء ، حسين سرى باشا علي ماهر باشا ، رئيس مجلس الوزراء الاسبق بأن يغادر القاهرة ، ويبقى معتقلا في عزبته وفي هذا مساس باستقلال البلاد . وتحدث الأستاذ عبد المجيد نافع فأكد ان المسألة مسألة مبادىء ، لا أشخاص . وأشار الى هجوم احدى المجلات على علي ماهر باشا وعدم منع الرقابة لما نشر في تلك المجلة وعرج على اتصال علي ماهر باشا بعبد القوى أحمد باشا بصدد المجلة لوقفها ، وكيف ان الرقابة منعت علي ماهر . من النشر . وأشار ، الى اهتمام علي ماهر باشا بالشئون الاجتماعية وقد فكر في مشروع يوم الفقير بدافع من حبه للخير والاحسان ، فكان ان منع النشر عنه وعندما أشار الأستاذ نافع الى ان رئيس الوزراء قال للدكتور أحمد ماهر : ان الانجليز غير راضين عن هذا المشروع ، ثار الدكتور ماهر ، وقاطع النائب قائلا انه من غير اللائق أن يذكر اسمه من غير أن يستأذن ، وقال د . ماهر : ان الوقائع على حقيقتها هي على غير ما ذكره الأستاذ نافع وقال الأستاذ نافع أنه سيقول ما عنده وللدكتور ماهر ، أن يهدم مايقوله ، ويقول د . ماهر ان رئيس مجلس الشيوخ طلب الا يذكر اسمه في هذا الاستجواب ، واستأذن الأستاذ نافع ، الدكتور أحمد ماهر ، في ان يروى للمجلس حديثا للدكتور ماهر ، مع السفير البريطاني ، فقال د . ماهر : ان آداب اللياقة لا تسمح مطلقا بأن يذكر اسمه . أو تروى واقعة عنه دون استئذانه بل اذا وقع خطاب منه في يد أحد فلا يصح أن يستخدم من غير استئذان كذلك ، وروى الأستاذ نافع الكثير عن زيارة عبد القوى باشا ، وعبد الرحمن عزام بك لعلي ماهر باشا ، وكيف كانت تلك الزيارة خاصة بالتبليغ البريطاني ، وخاصة بأمر علي ماهر بمبارحة القاهرة ، أو بقبوله منصبا خارج القطر ، أو بالبقاء في عزبته .

وقال عبد القوى باشا ، أن ما قيل تحريف للوقائع وقال الأستاذ نافع ، أن علي ماهر باشا طلب أن يكتب عبد القوى باشا ، هذا الأمر ، بخط يده فكتب ، وأشار الأستاذ نافع الى رفض ماهر باشا السفر ، وارساله الخطاب المعروف ، الى دولة رئيس الوزراء ، والى رئيس مجلس الشيوخ كما أشار الى أن احدى المجلات نشرت خطاب سرى باشا لعلي ماهر ، دون ان تنشر خطاب علي ماهر باشا لسرى باشا .

وأشار الأستاذ عبد المجيد نافع الى موقف سعد زغلول ، عندما طلب منه اللورد اللنبي ، ان يلزم عزبته في مسجد وصيف اذ رفض تنفيذ هذا الأمر ، وقال الأستاذ نافع : ان القضية ليست قضية ماهر باشا ، وانما هي قضية مصر باسرها ، وطلب الأستاذ محمد عبد الرحمن نصير أن تبقى الحصانة حصانة وأن يرجع الحاكم العسكرى الى المجلس في كل اجراء يريد أن يتخذه ،

وقال أيضـــا ، انه لا يمـــكن أن يســـمح للحاكم العسكرى بالاعتداء على حقوق البرلمان ٠

● وألقى حسين سرى باشا ، البيان التالى :

« قد كنت أعددت بيـــانا ، غير انى أجد الآن ان الوقت الذى يمر به العالم والذى يجب ان تتضافر فيه الجهود ، وتتحد فيه الأمة ، وتعمل الحكومة على استشارة الزعماء وضم الصفوف ، هذا الوقت لا يصلح لاثارة مثل هذه الأمور وخصوصا أن ما جاء على السنة المتحدثين كان من نوع « القال والقيل » فقد تعرضوا لأشخاص غير موجودين فى الجلسة ، وقد سمعنا من الدكتور ماهر باشا وعبد القوى أحمد باشــا انهما لم يستشارا فيما نقل عنهما وانه حدث تحريف كبير فى الرواية ٠

يقول أصحاب هذا الاستجواب أن المســـألة مسألة الحرية الشخصية لرفعة على ماهر باشا ، وهذا غير صحيح ، قد يجوز انه حدث سوء تفاهم كان سببه ـ على ما اعتقد ـ تحريف فى نقل الروايات ، ولكن هذا الأمر انتهى الآن٠ واعتقد ان مجلس النواب ليس بالمكان الصالح لأن يكون مجلس عتاب بين أصدقاء ٠ والمسألة كذلك لم تكن مسألة أمر من السفير نفذه رئيس الحكومة ٠٠ لا يا حضرات النواب ان رئيس الحكومة غير مسئول أمام أحد الا أمامكم وأمام ضميره ٠٠ ان ما أرسلته لرفعة على ماهر باشا على مرات متعددة كان دائما فى شكل نصيحة ، نصحته فى فبراير ومارس وأبريل ، وفى كل مرة قبل رفعته نصيحتى وفى المرة الأخيرة كانت نصيحة أيضا ولم تحد الحكومة من حرية على ماهر باشا الشخصية ٠

ولا أريد مطلقا أن أدخل فى كل هذه التفاصيل ، فهذه مسألة ارجو أن تنتهى وقد انتهت فعلا فى نظرى ، ولم اتخذ ولن اتخذ أى اجراء ضد صديقى على ماهر باشا » ٠

ثم وقف الأستاذ محمود سليمان غنام وأخذ على الحكومة مسلكها فى انها سمحت بتدخل من جانب الحكومة البريطانية فحدثت ضجة ومقاطعات من كثير من حضرات الأعضاء ثم أشار الى خطاب دولة رئيس مجلس الوزراء الى رفعـة على ماهر باشا وقال ان المسألة لم تكن مسألة نصيحة ولا مسألة صداقة وأشار الى القانون الذى وافق عليه البرلمان فى الدورة الماضية الذى يفرض عقوبات قاسية على مروجى الشائعات الكاذبة وغيرها مما يخشاه السفير البريطانى بل انشئت فى مصر محكمة عسكرية تعاقب مروجى هذه الشائعات وأشار بعد ذلك الى موقف معالى عبد القوى أحمد باشا بصفته وزيرا مسئولا وتكلم عن الحرية الشخصية وحرية الحكومة فى معاملة كل فرد ٠

وهنا وقف صاحب السعادة الدكتور أحمد ماهر باشا وقال :

سرنى ما سمعته من دولة رئيس الحكومة فى هذا الاستجواب • أولا ـ من تأكيده انه فى عمله انما كان يعمل عمل الصديق الذى ينصح صديقا له • وثانيا ـ انه يرى انه فى هذه الأوقات العصيبة يحسن أن يترك الصديق حقه عند صديقه •

وان الوقت ليس وقت عتاب وانما وقت العمل على ضم الصفوف والنظر الى مستقبل بلادنا • الأمر الثالث ـ ما قرره من انه يعمل بما يوحيه ضميره ، وهذا لايمنع من ان يكون سفير الدولة الحليفة حدثه فى موضوع ما ، ولكن اذا أراد ان يتخذ فى هذا الموضوع قرارا فانما يتخذه بوحى ارادته وما يمليه عليه ضميره • وهذا يرضينا جميعا وأظن أن صديقى الأستاذ غنام يقبله على هذا الوضع بعد هذا التفسير •

أما الأمر الأخير وهو ما سرنى كل السرور فهو ان دولته يرى انّ مسألة الحصانة تعتبر منتهية بعد المناقشة التى تمت بشأنها فى مجلس النواب •

ولهذا أرى انه يحسن بنا ان ننتقل الى جدول الأعمال وننهى الموضوع عند هذا الحد •

ثم طلب محمد راغب عطية بك وكان يرأس الجلسة أن يوافق المجلس على الانتقال الى جدول الأعمال وخاصة فى هذا الوقت الذى يجب ان توحد فيه الجهود وتلتئم الصفوف فوافق المجلس على ذلك •

● وربما كان من أخطر الاستجوابات التى عرفتها حياتنا النيابية ، ذلك الذى كان الأستاذان محمود بسيونى ويوسف الجندى قد قدماه ، الى حسنْ صبرى باشا بصفته رئيسا ، لمجلس الوزراء ، وزيرا للداخلية بخصوص الاجراءات التى اتخذت ضد الصحف •

وكان المجلس قد قرر فى ١٩ فبراير ١٩٤١ مناقشة هذا الاستجواب ، او بمعنى أدق مناقشة تحديد موعد له فى نهاية الجلسة •

وقد لوحظ فى نهاية الجلسة أن العدد غير قانونى فتأجلت المناقشة الى الجلسة التالية •

وفى بداية الجلسة التالية ، ٢٠ فبراير ١٩٤١ ، ثار جدل ممتاز حول الأسباب التى منعت نشر نص الاستجواب فى الصحف ، قبل أن يناقش موضوع الاستجواب نفسه ، ولأهمية هذا الجدل نشير اليه ، لأنه يعتبر مقدمة للحديث عن استجواب آخر ، خاص بالمعتقلين السياسيين كان قد قدمه الأستاذ يوسف الجندى ، الى رئيس الوزراء ووزير الداخلية ، ثم تبناه بدلا منه عبد الرحمن الرافعى وعبد الستار الباسل عندما اختار الله الى جواره الأستاذ يوسف الجندى •

في بداية تلك المناقشة تولى الأستاذ محمد على علوبة باشا وزير الشئون البرلمانية الدفاع عن مسلك الرقابة على الصحف مؤكدا ، انهـا لم نتجاوز حدودها ، فهى ملتزمة بالموافقة ، على نشر ما يدور فى جلسات المجلس ، ولأن نص الاستجواب لم يعرض على المجلس ولم يناقش فى احدى جلساته فقد كان على الرقابة ، ان تمنع نشر نص الاستجواب !

وأكد يوسف الجندى ، ان رئيس مجلس الشيوخ قد ذكـر فى احدى الجلسات ان التقاليد البرلمانيـة فى أوربا تتيح نشر مثل هـذه المسائل قبل ادراجها فى جدول الأعمال وقال الأستاذ الجندى : نحن موكلون عن الشعب ، وممثلون للرأى العام ولا يصح تأجيل نشر أعمالنا حتى تطرح على المجلس ، وانه يجب عدم الموافقه على ما قاله وزير الشئون البرلمانية لأنه يقيد حريتنـا

وأعاد الى الأذهان الأستاذ علوبة ما قاله الأستاذ يوسف الجنـدى فى جلسـة المجلس فى ٢ أكتوبر ١٩٣٩ عندمـا خاطب رئيس مجلس الوزراء ، يومئذ طالبا منه الا تمتد الرقابة الى الأقوال التى ترد فى هذا المجلس ، وكيف أن رئيس الوزراء ، أجاب بقوله : اننى لسعيد بان أعلن مشاركتى الرأى فى ان ما يقال فى هذا المجلس الموقر ، لن يكون محـلا للرقابة ، ويأمر رئيس المجلس ، بتلاوة نص الاستجواب ويكون النص كما يلى :

« نريد استجواب رفعتكم بصفة كونكم رئيسا لمجلس الوزراء ووزيرا للداخلية فيما اتخذته الوزارة من اجراءات أفضت الى خنق حرية الصـحافة والرأى فى مصر ولاسيما بعد أن أبدى مجلس الشيوخ باجماع رأى أعضائه رغبته الصريحـة القوية فى أن تـكون الرقابة على الصـحافة مقصـورة على الضرورات الحربية والا تتناول الشئون الداخلية للبلاد ٠

ولكنا تبينا مع الأسف أن الأمر جرى على نقيض هذه الرغبة الصـادرة من ممثلى الأمة فمن الأمثلة التى سيتناولها الاستجواب ٠

أولا ــ منعت الرقابة منعا يكاد يكون شاملا كل نقد لأعمال الوزارة سواء أكان متعلقا بالمسائل السياسية والدستورية أم بالمسائل الاقتصـادية ورغم انها جميعا أبعد ما تكون عن الحرب وشئونها ٠

ثانيا ــ بلغ الأمر بالرقابة أن منعت نشر الآيات القرآنية الكريمـة مع أنها كانت تنشر مجردة عن التعليق فأرسل حضرة الرقيب خطابا الى جريدة المصرى يحظر فيه نشر الآيات القرآنية والحكم القديمـة أو الجديدة ولو انه تفضل فسمح بنشرها فى صفحة خاصـة بالأدب فلما نفذ أمره منع نشرها بتاتا وكذلك منعت جريدة الوفد المصرى من نشر الآيات القرآنية والحكم ٠

ثالثا ـ ومما يثير الأسف أن الرقابة فى اجحافها بحرية الرأى لم تكن عادلة حتى فى توزيع هذا الأجحاف على الصحف فسمحت للصحف الحكومية بالمهاترة ضد خصومها السياسيين فى حين انها لم تسمح لصحف المعارضة بالرد عليها لا فى حدود الدفاع ولا فى حدود النقد البرىء .

وسنقدم فى استجوابنا نماذج عديدة من المقالات والفقرات التى منع نشرها مما يدل دلالة قاطعة على أن منع النشر قد أريد فى جميع الأحوال اتخاذ الرقابة الصحفية وسيلة لحماية الوزارة نفسها من النقد الموجه الى تصرفاتها وليس لخدمة الأغراض الحربية أو القضية الديموقراطية التى نؤيدها جميعا .

انه ليحزننا أن نقرر ان البلاد تعانى اليوم الكثير من فداحة الرقابة الصحفية ومع ان مصر ما زالت بعيدة عن ويلات الحرب فهى تكابد من تدابير الضغط على حرية الرأى ما لم نجد له نظيرا فى البلاد التى أصبحت أرضها ميادين للقتال أو التى اشتركت فى الحرب بالفعل كحليفتنا بريطانيا العظمى وغيرها من البلاد الديموقراطية » .

محمود بسيونى

يوسف أحمد الجندى

وكان الأستاذ عبد الرحمن الرافعى قد قدم سؤالا الى وزير الداخلية عن أسباب اعتقال الحكومة الأستاذ حسن البنا ، المرشد العام لجمعية الاخوان المسلمين ، والأستاذ أحمد السكرى ، الوكيل العام لهذه الجمعية . وكذلك عن اعتقال الأستاذ عبد الحكيم عابدين سكرتير جمعية الاخوان المسلمين وهل كان الاعتقال بأمر النيابة العمومية ، أم لا ؟ وهل هناك تهم معينة موجهة الى هؤلاء المعتقلين ، وهل حصل تحقيق عن هذه التهم وعلام انتهى التحقيق فى شأنهم وهل ليس ، فى قانون العقوبات وقانون تحقيق الجنايات ما يكفل اتخاذ الاجراءات القانونية ضد أى شخص توجه اليه أية تهمة مما يغنى عن الاعتقالات التى تأمر بها السلطة العسكرية ؟

وقدوجه السؤال فى ٢٢ نوفمبر ١٩٤١ ، وتولى الأستاذ محمود غالب وزير العدل بالنيابة عن وزير الداخلية حسين سرى باشا فى ٩ ديسمبر ١٩٤١ الاجابة عنه فأكد الافراج عن الأستاذين حسن البنا وأحمد السكرى بتاريخ ١٣ نوفمبر ١٩٤١ ، كما أفرج عن عبد الحكيم عابدين أفندى ، وذلك لزوال الأسباب التى بنى عليها أمر اعتقالهم .

وأجاب الأستاذ الرافعى انه قد وجه سؤاله عن جميع المعتقلين السياسيين « وانما ذكرت أسماء هؤلاء الأشخاص الثلاثة على سبيل المثال ولذلك أطلب من الوزارة اعادة البحث فى المسائل المنسوبة لجميع المعتقلين فاذا ثبتت ادانتهم فلتعجل الحكومة بتقديمهم الى المحاكمة ، واذكر ان من بين جميع المعتقلين

الذين لم يحقق معهم ثلاثة من المحامين هم : الأساتذة أحمد حسين وابراهيم الزيادى وابراهيم طلعت ، وصحفيا هو الأستاذ محمد صبيح ، ومهندسا هو فتحى أبو الوفا واشخاصا غيرهم لهم مكانتهم الأدبية » ويقول وزير العدل « وهو كذلك » ، ثم يقول رئيس المجلس ، يمكن استكمال البيانات عند مناقشة الاستجواب الخاص بالمعتقلين السياسيين ! ويوجه الأستاذ عبد الرحمن الرافعى الى رئيس الوزراء فى ٤ يناير ١٩٤٢ ، سؤالا يجيب عنه رئيس الوزراء ، فى جلسة ١٣ يناير ١٩٤٢ ، عن اضراب المعتقلين السياسيين عن الطعام أول أيام عيد الأضحى ، تألما من استمرار اعتقالهم ، دون تحقيق معهم فى أية تهمة ، ودون ان يقدموا الى المحاكمة اذا كان التحقيق يثبت ادانتهم أو يفرج عنهم ، اذا لم يحقق معهم أو يسفر التحقيق عن براءتهم » .

ويقول عبد القوى أحمد ، وزير الوقاية المدنية ، بالنيابة عن وزير الداخلية : اضرب فريق من المعتقلين السياسيين عن تناول الطعام ، فى خلال فترة عيد الأضحى واشترك معظمهم فى ابداء سبب عام للاضراب ، هو انه لم يحصل معهم تحقيق تمهيدا لاحالتهم الى المحاكمة والواقع ان الاعتقال السياسى يختلف اختلافا تاما عن الحبس الاحتياطى ، فى انه ليس اجراء تمهيديا لتحقيق أو محاكمة وانما هو اجراء وقائى يتخذ أثناء قيام الأحكام العرفية ، كما استلزمت ذلك الاعتبارات الخاصة بالمحافظة على أمن الدولة وسلامتها وقد كان اتخاذ هذا الاجراء فى أضيق الحدود وبعد القيام بفحص دقيق تحت اشرافى شخصيا و .. و ..

ويقول عبد الرحمن الرافعى : لم أفهم ما هى الاجراءات التى اتخذتها الداخلية ، ويقول رئيس المجلس محمد محمود خليل بك : يستطيع الزميل المحترم ان يتكلم فى جلسة مناقشة الاستجواب الخاص بالمعتقلين السياسيين !

وكان مجلس الشيوخ قد بدأ مناقشة استجواب المعتقلين السياسيين ، الذى كان الأستاذ يوسف الجندى قد وجهه الى رئيس الوزراء ، ووزير الداخلية وقد تمسك بمناقشة هذا الاستجواب عبد الستار الباسل بك ، وعبد الرحمن الرافعى بك وكان مما جاء فى مناقشة الاستجواب — جلسة ٢٣ ديسمبر ١٩٤١ — ما ذكره عبد الستار الباسل بك ، من ان حالة المعتقلين السياسيين تقتضى التعجيل بالفصل فى شأنهم واقترح مناقشة الاستجواب بطريق الاستعجال .

وقال الأستاذ الرافعى بك انه يشعر بالآلام التى يشعر بها فريق كبير من المعتقلين الذين لا ذنب لهم ولا جريرة سوى شائعات باطلة لا تستند الى ظل من الحقيقة وطالب بأن تكون مناقشة الاستجواب فى أول جلسة بعد فترة عطلة عيد الأضحى مباشرة .

وأشار اللواء أحمد عطية باشا الى رسائل تلقاها بعض حضرات الشيوخ من المعتقلين يشرحون فيها ما أصبحت عليه حالتهم من سوء ويظهرون استعدادهم لتقبل التحقيق معهم بصدر رحب فاذا ظهرت براءتهم فقد وجب الافراج عنهم وان تأيدت ادانتهم فقد سطر القضاء على صفحتهم كلمته وناشد الحكومة التعجيل بمحاكمتهم ٠

وتكلم زكريا مهران باشا فقال انه لو سلمنا باعتقال هؤلاء فلا أقل من ان تعنى الحكومة بعائلات بعضهم وهى تتضور جوعا ومسغبة ورجا الوزراء ان تلحظ الوزارة بعين الرعاية عائلات هؤلاء المعتقلين ٠

ورد الدكتور هيكل باشا بأنه يقرر ان عائلات المعتقلين الذين لا عائل لهم تعمل الحكومة لتقدم لها كل ما تستطيع من معونة وقد تلقت الوزارة ظلامات نظرت فيها بعين العدل ٠

وعاد زكريا مهران يؤكد أن بعض السيدات والآنسات من زوجات وكريمات المعتقلين يتضورن جوعا ٠

ونهض سعادة محمد علوبة باشا فأشار الى حادث القبض على ابراهيم نور الدين أفندى وكان شريكا لرجل المانى اسمه فورست وقد أعطى جوازا للسفر الى سويسرا وعند عودته قبض عليه ثم ظهر من تقرير الخبراء الحسابيين ان شريكه الألمانى صفى مركزه وأصبحت التجارة وقفا على ابراهيم نور الدين المصرى ومع ذلك فقد وضعت الحراسة يدها على تجارته ثم تصرفت فيها بالبيع وخسر الرجل كل شىء وطالب فى نهاية كلمته بالتحقيق فى الموضوع على ضوء البيان الذى وضعه الخبراء الحسابيون ٠

وبعد مناقشات قصيرة تقرر مناقشة الاستجواب فى أول جلسة تعقد بعد عطلة عيد الأضحى ٠

وكان مجلس النواب قد ناقش فى ١٨ ديسمبر ١٩٤١ استجوابا عن المعتقلين السياسيين وقد بدأ المناقشة الأستاذ عبد المجيد نافع حيث قال : ان صديقى المعتقل الأستاذ « م٠ص » قد قدرت الحكومة لزوجته مرتبا جنيها واحدا ، لمآكلها ومشربها ، ومسكنها ، هى وأولادها ولما تدخلت فى الأمر ، زادوا المرتب الى أربعة جنيهات ٠

وقال الأستاذ نافع ان المعتقلين السياسيين قد عدلوا عن الاضراب عن الطعام ، بعد أن أفهموا انهم سيجابون الى طلباتهم ، ولكنهم لم يجابوا الا الى شىء طفيف مثل اباحة الزيارة لعدد محدد ، وزيادة المكافآت لأسر المعتقلين زيادة طفيفة جدا ٠٠ ولكن الحق ، الطبيعى للمعتقلين وهو التحقيق معهم لم يتحقق حتى الآن » ٠ ويقول الأستاذ عبد المجيد نافع :

والآن فقط تلقيت برقية من سيدة جاء فيها ان زوجها اعتقله البوليس بدعوى انه رجل سياسى والحقيقة انه لا يعرف اذا كانت السياسة تؤكل أو تشرب وكل ما حدث منه انه شهد فى تحقيق أمام نيابة الخليفة ضد أحد ضباط المباحث !

لقد أعلنت الحرب فى سبتمبر عام ١٩٣٩ ولا تزال مستمرة حتى الآن وأقرر هنا أنه لم تقع فى عهود رفعة على ماهر باشا والمغفور له حسن صبرى باشا حادثة اعتقال سياسى واحدة رغم ان الأحوال فى عهدهما كانت أسوأ منها الآن .

اسمحوا لى ان أذكر هنا انه حدث فى داخل المجلسين وفى خارجهما ان ألقيت خطب مثيرة شديدة تندد بسياسة الانجليز ، والواقع ان هؤلاء الخطباء هم من أخلص المخلصين للأمة لأنهم يبصروننا بالأمور ، ومع ذلك لم تقبض الحكومة على أحد منهم ولم تعتقل واحدا .

وأنا أقصد من وراء كلامى هذا ان أؤكد لكم ان فى المعتقلات السياسية الآن أناسا قد لا يكونون تفوهوا طوال حياتهم بكلمة فى السياسة وانه ليس للاعتقال قواعد .

ومن عجب أن أذكر لكم أنه يوجد بين المعتقلين الآن شخص اعتقل لأنه اتهم منذ سنوات فى حادثة تحطيم بعض الحانات .

وهناك أستاذ محام أعتقل لأنه هم بأن يتولى الدفاع عن عزيز المصرى باشا لم أفرج عنه ثم اعتقل مرة أخرى وأفرج عنه ، فما هذا الاضطراب فى الاعتقال ، ألا يدل على انهم يعتقلون الناس اعتباطا !

وفى وقت ما اعتقل الأستاذ حسن البنا رئيس جمعية الاخوان المسلمين والأستاذ أحمد السكرى وكيلها والأستاذ عبد الحكيم عابدين سكرتيرها وقد بلغنى انه أفرج عنهم أخيرا بعد ان قضيا فى الاعتقال أكثر من شهر دون ان يوجه اليهم اتهام معين أو يحقق معهم ، ولست أدرى لماذا اعتقلوا وهم اناس لا هم لهم الا الدعوة الى التمسك بالدين وبالفضائل .

وكذلك أفرج عن المسيو باراسكين

ولست أدرى لماذا لا يفرج عن باقى المعتقلين ؟

وهناك أشخاص اتهموا سابقا فى حوادث تحطيم الحانات ولم تعتقلهم الحكومة فى المعتقلات السياسية .

أنا لا أبغى من كلامى هذا اعتقال الآخرين ولكننى أريد ان أبين فوضى الاعتقال وانه يجب الافراج عن المعتقلين فورا .

وهناك أشخاص اتهموا باذاعة اذاعات مثيرة المراد منها دعايات أجنبية ومع ذلك لم يعتقلوا ٠

ولقد وعد دولة الحاكم العسكرى بالتحقيق مع المعتقلين ولكن هذا الوعد لم يتحقق ، وكل ما حدث أن ذهب الى المعتقل اثنــان من مفتشى الداخلية ، فكان الواحد منهما يسأل الشخص المعتقل لماذا هو معتقل ؟ ٠٠

أليس فى ذلك ما يدعو الى الدهشة والغرابة ، أما كان يجب ان يتولى التحقيق قاض أو وكيل نيابة ؟

وحدث ان طلب المعتقلون مرة أخرى ان يحقق معهم وثاروا من أجل ذلك فتألفت لجنة من وكيل الداخلية وسكرتيرها ومحمد البابلى بك لتتولى التحقيق ، ولكنها لم تبدأ فيه حتى الآن ٠

ومن بين الذين اعتقلوا ثلاثة من المحامين أذكر منهم الأستاذ ابراهيم طلعت والأستاذ أحمد حسين ٠

وقبض على الأستاذ فتحى أبو الوفا المهندس كما قبض على حسن سلومه وطالب فى الأزهر يدعى الشيخ توفيق الملط ٠

ومن المتناقضات انه قبض على شخص وصفوه بأنه زعيم الفدائيين وقالوا انه اختمرت فى رأسه فكرة اغتيال الزعماء ثم أفرجوا عنه ٠

رئيس الوزراء : هذا الشخص أفرج عنه ليقيم فى مستشفى المجاذيب ٠

الأستاذ عبد المجيد نافع : ومن الغرائب أيضا ان الحكومة اعتقلت المهندس ابراهيم نور الدين وهو مقاول يتعامل مع الحكومة ، وقد أرسلته الحكومة أخيرا مخفورا الى الصعيد لينفذ لها أحد مشروعاتها ، وكل جريمته ان شريكه فى العمل كان ألمانيا ، وبرغم صدور قرار حظر التعامل مع ألمانيا فقد أباحت له الحكومة أن يستورد من ألمانيا بعض الأدوات وسمحت له بعد ذلك أن يسافر الى الخارج مرتين بجواز سفر حكومى ، ثم اعتقل بعد ذلك ولا يزال فى المعتقل ولم يحقق معه حتى الآن ٠

وهناك متهم اسمه حسن جريو وقد أشرف على الموت والتمس ان يرى والده فلم يصرح له فأضرب عن الطعــام فتركوه وأخيرا لما مات والده سمح له بالسفر مخفورا الى بلدته ليتلقى تعازى المعزين ويعاد ثانية الى السجن ٠

وهناك شخص آخر وكيل لاحــدى الشركات اعتقل فكانت النتيجة ان الشركة استولت على ذماماته ثم اتهمته بالتبديد وهو فى الاعتقال ٠

وأنا أسأل الحــكومة الآن : لحساب من تعتقلون هؤلاء الناس هل هو لحساب مصر أم لحساب سلطة أجنبية ؟!

أليكم حادثا قد يكشف لكم عن شيء :

هناك معتقل اسمه على على أحمد طلب مقابلة جناب الحكمدار فجاء الرد من سليم زكى بك نائبا عن الحكمدار بأن قلم المخابرات البريطانى يأبى على هذا الشخص هذه المقابلة وعندى مستند آخر يدل على ذلك ٠

هذه الصور تكشف لحضراتكم عن أمر خطير وهو اننا نحن المصريين جميعا مهددون بالاعتقال ما دام مجرد توجيه شبهة أو اتهام بالتشيع لجهة أجنبية يوجب الاعتقال ٠

وختم الأستاذ عبد المجيد نافع بالمطالبة بأن تشرف اللجنة البرلمانية اشرافا كاملا على أوامر الاعتقال وإن يحقق على الفور مع المعتقلين ويفرج عمن يثبت ان لا ذنب له ولا جريرة خصوصا وان الحرب قد تطول ٠

● ووقف بعد ذلك دولة رئيس الوزراء فقال :

ـ قبل البدء فى القاء بيانى أصرح بأنه لا يمكن اعتقال مصرى الا بناء على ما أعتقده أنا شخصيا ضد صالح البلد ، وأقرر ان هذا البلد مستقل وانى لا أتلقى أوامر من أحد ثم تلا البيان التالى :

آثار فريق من المعتقلين ضجة حول أمر اعتقالهم زاعمين انهم يجهلون أسباب ذلك الاعتقال ولجأ بعضهم الى الاستعانة بزملائهم للتضامن معهم بمختلف الوسائل كالاضراب عن تناول الطعام أو اثارة الشغب أو استكتاب العرائض أو ما شاكل ذلك ٠

وقد انتحل ذلك الفريق شتى المعاذير تبريرا لعملهم ، فمن ذلك الزعم ان المعتقلين يعانون صنوف الارهاق أو انهم اعتقلوا دون ان تسند اليهم تهمة أو يعمل معهم تحقيق ، أو القول بأن بعضهم ظلوا فى الاعتقال رغم كون النيابة العمومية نفضت يدها منهم أو أمرت بالافراج عنهم ، أو الادعاء بأن من بينهم من هم أقل خطرا من زملاء لهم ما زالوا طليقين أو الزعم ان بعضهم بعد أن أفرج عنه عاد فاعتقل ثم أفرج عنه ثانية ، مما يتخذونه مبررا للقول بأن أوامر الاعتقال تصدر مرتجلة وبغير ضابط ٠

فاما عن ارهاق المعتقلين أو اساءة معاملتهم فان الحال على العكس مما ذكر اذ قد ضيقت القيود فى المعتقلات الى الحد الذى تقتضيه الضرورة لمنع اتصال المعتقلين بالغير ، فهم فى داخل المعتقل ينعمون بكافة التسهيلات الممكنة فى معاشهم وسكنهم ولباسهم وعلاجهم وصرح لهم باستقبال الزوار من الأهل والتمتع بحرية المراسلة والمكاتبة وأحيانا الخروج للمعالجة عند أطبائهم الخصوصيين أو زيارة أهلهم المرضى ويقوم البعض منهم باستحضار الكتب وغيرها للاطلاع ٠٠

ويبقى للحديث عن المعتقلين السياسيين بقية ٠٠ بل بقايا !

الفصل الثانى

النواب يحاسبون وزارة حسن صبرى باشا على استغلالها للأحكام العرفية !!

● عذرا بل ألف عذر اذ أنا أطلت فى الكتابة عن بعض جوانب حياتنا البرلمانية فى نهاية وزارة حسن صبرى باشا فلقد أحببت أن أعطى القراء صورة، لبعض ملامح حياتنا البرلمانية القديمة وعذرا ، بل ألف عذر أيضا اذ أنا استرسلت فى الكتابة عن موضوع ، المعتقلين السياسين ، الذين كانوا ، يعتقلون بأمر السلطات البريطانية بدعوى ، أن لهم نشاطا معاديا للدولة الحليفة ، ولقد رأيت، أن من واجب هؤلاء المعتقلين علينا ، وبعضهم لا يزالون أحياء كتب الله لهم العمر الطويل ـ أن نشيد ببعض تضحياتهم بعد أن كادت ، تضيع فى زوايا النسيان٠

وكنت فى الفصل السابق قد وقفت عند مناقشة استجواب ، خاص بالمعتقلين السياسيين فى مصر ، قدمه بعض ، المعارضين ، الى رئيس الوزراء ووزير الداخلية ، وقد أشرنا ، الى بعض ما قاله رئيس الوزراء ، ووزير الداخلية ، ردا على أقوال النواب ، المعارضين ، ونكمل اليوم حديث رئيس الوزراء ووزير الداخلية الذى كان يبدو متأكدا ، تمام التأكد ، من سلامة « موقفه » ، ومن تأييد الحليفة له ومن ان المجلس لن يحجب عنه الثقة ، لأن معنى حجب الثقة فى ذلك الوقت ، حل البرلمان واجراء انتخابات جديدة لا يوجد فيها أى ضمان ٠

وقبل أن نبدأ ، فى الحديث عما قاله حسين سرى باشا ، رئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية ، نحب ان نشير ، الى أن المناقشات سواء ، فى مجلس النواب أو فى مجلس الشيوخ حول موضوع ، المعتقلين السياسيين لم تنته فى عهد وزارة حسين سرى باشا ، وانما امتدت حتى بداية عهد وزارة النحاس باشا ، حيث نوقش ، الموضوع مرة أخرى ، أو حيث استكمل النقاش فى هذا الموضوع ، وسوف نرى كيف تتغير النظرة ، الى الموضوع الواحد ، عندما يكون « الناظر » فى المعارضة وعندما يكون فى الوزارة ٠٠

● يوضح حسين سرى باشا ، فى رده على الاستجواب الخاص بالمعتقلين الفرق بين الاعتقال ، وبين المحاكمة كما يوضح الأسباب ، التى من أجلها أعطى الحاكم العسكرى العام سلطة اتخاذ أى اجراء يراه لازما للمحافظة على سلامة الدولة كما يوضح فى نفس الوقت الهدف من الاعتقال فيقول : انه تدبير وقائى يجب أن يتخذ درءا ، لما قد ينجم من الخطر على أمن الدولة اذا ما ترك المعتقل طليقا ، بعكس ارتكاب انسان ما ، جرما معينا يستوجب محاكمته .

ويؤكد حسين سرى باشا ان الاجراء ، الخاص باعتقال مواطن ما يصبح من أوجب واجبات ، الحاكم العسكرى اذا ما اجتمعت لديه المبررات الكافية على ان الافراج عن شخص معين قد ينشأ عنه خطر على النظام ، والأمن العام .

ويمضى رئيس الوزراء ، ووزير الداخلية ، فى القاء بيانه فيقول عن الخطر الناجم عن بقاء معتقل ما طليقا ان هذا الخطر قد يتكون من عنصر واحد ، أو أكثر من العناصر المختلفة وبينها سوابق الشخص فى الارتكاب ، أو الاتهام ، أو ما قام به فى ماضيه أو ما يقوم به فى حاضره أو يزمع القيام به فى مستقبله من مظاهر النشاط ، المهدد لأمن الدولة وسلامتها .

الى ان يقول :

واذا كان هذا الاجراء الوقائى واجبا فى ميدان الاجرام العادى ، كما هى الحال فى أمر معتقلى الطور ، فهو أوجب والزم فى ميدان الاجرام السياسى الذى قد يؤدى أقل تهاون فيه الى أخطار أشد وأبلغ .

على أن الحاكم العسكرى يعمل دائما على ألا يستعمل حقه الا فى أضيق الحدود وفى النطاق الذى توجبه الاعتبارات الماسة عن قرب بسلامة الدولة وأمنها ، وهو قد اتخذ بالفعل من الاجراءات ما يكفل الا يعتقل شخص الا اذا توافرت الأسباب الكافية لتبرير اعتقاله ، ويجب الا يغيب عن الأذهان انه كثيرا ما تقضى المصلحة العامة بل سلامة الدولة نفسها بالاحتفاظ بأسرار المعلومات التى ينبنى عليها أمر الاعتقال أو المصادر التى تستقى منها تلك المعلومات كما انه كثيرا ما يطرأ من الظروف والمناسبات بين وقت وآخر ما قد يحد و يقلل من خطورة شخص سبق اعتقاله أو على العكس يضاعف من خطورة شخص سبق الافراج عنه .

ويمكن القول بصفة عامة انه قد تبين بعد الفحص الدقيق ان من يوجدون الآن بالمعتقلات قد توفرت قبل كل منهم المبررات الكافية لاعتقالهم ولو اختلفت الأسباب ، فالبعض منهم كان معروفا عنه الاتصال ببعض الجهات أو الهيئات اتصالا ماسا بسلامة الدولة والبعض الآخر كان يقوم بأنواع من الدعاية أو النشاط الشديد الخطورة كالعمل على تهيئة الجو لأحداث الشغب والاضطراب أو اثارة الفتن والقلاقل بين مختلف الطوائف والهيئات ، الى غير ذلك من

نواحى تهديد الأمن التى لا يمكن بحال تعريض البلاد لأخطارها فى الظروف الدقيقة الحالية ٠

ويستأذن حسين سرى باشا رئيس الوزراء ، ووزير الداخلية فى التغيب عن الجلسة ربع ســاعة فقط الأن الأحوال الدولية تضـطره الى التغيب قليلا للوقوف على آخر أنباء تطورات الموقف الدولى ٠

وترفع الجلسة ربع ساعة ، يعود بعدها رئيس الوزراء لاستئناف مناقشة الاستجواب ويطلب النواب : عبد الحميد عبد الحق ، عبد المجيد الرمالى ، عبد المجيد نافع ، محمد شعراوى وعبد الحميد البنان عقد جلسة سرية لسماع بعض الايضاحات من رئيس الوزراء عن بعض ما ورد فى بيانه ، ويأمر د٠ ماهر ، رئيس المجلس باخلاء شرفات القاعة من الصحفيين والزائرين للمناقشة فى هذا الطلب ٠

وتعود الجلسة علنية بعد عشر دقائق فقط حيث بدأ النائب عبد الرحمن نصير القاء كلمته التى جاء فيها :

« فى الواقع ان الأستاذ عبد المجيد نافع أصاب اذ قال ان حق الحاكم العسكرى فى الاعتقالات حق مسلم به ولكن المراد من هذا الاستجواب ، معرفة ما اذا كان هناك سوء استعمال لهذا الحق أم لا ٠

ويمضى الأستاذ عبد الرحمن نصير قائلا :

« الذى أعرفه أن هـذا المجلس الموقر مسئول كل المسئولية عن تقدير أعمال الحاكم العسكرى لأنه فى الوقت الذى طلب فيه من هذا المجلس الموافقة على اعلان الأحكام العرفية ، سمعنا على ماهر باشا يقول انه سيقوم بمهمة الحاكم العسكرى فى ظل البرلمان ٠

الى ان يقول ، عبد الرحمن نصير :

« ونحن معذورون اذا تشككنا كثيرا فى التصريحات والوعود التى وعد بها دولة الحاكم العسكرى سعادتى الأستاذين يوسف الجندى وحافظ رمضان باشا فى مجلس الشيوخ بأن يدلى ببيانات تفصيلية عن المعتقلين وأسـباب اعتقالهم بعد أسبوع وفى الاجابة التى جاب بها دولته عن سؤال للدكتور حنفى أبو العلا فى مجلس النواب بشأن المعتقلين السياسيين اذ جاء فى اجابته انه لا يعتقل أحد الا بعد التحقيق معه ٠

ولا شك انه اذا لم ينفذ رئيس الوزراء وعوده فيجب على مجلس النواب ان يسأل دولته عن سبب تأخيره فى تنفيذ هذه الوعود خصوصا وان دولته مسئولة أمامنا ٠

ولقد حصلت على صورة من تحقيق أجراه مفتش الداخلية الأستاذ محمود رشيد مع المعتقل عبد الوهاب حسنى وأنا أتلوه على حضراتكم لتتبينوا انه لم يكن تحقيقا جديا بمعنى الكلمة فقد سأله المحقق هل له آراء سياسية وما رأيه في السياسة الداخلية ، وما رأيه فى الحرب ، وختم المحقق تحقيقه بسؤال المعتقل عما اذا كانت لديه أقوال أخرى ! .

وبهذه المناسبة أذكر لكم انى لا أعلم ان لعبد الوهاب أفندى حسنى آراء سياسية خطرة ، وقد كان يعد نفسه لدخول امتحان ليسانس الحقوق وكان فى زيارة للأستاذ مدحت عاصم الذى اتهم بتوزيع منشورات سياسية وقد قبض عليه كما قبض على عبد الوهاب أفندى أثناء وجوده عنده ومن عجب انه أفرج بعد ذلك عن الأستاذ مدحت عاصم ولم يفرج عن عبد الوهاب أفندى حسنى .

ووصلنى خطاب من أحد المعتقلين يشكو فيه هو وعبد الوهاب أفندى حسنى من اعتداء أحد الجنود عليهما وأنا أسأل دولة رئيس الوزراء هل وصل الى علمه شيء من هذا ؟

رئيس الوزراء : لم يصل الى علمي شيء .

وهناك معتقل يدعى الشيخ عبد السلام حمد من كفر الزيات كان امام مسجد فى مرسى مطروح وقد جاء فى مذكرة له وصلتنى ان اعتقاله يرجع الى أسباب كيدية .

رئيس الوزراء : يظهر أن هذا المعتقل غير مصرى لأن سعادتى وكيل الوزارة ومدير الأمن العام بحثا عن اسمه بين قائمة أسماء المعتقلين المصريين فلم يجداه .

— ان الذى علمته عن المعتقل ابراهيم نور الدين المهندس ان تهمته انه سافر الى سويسرا لاستحضار أدوات ولما عاد ادعى شخص عليه انه مر على ألمانيا وقد دفع بانه لم يمر على ألمانيا وثبت من جواز سفره انه لم يمر عليها .

واذا كان هذا شأن بعض المعتقلين وهذه تصرفات الحاكم العسكرى معهم فكيف يمكن لنائب مصرى أن يطمئن لهذه التصرفات ؟ أنا لا أطمئن الا اذا تقدم لنا الحاكم العسكرى وأوضح لنا أسباب اعتقال كل معتقل .

ووقف الأستاذ عبد العزيز الصوفانى فقال ان هذه المسألة يجب ان تهم الحكومة كما تهم النواب ، وقد أدلى رئيس الحكومة ببيان أظهر فيه انه لم يلجأ الى هذا الاعتقالات الا بعد اقتناعه بأسباب تبررها وقد كنت على تمام الاستعداد لأن أوافقه على ما قاله لو كانت الاعتقالات كلها من عمله هو أو من اناس نثق بهم مثل ما نثق به .

وروى حادثة اعتقال سياسى وقعت له وهو شاب وقال انه يذكر ان أحدا من الذين اعتقلوا معه لم يكن اعتقاله لسبب حقيقى عادل يبرر اعتقاله وانما كان لسبب وشايات ، وذكر انه يسوق هذه الحوادث لتتخذ الحكومة عبرة من الماضى ٠

ثم قال : لا يصح مطلقا أن نؤاخذ شخصا أو نعتقله لأنه يعتنق مذهبا سياسيا أو له رأى سياسى خاص ، ولا يمكن ان تتخذ الحكومة من ذلك سلاحا تقتل به الفكر والحرية الشخصية ٠

رئيس الوزراء : أسف اذ أرانى مضطرا للتغيب مرة أخرى عن الجلسة ٠

ويقول الأستاذ عبد الحميد عبد الحق ، زعيم المعارضـــة الوفدية فى مجلس النواب :

« لا نزاع مطلقا فى أن أهم أحكام الدستور هى صيانة الحريات ولا شك عندى أن حضراتكم اذ أثبتم اعتداء على الحرية ومن ثم اعتداء على الدســتور لا تسمحون بذلك ٠

لا أريد ان أتكلم عن أشخاص معينين وانما أريد ان أتكلم عن المبدأ العام ، أريد أن أتكلم عن السلطة التى يريد ان يدعيها الحاكم العسكرى لنفسه فيقبض على شخص بدون تحقيق ويضعه فى الاعتقال ٠

هل يمكن فى أمة متمدينة كالأمة المصرية يكفل الدستور فيها للشخص كافة الحريات ولا يستطيع فيها وكيل النيابة ان يقبض على شخص أكثر من أربعة أيام ، ولا القاضى أكثر من ١٤ يوما ، ولا يجوز القبض فى جميع الأحوال بدون محاكمة ٠ هل يمكن فى أمة فيها مثل هذا النظام ، ان يقبض على الناس دون تحقيق ، ويساقوا الى الاعتقال ــ ويبقوا بدون محاكمة ما شاءت الاهواء والأغراض ؟ !

ان حرية الفرد هى كل شىء ، والغاية من هذا النظام من دستور وقانون هى صيانة الحرية ، ولا يمكن ان تتخذ المصلحة العامة (هذا المعنى المطاط) ذريعة لاهدار الحرية الشخصية ولتضييع جميع الضمانات الدستورية فيؤخذ الشخص من الدار الى النار ٠

هذا مستحيل ، هذا لا يقبله عقل ، ولا يسعفه منطق ٠

ارجعوا حضراتكم الى قانون سنة ١٩٣٩ الذى وافقتم عليه فهل تجدون انه يعطى حقيقة الحاكم العسكرى السلطة ليقبض على الشخص بدعوى المصلحة العامة وبدون تحقيق ؟

وسأبين لكم ان رئيس الوزراء عبث بها وقلب معناها ٠

لقد قيد القانون هذه السلطة وحددها وانه ليس له حق القبض أصلا وبصفة قاطعة ـ اما عن اخواننا المعتقلين بالذات فانى أطالب بايداع دوسيهات قضاياهم فى مكتب المجلس لفحصها لنرى مبلغ الظلم والعسف الذى يقع على هؤلاء الاخوان وعلى عائلاتهم بصفة مؤكدة ٠

والآن أعود لتحديد سلطة الحاكم العسكرى فى ذاتها ، لقد جاء فى المادة السابعة انه يخول للحاكم العسكرى القبض على المتشردين والمشتبه فيهم ووضعهم فى مكان أمين ، ان هذا اللفظ لا يمكن للحاكم العسكرى استغلاله طبقا لرأيه الخاص ، لأن القانون حدد من هم المتشردون والمشتبه فيهم ، فاذا كان الذين قبض عليهم الحاكم العسكرى هم ممن يدخلون ضمن من حددهم القانون فلا اعتراض لنا عليه ، ولكن اذا كانوا من غيرهم فوجب ان نقول له قف عند حدك ، لقد أسأت استعمال سلطتك بشكل لم يسمع عنه فى أى عهد حتى فى العهود المظلمة ؟ حتى فى عهد اعدام الناس بالخازوق كان يباح للمتهم أن يدافع عن نفسه فكيف يستساغ فى مصر وفى القرن العشرين ان يقبض على اناس ويوضعوا فى الاعتقال بدون تحقيق وبدون ان توجه اليهم تهمة معينة ؟

وأذكر انه بعد ان صدر القانون العسكرى أرادت الحكومة ان تستفسر من قلم القضايا عن حدود سلطتها فى القبض فقيل لها ان ذلك مقصور على المتشردين والمشتبه فيهم ، وأما ما خرج عن ذلك فليس فى سلطة الحكومة ولا سلطة أحد أن يقبض على الناس ويسجنهم بدون تهمة ولا تحقيق ٠

وبعد أن شرح عبد الحميد عبد الحق زعيم المعارضة المعنى الذى يرمى اليه القانون من لفظ المتشردين ولفظ المشتبه فيهم ، وقرأ على المجلس نصوص قانون المتشردين والمشتبه فيهم ، قال :

« قبل ان يصدر قانون الأحكام العسكرية صدر قانون المتشردين والمشتبه فيهم وعين صفات هؤلاء وهؤلاء ولا بد ان يعطى المتهم انذاراً بذلك من النيابة أو البوليس وله حق المعارضة ٠

وانى أذكرهم بأن سوء التصرف فى استعمال حق القبض كان السبب فى وقوع أكبر وأفظع الثورات فى العالم ٠

كانت الثورات العظيمة من أثر التصادم بين الاستبداد والحرية ، كانت من أثر التصادم بين المستبدين والشعوب ، من أجل حرية الفرد ومن أجل القبض ظلما وعدوانا دون تحقيق أو محاكمة ـ لقد انتهت دائما بانهزام المستبدين والجبابرة والظالمين ؟

وأذكركم أيضا بأن النظام الذى تريد أن تتبعه الحكومة الآن هو نظام

(الخطاب المقفول) أو بعبارة أخرى نظام القبض على الأشخاص وزجهم فى السجن بدون اتهام وتحقيق ٠

ان هذا العمل الذى يجرى فى مصر الآن هو الذى كان السبب فى الثورة الفرنسية وفى هدم سجن الباستيل ٠

نحن نواب الأمة حراس على الحرية وعلى الدستور وأنا أعتقد ان الحاكم العسكرى أول من يتنحى عن السلطة الجائرة اذا تبين له أن هذه السلطة التى يريد أن يكسبها لنفسه سلطة غير مشروعة ولا عادلة يبغضها الرجل الحر ويمقتها الرجل المتمدين ٠

وللحاكم العسكرى ان يحيل الأمر على لجنة الشئون الدستورية لتبحثه وتقرر ما اذا كان قانون الأحكام العرفية يخول للحاكم العسكرى القبض على الناس والتصرف فيهم طبقا لشهواته وآرائه ٠

ان هؤلاء المعتقلين مصريون لهم الحق فى ان يتمتعوا بحرياتهم كاملة ، وجميع أسباب اعتقالهم لا تبرر الاعتقال مطلقا ٠

ان رؤساء الوزارات غير خالدين ورئيس الوزراء لا يستعمل هذه السلطة بنفسه ، وانما يعطى حق استعمالها لاناس قد لا يصلون الى مرتبة مساعد نيابة ، وقد يسيئون استعمالها الى أبعد حد ٠

اعطوا للمصرى على الأقل حق الدفاع عن اتهامه بأنه خائن لبلاده ٠

ان هذا أمر خطير جدا فتبصروا فيه

انها تهمة خطيرة جدا ٠٠٠ خيانة الوطن ٠٠ يتقزز منها الكل فلا أقل من ان نسمح لمن يتهمهم الحاكم العسكرى بهذه التهمة بأن يدافعوا عن أنفسهم ٠

والأدهى والأمر ان يقبض على شخص بتهمة معينة فيحقق النائب العام معه ويقرر الافراج عنه لعدم ثبوت أى دليل على تهمته فلا يكاد يخرج من عنده حتى تتلقفه أيدى الزبانية من موظفى الداخلية ويزجوا به فى السجن بدون تحقيق وبدون اتهام : على هذا النحو تجرى العدالة اليوم فى مصر ؟

موظف بسيط غير مسئول يلغى تصرفات النائب العام ويضرب بها عرض الحائط » ٠

وقال رئيس الوزراء :

ـ ان اعتقال شخص بعد افراج النائب العام عنه ووضعه فى الاعتقال انما هو لسبب آخر غير السبب الذى كانت النيابة تحقق معه من أجله ٠

وقال الأستاذ عبد الحق :

«ان سلوك الحكومة يأباه كل حر ولا يرضاه الا كل عبد •
لقد كتب أوكلند كليفن كتابا عن مصر فقال :

« ان المصريين الذين لم يبلغوا بعد منتصف العمر قد نشأوا فى عهد رضعوا فيه الخنوع مع ألبان أمهاتهم وانه لا بد من مضى عدة قرون لتكوين رجل حر وإن الرأى المصرى العام لما يصل الى درجة الحساسية التى تحفزه لدفع الوسائل الاستبدادية وإستنكار الفساد المتأصل فى أعماق الادارة المصرية ، والعمل على احترام الحقوق الفردية والحرية الشخصية واحلالها المكانة العليا » •

وأنا أهيب بكم أن تصدروا قرارا حاسما قولوا فيه للمستر أوكلند انك كاذب فى زعمك مخطىء فى تقديرك ــ ان المصريين سيدافعون عن حريتهم ــ وسيذودون عنها ضد كل مستبد وكل غاصب » •

ثم وقف الأستاذ فكرى أباظة فقال انه بعد البحث الذى أدلى به الأستاذ عبد الحق كان يتوقع أن يكون رد رئيس الوزراء على هذا البحث بالذات •

هل الحاكم العسكرى يسير على القانون أم لا يسير على القانون ؟

قد يكون الحاكم العسكرى مخدوعا فيظن خطأ انه ينفذ القانون على وضعه الصحيح •

وقال رئيس الوزراء : رأيى ان مجلس الوزراء حر فيما يفعل •

الأستاذ فكرى أباظة : اذن أستطيع أن أفسر كلام رئيس الوزراء بأنه لا مانع عند الحكومة من احالة الموضوع على لجنة الشئون الدستورية لبحثه • ولذلك أطلب عرض أقتراح بهذا على المجلس » •

الدكتور حنفى أبو العلا ــ اعتقد ان طلب احالة الموضوع على لجنة الشئون الدستورية لا داعى له مطلقا لأن الأستاذ عبد الحق أوضح المسألة بجلاء وبحثها بحثا قانونيا لا يحتاج الى مزيد من التفسير • ولذلك أرى ان يفصل المجلس فيما يتعلق بحق الحاكم العسكرى فى هذه الجلسة • « أنا أؤيد ما قاله زميلى الأستاذ عبد الحق أن مثل هذه الأعمال كانت السبب المباشر لثورة فرنسا وهدم سجن الباستيل • ولا يمكن أن يقال ان المعتقلين ينعمون فى سجنهم » •

وقال الشيخ عبد اللطيف دراز أنه وان لم يكن من رجال القانون فهو يرى ان الأستاذ عبد الحميد عبد الحق عرض الموضوع من وجهته التشريعية عرضا واضحا بحيث يمكن للمجلس أن يبت فى الموضوع الآن بدون احالته على لجنة الشئون الدستورية •

وأشار بعد ذلك الى ما كان من تصريح دولة رئيس الوزراء فى احدى الجلسات من ان التحقيق فى قضية عزيز المصرى أسفر عن اتهامات خطيرة وذلك

لمناسبة تفتيش منازل بعض النواب وقال ان الأيام دلت بعد ذلك على ما ينقض تصريح دولته وانه ليس هناك اتهامات خطيرة ولا أمور خطيرة •

وقال انه ألقى القبض على اثنين من الموظفين لوشاية من موظف صغير فى الدرجة التاسعة •

ونوه بأن الأستاذ عبد الرحمن البيلى اعتقل فى عهد السلطات البريطانية سنة ١٩٢٠ لأسباب سياسية ومع ذلك سمحت له هذه السلطات بالتقدم لامتحان الليسانس وهو فى الاعتقال ، بينما ونحن فى عهد الاستقلال والسلطة القائمة مصرية لم يسمح لطالب ازهرى معتقل بالتقدم الى الامتحان » •

وتكلم وزير المالية فقال : ان الروح التى نفذت بها الأحكام الآن مصرية وان هذه الأحكام ينفذها الآن مصريون •

وقال ان لب الأحكام العرفية هو تقييد الحريات واخراجها من ضمان الأحكام القضائية المعتادة •

ثم أخذ معاليه يشرح النقط القانونية المتعلقة بقانون الأحكام العرفية وسلطة الحاكم العسكرى فى الاعتقال شرحا فقهيا مستفيضا فكان مما قاله : ان سلطة الأحكام العرفية هى خروج على جميع القوانين المعتادة وان الأحكام العرفية تخول للمحاكم العسكرية سلطة الاعتقال بدون حدود قانونية •

وقد وجه زعيم المعارضة الأستاذ عبد الحق الى وزير المالية أثناء شرحه عدة أسئلة نذكر منها قوله :

ـ تقول ان الفقرة الأخيرة من قانون الأحكام العرفية تعطى الحاكم العسكرى سلطة مطلقة فهل يجيز القانون فى نظرك للحاكم العسكرى ان يأمر بضرب الناس بالرصاص أو يشنقهم دون محاكمة !

ثم سأله ثانيا : هل صدرت فتوى من قلم القضايا بأنه ليس للحاكم العسكرى ان يقبض الا على المتشردين والمشتبه فيهم فلم يجب •

ثم وقف الأستاذ توفيق دوس باشا فقال يخيل لمن يسمع دفاع وزير المالية ان قانون الأحكام العرفية يعطى سلطة ديكتاتورية لمن يتولى الحكم فى مصر فى ظل هذا القانون ، والواقع غير هذا ، لأن سلطة الأحكام العرفية هى سلطة ينظمها القانون كما ينظم السلطات المختلفة فى وقت السلم • واذا كان القبض على المتشردين والمشتبه فيهم قد حدد بنص ، فهل يعقل أن يقبض على سائر الناس جزافا بدون حدود بنص القانون • وشبه حالة الاعتقالات القائمة فى مصر الآن بحالة الاعتقالات فى المانيا •

وختم توفيق دوس باشا كلامه بطلب احالة الموضوع على لجنة الشئون الدستورية لاستيفاء بحثه اذا لم تكن الحكومة قد اقتنعت بالبحوث التى دارت بشأنه » .

وتكلم وزير المالية مرة ثانية فرد على كلام توفيق دوس باشا وختم كلامه بقوله ان سلطة الأحكام العسكرية عمل من الأعمال التى تقع على مسئولية الوزارة وان هذا الاستجواب ليس فيه انكار لهذه السلطة ، ولكن المراد منه هو مناقشة طريقة تنفيذها .

وتكلم وزير الأشغال فقال : انه سمع من الأستاذ عبد الحميد عبد الحق كلاما تحرص عليه هذه الحكومة كل الحرص لأنه متعلق بالحرص على الحرية ، ولأنه ليس من حق أحد فى هذا البلد ان يطارد أحدا بدعوى الحرص على المصلحة العامة ، ولكن يجب عرض الحقائق كما هى ، فالمعتقلون يبلغ عددهم ٣٠ أو يزيدون واحدا ، والآراء السياسية لا تجد من الحكومة الحاضرة اضطهادا ، وقارن بين الحال الآن وبين الحال فى أيام الحرب العظمى الماضية من حيث الاعتقال السياسى .

وختم كلامه بقوله ان الحكومة تترك الأمر لتقدير المجلس فاذا شاء أحال الموضوع على لجنة الشئون الدستورية لاستيفاء بحثه » .

وعرض رئيس المجلس اقتراحا للأستاذ عبد الحميد عبد الحق بعرض حدود سلطة الحاكم العسكرى فى القبض على الأفراد على لجنة الشئون الدستورية . فوافق المجلس على الاقتراح .

وتنتهى مناقشة الاستجواب الخاص بالمعتقلين السياسيين فى مجلس النواب وفى نهاية حكم حسين سرى باشا ، لتبدأ المناقشة ، بصورة أخرى ، وبمفهوم جديد فى أوائل حكم مصطفى النحاس باشا .

● وقبل أن ننهى الحديث عن بعض المواقف البرلمانية فى وزارة حسين سرى باشا ، نحب أن نشير الى أن استقالة د. عبد الحميد بدوى باشا وزير المالية ، المفاجئة قد أحدثت دويا هائلا ، فى مجلس النواب لا بسبب أسباب تلك الاستقالة ، وحسب وانما ، لتعيين وزير « مؤقت » للمالية .

وقد بدأت الثورة فى مجلس النواب عندما تلى المرسوم الخاص ، بتعيين رئيس الوزراء وزيرا مؤقتا للمالية وكانت كلمة الأستاذ محمود سليمان غنام هى بداية تلك الثورة اذ قال : لى كلمة صغيرة موجزة تعليقا على هذا المرسوم « فقد فوجئت البلاد فى أيام عطلة عيد الأضحى باستقالة عبد الحميد بدوى باشا وزير المالية السابق وسأرجىء التعليق على هذه الاستقالة بعد أن أبين أن هذا المرسوم الذى من مقتضاه أن تسند وزارة المالية الى دولة رئيس الوزراء

سيجعل دولته بذلك جامعا بين رياسة الوزارة ووزارة الداخلية ووزارة المالية وسلطة الحاكم العسكري وبين رياسة مجالس عليا ولجان هامة .

ثم استطرد فقال : ان تجمع هذه السلطات كلها في يد رجل واحد لا يدل على أن الأمور تسير في طريقها الطبيعي وعلى حسب ما تريد البلاد .

ونحن نشكو مر الشكوى من سياسة الارتجال في الشئون الهامة ونشكو من الاحصاءات غير الصحيحة . وكل هذا ناتج من تجمع السلطات في يد واحدة ، ولذلك لا أستبشر من اسناد وزارة المالية الى دولة رئيس الوزراء فيضطلع بعملها الى جانب أعمال الوزارات والمجالس واللجان والسلطات الأخرى ..

وأعتقد أن مصر لم تكن عقيما في الرجال ، حتى أن رئيس الوزراء لا يجد من يرشح ليكون وزيرا للمالية ، ولا أريد أن أعرض الى ما قيل من أن السبب يرجع الى الخلاف على من تسند اليه هذه الوزارة بين الحزبين اللذين تتألف منها الوزارة الحالية . ولكن الذي يهمنا هو الا تتجمع السلطات كلها في يد واحدة . لأن هذا التجمع هو الدكتاتورية بعينها ..

فمن طبيعة وظيفة رئيس الوزراء الانشغال بأمور عامة متعددة متشعبة وتشرف وزارة الداخلية على شئون الأمن العام وتتصل وزارة المالية بأسس الحكم في البلاد اذ تتصل بكافة شئون الوزارات المختلفة .

ولست أدرى كيف يمكن أن شخصا واحدا يحسن القيام بأعباء هذه الوزارات والسلطات جملة واحدة .

أما من جهة استقالة عبد الحميد بدوى باشا فقد كانت في الواقع مفاجئة للبلاد في عطلة العيد ، وكان على الوزارة أن تنشر أسباب استقالته خصوصا وقد انتشرت في صددها شائعات وأقاويل خطيرة ، ذاعت في طول البلاد وعرضها .

وأكتفى بأن أشير الى هذه الشائعات والأقاويل دون أن أعرض لذكرها . وارى من الواجب أن يقف المجلس على حقيقة هذه الاستقالة وأسبابها .

شرفوا الحياة النيابية مرة واحدة على الأقل وقولوا أن سبب الاستقالة يرجع الى مسألة هامة وخطيرة اختلف الوزير مع زملائه بسببها أو لأنه اختلف مع مجلس النواب بشأن مسألة من المسائل العامة .

وآخر ما أقوله أن من حق البلاد أن تقف على حقائق الأمور وما يجرى وراء الأستار .. » .

وقال الأستاذ أبو سيف راضي : انى آسف أشد الأسف على حرمان البلاد من عمل عبد الحميد بدوى باشا الا اننى لا أستسيغ هذا النوع من الاستقالات

ولا استطيع أن أفهم كيف أن وزراء يخرجون من الوزارة ووزراء يدخلونها ولا تعلم البلاد ، أسباب هذه الاستقالات ، لا أستطيع أن أفهم هذا لأننا فى بلد دستورى والوزراء ، متضامنون فى المسئولية الوزارية ، فاذا أبى أحد الوزراء عملا ، ورأى أن يستقيل من أجله فان الواجب يقضى باستقالة الوزارة معه ، وتأتى وزارة جديدة ربما توضح لنا أسباب الاستقالة ولا أستطيع كذلك أن أتصور قائد سفينة اذا ارتطمت بصخرة ، يعمد ، الى تخفيف حمولتها بالقاء مساعديه فى اليم وهو على ظهرها ٠٠ » ٠

وقال الأستاذ فكرى أباظة : لأول مرة فى تقاليد الحكم ، أسمع عن تعيين وزير بصفة مؤقتة ، ولا أفهم فرقا بين الانتداب للوزارة والتعيين فيها بصفة مؤقتة ، لأن التوقيت يتناقض مع المسئولية ، العامة : فقد نطالب الوزير المؤقت بتنفيذ سياسة دائمة ، فيقال لنا انه لا يستطيع ذلك لأنه وزير مؤقت ٠٠

ويقول توفيق دوس باشا ان هناك سابقة لهذه الحال ويقول رئيس الوزارة : ان الفكرة ليست تقليدا جديدا ، أما من جهة المسئولية الوزارية فان الماثل ، الآن بين يديكم يقرر انها مسئولية ، كاملة وأنا كوزير مالية من الأمس مسئول تماما أمامكم ويسأل الأستاذ محمود سليمان غنام عن أسباب الاستقالة فلا يرد رئيس الوزراء ٠

ويقول الأستاذ حسن الجداوى :

ـ يقول دولة رئيس الوزراء ٠٠ مسئول أمامنا وهذا ما لم يخطر ببالنا أن نسأل عنه ٠ ولكن عندما يصدر مرسوم فينعت وزيرا بأنه وزير مؤقت ، انما ينبىء عن أن هذا التعيين تعيين مؤقت ويؤكد بأن هناك خلافا أو عقبات حالت دون وجود وزير فى وقت عصيب يتطلب سياسة حازمة دائمة ٠

والشعور العام فى البلاد الآن يوحى بعدم الثقة بالوزارة المؤقتة وليس هذا بالوقت المناسب لمثل هذا العمل ٠ ولذلك أعتقد بأن الوزارة قد أساءت الى نفسها بهذه الكلمة التى وضعتها لنفسها فى المرسوم الذى صدر ٠

وتكلم الأستاذ غنام مرة أخرى فقال :

ـ كنت أتوقع من دولة رئيس الوزراء أن يتعطف على المجلس فيرد على ما أثرناه وما سألنا عنه وأسف أن أقول هذا التعبير لأن دولته لم يجد كلمة يقولها سوى أنه مسئول عن أعمال وزارة المالية ، ، ولم يذكر لنا شيئا من أسباب استقالة عبد الحميد بدوى باشا ، وهل هى تتعلق بمصلحة عامة أو أن هناك تحقيقات بشأنها كما يشاع ٠٠

وفى هذا الوقت العصيب يا حضرات النواب يعين وزير مؤقت لوزارة المالية ، وهى تحتاج الى وزير دائم متخصص فى شئون المالية ولكن شاء دولة

رئيس الوزراء أن يقف ليرد فلا يقول شيئا ولا يجد كلمة يرد بها على ما نقول .

وقال الأستاذ على الخشخانى :

ـ المسألة مسألة دستورية بحتة . وهى أن البرلمان يحتوى على عدة أحزاب وكل حزب له رأى يجب أن يمحص ويبحث .. وليس من المعقول أن تترك وزارة المالية شاغرة الى أن يتم الاتفاق على رأى بشأن من يتقلد وزارة المالية .

وهناك مسألة ثانية وهى ان وزارة المالية فى ارتباطاتها بأعمال الوزارات الأخرى تتصل بجلالة الملك بالتوكيلات ، فليس طبيعيا ولا معقولا أن يستطيع وزير المالية بالنيابة أن يباشر عمله بالتوكيلات بطريق الانتداب ولذلك كان لا بد من أن يصدر مرسوم بتعيين وزير للمالية بصفة مؤقتة ريثما يقع الاختيار على الوزير الذى يعين لهذه الوزارة بصفة دائمة .. » .

ويقول رئيس الوزراء :

أظن أن المجلس متفق معى على المسئولية الوزارية عن أعمال الوزارة التى هى دائما موضع مناقشتكم وموضع طرح الثقة . وأى عمل تقوم به الوزارة من تعديل أو غيره يؤدى الى طرح الثقة اذا شئتم . وأنا أشكر الأستاذ غنام لأنه تحدث عن الأعمال الكثيرة الملقاة على عاتقى واشفاقه على وعلى صحتى من كثرة هذه الأعمال وجسامتها ، ولكنى من الناس الذين يعتمدون على الله فى القيام بواجبى نحو البلاد الى آخر رمق من حياتى .. » .

ويقول الأستاذ فكرى أباظة :

ان هذا التقليد الجديد غريب وشاذ . وقد قال دوس باشا ان هذا حدث مرة قبل الآن . ويقال انه حدث فى عهد وزارة زيور باشا الأول التى فض فيها البرلمان بعد تأليف الوزارة بساعتين . وما نظن أن هذه سابقة يعتد بها ..

ونحن اذا تقدمنا برأينا الى رئيس الوزراء فاننا نريد أن نقول له اننا لم نسمع بتعيين وزراء مؤقتين . والتقاليد فى النظام الناشىء ضرورية ، ولكن زميلى الأستاذ على الخشخانى كشف عن العلة الحزبية ، أما العلة الدستورية فلم نسمع شيئا عنها ..

سمعنا منه مع الأسف الشديد ان الحزبين الكبيرين فى المجلس لم يتفقا على تعيين وزير المالية . وما كنت لا توقع ان يقع خلاف على ذلك فى هذا الظرف العصيب الذى تجتازه البلاد . وما كنت أود أن يقال فى مجلس النواب ان الحزبين الكبيرين فيه مختلفان على تعيين وزير المالية وان يمتد هذا الخلاف حتى

تضطر الحكومة الى أن تشير على جلالة الملك بتعيين وزير مؤقت لوزارة المالية وقامت ضجة قال الأستاذ فكرى أباظة بعد أن هدأت :

ـ هذا كلام وجيه أعرف أنه يصيب صميم أفئدتكم •

ان الخلاف على المناصب والأشخاص فى هذا الظرف العصيب أمر خطير تتحملون أنتم وزره وخطره ، ولست أدرى كيف أن خلافكم على الاسم الكريم الذى لصاحبه تسند وزارة المالية يجرنا الى هذا الحال ! •

ان هذه سابقة أشد خطورة مما تصورون •

أثبتوا فى المضبطة أن المعارضة حين تعترض على هذا التقليد تقول انه كان من الممكن أن يعين وزير من الخارج لوزارة المالية بصفة دائمة ما دامت الأحزاب مختلفة على من تسند اليه هذه الوزارة منهم •

هذه حال لا تسر أحدا••

هذه ادارة غير حسنة ، ونحن هنا لا نؤيد الا الادارة الحسنة ، وواجبنا يقتضينا ان نتعقب الادارة السيئة ولا نؤيدها •• » •

ويقول رئيس الوزراء ـ أخشى أن تكون المسألة قد طالت فى هـــذا الموضوع ، وأخشى أن يكون الخيال قـد لعب لعبـة واسعة وذكر خلافا على مناصب ، ولكنى أقرر اننى شخصيا لم أبدأ بعد استشاراتى فى هذا الموضوع ، فليس بمعقول أن يكون هناك خلاف قبل أن يبدأ رئيس الحكومة استشاراته وما زلت أقرر أن مسئولية الوزارة أمام حضراتكم وأرجو أن نتفق الآن على أن ما قيل فى هذا الموضوع فيه الكفاية ، فلدينا أعمال أخرى هامة » ••

وتحـدث الأستاذ سعد اللبـان فقال أن رئيس الوزارة حر فى اختيار معاونيه ، له أن يختارهم من أى طائفة •ومن أى حزب بالكيفية التى يضمن بها تأييدهذا المجلس • أن لكل زميل من زملائه أن يتـابع السير معه فى الطريق الذى يختاره دولته ، ولكل منهم كذلك ان يختار الساعة التى يتخلى فيها عن الطريق • ومضى الأستاذ اللبان فقال ان المسألة ليست هذه • ولكن المسألة فى كثرة التعديلات الأصلية والفرعية ، وما ينتج عن ذلك من آثار تتعلق بالمصلحة العامة وهنا أتى على مختلف الأشكال التى تألفت بها وزارة سرى باشا وقال ان هــذه التعديـلات المتوالية مظهر لحقيقة مؤلمة ودليل على ان التضامن الكامل بين رئيس الحكومة ووزرائه غير موجود فى هذه الظروف الحرجة • وان المصلحة العامة لا تجد رعاية كافية ، بل هى فعلا معرضة للخطر •

وبعد ما ندد بتعدد الوزراء على الوزارة الواحدة قال ان هذا المرسوم المهلهل الذى استصدرته الوزارة يدل على أن الأحزاب لم تتفق بعد ، وأن المصـــالح ستظل معلقة الى أن يتم اتفاق هذه الأحزاب •

وعاد الأستاذ حسن الجداوى الى الكلام ، فقال ان النص بأن وزير المالية مؤقت ، يدعــو الى الظن بأن غيره من الوزراء غير مؤقتين ٠٠ مع أن الدستور يقضى بأن يكون الوزراء جميعا مؤقتين ٠٠ » ٠

وأعطيت الكلمة لأحمد عبد الغفار باشا فقال : ان المناقشة فى مثل هذا يجب أن تؤدى الى نتيجة ، وانه لا معنى لأن تمتد الجلسة كل هذا الوقت من أجل كلام لا هو طــالع فوق ، ولا هو نازل تحت ٠ وقال اذا كنتم تريدون الاعتراض على شىء فاعترضوا على أعمال الوزارة ٠ ولا يصح انتهاز فرصة تلاوة مرسوم فيقوم واحد ليقول : هناك شائعات ، والثانى يقول : هذا مؤقت ، واعترض أحمد عبد الغفار باشا بأن يقتدى مجلس النواب بمجلس الشيوخ فى التعقيب على المراسيم ، وقال يجب احالة مسألة التعقيب ، على المراسيم الى لجنة الشئون الدستورية ٠

ويغضب عبد الحليم راضى قائلا : نحن نتكلم فى المسائل الهامة ، وما كنا فى احتياج الى هذا الدرس الذى القاه ، علينا أحمد عبد الغفار باشا ، فنحن أدرى بواجبنا ٠٠

وبذلك انتهت المناقشة وانتقل المجلس الى جدول الأعمال ٠

وكان ذلك فى ١٩٤٢/١/١٤

وننتقل ، بعد ذلك كله الى الحديث ، عن واحدة ، من أخطر الأزمات التى واجهت وزارة حسين سرى باشا ، ونعنى بها أزمة هروب عزيز المصرى باشا والطيار الأول ـ وقتئــذ بطبيعة الحال ـ حسين ذو الفقار ، والطيــار الأول ، عبد المنعم عبد الرءوف ٠

وذلك فى الساعات الأولى من صباح يوم الجمعة ١٦ مايو ١٩٤١ ٠٠

وقبل الحديث ، عن أزمة هروب عزيز المصرى ، لا بد من أن نتحدث ، عن قصة هروب أخرى سبقت هروب عزيز المصرى ونعنى بها هروب رودلف هيس نائب هتلر ، بل لا بد من الحديث عن قصة هروب أخرى لعزيز المصرى سبق فشلها ٠٠

الباب السابع

الفصـل الأول

وهرب عزيز المصرى باشا رئيس أركان حرب الجيش المصرى السابق ولكن الى أين ؟

● أشرت الى هرب ، عزيز على المصرى باشا ، « والطيار الأول » حسين ذو الفقار ، والطيار الأول عبد المنعم عبد الرءوف بطائرة عسكرية فى الساعات الأولى من صباح يوم الجمعة ١٦ مايو ١٩٤١ ٠

وقلت ، انه قبل ان نتحدث عن قصة الهرب تلك لا بد وأن نتحدث عن قصة هروب أخرى لعزيز المصرى باشا ، وقصة هروب أخرى أيضا سبقت قصة هروب عزيز المصرى ورفيقيه بأيام قلائل ونعنى بها هروب رودلف هيس نائب هتلر ، من المانيا ، الى انجلترا ٠

وقبل أن نتحدث ، عن كل تلك القصص ــ قصص الهروب ــ لا بد وان نشير الى حقيقة تاريخية هامة يعرفها جيدا ، أولئك الذين عاصروا الحرب العالمية الثانية من المصريين ، وكيف كانت مشاعر المصريين ، فى الغالب ــ الا فيما ندر ــ ضد الانجليز الذين كانوا قد احتلوا مصر فى ١٤ سبتمبر ١٨٨٢ ، وأذاقوا شعبها ، أعنف وأعتى صنوف الذل والهوان والاستغلال . والاستعمار ، والذين نكثوا بأكثر من مائة وعد ، للمصريين ، بالجلاء عن مصر ٠

ولم يكن أحد ينتظر أبـدا من شعب مصر ، المحتل بقوات بريطانية ، ولأكثر من سبع وستين سنة أن يقف فى تلك الحرب الى جانب الذين يحتلون بلاده ، كما أن أحـدا ، لم يكن ينتظر من شعب مصر ، أن يعـادى الشعب الألمانى ، الصديق ، الذى يرتبط واياه بروابط ود ، ومحبة ، دامت أكثر من مائة سنة بدعوى ان الالمان ، يمكن أن يحتلوا مصر ، اذا ما انتصروا فى الحرب !

والذين عاصروا سنوات الحرب العالمية الثانية ، يذكرون جيدا كيف كانت أنباء انتصارات المانيا على بريطانيا تسعد شعب مصر ، وكيف كانت

أنباء انتصارات بريطانيا ، على ألمانيا ، تشقى شعب مصر ، فلم تكن القضية بالنسبة للشعب المصرى ، وقتئذ ، قضية انتصار الحرية ، على النازية ، فماذا يجدى ، انتصار الحرية ، فى بريطانيا اذا كانت بريطانيا تضن ، بالحرية على مصر بل وتحارب الحرية فى مصر !!

كما أن محاولات الساسة المصريين الكثيرة ، والمتعددة ، لدفع بريطانيا الى الوعد ، بالجلاء التام ، عن مصر والسودان ، عندما تنتصر بريطانيا فى هذه الحرب ، كل تلك المحاولات قد باءت بالفشل ، الذريع ٠

كما ان الخشية من وقوع مصر تحت نير الاستعمار ، الألمانى ، أو الايطالى ، لم تكن واردة فى أذهان الكثيرين ، من المصريين الذين كانوا لا يرون ، مصادقة ، احتلال قائم ، للتخلص من احتلال محتمل !

وقد كان نجاح سياسة تجنيب مصر ، ويلات الحرب ، تلك السياسة التى رفعت لواءها وزارة على ماهر باشا ، منذ أن دخلت بريطانيا ، الحرب ، ضد ألمانيا : كان مرده انها سياسة معبرة عن ارادة الشعب ، بل ان وزارة على ماهر باشا ، وما تلاها من وزارات ، لم تكن لتلجأ الى تلك السياسة فى مواجهة ضغوط ، بريطانية قوية وعنيدة الا لايمانها بأن الشعب يريد فعلا أن يبتعد عن الحرب ، التى لا ناقة له ، فيها ولا جمل ، كما قال الامام الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى وقد ذهبت « مقولته » تلك ، مثلا ، يؤمن به كل المصريين فيما عدا بعض قيادات الحزب السعدى ، ولا نقول كلها ٠ حيث كان الدكتور أحمد ماهر باشا ٠ رئيس ذلك الحزب يرى ان مصلحة مصر فى دخول الحرب ليكون لها بعد انتهاء الحرب ، لصالح الحلفاء ، مقعدها فى الأمم المتحدة ، وليكون لها الحق فى المشاركة فى جنى ثمرات النصر ، عندما يتحقق النصر ٠

وقد كانت بريطانيا تعرف جيدا ان كل زعيم مصرى يقول بدخول مصر الحرب الى جانب الحلفاء ، يفقد شعبيته بل يصبح ، معاديا ، للسياسة الشعبية : سياسة ، تجنيب مصر ، ويلات الحرب ٠

وقد اقتنعت بريطانيا فيما بعد ، بأن ، مصلحتها ، كدولة محاربة ، الا تدخل مصر الحرب الى جانبها ، لأن مصر عندما تكون دولة غير محاربة تستطيع أن تعينها بأكثر وأفضل مما تستطيع ان تعينها به لو كانت قد دخلت الحرب الى جانبها ٠

وقد وجد وقتئذ سياسيون مصريون كثيرون يعارضون بريطانيا ، ويمالئون ، دول المحور ، وكان على رأس هؤلاء ، بطبيعة الحال على ماهر باشا ، بل ان بعض السياسيين الذين عرف ، انهم ممالئون لبريطانيا كما يشهد

تاريخهم كله ، لم يستطيعوا أن يقفوا ، الى جانب بريطانيا بل راحوا يعارضونها ، ويدعون الى عدم دخول مصر ، الحرب الى جانبها ·

وكانت بريطانيا ـ وموقفها يومئذ مهتز ، الى أبعد حدود الاهتزاز ـ ترى ذلك كله فتحاول القضاء عليه باللين ، مرة ، وبالضغط مرة أخرى ·

وعندما نجحت بريطانيا فى اقالة على ماهر باشا ، المؤيد من الشعب والبرلمان ، والسراى ، كان على كل سياسى مصرى ، يفكر فى قبول الحكم أن يعى جيدا قصة رأس الذئب · الطائر ، رأس على ماهر باشا ، ولذلك لم ير السياسيون ، الذين ولوا ، الحكم بعد على ماهر باشا بدا من السير « بحكمة واتزان » فى الخط البريطانى ·

وكلما اهتز موقف بريطانيا ، العسكرى راح رجلها فى مصر ، سير مايلز لامبسون ، يضغط من أجل اعتقال السياسيين المصريين المعادين ، لبريطانيا أو المتهمين بتشيعهم للألمان ، وللايطاليين وقد رفض حسن صبرى باشا ، ومن بعده حسين سرى باشا ـ للأمانة التاريخية ـ اعتقال على ماهر باشا أو صالح حرب باشا ، أو اسماعيل صدقى باشا ، واكتفوا بمراقبة نشاطهم ، الى أن جاءت وزارة مصطفى النحاس باشا ـ وزارة ٤ فبراير ١٩٤٢ ـ فاعتقلت على ماهر باشا فى قصره الأخضر الأمر الذى سنعود اليه فيما بعد بالتفصيل ·

وقد كان فى مقدمة الذين عرف عنهم ، عداوتهم للسياسة البريطانية فى مصر بصفة خاصة وفى الشرق الأوسط بصفة عامة عزيز على المصرى ، وحتى لا أكتم أى شيء ، عن القارىء ، وحرصا منى على الالتزام بالأمانة التاريخية ، أقول ان واحدا من كبار ، المحامين الذين تولوا الدفاع ، عن عزيز على المصرى ، باشا ، قد حاول عندما كنت بصدد اعداد عدد خاص من الصور عن عزيز على المصرى ، حاول تشكيكى فى موقف عزيز باشا ، من الانجليز مؤكدا ان أحد أصدقاء ، بريطانيا فى مصر ، سيف الله يسرى باشا ، كان يساعد ، عزيز على المصرى ، ويؤكد للانجليز انه غير معاد ، لهم ، وكانت وجهة نظر هذا المحامى الصديق لعزيز على المصرى انه ما كان بين عزيز باشا وبين بريطانيا الا الود اما محاولة هربه تلك فلم تكن أكثر من مغازلة لبريطانيا وقد اعتذرت لصاحب هذا الرأى عن عدم امكانية تصديقى لذلك الادعاء لا شكا فيما يقوله وانما لأننى وجدت غالبية أصدقاء عزيز المصرى باشا يؤكدون العكس تماما !

واذا كان لى من رجاء وأنا بصدد ، الكتابة ـ وباستفاضة ـ عن قضية هرب عزيز على المصرى ، ورفيقيه ، وهى القضية التى شغلت الرأى العام ، المصرى منذ مايو ١٩٤١ ، وحتى الأشهر الثلاثة الأولى من عام ١٩٤٢ ، عندما أفرجت وزارة الوفد ، عن عزيز المصرى باشا ، أتوجه بالرجاء ، الى قائد الجناح حسين ذو الفقار وهو ـ أطال الله حياته ـ الشاهد ، العدل ، ان يقول كلمته فى تلك القضية للتاريخ ·

بل اننى أرجو ـ وألح فى الرجاء ـ من كل من وصلت اليه معلومات أو وثائق عن تلك القضية الهامة ، والخطيرة ، ان يوافينى بما لديه لتظهر الحقيقة بصورة كاملة ، أو شبه كاملة .

ولقد سعدت للغاية ، عندما اتصلت بى السيدة الجليلة لطفية الشاهد قرينة اللواء عبد الحميد حافظ باشا رحمه الله ، الذى رأس المجلس العسكرى العالى لمحاكمة عزيز المصرى ، ورفيقيه لتعرض على ما لديها من معلومات جديدة عن قضية محاكمة عزيز المصرى باشا ، والظروف التى أدت الى تأجيل ، تلك القضية الى أجل غير مسمى ، و . و .

اننا لا نريد أبدا الا ان نقول كلمة الحق ، الخالصة ، المخلصة من أجل المشاركة فى كتابة تاريخنا على حقيقته وأستأذن القارىء ، فى أن نكتب عن محاولة سابقة لعزيز المصرى باشا حاول فيها أن يهرب من مصر !

يقول أنور السادات فى كتابه صفحات مجهولة، الذى قدم له جمال عبد الناصر بقوله : انه قدم لنا سلسلة رائعة متصلة من المشاهدات التى مرت تحت بصره ، وسمعه ، فجاء ، كتابه مجموعة لصور حية ، جمعها بريشة رسام ماهر ، وصورتها ، فى صورة واحدة ، أبرزت مجموعة حقائق وأسانيد تتيح لنا دراسة أحوال مصر المعاصرة عن كثب » ، يقول السادات : ان عزيز المصرى باشا ، قد أخبره بأن الالمان اتصلوا به عن طريق بعض أعوانهم وأنهم يرحبون ، بخبرته فى شئون الشرق الأوسط والعرب ، وانهم على أتم استعداد لاختطافه ، ونقله ، الى قيادتهم حتى يستطيع بخبرته ، أن يلعب دورا علميا كبيرا » كما يقول أنور السادات أيضا : كانت الحكومة المصرية ومن خلفها مخابرات الانجليز ، تشك فى نوايا عزيز المصرى وتتوقع منه أن يهرب الى الخارج ومن أجل هذا سحبت منه جواز سفره ، ووضعت عليه رقابة شديدة ، ولم يقابل عزيز المصرى هذا الاجراء ، بالرضى بل توجه الى المسئولين ، وطلب منهم أن يسمحوا له بالسفر الى الخارج ، فعلا فرفضوا هذا الطلب . ومعنى هذا أن كل حركة من حركات عزيز المصرى كانت تسجل ، وتحسب عليه ، وأكثر من هذا أن حكومة مصر ، ومخابرات الانجليز كانتا تتوقعان سفره ، هذا من ناحية ، أما من الناحية الأخرى ، التى جعلت عزيز المصرى يشعر بأنه سيعقد حبس فى قفص من حديد فهى قيام ثورة رشيد عالى الكيلانى فى ذلك الوقت بالعراق » .

ويقول أنور السادات : « ان المراقبة الشديدة ، المفروضة على عزيز على المصرى من الحكومة الانجليزية وثورة رشيد عالى ، التى كان يتوقع أن تطفئها الخيانة ، كانا هما العاملين الرئيسيين ، فى تكييف الموقف عندما عرض الألمان ، عرضهم عليه أن يختطفوه ، ليستفيدوا من خبرته ، فى وضع خططهم ».

« وفكر عزيز المصرى طويلا ، وفكرت معه ، ثم استقر رأينا على وجوب سفره ، وعدم افلات هذه الفرصة وفى اليوم التالى ، عاد عملاء ، الألمان الى عزيز المصرى فبلغهم بالقبول ..

ووضع الألمان خطة الاختطاف ..

طلبوا منا أن نحدد لهم مكانا خارج القاهرة ، يصلح لنزول الطائرات ، وقالوا أنهم بمجرد معرفة هـذا المكان ، سيرسلون طائرة تحمل العلامة الانجليزية ، لتهبط فيه ، ويكون عزيز المصرى فى انتظار ، الطائرة ..

وعلى الفور ، تناولنا الخرائط وأخذنا نحن الاثنين ، ومعنا زميلى : عبد المنعم عبد الرءوف ندرس جميع الأماكن وندرس ، أيضا كل الاحتمالات ..

اخترنا مطار الخطاطبة . ولم يكن مطارا بالمعنى ، المفهوم ، وانما كان مجرد أرض صالحة ، لهبوط طائرة ، وقمنا ثلاثتنا لاستكشافه بعربة عزيز المصرى ، ثم حددنا مكانه على الخريطة بالطريقة الطبوغرافية العسكرية ، وأرسلناه ، الى الألمان ..

وبدأنا نحن ننتظر الموعد ، الذى سيحدده الألمان ، لهبوط طائرتهم « الانجليزية » فى أرض الخطاطبة ولكن دهشتنا ، كانت شديدة عندما جاءنا رد من الألمان يرفضون فيه فكرة « الخطاطبة » ويعينون منطقة « جبل رزة » على طريق الواحات البحرية ، مكانا للقاء ..

وأخذنا ندرس أسباب هذا التغيير ، فوجدنا أن الألمان كانوا على حق وانهم على دراية تامة بصحرائنا ومعرفة حقيقية ، بوسائل الهروب ، من مصر ، ولعل هذه الخبرة قد اكتسبت عن طريق الرحلات التى قام بها كشافوهم ، ورحالوهم قبيل الحرب والتى تاه فى احداها أحد باروناتهم ، فى صحرائنا ، لهذا قبلنا هذا التغيير ، وحددنا يوم السفر ، كنا اذ ذاك فى يوم أربعاء وكان سفر عزيز المصرى قد تحدد له يوم السبت ، التالى ، على الفور ولا أدرى كيف توقعت مخابرات الانجليز . اننا على وشك اتخاذ خطوة خاصة ، فقد صدرت الى فى نفس اليوم ــ يوم الأربعاء ــ أوامر بالنقل الى الصحراء الغربية وانبانى مدير السلاح وهو يصدر الى أمره بوجوب سفرى فى اليوم التالى مباشرة ، يوم الخميس ، ولم يكن لهذا النقل أسباب وانما كان أمرا واجب التنفيذ فحسب ، ووقفت حائرا ، أمام مدير السلاح ، اللواء ، الصاوى وهو يصدر الى أمره ، وكان على أن اختار ، اما أن أسافر فى الموعد المحدد ، واما أن أرفض ، السفر ، ومعنى هذا اعلان عصيانى لأوامر الجيش فى ظروف حرب .

وهى أخطر تهمة يمكن أن توجه الى ضابط بالجيش ..

وخرجت من عند مدير السلاح وتوجهت الى عزيز المصرى لأعرض أمرى عليه ...

ولكنه رفض أن يشير بشىء ، على .. وفوض ، لى الأمر ، كله ، والشىء ، الوحيد الذى اتفقنا عليه ، هو وجوب سفر عزيز المصرى فى الموعد ، الذى تحدد فعلا ، وأن يكون عبد المنعم عبد الرءوف فى صحبته حتى تطير طائرة الألمان .

وقد تركت الأمر ، لهما ، وتوجهت أنا الى المستشفى العسكرى ، وادعيت انى أشعر ، بآلام مترتبة على مرض فى القلب ، أصبت به أثر تصادم كان قد وقع لى ..

ولم يكن صعبا أن أحصل على أجازة ، مرضية من المستشفى العسكرى ، وأن أبطل بذلك ـ ولو مؤقتا ـ أمر النقل الى الصحراء ..

وقضيت يومين فى المستشفى أترقب يوم السبت وأتعجله ..

وجاء يوم السبت ، وزارنى فى نهايته عبد المنعم وكان حزينا يائسا : ان الرحلة لم تتم ولم يستطع عزيز المصرى ان يصل الى « جبل رزة » ولم يكن السبب ، انكشاف أمر هذه الرحلة ولا رقابة البوليس ، ولا أى شىء من كل الأسباب التى تطوف بالذهن لأول وهلة ، ولكنه كان القدر ، فقد خرج عزيز ، وعبد المنعم بسيارة جديدة اشتريت خصيصا لهذا الغرض ، وسارت بهما السيارة شوطا . واذا بها تتوقف عن السير فجأة على مقربة من الهرم ، وقبل ان يدخلا ، بهما طريق ، الواحة البحرية .. الذى كانت الطائرة الألمانية ستهبط اليه .

وكان الاتفاق ، أن تهبط الطائرة عند الغروب ، وان يصعد اليها ، عزيز بمفرده ثم يتصل بنا عن طريق اللاسلكى فور دخوله الى خطوط الألمان ..

وقال لى عبد المنعم انهما لم يتمكنا من اصلاح ، العطب الذى أصاب السيارة ، فتركاها فى مكانها بعد أن قرب الوقت ، المحدد لهبوط الطائرة وعادا ..

وقال لى أيضا ، أن عزيز المصرى فى حالة عصبية شديدة بسبب هذا الحادث ..

ومضى بعد ذلك يومان ، ثم اتصل أحد رجال الألمان بعزيز المصرى وبلغه أن الطائرة قد أتت فى موعدها وأنها حومت ، حول ، المكان ، ولم تجد الاشارة ، المتفق عليها فعادت ..

ثم مرت أيام كثيرة ، دون ، أن يجدد ، الألمان اتصالهم ، بعزيز المصرى »؟!

وأعود الى قصة أخرى من قصص الهروب السياسى ، بل لنقل أشهر قصة هروب سياسى فى العصر الحديث ، والوسيط ، والقديم أيضا ، ونعنى بها قصة هرب رودلف هيس ، نائب هتلر ، والرجل الثانى فى ألمانيا ! هربه من ألمانيا الى بريطانيا فى ١١ مايو ١٩٤١

ويمكننى القول ــ وان كان ليس لدى أدلة قوية ثابتة ــ أن عزيز على المصرى باشا ، قد تأثر فى اسراعه باتخاذ قرار الهرب من مصر ، بنجاح رودلف هيس فى فراره من ألمانيا الى انجلترا ..

وهناك من يرى أن رودلف هيس من مواليد زفتى ــ غربية ــ وأن والده كان من كبار تجار الأقطان هناك ، وفى زفتى شارع يحمل اسم هيس و .. و .

ولكن الثابت بل والمؤكد ــ كما جاء على لسان رودلف هيس شخصيا ــ انه من مواليد الاسكندرية .

وقد بقى والدا هيس فى الاسكندرية حتى بعد أن وصل ابنهما رودلف الى ما وصل اليه من مركز مرموق فى ألمانيا بقيا الى شهر أكتوبر ١٩٣٩ ، حيث غادرا مصر أثر اكتشاف بريطانيا أن أبوى الرجل الثانى فى ألمانيا يقيمان فى الاسكندرية ، وتقديرها أنهما بمثابة صفقة كبيرة يمكن التفاوض حولها .

وقد قيل ان على ماهر باشا ، رئيس الوزراء وقتئذ ، وعبد الرحمن عزام باشا ، وزير الشئون الاجتماعية وقائد الجيش المرابط هما اللذان وضعا خطة لتهريب والد رودلف هيس ووالدته باسمين مستعارين على ظهر باخرة يونانية ، حيث قام عبد الرحمن عزام باشا ، بنفسه بتوصيلهما حتى ظهر الباخرة باعتبارهما من أقاربه ، وقامت أزمة بين وزارة على ماهر باشا والسفارة البريطانية حول تهريب والد رودلف هيس ، ووالدته سرا .

والغريب أن تشرشل وصف فى مذكراته ، يوم ١١ مايو ١٩٤١ بأنه أسود أيام حياته ، ففى هذا اليوم ــ كما يقول تشرشل ــ تعرضت لندن لغارات رهيبة ، دمرت أحياء بكاملها ، بل قتلت الألوف .

وكان تشرشل وقتئذ فى مقره الريفى يشاهد ــ كعادته ــ فيلما كوميديا ، كان اسمه « اخوان ماركس فى أقصى الغرب » ، ودق التليفون فى مكتب مجاور لمكتب تشرشل وقالت سكرتيرة تشرشل لتشرشل : دوق هاميلتون يريد أن يكلمك بنفسه .

وبعث تشرشل بواحد من مستشاريه ليعرف ماذا يريد دوق هاميلتون ، وعاد ليخبر تشرشل بأن لدى الدوق ، نبأ مثيرا للغاية .

وأضيئت الأنوار ، وتوقف عرض الفيلم ، وتحرك تشرشل الى الغرفة التى بها التليفون وسمع تشرشل صوت دوق هاميلتون يقول له بصوت عال :

أن رودلف هيس نزل بالباراشوت بالقرب من منزلى ، أنه جاء يعرض علينا السلام » وكما هى عادة تشرشل فى مثل هذه الحالات سأل محدثه : أمتأكد أنت من أنه هو ؟ قال دوق هاميلتون : شبه متأكد .

ويطلب تشرشل من دوق هاميلتون أن يركب احدى طائراته ويحضر اليه فى الحال .

وعاد تشرشل الى مكانه من جديد حيث استؤنف عرض فيلم « اخوان ماركس فى أقصى الغرب » .

وكتب تشرشل فى مذكراته : وهكذا فى خضم الحرب نزل هيس الذى كان يحل محل الفوهرر ويعمل عضوا بمجلس وزراء الدفاع عن الرايخ وعضو المجلس السرى لألمانيا ، ورئيس الحزب الوطنى الاشتراكى ، فى أملاك دوق هاميلتون وكأن ايدن ساعدى الأيمن فى الشئون الخارجية قد نزل بالباراشوت فى أراضى ألمانيا النازية » .

وقيل عن هيس ، انه مجنون ، ولكن الأطباء الذين كشفوا عليه أكدوا أن عقله سليم مائة فى المائة .

وقيل أن هيس لم يحمل معه عرض السلام على انجلترا وحسب ، بل عرض عليها خطة الهجوم على روسيا بكل وضوح وجلاء ، بغية تخليص العالم — كما قال هيس — من البلشفية .

وكان هيس يعتقد أن بريطانيا سوف تستقبله بحرارة ، وسوف تقبل الصلح ، الذى عرضه عليها ، بل قيل أن هتلر نفسه كان يتمنى من صميم قلبه ، أن ينجح هيس فى مسعاه .

ولكن بريطانيا رفضت عرض هيس ، بل أكثر من هذا دعا تشرشل سفير السوفييت فى لندن ، ايفان مايسكى وقدم اليه البرهان على عزم هتلر على الغدر بروسيا رغم ما بينها وبينه من مواثيق ومعاهدات .

وفوجىء تشرشل بمايسكى يقول له ، وكأنه لم يسمع شيئا جديدا : نحن كنا نعرف جيدا أن هذا سيحدث ولكن لم يخطر فى بالنا ، أنه سيحدث بمثل هذه السرعة » .

ولم يكن هتلر ينوى الهجوم على الاتحاد السوفييتى بسرعة حقا ، لولا أن هيس ساعده الأيمن حمل الى البريطانيين خطته فى الهجوم على روسيا ، ولذلك بادر هتلر بالهجوم على روسيا بعد ستة أسابيع فقط من نزول رودلف هيس بالباراشوت فى أملاك دوق هاميلتون ، أى فى ٢٢ يونيو ١٩٤١ .

وكان أول خبر جاء الى الرقابة على الصحف فى بريطانيا عن حادث هرب رودلف هيس قد وصل الى جريدة اسكتلندية بعثت به فورا الى الرقابة على الصحف لتسمح لها بنشره ، كان الخبر يقول : طائرة نازية من طراز مستر شميت ١١ سقطت قرب جلاسجو وقد وجدت السلطات البريطانية ضابطا ألمانيا نزل بمظلة عن كثب من هذه الطائرة ٠

ولم ينشر الخبر بطبيعة الحال لا فى الصحف الاسكتلندية ، ولا فى غيرها من الصحف ٠

وبدأت معلومات أخرى تصل الى بعض الصحف البريطانية الكبرى :

ظهر أن أنامل « الضيف » الألمانى « ملممة » وأنه يلبس ساعة ذهبية فى يده ، وأن خريطة لاسكتلندا وجدت فى الطائرة وقد أحيط جزء منها بدائرة من المداد ، ظهر أنه مكان ضيعة دوق هاميلتون وأن الأسير طلب مقابلة الدوق »٠

وفى اليوم التالى اجتمعت وزارة الحربية برئاسة تشرشل وتحفظت على الخبر !!

وبعد ثمان وأربعين ساعة من وصول هيس الى بريطانيـا قالت الاذاعه الألمانية أن هيس ضحية أوهام ، وأنه استولى على طائرة ألمانية برغم أوامر هتلر ، وأنه لا بد وأن يكون قد أصيب فى حادثة ٠

وكان البريطانيون يخشون أن يكون الأسير الجديد هو بديل لهيس وليس هو هيس ذاته وقد كانوا يخشون لو أنهم قالوا بوصول هيس ، ولم يكن القادم الجديد هيس شخصيا لوقعوا فى خدعة ألمانية خطيرة ولأصبحت بريطانيا موضع سخرية العالم كله ٠

ولكن عندما أذاعت ألمانيا نبأ اصابة هيس بالأوهام ، أعلنت بريطانيا نبأ وصول هيس نائب هتلر ، ولم تزد فيما اذاعته كلمة واحدة من تلك الكلمات الخمس !

وهيس الذى كان أول فأر هرب من السفينة قبل أن تغرق كما يقولون هو آخر الأحياء من النازيين الكبار ، انه يعيش فى سجن سباندو الرهيب حيث تتقاسم أربع دول كبرى مهمة حراسته ، كل دولة ثلاثة أشهر فى العام ، وتلك الدول هى الولايات المتحدة الأمريكية ، الاتحاد السوفيتى ، بريطانيا ، فرنسا ، والسجن الذى يقيم به هيس بنى على عشرة أفدنة محاط بسور مكهرب يصعق كل من يقترب منه و ٠٠ و ٠ هذا بينما هيس قد بلغ السادسة والثمانين من عمره اذ هو من مواليد ٢٦ ابريل ١٨٩٤ ٠

هيس سلم وصـــيته لزوجته ايلزا وأهم بنود وصيته أن يدفن فى الاسكندرية !

كان هيس قد تلقى تقارير الارصاد الجوية فى ٩ مايو ١٩٤١ ، وقرر أن يترك ألمانيا فى اليوم التالى ١٠ مايو وآثر أن يقضى يوم ٩ مايو مع زوجته ايلزا وابنه فولف الذى لم يكن قد جاوز عامه الرابع ، ولأول مرة منذ ١٤ سنة لم يذهب هيس الى مكتبه بعد أن طلب من سكرتيره الغاء كل مواعيده فى ذلك اليوم .. يوم ٩ مايو وفى صباح يوم ١٠ مايو استقل سيارته من بيته فى ميونخ الى المطار وفى غرفة جانبية ارتدى ملابس الطيران وسلم على كل من كانوا أمامه يدا بيد . كما كان يفعل كل مرة وصعد الى كابينة القيادة ملوحا بيده للجميع ، كان هيس قد ترك رسالة مع بينتس سكرتيره الذى كان وحده يعرف أسرار رحلة هيس الى انجلترا أصيب مدير المطار بقلق لعدم عودة هيس بعد أربع ساعات من بداية الطيران ، خشى مدير المطار أن تكون طائرة هيس قد أصيبت بعطب فكر فى تخصيص طائرة للبحث عن الطـائرة المصـابة .. عبر مدير المطار عن مخاوفه لبيتس ولكن بيتس بكل برود ، هدأ من روعه قائلا : لعل نائب هتلر قد وصل سالما الى مكان آخر ، حاول بيتس أن يتصل بهيس فى الجو قرب جلاسجو ، وكان قد اتفق مع هيس على ذلك ولكنه لم يستطع لانشغال سلاح الطيران الألمانى بالهجوم على لندن .

ومن محطة ميونيخ أخذ بيتس القطار الى برخسجادن وحاول بيتس عن طريق بورمان سكرتير هتلر أن يقابل هتلر ليسلمه الرسالة ، ورغم أن بيتش انتظر فى فيللا هتلر منذ الساعة السابعة والربع صباحا الا أنه لم يستطع مقابلة هتلر الا فى السـاعة الحادية عشرة عندما عاد مجهدا مكدودا يرتدى ملابسه العسكرية .. حاول هتلر أن يقابل أولا الدكتور تود ، وزير شئون الأسلحة والذخائر الذى كان ينتظر بدوره هتلر ، ولكن بيتس أصر على أن الرسالة هامة لا تحتمل التأخير . فض هتلر الرسالة فى شغف كبير ، وهو جالس خلف مكتبه ، وبعد برهة سأل بيتس : أين هو الآن ؟ وقال بيتس : « لقد طار فى السادسة وعشر دقائق بعد ظهر أمس من أجسبورج الى اسكتلندا ليقابل اللورد هاملتون ، وهاج هتلر وهو يقول : يطير فى هذه الظروف وسط آلاف الغارات التى نشنها . هذا تهور .

وبعد أن استدعى هتلر روبنتروب وزير خارجيته عاد الى قراءة السطور الأخيرة من رسالة هيس : واذا فشلت مهمتى فان هذا قدرى ومصيرى الذى اخترته ، وتستطيع فى أى وقت أن تتبرأ منى وتعلن اننى معتوه ، فقد قمت بهذا العمل من أجلك ، ومن أجل ألمانيا ، واذا كانت نتيجته الاساءة لك أو الاضرار بألمانيا فأرجو اعتبارى معتوها ! »

ولأن الطائرة التى كان يستقلها هيس كانت لا تزال سرا ، يجب ألا يسلم للأعداء ، فقد رفض هيس أن ينزل فى مطار قريب من مزرعة هاملتون فى « دونجاهيل هيس » فحلق من جديد ، ونزل بمظلته مؤثرا أن تتحطم طائرته

على ألا يحصل الانجليز على سر الطائرة التى لا تزال فى طى كتمان سلاح الجو الألماني ٠

وفى مذكرات هيس التى ترجمها برشاقة وجمال الأخ الصديق محمد فهمى ، ما يفيد ان طائرة هيس قد تحطمت وانه قد نزل بالباراشوت وان فلاحا بريطانيا اسمه ماكلين كان أول من استقبله ثم قاده بعد أن قال له انه ألمانى يدعى الكابتن هورن يحمل رسالة الى دوق هاملتون ، الى منزله حيث قامت زوجته باعداد قدح من الشاى له لم يستطع أن يشربه ٠

وفى القيادة المركزية استدعى لورد هاملتون لأن هيس أصر على ألا يتحدث الا معه ، ولم يكد هيس ، ينفرد بهاملتون حتى قال له : أنا هيس وهذه صورتى ، وقال هيس أيضا لهاملتون : أنا رسول سلام ٠٠ ان هتلر لا يريد افناء بريطانيا ٠٠ انه يريد وقف الحرب » وحاول لورد هاملتون أن يتحدث مع الكسندر كادوجان الوكيل الدائم لوزارة الخارجية فى الموضوع ، فقيل له انه مشغول للغاية وربما يستطيع أن يلتقى بك بعد أسبوع ، أو عشرة أيام ٠

وعندما قابل لورد هاملتون ونستون تشرشل فى القلعة القديمة التى كان يقضى بها عطلة نهاية الأسبوع فى « ديشيلى بارك » على بعد عدة أميال من بلنهايم مسقط راسه ، روى له قصة مجىء هيس بحذافيرها ووضع تشرشل سيجاره الضخم فى فمه قائلا :

لا بأس أيها اللورد الشاب ٠٠ هيا بنا نرى « الاخوان ماركس » ٠

وبينما بريطانيا مشغولة بالضيف الجديد ٠ القادم اليها من ميونيخ كان هتلر يعد بيانا لاذاعته فى ١٣ مايو ١٩٤١ ، يعلن فيه رسميا أن هيس الذى كان يعانى من المرض منذ سنوات طويلة ، الأمر الذى أدى الى منعه من الطيران قد طار ، ولم يعد حتى الآن ، وان الخطاب الذى تركه الى هتلر قبل اقلاعه يفيد أنه يعانى للأسف من الاختلال ، العقلى ويخشى أن يكون قد وقع فريسة للهلوسة » ٠

ويأمر هتلر بالقبض على جميع مساعدى هيس الذين ، ساعدوه ، دون ، أن يمنعوه من الاقلاع ، أو ابلاغ الفوهرر ٠

وفى مقدمة الذين قبض عليهم ايلزا برول زوجة هيس التى لم يكن هيس قد فاتحها نهائيا فى موضوع هربه الى انجلترا ٠

وربما تكون لنا عودة الى قصة هيس مرة أخرى ٠

وبعد ذلك نعود ــ وعذرا للاطالة ــ الى قصة هرب عزيز على المصرى ٠

يقول محمد أنور السادات : « كان عزيز قد صمم على الذهاب الى خطوط الألمان ، وكانت هذه الفكرة قد اختمرت فى رأسه وأصبحت

مسيطرة ، على تفكيره ، وآماله وكان من الصعب بعد ذلك ، انتزاع هذه الفكرة ، من رأس الرجل ومرت أيام قليلة واذا به يكلف عبد المنعم بأن يبحث له موضوع سفره ، على متن طائرة مصرية ، وبدأ ، عبد المنعم دراسته ، ثم اتصل بقائد الفرقة الجوية ، حسين ذو الفقار ، واتفق معه ، على أن يعد خطة السفر وأن يكون هو الذى يحمل عزيز المصرى ، الى الألمان .

وتحدد موعد السفر فى ليلة كان فيها ذو الفقار ، هو الضابط العظيم بالمطـار .

وحمل ذو الفقار عزيز المصرى ، فى احدى الطائرات ، وطارت الطائرة بهمـا ..

وحملت الصحف المصرية ، الصادرة فى ١٨ مايو ١٩٤١ أنباء تقول : قرار عزيز على المصرى باشا ومعه ضابطان من سلاح الطيران الملكى المصرى : يغادرون القاهرة بعد منتصف ليلة الجمعة ، ويضطرون الى النزول بين قهـا وقليوب : ألف جنيه مصرى مكافأة لمن يرشـد عنهم ، أو عن أحدهم ، مجلس الوزراء يعقد جلسة لتحديد المسئولية عن الحادث »

بعد تلك العناوين التى أريد لها أن تكون غير مثيرة ، وفى الصفحات الداخلية فقط ، لا الصفحات الأولى قالت ، الصحف ، ان الحادث خطير وان المتهمين فيه ثلاثة : عزيز على المصرى باشا رئيس أركان حرب ، الجيش المصرى سابقا ، والطيار أول حسين ذو الفقار ، والطيار أول ، عبد المنعم عبد الرءوف وقالت الصحف ــ نقلا ، عن تحريات البوليس ــ ان سلكا كهربائيا ممتدا بين قها ، وقليوب حال دون اتمام الرحلة الحربية التى كان الثلاثة ينوون ، القيام بها ، وان الثلاثة قد اختفوا ، ولم يستطع أحد أن يرشد عن مكان وجودهم ، وقيل أيضا أن الرحلة أحيطت بكتمان شديد ، وقد عرف أن حسين ذو الفقار أخبر زوجته ، بأنه سيقوم برحلة قصيرة وأنه لا يلبث أن يعود ، فى القريب ، العاجل ، وقيل ان الثلاثة بدأوا رحلتهم قبل الساعة الواحدة من مطار الماظة وأحست نقط المراقبة بوجود طائرة فى الجو فسلطت عليها الأنوار الكاشفة لتتبين اذا كانت معادية أم لا ، ويحتمل أن يكون قائد الطائرة حاول أن يتبع التعليمات ، وان ينزل بطائرته الى الارتفـاع المتفق عليه ليثبت ان طائرته ليست معادية ولكنه أخطأ فى تقدير المسافة .

وقالت مصادر البوليس أن الثلاثة غادروا الطائرة تاركين بها حقائبهم وما بها من أوراق وصور وعمدوا الى الاختفاء ، وقالت ان الحادث لم يكتشف الا فى الصباح المبكر حيث أبلغ الحادث الى نقطة قليوب وعندما أبلغ رئيس الوزارة بالحادث ، وكان يتأهب لصلاة الجمعة أمر بأن يحمل كل ما كان بالطائرة من حقائب وأوراق وصور ، الى القاهرة واجتمع مجلس الوزراء وعرف ما أمكن

الحصول عليه من معلومات وتقرر ان يجتمع مجلس الوزراء مرة أخرى فى اليوم التالى ، ورفض رئيس الوزراء ، أن يدلى للصحافة بأية كلمة عن هذا الموضوع !

وأثناء انعقاد مجلس الوزراء فى اليوم التالى فى المسـاء ، حضر أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكى واجتمع مع رئيس الوزراء ، على انفراد لمدة ٤٥ دقيقة ، وأذاع مجلس الوزراء فى يوم ١٧ مايو ١٩٤١ بلاغا عن الحادث أكد فيه اصطدام الطائرة بسلك كهربائى فسقطت فى حديقة وان الثلاثة الذين كانوا يستقلون تلك الطائرة قد عادوا ، الى القاهرة ، واختبأوا فيها ، والبحث جار عنهم وأكد البيان ، ان الفعل الذى ارتكبه الثلاثة يقع فى باب الجنايات المضرة بأمن الدولة وسلامتها وقد تولى النائب العام بالاشتراك مع السلطات ، المختصة المدنية والعسكرية ، التحقيق ، و . و .

الفصل الثانى

عزيز على المصرى باشا يروى
أسرار هربه عام ١٩٤١

● حزنت ، مصر ، كلها لفشل محــاولة عزيز المصرى باشا ورفيقيه الهرب من مصر ، وكانت ــ حقيقة ــ تتمنى لو أن المحاولة قد نجحت لكى يفلت الأسد ، الهصور من السجن الذى حبس فيه ..

واذا كانت مصر ، قد حزنت لفشل محاولة الهرب فقد بدا عليها الاشفاق الشديد ، على مصير الرجل الذى كانت ، الجماهير المصرية ، وخاصــة قطــاع الشباب منهــا تنظر اليه نظرة حب وتقدير ، واحترام ، وتــرى فى معالجته الامور السياسية ، والعسكرية نموذجا فريدا ، لما يجب ان يكــون عليــه العسكريون ، والسياسيون .

وقد أصيبت الوزارة بصدمة شديدة من جراء محاولة عزيز المصرى باشا ، الهرب ، ويتجلى احساس الوزارة بالضيق والقلق بسبب تلك المحاولة فيمــا يرويه د. محمد حسين هيكل باشا وزير المعارف فى الوزارة القائمة وقتئذ ، وزارة حسين سرى باشــا فى مذكراته ، وذكرياته ، اذ كان الدكتور هيكل يقضى ثلاثة أيام فى مصيف رأس البر ، وفى صباح اليوم ، الذى اعتزم فيه العودة الى القاهرة بلغه الحاجب المرافق له ، انه سمع ، أن عزيز باشا المصرى سافر خفيــة بطائرة حربية ، يريد الذهاب الى الألمــان ، ويقول د. هيكل : لم أصدق الخبر أول ما سمعته ، واتصلت تليفونيــا من رأس البر بمحافظ دمياط استوثق منه واخبرنى الرجل أنه بلغته مثل هذه الانباء ، وانه سيتصل بالقــاهرة للتثبت فلما بلغت دمياط ، لقيته ، فانبأنى ، ان عزيز باشــا ، المصرى وضابطا طيارا استقلا ليلا طائرة عسكرية من القاهرة وقاما يريدان جهة غير معلومة وان الطائرة اصطدمت بأسلاك التليفون عند قليوب فهبطت الى الارض واضطر راكباها ــ كان هذا بالطبع قبل معرفة تفاصيل الحادث

بالضبط ـ لمغادرتها والفرار ـ هربا الى حيث لا يعلم أحد . وان مجلس الوزراء ، ينعقد بعد الظهر من هذا اليوم ، ليتداول فى الحادث وأنه خوطب من القاهرة كيما يتصل بى لاحضر اجتماع مجلس الوزراء .

وعدت ـ د. هيكل ـ مسرعا الى القاهرة وحضرت اجتماع المجلس فألقيت سرى باشا والوزراء جميعا فى حيرة ، ورأيتهم يخشون ان يكون لما حدث نتائج بعيدة الاثر ، فعزيز باشا المصرى هو الذى تولى رياسة أركان حرب الجيش المصرى . فى وزارة على ماهر باشا وكان متهما بميله الواضح للالمان فلما تولت وزارة حسين سرى باشا أعفته من منصبه ، وكان طبيعيا ـ وذلك الرأى فيه ـ ان يراقب مراقبة دقيقة ، فكيف استطاع مع ذلك ان يدبر وسيلة للفرار من غير أن يعلم بهذا التدبير أحد ؟ وأين ترى يكون قد اختفى ؟ وما هى الاجراءات التى يمكن أن تتخذ فى شأن من يروجون الدعايات ، لمصلحة ألمانيا ؟ تداول المجلس فى هذا وفى مثله وانتهى بأن ترك الامر لرئيس الوزارة بوصفه السلطة القائمة على اجراء الأحكام العرفية يتصرف فيه بحكمته وحسن تدبيره .

ازداد سرى باشا بعد هذا الحادث اقتناعا بضرورة تدعيم الوزارة ، لكنه لم يستطع ان يفاتح احدا فى هذا التدعيم ، قبل أن يعثر على عزيز باشا المصرى وأن يتخذ معه اجراء يعيد الطمأنينة الى مقدرته على معالجة شئون الدولة فى الاوقات العصبية المحيطة بالحزم والحكمة ، لهذا وجه كل جهده للبحث عن الفارين ، واعتقالهم :

ولم يكن هذا يسيرا فقد كان ـ د. هيكل ايضا ـ الجمهور ، يحيط عزيز باشا بعطف يتعذر معه الاستعانة بمعلومات هذا الجمهور لاقتفاء آثار الرجلين « ومعرفة المكان الذى اختفيا فيه » ..

وقد رصدت الحكومة مكافأة قدرها الف جنيه ـ هذا فى مايو ١٩٤١ ـ لمن يعاون أو يرشد أو يدلى ببيانات تساعد فى القبض على عزيز المصرى باشا والطيار الاول حسين ذو الفقار صبرى ، والطيار الاول عبد المنعم عبد الرءوف، أو أحدهم كما انذرت الحكومة ، كل من آوى أو أخفى هؤلاء الاشخاص ، الثلاثة أو ساعد على فرارهم . كما امرت الحكومة بنشر صورهم ، تيسيرا ، للتعرف عليهم .

وقد جاء فى المعلومات التى نشرت عن حسين ذو الفقار صبرى فى الصحف أنه من الشبان الذين حصلوا على البكالوريا ، بتفوق والتحق بكلية الهندسة الملكية واستمر فيها وفى السنة الثالثة كان كثير التفكير والرغبة فى التعليم بالخارج فسافر ، أولا الى المانيا وأمضى بها حوالى تسعة أشهر ثم عاد الى مصر ولكنه لم يلبث أن فكر فى مغادرتها الى انجلترا حيث التحق باحدى

الجامعات ، ولكن ولعه بالالعاب الرياضية شغله عن التعليم ثم انتهى به الامر الى السفر الى امريكا ، ولكن حظه فى الرياضة لم يكن بأحسن من حظه فى التعليم فهزم فى بعض المباريات فآثر العودة الى مصر ، مرة أخرى وكان لالحاح عائلته أثره فى ذلك .

وفكر حسين فى الالتحاق بشركة مصر للطيران ، ولكن أهله رأوا الحاقه بالكلية الحربية حتى يحدد مستقبله ، وفى امكانه بعد الانتهاء من الدراسة فى هذه الكلية ان يلتحق بقسم الطيران ، وفعلا التحق بالكلية — فى أول فبراير — وكان أول دفعته والتحق فعلا بسلاح الطيران الملكى ورقى بعد شهرين الى رتبه طيار أول وقد تم زواجه منذ سبعة أشهر فقط !

ومن المعلومات التى نشرتها الصحف أيضا عن حسين ذو الفقار صبرى أنه مولود فى شارع الإنشاء بالسيدة زينب وله من العمر ٢٦ سنة وطوله ١٧١ سنتيمترا : عريض الاكتاف أبيض اللون أسود الشعر ، ولون العينين اسود وحواجبه سوداء ، غزيرة ، مفتوحة ، ومن علاماته المميزة شعر غزير فى يديه وقد سبق له ان كتب بجريدة المصرى مقالات كثيرة فى باب الالعاب الرياضية .

أما عن عبد المنعم عبد الرءوف ، فنقول البيانات التى نشرت عنه فى الصحف أنه من مواليد شارع المناخ بالعباسية البحرية له من العمر ٢٧ سنة طوله ١٦٩ سنتيمترا ، متوسط الجسم ، قمحى اللون ، لون شعره أسود ، عيونه عسلية ، حواجبه « مفروقة » وله شارب أسود ، عريض الفك كان يسكن بشارع قدرى عمارة رأفت شقة رقم ٣٥ بالسيدة زينب دخل الكلية الحربية ، فى شهر أكتوبر ١٩٣٧ وتخرج فى قسم الطيران فى أول فبراير ١٩٣٩ ، وكان مولعا ، بكرة القدم ، ومن ضمن أفراد فريق الكلية وهو نجل الأمير الاى عبد الرءوف رستم بك ، وله أخوين هما الصاغ عبد القادر عبد الرءوف أركان حرب كلية اركان الحرب وعبد الحليم عبد الرءوف أفندى بالمساحة ببنى سويف ..

والمعلومات التى نشرت ، عن عزيز باشا فى الصحف تشير أيضا الى ان اسمه الاصلى عبد العزيز على المصرى ابن الشيخ على المصرى أحد المزارعين فى قرية من قرى القليوبية ، وقد ولد بشارع الصنافيرى خلف ثكنات الحرس الملكى بعابدين واتم دراسته الثانوية فى مدرسة التوفيقية ، وامضى عاما بمدرسة المهندسخانة ثم رحل الى تركيا والتحق بالمدرسة الحربية بالجيش التركى ، ويبلغ من العمر ٦١ سنة ، وطوله ١٦٨ سنتيمترا ، لونه قمحى فاتم وشعره أشيب وطويل مع صلع فى الجزء الأمامى ووجهه مستطيل مدبب الذقن عيونه عسلية ، ومن علاماته المميزة حركة عصبية فى الفم ، وكان يقيم أخيرا فى بنسيون يعرف باسم « بنسيون فيتواز » وقبل ان يقوم بمحاولته الجريئة بأيام

دفع أجرة البنسيون ونفقاته مقدما ، وقابل محاميه وسلمه كافة الأوراق الخاصة بقضاياه وعهد الى صديق له يدعى الدكتور سيد شكرى بادارة شئون املاكه وكان عزيز المصرى باشا قبل ذلك يسكن فى جهة عين شمس ولكنه أجر داره منذ أسبوع لأسرة فرنسية معروفة ..

وقد نفى رئيس الوزراء أن هناك مطالب معينة بسبب حادث عزيز المصرى باشا وذكر أن التحقيق يجرى فى مجراه الطبيعى والبحث مستمر عن الفارين ..

وقد ظل النائب العام ، عبد الرحمن الطوير باشا يباشر التحقيق فى الغرفة التى خصصت للتحقيق بوزارة الدفاع وعرف ان الطائرة التى استقلها عزيز المصرى ورفيقاه من نوع انسن المخصص للاستكشاف وتحمل رقم ٢٠٥ وهى من النوع الكبير الذى يتسع لنحو أربعة أو خمسة اشخاص ، ومجهزة بآلة لاسلكى وقيل أنه كان فى مصر ، عدة طائرات من هذا النوع الذى استخدم فى الفرار : واحدة سقط بها الطيار المرحوم حسن حسان وأخرى أوقعها الطيار المرحوم ، ابراهيم العلايلى أفندى .

وتنشر الصحف فى الايام التالية لوقوع الحادث الكثير من التفصيلات، كما تنشر الكثير عن التحقيق ، ولان الصحافة كانت تحت سيطرة الرقابة فكان كل سطر ينشر يخضع لسلطان الرقابة .

ومن بين ما نشرته الصحف ، وقتئذ ، مما يقع فى باب الطريف من الأخبار ، اذا جاز لى استخدام هذا الوصف : قيل مثلا ان حسين ذو الفقار ـ المصرى ٢٠ مايو ١٩٤١ ـ الذى قاد الطائرة قام برحلات ليلية كثيرة فلم يكن هناك باعث للريبة فى هذه الرحلة الاخيرة ، وكان يقوم فى معظم هذه الرحلات ، بمفرده ومما يجدر ذكره بهذه المناسبة ، ان زملاء الطيار كانوا يلقبونه باسم الطيار المفضل ، وقيل أيضا ان اتجاه البوصلة كان ناحية دمياط ولذا يحتمل ، ان تكون وجهة الطيار بحيرة المنزلة فبورسعيد فسوريا ومما يؤيد هذا الاحتمال ان خريطة عثر عليها فى الطائرة أظهرت ان خط السير هو قليوب ، المنصورة، المنزلة ، بيروت ، وقيل أيضا والعهدة على الرواة بطبيعة الحال ان عزيز المصرى باشا عندما ذهب الى مركز البوليس فى قليوب ، كان مهتاجا عصبيا ، حتى أنه نهر الاومباشى الذى استقبله ، قائلا له : انت حيوان مين اللى عملك ، اومباشى ؛ فين معاون البوليس ؟

وعندما وصل عزيز باشا الى منزل المعاون ، كلف الخفير الخاص بايقاظ حضرة المعاون واطل المعاون من نافذة حجرته يستفهم عن إسم الضيف ، فلما عرف أنه عزيز باشا استأذن فى دقيقة واحدة حتى ينزل ويرحب به فشكره عزيز باشا وطلب منه أن يظل كما هو ، وذكر له أنه ـ أي عزيز باشا ـ كان

مدعوا فى حفلة قران قريبة له ، وتعطلت سيارته فى الطريق ، وأنه استأجر سيارة أخرى لورى لسحبها ، وقد جاءه – أى عزيز باشا – يطلب سيارة لتنقله الى مصر ، مع صديقين ، وكلف المعاون أحد الخفراء باستحضار سيارة أجرة يملكها سائق اسمه أحمد كنكة ، فكانت بطارية السيارة معطلة فلم يجد المعاون بدا من احضار سيارة المركز – التى يقودها الجندى سواح – لتكون تحت أمر الباشا ومن معه ! واستقل الثلاثة السيارة الى ميدان الأوبرا حيث نزل عزيز باشا ومن معه ..

وقد حدث فى مجلس النواب ان طالب النائب محمد شعراوى الحكومة ببيان حول حادث عزيز المصرى باشا فانبرى النائب محمد محمود جلال ليؤكد ان اللائحة الداخلية لا تجيز توجيه مثل هذا البيان الشفهى وقال الأستاذ محمد شعراوى موجها كلامه للأستاذ محمد محمود جلال .. هو أنت مساعد ، رئيس الجلسة ، وقال رئيس الجلسة – راغب عطية بك – كنت حاقول كده ، وعاد الأستاذ محمد شعراوى يقول أن معالى وزير الدفاع غير موجود فأخشى ان يكونوا خطفوه هو الآخر ، وضحك ، المجلس ، ليعلن رئيس الجلسة ، الانتقال الى جدول الاعمال .

ونشرت الصحف أيضا ان عزيز المصرى عندما كان مديرا لمدرسة البوليس والادارة أدخل ضمن برامج التعليم فى المدرسة فن التنكر وكان مهتما بهذا الفن اهتماما كبيرا حتى أنه كان يحتم على الطلبة ان يتعلموا كيف يبدلون هيئتهم ، اربع مرات خلال ساعة واحدة ..

وتبرعت بعض الصحف بكل أسف ، لتسىء ، الى عزيز المصرى باشا ولتتهمه ، بما ليس فيه بطبيعة الحال وأسرفت احدى الصحف فى الاساءة فقالت عنه أنه افاق لا يصلح ، ان يتولى منصبا كبيرا ، وان حسن صبرى باشا عندما كان وزيرا . للدفاع ، وافق على رفع مرتب عزيز باشا رئيسا لأركان حرب الجيش المصرى بشروط أربعة : الا يرتدى الملابس العسكرية مطلقا ولا يكون له ياور ولا يدخل وزارة الحربية لأى عمل كان ، ولا يقابل الوزير مطلقا كان هذا – كما قالت صحيفة المصرى – فى يناير ١٩٣٩ ..

انتقل أحمد عبد الرحمن رئيس مباحث محافظة القاهرة على رأس قوة كبيرة من رجاله الى صحراء الفيوم وراحوا يبحثون وينقبون فى المغارات وغيرها طوال يوم كامل واستدعى قصاصى الأثر لاقتفاء أثار وجدت على مقربة من احدى السيارات كانت ملقاة فى الصحراء وتم تفتيش احدى العزب فى طريق الفيوم ، وقام الاميرالاى سليم زكى بك وكيل حكمدار العاصمة بمهاجمة منزل احدى السيدات ، كما قام بمهاجمة العديد من المنازل فى العاصمة ، وفى الضواحى .

وقام أحد المنومين المغناطيسيين بتجربة من أجل اكتشـــاف هــؤلاء الفارين ..

وتكونت فرقتان من رجال المباحث ، الاولى اطلق عليها « فرقة التنكر » قوامها طلبة عزيز المصرى باشا ، وقت ان كان مديرا لمدرسة البوليس والادارة، الذين يعرفون الكثير عنه ، والأخرى للطواف في أنحاء القاهرة ، بحثا وراء الفارين ٠

ووعد ، رسل باشا ، حكمدار القاهرة بأن من يوفق من ضباط البوليس الى القاء القبض على عزيز المصرى باشا ، أو أحد رفيقيه سيرقى الى رتبة كبيرة علاوة على المكافأة التي اعلن عنها مجلس الوزراء ، وقدرها ألف جنيه ٠

وندب أحد ضباط الجيش برتبة لواء للاشراف على البحث عن الفارين فى صحراء الفيوم ، وكان قد قيل ، ان عزيز باشا ، قد تناول طعام الغداء ، فى مدينة الفيوم قبل هربه بأيام ، واختير العديد من ضباط الجيش لمعاونة هذا اللواء ، كما أوكل الى قوة من سلاح الهجانة وقصاصى الأثر لمعاونته وزملائه فى البحث ، وتم تقسيم صحراء ، الفيوم ، الى مناطق وقسمت قوى الجيش المنوط بها ، البحث عن عزيز المصرى باشا ورفيقيه الى فرق ، وجماعات ..

ولم يشمل التفتيش الكثير من منازل القاهرة ، والجيزة فقط ، بل امتد الى كثير من انحاء الوجه القبلى ..

كل ذلك ، لم يسفر ، ابدا عن شيء ، رغم استمرار بعض الصحف فى التهجم على عزيز المصرى باشا بل وعلى خفير عزبته أيضا ، الذى اكتشف فجأة ان له علاقة بامرأة طلقت من زوجها لسبب ما ، وان هذا الخفير قد راح يتردد على دارها ، وينفق عليها ٠

وقد تم اطلاق النار على خفير عزبة عزيز المصرى فتظاهر بالموت ليتخلص من أطلاق الرصاص عليه و ... و ..

وقد افردت صحيفة ايفننج ستاندرد فضلا عن عزيز المصرى باشا وزيارته لانجلترا مرافقا لولى العهد وقتئذ « فاروق » وقالت بصريح العبارة ، ان عزيز المصرى باشا كان عدوا صريحا علنيا للنظم البريطانية حتى وهو فى بريطانيا ٠

وقد روى الفنيون فى وزارة الدفاع ، الكثير من الاسباب التى أدت الى سقوط الطائرة وكان من بين تلك الاسباب – مثلا – ان الطائرة تسع ١٢٧ جالونا من البنزين يكفيها للطيران عشر ساعات وقد كان خزان الطائرة مملوءا بالبنزين وكذلك كان خزان الزيت ولما أعدت الطائرة للرحلة أديرت المحركات فى الحال ونسى قائد الطائرة وهو حسين ذو الفقار صبرى مفتاح الزيت فبقى مقفلا مما أدى الى وقوف المحركات لعدم وصول الزيت اليها فكان لابد من أن تهبط ؟

وفى ٧ يونيو ١٩٤١ حملت كل الصحف ، المصرية ، وفى صفحاتها الاولى فى هذه المرة نبأ القبض على عزيز المصرى باشا وزميليه بعد ظهر « أمس » فى امبابة بمنزل أحد مدرسى احدى المدارس الفنية ونشرت الصحف على لسان عزيز المصرى باشا أنه قال عقب القبض عليه : لقد كنت أريد مغادرة البلاد ولكنكم منعتمونى من ذلك » ٠

قالت الصحف الصادرة فى ٧ يونيو ١٩٤١ : دلت تحـريات رجـال البوليس على أن الثلاثة المختفين لم يغادروا الجيزة وانهم لابد من أن يكونوا مختبئين فى مكان ما فيها « ولست أدرى لماذا اذن فتشوا مديرية الفيـوم وصحراءها » وقيل ان رجال البوليس السياسى شكوا فى بداية الامر ، فى رجل من الحائزين لدبلوم الصحة والتربية البدنية وقد شوهد وهو يبتاع بعض المأكولات من محل جروبى بميدان سليمان باشا ثم شوهد وهو يبتاع بعض الفاكهة من فكهانى فى الميدان نفسه ، وشوهد وهو يستقل سيارته الخاصة جهة امبابة وقد تركها فى مكان ما وسـار على قدميـه الى منزل قريب وقام اليوزباشى محمد امام افندى باخطار الاميرالاى سليم زكى بك وكيل حكمدار العاصمة ورئيس القسم السياسى ووضعا معا خطة للقبض على الفارين ، ورئى فى البداية عدم مهاجمة المنزل الموضوع تحت المراقبة ليلا لئلا يتمكن من بـه من الفرار ٠٠ »

وتقول الصحف :

ان بعض الضباط صعدوا الى سطح المنزل اياه بعد ان خلعوا احذيتهم الواحد بعد الآخر وكمنوا فى أجزاء مختلفة منه لمراقبة الجهات المحيطة بالدار ، وللاحتياط فى حالة محاولة الثلاثة أو احدهم الهرب من السطح ٠

واقتحم محمد امام أفندى مع بعض جنود المنزل شاهرين مسدساتهم ، فوجدوا عزيز باشا وحسين ذو الفقار صبرى ، وعبد المنعم عبد الرءوف جالسين فى أحدى الحجرات وكانوا على وشك تناول الغداء الذى كان مؤلفا من قرع « كوسة » وأرز ولحم ، كما كانت لديهم — كما قالت الصحف — كمية طيبة من التفاح ، وزجاجتان من الشمبانيا ٠

وما كاد عزيز باشا يشهدهم ، قادمين حتى تقدم نحو الضباط فى حركة عصبية ، وهناك قال اليوزباشى امام أفندى : سعادتك تعرف القانون كويس، وأنا هنا للقبض عليك وعلى زميليك ، فارجو عدم استعمال القوة والا فسأكون مضطرا الى استعمالها والى اطلاق الرصاص ٠٠

وكان الثلاثة قد اتخذوا حيطتهم فوضعوا مسدساتهم قريبة منهم وهى ملانة ومعدة للعمل ولكن اليوزباشى امام أفندى ورجاله كانوا اسرع منهم الى تناولها واحتجازها ٠٠

وبعد أن تمت عمليه التسليم ، اتصل اليوزباشئ امام أفندى بسليم زكى بك تليفونيا وأخطره بأنه قد قبض على الثلاثه ، واتجه سليم زكى بك وأحمد محمود عزمى بك السكرتير العام بوزارة الداخلية الى منزل فيتزباتريك بك فى حى الزمالك ، واتجه الثلاثة الى أمبابة وعند وصولهم الى المنزل تقدم منهم عزيز المصرى باشا وكان لا يزال — كما تقول الصحف — يبدى بعض الحركات العصبية وقال لعزمى بك : انا مكنتش عاوز أقعــد فى بلدكم لكن انتم اللى اتلفتم خطتى » وكما تقول الصــحف — كل الصــحف — وكان عبد المنعم عبد الرءوف مضطربا وان لم ينطق بكلمة واحدة .

واستقل عزيز المصرى سيارة مع فيتزباتريك وركب سليم زكى سيارة أخرى مع عبد المنعم عبد الرءوف ، وحسين ذو الفقار صبرى الى سجن ... ومنعت الرقابة ذكر اسم السجن » .

كانت بداية عملية القبض على عزيز المصرى باشا ، ورفيقيه فى الساعة الثانية بعد الظهر ، ووصل فى حوالى الساعة الخامسة عبد الرحمن الطوير باشا النائب العام الى السجن ، ومنعت الرقابة ايضا ذكر اسم السجن ، وقد لوحظ ان المساحة التى كان مذكورا بها اســم ذلك السجن قد تركت بيضاء ، الامر الذى آكد للقارىء العادى ان الرقابة لم تشأ ان يذكر اسم السجن الذى انتقل اليه المتهمون الثلاثة !

وكان النائب العام يقود سيارته بنفسه وقال لمندوبى الصحف ان التحقيق سيجرى فى السجن !

وقالت الصحف أنه قد عثر مع المتهمين الثلاثة على مبلغ من المال قيــل أنه ١٨ جنيها .

وقالت الصحف أيضا ان شخصا ما قدم شيكا بمبلغ مائة جنيه تصرف الى حامل الشيك . وقد وقع الشيك عزيز المصرى باشا قبل أيام من اكتشاف الحادث ، وقد هرب مقدم الشيك عندما رفض البنك صرف الشيك !

ولدى تأكد رئيس الوزارة من القبض على عزيز المصرى باشا عاد مــن الاسكندرية الى القاهرة رأسا ، حيث اتجه الى حيث يوجد المتهمون الثلاثة ، وكان كل منهم قد احتجز فى غرفة بمفرده ، وكان عزيز المصرى باشا قد خلع حذاءه واستلقى على الفراش ودخل عليه حسين سرى باشا وقال : ســعيدة يا باشا !

فوقف عزيز المصرى وأراد ان يلبس حذاءه ولكن سرى باشا قال له : مفيش لزوم . اتفضل استريح ».

واتجه رئيس الوزراء الى حسين ذو الفقـار صـبرى والى عبد المنعم عبد الرءوف ونظر اليهما دون أن يتحدث اليهما !

وعندما غادر رئيس الوزراء المكان الذى يوجد به المتهمون التلاثة هنـأ ضباط البوليس على توفيقهم فى القبض على الجناة ثم التفت الى فيتزباتريك بك وقال له بالانجليزيه : أنت تعلم الآن مسئوليتك الجسيمة بشأن حراسة المتهمين ولم تذكر الصحف يومئذ شيئا عن صاحب المنزل الذى اختفى فيـه عزيز المصرى باشا ورفيقاه الا أنه يناهز السابعة أو الثامنة والعشرين من العمـر طويل القامة أزرق العينين و.. وأنه يعيش اعزب . وقد قدمه الى عزيز المصرى باشا شابة مصرية من خريجات السوربون ولم تشأ الصحف أن تنشر أيضـا أية تفاصيل عن المنزل الذى وجد به عزيز باشا ، اللهم الا أنه فى الدور الثانى من فيللا صغيرة بيضاء تقع فى أول شارع ... على مقربة من الكيت كات .

ويقيم مع المدرس فى منزله شقيقة الأصغر وهو طالب فى مدرسة .. وقد منعت الرقابة نشر اسم الشارع الذى يوجد به المنزل الذى وجد به عزيز باشا وان كانت لم تمنع نشر انه قريب من ملهى الكيت كات كما منعت الرقابة أيضا نشر اسم صاحب المنزل الذى القى فيه القبض على عزيز المصرى وصاحبيه دون ان تمنع نشر صورتها ، وأحاديث صحفية معها .

واذا كانت الرقابة على الصحف قد منعت نشر اسم المدرس مسـتأجر الفيللا التى كان يقيم بها مختفيا ، عزيز المصرى باشا ، واسم شقيق ذلك المدرس ، فقد أذنت بنشر صورتيهما ولست أدرى السبب فى منع نشر الاسم مع الاذن بنشر الصورة .

وافتح قوسا ، لاقول أنه خلال الفترة بين هرب عزيز المصرى باشا ، ورفيقيه والقبض عليهم احتفل رئيس الوزراء حسين سرى باشا احتفالا لا مثيل له الا فى الحالات النادرة بزفاف كريمته الى الاستاذ محمود يونس . وقـد شارك فى هذا الحفل الملك ، والملكة ، والملكة نازلى والاميرات وأصر الملك ، الذى أهدى العروس اسورة من الماس ، على أن تكون مصاريف تلك الحفلة وغيرها من الحفلات التى أقيمت بتلك المناسبة ، على نفقة جلالته الخاصة زيادة فى « الرضا السامى والعطف الكريم » .

وقد شارك كل زعماء البلاد وقادتها رئيس الوزراء فى فرحته الكبيرة .

واقفل القوس بسرعة حتى لا نخرج عن قصة هرب عزيز المصرى باشا ورفيقيه تلك التى هزته ـ كما قال المصور ـ الدوائر المصرية والبريطانيـة سياسية وعسكرية ومدنية ، كما هزت النوادى والصالونات و .. و ..

وقد روى عزيز المصرى باشا قصة هربه فقال أنه فى ١٥ مايو خـرج من البنسيون الذى يقطنه بسيارته الخصوصية ثم تركها بشارع العباسية

بجوار القبة الفداوية ، وهناك وجد الضابط الطيار ، عبد المنعم عبد الرءوف ينتظره في تاكسي حيث كان على موعد معه في هذا المكان وتم نقل « العفش » الى التاكسي « وسرنا الى مصر الجديدة حيث قابلنا الضابط حسين ذو الفقار ووضعنا العفش في الطائرة وطرنا ، وبعد عشر دقائق تقريبا ظهر في الطائرة نار فاضطر الطيار أن ينزل فسألته عن المكان فقال : أنه يعتقد أنها الخانكة فحطمنا نافذة الطائرة ونزلنا منها لان الباب حدث فيه خلل وأردنا ان نعرف المكان الذى نزلنا فيه فسرنا نحو خمسة كيلو مترات دون أن نقابل أحدا . وفي النهاية وصلنا الى طريق بالمكدام فظننته الطريق بين الخانكة وعين شمس فسرنا فيه الى أن قابلنا اثنين من المارة فسألناهما عن الجهة فقالا لنا : قليوب وهنا طرأت لنا فكرة العودة الى الطائرة لاخذ الحقائب ، غير ان المسافة كانت تحتاج الى ساعة على الاقل فتركنا فكرة العودة وسرنا نحو قليوب للبحث عن سيارة فلم نجد سيارة ما . وخطر لى ان ابحث عن سيارة بواسطة رجال البوليس فذهبت الى المركز وكانوا كلهم نائمين واتجهت الى منزل المعاون وعرفته بنفسى وطلبت منه سيارة توصلنا الى القاهرة ، ووصلنا الى ميدان الاوبرا بسيارة البوليس في الساعة الثالثة صباحا تقريبا ثم صرفت السيارة وركبت تاكسى وصلنا الى الجيزة بجوار الجامعة ثم صرفت السيارة ، في هذه المدة كنت أفكر اين اذهب ؟ ثم استقر رأيى على الذهاب الى منزل عبد القادر أفندى رزق »

ويقول عزيز المصرى باشا ان حسين ذو الفقار صبرى لم يكن يعرف شيئا عن السفر الا قبل السفر ببضعة ايام وانني — عزيز المصرى باشا — لم أره سوى مرة واحدة ، او مرتين ، والذى عرفنى به وأحضره الى منزلى عبد المنعم أفندى أما عبد المنعم افندى فمعرفتى به تعود الى الايام التى تلت خروجى من الخدمة ، فقد كنت أسير ذات يوم في الطريق العام وفوجئت بأن ضابطا يؤدى لى التحية العسكرية فسألته من أنت ؟ فقال لى : انه ضابط في الطيران فكلمته كام كلمة عن وظيفته فوجدته ذكيا ، وذا خلق ودعوته لزيارتى في منزلى بعين شمس ، فزارنى وحضر بعد ذلك مرتين أو ثلاثا .

ومن يوم أن قررت الحكومة الاستغناء عنى اصبحت في حالة عصبية غير طبيعية لأنه كان باقيا لى في الخدمة أكثر من خمس سنوات ، وكان يمكنني أن أقضيها خارج الجيش ، في أية وظيفة . وكنت أشكو للكثير من اخوانى وتمنيت لو أننى غادرت البلاد الى تركيا مثلا لان لى بها أصدقاء عسى ان يكون لذلك تأثير حسن على أعصابى وعسى أن أجد عملا يلهينى عما أنا فيه من الكدر . وفعلا حصلت على جواز سفر ، لم يسمح لى بالمرور من فلسطين ، وحتى في موسم الحج ، أردت أن أسافر الى الحجاز لكى أقيم في الطائف بعد أداء فريضة الحج ، وقد فهمت ان هذا الطلب لن يكون له نصيب من الحظ .

وذات مرة ، قلت لعبد المنعم أفندى اننى كنت أتمنى أن كون طيـــارا وأخرج بهذه الوسيلة من مصر الى بلد محايد ، وفكرت فى الذهاب بالطائرة الى بيروت لأنها فى الواقع بلد محـايد ومن بيروت أستطيع أن أترك الطائرة وأذهب الى تركيا ، أو أظل فى سوريا حيث المسألة العربية دخلت فى مرحلة جديدة وأنا من الذين اشتغلوا فيها منذ البداية ٠

ولد كلامى هذا فى رأس عبد المنعم أفندى فكرة مساعدتى ٠ ولم يظهر لى تلك الفكرة وقتها ٠

وكان فصلى وتفتيش منزلى و ٠٠ و ٠٠ من الأسباب التى دفعت الضابط عبد المنعم أفنـدى أن يتحدث فى هذا الموضـوع مع صديقه حسين ذو الفقـار أفندى وفوجئت ذات يوم بأن عرض على عبد المنعم أفنـدى الطيران الى حيث أشاء ٠

وسررت جـدا ولكن نظـرا لحداثة سنه ومستقبله وحـداثة سن زميله نصحتهما بأن يكفا عن التفكير فى مثل هذا الموضوع حرصا على مستقبلهمـا فأكدا لى أنهما مستعدان حتى اذا فقدت فليفقدا معى » فنصحتهما بأن يجهزا هذا العمل تجهيزا دقيقا » ٠٠

« وللحديث بقية حيث نكمل بقية قصة الهرب كما رواها عزيز المصرى باشا وحيث ننشر للمرة الأولى حقيقة قصة الهرب كما رواها حسين ذو الفقار صبرى »

الفصل الثالث

أخطر محاكمة عسكرية في مصر ، بعد محاكمة أحمد عرابى باشا

حرصنا ، على أن ننشر فى الفصل السابق الجزء الأول من الاعترافات التى أدلى بهـا عزيز على المصرى باشـا ، فى التحقيق ، عقب القاء ، القبض عليه ، وسوف نكمل فى بداية هذا الفصل بقية أقواله ٠

وأحب ، أن أؤكد على حقيقة هامة أؤمن بها ايمانا جازما ، وتكاد تكون حجرا أساسيا ، مهما بالنسبة للعمل الذى أقوم به أو أحاول القيام به وهو القاء بعض الأضواء ـ قد تكون خافتة وقد تكون كافية ـ على بعض الجوانب الهامة من تاريخ مصر فى سنى ما قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، لا أعتبر ، اعترافات المتهمين فى القضايا السياسية ، أو مرافعات المحامى ، عن المتهمين وثائق تاريخية ، فالتحقيق فى بعض القضايا السياسية ، أو المحاكمة ، أو دفاع محاميهم عنهم قد تكون الحقيقة فيه مختلفة تماما عن كل ما قيل أو على ألسنة ، المتهمين ، واما على ألسنة من يتولون الدفاع عنهم ٠

فنحن عندما نكون متهمين فى بعض القضايا السياسية ، قد نقول بعض أقوال نستهدف بها أبعاد رقابنا عن أحبال المشانق ، أو تخفيف الحكم علينا، وكذلك يكون هدف المحامين عنا ، ولذلك لا نرى فى القضـايا السـياسية ـ الا فيما ندر ، وتحقيقا لأهداف وطنية خاصـة ـ الاعترافات التى هى الحقيقة ولا شىء غير الحقيقة ، وفى بعض القضايا السياسية وجد متهمون يكذبون الدفاع عنهم ، ويطلبون من المحكمة ، عدم الاستماع ، الى أقوال هذا الدفاع بل قد وجد متهمون ، يعترفون ، فى التحقيق بأقوال معينة ثم ينكرونهـا أمام المحكمة ويطلبون من قضاتهم عدم الاعتراف بما ورد من أقوال لهم أمام البوليس أو النيابة ٠

حقيقة أخـرى أومن بهـا وهي ضرورة استنطاق كل ما جـاء في أوراق التحقيـق فقد تغير كلمة واحـــدة مجرى القضـية كلهـا وأزعم ـ تحـدثا بنعمة الله تعـالى ـ انني كنت من أوائـل من آمنـوا بتلك الحقيقـة ، ومـن دعـوا ـ وباستماتة ـ الى الأخـذ بها ونحن نحـــاول اعـادة كتابة تاريخنا وكان ذلك ، عندما اعتبرت حادث دنشـــواى انتفاضة شعبية قام بها أبنـاء دنشواى انتقاما ، منضباط وجنـود جيش الاحتـلال البريطاني ، وعنــدما استخرجت حتى من محاضر التحقيق ما يؤيد وجهة نظرى فى أن الحـــادث كان انتفاضة ، وليس رد فعل لحرق الجرن وعندما اعتمدت على كلمه عابرة ، وردت فى التحقيق على لسان المتهم الأول وأيدها الادعاء ، وذلك ، فى العام السابق على حادث دنشواى ، وقيام بعض جنود وضباط جيش الاحتــلال بصيد الحمام ، فى دنشواى وامتهانهم لكرامة المواطنين ، وحقوقهم : قال المتهم الأول : « والله احنا فوتناها المرة دى على خير ، ولكن اذا جاءوا فى السنة القادمة فسوف نوريهـم شغلهم » وقد رأى الادعـاء ان تلك الكلمة دليـلا على سبق الاصرار والترصد واعتبرتها ، أنا دليـلا على توافر نية الثورة ضـــد جنود الاحتلال اذا هم عاودوا صـيد الحمام فى القرية مرة أخـرى ومن رأيى أن تحكيم هذا المنطق ، والأخذ بتلك الحقيقة سـوف ، يحدث انقلابا خطيرا فى تاريخ معظم ـ ولا أقول ـ كل القضايا السياسية الوطنية ، وبعد ذلك الايضاح الهام والضرورى نكمل أقوال عزيز على المصرى باشا فى التحقيق :

يقول عزيز على المصرى : ان من الأسباب التى دفعتنى الى محاولة الهرب من مصر ما كنت أسمعه عن قرب القاء القبض على واعتقالى »

ويسأل المحقق عزيز على المصرى : ألم يكن لك غرض آخر بعد وصولك الى بيروت ؟

ويجيب عزيز : كان بخصوص اجراء صلح فى العراق لصالح الانجليز والعراقيين .

ويسأل المحقق عزيز المصرى : هل كلفك بذلك أحد ؟

يجيب عزيز المصرى : المسألة لم تكن قد وصلت الى درجة التكليف ، ولكنها كانت فى حيز تناول آراء بينى وبين جهة انجليزية لا أريد أن أذكرها الآن !

ويقال لعزيز المصرى : هل كنت تعرف عند من ستنزلون فى بيروت ، اذا وصلتم اليها ؟

ويقول عزيز : كنت قد سمعت أنهم هناك أطلقوا سراح رجال الحـركة الوطنية الذين كانوا معتقلين ، وبما أن أكثرهم أصدقائى ومن السهل العثور

عليهم ، فقد كنت معتزما النزول عند أحد منهم مثل : نبيه بك العظمة ، والأمير عادل أرسلان ، وشكرى بك القوتلى وعائلة بيهم .

ويدور الحوار بين عزيز على المصرى ، وبين المحقق على النحو التالى :

ـ لماذا اخترتم منزل عبد القادر رزق أفندى للاختفاء فيه !

● كنت قد عرفته من قبل فطلب أن يعمل لى تمثالا ، فذهبت الى منزله مرتين أو ثلاثا ، وقد فوجىء بذهابنا اليه ، لما دخلنا عنده وقلت له : احنا مش رايحين نضايقك كثير ، وكان لطيفا معنا !

ـ هل ضبطت معك نقود ؟

● كان معى وقت الضبط ١٤٥٠ جنيها ومقدار من الأوراق الصغيرة أظنها ٥٠ جنيها ومن بين أصول هذا المبلغ ألف جنيه وكسور أخذتها من الحكومة مكافأة عن مدة خدمتى ، ودفعت منها ديونا كثيرة ، كانت على لبعض الأشخاص .

ـ وهل كنتم قد اتصلتم بأية جهة رسمية فى سوريه لنزول الطائرة ؟

● أنا كنت متوقع أنه عند نزولنا سيقبض علينا ويسلموننا للبوليس الحربى الفرنسى ، والجهات المختصة وحتى كان يمكن أن يطلق علينا الرصاص قبل نزولنا ، ولكننا كنا معتمدين على أن الطائرة غير مسلحة وعلى أننا سنعمل اشارات يفهم منها أنه ليس لنا غرض عدائى ، وكنت أعتقد أنه لو قبض علينا يمكن أن أرسل أحدا من المطار فى الحال الى أصدقائى فى سورية ، وهم يسعون فى اطلاق سراحنا !

ـ وما الذى كنتم قد انتويتم عمله فيما يختص بالطائرة ؟

● أنا كنت ناوى اننا لما نوصل أقول للسلطات هناك بأية وسيلة بأنى أنا المسئول عن الحادث ، وأنى أنا خدعت الضابطين وخرجت بهما مع الطائرة ، ولم يقبلا البقاء معى فاعدتهما مع الطائرة ، واذا كان الضابطان لا يطلبان العودة الى مصر ، كنت أبقيهما معى واسلم الطائرة للقنصل المصرى فيتصرف فيها كيفما يرى ؟ » .

ويقول عبد المنعم عبد الرءوف أفندى : قبل سفرنا بحوالى ٢٧ يوما كنت اتنزه على كوبرى قصر النيل حوالى العصر ، وكنت مرتديا ملابس ملكية ، وفجأة قابلت عزيز المصرى باشا ، فحييته فنادانى وسألنى هل آنت ضابط فأجبته بالايجاب، فسألنى عن وجهتى فقلت أتنزه ، فدعانى للسير معه فسرت معه نتحدث فى شئون عادية ، ثم دعانى لزيارته فى منزله بعين شمس : بعد ثلاثة أيام ذهبت

الى منزله فجلسنا فى الحديقة ، وشربنا الشاى ، وانصرفت ٠٠ وزرته بعد ذلك وتناولت معه طعام العشاء ، وذات مرة كنت أزور زميلى حسين ذو الفقار فى المطار ، فاقترحت عليه تنظيم حديقة المطار لتكون مثـل حديقـة عزيز باشا ، فسألنى : هل زرته فأجبته بالايجاب ، فطلب منى أن أعرفه به ، فذهبنا اليه فى الساعة الثامنة مساء ، فلم نجده ، فتركنا له خبرا بأننا سنزوره فى صباح اليوم التالى ، وكان ذلك يوم جمعة ، أى قبل سفرنا بأسبوع ٠

ولما زرناه فى اليوم التالى قدمت اليه زميلى ذو الفقار أفندى ، وتحدثنا فى عدة مواضيع وأثناء ذلك قال عزيز باشا : « ان واحد قائمقام انجليزى ومعه اخر روسى ، حضرا اليه وأخبراه انهما غير مبسوطين من الحركة التى قامت فى العراق، وأنهما يودان لو ان عزيز باشا توسط فى حل هذا الاشكال القائم بين العراق والانجليز ، فأجابهما بان هذا ممكن ، فرد الانجليزى قائلا : ان هذا كلام نظرى، واحنا عاوزين حاجة عملية ، وعرضا عليه توصيله الى العراق بطائرة انجليزية للقيام بدور وسيط ، فقال عزيز باشا أنه لو حصل ان سافر بطائرة انجليزية للقيام بدور الوسيط لظن العراقيون انه قادم من طرف الانجليز ، ولصـعب حينئذ حل الاشكال ٠

ويوجه عزيز باشا الى ، والى زميلى سؤالا عما اذا كان فى امكاننا أن تقوم بتوصيله للعراق على طائرة مصرية ، ويقول زميلى حسين : أنه لا يمكن للطائرة المصريه ، ان تقوم للعراق مباشرة ، ويمكن وصولها الى بيروت مثلا فاقترح عزيز باشا ، ان نفكر فى الموضوع على أن نتقابل فى يوم الاثنين التـالى فى منزلى وتناقشنا فى موضوع السفر ، وانصرفنا على أن نتقابل مرة أخرى فى منزل زميلى ذو الفقار ، لنضع طريقا على الخريطة لسير الطائرة ٠

وفعلا تقابلت مع عزيز باشا بالقرب من سراى البارون امبان بمصر الجديدة ثم قصدنا الى منزل حسين ذو الفقار أفندى ، وهناك أخرج حسين ذو الفقار ، خريطة لشرق البحر الابيض المتوسط ، وأخذنا ندرس خط السير ، واتفقنا على أن نقوم من الماظة ، الى بلطيم ، ثم الى بيروت ومساء يوم السفر ، انتظرت عزيز باشا فى سيارة تاكسى بالقرب من القبة الفداوية بالعباسية ثم ذهبنا بالتاكسى الى منزل ذو الفقار ، ومنه الى المطار وركبنا الطائرة ٠

وفى اثناء ركوبنا وكنا على ارتفاع الف قدم لا حظت ان الانوار الكاشـفة أخذت فى الانارة ولاحظت أن زميلى حسين ، الذى كان يقود الطائرة أخذ يهرب من الانوار الكاشفة بواسطة الذهاب يمينا ويسارا ٠

وفعلا سمعت صوتين متتاليين اعتقدت أنهما من المدافع المضادة لان الصوت كان يشبه القذيفة فقال زميلى بانزعاج : ان الماكينة تحترق ، وطلب منى أن اعطى البراشوت لعزيز باشا ليقفز من الطائرة ، فاعطيته الجزء الاعلى من البراشوت ،

وبينما كنت أبحث عن الجزء الآخر لاحظت أن زميلي أقفل الماكينة تقريبا ، واخذ في الهبوط ، وبدت لى الأرض قريبة ، فتأكدت أنه لا داعى للقفز بالبراشوت ثم اقتربت من زميلي وطلبت اليه ان يهبط معنا ، وقد سهل على ضوء القمـر المأمورية فنزلنا وأخذنا نبحث عن باب الطائرة فلم يفتح بسهولة فخرجنا من نافذة صغيرة ، بعد ان حطمناها وقصدنا بالسيارات الى الجيزة ولما وجدنا انفسنا في الجيزة ، كنت أعرف شقيق الأستاذ شوكت التونى المحامى ، فذهبنا الى منزل الأستاذ شوكت ، وأيقظته من النوم ٠

وكنا عند الفجر تقريبا وذكرت له أن معى عزيز المصرى باشا وأننا حاولنا الطيران الى بيروت ، فأشار علينا بأن نقدم انفسنا الى الجهات الحكومية واصر على هذا الرأى ٠

وجلسنا عنده حوالى عشر دقائق ، ورجوته ان يعطينا سيارته فأيقظ سائق السـيارة وأخرجها الاستاذ بنفسه من الجاراج ، ووصلتنا السـيارة الى كوبرى امبابة ، ثم صرفناها وسرنا الى منزل عبد القادر افندى رزق مباشرة ، وبقينا به الى أن قبض علينا » ٠

وانطلاقا من مبادىء الامانة التاريخية التى التزمنا ونلتزم بها ننقل للقارىء بعض ما قيل عن التحقيق فى حادث هرب عزيز المصرى باشا وان كنا لا نوافق عليه وذلك قبل أن ننتقل من التحقيق الى المحاكمة !

● فى الحقائب الكثيرة التى ضبطت فى حادثة عزيز المصرى باشا ، وجدت قطعة من قماش من الصوف مثلثة الشكل حمراء اللون عليها رسم بلون أسود، وعندما سئل عزيز المصرى باشا عن هذه القطعة من القماش قال أنها شارة عائلة تمت اليه بصلة القرابة ، وتقيم فى القوقاز ، ولما سئل هل هى راية أو علامة تدل على اشارة معينة ؟ صمم على أنها شارة العائلة وقال ان اصل هذه العائلة مـن استمبول ، وهى عائلة عثمان باشا المشير وشقيقه فؤاد واسمها « شاه بلن » ، أى الرأس الاحمر ٠

وبينها ـ العائلة ـ وبين السلطان عبد العزيز علاقة نسب وقد نبتت فكرة الاتصال بهذه العائلة لصلة مصاهرة ، ولما كان فى عزمى أن أزور استمبول فقد رأيت من باب المجاملة أن أحمل شارة العائلة معى لأنها تذكار أهدته الى احدى سيداتهـا !!

● بينما كان التحقيق جاريا فى أمر محاولة عزيز المصرى الهرب من مصر اتصل احدهم تليفونيا بحمدى محبوب باشا وبلغه انه علم من الدكتور سامى كمال وهو صديق المصرى باشا أنه زاره فى منزله بالعباسية وأودع لديه سيارته الخاصة وأنه أشار عليه بتبليغ ـ عزيز باشا ـ الواقعة لسلطة التحقيق ، وعلى أثر هذه المحادثة التليفونية طلب النائب العام الدكتور سـامى كمال لسماع

أقوال ولما سئل عن واقعة السيارة قال : انه فى الساعة الحادية عشرة من صباح الخميس «يوم الحادث» اتصل بى عزيز المصرى باشا تليفونيا وبلغنى أنه سيحضر قبيل منتصف الليل لزيارتى فى منزلى وفى الموعد حضر وبلغنى أنه اعتزم السفر الى الاسكندرية مع جماعة من اخوانه فى سيارتهم ، على ضـوء القمر ، وأنهم سيحضرون الآن لأخذه وقال لى أنه ترك سيارته أمام باب منزلى لأبقيها عندى فى الجراج ، حتى يعودوا من الاسكندرية وسلم لى مفاتيح السيارة وصافحنى ، وانصرف وقد أعطيت المفاتيح بعد ذلك الى سائق سيارة شقيقتى وكلفته أن يودع السيارة الجراج حتى يعود من الاسكندرية غير أننى دهشت عندما اطلعت فى جريدة الأهرام بعد ذلك بيومين ، على خبر محاولة عزيز المصرى باشا الهرب الى الخارج وقدم الدكتور الى المحقق مفاتيح السيارة .

● « وجد المحققون مع الاستاذ عبد القادر رزق ، الذى اختفى بمنزله عزيز المصرى باشا وزميلاه خطابا موجها منه الى الاستاذ فتحى رضوان ، يطلب أن يذهب الى مكتب كوك للسياحة ليتسلم منه ما عساه يكون لديه من بريد وصل لعزيز المصرى بوصف الأستاذ فتحى وكيلا يحمل وثيقة توكيل هذا مع ان عزيز المصرى يعرف ــ بلا ريب ــ أن أى بريد له فى أى مكان ستحرص سلطات الامن على وضع يدها عليه وأن محل كوك الانجليزى وانباء الطائرة وسقوطها ، على كل لسان ، سيرفض تسليم محامى عزيز المصرى البريد الخاص به مهما كانت صفة الوكالة عنه ثابتة رسميا وقانونيا » كما يقول الاستاذ فتحى رضوان : « لم يكن هذا هو التصرف الوحيد ، الغريب من عزيز المصرى باشا فى هذه القضية ، أن وكيل النائب العام الذى حقق فى هذه القضية حدثنى عن محتويات حقائب عزيز المصرى التى وجدت فى الطائرة والتى عجز عن حملها بطبيعة الحال فقد ضمت هذه الحقائب من أدوات التجميـل وغيرها مما أضرب عن ذكـره كأن الفريق عزيز باشا ذاهب الى رحلة استمتاع واستجمام فى الخارج ولولا هذه الحقائب الضخمة لما عرفت السلطات شخص رفيقيه حسين ذو الفقار وعبد المنعم عبد الرءوف ولنجيا فى الغالب من الحبس والمحاكمة » .

واستدرك قائلا : قد لا يكون ما رواه ، وكيل النائب العام للاستاذ فتحى رضوان صحيحا ــ وقد يكون ذلك من قبيل المبالغة فى النيل من عزيز المصرى خاصة وأنه ــ كما سبق أن قلت فى الفصل السابق ــ تعرض لحملة صحفية عنيفه !

وكان من أقسى ما تعرض له عزيز المصرى باشا مقال تحت عنوان « حديث مع عزيز المصرى باشا » نشرته مجلة آخر ساعة المصورة فى ٢٥ مايو ١٩٤١ ، أى بعد وقوع حادث الطائرة ببضعة أيام ، وقبيل القاء القبض عليه باسبوعين ، وقد جاء فى ذلك المقال : « ان عزيز المصرى وافق على أن يكون محمد صالح حرب باشا وزيرا للدفاع فى وزارة على ماهر باشا لأن صالح باشا يحترمه كثيرا وينظر

اليه كما ينظر التلميذ الى أستاذه ، ولأنه لا يفهم كثيرا فى شئون الحرب ، فسوف يعتمد عليه كل الاعتماد » •

وعن على ماهر باشا قال عزيز المصرى ـ والعهدة على الراوى ـ « لقد أكد لى على ماهر باشا عندما ألف وزارته اننى سوف أكرن الكل فى الكل ولكن على ماهر باشا أراد ـ بعد تأليف الوزارة ـ أن يظهر للناس انه الكل فى الكل ، ولذلك فهو يعمـــل على أن يركع غيره أمامه ، لكى ينسلق على ظهورهم وقد منعنى على ماهر من أن اتصل بالانجليز الا عن طريقه وعندما جاء مستر ايدن لزيارة مصر لأول مرة أردت مقابلته ولكن على ماهر باشا منعنى من الاتصال به فقد خشى أن أقابله فيعجب بشخصيتى ويعود الى لندن ويؤلف من الوزراء البريطانيين جبهة تنادى بأنه يجب أن يحكم مصر فى وقت الحرب رجل مثل عزيز المصرى •

وعن العلاقة بين عزيز المصرى باشا والانجليز قال عزيز المصرى أيضا ـ والعهدة على الراوى ـ انهم يتهموننى باننى احب الألمان ، وأنا أحبهم حقا ، فقد سافرت الى برلين فاكرموا وفادتى واعترفوا بعظمتى كقائد من القواد المعدودين وأنا معجب بالجيش الألمانى ، ولكن اعجابى هذا لا يصح أن يكون سببا للخلاف بينى وبين الانجليز • وقد كانت علاقتى بالجنرال كورنوال حسنة جدا ، وكانت علاقتى حسنة كذلك بالجنرال مكريدى حتى انه كثيرا ما كان يزورنى فى دارى مع زوجته ويتناول على مائدتى الطعام بل كان يرسل الى نصف ما يصطاد من الطيور ولكن حدث بعد ذلك ، ان أوقعوا بينى وبينه فكان ما كان من الخلافات والأزمات •

وقد التقيت عند تعيينى فى الجيش بالسير مايلز لامبســـون ، السفير البريطانى فقال لى : لماذا لا نتقابل كثيرا ؟ فقلت له : اننى أسكن فى ضاحية عين شمس ، ويمكنك ان تزورنى فى أى وقت تشاء ولكنه لم يزرنى ، وعندما يبدى كاتب المقال اعجابه بمنزل عزيز باشا ، وبحديقته التى تبلغ مساحتها أربعة أفدنة قال عزيز باشا ـ والعهدة على الراوى أيضا ـ أنا لايهمنى الوجاهة ، ولا الترف لقد عشت سنوات فقيرا معــدما ، كنت لا آكل الا العيش الناشف وكنت لا أجد بطانية واحدة ، تقينى من البرد •

وعن ابنه قال عزيز المصرى ـ والعهدة على الراوى أيضا ـ لقد أرسلته مع قرينتى الى أمريكا وأنا أرســـل اليهما شهريا ، ثلاثة أرباع مرتبى ، وقد أرسلتهما الى هناك لأن جميع أفراد عائلتى فى مصر يكرهوننى ويحقدون على ، ولذلك فقد أرسلت ابنى الى عائلة والدته الأمريكية حيث يجد بينهـا العطف والحب والحنان » •

● قبل هرب عزيز المصرى باشا بأيام ، وكل اثنين من المحامين للعناية بمنزله فى عين شمس وتحصيل ايجاره وايداع الايجار ببعض المصارف وقيل

أيضا انه عثر أثناء تفتيش منزل عبد القادر رزق ، على طائفة من الملابس الخاصة بالمشايخ المرجح أن المتهمين كانوا ينوون ارتداءها للتنكر ، وقيل أيضا ان عزيز المصرى باشا طلب من النيابة ، تحويل المبلغ الذى صادرته النيابة ـ عند اعتقاله ـ وقدره ١٤٥٠ جنيه الى أحد المصارف الكبرى أو تسليمه الى محاميه لكى ينفق منه عليه أثناء مرضه .

● ربمـا كان الاستجواب الوحيد الذى قدمه النائب محمـــود فهمى النقراشى باشا ذلك الخاص بعزيز المصرى باشا والذى أراد به استجواب رئيس الوزراء ـ فى ٢٦ مايو ١٩٤١ ـ عن مسئولية الوزارة فى حادث عزيز المصرى باشا وزميليه .

وأقول ربما كان الاسـتجواب الوحيد لأننى لم أجـد حتى عام ١٩٤١ استجوابا للنقراشى باشا وقد أكون مخطئا فى ذلك وأرجو من البرلمانيين القدامى تصحيح معلوماتى تلك ان كانت غير صحيحة .

فى جلسة ٢٦ مايو ١٩٤١ ناقش مجلس النواب تحديد موعد لمناقشة ذلك الاستجواب ، وطلب ، رئيس مجلس الوزراء حسين سرى باشـا ، ان تكون المناقشة بعد اسبوعين ، وقد حاول النقراشى باشا ان تكون المناقشة بعد بضعة أيام ولكن رئيس الوزراء أصر على ان يعطى مهلة اسبوعين ، فلما سأله النقراشى باشا ان يوضح أسباب طلب التأجيل ، قال رئيس الحكومة سبب طلب التأجيل اننى أستعد لمناقشة الاستجواب والوقت الكافى لذلك اسبوعان .

وفى جلسة ١٠ يوليو ١٩٤١ بدأ محمود فهمى النقراشى باشا الكلام ، بأنه فى أوائل هذا العام ـ عام ١٩٤١ ـ عثرت بعض السلطات عند أحد الأسرى على صورة من خطة حربية تتعلق بمصر ، والى الآن لم يعلم أحد نتيجة التحقيق الذى دار حول هذا الموضــــوع ، وكل ما نعلمه ان منزل عزيز المصرى باشا قد فتش . وقد كشف هذا الحادث ـ كما قال النقراشى باشا ـ عن خلل جسيم فى وزارة الدفاع ، ودل على ان الأعمال فيها تسير على غير الوضع المرضى ، وكان المفروض ان تتنبه الحكومة الى ذلك .

ثم فوجئت البلاد بنبأ فرار عزيز المصرى باشا وضابطين من سلاح الطيران المصرى وقد روعت البلاد لهذا الحادث لأنها حريصة على الا ينتشر الفساد .

ويقاطع الأستاذ محمود سليمان غنام ، محمود فهمى النقراشى طالبا منه ملاحظة القضية المنظورة .

وقال رئيس المجلس : أرجو من النقراشى باشـا عدم التعرض لموضوع القضـية .

واستانف النقراشي باشــا الكلام ، فقال : كان عزيز المصرى باشــا موضع الريبة ٠

ووقف عبد الملك حمزة بك ، واقترح تأجيل الاستجواب بسبب القضية ٠

وقال رئيس المجلس : أنا تكلمت مع النقراشي باشا فى هذا الشأن ووعد انه لن يتعرض للقضية وأيد الأستاذ محمود سليمان غنــام اقتراح عبد الملك حمزة بتأجيل الاستجواب حتى لايؤثر النقاش فى المجلس على القضية ٠

وقال رئيس المجلس : أنا ألفت نظر المستجوب الى ما قاله بعدم التعرض للقضية ٠

وقال النقراشي : كان عزيز المصرى باشا موضع الريبة وفتشت الوزارة منزله وكانت الأقوال التى تنقل عنه تستوجب مراقبته بالرغم من ذلك فقد اتصل عزيز المصرى باشا بضابطين ٠٠ وقاطعه رئيس الوزراء قائلا : الحوادث التى تذكرها محل تحقيق ، فرد النقراشي : اليس لهذا التحقيق من نهاية ؟

وقال رئيس الجلسة : اذن يؤجل الاستجواب وتأجل نظر الاستجواب ٠

وانتهى التحقيق ٠

وفى ٣ ــ ١٠ ــ ١٩٤١ أصدر الفريق ابراهيم عطا الله باشا رئيس أركان حرب الجيش المصرى أمرا بتاليف مجلس عسكرى عال للنظر فى قضية الفريق عزيز المصرى باشا وزميليه ٠

ونص هذا الأمر على ان يؤلف المجلس من حضرات : اللواء عبد الحميد حافظ باشا رئيس الامدادات والتموين رئيسا ، واللواءات على الشريف باشا مدير القرعة العسكرية ، وأحمد ناشد باشا قائد المنطقة الجنوبية ، وشــاكر منصور الروبى باشا مدير سلاح خدمة الجيش ، وأحمد زكى الحكيم باشا مدير مصلحة الحدود والاميرالاى أحمد الصاوى بك مدير ســلاح الاشارة الملكى والأميرالاى محمد حمدى بك قائد لواء الأساس ، أعضاء ٠ واختير الأستاذ حسن طنطاوى النائب بقلم قضايا الحكومة والأميرالاى حسن محمود بك القائد الثانى لسلاح المدفعية للقيام بمهمة نائب الأحكام ، على ان يتولى الأستاذ محمد غالب عطية وكيل النيابة مهمة المدعى العام ٠ وتقرر ان تكون جلسات المجلس العسكرى العالى علنية بقاعة المحاكمات بالكلية الحربية ٠

وأصدر فى نفس اليوم النائب العام عبد الرحمن الطوير باشا قرارا باطلاق سراح الأستاذ عبد القادر زرق أفندى صاحب المنزل الذى كان مختفيا فيه عزيز المصرى باشا ، وقبض عليه فيه ٠

وقد تساءل البعض ، لماذا لم يقدم الفنان عبد القادر رزق الى المحاكمة بعد أن دام اعتقاله خمسة أشهر للتحقيق معه فى شأن اخفائه عزيز المصرى باشا وزميليه الطيارين فى منزله بتهمة الاخفاء ٠

وكان الرد القانونى على ذلك التساؤل انه لم يكن فى القانون المصرى عقوبة لمن يخفى متهما قبل ثبوت الجريمة عليه ، ولما كان عزيز المصرى باشا وزميلاه لم يقدموا للمحاكمة ، ولم يثبت القضاء ادانتهم ولم يحكم عليهم بعقوبة من العقوبات فان اخفاء الأستاذ عبد القادر رزق لهم لايعتبر جريمة يعاقب عليها القانون : القانون يعاقب على اخفاء مجرم بعد ثبوت الجريمة عليه ، أو مساعدته على الهرب ، وقد ظهر من التحقيق الذى أجرى معه انه لا صلة له بالحادث الذى أتاه عزيز المصرى باشا وزميلاه ، ولم يعلم عنه شيئا كما انه تورط فى اخفائهم وقد قدرت النيابة هذا التورط ، وقررت عدم ادانته ، بل لقد تسلم عمله كمدرس فى مدرسة الفنون الجميلة عقب الافراج عنه .

وكانت التهمة الموجهة الى عزيز المصرى باشا اغراءه ضابطين طيارين على الهروب وعلى سرقة طائرة حربية ، وعلى عدم اطاعة الأوامر ، وعلى استعماله الطائرة بطريق الغش و .. و ..

وكانت التهم الموجهة الى حسين ذو الفقار : الهروب من خدمة الملك وانه الذى ساعد بالتحفظ على الطائرة الحربية التى استعملت فى حادث الفرار باعتباره كان ضابطا عظيما ليلة الحادث فى المطار استعملها بغير حق فى مصلحة غير أميرية وسرقة مهمات أميرية « طائرة » وانه أتى فعلا ضارا ضد النظام ، والضبط والربط بأن سهل لعزيز المصرى باشا الدخول فى المطار ومعرفة سر المرور وسهل لشخص خارج الأحكام العسكرية ، وهو الضابط الطيار عبد المنعم عبد الرءوف بالاشتراك فى قيادة طائرة فى الأحوال غير المصرح بها .

وكانت تهم عبد المنعم عبد الرءوف مساعدته للضابط الطيار حسين فى الهروب باشتراكه فى قيادة الطائرة معه واهماله فى اطاعة الأوامر واخلاله بحسن النظام والضبط ، والربط بركوبه طائرة غير تابعة للسرب الذى يقوده ، واهماله فى اطاعة الأوامر بعدم حضوره فى اليوم التالى الذى كان قد عين فيه ضابطا عظيما ، لمطار الماظة و ..

وكان شهود الاثبات ١٨ شاهدا من بينهم شاهد انجليزى قال فى التحقيق: ان عزيز المصرى باشا من أشد أنصار النازية ، وانه قال له قبل حادث فراره ، انه ينوى السفر الى أمريكا !

كانت محاكمة عزيز المصرى باشا أول محاكمة من نوعها فى تاريخ الجيش المصرى فلم يسبق ان حوكم ضابط برتبة فريق على تهمة من هذا القبيل التى اتهم بها المصرى باشا ، كما انه لم يسبق ان حوكم ضابط عظيم فى رتبته أمام مجلس عسكرى عال منذ عرابى باشا حتى منتصف أكتوبر ١٩٤١ وقد جلس عزيز المصرى فى الجلسة الأولى الى يسار محاميه وقد أقسم رئيس المجلس

العسكرى العالى وأعضاؤه أمام نائب الأحكام وفضيلة امام الكلية الحربية الذى وضع أمامهم المصحف الشريف وكان القسم كالتالى :

أقسم بالله العظيم ، بانبيائه الكرام وبكتابه هذا انى فى محاكمتى هذا المتهم أمام هذا المجلس أسلك سبيل العدل والحق بمقتضى البينات وانى اتبع العدالة على مقتضى قانون الأحكام العسكرية المعمول به الآن ، بدون مراعاة الغرض أو الميل أو الهوى وأقسم به سبحانه وتعالى أيضا أنى لا ابوح بحكم هذا المجلس الى ان يصدق عليه قانونا وانى لا أفشى ولا أبوح قط فى أى وقت من الأوقات بأى رأى أو قرار صادر من اى عضو من أعضاء هذا المجلس مهما كان الأسباب مالم تقض على بذلك الواجبات الشرعية والله على ما أقول وكيل ».

والجدير بالذكر انه عندما عرض على عزيز المصرى باشا — قبل الجلسة — اسماء المحامين الذين تطوعوا للدفاع عنه قال : أرجو الا يكلف اخوانى أنفسهم مشقة الدفاع عنى ، فانى وطدت العزم على أن أدافع عن نفسى وأنا رجل درست القانون ودرست النظم العسكرية ، وأستطيع أن أقول كل شيء » فلما قيل له ان العادة جرت على أن يعاون المحامون المتهم مهما كانت صفته سلم بالأمر !

وقبيل الجلسة ، كلما سئل عزيز المصرى باشا عن الحادث كرر ما كان يقول دائما فى التحقيق.. حادث انتهى بالفشل فلا معنى للكلام فيه ، وعندما كان البعض يسأله عما اذا كان قد توقع سقوط الطائرة ، كان يجيب لا ولكن سقوطها دلنى على ان من الخطأ ان يسند رئاسة سلاح الطيران لرئيس غير فنى فلا يمكن الطيارين أن يتدربوا على القيام بالأمور المستعجلة .

ولأنه بدأ هزيل الجسم ، ضعيف البنية سأله حافظ رمضان باشا : هل تشعر بشيء ! فقال بصوت قوى : أنا لا أخشى العدالة ولا تضايقنى المحاكمة فقد مرت بى شدائد كثيرة وأهوال مختلفة أمام المجلس العسكرى العالى فى تركيا فلم يضايقنى ذلك وانما ضايقنى اننى قمت بعمل فأصبت فيه بالفشل.

وعندما جاء البكباشى الدكتور صادق عجرمة ليكشف عليه طبيا لتقرير ما اذا كان قادرا على المحاكمة أم لا كما يقضى بذلك القانون العسكرى أبى عزيز المصرى أن يخلع ملابسه لإجراء الكشف الطبى عليه وقال : أنا صالح للمحاكمة وقادر عليها والمهم سلامة الرأس والفكر ، فان المفكرين وكبار الكتاب والعلماء كانوا فى القرون الوسطى وفيما مضى من الزمان يؤلف بعضهم كتبه ، أو يضع نظريته أو رسالته وهو مصلوب على الجدران ، أو معلق فى الأشجار ومع ذلك لم يقل أحد منهم انهم كانوا غير صالحين للحديث والتفكير وليست المحاكمة تتطلب أكثر من الحديث والتفكير .

وعندما قال له الدكتور عجرمة : ولكن وزنك نقص ١٢ كيلو جراما وهذه علامة خطرة عند الأطباء : قال : نعم نقص جسمى ١٣ كيلو جراما ولم ينقص

ذهني ولا فكري شيئا ، وفي استطاعتي حضـــور الجلسة والاشتراك في كل ما يدور فيها •

وطالب المحامون بالتأجيل ، وأصر عزيز المصري على الفصل في القضية بسرعة وقد حدث عندما دخل عزيز المصري باشا قاعة الجلسة ، ان نظر الى عدد الحاضرين وكان العدد لايشغل أكثر من ثلث المقاعد فهز رأسه قائلا :

أين الأمة المصرية ؟ هل هؤلاء كل البلد ؟

وعارض عزيز المصري باشا الطلب الذي تقدم به الدفاع عنه بخصوص الافراج عنه لأنه لو فرض وأفرجت المحكمة عنه لاعتقله البوليس في اليوم التالي ولأرسله الى معتقل الزيتون مع بقية المعتقلين السياسيين • ثم قال : لا لزوم ، اذن للافراج لأني سأنتقل من اعتقال الى اعتقال •

وفي نهاية الجلسة الأولى تمنى عزيز المصري ان يحضر أصدقاؤه ومعارفه الجلسات ، بل تمنى أن يشهد الجمهور المصري محاكمته ويستمع الى كلامه ، ودفاعه عن نفسه ثم ليحكم فيما بعد ، هل هو سارق أم خائن كما يقولون ، أم انه برىء •

وقد نشرت الصحف أن الخلاف بين اللجنة الادارية للحزب الوطني كان قد امتد الى دائرة الدفاع عن عزيز المصري باشا فلقد كان الأستاذ عبد الرحمن الرافعي من هيئة الدفاع عن عزيز المصري ولكن بيانا أصدره الأستاذ ابراهيم رياض المحامي قال فيه : بينما كان المحامون يتفاهمون في توزيع الدفاع أبدى الأستاذ حافظ رمضان باشا رغبته في الا يجتمع والأستاذ عبد الرحمن الرافعي بك في الدفاع وقد بلغنا الأستاذ فتحي رضوان ان حافظ باشا يؤثر الانسحاب من القضية اذا حضر فيهـــا الأســـتاذ عبد الرحمن الرافعي فلما عرضت ــ ابراهيم رياض ــ الأمر على الأستاذ الرافعي أفضى الى انه يرى لمصلحة القضـــية أن يكون الانسجام تاما بين هيئة الدفاع اذا ظهرت الخلافات السياسية بهذا المظهر فانه يؤثر ان يعتذر عن عدم الحضـــور في القضية راجيـــا للدفاع كل توفيق فيها •

كان هذا بيان الأستاذ ابراهيم رياض ، الذي نشرته الصحف في ٨ ــ ١٠ ــ ١٩٤١ غير ان حافظ رمضان باشا قد نفى ــ في المصور ١٧ أكتوبر ١٩٤١ ــ انه أبدى عدم رغبتـــه في التعاون مع عبد الرحمن الرافعي ، وقال انه طلب مـــن الأستاذ ابراهيم رياض أن يدعو عبد الرحمن بك للحضور معنا للتداول والدرس فأبدى عدم موافقته على الحضور فقلت له ــ للأستاذ رياض ــ مادام هو لايريد أن يحضر معي ، ويتعاون في دراسة القضية ، فانا كذلك لا أريد ان أتعاون معه •

« وللحديث بقية حيث ننشر لأول مرة ما رواه حسين ذو الفقار صبري لكاتب هذه السطور عن كل ما يتعلق بقضية هرب عزيز المصري باشا وزميليه حسين ذو الفقار صبري ، وعبد المنعم عبد الرؤوف •

الفصل الرابع

لأول مرة : الحقيقة فى قصة هروب عزيز المصرى

عندما بدأت الكتابة عن قضية فرار عزيز على المصرى باشا ، وزميليه ، تلك التى شغلت الرأى العام المصرى ، والرأى العام العربى ، بل الرأى العام العالمى توجهت برجاء خاص الى قائد الجناح « السابق » حسين ذو الفقار صبرى باعتباره ــ أطال الله حياته ــ الشاهد العدل فى هذه القضية لأنه من جهة ، رفيق عزيز المصرى باشا ، فى هربه ، ولأنه من جهة أخرى الطيار الذى قاد الطائرة التى استقلها عزيز المصرى باشا من مطار ألماظة والتى سقطت قرب قليوب .

وفى نفس اليوم ، الذى صدر فيه « المدور » حاملا ذلك الرجاء اتصل بى السيد حسين ذو الفقار صبرى مبديا استعداده ليقول ــ كما طلبت منه ــ كلمة التاريخ ، فى تلك القضية خاصة بعد ان اختلفت وجهة النظر ، التى أبداها عزيز باشا فى التحقيق ، من أجل توريط بريطانيا فى القضية عن وجهة النظر الحقيقية والواقعية .

وحتى يكون لكلام حسين ذو الفقار صبرى أهميته التاريخية باعتباره وثيقة من الوثائق التى أحرص على تدوينها فى محاولتى الجديدة ــ محاولة اعادة كتابة التاريخ المصرى ــ طلبت من سيادته ان يسجل ما يريد ان يقوله كتابة ، فتفضل ، وهو الأديب الأريب ، صاحب الأسلوب المميز ــ بتلبية طلبى .

وفى لقاء فى مكتبى بدار الهلال ، سعدت به كثيرا ، تسلمت منه ماكتبه .

ودار حديث طويل استغرق أكثر من ساعتين استوضحت فيهما منه بعض الأمور الغامضة على ، كما وجهت اليه ، بعض الأسئلة التى تدور فى ذهنى ، متعلقة بالعمل الوطنى ، فى تلك المرحلة الهامة من تاريخنا الوطنى .

وكانت من بين تلك الأسئلة مثلا : لقد كنت عندما اشتركت في هذه العملية متزوجا منذ سبعة أشهر ، وكنت وزوجتك ، تنتظران مولودا جديدا الم تفكر ، وأنت تقوم بتلك المغامرة في زوجتك ، وفي طفلك الذى لم يولد بعد ، وفي والديك ؟ فقال : كان الشعور الوطني بل الواجب الوطني ، فوق الزوجة والطفل ، والأسرة ، ما قيمة أولئك بالنسبة لعمل نراه مفيدا ، للبلد ، ولا تنسى اننا كنا على ثقة مطلقة من النصر ، ولهذا كنا متأكدين من ان غيبتنا لن تطول واننا لابد محققون ما كنا نسعى اليه لخدمة بلدنا .

ومن بين ما سمعته من حسين ذو الفقار صبرى حول حادث ، الطائرة ان عزيز على المصرى باشا ـ ومن منزل الأستاذ شوكت التونى رحمه الله ـ اتصل بحسنى الزيدى باشا في صبيحة يوم الحادث ليسأله هل حدثت غارة جوية على العاصمة في الليل فلما نفى له الزيدى باشا وقوع غارة جوية أيقن ان قيادة الجيش لا تعرف شيئا عن سقوط الطائرة وانها لا تزال تغط في نومها العميق ، وقد كان مما أسعدنى وأنا أقرأ ما كتبه حسين ذو الفقار صبرى ، اننى وجدته متفقا تماما مع ما أؤمن به جيدا وهو أن ما يدور في التحقيق بالنسبة للقضايا السياسية ، وما يجرى في المحاكمات السياسية ، على السنة الادعاء أو النيابة العامة أو الدفاع قد يختلف الى حد كبير عن الحقيقة .

ولعل القارىء ، في شوق ـ بعد هذه المقدمة ـ الى قراءة ما كتبه حسين ذو الفقار صبرى ، الشاهد ، العدل بل شاهد التاريخ الوحيد الكفيل بازاحة كل غموض عن حادث هرب عزيز المصرى وحسين ذو الفقار صبرى وعبد المنعم عبد الرءوف :

كتب حسين ذو الفقار صبرى يقول :

صبرى أبو المجد .

أما بعد التحية فقد أطلعت على كلمتكم برجاء اماطة اللثام من ملابسات قضية عزيز المصرى .

وانه ليدهشنى ان تظل ظروف تلك القضية مجهولة حتى الآن فاننا وان كنا جميعا ـ وأعنى بذلك الأطراف المعنية ـ قد تذرعنا بالكتمان خلال فترة طويلة لأسباب من حرص غير خافية ، فاننا تخلينا عن تحفظاتنا بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو، وانى شخصيا كثيرا ما سئلت فأجبت في حدود اهتمامات من كان يعنيهم الأمر حتى اعتقدت ان لا مجال لمزيد .

ان الملابسات والظروف التى أحاطت بتلك القضية كثيرة ومتشعبة ولا يمكن ان أجزم بصدقها أو دقتها الا فيما يتعلق بتلك التى عايشتها فعلا بالاضافة الى التفسيرات التى تراءت الى ـ من مصادر أعتقد أنهم كانوا ثقة ـ عن تطورات كنت أجهل مسبباتها .

جاءنى زميلى الطيار أول عبد المنعم عبد الرءوف صباح يوم ما يعرض على مقابلة الفريق عزيز المصرى لأمر هام فوافقت على الفور وتوجهنا الى حيث كان يقيم • ولم يتردد اطلاقا ــ رغم انه لم يكن بينى وبينه سابق معرفة ــ فى ان يخطرنى بما كان يريد •

كان الانجليز يضيقون عليه الخناق بينما تلح عليه ضرورة مغادرة البلاد الى حيث القوات الألمانية ، فان خلاص مصر من الاحتلال الانجليزى يجب ان يتم فى ضوء من هبة مصرية يكون لها شأنها ، اما ان نقبع دون حراك بينما القوات الألمانية تواصل زحفها صوب مصر • فان انتصارها المحتمل ــ دون مساندة فعالة منا ــ لن يعطينا حق المطالبة باستقلال كنا جميعا نصبو اليه ، انما تصبح بلادنا ، التى سوف يقتتل على أراضيها الطرفان ، بمثابة اسلاب هى من حق المنتصر وحده دون غيره ، فلا نجنى الا استبدال المستعمر الألمانى بسلفه الانجليزى •

كان علينا أن نقوم بدور ايجابى حتى تصبح شركاء بل حلفاء فى المعركة جديرين بأن تكون لنا حقوق •

وأفاض عزيز المصرى فأوضح لى كيف ان الفرصة أصبحت مواتية بعد اندلاع ثورة رشيد عالى الكيلانى فى العراق ، فلو نجحنا فى التنسيق بيننا وبينهم فى هذا الوقت بالذات حيث القوات البريطانية مشتتة الجهود بين شرق وغرب ، فانه يمكننا الاتفاق مع القادة الألمان على شن هجوم مكثف فى الصحراء الغربية بالتنسيق مع تحرك تشكيلات فدائية مصرية وظيفتها ضرب وتخريب المواصلات الخلفية البريطانية فتنهار الجبهة نتيجة لقطع الامدادات من وقود وذخيرة علاوة على اضطراب شبكات الاتصال التى تغذيها بالمعلومات والتعليمات •

ولما سألته عن مدى استعداد تلك التشكيلات الفدائية طمأننى الى انها جاهزة فعلا ولا ينقصها الا توجيه اشارات سبق الاتفاق عليها ، ثم أخطرنى فى مقابلة تالية بأن حلقة الاتصال بينه وبين تلك التشكيلات الفدائية تتركز فى شخص اليوزباشى أنور السادات • وكنت أعرفه جيدا فهو زميلى فى الدراسه بالكلية الحربية ، وان كنت لم أره منذ تخرجنا •

اقتنعت فوافقت ولكنى طالبته بامهالى خمسة عشر يوما حين يحل دورى فى رئاسة نوبات الحراسة الليلية فأصبح « ضابط عظيم » المطار ــ كما كانوا يقولون ــ ثم ان الطائرات التى تحت امرتى كانت على وشك التوقف لاجراء تفاتيش الصيانة الدورية ، وكنت بحاجة الى سلامة اعداد الطائرة التى بوسعها الاضطلاع بتلك المهمة •

كانت الأسراب التى أعمل بها هى الوحيدة التى تضم الطائرات طويلة المدى ــ أسراب المواصلات كما كانت تسمى ــ منها سرب الطائرات المخصصة

لتنقلات الملك السابق فاروق والتى كانت تقع تحت مسئوليتى المباشرة ، وتلك ميزة تتيح لى الاقلاع فورا بأى من تلك الطائرات ــ دون انذار مسبق ــ بحجة قيامها بمأمورية سرية لحساب السراى ، وكان الملك السابق فاروق قد قام فعلا بسبع رحلات خاطفة من القاهرة الى الاسكندرية وبالعكس ، ابان أزمة وزارة على ماهر ، وكنت فى كل مرة على متن الطائرة التى أقلته بوصفى الطيار المناوب.

وتم الاعداد للاقلاع فى الوقت المحدد بطائرة ذات محركين من طراز « انسون » ، ولكن كانت تواجهنى عدة مشاكل ، أهمها ان تلك الطائرة ــ رغم أنها كانت تتمتع بأبعد ما نملك من مدى ــ ما كان بوسعها ان تتفادى تماما خطوط المواجهة التى فى جبهة القتال ، فهى معرضة لأن يتصيدها أى من الفريقين .

كانت القوات الألمانية قد تخطت مدينة طبرق ، فطوقتها من جميع الجهات تمهيدا لاقتحامها فى وقت لاحق ، لم نكن ندرى متى يحين ، وأقصى ما كان بوسع تلك الطائرة ان تفعل هو الالتفاف جنوبى الخطوط المحصنة للقوات البريطانية ثم الهبوط قبل نفاذ الوقود فى تلك المنطقة التى تحيط بمدينة طبرق حيث القتال على أشده ، ولا وقت لأى من الطرفين ، طالما لم يصل لأى منهما أخطار مسبق ، التريث حتى يتم التحقق من هوية تلك الطائرة المجهولة التى سوف يلتقط طيفها فجأة فى غبشة الليل على شاشات الرادار هنا أو هناك ، وانما يفرض عليهم مبدأ السلامة أولا اعتبارها معادية ومن ثم هدفا حلالا للمدافع المضادة للطائرات . وافقنى عزيز المصرى على تعديل وجهتنا فلا نحاول الوصول الى الخطوط الألمانية فى الصحراء الغربية ، وانما الاتجاه الى بيروت ، فهى تحت هيمنة حكومة فيشى التى استسلمت للألمان ، ومن ثم فانه يسعنا فور التفاهم مع ممثلى القيادة الألمانية التى هناك سرعة التوجه الى بغداد بغية التنسيق مع حكومة رشيد عالى الكيلانى .

وما كان بوسعى الوصول الى مطار بيروت فى ظلمة الليل دون اخطار مسبق حتى تعد لنا أجهزة الاضاءة التى تكفل سلامة الهبوط ، فقررنا ان نقلع بالطائرة بحيث نصل الى بيروت مع تباشير الفجر فتستبين أمامنا معالم المطار .

وقد ترتب عن ذلك عثور السلطات بعد سقوط الطائرة على الخريطة المستخدمة لأغراض الرحلة . وقد ظهر بها خط رسم خفيفا استطلاعا لظروف الاحتمال الأول من حيث تحديد المسار من القاهرة الى المنطقة التى هى جنوبى مدينة طبرق ، وتتركز حول ذلك الخط تساؤلات المحققين ، وكانت الاجابة مع تصنع شعور من دهشة بالغة الادعاء ــ اذ كان الخط المرسوم واهيا لايكاد يبين حتى اننى لم ألحظه اطلاقا ــ بأن : الاحتمال القائم أن يكون أحد الطيارين بالسرب قد عمد الى قياس المسافة التى يتعين على الطائرات الألمانية قطعها بغية الاغارة على المطارات المحيطة بالقاهرة ، أما عن الرحلة التى كنا نزمع القيام فعلا

فقد كان مسارها مسجلا على الخريطة بأشد ما يكون من عناية ووضوح من القاهرة الى بيروت عبر دمياط ، حتى نتفادى ازعاج الدفاعات البريطانية لو اتجهنا الى بيروت مباشرة فنحلق عبر شمال منطقة القناة • وتلك هى التفسيرات التى تمسكت بها خلال التحقيقات فيما يتعلق بتلك النقطة بالذات •

أما عن الرحلة نفسها فما كان يساورنى قلق أول الأمر من أن تتربص بنا ، عبر مسارنا الجديد من القاهرة الى دمياط ، وحدات المدفعية المصرية المضادة للطائرات التى نيط بها الدفاع عن مدن الدلتا وخطوط المواصلات الحيوية من سكك حديدية وطرق أو جسور على فرعى نهر النيل ، فهى تعتمد على معاونة وحدات الكشافات الضوئية التى سوف تظهر لها بوضوح ان الطائرة تحمل الشارات التى تثبت هويتها المصرية ، كان يصلنا ــ مرة كل اسبوعين ــ كشف باشارات تعارف ضوئية مكونة من حروف « مورس » ــ كتلك المستخدمة فى الاتصالات التلغرافية ــ تتغير من ليلة الى أخرى ، هى بمثابة « كلمة سر » تجيز لنا المرور دون التعرض لقصف من المدفعية المضادة للطائرات •

الا أن كشف الاشارات الجديد تأخر وصوله عن موعده المحدد ــ صباح يوم الخميس ــ وعبثــا حاولت استقباله ، ولكن دون الحـاح حتى لا أثير الظنون ، فلا مناص اذن من الاقلاع بطـائرتنـا حين يحين الليـل وليس معى « كلمة السر » التى سوف تطالبنى بها الدفاعات الأرضية •

ثم مشكلة ثالثة هى التى تسببت فى سقوط الطائرة رغم ما بذل من عناية اطمئنانا على سلامة أجهزتها جميعا ، اذ بادر الانجليز بعد تفـاقم الموقف فى الصحراء الغربية الى تشديد الرقابة على المطارات بوجه خاص • فيضـاف الى مجموعة الحراسة المصرية فى مطار ألماظة الحربى ــ والتى كنت أتولى رئاستها فى تلك الليلة ــ ضابطان بريطانيان ، نيط بهما التصدى لأى تصرفات تكون مثار اشتباه ، وكان لزاما على ان أتحاشى أى اصطدام والا فشلنا فى الاقلاع بالطائرة كما كنا نريد •

وعليه فقد عاينت المطار وحددت زاوية انطلاق الطائرة من جوف الحظيرة مباشرة ، بحيث تنبسط أمامها مسافة خالية تماما من أية عوائق أرضية لن تبين معالمها فى ظلمة الليل ومن ثم مسـافة كفيلة بأن تمهد للطائرة الوصول ، فى أقل وقت ممكن ، الى السرعة التى تهيىء لها القدرة على الاقلاع •

وجميعها ترتيبات ضرورية حتى أتحرك فور ادارة المحركات فاذا ما تنبه الضابطان البريطانيان وتوجهـا الى حظيرة الطـائرات استطلاعا لأسباب تلك الضوضاء المنبعثة من دوران المحركات نكون قد أقلعنا فعلا •

ولكن سوء الحظ كان يتربص بمحاولات سفر عزيز المصرى جميعا ، فقد كانت محركات الطـائرة « الانسون » مصممة بحيث يتحتم نزع الغطـاء عن هياكلها لفتح دورة زيت التبريد ، ثم اعادة اغلاقها قبل ادارتها •

وتم ذلك فعلا ، ولكننا ابتلينا فى تلك الليلة بأن الميكانيكي « النوبتجى » « اى الذى يقع عليه الدور فى نوبة الخدمة » كان يتسم بقدر من بلادة حس ٠

لاحظت أنه يسير وكأنه بعد نائم ، فأحثه على الاسراع ، ولكنه يتحرك آليا عاجزا عن أن يفيق تماما ، وكنت قد أخطرته مسبقا باحتمال ورود أوامر بسفر مفاجيء ٠ فخشي من أن يسهو عليه فتح دورة الزيت قبيل الاقلاع ، ففعل ذلك قبل أن ينام ، ثم عاد وأدار مفاتيح الزيت بعد ايقاظه ضمن التسلسل التلقائى لاجراءات الاعداد ، فأقفلها وهو يظن أنه يفتحها ٠

وقد سئل فيما بعد أثناء التحقيقات ، فادعى بأنه لاحظ علينا الارتباك فساورته شكوك ٠ فأقفل دورات الزيت عن عمد ٠

ولكنى أستبعد ذلك تماما ، فقد قال ما قال طمعا فى أن يكون له من المكافأة المرصودة للقبض علينا نصيب ، وانما كانت تصرفاته ناتجة عن اقدامه على تنفيذ برنامج متسلسل من اجراءات تتم تلقائيا ، قام بها بينما حواسه فى حالة من تهويم . تتنازعها أسباب نوم لم ينحسر بعد سلطانه ، وبوادر من افاقة لم ترق بعد الى يقظة كاملة ٠

ولو كانت الظروف عادية لأدرت المحركات فاختبرت لمدة دقائق ونحن على الأرض فى حالة ثبات ، فأكتشف من خلال العدادات التى أمامى ارتفاع درجات الحرارة عن معدلها المفروض ، فأوقف المحركات وأطلب من الميكانيكى اعادة فتح الأغلفة للتحقق من مفاتيح الدورة الزيتية . ثم يعاد تثبيتها قبل ادارة المحركات مرة ثانية ٠

عملية نستنزف من الوقت ما هو كفيل بايقاظ الضابطين البريطانيين لو كانا حتى فى « سابع نومه » فيأتيان الينا قبل أن يتسنى لنا اعادة تجهيز الطائرة للاقلاع ، مما يؤدى حتما الى اصطدام مسلح تنقلب له أحوال المطار راسا على عقب ، فتفشل الرحلة ٠

ما كان يخطر ببالى أن يرتكب ذلك الميكانيكى هذا الخطأ الفادح ، وهو الذى باشر عملية الاعداد تلك للمرة « الواحدة بعد الألف » كما قد يقال ، فما أن دارت المحركات حتى انطلقت بأقصى سرعة لا ألوى على شيء ، وما هى الا ثوان معدودة حتى حلقت بنا الطائرة ، وكانت الساعة قد جاوزت الواحدة بعد منتصف الليل ، من صباح الجمعة الموافق ١٦ مايو ١٩٤١ ٠

ثم فوجئت بالاشارات الضوئية من مواقع الرقابة الأرضية تطالبنى بكلمة السر التى لم أكن أعرفها ، فأرسلت ردى بالاشارة الضوئية التى كانت مخصصة لليوم السابق ، لعل وعسى ، ولكن لم تجز عليهم الحيلة ، فتمتلىء السماء بأضواء الكشافات تلاحقنى وسرعان ما تمكنت من تحديد موقعى ، ثم انطلقت المدافع

المضادة للطائرات بطلقة تحذيريه ، هزتنا هزا وشعرت أننا بصدد الانتقال الى مرحلة التصويب المباشر ٠

لم يكن أمامى الا أن أنقض بالطـائرة الى أسفل ، غائصـا بها الى أدنى ارتفاع ، فهو الاجراء الوحيد الذى يعوق الكشافات عن أداء عملها فتختفى عن مراصد المدافع المضادة ، بالفعل أفلت منها ٠٠ ورأيتها تمسح السماء فى كل اتجاه فى محاولات يائسة للامساك بى مرة أخرى ، ولكن هيهات فقد كنت أكاد ألامس الأشجار بطائرتى ، كما كان يتضح لى فى ضوء القمر الذى كان بدرا ٠

ولكن انحبـاس دورات زيت التبريد من المحـركات رفع من حرارتها الى درجات قصوى فتشتعل فيها النيران ، وأصبحت الطائرة مهددة بالاحتراق ، وكلفت عبد المنعم عبد الرءوف وكان يجلس بجانبى بأن يخطر عزيز المصرى ، الذى كان قابعا بمقعده الى الخلف منى ، يراقب ما يجرى دون أن ينبس بكلمة ٠

وأتانى رده على لسان عبد المنعم عبد الرءوف بأن أتصرف حسب ما تمليه الظروف بوصفى قائد الطائرة المسئول ٠

لم يكن هناك مناص من الهبـوط فى أسرع وقت قبـل أن تلتهم النيران الطائرة بمن فيها ، فتخيرت بقعة من أرض بدت فى ضـوء القمر داكنة بعض الشيء ، مما يدل على أن بها مزروعات قد شبت الى ارتفاع معقول ، كفيلة بتخفيف الصدمة والحد من زحف الطائرة بعد هبوطها ، لو أنى أسقطت عليها بعد تقليل سرعتهـا الى أقصى حـد ، فيما يسمى بطريقة **Pancake landing** وذلك بأن « تشعلق » مقـدمتها الى أعلى ، بنما يحف ذيلهـا الأرض حفا بعض الوقت ، وقد كان ٠

أما الذى لم يكن قد تبينته فى ضوء القمر فهى أسلاك الضغط العالى التى تغذى المنطقة بالكهرباء ، دون أن أشعر فقطعتها ، ولو أنها كانت لامست جسم الطائرة لصعقنا التيار فورا ٠

غادرنا الطائرة ولم يصب أحدنا بخدش ، تحبط بنا شجيرات يانعة من موالح لم تصل بعد الى مرحلة الاثمار ٠ لم أكن أدرى أين كنا ، فان محاولات الافلات من الكشافات كانت قد اضطرتنى الى سرعة تغيير اتجاهى عدة مرات ٠

واجتزنا الحقول وئيدا حتى الطريق الزراعى الذى يحف بها ، فنصل الى مدينة صغيرة يلفها الظلام ، نتيجة لقطع الأسلاك التى تغذيها بالكهرباء كمـا علمنا فيما بعد ٠

ويصادفنا فجاة عابر سبيل ، علمنا منه أننا بمدينة قليوب ، ويسـأله عزيز المصرى عن مركز البوليس ، فيصطحبنا الى منزل المعاون ، وهو ضابط يدعى الطلياوى ٠

وكان عزيز المصرى يعرفه ، فهو أحـــد تلاميذه حين كان مديرا لكليــة البوليس ، فيوقظه ويدعى أننا قد تعطلت بنا السيارة على مسافة من المدينة فى طريق عودتنا من الزقازيق حيث كنا مدعوين لحضور حفل عقد قران ، ورجاه أن يهيىء لنا سيارة تقلنا الى القاهرة ٠

امتطينا « البوكس » التــابع لمركز البوليس يقوده شرطى حتى ميــدان الأوبرا فى القاهرة ، وكان علينا أن نجد مكانا نختفى فيه عن العيون ، فلجأنا الى التمويه بأن ركبنا سيارة أجرة تلو أخرى ، متنقلين بين ميادين العاصمة ، ثم اتجهنا آخر الأمر الى منزل الأستاذ شوكت التونى المحامى ، فيخطره عزيز المصرى بما كان ٠

اقترح علينا شوكت التونى الاختباء لدى المثال المعروف عبد القادر رزق « وكيل وزارة الثقافة بعد قيام الثورة » ، فهو من الشباب الوطنى ، وكان عزيز المصرى يعرفه ، ويعلم أيضا أنه على اتصال وثيق بالسيد أحمد حسين ، رئيس حزب مصر الفتاة ، فيساوره قلق من أن يكون تحت رقابة البوليس السياسى ، ولذا فقد توجهنا الى منزل البكباشى سعيد الألفى ، وكان على صلة وثيقة بعزيز المصرى ، فى محاولة أخيرة عله يدلنا على مخبأ يكون أكثر أمانا ٠

ولكن الوقت كان يمر سريعا فلم نجد مناصا من التوجه آخر الأمر الى منزل عبد القادر رزق فى امبابة ، الذى رحب بنا أيما ترحيب ، وكانت الساعة قد جاوزت الرابعة صباحا ٠

لم تتمكن السلطات من العثور علينا طيلة ٢١ يوما التزمنا خلالها بحرص زائد فلم يحاول أحدنا الخروج أو حتى التطلع من النوافذ ، ولكن يبدو أنه كانت قد فرضت فعلا بعض رقابة على تحركات عبد القادر رزق ، فيلاحظ أنه قد تزايدت كميات الطعام التى يحملها يوميا الى منزله ، فيعتقدون أنه قد أوى اليه السيد أحمد حسين « وكانت السلطات تطارده أيضا فى ذلك الوقت » ٠

هاجموا البيت بقوة يقودها البكباشى محمد ابراهيم امام ففوجئوا بوجود عزيز المصرى ، وما هى الا بضع ســاعة حتى يصــل الحكمــدار البريطــانى « فيتزباتريك » ليعاين بنفســـه ذلك السيد الذى كان أقض اختفاؤه بال الانجليز ٠

فان عزيز المصرى كان قد شغل وقتا ما منصب مفتش عام الجيش المصرى ، وكان على علم بالمفاتيح الاستراتيجية لمنطقة الصحراء الغربية ، بل وبتوزيعات القوات البريطانية هناك ، زار المنطقة فعلا قبيل انهيــار فرنسا برفقة الجنرال الفرنسى فيجان ، قائد عام قوات الحلفاء فى ذلك الوقت ــ على ما أذكر ــ فى صحبة قادة الجبهة من البريطانيين ٠٠

وما كان عزيز المصرى راضيا بالقبوع فى المخبأ انتظارا لما قد تتطور عنه الاحداث ٠ فما كانت هذه طبيعته ٠ فيكلف عبد القادر رزق بالاتصال بأنور السادات ــ ولست أدرى ان تم ذلك مباشرة أم عن طريق وسيط ــ سعيا الى تهيئة فرصة جديدة للفرار عبر الخطوط البريطانية الى حيث القوات الألمانية فى الصحراء الغربية ٠

وعلمت فيما بعد ان اليوزباشى أنور السادات قد حاول فعلا تدبير وسيلة هروب جديدة ، فيقع اختياره على ضابط لم تحم بعد من حوله الشبهات ــ هو أحمد مظهر النجم السينمائى المعروف ــ مهمته الانطلاق بسيارة عسكرية تحت جنح الظلام من مواقع وحدته المرابطة حينذاك فى منطقة القناة ، فيأتى الينا وينقلنا الى مكان ما على مشارف الصحراء الغربية ، ثم يعود الى وحدته قبل بزوغ الفجر ، فلا يشعر بغيابه انسان ٠

ثم مرحلة تالية اذ تجهز لنا وسيلة نقل أخرى فى اليوم التالى ، نستقلها عبر الدروب الصحراوية الى حيث القوات الألمانية ٠

ولكن سوء الحظ كان لنا مرة أخرى بالمرصاد ، فما يكاد ينطلق أحمد مظهر من منطقة القناة فى طريقه الى القاهرة حتى تنقلب به السيارة ويصاب بكسور ، وتلك قصة سمعتها بعد ذلك بسنوات ٠ ولم أحاول التحقق من صحتها ، ولكن الذى أعلمه أنه كانت هناك اتصالات بين عزيز المصرى واليوزباشى أنور السادات لم أعرف مضمونها وكانت تتم عن طريق عبد القادر رزق ٠ فهو وسيلتنا الوحيدة حينذاك للاتصال بالعالم الخارجى ٠

وبعد القاء القبض علينا جرت التحقيقات على نحو ما هو مسجل ــ أرجو أن يكون كذلك ــ فى الوثائق الرسمية ، ثم قدمنا للمحاكمة ٠

ولكن لم تستمر وأفرج عنا فجأة بعد استدعائنا لمقابلة مصطفى النحاس باشا رئيس الوزراء الجديد بعد حادث اقتحام السراى فى فبراير ١٩٤٢ ٠

وقد أخطرنى عزيز المصرى فيما بعد أن السبب الرئيسى فى الافراج عنا يعود الى أنه رتب دفاعه على مفاجأة الرأى العام بأن المخابرات البريطانية كانت قد اتصلت به سعيا الى حثه على القيام بوساطة شخصية لدى رشيد عالى الكيلانى حتى يفرغوا لمقاتلة الألمان فى الصحراء الغربية ٠

وكان عزيز المصرى قد رفض هذا العرض رفضا قاطعا ، ولكنه فى سبيل الدفاع ، عن نفسه أثناء المحاكمة كان يرمع الأدعاء بانه قد رأى القيام بتلك الوساطة آخر الأمر ، ولكن دون الاعتماد على السفر بعد موافقة رسمية بمغادرة البلاد حتى لا يقال انه يعمل وفق توجيهات بريطانية ، وانما بدافع من مصلحة قومية عليا تجاه الشرق العربى جميعا ٠

وقال عزيز المصرى ان موقف الانجليز أصبح حرجا اذ علموا بالخط الذى ينوى اتخاذه خلال المحاكمة ، فقد طلب رسـميا مسئول المخابرات البريطانية الذى كان اتصل به كشـاهد دفاع وخشـوا أن تفسر أساليبهم بالالتـواء والانتهازية ، اذ يتنصلون من تحمل مسئولية المواقف التى سبق واتخذوها ٠

وربما كان هذا أحد أسباب الغاء المحاكمة ، ولكنى أعتقد ان الاعتبار الرئيسى يكمن فى ان قضية عزيز المصرى كانت قد شغلت الرأى العـام فترة من الوقت ، التهبت خلالها المشاعر ، وكان الافراج عنا هو محاولة يائسه لاضفاء بعض شعبية على وزارة مصطفى النحاس التى أتت الى الحكم على « أسنة رماح الانجليز » كما كان يقال ٠

هذا بعض ما عن لى كتابتـه فى هذا الموضـوع وأعتقد انه يفى بالنقاط الرئيسية المتعلقة بهذه القضية فى ضوء من معلوماتى الشخصية ٠

مع خالص تحياتى وأطيب تمنياتى

حسين ذو الفقار صبرى

وقبل ان نستأنف الحديث عن محاكمة عزيز المصرى باشا نذكر أن صحة عزيز باشا كانت قد ساءت ونقل بعد ذلك الى مستشفى الدمرداش لعلاجه من مرض الربو ، الذى كان قد عاوده ولم تكن مسموحا لأحد بزيارته الا باذن كتابى من وزارة الدفاع ٠

وكانت الحراسة على عزيز باشا داخل المستشفى من عشرين جنديا وضابط ولم تكن مدة دورية الحراسة تزيد على ساعتين ، ولم يكن يسمح لعزيز باشـا بالخروج من غرفته الى فناء المستشفى الا فى حراسة ضابط يحمل معه دائما أمرا كتابيا يسمح لعزيز باشا « بالتشميس » ، والذين اتيح لهم زيارة عزيز باشا فى مستشفى الدمرداش يذكرون انه كان غاضبا أشد الغضب على الصحافة أو « الجرانين » ـ كما كان يسميها ـ فقد اتخذت من موضوع هربه قصـة روائية وقد حملت عليه حملات شعواء قبل أن يقبض عليه ، وقبل ان يحاكم ووجهت اليه تهمة الخيانة العظمى واعتبرته الخائن الأعظم ، ثم ظهر ـ كما كان يقول ـ انه لاتوجد خيانة عظمى ، ولا خائن أعظم ٠

وكان عزيز باشا فى مستشفاه ضيق الصدر بالزعماء المصريين جميعا ، ولم يكن أحد منهم يسلم من لسانه ٠ وكان يقول للكثيرين من زواره انه لايوجد فى مصر الزعيم الذى وضع لنفسه هدفا صحيحا لخدمة بلاده ولاسيما فى المعترك الدولى الحالى ، ولذلك يئس من مصر ، ويئس من العمل مع رجال مصر ، وكان يقول أيضا : ان الرجل الذى كان يحترمه ويقدره ، ويعتقد أنه أحسن رجل فى مصر ، هو المرحوم محمد محمود باشا لأن نواياه لخدمة بلاده كانت حسـنة

ولأنه كان مخلصا ، شديد الاخلاص ، صادقا في وطنيته ، غير انه كان فى بعض الأحيان يضطر الى المجاملة » .

والطريف أن القاهرة ، تعرضت لأول مرة لغارة جوية عنيفة ونزل كل من فى المستشفى من أطباء ، وممرضين وممرضات ، ومرضى ، الى المخابىء الثلاثة التى انشئت فى فناء المستشفى ورفض عزيز على المصرى ، ان ينزل الى المخبأ ، وبقى معه ـ بالطبع ـ حراسه . وقد حدث أن أغمى على بعض الممرضات بسبب سماعهن لأصوات القنابل ، فاشترك عزيز باشا ، بعد انتهاء الغارة فى تنبيههن وازالة الجزع عنهن ، وبعد أن تحقق له ذلك قال لهن : ان آلاف الفتيات الانجليزيات يتطوعن الآن فى الجيش وان الآلاف من الفتيات الروسيات يخضن ميادين القتال الى جانب الرجال يحملن الأسلحة ويطلقن المدافع ويطرن فى السماء » ويأبى عزيز باشا الا أن يلوم المرأة المصرية التى ترتعد فرائصها أو يغمى عليها لمجرد سماعها ازيز الطائرات وأصوات المدافع .

والجدير بالذكر انه بعد تلك الخطبة النارية التى ألقاها فيهن عزيز باشا ، لم يحدث من الممرضات فى الغارات التالية ما حدث لبعضهن فى الغارة الأولى .

وحتى نعطى صورة دقيقة لعزيز المصرى باشا فى المحاكمة ، وللمحاكمة أيضا نشير الى أن رئيس المجلس العسكرى العالى سأل عزيز على المصرى باشا : هل لك اعتراض على أحد من أعضاء المجلس الذى شكل لمحاكمتك أو على أنا شخصيا كرئيسه ؟ قال عزيز باشا . اللى يهمنى فى الأمر ده أن تكون المحاكمة فى أيد مصرية وطنية صادقة موثوق فى عدالتها ، سليمة فى عقيدتها . مؤمنة بالله سواء كانت مسلمة أو نصرانية ، وأنتم تعرفون انه يشترط فى تأليف المجلس أن يكون أعضاؤه أكبر رتبة منى وأنا شخصيا متنازل عن هذه النقطة وأقبل أن يحاكمنى صف ضابط فلا اعتراض لى على ذلك ، اذا كانت الهيئة وطنية صميمة ولا اعتراض لى على المجلس » .

ولكن حافظ رمضان باشا ، الذى كان يقود كتيبة الدفاع عن عزيز باشا قال ان الدفاع يحتفظ بحقه من الآن فى الاعتراض على ان هذا المجلس العسكرى لم يشكل تشكيلا عسكريا قانونيا ، وقال مصطفى الشوربجى بك أن عزيز باشا تكلم عن عدم اعتراضه على أشخاص المجلس كأشخاص اذ ليس بينه وبين أحد الأعضاء شىء ، ومن حق عزيز باشا أن يقول مايقوله ، أما المسألة القانونية الخاصة بتشكيل المجلس فنحن المختصون بالكلام فيها . وعاد حافظ رمضان باشا ليوضح الفرق بين المسائل الشخصية ، والمسائل القانونية ومن حق عزيز باشا أن يقول انه لا اعتراض له على أشخاصكم ، ولكن هناك مسائل قانونية تخص تشكيل المجلس .

وروى حافظ باشا واقعة حدثت فى فرنسا فى عصر نابليون ، مؤداها أن المارشال نيبه أكبر قائد فى فرنسا فى ذاك العهد ، قدم للمحاكمة أمام

المجلس العسكرى لاتهامه بالتفريط فى حقه كجندى ولم يشأ أن يعترض على أعضاء المجلس الذى يتولى محاكمته ولكن الدفاع اعترض ، وقال ان المجلس لا يجوز له محاكمة المتهم لأن الموضوع سياسى والمجلس عسكرى ، فاستقال رئيس المجلس ولم يستمر فى محاكمة المارشال ، وقد حوكم هذا الرئيس وحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات لتخلفه عن رئاسة المجلس وتم تعيين رئيس أخرى هو المارشال جوردان » •

وقال حافظ باشا : اننا لا نشك أبدا فى نزاهتكم •

وكان مما طالب به مصطفى الشوربجى بك المجلس العسكرى دوسيه عزيز المصرى لاثبات انه مضطهد وكذلك ضم اعلانات مجلس الوزراء أو قرارات الحاكم العسكرى بشأن قضية عزيز باشا ، ومنها التصريح الذى اتهمته فيه الحكومة بالخيانة ، وكذلك ضم التصريحات التى قيلت عن القضية فى مجلسى البرلمان •

وعندما عارض المدعى العام الأستاذ محمد غالب عطية الطلب الذى تقدم به الشوربجى بك لان بعض الأوراق المطلوبة سرية قال مصطفى الشوربجى ، اذا كانت الأورق المطلوبة سرية ، فاعقدوا جلسة سرية ، ثم التفت الى الحاضرين وأكثرهم من الضباط والصحفيين وقال : ما هى الجلسة دلوقت سرية !!

وابتسم عزيز المصرى باشا فى مرارة وهو يقول : أنا أعجب للاجراءات الحكومية الخاصة بالسرية لان الشىء السرى وغير السرى يكاد يكون غير مفهوم ، وقد يحدث أن ضابطا يحمل مظروفا مكتوبا عليه « سرى جدا » ، ليوصله الى جهة ما ، وقبل تسليمه تصدر الصحف وفيها محتويات هذا المظروف •

وعقب عزيز على المصرى على كلمة مصطفى الشوربجى بأن الجلسة سرية فقال : هذا القول ورد على خاطرى •• هل أنا متهم بسرقة بسكليت أو طائرة ، كما يقولون • ثم التفت الى هيئة المحكمة قائلا : اعطوا نصف تذاكر الحضور للدفاع ليوزعها على من يشاء من الأهل والمعارف والنصف الآخر وزعوه على من تشاءون من رجال البوليس السرى » •

ويطلب الدفاع تأجيل المحاكمة شهرين ، والافراج عن عزيز المصرى باشا ، وتؤجل المحاكمة من ١ أكتوبر الى ٢٢ نوفمبر ١٩٤١ ولا يتعرض المجلس الى طلب الافراج عن عزيز باشا ••

وتنعقد جلسة المحاكمة فى ٢٢ نوفمبر ١٩٤١ ويحضر الجلسة : سيف الله يسرى باشا ، وصادق يحيى باشا ، واللواء صالح حرب باشا ، واللواء على عبد العظيم باشا ، والسيدة عنايات هانم سلطان ، والسيدة علية فهمى ، والسيدة حرم الأستاذ مصطفى مرعى ، وبعض قريبات عزيز باشا •

ويطلب الدفاع رد أحد أعضاء المجلس : على حسنين الشريف باشا ، ويدعو المجلس حافظ رمضان باشا ـ قبل بداية الجلسة ـ لمناقشته فى طلب

الدفاع ، وتدور المناقشات حول هذا الطلب لمدة ساعة انتهت بأن اعلن على حسنين الشريف باشا تنحيه عن نظر القضية ! وأجلت الجلسة الى يوم ٢٥ نوفمبر ١٩٤١ حتى يتم اختيار عضو جديد بدل الشريف باشا ٠

ويصدر اللواء حمدى طاهر باشا رئيس ادارة الجيش أمرا بتعيين اللواء حسنى حسن طاهر باشا مدير سلاح الأسلحة والمهمات بدلا من الأميرالاى أحمد الصاوى بك مدير سلاح الاشارة لمناسبة احالته الى المعاش والأميرالاى محمود هاشم بك قائد كلية أركان الحرب بدلا من اللواء على حسنين الشريف باشا مدير القرعة ، كما عين أيضا القائمقام عبد العظيم ابراهيم بك من سلاح المدفعية عضوا منتظرا فى المجلس !!

ومن طرائف ما حدث فى جلسة ١٩٤١/١١/٢٥ أن حافظ رمضان باشا عندما كان يتكلم فى الدفوع القانونية الخاصة بتعيين نائبين للأحكام كان يتكلم بسرعة ، فرجاه الصحفيون أن يتمهل قليلا ليتمكنوا من أداء واجبهم ٠ فقال موجها الكلام اليهم وهو يضحك : كل شيخ وله طريقة ، وأنا طريقتى كده . ولكن علشان خاطر « صاحبة الجلالة » التى أصبحت الآن « صاحبة عزة » أتكلم على مهل » ٠

ويسأل رئيس المجلس الدفاع عما اذا كان سيقدم مذكرة فى الدفع الذى تقدم به والخاص بتعيين نائبين للأحكام فى هذه القضية ، قال الشوربجى بك : نعم وأطلب أن تصرحوا لنا بطبع المذكرة لأن المطابع ترفض أن تطبع أى شىء الا بأمر من دولة الحاكم العسكرى ٠

ويدور حديث طويل حول طلب الافراج عن عزيز المصرى باشا ، ويقول حافظ رمضان باشا أثناء المناقشة : بعد أن اشتغلت محاميا ٢٥ سنة وكنت نقيبا للمحامين أرى أننى لست جديرا بحمل هذا الروب اذا لم أحتج بشدة على اعتقال عزيز باشا المصرى ٠

وتؤجل القضية الى ٢٩ نوفمبر ١٩٤١ ٠

وقبل بداية الجلسة كان عزيز باشا قد تحدث طويلا مع الدكتور منصور فهمى بك مدير دار الكتب الذى حرص على شهود الجلسة ٠

ويعلن رئيس الجلسة اجابة الدفاع الى طلبه واعتبار الأستاذ حسين طنطاوى مساعدا لنائب الأحكام فى الجلسة ، ويقف حافظ رمضان باشا ليشكر المجلس لرجوعه لنصوص القانون ويقول حافظ باشا ، ويؤيده فيما قاله مصطفى الشوربجى بك ، ان مساعد نائب الأحكام لا يجوز له أن يحضر المداولات ولا أن يبقى فى المجلس رغم أننا نحترم الأستاذ حسن طنطاوى شخصيا ولكننا نتكلم عن اختصاصه » ٠

ووقف مصطفى الشوربجى ليترافع فى عدم دستورية قانون الأحكام العسكرية ٠

الفصل الخامس

المحامون المترافعون عن عزيز المصرى باشا يتساءلون : ما الفائدة من حكم لايقره الرأى العام ؟

نتابع الحديث عن محاكمة عزيز المصرى باشا أهم وأخطر المحاكمات العسكرية بعد محاكمة أحمد عرابى باشا اثر هزيمة الجيش المصرى فى موقعة التل الكبير (فى سبتمبر ١٨٨٢) وقد كانت محاكمة عزيز على المصرى باشا ، كما سبق أن ذكرنا موضع الاهتمام الشديد من الرأى العام المصرى والعربى والدولى وكانت الصحف المصرية رغم وجود الرقيب ورغم قيام الحكم العسكرى العرفى تنشر ما يدور فى جلسات تلك المحاكمة بالتفصيل ٠

وكانت كتيبة الدفاع عن عزيز على المصرى باشا بقيادة حافظ رمضان باشا المحامى ورئيس الحزب الوطنى وكان من أقطاب تلك الكتيبة الأستاذ مصطفى الشوربجى أحد أقطاب الحزب الوطنى أيضا وقد وقفنا فى الفصل السابق عند بداية مرافعة الأستاذ مصطفى الشوربجى « فى عدم دستورية قانون الأحكام العسكرية الذى كان يحاكم بمقتضاه عزيز على المصرى باشا » ٠

وكان من بين ما قاله الأستاذ مصطفى الشوربجى فى بداية مرافعته وهو يخاطب هيئة المحكمة :

الادعاء يطلب منكم أنتم يا كبار رجال الجيش أن تسجلوا بأيديكم المصرية الصميمة فى تاريخ مصر العسكرى الحافل بآيات الشرف والبطولة أن رئيس الجيش المصرى السابق الحائز على أكبر رتبة عسكرية رتبة الفريق التى تلى رتبة المارشالية قد ارتكب تلك الجرائم : اغراء ضابطين ناشئين على الهرب ٠ اغراء ضابطين على سرقة طائرة من الجيش واستعمالها ٠

سرقة طائرة و ٠٠ و ٠٠

ان تاريخ الجيش المصرى حافل بآيات البطولة فى مجاهل افريقية وفى اليونان وفى روسيا وفى آسيا ، حتى فى المكسيك ، أثبت فيها كلها هذه

البطولات ، والادعاء يطلب فى هذه القضية منكم أن تسجلوا فى هذا التاريخ ان هذه السفاسف قد صدرت عن رئيس الجيش السابق ٠

ليسأل كل منكم نفسه : لبسأل جاره وأصدقاءه وأولاده : اسألوا كل شخص موجود فى الجلسة ان كان زارعا أو تاجرا أو مهندسا أو محاميا أو طبيبا أو موظفا أو قاضيا هل أحد يصدق ان عزيز المصرى باشا يرتكب جريمة من تلك الجرائم ؟

ما هى الفائدة من حكم لا يقره الرأى العام ؟ الرأى العام هو الذى يمثل صاحب الدعوى العمومية فلا يصح أبدا أن يصدر منكم حكم لا يرضاه الرأى العام ٠

يا حضرات الضباط العظام : لا ينبغى للسياسة أن يكون لها دخل فى هذه القضية ، فالسياسة والعدل لا يجتمعان ٠

السياسة شيطان رجيم والعدل ملك كريم ٠

والشيطان والملك لا يجتمعان ٠

السياسة نار جهنم والعدل ماء حلو فرات والماء والنار لا يجتمعان ٠

السياسة والعدل لا يتفقان فاذا جاءت السياسة من النافذة خرج العدل من الشباك والسياسة وحدها هى التى أوحت بهذه القضية ولذلك وجب أن تقدر مصالح الوطن وأن نعلو بأنفسنا فوق الخصومات والانتقامات ٠

ويمضى الأستاذ مصطفى الشوربجى فى مرافعته قائلا : ليس أحب للمحامى من أن يترافع أمام قضاة يعرفون فى المتهم ، الشرف والنزاهة والاخلاص ٠

وقد عرفتم المصرى باشا ولا شك أنكم عرفتم فيه العسكرى الممتاز الموهوب ٠

ولذلك فليس أحب الينا من أن نترافع أمامكم لان علمكم بذلك يكفى لان نقول عن المصرى باشا أنه برىء ٠

ان تاريخ الشخص جزء من شخصيته ولا يمكنكم أن تفصلوا فى حقيقة هذه الاتهامات دون أن ترجعوا الى تاريخ المصرى باشا ٠

ليس أحب الينا من أن نترافع أمامكم لان نزاهتكم وشرفكم العسكرى كفيل بتحقيق العدالة على أيديكم ولكن اذا قام الدستور العظيم دون تحقيق هذه الأمنية وجب علينا أن نعترض على هذه المحاكمة لاعلاء كلمة الدستور ٠

إن الحواجز التى وضعها الدستور هى حصون وقلاع تحمى حرية المصريين ولذلك لا يمكن أن نقبل أن نحاكم بمقتضى أحكام لا تخضع للدستور ٠

ويدلل الأستاذ مصطفى الشوربجي على أن ما يسمى بقانون الأحكام العسكرية ، غير قانوني ، وغير دستوري أيضا فهو ـ مثلا ـ لم يصدر بناء على طلب الوزير المختص ، ولم يعرض على مجلس الوزراء ولم ينشر فى الجريدة الرسمية « الوقائع المصرية » و ٠٠ و ٠٠

ان الكتاب الذى بين أيديكم والذى تريدون محاكمة عزيز المصرى باشا بناء على بنوده والذى شكل المجلس العسكرى بمقتضى أحكامه لا يمت الى تشريع البلاد بشيء ولا بدستور البلاد فى شيء وان احترام هذا الكتاب هو اجتراء على الدستور واحتقار لكل جزء من أجزائه ٠

ويقول الأستاذ مصطفى الشوربجي : جردوا هذا الكتاب من بريق القانون، سموا الأشياء بأسمائها حتى لا يلتبس على الناس القانون ، وغير القانون : انه خطأ فظيع جدا أن تطبع الحكومة فى مطابعها كتابا غير قانوني لتخدع به العالم ، وتقول أنه قانون » ٠

وقد تدخل عزيز على المصرى باشا عندما ردد الأستاذ الشوربجي انه لا جريمة بدون قانون ، وان الدستور لا يقول ذلك وحده بل ان الفرمانات الشاهانية الصادرة قبل الدستور تقول هذا القول : قال عزيز المصرى لقد جمع القرآن الكريم كل مبادىء الحرية ومبادىء التشريع ، وقد قال الله تعالى : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » وفسر عزيز باشا الآية بأن الله سبحانه وتعالى لم يوجد العذاب الا بعد أن بعث رسولا بين للناس الحلال والحرام ويقول الأستاذ مصطفى الشوربجي فى ختام مرافعته الرائعة : ليس عندى بعد هذا الذى قلته الا أن أحتفظ لعزيز المصرى باشا بحقوقه قبل أى شخص أو هيئة تتسبب فى ضرره من غير أن تستند الى الدستور ، والتمس الأستاذ الشوربجي من المجلس العسكرى العالى أن يمتنع عن محاكمة المصرى باشا ، وأن يصدر قراره بالافراج عنه فورا ٠

وقال حافظ رمضان باشا وهو يوجه كلامه ، الى هيئة المجلس العسكرى : لاحظوا ان المصرى باشا ذلك الرجل الذى حارب فى اليمن وفى طرابلس والذى كل تاريخه فخار وبطولة وفضل وانتصار : هذا الرجل العظيم لا يصح مطلقا أن يحاكم بقانون مزيف » ٠

وفى جلسة ٥ يناير ١٩٤٢ كان عزيز باشا المصرى يبدو فى أمس الحاجة الى الراحة والعناية بصحته وكان متدثرا بكوفية ومرتديا بالطو ثقيلا اتقاء البرد وكان فى تلك الجلسة على غير العهد به فى الجلسات السابقة اذ كان قليل الحركة ساكنا قليل الكلام ، وفى بداية تلك الجلسة قال اللواء عبد الحميد حافظ باشا رئيس المجلس العسكرى العالى أن المجلس قد اطلع على مذكرات الدفاع الخاصة بعدم دستورية قانون الأحكام العسكرية والخاصة بالافراج عن

عزيز باشا ولان الضابط الآمر بتشكيل المجلس غائب ولوجوب اطلاع المجلس على بعض الأوراق اللازمة للبت فى طلب الافراج عن عزيز باشا المصرى فقد قرر المجلس تأجيل الجلسة الى موعد يحدد فيما بعد ، ويطلب الأستاذ فتحى رضوان المحامى ، الافراج عن عزيز على المصرى باشا « ولا خوف من الافراج عنه لانه رجل ذو ماض عظيم يفتخر به وصاحب شرف كبير ولن يحاول قط الفرار من المثول أمامكم أو أمام أية هيئة أخرى ترى وجوب محاكمته بمقتضى القانون » ٠

ويعترض المدعى على طلب الافراج عن المتهم لان تهمته جسيمة وهو يحاكم أمام مجلس عسكرى عال والمجلس العسكرى العالى لا يحاكم أمامه الا المتهمون بارتكاب جرائم جسيمة ٠

ويثور فى المحكمة جدل حول وضع عزيز المصرى ، هل هو تحت التحفظ أم أنه مقبوض عليه ؟ ويقول ممثل الادعاء أن هناك أمرا بالقبض على عزيز باشا وانه فى أول جلسة من جلسات المحاكمة تلقى من سعادة رئيس هيئة أركان حرب الجيش صورة من قرار الطبيب الذى تولى الكشف على عزيز باشا تفيد أن المصرى باشا موضـوع تحت التحفظ ، ويثور حافظ رمضان باشا لهـذا التفسير الغريب للأوراق ويقول ان الورقة التى يشـير اليها الادعاء ، ليست الا أورنيك مطبوع ٠

ونحن ـ حافظ رمضان باشا ـ لم نر الورقة التى تشتمل على الأمر ، بوضع عزيز المصرى باشا تحت التحفظ ، ويقول المدعى ان الورقة ليست معه وربما تكون فى الخزانة التى فيها أوراق القضية فى ادارة الجيش والضابط الذى معه مفتاح الخزانة غائب الآن ٠

ويقول الأستاذ الشوربجى : اذن أنتم أعطيتمونا القضية ناقصة وهذا يضر بالمتهم ٠

ويسأل رئيس المجلس المدعى عما اذا كان لدى الادعاء صورة من الكتاب الذى أرسلت به القضية من النائب العام الى وزارة الدفاع ؟ ويقول المدعى : هذه مسألة خاصـة بالادعاء والادعاء يرفض الاجابة عنهـا لاننى لا أفهم معنى الاستجواب !

ويقول الأستاذ مصطفى الشوربجى : ان المدعى دائما يفكر أنه فى مركز وكيل النيابة لان مدة عمله كانت كلها فى النيابة لذلك هو يسير فى طريق ضد المتهم وسبق أن أوضح الدفاع ان كتاب الأحكام العسكرى الذى يتمسك به المدعى يحتم عليه أن يراعى مصلحة المتهم ولا يميل الى اثبات التهمة عليه ٠

ويمضى الأستاذ الشوربجى قائلا : لقد قضى سعادة النائب العام أشهرا فى تحقيق القضية وبعد ذلك لا يعرف كيف أرسل دوسيه القضية الى وزارة الدفاع ونطلب الخطاب الذى أرسل به سعادة النائب العام القضية فيقول المدعى

ان هذه الاورق خاصة به : هذا الخطاب يا حضرات القضاة خاص بالعدل ولست أفهم من هذه الطريقة سوى انها عناد ، هذه ليست دعوى شخصية وانما هى قضية الجيش المصرى ، وكل سطر فيها يجب أن يظهر هنا مش تخلى الجوابات فى جيبك ، وتفاجئنا بها أخيرا ، نحن نفهم أن للنائب العام رأيا فى هذه القضية وأنت تخشى ابراز الخطاب » ٠

ويتلو المدعى نص الخطاب الذى وجهه النائب العام الى وزير الدفاع بخصوص قضية عزيز باشا المصرى والضابطين الطيارين ، برجاء اتخاذ اللازم لمحاكمتهم أمام مجلس عسكرى عال ٠

وعاد حافظ رمضان باشا ليؤكد أن القبض على عزيز المصرى باشا أمر لا يوجد فى القانون ما يبرره وأن القبض على أى شخص مسألة خطيرة فنحن نسأل هل هناك أمر بالقبض أم لا ؟ لانه لا يجوز القبض على أى شخص بمجرد ان القانون أجاز ذلك ٠

ويعترف رئيس المجلس بأنه ليس أمامنا ــ المجلس العسكرى ــ أمر بالقبض على عزيز المصرى باشا ٠

ويسأل رئيس المجلس المدعى : هل حبس عزيز المصرى الآن هو بأمر النيابة أم بأمر الضابط الآمر بالتشكيل ؟ ويقول المدعى : يسأل عن ذلك الضابط الآمر بالتشكيل ٠

وترفع الجلسة نصف ساعة تعود بعدها الى الانعقاد حيث يتحدث الأستاذ حمادة الناحل عن بعض الملاحظات القانونية طالبا من المدعى الاجابة عنها ، ولكن المدعى يرفض أن يجيب عن ملاحظات الدفاع الا اذا وجهها اليه رئيس المجلس ويوجه رئيس المجلس بعض تلك الملاحظات طالبا من المدعى الاجابة عنها ومن بينها أن المدعى فى مرافعته الشفوية تمسك بقانون سنة ١٨٨٤ وفى مذكرته المكتوبة لم يشر الى ذلك القانون ٠

ويتمسك المدعى بمذكرته المكتوبة وما جاء على لسان المدعى يتمسك به الدفاع ليؤكد أن دفاع المدعى قد انهار ويطلب الأستاذ حمادة الناحل من الادعاء ، ألا يعرض بشجاعة عزيز المصرى كما يطلب من رئيس المجلس أن يأمر باستبعاد ما ورد فى مذكرة الادعاء عن عزيز المصرى باشا حفظا لكرامة الجيش ويقول المدعى : اذا كان فى مذكرتى بعض عبارات لم يرتح لها الدفاع ، فان هناك عبارات وردت فى مذكرات الدفاع أشد وأقسى ٠

ويهمس عزيز المصرى باشا ، قائلا : وأنا ذنبى ايه يا أستاذ !

أما مذكرة الدفاع التى طالب المجلس العسكرى العالى فيها بالافراج عن عزيز المصرى باشا فتقع فى ١٤ صفحة وقد جاء فى مستهل تلك المذكرة :

ليس من شك فى أن حرية الانسان كبيرا كان أو صغيرا هى أغلى ما يملك لان من نقيد حريته يفقد جوهر حياته فيحرم من السعى فى الدنيا كما يحرم من مشاركة الناس فيما يتقلبون فيه من مختلف العواطف ويكمش وجوده الى دائرة ضيقة لا تعدو ، الطعام ، والنوم ٠

لهذا تحرجت القوانين جميعا بحق من انزال القيود بحريات الناس والحد منها ووضعت لنفسها شروطا وثيقة لا تسمح لرجل السلطة التنفيذية أو القضائية بعد توفرها أن يمس قدس الأقداس أعنى حرية الناس وتمضى المذكرة فى التأكيد على بطلان القبض على عزيز المصرى باشا وتسوق كل الأدلة القانونية على ذلك كما تتحدث المذكرة أيضا عن دواعى الافراج عن عزيز على المصرى باشا لان قانون الأحكام العسكرى لا يأذن بحبس غير العسكريين المنتسبين الى الجيش العامل ولان القبض على عزيز باشا لم يكن بصفة قانونية على فرض جواز حبسه ٠

وعلى فرض أن هناك أمرا قانونيا صحيحا بحبسه فقد طال حبسه وتأخر بلا مبرر ولان صحة عزيز باشا ثم مكانته وكرامته فى الجيش تقضى بالافراج عنه ٠ وعن القضية الأخيرة جاء فى مذكرة الدفاع :

أما صحة عزيز باشا فاسألوا الأطباء فيقولون لكم انه فى معتقله فقد ١٤ كيلو جراما من وزنه وقد تجلد ولم يتعلل بهذه الحالة ليؤجل المحاكمة لانه مل الانتظار ، وضاق به ذرعا ولان أعصابه التى أنهكها مما أثير حوله ، وحول اسمه ، ونواياه من غبار لا يحتمل أن يبقى هذا الاسم الكريم معلقا ولانه جبل منذ صباه على أن يواجه المكاره لا أن يفر منها ٠

ولكن المجلس العالى وهو خليق يقدر هذه الروح الطيبة الفياضة بالأباء والشجاعة النابضة بالبراءة ونصاعة الصفحة يجدر به ألا تفوته هذه الحالة الصحية وألا يغفل ان هذا الرجل العظيم وان وقف اليوم موقف الاتهام فان ضخامة المركز الذى كان يشغله وكبر الدور الذى قام به ولعبه تجعل له حقا فى التكريم واحسان المعاملة شأنه فى ذلك شأن جميع اخوانه الذين وقفوا هذا الموقف فلم يلقوا من القواد الذين حاكموهم الا الرفق ، والتلطف فى المحاكمة وهما لا يتعارضان مع الحزم وتحرى الحق والدأب والسعى لاظهاره ثم انزال العقاب على من يستحقه » ٠ وتختتم مذكرة هيئة الدفاع عن عزيز باشا المصرى بالعبارة التالية : وأيم الحق انها لسبة ما بعدها سبة ألا يطمئن رجال الجيش الى شرف رئيسهم الى عهد قريب اذا هو طلب منهم أن يفرجوا عنه الى أن يفصلوا فى القضية ، لا سيما اذا ارتفع صوت القانون ، عاليا مدويا بأن القبض عليه كان باطلا وان استمرار حبسه كان امعانا فى البطلان واصرارا عليه ، أن شرف العسكرى أعلى وأكبر من أن يقوم على هذه الصورة ويوزن بهذا الميزان ٠

أفرجوا عن عزيز باشا والسلطات الادارية « البوليسية » تتخذ ما نشاء من اجراءاتها • أفرجوا عن عزيز باشا ، تعيدوا الأمور الى نصابها وتحققوا الحق ، وتطبقوا القانون وتسبغوا على الجيش المصرى العظيم شرفا فوق شرف » ويصدر المجلس العسكرى العالى قرارا بتأجيل محاكمة عزيز على المصرى باشا من جلسة ٥ يناير ١٩٤٢ الى جلسة يحدد موعدها فيما بعد ، ولا يحدد الموعد فيما بعد الا أنه فى الساعة السابعة من مساء ٥ مارس ١٩٤٢ – أى بعد شهرين كاملين – يستدعى مصطفى النحاس باشا رئيس الوزراء – وفى جناحه الخاص بفندق مينا هاوس – عزيز على المصرى باشا والضابطين حسين ذو الفقار أفندى وعبد المنعم عبد الرءوف أفندى بحضور أحمد حمدى سيف النصر باشا وزير الدفاع والفريق ابراهيم عطا الله باشا رئيس هيئة أركان حرب الجيش والضابط العظيم الأمر بتشكيل المجلس العسكرى الذى كان يتولى محاكمة عزيز باشا وزميليه ، وفى هذا الاجتماع بلغ النحاس باشا عزيز باشا وحسنين ذو الفقار أفندى وعبد المنعم عبد الرءوف أفندى بانهم منذ الآن أحرارا فى الذهاب الى منازلهم على أن يكونوا تحت الرقابة العرفية ، لحين الانتهاء من اتخاذ ما يلزم من الاجراءات التى عهد وزير الدفاع الى أركان الحرب اتمامها •

وقد أسدى رفعته – كما قال بيان رسمى أذاعته سكرتيرية مجلس الوزراء – لهم النصح باحترام القوانين والتزام حدود الواجبات التى يقضى بها الشرف العسكرى فقبلوا نصحه شاكرين وقطعوا على أنفسهم كلمة شرف بألا يصدر منهم ما يدعو الى ريبة نحوهم وعلقت صحيفة المصرى فى ١٩٤٢/٣/٦ بقولها « لا شك أن هذا الاجراء الذى بدأ من جانب رفعة رئيس الحكومة جاء نتيجة لمساع بين السلطات المختلفة توجت بالنجاح وجاءت دليلا ساطعا على أن الحكومة لا تتوانى فى العمل بما يوحيه اليه ضميرها وما تستوحيه المصلحة العامة غير ناظرة الى أى اعتبار من الاعتبارات » •

وقبل أن نطوى صفحة تلك القضية التاريخية الكبيرة والخطيرة قضية محاكمة عزيز على المصرى لابد وأن نشير الى ما سبق أن رواه المثال الكبير عبد القادر رزق – طيب الله ثراه – عن واقعة القبض على عزيز باشا فى داره بامبابة :

قال عبد القادر : « ان أول مرة قابل فيها عزيز على المصرى كانت فى منزل الدكتور طه حسين ، وكنت – عبد القادر رزق – على وشك السفر الى أوروبا فى دراسة ، بعد أن أرسلتنى مدرسة الفنون الجميلة التى كنت أعمل بها معيدا ، فى بعثة دراسية مدتها ثلاث سنوات ، وبعد عودتى من أوروبا قابلت عزيز باشا وكانت مقابلتى له عن طريق السيدة الفاضلة علبة فهمى التى درست بالسربون وتشبعت بمبادىء الحرية وهى التى اتصلت بى تليفونيا واصطحبتنى الى عزيز المصرى وكانت مقابلة مثمرة ، وأيضا اتفقت معه على أن أقوم بعمل

تمثال له ومن أجل عمل ذلك التمثال بدأ يتردد على منزلى فى امبابة ومن خلال لقاءاتى بعزيز باشا ، عرفت أنه سوف يسافر الى الخارج ليحصل على تأييد للقضية المصرية وأننا حينما نسمع من أية اذاعة من الاذاعات كلمة السر « العهد » فان هذا معناه أن يبدأ الشباب الثورة .

ويقول عبد القادر رزق ـ طيب الله ثراه ـ كنت استأجر شقتين متقابلتين شقة منهما كانت من دورين وقرب الفجر سمعت دقا على باب منزلى ، وفوجئت بعزيز المصرى وحده أمامى وظننته قد جاء يوصينى بشىء قبل أن يسافر خاصة وأنه كان قد أخفى عندى حقيبة منذ أسبوع لكنه استأذننى فى الدخول ، وكان معه ضابطان وكان يبدو على الجميع الارتعاد فأتيت بمرتبتين فى شقتى المقابلة وفرشتهما كى ينام عليهما الضابطان أما سريرى فى الاستوديو فقد فرشته لينام عليه عزيز باشا وقضى الثلاثة فى الاستوديو ثلاثة أسابيع .

وكنا نذيع أخبارا عن وجود عزيز باشا فى المانيا حتى تيأس السلطات من العثور عليه وبدأنا نتحرك بتوجيه من عزيز المصرى باشا الى أن تم القبض علينا بعد مقابلتى لأحمد مرزوق الذى كان مراقبا لحزب مصر الفتاة وكان بدوره مراقبا من قبل البوليس السياسى »

ويقول أحمد مرزوق ـ رحمه الله أيضا ـ أنه نعرف بعزيز المصرى باشا فى منزل مدير أسيوط عندما كان مفتشا عاما للجيش المصرى ، كما يقول أيضا أن الاجتماع الذى تقرر فيه سفر عزيز باشا المصرى كان فى منزل السيده عليه فهمى بالدقى وأن النية كانت متجهة للهرب بطائرة الملك الخاصة حتى لا يقبض عليه » .

ويقول الأستاذ أحمد مرزوق : كان هناك مخبر دائم يراقبنى بالليل والنهار ، ولكنى كنت اتصل بعزيز المصرى باشا فى مخبئه ، من خلال عبد القادر رزق اذ أنه كان يحضر الى منزلى ومعه كتاب يتركه لى وعلى احدى صفحاته كلمات كتبها بالرصاص عزيز المصرى باشا لأقوم بتنفيذها واستمر الحال مدة من الوقت .

وقد حدث أن اتصل بى عبد القادر رزق عن طريق تليفون معهد التربية واتفقنا على أن نلتقى فى الثالثة بعد الظهر فى صالة صولت بشارع قصر النيل « مكان عمارة وهبى الآن » وكان البوليس يراقبنى فلم نكد نفترق أنا وعبد القادر حتى سار بعضهم خلفى والآخر خلف عبد القادر ، وكان محمد ابراهيم امام هو الذى سار خلف عبد القادر رزق .

ويقول محمد ابراهيم امام مدير البوليس السياسى « سابقا » عن قصة العثور على عزيز المصرى باشا وزميليه فى مخبئهم فى بيت عبد القادر رزق بامبابة ما يلى :

« اهتمت كل أجهزة الدولة بالبحث عن ركاب الطائرة وألقى العبء الأكبر على عاتق البوليس السياسي والمباحث الجنائية ووقع على الاختيار ضمن الضباط الذين أختيروا من البوليس السياسي ولم يقتصر الأمر على أجهزة الأمن في القاهرة وحدها بل شمل كل الأجهزة في المديريات كلها حتى في القرى الصغيرة والعزب ، ان المهمة خطيرة والعبء قاس على كاهل ضابط صغير مثلي برتبة اليوزباشي ، فشخصية بطل القضية شخصية كبيرة وطنية وشعبية والرأى العام له تقديره في نتيجة هذه المهمة اذا ما كتب لي النجاح فيها هذا من وجهة النظر العامة ومن وجهة النظر الخاصة فان عزيز باشا كان أستاذي بكلية البوليس وكان أستاذا فوق الممتاز وأنا وكل تلاميذه مدينون له بتربية صالحة قاسية لا تعرف الهوادة أو التراخي في سبيل الواجب » .

ويقول محمد ابراهيم امام : ان الموقف تأزم بين السلطات الحربية والحكومة بسبب هذا الحادث وذهبت الشائعات الى القول بأن الوزارة في طريقها الى الاستقالة .

وقد تم عمل تحقيق ادارى أسفر عن مسئولية البوليس السياسي وتقصير مدير الأمن العام حمدى بك محبوب وقد تقرر اعفاء محمد عزمى بك سكرتير عام وزارة الداخلية من جميع مشاغل منصبه ليتفرغ لهذه القضية وحدها وخولت له سلطات واسعة وقد هددنا نحن رجال البوليس السياسي وأنذرنا بالاعتقال اذا فشلت جهودنا في القبض على المختفين وقد كان دافعنا الى مواصلة الجهد حماية أنفسنا لا اغراء المكافآت السخية وقد أصبحنا نخاف من أن ينتهى بنا الأمر الى محاكمتنا في ظل الأوامر العسكرية القاسية التي كانت لا ترحم وأقلها أوامر الزج في المعتقلات وكانت طريقتي التي انفردت بها في البحث مراقبة الأشخاص الذين كنت أعلم بوجود صلة بينهم وبين عزيز باشا أية صلة ومن أى نوع كانت سواء في حاضر أو في ماض مهما كان بعد هذا الماضي وفي ١٦ يوليو اهتديت الى الشخصية التي تركز فيها اشتباهي بطريقة لم تسبق مع غيره من الرجال الآخرين الذين اشتبهت فيهم وفي اللحظة التي اعتقدت فيها أنني أمسكت بطرف الخيط أفلتت مني هذه الشخصية ومع ذلك لا بأس وكان هذا الشخص الفنان عبد القادر رزق وكانت أهم ملاحظة أثارت انتباهي وأنا أراقبه وأتابعه أن رأيته يشترى في ثلاثة أيام متعاقبة كميات كبيرة من الأطعمة الفاخرة من محلات جروبي وانى أعلم أنه رجل محدود الدخل ، ولم أستطع الاهتداء الى عنوان بيته الى أن رأيته في أول يوليو يشترى كمية كبيرة من الأطعمة من عدة محلات حتى لا يثير الشبهات ، وتتبعته الى بيته في امبابة ، وعرفت أنه أعزب فلمن يشترى اذن هذه الكميات الضخمة من الأطعمة الفاخرة .

وأصبح يساورني اليقين أكبر من الشك في أن عزيز المصرى ورفيقيه يختفون في هذا البيت ورجل البوليس أحيانا يستوحى عقله الباطن مما يستقرئه

من الوقائع التى أمامه ومن مراقبة الشقة لاحظت أن نوافذها تظل مغلقة نهارا ولا تفتح الا ليلا وهذا من الأدلة الكبرى على وجود سر داخلها يخشى نور النهار ولا يطمئن الا الى ظلام الليل وانتهيت الى أنى لو استعنت بقوة منا سنسبب كارثة ولصلتى بعزيز المصرى كأستاذ لى فى كلية البوليس أستاذ فى الرجولة والشجاعة والصلابة رأيت أن أذهب وحدى بدون قوة وأعالج الموقف من وجهة النظر النفسية .

وانتقلت -محمد ابراهيم امام- الى البيت وصعدت الىالشقة وحدى وكانت الساعة الثانية عشرة ظهرا وقد ساعدتنى الظروف فكان باب الشقة تعلوه نافذة من زجاج أمكننى أن أدفعها وأفتحها بسهولة ومددت يدى وفتحت مزلاج الباب من الداخل .

ودخلت الشقة وكانت حجراتها مفتوحة الأبواب ما عدا حجرة واحدة ، مغلقة الباب وذهبت الى هذه الحجرة وأدرت أكرة الباب فانفتح فوجدت أمامى عزيز المصرى ورفيقيه وكانت مفاجأة لهم ، « وعلامات » الدهشة على وجوههم . ثم فارقهم بهدوء وبدأت كلامى قلت : السلام عليكم !

وأجابونى فى صوت واحد : وعليكم السلام .

وأضاف عزيز باشا بصوته الجهورى العميق : أهلا وسهلا .

قلت : اسف .

وآجاب عزيز باشا : لأ مافيش حاجه .

- كيف ؟

- أنت تؤدى الواجب ، وقد علمتكم فى كلية البوليس كيف تؤدون الواجب .

- أنك أستاذى ولهذا أشعر بحرج كبير !

- كيف ؟ ان الأستاذ لا يسعده شىء مثلما يسعده نجاح تعاليمه ، وعلى الأخص فيما بينه وبين تلميذه .

اخلع طربوشك يا امام الدنيا حر .

وخلعت طربوشى وقال لى عزيز باشا : أقعد يا امام .

وجلست معهم ، ومضى عزيز باشا يسألنى : أمال فين القوة اللى معاك ؟

قلت : أنا جيت لوحدى .

قال : ازاى .. عجيبة .

قلت : لانى يا أفندم عارف كويس ان رجالا مثلكم يقدرون واجبهم نحو وطنهم حق قدره » .

وسلم عزيز المصرى لمحمد ابراهيم امام الطبنجات التى لديه وزميليه وطلب منه أن يقوم بالتفتيش وكأنه يلقى أمرا عسكريا ٠

« وبينما كنت ــ محمد ابراهيم امام ــ أفتش كان عزيز باشا ، ورفيقيه يتحدثون ، حديثا عاديا ، يغلب عليه المرح وكأنما ليس فى الأمر ما يثير اهتمامهم ، وكأننى زائر عادى دخل عليهم ٠

وكان أبرز ما يبدو عليهم ، أمارات الشجاعة الفذة النادرة وذلك الحديث الذى يتبادلونه لا يتفق مع الموقف كما اعتدنا ، مع غيرهم ، لقد كان عزيز باشا ورفيقاه يؤمنون كل الايمان بأنهم كانوا بصدد عمل وطنى بعيد عن الجريمة ، وكانت أمارات الشجاعة والارتياح تغمر وجوههم وتعلن أنهم قوم قد أرضوا ضمائرهم بعمل لخدمة وطنهم » ٠

ويطلب محمد ابراهيم امام منهم أن يرتدوا ملابسهم وأن يسمحوا له بأن « يتكلم فى التليفون عشان يخطر الجهات الرسمية » ٠

ويعتذر عزيز المصرى باشا لعدم وجود تليفون بالمنزل ويسأل محمد ابراهيم امام عن التليفون الذى سوف يتكلم منه ، فلما عرف انه تليفون المركز ، قال عزيز باشا : ياه المركز بينا وبينه كيلو من هنا ٠ ويقول امام : ما باليد حيلة ٠ ويسأل عزيز باشا محمد ابراهيم امام : وتسيبنا هنا لوحدنا ٠ ويقول محمد ابراهيم امام : وماله ٠ ويسأل عزيز باشا : موش خايف لنهرب ؟

ويقول امام : تكفينى كلمة الشرف ٠

ويذهب محمد ابراهيم امام الى المركز يتحدث من هناك ثم يعود ليجد عزيز المصرى ورفيقيه وقد ارتدوا ملابسهم وأعدوا حقائبهم وكتبهم ٠

وقال عزيز المصرى : احنا ماهربناش كلمة الشرف تخوف أكثر من أورطة بحالها ٠

ووصل وكيل الداخلية ووكيل الأمن العام والحكمدار ودعوا عزيز باشا ورفيقيه للتوجه معهم الى سجن الأجانب ٠

« وبينما كنت ــ محمد ابراهيم امام ــ أهبط السلم ، الى جانب عزيز المصرى همس فى أذنى قائلا : لى ملحوظة واحدة بس يا امام ، كان لازم نخبط على باب الأوضة قبل ما تفتح علينا ! » ٠

تلك قصة القبض على عزيز المصرى باشا ، كما رواها محمد ابراهيم امام ، وهى مختلفة الى حد كبير عما نشرته الصحف المصرية ، كل الصحف المصرية ، فى اليوم التالى للقبض على عزيز باشا المصرى ، أتراها مسئولية الصحافة ؟ أم مسئولية الجهات التى تغذى الصحافة بمثل تلك الأنباء غير الصادقة ؟ ولا أقول أكثر من هذا ٠٠

وملحوظة أخرى : أكان ما قاله امام بك فيما بعد ، هو نفس ما قاله بعد إلغاء القبض على عزيز المصرى باشا أم أن الأقوال تغيرت بتغير الظروف والأحوال •

على أية حال لقد كانت قضية هرب عزيز المصرى باشا وقضية محاكمته من أهم الموضوعات التى أثرت فى وجدان الشباب المصرى وقتئذ بل لعلى لا اتهم بالمبالغة اذا ما قلت ان محاولة عزيز المصرى باشا الهرب ومحاكمته ، ثم الافراج عنه فيما بعد كانت من الأمور التى ثبتت فيها قوة الرأى العام المصرى ومناعته •

ونترك قضية عزيز المصرى باشا : هربا ومحاكمة ، وننتقل الى الأيام الأخيرة فى وزارة حسين سرى باشا ــ وزارة الأزمات ــ وذلك قبل أن نصل الى حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ •

البـاب الثـامن

الفصل الأول

ثورة فى مجلس النواب : ضد وزارة حسين سرى قبل أن ترحل

● أنهينا الفصل السابق بالحديث عن قصة محاولة عزيز على المصرى الهرب من مصر ، وكذلك بالحديث عن اختفائه هو وزميليه ، لمدة ثلاثة أسابيع ثم القبض عليهم ، وتقديم عزيز باشا ، الى مجلس عسكرى عال ، وقد قلنا ان ذلك كله قد انتهى بافراج وزارة مصطفى النحاس باشا ، التى وليت الحكم ، بعد سقوط وزارة حسين سرى باشا عن عزيز المصرى باشا ، وزميليه ، لأن محاكمة عزيز باشا لم تكن قانونية ، على حد قول بعضهم ، أو لأن وزارة النحاس باشا ، ارادت كسب بعض الشعبية واثبات انها ليست مع الانجليز دائما ، بدليل أنها أفرجت عن عزيز المصرى ، عدو الانجليز وزميليه ، وذلك ؛ على حد قول آخرين .

وفى هذا الفصل نتحدث عن الأيام الأخيرة لوزارة حسين سرى باشا وزارة المشاكل — كما يحلو لنا أن نسميها باستمرار — وكان حسين سرى باشا ، قد انتوى تدعيم وزارته بادخال السعديين فى اعقاب فرار عزيز المصرى باشا ، ولكنه لم يشأ — كما يقول د. هيكل باشا — ان يفاتح احدا فى هذا التدعيم ، قبل ان يعثر البوليس على عزيز باشا وزميليه فلما تحقق لوزارته ذلك بالقبض ، على عزيز على المصرى باشا ، فاتح السعديين فى دخول الحكم ، فدخلوا فى نهاية يوليو ١٩٤١ .

ورغم دخول السعديين فى وزارة حسين سرى باشا الا أن الازمات لم تنته بل تضاعفت بسبب هجوم الوفد المصرى على وزارة حسين سرى باشا ، وعلى الانجليز معا ، وكان حسين سرى باشا ، قد خسر الانجليز ، والسراى معا ، لأنه لم يستطع ارضاء ، الانجليز وارضاء السراى ، فكانت النتيجة أن خسرهما معا رغم شعيرات معاونة التى كان يمدها لحسين سرى باشا والانجليز ، والسراى أيضا !

وكان البرلمان المصرى قد دعى الى الانعقاد فى ١٥ نوفمبر ١٩٤١ وكان حسين سرى باشا قد القى خطاب العرش كما هو متبع ، وقد خصص جزءا منه للحديث عما كان يشغل الشعب ، وقتئذ : ازمة المواد الغذائية وغلاء المعيشة كما خصص جزءا اخر من خطاب العرش اياه للحديث عن الجيش ومشروع قانون التجنيد وعن زيادة عدد المخابىء . وقد أكد خطاب العرش « على روح ، التعاون ، الصادق ، الذى يربط الحكومة المصرية بحليفتنا العظمى وما زال هذا التعاون يزداد عراه قوة كل يوم وتتجدد مظاهره ، وتحمد نتائجه » .

ولم تجر فى مجلس النواب ، انتخابات للرئاسة بمعنى كلمة انتخابات ، اذ انتخب د. أحمد ماهر باشا بما يشبه التزكيه فنال ١٨٢ صوتا ، ونال الشيخ عيسوى صقر ، أربعة اصوات واسماعيل صدقى باشا ، صوتا واحدا ، وخليل أبو رحاب صوتا واحدا ولم يكن الاعضاء الثلاثة مرشحين لرئاسة المجلس بطبيعة الحال .

وشكر د. أحمد ماهر ، الأعضاء لاعادة انتخابه ، وهنأ رئيس الحكومة رئيس المجلس الجديد ، القديم وهنأ رئيس المجلس باسم المعارضة النائب أحمد مختار والى ، الذى قال أنه يرى فى انتخاب الدكتور ماهر ، تسهيلا لاعمالنا وتمهيدا للطريق الذى سنسلكه فى وقت الاعاصير ولعل هذه الاعاصير هى الأغلبية ، فى الحقيقة » . وصفق الأعضاء وضحكوا لما قاله زميلهم المعارض. وعاد أحمد ماهر ليشكر الذين هنأوه وخاصة المعارضة ودعا الله ان يوفق المعارضة والأغلبية الى خير العمل ، متعاونين لما فيه خدمة الوطن » .

« وحين أقول — د. أحمد ماهر — التعاون ، اعتقد انه ليس دائما ، هو الاتفاق ، فى الرأى ، بل ان التعاون الصحيح قد يأتى عن طريق اختلاف وجهات النظر ، والتوفيق بينها ، مادام كل ذى رأى ، يعتقد اعتقادا سليما صحيحا ان رأيه ، هو الرأى السليم الذى يبتغى به مصلحة البلاد ، فالتعاون على هذا الاساس هو الذى أسأل الله ان يستمر دائما وجهتنا جميعا » .

وانتخب الاستاذ محمد توفيق خليل ، والاستاذ على السيد أيوب وكيلين وأولهما ، دستورى ، وثانيهما سعدى ، وكان ذلك باتفاق مسبق مع الحزبين اللذين يشكلان الاغلبية البرلمانية .

والذى يجدر بنا ان نلاحظه أنه منذ بداية الدورة البرلمانية فى ١٥ نوفمبر ١٩٤١ — وكان افتتاحها الرسمى ، قد تأجل ثلاثة أيام بسبب وعكة ألمت بالملك — حتى سقوط وزارة حسين سرى باشا فى أوائل فبراير ١٩٤٢ ، كانت تعترض البلاد مشكلتان عويصتان للغاية أولاهما الغزو الخارجى ، الذى كانت تقوم به وقتئذ قوات روميل فى الصحراء الغربية وثانيتهما صعوبة الحصول على

المواد الغذائية ، وغلاء المعيشة بشكل جعل اغلبية سكان البلاد يجدون صعوبة فى الحصول على بعض المواد الغذائية ، اما لعدم وجودها ، واما لعدم قدرتهم على دفع اثمانها المرتفعة !

فى مجلس النواب استجوب الأستاذ حسن صالح الجداوى ، وزير التموين عن اهمال مدينة السويس من حيث تموينها بالدقيق لان الناس لا يجدون قوت يومهم بها .

وكان مما قاله الأستاذ الجداوى ، وهو يشرح استجوابه : لا تطمع مدينة السويس ، فى أن يكون لها مركز خاص ، أو فى أن تعامل معاملة خاصة ، واذا كنت قد وجهت هذا الاستجواب ، فلأنى اعتقد انه اذا كانت امور التموين تجرى فى جميع بلاد القطر ، على النحو الذى تجرى عليه فى مدينة السويس فلا شك أننا قادمون على شر ما يمكن توقعه من خوف مجاعة . تشكو مدينة السويس من الشكوى منذ أكثر من ثلاثة أشهر ، وفيها اناس يقفون أمام المخابز طول اليوم ، يطلبون اللقمة فلا يجدونها وفيها نساء يذهبن الى المخابز ويقضين الساعات الطويلة بل النهار كله فى انتظار الحصول على الخبز ، ثم يعدن الى بيوتهن دون الحصول عليه فاذا رجع أزواجهن من أعمالهم لا يجدون اللقمة يسدون بها رمقهم .

نعم تشكو مدينة السويس من هذه الحالة ، الى حد أننى اليوم فقط ، لا أمس ، ولا أمس الأول ، لم أجد لنفسى رغيفا آكله وقت الغذاء ، ورغم ان معالى وزير التموين أكد لى أن الحالة تحسنت كل التحسن

وأننى لا أعدو الحقيقة فيما أقول ، ولا أحاول المبالغة لاستمالتكم الى جانبى واعتقادى أن السبب الذى لا سبب سواه فى عدم وجود الدقيق ، والخبز بكمية وافية ، هو الفوضى السائدة فى مسائل التموين بصفة عامة » .

ويقول الأستاذ الجداوى : ان من السهل أن نضع العبء كله على كاهل وزارة التموين ونستريح ، ولكن الواجب علينا ان ندلها على الطريقة المثلى التى تساعدها ، على القيام بذلك ، لا ان نقول أنها مخطئة ، وننتظر حتى يجوع الناس فلا تكون هناك فائدة فى العلاج » .

ويقول الأستاذ الجداوى ، ان وزارة التموين — فيما يتعلق بالسويس — وفقت التوفيق كله فى أن تبيع الدقيق للمخابز ، وان تهيب بالناس ، أن يأخذوا منها حاجاتهم من الخبز ، ولكنها تناست ان ذلك ليس فى مقدور كل انسان ، وان هناك عائلات تصنع خبزها بنفسها مراعاة للاقتصاد ، ان بعض الطبقات الفقيرة تتخذ من صناعة الخبز تجارة ، حيث يقبل العمال على شرائه لانه يباع بثمن بخس والحصول عليه ميسور ، اذن لا يصح الاكتفاء بتوزيع الدقيق على المخابز فقط

لان هذه المخابز قد اعدت حصيلتها لعدد محدود ، هذا فضلا عن انعدام الرقابة على المخابز ، مما جعل اصحابها يحتالون للتخلص من التسعيرة بالا يخبزوا الا قبيل ساعة البيع ويضعونه اقل نضجا وبطبيعة الحال أثقل وزنا من الخبز العادى .

ولما كان العرض أقل من الطلب فان الأهالى يتدافعون على أبواب المخابز ، مما يؤدى الى الشجار بل الى الطلاق فى بعض الاحيان كما حدث فى السويس حيث عاد أحد الأزواج الى بيته فلم يجد خبزا ، فطلق امرأته من أجل ذلك .

واقترح الاستاذ الجداوى الاستيلاء على المخابز والاشراف على ادارتها ، كما اقترح توزيع الخبز بالبطاقات كما هو الحال بالنسبة للبترول ، واذا كان للأحكام العرفية منافع ، فهذه تكون أولى منافعها » .

ورد الأستاذ محمد حامد جودة وزير التموين فقال : « ان السويس اسعد حالا من غيرها من المدن المصرية الأخرى ، ومن سوء حظ السويس انه لا يوجد بها الا مطحن واحد !

ويقول وزير التموين ، لقد انتقد النائب المستجوب وزارة التموين لانها كانت تمول مدينة السويس كل مرة بما يكفيها مدة عشرة أيام فقط ولعل حضرته لم يسمع أن مدينة القاهرة فى الوقت الذى كانت تعطى فيه مدينة السويس المؤونة الكافية لمدة عشرة أيام ، كانت القاهرة تمون يوما بيوم ، وان اليوم الذى أمكن فيه اعطاء مدينة القاهرة ما يكفيها من الدقيق لمدة اسبوع ، كان من أبهج أيامى » .

وعن فكرة الاستيلاء على المخابز ، قال وزير التموين : اذا اضطررنا الى الاخذ بفكرة الاستيلاء على المخابز بصفة عامة فسوف نبدأ بتجربتها فى القاهرة ، حتى اذا نجحت قمنا بتعميمها .

وتمنى الأستاذ محمد حامد جودة ، الا يأتى اليوم الذى يوزع فيه الخبز بالبطاقات كما هو الحال بالنسبة للكيروسين الذى زاد على مقطوعيته العادية للبلاد بحوالى ٥٠٪ بعد توزيعه بالبطاقات .

وينصح الاستاذ الجداوى وزارة التموين بالا تسير على طريقة النعامة التى ما ان تضع رأسها فى الرمال حتى تظن أنه لن يراها أحد « أنى أربأ بمسألة التموين ، أن تكون محل مغالطات فى الوقت الذى نجد فيه فى مدينة السويس مئات من الأشخاص ينامون على الطوى ، حتى اذا ما أصبح الصباح عمدوا الى الاستجداء ، هذه الحالة ما أظن أنها ترضى معالى الوزير ، أنى أشكو بل أستصرخ بلسان قوم جياع قد يمتد ما يقاسونه الى غيرهم من سكان المدن الاخرى فهل يقال عن هذه الشكوى أنها استهزاء !! » .

وينفى النائب محمد لبيب قورة أن تكون فى مصر مجاعة ، ويسمى ما هو حادث بها جشع بعض الأهالى واحتفاظهم بما عندهم من فائض المحصـول ، ولابد من الضرب على أيدى المخزنين والجشعين بيد من حديد ، وينادى النائب قورة بأن تشكل من بيننا لجان فى كل مركز لتتعرف المساحة التى يملكها كل فرد ، وكيف تصرف فى محصوله ولترشد عمن لديه ما يفيض عن حاجاته واذا لم نقم بذلك نحن نواب الأمة ، فأولى بنا أن نجوع ، ويأكل المحتاجون » .

ويصفق المجلس طويلا لكلام النائب محمد لبيب قورة .

ويؤيد حسـين سرى باشا رئيس الوزراء اقتراح النائب محمد لبيب قورة .

وتنتهى مناقشة الاستجواب ، ولا يتقدم احـد بأى أقتراح ، فينتقل المجلس الى جدول الأعمال !

واذا كان الحديث عن جلسات مجلس النواب فاننا لابد أن نشير الى أنه فى تلك الجلسة ، التى نوقش فيها استجواب التموين فى مدينة السويس ، جلسة ٢٢ ديسمبر ١٩٤١ ، كان النائب سليمان الكارم ، قد وجه سؤالا الى وزير المعارف العمومية بخصوص ملاحظ عمال تونة الجبل ، الذى فصلته كلية الآداب من عمله فى ٢٩ يناير ١٩٤١ ، قبل ان يصدر القضاء كلمته فى التهمة الموجهة اليه ، مع أنه قضى بالحكومة اكثر من اثنتين وثلاثين سنة ، وقد أصدرت محكمة ملوى حكما ببراءته ، ونصت فى حكمها على ان التهمة التى فصلته كلية الآداب من أجلهـا ملفقة ، هل يعد الوزير بالعمل على عودة الملاحظ المذكور الى عمله ، أو الى أى عمل آخر ؟ » .

ويتولى الأستاذ ابراهيم عبد الهادى وزير الاشغال الرد نيابة عن وزير المعارف العمومية د. هيكل ، فيؤكد أن الموظف عندما قدم الى المحكمة لم يكن أمامها الا تهمـة السرقة التى برأته منهـا ولم يكن أمامهـا موضـوع مخالفاته الادارية لتبـدى رأيها فى تلك المخالفات ، ويودع وزير المعـارف بالنيـابة مكتب المجلس صـورة من تقرير وكيـل الكلية د. محمـد عوض محمد الخاص بهذا التحقيق ، ومن تقرير الدكتور عوض يظهر ان الملاحظ قد استغل سلطته أسوأ استغلال فى اهانة العمال وضربهم بالسوط حتى جعلهم يخشون جانبه ، وأنه كان كثير الكيد للموظفين المثقفين ، وأنه اعطى أحد الجزارين - كان مدينا له - تمثالا ، صغيرا من البرونز لأوزويس بصفة رهن الى أن يقوم بسداد ما عليه من دين ، وأنه - أى الملاحظ - كان كثير الشغب حتى أنه أسس حزبا من العمال له رئيس ووكيلان و .. و .. وقد قام هذا الحزب فعلا بحركة اضراب للمطالبة برفع الأجور و .. و ..

ويوجه الدكتور / محمد عوض محمد ، المحقق بالكوم الى الأستاذ الجامعى الذى كان يشرف على حفائر تونه الجبل لأنه لم يتخلص من الملاحظ المذكور قبل ان يستفحل شره .

واذا كان الشيء بالشيء يذكر ، والشيء هنا الاسئلة التى كانت توجه من النواب ، الى الوزراء ، فاننا نذكر ان الاستاذ عبد المجيد الرمالى قد سأل وزير المعارف عن قيمة ما صرف على المجمع اللغوى منذ انشائه لغاية الان ؟ وهـــل تستطيعون معاليكم أن تبينوا الفائدة التى عادت على اللغة العربية وعلى البلاد من تأسيس ذلك المجمع ؟ ويتولى د. هيكل الرد على سؤال النائب بما يفيد أن المجمع قد عنى بوضع المصطلحات العلمية والتوفيق بين ما يستعمل فى مصر ، وفى سائر البلاد العربية فوضع نحو من اربعة آلاف مصطلح فى علوم الاحياء . والطب ، والطبيعة ، واللاسلكى ، والرياضة ، والتاريخ ، والطباعة والتصوير ، والموسيقى ، والفلسفة والقانون ، وأكثرها مما يدخل فى كتب التعليم الثانوى والوزارة تطبع هذه المصطلحات لتوزيعهـا على المدرســين والمعلمين تعميما للانتفاع بها ، وكذلك أقر المجمع قرارات لغوية أريد بها تيسير اللغة وتطويعها لحاجات العلوم ، والفنون ، ويبلغ عدد هذه القرارات نحوا من مائة قرار كان لها أثر كبير فى وضع المصطلحات وجعلها عربية فصيحة ، وقد بلغ ما انفق على المجمع الى الان نحو ستين ألفا من الجنيهات منها نفقات تأسيسية ، ومكافأت الاعضاء ، ومرتبات الموظفين ، ونفقات طبع المجلة ، ومحاضر الجلسات ويقول د. هيكل : لست اشك فى أنه متى أتم المجمع مهمته وظهرت المعاجم التى يعمل الأن على نشرها تيسيرا للغة واحياء لما يجب أن يحيا فيها فسيقدر المتكلمون بالعربية فى أنحاء العالم كله : ان ما ينفق على المجمع الى ذلك اليوم ، سيكون قليلا بالنسبة للنتيجة العظيمة التى ترجو ان يحققها المجمع » .

ولكن النائب عبد المجيد الرمالى يقول لا استطيع أن أفهم ماذا تفيده البلاد من كلمات عرعور ، وشاطر ومشطور وجماز ، حتى يصرف عليهـا ٦٠٫٠٠٠ جنيه من مال الدولة .

ويضحك النواب على تعليق زميلهم ، كما يضحكون أيضا لرد وزير المعارف الذى قال فيه : أؤكد لحضرة النائب المحترم ان « عرعور » ليست فى المجمع » .

ومرة أخرى ، يعود مجلس النواب فى ٥ ، ٦ يناير ١٩٤٢ ، ويعـــود الشعب معه ، الى بحث موضوعات التموين فتتقدم استجوابات عديدة الى وزير التموين : عن اختلال شئون التموين ، والتسعيرة ، وعما يعانيه الفقـراء فى حصولهم على قوتهم اليومى ، وعن سياسة الحكومة نحو تموين البلاد ، وعما وصلت اليه حالة المعيشة من السوء ، مما يشبه المجاعة وعن منع تصدير القمح ودقيقه الى بلاد النوبة .

وكان أول المستجوبين الاستاذ على المنزلاوى بك ، الذى قال أن مسألة التموين تسير من سيىء الى أسوأ ، وأنها تمشى عرجاء بلا ضابط لها ، وان المنوط بهم الرقابة على التموين لا يحسنون الرقابة ٠

وكان من بين ما قاله النائب على المنزلاوى بك : الامة السواد الاعظم منها الفقراء ، والعمال يئنون أنينا شديدا ، وقد رأيناهم فى الاسبوعين الماضيين يلتجئون للمخابز فلا يجدون الخبز ووقع ما يشبه الاضطراب فى عاصمة المملكة وقد رايتم جميعا باعينكم مثلما رأيت هذه الحالة المحزنة ٠

ويشير النائب المستجوب الى أن الحكومة أجازت فى ١٩٤١ تصدير ٥٢٣ ألف أردب من الحبوب الى الخارج ، ويثور النواب مطالبين النائب بتحديد التاريخ ، وهل كان التصدير فى أول الموسم ، أم فى أخره ، وهل كان الشحن قبل قرار منع التصدير ، أم بعده ، ويحيل النائب المستجوب زملاءه الى اسماعيل صدقى باشا الذى سمع عنه الرواية ٠

ويقول الاستاذ المنزلاوى ان التسعيرة انما تطبق تطبيقا حادا قويا وفى جرأة على الزراع فقط ، ولكن على غيرهم تسير الهوينا ، ويظهر أن أصحاب المصانع يعرفون كيف يدافعون عن مصالحهم دفاعا حسنا ، أما الفلاحون فلا يعرفون كيف يدافعون عن شئونهم !

وينهى النائب على المنزلاوى كلامه بقوله : عندما سئلت الحكومة عن السبب الذى دعا احدى الشركات الى عدم صرف اعانة غلاء المعيشة لعمالها ، أجابت الحكومة : أنها ليست لها حق التحكم فى الشركات ، لا ٠٠ يا أصحاب المعالى الوزراء أؤكد للمجلس الموقر ان هذه المسألة متعلقة فى صميمها بتأمين البلاد وطمأنينتها فما من شك ان العامل الذى يبيت جائعا يهدد الامن العام بالاخلال والاضطراب، ومن واجب الحكومة ان تعمل مقدما على منع هذا الخطر !! » ٠

ويقول حسين سرى باشا أنه يتفق مع على المنزلاوى بك فى كل ما قاله، وان الحكومة ستعالج أمر الغلاء أولا بالاقناع ، واذا لم توفق فستتخذ حتماً من الاجراءات ما تراه كفيلا بتنفيذ خطتها ، فهى تقدر تماماً معنى الامن العام ، وما يجب له من حيطة وصيانة !

ويدافع الأستاذ المنزلاوى عن القصابين « الجزارين » الذين يجدون انفسهم مضطرين الى بيع رطل اللحم الضانى بخمسة قروش ، ونصف ، بينما هم اشتروه من التاجر بستة قروش ونصف ! كما يطالب الاستاذ على المنزلاوى بالاستيلاء على الماشية من تجار الماشية وبيعها الى القصابين مباشرة ، بما يتفق والتسعير الجبرى الذى حددته ! » ٠

ويطلب الأستاذ محمود سليمان غنام أن يقتصر استجواب الأستاذ عبد الحميد عبد الحق على موضوع الخبز وحده ما دام إستجواب الأستاذ على المنزلاوى شمل التموين ككل !

ويقول الأستاذ غنام : « الجوع كافر ، والجوع لا يمكن أن يعرف هوادة أو مجاملة ، والتاريخ يحدثنا بأن معظم الثورات ، كان الدافع اليها الجوع ، وقد رأينا فى القاهرة افرادا من الشعب يهجمون على عربات مخبز زميلنا عبد المجيد الرمالى ، ويخطفون الخبز لانهم يحسون الجوع ، ولا يجدون من يسمع صيحات هذا الجوع .

وأخشى — الأستاذ محمود سليمان غنام — أن يتهم الشعب حكامه بأنهم لا يحسون احساسه ، بل اخشى ان يقال فى هؤلاء الحكام ما قيل فى مناسبة فكاهية سواءأكانت حقيقية ، أم غير حقيقية ، بأن حاكما رأى شعبا جائعا يصيح من الجوع ، فتساءل عن سبب ثورة الشعب فأخبروه بأنه لا يجد خبزه فقال لهم : فليأكلوا بقلاوة ! نعم أخشى أن يعتقد الشعب ان حكامه لا يحسون احساسه وقد سمعتم ما تردد فى المجلس فى الأسبوع السابق على العيد ، من أن كثيرا من الناس باتوا واطفالهم على الطوى لا يجدون ما يقتاتون به »

ويقول حسين سرى باشا ، رئيس الوزراء : أرجو ألا يكون مفهوما من الكلام ، الحض على الثورة ؟ » .

ويقول الاستاذ غنام : لا ، لا ، وهل يعقل ان نحض على الثورة !

ويؤكد الأستاذ محمود سليمان غنام ، ان سبب الأزمة تصدير الحبوب الى الخارج ، ويعارض ذلك وزير التموين !

ويقول الأستاذ غنام ، لقد سئمنا أساليب الدعاية التى يلجأ اليها وزير التموين الحالى مثل قوله : « ان فى القطر من القمح ما يكفيه » « لا تخشوا الجوع » ، « القمح متوافر » ، « سيرد الينا من الخارج ، أو ورد فعلا » .

ويردد الاستاذ غنام المثل العربى القديم الذى كنا نسمعه فى المدارس : « أسمع جعجعة ولا أرى طحنا » وتقوم فى المجلس ضجة ، ويقول الأستاذ غنام : ان قلم الدعاية البريطانى يوزع على الناس فى المقاهى والمجالس مطبوعات تنفى ان القوات البريطانية الموجودة فى مصر ، هى المسئولة عن المجاعة فى البلاد » .

ويعترض النائب محمد شعراوى على ما كان ينوى النائب المستجوب محمد سليمان غنام الافصاح عنه من بيان ما يأخذه الجيش البريطانى من حبوب لان ذلك قد يساعد على تعرف عدد القوات البريطانية وهو سر من الأسرار الحربية ، ويضحك النواب وينهى محمد غنام كلمته بتوجيه اللوم ، أشد

اللوم الى الحكومة على سياستها المرتجلة التى أدت بها الى هذا الموقف داعيا الله أن يزيح عنا هذه الغمة ، وأن يفرج قريبا حالة التموين التى نزلت بنا والله لطيف بعباده ! » .

ويشكو النائب محمد شاهين حمزة من حالة التموين فى مديرية أسوان التى أصبحت مؤلمة للغاية :ان أهل أسوان قوم يصبرون على البلوى ، ولايشتكون الا اذا عز الصــبر ، واستحال السكوت : لقــد صــبروا ، وفقراؤهم يضربون بالسياط ، وهم يطالبون بالقليل من القوت ، الذى يقيم اصلابهم » .

ويسأل حسين سرى باشا : هل يضربون بالسياط ؟ ويرد النائب : لقد حدث هذا فعلا فى أسوان منذ بضعة أشهر ، ورأيته بعينى رأسى ! ويقول الاستاذ شاهين ان وزير التموين اصدر امرا بمنع التصدير الى بلاد النوبة ، وتمسك برأيه ، لان أهل النوبة ، وأسوان يجب أن يأكلوا الذرة لا القمح » .

ويقول النائب محمــد شاهين حمزة : سمعت أحــد العمد يقول لرجال الادارة : ارغمتمونا على الا نأكل الا الخبز الذرة فسمعا وطاعة لهذا الامر الظالم، ولكن باعتبارى عمدة يحضر الى منزلى رجال الادارة ، ورجال الصحة ، والمعارف وهم لا يأكلون الذرة فأعطونا قمحا نقدمه لهم ، وأعاهدكم بأنى عندما أقدم لهم خبز القمح سأخص نفسى بخبز الذرة ، ليشعروا بالتمييز والفرق الذى تريده الحكومة ، لا لسبب الا لاننا فقراء فقط ! » .

ويشكو النائب محمود أبو رحاب من عدم وجود الخبز ، وان البعض يخلط الخبز بالاسمنت والجبس ، ومسحوق البلاط ، وهذا ما شاهده أحدهم فى تسعة أرغفة قدمها الى المحافظة ! كما يشكو أبو رحاب من ارتفاع سعر المتر من قماش الصوف من ١٣٠ قرشاً الى ١٩٠ قرشا بسبب الحرب بين أمريكا واليابان ! وان سعر بكرة الخيط ارتفع من خمسة قروش ، الى خمسة وثلاثين قرشا » .

ويقول وزير التموين الاستاذ محمد حامد جودة : ان حبة قمح ، لم تصدر خارج البلاد وأنه لا شراء للجيش البريطانى ، أو أية سلطة بريطانية للقمــح المصرى ، ومن يعلم بشىء من ذلك فعليه ان يخبرنى به ، أو يدلنى عليه ! وكانت ثمة عقود بيننا وبين السلطات البريطانية لشراء بعض محصول القمح ولكننا الغينا هذه العقود » .

وتستمر المناقشة فى أمور التموين ، جلسة أخرى يتحدث فيها اسماعيل صدقى باشا مؤكدا اننا نقبل على العين والرأس تموين جيوش الحليفة مادامت فى بلادنا تؤدى لنــا هذه الخدمة الكبرى ، ولكن فى حدود مقدرتنا وان من واجب الحليفة أن تمدنا بما نحن بحاجة اليه من قمح ، حتى يظهر المحصول الجــديد !

ويقترح اسماعيل صدقى : أن تشترى الحكومة القمح بمعنى ألا يكون مشتر للقمح غير الحكومة ، أى أنه لا يستطيع احد شراءه الا من مخازنها وانما بشرط واحد ، هو ان يكون الثمن الذى تشترى به الحكومة ثمنا يجزى متاعب الفلاح ويتفق مع الحالة الحاضرة مع عنائنـا فى الحصول على الحاصلات ومع الحالة العامة للغلاء ، بحيث لا يختص طائفة الزراع وحدهم بالحرمان مـن الفائدة .

ويرى اسماعيل صـدقى تطبيق ما اقترحه من حل فورا ويرى رئيس الوزراء أن اقتراح اسماعيل صدقى باشا حل عملى ستقوم الحكومة بدراسته ، ككل اقتراح يقدمه أعضاء هذا المجلس .

وتنتهى جلسة ٦ يناير ١٩٤٢ ، والحديث عن التموين لا ينتهى ، ويتقرر استمرار المناقشة فى أمور التموين الى جلسة ١٢ يناير ١٩٤٢ ثم الى جلسة ١٣ يناير ١٩٤٢ ، وتنتهى مناقشات جلستى ١٢ ، ١٣ يناير ١٩٤٢ باقتراح تقدم به الأساتذة عبد الحميد عبد الحق ، ومحمد سالم جبر ، وعطا عفيفى ، ومحمد فكرى أباظة ، وعبد الحليم الشمسى ، وعبد الفتاح الشلقامى ، وعبد الفتاح عزام ، هذا نصه :

« بعد سماع البيانات والمناقشات التى دارت حول هذا الاستجواب يرى المجلس ان شئون التموين مضطربة ، وأن الوسائل التى اتخذت الى الان ، لم تؤد الى نتيجة مرضية ، وانها لم تعرض خطة عملية مؤكدة يطمئن اليها المجلس لتموين البلاد ، حتى ظهور المحصول الجديد » ولا يوافق على الاقتراح الا أقلية .

وتعتبر الاستجوابات ، كما قال رئيس المجلس منتهية وينتقل المجلس الى جدول الأعمال . وتبدأ فى التاريخ المصرى أخطر سبعة أيام .

الفصل الثانى

أخطر سبعة أيام فى سنوات ماقبل الثورة

● كانت الأيام الثلاثة الأخيرة من شهر يناير ١٩٤٢ ، والأيام الأربعة الاولى من شهر فبراير ١٩٤٢ ، بلا جدال ، من أخطر ايام مصر ، على الاطلاق ، لا على الصعيد المحلى وحسب بل على الصعيد الدولى ايضا : كانت ـ مثلا ـ قوات رومبيل توالى تقدمها السريع فى الصحراء الغربية من الأرض المصرية بينما كانت قوات بريطانيا ، تواصل تقهقرها غير المنظم ، داخل الاراضى المصرية ، فى اتجاه الاسكندرية ٠

وكانت قوات الاحتلال البريطانى فى مصر تتأهب ـ كما تؤكد الوثائق الرسمية ـ لاغراق الدلتا المصرية رغبة فى اعاقة زحف قوات المحور ، كما كانت تلك القوات تهرب ما لديها من وثائق وشخصيات مصرية موالية لبريطانيا الى السودان حتى لا تقع فى أيدى قوات المحور ، و ٠و٠٠

وكان الشعب المصرى ، كراهية منه للاحتلال البريطانى ، الذى أذاق مصر الامرين قرابة ستين عاما ، يتمنى من صميم قلبه لو توالت الهزائم البريطانية فى الصحراء الغربيـة وفى غيرها من الأراضى المصرية ولو استمرت الانتصـارات الألمانية على القوات ، البريطانية ، فلم يكن الشعب المصرى قد جرب بعد الاحتلال الألمانى ، كما جرب الاحتلال البريطانى ، كما ان دعاية المحور كانت قد أحرزت عند الجماهير ، المصرية نجاحا ما بعده من نجاح ، بينما فشلت الدعاية البريطانية فى جذب جماهير الشعب ، الى صف بريطانيا : بريطانيا ، التى كذبت على مصر فى الحرب العالمية الأولى عندما دعتها ، الى الوقوف الى جانبها على أن تعطيها حق تقرير المصير ، بعد أن ينتصر الحلفاء فى تلك الحرب فلما انتصر الحلفاء نكثت بريطانيا ، بوعودها ، لمصر !! ٠٠

وقد انطلقت المظاهرات فى كثير من أرجاء القاهرة فى تلك الأيام ، الخطرة ، وكان اكبر تلك المظاهرات خطرا ، وخطورة تلك التى انفجرت فى اليوم الثانى من فبراير ١٩٤٢ ، وانفجر معها الهتاف المعروف : الى الأمام ، يا روميل الى الامام يا روميل !!

وكانت وزارة حسين سرى باشا تلفظ فى تلك الأيام أنفاسها الأخيرة فقد تكاتفت كل القوى السياسية الموجودة فى مصر ، وقتئذ على اغتيالها غير متجاوزة عاما ، ونصف عام من حياتها الشاقة المتعبة ، وكانت كل قوة سياسية فى مصر تستهدف من اغتيال وزارة حسين سرى باشا ، أغراضا خاصة بها : الوفد المصرى الذى أعلن الحرب على حسين سرى باشا ، ووزارته لانه أدخل أعداءه الألداء السعديين فى الحكم والذى ضحك على الوفد عندما رفع شعار الوزارة القومية ولم يكن يريد تحقيق ذلك الشعار ٠٠ القصر ، الذى كان قد ضاق ذرعا ، بعجرفة حسين سرى باشا ، واعتماده الدائم ،على الانجليز ، والذى كان قد ادين اهانة بالغة من جراء الاجراء ، الذى اتخذته وزارة حسين سرى باشا بدون استئذان الملك فى قطع علاقتها بحكومة فيشى و ٠٠ و

وكذلك حزب الأحرار الدستوريين ، وحزب الهيئة السعدية ، رغم اشتراكهما فى وزارة حسين سرى باشا ، فى المسئولية الوزارية ، الا ان وزراء هذين الحزبين ، قد ضاقوا ذرعا ، بأسلوب حسين سرى باشا فى التعامل معهم ، ومفاجأتهم ، بالقرارات الوزارية الهامة ، التى كان يتفق مع دار السفارة البريطانية عليها ، ثم يحرمهم — حتى فى مجلس الوزراء — من حق مناقشتها ٠

الوزراء الدستوريون والسعديون كانوا فى مقدمة ، الذين يتمنون ان تجىء نهاية وزارة حسين سرى باشا ، اليوم ، قبل الغد ، والغد قبل بعد الغد ٠

هذا الى جانب ان السفارة البريطانية قد تعبت كثيرا من الوقوف ، الى جانب تلك الجثة — وزارة حسين سرى باشا — كما تعبت من حمايتها والدفاع عنها ولم يكن الوقت يسمح ابدا بأن تبقى فى الحكم فى تلك الايام الخطيرة وزارة لا تمثل الشعب من قريب ، أو من بعيد ٠

فاذا اضفنا الى ذلك كله ، ان حسين سرى باشا كان بدوره قد ضاق ذرعا بكثرة السكاكين ، التى كانت تنهال عليه ، وعلى وزارته ، من الاصدقاء ، والخصوم كما ان الرؤية ، امامه كانت قد أصبحت متعذرة بل متعسرة ، للغاية ، حتى لقد ترك المظاهرات ، العنيفة التى تهتف ضده ، وضد وزارته والتى تنادى « الى الأمام يا روميل » ، تركها لعلها تكون بمثابة عملية تنفيس للشعب فكانت الطامة القاضية عليه ، وعلى وزارته ٠

٠٠ وبعد ذلك كله بل فوق ، ذلك كله كان الشعب قد ضاق ، الى أبعد حدود الضيق بوزارة حسين سرى باشا ، التى فشلت فى أن تحمى البلاد ، من الغارات الجوية الألمانية والايطالية والتى فشلت فى نفس الوقت فى أن توفر للشعب ـ على النحو الذى فصلناه فى الفصل السابق ـ رغيف العيش ٠٠ رغيف العيش ، لا أكثر ولا أقل ! ٠ ولذلك تكاتفت كل الجهود ، وكل القوى ٠٠ رغم الاختلاف فيما بينها ، وبين بعضها حول الاسباب والنتائج ٠٠ على اسقاط وزارة حسين سرى باشا ، التى لم يذرف احد ، حتى حسين سرى باشا ، نفسه دمعة واحدة عليها ٠

ولان ، تلك الأيام السبعة من أخطر ، أيام التاريخ المصرى فاننا نستأذن القارىء الكريم ان نتوقف عندها بعض الوقت خاصة وان الآراء لم تستقر ، بعد حول مسئولية كل ما يتعلق بالأحداث ، والحوادث التى وقعت فى تلك الأيام ٠٠

واتساقا مع منهجنا العلمى ، فى تناول أحداث ، وحوادث سنوات ما قبل ثورة ١٩٥٢ فاننا سندع ـ فى البداية ـ من شاركوا ، فى صنع أحداث وحوادث تلك الايام السبعة وكذلك من كانوا على مقربة من تلك الاحداث والحوادث ، ليقولوا ، كلمتهم ، كما هى بدون حذف، أو اضافة ٠٠

وبعد ذلك ندع ، المؤرخين والسياسيين لتناول تلك الأحداث : ما الدافع ، اليها ؟ من الذى دبرها ؟ ولماذا دبرها ، أو دبر بعضها ؟ ٠ وقد سبق لنا أن ناشدنا ، كل من لديهم معلومات أو بيانات أو وثائق ، عن تلك الأيام ـ أن يوافونا بها خدمة للتاريخ ، فنحن لا نريد أبدا ـ كما قلنا مرارا وتكرارا ـ أن نلقى مسئولية هذه الأحداث والحوادث على فرد بعينه ، أو على حزب بعينه ، أو على جهة بعينها ، رغبة فى تحقيق أغراض شخصية فالله وحده يعلم ، أننا قد أسقطنا من حسابنا ، كل غرض شخصى ، كما أننا ـ ونحن نتناول سنوات ما قبل الثورة ـ نريد أن نتشبه بالقضاة ، الذين لا يعرفون ، الهوى ، أو الغرض٠٠

اننا نريد وخاصة بالنسبة لاحداث مر عليها ، أربعون سنة أو أكثر ان نقول كلمة الحق ، وكلمة الحق وحدها ، فلقد ذهب ابطال تلك الحوادث والاحداث الى ربهم ولن يستفيدوا أبدا مما يقال فيهم ، أو عنهم : لم يعد أحد منهم ، بحاجة الى « دفاع ، أو هجوم » ، كلمة الحق وحدها ، هى التى نحن فى أمس الحاجة اليها : من أجل الحق وحده ، من أجل الأمانة التاريخية ، من أجل مستقبل أبنائنا ، وأحفادنا ، الذين يجب ، ان نروى لهم التاريخ الحقيقى ، لا التاريخ « الكاذب » أو المزيف وبعد ذلك كله نحاول ، أن نقول ما نعتقد أنه الحق ، على ضوء ما لدينا من وثائق جديدة ومعلومات لم تكن متوافرة لدى أولئك الذين كتبوا عن تلك الحوادث والاحداث وقت حدوثها ٠٠

تاركين الباب مفتوحا على مصراعيه لكل من يريد أن ينقد ، أو يعقب ، أو يبدى رأيا جديدا ..

!نها امانة نؤديها ، كما تؤدى ، الامانات الى اهلها ؟ .

كلمات حق ، وصدق ، ما أردنا بها الا وجه الله ، والوطن ، وخدمة التاريخ .. يقول الاستاذ عبد الرحمن الرافعى : استهدفت وزارة حسين سرى فى أواخر عهدها لأزمات ومشاكل عدة ، أدت الى استقالتها ، فالمستوزرون من أعضاء البرلمان وبعضهم من أعطوا سرى باشا ثقتهم كانوا يعملون جاهدين على أن يحلوا محل وزارته فأفسدوا العلاقات مع حكومة فيشى الفرنسية ، وكانت موالية للمحور ، فأثاروا عليه غضب القصر واضطر صليب سامى وزير الخارجية الى تقديم استقالته "

وجاءت أزمة التموين فزادت موقف الوزارة حرجا الى حد بعيد فقد اضطربت الحالة المعيشية للسواد الأعظم من الناس وخاصة فى توزيع الخبز ولم يحن الاسبوع الأخير من شهر يناير سنة ١٩٤٢ حتى شح هذا الغذاء الاساسى للشعب واستعاض عنه الكثير من الموسرين بالبطاطس والمكرونة وما الى ذلك ، وصار الناس فى بعض احياء القاهرة يهجمون على المخابز للحصول على الخبز ويتخطفون الرغيف من حامليه فى الشوارع والطرق .

واقترنت هذه الأزمة القاسية بأزمة سياسية حادة ، وقامت مظاهرات صاخبة لم يعرف على وجه التحقيق مصدرها ، نادى فيها المتظاهرون بسقوط بريطانيا وهتفوا « تقدم باروميل .. الى الأمام يا روميل » وكان الألمان بقيادة الجنرال روميل يتقدمون نحو مصر ..

فاضطربت أعصاب الانجليز أمام هذه المظاهرات والهتافات وطلبوا الى سرى باشا وضع حد لها فلم يستجب الى طلبهم اذ أدرك أن الزمام قد أفلت من يده ولم ير بازاء هذه العواصف التى هبت عليه وعلى وزارته سوى الاستقالة ، فقدمها يوم ٢ فبراير سنة ١٩٤٢ وبناها على حاجته الى الراحة .

ويقول د. محمد حسين هيكل باشا - أحد أعضاء وزارة سرى باشا - : كان روميل يتقدم بجيوشه فى أرض مصر ، بعد أن طرد قوات الحلفاء من ليبيا وقد اجتاز سيدى برانى الى مرسى مطروح ، وعسكر بها وأصبح على بعد ثلاثمائة كيلو متر من الاسكندرية لكن الحلفاء الذين طردوا من ليبيا قد فتح أمامهم باب جديد للأمل فقد أعلن هتلر الحرب على روسيا فى ديسمبر ١٩٤١ وقد ابتهج الحلفاء ، بما حدث بعد ذلك أشد الابتهاج ففتح جبهة جديدة تحارب فيها ألمانيا من شأنه أن يخفف الضغط على قوات انجلترا وفرنسا الحرة فى مصر وبخاصة بعد أن عجز الألمان من اقتحام انجلترا ثم بعث هتلر رسوله « هيس » يعرض الصلح على الانجليز فاعتقلوه الا يدعو ذلك أولى الأمر فى

مصر للتفكير وعدم الاندفاع ؟ أم أن تقدم الألمان السريع في روسيا وتراجع القوات السوفيتية أمامهم ضاعف الاعتقاد في نفوس الذين كانوا يحسبون ألمانيا لا تقهر ثباتا ، وقوة ؟ الحق ان بعض الوزراء أنفسهم كانوا يميلون الى هذا الرأى وكان بعضهم يجاهر به مجاهرة ، نبه رئيس الوزارة أصحابها الى انها لا تتفق مع دقة الموقف وخطورته ، أيا ما كان الأمر بدأ سرى باشا يشعر بحرج مركزه وقد فاتحني ـ د· هيكل باشا ـ مرة بأننا على أبواب مغامرة خطيرة النتائج » ·

ويقول د· هيكل باشا ان حسنين باشا قد اتصل به اذ ذاك أكثر من مرة وأخذ يسأله رأيه في الموقف وقد فهم د· هيكل باشا ان وزارة حسين سرى باشا لم يبق لها حظ من البقاء بعد ان قطعت علاقات مصر ، مع حكومة فيشى فى غياب الملك عن القاهرة فقد اعتبر الملك هذا التصرف تجاوزا من الوزارة لحقها الدستورى وفيه مساس بحقوقه ويقول د· هيكل انه نصح أحمد حسنين بتأليف وزارة قومية تضم الأحزاب يرأسها النحاس باشا ، أو يرأسها أحد غيره فهذه الوزارة هى وحدها التى تستطيع مواجهة الأحوال العالمية الدقيقة بمن غير أن تتعرض سيادة مصر وحرية أبنائها الى الخطر ·

ويقول د· هيكل باشا ان حسنين باشا قد وافقه على اقتراح الوزارة القومية وقد فهم ـ د· هيكل باشا ـ من حسنين باشا فى بعض مقابلاته اللاحقة لرئيس الديوان ان النحاس باشا فوتح فى الفكرة وقبلها بل ورحب بها وان تنحى وزارة حسين سرى باشا عن الحكم ، رغم اطمئنان انجلترا الى المجهود الحربى فى عهدها لن يحدث فراغا ولن تكون له أية نتيجة تخشى عواقبها ·

ويقول د· هيكل : على ان ما كان سرى باشا ، ينقله الى من أنباء الانجليز لم يكن يبعث الى النفس مثل هذه الطمأنينة : لقد كان يخبرنى أنه يتمنى لو استطاع أن يستقيل وانه لم يكن يتردد فى تقديم استقالته لولا مخاوفه من نتائج تقديمها وقد فاتحنى فيما يجول بخاطره من ذلك ورغب فى أن أزور الدكتور أحمد ماهر باشا بمنزله وأن أتداول واياه الرأى فى الموقف ، وكان أحمد ماهر معتكفا اذ ذاك فى داره لشلل خفيف أصاب الجانب الأيسر من وجهه فزرته وأفضيت اليه بتفكير سرى باشا فى الاستقالة وطالعته بأسباب هذا التفكير ، وكان كثيرون يظنون أن الدكتور أحمد ماهر باشا سيخلف سرى باشا فى رئاسة الوزارة ، لأن رأيه فى موقف مصر من الحرب يرشحه لهذه الرئاسة وقد رجانى د· ماهر ، بعد أن تبادلت الحديث فيما ذكرته أن أرجو سرى باشا ألا يتعجل بتقديم استقالته فقد تتطور الحوادث على نحو يعود به وبالوزارة كلها الى الطمأنينة للاضطلاع بالحكم على وجه منتج وعلم سرى باشا بعد أيام من ذلك ، ان مستر سمارت السكرتير الشرقى للسفارة البريطانية

زار الدكتور ماهر باشا بمنزله وكانت الأمور قد ازدادت شدة ، فرغب الى سرى باشا كرة أخرى ان أتداول مع ماهر باشا فى أمر استقالة الوزارة وكنت أشعر شعورا قويا اننا فى الأيام الأخيرة لعهد وزارى غير محسود ، مع ذلك حاول د. ماهر باشا بكل ما أوتيه من قوة الاقناع ان يحملنى على رجاء سرى باشا الا يتعجل بتقديم استقالته فلما بلغت سرى باشا ما حدث قال لى : أتراه يريد منى احتمال هذا الموقف النفسى حتى يشفى فيتولى هو الوزارة خلفاً لى ؟

ويقول د. هيكل انه سأل حسين سرى مما اذا كانت لديه معلومات ترجح هذا الظن فأخبر حسين سرى بأسلوبه الهندسى ان ذلك ممكن ٢٠٪ أما الثمانون فى المائة الأخرى فترجح ان النحاس باشا هو الذى سيتولى الوزارة !

ويقول د. هيكل ان حسنين باشا كان مطمئنا الى ان النحاس باشا سيقبل بالوزارة القومية وان كان ـ حسنين باشا ـ غير مطمئن الى موقف الانجليز .

ويقول د. هيكل ان حسنين باشا طلب من انجليزى ان يقابلـه وكان د. هيكل فى زيارة لحسنين فى منزله وعن ذلك الرجل الذى طلب حسنين مقابلته قال حسنين لهيكل انه صديقى من عهد الدراسة فى اكسفورد وقد كان بعد ذلك محاميا وكان صديقا وفيا للملك ادوارد الثامن وقد بقى الى جانبه فى أيام محنته حين ثار عليه أسقف كنتربرى وثارت على الحكومة البريطانية وانتهى الأمر الى التنازل عن العرش واعتزال الملك وصديقى هذا ـ صديق حسنين باشا ـ هو الذى كتب لادوارد وثيقة الاعتزال ويقول د. هيكل : قلت لحسنين باشا بعد أن آتم حديثه عن صديقه الانجليزى أرجو أن تكون أحسن حظا مع الملك فاروق مما كان صديقك مع الملك ادوارد » .

ويقول د. هيكل : ان الانجليز كان لهم نشاط يواجه نشاط السلطات المصرية وقد علمت من بعد أنهم أرسلوا اليه رسولا ـ الى النحاس باشا ـ وكان يمضى أياما بالأقصر يطلبون اليـه أن يتولى الوزارة ويتركون له الحرية المطلقة فى تأليفهما أما وقد خوطب النحاس باشا قبل ذلك من قبل القصر فى تأليف وزارة قومية تضم الأحزاب المصرية كلها فلقد أصبح له الخيار بين قبول هذا العرض المصرى وبين هذه الحرية التى تركها له الانجليز وأظهروا معها انه يستطيع ان شاء أن يؤلف وزارته وفدية صرفا !

ويقول د. هيكل أيضا ان الجمهور المصرى وبخاصة جمهور القاهرة سريع الى البرم بأية وزارة تقضى فى الحكم ما يزيد على العام فهو يتربص بها الدوائر ويرجو أن تزول وقد علمت تجارب السنين هذا الجمهور ان البرلمان لم يسقط وزارة قط لأن أى وزارة لم تبق فى الحكم فصلا تشريعيا كاملا وان أيدتها فى

البرلمان الأغلبية كما علمته أن حركة الاضطراب فى العاصمة هى التى تدفع الوزارة للاستقالة وقد شجعت أنباء الحرب وتقدم الألمان فى أرض مصر على خلق جو ملائم لعناصر الاضطراب لذلك قامت المظاهرات تنادى نداءات عدائية ضد انجلترا وذهب بعضها الى السفارة البريطانية يلقى صيحات مهينة لهؤلاء الانجليز الذين ينهزمون أمام الألمان وتنادى : تقدم يا روميل ، الى الأمام يا روميل ، أيذانا بسخطها على الانجليز واغتباطها بأن يسحقهم هذا القائد الألمانى الظافر ٠

ويقول د ٠ هيكل : أن حسين سرى باشا بعد أن جمع مجلس الوزراء وبلغهم انه سيرفع استقالته وتلا عليهم نصها سأل زملاءه الوزراء رأيهم فى المظاهرات القائمة وهل يقمعها بالقوة فكان رأيى – رأى هيكل – الا يبلغ القمع حد اطلاق الرصاص على المتظاهرين وان بلغت المظاهرات من العنف أعظم مبلغ فليس من حق وزارة مستقيلة ان تسفك دما لأى اعتبار ٠

وتقول الوثائق البريطانية على النحو الذى قام بتلخيصها د٠ يونان لبيب رزق : أن سير مايلز لامبسون قدم فى تقريره السياسى عن عام ١٩٤٢ وصفا لوضع حكومة حسين سرى باشا خلال الأسابيع الأولى من هذه السنة يبدأ التقرير بالتنبؤ بأن أيام سرى فى الوزارة قد أصبحت معدودة ويحدد خمسة أسباب وراء هذا التنبؤ على النحو التالى :

١ – ان رئيس الوزراء قد أصبح عرضة فى الأيام الأخيرة لهجوم مستمر من جانب القصر وان هذا الهجوم يعود الى على ماهر الذى نجح فى اقناع الملك فاروق بأن رئيس وزرائه يوجه كل اخلاصه للمصالح البريطانية فقط ٠

٢ – ان وزارة سرى أصبحت عرضة وبصورة منتظمة للهجوم من جانب من أسماهم لامبسون العناصر الرجعية داخل القصر وخارجه ويشارك فى هذه الحملة الطلاب والمنظمات الدينية والأزهر وصنائع على ماهر فى الادارة ٠

٣ – انعكست تلك التغييرات على وضع وزارة سرى فى البرلمان فبعد ان شعر النواب ان خصوم الوزارة قد أصبحت لهم اليد العليا فى القصر بدأت الأحزاب التى يمثلها هؤلاء « السعديون والأحرار » فى السعى للكسب من الموقف بالتطلع الى المنصب الكبير ، منصب رئيس الوزراء !

٤ – ومن خارج البرلمان حول الوفد بنادقه من الاتجاه نحو البريطانيين الى الاتجاه نحو رئيس الوزراء الذى وقف وحيدا محروما من معونة القصر ومن أى سلطة فعالة على برلمان ليس له فيه من يشد أزره ٠

٥ – يضاف الى كل ذلك تعرض سرى باشا للانتقادات المستمرة من كافة الأطراف بسبب فشله فى علاج المشاكل الاقتصادية الناتجة عن ظروف الحرب مثل نقص الأغذية والزيادة العامة فى تكاليف المعيشة ٠٠

٦ — في أواخر ديسمبر ١٩٤١ استقال عبد الحميد بدوى وزير المالية من الوزارة • وقد أضافت تلك الاستقالة مزيدا من أسباب الضعف لوزارة سرى باشا حيث ، ان بدوى باشا مع كل أخطائه كان عنصرا من عناصر القوة فى الوزارة كما ان استقالته من ناحية أخرى أدت الى اثارة المنافسات بين الحزبين المشتركين فى الوزارة « السعديين والأحرار الدستوريين » وقد اضطر حسين سرى باشا فى مواجهة هذا الصراع ، ان يحتفظ بالوزارة الخالية لنفسه وهو بذلك بدلا من أن يرضى الحزبين المتنافسين قد أثار سخطهما !!

وتقول الوثائق البريطانية أيضا فى مجال الحديث عن قطع وزارة حسين سرى باشا فى ٦ يناير ١٩٤٢ : العلاقات مع حكومة فيشى فى اطار السياسة التى ظلت تتبعها فى مطاردة كل نفوذ معاد لبريطانيا « ان هذا القرار الذى اتخذ بناء على طلب السفارة البريطانية ما كان يجب ان يؤدى الى اقالة أو استقالة وزير الخارجية » وتقول الوثائق البريطانية أيضا ، ان سير لامبسون التقى بأحمد حسنين فى ٢٢ يناير ١٩٤٢ وبلغه أن استقالة أحد الوزراء أو الوزارة نفسها لهذا السبب — قطع العلاقات مع حكومة فيشى — يدفع الانجليز مباشرة وعلى نحو تلقائى ليكونوا طرفا من أطراف الأزمة ويعنى ذلك أن هناك عناصر سيئة فى القصر تصر على التخلص من حسين سرى وانه يطالب باستبعاد هذه العناصر بالاضافة الى استبعاد أفراد الحاشية الايطاليين !! ويوافق القصر فى ٢٧ يناير ١٩٤٢ على ان يبقى صليب سامى وزير الخارجية فى منصبه على أن تتنازل السفارة البريطانية عن طلباتها بشأن استبعاد من طلبت استبعادهم من القصر وتجمع المصادر البريطانية على ان على ماهر والقصر كانا وراء تدبير المظاهرات التى قامت فى أنحاء العاصـــمة فى ٢ فبراير ١٩٤٢ هاتفة بحياة روميل • الى الأمام يا روميل » •

ويقول مارسيل كولومب ، المؤرخ الفرنسى المعروف بكتاباته الطيبة عن مصر والشرق : ازدادت المتاعب خلال الشهور الأخــيرة لعام ١٩٤١ اذ أثار الارتفاع الملموس فى أعباء المعيشة الذى فشل رئيس الوزراء ، فى ان يوقفه احتجاجات قوية فى كل الأوساط ، ويعود هذا الارتفاع فى تكاليف المعيشة لأسباب عدة ، أولها نقص المواد الأولية الضرورية ، فالمنسوجات العادية التى يجد فى طلبها الجزء الأكبر من الشعب قد اختفت من الأسواق •• أما البترول اللازم للاســـتخدام المنزلى « الكيروسين » فلم يعد بالامكان العثور عليه ، واختفت المواد الضرورية كالزيت والسكر ، وقل المعروض من الخبز وخلط دقيق القمح بدقيق الذرة وضاعف اضطرابات المواصلات من القحط كما لم تؤد القيود التى فرضت على نقل الحبوب من محافظة لأخرى الى تحسين الوضع حتى اقتضى الأمر تخصيص حصة من المواد التموينية لكل محافظة « مديرية » لكن الجهود التى بذلتها فى هذا الصدد وزارة التموين لم تحقق النتائج المرجوة منها • فقد عملت الهيئة المختصة بطريقة سيئة وارتكبت كثيرا من الأخطاء .

أما المسئولون الذين وكلت اليهم المهمة فقد ظلوا يتخبطون المرة تلو الأخرى ، وكانوا فى مجموعهم غير معدين لتسيير الأعمال المعقدة الخاصة بالمصالح ، المشرفة على توزيع حصص التموين ، كما لم يكونوا فى وضع يمكنهم من منع المضاربين من تخزين المؤن أملا ، فى ربح فاحش يجنونه فيما بعد ، ولذا انتشرت السوق السوداء فى كل مكان و . و . الى ان يقول مارسيل كولومب : فى ٢ فبراير قدمت وزارة حسين سرى بكامل هيئتها ـ وكانت تتمتع بدعم السفارة البريطانية ـ استقالتها ، وقبلها الملك فاروق وانفجرت الأزمة التى شاءت الظروف أن تأخذ مسحة درامية .

وما ان علم الناس بخبر الألمان حتى عاود المتعاطفون مع المحوز ، نشاطهم ودوت فى شوارع العاصمة صيحات الهتاف بحياة روميل تطلقها المظاهرات الضخمة التى استوجب الأمر ، منع تجدد قيامها ، وخيبت استقالة الحكومة فى هذه الظروف ، الحرجة ، التى تمر بها جيوش الحلفاء كثيرا ، من الآمال وصلت لدسائس حول القصر ، ومضى يوما ٢ ، ٣ فبراير ، دون الوصول الى حل ، كان الملك مترددا ، وقررت السفارة البريطانية أن تتدخل ، ومنذ هذه اللحظة بدأت تتوالى الأحداث .

ومن الوثائق ، البريطانية ، البرقية رقم ٢٩٠ بتاريخ ٢٢ يناير ١٩٤٢ ، من السير مايلز لامبسون ، الى وزارة الخارجية ، فى تلك الوثيقة حديث عن الساعة ونصف الساعة ، التى قضاها مايلز لامبسون مع حسنين باشا : مايلز لامبسون يوضح خطورة الموقف ومدى تورط الملك فاروق : حسنين باشا يدافع ، عن الملك فى موضوع قطع العلاقات مع حكومة فيشى ، وتوجيهه ـ أى الملك ـ ، اللوم ، لرئيس الوزراء ، ولوزير الخارجية لتجاهل موافقة الملك ، فى نفس التقرير : اشارة ، الى احتمال تغيير وزارى والى ما قاله لامبسون ، لحسنين من أنه لا يجب مواجهتنا بأية مفاجآت فاذا كان على ماهر ، وأصدقاؤه . قد حاولوا استخدام مسألة فيشى لطرد حسين سرى ، وقد اعترف حسنين بذلك وتعهد بأنه بقدر ما يملك من سيطرة ، على الأمور فانه لن يحدث أن تغيير ـ دون موافقته ، وأضاف يقول ان كافة الشلل السياسية مجمعة على عزل سرى لأمل كل منهما أن يحل محله : لقد حاولوا ذلك فى مسألة القطن ، وحاولوا فى مسألة القمح وهم الآن يحاولون فى مسألة فيشى ، وعدد حسنين أسماء على ماهر ، ومحمد محمود خليل ، ونشأت والنحاس وأحمد ماهر ، باعتبارهم الرجال الذين يتطلعون الى مقعد رئيس الوزراء .

وكذلك ، البرقية رقم ٣٦٢ بتاريخ ٢٦ يناير ١٩٤٢ : من السير لامبسون الى وزارة الخارجية فى لندن : اجتمعت برئيس الوزراء ، وموقفه واضح انه لن يوافق على استقالة وزير الخارجية ، وما لم يعد الوزير الى ممارسة كافة مهام منصبه فان رئيس الوزراء سيستقيل ظهر الأربعاء ٢٨ يناير .

يقول لامبسون : قام رئيس الوزراء بتلخيص سير الأحداث كلها من البداية لحسنين باشا ، كي ينقلها الى الملك : كيف تم القضـاء ، على وسـائل اتصال القصر بالعدو واحدة بعـد الأخرى حتى لم يعـد باقيا سوى مفوضيه فيشي ، وسيسجل رئيس الوزراء هذه الرواية في خطاب استقالته ليوضح انه منذ تولى رئاسة الوزارة حاول جاهدا ، انقاذ الملك فاروق حتى لا يتهم الملك بالخيانة ، وسيوضح رئيس الوزراء ، انه لن يضحى بأحد وزرائه لأنه قام بناء على تعليمات منه بالقضاء على أية صلة بالعدو ، وأضاف أن القصر ، هو الذى أثار الأزمة لأن القصر تعمد افشاء الأنباء وكان الوزير ، الفرنسى المفوض ، هو أول من كشف منذ أسبوع ، عن تدخل الملك وقلت لفخامته : اننى تلقيت من قبل تفويضا منكم بأن أطلب ابعاد الايطاليين وعبد الوهـاب طلعت من القصر • ويقول لامبســون : لا أجـد بديلا من اثارة الموضوع عندما اجتمع مع الملك وأطرح ثـلاث نقاط : (أ) الايطاليون (ب) عبد الوهــاب طلعت ، (جـ) استمرار هذه الوزارة فى الحكم ، ويستأذن لامبسون فى أن يتلقى من حكومته التعليمات ، بخصوص النقطة الأخيرة « استمرار وزارة حسين سرى » •

ويقول : لامبسون : ان حسين سرى باشا رئيس الوزراء سأله عما اذا كنا مستعدين لضمان تنفيذ أى خط متشدد نتخذه وانه أجاب بقوله : ليس لدى شك فى هذا الشأن ولكننى أعتقد أن الملك ، عندما يواجه بخطورة المسألة سيكون تحت تأثير تضليل يصل فيه الى حد الرفض وسلطاتنا العسكرية على علم كامل بطبيعة الحال بالموقف الأخير ، وبكافة تطوراته منذ البداية •

والوثيقة الثالثة التى ينشرها الزميل الأستاذ محسن محمد • برقية رقم ٤٦٧ ، بتاريخ ٢٧ يناير ١٩٤٢ « من حكومة الحرب الى السير مايلز لامبسون » •

اشارة الى برقيتكم بتاريخ ٢٦ يناير بشأن التهديد باستقالة الحكومة المصرية انى أوافق على أننا يجب أن نؤيد رئيس الوزراء فى نزاعه الحالى مع الملك أنا لا أستطيع السماح باكراه ، رئيس الوزراء على الاستقالة بسبب هذا النزاع ان وزير الخارجية الحالى ليست له قيمة كبيرة جدا ، ولكن اذا كانت استقالته ستؤدى الى استقالة رئيس الوزراء وظهور الأمر ، بمظهر انتصار الملك فاروق فانه لا يمكن السماح باســتقالة الوزير واذا كانت الاسـتقالة ستؤدى الى الأمرين ، فلابد من استبعادها وفى البرقية الرابعة من مايلز لامبسون الى وزارة الخارجية فى لندن ـ ٢٧ يناير ١٩٤٢ يقول لامبسون : ان الملك ـ بعد أن قابله لامبسون ـ أبدى استعداده لارضاء رئيس الوزراء وان وزير الخارجية سيبقى فى منصبه ، ولكن جلالته طلب محافظة على كرامته ، ان يبقى وزير الخارجية فى فندق مينا هاوس ، حيث يوجه الأمر ولكن مع مواصلة عمله كاملا كوزير وطلب الملك مساعدة رئيس الوزراء فى مسألة كرامة جلالته وتوسل اليه ان ينقذ الموقف وانتهز رئيس الوزراء الفرصة كى يقول لجلالته

انه مستشاره الوحيد ، وينبغى أن يكون مستشاره الوحيد وقال أن الأشخاص المحيطين بجلالته والذين يتظاهرون باسداء النصح اليه انما يفكرون أولا وقبل كل شيء فى أنفسهم ولا يحملون ولاء له ، وذكر رئيس الوزراء : على ماهر ، محمود خليل ، عبد الوهاب طلعت بالاسم ! وقال رئيس الوزراء : برغم انه لا يتفق مع رأى جلالته فى أن يتظاهر وزير الخارجية بالمرض مدة أسبوع فانه سيحرص على تنفيذ ذلك حتى لا تتعقد المسألة ولكن جميع الحقوق الطبيعية والمسئوليات الادارية لوزير الخارجية ، يجب أن تبقى له ، ووافق الملك على كل ذلك ٠

الفصـــل الثـــالث

سؤال تاريخي هام :

من دبر مظاهرات الى الأمام يارومبل !
الانجليز أو علي ماهر ، أم المراغي مع القصر الملكي ؟

حرصت على نشر بعض الوثائق البريطانية الخاصة بأحداث ما قبل ٤ فبراير ١٩٤٢ ، والذى أتيح لها أن ترى النور أخيرا ، بعد أن ظلت لأكثر من ثلاثين عاما سرا من الأسرار البريطانية التى لا يجوز لأحد الاطلاع عليها •

والذى أحب أن أؤكد عليه ، ونحن بصدد نشر وثائق أخرى بريطانية ، وأمريكية بل وألمانية عن أحداث ٤ فبراير ١٩٤٢ ، وما قبلها ، وما بعدها ، اننا لا نعتبر أبدا ما جاء فى تلك الوثائق وقائع مسلما بها ، واننا لا نعتبرها ، غير ملزمة الا لكاتبيها فقط أما ما جاء فيها من آراء خاصة ببعض الناس وأما ما جاء فيها خاصا برأى البعض فى بعض الأحداث والحوادث واما ما جاء فيها خاصا بنسبة بعض الأقوال الى بعض الناس فأمور ، ليس من حقنا أبدا الأخذ بها ، الا اذا أكدتها وثائق أخرى تختلف فى المصادر ، وفى الاتجاهات ، عن الوثائق ، التى نحن بصددها : ونحن ننشر ما يجىء فى بعض الوثائق الأجنبية على علاته تاركين للقارىء وحده اصدار الحكم على ما جاء فيها ، ان سلبا ، وان ايجابا مؤكدين ــ وباستمرار ــ على أن الوثائق الأجنبيـــة فى العادة لا تخـــدم الا الجهات ، التى أصدرتها كما ان هذه الوثائق ، ينبغى أن تظل وأبدا ، علامات استفهام تستوجب الرد عليها •

ونعود ــ بعد ذلك الاستطراد ، الموجز ــ الى آخر الوثائق ، التى نشرناها فى الفصل السابق ، والتى طار من أجل الحصول عليها زميلنا الأستاذ محسن محمد ، والوثيقة التى نعنيها هى البرقية رقم ٢٩٨ بتاريخ ٢٧ يناير ١٩٤٢ من السير مايلز لامبسون سفير بريطانيا فى مصر ، الى وزارة الخارجية البريطانية وهى تروى ما دار بين الملك فاروق وبين رئيس وزرائه حسين سرى باشا وقد نشرنا فى الفصل السابق ما جاء عن النقطة الأولى من النقاط ، التى دار حولها الحـــديث

وعن النقطة الثانية وهي المتعلقة برغبات بريطانيا ، تحدث الملك طويلا عن اخلاص رئيس الوزراء له وطلب الملك من رئيس الوزراء باسم هذا الاخلاص ، انقاذ ، الموقف ، وقد أجاب رئيس الوزراء ، انه مستعد لأن يفعل ذلك ، ويحاول تسوية الأمر ، مع بريطانيا بشرط ألا تكون هناك محاولات خداع في المستقبل ، وأن يدرك جلالته ان أي ملك ليس من حقه أن يلعب بالنار من أجل أسرته ، وقد طلب الملك من رئيس الوزراء المساعدة لاخراجه من موقف يدرك خطورته الكامنة .

ويقول رئيس الوزراء ، للسفير البريطاني أنه قال للملك : انه - أي حسين سرى باشا - بين نارين ولكنه انتهى الى أنه - أي رئيس الوزراء - وبريطانيا ، يجب أن يعطوا الملك فرصة أخرى .

ويقول سير مايلز لامبسون في برقيته تلك : كانت آخر كلمات رئيس الوزراء هي « اعطوني فرصة » وخشي رئيس الوزراء ، أن يحدد الوقت ، الذى يستطيع فيه الوفاء بتعهداته للسفير .

ويؤكد السفير أن الملك يستطيع أن يفعل شيئا لطيفا يظهر به اخلاصه لحلفائه .

انني - سير مايلز لامبسون - لا أتذكر عملا واحدا - باستثناء هدية مالية ضعيفة - من جانب جلالته منذ بدأت الحرب .

ولقد قلت لحسنين ، هذا الصباح - ٢٧ يناير ١٩٤٢ - انني وكثيرين غيري نشعر بالاشمئزاز لهذا الموقف : لقد كان من السهل على جلالته أن يقدم على عمل ودى ما : لماذا لا يعرض قصر القبة الذى لا يستخدم الآن كمستشفى عسكرى بريطاني ؟ ومن المحتمل ، أننا لسنا فى حاجة اليه ولكن العرض سيكون لفتة طيبة ، ويصر السفير البريطانى ، على ضرورة اخراج عبد الوهاب طلعت ، والايطاليين الذين يعملون فى القصر وتقول الوثائق البريطانية أيضا : ان حسين سرى باشا قال لمستر شون الوزير البريطاني المفوض فى مصر والقائم بأعمال سير مايلز لامبسون الغائب في رحلة صيد ، لقد التقيت بالملك ، وقلت له أننى سأتحدث اليك ، كخالك باعتباري زوجا لخالة الملكة لا كرئيس للوزارة ، وعلى الفور قام ، الملك يقبلنى ، ويعانقنى ، ويشكرنى ثم يقول حسين سرى ، لمستر شون : ان كل رجال القصر يضاعفون جهودهم ضدى : على ماهر ، ورجاله انهم يحركون مظاهرات الطلبة وأني لا أتهمه بذلك ولكنه لم يفعل شيئا لوقفها ، وبالاضافة الى على ماهر هناك الشوربجى والشيخ المراغى !

ويؤكد حسين سرى على أنه سيستقيل يوم ٢ أو ٣ فبراير على الأكثر .

ويؤكد حسين سرى باشا ـ نقلا عن الوثائق البريطانية ـ اتهامه للشيخ المراغى بتدبير مظاهرات الطلبة ويقول ان الشيخ مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر يتحرك بتنسيق مع على ماهر وغيره من العناصر الشريرة ويقول أيضا ـ حسين سرى باشا ـ أنه بلغ المراغى ، اننا لن نفعل شيئا ضد الأزهر اذا اقتصر على النشاط الدينى أما اذا تجاوزه الى النشاط السياسى والشائعات والأقوال الضارة فاننى لن أتردد فى الاستعانة بالبوليس ليتصرف ، ويتخذ الاجراءات المناسبة » .

ويقول حسين سرى أنه رغم أن الشيخ المراغى وعد بمنع هذه المظاهرات ، الا أنها انتقلت الى جامعة فؤاد ، كما يقول أيضا ـ حسين سرى باشا ـ أنه اتصل بحسنين باشا ليبلغه استعداده لقمع هذه المظاهرات بشرط أن يتلقى تأكيدا بأن الملك يسانده وقد أمهله حسنين باشا بعض الوقت ثم اتصل به بعد الظهر ، ليبلغه ، أنه ليس للقصر شأن بذلك وأنه ـ أى حسين سرى رئيس الوزراء ـ حر فى أن يفعل ما يراه ؟

ويقول سير مايلز لامبسون ، أنه بعد اصرار حسين سرى على تقديم استقالته سأله عمن يقترحه خليفة له ، اذ لا يوجد رئيس وزراء يستقيل الا وفى ذهنه من يخلفه ، ويقترح حسين سرى لرئاسة الوزارة أحد ثلاثة : بهى الدين بركات ، أو محمد حسين هيكل ، أو أحمد ماهر ، ولكن لامبسون يضحك ، وهو يقول له : لا أظنك جادا فيما تقوله ، ما هو تفكيرك الحقيقى ، فيجيب سرى بلا تردد : ارسل فى طلب الوفد .

وفى البرقية رقم ٤٤٣ ، بتاريخ أول فبراير ١٩٤٢ من السفير البريطانى الى وزارة الخارجية ، يقول سير مايلز لامبسون : عندما سألت حسين سرى عمن يخلفه اقترح بهى الدين بركات ، أو هيكل ، أو أحمد ماهر ، وعندما سألته ، ماذا تعتقد حقا ؟ أجاب على الفور : أرغموا الملك فاروق على أن يستدعى الوفد وبلغت ـ سير مايلز لامبسون ـ فخامته أن هذا بالضبط هو ما وصلنا اليه » وتقول وثيقة بريطانية أخرى مؤرخة فى ٢ فبراير : أن السفير البريطانى ، اتفق مع حسين سرى باشا على أن يقدم استقالته فى الساعة الثانية عشرة والنصف بعد ظهر يوم الاثنين ٢ فبراير وأن سير مايلز لامبسون سيقابل الملك فى الساعة الواحدة بعد ظهر ذلك اليوم ـ أى بعد نصف ساعة فقط ليبلغه ضرورة تشكيل وزارة مخلصة للمعاهدة ، قوية تستطيع أن تحكم ويكون لها تأييد شعبى كاف ، كما يبلغ الملك أيضا استدعاء النحاس باشا باعتباره زعيما للأغلبية ويستشيره فى أن يؤلف الحكومة الجديدة وأن يتم كل ذلك بعد ظهر غد ، وأن يعتبر الملك مسئولا عن أى اضطراب يحدث و .. و .. وتفصل الوثيقة رقم ٤٤٩ « ٢ فبراير ١٩٤٢ » ـ وهى من السير مايلز لامبسون الى وزارة الخارجية فى لندن ـ ما حدث بين الملك فاروق وسير مايلز لامبسون وكيف كان

اللقاء وديا أكثر من المعتاد . وقد وافق الملك على ما عرضه عليه السفير البريطانى وأكد أنه قرر بالفعل الاجتماع بالنحاس وأنه ـ أى الملك ـ يعمل فى سبيل تشكيل حكومة وطنيـة ، وبعد أن طلب لامبسـون من الملك ألا تكون هنـاك اضطرابات ، أو متاعب اكد الملك أنه لن تكون هناك اضطرابات وقال أنه ـ أى الملك ـ أرسل هذا الصباح « ٢ فبراير ١٩٤٢ » الى الطلبة الذين تجمعوا عند القصر لابلاغهم أن عليهم العودة الى دراستهم والتزام الهدوء . وفى نفس الوقت الذى كان فيه سير مايلز لامبسون يواصل اجتماعاته مع الملك ومع حسين باشا و .. و .. كانت بريطانيا تبحث عن البديل فى حالة ما اذا لم يؤلف النحاس باشا الوزارة .

ويجتمع سير مايلز لامبسون بأوليفر لبتلتون وزير الدولة البريطانى المقيم فى مصر ، وبقائد القوات البريطانية لمناقشة الخطة الموضوعة للتعامل مع الملك فاروق ، اذا ما امتنع عن تنفيذ المطالب البريطانية « الشرعية » التى تستوجبها المادة الخامسة من المعـاهدة . وفى هـذا الاجتمـاع يجـرى بحث الاجراءات العسكرية لمحاصرة القصر ومقـاومة الحرس الملكى فيما اذا اضطروا لاستخدام القوة . وفى هذا الاجتماع أيضا تقرر أن يبلغ السفير البريطانى ، الملك أننا لا نعتبر سلوكه العام سلوك حلفاء ، ثم يطلب منه اعتزال العرش ، وفى حالة موافقة فاروق يستدعى الأمير محمد على ولى العهد ليتولى العرش . وفى حالة رفض فاروق التنازل عن العرش يقوم سـير مايلز لامبسون بابلاغه أنه خلع ويقوم لامبسون بالاتصال بمحمد على ، واذا رفض الأمير محمد على ـ وهو ما لم يتوقعه سير مايلز لامبسون والمجتمعون معه ـ فان مصر ستحكم حكما عسكريا بمقتضى الأحكام العرفية حتى تستقر الأمور فيتولى أحد الأمراء ولاية العرش أو باعداد نظام آخر .

ويطلب سير مايلز لامبسون من وزارة الخارجية البريطانية اعطاءه الضوء الأخضر ليمضى فى خطتـــه . وتجتمع حـــكومة الحرب فى لنـــدن برياسة ونستون تشرشل .

ويرسل مستر ايدن وزير الخارجية البريطانية برقية عاجلة الى سير مايلز لامبسون ، وقد جاء فى هذه البرقية : ان مستر ايدن يتعاطف تماما مع سير مايلز لامبسون وأنه ـ أى ايدن ـ يترك لحسن تقدير لامبسون مواجهة الموقف، الذى يتطور بسرعة لا تسمح بتبادل وجهات النظر برقيا .

ويطلب ايدن من لامبسون ضرورة اقامة اتصال مباشر مع النحاس قبل اعلان استقالة رئيس الوزراء اذا كان ذلك ممكنا ! ويضع ايدن للامبسون النقاط التى يجب أن يثيرها مع مصطفى النحاس ومن بينها أن بريطانيا لا تعتزم السماح باثارة أى سـؤال مع اعادة النظر فى المعاهدة مهما استمرت الحرب وكان هذا الموضوع مثارا من قبل الوفد المصرى فى المذكرة التى بعث بها الى الحكومة

البريطانية ـ والنقطة الثانية خاصة بمراكز النفوذ الشريرة فى القصر التى من مصلحة مصر ، ومصلحة بريطانيا القضاء عليها ، ويقول ايدن بالحرف الواحد وهو يخاطب لامبسون : هل تستطيع اذن أن تعتمد على أن يتبع النحاس نفس الموقف تجاه محسوبى القصر ، والايطاليين ، كما كان رئيس الوزراء الحالى مستعدا أن يفعل ؟ واذا أبدى ايماءة ترحيب بتأييده • فقدم له ـ بطبيعة الحال ـ وعدا بذلك واذا كان مستعدا لاضافة على ماهر الى أسماء هؤلاء الذين يرغب التخلص منهم فاننا آخر من يجادله فى هذا القرار • ويعطى ايدن للامبسون حرية التحرك واذا قدم النحاس باشا تأكيدات مرضية بشأن تنفيذ المعاهدة وعدم السماح باثارة موضوع تعديلها ، واذا قدم فى نفس الوقت استعداده للتخلص من محسوبى القصر ، فان للامبسون ـ هكذا قال ايدن بالحرف الواحد ـ الحرية فى أن يشجع الملك على اتباع نصيحة حسين سرى وتشكيل حكومة وفدية ، وسوف أقدر مثل هذه التأكيدات لا لأنى أتوقع بالضرورة أن يفى بها وانما لأنه اذا لم يفعل فانه سيعطينا مبررا قويا لاستبعاده •

ويقول مستر أنتونى ايدن أنه فى حالة ما اذا كان موقف النحاس باشا غير متعاون فلابد من محاولة اجراء صلح بين الملك وبين رئيس وزرائه الحالى !

ويطلب ايدن من لامبسون مرة أخرى مقابلة النحاس باشا قبل أن يستدعيه الملك •

واعتقادى الراسخ ـ حتى كتابة هذه السطور ـ أنه لا توجد وثائق ألمانية ذات قيمة خاصة بالعلاقات المصرية الألمانية لا فى سنوات الحرب العالمية الثانية، ولا فى سنوات الحرب العالمية الأولى •

وخلال زيارتى لألمانيا الاتحادية ـ ١٩٧٦ ـ قضيت أكثر من ثلاثة أيام فى بون ، فى وزارة الخارجية الألمانيـة ! أتباحث مع المسئولين عن حفظ الوثائق التاريخية الألمانية ومع كبار خبراء الشرق الأوسط من الألمان وانتهينا بعد بحث طويل شاق ، الى أنه لا توجد وثائق ذات بال عن العلاقات الألمانية المصرية خلال الفترة من ١٩١٤ حتى ١٩١٨ ، وخلال الفترة من ١٩٣٩ حتى ١٩٤٥ •

وقد كان الجانب الألمانى يفاجأ بما لدينا من معلومات ووثائق عن العلاقات المصرية الألمانية منذ بداية القرن التاسع عشر وكان يود الاستزادة منها لانها غير متوافرة لديهم •

وربما كان من بين أسباب عدم وجود وثائق ألمانية ذات بال عن موقف مصر والمصريين من الألمان خلال الحرب العالمية الثانية ، أن هتلر ، قبل أن ينتحر أمر بأن تحرق كل الوثائق ، الموجودة فى الرايخستاج « مقر المستشارية الألمانية » •

كما أننى فى نفس الوقت أؤمن بأنه لم تكن هناك علاقات تنظيميـه بين الالمان، وبين بعض المصريين المتعاطفين مع دول المحور، بقيادة ألمانيا بمعنى أنه لم

تكن هناك ثمة روابط مادية تجمع بين النظام الهتلرى ، وبين التنظيمات أو الأشخاص الذين كانوا يميلون الى ألمانيا ٠ وأن المسألة لا تتعدى المشاعر والأحاسيس بالاضافة الى الايمان المطلق ، بأن من مصلحة مصر ، انتصار ألمانيا ، على انجلترا التى أذاقت مصر باحتلالها البغيض الذل ، والهوان ٠٠

ومن الوثائق الألمانية غير المهمة تلك التى نقلت عن السفير الألمانى فى طهران قبل طرده فى سبتمبر ١٩٤١ ، وسؤاله يوسف ذو الفقار ، والد الملكة فريدة ، وسفير مصر فى طهران عن مكان على ماهر ، وموقفه وكذلك تلك التى تقول ، أن السفير الألمانى فى طهران كان يعلم ، أن فاروق يرحب بانتصار ألمانيا وقد اقترح السفير الألمانى ، اقامة صلة بين فاروق ، والمحور عن طريق بوخارست ٠

وعواطف على ماهر باشا ، تجاه ألمانيا ، لم تكن خافية على أحد لا فى داخل مصر ، ولا فى خارجها ، وكانت الصحف البريطانية تتحدث عنها باستمرار، وتدعو الى القبض على على ماهر ، أو على الأقل الحد من نشاطه المعادى ، للحلفاء ثم ان موقف على ماهر ، من بريطانيا قد أثير أكثر من مرة فى مجلسى النواب ، والشيوخ المصريين فعندما يسأل السفير الألمانى فى طهران زميله سفير مصر فى طهران عن مكان على ماهر ، وموقفه لا يدل أبدا على وجود علاقة بين على ماهر والألمـــان ٠

وربما كانت الحالة الظاهرة والواضحة التى تؤكد وجود علاقة بين ألمانيا ، وبين أحد التنظيمات المصرية هى حالة د٠ مصطفى الوكيل نائب رئيس جمعية مصر الفتاة ، الذى انضم الى ثورة رشيد عالى الكيلانى التى قامت فى مايو ١٩٤١ ، وكان وقتئذ أستاذا فى كلية المعلمين ببغداد وعندما فشلت ثورة رشيد عالى الكيلانى ، انتقل مصطفى الوكيل ــ وكان طيب الله ثراه من أنقى العناصر الوطنية ومن أكثرها ، اخلاصا ، وتضحية وشفافية وصدقا ــ الى برلين ، الى أن وافاه الأجل المحتوم هناك ٠

وتعود الى الحديث عن المظاهرات العنيفة التى بدأت فى آخر أيام يناير ١٩٤٢ من دار الأوبرا ، الملكية حيث كان يجرى الاحتفال بتأبين محمد محمود باشا رئيس حزب الأحرار الدستوريين ، والتى بلغت الذروة فى الجيزة فى ٢ فبراير ١٩٤٢ حيث نودى بسقوط ملك بريطانيا ، وحيث تردد الهتاف الشهير : الى الأمام يا روميل الى الأمام يا روميل ! وقد اختلفت الآراء ــ ولا تزال ــ اختلافا بينا حول مدبرى تلك المظاهرات

رأى يقول أن بريطانيا ولا شك هى التى دبرتها ، عن طريق سفارتها بالقاهرة وكان الهدف منها خلق حالة من الفوضى والسخط ، تستوجب التدخل الفورى لحماية المصالح البريطانية ٠

ورأى آخـر يقول : أن الوفد المصري ـ كحزب ـ هـو الذى دبر تلك المظاهرات ، لانه هو الذى استفاد منها اذ جاء الى الحكم ، فى أعقابها ، وعند البحث الجنائى يسأل عن المستفيد ، من الجريمة ليتهم بفعلها ! ورأى ثالث يقول : أن القصر ومن ورائه ، على ماهر باشا ، والشيخ محمد مصطفى المراغى ، شيخ الجامع الأزهر هو مدبر تلك المظاهرات للتخلص من وزارة حسين سرى من ناحية ولفرض وزارة تنتمى تماما الى القصر ولاحراج الانجليز فى وقت هم فيه أضعف ما يكونون وفى وقت تقترب فيه القوات الألمانية من الاسكندرية ٠

وقد بذلت الكثير من الجهود ، لعلى أصل الى مفتاح ييسر لى سبيل التعرف على الأسباب الحقيقية التى أدت الى تدبير تلك المظاهرات ، اذ الثابت ، والمؤكد ، أنها مظاهرات مدبرة ، وليست أبدا بعفوية ٠

ولم أجد على كثرة ما قرأت ، عن تلك المظاهرات كما لم أجـد عند من التمست عندهم بعض البيانات ما يقنعنى بأن هذه الجهة أو تلك ، هى صانعة مظاهرات الثانى من فبراير ١٩٤٢ ٠

وقد اقترنت تلك المظاهرات ، باسم الصديقين ، والزميلين رشيد النحال، وعبد السلام وفا ، وهما الوحيدان اللذان تردد اسماهما فى تلك المظاهرات ، وقد عدت الى الزميل الأستاذ عبـد السـلام وفا أستوضحه وجهـة نظره فى تلك المظاهرات التى كان بلا جدال أحد قادتها ، واننى لاتمنى من الزميل رشيد النحال أن يكتب لى كلمة فى تلك المظاهرات ، للتاريخ ، وليس لشىء آخر ، الا التاريخ ، وكلمتا رشيد النحال وعبد السلام وفا سوف تلقيان ولا شـك الأضواء ، على جانب من جوانب تدبير مظاهرات الى الأمام يا روميل !

ومن بين ما كتبه لى الأستاذ ، عبد السلام وفا ، ان المنـاخ السياسى ، والشعبى ، كان مهيأ تماما لقيام تلك المظاهرات اذ كانت وزارة حسين سرى باشا ، قد افتقدت كل تأييد شعبى وكان حزب الوفد حزب الأغلبية غير راض عن وجـودها ، ويعتبرها وزارة غير دستورية وانها تغتصب حقـه الشرعى ، والدستورى فى تولى الحكم وكان حزب مصر الفتاة ضد تلك الوزارة ، ويعمل بدوره على اسقاطها ، نتيجة اعتقال رئيس الحزب الأستاذ أحمد حسين وبعض قيادات الحزب بالاضافة الى أن الجبهة الوطنية من الشباب المؤيد لسياسة على ماهر باشا قد استطاعت أن تلهب حماس الجماهير ضد الوزارة ، بعد أن اتضح موقفها من مساندة مطالب قوات الاحتلال ولا سيما محاولة اعتقال على ماهر وصالح حرب ٠

ويقول عبد السلام وفا : انه بعد خروجه من الهيئة السعدية كسكرتير عام ، لشبابها اتصل بعلى ماهر باشا وقابله لأول مرة فى منزله بالزمالك ، لأكثر من ساعتين ، ثم تكرر اللقاء فى اليوم التالى وكان حاضرا ذلك اللقاء صالح حرب باشا وعبد الرحمن عزام باشا ومصطفى الشوربجى ، وقد تمت اجتماعات

أخرى للشباب ، المؤيد ، لعلى ماهر باشا فى منزل مصطفى الشوربجى بك فى جاردن سيتى وفى جمعية الشبان المسلمين المركز العام ، ثم فى الفرع الجديد الذى أنشىء فى السيدة زينب لجمعية الشبان المسلمين .

ويقول عبد السلام وفا : انه فى افتتاح الفرع ، الجديد للشبان المسلمين فى السيدة زينب ، أعلن على ماهر باشا عن مشروعه الاجتماعى « يوم الفقير » والذى تحول فيما بعد الى عمل اجتماعى ضخم ، جمعت له التبرعات الكثيرة والوفيرة ، وتشكل له مجلس ادارة برئاسة على ماهر باشا ، وتولى أمانة صندوقه عبد السلام الشاذلى باشا .

وقد حاربت بريطانيا هذا المشروع وصادرت أمواله .

ويقول الأستاذ عبد السلام وفا : ان شباب الجبهة المؤيد لعلى ماهر باشا ، قد استطاع عن طريق ابراهيم دسوقى أباظة سكرتير عام حزب الأحرار الدستوريين الحصول على بضع مئات من بطاقات الدعوة لحضور الاحتفال بتأبين محمد محمود ، وعند وصول حسين سرى باشا الى دار الأوبرا الملكية حيث جرى الاحتفال استقبل حسين سرى باشا بهتافات عدائية من بينها : يسقط سرى رمز المجاعة ، على ماهر رجل الساعة ، يسقط سرى حذاء الانجليز ، وكان حسنين باشا رئيس الديوان الملكى قد حضر الحفل نائبا عن الملك ، فنقل اليه تفاصيل ما حدث فى ذلك الاحتفال .

ويقول عبد السلام وفا : انه كان يعمل وقتئذ موظفا بمصلحة الضرائب التابعة لوزارة المالية ، التى كان وزيرها حسين سرى باشا نفسه ، بعد استقالة د. عبد الحميد بدوى فأصدر قرارا بنقله الى مصلحة الضرائب فى قنا ، وكان هذا آخر قرار اتخذه ، كما يقول الأستاذ وفا ، الذى بادر بتقديم استقالته .

وكانت المظاهرات المعادية لبريطانيا ولحكومة حسين سرى باشا قد بدأت مع أول فبراير فى الأزهر الشريف وفى اليوم التالى ـ ٢ فبراير ١٩٤٢ ـ جرى تنسيق بين طلاب جامعة فؤاد ، وطلاب الجامعة الأزهرية ، وخرج طلاب جامعة فؤاد من جامعتهم فى الجيزة متجهين الى قصر عابدين ، وكذلك خرج طلاب الأزهر من الأزهر ، متجهين الى عابدين ، والتقى الجمع هناك ، وتألف وفد يمثل الطلبة قابل أحمد حسنين باشا ، رئيس الديوان الملكى وبدا واضحا من لقاء حسنين باشا أن القصر مرتاح الى تلك المظاهرات .

ويؤكد الأستاذ عبد السلام وفا على نقطة هامة جوهرية وهى ان البوليس لم يتعرض على الاطلاق لأية مظاهرة من المظاهرات التى خرجت فى ذلك اليوم ، لا لتلك التى خرجت من جامعة فؤاد ، ولا لتلك التى خرجت من الأزهر » .

والى هنا ينتهى ملخص ما قاله الزميل الأستاذ عبد السلام وفا ، وبقى أن نستمع الى الزميل الأستاذ محمد رشيد النحال الذى أشارت بعض الجهات

الى أنه كان أحد قادة تلك المظاهرات كزميله عبد السلام وفا ، بل اننا لندعو كل من لديه بيانات أو معلومات عن تلك المظاهرات أن يوافينا بها خدمة للحق ، وللتاريخ ·

وقد ألقى مصطفى النحاس باشا ، أثناء تأديته الشهادة فى قضية مقتل أمين عثمان باشا بعض الأضواء على مظاهرات ٢ فبراير ١٩٤٢ ، فقال : أنه قبل أن يقابل الملك كان قد سمع أن هناك مظاهرات وهتافات : أقبل يا روميل ، فاروق فوق رأسك يا جورج » وكما سمع أن هناك صورا تلقى على الأرض وتداس بالأقدام ·

والطريف أن مصطفى النحاس باشا ، فى بعض أجزاء من شهادته كان لا يتذكر فى أى عهد وقعت تلك المظاهرات · وعندما يذكره الدفاع عن المتهمين فى القضية بأنها وقعت فى عهد حسين سرى باشا يقول : يجوز ·

وعندما يسأل مصطفى النحاس عن صاحب المصلحة فى تدبير هذه المظاهرات يستبعد قيام المعارضين لوزارة حسين سرى باشا بتدبير تلك المظاهرات ويبقى الآخرين ولا يحدد من هم الآخرون الذين يعنيهم ؟ وعندما يسأل من الدفاع عما اذا كان يعتقد أن الانجليز هم الذين دبروا المظاهرات ؟ يقول انه لا يعقل أن يدبرها الانجليز ضد أنفسهم ، الا اذا أرادوا أن يجدوا فيها ذريعة للتدخل !

الفصل الرابع

الوفد والقصر يتحالفان معا ضد الانجليز حتى ٣ فبراير ١٩٤٢

سبق أن حاولنا الرد على سؤال نعتقد أنه هام ، وخطير ، ظل يتردد قرابة أربعين سنة ، دون أن نتلقى عليه ، اجابة حاسمة ، أو شبه حاسمة ذلك السؤال الهام والخطير هو : من الذى دبر تلك المظاهرات العنيفة التى انطلقت فى ٢ فبراير ١٩٤٢ تهتف بسقوط التاج ، البريطانى ، وتنادى الى الأمام يا روميل، الى الأمام يا روميل ٠

وقد أنهينا الفصل السابق بما ورد على لسان مصطفى النحاس باشا رئيس الوفد ، عندما كان يدلى بشهادته أمام محكمة جنايات مصر ، التى كانت تنظر قضية الاغتيالات السياسية ، مقتل أمين عثمان باشا ، بخصوص تلك المظاهرات، واستبعاد أن يكون الانجليز هم الذين دبروها ، اذ لا يعقل أن يدبرها الانجليز ضد أنفسهم ، الا اذا أرادوا ــ كما يقول مصطفى النحاس باشا بالحرف الواحد ــ أن يجدوا فيها ذريعة للتدخل !

ونكمل ما أنهينا به الفصل السابق فنذكر ، أن حسين سرى باشا عندما سئل وهو يدلى بشهادته فى تلك القضية ــ قضية مقتل أمين عثمان باشا ــ عن المظاهرات التى وقعت قبيل استقالته وعن مدبريها أجاب بقوله :

لقد كانت مظاهرات ، ومظاهرات صاخبة ، ولكننى أرجو أن نرجع الى الوراء ، ونتخيل رئيس الحكومة كان حاكما عسكريا ، وكلكم يعلم معنى قسوة الأحكام العرفية ، وأنه من حسن السياسة أن يترك بعض الأحيان صمامات الأمن مفتوحة ، فاذا ما تأكد المسئول عن الأمن أن قيام بعض المظاهرات ليس هاما من الوجهة السياسية ، فيجب أن يتركها حتى يتنفس الناس ، وأؤكد أن المظاهرات لم تكن أكثر من ذلك » ٠

ويسأل حسين سرى باشا ، عما اذا كان يرى أن حادث ٤ فبراير كان نتيجة لهذه المظاهرات ؟ ويسأل سرى باشا سائله : أتقصد أنه طلب منى أن أقف المظاهرات ؟ ولكن المحامى ، الذى كان قد وجه السؤال الى حسين سرى باشا يعيد صياغة السؤال من جديد ، على النحو التالى :

هل لهذه المظاهرات أى أثر فى حادث ٤ فبراير ؟

ويقول حسين سرى باشا : لا أعتقد مطلقا أن لها أى أثر ولم يطلب منى أحد ، أو يكلمنى فى هذه المظاهرات .

ويؤكد حسين سرى مرة أخرى وهو يؤدى شهادته أن أحدا لم يتصل به لمنع المظاهرات ، وينفى أنه قال للسفير البريطانى أو لبعض الانجليز ، أنه لا يستطيع منع المظاهرات !

ويقول د. محمد حسين هيكل ، فى شهادته أيضا أمام تلك المحكمة : فى ٣١ يناير ١٩٤٢ ، كنا نقيم حفلة ذكرى محمد محمود باشا فلما انتهت الحفلة حصلت مكيدة ضد سرى باشا ، اشترك فى تدبيرها بعض الكبراء .

وعندما يسأل د. هيكل : هل تعرف العوامل التى أدت الى هذه المظاهرات ، التى أشرت اليها ؟ يجيب هيكل باشا بقوله : لا أستطيع أن أدلى بشىء ، لكن شعورى يوحى بأنه كانت هناك عوامل أخرى كثيرة ، أدت اليها .

والجدير بالذكر أن أحدا من المحامين ، فى قضية الاغتيالات السياسية ، قضية مقتل أمين عثمان باشا لم يوجه أى سؤال عن مظاهرات ٣١ يناير ١٩٤٢ ، ١ ، ٢ فبراير ١٩٤٢ ، الى على ماهر باشا ، ذلك أن هدف المحامين عن المتهمين ، كان اثبات توريط أمين عثمان باشا ، فى حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ، ولم يكن الهدف مساءلة على ماهر باشا ، عن مسئوليته فى تدبير تلك المظاهرات .

ولأنور السادات رأى فى تلك المظاهرات سجله فى كتابه « صفحات مجهولة » الذى كتب مقدمته جمال عبد الناصر ، يرحمه الله .

يقول السادات وهو يتحدث - فى البداية - عن ٤ فبراير : على كثرة ما كتب عن حادث ٤ فبراير فان هناك حقيقة لم تنشر أبدا ، ولم تطف بأذهان الذين تكلموا ، ولا الذين سمعوا ، فقد أخذ الناس هذا الحادث بالمأخذ السطحى فقالوا : أن مظاهرات سارت فى البلاد تهتف الى الأمام يا روميل فتحركت دبابات الانجليز تفرض النحاس باشا على الملك رئيسا ، لمجلس وزراء البلاد .

ولو قلت اليوم أن هذه المظاهرات قد رسمت رسما ودبرت تدبيرا لما جاوزت الصواب .

ولو قلت انها رسمت ، ودبرت ، لتبرير هذه الجريمة التى ارتكبها الانجليز ، لما جاوزت الصواب أيضا .

وبقى أن تعرف بعد ذلك اليد التى حركت المظاهرات بليل ، ليل المدبر ، والمحرك ، وناصب الشرك ٠

لقد كانت البلاد واقعة تحت حكم عرفى ، والذين يقودون مظاهرات كهذه ان كانوا من الوطنيين فعلا ، لابد أن يقدروا خطورة تظاهرهم ، ودعائهم لروميل فى بلاد يحتلها جيش الانجليز ٠

ومع ذلك فقد سارت المظاهرات ، بليل ولم نعرف أشخاص قادتها ولا قبض رجال البوليس عليهم ٠ ولا تحرش بهم جيش الانجليز المقيم فى العاصمة والذى لم يجد حرجا فى مهاجمة قصر الملك ٠

فاذا بحثنا عن الدافع ، الذى صورته انجلترا لهذه المظاهرات لعرفنا كيف تستطيع الدعاية البريطانية ، وأعوانها فى مصر ، أن تلعب فى فترات الحرج بعقول العامة من أهل البلاد ، فاذا بالأكذوبة تصبح حقيقة تتناولها صحف مصر اثنى عشر عاما كاملة ٠ ثم ترددها قاعات المجالس النيابية وقاعات المحاكم أيضا فى قضايا السياسة الكبرى ٠

أحقا هذه المظاهرات قد سارت فى شوارع القاهرة لتلعب دورا فى هزيمة الانجليز ؟

انها اذن مظاهرات خطيرة من ورائها تدبير وطنى فاهم ، لما يعمل ، فأين المدبرون والمحركون ، وأين قصاص الانجليز منهم ، أو قصاص الذين حكموا مصر بأمر الانجليز ٠

فان لم تكن هذه المظاهرات بالخطورة الفعلية على كيان الانجليز فى أيام محنتهم ففيم اذن هذا الاجراء العنيف ، وقد كان أيسر اجراء فى تلك الأيام كفيلا بقمع مظاهرات لا هى بالخطرة ولا وراءها تدبير ؟

ولكن هناك هدفا ، وقد تحقق هذا الهدف والهدف هو ايجاد مبرر ، تستند اليه الدعاية البريطانية عندما يتخذ الانجليز هذا الاجراء الاجرامى الشاذ فى نوعه وقد تحقق هذا الهدف ٠

واستطاعت انجلترا أن تفرض على الملك حكومة النحاس ويبقى السؤال الذى لا يزال ينتظر الجواب ؟

لماذا أراد الانجليز هذا وما الذى كلفهم كل هذا التدبير وكل هذه الجريمة٠ وكل هذه الدعاية التى اضطروا اليها اضطرارا لتبرير فعلتهم ؟

لم تكن المسألة مسألة السخط الذى كان يعم مصر وقتئذ ، ولم تكن مسألة الخوف من فورة الشعور الشعبى ٠ المضاد للانجليز ، فى وقت يقف فيه الانجليز فى أحرج موقف من مواقف الحرب العالمية الثانية ٠

فمـا كان حادث ٤ فبراير ليستطيع ازالة السـخط ولا وقف الشعور الشعبي ، المضاد للانجليز وانما هو جدير بزيادة السخط ، والكراهية وكشف العداء ، سافرا بين شعب مصر وبين حليفه المفروض عليه فرضا ، ضد الاحتلال، صحيح كان هناك سخط ، وكان في البلاد نية لانتهاز الفرصة ، وضرب الانجليز من الخلف ، بينما تشتد عليهم نيران روميل من الأمام ، ولكن هذا لم يكن كل شيء ، ولم يكن يستحق الوضع الذي وضعت انجلترا نفسها فيه يوم ٤ فبراير المشئوم كانت انجلترا ترى أن هناك تقاربا بين الملك والشعب من ناحية وبين الملك وبين الجيش من الناحية الأخرى فقد كان الملك في نظر الشعب وفي نظر الجيش أيضا شابا وطنيا وكان محبوبا ، ورأت انجلترا أن هذا التقارب سيوجد جبهة متحدة من الجيش والشعب فأرادت أن تحطم هذه الجبهة ، وأن تعزل الجيش عن الشعب ، وكان ٤ فبراير هو الوسيلة لذلك فقد صممت انجلترا فيه على تكليف النحاس زعيم الشعب بتشكيل الوزارة فأصبح الشعب بذلك في ناحيـة ، والملك والجيش في الناحيـة الأخرى وبدأت انجلترا بعـد هذا تقيم سياستها على أساس عزل الجيش عزلا كاملا عن الشعب بتبغيضه اليه واشعار الشعب بأن جيشه هو السوط الذي سيلهب ظهره باسم الملك » ٠

والجـدير بالذكر ـ وعلى ضـوء دراستنا ، للوثائق البريطانية الخاصـة بآخر أيام يناير ١٩٤٢ والأيام الثلاثة الأولى من فبراير من نفس العام ـ أن دار السفير البريطاني لم تكن تعلق أهمية ، على المظاهرات التي قامت في ٣١ يناير ١٩٤٢ ، ٢ ، ٣ فبراير ١٩٤٢ وكل ما جاء ـ في تلك الوثائق ـ عن تلك المظاهرات ، لا يتعدى اشارات عابرة اقتضاها سياق سرد الحوادث لا أكثر ولا أقل ٠

جاء مثلا في مذكرات سير مايلز لامبسون عن أول فبراير ١٩٤٢ : أن حسين سري باشـا رئيس الوزراء تحـدث اليه ، عن الشيخ مصطفى المراغي المسئول عن مظاهرات طلبة الأزهر وأن الشيخ مصطفى المراغي يتحرك بتنسيق مع علي ماهر ، وغيره من العناصر الشريرة ، وأنه ـ أي حسين سري ـ طلب من الشيخ المراغي التدخل لوقف تلك المظاهرات وأنه ـ أي الشيخ المراغي ٠ وافق لكن العناصر الشريرة ـ هكذا قال حسين سري لسـير مايلز لامبسون نقلت نشاطها الى جامعة فؤاد فكانت هناك مظاهرات وشعارات معادية للانجليز ومرة أخرى أشارت الوثائق البريطانية الى أن سير مايلز لامبسون عندما قابل الملك فاروق في ٢ فبراير ١٩٤٢ قال له « لا ينبغي أن تـكون هنـاك اضرابات أو متاعب » وأنه ـ لامبسـون ـ « يفترض أنه سيتم اتخـاذ جميع الاحتياطات » « وأن مسئولية خطيرة سوف ينطوي عليها عدم اتخاذ مثل هذه الاحتياطات » ٠

ويقول لامبسون أن الملك فاروق أجابه بأنه لن تكون هناك اضطرابات وأنه ـ أي الملك أرسـل هذا الصـباح ـ ٢ فبراير ١٩٤٢ ـ الى الطلبة الذين تجمعوا عند القصر ، لابلاغهم أن عليهم العودة الى دراستهم والتزام الهدوء » ٠

كل ما كانت تهتم به تلك الوثائق ، كيف يعود الوفد الى الحكم ، ومتى يعود الى آخر ما سوف نفصله فيما بعد ٠

هذا ويقول د٠ محمد فريد حشيش فى دراسة له عن الوفد :

ان مظاهرات أول فبراير السبب المباشر للتدخل البريطـانى وان كان د٠ حشيش يشـير الى رأى يراه البعض وجيهـا ، هو عـدم وجود تدبير لتلك المظاهرات التى كانت تعبيرا ، عن الاستياء ، العام الذى جمع مختلف طوائف الشعب والدليـل على ذلك انه من بين الهتافات التى رددتها تلك المظـاهرات المطالبة بالخبز ، ثم انها تتمشى مع ما كان يشعر به المصريون من الاعجاب نحو انتصارات الألمان ولا سيما فى هذه الفترة التى اكتسح فيها روميل جحافل قوات الحلفاء فى الصحراء الغربية على أية حال ــ حشيش ــ كانت هذه المظاهرات بمثابة الأسفين الأخير ، لوزارة حسين سرى فقد اضطربت أعصاب الانجليز ، وطلبوا الى حسين سرى القضاء عليها فلم يستجب لانه لم يكن قادرا على كبح جماحها ٠

والذى أستطيع أن أقوله ، على ضوء دراستى لكل الظروف ، التى أحاطت بتلك المظاهرات وعلى ضوء خبرتى العملية فى تدبير المظاهرات وخاصة فى الفترة من ١٩٤٤ ــ الى ١٩٤٩ : ان على ماهر والشيخ المراغى وبعض العناصر المعادية للسياسة البريطانية فى مصر ولا نقول للوجود البريطانى فى مصر قد اشتركت فى تدبير قيام تلك المظاهرات التى استهدفت ــ فى البداية ــ مجرد احراج وزارة حسين سرى باشا لكى يستقيل تمهيدا لمجىء وزارة جديدة مؤيدة من القصر ، ليس من الضرورى أبدا أن تكون برئاسة على ماهر باشا الذى كان قد أيقن ، أن عـودته الى الوزارة مستحيلة أو شـبه مستحيلة فى ظل الظروف السياسية القائمة وفى وجود سير مايلز لامبسون سفيرا ، لبريطانيا فى وجود أحمد حسنين باشا ، العدو الأول ، لعلى ماهر ، فى رئاسة الديوان الملكى !

قامت المظاهرات اذن ولا هدف لها الا المساهمة فى الاسراع باجراء انقلاب وزارى ، ثم تطورت فيما بعد ٠٠ اندست فيها العناصر المشبوهة التى نقلتها من المستوى المحلى ، الى المستوى الخارجى ، أى التى جعلت منها مظاهرات معادية لبريطانيا تهتف بسـقوط التاج وترحب بمجىء « روميل » وقد تكـون تلك العناصر ، ذات اتصال بالسفارة البريطانية فى القاهرة أو بمن على اتصـال بالسفارة البريطانية فى القاهرة وقد تكون تلك العناصر على اتصـال بالقلم السياسى فى وزارة الداخلية المصرية وقد تكون ذات اتصال بالجهتين معا خاصة وقد كان على رأس الجهاز الادارى فى وزارة الداخلية رسل باشا ، كحكمدار للقاهرة وقد تكون ٠٠ وقد تكون ٠

وقد علمتنا دراستنا التاريخية للمظاهرات فى مصر ، وعلمتنا التجارب أيضا ــ وهى أصدق وأخطر معلم ــ ان مظاهرات عديدة قامت فى جامعة القاهرة

فى سنوات ما قبل الثورة ولم يكن لها من هدف الا المطالبة بالجلاء وبوحدة وادى النيل • غير انها بعد ساعة من قيامها تتجه اتجاهات أخرى : تطالب ــ مثلا بالخبز ، تنادى ــ مثلا ــ بحياة زعيم سياسى معين أو باقالة الوزارة القائمة •

وليس لدينا ما ينفى اشتراك الوفديين فى تلك المظاهرات ، ولو بطريق ، غير مباشر فالذى لا جدال فيه أن الوفد كان سعيدا الى أبعد حدود السعادة لقيام تلك المظاهرات وقد كان فى مقدمة أهداف الوفد « الوقتية » احراج ، حسين سرى باشا ، الذى قطع شعرة معاوية التى كانت تربطه بالوفد والذى آثر مد يده الى السعديين ــ أعدى أعداء الوفد ــ وأشركهم فى وزارته •

كما أن الوفد كان يميل فى تلك المرحلة الى اظهار خصومته ، لبريطانيا التى سكتت على تنحيته عن الحكم •

وفى الوقت نفســه كان الوفد يحاول أن يؤكد لبريطـانيا ولرجالها فى مصر ، انه لا استقرار للأمــور فى مصر ، على الاطلاق بدون عــودة الوفد الى الحـــكم •

وكانت بريطـانيا قد غفلت فتــرة ما عن فهم تلك الحقيقــة ، أو حاولت تغافلها فجاءت مظاهرات ١ ، ٢ فبراير ١٩٤٢ لتبرهن من جديد أن وزارات الأقليات ليست أبدا بقادرة على ضمان الأمن والاستقرار فى البلاد فى تلك الفترة الحرجة من تاريخ بريطانيا •

ولذلك اتخذت بريطانيا قرارها الهام والخطير ، بضرورة عودة الوفد الى الحكم وبضرورة عزل الملك فاروق عن العرش ، اذا هو لم يوافق على عودة الوفد الى الحــكم !!

ولكن ماذا عن العلاقة بين الوفد ، والقصر قبل أن تقع الواقعة فى ٤ فبراير ١٩٤٢ ؟

يقول الأستاذ محمد التابعى ــ نقلا عن أحمد حسنين باشا ــ أن د• محمد حسين هيكل باشا ، قد سأل حسنين باشا عن سياسته الحقيقية ، وأن حسنين باشا ، قد قال له : سياستى التمهيد لعودة الوفد الى الحــكم لانه صــاحب الأغلبية الحقيقية ، هذا مع قيام حياة نيابية سليمة ووجود معارضة صالحة قوية تؤدى مهمتها على الوجه الصحيح ، هذا مع الحد من طغيان الأغلبية ، والعمل على وجود معارضة قوية » •

ويقول الأستاذ التابعى ، أيضا : « كان مصطفى النحاس باشا ، ومكرم عبيد باشا يمضيان الصيف فى رأس البر فى أمان من الغارات الجوية ، وذات يوم هبط على رأس البر ، الأستاذ مصطفى أمين الذى كان يومئذ رئيسا لتحرير مجلة « الاثنين » وقال مصطفى أمين للأستاذ مكرم عبيد ، أنه جاء يحمل اليه

رسالة من رئيس الديوان أحمد حسنين باشا وفحوى هذه الرسالة أنه اذا « التمس » رفعة رئيس الوفد مصطفى النحاس باشا مقابلة جلالة الملك فان التماسه سوف يجاب في الحال وكان مصطفى النحاس لم يقابل الملك فاروق منذ أقيلت وزارته في ديسمبر ۱۹۳۷ ٠

وكان المعنى الواضح من هذه الرسالة أو هذه المقابلة ، المطلوبة أن السراى تخطو الخطوة الأولى في سبيل التمهيد لعودة المياه الى مجاريها بين صاحب العرش وبين الوفد صاحب الأغلبية في البلاد ورحب الأستاذ مكرم عبيد بهذا الطلب وذهب لفوره وبلغه للسيد مصطفى النحاس ولكن النحاس باشا تشكك في صدق الرسالة وفي صدق الرسول مصطفى أمين وقال ما معناه : ان هذا كله كلام فارغ ، وتخدير أعصاب ٠

وكان رفعته ولا شك متأثرا بمناورة كفر عشما يوم زاره عبد الوهاب طلعت باشا ليستشيره باسم فاروق في الموقف السياسي وكيف فوجىء بعدها بتأليف وزارة حسن صبري باشا ؟

ويقول الأستاذ التابعي : ان مكرم باشا قال للنحاس باشا : « ان الدليل على جدية أو عدم جدية الرسالة هو أن يطلب الأستاذ مصطفى أمين بالتليفون حسنين باشا ، ويحدثه أمامنا في الموضوع ، ووافق مصطفى النحاس باشا وطلب الأستاذ مصطفى أمين أحمد حسنين باشا ، وقال له : مكرم باشا واقف جنبي وعاوز يسمع منك الكلام ، الذى طلبت منى ابلاغه لمصطفى النحاس باشا ٠

وناول مصطفى أمين سماعة التليفون لمكرم عبيد باشا وقال حسنين لمكرم نفس الكلام الذى كان نقله اليه مصطفى أمين وأضاف أن مقابلة النحاس للملك أمر مرغوب فيه وخطوة لابد منها » ٠

ويسأل مكرم عبيد باشا ، محدثه أحمد حسنين باشا : عما اذا كان مصطفى النحاس باشا ، يحضر وحده ، أم يحضر هو ــ مكرم ــ معه ، فيجيبه أحمد حسنين بأنه : يستحسن لو حضر هو أيضا مع النحاس ؟!

ويقول مكرم عبيد : اذن وأنا ألتمس مقابلة جلالة الملك باسم مصطفى النحاس وباسمي !!

ويجيب حسنين باشا : « والالتماس مقبول » ٠

ويحدد حسنين باشا موعدا للمقابلة الملكية « الكريمة » ويغادر مصطفى النحاس ومكرم باشا مصيف رأس البر ، الى القاهرة ٠

وفي القاهرة ، يعرف مكرم أن المقابلة ستكون مقصورة على النحاس باشا وحده ، وغضب مكرم وتساءل عن معنى دعوته للحضور الى القاهرة وهل دعوه للحضور كي يبلغوه أن الملك يريد أن يستقبل النحاس باشا وحده ٠٠

ويقول الأستاذ التـابعي : وتمت المقـابلة بين فاروق والنحاس وتحـدث فاروق ، عن الموقف ، وعما يلقاه من عنت الانجليز واضطهادهم له ، ويسأل رئيس الوفد ، هل يقف الوفد الى جانبه ، اذا اصطدم يوما بالانجليز ؟ وتحمس مصطفى النحاس ، وأعلن أنه وجميع الوفديين يفتدون الملك بدمائهم ، ورقابهم ، ومرر « رفعته » يده على عنقه تأكيدا لمعنى الفداء ، ثم أخرج من جيبه مصحفا ، وأقسم عليه أنه ورجال الوفد مخلصون لفاروق ، وانهم ، وانهم الى آخره وهكذا محت هذه المقابلة جميع الآثار السيئة التي كانت خلفتها اقالةوزارة النحاس باشا في ديسمبر ١٩٣٧ وخرج النحاس باشا من مقابلة فاروق وهو يدعو له ولعرشه بالعز والتأييد .

وعاد النحاس ومكرم الى مصيف رأس البر ، ولم يمض على عودتهما ، أيام معـدودة ، حتى أقام بعض الوفديين من المصيفين حفلة تكريم لمصطفى النحاس ــ ولعلها كانت حفلة موعزا باقامتها ــ وقام النحاس وألقى خطبة شن فيها على الانجليز ، حملة شعواء وأذكر ــ محمد التابعي ــ أنه قال بين ما قاله ، ان انجلترا تزعم انها تحارب من أجل الديمقراطية والحريات بينما هي تحارب الديمقراطية والحريات في مصر .. ثم دعا رئيس الوفد المصرى لجلالة الملك المفدى فاروق وأعلن اخلاصه ، واخلاص ، الوفديين « لصاحب العرش المجيد » .

وقد كانت خطبة النحاس باشا في رأس البر ، فعلا من أعنف الخطب التي ألقاها في حياته : هاجم فيها الانجليز ، وسياستهم في مصر ، كما لم يهاجمهم من قبل على الأقل ، منذ أن وقع معهم معاهدة التحالف والصداقة في ٢٦ أغسطس ١٩٣٦ كانت خطبة النحاس باشا في رأس البر في ٣ أغسطس ١٩٤١ ، وقد قال عن معاهدة الصداقة والتحالف بين مصر وبريطانيا ، انها أصبحت بعد عام واحد من تنفيذها ، غنما للانجليز ، وغرما على المصريين وأن سوء النية في تنفيذها قد بدا جليا للعيان ، حتى لا تحتاج ، الى مزيد من شرح أو بيان وان الأمر بات يستدعى اعادة النظر في المعاهدة لجعل نصوصها متفقة مع روحها ، وقال أيضا مصطفى النحاس : نصرنا الحقيقة بكل صدق ، واخلاص وأعلنت الأحكام العرفية علينا وكممت أفواهنا . وتحكمت الرقابة فينا وعدت أنفاسنا ، علينا وكسدت سوقنا وارتفعت أسعار المعيشة وانخفاض سعر نقدنا ، وسخرت قواتنا ومرافقنا ومعداتنا ، ومصالحنا لصالح الانجليز ولن نجن من وراء ذلك كله شيئا بل لقد تدخـل الانجليز في شئوننا وتغلغلوا في جميـع مرافقنا ، ولم يراع في توزيع القوات ، صيانة أرواح المدنيين مع تحقيق الأهداف العسكرية فأصبحت أنحـاء البلاد كلها هدفا لكل غارة ، حتى فقد المدنيون كل طمأنينية وراحة وسلام وقال النحاس باشا : يؤسفني ، أن أصرح بأن الانجليز الذين يحاربون عن الديمقراطية في بلادهم يدأبون على العمل ضد الديمقراطية في مصر ، ولا ريب أنه اذا لم تكن الديمقراطية واحدة في كل البلاد ، التي تناصرها فليست اذن هي فكرة يدافع عنها ، ومبدأ ، يناضل من أجله بل تكون هي والدكتاتورية سواء » .

هذا ويقول د. عبد العظيم رمضان : ان سياسة الوفاق ، بين فاروق ، والوفد بدأت في ابريل ١٩٤١ ، وقد قام بالخطـوة الأولى فيهـا فاروق ، ويرجع د. عبد العظيم رمضان ارتباط تلك السياسة بالاتصال ، الذى كان يجريه فاروق في ذلك الحين عن طريق طهران وخصوصا اتصال يوم ١٤ ابريل ١٩٤١ الذى أجرى فيه فاروق ، على لسان يوسف ذو الفقار باشا للسفير الألمانى ، أيتل في رسالته الشفوية ، الموجهة الى هتلر صعوبة موقفه بين ضعف جيشه ، وعجزه عن القيام في وجه الانجليز وبين احتضان الانجليز للأمير ، محمد على الذى أصبح لعبة في أيديهم فنرجح أن تحـرك فاروق لملاقاة الوفد في نفس التـاريخ الذى أجرى فيه هذا الاتصال انما يرجع الى رغبته في الاستناد الى قوة شعبية تحميه مما يتخوفه من عزله ، على يد الانجليز واحلال الأمير محمد على مكانه وبمعنى أوضح ـ د. رمضان ـ أن فاروق كان يريد حماية ظهره في الداخل بينما كان يجرى اتصالاته بالألمان ليحمى عرشه في حال غزوهم مصر !

ويستبعد د. عبد العظيم رمضان أن يكون الانجليز قد دفعوا القصر الى فكرة الوزارة القومية ، فى ذلك الحين ، بسبب ظروف الهجوم الألمانى والايطالى بقيادة روميل ، الذى حمل قوات المحور ، الى الحدود المصرية يوم ١٢ ابريل ١٩٤١ ، ثم اختراق ، هذه الحدود واحتلال السلوم ويستدل د. رمضان ، على ذلك ، بأن المصادر البريطانية والعربية لم تشر أى منها الى حدود هذا الضغط ، وان هذا الضغط ، حتى لو وقع فانه قد يدفع ، الى ظهور فكرة الوزارة القومية ، ولكنه بطبيعته لا يؤدى الى وقوع تقارب بين فاروق ، والنحاس باشا .

وكان حسين سرى باشا قد دعا كل رؤساء الأحزاب ، للالتقاء به في مجلس الوزراء ، في ١٤ ابريل سـنة ١٩٤١ ورفض النحاس باشا المشاركة في هـذا الاجتماع قائلا : « لحسين سرى باشا : ما دام الاجتماع لاطلاعنا على الموقف فيمكن لدولتكم أن تطلعنى عليه في أى وقت وأفضل أن أكون وحدى ولا داعى لوجودى في الاجتمـاع » وبهذا الموقف ، العنيـد من النحاس فشلت محاولة حسـين سرى باشا » .

ويمضى د. عبد العظيم رمضان قائلا : ولكن بعد أسبوعين فقط بدأ فاروق سياسته الجديدة عندما دعا النحاس باشا ورؤساء الأحزاب الى الاجتماع به في ٢٩ أبريل ١٩٤١ ثم نشرت الصحف ، أنه وجه دعوة الى النحاس باشا ، لتناول الغداء معه ، على مائدته في اليوم التالى ، وكتبت جريدة الوفد المصرى في نفس الوقت ، تقول ان النحاس باشا سوف يصلى الجمعة ، في صحبة الملك ، قبل تناول الغداء ثم يقصد الى سمنود : لحضور حفلة افتتاح كوبرى سمنود ، التى يشرفها الملك وعلى أثر هذه اللقاءات وقع ما يمكن أن يعد أهم تغيير في سياسة الوفد ، العامة منذ فشل تجربة وزارة الائتلاف عام ١٩٢٨ ، وهو قبول الوفد، الوفد ، تاليف وزارة قوية ويقول د . عبد العظيم رمضـــان إن هذا التغيير

الأساسى فى سياسة الوفد ، حدث بسبب ضغط أعضاء الوفد على النحاس باشا وفى مقدمتهم مكرم عبيد باشا الذى كان يعلن وقتئذ ، عن ميله الى التفاهم مع الأحزاب ٠

وقد عدل الوفد عن قبوله فكرة الوزارة القومية بسبب اصرار الأقلية ، على ضرورة الابقاء ، على مجلس النواب المكون من أنصارها ٠

ولكن فشل محاولة تاليف وزارة قومية لم ينعكس على العلاقة بين النحاس باشا ، والملك فاروق بل دخلت هذه العلاقة ـ د٠ رمضان ـ فيما أطلق عليه فى ذلك الحين سياسة الوفاق ويبدو أن السبب فى ذلك أن فاروق ، قد أخلى مسئوليته أمام النحاس باشا من هذا الفشل ، وألقاها على عاتق رجال أحزاب الأقلية وهذا واضح مما كانت صحف القصر تردده فى ذلك الحين وهو أن القصر ، فتح أبوابه للجميع ودعا الزعماء واحدا ، واحدا وطلب اليهم أن ينسوا أنفسهم ويذكروا مصر ، ووضع أمامهم الحل الذى طلبته البلاد ، وهو تأليف وزارة قومية ، ولم يشترط القصر شروطا الا أن تكون الأحزاب كتلة واحدة ، ولكن ما قبله الوفديون ، رفضه السعديون وما ارتضاه السعديون ، عارضه الدستوريون ٠

وقد صعد الوفد ، معارضته للانجليز الى الدرجة التى جعلته يعلن الحرب الضروس ضد الانجليز والوزارة وقد صرح حسين سرى باشا بأن النحاس باشا ، أراد أن يعقد فى الأقاليم اجتماعات يتنقل فيها داعيا ، الى مثل ما دعا اليه فى مصيفه برأس البر ، دافعا الناس أن يقدموا فى سبيل دعوته ذواتهم وأرواحهم معلنا الخصومة على انجلترا ـ لأنهم كما يقول رفعته تعاونت مع رجال العهد الحاضر وشجعهم معلنا الخصومة كذلك على حكومة البلاد الشرعية ، المستندة على رجال هذا العهد ، الحاضر وأنه اختار الاسكندرية مكان البدء ، بحركته وأراد أن يدعو ، الى اجتماع فيها وتمهيدا لهذا الاجتماع بدأ يتصل بشتى الطبقات ولكن الحكومة قررت منع الاجتماع الذى كان مزمعا عقده وقررت منع النشر لكل حركة حرصا على أمن البلاد ونظامها « مضبطة مجلس الشيوخ فى ١٣ أكتوبر ١٩٤١ » ٠

وقد قال النائب الوفدى محمود سليمان غنام فى مجلس النواب فى جلسة ٥ يناير ١٩٤٢ : « سبق أن قررت أنى رأيت بعينى ـ وهذا معروف متداول بين الجميع ـ ان القوات البريطانية تنزل الى الأسواق ، وتأخذ معظم ما فيها من طيور وأسماك ، كما أن هناك تعهدات بين التجار والسلطات البريطانية تستولى هذه السلطات بمقتضاها على كميات كبيرة من اللحوم ، وباقى المواد ، الغذائية كالبيض وغيره » ٠

ويؤكد محمود سليمان غنام أيضا فى مجلس النواب أن سيارات اللورى الانجليزية تستولى على المواد الغذائية الموجودة بها ، وفى هذا اضعاف لتموين

البلاد يعانيه الغنى قبل الفقير ، واذا عز على الغنى · فهو مستحيل على الفقير ، وفى الرسالة ، التى قدمها الأستاذ محمد فريد عبد الحميد حشيش الى كلية الآداب جامعة عين شمس للحصول على درجة الماجستير عام ١٩٧٠ قبل أن يحصل على الدكتوراه فيما بعد بالطبع ، فى هذه الرسالة التى أشرف عليها الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى تساءل د· حشيش عن موقف الوفد من قضية الديمقراطية فى تلك الفترة التى سبقت أحداث ٤ فبراير ١٩٤٢ ؟ ويجيب د ·حشيش عن تساؤله بقوله : هو موقف نقف ازاءه حائرين للوهلة الأولى الا أننا سريعا ما نتذكر أن الوفد لم يكن عقائديا فتذهب الحيرة ونراه موقفا صعبا من الوفد يتمشى الى حد ما مع مذكرته التى قدمها فى ابريل ١٩٤٠ الى الحكومة البريطانية، ففى صيف عام ١٩٤١ ألقى النحاس باشا خطابا عنيفا ضد وزارة حسين سرى وسياستها فى خدمة الانجليز كما شن فيه حملة شعواء ، على انجلترا ·

ورغم أننا نشك فى القاء النحاس باشا لهذا الخطاب وفى لقائه بفاروق ، بالصورة التى أوردها محمد التابعى ــ وهو لا شك يستند على المناورات السابقة والأحداث التالية فى أوائل فبراير ١٩٤٢ ــ ورغم ذلك فاننا لا نستبعد ذلك كله فقد كانت مذكرة ابريل ١٩٤٠ تحمل ضمنا هذا المعنى بالاضافة الى أنه كان متفقا مع حماس المصريين ، آنذاك وكذلك متمشيا مع ما أشرنا اليه من حيث عدم تحمس الوفد تماما ، لقضية الحلفاء ، لا سيما وأن سير الحرب حينئذ فى صالح المحور : فقد تغير الموقف ، حين قامت ألمانيا بغزو الاتحاد السوفيتى فى مايو ١٩٤١ وهو الغزو الذى يعتبره بعض المؤرخين المقدمات المباشرة لحادث ٤ فبراير ١٩٤٢ اذ كان واضحا أن هزيمة الاتحاد السوفيتى ستؤدى الى اضطراب موقف بريطانيا فى الشرق الأوسط التى كانت هى الأخرى تعانى من الهزائم فى الصحراء الغربية ·

الباب التاسع

الفصل الأول

رؤية جديدة ومحايدة لحادث ٤ فبراير ١٩٤٢

حاولنا ــ تأصيلا للعمل التاريخي الذى نقوم به ــ أن نجيب عن عديد من الأسئلة الهامة ، التى تتناول دور الوفد والانجليز فى الأحداث ، التى أدت الى التدخل البريطانى المسلح فى شئون مصر الداخلية فى ٤ فبراير ١٩٤٢ وكان من بين تلك الأسئلة ، وعلى سبيل المثال ، لا الحصر : ما العلاقة بين الوفد والانجليز منذ أن أقصى الوفد عن الحكم ، فى ديسمبر ١٩٣٧ الى أن أعيد اليه بالقوة المسلحة فى ٤ فبراير ١٩٤٢ ثم ما العلاقة بين الوفد ، والقصر حتى ٣ فبراير ١٩٤٢ ؟ وكذلك من المسئول عن المظاهرات التى انطلقت فى الأيام الأخيرة لوزارة حسين سرى باشا الأولى والتى أدت الى التدخل البريطانى المسلح ؟ ..

وكما هى عادتنا فى تناول الأحداث التاريخية ، اعتمدنا على كثير من المراجع التى تناولت تلك الفترة وتلك الموضوعات الهامة ، التى تمثل كل الاتجاهات تقريبا ، المحايدة والمؤيدة للوفد ، والمعارضة له ، كما اعتمدنا ــ فى نفس الوقت ــ على آراء بعض المعاصرين لتلك الأحداث والمشاركين فى صنعها .

وكان آخر ما اعتمدنا عليه رأى الدكتور محمد فريد حشيش الذى قدم كما سبق أن قلنا ــ دراسة جيدة عن الوفد المصرى نال بها درجة الماجستير من كلية الآداب جامعة عين شمس وكانت الدراسة ، أو بمعنى أدق الرسالة باشراف الأستاذ الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى .

يصف د. محمد فريد حشيش الوزارات الأربع التى تولت الحكم فى الفترة من ١٩٣٨ حتى ١٩٤٢ بأنها لم تكن تعمل لصالح الشعب كما يقول أن نظام الحكم فى تلك السنوات كان قائما على أساس غير سليم : لقد كان وضعا غير طبيعي استبعاد حزب الوفد ، الذى يمثل الأغلبية الشعبية من الحكم لذلك

كان طبيعيا أن يتحرق ، الوفد شوقا الى الحكم وكان اتجاه الانجليز خلال الحرب العالمية الثانية الى تولية الوفد الحكم أو اشتراكه فيه وقد عبر الانجليز عن هذا الاتجاه ابان الأزمة التى قامت بينهم وبين على ماهر ثم حينما ألف حسن صبرى وزارته حيث صرح اللورد هاليفاكس بقوله : وقد كان يسر الحكومة البريطانية لو كان فى الامكان اشتراك الوفد فى الحكومة الجديدة ، وقد كان القصر لغرض بذاته يتجاهل عن عمد ، رغبة بريطانيا وقد لعب أحمد حسنين دورا هاما فى هذا التجاهل ٠

ويقول د٠ حشيش أيضا أن الوفد بصرف النظر عن مذكرة ابريل ١٩٤٠، وخطاب النحاس فى رأس البر عام ١٩٤١ ورغم غموض موقفه أحيانا كان منحازا الى حد ما الى جانب بريطانيا وان كنا ــ د٠ حشيش ــ لا نستطيع أن نوافق على انه كان صريحا فى عدائه لاتجاهات المحور كما رأى بعض المؤرخين « د٠ محمد أنيس » وذلك تأسيسا على ما أشرنا اليه وأكدنا ٠ من أن معظم أفراد الشعب كان يميل ناحيــة المحور والوفد كان هو الممثل لتلك الأغلبيــة بلا جدال ، ويبدو واضحا أن بريطانيا أرادت أن تتجنب ما حدث عند تعيين كل من حسن صبرى وحسين سرى ومفاجآتها بالأمر الواقع ومن ثم أرادت أن تحتاط للأمر ، الا أن حسنين أكد للسفير البريطــانى أن الرجل الذى سيعهد اليه بتــأليف الوزارة سيكون صديقا للانجليز ٠٠

ويتساءل د٠ حشيش عن قيام فاروق ، وأحمــد حسنين بالعــديد من المناورات التى استهدفت عدم تولية الوفد الحكم ، وعن أسباب اصرارهما على موقفهما هذا منذ عام ١٩٣٩ : هــل لان القصر كان يتوجس خيفة من صعوبة الاطاحة بالوفد فى حالة اقتراب المحور من القاهرة كما يرى ــ مثلا ــ د٠ محمد أنيس ؟ أم كان ذلك للعداء التقليدى بين الوفد والقصر ، الى جانب الرغبــة فى الاستمرار فى العناد من ناحيــة أخرى بصرف النظر عن اقتراب المحور ، أو بعــــده ؟

ويرجح د٠ حشيش الاحتمال الثانى لانه يتمشى مع الحوادث والسوابق ولانه اذا ما اقتربت قوات المحور ، المنتصرة فلن تكون هناك صعوبة فى الاطاحة بحــكومة الوفد خاصة اذا ما طلب منهــا الملك ذلك ، وهو المعروف بميــوله المحورية ٠

ومهما كان من أمر الدافع وراء عدم دعوة الوفد للحــكم فان القصر فى تصورنا ــ تصور د٠ حشيش ــ كان يهيىء لاشعال البارود والموقف حينئذ مع الأسف لم يكن يحتمل هذا اللعب اذ كان مليئا بالاحتمالات والانفجارات !! وهناك رواية لم أجد من أيدها ، كما لم أجد فى نفس الوقت من عارضها رواية نقلها الأستاذ صالح على عيسى السودانى فى كتابه « الأسرار السياسية » الذى كتب مقدمته الأستاذ محمد كرد على بك رئيس المجمع العلمى العربى بدمشق

ووزير معارف سورية الأسبق ، عن الدكتور محجوب ثابت : ملخص الرواية أنه فى شهر ديسمبر ١٩٤١، دعا المستر جيز النحاس باشا ، وأمين عثمان والمستر ريد والمستر سمارت السكرتير الشرقى لدار السفارة البريطانية لحضور حفلة أكليل كريمته بالاسكندرية فى هذا قال النحاس باشا لمستر سمارت : الخير كثير فى مصر ، ومصر أمة زراعية لا تجوع مطلقا وفى استطاعتها أن تمون جيوش الحليفة الموجودة والتى ستفد وفى استطاعتها أن تمون البلاد المتاخمة لها ، غير أن الوزارة الماضية وزارة حسن صبرى كانت تضن خشية غضب الرأى العام والوزارة الحاضرة هى الأخرى تضن » فقال مستر سمارت : اذن ان توليت الحكم أنت أفتستطيع أن تكشف لنا عن الخيرات ، المخبوءة فى مصر ، وتستطيع أن تمون الشعب المصرى والجيوش الموجودة والتى ستفد كما تقول مع حفظ الأمن ، والنظام ولا سيما فى مثل هذه الأوقات الدقيقة ؟ فأجاب نعم فقال له مستر سمارت : سنتقابل ولا شأن لك بالوسيلة ـ عن قريب » وبعدئذ سافر النحاس باشا من الاسكندرية الى القاهرة ثم سافر بعدها قاصدا الى الأقصر ونزله فى مدينة قنا ووقف أمام ضريح سيدى عبد الرحيم القناوى وقال لمن حوله : اقرأوا الفاتحة لسيدى عبد الرحيم فانه رجل مبروك ثم سافر الى الأقصر وهو يعلم بأنه سيستدعى لاسناد تشكيل الوزارة اليه بموجب الضغط الانجليزى ٠

وكان الأستاذ صالح على عيسى السودانى قد نقل أيضا على لسان د٠ محجوب ثابت قوله : « أقسم أن لامبسون كان يعلم ان الذين نادوا الى الأمام يا روميل انما كانوا مدسوسين من قبل صنائعه الذين جاء بهم الى الحكم بموجب تبليغه المصحوب بالدبابات كما أنه كان يعلم أن طلاب الجامعة قد انتهزوا الفرصة ورددوا هذا النداء »٠

ويقول الأستاذ محمد التابعى : أن السفير البريطانى كان قد طلب من رئيس الديوان أحمد محمد حسنين قيام وزارة وفدية أو على الأقل يريدها وفدية وان حسنين باشا ناور وداور وفاجأ مايلز لامبسون بوزارة على رأسها حسن صبرى باشا ومرة أخرى بوزارة على رأسها حسين سرى باشا ، وسكت السفير البريطانى ، ولكن على مضض وقد أضمر فى نفسه شيئا ، وفى نفس الوقت كانت الهزائم تتوالى على الجيش البريطانى فى الصحراء الغربية وكانت المظاهرات تطوف بشوارع القاهرة تهتف بحياة ألمانيا ، وسقوط بريطانيا وسقوط جورج السادس وأحس الانجليز أن الشعب ، شعب مصر ، ضدهم ، وفاروق ضدهم ، وصديقهم مصطفى النحاس قد مل الانتظار فانقلب هو بدوره ضدهم ، ومن هنا ، وبنصيحة أمين عثمان غفر الله له ، قرروا أن يضربوا ضربتهم ٠

وفى نفس الوقت ، ومرة أخرى ، كان أحمد محمد حسنين يسعى الى تاليف وزارة قومية ، هذا وبالرغم من أن مصطفى النحاس كان قد أعلن أكثر من مرة ومرارا أنه يرفض أن يضع يده فى يد خصومه السياسيين ورفض

الاشتراك فى وزارة قومية ، وأنه لا يرأس الا وزارة وفدية خالصة . وكذلك بالرغم من أن فاروق ، كان قد رضى بقيام وزارة وفدية وقال لحسنين : فليكن وهات النحاس باشا ، على شروطه .. رغم هذا لم يشأ أحمد محمد حسنين أن يسلم بهزيمته أمام مصطفى النحاس أو مايلز لامبسون لقد كان من خلقه عدم اليأس وعدم التسليم بالهزيمة ، وما دام فاروق كان قبل قيام وزارة قومية أو وزارة ائتلافية يحاول حسنين المستحيل من أجل تحقيق رغبة مولاه .

وبينما حسنين باشا لا يزال فى محاولاته ومداولاته ومفاوضاته مع زعماء الأحزاب ، وبعض كبار الوفديين ، وكانما نسى أنه فى سباق مع الزمن ، وبينما هو كذلك ضرب الانجليز ضربتهم » .

وان كان الأستاذ التابعى ، يرى أن الاعتداء على سيادة مصر وعرشها ، كان قد بدأ فعلا ، وبصورة ما فى صيف عام ١٩٤٠ ولم يكن هناك خطر داهم ، على مصر ، لان القائد البريطانى الجنرال ويفيل كان منتصرا فعلا .

والتفكير فى فرض وزارة مصرية معينة ، وزعيم مصرى معين يتولى الحكم كان قد بدأ فى صيف ١٩٤٠ .

ومن ثم يمكن القول وعلى أساس من الاستنتاج المنطقى السليم أن حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ لم يكن نتيجة قرار أو سياسة اتخذت فجأة وتحت ضغط خطر داهـم ، وانما كان الفصل الأخـير أو الخاتمة لسياسة مرسـومة كان قد بدأ تنفيـذها .

أو قل ان شئت ان حادث ٤ فبراير كان تحقيق أو تنفيذ الفكرة أو المشورة التى تقدم بها مايلز لامبسون فى يونيو عام ١٩٤٠ وهى أن تتولى الحكم وزارة يؤيدها الوفد .. وكان الاعتقـاد السائد ــ كمـا يقول الأستاذ التابعى ــ فى لندن ، وفى الدوائر البريطانية فى القاهرة أن رفعة مصطفى النحاس باشا هو وحده الزعيم الشعبى القادر على تحويل الدفة ــ دفة عواطف الشعب ــ من الاتجاه الى ألمانيا الى الاتجاه الى بريطانيا ، وحلفائها ، على أن الأستاذ عبد الرحمن الرافعى يرى أن المسئول عن حادث ٤ فبراير هو العدوان البريطانى لان هذا العدوان هو أساس الانذار ، وكان مظهره حضور الدبابات ، لتهديد الملك وقد كان الانجليز جادين فى هذا التهديد لانهم وهم يحتلون البلاد كانوا يعتقدون فى رجال القصر، وبعض رجالات مصر ممن لهم صلة وثيقـة بالقصر أنهم على اتصـــال بالمحـور فاعتزموا أن يضربوا ضربة تجمع بين اذلال العرش وبين ارضاء الأغلبية الوفدية التى كان النحاس على رأسها ، وهم يعلمون أن رؤساء هذه الأغلبية يرون فى ولايتهم الحكم أول وأهم هدف يسعون اليه ولا يهمهم غير ذلك ولا يتحرجون من سـلوك أى طريق يؤدى بهم اليه ، ان الظروف الملابسـة ليـوم ٤ فبراير ــ عبد الرحمن الرافعى ــ كانت تدل قطعا ، على أن الخطر على العرش لم يكن صوريا بل كان جديا ، وواقعيا وقد وقع مثله ضد الشاه رضا بهلوى امبراطور

ايران فى سبتمبر ١٩٤١ أى فى وقت معاصر لأربعة فبراير سنة ١٩٤٢ ابان الحرب العالمية الأخيرة فان الانجليز وحلفاءهم الأمريكان قد شكوا فى ولائه لهم ، وميوله نحو المحور ، ومع أن ايران لم يكن يربطها بالحلفاء أى عهد أو محالفة فانهم احتلوا بعض مواقعها وتدخلوا فى شئونها وفى أخطر هذه الشئون وأجبروا الامبراطور على التنازل عن العرش وتنازل عنه فعلا تحت تأثير الضغط والاكراه .

وفى ظروف مماثلة ابان الحرب العالمية الأولى — فى ديسمبر ١٩١٤ — أحدق الخطر أيضا بعرش مصر اذ خلع الانجليز الخديو عباس حلمى ، الثانى ، لمجرد اتهامه بالانحياز الى أعدائهم .

فالخطر كان ولا شك محدقا بالعرش فى ٤ فبراير ١٩٤٢ ، والانجليز لا يتورعون عن التدخل فى شئون البلاد ، الداخلية والعبث باستقلالها فى سبيل تحقيق أغراضهم وقد كانوا فى ذلك الوقت فى حالة عصبية شديدة والأخطار تهدد كيانهم من جراء تقدم قوات المحور فى شمال افريقية واقترابهم من مصر وفى الوقت نفسه شهدوا بأعينهم فى أواخر وزارة سرى باشا ، المظاهرات الصاخبة فى شوارع العاصمة تهتف « تقدم يا روميل ، الى الأمام يا روميل » فاجتمعت هذه الظروف وجعلتهم يرتابون ، فى موقف الملك ، ومن هنا أحدق الخطر بالعرش ، والنحاس لم يكن مسئولا عن هذا الخطر ، لكن مسئوليته تبدأ من يوم أن علم برغبة الانجليز فى اسناد رئاسة الوزارة اليه وقد كان ولا ريب عالما بهذه الرغبة قبل ٤ فبراير ، راضيا عنها ، بل مغتبطا بها متلهفا على تنفيذها وعلم بحديث السفير البريطانى مع رئيس الديوان بأنه اذا لم يعمل فى تأليف وزارة قومية فليؤلف وزارة وفدية ، وهذا ما جعله يسير فى أنانيته الى الشوط الأخير ، وتدل الظروف والملابسات — عبد الرحمن الرافعى — على أن هذا الانقلاب قد دبر بليل ، وكان السفير بين الانجليز والوفد، هو أمين عثمان الذى كان موضع ثقتهما معا ، وقد انتهزها النحاس باشا فرصة ليعود الى الحكم منفردا ، ويؤلف وزارة وفدية لحما ودما وقد كان واجبا عليه فى هذه الملابسات الخطيرة ، أن يقبل تأليف وزارة قومية فانه فى هذه الحالة يكون على الأقل ، قد استجاب الى رغبة الملك الذى كان يدعوه الانذار الى تأليف الوزارة وكانت استجابته فى هذه الحالة لرغبة قومية ، لا لانذار مسلح ، من موقف سلبى يحفظ للبلاد كرامتها ، والائتلاف قد يكون علاجا للأزمات السياسية ولا شك أن البلاد فى ذلك الحين ، كانت تواجه أزمة من أخطر الأزمات ولكن الموقف العصيب كان يستلزم الائتلاف بين الأحزاب حتى ولو كان الائتلاف فى نظر النحاس باشا محظورا ، الا أن الضرورات تبيح المحظورات ، ولكنه رفض فكرة الائتلاف بتاتا واحتمل بذلك مسئولية كبرى ، اذ كان هو المسئول الثانى عن ٤ فبراير وضاعف من هذه المسئولية أنه كان فى وزارته ، مواليا للانجليز معتمدا عليهم فى حل الأزمات ، بينه وبين القصر وليس هذا من الاستقامة ،

ولا من الوطنيـة في شيء » • ويعترف د• محمد حسين هكيل ان هناك غموضا لا يزال يكتنف حادث ٤ فبراير ، وأبطال ٤ فبراير ، لم يكونوا يفكرون بأعصابهم المتوترة ، المضطربة ، ومن ثم بدت تصرفاتهم وكأنها تنطوى ، على أسرار غـير معروفة ، على حين أنها لا تنطوى على سر ، غير ذلك الاضطراب العصبى الذى أغفل كل معنى من معانى الكياسة ، وحسن السياسة •

وعن بعض تلك الساعات ، تحدث د• هيكل فقال : أنه دعى لمقابلة الملك ، وكان قد سبقه الى لقاء الملك النحاس باشا ، وأحمد ماهر باشا ، وكان فاروق يعرف أن د• هيكل من أنصار تأليف وزارة قومية ولو برياسة مصطفى النحاس باشا ، وقدكرر د• هيكل على الملك رأيه هذا وسأل هيكل الملك ، هل كان النحاس باشا قد قبل تأليف وزارة قومية من جميع الأحزاب ، فقال له الملك : قد حدثته فى ذلك طويلا أريد اقناعه ، لكنه لم يقتنع بعد ، وقد أراه غدا كرة تجرى ، قال د• هيكل : لعل الدكتور ماهر باشا قد أبدى رأيه فى هذا الأمر ، وقال لك : أنت نعرف الدكتور ماهر ، وأنه متحدث لبق ، وقد أفاض فى الكلام عن الموقف، وقال د• هيكل للملك : أرجو على أى حال ألا ينقضى هذا المساء قبل أن تتألف الوزارة الجديدة ، فالموقف يقتضى الاسراع فى تأليفهـا ، وألا تبقى البلاد فى هذا الظرف الدقيق بغير وزارة ، وقال الملك : لعلى أستطيع أن أقنع النحاس باشا غدا ، قال هيكل : أخشى ألا يحتمل الموقف التأجيل الى غد ، وقال الملك بالفرنسية : لكنى لا أصنع المستحيل • وقال هيكل : اذا كان فى البلد من يستطيع أن يصنع المستحيل فهو الملك ، وكم كنت أود لو أن مكرم عبيد باشا دعى مع النحاس باشا ، فله عليه تأثير بالغ ، قال الملك : سآمر بدعوة مكرم غدا ، ولا تبالغ فى مخاوفك فستمر هذه الأزمة الوزارية كما مر غيرها من قبل ، وسنجد رئيس الوزارة الجديدة على نحو ما وجد ، حسن صبرى ثم حسين سرى•

ويقول د• هيكل : أنه بعد أن انتهى من مقابلة الملك ، انصرف متجها الى مكتب أحمد حسنين باشا الذى طمأن مخاوفه ــ مخاوف د• هيكل ــ والذى ذكر له أن الموقف سينتهى الى تأليف وزارة قومية تواجه الموقف ، ذلك ما أشار به جميع الذين قابلوا الملك ، وذلك ــ أحمد حسنين ــ هو رأى الملك كذلك !

ومن الانذار البريطانى قال د• هيكل : كانت الساعة العاشرة من صباح ٤ فبراير حين خاطبنى أحمد باشا عبد الغفار : تليفونيا من « كلوب » محمد على يستعجل ذهابى الى هناك ، ويخبرنى أن انذارا بريطانيا قد بلغ الى الملك ، وأنه لا يعرف صيغة هذا الانذار ، ولا فحواه •

أوسرعت ــ د• هيكل ــ الى « الكلوب » فالفيته يموج بأعضائه ، على غير عادته ، ولمحت على وجوههم سيما التفكير والحيرة ممزوجتين بشيء من الوجل ،

وأخبرني أحمد عبد الغفار كرة أخرى أن أحدا ، لا يعرف ما انطوى عليه الانذار البريطاني ، ولكنه علم أن الملك أمر بدعوة أصحاب الرأى من المصريين ، ومنهم : رؤساء الأحزاب للاجتماع بقصر عابدين بعد الظهر من ذلك اليوم .

ويقول د. هيكل : حرصت على أن أقف على شيء من التفصيل في أمر الانذار ، والدعوة للاجتماع بالقصر ، فاتصلت تليفونيا بحسنين باشا في مكتبه بعابدين وسألته عن الانذار ، فأجابني بأنهم لم يفرغوا بعد من ترجمته ، ولما طلبت اليه أن يتلوه على بالانجليزية اعتذر مرة أخرى بأنه يترجم ، وأنه متى تمت ترجمته سيخاطبني في نادى محمد على ويبلغني نصه ، وخيل الى من هذا الحديث أن الانذار مطول فاكتفيت بما سمعت وانتظرت مع اخواني نتبادل ألوانا من الحدس فيما عسى أن يكون عليه الانذار ، وما عسى أن يتمخض عنه ، وانقضى الوقت ، الى ما بعد منتصف الساعة الثانية بعد الظهر ، ولم يتصل بي حسنين باشا من جديد ، ولم أفكر في طلبه مرة أخرى ظنا أن الأمر سر ، وان اعتذاره الأول بأن الانذار لم يترجم انما أريد به الاحتفاظ بهذه السرية ، وعدت الى منزلي — د. هيكل — فألفيت رسالة تليفونية تدعوني الى الاجتماع الذى يعقد بقصر عابدين الساعة الثالثة بعد الظهر ..

ويقول الأستاذ محمد التابعي : في يوم الاثنين ٢ فبراير ١٩٤٢ ، استقالت وزارة حسين سرى باشا ، وأرسل سير مايلز لامبسون الى فاروق يطلب منه أن يكلف مصطفى النحاس باشا بتأليف الوزارة أو يقبل اسناد رئاسة الوزارة الى من يختاره النحاس ويعد بتأييده .

وأرسل فاروق واستدعى لمقابلة رؤساء الوزارات السابقين ورؤساء الأحزاب و .. و .. وشاورهم في الأمر ، وطلب منهم أن يختاروا من بينهم وزارة قومية تواجه الأحداث الخطيرة التي تمر بالبلاد ، وتمسكوا جميعا أن يشتركوا في وزارة يرأسها مصطفى النحاس ، ولكن النحاس أصر على موقفه ، أو على رفضه .

وفي اليوم التالي — الثلاثاء ٣ فبراير — ذهب مايلز لامبسون الى قصر عابدين ، وقابل رئيس الديوان أحمد محمد حسنين ، وقال أنه علم أن مصطفى النحاس باشا يرفض الاشتراك في وزارة قومية ، ولهذا فانه أى السفير البريطاني يطلب من حسنين باشا أن يقدم هذه النصيحة للملك فاروق ، وهي أن يعهد الى النحاس باشا بتأليف وزارة وفدية .

ومرة أخرى عز على حسنين باشا ، أن يسلم بالهزيمة ، ومن ثم فقد قال للسفير البريطاني أن المشاورات لا تزال جارية مع رؤساء الأحزاب لتأليف وزارة قومية ، وأنه واثق من أن وطنية الزعماء سوف تتغلب على كل شيء .

وانصرف سير مايلز لامبسون لكي يعود بعد ظهر اليوم التالي — الأربعاء — ويسلم حسنين باشا هذا الانذار :

اذا لم أعلم قبل الساعة السادسة مساء ، أن النحاس باشا قد دعى لتأليف وزارة فان الملك فاروق ، يجب أن يتحمل تبعات ما يحدث .

Unless I hear by 6 P.M. that Nahas Pasha hes been asked for a Kabinet' His Majesty King Farouk must accept the Consequences.

هذا هو « الانذار » الذى اعتذر أحمد حسنين باشا للدكتور محمد حسين هيكل رئيس الوزراء ، ورئيس حزب الأحرار الدستوريين بالنيابة ، الحزب المشترك فى الحكم اعتذر عن عدم اعطائه فكرة عن مضمونه ، بدعوى انه يترجم ، بينما الانذار لا يحوى سوى بضعة أسطر يسهل على طالب الابتدائية ترجمتها فى دقيقة أو دقيقتين .

على أن هناك ، قبل الدخول فى تفاصيل ما حدث فى ٤ فبراير ١٩٤٢ ، من الأمور ما يستدعى الوقوف عندها ، على أمل استنطاقها لعلها تساعدنا فى تكوين فكرة صادقة وأمينة عن بعض الظروف التى أدت الى وقوع مأساة ٤ فبراير ١٩٤٢ .

ومن بين تلك الأمور — وعلى سبيل المثال لا الحصر — كلمة قالها مكرم عبيد باشا سكرتير عام الوفد المصرى فى ١٣ نوفمبر ١٩٤١ — قبل حادث ٤ فبراير بثلاثة أشهر تقريبا ، وكلمات أخرى قالها مصطفى النحاس باشا رئيس الوفد المصرى فى نفس اليوم ، بمناسبة الاحتفال بعيد الجهاد الوطنى

قال مكرم عبيد :

—أدعو الله أن يعيد علينا عيد الجهاد لا كمجرد ذكرى للذاكرين بل ولا كبارقة أمل للمنتظرين بل كفاتحة عمل جدى مثمر خليق بالمجاهدين الصامدين ، لا القاعدين الراصدين .

ان الجهاد حرب أشد من الحرب لان النصر فيه لا يتم بالانتصار على خصومكم بل أولا ، وقبل كل شيء بالانتصار على أنفسكم .. اذا كانت الحرب الى حين فالجهاد حرب الى غير حين .. انما الجهاد هو العمل المستمر المتواصل من غير ما تباطؤ ، أو توكل ، ومن الخبل ألا يفرق بعض الناس بين الاتكال على الله والتواكل ، أو بين الاصطبار والانتظار ، فان الصبر فضيلة ايجابية لا سلبية واذا قيل أن الصبر مفتاح الفرج فأية قيمة للمفتاح ، من غير فتاح وما الاتكال على الله الا أن تعمل ثم تتكل على الله فى أن ينجح العمل ومن ثم كان الله مع العاملين لا مع الخاملين ، ولا المتواكلين .

الى أن يقول مكرم عبيد باشا فى نهاية كلمته القصيرة الموجزة ، والعنيفة الغاضبة : من الناس من يعملون ان خيرا وان شرا ، ومن الناس من يعيش فى الدنيا من غير مبالاة بما يجرى تحت أنفه من أعمال الشر وعندى أنه ليس شرا من ارتكب الشر الا عدم المبالاة مما يرتكبه الناس من أعمال الشر » .

وفى خطاب مصطفى النحاس باشا فى تلك المناسبة الوطنية، يشرح رئيس الوفد الظروف القاسية التى مرت بالبلاد وكيف تساهل الوفد عندما قبل ان نجرى الانتخابات الجديدة فى الوقت الذى تسمح به الظروف وأن تؤلف هيئة من جميع الأحزاب يشترك فيها الوفد وترجع الوزارة المحايدة اليها فى مهام الأمور حتى نظهر مشيئة الأمة فى الانتخابات ، ويقول النحاس باشا أيضا أنه تساهل فى الأمر مراعاة لظروف البلاد الداخلية والخارجية فقبل تقصير مواعيد الانتخابات الى أدنى حد مستطاع والتفاهم على توزيع الدوائر لحصر المعركة الانتخابية فى أضيق الحدود ٠ ويؤكد النحاس باشا ان عاما قد مضى دون أن يؤخذ باقتراحات الوفد مما أكد أن النية لم تكن مخلصة من جانبهم فمضوا فى غيهم مصرين على عالمهم متمسكين بمجلس نوابهم الى أن يقول : ان علة العلل موقف أحزاب الأقلية من الدستور ويشكو النحاس من ارجاء موعد انتخابات مجلس الشيوخ الى أجل غير مسمى ، وتعيين أعضاء جدد فى المجلس ليس به أكثر من شيخ وفدى واحد ، بدلا من ثلاثة عشر شيخا وفديا أخرجهم الاقتراح ٠ ثم يقول النحاس باشا بصراحة : ألا لقد عم البلاء وفاض الاناء وغاض ماء الحياء من فيض الأحياء ٠ ويشير النحاس باشا الى ما عانته الأسواق المحلية من ضغط مطالب الجيوش البريطانية والأسرى ، والفلاحين وما صدر من الحاصلات وشتى المواد الى ميادين الشرق الأدنى وافريقية الشرقية ودون رقيب أو حسيب حتى ساءت العواقب وحلت المصائب ، وأفضى الأمر الى ما نقاسيه اليوم من أزمة الغلاء الفاحش وشح الأقوات فى تلك الأزمة التى أتت على الأخضر واليابس وأصبحت تهدد البلاد بشر الويلات وأفدح النكبات ٠

وينهى النحاس باشا خطابه القصير الموجز بتلك العبارة : تلك صورة مصغرة من آثار الانقلاب فى العام الماضى ، وانى مهما أوتيت من البيان فلن أبلغ بها بعض حقيقتها التى تعرفون وانكم لتلمسون لمس اليد ما نحن اليوم تحته رازحون واليه مسوقون ولقد طالما حذرت ، وأنذرت فما أجدى التحذير أو أفاد النذير ٠

ولا يشير النحاس باشا فى خطبته الى بريطانيا أو الملك بأية كلمة ٠

الفصل الثانى

على ماهر يتهم أحمد حسنين بالتستر على جريمة ٤ فبراير ١٩٤٢

حاولنا وبشىء من التفصيل تأصيل حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ معتمدين على كثير من آراء السياسيين ، الذين اشتركوا فى الحيلولة دون وقوع ذلك الحادث والمؤرخين الذين تناولوا ــ وبالكتابة ــ ذلك الحادث التاريخى الهام ·

وكنا قد طالبنا أولئك الذين اشتركوا فى مظاهرات «الى الأمام يا روميل» أن يوافونا بما لديهم من معلومات عن تلك المظاهرات التى أدت بالطبع الى حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ونلقينا من الأستاذ محمد رشيد النحال المحامى ، رسالة تتضمن آراءه الشخصية فى الظروف التى سبقت مظاهرات «الى الأمام يا روميل» ثم وجهة نظره الخاصة فيمن أعد تلك المظاهرات ·

وقد نشرنا رسالة الأستاذ رشيد النحال كاملة ، وكررنا ــ وقتئذ ــ الدعوة الى كل من عاصر تلك الأحداث وتلك المظاهرات التى وقعت فى الأيام الأربعة الأولى من فبراير ١٩٤٢ أن يوافونا بما لديهم من ذكريات أو بيانات حتى تكتمل الصورة تماما أمامنا ، واستكمالا لما بدأنا من حوار حول تلك المظاهرات ، وتلك الأحداث ننشر رسالة مختصرة للأخوين التوأم المهندسين ، حسين كامل ، ومحمد كامل وكان لهما ، وقتئذ نشاطهما الوفدى ، ونعيد للمرة الثالثة والأخيرة الدعوة ، لكل من لديه رأى ، أو فكر ، أو علم بما حدث فى الأيام الأربعة الأولى من فبراير ١٩٤٢ ، أن يوافونا بما لديهم استزادة فى الاستنارة ورغبة فى تكملة الصورة وانصافاً للحق ، وللتاريخ ·

وكنا فى الفصل السابق أيضا قد آثرنا وقبل الدخول فى تفاصيل ما حدث فى ٤ فبراير ١٩٤٢ ، على ضوء الوثائق الرسمية ، التى كشف عنها الستار أخيرا ــ الحديث عن بعض الأمور الهامة ، التى يمكن أن تساعدنا فى تكوين فكرة

صادقة وأمينة عن بعض الظروف ، التى أدت الى وقوع مأساة ٤ فبراير ١٩٤٢، ومن بين تلك الأمور التى أشرنا اليها ـ وعلى سبيل المثال لا الحصر ـ ما ألقاه فى ذكرى عيد الجهاد الوطنى ، فى ١٣ نوفمبر ١٩٤١ ، كل من مصطفى النحاس باشا رئيس الوفد المصرى ومكرم عبيد باشا سكرتير عام الوفد المصرى وقد اتسمت كلمات رئيس الوفد وسكرتيره العام ، فى هذه المناسبة الوطنية ، الجليلة بالعنف ، والشدة ، والدعوة ـ بصراحة ـ الى الجهاد والى تكرار ، التحذير ، والتدبر ليشعر العابثون ، أن هناك شعبا أبيا لا يعرف الاستسلام ، ويأبى أن يضام » .

وبعض الدارسين للتاريخ المصرى فى تلك المرحلة الخطيرة يقولون ، ان دعوة الوفد المصرى ـ كحزب شعبى كبير ـ للجهاد كانت تشتد وتعنف فى الفترات التى يسوء فيها موقف الحلفاء ، فى أوربا وعلى حدود مصر من جهة الصحراء الغربية وكان الوفد كما يقول هؤلاء الدارسون ـ يستهدف من وراء تشديد الدعوة الى الجهاد اجبار بريطانيا ، على أن تغير وجهة نظرها الخاصة بمساندة حكومات الأقليات واصرارها على ضرورة تسلم الوفد الحكم .

وللحقيقة وللتاريخ ، نقول : أن موقف الوفد من بريطانيا منذ قيام الحرب العالمية الأولى كان موقفا غير ثابت على الاطلاق ففى بعض الأحيان ، يعمد الوفد الى أن يلقى بكل ثقله وراء الحليفة لتنتصر الديمقراطية وفى أحيان أخرى يكون حرص الوفد على تحقيق الديمقراطية من وجهة نظره فى الداخل ، أكثر من حرصه . على انتصار الديمقراطية فى العالم بانتصار بريطانيا وفرنسا و..و.. كما أن موقف الوفد من الوزارة القومية التى تشترك فيها كل الأحزاب ، يكون متأرجحا : مرة يقبل الوفد تشكيل تلك الوزارة ومرات أخرى يرفضها ، مرة يمد يده لأحزاب الأقليات ومرات أخرى ، يقبضها .

وهناك ـ للأمانة التاريخية ـ من يقول ان الوفد كان يقبل بفكرة الوزارة القومية عندما يجد فى نفسه الضعف ، وعندما يكتشف أن الظروف تجرى ، لغير صالحه ، أو عندما كان يتعب من البقاء فى المعارضة وكان يرفض فكرة الوزارة القومية ، ويعنف فى رفضه لها عندما يرى ضعف بريطانيا ، فى أوربا ، أو على الحدود الغربية .

ومن الأمور ، التى يتخذها البعض ذريعة للتدليل على مواقف الوفد المتذبذبة فى « دخول مصر ، الحرب الى جانب الحلفاء » وفى علاقة الديمقراطية فى الخارج بالديمقراطية فى الداخل ، وفى قبول الوزارة القومية او فى معارضتها ، وأن مصطفى النحاس باشا فى ٤ نوفمبر ١٩٤٠ ، كان يحتفل بتسليم المسجد الدينى فى سمنود الذى أنشأه تنفيذا لشرط الواقف فى وقف المرحوم السيد بك عبد العال بعد أن حكم القضاء لصالحه ، قال بالحرف الواحد وكان بذلك يرد على أحمد ماهر باشا والسعديين ، الذين كانوا ينادون بدخول مصر الحرب ،

الى جانب الحلفاء : الحرب شر حتى عند من أقدم عليهـا واشـتبك فيهـا فليس بمستساغ ولا بمعقول أن يزج انسان ببلاده فى حرب من غير ما تريث ، أو تقدير للنتائج الحربية والسياسية ، ولعله ليس فى بلاد العالم غير مصر فيها من يقول بوجوب زج البلاد فى الحرب على الفور مهما تكن النتائج » الى أن يقول: يرى الوفد ، ويعلن بصراحة أن كل دعاية لديمقراطية فى الخارج ، غير سائدة فى الداخل ، عبث لا طائل تحته ولا جدوى فيه : ان الحل الذى ارتآه الوفـد لكى يسود النظام الديمقراطى فى مصر هو من صميم الحرب كما هو من صميم الدسـتور أو أنه من صميم السياسة الخارجية فالادعاء بأننـا نتمسك بمسألة داخلية لا شأن لها بالحرب انما هو مغالطة جريئة ، وانكار للحقائق ، التى تحيط بنا ونلمسها فى كل حين » ٠

وكان الوفد يرى ـ وقتئذ ـ الأخذ بأحد الحلول الثلاثة :

أولا : ذهاب الوزارة الحاضرة وقيام وزارة محايدة يرتضيها ويرتاح ، الى أعضائها ، ويطمئن ، اليهم ٠

ثانيا : حل مجلس النواب واجراء انتخابات جديدة توزع فيها الدوائر ، بين الأحزاب توزيعا يضمن للوفد الكثرة النيابية اللازمة لاطمئنانه ٠

ثالثا : قيام وزارة ائتلافية تكون الكثرة فيها للوفد ٠

ولم يكن الوفد يدع فرصة تمر دون التأكيد على عودة الوفد للحكم استنادا للرغبة الشعبية وتمكينا للبـلاد من أن تجتـاز المحن الداخلية والخارجية التى تمر بها ٠

وقد حـدث أن ألقى ونسـتون تشرشـل فى أوائل مايو ١٩٤١ خطـابه المشهور ، خطاب « الدم » و « الدموع » والذى أنهاه بقوله : فلتزمجر العاصفة ولتزأر فانا لخائضوها الى النهاية ، عابروها ، الى الخاتمة : كتبت جريدة المصرى فى ١٠ مايو ١٩٤١ مقالا ، علقت فيه على خطاب تشرشل قالت فيه : لقد أبرزت الحرب ، قيمة الديمقراطية وفضائلها اذ أظهرت ، كيف يرتضى الشعب الألم ، متعرضـا لحاصيد المـوت ومقاصله فى سبيل ارادته الحرة ، ومشيئته الغالبة وكيف يستمد زعماؤه من ارادته القوية الدافعة ويتخذون من ثباته الحافز الى السير ، بالصراع ، العنيف الى الخاتمة ، واذا صح ، أن ثبات الانجليز الى اليوم يليـق بالاعجـاب فلا ينبغى أن ننسى أن لتشرشل أيضا حقه البالغ من الفضـل لانه هو كذلك يحـارب بالروح المعنـوية ولا سبيل ، الى تغـذيتها وحشدها واستدامة فيضها الا قوة القيادة الشعبية التى تستند الى ارادة الأمة ورغبتها فى النضال والتضحية والجلد والصبر على الآلام ، برلمان حر فى بلد حر ، ذلك هو السر وانه لواضح » هذا ما كتبته جريدة المصرى فى ظل الرقابة على الصحف ولعلها لم تكن تستطيع أن تقول أكثر من ذلك : « برلمان حر فى بلد حر ٠٠ ! » ٠

ومن الأمور ذات الأهميــة الخاصة فيما يتعلق بتأصيل حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ، ازدياد النشاط الموالى للمحور ، وعن ذلك الموضوع يقول الأستاذ محمد التابعى : كان طاهر باشا من بين الذين طلبت السلطات البريطانية اعتقالهم ، بدعوى « نشاطهم المحورى » وكانت هذه السلطات تتلقى تقارير يومية عما يجرى فى نادى السيارات « الملكى » وعن الأحاديث المنسوبة الى بعض كبار أعضائه مثل النبيل السابق عباس حليم ، ومحمد طاهر باشا ، وكانت التقارير المذكورة تزعم أن الرجلين وغيرهما يفضون بأحاديث مملوءة بالعداء المر للانجليز وبالتأييد الصريح لدول المحور فلما شكل البوليس الخاص وعلى رأســه طاهر باشا رفضت السلطات البريطانية أن تصدق أن مهمة هذا البوليس الخاص هى مساعدة البوليس المصرى أثناء الغارات الى آخر ما قيل ونشر يومئذ عن الغرض من تشكيله : رفض الانجليز أن يصدقوا هذا وزعموا أن هذا البوليس انما أنشىء خصيصا لكى يسهل على قوات المحور مهمتها يوم تدخل مصر ويمهد لها ويعاونها أثناء فترة الانتقــال المضــطربة ، وهى الفترة التى لابد منها أثنـــاء انسحاب البريطانيين ودخول الألمان والايطاليين ، وان هناك ــ كما جاءهم من استانبول ــ نظاما خاصا للاشارات والتعليمات متفقا عليه بين هذا البولس الخاص وبين الألمان ، وكان الانجليز يعتقدون ــ فوق هذا وذاك ــ ان فى مصر محطات لاسلكية سرية للاستقبال والارسال ، وان هــذه المحطات اللاسلكية كانت ترســل الى « وكلاء المحور » وسلطاته الحربية ، تفاصيل عن بعض ما يجرى فى مصر ، وما تحرص السلطات البريطانية كل الحرص على كتمانه كل الكتمان ، كمــا انها ــ أى هــذه المحطــات السرية ــ كانت تتلقى من وكلاء المحور وســلطاته الحربية ، التعليمات عما يجب عمله .

وبعبارة أخرى كانت السلطات البريطانية تعتقد أن هذه المحطات اللاسلكية السرية جزء من النشاط « المحورى » الذى يقوم به « طابور خامس » يتزعمه نفر من كبار الساسة المصريين .

وفى الفترة ما بين يونيــو ١٩٤٠ ، وأواخر عــام ١٩٤١ تلقت السلطات البريطانية تقارير من أقلام مخابراتها فى مصر ، وفى أنقرة ، واستانبول ، ولبنان ، وقد جاء فيها :

١ ــ ان سمير ذو الفقار بك التشريفاتى السابق وأحد أصدقاء على ماهر باشا ، قد سافر أكثر من مرة الى تركيا بحجة التجارة فى الجلود والتبغ وانه اجتمع بسفير ألمانيا فى أنقرة « فون بابن » عدة مرات وأنه قابل أيضا بعض وكلاء الألمان فى لبنان وانه لما عاد الى مصر اجتمع بفلان وفلان من الساسة وكبار رجال الدولة .

٢ ــ ان شوقى الهان وزير تركيا المفوض يومئذ فى مصر ، قد سافر أكثر من مرة الى تركيا بحجة الاجازة أو مراجعة حكومته فى بعض الشئون بينما هو

سافر فى الحقيقة موفدا من سلطات مصرية عليا للاتصال بالسلطات الألمانية فى تركيا ونبليغها كذا أو كيت لكى تبلغها هى بدورها الى السلطات العليا فى برلين ، وكانت تركيا يومئذ ـ فى عام ١٩٤١ ـ على الحياد ولكنه كان حيادا مشوبا بالميل لألمانيا وتأييد المحور ، وكان فريق كبير من ساستها وقوادها العسكريين يؤمن بأن النصر للمحور ٠

٣ ـ أن الآنسة دولورس دى بدروزو الملحقة السياسية بمفوضية أسبانيا فى القاهرة كانت واسطة اتصال بين فريق من الكبراء المصريين الموالين للمحور ، وبين سفارة ألمانيا فى مدريد ، وكانت اسبانيا يومئذ على الحياد اسما ولكنها كانت تؤيد المحور صراحة ٠

٤ ـ أن مسيو بوتزى الوزير المفوض لحكومة فيشى الفرنسية فى القاهرة يقوم بنفس الدور ، وحكومة فيشى كانت تتعاون مع الألمان ٠٠ هذا بينما كانت أعصاب الانجليز متوترة وصوابهم يكاد يطيش ، ما بين هزائم متوالية وانقلابات فى بلدان صديقة موالية ، وكانت السلطات البريطانية فى مصر تخشى أن يقع هنا انقلاب كالذى وقع فى العراق : انقلاب يخرج به الأمر نهائيا من أيدى الساسة المصريين أصدقاء بريطانيا الى أيدى الساسة المصريين خصومها الذين يعملون على احباط مجهودها الحربى فى مصر وفى الشرق الأوسط ، ويمهدون لانتصار المحور ٠

وكانت تقارير أقلام المخابرات البريطانية تزعم ان ساسة وكبراء مصريين يترقبون الفرصة للقيام بانقلاب فى الوقت الذى يتفق عليه وبين وكلاء المحور وعيونه فى مصر ، وأن الغرض من هذا الانقلاب هو احراج البريطانيين فى الوقت المناسب الذى يشن فيه روميل هجوما عنيفا على مصر ، فيضطر البريطانيون الى توزيع قواتهم بين مصر وميدان القتال فى الصحراء الغربية ، وتضطرب خطوط التموين ، وتقطع خطوط المواصلات مع جبهة القتال ٠

ويقول الأستاذ التابعى : كان ساسة بريطانيا وقوادها ، ورجال سفارتها ، فى مصر يشعرون أن شعب مصر يكرههم ، وأن عواطفه كلها مع ألمانيا وهتلر ، وكانت عيون السفارة ، ورجال أقلام المخابرات البريطانيون يقدمون تقارير فيها : أن رواد المقاهى فى الأحياء الشعبية فى القاهرة والاسكندرية ومدن القطر يجتمعون كل مساء حول أجهزة الراديو وينصتون للاذاعات العربية من محطات المحور ، وخصوصا محطة برلين وتناقلت الألسن ، يومئذ نكتة أو عبارة مشهورة قالها المرحوم أحمد زيور باشا عندما سئل عن رأيه فى الحالة فقد قال : حالة ايه يا مونشير : شعب مصر ألمانى ، وملك مصر طليانى والحكومة انجليزية » أى أن عواطف الشعب مع الألمان ، والملك السابق فاروق ضالع مع الايطاليين بحكم نشأة أبيه والصداقة الموروثة والحاشية الايطالية التى تحوطه بينما الحكومة تتعاون مع الانجليز و ٠٠ و ٠٠

وكان الانجليز يرون أن الحل الوحيد لعلاج الموقف هو أن يتولى الوفديون الحكم وهو ما سبق أن أشاروا به فى صيف ١٩٤٠ ثم عادوا وأشاروا به بعد وفاة المرحوم حسن صبرى باشا ولكن مشورتهم لم يعمل بها فى المرتين ! ..
وقد نجح الانجليز فى آخر يناير ١٩٤٢ ـ أزمة فيشى ، واستقالة وزارة حسين سرى باشا ـ فى التفرقة بين الملك والوفد وكسبوا الوفد وأغلبيته الى جانبهم !

وبعد حادث ٤ فبراير : أحس الوفديون أنهم مدينون بالفضل ـ فضل توليهم الحكم ـ بعد حرمانهم منه زهاء أربع سنوات مدينون بهذا الفضل لبريطانيا وسفيرها سير مايلز لامبسون لا لفاروق أو « أحمد حسنين » !!

وفى شهادة زكى على باشا ـ فى قضية الاغتيالات السياسية قضية مقتل أمين عثمان باشا ـ أكثر من نقطة هامة تستوجب الوقوف عندها يقول زكى باشا ـ وكان محاميا كبيرا كما كان وكيلا لمحكمة النقض والابرام . انه كان موجودا بمكتبه فى الساعة التاسعة مساء تقريبا واذا بصديق ، له من كبار موظفى السراى ـ وليس هو ـ كما قال زكى على باشا ، أحمد حسنين باشا يقـول له أن السراى الآن محوطة بالجيش الانجليزى من عسـاكر ، ومدافع ودبابات وأن السراى مملوءة بالعساكر وقد جرد رجال الحرس من سلاحهم ، دخل سفير بريطانيا مع ضباط كثيرين ، وفيهم قائد القوات البريطانية ، وهو موجود الآن هو ومن معه عند الملك .

ويقول زكى باشا على : أنه تأثر تأثرا كبيرا بما سمعه ولانه كان يعلم ان المسألة متعلقة بترشيح النحاس باشا للوزارة ولكنه سأل صديقه عن مهمة السفير البريطانى والجيش البريطانى فى عابدين فقال له صديقه : ان المسألة تنفيذ لتهديد الحكومة البريطانية بشأن تكليف النحاس باشا بتشكيل الوزارة .

وتبادر الى ذهنى ـ هكذا قال زكى على باشا ـ أن أتصل بالنحاس باشا فبحثت عنه فى النادى السعدى فلم أجده وكانوا مترددين فى اخبارى عن محل وجوده ، فلما علموا انى أنا شخصيا أطلبه قالوا لى انه فى منزل أحمـد بك حسين فاتصلت برفعته تليفونيا وقلت له يا باشا أتعلم الجارى الآن حول السراى وداخلها ؟ قال لا أعلم شيئا فقلت له ما علمته من صديقى فقال : يا زكى أنا لا أستطيع أن أفعل شيئا لقد كنت أنبه الزعماء الحاضرين وقت الاستشارة الى خطورة التهديد البريطـانى وأخبرتهم أنه قد يترتب على هذا التهديد اتخاذ اجراءات شديدة لا تحتملها البلاد ولم يوافقنى على هذا الأمر غير زيور باشا ووقفنا نحن الاثنين فى صف والباقون فى صف آخر فلما وجدت الاصرار من الباقين على رفض الانذار رضخت ووقعت معهم الاحتجاج فقلت له : ان المسألة فى غاية الحرج ، وقضية البلاد فى كف القدر والمسألة مرتبطة بشخصك فاذا كان بمكنك أن تعمل شيئاً ـ وهذا هو الوقت الذى تظهر فيه وطنيتك ـ أرجو أن تقوم به فقال ليس فى استطاعتى أن أفعل شيئا وطلب منى أن أتركه ليرتاح وبناء على ذلك قطعت الاتصال !

ويقول زكى باشا : ان الحكومة البريطانية كانت ترى أن يتولى النحاس باشا الوزارة ، وان أمين عثمان باشا كان يعلم أن النحاس باشا أو الوفد يجب أن يعود الى الحكم » ٠

وعندما سئل زكى على من وهيب دوس المحامى ٠ عن وجهة نظر أمين عثمان فى وصـــول الوفد الى الحكم أجاب : الوصـــول الى الحكم فى هذا الوقت كان له أكثر من طريق وكان هناك طريق الاستعانة بالسياسة البريطانية ، كما قال زكى على باشا : أنا أعلم أن أمين باشا كان منصلا بالسفارة فى هذا الشأن شأن تولى الوفد الحكم بالذات ٠

وعندما سئل زكى على باشا : هل فى معلوماتك أن ما كان يعمله أمين عثمان باشا كان يمثل نفسه أو يمثل هيئة الوفد ممثلة فى وزرائه ، الذين تولوا الحكم أجاب بقوله : أنا لا يمكنني كرجل يقدر الأمور أن أجزم بالصفة التى كان يعمل بها أمين عثمان باشا وكل ما يمكن أن أقوله أن أمين عثمان باشا كان فى هذا السعى متصلا برفعة النحاس باشا ٠

ويقول زكى على أنه كان يتوقع أن يوفق مصطفى النحاس باشا بين مصلحة البلاد وبين ما هو مطلوب من هـــذه السلطة غير الشرعية ، وأن العروض التى عرضت على النحاس باشا بعد أن وصلت الى السراى مشورة أو نصيحة بتكليفه بتشكيل الوزارة عروض كثيرة أعرف منها أن يشكل الوزارة على أن يكون جميع الوزراء العاملين من الوفد وأن يأخذ بعض الوزراء المستقلين أو من الأحزاب على أن يكونوا وزراء دولة وكان من رأيى ــ زكى على باشا ــ أن قبول هذا العرض يوفق بين جميع المصـــالح ويقول زكى على باشا بناء على ســـؤال من الأستاذ ابراهيم فـــرج محامى المدعيـــات بالحق المدنى عما اذا كان له مساع شخصية للتقريب بين الوفد والسراى ؟ يقول زكى باشا : نعم كانت لى مساع ، وأنا لم أتدخل فى هذه المسألة من نفسى وكان لى أصدقاء فى الوفد منهم المرحوم يوسف الجندى وهو كان يعلم أن لى أصدقاء فى السراى فلما تحرجت الحالة بين الوفد والسراى جاءنى المرحـــوم يوسف الجندى ومعه المرحـــوم صبرى أبو علم باشا وطلبا منى أن أتوسط لدى أصدقائى فى السراى عسى أن يوجد حل للتوفيق بين الوفد والسراى فاتصلت بأصدقائى فعلا وكان الجواب أنه لا يوجد شىء شخصى بين السراى والوفد أو بينها وبين النحاس باشا وأن المسألة مسألة اتفـــاق على النظم وكان الخلاف الحاصل بين الوفد من جهة وبين السراى من جهة أخرى فى مسألتين : النحاس باشا يطلب أن يشكل الوزارة وحده دون أن يشترك أحد غيره معه وكان أصدقائى فى السراى لا يريدون هذا ٠

وذهبت فى التوفيق الى حد بعيد ولكنى وجدت من النحاس باشا اصرارا على الأقل فى أنه يريد أن يتولى وحده الوزارة ووجدت من أصدقائى فى السراى استعدادا فى مسألة البرلمان الذى طلب النحاس باشا حله ولكن العقدة التى

وقفت كل حل هى اصرار النحاس باشا على أن ينولى وحده الحكم دون أن يشرك معه أحدا من الأحزاب . وربما لأن الاعتراضات التى يقدمها النحاس باشا لها وجاهتها فى نظره الا أن الموقف كان يستدعى التضحية لاننا كنا فى وقت حرب وكنت أطلب من النحاس باشا أن يتساهل فى هذه المسألة .

وكان على ماهر باشا وهو يؤدى الشهادة فى نفس القضية ، ـ قضية الاغتيالات السياسية ـ جازما فى أن أحمد حسنين باشا كان على علم بأن الدبابات البريطانية ستحضر فى الساعة ٩ مساء ٤ فبراير ١٩٤٢ وأنه سمع هذه الواقعة ـ واقعة علم حسنين باشا ـ بحضور الدبابات البريطانية وانه حصلت ـ فيما بعد ـ مناقشات بشأن تلك الواقعة .

ومرة أخرى أكد على ماهر على معرفة حسنين باشا بأمر حضور الدبابات البريطانية الى قصر عابدين سئل على ماهر : ذكرتم أن أحمد حسنين باشا كان على علم بهذه المناورة فهل تذكرون أن أحدا من المجتمعين فى القصر كان على علم بأن القصر سيحاصر بالدبابات ؟

وأجاب على ماهر : لا ، وأما مسألة حسنين باشا فقد سمعت ذلك بالذات من رجل موثوق به ومن أقرب المقربين .

وقال على ماهر باشا ردا على سؤال آخر بخصوص هذا الموضوع : المعلومات التى عندى عما حصل بعد جلسة تكليف الملك للنحاس باشا بتأليف الوزارة على الطريقة التى يراها أن حسنين باشا كان قد أفضى بما سيكون فى الساعة التاسعة وحصلت مناقشة داخل السراى ، وعلشان كده لما جم الساعة ٩ بالدبابات كانوا متوقعين ذلك وأنا وصلت والدبابات موجودة .

ومرة أخرى يؤكد على ماهر باشا : ان حسنين باشا كان على علم بمسألة الدبابات وقد كتمها عن المجتمعين .

ويؤكد حافظ رمضان باشا فى شهادته أن أحمد حسنين باشا عندما قابل السفير البريطانى ومعه رد الزعماء برفض الانذار البريطانى سأله السفير البريطانى : هل وقعوا جميعا ؟ فقال له : نعم ، فعاد السفير البريطانى يسأل : بمن فيهم ، النحاس باشا ، قال أحمد حسنين باشا : بمن فيهم النحاس باشا .

كما يقول حافظ رمضان باشا أن أحمد حسنين باشا بعد أن رجع من مقابلة السفير البريطانى ، انفرد بالنحاس باشا ولا أعرف ـ حافظ رمضان ـ ماذا قال له .

ويسأل حافظ رمضان باشا عما اذا كانت نية وزارة أحمد ماهر باشا التى أعقبت وزارة النحاس قد اتجهت الى محاكمة النحاس باشا على ما ورد بالكتاب الأسود ، قال حافظ رمضان باشا : أنا كنت موافق على المحاكمة وطلبت

الى أن أكون فى لجنة التحقيق فرفضت لاعتبارات قانونية لانه لا يجوز لوزير العدل أن يشترك فى تحقيق وقد قال لى مكرم عبيد باشا عندك حق ويرفض حافظ رمضان باشا أن يذكر للمحكمة المسائل التى وصلت الى علمه عن طريق الوزارة لانه يعتبر المعلومات التى تصله عن طريق الوزارة سرا لا يجوز افشاؤه وأما الذى علمته ـ حافظ رمضان ـ من خارج الوزارة هو أن اللورد كلبرن تدخل فى خطاب العرش عندما أشير فيه الى وجود لجنة وزارية ، تحقق ، وقال لا ضرورة لذكر ذلك ومرة ثانية حدث أن تقابل المستر أنتونى ايدن وزير خارجية بريطانيا مع أحمد ماهر باشا وطلب اليه أن تعلن الحكومة المصرية الحرب ، وبمنع محاكمة مصطفى النحاس باشا ففيما يختص باعلان الحرب قلت لأحمد ماهر باشا لا داعى لأن تعلن الحرب فقال أنه علم من مستر ايدن أن الدول التى لا تعلن الحرب فى فترة معينة لا يكون لها الحق فى حضور مؤتمر الصلح فقلت له ان هذا الكلام لا قيمة له ، و .. و .. أما عن محاكمة النحاس باشا فقد قلت له ان الانجليز كانت لهم تحفظات أربعة فهل محاكمة النحاس باشا تحفظ خامس فقال أنا أفهمته بأن عندنا اجراءات معينة فى المحاكمات ، فاذا ظهرت ادانته حوكم والا برىء فقلت له ـ لأحمد ماهر ـ عملت طبب .

ويسأل حافظ رمضان باشا عن المسوغ الذى اتكأ اليه مستر ايدن فى طلبه من أحمد ماهر باشا عدم محاكمة النحاس باشا فقال أنه صديق لنا ونفعنا أيام الحرب وخدمنا أيام العلمين !

وفى احدى الجلسات يتولى الأستاذ حمادة الناحل تصحيح كلمات وردت على لسان على ماهر باشا بتكليف منه وهو أن هذا التدبير ـ تدبير ٤ فبراير ـ لم يكن من الانجليز وحدهم ، بل لابد أن بعض المصريين اشتركوا فيه لانه لا يمكن أن يكون النحاس باشا وحده هو المسئول ، بل يرى على ماهر باشا ان أمين عثمان هو المسئول الأول !

وأغرب ما فى شهادة الشهود فى تلك القضية ان حسين سرى باشا ، الذى اقترح على سير مايلز لامبسون بعد أن قدم استقالته الى الملك فاروق ، أن يعمل على قيام حكومة وفدية ذكر ان النحاس باشا قد أخطأ عندما رفض تشكيل الوزارة الائتلافية .

وعندما طلب من حسين سرى باشا أن يعلق على ما قاله على ماهر باشا من أن بعض رجال السراى كانوا يعلمون بحادث ٤ فبراير . أجاب : أعتقد أن على ماهر لا يقرر شيئا الا ومعه مستنداته فيسأل عنها .

ويقول الدكتور هيكل باشا فى شهادته فى قضية الاغتيالات السياسية أنه لا يتصور أن يكون لأحمد حسين باشا أو لأحد من رجال القصر ضلع فى حادث ٤ فبراير .

وفى جلسة أخرى يجىء على ماهر باشا الى المحكمه ليوضح ما قاله الأستاذ حمادة الناحل على لسانه بخصوص مسئولية النحاس باشا عن ٤ فبراير ١٩٤٢ فيقول بالحرف الواحد : لما قررت أن رفعة النحاس باشا لم يكن وحده مسئولا أغفلتها جميع الجرائد والذى قلته انه لم يكن مسئولا ، وحده ويهمنى ان أوضح كلمة مسئول ، فقد قلت فى الجلسة الماضية فى شهادتى ، اننى قلت للسفير البريطانى : اننى مسئول اليوم وغدا ، وفى كل وقت ، فأنا أقصد بكلمة مسئول عن تصرفاته أما ان هذه التصرفات سليمة أم لا فهذا بحث آخر ، أما عما قيل عن رجال السراى ففى الواقع ، أنا لم أشهد عن وقائع ، وانما أشهد عن تاريخ سياسى ، أى ان الانسان ، يجوز أن يتجاوز فى تعبيره ويصح انه لو حصل سؤالى عن التفاصيل كان يمكن التوضيح ، ولما قلت ان بعض رجال القصر كانوا مشتركين فى المسئولية ، كان قصدى البعيد ، بعض رجال القصر ، بدل أن أقول حسنين باشا بالذات من باب الأدب فى الواقع ، أن المسألة لما عرضت على الزعماء المجتمعين كانت توجد معلومات عند رئيس الديوان لم يدل بها الى المجتمعين كما أنه بعد أن ذهب الى السفير عاد ، وكانت عنده معلومات أخرى وسئل ، فلم يقل شيئا ولذلك لم يكن فى مقدورنا عمل أى شىء لتفادى ما حصل فى الساعة التاسعة مساء .

وتسأل المحكمة على ماهر باشا عن المعلومات ، التى كانت لدى حسنين باشا ولم يدل بها فيقول : يجوز انه ليس من المصلحة أن أدلى بها وانما أكتفى بأن أقول بانه بمجرد استقالة سرى باشا كان فيه كلام عن الذى يحل محله وفى المرة الأخرى كان عنده كلام عما سيحصل فى الساعة التاسعة ، أى انه كان عند حسنين باشا علم بهذا وسألناه لما بلغت الاحتجاج ، الى السفير ماذا كان أثره عنده ؟ فقال : لم تحصل حاجة ، مع انه كان لديه علم بما سيحصل فى الساعة التاسعة وتسأل المحكمة مرة أخرى على ماهر باشا :

معنى ذلك انه كان لديه علم بمسألة الدبابات .

وقال على ماهر : نعم وهو قال ان السفير سيحضر الساعة التاسعة ومش جاى يستأذن بل جاى يبلغ خبر .

وتسأل المحكمة : ما هو مصدر علم حسنين باشا بواقعة الدبابات بالذات. ويجيب على ماهر : هذا لا يمكن أن أدلى به ، لانه لازم أن أقول المصدر ، وهذا لا يمكن أن أقوله .

وتعود المحكمة فتسأل على ماهر باشا : انما الباشا يقطع بأن حسنين باشا كان لديه علم بأن الدبابات ستحضر الساعة التاسعة مساء .

وقال على ماهر : نعم وذلك بعد مقابلته للسفير ، وتقديم الاحتجاج ولا يقطع على ماهر باشا بأن حسنين باشا ، بلغ الملك بمجىء الدبابات فى الساعة التاسعة أو لم يبلغه ذلك ، بعد أن قال فى رده على سؤال سابق : بأن حسنين باشا بلغ الملك مسألة مجىء الدبابات فى الساعة التاسعة مساء .

ولكن ماذا قال النحاس باشا عن ٤ فبراير ١٩٤٢ بالتفصيل ؟

الفصل الثالث

مصطفى النحاس يروى تفاصيل مأساة ٤ فبراير ١٩٤٢

أطلت ـ معمدا ـ الحديث عن مأساة ٤ فبراير ١٩٤٢، أخطر المآسى التى تعرض لها شعبنا فى النصف الأول من القرن العشرين والتى أثرت الى حد كبير للغاية فى مشاعرنا كمصريين وطنيين . الى الحد الذى دفع شباب الضباط الأحرار ، لبدء العمل للانتقام من البريطانيين الذين حاولوا ، اذلالنا ، وراحوا يعتدون بقواتهم المسلحة على كرامة شعبنا ، ذلك الاذلال ، وذلك الاعتداء الذى لم تتعرض له من قبل بلادنا والذى دفع الشباب الوطنى ، المصرى من المدنيين الى العمل السرى ضد الانجليز الذين دبروا ـ بليل ـ هذه المأساة الأليمة كما دفعهم جميعا الى الوقوف من الملك ـ رغم كل شىء صدر منه وعنه ـ موقف التأييد باعتباره وقتئذ ، الرمز ، وباعتباره ـ وقتئذ ـ المصدر لهجمات الانجليز المحتلين والمعتدين على كرامتنا وقد يكون من المفيد للأجيال التى لم تشهد تلك المأساة ، أو للأجيال التى شهدتها ، ولم تفقه بعد خطورتها ، أن نوضح لهم ، أبعاد المأساة والأسباب الحقيقية التى دفعت الشعب المصرى ـ رغم كل شىء ـ الى الوقوف موقف التأييد للملك وأقول اننا كشباب الحزب الوطنى ـ وقتئذ ـ لم يلهب مشاعرنا ضد الاحتلال البريطانى أكثر من ذلك الحادث الأليم وكنا نحن شباب الحزب الوطنى قد درسنا جيدا أسباب قيام ثورة ١٨٨١ ـ الثورة العرابية ـ وأسباب فشلها وكنا قد وعينا جيدا ومن زعمائنا القدامى مصطفى كامل ومحمد فريد وأمين الرافعى وغيرهم الأسباب الرئيسية لعدم نجاح الثورة العرابية وفى مقدمة تلك الأسباب قيام الصراع بين قادة الثورة وبين الخديو ، واستغلال البريطانيين لذلك الصراع ، وتدفق قواتهم المسلحة للوقوف الى جانب الخديو محمد توفيق باشا .

وقد كان من رأينا جميعا ألا نتيح للاحتلال البريطانى أن يكرر فى تلك المرحلة ـ مرحلة سنوات الحرب العالمية الثانية ـ ما قام به عام ١٨٨٢ عندما وقف الى جانب الخديو الحاكم الشرعى

أقول ــ في البداية ــ أعتذر عن الاطالة في الكتابة عن هذا الموضوع الخطير الذى كان له آثاره البعيدة المدى فى تطور الأحداث فى عامى ١٩٤٢ ، ١٩٤٣ وفى الأشهر العشرة الأولى من عام ١٩٤٤ عندما أسقط الملك وزارة الوفد فى ٨ أكتوبر ١٩٤٤ وعندما بدا لأول مرة منذ بداية الحرب العالمية الثانية يتعاون عمليا ورسميا مع سلطات الاحتلال البريطانى وبذلك تغير تماما موقفنا من الملك وربما يخفف من عذرى بالنسبة للاطالة فى هذا الموضوع اننى اكتشفت مصادفة ان حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ من الموضوعات المقررة فى مادة التاريخ على طلبة وطالبات التوجيهية ــ شهادة اتمام الدراسة الثانوية ــ كما أن كثيرين من القراء قد تفضلوا بالكتابة الى طالبين الاستزادة فى اعطاء جرعات أكثر من الحديث عن ٤ فبراير ١٩٤٢ الذى تناولناه وشكرا للاخوة القراء على آرائهم فيما نكتب بحيدة تامة وبأسلوب علمى بعيدين كل البعد عن التأثر بالحزبية المعادية للوفد المصرى أو المؤيدة للوفد المصرى أحد أطراف مأساة ٤ فبراير ١٩٤٢ وشكرا أوفى وأكبر لمن بدأوا يكتبون الينا عن معلوماتهم وآرائهم الخاصة فى مأساة ٤ فبراير ١٩٤٢ المأساة التى لحقت بالمصريين كل المصريين !!

وكنت قد أشرت ــ فى الفصل السابق ــ الى اتهام على ماهر باشا لأحمد حسنين باشا بأنه كان على علم بأمر الدبابات التى ستحاصر قصر عابدين ، فى مساء ٤ فبراير ١٩٤٢ ، والى تأكيد حسين سرى باشا ــ عندما سئل عن رأيه فى هذا الاتهام ــ من أن على ماهر باشا لا يتهم الا ولديه الدليل !

ونشير هنا الى ما ذكره السادات فى كتابه « صفحات مجهولة » من أن الوثائق والوقائع أثبتت أن أحمد حسنين رائد فاروق ، ورئيس ديوانه ، وظهيره ، ومرشده يوم حادث ٤ فبراير وقبله ، وبعده والرجل الأول فى القصر المعتدى عليه ، أحمد حسنين هذا ، كان طوال حكم الوفد ، فى تلك الفترة ــ التى أعقبت ٤ فبراير ــ يتصل بالانجليز ، لا لمصلحة البلاد ، ولكن لكسب ثقتهم فيه كحاكم جديد يستطيع أن يقضى لهم من المصالح ماكان الوفد يقضيها، وأن ينفذ لهم سياستهم «الديمقراطية» فى حكم البلاد ، وتوجيهها ، أحمد حسنين كان يريد أن يكون بطل ٤ فبراير الثانية ولكن ، بغير دبابات !!

وفى كتابه البحث عن الذات ، يقول أنور السادات : فى أواخر عام ١٩٤١ صدرت الينا الأوامر بالنزول من مرسى مطروح وأذكر أن كتيبة عبد الناصر ، كانت على مقربة منا فى جهة اسمها الحمام ، ولكنه لم يكن فيها : كان فى السودان ، ولم يعد منها الا فى ديسمبر ١٩٤٢ .

فى القاهرة أخذت فرقة للترقى ، وأثناء عملى بالفرقة داومت نشاطى السياسى فى بناء تنظيم الضباط الأحرار ، كان ذلك فى أوائل سنة ١٩٤٢ ، وقد وصل روميل الى ليبيا مع فرق الباتزر « الدبابات » الألمانية وكان الشعور

العام فى مصر معاديا للانجليز وبالطبع فى صـــف أعدائهم ، وكان الانجليز يعلمون ذلك فطلبوا من فاروق فى فبراير ١٩٤٢ أن يكلف النحـاس زعيم الأغلبية بتشكيل الوزارة أملا منهم فى استمالة الرأى العام المصرى ، ولكن فاروق رفض ، فما كان من السفير البريطانى « لورد كيلرن » الا أن حـاصر قصر عابدين بالدبابات يوم ٤ فبراير ١٩٤٢ ، فاما أن يستجيب فاروق لمطلبهم ، واما أن يتنازل عن العرش ، وأمام هذا التهديد استدعى فاروق النحاس وكلفه بالوزارة ، كان ذلك فى ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ تاريخ لا ينساه جيلنا ، ففى ذلك اليوم سقط النحاس فى نظرنا : اذ كيف يقبل أن يفرضه المستعمر على البلد بقوة السلاح ، فتجمع الضباط بالقاهرة ، وسرنا الى قصر عابدين تحية للملك الذى خرج لرد التحية ، لم تكن بطبيعة الحال راضين عن فاروق ، ولكن ماحدث كان اهانة لمصر ، جيشا ، وشعبا ، واعتداء على سيادتها بصرف النظر عن شخص من يمثل هذه السيادة ، لذلك عندما سمعنا أن لورد كيلرن قد وجه انذارا ثانيا الى فاروق ، اثر حادث وقع فى مطار القاهرة بعد أيام من حصار عابدين جرحت فيه كرامة الانجليز ، اتفقنا نحن الضباط الأحرار أن نحيط بالقصر الملكى ونشتبك مع الانجليز لو حاصروا القصر بدباباتهم مرة أخرى ، ومن ثم استعرت عربة زكريا عابدين ـ وكان الوحيد بيننا الذى يملك عربة خاصة ـ ورحت أطوف بها حول القصر ، طوال الليل أرصد الحركة من قريب ومن بعيد ، لأنذر اخواننا لو حدث ما كنا نتوقعه ، ولكن الليل انقضى دون أن يحدث أى شىء فرجعت بالعربة فى الصباح وأعدتها لصاحبها » •

وقبيل أن ننتقل الى الوثائق الخاصة بمأساة ٤ فبراير ١٩٤٢ ، نشير وباختصار شديد ، الى أقوال بعض الزعماء المصريين فى شهاداتهم أمام محكمة جنايات مصر عندما كانت قضية الاغتيالات السياسية معروضة عليها ، وكان يبدو الاهتمام الشديد من قبل محامى المتهمين بمأساة ٤ فبراير ١٩٤٢ حتى قال البعض ، ان قضية الاغتيالات السياسية ، كانت فى نفس الوقت قضية ٤ فبراير ، وسنحاول أن نلخص أقوال هؤلاء الزعماء ، وكنا قد أشرنا ـ سابقا ـ الى أقوالهم فى الظروف التى أدت الى وقوع مأساة ٤ فبراير ١٩٤٢ :

يقول على ماهر ، حادث ٤ فبراير حادث محزن جدا ، ويكفى التأمل فى الانذار الصادر من السفير البريطانى ، وهو ممثل ملك بريطانيا وهذا الانذار موجه لرئيس الدولة المصرية ، فان الصيغة التى تقدم بها الانذار ليست فقط اعتداء على الاستقلال ، بل اعتداء على الشرف الوطنى وايذاء للكرامة الوطنية فليس له من رد ولصيغته القصـــيرة الوارد بها الانذار والطلبـات الواردة به المتصلة بعمل داخلى هو تعيين وزارة مصرية بالذات •

وكل من مارس العلاقات الدولية والمكاتبات الدولية يحكم قطعا بأحد رأيين الأول : ان القصد الارهاب ، والثانى : الاذلال ، والطلبات تعنى بعض رجال مصر ، وهذا يدل قطعا على أن العملية مدبرة كلها داخل القصر المصرى ، يعنى

أن السفير لم يأت بها وحــده ، بل لابد أن أشترك معـــه فى تدبيرها بعض المصريين ، وطبعا النحاس باشا لا يمكن أن يشترك فى هـذه المسألة بأكملها وجزئياتها ، وانما الذى دبر ذلك من الجانب المصرى هو المرحوم أمين عثمان باشا فهو رجل كان فى غاية الذكاء وكان له من القدرة ما يجعله يتصل بخصومه وأعدائه ، ويتظاهر أنه صديق : أمين عثمان كان يريد أن يكون وزيرا ، ولذلك استعمل كل مواهبه ، وقوته ووسائله لبلوغ هذه الغاية ، مش بس يكون وزير، بل لو أطال الله حياته لطمح الى كرسى الوزارة ، وكان مستر ريد يشير اليه بأنه سيكون رئيس وزارة المستقبل .

ويقول على ماهـر باشا ، ان أمين عثمــان باشا زاره ذات مرة فى منزله بالزمالك وأخبره أن سرى باشا عرض عليه وزارة المالية فى نهاية وزارة حسين سرى باشا فكان جوابى عليه ــ جواب على ماهر بالطبع ــ وهل استشرت السفير البريطانى أم لا ، فقال استشرته بالتليفون وهو فى الأقصر فقال لى : لا تقبل لان وزارة سرى باشا على وشك السقوط ، ويقول على ماهر أن أمين عثمان ، زاره مرة أخرى فى بيته وكان عنده د. أحمد ماهر باشا ، وكان أمين عثمان يتكلم قائلا : أن النحاس باشا زعيم الأغلبية غير الموجودة فى البرلمان وأن أحمد ماهر باشا زعيم الأغلبية داخل البرلمان ، ويجب أن يتعاونا » .

ويقول حافظ رمضان باشا : دعيت للحضور الى سراى عابدين وعرض علينا التهديد من لورد كيلرن الى الملك وأؤكد انى لم أحفظ فى حياتى شيئا ، كمـا حفظت هذا التبليغ ، فلما تلى علينا التبليغ طلبت الورقة لأقرأها بنفسى ثم بدأت المشاورات ، وبعضهم عرض على النحاس باشا أن يشكل وزارة قومية ، والبعض الآخر عرض أن يشكل وزارة ادارية تجرى انتخابات فى ظلها ، ثم تشكل الحكومة تبعا لتلك الانتخابات ، أما رأيى الخاص ، الذى أعلنته فى المجلس فهو اننا لم نأت لتشكيل حكومة ، وانما أتينا ليؤخذ رأينا فيما يجب أن نقرره ازاء هذا الانذار ، وعلى ذلك لا أعرض حلا من تلك الحلول ، ولا أقبل أى حل لان هذا يعد خضوعا للتبليغ البريطانى وان كان هذا الخضوع تناول درجات مختلفة ولكنه خضوع على أى حال وعلى العكس أعتقد أنه يجب علينـا ألا نشكل حكومة وأن نضرب عن تشكيل كل حكومة الى أن يسحب هذا التبليغ، وهذا ما حدث فى ١٩١٩ ، وبعدئذ وجـد المجتمعون أن النحـاس باشا رفض الحلول فرجعوا الى رأيى الذى قلته فى أول المناقشة وبدأوا يكتبون الرد وهو يتضمن ان هذه الهيئة لا تشير على الملك أن يقبل مثل هذا الانذار ، لانه اعتداء على حرية البلاد ودستورها ، وكلفنا أن نوقع على هذه الورقة فوقعناها جميعا حتى زيور باشا الذى كان من رأيه أن نخضع للتبليغ ونسلم به بناء على ذلك والذى أذكره يقينا أن النحاس باشا لم يوقع هذه الورقة وقت توقيعنا عليها وبرر عدم توقيعه لها بأن البلاد فى حالة خطيرة ، وأننا يجب أن نسلم بالطريقة التى نتبعها دائما » .

وعن محاصرة قصر عابدين بالدبابات البريطانية قال حافظ رمضان باشا : بعد أن عدت الى القصر بناء على استدعاء جديد ، وجدت السراى محاطة بالجنود البريطانيين فسألت داخل السراى ماذا حدث ؟ فقيل لى : انهم أحاطوا القصر بالدبابات وان بعض الضباط البريطانيين دخلوا القصر ، ونزعوا السلاح من العساكر ، وقيل ان أحد الضباط المصريين نزعت طبنجته بقسوة وقوة ، وقيل انهم دخلوا على الملك ، فأنا قلت لهم : أنا لا أفهم ان هذا يحدث ، وكان يجب على الحارس أن يؤدى واجبه فقالوا : الواقع ، صدرت لهم أوامر ، أن يمتنعوا عن أى شئ فقلت : أنا لا أسأل عن أمر وانما أقول أنه فى اللحظة التى لووا فيها ذراع هذا الضابط ، كان يجب عليه أن يؤدى واجبه ، وبعد ذلك جاء الملك وقال للنحاس بصوت يخالف صوته فى اجتماعنا الأول فى قصر عابدين : شكل الوزارة وقال أحمد ماهر : تحت الدبابات وخرجنا وهذا ما رأيته وسمعته .

وأكد حافظ رمضان أن النحاس تردد فى التوقيع على الاحتجاج ، وأنه وقع فيما بعد ، وأن سير مايلز لامبسون عندما ذهب اليه حسنين باشا ومعه الاحتجاج سأل لامبسون حسنين باشا : هل وقع النحاس باشا الاحتجاج ؟ فأكد له حسنين باشا أن النحاس باشا ، كان ضمن الموقعين ، على الاحتجاج » .

ويقول د. محمد حسين هيكل باشا عن حادث ٤ فبراير : لما استقالت وزارة حسين سرى ، كان اتجاه الملك الى تأليف وزارة قومية برياسة النحاس باشا وكان عرض الملك على النحاس باشا يوم ٣ فبراير وقد اعتذر النحاس باشا وقال انما تؤلف الوزارة من حزبه وحده وفى المساء بلغنى أن الانجليز يصرون على اسناد الوزارة الى النحاس باشا وفى ٤ فبراير علمت أنهم أرسلوا انذارا فيه هذا المعنى ، وقد دعينا للذهاب الى السراى فى الساعة الثالثة بعد الظهر ، وتلا علينا أحمد حسنين باشا رسالة ملكية فيها نص الانذار ، وطلب الملك منا نحن المجتمعين أن ننظر فى هذا الأمر ، فتداولنا فيه الى الساعة السادسة ، وقد رفض النحاس باشا جميع الحلول التى عرضت وتمسك بتأليف الوزارة من حزبه وحده ثم اتفق رأينا على أنه ليس من حق السفير ولا من حق الدولة البريطانية أن توجه هذا الانذار ، وان توجيهه اعتداء على استقلال مصر وسيادتها ، وانصرفنا وفى الساعة التاسعة أو حول ذلك دعينا للسراى من جديد ، وكانت احاطة السراى بالدبابات والجنود الانجليز قد ذاعت فى القاهرة، وقد طلب منا الملك أن ننسى ما حدث وعهد الى النحاس باشا تشكيل الوزارة وأن يمر على السفارة ، ويبلغ السفير هذا التكليف !

ويرفض د. هيكل الاجابة عن سؤال لأحد المحامين ، هذا نصه ، هل أقدم الانجليز على الاجراءات التى اتخذوها يوم ٤ فبراير اعتمادا على قوتهم العسكرية فقط ، أو لانهم أحسوا مساعدة من بعض المصريين ؟

ويعلل د. هيكل رفضه الاجابة عن هذا السؤال لان السؤال ليس متعلقا بواقعة معينة يستطيع أن يقول فيها نعم ، أو لا .

وينفى د. هيكل أن يكون لأحد من رجال القصر ، وخاصة حسنين باشا أى ضلع فى الحادث .

وقد دارت مناقشات قانونية حول استدعاء مكرم باشا لسماع أقواله كشاهد فى القضية . وقال رئيس المحكمة : أن الأستاذ عمر عمر ، نقيب المحامين قدم للمحكمة قرارا أصدرته نقابة المحامين جاء فيه : أن المجلس قرر بالاجماع وبعد الاطلاع على المادة ٢٢ من القانون رقم ٩٨ لسنة ١٩٤٤ عدم جواز تكليف المحامى أداء الشهادة فى قضية وكل فيها أو استشير فيها سواء كانت هذه الشهادة متصلة بوقائع الدعوى نفسها ، أم غير متصلة بها وان المحامى هو صاحب الحق المطلق دون غيره فى تقديم ما يمنعه عن أداء الشهادة ، وعندما طالب الأستاذ على أيوب المحامى باستبعاد قرار نقابة المحامين الخاص بهذا الموضوع قالت المحكمة : أنه قرار من هيئة محترمة ، هى نقابة المحامين ، فى أمر يخص المحاماه فى خلاف بين زميلين آخرين فى نفس القضية ويجب أن تشير المحكمة ، الى هذا القرار وقد احتكم كلاهما اليها وقال الأستاذ على أيوب أن معنى طلبه هذا أنه لا يحترم النقابة وانما هو يرمى الى مراعاة النظم القانونية .

ودارت مناقشات عديدة وقال مكرم عبيد باشا ليست هذه القضية قضية مكرم ، أو قضية الأستاذ فتحى رضوان بل هى قضية المحاماة التى أتشرف بالانتساب اليها ، وقد قلت ولا أزال أقول انه ليس فى الأرض قوة يمكن أن تحمل المحامى وترغمه ــ وهو يرى أن فى عدم الشهادة صالحا لموكله ــ على أن يخون مهنته والمادة التاسعة من قانون المحاماة توجب على المحامى ، أن يحلف يمينا قبل أن يبدأ عمله كمحام ، على أن يحافظ على سر المهنة وما كان هنالك محل لاثارة هذا الموضوع أمام المحكمة ، بعد أن احتكمنا الى النقابة أنا والأستاذ فتحى رضوان وأصدرت النقابة قرارها وانى لا أخشى الشهادة فأنا آخر من يخشاها وما من قوة ترغمنى على مخالفة نص القانون أو المساس بكرامة مهنتى والنص صريح فى قانون المحاماة ، وهو أنه لا يجوز لمحام أن يشهد فى قضية استشير أو وكل فيها وأنا أدافع عن هذا المتهم الذى أدافع عنه وأعلن المتهم سعيد توفيق أنه يتمسك بمكرم باشا فى الدفاع عنه وترفض المحكمة طلب استدعاء مكرم عبيد باشا للشهادة كما رفضت المحكمة الطلب الذى تقدم به الأستاذ على منصور باستدعاء ابراهيم عبد الهادى باشا رئيس الديوان الملكى للشهادة بصدد أشياء أسر بها موكله عمر حسين أبو على .

والطريف أن المحكمة قررت تأجيل القضية الى جلسة ٤ فبراير وكان هذا القرار موضع تعليقات كثيرة من الدفاع ، والمتهمين ، وجمهور النظارة لاتفاقه مع حادث ٤ فبراير ، وعندما نظرت القضية من جديد ــ فى ٤ فبراير ١٩٤٧ ــ

طلب الاستاذ محمد محمود عطية المحامي ، لمناسبة نظر القضية في ٤ فبراير رفع الجلسة حدادا على هذه الذكرى المشئومة ، فقد أهدرت في مثل هذا اليوم من سنة ١٩٤٢ ، الكرامة المصرية وردت المحكمة على ذلك قائلة على لسان رئيسها : أن المحكمة تشاطره الأسى ، لهذا الحادث بالذات ٠

أما شهادة مصطفى النحاس باشا ــ فى تلك القضية ــ فقد جاء فيها أنه كان كلما دعى الى القصر كان يجيب تلك الدعوة ، وكان ذلك فى وزارة حسين سرى باشا ــ ثم حدد لى ميعاد بالسراى بعد الظهر ، وسمعت لما حضرت بأن حسين سرى باشا موجود فى السراى ، وأنه لن يخرج منها الا بعد أن تصدر مراسيم القطن ، فقلت لنفسى وأنا رايح له لكن لازم أجيب الدعوة ، فتوجهت وأخذ رأيى ، وأدليت به وسئلت ، أتظن ان هذه المسائل يمكن أن يقف فيها أحد ضد الانجليز ، فقلت لجلالته أن يكون بعيدا ونحن الشعب نشتغل وواجبى أنا بصفتى ممثل الشعب ألا أسكت ، وجلالتك فوق الكل ورأس الكل ، ونحن نتحمل المسئولية وأنا طلعت وسمعت أن المراسيم أمضيت قبل دخولى ٠

وبعد ذلك اتخذت فكرة لنفسى ــ هكذا يقول النحاس باشا ــ أن أسوح فى الوجه القبلى وكنا فى الشتاء لعدة أسباب منها الجو أحسن ومنها انى اتكلم مع الناس اللى هناك بكل حرية وذهبت الى قنا ورأيت أن أرجع فى الباخرة وعملت ترتيبى ان الرحلة تستغرق شهرين أو ثلاثة ٠ ووردت لى دعوات من البلاد أن أزورها ٠ ووصلنا الى قنا ، وعادتى أن أزور سيدى عبد الرحيم القناوى ، وأعتقد به ، وكان هناك بعض الخلاف بين الأهالى ، وكنت أجتهد أن يكون وجودى سببا للتوفيق بينهم ذهبت ، ومكرم باشا ، وكان حريصا على ألا أعرض نفسى لشىء ويجتهد ألا أظهر ، وكنت أخالفه ، ولما انتهت الزيارة لسيدى عبد الرحيم ، وعدت الى منزل اسكندر عبيد قريب مكرم عبيد باشا أردت أن أستبدل ملابسى فدق التليفون قلت انتظروا ، قالوا خذ التليفون وانت فى الحمام ، وألحوا على فأمسكت التليفون وسألت من المتكلم قالوا انه اسماعيل تيمور ، وهو الذى يريد أن يكلمنى وتحت الالحاح ، أمسكت التليفون ، من وراء الباب فأخبرنى اسماعيل تيمور باشا أن جلالة الملك يريد مقابلتى غدا بعد الظهر ،قلت يستحيل ماديا أن أجيب هذا الطلب ، خصوصا وأن عائلتى معى ، والرحلة تستغرق شهرين ، وقلت لا أقدر ٠

ويظهر أن مكرم باشا أخذ التليفون ، وقال يحضر ، وأنا فكرت كده ، وقلت أين القطار الذى أستطيع السفر فيه لا ألحقه ، وخلصت عملى ، ثم قالوا : المدير يتكلم ، وقال ضرورى من السفر الليلة ، والعائلة تنتظر ، فقلت لا يمكن أن أترك العائلة ، واذا كنت سأسافر لابد وأن أحجز محلا فى الأقصر فقالوا نعمل لك الترتيب اللازم ، وأرجأت ذلك لحين بحث الأمر ، فرحت الباخرة ، وقلت لهم المسألة ، وقلت لهم خليكم فى الباخرة ، وسيروا بها الى جرجا ، وغدا أكون

عندكم لان فى منل هذه الحالات يؤخذ الرأى وأرجع فى الحال وكانت الحالة النفسانية صعبة على ، وعلى كل الموجودين فى المركب ، وسافرت ، وكانوا أخروا القطار قليلا الى أن وصلت وجئت ، وجاء معى مكرم باشا ، والظاهر انه كان عامل ترتيبه لانه كان حاجز لنفسه الى أن يقول النحاس باشا أنا كنت جاى مصر ومعتقد ان مفاتيح منزلى معى لألبس بدلتى الرسمية ، ولما سار القطار لم أجد المفاتيح معى ، فقلت : لا طريق الا النزول فى بيت أحمد حسين بك وهو زوج خالة الست ، وقلت وجد البيت ، ولكن أين الملابس الرسمية والحسينى زعلوك جمع الملابس من كل مكان الى أن رتبت كل حاجة بقدر المستطاع وتشرفت بمقابلة جلالة الملك ، وعرض على جلالته الموقف ، وقال الحالة شديدة ، وفهمت أن حسين سرى استقال وقال ما رأيك فى الحالة ، وكنا سمعنا أن مظاهرات تهتف : أقبل يا روميل «فاروق فوق رأسك يا جورج» ولما سألنى جلالة الملك عن رأيى فى الحالة قلت لجلالته اننى سبق أن أبديت رأيى مرارا ، فقال جلالته الحالة تستدعى أن نرى طريقة ، فهل يمكن أن نشترك مع آخرين فى الحكم ، فقلت رأيى مصمم عليه كما قلته من قبل ، فاذا عهد الى بالحكم ، ما الذى أستطيع أن أعمله ، والبلد جعانة ، وأنا عند رأيى ، فقال جلالته سأكمل استشاراتى ثم أدعوك ثانية ، فقلت لجلالته أنا مسافر الليلة ، وليس عندى استعداد للبقاء ، فأمر أن أنتظر الى اليوم التالى الى أن يستشير ، ويخبرنى بالنتيجة ، وهذا أمر طبعا صدر لى وقبلت على مضض ، انتظرت واتصلت بالعائلة بالتليفون بواسطة فخرى بك عبد النور ، لكى يخبرهم انى سأقدم باكر اليهم ، وثانى يوم دعيت ، وأنا فاكر انى دعيت لاتمام الكلام السابق حيث لم أفهم ، أنى سأكون مع غيرى خصوصا ، وأنا أبديت رأيى ، وهو أنى لا أستطيع التعاون معهم ، ويومها كان مكرم باشا مدعوا ، فدهشت واحترت حين رأيتهم ، ودخل علينا جلالة الملك ، ودخل خلفه حسنين باشا ومعه ورقة ، وقال جلالته انه أعد بيانا سبلقيه باسمه حسنين باشا نيابة عن جلالته، وكان فى البيان خطوات توضح أن الحالة خطيرة ، وأن انجلترا تهدد كثيرا ، وجاء اسمى فى البيان عدة مرات ، وكان المطلوب منى أو من جلالة الملك أن يستدعينى ، وكان مطلوبا أيضا أن يؤخذ رأيى باعتبارى زعيم الأغلبية ، يؤخذ رأيى عن السبيل الى الحكم والانجليز هم اللى طلبوا ذلك .

ويمضى النحاس باشا فى رواية ما قبل ٤ فبراير ، بتفاصيل دقيقة للغاية ، ويشير الى انصراف الملك والى ما قاله النحاس بعد انصراف الملك من أن مركزه — أى النحاس — فى البيان مركز متهم ، والمتهم يجب أن يوضح مركزه .

وينفى النحاس علمه بالطلبات التى وجهها الانجليز عن استدعائه ، وأخذ رأيه وأنا — أى النحاس — بعيد عن ذلك بالمرة ، وجاى خام طازة من رحلتى الى هنا فأنا لا دخل لى فيما حصل .

ويقول النحاس باشا أن الزعماء بحثوا كيف يمكن تفادى الموقف « ويجب أن تحتج لان هذا تدخل واعتداء ، على البلد من جانب الانجليز ، ويجب أن نقف فى وجهه » وقالوا : تكتب احتجاج ، قلت طيب ، ولكن قبل الاحتجاج أبدى رأيى كوطنى ومجرب وخبير بأعمال الانجليز ، فيجب أن نبحث ان كان هـذا الانذار تهديديا ، أو تنفيذيا ، والبيان الذى ألقى علينا من جلالة الملك يفهم منه ان هذه الحالة تنفيذية لا تهديدية ، كما حصل فى حوادث أخرى ، وبناء على ذلك يجب الاحتجاج ، ولكن انظروا فى طريقة تتخذ ، لتفادى التنفيذ ، وكيف تكون الطريقة ؟ ابحثوا عنها ، فقالوا : الطريقة هى أن نتعاون فى حكم واحد ، فقلت لهم : لكم أن تقولوا ذلك ولكن رأيى ألا أشترك معكم كما قلت ، وأنا مصمم ، على ذلك فقالوا هذه تضحية فقلت التضحية يمكن عملها بشىء آخر غير هذا ، لأنى اذا قبلت أغش عقيدتى » .

الفصل الرابع

أحد أعضاء مجلس الشيوخ الوفديين السابقين يؤكد على تواطؤ الوفد مع الانجليز فى حادث ٤ فبراير

حرصنا على أن نشير الى ما ذكره أنور السادات فى كتابه « البحث عن الذات » خاصا بأحداث ٤ فبراير ١٩٤٢ وأثرها فى نفسه وفى نفوس الضباط الأحرار ، كما حرصنا فى نفس الوقت على التركيز على ما أدلى به كل من على ماهر باشا ، وحافظ رمضان باشا فى محكمة جنايات مصر أثناء نظر قضية الاغتيالات السياسية ـ مقتل أمين عثمان باشا ـ خاصا بتلك الأحداث ٠

وقد نقلنا ـ وبالنص فى الفصل السابق الجزء الأول من أقوال مصطفى النحاس باشا ـ وهو يدلى بشهادته فى تلك القضية ـ التى ذكرت ، ومن وجهة نظر النحاس باشا ـ تفاصيل أحداث يومى ٣ ، ٤ فبراير ١٩٤٢ ـ وفى هذا الفصل ننشر ـ وبالنص ـ بقية أقوال النحاس باشا فى تلك القضية وما يتعلق بأحداث ٣ ، ٤ فبراير ١٩٤٢ بالذات !!

وفى هذا الفصل أيضا نحاول وبايجاز شديد أن نكمل الحديث عن وجهة نظر النحاس باشا ، والوفد المصرى ، والصحف الوفدية فى هذه الأحداث التى شغلت ـ ولا تزال ـ تشغل المؤرخين المصريين ، وغير المصريين لما لها ـ أى لتلك الأحداث ـ من أهمية بالغة فى تاريخنا المعاصر ٠

يروى النحاس باشا فى شهادته ، كيف ألح عليه الزعماء ، المجتمعون فى سراى عابدين ، ليقبل وزارة ائتلافية كنوع من التضحية ، وكيف رفض تأليف تلك الوزارة ٠

ويرد النحاس على قول بعض الزعماء « ان الانجليز يريدون وزارة فيها النحاس ، اننى أرفض ذلك » ٠

وعندما قالوا له : « اذا كان الأمر كذلك فلا تقبل الحكم أصلا »

ويقول النحـاس : لا مانع ولكن الطريقه التى نتفادى بها التنفيذ غـير موجودة ويقول النحاس باشا : كان زيور باشا معى فى الرأى ، وقال : « العبارات الموجودة فى البيان معناها انها حالة تنفيذية » .

وبعـد ذلك يقول النحاس باشا : اتفقنـا على كتابة الاحتجاج ، وكتبت صيغته ولطفته نوعا والظاهر ، أنه دخل فى التلطيف اسماعيل صدقى باشا لأنى تركتهم يكتبون وقالوا : « ننعهد ألا يقبل أحد الحكم ، قلت : وهو كذلك » ومضيت على الاحتجاج .

وقلت : بلغوا جلالة الملك فشرف وقال : « انتم عملتم طيب ، وهذا عمل مشرف ووطنى » .

فقلت لجلالته : « يجب أن أصارحـكم بحاجة وهى أن الاحتجـاج كويس ولكن يمكن يؤذى البلد ، والعرش ، ويمكن أن يكون نكبة على العرش ، وعلى شخص جلالتكم » .

فقال : « أنا قابل كل شيء » .

فقلت لجلالته : « أنت فى مقتبل العمر ، ونحن الى فناء وبقاؤكم ، على على رأس الدولة يفيد البلاد كثيرا » .

فقال جلالته : « أنا مآيس ولا أسأل عن نفسى » وأخذ الاحتجاج ، وقال لحسنين باشا : « بلغ الاحتجاج » وقال لنا : « ابقوا هنا الى أن يصل الرد » فبقينا فى حرج .

وقالوا : « اقبل أن تكون معنا واختار من تختار » فقلت : « لا أقبل ذلك لان النتيجة أن هذا قبول لرأى الانجليز ، وتنفيذ لأمرهم » .

فقالوا : « ما دام معنا كلنا لا يعتبر تنفيذا لأمرهم » .

فقلت : « اشمعنى لما يكون النحاس مع غيره لا يكون بأمر الانجليز ولما يكون وحده يكون تنفيذا لأمر الانجليز » .

وأردت الانصراف فقالوا : « ان جلالة الملك أمرنا بالانتظار فانتظرت .

وجاء الرد خطيرا ، وهو أن يبلغ جلالة الملك أن السفير البريطانى سيحضر حوالى الساعة التاسعة والنصف اذا لم يعدل رأيه .

وبلغنا حسنين باشا هذا الرد .

قلت : ان الرد خطير ، ولا يخاطب جلالته بهذه الصيغة وقيل لنا : كونوا على استعداد حتى تنجلى الحالة .

فرجعت الى بيت أحمد بك حسين بالجيزة .

وكانت الحالة خطيرة ثم اتصل بى زكى على باشا ، وهو صديقى وصديق حسنين باشا ، وقال : سمعت بالخبر ؟ قلت : خبر ايه ؟

قال : « الراجل الانجليزى راح بالدبابات فى السراى وحاصرها والحالة خطيرة جدا » فقلت له : « أنا آسف جدا لأن الحالة وصلت الى هذا وتنبأت بهذا ، ولكن لم يكن تنبئى أن يصل الأمر الى هذا الحد » ..

وبعد ذلك طلبت مرة ثانية للسراى فى نفس المساء ، حوالى الساعة التاسعة والنصف وكنت مستعدا ، ورحنا ولم أجد الدبابات ولا حاجة فى ساحة السراى والحالة طبيعية .

ولما دخلت وجدتهم مجتمعين وعليهم وجوم فقلت : « ماذا جرى » ؟

قالوا : جاءت الدبابات ثم انصرفت والحالة خطيرة » .

فقلت : هذا نتيجة عملكم لان هذا كان اندفاعا بدون حكمة » .

وشرف الملك ، وقال : « اعتبروا أنه لم يحصل شىء فى هذا اليوم وان كل ما حصل كأنه لم يكن أو هو لم يكن وأنا ، أعهد اليك يا نحاس بتاليف الوزارة ، ووطنيتك تقتضى أن تستعمل الحكمة فيها » .

فقلت لجلالته : اسمحوا لى أن أقول انى لا أستطيع تأليفها بحال من الأحوال .

فقال : أمرتك وأنا الملك ، وآمرك ، أن تقبلها .

قلت : لا أستطيع يا جلالة الملك .

قال : أنت تستطيع ، وتعتبر أنه لم يحصل شىء .

فقلت : ما هى الظروف التى دعت الى تغيير الموقف ؟

قال : آمرك .

قلت : اسمح لى جلالتك ألا أقبل وعلى الخصوص فقد تعهدنا أنه اذا دعى أحدنا الى تأليف الوزارة لا يقبل ، ولو كان ذلك من جلالة الملك.

وقال الملك : أنا صاحب الشأن وآمرك !

قلت لجلالته : لا أقبل وطلبت معرفة الظروف .

وقال الملك : لازم تقبل وتؤلف الوزارة الليلة .

وقلت لجلالته : لا أقدر يا مولاى ، ورأسى لف ، وحالتى النفسية صعبة ، أمهلنى للغد، أفكر .

فقال جلالته : لابد أن تقبل ، وتذهب الليلة الى السفير ٠

قلت : مستحيل الليلة ، وكنت أريد أن أستريح لأنى متعب !

وقال الملك : لازم تقبل !

وقال أحمد ماهر باشا : ان قبل يكون على أسنة رماح الانجليز !

قلت : اخرس ، أنتم الذين جئتم على أسنة رماح الانجليز ووصلتم بالبلد الى هذه الحالة والنحاس أشرف منكم كلكم ٠

وقال الملك : آمـــرك ٠

وأراد اسماعيل صدقى باشا أن يتكلم ، فقال له جلالة الملك ، أسكت أنا صاحب الأمر وكرر جلالته أمره لى ، فقلت لجلالته : امهلنى للغد ٠

فقال جلالته : انزل من هنا على السفير ٠

وفهمت أن كلاما دار بين جلالته وبين السفير لا أعلمه ، لانه مطلوب منى أن أطمئنه هذه الليلة فذهبت لا لأطمئنه بل لأحتج ٠٠

فلما دخلت أراد أن يقابلنى بالســلام ، فقلت له : لا أسلم عليك لأنك أسأت الى فى غيابى ، وكان معه وزير الدولة ٠٠ ويقول النحاس باشا : ان السفير البريطانى أخذ يسترضيه ويسأله عن رغبته فأجابه النحاس باشا بأن الترضية لا تتم الا بعد سحب الانذار البريطانى وانه ــ أى النحاس ــ لن يقبل الوزارة ، الا اذا سحب الانذار ٠

ويسأل السفير البريطانى النحاس باشا : هل عرضت عليك الوزارة ؟ ويقول النحاس باشا : نعم عرضت على الوزارة ٠

ووافق السفير على سحب الانذار ٠

وأخذ النحاس باشا والسفير يتباحثان فى طريقة سحبه ، وهل يكتب لهم النحاس باشا أولا أم يكتبون هم له ٠

ويقول السفير البريطانى للنحاس باشا ــ كما يقول النحاس باشا ــ ان السفير لم يختره بصفته الشخصية ولكن بصـــفته زعيم الأغلبية ، وأنه ــ أى السفير ــ عندما يقول النحـاس ، انما يقصـد الشعب فالموقف خطـير ونحن ــ لامبسون ــ نخشى أن نطعن من الخلف ٠

ويقول النحاس باشا ، أنه قد رد على السفير البريطانى قائلا : ماذا فعل الشعب حتى أوصلتموه الى هذه الحالة ؟ وماذا أقول له ؟ هل أقول أن الانجليز جابونى وانتم جعانين ، وكيف أستطيع أن أطعمهم ٠

فقال له السفير : أن وزير الدولة موجود يستطيع أن يفعل كل شىء ٠

ويقول النحـــاس : أن على وزير الدولة أن يفتـح الخزانة ويدفع كل ما أخذتموه من البلد وتحضروا القمح ، والملابس من الجيش •

ويقول السفير : أننا مستعدون لكل ما تطلبه •

ويقول النحاس أنه لم يستقر على رأى بشأن قبوله الوزارة ما لم يفعل الانجليز شيئا لمحو الاهانة بطريقة يراها مع زملائه •

وتم الاتفاق ، على كتابة خطاب الى السفارة بسحب الانذار ورحبت السراى ــ كما قال النحاس ــ بسحب الانذار ، وسررت بذلك سرورا عظيما

ويفرق ، النحاس باشا ــ فى شهادته ــ بين الحالة التهديدية ، والحالة التنفيذية فيقول : أن الحالة التهديدية هى مظاهرة عسكرية يجوز أن تنتهى الى شىء يحسن السكوت عنده بينما الحالة التنفيــذية ليست بمظاهرة بل تقترن بالتنفيذ الفعلى وان الذى كان فى ذهنه أن البيان البريطانى لم يكن مقصورا على مظاهرة تهديدية !

ويسأل النحاس باشا : هل قابلت أحدا من رجال السفارة البريطانية فى الأقصر أو أسوان أثناء رحلتك •

ويقول النحاس باشا : اننى لا أذكر ، ويجوز أنه حصل •

ويسأل النحاس باشا مرة أخرى : هل تذكر أن أحدا من الانجليز الذين قابلوك فى محطة قنا قال لك بالانجليزية ما معناه : انى سعيد بمصافحة الرجل الذى سيتولى الحكم قريبا ؟

ويقول مصطفى النحاس ، ردا على هذا السؤال : أنا شخصيا لا أعرف اللغة الانجليزية ويؤكد مصطفى النحـاس باشا جازما أن أحدا من السفارة البريطانية لم يتصل به فى موضـــوع تكليفه بتشـكيل الوزارة لا مبـاشرة ولا بالواسطة ! عندما يوجه الأستاذ زكى عريبى سؤالا الى النحاس باشا هذا نصه : ألا ترى رفعتكم أن سلوكك فى هذا اليوم واستغلالك الظروف «كما بينتها ، انك عطلت سلطة الملك الدستورية فى هذا اليوم ؟

يحتج النحاس باشا على عبارة عطلت سلطة الملك ويقول ــ أى النحاس ــ أن جلالة الملك أمرنى ، وأننى قبلت الأمر ، تحت تأثير الظروف وبعد المشاورة ، والتردد •

ويؤكد مصطفى النحاس أن أمين عثمان باشا لم يكن معه فى رحلته الى أسوان ولم يحضر اليه قط وينفى النحاس باشا ، أن يكون مكرم عبيد باشا عالما بحادث ٤ فبراير قبل وقوعه ، ويقول بالحرف الواحد : « يستحيل على مكرم باشا أن يكون عالما بشىء » •

وعندما سئل النحاس باشا عن القاء الحجارة عليه عندما كان يزور ضريح سيدى عبد الرحيم القناوى يقول انه كان يزور قنا وقد تدخل لاصلاح ذات البين بين أسرتى الأشراف والحميدات وأنه يظن أن مكرم باشا كان معه ، يومذاك وقف الأستاذ حمادة الناحل يصيح قائلا : أننا لا نقبل أن نصفى الخلافات بين الشاهد ، ومكرم باشا فى الجلسة وعلى حساب المتهمين .

والجدير بالذكر ، أن مكرم عبيد باشا والنحاس باشا عندما تقابلا فى محكمة الجنايات تبادلا القبلات بعد أن ظل كل منهما « يحارب » الآخر أكثر من خمس سنوات وكان هذا ما يعنيه الأستاذ حمادة الناحل ، الذى كان يعارض وقتئذ الوفد معارضة شديدة !

ويؤكد النحاس باشا ، أكثر من مرة أنه ما قبل الحكم ، الا ليستخلص به مصلحة البلد .

والجدير بالذكر أن الصحف المصرية بل والأجنبية التى كانت تصدر فى مصر لم تشر الى أحداث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ بسبب الرقابة المفروضة عليها والتى كانت تعليماتها صريحة وواضحة بعدم الاشارة الى تلك الأحداث من قريب ، أو من بعيد ، بطريق مباشر أو بطريق غير مباشر .

على أن ذلك لم يمنع من أن يعرف الشعب المصرى أن اعتداء جسيما قد وقع على السلطة الشرعية من قبل السفارة البريطانية والقوات المسلحة البريطانية فى مصر ، ذلك أن الاذاعات التى كانت تعادى بريطانيا ، اذاعات ألمانيا ، وايطاليا كانت تذيع وبالتفصيل ما حدث بالنسبة للملك فاروق ، ولقصر عابدين ، الى جانب ، أن بعض أحياء القاهرة ، كحى عابدين مثلا ، قد شهد القاطنون فيها قوات الجيش البريطانى ، وهى تتحرك لمحاصرة قصر عابدين ، بالاضافة الى أن بعض الزعماء الذين احتجوا على هذا الحادث بخطابات وجهوها الى السفير البريطانى فى مصر ، قد طبعوا خطاباتهم تلك ووزعوها فى صورة منشورات ، كما أن بعض الشبان الوطنيين قد طبعوا ، ووزعوا أيضا منشورات كثيرة ، وعلى نطاق واسع تضمنت احتجاجاتهم ، لما حدث من بريطانيا من عدوان على الملك ، وعلى قصر عابدين ، أما أولئك الذين لم يستمعوا الى اذاعات ألمانيا ، وايطاليا ولم يقرأوا المنشورات التى وزعت فى أعقاب ذلك الحادث فقد أدركوا بفطنتهم أن سببا غير عادى ، قد جاء بوزارة النحاس باشا الى الحكم خاصة بعد ما تم نشر الخطابين المتبادلين بين النحاس باشا وسير مايلز لامبسون السفير البريطانى فى القاهرة ، واصرار سير مايلز لامبسون على زيارة مصطفى النحاس باشا فى مبنى رئاسة الوزارة وحمله ـ أى السفير البريطانى ـ على أكتاف الشبان الوفديين فى ساحة مبنى مجلس الوزراء ، كما أن النحاس باشا ، بعد أيام قلائل قد راح يتحدث الى الجماهير مؤكدا ، أنه ما جاء الى الحكم ، الا بأمر الملك لانقاذ البلاد ، كما أن الصحف الوفدية بدورها قد راحت تبرر مجىء الوفد الى الحكم ، بتلك الصورة المفاجئة .

في يوم ٥ فبراير ١٩٤٢ نشرت جريدة المصرى في صفحتها الأولى : رفعة النحاس باشا يؤلف الوزارة : حديث رفعته عن أسباب قبوله الحكم كما نشرت بعض صور للاستشارات الملكية صور لمحمد محمود خليل وحافظ رمضان ، ومحمد توفيق رفعت ، عبد الفتاح يحيى عند مغادرتهم السراى ، وصورة للنحاس باشا عند مغادرته سراى عابدين وقد التف حوله مندوبو الصحف وقد أدلى النحاس باشا بهذا التصريح لمندوبى الصحف « تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك وعهد الى تأليف الوزارة فاضطررت الى تلبية هذا الأمر الكريم برغم الظروف الخطيرة التى تمر بها البلاد والتى بلغت أشدها أخيرا ، ورغم أننى كنت قد صرحت في اليوم نفسه أنى لا أقبل الحكم فى الوضع الذى آلت اليه الأمور ولكننى أمام الرغبة الكريمة ، التى أبداها جلالته وتصميمه على تكليفى بتأليف الوزارة وأمام ما تفضل فصرح به من أن الوطنية وبذل التضحية وانكار الذات كل أولئك يقتضى منى تحمل مسئولية الحكم ، انقاذا للموقف ، ازاء ذلك لم يسعنى الا أن أنزل على هذه الرغبة السامية ، وأتقبل مسئولية الحكم تحقيقا للنظام الديمقراطى ، معتمدا فى ذلك على الله وثقة جلالة الملك ، ومعتزا بتأييد الأمة المتحدة حول الوفد ، ومبادئه » .

وفى نفس الصفحة الأولى خبر عن حل مجلس النواب الحاضر .

وفى اليوم التالى - ٦ فبراير ١٩٤٢ - ينشر «المصرى» صورا للاستقبالات الحافلة للنحاس باشا ومكرم عبيد باشا وهما يخطبان فى جموع الطلبة والشعب بالنادى السعدى ومظاهرات الطلبة فى الاسكندرية ابتهاجا بوزارة الشعب ، ثم عنوان ضخم - فى الصفحة الأولى أيضا - ما أضاعته حكومات الانقلاب على مصر تستعيده وزارة الأمة : أشرف موقف فى أدق ظرف ، تسجيل حق مصر فى استقلالها وتصريف شئونها . اصدار عدد خاص اليوم من الجريدة الرسمية بالخطابين المتبادلين بين النحاس وسير مايلز لامبسون .

وفى الصفحات الداخلية كلمة لمصطفى النحاس فى الجموع المحتشدة فى النادى السعدى قال فيها : أنه رفض الوزارة القومية ، حتى لا يشترك مع أعداء الديمقراطية وان الموقف ، كان دقيقا غاية الدقة خطرا ، غاية الخطورة وقد أوصلنا اليه أولئك الذين يتشدقون بأنهم خدام الأمة وهم فى الواقع عمال تخريب ، وهدم » وتركز صحيفة « المصرى » على الخطابين ، المتبادلين بين النحاس ولامبسون ، فتقول أن النحاس صان مصر ، وأنقذ كرامتها واستخلص سيادتها الذاتية من محنة يعلم الله وحده ماذا كانت مغبتها لو أن اللاعبين بالنار مضوا فى لعبهم سادرين مستهترين ، وان النحاس باشا لم يقبل الحكم ، الا مضطرا ونزل على أمر الملك مذعنا ..

وفى نفس العدد ، اشارة الى كلمة لمكرم عبيد باشا وعد « المصرى » بنشرها فى اليوم التالى ، وفى نفس العدد أيضا اشارة الى بعض برقيات التهانى التى أرسلها بعض الوفديين و .. و ..

وفى ٧ فبراير ١٩٤٢ ينشر المصرى وثائق تشكيل الوزارة الوفدية الجديدة كما ينشر كلمات لمصطفى النحاس باشا ومكرم عبيد باشا ..

وفى كلمة النحاس : دعونا نعمل فى هدوء فان المهام جسام ، والوقت يمر مر السحاب نحذر اللاعبين أو الدساسين أو المغرضين اذا ساروا فى طريقهم لاننا سنأخذهم بالحزم والعزم الأكيد قضاء على كل حركة يراد من ورائها الاضرار بالبلاد » .

وفى كلمة مكرم عبيد : لقد كنت قبل حضوركم الى منشغلا بشئون التموين ولعلكم أردتم أن تكونوا أكرم منى احساسا فحضرتم الينا لكى أمون نفسى بشعوركم .. ويطلب مكرم عبيد من عمال المطبعة الأميرية بالذات وهم يعلمون انى صديق لهم أن يرجعوا الى أعمالهم اليوم بكل هدوء .

ويقول مكرم عبيد أيضا : لقد سميتمونى وزير الشباب وانى لأرجو الله وقد حرمنى مظهر الشباب وعمر الشباب ، أن يهبنى قوة الشباب وعزيمة الشباب ..

ويقول مكرم عبيد أيضا : ان مصطفى النحاس لايمتاز بوطنيته ، أو وفديته فقط بل يمتاز بنزاهته وستعلمون قريبا انه كانت هناك أيد غير نزيهة تمتد الى جيوب الفقراء ، ليشبع أصحابها ، وتجوعوا أنتم أما نحن فسيكون شعارنا اما أن نشبع معا ، أو نجوع معا ، أو أفضل من هذا وذاك أن نجوع لنشبعكم ولكن ثقوا أننا سنجوع لنشبعكم » وعندما يهتف شباب الأزهر : يحيا مكرم صديق الأزهر يقول مكرم عبيد بل قولوا مكرم ابن الأزهر ، ذلك لأن الجامعتين الأزهرية ، والملكية كانتا مهد الثورة وأنا ابن الثورة !

ويصل الى قصر عابدين وفد من ضباط الجيش من جميع الرتب والأسلحة يتقدمهم ابراهيم عطا الله باشا رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصرى ، ويصطف ضباط الجيش فى البداية على هيئة هلال ويطل عليهم الملك من شرفة عابدين شاكرا لهم ، كما يصل الى قصر عابدين الأمير محمد على الذى يقابل الملك ويزور النحاس ضريح الملك فؤاد وضريح محمد على ، ويتوافد على القصر طابور من طلبة البوليس وبلوكات النظام وينصح شيخ الجامع الأزهر طلبة الأزهر ، باللجوء الى السكينة داعيا الله أن يشرح صدورهم للعمل ويعينهم عليه » ..

ولم يفتح ملف ٤ فبراير ١٩٤٢ فى عهد وزارة النحاس باشا ، التى أقيلت فى أكتوبر ١٩٤٤ ولكن فى فبراير ١٩٤٥ ، تنشر الأهرام محضر اجتماعى عابدين فى ٤ فبراير ١٩٤٢ وكان محمود حسنن باشا كبير المستشارين الملكيين الذى استقال من منصبه فى اليوم التالى ، احتجاجا على قبول النحاس باشا الحكم هو الذى سجل هذين المحضرين ، وتعاتب صحيفة البلاغ ، الوفدية زميلتها الأهرام على خروجها ، عن حيادها التقليدى وسيرها وراء المهاترات الحزبية .

ثم يثار الموضوع مرة أخرى فى نوفمبر ١٩٤٥ ويكون مصطفى النحاس باشا هو الذى أثاره فى عيد الجهاد ـ ١٣ نوفمبر ١٩٤٥ ـ وترد صحف السعديين ، والأحرار الدستوريين والكتلة الوفدية على ما جاء فى خطاب النحاس باشا وتشتعل المعارك .

ويدخل فى تلك المعارك محمد محمود خليل بك الذى كان رئيسا لمجلس الشيوخ عند وقوع حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ وكذلك عبد السلام فهمى جمعة وأحمد ماهر ، وكذلك يدخل فى المعركة مكرم عبيد باشا واسماعيل صدقى باشا ومحمود سليمان غنام و .. و ..

ويشترك فى المعارك من الصحفيين عباس محمود العقاد ، وعباس حافظ، وأحمد قاسم جودة ، وعلى أمين ، وحافظ محمود وكامل الشناوى و .. و ..

وينشر مصطفى النحاس باشا بيانين حول أحداث ٤ فبراير ١٩٤٢ ، وتنشر صحيفتا « الوفد المصرى » و « البلاغ » أولهما ، وتنشر الأهرام ، والمصرى نقلا عن الأهرام البيان الثانى ، والجديد ، فى هذين البيانين ، رد النحاس باشا على القانونى الكبير محمود حسن باشا ويحمل النحاس باشا على القانونى الكبير، ويقول : « لعله كان يطمع فى أن يشترك فى الوزارة القومية التى ألحوا على فى قبول تأليفها » ، كما يقول أن ما سماه القانونى الكبير محضرا لجلستى اجتماع ٤ فبراير ١٩٤٢ قد تضمن تشويها ، لكثير من الحقائق يضطرنى الى تصحيحها وضعا للأمر فى نصابه ودفعا ، لكل خطأ مقصود ، أو غير مقصود فى هذا الموضوع الخطير ، وبخاصة وقد نسب القانونى الكبير فى كلامه عبارات فقهية الى أسمى مقام » .

يقول مصطفى النحاس فى بيانه الثانى ـ أنه كان أول المتكلمين ، وليس أحمد ماهر باشا ، كما يقول النحاس باشا أنه وافق ، على الاحتجاج على الانذار بدون تردد وكنت أول الموقعين على الاحتجاج .

وينفى مصطفى النحاس أن يكون قد ذكر فى الاجتماع أن هؤلاء الناس ـ الانجليز ـ محرجين وأخشى اذا رفضت قبول الوزارة أن يلجأوا ، الى تصرفات خطيرة قد يكون فيها ضرر كبير ، ويصحح النحاس العبارة ، التى قالها فى هذا الصدد ، وهى لا تخرج عما ذكر فى شهادته أمام محكمة الجنايات كما ينفى مصطفى النحاس أن الملك طلب اليه بعد انصرافه من القصر ، فى الاجتماع الثانى أن يمر على دار السفير البريطانى وبلغه أنى كلفت بتشكيل الوزارة لانه طلب ذلك الى جلالته !! ويقول مصطفى النحاس أن الملك لم يقل له أن السفير البريطانى طلب اليه ..

وقد كنت ـ مصطفى النحاس ـ معارضا فى الذهاب ليلا ، الى دار السفارة ولكن جلالته أمرنى بذلك فكان من المتعين ، كما أوضحت فى بيانى معالجة الموقف مع الانجليز .

وينفى مصطفى النحاس أيضا أن الملك قال له عندما كلفه بتشكيل الوزارة أنه يستطيع ـ أى مصطفى النحاس ـ أن يعتمد على جلالته ، فى تسهيل الأمور وأن يعتمد أيضا على مساعدة السفير البريطانى الذى وعد بذلك ، ويقول مصطفى النحاس أن الشطر الأول من العبـــارة صحيح ، أما الشطر الثانى ، الخاص بالاعتماد على السفير البريطانى فلا أصل له » ٠

وأعتقد أنى بذلك كله قد نقلت وجهة نظر النحاس باشا والوفد المصرى فيما يتعلق بأحداث ٤ فبراير ١٩٤٢ ، بكل أمانة ودقة وينبغى علينا ، أن ننقل وجهة نظر البريطانيين ، نقلا عن السفير البريطانى ، والوثائق البريطانية ، وبعد ذلك ننقل وجهة نظر خصوم الوفد المصرى ، لتكون الصورة كاملة تماما ٠٠

على اننى أرى قبـل أن أنتقل الى توضيح وجهـة نظـر البريطانيين فى ٤ فبراير لابد وأن أشير الى خطاب تلقاه مكرم عبيد باشا من الدكتور زكى ميخائيل بشارة قد يكون له دلالة هامة قبل دراسة الوثائق البريطانية ٠٠

يقول د. زكى ميخائيل بشارة فى خطابه الى مكرم عبيد باشا رئيس الكتلة الوفدية :

بعد التحية : طلبتم الى معاليكم أن أكتب بيانا مفصلا ، عن الوقائع التى وقعت أمامى فى فندق ونتر بالاس فى الأقصر فى يناير ١٩٤٢ وهى التى كنت أخبرت معاليكم وبعض اخواننا بها بعد انفصالنا عن الوفد وتتعلق بمقابلة بعض البريطانيين لرفعة النحاس باشا ، وفيما يلى ما حدث تفصيلا أسرده متوخيا وجه الحق بدون تعليق :

« فى صباح أحد أيام الأسبوع الثالث من شهر يناير ١٩٤٢ كنت جالسا ببهو فندق ونتر بالاس بالأقصر انتظارا لنزول رفعة النحاس باشا من غرفته لملازمته كعادتى طوال أيام بقائه ضيفا على مدينتنا « الأقصر » ٠٠

واذا بجناب الماجور فلور وهو صديقى من أمد بعيد قدم الى محييا واستفسر منى عن موعد نزول الباشا من غرفته ، لانه يريد أن أعرفه به ليتحدث معه ، وبعد قليل حضر رفعة النحاس باشا وقدمت اليه جنابه فاستأذن الماجور فلور رفعته فى أن يصحبه الى حديقة الفندق ، لأنه يريد التحدث مع رفعته ، وفعلا انصرفا معا وحدهما ، وبعد أكثر من نصف ساعة عاد النحاس باشا وعلائم البشر على محياه وقال لى : أن صاحبك فاتحنى فى سياستى ، نحو الحليفة لو عدت الى الحكم وبالأخص فى مسائل التموين وقد قلت له ان سياستى هى كفاية حاجة البلاد من محاصيلها ، وما زاد على احتياجاتنا سوف نقدمه الى حليفتنا عن طيب خاطر ، فأقررت رفعته على وجهة نظره ، ثم قال لى : ان الماجور فاتحه أيضا فى كثير من المسائل السياسية ولم يخبرنى رفعته بشىء منها وفى مساء نفس اليوم كنا نجلس بعد تناول العشاء ، باحدى صالات الفندق ، فحضر جناب الماجور

فلور ، وبرفقته ضابط بريطاني آخر برتبة ملازم أول فقدمه الماجور الى رفعة النحاس باشا ثم طلبا من رفعته الاختلاء به فقام ثلاثتهم وانتحوا ركنا بعيدا من القاعة ، واستمروا فى حديث استغرق أكثر من نصف ساعة ، على غير مسمع منا ثم انصرف الضابطان وغادر رفعة النحاس باشا وجلس بجوارى ، وعلى وجهه علامات الانشراح ، وقال لى : ان الضابط الذى جاءنى الليلة قد فاتحنى فى مسائل دقيقة ودخل الغويط ولكن من يا ترى هذا الضابط الصغير ، الرتبة ، ليتحدث معى فى مثل هذه المسائل الخطيرة ٠

فقلت لرفعته أن ما استلفت نظرى أنه برتبته العسكرية الصغيرة . كان يتقدم الضابط الأكبر منه فى السير ، وفى الجلوس ولذلك أظن أنه رجل متنكر فى زى ضابط صغير ، اخفاء لشخصيته الحقيقية ٠ فقال رفعته : ان هذا الضابط هو الذى كان يدير ، الحديث والماجور يستمع فقط ، ثم فاتحنى رفعته فى مسائل التموين وتحدثنا فيها طويلا ٠

ويمضى الدكتور ميخائيل بشارة ، عضو الكتلة الوفدية فى رسالته الى مكرم عبيد باشا : بعد هذه الوقائع بيومين أو ثلاثة أيام كنا فى وداع السيدة الفاضلة حرم رفعة النحاس باشا وكانت عائدة من الأقصر ، ومعها الأستاذ فؤاد سراج الدين باشا بعد ذلك ٠

وقبيل قيام القطار بثوان معدودات نزل من عربة النوم بالقطار ضابط بريطاني آخر ، برتبة ملازم أول أيضا وقال لرفعته : أظن أننى أصافح رفعة النحاس باشا وأننى سعيد أن أصافح الرجل الذى سيكون فى الحكم قريبا جدا ، ونص الجملة بالانجليزية حرفيا هو :

I have the pleasure to shacke hands with the man who is coming into power very soon.

ثم قفز الى القطار المتحرك ٠٠

وفى أثناء عودتنا للفندق ، قال لى رفعته ماذا قال هذا الضابط ؟ لقد كان يتكلم بالانجليزية بسرعة فلم أتبين قوله فذكرت لرفعته نص العبارة المذكورة ٠

فقال لى : ان شاء الله خير ٠٠ هذه الوقائع ، كما حدثت وكما سبق أن ذكرتها لمعاليكم أقررها مستشهدا الله على صدق ودقة كل حرف فيها ، اثباتا للواقع واحقاقا للحق وتسجيلا للتاريخ ولنا بعض الملاحظات على رسالة د٠ زكى ميخائيل بشارة ٠

الفصل الخامس

وجهة النظر البريطانية الرسمية في ٤ فبراير ١٩٤٢

استكملنا أقوال مصطفى النحاس باشا رئيس الوفد المصرى ونشرنا بعض أقوال الصحف الوفدية فى مأساة ٤ فبراير ١٩٤٢ ، عقب وقوع تلك المأساة ، وعند اثارتها لأول مرة بصورة علنية فى فبراير ١٩٤٥ وعند اشتداد المعركة بين الأحزاب السياسية حولها فى نوفمبر ١٩٤٥ ، وقد كان من الضرورى أن نركز على توضيح وجهة نظر رئيس الوفد والصحف الوفدية فى هـذه المأساة باعتبار أن رئيس الوفد المصرى ، والوفد المصرى ، كانوا من أهم أطراف تلك المأساة .

وكنت فى نهاية الفصل السابق قد نشرت خطابا أرسله د. زكى ميخائيل بشارة الى مكرم عبيد باشا خاصا ببعض المقابلات ، التى تمت فى الأيام السابقة لمأساة ٤ فبراير ١٩٤٢ بين النحاس باشا ، وبعض البريطانيين ، وأهمية هذا الخطاب ــ فى نظرى ــ تكمن فى أن مرسله د. زكى ميخائيل بشارة ، كان من أقطاب الوفد ، وشيوخه ، ومن الذين عرف عنهم الصدق ، والنزاهة ، والأمانة واذا كان هناك ما يوجب التحفظ فى اعتبار تلك الرسالة وثيقة تاريخية ، انها لم ترسل ، الى مكرم عبيد باشا الا فى نوفمبر ١٩٤٥ بعد أن خرج ، أو أخرج مكرم عبيد باشا من الوفد وخرج معه د. زكى ميخائيل بشارة ورغم هـذا التحفظ الذى أبديه على رسالة د. زكى ميخائيل بشارة فاننى أعتقد ــ وهذه مسألة شخصية بحتة ــ فى صدق الدكتور بشارة وفى أن ما قاله عن حدوث مقابلات بين النحاس باشا وبين بعض البريطانيين فى الأقصر ، من الأمور المتوقعة والمنتظرة فى مثل تلك الأوقات العصيبة .

أما موضوع الضابط البريطـانى الذى صافح النحاس باشا وقال انه سعيد ، لمصافحة الرجل ، الذى سيكون فى الحكم قريبا ، فقد أثير أثناء نظر

قضية الاغتيالات السياسية (قضية مقتل أمين عثمان باشا) وقد سئل النحاس باشا عن هذه الواقعة ، فلم ينفها ، ولم يثبتها ، كل ما قاله : أنه لا يعرف اللغة الانجليزية » . وكان حرصي على نشر رسالة الدكتور زكى ميخائيل بشارة ، ــ رغم تحفظى على اعتبارها وثيقة من الوثائق ــ أننى عرفت من مصدر أمين لا يرقى اليه الشك أنه بعد أيام قلائل من وقوع مأساة ٤ فبراير ١٩٤٢ قابل الأميرالاى محمد كامل عبد الرحمن ، وكان ضابط الاتصال مع الجنرال ستون قائد القوات البريطانية في مصر ، الذى قال له أن مقابلة تمت بين النحاس باشا ، والجنرال ســتون فى أسوان فى أواخر يناير ١٩٤٢ وقد حضر أمين عثمــان باشا ، تلك المقابلة التى تمت فى فندق كتراكت ، تم فيها ــ كما يقول الأميرالاى محمد كامل عبد الرحمن ــ اعداد كل شيء ويحتمل أن تكون هــذه المقابلة قد تمت ويحتمل ، أن تكون بعض القضايا العامة قد نوقشت فى تلك المقابلة بما فيها أزمة الحكم ، التى كانت تتعرض لها مصر وقتئذ » .

وللحقيقة وللتاريخ أيضا أنشر هذه الرواية نقلا عن المصدر الذى أكن له كل تقدير واحترام وفى نفس الوقت أقول اننى لم أجد فى وثائق سير مايلز لامبسون ، ولا فى مذكراته ما يشير الى تلك المقابلة وقد كان هناك صراع بين السياسيين البريطانيين والعسكريين البريطانيين ــ فى مصر ــ خلاف دائم ، وحاد ، وكان العسكريون يتشككون دائما فى خطط سير مايلز لامبسون ويرون أنها معوقة للمجهود العسكرى الخاص بالحلفاء .

وأعود بعد ذلك الاستطراد الهام والضرورى من وجهة نظرى على الأقل ، الى الوثائق البريطانية والى مذكرات لورد كيلرن ــ سير مايلز لامبسون ــ وهى المذكرات التى ترجم أجزاء كثيرة منها وبدقة وأمانة بالغتين الزميل الأستاذ كمال عبد الرءوف . يقول سير مايلز لامبسون .. عن يوم الاثنين ٢ فبراير ١٩٤٢ :

« بدأت الأمور تتطور بسرعة ، أكبر مما كنت أتوقع ، فقد اتصــل بى رئيس الوزراء ــ حسين سرى ــ وأنا على مائدة الافطار ليقول لى أنه مضطر الى تقديم استقالته فى الثانية عشرة والنصف بعد ظهر اليوم ، وأنه لا يستطيع تأجيلها ، كما اتفقنا حتى يوم الثلاثاء وعلى الفور كلمت حسنين باشا رئيس الديوان ، بالتليفون وطلبت موعدا لمقابلة الملك فى الساعة الواحدة تماما وحاول حسنين أن يراوغ معى ، وأن يماطلنى ، ووجدت نفسى مضطرا الى استخدام عبارات قوية ، وجافة معه واتصل حسنين باشا بعد ذلك ليعترض على الطريقة الخشنة التى كنت أحدثه بها ، وأوضحت له اننى سوف أكون فى القصر ، فى الواحدة تماما ما لم أسمع منه شيئا يجعلنى أعدل عن هذا الموعد » .

وفى نفس الوقت عقدنا اجتماعا فى السفارة حضره الجنرال أوكلنك وباقى القادة العسكريين لمنطقة الشرق الأوسط وبحثنا فى هــذا الاجتماع احتمــال استخدام القوة العسكرية ضد فاروق وكعادة العسكريين أبدى أوكلنك شيئا

من التردد والقلق ودارت مناقشات طويلة حاولت خلالها أن أمسك أعصابى ، ولكن ذلك لم يمنعنى من الانفجار غضبا مرة ، أو مرتين وكان من الواضح أن العسكريين يريدون أن يكون كل شيء مضمونا ١٠٠٪ وكانوا يطلبون تأكيدات لا نستطيع أن نقدمها لهم ، مثلا كانوا يسألون : أليس من الممكن أن تحدث ثورة فى البلد ، ماذا نفعل اذن ؟ وأمكننا بعد وقت طويل ، اقناع العسكريين بخطتنا واتفقنا على ضرورة اجتماعى مع الملك فى الواحدة بعد ظهر اليوم ، وأن أعرض عليه خمس نقاط تتعلق :

أولا : ضرورة وجود حكومة تنفذ معاهدة ١٩٣٦ ، نصا وروحا وأن تكون تلك الحكومة .

ثانيا : قوية وقادرة على الحكم ، ولها تأييد شعبى كاف .

ثالثا : وهذا يعنى ضرورة تكليف النحاس باشا بتشكيل الوزارة ، بوصفه زعيم الأغلبية فى البلاد ، ويجب التشاور معه فورا ، من أجل تأليف الوزارة الجديدة .

رابعا : ولابد أن يتم ذلك قبل ظهر غد (الثلاثاء ٣ فبراير) .

خامسا : الملك فى نظرنا مسئول عن أية اضطرابات قد تحدث فى هذه الأثنـــاء » .

وقد سبق لنا أن أشرنا ، الى ملخص لمـــا جرى بين الملك وســير مايلز لامبسون فى هذه المقابلة التى أكد فيها الملك أنه يسعى لتأليف حكومة قومية وانه لا يوجد غير النحاس باشا يستطيع أن يقود هذه الحكومة ومن حسن الحظ — فاروق يقول — ان علاقته بالنحاس أفضل الآن !

ويروى لامبسون ، أن حسنين باشا قال له ، بعد مقابلة الملك للامبسون — أننا اذا استدعينا النحـاس بالطريقة التى تطلبها — أى يطلبها لامبسون — وكلفناه بتشكيل الوزارة فانه سوف يكتسح البلد كله ، ولن يكون هناك فرصة أمامنا ، لقيام معارضة منظمة من السعديين والأحرار ، لتكون كالفرامل التى نستطيع أن نستخدمها مع الحكومة الجديدة ، ويقول لامبسون أنه ذكر لحسنين أنه يشك فى قبول النحاس أو الوفد الاشتراك فى أية وزارة ائتلافية كما وأنه — أى لامبسون — أكد لحسنين قبل انصرافه من مكتبه : آمل أن أسمع غدا أن النحاس قد استدعي الى القصر للتشاور معه ، وأن يحدث ذلك قبل ظهر غد وآمل أن يتم الاتفاق مع النحاس بوصفه زعيم الأغلبية وتسانده جماهير الشعب على الخطوات القادمة ومن الضرورى أن يوافق النحاس على ما سوف يحدث سواء كانت النية تشكيل وزارة مؤقتة ، أو وزارة ائتلافية !

ويقول لامبسون أيضا انه حاول فى المساء ايفاد سمارث ، الى حسنين باشا لتؤكد له مرة أخرى مطالب البريطانيين ولكن سمارث أصيب بأنفلونزا ، فأوفد

بدلا منه تبرانس شون الذى لم يتمكن من العثور على حسنين باشا وكنت ـ لامبسون ـ واثقا من أنه اختفى عن عمد ، وأنه لا يريد أن يقابل ممثل السفارة وكلفت شون ، أن يترك له في مكتبه خطابا بطلباتنا وأن يكتب على المظروف شخصى ، وعاجل !

وعن يوم الثلاثاء ٣ فبراير يقول لامبسون فى مذكراته : من حسن حظنا أن أمين عثمان باشا طلب أن يقابلنى فى الحادية عشرة صباحا ـ وأمين عثمان باشا خريج كلية فيكتوريا ، بالاسكندرية وجامعة اكسفورد بعد ذلك وقد لعب دورا غير عادى كرجل اتصال بيننا وبين الوفد ، وكان وزيرا للمالية ، سنتى ١٩٤٣ ، ١٩٤٤ وقد قتل بالرصاص سنة ١٩٤٦ ـ وقد قابلته ، وتحدثت اليه بصراحة عن الموقف وأوضح لى أنه قادم بموافقة من النحاس باشا وبمجرد ، أن بلغنى أن النحاس باشا مستعد لتولى الحكم اذا ساندته السفارة قلت له : ان هناك أشياء معينة يجب أن يعرفها النحاس باشا قبل أن يتخذ قراره النهائى وان هـذه الأشياء أثارتها وزارة الخارجيـة البريطانية فى لندن وقال لى أمين عثمان باشا : أنه لا يعتقد ان النحاس باشا سوف يعترض على ملاحظات لنـدن واتفقنا على أن نرجىء الحديث فى ذلك ، الى ما بعد تولى النحاس الوزارة » ٠

ويقول لامبسـون : ان أمين عثمان باشا سـأله : ماذا تقترح أن يفعل النحاس باشا ، بعد ظهر اليوم فى القصر !

ويقول لامبسون : أنه قال لأمين عثمان : ان هذا طبعا يرجع الى النحاس باشا نفسه ولكن من جهة أخرى فان اعتقادى الشخصى ـ اعتقاد لامبسون ـ أنه ينبغى أن يرفض أية فكرة يقدمها القصر ، عن الحكومة المؤقتة ففكرة الحكومة المؤقتة ليست الا لعبة من القصر ، حتى تمر العاصفة ، وبعد ذلك تعود ألاعيب القصر مرة أخرى ومن ناحية أخرى فاننى أعتقد ان النحاس باشا ، يجب أن يطالب بحكومة ائتلافية حتى يدعم مركزه فى البلاد ولو أنى كنت أعتقد ان ذلك صعب تحقيقه ٠ ويقول لامبسون : قال لى أمين عثمان باشا : انه سيعود الى النحاس باشا ليعرض عليه الموقف ، ويرى ماذا يقول ؟

ويقول لامبسون : ان حسين سرى اتصل به ليسأله عن آخر الأخبار وان حسين سرى قال له ان الحكومة المؤقتة لن تنجح مطلقا ، وان الحكومة الائتلافية قد تكون مجرد فكرة طيبة وأن الحل ، الوحيد هو أن يشكل الوفد الوزارة ويقول سير مايلز لامبسون بالحرف الواحد : استمر الموقف هادئا حتى الساعة الثانية بعد الظهر وعاد أمين عثمان باشا ، ومعه رد النحاس ٠ وكان الرد يقول : ان النحاس باشا كان مستعدا فى وقت سابق لقبول فكرة حكومة محايدة أما الآن فانه ضد هذه الفكرة ، كما أنه أيضا ضد فكرة حكومة ائتلافية لان حالة البلاد سيئة للغاية ومن المؤكد ، أن بعض أعضاء تلك الحكومة سيكونون من رجال الملك ولهذا فان النحاس باشا ـ كما يقول على لسانه أمين عثمان باشا

لن يكون فى وضع يتيح له تسليم البضاعة ، لنا وبمعنى آخر تقديم ما نريده منـــه !

وقال لى أمين عثمان – قال للامبسون بالطبع – ان الوفد سيتعاون مع السفارة حتى لو لم تكن هناك معاهدة وأن روح معـاهدة ١٩٣٦ تعنى التعاون التام بين الجانبين وانه اذا كان النحاس باشا قد تعاون مع السفارة فى زمن السلم مرة فانه مستعد أن يتعاون معها فى زمن الحرب عشر مرات ولكن كل ما يطلبه هو أن تطلق يده وأن يكون حـرا فى اتخـاذ قراراته ، وخصوصا ، فيما يتعلق بالقصر ، ان النحاس باشا يريد ديمقراطية حقيقيـة فى البلاد . بينما الملك لا يريدها !

وقال لى أمين عثمان باشا أيضا : ان النحاس لا يريد أن يظهر كمن يجرى وراء الانتقام من الملك ولكنه يريد أن يوضح لى – للامبسون – أن أية حكومة ائتلافية أو محايدة لا أمل فيها .

ويقول سير مايلز لامبسون : أنه فى لقائه بأمين عثمان باشا قد اتفقا على النقط التالية : ان الموقف بلغ من السوء درجة لا يمكن أن تنجح معها أية حكومة ائتلافية ، أن النحاس باشا يجب أن يبلغ الملك فاروق انه لا يثق فى تعـاون الأحزاب الأخرى معه باخلاص وأنه ما زال يخشى المؤامرات والدسائس التى قد تحاك له فى حكومة ائتلافية ولهذا فان النحاس باشا يرى أن الحل الوحيد أن تكون هناك حـكومة وفدية خالصـــة على أن تخصص دوائر معينـة للأحزاب الأخرى ، فى الانتخابات وعلى أن يتم تكوين مجلس استشارى من زعماء الأحزاب الأخرى كنوع من الرمز للائتلاف .

ويقول سير مايلز لامبسون ان أمين عثمان اتصل به تليفونيا ليقول ان النحاس باشا فى القصر ولم يستطع تبليغه الرسالة التى اتفق واياه عليهـا ، و .. و ..

ويقول سير مايلز لامبسون : أن أمين عثمان باشا عاد الى الاتصال به مرة أخـرى لتبليغه ما جـرى فى القصر وكيف أن الملك طلب منه تشكيل حـكومة ائتلافية ، ولكن النحاس رفض وقدم أسبابا قوية لرفضه وان النحاس باشا عرض أن يشـكل وزارة وفدية تتحمل وحدها المسئولية رغم خطورة الموقف ويقول لامبســون : انه بعث فى طلب أحمـد حسنين وبلغه أنه قد عـرف بكل ما جرى فى القصر بين الملك والنحاس باشا ، وطلب منه تبليغ الملك – أنه – أى لامبسون – يرى أنه يجب إستدعاء النحاس باشا وتكليفه بتشكيل الوزارة . ويقول لامبسون لحسنين : يجب الا تكون هناك مفاجآت أخرى من القصر واننى سوف أعقد مجلس الحرب فى السفارة فى الساعة العاشرة صباح اليوم التالى وحاول حسنين كعادته أن يماطل ولكننى أوضحت له أننى أعنى ما أقول وقبل أن ينصرف قلت له مذكرا : لا تنس يا حسنين باشا أن تبلغ الملك أنه يتحتم

عليه أن يستدعي النحاس باشا وأن يكلفه بتشكيل الوزارة ويقول لامبسون أن أمين عثمان اتصل بعد أن انتهت مقابلته لأحمد حسنين ليسأله عن آخر الأخبار فروى له ما دار في لقائه بأحمد حسنين ، وان أمين عثمان ، اتصل به في منتصف الليل ليسأله عن الأخبار وقال : لا يوجد جديد حتى الآن .

وعن يوم الأربعاء ٤ فبراير ١٩٤٢ قال لامبسون : انه سمع في الصباح ان هنري هوبكنسون من وزارة الحرب البريطانية ينتظره في مكتبه لأمر هام ، وانه عندما التقى به قال له ان حسنين باشا اتصل به وطلب أن يقابله وانه — أي هنري هوبكنسون — قد وافق ، على الذهاب الى مكتب حسنين باشا ، ليبحث معه الموقف : ويقول لامبسون قلت لهوبكنسون بصراحة : انني لا أوافق بتاتا أن تذهب الى حسنين باشا ، أو أن تراه ! ويقول لامبسون : أنه قال لهوبكنسون : ان هناك طريقتين لمعالجة مسألة دقيقة مثل هذه المشكلة مع القصر : الطريقة الأولى : أن يظل المرء حازما ، وأن يرفض أي حلول وسط كتلك التي يعرضها حسنين باشا ، والطريقة الثانية ، أن يتدخل آخرون في العملية لافسادها وأنه اذا تدخل آخرون من العسكريين أو من وزارة الحرب في مشكلة القصر فسوف أنفض يدي منها تماما ويقول لامبسون ، أنه أوضح وجهة نظره التي عبر عنها لهوبكنسون في مجلس الحرب وأن مجلس الحرب وافقه على وجهة نظره وفي مجلس الحرب اتفقنا — لامبسون — على أن أقابل الملك وأن أبلغه الانذار التالي : وقد سبق لنا نشره ، واتفقنا في مجلس الحرب أيضا أنه اذا لم ينفذ الملك ما طلبناه حتى الساعة السادسة مساء فاننا يجب أن ندرس الأمور من ناحيتنا وراجعنا تحرك القوات التي سوف نستخدمها في العملية :

وتقرر أن يقود هذه القوات الجنرال ستون واننا يجب أن نتوجه معا — الجنرال ستون وأنا — الى القصر ، ومعنا القوات المطلوبة في الثامنة مساء وأن نطلب من الملك فاروق التنازل عن العرش وحتى لا تحدث مفاجأة داخل القصر أو متاعب من أي نوع تقرر بعد ذلك خطة محاصرة القصر بالتفصيل وماذا بعد اجبار الملك على التنازل واتفقنا على ضرورة أن نصحب الملك معنا خارج القصر سواء وافق أم لم يوافق عن التنازل على العرش .

وأخذنا نناقش طويلا بعد ذلك ما يجب أن نفعله بالملك بعد أن نأخذه من القصر . وقال أميرال البحرية : ان أفضل مكان نضعه فيه أن نحبسه في احدى سفن الأسطول البريطاني .

ولما كانت هذه التفاصيل تخص العسكريين وحدهم فقد تركت الاجتماع واتصلت بفيتز باتريك باشا مساعد رسل باشا في بوليس القاهرة وطلبت منهما — من فيتز باتريك ، ورسل — الاتصال بجنرال ستون كما طلبت حضور والتر موتكتون الرجل الذي أعد وثيقة تنازل ملك بريطانيا عن العرش .

ويمضي سير مايلز لامبسون قائلا :

وعدت الى السفارة وطلبت اعداد وثيقة التنازل بعناية حتى لا يكون هناك أى احتمال للخطأ ثم قابلت حسنين باشا وكان الاجتماع قصيرا وأوضحت اننا هذه المرة نضيء النور الأحمر وأنه ما لم يستجب لطلباتنا فى السادسة مساء فان أمورا خطيرة سوف تحدث • ويقول سير مايلز لامبسون ، أنه كان يتعين عليه بعد ذلك أن يتأكد من المكان الذى سيكون فيه النحاس بعد ظهر ذلك اليوم حتى يمكن الاتصال به واستدعاؤه للقصر فى أية لحظة وأنه فى الساعة الواحدة، بعد الظهر تمكن من الاتصال بأمين عثمان باشا الذى طلب منه تبليغ ، النحاس باشا بنص الحديث الذى دار بينه ــ لامبسون ــ وبين حسنين باشا وأن يبلغ النحاس باشا أيضا أن من الضرورى جدا ، أن يبلغنا بمكانه اذا احتاج الأمر الاتصال به ، ويقول لامبسون ، أنه قال لأمين عثمان : أمل ألا يكون النحاس باشا قد تراجع فى موقفه ! وأن أمين عثمان قال له : أنه لم يغير موقفه وأنــه ــ أى النحاس ــ قال له أنه يخشى أن تكون السفارة ، هى التى غيرت موقفها ، وقال أمين عثمان للامبسون : لقد طمأنته بنفسى وقلت له أن الانجليز جادون هذه المرة مع الملك •

ويقول لامبسون ، أن أمين عثمان قد بلغ أن الملك استدعى مكرم عبيد باشا الى القصر لمقابلته وانه ــ أى لامبسون ــ أبدى مخاوفه أن يفعل مكرم باشا شيئا يؤثر فى ساعة الصفر التى حددناها للملك وهى السادسة مساء ، ووعد أمين عثمان أن يظل على اتصال بالنحاس باشا طوال اليوم حتى يمكن استدعاؤه فى أى وقت •

ويقول لامبسون أنه تلقى مذكرة سرية ، تتضمن أن مظاهرات فى الشوارع خرجت تهتف بحياة روميل : عاش الملك يسقط الانجليز تقدم يا روميل : وأنه تلقى تقريرا من الزقازيق يقول ان الطلبة هناك يحطمون المتــاجر ويضربون أصحابها المعروفين بتأييدهم للانجليز أو الذين يوزعون منشورات فيها دعاية للإنجليز ، وبعث لامبسون بما بلغه الى الجنرال أوكلينك حتى يستعد لجميع الاحتمالات • وقال أمين عثمان لمايلز لامبسون أن النحاس باشا ، بلغه ــ أى بلغ أمين عثمان ــ أن المعلومات التى لديه ــ لدى النحاس ــ تقول أن الملك يحزم حقائبه وأنه استدعى النحاس لمقابلته فى القصر بعد الظهر •

أزعجتنى ــ لامبسون ــ هذه الأنباء ، وخصوصا ما ذكره أمين باشا من أن الملك يحزم حقائبه وتوجهت فورا للاجتماع بكبار القادة العسكريين لتبليغهم الموقف واتفقنا على أن أفضل شيء نفعله أن نراقب مطارات القاهرة حتى لا يهرب الملك عن طريق أحدها كما اتفقنا على أنه من العبث محاولة مراقبة جميع مداخل القاهرة ، وحتى اذا نجح الملك فى الافلات ، من بين أيدينا وهرب من القصر ، فانه سوف يضر نفسه ولن يلحق بنا نحن ضرر كبير •

ويصل فى الساعة السادسة أحمد حسنين باشا الى دار السفار البريطانية حاملا معه رد الزعماء المصريين على الانذار البريطانى • ويقول لامبسون لحسنين:

هذا أمر خطير جدا ، وأنني سوف أحضر للقصر في التاسعة مساء لمقابلة الملك فاروق ، الا اذا بلغه بعكس ذلك قبل الموعد المحدد ويبدو أن هذا الكلام كان مفاجأة لأحمد حسنين باشا الذى قال ، لا ، لا يمكن يا سير مايلز الا أن نصل الى حل : أنا وأنت معا » ٠

واقترح حسنين انقاذا للموقف أن يرأس بنفسه « حكومة انقاذ وأن يتعهد لى بأن يجرى الترتيبات اللازمة حتى يأتى الوفد ، الى الحكم ، خلال شهرين » ٠ وقلت له أنى أود دائما أن أتعاون معه ولكن اقتراحه غير مقبول بالمرة وحتى لا أجعله يشعر بالمزيد من الحرج وعدته بدراسة الاقتراح مرة أخرى والرد عليه فيما بعد وهنا قال حسنين أنه سوف يبلغ الملك بهذا الاقتراح ولكن طلبت منه ألا يفعل ذلك لقد كان فى نيتى رفض الاقتراح نهائيا ٠

واجتمع مايلز لامبسون بأعضاء السفارة البريطانية فى القاهرة واشترك فى المناقشات الجنرال ستون المشرف على الجانب العسكرى فى العملية وأركان حربه وبلغ مايلز لامبسون الجميع بأنه متمسك بمقابلة الملك فى الساعة التاسعة طبقا للخطة الموضوعة من قبل ووصل أمين عثمان باشا الى دار السفارة وقابل سير مايلز لامبسون وكان أول سؤال وجهه الى أمين عثمان : بماذا تفسر تصرف النحاس باشا وتوقيعه على البيان الصادر من القصر الخاص برفض الانذار ، وهل ما زال فى وسعنا الاعتماد على النحاس باشا اذا استمرت العملية ؟ ويقول أمين عثمان : أنه يراهن بآخر مليم عنده أن النحاس باشا صامد عند موقفه الذى بلغه لنا وأنه اذا كان النحاس باشا فعلا قد وقع على مذكرة الزعماء فلابد أنه اضطر الى ذلك ٠

ويقول سير مايلز لامبسون : أنه بعد أن وافق على صيغة الخطاب الموجه الى فاروق ووثيقة التنازل عن العرش أجرى اتصالا أخيرا بأمين عثمان باشا للتأكد من موقف النحاس باشا قبل أن يتوجه لامبسون الى القصر وأن أمين عثمان قال له : أن النحاس سوف يشكل حكومة وفدية ، اذا دعاه الملك الى ذلك وأنه فى حالة طرد فاروق عن العرش فان النحاس باشا سيوافق أيضا على تشكيل حكومة تتولى أمور البلاد » ٠

ويقول لامبسون : أنه بينما كان على مائدة العشاء هو وكبار مستشاريه قبل أن يتوجه الى القصر أثار أحدهم نقطة جديدة ماذا نفعل اذا قبل الملك فى الساعة التاسعة مساء أن يعهد بتشكيل الحكومة الى النحاس باشا ؟ ويقول لامبسون أنه شخصيا كان مصرا على اجبار فاروق على التنازل عن العرش بعد أن رفض الاستجابة الى مطالب البريطانيين وبعد أن انتهت فترة الانذار الممنوحة له حتى الساعة السادسة ٠ وأن مهمته ــ أى لامبسون ــ عند الذهاب الى القصر ، فى تلك الليلة الحصول على توقيع فاروق على وثيقة التنازل ، وقال لامبسون لمستشاريه : لن أقبل منه التراجع ، وأنه يجب أن يذهب ولكن رأى

الموجودين كان « ان هذا التصرف قد لا يكون مقبولا » « وأنه ليس من الضرورى أن يتمسك بعزل الملك لأنه تأخر ثلاث ساعات عن قبول ما نريده وأن هـذا الموقف قد يضعنا فى موقف حرج وأن البلد قد يثور اذا انتشر الخبر » ٠

وتراجع لامبسون عن اصراره على ضرورة عزل الملك اذا ما استجاب لمطالب البريطانيين ويقول لامبسون أنه وهو فى الطريق الى القصر روى للجنرال ستون تفاصـيل ما جرى على مائدة العشاء فى السفارة البريطانية وقـراره ـ قـرار لامبسون ـ بعـدم اجبار الملك على التنـازل اذا خضع لمطالبنا ووافق ستون لامبسون ، وقال اذا استجاب الملك لمطالبنا فان موقفنا سيكون سيئا اذا صممنا على تنازله عن العرش ٠

ويروى لامبسون تفاصيل ما حدث فى مساء تلك الليلة الرهيبة ، ليلة ٤ فبراير ١٩٤٢ فيقول : فى الساعة التاسعة تماما ، وصلت الى قصر عابدين ومعى الجنرال ستون ، وعدد كبير من الضباط الذين اخترناهم بعناية خاصة والذين كانوا مسلحين حتى أسنانهم ٠

وفى الطريق مررنا بطوابير من المصفحات وناقلات الجنود والدبابات كانت تبدو أشباحا فى الشوارع ، المظلمة وهى فى طريقها هى الأخرى لتأخذ مواقعها حول القصر ، وكانت هذه القوات مكلفة بمحاصرة قصر عابدين أثناء لقائى مع الملك وعندما وصلنا الى باب القصر كانت الدهشة بادية على وجوه الأمناء وموظفى الديوان الذين استقبلونا عند مدخل القصر ، وبينما نحن فى انتظار الملك كنت أستطيع وأنا بالطابق العلوى داخل القصر أن أسمع أصوات الدبابات والسيارات المدرعة تأخذ مواقعها حول القصر ونتيجة لذلك تأخر رجال القصر ٥ دقائق عن الموعد المحدد ، للقائى مع الملك وكنت على وشك أن أصيح فى رجال الديوان أننى غير مستعد للانتظار أكثر من ذلك ، وعندما دعينا للمثول أمام الملك وحاول كبير الأمناء ، أن يمنع الجنرال ستون من الدخول الى القاعة التى تم فيها لقائى مع الملك نحيته جانبـا ودخلت أنا والجنرال ستون الى الملك وبدت الدهشة على الملك عندما شاهد الجنرال ستون معى واقترح الملك أن يحضر حسنين باشا المقابلة ووافقت على ذلك ٠

ودخلت مباشرة فى الموضوع قلت للملك : أننى كنت أتوقع حتى الساعة السادسة مساء أن يجيب بلا أو نعم على رسالتى اليه هذا الصباح وبدلا من ذلك فان حسنين باشا سلمنى فى السادسة والربع مساء مذكرة أعتقد أنها تعنى أن الجواب هو ، لا ، ولهذا السبب فاننى أريد أن أعرف الأمر ، وهنا فى هذا المكان هل جواب الملك فعلا ، هو : لا ٠

وحاول فاروق أن يخرج عن الموضوع ، ولكننى قاطعته على الفور قائلا بشىء من الغضب : يا صاحب الجلالة ، ان الأمور فى منتهى الخطورة ، وأعتقد أنك لا تريد أن تقول نعم ٠

وقلت للملك أيضا بنفس اللهجة الغاضبه أنه مسئول عما يحدث بعد ذلك وقرأت عليه الخطاب الذى أعدته السفارة ، ثم قرأت عليه وثيقة التنازل عن العرش ، ثم طلبت منه أن يوقع الوثيقة فورا والا اضطررت الى استخدام شىء آخر غير سار لمواجهته ٠

وتردد الملك فاروق قليلا ، وفى رأيى أنه كان على وشك أن يوقع وثيقة التنازل عن العرش لولا أن حسنين باشا تدخل وأخذ يتحدث اليه باللغة العربية وبعد لحظات من التوتر الرهيب نظر الى الملك وقال بلهجة خالية تماما من الكبرياء التى اعتاد أن يحدثنى بها :

أليس من الممكن اعطائى فرصة أخرى ؟

وقال الملك أنه مستعد أن يستدعي النحاس باشا فورا ، وفى حضور سير مايلز لامبسون اذا أراد تكليفه بتشكيل الوزارة ، وأنه سيترك للنحاس حرية تشكيل حكومة يختارها بنفسه ، وقال الملك أنه سيستدعي النحاس باشا الآن ٠

وليس هناك ثمة فوارق كبيرة بين ما ذكره سير مايلز لامبسون وبين ما جاء فى الوثائق البريطانية ٠

فى برقية وزارة الخارجية البريطانية الى السير مايلز لامبسون بتاريخ ٢ فبراير ١٩٤٢ : « اذا ما قرر الملك استدعاء الوفد لتشكيل الوزارة على أساس المطالب البريطانية فانه ينبغى أن يضع شرطا مطلقا لموافقتك وهو أن تتاح لك — للامبسون — الفرصة — لمقابلة النحاس قبل أن يستدعيه الملك ! ٠

وفى برقية أخرى من ايدن الى مايلز لامبسون — بتاريخ ٣ — ٢ — ١٩٤٢ اصرار من ايدن على أن يقابل سير مايلز لامبسون النحاس سواء تولى المنصب أو لم يقبله بعد ٠

وفى برقية من سير مايلز لامبسون الى وزارة الخارجية يقول لامبسون أنه يتشكك فى حكمة الاتصال بالنحاس قبل أن يجتمع بالملك ٠

ولا أعتقد — سير مايلز لامبسون — أنه — أى النحاس — يرغب فى لقائى لأن ذلك يحرجه بل يمنعه من الذهاب الى القصر اذا عرفنا اننا نضغط بشدة لنجعله يتفق معنا على الشروط ٠

فى برقية من سير مايلز لامبسون الى وزارة الخارجية البريطانية بتاريخ ٣ — ٢ — ١٩٤٢ يقول سير مايلز لامبسون : ان أمين عثمان وافقه على رأيه فى أنه من الخطأ أن يجتمع بالنحاس قبل أن يجتمع النحاس بالملك ، وفى تلك البرقية أيضا قول لسير مايلز لامبسون ، لم يذكره أبدا فى مذكراته ونعنى به : انه نصح النحاس باشا — عن طريق أمين عثمان باشا — بألا يضع شرطا

لقبوله الحكم ، وهو اجراء انتخابات جديدة فاجراء انتخابات جديدة أمر غير مرغوب فيه ويقول لامبسون فى تلك البرقية أيضا : يستطيع أمين عثمان أن يقول للنحاس أنى أقف وراءه بشرط أن يتصرف بطريقة معقولة ، وانى واثق أن النحاس باشا سيوافق على أن أبقى فى الظل فى الوقت الحاضر وسأظهر فى الوقت المناسب عندما تكون هناك حاجة لمساندتى .

وفى برقية أخرى من سير مايلز لامبسون ٤ فبراير يقول لامبسون نقلا عن أمين عثمان أنه فى الساعة الثانية بعد الظهر جاء الدكتور النقيب كمبعوث للقصر ، وبلغه أن الملك فاروق يعد حقائبه لمغادرة البلاد . وفى تلك البرقية أيضا القول : بأن النحاس باشا سيقول للملك عند بحث موضوع الانذار البريطانى « ان الشخص الوحيد الذى يستطيع أن يعين رئيس الوزراء هو الملك » .

ومن الأمور التى تدعو الى الغرابة ان برقية السفير البريطانى الى وزارة الخارجية البريطانية تمضى فى ذكر ما سيقوله النحاس باشا فى لقائه بالملك : سيقول النحاس ان الموقف فى البلاد قد وصل الى نقطة خطيرة جدا لعدم حكمها عن طريق حزب ديمقراطى ، وسيقول النحاس أنه يعتبر نفسه ممثلا لهذا الحزب الديمقراطى وأنه مستعد لتشكيل حكومة وفدية انقاذا للموقف ، اذا كلفه الملك بذلك » .

وفى برقية أخرى من السفير البريطانى لوزارة خارجيته أنه سيطلب من الملك فاروق أن يعتزل العرش « ولن يكون طلبى على أساس رفضه لتكليف النحاس بتشكيل الوزارة بل سيكون الطلب ابتداء على أساس عدم مسئوليته وأنه أثبت عدم صلاحيته للحكم ، وتنصله من تنفيذ المادة الخامسة من المعاهدة .

فى البرقية التى كتبها سير مايلز لامبسون فى مساء ٤ فبراير وبعث بها الى وزارة الخارجية البريطانية فى اليوم التالى قال ان الملك عندما وافق على أن يطلب الى النحاس باشا تشكيل وزارة وفدية انه سيفعل ذلك من أجل خير بلاده وان الملك شكره فى النهاية لانه ــ أى لامبسون ــ حاول مساعدته دائما .

ويقول سير مايلز لامبسون فى برقيته تلك : عندما عدت الى السفارة بلغتنى رسالة تليفونية من حسنين تعكس قلقا ، ولكنها مسلية وملطفة للجو : سأل حسنين عما اذا كان يمكن الآن سحب القوات لأن جميع المنافذ الى القصر قد سدت ولا يستطيع أحد الوصول بما فى ذلك النحاس ووعدت ــ لامبسون ــ بالنظر ــ فى الأمر .

ويقول لامبسون أيضا : بعد نصف ساعة وصل النحاس الى دار السفارة بعد أن استقبله الملك فاروق الذى تصرف بسرعة وفاء بوعده . وقد كلف الملك فاروق النحاس بمقابلتى وجرى بيننا حديث مرض حضره وزير الدولة : قلت

أنه ينبغي أن أتراجع الى الظل مرة أخرى حتى يشكل النحاس حكومته ويستطيع عندئذ اجراء محادثات عمل ٠

وافق النحاس تماما على أن العنـاصر الشريرة في القصر وخارجه ينبغي استئصالها وأكدت أن رغبتي كانت ولا تزال دائما ، أن أبقى وراء الستار بقدر الامكان وأتركه يتخذ الاجراءات الضرورية التي يراها ٠

فيما يتعلق بأحداث هذا المساء أعترف أنه لم يكن من الممكن أن أستمتع بها أكثر مما استمتعت : كان هناك اغراء شديد على أن أصر على تنازل الملك عن العرش ، وأعتقد أنه كان يمكن الحصول عليه ، ولكن الطريق الحكيم كان يكمن فيما يبدو في السماح له بدعوة النحاس باشا وأنا ــ لامبسون ــ أعترف بذلك ، على مضض ٠

ويتبقى بعد ذلك كله روايات أخرى وأحاديث أخرى لوجهات نظر أجنبية أخرى في مأساة ٤ فبراير ١٩٤٢ ٠

الفصل السادس

فاروق يوشك أن يوقع على وثيقة تنازله عن العرش وأحمد حسنين باشا يمنعه عن التوقيع

أولينا اهتماما خاصا بوجهة النظر البريطانية فى مأساة ٤ فبراير ١٩٤٢ على اعتبار ، أن بريطانيا هى الطرف الرئيسى فى تلك المأساة ، وكنت قد خصصت فصلين سابقين ، لوجهة نظر النحاس باشا ، والوفد المصرى بوصفه طرفا رئيسيا آخر ، فى تلك المأساة ورغم أننى أتحفظ باستمرار على ما يرد فى الوثائق الأجنبية ، أية وثائق أجنبية ولا أعتبرها حجة الا على أصحابها وحدهم ، دون انتقال حجيتها ، الى الآخرين ، الا أننى انزعجت ، حقيقة ــ كمواطن مصرى عربى ــ لما جاء فى الوثائق البريطانية خاصا بموقف حسين سرى باشا من تلك المأساة ، ووقوفه الى جانب بريطانيا ، ووقوفه ضد الملك فاروق ، الذى يمت اليه بصلة القربى •

كنت أتمنى أن تكون ردود الأفعال عند حسين سرى باشا ، الذى رأس الوزارة المصرية ، أكثر من مرة ، موازية للأفعال ذاتها ، دون أن تتجاوزها ، فلا يقف حسين سرى باشا الى جانب بريطانيا ضد القصر وضد الشعب المصرى لان القصر ، أحرجه فى أزمة قطع العلاقات مع حكومة فيشى ، بل كنت آمل ــ كمواطن مصرى عربى ــ أن ينتهى دور حسين سرى باشا عند تقديم استقالته ، من الوزارة ، دون أن يكون واحدا من الذين حرضوا سير مايلز لامبسون ، على أن ينتقم من القصر •

وعلى أية حال فتلك وجهة نظر شخصية بحتة ، أرجو الا أكون قد ظلمت بها حسين سرى باشا !

وأعود ، الى ما أنهيت به الفصل السابق حيث قلت أن هناك وجهات نظر أجنبية ، أخرى ، خاصة بمأساة ٤ فبراير ١٩٤٢ لابد من أن نشير اليها ، لتكون الدراسة عن مأساة فبراير ١٩٤٢ ، كاملة أو شبه كاملة •

وربما كان في مقدمة الكتاب الأجانب المجيدين الذين أرخوا لفاروق الكاتب البريطاني هيوم ماكليف وقد خصص هيوم ماكليف من كتابه : « آخر ملوك مصر » فصلا عن ٤ فبراير ١٩٤٢ أضاف معلومات جديدة عن تلك المأساة يحسن بنا أن نشير اليها · يقول هيوم ماكليف :

كانت لحظة من أكثر لحظات الحرب حرجا ، اذ كانت القوات البريطانية قد عانت من هزائم عنيفة في شمال افريقية ، وفي القاهرة ، كانت الجماهير ، تتدفق عبر الشوارع تهتف لروميل ، وعندئذ دبرت بريطانيا انقلابا في القاهرة ، وقد تم كل شيء في سرية تامة ، ومضت أشهر قبل أن تتردد همسات حول الأحداث الغريبة التي شهدتها القاهرة في ٤ فبراير ١٩٤٢ ، عندما ظهرت الدبابات البريطانية فجأة حول قصر الملك فاروق ، وبينما كانت الهزائم تلحق بالقوات البريطانية في معارك الصحراء كانت جموع الطلبة في القاهرة والاسكندرية تصيح في الشوارع : « فلتسقط بريطانيا » فاتجه الموقف السياسي في مصر ، الى أزمة حادة هزت عرش فاروق هزا عنيفا ·

وتوجه رئيس الوزراء حسين سرى الى الملك فاروق ، طالبا منه تأييده ومساعدته كي يقمع مظاهرات الطلبة فما كان من فاروق الا أن هز كتفيه مما كان يعني الاطاحة بحكومة حسين سرى ·

واتصل حسين سرى في اليوم التالي بالسفير البريطاني لامبسون تليفونيا وأخبره أن فاروق طلب منه أن يستقيل !

وقد رأت بريطانيا أنه من الضروري لها وهي تواجه موقفا صعبا أن تحتفظ بحكومة تراها مفيدة لأغراضها والا فان القاعدة البريطانية في الشرق الأوسط كانت سوف تواجه أخطارا عنيفة ومن ثم تنهار استراتيجيتها العسكرية تماما ، وأبدت الحكومة البريطانية رغبتها في أن يتولى النحاس باشا رئاسة الوزارة ·

وكان النحاس مؤيدا للمعاهدة المصرية البريطانية في ذلك الحين ، وهي نفسها ، المعاهدة التي ألغاها النحاس سنة ١٩٥١ لكن فاروق اختار رجلا كان البريطانيون يكرهونه بشدة ، ولا يثقون به ، وهو رئيس الوزراء السابق على ماهر ، الذي كان مؤيدا للمحور ، وكان يعتقد أن ألمانيا ، وايطاليا سوف تنتصران في الحرب ، وقال البريطانيون أنه كان يتعاون مع الايطاليين ، فاجتمعت لجنة الدفاع التي كانت تضم قادة الأسلحة البريطانية الثلاثة لدراسة الموقف ، وحضر الاجتماع لامبسون وليتلتون الذي كان ونستون تشرشل رئيس الوزارة البريطانية قد بعث به منذ عدة شهور الى القاهرة كوزير دولة له كل مسئوليات الدفاع في مصر ·

وفي ذلك الاجتماع تم بحث مسألة عزل الملك فاروق ·

وفى الساعة الواحدة بعد ظهر يوم ٢ من فبراير ١٩٤٢ واجه سير مايلز لامبسون الملك فاروق فى مكتبه بقصر عابدين ، وفى هذه المواجهة أشار لامبسون الى المادة الخامسة من معاهدة ١٩٣٦ التى تشترط على كل من مصر ، وبريطانيا عدم تبنى أى موقف تجاه دول أجنبية يتعارض مع مواد المعاهدة .

ويقول هيوم : أن لامبسون فى تلك المقابلة طلب من الملك فاروق أن يبعث فى طلب مصطفى النحاس باشا ، وترك له مهلة مدتها أربعة وعشرون ساعة لتنفيذ هذه الصيغة ، ووافق الملك على أن المعاهدة لابد وأن تحترم ، وأنه يجب تعيين حكومة قوية لكنه رفض أن يتولى النحاس باشا رئاستها ، وساند أوليفر ليتلتون الموقف الذى اتخذه السفير فى القصر ووضع الجيش خطة معقدة وصريحة ، لابعاد فاروق عن العرش ، اذا ما قررت هيئة القيادة البريطانية والسفير ضرورة الاطاحة به ، ولكن الى أين سوف ينقلونه ؟

وقدم الجنرال كاتنجهام ، الرد على هذا التساؤل بقوله : لدينا طرادة راسية فى السويس ويمكننا أن ننقله اليها لتقوم بالتجول به فى عرض البحر الأحمر الى أن يقرر السياسيون ماذا سيفعلون به .

وقام ضباط هيئة القيادة العامة ببحث تفاصيل دور الجيش فى ابعاد الملك فاروق عن عرشه وقرروا أن تغادر مجموعة من السيارات البوابة الرئيسية لقصر عابدين ، وتتجه رأسا الى الاسكندرية ، ثم الى بور سعيد لخداع أية تجمعات مؤيدة للملك ، على أن تغادر السيارة التى تقل فاروق من البوابة الخلفية للقصر وتتخذ عدة طرق ، قبل أن تنطلق الى الطريق المؤدى الى السويس ، وتقوم كتيبة يتم انتقاء ضباطها وجنودها بدقة ، بمحاصرة القصر ، اذا ما أصبح على السفير أن يقدم انذارا على أن تتحرك الدبابات الى الميدان المواجه للبوابة الرئيسية لمساندة القوات فى حالة حدوث اضطرابات ، على أن تصحب فصيلة من الضباط السفير لمواجهة الحرس الملكى اذا ما أبدوا أية مقاومة .

ولم يترك أى شىء للصدفة ، وتم وضع مسودة وثيقة التنازل عن العرش ، ومن المصادفات الغريبة ، أن سير والتر مونكتون الذى كان قد صاغ وثيقة التنازل عن العرش ، للملك ادوارد الثامن بسبب اصراره على الزواج من حبيبته دوقة وندسور ، هذا الرجل الذى كان قد وضع وثيقة تنازل ادوارد عن العرش، كان قد تم الحاقه بالسفارة البريطانية فى القاهرة منذ فترة .

ومن الغريب حقا ، أن مونكتون أمضى وقتا طويلا للعثور على قطعة ورق مناسبة يطلب عليها من ملك التنازل عن عرشه اذ أن مثل هذه الورقة كان من الصعوبة وجودها فى القاهرة أثناء الحرب ، ومن كان ينتظر أن يوقع ملك مصر ، وثيقة تنازله على ورقة فولسكاب من أوراق السفارة البريطانية ؟ ونتج عن المجهودات الشاقة التى بذلتها السفارة العثور على ورقة قذرة وتمت كتابة وثيقة التنازل فوق هذه الورقة ، وقرر فاروق أن يخادع ، وقال أنه اذا كان عليه

قبول النحاس باشا فربما يكون فى مقدوره اقناعه بتشكيل حكومة ائتلافية مع وزراء آخرين ، يميل فاروق اليهم .

وفى اليوم التالى اشتعلت جامعة فؤاد ، والأزهر بالمظاهرات والاضطرابات العنيفة على الرغم من أن فاروق كان قد بعث شخصيا ، برسائل الى رئيس جامعة القاهرة ، وشيخ الأزهر ، يطلب منهما أن يحاولا ابقاء طلبتهم هادئين ، وسارت جماهير الطلبة فى الشوارع تصيح بهتافات معادية لبريطانيا .

ويقول هيوم ماكليف : أن أحمد حسنين وصل الى السفارة البريطانية فى الساعة السادسة والربع ـ بعد ربع ساعة من انتهاء الوقت المحدد لانذار الملك ـ وكان القلق يبدو على حسنين باشا ، وقرأ أحمد حسنين على السفير بيانا من القصر يؤكد رفض الزعماء للانذار البريطانى ، الذى هو بمثابة انتهاك شنيع لمعاهدة ١٩٣٦ ، ولاستقلال البلاد » .

وحذر لامبسون أحمد حسنين ـ وبفظاظة ـ من خطورة الموقف وطلب منه أن يبلغ الملك أن لامبسون سوف يتوجه للقائه فى القصر ، الساعة التاسعة مساء ، وأغفل القول بأنه سوف يذهب الى القصر مصحوبا بقوات من الجيش البريطـانى .

ويتساءل هيـوم ماكليف : أكانت لدى الملك فاروق ، أية فـكرة عن أن البريطانيين قد يحاولون اسقاطه بالقوة ؟

ثـم يقـول ماكليف : لقـد تردد يومها أن فاروق قد سأل قادة جيشه فى ذلك الوقت : كم من الوقت يمكن للقـاهرة الصمود ضـد البريطـانيين ؟ فأجابوا : مـدة ساعتين يا سيدى ، فعاد يسـألهم : كم من الوقت تستغرق محاولتهم للقبض علينا جميعـا ؟ فكان الجواب : سـاعتين ونصف السـاعة يا سيدى ؟

وكانت نكتـة لاذعـة لم تفت فاروق ، الذى كان يقـامر على أساس أن لامبسون ، وليتلتون والجيش سوف يتمادون فى موقفهم ، ثم يسعون الى حل وسط ، وعندئذ سوف يبدو فاروق وكأنه قد حقق ، انتصارا عليهم .

ولم يبد على البريطانيين أى تصرف يكشف عما يدبرونه وتم تبليغ موظفى السفارة أن يتناولوا طعامهم بصورة عادية ، فى الخارج لكن عليهم أن ينصتوا الى صفارات الانذار ، التى قد تمنعهم من العودة ، وتم الاتفاق على كلمة « بلغم » ككلمة سر .

ويقول هيوم ماكليف : أن السفير البريطانى والجنرال ستون والقـائد العام للقوات البريطانية فى مصر ، غادرا مبنى السفارة البريطانية قبل الساعة التاسعة مساء ، وبصحبتهما عشرون جنديا تم اختيارهم بدقة و . . و . .

كما يقول ماكليف أيضا : أنه بعد دخول لامبسون ، وستون ومن معهما انطلق بعض رجال البلاط ، الى حجرة الملك حيث أخبروه بأنهم أصبحوا محاصرين من كل جانب ·

ويروى ماكليف عن لقاء لامبسون وستون بالملك فاروق قصة لم يشر اليها لامبسون فى مذكراته أو فى برقياته ، ورسائله التى وجهها الى وزارة الخارجية البريطانية يقول : أن لامبسون بعد أن ذكر للملك أنه نقض المعاهدة المصريه ، وأنه عرض أمن مصر ، وسـلامتها للخطـر ، قد أصبح غـير كفء للحكم وسحب لامبسون وثيقة التنازل عن العرش من جيبه وألقى بها أمام الملك مشيرا الى أنه من الأفضل له أن يوقعها اذا كان لا يرغب فى مزيد من الاضطرابات، فالتقط فاروق الورقة التى تتضمن صيغة التنازل ثم قال متسائلا : انها لا تعدو أن تكون سوى قطعة ورق قذرة ، أليس كذلك ؟ ، وراقب الرجلان عينى الملك وهما تتحركان بينما كان يقرأ النص ببطء ، كما لو كان يتساءل عما سوف يفعله بشأنها ·

ومـد فاروق يده ليتناول قلما من درج مكتبه وانحنى فوق الورقـة ، ليوقعها معلنا تخليه عن عرشه : عدة لحظـات أخـرى ولن تصبح ملكا ولكن عندما تحركت يده للتوقيـع ، أبدى حسنين حركة ما ، اذ تقـدم من الملك بسرعة ، وصاح بعدة كلمات باللغة العربية ، لم يفهمها السفير والجنرال ، فنهض فاروق من انحنائه وقال وقد سالت الدموع من عينيه : الا تعطينى فرصة أخرى ياسير مايلز ؟

وينهى هيوم ماكليف روايته عن مأساة ٤ فبراير بقوله : جاء الآن دور لامبسون كى يتردد اذ كان قد أدخل فى حسابه أن الملك سوف يوقع الوثيقة ، وأنه سوف يتخلص من الصبى الذى كان يكن له كراهية شديدة ، لكنه كان قد وعد ليتلتون بأن فاروق لابد من أن يعطى فرصـة أخـيرة اذا ما طلبهـا · ومـع ذلك فقد أصر لامبسـون على أنه يتعين على الملك أن يبعث لاسـتدعاء النحاس ، وقال فاروق : لسوف أبعث لاستدعائه فى حضورك ، ياسير مايلز وأطلب منه تشكيل الوزارة ·

وهنا تحدث جنرال ستون للمرة الأولى فقال : طبقا لاختياره الخاص ؟ فطاطا الملك فاروق رأسه ·

وهكذا ــ هيوم ماكليف ــ زالت حالة التوتر التى سادت الحجرة ، وقدم الملك سجائر للحاضرين ، وجلس الرجال الأربعة يتحادثون فى غير كلفة عن أمور كثيرة باستثناء السياسة والحرب ، وخلت الصحف الصادرة فى اليوم التـالى من مانشتات تتعلق بما حـدث طبقا لما قررته الرقـابة لذلك ، وكان ما حدث فى ذلك اليوم العصيب فى القاهرة واحدا من أكبر الانقلابات هدوءا

فى التاريخ ، أما خطاب الانذار الذى وجهه السفير البريطانى الى الملك فهـذا نصه :

« يا صاحب الجلالة ، لقد بات من الواضح ، يا صاحب الجلالة ، منذ فترة بعيدة ، أنك واقع تحت تأثير مستشارين ليسوا فقط غير مخلصين للتحالف مـع بريطانيا العظمى ، بل أنهم يعملون فعلا ضـد هـذا التحالف ، وهكذا يساعدون العدو ، كما أن موقفك العام ، واتصالاتك يا صاحب الجلالة ، تعتبر خرقا للمادة الخامسة من معاهدة التحالف ، التى تنص على أن الأطراف الموقعة على المعاهدة يجب الا تتبع سياسة خارجية لا تتفق مع التحالف ، وبالاضافة الى ذلك يا صاحب الجلالة فقد آثرتم عمدا ، ودون أى داع أزمة سياسية حول قرار أتخذته الحكومة المصرية السـابقة ، استجابة لطلب تقدمنا به ، كحلفاء لمصر ، وهو طلب يتفق مع المادة الخامسة من معاهدة ١٩٣٦ ، وأخيرا يا صاحب الجلالة ، فأنكم بعد أن فشلتم فى تشكيل حكومة ائتلافية رفضتم أن تعهدوا بتشكيل الوزارة الى زعيم الحزب السياسى ، الذى له تأييد شعبى فى البلاد ، وهو الوحيد الذى يتيح له موقعه أن يضمن لنا استمرار تنفيذ المعاهدة بروح الصداقة التى تم توقيعها ، وهذه التصرفات الطائشـة والتى اتسمت بعـدم الشعور بالمسئولية من جانبكم يا صاحب الجلالة ، تهدد بالخطر أمن مصر ، وكذلك قوات الحلفاء ، وهكذا أصبح من الواضح أن جلالتكم لستم أهلا بعد ذلك للبقاء على العرش » •

وكانت وثيقة التنازل قد أعدت على النحو التالى :

« نحن الملك فاروق ، ملك مصر ، لما كنا نضع نصب أعيننا دواما مصالح بلدنا ، فأننا نتخلى ونتنازل عن عرش المملكة المصرية بالنسبة لنا ، ولورثتنا ، ونتخلى أيضا عن جميع الحقوق الملكية ، وجميع الامتيازات ، والسلطات التى تخولها لنا هذه الحقوق ، وعلى هذا فاننا نخلى رعايانا أيضا من الالتزام بالولاء نحو شخصنا » •

« صدر فى قصر عابدين فى الرابع من فبراير ١٩٤٢ » •

والجدير بالذكر ، أن النقراشى باشا عندما تقدم بشكوى الى مجلس الامن فى ١١ يوليو ١٩٤٧ ضد الحكومة البريطانية ، وعندما قام هو بعرض شكوى مصر ، أمام مجلس الأمن فى ٥ أغسطس ١٩٤٧ وطالب مجلس الأمن بأن يقرر اجلاء القوات البريطانية جميعها عن وادى النيل ، عن السودان ، وعن أى جزء آخر من الأراضى المصرية ، وأن يكون هذا الجلاء كاملا ، غير مشروط بشرط •

أقـول أشار محمود فهمى النقراشى باشـا ، الى التدخل البريطانى فى أعوام ، ٤٠ ، ٤٢ ، ١٩٤٥ من أجل أسقاط بعض الوزارات المصرية وان التدخل البريطانى فى شئون مصر الداخلية انما كان نتيجة لوجود القوات البريطانية فى مصر •

وقد تولى الرد على اتهام النقراشى باشا ، لبريطانيا بتدخلها فى شئون مصر الداخليــة السيد الكسندر كادوجان فقــال عن أزمتى ١٩٤٠ ، ١٩٤٢ أنهما من ازمات الحرب : كانت قوات المحور تتقدم صوب مصر ، كما هو معروف وفى خلال هاتين الفترتين كانت بعض الشخصيات المصرية التى تحتل مراكز عالية جــدا تبدى تعاطفها نحــو المحور عاملة على عرقلة جهــود الحلفاء الحربية باستطاعتى اذا ما أبدى رئيس الوزارة المصرية • رغبته فى أن أتحدث عن هاتين الحادثتين بالتفصيل والاســهاب مدعما البراهين بالوثائق ، التى جاءتنا عقب انتهاء الحرب ، والتى أثبتت صحتها الأنباء التى وصلتنا ولن تدع هذه الأدلة مجالا للشك لدى أعضاء المجلس فيما أرغمنا الى التقدم لملك مصر وطلب تغيير الحــكومة الأمر الذى حققه الملك ، وبما انى لا أود احراج النقراشى باشــا ، وحكومته على أى حال أكبر مما تستدعيه الضرورة فانى أترك له حرية استئناف المناقشة معه فى هذا الموضوع فاليه يرجع الأمر فيما اذا كان يود ان أعرض الدليل الذى تحت يدى أمام المجلس أم لا يود ذلك وأنا أعترف بمحض اختيارى ان طلبات ١٩٤٢ قد عززت فى اللحظة الأخيرة بمظاهرة عسكرية بيد انى أرغب فى أن أؤكد أن هــذا الحادث هو الحادث الأول والوحيد منذ ١٩٣٦ ، الذى قال عنه النقراشى باشا انه كان عرضا للحرب البريطانية فى شوارع القاهرة •

وكان النقراشى باشــا ــ طيب الله ثراه ــ وقد قال فى مجلس الأمن جلسة ٢٨ أغسطس ١٩٤٧ عن معاهدة ١٩٣٦ ، التى تمسكت بريطانيا بالمادة الخامسة منها لعزل فاروق : لقد فقدت معاهدة ١٩٣٦ فى فترة الاحدى عشرة سنة الأخيرة قوتها وحيويتها لقد أخرستها الحوادث ، ولم يعد صداهــا الا كصدى الأشباح وظلت حتى اليوم ، على انها أثر من آثار أيام القرصنة التى يجهد العالم فى نسيانها ، ولم يبق فيها اليوم الا ما يهدد السلام •

أما الصحفى البريطانى جورج بلانكين ، المحرر الســياسى لجريدة الديلى ميل البريطانية فقد عنى كما يقول د• محمد أنيس عناية خاصة بالتحقيق فى حادث ٤ فبراير واتبع منهجا مقبولا ، فى هذا التحقيق استمع ، الى وجهة نظر السفارة البريطانية ، ثم الى وجهة نظر القصر ثم وضع أخيرا ما استطاع ، ان يصل اليه من حقائق ، من خلال مقابلات متعددة مع عدد من الشخصيات المصرية والأجنبية •

وينقل بلانكين عن سير والتر اسكندر سمارت السكرتير الشرقى البريطانى لدار السفارة البريطانية قوله انه لا يستطيع تبرير اختراق الدبابات البريطانية لقصر عابدين فى مساء ٤ فبراير ١٩٤٢ وعن خلفيات هذا اليوم يقول بلانكين : كان الملك يتلقى نصائح على ماهر وكان من المستحيل وجود حــكومة تترك الاشتغال بالسياسة فى ظروف أزمة دولية كبرى ، وقد وجد حسين سرى باشا صعوبة كبرى فى اغلاق المفوضية الفرنسية التابعة لفيشى التى كانت تعمل علانية فى القاهرة ضد جهود الحلفاء وغضب فاروق ، غضبا عنيفا ، الى حد اضطر معه سرى باشا الى تقديم اســتقالته وللمرة الثانية كان رومبل يتقدم

بسرعة نحو مصر وسقطت بنغازى ، وكانت غالبية المصريين تعتقد ان الانجليز سيهزمون وخرجت المظاهرات تطوف بأسوار قصر عابدين هاتفة بحياة روميل ، وتذكرنا فى هذه الأونة ان الجنرال ويفل حين كان يتقدم بسرعة فى آخر مرة عام ١٩٤١ عثرنا فى مركز القيادة العسكرية الايطالية ، على نسخ من أوراقنا وكانت هذه الأوراق تطابق الرسائل التى أرسلناها الى وزير الحربية صالح حرب فى وزارة على ماهر وبالاضافة الى ذلك فان مسألة طرد الايطاليين المقيمين فى مصر لم يكن أمرا سهلا ، اذ لم يتم ذلك الا بعد ١٤ يوما من اعلان ايطاليا الحرب فى عام ١٩٤٠ ويقول سمارت : ان الملك رفض كل العروض البريطانية ، وكان هناك نزاع خطير ، فالحكومة القائمة ــ حكومة حسين سرى ــ لا تملك سلطة حقيقية أو دستورية ، واستمر ذلك الموقف الأيام الأربعة الأولى من فبراير ١٩٤٢ وكنا نعلم ان على ماهر يقف وراء هذا المشهد ، وانه سيتولى الحكم وكان لدى سفيرنا سلطة فعلية من لندن للتحرك وينقل بلانكين ، عن حسن حسنى « بك » ان الانجليز كانوا يريدون وزارة وفدية بحتة وان يختار النحاس باشا وحده أعضاء الوزارة ، كما ينقل أيضا عنه ان النظرية المصرية التى أشاعها السفير البريطانى عن ان الملك يرغب فى تأليف وزارة يرأسها على ماهر لا أصل لها لأننى ــ حسن حسنى ــ سألت الملك عن ذلك فى حينه فقال : ليس هذا وقت على ماهر ، وليست لدى فكرة عن ذلك اطلاقا ٠

ويقول حسن حسنى لبلانكين : ان اسماعيل تيمور باشا حينما وصل لامبسون الى القصر نزل ليقوده الى الطريق ، لكن السفير البريطانى ، ازاحه جانبا قائلا : أنا أعرف طريقى ، كما يقول أيضا حسن حسنى ، ان مقابلة لامبسون وستون للملك لم تزد على اثنتى عشر دقيقة وأن الضباط البريطانيين لم يقتحموا حجرة مكتب الملك بل ظلوا خارجها ٠

ويؤكد د٠ محمد أنيس على ان ما وصل اليه بلانكين يتلخص فى ان عدة مؤتمرات قد تمت فى السفارة البريطانية قبل الحادث لاتخاذ قرار فى حالة رفض الملك واستقر الأمر على ان يطلب منه التنازل عن العرش وان يتولى الأمير محمد على العرش ٠ وقد تلقى الجنرال ستون أمرا بأنه يستعد لبعض الاجراءات العسكرية التى أعدت ووضعت تحت قيادة البريجادير جون كريســتال قائد منطقة القاهرة كما صدرت تعليمات الى القواد العسكريين ، المحليين من أوليفر ليتلتون وزير الدولة وأحيط علما للاستعداد عند اللزوم كل من سير جون أوكلنك قائد القوات البرية والأميرال جون لتنجهام ولورد تيدر قائد القوات الجوية ٠

ويؤكد بلانكين ان بعض الدبابات البريطانية اقتحمت أسوار القصر ، وقد اختارت السلطات البريطانية رجالا مدربين من فرقة اكتو « O.C.T.U. » وأعطيت لهم الأوامر ، بالدخول من فوق أسوار عابدين واقتحام الأبواب ، وان يتولوا حراسة الباب الرئيسى للقصر ٠

ويقول بلانكين : جلس الجميع على المائدة السفير وستون فى مواجهة الملك وحسنين وقرأ لامبسون صياغة معدة ، طول الوقت ، و ٠ و ٠

وكان من الواضح أن الملك فاروق قد أصابه بعض الفزع لكنه نصرف انصافا له بكبرياء ، غير عادية وفكر للحظات ثم ناقش المسالة مع حسنين الذى همس فى أذن الملك ، وكان يبدو ان حسنين قد قال له : يحسن بك ان تقبل بعدها أعلن الملك : لقد قبلت ٠

ويقول بلانكين ان لامبسون كرر ببطء ، فى جدية : على الملك ان يعتزم اعلان ان النحاس باشا سوف يشكل الوزارة فيوافق الملك على ذلك فلما حدث هذا خفت حدة التوتر ، وبدأ الحديث يأخذ طابع المودة فقدم الملك للسفير ، وللجنرال ستون السجائر ، وأخذ يتناول معهما الحديث حول موضوعات عامة ٠

ويروى الدكتور محمد أنيس فى دراسة له عن ٤ فبراير فى تاريخ مصر السياسى أن هناك شاهدا للحادث من المهم ان نستعرض قوله ، وهو الماجور سانسوم ، المسئول عن أمن القوات البريطانية فى مصر ، ابان الحرب العالمية الثانية وقد قال هذا الشاهد رأيه فى كتابه Ispidsples على النحو التالى : كانت الحكومة البريطانية قد أصدرت تعليماتها الى سير مايلز لامبسون سفيرنا فى القاهرة ، بأن يوجه انذارا الى الملك وكنت مرتبطا بهذه العملية عن طريقين : الأول كان استشاريا ، فوفق معلوماتى عن الوضع داخل الجيش المصرى ما هى الخطوات التى يجب اتخاذها ليقطع عن الجيش المصرى ، التدخل المسلح فى العملية المزمع القيام بها ٠٠ فانت ترى اننا ننوى الذهاب الى القصر بالدبابات فقلت على الفور : علينا اذن أن نرصد كل طريق وكل شارع يقود الى قلب القاهرة ٠

ان الضباط الصغار لا يحبون الملك ، لكنهم يكرهوننا أكثر وسيكون رد الفعل عندهم عنيفا ، لمثل هذه الاهانة ٠

وبالفعل – سانسوم – أغلقت الطرق الموصلة بين المائلة والقاهرة وقبل ساعة الصفر مباشرة قامت فصيلة من قواتنا بالهجوم على ثكنات الحرس فى ميدان عابدين ، وقبضت على الموجودين ، وكذلك قبض على الحراس الذين كانوا يقفون عند أبواب القصر ، وحل محلهم جنود بريطانيون ثم دخل سير مايلز لامبسون فى عربة الرولزرويس وكان معه مجموعة من العربات المصفحة والدبابات ولم يطلق رصاصة واحدة ٠

ويقول الماجور سانسوم ، لم تكن القاهرة تعلم بأن شيئا قد حدث وكان الناس مطمئنين فى يوم ذلك ، وكان عدد من المارة يحملق فى الجنود البريطانيين الذين احتلوا مكان حرس القصر لكن المارة لم تدرك ان شيئا غريبا سيحدث فى وجود هؤلاء الجنود البريطانيين حتى الدبابات والعربات المصفحة ، التى

دخلت فناء القصر ، كان المارة ينظرون اليها دون استغراب فى أول الأمر ، غير ان البعض بدا يدرك ان ثمة شيئا ، غير طبيعى يحدث وأخذت الناس تتجمع ، حتى اضطر المشاه ، البريطانيون الى اقامة كوردون من أنفسهم لابعاد الناس عن الاقتراب عن القصر .

فى ذلك الوقت كان السفير يقدم انذاره لفاروق ، بينما كنت أقوم بمهمتى الثانية ، وهى التأكد من ان السفير لن يصيبه ضرر وكانت مهمته تدعو الى التوتر العصبى ، وكنت أعتقد ان الخطر الرئيسى قد يصدر من ضابط ثائر من ضباط الحرس الملكى قد يدفعه غضبه الى اطلاق رصاصة على السفير لذلك قبضنا على جميع الضباط المصريين داخل القصر ، ابان عقد المؤتمر بين السفير وفاروق » .

وعن موقف الجيش المصرى فى ٤ فبراير ، واحتمال حدوث رد فعل لمأساة ٤ فبراير يقول سير جاميو ويلسون فى كتابه : « ثمانى سنوات وراء البحار » : « كنت فى سورية عندما وصلت أنباء أحداث القاهرة تصف كيف أجبر الملك فاروق فى ٤ فبراير ١٩٤٢ ، عن طريق سفيرنا على تعيين حكومة تحت التهديد بازاحته عن العرش مع قيام القوات البريطانية بمحاصرة قصره : لقد أذهلتنى تلك الأنباء وأزعجتنى لأننى أحسست بأن مجهوداتى لتقريب وجهات النظر والحصول على تعاون المصريين فى الأيام الأولى للحرب قد راحت هباء ومن المحتمل أن يكون رد فعل الجيش المصرى لمثل هذا المسلك له أضراره البالغة على جهدنا العسكرى » .

ولا يزال الحديث متصلا ، ومتواصلا ..

الفصل السابع

أحمد حسنين يتحدث من وجهة نظره عن مأساة ٤ فبراير ١٩٤٢

● عذرا ، ألف عذر اذا كنا في دراستنا عن مسأة ٤ فبراير ١٩٤٢ قد أطلنا في الحديث عن وجهات نظر البريطانيين في تلك المأساة ، وعذرنا أنه كان لا بد من أن نطيل في هذا الموضوع ، لأن الانجليز هم الطرف الأول ، والطرف الأقوى في تلك المأساة ، ولا بد من أن نعطى هذا الطرف حقه في ابداء وجهات نظره مهما اختلفنا وأياها حتى يتيسر لنا ـ في النهاية ـ الحكم على موقعه بعدالة وانصاف .

وقد كان آخر ما وقفنا عنده من وجهات نظر البريطانيين ، وجهة نظر الماجور سانسوم المسئول عن أمن القوات البريطانية في مصر في كتابه I spied spies وكانت وجهة النظر التى استرعت انتباهنا في كتاب الماجور سانسوم خشية البريطانيين ، وهم يضعون خطط الهجوم على قصر عابدين من أن يكون للجيش المصرى موقف يؤدى الى التصادم مع البريطانيين ولأن هذه النقطة مهمة للغاية سوف نعود اليها مرة أخرى عندما نتحدث عن نتائج ٤ فبراير ١٩٤٢ وآثارها على الشعب والجيش ، والأحزاب المصرية و . و .

ونستأذن القراء ، والقارئات في ان نشير الى بعض الوثائق الأمريكية التى اهتم بنشرها الزميل الأستاذ محسن محمد ، ومن بين تلك الوثائق ما كتبه الكسندر كيرك الوزير المفوض للولايات المتحدة في القاهرة في الفترة من ١٩٤٠ الى ١٩٤٤ ، وكيرك يروى ـ نقلا عن السفير البريطانى في مصر : سير مايلز لامبسون ما حدث بين فاروق ولامبسون ـ فيقول : في ٣ فبراير ١٩٤٢ ، بلغنى السفير البريطانى انه في المقابلة التى تمت صباح اليوم بين الملك والسفير البريطانى انه ـ أى السفير ـ قال للملك فاروق ، اننا لا نريد التدخل في سياسة مصر الداخلية ، الا أن هناك شرطين يجب توافرهما في الحكومة الجديدة التى ستتشكل وهما :

١ ـ ان تكون هذه الحكومة مهيأة لتنفيذ معاهدة ١٩٣٦ بالكامل ٠

٢ ـ ان تكون الحكومة من القوة بحيث يمكنها السيطرة تماما على الوضع الداخلى وبناء عليه فان السفير مقتنع بأن مثل هذه الحكومة لا يمكن تشكيلها الا بالتشاور مع النحاس باشا زعيم الوفد ورغم ما أبداه الملك من قبول فلقد حاول التهرب من اصرار السفير ، على ان يقابل النحاس باشا وفى حديث هادىء بين السفير وأحمد حسنين باشا كشف النقاب عن ان القصر خطط للتظاهر بتأييد فكرة اشتراك الوفد فى الحكومة وللحفاظ على هذا الاتجاه كخطوة أولى ، كان يبدو من المرغوب فيه تشكيل حكومة مؤقتة بهدف اعطاء مهلة زمنية للتوصل الى اتفاق مع الوفد يمكن المحافظة على تمثيل مناسب للمعارضة فى البرلمان والتطورات التالية فى هذا الوضع تبدو ، وكأنها تعتمد بدرجة كبيرة على قبول النحاس باشا عند عودته « غدا » الى القاهرة من الوجه القبلى ٠

ويبرق كيرك الى حكومته فى الساعة الحادية عشرة من صباح ٤ فبراير بخصوص اجتماع الملك بالزعماء ، واستقبال الملك للنحاس باشا أولا وعرضه عليه تأليف وزارة ائتلافية وقبول النحاس باشا لفكرة الوزارة الوفدية ، لا الوزارة الائتلافية ٠

وعلمت أيضا ـ كيرك ـ أن السفير البريطانى قابل رئيس الديوان الليلة الماضية « مساء ٣ فبراير ١٩٤٢ » وطالبه ـ دون اتخاذ موقف معين من الحكومة البريطانية ـ باعطاء النحاس باشا الفرصة لتشكيل حكومة تتفق مع رغبته ، رغبة النحاس باشا ٠

وفى الساعة السابعة من مساء ٤ فبراير يبرق كيرك الى حكومته : عدت لفورى من القصر حيث استدعانى الملك ، ليخبرنى بصفتى ممثلا لدولة صديقة أنه تلقى انذارا فى الساعة الثالثة من بعد ظهر اليوم بأنه يتحمل العواقب فى حالة رفضه تكليف النحاس باشا بتشكيل الحكومة وينتهى الانذار فى الساعة السادسة مساء ، وأضاف الملك انه لا يشك فى نتيجة العواقب اذا رفض الانذار وصرح الملك أنه تشاور مع مستشاريه الرسميين والخاصين بمجرد تبليغه هذا الانذار من السفير البريطانى ، وكذلك مع زعماء الأحزاب الذين أعلنوا رفضهم كتابة لهذا الاجراء من قبل السفارة البريطانية بل ان النحاس باشا أعلن كتابة أنه يرفض تشكيل وزارة تحت هذا الشرط وقد أرسلت المذكرات الى السفير البريطانى ، بواسطة رئيس الديوان الملكى الذى عاد بينما كنت مع جلالته ، وأعلن أن السفير البريطانى طلب اجراء مقابلة شخصية مع الملك فى التاسعة مساء ، وتمت الموافقة على ذلك ولم أتمكن من الدخول فى أى مناقشة مع الملك نظرا للظروف الطارئة ، والضغوط التى يتعرض لها القصر ، ورغم ذلك فقد انتهزت الفرصة لأعرب لجلالته انه فى هذه اللحظة لا توجد سوى مشكلة واحدة كبيرة وهى هزيمة هتلر وان الولايات

المتحدة ، وبريطانيا العظمى ، دائما تؤمن بأن تلزم مصر بذل كل جهد لتحقيق هذا الهدف وباستثناء جميع الاعتبارات ورغم انى لم أتمكن من الدخول فى آية موضوعات تتصل بالسياسة الداخلية لبلده فقد أعربت عن أملى فى آن يسترشد فى سياسته بما يسهم بأقصى جهد للانتصار فى المعركة وعلمت أن القوات البريطانية تم تحريكها ، من جديد تفاديا للاحتمالات .

وبعد آربع ساعات من برقية كيرك الى حكومته بعث ببرقية آخرى جاء فيها : عقب محاصرة القصر ، بواسطة القوات البريطانية قام السفير البريطانى وبصحبته القائد العام للقوات البريطانية فى مصر ، ومعهما حرس قوى بزيارة القصر فى الساعة التاسعة مساء اليوم ، وبعد ان سلما بيانا معدا ، قدما خطاب تنازل عن العرش ليوقع عليه الملك وعلى الفور ناشدهما الملك تهدئة الموقف ، ودعا النحاس على الفور لتشكيل الحكومة الجديدة ، ويجتمع النحاس الآن مع السفير البريطانى و . و .

وفى اليوم التالى « ٥ فبراير ١٩٤٢ » يبرق كيرك الى حكومته بما سمعه من شائعات كاحتجاج أحمد ماهر لدى السفير البريطانى ، على تدخل بريطانيا فى شئون مصر ، وفرضها شخصا واحدا هو النحاس ليؤلف الوزارة ، وكذلك احتجاج مماثل لرئيس مجلس الشيوخ ويبدى دالاس مورى ، رئيس قسم الشرق الأدنى بوزارة الخارجية الأمريكية ، تعاطفا مع فاروق ، كما يبدى معارضة لخطوات لامبسون « ويجب ملاحظة أن سير مايلز لامبسون السفير البريطانى فى مصر ، يعامل فاروق دون كياسة ويبدو السفير فى عينى الملك كأنه أستاذ فى تصيد الأخطاء ، ويؤكد دالاس مورى ، ان ما اتخذته بريطانيا من اجراءات تشير الى أن استقلال مصر لم يعد مجرد خيال بل ذهب ادراج الرياح وهذه الاجراءات تضع النحاس باشا فى موقف صعب وقد يفقد بسببها أتباعه السياسيين وقدم دالاس مورى مشروع برقية لارسالها الى الكسندر كيرك ليتصل بدوره بمستر ليتلتون الوزير البريطانى المقيم فى مصر حتى لا يتم تحويل هام مستمر للقوات البريطانية فى مصر عن مهمتها الرئيسية فى المنطقة المصرية ولكن البرقية لا ترسل لأن سافير ويلز وكيل وزارة الخارجية البريطانية يرفض ارسالها ، وان كانت قد وجدت صورتها كما كتبها دالاس مورى فى أرشيف وزارة الخارجية البريطانية .

وقبل أن انتقل الى نقل روايات اخرى (مصرية) عن مأساة ٤ فبراير ننقل عن الوثائق البريطانية ، تسجيلا باملاء النحاس باشا بعث به سير مايلز لامبسون الى وزارة الخارجية البريطانية فى ٣ فبراير ١٩٤٢ بصفة عاجلة وهذا هو نص التسجيل : فيما يلى التسجيل الذى أملاه النحاس باشا بنفسه عن الحوار الذى دار بينه وبين الملك فاروق ، بعد ظهر الثالث من فبراير الساعة الثالثة مساء :

الملك : انك تدرك مدى خطورة الوضع ٠

النحاس : نعم : وكان لدى الوقت الكافى لأكون رأيا بشأنه ٠

الملك : ان لى رأيا كذلك فى صدد القضية وأود أن أعرف رأيك ، ورأى سائر الزعماء فيما يتعلق بتشكيل وزارة ائتلافية تحت رياستك وان تعملوا جميعا معا بلباقة ونجاح كما كان الحال فى عهد والدى ، مؤقتا بالطبع خلال فترة الحرب ٠

النحاس ـ هذا الحل لن يكون متفقا مع الصالح العام ، ان الوضع فى البلاد خطير جدا فى الواقع ، ان الناس يلقون بمسئولية الموقف الراهن على الوزارات المتوالية لنظام الحكم الحالى ان الوضع خطير للغاية لا سياسيا فقط ، بل من كل جانب ان الناس عرايا ، أنهم يشعرون بأنهم لا يحكمون حكما حسنا ، ويلومون النظام على ذلك ، لذلك يجب الا أربط نفسى بهؤلاء الأشخاص فى حكومتى لسببين : ١ ـ انهم يضعون اللوم بالنسبة للموقف الحالى على نظام الحكم ، وكل ما يسوؤهم يلصقونه بهذا النظام ، واذا قبلت ارتباطى بهم فاننى سأفقد ثقة الشعب ولن أستطيع أن أحكم على نحو يحقق اية مكاسب ٢ ـ الدسائس التى من المحقق أن تتبع ذلك داخل وزارة تشكل على هذه الأسس ولهذين السببين فان وضعى لن يكون متماسكا ولن يؤدى الى احراز مكاسب اننى أشكر جلالتكم على عرض هذه الرياسة على وأود أن أعرب لكم عن عظيم تقديرى لثقتكم لكن لا بد أن يكون هناك تجانس ، من أجل أن أعمل بنجاح ، وهذا لا يعنى اننى سأستبعد هؤلاء الذين استبعدوننى ، انهم سيكونون موضع مشاورة فى القضايا الكبرى حيث يكون لزاما مثلا بالنسبة لأمور المعاهدة ومسائل التموين وهنا أصر الملك من جديد على تشكيل وزارة ائتلافية وتنحى النحاس مرة أخرى للأسباب السابقة وأضاف أن الوضع عسير جدا ، وأن أى شخص آخر محله سوف يتنحى عن مسئولية الحكم فى هذه الظروف كذلك أضاف النحاس أنه مستعد لتولى المسئولية ، والمسئولية كلها رغم ما يعنيه ذلك من تضحية بالنسبة له ٠ وقال النحاس انه نظرا الى أن البلاد قد استدرجت الى الهاوية فلابد أن أكون فى وضع يكفل لى العمل بنجاح ولست أخشى مسئولية الحكم بشرط أن تكون فى صالح بلادى ؟

ولم يشر السفير البريطانى ـ بطبيعة الحال ـ الى المصدر الذى أملى عليه النحاس باشا فى ٣ ـ فبراير ١٩٤٢ ما دار بينه وبين الملك بالتفصيل ، ويغلب على ظنى أن النحاس باشا أملى ما أملاه على أمين عثمان وهو الذى نقله بحذافيره ـ كما هى عادته وكما تتطلب وظيفته ـ الى السفير البريطانى وقد كان أمين عثمان دائم الاتصال بالنحاس باشا فى كل وقت لينقل اليه ـ وبالتفصيل ـ وجهات نظر السفير البريطانى وليستمع الى آرائه ومقترحاته ٠

وتتبقى بعد ذلك كله ، أقوال وأفعال قد لا ترقى الى مرتبـة الوقائع الثابتة ولكنها يمكن أن تكون براهين او مجرد قرائن للتدليل بها على هذا الرأى ، أو ذاك أو العكس ٠

يقول الأستاذ محمد التابعى ، وكان وقتئذ على مقربه وثيقة من الجهات التى تصنع القرار : ان أحمـد الوكيل شقيق السيدة زينب الوكيل حرم مصطفى النحاس باشا ، قد زاره فى منزله فى ٣ فبراير ١٩٤٢ قائلا له : الراجل بتاعنا هو اللى راح يشكل الوزارة والراجل يعنى النحاس ، ثم قال « أحمد الوكيل » أن أمين عثمان كلمه فى صباح اليوم « ٣ فبراير » وسأله عن أخته زينب هانم ، ولما عرف أنها لم تحضر مع النحاس باشا وأنها لا تزال فى الصعيد ، قال له ، كلمها وقل لها تيجى وان مصطفى باشا راح يؤلف الوزارة وان جميع طلباته سوف تجاب ، وبما فيها حل مجلس النواب واجراء انتخابات ٠

وانصرف أحمد الوكيل وأنا ـ التابعى ـ بين مصدق ومكذب ٠ ويقول الأستاذ التابعى عن واقعة دخول السفير البريطانى ومن معه الى قصر عابدين : فوجئت السراى بقدوم السفير ومعه قواد الجيش ودخولهم بدون استئذان ، ووقف بعض الضباط موقف الحراسة على السلم ، وفى مداخل القصر الداخلية ، وأحاطت الدبابات بالميدان ٠

وسمعت ـ الأستاذ التابعى ـ نقلا ، عن عمر فتحى باشا أن السفير ناول الملك ورقة مكتوبا عليها تنازله عن العرش فتناولها الملك وقرأها ثم « ضحك » وقال ما معناه : لا ، لا ، ما يصحش أتنازل على ورقة زى دى لازم أكتب تنازلى على ورقة كويسة ، مزركشة ٠٠ ولا أعرف ـ التابعى ـ صدق هذه الرواية لأنى ، لم أسأل عمر فتحى عنها ، وعارض بعض أفراد الحرس الواقفين على الأبواب ولكن الضباط والجنود الانجليز لووا أذرعتهم وانتزعوا مسدساتهم وأراد الحرس الملكى ، أن يخرج من ثكناته ليقـاوم وسمع الملك بالخبر ، فأرسل لهم من يأمرهم باسمه ، ألا يفعلوا ٠

وقال لى مكرم باشا مرة فى صدد هذه المسألة ان الملك كان حليما فى هذا الموقف ٠

وقال لى حسنين باشا ، انه سأل السفير بعدها فى مقابلة ما ماذا كان يحدث لو كان الملك سمح للحرس بالمقاومة ؟ فأجاب السفير كنا قضينا على الحرس بسهولة ٠٠ فقال حسنين ٠ صحيح ، ولكن كانت وقعت ليلتها مجزرة فى القاهرة والله وحده يعلم ماذا كانت العاقبة » ٠

ويمضى الأستاذ محمد التابعى فى الحديث عمـا حـــدث فى تلك الليلة فيقول : دخل الانجليز القصر وأرسل الملك يستدعى الزعماء وطلب من النحاس

باشا أن يشكل الوزارة وقال النحاس باشا ــ فى أول الأمر ــ أنه يعتذر عن عدم تشكيل الوزارة فى هــذا الوضــع الذى تردت اليه الأمور ثم فهم الملك والزعماء من كلام النحاس باشا انه اذا شكل الوزارة فانهــا ستكون وفدية بمعنى الكلمة ٠

وهنا انقسم الزعماء فى الرأى فبعضهم أشار عليه بالرفض بتاتا ٠ وقال اسماعيل صدقى : يا باشا هى دى الوزارة صحيح ، اللى على أسنة الرماح ، أو الحراب فقال النحاس انه لم ير لا رماحا ولا حرابا ، وقال اسماعيل صدقى ، رفعتك حضرت متأخرا فلم تراها ولكننا رأيناها تملأ ميدان عابدين ٠

وعارض أحمد ماهر بشدة وعنف فى قبول النحاس للوزارة فى هــذه الظروف واتهمه فى وطنيته ، وخطب أمام باب عابدين فى هذا المعنى أمام الصحفيين وأشار شريف صبرى باشا على النحاس أن يؤلف وزارة قومية أو يؤيد وزارة محايدة تجرى الانتخابات ثم تسلم الحكم له وان هذا هو ما كان يطلبه النحاس فلماذا يعدل عنه الآن ؟

وتكلم آخرون فى هذا المعنى ، لكن النحاس باشا تمسك برأيه وهو أن تكون الوزارة وفدية وسلم له الملك بما أراد وقال لى حسنين باشا فيما بعد أن الملك قال للنحاس وهو ينصرف ما معناه ٠٠ أنا راح أساعدك ، ولك أن تعتمد على مساعدتى ، ثم سمعت انه قال له أيضا : اذهب الآن للسفير لأنه ينتظرك » ٠

ويقول الأستاذ التابعى : لا أذكر الآن المعنى الذى فهمته من هذه العبارة يوم سمعتها ٠٠

ويقول الأستاذ التابعى أيضا أنه قد تناول العشاء مع حسنين باشا فى ٧ فبراير ــ أى بعد الحادث بثلاثة أيام وانه قص على كثيرا من التفاصيل التى سبق ذكرها وكان مما قاله لى ــ للتابعى ــ انه لما رأى الملك اصرار النحاس باشا رفض كل الاقتراحات بجعل وزارة قوية أو بتأييد وزارة محايدة تجرى الانتخابات قال الملك : يظهر ان النحاس واثق من الانجليز ٠

Nahas Pasha is acure of his graund.

ومعنى هذا أن الملك كان يعتقد أن النحاس واثق من تأييد السفير له ، أو انه متفق ، مع السفير على ما حدث ٠٠ ولكن خرجت من جلستى مع حسنين باشا بهذا الأمر ، وانه كان لا يزال حائرا ، لا يعرف كيف وقعت هذه الضربة ومن أين جاءت : هل من السفير ؟ أو من مستر ليتلتون وزير الدولة وهل النحاس برىء كما قال من الاشتراك فيها ، واعدادها واذا كان هو برىء فهل مكرم وأمين عثمان كذلك ، أم ترى هما اللذان اتفقا مع الانجليز ، وخرجا على النحاس فى الحكاية دى من غير علمه ٠٠

وفى مقابلة تالية قال أحمد حسنين للتابعى :

انـه اقتنع بأن النحاس برىء ، وانه أقنع الملك بذلك ، لكن هل قال حسنين ذلك لأنه يعرف انى متصل الآن بالنحاس ومكرم أم قالهـا حقيقة من قلبه ٠

وفى نفس الجلسة « ٧ فبراير » كاشفنى حسنين بجس نبض الـوفد بخصوص شعورهم ونواياهم نحو الملك ، وهل عندهم استعداد للاتفاق مع الأحزاب على توزيع الكراسى فى الانتخابات ٠

وفى مساء نفس اليوم ٧ فبراير زرت مكرم باشا فى داره وتحدثنا طويلا وآسف انى لم أدون يومها تفاصيل الحديث ولكن كان كله دفاعا عن النحاس باشا ، وكيف انه برىء من أى اشتراك مع الانجليز فى هذه الحكاية ، وانهم جميعهم لم يكونوا يعرفون شيئا عن نوايا الانجليز ، وقال لى مكرم باشا ٠ انه كان صاحب الفكرة فى تبادل الخطابات مع السفير وقبل تشكيل الوزارة كأنها شرط لقبول الوزارة ، وهى الخطابات التى يسجل فيها الوفد شبه احتجاج على تدخل الانجليز ويسجل فيها الانجليز موافقتهم ، على رأى الوفد ، فى انه ليس لهم التدخل فى شئون مصر وقال لى مكرم : ان الوزراء قبلوه ، وهنأوه على هذه الفكرة وكان اجتماعهم فى دار أحمد بك حسين وكيف انه اجتمع بمستر بيزلى وسمارت واتفقوا على صيغة الخطابين ٠

وهناك رواية أخرى منسوبة الى بعض الصحفيين الذين كانوا يرابطون فى قصر عابدين فى تلك الأيام العصيبة ، وعلى رأسـهم الأستاذ عبد الحليم الغمراوى مندوب الأهرام ، هذه الرواية تقول انه بعد أن انصرف الزعماء من مقابلة الملك فى المرة الأولى بعد ظهر ٤ فبراير ١٩٤٢ ، بقى محمد محمود خليل بك فى القصر بعض الوقت ، وانه قال لبعض التشريفاتية انه راجع فى الساعة التاسعة مساء وذاع انه هو الذى سيؤلف الوزارة الجديدة ٠

وفيما يلى نص الخطابين اللذين أشار اليهما مكرم عبيد باشا وكان هو صاحب فكرتهما : الخطاب الأول من مصطفى النحاس الى صـاحب السعادة السير مايلز لامبسون السفير البريطانى فى القاهرة ٠

يا صاحب السعادة :

لقد كلفت بمهمة تأليف الوزارة وقبلت هذا التكليف الذى صـدر عن جلالة الملك ، بما له من الحقوق الدستورية وليكن مفهوما أن الأسـاس الذى قبلت عليه هذه المهمة هو انه لا المعاهدة البريطانية المصرية ، ولا مركز مصر كدولة مستقلة ذات سيادة ، يسمحان للحليفة بالتدخل فى شئون مصر الداخلية وبخاصة فى تأليف الوزارات ، أو تغييرها ٠

انى آمل يا صاحب السعادة ، ان تتفضلوا بتأييد ما تضمن خطابى هذا من المعانى ، وبذلك ستتوطد حالات المودة والاحترام المتبادلة وفقـــا لنصوص المعـــاهدة » .

ولم يوقع مصطفى النحاس خطابه هذا بأية صفة ، لا بوصفه رئيســا للوفد ولا بوصفه مرشحا لتاليف الوزارة ، وان كان رد السفير البريطانى على مصطفى النحاس مختلفا تماما ، فالرد من السفارة البريطانية وهو موجه الى حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا رئيس الوزارة وقد جاء فى خطاب سير مايلز لامبسون ما يلى :

يا صاحب المقام الرفيع .

لى الشرف أن أؤيد وجهة النظر التى عبر عنها خطاب رفعتكم المرسل منكم بتاريخ اليوم « ٥ فبراير ١٩٤٢ » وانى أؤكد لرفعتكم أن سياسة الحكومة البريطانية قائمة على تحقيق التعاون باخلاص مع حكومة مصر كدولة مستقلة ، وحليفة فى تنفيــذ المعــاهدة المصرية من غير أى تدخل منهــا فى شئون مصر الداخلية ولا فى تأليف الحكومات أو غيرها وانى لأنتهز هذه الفرصة لأؤكد لرفعتكم فائق احترامى .

« مايلز لامبسون »

وللأستاذ عبد الرحمن الرافعى رؤية خاصة فيما يتعلق بمأساة ٤ فبراير التى يسميها الحادث المشئوم وهو — الرافعى — يشير الى اجتماع الملك برؤساء الأحزاب ورؤساء الوزارات والبرلمان السابقين وبعض الشخصيات العامة ، فى يوم ٤ فبراير ١٩٤٢ شريف صبرى ، مصطفى النحاس ، على ماهر ، حسين سرى ، محمد محمود خليل ، أحمد ماهر ، أحمد زيور ، اسماعيل صدقى ، عبد الفتاح يحيى ، محمد حسين هيكل ، محمد توفيق رفعت ، على الشمسى ، حافظ عفيفى ، حافظ رمضــان ، بهى الدين بركات ، أحمد محمد حسنين ، يقول الأســـتاذ الرافعى : اجتمع هؤلاء بالقصر فى غرفة مجلس البـــلاط ، فى نحو الساعة الرابعة مساء ، رأس الملك الاجتمــاع تلا أحمــد حســـنين رئيس الديوان بيانا باسم الملك ، أشاد فيه بفضل الاتحاد وأشار الى أن الملك بدأ من أمس « ٣ فبراير » يستدعى بعض المجتمعين ليدعوهم الى تأليف وزارة قومية ، ولكن قبل أن تبدأ المشاورات ، طلب اليه السفير البريطانى استدعاء النحاس باشا وتكليفه بتشكيل الوزارة ، أو أن يقبل الملك من يقترحه النحاس باشا للوزارة ، وأجاب الملك بأنه كان قد قرر فعلا قبل طلبــه أن يستدعى النحاس باشا ورؤساء الأحزاب لاستشارتهم فى تأليف وزارة قومية تواجه صعوبات البلاد الداخلية والخارجية .

وبعد انتهاء مشاورات أمس طلب السفير البريطانى مقابلة رئيس الديوان وأخبره أنه علم أن النحاس رفض فكرة الوزارة القومية . وطلب منه أن يرفع

الى الملك نصيحة السفير أن يكلف النحاس باشا بتأليف وزارة وفدية فرد عليه رئيس الديوان بأن هذه المسألة لا تزال تبحث مع النحاس ورؤساء الأحزاب وأن السفير طلب اليوم ٤ فبراير مقابلة رئيس الديوان وسلمه الانذار التالى « وقد سبق لنا ان نشرنا صيغة هذا الانذار » وختم البيان بدعوة المجتمعين الى تبادل الرأى فى هذا الموقف وانصرف الملك وترك لهم حرية التشاور فى الأمر فتشاور المجتمعون فيما يكون الرد على الانذار وكانت الفكرة الغالبة ، ان يؤلف وزارة قومية ، برئاسة النحاس ولكن النحاس رفض فكرة الوزارة القومية ، وكان عاقبة هذا الرفض أن وقع هذا الحادث الذى يعد من الأحداث الخطيرة فى تاريخ مصر الحديث وانتهى المجتمعون الى الاحتجاج ، على الانذار وكتب الاحتجاج ، ووقعوا عليه جميعا وهذا نصه : أن فى توجيه التبليغ البريطانى اعتداء على استقلال البلاد ومساسا بمعاهدة الصداقة ولا يسع الملك أن يقبل ما يمس استقلال البلاد ويخل بأحكام المعاهدة » .

وعاد الملك الى الاجتماع وعلم بما تم عليه الاتفاق من الاحتجاج فأقره وأظهر ارتياحه وسلم نص الاحتجاج الى حسنين باشا ليوصله الى السفير البريطانى » .

ويمضى الأستاذ عبد الرحمن الرافعى ، فى روايته عن مأساة ٤ فبراير فيقول : حمل رئيس الديوان الى السفير البريطانى نص الاحتجاج ، فأجاب بأن هذا ليس ردا ، وأنه سيحضر لمقابلة الملك فى الساعة التاسعة مساء ، وعاد حسنين باشا الى القصر وأخبر المجتمعون بجواب السفير فانصرفوا ، بعد أن طلب منهم أن يكونوا على أهبة الحضور ، لاحتمال دعوتهم الى اجتماع ثان .

وقبيل هذا الموعد ، جاءت دبابات بريطانية مسلحة بالمدافع ، ورابطت أمام القصر بشكل تهديدى ، ثم حضر السفير البريطانى بصحبة الجنرال ستون قائد القوات البريطانية فى مصر وقتئذ ، وبعض الضباط البريطانيين ، مسلحين بالمسدسات ، ودخل السفير ، والجنرال ستون الى غرفة الملك واجتمعا به بحضور أحمد محمد حسنين ، وكان السفير يحمل ورقة التنازل عن العرش فاختلى أحمد محمد حسنين بالملك واسدى اليه النصيحة بقبول الانذار فقبله .

وبعد ان انتهت مقابلة السفير للملك عاد ومن معه الى دار السفارة واستدعى رئيس الديوان الزعماء للاجتماع ثانية فتكامل عددهم فى نحو العاشرة مساء ، وحضر الملك الاجتماع وقال للمجتمعين : اعتبروا ما دار بينكم من الحديث وما قررتموه اليوم كأن لم يكن ، وأكلفك يا نحاس باشا ، بتشكيل الوزارة ، فاعتذر النحاس لجلالة الملك ، وطلب اعفاءه من هذه المهمة ، ولكن الملك أصر على أمره بتأليف الوزارة : عندئذ قال أحمد ماهر : كنت أظن أن النحاس باشا ، وهو كما يقول عن نفسه زعيم البلاد وصاحب معاهدة الشرف والاستقلال يرفض تشكيل الوزارة ، أما وقد قبلها فانى أعلن فى حضرة مليك

البلاد ، أن النحاس باشا يتولى الحكم الليلة مستندا الى أسنة رماح الانجليز ، فقال النحاس : لست أنا الذى يستند الى أسنة الرماح · فقال اسماعيل صدقى : أظن أن رفعتكم وصلتم الى هنا بعد انصراف الدبابات ، فتدخل الملك فى النقاش ، وأشار على المتحدثين بالسكوت وكرر أمره الى النحاس بتأليف الوزارة ، وطلب اليه أن يذهب الى السفير البريطانى ويبلغه نبأ تكليفه تأليف الوزارة : ذهب النحاس الى السفير البريطانى وبلغه بما حدث ، وبان جلالة الملك كلفه تأليف الوزارة ، وعاد الى القصر الملكى وأدلى بحديثه مع السفير البريطانى بتشكيل الوزارة عاجلا ، وذهب النحاس الى دار صهره أحمد بك حسنين بالجيزة حيث كان يقيم ، واجتمع ببعض أعضاء حزبه فاتفقوا على أن يكتب النحاس الى السفير البريطانى بسحب الانذار فاذا جاء الرد بسحبه شرع فى تشكيل الوزارة ·

وقد قبل الانجليز هذا الحل لأنه لا يعدو أن يكون حلا شكليا لا يؤثر فى نتائج التدخل البريطانى السافر وتبادل النحاس باشا والسفير فى هذا الصدد خطابين (سبق ان نشرناهما) ·

ويقول الأستاذ عبد الرحمن الرافعى : ان من الثابت ان أحمد محمد حسنين رئيس الديوان الملكى نصح الملك بعد حضور الدبابات البريطانية بقبول الانذار ، وقد جاءت النصيحة متأخرة عن الوقت المناسب ، وكان يجب أن تبدى قبل حضور الدبابات ، بل قبل الانذار ، لأنه كان على علم بنية الانجليز فى اسناد رياسة الوزارة الى النحاس ، ولم يكن الأمر يستوجب هذه الضربة الأليمة التى صوبت الى الاستقلال ، والعرش معا ·

وقد كلف الملك ، النحاس باشا رسميا فى ٤ فبراير بتشكيل الوزارة بالخطاب التالى :

عزيزى مصطفى النحاس باشا

يسرنى وقد عرفت فيكم أصالة الرأى وسداد التدبير ، وقوة الاخلاص ، ان أسند اليكم رياسة مجلس وزرائنا ، ان مصر وطننا العزيز لأحوج ما تكون فى هذه الآونة الدقيقة الى تضافر وضم الصفوف ، وجمع القوى ، وبذل التضحية ، وانكار الذات فى سبيل حفظ كيانها واعلاء شأنها ورفاهية شعبها ، وذلك ما أرجو أن يكون بتوفيق الله وعظيم تأييده و ·· و ··

وكان خطاب النحاس الى الملك ردا على تكليفه بتشكيل الوزارة مختلفا ، عن كل خطابات قبول التكليف ، التى عهدناها فى تشكيل الوزارات السابقة ·

وتبقى روايات أخرى جديدة عن ٤ فبراير نشير اليها فى الفصل التالى :

الفصل الثامن

رأى جديد فى جريمة العدوان البريطانى على مصر ، فى ٤ فبراير ١٩٤٢

● خصصنا فيما سبق فصولا عديدة عن مأساة ٤ فبراير ١٩٤٢ لما تمثله فى تاريخ مصر من أهمية ، ولأنهـا بحق كانت منعطفا تاريخيا خطيرا بالنسبة لشعب مصر ، وملكه ، وجيشه وأحزابه ، ورأيه العام ، والخاص وكنت قد وعدت القراء ، والقارئات بأن يكون ما ننشره عن ٤ فبراير فريدا فى بابه ، نجمع كل ما قيل عن المأساة ، وكل ما نشر عنها فى الوثائق الأجنبية ، وكل ما جاء عنها فى الكتب والدراسات العربية ، والأجنبية ، وكل آراء المؤرخين من مع المأساة ، ومن ضدها ، ومن وقف على الحياد أيضا .

وقد أوليت أهمية بالغة لوجهات نظر الأطراف ، التى شاركت فى صنع المأساة ، الجانب البريطانى ، وعلى رأسه سير مايلز لامبسون « لورد كيلرن » فيما بعد ، النحاس باشا والوفد ، وصحافة الوفد ، وكتاب الوفد ، ومؤرخو الوفد ، القصر ، وعلى رأسه أحمد حسنين فيما قاله ورواه وأفضى به ، الى أقرب أصدقائه بعد وقوع المأساة بأيام .

كما اننى أوليت اهتماما خاصا ، لما كتبه من كانوا على مقربة من ميدان المأساة كالدكتور محمد حسين هيكل باشا الذى شارك مع بقية الزعماء ، فى اجتماعات القصر ، وعبد الرحمن الرافعى بك قطب الحزب الوطنى ، الأستاذ محمد التابعى ، وكان وقتئذ على صلات وثيقة جدا بالوفد المصرى ، وبأحمد حسنين باشا .

ولتوضيح وجهات نظر شباب الجيش فى مأساة ٤ فبراير ١٩٤٢ ، وفيما سبقها ، وتلاها ، اعتمدت على ما كتبه الضابط محمد أنور السادات فى كتابيه :

« صفحات مجهولة » و « البحث عن الذات » فلقد كان البريطانيون ، وخاصة العسكريين منهم ، وهم يخططون لأحداث ٤ فبراير يضعون فى اعتبارهم موقف الجيش المصرى من تلك الأحداث ولذلك كان همهم ـ فى البداية ـ كما يقول الجنرال سانسوم المسئول عن أمن القوات البريطانيـة الموجودة فى مصر ـ اتخاذ الخطوات اللازمة للحيلولة بين الجيش المصرى وبين التدخل المسلح فى العملية التى نزمع القيام بها : ان الضباط الصغار لا يحبـــون الملك لكنهم يكرهوننا أكثر وسيكون رد الفعل عندهم عنيفا لمثل هذه الاهانة وبالفعل كما يقول سانسوم « أغلقت الطرق الموصلة بين ألماظة والقاهرة و ٠٠ و ٠٠ » ٠

وكنت وعدت القارئات . والقراء بان أبدى رأيى فى تلك المأساة بعـد أن انشر كل ما قيل فيهـا وبعد أن استمع ، الى كل من لديه أية معلومات عنها ، ممن هم على قيد الحياة وبعد أن أسعى حثيثا ، لكل من أعتقد أن لديه أية وثائق أو أوراق عن هذه المأساة ، ولكن ظهر لى ـ وكان ذلك بمثابة اكتشاف جديد بالنسبة لى ـ اننى لن أستطيع ابداء رأيى فى مأساة ٤ فبراير ١٩٤٢ الا اذا ابديت رأيى فى وزارة مصطفى النحاس التى ألفت كنتيجة لتلك المأساة : لن يكون حكمى منصفا ، وسليما عن ٤ فبراير الا اذا ربطت الحادث بما تلاه ، من احداث ٠

وبمعنى أوضح لقد اعتبرت مأساة ٤ فبراير ١٩٤٢ من الجرائم المستمرة كما يقول زملاؤنا رجال القضاء ، الجالس ، والقضاء الواقف : جريمة التدخل فى شئون مصر الداخلية ، جريمة بدأت ـ فى رأيى فى الساعة التاسعة من مساء ٤ فبراير ١٩٤٢ ، وانتهت فى عصر يوم ٨ أكتوبر ١٩٤٤ ٠

وبعد هذه المقدمة التى كان لابد منها نكمل ما أنهينا به الفصل السابق حيث نشرنا الخطاب الذى بعث به الملك فاروق الى النحـاس باشا يكلفه فيه بتشكيل الوزارة وكان خطاب الرد على هذا التكليف مختلفا عن كل خطابات قبول التكليف ، التى عهدناها عند تشكيل الوزارات السابقة ٠

يقول مصطفى النحاس فى خطابه الفريد من نوعه الذى رفعه الى الملك :

« تفضلتم جلالتكم فعهدتم الى مهمة تاليف الوزارة فى هـذه الظروف الخطيرة وأبيتم الا أن تزيدونى شرفا فوق شرف بأن أعربتم بلسانكم الكريم المرة بعد المرة والكرة بعد الكرة عن ثقتكم فى وطنية هذا الضعيف وانكاره لذاته مؤكدين أن هاتين الصفتين الكريمتين اللتين شاء فضلكم أن تسندوهما الى تقضيان على بأن أتقدم لانقاذ الموقف ، وأتحمل مسئولية تطورات علم الله أنه لم يكن لى يد فيها بل جلبها على البلاد غيرى باعماله أو باهماله فأصبح من واجبى ، كمصرى وكوطنى اذا اتسـعت لذلك جهودى أن أنقذ البلد من نتائجها واجنبها وزرها بعد أن ظهرت بوادرها وتكررت نذرهـا ٠٠ قدرت المسئولية ورأيت عبء أثقالها فرجحت أمام عينى كفة ضـــعفى عن احتمالهـا

فاعتذرت عن قبول الوزارة فأصررتم فزادنى اصراركم على الثقة بى خشية من النقة بنفسى ، ولكننى ازاء أمركم الصادر الى باسم العرش ومصر قبلت وعلى الله توكلت ، وكان أول عهد أخذت به نفسى أن أحاول انقاذ البلاد من خطورة الموقف الأخير فأخطو خطوة عملية حاسمة ، فى هذا السبيل ، قبل المضى فى تأليف الوزارة كشرط أول اشترطته على نفسى للسير فى تأليفها .

وقد رأيت أن خطورة الموقف لا يكفى فى معالجتها كلمة أقولها أو صيحة ارسلها أو وعود أبذلها بل يجب لوضع الأمور فى نصابها أن تؤتى البيوت من أبوابها فيصدر تصريح من الجانبين يحفظ للوطن استقلاله وحقوقه ، وتقطع لنا الحليفة عهدا رسميا يمحو ما عكر صفو الجو بين الحليفتين .

وتحقيقا لذلك اجتمعت بسعادة السير مايلز لامبسون السفير البريطانى فى مصر وأوضحت له وجهة نظرى التى بها وحدها تصان الحقوق وتتوطد صلات المودة والتحالف بين مصر وبريطانيا فلقيت من سعادته رغبة صادقة . وأكيدة فى تنفيذ المعاهدة بين بلدينا على أساس الاحترام والود المتبادلين ومعاملة مصر معاملة الند للند من غير مساس باستقلالها وحقوق سيادتها أو تدخل فى شئونها وبخاصة تكوين أو تغيير وزاراتها » ..

والملاحظ ــ للوهلة الأولى لقراءة خطاب قبول التكليف ــ أن خطاب قبول التكليف هذا ليس الا مذكرة دفاع عن قبول الوزارة فى ذلك الوقت بالذات وبعد حدوث ما حدث من حصار عسكرى لقصر عابدين وارغام الملك على أن يقبل التنازل عن العرش ، أو أن يكلف مصطفى النحاس بتأليف الوزارة بالشروط التى يراها النحاس ذاته ! كما أن هذا الخطاب لا يحمل الجانب البريطانى أية مسئولية عما وقع وانما يحملها لغيره ، الذى جلبها على البلاد بأعماله ، أو باهماله ، وفى نفس الوقت الذى يحمل فيه مسئولية ما وقع على غيره يبرىء نفسه من المشاركة فيها : علم الله أنه لم يكن لى يد فيها » .

ولم أكن أحب لمصطفى النحاس باشا الزعيم الوطنى أن يركز فى خطاب قبول التكليف على اعراب الملك بلسانه الكريم ، المرة بعد المرة والكرة بعد الكرة عن ثقة فى وطنيته وانكاره لذاته فوطنية مصطفى النحاس لا تسند اليه بأمر ملكى ولا تنزع عنه أيضا بأمر ملكى ، لم يكن فيما أرى هناك داع ، لورود تلك الأوصاف الخاصة بالنحاس باشا على لسان النحاس باشا نفسه ، وفى خطاب رسمى يرفعه الى الملك بل كان يحسن لو ترك للغير أن يطلق هذه الأوصاف على النحاس ان وجدت ثمة ضرورة لاطلاق مثل هذه الأوصاف فى هذا الوقت بالذات ، وذلك بدلا من أن يطلقها النحاس باشا على نفسه وأعود ــ بعد تلك الملاحظات العابرة ، على الجزء الأول من خطاب النحاس باشا بقبوله التكليف بتشكيل الوزارة ــ فأقول ، ان النحاس باشا قد اعتبر الخطابين المتبادلين بينه وبين سير مايلز لامبسون نتيجة جلبت للبلاد كسبا ولم ينحصر

فى أن تدفع عنها ضررا وحققت وعد الخلاق الكريم لخلقه ، أن من بعد العسر يسرا » .

ويقول مصطفى النحاس باشا فى هذا الخطاب أيضا : بعد ذلك التوفيق لم يبق لى الا أن أرجو من الله توفيقا فيما بقى من مهمتى وما تفضلتم فحملتموه ذمة من تولى شئون الحكم فى البلاد تحقيقا ، لحريتها ومصلحتها ، ورفاهيتها بعد أن عانى الشعب كثيرا مما وجد ، وبعد أن أهدر ما أهدر ، وفسد ما فسد » .

وفى ذلك الخطاب يعرض النحاس باشا سياسة وزارته الجديدة ، وحرصها على احترام الدستور والحياة النيابية السليمة وعزمها على حل مجلس النواب الحاضر لكى تكون الأمة ممثلة فى ناخبيها ، الكلمة الفاصلة فى تقرير مصيرها وتدبير أمورها فى هذه الظروف الخطيرة التى تجتازها البلاد وكذلك ستعالج الوزارة فيما تعالج جميع ما خلفته آثار الماضى من تركة مثقلة بجسيم الأعباء وباهظ النفقات » . » .

ويختار النحاس باشا للوزارة الجديدة نفس الوزراء ، الذين كانوا يؤلفون الوزارة الوفدية التى سبق للملك أن أقالها فى ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧ بمقتضى ذلك الخطاب الشهير :

« عزيزى مصطفى النحاس باشا :

نظرا لما تجمع لدينا من الأدلة على أن شعبنا لم يعد يؤيد طريقة الوزارة فى الحكم وانه يأخذ عليها مجافاتها لروح الدستور وبعدها عن احترام الحريات العامة وحمايتها وتعذر ايجاد سبيل لاصلاح الأمور ، على يد الوزارة التى ترأسونها لم يكن بد من اقالتها تمهيدا لاقامة حكم صالح يقوم على تعرف رأى الأمة تستقر به السكينة والصفاء . فى البلاد ويوجه سياستها خير وجهة فى الظروف الدقيقة التى تجتازها ويحقق آمالنا العظيمة فى « فاروق » .

كان النحاس باشا حريصا على أن يشكل وزارته من نفس الوزراء السابقين « المقالين » وكانت أولى الخطوات التى اتخذها النحاس باشا ، لفرض ارادته على الملك ، الذى لم يكن يستطيع وقتئذ ، أن يقول فى أى أمر من الأمور ، « لا » .

وشكلت الوزارة الجديدة برئاسة النحاس باشا ، الذى احتفظ لنفسه بوزارتى الداخلية والخارجية من : عثمان محرم باشا « الأشغال » مكرم عبيد باشا « المالية والتموين » أحمد نجيب الهلالى بك « المعارف » أحمد حمدى سيف النصر باشا « الدفاع الوطنى » عبد السلام فهمى جمعة « الزراعة » على زكى العرابى باشا « المواصلات » محمد صبرى أبو علم « العدل » عبد الفتاح الطويل « الصحة » على حسين « الأوقاف » كامل صدقى بك « التجارة والصناعة » وكان تشكيل تلك الوزارة فى ٦ فبراير ١٩٤٢ .

وأستسمح القارىء العزيز والقارئة العزيزة فى أن أقفز عاما كاملا ، لعل تلك القفزة تساعدنا فى الحكم على تلك المأساة التى بدأت فى ٤ فبراير ١٩٤٢ أقفز الى ٢ فبراير ١٩٤٣ بالذات حيث جرى ــ ولست أدرى لماذا فى فبراير بالذات ــ تكريم سير مايلز لامبسون « لورد كيلرن !! » ٠

فى ٢ فبراير ١٩٤٣ أقام خريجو كلية فيكتوريا حفلة لتكريم سير مايلز لامبسون بمناسبة الانعام عليه بلقب لورد وكان فى مقدمة الحاضرين النحاس باشا ورئيس مجلس النواب والوزراء ، وأحمد حسنين باشا « !! » ومستر شون الوزير المفوض بالسفارة البريطانية وعلى الشمسى وحافظ عفيفى وأحمد عبود وجوزيف سماحة ومسيو كوتسيكا ، وشارل كاسترو ، و ٠٠ و وشرب المدعوون فى نهاية الحفل نخب صحة الملك فاروق بناء على اقتراح مستر ريد كما اقترح مستر ريد أيضا شرب نخب صحة الملك جورج السادس فشربهما الحاضرون وقوفا وقال مستر ريد فى بداية كلمته أن لكلية فيكتوريا صلة بممثلى بريطانيا فى مصر وأشار الى أهتمام لورد كرومر بانشاء تلك الكلية وتعهدها بالرعاية وأشار كذلك الى اهتمام غورست ، وكتشنر واللنبى ، ولويد ولامبسون بتلك الكلية أيضا وأشار فرغلى باشا الى شخصية مدام لامبسون وكرم ضيافتها كما أشار فرغلى باشا بوصفه رئيسا لجمعية مصدرى الأقطان ، الى مساعدات لامبسون للجمعية فى الأوقات العصيبة ! ولأن أية حفلة تقام فى كلية فيكتوريا ، لا يمكن أن تكتمل بدون كلمة من أمين عثمان ــ كما قال مستر ريد ــ فقد قال أمين عثمان ان الانعام على لامبسون ليس تتويجا لأعماله التاريخية أو ختاما لحياته العملية وانما هو تشجيع له على المضى فى عمله ٠

ويهمنى هنا ما قاله النحاس باشا رئيس وزراء مصر عن لورد كيلرن : سير مايلز لامبسون سابقا ، وبطل ٤ فبراير سابقا ولاحقا الى ما شاء الله !! قال مصطفى النحاس رئيس وزارة مصر : لقد استطعت من قبل فى مناسبة أقرب من هذه المناسبات الرسمية أن أعبر عما أعتقده ٠ من نوايا اللورد لامبسون رجل السياسة وأحب اليوم فى هذه المناسبة العائلية أن أقصر حديثى عن لورد لامبسون الرجل !!

اننا كلما تقدمنا الى مراحل الحياة رأينا أن الرجل مهما ارتفع ، وعلا ذكره لا يسمو بالمركز الذى يشغله وانما يستحقه بنفسه بماضيه بأخلاقه وبالجملة بانسانيته العميقة وكل ما يؤهله من الصفات للدور الذى تدعوه الظروف فى يوم من الأيام للقيام به ٠

وقد كان من دواعى سرورى أن أعرف اللورد لامبسون وأمعن النظر فى شخصيته مدى سبع سنين ، فبهرنى على الدوام بذلك الجانب من طباعه ، الذى يتمثل فى حبه للاستقامة وميله للصراحة ، وكانت السياسة نفسها ،

وما لها من المقتضيات تتكسر دائما ، على صخرة صلبة من رغبة فى أن ينظر بعين الحق والوضوح ويتكلم بلسان الصدق ، والصراحة ويوفق قبل كل شيء بين ضمير الانسان ، وضمير الرجل العام ٠

ويقول مصطفى النحاس ان تاريخ لورد لامبسون فريد فى النجاح وفى التوفيق ، دليل ناطق على مبلغ أعتزازه بالكرامة وميله الى خير بنى الانسان ، ويقول أيضا ما أعجبه فى لامبسون هو استطاعته التوازن بين العقل ، والقلب ويقول مصطفى النحاس : عندما حضر لورد لامبسون الى مصر وكان لما اتصف به من حب العدل والحق الفضل العظيم فى استقرار العلاقات المصرية البريطانية على أساس وطيد كريم من المحالفة والصداقة بعد أن أخفقت جميع المحاولات التى بذلت فى هذا السبيل قبل سنة ١٩٣٦ ، ثم كان لهذه الخلال نفسها الفضل فى احتفاظه بعد ذلك بروح الحرية حتى فى أدق الظروف وأخيرا فانه لم ينفك فى أيام الحرب العصيبة من مواصـــلة العمل بالرغم من جميـــع الصعوبات بسياسته الحكيمة سياسة الصراحة الصـــادقة والتعاون الودى فأصاب ما أصاب من نجاح يمكننى أن أقول أن أكبر الفضل فيه يرجع الى شجاعته والى تأثير مزايا الانسان فى نفسه ثم صفات رجل السياسة ٠ ويقول النحاس ولنرفع أكوابنـــا فى صحة صـــديقنا العزيز معربين باسم جميـــع الحاضرين عن أخلص أمانينا له وللليدى لامبسون قرينته الملهمة الخيرة ذات القلب الرقيق الكريم » ٠

وأعود بعد تلك القفزة السريعة الى الاشارة الى رأى فى مأساة ٤ فبراير ١٩٤٢ ترددت كثيرا فى نشره ، ذلك هو رأى الأستاذ جلال الدين الحمامصى ، وترددى فى نشر هذا الرأى مرده أن الأستاذ جلال الدين الحمامصى قد أشار الى دور السيدة زينب الوكيل فيما طرأ فى رأيه على سياسة النحاس باشا من تغير ، وكنت أود الا أشير الى دور السيدة زينب الوكيل ونحن بصدد تاريخ تلك الأيام الخطيرة والعصيبة فى التاريخ المصرى ولكننى ـ وبعد فترة طويلة جدا من التردد ـ وجدت انه ليس من الأمانة التاريخية أن أغفل بعض الآراء لأنها أشارت الى زاوية كنت أفضل دائما الابتعاد عنها ، كما أن هذه الآراء ليست فقط للأستاذ جلال الدين الحمامصى الوفدى المتحمس وقتئذ وانما هى لكتاب ومؤرخين آخرين من بينهم الأستاذ محمد التابعى والدكتور عبد الحميد حشيش بل لسياسيين كبار أمثال : مكرم عبيد باشا وآخرين ٠٠ وآخرين ٠٠

وما كان لى حقيقة أن أغفل رأى الأستاذ جلال الدين الحمامصى فى مأساة ٤ فبراير ١٩٤٢ ، وقد عاشها ساعة بساعة ودقيقة بدقيقة وكان لها بلا جدال آثارها فى نفسيته كسياسى مصرى شاب كان وثيق الصلة بمصطفى النحاس باشا رئيس الوفد ٠ يقول الأستاذ جلال الدين الحمامصى فى كتابه : « معركة نزاهة الحكم ، الأسبوع الأول من شهر فبراير ١٩٤٢ ، كانت الساعة قد بلغت

الثامنة والنصف من مساء ذلك اليوم ، فأخذت أستعد للنوم ، اذ كانت تلك الليلة ليلة أجازتي ، وكانت تلك الفترة فترة عصيبة من فترات الحرب العالمية الثانية وكانت مظاهرات معينة قد سارت فى شوارع القاهرة تهتف الى الأمام ياروميل اذ كانت القوات الالمانية على أبواب الاسكندرية ، فاهتزت الدوائر البريطانية لهذه المظاهرات وان كنت أعتقد انها مدبرة تمهيدا لتدخل بريطانى . ويقول الحمامصى : أن حسين سرى باشا قد ذكر فى مجلس وزرائه ان هذه المظاهرات مدبرة اشترك فى تدبيرها على ماهر والشيخ المراغى شيخ الجامع الأزهر وكامل البندارى ونحت يدى تقارير تثبت ان اجتماعات كثيرة تعقد فى عوامة الشيخ المراغى ، وان الأوامر بقيام هذه المظاهرات قد صدرت من هذه العوامة وأنا قادر على قمع هذه المظاهرات فهل توافقون على اصدار الأمر الى البوليس بقمعها . وتردد الوزراء وقالوا نبحث المسألة ، وأحس حسين سرى أن الوزارة تسير وفقا للخطة الموضوعية ولهذا قال لهم : — اذا كان الامر كذلك فأنا أستقيل وجمع أوراقه وخرج ليواجه كيلرن وتتحول الأزمة هذا التحول الخطير الذى بدأ بحادث ٤ فبراير .. ويقول الأستاذ جلال الحمامصى ان صاحب جريدة المصرى التى كان يعمل بها سكرتيرا للتحرير قد رأى أن يلغى أجازته فى تلك الليلة وانه — أى الأستاذ الحمامصى — اتجه الى منزل حسين سرى باشا رئيس الوزراء المستقيل فوصل اليه أثناء وصول موكب سير مايلز لامبسون السفير البريطانى وكان رئيس الوزراء فى انتظاره ، وما كاد السفير البريطانى يختفى داخل المنزل حتى غادرت سيارته وموكبه المكان كأن الأمر كان مدبرا من قبل حتى لا يعرف أحد أن السفير البريطانى يزور رئيس الوزراء فى هذا الوقت المتأخر من الليل (الساعة التاسعة) وقد بقى السفير البريطانى مع حسين سرى ساعة كاملة عاد بعدها السفير الى مكتبه بالسفارة » ويتصل الأستاذ جلال الدين الحمامصى بأحمد حسنين — وكانت صداقته به تسمح له بأن يطلبه فى أى وقت — ويروى الأستاذ الحمامصى لأحمد حسنين قصة اجتماع السفير البريطانى برئيس الوزارة لمدة ساعة ويندهش حسنين باشا قائلا : ولكن كيلرن ليس فى القاهرة ، لقد غادرها للصيد ، وانفرد المصرى بنشر نبأ قطع رحلة السفير البريطانى للصيد وعودته الى القاهرة مساء ومقابلته لرئيس الوزراء !

وعن حصار قصر عابدين بالدبابات البريطانية يقول الأستاذ جلال الحمامصى : لم أشهد هذا المنظر المروع — منظر حصار عابدين بالدبابات — فى بدايته ولكننى شهدته فى نهايته فقد كنت عائدا الى مكتبى بعد تناول طعام العشاء ، فاذا بعامل من عمال الجريدة يلقى الى بنبأ الحصار فركبت سيارتى من فورى الى ميدان عابدين وشهدت الحصار وشهدت ما هو أفجع منه ، شهدت الشعب يقف من هذا المنظر المروع موقف المتفرج مع ان الملك لم يكن مكروها فى ذلك الوقت ولم يكن قد انغمس فيما أنغمس فيه من تبذل واستهتار بل كانت تصرفاته جميعا تتسم بطابع رعاية مصلحة الشعب ولكن الشعب ..

الشعب المرهف الحس ، كان بليدا فى تلك اللحظة بلادة منقطعة النظير ، كان يواجه الاستراليين وهم يحيطون بالميدان بخوذاتهم وبنادقهم ويتندر معهم ، ويطلق فى أذانهم بعبارات لا تمت بصلة الى هذه الرواية المفجعة التى تمثل أمامه فى هذا الميدان » .

وأفتح قوسا ، أدافع فيه عن الشعب ، اذ الشعب لم يكن وقتئذ يعرف شيئا عما يدور فى قصر عابدين ومن يدريه أن هذا الحصار ، كان لخدمة الملك ، أو أن مقتضيات عسكرية هى التى أوجبت مجىء القوات الأجنبية بتلك الطريقة ، التى جىء بها ! ومن يدرى الشعب ان القوات قد جاءت بأمر الملك ، اننا يجب ألا نفترض معرفة الشعب بدقائق السياسة العليا ، التى كانت خافية وقتئذ على الزعماء ، ورؤساء الأحزاب .

وأقفل القوس وبسرعة لأعود الى رواية الأستاذ جلال الدين الحمامصى عن حصار عابدين بالدبابات البريطانية : يقول الأستاذ الحمامصى : عدت الى مكتبى حزبنا ، وطلبنى مكرم عبيد ليسألنى عن حقيقة ما يشاع عن محاصرة قصر عابدين ، فقلت له : لقد شهدته بعينى فهو ليس اشاعة ، وقد رد مكرم بكلمة واحدة : « يا حفيظ » وأقفل السماعة ..

وجاءت وفود الحزبيين والموظفين ، ونهـازى الفرص الى جريدة المصرى تسأل عن الأنباء ، أنباء الوزارة ، من شكلها ، ومن دخلها ، اما الحصار ، واما الاعتداء على العرش ؟ لقد كانت الأسئلة عنها تأتى على الهامش ، كان الحادث قد مضى فى ذمة التاريخ و .. و .. وجاءت وفود النواب السابقين ، تسأل عن موعد الانتخابات وتتحدث عن توزيع الدوائر . وأمسك بعضهم التليفونات يطلبون مراكزهم ، ودوائرهم الانتخابية ، يستفسرون ، ويذيعون أنباء عودة الوفد الى الحكم و .. و ..

ووقع بعد هذا ما هو أدهى وأمر ، فقد ذهب مصطفى النحاس لأول مرة الى مكتبه وذهب اللورد كيلرن بوصفه سفير بريطانيا صـاحبة الدبابات الى رئاسة مجلس الوزراء !

ويقول الأستاذ جلال الدين الحمامصى سكرتير تحرير صـحيفة المصرى لسان حال الوفد المصرى . كنت وقت ذاك واقفا فى فناء مجلس الوزراء أشهد الوفود الهاتفة بحياة الوفد وعودته الى الحكم بعد هذا الغياب الطويل وكانت لا تعلم شيئا كيف جاء النحاس الى الحكم وكان هذا لا يعنيها فى شىء وانما كان يعنيها أن يعود النحاس الى الحكم وشهدت هذه الجماهير المتحمسة اللورد كيلرن وهو ينزل من سيارته فأسرعت اليه تهتف له ، وتحييه ، ثم وقعت الكارثة اذ حملته ، على الأعناق ، ثم كان ختام الكوارث كلهـا ظهور النحاس وكيلرن معا فى شرفة مجلس الوزراء يتلقيان تحيات الجماهير .

ويقول جلال الدين الحمامصى : وضح أن مصطفى النحاس كان يعلم قبل هذا التاريخ ، أن الانجليز سيطلبون عودته الى الحكم ولهذا رفض فكرة الوزارة القومية ورفض أن يشترك فى أى اجماع على احباط مؤامرة الانجليز لأنه كان قد وعد بالاشتراك فى تنفيذها حتى النهاية ، ولم يكن توقيعه برفض الانذار ، ليبدل من مواقيت المؤامرة وان دل فى الظاهر على الاشتراك فى الرفض فانه فى الواقع ، لا يعنى خذلان الانجليز واحباط تدبيرهم ، اذ أنهم يملكون رفض هذا الرفض وهذا ما كان ، فقد مضوا فى انذارهم حتى النهاية وكانت النهاية أن يتولى مصطفى النحاس الحكم وكان المعروف ، ان الاعتذار الذى قدمه الانجليز بناء على طلب أعضاء الوفد كشرط لاشتراكهم فى الوزارة قد خفف قليلا من حدة هذا الحدث الضخم ، ولكن الاعتذار فقد ضجته بعد كشف المؤامرة أخيرا ومعرفة أن مصطفى النحاس اشترك فيها من البداية ، بل أصبح هذا الاعتذار فصلا أخيرا أضيف الى فصول رواية ٤ فبراير لترضى الجماهير التى لا يطيب لها النهايات المفجعة فيما تشاهد من مسرحيات وروايات ٠

ولا شك عندى حتى هذه اللحظة ــ جلال الدين الحمامصى ــ فى أن مكرم عبيد لم يكن يعلم شيئا عن هذه المؤامرة النحاسية ، البريطانية ، بل لقد كشفت الحوادث عن مدبرى تلك المؤامرة والمشتركين فى تنفيذها رسموا خطة أخرى لابعاد نفوذ مكرم وتأثيره ، على النحاس واحلال عنصر جديد محله ، حتى ينفسح الطريق أمام الذين يطلبون الثراء عن طريق الحكم وينتهزون فرصة الحرب لتحقيق هذا الثراء ٠ لم يكن مكرم على علم بهذه المؤامرة ولم يكن قد فقد ثقته بعد فى مصطفى النحاس أو فى وطنية مصطفى النحاس ولهذا فكر أول ما فكر فى العمل على ازالة أثر حادث محاصرة قصر عابدين بالدبابات قبل أن تؤلف الوزارة ، ولقد أحس فيما بعد ، وبعد أن قطعت الوزارة شوطا فى عملها ، ان الذين أحاطوا بمصطفى النحاس بدأوا يباعدون بينهما ولكن على الرغم من نجاح المتآمرين فى خطتهم التى انتهت باخراجه من الوزارة وفصله من الوفد ، ظل مكرم الى وقت غير بعيد لا يتصور أن مصطفى النحاس كان شريكا فى هذه المؤامرة ولمكرم عذره ، فقد كانت العلاقة التى تربط الرجلين ، علاقة جهاد ونضال ونفى ، وتشريد واضطهاد ، ولم يكن يتبادر الى ذهن مكرم أن الرجل نسى كل هذه السنوات ، وكل هذه المواقف لمجرد الشهوة فى الحكم ٠

ويقول الأستاذ جلال الدين الحمامصى : ولكن لم تكن فى الواقع شهوة الحكم ، بقدر ما كانت شهوة الثراء تستبد بقرينة الرئيس السابق مصطفى النحاس حتى لأكاد أجزم بأن زواج مصطفى النحاس هو العامل التاريخى الكبير الذى كان له أكبر الأثر فى كل تلك الأحداث السياسية التى مرت بالبلاد ٠

كانت السيدة قرينته لماحة الذكاء ، شديدة الطموح لا تريد من الزواج كسبا سياسيا ولم يكن ينظر الى مهمتها بوصفها زوجة لزعيم كبير على أنها مهمة وطنية تقتضيها أن تقف الى جوار زوجها وتسنده وتدفعه الى مواجهة

الاخطار فى سبيل بلاده ، لم تكن تؤمن بشىء من ذلك كله ، وتعيره أى اهتمام ، ولم تكن ترى فى جوهره تحلى بها صدرها ، ورأسها فى المجتمع المصرى ، انما كانت تحب المجوهرات والاحجار الكريمة ذات القيمة الغالية فى سوق البيع والشراء ، لم تكن الزعامة السياسية مالا يصلح للادخار ، وهى تحب أن تعد عدتها للمستقبل ، وتنظر كل يوم الى قرينها فتجد الفارق فى السن بينها وبينه كبيرا ولم تكن تعنى أنه يستحق أن يخدم ، لان الخدمة الحقة فى نظرها لا تستحقها الا فى الضياع والأراضى الزراعية ، التى تدر ايرادا دسما كل عام. وهى بعد هـذا كله تنظر الى تاريخ زوجها الطويل فى خدمة مصر ثم تنظر الى رصيده فى البنك فتراه بالقروش والملاليم .

ويمضى الأستاذ جلال الدين الحمامصى قائلا : ولسنا نعرف بالضبط دور السيدة زينب الوكيل فى وزارة ٤ فبراير ولكن الذى لاشك فيه هو انها كانت خلال تلك الفترة التى أقصى فيها الوفد عن الحكم تحاول أن تغير من تاريخ مصطفى النحاس واتجاهاته والذى لاشك فيه أن مصطفى النحاس . كان وهو يرى السن تتقدم به ينساق وراء قرينته : لقد كانت الأيام تمر ، والأسابيع تكر ، والشهور تتوالى والسنوات تمضى ولا أمل فى الحكم ، ولا رجاء فى أن يأتى النحاس مرة أخرى حاكما .

وكان قد انقضى أكثر من عام على اقالة الوزارة ثم أعلنت الحرب العالمية الثانية ، وبدأت تطرق أذنى السيدة زينب الوكيل أنباء الصفقات التى تعقد ، والثراء ، الذى يتدفق على التجار ، وكان الى جانبها أخوة لم ينالوا قسطا من التعليم ، ولكنهم يرون الفرصة سانحة لسد هذا النقص ، بانتهاز فرصة الحرب والنزول الى ميدان التجارة ، لاشباع طموحهم الى الثراء .

وكل هذه الظروف ـ جلال الدين الحمامصى ـ لعبت دورا خطيرا فى حياة الزعيم الوطنى مصطفى النحاس فاذابت كفاحه وجهاده وتاريخه ودفعت به فى ٤ فبراير الى الحكم فوق أسنة الحراب البريطانية وأنسته تاريخه وجهاده ، وذكرته بشىء واحد ، هو ارضاء زوجته الشابة » .

وقبل أن أنتقل الى رأى آخر خاص بمسئولية أحداث ٤ فبراير أبادر فأقول اننى ـ ولم أكن فى يوم من الأيام وفديا فأنا من الحزب الوطنى منذ العاشرة من عمرى ـ أختلف الى أبعد حدود الاختلاف مع الأستاذ جلال الحمامصى فى كثير من آرائه ، الخاصة بأحداث ما قبل ٤ فبراير وما بعد ٤ فبراير وأحداث ٤ فبراير ذاتها .

يقول الأستاذ عبد الرحمن الرافعى ، وهو يؤرخ لحادث أو مأساة ٤ فبراير ١٩٤٢ « لا شك أن المسئول الأول عن حادث ٤ فبراير هو العدوان البريطانى لأن هذا العدوان هو أساس الانذار وكان مظهره حضور الدبابات لتهديد الملك وقد كان الانجليز جادين فى هذا التهديد لأنهم وهم يحتلون البلاد

كانوا يعتقدون فى رجال القصر وبعض رجالات مصر ممن لهم صلة وثيقة بالقصر ، انهم على اتصال بالمحور فاعتزموا أن يضربوا ضربة تجمع بين اذلال العرش ، وبين ارضاء الأغلبية الوفدية التى كان النحاس على رأسها وهم يعلمون أن رؤساء هذه الأغلبية يرون فى ولايتهم الحكم أول وأهم هدف يسعون اليه ولا يهمهم غير ذلك ولا يتحرجون من سلوك أى طريق يؤدى بهم اليه .

ويقول عبد الرحمن الرافعى : ان الانجليز كانـوا فى ذلك الوقت فى حالة عصبية شديدة والاخطار تهدد كيانهم من جراء تقدم قوات المحور والمظاهرات العارمة نهتف ، الى الأمام يا روميل وسرى باشا ملتزم ازاءها موقف الصمت والجمود ، فاجتمعت هذه الظروف وجعلتهم يرتابون فى موقف الملك ، ومن هنا أحدق الخطر بالعرش والنحاس لم يكن مسئولا عن هـذا الخطر ، ولكن مسئوليته تبدأ من يوم أن علم برغبة الانجليز فى اسناد رئاسة الوزارة اليه وقد كان ولا ريب عالما بهذه الرغبة قبل يوم ٤ فبراير راضيا عنها ، بل مغتبطا بها ، متلهفا على تنفيذها ، وعلم بحديث السفير البريطانى مع رئيس الديوان بأنه اذا لم يقبل تأليف وزارة قومية فليؤلف وزارة وفدية ، وهذا ما جعـله يسير فى أنانيته الى الشوط الأخير .

وتدل الظروف والملابسات على أن هذا الانقلاب قد دبر بليل ، وكان السفير بين الانجليز والوفد ، هو أمين عثمان الذى كان موضع ثقتهما معا ، وقد انتهزها النحاس فرصة ليعود الى الحكم منفردا ، ويؤلف وزارة وفدية لحما ودما ، وكان واجبا عليه فى هذه الملابســـات الخطيرة أن يقبل تأليف وزارة قومية فانه فى هذه الحالة يكون على الأقل قد استجاب الى رغبة الملك ، الذى كان يدعوه قبل الانذار الى تأليف هذه الوزارة ، وكانت استجابته فى هذه الحالة لرغبـــة قومية ـلا لانذار أجنبى مسلح ـ تعد موقفا ســـليما يحفظ للبلاد كرامتها والائتلاف قد يكون علاجا للأزمات السياسية ولا شك ان البلاد كانت فى ذلك الحين تواجه أزمة من أخطر الأزمات وهذا الموقف العصيب كان يستلزم الائتلاف فى نظر النحاس محظورا ، لأن الضرورات تبيح المحظورات ، ولكنه رفض فكرة الائتلاف بتاتا واحتمل بذلك مسئولية كبرى اذ كان المسئول الثانى عن حادث ٤ فبراير وضاعف فى هذه المسئولية انه كان فى وزارته مواليا للانجليز معتمدا عليهم فى حل الأزمات بينه وبين القصر وليس هذا من الاستقامة ولا من الوطنية فى شىء ، وقد تعددت مظاهر ولائه الانجليز و . و » .

أما د . محمد أنيس فيقول : دفعت الظروف بالوفد الى موقف يستطيع منه أن يســـاوم الحكومة البريطانية أو القصر لكن مساومته مع القصر كانت البديل بعد فشل كل الجهود للوصول مع بريطانيا لكن المبادرة فى هذا المجال كانت تكمن فقط ، لدى الحكومة البريطانية ، بما يقل عن انتهازية الوفد ، وسعيه وراء الحكم فلا شك فى أن مكانته القوية لدى الشعب وقدرته ، على

أن يلعب الدور الحاسم في تقرير التوازن بين القوى السياسية فى تلك الساعة ، كان عاملا لا يمكن لبريطانيا أن تتجاهله خصوصا ان قلق بريطانيا كان قد وصل الى حد لم يكن معه فى الامكان مزيد من الانتظار ومن هنا ، كان الانذار البريطاني للملك باستدعاء وزارة وفدية : لقد كانت هذه هى المرة الأولى التى يتدخل فيها الانجليز لصالح حزب الأغلبية ، لا لأن هذا الحزب قد أصبح عميلا لكن لأن بريطانيا فى ظروف الحرب العالمية الثانية خصوصا أواخر ١٩٤١ كانت فى أشد الحاجة الى حزب الأغلبية فى الحكم ٠

ويقول د ٠ محمد أنيس : ان تولى الوفد للحكم كان اسهاما من جانبه لخدمة هزيمة الفاشية العالمية وهذا هو المضمون الحقيقى لموقف الوفد فى ٤ فبراير رغم الشكل القبيح لهـذا الحادث ومع الزمن تلاشى المضمون وبقى الشكل القبيح ، ووجهة نظر د٠ أنيس جديدة بدون شك لأنها لم ترد حتى على ألسنة قادة الوفد ٠

فؤاد سراج الدين يدلى برأيه ـ كشاهد ـ في حادث ٤ فبراير ١٩٤٢

للدكتور محمد أنيس فى حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ، دراسة مستقلة وله كذلك رأى خاص فى هذا الحادث مضمونه أن تولى الوفد ، للحكم كان اسهاما من جانبه لخدمة هزيمة الفاشية العالمية ، وهذا هو المضمون الحقيقى لموقف الوفد فى ٤ فبراير « رغم الشكل القبيح لهذا الحادث ومع الزمن تلاشى المضمون وبقى الشكل القبيح ٠

وقد كنت أتمنى أن أستسيغ هذا الرأى ، لولا ، أن المقدمات التى سبقت الحادث ، ورافقته ، لا يمكن أبدا ، أن تؤدى الى النتيجة ، التى انتهى اليها د ٠ أنيس كما ان سياسة الوفد السابقة على ٤ فبراير ، وخطاب النحاس باشا ، فى رأس البر « صيف ١٩٤١ » وبيانات الوفد قبل الحادث كلها تؤكد ، ان موضوع هزيمة الفاشية ، أو المساعدة على هزيمة الفاشية لم تكن جوهر سياسة الوفد ، وهو خارج الحكم ٠

ويمضى د ٠ أنيس فى تحليله لقبول الوفد ، للحكم فى ٤ فبراير ١٩٤٢ ليقول : كان من الواضح اذن أن الظروف قد دفعت بالوفد الى موقف يستطيع منه أن يساوم الحكومة البريطانية أو القصر ، لكن مساومته مع القصر ، كانت البديل بعد فشل كل الجهود للوصول ، الى اتفاق مع بريطانيا لكن المبادرة فى هذا المجال كانت تكمن فقط لدى الحكومة البريطانية ٠ ومهما قيل ، عن انتهازية الوفد ، وسعيه وراء الحكم ، فلا شك فى أن مكانته القوية لدى الشعب ، وقدرته على أن يلعب الدور الحاسم فى تقرير التوازن بين القوى السياسية فى تلك الساعة ، كان عاملا ، لا يمكن لبريطانيا أن تتجاهله ، خصوصا أن قلق بريطانيا كان قد وصل الى حد ، لم يعد معه فى الامكان مزيد من الانتظار ، ومن هذا كان الانذار البريطانى للملك باستدعاء وزارة وفدية» ٠

ويقول د. أنيس أيضا : رغم انتهارية الوفد ، ورغبة الكثير من أعضائه في الوصول الى الحكم ، وهو عامل لا يمكن التهوين من شأنه الا أن هناك عدة عوامل ، موضوعية في موقف الوفد دفعت الوفد الى المسلك الذى سلكه في أزمة ٤ فبراير وهي - من وجهة نظر د. أنيس - كالآتي :

١ - ان العداء التاريخي والموضوعي بين القصر ، والوفد ، ثم تحمس القصر ، المتزايد للمحور ، كان يحدث أثرا آليا مضادا داخل دوائر الوفد .

٢ - لم يكن أمام النحاس بسبب علاقته بالقصر ، وعلاقة القصر ، بالمحور من أمل في حالة انتصار المحور فالنحاس يعد الصانع الأول لمعاهدة ١٩٣٦ ، ولم يحاول لا ظاهرا ، ولا باطنا أن يستجيب لاغراءات التآمر مع المحور قبل الحرب أو أثناءها .

٣ - من الناحية النظرية كان النحاس ، يجد صعوبة أقل من خصومه في أن يشترك في أهداف الحلفاء ، في الحرب ومن الناحية العملية كانت معارك الوفد تحارب من أجل الدفاع عن الدستور وحرية الانتخابات . فالوفد كان يقف دائما مدافعا ، عن الديمقراطية .

لذلك فعلى المدى البعيد فان بقاء ، المبادىء الدستورية التى وقف الوفد مدافعا عنها لا يمكن أن تتحقق الا بهزيمته وعلى المدى القصير فان امكانية عودة الوفد السريعة ، الى الحكم كانت عن طريق توسيع الهوة بين فكرة الحكومة الائتلافية وبين السلطات البريطانية وهذا هو المضمون الحقيقي لموقف الوفد ومسئوليته في حادث ٤ فبراير :

ويتساءل د . أنيس بعد ذلك ! هل كانت قيادة الوفد تدرك هذا المضمون، أم انه اجتهاد مفتعل من جانبنا ؟ ويقول د . أنيس نعم : كانت قيادة الوفد تدرك وتتبنى هذا المضمون وتؤكده أيضا في معاركها بعد انتهاء الحرب فيه حتى لا تستدرج الى معركة تتهم فيها القصر بالتعاون مع المحور ، ولكى يؤكد د . أنيس وجهة نظره تلك قام بنقل مقتطفات من مقال نشرته صحيفة الوفد المصرى في ٦ فبراير ١٩٤٢ يؤيد قضية الحلفاء ، ويعادى المحور .

ووجهة نظرى في الاسشهاد بهذا المقال ، ان الاستشهاد ، يضعف وجهة نظر د . أنيس ولا يقويها ذلك أن نشر مقال في صحيفة وفدية ، وبعد أن وصل الوفد الى الحكم ، يؤيد المقال معاداة الوفد للمحور ، وتأييده لقضية الحلفاء ، من الأمور البديهية ، والطبيعية والتى لا تزيد على كونها تحصيل حاصل كما يقولون ! ولو ان الدكتور أنيس قد أستشهد لتأييد وجهة نظره بمقال ، أو مقالات نشرت في صحف الوفد مؤيدة للحلفاء ، ومعادية للمحور ، قبل ٤ فبراير ١٩٤٢ ، وقبل أن يلى ، الوفد الحكم كان الاستشهاد هنا - وهنا فقط - يمكن أن يقوى وجهة نظر د . أنيس !

واذا كانت سياسة الوفد ، القائمة والثابتة قد ارتكزت على تأييد قضية الحلفاء هل من تفسير لحملات الوفد ، على بريطانيا فى عام ١٩٤١ ، بالذات ؟ وهل من تفسير ، لحملات ، الوفد ، على د · أحمد ماهر ، والهيئة السعدية عندما ذهبوا ، فى تأييدهم ، لقضية الحلفاء ، الى أبعد مدى ، وصل اليه تأييد حزب سياسى مصرى ؟ على أية حال فان د · أنيس يؤكد ، أن النحاس باشا عندما استدعى ، للقصر ترك أسرته فى الصعيد ونسى مفاتيح منزله ولم يكن معه بدلة الردنجوت و ·· و ·· كل ذلك فى رأى د · أنيس يرجح — من وجهة نظر أنيس — أن النحاس لم يكن يعرف نية الانجليز فى توجيه الانذار ، للملك وهو فى الصعيد ، وأغلب الظن — ظن أنيس — أنه حين استدعى من الصعيد كان يجول فى خاطره أن فكرة الوزارة الائتلافية قد عادت الى الأذهان مرة أخرى ·

وهنا يأتى دور أمين عثمان ، عميل الانجليز المعروف ، والذى يطلق عليه لورد ويلسون « المفاوض لحساب السفارة البريطانية وقت الأزمات السياسية » ومن المعروف أن أمين عثمان التقى بالنحاس أكثر من مرة بعد عودته من الصعيد ، وأنه هو الذى بلغه تصميم الانجليز على تكليفه بالوزارة ، ولعل حديث أمين عثمان للنحاس : — د · أنيس — هو الذى شجع النحاس على تمسكه السابق بفكرة الوزارة الوفدية ·

وينهى د · محمد أنيس دراسته ، عن ٤ فبراير ١٩٤٢ بقوله : ما ان وصل الوفد الى الحكم ، حتى بدت انتهازية رجاله : المحسوبية ، والتلاعب فى مسائل التموين ونسى الوفد مذكرة ابريل ١٩٤٠ ، وهى ضرورة وعد بريطانيا بالجلاء عند نهاية الحرب ، وكان الوفد يطالب بذلك وهو فى المعارضة ونسيها ، أو تناساها وهو فى الحكم ، ثم حين أحس الوفد بأن قوات المحور ، تقترب من الاسكندرية وبدأ الانجليز يستعدون للانسحاب الى السودان أرسل مجلس وزراء الوفد خطابه المشهور الى محافظ الاسكندرية عبد الخالق حسونة يطلب منه أن يسلم لروميل حين يقترب من الاسكندرية ولا غرابة فى كل هذا فالوفد لم يكن حزبا عقائديا صلبا ، بل تنتابه موجات من الانتهازية الطاغية » ·

ولم يكن — د· أنيس — حادث ٤ فبراير هو الذى أدى ، الى عجز الوفد عن قيادة الثورة المصرية بعد الحرب العالمية الثانية فانتخابات عام ١٩٥٠ أرجعته الى الحكم ، لكن أسلوبه التقليدى فى الكفاح الوطنى ورفضه الكفاح المسلح « الا تحت ضغط الشعب » ورفضه للمضمون الاجتماعى للثورة جعله متخلفا وراء جماهير الشعب ، المصرى ، وهذا هو السبب الحقيقى فى سقوط الوفد — وليست حادثة ٤ فبراير التى أثرت تأثيرا معاديا للوفد لدى بعض قطاعات الطبقة المتوسطة ورغم ذلك الذى يقوله د· أنيس عن الوفد فانه يرى ان ما حدث

فى ٤ فبراير ١٩٤٢ كان تدخلا بريطانيا عنيفا تحت وطأة الحرب العالمية الثانية والموقف العسكرى فى الصحراء الغربية فى صالح حزب الجماهير ! » ٠

وعن قضية ايمان الوفد بقضية الديمقراطيـــة يقـــول د٠ محمد فريد عبد المجيد حشيش فى رسالة له عن الوفد المصرى حصـــل بها على درجـــة الماجستير من كلية آداب عين شمس واضح تماما ، تعاطف الوفد ، وتعاونه مع الديمقراطية عقب توليه الحكم ، لكن قبل ذلك ، أين كان هذا التعاطف لا نكاد نتبينه بل رأيناه على النقيض فى مذكرة ١٩٤٠ وخطبة ١٩٤١ كيف نفسر هذا؟ « ان الوفد ـ د٠ حشيش ـ لم يكن حزبا عقائديا واذا سلمنا بوجود نوع باهت من التعاطف ازاء بريطانيا قبل تولية الوفد ، الحكم ٠ فقد كان هذا التعاطف صادرا عن كراهية ، وعداء للقصر ، وبالتالى للمعسكر ، الذى ينحاز اليه وهو المحور وربما ساعد على هذا دخول الاتحاد السوفيتى الحرب ، الى جانب الحلفاء . ومن ثم ننتهى ـ د٠ حشيش ـ الى أن ما حدث فى ٤ فبراير كان تعبيرا عن دخول الصراع بين الوفد والقصر فى اطار الصراع ، العالمى بين الحلفاء والمحور » ٠

ويتجه رأى د٠ حشيش ، الى أن النحاس باشا لم يكن يعرف بنية الانجليز بتوجيه انذار الى الملك ابان وجوده بالصعيد ويبقى الشك لدينا ـ لدى د٠ حشيش ـ فى أمين عثمان باشا ، الذى لعب عقب عـــودة النحـاس الى القاهرة فتؤكد المصادر أنه ـ أى أمين عثمان ـ كان المصرى الوحيد ، الذى كان على علم سابق بما سينوى الانجليز عمله وأنهم استشاروه فأشار عليهم بما فعلوا وكان سفيرا بينهم وبين الوفد اذ كان موضع ثقتهما معا و ٠ و٠ وان أمين عثمان لعب دورا هاما فى التمهيد لحادث ٤ فبراير وتوجيه الانذار البريطانى واسناد الحكم الى النحاس ـ فى تصورنا ـ أراد أن يكافئه على جهوده أو أن ذلك كان بايعاز من السفارة البريطانية فاختاره وزيرا للمالية فى يوليو ١٩٤٣ !

ولأن د٠ حشيش اشار فى رسالته عن الوفد ، الى لقاءات عديدة له مـــع الأستاذ فؤاد سراج الدين ولأنه ـ د. حشيش ـ عندما تحدث عن حادث ٤ فبراير اشار الى بعض مقتطفات من آراء فؤاد سراج الدين فى هذا الحادث فقد رجعنا ، الى الصورة الأصلية لهذه اللقاءات ، والتى وقع الاستاذ فؤاد سراج الدين فى نهاية كل صفحة من الصفحات ، التى سجلت تلك اللقاءات ، وبنشرنا لرأى الأستاذ فؤاد سراج الدين فى حادث ٤ فبراير ، نكون قد اكملنـــا ـ وبتفصيل يكاد يكون مملا ـ وجهات نظر الوفد فى حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ٠

يقول فؤاد سراج الدين : شاءت الظروف ان اعاصر هذا الحادث منـذ بدايته بل قبلها فقد كنت مع الرئيس السابق مصطفى النحاس وبعض رجال الوفد فى زيارة لبعض بلاد الصعيد على احدى البواخر ، النيلية المملوكة لاحد الوفديين فى مديرية قنا « ذهبية خاصة يجرها لنش بخارى » وأذكر أننا غادرنا

مدينة الأقصر متجهين الى قنا ، لنمضى فيها ليلة ونزور فيها مكرم باشا ، وبعض الوفديين فى دورهم ، على آن نغادرها فى اليوم التالى ، الى مكان آخر ، وتنتهى الرحله فى بنى مزار لزيارة الاستاذ أحمد حسين عضو الشيوخ الوفدى وزوج خالة النحاس باشا وكنا فى أوائل فبراير ١٩٤٢ ، وعندما وصلنا الى قنا حضرنا حفل شاى كان معدا فى منزل أحد أقرباء مكرم باشا ، وأثناء الحفل وكنا بعد الغروب حضر أحد أصحاب الدار وأسر الى النحاس باشا بأن مدير قنا موجود بالصالون ويرجو مقابلة النحاس باشا لامر هام وعاجل وقمنا معه – أنا ومكرم – الى الصالون حيث وجدنا المدير الذى بلغ النحاس رسالة من القصر الملكى بلغت اليه تليفونيا ، مضمونها ان الملك يرجو النحاس باشا ، العودة فورا الى القاهرة لمقابلته لامور هامة ، وخطيرة فاعتذر النحاس باشا للمدير ، عن تلبية هذا الطلب قائلا : أنه مرتبط بعدة مواعيد وارتباطات وانه لا يستطيع العودة الى القاهرة كما يطلب منه .

الح المدير ، الحاحا كبيرا ، وقال للنحاس باشا ان معلوماته من القاهرة أن الحالة بالقاهرة خطيرة وما جد من ظروف تستدعى سفره وأن القصر يلح فى ذلك الحاحا شديدا ولكن النحاس ظل على رأيه فطلبت من المدير أن يتركنا على أن نتصل به ، فى المديرية ، بعد قليل لنخبره بالرأى النهائى للنحاس باشا فخرجت أودعه ، الى باب الصالون وطلبت اليه دون أن يحس النحاس ان يبقى القطار ، الذى سيغادر قنا ، ليلا ، الى القاهرة حتى اتصل به حيث يحتمل الا يكون النحاس باشا ، جاهزا للسفر ، قبل موعد قيام القطار ، فوعدنى بذلك واتجهت ومكرم باشا الى النحاس باشا نلح عليه فى السفر ، الى مصر حيث اننا فى حالة حرب والموقف خطير ، وسمعنا عن مظاهرات قامت فى القاهرة فقال النحاس باشا ، أنه لا يريد أن يمكن الملك من تكرار تمثيلية كفر عشما التى تمت معه فى سنة ١٩٤٠ ، عندما أوفد اليه الملك عبد الوهاب طلعت أحد كبار القصر ، واخذ يفاوضه فى أمر تشكيل وزارة جديدة ثم تبين ان الملك كان يعبث فقلنا له قد يكون هذا صحيحا ، لكن هذه المرة قد تكون الظروف الحرجة ، التى يواجهها الملك اضطرته ، الى استشارة النحاس باشا فى الموقف وقد تنتج هذه العودة خيرا ، للبلاد ، وقد لا تنتج ولكن فى كل الأحوال ينبغى ان يلبى النحاس باشا هذه الدعوة فى هذه الظروف الحرجة ، التى تجتازها البلاد ، وبرغم الجهود الكثيرة ، التى بذلناها معه والحجج العديدة التى قدمناها لم نستطع أن تغير رأيه ، وصمم على الرفض .

فأسررت الى مكرم باشا بفكرة ، وهى أنه لعله يكون من الخير ، آن نعود ، الى الباخرة فورا ونستعين بزينب هانم ، لعلها تستطيع اقناعه ، فضلا عن ان استمرار مناقشاتنا فى الصالون ، اثار تساؤل الكثيرين فى حفل الشاى ، كما

أثار قلقهم ، خصوصا بسبب حضور المدير فوافقنى على هذا الرأى . واقترحنا على الباشا العودة الى « الذهبية » للراحة بعد هذا العناء ، الطويل ، فوافق .

وعدنا الى الذهبية نحن الثلاثة وشرحنا للمرحومة زينب هانم الأمر ، فوافقتنا على وجهة نظرنا وأخذت تحاول اقناع زوجها وأعدنا عليه الكرة وكانت الساعة قد جاوزت التاسعة فنظر فى ساعته ، وقال : على كل حـــال لقد قام القطار ، المسافر الى القاهرة ، ولم يعد هناك سبيل لاجابة طلب الملك ..

وقلت له أن القطار مازال فى المحطة فى انتظاره وشرحت له ما اتفقت عليه مع المدير فثار فى وجهى واستغرب كيف نفعل هذا دون استشارته ، كما استبعد أن يكون المدير قد أخر القطار طوال هذه المدة كلها فقلت له : ما علينا الا أن نبعث بأحد رسلنا فان كان القطار قد سار ، انتهى الامر ، وان كان القطـــار ، لا يزال فى الانتظار فتسافر وقبل ان يجيب بنعم أو لا ارسلت سكرتيره بسيارة الى المحطة فعاد وقال ان القطار مازال منتظرا ، والمدير كذلك فاسقط فى يده . ولم يجد مفرا من السفر .

وطلب أن يسافر مكرم فقط معه ، وان نبقى نحن على أن نستأنف الرحلة كما هو مقرر الى نجع حمادى حيث تصل الذهبية بعد الظهر على أن يعود هو من القاهرة فى ظهر اليوم التالى وينضم الينا فى الرحلة ، وفعلا سافر هو ومكرم الى القاهرة واستأنفنا الرحلة الى نجع حمادى .

وفى المساء ، اتصلنا به تليفونيا بمنزل صهره المرحوم أحمد حسين عضو مجلس الشيوخ حيث كان يقيم به واخبرنا أنه لم يستطع العودة لأن الحالة خطيرة جدا وانه اضطر ان يبقى يوما آخر فى القاهرة وطلب منا ان نستأنف الرحلة الى جرجا حيث يرجو أن يصل اليها وفعلا سافرنا صباح اليــوم التالى الى جرجا حيث وصــلنا قبل الغروب وتوجهنا الى منزل المرحوم فخـــرى عبد النور حيث استقبلنا ابنه موريس وبدأنا نسمع بعض المعلومات عما يجرى فى القاهرة فى هذين اليومين ، واتصلنا بالباشا من منزل فخرى بك فقال إنه لن يرجع الينا وان الامور قد تطورت ، الى تكليفه بتشكيل الوزارة ، وطلب منا ان تعود الى القاهرة بالقطار فى اليوم التالى فلامته المرحومة زينب هانم عـلى قبوله الوزارة مرة أخرى واذكر انها قالت له حرفيا : الم يكفنا ما قاسيناه من الحكم ، وأنت متفق معى ، قبل سفرك ، على عدم قبولك الحكم . فلماذا غيرت رأيك ؟ فاجاب : « ان الحالة كانت خطيرة جدا » مما اضطره الى قبــول الحكم وانها عند عودتها الى القاهرة ستعرف كل التفصيلات .

وفعلا عدنا فى اليوم التالى الى القاهرة بالقطار ، وعرفنا كل تفصيلات الحوادث الخطيرة ، التى جرت والتى أجبرت النحاس باشا على قبول الوزارة ، وقال لنا أنه اعتذر للملك مرارا اثناء الاجتماعات التى تمت فى قصر عابدين عن

قبول الوزارة ولكن الملك الح ، عليه بشدة ، بل استنجد به وبوطنيته ، انقاذا للموقف » ٠

ويقول فؤاد سراج الدين : « هذه هى الظروف التى لمســتها بنفسى ، وعشتها ، وأستطيع أن أجزم آكيدا ، بأن النحاس باشا لم يكن لديه أية فكرة عما جرى فى مصر ، قبل وقوعه ، ولم يكن هناك أى اتفاق أو شبه تفـاهم مع الجانب البريطانى على شىء من ذلك لا مباشرة ولا بالواسطة ويحملنى على هــذا اليقين ما ياتى : اولا : ما هو معروف عن النحاس باشا ، الصدق التام والصراحة الكاملة ولم يعرف عنه طوال حياته السياسية والفضائية قبلها ، أو حتى أثناء اشتغاله بالمحاماة أن نطق بغير الحق مهما كان مرا ، وهذه الصفة يشهد بهـا خصومه ، قبل أصدقائه ٠

ثانيا : لو أن هناك شبه اتفاق بينه وبين الانجليز لما كان هناك أى محل لترنيب هذه الرحلة النيلية وقد تكلفت كثيرا ، والدعوات التى وجهها لنــا الوفديون وتكلفت كثيرا من الجهد والنفقات ٠

ثالثا : لو صح شىء مما ينسبه له خصومه ، لكان مكرم باشا أول العارفين به ، والمرتبين له ، بوصفه اليد اليمنى ، للنحاس باشا ، فى ذلك الوقت ، والقوة الهائلة فى الوفد فكان مكرم فى ذلك الوقت فى أوج قوته ، ونفوذه ٠

رابعا : المعارضة الشديدة التى قابل بها النحاس طلب الملك فاروق ، كانت معارضة عنيفة ولم تكن مجرد تمثيلية ومراوغة من النحاس باشا حتى يفوت ميعاد القطار ويضعنا ـ أنا ومدير قنا ـ أمام الأمر الواقع ، تدل على جدية هذه المعارضة ولولا الاحتياط الذى رتبته مع المدير لكان القطار قد غادر قنا فى موعده وتعذر على النحاس باشا السفر الى القاهرة ٠ ولو أنه كان عالما مقدما بما سيقبل عليه ٠ ومتفقا مع الانجليز لكان قد بادر الى الموافقة على السفر ، تلبية لدعوة الملك وهو يعلم أنه اذا فاته القطار ، الذى سيغادر قنا ، بعد قليل فلن يتسنى له ، السفر الا بعد ٢٤ ساعة ، وقد بلغ من عصبيته وقت السفر أنه نسى أخذ مفاتيح منزله معه ، مما اضطره الى الاقامة فى منزل صهره أحمد بك حسين والى استعارة بدلة الردنجوت الخاصة بالأستاذ الحسينى زعلوك لبرتديها فى مقابلته مع الملك حسب المعتاد ٠

خامسا : لو كان الأمر مرتبا بينه وبين الانجليز لأخذنا معــه الى القاهرة عندما سافر اليها من قنا فى نفس القطار ولكنه أصر على أن نستمر فى الرحلة على أمل كبير منه بأن سيلحقنا فى اليوم التالى وكان حريصا على اتمام هذه الرحلة وتلبية الدعوة فى البلاد التى سيمر عليها فى النيل ٠

وينهى فؤاد سراج الدين ما قاله ـ وقد حرصنا على نشره كله بالحـرف الواحد ، ودون حذف كلمة واحدة منه ـ بالكلمات التالية : بعد سرد هذه القرائن القوية التى تبلغ درجة الأدلة والتى يتوجها دليل حاسم ، وهو وطنية النحاس

واستقامته السـياسية وبعده عن الالتجاء لأى سـبيل يمس كرامة بلده ، أو مقدساتها ، وبعد هذه الأدلة أريد ـ فؤاد سراج الدين ـ ان أفرد حقيقة ثابتة رسمية ، ومعروفة ويمكن تلخيصها فى أمرين : أولا : ان أحزاب الأقلية التى كانت تتولى الحكم منذ سنة ١٩٣٩ ٠ تاريخ نشوب الحرب الى يوم ٤ فبراير ١٩٤٢ هذه الأحزاب السياسية هى التى أدت بسياستها وبتصرفاتها وتصرفات رؤساء الوزارات الذين تولوا مقاليد الحكم فى هذه الفترة هذه التصرفات هى التى أوصلت البلاد الى ما وقع فى ٤ فبراير ، ولم يكن الوفد ولا النحاس مسئولا عن شىء من ذلك ٠

ثانيا : ان جميع رجال السياسة الذين دعوا الى القصر فى هذا اليـوم وحضروا الاجتماعات ، التى حضرها الملك ، كانوا موافقين بالاجماع ، على قبول الانذار البريطانى وعلى تنحى الوزارة ، التى كانت قائمة فى الحـكم ، وعلى تشكيل النحاس الوزارة الجديدة ، وكل ما طلبـوه منه بـل واشترطوه لهذه الموافقة ، ان تكون وزارة النحاس الجديدة وزارة ائتلافية تضم أحزاب الأقلية ، وطبعا رفض النحاس فكرة الوزارة الائتلافية بعد تجربتها أكثر من مرة وفشلها بسبب نفس أحزاب الأقلية ، واذا كان من الجائز ، اعادة هذه التجربة مرة أخرى فى أوقات السلم العادية فكان من الخطر اعادتها فى وقت الحرب فكان الأمر فى نظر هؤلاء الساسة ، مجرد اشتراكهم فى الحكم مع النحاس فان وافق كان الانذار البريطانى ، أمرا مقبولا ، وكان النحاس رجلا وطنيا ، وكانت مقدسات الوطن مصونة أما اذا ما رفض النحاس باشا ، اشتراكهم معه فى الحكم ـ وقد حدث ـ فهو اذن رجل خائن ساعد الانجليز على المساس بالبلاد ، ومقدساتها ، بل وكان متآمرا معهم ، على كل ما حصل وبذلك فقد صـح فيهم المثل الدارج القائل : « يا فيها يا أخفيها » ٠

ومن الحقائق المسـلم بها ـ فؤاد سراج الدين ـ ان النحاس فى هذه الاجتماعات أبدى موافقته على رفض الانذار البريطانى وفى الاجتماع التـالى عندما أحس الملك بخطورة الأمر وبأن الانجليز ، جادون فى انذارهم أخذ يرجو النحاس باشا فى قبول تشكيل الوزارة ، وكلما اعتذر النحاس الح الملك على مسمع الزعماء السياسيين » ٠

وكل ما أستطيع ان أعلق به على رواية فؤاد سراج الدين باشا ، اننا عندما نناقش أية قضية سياسية يجب ان نناقشها مناقشـة موضوعية لا شخصية فالحكم فى قضية سياسية ما لا يعنى الحكم النهائى على الشخصية التى كان لها دخل ما فى تلك القضية واذ كنت واحدا من قدامى أعضاء الحزب الوطنى ومنذ العاشرة من عمرى ، فقد ظللت ولا أزال ، أؤمن والى أبعد حدود الايمان بوطنية النحاس باشا وقد نشرت عنه دراسة مستفيضة فى المصور فى أغسطس ١٩٧٥ ولبضعة أسابيع تحت عنوان « مقال تأخر نشره عشر سنوات » وذلك فى الذكرى العاشرة لوفاة النحاس باشا اذ لم يكن قبل ١٥ مايو ١٩٧١ ممكنا نشر

أية كلمة عن النحاس باشا وقد عارضت النحاس باشا عندما وقع معاهدة ١٩٣٦ وعارضته ـ وبعنف ـ عندما ولى الحكم فى ٤ فبراير ١٩٤٢ ، وليس معنى معارضتنا لمعاهدة ١٩٣٦ أو معارضتنا لتولى النحاس باشا الحكم فى ٤ فبراير ١٩٤٢ ، اننا نشك فى وطنيته ولكن معناه اننا نعارضه فى بعض تصرفاته السياسية ، ان الخلاف أو الاختلاف حول قضية سياسية ما وقعت فى مرحلة من مراحل التاريخ لا يمكن ان يمتد أبدا الى تاريخ الشخص ، الذى كان له دور فى تلك القضية ولا يجب أبدا لهذا الخلاف والاختلاف حول قضية سياسية ما بالنسبة لسياسى ما ان يمتد الى التشكيك فى نزاهة ذلك الشخص أو فى النيل من وطنيته حتى ولو كان ذلك الشخص قد ارتكب فى تلك القضية خطأ كبيرا ، أو صغيرا ٠

ان وقوع سياسى ما فى خطأ سياسى أو حتى ارتكابه جريمة سياسية لا يجب أن يجب كل ما سبق لهذا السياسى أن قام به لخدمة بلده قبل وقوع ذلك الخطأ أو تلك الجريمة أو أن يجب كل ما أداه هذا السياسى لبلده بعد وقوعه ، فى ذلك الخطأ أو حتى بعد ارتكابه لتلك الجريمة ٠

وليس معنى توجيه اللوم الى النحاس باشا لقبوله ، الوزارة فى ٤ فبراير ١٩٤٢ من قبل الكثيرين من أفراد هذا الشعب اعفاء زعماء أحزاب الأقلية من المسئولية ، فكل أحزاب الأقلية التى حكمت مصر لها أخطاؤها ، ولها خطاياها وهى جميعا مسئولة مسئولية مباشرة ، عما وقع فى ٤ فبراير ١٩٤٢ ، كما أن القاء بعض المسئولية على النحاس باشا ، والوفد وعلى زعماء أحزاب الأقلية لا يعنى اعفاء القصر من المشاركة فى تلك المسئولية فالجميع بلا جدال ـ فى رأينا ـ مسئولون عن حادث ٤ فبراير : الانجليز ، القصر ، أحزاب الأقلية ، الوفد ورئيسه مصطفى النحاس ٠

واذا كان الأستاذ فؤاد سراج الدين قد اهتم ، فى روايته عن حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ببعض الأمور الشكلية ، فاننا نقول ان هذه الأمور التى ساقها الأستاذ فؤاد سراج الدين لتبرئة النحاس باشا من مسئولية حادث ٤ فبراير لا تنهض دليلا على تبرئته مما حدث ، ويمكن أن يكون هناك أمور أخرى جوهرية عن تلك التى ساقها الأستاذ فؤاد سراج الدين تبرىء النحاس باشا من مسئولية ٤ فبراير ١٩٤٢ ٠

ولو أننى كنت قاضيا وعرضت على هذه القضية ـ قضية ٤ فبراير ١٩٤٢ ـ لما اقتنعت أبدا بالأدلة والقرائن ، التى ساقها فؤاد سراج الدين فى روايته عن ٤ فبراير ، ولست أدرى ما الذى أعاد الى ذهنى ذلك الحكم ، الذى نطق به أحد القضاة فى قضية ما عندما قال فى منطوق حكمه : يقضى ببراءة المتهم من التهم التى وجهت اليه لغير الأسباب التى ساقها محاميه ؟ ٠

ان معارضة النحاس باشا للسفر من قنا الى القاهرة قد تكون دليلا على أى شيء الا أن تكون دليلا على عدم معرفة النحاس باشا بما سيحدث فى القاهرة ، وكذلك نسيان النحاس باشا لمفاتيح منزله واضطراره الى ارتداء ردنجوت الأستاذ الحسينى زعلوك لا يقوم دليلا على أن النحاس باشا لم تكن لديه أية فكرة عما جرى فى ٤ فبراير ١٩٤٢ ٠

وحرص النحاس باشا على عدم مصاحبة أسرته والأستاذ فؤاد سراج الدين له عند سفره من قنا ، الى القاهرة لا تدل على أن النحاس باشا لم يتفق من قبل مع الانجليز ، على تولى الحكم ، ويمكن أن تدل على أنه كان يشك فى نجاح خطة الانجليز فى العودة به الى الحكم كما سبق أن حدث قبل ذلك و ٠٠ و ٠ وأنه خشى أنه ينفضح أمر مشاركته فى التمهيد بحادث ٤ فبراير فآثر أن يبقى أسرته فى الصعيد ، و ٠ و ٠ ولو أن النحاس باشا ـ مع افتراض مشاركته فى التمهيد لحادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ـ قد سارع بتلبية دعوة الملك ولو أنه اصطحب معه أسرته ، لادى ذلك الى اكتشاف الخطة ٠

أما القول بأنه لو كان هناك اتفاق بين النحاس باشا والانجليز لكان مكرم عبيد باشا أول العارفين به ، والمرتبين له ، بوصف مكرم عبيد باشا ، اليد اليمنى للنحاس باشا وقتئذ فيمكن الرد عليه بأنه فى ذلك التـــاريخ كانت مكانة مكرم عبيد باشا عند النحاس قد اهتزت ، وكان قد وجد البديل له عند النحاس باشا ، بدليل تواجد الأستاذ فؤاد سراج الدين فى تلك الرحلة ولم يكن وقتئذ عضوا فى الوفد ، بل لم يكن له من مكان طبيعى فى تلك الرحلة ، ورواية فؤاد سراج الدين تؤكد أنه ـ أى فؤاد سراج الدين ـ كانت له حظوة كبيرة عند النحاس باشا ، وكان يتصرف كقوة ضخمة ، وبثقة مطلقة ، بدليل انه اتفق مع مدير قنا ، على ان يبقى القطار فى قنـا الى أن يستقله النحاس باشا ، كما أن فؤاد سراج الدين ـ كما يقول ـ هو الذى أسر الى مكرم باشا بفكرة ، وهى انه لعله يكون من الخير أن نعود الى الباخرة ، ونستعين بزينب هانم لعلها تستطيع اقناع النحاس باشا ، وانه ـ أى فؤاد سراج الدين ، ومكرم عبيد ـ بعد ان شرحا للمرحومة زينب هانم الأمر ، فوافقتنا على وجهة نظرنا وأخذت تحاول اقناع زوجها ! ٠

أقول ذلك كله ، وأنا على ثقة مطلقة من أن النحاس باشا قبل عودته الى القاهرة ، لم يكن قد أجرى أية اتصالات مع الانجليز ، وان الاتصالات ـ غير المباشرة ـ مع الانجليز قد تمت وعن طريق أمين عثمان باشا منذ وصوله الى محطة القاهرة قادما من قنا حيث كان أمين عثمان باشا فى استقباله فى محطة القاهرة ، وكان هو الواسطة ٠ كما يؤكد سير مايلز لامبسون فى برقياته الى وزارة الخارجية ، الصلة بين النحاس باشا وبين سير مايلز لامبسون ، كما اننى أيضا أقول هذا القول وضميرى الوطنى مقتنع بأن مسئولية النحاس باشا لم تبدأ الا منذ مقابلته للملك !! ٠

وأعود بعد ذلك ، وللمرة الأخيرة الى قضية الاغتيالات السياسية ــ مقتل أمين عثمان باشا ــ فأقول أن النحاس باشا عندما سئل فى المحكمة عن رأيه فى الخطبة التى ألقاها أمين عثمان باشا فى كلية فيكتوريا ، عن العلاقة بين مصر وبريطانيا وتشبيهها بالزواج الكاثوليكى الذى لا طـــلاق فيه ، أجاب النحاس : أنه قرأ هذه الخطبة وأنه تعجب بتشبيه أمين باشا ، وعندما سئل النحاس باشا من الأستاذ شوكت التونى : هل الخطبة التى ألقاها أمين باشا فى كلية فيكتوريا والتى تكلم فيها على زواج الانجليز بمصر ، وانه كان زواجا كاثوليكيا اى لا ينفصم وافقت عليها واعتبرت أن هذه السياسة خاصة بأمين عثمان باشا للتأثير على الانجليز ، أجابه النحاس باشا بنعم !

وفى قاعة المحكمة ، سئل النحاس باشا هل رفضت مصافحة اسماعيل تيمور باشا مندوب جلالة الملك ، فأجاب النحاس باشا ، أنه رفض مصافحة تيمور باشا ، وما كان يعلم انه مندوب الملك ٠

وفى المحكمة قال الأستاذ جلال الحمامصى ، انه سمع من أحمد حسنين باشا ــ نقلا عن محمد فرغلى باشا ــ ان أمين عثمان باشا فاتحه فى الاشتراك فى وزارة جديدة سيؤلفها هو ، أى أمين عثمان وأنه فاتح أيضا حيدر باشا ويوسف صيدناوى باشا و ٠٠ و ٠٠ !

وفى نفس المحاكمة ، قال زكى على باشا ان النحاس باشا رفض الوزارة الائتلافية لأسباب لها وجاهتها فى نظره ، الا ان الموقف كان يستدعى التضحية ، لأننا كنا فى وقت حرب وكنت ــ أى زكى على ــ أطلب من النحاس باشا أن يتساهل فى هذه المسألة ، وان النحاس باشا ــ زكى على يقــول ــ قــد رفض اقتراحا من شريف صبرى باشا ، بأن يقبل تشــكيل وزارة محايدة تجرى انتخابات !

وفى تلك المحاكمة أيضا ذكر على ماهر باشا أنه كان فى القصر الأخضر ، عندما اتصل به النحاس باشا ــ وكان وقتئذ رئيسا للوزارة ــ وقال له : أنا مريض وأريد مقابلتك وقال على ماهر ، انه قال للنحاس باشا ، سأزورك ، وأثناء الزيارة ــ كما يقول على ماهر ــ النحاس باشا وجه لى كلاما بأنى متهم ، أنا والملك والشيخ المراغى بأننا نريد عمل ثورة فى الأزهر ، وانه لديه أوراق تثبت ذلك ، ويقول على ماهر ، انه قال للنحاس باشا : ان الذى دبر أسماء التدبير ، ومع كونى أحب الأزهريين ، الا أنه لا يوجد اتصال بينى وبينهم الا بهيئة كبار العلماء ، وقال على ماهر : أنه قال للنحاس : الواقعة مختلقة من أولها ، الى آخرها فاعرض أوراقك وتكلم ، فلم يقبل النحاس أن يتكلم ، وقال على ماهر للنحاس : ليست لك عندى طلبات ، ويقول على ماهر ان النحاس باشا كان يريد أن يعتبر ان عودتى الى القصر الأخضر قد تمت بناء على طلبه ــ طلب على ماهر ــ وان على ماهر قال له : أنى لا أريد التقيد بأى قيد ٠

وفى تلك المحاكمة ، قال على ماهر ، انه اعتقل أولا فى الصحراء الغربية ، ثم نقل الى السرو ثم الى العياط ، وكل هذا بناء على موافقه السفير البريطانى ، لدرجة انى كنت مريضا بالمستشفى العسكرى وجاء الأمر ان أسافر الى السرو ، وكانت حرارتى ٣٨ ٠

وجابوا واحد باشا عسكرى يخرجنى فلم يجرؤ ، فقالوا انهم سيحاكمونه ثم جاء خمسة لواءات وسافرت الساعة ٨ ، ووجدنا المكان غير مستعد وبه ناموس و ٠٠ و

وقبل أن نواصل الحديث عن بعض أعمال الوزارة الوفدية ، نشير الى بعض رسائل تلقيناها عن حادث ٤ فبراير ١٤٩٢ كما ننشر بعض ما قيل فى قضية الاغتيالات السياسية عن ذلك الحادث ٠

الباب العاشر

أزمة عنيفة بسبب ترشيح الشيخ حسن البنا لانتخابات مجلس النواب (فبراير ١٩٤٢)

● نشرنا بعض ما كتبه ـ عن حادث ٤ فبراير ـ د. أنيس و د. حشيش وهما من المؤرخين ، المتعاطفين مع الوفد المصرى ، كما نشرنا ـ وبالحرف الواحد ، ولأول مرة أيضا ـ أقوال الأستاذ فؤاد سراج الدين فى هذا الحادث وذلك ايمانا منا بحرية الرأى وتحقيقا لما دعونا اليه فى هذه التجربة التاريخية الجديدة من ضرورة الحرص الشديد على نشر الرأى ، والرأى الآخر سعيا وراء الحق ، والحقيقة ، وكنا قد دعونا من لديهم أية بيانات ومعلومات ، أو آراء خاصة بذلك الحادث بل الحدث التاريخى الهام وقد تلقينا بعض الرسائل ، نشرنا بعضها وسننشر البعض الآخر ..

والتزاما منى بالأمانة التاريخية أقول اننى تلقيت رسالة مهمة لم يشأ صاحبها ، أن يوقعها باسمه فطالبته ـ فى الأسبوع الماضى ـ بأن يوافينى باسمه لتكون للرسالة أهميتها ، ولعله فاعل ان شاء الله كما اننى تلقيت من زفتى رسالة من الأخ السيد زينهم أبو العطا منصور صاحب محلج النيل بزفتى لم أستطيع نشرها لأنها كانت مقتطفات من كتاب الأستاذ محمد التابعى من أسرار الساسة والسياسة ، وقد سبق لنا ، أن اقتطفنا بعض ما جاء فى كتاب الأستاذ التابعى عن ٤ فبراير ١٩٤٢ .

ومن زفتى أيضا ، تلقيت رسالتين أو ثلاثا لا أدرى بالضبط فما أكثر الرسائل التى تصلنى من هذا الكاتب والذى يحرص باستمرار على أن يوجه الى أبشع الشتائم ، وأفظع الأوصاف وليس لى من تعليق على تلك الرسائل ، الا أن أدعو الله ـ ومن الأعماق ـ أن ينعم على صاحب تلك الرسالة بنعمة الشفاء ! .

وكنت فى نهاية الفصل السابق قد انتقلت الى محكمة جنايات مصر حيث جرت محاكمة ٤ فبراير أثناء نظر قضية الاغتيالات السياسية قضية مقتل أمين عثمان باشا أحد أبطال ٤ فبراير .

فقد نقلنا بعض أقــوال الشهود كمصطفى النحاس باشا ، وزكى على باشا ، وعلى ماهر باشا ، ونكمل فى هذه الحلقة بعض أقوال على ماهر باشا الذى سئل ، عن الانذار البريطانى الذى وجهه الانجليز الى الملك فقال :

« ان الانذار البريطانى الموجه الى الملك فاروق فيه اعتداء على الاستقلال وعلى الشرف الوطنى ، واهدار للكرامة الوطنية ، والاعتداء على الاستقلال يمكن ملاقاته أما الاعتداء على الشرف الوطنى والكرامة الوطنية فليس له من رد .

ويقول على ماهر ان الانذار البريطانى كان القصد منه الارهاب والاذلال ، وأن أمين عثمان هو الذى دبر حادث ٤ فبراير ، من الجانب المصرى وانه ــ أى أمين عثمان ــ كان يطمع فى أن يكون رئيسا للوزارة المصرية وأن مستر ريد عميد كلية فيكتوريا كان يشــير الى أمين عثمان بأنه ســيكون رئيس وزارة المستقبل !

ويقول حافظ رمضان ــ فى المحاكمة ــ أن الانجليز تدخلوا لمنع محاكمة النحاس باشا بعد اقالة وزارته وتأليف أحمد ماهر باشا الوزارة ، وانه عندما سئل مستر ايدن عن المسوغ الذى اتكأ اليه الانجليز فى طلبهم عدم محاكمة النحاس باشا قال : انه صديــق لنا . نفعنــا أيام الحرب ، وانه خدمنا أيام العلمين و .. و .. » .

ويرفض حسين سرى باشا ان يؤكد أو ينفى أن يكون لأمين عثمان باشا دخل ، أو علم مسبق بحادث ٤ فبراير ١٩٤٢ قائلا : هذه مسائل كنت أعلمها كوزير داخلية ولا يمكن ان أصرح بها » .

والغريب ان حسين سرى الذى رشح النحاس باشا لتولى رئاسة الوزارة ، بعد استقالة وزارته ، يقول فى المحاكمة : ان النحاس باشا أخطأ فى قبوله الحكم ، وانه يختلف واياه ، لعدم قبوله تأليف وزارة ائتلافية !

ويسأل حسين سرى باشا : باعتبار دولتكم من رجال السياسة الا يبدو غريبا أن يطلب سفير بريطانيا تعيين النحاس باشا ، رئيسا للوزارة بعد حملات الوفد العدائية على بريطانيا ؟ ويسأل حسين سرى ، اذن لم يكن غريبا أن تطلب بريطانيا تعيين رجل سياسى يهاجمها ؟ ويقول حسين سرى : السياسة البريطانية عودتنا مثل ذلك !

ولعل من أشهر الكلمــات التى ترددت فى محكمة الجنايات ــ قضـــية الاغتيالات السياسية ــ والتى وصفت حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ تلك التى جاءت على لسان الأستاذ حسن أنور حبيب ممثل النيابة عندما قال :

ان يوم ٤ فبراير ١٩٤٢ سيظل وصمة فى جبين الامبراطورية وسيظل دليلا صارخا ، على البربرية التى هوى اليها الانجليز فى ذلك اليوم الأغبر

الكالح ، فقد قابلوا الوفاء بالنكران ، والاحسان بالاساءة ، والصنيع بالجحود ، ولكن هذه القوة الغاشمة وقفت عند حدها » .

سنظل نلعن الانجليز أبد الدهر ما داموا محتلين بلادنا ولو كانوا فى أجدب بقعة منها ، ويخيل الى أن كل باب يغلق ، كأنما ينصفق فى وجوههم ، وان كل حجر بأرض الوادى ود لو طار فحصبهم فى جباههم ، وأن كل كلب ينبح انما يصرخ فى وجوههم : أخرجوا ... أخرجوا من هذا البلد ، الجلاء ووحدة وادى النيل : شعورنا وشعارنا . بل هو ترديد لوجيب قلوبنا ، ونبضات دمنا ، وهمسات أرواحنا ، شيبا وشبانا ، رجالا ونساء .

ولكن كيف السبيل الى بلوغ ما نصبوا اليه جميعا ؟ الى بلوغ ما يتوق اليه كل مصرى ؟ أتراه بالتناحر ، لغويا فيما بيننا ؟ أتراه أن يهاجم بعضنا بعضا ، فننقسم شيعا وفرقا و .. و .. » .

ويجىء النائب العام الأستاذ محمود منصور فى الجلسة التالية ـ جلسة ١١ ابريل ـ ليفاجىء القضاة والمتهمين والحضور بالكلمة التالية : فى الكلمة التى قدم بها زميلى الأستاذ أنور حبيب فى هذه القضية عدة تعبيرات وتشبيهات، ومجازات ، لم أشك حين اطلعت عليها فى الصحف أنها جاءت وراء مراده ووقعت بعيدا عن مقصوده ، نتيجةللتعرض لخاطر الارتجال ، وأثرا عرضيا لجو العصبية فى نفسه ، على أن تلك العبارات بما مست من شئون السياسة الخارجية ، يصعب فى الواقع تبرير ارجائها على هذا النحو كما يصعب ربطها بهذه الدعوى ، ولذلك فقد استأذنت زميلى « أنور بك » فأذن لى فى أن أصرح بأن تلك العبارات لا تعبر بحال عن رأى النيابة فارجو أن يثبت ذلك فى محضر الجلسة » .

وغضب المحامون خاصة وأن الأستاذ أنور حبيب ، لم يكن يرتجل ، وانما كان يتلو مرافعته ، ويرجع الى أوراق مكتوبة ، ولابد أن السفارة البريطانية قد تدخلت واحتجت و .. و ..

وكانت ثورة للمتهمين فى تلك القضية تزعمها أنور السادات ، وقال أنور السادات ـ ونحن هنا ننقل عن محاضر جلسات المحكمة ـ أنا أفضل أن أشنق ألف مرة ، على أن أرى النائب العام يتراجع ، ويقف هذا الموقف غير المشرف » .

ومن محكمة جنايات مصر فى باب الخلق بالقاهرة ، ننتقل الى محكمة الرأى العام ، لنرى ماذا قالت عن ٤ فبراير ١٩٤٢ ؟

« لم تستطع صحافة مصر أن تشير الى حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ فى أعقاب حدوثه ، بل لم تستطع أن تشير اليه بصراحة ووضوح الا فى أواخر عام ١٩٤٥، وذلك بسبب الرقابة على الصحف ، وبسبب الحرب العالمية الثانية ، كل ما استطاعت الصحف أن تشير اليه هو أن السفير البريطانى ، فى مصر قد قابل

الملك فاروق فى مساء ٤ فبراير وأنه لم يكن وحده ، وانما كان معه الجنرال ستون باشا ، قائد قوات بريطانيا فى مصر » ٠

وكان المصرى — فى ٣ فبراير ١٩٤٢ — قد سبق له أن نشر اتصال اسماعيل تيمور الأمين الأول لقصر الملك بالنحاس باشا ، فى قنا وكان الأهرام أيضا — فى ٣ فبراير ١٩٤٢ — قد ذكر بعض ما تيسر له ذكره من أحداث أمس، وقبل أمس ، وعما ينتظر حدوثه اليوم — ٣ فبراير ١٩٤٢ — « ولا شك أن ما ذكرناه لا يشفى غليلا ، ولا يساعد على تكوين حكم صادق ، على أمسنا ، ولا على التنبؤ عن غدنا » ٠ كما أن الأهرام قد نشر فى نفس اليوم ٣ — ٢ — ١٩٤٢ أنه فى حالة تكوين وزارة محايدة فان المرشحين كثيرون ، وفى حالة تكوين وزارة وفدية أو قومية ائتلافية فمعروف من سيتولى رئاستها ، وان لم تذكر اسم النحاس باشا ٠

على أن فرض الرقابة الشديدة على الصحف المصرية ، لم يمنعها من أن تتحايل على نشر بعض ما لم تستطع نشره فى صورة تلغرافات شركات الأنباء الكبرى ، وفى صورة نقل بعض ما نشرته صحف لندن من أخبار و ٠٠ و ٠٠

وقد نشر المصرى فى ٦ — ٢ — ١٩٤٢ تحت عنوان : « مصر فى صحف لندن : التزامات المعاهدة بين مصر ، وبريطانيا » وكان فى مقدمة ما نشره المصرى : تلقت صحف لندن وشركات الأخبار الكبرى من مراسليها فى القاهرة أنباء عن الحوادث الأخيرة فى مصر وايضاحات لما قيل فى شأن تدخل بريطانى فى شئون مصر الداخلية ، وكان من بين ما نقلته جريدة المصرى لمراسليها فى لندن : ان كل ما طلب من مصر أن تفعله هو مساعدة حليفتها طبقا لروح معاهدة التحالف ونصها ، ثم ان بريطانيا العظمى من جانبها تعمل الآن كل ما فى قوتها لازالة خطر الحرب عن حدود مصر ، وامداد مصر بالمساعدة المادية » ٠

وتركز رسالة مراسل المصرى فى لندن على ما تردده دعاية المحور الكاذبة والتى تمادى فيها وكان من آثارها بلبلة الرأى العام المصرى غير أن السواد الأعظم من الشعب المصرى لم يخدع بمحاولات المحور التى أراد بها اقناعه بأن حالته ستكون بخلاف حالة البلاد الأخرى التى احتلها وان حليفته بريطانيا ، لا يمكن أبدا — فى هذه الظروف — أن تقف غير مكترثة بالحوادث التى وقعت فى الأيام الأخيرة ، انها لا ترغب فى التدخل فى شئون مصر الداخلية ، ولكنها لا تستطيع أن تسكت عن موقف اذا ترك له العنان ، ولم يكبح ، يعرقل سير الحرب ويؤخر ذلك النصر الذى يتوقف عليه وحده اعادة حريات الأفراد والأمم وصونها ، وقد وجدت بريطانيا العظمى ، بوصفها حليفة مصر ، أن من واجبها تقديم نصيحة معينة عقب استقالة حسين سرى باشا » ٠

ولما كانت بريطانيا العظمى واثقة من أن السواد الأعظم من الشعب المصرى مخلص لمعاهدة التحالف الانجليزية المصرية ولمبادىء الديمقراطية فقد اتجه

مسعاها ، الى أن تضمن – بأقل ما يمكن من التأخير – تأليف حكومة قوية ثابتة حائزة لأكبر قسط من تأييد الشعب لهـا متمسكة بمعـاهدة التحالف وعاملة بأقصى جهدها بروح المعـاهدة ونصـها على مسـاعدة الدول الديمقراطية فى نضالها » ٠

وتقارن صحيفة التيمس البريطانية – ٥ – ٢ – ١٩٤٢ – بين موقف مصر وبين موقف الدول الأوروبية الخاضعة لألمانيا الهتلرية ، وبين القوات الألمانية التى تحتل بعض دول أوروبا وبين القوات البريطانية الموجودة فى مصر ، ثم تقول – فى النهاية – أن الدول الأوربية المحتلة بالقوات الألمانية قد أرغمت على وضع كل مواردها تحت تصرف ألمانيا ولكن موقف الحكومة المصرية والقيادة الامبراطورية فى وادى النيل هو موقف الاحترام المتبادل بينهما !! وتتعاونان معا تعاونا شديدا فى المهمة التى يمكن التكهن بها ، واليقين – ولا شك – أن جميع زعماء مصر ، المسئولين يعلمون أن قوة بريطـانيا هى درع استقلال بلادهم » ٠

ولا ينشر البلاغ الرسمى الصادر من ديوان كبير الأمناء عن « ٤ فبراير ١٩٤٢ » الا السطور التالية بعد الاشارة الى مقابلة الملك للزعماء المصريين ، الذين اجتمعوا للتشاور فى الموقف الحاضر : تشرف بمقابلة جلالة الملك جناب سعادة الرايت أونورابل سير مايلز لامبسون ، وجناب الجنرال ستون القائد العام للقوات البريطانية فى مصر » ٠

وتوزع « روتر » فى منتصف ليلة ٤ فبراير ١٩٤٢ برقية موجزة للغاية وصفت بأنها بيان وقد جاء فى البيان : دعى مصطفى النحاس باشا الى تأليف وزارة جديدة ، وقد تفضل صاحب الجلالة الملك بتكليفه تأليف الوزارة ، وليس ثمة شك فى أن النحاس باشا يتمتع بتأييد أغلبية كبيرة من السكان ، والحكومة البريطانية مرتاحة ارتياحا كبيرا الى القرار الذى اتخذه الملك ٠

وقد كانت مجلة الاثنين فى أيام ٤ فبراير ١٩٤٢ – على صلة وثيقة للغاية بأحمد حسنين باشا ، وتنشر الاثنين فى عددها الصادر فى ٧ فبراير ١٩٤٢ ، بعض ما لدى محررها من معلومات عن آخر اجتماع لوزارة حسين سرى وكيف رقص صليب سامى باشا فى بهو فندق مينا هاوس عندما بلغ تليفونيا بخبر استقالة الوزارة ، وعندما سئل عن سبب الرقص – كما قالت مجلة الاثنين – قال : مضى على أسبوع ، وأنا مكلف أن أمرض والحمد لله ، لقد أطلق سراحى من سجن « مينا هاوس » وخرج صليب سامى لأول مرة من الفندق ، كما نشرت المجلة أيضا ، أن النحاس باشا قال فى النادى السعدى ، أثناء الأزمة الوزارية : تقطع رقبتى ، ولا أؤلف وزارة قومية ! » ٠

ويقول كامل الشناوى فى مقـال له بنفس العـدد من الاثنين : أنه فى اجتماع اشترك فيه راح المجتمعون يستعرضون أسماء الرجال الذين يعتمد عليهم

فى الوقت العصيب ، فقال الأستاذ توفيق دياب : نحن نريد الرجل الذى يعرف أن يقول : لا حين يجب أن تقال : لا وأنه ــ أى كامل الشناوى ــ راح يمتحن رجالنا على هذا الأساس الذى وضعه الأستاذ دياب ، وكانت نتيجة الامتحان : اثنان يقولان « لا » ولكنهما يوجهانها لجهة دون جهة : واحد فقط يعرف أن يقول : لا لجميع الجهات ولكنه لا يعرف متى يقولها ٠

عشرون ، صدق فى كل واحد منهم قول القائل :

ما قال « لا » الا فى تشهده   لولا التشهد كانت « لاؤه » نعم

ويصف كامل الشناوى ، الموقف : ان الأوصاف الصحيحة للموقف لا تقال فى هذه الأيام ، فلتكن أوصافنا رمزية اذن ، قيل أن فلانا رفض الصيغة مع تنفيذ كل ما جاء فيها ٠ وقيل ان فلانا قبل الائتلاف مع الجميع ، على شرط أن يرفض الجميع ، وقيل أن الجميع ارتضوا بفلان على شرط ألا يكون له من الأمر شيء ، وغدا سيسجل التاريخ أنه أتى على مصر ، حين من الدهر ، كانت بلا حكومة ، ومتى ؟ والحرب على حدودها ولماذا ؟! لأن رجالها يتناقشون ، وسيقول التاريخ فيما يقول أنه منذ ذلك الحين ألغى استعمال المثل المعروف : مناقشات بيزنطية وحل مكانه مثل جديد « مناقشات مصرية » ٠

وفى العدد التالى من الاثنين ــ وكانت الأمور قد اتضحت الى حد ما ــ كان اهتمام غير عادى بالملك وبالمظاهرات التى انطلقت فى ١١ فبراير بمناسبة ميلاد الملك وبرسالة للملك وجهها الى الشعب بتلك المناسبة ، و ٠٠ و ٠٠ كما جاء فى نفس العدد ــ ١٤ فبراير ــ أن النحاس باشا قال للزعماء ، فى اجتماع عابدين : أنتم المسئولون عما حل بالبلد ، أنتم الذين جررتم علينا كل هذه النكبات ، وأن الدكتور أحمد ماهر ، صاح : ان النحاس باشا يتولى الحكم على حساب الانجليز وان الملك قال : أسكت يا أحمد ، أنا الذى طلبت من النحاس باشا أن يتولى الوزارة ، وأن أغلب الزعماء ، لم يروا أن يرفض النحاس باشا الوزارة وانما كانوا يرون أن من الأفضل أن يجعلها وزارة قومية وأن جريدة التيمس البريطانية قالت « أن سير مايلز لامبسون أصبح البطل الشعبى رقم ٢ فى مصر » ٠

وان النحاس باشا يلقى تسهيلا ملحوظا من الجهات صاحبة الشأن ، وهذه الجهات المصرية لا تخفى رغبتها فى أن ينجح النحاس باشا وقد قام النحاس باشا من جانبه بخطوات طيبة فى زيارته لضريح الملك فؤاد ، وأذاعته فى الراديو قوبلت بتقدير طيب وقد تشرف الوزراء جميعا بمقابلة الملك يوم عيد ميلاده على الرغم من أن هذا تقليد يحدث لأول مرة فيما نعلم ٠

وتنشر الاثنين فى صفحتين مقالا لكريم ثابت بعنوان « فى حضرة الملك » ٠

أما المصور) فقد نشر فى الصفحة الأولى من عدده الصادر فى ١٣ فبراير ١٩٤٢ صورا لاجتماع مجلس الوزراء الجديد كما نشر أيضا تعليقا على الخطابين المتبادلين بين النحاس ولامبسون وصورة فى أكثر من نصف صفحة عن فاروق الأول ملك ورمز الدولة والأمة ، وكلمة تكاد تقول أنها رد ، على ٤ فبراير ١٩٤٢ ٠

كما نشر المصور أن سير مايلز لامبسون توجه الى دار رئاسة الوزارة ، عقب تأليف النحاس باشا لوزارته الخامسة لتهنئة النحاس باشا فى الصباح ، وبعد الظهر اتجه أيضا الى النادى السعدى لمقابلة النحاس باشا فلما سأله الصحفيون عن سبب هاتين الزيارتين أجاب أنه قدم ليكرر التهنئة للرئيس فحياه الجمهور المحتشد أمام النادى السعدى فهتف السفير باللغة العربية : « لتحيا مصر » ٠

وفى المصور ـ أيضا ـ اشارة الى أن الوزراء ، فى الوزارة الجديدة هم جميعا أعضاء وزارة النحاس باشا السابقة بل وكل منهم فى نفس الوزارة التى كان يشغلها ولم ينقص من وزارة النحاس السابقة سوى محمد محمود خليل رئيس مجلس الشيوخ وواصف غالى باشا المتغيب فى أوروبا وقد أستعيض عن محمد محمود خليل بعضو الوفد كامل بك صدقى ٠ وفى العدد التالى من المصور ـ ٢٠ فبراير ـ حديث عن دنيا الانتخابات وعن خطبة النحاس باشا فى عيد ميلاد الملك وعن كلمة الشيخ المراغى ، التى قال فيها : أن أعداء الوطن كثيرون فمن الحكمة ألا يكون المصرى آلة تسخر بحسن نية لأعداء الوطن ، وأن ما حدث وان كان بحسن نية الا أنه كان ضارا بمصلحة البلاد » ٠

وكان النحاس باشا قد أسند منصب مدير الأمن العام الى محمود غزالى بك وكان محمود غزالى قد أحيل الى المعاش عام ١٩٣٨ فى عهد وزارة محمد محمود باشا وكان النحاس قد ، أقام حفلة كبرى فى سراى وزارة الخارجية تكريما لرجال السلك السياسى الأجنبى تصدرها سير مايلز لامبسون وعقيلته ٠

وفى العدد التالى ـ ١٩٤٢/٢/٢٧ ـ نشر المصور على صفحة غلافه الأول صورة للامبراطورة فوزية بمناسبة عودتها الى مصر ، لأول مرة بعد زواجها من محمد رضا بهلوى شاهنشاه ايران ويولى المصور أهمية ـ فى هذا العدد ـ لأمين عثمان باشا بمناسبة صدور أمر ملكى بتعيينه رئيسا لديوان المراقبة ويتصدر الموضوع الخاص بأمين عثمان كلمة له قال فيها : كل من يعرف النحاس باشا يمتلىء حبا له واعجابا باخلاصه وقد قلت ـ أمين عثمان بالطبع ـ للمرحوم محمد محمود باشا : انبى أحبك ٠ ولكن أحب النحاس باشا أكثر منك واذا كان لا بد أن أترك أحدكما ، فاننى أتركك انت ، ولا أترك النحاس باشا » ٠

وفى نفس العدد أيضا : اشارة الى أن أعضاء الوزارة « النحاسية » الحاضرة هم نفس أعضاء الوزارة النحاسية الرابعة التى أقيلت من الحكم فى

آخر ديسمبر ١٩٣٧ وان الوزارة الحاضرة تسير على اعادة كل ما كان عليه فى عهد الوزارة النحاسية الرابعة لرد الاعتبار للموظفين الذين فصلوا أو نقلوا الى وظائف أخرى وان زائرا بريطانيا كبيرا ألتقى بالدكتور أحمد ماهر وعبر له عن تقدير الحليفة وممثل الحليفة له ، ومدى ما يحفظون له من صداقة ، كما أن هذا الزائر البريطانى الكبير شرح للدكتور أحمد ماهر بعض الظروف التى أحاطت بالأزمة الأخيرة وكانت زينب الوكيل حرم النحـــاس باشا قد زارت الملكة فريدة فى عابدين وخرجت متجهة الى الباخرة محاسن حيث أقام النحاس باشا وأسرته ، وعبرت ـ كما يقول المصور ـ عن عطف الملكة عليها ، وأشادت بعذب حديثها وشخصيتها ولقد قضينا بحضرتها ـ زينب الوكيل ـ وقتا من أسعد أوقات العمر • وكان أول احتفال يقام فى الباخرة محاسن ذلك الذى أقامته زينب الوكيل احتفاء بالعام الثالث لميلاد مصطفى نجل خليل بك الجزار ، ابن شقيقتها و • و •

هذا هو « الجو » الذى سيطر على الدوائر السياسية والحزبية والصحفية فى أعقاب حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ بل هذا ما كان يبدو على السطح !

أما ما كان يجرى تحت الأرض فهو شىء آخر •

نظرة سريعة الى تقارير الأمن العـــام ، التى سـجلت بعض التحركات الحزبية فى أعقاب حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ، تشير الى تقرير قدمته حكمدارية بوليس مصر ـ القسم المخصوص ـ ٨٤ سرى جداً الى مدير ادارة الأمن العام ، بوزارة الداخلية ، جاء ما يلى : اتصل بى ، ان الحزب الوطنى اجتمع أخيرا برئاسة حافظ رمضان باشا وأعد مذكرة مستفيضة ، عن مركز مصر السياسى والاعتداء الذى أصابه من انجلترا بتدخلها المسلح الخ ، زيادة على التدخل الفعلى فى سياسة البلد الداخلية ، وعدم احترام الحكومة لأى قانون أو دستور كما حدث فى القبض على رفعة على ماهر ، الخ ، وانكر الحزب المعاهدة ، وقد أرسل بهذه المذكرة الى القصر ، ورفعة النحاس باشا ، كما بعث صورا منها لسعادة وزير أمريكا المفوض ، ووزير السويد والقائم على مصالح روسيا فى مصر ، ولم يبعثوا بها للانجليز لأنهم لا يريدون الاعتراف لهم بأى صفة فضلا عن أنها ضدهم •

كما أن دولة اسماعيل صدقى باشا أعد مذكرة سياسية فى الموضوع وبعث بهما الى القصر ، وسمعت انه أعطى منها نسخة لسعادة عبد السلام الشاذلى باشا لتكون سلاحا له فى البرلمان ، عند نظر استجوابه به •

وقد حاول حافظ رمضان باشا والدكتور أحمد ماهر ، والشوربجى بك حمل رجال الجبهة على امضاء مذكرة تضمنت انكار المعاهدة واعتبارها ملغاة نظرا للاعتداء على مصر ، وتدخلها فى شئونها الداخلية الى غير ذلك من ضروب

التدخل ، وفرض المشيئة ، غير أن الخطة لم تنجح ، لأن بعضهم كسعادة حافظ عفيفي ، والشمسي باشا لم يقبلوا على توقيع مثل هـذه الوثيقة وعلى هـذا أخفقت الفكرة ، وهذا لديكم للاحاطة وتفضلوا بقبول فائق الاحترام » من حكمدار بوليس مصر » .

وقد نشر د. عبد العظيم رمضان ، هذا التقرير كما نشر تقارير أخرى مشابهة ، تحت عنوان : صورة من تقارير الأمن العام ، التي تسجل حركات خصوم الوفد بعد حادث ٤ فبراير .

ومن تقرير بعث به رئيس المباحث في مديرية الغربية ، الى مدير الغربية ، عن نشاط الهيئة السعدية ، جاء فيه ما يلي : لاحظنا نشاطا قد بدأ على بعض أعضاء الهيئة السعدية ، بطنطا وهم الشيخ محمد حبيب والأستاذان : محمود منتصر ، وصبرى فرحات المحاميان فوضعوا تحت الرقابة الدقيقة ، وأمس وصل لعلمي أنهم قد اعتزموا القيام بدعاية بتوزيع بعض المطبوعات المثيرة ، والتي طبعت على أثر تولي الوزارة الحاضرة الحكم والتي تحمل عنوان الهيئة السعدية ، وانهم سيحملون بعض هـذه المطبوعات في حافظة فقمت بعمل الترتيب اللازم ، لضبط هذه المطبوعات ، واحباط هذه الحركة ، وفي الساعة التاسعة والنصف مساء ، شوهد هؤلاء الثلاثة ، يتبعهم ثلاثة آخرون من كتبة مكاتبهم يسيرون بميدان القنطرة ، وكان يحمل أحد هؤلاء الكتبة الحافظة ، فأجرينا ضبطها وقد وجد بها منشورات الهيئة السعدية ، وبيانها التي قامت بطبعه هذه الهيئة على أثر تولي الوزارة الحاضرة الحكم ، وهي عبارة عن ٢٢ نسخة من صورة الاحتجاج ، الذي أرسله سعادة رئيس الحزب ، الى سعادة السفير البريطاني ، وسبق ان أرسلت نسخ كثيرة من هذا المنشور بطريق البريد مصدرة من مصر بتاريخ ١٢ فبراير الماضي بخطابات شخصية ، لكثيرين من طنطا ، كما ضبط بالحافظة صورة من بيان الهيئة السعدية ، ونسختان من منشور آخر مطبوع بالرونيو بروح ومعنى بيان الهيئة السعدية » .

ويقول التقرير : بلغت الحادثة للنيـابة فتولت التحقيق ، كما قامت بتفتيش منازلهم ومكاتبهم ، وعثر بمكتب الأستاذ صبحي فرحات على خمس وعشرين نسخة من صورة الاحتجاج و ٨٥ نسخة حديثة الطبع ، كما ضبطت صور مطبوعات أخرى قديمة ، عن بيان سعادة الدكتور أحمد ماهر باشا ، بمناسبة انفصاله من هيئة الوفد و .. و .. وقد ادعوا انهم يحتفظون بهذه المطبوعات للذكرى ، وأنكروا قيامهم بتوزيعها ، وانها وصلت اليهم بطريق البريد و .. و .. وقد أخلت النيابة سبيلهم ورفعت الأوراق لسعادة النائب العـام » .

وعن نشاط حزب الأحرار الدستوريين جاء ما يلي في تقرير من حكمدار بوليس مصر : لما اجتمع المدعون من الأحرار الدستوريين في منزل ابراهيم

دسوقى أباظة أخذ يحدثهم عن مقابلته لرفعة النحاس باشا ، عندما قدم لرفعته خطاب الزعماء ، فى شأن اعتقال رفعة على ماهر باشا ، والمناقشة التى دارت بينه وبين رفعته ، وهى تتلخص فى أن رفعة النحاس باشا ، أخذ يسرد ما هو منسوب الى رفعة على ماهر باشا ، من نشاط سياسى ، وتأليب طلبة الجامعة ، وغيرهم من الشبان ضد الديمقراطية ، وان رفعته رفض اجراء أى تحقيق فى مسألة اعتقاله » ويقول التقرير : بعد الغداء تناول المجتمعون شئون الحزب ، واعترض أحمد عبد الغفار باشا بشدة على الذين خرجوا على قرارات الحزب ورشحوا أنفسهم فى الانتخابات ، واعترض بعض الحاضرين على قبول هيكل باشا لعضوية الشيوخ بعد بطلان المرسوم الملكى فرد دسوقى بك أباظة بأن تعيين هيكل باشا ، كان بأمر من السراى ، وان الوزارة كانت تعارض فى ذلك كثيرا » .

أما نشاط الاخوان المسلمين من وجهة نظر حكمدارية بوليس القاهرة فقد تركز فى النقاط التالية :

توجه أربعون شخصا من الاخوان المسلمين الى محطة السكة الحديد بالاسكندرية لاستقبال الشيخ حسن البنا ، ولكنه لم يحضر ، فظنوا أنه سيحضر بالسيارة فاتجهوا الى دار الجمعية فى شارع التتويج رقم ٥٩ وانتظروا بها ، وبلغ عدد المنتظرين ٨٠ شخصا تقريبا ، وفى الساعة الواحدة والثلث بعد الظهر حضر الشيخ حسن البنا .

وتحدث الشيخ حسن البنا عن الأسباب التى حملته على التنازل عن الترشيح لعضوية مجلس النواب ، وقال لهم : أن ما سيقوله من الأسرار الخاصة بالاخوان المسلمين دون سواهم ، ولا يجوز اطلاع الجمهور عليها . وقال الشيخ حسن : ان ما دفعه الى الترشيح لمجلس النواب عن دائرة الاسماعيلية هو العمل على تحقيق مبادىء الاخوان المسلمين ، ورفع صوتهم فى البرلمان ، وأنه لم يكن يذاع خبر ترشيحه حتى اتصل به عبد الواحد الوكيل بك صهر رفعة النحاس باشا ، وتكلم معه فى موقف الاخوان المسلمين وطلب منه الرجوع الى النحاس باشا لكى يكون رفعته على بينة من الأمر ، لأن رفعته لديه فكرة غامضة عن الاخوان .

وبعد أيام تلقى دعوة من رفعة النحاس باشا وتمت المقابلة فى فندق مينا هاوس ، وقد طلب النحاس باشا من الشيخ البنا ، أن يتنازل عن الترشيح ، ايثارا للمصلحة العامة ولمصلحة الشيخ حسن شخصيا ، ان كان يريد الابقاء ، على جماعات الاخوان المسلمين فى مختلف البلدان ، فرفض الشيخ حسن ذلك ، وقال : انه يستعمل حقا من حقوقه الدستورية ، ولا يرى ما يمنعه من الترشيح ، وان كانت هناك موانع ، فانه يطلب بيانها لكى يتبين مبلغها من الصحة ، وفضلا عن ذلك فان قرار الترشيح صدر من هيئة المكتب العام

لجماعة الاخوان المسلمين ، وأنه شخصيا ، لا يملك حق الرجوع فى ذلك فرجاه النحاس باشا أن يعمل على اقناع الأعضاء بالعدول عن ذلك ، وأن رفعته رأى أن يدعوه لينصح له بالتنازل وألا اضطر الى اتخاذ اجراءات أخرى يراها رفعته قاسية ، ولا يرتاح اليها ضميره ولكنه حرصا على مصلحة البلد مضطر الى تنفيذها ، ولما استوضح الشيخ حسن البنا تلك الاجراءات قال رفعته : انها حل جماعة الاخوان المسلمين ، ونفى زعمائها خارج القطر وتلك هى رغبة هؤلاء الناس « يقصد الانجليز » الذين بيدهم الأمر يصرفونه ، كما يرون ، ونحن مضطرون ، الى ان نحاربهم خصوصا فى هذه المسائل الفرعية ، وفى هذه الظروف العصيبة ، لأنهم « يقدرون » على كل شىء ، وفى استطاعتهم ، ان شاءوا ان يدمروا البلد فى ساعتين ، وقد ترك رفعته فرصة له للتفكير فى الرد ، وان تتم مقابلة أخرى فى هذا الشأن ، وقد عرض الأمر على هيئة مكتب الارشاد فلم توافق الأغلبية على التنازل ، ولكنه هو شخصيا وافق عليه ، لا خـوفا من النفى ، ولكن حرصـا على قيــام الجماعة واستمرارها فى تنفيذ أغراضها ٠

وأخيرا ــ حسن البنا ــ استقر الرأى على التنازل وتوجهت مرة أخرى لمقابلة النحاس بوساطة سليم زكى بك الذى بسط لرفعته دعوة الاخوان ومدى انتشارها فى المدن والأقاليم وقدانتهز الشيخ البنا هذه الفرصة وطلب من رفعته ضمانات بقيام الجمعية وفروعها وعدم الوقوف فى سبيلها ، وعدم مراقبتها والتضييق على أعضائها ، للحد من نشاطهم ، فوعده رفعته بما طلب ٠

ويقول التقرير : ان الشيخ حسن البنا لخص ــ فى نهــاية حديثه ــ أسباب التنازل فقال :

١ ــ الحرص على قيام جمعيات الاخوان المسلمين فى مختلف البلاد ٠

٢ ــ كسب ثقة النحاس باشا بوصفه رئيس الحكومة وزعيم الأغلبية ٠

٣ ــ عدم الاطمئنان الى نتيجة الانتخابات خوفا من التلاعب فيستغل ذلك لتشويه سمعتهم ٠

وأشار الشيخ حسن الى الخطاب الذى وجهه الى النحاس باشا ونشرته الصحف على أثر التنازل فقال : ان سعادة عبد الواحد الوكيل بك تفاهم معه بشأنه ، وكان يريد ان يسجل فيه أن التنازل هو احترام لقرار الوفد بترشيح آخر ، وانه أعلن تأييد الوفد فى سياسة التعاون مع بريطانيا لتنفيذ معاهدة التحالف ، ولكن الشيخ البنا رفض هذا ، واكتفى بذكر فقرات من خطاب النحاس باشا وأن الاخوان المسلمين عون له فى سياسة الاصلاح الدينى والاجتماعى ٠

وللحديث عن سياسة حكومة الوفد ــ حكومة ٤ فبراير ١٩٤٢ ــ بقية بل بقايا ٠

الفصل الثانى

تعيين حسين سرى باشا رئيسا للديوان الملكى مكافأة له على دوره (الآثم) فى مأساة ٤ فبراير ١٩٤٢

سبق ان أشرنا الى بعض ما حدث فى قاعة محكمة الجنايات عند نظر قضية الاغتيالات السياسية - مقتل أمين عثمان باشا - وذلك عندما وصف الأستاذ أنور حبيب وكيل النيابة المترافع فى قضية حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ بعبارات قاسية اهتزت لها السفارة البريطانية فى جاردن سيتى كما اهتزت لها تبعا لذلك أركان رئاسة الوزارة فى لاظوغلى .

وجاء الأستاذ محمود منصور النائب العام ، فى الجلسة التالية ، ليعلن - وفى بدايتها - ان العبارات التى وردت على لسان زميلى الأستاذ أنور حبيب ، لا تعبر عن رأى النيابة .

وقد أشرنا - فى الفصل السابق - الى ثورة المتهمين فى تلك القضية ضد النائب العام وضد تراجعه المشين عما قاله وكيله ، فى الجلسة السابقة .

وقد كان أشد المتهمين ثورة أنور السادات الذى قال ، وبالحرف الواحد موجها كلامه لرئيس المحكمة « أنا أفضل ان أشنق ألف مرة على ان أرى النائب العام يتراجع ويقف هذا الموقف غير المشرف » .

وقد كان موقف المتهم ، أنور السادات فى الجلسة من النائب العام ، موقفا وطنيا رائعا يعبر ، عن أصالة وطنية وعن جرأة نادرة قلما شهدت مثله قاعات المحاكم المصرية .

ومن قاعة محكمة جنايات مصر انتقلنا الى ادارة الأمن العام بوزارة الداخلية حيث سجلت تلك الادارة فى تقاريرها بعض صور الغضب الشعبى لما حدث فى عابدين فى مساء ٤ فبراير ١٩٤٢ .

واليوم ننتقل من ادارة الأمن العام بوزارة الداخلية ، الى دار السفارة البريطانية فى القاهرة لنرى ما جاء فى تقاريرها الرسمية عما حدث فى

مصر بعد ٤ فبراير ١٩٤٢ وبعد ان آتم مصطفى النحاس باشا تشكيل وزارته الخامسة اثر وقوع ذلك الحادث الاليم .

ضمن الوثائق البريطـــانية ـ واعتمادنا هنا على ترجمـة الأستاذ محسن محمد ـ البرقية رقم ٥٠٢ التى بعث بها السير مايلز لامبسون الى وزارة الخارجية البريطانية فى لندن بتاريخ ٥ فبراير ١٩٤٢ والتى جاء فيها :

١ ـ تلقيت صباح اليوم ـ ٥ فبراير ـ رسالة من أحمد ماهر رئيس مجلس النواب يحتج فيها بلهجة عنيفة على العمل ، الذى تم أمس بالاصرار على تشكيل وزارة يتولاها شخص اخترناه وقد وصف ـ أحمد ماهر ـ ذلك بأنه عدوان صارخ على استقلال مصر ، يتعارض مع نص المعاهدة ويعرض العلاقات بين الدولتين لخطر بالغ ، ولما كان قد تم توزيع هذه الرسالة على نطاق واسع فى نفس الوقت الذى تسلمتها فيه فانى لم أرد عليها .

٢ ـ بعد ذلك اتصل بى النحاس باشا وأبدى قلقا شديدا ، لهذه الخطورة وقد طلب ـ بالحاح ـ قبل أن يشكل الحكومة ، أن يتم تبادل رسالتين يجرى نشرهما ويؤكد أن تمسكنا بنصوص المعـاهدة واعترافنـا باستقلال مصر مع التأكيد بعدم التدخل فى الشئون الداخلية وبناء على ذلك فقد تبادلنا الرسالتين التاليتين « وقد سبق لنا نشر الرسالتين فى فصل سابق » .

وفى برقية أخرى بتاريخ ٧ فبراير ١٩٤٢ ، حملت رقم ٥١٦ بعث بها لامبسون ، الى وزارة الخارجية جاء فيها : فضل أمين عثمان ، بعد أن طلب نصيحتى ، أن يرفض تولى احدى الوزارات وأن يقبل تعيينه سكرتيرا عاما ، لمجلس الوزراء ، حيث سيكون آكثر نفوذا ، وأكثر افادة لنا باعتبار انه سيكون ظلا ملازما للنحاس » .

وفى برقية ثالثة تحمل رقم ٥٢٥ ، بتاريخ ٧ فبراير ١٩٤٢ ، يقول السفير البريطانى : قمت صباح اليوم ـ ٧ فبراير ـ بأول زيارة رسمية للنحاس كرئيس للوزارة وقـد وجدت صـــعوبات كبيرة فى الدخول الى مبنى رئاسة الوزارة ، أو الخروج منه بسبب جموع أنصاره المتظاهرين المتحمسين حول المبنى وقد دارت المناقشات بصفة رئيسية حول المسائل العامة ولكننى أشرت الى الحاجة العاجلة للقضاء على الأسباب الأصلية لمتاعبنا : قال لى النحاس باشا انه عالج بالفعل مسألة المراغى والأزهر وقال انه يقدر الحاجة الى مواجهة على ماهر ، ومثل هذه العناصر الشريرة بما فى ذلك محمد محمود خليل وكذلك مواجهة القصر ولكنه يفضل التعامل بطريقته الخاصـة ، مع الملك ، وأيضا مواجهة مشكلة تدخل القصر بصفة عامة ، قلت ـ لامبسون ـ للنحاس ـ « اننى أوافق على ذلك ومستعد لمساعدتك اذا واجه صعوبات » .

وقد أفاض فى الحديث عن تصميمه على الاخلاص للمعاهدة فى كل جانب من جوانبها ، وأن يجمع الصفوف بصلابة وراءه وطلب تبليغهم ـ أى وزير الخارجية البريطانية ـ تحياته الحارة .

ويقول لامبسون أيضـــا فى برقيته : حدثت بطبيعة الحال التهديدات المعتادة باستخدام العنف ضد النحاس وضدى ولكن هذا كان متوقعا وقد تم اخطار البوليس » .

وفى برقية أخرى أرسلت الى وزارة الخارجية البريطانية من السير مايلز لامبسون بتاريخ ٩ فبراير ١٩٤٢ وبرقم ٥٣٢ ، جاء ما يلى :

١ ـ بناء على تعليماتى توجه سكرتير الشئون الشرقية الى أحمد ماهر يوم ٧ فبراير وبلغه انى لم أستطع أن أتحدث اليه بشأن الأزمة الأخيرة ، بسبب تتابع الأحداث بسرعة ونظرا لموقفه الودى المسئول فى الماضى فانى أرجو أن يقدر الاجراء الأخير الذى اتخذناه وفرضته الظروف وقد أجاب أحمد ماهر ، ان سياسته تجاه موقف مصر فى هذه الحرب لا يزال كما هو ، ان من رأيه حتى الآن ان انتصار بريطانيا فى الحرب أمر أساسى ، بالنسبة لحياة مصر ، وسيواصل استخدام نفوذه ، لمساعدتنا على القيام ، بجهودنا فى الحرب وهو يعتبر ، اننا ارتكبنا خطأ خطيرا ومع ذلك فانه يستطيع أن يدرك انه تحت ضغط الحرب بسبب لهفتنا على وجود مركز مستقل لنا فى مصر فاننا قد نمضى فى عمليات عنف رغم ان هذه العمليات ليس لها ما يبررها ـ فى رأيه ـ على أنه سيكون من الصعب جعل أتباعه ، الذين ليست لهم هـــذه النظرة الفلسفية ـ يرون الأمور من هذه الزاوية ، ومهما كان العذر الذى يمكن أن يقدمه بالنسبة لنا ، فانه يرى أن ليس هناك أى عذر بالنسبة للنحاس باشا لقد أهان النحاس باشا الانجليز فى خطبة العامة ، ووافق مع الزعماء الآخرين فى اجتماعات القصر على أن طلبنا يمثل تدخلا لا مبرر له ، ومع ذلك ، قبل الحكم تؤيده الحراب البريطانية ، ان هذا أمر لن تنساه البلاد ، أن تبادل الخطابات بين النحاس وبينى لا يمكن أن يفسر الحقائق الواضحة التى سوف تستخدم ضد النحاس بصفة مستمرة » .

وتمضى البرقية قائلة : أشار مستر سمارت الى أن الملك طلب من النحاس باشا تولى الحكم ، بعد الاجراء الذى اتخذناه بصفة خاصة وسأل أحمد ماهر : ماذا كنا نفعل ، لو ان النحاس رفض تولى الحكم ؟ وأجاب مستر سمارت ، أن مثل هذا الطريق المسدود ، كان سيؤدى الى تعقيدات خطيرة .

وقد كرر أحمد ماهر فى عدة مرات أن سياسته السابقة فيما يتعلق بالحرب ، لم تتغير نتيجة هذه الأحداث » ، وكانت المناقشة ودية للغاية وأعطت الانطباع ، بأن غيظه موجه الى النحاس باشا أكبر مما هو ضدنا .

ويقول لا مبسون : « انى أمل ، ان يكون هذا الاتصال ، قد أفاد فى منع أحمد ماهر من الخروج ، للعمل ضدنا على طول الخط على الرغم من انه وحزبه يتخذان حتى الآن موقفا عنيفا ضد تدخلنا وضد النحاس باشا » .

ويكتب سير مايلز لامبسون الى حكومته طالبا منها أن توعز الى صحيفة التايمز ، البريطانية والى الاذاعة البريطانية .B.B.C لتقدم تعليقا على عودة الوفد الى الحكم يقول فيه : « ان الانجليز يتفاوضون أيضا مع السعديين والأحرار ، لاخلاصهم ، لمعاهدة ١٩٣٦ أثناء اشتراكهم فى الوزارة الأخيرة ويطلب أن نذكر بالتحديد أسماء أحمد ماهر ، وهيكل ، والنقراشي وسرى ، وحسن صادق ، ويطلب السفير عدم ذكر اسم على ماهر ، أو محمد محمود ، أو اسماعيل صدقى لأن مصالح هؤلاء أو مشاعرهم كانت مع ألمانيا ، أو ايطاليا .

وفى برقية أخرى يلخص السفير البريطانى لوزير خارجيته ما دار بينه وبين النحاس باشا من حديث فى احدى المآدب وكيف انه أرسل للنحاس يحدد تحفظه من أجل ابعاد على ماهر فورا وأن النحاس باشا قد أكد له موافقته على هذا الاجراء ، ولكن المسألة ــ كما قال النحاس باشا ــ مسألة توقيتية ، وأنه يريد أن يدعم مركزه بدرجة أقوى . أولا ، ويقول السفير البريطانى أنه قال للنحاس باشا انه سمع منه ــ من النحاس ــ ان المسألة عاجلة ولا تحتاج الا الى أيام قلائل ويقول السفير انه ذكر للنحاس ما سمعه عن على ماهر ، دون أن يكشف مصدره وهو حسين سرى وان النحاس طلب وقتا وانه ربما يستطيع أن يرتب الأمر بعد لقاءين مع فاروق .

ويقول لامبسون : « ونظرا لأننا كنا نتحدث بالقرب من الملك فاننى لم أستطع أن أواصل بالحاح على هذه النقطة فى ذلك الوقت ، ولكننى سأواصل ذلك ويقول سير مايلز لامبسون ان النحاس باشا ــ كما ذكر له ــ يشك فى أن حسن نشأت باشا سفير مصر فى لندن يدبر مؤامرات خبيثة ، وخاصة ضد لامبسون فى لندن وهو لن يدهش اذا كان القصر يرسل برقيات الى نشأت من وراء ظهره واقترح النحاس باشا وضع حد لذلك .

ويذكر سير مايلز لامبسون . ان النحاس باشا قد طلب منه عدم الاهتمام بأى شىء يصل الى وزير الخارجية البريطانية أو الى أى عضو بحكومة صاحب الجلالة ملك بريطانيا ، الا عن طريقه ــ النحاس باشا ــ أو عن طريق وزير الخارجية المصرية وقد ألمح النحاس باشا ــ كما يقول لامبسون ــ الى أن نشأت باشا يحتمل ان يتآمر مع شخصيات هامة فى لندن وان كان النحاس باشا كما يقول لامبسون لم يحدد الأسماء .

وقد كانت بريطانيا تفضل ارجاء اجراء انتخابات جديدة ، وكانت هناك مباحثات سابقة قد دارت بين النحاس باشا وبعض زعماء الأحزاب حول تأجيل

الانتخابات اذا ما رأس النحــاس باشا وزارة ائتلافية أو وزارة وفدية ، وكانت هذه المباحثات قد حدثت قبل حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ، غير ان النحاس باشا بعد حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ، وبعد ان شكل الوزارة الوفدية الجديدة ، أصر على اجراء انتخابات جديدة وعلى عدم اعطاء الأحزاب الأخرى « الحزب الوطنى ، الهيئة السعدية ، الأحرار الدستوريين وغيرهم ، أكثر من سبعين دائرة فقط » .

كانت بريطانيا ترى ان اجراء انتخابات جديدة أمر يدعو الى الأسف ، ولكنها ما لبثت ان وافقت ، على اجراء انتخابات جديدة ، وتقول احدى برقيات السفارة البريطانية الى وزارة الخارجية فى لندن انها طالبت بتخصيص مقاعد ، لنواب المعارضة ، أى لا يرشح الوفد أعضاء فى هذه الدوائر ونترك للأحزاب المعارضـــة ــ الأحرار الدستوريين والسعديين ــ بلا منافســة وفدية ويوافق النحاس باشا على تخصيص ٢٥٪ من المقاعد ، للمعارضة ولكن النحاس باشا ــ فيما بعد ــ أصر ، على ان يرشح الوفد رجاله فى تلك الدوائر أيضا » .

وسجل سير مايلز لامبسون موقف النحاس باشا فى برقية رقم ٥٥٧ على النحو التالى : عدل النحاس باشا عن تخصيص دوائر ، لأحزاب المعارضة مع انه سبق ان وافق على ذلك ويقول السفير ، ان النحاس باشا قال له ــ للسفير البريطانى ــ انه كان مستعدا لذلك قبل الآن أما الآن فاننى ــ أى النحاس باشا ــ أرفض لقد هاجمنى زعماء المعارضة فى اجتماعات القصر وهم يقولون فى كل مكان انى جئت على الحراب البريطانية » .

ويقول سير مايلز لامبسون أن النحاس قال له : كل ما أعدكم به ان تكون الانتخابات حرة ولن تكون هناك خطب ، أو منشورات ، عدائيــة ضد حليفة مصر بريطانيا العظمى !

كما يقول سير مايلز لامبسون فى برقيات أخرى ، أن النحاس باشا عقد العزم ، على ان تهزم العناصر المؤيدة للمحور ، فى الانتخابات .

وفى برقية أخرى يقول السفير البريطانى أن النحاس باشا ذكر له ــ للسفير البريطانى ــ أن الخطوات ستتخذ لمنع اعادة انتخاب اسماعيل صدقى ، رئيس وزراء مصر السابق :

ومن السفارة البريطانية ووثائقها ننتقل الى مذكرات سير مايلز لامبسون ، لننقل عنها بعض ما ذكره لامبسون ، عما جرى بعد ٤ فبراير ١٩٤٢ .

فى مذكرات لامبسون ــ ترجمة الأستاذ كمال عبد الرءوف ــ انه فى اليوم التالى لحادث ٤ فبراير ١٩٤٢ طلبت حسين سرى باشا وسألته رأيه فيما جرى بالأمس وقال سرى باشا ان ما حدث كان لا بد منه وانه عندما استدعى ، الى القصر مع باقى الزعماء فى الساعة التاسعة والنصف مساء وشاهد القوات البريطانية والدبابات تحاصر القصر تأثروا كثيرا وقال سرى باشا ، ان الملك

نجا هذه المرة باعجوبة وان هذا هو الطريق الوحيد الذى كان يمكن سلوكه معه ، وان الملك المسئول عما حدث له وانه محظوظ ! قد ظل فى مكانه بعد كل ما جرى وسألت سرى باشا اذ كان الملك قد حكى لهم ما دار بيننا فقال انه لم يذكر لهم شيئا ووعدت سرى باشا ، ان أذكر له كل التفاصيل فى لقائنا المقبل وبعد ذلك ، استقبلت أمين عثمان باشا وطلبت منه أن يوحى للنحاس باشا بشيئين أريد أن يتحققا منذ البداية وهما : أن يحاول النحاس باشا تعيين حسين سرى باشا رئيسا للديوان وقلت ان حسين سرى باشا صديق مخلص لنا وانه يستحق هذا المنصب وأن وجوده فيه سيساعدنا كثيرا .

والشىء الثانى : اننى أريد ان ينقل حسنين باشا ، من منصب رئيس الديوان الى منصب كبير الأمناء الذى يناسبه كثيرا فى رأيى .

ووافق أمين باشا ، على نقل هذه المطالب الى النحاس باشا واقترح ان يوحى للنحاس باشا ، ان هذه التغييرات من تفكيره هو وليست صادرة من السفارة ووافقنى على ذلك وطلبت من أمين عثمان باشا أيضـــا ، أن يعمل النحاس باشا على التخلص من عبد الوهاب طلعت باشا وكذلك باقى الايطاليين الموجودين فى القصر وفى الحال وافق أمين باشا على نقل ذلك للنحاس باشا !! ويقول سير مايلز لامبسون بصراحته المعهودة فى مذكراته ، لقد ظل الموقف السياسى فى مصر ، أشبه بمقعد ذى ثلاث أرجل ، فقد كان القصر ، ثم السفارة ثم حزب الوفد ، وما دامت الأرجل الثلاث موجودة ، وتعمل فليس هناك خطر ، من حدوث ، أى انهيار ، أما اذا ضعفت احدى سيقان المقعد ، فانه سوف يهتز ويسقط فعلا وبمعنى آخر ــ لامبسون ــ فاننا نستطيع ان نســتخدم الوفد لكبح جماح القصر ، وفى نفس الوقت أيضا نستطيع أن نستخدم القصر ، لوقف شطحات الوفد .

وكان هناك حل آخر أمامى ــ أمام لامبسون ــ انه فى حالة ابعاد فاروق ، عن العرش كنت أفكر فى احلال الأمير محمد على مكانه وهو فى نظرى شخص رائع حقا ولكن المشكلة ان صحته ليست فى حالة جيدة ، هكذا أخذت أفكر ، فى مصير علاقتنا فى المستقبل مع فاروق هل تعلم من درس ٤ فبراير شيئا يجعله لا يحاول أن يطعننا من الخلف مرة أخرى ؟ أم انه أصبح أكثر مرارة وحقدا علينا وانه سوف يتحين الفرصة مرة أخرى حتى ينتقم لما فعلناه فى يوم من الأيام ؟ ولا يترك لامبسون للأيام تجيب عن أسئلته ، ويتولى هو الاجابة اذ يقول : أعتقد ان فاروق سوف يحاول الانتقام فى يوم من الأيام !! » .

ويقول د. محمــد حسين هيكل عمــا حدث بعد ٤ فبراير ١٩٤٢ : ان الجماهير التى كانت تهتف الى الامام يا روميل انقلبت تحيى الوزارة الجديدة وتظهــر من الابتهاج بولايتها الحــكم ما أثار عجب الأجانب واعجــاب السفير البريطانى والجالية البريطانية بأسرها فقد دلت مظاهرات الابتهاج ، هذه على

ان للوفد من القدرة على توجيه المظاهرات ما مكنه من أن يقلب المأساة عيدا ، ومن ان يحول التيار المتدفق المعادى لانجلترا فيجعله بين عشية وضحاها تيارا متدفقا يظاهر انجلترا ، ولقد بلغ الأمر من ذلك ، أن ذهب سير مايلز لامبسون الى رياسة مجلس الوزراء فى زيارته التقليدية لرئيس كل وزارة جديدة فاستقبل الجمهور هذا السفير البريطانى بطل مأساة ٤ فبراير بترحيب وتهليل ، واكبار حتى لقد رفعوه على أكتافهم مبالغة فى الحفاوة له ، بدأ أنصار الوفد يذكرون فى كل مكان ان قبول النحاس باشا تأليف الوزارة نزولا على حكم الانذار البريطانى ، عمل وطنى جليل قصد به رئيس الوفد انقاذ عرش مصر ، بل انقاذ استقلالها وما كان لجريدة من الجرائد ، أو لخطيب من الخطباء ، ان ينقض هذا الكلام أو يرده على أصحابه لأن الأحكام ، العرفية ، والرقابية على الصحف منعت كل كلام فى هذا الموضوع ولأن النحاس باشا بادر حين الف الوزارة الى تأجيل البرلمان تمهيدا للحل فامتنع بذلك على أعضائه أن يتكلموا ، ولو انه لم يفعل لما استطاعوا الكلام فى هذا الجو ، الذى نشره الانذار البريطانى فى البلاد جو الارهاب العرفى الذى بلغ من الشدة ، والقسوة ، أعظم مبلغ » ٠

ويقول د ٠ هيكل : على ان الناس بدأوا بعد أيام يتناقلون الأحاديث عما وقع وبدأ بعضهم يتساءلون : هل أحسن الحرس الملكى اذ لم يقاوم القوات البريطانية حين حاصرها القصر ؟ وهل أحسن الجيش المصرى المقيم على مقربة من القاهرة حين لم يتحرك ؟ وكأنما شعر العسكريون ان واجبهم كان يقتضيهم أن يتحركوا وان كان لهم من العذر القائم ان رؤساءهم لم يصدروا اليهم أمرا بذلك ، وكان تساؤل الناس وشعور الجيش مدعاة لتحريك عواطف هؤلاء وأولئك » ٠

وقد برزت هذه العواطف بوضوح يوم عيد ميلاد الملك فى ١١ فبراير ١٩٤٢ ــ أى بعد خمسة أيام من تأليف الوزارة ــ فقد حرص الوفد يومئذ على تحريك العناصر ، الوفدية لتبدى من الابتهاج بهذا العيد بالقيام بسدل ستار على المأساة التى وقعت فى ٤ فبراير وقد تحركت هذه العناصر بالفعل تهتف بحياة الملك وحياة النحاس باشا لكن جماهير تزيد اضعافا مضاعفة على هذه العناصر الوفدية وفرقة من الجيش ذهبت الى القصر واجتمعت فى ميدان عابدين تحيى الملك فى هذه المناسبة ، وتعلن فى صمت ابلغ من كل كلام وكل هتاف عدم رضائها عما حدث وولاءها الصادق لصاحب العرش ، الذى وجه الانجليز اليه الانذار أن يعهد الى النحاس باشا بتأليف الوزارة أو يتحمل التبعة شخصيا ان لم يفعل ٠٠

بذلك انتشر ــ د٠ هيكل ــ بأن الوزارة ليست موضع رضا من الشعب وليست موضع رضا من صاحب العرش لكن هذا الشعور لم يغير من الواقع شيئا لقد كانت الحرب يومئذ فى أدق مراحلها » ٠

ويقول د· هيكل : لقد دأبت الحكومة الوفدية كلما تولت السلطان ، على أن تعصف بخصومها ، فتنكل بالموظفين الذين تحوم الشبهة فى ولائهم للوفد وتفصل العمد ، ومشايخ البلاد الذين لا يدينون بالوفدية ، وتشكل لجان الوفد فى الأقاليم ولأعضــاء البرلمان الوفديين سـلطات الحكم كله يولون ويعزلون ويعاقبون ويثيبون وليس لرجال الادارة الا أن ينفذوا ما يطلبه رجال هـذه اللجان ، وأعضاء البرلمان تنفيذه ، فاذا كان ذلك لا بد لهم حين يكون السلطان للدستور ، وللقانون ، فماذا عسى يصنعون والسلطان للحكم ، العرفى ولرئيس الوزارة والحاكم المطلق القائم ، على تنفيذ الحكم العرفى لذلك اضطرب معارضو الوفد وتوقعوا ألوانا من التكال لم يسبق ، لهم بمثلها عهد » ··

ويروى د· هيكل : ما سمعه ، من عبد العزيز فهمى باشا رئيس حزب الأحرار الدستوريين ، عما ذهب اليه جماعة من رجال الحزب يحدثونه فيما يتوقعون ، ان يصيبهم من حكومة الوفد ، وعسفهـا وبطشهـا قال الرجل : لا تجزعوا الفلك ما « اتسمرش » ويقول د· هيكل انه سمع هذه الكلمة من عبد العزيز فهمى باشا تذكر لسماعها ما طالما سمعه وقرأه ، وقاله من قبلها ، الفلك دوار ، والدنيا دول ويوم لك ويوم عليك والدهر قلب وكثير غيره ، مما يجرى فى هذا المجرى لكن شيئا من هذه العبارات لم يأخذ بمجامع نفسى — هيكل — ما أخذت كلمة عبد العزيز فهمى فى هذا اليوم ·

ويقول د· هيكل — وهذا بعض ما يرفع من شأنه أمام كثيرين أنا منهم — أن بعض رجال حزبه قد حرصوا على أن يتم التفاهم ، بينهم وبين الوفد حول الانتخابات ، اذا أردنا أن نخوض المعركة الانتخابية ، فى هذا الوقت المسمم بالأحكام العرفية ، البالغة فى تقييد الحرية وفى تهديد الأفراد والجماعات ، أعظم مبلغ ، وكنت — د· هيكل — أشعر أن السعى لأى تفاهم يتنافى مع كرامة حزبنا وان الظروف التى تألفت فيها هذه الوزارة القائمة يجعل هذا السعى متنافيا مع كرامة الوطن ، لذلك اعتذرت فلم أشترك مع الساعين فى مسعاهم ، وقد حاول بعضهم اقناعى بأن ما بينى وبين بعض ذوى النفوذ فى الوفد من حسن الصلة وفى مقدمتهم مكرم عبيد باشا قد يكون ذا فائدة للحزب فاعتذرت مرة أخرى ثم توقعت الا يصيب مسعاهم أى حظ من النجاح ، ويذكر د · هيكل ان ابراهيم بك الطاهرى قد قابل مكرم عبيد باشا وزير المالية وسكرتير الوفد ، وانه حاول اقناعه بأن يترك الوفد للمعارضين ثلث مقاعد مجلس النواب ، يرشحون فيها من غير منافسة وأن مكرم باشا بلغه بعد محاولة من جانبه — جانب مكرم باشا — لاقناع النحاس باشا بذلك ، ان رئيس الوفد متمسك بأن تزيد أغلبية الوفد على ثلاثة أرباع أعضاء المجلس ليضمن كل مشيئتها المقررة فى الدستور ومنها أغلبية الثلاثة أرباع التى يفرضها الدستور لاسقاط عضوية النائب بأية حجة تراها هذه الأغلبية وان النحاس باشا لم يقبل أن ينزل عن رأيه فى هذا الأمر ، وقد رفض الأحرار الدستوريون النظر فى المسعى اقتناعا

منهم بأن النحاس باشا انما حرص على أن تكون له الأغلبية التى يسقط بها العضوية عن النائب حتى لا يجرؤ نائب على اثارة مسألة تضيق بها الحكومة وحتى لا يجرؤ نائب على ان يثير ما حدث فى ٤ فبراير من غير ان يتعرض لاسقاط عضويته فى المجلس وقال د. هيكل : انه اقترح على حزبه أن يطلب من النحاس باشا رفع الأحكام العرفية أثناء المعركة الانتخابية وفى حدودها فان هو فعل خضنا معركة الانتخابات وان لم يفعل كان لنا رأى آخر ، وذهب ابراهيم دسوقى أباظة وأحمد عبد الغفار ليبلغا النحاس باشا قرار الحزب ، ورفض النحاس باشا المناقشة فيما طلبا فى حماسة ومن غير تردد ، وقرر الأحرار الدستوريون فيما بعد مقاطعة الانتخابات وكذلك قرر السعديون ورحب النحاس باشا بذلك بل كان من الطبيعى ، ان يغتبط به ..

وأرسل أحمد ماهر باشا رئيس الهيئة السعدية ـ رسالة الى النحاس باشا ، وكذلك فعل د. هيكل باسم الأحرار الدستوريين ـ وتولى النحاس باشا الرد على الرسالتين ، وقد جاء فى رسالة د. أحمد ماهر باشا للنحاس باشا : أنه منذ ان وليت الوزارة الوفدية الحكم . لم يسمح لأحد من معارضيها أن يعلن رأيا أو يصحح واقعة أو يناقش بيانا مما تعرضتم له وجعلتم الصحف جميعا ، وقفا على نشره بحكم الرقابة الصحفية » ويذكر أحمد ماهر النحاس بما كان من اعتراضه الشديد واحتجاجه الدائم على آثار الحكم العرفى ورقابة الصحف فى حرية الرأى مع ما كان مباحا من نقد لأعمال الحكومات المختلفة فاذا كان هذا هو أمر الحكومة السابقة معكم فى عهد الحكم العرفى . ولم تكن هناك انتخابات لها ولا أحداث جسام كالتى وقعت بالبلاد أخيرا ورأيتم يومئذ أن ما سمح لكم به غير كاف أفلا يكون من واجب العدل عليكم أن تسمحوا ، اليوم ، لغيركم بمثل ما سمح لكم به ؟ » .

وقال د. أحمد ماهر : لقد أخذت حكومتكم من أول يوم لها توجه الرأى العام الوجهة التى تراها صالحة للدفاع عن وجودها ، وموقفها واستعملت فى ذلك كل وسائـل النشر ، والدعاية من خطابة وكتـابة ، وكيفت الوقائع ، وصورتها ، على غير حقيقتها ، وعبثا حاولت الهيئات السياسية المختلفة بفضل الحكم العرفى ، والرقابة على الصحف أن تجد منفذا تطل منه برأيها على الجمهور هذا الجمهور المدعو لاختيار نوابه فى الأيام القليلة المقبلة ، والذى لا يمكنه أن يختار وليس أمامه غير رأى واحد ، يعلن ويذاع ، أما بقية الآراء فمكتـومة مخنوقة ..

ويقول د. أحمد ماهر :

وأرانى فى غنى عن التذكرة بأنه لم تجر انتخابات عامة فى بلد من بلاد العالم تحت الحكم العرفى ، فاذا طالبنا بذلك فانما نطلب حقا طبيعيا تواضعت عليه الأمم جميعا بلا خلاف .

على أنه لا يفوتنى أن ألفت نظركم الى بوادر العدوان التى وقعت من أنصاركم على معارضيكم جهرة فى وضح النهار وخفية فى غسق الليل ، يرتكبون عدوانهم تحت نظر البوليس وهو لا يتحرك لنجدة من يعتدى عليه حذرا من سلطان الحكومة وشعورا بأنها لا تقصده جديا الى منع ذلك .. ومهما يكن مبلغ ضبط المعتدى عليهم لشعورهم ، فانهم والحالة هذه ملزمون بالدفاع عن أموالهم وأنفسهم فتسود الفوضى نتيجة لتخلى الحكومة عن حماية القانون ، وهو ما لا يرضاه لبلده ذو قلب أو ضمير ..

ولرفعتكم أن تسألوا عما وقع من عدوان مساء أمس على منزل حضرة عبد الحميد البنان بك نائب الجمالية السابق وما حدث ويحدث كل يوم من عدوان مثله وشر منه على سواه فى غير جهة كالجيزة وغيرها .

اذا كان هذا يقع الآن قبل المعركة الانتخابية وفى عاصمة البلاد ، فلنا أن نسائل أنفسنا ماذا عسى ان يقع فى الريف ، خصوصا يوم يشتد التنافس بين المرشحين ؟ !

من أجل ذلك أرى واجبا على أن أبادر الى طلب رفع الأحكام العرفية فى كل ما له علاقة بتوجيه الرأى العام فى الانتخابات وفى اجرائها وأرجو أن تعلنوا ذلك من الآن ، ليجد كل مواطن فرصة لأداء واجبه والتمتع بحق من أقدس الحقوق العامة » ..

والجدير بالذكر ، أن كلا من خطاب الدكتور أحمد ماهر والنحاس باشا ، قد خلا حتى من كلمة التحية التى يستهل بها - عادة الخطابات - وان كان كل من الخطابين قد انتهى بالعبارة التقليدية ، وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

فماذا قال النحاس باشا فى رده على د. أحمد ماهر ؟!

يقول النحاس باشا تلقيت كتابكم الذى طلبتم فيه رفع الأحكام العرفية فى كل ما له علاقة بتوجيه الرأى العام فى الانتخابات مستندين الى ما كان من اعتراضنا الشديد واحتجاجنا المتصل ، على آثار هذه الأحكام وعلى رقابة الصحف خاصة وهى مقارنة واضحة البطلان تناسيتم فيها أنى كنت أنكر باسم الأمة مجلس نوابكم ، الذى أهدر فيه مشيئتها ، وزيفت بالوسائل المعروفة ارادتها تزييفا قضى على كل معنى ، للحياة النيابية ، والحكومة الدستورية وكانت الأحكام العرفية ، والرقابة الصحفية تتخذان ذريعة لتدعيم الانقلاب وتوطيده ، وتثبيت أغلاله فى أعناق الأمة فلا تستطيع معها حراكا أو منها فكاكا .

ويشير النحاس ، الى تحذيراته السابقة والى ارتطام البلاد بكارثة عظمى لم يكن يعلم مداها الا الله ، والى فضل جلالة الملك المعظم ، بأن عهد اليه بتأليف الوزارة ، ويقول النحاس باشا مخاطبا د. أحمد ماهر باشا : لو كنتم ممن ينصفون لأرحتم أنفسكم وأقررتم بأخطائكم واعترفتم بالفضل لذويه ، ولكنكم

بدلا من ذلك أمضيتم فى خطتكم ، وأوغلتم فى سياستكم ، وأضـاع زوال السلطان صـوابكم فرحتم تحاولون ايقاظ الفتنة بعد أن أخمدناها ، وتجديد الأزمة بعد أن أزحناها عامدين الى تشويه الحقائق وتزييف الوقائع والتحريض على الاخلال بالنظام وتعكير الأمن العام فى النشرات التى توزعون والاجتماعات التى تعقدون والدعوات ، التى تدعون ، عاملين على تعريض البلاد لكارثة أخرى قد تكون أبعد غورا وأعظم خطرا . و . و .

ويمضى النحاس باشا فى اتهامه ، لخصومه السياسيين ثم يقول : لقد توافرت الأدلة لدينا على ما تدبرون فهل ترون أن نلغى عقولنا ، وننسى وطننا وننكر ماضينا فنعينكم على تحقيق أغراضكم الضـارة بالبلاد باجابتكم الى ما تطلبون .. أننا اذن شركاؤكم فى الفتنة .. وزملاؤكم فى العبث وحاش الوفد ، وحكومته أن يكونوا شركاء العابثين واخوان الآثمين » .

ويقول النحاس باشا : انى لا أميل الى أن أطيل حواركم فيما ورد فى كتابكم من التفصيلات فالأمة التى تعرفنا وتعرفكم لا يخدعها فيننا ادعاء أو يجوز عليها افتراء » .

وينهى النحاس باشا رده بقوله : دعوا هذا العبث الضار بأمن الوطن وسلامة الدولة ومستقبل البلاد ثم انتقدوا بعد ذلك أعمالنا كما تشاءون ، وخوضوا فى سيرتنا ، كما تشتهون تلاقوا سعة الصدر ورحابة الجناب .. و .. و .. أما أن تطلبوا وقف الأحكام العرفية والرقابة الصحفية بعد ما بيناه فهو وحده دليل سوء النية وليس لنا من رد عليه الا الرفض المطلق الصريح ..»

ويرسل د. محمد حسين هيكل نائب رئيس الأحرار الدستوريين خطابا الى النحاس باشا يطلب منه وقف الأحكام ، العرفية فى جميع الأمور المتعلقة بالانتخابات والغاء الرقابة على الصحف فى كل ما يتعلق بالانتخابات وذلك ضمانا لحرية الحملة الانتخابية ، ولصحة الانتخابات ..

ولا يرد مصطفى النحاس باشا على رسالة الدكتور هيكل باشا ، الطويلة ، الا ببضعة أسطر يحيل فيها د. هيكل ، الى البيان الشفهى ، الذى أدلى به ــ أى النحاس باشا ــ الى مندوبى الحزب اللذين قابلاه والى رده ــ أى النحاس باشا ــ على د. أحمد ماهر ! الذى تجدون نسخة منه على هذا » .

ونسى الزعماء مأساة ٤ فبراير
وانشغلوا بانتخابات النواب وتعيين الشيوخ

حرصنا فى الفصل السابق على أن ننتقل وببطء من حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ، الى ما تلاه من احداث جاءت نتيجة له ، وقد أشرنا الى بعض ما ورد فى الوثائق البريطانية والى بعض ما جاء فى مذكرات سير مايلز لامبسون السفير البريطانى فى مصر عن بداية أعمال الوزارة النحاسية الخامسة وعن رغبة مايلز لامبسون فى تعيين حسين سرى باشا رئيسا للديوان الملكى خلفا لأحمد حسنين باشا الذى اقترح السفير نقله الى منصب كبير الأمناء الذى يناسبه كثيرا ٠

والذى يمكننـا أن نقوله ، تعليقا على رغبة السفير البريطانى تلك : ان دور حسين سرى باشا فى حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ، والذى لم يكن معروفـا من قبل ، قد افتضح أمره بعد ما أزاحت الوثائق البريطانية الستار عن هذا الدور ، وبعد ما أكدت مذكرات سـير مايلز لامبسـون تواطؤ حسين سرى باشا مع الانجليز فى تلك المرحلة الهامة والخطيرة من تاريخ بلدنا ٠

وتأتى رغبة السـفير البريطانى فى نقل أحمد حسنين باشا من منصب رئيس الديوان الملكى الى منصب كبير الأمنـاء ، بمثابة تبرئة لأحمد حسنين باشا من تهمة التواطؤ مع لامبسـون فى أيام ، ٢ ، ٣ ، ٤ فبراير ١٩٤٢ كما ادعى على ماهر باشا ، اللهم الا أن يكون السفير البريطانى قد استهلك ، حسنين باشا فى هذا الحادث فأراد نقله الى مكان آخر ، بعد أن لم يعـد فيه فائدة لهم ، ليـأتى بآخر يكون أكثر تلبية لمطالب السفير البريطانى التى لم تكن قد قلت بمجىء النحاس باشا ، وانما تضاعفت ٠

كما ان الوثائق البريطانية ومذكرات سير مايلز لامبسـون قد أكدت ، ـ وبجلاء ـ وان كان الأمر ليس أبدا بحاجة الى أى تأكيد ـ خيانة أمين عثمان باشا لمصر ، وعمالته الدائمة ، والصريحة ، لبريطانيا !

والغريب ، بل والمريب ، انه بعد اكتشاف عمالة أمين عثمان باشـــا لجميع الزعماء فى مصر ، ظلوا جميعا ــ وبدون استثناء ــ على علاقة طيبة به بل كان بعضهم يوسطه لدى النحاس باشا كما حدث فى موضوع الانتخابات ، كما ان بعضهم كان يوسطه لدى السفير البريطانى ، لكى يضغط بدوره على النحاس باشا ، أغرب من ذلك كله تلك الهالة الضخمة التى ظلت الصحف المصرية ــ فى الغالب ــ تحيط بها أمين عثمان باشا ، بعد حادث ٤ فبراير حيث تقول احداها مثلا الاثنين : لا ينكر أحد جهود ســـعادة أمين عثمان باشا فى التوفيق وتنقية الجو ، وأمين عثمان محبوب من أكثر الزعماء ، وصــديق لكل الأقطاب وهو غير « مصــبوغ » بأى لون حزبى ولكنــه قومى الا أن صــداقته للوفد وللوفديين أقوى من صداقته لأى حزب آخر ، والسبب ، كما يقول هو ان النحاس باشا ، ومكرم باشا صاحبا فضل عليه ! .

وقد أنهينا الفصل السابق بذلك الخطاب الذى أرسله د. أحمد ماهر باشا رئيس الهيئة السعدية الى النحاس باشا ، ورد النحاس باشا ، عليه ، وبالاشارة الى الخطاب الذى أرسله د . محمد حسين هيكل باشا نائب رئيس الأحرار الدستوريين الى النحاس باشا ورد النحاس باشا عليه ، ونبدأ هــذا الفصل : بنشر رسالة د. هيكل الى النحاس ، ورد النحاس باشــا لغرابة الخطابين :

قال د . محمد حسنين هيكل فى رسالته الى مصطفى النحاس باشــا رئيس مجلس الوزراء :

تذكرون رفعتكم أن الأحرار الدستوريين كانوا يرون ــ حين كانوا شركاء فى الحكم ــ ان الحرب المستعرة من حولنا . والأحكام العرفيــة القائمة بسبب الحرب فى بلادنا . يحول جوهمـــا دون اجـراء انتخابات عامة يتمتع فيهـــا الناخبون بحقوقهم السياسية ، والا نتخابات لا تكون صــحيحة الا اذا تمتع المشتركون فيها جميعا بهذه الحقوق وفى مقدمتها حرية كل حزب من الأحزاب وكل مرشح من المرشحين فى أن يشرح للناخبين وجهة نظره ويعرض عليهم الوثائق التى يستند اليها فى تأييد رأيه .

ورأينا هذا يشاركنا فيه كل من يقدر الديموقراطيــة وحرية الانتخابات ولا أدل على هذا من الكتاب الذى بلغ به لورد اللنبى تصريح ٢٨ فبراير ســنة ١٩٢٣ الى المغفور له الملك فؤاد حين كانت الأحكام العرفية البريطانية مفروضة على مصر ، وكان لورد اللنبى هو الحاكم العسكرى العام . فقد جاء فى الفقرة العاشرة من هذا الكتاب ما ترجمته :

« اننى على اســـتعداد لوقف الأحكام العرفية فى جميع الأمور المتعلقــة بحرية المصريين فى التمتع بحقوقهم السياسية . وذلك لاقامة برلمــان يتمتع بحق الاشراف والرقابة على الســـياسة والادارة فى حـــكومة مسئولة على الطريقة الدستورية .. »

لكن رفعتكم رأيتم غير رأينا ، وقررتم اجراء انتخابات عامة فى هذه الظروف الحاضرة ــ ظروف الحرب والأحكام العرفية ، وصرحتم بأن الانتخابات ستكون حرة • لم استصدرتم مرسوما بحل مجلس النواب ، وحددتم يوم ٣٠ مارس المقبل موعدا للانتخابات •• وما دام هذا رأى رفعتكم فنتيجته الطبيعية أن تزول كل عقبة تقف فى سبيل حرية الدعوة الانتخابية ليصبح الجو حرا للأحزاب والمرشحين كى يعقدوا فى حدود قانون الانتخابات ما يرون عقده من الاجتماعات ويذيعوا فى الناخبين بمختلف وسائل الاذاعة والنشر ما يرون اذاعته من الآراء ويعرضوا عليهم ما يرون عرضه من الوقائع والحوادث• وانما يكون ذلك بوقف الأحكام العرفية فى جميع الأمور المتعلقة بحرية المصريين فى التمتع بحقوقهم السياسية والغاء الرقابة على الصحف فى كل ما يتعلق بالانتخابات •

ورفعتكم لا ريب تقدرون هذا الرأى وتقدرون كما نقدر ان الناخبين لا يتسنى لهم اختيار نواب عنهم يمثلونهم تمثيلا صحيحا الا اذا عرضت عليهم الأمور عرضا كاملا من الجانبين اما أن يكون لأنصار الوزارة حرية الانتقال وحرية الكلام وحرية النشر وحرية النيل من خصومهم • بينما يحرم هؤلاء الخصوم من رد ما قد يوجه اليهم من التهم ومن بيان الحقائق للناس ــ فذلك ما تأباه قواعد العدل وما تفسد الانتخابات بسببه » •

ويطلب د • هيكل من رئيس الحكومة وقف الأحكام العرفية فى جميع الأمور بالنسبة للمصريين فى التمتع بحقوقهم السياسية وكذلك الغاء الرقابة على الصحف فى كل ما يتحقق بالانتخابات وفى زمن الانتخابات فقط •

ويقول د • هيكل : ان وقف الأحكام العرفية والغاء الرقابة على الصحف فى هذه الحدود أمران جوهريان هما اللبنة الأولى لحرية الحملة الانتخابية ولصحة الانتخابات وفى انتظار كلمة أو تصريح من مقامكم الرفيع باجابتنا الى هذا المطلب نرجو أن تتفضلوا •

ويكون رد النحاس باشا فى السطور التالية :

حضرة صاحب السعادة محمد حسين هيكل باشا ••

ردا على كتاب سعادتكم المحرر فى ١٢ فبراير ١٩٤٢ الذى تطلبون فيه وقف الأحكام العرفية فى جميع الأمور المتعلقة بحرية المصريين فى التمتع بحقوقهم السياسية ، وأن ترفع الرقابة على الصحف فى كل ما يتعلق بالانتخابات ، اتشرف بأن احيل سيادتكم الى بيانى الشفوى لحضرتى مندوبيكم اللذين قابلانى فى هذا الصدد ، وفى ردى على حضرة صاحب السعادة أحمد ماهر باشا ، الذى تجدون صورة منه على هذا •• وتفضلوا » •

والجدير بالذكر ، أن موضوع الانتخابات ومنذ صبيحة يوم ٥ فبراير ١٩٤٣ كان الشغل الشاغل للأحزاب المصرية التى تعودت ان تعطى الأولوية لموضوع الانتخابات ، على غيره من الموضوعات الهامة ، والخطيرة حتى فيما يتعلق بالقضايا المصرية ، كقضايا الاستقلال والتحرير.

وقد كان الاستعمار ورجاله فى مصر ، قد تعودوا على ان يلقوا للاحزاب المصرية بلقمة الانتخابات ، لينشغلوا بها عما عداها من الامور بالغة الخطورة. فعل هذا فى عام ١٩٢٣ ، عندما رأى تصفية ثورة ١٩١٩ تصفية كاملة ؛ وفعل هذا ايضا عندما التأمت الأحزاب بعد « تصدع » كما قال أحمد شوقى وذلك فى نوفمبر عام ١٩٢٥ ، وكان يمكن لهذا « الالتئام » تمكين الشعب المصرى من حصوله على حقوقه كاملة من بريطانيا ، وفعل هذا الامتصاص ثورة الشعب بصفة عامة وشبابه بصفة خاصة فى نوفمبر ١٩٣٥ ثم فعل هذا أيضا فى أعقاب ٤ فبراير لينسى الشعب ما حدث فى ذلك اليوم ولتلتفت الأحزاب المصرية الى بعضها بدلا من ان تلتفت الى بريطانيا لتحصل منها على الأقل بوعد يتيح له جلاء القوات البريطانية من مصر عند نهاية الحرب ، كما كان الوفد المصرى يطالب من قبل !

والذين شهدوا تلك الايام يذكرون جيدا ان كل الناس اصبحت وفدية وكان اسبق الناس فى اعلان وفديتهم أولئك الذين وقفوا جهودهم طوال الاعوام الاربعة السابقة للنيل من الوفد ، ولتجريح زعمائه ٠

سرعان ما امتلأ النادى السعدى بمرضى السياسة ، وهواة الترشيح للانتخابات ، كما خلت أندية الأحزاب الأخرى ، الا من أعضاء مجالس ادارتها بل ان الكثيرين من اعضاء مجالس ادارات الاحزاب تلك ، لم يكونوا - فى كل حزب - وحدة واحدة ، بل كانوا منقسمين ، على أنفسهم بعضهم يدعو الى التقرب من الوفد للحصول على نسبة محترمة من المقاعد ، وبعضهم يرفض هذه الصدقة » من الوفد ، ويصر على الاحتفاظ بكرامة الحزب و٠٠ و ٠٠

وقد تألفت لجنه اتصال بين حزبى الاحرار الدستوريين والسعديين ضمت بعض اقطاب الحزبين : من السعديين ابراهيم عبد الهادى ، وحامد جودة وممدوح رياض ، ومن الدستوريين ، أحمد عبد الغفار ، عبد المجيد ابراهيم ، دسوقى أباظة وحفنى محمود ، ورغم اجتماع اللجنة أكثر من مرة الا أن مواقف كل من الحزبين ، فى البداية لم تكن ابدا متفقة ، ذلك لان بعض قادة الاحرار الدستوريين كانوا يريدون الاتفاق مع الوفد المصرى من وراء ظهر حلفائهم السعديين كرد على اتفاق السعديين مع على ماهر ، من وراء ظهر الدستوريين ولكن قادة أخرين من الاحرار الدستوريين اصروا على الاتفاق مع السعديين فيما يتعلق بالانتخابات ذلك لأن اختلاف الحزبين المعارضين يضعفهما معا ، واتفاقهما يكتب لهما القوة ٠

وقد بلغ حسين باشا ـ كما روت الصحف ـ مكرم عبيد باشا ان الأحرار الدستوريين مستعدون ، للاتفاق مع الوفد نظير ١٩ دائرة فقط ، وقد بلغ قادة الاحرار الدستوريين مكرم عبيد باشا بان خشبة باشا لا يمثل الحزب ، وكان حمامة السلام بين الأحزاب المعارضة والوفد أمين عثمان باشا ، وقد نقل أمين عثمان باشا الى الأحزاب المعارضة فكرة اصدار بيان تؤيد فيه الأحزاب المعارضة موقف الوفد الاخير وبذلك يصبح الاتفاق على تقسيم الدوائر امرا سهلا ، وقد بادر د. أحمد ماهر فرفض الفكرة ، حتى بدون مناقشتها .

وقد بلغ من نهافت المرشحين على الترشيح على مبادىء الوفد ان وصل عددهم الى ٢٢٠٠ مرشح كان من بينهم من حاربوا الوفد ، أيام كانت محاربة الوفد جواز المرور الى السلطان .

وظهر فى النهاية ان الاتفاق أصبح مستحيلا ، فاعلن السعديون والدستوريون مقاطعتهم للانتخابات وان كان بعض الدستوريين قد دخلوا تلك الانتخابات بوصفهم مستقلين ، وكذلك بعض السعديين وكان الأستاذ فكرى أباظة قد رشح نفسه فى دائرة منيا القمح ، على مبادىء الحزب الوطنى ورشح الاستاذ توفيق دياب نفسه فى تلك الدائرة غير ان الوفد ترك الدائرة للاستاذ فكرى أباظة الذى لم ينجح فى أول جولة وقد نجح فى الجولة الثانية وكان بيان الوفد بترك الدائرة للاستاذ فكرى اباظة تقديرا منه لفكرى اباظة وليس مجاملة له .. كان ـ كما قالت جريدة المصرى فى ٢٦ مارس ١٩٤٢ ـ لرأى الوفد الحسن فى كفايته والحاجة اليه بعد ان تكرر فوزه بعضوية النواب فى أكثر العهود النيابية وبسبب سلوكه المستقيم فى المناقشات ترحب الى ان جريدة الوفد بقبول الوفد لأية معارضة ما دامت صالحة مستقيمة كريمة متوخية الخير ، والصواب وهذا هو ما نحسبه قد روعى فى ترك الدائرة للأستاذ فكرى أباظة وهو اعتبار سينزل منزلته الخليقة به من نفوس الناخبين ورجاؤنا ـ رجاء المصرى ـ ان يسفر جهد الزميل عن نجاح .

وكانت نتيجة الجولى الاولى فى الانتخابات ٢١٢ وفديا ، ٢٤ مستقلون واحزاب أخرى ٢٨ دائرة تعاد فيها الانتخابات فيصبح المجموع ٢٦٤ هى كل الدوائر الانتخابية لمجلس النواب .

وفى نفس اليوم ، الذى تنشر فيه الصحف نتائج الانتخابات فى المرحلة الاولى نشرت الصحف أيضا ان صاحب المعالى أمين عثمان باشا رئيس ديوان المحاسبة قد اقام فى ٢٥ مارس ١٩٤٢ ـ فى داره ـ مأدبة غداء حضرها قائد سلاح الطيران وقائد قوات جنوب افريقيا ، وقائد القوات البريطانية فى

القاهرة وخبير الوقاية ، وفؤاد أباظة باشا ، وأحمد عبود باشا ، وعثمان أباظة بك ، الاستاذ محمد عسران عبد الكريم ، وعلى اسماعيل بك ومحمود الفلكى بك والاستاذ محمد حشمت وكبار موظفى السفارة البريطـانية ! ولم أعرف حتى كتابة هذه السطور ، الصفة ، التى وجه بها أمين عثمان الدعوة الى هؤلاء القادة العسكريين الا كونه كان واحدا من كبار « البريطانيين » فى مصر !!

وقد علقت صحيفة الاجبشيان جازيت على نتائج الانتخابات بقولها : لئن كانت النتائج النهائية غير ميسورة ، لدينا ونحن نكتب هذه السطور ـ كان ذلك قبل اعلان النتائج النهائية للمرحلة الاولى من الانتخابات ـ فان فى وسعنا ـ أن نقول ، ان المجلس الجديد فيما خلا حفنة من المستقلين وواحدا أو اثنين من أعضاء الحزب الوطنى ، المتطرفين سيكون وفديا فى جملته ، وقد تبين من النتائج أن كثيرا من كبار الساسة غير المستقلين لم يفوزوا ، وهو ما يفسر الباعث الذى حمل المعارضة على الامتناع عن الاشتراك فى الانتخابات فقـد رفضوا ٦٦ مقعدا ، ولو انهم فشلوا فى ادراك هذا القدر من المقـاعد ، لكان موقفهم هدفا للسخرية ٠

وقالت صحيفة التيمس البريطانية : « ان مما ساعد الوفديين ان الحزبين الرئيسيين اللذين يعارضان الوفد وهما الحزب السعدى والأحرار الدستوريين قررا ، عدم الاشتراك فى الانتخابات ولو فرض وقرر الحزبان دخول معركة الانتخابات فانهما كانا لا يستطيعان الفوز بعدد من المقاعد ، يزيد كثيرا على ما نالته المعارضة الاخرى وقد حرم الحزبان من أى تأييد واسع النطاق مـن جانب الشعب المصرى بسبب اشـتراكهما فى سلسلة من الوزارات كانت لا تمثل أكثر من أقلية يسيرة بل لسبب أهم من ذلك هو فشـل السلطة المصريه فى العهود السابقة فى حل مشاكل أجور العمال ومشاكل التموين وقد دخل معركة الانتخابات ٩٤ محاميا ، و ١٦ طبيبا و ٧ صحفيين وقد ترك الوفد لكل من فكرى أباظة وبشارة نقلا دائرته ، فلم يرشح فيهما أحدا وكان من بين الصحفيين اللذين رشحوا انفسهم محمود ابو الفتح ، أحمد قاسم جودة، وجلال الحمامصى ، وقد نجحوا جميعا ٠

وكان من بين الحزبيين ، الذين خرجوا على قرار حزبهم بمقاطعة الانتخابات ٠٠ من السعديين على أيوب ، ومن الدسـتوريين عبد المجيد ابراهيم باشا ورشوان محفوظ باشا وعبد الجليل أبو سمرة باشا وسيد خشبة باشا ، وقد أكد د٠ أحمد ماهر ان حزبه لن يتخذ أى أجراء ضد من رشح نفسه للانتخابات رغم ان قرار مقاطعة الانتخابات كان باجماع أعضاء الهيئة السعدية ٠

وفى أجواء الانتخابات أصدر النحاس باشا الحاكم العسكرى قرار بالافراج عن عزيز على المصرى باشا والضابطين الطيارين عبد المنعم عبد الرءوف افندى ، وحسين ذو الفقار افندى وكان فى مقدمة المستقلين الذين نجحوا فى تلك الانتخابات ، عبد السلام الشاذلى باشا ، يس أحمد باشا ، جبرائيل تكلا باشا بدراوى عاشور باشا ، عبد الله فكرى اباظه بك ، رينيه قطاوى بك ، الاستاذ سعد اللبان ، الاستاذ جلال حسين ، الاستاذ محمد عبد الرحمن نصير، فؤاد أبو ستيت ، أحمد أبو ستيت ، أبو زيد تمام ، عبد القادر عبد المولى ، حفنى مازن ، أبو المجد الناظر ، عبد العال الجبالى ونجح من الأحرار الدستوريين : رضوان محفوظ باشا ، عبد الرحمن محمود بك ، عبد الفتاح أبو سحلى بك ، محمد عبد الله أبو حسين ، عباس بدوى حزين ، ولم ينجح من السعديين الا محمد شعراوى ونجح من الحزب الوطنى أربعة : محمد محمود جلال بك ، عبد العزيز الصوفانى بك ، على على بسيونى ، فكرى أباظة ولم ينجح من حزب الاتحاد الشعبى أحد .

وقبل ان ننتقل من معركة الانتخابات الى معركة الاعتقالات ، اعتقال على ماهر باشا ، ومحمد طاهر باشا ، واخرين . ولكى نكمل الصورة جيدا ، ننقل بعض ما ذكره د. هيكل باشا من تلك الفترة باعتباره واحدا من المشتركين فى قيادة المعارضة وقتئذ : فبعد أن تحدث هيكل عن تعديل الدوائر لصالح المرشحين الوفديين قال : « ليس تعديل الدوائر هو الوسيلة الرئيسية التى تتحكم بها الوزارة القائمة فى مصر فى الانتخابات بل هناك كذلك عمد البلاد ومشايخها ، هؤلاء العمد والمشايخ هم الذين يوجهون الناخبين ، الوجهة التى تريدها الحكومة القائمة فهم يتلقون الوحى من رجال الادارة مديرين ، ومأمورى مراكز ، ومعاونى بوليس وغيرهم ، وهم يدلون الى الناخبين برغبتهم فلا يخالف الناخبون هذه الرغبة حرصا ، على مصالحهم وعلى طمأنينتهم من بعد .

ولم تكن عناية الوزارة بفصل العمد ، والمشايخ الذين يؤازرون خصومها فى الأرياف ، وتعيين العمد والمشايخ الذين يناصرونها بأقل من عنايتها بتعديل الدوائر الانتخابية ، ثم خطوة أخرى لها أثرها الفعال فى الحركة الانتخابية كانت موضع عناية الوزارة كذلك هى تلك تعيين رؤساء اللجان ، التى تشرف على عملية الانتخابات من الموظفين أنصارها فرؤساء هذه اللجان هم الذين يفضى اليهم الناخبون الذين لا يعرفون القراءة والكتابة سرا بأسماء من ينتخبونهم والناخبون الذين لا يعرفون القراءة والكتابة يكادون يبلغون السبعين فى المائة من مجموع الناخبين ، فاذا أضفت الى هذا ، أن كثرة الذين يقرأون ويكتبون لا يتقدمون الى صناديق الانتخاب ، أيقنت بما للجان من أثر بعيد فى توجيه نتيجة الانتخاب .

ولا حاجة للاشارة الى ما لنشاط الادارة ليلة الانتخاب ، ونشاط رجالها يوم الانتخاب من اثر في هذه النتيجة وهذا النشاط هو الذى بعد الأكثرية من المثقفين ، وذوى الرأى عن الاشتراك فى عملية الانتخاب اقتناعا منهم بأن رأى الحكومة أكبر أثرا فى نتيجة الانتخاب من رأى الشعب ومن رأى الناخبين : كان النحاس باشا مطمئنا ، اذن الى نتيجة الانتخاب لمجلس النواب وانه سيفوز على أثر اعلانها باجماع المجلس لا بأكثريته الساحقة الماحقة وكفى ، ولكن ماذا يكون موقف مجلس الشيوخ أنه يخشى ان تواجهه فيه أكثرية معارضة ، ففيه عدد كبير من المستقلين الذين يحرصون على ان تجرى أمور الحكم رخاء لا تعتر فيها ولا اضطراب وكان فى مقدوره ان يعتمد على هؤلاء المستقلين ليكون له أكثرية تؤزره لكنه حرص مع ذلك على أن يهتز هذا المجلس هزة تقنع اعضاءه بأن الامر فى البلاد بيد الوزارة لا بيدهم وانها تستطيع أن تكون صاحبة الكثرة الصريحة المستقلة من هؤلاء المستقلين فلا يقدر أحدهم على ان يواجهها بما لا يحب .

وكان يسيرا ان يبلغ النحاس باشا هذا الغرض من غير وجه لا مسوغ له ؛ فمنذ أشهر رأت وزارة سرى باشا ، أن جو الحرب والأحكام العرفيـة لا يسمح باجراء انتخابات التجديد النصفى لمجلس الشيوخ أما وقد قرر النحاس باشا حل مجلس النواب واجراء انتخابات جديدة فقد كان طبيعيا أن يجرى التجديد النصفى لأعضاء الشيوخ المنتخبين الذين أنهت القرعة مدتهم ، وأن يفوز الوفد ، عن طريق هذا الانتخاب بما يكفل له كثرة مطلقة فى المجلس ، بعد أن قاطعت الأحزاب ، والهيئات الأخرى الانتخاب ، ويومئذ لا يؤاخذه أحد ، وتتحقق له غايته وتقوم فى المجلس اكثرية لكنه رأى هذا التصرف غير كاف لاحداث الاثر الذى يريد احداثه ، فلابد من قارعة تلفت اليه نظر البلاد من أقصاها الى اقصاها ويفهم معها الجميع أن الأمر بيد الوزارة كذلك ولذلك استصدر مرسوما بالغاء التعيينات التى أجرتها وزارة سرى باشا فى ٧ مايو سنة ١٩٤١ بحجة ان التعيين مكمل للانتخاب وانه لذلك يجب ان يتم بعد الانتخاب لا قبله فاذا لم يجر انتخاب وجب الا يجرى تعيين ووجب أن تمد مدة الشيوخ المعينين كما تمد مدة الشيوخ المنتخبين .

وكانت حجة وزارة سرى باشا فى ان تأجيل انتخاب الشيوخ بسبب الحرب والأحكام العرفية . لا يمنع من تعيين المعينين لأن الدستور يجعل مدة العضويه فى مجلس الشيوخ عشر سنوات لا يجوز أن تزيد الا لظرف قاهر ولكنه لم يعلق تعيين المعينين ، على أى اعتبار خاص بالمنتخبين وان ما يقال من ان الحكمة فى التعيين هى تحرى الكفايات التى لم يسفر عنها الانتخاب انما هو اعتبار فقهى ، وليس نصا تشريعيا وأن الاعتبار الفقهى ، لا يكفى لوقف اعمال النص التشريعى اما والدستور يوجب التجديد النصفى فمن حق الوزارة

ومن واجبها ان تجرى التعيينات سواء سمحت الظروف باجـراء الانتخابات أو لم تسمح باجرائها .

كان زكى العرابى باشا وزيرا للمواصلات فى وزارت النحاس باشا وقد عارضه فى استصدار مرسوم بالغاء تعينات الشيوخ التى أعدتها وزارة حسين سرى باشا حين عرض الأمر ، على مجلس الوزراء ، وكانت حجته فى الاعتراض أن السلطة التنفيذية استنفدت حقها باجراء التعيين وان الوزارات المتعاقبـة يكمل بعضهـا بعضا فهى السلطة التنفيذية وان اختلفت أشخاصها وعلى ذلك لا يجوز لوزارة أن تنقض ما أتمتـه وزارة أخرى فى حـدود حقهـا المشروع بالدستور ، أو بالقانون لكن مجلس الوزراء ، لم يأخذ بهذه الحجة .

ويقول د. هيكل انه كان من بين الشيوخ الذين اخرجتهم القرعة وأعيد تعيينهم بمرسوم ٧ مايو سنة ١٩٤١ فلما ألغت وزارة النحاس باشا مرسوم هذه التعيينات خاطبنى ــ د. هيكل ــ حسنين باشا رئيس الديوان الملكى يعرض على اعادة تعيينى فقبلت ولم يمنعنى من القبول أن الحزب قاطع الانتخابات لان الأسباب التى أدت الى مقـاطعة الانتخابات لا تدعو الى مقاطعة التعيين ولأننى رأيت فى هذا التعيين اسـتمرارا لعضويتى التى قررهـا مرسـوم سرى باشـا كما قدرت أن منبر البرلمـان هو وحده الذى يسـتطيع الانسـان أن يدلى من فوقه برأيه فى ظل الأحكام العرفية القاسـية القـائمة فى ذلك الظـرف العصـيب الرهيب وتمت انتخابات المجلسـين وانعقـد البرلمـان وعادت الحيـاة النيـابية سيرتهـا ولكن بأغلبية مطلقة للوزارة الوفـدية فى كل من المجلسين وفى جو من الرعب الذى لامس مأساة ٤ فبراير والذى بث فى كثير من النفوس الفزع والوجل » أما الشيوخ « الوفديون » الذين كانت وزارة حسين سرى باشا قد أخرجتهم بمقتضى مرسوم ٧ مايو ١٩٤١ فقد أعادت الوزارة الوفدية تعيينهم وهم : أحمد حسين بك ، عبد الرازق القاضى بك ، عفيفى البربرى بك ، د. زكى ميخائيل بشارة ، الأستاذ محمد مرزوق .

وقد أعادت وزارة النحـاس باشا تعيين ثمانية ممن كانت وزارة حسين سرى باشا ، قد عينهم أو اعادت تعيينهم ثم ابطل المرسوم الخاص بهم ، هم : حسين سرى باشا ، أحمد على باشا ، عبد الحميد سليمان باشا ، انطون الجميل بك . مصطفى رشيد بك « مستقلون » حافظ رمضان باشـا « حزب وطنى » الدكتور هيكل باشا « حر دستورى » مختار حجازى باشا « سعدى » أمـا الشيوخ الجدد الذين عينتهم وزارة النحاس باشا فمنهم سبعة من الوفديين : زكى العرابى باشا ، على حسين باشا ، محرم فهمى بك ، حافظ عوض بك ، محمود عبد النبى بك ، شارل بشرى حنا بك ، منصور لطيف بك ، ومنهم أيضا سبعة من المستقلين شريف صبرى باشا ، بهى الدين بركات باشا ، محمود خيرى باشا زكى الابراشى باشا ، حسن الزيدى باشا ، محمد أحمد فرغلى باشا ، أحمد الصاوى باشا .

بالاضافة الى حر دستورى واحد : حفنى محمود بك ·

وواحد من حزب الاتحاد الشعبى هو حلمى عيسى باشا ·

وبذلك أصبح مجلس الشيوخ مكونا من ٨٠ وفديا ، ٦٦ من الاحـــزاب الاخرى ، وكان الشيخ أحمد حميدة أبو ستيت معينا ولم يخرج بالقرعة ورغم ذلك رشح نفسه فى الانتخابات ونجح وفضل بالطبع صفته الانتخابية ، عـلى صفة التعيين ليفوز بعشر سنوات بدلا من خمس سنوات ، الا قليلا ، هى ما تبقى لمن لم يخرجوا بالقرعة ·

ولم تعين وزارة النحاس باشا ، ممن كانت وزارة حسين سرى قد عينتهم من المستقلين : محمد على علوبة باشــا ، مدحت يكن باشا ، نجيب الغرابلى باشا ، محمد شفيق باشا « وكانوا من الشيوخ القدامى » عبد الحميد بدوى باشا ، حسن صادق باشا ، لطفى السيد باشا ، حافظ المنشــــاوى باشا ، محمـــد بدير باشا ، د· محمد صـــالح بك ، د· رشيد عبد الله بك « من الشيوخ الجدد ، الذين عينوا لأول مرة بمقتضى مرسوم حسين سرى » ومن الشيوخ القدماء الذين لم يعد النحاس باشا تعيينهم : غبريال سعد بك ، وعلى أحمـد باشا وعبد الرحمن عوض وجلال فهيم باشا وزكريا مهـــران باشا وعبـاس أبو حسين باشا وأحمد عطية باشا ، د· عبد العزيز أحمد بك وقد افتتح البرلمان الجديد فى ٢٠ مارس ١٩٤٢ ورأس جلسة الافتتاح محمد محمود خليك بك رئيس مجلس الشيوخ والقى النحاس باشا خطبة العرش ، وكانت رابع خطبة عرش يلقيها فى البرلمان ·

وانتخب مجلس النواب الأستاذ عبد السلام جمعة نائب طنطا رئيسا له ، ولما كان منصب وزير الزراعة قد خلا بانتخاب عبد السلام فهمى جمعة رئيسا لمجلس النواب فقـــد تقرر أن يحل محـله فى وزارة الزراعة محمـــد فؤاد سراج الدين · وبدأت الخصومة بين أشهر صـــديقين فى الســـياسة المصرية النحاس ومكرم ، ثم تحولت الخصومة بين رئيس الوفد وسكرتيره العام الى عداوة ، ثم كان اعتقال رفعة على ماهر باشا بقرار من رفعة مصطفى النحاس باشـــا ·

الفصل الرابع

صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا يعتقل صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا

● أولينا اهتماما بالغا بانشغال الأحزاب المصرية ، بعد حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ بمعارك انتخابات مجلسى النواب والشيوخ ومعارك التعيينات لمجلس الشيوخ ، وقد توقفنا فى الفصل السابق عند الأزمة ، التى أحدثها د٠ محمد حسين هيكل باشا بقبوله التعيين فى مجلس الشيوخ بناء على المرسوم الذى استصدره ، النحاس باشا بعد ان كان عضوا فى مجلس الشيوخ بمقتضى المرسوم الذى استصدرته وزارة حسين سرى باشا ، حيث كان دكتور هيكل واحدا من أعضاء تلك الوزارة.وفى الفصل نكمل ما بدأناه فى الفصل السابق ٠

وقد سبق لنا ، أن نقلنا على لسان د ٠ هيكل بعض الأسباب التى استند اليها فى قبوله التعيين فى مجلس الشيوخ بعد ان استصدر النحاس باشا ، مرسوما بابطال مرسوم ٢٧ مارس ١٩٤١ ، الذى كان قد استصدره حسين سرى باشا وبمقتضاه تم تعيين النسبة المقررة من الشيوخ بمقتضى الدستور بعد أن تم اجراء القرعة ، وتم اخراج نصف المعينين ، ونصف المنتخبين ، ورغم ان كلا من حزبى الأحرار الدستوريين والسعديين قد اتخذا قرارين خاصين بمقاطعة الانتخابات لمجلس الشيوخ والنواب وكان من الطبيعى ــ كما رأى الكثيرون ــ ان يقاطع الدستوريون التعيين ، كما قاطعوا الانتخاب وكما فعل ــ وبدقة ــ حلفاؤهم السعديون وعلى رأسهم ، د ٠ أحمد ماهر باشا ، الذى رفض أن يعين فى مجلس الشيوخ ، كما رفض أن يعين أحد من حزبه وقد سئل الدكتور هيكل ــ من قبل الأستاذ طاهر الطناحى وكان وقتئذ محررا بالمصور ــ ان يوضح د٠ هيكل وجهة نظره فى قبوله ، التعيين وكان مما قاله د٠ هيكل : ان الحزبية ليست أشخاصا ، لأن الأشخاص يزولون وانما الحزبية فكرة وعقيدة ، ومادام رجال الحزب متمسكين بالفكرة ، التى انشىء من أجلها فان

خروج فرد أو أفراد على قرار من القرارات لا يعتبر خروجا من الحزب أو خروجا على فكرته ، فليس من الضرورى أن يكون جميع رجال الحزب الواحد ، متفقين على رأى واحد فى كل مسألة من المسائل ، بل أن حرية الرأى هى أول مظهر من مظاهر قيام الأحزاب وهى أهم ميزة من ميزات الحياة الديمقراطية ، وليست هذه أول مرة يحدث فيها خلاف بين رجال الحزب ، وقد أصدر حزب الأحرار الدستوريين قرارا بمقاطعة الانتخابات للأسباب التى أعلنها ، وهو يرمى من هذا القرار ، الى تسجيل حالة قائمة يتعذر معها اشتراك أعضائه فى الانتخابات وهو بذلك يترك الطريق أمام رجاله فاذا كان بعض رجال الحزب ، رأوا انهم يستطيعون التغلب على ما يصادفهم من صعوبات ورشحوا ، أنفسهم فى الانتخابات فان ذلك لايضير علاقتهم بالحزب ، ولا يمس الغرض الذى صدر لأجله هذا القرار ، وهو تسجيل هذه الحالة ٠

ويقول د ٠ هيكل : ان نظريتنا فى قبول تعيين الوزارة القائمة ، لنا فى مجلس الشيوخ هى ان وزارتنا ــ وزارة سرى باشا ــ أصدرت فى ٢٧ مارس ١٩٤١ مرسوما بتعيين ٢٩ عضوا فى مجلس الشيوخ على أن تبدأ مدة عضويتهم من ٨ مايو من تلك السنة ، وقد أقر مجلس الشيوخ عضـــوية كل من هؤلاء المعينين بعد عرضهم واحدا واحدا ، على لجنة الطعون فأصبح حق فصل هؤلاء الأعضاء من حق المجلس بمقتضى المادة ٩٥ من الدستور وليس من حق الوزارة فاذا كانت الوزارة اعتبرت المرسوم الذى أصدرته وزارة حسين سرى باشــا باطلا فان هذا الاعتبار ليس من حقها ، ولذلك كان تعييتى أنا ودولة سرى باشا وخمسة من المعينين بالمرسوم السابق تكرارا للتعيين الذى حدث فى عهد الوزارة السابقة وعندما يقال ــ لمدكتور هيكل ــ : ولكنكم أديتم اليمين فاذا كنتم تعتبرون أنفسكم معينين بمرسوم الوزارة السرية فلماذا لم تمتنعوا عن حلف اليمين ؟

ويقول د ٠ هيكل : ان حلف اليمين باحترام الدستور جائز فى كل آن ، ولكل عضو من أعضاء المجلس أن يحلف هذه اليمين متى شاء ، وقد أشار على أحد زملائى ، وأنا أسير الى حلف اليمين ، على منبر المجلس أن أقول انى آكرر اليمين التى سبق أن أقسمت بها ولكننى وجدت ان لاداعى ، لهذه العبــارة ما دام الدستور لا يحرم على أعضائه ان يقسموا هذه اليمين فى أى وقت فانا حلفت هذه اليمين ، وأنا متمسك بعدم بطلان المرسوم ، الســابق ، وغير معترف بالمرسوم الجديد ، ومما يدل على قيام المرسوم السابق ، ان ســـعادة رئيس مجلس الشيوخ أعلن فى أول جلسة ان مدة الأعضـــاء الجدد ، الذين عينتهم الوزارة الحاضرة تبــدأ من ٨ مايو ١٩٤١ أى من ابتداء المدة ، التى حددتهــا الوزارة السرية فى مرسومها ٠

ثم يضيف د ٠ هيكل ، الى كل تلك الأســباب سببا آخر : فانا رجــل أشتغل بالسياسة وقد وقفت عليها وقتى ومجهودى منذ عدة سنوات ، ولى آراء

سياسية أحرص على ابدائها ، والرقابة الصحفية الآن مفروضة على الصحف ـ فاى مكان تظنون انه يمكنني فيه ان أبدي رأيي ، بكل حرية وصراحة ، لا شك أنه البرلمان سواء أكان فى مجلس الشيوخ ، أم فى مجلس النواب لهذا لم أرفض وجودى ، فى هذا المجلس لأستطيع أن أؤدى واجبى القومى ، وأعلن آرائى السياسية » •

وقد وجه اليوم ، الى حسين سرى ، لأنه قبل ان يعين فى مجلس الشيوخ بمرسوم النحاس باشا ، الذى ألغى به المرسوم الذى أصدرته وزارة حسين سرى باشا ولكن سرى باشا قال وهو يرد على هذا اللوم : اننى لا أعترف مطلقا ببطلان المرسوم ، الذى أصدرته وليس قبولى تعيين الوزارة الحاضرة لى عضوا فى الشيوخ دليلا على اعترافى بهذا البطلان كما لا يدل على اعترافى بالمرسوم الجديد لأننى أرى أن البرلمان هو المكان الوحيد ، الآن لابداء الآراء السياسية بكل حرية ولما كنت من رجال السياسة وأحب أن أعلن آرائى فى المسائل العامة فقد قبلت تعيينى فى الشيوخ لأؤدى واجبى على أحسن وجه •

اما حزب « السعديين » فقد كان على لسان رئيسه •• أحمد ماهر باشا ، وعلى لسان نائب رئيسه محمود فهمى النقراشى صريحا وواضحا من أنه وقد قرر مقاطعة انتخابات مجلسى النواب والشيوخ فان قرار المقاطعة ، يجب أن يسرى على التعيين أيضا وذلك اعمالا لنص قرار المقاطعة ، ولروحه أيضا ! وانه كان من الواجب على زعماء الأحرار الدستوريين أن يعتذروا عن التعيين اما الاحتجاج بأن التعيين أمر ملكى واجب الطاعة ، فيرد عليه ، بأن البروتوكول والقواعد المرعية تحتم على الجهة التى تعين ان تأخذ ـ فى البداية ـ رأى من يصدر المرسوم بتعيينه ، قبل اصدار المرسوموقد كان واجبا من باب أولى على حسين سرى باشا ، ان يرفض التعيين ، حتى لا يتناقض مع نفسه وحتى لا يعطى « الخصم » الحجة للتدليل على أن المرسوم الذى أصدره كان باطلا على أية حال لقد جاء التشكيل الجديد لمجلس الشيوخ على عكس التشكيل الجديد لمجلس النواب تماما فبينما للوفد فى مجلس النواب أغلبية ساحقة ماحقة ، فان الأغلبية الوفدية فى مجلس الشيوخ لم تكن تتجاوز بضعة أصوات، بالاضافة الى ان المعارضة كانت فى مجلس الشيوخ قوية للغاية ، كان ـ مثلا ـ عدد المستقلين ٤٣ شيخا من بينهم ، على ماهر ، وحسين سرى ، وتوفيق دوس، بهى الدين بركات ، صليب سامى ، عبد القوى أحمد ، مصطفى الشوربجى ، ولويس اخنوخ فانوس ، وكان للاحرار الدستوريين ثمانية شيوخ هم : أحمد خشبة ، د • محمد حسين هيكل ، عبد المجيد ابراهيم ، ابراهيم الظاهرى، توفيق اسماعيل ، محمد عطية الناظر ، السيد محمود الشندويلى ، حفنى محمود ، وكان للسعديين سبعة شيوخ فقط هم : محمود غالب ، مختار حجازى ، اللواء أحمد شريف ، حسن نبيه المصرى ، عباس الجمل ، عازر جبران ،

محمد خطاب وكان للحزب الوطنى ، شيخان هما : حافظ رمضان ، عبد الرحمن الرافعى وكان لحزب الاتحاد اثنــان من الشيوخ : محمــد حلمى عيسى ، بهجت السيد أبو على ·

وفور الافراج عن عزيز على المصرى باشـا وزميليـه بقرار من الحاكم العسكرى مصطفى النحاس باشا عاد عزيز باشا الى مباشرة الدعوى التى كان قد رفعها ضد الحكومة لاحالته الى المعاش فى أغسطس ١٩٤٠ وقد وجه الدعوى الى وزير الدفاع ، الوطنى والى وزير المالية وتلخصت دعواه بانه فى يناير ١٩٣٨ عينته وزارة الدفاع مفتشا عاما للجيش المصرى وفى العام التالى ، أنعم عليه برتبة « الفريق » لمواهبه وكفاءته ، ثم عين رئيسـا لأركان حرب الجيش المصرى غير أنه لم يلبث طويلا ثم منح أجازة طويلة ابتداء من ١٥ فبراير ١٩٤٠ الى ٢١ مايو ١٩٤٠ ، ثم منح أجازة أخرى لم يطلبها بل فرضت عليه ابتداء من أول يونيو الى ٣٠ نوفمبر من ذلك العام ، ولكن قبل أن تنتهى هذه الأجازة أصدرت وزارة حسن صبرى باشا مرسوما فى أغسطس باحالته على المعاش قبل السن القانونية بخمس سنوات ، وقد جاءت الاحالة ــ كما قال عزيز المصرى فى دعواه ــ عقب الترقية المزدوجة فى الرتبة العسكرية ، وفى الوظيفة ، وان ذلك يدل على انها لم تكن قائمة ، على شىء من عمله ، أو تصريفه لشئون الجيش، وان هذه الاحالة جاءت على وجه السرعة لم يســمح للحــكومة أن تتدبرها ، ولم تستوف الشكل الذى يتطلبه القانون وقد اقتضت هذه السرعة الا يكتفى باحالته الى المعاش قبل بلوغه السن القانونية بل رأت وزارة المالية أن تسوى معاشه على اعتبار خدمته فى الحكومة المصرية ١١ سنة وثمانية أشهر وأربعة أيام وانه بناء على هذا لا يستحق الا مكافأة قدرها ٢٤٦٩ جنيها مصريا فقط وتجاهلت وزارة المالية انه قد أتم دروسه الثانوية فى مصر ، ثم التحق بمدرسة استمبول الحربية وأنه دخل الجيش العثمانى ضابطا ، ونسيت أن الجيش المصرى عملا ، بالفرمانات والقوانين هو جزء من الجيش العثمانى الى ديسمبر ١٩١٤ وأن خدمة سعادته فى الجيش يجب أن تضم ، الى سنى خدمته ، فاذا قام المسوغ للاحالة وأريد تسوية المعاش وجب أن تتم هذه التسوية على أساس ضم سنى الخدمة فى الجيش العثمانى الى سنى خدمته فى الجيش المصرى ··

وقال عزيز المصرى ــ فى دعواه ــ انه بحكم كونه فريقا لا يصح احالته الى المعاش قبل الخامسة والستين فكان باقيا له فى سنى الخدمة خمس سنوات وشــــهران وانه يحق له ان يطالب عن الاضرار التى لحقت به بتعويض قدره عشرون ألف جنيـه ويدخل فيه مجمـوع المرتب الذى كان سيقبضه فى المدة الباقية له من خدمته كما يدخل فيه التعويض عن الضرر الأدبى كذلك يحق له أن يطالب بمعاش قدره ستة وثمانون جنيها ، و ٨٧٥ مليما باعتبار ان سنى

خدمته ٣٤ سنة ، ٩ أشهر و ١٧ يوما وفي الوقت ، الذى أفرجت فيه وزارة النحاس باشا عن عزيز على المصرى وعبد المنعم عبد الرءوف ، وحسين ذو الفقار بدأت الوزارة تحد من نشاط على ماهر باشا ٠٠

فى البداية ، بدأ اسم على ماهر باشا ، يختفى من الصحف رويدا رويدا بفعل الرقابة ، على الصحف ، الا فى المرات ، التى كان ينجح فيها بعض الصحفيين فى التحايل على نشر اسم على ماهر باشا فى اية مناسبة حتى ولو كانت المناسبة ، ارسال على ماهر باشا خطاب تقدير لكاتب من الكتاب بمناسبة ، اصداره مجموعة جديدة من قصص هندية للأطفال ، اذ حرصت بعض الصحف على نشر نص الخطاب الذى بعث به صاحب المقام الرفيع على ماهر ، باشا ، الى الأديب ، الكبير الأستاذ كيلانى و ٠ و ٠ كما بدأت بعض الصحف تنشر عن عودة على ماهر باشا من القصر الأخضر ، الى العاصمة بعد أن قضى عشرين يوما بين القصر الأخضر والاسكندرية وان رفعته يسكن فى القاهرة بالزمالك فى دار فخمة استأجرها من سعادة عباس باشا المهدى مرشح الوفد ، الذى نجح بالتزكية عن دائرة عابدين : وان على ماهر يملك ٢٠٠ فدان تحيط بالقصر الأخضر وقد عنى بزراعتها على أحدث النظم العصرية وبها معمل صغير لصنع منتجات الألبان والمربات ودوار كبير لتربية المواشى والأغنام و « غية » نحل وبرج حمام و ٠ و ٠

وبدأت بعض الصحف فى أواخر ابريل تقريبا ، تتحدث فى استحياء عن الحصانة البرلمانية ، وكونها غير معروفة فى التقاليد الدستورية الانجليزية وغير ثابتة وواضحة كما هى ثابتة وواضحة فى دستورنا ، المصرى ، وعن عدم الاعتداد ، بالحصانة فى حالتين خاصتين ، بالأستاذ حامد جودة ٠ وهمام حمادى وتمسك أحمد ماهر رئيس مجلس النواب — وقتئذ — بالحق البرلمانى ، بحذافيره ، وان كان فى النهاية جعل الوزارة مسئولة عن تصرفاتها ازاء المجلس اذا خالفت نص وروح الدستور ، على ان المجلس لم يسحب ثقته من الوزارة رغم اعتدائها على حصانة النائبين المحترمين حامد جودة وهمام حمادى ٠

كما بدأت صحف اخرى تتحدث فى استحياء أيضا عن اجتماع الأقطاب الحزبيين ، فى كلوب محمد على ونادى سعد زغلول حيث وقعوا رسالة الى رفعة رئيس الوزراء طلبوا فيها — بعد اثبات الحق ، الدستورى والحصانة البرلمانية — التحقيق مع على ماهر باشا ، وطلبوا طلبا احتياطيا ، وهو اعتقال على ماهر باشا فى قصره الأخضر وقد حمل الرسالة دسوقى أباظة بك وعبد الملك حمزة بك ٠٠ ودامت مقابلتهما للنحاس باشا أكثر من ساعة ونصف الساعة ، وان النحاس باشا اعتذر برفق عن اجابة الطلب الأصلى وهو اجراء التحقيق وأن محمد محمود بك رئيس الشيوخ ، وجه رسالة الى النحاس باشا يطلب الافادة

عن الأسباب التي تدعو الى الأجراء الذي يمنع علي ماهر باشا من القيام بواجبه كعضو في مجلس الشيوخ ليتيسر لسعادته احاطة المجلس علما .

وتنشر الصحف أيضا على لسان حسين سرى باشا الأسباب التي دعته الى عدم التوقيع على العريضة الخاصة بعلى ماهر والتي وقعها غيره من الزعماء اثر القبض عليه ، ويقول لأنني لو وقعت لسالتموني لماذا لم تحقق أنت مع علي ماهر باشا كما أن سرى باشا قد عقب على قرار النحاس باشا باعتقال على ماهر باشا ، بقوله : بدأت مسألة رفعة على ماهر باشا في عهد وزارتي كما بدأت في عهد وزارة رفعة النحاس باشا ، فقد قدمت لي عدة تقارير باعتباري رئيس الحكومة ، ووزير الداخلية عن رفعة على ماهر باشا ، ونشاطه السياسي فتحدثت مع رفعته كصديق قديم حديثا وديا ، أثبت فيه لرفعته أن من مصلحة البلاد ، ان يكف عن هذا النشاط ، ونصحت له أن يبتعد لمدة من الوقت عن القاهرة حتى يمكن تصفية الجو ، وتنقيته من الشبهات فصرح لي رفعته بأنه طلق السياسة وانه يعنى في هذه الأيام بالشئون الاجتماعية وتعهد بأنه سوف لا يأتي ، عملا سياسيا ووعدني أنه سيقيم في القصر الأخضر ولا يختلط بأحد ، وقد سافر فعلا الى القصر الأخضر ، وأقام فيه شهرا ، ثم عاد الى القاهرة ووصلتني بعد ذلك تقارير بأن رفعته قد عاد الى نشاطه السياسي وأنه يجتمع ببعض الأشخاص وكان مشروع يوم الفقير وقد عنى به رفعته فعدت الى نصيحته وتذكيره بوعده ، وبعثت اليه بسعادة عبد القوى احمد باشا ليرجوه، أن يكف عن أى نشاط اجتماعي ، أو سياسي وأن يقيم بمحض ارادته في عزبته او في أى مكان آخر يختاره ليساعدني بذلك على ازالة الشبهات ورأيت أن تتولى وزارة الشئون الاجتماعية هذا المشروع باعتبارها المختصة فوعدني رفعته بانه سيسافر ، ويعتكف في قصره بعيدا عن الناس . ولكن ما لبث أن بعث لي خطابا يحتاج فيه على تقييدى لحريته كما بعث الى رئيس مجلس الشيوخ خطابا آخر ، بهذا المعنى ، ولم اتخذ أى اجراء ضده ، وكل ما حدث رجاء ونصيحة لمساعدتي على المحافظة على مصلحة البلاد ومصلحته الشخصية أيضا ، وتبودلت الخطابات بيني وبينه وذكر رفعته أشياء لم أقلها ، ولم أقصدها ولم تدر بخلدى حين رجوته أو يكف عن نشاطه وبديهي ان ذلك ليس فيه أى حجر على الحرية بل أرى انه من الواجب على كل مصرى أن يكف من تلقاء نفسه ، عن أى عمل يضر بمصلحة بلادنا ويكون من شأنه أن يؤول تأويلا يضر مصلحة البلاد خصوصا في الظروف الدقيقة الحاضرة .

ويقول حسين سرى باشا ان على ماهر باشا اقتنع بوجهة نظرى وسافر ، الى القصر الأخضر واتخذه مقاما له مدى خمسة أشهر تقريبا ولم يبلغني انه نقض هذا الاتفاق . ويقول حسين سرى أنه بعد اطلاعه على الأسباب ، التي ادت الى اعتقال رفعة النحاس باشا لرفعة على ماهر باشا ، يرى انه لو كان مكان

النحاس باشا وزيرا للداخلية ، ورئيسا للحكومة مسئولا عن النظام . وشئون الأمن العام لوصل الى النتيجة التى وصل اليها النحاس باشا ، لقد قرر النحاس باشا رئيس الحكومة ووزير الداخلية انه بذل النصح لعلى ماهر باشا وديا فنقض هذا الاتفاق ولما اضطر الى وضع بوليس حول قصره ، وطلب منه عدم مغادرته خفية وكان لابد له وهو وزير للداخلية ، أن يتصرف هذا التصرف وان يحافظ على هيبة الحكومة والا سادت الفوضى » وعن قيـام وزارته بتفتيش منزل أحد النواب أنباء حادث عزيز المصرى ، قال انه عندما نوقش الموضوع فى مجلس النواب لم يتحدث أبدا عن الحصانة البرلمانية وانه تناول موضوع مسئولية الوزارة أمام البرلمان وانه قال اذا كان هنـاك أمر خطير يسـتدعى أن تقوم الوزارة فيه باجراء سريع قبل أن تتمكن من أخذ رأى المجلس فان هذه المسئولية تفرض عليها القيـام بواجبها محافظـــة على أمن الدولة ومصلحتها العامة ، وللبرلمان بعد ذلك أن يحاسب الوزارة على ما فعلت فاذا لم يوافق على تصرفاتها استطاع ان ينزع ثقته منها وأن يضطرها الى الاستقالة أما اذا كانت هناك فرصة لأخذ رأى المجلس دون ضـياع الوقت أو الاضرار بالمصلحة العامة وجب على الوزارة ، أن ترجع اليه فالمقياس اذن هو المصلحة العامة التى هى أساس الدستور .

وبدأت الصحف تتحدث عن قصر نورتيليا الذى يقيم به على ماهر باشا والذى يقع على بعد عشرة كيلو مترات من محطة « الحمام » على خط الاسكندرية ـ مرسى مطروح التى تبعد حوالى ٥٠ كيلو مترا ، عن محطة العامرية ، والقصر ـ كما كتبت الصحف ـ عبارة ، عن « شاتو » جميل فى موقع صحى بديع ، وله حديقة مساحتها سبعة أفدنة وقد اختير لرفعته طباخ ، وخادم ، ثم طلب أحد خدمه الخصوصيين فسمح له بالسفر ليكون فى خدمته أيضا كما طالب رفعته جهاز راديو ، فسمح له به على أن يكون راديو محليا ينقل اذاعات مصر فقط ، ويطالع رفعته الجرائد ، كل يوم ، وترسل له لوازمه اليومية من خضر وفاكهة وثلج ، وما اليها ولرفعته ان يختار ألوان الطعام التى يشاء ولكنه يتبع رجيما خاصا فلا يأكل فى الصباح الا لقمة ناشفة وقطعة جبن وفى الظهر خضارا مسلوقا وفى المساء طاسة لبن زبادى وفاكهة ، وقد زار رفعته باذن خاص نجله محمد ، كما زاره أيضا شقيقه الدكتور محمود ماهر بك ، ويعتزم وزير الدفاع أن يسافر ، اليه بنفسه ليتفقد أحواله ويتحقق بنفسه من توفير كافة أسباب الراحة له » ..

وتنشر الصحف بعض صور لقصر تورتيليا الذى شيد على طراز قصور أوروبا فى القرن السـادس عشر ، وفرش بأثاث وطنافس وتحف نتفق وهذا الطراز فهو تحفة رائعة الجمال .. ويحوى الطابق الأول من قصر تورتيليا صالة واسعة يبلغ طولها ١٦ مترا ، وعرضها ٥ أمتار ونصف متر ، تستخدم كقاعة

للجلوس و ٦ غرف للنوم ، وحمامين وغرفة أوفيس ، اما الطابق الأرضى فيحوى صالة شبيهة فى السعة بصالة الطابق الأول ، وهى تستخدم كقاعة للطعام وغرفتى نوم ، وحماما ، ومطبخا ، وقبوا ؛ وجاراج لأربع سيارات وثلاث غرف للخدم ، وللقصر برج له سطح خاص ويضم غرفة نوم وفراندتين كبيرتين تواجه احداهما الشمال والثانية الجنوب الغربى وتتصلان بواسطة درج خارجى بالحديقة الواسعة التى تحيط بالقصر و . و . » .

ولأهمية موضوع الحصانة البرلمانية ، التى انتهكتها — لأول مرة — وزارة حسين سرى باشا نذكر ان د . أحمد ماهر رئيس مجلس النواب تلقى من النائب حامد جودة رسالة يقول فيها : فى يوم الثلاثاء ٢٠ مايو ١٩٤١ علمت ان قوة كبيرة من رجال البوليس ذهبت الى قريتى درنكة مركز أسيوط وقامت بتفتيش منزلى هناك فى غيبتى وبغير اخطارى وكانت عنيفة فى اجراء هذا التفتيش ، حتى انها لم تنتظر احضار المفاتيح وأجرت كسر الأبواب وعلمت انه ذهبت قوة ثانية الى حديقتى بناحية درنكة وفتشت منزلى بها ، كما فتشت الحديقة تفتيشا دقيقا ، وعلمت ان قوة ثالثة ذهبت الى مزرعتى بناحية كوم المنصورة مركز أبنوب وفتشت المنازل والحديقة أيضا ثم حضر الى منزلى ببندر أسيوط ضابطان وأخبرانى أن أمرا من الحاكم العسكرى صدر بتفتيش منزلى بحثا عن عزيز باشا المصرى ، وأن قوات أخرى ذهبت للغرض نفسه الى درنكة وكوم المنصورة ولم يكن عند الضابطين أى استعداد للامتناع عن تفتيش منزلى نتيجة لأى احتجاج منى ، واعتذرا بانهما مضطران لتنفيذ أمر الحاكم العسكرى ولم استحسن مقاومتهما والقوة الكبيرة التى كانت محاصرة للمنزل من جميع النواحى بالعنف فاستسلمت .

وبما أن فى هذا اعتداء صريحا على القواعد الدستورية فانى أرفع هذا الاحتجاج الى رئيس مجلس النواب لاتخاذ ما يراه كفيلا للاحتفاظ للنواب بحصانتهم ، وحريتهم فى أداء واجباتهم و . » ويكتب د . أحمد ماهر رسالة الى رئيس مجلس الوزراء يرفق بها رسالة الأستاذ حامد جودة يقول أحمد ماهر ، لست أعلم ان كانت هذه الاجراءات قد وقعت بعلم أو أوامر الوزارة ، أم انها من عنديات السلطات المحلية وعلى كل حال فلا يسعنى بصفتى رئيسا لمجلس النواب الا أن احتج أشد الاحتجاج على هذه التصرفات التى أهدرت حصانة النائب ومست أمنه ، وطمأنينته ، كما أرجو أن يصلنى من دولتكم بيان يوضح لى ظروف الموضوع ، ويطمئننى على عدم تكرار مثل هذه الاجراءات فى المستقبل صيانة لأحكام الدستور وتمكينا لحضرات النواب من القيام بواجباتهم التى يتيحها لهم القانون » .

ويبعث النائب محمود همام حمادى بك رسالة مشابهة لرسالة الأستاذ حامد جودة الى د . أحمد ماهر يقول فيها : فى منتصف الساعة الثالثة بعد

منتصف الليل من يوم ٢٩ مايو ١٩٤١ حاصرت قوة كبيرة من رجال البوليس مكونة من عساكر ومخبرين وعلى رأسهم ضابط بوليس ثم اقتحموا المنزل عنوة رغم اعتراضنا على دخولهم ، ورغم افهامهم أنى عضو بمجلس النواب ورغم مطالبتى اياهم بتقديم التصريح الذى يخول لهم حق اقتحام منزلى ليلا وتفتيشه ويقول محمود همام حمادى بك ان قائد القوة اتصل بمأمور القسم السياسى وأنه هو شخصيا اتصل به ولكن دون جدوى اذ ظل البوليس يفتش الدار ويزعج من بها ويطلب النائب حمادى من رئيس المجلس تلاوة خطابه وتسجيله بالمضبطة ويفوض النائب حمادى رئيس المجلس فى اتخاذ الاجراءات اللازمة لحماية الأعضاء وحفظ كرامتهم ومنع تكرار مثل هذا الاعتداء فى المستقبل ٠

ويبعث د ٠ أحمد ماهر الى رئيس مجلس الوزراء ولم يكن قد تلقى بعد ردا على رسالته اليه بخصوص موضوع حامد جودة يبعث اليه برسالة يكرر فيها احتجاجه على انتهاك حصانة النائب محمود همام حمادى ، وينهى د ٠ أحمد ماهر رسالته بقوله : لذلك أرانى مضطرا بصفتى رئيسا لمجلس النــواب أن أكرر الاحتجاج على الاعتداء الذى وقع من رجال البوليس على حضرات النواب ومازلت أرجو من دولتكم مايقفنى على مدى موافقة الحكومة على مثــل هذه التصرفات وما اذا كان من رأيها وقفها واحترام قواعد الدستور أم انها ترى غير ذلك الرأى » ٠

ولا يتطرق رئيس مجلس الوزراء فى رده على رئيس مجلس النواب الى موضوع الحصانة وكل ما جاء فى هذا الرد ان النائب العام تلقى اخطارا من أحد المسئولين عن البحث والقبض على عزيز على المصرى باشا وزميليه بانه علم من مصدر جدير بالثقة انهم موجودون ببلدة درنكة مركز أسيوط بمنزل الأستاذ حامد جودة نائب الحمراء ، وان هذا المنزل عبارة عن دوار متصل بالصحراء فاتصل بى سعادة النائب العام واتفقنا على ضرورة الاسراع بالتفتيش على منزل الأستاذ بأسيوط ومنزله بالدرنكة فى وقت واحد حتى لايتمكن المصرى باشا وزميلاه من الهرب ، وقد تم التفتيش فى الصــباح الباكر من يــوم ٢٠ مايو ولم يعثر عليهم ومع انى لا أريد أن أخوض فى أمر الحصانة البرلمانية فاظن أن دولتكم توافقوننى على ان واجبى الأول هو العمل بسرعة لا تحتمل أى تأخير على القاء القبض على الفارين الذين أســـندت اليهم تهمة تمس أمن الدولة ٠ وسلامتها وانه كان من الضرورى اتقاء أى أخطار سابق ٠

ويأمر رئيس مجلس النواب بتلاوة خطابى حامد جودة ومحمود همام حمادى وخطاب رئيس مجلس الوزراء ، ويعقب على الخطابات الثلاثة بما يلى ٠

قرر الدستور مبدأ الحصانة البرلمانية ضمانا لاستقلال البرلمان فى عمله وتمكينا لأعضائه من القيام بمهمتهم النيابية دون ازعاج أو تهديد ٠ وهى لم تقرر لمصلحة النائب بل لمصلحة ســـلطة الأمة والنظام النيابى وقد أخذ الدستور

بهذا المبـدأ ـ كما أخذت به كل الدساتير متجاوزا عما يمكن أن ينشأ عن تطبيقه من أثر فى بعض الاجراءات القضائية اذ رأى ان الحكمة من الحصانة أجل شأنا فهى أولى بالاعتبار وأحق بالتقدير ٠

فالحصانة البرلمانية ـ كما قررتها المادة ١١٠ من الدستور ـ قائمة دائما وفى كل الظروف وهى تشمل جميع الاجراءات الجنائية بما فيها التفتيش ٠

فاذا ما أريد اتخاذ أى اجراء منها نحو أحد الأعضـاء وجب استئذان المجلس أولا فى ذلك ٠

أما ما أشار اليه دولة رئيس الوزراء فى كتابه الذى تلوته على حضراتكم عما الجاه للتفتيش من « أن واجبه الأول هو العمل بسرعة لا تحتمل أى تأخير على القـاء القبض على الفـارين الذين أسـندت اليهم تهمة تمس أمن الدولة وسلامتها » فهـذا القول من دولته لا يعفى من ان التفتيش هو من الاجراءات الجنائية التى تدخل فى حكم الحصانة وانه يجب اذن المجلس به أولا فاذا ما اتخذ دولة رئيس مجلس الوزراء هذا الاجراء بغير اذن المجلس بحجة ان الغرض من التفتيش لا يحتمل التأخير لخطورة الأمر وارتباطه بأمن الدولة وسلامتها فهو اذ يفعل ذلك يفعله وهو متعمد مخالفة حكم الحصانة وتحت مسئوليته وعليه أن يخطر المجلس فى أول اجتماع له بالأسباب التى اضطرته لاتخاذ هذا الاجراء ومخالفة حكم الدستور ويكون المرجع الأخير فى ذلك الى المجلس فاما ان يقتنع بما يبديه واما ان يجرى المسئولية الوزارية ٠

ثم قال :

وقد أطلعت رئيس مجلس الشيوخ على هذه الخطابات وعلى هذا البيان الذى تلوته عليكم وقد أقرنى سعادته على ما جاء فيه ٠

والأمر الآن متروك للمجلس »

وتبدأ المناقشة ويكون أكثر النواب تحمسا للدفاع عن حرية على ماهر النائب الأستاذ محمود سليمان غنام الذى كان وزيرا فى وزارة الوفد التى تألفت فى ٤ فبراير ١٩٤٢ وكان له رأيه « المخالف » فى موضوع انتهاك وزارة الوفد ، لحصانة على ماهر باشا عضو مجلس الشيوخ ولم يكن انتهـاك وزارة الوفد لحصانة على ماهر باشا انها فتشت منزله كما فعلت وزارة حسين سرى باشا بالنسبة لحامد جودة ومحمود همام حمـادى وانمـا فعلت أكثر من ذلك ، اذ اعتقلته ٠٠

وقصة اعتقال حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس رئيس مجلس الوزراء والحاكم العسكرى العام لحضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا رئيس مجلس الوزراء والحاكم العسكرى الأســـبق من القصص الفريدة فى بابها والتى لا مثيل لها من قبل فى تاريخنا السياسى حتى فى أيام الحرب العالمية الأولى حيث كانت مصر تحكم بحاكم عسكرى بريطانى وحيث لم تكن مصر دولة مستقلة بل كانت خاضعة للحماية البريطانية ٠

قصة اعتقال على ماهر باشا على ماروواها د ٠ هيكل باشا ، وقصة هيكل باشا لا تختلف فى جوهرها ، على ما رواه عبد السلام الشاذلى باشا فى مجلس النواب ، وعلى ما رواه مصطفى الشوربجى بك فى مجلس الشيوخ ٠

والقصة ــ اجمالا لا تفصيلا ــ تتلخص فى أن السفير البريطانى طلب الى حسن صبرى باشا ثم طلب الى حسين سرى باشا ان يعملا ، على الحد من النشاط السياسى لعلى ماهر باشا وان الرجلين لم يستجيبا لهذا الطلب على خلاف فى الطريقة التى اتبعها كل منهما لهذه الغاية ٠٠

وقد عاد السفير البريطانى فطلب الى النحاس باشا ما كان قد طلبه الى حسن صبرى باشا ، والى حسين سرى باشا ، أترى يصنع رئيس الوزارة التى جاءت ــ كما يقول د٠ هيكل ــ وليدة الانذار البريطانى ، صنع أى من هذين الرجلين ، فيلتمس العذر من عدم قبول ما طلبه السفير ؟

ويجيب د٠ هيكل : لقد كان على ماهر باشا مقيما بمزرعته بالقصر الأخضر على مقربة من الاسكندرية حين بلغ النحاس باشا هذا الطلب ٠٠

وقد رأى النحاس باشا أن خير وسيلة لاجابة رغبـــة السفير من غير أن يحدث ضجة أو يثير لدى الرأى العام ثائرة أن يلزم على ماهر باشا بالاقامة حيث هو فلا يبرح القصر الأخضر ، وبلغ هذا الأمر الى على ماهر وأرسلت قوة عسكرية أحاطت بالمزرعة وأمرت بمراقبـــة صاحب المقام الرفيع رئيس الوزراء السابق أول حاكم عسكرى فى مصر حتى لا يخرج من المكان الذى أمر بالاقامة فيه أو يحاول الخروج : لم يطق على باشا ، أن يذعن لهذا الأمـــر ، وفكر فى وسيلة للخلاص منه ٠ ولما كان عضوا بمجلس الشيوخ فقد ظن أن الحصانة البرلمانية تحميه وأنه وان استطاع أن يصـــل الى المجلس وأن يرفع اليه الأمـــر صدر قرار المجلس بأن الأحكام العرفية لا تسوغ الاعتداء على الحصانة البرلمانية لهذا تحايل حتى استطاع ، أن يفلت من حراسه وجاء الى القاهرة من الطريق الصحراوى ونزل فى بيت زميله فى وزارته الأستاذ مصطفى الشوربجى بك المحامى ، وعضو مجلس الشيوخ وعلم النحاس باشا بما حدث وعرف مقر على ماهر باشا فآثر الحيطة حتى لا يتعدى على حصانة منزل الشوربجى بك وأمر البوليس بانتظار على باشا ماهر ، والقبض عليه حين يخرج من المنزل ، لكن

على باشا ماهر خرج ، وركب مع الشوربجى بك فى سيارته وذهب الى فناء وزارة الأشغال كى يتخطاه الى حـرم مجلس الشيوخ ، وهنـا استوقفه رجل البوليس المكلف بتعقبه ، وحاول منعه من دخول المجلس فدفعه على باشا ماهر ودخل حرم مجلس الشيوخ ، وأغلب الظن أن مهابة رفعته ، وماضيه الطويل حالا بين رجل البوليس والتشبث بالقبض عليه •

وأفتح قوسا ، أناشد فيه رجل البوليس الذى كان مكلفا بحراسة على ماهر باشا ، لعله يروى القصة التى لم نستطع معرفتها بحذافيرها لقيام الأحكام العرفية ، وفرض الرقابة على الصحف وقتئذ . وأقفل القوس بسرعة

وقد كان من المفروض ، أن يتحرك محمد محمود خليل ، رئيس مجلس الشيوخ لما جرى فى داخل المجلس ، وأن يثير موضوع على ماهر باشا ، عضو المجلس ، الذى احتمى بحرم المجلس ولكن يظهر لى أن محمد محمود خليل كان لا يزال لديه الأمل فى اعـادة تعيينه رئيسا لمجلس الشيوخ ، بعـد أن أوشكت مدته على الانتهاء فلم يشأ أن يدخل فى أزمة مع حكومة النحاس باشا ، التى تملك ــ عمليا ــ سلطة تعيين رئيس مجلس الشيوخ ، وتليت أسـماء المعتذرين عن حضور الجلسة كما تليت الرسائل الواردة ، كما هى العادة ، فلما أريد الانتقال الى الأسئلة والاستجوابات ، ولم يثر رئيس المجلس أمر اعتقال عضو المجلس على ماهر باشا بأمر الحاكم العسـكرى ، وقف على ماهر ، يطلب الكلمة ولكن رئيس المجلس ــ ويا للحرص ، الذى يذل أعناق الرجال ؟ ــ منع على ماهر باشا منعا عنيفا بحجة ، ان ما يريد الكلام فيه ليس واردا بجدول الأعمال وفوجىء كثيرون من الأعضاء ممن لم يكونوا قد عرفوا بعد قصة اعتقال على ماهر ، وهربه من القصر الأخضر ، وتسلله الى حرم المجلس للاحتماء به وتساءلوا فيما بينهم ما عسى يريد على باشا ماهر أن يقول ؟ وأسرع رئيس المجلس فى عرض مواد الجدول على المجلس حتى فرغ منها ورفعت الجلسة • يقول د• هيكل باشا زعيم المعارضة فى مجلس الشيوخ :

رفعت الجلسة فى جو يسوده الوجوم فقد بدأ أعضاء المجلس وموظفوه وبدأ الصحفيون يتحدثون : كل منهم بما رأى وسمع ، ويذكر بعضهم اعتقال على باشا ماهر بالقصر الأخضر •• و•• و•• وبدأ العارفون يتحدثون عن العلاقة المتينة بين رئيس المجلس محمد محمود خليل بك وعلى ماهر باشا ، وكيف منع رئيس المجلس على باشا من الكلام تمسكا باللائحة وحرفيتها مع ما كان لعلى باشا من أياد على محمد بك محمود خليل هى التى رشحته لرياسة المجلس والاستمرار فى هذه الرياسة أربع سنوات وسمعت أطرافا من هذا الحديث لم أقف عندها ليقينى أننى لا أستطيع فى الأمر شيئا •

علمت فيما بعد ــ د• هيكل ــ أن على باشا لم يرد أن يبرح المجلس بل أقام به مختميا بحرمه وأن عبد القوى أحمد باشا وزير الأشغال فى وزارة على

باشا ماهر الأخيرة ذهب بعد الجلسة الى محمد بك محمود خليل فى غرفة رياسة المجلس وقص عليه ما أصاب على باشا ماهر وطلب اليه بوصفه رئيس المجلس أن يحمى الرجل ، وهو عضو بالمجلس وأن محمد محمود خليل أبدى أنه لا يملك شيئا خارج حدود المجلس وقد بقيت هذه المحادثات زمنا قبل أن أسلاك التليفون المتصلة بالمجلس قطعت أثناءها وان على باشا ماهر طلب اليه قبل انصراف الرئيس أن يغادر المجلس فلما غادره قبض البوليس عليه ليذهب به الى معتقل جديد لا يستطيع مغادرته كما استطاع مغادرة القصر الأخضر .

نشر هذا الحادث فى النفوس الفزع والرعب فاذا كان رؤساء الوزارات السابقون يقبض عليهم ويعتقلون وهم أعضاء البرلمان فذلك النذير لكل مصرى وأنه معرض لمثل هذا المصير · واذا كان رؤساء مجلسى الشيوخ والنواب لا يدافعون عن حصانة أعضاء المجلسين فمن ذا الذى يدافع عن هذه الحصانة ·

وأدى هذا الرعب وهذا الهلع الى توجيه كثيرين اللوم الى رئيس مجلس الشيوخ لانه منع على ماهر باشا من الكلام وزاد بعضهم على اللوم اتهام الرجل بأنه أنكر جميل على ماهر باشا عليه ، وأن واجبه كان يقتضيه أن يستقيل من منصبه احتجاجا على اعتقاله ، بل لقد ذهب بعضهم الى القول بأن محمد محمود خليل بك انما صنع ما صنع لان مدة رئاسته للمجلس كانت تنتهى بعد أسابيع من هذا الحادث وأن حرصه على أن تجدد الحكومة رياسته هو الذى دفعه الى أن يتصرف كما تصرف ، وأضع سؤالا : ماذا كان التاريخ سيقول عن محمد محمود خليل لو أنه استقال من رياسة مجلس الشيوخ احتجاجا على اعتقال على ماهر باشا ؟

لا جدال فى أن التاريخ كان لن ينسى أبدا لمحمد محمود خليل بك هذا الموقف · بل أنه كان سيدخل التاريخ من أوسع أبوابه ، لا لشىء الا لوقوفه هذا الموقف وحده ، والرجال — كما يقولون — مواقف ·

على أن محمد محمود خليل — للتاريخ — قد أرسل رسالة الى رئيس الحكومة عقب انفضاض الجلسة التى اعتقل بعدها على ماهر باشا بخصوص اعتقال على ماهر باشا لم تتضمن الرسالة الاحتجاج كما فعل أحمد ماهر عندما فتش البوليس منزل حامد جودة ، ومحمود همام حمادى وانما تضمنت رجاء رفعة رئيس الحكومة أن يتفضل بافادته عن الأسباب التى دعت الى اتخاذ هذا الاجراء ضد على ماهر باشا ، ذلك الاجراء الذى يمنعه من القيام بواجبه كعضو فى المجلس « ليتيسر لى احاطة المجلس علما بها فى جلسته المقبلة ·· » ·

ويرد رئيس الحكومة والحاكم العسكرى النحاس باشا على رسالة محمد محمود خليل بك رئيس مجلس الشيوخ برسالة أرفق بها الأمرين العسكريين الصادرين بتاريخ ٨ ، ١٠ أبريل سنة ١٩٤٢ بشأن اعتقال على ماهر باشا ، وتقول : الرسالة تتبينون سعادتكم من هذين الأمرين العسكريين أننى اتخذت

هذا الاجراء لاعتبارات تتعلق بسلامة الدولة وأمنها ‥ ولما كانت المصلحة العامة تحول دون ذكر هذه الاعتبارات تفصيلا فانني أؤكد لسعادتكم أنها تتعلق بأمور خطيرة سبق أن تحادثت مع رفعة علي ماهر باشا طويلا فيها فانعقد رأينا وقتئذ على أن يلزم عزبته بالريف وقتا معينا وتعهد رفعته بذلك درءا لما قد يترتب على تلك الأمور من أضرار بمصالح البلاد غير أن رفعته أخل بتعهده وغادر عزبته خفية فلم أر مناصا من اصدار الأمر بمقتضى السلطة المخولة لى بالمرسوم الصادر فى ٧ فبراير ١٩٤٢ بالقبض عليه واعتقاله حرصا على المصلحة العامة بل وعلى مصلحته الشخصية أيضا !

وتقوم ثورة فى مجلس النواب وأخرى فى مجلس الشيوخ بسبب هذا الاعتقال ٠

الفصل الخامس

ثورة فى مجلس النواب بسبب
اعتقال على ماهر باشا

عذرا اذا ما أوليت اهتمامى فى أكثر من فصل بقضية اعتقال على ماهر باشا : لم أهتم بالقضية لان صاحبها « صاحب مقام رفيع » و « رئيس وزراء سابق » من الشخصيات التاريخية فى العشرينات والثلاثينات والأربعينات و ٠٠ و ٠٠

بل اهتممت بقضيته لسبب آخر يتعلق بالكرامة الوطنية ، ولو أن مصطفى النحاس باشا اعتقل على ماهر باشا وسجنه بل وحاكمه كرئيس وزارة وكحاكم عسكرى ، ما اعتبرت ذلك شيئا غير عادى فمن حق الحكام على محكوميهم ، بل ومن واجبهم أيضا أن ينفذوا القانون بالنسبة لأى مواطن صغير أو كبير خطير أو غير خطير اما أن يعتقل صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا زميله صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا بأمر من السفير البريطانى فهذا ما نرفضه كمصريين بل نستنكره والى أبعد حدود الاستنكار كمواطنين وطنيين ٠

ويزيد من خطورة الجريمة ـ واعتبرها بحق جريمة ـ أن على ماهر باشا قد اعتقل عندما خرج من حرم المجلس النيابى كما اعتقل وهو متمتع بالحصانة البرلمانية :

فى الجلسة الثالثة من جلسات مجلس النواب وبتاريخ ١٣ ابريل ١٩٤٢ وجه النائب المحترم عبد السلام الشاذلى باشا استجوابا الى حضرة صاحب المقام الرفيع رئيس مجلس الوزراء بشأن القبض على حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا وطلب النحاس باشا رئيس مجلس الوزراء أن تكون مناقشة هذا الاستجواب بعد أسبوع ويوافق المجلس ـ بطبيعة الحال ـ على طلب رئيس مجلس الوزراء ٠

باشا ولم يحقق أيضا بشأنه وان كان دولته قد اتخذ بعض الاجراءات الا أنه لم يصل الى اتخاذ الاعتقال . واعتقادى ان الحليفة بقيت مصرة على هذا الطلب وهذا فى رأيى هو منشأ مسألة على ماهر باشا . ويقول عبد السلام الشاذلى باشا :

« اذا وجد من يخرج على السياسة التى ارتضتها الأحزاب المصرية جميعا أو يأتى بما يناقضها فمصر مستعدة للأخذ بتلابيبه ولكن يجب أن يقوم الدليل ضده لا أن يكتفى بتقارير سرية تقدمها الادارة السرية وادارة المخابرات عن أمور لا يمكن أن نأخذ بها بغير تحقيق » .

ويقول الشاذلى باشا : « ان على ماهر باشا أقام بعزبته اثنين وثلاثين يوما مبتعدا عن كل شيء ثم عاد الى مصر للاقامة بها أسبوعا ، فاتصل به النحاس باشا واتفقا على أن يلتقيا وفى هذا اللقاء طلب النحاس باشا من على ماهر باشا أن يرحل عن القطر المصرى ويختار بلدا آخر للاقامة فيه وطلب على ماهر معرفة الأسباب . وقال النحاس باشا ، ان لديه تقارير ضخمة ضده . فقال على ماهر : ان العبرة فى التقارير ليست بحجمها انما بما تتضمنه وأنه — على ماهر — مستعد أن تجرى التحقيق معه محكمة عسكرية أو محكمة مصرية أو محكمة تشكل من بين رجال الوفد أنفسهم حتى اذا ثبت ان له أية صلة بسبب من الأسباب التى تدعو الى ترحيله من مصر فانه مستعد أن ينفذ هذا . وطلب النحاس باشا من على ماهر باشا أن يعود لعزبته لمدة شهرين ، ولكن على ماهر قال : أنه مستعد لأن يحد من حريته اذا ثبت عليه شيء . وافترقا مختلفين، وبقى على ماهر بعد هذه المقابلة مدة عشرة أيام بالقاهرة ولم يتعرض أحد لحريته ، ثم سافر الى العزبة . وبعد مدة اتصل به تليفونيا النحاس باشا ليقول له ، أنه علم أنه — على ماهر — سافر الى الاسكندرية . ولم ينف على ماهر واقعة ذهابه الى الاسكندرية وانما قال انه سافر مرة الى الاسكندرية مرتين احداهما لمقابلة الطبيب . وفى اليوم التالى وصلت قوة عسكرية الى القصر الأخضر وحاصرته وقال ضابط القوة أن لديه أوامر تقضى بمنع على ماهر من مغادرة القصر وان كل من يحضر لزيارته لا يجب أن يخرج من القصر . وأكد المحافظ ما ورد على لسان الضابط . وحدث أن وصل الى العزبة حلاق على ماهر باشا وهو يونانى الجنسية فلم يسمح له بمغادرتها رغم أن عنده « عيد » ويتحتم عليه السفر الى القاهرة فى أول قطار .

ولم يسمح للحلاق بمغادرة القصر الأخضر الا بعد الاتصال بالمحافظ . وعاد على ماهر الى القاهرة فى سيارة ابنه ونزل بمنزل الشيخ المحترم مصطفى الشوربجى وكان البوليس قد حاصره وأمر على ماهر بعدم الخروج ، ولكن على ماهر ومصطفى الشوربجى استطاعا أن يقنعا رئيس قوة البوليس بخروجه معهما الى مجلس الشيوخ فى سيارة واحدة .

وعند مناقشة الاستجواب فى الجلسة التالية ـ ٢٠ ابريل ١٩٤٢ ـ يستأذن مصطفى النحاس المجلس فى أن يحضر معه الجلسة محمد صلاح الدين بك سكرتير عام مجلس الوزراء بالنيابة ويأذن المجلس ، ويصعد الى المنصة النائب عبد السلام الشاذلى ليقول : « لى كلمة لابد منها فى مستهل هذه الدورة البرلمانية التى نرجو جميعا أن تكون دورة مباركة يدفعنى الى الجهر بها رغبة صادقة فى أن يسود هذا المجلس أثناء مناقشاتنا جو من الهدوء والصفاء ، ففى جو الهدوء والصفاء نستطيع أن نصل الى تفاهم وما السبيل الى هذا الجو ؟ السبيل اليه سهلة ممهدة ان شاء الله اذا أقنعنا أنفسنا بأن المعارضة ليست خصومة وانما هى تعاون ومناقشة بين أخوين بقصد الوصول الى جلاء الحقيقة والى أصوب الآراء فى خدمة البلاد ٠

السبيل ممهدة فى هذا المجلس بالذات لان فيه أغلبية موحدة ليست فى حاجة الى أن تتخذ مع المعارضة ما تتخذه الأغلبية الضعيفة ٠ ونستطيع أن نطمع من الأغلبية القوية فى سعة الصدر وفى احترام حرية الرأى وتستطيع هى بدورها أن تطالبنا بأن تكون معارضتنا شريفة نزيهة فى دائرة المصلحة العامة وفى دائرة الظروف العالمية ٠

ويقول عبد السلام الشاذلى باشا : « المعارضة الشريفة هى ألا يقول المعارض شيئا وهو فى المعارضة ثم ينكره أو يستنكره اذا أوصلته الظروف الى الحكم ٠ وهذا ما سنقيد به أنفسنا اذا ثبت هذا واتفقنا عليه فانى أكون مطمئنا » ٠

ويقول عبد السلام الشاذلى وهو يوضح أهمية الاستجواب : «ليس موضوع الاستجواب موضوع على ماهر باشا بل هو أهم من ذلك وأخطر ٠٠ أنه موضوع الحياة النيابية ، موضوع الحصانة البرلمانية وحرية النواب فى تأدية واجباتهم ولو كان موضوع الاستجواب رفعة على ماهر باشا ، فانه لا يكون قليل الأهمية والخطر لان لرفعته شأنه ومكانته فى البلاد وله ماضيه فى الوفد وفى الحكم وله مواقفه المشهورة التى سجلها التاريخ فلن ينتقص من شأنه اعتقال ٠ لقد جربت سياسة الاعتقال فى الماضى مع زعماء الأغلبية فكانت دائما السبيل الى احترامهم ورفعتهم فى نظر الأمة وكانت اكبارا واجلالا لهم ٠ ويقص عبد السلام الشاذلى باشا على المجلس كيفية نشوء مشكلة على ماهر باشا فيقول ـ ونحن نلخص هنا الكلام ـ انها ترجع الى بداية تشكيل على ماهر باشا وزارته التى أعلنت الحرب بعد تشكيلها ٠٠ وكنت وزيرا مستقلا فى تلك الوزارة وقد اختلفت مع على ماهر باشا خلافا أدى فى بعض الأحيان الى تقديم استقالتى ، وقد حدث أثناء رئاسته للوزارة تصادم فى بعض الأمور بشأن بعض المطالب أو المصالح البريطانية وقدم انذار بريطانى استقالت وزارة على ماهر باشا على أثره قدمت الحليفة بعد استقالة على ماهر باشا طلبا لوزارة المغفور له حسن صبرى باشا بابعاد رفعة ماهر باشا عن السياسة بأية طريقة تراها الوزارة ٠ غير أن الوزارة لم تتفق مع الانجليز فى هذا ثم قدم هذا الطلب الى دولة حسين سرى

ويقول عبد السلام الشاذلى : « ان على ماهر كان قد بعث برسالة الى رئيس مجلس الشيوخ سلمها اليه الدكتور أحمد ماهر باشا وطلب على ماهر من رئيس المجلس قراءة الرسالة فى الجلسة فرفض رئيس المجلس طلبه ٠

وفى أثناء الجلسة حوصرت أبواب المجلس بقوة عسكرية وعند خروج على ماهر باشا قام البوليس بالقبض عليه وكان النحاس باشا موجودا فى مجلس الشيوخ وقتذاك فطلب منه أن يوضح الأمر فلم يقل شيئا » ٠

ويتلو عبد السلام الشاذلى باشا بعض ما سبق أن قاله الأستاذ عبد الحميد عبد الحق النائب الوفدى فى جلسة مجلس النواب بتاريخ ١١ يونية ١٩٤١ مخالفا الحكومة فى أمر القبض على النواب أو تفتيش منازلهم على أن تقدم بيان المبررات والظروف التى أدت الى هذا العمل » ٠

ويقول عبد السـلام الشـاذلى : كلنا متفقون ومسلمون بأن الحصانة البرلمانية ــ فى موضوع على ماهر باشا ــ قد مست ، وأنه قد اعتدى عليها ، وعلى كرامة مجلس الشيوخ ، بل أقول لقد اعتدى على هذه الكرامة ، وأذهب الى أنه لابد أن نتضامن مع مجلس الشيوخ فى هذا الأمر كما يقول الشاذلى باشا أيضا : لا يمكن أبدا أن نسلم فى اخوائنا وفى كرامتنا بهذه السهولة ، وليس فى وسعى أن أعتقد أن أحدا من حضراتكم سيصوت فى جانب تسليم المجلس للسلطة التنفيذية الى هذا الحد ٠

ويقول مصطفى النحاس باشا : ان أمورا جسام عرضت سلامة الدولة وأمنها للخطر ، قبل تولى وزارة الشعب مقاليد الحكم ، وعندما تولينا الحكم كان لابد من أن تعمل فورا ، لتطهير البلاد من جراثيم هذا الخطر ، غير أن من بذروا هذه الجراثيم وتعهدوها لم يقدروا مع الأسف الحكمة والموعظة الحسنة التى أخذوا بها ولم يستجيبوا لداعى الوطنية الحقة ، بل ظلوا على مسلكهم يتعهدون بذر هذه الجراثيم بكل ما وسعهم من جهد ولو خربت الديار ، صبرت عليهم كثيرا فلم يرعووا فقصدت الى من هو يعتبر ــ فى الواقع ــ الأصل الأول للداء ، وهو حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا لعلى أتفاهم معه ، على أمر يكون من شأنه تجنيب البلاد ويلات الخطر ، ولكنه كان موجودا فى عزبته فانتظرت الى أن حضر الى القاهرة واستدعيته لمقابلتى فى مينا هاوس وشرحت له الحالة وناشدته مناشدة الأخ أخاه والصديق القديم ، صديقه القديم أن يساعدنى على تصفية الجو ، وتجنيب ما يخشى من اضرار بمصالح البلاد ٠

ويصحح النحـاس بعض ما ورد على لسـان عبد السلام الشاذلى حول موضوع ترك النشاط الخارجى الى أن يقول :

لقد طلبت الى على ماهر باشا أن يسافر الى خارج القطر اذا أراد ذلك لا باعتباره موظفا أو وزيرا مفوضا ولا مطلوبا منه أن يغادر هذه البلاد بل بمحض

اختياره فهو حر فى ذلك فقلت له : اننى مستعد لتسهيل طريق السفر بسبب وجود حجر على الذهاب والاياب للأسباب العسكرية ، ويقول النحاس باشا ، أنه قال لعلى ماهر باشا بصريح العبارة : أنا لا أريد أن أحقق معك ولا أن أحقق عنك ولكن كل ما أريده هو الاحتياط لا أكثر ولا أقل » •

ويقول النحاس باشا أيضا أنه طلب الى على ماهر باشا أن يسافر الى عزبته ليقيم فيها نحو شهرين لقطع كل شك حول مسلكه فاذا نسبت التقارير اليك شيئا وأنا أعلم أنك فى عزبتك لم تبرحها أشرت عليهـا بأنها كاذبة وتركتهم يكتبون غيرها أؤشر عليها وهكذا أما التحقيق الذى تريده فلا ، وانما يكون التحقيق بطريقتى » وقلت له يا على ـ وكان يقول لى يا مصطفى ـ انى لايمكن ـ أن آخذ التقارير قضية مسلمة لان تقارير كثيرة كتبت ضدنا نحن ـ نعرف ـ تلفيقها ولكن كان ذلك فى ظروف أخرى وكان الضرر واقعا علينا لا على البلاد ، أما الظروف التى نجتازها الآن فان الخطر لا يكون مقصورا على ، على ماهر باشا انما يقع على البلاد كلها ، ويقول عبد العزيز الصوفانى هذا أمر خطير جدا • ثم يقول النحاس باشا الطريقة هى أن تذهب الى عزبتك مدة شهرين ، قال لقد مكثت فيها فعلا مدة اثنين وثلاثين يوما ويقول النحاس لقد انقطعت أنا بسبب المرض زهاء ثلاثة أشهر لم أتصل بأحد ولم يتصل بى فيها أحد ، أليس لك الحق فى أن تمرض مثلى ؟

ويقول مصطفى النحاس أيضا أنه قال لعلى ماهر باشا : خذ معك من شئت من الأهل والاخوان على شريطة أن يبقوا معك لأتمكن بالطريقة التى شرحتها لك من أن أدرأ عنك وعن البلد كل شر •

ويقول النحاس باشا أيضا أن على ماهر باشا تلكا فى قبول ما عرضه عليه وطلب منه أن يبقى فى القاهرة ثلاثة أيام ليعرض نفسه على طبيب الأسنان وانه ـ النحاس باشا ـ أعطاه مهلة عشرة أيام ، تكون فيها حرا طليقا تفعل ما تشاء وتقابل من تشاء ولن أسمع عنك قولا خلال هذه الفترة ويسافر على ماهر الى القصر الأخضر دون أن يخبر النحاس بسفره ويتصل به النحاس تليفونيا حيث يقول له أنه مبسوط جدا وأنه يشتغل بالفلاحة « وحبذا لو مررت علينا وبقيت معنا ساعة » فقلت ـ مصطفى النحاس باشا « على العين والراس اذا سمحت الظروف » •

ويقول النحاس : ان على ماهر سافر مرة الى الاسكندرية ، ومرات أخرى الى جهات أخرى ، وأنه اتصل به ليعاتبه على اخلاله بالاتفاق ، فاذا بعلى ماهر ينفى أن ثمة اتفاقا بينهما ، ثم يقول النحاس باشا فى النهاية : طال الأخذ والرد بيننا بدون جدوى ، وأخيرا قلت له اذن فكل منا فى حل من الاتفاق ، وقد بلغ من حرصى على مراعاة خاطره ، أنى طلبت منه مرارا وضع سماعة التليفون حتى لا أكون أنا البادىء بوضعها ، وقطع الحديث ، الى أن يقول النحاس باشا :

لقد كانت هذه التصرفات من جانب على ماهر باشا سببا فى عودة الموقف ، الى خطورته التى أردنا القاءها وخشيت أن يحدث ما لا تحمد عقباه ، ولكننى قدرت الضرورة بقدرها فاكتفيت باصدار الأمر ، بمنع رفعته من مغادرة القصر الأخضر ، ومنع غيره من أن يتصل به ، وأقمت لتنفيذ ذلك مراقبة احتياطية روعيت فيها جميع مظاهر اللياقة الواجبة لمقامه الرفيع ، وعن موضوع الحلاق يقول النحاس باشا : انه لم يكن الا خطأ تافها فى التنفيذ ، كما يقول النحاس باشا ان على ماهر ، طلب ان يحضر نجله ونجل صديق له هو أحمد الحفناوى بك الى عزبته ، لتمضية يوم شم النسيم معه ، على أن يسمح لهما بالمبيت ثم يعودا فى اليوم التالى وحدهما ويقول النحاس انه وافق على هـذا الطلب ، ويقول النحاس باشا ان البوليس كان مطمئنا لعدم وجود على ماهر باشا فى العربة وقت خروجهما من العزبة ، وما كان يخطر ببال البوليس أن رفعته يهرب من الخلف ، أو يتسلل والبوليس منشغل بتفتيش العربة مستفيدا من التعليمات التى أصدرتها بأن تكون الرقابة عليه لائقة بمقامه : بحثوا عنه فى القصر فلم يجدوه ، وبحثوا عنه فى الاسكندرية ، وبكفر الدوار ، وفى الأماكن المجاورة ، وفى مصر ، ولكنهم لم يعثروا عليه فلم يسعنى الا أن أصدر أمرا باعتقاله » .

ويقول مصطفى النحاس قد تكون مسألة تمضية الزائرين يوم شم النسيم معه مدبرة للتغطية حتى يتسلل من جهة أخرى ، كما يقول النحاس باشا ردا على سؤال للنائب محمد محمود جلال ان البوليس لم يعرف بأمر مغادرة على ماهر للقصر ، الا بعد فترة من تفتيش السيارة التى كانت تقل نجله ونجل الحفناوى بك بعد خروجهما من القصر ، وقد ظل على ماهر مختفيا من ٦ الى ١٨ أبريل ظهرا ، عندما بلغنى البوليس أنه موجـود بمنزل صديقـه مصطفى الشوربجى ، ولما كان لدى البوليس أمر بالقبض عليه فقد ترقب خروجه من المنزل وعندما ركب السيارة رافقه البوليس فيهـا . وقد كان يخشى أن يضلله مرة أخرى فلما وصل الى السور الخارجى لمجلس الشيوخ فوجىء البوليس برفعته يقفز منها متجها الى المجلس داخلا فيه ، ويقول النحاس باشا : رغم ان السور لا يعتبر حرما للبرلمان لأن فيه وزارة المواصلات ، ووزارة الأشغال ، والجمعية الجغرافية ، فانى أصدرت الأمر بأن يقف البوليس خارج السـور احتراما لكرامة البرلمان التى قال حضرة المستجوب انها امتهنت .

وسمحت لعلى ماهر ، بأن يرافقه الى سجن الأجانب عبد القـوى أحمد باشا ، والدكتور محمود ماهر بك ، وأحمد حلمى باشا حتى يطمئنوا على رفعته ، وعندما قالوا ان الغرفة التى يقيم بها فى سجن الأجانب ضيقة أمرت بأن تخصص له أحسن غرفة وأن يصرح لرفعته باحضار كل ما يلزمه من منزله كما سمحت للدكتور العجاتى ــ طبيب الأسنان ــ بأن يزوره ، وأخيرا وبعد بحث عن مكان ملائم استشرت زميلى حمدى سيف النصر باشا باعتباره

ملما بمنطقة الحدود ، ولم أكن أقصد اختيار معتقل ، اتفق على أن يقيم في القصر الذى يقيم به ، وقد أوفدت اليه شنقيقه الدكتور محمود ماهر بك ، ونجله محمد على ماهر وعادا ليقولا انــه مستريح ، وكان يشــكو من عطل التليفون فأمرت باصلاحه ، ويقول عبد السلام الشاذلى : ألم يقل لرفعتك أن طائرات الأعداء تضرب هذا المكان ، ومعالى حمدى سيف النصر ، يعرف ذلك ؟ أجاب النحاس باشا بأنه احتاط لكل شيء ، وثقوا أنى حريص عليه أكثر من حضرة النائب ، بل أكثر من أهل رفعته ، وذويه •

ويرد النحاس باشا على ما جاء على لسان الشاذلى باشا من أن جهة أجنبية هى التى طلبت اعتقاله ، فيقول : لا علم لى بشيء من هــذه المسائل !! وأنا لا أسمح بتاتا لسلطة أجنبية أيا كانت ، ان تتدخل فى مثل هذه الاجراءات •

مطلوب مقــارنة سريعــة بين كلام رئيس الوزراء المصرى وكلام السفير البريطانى فى القاهرة •

وبعد أن يطيل النحاس باشا فى الحديث عن حق الحاكم العسكرى فى القبض ، وفى الاعتقال ، وبعد أن يتحدث ــ دستوريا ، وفقهيا ــ عن الحصانة البرلمانية وأثر اعلان الأحكام العرفية عليها ، كما انه يتحدث أيضا عن القول بضرورة التحقيق مع من يراد اعتقاله ، فيقول ان هــذا قلب للأوضاع لأنه يخرج بنا من دائرة الأحكام العرفية الى دائرة الاجراءات القضائية ، وتبعا لذلك لا يلزم الحاكم العسكرى بافشاء أسباب القبض حتى للبرلمان فقد يكون فى افشائها أو اعلانها ما يمس سلامة الدولة والغالب أن تكون الأسباب المتعلقة بسلامة أمن الدولة التى استدعت القبض هى نفسها التى تحول دون افشائها وعلى كل حال ــ مصطفى النحاس ــ فالاعتبارات التى قضت بترك التقدير فى اتخاذ الأمر ابتداء هى التى تقضى بترك الأمر للحاكم العسكرى ليعلن أو لا يعلن أسباب القبض ، وليس فى هذا مساس بسلطة البرلمان أو بالدستور فالحاكم العسكرى وهو فى الوقت نفسه رئيس مجلس الوزراء مسئول بالطرق الدستورية عن عمله وتصرفاته وهو يباشر أعماله دائما تحت رقابة البرلمان الذى يملك فى كل وقت وفى كل مناسبة اعــلان عدم الثقة به وينهى مصطفى النحاس حديثه بقوله : كان ما اتخذته من اجراءات مع على ماهر باشا على كره منى واتخذته آسفا ولكننى فى الوقت ذاته ممتلىء النفس بأنهــا اجراءات تقتضيها مصلحة الدولة العليا وسلامتها ولم تبعث عليها أية شهوة حزبية أو رغبة فى المساس بشخص على ماهر ولو كان أعز الناس لدى فى مكانه ما تأخرت ولا ترددت فى اتخاذ الاجراء المماثل » •

ويقول عبد العزيز الصوفانى آن أساس الديمقراطية هى الحرية حرية المجموع أولا ثم حرية الفرد ثانيا لأن الفرد يستمد حريته من حرية المجموع فاذا انتهكت حرية الفرد كان هذا بالتبعية مقدمة لانتهاك حرية المجموع ومتى وصلنا الى هذا الحد ضاعت الديمقراطية وأصبحت لا أســاس لهــا ويقول عبد العزيز الصوفانى نحن فى جو لا يأمن فيه واحد منا على نفسه بل هو

عرضة الى أن يتخذ معه ما أنخذ نحو على ماهر باشا » ويعلق زهير صبرى قائلا اذا فعل مثل ما فعل على ماهر باشا .

وتقوم ضجة أخرى ، عندما يقول عبد العزيز الصوفانى ان الذى يقيد الحرية وفى الوقت نفسه يأمر بتوفير الرفاهية ، والراحة التامة لمن قبض عليه انما يصدر أمرين متناقضين فى وصفهما مما يدل على أن رفعة النحاس باشا لا يقر فيما بينه وبين نفسه ما نسبه الى رفعة على ماهر باشا والا كان رفعة النحاس باشا مخطئا ولا يبالى عبد العزيز بالضجة والمقاطعة بل يستمر فى كلامه قائلا : ان الاجراءات التى اتخذت ــ قبل على ماهر ــ فى غير محلها ومن حقى كنائب ان اقترح لوم رئيس الحكومة اذا أتى عملا مخالفا للدستور .

وتقوم ضجة أخرى يقول بعدها عبد السلام فهمى جمعه باشا رئيس المجلس : ليس من سلطتنا ان نحقق الاتهام ، كما يقول محمود سليمان غنام ليس مجلسنا مجلسا قضائيا حتى نقوم بالتحقيق ويوجه رئيس المجلس كلامه الى النائب محمود سليمان غنام قائلا أرجو عدم المقاطعة فأنا الذى أدير المناقشات واعترض على ما أرى موجبا للاعتراض عليه ، ويرد الصوفانى على ما ذكره النحاس باشا من ان الحصانة لا يمكن أن نقف عائقا أمام أوامر الحاكم العسكرى فيقول : ان هذه المسألة ــ يا حضرات الزملاء ــ غاية فى الخطورة وقد وضعتنا فى وضع غير الذى كنا فيه من قبل فقد كنا ندافع عن حصانة زميل لنا فى البرلمان ، وحريته فأصبحت المسألة مسألة حريتنا وحصانتنا جميعا لا فرق فى ذلك بين شخص وآخر ، وهذه حالة ان أقرر تموها فاولى بنا جميعا ان ننفض من هنا ونترك الأمر ، بين يدى الحاكم العسكرى ، لأنه قد وضعنا فى هذا الوضع فكانه قد حكم علينا بأن لا قيمة لرأينا الا فى أمر واحد ، الثقة بالوزارة ، ويقول الصوفانى ، اذا كان رئيس الوزراء والحاكم العسكرى ، لا يريد ان يدلى بأسباب القبض ، كما انه مصر على عدم الالتجاء الى المحاكمة فكيف يمكننا اذن ، أن نحكم لرفعته ، أو عليه ، هذا وضع شاذ غريب ، لا يمكن قبوله : ان حضرات النواب لن يستطيعوا عدم الثقة بالوزارة فى أمر لم يتبينوه ولم يعرفوا حقيقة الدافع عليه فكان الوزارة والحالة هذه قد ضمنت الثقة وليسمح لى صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا ان أقول انه قد وضع نفسه فى وضع وان كان اللفظ المعبر ، عنه يأباه رفعته ونأباه له الا انه اللفظ ، الذى سينطبق على هذا الموقف ، وهو الدكتاتورية ، نعم فقد وضع رفعته نفسه موضع الدكتاتور المتصرف فى كل ما يريد ، دون مناقشة أو حساب .

ويقول عبد العزيز الصوفانى بك : ان دكتاتورية النحاس باشا ستنقلب الى دكتاتورية برلمانية ، وهذا شر الدكتاتوريات فى العالم ولا يمكن ان يكون هناك عمل شر من الدكتاتورية البرلمانية لأنها ترتكز فى مظهرها ، على معارضة

نواب البلاد الذين لا تبسط الوزارة أمامهم من الأسباب ما يمكنهم من الحكم على عملها ، وهذا ما لا نرضاه لرفعة النحاس باشا .

ويحذر الصوفانى ، النواب قائلا : اعملوا للغد حسابه واعلموا ان الذى تسنونه اليوم قد يتخذه غيركم سلاحا ضدكم فى الغد ، ونكون نحن الذين جنينا على أنفسنا بما نقرر وبما نمنح من ثقة . »

ويقول الصوفانى أيضا : خليق بنا يا حضرات النواب ان نتريث وان نطالب ، بالتريث بل ان نطالب رئيس الحكومة بأكثر من التريث .. اننى اذا أردت ان أسوق لكم أمثلة على فساد قيام الأحكام العرفية وعدم الحاجة اليها ، فانما أسوقها من عملكم انتم لا من عملى فلقد قلتم بفسادها . وقد كانت الأحكام العرفية فيما مضى — وان اعتبرتموها حربا عليكم — تطبق فى هوادة ولم تمس حريتكم الشخصية .

ضجة « ومقاطعة »

ويطلب عبد العزيز الصوفانى — فى النهاية من النحاس باشا ، الذى ذاق مرارة الاعتداء على الحرية بألا يعتدى على الحرية واذا اعتدى عليها بدوافع وجب ان نعرفها حتى نلتمس له العذر واذا أبى ان يقول وجب عليه ان يقدر اذا ما أسأنا الظن بل اذا طلبنا ان نحاسبه على عمله اننى أحب حريتى أولا ، وأحب حرية الشعب الذى انتمى اليه ويطلب محمود سليمان غنام النائب الوفدى — من النحاس باشا ، ان يعيد النظر ، أو يعد المجلس باعادة النظر لاختيار مكان مناسب أكثر من المكان المعتقل فيه على ماهر باشا اذ تصورته مكانا خطرا ، وهو فى الصحراء الغربية ، ما دامت الضرورة تقضى ببقاء رفعة ماهر باشا معتقلا :

ويطلب فكرى أباظة بعض الوقت ، للاستعداد للرد على « الفقه العظيم » الذى ذكره النحاس باشا والذى يناسب حقا عظمته ! ولكن رئيس المجلس ، يقول : ما زال فى الوقت متسع ويدخل فكرى أباظة فى صميم الموضوع مباشرة ليرد على سؤال : هل يملك أو لا يملك فرد ان يسيطر على أقدس حق عنى به كل دستور فى العالم ! وهو حق الحصانة البرلمانية ؟ انكم لا تملكون لا أفرادا ولا جماعات ولا أحزابا ولا مجلسا ولا باجتماعكم مع المجلس الآخر أن تغيروا هذا النص أو أن تقبلوا قانونا يؤثر عليه انه نص يتعلق بالنظام العام لا يملك التصرف فيه لا على ماهر ، ولا مصطفى النحاس ولا رأى مؤيد لتصرف الحاكم العسكرى ، ولا حضراتكم جميعا .

ويقول فكرى أباظة .. لنا ان نسأل مصطفى النحاس باشا بكل قوة ، أين هى سلامة الدولة ولنا ان نستجوبه كيف يغامر بسلامة الدولة فيكتفى بابعاد على ماهر باشا مسيرة ساعة ونصف من الاسكندرية سلامة الدولة معناها

خيانة ، أى جريمة تتعلق بالدفاع ، رجل يفشى ويبيع أسرار الدولة ، والقلاع الحصينة أو يسلم وثائق الدولة الى دولة أخرى أجنبية أريد أن أستفهم لأن القبض بنى على أساس سلامة الدولة كما نص فى صيغة القبض ، أنا أقول — لا مغالطة أن سلامة الدولة لا تتفق مع هذه الاجراءات الرقيقة الظريفة ولا مع هذه المجاملات بين مصطفى ، وعلى ، ولا مع هذا الاكرام العظيم ، بارسال الأطباء والأبناء ولا مع الأمل — كما يقول زعيم من زعماء الكلام فى هذا المجلس ، وهو الأستاذ غنام — بأن يعاد الى عزبته .

ويقول فكرى أباظة انه يبرىء الوزارة من الاجراء الخاص بعلى ماهر ، ولكن الأستاذ محمود سليمان غنام يقول نحن لا نرضى هذا الوضع .

ويقول فكرى أباظة : لقد أعلن على ماهر الأحكام العرفيـة ولكنهـا مع الأسف الشديد ، انقلبت عليه ونحن نخشى يا رفعة الباشا ، لأن هذه الدولة منيت مع الأسف بالزلازل ، والبراكين لا فى أرضها بل فى دستورها نخشى ، ان حدث الزلزال غدا ، أو بعد غد — لا قدر الله — ان تكونوا انتم الفريسة وأن يكون تشريعكم هذا وفقهكم هذا هو السيف .

(ومن مجلس النواب ننتقل الى مجلس الشيوخ !!)

الفصل السادس

وثورة عنيفة فى مجلس الشيوخ
بسبب اعتقال على ماهر باشا عضو المجلس

● أرانى مضطرا الى العودة الى الحديث عن اعتقال على ماهر باشا ، وكنت قد توقفت عند الجلسة الأولى ، التى خصصت لمناقشة الاستجواب المقدم من عبد السلام الشاذلى باشا عضو مجلس النـــواب ، الى مصطفى النحاس باشا رئيس مجلس الوزراء الحاكم العسكرى وننتقل الى الجلسة التالية التى استمرت فيها أيضا المناقشة ، وقد بدأ المناقشة الأستاذ زهير صبرى ـ كما قال ـ بالدفاع عن تصرف حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا فى القبض على حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا « وسأدافع بكل ما أملك من قوة عن هذا التصرف لا عن طريق المجاملة باعتبارى وفديا ولكن عن طريق الاقتناع وسوف لا أكتفى بالدفاع عن هذا التصرف بل سأطلب من رفعـــة مصطفى النحاس باشا بالحاح أن يقبض ويقبض على أمثال على ماهر باشا ، ان كان له أمثال فى مصر وان يقبض على كل من تسول له نفسه أن يفكر بالاضرار بهذا البلد ؟؟

قبض على صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا فلم تفاجأ الأمة ولم تدهش لأن أفراد هذه الأمة « حدقين » كما يقول زميلى الأستاذ فكرى أباظة فهى تفهم رفعته وتعلم لماذا قبض عليه رفعة النحاس باشا ولم يدهش سوى على ماهر باشا ومن كانوا يناصرونه » ويعجب زهير صبرى من ان على ماهر ، لا يعرف للوعد ، قيمة ولا للعهد أثرا كمـــا يقول ان على ماهر خرج ، على عهده مع مصطفى النحاس ، وتسلل من داره كما كان يفعل الطلاب الصغار أيام الثورة عندما كان يقبض عليهم ويوضعون فى سيارات اللورى فيقفز بعضهم منهـــا التماسا للهروب ، على ماهر باشـــا ذلك الرجـــل الكبير يتسلـــل من داره ، ويهرب ثم يأتى الى مجلس الشيوخ ليقيم ضـــجة فماذا كان يقصد من وراء ذلك ؟ بطبيعة الحال يقصد ان يحرج النحاس باشا ، معتقدا انه كغيره من

يمكن احراجهم » ويقول زهير صبري موجها كلامه ـ كما قال ـ الى نواب اليسار : انهم يبكون ، أو يتباكون على الدستور وعلى الحصانة البرلمانية والحرية الشخصية وانى لأتساءل أين كان هؤلاء الزملاء يوم أن وقف الدستور ثلاث سنوات قابلة للتجديد ألم يكونوا هنا ، ولم يعترض واحد منهم على ما أصاب الدستور ؟ أين كانوا يوم الغاه صدقى باشا ؟

ويرد عبد العزيز الصوفانى قائلا : كنا هناك وقد حافظنا على حقوق الأمة وأنتم خارج البرلمان ومضابط المجلس خير شاهد على دفاع المعارضة ضد وزارة صدقى باشا ٠

ثم يقول زهير صبرى : أن رفعة النحاس باشا ـ وهو فى الورطة التى كان فيها ، والحالة الحرجة ، التى لابست مسألة القبض على على ماهر باشا ـ لم ينس ما للبرلمان من حرمة فأمر باخراج البوليس حتى من فناء وزارة الأشغال فهل هذا الرجل يعتدى على الدستور ؟ » ويتحدث فى الموضوع أيضا ـ موضوع اعتقال على ماهر ـ الأستاذ سعد اللبان ـ فيقول : انه لا يوجد فى مصر طابور خامس ، أو سادس وليس فيها رجال من هذا الطراز ، بل فى مصر وطنيون تعاهدوا جميعا مع حليفتهم على تنفيذ المعاهدة ، واعتبروا بلادهم مرتبطة بها ويتمنى سعد اللبان ، لو أن مصطفى النحاس ـ مهما نقل الى رفعته عن مسلك زيد ، أو عمر ـ أعلن فى صراحته المعهودة وقوته المعروفة انه وحده المسئول الأول ، والأخير عن أمن الدولة وسلامتها ولو انه عالج الأمر بالطريقة التى نتمناها على رفعته لكان هذا فى اعتقادى أليق وضع فى العهد الحالى » ويتحدث أيضا الأستاذ أحمد أبو الفتوح فيشير الى ما قاله عبد العزيز الصوفانى من أن الأيام دول ، والزمن يدور ، فيقول هذا حقيقى ولكن لا نخاف على أشخاصنا ، ثم يتساءل أحمد أبو الفتوح ٠ نبكى الآن على ما يسمى اعتداء على حرية فرد من الأفراد ونقول ان الدستور يحرم هذا الاعتداء فهل أحل الدستور الاعتداء على حريات أمة بأسرها فى عام ١٩٣٨ يوم ان لم تكن هناك ظروف شاذة استثنائية ؟ ويقاطعه النائب محمد شعراوى قائلا : كان حضرة الأستاذ أبو الفتوح نائبا فى سنة ١٩٣٨ وتقوم ضجة ، يرد بعدها أحمد أبو الفتوح قائلا : لقد كنت نائبا ، رغم ارادتكم ، ثم استكمل أحمد أبو الفتوح كلامه قائلا فى عام ١٩٣٨ لم تكن هناك أحكام عرفية ولا ظروف استثنائية ورغم ذلك فقد مثل بالكثير من حضراتكم تمثيلا لا يعتبر الى جانبه القبض على رفعة ماهر باشا شيئا مذكورا ، كما يقول أحمد أبو الفتوح : ألنحاس باشا اذا اقتنع تكون الأمة كلها مقتنعة فهو يمثل الأمة بأسرها : أن النحاس باشا لا يفعل شيئا الا وهو يعلم انه محق فيه ثم يرد أبو الفتوح على قول الصوفانى من أنه يخشى أن تقوم فى مصر دكتاتورية برلمانية هى شر أنواع الدكتاتوريات يقول أحمد أبو الفتوح : هل جناية النحاس باشا زعيم البلاد أن الأمة تثق به ثقة كبرى

فتولى نوابه وحزبه أغلبية ساحقة وهل هذا ذنبه ؟ وهل كان يجب على رفعته أن يطلب من الأمة أن تمنح ثقتها لأشخاص لا تثق بهم خشية أن تقوم دكتاتورية برلمانية أو ارضاء لمن يريد الا تقوم هذه الدكتاتورية البرلمانية » « تصفيق » ويعارض الأستاذ محمد محمود جلال الاقتراح المقدم بقفل باب المناقشة ويطلب من النواب الذين تقدموا بهذا الاقتراح أن يسحبوه ، ويقول مكرم عبيد باشا ، ان النحاس باشا يريد أن يلقى بيانا فى موضوع الاستجواب فأرجو أن يسمح المجلس باستمرار المناقشة على أن يكون أحد المعارضين آخر المتكلمين قبل النحاس باشا ، وبطبيعة الحال لا يوافق المجلس على قفل باب المناقشة بعد الذى قاله مكرم عبيد باشا » وتعطى الكلمة ، لمحمد محمود جلال ومن بين ما قاله : اصطلحنا على أن على ماهر باشا الوزير انما هو علامة ورمز وترجمان لعقيدة استقرت فى أذهان الشعب وأصبحت اليوم موضع اتفاق ومصطلحا عليها من جميع الهيئات ، وبين الحكومة والشعب وبين المجلس مهما اختلفت مذاهب الذين تولوا الحكم منذ سنة ١٩٣٩ ويرد على ما قاله زهير صبرى عن مجلس نواب ١٩٣٠ فيقول اننى لم أجلس فى هذا المجلس لا أنا ولا زميلى فكرى أباظة واننا قاطعنا الانتخابات لا لأننا رأينا فارقا بين دستور ودستور ولكن لأننا رأينا ألا نستهل حياتنا الدستورية بالحنث فى عيننا ، وقد كنا أقسمنا على احترام دستور ١٩٢٣ أما الذين دخلوا المجالس فقد وقفوا من زملائنا دائما موقف العداء واما القبض على اخوان لك ـــ الكلام لزهير صبرى ـــ فانه وان كان قد حدث فانهم لم يكونوا نوابا واذن فلم يكن معنى ، للحصانة البرلمانيـــة ولم يكن أمرهم ليضيرها وهذا يجعل كلام حضرة النائب المحترم الذى زاملناه فترة قديمة لا محل له قطعا لأن التضحية من أجل الحصانة انما تكون على متمتع بها تكون على عضو فى مجلس النواب أو عضو فى مجلس الشيوخ ...

ويقول النائب عمر عمر : انه على ثقة من أن النحاس باشا سيعالج الأمر ، بالأسلوب الذى يراه فاذا تبين له ، ان الاجراء الذى اضطر الى اتخاذه نحو على ماهر باشا اجراء تسمح الظروف بازالته أو انهائه أقتنع بأن الشبهات التى حامت حول رفعته لا تتفق مع الحقيقة فلنا أمل كبير فى رفعة النحاس باشا أن ينظر هذا الأمر ، على وجه الدقة والسرعة فيأمر فورا بالافراج عن على ماهر باشا هذا رجاؤنا جميعا ..

وقد كان ما قاله الأستاذ عمر عمر ، النائب الوفدى بحق رائعا ، لأنه بعد ان تحدث عن الدستور ، والحصانة النيابية ، وعن سلطات الحاكم العسكرى وعن ضرورة قيام البرلمان بمراقبة تصرفات السلطة التنفيذية وتصرفات الحاكم العسكرى ، خرج من البحث ، القانونى الدستورى المتزن الى طلب الافراج عن على ماهر بدملوماسية ماهرة وباهرة أيضا !

وكان الأستاذ عمر عمر النائب الوفدى ، آخر المتكلمين ، وليس أحد النواب المعارضين كمـــا اقترح الأستاذ مكرم عبيد ، وقد ألقى النحاس باشـــا

بيانه بعد عمر عمر مبتدئا كلامه بأنه لم يكن يريد أن يتحدث مرة ثانية اذ ليس لديه ما يزيده على ما قاله من ناحية الموضوع ، ولا من ناحية البحث الدستورى ولكن بعض ما ورد على ألسنة حضرات الخطباء جاء ماسا بشخصه وجاء بعضه الآخر مبعنا فى الجدل الفقهى فى أسلوب نسيق براق ، فرأيت أن أنزع عنه ثوبه الذى أريد يبهر منا العيون فننشغل بالمظهر دون اللباب ويؤكد النحاس باشا ان البحث الذى القاه فى المجلس ليس من صنع الخبراء وأصحاب الاختصاص وأن هذا البحث ليس هو الذى جعله يلجأ ، الى التصرف الذى اتخذه قبل على ماهر وإن ما قام به ، قام به من اقتناعه الخاص « تصفيق » اقتناع العقل والنفس والضمير « تصفيق » ويهدىء النحاس باشا من روع النواب ، بعد أن أريد بلباقة أن يتسرب الفزع ـ كما قال النحاس ـ الى نفوسهم من الأحكام العرفية وخطرها على الدستور وبخاصة على حرية النواب وحصانتهم البرلمانية ، وكرامة المجلس ويرد على خشبية ، النائب عبد العزيز الصوفانى من الدكتاتورية البرلمانية قائلا : انما تقوم الدكتاتورية اذا حكم الأمة من لا تثق به مهما احتال على الناس وألبس حكومته ثوبا دستوريا زائفا بالوسائل التى تعرفونها ٠

ويقول النحاس باشا : لقد عارضنى فى هذا الاستجواب الهام نائبان من أعز أنصارى وأحبهما الى نفسى ، ولا أفشى سرا اذا أنهما فاتحانى فيما اعتزماه فطلبت منهما أن لا يدخر جهدا فى اعلان ما يعتقدان فأين الدكتاتورية البرلمانية يا حضرات النواب ؟ ٠

ويؤكد النحاس فى بيانه أيضا أنه حريص على تجنيب البلاد ويلات الحرب وانه لن يعمل أو يوافق ، أو يسلم بجر مصر ، الى الاشتراك فى الحرب أو تقديم ، جنود من أبناء هذه البلاد ، مهما كانت الظروف والأحوال ٠

ويعد النحاس باشا النواب بأنه على استعداد لأن يعيد النظر فى مكان اعتقال على ماهر « لا نقله اذا رأيت داعيا ولكن أرجو أن يترك لى تقدير ذلك وأنا الكفيل بأن أوفق فيه بين راحته وتمام أمنه وبين مقتضيات المصلحة التى كانت وحدها السبب فيما اتخذته معه من الاجراءات وعندما يتحدث النائب محمد شعراوى عن التقارير ، التى استند اليها النحاس باشا فى القبض على على ماهر وانه لم يكن الأولى التحقيق مع على ماهر ، بشأنها ، بل يجب التحقيق مع كتاب التقارير » يقول له رئيس المجلس هذا خارج عن موضوع الاستجواب وأمنعك من الاسترسال فيه ويقول محمد شعراوى : ليس فيما أقوله خروج عن الموضوع ويقول الرئيس : أمنعك من الاسترسال فى الكلام وآمر بعدم اثباته فى المضبطة ٠

ويحتكم محمد شعراوى الى المجلس ويوافق المجلس على منع حضرة النائب المحترم من الاسترسال فى الكلام ٠

ويقفل باب المناقشة بعد كلمة قصيرة ، لعبد السلام الشاذلى ٠

ويقول النحاس باشا : ان اقتراحات قدمت للثقة بالوزارة فأرجو أخذ الرأى عليها بالمناداة بالاسم ويعترض فكرى أباظة لأن طلب الثقة يتقدم به المستجوب المعارض أو من يؤيده فى استجوابه لأنه يشك فى اجراءات الحكومة ، ويعارضه رئيس المجلس اذ من حق الحكومة أن تطلب الثقة بنفسها .

وتحصل الوزارة على ثقة المجلس بأغلبية ١٨٥ صوتا ضد خمسة أصوات وامتناع ستة أعضاء هم : محمد عبد الرحمن نصير ، فكرى أباظة ، عبد السلام الشاذلى ، سعد اللبان ، محمد عبد الله أبو حسين ، وعبد الفتاح أبو سحلى ، أما الذين عارضوا الثقة بوزارة الوفد ، فهم عبد العزيز الصوفانى ، على على بسيونى ، محمد شعراوى ، محمد سلطان بك ومحمد محمود جلال .

هذا ما دار فى مجلس النواب ، بخصوص اعتقال على ماهر باشا ، أما ما دار فى مجلس الشيوخ فليسمح لى قرائى ، الأعزاء ، بأن أعود وبناء على رغبة البعض منهم الى جلسة مجلس الشيوخ بتاريخ ٨ ابريل ١٩٤٢ التى تسلل اليها على ماهر باشا ، قفزا على سور المجلس : لقد بدأت الجلسة بداية عادية ، صدق الأعضاء على مضبطة الجلسة السابقة ، تليت الرسائل الواردة الى المجلس ، أدى بعض أعضاء المجلس الجدد اليمين الدستورية ، نوقش اقتراح بتعديل المادة ١١ من اللائحة الداخلية بمناسبة تجديد نصف أعضاء المجلس ، اتمام تشكيل اللجان .. كل ذلك ، وموضوع على ماهر ، لم يثر على الاطلاق ، لم تتل رسالته ، ووقف الشيخ المحترم مصطفى محمود الشوربجى يقول ان على ماهر باشا أرسل الى رئيس المجلس رسالة » فأرجو تلاوتها الآن « ثم وقف على ماهر باشا ، ليقول : لقد وصلت هذه الرسالة رياسة المجلس أمس ، ورجوت سعادة الرئيس أن يتلوها فى جلسة اليوم ، وأصرح الآن بأنى متنازل عن تلاوة الرسالة اذا أعلنت الحكومة انها تكف عن جميع الاجراءات المتخذة ضدى اذ فيها اعتداء ، على الدستور ، والحريات المقدسة والحصانة البرلمانية وأكرر انى أتنازل عن كل ما جاء فى الرسالة اذا أعلنت الحكومة هذا !

وقال رئيس المجلس : « من حقى الا أطرح الرسالة على المجلس لأن حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر من جهة الحصانة البرلمانية متمتع بهـــا والدليل على ذلك وجوده بيننا فى الجلسة فلم يمنع مقامه الرفيع من أداء واجبه فى البرلمان ، أما اذا كانت هناك مسائل يشكو منها رفعته من جهة تصرفات ادارية فلا يمكن الكلام فيها الا عن طريق الاستجواب » .

ويقول على ماهر : لست متمتعا بحريتى فقد دخلت المجلس اليوم بالقوة وأحاط بى البوليس عند دخولى فلا حرية اذن ، ويقول رئيس المجلس : لى حق فى عدم طرح الرسالة على المجلس ، لأن الحصانة البرلمانية لم تمس الى الآن كما قلت !

ويقول على ماهر : أنا أحتكم الى هيئة المجلس ، كلها لا على السعديين أو الدستوريين أو المستقلين أو الوفديين بل الى الحكومة نفسها ، فاذا كنت أستحق محاكمة عسكرية ، أو محاكمة برلمانية فانى مستعد لها ، أما مطاردتى فى كل مكان فهذا ما يجب ألا يكون ، اذ فيه اعتداء صريح على الدستور ، ولم يوجد الدستور لحماية الوزارة أو أنصارها بل لحماية المصريين جميعا وحماية من يعتبرون خصوم الحكومة خاصة »

ويقول رئيس المجلس أيضا : لا يمكننى أن أطرح على المجلس مسألة غير واردة فى جدول الأعمال ولا أن أترك الزميل المحترم ، يستمر فى الكلام فى هذا الموضوع لأن الأمر سيتحول الى استجواب غير مدرج ، فى جدول الأعمال وغير مستوف شروط المناقشة » ويطلب على ماهر أن تتلى الرسالة ، على المجلس ليقرر ما يراه فيها ، ويكرر الرئيس رفضه لهذا وليست هذه أول مرة امتنعت فيها عن تلاوة رسالته الى ٠ ويقول على ماهر : لقد منعت من السفر من عزبتى مرتين كما منعت من الدخول الى المجلس ، أما مصطفى الشوربجى فقد قال ان كل الرسائل يجب ان تتلى اذا كانت بتوقيع أصحابها ولكن الرئيس يرى أن له الحق التقديرى فى قراءة الرسالة ، أو عدم تلاوتها ؟

أما حافظ رمضان فقد قال : من أسوأ المسائل ، بل من البداية السيئة جداً فى مصر ، أن يمنع رئيس حكومة سابق ، وعضو فى مجلس الشيوخ من دخول المجلس لحضور جلسة علنية ، وان يكون من الجائز ، القبض عليه ، الآن ، اذا خرج ، فيجب ان نسمع شكوى حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا والا فما معنى وجودنا هنا ؟

ويقول رئيس المجلس : أرجو أن يهدىء حضرة الشيخ المحترم ، من روعه لقد قلت ان الحصانة البرلمانية لم تمس ٠

ويقول الشوربجى : لقد مست الحصانة فعلا ، ولكن محمد حافظ رمضان يتساءل : كيف لم تمس ؟ ليترك الرئيس حضرة الشيخ المحترم على ماهر باشا ، يشرح لنا المسألة ، هذه بداية سيئة للحكم النيابى والنظام الحاضر ٠

ويقول عبد المجيد ابراهيم صالح : أنا أدع جانبا الجدل ، بين الأعضاء ، والرياسة فى هذه المسألة كما أدع أحقية المجلس أو عدم أحقيته فى نظرها وأتقدم الى حضرة صاحب المقام الرفيع رئيس الوزراء ، طالبا الى رفعته ، لا الى سعادة رئيس المجلس ولا الى المجلس أن يريح الرأى العام والحرية الشخصية وأقدس المبادىء ويشرح لنا الموضوع وموقف الحكومة مما أشار اليه حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا فى رسالته فترتاح بذلك النفوس ٠

ويحاول رئيس المجلس أن يفرق بين مسألتين : الحصانة البرلمانية ، والتصرفات الادارية وانه اذ يؤدى واجبه كرئيس للمجلس لا شأن له بالتصرفات

الادارية الا عن طريق الاستجواب ويقول على ماهر : الواجب على رئيس المجلس كرئيس أن يكون منصفا لا ان يعتدى على الدستور ٠٠ ويقول الشوربجى : أرجو أن يحافظ الرئيس على الدستور وعلى حقوق المجلس ٠٠ ويقول على ماهر : أرجو عرض رسالتى على حضرات الشيوخ الوفديين وحدهم ، وأنا أرضى حكمهم ٠

ويقول على ماهر باشا : لقد فتش منزلى مرتين وحبس خدم المنزل ثلاثة أيام ٠٠ أما حافظ رمضان فقد قال : لقد أقسمنا هنــا اليمين على المحافظة على الدستور ، فيجب أن تتلى الرسالة هنا وان نستمع الى الشكوى ، ويسأل على ماهر باشا رئيس الحكومة : هل أنا حر فى الحضور الى المجلس ، وهل أنا حر ، فى منزلى أو غير حر ، هذه وقائع مادية أرغب فى الاستفسار عنها ، ويرى رئيس المجلس أن هذا السؤال لا يوجه ، ولا يسمح بالاجابة عنه لأنه ــ أى رئيس المجلس ــ يعتبر السؤل والاجابة ــ دخولا فى مناقشة عامة غير جائزة ، ويقول عبد اللطيف زعزوع : المعارضون يتكلمون دون اذن وهذه فوضى لا يصح أن نسمح بها ٠٠ ويعود حافظ رمضان مطالبا بتلاوة الرسالة ولكن الرئيس لا يسمح ، بل يقول حتى ولو قبلت الحكومة ، فلن أسمح ٠

ويقول حافظ رمضان متهكما : هذه بداية غير حسنة وساطالب بأجــازة من اليوم انقطع فيها عن المجلس حتى يعين له رئيس جديد ، ويقول أحمد رمزى: ستنتهى مدة الرئيس فى ٧ مايو ٠ ويعود رئيس المجلس ليقول انه يقدر كل مايمكن ان يقال عن تصرفاته وانه لايهتم بذلك لأنه يتكلم عن اقتنــاع وانه سيستعمل حقه التقديرى ، ويرد حافظ رمضــان بان عبــارة الحق التقديرى هذه تضع رئيس المجلس فوق المجلس ، وفوق الدســتور وفوق الحـكومة اذا ما وافقت ، على رأى المجلس ٠٠

ويقول رئيس المجلس أن حقه الدستورى الا يسمح بتلاوة الرســالة ويقول حافظ رمضان : ليس للرئيس أن يتحدى ارادة المجلس ، ويحــاول مصطفى الشوربجى ، ان يشير الى بعض ما جاء فى الرسالة رسالة على ماهر ، فيقول انها تتعلق بأحد الأعضــاء ، الذى يراد القبض عليـه ، وانه تحت المراقبة ٠ ويكرر الرئيس قوله ، بأن الفصل فى هذه المسألة يجب ان يكون باستجواب ! ٠٠

ويقول على ماهر : كيف والحالة التى نحن بصددها حالة تلبس ولا يمكن ارجاؤها الى أن يفصل فيها بطريقة الاستجواب ولذلك يجب ان نحتكم فى هذه المسألة الى المجلس ولكن رئيس المجلس لا يقبل الاحتكام الى المجلس فى هذه المسألة ، ويثور على ماهر قائلا : هذا الكلام بعيد عن الحق والانصاف ، انك رجل ظالم ، وغير منصف ٠ وفى النهاية يمنع رئيس المجلس عباس الجمل من الكلام ، مؤكدا ان المسألة انتهت ويصدر أوامره الى السكرتيرية بمنع اثبات أى شىء يتعلق بها بعد هذا ، ويحاول عباس الجمل ــ بعد بضع دقائق تمت

فيها قراءة استجواب الى رئيس الوزراء من أحمد رمزى عن دستورية المرسوم الصادر فى ٢٢ فبراير ١٩٤٢ بالغاء المادة الثانية من مرسوم ٢٤ مارس ١٩٤٢ ، المتضمنة تعيين أعضاء مجلس الشيوخ بدلا ممن خرجوا بالقرعة يحاول عباس الجمل العودة ، الى الحديث عن موضوع ، اعتقال على ماهر فيمنعه رئيس المجلس ويمنع السكرتارية من اثبات أى كلمة فى المضبطة و ٠٠ و ٠٠

وفى جلسة ٢٩ ابريل ١٩٤٣ يكون أول المتحدثين مقدم الاستجواب الأستاذ مصطفى الشوربجى ٠٠ فيتحدث عن الأحكام العرفية ، واختصاصات الحاكم العسكرى ، ويحذر الشيوخ من أن يزج بهم فى السجون والمعتقلات دون أخذ الاذن من هذه الهيئة المحترمة ، كما يتحدث عن الموت المدنى والأحكام العرفية فى الحرب العالمية الأولى ، كما يتحدث عن المظاهرات ، التى سبقت ٤ فبراير والتى ورد فيها اسم على ماهر ، ويقول انها كانت مظاهرات اليمة جدا ، اذ لو صح ماسمعته عنها ، لكانت دعوة لدولة أجنبية الى الدخول فى هذه البلاد ، ويقول مصطفى الشوربجى : لقد ذكر اسم الوفد واسم رئيسه فى هذه المظاهرات ، فاذا كان ذكر الاسم دليلا ، على ان هذه المظاهرات من فعل ، على ماهر فلماذا لا يكون ذكر اسم مصطفى النحاس أيضا دليلا على ان له يدا فيها : اذا كان الدليل واحدا فيجب ان يكون الاستدلال واحدا وينفى مصطفى الشوربجى ان يكون باستطاعة على ماهر تنظيم المظاهرات : ان المظاهرات عادة من أعمال رجال الأحزاب أنا لا أقول عن هذه المظاهرة بالذات ولكن أقول : ان المشاهد ، المعروف أن رجال الأحزاب لا على ماهر هم الذين يقيمون ، المظاهرات وأول من يستطيع اقامة المظاهرات وترتيبها وتجهيزها هو الوفد بلجانه ، ورجاله وتشكيلاته : ان الوفد هو الذى ينظم هذه المظاهرات ويستخدمها ٠٠

ويقول مصطفى الشوربجى : ان المظاهرات اخترقت الشوارع ، دون ان يتعرض لها البوليس ، ودون أن يقبض الى يومنا على الذين نادوا هذا النداء الأثيم : الا يصح لى ان أستنتج ان هذه المظاهرات وهذه النداءات كان مرضيا عنها أو كانت مقصودة بالذات : ألا يكون هذا النداء مدسوسا كما حدث فى تاريخ مصر ، لتصل الى النتائج التاريخية ، التى تعلمونها ٠٠

فى فمى ماء وهل ينطق من فى فيه ماء فى هذا البلد اثنان : رئيسا وزارة وصاحبا مقام رفيع يعتقل احدهما الثانى : انه لشىء غريب حقا ، فاذا ماجاء على ماهر باشا الى الحكم اعتقل النحاس باشا ونبقى خالصين هذا أمر عريب حقا ! ولكنا فى بلد العجائب ، ريقول مصطفى الشوربجى : ليحقق النحاس باشا مع على ماهر باشا بنفسه ، أو ليحقق معه أحد الوزراء من رجال القانون ، أو النائب العام الموثوق به من الجميع فلن تكون المسألة أكثر سرية من قضية سرقة مستند سيوه أو ٠٠٠ الخ ، الخ ٠

ويقول مصطفى الشوربجى : ان تقارير سرية رفعت فى الحرب العالمية الأولى واعتقل بسببها عبد اللطيف الصوفانى ، وأمين الرافعى وأحمد لطفى وعبد الرحمن الرافعى • وقد كانت التقارير من فيلبيدس ولكن اراد الله المنتقم العادل الا تنتهى الأحكام العرفية الا وفيلبيدس ثابت عليه التزوير والتلفيق والرشوة فحوكم أمام محكمة الجنايات وصدر ضده حكم القضاء ، ويشير مصطفى الشوربجى ، الى كل التقارير التى قدمت فى قضية تزوير الخطابات و • و • ويقول ان هذه التقارير قد ثبت كذبها •• ويقول مصطفى الشوربجى ، ان على ماهر عندما طلب تحكيم مصطفى النحاس ، فانما كان يريد مصطفى النحاس القاضى لا مصطفى النحاس رئيس الحكومة •

ويطلب مصطفى الشوربجى فترة للراحة وترفع الجلسة فترة يعود بعدها مصطفى الشوربجى ليترافع كمحام عن الحريات والحكم العرفى ، ويقف طويلا أمام فكرة احتمال وجود خطر ! ويقول اذا وجدت الحرية الشخصية فى أمة من الأمم مصونة مرعية كان ذلك دليلا على درجة رقى هذه الأمة • وفى عهد الرومان كان يحكم بالاعدام على الموظف الذى يحرم شخصا رومانيا من حريته الشخصية وقد ظل هذا القانون نافذا الى أن جاء عهد جوستنيان فعدل هذا الحكم بعقوبة تتناسب مع الضرر •

ويواصل مصطفى الشوربجى الحديث فى النواحى الدستورية والقانونية ، ويحاول مصطفى الشوربجى ان يتلو ما دار بين النحاس وعلى ماهر ــ وكان على ماهر ، قد كتب نص الحديث الذى دار بينه وبين مصطفى النحاس ــ ولكن رئيس المجلس منعه من ذلك ، طالبا منه ان يلخص الوقائع ، ويستمر مصطفى الشوربجى فى كلامه جلسة كاملة ، وينهى كلامه بقوله : لقد قال المغفور له قاسم أمين بك رحمه الله كلمة ، قال انى رأيت وأحسست نبض الأمة المصرية ينبض فى حادثين حادث دنشواى وحادث وفاة الزعيم الأكبر مصطفى كامل فليته كان هنا اليوم ليضيف الى هذين الحدثين حادث اعتقال على ماهر باشا : لقد شعرت بأن كل واحد من حضراتكم فى تلك الجلسة كان يعتبر المصاب جللا : لقد كان فى كل عائلة وفى كل مجتمع وفى الطرقات أسى وحزن بالغان وكيف لا يكون ذلك وقد كان على ماهر باشا رئيسا للوزارة وكان رفعة على ماهر باشا حاكما عرفيا وكان يومئذ حضرة صاحب المقام الرفيع رفعة النحاس باشا خارج الحكم فلم يمسسه بأى أذى ؟ انى ــ مصطفى الشوربجى ــ اقرر ان التدبير الذى اتخذ ضد رفعة على ماهر باشا ماهو الا نوع من هذه التدابير التى تتخذ فى بلاد دكتاتورية وفى ظروف استثنائية أما نحن فبلادنا ديمقراطية وليست مشتبكة فى حرب ، أفلا يقال عنا اذن اننا سبقنا غيرنا فى الرق والعبودية ، أخشى ان يقال ذلك عنا ، أختم كلمتى بكلمة قالها سعد زغلول غداة ان نفى الى جزر سيشيل « لتفعل القوة بنا ما تشاء » •

وفى الجلسة التالية ـ ٥ مايو ١٩٤٢ ـ تولى مصطفى النحاس باشا ، الرد على كل النقاط التى آثارها الأستاذ مصطفى الشوربجى وما قاله مصطفى النحاس فى مجلس الشيوخ لا يخرج ـ فيما يتعلق بالاتصالات التى جرت بينه وبين على ماهر باشا ـ عما قاله فى مجلس النواب ، ونشير هنــا الى بعض النقاط ، التى وردت على لسان النحاس باشــا فى مجلس الشيوخ ، ولم ترد على لسانه فى مجلس النواب ومن بينهــا مثــلا ـ ان المستجوب ـ مصطفى الشوربجى ـ قد استخدم عبارات نابية أخطأها التوفيق : اننــا اتخذنا من مصلحة الدولة ذريعة لاعتقال عدونا السياسى على ماهر باشا كما كان رجال الدين فى القرون الوسطى يتخذون من الدين ذريعة لاقامة محاكم التفتيش ٠

وكما كان رجال الثورة الفرنسية يتخذون من الحرية حجة لتقتيل بعضهم البعض ، الى آخر ما ورد على لسان حضرته من أقوال طائشة لم يقصد بها غير اثارة النفوس وتحريضها على الفتنة والاجرام وان لف القول ودار فى الكلام ، ويقول مصطفى الشوربجى ٠ لا أســـمح لك بكلمـــة « طائشـــة » ويقول مصطفى النحاس للشوربجى : نزه أقوالك ، وافهم معنى كلامك قبل أن تقول اسمح ، أولا اسمح انك انما أردت بالاشارة الى محاكم التفتيش أن تقولوا : ثوروا والجأوا الى العنف واقتلوا بعضكم البعض ونحن لســنا أطفالا لا نفقه معنى الكلام ، بل نحن رجال ووطنيون قبل كل شيء ٠

ويقول مصطفى النحاس ان على ماهر في وقت ما ، قد وافق على اشتراك مصر فى الحرب ولكنه ووزراءه قد عدلوا بعد ذلك خطتهم لأنهم يلبسون لكل حالة لبوسها ٠ وينكر هذا الكلام مصطفى الشوربجى وينفى مصطفى النحاس أن يكون لأية سلطات أجنبية أى دخل فى موضوع اعتقال على ماهر ٠

وبعد بحث فقهى مستفيض يتلوه مصطفى النحاس باشا برد على سؤال مفترض ٠٠ هل يلزم الحاكم العسكرى ٠ باجراء تحقيق ؟ ويجيب هو عن هذا السؤال بقوله : القول بالزام الحاكم العسكرى باجراء تحقيق يؤدى أو لا يؤدى الى التقديم للمحاكمة انما هو قلب للأوضاع ، لأنه يخرج بنا من دائرة الأحكام العرفية الى دائرة الاجراءات القضائية ، وتبعا لذلك لا يلزم الحاكم العسكرى بافشاء أسباب القبض حتى للبرلمان فقد يكون فى افشائها أو اعلانها ما يمس سلامة الدولة والغالب أن تكون الأسباب التى استوجبت القبض هى نفسها التى تحول دون ابداء مبررات الاعتقال ٠

ويشـــترك فى المناقشة توفيق دوس باشا ويتوجـه فى البـداية ـ الى النحاس باشا بالتعزية فى مصابه بوفاة شقيقه ـ ويتحدث حديثـا دسـتوريا رائعا ، ثم يقول : ان عيبنا جميعا اننا نفسر التشريع ، ونحن فى الحكم كاننا خالدون حتى اذا انقلب الوضع وصرنا فى المعارضة أسفنا على تفسيرنا الماضى

الأسف الشديد » كما يقول : ان روح التشريع وروح الدستور ان ينعقد البرلمان روحا قبل ان ينعقد جسدا ، أو بتعبير آخر ، ان يكون البرلمان موضوعا قبل أن يكون شكلا على أنه حتى فى الجسد وفى الشكل ستجدون المعنى البرلمانى لا يتحقق الا مع وجود الحصانة ، اذ لو فرضنا أن البرلمان شكل تشكيلا قانونيا ووجد قائما ، كامل العدد مع عدم وجود الحصانة البرلمانيـة فان أعضـاءه لا يمكنهم ابداء آرائهم لأنهم يكونون اذن على حالة من عدم الاطمئنان لا تساعدهم على ابداء رأيهم حرا ٠ ان الحصانة البرلمانية لا يجوز تعطيلها طبقا للمادة ١٥٥ من الدستور » ٠

ويستشهد توفيق دوس باشا بالسوابق البرلمانية فى العالم كله فيقول : حصل فى فرنسا فى الحرب الماضية ، ان شكا بعض النواب بأن رقابة الرسائل تحت الحكم العرفى امتدت الى رسائلهم ففضتها وأطلعت عليها وان هذا . وهو مجرد رقابة الرسائل – فيه مساس بالحصانة البرلمانية عند ذلك اعتذر وزير الداخلية وأصدرت الحكومة الفرنسية منشورا دوريا لمراقبى البريد بتاريخ ٨ يوليو ١٩١٧ أكدت فيه أن الرسائل الواردة والمعنونة باسم أعضاء البرلمان لا يجوز فى أية حالة فتحها ، ما دام ظاهرا من العنوان صـفة المرسـل اليـه أو ما دام ثابتا على الظرف عنوان مجلس الشيوخ ، أو مجلس النواب فى حالة ما يكون مرسلة من أحد أعضاء المجلس وفى سنة ١٩١٧ عندما رأت الحكومة الفرنسية القبض على النائبين كايودسيو وسالفى وكان الأول وزيرا للداخلية الى جانب عضويتـه فى مجلس النـواب لاتهامهما بالخيانة العظمى لم تتمكن من ذلك الا بعد أن طلبت رفع الحصانة عنهما وكل ما فعلته فى هذا الموضوع أن طلبت طلب رفع الحصانة على وجه الاستعجال فوافقها المجلس ، على ذلك وفى هذه الحرب – الحرب العالمية الثانية – أرادت وزارة مسيو دلادييه القبض على عشرين شيوعيا فقدمت بذلك طلبا للمجلس بتاريخ ٢٠ نوفمبر ١٩٣٩ نظره المجلس بصفة مستعجلة فى نفس اليوم ، وأصدر قراره برفع الحصانة الا أن الحكومة لم تكتف بذلك بل عرضت على المجلس بتاريخ ١١ يناير ١٩٤٠ قانونا باسقاط العضوية عنهم وفى ٢٠ يناير ١٩٤٠ أصدرت قانونا آخر بحرمانهم من حقوقهم السياسية ٠٠ هذه هى البلاد التى أخذنا عنها دستورنا وفى انجلترا أصـــدر البرلمان قانونا فى نوفمبر ١٩٢٩ سـمى قانون الدفاع العـــام Defence General Regulations فوض به المجلسان الحكومة فى القبض على من يقتضى الدفاع عن البلاد القبض عليـه ورغم وجود هذا القانون قبضت الحكومة فى ٢٣ مايو ١٩٤٠ على أحد النواب واسمه كابتن رامزى ولما عرض أمره على مجلس العمـوم ليبحث اذا كان القبض عليه يدخـل فى سـلطة الحكومة طبقا لهذا القانون أم لا وقد وجد أنه ينطبق فأصبح القبض دستوريا ٠

وعندما بدا توفيق دوس باشا يذكر مثلا عن الحصانة البرلمانية فى عدم وجود الأحكام العرفية قال له رئيس المجلس : يحسن قصر البحث عن الحصانة

البرلمانية وقت قيام الأحكام العرفية وقال توفيق دوس : انى أعرف ما أقول ولو أنتظر الرئيس قليلا وسمع ما أريد أن أصل اليه من وراء هذا البحث لسلم معى بنظريتى : لقد حرص سعد زغلول على قداسة الحصانة البرلمانية حتى فى حالة التلبس وذلك حتى لا تحتال الحكومة بالادعاء بوجود حالة التلبس مع عدم وجودها ، وكان من رأى سعد زغلول انه حتى فى حالة التلبس، ينبغى ان تحاط الحصانة البرلمانية بكل سياج يكفلها ويضمن وجودها كاملة ٠

ويتحدث توفيق دوس باشا عن المادة ١٥٥ من الدستور ٠٠ الدستور ، الذى كان هو ـ توفيق دوس ـ أحد واضعيه ، وكان من بين ما قاله ان المادة ١٥٥ لا تجيز تعطيل الحصانة البرلمانية ٠

وينهى توفيق دوس كلمته بقوله : اذا فسرنا قانون الأحكام العرفية تفسيرا خاطئا ، ووصلنا بهذا التفسير ، الى ان الفقرة الأخيرة تبيح كل شىء كان قانون الأحكام العرفية ذاته باطلا لمخالفته للدستور واما اذا فسرنا قانون الأحكام العرفية تفسيرا صوابا بأنه لايجيز الاعتداء على الحصانة البرلمانية فيبقى الاعتداء لامحل له ولا يجيزه القانون كما لا يجيزه الدستور ويوجه توفيق دوس كلمته الأخيرة الى الشيوخ قائلا : هل تحرصون على حرياتكم فى ابداء أرائكم وأفكاركم ورقابتكم للحكومة مراقبة كاملة غير منقوصة فتجعلون أمرها بيدكم ، وحدكم مجتمعين فى مجلسكم أم أنكم تقدمونها قربانا للسلطة التنفيذية ، باسم الحكم العرفى ؟ ان قلتم بالمحافظة على حرياتكم كاملة حرصتم على الدستور ورفعتم راية الحياة النيابية عالية ، ودعمتم بناءها من أساسه الى أعلى ذرا وان تكن الأخرى فالأولى أن ننصرف الى دورنا ولله الأمر من قبل ومن ولا يكون التصفيق الا من اليسار بطبيعة الحال وبعد توفيق دوس باشا يتحدث محمد محمد الوكيل مؤيدا الحكومة فى كل ما اتخذته من اجراءات ويقول انه مقتنع بكل ما قالته الحكومة كل الاقتناع ويطلب من الأعضاء أن يقتنعوا مثله وعندما تعطى الكلمة للدكتور محمد حسين هيكل يبدى ملاحظة ان العدد غير قانونى ويقول له الرئيس : الكلام جائز حتى ولو كان العدد غير قانونى ، ويقول د ٠ هيكل ولكننى سوف أنهى كلامى بعرض اقتراح على المجلس فاذا لم يكن العدد قانونيا فلا أستطيع تقديم الاقتراح ولا يمكن الاقتراع عليه ويبدأ الدكتور محمد حسين هيكل فيروى للمجلس كيف أنه بعث الى الرقيب بمحضر جلسة ٨ أبريل ١٩٤٢ ، ليوافق على نشره ولكنه لم يوافق وهو ـ فى هذه الجلسة ـ يريد أن يعرف هل نحن هنا كاعضاء لنا الحرية التى تسمح لنا بأن نتكلم وهل نعرف الدستور واللائحة الداخلية وهل لنا من التقدير ان نعرف ما يقال وما لا يجب ان يقال ، أم يجب أن نوجه وجهة معينة ٠ ثم يتساءل : هل اذا أبديت رأيا من الآراء أكون مسئولا وأعاقب عليه ؟ ولكن رئيس المجلس يقول للدكتور هيكل : هذا خروج عن الموضوع ولكن هيكل

يقول انه يتكلم فى الموضوع يتكلم عما وقع قبـــل القبض وبعده فهل يراد الا أعرض لذلك ، حتى لا يعلم الناس تفاصيل موضوع الاستجواب ، ويجـد هيكل مقاطعة من بعض أعضـاء المجلس ويناقش د ٠ هيكل ما قاله مصطفى النحاس من انه ليس ملزما بذكر الأسباب « التى من أجلها قبضت على على ماهر ولكم أن تقرروا بعد ذلك الثقة بى أو تقرروا عدم الثقة » ويقول د٠ هيكل : كيف يمكن أن يعطى الأعضاء التقة للحكومة التى لا تثق فيهم ، ويشير د٠ هيكل الى ما حدث فى الرايخستاغ ـ البرلمان الألمانى ـ عندما طلب جرونج مساعد هتلر ، ان يفوض النواب الفوهرر ، سلطات مطلقة يتصرف بها كيف يشاء ٠ ثم يقول : لو ان مجلس الوزراء هناك وجد نصا يجيز ما يذهب النحاس باشا اليه هنا لما كان فى حاجة الى الطلب الذى طلبه هتلر من مجلس الرايخستاغ ٠

وينهى د ٠ هيكل كلمته بقوله : ان المسألة تتعلق بأمن مصر وسلامتها ، فهل يبقى هذا الأمن قائما فى ظل الديمقراطية أو لا يبقى قائما ، الا فى ظل التكتم والحلقات المفقودة : احكموا ولا أقول لكم بأن اليوم غير الغد وغير الأمس بل أقول احكموا وراقبوا الله فهو الذى يعلم ما فى الضمائر وهو الذى يغير ولا يتغير ! » ٠

وعندما تعطى الكلمة للاستاذ عازر جبران يتنازل عنها للأستاذ محمود غالب وعندما يسأله رئيس المجلس هل هو متنـازل عن دوره ، أو عن كلمته يقول انه يتنازل عن الكلمة ، ولم يكد محمود غالب يبدأ كلمته بقوله : لقـد قال رفعة رئيس مجلس الوزراء أن مراقبـة البرلمان يكتفى فيهـا بالثقة قال صبرى أبو علم ـ وزير العدل ـ ان هذه العبارة تشعر بتجريح لمجلس النواب ، ويقول محمود غالب انى أعرض على رفعة النحاس باشا لأنه طلب الثقة من غير ان يذكر الأسباب التى دعت الى القبض على رفعة على ماهر باشـا ويقول صبرى أبو علم ، هذا حق من حقوق مجلس النواب ، صاحب الكلمة الأخيرة فى الثقة كما يقول رئيس المجلس لا يجوز نقد أى عمل من أعمال مجلس النواب ، وعبثا حاول محمود غالب ، أن يوضح وجهة نظره لكثرة مقاطعة صبرى أبو علم، له ، ولمقاطعة أغلبية المجلس . وحتى عندما انتقل الى موضوع آخر قامت ضجة أخرى وخاصة عندما قال :

ان الرأى الذى يبدى من غير أسباب ليس له قيمة دستورية فقد يصيب الشخص أو يخطىء مادام صاحب التصرف بشرا ليس معصـوما من الخطـأ ، وتكون النتيجة على هذا الوضع أن الحاكم العسكرى حاكم بأمره غير خاضع لرقابة البرلمان الذى يستمد منه سلطته وهو وضع خطير غير دستورى لا يقره الا المؤمنون بالدكتاتورية أو بالزعامة المقدسة ٠

ويقول محمود غالب ، ان أمر اعتقال على ماهر ، لم يصـدر بنـاء على تقارير سرية بل ترتب على حضوره لمجلس الشيوخ والشكوى اليه ، ويقاطعه

رئيس المجلس بدعوى أنه يكرر ما قاله الشيوخ ، الذين سبقوه وينفى محمود غالب انه يكرر ما قيل ثم يؤكد ان على ماهر عندما رأى ان العاصفة اشتدت وأصبحت لا تطاق اضطر للرجوع ، الى المجلس ليشكو اليه أمرا لا ليرتكب جريمة وأظن ان هذا الاجراء ما كان يستحق القبض عليه ، أو اعتقاله ٠

« لقد طلب من المرحوم حسن صبرى باشا ثم من دولة حسين سرى باشا اعتقال أو أبعاد على ماهر فابيا أن ينقادا لهذا الطلب واستطاعا ، اقناع الانجليز بأنه لا محل لاجراء عنيف كهذا ، وانه لا خطر من تركه حرا فهل يرضى رفعة النحاس أن يكون أقل حرصا من سلفيه على الحريات والكرامات والاستقلال وأن يذهب الى مجاملة ٠٠

وتخلو المضبطة من بقية الكلمات لأن رئيس المجلس قال : لا ينبت شيء من هذه الألفاظ فى المضبطة ٠ وتبقى الأسطر خالية الا من نقط سوداء متراصة ، فهل يستطيع أحد أعضاء مجلس الشيوخ ممن بقوا على قيد الحياة وشهدوا تلك الجلسة أن يكمل تلك الكلمات ٠

على أية حال لقد انهى محمود غالب ــ وزير العدل الأسبق ــ كلمته بأنه كان الأولى والأخلق برفعته أن يتجاوز عن مخالفة على باشا لامره ان كانت هنـــاك مخالفة ويعود الى الاكتفاء بالمراقبة التى يراها ضرورية لابعاد الخطر الموهوم المزعوم ، أو أن يجرى تحقيقا يحق الحق ويزهق الباطل ويطمئن الناس على عدالة النحاس ٠٠

ويحاول مصطفى الشوربجى أن يرد على مصطفى النحاس لأنه ذكر فى بيانه مسائل تخصه هو فتنطلق ــ وللأسف ــ أصوات : العدد غير قانونى ، وينادى الرئيس ــ الذى كان منذ فترة قصيرة ، يقول ليس مهما ، العــدد ــ ينادى على الأســماء فيثبت أن عدد الحاضرين ٦٥ عضــوا ، والعدد القانونى ٧٣ ٠ وترفع الجلسة فى منتصف الليل ــ ليلة ٦ مايو ١٩٤٢ ٠

وفى الجلسة التالية ــ جلسة ٧ مايو ــ يحــاول مصطفى الشوربجى أن يرد ، فلا يسمح له رئيس المجلس بالرد ويطلب مصطفى الشوربجى ، أن يثبت فى مضبطة الجلسة : اننى طلبت الرد على التهم التى وجهت الى فلم يقبل طلبى ٠

ويبــدأ رئيس المجلس بعرض ما تلقــاه من اقتراحات فى الاستجواب : اقتراح بالانتقال الى جدول الأعمال وآخر بأن الحصانة البرلمانية ليست من الأحكام التى يجوز تعطيلها طبقــا للمادة ١٥٥ من الدستور وثالث بعرض استجواب مصطفى الشوربجى على لجنة الشئون الدستورية ، واقتراح رابع بأن يقــرر المجلس انه لا يسعه أن يقر اعتقال على ماهر قبل الوقوف على الأسباب المبررة لاعتقاله للاقتناع بها ، وتقف أغلبية كبرى الى جانب الانتقال الى جدول الأعمال وينتقل المجلس ــ كما هى العــادة ــ دائما عقب كل اســتجواب ــ الى جدول الأعمــــال ٠ ٠

الفصل السابع

قضية المعتقلين السياسيين
تثار ـ بعنف ـ فى مجلس الشيوخ

وحتى نكمل كل ما يتعلق بقضيه اعتقال حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا رئيس مجلس الوزراء والحاكم العسكرى العام لزميله حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا ، رئيس مجلس الوزراء والحاكم العسكرى السابق ، تبقى كلمات عن تلك القضية بعضها ورد فى شهادة على ماهر باشا فى قضية الاغتيالات السياسية ـ مقتل أمين عثمان باشا ـ وبعضها الآخر ورد فى الوثائق البريطانية .

حاول فى البداية على ماهر باشا ، أن يتجنب الحديث عن أيام اعتقاله لانه يدعو الى وحدة الصف ولا يريد العودة الى الماضى ، وكان على ماهر لا يتحدث عن أيام الاعتقال الا بأنها أيام الأسر ، والأسر لا يكون الا من الأعداء للأعداء .

سئل على ماهر لحساب أى جهة كان أسركم ؟ وأجاب على ماهر ، الاعتقال كان لحساب الحكومة البريطانية وكانوا يعدوننى أسير حرب وبدأوا المطالبة بذلك فى عهد حسن صبرى باشا فرفض وكرروا الطلب فى عهد حسين سرى باشا ، وكان يحاول أن ينفذ الطلب فوجد من البرلمان المصرى ، استنكارا وتم الاعتقال فى عهد النحاس باشا ، وهذا ما أريد أن أنساه لانى أريد أن تنسى البلد الماضى ، وانما يصح أن أقرر أننى كنت فى القصر الأخضر والنحاس باشا ، اتصل بى تليفونيا وقال أنه مريض ، ويريد مقابلتى ، فقلت له أنا أجيلك ووجه لى كلاما بأنى متهم أنا وجلالة الملك والشيخ المراغى بأننا نريد عمل ثورة فى الأزهر ، وأنه عنده أوراق فقلت له أن الذى دبر ذلك أساء التدبير ، ومع كونى أحب الأزهريين فلا يوجد اتصال لى الا بهيئة كبار العلماء ، والواقعة مختلقة من أولها ، الى آخرها ، فاعرض أوراقك وتكلم فلم يقبل فقلت ليس لك عندى طلبات وكان يريد أن يعتبر أن عودتى الى القصر الأخضر بناء على طلبه فقلت له ، انى لا أريد التقيد بأى قيد » .

وسئل علي ماهر ، ما هي الجهات التي اعتقلت فيها ؟ فقال كنت أولا فى الصحراء الغربية ثم نقلت الى السرو ثم الى العياط ، وكل هذا بناء على موافقة السفير البريطانى ، لدرجة أنى كنت مريضا بالمستشفى العسكرى ، وجاء الأمر أن أسافر الى السرو وكانت درجة حرارتى ٣٨ر٥ وجابوا واحد باشا عسكرى يخرجني فلم يجرؤ فقالوا انهم سيحاكمونه ، ثم خمسة لواءات وسافرت الساعة ٨ ووجدت المكان غير مستعد ، وهناك ناموس ويسأل على ماهر من الأستاذ حمادة الناحل ما هي المعاملة التي عومل بها رفعته ــ كشاهد ــ فى فترة اعتقاله واختلافها عن معاملة باقى المعتقلين . ويقول على ماهر : جميع المعتقلين كانوا معتقلين لحساب وزارة الداخلية وأنا كنت فى حالة أسر وكنت فى منطقة الجيش البريطانى وكنا نستلف منهم المياه ، وكانت القنابل تسقط يوميا فوق رءوسنا من الطيارات ونفس الضباط المصريين كانوا متضايقين من الحراسة فى مثل هذه المنطقة وفى البداية منعوا عني كل شيء ثم طلبت جهاز راديو فرفضوا الطلب فقلت لهم أنتم تصرحون للأسرى الألمان بأجهزة الراديو فهل أعامل وأنا المصرى أقسى من معاملتكم للألمان وأخيرا أعطونى راديو على ألا أسمع الا اذاعة مصر . ويقول الأستاذ حمادة الناحل : أنى أعرف شخصيا أنك كنت تعامل معاملة شاذة وكان الحاكم العسكرى المسئول هو النحاس باشا ، ويسأل حمادة الناحل ، على ماهر باشا : هل منعت رفعتك من تشييع جنازة شقيقك ؟ .

ويقول على ماهر : حصل ، ويقول حمادة الناحل : هل حصل ، انهم طبعوا لرفعتكم جرائد خاصة للتأثير على أعصابكم ، ويقول على ماهر : كان فيه استجواب بمجلس الشيوخ خاص باعتقالى فكتبت لرئيس الوزراء ورئيس الشيوخ خطابين وطلبت محضر الجلسة وسلمت الخطاب للواء العسكرى المشرف على أعمالى الخاصة فقال أنا متأكد ألا فائدة فقلت لازم توصلهم ، فوصلهما واستلمهما النحاس باشا واحتفظ بهما حتى أنه لم يسلم جواب رئيس الشيوخ ، اليه ، ويسأل على ماهر أيضا هل حدث خلال فترة اعتقالك وانتقالك بين المعتقلات أن احتجت الى استعمال المسدس ، الذى كنت تحمله وما مناسبة ذلك ؟ وقال على ماهر : كنت فى العياط وجاءنى قائد المدفعية المصرية ، وقال أنه مكلف بنقلى الى السرو والمبنى فى السرو حالته سيئة وبه ناموس ومادة بنائه تجعل الحرارة شديدة جدا وبعض المعتقلين كانوا يقولون « قنابل هتلر ولا ناموس السرو » وقال لى حارسى ، وهو من أحسن الضباط ، أنه سيكون فى خدمتى فى السرو ، فقلت له أنا لن أنتقل من هنا ، وكل من يتقدم لى سأقاومه بالسلاح ويأخذوننى ميتا ، لا حيا ، ولما كانت هذه المنطقة لا توجد فيها مياه صالحة للشرب فقد طلبت عمل بئر جديدة لان وزارة الدفاع ومصلحة الحدود كان عندهما ، استعداد لحفر آبار فى الصحراء وكانوا جابوا المواسير والعدد ، فلما فكروا فى نقلى الى السرو منعوا حفر البئر » .

ومن بين ما جاء فى الوثائق حول على ماهر باشا ، واعتقاله أنه عندما كان على ماهر باشا فى الحكم طلب منه السفير البريطانى اعتقال اسماعيل صدقى ،

وتوفيق دوس ، واحمد كامل لانهم اعضاء فى مجالس ادارات شركات ألمانية وكان رد على ماهر ، أنه لا يستبعد أن يكون هناك بريطانيون فى مجالس مثل هـذه الشركات ، لأن ألمانيا قبـل الحرب كانت دولة صـديقة ٠ وقد سبق أن تحدثنا عن الانذار البريطانى الذى قدمته بريطـانيا الى فاروق فى ١٧ يونيو ١٩٤١ من أجل عزل على ماهر وقد استقال فعلا على ماهر يوم ٢٣ يونيو وقبل فاروق الاستقالة بعد أربعة أيام وقد حاول على ماهر ، ألا يقطع العلاقات ، بينه وبين السفير البريطانى حتى بعد استقالته أو اقالته بمعنى أدق فيعتذر اعتذارا رقيقا عن عدم استطاعته حضور الحفلة ، التى أقامها لامبسون لمستر ايدن ويلمس لامبسون ـ كما يقول فى مذكراته ـ حرارة الاعتذار وصدقه وعنـدما يدعى على ماهر من قبل السفير البريطانى لحفلة تعميد ابنه فيكتور يعتذر على ماهر ، ويرسل لفيكتور لامبسون ملعقة ، وكوزا مع خطاب اعتذار رقيق ٠

ورغم هذا الحرص من جانب على ماهر ، على ألا يقطع شعرة معاوية بينه وبين السفير البريطانى الا أن السفير البريطانى كان يضع على ماهر فى مقدمة خصوم بريطانيا وأنه ـ أى على ماهر ـ وراء تشيع فاروق ، للمحور ! ويلعب حسين سرى باشا دورا هاما فى الوقيعة بين على ماهر وبين السفير البريطانى ويلقى حسين سرى فى أحاديثه مع السفير البريطانى مسئولية ما يجرى فى القصر من تشيع للمحور ومعاداة له ولحسين سرى وللبريطانيين على ، على ماهر ، شخصيا وان كان حسين سرى ـ لضعف مركزه ـ يجبن عن اعتقال على ماهر ٠

ويحرص على ماهر فى يومى ٣ ، ٤ فبراير ١٩٤٢ ، على أن يبتعد عن دائرة النشاط السياسى حتى لا يسىء الى الملك أو حتى لا يؤدى تدخله الى تشدد فى الموقف البريطانى ٠

وكان حسين سرى أول سـياسى مصرى اقترح على السـفير البريطـانى ابعـاد على ماهر فورا ذلك الذى يواصـل ـ كما قال حسين سرى للسـفير البريطانى ـ دوره الخبيث ، ويقول السفير البريطانى لحسين سرى ـ فى ٢٨ فبراير ١٩٤٢ ـ أى بعد تأليف النحاس باشا لوزارته بثلاثة أسابيع : اننى أعتقد أن النحاس باشا يعتزم أن يتولى أمر ،على ماهر ، ولكننى أشعر انه ينتظر حتى يتدعم مركزه فى البلاد ، بالانتخابات التى ستجرى فى مارس ، ولكن حسين سرى باشا السياسى المصرى يقول أن هذا يعنى الانتظار فترة طويلة وما دام على ماهر موجودا فاننا سنظل نشـهد حوادث ولن تكون علاقاتنا بالقصر سليمة واقترح حسين سرى باشا ـ برقية رقم ٦٩٦ بتاريخ ٢٨ فبراير ١٩٤٢ من السير مايلز لامبسون الى وزارة الخارجية ـ ابعاد على ماهر ، الى عزبته وتحديد اقامته هناك « واذا استطاع النحاس باشا أن يرسله الى الخارج فان هذا سيكون أفضل ولكن اذا رفض على ماهر فليست هنـاك وسيلة قانونية لارغامه على ذلك » ٠ ويقول السفير البريطانى لحسين سرى باشا ردا على ذلك أننى آمل

أن يطلب منك النحاس فى النهـــاية تولى منصب رئيس الديوان الملكى ويجيب حسين سرى : ان النحاس باشا لن يقبل حتى يتم التخلص من على ماهر ·

وكان السفير البريطانى قد ذكر فى برقيته رقم ٥٢٥ ، بتاريخ ٧ فبراير المرسلة منه الى وزارة الخارجية البريطانية ــ وفى أول زيارة رسمية للنحاس باشا كرئيس للوزارة ــ ان النحاس باشا قال له ــ السفير البريطانى ــ أنه عالج بالفعل مسألة المراغى ، والأزهر وأنه ــ أى النحاس باشا ــ يقدر الحاجة الى مواجهة على ماهر ، ومثل هذه العناصر ، الشريرة بمن فى ذلك محمد محمود خليل ، ويقول السفير أنه أكد للنحاس باشا استعداده لمساعدته ، اذا وجدت صعوبات » ·

كما يقول السفير البريطانى أنه التقى بالنحاس باشا فى مأدبة وأنه أرسل له يجدد طلبه الخاص بابعاد على ماهر فورا وان النحاس باشا قال انه يوافق اليوم تماما ، على هذا الاجراء ولكن المسألة مسألة توقيت انه يريد أن يدعم مركزه بدرجة أقوى ، أولا ·

ويقول السفير البريطانى أنه قال للنحاس باشا مرتين فى الماضى أن المسألة عاجلة ولا تحتاج الا الى أيام وأنه ــ أى النحاس ــ كان دائما يطلب وقتا ·

وما جاء فى الوثائق البريطانية يؤكد ــ عكس ما قاله النحاس باشا فى مجلسى النواب والشيوخ ــ أن اعتقال على ماهر باشا كان بأمر من الانجليز بدليل ما جاء فى برقية ٧ فبراير ١٩٤٢ ولم يكن النحاس باشا قد أكمل يوما واحدا فى الوزارة ، برزت قضية ابعاد على ماهر على لسان السفير البريطانى ·

فى البرقية رقم ٧٢٠ « ٥ مارس ١٩٤٢ » من السفير البريطانى الى وزارة الخارجية البريطانية يروى السفير ما دار بين الملك والنحاس باشا لمدة ساعة : فى صباح يوم ٥ مارس يبلغ النحاس باشا الملك أنه رتب مع السفير البريطانى بهدوء دفن قضية عزيز المصرى ولكن الملك لم يتحرك ووصف هذا الأمر بأنه محض دعاية · ويثير النحاس مع الملك موضوع الايطاليين الذين يعملون بالقصر فيقول الملك أنهم سيذهبون ولكنه سيحتفظ بثلاثة منهم بالاضافة الى بوللى ·

وينتقل ــ كما تقول برقية السفير ــ النحاس بعد ذلك الى ما وصفه للملك فاروق بأن أخطر مسألة لديه هى مسألة على ماهر ، بدأ الغضب على الملك فاروق وسأله لماذا ؟ قال النحاس أنه يكره على ماهر منذ عام ١٩٣٧ وقال أن على ماهر ألحق أضرارا بالغة بمصر وبالملك فاروق ، وبسببه وقعت أحداث ٤ فبراير ·

وقال النحاس : أنه فى احدى الفترات فكر فى ارساله الى السودان ، ولكنه قرر ألا يفعل ذلك ، وسيأمره الآن بالبقاء فى عزبته دون أن يرى أحدا أو يخرج دون اذن ·

عند هذا الحد ــ كما تقول البرقية ــ ظهر الغضب على وجه الملك ، ويؤكد النحاس أنه لن يعمل مع على ماهر ، على الاطلاق ويقول النحاس للامبسون ، أن الملك لم يظهر أى تغيير فى موقفه ، كما يقول النحاس باشا أنه أعلن تصميمه ــ ما دام رئيسا للوزراء ــ على أن تكون مصر مكانا أمينا لكل بريطانى وبخاصة القوات البريطانية ويسخر الملك من النحاس باشا ، ويقول له ، ولكن البريطانيين لم يقفوا دائما الى جانبه ــ جانب النحاس باشا ــ فهم ــ مثلا ــ لم يساعدوه عام ١٩٣٧ وهم لم يساعدوا حسين سرى و ٠٠ و ٠٠

ويقول النحاس أنه لا يعبأ بما اذا كان البريطانيون قد ساعدوه أم لا ، وأنه ــ أى النحاس ــ ملتزم بالدفاع عن الديمقراطية ومساعدة الديمقراطية • ويقول النحاس أنه يتمسك بالسير مايلز لامبسون وأنه يثق فى أن الملك سيفعل ذلك أيضا واذا سمع النحاس ــ أى شىء من هذا القبيل ــ شائعات عن نقل السفير البريطانى ، كانت تخرج من القصر ذاته ــ أى النحاس ــ سيكون آسفا جدا ، ويقول النحــاس للملك ، أنه لا يثق فى حسن نشأت وأنه مصر على استدعائه وأنه سيعامل صالح حرب رئيس الشبان المسلمين بنفس الطريقة ، التى سيعامل بها على ماهر ، وقد حاول فاروق أن يسوف فى موضوع صالح حرب ، ولكن النحاس رد بأن صالح حرب لا يمثل مشاعر المسلمين ويقول النحاس أنه قال للملك : اننى أخلص أصدقائك وانى أعمل فى سبيل مصر ، التى يجب أن تكون مصالح الملك أيضا ، وقد صاح الملك ، وهو يقول للنحاس : لا أريد دروسا وتقول برقية السفير البريطانى : ما سلف ذكره هو رواية النحاس باشا نفسه وبكلماته ! وفى النهاية تقول البرقية : أن النحاس باشا أمر بحل البوليس الخاص يوم الاثنين القادم وهوجهاز أنشأه على ماهر ، كأداة من أدوات القصر ، وسيتولى النحاس باشا يوم السبت ــ كما تقول البرقية أيضا ــ مسألة على ماهر ، وصالح حرب •

ولكن برقية تخرج من السفارة البريطانية تقول ــ بعد ٤٠ يوما ، من البرقية السابقة الذكر ــ أن سلوك النحاس أصبح غير مرض يوما بعد يوم ، أنه متردد ، ويبدو أنه وصل الى نوع من التفاهم مع الملك ويعرف النحاس بأمر البرقية عن طريق السفير ، وأمين عثمان ، ويعتقل على ماهر وعباس حليم ، ومحمد طاهر وعمر الفاروق ٠٠ !

ويقول الزميــل الأســتاذ محسن محمــد الذى قدم الكثير من الوثائق البريطانية فى كتابه « التاريخ السرى لمصر » : الذى يطالع الوثائق البريطانية يجد أن بريطانيا ضغطت كثيرا على النحاس باشا لاعتقال على ماهر وعباس حليم ومحمد طاهر ، وعمر الفاروق وقد وجدت هذا الموضوع فى برقيات كثيرة تم تبادلها بين القاهرة ولندن ، والخرطوم ، قرأت برقية بعث بها ايدن الى سفيره يشكو من تصرفات النحاس ، ويقول اننا لم نجد عمنا : كل ما سمعناه وتلقيناه مجرد كلام ، وهذه البرقية هى السبب فى تحديد اقامة على ماهر فى

مزرعته بالقصر الأخضر ، قرب الاسكندرية مع مراقبة تليفونه ، ولما استطاع على ماهر الهرب من القصر الأخضر والوصول الى مجلس الشيوخ بالقاهرة أثناء اجتماعه اعتقد على ماهر ان الحكومة لن تجرؤ على اعتقاله داخل حرم المجلس ولكن الضغط الذى يطل من البرقيات هو السبب ، وهو المسئول الوحيد عن تجاهل الحكومة حتى مراعاة الشكل : فى مذكرة مقدمة لوزير الخارجية البريطانية بتاريخ ١٧ مارس نجد سر المطالبة باعتقال على ماهر والآخرين وضرورة ابعاد الايطاليين من القصر ، وتقول المذكرة أن بعض تصرفات فاروق عام ١٩٣٩ كانت موضع شك و ٠٠ و ٠٠ وتقول البرقية : من المستحيل تغيير ما فى نفس الملك ، ولكن يمكن تقليم أظافره وجعله بلا قدرة على الايذاء اذا أبعدنا من حوله العناصر المعادية لنا ، وفى كل مرة حاولت فيها ذلك كانت الحكومات المتعاقبة فى حاجة الى تأييد فاروق ولا تستطيع أن تدخل معه فى صدام مباشر أما الآن فلدينا حكومة وفدية تريد الحد من نفوذ القصر وانها تستطيع أن تتخذ أية خطوة ضد رجال القصر كجزء من سياستها وستكون ميزة كبيرة لنا ، اذا استطعنا أن نجعل النحاس يحارب لنا معركتنا والتعليق الوحيد — محسن محمد — هو أن النحاس قد قام بالمهمة فعلا ٠

والجدير بالذكر أن مكرم عبيد باشا وقد كان دائما المتحدث الرسمى للوفد المصرى والمدافع الأول عن سياسته لم ينطق بكلمة واحدة ، لا فى مجلس النواب ، ولا فى مجلس الشيوخ ولم يدل بأى حديث صحفى ، أو غير صحفى عن موضوع اعتقال على ماهر باشا وان كانت بعض الدوائر الوفدية قد راحت فيما بعد — اشتداد الخلاف بين مصطفى النحاس باشا ومكرم عبيد باشا — وكما هى العادة عند نشوب خلاف أو اختلاف بين الأصدقاء والزملاء — تقول أنه كان لمكرم عبيد يد فى اعتقال على ماهر باشا وذلك على النحو الذى سنفصله فى حينه ، عندما نتحدث عن أشهر خلاف بين زعيمين سياسيين مصريين ضرب بصداقتهما وزمالتهما المثل ، ونعنى بالزعيمين ، مصطفى النحاس ، ومكرم عبيد ٠

ونختتم الكلام فى موضوع اعتقال النحاس باشا لعلى ماهر بوثيقتين سياسيتين هامتين خاصتين بهذا الموضوع ، أولاهما بلاغ صدر عن سكرتيرية مجلس الوزراء بتاريخ ١١ ابريل ١٩٤٢ جاء فيه : أن الحاكم العسكرى العام ، عملا منه على توفير جميع أسباب الراحة والصحة والخدمة والمعيشة اللائقة لحضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا الذى اقتضت اعتبارات خاصة بسلامة الدولة وأمنها اعتقاله قد أصدر اليوم أمره بنقل مقامه الرفيع الى سراى المسيو تورتليا بالرابعانيات وتخصيص هذه السراى وحديقتها لاقامته طوال مدة اعتقاله أو الى حين صدور أمر آخر وهذه السراى لا تبعد عن الاسكندرية أكثر من مسيرة ساعة ونصف ساعة بالسيارة وتقع فى جهة مشهورة بحسن المناخ وتتوفر بها أحدث معدات الراحة والحياة الفاخرة على أفضل وجه وأكمله ٠

وقد نفذ هذا الأمر بعد ظهر أول من أمس ·

أما أسباب الاعتقال فان المصلحة العـــامة تحول دون ذكرها بالتفصيل ولذلك يكتفى حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا أن يعلن أنها تتعلق بأمور خطيرة كانت تدور حول رفعة على ماهر باشا وأنه تحدث مع رفعته طويلا فيها فاتفق رأيهما على أن يلزم حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا عزبته بالقصر الأخضر تلافيا لما قد تفضى اليه هذه الأمور من اضرار بمصالح البلاد وتعهد رفعته بذلك فلما أخل بتعهده وغادر القصر الأخضر خفية خيف أن يقع الضرر الذى أريد تلافيه فلم يكن هناك مناص من اصـدار الأمر باعتقاله حرصا على المصلحة العامة بل وحرصا على مصلحته الشخصية نفسها ·

وكان نص قرار الحاكم العسكرى العام ، كما يلى :

القاهرة فى ١٠ ابريل سنة ١٩٤٢

نحن مصطفى النحاس باشا الحاكم العسكرى العام

بعد الاطلاع على المرسوم الصادر فى أول سبتمبر سنة ١٩٣٩ باعلان الأحكام العرفية ·

وبعد الاطلاع على أمرنا المؤرخ ٨ ابريل سنة ١٩٤٢ بالقـاء القبض على حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا واعتقاله مؤقتا بسجن الأجانب ·

وبمقتضى السلطة المخولة لنا بالمرسوم الصادر فى ٧ فبراير سنة ١٩٤٢ ·

وبعد أخذ رأى وزير الدفاع تقرر ما هو آت :

١ ـ ينقل فورا حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا من سـجن الأجانب الى سراى المسيو تورتليا بالرابعانيات التابعة لمحافظة الغرب وتخصص هذه السراى والحديقة المحيطة بها لاقامة رفعته طول مدة اعتقاله أو الى حين صدور أمر آخر ·

٢ ـ يمنع منعا باتا اتصال رفعته بخـارج السراى المذكورة وحـديقتها ولا يسمح بزيارته الا بتصريح منا وتقام عليه خارج السراى وحديقتها حراسة دائمة ليلا ونهارا ·

٣ ـ يندب اللواء على حسن شريف باشا للاشراف على تنفيذ أمر النقل ومنع الاتصال والحراسة وعلى توفير جميع أسباب الراحة والصحة والخـدمة والمعيشة اللائقة بمقامه الرفيع على أحسن وجه وأكمله وتكون جميع النفقات على حســاب الحكومة بما فى ذلك أجور السفر للأشخاص الذين يصرح لهم بزيارته ·

٤ — على وزير الدفاع ووكيل الداخلية لشئون الأمن العام تنفيذ أمرنا هذا كل منهما فيما يخصه .

القاهرة فى ١٠ ابريل سنة ١٩٤٢ مصطفى النحاس

وبذلك ننهى الحديث عن قضية اعتقال على ماهر باشا ، لنبدأ الحديث عن قضية أخرى لا تقل أهمية عن قضية اعتقال على ماهر باشا ، ونعنى بها قضية المعتقلين السياسيين التى أثيرت — فى مجلس الشيوخ — بعد اثارة قضية اعتقال على ماهر باشا فقد حدث تغيير فى رئاسة مجلس الشيوخ بعد انتهاء الاستجواب الخاص باعتقال على ماهر باشا ولم تنفع كل مظاهر الود التى أظهرها محمد محمود خليل بك ، رئيس المجلس تجاه الوفد ولم تنفعه أيضا كل مظاهر العنف التى أظهرها تجـاه صديقه القديم على ماهر باشا عند نظر قضيته فى المجلس فقد أصر الوفد المصرى على عدم تجديد رئاسته للمجلس وكان واجبا على محمود خليل وهو السياسى المحنك أن يعرف جيدا أن التجديد له من رابع المستحيلات لا لأنه غير وفدى وحسب بل لأن للسفير البريطانى عليه العديد من المآخذ ، التى جعلته يعده فى صفوف اعداء بريطانيا فى مصر كما تشهد بذلك برقيات السفير المرسلة منه الى وزارة الخارجية البريطانية وقد أختير لرئاسة المجلس الأستاذ على زكى العرابى باشا الذى كان وزيرا للمواصلات فى وزارة الوفد الرابعة ثم أختير لنفس الوزارة عندما شكل النحاس باشا وزارته ، فى أعقاب مأساة ٤ فبراير ١٩٤٢ وقد تلى المرسوم الخاص بتعيين على زكى العرابى باشا رئيسا لمجلس الشيوخ فى جلسة ١٢ مايو ١٩٤٢ التى رأسها على كمال حبيشة بك وكيل المجلس وكان مرسوم تعيين على زكى العرابى باشا ، قد صدر فى ٧ مايو ١٩٤٢ وبعد تلاوة المرسوم اعتلى الرئيس الجديد منصة الرياسة .

وألقى كلمة رفع فيها للملك وافر الشكر وعظيم الولاء ، والاخلاص ثم تحدث عن مسئوليته الكبرى فى كفالة الحرية التامة فى التعبير عن الفكر وابداء الرأى فى حدود الدستور واللائحة الداخلية والقوانين « ما دامت المصلحة العامة هى رائدنا جميعـا فلن يضيرنا اختـلاف الآراء بل ان فى تبادلها ما يضمن جلاء الحقيقة التى ننشدها ولن تقوم الحياة النيابية على أساس صحيح الا اذا توفرت هذه الحرية فى هذه الحدود ، لكل من حضرات الأعضاء وغنى عن البيان أننى ما جئت الى هنا لتوفيرها وحراستها » وتوجه أيضا على زكى العرابى بالشكر لرئيس مجلس الوزراء ولحضرات أصحاب المعالى الوزراء على ما حبوه به من ثقة وتقدير ، ويهنىء النحاس باشا — باسم الحكومة — على زكى العرابى كما يعلن تقديره للرئيس السـابق على ما أداه للمجلس الموقر أثنـاء رياسته من الأعمال القيمة وما وضع من تقاليد برلمانية نظمت العمل فى المجلس ، وفى اللجان » كما يهنىء الرئيس الجديد كل من لويس فانوس وتوفيق دوس فقط دون أن يهنئه أحد من الأحزاب المعارضة ، ومن بينها الحزب الوطنى ! .

وفى نفس الجلسة يوجه العضو الوفدى محمد عطية الناظر سؤالا الى رئيس الوزراء عن اعتقال فريق من المصريين ، ويجيب صبرى أبو علم وزير العدل نيابة عن رئيس الوزراء ، أن جميع من قبض عليهم فى عهد الوزارة الحاضرة من المصريين وجهت اليهم تهمة معينة اقتضت القبض عليهم وكلفت النيابة العسكرية بالتحقيق فيها ، وذلك عدا حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا وقد نوقش أمره أمام هذا المجلس فى الأسبوع الماضى

وفى الجلسة التالية من جلسات مجلس الشيوخ « ٢٠ مايو ١٩٤٢ » نعلن استقالة على حسن باشا وزير الأشغال ولا يعرف سبب الاستقالة كما يعلن تعيين عبد الفتاح الطويل باشا وزيرا للمواصلات ومحمد عبد الهادى الجندى بك وزيرا للأوقاف ، وعبد الحميد عبد الحق وزيرا للشئون الاجتماعية ومصطفى نصرت وزير للوقاية المدنية ، وعبد الواحد الوكيل بك وزيرا للصحة وكذلك أحمد حمزة وزيرا للتموين وكان تعيين وزير جديد للتموين من بين الأسباب التى أدت الى ازدياد رقعة الخلاف بين النحاس باشا ، ومكرم عبيد باشا وقد عين عبد الواحد الوكيل عضوا فى مجلس الشيوخ فى المحل الذى خلا باستقالة عبد العزيز فهمى باشا .

وفى هذه الجلسة أيضا يناقش الاستجواب الموجه الى رئيس الوزراء من عبد الرحمن الرافعى عن المعتقلين السياسيين ، ويتحدث صاحب الاستجواب فى البداية طالبا من زملائه الأعضاء أن يصغوا اليه فى هذا الاستجواب ، اصغاء كريما كعادتهم « لاننى أشعر وقد سبقنى قرار المجلس فى الاستجواب الخاص برفعة على ماهر باشا وهو الخاص بالحصانة البرلمانية وأشعر اننى فى حاجة الى بذل مجهود أكبر لاقناع حضراتكم بوجهة نظرى لذلك فكل ما أرجوه منكم أن تؤجلوا تكوين رأى فى هذا الاستجواب حتى تتفضلوا بسماع أقوالى الى نهايتها » .

ويقول الرافعى : فى شهر أكتوبر ١٩٤١ فى عهد الوزارات الماضية ترامى الينا أن فريقا من المصريين ومعظمهم من الشبان المثقفين معتقل منذ مدة تربو على عدة أشهر وقال لنا أصدقاؤهم وأقرباؤهم وذووهم أن هؤلاء المعتقلين مسجونون ومضت عليهم بضعة أشهر دون أن يحقق معهم ودون أن توجه اليهم أية تهمة فهالنا الأمر وظننا بادىء الأمر أن هناك تهما جسيمة توجه الى هؤلاء المعتقلين ونحن نعرف أن كثيرا من التهم قد تستدعى تحقيقات طويلة تستغرق عدة أشهر فقيل لنا كلا ليس هناك تحقيقات ولا تهم وانما هو اعتقال سياسى ، اعتقال مقصود منه الحبس بدون سبب قانونى ولا نعرف له مدة معلومة . ويقول عبد الرحمن الرافعى أنه قد سبق أن قدم عدة أسئلة حول هذ الموضوع كان من بينها سؤال بتاريخ ١٤ نوفمبر ١٩٤١ والى أن المرحوم يوسف الجندى ، كان قد تقدم باستجواب حول هذا الموضوع أيضا فى ٩ ديسمبر ١٩٤١ تأجل

النظر فيه الى أربعة أسابيع ، ولما توفى الأستاذ يوسف الجندى ــ الشيخ الوفدى ــ تمسكت بهذا الاستجواب وهو المطروح الان على حضراتكم ، فهذا الاستجواب مصدره منكم ، ولكم أن تفخروا بذلك ، كما أن هذا الاستجواب له من هذه الناحية حقوق عندكم ولا يضيع عندكم حق » ويقول عبد الرحمن الرافعى : أنه بعد أن شكلت الوزارة الوفدية كان يعتقد أنه ليس بحاجة الى تجديد هذا الاستجواب لاننى كنت أعتقد أن هؤلاء المعتقلين لابد أن يفرج عنهم فى عهد الوزارة الوفدية ، وشجعنى على هذا الاعتقاد الافراج عن الفريق عزيز المصرى باشا وزميليه لانهم كانوا متهمين فى مسائل ، قيل انها مسائل خطيرة فقلت اذن نحن أمام بشرى طيبة ، كما يقول الرافعى أيضا انه عرف ان أربعة أو خمسة من المعتقلين قد أفرج عنهم فسكتنا وانتظرنا الى أن نصادف أن كنت خارجا من محكمة الاستئناف بباب الخلق فرأيت شابا من هؤلاء المعتقلين واسمه عبد الوهاب حسنى ، وقد مضى على اعتقاله ثمانية أشهر : ومسألته عجيبه ، فكل ما نسب اليه أنه وجد مع شخص آخر اسمه مدحت عاصم ، أتهم بأنه كان يوزع منشورات ثورية فقدم الى المحكمة العسكرية ، ولم يقدم معه عبد الوهاب حسنى ، لأنه لا تهمة له فحوكم مدحت عاصم ، وحكم عليه مع وقف التنفيذ وأفرج عنه ولكن الشخص الذى وجد معه بالصدفة لم يفرج عنه ولا يزال معتقلا للآن ، رأيت هذا الشخص فى شارع حسن الأكبر كما قلت لكم فظننت أنه أفرج عنه وهنأته بالافراج فقال لى : لا لم يفرج عنى وما زلت محبوسا ، وأنا الآن ذاهب للنيابة بتهمة التعدى على العسكرى المنوط به حراسة المعتقلين » ٠

ويقول عبد الرحمن الرافعى : ان الاعتقال الذى بدأ فى عهد الوزارة الماضية حصلت له فى عهد الوزارة الحاضرة مضاعفات شديدة تدعو الى الأسف ولم نكن نتوقعها لان الاعتقال بعد ان كان منحصرا فى الأفراد العاديين أصبح متناولا لشخصية كبيرة لها مقامها الرفيع فضلا عن تمتعها بالحصانة البرلمانية ، ويحاول عبد الرحمن الرافعى أن يجعل ، لاستجوابه أهمية خاصة لأنه متعلق بالعديد من الأفراد وليس بشخص واحد ، ويؤكد عبد الرحمن الرافعى على أن الحرية الشخصية وهى الحجر الأساسى للحضارة وللمجتمع الانسانى ٠

ويحاول عبد الرحمن الرافعى أيضا أن يثير نخوة أعضاء المجلس باعتبارهم شيوخ الأمة حماة الحق ، حماة الدستور ، حماة الحرية لعلهم يقفون الى جانبه فى استجوابه ، ولعلهم لا يتأثرون عند مناقشتهم لاستجوابه بقرارهم الخاص باعتقال على ماهر باشا ٠

ويدخل الأستاذ عبد الرحمن الرافعى فى مناقشة قانون الأحكام العرفية ، وكذلك الأحكام العرفية ذاتها ، وهل هى ــ أى الأحكام العرفية ــ مستمدة من قانون الأحكام العرفية أم من الدستور ، ثم ينتقل الى الحديث عن بعض الوقائع الخاصة ، ببعض المعتقلين وكيف أن بعضهم قد قضى فى الاعتقال أكثر من سنة

دون أن يعرفوا الأسباب ، التى اعتقلوا من أجلها ، ويقول الأستاذ الرافعى : ان بين هؤلاء المعتقلين صحفيا وأديبا اسمه محمد صبيح له مؤلفات وله رسائل ومع ذلك أعتقل طول هذه المدة دون تهمة كما أعرف محاميا اسمه ابراهيم طلعت اعتقل من مايو ١٩٤١ دون تهمة وأعرف أن الأستاذ أحمد حسين المحامى قد اعتقل كذلك بدون تهمة كما أعرف من بين المعتقلين اثنين من الطلبة النابهين أحدهما اسمه عبد الوهاب حسنى وهو بالسنة النهائية بكليـة الحقوق وآخر اسمه الشيخ توفيق الملط بالسنة النهائية بكلية الشريعة وهما معتقلان دون تهمة كذلك وغيرهم ممن لا يحضرنى أسماؤهم كما أذكر لحضراتكم مع الأسف أنه حصلت لهؤلاء المعتقلين مضاعفات لاعتقالهم ، فقد نقلوا أخيرا من معتقل الزيتون الذى يتوافر فيه بعض وسائل الراحة الى سجن الأجانب وهو أشد وطأة من معتقل الزيتون وهذا ما ألفت اليه نظر معالى وزير العدل وأقول لماذا نقلوا الى سجن الأجانب ؟

وبعد الحديث عن المعتقلات والمعتقلين السياسيين ننتقل الى أهم حدث سياسى داخلى فى أثناء الحرب العالمية الثانية ونعنى به الخلاف بين رئيس حزب الوفد المصرى مصطفى النحاس باشا وبين سكرتير الوفد المصرى العام مكرم عبيد باشا :

الباب الحادى عشر

قصة الخلاف بين رئيس الوفد وسكرتيره العام : بالوثائق

● ترددت طويلا وطويلا جدا فى الحديث عن الدور السياسى ، للسيدة زينب الوكيل حرم مصطفى النحاس باشا ، وقد استشرت بعض من اعتبرهم أساتذة لى فى السياسة وفى الوطنية ، وسألت الكثيرين من العاملين فى الحقل العام حول مبدأ الحديث عن هذا الدور ، أو اغفاله ثم انتهيت ـ بعد كل تلك الاستشارات والتساؤلات ـ الى ان واجبى ككاتب يحاول أن يؤرخ لتلك الحقبة الهامة من تاريخ مصر السياسى ، يحتم على ضرورة الكتابة عن هذا الدور ، دور السيدة زينب الوكيل ، لا كسيدة ولا كزوجة ولا « كانسانة » وانما عن دورها كسيدة ذات رأى سياسى وذات تصرفات سياسية أيضا : واجبى ككاتب يكتب للتاريخ ـ وللتاريخ وحده ـ يحتم على الحديث عن زينب الوكيل كزوجة لزعيم سياسى ، كبير ، له دوره فى خدمة البلاد قرابة نصف قرن ، ولها دورها ـ بلا جدال ـ فى التأثير عليه ٠

وكنت فى الفصل السابق قد أشرت الى رأى الأستاذ محمد التابعى والى رأى الاستاذ جلال الدين الحمامصى وهما من شهود قضية الخلاف بين مصطفى النحاس وبين مكرم عبيد باشا ذلك الخلاف الذى فجرته السيدة زينب الوكيل أو ساعدت على تفجيره ٠

واليوم أكمل الحديث عن هذا الدور ، تاركا للدكتور محمد حسين هيكل ابداء رأيه فى هذا الدور ٠

والدكتور هيكل ، وان لم يكن كالأستاذين التابعى ، والحمامصى من شهود الرؤية ، الا انه كان وقتئذ فى قمة دولاب السياسة المصرية والحزبية الذى تأثر الى حد كبير بهذا الخلاف ٠

يقول د. هيكل بينما كانت البلاد نتابع تطورات الحرب على حدودها فى صحرائها الغربية ، وتتوقع ما قد تسفر عنه من حوادث جسام كانت الوزارة تعانى فى داخلها أزمة بدأت تظهر آثارها فى النصف الثانى من شهر مايو ١٩٤٢ : فقد ألف الناس أن يحسبوا مكرم عبيد باشا وزير المالية وسكرتير الوفد ، محرك الوفد ومركز نشاطه ، وحركته الدائمة ، والقوة الدافعة له فى الانتخابات وفى غير الانتخابات من مظاهر النشاط الشعبى ، وقد كانوا معتقدين انه هو الذى يحرك النحاس باشا فى نشاطه السياسى الى اليمين والى اليسار ، لأنه كان على اتصال بثلة من الساسة الانجليز فى لندن بحكم دراسته فى إكسفورد وأسفاره الكثيرة الى العاصمة البريطانية وعلاقته المتينة برجال حزب العمال خاصة ، وعلى رأسهم مستر رامزى ماكدونالد رئيس حزب العمال وب . ماجور اتلى وغيره من أقطاب الحزب.

وقد كان النحاس باشا يزيد اعتقاد الناس فى سلطان مكرم عبيد قوة بما يسبغه عليه من أوصاف وما يظهره من ثقة به ثقة لا حد لها .

وكان مكرم عبيد باشا هو همزة الوصل بين النحاس باشا والسفارة البريطانية فى أمسية ٤ فبراير ، وهو الذى أشرف على صيغة الخطابين اللذين تبودلا بين النحاس باشا والسفير لتأليف الوزارة ، فلما تألفت وحلت الوزارة مجلس النواب كان مكرم باشا هو الذى تولى محادثة أفراد من أحزاب المعارضة بغية التوفيق بينهم وبين الوزارة ولم تكن هذه المكانة التى امتاز بها مكرم باشا حديثة العهد ، بل كانت ترجع ، الى عهد سعد باشا زغلول ورياسته للوفد كان مكرم باشا يومئذ شابا ، وكان قد أطلق عليه لقب ابن سعد البكر ، فلما توفى سعد كان لمكرم أثر كبير فى اختيار النحاس باشا رئيسا للوفد ، وكان بين الرجلين ، من المودة والثقة المتبادلة ما زاده نفيهما الى جزيرة سيشيل توكيدا وجعلهما لا يكادان يفترقان : كان النحاس باشا يذهب ظهر كل يوم الى العمارة التى بها مكتب مكرم باشا للمحاماه فينتظره حتى ينزل ليصطحبه ، الى مصر الجديدة فلما عزم النحاس باشا فى سنة ١٩٣٤ أن يتزوج كان لمكرم باشا يد فى اختيار حرم النحاس باشا ورفيقة حياته ووصلت المودة بين حرم مكرم باشا وحرم النحاس فتوثقت علاقة السيدتين كتوثق علاقة زوجيهما ، وبقى الأمر ، على ذلك الى سنة ١٩٤٣ ، فلما كان النصف الأخير من شهر مايو والوزارة ماضية فى عملها بدأ الناس يذكرون أن النحاس باشا يطلب الى مكرم باشا أن يستقيل من الوزارة وان مكرم باشا لا يرضى أن يستقيل .

واستقبل الملك مكرم باشا ثم استقبل النحاس باشا ، وقيل ان الملك حاول التوفيق بينهما لكن النحاس باشا أصر على خروج مكرم باشا ، وانتهى

الأمر بأن استقال النحاس باشا وأعاد تأليف الوزارة وأخرج منها مكرم باشا وعين كامل صدقى وزيرا للمالية .

عجب الناس لهذا الانقلاب ، وذهبوا مذاهب شتى يلتمسون الأسباب وقد لا يكون يسيرا أن يعرف غير الخاصة ، له سببا لكن ما تناقله الناس عنه قبل حدوثه ، وما رواه لى مكرم باشا من بعد قد يفسره كل التفسير ، وقد يفسره الى حد كبير .

فقد قيل قبل هذا الانقلاب ان مكرم باشا اختلف مع صاحبة العصمة حرم النحاس باشا خلافا تدخل النحاس شخصيا لازالة أسبابه وان مكرم باشا ذهب الى فندق مينا هاوس حيث كان رئيس الوزراء ، وحرمه يقيمان فصالحهما النحاس باشا لكن هذا الصلح لم يدم طويلا فعاد الخلاف وأدى الى خروج مكرم باشا من الوزارة .

وأراد بعضهم أن يرد سبب هذا الخلاف الى ان حرم الرئيس كانت لها مطالب فى وزارة المالية أرادت أن يحققها مكرم باشا لذويها وان سكرتير الوفد لم يجبها الى ما طلبت فاحفظها ذلك عليه وجعلها تذكر لزوجها انه بالغ فى اكبار مكرم باشا مبلغا جعل الناس يظنون أن مكرم باشا كل شىء وان النحاس باشا ليس شيئا وأطمعت مكرم فلم يبق يسمع لها ولا لزوجها قولا » .

وينقل د . هيكل على لسان مكرم عبيد ـ وكان هيكل ، ومكرم يصطافان فى رأس البر ، ان زينب هانم قد حقدت عليه ـ على مكرم ـ انه اذا خرج من الوزارة عمل فى المحاماة وربح منها الأرباح الطائلة على حين لا يشتغل النحاس باشا بالمحاماه فان ترك الوزارة لم يكن له الا معاشه وانها كانت لا تجد بأسا بأن تصارحه بذلك أمام زوجها فاذا ذكر لها مكانة النحاس باشا من الشعب وجلال قدره فى الناس قالت ساخرة « يكفينا نعيرها » وافتح قوسا لأشرح هذا المثل الذى يدل على ضخامة الشىء وما يحدثه من أصوات دون أن يكون من ورائه فائدة تماما كالساقية التى تحدث نعيرا مدويا ولا تخرج ماء أو الجاموسة التى تطلق نعيرها العالى ، دون أن يكون من ورائه فائدة واقفل القوس بسرعة لأقول ان مكرم عبيد قد روى لهيكل ان زينب الوكيل حرصت على أن تجعل من الحكم وسيلة استغلال وكسب ، لكن مكرم باشا كان يعارض هذا الاتجاه الذى يلوث الحكم ونزاهته فغضبت منه ، وحقدت عليه واستطاعت لمكانتها من زوجها أن تهدر صداقة عشرين سنة أو يزيد ، وان تخرجه من وزارة المالية ومن الوزارة كلها ليخلو لها الجو فتصنع ما تريد وبخاصة حين يعلم الوزراء أن لها مثل هذا السلطان فلا يستطيع أحد منهم معارضة ما تطلب » .

ويقول هيكل تعقيبا على ما رواه له مكرم : قد يؤيد رواية مكرم باشا ، ان حرم النحاس باشا وكانت يومئذ تجاوز الثلاثين من عمرها قد شعرت بأن من حقها وهي سيدة ذكية جميلة وهي زوج زعيم سياسى كبير ، ورئيس للوزارة أن تبرز الى المكان اللائق بها فى الجماعة المصرية ولعل ذلك هو ما دعاها بعد قليل من تأليف زوجها هذه الوزارة الى جمع تبرعات فى أسبوع ما أسمته « أسبوع البر » بلغت فى فترة وجيزة ما يزيد على مائة ألف جنيه جعلتها رأس مال لجمعية خيرية ، أسمتها جمعية أسبوع البر فشجعها اقبال الناس وتلبيتهم رغباتها على أن تقف من مكرم عبيد هذا الموقف الذى قص هو ـ مكرم عبيد ـ نبأه ٠

وينهى د ٠ هيكل كلامه عن هذه النقطة بقوله : لا أقف عند أي من هذه الأقوال ، التى تبادلها الناس فى تحليل خروج مكرم باشا من الوزارة وحسبى أن أذكر عنصرا جديدا ، دخل الوزارة قبل خروج مكرم باشا مما كان له من بعد أثر واضح فى الوفد وسياسته ذلكم هو الشاب محمد فؤاد سراج الدين بك الذى عين وزيرا للزراعة ولم يكن قد بلغ الخامسة والثلاثين من عمره فلما أخرج مكرم باشا من الوزارة ، عين فؤاد بك وزيرا للداخلية ثم وزيرا للداخلية والشئون الاجتماعية » ٠

وقد بدأ فؤاد سراج الدين يظهر كقوة سياسية لها تأثيرها فى الأيام السابقة لتشكيل النحاس باشا وزارته ـ وزارة ٤ فبراير ١٩٤٢ ـ وقد كان مقيما مع النحاس باشا أثناء اقامته بأسوان فى تلك الأيام ، وكان كما يجمع الكثيرون ، قد بدأ يتقرب الى السيدة زينب الوكيل عن طريق بعض المشروعات الاقتصادية التى حملها اليها ومن بينها شراء مساحات من الأراضى فى المرج ، بأثمان تكاد تكون خيالية وبشروط ميسرة للغاية بحيث لا يقوم النحاس باشا ـ أو بمعنى أدق السيدة زوجته ـ الا بدفع مبالغ بسيطة وزهيدة جدا ٠

وقد رافق فؤاد سراج الدين النحاس باشا فى رحلة الصعيد التى توقفت عند قنا ، وهو كما قال قد شارك فى اقناع النحاس باشا بالسفر الى القاهرة عندما طلبه القصر الملكى وكان النحاس باشا مصرا على عدم الذهاب الى القصر حتى لا تتكرر مأساة كفر عشما حيث كان قد ذهب اليه فيها عبد الوهاب طلعت باشا مرتين للتباحث واياه فى أمر تشكيل الوزارة الجديدة ٠ ثم لم يؤخذ برأيه بل ان النحاس باشا كما صرح أكثر من مرة كان يرى ان مباحثات كفر عشما كانت تستهدف تضييع الوقت ليتم تشكيل وزارة حسن صبرى باشا وفؤاد سراج الدين هو الذى اتفق كما قال أيضا مع مدير قنا ـ من وراء النحاس باشا ـ على تأخير القطار القادم من أسوان والمتجه الى القاهرة ، حتى يتيسر للنحاس باشا ـ بعد اقناعه ـ أن يستقله

وقد قام مكرم عبيد وفؤاد سراج الدين ، وزينب الوكيل باقناع النحاس باشا بتلبية دعوة السراى والعودة الى القاهرة ، للمشاركة فى المشاورات ، التى انتهت بتأليف النحاس باشا وزارته الجديدة ، وزارة ٤ فبراير ، ولم يكن فؤاد سراج الدين وقتئذ شخصية من شخصيات الوفد المرموقة بل لم يكن عضوا فى الوفد ٠

ونجاح فؤاد سراج الدين فى القيام وقتئذ بهذا الدور رغم كونه ليس من شخصيات الوفد البارزة يؤكد انه كان فى هذه الأيام يحظى بنفوذ ، ان لم يكن موازيا لنفوذ مكرم عبيد فهو على الأقل ــ النفوذ ــ يلى نفوذ مكرم عبيد ٠

ويقول الأستاذ فؤاد سراج الدين عن المرحلة السابقة لهذه الفترة : ظللنا فى المعارضة من سنة ١٩٣٨ الى سنة ١٩٤٢ وتوثقت علاقتى جدا بالنحاس باشا خاصة ، وبأعضاء الوفد عامة الى أن شكلت وزارة الوفد فى فبراير سنة ١٩٤٢ ولم أدخلها ، عند بدء تشكيلها . لأن النحاس باشا كان حريصا على تعيين جميع الوزراء الوفديين الذين أقيلوا فى وزارة ١٩٣٧ لرد اعتبارهم ودفعا للمهانة التى لحقتهم بخطاب الاقالة ، وكان جاف العبارة ، وأجريت الانتخابات ، ونجحت فيها بالتزكية ودخلت مجلس النواب للمرة الثانية ، وفى ابريل سنة ١٩٤٢ انتخب عبد السلام فهمى جمعة ــ وكان وزيرا للزراعة ــ رئيسا لمجلس النواب فاختارنى النحاس باشا وزيرا للزراعة مكانه ، وكانت سنى وقتها حوالى ٣١ سنة ونصف ــ نوفمبر ١٩١٠ ، ابريل ١٩٤٢ ــ وبقيت فى الزراعة وزيرا لها حتى أتى نوفمبر ١٩٤٢ فنقلت من الزراعة الى الداخلية والشئون الاجتماعية ، وبقيت وزيرا لهما حتى اقالة الوزارة فى ٨ أكتوبر ١٩٤٤ » ٠

ويقول فؤاد سراج الدين ــ فى أوراق مكتوبة وموقعة منه شخصيا فى نهاية كل صفحة وهى بحوزتى ــ عندما اخترت وزيرا فى سنة ١٩٤٢ كنت أعتقد أن مكرم باشا شخصيا الذى تربطنى به علاقة وثيقة جدا حتى قبل انتخابى عضوا فى مجلس النواب كنت أظن أنه هو الذى رشحنى لمنصب الوزارة ، ولكننى وبعد خروج مكرم من الوزارة والوفد علمت شخصيا من نجيب الهلالى ، وصبرى أبو علم ، وعبد الفتاح الطويل أنه عارض وبشدة فى اختيارى وكيلا لوزارة الداخلية عقب تشكيل الوزارة الوفدية مباشرة فى فبراير ١٩٤٢ وكان الذى رشحنى كما علمت فيما بعد هو عبد الفتاح الطويل وأيده النحاس باشا وأعضاء الوفد ، وقد عارض مكرم عبيد ترشيحى لهذا المنصب لا طعنا فى أو فى كفاءتى لهذا المنصب كما قيل ونقل الى فيما بعد ، ولكنه أبدى خشيته من أن يغضب كثيرون من أعضاء الوفد القدامى الذين قد يطمعون فى هذا المنصب ، وقال له عبد الفتاح

الطويل : « اننى كنت أعتقد أنك أول الموافقين على هذا الترشيح نظرا لما نعلمه من علاقتك الوثيقة بفؤاد » ، ولكنه أصر على رأيه ورأى النحاس باشا وقتها ارجاء الأمر حسما للمناقشة ٠

ولكن فؤاد سراج الدين يقول بعد ذلك بسطور : ان مكرم باشا ـ وكان وقتئذ وزيرا للمالية والتموين ـ استدعاه ذات مرة ، وسأله فى أزمة القمح التى كانت مستحكمة فى ذلك الوقت « ١٩٤٢ » وعما اذا كانت لديه اقتراحات خاصة ، فاقترح فؤاد سراج الدين رفع سعر القمح ، وان مكرم ابتهج بهذا الاقتراح وقبله مرارا ، وقال له ـ وهو ما يقول فؤاد سراج الدين أنه يحفظه ـ هو دا الكلام ٠٠٠ بعض اخوانى اقترحوا تعيينك وكيلا للداخلية وأنا عارضت ، لأنك يا تكون وزيرا يا بلاش ، وأنا صممت على تعيينك وزيرا للداخلية » ٠

ويقول فؤاد سراج الدين أنه عندما احتدم الخلاف بين النحاس ومكرم اقترح على مكرم أن يسافر معه الى بلدته « كفر الجرايدة » للاقامة فيها أسبوعا ـ نكون فيها بعيدين عن هذا الجو المشحون حتى تهدأ النفوس ـ وان مكرم وافق على الاقتراح ثم اتصل به تليفونيا عند منتصف الليل ، ليعتذر عن السفر بدعوى أنه لا يريد أن يهرب من ميدان المعركة » ٠

وعبثا ـ فؤاد سراج الدين ـ حاولت اقناع مكرم باشا بأنه ليس هناك معركة وان الأمر لا يعدو أن يكون مجرد ثورة فى النفوس ، ولكنه أصر على موقفه واستمر فى عقد الاجتماعات بمنزله مع الشيوخ والنواب الوفديين مثل : « السيد سليم » ، بشارة ميخائيل ، أحمد قاسم جودة ، جلال الحمامصى » يهاجم فيها زملاء الوزراء ، وعلى رأسهم النحاس باشا ، وقام النحاس باشا من ناحيته بعقد اجتماعات مماثلة يشرح فيها الموقف للشيوخ وللنواب الوفديين ، واحتدم الخلاف حتى وصل الى الحد الذى اقتضى أن يجتمع الوفد ويقرر فصله من عضويته واخراجه من الوزارة » ٠

وللأستاذ فؤاد سراج الدين آراء أخرى فى الخلاف بين النحاس باشا ومكرم عبيد باشا سوف نرجع اليها فى الوقت المناسب :

وعن الأسباب التى أدت الى ظهور الخلاف بين النحاس ومكرم بصورة سافرة يقول الأستاذ عبد الرحمن الرافعى : طلبت وزارة النحاس باشا من اللجنة المالية الموافقة على منح استثناءات لموظفين وفديين ، وكان مكرم عبيد باشا بوصفه وزيرا للمالية رئيس هذه اللجنة ، فقررت اللجنة عدم الموافقة على هذه الاستثناءات ، وقدمت مذكرة بقرارها الى مجلس الوزراء فى مايو ١٩٤٢ و ٠٠ و ٠٠ وكانت حجة اللجنة فى رفض هذه الاستثناءات وجيهة ، ومنطقها سديد ، ورأيها سليم ، ولكن مجلس الوزراء ، رفض هذه المذكرة ، وأقر الترقيات الاستثنائية المطلوبة ، ومن هنا حنق النحاس على مكرم

وتنكر له ، لمعارضته طلبات له ، اذ كان معظم طلبات الاستثناءات بايعاز منه ، وصادرة عنه ، وزاد فى حنقه أن مكرم عبيد رفض تمييز بعض أصهار النحاس فى طلبات تصدير مريبة تقدموا بها الى وزارة المالية واستندوا فيها الى صلتهم برئيس الوزارة فثارت ثائرة النحاس ، وأعلن عدم امكانه التعاون مع مكرم ؛ وطلب منه أن يستقيل من الوزارة فرفض فقدم النحاس استقالة الوزارة فى مايو ١٩٤٢ وعهد اليه الملك بتأليفها من جديد ، فألفها دون مكرم » .

ويقول الرافعى أيضا : فى يوليو ١٩٤٢ قرر الوفد فصل مكرم وراغب حنا : كان اقصاء مكرم ١٩٤٢ بعد اقصاء النقراشى ١٩٣٧ ، مظاهر متلاحقة لتنكب الوفد طريق النزاهة والاستقامة فى الحكم مما كان له أثره فى فساد أداة الحكم وانحطاط المعنويات ، فمكرم كان على حق فى معارضة النحاس فى تصرفاته التى مست نزاهة الحكم . .

ولكن ماذا تقول مضابط مجلس النواب ، عن مكرم عبيد ، الوزير فى وزارة ٤ فبراير ١٩٤٢ ، ثم ماذا تقول تلك المضابط عن مكرم عبيد النائب الذى أخرج من الوزارة ؟

لدى اعتقاد راسخ ، مؤداه أن مكرم عبيد باشا عندما دخل الوزارة فى فبراير ١٩٤٢ ، كان غيره فى كل الوزارات الوفدية التى شارك فيها من قبل ، فى كل وزارة سابقة على ٤ فبراير ١٩٤٢ ، اشترك فيها مكرم عبيد ، كان « الدينامو » الذى لا يكف عن الحركة ، كان المدافع الأول عن سياسة الوزارة فى الصحافة وفى مجلس البرلمان ، وفى كل مكان !

وكان فى نفس الوقت هو محور كل نشاط وفدى داخل الوزارة أو خارجها ، ولكن يبدو لى أنه منذ الدقائق الأولى لتشكيل النحاس باشا وزارته — وزارة ٤ فبراير — اتجهت نية النحاس باشا بعد أن شعر بثبات مركزه الى « تحجيم » مكرم عبيد ، وعدم اعطائه المكانة الأولى ، التى كانت له فى كل وزارة وفدية ، واعتباره واحدا من قيادات الوفد الكبيرة ، وليس الرجل الثانى صاحب النفوذ الأكبر ، والأوحد فى الوفد كما يبدو لى فى نفس الوقت ، وقد تحدثت مع مكرم باشا أكثر من مرة فى هذا الموضوع عندما كنت أذهب اليه كصحفى ناشىء فى مكتبه بشارع قصر النيل ، حيث كنت أقضى ساعات طويلة ، وهو يملى على أحد مقالاته للمصور ، أو عندما كان يدلى ببعض أحاديثه انه دخل وزارة ٤ فبراير ونفسه مسدودة للغاية من الوزارة وانه كان يتمنى أن تجىء الوزارة الوفدية بغير هذه الوسيلة ، وانه كان يحس بعدم راحة الجماهير الهادئة غير المنفعلة ، لمجىء الوفد ، مهما تكن الأسباب التى ساقها النحاس باشا — وساقها هو شخصيا — لتبرير قبول الوفد للوزارة هذه الجماهير بعد ان هدأت ضجة تشكيل الوزارة وبعد أن بدأ البرلمان مباشرة أعماله ،

رفعته جهده أن يمنعني من تحقيق جنحة تهريب غزل ضد انسبائه وتقديمهم الى المحاكمات العسكرية الى غير ذلك من محاولات فشفاعات فمحسوبيات فتعهدات فتصرفات ترمى كلها الى استغلال الحكم لمصلحة الحاكمين وتجعل من أسلوب الحكم العوبة ومفسدة معا !! » .

ويذكر مكرم عبيد انه بعد أن أعيته وسائل النصح والتحذير أراد تبرئة ذمته بتقديم استقالته : أعربت لرئيس الوزراء عن رغبتى فى الاستقالة فى فترات متفاوتة بدل المرة ثلاث مرات قبل خروجى من الوزارة وكنت فى كل مرة أؤكد له ما يعرفه من محبتى له ، وغيرتى على سمعته وانى وقد عجزت عن اقناعه باصلاح الحال فما من وسيلة بقيت الا أن أستقيل من منصبى ، على أن يتخير هو صيغة الاستقالة ومناسبتها ووسيلتها حتى لا يفتضح أمام أعين الناس ما أمر الوفاء به أن يستر بين صديقين كانا مضرب المثل فى الوفاء والاخاء الى أن يقول مكرم عبيد انه ما كان يريد من وراء استقالته احراجا بل علاجا فما من دليل أبلغ فى ذلك وأقطع من اننى ما كنت أختلى به فى أية مرة من هذه المرات وأصر على فكرة الاستقالة منه والانفصال عنه حتى كانت تأخذنى ذكرياتى فتخنقنى عبراتى فأبكى ويبكى ثم يعدنى باصلاح الحال فأعدل عن الاستقالة ثم نفترق متوادين متعاهدين ولكن الى حين ! ..

وينكر مكرم عبيد تصوير مصدر الخلاف بينه وبين النحاس ، على أنه عداء شخصى ، بينه وبين النحاس « فمن يصدق مثل هذا العداء المفاجىء من غير سبب يدعو الى مجرد الجفاء ، فما بالك بالعداء بين شخصين صمدت صداقتهما لمختلف التجارب وقاومت كل أسباب العداء طوال بضع وعشرين من السنين حتى بلغت مبلغ الاخاء !

كما ينكر أيضا تصوير الخلاف على أنه خروج عن مبدأ من مبادىء الوفد أو خلاف على نظام الحكم نفسه فأين هو المبدأ المختلف عليه : وكيف يخرج على الوفد من ادخل الناس فيه وكانت له اليد الطولى فى اختيار وتأييد الزعامة عليه .

وينفى مكرم عبيد أيضا القول بأنه قد غضب لتجريده من كل سلطاته ، أو بعض سلطاته فى الوزارة الأخيرة فالثابت للناس من الوثائق الرسمية أن النحاس باشا هو الذى أخرجنى من الوزارة بعد أن ارتضيت العدول عن الاستقالة عقب أزمة الاستثناءات وقبلت البقاء فى الوزارة طوعا للرغبة السامية التى بدت من الملك للتوفيق بينى وبينه ولكنه رفض وأصر على رفضه فهو اذن الذى غضب لنفسه لا أنا وهو الذى أراد أن يتخلص منى ليخلو له الجو فيستغل الحكم كما يشاء أو يرخص كما يشاء ويستثنى كما يشاء الا أن يشاء الله غير ما يشاء » .

أحسست بخيبة أمل كبيرة لأنها لم تجـد التغيير الذى كانت تنتظره من أية وزارة وفدية ، كما أنه كلما تقربت الوزارة من الانجليز وحققت لهم بعض مطالبهم كانت تلك الجمـاهير يقل حماسها للوفد شيئا فشيئا ، فاذا أضفنا الى ذلك ــ تلك كانت وجهة نظر مكرم عبيد باشا الهادئة ــ ان النحاس باشا كان يبدو فى هذه المرة مختلفا عن النحاس باشـا فى المرات السابقة التى ألف فيهـا الوزارة ، كان حاقدا الى أبعـد حدود الحقد على السياسيين غير الوفديين ، وعلى القصر بل وعلى الجمـاهير التى لم تفعـل شيئا ازاء اقصـاء النحاس من الحكم طوال أربع سـنوات كاملة فقد كان النحاس باشا ، ينظر اليها نظرة استخفاف فى هذه المرة ، وهذا كله جعلنى ــ مكرم عبيد ــ أحس بالخطر على الوفد وعلى علاقتى بالنحاس باشا منذ الأيام الأولى لتشكيل الوزارة الوفدية ، وأقول لك ــ بصراحة ــ ان خشـيتى بالخطر ، بدأت بعد تأليف الوزارة الوفدية بخمسة عشر يوما ، وتأكد الخطر عنـدى عندما أصر النحاس باشا على افشال المباحثات التى كانت تجرى بين الوفد والأحزاب الأخرى حول تقسيم الدوائر ، أو على الأقل ، الموافقة على عدم منافسة الوفد لأحزاب الأقليات فى عدد لا بأس به من الدوائر .

ولا أكاد ــ وقد قرأت مضابط مجلسى النواب والشيوخ من ٢٠ مارس ١٩٤٢ حتى اخراج مكرم عبيد باشا من الوزارة ــ أجد روح مكرم عبيد فى هذه المضـابط ، وقد سبق لى أن قلت أنه خـلال مناقشة الاستجوابين الخاصين باعتقال على ماهر باشا فى مجلس النواب ، وفى مجلس الشيوخ ، لم يشترك مكرم عبيد باشا فى هـذه المناقشة رغم كون هذين الاستجوابين من أخطر الاستجوابات التى عرفتها حياتنا النيابية ، والمرة الوحيـدة التى تحـدث فيها لم يزد على قوله . ان رفعـة رئيس الوزراء يريد أن يدلى بتعقيب ، وهـذا وحده كاف للتدليل على أن مكرم عبيد باشا فى وزارة ٤ فبراير ١٩٤٢ ، كان ومنذ الأيام الأولى لتشكيلها غير مكرم عبيد باشا فى أية وزارة سابقة ، سبق أن اشترك فيها ! حتى الأسئلة التى كان يوجهها اليه بعض النواب الوفديين مثل محمود سليمان غنام ، وزهير صبرى عن مسائل التموين باعتباره وزيرا للتموين بالنيـابة ، كانت ردوده عليها جافة للغاية ، ليسـت فيها حيوية مكرم عبيـد .

وربما كان الشىء الوحيد الذى وضحت فيه حيوية مكرم عبيد ، وقـوة مكرم عبيد البيان الذى ألقـاه عن مشروع الميزانية العـامة للسـنة المالية ١٩٤٣/٤٢ بحيث لو أن أحدا نزع اسم مكرم عبيد باشا من فوق هذا البيان أو نزع توقيعه عليه ، لعرف الجميع من ألفاظ البيان ، ومن موضـوعاته أن البيان لمكرم عبيد نفسه : مكرم عبيد وهو يتحدث عن عيوب الميزانية فى العهد السابق يقول انها ميزانية حكومية ، أو ميزانية بيروقراطية لا تمت الى الميزانيات

البرلمانية بسبب ، اللهم انها تنسب الى البرلمان من باب الانتساب لا النسب ولعل أصدق ما توصف به ميزانية العهد السابق انها وضعت لا لخدمة الشعب فى علاقته بالحكومة ، بل لخدمة الحكومة فى علاقتها بالشعب ,. وفى مكان آخر يتحدث مكرم عبيد عن الاقتصاد الحكومى والشعبى فيقول : الكل مهضوم ولا يهضم ، مظلوم ولا يظلم ، والكل يطلب المزيد وان تتفتح له الأبواب كلما أراد أو كان محسوبا على من يريد . كل ما نراه اذن من مظاهر الثراء والترف في مصر انما هو مستمد من اقتصادنا الحكومى الغنى السخى أما اقتصادنا الشعبى فأين هو ؟ هو فى تلك البقرة الحلوب ، التى تدر لبنا وعسلا ، على أهلها ، أو هو الكارثة الاقتصادية التى يعانيها فلاحونا وعمالنا ، الذين يتكون منهم مجموع الشعب أو أكثر من ٩٠٪ منه والذين يعيشون بين ظهرانينا وفى جوارنا كأنهم من دار غير دارنا ومن مصر غير مصرنا ، والحق أنى ما مررت بقرية من قرانا ورأيت الفلاح يكاد يأكله العمل وغيره يأكل ، ويلبسه العرى وغيره يرفل ، ويضنيه العيش القذر والمأوى القذر والمرض القذر ، وغيره يتجمل فيجمل حتى لكاد المسكين يخرج من الجنة ، لكى يدعنا ندخل .

كلما شهدت هذه المزريات المفجعات ، وحاولت أن أقارن أو أوازن بين ما نرى فى مصر ، من مفارقات تولانى شعور أشد ايلاما من الحزن والأسى لأنهُ مقترنٌ بالكثير من الخجل والكثير من الوجل .. قد كنت أسائل نفسى : هل حقا لمصر استقلالها ؟ فى حين أن مصر الفلاحة ومصر العاملة ، وهى تكاد تكون مصر الكاملة قد استعيدت للأرض ولأصحاب الأرض ، وأى استقلال وأية كرامة للشعب : متل هذا الفقر فيه روح الاستغلال والاعتماد على الذات ، فلا يكاد يجد من القوت الا ما يتناوله من موائد الأسياد من الفتات وأية دفعة فى ميدان الاقتصاد وأى اندفاع يمكن أن ينتظر من رجل لا يملك من حطام الدنيا ما يستحق مجرد الدفاع ؟ وما الذى يكسبه الفلاح المصرى من الاستقلال اذا ما ظل فى كل عهد من العهود كبش الفداء ، ومحل الاستقلال فلنقلها اذن صريحة يا حضرات النواب : فلقد عملنا لتخليص المصرى من الاستعمار الأجنبى وقد بقى علينا أن نخلص المصرى من الاستعمار المصرى ؟! .

ويقول مكرم عبيد : فى اعتقادى لم يستتب لمصر استقلال اقتصادى بل وسياسى طالما أن نظام الحكم فيها بين شد ، وجذب ، وسلم ، وحرب ؟! ثم يقول أيضا : ولعل هذا الكلام الصريح الواضح ، كان فى مقدمة ما أثار ضده اقطاعى الوفد ، وكبار رأسماليبه .. الاقتصاد علم أصلى ، من علوم الاجتماع ، وان له آدابا كما أن له حسابا ، وان رجل الاقتصاد على خلاف رجل المال هو الذى يحقق الاصلاح قبل أن يحقق الأرباح بل ان القاعدة الأولى والأخيرة لكل علم من علوم الاجتماع هو النفع لا الانتفاع ..

وللحق أقولها ، لم يكن مكرم عبيد فى بيانه هذا مجرد وزير ، للمالية بل كان مصلحا اجتماعيا بل كان ثوريا حقيقيا !

والذى يقف المرء ، أمامه طويلا ، ان كل فقرة من فقرات بيان مكرم عبيد قد قوبلت بالتصفيق ، ولا يتصور ، المرء ، ان هذه الاغلبية ، التى كانت تقاطع كل فقرة من فقرات مكرم عبيد بالتصفيق والهتاف هى التى فصلته من مجلس النواب فيما بعد ! لقد أنهى مكرم عبيد بيانه الهام ، والخطير ، بقوله : مهما يكن من أمر ، فان فى كشف حساباتنا صفحة من كتابنا ، وحسبنا جزاء ، اذا رأيتم اللوم ، أن تقدروا ، واذا رأيتم التقدير ان تقدروا ، دون ان تشكروا ، فلا والله ما كنا نستحق منكم أو من الامة شكرا ، بل حسبنا ان نخدمها وان نبذل فى شرف خدمتها نفوسنا ، وجهودنا ثمنا ، واجرا ، والله لنا ، وهو ولى العاملين » .

وكان خطاب مكرم عبيد هذا آخر خطاب هام ، وخطير ، خاطب به الأغلبية البرلمانية الوفدية وكأنه كان خطاب وداع !

وفى جلسة ١٢ مايو ١٩٤٢ يفصح مكرم عبيد عن بعض نواياه فيما يتعلق بأزمة تصدير الزيت وكان بعض خصومه يريدون الحصول على أذونات تصدير للزيت ، ولغير الزيت .

اثناء المناقشة الخاصة بتحديد موعد ، لمناقشة استجواب وجه الى مكرم عبيد عن بعض الأمور التموينية ، يبدى مكرم عبيد استعداده لمناقشة الاستجواب فورا اذا شاء مقدم الاستجواب ، ثم يؤكد على وجهة نظره الخاصة بتصدير الزيت فيقول : يهمنى ان يثبت من الآن أن الحكومة لن تسمح بتصدير كيلو جرام واحد من الزيت لاى بلد من البلاد وعند مناقشة الاستجواب المقدم من الأستاذ جلال حسين الى مكرم عبيد باشا ، عما وصلت اليه حالة التموين فى القاهرة لاسيما بالنسبة ، لتعذر وجود الخبز والدقيق والسكر وما يعانيه الجمهور ، ولا سيما الطبقات الفقيرة فى الحصول على قوتهم وكذلك الاجراءات التى اتخذت ، لخفض كميات البترول . ويقول مكرم عبيد ، ان ترخيصات بتصدير ستة آلاف طن من الزيت ، على ثلاث دفعات كانت قد أعطيت فعلا وبالفعل ثم تصدير آلفى طن وكان المطلوب تصدير الفى طن على دفعة ثانية ، والفى طن على دفعة ثالثة ولكنه بعد انتهاء الاجراءات الخاصة بتصدير الدفعة الأولى وجدت ، ان مصلحة الجمهور ، أهم ، واوقع من مصلحة القانون واستفتيت أقلام القضايا وأخيرا أخذت ، على عاتقى — مكرم عبيد — الغاء جميع التراخيص ، حتى تلك التى تم بمقتضاها التصدير ، فعلا ، وأمرت الجمارك بمنع التصدير وكان هناك كميات قد اعدت فعلا للتصدير وحملت، على السفن فأمرت باخراجها منها ، وشمل هذا الاجراء بالمنع الدفعة الثانية والدفعة الثالثة أما الدفعة الاولى فكان قد انتهى أمرها !

ويلخص مكرم عبيد الموقف فيقول : خطتنا فى التصدير والاستيراد ، منع تصدير كل مأكولات من مصر ، واستجلاب كل ما يصلح للأكل ، أو الزراعة من الخارج ٠

ويقول النائب عبد السلام الشاذلى ان هناك محاولات دقيقة جرت فى سبيل تصدير الزيت ولا أكتم المجلس بل أصارحكم بأن فى البلد شائعات كثيرة عن أن هذه المحاولات قد وقعت فعلا وانها قد تجعل مركز معالى وزير المالية الذى ذكرها فى خطر ٠٠ وتقوم ضجة ومقاطعة يقول بعدها مكرم عبيد : لا ٠ لا ، ان هذا كلام لا يصح ان يقال : ان جميع أعضاء الحكومة من رئيسها، الى آخر عضو فيها كلهم متضامنون ولو صح لى ذكر أسماء الشركات ، والتجار والافراد ، الذين حاولوا هذه المحاولات ، لذكرتها وليكن حضرة النائب المحترم على ثقة من أمر واحد ، هو ان مركز وزير المالية ، أو أى وزير ، فى هذه الوزارة ، انما يرتكز على النزاهة ، المطلقة ٠

ولكن النائب الشاذلى يقول تعقيبا على ما قاله مكرم : قد يكون فى قولى هذا فائدة ، هى سماع هذا التصريح ، القاطع من معالى وزير المالية وهو تصريح سررت له كل السرور وارجو الا ننتقل من مناقشات الاستجواب الى جدول الاعمال بل تقرر تأييد معالى وزير المالية فى سياسة منع تصدير الزيت وبذرة القطن أيضا منعا باتا ، تقديما لحاجة البلاد على كل اعتبار وفى مراقبة تنفيذ هذا الامر ، واحاطته بسياج يمنع التلاعب » ٠

ويظهر ان مكرم عبيد باشا ، كان واثقا من متانة مركزه اكثر مما يجب ويظهر ، ان عبد السلام الشاذلى باشا كان على علم ، بما كان يدبر فى الخفاء لاقصاء مكرم عبيد ، فلقد أعيد تشكيل الوزارة فى ٢٦ مايو ١٩٤٢ بدون مكرم عبيد » ٠

وفى جلسة أول يونيو ١٩٤٢ ، تتم تلاوة المرسوم الملكى الخاص بتشكيل وزارة النحاس باشا الجديدة ويتم التصفيق عند تلاوة اسم كل وزير من الوزراء الأمر الذى يغضب رئيس المجلس فلفت نظر الاعضاء الى أن التصفيق المستمر بمناسبة وبغير مناسبة أمر لا يليق ويحسن أن يكون التصفيق لمناسبة خطيرة مهمة أو لخدمة جليلة تؤدى للبلاد اما ان يصدر بغير تفرقة فأمر أربا بالمجلس ان يحدث منه ويقف النائب جلال الحمامصى ، ليقول : لقد قدمت اقتراحا أرجو عرضه على المجلس ويقول الرئيس : أنا لا أعرض هذا الاقتراح ولكن جلال الحمامصى يقول : أنى ارجو تلاوته » ٠

ويقول عبد السلام فهمى جمعة رئيس المجلس ان النائب ، المحترم يقترح ان يقرر المجلس شكر سعادة مكرم عبيد باشا ، على ما أداه من خدمات جليلة فى وزارتى المالية والتموين ، يستحق من أجلها تقدير ، الوطن وانه — أى

رئيس المجلس ـ يرى من حقه كرئيس للمجلس الا يعـرض مثـل هـذه الاقتراحات ، وذلك ان من سلطة الرئيس وهو المحافظ على الحريات أن يحافظ أيضا على الكرامات وخير الا يعرض هذا الاقتراح من أن يعرض ثم يرفض وانا ازيد بذلك ان اتحاشى مثل هذا الوضع ، اما من جهة الموضوع ، وهـو شكر معالى مكرم عبيد باشا فأنى قد سمحت فى جلستين سابقتين ان أعرض على حضراتكم اقتراحين كل منهما خاص بشكر معاليه مرة عند انتهاء المجلس من نظر قانون التسوية العقارية والثانى عند نظر استجواب الاستاذ جلال حسين الخاص بالزيت ولكن فى حالتنا هذه وهى حالة شكر الوزير على ما قام به فى وزارة المالية ثم فى وزارة التموين فأمر لا يليق بكرامة المجلس ان يعرض له ٠٠ ذلك لان الميزانية وهى اهم عمل لوزير المالية ، لم تعرض للمناقشة بعد وتقديم اقتراح كهذا معناه اذا ما اجزتموه ان المجلس قضى على نفسه بألا يناقش مشروع الميزانية ٠٠

ويذكر ، عبد السلام فهمى جمعة ، أعضاء المجلس بموقف له فى ١٩٢٧ عندما كان المجلس ينظر مشروع الميزانيـة واذا بخمسة عشر نائبا يتقدمون باقتراح شكر للحكومة وكانت حكومة المغفور له عدلى يكن باشـا فانبريت معارضا للفكرة ، وكان صديقى المرحوم مرقص حنا باشا وزيرا للمالية فقال لى كيف يحدث هـذا بين عبد السلام ومرقص الصديقين والزميلين فقلت له ليست المسألة مسألة عبد السلام ، ومرقص فأنت ممثل للحكومة ، وأنا ممثل للأمة وأنتم تريدون ان اشكر وزير المالية والميزانية لم ينظرها المجلس بعد فانا اذ شكرتك اليوم وانتقدتك غدا كنت مناقضا لنفسى واذا لم أقم بهذا قصرت فى حق الأمة ، وفى نظرى ان الوزير لا يستحق الشكر الا بعد نظر المجلس للميزانية وقد أقرنى مجلس النواب اذ ذاك فكان من جراء ذلك ان استقالت وزارة المغفور له عدلى يكن باشا ، أما مسألة التموين فهى كما تعلمون حضراتكم مازالت معروضة على المجلس فى استجوابه وكان زميلنا مكرم باشا وزيـرا للتموين وقت تقديمه ونحن لا نضن ، على من يستحق الشكر ان نسديه اليه٠

والآن بصفتنا مجلس نواب يجب ان نتئد ونعمل لحساب الغد وان نصبر حتى ينهى المجلس من نظر الميزانيـة فاذا تبين له ان مكرم باشـا كان قد قام بمهمته خير قيام ووجد أنه يستحق الشكر فأنى ـ وانا ممن يقدرونه ـ أكون أول من يقترح شكره ، أما الآن فانى أربأ ، بكرامتكم أن تشكروا وان تتقيدوا بهذا الشكر ومن حقى كرئيس للمجلس محافظ على الحريات والكرامات وعلى الدستور الا أعرض مثل هذا الاقتراح ٠

الفصـــل الثـــانى

استجواب حول أزمة التموين :
بدراوى عاشور باشا أغنى أغنياء مصر يقول :
لا أجد السكر فى بيتى ونحن نقوم بتحلية الشاى بالعسل

● أنهينا الفصل السابق بالاقتراح الذى تقدم به النائب جلال الدين الحمامصى الى مجلس النواب بشكر وزير المالية والتموين « السابق » مكرم عبيد باشا بعد اخراجه من الوزارة ، ورفض رئيس المجلس عبد السلام فهمى جمعة باشا عرض الاقتراح لأن الميزانية وهى أهم أعمــال وزير المالية ، لم تعرض بعد ، على المجلس ، ولأن هناك استجوابات كانت قد قدمت الى وزير التموين السابق لم تنظر « بعد » كما ان رئيس المجلس قد أشار فى كلمته التى عارض بها اقتراح توجيه الشكر ، الى مكرم عبيد انه يخشى ان يعرض الاقتراح ، ويرفضه المجلس وقد علق الأستاذ مكرم عبيد باشا على الكلمة التى قالها رئيس المجلس بقوله : لأن الحديث فى موضوع الشكر خاص بى يهمنى أن أؤكد لحضراتكم اننى أعطى ما لقيصر ، لقيصر ، وما لله لله ، واذا كان مجلس الشيوخ وهو مجلس الأمة قد وجه الى الشكر فقد وجهه الى كوزير فى الوزارة » ٠

ويرتفع صوت أحد النواب قائلا : ان مجلس الشيوخ لم يصــدر قرارا بشكر مكرم عبيد باشا » ولا يعقب مكرم عبيد على كــلام هـــذا النائب ، بل يتجاهله ، ويمضى فى كــلامه قائلا : أنا لا أدعى هــذه الخدمات لشخصى فما وجه الى من شكر ، وما كان يراد ان يوجه الى من شكر انما كان لما قمت به كوزير فى الوزارة ، وأؤكد لكم اننى لم أعمل عملا ، أو أبذل جهدا الا بفضل زملائى الوزراء ورفعة رئيس الوزراء أما ما عدا هذا من أعمال أديتهــا فانى أخالف سعادة رئيس المجلس فى وضعه للأمور ، لأنه كان من الجائز أن يشكر المجلس خادما على ما أدى من خدمات ، مهما كانت متواضعة ، ولقد أشار البعض الى ما أديته على المجلس وشكرنى عليه ولكننى أنزل عن هذا خشية أن تمس التقاليد البرلمانية أى مساس وانى اذ أخالف سعادة رئيس المجلس فيما ارتآه فان هذا

لا يمنعنى من أن أشكر له تلك الكلمات الكريمة التى وجهها الى بل انى أشكر جميع حضرات النواب وأجرى عند الله ، وعند الأمة » ٠

وكان مصطفى النحاس باشا حاضرا المناقشة فلم يتفوه ببنت شفه وأن أشترك فى مناقشات أخرى فيما بعد أقل أهمية من تلك المناقشات ، ويبدو لى أن النحاس باشا كان متضايقا من موقف مكرم عبيد باشا الى أبعد الحدود ، بل يبدو لى – على ضوء المناقشات ، التى تلت مناقشة « موضوع الشكر » – ان النحاس باشا كان قد قطع كل اتصال بينه وبين مكرم عبيد باشا ٠

والجدير بالذكر ، ان استجوابا حول التموين ، عرض على المجلس ، لتحديد موعد لمناقشته ، وطالبت الحكومة بمهلة أسبوعين ، وكان وزير التموين السابق – كما ذكر فكرى أباظة فى المناقشة حول تحديد موعد لمناقشة الاستجواب – قد أبدى استعداده لمناقشة الاستجواب فورا كما أن رئيس المجلس – فى الجلسة السابقة – قد أبدى رغبته فى بداية المناقشة ولو بقينا حتى الصباح ولكن مصطفى النحاس باشا ، لم يقبل مناقشة الاستجواب بعد أسبوعين اثنين ، بل طالب بأربعة أسابيع كمهلة » ٠

ويثور النائب سيد محمد البدراوى باشا ثورة عنيفة على تأجيل مناقشة الاستجواب ويقول : أن حالة التموين سيئة جدا وقد كلمنى ابنى تليفونيا يشكو الجوع ويقول انه يشرب الشاى ممزوجا بالعسل ، لعدم وجود السكر » ٠

وتقوم ضجة عنيفة ويعرض فكرى أباظة لاستجوابه الخاص بالرقابة على الصحف ويطلب مصطفى النحاس باشا مهلة أربعة أسابيع ، ويثور فكرى أباظة ويصرخ قائلا : ان الرقابة على الصحف شديدة لا تطاق وكلنا نشعر بذلك فلا يمكن أن نصبر على هذا العذاب أربعة أسابيع أخرى فأرجو من رفعة رئيس الحكومة أن ينقلنا من هذه الحالة » ٠

ويصر رئيس الحكومة على أن الحكومة لا يمكنها المناقشة فى هذا الاستجواب قبل أربعة أسابيع » ٠

ويقول النائب محمد عبد الله أبو حسين : ان اللائحة تنص على أنه عندما يختلف مقدم الاستجواب مع الحكومة على موعد مناقشة الاستجواب يعرض الأمر على المجلس ، ولكن رئيس المجلس لم يعرض علينا أمر تحديد مواعيد المناقشة فى هذه الاستجوابات ٠

ولكن رئيس المجلس يقول : لقد بدأ ميل المجلس الى الموافقة على التأجيل »٠

وتقوم ضجة شديدة من اليسار ويقول النائب أحمد محمد الوكيل : ان مسألة التموين مهمة جدا ولا تحتمل التأخير ، ويجب أن ينظر فيها المجلس الليلة ٠

ويقول النائب عبد الله محمد فواز : حالة التموين سيئة للغاية والناس تشكو الجوع » .

ويقول رئيس المجلس : الواقع أن حالة التموين سيئة وان هذه الاستجوابات آجلت أكثر من مرة ولكن هذا التأجيل سيكون الأخير » .

وتقوم ضجة عنيفة ضد كلام رئيس المجلس .

ويحاول مصطفى النحاس ، تهدئة ثورة النواب ويسأله عبد السلام الشاذلى باشا ، عن رأيه فى أزمة السكر وهل السكر مطلوب من الحليفة ؟ ويطلب النحاس عدم مقاطعته حتى يمكن أن يوضح الأمر على حقيقته ، ويصف مسألة التموين بأنها مسألة قومية ، ويقول مصطفى النحاس انه يحاول ويناضل من جهته بشخصه لبل نهار ، مع الجانب الآخر « لأحصل للأمة على أشياء ، وهذا النضال الكبير الذى أضنانى وأضر بصحتى ، أرحب به فى سبيل عدم اثارة مسائل قد يكون من ورائها تشدد الدولة الحليفة والتجاؤها الى القول بأنها لا تستطيع اعطاءنا ما نريد .. » .

ويقول سيد محمد البدراوى : نريد السكر وغيره من المواد الغذائية ، والا فخير لى أن أستقيل » .

ويقول النحاس باشا : انه لا داعى لاستقالة البدراوى باشا لأنه منكب قبل كل شىء على مسألة توفير الطعام » ويعود البدراوى باشا ، ليقول : نريد اسعافا عاجلا ، فليس فى منازلنا الليلة شىء من السكر » .

ويقول النحاس للبدراوى ، ان هذا الاسعاف هو الذى أنشده لبل نهار : اننا نريد اسعافا يمكننا وأهلنا من أن نعيش » .

ويواجه مصطفى النحاس ، لأول مرة بموجة أخرى مشابهة من الاستنكار وخاصة عندما يقول : ان ما يكتنف مسألة التموين من ارتباك منشؤه أولا وأخيرا رجال التموين ومسلك بعض رجال الادارة والتوزيع أيضا ! » .

ويقف مكرم عبيد وقد أحس بأن فى كلام النحاس ما يسىء اليه ، ليقول ان رفعة رئيس الحكومة كان وحده منذ البداية قبل كل وزير آخر ـ كما قال رفعته ـ مهتما بشئون التموين : هذا حق ولكنه ليس كل الحق ، فعندما عهد الى بشرف تولى وزارة التموين ، وكان رفعة رئيس الوزراء سيقابل السفير البريطانى ليتكلم معه فى مسائل سياسية ، رجوت رفعته باعتبار هذا من واجبى أن يلح على السفير فى ألا تبخل الحليفة على مصر بالمساعدة فى مسائل التموين » .

ويقول النحاس : هذا غير صحيح ولكن مكرم يسترسل فى كلامه وكأنما لم يسمع ما قاله رئيس الحكومة فيقول : وقد تكلم رفعته مع السفير فى هذا

الشأن ، وكنت قد أخبرت رفعته بأننى سأقابل جناب السفير للتفاهم معه فى هذه التفاصيل ولأبين له ـ باعتبارى الوزير المختص ـ ما نحن بحاجة اليه » .

ويقول مكرم : ليسمح لى سعادة رئيس المجلس ، أن أقول أنه عندما حصلنا من الحليفة على بعض مئونة جيشها ، كان ذلك من عمل وزير التموين وحده ولم يكن رفعة رئيس الوزراء يعلم شيئا عن هذا الموضوع .. أقول ذلك ما دام حق الناس يبخس الى هذا الحد ، وقد عرضت الموضوع على اللجنة المشتركة ، وقلت للانجليز : اذا لم تعطونا جزءا من مئونة جيشكم فسأقدم استقالتى من الوزارة لأنكم تبخلون علينا بشىء اذا لم نحصل عليه عرضنا البلاد لخطر المجاعة ، وقلت لهم فوق ذلك اننا قد ساعدنا جيوشكم فى كيت ، وكيت ؛ فيجب عليكم أن تمدوا الينا يد المساعدة ، وقد جاءنى بعد ذلك كتـاب من المستشار المالى البريطانى يخبرنى به ان السفير قبـل أن يعوضنا من مئونة الجيش البريطانى ٢٠ ألف طن ، وحين ذاك فقط اتصلت برفعة رئيس الوزراء رئيس الوزراء وأخبرته بما تم » .

ويقول مصطفى النحاس : هذا غير صحيح بالمرة .. » .

ويرد مكرم باشا فى هذه المرة ، على النحاس باشا قائلا : هذا صحيح كل الصحة والمستندات تحت يدى ، وما كان لك أن تتكلم بهذا ، وأنا لم أذكر ما ذكرت ، الا لأننى لا أقبل أن تمس كرامتى أو تنكر جهودى ووطنيتى » .

ويعود مصطفى النحاس باشا ليقول مرة أخرى : هذا غير صحيح !

وينتقل مكرم عبيد ، الى أزمة السكر ، فيقول : انه قبل خروجـه من الوزارة كان مجلس الوزراء قد قرر أن يستولى وزير المالية على السكر ، على أن يصدر الحاكم العسكرى أمرا بالاستيلاء ، فأين هذا الأمر ؟

ويرد كامل صدقى باشا : وزير المالية ، الجديد بقوله : ليطمئن مكرم عبيد باشا على أن أمر الحاكم العسكرى قد صدر وبلغ للوزارات المختلفة .

ويوافق المجلس أخيرا على مناقشة استجواب التموين بعد أسبوعين !

ويطلب الكلمة فى موضوع التموين ٨٧ نائبا ويكون أول المتكلمين النائب عبد الفتاح الشلقانى ، وكان من بين ما قاله أن الخبز لا يصل الى طالبيه فى بعض الأحيان يوما أو بعض يوم وأن الناس يهجمـون على عربات المخـابز ويستولون على ما فيها من الخبز قسرا فلا يصل الى العملاء ، ويتساءل الشلقانى عن علة اختفاء السكر ، بالرغم من أن مصر تزرع قصب السكر ، ويستخرج السكر من مصر وبأيد مصرية ، وكان يصدر الى الخارج ويطالب الشلقانى بقطع يد السارق كما هو الأمر فى السعودية ، ويقول ان عقوبة جرائم التموين تصل فى بعض البلدان الى الاعدام ، ويقترح اصلاح وزارة التموين وانشاء مصلحة

يدخل فى اختصاصها كل ما له علاقة بالتسعير الجبرى وأن يكون على رأس هذه المصلحة موظف كفء مسئول وأن تكون نواة تلك المصلحة ضباط الجيش الاحتياطى الحاصلين على شهادة الليسانس و .. و .. كما يقترح تشديد العقوبات لتكون رادعة لبس فيهـا رحمة ولا شفقة ، ولا هوادة لتكون رادعة مع اضافة عقوبة المصادرة واغلاق المحل .

ويقول النائب جلال حسين : لسنا نريد أن نشبع كلاما بل نريد أن نشبع غذاء ، كما يقول ان روح الاستخفاف التى عولجت بها مسألة التموين منذ الساعة الأولى هى الداء الأول الذى نقاسى آلامه ، الآن حين صدمتنا الحقيقة المرة ، ويشير الى الأخطاء الخاصة بالاحصاءات الرسمية ويأخذ على نظام الاحصاء القائم وقتئذ أنه غير مجد ولا مفيد ، حيث ان بطل عملية الاحصاء هو الصراف الذى يملأ الاستمارات وهو جالس على المصطبة ، كما ان احصاء وزارة الزراعة يقوم به معاون الزراعة على طريقته الخاصة ، كما يشير جلال حسين الى تفاهة العقوبات فى جرائم التموين وكون تلك العقوبات ، لم تتجاوز فى قضايا خطيرة ، عشرة جنيهات أو حتى خمسة جنيهات غرامة .

ويعترض النحاس باشا على تلاوة الأحكام دون تلاوة ظروف قضاياهـا وملابساتها .

ويقول جلال حسين : انه لا يعيب على القضاة أحكامهم ، ولكنه يعيب على التشريع ذاته لأن أحكامه غير رادعة !

ويقترح النائب جلال حسين تجريد حملة قوية لمحاربة الغيلان البشرية التى تعمل على تهريب المواد التموينية وان تنزع الحكومة من يدهـا قفازها الحريرى ليرى هؤلاء الناس يدا قوية تأخذهم بالشدة التى لا رحمة فيها .

ويستشهد بقول أحمد شوقى :

أمن سرق الغنى له عقـاب ومن سرق الفقير فـلا عقابا ؟

ويوجه عبد العزيز الصوفانى نظر الحكومة الى الظلم الذى حاق بالفلاح الصغير ومصلحته أمانة فى أعناقنا يجب أن تراعى الحكومة الفلاح الذى يملك ستة قراريط ، أو فدانا ، أو فدانين ولا تساويه مثلا بسعادة بدراوى باشا الذى يملك عشرة آلاف من الفدادين » .

ويقول مكرم عبيد انه عندما كان وزيرا للمالية ترك لكل فـلاح أردبا ونصف أردب من القمح لقوته ، دون أن تستولى عليها الحكومة والذى يملك ستة قراريط ، لا يؤخذ منه شئ ! وتقوم ضجة يثور لها رئيس المجلس عندما يقول عبد العزيز الصوفانى : فكروا فى الفلاح البسيط لأننا لو تركناه يتألم ،

فربما لا نستطيع كبح جماحه فى الغد !! ويرد أحمد حمزة وزير التموين بالتفصيل عن كل سلعة من السلع التموينية ! و ٠٠ و ٠٠

وينتقل المجلس — بعد مناقشة مسائل التموين كما هى العادة — الى جدول الأعمال ٠

وفى جلسة ٢٤ يونيو — من جلسات مجلس النواب — يلقى مصطفى النحاس بيانا يقول فيه انه على اتصال بممثلى الحليفة ، وقواتها فى مصر ، لمراقبة الأحوال عن كثب ، ولما جاءت الأخبار باقتراب قوات المحور من الحدود المصرية تخابرت مع ممثلى الحليفة وقواتها طويلا ، وقد تأكد لى أن الحالة مرضية وأن مركز الحليفة فى هذا العام أفضل بكثير مما كان عليه فى مثل هذه الظروف من العام الماضى ! وفى ذلك قطع لدابر الأقاويل والشائعات التى أذاعها ويذيعها المرجفون بسوء قصد لادخال الذعر على نفوس سكان هذا البلد الأمين بغية أحداث اضطراب فيه ، ويطمئن النحاس باشا جميع سكان البلاد مصريين ومستوطنين وأجانب الى حالة البلاد ، ويطلب منهم الأخلاد للهدوء والسكينة ٠

ويقرر المجلس عدم مناقشة بيان رئيس الحكومة ، ويثور من المعارضين محمد محمود جلال وعبد العزيز الصوفانى ، وفكرى أباظة لعدم تمكينهم من مناقشة بيان رئيس الحكومة وينسحب عبد العزيز الصوفانى بعد ان يطلب اثبات ما يلى فى محضر الجلسة : انني منسحب من الجلسة احتجاجا على ما رئى من منعنا من الكلام فى أهم أمر يتصل بحالة البلاد الآن : ليست البلاد ملكا للحكومة أو للمجلس انما هى ملك لجميع أبنائها » ٠

ويخرج الصوفانى من الجلسة ويحاول فكرى أباظة اقناع رئيس المجلس بضرورة مناقشة بيان رئيس الحكومة ، وعندما لا يقتنع رئيس المجلس ينسحب — فكرى أباظة — من الجلسة ، وينسحب معه النواب عبد السلام الشاذلى ، رشوان محفوظ ، عباس بدوى حزين ، محمد محمود جلال ، عبد الرحمن نصير ، محمد شعراوى ، محمد سلطان ، عبد الرحمن محمود ، سعد اللبان ، جلال حسين ، وعوض أحمد الجندى ٠

وفى جلسة مجلس النواب بتاريخ ٢٩ يونيو ١٩٤٢ ولأول مرة يظهر ، لأعضاء المجلس ، وللشعب ان الاختلاف بين مصطفى النحاس باشا سكرتير عام الوفد ووزير المالية والتموين الأسبق ، لا سبيل الى حله ٠

وكان عبد السلام الشاذلى باشا قد وجه استجوابا الى رئيس الوزراء فيما يتعلق بسياسة الوزارة مع الموظفين الدائمين « تلك السياسة » التى كان من نتائجها للآن عزل عدد كبير من الموظفين بقرار من مجلس الوزراء بدون تحقيق ولا توجيه تهمه ولا محاكمة والاغداق على فريق آخر من الموظفين بالدرجات

والعلاوات فى وقت تحتاج فيه البلاد الى الاقتصاد الكلى ولتوفير كل قرش يمكن توفيره لأمور التموين والوقاية والتعويضات للمنكوبين ٠

وكان فكرى أباظة قد وجه سؤالا آخر الى رئيس مجلس الوزراء عن سياسة الحكومة الادارية والمالية والقومية فى تصرفاتها التى وقعت فعلا وحسب ما ورد فى محضر جلسة مجلس الوزراء فى ٢١ مايو ١٩٤٢ وهى سياسة تناقض نص المادة الثالثة من الدستور وتعتبر نقضا لما ورد فى خطبة العرش التى أقرها المجلس ولبيان وزير المالية السابق ، الذى اعتبرته الحكومة جزءا من سياستها المالية ٠

ويقف عبد السلام الشاذلى مقدم الاستجواب ، ليقول انه وزميله فكرى أباظة اتفقت وجهة نظريهما على أن الظروف الحالية ودقتها تستدعى تضافر الجهود والصفاء وعدم انشاء خصومات جديدة كما تستدعى أن تنصرف القوى والجهود للعمل الحازم السريع نحو سلامة البلاد وأمنها الداخلى وتموينها كما يقول الشاذلى باشا ، أنه كان قد طلب بيانا بأسماء الموظفين الذين فصلوا من الخدمة بقرار من مجلس الوزراء من جميع المصالح من تاريخ ٥ فبراير ١٩٤٢ للآن ، وكذلك كان قد طلب كشفا ببيان جميع الترقيات والعلاوات ، التى منحت من تاريخ ٥ فبراير للآن و ٠ و ٠ ولأنه لم يرد رد من مجلس الوزراء فانى مصمم على طلب تأجيل مناقشة الاستجواب ، ويقف فكرى أباظة ، مؤكدا كل ما قاله زميله الشاذلى باشا ، طالبا التأجيل لأنه يعز علينا أن نتناقش فى مسائل داخلية ، بينما تحف بنا المسائل الدقيقة من كل جانب لذلك انضم الى زميلى ، المحترم وأرجو من المجلس أن يوافق على تشجيع هذه الروح الوطنية الصحيحة ولكن مصطفى النحاس باشا يعترض على طلب الشاذلى وفكرى أباظة ويطلب مناقشة الاستجوابين ، ليعرف الناس ، أن كانت المطاعن التى وجهت لرئيس الوفد والحكومة شخصيا حقيقية ، أو غير حقيقية خاصة وان الأحوال التى أشير اليها بأنها خطيرة ليست كذلك بل هى مرضية ونحن متتبعوها عن كثب ويعترض النحاس على تقديم أسماء موظفين الى المجلس ٠

ويحاول فكرى أباظة أن يقنع المجلس بالتأجيل ، وبروح الفكاهة ، التى اتسم بها يقول : انه يشعر بألم فى عينيه وقد استشار وزير الصحة زعيم الأطباء أن هناك خطرا على عينيه اذا هو رجع الى اللوائح ، والمبادئ والقوانين ولكن النحاس باشا يصر على المناقشة ويقرر المجلس ، تبعا لذلك رفض طلب التأجيل ويصر الشاذلى باشا على رأيه ويقول مصطفى النحاس ، اذا كان حضرتا المستجوبين لا يريدان المناقشة فسألقى بيانى ، ويتحدث مكرم عبيد قائلا : ان المسألة ليست مسألة شخصية بل تهم الموظفين والوزراء ، والنواب ، ويرى من العدل تمكين المستجوبين من أداء واجبهما على الوجه الأكمل ويقول مكرم عبيد باشا انها المرة الأولى فى حياتنا النيابية أن يطلب صاحب استجواب

التأجيل لأنه غير مستعد ويطلب آخر التأجيل لأنه مريض ، ولا يجابان الى طلبيهما ، ويطلب مكرم عبيد من رئيس الحكومة بكل مودة واحترام ــ وقد كنت معه على خلاف عام لا مساس فيه بالأشخاص ــ باعطاء فرصة واسعة لكل من يريد المناقشة ، حتى يتمكن كل من الادلاء بما يعن لهم ، وحتى تستنير الأمة بالاطلاع على الحقائق كاملة وفى هذا وحده دعامة حياتنا النيابية ، فلا يجوز فى مناقشة المسائل الخطيرة ان تقيم الأغلبية من قوتها مقصلة لخنق الأقلية ويطلب مكرم عبيد ــ بكل هوادة والحاح ، قبول هذا الطلب لأن الأمر ، لا يتعلق بالأشخاص بل هو خاص بكرامة الحياة النيابية ، ويرد صبرى أبو علم وزير العدل على مكرم وعلى النائبين المستجوبين ويقول : من حق الذين اتهموا أن يتكلموا وأن يدفعوا تلك التهمة الباطلة عن أنفسهم أما تعليقها وتعليق المناقشة فيها لعلة شخصية ، أو غير شخصية فأمر لا يمت الى المصلحة العامة بأى سبب كما يرد على صـــبرى أبو علم فكرى أباظة ويذكر فكرى أباظة بعض حـالات نعمت « بالترقيات » الاستثنائية ويقول فكرى أباظة : ان الخلاف بين مصطفى النحاس وزميله الصديق القديم الذى أرجو أن يظل الى الأبد الصديق الحميم ، زميله وصديقه مكرم عبيد كان ينبغى أن يحل فى النادى السعدى وليس فى مقر رياسة مجلس الوزراء ، ويقول فكرى أباظة أن اثارة مسألة الموظفين الكبار فى مجلس الوزراء واشعار بعضهم ، ان رئيس الحكومة غير راض عنهم ، وانه يشك فى كفاءتهم واخلاصهم ، للحكم القائم هذه الاثارة تخيف غيرهم من الموظفين الكبار وتدعوهم الى أن يتجهوا الى اليمين ويرقصوا على الحبل : يتذللون يبيعون الكرامات ، يعبثون بالحقوق التى لا تمت الى الوفدية بصلة لكى يشملهم نعيم الميرى ، وترابه الذهبى البراق » .

ويقف مصطفى النحاس ليرحب بمناقشـــة هـــذين الاستجوابين ويشرح سياســـة الوفد ازاء الموظفين الذين فصلوا فى عهد حـكومة من حكومات « النحاس » فتعيدهم ، الى وظائفهم حكومة من حكومات الأقلية وازاء الموظفين الذين تفصلهم حـكومات الأقلية ، لميولهم الـوفدية فيستوجب على الحكومات الوفدية ، أن تعيد اليهم حقوقهم ..

اننا ــ مصطفى النحاس ــ لا نلجأ الى الاستثناءات وانما نرد المظالم ، ونصلح المفاسد » وعندما يشير النحاس باشا الى موضـــوع اساءة استعمال السلطة ، يقول مكرم عبيد باشا : اساءة الاستعمال هذا هو المهم ويرد النحاس باشا على مكرم باشا قائلا : ستري انى انما أبين الحقائق ثم يدور الحوار التالى :

مكرم عبيد باشا : أرجو رفعة النحاس باشا ألا يغضب وان يكون هادئا .

النحاس باشا : لست غاضبا وكل كلامى فى حدود الرد على المستجوب واذا كان حضرته قد استند فيما وجهه من نقد الى الحكومة على كلام مكرم باشا ، باعتباره سكرتيرا للوفد فانى أعلن انه لم يعد سكرتيرا للوفد .

ويقول مكرم عبيد : أنا لا أسمح لرفعتك بمثل هذا الكلام وانى ما زلت سكرتيرا للوفد .

مصطفى النحاس : أعلن للملأ أجمع انك لم تعد سكرتيرا للوفد ، هذه كلمة اسمعوها وانشروها وأعلنوها على الملا : لم يعد مكرم باشا سكرتيرا عاما للوفد المصرى ، أقول هذا وليفعل ما يشاء .

مكرم عبيد باشا : بأى حق تقول هذا ؟ أدع الوفد أولا للاجتماع ثم تكلم .

ويشترك النائب السيد سليم فى المناقشة فيقول : لا يمكن مطلقا ان تثار المسائل الحزبية فى مجلس النواب .

مصطفى النحاس : كفى افسادا ، وكفى تضليلا ، لم تكن الاستثناءات سبب هذه الثورة انما سببها شىء آخر ، لا أريد أن أتعرض له الا اذا تعرض مكرم باشا له . وحينئذ أبينه .

مكرم عبيد : هذا لا يليق ، انى أطلب من سعادة رئيس المجلس أن يحصر الكلام فى دائرة الاستجواب ..

مصطفى النحاس : اسمع أولا ثم تكلم بما تشاء وأمامك باب الكلام مفتوح : أمامك المجلس تقول فيه ما تشاء ، ونحن نستمع لك ولنا أن نرد ..

عبد السلام فهمى جمعة : نحن الآن بصدد استجواب خاص بالموظفين فلا حاجة الى ذكر شىء عن الوفد .

مصطفى النحاس : أثار المستجوب هذه الكلمة عن الوفد وقال انها سياسة حزبية وليست قومية فاذا أرد عليه فى هذا واذا أراد ذكر أشخاص فانى أرحب بذلك ، لتعلموا ، ان كان هذا يسيئنى أو يسيئهم .

السيد سليم : نحن نرحب بهذا ونريد معرفة أسماء الموظفين حتى يكون البيان كاملا « ضجة شديدة وأصوات : أجلس » .

مكرم عبيد : بكل هدوء لى كلمة فى اللائحة الداخلية ..

مصطفى النحاس : لك ان تتكلم بعد ان انتهى من كلامى ، انى أعرف حدودى تماما ولا أتعداها ..

عبد السلام فهمى جمعة : أكرر الرجاء الا يذكر الوفد .

مصطفى النحاس : كيف ذلك وكلام الأستاذ فكرى أباظة كله عن الوفد ورئيس الوفد وحكومة الوفد فماذا يراد أن أقول عن حكومة الوفد ، هل أقول حكومتى ؟ .

عبد السلام فهمى جمعة : لا مانع من التعبير بوزارة الوفد .

مكرم عبيد : أرجو أن تحذف من المضبطة الاشارة الى مسألة سكرتير الوفد لأن هذا ليس من شأن البرلمان ، وأطلب من سعادة رئيس المجلس ذلك « مقاطعات » .

مصطفى النحاس : لا يمكن ذلك لأن هذا يتعلق بردى على المستجوب .

مكرم عبيد : لا يمكن مطلقا أن يهدر ماضينا وكرامتنا وجهادنا بهذا الشكل ولا يصح هذا يا مصطفى باشا : أذكر أنك تتكلم مع رجل له زمالتك ولم يتعرض لك .

النحاس : ولكن مستجوبك قال وأنا أرد عليك .

مكرم : أرجو من سعادة الرئيس حفظ حقى فى الكلام ان لى كرامة ولى ماضيا فى جهادى .

فكرى أباظة : لست بمستجوب مكرم أو النحاس ولكنى مستجوب وطنى وللصالح العام ، انى أكبر بكثير وانت تعلم .

مصطفى النحاس : أنا أعلم من أنت .

فكرى أباظة : أنا الذى خلقت فى السياسة قبل أن تخلقوا أنتم ! .

حسن يس : أن الوفد هو الذى ترك لك دائرتك الانتخابية .

مكرم عبيد : أن كرامة المجلس أمانة فى عنقك يا سعادة الرئيس ، كيف يقول رئيس الحكومة ان مكرم عبيد ليس سكرتيرا للوفد ، انه يحضر مستجوبا هذا لا يصح ان يقال فى أى مجلس من المجالس النيابية « ضجة شديدة » وطلب الكثير من النواب رفع الجلسة ورفعت الجلسة ..

وقد روى مصطفى النحاس باشا — من وجهة نظره — تفاصيل الخلاف بينه وبين مكرم عبيد باشا حول قضية الاستثناءات وغيرها من القضايا .

وكان فيما يبدو من كلامه غاضبا أشد الغضب مما قاله فكرى أباظة وكان كما يبدو أيضا — مصطفى النحاس باشا — قد وصل الى نقطة اللاعودة بالنسبة لمكرم عبيد باشا .

وكان مما قاله النحاس باشا أن حكومة الوفد مضطرة الى استعمال حقها فى تعيين الموظفين وترقيتهم استثنائيا واننا — مصطفى النحاس باشا — لا نخشى بعد ذلك أن تعقد مقارنة بيننا وبين غيرنا فيما أجريناه : وأجروه من عزل أو استثناءات ليظهر بوضوح وجلاء اننا لم نسىء استعمال هذا الحق ، ولا كنا ، فيه بالمسرفين وأن الحملات الصاخبة والشائعات الكاذبة التى توجه الينا فى هذا الشأن بالغة البطلان مسرفة فى العدوان وان حالات الاستثناءات لا تتجاوز

عشرين حالة من يوم ان تألفت الوزارة الى حين الاستجواب بينما بلغت حالة الاستثناءات فى مثل هذه المدة عن عهد وزارة على ماهر باشا ٢٤ حالة وبلغت مثلها فى عهد وزارة محمد محمود باشا ٤٠ حالة أى ضعف ما بلغته فى عهد وزارة الوفد » .

ويذكر النحاس باشا أمثلة من حالات الاستثناءات التى قامت بها وزارته :

حالة موظف ظلمته حكومات الانقلاب بتخفيض مرتبه وحالات ثلاث من الموظفين فصلوا فصلا سياسيا فى عهد الانقلاب ، وحالة كونستابل كان له الفضل فى ضبط الجانى الذى شرع فى الاعتداء على النحاس باشا .

وكانت حكومة الوفد قد طلبت ترقيته فى عام ١٩٣٧ مكافأة له فلما جاء الانقلاب لم ير فى عمله ما يستحق المكافأة فحفظ الطلب ووقفت الاجراءات حتى أعدناها بعد خمس سنوات ، ويقول النحاس باشا ان الخلاف بينه وبين مكرم باشا وقع فى الاسبوع الأول من تأليف الوزارة وانه كان يعمل لاصلاح ذات البين دون جدوى « كانت الشائعات المختلفة تذاع حولنا ونحن ساكتون ، كانت تذاع فى المجتمعات والبيوت وفى النوادى والطرقات بل فى كل مكان ونحن فى مركز التريث والانتظار لعل الله يصلح الأحوال حتى وصل الأمر الى نهايته » .

وقد ألقى مكرم عبيد باشا بيانه ، فى مجلس النواب ، دون أن يطلع عليه أحد منا ، « ولكننا قبلناه لأنه كان يجب علينا أن نظهر بمظهر المتضامنين: وقد تضمن هذا البيان أمورا خطيرة كان يجب أن تعرض على مجلس الوزراء ليقرها » .

ويؤكد النحاس باشا ان واحدا من مجلس الوزراء لم يطلع على بيان مكرم عبيد باشا « وكل ما فى الأمر اننا سمعناه هنا ، كما سمعتموه ، وكنا عنه أغرابا ولكن مركزنا — مع الأسف — كان يحتم علينـــا أن نظهر أمامكم متضامنين فى مسألة كهذه وأن نبدى أنها من عملنا وبموافقتنا حرصـا على التضامن الوزارى حتى أدى الأمر الى أن صفقت لسعادة مكرم باشا فى ذلك الوقت ولم أكتف بذلك بل عانقته وهنأته — أيضا أمامكم هذه هى الحقيقة فى أمر البيان الذى يحتج به حضرة المستجوب علينا فى حين أنه لم يكن الا برأى وزير واحد دون رئيس الوزراء وسائر الوزراء » ثم يقول النحاس باشا ، ان الخلاف بينه وبين مكرم عبيد لم يكن فى الأعمال وحسب بل وصل الى حد الاساءة الينا بل أدى أيضا الى مذكرة لجنة المالية التى قدمت الى مجلس الوزراء طعنا فى سياسة مجلس الوزراء وفى سياسة رئيسه وفى سياسة أصحاب المعالى الوزراء جميعا لأن هذه الاستثناءات وغيرها لم تكن للرئيس وحده بل كانت أيضا لجميع زملائه أعطيت هذه المذكرة للغير ولم يكن لى علم بها ثم أدرجت ضمن أعمال مجلس الوزراء وقد جرت العادة ان يرسل جدول أعمال

هذا المجلس الى القصر الملكى بمجرد تقرير عقد جلسة له ، كانت هذه المذكرة بجميع ما فيها عند أصحاب الصحف قبل أن أعلم عنها شيئا بل ان علمى بها كان مفاجأة لى ، لأنى لم أكن قد اطلعت عليها الا بعد ان قرأت عنها فى الصحف .

ويقول مصطفى النحاس ، وفى مجلس الوزراء لم تكن المسألة مسألة عائلية يمكن أن يفصل فيها فى النادى السعدى بل جاوزت كل هذا وأثبتنا فى محضر مجلس الوزراء وجهة نظرنا ووجهة نظر مكرم باشا بصفة رسمية على خلاف القاعدة المتبعة وكنت أمينا على أن ترد وجهة نظر مكرم باشا فى المحضر ، كما هى لأن كل ما يهمنى هو الدفاع عن رأيى فقط فلم يكن المجال فى مجال ابداء وجهات النظر المتعارضة ثم أصبح التعاون بينى وبين سعادة مكرم باشا بعد كل هذا مستحيلا وأصبح العمل بهذا الأسلوب غير منتج ولا يتفق مع الصالح العام ؟

ويذكر مصطفى النحاس انه بعد كلام من بعض اخوانه رئى وضع حد لهذا الخلاف فاكتفينا بما ورد فى محضر وأرسلنا صورة منه للقصر الملكى كالعادة وقد نبهنا على الصحف بعدم نشر المذكرة والاكتفاء ببيان قصير غير أننا فوجئنا فى اليوم التالى بنشر المذكرة فى الصحف على خلاف التعليمات والذى علمته ــ النحاس باشا ــ ان مكرم باشا تشدد فى وجوب نشرها وهدد بالاستقالة اذا لم تنشر فهال بعض اخواننا الذين ظلوا معه الى الساعة الثالثة صباحا يحاولون عبثا أن يقلع عن رأيه فلم يستطيعوا . ونشرت المذكرة اذن ووقع الذى كنت أريد تلافيه ولم تصبح المسألة مقصورة على الجهات الرسمية ، ولم تعد المذكرة مخفية عن أصحاب الصحف بل نشرت على الجمهور وكان لا بد أن تنشر وجهة نظرنا ــ كما جاءت فى محضر جلسة مجلس الوزراء ــ ووجهة نظر مكرم باشا دون تعديل « هذا هو السبب الذى من أجله نشرت المذكرة لأن المسألة خرجت على أن تكون مسألة عائلية أو أمرا يسوى فى النادى السعدى الى أمر علمه الجمهور فاقتضت الظروف أن يكون التصرف فيها على هذا النحو :

هذه هى الحقيقة المرة فى الموضوع ومن بين ما ساقه النحاس باشا تبريرا للاستثناءات ، لقد كان فى موضوع الاستثناءات الكثير من المبالغات والتهويلات والتعنت والافتئات وأن لكم ــ يا حضرات النواب ــ بعد ذلك القول الفصل والحكم العدل فانظروا هل كنا نحن مسرفين ومسيئين أم كنا بالعكس مقصرين فى حق المظلومين والموظفين الذين نرهقهم معنا فى تصريف الأمور وتحمل تبعات الحكم الجسام » .

هذا هو رأى النحاس باشا فى موضوع الاستثناءات ، فما هو رأى مكرم عبيد باشا فى هذا الموضوع ؟

الباب الثانى عشر

الفصل الأول

مكرم عبيد يروى قصة اختلافه مع النحاس

وقبل أن ننقل وجهة نظر مكرم باشا لا بد لى ـ لكى تكون الصورة مكتملة ـ أن أنقل وجهة نظر شاهد من شهود هذا للخلاف ، هو الأستاذ التابعى الذى كان يأخذ الى حد ما جانب مصطفى النحاس باشا .

يقول الأستاذ محمد التابعى : تطورت المنافسة بين مكرم عبيد وزينب هانم الوكيل من أجل السيطرة على النحاس باشا ثم تطورت المنافسة الى عداء أو ما يشبه العداء وراح كل من الاثنين يطلق لسانه فى صاحبه ، وامتلأت المجالس والأندية « بالاشاعات » و « التشنيعات » .

وسمع الجمهور لأول مرة أن السيدة حرم رئيس الوفد ورئيس الوزارة تستغل نفوذ زوجها ونفوذ الوزارة من أجل الثراء السريع وانها ليست وحدها بل معها عدد من أقاربها ، واصهارها ، وعرف النحاس باشا والسيدة حرمه أن مكرم عبيد ، وأقاربه ، وأنصاره ، هم مصدر هذه الاشاعات وسمع الناس ان مكرم باشا يقول فى مجالسه الخاصة أن زينب هانم تحاربه بسبب نزاهته ولأنه ـ وهو وزير المالية ـ رفض أن يوافق على طلباتها وطلبات شقيقها أحمد الوكيل الخاصة بأذونات التصدير والاستيراد وهذا فضلا عن الخلاف الذى شجر حول الاستثناءات والترقيات والعلاوات » .

ويركز الأستاذ التابعى ـ من جهته على ذكر حقيقة هامة ، وهى أن مكرم عبيد باشا دافع دفاعا بليغا عن الاستثناءات والترقيات فى عام ١٩٣٧ ـ فما باله يحاربها فى عام ١٩٤٢ ؟ ويركز الأستاذ التابعى أيضا على حقيقة أخرى هى أن السيدة حرم النحاس باشا وأقاربها أرادوا أن يحملوا نزاهة مكرم عبيد فوق ما تطيق .

أنا شخصيا ـ التابعى ـ أعتقد أن مكرم باشا ، لم يكن يمانع أو يعارض كثيرا ، أو طويلا فى اجابة بعض الطلبات الصغيرة التى ـ مع مخالفتها للقوانين ـ

لا تثير ضجة ، وقالا ، وقيلا وذلك حرصا منه على رضاء صديقه النحاس باشا ولقد سبق أن تساهل أو أغمض عينيه » ٠

« ولكنه في هذه المرة وجد أن المطلوب منه أو الحمل على نزاهته ، ثقيل ، وفوق ما تطيق فرفض ! ثم تشدد بعد أن اشتد الخلاف وراح يتعنت ويرفض الطلب الصغير اليسير كما يرفض الموافقة على الطلب الكبير الخطير أى أن الأمر كله أصبح بين السيدة حرم رئيس الوفد ورئيس الوزارة ، ومكرم عبيد نوعا من العناد » ٠

ويقول الأستاذ التابعي ، ان كثيرين من أعضاء الوفد كانت صدورهم قد ضاقت بالنفوذ الأكبر الذى يتمتع به زميلهم مكرم عبيد دونهم عند رئيس الوفد وبالسلطات الواسعة ، التى كانت له ، فى كل شأن من شئون الوفد وخصوصا بعد خروج أحمد ماهر والنقراشي من الوفد ، أراد بعضهم أن يكون أرقاما صحيحة بدلا من أصفار على اليسار ٠

وكان صبرى أبو علم ـ ونجيب الهلالى ـ كما روى د٠ محمد صلاح الدين ـ يعملان على توسيع شقة الخلاف بين النحاس ومكرم ولم يكن هناك من يعمل مع الدكتور محمد صلاح الدين على تسوية الخلاف سوى محمود سليمان غنام ٠

ويقول الأستاذ التابعي : ان الأستاذ فؤاد سراج الدين كان يتناول معه العشاء ، فى مسكنه وكانا وحديهما قال فؤاد سراج الدين التابعي : أيه رأيك فى فصل مكرم باشا من الوفد ؟ واستمر فؤاد سراج الدين فى الكلام بعد أن طرح هذا السؤال : أظن أن الأحسن فصله دلوقت لأن الخلاف استفحل ومستحيل بعد كده تصفو القلوب أو يتصالح ثانى مع مصطفى باشا وزينب هانم واذا فصلنا ـ فؤاد سراج الدين الذى يقول هذا الكلام عن فصل سكرتير عام الوفد ، لم يكن قد انضم بعد الى الوفد ـ اذا فصلنا ـ فؤاد سراج الدين ـ مكرم دلوقت مش راح يقدر يعمل حاجة لأن الوفد فى الحكم ، وتحت يدنا الرقابة ولكن اذا سبناه جايز يخرج من الحكم ويخرج هو بعدها علينا ويحاربنا » ٠

وافتح من جانبى أيضا قوسا لأقول ان فؤاد سراج الدين قد وضع يده ـ بما قاله ـ على أقوى حقيقة تتعلق بجوهر موضوع الخلاف بين النحاس ومكرم فنجاح أى خلاف أو فشله ، انما يترتب على اختيار الوقت المناسب لاثارة هذا الخلاف ٠٠ و ٠٠ و ٠٠

وقد كان أكبر خطأ ، ارتكبه عبيد باشا ـ كما يرى كثير من السياسيين المعاصرين ـ انه لم يحسن اختيار الوقت المناسب لخروجه من الوفد ٠

وأذكر اننى تناقشت مع مكرم عبيد باشا ، أكثر من مرة حول هذا الموضوع ، موضوع الخلاف بينه وبين النحاس باشا وحرمه ، وعندما حملت

اليه ذات مرة وجهة النظر القائلة بأنه أخطأ خطأ شنيعا عندما لم يحسن اختيار الوقت المناسب لتفجير الخلاف داخل الوفد حول موضوع الاستثناءات والترقيات والعلاوات وأذونات الاستيراد ، والتصدير و ٠ و ٠ وكان مما قاله مكرم عبيد باشا ـ وأنا أعتمد هنا على أوراقي الشخصية ، التي كنت أسجل فيها وابتداء من عام ١٩٤٣ الأحداث الهامة وما أسمعه من كبار الشخصيات السياسية والتي كنت أحتفظ بها في مكان أمين للغاية ، بعيدا عن أعين ، وأيدي رجال البوليس ، الذي كانوا ، يهاجموننا باستمرار بمناسبة أو بدون مناسبة ـ كان مما قاله مكرم عبيد : ان وجهة النظر تلك سليمة وصحيحة من الناحيتين ، النظرية ، والحزبية ولكنها ليست كذلك أبدا من الناحية الموضوعية ، والمبدئية : لقد كان في استطاعتي الانتظار الى أن تتضاعف أخطاء الوفد في الحكم ، بل كان يمكنني الانتظار الى قرب انتهاء عهد الوفد في الحكم ، ولكن انتظاري هذا ، أو ذاك كان سيضاعف عدد أولئك الذين يخرجون معي بعد تفجير الخلاف ولكنني حقيقة ، كنت سوف أبقى معذب الضمير الى أن ألقى وجه ربي ٠٠ لم يكن باستطاعتي الانتظار ، أكثر مما انتظرت ٠

ثم لو فرضنا انني انتظرت فلم أفجر الخلاف مع خصومي ، أكانوا هم سينتظرون ؟

وعلى أية حال فما من مرة فتحت فيها هذا الموضوع مع مكرم عبيد باشا الا وأحسست لديه مرارة شديدة للغاية لأنه لم يكن يعتقد أبدا أن مصطفى النحاس باشا ـ صديق العمر ـ يمكن أن يفرط فيه بمثل هذه السهولة بل لأنه لم يكن يعتقد أبدا أن غالبية الشيوخ والنواب الوفديين الذين كانوا من صنعه أو بمعنى أكثر تواضعا ، من اختياره يمكن أن يرفضوا الوقوف الى جانبه ، وعلى الأقل ما كان مكرم عبيد يعتقد أن هؤلاء الشيوخ والنواب الوفديين الذين كان هو وراء نجاحهم في الانتخاب والتعيينات يمكن أن يقفوا منه موقف المعارضة الشديدة والعنيفة ، كما فعلوا في مجلسي النواب والشيوخ وفي اجتماعات الوفد والهيئة البرلمانية الوفدية ، و ٠ و ٠ و ٠ وأقفل القوس على أمل العودة الى هذا الموضوع فيما بعد ؟!

وانتقل الى ما ذكره الأستاذ محمد التابعي عن الخلاف بين النحاس ومكرم :

يقول الأستاذ التابعي :

أرسل مكرم باشا مذكرة اللجنة المالية التي رفضت الاستثناءات والتي اشتملت على رأي مكرم عبيد باشا في معارضة أي استثناء ٠٠ أرسلها الى

جريدة المصرى طالبا نشرها ، ورأى محمود أبو الفتح صاحب المصرى الا يتحمل مسئولية نشرها فأحال الموضوع الى الأستاذ محمود سليمان غنام ، الذى كان وقتئذ موكولا اليه الاشراف على الرقابة ، وغضب مكرم عبيد وثار ثورة عارمة : كيف يمكن أن يكون للرقابة اشراف ، على ما يريد الوزراء نشره ، واتصل مكرم عبيد بمحمود سليمان غنام مهددا بالاستقالة من الوزارة ، اذا لم تنشر المذكرة ٠

وخرجت المصرى فى ١٩ مايو ١٩٤٢ بمذكرة اللجنة المالية ٠

وكانت ـ التابعى ـ القاضية على كل أمل فى الصلح ، أو تسوية فى الخلاف ، وثار مصطفى النحاس وأعلن أنها مؤامرة ضده وضد الوزارة وان صاحب المصرى محمود أبو الفتوح شريك فى المؤامرة ولا بد من « شلحه » من الهيئة البرلمانية الوفدية ، واصدار قرار من الوفد بأن « المصرى » لم يعد يعبر ، عن رأى الوفد ٠

وكان هذا القرار يومئذ شبيها بقرار الحرمان الذى يصدره باباوات روما ضد المغضوب عليهم من أعداء الكنيسة ، و « اختفى محمود أبو الفتح بضعة أيام ريثما تهدأ العاصفة وثورة « الرئيس الجليل » ثم عاد من مخبئه وذهب وقابل النحاس باشا مؤكدا أنه لم ينشر المذكرة الا كارها ، وقد رفضت ـ محمود أبو الفتح ـ نشرها ولكن ازاء الحاح مكرم عبيد باشا أحلت الأمر الى الأستاذ محمود سليمان غنام فصرح بالنشر ٠٠ ولما انتهى الأستاذ محمود أبو الفتح من دفاعه قام النحاس باشا وضمه الى صدره معانقا » ٠

وهناك كثيرون يرون أن الأستاذ محمود أبو الفتح كان راغبا فى أحداث قطيعة بين النحاس ومكرم ، بسبب نشره تلك المذكرة ، ولو أنه ـ أى الأستاذ محمود أبو الفتح ـ كان راغبا فى رأب الصدع لبادر الى الاتصال بالنحاس باشا شخصيا ليعرض عليه أمر المذكرة ، أو لأجل النشر الى اليوم التالى حين استئذان النحاس باشا ٠

والأستاذ محمد التابعى من القائلين بأن الأستاذ محمود أبو الفتح لم ينشر مذكرة اللجنة المالية الا من أجل توسيع الهوة بين النحاس ومكرم عبيد ورغبة منه فى أن يكون نشر المذكرة ، الضربة القاضية على كل أمل فى تسوية الخلاف بين النحاس ومكرم ٠

ويعلن مصطفى النحاس بعد نشر المذكرة أن التعاون بينه وبين مكرم قد أصبح مستحيلا ويوفد مصطفى النحاس ، الى مكرم عبيد رسولا هو المهندس عثمان محرم باشا بوصفه أكبر الوزراء سنا وأقدمهم عهدا بالوزارة طالبا منه ـ من مكرم عبيد أن يستقيل ـ ولكن مكرم عبيد يرفض الاستقالة ويرحب بالاقالة ! ٠

ويطلب مصطفى النحاس باشا من الملك اقالة مكرم عبيد باشا من الوزارة ولكن الملك يرفض ويحاول الصلـح بين الصديقين القديمين ولكن مصـطفى النحاس يرفض الصلح ويصر على الاقالة ويقترح فاروق على مصطفى النحاس أن تستقيل الوزارة ، وأن يعاد تشكيلها بدون مكرم عبيد ويعتقد مصطفى النحاس ان في الأمر مؤامرة وانه عندما يستقيل من الوزارة لن يعهد اليه الملك بتأليف الوزارة مرة أخرى ولكن النحاس يستوثق من أحمد حسنين ، ومن السفارة البريطانية ويطمئن تمام الاطمئنان ، الى أن الملك سيعهد اليه باعادة تشكيل الوزارة من جديد ويستقيل النحاس ، ويكلف من جديد ، بتشكيل الوزارة الجديدة ويتم تشكيلها بدون مكرم ٠

ويبدو لى ـ وهذا اعتقاد شخصى بحت ـ أن مكرم عبيد باشا قد تضايق من عملية تشكيل الوزارة الجديدة برئاسة مصطفى النحاس وقد كان يطمع أن يتخذ القصر من الخطوات ـ عند تشكيل الوزارة ـ ما يقلل من هيبة ونفوذ النحاس باشا ، أو على الأقل كان مكرم عبيد باشا يأمل الا يعاد تشكيل الوزارة الجديدة من جديد الا بعد بضعة أيام ٠

ولكن أصدقاء مكرم عبيد باشا فى القصر قد أزالوا هذا الضيق عنه بسرعة عندما أكدوا له أن الملك أصر على عدم اقالته من الوزارة وهذا فى حد ذاته ، اضعاف لمركز رئيس الوفد ، الذى لم يتمكن من اقالة وزير من وزرائه !! وننتقل بعد ذلك كله ، الى رواية الأستاذ مكرم عبيد عن الخلاف أو الاختلاف بينه وبين مصطفى النحاس باشا ٠

وأبادر فأقول اننى سوف أعتمد فى هذه الرواية الى حد كبير على الكتاب الاسود ، وبهذه المناسبة أقول اننى سبق أن نشرت رسالة للأستاذ فايق قصبجى تحت عنوان : « الكتاب الاسود طبع فى بيتى » وقد جاء فى هذه الرسالة : أن ثلاثة كانوا هم الذين أشرفوا على طبع هذا الكتاب هم : « فايق قصبجى ، ويوسف صـلاح الدين توفيق خليل وأخ ثالث لا داعى لذكر اسمه » ، وقد تحريت كثيرا عن هـذا « الأخ الثالث » الذى لم يذكر فائق قصبجى ، فعرفت أنه الأستاذ فكرى مكرم عبيد ولما بيننا من ود وتقدير أدعوه الى أن يميط اللثام عن تلك الصـفحات القديمـة ، ولعل الأسـتاذ فكرى مكرم عبيد فاعل ذلك باذن الله ! ٠٠

يقول الأستاذ مكرم عبيد فى الكتاب الاسود فى العهد الاسود وهو يروى قصة الخلاف الوزارى ، وملابساته : كنا نشفق من أن ينهد ذلك البنيـان الشامخ الذى ساهمنا فى تشييده حجرا فوق حجر وفى تخليده أثرا بعد أثر معتصرين فى ذلك زهرة العمر طوال نيف وعشرين من السنين : نشفق من أن تلصق بالحكم المصرى فى عهد الاستقلال لوثة تدنسه بعد أن طهره الشهداء بدمائهم وصهره المجاهدون بدم القلب ، وعرق الجبين ! نشفق من أن تمس

بسوء تلك الصداقة الحلوة التى بزت الاخوة بين شخصين تعذبا ، فتقاربا ، فتحابا وكانت محبتهما فى نظرى أنا على الأقل نموذجا حيا رائعا لعاطفة المحبة ، أو الرحمة التى شاء الرحمن الرحيم أن ينفثها فى الحيـاة بين حنايا الصدر ليستعين بها الانسان على وحشة العمر ، ووحشة القبر ... نشفق من أن نتنكر لماضينا فنجعل من ماضينا قاضينا ، ثم نشفق من عملية البتر فى ذاتها فهى تجرح ، مهما تنجح وأخيرا فقد كنا نشفق ولو على كرامتنا نحن أنفسنا من أن تطلق عليها الذئاب الجارحة الشهوات الجائعة الجامحة » ويقول مكرم عبيد انه كان وما كان له الا يكون ، ناصحا ، لا فاضحا فى كل مرحلة من مراحل الخلاف بين رئيس الوزراء وبينه . « فلما كنت فى الوزارة واستفحل بيننا ذلك الخلاف الجوهرى الذى تعددت مظاهره على حد تعبيره فى كتاب استقالة الوزارة ، لم أدخر جهدا فى نصحه وتحذيره مما كنت أراه ويراه الوزراء أنفسهم ويتهامسون به فى مجالسهم ، دون أن يجرأوا على الجهر به ، أمامه من تصرفات ماسة بمسئولية الحكم بل ونزاهته فى الصميم ! ولقد كنت بحكم مركزى فى المالية والتموين الهدف المباشر لهذه التصرفات التعسة ، التى أريد بها أن تفتح خزائن المال ، والتموين للأهل والانسباء حتى لا تفلت الفرصة السانحة فتفلت الصفقات الرابحة من أيدى طلاب الربح والثراء ولو على حساب الفقراء والجائعين ! .

ولم تكن تلك المطامع الأشعبية لترضى ، أو لتقدر أن تصبر ، بل راح أصحابها يرسلون الصيحة بعد الصـيحة على مسمع من الكبـار والصـغار من الموظفين ، متوسـلين متململين مترددين متوعدين فى غـير ما اعتداد حتى بكرامتهم الشـخصية ! » ويتحدث مكرم عبيد عن الطمـع فيقول : ليس مثل الطمع شـهوة هى أقوى ما تكون ضـد صـاحبها منها ضـد غـيره فلفرط ما يطمع الطامع فى مال الغـير دون وزن ، أو تقدير ، نراه وقـد اختلت موازين تقديره ولفرط ما يصبو الى مطمع عز أن يوجد أو اذا وجد عز عليه أن ينفذ نراه بجزع بقدر ما يطمع فيستنفد الجزع ما بقى من صبره ويفضح الطمع ما خفى من أمره » ويعتذر مكرم عبيد من الاشـارة الى بعض الصغائر وغيرها من مثيلاتها فيقول : انى ما كنت أشير الى تلك الصغائر لولا انها تدل على كبائر وأولى هذه الكبائر ، أن الحكم قد أشرف على الفوضى فى أيدى أشخاص غير مسئولين وان الحاكم المسئول كان هو نفسه محكوما بجماعة من النفعيين لا يملك من أمره نفعا ولا ضرا » .

ويقول مكرم عبيد أيضا : لم أكن عابئا بهؤلاء : ولا بما وعدوا أو توعدوا لولا ان جرثومة الداء كانت قد سرت منهم مع الأسف الى رئيس الوزراء نفسه ، فكان هو شخصيا يتصل من وراء ظهرى بالمرءوسين لى أو بجهات أخرى غير مختصة ملحا فى اعطاء انسبائه السكر والأرز .. الخ من غير علمى ، كما حاول

ويذكر مكرم عبيد أن النحاس باشا قد أولاه ثقة أكبر وسلطة أوسع من أية سلطة له في أية وزارة سابقة عند تشكيل الوزارة القائمة فعهد اليه ـ مثلا ـ بوزارتي المالية والتموين محور الوزارة ونقطة ارتكازها في أي وقت وكان مكرم باشا مستشساره في اختيار أشخاص الوزراء حتى انه عندما اعترض مكرم على اختيار نسيب له في الوزارة ـ لأسباب لا تمس شخصه ـ هو عبد الواحد الوكيل بك ـ قبل النحاس من مكرم اعتراضه وسلم بوجاهته ـ كما انه ـ أي النحاس ـ عهد اليه ـ الى مكرم ـ بوضع خطاب تشكيل الوزارة الذي تضمن برنامجها كما عهد اليه الاشراف على قسم الصحافة في وزارة الداخلية و ٠٠ و ٠٠ الى أن يتساءل مكرم عبيد : أن ما زعمه النحاس باشا أو زعموه له ان الحد من سلطتي وقد كنت أنوء بما حملني اياه من أعباء ومسئوليات لا يدخل بعضها في حدود مهمتي ! كلا : بل كان جونا صفاء لا يشوبه كدر وثقة لا يبددها حصر ٠ الى أن نزغ شيطان المال بيننا فشاء وقدر ، ذلك أننا لم نكد نستهل عهدنا في الحكم متضامنين متصافين حتى بدا لأهل النحاس باشا وانسبائه أن يغتنموها فرصة لطلب الثراء على يد صديق النحاس باشا في الضراء فكيف بالسراء !

ويصرح مكرم عبيد بأن الخلاف الجذري بينه وبين النحاس بدأ عندما طلب بعض انسباء النحاس بالاشتراك مع الصق الناس بالنحاس ، الاذن بتصدير كمية هائلة من الزيت والجلود يكسبون من تصديرها أكثر من نصف مليون جنيه وأيد النحاس باشا هذا الطلب وألح فيه « ولكنني انتهيت بعد بحث ، الى رفض الترخيص لهم بالتصدير بل والغاء الرخص القائمة التي منحت في عهد سابق لمعامل الزيت وتجاره ثم تلت هذه المحاولة محاولات أخرى كان النحاس باشا نفسه يشترك فيها محاولا اعطاءهم السكر والأرز ٠٠ الخ من وراء ظهري ، ولما كان الخير يبدأ بأهله فلم يشأ النحاس باشا ان ينسى شخصه منفردا ، كما لم ينسه مزدوجا فذهب يسعى موفور الثمن ، وأن يك غير مشكور الأثر لاستدرار الخير الوفير من وقفي عبد العال والبدراوي بسمنود منتفعا من التنظر عليهما رغم لفت نظره الى ما يصح وما لا يصح صدوره من رئيس حكومة في مثل هذه الشئون » ٠

ويذكر مكرم عبيد ان النحاس باشا وأهله راحوا يقلبون ظهر المجن للصديق القديم الذي أراد للحكم ولهم خيرا « ولو اننا فيما يظهر قد اختلفنا على معنى الخير فقد فهموه شخصيا ماديا وفهمته وطنيا معنويا « وتوالت الدسائس ضد مكرم عبيد ـ كما قال ـ في الصحافة ثم تلتها فكرة التخلص منه كوزير للتموين ، وأخيرا لما لم يفلح صدى الدس أو يثمر معي الدرس استقر الرأي على اخراجي من الوزارة أصلا » وكان من بين ما ذكره مكرم عبيد كنموذج للدس ضده في الصحافة ان استدعى الى الباخرة محاسن ، التي كان يقيم بها النحاس باشا وأهله كبار الصحفيين الوفديين حيث طلب منهم ومن غيرهم ممن لم

يحضروا الاجتماع وبأوامر مشددة : « الا يكتبوا مقالات أو أخبارا تنطوى على الاشادة بوزير التموين أو الثناء على جهوده والا تبرز أحاديثه والا يشار اليه كمجاهد كبير أو صغير » ثم ينتقل مكرم عبيد ــ بعد ذلك كله الى الحديث ـ عن الملابسات ، والمساومات والأقدام والأحجام والتوسل والزجر ، والكر والفر ، التى أحاطت بتعيين وزير جديد للتموين بعد أن أصبح مكرم عبيد وزير التموين « العقبة الكئود فى تموين الأهل والانسباء فما من سبيل لاتقاء شره الا بالاقصاء بعد أن عجز عن جلب خيره كل تهديد ، وكل اغراء » وكانت وزارة ٤ فبراير ١٩٤٢ قد ألغت وزارات التموين والوقاية والشئون الاجتماعية فى أول خطاب للعرش حددت فيه سياستها ولكن النحاس باشا فيما بعد عاد واتفق مع الملك على اعادة الوزارات الثلاث الملغاة وأعلن هذا فى جلسة لمجلس الوزراء وغضب بعض الوزراء ومن بينهم وزيرا المعارف والعدل ، وقد هددا بالاستقالة وأصر مكرم عبيد على تسجيل اعتراضه فى محاضر جلسات مجلس الوزراء لأن اتفاق النحاس باشا والملك على اعادة الوزارات الثلاث الملغاه قبل عرض الأمر على مجلس الوزراء فيه اعتداء على سلطات مجلس الوزراء » .

ويقص مكرم عبيد قصة مأدبة غداء دعا اليها صديق للطرفين : لمكرم وللنحاس وأهله وبعد الغداء بدأت جلسة عتاب قيل فيها ان السبب الرئيسى فى محاولة تغيير وزير التموين اصرار مكرم على تقديم حضرات الانسباء الى المحاكمة وفى جلسة العتاب تلك وعد مكرم بأن يحقق القضية بواسطة الرجال الفنيين ، وأن ينظر الى القضية كقاض لا كممثل للاتهام « فاذا ثبتت البراءة حفظتها أو الادانة قدمتها » وسمح مكرم عبيد للمحامين عن الانسباء ــ وكان من بينهم زميل مكرم وصديقه الأستاذ فريد زعلوك بتقديم المذكرات والحضور فى التحقيق !

ويقول مكرم عبيد انه سمع أن وزير المعارف الذى تضامن معه فى جلسة مجلس الوزراء الخاصة لبحث موضوع تعيين وزراء للتموين والوقاية والشئون الاجتماعية قد ذهب واعتذر وانضم اليهم هو والوزراء الذين يدعون أنهم أصدقائى » .

وعن اخراجه من وزارة التموين يقول مكرم عبيد : أثبت التحقيق ادانة الانسباء وفتشت مخازنهم فى القاهرة وفى الاسكندرية فلم يوجد بها الغزل الذى أدعوا أنهم خزنوه ولم يهربوه : عندئذ عاد النحاس باشا المسكين يفكر فى اخراجى من وزارة التموين قبل ضياع الوقت ، وكان أول خبر وصلنى من هذه النية نقلا عن أحد الانسباء المقربين جدا الذى صاح فى وجه موظفى التموين أن النحاس باشا سيخرجنى من وزارة التموين ولذلك فانه عندما ذهب المفتش المنتدب ليفتش مخازن الاسكندرية قيل له ان المفتاح مع الأستاذ أحمد الوكيل فى مصر وأنهم يطلبون مهلة لاستحضار المفتاح منه .. وأحس المحقق بالتلاعب وأثبته فى تقريره فأصدرت أمرى بكسر المخزن عنوة فلما كسروه لم يجدوا فيه البضاعة التى ادعوا تخزينها فيه بل وجدوه قاعا صفصفا

كما وجدوا مخزن القاهرة أفرغ من فؤاد أم موسى ويكشف مكرم عبيد أسرار جلسات مجلس الوزراء ، وخاصة تلك الجلسة التى أثير فيها موضوع الخلاف بين مكرم والنحاس حول موضوع الاستثناءات : كانت أول عبارة افتتح بها النحاس باشا الجلسة قوله : كل منكم حر ، فى ابداء رأيه وأثبتت هذه العبارة فى المحضر ، الذى نشر على الناس أما الذى لم يثبت أو فى القليل لم ينشر فهو ما أردف به هذه العبارة اذ قال : ولكننى أخبركم انكم اذا أخذتم برأى وزارة المالية فانى سأتخلى عن الحكم » ٠

هذه العبارة ، كان لها أثر حاسم فى موقف الوزراء الآخرين وفى اعطاء أصواتهم ٠٠ وقلت انه من الأولى أن أتخلى أنا عن منصبى فى الوزارة لأنى صاحب الاقتراح المقدم بمنع الاستثناءات و ٠ و ٠٠ » ولم تمض ثلاثة أيام على جلسة مجلس الوزراء الخاصة بالاستثناءات حتى وضعت استقالتى تحت تصرف رئيس الوزراء فأبى هو قبولها فما الذى حدث فاستوجب هذه الطفرة من النقيض الى النقيض ؟

ويرد مكرم عبيد على التساؤل الذى طرحه بقوله : مهما يكن من أمر فقد انتهزها النحاس باشا فرصة يحاول فيها اقالتى حتى لا يفتضح أمره باستقالتى وذلك لأن الاستقالة تحمل معنى الاحتجاج على تصرفاته وفى هذا كشف له فى حين ان الاقالة تبرزه للناس غاضبا لا خائفا شاكيا لا مشكوا » الى أن يقول مكرم عبيد : ولما لم يجد النحاس باشا سبيلا دستوريا الى اقالة الشرفاء النزهاء عمد الى وسيلة دلت على حنقه وضعفه معا فأقالنى ببلاغ من سكرتيرية مجلس الوزراء وأعلنت الصحف بيانا من هذه السكرتيرية جاء فيه أن رئيس الوزراء قد دعا جميع الوزراء ، عدا وزير المالية لحضور جلسة مجلس الوزراء التى ستعقد فى ذلك اليوم ، وهكذا كانت الاقالة بقدر المقبل وكانت الروح التى أملت عليه محاولة اقالتى من الوزارة هى التى دفعته الى اقالتى من الوفد ، وهى الأخرى لا تكلفه كثيرا الا بلاغا من سكرتيرية مطواعة ٠

ويذكر مكرم عبيد بعض ما دار فى اجتماع الهيئة الوفدية وكان النحاس باشا مصمما على طرد مكرم من الوفد : « لقد رأى النحاس باشا بعينيه كيف حملنى اعضاء الهيئة الوفدية وشباب الوفد على الأعناق هاتفين لمكرم النزيه ثم رأى وياللعجب بما رأى أن هذه الحماسة الجريئة الصادقة قد سرت من الشباب الى الشيوخ والنواب يحيوننى جميعا تحية ما أكرمها : واقفين هاتفين ودخل النحاس باشا قاعة الاجتماع مهزوما ومهموما فوقفت محييا ولكنه لم يرد التحية ثم اضطر نزولا على طلب الهيئة الى مصافحتى وانتهى الأمر بأن تعاهدنا على الامتناع عن طرح أسباب الخلاف عليها ، كما أنكر رفعته أمام الهيئة ، أية نية أو رغبة له فى المساس بمركزى فى الوفد وقد أصدرت سكرتيرية الوفد بيانا بهذا المعنى وبما تم فى الاجتماع من تفاهم على الاحتفاظ بوحدة الوفد رغم الاختلاف فى الحكم ، ولكن ما أسرع ما لفظ الرجل وعده ،

فنقض عهده ولما تمض بضع ساعات على ما أخذ به نفسه ! ففى مساء اليوم نفسه حاولت احدى الصحف أن تنشر الاتفاق بين رئيس الوفد وسكرتيرية الوفد ، وأن النواب طلبوا الى عندما دخلت القاعة أن أجلس فى محلى المعتاد كسكرتير عام الوفد فحذف الرقيب عبارة سكرتير الوفد حيثما وردت كما حذف عبارة المجاهد الكبير فى صحيفة أخرى » ولما تحريت الأمر علمت أنه قد صدرت تعليمات بهذا الحذف من معالى الأستاذ محمود غنام وزير التجارة بايعاز من رفعة رئيس الوزراء ولما خاطبت وزير التجارة فى ذلك قال انه سيعمل على تهدئة الحال ولكن ما الذى غير هذه الحال بعد الذى حدث من تصافح وتسامح ، ولم يكن قد صدر منى أو من غيرى شيء فى المسافة بين النادى والدار وفى السويعات بين الليل والنهار .. كلا بل هى نية القدر بالزميل القديم والسبق الى الاخراج قبل الاحراج » .

ويقول مكرم عبيد : بدأ النحاس باشا بمحاولة محو اسمى من الصحافة فأمرها بألا تنشر شيئا منى أو عنى مهما يكن بريئا ، أو بعيدا عن السياسة وفى الوقت نفسه سمح لبعض جرائده أن تتهجم على موقفى منه دون أن يسمح لى بحق الرد أو التصحيح الذى اعترف به لكل خصم فى كل عهد من العهود ذهبت به الجرأة الى حد منع الصحف من نشر خطاب كريم تفضل بارساله الى حضرة صاحب السمو الأمير الجليل عمر طوسون ! وكذلك منع نشر رسالة كريمة من رجل من كبار رجال الدين والتقوى هو فضيلة الشيخ أبو الوفا الشرقاوى ! وما دام رفعته قد سمح لنفسه بمنعى عن الرأى العام ، فليس أهون من أن يمنع الرأى العام عنى ، ولذلك صادر عددا كبيرا من البرقيات التى كانت ترسل لى من مختلف نواحى البلاد » . « وليس مثل الاستبداد سيدا ينفر من كل شرك فى السيادة ، فيستبد بالمستبد نفسه حتى يصبح الاستبداد لديه ميلا واستعدادا ، ومن ثم نراه يسير فى طريقه المرسوم خطوة فخطوة واطرادا فاطرادا ، وهكذا انزلق النحاس باشا من استبداد الى استبداد فتدرج من رقابة الصحف الى رقابة منزلى ، الى رقابة رسائلى البريدية الى رقابة مواصلاتى آلتليفونية وانتهى به الأمر الى فرض الرقابة على البرلمان نفسه .

ويشير مكرم عبيد الى ما حدث بينه وبين النحاس فى احدى جلسات مجلس النواب — وقد سبق ان نشرنا تفاصيلها — يقول ما كدت كممثل للاتهام ألفت نظر رئيس مجلس الوزراء الى واقعة بريئة أشار اليها فى دفاعه ، مبينا له ان هذه هى نقطة البحث حتى هاج ، وماج وصاح فى ألفاظ ضاقت المضبطة عن بعضها وببعضها فقال : أنا فصلتك من سكرتيرية الوفد ، وانى كذا وكذا وانت كنا وكذا الى آخر ما قال مما يدعو الى الرثاء لحاله أكثر من التأذى بأقواله » تلك هى رواية مكرم عبيد عن أسباب وظروف اختلافه مع النحاس باشا وكنا فى الفصل السابق قد نشرنا رواية مصطفى النحاس باشا عن أسباب وظروف اختلافه مع مكرم عبيد باشا وتبقى بعد ذكر الروايتين الحقيقة المجردة ، فما هى تلك الحقيقة المجردة ؟

الفصـل الثـانى

الاختلاف بين النحاس ومكرم تتسع رقعته بسبب وسطاء السوء !

حرصنا على تدوين وجهتى نظـر كل من مصطفى النحاس ومكرم عبيد فيما شجر بينهما من خلاف وذلك ايمانا منا بعدم الانحياز الى وجهة نظر دون الاخرى وفى بداية هذا الفصل ـ ولأهمية الخلاف التاريخى ـ نـدون وجهات نظر الآخرين ، وخاصة من كانت لهم صلات مباشرة بطرفى النزاع : قطبى الوفد المصرى النحاس ومكرم ، اللذين ـ كما يقول مكرم عبيد ـ تعذبا فتقاربا ، فتحابا وكانت محبتهما ، من وجهة نظر مكرم عبيد على الأقل كما يقول ـ نموذجا رائعا لعاطفة المحبة و ٠٠ و ٠٠

وجهة نظر فؤاد سراج الدين ـ فى هذا الخلاف ـ تتلخص فيما يلى : ذات يوم وكان النحاس باشا لا يزال يقيم فى الباخرة « محاسن » قالت زينب هانم الوكيل للأستاذ قاسم جودة الذى كان يزورها ، كلاما كثيرا معناه : أنه وغيره من الصحفيين يسرفون فى الكتابة عن مكرم عبيد ، وعن حركاته ، وسكناته ، بينما رئيس الوزراء نفسه وبقية الوزراء ، لا يكتب عنهم نصف ما يكتب عن مكرم عبيد ٠

ويظهر أن الأستاذ قاسم جودة بلغ مكرم باشا ما قالته زينب هانم لان مكرم ذهب وقابل النحاس ، وقال له أن زينب هانم تسىء اليه وتطعن فى حقه وعاتبه فى هذا وقال له النحاس أنه يستبعد صحة الخبر ، وسأله عن اسم الشخص الذى بلغه هذا ولكن مكرم رفض أن يبوح باسمه ، وبلغ النحاس باشا السيدة زوجته أن مكرم عاتب عليها وروى لها ما سمعه منه وكانت السيدة مريضة فى فراشها ولكنها كلمت مكرم بالتليفون وطلبت منه أن يزورها ففعل ولما دخل عليها قالت له ان مصطفى باشا بلغها عتابه وأنكرت انها طعنته أو أساءت اليه فى أى حديث ، وسألته عن اسم الشخص ، الذى نقل اليه هذه الرواية فقال : شخص أثق فيه كل الثقة وهو لا يكذب ورفض أن يذكر اسمه ٠

وطال الحديث والعتاب وبدرت من مكرم باشا هذه العبارة : يظهر انك خايفة على مركز جوزك منى ؟

وهنا انتفضت زينب هانم غاضبة وصاحت بصوت عال : منك انت ؟ أخاف منك على مصطفى النحاس ايه اللى تقدر عليه ؟ تقدر تعمل رئيس وزارة لكن هل تقدر تكسب الزعامة أو الحب الذى تكنه الأمة لمصطفى النحاس ؟ جوزى هو اللى خلقك ؟

وقال مكرم : اللى خلقنى ربنا مش جوزك وأنا اللى كونت نفسى بجهادى ، وتضحياتى ! » ٠

وكان النحاس باشا قد آثر أن يترك مكرم باشا وزينب هانم وحدهما يتعاتبان ، ولكنه أقبل على صياحهما ، فوجد زوجته تبكى غيظا وغضبا ، ولما سأل عن السبب التفت الى مكرم وقال : انت غلطان ، قوم بوس راس أختك وصالحها ! وقام مكرم وقبل رأسها ، ويدها وتصالحا ، وتصافيا ! » ٠ ويمضى فؤاد سراج الدين فى روايته التى نقلها التابعى قائلا : اتفقت زينب هانم مع النحاس باشا على كتمان هذا الحادث عن جميع الناس حتى انه لما ذهب نجيب الهلالى وأحد الوزراء الى والدها عبد الواحد الوكيل لكى يوسطاه فى الصلح بين ابنته ومكرم باشا وجدا أن الرجل لم يكن يعرف شيئا مطلقا ولم يكن قد سمع أى شىء مطلقا عن وجود أى خلاف أو سوء تفاهم بين ابنته زينب هانم وبين مكرم عبيد ٠

ولكن مكرم خرج يقول لأصدقائه ان زينب هانم شتمته وأهانته ٠

وكان النحاس باشا قبل هذا الحادث بشهر تقريبا قد قال ان مكرم مش ناوى يقعد معانا وانه سوف يختار ميدان المعركة حول الاستثناءات ٠

وأنكر الوزراء على مصطفى النحاس باشا هذا القول ، وذهب نجيب الهلالى الى مكرم وسأله ، فأنكر مكرم وأكد أن لا شىء من هذا يدور بخاطره وأكد مرة أخرى اخلاصه وولاءه لمصطفى النحاس ولكن النحاس باشا أصر على رأيه واتهامه لمكرم وان الاستثناءات هى الميدان الذى سوف يختاره لمهاجمة الوزارة ويروى فؤاد سراج الدين أنه عندما أراد النحاس باشا تعيين وزراء ، لوزارات التموين، والوقاية والشئون الاجتماعية ، الملغاة عند تشكيل وزارة ٤ فبراير ، عارض مكرم عبيد بشدة فى سحب وزارة التموين منه ولكن النحاس باشا ، أقنعه بضرورة تخليه عن الوزارة المذكورة وقد تظاهر ، مكرم عبيد بأنه اقتنع ، وبعدئذ طلب مكرم تأجيل تعيين وزير لوزارة التموين لمدة شهر واحد فأجابه النحاس باشا الى طلبه ٠

وكان المفهوم ــ بل والمتفق عليه ــ أن يتقدم مكرم بعد انتهاء الشهر ، ويقول ان صحته متعبة وانه لا يستطيع القيام بأعباء العمل فى وزارتى التموين

والمالية ، ومن ثم فهو يرجو اعفاءه من منصب وزير التموين ، وكان هذا هو المتفق عليه غير أن مكرم عبيد لم يفعل ومضى الشهر دون أن يطلب اعفاءه من وزارة التموين فلما تحدث اليه مصطفى النحاس فى هذا الموضوع ، قال أنه لن يترك وزارة التموين فلما قال له النحاس : وماذا أقول للملك ، لقد وعدته بتعيين وزراء للوزارات الثلاث فى بحر أسبوعين أقول له ايه : أقول له أنا كداب، وقال مكرم : قل له أننى أنا اللى كداب ·

وأطال فؤاد سراج الدين فى الحديث عن موضوع البيان الذى قدم به مكرم عبيد ، للميزانية ، وكيف كان مفاجأة لرئيس الوزراء ، والوزراء ، مع أنه تعرض لكل وزارة ولعمل كل وزير ·

وكان النحاس باشا يتململ ويظهر ضجره ، وامتعاضه لبعض ما جاء فى البيان ، وكانت الساعة قد جاوزت العاشرة مساء ، الى الحادية عشرة هم النحاس باشا بمغادرة الجلسة ــ مجلس النواب ــ ولكننى ــ فؤاد سراج الدين ــ همست فى أذنه أنه لا يليق أن يغادر الجلسة قبل أن ينتهى مكرم من القاء بيانه وجلس ولما انتهى مكرم من القاء البيان ، قام اليه النحاس باشا ــ من باب المجاملة وقبله وقال له : « برافو يا مكرم » فكانت تحية بل ومجهودا يشكر عليه النحاس باشا ·

وفى صباح اليوم التالى استدعى النحاس باشا مكرم عبيد باشا ، وعاتبه على ما جاء فى بيانه من وعود ، وعهود قيد بها الوزارة من غير أن يستأذن ، أو يستأنس برأى أحد من زملائه الوزراء ، وضحك مكرم وقال : نبقى خالصين زى حكاية وزارة التموين فى خطبة العرش هذه كانت مفاجأة لكم ، وتلك كانت مفاجأة لى !

ويتحدث فؤاد سراج الدين عن موضوع مذكرة المالية ، الخاصة بالاستثناءات ، واصرار مكرم عبيد باشا على نشرها ، الأمر الذى أثار مصطفى النحاس باشا وأوصل العلاقات بين الصديقين الحميمين السابقين الى طريق مسدود » ·

وفى وراق مخطوطة · وموقع من فؤاد سراج الدين على كل صفحة منها نحتفظ بها عندما تحدث فؤاد سراج الدين بافاضة عن هذا الخلاف ، وقد سبق لنا ، ونحن فى بداية الحديث عن هذا الخلاف أن نشرنا بعض فقرات من تلك الأوراق ، ونضيف اليوم ــ نقلا عن تلك الأوراق ــ قول فؤاد سراج الدين « أعتقد أن هناك عناصر كثيرة كان لها دورها فى تقوية هذا النزاع ومنها القصر ، فكان يعتقد ــ وهذا حق ــ أن مكرم قوة كبيرة فى الوفد ــ وأن وقوع خلاف بينه وبين مصطفى باشا لا شك يسبب انقساما كبيرا فى الوفد ، والهيئة الوفدية ·

والوفد هو الخصم الأول للقصر ، ومن صالح القصر تفتيت كلمته ، وتفريق صفوفه ٠

واعتقادي الخاص أن القصر مناه برئاسة الوزارة بعد مصطفى النحاس اذا استطاع أن يجذب الى صفه عددا من أعضاء الوفد أو الهيئة الوفدية ، ومما يؤيد ظني هذا في أن للقصر دورا كبيرا في تشجيع مكرم على موقفه أن الملك رفض توقيع أي أمر باخراج مكرم من الوزارة كما كان يطلب رئيسها النحاس باشا مما اضطر مصطفى باشا الى تقديم استقالة الوزارة كلها واعادة تشكيلها من جديد ، بتكليف ملكي جديد بدون مكرم ، فهذا الموقف من جانب القصر - فؤاد سراج الدين - بالنسبة لمكرم لا شك أنه يحمل معنى التأييد والتشجيع ٠

ويدل على ذلك أيضا استمرار الصلة وتوثقها بين مكرم والقصر بعد خروجه من الوزارة واختياره وزيرا ، للمالية في أول وزارة بعد اقالة الوفد ، وهي وزارة المرحوم أحمد ماهر في أكتوبر ١٩٤٤ ٠

وكان معروفا وقتها للناس جميعا أن مكرم هو ذو الحظوة والمكانة الأولى في القصر وكان القصر يسنده في جميع طلباته ومواقفه وخلافاته مع شركائه في الحكم ، ومنها مسألة الدوائر المقفولة ، وكان مكرم رحمه الله مع قوته الشخصية ، وكفايته ، كبير الأمل في تولي رئاسة الحكم بعد النحاس وهو في الوفد وقبل أي شخص آخر ، بعد خروجه من الوفد ولم يكن يعتقد أن قبطيته تحول دون تحقيق ذلك بل كان يرى تولي المرحوم بطرس غالي الرئاسة للوزارة سابقا ، مشجعا له ، على التمسك بهذا الأمل المنشود وأذكر أنه من الغريب أن القصر لم يكن يبغض أحدا أكثر من مكرم وكان رجال القصر يوحون الى النحاس باشا بمختلف الرسل بأن سابق الخلاف بين النحاس باشا والقصر كان سببه مكرم ٠

وأذكر شخصيا أن حديثا جرى بيني وبين أحمد حسنين رئيس الديوان الملكي حينئذ ، وكان الحديث في منزل مصطفى أمين بالجيزة ، وبعد استقالة حكومة الوفد ١٩٤٤ وتناول الحديث موقف القصر بين مكرم باشا ، بعد فصله من الوفد ، وأبديت دهشتي البالغة لحسنين من موقف القصر الحالي من مكرم وتأييده له ، بينما كان رجال القصر هم الذين يشكون دائما منه وينسبون كل خلاف بين القصر والوفد اليه ، فضحك حسنين باشا رحمه الله ، وقال بالحرف الواحد : ان رأينا في مكرم هو هو لم يتغير ، ولكننا نعتبره « برطوشة » قديمة « نضرب بها الوفد » ٠

واستمرت هذه العلاقة الطيبة بين القصر ومكرم حتى عام ١٩٤٦ حين تأليف اسماعيل صدقي وزارته ٠

ويبدو من كل هذا التاريخ ـ فؤاد سراج الدين ـ أنه لم يكن هناك أى داع اطلاقا يدعونى شخصيا لمحاربة مكرم باشا ، أو زحزحته من مكانه ، لاننى لم أكن أطمع فى مكانه فى الوفد حيث لم أكن عضوا فى الوفد حينئذ «١٩٤٢» وحتى لو كنت عضوا فيه فكنت أعلم أن هناك آخرين لهم الماضى المجيد وأكثر كفاءة وخبرة منى ، فضلا عن اننى كنت أعتقد أنه هو الذى رشحنى للوزارة لعلاقتى القديمة به .

يضاف الى هذا أن الخلاف بين مكرم وبين مصطفى باشا بدأ قبل دخولى الوزارة فأنا لم أدخلها الا فى ابريل ١٩٤٢ وكانت الوزارة قد شكلت فى فبراير ١٩٤٢ وفى هذه الفترة بين تشكيل الوزارة ودخولى فيها ، كانت سحب الخلاف بدأت تظهر بينهما للجميع .

أما عن سبب الخلاف فانى شخصيا أعتقد أن مصطفى باشا فى وزارة فبراير ١٩٤٢ استن سنة جديدة لتلافى ما كان يحدث فى كل مرة يؤلف الوفد فيها وزارة من حدوث انشقاق بين أعضائها ، وخصوصا أعضاء الوفد ، وبين مكرم عبيد بالذات ، كما حدث فى وزارة ١٩٣٧ وخروج ماهر والنقراشى من الوفد بسبب ما كانوا يعتقدونه من سيطرة مكرم باشا على مصطفى باشا واستئثاره بكل النفوذ والحظوة لديه ، فيبدو لى أن النحاس باشا فى وزارة ١٩٤٢ ومنذ البداية عمل نوعا من الموازنة بين أعضاء الوفد الكبار حتى لا يتوهم بعضهم ـ كما حدث سابقا ـ أن مكرم يطغى عليهم أو أنه يستأثر بكل المكانة لدى رئيس الوفد فتتولد الأحاسيس والانفعالات وينتهى الأمر بالشقاق ثم بانشقاق جديد ، كما حدث من قبل .

وطبعا كانت هذه الخطة الجديدة مفاجاة غير سارة لمكرم ، وهو لماح وذكى وأعتقد أنه أخطأ فى تفسيرها فبدلا من أن يفهمها على وجهها الصحيح ، أعتقد أنها تحول فى شعور النحاس نحوه أو فى مكانته هو عند النحاس ، ولم يستطع مكرم وهو المعروف بعصبيته وعنفه أن يتمالك أعصابه ، أو يسيطر عليها ، ويتمهل حتى يتفهم الأمور ، على وجهها الصحيح ، بل استسلم من ناحية لأوهامه الخاطئة ، ومن ناحية أخرى لأقوال السوء من بعض المتصلين به يضخمون له الأمور ويستثيرونه ويفهمونه ان فى الأمر خطة مرسومة لزحزحته من مكانه فى الوفد والهيئة الوفدية .

واستمرت هذه الأوهام تسيطر عليه حتى اندفع من ناحيته يهاجم زملاءه فى الوزارة والنحاس باشا دفاعا عن نفسه وارهابا لهم واستعراضا لعضلاته الى أن وقعت الواقعة ، وانتهى الأمر بفصله من الوفد والوزارة .

ومرة أخرى وفى ٢٧ يونيو ١٩٤٢ يروى فؤاد سراج الدين للتابعى بعض ما حدث من مكرم عبيد باشا بعد توتر العلاقات بينه وبين النحاس باشا . قال سراج الدين : أرسل مكرم عبيد باشا الى النحاس باشا فى ٢٦ يونيو

خطابا منه ومن عشرين نائبا يطلب عقد الهيئة الوفدية فى صباح الاثنين بعد غد ٢٩ يونيو للنظر والمناقشة فى المسائل الآتية :

١ ــ الموقف الحربى ٠

٢ ــ الاستثناءات التى لا تزال الوزارة سادرة فيها ٠

٣ ــ التصريحات بتصدير بعض المواد الأولية التى ترخص بها الوزارة لبعض أنصارها والمحسوبين عليها ٠

٤ ــ مراقبة دار مكرم عبيد والحصار المضروب حولها ٠

٥ ــ تحديد مركز مكرم باشا فى الوفد ، ومنصب سكرتير الوفد وهذا بسبب تصريحات النحاس باشا فى اجتماعات عديدة أعلن فيها أن مكرم لم يعد سكرتيرا للوفد ٠

وروى فؤاد سراج الدين أن النحاس باشا عندما قرأ خطاب مكرم أعلن أنه لن يرد عليه ، وأنه ــ أى فؤاد سراج الدين ــ وافقه على رأيه ٠ ولكن النحاس باشا عدل عن رأيه وأرسل الدكتور محمد صلاح الدين لكى يبلغ مكرم باشا رد النحاس باشا ، وهو : ان النحاس باشا يطلب من الذين أرسلوا هذا الخطاب أن يقابلوه لكى يعرف منهم شخصيا الأسباب التى يريدون من أجلها عقد الهيئة الوفدية ٠٠ أما عن الموقف الحربى فغير ممكن أن يقول النحاس باشا عنه أكثر مما قاله فى مجلس النواب ٠ وعن الاستثناءات قال النحاس : لقد أبديت يا مكرم باشا رأيك فى الاستثناءات وأبديت أنا رأيى وأيدنى الوزراء فى رأيى وهناك استجواب مقدم وسوف ينظر فى يوم الاثنين وعليك أن تقول كل ما تريد أثناء مناقشة الاستجواب فى مجلس النواب وعن النقطتين الثالثة الخاصة بتصدير بعض المواد الأولية والرابعة الخاصة بمراقبة دار مكرم عبيد باشا فهما غير صحيحتين ، وأما عن النقطة الخامسة والأخيرة فكان رد النحاس باشا على مكرم عبيد باشا : يا مكرم لست سكرتيرا للوفد لانك لم تعد سكرتيرا للوفد ، وبناء عليه أرفض طلب عقد الهيئة الوفدية ٠٠

ويعلق فؤاد سراج الدين على رسالة النحاس لمكرم : ان مكرم كان يعرف مقدما أن النحاس باشا لن يوافق على دعوة الهيئة الوفدية للاجتماع فى صباح بعد غد الاثنين للمناقشة فى المسائل التى ذكرها هو وأصحابه فى الخطاب ومنها مسألة الاستثناءات التى قدم عنها استجوابا تحدد لنظره جلسة نفس اليوم « الاثنين » ولكن مكرم أراد أن يقوم بمناورة بارعة يستبق بها الحوادث ويبرر موقفه فى هذه الجلسة القادمة لان فى نيته أن يهاجم النحاس باشا ويحمل على الوزارة فى الجلسة المذكورة ولكنه يشفق من عتاب العاتبين ولوم اللائمين ، ومن أن يقال له : كيف وأنت لا تزال عضوا فى الوفد والهيئة الوفدية ، كيف تهاجم رئيس الهيئة ورئيسك وتحمل على وزارة الهيئة التى

تنتمي اليها ومن هنا أرسل خطابه لكى يمكنه أن يقول للعاتبين واللائمين : لقد حاولت أن أناقش مصطفى باشا فى هذه المسائل فى الهيئة الوفدية أى فى اجتماع عائلى فيما بيننا ولكنه رفض فلا تلوموني اذن اذا تكلمت علانية فى جلسة مجلس النواب . هذه هى مناورة مكرم البارعة لانه كان يعرف مقدما أن النحاس باشا لن يوافق على عقد الهيئة الوفدية ..

ويمضى فؤاد سراج الدين قائلا : ان مكرم ما زال عضوا فى هيئة الوفد ولهذا السبب فان مهاجمته أو الحملة عليه ليست ممكنة الآن بل ان أعضاء الهيئة الوفدية والوفديين جميعا الموالين المخلصين للنحاس باشا يمسكون بأعصابهم وألسنتهم ولا يسمحون لأنفسهم بالحملة عليه احتراما منهم لعضويته فى الوفد والهيئة الوفدية ولكن يوم يعلن فصل مكرم من الوفد فان المانع يزول وتنطلق ألسنة الجميع ضد مكرم عبيد » .

ويقول الأستاذ محمد التابعى كنت أصغى الى فؤاد سراج الدين وأنا أعجب كيف يمكن لرجال مصر المسئولين أن يشغلوا أنفسهم بأمر الخلاف بين النحاس ومكرم وجيوش روميل تطرق أبواب مصر ودلتا النيل مهددة بالخراب » .. ويقول التابعى عن جلسة مجلس النواب التى نوقش فيها موضوع الاستثناءات : حدثت فى مجلس النواب فضيحة ولا أعنى أن الاستثناءات كانت فضيحة وهى قد كانت ولكننى أقصد ان نظرها والمناقشة فيها فى هذا اليوم وهذه الظروف بالذات هى التى كانت فضيحة ، فبينما الجيوش تتطاحن على أبواب مصر ، ودوى المدافع يسمع بوضوح فى الاسكندرية وطائرات وجيوش المحور تحلق فوق الأراضى المصرية .. أصر رئيس الوزراء النحاس باشا ، عند افتتاح الجلسة على نظر الاستجوابات المقدمة عن الاستثناءات وغيرها ، وغيرها رغم أن أصحاب هذه الاستجوابات طلبوا تأجيل النظر فيها مراعاة للحالة وتقديرا منهم لخطورة الموقف ولكن « رفعة الرئيس » أصر على نظرها و .. و .. » .

وعن موضوع طلب مكرم باشا عقد اجتماع الهيئة الوفدية الذى أشار اليه فؤاد سراج الدين قال مكرم عبيد : تفاقم الاعتداء على الحريات جميعا فى سبيل الاعتداء على حرية مكرم فى الكلام كما ساءت حالة الحكم وتفشت المحسوبية والمحاباة فى أسوأ مظاهرها بين الموظفين والاهلين وامتد الفساد والعبث الى التموين ، وغيره من المرافق الحيوية ثم تعرضت البلاد لويلات الحرب ولم نجد من الحكومة الوقاية أو العناية الكفيلة بحماية الأرواح والحقوق .

وفى هذا الحين وفى وسط الضيق قامت الحكومة بفرض الضرائب غير الرسمية على الاهلين باسم مشروع البر ، ثم راحت تنفق النفقات الجسيمة فى شراء السيارات للوزراء وأتباعهم وفى مظاهر الترف . حيال هذا كله رأيت وبعض اخوانى من النواب أن نتقدم الى المجلس بعريضة نطلب فيها مناقشة هذه

التصرفات دون أن نلجأ الى طريق الاستجواب وقلنا فى صريح العبارة أننا لا نبغى احراجا بل علاجا وقد أردنا أن نكون أمناء للنظام الحزبى فاتصلت بحضرة سكرتير عام مجلس الوزراء وطلبت اليه أن يرجو النحاس باشا عقد الهيئة الوفدية لمناقشة العريضة قبل تقديمها الى البرلمان عسى أن تقتنع الحكومة بأخطائها فتعالجها ، أو نقتنع نحن بخطأ مأخذنا عليها فنعدل عنها من غير ما حاجة الى مناقشة البرلمان ولكنه رفض عقد الهيئة قائلا : أمامكم طريقة الاستجواب فى البرلمان .. لم يكن بد اذن من تقديم العريضة الى البرلمان لمناقشتها ولكن حدث قبل الجلسة المحددة لتقديم العريضة أن اجتمع رئيس مجلس النواب فى غرفته ببعض الوزراء ثم افتتحت الجلسة فاذا رئيس الوزراء يقف ويطلب جلسة سرية لالقاء بيان عن الحالة الحربية . وانعقد المجلس فى جلسة سرية وألقى رئيس الوزراء بيانه واذا برئيس مجلس النواب يفاجئنا بالاعلان من منبر المجلس ان عريضة موقعا عليها من ستة وثلاثين نائبا قد قدمت اليه تطلب المناقشة فى بعض المسائل وانه بهذه المناسبة يعرضها على المجلس ويتلوها عليه . وبعد تلاوتها لفت سعادته نظر المجلس الى ما له من حق فى مناقشة العريضة أو استبعادها وسأل عما اذا كان المجلس يوافقه على استبعاد العريضة فوافق الأنصار المتحمسون صائحين : رغم احتجاجنا بمخالفة هذا التصرف الغريب لأحكام الدستور واللائحة فكان احتجاج وكان لجاج ولكن لم تكن هناك مناقشة بل استبعدت كل مناقشة وفقا للتقاليد النيابية الحديثة التى ابتدعها مصطفى النحاس ومن والى مصطفى النحاس لحماية مصطفى النحاس خرجنا من الجلسة السرية وقد كسب النحاس باشا المعركة فالعريضة قدمت فى السر ، وتليت فى السر ، واستبعدت فى السر وكان الله بالسر عليم .

ويكمل مكرم عبيد – من وجهة نظره – القصة فيقول : بقى اجراء آخر هو أن يفصل مكرم من الوفد من غير ما مناقشة أيضا ورغم أنى وزميلى المحترم راغب بك حنا طلبنا تأجيل الجلسة الى الغد ، لوفاة قريبة لى ولمرض زميلى فان الوفد اجتمع فى تلك الليلة نفسها فى غيبتنا ومن غير اخطارنا بالتصميم على الاجتماع ، واتخذ الأعضاء المساكين قرارهم دون أن يسمعونا فشرفونا ولم يشرفوا هيئتهم ، بل ولا مداولاتهم بمظهر المناقشة أو الموازنة بين الطرفين . ولكن النحاس باشا كسب ولا شك المعركة فقد فاز بمنع الاتهام من الادلاء بأسباب التهمة وأسانيدها ولو بين أربعة جدران اذ أن للحيطان آذانا .

وكانت مساومة مفضوحة ولعبة مكشوفة تلك التى جعلتهم يعلنون فى قرارهم أنهم سينظرون فى أمر النواب الذين وقعوا على العريضة فى جلسة أخرى فما بين الجلسة والجلسة تبذل الهمة لانهاء هذه المهمة وقد إنتهت ويا للأسف الى خاتمة محزنة توسلوا اليها بوسائل من مثلها تدل الدلائل على أصلها . .

ويستقيل بعض النواب والشيوخ الوفديين احتجاجا على قرار الوفد بفصل مكرم عبيد وراغب حنا من عضوية الوفد ويبعثون بالخطاب التالى الى حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا : يتشرف الشيوخ والنواب الوفديون الموقعون على هذا بأن يقدموا الى رفعتكم استقالتهم من الهيئة الوفدية التى ترأسونها وذلك احتفاظا منهم بوفديتهم الأصيلة واستمساكا بالمبادىء الوفدية الخالدة التى ساهموا فيها وجاهدوا لها منذ أن شكل الوفد برئاسة زعيمه الخالد سعد زغلول ، ولقد رأينا من مصلحة الوطن والوفد معا ، أن نبادر باتخاذ هذه الخطوة بعد أن اقتنعنا بأنكم خالفتم مبادىء الوفد السامية فى الحكم ، وفى الوفد معا بحيث أصبحت حقوق بلادنا وكرامات رجالنا فى خطر داهم لن ينقذها منه الا رحمة الله ودعاء المخلصين من أبناء هذا البلد الأمين ٠

وقد عاهدنا الله أن نجاهد جهاد البررة الأوفياء لمبدأ الوفد الأمين لكى يبقى على البقية الباقية من فكرة الوفد السامية التى أزكاها سعد ، ويحييها اليوم أبناء سعد ، ويوقع الخطاب ـ المؤرخ فى ٢٢ يوليو ١٩٤٢ كل من الشيوخ والنواب الوفديين : السيد سليم « نائب البوها » محمد فريد زعلوك « نائب صندلا » اسماعيل محمد فواز « عضو مجلس الشيوخ » زكى ميخائيل بشارة « عضو مجلس الشيوخ » عبد الله محمد فواز « نائب أولاد حمزة » ميشيل رزق « عضو مجلس الشيوخ » جلال الدين الحمامصى « نائب الصحراء الغربية » الدكتور فهمى سليمان « نائب محلة روح » أبو المجد الناظر « نائب أرمنت » نجيب ميخائيل بشارة « نائب قوص » حسين الهرميل « نائب محلة مرحوم » لبيب جريس « نائب صنبو » محمد عثمان عبد القادر « نائب أبو حماد شرقية » ألفريد قسيس « نائب مركز المنصورة » أبو الغيث الأعور « نائب أبو جرج » مهنى القمص « نائب ديروط المحطة » مكرم عبيد « نائب أولاد عمرو » ٠

وترفض الرقابة نشر نبأ استقالة الشيوخ والنواب السبعة عشر وتنشر الصحف أن الوفد قد قرر فصل هؤلاء الشيوخ والنواب السبعة عشر لانهم اتهموا رئيس الوزراء وزملاءه بالتفريط فى حقوق البلاد مع أن من بين هؤلاء ـ كما يقول مكرم عبيد ـ بعض الشيوخ الذين لم يشتركوا فى التوقيع على العريضة التى اشتملت على الاتهام بالتفريط فى حقوق البلاد اذ أن هذه العريضة قدمت لمجلس النواب لا لمجلس الشيوخ ٠

وهكذا ارتضى النحاس باشا لنفسه ولزملائه أن يوهم الناس فى غير حق ، أن هؤلاء السادة لم يستقيلوا بل فصلوا فصلا وكان فى مقدوره لو توخى الأمانة فى ذكر الوقائع أن يقول أن الوفد قد قبل استقالتهم اما أن يقول أنهم فصلوا ـ وهم مستقيلون قبل الفصل ـ وأنهم جميعا اتهموه بالتفريط مع أن بعضهم أعضاء فى مجلس الشيوخ ولم يتهموه ولم يوقعوا

العريضـــة بهـذا الاتهـــام ، فهذا هو الزيف بعينه » ولا بد من وقفة قصيرة عند عدد الشيوخ والنواب الذين استقالوا تضامنا مع مكرم باشا اذ أن عدد النواب قد تناقص بشكل غريب فقد كان عدد النواب الذين وقعوا العريضـــة ستة وثلاثين نائبا تقلص عددهم فى الاستقالة تضامنا مع مكرم عبيد الى أربعة عشر نائبا وسر هذا التناقص أن ضغوطا كثيرة قد وجهت الى النواب والشيوخ الوفديين الذين كانوا قد أعلنوا تضـامنهم مع مكرم عبيـد وان بعضهم قد استجاب الى هذه الضغوط وتراجع فيما بين ٢٩ يونيو ١٩٤٢ ـ موعد تقديم العريضة ـ و١٢ يونيو ١٩٤٢ موعد تقديم الاستقالة الجماعية الى النحاس باشا رئيس الوفد المصرى ، وقد كان لبعض هؤلاء النواب العذر ، اذ كانت الطعون فى انتخابهم لم تنظر بعد وكان يخشى من قبول المجلس لتلك الطعون لو أنهم أعلنوا وقوفهم الى جانب مكرم عبيد ، وقد كان لبعض هؤلاء النواب مصالح انتخابية يخشون ضياعها لو أنهم أعلنوا خروجهم على زعامة النحاس باشا رئيس الحكومة و ٠٠ و ٠٠

وحتى أنتهى تماما من توضيح وجهة نظر مكرم عبيـد باشا فى الخلاف الذى نشب بينه وبين مصطفى النحاس باشا أنقل عبارات وردت فى الكتاب الأسود حول تلك النقطة حاول بها مكرم عبيد أن يرد على من وجهوا اليه الاتهام بأنه تعجل المعارضة : لقد كنت ـ مكرم عبيد ـ متمهلا فوق تمهل ، متحملا فوق تحمل وحسبى أن أعدد هذه الوقائع فى ايجاز :

أولا : ظللت فى الوزارة شهورا أنصح وأحذر وأرجـو وأنذر دون أية جدوى فتمهلت ثم تمهلت ٠

وثانيا : قدمت استقالتى بدل المرة ثلاث مرات ، وكنت أقدم ثم أحجم عسى ان يصلح الله الحال ٠ وتحملت فى هذا السبيل كل دس وكل صغائر ولكنى تمهلت وتمهلت ٠

وثالثا : حاول رئيس الوزارة اقالتى فحمانى الله منها فاستقال وأخرجنى من الوزارة ٠

ورابعا : كان من حقى أن أغضـب لكرامتى ولكننى تمهلت وارتضـيت ألا أدلى ببيـان عن أسـباب الخلاف أمام الهيئة الوفدية وارتضى هو ذلك مع الفارق بين المعتدى والمعتدى عليه ٠

خامسا : نقض هو هذا العهد فأدلى بأسباب الخلاف أمام الشيوخ والنواب الوفديين مديرية ٠٠ مديرية ورغم ذلك تمهلت وتمهلت ٠

سادسا : فرض الرقابة الخانقة على الصحف فى كل ما يتعلق بى فلا نشر منى أو عنى فى الوقت الذى سمح لجرائده فيه بأن تحبذ موقفه وتشوه موقفى فتمهلت ثم تمهلت ٠

سابعا : صودرت البرقيات الواردة لى واحيط منزلى بالجواسيس وروقبت حركاتى ومواصلاتى التليفونية فتمهلت ، ثم تمهلت ٠

ثامنا : فصلنى من سكرتيرية الوفد بقرار صادر منه فى غير اختصاصه وطلبت اليه عرض الأمر ، على الوفد وهو الهيئـة المختصة فرفض ورغم ذلك تمهلت ٠

تاسعا : تدخل فى أمر ترشيحى لنقابة المحامين لمحاربتى حتى فى شئون مهنتى فتمهلت ، ثم تمهلت ٠

عاشرا : منع مجلس النواب من شكرى على خدماتى واعتدى على كرامتى بألفاظ جارحة غير لائقة فتمهلت ، ثم تمهلت ٠

حادى عشر : وأكثر من هذا وأشد فانه رغم خطر الحرب واقترابه من داخلية البلاد أصر على الكلام فى استجواب الاستثناءات رغم الحاحنا عليه فى التأجيل ولما أن جاء دورى فى الرد عليه فى اليوم التالى وقيل أن الخطر قد تفاقم وأنه لذلك لم يحضر الى المجلس أبت علينا وطنيتنا أن نستغل الظروف الدقيقة لمصلحة الاستجواب فارتضينا التأجيل وقلبوا التأجيل الى تنويم ومع ذلك تمهلنا ثم تمهلنا ٠

ثانى عشر : منعنى اخوانى النواب من مناقشة تصرفاته فى الهيئة الوفدية وعمل على استبعاد عريضة المناقشة بعد تلاوتها فى جلسة سرية مخالفا بذلك كل قانون ، وكل عدل فتمهلت ، ثم تمهلت ٠

ثالث عشر : فصلنى واخوانى من الهيئـة السـياسية ، التى شرفناها فشرفتنا وتم هذا الفصل المزرى فى غيبتنا دون أن تسمع لنا أقوال فتمهلنا ، ثم تمهلنا ٠

رابع عشر : وأخيرا ٠٠ حاربنا حتى فى تكويننا وفى مباشرة حقوقنا النيابية بل وفى الاستمتاع بحريتنا الشخصية فهل يقول قائل بعد ذلك أننا تعجلنا المعارضة أم أننا تمهلنا الى أبعد حدود التمهل وتحملنا الأذى والاضطهاد فوق طاقة التحمـل على العكس فاننى لأتهـم نفسى بأننى تمهلت عليه أكثـر مما وجب التمهل ، ولى فى ذلك عذرى ، أستمده من حنايا صدرى ، بعد أن غلبنى شعورى على أمرى ، أليست هى صداقة العمر ، واليست هى ذكريات ، غاليات صحبتنا فى النفى وفى الأسر وفى الهزيمة وفى النصر فهل من عجب اذا ما أشفقت وامتد بالاشفاق حبل الصبر ؟ والجلسة التى أشار اليها مكرم عبيد باشا فى كتابه الأسود ، هى جلسة ٣٠ يونيو ١٩٤٢ : بدأت عادية برئاسة عبد السلام فهمى جمعة تم بحث تقرير لجنة الشئون المالية من مشروع الميزانية العامة للدولة ، آخر ما بحثه المجلس القسم ٢١ : مصروفات تنفيـذ المعاهدة المصرية البريطانية ، موافقة المجلس ، على عدم تلاوة التقرير الخاص بتلك النقطة

والاكتفاء باثباته فى المضبطة ، تعديل الاعتماد المدرج لانشاء ورصف طريق بور سعيد الاسماعيلية ، السويس وجعله ٩٩٫٠٠٠ ج٠م بزيادة قدرها ١٤ ألفا بسبب ارتفاع الأسعار ، تقوية رصف طريق مصر ـ الاسكندرية « الصحراوى » ورفع تكاليف هذا المشروع من ٧٣٫٠٠٠ جنيه الى ٨٥٫٠٠٠ جنيه وكان بند تنفيذ المعاهدة المصرية البريطانية يتطلب فى الميزانية ٢٦٨٫٠٠٠ جنيه ووفق عليه ، طلب رئيس المجلس رفع الجلسة للاستراحة حتى يحضر حضرة صاحب المقام الرفيع رئيس الحكومة لنستأنف نظر الاستجوابات : موافقة عامة ٠

أعيدت الجلسة فى الساعة السادسة والدقيقة الأربعين : رئيس المجلس يطلب تأجيل نظر الاستجواب لتغيب رئيس الحكومة ، النائب أحمد محمد أباظه يتساءل هل الظروف ، التى جـدت اليـوم ، أشد خطرا من ظروف الأمس ؟ لا جواب ، مكرم عبيد : يوافق على ألا ينظر هذا الاستجواب فى غيبة رفعة رئيس الحكومة وحضرات أصحاب المعالى الوزراء ، لان هناك من غير شك أشياء تستدعى ردا من رفعته ومن حضراتهم على أننا ـ مكرم عبيد ـ اذا وافقنا على هذا التأجيل حرصا على كرامة الحكومة فلنا نحن أيضا كرامة نعهد بها الى سعادة رئيس مجلسنا الموقر : لقد تعرضت المناقشة أمس ، الى أشياء يجب أن يرد عليها وكان رفعة رئيس الحكومة لا يريد أن يتأخر نظر الاستجواب سـاعة واحـدة فى الوقت الخطـير الذى كان يجب أن يبـذله فى البحث عن حل مشاكلنا ، فصرفناه فى مناقشات بيزنطية بدلا من أن نتناقش فى : هل تكون القاهرة مدينة مفتوحة ؟ وفى هل يمكن عمل اجراءات احتياطية لوقاية السكان وحمايتهم وهجرتهم ؟ لكن بدلا من كل هذا تعرضت المناقشة الى أشخاصنا الى القدح فى هذا وذاك فأرجو أن نستأنف المناقشة فى هذا الاستجواب غدا فاذا سمحت الظروف فيها ونعمت واذا لم تسمح الظروف الحربية الخطيرة فأنا متنازل عن الرد على كل ما مس شخصى فى سبيل الوطن « تصفيق وهتاف » رفعت الجلسة الى الغد وفى الجلسة التالية « أول يوليو ١٩٤٢ » وقف رئيس الحكومة يطلب أن ينعقد المجلس بصفة سرية لان الحكومة تريد أن تدلى ببيان عن الموقف الحاضر : أخليت الشرفات من الزائرين وأخليت قاعة الجلسة من غير النواب ما عدا السكرتير العام للمجلس ، كانت الساعة السابعة والنصف وأعيدت الجلسة علنية فى التاسعة والنصف حيث أعلن رئيس المجلس القرار الذى أصدره المجلس فى الجلسة السرية وهو : يكتفى المجلس بالبيانات ، التى ألقاها رئيس الحكومة معلنا فيها ما بذل ويبذل من الجهود لتجنيب البلاد والسكان المدنيين مخاطر الحرب وويلاتها ، رفعت الجلسة ٠

وفى ٦ يولية ١٩٤٢ وعند بداية جلسة مجلس النواب قال رئيس الحكومة مصطفى النحاس : ان الحكومة تريد القاء بيان ويطلب أن يكون ذلك فى جلسة سرية وأخليت الشرفات من الزائرين والقاعة من غير الأعضاء فيما عدا السكرتير العام ، ومدير الادارة التشريعية وظلت الجلسة سرية من السادسة والثلث

مساء الى العاشرة والنصف مساء أيضا وأعلن رئيس المجلس القرار الذى أصدره المجلس فى الجلسة السرية وهو : بعد بيان رئيس الحكومة يتقدم بواجب الشكر الى رفعته على جهوده مع الاكتفاء بهذا البيان ، كما وافق المجلس على الترخيص للحكومة فى الانفاق على الطوارىء الخاصة فى حدود مليونين من الجنيهات تؤخذ من الاحتياطى العام .

وفى جلسة مجلس النواب بتاريخ ٢٠ يوليو ١٩٤٢ أشير الى الاستجواب الموجه الى حضرة صاحب المقام الرفيع رئيس مجلس الوزراء من حضرة النائب المحترم مكرم عبيد باشا عما يراه من تفريط الوزارة فى حقوق البلاد فى هذا الوقت العصيب ويطلب مصطفى النحاس أن تكون مناقشة الاستجواب بعد ثلاثة أسابيع . ويوافق مكرم عبيد ولكن النائب الأستاذ ابراهيم بيومى يثير اشكالا : هل هذا الاستجواب مقبول شكلا أم لا ؟ ويقول ابراهيم بيومى أن المستجوب لم يذكر فى استجوابه الا مسألة واحدة وهى التفريط فى حقوق البلاد . ثم يقول : ان الاستجواب غامض وكلمة تفريط كلمة قاسية نابية . ثم ينتهى من ذلك بقوله : هذا الاستجواب على حالة وبألفاظ غير مقبول شكلا . ويسأل رئيس المجلس مكرم عبيد عن رأيه فيما قاله ابراهيم بيومى ، بخصوص استجوابه . ويرد مكرم عبيد ..

ويبدأ النقاش الحاد والحار .

الفصل الثالث

مكرم عبيد .. يستجوب مصطفى النحاس
والنحاس يأمر بفصل النائبين
أحمد قاسم جوده وجلال الدين الحمامصى

● الاستجواب ، الذى وجهه مكرم عبيد باشا سكرتير عام الوفد السابق الى مصطفى النحاس باشا رئيس مجلس الوزراء • ورئيس الوفد ، متهما اياه بالتفريط فى حقوق البلاد ، كان أول هجوم ضار وعلنى يشنه مكرم عبيد ضد صديقه الحميم القديم !

ويعرض الاستجواب على مجلس النواب ــ كما هى العادة ــ لتحديد موعد لمناقشته ، ولا يعترض مصطفى النحاس على صيغة الاستجواب وكان ذلك منه مناورة بارعة مكتفيا بطلب ان تكون مناقشة الاستجواب بعد ثلاثة اسابيع ويوافق مكرم عبيد •

ويعتقد البعض ان المشكلة ــ مشكلة الاستجواب ــ قد إنتهت عند هذا الحد ، غير ان النائب ابراهيم بيومى ــ وبناء على تكتيك حزبى واضح ــ يطلب الكلمة ويعترض على الاستجواب من ناحية الشكل ، لانه لم يتضمن وقائع محددة « كما تنص المادة ١٥٨ من اللائحة الداخلية للمجلس » بالاضافة الى ان « كلمة تفريط كلمة نابية » و .. و • وينتهى ابراهيم بيومى الى المطالبة بعدم قبول الاستجواب شكلا •

ويسأل رئيس المجلس ــ عبد السلام فهمى جمعة مقدم الاستجواب ــ مكرم عبيد ــ رأيه فى اعتراض ابراهيم بيومى ويقول مكرم عبيد : لقد طلبت الحكومة مناقشة الاستجواب بعد ثلاثة اسابيع وذلك اعترافا منها بما يتضمن هذا الاستجواب من وقائع ، ثم يمضى مكرم عبيد قائلا :

ومع ذلك اذا أريد تحديد الوقائع ، فانى مستعد ان احددها الان ، غير اننى ارى ان الاستجواب على ما هو عليه قد ارتضته الحكومة ..

وتقوم ضجة وتتم مقاطعة المستجوب أكثر من مرة و ..

ويقول النائب عمر عمر ان المستجوب يريد أن يستجوب رئيس الحكومة « عن تفريط وزارته فى حقوق البلاد فى هذا الوقت العصيب » والاستجواب بهذه الصيغة ـ عمر عمر ـ ليس مخالفا للمادة ١٥٨ من اللائحة وحسب بل هو مخالف للمادة ١٠٧ من الدستور .

ويقف عبد الحميد السنوسى مطالبا برفض الاستجواب ليس من الناحية الشكلية وحسب ، وانما من ناحية الموضوع أيضا ، ويعتب على مكرم عبيد ما استخدمه من عنف فى استجوابه ، ويقول : « لقد كان فى استطاعة مكرم باشا المعروف ببلاغته ولباقته ، وتوسعه فى اللغة ان يجد من الالفاظ ما يصل به الى غرضه ويحدد الوقائع تحديدا معينا واضحا بكلام عف طاهر » .

ويثور النائب السيد سليم قائلا : « ان ما يقوله النائب السنوسى هو بعينيه الألفاظ النابية » !

وفى هدوء يقف مكرم عبيد ليقول : « لولا انى اصبحت لا أدهش فى هذا الزمن . لشىء ، ما أعربت عن دهشتى لما قاله النائب السنوسى » .. فقد تعرض لموضوع الاستجواب قبل ان يسمع أو يعلم ما سأقوله اذ قال : « ان عبارة التفريط فى حقوق البلاد » نابية ولست افهم كيف تكون هذه العبارة نابية وهى اهون العبارات فالتفريط معناه التقصير ، فقد كنا نتهم خصومنا بالخيانة والاعتداء على الدستور وبيع البلاد » ولكننى لم أقل هذا ، وكل ما قلته ان هناك تفريطا من الحكومة فى حقوق البلاد فى هذا الوقت العصيب ، والتفريط يستحق فعلا اهتمام كل مصرى ، لاننا فى هذا الوقت العصيب اذا فرطنا تفريطا بسيطا ، أصبحت الصغيرة كبيرة وكبرت الكبيرة !.

الى ان يقول مكرم عبيد : « لذلك لا أرى معنى للتعريض والمشاكسة بعبارات يوجهها الاستاذ السنوسى الى مكرم عن عفة القول وبلاغة الكلام : ان المسألة ليست مسألة مباغتة ولا محاولة ايجاد هوة وانا لا أبغى من وراء ذلك الاستجواب الانتقام من أحد ، بل أرى كوطنى له قدم فى الوطنية وماض فى الجهاد ان البلاد معرضة للخطر من وراء هذا التقصير ، فقدمت هذا الاستجواب .. ان استبعاد هذا الاستجواب لمجرد الاستبعاد ، أمر لا نرضاه ، وحرام علينا ان نعبث بالحياة النيابية الى هذا الحد .. »

ويشترك فى المناقشة بعد ذلك كل من عمر وعوض أحمد الجندى والسيد سليم وفكرى اباظة الذى يقف الى جانب مكرم عبيد فى عدم ضرورة ذكر الوقائع حتى لا يتطرق الامر الى التحدث عن بعض ما جاء فى الجلسات السرية ، التى عقدها المجلس ..

وعندما يريد فكرى أباظة الاسترسال فى الكلام يهب مصطفى النحاس مطالبا بألا يثبت فى المضبطة أى شىء يتعلق بالمناقشات التى دارت فى الجلسات السرية ، ويحذر وينذر فكرى اباظة مطالبا بضرورة ان يعرف اعضاء المجلس كل شىء فى هذا الوقت العصيب بوصفهم نواب الامة » ..

ويطلب مكرم عبيد الكلمة غير ان رئيس المجلس يرفض اعطاءه الكلمة بدعوى ان اللائحة تقضى « بأنه لا يجوز للنائب ان يتكلم فى موضوع واحد ، أكثر من ثلاث مرات » واللائحة ، السلاح الذى يستخدمه بعض رؤساء المجالس لتمرير ما يريدون تمريره ، أو لحجب ما يريدون حجبه بينما اللائحة دائما وأبدا مظلومة !

لقد كان عبد السلام فهمى جمعة غير منصف حقيقة فى استخدام اللائحة لمنع مكرم عبيد من الكلام فما أكثر النواب الذين تحدثوا فى هذا الموضوع ، أكثر من ثلاث مرات ، ثم ان مكرم عبيد ـ مقدم الاستجواب ـ ما كان يجب أن يمنع عن الكلام فى أمر يخص استجوابه ولكنه التحكم !!

على آية حال عرض رئيس المجلس اقتراحا تقدم به اكثر من عشرين نائبا يطلبون قفل باب المناقشة واستبعاد الاستجواب شكلا وموضوعا ..

ويقرر المجلس ـ بطبيعة الحال ـ الموافقة على الاقتراح : اقفل باب المناقشة استبعد الاستجواب شكلا وموضوعا .

استبعد الاستجواب الذى طالب رئيس الحكومة بمناقشته بعد ثلاثة اسابيع ! وكان الاستبعاد بعد مناورات برلمانية « ذكية » أو غير ذكية لست أدرى !

وبمجرد اعلان رئيس المجلس استبعاد الاستجواب المقدم من مكرم عبيد الى رئيس الحكومة انسحب النواب : مكرم عبيد ، السيد سليم ، فريد زعلوك أحمد الألفى عطية ، جلال الدين الحمامصى ، نجيب ميخائيل ، سليمان سيدهم ؛ محمد عثمان عبد القادر « جورج مكرم عبيد ، الفريد قسيس ، مرقص بطرس ، أبو الغيث الأعور ..

وعند خروج هؤلاء النواب وانسحابهم من الجلسة صفق لهم بعض النواب من قبيل السخرية ، السخرية ـ بكل أسف ـ من زملائهم القدامى !

ووقف رئيس المجلس يقول : « كنت أرجو أن نقدر جميعا اننا فى مجلس شورى : الرأى فيه للأغلبية فاذا اصدرت الاغلبية قرارا فى مسألة ، وجب احترام هذا القرار والخضوع له ، هذا هو الاساس الصحيح ، لحكم الشورى والحياة النيابية ، أما ان ينسحب البعض فهذا غير معقول وارجو الا يتكرر ».

جرى ذلك كله في جلسة مجلس النواب بتاريخ ٢٠ يوليو ١٩٤٢ وفي اليوم التالي ـ في جلسة ٢١ يوليو ١٩٤٢ ـ لم يحدث أي شيء خطير ٠

غير ان بعض ما حدث في هذه الجلسة كان مقدمة لاخطر الامــور في حياتنا النيابية وأعني به الكيل بمكيالين والنظر الى الأمر الواحد بنظرتين أو ثلاث أو اربع تختلف كل واحدة منها عن الاخرى طبقا للظروف المحيطة بكل واحدة ٠

ولا أطيل في المقدمة ، بل ادخل ـ مباشرة ـ في الموضوع ٠

في تلك الجلسة اختارت لجنة « فحص الطعون وتحقيق صحة العضوية » النائب فكرى اباظة ليعرض على المجلس تقريرها في الطعن الذى قدمه الاستاذ محمد زكي العروسى بك في صحة نيابة الاستاذ احمد قاسم جودة ، نائب باب الشعرية ٠٠

وتلا الاستاذ فكرى أباظة تقرير اللجنة وقد جاء في هذا التقرير ـ وأنا هنا انقل نصوص بعض الفقرات : « اعتمد الطاعن في طعنه على ان سن المطعون في صحة انتخابه لم تتجاوز ثمانية وعشرين عاما يوم الانتخاب وقد قوض الطاعن اركان طعنه باعترافه في كتابه ان المطعون في صحة انتخابه مــن ساقطي القيد وانه في القرعة على هذا الاعتبار ، والمطعون في صحة انتخابه قدم شهادة من الدكتور ابراهيم الاسريجي مفتش صحة السيدة زينب قسم أول تبين أنه كشف على حضرة النائب المحترم وتشهد ان عمره يبلغ مــن الثلاثين الى خمسة وثلاثين عاما أي ما يعادل انه من مواليد ١٩٠٩ » وتنهي اللجنة تقريرها بالعبارة التالية : وانا انقلها هنا أيضا بنصــها : « لهــذه الاسباب ترى لجنة فحص الطعون وتحقيق صحة النيابة رفض الطعن واعلان صحة نيابة النائب المحترم احمد قاسم جودة نائب باب الشعرية » ٠٠

ويطلب رئيس المجلس من الاعضاء ابداء الرأى في تقرير اللجنة فتكون الموافقة الاجماعية عليه ويعلن الاستاذ عبد السلام فهمى جمعة باشا رئيس المجلس صحة نيابة حضرة النائب المحترم احمد قاسـم جـودة نائب باب الشعرية ٠

وفي جلسة مجلس النواب « ١٩ أغسطس ١٩٤٢ » فوجيء اعضاء مجلس النواب بتلاوة رسالة من النائب عبد الحميد السنوسى تقول : « سبق ان قدم طعن في صحة انتخاب حضرة الاستاذ أحمد قاسم جودة وبنى هذا الطعن في اساسه على أن حضرته غير متوافر فيه شرط السن القانونية لعضوية مجلس النواب ، وقد بحثت لجنة « فحص الطعون وتحقيق صحة العضوية » هــذا الطعن وقضت برفضه على أساس ان الطاعن لم يقدم دليلا على ان سن حضرة النائب المحترم لم تصل الى الثلاثين سنة وقد قصرت اللجنة استعلامها عــلى

البحث فى دفاتر قيد مواليد ناحية بشالوش مركز ميت غمر - وهى البلدة التى قال الطاعن ان المطعون ضده قد ولد فيها ، من واقع دفاتر مواليد سنة ١٩١٤ وما قبلها ، وما بعدها بقليل و٠٠و٠٠

وبما أنه قد وصل الى علمى - علم النائب السنوسى - من بعض المتخرجين مع حضرة النائب والذين وظفوا معه ان حضرته أقر بيده اقرارا صريحا فى أوراق رسمية انه من مواليد أول يناير ١٩١٤ وانه قد استند فى ذلك على حكم قضـائى ، استصدره ضده والده قضى بعقوبة المخالفـة وبقيده فى دفتر المواليد فى التاريخ المذكور ويثبت ذلك صراحة ما يأتى :

١ - ملف حضرته بكلية الآداب ٠

٢ - ملف حضرته بوزارة التجارة والصناعة حيث كان موظفا بها ٠

٣ - ملف حضرته بوزارة المالية حيث صرف فيها مكافأة عـن مـدة خدمته » ٠

ويطلب النائب السنوسى ٠٠ نائب الرمل عرض الامر ، على لجنة فحص الطعون بصفة مستعجلة حتى اذا ثبت عدم اهلية النائب سالف الذكر للنيابة يقرر المجلس سقوط عضويته » وكانت رسالة السنوسى قد وردت الى رئاسة المجلس قبل عقد الجلسة بأربع وعشرين ساعة وقـد عرضها رئيس المجلس فى أول الجلسة طالبا من المجلس ابداء الرأى فيها وقال محمد محمود جلال : « لقد جرى العرف على ان الرسائل لا تعطى حكم الاقتراحات التى تقدم للمجلس لتثار حولها مناقشة يشترك فيها الاعضاء » وبما ان هذا الكتاب - محمد محمود جلال - وهو رسالة لا اقتراح فلا داعى لعرض أمره ، على المجلس قبل احالته على اللجنة المختصة وقال عمر عمر ، ان الطريق الطبيعى لرسـالة النـائب السنوسى لجنة فحص الطعون وصحة النيابة ، ويجب عدم مناقشة الرسالة واحالتها الى اللجنة اياها ٠

ولكن رئيس المجلس قال : هذه المسألة ليس لها سابقة ونريد ان نضع لها تقليدا دستوريا سليما ، ويسأل النائب السيد سليم عن تاريخ الكتاب ويرد صاحبه قائلا : امس ويقول السيد سليم : معنى ذلك ان هذا الكتاب كتب بعد قرار فصل النائب المحترم الأستاذ أحمد قاسم جودة من الهيئة الوفدية! ويرى محمد عبد الرحمن نصير ان المسألة المعروضة ليست لها سابقة دستوية وبما ان الموضوع قد سبق الفصل فيه من لجنة فحص الطعون وتحقيق صحة العضوية وأصدر المجلس فيه قرارا بصحة النيابة فأرى أن من التسرع بحث الموضوع الآن وتجب دراسته دراسة وافية قبل مناقشته فى المجلس لان المسألة خطيرة ولها مساس بالتقاليد الدستورية ومساس بكرامة النائب بل بكرامة المجلس ٠ ويرى عزيز انطون ان قرار المجلس يجعل النائب حائزا للسن المقررة للنيابة ٠

وقرر المجلس احالة الموضوع برمته على لجنة الفتوى الدستورية :

وكان قرار المجلس باحالة رسالة النائب السنوسى بخصوص الطعن فى صحة نيابة النائب أحمد قاسم جودة فى جلسة ١٩ اغسطس ١٩٤٢ الى لجنة الشئون الدستورية ٠٠ وبعد بضعة أيام فى جلسة ٢٥ اغسطس ١٩٤٢، نفس الشهر ، بل نفس الاسبوع عرض على المجلس تقرير اللجنة المؤرخ فى ٢٤ أغسطس والموقع من رئيس اللجنة عمر عمر ولان التقرير لم يوزع على المجلس قبل موعد الجلسة بثمان وأربعين ساعة على الأقل طبقا لنص المادة ٦٧ من اللائحة الداخلية فقد رأى رئيس المجلس تأجيل نظر التقرير الى الجلسة القادمة ، وعرض رئيس المجلس على المجلس اقتراحا من النائب السنوسى بأن يفصل المجلس مباشرة فى الطلب المقدم منه بشأن سقوط نيابة النائب أحمد قاسم جودة دون أن يحيله على لجنة الطعون فى حالة ما اذا أقر وجهة نظر لجنة الشئون الدستورية ٠

وما دامت صحة نيابة النائب أحمد قاسم جودة - بعد خروجه عن الوفد وانضمامه الى مكرم عبيد - قد عرضت على المقصلة فلا بد من أن يعرض صحة نيابة نائب آخر أعلن - ومنذ بداية الخلاف بين النحاس ومكرم - وقوفه الى جانب مكرم عبيد أيضا أعنى النائب جلال الدين الحمامصى ٠ ففى جلسة ٣١ أغسطس من نفس العام « ١٩٤٢ » بعث نائب البربا على عثمان المحامى خطابا شبيها بخطاب عبد الحميد السنوسى قال فيه : سبق أن أعلن مجلس النواب صحة نيابة حضرة النائب المحترم جلال الدين الحمامصى وقد تقدم حضرته لترشيح نفسه « زاعما » ان سنه تتفق مع السن التى يشترط توافرها الدستور وقانون الانتخاب غير أنه وصل الى علمى أخيرا ان النائب المذكور لم يبلغ السن القانونية اذ ولد فى أول يوليو ١٩١٣ بدمياط أى أنه الى الآن لم النائب المحترم المذكور السن القانونية ومرفق - هكذا فى الأصل - لهذا الطلب شهادة رسمية بتاريخ الميلاد » ومنعا للاحراج لم يؤرخ نائب البربا خطابه ٠

وقامت ضجة شديدة من بعض مقاعد اليسار ، وقال رئيس المجلس انه لا يسمح بأى اعتراض ، والغريب ان النائب المحترم وهو يعرض اقتراحه ، أشار الى ما جاء فى تقرير لجنة الشئون الدستورية من ان مسألة السن من المسائل التى تعتبر من النظام العام ، والتى لا تسقط بأية مدة ، ولم يكن المجلس قد ناقش بعد تقرير اللجنة وبالتالى لم يكن بعد قد أقره ! ووافق المجلس - مشكورا !! - على أرجاء البت فى طلب الأستاذ على عثمان حماد الى ما بعد الفراغ من نظر تقرير لجنة الشئون الدستورية !

وفى آخر الجلسة - جلسة ٣١ أغسطس ١٩٤٢ - تم عرض تقرير الشئون الدستورية ، واعطيت الكلمة للأستاذ فكرى أباظة فطالب - أول

ما طــالب ــ بتأجيل نظر التقــرير خاصة وأن رئيس لجنة الطعون التى أقــرت صحة نيابة الأســـتاذ أحمد قاســم جودة هو هو نفس رئيس لجنة الشــئون الدستوريه التى تطالب اليوم بعدم صحة نيابة الأستاذ أحمد قاسم جودة ، رئيس اللجنتين الموفرتين الأستاذ عمر عمر · دافع فكرى أباظة دفاعا حــارا عن تقرير لجنـــة الطعون باعتباره كان مقررا لهــا فى هذا الموضوع ، واثار فكرى أباظة قضية هامة : هل يجوز للمجلس بعــد أن أصــدر قرار بصــحة نيابة أحد أعضــــائه أن يعيد النظر فى قراره اذا تبين له ان شرط السن غير متوافر فيه ؟ ويدافع عمر عمر عن ضرورة نظر تقرير لجنة الشئون الدستورية، وضرورة الأخذ به ·

ويعود فكرى أباظة ليدافع عن تقرير لجنة الطعون ، وعن ضرورة احترام قرار المجلس ، ويطلب فكرى اباظة التأجيل لاستحضار محاضر جلســات لجنة الطعون للحاجة اليها ويقول المقرر عمر عمر : لقد أحضرنا المحاضر وبين يدى ملف الطعن ، ويقول السيد سليم : يجب أن تطبع هذه الأوراق وتوزع عــلى حضرات الأعضاء ، ولكن المقرر الذى كان يبدو وكأنما يدير الجلسة من مكانه يقول : من يريد الاطلاع عليها فليتفضل ! ويسأل مكرم عبيد المقرر : هل ترى لجنة الشئون الدستورية احالة الموضوع على لجنة الطعون أم عرضه على المجلس مباشرة ، وتقوم مناقشة يشــترك فيهــا عمر عمر ومكرم عبيد ويقول الأخير أنه لا يمكن أبدا الفصل فى موضوع خطير كهذا الموضوع دون أن تطلع على المستندات والمحاضر وكلها لم توزع علينا ، ويقف أحمد قاسم جودة ــ النائب المطعون فى صحة نيابته ــ ليقول للمقرر انه يتحدث عن مستندات جديدة وأنا شخصيا لم أطلع عليها واللجنة عادة تضع مهلة قدرها سبعة أيام أو أية مهلة أخرى للرد على المستندات ، وقد قدمت فعلا أوراق ومستندات أو ليس من حقى أن أطلع عليها ؟ أو ليس من حقى أن أنيب عنى محاميا للدفاع عنى أمام اللجنة ؟ كل هذه الحقوق التى أباحتها اللائحة لى ، أهدرت ويراد الآن اهدار الحق البســيط وهو حق الرد على ما قدم ضدى من المستندات ، ويقول أحمــد قاســم جودة أيضا ان اللائحة تنص على ان اللجنة ترسل صورة من الطعن الى المطعون فى صحة انتخـــابه ليبدى أوجه دفاعه كتابة فى الأجل الذى تحدده له ، ويرد مقرر اللجنة على كلام أحمد قاســـم جودة يقول : ليست المسألة خاصـــة بفحص طعن من الطعون ، بل بسقوط عضوية أحد النواب : ولم تتح الفرصـة لأحمد قاســم جودة ليدافع عن نفســه لأن الرئيس يعرض اقتراحا بقفل باب المناقشة ويعارض فكرى أباظة فى اقفال باب المناقشة لأنه قد جد على المناقشة طارئ آخر هو أن حضرة النائب المطعون فى صحة انتخابه قد أستند فى طلب التأجيل الى المادة ٨٧ من اللائحة « أما اذا أردتم قفل باب المناقشة فى طلب التأجيل الذى تقدمت به فلا أعارض فى ذلك ·

ويرفض المجلس طلب التأجيل الذى تقدم به فكرى أباظة والذى تمسك به أحمد قاسم جودة .

ولا يتلى التقرير اكتفاء باثباته فى المضبطة وينتهى التقرير بالعبارة التالية : من أجل ذلك كله ترى اللجنة باجماع الآراء - ما عدا واحدا - أنه يجوز للمجلس بعد أن أصدر قرارا بصحة نيابة أحد أعضائه أن يعيد النظر فى قراره اذا تبين له أن شرط السن غير متوافر فيه » .

ويقف أحمد قاسم جودة ليقول : لو كانت مسألة اليوم تمس شخصى لما طلبت أن أتكلم فيها اطلاقا فاما عن شخصى فأى مساس فى أن يطعن فى سنى ؟ انها تهمة على ما أعتقد يتمناها الكثيرون « ضحك وتصفيق » بل لا أخفى على حضراتكم أننى كنت أتمنى ألا تكون الوثائق التى بيدى والتى قدمتها الى لجنة الطعون غير قوية الى الحد الذى يباعد بينى بعدا شاسعا ، وبين ذلك الحلم الجميل ولئن خرجت يا حضرات النواب من هذا المجلس بمثل هذه التهمة فما فى ذلك مساس بشرفى ولا بسمعتى . ولقد سبق أن أخرج من هذ المجلس رئيس وزارة سابق ، وصاحب مقام رفيع ، فحسبى من العزاء بل من الجزاء أن يكون الرأى العام قد أولانى من عطفه فى قضية اليوم ما لا زيادة بعده لمستزيد » .

ويقول أحمد قاسم جودة ان الأوراق الخاصة بملفه فى الجامعة لم تكن تحت يده « ولو كانت تحت يدى لقدمتها الى لجنة الطعون غير انها كانت فى حوزة الحكومة . وفى هذا المجلس رجل يستطيع أن يقرر لكم الحقيقة التى يعلمها حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا ومعالى صبرى أبو علم باشا هو معالى أحمد نجيب الهلالى باشا .

ويرد أحمد نجيب الهلالى - وزير المعارف العمومية - قائلا .. كانت علاقة حضرة النائب المطعون فى صحة نيابته بالحكومة مقطوعة تماما فلو أرادت الحكومة أن تتحمس ضده لقدمت الملف الخاص به الى لجنة الطعون .

وفى أحد الأيام اتصل بى أحد النواب من قبل الأستاذ العروسى الذى كان مرشحاً ضد الأستاذ قاسم جودة وقال لى - النائب - أن الأستاذ العروسى يقول ان الأستاذ جودة على صلة وثيقة بموظفين فى كلية الآداب وانه يحاول سرقة الملف الخاص به وانك مسئول عن ذلك اذا اختفى الملف فى يوم من الأيام ولهذا جئت أنبهك فى الوقت المناسب .. ولما كنت - نجيب الهلالى - مسئولا عن الملف فقد تكلمت تليفونيا مع حضرة السكرتير العام للجامعة بحضور حضرة النائب المبلغ وكلفته ارسال الملف المشار اليه فورا فوصل الى فعلا مع ساع بموتوسيكل » ويقول الأستاذ قاسم جودة ان الملف تحت يد الحكومة قبل الفصل فى الطعن فلست أنا السارق له ، وقال أيضا - أحمد قاسم

جودة ـ لقد ارسلت خطابا رسميا مسجلا الى معالى سـكرتير الوفد المصرى اثنى فيه على الموقف الشريف الذى وقفه معالى نجيب الهلالى باشا اذ سحب الملف الخاص بى من الجامعة المصرية تفاديا لأى لعب كما تفضل معاليه فبلغنى ذلك • ويقول الأستاذ قاسم جودة ان كلا مـن المجلسين ـ مجلس النـواب ومجلس الشيوخ ـ أثناء فحصه لصحة انتخاب ونيابة اعضـائه انما يعمـل كهيئة قضائية أو على الأقل كهيئة عليا من المحلفين •

ويقول ان القرار بقبول الطعن وابطـال الانتخاب أو برفض الطعن ، وبصحة نيابة العضو الصادرة من المجلس حجة بما ورد به ، وله قـوة الشىء المحكوم فيه فلا يصح الرجوع فيه أو العدول عنه • ويدلى الاستاذ أحمد قاسم جودة ببحث دستورى جيد فى هذا الموضوع ، كما يدلى الاستاذ فكرى أباظة أيضا ببحث فى هذا الموضوع ، ويتحدث الأستاذ محمود سليمان غنام كنائب لا كوزير فى الاستمارة الخاصة بالكشف الطبى التى وقع عليها الاسـتاذ قاسم جودة وقرر فيها أنه من مواليد ١٩١٤ وكيف أنها ورقة رسمية لا عرفية لأنها اقرار واعتراف منه والاعتراف سـيد الأدلة • ويقول فكرى أباظة ان الاستمارة التى تقدم الى القوميسيون الطبى وفيها اقرار بالسن وتباع بثلاثة قروش ويوقع عليها الشخص لا تعتبر ورقة رسمية •

ويطول الجدل ، وكان الأستاذ أحمد قاسم جودة قد انصرف من الجلسة عندما أعلن رئيس المجلس رفع الجلسة للاسـتراحة ويطلب الأستاذ مكرم عبيد أن يسمح دفاع المطعون فى صحة نيابته ويقول : حرام عليكم ياحضرات النواب المحترمين أن تنتهك حرمة المجلس الى هذا الحد ويطلب مكرم عبيد من المجلس ان يتريث فى هذه المسألة لأنها تتعلق بتقاليد مجلسنا الموقر ، ويقول مكرم عبيد : أرانى مضطرا الى الكلام فى هذا الموضـوع ابراء للذمة من ناحية وقياما بالواجب نحو الدستور من ناحية أخـرى مؤكدا ان المسألة خطيرة جد الخطورة ومما يزيد فى خطورتها انه قد يظن لأول وهلة انهـا مسألة فردية تتعلق بمصـير نائب أو فرد معين ولكنها فى الواقع أكبر من هذا وأخطر ، فالقضية قضية البرلمان والحياة النيابية واستتباب حكمهـا واستقرار نظامها وليست قضية فرد معين أو نائب بذاته لذلك سأتكلم كمحام لا كسياسى لأن من شرف مهمتنا نحن المحامين أن نتجرد من كل اعتبـار الا القانون وأن نجعل للسياسة اذا كان لها دخل الاعتبار الثانى أو الثانوى وارجو لكم يا حضرات النواب المحترمين أن تنظروا الى هـذه القضية بمنظار القضـاة وبعقلية القضـاة لا بعقلية السياسيين لأن من السياسيين من يميل كل الميل الى فكرة يعتنقها أو حزب يؤيده ولكن من شرف القاضى أن يبعـد عن كل ميل ، وأنتم قضاة لا أكثر ولا أقل : أنتم قضاة بحكم الدستور المصرى نفسه •

ومن بين الكلمات التى قالها مكرم عبيد : يجب أن تراعوا مظهر العدالة لأن العدالة الاجتماعية مظهر ، وجوهر فالمظهر هو الاطمئنان ، والجوهر هو الضمان فاذا لم نراع المظهر ربما تسرب الشك الى الجوهر وهذا ما لا يرضى به أحد : ان بعض القرارات النهائية يدعو الى عـــدم الاطمئنان الى العــداله الاجتماعية لأن حكما خاطئا ، واحدا أولى من عدالة خاطئة تحمل الناس على القول بأنها عدالة غير مستقرة ويقول مكرم عبيد ، أيضا : اننى أعتبر مركز القاضى مقدسا واذا كان للرجل الســياسى أن يتجاوز عن هذا وذاك فان القاضى لا يسمح له ضميره بالتجاوز عن شىء !

ويعرض رئيس المجلس اقتراحات عديدة ـ وليس اقتراحا واحدا ـ بقفل المناقشة ويوافق المجلس على قفل باب المناقشة كما يوافق على قرار لجنــة الشئون الدستورية .

ويعرض رئيس المجلس اقتراحا للنائب السنوسى بأن يفصــل المجلس فى الطعن وأنــه ليس هناك ما يســتدعى البت فيــه الليلة ، لقد أخــذنا نتناقش من الســاعة الســادسة حتى الســاعة الثانيـــة عشرة والربع فى موضوع واحد فلا يمكن ان نعليق أو نحتمل متابعة المناقشة حتى الصباح ، خصوصا وأنه ليس هناك ما يستدعى البت فيه الليلة ، ولكن المجلس لا يوافق على التأجيل ورغم المحاولات التى بذلت من جانب بعض النواب بعدم الموافقة على اسقاط عضوية الأستاذ أحمد قاسم جودة ورغم ان مكرم عبيد قد طلب من النواب احترام الحياة النيابية و . و الا ان المجلس وافق ـ بأغلبية ـ عـلى اسقاط عضوية النائب المحترم أحمد قاسم جودة كما يعلن « خلو دائــرة باب الشعرية » !

ويعرض اقتراح الاستاذ على عثمان حماد المحامى الخاص باسقاط عضوية الاستاذ جلال الدين الحمامصى وكان الاستاذ جلال الدين الحمامصى قد غــادر قاعة الجلسة وطلب مكرم عبيد تأجيل النظر فى هذا الطلب حتى تتاح له فرصة الحضور ليسمع على الاقل رأى المقرر ضده ، ويكفى ما جرى فقد كاد يموت الليلة أحد نواب المعارضة غيظا مما يقع هنا !

ولكن النائب على عثمان يقول ليست المسألة مسألة عاطفة وانما هــى مسألة تقرير واقع والواجب الا نتأثر الا بالحقائق ، أما أن نائبا أغمى عليــه أو ان ثانيا يستعطفنا فهذا لا يجوز ان يصرفنا عن أن نؤدى واجبنا ويقول مكرم . الا يعطى النائب الفرصة ليدافع عن نفسه ، يقول نجيب الهلالى : لقد شهد حضرته الجلسة من أولها ويقدم النائب على عثمان حماد لاقتراحه بكلمات قليلة لا تتجاوز سبعة أسطر ويسأل رئيس المجلس : الموافق على اســقاط عضوية النائب المحترم الاستاذ جلال الدين الحمامصى يتفضل بالوقوف وتقف

أغلبية ويعلن الرئيس – رئيس مجلس النواب ! ـ اسقاط عضوية الاستاذ جلال الدين الحمامصى ويعلن أيضا خلو دائرة العامرية · واذا كان الشيء بالشيء يذكر كما يقولون · فاننا ونحن لم نبتعد بعد عن مجلس النواب وجلساته الختامية التى بحث فيها أمر اسقاط عضوية نائبين من نواب المجلس سبق لنفس المجلس بنفس الأعضاء ان أعلن صحة عضويتهما · ولم يكن قد تغير فى أمر تلك العضوية من شيء الا ان النائبين المحترمين لم يعودا وفديين كما كانا وانما انتقلا من صفوف المؤيدين لمصطفى النحاس الى صفوف المؤيدين لمكرم عبيد · هذا المجلس كان قد نظر فى جلسة ١٨ أغسطس ١٩٤٢ استجوابا لمكرم عبيد باشا وجهة الى رئيس مجلس الوزراء بخصوص الموضوعات التالية : استنادا لرفعته فى تصريح علنى بمجلس النواب يوم ٢٩ يونيو ١٩٤٢ الى رسالة من وزير الخارجية البريطانية ، اجراءات الوزارة ازاء سياسة تجنيب البلاد ويلات الحرب ، بقاء حكمدارى البوليس الانجليز وغيرهم من الموظفين البريطانيين فى البوليس المصرى فى وظائفهم حتى الآن : السماح لأشخاص معينين بتصدير بعض المواد الاولية الغذائية وعدم تقديم بعض المهربين « والمخزنين » الى المحاكمة ، وفرض ضرائب غير رسمية على الاهالى » ويستأذن مصطفى النحاس المجلس فى أن يشهد جلسة المجلس محمد صلاح الدين بك السكرتير العام لمجلس الوزراء ، بالنيابة ، ويوافق المجلس ·

ولعلها المرة الاولى فى تاريخ الحياة النيابية ان يبدأ رئيس المجلس الجلسة قبل مناقشة الاستجواب ، أى استجواب بالعبارة التالية « أرجو أن نصغى ونقدر لنقرر ، وأرجو ان نعمل على السمو بلغتنا البرلمانية بما يتفق وكرامه مجلس نواب جدير بهذا الاسم ، يمثل امة كريمة ورأيا حرا ولدينا بحمد الله من يسر لغتنا العربية وثروتها ما يمكن المتكلم من ذكر كل ما يجول بخواطره وافكاره بأوسع العبارات وأبين الالفاظ التى تفى بكل توضيح وتصريح وتغنى عن كل استفزاز وتجريح وعليه فلن أسمح ـ عبد السلام فهمى جمعة ، رئيس مجلس النواب ـ بذكر أو اثبات أية عبارة نابية أو لفظ جارح يثير اضطرابا فى الجو السياسى أو تمس ولو من بعيد المصلحة العليا لوطننا العزيز كما أرجو ان يراعى فى مثل هذه المناقشات الحالة الدولية العامة وحالتنا خاصة لارتباطها الوثيق بها ، فاذا وجهتم انفسكم على ضوء هذه الاعتبارات التى اعتبرها فى مثل هذه الظروف واجبات فانما ترفعون من شأن مجلسكم الموقر ، وتهيئون جوا صافيا لحرية المناقشة وتمحيص الرأى واقرار الحق » ·

واذا كان الأستاذ ابراهيم بيومى قد اعترض على استجواب سبق أن قدمه مكرم عبيد الى مصطفى النحاس خاص بتفريط وزارته فى حقوق البلاد ، فقد اعترض أيضا على هذا الاستجواب ، وبدأ كلامه بأن الاستناد الى تصريح لمستر

أيدن يجعل مصر فى موضع البلاد المحمية وهو أمر لا يتفق مع الصالح العام ولا مع الوفاء للحليفة ، ويقوم رئيس المجلس بتذكير العضو بما قاله فى مقدمة الجلسة وانه لا محل للتعريض بالأشخاص أو ذكر الفاظ نابيه و . ويقـول مكرم عبيد انه ليحزننى كل الحزن أن أسمع نائبا مصريا ـ ابراهيم بيومى ـ يقف فى وسط البرلمان المصرى الذى كان له الشرف ان يكون رئيس المفاوضات وكان لى الشرف آن أكون معه : يؤسفنى ، ويؤلمنى كل الالم ان يقف هذا النائب ويقول صراحة : ان الدفاع عن قناة السويس يقتضى الدفاع عن مصر فيسجل علينا الحماية بأسوأ معانيها » ويحتد مكرم عبيد وهو يقول : كيف يصح أن يقال باستبعاد هذا الاستجواب أو تأجيل نظره الى أجل غير مسمى ، افهكذا تكون منتهى غيرتنا على القضية المصرية ومبلغ حرصنا على أن ندفع الحماية بعد أن أرقنا دماءنا وبذلنا النفس والنفيس لنتجنب هـذه الكارثة وهل أنا رجل غير مسئول حتى يقال لى ان هناك حليفة وانه لا يصح ان نطعنهـــا فى ظهرها ؟ لا يا سادة ، كونوا مطمئنين فقد كنت أحد اعضاء وفد المفاوضة وأؤكد لحضراتكم اننى لست وزملائى طابورا خامسا للمحور أو طابورا رابعا للانجليز ، بل نحن طابور أول لمصر والمصريين .. دعونى اتحدث الى قلوبكم ونفوسكم الا فلتعلموا انكم لن أتألم لو استبعدتم هذا الاستجواب وانما يؤلمنى أشد الألم أن يقف مجلس النواب المصرى هذا الموقف الذى أربا به عنه !

ويقول مصطفى النحاس : لا ترى الحكومة المناقشة لا فى جلسة سرية ولا فى جلسة علنية بعض المسائل الواردة فى الاستجواب ولكنها ترى المناقشة فورا فى المسائل الاخرى .

ويقوم جدل عنيف بين مصطفى النحاس ومكرم عبيد .

بريطانيـا تطلب من النحاس اعتقال عمـر الفاروق ، وعبـاس حليم ، ومحمـد طاهر ، فيعتقلهم النحـاس في استراحة طلمبات السرو

أولينا اهتماما بالغا بموضوع اسقاط مجلس النواب « ١٩٤٢ » عضوية النائبين أحمد قاسم جودة وجلال الدين الحمامصي يرحمهما الله وما كان لنا ان نعطى هـذا الموضـوع مثل تلك الأهميـة أو ان ظروف اسقاط عضوية النائبين كانت طبيعية فمن حق أى مجلس نيابى ، أو غير نيابى ان يسقط عضوية أى عضو من أعضائه طالما جاءت هذه العملية ـ الاسقاط ـ غير متعارضة مع القوانين ، واللوائح الداخلية الخاصة بهذا المجلس أو ذاك ، غير ان اسقاط عضوية قاسم جودة والحمامصي جاء بعد ان وقف كل منهما موقفا سياسيا مغايرا لموقف الأغلبية البرلمانية كما ان عملية اسقاط العضوية عن هذين النائبين جاءت بعد ان كان المجلس ـ نفس المجلس ، بنفس الأعضاء ـ قد سبق له وبالاجماع ان رفض الطعون المقدمة ضد انتخاب هذين النائبين ، وبعد أن أعلن المجلس وبالاجماع أيضا صحة انتخاب أحمد قاسم جودة ، وجلال الدين الحمامصي · وكنا في نهـاية الفصـل السابق قد أشرنا الى الاستجواب الثاني ، المقدم من مكرم عبيد ، الى مصطفى النحاس رئيس مجلس الوزراء ، وكان المجلس ـ مجلس النواب ـ وكما أشرنا في الفصل السابق ـ قد قرر استبعاد الاستجواب الأول المقدم من مكرم عبيد الى رئيس مجلس الوزراء مصطفى النحاس : قرر اسـتبعاده شكلا وموضـوعا ، فتقدم مكرم عبيد باستجواب آخر ·

ولم يكن مكرم عبيد ، لظروف الحرب ولفرض الأحكام العرفية ، ولفرض الرقابة بالتالى ، على الصحف يملك ان يقول كلمته الا في مجلس النـواب باعتباره عضوا فيه وحتى هذه الكلمة كانت محاصرة من قبل الحكومة والأغلبية البرلمانية بشدة وعنف لم يسبق لهما مثيل !

والمناقشة تجرى فى مجلس النواب عن استجواب مكرم عبيد . قال مكرم مخاطبا النواب : كيف تتعجلون الأمور هكذا .. دعونى أتكلم أولا ، واذا حاولت ذكر شىء مما دار فى الجلسة السرية ، فليمنعنى سعادة الرئيس من الكلام أو فليطلب اليه رفعة رئيس الحكومة أن يمنعنى اما ان يمنع المستجوب قبل ان يتكلم فى أمر خطير كهذا يرتبط به كياننا المادى ، بل وجودنا السياسى ، فانى حقا يا حضرات النواب المحترمين أربأ بكم من أن يكون هذا موقفكم .. نحن أمة غير محاربة ، وسياستنا الاجماعية العليا هى تجنيب البلاد ويلات الحرب ، وانى اذ أقف بينكم الآن لاتحدث اليكم .. أفهم ما أقول ، وأعلم ان واجب كل مصرى أن يكون ـ حتى اللحظة الأخيرة ـ مخلصا للمحالفة التى تشرفنا نحن وشرفت هى بأن وقعناها جميعا ، ايصح ان يوجه الى مثل هذا الاعتراض فى عهد يقف فيه مستر تشرشل فى مجلس النواب يتكلم لا فى تجنيب البلاد ويلات الحرب فان انجلترا دولة محاربة فعلا ، وانما فى الاستجواب الذى وجهه اليه زملاؤه ، وأعضاء حزبه فطرحوا مسألة عدم الثقة وقالوا انه لا يليق به أن يكون وزيرا للحرب حتى اضطر تشرشل الى الكلام ثلاثة أيام متوالية فى « القواد ، وفى ادارة الحرب ، وفى كثير من المسائل الفنية التى قد يفيد منها العدو » وكان ذلك فى جلسة غير سرية . يحدث هذا فى مجلس النواب البريطانى ، أما هنا فانى أتكلم فى أمر يتعلق بتعهداتنا ، انبرى لى أحد حضرات النواب المحترمين وطلب رفض نظر استجوابى أو تأجيله الى أجل غير مسمى ! » .

وحول طلب مكرم عبيد بيانات تفصيلية يضيفها الى ماعنده من بيانات وعدم اعطاء الحكومة له تلك البيانات قال مصطفى النحاس : « ان من حق الحكومة أن تقدم البيانات التى تطلب منها ومن حقها ان تمتنع اذا رأت أن المصلحة العامة تقضى بعدم تقديمها ، كل ذلك مع عدم المساس بالمسئولية الوزارية » كما يقول أيضا مصطفى النحاس : كثير مما يطلبه حضرة المستجوب يعد من الأسرار العسكرية ومنه ما لا يسمح العرف الدولى باعلانه ومنه ما لا شأن له بالاستجواب كالبيانات المطلوبة عن العمد والمشايخ الذين لم يختلف أحد فى حق السلطة التنفيذية فى فصلهم فى حدود اختصاصها باعتبارها المسئولة عن الأمن العام والنظام فى البلاد » .

ويرد مكرم عبيد بقوله : انه ـ مثلا ـ ما أراد الحصول على نص التصريح الذى أدلى به المستر ايدن بالانجليزية الا لأنه أراد « ان أكون منطقيا مع الحكومة ومع المستر ايدن ومع نفسى فان الرجل الشريف لايقول شيئا الا اذا وثق منه واذا اطلعت على البيانات باللغة الانجليزية فقد أجد فيها ما يجعلنى أغير رأيى أو أتشدد فيه ! » .

ويقول مكرم عبيد وهو يرد على الحكومة التى طلبت استبعاد موضوع تجنيب البلاد ويلات الحرب من استجوابه ، اننى أصر على بقاء هذا الموضوع لأنى أرى أنه يمس كيان البلاد وأؤكد من جديد ــ مكرم ــ اننى لن أعرض أو أتعرض للحليفة بسوء بل سأتكلم فى حدود استقلال بلادى كمصرى فقط »٠ كما يؤكد مكرم عبيد تنازله عن طلب المستندات اذا ما نوقش الاستجواب بأكمله دون أن يجزأ ٠ اما أن يجزأ الاستجواب فلا يناقش البند الخاص بالاستثناءات ولا البند الخاص بتجنيب البلاد ويلات الحرب فهذا مستحيل أن أقبله ٠

ويقترح معوض الباز احالة موضوع طلب بيانات من الحكومة على لجنة الشئون الدستورية لبحثه ٠ وتقوم ضجة !

ويقرر المجلس عدم الزام الحكومة بتقديم المستندات قبل مناقشة الاستجواب ويقوم اعتراض من بعض مقاعد اليسار على هذا القرار !!

ويذيع مكرم عبيد سرا عندما يقول ان صياغة استجوابه « ليست من كلماته » وانما هى من صنع مكتب المجلس ٠

وسوف احتفظ ــ مكرم عبيد ــ بصيغتى الأصلية إلى أن تدور المناقشة »٠

ويعترض فكرى أباظة وبشدة على ما جاء على لسان رئيس الحكومة من انه يرفض مناقشة نظرية تجنيب البلاد ويلات الحرب سرا أو علانية بالرغم من ان أحمد نجيب الهلالى قد أوضح وجهة نظر الحكومة من أنها لاترفض النظرية بل ترفض مناقشة الاجراءات التى اتخذتها الحكومة خاصة بتجنيب البلاد ويلات الحرب ٠

ويقول فكرى أباظة : لأول مرة فى تاريخنا النيابى يقال ان الحكومة ترفض المناقشة فى السر وفى العلن وانى لأسجل فى مضابط المجلس اننا نسمع بهذه للمرة الأولى منذ عهد المغفور له سعد زغلول باشا « سنة ١٩٢٤ » الى اليوم وهذا ما لا يمكن قبوله » ويؤكد مصطفى النحاس « انه ليس ضد المناقشة فى السر ، أو فى العلن ولكنه ليس لديه من جديد يدلى به أو يصح ان يدلى به الآن فى جلسة سرية أو فى جلسة علنية » ٠

ويقف عبد العزيز الصوفانى ليقول : قد لايكون لدى رئيس الوزراء من جديد يريد ان يدلى به ولكن قد يكون عندنا نحن جديد نراه خطيرا ونريد ان نضعه تحت أنظار الحكومة لنستطلع رأيها فيه وليس معنى هذا اننا نريد ارغام الحكومة على الأدلاء ببيانات لاترغب فى الادلاء بها ولكننا نرجو ان نعرف ماذا سيكون موقفها ، فلو كان لها عذر قبلناه والا تقدمنا بلومها على انها لا تريد ان تسير معنا فيما نرى فيه مصلحة البلاد ٠٠ اننا فى الواقع لانريد ان نسجل عليها خزيا ، أو نسجل لأنفسنا فخارا دون حق ٠ قد يكون وصل الى علمنا

أشياء وقعت فى داخلية البلاد لم يعلمها رفعة رئيس الحكومة ونرى نحن انه لها أهمية » ٠

وعندما تقوم ضجة ضد ما يقوله عبد العزيز الصوفانى يقول الصوفانى :
« ان للحكومة فى المجلس أغلبية كبيرة تستند عليها فيجب ان يتسع صدرها ،
« ان للحكومة فى المجلس أغلبية كبيرة تستند عليها فيجب ان يتسع صدرها ،
ـ وأنتم الأغلبية ـ يدا واحدة معا ، وان رأيتم ان هناك ما يتنافى مع المصلحة، أو ان هناك أغراضا ـ كما يقول البعض منكم فلكم ـ ونحن جميعا معكم ـ ألا تسمحوا بهذا ٠٠ اعطوا الفرصة للأقلية لأن عليها واجبا تؤديه ، فاذا أبيتم عليها ذلك فانها لاتستطيع القيـام بأقل واجب ٠ وحاشا ان يقال ان مجلس النواب لم يعط الفرصة للمعارضة لتقول كلمتها فى حدود حقها وفى حدود المصلحة العامة » ٠

ويذكر عبد الحميد السنوسى انه عندما طلب بعض النواب البريطانيين مناقشة موضوع هرب نائب زعيم ألمانيا « هيس » الى انجلترا لعلهم يطلعون على خبيئة السر الذى دفع هيس الى الفرار من ألمانيـا ، لم يوافق تشرشـل تحقيقا للمصلحة العامة ٠

ويقول السيد سليم ان رئيس الوزراء بما قاله يهدم الرقابة البرلمانيـة التى لاتقوم الا على حق السؤال والاستجواب عندما يقول رئيس الحكومة انه ليس عنده جديد نقوله له ولكن عند المستجوب الجديد الذى يريد ان يتقدم به الى المجلس » ويؤكد السيد سليم ان موقف الحـكومة غير قانونى وغير دستورى أيضا ٠

ويحاول مكرم عبيد تلاوة الاستجواب بالصيغة الأصلية التى كتبه بها فيمنعه رئيس المجلس من التلاوة ، ولكنه ـ مكرم ـ يسـتدرك قائلا : « ان الحكومة وبعض الأعضاء قد أخذوا على بعض عبارات الاستجواب انهـا مبهمة وتؤكد ان هذا الابهام ليس من عملى وانما هو من عمل مكتب المجلس » ٠

وتطول المناقشة ، وتطول ، ويتقدم ـ كالعادة دائما ـ أكثر من عشرين نائبا طالبين قفل باب المناقشـة وتجزئة الاستجواب واستبعاد الجزء الخاص بالاجراءات الوزارية ازاء سياسة تجنيب البلاد ويلات الحرب وكذلك استبعاد الجزء الخاص بسياسة الوزارة فيما يختص بالحريات العامة ٠

ويشفق فكرى أباظة ـ كما قال ـ على التقاليد البرلمانية ويرى ان رئيس المجلس لا يملك تجزئة أى اقتراح أو استجواب «كما يشاء ويشاء ذوقه السليم» ، كما انه لايملك ان يصحح للمقترحين أخطاءهم الفنية والفقهية » ويقرر فكرى أباظة ـ من وجهة نظره كواحد من أعضاء مكتب المجلس ـ ان الاسـتجواب ملك للمستجوب وللمجلس ان يقر نظر الاستجواب ، أو يحدد موعدا للمناقشة فيه أو فى أجزاء منه اذا كانت التجزئة جائزة فينظر جزءا ، ويضم جزءا الى

استجواب آخر ، هذا كله معقول ، أما فكرة الاستبعاد فلا تملك الحكومة ولا يملك المجلس اقرارها » ٠

ويخاطب فكرى أباظة رئيس المجلس طالبا منه ان يحرص على سمعة تقاليده البرلمانية : « أتوسل اليه الا تحمله حدة المناقشة والجو الكهربائى الذى يتسلل من القاعة الى المنصة على ان يتعجل أو يرتجل بعض الحلول فى مسائل لها أثرها أبد الأبدين ٠٠ وأرجو ان يسمعنى « معالى » الأستاذ غنام أكثر الناس عجيجا وضجيجا فى سبيل الحق وفى سبيل حقوق المجلس ، ولكن يبدو لى ان الصفوف اليمنى غالبا تهدىء العواصف ! » وكان الأستاذ محمود سليمان غنام زعيم المعارضة الوفدية فى البرلمان السابق أكثر النواب كلاما فى الدفاع عن الدستور وعن اللائحة الداخلية للمجلس وعن حقوق المجلس !!

ويقول عمر عمر : ان من حق أى مجلس نيابى ان يحرص على وقته الثمين والا يجعل قاعة المجلس ميدانا لمناقشات لا محل لها ٠٠ هذا اذا كانت مسألة ما قد نوقشت فى المجلس منذ وقت قريب فلا داعى للعودة الى مناقشتها من جديد » ٠

ويتقدم أكثر من عشرين نائبا بطلب جديد باقفال باب المناقشة ٠

ويقرر المجلس قفل باب المناقشة ، كما يقرر استبعاد الفقرة الثانية من الاستجواب وضم الفقرة الخامسة منه لاستجواب آخر معروض للمناقشة و٠٠و٠٠

ويعطى رئيس المجلس الكلمة لمكرم عبيد بصفته المستجوب ويقول مكرم عبيد : ان المجلس سبق ان استبعد هذا الاستجواب شكلا وقد استبعد منه الآن الجزء الخطير فأصبح مجزءا مهلهلا لم يبق منه شىء ٠ وبما اننى ــ مكرم عبيد ــ قد قدمت الاستجواب باعتباره وحدة كاملة وبما ان الأجزاء التى استبعدت منه وهى الحريات العامة والاستثناءات وربطها بمبدأ المساواة بين الموظفين وتجنيب البلاد ويلات الحرب ٠٠ لكل هذا أنا مصر على مناقشة الاستجواب كله ، والا فلا مناقشة » !!

ويعتبر رئيس المجلس ان المستجوب قد تنازل عن استجوابه وينسحب مكرم عبيد والسيد سليم ومحمد فريد زعلوك والفريد قسيس وجلال الحمامصى وجورج مكرم عبيد وأحمد الألفى عطية ونجيب بشارة ومحمد عثمان عبد القادر ومرقص بطرس وأحمد قاسم جودة ٠

وكانت هذه أول مرة يشترك فيها أحمد قاسم جودة فى الانسحاب مع مكرم عبيد وذلك بعد اعلان صحة نيابته ، وربما كانت هذه من أهم الأسباب التى حركت الحكومة والأغلبية ضده ٠ كما انسحب لبيب جريس وأبو الغيث الأعور وفهمى سليمان سيدهم ٠ كما انسحب أيضا من غير أنصار مكرم عبيد كل من عبد السلام الشاذلى ومحمد عبد الرحمن نصير ورغم ان المستجوب أعلن

تنازله عن استجوابه ورغم ان احدا غيره لم يعلن تبنيه للاستجواب الا أن رئيس الحكومة مصطفى النحاس قد ألقى بيانه الذى حمل فيه ـ فى البداية ـ حملة عنيفة على مكرم عبيد ، وان لم يذكر اسمه بصراحة . وقد أشار مصطفى النحاس الى انه فى جلسة ٢٤ يونيو ١٩٤٢ قال نقلا عن السفير البريطانى فى القاهرة ، ان الحكومة البريطانية أصدرت تصريحا أكدت فيه بشكل حاسم ، انها عند تصميمها الأكيد على مقاومة كل اعتداء على الأراضى المصرية الى آخر مدى .

وظاهر ان هذا التصريح لم يكن يقصد به الاساءة الى مصر بحال من الأحوال وانما قصد به مجرد الإشارة الى مقاومة القوات الزاحفة على مصر ، وقال مصطفى النحاس انه لا يريد أن يجارى المستجوب فى هذا المضمار ، ضمان اذاعة الأسرار العسكرية حتى لا تتعرض البلاد للأخطار .

وعن موضوع ضباط البوليس الانجليز واستبقائهم فى الخدمة رغم انتهاء مدة خدمتهم تطبيقا لنصوص المعاهدة المصرية البريطانية قال مصطفى النحاس انه ليس مسئولا عن ذلك وانه كان هناك اتجاهات من الوزارات السابقة للابقاء عليهم وقد جرت حول موضوع الابقاء عليهم محادثات وتمت اتفاقات و . و . و

ويقول مصطفى النحاس ، لقد وقع حسين سرى اتفاقا مع الانجليز حول هذا الموضوع رغم مخالفته للمعاهدة البريطانية المصرية حيث لا يمكن أبدا اجراء مثل هذا الاتفاق بدون تعديل لنصوص المعاهدة المصرية البريطانية وهذا التعديل لايمكن ان يكون قانونيا الا بعد عرضه على البرلمان بمجلسيه وقال مصطفى النحاس : انه عبر للسفير البريطانى عن رأيه بعدم قانونية اتفاقه مع حسين سرى « الخاص » بالابقاء على العنصر الأجنبى فى البوليس المصرى بعد ميعاد اعتزالهم المنصوص عليه فى المعاهدة الى ما بعد انتهاء الحرب على ان الحكومة المصرية تحتفظ لنفسها بالحق فى اعادة النظر فى كل عام فى شأن هؤلاء الضباط أو الضباط الآخرين الذين سبق استبقاؤهم ولو ان المتوقع ـ خطاب حسين سرى الى السفير البريطانى فى ٤ يناير ١٩٤٢ ـ انهم سيبقون فى الخدمة ما دامت الظروف الحاضرة مستمرة » ويقول مصطفى النحاس ، انه اعترض على اتفاق « سرى ـ لامبسون » ـ وانه ـ أى مصطفى النحاس ـ يرى ان اتفاق سرى ـ لامبسون باطل لأنه لم يعرض على البرلمان المصرى ، وبصرف النظر عما اذا كان بقاء بعض الموظفين البريطانيين فى البوليس المصرى لازما فى مدة الحرب أو غير لازم أود أن تسلموا بالمبدأ العام وهو انه لا يمكن التعديل فى نصوص المعاهدة باجراء من السلطة التنفيذية فاذا سلمتم ـ مصطفى النحاس للامبسون ـ أمكن ان ننتقل الى البحث الآخر الذى لا يجىء الا فى المرتبة الثانية وهو لزوم استبقاء هؤلاء الموظفين فى مدة الحرب وما اذا كانت ضرورات الحرب

تستلزم حتما الانتفاع بتجارب هؤلاء الموظفين بشكل أو بآخر وعلى أى أساس يجوز أن ينتفع بخدماتهم حتى لا يكون فى هذا الانتفاع اخلال ما بنص المعاهدة أو روحها و ٠ و ٠ » ٠

وعن موضوع السماح لأشخاص معينين بتصدير بعض المواد الأولية والغذائية رغم تحريم تصديرها وامتناع الحكومة عن أن تقدم للمحاكمة بعض المهربين والمختزنين و ٠٠ و ٠٠

عن هذا الموضوع قال مصطفى النحاس : انه اتهام لا تنقصه الجرأة وان كانت تنقصه الوقائع : اتهام بنيت عليه دعاية سرية بقصد النيل من كرامتى ونزاهتى ٠ ولقد رحبت به حين خرج من ظلام الدعاية السرية الى نور المناقشة الكفيلة بتبديد كل ظلام والقضاء على كل اتهام يقوم على الافك والبهتان : اتهام روج له ذات اليمين وذات الشمال فى عبارات ظاهرها الغموض والابهام وحقيقتها توجيه المطاعن الى شخصى بقصد اثارة الشكوك التى يعلم نفس المستجوب انها لن ترتقى الى يد لم تعرف غير النزاهة ولم تعرف غير الطهر » ٠

ويطيل مصطفى النحاس فى الرد على هذا الموضوع بالأرقام ولأنه ـ أى الموضوع ـ كان من أهم الموضوعات التى جاءت فى الكتاب الأسود فسوف تؤجل الكلام فى تفاصيله الى حين عرض الكتاب الأسود وعرض الكتاب الأبيض الذى أصدرته حكومة الوفد ردا على الكتاب الأسود لمكرم عبيد ٠

وينهى مصطفى النحاس بيانه بالقول بأنه لم يفرط فى حق من حقوق البلاد ولم يضع مصلحة من مصالحها ٠

ويعتبر عبد العزيز الصوفانى ما قاله مصطفى النحاس بيانا لرئيس الوزراء وليس ردا على الاستجواب ويبرر الصوفانى عدم انسحاب اخوانه نواب الحزب الوطنى مع مكرم عبيد وأنصاره بقوله : نحن لم ننسحب من الجلسة معهم لا لعدم تضامننا واياهم ولكن لأن المسألة التى انسحبوا من أجلها رأيناها نحن لا محل للانسحاب فيها ولكننا نتضامن معهم كل التضامن فيما نراه مأسا فى المستقبل بالمصلحة العامة دون سواها ٠

يقول الصوفانى : ان ما يعنيه من بيان رئيس الحكومة رسالة مستر ايدن الى رفعة رئيس الوزراء ، ما يعنينا نحن أعضاء الحزب الوطنى ، أكثر من كل شىء آخر والذى تبادر الى الذهن بل والواقع يقرره هو أن مثل هذا الخطاب لم يرسل من وزير الخارجية عبثا لأننا تعودنا دائما ، وأبدا أن الانجليز لا يرسلون عبثا ، ولا يعملون عبثا وانما يعملون دائما وأبدا للمستقبل البعيد ولما فيه مصلحتهم ولما تحتم عليهم هذه المصلحة أن يعملوه ٠ لقد عرفوا بشدة الاحتياط ، وانهم يحتاطون لكل ظرف ، ويستغلون كل مناسبة » ٠

ويقول عبد العزيز الصوفانى ، ان كل ما يصدر فى مثل هذه المناسبات من أية حكومة من الحكومات لا يمكن أن يعبر عن رأى المجلس أو يربط هذه البلاد بأى رباط مهما كانت الظروف التى دعت اليه وأرى من حقى أن أسجل فى مضبطة هذا المجلس انه ـ أى المجلس ـ لا يعلم شيئا عن هذا الخطاب ولا يمكن أن يرتبط بأى شىء ، كما لا يمكن أن يقر أى تصرف من التصرفات التى تكون قد تمت بمقتضى هذا الخطاب مهما كانت الحكومة دستورية ومهما كانت تعتمد على أغلبية برلمانية » .

ويمنع رئيس المجلس عبد العزيز الصوفانى من الكلام عن سياسة تجنب البلاد ويلات الحرب ويقول الصوفانى : نرى من واجبنا فى كل مناسبة ان نقول لكم الحقائق وما يجب أن تعرفه الحكومة ولكنى أرى أنه يحال دائما بيننا وبين أداء هذا الواجب الوطنى . وقد ذكر رئيس الحكومة عن موضوع بقاء الموظفين فى خدمة الحكومة ما قاله من وجهة نظره كرجل أقر المعاهدة ولكنى أخالف رفعته فى هذا الشأن لأنى لا أعترف بالمعاهدة .

ويقول عبد العزيز الصوفانى : لقد حققت الأيام نظريتنا ـ نحن خصوم المعاهدة من يوم أن خلقت ـ فى النصح بعدم قبولها واستشهد بالحوادث القائمة الآن على صحة ما أقول .

وقال عبد العزيز الصوفانى ان من واجبنا ان نقول ان التهريب ، والمخالفات تقع كل يوم ، ان ما يحصل فى هذه البلاد من مجاعة وغيرها ان هو الا أمور مفتعلة من اناس لا ضمير ولا أخلاق لهم . ان التهريب والغش وغيرهما من الأعمال المخالفة للقانون تقع كل يوم وبعض رجال هذه الحكومة على علم بها .

ويقول فكرى اباظة : أن لى تحفظا بسيطا حول الحديث عن الحريات العامة لان لى استجوابا فى هذا الموضوع وانا أحس بأننى اذا لم اتكلم فى هذا الموضوع فساكون مقصرا ، فأرجو أن تعتبروا أن الموضوع ـ موضوع الحريات العامة ـ لم يمس بعد .. وقال رئيس المجلس . ولهذا آمرت بحذف كل ما قاله حضرة النائب المحترم عبد العزيز الصوفانى فى هذا الموضوع ..» .

ويقول فكرى اباظة : ولكنك لم تحذف ما قاله رئيس الوزراء بالطبع « ضحك » .

ويتقدم ـ بعد كل هذا الذى قيل ـ أكثر من أربعين نائبا باقتراح بشكر رئيس الحكومة تقديرا للجهود التى بذلها فى سبيل خدمة البلاد ويعارض فكرى أباظة الاقتراح من ناحية المبادىء السياسية العليا ويقول ان الحزب الوطنى يتحفظ فى ذلك دائما ، ويؤيد فكرى أباظة ، النائب محمد محمود جلال ويوافق المجلس على اقتراح الشكر والتقدير بالاجماع فيما عدا نائبى الحزب

الوطنى اذ لم يكن قد بقى فى الجلسة من نواب الحزب الوطنى الا محمد محمود جلال وفكرى أباظة ٠

ويعرض فى نفس الجلسة استجواب آخر من مكرم عبيد الى رئيس مجلس الوزراء بشأن الأسباب التى دعت الرقابة الى منع الصحف من نشر خبر ان بعض الشيوخ والنواب قيدوا أسماءهم بقصر عابدين بمناسبة تكوين كتلة برلمانية ويوافق المجلس على تأجيل نظر الاستجواب مدة ثلاثة أسابيع ! ولكن تنتهى الدورة فى ٩ سبتمبر ١٩٤٢ قبل نظر الاستجواب وكانما قضى على مكرم عبيد خلال دورة كاملة ان يحرم من حقه الدستورى كنائب : حق استجواب الوزراء ، ورئيس الوزراء ٠ وكانما كانت هناك خطة حزبية أعدها الوفد كحزب يملك أغلبية برلمانية لعدم اعطاء مكرم عبيد السكرتير العام السابق لحزب الوفد ، الفرصة ليستجوب الوزراء ورئيس الوزراء ٠

وحول هذه النقطة الأخيرة ـ نقطة اهدار حق الاستجواب ـ يقول مكرم عبيد فى كتابه الأسود :

الاستجواب هو الوسيلة الدستورية التى يستطيع بها النائب ، أن يزاول عمله فى محاسبة الوزارة وطرح الثقة بهـا على المجلس اذا اقتضى الأمر ، وعلى أساس هذا الضمان الدستورى تقوم المسئولية الوزارية أمام البرلمان ؟ فاذا سلب النائب حق الاستجواب فقد انهارت المسئولية الوزارية التى لاتقوم للحياة الدستورية قائمة بغيرها على أى وجه من الوجوه ٠

وقد رأت الوزارة أن تسلب المعارضة هذا الحق فلجأت الى أغلبيتها العددية من جهة ، كما لجأت الى رئيس المجلس وهيئة مكتبه من ناحية ثانية فاذا الناحيتان تتقاسمان مهمة القضاء المبرم على حق الاستجواب بوسائل متعددة منها استعمال مقصلة الأغلبية فى استبعاد أى استجواب لا تريده الحكومة أو استبعاد ما تشاء من فقراته وأبوابه قبل أن يسمح بمناقشة كلمة منه ، ومنها الا يدرج رئيس المجلس ما يقدم اليه من استجوابات ، وقد قدمت فى الدورة الماضية استجوابات عدة لم تدرج فى جدول الأعمال ، احدها عن أسباب الخلاف التى أدت الى خروجى من الوزارة ، وآخر خاص برخص الاستيراد والتصدير وثالث عن الاستثناءات التى وقعت بعد خروجى من وزارة المالية ورابع عن اساءة تنفيذ المعاهدة ، وخامس عن حرية الرأى وسادس عن المعتقلين ومع خطورة هذه الموضوعات التى تتناولها هذه الاستجوابات أو على الأصح لخطورة هذه الموضوعات : أبى رئيس المجلس ادراج أحدها فى جدول الأعمال ، بل عمدت رئاسة المجلس الى مناورة طريفة لتخليص الحكومة من مناقشة ما أدرج بالفعل فى جدول الأعمال من استجوابات فكانت مواعيد الجلسات تحدد فى غير الأيام المخصصة للمناقشة أو لاستئناف المناقشة ومن

المضحك المبكي انه بعد أن ألقى رئيس الوزراء بيانه في استجواب الاستثناءات أجل المجلس بياني ورد الزميل المستجوب النائب فكرى أباظة الى جلسة يحددها مكتب المجلس ، ومنذ ذلك الحين لم يجد رئيس المجلس المحترم جلسة يحددها لاستكمال هذا الاستجواب القائم في حين انه نظرت استجوابات أخرى جديدة ، وعديدة » •

ويقول مكرم عبيد أيضا : لم تضق الوزارة ، ومن ورائها رئاسة النواب ذرعا بالاستجوابات وحدها ولكنها لم تطق كذلك ان تواجه ما هو أخف منه وأهون ونعنى به طلب المناقشة الذى نصت عليه اللائحة الداخلية فلم يكد ستة وثلاثون عضوا من المجلس وكلهم من الهيئة التى تنتسب اليها الحكومة يتقدمون بطلب كتابى لفتح مناقشة في موضوعات خطيرة حددوها وعددوها حتى انتهز رئيس المجلس فرصة انعقاد احدى الجلسات السرية فتلا الطلب الخطير وأخذ من الأغلبية « الوزارية » قرارا باستبعاده من غير مناقشة في الجلسة السرية حتى لا تتسرب محتويات الطلب الى الرأى العام وأخيرا افتتحت الدورة البرلمانية الحالية فاذا بالحكومة تستعين بنوابها ورياسة نوابها وتقر أخطر المبادىء لكى تخنق في المهد الاستجوابين اللذين قدمهما أحد نواب المعارضة ، وهو حضرة النائب المحترم فكرى أباظة حتى لم تجد المعارضة بدا من تسجيل احتجاجها على خطة الوزارة والوزاريين بانسحابها في أول جلسة من الجلسات » •

وعن خنق حرية الصحافة قال مكرم عبيد باشا ، أيضا : بلغ من اشتداد وطأة الاغلال التى ترسف فيها الصحافة على يد النحاس باشا ووزارته ان وجد مجلس نقابة الصحفيين نفسه مضطرا الى تقديم الاحتجاج تلو الاحتجاج الى الحاكم العسكرى مذكرا رفعته بما جاء في مذكرة الوفد المصرى المؤرخة في أول ابريل ١٩٤٠ من أنه « لا معنى لأن تمتد الرقابة على الأخبار العسكرية الى رقابة على كل الشئون المصرية حتى أصبح المصريون في عهد الاستقلال وكأنهم آلة صماء عمياء ، لا يسمع لهم صوت في شئون بلادهم ، ولا يدرون الى أى مصير هم مسوقون ، بل ولا قدرة لهم على الشكوى مما هم اليه مسوقون » •

وقد سرد مجلس نقابة الصحفيين في أحد اجتماعاته هذه صنوفا من أمثلة الارهاق ، التى تتعرض لها الصحف في هذا العهد مما يجاوز ما كان في عهود الوزارة السابقة ثم ختم مذكرته بقرار صريح هذا نصه : من أجل هذا يقرر مجلس النقابة أسفه الشديد لأساليب الرقابة الصحفية ويرفع الى رفعتكم ـ رئيس الحكومة ـ احتجاجه على الاجراءات التى تتبعها الرقابة وخروجها على الحدود المرسومة لها ، ومخالفتها لنص وروح الأحكام العرفية وما جرى عليه العمل في العهود السابقة ، ويقرر ان الصحافة والحالة هذه ازاء استحالة مادية ، ومعنوية تمنعها من أداء واجبها ، ويوقع القرار كل من : فكرى أباظة ،

محمد عبد القادر حمزة ، ابراهيم عبد القادر المازنى ، حافظ محمود ، محمد خالد ، مصطفى أمين ، جلال الحمامصى ، كامل الشناوى ، مصطفى القشاشى « أعضاء مجلس نقابة الصحفيين » .

وقد بلغ من تمادى النحاس باشا فى استغلال سلطته العرفية ، ان اختفت المعارضة من الصحف ، ومحيت محوا ، وحرم على الكتاب أن ينقدوا عملا من أعمال الوزارة جل ، أو هان ، وصودر حق الناس الأزلى الذى كفله القانون العادى فى الرد على ما يكتب عنهم ، وتفنيد ما يفترى عليهم من الأعمال أو الأقوال وحرم على الصحف ان تنشر أسماء أشخاص بعينهم ولو فى مناسبة من المناسبات العادية أو فى مناسبة كريمة ، كتقييد أسماء مكرم وزملائه من أعضاء الكتلة الوفدية المستقلة فى دفتر التشريفات وحرمت الرقابة كل ذكر لبرقيات ورسائل تلقيتها من شخصيات سامية المكانة على أثر خروجى من الوزارة وبينها رسالتان لصاحب السمو الأمير عمر طوسون وصاحب الفضيلة الشيخ أبو الوفا الشرقاوى » .

ويروى مكرم عبيد نماذج لشدة الرقابة : حدث أن قبض الله الى جواره أحد أعضاء الكتلة الوفدية المستقلة فى أواخر شهر ديسمبر ١٩٤٢ وهو المغفور له عبد الوهاب البرعى المحامى فرأيت واجبا على أن أنعاه فى جريدة الأهرام ، ولكن النعى لم يكد ينشر فى الصباح حتى هاج النحاس باشا وثارت ثورته لأن النعى ، يتضمن ذكر الكتلة الوفدية المستقلة ، وترتب على هذه الثورة أمران ، أولهما : اصدار تعليمات الى الرقباء على الصحف بمراجعة اعلانات الوفيات حتى لا يقبض الله الى جواره رجلا آخر من رجال الكتلة الوفدية فيذاع فى نعيه انه لقى ربه ، على عقيدته الوفدية المستقلة ، ثانيهما : ترتب على هذه الثورة كذلك ، ان صودرت برقيات التعزية فى الفقيد الذى هاج نعيه أعصاب الحاكم العسكرى » .

ويقول مكرم ، أيضا : انه قام بدعوة بعض أصدقائه ، من كبار رجال السراى الملكية والسفارة البريطانية والنواب البريطانيين ، وكبار رجال المفوضيات الأجنبية وزعماء الأحزاب والمستقلين ، ورجال الشركات والبنوك : دعاهم الى تناول الشاى بداره فى ٢١ يناير ١٩٤٣ فاذا بهذه الدعوة المتواضعة تطير باعصاب الحاكم العسكرى ، واذا به — الحاكم العسكرى — يسخر الرقابة فى منع المجلات والصحف من كل اشارة الى الدعوة أو المدعوين « ولم يستح النحاس باشا ان يجعل من هذا الموضوع بابا من أبواب التنبيهات الكتابية للرقباء أجمعين » .

« والجدير بالذكر ان مصطفى النحاس باشا الذى أمر بذلك كان قد اشتكى هو بنفسه من الرقابة عندما كان فى المعارضة ، وكانت شكايته تلك

فى خطاب له برأس البر ، اذ قال : وأخـرى لا تقل صغارا وسخافة هى منعهم الصحف من ان تذكر اسماء زائرى ، أو تنقل أحاديثى وتشير الى انتقالاتى ومقابلاتى فى حين لا مانع من ذكر أخبارهم وأقوالهم ، والدعاية المعرضـة لأشخاصهم وأعمالهم ، كانما كان لهم أن يسقطوا عن مصطفى النحاس ما يتمتع به سائر المصريين من الحقوق ، أو كانما لا تكفيهم هذه الرقابة الغاشـمة التى فرضتها الأحكام العرفيـة على الصحف بحجـة الحرص على سـلامة الدولة ومقتضيات الأمن والدفاع فراحوا يستخدمونهـا فى حمـاية أنفسهم من كل انتقاد حتى ضاق بهذه الحال بعض الصحفيين المحايدين قبل المعارضين . فتوالت الشكوى ، ولكن بدون جدوى ، نعم هو صغار لا طعم له ، ولا معنى ، وان كان كثير الدلالة على ماترزح تحته البلاد فى هذا العهد الظالم من عدوان وطغيان ، واستهتار بالحقوق والحريات ، صغار لم تلجأ حكومة من الحكومات المصرية الى مثله منذ نفى سعد زغلول ، وبعض أصحابه وكنت وزميلى مكرم من بينهم الى جزائر سيشيل وحرم على الصحف أن تذكر أسماءهم وأنباءهم أو اسم الجهة التى نفوا اليها ، فلم ترد مصر الا ذكرا لهم ، وحبا فيهم وجهادا تحت نوائهم ، حتى ردتهم سالمين ، غانمين » .

ويذكر مكرم عبيد واقعة جديدة خاصة بزيارة ونستون تشرشل ، الى مصر ونشر النحاس باشا فى الصحف المصرية كلها صورة تشرشـل تضمنت اهداء كريما من جناب المستر تشرشل الى صديقه النحاس باشـا « وفى هذا الاهداء ـ مكرم عبيد ـ تقدير واطراء ، يحرص عليه كل الحرص رفعة رئيس الوزراء ، الى هنا لا بأس ، ولكن يشاء حظ النحاس باشا أن يهدى جنـاب المستر تشرشل ـ فى نفس الوقت ـ نفس الصورة وعليها نفس العبـارة الى صديقه « حسين سرى باشا » اذ لجنابه بين المصريين أكثر من صديق واحد ، وظنت صحافتنا البسيطة العبيطة ان لا بأس أيضا من الاشارة الى الصـورة الثانية وقد انطوى اهداؤها على ذات التقدير والاطراء ، لصديق آخر ، كان رئيسا للوزراء ، وهنا ـ هنا فقط ـ رأت الرقابة النحاسية أن الباس ، كل البأس فى نشر هذا الخبر ، على الناس فمنعت حتى مجرد الاشارة الى الصورة الشمسية ـ وهى نفس الصورة ـ والى العبارة الخطية ـ وهى نفس العبارة » .

ويتحدث مكرم عبيد ـ متهكما ـ عن هذا الموضوع فيقول : قد لا يرى الناس فى ذلك حكمة ولكنى ـ مكرم ـ اعترف للنحاس باشا بحكمة هى كل الحكمة » ثم يقول مكرم : « بيد انى اذا رأيت مع النحاس باشا بعض الخطر فى نشر صورتين لرجل كبير له كل الشأن ، وكل الخطر فلست أفهم ، لماذا شرفنى النحاس ، وأنا الصغير بمنع نشر صورتى على الناس ، فقد عن لاحدى المجلات الأدبية ـ هى مجلة منبر الشرق ـ أن تنشر مقالا عن تاريخ حياتى ومعه صورتى فلم يكن من الرقيب الا أن منع المقال ، وكان فى ذلك طبقا للمقاييس

الحكومية معتدلا كل الاعتدال ، ولكنه أبى على المجلة أن تنشر حتى الصورة من غير تعليق أو تنميق ، وكتب الرقيب بخطه على مسودة المقال هذه العبارة بنصها : لا تنشر ولا تنشر الصورة المشـــار اليها فى الكلام » وكان فى ذلك مسك الختام » ·

واذا كان الشيء بالشيء يذكر ، كما يقولون فاننا نذكر ان ونستون تشرشل رئيس الوزارة البريطانية كان قد زار مصر فى ٣ أغسطس ١٩٤٢ لمدة يومين زيارة سرية للغاية لم يعرفها أحد الا بعض موظفى السـفارة البريطانيـة فى القاهرة ، ورئيس وزراء مصر مصطفى النحاس وعن تلك الزيـارة « رفع » مصطفى النحاس باشا فى ٥ أغسطس ١٩٤٢ مذكرة سرية شخصية الى الملك فاروق هذا نصها :

١ ـ وفد الى مصر يوم الاثنين الماضى ٣ أغسطس بصفة سرية محضـــة حضرة صاحب السعادة المستر تشرشل ، رئيس الوزارة البريطانية وقد دعانى لتناول الغداء معه ، بدار السفارة البريطانية يوم الثلاثاء ٤ أغسطس

حاولت الاتصـــال بجلالتكم لابلاغكم ذلك فلم يتيسر لى : كان الحديث على المائدة يدور حول أحوال مصر بصفة عامة ·· يخيل الى انه قادم بصفة سرية للنظر فى الحالة الحربية ، القائمة على حدود مصر ، وان كان لم يتحدث معى فى شيء من ذلك ·

علمت منه انه انتظر عودة جلالتكم الى القاهرة ليحظى بشرف المقابلة بصفة سرية وهو لهذا السبب ، لم يتوجه الى القصر العامر لقيد اسمه فى سجل التشريفات ، وقد اتصل سعادة السفير البريطانى بحضرة صـــاحب المعـالى أحمد حسنين باشا رئيس ديوان جلالتكم وأفضى اليه بذلك ·

٢ ـ طلب ـ بضم الطاء وكسر اللام ـ فى مساء الأمس « ٤ أغسطس » بصفة سرية استمرار وقف المواصلات مع فلسطين على صـــورة مخفضــة لمدة ٤٨ ساعة تنتهى فى صباح الجمعة المقبل ، وقد نفذ ذلك فعلا ·

٣ ـ استقبلت فى مساء السبت الماضى بالمنزل حضرات أصحاب السمو والمجد والسعادة ، عمر الفاروق ، وعباس حليم ، ومحمد طاهر باشا واتفقت معهم على تفاصيل سفرهم الى المصيف الذى أعددته لهـم باستراحة طلمبات السرو اعدادا يليق بمقامهم ·

ونفصل الحديث عن زيارة تشرشـل لمصر تلك الزيارة التى كانت خيرا وبركة على الحلفاء كل الحلفاء ·

الفصـــل الخـامس

فاروق يقابل تشرشل سرا
ويطلب منه التخلص من النحاس

في الفصل السابق من هذا الكتاب نقلنا « سنوات ما قبل الثورة » ، نقلت جزءا من المذكرة السرية التى « رفعها » مصطفى النحاس باشا رئيس مجلس الوزراء الى الملك فاروق بخصــوص الزيارة السرية التى قام بهــا ونستون تشرشل ، رئيس الوزارة البريطانية الى مصر ٠

وألفت نظر القراء الكرام الى ما جاء فى مذكرة النحاس باشا من أنه حاول الاتصال بالملك لابلاغه بنبأ وصــول تشرشل الى مصر ، وانه ــ أى مصطفى النحاس ــ لم يستطع الاتصال بالملك ، وقول مصطفى النحاس فى مذكرته تلك : ان تشرشل انتظر عودة جلالتكم الى القاهرة ليحظى بشرف المقابلة بصفة سرية ، وهو لهذا السبب لم يتوجه الى القصر العامر لقيد اسمه فى سجل الزيارات وقد اتصل سعادة السفير البريطانى بحضرة صاحب المعالى أحمد حسنين باشا رئيس ديوان جلالتكم وأفضى اليه بذلك » ٠

وعن موضوع اعتقال « أصحاب السمو والمجد والسعادة » : « عمر الفاروق وعباس حليم ومحمد طاهر باشا قال النحاس : انه قد استقبلهم بمنزله فى يوم السبت « أول أغسطس » وانه اتفق معهم على تفاصيل « ســـفرهم » الى « المصيف » الذى أعدته الحكومة لهم « باستراحة طلمبـات السرو » اعدادا يليق « بمقامهم » ٠

ثم يقول النحاس باشا : « وتنفيذا لما تم الاتفاق عليه سافروا باختيارهم صباح الأحد الماضى « ٢ اغسطس » ووصلوا الى الاستراحـة الساعة الثانيــة والنصف بعد الظهر حيث كان كل شىء معدا لاستقبالهم واقامتهم ، وقد بلغونى فى نفس اليوم انهم فى غاية الراحة والممنونية » ٠

ويهمنى ـ مصطفى النحاس ـ أن أذكر لجلالتكم انى فى الحديث معهم مساء السبت أفهمتهم مبلغ اهتمام جلالتكم بشأنهم وما كان من مواصلة سعيكم الكريم لابعاد هذا الأمر عنهم ، وانى من جانبى قد بذلت جهدى نزولا على أمركم فلم نستطع أكثر مما تم الاتفاق والتفاهم عليه » .

وينهى مصطفى النحاس مذكرته بقوله : « هذا ما عن لى ابلاغه لجلالتكم بصفة عاجلة واننى يا مولاى على الدوام الوفى المخلص الأمين » .

وعمر الفاروق الذى اعتقل فى استراحة « طلمبات السرو » من سلالة خلفاء آل عثمان وقد ورث حب المانيا وكراهية انجلترا وفرنسا من الحرب العالمية الأولى حيث كانت ، انجلترا وفرنسا تحاربان الخلافة العثمانية .

أما عباس حليم شريك عمر الفاروق فى الاعتقال فقد كان يعتبر من أمراء أسرة محمد على « المشاغبين » وقد أسقط عنه مجلس البلاط الملكى لقب صاحب المجد النبيل ، فمنحه الشعب لقب « الشريف » .

وكانت السلطات البريطانية تضيق ذرعا بالنشاط المعادى لها الذى يقوم به عباس حليم .

ومحمد طاهر باشا كان يرأس نادى السيارات الملكى حيث اعتاد فاروق السهر الى الصباح الباكر ، كما كان يرأس البوليس الخاص التابع للسراى والذى أنشأه على ماهر باشا .

وكانت السفارة البريطانية قد طلبت من كل من حسن صبرى باشا وحسين سرى باشا عندما كان كل منهما يرأس الوزارة المصرية اعتقال هؤلاء الثلاثة فعارضا فى أمر الاعتقال الى أن تحقق على يدى مصطفى النحاس باشا وان كان الاعتقال فى هذه المرة قد أخذ صفة « التصييف » .

وكان الهدف من اعتقالهم بتلك الطريقة الناعمة المغلفة بالرقة والاحترام ، ألا يحدث اعتقالهم ضجة شعبية كتلك التى أحدثها اعتقال على ماهر باشا فى نفس المكان : استراحة « طلمبات السرو » .

وقد كان محمد طاهر باشا عضوا فى مجلس الشيوخ ولكن لم يتحرك بعض أعضاء المجلس للثورة على اعتقاله ، كما تحركوا من قبل للثورة على اعتقال على ماهر باشا !!

وأعود الى ما سبق ان لفت اليه أنظار القراء حول ما يتعلق بزيارة تشرشل السرية الى القاهرة وقول النحاس باشا رئيس الوزراء والحاكم العسكرى لمصر فى مذكرته الشخصية التى رفعها الى الملك انه عجز عن الاتصال بجلالته لابلاغه نبأ تلك الزيارة وكذلك لانبائه ، ان تشرشل انتظر عودة الملك الى القاهرة ليحظى بشرف المقابلة بصفة سرية و . و . .

وقد كان النحاس باشا رئيس مجلس الوزراء والحاكم العسكرى معتقدا ـ كما بلغ من السفير البريطانى ـ ان أحدا غيره ـ غير النحاس باشا ـ لم يعلم بنبأ تلك الزيارة وبسبب هذا الاعتقاد الخاطىء ، رفع النحاس مذكرته الشخصية تلك الى الملك ليخبره بنبأ زيارة تشرشل الى مصر و ٠٠ و ٠٠ وكان تشرشل برفقة السير مايلز لامبسون قد زارا الملك فى قصر عابدين دون أن يعرف النحاس باشا رئيس مجلس الوزراء والحاكم العسكرى ودون أن يخبر لامبسون رئيس الوزراء والحاكم العسكرى بأن تشرشل قد زار الملك ٠٠ ورد فى مذكرات سير مايلز لامبسون ـ لورد كيلرن فيما بعد ـ عن مقابلة تشرشل للملك ، تلك المقابلة التى لم يعرف عنها شيئا مصطفى النحاس باشا الحاكم العسكرى لمصر ورئيس وزراء مصر ـ ورد فى تلك المذكرات ما يلى : وصلنا الى قصر عابدين فى الحادية عشرة صباحا ودخلنا من باب جانبى حتى لا يعرف الألمان أن تشرشل فى القاهرة واستمرت المقابلة حوالى نصف ساعة ، وكانت الزيارة موفقة باستثناء محاولات فاروق الظهور بمظهر الملك وبطريقة رسمية ٠

ولكن تشرشل تحدث عن الحرب وانه واثق من النصر وانه فى مثل هذه الأوقات يستطيع أن يعرف الصديق المخلص ٠

ورد فاروق ، بأنه وحكومته وبلده متضامنون مع الحلفاء وانه ـ فاروق ـ مصمم على تنفيذ المعاهدة ، ولكنه سوف يطلب تعديل بعض نصوصها بعد الحرب ٠

وفى رأيى ـ لامبسون ـ ان هذه المحاولة واضحة من فاروق للتخلص من النحاس فى « أقرب فرصة » ٠

وتحدث فاروق بعد ذلك عن الأيام الصعبة وكيف أنه أسىء فهمه كثيرا فى لندن بسبب التقارير التى كانت تشوه موقفه ٠

وقال أيضا ، انه لن يتحدث فى ذلك الآن وسيتركه الى ما بعد الحرب ٠

ويبدو أن تشرشل تأثر بحديث الملك ، فقد قال لى ونحن نغادر القصر : ان فاروق ليس سيئا الى هذا الحد وانه يمكن أن نصنع منه شيئا ٠ وقال أيضا أنه ينوى أن يقابله على انفراد قبل عودته الى لندن ٠

وقد ضايقنى ـ لامبسون ـ هـــذا القرار كثيرا وتحدثت مع الكسندر كادوجان الذى حضر مع تشرشل عن خطورة عدم وجود أحد آخر فى اجتماع بين فاروق وتشرشل ووافقنى كادوجان على رأيى » ٠

ولأن زيارة تشرشل الى مصر كانت من أخطر الزيارات التى قام بهـا ونستون تشرشل أثناء الحرب العالمية الثانية ، ولأنها كانت نهاية عهد مظلم بالنسبة للحلفاء وبداية لأيام مشرقة لا لانجلترا وفرنسا فحسب ، بل للعالم

كله ، فانني أستأذن القراء في أن أنقل بعض ما جاء عن هذه الزيارة في مذكرات تشرشل ، وما جاء في مذكرات تشرشل عن تلك الزيارة هو في حد ذاته درس رائع لكل من يمر بأيام سوداء اذ يجب عليه الا يفقد أبدا الأمل مهما تعقدت الأمور •

قال تشرشل : لقد كانت التقارير التي تلقيتها من وجهات شتى تقوى باستمرار الشكوك التي ساورتني في موضوع القيادة العليا في الشرق الأوسط وغدا لزاما على أن اتجه الى هناك وأسوى القضية بصورة حاسمة •

وكان من المقرر أولا أن أمضى الى جبل طارق « فتاكورادى » ثم اجتاز أواسط افريقية الى القاهرة مما يقتضينى السفر بالطائرة زهاء خمسة أو ستة أيام ، وعلى أية حال وصل الى انجلترا في هذه الأونة طيار أمريكي شاب يدعى الكابتن فاندر كلوت قادما بطائرته « الفدائي » من طراز ليبراتوز ، وصل من الولايات المتحدة ، بعد أن رفعت أوكار قنابلها واستعيض عنها بأماكن ركوب المسافرين •

وقد كان في وسع مثل هذه الطائرة اجتياز الرحلة المرسومة في كل مراحلها بسرعة أكبر ، وقد استقبل بورتال رئيس أركان سلاح الطيران ، الطيار الأمريكي مستجوبا اياه في موضوع طائرته وسأل فاندر كلوت الذى كان قد طار ما يقرب من مليون ميل عن الأسباب التي تستدعي الدوران مثل هذه المسافة الطويلة الى تاكورادى ، وكانو وفورت لامى و •• و •• وقال فاندر كلوت : انه يمكنه ان يطير من جبل طارق الى القاهرة دون توقف اذ يتجه من جبل طارق صوب الشرق بعد الظهر ثم يستدير فجأة نحو الجنوب عبر المناطق التي تحتلها أسبانيا أو حكومة فيشى في شمال افريقية عند حلول الظلام ثم يتجه شرقا الى أن يصل الى النيل فوق أسيوط ويتجه شمالا بحيث يصل الى مطار القاهرة شمالى الأهرام بعد ساعة واحدة •

وقد كان هذا الاقتراح كفيلا بتغيير الصورة كلها فقد أصبح في طاقتى أن أصل الى القاهرة في يومين أما بورتال فقد اقتنع بالاقتراح كل الاقتناع •

وكان أهم ما يشغلنا أن نعرف رد الفعل بالنسبة للحكومة الروسية بشأن الأنباء المؤلمة التي لا مناص من ابلاغها اياها وهي ان القناة لن تعبر الا في عام ١٩٤٢ ، وقد حدث انني شرفت بدعوة الملك على العشاء مع أعضاء وزارة الحرب مساء الثامن والعشرين من يوليو في غرفة الصداقة في داوننج ستريت رقم ١٠ التي كنا نستخدمها لمآدب العشاء • وقد حصلت من جلالته ــ بصفة سريعة ــ على الاذن لى بالقيام بالرحلة وبعد مغادرة هذا المكان دعوت الوزراء الى غرفة مجلس الوزراء فبلغتهم كل شيء وتقرر سفرى الى القاهرة وان اقترح على ستالين مقابلته في موسكو ، وقد أرسل تشرشل الى ستالين برقية أكد فيها أن بريطانيا تقوم بالتمهيد للقيام بمحاولة لارسال قافلة كبيرة

الى أركانجل ــ فى الاتحاد السوفيتى ــ فى الاسبوع الأخير من شهر سبتمبر وأنه ــ أى تشرشل ــ راغب فى المجىء الى ستالين ، اذ دعاه للاجتماع به فى استراخان فى القوقاز أو فى أى مكان آخر مناسب يماثله وأنه ــ أى تشرشل ــ سيبلغه ــ ستالين ــ بالخطط التى اتفق والرئيس روزفلت عليها بالنسبة للأعمال الهجومية فى عام ١٩٤٢ .

وجاء فى برقية تشرشل الى ستالين أيضا : انى ذاهب الى القاهرة فورا فلدى عمل جدى فيها لأمرية فى انك تتخيله ومن هنا يمكننى أن أحدد الموعد الذى يناسبك للاجتماع اذا رغبت وهو موعد قد يكون بالنسبة لى بين العاشر والثالث عشر من أغسطس اذا سارت كل الأمور كما ينبغى » .

وفى نفس اليوم تلقى تشرشل برقية من ستالين يوجه فيها نيابة عن الحكومة السوفييتية الدعوة اليه للحضور الى الاتحاد السوفيتى والاجتماع بأعضاء الحكومة ، ويقول فيها : ان أنسب مكان للاجتماع هو موسكو اذ ليس فى طاقتى أو فى طاقة أى عضو من أعضاء الحكومة أو كبار رجال القيادة العامة أن ندع العاصمة فى هذه اللحظة التى يقوم فيها صراع عنيف عارم ضد الألمان » .

ويقول تشرشل ان رحلته الى القاهرة لم تكن مريحة فقد كان البرد القارس ــ فى الطائرة ــ الذى يكاد يمزق الأوصال ، يسرى فى مفاصلنا اذ لم تكن وسائل التدفئة قد أدخلت الى الطائرة « الفدائى » التى كانت أصلا قاذفة قنابل » ويقول انه وصل الى جبل طارق فى ٣ أغسطس دون ما حادث .

« وأمضينا النهار نطوف بالقلعة ثم غادرناها فى السادسة مساء فى طريقنا الى القاهرة لنقطع ألف ميل ، أو يزيد فى فترة واحدة تقريبا » .

ويقول تشرشل « انه عندما ابتعد عن بعض المناطق الخطرة وعندما حل الظلام وأصبح فى مقدورنا أن ناوى الى المضاجع فى الطائرة رقصت طربا » .

ويقول تشرشل الكاتب والأديب : اعتدت فى مثل هذه الرحلات أن أجلس فى مقعد مساعد الطيار قبيل شروق الشمس ، وعندما وصلت الى المقعد فى اليوم الرابع من أغسطس رأيت فى ضوء الفجر الشاحب شريطا ملتويا من المياه الفضية يمتد أمامنا ، ورأيت نهر النيل ينساب رائعا فى واديه ، وقد قطعت فى أيام الحرب والسلم ــ برا ونهرا ــ هذا الوادى العظيم من منبعه من بحيرة فيكتوريا حتى مصبه فى البحر المتوسط ولكننى لم أشعر قبل بالارتياح حينما تطلعت الى مياهه كما حدث فى هذا الصباح .. وكان على أن أقرر عدة قضايا فى القاهرة فهل فقد جيش الصحراء ثقته بالجنرال أوكنلك وأركان حربه ؟ واذا كان هذا حقا فهل يجب أن أنحيه عن القيادة ومن سيخلفه فى حالة

تنحيته • ومثل هذه القرارات تكون مؤلمة قاسية وخاصة عند التعامل مع قائد له مثل ما لاوكلنك من مكانة ومنزلة وميزات وكفايات وتصميم •

ورغبـة منى فى تعزيز أحكامى طلبت الى الجنرال سمطس أن يطير من جنوب افريقية الى القاهرة وقد كان فى انتظارى فى دار السفارة بالقاهرة عندما وصلت اليها ثم قضينا فترة الصباح معا حيث حدثته عن كل متاعبنا ومجالات الخيار المتفتحة أمامنا •

وقدم الجنرال ويفيل من الهند • وشهد مؤتمرا امتد فى المساء ـ سمطس وكيسى الذى كان قد خلف ليتلتون فى وزارة الدولة فى الشرق الأوسط الجنرال بروك رئيس أركان الحرب وويفيل واوكلنك » •

يشيد تشرشل بكرم سير مايلز لامبسون وضيافته التى كانت فى غاية الروعة فقد قدم لى حجرة نومه المكيفة ومكتبه المكيف للعمل •

ويقول تشرشل انه زار الجبهة والمعسكرات الأخرى الكبرى شرقى القاهرة فى القصاصين كما زار فى ٥ أغسطس مواقع العلمين • وقال تشرشل ، انه أعلن عن رغبته فى أن يرافقه الجنرال جوت « قاذف القنابل » ولكن أحد أركان حرب اوكلنك اعترض لأن هذه الموافقة ستفقد الجنرال جوت بعض الوقت عن مكان عمله ، ولكن تشرشل أصر على طلبه • والتقى تشرشل بالجنرال جوت للمرة الأولى والأخيرة وقال جوت لتشرشل انه مجهد وانه كان يود أن يمضى الى انجلترا التى لم يشاهدها منذ بضع سنوات فى أجازة تستغرق ثلاثة أشهر وان كان جوت قـد أبدى لتشرشل استعداده لتحمل كل ما يلقى عليـه من مسئوليات !

ويشير تشرشل الى انه تناول طعام الغداء فى مقر قيادة مارشال الجو كنتجهام وكان كنتجهام قد طلب الطعام من فندق شبرد فى القاهرة وقد حملت سيارة خاصة الطعام من الفندق غير أنها ضلت الطريق ، وبذلت مجهودات مضنية للعثور عليها ولكنها وصلت أخيرا ••

وعاد تشرشل الى القاهرة فى مساء السادس من أغسطس والتقى بروك وسمطس وكان قد توصل الى مشروعات قرارات خطيرة خاصة بالحرب فى الشرق الأوسط من بينها ضرورة تقسيم القيادة العامة فيه الى قيادة للشرق الأدنى تشمل مصر وفلسطين وسورية ، على أن تكون القاهرة مقرها •• وقيادة الشرق الأوسط وتشمل ايران والعراق ، على أن يكون مركزها البصرة أو بغداد وفى المنطقة الأولى يعمل الجيشان الثامن والتاسع ويعمل فى المنطقة الثانية الجيش العاشر !

ومن بين تلك الاقتراحات عرض القيادة العامة على الجنرال أوكلنك على

أن يتولى الجنرال الكسندر القيادة العامة فى الشرق الأدنى وأن يتولى الجنرال جوت قيادة الجيش الثامن ٠

ويبرق تشرشل باقتراحاته الى وزارة الحرب قائلا ان سمطس ورئيس الأركان العامة يؤيدانه فيها ٠

ويذكر تشرشل ان وزارة الحرب وافقت على اقتراحاته ٠

ويتم ابلاغ تشرشل بمصرع الجنرال جوت ٠

واتخذ تشرشل وسمطس قرارا باختيار الجنرال مونتجمرى قائد للجيش الثامن فى الحال ، ويبلغ تشرشل المستر اتلى برأيه طالبا ايفاد مونتجمرى فى طائرة خاصة فى أسرع وقت واخبار تشرشل بموعد وصوله ٠

ويقول تشرشل ان أعضاء وزارة الحرب أصيبوا بالوجوم عندما بلغوا بمصرع جوت ولكنهم استمروا فى عملهم حتى الفجر ٠

ويرسل تشرشل الى الجنرال اوكلناك من القاهرة فى ١٨ أغسطس رساله يحملها اليه المستر جاكوب يخبره فيها أن وزارة الحرب قد قررت أحداث تغيير فى القيادة فيتولى الكسندر قيادة الشرق الأوسط على أن يتولى مونتجمرى قيادة الجيش الثامن « وهانذا ــ تشرشل ــ أعرض عليك قيادة العراق وايران مع الجيش العاشر » ولا ينسى تشرشل أن يقول للجنرال أوكلنك : « قد يكون الميدان الذى نعرضه عليك فى الوقت الحاضر أصغر من ميدان الشرق الأوسط ولكنه قد يضحى فى خلال عدة شهور مسرحا لعمليات حربية حاسمة ٠

ويقول تشرشل ، ان أوكلنك قد تلقى الضربة ــ ضربة تنحيته عن القيادة ــ بما يجب أن يقابلها به من كبرياء رجل عسكرى » ولم يكن الجنرال أوكلنك راغبا فى قبول القيادة الجديدة » وفى يوميات ايان جاكوب : استيقظ تشرشل من نومه فى الساعة السادسة صباحا وكان على ظن أن أنقل اليه ما أمكننى تفاصيل ما دار بينى وبين الجنرال أو كلنك ٠٠ ان عقل رئيس الوزارة تشرشل مركز على شىء واحد هو ان نهزم روميل وقد صاح تشرشل فجأة قائلا : روميل ٠ روميل أهناك أمر ما يهمنا سوى أن نهزمه ٠

ولا يذكر تشرشل فى مذكراته حرفا واحدا عن مقابلته للملك فاروق ولا عن مقابلته لمصطفى النحاس بل انه لا يذكر حرفا واحدا عن سير مايلز لامبسون الا عندما أشاد بضيافته وبالغرفتين المكيفتين ــ غرفة المكتب وغرفة النوم اللتين تنازل له عنهما ليعمل فيهما ــ لقد كان كل ما يهم تشرشل هزيمة

روميل بأية طريقة مهما كلف الامبراطورية البريطانية من تضحيات ، ويبدو من مذكرات تشرشل ، انه كان حزينا للغـاية لأنه أجبر على اتخاذ قرار بتنحية الجنرال أوكلنك رغم ماضيه العسكرى بل رغم كفاءته واخلاصـه وقـد رأى تشرشل الاستفادة به فى مكان آخر غير الصحراء الغربية !

ولكى تكون صورة الموقف الحربى والسياسى فى الصحراء الغربية واضحة تماما لا بد وأن نشير الى مبادىء مونتجمرى فى القيادة العسكرية اذ أن تلك المبادىء ، كما قال مونتجمرى نفسه ـ رجل الموقف ـ أهم عوامل النجاح : يقول مونتجمرى ان الامكانات لا تكفى والقائد لا بد وأن يصارح رجاله بالحقيقة واذا لم يفعل فانهم يشعرون فورا بأن ثقتهم فى قائدهم قد ضعفت : لقد أطلعت رجالى على ما كان يجب أن يعرفوه ليقوموا بعملهم على الوجه الأتم ، وكل ما كنت أصارحهم به كان الحق بعينه ، دائما كل الحقيقة لجنودى لأن السر الذى يجب أن يحيط العمليات الحربية وهم يعلمون ذلك فيتولد من ذلك كله ثقة متبادلة » .

ويقول مونتجمرى ان كل قائد يجب أن يعرف جيدا هدفه بوضوح ، ويجب أن تكون توجيهاته ، لكل مساعديه أيضا واضحة ، كما يجب أن تكون أوامره شديدة قـوية « وبذلك يخلق ما أستطيع أن اسـميه جوا فيه يحيا مأموروه ، وفيه يعملون » ومن آراء ، ومعتقدات مونتجمرى أيضا أن القتال معركة بين عزيمتين عزيمتك ، وعزيمة خصمك قائد جيش العدو فاذا اضطرب قلبك عندما ترى العاقبة على غير ما تتمنى ، فالمحتمل ، أن المنتصر هو خصمك ، ثم أن خطة العمليات الحربية يجب أن يصممها القائد الأعلى بنفسه فلا تفرضها عليه أركانه ولا الظروف ولا العدو خاصة والقائد الأعلى هنا يجب أن يوفق بين ما هو مرغوب من الناحية الاستراتيجية وما هو ممكن من الناحية التطبيقية ، نظرا الى القوى التى تكون « تحت تصرفه واذا لم يفعل فالأمل ضعيف فى نجاحه فالأمر كل الأمر فى أن يميز بين ما هو ممكن مع قليل من الحظ وبين ما هو مستحيل .. » .

وهو ـ مونتجمرى ـ يرى أن على القائد الأعلى أن يقرر قبل المعركة ، كيف يريدها أن تتطور وقبل الشروع فى العملية الحربية يجب أن ننفخ روح الحماسة فى صدور الجنود فيقبلوا على القتال والتفاؤل يشملهم جميعا .

ويلخص مونتجمرى آراءه ومعتقداته بقوله : لا أظن أن قائدا أعلى اليوم يمكنه أن يهب بجيوش ضخمة ، حتى وبوحدات بسيطة حتى وبأفراد يقودهم الى النصر ما لم يكن عنده الايمان » .

ويقول مونتجمرى أنه حمل عقيدته العسكرية تلك عندما غادر انجلترا الى مصر وانه شرع على التو فى تطبيقها ، وقد وجد أن الروح لم تكن عالية

وأن الجيش لا ثقة له فى القيادة ، وقد كان عليه - فى البداية - أن يسعى للبحث عن مساعد له ، ووجده فى جون بوستون ويقول انه بعد أن تسلم القيادة قال لمساعديه ، انه لا يحب الجو ، الذى وجده فى مركز قيادة « الجيش الثامن » فالروح لا تكون نشطة فى مكان حزين ، كهذا وفيما نحن عليه من الضيق والانزعاج فى العيش فلا بد - مونتجمرى - من أن يكون مركز قيادتنا قرب البحر لنشتغل بقوة وعنف ثم نستحم ونجدد بذلك قوانا » .

ويقول مونتجمرى انه ألغى الأمر بعدم استخدام الخيام وانه طلب استيراد خيام وفرش ، وأوان للأندية ، حتى نؤمن لأنفسنا الرفاهية ، ليكون عملنا منتجا »

الفصل السادس

أزمة عنيفة بين حكومة الوفد والسراى
والسفارة البريطانية تتدخل لحل الأزمة

● أنهينا الفصل السابق ببعض ما ذكره مونتجمرى فى مذكراته ، عند بداية عمله كقائد للجيش الثامن ، ونضيف اليوم أنه صارح رجاله بأساليبه فى العمل وبكرهه للأوراق الادارية والتفاصيل وانه اخبرهم بأنه « عين دى جنجان رئيسا لأركان حرب الجيش الثامن وكل أمر يصدر منه كأنه صادر عنى ويجب تنفيذه فورا ٠٠ وهو ــ دى جنجان ــ محل ثقتى بوجه مطلق وأقلده السلطة على مركز القيادة كله » ويقول مونتجمرى أيضا : ان تشرشل قد زار قيادة الجيش الثامن فى ١٩ أغسطس عقب عودته من موسكو وأنه ــ أى مونتجمرى ــ عرض عليه خطته لصد هجوم روميل الى أن يقول :

قضى ونستون تشرشل الليل معى فى مركز قيادتنا على الشاطىء قرب برج العرب وكانت سهرتنا سهرة سرور ومرح فى نادينا وكان دى جنجان قد اتخذ التدابير اللازمة بحيث وفر لرئيس الوزراء خمرا لا بأس بها وزجاجة كونياك معتقة ، وعند ذهابه فى الغد طلبت اليه ان يوقع باسمه على دفترى المخصص للتوقيعات وكنت قد تحدثت عن قيادة الجيش الثامن فى يوم ذكرى معركة بلانهيم وكتب تشرشل هذه الأسطر : وددت لو أن يوم تذكار بلانهيم ، الموافق اليوم ابتداء القيادة يؤمن لقائد الجيش الثامن ولجنوده المجد والسعد اللذين هم جديرون بهما ٠٠ » ٠

وأقول اننى ما أردت من الاطالة فى هذا الموضوع الا لأننى وجدت فيما قاله وفعله ونستون تشرشل ومونتجمرى والقيـــادة البريطانية السياسية ، والعسكرية فى هذه الأيام بالذات كان من الدروس الانسانية الرائعة التى يجب أن تستفيد منها البشرية فى وقت المحن » ٠

وقد كانت معارك صحراء مصر الغربية ، ومعركة العلمين بالذات نقطة تحول رائعة فى تاريخ الحرب العالمية الثانية وكان قد بدأ زحف القوات الايطالية على الأراضى المصرية فى سبتمبر ١٩٤٠ وكانت القوات الايطالية بقيادة المارشال جرازيانى قد احتلت السلوم ، ثم بقبق وسيدى برانى ، وقد كرالجيش البريطانى بقيادة الجنرال ويفيل على القوات الايطالية وانتصر عليها ، وغنم منها عدة آلاف من الأسرى واجتاز الجيش البريطانى الحدود واستولى على حصن كابتزو فى برقة ثم احتلت القوات البريطانية البردية ، وأسرت نحو عشرين ألف جندى ايطالى وحاصرت طبرق سبعة عشر يوما الى أن سقطت ، وبعدها سقطت درنة ثم بنغازى فى فبراير ١٩٤١ وتمت اقالة المارشال جرازيانى وتولى روميل قيادة قوات المحور وبدأت الهجوم فاستردت بنى غازى فى ابريل ١٩٤١ ، ثم كان هجوم بريطانى مضاد آخر للجنرال أوكلنك الذى خلف ويفيل واحتل بنى غازى فى ديسمبر ١٩٤١ ثم حلت بالقوات البريطانية الهزائم وبدأ هجوم قوات المحور فى مايو ١٩٤٢ على الجيش الثامن بقيادة الجنرال ريتشى واستولت قوات المحور على بير حكيم التى كان يدافع عنها الفرنسيون الأحرار أتباع الجنرال دى جول ، وفى ٢١ يونيو ١٩٤٢ سقطت طبرق وأسرت قوات المحور ثلاثين ألف جندى بريطانى ، وكان لسقوط طبرق أثره الخطير فى سير الحرب واستبدل الجنرال ريتشى بالجنرال كلود ورقى روميل الى رتبة فيلد مارشال ، وفى أواخر يوليو ١٩٤٢ توغلت قوات روميل فى الحدود المصرية وتم اخلاء مرسى مطروح وفوكة والضبعة من القوات البريطانية ، وتأزمت الأمور فى أواخر أغسطس وأوائل سبتمبر ١٩٤٣ وبالنسبة للقوات البريطانية حدث التعديل ، الذى سبق أن أشرنا اليه حيث عين الجنرال مونتجمرى قائدا للجيش الثامن ، والجنرال السير هارولد السكندر قائدا عاما للقوات البريطانية فى الشرق الأوسط ، خلفا للجنرال أوكلنك ! هذا ما كان يجرى فى رمال الصحراء الغربية أما ما كان يجرى فى القاهرة فلم يكن أكثر من مجرد الصدى .

يقول د. محمد حسين هيكل : بعد ان انتقلت القوات الألمانية من السلوم الى مرسى مطروح وجعلت تطهر ما حولها من كل أثر للقوات البريطانية أو المصرية راح كثير من المصريين والأجانب ، الذين يقيمون بمصر يفكرون فى المصير ، الذى ينتظرهم اذا دخلت القوات الألمانية البلاد ، فمن المصريين من كانوا يتشيعون تشيعا ظاهرا للانجليز وحلفائهم ، ومن كانوا يقدرون أنهم يلاقون حتفهم اذا ظفرت القوات الألمانية بهم ، فأما الأجانب أصحاب الأموال وأما اليهود خاصة فقد كانوا أشد جزعا وأكثر تفكيرا فى المصير المحتوم الذى قدر لهم ، وظن بعض المصريين انهم قد يجدون فى السودان ملجأ اذا حزب الأمر ، الجد ، بل لقد سافر بعضهم الى أقصى الوجه القبلى رغم تقدم الجو الى قيظ الصيف المحرق ، وفكر الأجانب ، وفكر اليهود فى التخلص من أموالهم بايداعها

عند أصدقائهم المصريين أو بالنزول عنها بأبخس الأثمان ، وفكر الرسميون من رجال السفارة البريطانية بالقاهرة فيما يجب عليهم عمله ، فأحرقوا أوراقهم الرسمية ، حتى لا يقع الألمان عليها ويفيدوا بما تحويه من أسرار سياسية وعسكرية ، وبدأنا نحن نجتمع فى الصباح من كل يوم فى نادى محمد على نستمع الى ما تنقله وكالات الأنباء ، والى ما يترامى الينا من شتى المصادر » ٠

ويقول د٠ هيكل انه التقى و د٠ أحمد ماهر ، واسماعيل صدقى وحسين سرى فى نادى محمد على ذات يوم حيث أخبرهم اسـماعيل صدقى انه علم بوصفه رئيسا لاحدى شركات البترول أن الانجليز يعتزمون الهاب النار بأبار البترول الموجودة بمصر ، اذا اضطرهم الألمان للانسحاب منها ، وان مثل هذا العمل ان تم يصيب الاقتصـاد المصرى بكارثة فادحة لا يسـهل الى عشرات السنين تعويضها » ، واتفق الأربعة على ان يخاطب د٠ هيكل النحاس باشا فيما قاله اسماعيل صدقى ، وعن طريق د٠ محمد صلاح الدين ، قابل هيكل النحاس وأفضى اليه بما قاله اسماعيل صدقى وما عرفه من مصادر أخرى ، وان النحاس باشا قال له : كن مطمئنا : أنا متيقظ لهذا كله مدرك ما يصيب مصر ، اذا انسحب الانجليز منها ، أو دخل الألمان اليها ، وقد أصدرت أوامرى وتعليماتى الى محافظ الاسكندرية ليلقى جيوش الألمان باسم الحكومة المصرية لقاء حسنا » ٠

ويقول د٠ هيكل : انه أراد أن يقف من النحاس باشا على ما اتخذه من اجراءات غـير ما أصـدره من تعليمـات فاذا هو — النحاس — يضـن عليه — هيكل — بها ولا يذكر له شيئا عنها ٠

« بل انه — هيكل — لا يبدى استعداده لمحادثة الانجليز حتى يصدهم عن اغراقهم مديرية البحيرة أو احراق أبار البترول ، وشعرت من تحفظه أنه أسف لما ذكره لى ، عما أصدره من تعليمات لمحافظ الاسكندرية مع ذلك حاولت أن أعود الى الحديث معه فيما يجب لدرء الخطر عن مصر ، فذهبت محاولتى عبثا ولم يزد الرجل على أن قال ، انه يدرك واجبه فى هـذا الموقف تمـام الادراك » ٠

ويقول سير مايلز لامبسون فى الثامن من يوليو ١٩٤٢ : « قابلت الملك فاروق فى قصر عابدين وكم كانت دهشتى للتغيير الذى طرأ عليه ، واعتقد ان اقتراب الألمان من أبواب مصر ، قد رفع روحه المعنوية وجعله يدرك معنى ذلك بالنسبة له ،ولنا على أية حال فان مظهره وتصرفاته كانت شيئا مختلفا تماما عما عهدته فيه ٠

وسألنى فاروق عن طبرق ، وقلت : انها سقطت وقال انه لا يستطيع أن يفهم لماذا سقطت طبرق ، قلت : ان الكثيرين منا أيضا وفى بريطانيا ذاتها لا يعرفون ؟ كيف سقطت طبرق ٠

وتكلم فاروق بعد ذلك عن المقاومة الرائعة للجيش السوفييتي في سباستبول وكان فاروق معجبا بما فعله الروس هناك ، ولم يقل اعجاب فاروق بما فعلوه رغم أن آخر الأنباء التي أذيعت في الصباح تقول : ان المدينة سقطت في أيدي الألمان ، وقال فاروق :

ـ لا بد ان الثمن كان غاليا للجانبين ، المنتصر ، والمهزوم .

ويقول سير مايلز لامبسون في مذكراته أيضا : توجهت الى الملك فاروق في عابدين وسألني الملك عن الموقف في الصحراء الغربية ، وأوضحت له أن الأحوال ليست سيئة للغاية وانه فيما يتعلق بي شخصيا فانى مطمئن وواثق من تطور الأمور وقال فاروق ان شعوره هو نفس شعوري تقريبا وانتهزت الفرصة كي ألح عليه في الانتقال مع حكومته الى الخرطوم في حالة دخول الألمان مصر وقلت للملك ان انتقاله الى الخرطوم لن يعرضه للاتهام بأنه هرب من مصر ، ولكن الملك فاروق قال لي أن مثل هذا القرار لن يكون شيئا سهلا وانه يجب أن يتشاور مع حكومته أولا وأنه يخشى أن يتهمه المصريون بالخيانة اذا تركهم وهرب الى السودان وحاولت ـ لامبسون ـ أن أجعل الأمر سهلا ، وذكرت له واقعة ملك النرويج الذي عاش أيضا في المنفى أثناء احتلال القوات الألمانية لبلاده وأن أي قرار اتخذ في غيبة الملك كان يعتبر غير دستوري ولكن فاروق كان يفكر بطريقة أخرى فلقد رد على بأنه معجب بما فعله ملك بلجيكا الذي ظل في بلده ولم يقبل الصلح في نفس الوقت مع الألمان ، وحاولت أن أذكر فاروق بما جرى لملك بلجيكا وأن الألمان وضعوه في السجن واتفقنا على أن نترك الموضوع ، لفرصة أخرى ، وعند خروجي من القاعة فتح أحد الحراس الباب وكان فاروق يضحك بقوة ، وعرفت منه أنني كنت أقف فوق المكان الذي يوجد به جرس سري مخبأ تحت السجادة وأن فاروق عندما كان يريد انهاء المقابلة مع شخص ما كان يقف في هذا المكان فتضيء لمبة حمراء في الخارج ويدق جرس معين فيجيء أحد رجال القصر لاصطحاب الزائر الى الخارج ، وبعد ذلك بأسبوع توجهت لزيارة النحاس باشا رئيس مجلس الوزراء في مكتبه وكان يرافقني الجنرال سمارت وتحدثنا عن حادث وقع في ٨ يوليو ١٩٤٢ فقد استقل طياران مصريان احدى طائرات السلاح الجوى ، المصرى وانطلقا في رحلة لم يعودا منها ومن الواضح أنهما ذهبا الى خطوط الألمان وقال النحاس باشا أن الحادث ضايقه كثيرا وأنه يتخذ الخطوات اللازمة لمعرفة ما جرى بالضبط ولم أشأ أن أذكر للنحاس باشا أن أمين عثمان باشا قال لي قبل أن أذهب لمقابلة النحاس أن وزير الدفاع المصرى أمر بافراغ الوقود من جميع الطائرات المصرية حتى تظل على الأرض ، وتحدثت مع النحاس بعد ذلك عن الأمير عباس حليم ، ومن نشاطه المعادى للحلفاء في مصر وقلت له ان عباس حليم مسئول عن هرب الطيارين المصريين لأن له علاقة قوية مع سلاح الطيران المصرى ، وكان عباس حليم في ذلك الوقت رئيسا لنادى السيارات المصرى ، وله نشاط سياسى

واتصالات مع نقابات العمال وكان قد حارب فى صفوف الألمان أثناء الحرب العالمية الأولى وطلبت من النحاس أن يعتقل عبـاس حليم واقترح النحاس اعتقاله فى منزله ولكنى طلبت ابعاده عن العاصمة وانتقلنا ـ لامبسون ـ بعد ذلك الى الحديث عن محمد محمود خليل بك عضـو مجلس الشيوخ المصرى والدعاية التى كان ينشرها فى مصر ضد قوات بريطانيا ولمصلحة الألمان وطلبت من النحاس باشا اسكاته ولكن النحاس باشا رفض قائلا لا يساوى شيئا وانه ليس خطرا كما أتصور » .

ويقول لامبسون ان أزمة وقعت مع فاروق فى سنة ١٩٤٢ بسبب ابراهيم عطا الله باشا عندما كانت الحكومة تريد تعيينه رئيسا لأركان حرب القوات المصرية وكان هذا القرار مناسبا لنا ولكن فاروق كان يعارض ذلك وتحدث معى الجنرال الكسندر فى الأمر وبلغته أن فاروق لا يراعى قواعد الاظلام فى قصر المنتزه كما أن غواصـة تابعة للأعداء شـوهدت ليلا قرب قصر المنتزه بالاسكندرية وعندما أبدى الكسندر دهشته قلت له انه سيرى الكثير وعندما أبدى الكسندر دهشته قلت له انه سيرى الكثير عندما يمكث فى مصر طويلا » .

ويبدو لى وجود خلاف بين ما جاء فى مذكرات سير مايلز لامبسون عن موضوع الفريق ابراهيم عطا الله وما جاء فى وثائق وزارة الخارجية البريطانية اذ تقول برقية مرسلة من السفير البريطانى سـير مايلز لامبسون الى وزارة الخارجية البريطانية بتاريخ ١٨ أغسطس ١٩٤٢ عن هذا الموضوع وعن غيره ما يلى :

١ ـ تحدث الى النحاس باشا صباح اليوم عن صدام خطير يوشك ان ينشأ بين الحكومة والقصر حول رئيس أركان حرب الجيش المصرى ابراهيم عطا الله باشا .

٢ ـ ذكرنى رفعة النحاس باشا بعلامات مختلفة تشير الى خطر التذمر فى الجيش المصرى ويجد وزير الدفاع فى الوقت الحاضر ، انه من المتعذر عليه أن يستمر فى العمل مع رئيس الأركان الذى يعرض كل شىء على الملك فاروق باعتباره من رجال القصر . وقد أدى ذلك الى عرقلة جميع محاولات الحكومة تطهير الجيش من العناصر السيئة بصفة مستمرة ، ويرغب وزير الدفاع المصرى الآن فى الاستقالة ما لم يتغير رئيس الأركان وقـد استدعى رئيس الوزراء حسنين باشا وطرح هذا الموضوع فى حضور وزير الدفاع ولكن حسنين غادر القاهرة منذ ذلك الحين ولم يصل رأى من القصر » .

يقول سير مايلز لامبسون فى برقية منه الى وزارة الخارجية البريطانية أن مصطفى النحاس باشا رئيس مجلس الوزراء قد تحدث اليه عن القاء القبض على ضابطين ألمانيين وعن القاء القبض نتيجة لذلك على عدد من الضباط المصريين

وعلى عزيز على المصرى باشا ، كما أن رئيس الوزراء المصرى قد تحدث أيضا عن هروب اثنين من طيارى الجيش المصرى الى جانب العدو وأنه ـ رئيس الوزراء ـ قد تحدث أيضا عن وجود تنظيم سرى يعمل من الضباط المصريين ، كما يقول مايلز لامبسون فى وثيقته تلك التى تحمل رقم ٢٠٤٠ : أشعر منذ وقت طويل أن الصدام سيقع حتما أن آجلا وان عاجلا بين القصر ، وبين الحكومة فمن المستبعد بأن تسمح حكومة وفدية بوجود رئيس للأركان من رجال القصر الى ما لا نهاية مهما كان رئيس الأركان هذا يتسم بالكفاءة فى حد ذاته ، ونحن ـ لامبسون ـ ليس لنا أى اعتراض على ابراهيم عطا الله باشا وليس هناك شك فى أن هذه الحكومة كانت مصممة منذ تولت السلطة على اتخاذ الاجراءات التى ترى انها تضمن وجود الجيش الى جانبها فى حالة حدوث متاعب مع القصر خاصة بعد أحداث ٤ فبراير ١٩٤٢ ، ومن المحتمل ان أساليب الحكومة الوفدية لتحقيق هذا الغرض كانت محققة وهى ، عادة كذلك ولكنى أستطيع أن أقدر شعورهم بأن الحكومة ينبغى عليها الاعتماد على الجيش » .

ويضيف سير مايلز لامبسون الى ذلك قوله : على ان رئيس مجلس الوزراء مصطفى النحاس باشا لم يطلب شيئا فى هذا الصباح ـ ١٨ أغسطس ـ وبشكل محدد تأييدا من جانبى ولكن من الواضح أنه يسعى لمعرفة رد الفعل عندى ، لذلك ذكرته بالتأكيدات التى قدمتها اليه عندما تولى الحكم بناء على تعليماتكم ـ وزارة الخارجية البريطانية ـ وقد قلت له ان المسألة كما أرادها هى أن حكومة البلاد ينبغى أن تتاح لها حرية الحكم وان تتحكم فى زمام الأمور» .

ويقول سير مايلز لامبسون أيضا أنه شعر بالطريقة المخلصة التى تصرف بها النحاس باشا أثناء الأحداث الأخيرة وأن بريطانيا ينبغى أن تساند اذا لم تحل هذه المسألة بطريقة ودية وبين القصر وانه ـ لامبسون ـ لا ينبغى أن ندع وزير الدفاع ـ وهو رجل طيب ـ يستقيل وسيكون مفيدا ! اذا أدرك وزير الدفاع أن القصر يعرف موقفى » .

ويقترح لامبسون على وزارة الخارجية البريطانية أن تتصرف بطريقة حاسمة على هذا الأساس ، عند الضرورة ... أى اذا دعت الحاجة فقط « ان الوقت ـ لامبسون ـ غير مناسب لأن تترك الأمور تسير على هواها أو أن نسمح للقصر بتحدى الحكومة فى مسألة وضح انها تدخل فى الاختصاص المشروع للحكومة وسأتبع موقفا قويا اذا دعت الضرورة ، وفى ٢٥ أغسطس ١٩٤٢ يقول لامبسون فى برقية له الى وزارة الخارجية أن رئيس الوزراء لم يتحدث معه فى مسألة رئيس أركان حزب الجيش المصرى ابراهيم عطا الله باشا ، بعدما تحدث فى ١٨ أغسطس ١٩٤٢ وينقل السفير البريطانى عن رئيس البعثة العسكرية فى مصر الجنرال نابيه كليفرنج أن النحاس باشا أكد أنه

لن يسمح لوزير الدفاع بالاستقالة وأنه ـ أى النحاس ـ يحاول مقابلة الملك للتحدث معه فى هذا الموضوع والملك يتهرب منه حتى ان حسنين باشا يقول انه لا يعرف أين يوجد الملك .

ويقول رئيس البعثة البريطانية ، نقلا عن حمدى سيف النصر باشا : أن فى الجيش عجزا واضحا عن تحقيق الانضباط وان هناك تواطؤا مع ما يسمى « بالتنظيم السرى للضباط » . » ويأبى الجنرال نابيه كليفرنج الا أن يؤكد فى أقواله لسفير دولته ، أنه يرى أن موقف وزير الدفاع سليم ، اذا لاحظنا أن الجيش فى مصر من الناحية الدستورية غيره بالنسبة لبريطانيا ويؤكد أيضا الجنرال نابيه كليفرنج ، ما قاله وزير الدفاع من عدم وجود انضباط فى الجيش المصرى ويسوق مثلا على عدم الانضباط هذا بقوله : أحد الضباط اتهم بسرقة مخازن الحكومة البريطانية ، ثبت أنه لم يقدم الى المحاكمة على الاطلاق ، اكتفوا بنقله فقط من قيادة وحدته الى عمل أكثر ربحا فى مقر قيادة الجيش ثم يقول رئيس البعثة العسكرية للسير مايلز لامبسون الذى يبلغ كلامه هذا الى وزارة الخارجية البريطانية أنه ـ نابيه كليفرنج ـ يقدر تماما موقف رئيس الوزراء وموقف وزير الدفاع الذى لا يمكن أبدا أن يتعاون مع رئيس لأركان الحرب غير مخلص له كما يقول أيضا أن حالة القلق الراهنة قد سببت عدم استقرار فى الجيش وأن الجيش ورئيس الأركان يريدان حلا سريعا للموقف مهما كان الحل » أما سير مايلز لامبسون فيقول لوزارة خارجيته وقد رأى فرصة مواتية للنيل من القصر : يبدو ان الوقت قد حان للتدخل لدى القصر ، ولكن يجب على قبل اتخاذ أية خطوة فى هذا الموضوع استشارة النحاس باشا ولأتأكد منه أن تدخلنا سيكون لصالحه ومناسبا له » ويقول لامبسون : اننى أعتبرها مسألة هامة جدا ولا يفقد النحاس باشا هذه المعركة مع القصر ! »

ويبدو جليا من هاتين الوثيقتين البريطانيتين أن السفارة البريطانية كانت تقف الى جانب الحكومة الوفدية بدون تحفظ وأن الحكومة الوفدية كانت تلجأ الى السفارة البريطانية ليكتب لها ـ الحكومة الوفدية ـ النصر على السراى وربما كان ذلك من الأمور التى أضعفت الى حد كبير حكومة الوفد اذ جعلتها تعتمد على السفارة البريطانية وتسرف فى هذا الاعتماد ولا تقيم للقصر أو للمعارضة أى وزن . كل هذا يجرى وقوات المارشال روميل تقترب من الاسكندرية .

الفصل السابع

حكومة النحاس تتأهب لاستقبال المارشال روميل ، قبل أن يصل الى الاسكندرية

ركزنا على العلاقات الوثيقة التى كانت قائمة بين السفارة البريطانية من جهة وحكومة الوفد من جهة أخرى ، كما ركزنا على العلاقات المتردية من ناحية أخرى . وفى هذا الفصل تستكمل ما بدأناه فى الفصل السابق ونركز بعد ذلك على موقف حكومة الوفد من روميل ، الذى كانت قواته على مقربة من الاسكندرية :

يقول مارسيل كولومب فى كتابه عن تطور مصر « ١٩٢٤ – ١٩٥٠ » ظل النحاس باشا فى الواقع لعدة أشهر واستنادا الى دعم بريطانيا العظمى له يستخف بخصومة السراى له . كما كان يقابل الاستجوابات المقدمة اليه فى مجلس النواب والشيوخ بلا مبالاة وكان باستطاعته أن يقبل أو يرفض مناقشة أى منها حسبما يتراءى له : كان النحاس باشا بسبب تمرسه بمناورات الحياة السياسية ولطول خبرته وبسبب وجود الرقابة فى خدمته والثقة أيضا فى قدرته على الحصول على أغلبية الناخبين ، رجلا يصعب النيل منه . وبرغم ذلك يحاول بجهد جهيد عن طريق خطبه العنيفة التى كان يلقيها ضد الاعتداء على البلاد والاعتداء على الدستور ، وعن طريق رحلاته العديدة احتواء الرصيد المتنامى لصالح خصومه ، لكنه لم ينجح فى حصر نطاق المعارضة الصامتة له وربما كان سيقدر له أن ينجح فى ذلك ذات يوم لو لم تكن قد تدعمت صفوف خصومه بمدد جديد فقد سبق أن انضم اليهم مكرم عبيد باشا ، الذى كان أقصى عن الوزارة فى ٢٦ مايو ١٩٤٢ حيث كان يشغل منصب وزير المالية » .

وعن الأوضاع العسكرية فى مصر وعن معارك الصحراء الغربية يقول مارسيل كولومب : « فى ليبيا كانت المعارك تدور بشراسة وفى ٢٧ فبراير ١٩٤٢ كانت قوات روميل تواصل زحفها الى الأمام وفى ١١ يوليو تخلت قوات فرنسا الحرة بقيادة الجنرال كوينج عن بير حكيم وفى ٢١ يونيو سقطت طبرق ووقع

٢٥ ألفا من الرجال أسرى فى يد العدو ، وفى ٢٥ يونيو تم اجتياز الحدود المصرية واحتلال السلوم وفى اليوم التالى دخلت قوات المحور المدرعة سيدى برانى وفى صباح ٢٩ يونيو سقط معسكر مرسى مطروح الحصين وفى أول يوليو حوصرت العلمين وأصبحت القوات الايطالية تبعد عن الاسكندرية بما لا يزيد على مائة كيلو متر ، وبعد ذلك بثلاثة أيام أعلنت ألمانيا الهتلرية وايطاليا الفاشية التزامهما المشهور باحترام وتأكيد وضمان استقلال مصر وسيادتها بل ان الدولتين « ألمانيا وايطاليا » أكدتا من جديد ان قواتهما لن تدخل مصر ، كبلد معاد وانما ستدخلها بهدف طرد الانجليز من الأراضى المصرية وحتى تواصل الدولتان ضد بريطانيا العمليات العسكرية التى تهدف الى تحرير الشرق الأوسط من السيطرة البريطانية وبالاضافة الى ذلك كله بلغ مصر تأكيد من دولتى المحور بأنها بعد أن تتحرر من قيودها ستتبوأ أمكانها بين الدول المستقلة ذات السيادة » .

وشجعت هذه السياسة الماهرة كل خصوم بريطانيا العظمى على معاودة دعايتهم لصالح قوات المحور فى الوقت الذى نجحت فيه بعض العناصر الألمانية فى التسلل الى ضواحى الاسكندرية لقد كان الوقت عصيبا ، وفى القاهرة هجم الناس بالطوابير على نوافذ البنوك وجرت حركة سحب جماعية للأرصدة ودب الفزع فى قلوب الأجانب وفكر الكثيرون فى الهرب الى فلسطين ووضعت السلطات البريطانية تحت تصرفهم قطارا خاصا ، وقد كتب أحد شهود العيان يقول : كانت أعمدة الدخان تشاهد وهى تعلو فى سماء المدينة وأخذت البعثات الأجنبية تحرق وثائقها فى حدائق مبانيها ، وملأت قوافل سيارات الطرق الصحراوية وبدأت هجمة جماعية وغادر الناس من كل الجنسيات مصر بالمئات وذهبوا يلوذون بفلسطين وسوريا ولبنان بل وبجنوبى افريقيا .

وفى هذه الظروف المحزنة أبدى رئيس الوزراء مصطفى النحاس الكثير من ضروب الهمة والنشاط وراح يوجه المرة تلو المرة الشكر العميق الى حكومة لندن ، وكان قد أعفى فى ٢٢ فبراير ١٩٤٢ رئيس الجيش المرابط عبد الرحمن عزام من جميع مناصبه كما كان قد اعتقل على ماهر فى ٨ ابريل وزيدت اجراءات الأمن فى كل أنحاء مصر ، وأدان النحاس الطابور الخامس الذى يبذر القلق فى النفوس ، وكانت الحملة ضد المهيجين والجواسيس مصحوبة بالعنف كما صدرت أحكام ضد مروجى الشائعات الكاذبة بعقوبات تتراوح بين السجن ثلاث سنوات وخمس عشرة سنة ، كما أغلق نادى السيارات الملكى بالقاهرة الذى أشيع عنه بالحق أو بالباطل أنه مقر لغير المتعاطفين مع الحلفاء واعتقل عباس حليم ومحمد طاهر رئيس اتحاد الرياضة المصرى وكلف الجيش بالتعاون مع البوليس بحفظ النظام والهدوء فى الشوارع وألقى القبض على كثيرين ممن حامت حولهم الشكوك ونشطت المحاكم العسكرية وهكذا انحازت مصر للمرة الأولى وبشكل ظاهر واضح وتحت قيادة النحاس باشا الى جانب الحلفاء ودون

أن تشترك فى الحرب اشتراكا مباشرا واستطاعت بريطانيا أن تعد لهجومها المضاد وان كان الأمر قد تأجل الى أكتوبر ١٩٤٢ » .

وقد طرحت تساؤلات كثيرة حول الموقف السرى لحكومة الوفد من الحلفاء ، ومن دولتى المحور أكانت حكومة النحاس باشا صادقة فيما كان رئيسها يؤكده من أنها مع الديمقراطية الى النهاية أم انها كانت فى طريقها الى تقبل الوضع الجديد الخاص بدخول قوات المحور مصر : كان موقف الملك فاروق واضحا بدون شك أنه لا يريد الانتقال الى السودان ، أو الى جنوب افريقية كما تريد الحكومة البريطانية . بل أنه كان يفكر فى الهرب فيما لو أجبر على الانتقال مع حكومته الى خارج مصر والعودة الى مصر من جديد ، ولم يكن هناك أبدا أية مشكلة بالنسبة للزعماء المتعاطفين مع المحور والمعادين للسياسة البريطانية فهؤلاء سوف يرحبون بالقادم الجديد ، علامة الاستفهام الوحيدة والهامة والخطيرة ، كانت حول موقف وزارة النحاس باشا .

وأقولها للأمانة التاريخية اننى حاولت أن أجلو هذه الحقيقة أكثر من مرة فاتصلت ـ منذ سنوات عديدة ـ ببعض القيادات الوفدية حتى قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وقبل حل الوفد مع بقية الأحزاب المصرية فى أوائل عام ١٩٥٣ ولكننى لم أستطع التعرف على الحقيقة ولعل بعض الوفديين الذين كانوا فى حكومة النحاس باشا فى ذلك الوقت أو كانوا على صلة وثيقة بها يوضحون هذه النقطة الجوهرية : موقف حكومة الوفد من المحور قبل معركة العلمين .

وقد كان الأستاذ محمد التابعى ـ يرحمه الله ـ واضحا والى أبعد حدود الوضوح عندما تناول هذه الفترة فى كتابه عن السياسة والساسة وفى مذكراته وأستسمح القارىء فى أن أنقل اليه وجهة نظر الأستاذ التابعى فى هذه القضية : « كان ساسة بريطانيا وقوادها ورجال سفارتها فى مصر يشعرون أن شعب مصر يكرههم وان عواطفه كلها مع ألمانيا وهتلر ، وكانت عيون السفارة البريطانية ورجال أقلام المخابرات البريطانية يقدمون تقارير منها أن رواد المقاهى فى الأحياء الشعبية فى القاهرة والاسكندرية ومدن القطر يجتمعون كل مساء حول أجهزة الراديو وينصتون للاذاعات العربية من محطات المحور ، وخصوصا محطة برلين ، وتناقلت الألسن يومئذ نكتة أو عبارة مشهودة قالها المرحوم أحمد زيور باشا عندما سئل عن رأيه فى الحالة فقد قال : حالة ايه يا مونشير : شعب مصر ألمانى وملك مصر ايطالى وحكومته انجليزية » . أى ان عواطف الشعب مع الألمان والملك فاروق ضالع مع الايطاليين بحكم نشأة أبيه والصداقة الموروثة والحاشية الايطالية التى تحوطه ، بينما الحكومة مع الانجليز .

وقد كان هناك نشاط محورى كما وصفه البريطانيون يقوم به نفر من كبار المصريين فى مصر وفى خارج مصر وكانت هناك اتصالات سرية تجرى بين

السلطات المصرية العليا – فاروق ورجاله – وبين السلطات العليا في برلين » وكان من بين الذين يقومون بهذه الوساطة ويسهلون هذه الاتصالات وزير تركيا المفوض في مصر شوقي الهان والآنسة بدروز الملحقة المفوضية الاسبانية في القاهرة ومسيو بونزي وزير حكومة فيشي المفوض في مصر وقد قيل أنه كانت في مصر خطة مرسومة لاحداث انقلاب في مصر عندما سدد روميل هجومه على مصر وقد كان البريطانيون يخشون أن يقع في مصر ما سبق أن وقع في العراق، وأن يفاجأوا في ساعة الخطر وهجوم روميل بوقوع انقلاب في مصر يتولى على أثره الحكم أحد الساسة الموالين للمحور ٠

وقد قال الأستاذ التابعي : « أنه في صبيحة يوم ٢٧ يونيو ١٩٤٢ وكانت الشائعات المزعجة تملأ البلد زار أحمد حسنين باشا في بيته وكان من بين ماقاله له ، أنه – التابعي – سأل هذا الصباح – ٢٧ يونيو ١٩٤٢ – الأستاذ صبري أبو علم وزير العدل ، عما اذا كان النحاس باشا قد بلغ الملك بتطورات الموقف في الصحراء الغربية وعما اذا كان أعطاه صـورة صحيحة عن الحالة أم تركه – ترك الملك – يستقي الأخبار من الخارج ، وكما حدث يوم اغلاق الحدود ؟ وان الأستاذ التابعي سأل أيضا صبري أبو علم باشا عما اذا كان النحاس باشا بلغ الملك بتفاصيل الاجتماع الذي تم بينه وبين السفير البريطـاني والجنرال ستون وان صبري أبو علم قال له – للتابعي – ان النحاس باشا قد أدى واجبه في هذه المرة وأنه – أي النحاس – بلغ حسنين باشا بكل شيء ٠

وكانت المفاجأة أن أحمد حسنين باشا نفى أن رئيس الوزراء قد اتصل بالملك أو به بل أنه عندما سأل الملك أحمد حسنين عما اذا كان رئيس الوزراء قد اتصل به لابلاغه الأخبار اختلق أحمد حسنين الأعذار لرئيس الوزراء ، وقال أنه لا يزال يجمع الأخبار والتفاصيل وكل ما يمكنه جمعه لكي يعطينا صورة كاملة عن الموقف ، وقد صدر بيان رسمي نشرته الصحف عن اجتماع النحاس ولامبسون وستون قبل أن يعرف الملك أي شيء عن هذا الاجتماع ٠

وقد أحرج أحمد حسنين باشا بسبب ذلك كله واتصل بأمين عثمان باشا ليبسط له وجهة نظره في مثل هذه الموضوعات ٠ وقد اتصل النحاس باشا بعد ما اتصل أحمد حسنين بأمين عثمان باشا وتكلم معه – مع حسنين – كلاما عاما وقال له – لحسنين – أنه سيلقي بيانا في البرلمان وسأله عما اذا كان يريد أن يرسل اليه صورة من هذا البيان وان حسنين رحب بذلك ، فبعث اليه النحاس بنسخة من البيـان الذي سيلقيه رئيس الوزراء في مجلسي الشيوخ والنـــواب ٠

وقد عقب أحمد حسنين على البيان الذي ألقاه النحاس باشا عن البرلمان بقوله أنه فيما عدا نقطتين أو ثلاث وردت فيه يبدو وكأنما البيان قد كتب في السفارة البريطانية واستغرب حسنين باشا أن يقول النحاس باشا في بيانه

ان الحالة مطمئنة بينما الانجليز أنفسهم يسمون ما حدث بأنه كارثة ، ويصفون الحالة بأنها خطيرة ، بل ان جرائد اليوم تقول نقلا عن جرائد لندن أن الزحف الألماني لو وقف يكون نعمة من الله ، ويلتقى النحاس باشا بحسنين بناء على اقتراح من أمين عثمان باشا غير أن النحاس باشا رئيس مجلس الوزراء والحاكم العسكرى لا يقول لرئيس الديوان الملكي الا أن الحالة مطمئنة وان الانجليز سوف يدافعون عن مصر الى آخر مدى ، ويؤكد أحمد حسنين ان النحاس باشا قد أصبح آلة فى أيدى الانجليز لانه يعرف أنه لو كان الأمر بيد البلد لما بقى فى رئاسة مجلس الوزراء خمس دقائق وقد كان مما قاله حسنين باشا أيضا أن طيارا انجليزيا زاره فى داره وورطه حسنين فى الحديث عن الحرب فى الصحراء الغربية وان هذا الطيار قال ان هناك أمرا مريبا فى استسلام حصن طبرق الحصين وان هذا الشيء المريب هو ان الجيش الانجليزى رفض أن يقاوم وسلم للألمان بدون قتال ؟

ويعقب أحمد حسنين قائلا : بقى دى بلد ٠٠ البلد تهتز من أجل الخلاف بين النحاس ومكرم ٠٠ لا حديث للناس فى مصر الا عن الخلاف بين النحاس ومكرم بينما الألمان على أبواب مصر والبلد كلها مهددة بالخراب اذا قرر الانجليز المقاومة فى دلتا النيل وريف مصر ٠

ويروى حسنين باشا أن النحاس باشا قابله فى اليوم التالى لسقوط طبرق فى أيدى الألمان وكان حسنين ينتظر منه أن يحدثه عن هذه الكارثة التى حلت بالانجليز وجعلت الطريق مفتوحا الى الاسكندرية أمام الألمان فاذا بالنحاس باشا لا يتحدث عن سقوط طبرق ، ولا عن الخطر الذى يقترب من الاسكندرية وانما تحدث عن براءات رتبة الباشوية للوزراء ولماذا لم يرسلها حسنين باشا الى رئاسة مجلس الوزراء فلما قال له ـ للنحاس ـ لقد أرسلتها اليكم ، استدعى محمد صلاح الدين ليتأكد منه فلما عرف النحاس باشا ان البراءات وصلت اليه وانها بين يديه ـ يدى النحاس ـ ضحك النحاس وقال : شوف ازاى أنا مش عارف : البراءات عندى وأنا مش عارف وكنت كلمت الليلة الملك عنها حتى و « نكت » معاه وقلت له : أيوه خلوها عندكم علشان أضحك على الوزراء وأغيظهم وأقول لهم البراءات مش جاية وانتم مش باشوات !

وقد ذكر حسنين أنه وجد نفسه محرجا للغاية وخشى أن يتهم أنه من عملاء المحور ، اذا ذهب الى السفير البريطانى طالبا ضمانات على عدم جر الحرب الى القاهرة ودلتا النيل وطلب منه تفسيرات لعبارة المقاومة الى آخر مدى وكذلك اذا أشار على الملك بدعوة زعماء البلد لاستشارتهم فى الموقف ٠٠٠ خشى حسنين أن يقول الانجليز ان فاروق يستعد لتأليف وزارة موالية للمحور وقد روى حسنين أيضا أنه اتصل ببعض زعماء الأحزاب ليجس نبضهم وأنه تحدث معهم عن خطورة الموقف وعن ضرورة الحصول على ضمانات بعدم تعريض البلد للخراب ولكن لا واحدا من الزعماء ولا النحاس باشا قبل أن يخطو خطوة فى

هذا الطريق ليقابل السفير البريطاني ويحدثه فى الموضوع لانهم جميعا يخافون من غضب الانجليز وشكوكهم كما أنهم يخشون فى نفس الوقت غضب الألمان وانتقامهم ويخرج أحمد حسنين باشا من ذلك كله بأن البلد مافيش فيها راجل واحد ٠

وكان حسنين باشا قد خشى ـ كما خشى بعض الزعماء ـ انه عندما يضطر الانجليز الى الانسحاب من مصر يأخذون معهم الملك ٠ وقد تأكد ان الانجليز ينوون تدمير خزان أسوان وقناطر محمد على لكى يغرقوا أراضى الدلتا ويجعلوها بحرا من الطين تغوص فيه دبابات الألمان ٠

ويكمل الأستاذ محمد التابعى الصورة فيقول : « ان رجال السفارتين البريطانية والأمريكية والقيادة البريطانية فى مصر ، قد حرقوا أوراقهم السرية استعدادا لمغادرة مصر كما أن بعض الماليين والأدباء والصحفيين ممن كانوا يحملون على هتلر والنازية ، وكانت لهم علاقات بمجهود بريطانيا الحربى قد سافروا الى أسوان ، ومنها الى الخرطوم وان الأستاذ محمود أبو الفتح قد روى للأستاذ التابعى أنه حول ماليته الى جنوب افريقيا ، و ٠٠ و ٠٠ ومما يبعث على الضحك والسخرية ما رواه الأستاذ توفيق دوس باشا ، وكان رئيسا لمجلس ادارة شركة الفنادق المصرية أن أحد المسئولين فى السفارة البريطانية قد اتصل به طالبا منه اعداد فندق ونتر بالاس بالأقصر فى ظرف ٢٤ ساعة فلما اعترض دوس باشا على قصر المدة الممنوحة له لانه بحاجة الى استدعاء عشرات الخدم والسفرجية والطهاة لتنظيف الفندق واعداده قال له المتحدث البريطانى : لا ضرورة لشىء من ذلك لان البنات سوف يقمن بكل شىء والمهم هو فتح الفندق فورا اذ أن قطارا خاصا سوف يغادر القاهرة مساء اليوم حاملا خمسمائة من فتيات « الانسا » والمجندات البريطانيات الى الأقصر ، ومنها اذا لزم الأمر الى الخرطوم ٠ وكانت لدى بريطانيا فرقة مخصصة للترفيه عن الجنود البريطانيين تسمى فتيات « الانسا » كانت تقيم للجنود البريطانيين فى مختلف المعسكرات حفلات من الغناء والتمثيل والموسيقى و ٠٠ و ٠٠ ويقول المتحدث البريطانى ضاحكا وهو يخاطب توفيق دوس باشا : ولعلك توافق على أنه من غير المرغوب أن نترك وراءنا فى القاهرة كل هذه المتعة وأسباب السرور غنيمة للجنود الألمان »٠ ٠

والقصة التى رواها الأستاذ التابعى والتى أرجو ممن لديه أية بيانات عن موضوعها أن يوافينى بها احقاقا للحق تتلخص فى أن قائد منطقة القاهرة العسكرية أرسل خطابا الى وزير الدفاع فى القاهرة يسأله عما يجب عمله فى حالة دخول الألمان الاسكندرية ويوصى حمدى سيف النصر باشا بعدم الرد على قائد منطقة القاهرة العسكرية فلما أعاد القائد السؤال ـ فى خطاب سرى ـ على وزير الدفاع أمر الوزير بنقله الى مكان آخر اذ كانت الحكومة المصرية لم تحدد بعد موقفها من ذلك الموضوع ، الى أن اجتمع مجلس الوزراء برئاسة

النحاس باشا لمناقشة الموقف وتقدير الاحتمالات ثم قرر مجلس الوزراء أن يرسل النحاس باشا باسمه خطابا الى روميل يتولى الأستاذ نجيب الهلالى كتابة صيغته ، ويقول الأستاذ التابعى أن الأستاذ الهلالى قد كتب الخطاب ولعله موجود اليوم فى سجلات رئاسة مجلس الوزراء وانه ـ أى التابعى ـ استقى خلاصة الخطاب من مصادر موثوق بها والخطاب يؤكد على أن مصر دولة غير محاربة وان جميع الاجراءات العسكرية التى اتخذتها السلطات العسكرية البريطانية فى مصر قد تمت كرها وعلى غير رغبة من الحكومة المصرية وان مصر حكومة وشعبا تحب السلام وتتمسك به وان مصر اتخذت الآن جميع الاجراءات لحفظ الأمن والحيلولة دون وقوع أية اضطرابات » ٠

ولم يبحث مجلس الوزراء كيفية توصيل الخطاب الى روميل ٠ كل ما قرره أن يتولى عثمان باشا الاتصال بعبد الخالق حسونة باشا محافظ الاسكندرية للتفاهم معه حول تقديم الخطاب الى روميل ، ودارت مناقشات تبعث على الضحك بين عثمان محرم وبين عبد الخالق حسونة الذى أكد لعثمان محرم ـ أكبر الوزراء سنا ، وأقدمهم عهدا بالمنصب الوزارة ـ أنه لا يعرف كيف يتصل بروميل وأنه اذا أراد الاتصال به خارج الاسكندرية ، فلابد من الحصول على اذن من القيادة البريطانية و ٠٠ و ٠٠ أنهى عثمان محرم باشا المحادثة الغريبة العجيبة بقوله : الخطاب جاى لك مع مخصوص ، احتفظ به لما يدخل روميل الاسكندرية روح قابله واعطيه له ٠٠ » ٠

ومرة أخرى ألح على من لديه معلومات حول هذا الموضوع ألا يضن بها لانها بمثابة شهادة « ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه » ٠

وللأمانة التاريخية ونقلا عن الوثائق الأمريكية التى نشرها الزميل الأستاذ محسن محمد أن السفير البريطانى قد قابل الملك فاروق وناقش معه ـ فى ٢ يونيو ـ احتمال انسحاب الحكومة المصرية وأن هناك خلافا قد شب بين الملك والسفير البريطانى : الملك يقول أنه قد وضع مسألة نقل الحكومة المصرية فى أيدى الحكومة المصرية ذاتها ، وان كان قد ذكر للسفير البريطانى بعض السوابق التى تبرر بقاء حكومته فى القاهرة مؤكدا أنه ـ الملك ـ سيظل وفيا لالتزاماته حتى فى حالة الاحتلال بينما السفير البريطانى يرى أنه فى حالة بقاء الحكومة المصرية فى القاهرة فان العدو يمكن أن يصبح فى موقف يستطيع منه ممارسة الضغط وسيضفى هذا غطاء من الشرعية على أية اجراءات تفرضها قوات المحور وفى ٢ يوليو ١٩٤٢ يكتب كيرك وزير الولايات المتحدة المفوض فى مصر ، الى حكومته قائلا ، ان الحكومة المصرية فكرت فى الرحيل عن مصر ، وأن السفير البريطانى اقترح الرحيل الى الخرطوم » وحتى الليلة الماضية ـ أول يوليو ١٩٤٢ ـ لم تكن الحكومة المصرية قد اتخذت أى قرار على الرغم من أن هناك دلائل تشير الى أنها ستبقى ٠

الفصل الأخير

الرأى والرأى الآخر

تعليقات وتعقيبات وأسرار • ووثائق

تذاع للمرة الأولى

عندما بدأت أكتب فى « المصور » عن سنوات ما قبل الثورة لم أكتفى بما لدى من أوراق ووثائق قد لا تكون متوافرة لدى غيرى ولم أكتفى بما سمعته من الزعماء والسياسيين القدامى وأنصارهم وأبنائهم وأحفادهم الذين كنت أسعى اليهم باستمرار فى أى مكان يقيمون به وانما فتحت الباب على مصراعيه لكل القدامى من السياسيين الذين لديهم معلومات لم تنشر من قبل كما فتحت الباب أمام القراء كل القراء ، ليوافونى بتعليقاتهم وتعقيباتهم حول كل ما أنشره على أن أنشر ـ وبالنص ـ كل ما يرسلونه حتى ولو كان به نقد عنيف موجه الى شخصى ، ولقد بررت بوعدى فلم أمنع نشر ، أى رأى ، ولم أحجب أى تعليق حتى لقد صح ما قيل من انها المرة الأولى التى يكتب فيها الشعب تاريخه بنفسه وفيما يلى بعض التعقيبات والتعليقات التى وردت حول ما نشر من فصول هذا الجزء (الجزء الثالث) من الكتاب • وفيما يلى أيضا بعض أسرار ووثائق بعث بها أخوة كرام تتعلق بالأحداث التى وردت فى الأجزاء الثلاثة الأولى من كتاب سنوات ما قبل الثورة :

مدحت عاصم ـ موسيقارنا العظيم

يتحدث عن ذكرياته فى سنوات ما قبل الثورة

●● عزيزى الصديق الكريم والأستاذ الكبير المؤرخ المصرى صبرى أبو المجد •

أكرمنى قلمكم الحر الصادق بذكر اسمى خلال فقرة فى تسجيلكم العظيم لتاريخ مصر حول القبض على والافراج عنى فى أوائل الأربعينات ••• والحقيقة

انى ما أردت من قبل أن أشير الى ما ساهمت به من جهد متواضع جدا فى الحركة الوطنية الثورية التى قام بهـا مخلصون أحرار آمنوا بربهم وببلدهم مكافحين فى سبيل الحرية والاستقلال وسرت معهم فى ركبهم مؤمنا برسالتهم أعمل فى الخفـــاء .

متواريا عن الأنظار ما وسعنى هذا يقينا منى بأن ما بذلته شىء لا يذكر ولا يستحق الاعلان عنه ..

وهذا بعض قصة محاكمتى :

ذات صباح فوجئت بزيارة بعض شباب الجامعة الوطنيين ومنهم عبد الوهاب حسنى وجلسنا نتحدث عن مصر وشعبها وما كنا نعانيه فى هذه الفترة من ذل الاستعمار وظلم الحكومات وطغيان القصر واســـتبداده وعن الفســـاد الذى استشرى ، وأننا وصلنا الى حد لا يمكن السكوت عليه أو الرضا به وأن واجب كل مواطن مصرى حر أن يجاهد فى سبيل وطنه وأن الفن لابد وأن يقـــوم بدوره وأن يرفع علم النضال الوطنى .. وكلام كثير قيل فى هـذا الشأن ومناقشات حول ما يجب علينا أن نقوم به وأن نحققه ..

وعندما كانت أبواب السجن تغلق على ، كنت سعيدا لأن عبد الوهاب حسنى كان حرا طليقا .. وقضيت عاما أو بعض عام حتى تشكلت « محكمة عسكرية عليا » خصيصا لمحاكمتى وأصدرت حكمها مخففا بالسجن عاما مع وقف التنفيذ .. كان الضـابطان « العظيمان » عضـوا اليمين واليسـار من أصدقائى الحميمين .. ! وكان أول عمل فعلته بعد خروجى من السجن هو زيارة عبد الوهاب حسنى فى منزله وهناك علمت ــ وياللدهشتى ــ أنه فى المعتقل وأن البوليس السياسى قد ألقى القبض عليه فور توديعى أمام باب السجن ... أما أنا فلم أمكث خارج السجن إلا أياما معدودات وأعادوا القبض على ثانية لأن الحاكم العسكرى « دولة حسين باشا سرى » رئيس الوزراء رفض التصديق على الحكم وأمر باعادة محاكمتى والى السجن عدت مرة أخرى وبقيت حتى جاءت وزارة النحاس باشا وكان ابن عمتى على زكى العرابى باشـا عضوا فيها وأفرجوا عنى وعندها التقيت بعبد الوهاب حسنى وصارت بيننا أواصر صداقة وصلة وثيقة ونحن ننعم بالحرية حتى أمر النحاس باشا بالقبض علينا وعلى أحمد حسين ولكننى هذه المرة هربت من القبض وبقيت مختفيا عن أعين البوليس السياسى والمخابرات البريطانية بينما نجحوا فى القبض على عبد الوهاب حسنى وأحمد حسين رئيس مصر الفتاة . أما كيف نجحت فى تهريب أحمد حسين فلهذا قصة أخرى ..

مدحت عاصم

في هذه الأثناء لمحت من الشرفة سيارة بوليس « بوكس » تحوم حول الدار فأيقنت على الفور أن أمرى الذى كنت أحرص على اخفائه قد انكشف وقلت للأصدقاء المجتمعين ان عليهم أن ينصرفوا فورا فسوف يحضر البوليس للقبض على فدهشوا اذ لم يكونوا على علم بما كنت أقوم به من طبع منشورات تدعو الى الثورة بامضاء « المصريين الاحرار » وكنت أبعثها بالبريد الى مختلف الشخصيات من مثقفين وسياسيين وضباط وأوزع بعضا منها بنفسى وكنت أقوم بكتابتها وطبعها فى « بدروم » الفيللا التى أقطنها فى حى العباسية ولا يعلم بأمرهم أحد من الناس • وعرفت أن أمرى قد انكشف لما رأيت سيارة البوليس « البوكس » تحوم حول الدار ثم تتبعها أخرى وأخرى ولهذا طلبت من الحاضرين الانصراف حتى لا يؤخذوا بما هم منه أبرياء فانصرفوا جميعا الا عبد الوهاب حسنى فقد أبى أن يتركنى ألاقى البوليس بمفردى ••

وحضر رجال البوليس وعلى رأسهم « ابراهيم امام » رئيس البوليس السياسى وأحاطوا بالدار من كل الجهات حتى أن الذين كانوا عندى وانصرفوا قبضوا عليهم فى الطرقات المؤدية لمنزلى •• ولما وجد ابراهيم امام عبد الوهاب حسنى أمامه قال له أهلا وقال عبد الوهاب أهلا وسهلا ••

كان عبد الوهاب حسنى معروفا بثوريته بين طلبة كلية الحقوق وأنه يتزعم كل التجمعات الوطنية والاضرابات •• وتأكد ابراهيم امام أنه مشترك معى فيما كنت أقوم به والحقيقة أن عبد الوهاب حسنى لم يكن مشتركا ولم يكن لديه أى علم بما كنت أقوم به فى خفية عن الجميع ••

وقد أثبت هذا فى محاضر البوليس وقلته فى تحقيق النيابة ولهذا صدر الأمر بالقبض على والافراج عن عبد الوهاب حسنى وصحبه ••

ومن الطريف أن أذكر أنه خلال التحقيق تقدم منى متسترا شاب قال أن اسمه « عبد العزيز الشوربجى » ــ أصبح نقيبا للمحامين يوما ما ــ وقال لى أنه قد أعد جواز سفر باسمى وأن هناك سيارة تنتظرنى « وأنهم » سوف يهربوننى الى خارج الحدود حتى لا أحاكم بتهمة الدعوة الى الثورة وعقوبتها الاعدام ! ولكننى اعتذرت له بأنى لا أقبل الهرب وانى على استعداد لمواجهة كل الاحتمالات وأنا واثق أن ما فعلته هو واجب كل مصرى مؤمن ببلده •• ثم أوصلونى الى سجن الاستئناف وقال لى عبد الوهاب حسنى وهو يودعنى : أنه خبير بالسجون وأنه سيعمل على الاتصال الدائم بى وتبادلنا •

قبلات الوداع وانصرف هو مفرجا عنه بحكم النيابة وأنا مسجون تحت التحقيق •

د . محمد بلال :

لم ينشيء الوفد القمصان الزرقاء وانما نشأت تلقائيا

● الأخ الأستاذ الكبير / صبرى أبو المجد تحية طيبة وبعد :

أتابع كما يفعل الباقون من جيلنا ما تكتبون عن سنوات ما قبل الثورة الذى تنشره المصور تباعا .. ولا شك أن سرد كثير من أحداثها يلقى صدى عميقا فى نفوسنا كما أن البعض مما يرد ذكره ونراه مخالفا للواقع الذى عايشناه يدعو الى بعض التساؤل والتعقيب . وما دام الأمر يتصل بالتسجيل التاريخى الذى لا يخص فردا أو جانبا بقدر ما يخص تاريخ مصر وتاريخ الحركة الوطنية فان من حق كل منا ان يبادر بالملاحظة أو التعقيب .. ولا أشك أنكم وقد أخذتم على عاتقكم التسجيل التاريخى لتلك الفترة من الجهاد الوطنى . أن مثل هذه الملاحظات سوف تلقى اهتماما من جانبكم .. ويهمنى أول الأمر أن أشير الى فقرة هامة وبارزة فى حديثكم عن الصراع بين الملك والوفد من انكم اعتمدتم فى دراستكم عن هـذا الموضـوع على أقوال بعض المؤرخين الأجانب والمصريين محايدين أو مؤيدين للوفد أو للسراى حيث أن أغلب الذين ورد ذكرهم بالحلقات ليسوا من مؤيدى الوفد من قريب أو بعيد .. ومنهم على سبيل المثال الدكتور محمد حسين هيكل .. رئيس حزب الأحرار الدستوريين ، الأستاذ عبد الرحمن الرافعى .. قطب الحزب الوطنى .. وصديقنا الصحفى القديم الأستاذ حافظ محمود وصلته بحزب الأحرار الدستوريين غير مجهولة .. ولا شك أن كثيرا مما جاء فى أحاديثهم مردود عليه من جانبنا كما أن اضفاءكم على صحيفة البلاغ هذه الهالة الخطيرة ونسبتكم اليها الاطاحة بحكومة الأغلبية بما وصفتموه بانه تعرية للوفد ومساوئه .. تعبير يرى المعاصرون له أن فيه تجاوزا وتغطية للفاعل الحقيقى وهو الملك وأنصاره من الأقليات وكان دور البلاغ اذ ذاك هو سوط الملك وصوته .. وكانت هناك فى تلك الفترة صحف واسعة الانتشار وتتحدث باسم الأغلبية من بينها الجهاد ، كوكب الشرق وكانت تكيل للبلاغ وأنصـار الملك الكيل كيلين وترد على المقال بمقالين فى صولات وجـولات ما زلنا نذكر الكثير منها ويؤديها فرسان من أقطاب الصحافة والقلم .. ولا شك أن سرد بعض ما جاء فى هذه الصحف على شباب الجيل المعاصر يزيده معرفة بالحقائق وصوابا فى حكمه .. غير أن ما كتبتموه جاء خاليا من ذلك .. وأنتم ونحن لا نبتغى أكثر من أن يعرف جيل اليوم حقائق الأمس من جميع جوانبها وتكتمل أمامه الصورة .

ويحضرني هنا أمثلة للتعقيب على ما ورد فيما نشرتموه ·· فقد جاء فى بعض ما كتبتموه أن الوفد كان ينظم لجان الطلبة ويمدها بالمال داخل الكليات والمدارس ·· وهذا أمر يجافى الواقع لأن الطلاب ـ وكانت المشاعر الوطنية تملأ نفوسهم ـ لم يكونوا فى حاجة الى أن يغشى الوفد مدارسهم وفصولهم ليمدهم بالمال وكانت اللجان تؤلف تلقائيا بجهود أعضائها فى كل كلية أو معهد ·· ومنها كانت تنطلق الثورات الطلابية بوازع من وجدان الطلبة ونقاء ضمائرهم ·

وما قلتموه من أن الدعوة الى قيام الجبهة الوطنية وجمع شمل الأحزاب كانت من جانب الحزب الوطنى ·· مردود عليه بأن شباب الجامعة كان لهم الدور الأول والمبكر في هذا المضمار عام ١٩٣٥ كما هو معلوم ··

وما جاء أيضا من أن النقراشى خاصم فرق القمصان الزرقاء وطالب بحلها ـ أثناء وجوده بالوفد ـ لا يطابق الواقع فلقد كان اهتمامه بها منذ نشأتها قبل انشقاقه عن الوفد معروفا للجميع ونشرت الصحف صورته فى صفحاتها الأولى وهو يشرف على طابور الفرق فى الاحتفال بنقل رفات سعد زغلول ·· وكان أقرب أنصاره اليه قادة ورؤساء هذه الفرق ومنهم ممدوح رياض الذى أنشأ فرق الاسكندرية والدكتور حامد محمود الذى أنشأ فرق القليوبية والدكتور حلمى الجيار قائد فرق المنصورة ، ومحمد كامل الدماطى عضو مجلس القيادة ·

ولقد أسهبتم فى الحديث عن القمصان الزرقاء ·· نشأتها وعلاقتها بالوفد ولم يخل مرجع أو تقرير من الافاضة فى التحدث عنها ·· ومن ذلك ما جاء فى كتاب جاكوب لاندو عن الأحزاب فى مصر من أن الوفد لمركزية قاهرة أنشأ فرق القمصان الزرقاء ·· وهو أمر لا يطابق الواقع كما سوف أوضح ·· وكذلك ما جاء عن مارسيل كولومب فى كتابه تطور للحياة النيابية فى مصر من أن الوفد لجأ الى الحكم الاستبدادى بتنظيم فرق القمصان الزرقاء ، يجافى حقيقة وتاريخ نشأتها ·· وكذلك ما جاء فى جريدة البلاغ « وكانت لسان حال القصر » وحملتها المسعورة على الوفد ومطالبتها بحل القمصان الزرقاء أمر يجب التعقيب عليه ، وكذلك ما كتبه الأخ الصحفى صديقنا الأستاذ حافظ محمود عن القمصان الزرقاء ·· وأخيرا اسنادكم جزءا من مسئولية افساد الملك فاروق الى الوفد الذى استبد بالأمر ـ والقول لكم ـ وأراد فرض دكتاتورية شبه عسكرية على البلاد بفرق القمصان الزرقاء التى أنشأها وأصبحت ذراعا وفدية طويلة تضرب المعارضين فى الجامعة والشارع ··

أمام كل هذا وما ذهب اليه هؤلاء المؤرخون والمتحدثون من الافاضة عن نشأة هذه الفرق من الناحية التاريخية والدستورية وتحميل الأمر أكثر من

حقيقته رأيت من واجبي وللتاريخ وبوصفي صاحب الدعوة لقيام هذه الفرق ومنشؤها أن أرد وأوضح ما اعتبره تصويبا لما جاء في أقوال بعض الكتـاب والمؤرخين :

أولا : لم ينشىء الوفد فرق القمصان الزرقاء وانما نشأت تلقائيا امتدادا من حركة الطلاب عام ١٩٣٥ داخل الكليات والمعاهد والمدارس ، وذلك انطلاقا من دوري مع فريق من زملائي الطلاب في قيادة ثورة الجامعة عام ١٩٣٥ ·· وبدأ تنظيم طوابيرها وتدريبها في أفنية الكليات وملاعبها ·

ثانيا : عند هدوء حركة الطلاب وبعد عودة الدستور وقيام الجبهة الوطنية أعلنا انضواء الفرق تحت لواء الوفد ايمانا من الشباب بأنه الوعاء الوطني الكبير والذي استوعب وجدان الشعب منذ رفع زعيماه راية الكفاح ضد الانجليز والقصر بدأ بسعد ثم النحاس ·· واتخذت الفرق لنفسها شعارا وعلما ورمزا وزيا هو القميص الأزرق والبنطلون الرمادي وكان اختيار اللون الأزرق احياء لشعار الجلاليب الزرقاء التي كان يتزعمها سعد زغلول ومن هنا تسقط كل حجة يقدمها المؤرخون من أن الوفد أنشأ هذه الفرق لضرب خصومه ··

ومنذ اعلان انضوائها تحت لواء الوفد ثارت ثائرة هؤلاء الخصوم وعلى رأسهم السراي وتربصوا بالفرق في صحفهم ودعاياتهم ·

ثالثا : كانت أهداف هذا التنظيم « فرق القمصان الزرقاء » اعداد شباب مصر فكريا وجسمانيا وتنمية مشاعره الوطنية والروحية وتوعيته بتاريخ بلاده وأصالتها وأهدافها وهو أمر لا ينقض الدستور والمبادىء الديموقراطية ··

رابعا : أنشأت قيادة الفرق الى جانب فصائل الطلبة فصائل مثلها للعمال في مصانعم وأحيائهم وهنا اشتعل غضب خصوم الوفد حيث أطلقوا على فرق العمال « طوائف من غير المثقفين » وكان أمرا غير مقبول في عرفهم وجسيما في نظرهم أن ينضم العمال الى الشباب من الطلاب والمثقفين !! ·· ومن هنا نسجت صحف السراي وخصـوم الوفد عشرات القصص والروايات ومجال التشهير والتلفيق متسـع ! ·· حتى لقد دس خصوم الوفد في مرات كثيرة أفرادا من غير أعضاء الفرق بين صفوفهم لتشويه سيرتها عمدا والصاق التهم بأعضائها ·· وكثيرون من هؤلاء ضـبطتهم شرطة الفرق وسلمتهم للبوليس ·· ولم يكن مسموحا للأعضاء بارتداء الزي الرسمي في غير المناسبات المقررة والتدريبات ، وكان لهذه الفرق شرطة خاصة من بين أعضائها لضبط المخالفين منهم والمندسين عليهم ·

خامسا : أنشأ الوفد برئاسة زعيمه مصطفى النحاس مجلسا أعلى لهذه الفرق بعد انضمامها اليه للحفاظ على تنظيمها وكان يرأس هذا المجلس ضابط قديم هو اللواء حافظ صدقى .

سادسا : كان اشتراك العضوية بعد قبول العضو وتزكيته هو عشرة قروش فقط يصرف له بموجبها بطاقة وبادج وعلى العضو شراء قميصه من محلات الفرنوانى التى كانت قد أعدت الكميات المطلوبة للأعضاء .. ولم يكن للفرق مقار فى الأحياء أو أندية أو ميادين لأن المعسكرات كانت تقام بالأراضى الفضاء بعد اعدادها وتقام فيها خيمة لقيادة الفرقة من أموال أعضائها مع أدواتها وكان المعسكر الرئيسى أول الأمر فى الفضاء المجاور لبيت الأمة ثم انتقل بعد ذلك للفضاء الكبير بميدان الاسماعيلية « مكان مبنى مجمع التحرير حاليا » وكان لقيادة الفرق سيارة مستعملة ماركة « ستروين » تبرع بها محمد شعراوى نجل حسن باشا شعراوى المعروف بزمالته للزعيم سعد باشا زغلول فى مواجهته للمندوب البريطانى عام ١٩١٨ - وفى المناسبات العامة كانت الفرق تستعير بعض خيام الكشافة ثم تردها كما حدث فى الاحتفال بوفد مصر العائد من « منتريه » .

من ذلك يتأكد للمؤرخين أن فرق القمصان الزرقاء لم تعرف الأموال السرية لأنها لم تكن فى حاجة اليها .. وحين كانت القيادة تلبى دعوة للاشتراك فى مؤتمرات الشباب العالمية كل عام كان مندوبوها يتحملون نفقات سفرهم وأذكر منهم صلاح ذو الفقار فى مؤتمر باريس والدكتور سليمان عيد فى مؤتمر جنيف .

سابعا : كان يشرف على التدريب الصاغ محمود لبيب ويعرفه تنظيم الضباط الأحرار والاميرالاى محمد محفوظ متطوعين بدون مقابل وتخرج على يديهما فريق كبير من المتدربين المتطوعين ، كما كانت القيادة تستعين بمشورة وخبرة رئيس الكشافة عبد الله سلامة .

ثامنا : كانت هناك برامج توعية ثقافية ودينية تلقى على الأعضاء فى معسكراتهم بانتظام وباشراف مباشر فى قيادة الفرق .

تاسعا : وإبان اشتداد الخلاف بين الملك والوفد فى نوفمبر عام ١٩٣٧ ومطالبة السراى بحل فرق القمصان الزرقاء بمقولة أن وضعها غير ديموقراطى وينقض المبادىء الدستورية .. أرسل الملك يطلب منى بيانا فى الصحف بولاء أعضاء الفرق للملك ومبايعتها له ويعرض على مقابل ذلك وظيفة بالقصر وكان ذلك عن طريق أستاذى الدكتور على باشا ابراهيم عميد كلية الطب - وكنت طالبا بالسنة النهائية - فى حضور الدكتور أحمد شفيق باشا أستاذ أمراض النساء والدكتور مصطفى بك فهمى وكيل الكلية .. ولم أستجب لما طلب منى

رغم الوعد بعدم المطالبة بحل الفرق والابقاء عليها كما اعتذرت عن قبول أى عرض ٠

وهذه واقعة أسوقها للمؤرخين والكتاب الذين صوروا الأمر على أنه أشكال دستورى بين الملك والوفد وحقيقة أنه حرب شخصية على الوفد من جانب الملك وأنصاره وهذه وما قبلها شهادة أؤديها باصرار أمام الله والتاريخ ٠٠ وقد يبقى سؤال لأصحاب المراجع والتقارير :

ان المشاحنات بين أنصار الوفد وأنصار السراى لم تنقطع أو تتوقف منذ قيام الوفد بزعامة سعد زغلول فى عام ١٩١٩ حتى عام ١٩٥٢ بزعامة مصطفى النحاس ، ولم تكن فترة قيام القمصان الزرقاء خلال هذه الحقبة الطويلة أكثر من عامين وبضعة أشهر ٠٠ فالى من ينسب هؤلاء المؤرخون ما وقع من مشاحنات ومعارك بين الوفديين وأنصار الملك والأقليات ٠

الحقيقة أنها الصورة التقليدية للصراع السياسى المتصل بين أغلبية الشعب والأقليات ولم يكن مقصورا أبدا على فترة بعينها أو على أفراد وفئات بالذات ٠٠ ولم يكن الوفد فى وقت من الأوقات بحاجة لفرض دكتاتورية عسكرية أو شبه عسكرية وكان حرصه على المبادىء الدستورية فى صراعه التاريخى مع القصر شعارا لم يتغير أو يتبدل وأى دعوى غير ذلك يجب تصحيحها ٠٠

ـ أخى الفاضل الأستاذ صبرى أبو المجد

انى واثق وقد جمعتنا زمالة جهاد ونضال فى العهد الماضى أنكم متفقون تماما أنه من الخير لشباب هـذا الجيل أن يتحقق من أن أسلافه بذلوا لمصر وأرضها وشعبهـا من الدم والروح والعرق ما يشرف به تاريخهـا ويفخر به شبابها ٠

وأننا حين نتركه فى شك من ماضى أسلافه وفى ريب من اخلاصهم فسوف تستبد الحيرة والقلق ويشعر باليتم والكمد وقد يضل الطريق ٠٠

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كنت الطبيب المعالج لعزيز المصرى فى مستشفى الدمرداش

●● د٠ محمود دياب كان طبيبا فى مستشفى قليوب عام ١٩٤٠ ، وكان يقوم بعملية فتح بطن حين اصطدمت طائرة عزيز المصرى بالسـلك الكهربائى ٠ فانقطع النور وأكمل العملية على ضوء شمعة ٠٠

ثم نقل الى مستشفى الدمرداش نائب جراح ٠٠ وجاء عزيز المصرى الى المستشفى للعلاج ، كتب الينا يقول :

جاء الينا عزيز المصرى من سجن الأجانب ، وحين دخل الحجرة وجد بها سريرين فسأل عزيز المصرى لمن السرير الآخر فى الغرفة ؟ فقيل له للضابط الحرس الذى سينام بجوارك ٠٠ وهنا انفجر الباشا لاعنا رئيس الوزراء والملك ٠

وتحدثت ـ د٠ دياب ـ مع المسئولين عن المستشفى قائلا يكفى الحرس بالخارج ٠ فأخذوا برأيى وخلت الغرفة لعزيز المصرى ٠

وهنا ـ كما يقول د٠ دياب ـ بدأت صلتى بعزيز المصرى ٠٠

وفى ليلة انتابت عزيز المصرى نوبة قلبية وربوية شديدة ، فأعطيته العلاج ولكنه لم يتحسن ٠ فطلبت رئيس القسم د٠ لبيب أحمد العجانى ٠٠ فاتضح أن عزيز المصرى يوشك على الهلاك وهو فى أزمة نفسية شديدة ، حيث يتذكر زوجته الأمريكية وابنه عمر الغائب فى أمريكا ٠

ويقول د٠ دياب : لقـد حملت مدير المستشفى المسـئولية ٠٠ مما كان السبب فى الموافقة على نقله الى الدور الأول من المستشفى ٠ لكن عزيز المصرى قال : لا فائدة من علاجك أو علاج مدير المستشفى ، أريد طرد هؤلاء الجنود ـ الحرس ـ من حولى لأن رؤياهم تهيجنى ٠

وقد استطعت بعد الحديث مع الملازم حسين سعيد صالح الضابط النوبتجى أن يفرق الجنود خارج سور المستشفى من الناحية الشرقية ، حتى يشعر الباشا أنه حر فيخف الضغط على فكره ، وعلى صدره ٠

وقد أخذ الضابط بكلامى بعد تحميلى المسئولية ٠٠ اذا هرب الباشا ٠

وخرج عزيز المصرى من حجرته ٠٠ ولما لم ير الجنود خفت النوبة وبكى واستراح قلبه واستراحت رئتاه ٠

ثم بعث عزيز المصرى أحد التمورجيـة لاستدعائى ٠ وذهبت اليه ، وهنا قال لى : الآن نفع علاجك ٠

وكان الباشا دائما يشتم الانجليز ويمدح الألمان ٠

لكنه قال لى : اننى أحب الألمان لأنهم أكرمونى وعينونى أسـتاذا للتاريخ العسكرى فى كليتهم العسكرية وعلى يدى تخرج جميع القادة العسكريين الألمان فى الحرب العالمية الثانية أمثال روميل ، ولم أر منهم الا كل خير ٠

أما الانجليز فقد أحالونى على المعـــاش وقيدوا حريتى ، ولذلك عزمت على الخروج من مصر ٠

ولقد حدث أن جاء الى عزيز المصرى بالمستشفى فيتز باتريك نائب الحكمدار الانجليزى ، ولم يجد عزيز المصرى فى غرفته ، فثار وقال انه ليس مريضا ٠ ولقد أثبت له أنه مريض بالجيوب الأنفية ٠٠ فانصرف لحاله ٠

وبعد يومين أخبرت عزيز المصرى بما جرى ، ثم بعد فترة أفرجوا عنه ٠

وقال لى محاميه مصطفى الشوربجى ، ان هناك مستشارا قضائيا فى السفارة البريطانية كان يحضر جلسات المحاكمة ويعرف العربية جيدا ووجد أن المحاكمة تكاد تفشى الأسرار العسكرية للأعداء ٠ وهنا أشار بالافراج عنه ٠

د٠ محمود دياب

فشل التخطيط مع الألمان لارسال طائرة المانية الى رأس البر ليسافر عليها عزيز المصرى

●● د٠ عبد الغفار الساعى كان صديقا لعزيز المصرى وقد سعى لمساعدته على الهرب للوصول الى ألمانيا للقاء روميل ٠٠ حيث كان الألمان فى حاجة الى خبرة عزيز المصرى قال لى :

أثناء الحرب كنت مقيما فى برلين ، وعدت الى مصر ٠ وكان أن اتصلت بعزيز المصرى ، فرجانى أن أعمل لكى يصل الى ألمانيا وفعلا سافرت الى بلد محايد لكى اتصل بالألمان لتدبير خطة حضور طائرة ألمانية لمصر لنقل الفريق خارج البلاد ومن أجل ذلك سافرت الى الاستانة واتصلت بالألمان ودبرت معهم خطة لحضور طائرة ألمانية الى مصر لنقل عزيز المصرى ومن الاستانة سافرت الى بيروت حيث التقيت برئيس لجنة الهدنة الألمانى « فون روز » ٠٠ وأخبرته بالمشروع ٠٠ فرحب بذلك وحين عدت الى مصر أخبرت عزيز باشا بالترتيبات ٠ كما أخبرت عبد المنعم عبد الرءوف بتفاصيل العملية ٠٠ الذى قال لى أنه سيحضر يحيى البدراوى الذى سيسافر الى استانبول عن طريق بيروت لزيارة والدته ، وفى طريقه سيلتقى بفون روز ببيروت ، وفى استانبول سيتصل بالقنصلية الألمانية والسفارة هناك ويخبرهم باتصالاتى بهم لتنفيذ عملية حضور الطائرة الألمانية الى مصر ٠٠ وليثقوا به ٠

وقد ذهبت أنا مع يحيى البدراوى ــ قبل سفره ــ الى رأس البر لتحديد مكان تهبط فيه الطائرة ٠

لكن حين سافر يحيى البدراوى الى استانبول كانت الجيوش البريطانية قد دخلت لبنان واحتلتها ٠ وحدث أن يحيى البدراوى كان مع سكرتيره الخاص محمد باشا البدراوى وقد حدث بينهما خلاف وعاد السكرتير بعد الخلاف ، وأخبر الانجليز فى بيروت بما قام به يحيى البدراوى من اتصالات ٠

وقد قبض الانجليز على يحيى البدراوى فى بيروت ٠ وبما ان يحيى كان شقيقا لزوجه فؤاد سراج الدين ، وزير الداخلية وقتئذ فقد اتصل به سراج

الدين في محل اعتقاله ببيروت وأخبره انه لا بد أن يقول كل شيء حتى يمكنه السعي للافراج عنه ٠٠ وحكى الحكاية كلها ٠

وهنا قبضـوا على ، واعتقلوني وأودعوني سجن الأجانب ولكنني قلت للانجليز ، انني كنت مسافرا لبلد محايد لأنه كانت لى بضائع صودرت ، وكنت قد أرسلتها للسويد ٠٠ وان اتصالاتي لم تكن اتصالات عسكرية أو سياسية

ثم نقلت لمعتقل الزيتون ٠٠

د٠ عبد الغفار الساعي

من أمين فهيم السكرتير السابق للملك السابق فاروق

الى الأخ العزيز الأستاذ صبرى أبو المجد ٠

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٠٠

لقد كانت لى فرصة سعيدة ان التقيت بك ــ ولو تليفونيا ــ بعد مرور عشرات السنين على آخر لقاء لنا ٠٠

وأبعث اليك ــ كما وعدتك ــ ببعض مالا تزال الذاكرة تعيـه من وقائع تتصل بالموضوع الذى تتناولونه « المرحوم أحمد حسنين ٠٠ الخ » ولعلك تجد فى الصفحات التالية ما ينال رضاك ٠

فى وقت من الأوقات كانت للمرحوم أحمد حسنين حظوة لدى فاروق لم يتمتع بها أى انسان غيره ٠٠ الى حد أن فاروق أمر باعداد جناح بقصر القبة ليقيم به أحمد حسنين ، وكان ذلك أيضا بايحاء خفى من جانب الملكة الوالدة « نازلى » ٠٠

ولكن سرعان ما بـدأ خدم القصر يتهامسون عن تردد نازلى على جنـاح حسنين ٠٠ وسرعان ما وصل تهامسهم الى اذن فاروق ٠٠

وذات يوم وصل حسنين الى قصر القبة وهو مرهق من عمل اليوم فى قصر عابدين ، وما أن اقترب من باب جناحه حتى فوجىء بما لم يكن يتوقعه ٠٠ رأى ملابسه وكتبه مبعثرة بالردهة أمام باب حجرته ــ وكان موصدا ــ والى جانبها ثلاثة أجهزة تليفونية بأسلاكها المقطوعة ٠

كان حسنين بطلا عالميا فى رياضة السلاح « الشيش » ، فكان من طبعه أن يتلقى الهزيمة بنفس الروح التى يتلقى بها النصر ٠٠

وأمام هذا المنظر ، ابتسم حسنين ابتسامة مريرة ، وانحنى يلتقط من الأرض كتبه الخاصة ، وضعها تحت أبطه وانصرف فى هدوء ، وذهب ليعتكف فى حلوان ٠

كانت الصدمة أشد وقعا على نازلى ٠٠ ولم تتردد فى أن تتحدى ابنها فاروق ، فلم تنقطع عن زيارة حسنين فى حلوان وقيل أنها عرضت عليه مبلغا من المال عندما علمت بأنه امتنع عن تسلم مرتبه أبى فى كبرياء وعزة نفس ٠٠

أراد فاروق أن يسجل ظروف هذا الحادث فى مذكراته الخاصة بعد طرده من مصر ٠٠

كان الصحفى الانجليزى « نورمان برايس » أول من جاء لتحية فاروق بعد أيام قليلة من وصوله الى منفاه فى ايطاليا ، فقد كانت تربط بينهما صداقة قديمة عندما كان فاروق ملكا ٠٠

نزل نورمان برايس ضيفا على فاروق فى نفس الفندق الذى كنا نقيم به فى جزيرة كايرى ، وكان فاروق يجتمع به كل مساء الى قرب مطلع الفجر ٠

وذات يوم ناولنى فاروق عدة صفحات بالانجليزية ، وقال لى انها مذكراته الخاصة أملاها على نورمان برايس لنشرها فى صحيفة « أمبايرنيوز » وطلب منى الاطلاع عليها قبل نشرها ٠

لفتت نظرى عبارة يقول فيها « كنت أطوف بالليل خلسة فى ردهات قصر القبة ومسدسى بيدى ، لعلى ألتقى بأمى وعشيقها حسنين فأصرعهما برصاص مسدسى ٠٠ » ٠

وهنا نظرت اليه فى مرارة ، وقلت له أن أى انسان يحاول دائما اظهار أمه فى مظهر القديسات ٠٠ ولا تنس أن حسنين باشا هو رائدك عندما كنت أميرا تتلقى العلم فى انجلترا ، وانه هو الذى أنقذك وأنقذ العرش يوم حادث ٤ فبراير » ٠٠

فقال لى فاروق « ان الانجليز هم الذين فرضوه على أبى الذى كان اختياره قد وقع فعلا على عبد الخالق حسونه ليكون رائدا لى ٠٠ وأما عن موقفه فى ٤ فبراير فانى لا أنكر أنه هو الذى كان يوحى لى بالعربية ما أرد به على اللورد كيلرن وهو جالس أمامى مع ضباطه البريطانيين يتوعد ويهدد ٠٠٠ ولكن لعلك لا تعلم أن موقفه هذا كان الفصل الأخير فى مسرحية ٤ فبراير ، التى أقنعنى بعض الأصدقاء بأنها كانت من تدبير حسنين وأمين عثمان مع الانجليز حتى يبدو حسنين فى نظرى الرجل الذى لا يمكن الاستغناء عنه » ٠

وعلى أية حال ، كانت لدى الشجاعة لأن أمسك بالقلم الأحمر وأشطب هذه العبارة بعد أن قلت له « أن مثل هذا القول سيكون له وقعه السيىء لدى الملك عبد العزيز ٠٠ فالعرب لا يستسيغون مثل ذلك » ٠٠ وقد عمدت الى تأكيد هذا الرأى لعلمى بأن فاروق كان على وشك استقبال مبعوث العاهل السعودى حاملا أول « معونة مالية » للملك المطرود ٠

وهناك واقعة تدل على أن شبح العلاقة بين نازلى وحسنين كان لا يزال يتراءى أمام فاروق حتى فى المنفى ، فقد وردت اليه فى أوائل أيام منفاه رسالة من أمه من أمريكا تهنئه بسلامة الوصول وبنجاته وأولاده من « الانقلاب » ٠

ـ كما تقول ـ وأنها تنتظر منه كلمة لتحضر الى ايطاليا متطلعة الى جمع شمل الأسرة ٠٠

وكانت قد وردت اليه رسالات مماثلة من بعض أفراد الأسرة المقيمين بالخارج وطلب منى اعداد الرد عليها ٠

وعندما عرضت عليه مشروع رد على رسالة أمه ، وهى موجهة الى « جلالة الملكة نازلى » ، اذا به يشطب هذه العبارة ويكتب بدلا منها « الى أرملة المرحوم أحمد حسنين ٠٠ » ويستبدل بما كتبته عبارات يحملها فيها وحدها مسئولية ما وصل اليه وما يعانيه من قسوة المنفى ، ويطلب اليها الكف عن مراسلته » ٠

أمين محمد فهيم

رسالة أخرى من الأستاذ أمين فهيم

حول غرام نازلى بأحمد حسنين

لم يكن الغرام بين نازلى وحسنين متبادلا ،

بل كان من جانبها وحدها ،

هذا ما شهد به الكثيرون من أصدقاء حسنين ، وعلى رأسهم الفريق محمد حسين ـ الذى كان موضع ثقته وسره ، وكان يلازمه كظله ٠

عندما أصيب فاروق فى حادث السيارة المعروف على الطريق الى الاسماعيلية نقل الى مستشفى ميدان صغير أقامه الانجليز فى قلب الصحراء بالقصاصين حيث كانت الحرب العالمية الثانية لا تزال على أشدها ٠ وكنت الموظف الوحيد من الديوان الملكى الذى لازم فاروق طوال الاثنين والعشرين يوما التى قضاها بالمستشفى ٠

وذات مساء كنت أجلس على باب المستشفى مع الفريق محمد حيدر ننتظر عودة أحمد حسنين من القاهرة ٠

كانت نازلى قد انصرفت لتوها بعد زيارة ابنها ٠٠ وما كادت تتحرك سيارتها حتى نظر اليها حيدر بنظرة ملؤها الاحتقار والازدراء والتفت الى يقول : « مسكين حسنين ٠٠ انه مظلوم » واستطرد يقول : « ان هذه المرأة هى التى ترتمى على قدميه ، تلاحقه فى كل مكان » ٠٠ فعقبت قائلا « ولكن للناس رأيا غير ذلك ! » ، فقال : « لقد أقسم لى حسنين انه انما يتظاهر بمبادلتها حبها منذ رآها على وشك الارتماء فى أحضان أولئك الذئاب الملتفين من حولها متوهمين أنها الطريق الذى سيحقق لهم مآربهم السياسية وغيرها ٠٠ وقد أكد لى حسنين بأنه ما كان ليخون ذكرى الملك فؤاد ولى نعمته » ٠

وأضاف حيدر : « ومع ذلك فان الملكة نازلى وهى الآن فى خريف عمرها ليست هى بالمرأة التى تستهوى حسنين ٠٠ لقد عهدته لا يستسلم حتى لاغراء من يصغرنها سنا ويفقنها جمالا ٠٠ »

ظلت هذه العبارة الأخيرة عالقة بذاكرتى الى أن جاء اليوم الذى سمعت فيه شهادة من يؤيدها ٠

سافرت الى ايطاليا عام ١٩٤٧ ، وكنت خلال عملى بالسفارة المصرية أتردد على نادى السلاح « الشيش » ٠٠

وبعد مرور سنوات ، ذهبت الى النادى مودعا مدربى الايطالى « أوجو بنيوتى » بمناسبة اعتزامى العودة نهائيا الى مصر ٠٠ فقدم لى سيفه « الفلورية » واسمه محفور على مقبضه ، وقال لى « انه كان يعتز بهذا السيف الذى انتصر به على المرحوم أحمد حسنين فى الألعاب الأولمبيـة بلوس انجيلوس فى أوائل الثلاثينيات » ٠٠

وأخذ يحدثنى عن حسنين ،

وقال « بعد ان انتهى الشوط بفوزى على حسنين دهشت اذ رأيت الفتيات والنسوة الأمريكيات والأجنبيات يتزاحمن من حوله ويقدمن له « الأوتوجراف » ليوقع عليه باسمه ٠٠ وهنا اقتربت منه وقلت له ضاحكا « أما كان الأولى أن أكون أنا مكانك » ٠٠ فضحك حسنين وقال « أتريد أن تقول سعيد فى الحب تعيس فى اللعب » ٠

واستطرد بنيوتى يقول : تهافتت النســاء عليه ، ولكنـه لم يستسلم لاغرائهن ٠٠ كنا جميعا نرتاد أماكن اللهــو نقضى ســـهراتنا بين الشراب والرقص ٠٠ أما حسنين فكان لا يبرح الفندق ويقضى وقته فى القراءة ٠٠ ولم يشاركنا فى لهونا ٠٠ فكنت أقول لنفسى لعلها أخلاقيات الاسلام » ٠

وطلب منى أوجو بنيوتى أن أضع باقة من الورد على قبر المرحوم حسنين ، ومعها بطاقة منه تحمل هذه العبارة بالايطالية : « تحية تقدير للرياضى الفارس الذى يشرف فروسية العرب » ..

وقد لبيت هذا الرجاء ..

هذا ما تعيه الذاكرة من قصة ملكة شغفها أمين القصر حبا

قصة الملكة الأرملة التى راودت عن نفسه من كان بالأمس رائدا لابنها ..

فهل استعصم ؟

انه يؤكد ذلك ، ويؤكده أصدقاؤه

ولعل التاريخ المنصف يثبت يوما ان كان قميصه قد من دبر ..

اكتبوا الينا عن كل ما يتعلق
بأحداث ٤ فبراير ١٩٤٢

ونحن ــ فى سنوات ما قبل الثورة ــ نقترب من أحداث ٤ فبراير ١٩٤٢، ورغبة منا فى أن يكون ما نكتبه عن تلك الأحداث ، أقرب الى الصدق ، والموضوعية وحرصا ، منا على أن نكون فيما نكتبه عن تلك الأحداث ، التاريخية محايدين ، يناشد كاتب هذه السطور ، كل من لديه ، أية معلومات ، أو وثائق أو ذكريات عن تلك الأحداث ممن عاصروا تلك الأحداث ، أو كان لهم فيها دور أى دور ، أن يكتبوا ، الينا بما لديهم خاصة وقد مضى على تلك الأحداث ثمانية وثلاثون عاما ، وقد أصبحت فى ذمة التاريخ ، وأصبح من حق أبنائنا ، علينا ، أن يعرفوا الحقيقة التى ظلت غائبة ، أكثر من ثمانية وثلاثين عاما : ان كل من عاصر تلك الأحداث أو كل من سمع عنها من مصدر ثقة مدعو ، الى شهادة أمام التاريخ « ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه » صدق الله العظيم .

صبرى أبو المجد

رجاء حار الى من يهمه الأمر

قبل أن أبدأ الكتابة عن مأساة ٤ فبراير وما سبقها من أحداث ناشدت كل من لديه معلومات أن يوافيني بها كما ناشدت كل من له رأى فيما أنشره من أقوال ، أن يتفضل بارسالها الى على أن أنشر كل ما يصلنى كما هو ، وقد وصلتنى رسائل كثيرة نشرتها بالأمانة والصدق ، وانى وقد أوشكت أن أنهى الحديث عن ٤ فبراير ١٩٤٢ ، أناشد أيضا كل من لديه معلومات أو بيانات أو آراء حول هذا الحادث أن يتكرم بارسالها الى لتأخذ طريقها الى النشر ولست بمستطيع أن أفعل أكثر من أن أتقدم الى الجميع بهذا الرجاء الحار ٠

اضافات جديدة للأستاذ حافظ محمود

● تعقيبا على ما جاء عن الأيام الحرجة السبعة قبل حادث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ أرى أن أضيف الى ما جاء فى هذا الفصل المعلومات الآتية :

أولا ــ كيف تمت استقالة وزارة حسين سرى باشا :

فى أول فبراير سنة ١٩٤٢ تلقى سرى باشا معلومة بأن مظاهرة فى أطراف المدينة تهتف « الى الامام يا روميل » فرفع سماعة التليفون وطلب حاكمدار العاصمة « رسل باشا » ــ وهو انجليزى كما هو معروف ــ وطلب اليه الاسراع الى فض هذه المظاهرة بالوسائل السلمية الممكنة ، وبعد ساعة علم سرى باشا ان المظاهرة لا تزال فى طريقها دون أن يعترض طريقها أحد ، فاتصل مرة أخرى بالحاكمدار رسل باشا فأجابه الأخير بأنه « سيقوم باللازم » ثم علم سرى باشا ان الحاكمدار لم يتحرك من مكانه ولم يحرك أية قوة لفض المظاهرة ٠٠ ولما كان معروفا لدى رئيس الوزراء وغيره أن هذا الحاكمدار الانجليزى لا يمكن أن يتحرك الا بتعليمات من السفارة البريطانية فقد أيقن سرى باشا أن الانجليز يدبرون أمرا ويريدون أن تكون هذه المظاهرة طريقا الى تنفيذ ما يريدون ٠

عندئذ دعا سرى باشا مجلس الوزراء الى اجتماع عاجل ، والى أن جاء الوزراء كان هو قد كتب خطاب الاستقالة ، ولم يستمر المجلس فى الانعقاد الا ريثما تلا سرى باشا نص خطاب الاستقالة رافضا أية مناقشة فى موضوع الاستقالة أو فى نص خطابها ، وقام من فوره الى القصر الملكى وهناك أودع خطاب الاستقالة ٠

ثانيا ـ بالنسبة لخروج الدكتور عبد الحميد بدوى من الوزارة : كانت هناك خلفية من صنع القصر الملكى وهى أن السيد الوزير متورط مع سيدة شابة ، ورغم عدم ثبوت هذه الواقعة فقد كان هناك اصرار على استبعاد بدوى باشا ٠

ثالثا ـ بالنسبة لقطع العلاقات مع حكومة فيشى الفرنسية : كان سبب هذه الأزمة أن الملك السابق فاروق كان قد استمع فى حفلة ما الى وزيرها المفوض فى مصر بأن حكومة سرى باشا تعتزم قطع العلاقات ، ولم يكن الملك قد علم بشىء من هذا فقال للوزير الفرنسى المفوض : لا تحمل هما فانت باق هنا برغبتى ٠ وكان سرى باشا وزملاؤه لا يعلمون شيئا عن هذا الوعد « الملكى » ٠ ومن هنا نشأت الآزمة بين القصر والوزارة بمجرد اعلان قطع العلاقات ٠

رابعا ـ بالنسبة لسوء العلاقات فى هذه الفترة بين الملك وسرى باشا : ان الذى لم يتناوله الذين كتبوا فى هذا الموضوع هو أن الملك فاروق كان قد بدأ يضيق بسرى باشا لأنه زوج خالة الملكة السابقة « فريدة » أو شىء قريب من ذلك فى الفترة التى كانت العلاقات قد توترت بين الملك وزوجته الأولى ٠

خامسا ـ بالنسبة لاقتراح هيكل باشا على حسنين باشا رئيس الديوان الملكى بأن يؤلف النحاس باشا وزارة ائتلافية للخروج بالبلاد من الأزمة السياسية التى كانت قد بدأت فى يناير سنة ١٩٤٢ ـ ان الذى لم يذكره الدكتور هيكل فى مذكراته ، ان حسنين باشا كان يتطلع الى رياسة وزارة من « الشباب » وكان يقول ان التعامل مع الملك كان يتطلب وجود وزراء أصغر سنا ، وأعد حسنين باشا مشروع هذه الوزارة سرا ٠ لكن السر قد وصل ٠٠ كيف ؟ لست أدرى ٠٠ الى اللورد كيلرن فغضب غضبا شديدا من حسنين باشا لأنه لم يطلعه على هذه الفكرة ٠

والواقع ان هذه الفكرة كانت من الأسباب الرئيسية فى حادث ٤ فبراير وسرعة الأحداث التى أدت اليه لأن اللورد تصور أن الملك بعد تشكيل وزارة « ملكية » تسانده فى موقفه من محنة الانجليز فى تلك الفترة ٠

سادسا ـ بالنسبة للأزمة التموينية التى حدثت فى أخريات أيام حكومة سرى باشا ، كان السبب الحقيقى لهذه الأزمة أن المواصلات الخارجية فى هذه الفترة الحرجة من فترات الحرب العالمية الثانية كانت قد تعثرت على نحو أقلق القيادة البريطانية فى مصر على المواد التموينية التى تأتيها عبر البحر من الخارج ، فأخذت تستولى بطريقة أو بأخرى على مواد التموين فى مصر لكى تختزن منها ما يسد حاجة القوات المسلحة البريطانية المتمركزة فى هذه المنطقة لأطول مدة ممكنة ، فأثر ذلك تأثيرا مباشرا على احتياجات الشعب من المواد الأساسية ٠

رسالة من الرباط :

اذكروا الحقيقة كاملة ولو مست بعض الجــوانب الخاصـــة

الأستاذ الكبير السيد صبرى أبو المجد

سبق لكم ان استشرتم قراءكم - وأنتم تسجلون أحداث مصر الحبيبة قبل الثورة - فيما يتعلق بموضوع تسجيل الحياة الخاصة لمن كان بيدهم الأمر فى تلك الحقبة من الزمن فهل يجوز كتابتها أم لا ؟

سيدى الأستاذ ..

انكم تسجلون للتاريخ وللأجيال القادمة لذلك يجب أن تذكروا الحقيقة كاملة حتى ولو مست بعض جوانب الحياة الخاصة لمن كان بيده الأمر والنهى .

سيدى الأستاذ ..

بعد رســالة السيد أمين محمد فهيم سكرتير فاروق الخـاص الصريحـة الواضحة أعتقد انه لم يبق لكم أى عذر فى الاعتذار عن نشر الحقيقة كاملة .

انى كما سبق ان ذكرت لكم فى رسالتى السابقة التى كانت تتعلق بكتاب الاسلام وأصول الحكم لعلى عبد الرازق عشت حقبة من الزمن فى أرض الكنانة امتدت نحو عشرين سنة من ١٩٣٩ الى ١٩٥٩ وبحكم دراستى فى جامعة الاسكندرية واختلاطى بزملائى وما زلت أحفظه حتى الآن هو ما كان يتهامس به الناس أحيانا يجهرون به خاصة طلاب الجامعة من تعديل للأغنية الشعبية التى كانت تمجد فاروق والتى كان مطلعها :

ملك البلاد يا زين   يا فاروق يا نور العين

ولكن الطلبة لم يكونوا يرددون هذه الأغنية كما هى مكتوبة أضافوا اليها تعديلا جوهريا .

فهى صارت هكذا :

ملك البـــلاد يا زين   يا فـاروق يا نـــور العين
أمــــك تزوجت اثنين   على مــاهر وأحمــد حسنين

بل وأكثر من هــنا فاننى حضرت وشاهدت بعينى زملائى الطلبــة وهم يهتفون فى احدى المظاهرات .

رحم الله ابن على أيوب وبالطبع فان هذه القضية معروفة لدى الجميع من كون ابن على أيوب الوزير · السعدى السابق والذى أعتقد انه كان ضابطا فى الجيش قد اغتاله عمر فتحى باشا على باب مسكنه والذى يداخله فاروق وعمر فتحى يتولى حراسته من الخارج ·

كل هذا وهو نقطة من بحر يجب كتابته ونشره حتى يعلم الجميع كيف كانت تحكم كنانة الله فى أرضه : مصر الحبيبة فى أحلك فترة من حياتها ·

وتقبلوا سيدى الأستاذ كل تقدير واحترام مع الدعاء لكم بطول العمر حتى تواصلوا تحقيقاتكم وكتاباتكم عن أحوال مصر قبل الثورة خدمة للتاريخ ·

المخلص
محمد اليطفتى المحامى
زنقة طنطا رقم ١
الرباط المغرب

● أعتذر للأخ محمد لأننى شطبت بعض كلمات تمس محمد على أيوب يرحمه الله وعذرى أننى رجل قانون ·

أنشروا كل شيء عن الماضى

الأستاذ : صبرى أبو المجد :

دعوت القراء لابداء رأيهم :

● هل تكتب قصة غرام نازلى بأحمد حسنين أم لا تكتبها وبدا انى وأسرتى الكبيرة التعداد ·

نقول لك يا أستاذنا الكبير الذى عرفناك منذ زمن بعيد نقرأ لك كما عرفناك مخلصا فى مهنتك الشريفة تحملت من أجلها ما تحملت من تعذيب وتشريد وسجن وانت على عهدك مقيم لم ترهبك ذلة ولا خنوع ولا خضوع حتى نصرك الله مرفوع الرأس والهامة ·

نقول لك اكتب وأرخ واكشف عن الحقائق وأنت الذى أخذت على عاتقك أن تؤرخ تاريخ مصر » ··

اكتب الحقيقة ليعرف شبابنا كيف كانت تحكم مصر قبل ثورة سنة ١٩٥٢ التى قامت الثورة من أجله · اكتب الحقيقة الواضحة من أعماق ضميرك الحى ومن وحى ارادتك ولأجل مصرنا العزيزة ·

أكتب يا أستاذنا الكبير الشريف عن :

١ ـ أحمد محمد حسنين وقصة غرامه بنازلى وهى فعلا أثرت كثيرا فى السياسة المصرية وأحداثها وفسادها فى الحكم وفساد فاروق والفضائح التى شوهت وجه مصر وزكمت الأنوف رائحتها الكريهة من زواج فتحية برياض غالى وسمعة نازلى المشينة ٠

٢ ـ أكتب عن الفريق عمر فتحى كبير ياوران فاروق وأكشف النقاب عنه ٠

٣ ـ أكتب عن كريم ثابت مستشار صحفى فاروق ٠

٤ ـ أكتب عن الدكتور أحمد النقيب مدير مستشفى المواساة ٠

٥ ـ أكتب فضيحة حادث ٤ فبراير ٠

٦ ـ أكتب عن فضائح الأحزاب السياسية ومفاسدها ٠

٧ ـ أكتب وسطر للتاريخ عن مهازل هؤلاء الباشوات التى أفسدت الحكم فى مصر وان ثورة ١٩٥٢ ما قامت الا لتطهير مصر العزيزة من براثن هؤلاء الخونة المفسدين وكما قال سبحانه وتعالى وهو أصدق القائلين :

« ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين » صدق الله العظيم ٠

أكتب وسطر للتاريخ ونحن نؤيدك فيما تكتب أيها المناضل الشريف الحر ٠

٨ ـ أكتب عن غرام رئيس وزراء مصر توفيق نسيم بابنة صاحبة البنسيون الأجنبية وكيف قالوا عنه أنه رجل (٠ ٠ ٠ ٠ ٠) يا له من تاريخ » ! ٠٠ !!!

وكان الله فى عونك وقتها يا مصر يا أم الصابرين ٠

أستاذنا الكبير : الله معك يرعاك ويحفظك ويديم عليك نعمة الصحة وطول العمر لخدمة قرائك وأحبائك الذين يدعون لك دواما بالستر ٠

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الزينهم أبو العطا منصور

ناظر محلج النيل بزفتى

تعقيب آخر للدكتور محمد بلال

صبرى أبو المجد

استرعى ناظرى عنوان « الوفد كان يصادق الانجليز حاكما ويخاصمهم خارج الحكم » ٠٠ وهو عنوان لا يمكن قبوله كمبدأ وتاريخ ٠٠ وأرى أن له أكثر من مغزى وأنه يترك انطباعا خاصا فى نفوس أبناء هذا الجيل ممن لم يدركوا تلك الحقبة من أن سياسة الوفد كهيئة وطنية كبرى كانت تحرص على البقاء فى الحكم أو السعى اليه دون نظر الى أهدافه الوطنية وأن ثورته الوطنية وهو الحكم تنطفىء حين يمارس السلطة ٠٠ ! ٠

من هنا رأيت أن أعترض على صيغة هذا العنوان مقررا أن الوفد فى نضاله الطويل لم يكن يستهدف الحكم لمجرد السلطة وانما لتحقيق مخططه الوطنى فى كفاحه تجاه الانجليز أو نضاله الدستورى واعزاز سلطة الشعب أمام القصر ٠٠ ولم يكن وجود الوفد على كرسى الحكم مما يعتور هذه المبادىء أو يثنيه عن مجابهة الانجليز أو الملك ٠٠ والتاريخ حافل بأمثلة تفوق العد والحصر مما يؤيد هذا القول وتحضرنى هنا هذه التساؤلات لأمثلة قريبة العهد ٠

أولا : هل كان الغاء معاهدة ١٩٣٦ من جانب الحكومة الوفدية وحدها فى أكتوبر ١٩٥١ عملا من أعمال الصداقة والوفاق مع الانجليز ؟!

ثانيا : هل كان تحريض الحكومة الوفدية فى نفس الحقبة لعشرات الآلاف من العمال المصريين ليتركوا عملهم فى ثكنات الجيش البريطانى ثم توظيفهم جميعا فى وزارة الشئون الاجتماعية ٠٠ هل كان ذلك من علامات الصداقة والمودة مع الجيش البريطانى ؟!

ثالثا : هل كان مشروع القانون الذى قدمته حكومة الوفد للبرلمان عام ١٩٥١ بقيام وحدة وادى النيل بين مصر والسودان والغاء الاتفاقيات الثنائية السابقة مما ترتب عليه تعديل الدستور المصرى ٠٠ هل كان ذلك مما يثلج صدور الانجليز ؟!

رابعا : وأخيرا ٠٠هل كانت معركة الاسماعيلية فى يناير ١٩٥٢ بين شرطة مصر الرسميين بأمر الحكومة الوفدية وبين جحافل ومدرعات الجيش البريطانى والتى استشهد فيها خمسون بطلا مصريا ٠ هل كانت هذه الموقعة تحسب فى مهرجان المحبة والغزل بين حكومة الوفد وبريطانيا العظمى ؟! هذا ما أردت التعبير عنه فى هذا الاستدراك الموجز ٠

وأضيف أنكم تقتربون من حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ٠

وإذا كانت مقدمات العناوين على هذا النحو بالنسبة للوفد ٠ فقد أتوقع للحلقات القادمة عناوين أكثر اثارة والحادث ضخم قتله الكتاب والمؤرخون بحثا وتسجيلا ٠٠ ولا شك ان منهم المنصفين وغير المنصفين وفى كل الحالات فنحن على ثقة بأن التحليل التاريخى الدقيق والسرد الصادق غير المتحيز سوف يكون رائد هذا التاريخ ٠٠ وأكرر ما ذكرته دائما أنه يسعدنى ويسعد جيلنا القديم أن يقف الجيل الجديد على تاريخ حافل بالنضال الوطنى الشريف يزهو ويعتز به المصريون جميعا على اختلاف أجيالهم ٠

د٠ محمد بلال

ملاحظات على الشكل لا على الجوهر

صبرى أبو المجد

تحية طيبة

بدأت الحديث عن حادث ٤ فبراير والحديث عنه ليس جديدا فهو حديث معاد له صورة فى كل الأذهان وذلك رغم انقضاء قرابة أربعين عاما على وقوعه ـ ولكثرة ما يتردد الحديث عنه والعودة اليه فقد أصبح موضوع التساؤل والتفكير عند هذا الجيل بل والدهشة من كثرة الرجوع اليه ٠٠ ؟ ولعلك تتفق معى ان السبب فى عبقرية هذا الحادث أو شهوة التحدث عنه ليس لعدوان الانجليز على كرامة مصر أو كرامة الحكم فيها بقدر اتصاله بتاريخ النضال الوفدى ورئيسه مصطفى النحاس ٠٠ فلطالما اعتدى المستعمر على كرامة الوطن وحكمه منذ بدء الاحتلال البريطانى فى عهد الخديو حتى عهد الملكين فؤاد وفاروق ٠ وانما اتخذ الحادث شهرته لأن خصوم الوفد قد حاولوا منذ وقوعه اتخاذه سلاحا لمحاولة النيل منه وهم فى ذلك الوقت الملك وأنصاره من بطانته ومن أحزاب الأقلية فى معركتهم معه وهو يناضل من أجل معركتى الاستقلال والدستور ٠٠ ولا شك أن هناك أكثر من تعقيب على موضوع الحديث عن حادث ٤ فبراير غير أنى أوثر التريث حتى ينتهى سرد الحادث ليكون الأمر أكثر وضوحا واستيعابا لأبعاده ٠٠ غير أن لى ملاحظة على الشكل أرجو أن يتسع المجال لذكرها وهى أن كثيرا من العناوين يختلف عن التفصيل والمضمون حيث يقتصر المضمون على رواية وقائع الحادث أو تصريح الأطراف المختلفة فيه أو سرد أحد المراجع عنه دون تقرير حكم بالادانة أو البراءة وهو ما تلتزم به الحيدة التاريخية ٠

لذلك وحتى ينتهى السرد التاريخى المجرد لهذا الحادث وتأكيد الحيدة التامة اقترح الآتى برجاء أن يتسع له مجال النشر كما عودتمونا :

أولا : أن تكون أقوال ومذكرات أطراف الحادث هى المرجع الأول وهى على الترتيب : شهادة مصطفى النحاس فى قضية الاغتيالات .. ثم وثائق وزارة الخارجية البريطانية عن الحادث .. ثم مذكرات لورد كيلرن سفير بريطانيا آنذاك ورجل الحادث نفسه .. ثم أقوال من عرفناهم من المؤرخين المحايدين ..

ثانيا : أن يشار فى المراجع التى ذكرتها الى الفقرات المطلوبة من ناحيتى النفى أو الاثبات على السواء ..

ثالثا : أن تكون العناوين فى الحلقات متفقة مع المضمون حتى لا تقوم شبهة فى الخصومة لتاريخ الوفد .. والكتاب يعرف من عنوانه ! .

رابعا : أن تضموا صوتكم الى صوتى بطلب نشر محاضر لجنة تسجيل تاريخ مصر ولها بحث عريض عن حادث ٤ فبراير .

خامسا : اذا كنتم تعتزمون الخروج بحكم على الوفد ومصطفى النحاس أو له فأرجو أن يكون ذلك بعد استيفاء الحلقات للحادث على أن يكون الحكم صريحا واضحا وأن يتسع المجال بعده للتعقيب اذا اقتضى الأمر ذلك .

ولكم خالص تحياتى والله ولى التوفيق .

الدكتور محمد بلال

وشهد شاهد من أهلها :

صبرى أبو المجد ..

● لقد أيقظت التاريخ فى ذاكرتى ، فأعدت بذلك لى شبابى ، كنت ولا أزال أتابع باستمرار وباستمتاع زائد تسجيلكم لحقائق التاريخ على سنوات ما قبل الثورة ولم تفتنى حلقة واحدة من حلقات تلك السنوات ، ثم فوجئت بندائكم الكريم تطلب منى ، أن أقول كلمة للتاريخ فى مظاهرات آخر يناير وأوائل فبراير عام ١٩٤٢ واسمح لى – فى البداية – أن أكتب عن الظروف التى سبقت ظلت المظاهرات : لقد كان الوفد مبعدا عن الحكم وكانت الأوضاع غير مستقرة ، فلا يمكن أن تستقر الأوضاع وحزب الغالبية مبعد عن الحكم ورغم أن أحزاب الأقلية كانت هى التى تحكم الا اننا كشباب ننتمى الى تلك الأحزاب لم نكن ملزمين أبدا برأى قادتنا من الوزراء وكان حزب الأحرار الدستوريين ، وكنت رئيسا لشبابه يستمع الى آرائنا ، وخاصة رئيس الحزب بالنيابة ، ثم رئيس الحزب فيما بعد د. محمد حسين هيكل ، بل ان السكرتير العام للحزب ، الأستاذ ابراهيم الدسوقى أباظة ، كان يربى شباب الحزب على ابراز الارادة الحرة وكان كثيرا ما ينتصر لنا ، اذا نحن أصبنا الرأى ، ولم

يكن يكتم عن شباب الحزب أى سر من أسرار السياسة اذا أحس أن الشعب ينبغى أن يلم به ٠

وكانت بريطانيا قد اتصلت ببعض المصريين وشكلت منهم لجنة لتأييد الحلفاء فى الحرب وكانت اللجنة تجتمع فى مكتب الشيخ ابراهيم جلال المحامى الشرعى ، بينما كانت موجة السخط والكراهية ، ضد قوات الاحتلال قد ملات مصر من أقصاها الى أقصاها وكانت جماهير الشعب تعتبر تأييد الاحتلال من الجرائم الكبرى وقد تألفت لجنة وطنية تضم كل الاتجاهات السياسية ، الراغبة فى التخلص من قوات الاحتلال البريطانى وكانت تلك اللجنة تجتمع فى المقر الفرعى لجمعية الشبان المسلمين فى شارع اسماعيل أباظة بالمنيرة ويشترك فى اجتماعاتها ممثلون لجميع الأحزاب والاتجاهات السياسية ، فيما عدا شباب الوفد وقد تطورت الأحداث مع بداية عام ١٩٤٢ ، لسببين : السبب الأول أن اللجنة التى شكلها الانجليز لتأييدهم ارتكبت خطأ اعلاميا ، اذ صورت حرف « ٧ » الذى كان يعتبره تشرشل علامة للنصر فى منشور وكتبت بداخله آيات قرآنية ودعاية للحلفاء وقد تم توزيع هذا المنشور يوم الجمعة ٣١ يناير فى مسجد الرفاعى ، حيث يخطب الجمعة عالم جليل ينتمى الى الحزب الوطنى وهو الشيخ محمود على وقد أطلعناه على المنشور ، وطلبنا منه أن يسمح لنا بالتعقيب عليه فأبى الا أن يقوم هو بالرد من فوق المنبر وهاجم الشيخ محمود على الانجليز وصنائعهم وعملاءهم ، وبعد الصلاة خرجت جموع المصلين فى مظاهرة شبه تلقائية ، غير منظمة وقد انضم الى المظاهرة بعض شباب الأزهر ، وتم الاتفاق يومئذ بيننا وبين بعض شباب الأزهر ، على أن تبدأ المظاهرات العامة السبت أول فبراير وكان هؤلاء الشبان من زعماء الأزهر ومن المقربين للشيخ محمد مصطفى المراغى الذى كان يؤيد الحركة أما السبب التالى فكان ازدياد المجاعة بسبب استيلاء الانجليز على القمح ومواد التموين الأخرى ٠

وفى يوم السبت أول فبراير ١٩٤٢ خرجت المظاهرات من جامعة فؤاد وتكرر خروج المظاهرات فى أيام ٢ ، ٣ ، ٤ فبراير ١٩٤٢ وفى تلك المظاهرات أو فى بعضها بمعنى أدق انطلق الهتاف الشهير الذى أعطى تلك المظاهرات الضخمة أهمية غير عادية ، انطلق هتاف : الى الأمام يا روميل ٠٠

وأنا أقرر — للتاريخ — أن البادئين بهذه الحركة والمشتركين فيها كانوا منذ البداية من أشد خصوم الوفد ولكن تشجيع الجماهير لتلك المظاهرات دفعت جميع طلبة وشباب الأحزاب الى الاشتراك فيها ٠

والذى يجدر بنا أن نذكره وان توليه أهمية بالغة فى البحث أن البوليس لم يتعرض أبدا لهذه المظاهرات بل كان يسير بجوارها لحراستها وعندما قابلنا أحمد حسنين باشا كمندوبين عن جميع المتظاهرين كان يبدو مستريحا لتلك المظاهرات وكأن الحركة قد صادفت هوى فى نفسه وقد قبض على بعد ذلك

من جانب الانجليز وأرسلت معصـــوب العينين الى تكنــات مصـــطفى باشــا بالاسكندرية وكان التحقيق يستهدف معرفة مدبرى مظاهرات : الى الأمام يا روميل. وهل للسراى أو لأحمد حسنين باشا بالذات علاقة بتلك المظاهرات ·

والذى قلته أننا لا نعلم عن وجود تدبير لتلك المظاهرات والذى تبين فيما بعد ان الجبهة المؤيدة لعلى ماهر والتجمع الوطنى لشباب الأحزاب ، وتلاميذ الشيخ المراغى من طلبته ورجال الأزهر ، وهم الذين أشعلوا هذه الحركة رغبة فى التخلص من حسين سرى العميل للانجليز وما كان أحد منا يتصور أن هذه الحركة يمكن أن تنتهى بما انتهت اليه عودة الوفد الى الحكم !

وأخيرا ، فهذا ما أســتطيع تذكره من الماضى السحيق الذى أحييته فى نفسى دراستكم عن سنوات ما قبل الثورة تلك الدراســة التى التزمتم فيها بالأمانة والصدق والحقيقة والتى من خلالها تسجلون تاريخ مصر على حقيقته ·

وشكرا للصديق العزيز : المخلص

محمد رشيد النحال ــ المحامى

● لم أجد فى الوثائق التى استطعت العثور عليها عن تلك المظاهرات الا اسمين فقط من مدبرى تلك المظاهرات هما الزميلان والصديقان محمد رشيد النحال وعبد السلام وفا ، وقد قال الأستاذ رشيد النحال كلمته وبقيت كلمة الأستاذ عبد السلام وفا وننشرها فيما يلى :

« الشاب » الذى هتف : الى الامام يا روميل يحكى للتاريخ حقيقة أحداث ٤ فبراير

لم يكن حادث ٤ فبراير وحصار الدبابات البريطانية لقصر عابدين بعد الانذار الذى وجهه السفير البريطانى ــ لورد كليرن ــ الى الملك فاروق بضرورة تولى النحاس باشا رئاسة الوزارة بالحدث الأوحد أو الأول من جانب سلطات الاحتلال البريطانى ، لولا ما اقترن به من حصار الدبابات البريطانيــة لقصر عابدين فقد اعتادت سلطات الاحتلال البريطانى ــ عبر تاريخ الاحتلال ــ على التدخل فى الشئون الداخلية لحكم مصر بما يحقق مصــالح بريطانيــا ويهدر كرامة مصر ، وطالما استجاب الملك فاروق ومن قبــله والده الملك فــؤاد الى عديد من الانذارات البريطانية ابقاء على العرش الذى كانت قوات الاحتــلال هى سنده الوحيد منذ ضرب ثورة عرابى وفرض الخــديوى توفيق على عرش مصر !!

ولكن الانـذار الأخير فى ٤ فبراير قوبل من الملك فـاروق بالاعتراض لتعارضه مع رغبته الشخصية فى كراهيته للنحاس باشا !!

ولقد كان غريبا حقا أن يدعى مؤتمر زعماء الأحزاب الذى دعا اليه الملك فاروق لمناقشة الانذار ٠ طلب السفير البريطانى بتولى النحاس باشـا رئاسة الوزارة أصر الزعماء على أن تكون وازرة ائتلافية تشترك فيها جميع الأحزاب !! وهو أمر يتأكد معه قبول الانذار ما دامت مغانم الحكم ومناصب الوزراء ستكون قسمة بينهم !!

منطق عجيب ومريب !! فالانذار كان يحمل بين طياته اهانة مصر والتدخل فى شـئونها الداخليـة وهو أمـر كمـا سبق الاشـارة اليه اعتادت عليه بريطانيا وأصبح مقبولا من الملك ومألوفا لدى الأحزاب السياسية التى كان هدفها الأول الصراع على كراسى الحكم ولو كان ذلك على حساب الشرف الوطنى أو الكرامة المصرية ٠٠ وللانذار الأخير الذى ترتب عليه حادث ٤ فبراير قصة ارتبطت بقيام الحرب العالمية التـانية وكان على رأس الوزارة فى ذلك الوقت المرحوم على ماهر باشا وخرج على الأمة بسياسته التى أعلنها وهى « تجنيب مصر ويلات الحرب » وقد لقيت هذه السياسة فى حينها تأييد الرأى العام وكان هذا التأييد يستند الى أمرين :

الأمر الأول : هو كراهية الانجليز والاحساس العميق بالمرارة التى غرستها فى قلوب المصريين أسـاليب الاستعمار البريطانى فى مصر وما ذاقه الشعب المصرى ، عبر كفاحه الطويل من ويلات الاحتـلال ، وكان شعار الشباب فى ذلك الوقت : كيف نساند من أذلونا وندافع عن الذين يحتلون أرضنا ويهدرون كرامتنـا » ٠

والأمر الثانى : ان هذه الحرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل ٠٠

ولقد كان لهذه السياسة (تجنيب مصر وبلات الحرب) وعدم استجابة وزارة على ماهر لكثير من المطالب البريطانية أثرها السىء على بريطانيا فوجهت انذارا للملك فاروق بضرورة اقالة وزارة على ماهر ، وقبل الملك الانذار وطلب من على ماهر أن يقدم استقالة الوزارة ، وكان ممكنا أن يتم الأمر باستقالة على ماهر فى كتمان وبغير ضجة !!

ولكن على ماهر فجر الموقف وألهب حماس الشباب عندما توجه الى مجلس الشيوخ والقى بيـانه التاريخى الذى جاء فيه « ان بريطانيـا قد عادت الى استعمال أساليبها العتيقة » ٠

من المؤسـف أن الملك والأحزاب قبلوا هـذا الانذار ومروا عليه مر الكرام !!

وفى هذا الوقت كان المرحوم أحمد ماهر باشا رئيس الحزب السعدى قد أعلن عن سياسة حزبه وصار يدعو الى دخول مصر الحرب بجانب بريطانيا !!

وكنت فى ذلك الوقت سكرتير عام شباب الحزب السعدى بعد أن اشتركت فيه ايمانا منى واعجابا بماضى أحمد ماهر والنقراشى فى مكافحة الاحتلال البريطانى !!

ولقد أخذتنى الدهشة واستولت على الحيرة من تناقض موقف الرجل الذى كان على رأس جماعة اليد السوداء وهى الجماعة التى عرفت باغتيال جنود الاحتلال وبين موقفه الداعى الى مساندة قوات الاحتلال !! .

وفى احدى المؤتمرات الشعبية التى كان يعقدها للدعوة لدخول مصر الحرب أعلنت معارضتى لهذه السياسة وكان معى كثير من شباب الحزب وقدمنا جميعا استقالتنا من الحزب وقد نشر هذا الخبر فى حينها بجريدة (المصرى) تحت عنوان « استقالات بالجملة من الحزب السعدى !! » .

وكان علينا كمجموعة من الشباب أن ننظم أنفسنا ، وكنا قد بهرتنا كلمات على ماهر باشا فى مجلس الشيوخ والتى أعلن فيها استقالته من الوزارة فقررنا الاتصال به واعلان مسايرتنا لموقفه ضد بريطانيا ووقع اختيار زملائى على شخص لأقوم بهذا الاتصال ..

ولما لم يكن لى بالرجل سابق معرفة فقد اتصلت به تليفونيا وقدمت له نفسى فرحب بلقائى فورا وتوجهت الى منزله بشارع محمد مظهر باشا بالزمالك واستمرت المقابلة لمدة ساعتين مضى فيهـا الرجـل يسرد مآسى الانجليز فى مرارة ، وقد بلغ به الاهتمام بمعرفة الرأى العام بحقائق ما لم ينشر وما لا يعرفه الشعب ، نتيجة لفرض الرقابة على الصحف ـ قدرا كبيرا استنتجته عندما دخل علينا محمد محمود خليل رئيس مجلس الشيوخ فى ذلك الوقت فاستأذنه فى الانتظار بالصالون الآخر حتى يتم حديثه معى وقد استمر انتظار رئيس مجلس الشيوخ ساعة كاملة !!

وتم الاتفاق فى هذا اللقاء على أن نجتمع مرة أخرى فى اليوم الثانى لهذا اللقاء ..

وفى الموعد المحدد توجهت الى منزل على ماهر باشا وقدم الى كل من صالح حرب باشا وعبد الرحمن عزام باشا ومصطفى الشوربجى بك وكان الثلاثة من الوزراء فى وزارة على ماهر المستقيلة ـ أو المقالة ـ بناء على الانذار البريطانى .

ولقد سعدت أعظم سعادة فى هذا اليوم فلكل من الرجال الثلاثة مواقف وطنية مشهورة سجلها التاريخ فى مكافحة الاستعمار البريطانى وتم فى هذا الاجتماع الاتفاق على ضرورة تعبئة الرأى العام ضد الاحتلال البريطانى ٠

ولما كان صالح حرب باشا قد تم اختياره رئيسا عاما لجمعيات الشبان المسلمين فقد وجد أن أنسب مكان لحشد أكبر تجمع وطنى هو مبنى جمعية الشبان المسلمين وفوض الحاضرون صالح باشا فى قيادة هذا التجمع ، ومنذ هذه اللحظة توطدت علاقتى بصالح باشا حرب حتى أصبحت العلاقة علاقة ابن بوالده ، وانتشرت الدعوة وأصبحت لنا قاعدة عريضة لا سيما بين شباب جامعة القاهرة وجامعة الأزهر ، وأحس أعضاء مجلس ادارة الشبان المسلمين بالاتجاه الجديد للجمعية فاستولى عليهم الفزع لتحويل أنظـــار البوليس الذى كان قد بدأ يراقب حركتنا بيقظة شـديدة ثم انتقلت اجتماعاتنا الى منزل مصطفى بك الشوربجى حيث كان يقيم فى فيلا كبيرة بجاردن سيتى وكثيرا ما كان يحضر اجتماعاتنا بمنزل مصطفى بك الشوربجى على ماهر باشا بحكم صداقته به ٠٠ وحرصا منا على راحة أسرته التى كنا نسبب لها كثيرا من الازعاج ، انتقلت اجتماعاتنا الى منزل الدكتور اسماعيل صدقى وهو من أعضاء الحزب الوطنى القدامى وكان صديقا حميما للشوربجى بك ولكن أمام التفاف أعداد كبيرة من شباب الجامعة حول حركتنا ورغبة فى العلانية وقض مضجع سلطات الاحتلال ولا سيما بعـد أن تولى حسـين باشا الوزارة وأخـذت مواقفه تنضـح فى مساندة سياسة بريطانيا عرضت على صالح باشا حرب أن تفتتح فرعا لجمعية الشبان المسلمين بالسيدة زينب تكون لنا فيه حرية الحركة بعيدا عن تسلط مجلس ادارة المركز العام للشبان المسلمين فرحب رحمه الله بالفكرة وأيدها وأجرنا فيلا بشارع اسماعيل أباظة المتفرع من شارع خيرت بالسيدة زينب وتم تأثيث الفرع من تبرعات الشباب ، وباجماع الآراء تم انتخابى رئيسا لهذا الفرع الذى كانت تعقد فيه الاجتماعات العلنية يوميا وقد حضر افتتاح هـذا الفرع على ماهر باشا وصالح حرب باشا وعبد الرحمن عزام باشا والدكتور منصور فهمى باشا ومصطفى الشوربجى بك وفى هذا الحفل أعلن على ماهر باشا عن مشروعه الاجتماعى « يوم الفقير » وكان الهدف منه مساعدة الطلبة الفقراء وسداد مصروفات تعليمهم بالجامعة والمدارس الثانوية وقد قام عبد الرحمن عزام باشا بالوساطة لدى صديقه سعيد لطفى باشا مدير الاذاعة فى ذلك الوقت لكى يسمح بالقاء بيان للدعوة الى هذا المشروع وشرح أهدافه واستجاب سعيد لطفى باشا وألقيت هذا البيان من الاذاعة المصرية ٠

ثم دعا على ماهر باشا الى حفلة شاى أقيمت بمنزله بالزمالك حضرها كبار الشخصيات فى ذلك الوقت وعرض على الحاضرين فكرة المشروع وقد بلغت جملة التبرعات التى أمكن جمعها فى هذه الحفلة أكثر من خمسين ألف جنيه وتشكل للمشروع مجلس ادارة برئاسـة على ماهر باشا واختير عبد السـلام الشاذلى باشا أمينا للصندوق !

وقد أفزع هذا المشروع الخيرى الاجتماعى السفارة البريطانية واعتبرته تجمعا سياسيا قويا ضد بريطانيا تحت شعار العمل الاجتماعى .

وانتهى الأمر بأن أصدر حسين سرى باشا بصفته الحاكم العسكرى العام بمقتضى قانون الأحكام العرفية قرارا بحل مجلس ادارة المشروع ومصادرة الأموال التى جمعت لحسابه !!

وتوالت الأحداث وطالب الانجليز باعتقال على ماهر ، وصالح حرب وحاول على ماهر أن يحتمى بمجلس الشيوخ بعد أن تمكن بطريقة ما من الوصول الى مبنى المجلس ، وتدخل رئيس مجلس الشيوخ وبعض أعضاء المجلس وتوصلوا مع رئيس الوزراء الى الاكتفاء بتحديد اقامة على ماهر باشا بعزبته بالقصر الأخضر وتحديد اقامة صالح حرب باشا بمنزله بأسوان .

كانت هذه التصرفات من جانب حسين سرى باشا ايذانا باعلان الحرب عليه وتكثيف الحملة ضده ، فقد تصادف أن دعا حزب الأحرار الدستوريين الى الاحتفال بذكرى محمد محمود باشا رئيس الحزب السابق بدار الأوبرا الملكية وعرف أن حسين سرى باشا رئيس الوزراء سيلقى خطابا فى هذه الذكرى وفى خلال علاقتى الشخصية بالمرحوم ابراهيم دسوقى أباظة باشا سكرتير عام حزب الأحرار استطعت الحصول منه على ٥٠٠ تذكرة وامتلأت قاعة الاحتفال بشباب الجامعة الذين حصلوا على تذاكر الدعوة ، وكان قد تم الاتفاق بينى وبين هؤلاء الشباب على أنه بمجرد ارتقاء حسين سرى باشا لمنصة الخطابة أن تدوى القاعة بالهتاف بسقوطه .. وفعلا ما أن بدأ سرى باشا فى القاء خطابه حتى كانت الهتافات تتصاعد كدوى القنابل « يسقط سرى رمز المجاعة — على ماهر رجل الساعة — يسقط سرى حذاء الانجليز .

وساد الهرج وما أن بدأ الاحتفال حتى انتهى !!

وكان هذا هو أول مسمار فى نعش وزارة حسين سرى حيث كان الاحتفال تحت الرعاية الملكية وكان المرحوم أحمد حسانين باشا رئيس الديوان الملكى مندوبا عن الملك ونقل اليه صورة لما حدث .

كنت فى ذلك الوقت موظفا بمصلحة الضرائب التابعة لوزارة المالية وكان حسين سرى باشا وزيرا للمالية الى جانب رئاسته للوزارة فأصدر من فوره قرارا بنقلى الى مأمورية ضرائب قنا على أن أنفذ النقل فى أقل من ٢٤ ساعة » .

وكان الرد أن قدمت له استقالة — ما زالت بملف خدمتى بمصلحة الضرائب — جاء فيها أننى أرفض النقل الذى أوحى حقد رئيس الوزراء على شخص لصدارتى لحركة عامة فى سبيل الله وعزة الأوطان وتحديته فيها بقولى : أننى باق بالقاهرة لأواصل كفاحى من أجل مصر ، واختتمتها بقولى : تريدون اطفاء نور الله ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون !!

ثم توجهت للجامعة فى اليوم التالى وأخذت أرتب مع مجموعاتنا المنتشرة فى كافة الكليات وخرجنا بأضخم مظاهرة شعبية شهدتها مصر حيث كان قد تم التنسيق مع طلاب الأزهر والتقى الجمعان فى ميدان سرى وتردد الهتاف المشهور (الى الأمام يا روميل) بدافع من الحقد على الانجليز ورغبـــة فى الخـلاص من احتــلالهم !!

وقبل أن يقدم حسين سرى استقالته كان قد تلقى من السفير البريطانى خطاباً يقول فيه :

عزيزى رئيس الوزراء

بناء على طلب الجنرال ولسن القائد العام للقوات البريطانية فى الشرق الأوسط ، نطلب اليكم اعتقـال المدعو « عبد السلام وفا » لخطورته على أمن الامبراطورية وسلامتها !! » .

وأذعن حسين سرى لطلب السفير البريطانى وكان آخر قرار وقعه على ورقة رسمية هو قرار اعتقالى !!

وتم القبض على عصر يوم ٤ فبراير بواسطة رجال البوليس السياسى وقبل حصار الدبابات البريطانيـة لقصر عابدين بساعات ، ثم أودعت سجن الأجانب بالقاهرة ثم نقلت الى معتقل الزيتون تم الى معتقل سجن الأجانب ببورسعيد ثم معتقل ماقوسه بالمنيا وقد أمضيت فى الاعتقال فى ظل وزارة الوفد ــ التى تولت الحكم بعـد استقالة وزارة حسين سرى ــ عامين ونصف عام ، وكان من المقرر أن أبقى بالمعتقل حتى تنتهى الحرب فقد كان ذلك هو رأى السلطات البريطانية بالنسبة للمعتقلين بناء على طلبها !!

الا أنه حدث أن تعرضت وأنا فى معتقل ماقوسة الى نزيف دموى من المعدة كاد يودى بحياتى لولا شهامة وشجاعة وانسانية المناضل الوطنى العظيم اليوزباشى أنور السادات الذى شرفنا بزمالته فى المعتقل ، فقد أصر على أن يصحبنى فى سيارة الاسعاف الى مستشفى المنيا حتى يراقب عملية اسعافى قبل ان تتناولنى يد الاهمال وتم تحت اشرافه عملية نقل الدم التى ردت الى الحيـاه ..

وبعد فترة من العلاج طلبت مستشفى المنيا نقلى الى احدى مستشفيات القاهرة حيث تتوافر وسائل العلاج وانتهى الأمر بأن طالبت مستشفى القصر العينى بضرورة الافراج عنى لاعتبارات صحية ولكن الحكومة قررت نقلى الى مستشفى الدمرداش التى قررت هى الأخرى ضرورة الأفراج عنى لنفس الأسباب وتجاهلت الحكومة هذه القرارات الصادرة من جهتين طبيتين على أعلى مستوى

رسمى ، واستطعت الحصول على صور هذه التقارير الطبية وأرسلتها الى زعيم المعارضـــة بمجلس النــواب ــ فى ذلك الوقت ــ المرحوم دســوقى أباظة باشا الذى قدّم استجوابا للحكومة مطالبا بضرورة الافراج عنى وفى مهلة الأربعين يوما المحددة لنظر الاستجواب استطاعت الحكومة أن تحصل على موافقة السفارة البريطانية بالافراج عنى وأصبح الاستجواب البرلمانى غير ذات موضوع » ٠

« عبد السلام وفـا »

رسالتان : من مجهول

السيد/ صبرى أبو المجد

بعد التحية فقد لاحظت بحق انك قد دأبت فى المدة الأخيرة على سرد التاريخ بطريقة غير أمينة بقصد النيل من أشخاص عرفوا بوطنيتهم ٠

وأثناء علاجك لموضوع ٤ فبراير حاولت النيل م ن وطنية مصطفى النحاس مع أنه لولا قبول النحاس تشكيل الوزارة لأعلن الانجليز الحماية على مصر مع ما يصاحب هذا من نتائج لا يعرف مداها غير الله وحده !!!

والانجليز لهم عذرهم فى اصرارهم على النحاس بالذات ليكون رئيســا للوزارة لأنهم كانوا محتاجين لوزارة قوية تستند على قاعدة شعبية عريضة فى وقت كانت فيه قوات الحلفاء مقبلة على معركة العلمين التى ستقرر مصيرهم ، كما أنهم محتاجون لرجل سياسى محنك كمصطفى النحاس وضع مصيره الى جانب قضية الديمقراطية وليس جاسوسا عليها للمحور كأمثال على ماهر ومن كان يدور فى فلكه من رجال السراى ٠٠ ؟

فالوقت كان عصيبا أمام الانجليز لا خيار أمامهم غير مصطفى النحاس ٠

أما أن النحاس لم يقبل تشكيل وزارة ائتلافيـــة فهذا يرجع لحرصـه الشديد على وحدة الوزارة التى يشكلها خصوصا اذا علم أنها قد قاست الكثير من الحكومات الائتلافية ، والجميع يعرف أن أحزاب الأقلية كان همها الأول اذا دخلوا فى وزارة ائتلافية بزعامة مصطفى النحاس هو تقويض هذه الوزارة واظهار النحاس بالفشل والجهل والغباء فضلا عن الوقيعة برجال الوفد !! ٠

فمسألة أنه تمسك بوزارة وفدية فهذا حقه ولا يمكن المناقشة فيه ٠

●● لم أحاول مرة واحدة فى حياتى النيل من وطنية مصطفى النحاس فوطنية مصطفى النحاس فوق الشبهات ولكن المسألة مسألة اختلاف فى وجهة النظر ؟ ص ٠ ا ٠

السيد / صبرى أبو المجد

بعد التحية ، قرأت ما كتبتموه عن اعتقال على ماهر وبالرجوع لأقوال حسن صبرى باشا وحسين سرى باشا ومصطفى النحاس باشا صح ما قلته لك فى خطابى السابق من أن اعتقال على ماهر كان بسبب **ألاعيبه الدنيئة وتجسسه لحساب المحور** فى وقت كنا فيه جميعا ندافع مع الحلفاء عن الديمقراطية ٠

فموقف على ماهر **ومن كان يلوذ به من رجال السراى** أمر كان معروفا لدينا نحن شباب هذا العصر وكهول اليوم ، كانوا محل سخطنا واحتقارنا ٠ ماذا كانوا يريدون ٠٠٠ أيريدون احلال محتل بدل محتل آخر !!!!

نتيجة لهذا فان قبول مصطفى النحاس باشا للحكم فى ٤ فبراير هو عمل وطنى كبير ، **لأنه بهذا القبول استطاع النحاس باشا أن يقضى على أمرين كلاهما مر :**

الأول : لأنه فوت على الانجليز اعلان الحماية على مصر فى حالة عدم تشكيل الوزارة فى ٤ فبراير ٠

الثانى : لأنه فوت على الخونة من المصريين ضرب الديمقراطية باتصالهم بالمحور ٠

فكيف يقال بعد ذلك أن مصطفى النحاس كان خائنا لوطنه عندما شكل وزارة وفدية يوم ٤ فبراير ١٩٤٢ ؟؟

لا تشوشوا عقول الشباب بتلك التعليقات المسمومة والتى الغرض منها قلب الحقائق ٠

يجب أن نكون أمناء عن كتابة التاريخ فلا نحرف ولا ٠٠٠

أن صور الزعماء التى تنشر مع المقال تهز مشاعرى كثيرا وتذكرنى بأقدار هؤلاء الرجال من أمثال مصطفى النحاس ، ومكرم ، وهيكل ، وأحمد ماهر ، والنقراشى ، وابراهيم عبد الهادى وغيرهم وكلما قارنت بين رجال السياسة فى الماضى ورجال السياسة الآن تحسرت واكتفيت بالقول ٠٠ لا حول ولا قوة الا بالله ٠٠٠ يعطى من يشاء بغير حساب !!

والســــلام ٠٠

١٩٨١/٥/٢٢

المحامى العجوز
ع٠م٠أ
من الأفنديات

● مرة أخرى لم أشكك أبدا فى وطنية مصطفى النحاس ولا أسمح لأحد أن يشكك فيها فهو ـ مصطفى النحاس ـ زعيم وطنى شجاع نختلف معه ولكن اختلافنا معه لا يمنع من تقديرنا له واعترافنا بوطنيته ٠٠ (ص ١) ٠

صـواريخ

صباح الخير

صديقى وزميلى « صبرى أبو المجد » ـ رئيس تحرير « المصـور » ـ وواضح أنه بانت له مواهب هائلة من المنابرة والتنقيب فى مجاهل الأرشيف للتاريخ المصرى القريب ! ‥ ولا أظن أننى أستمتع بفصول اسبوعية بمثل تلك الحصلة من الصفحات التى يكتبها تحت عنوان « سنوات ما قبل الثورة » ، ويطعمها بغريب الصور من مثلا « كرش فاروق بالمايوه والشفاه الجليلة تهبط بالقبلات على يده البضة اللحمية » ! ‥ أو ب « النحاس باشا زعيم البلاد نائم وعصاباته تتدلى على كنبة رصيف محطة بنى سويف » ! ‥ أو بهذا العته الطاعن « ولى العهد » وهو مطهم الصدر بفاحش النياشين وطربوشه مائع كالقلع ! ‥ أو بصورة لذيذة أخرى من فائقة الحسن « نسل شاه » و « هان زادة » والأميره تحفة والنبيلة كهرمان ! أو هذه السكسونية الفاتنة الحادة « ليدى لامبسون » وهى تتعلق بذراع زوجها ضخم الجثة ـ المندوب السامى ـ وكأنها يمامة شقراء على جذع شجرة جميز !

فصول شيقة مصورة وما زالت طازجة الطبع فلقطاتها قريبة جدا ولا بد أنها تخطف الدهشة والاستغراب من أجيال مصر الجديدة ، وتأخذهم الى طلاسم وأساطير ألف ليلة ، بل تتوه بهم أحيانا فى دياجير العتمة والظلمة والحيرة التعسة من تلك الحقبة من حياة آبائهم وأجدادهم والذين بعضهم بل كثيرهم ما زال يعيش ‥ حرمانهم من حقائقها ومعالمها وخباياها ، بينما أحداثها ما زالت تصب فى دمائهم ووجدانهم ! ‥ وأتصور أن ما يكتبه « صبرى » ليس الا مجرد اغراء « عينات » تسحث ان نجرد كنوز المخازن العديدة منها ‥ كنوز تاريخ طبعا ، فانها مرحلة آخر ملك ، وآخر استعمار ، وآخر اقطاع ، وآخر خواجة وباشا وصاحب عزة ! ٠ وأتمنى والله وقد انقرض المؤرخون من حياتنا فماذا نقول الا ان نسعى بمثل عزيزنا صبرى الصحفى الاسبوعى ‥ نجلسه على المقعد الذى يتوق فى أعماقه ومنذ زمان لو يجلس عليه ‥ بمقعد « الرافعى المؤرخ المصرى الأعظم » ‥ ومهما تلقق عليه فهو ليس بالمهيأ له ، فمعلش وليعوضها بحيوية منابرته واخلاص حقره وصدق نبشه ! ٠

ابراهيم الورداني

صلاح الشاهد : يؤدى شهادته

أخى الأستاذ الكبير صبرى أبو المجد

تحيــــة وتقـــدير وبعـــد ..

حين نسرد هذه المرحلة السياسية نرى لزاما علينا القول ان أحمد حسنين باشا رئيس الديوان كان يتعجل رئاسة الوزارة بعد ان أبعد عنها على ماهر باشا وبعد وفاة المرحوم محمد محمود باشا . وانه فى سبيل غايته فى الرئاسة ملأ فكر الملك فاروق بأن النحاس باشا قد أضعف سلطان الملك .

وتحدثت الوثائق التى نشرت أخيرا عن تشكيل وزارة فى ابريل سنة ١٩٤٤ ولم توافق عليها الحكومة البريطانية . وقد كان المرحوم مكرم عبيد باشا بعمل يوحى من أحمد حسنين باشا ـ واستطاع أحمد حسنين باشا أن يقنع الملك بأن النحاس باشـا لو رفض قبول الوزارة لما اسـتطاع الانجليز الاعتداء على مصر .

ويرى المرحوم الأستاذ محمود سليمان غنـام باشا انه برغم أن أمين عثمان باشا كان يتدخل كثيرا بين النحاس باشا والسفارة البريطانية وما قيل من ان النحاس باشا كان متصلا بحادث ٤ فبراير قبل الانذار البريطانى فان ظواهر الأمر وسفر النحاس باشا الى أسوان تدل على أنه فوجىء بتطور الأحداث . ولقد امتاز النحاس باشا بالصدق ولو على نفسه .

ويأسف غنام باشا لأن مكرم باشا الذى كان يقدس النحاس باشا ورافقه أحداث ٤ فبراير ، لما خرج عليه وأسس الكتلة الوفدية تناقلت الأنباء ان كامل اسحق عضو مجلس النواب عن نجع حمادى أبلغ مكرم باشا ان النحاس باشا قد تباحث مع شخصية انجليزية قبل الأحداث فى أسوان . وان مكرم باشا ارتاح الى هذه الشائعات وروجها مع حسنين باشا انتقاما من النحاس باشا الذى احتضن الأستاذ فؤاد سراج الدين باشا .

ولاحظ النحاس باشا فى وزارة ١٩٤٢ ان مكرم عبيد باشا وزير المالية كثيرا ما ينفذ رغبات القصر الملكى مما يدخل فى اختصاصه من غير تشاور أو اعلام النحاس باشا وحدثه فى الأمر ، وتكرر التنبيه بأن يطلعه على الرغبـات الملكية قبل تنفيذها للتفاهم بشأنها أو على الأقل للعلم بها .

وظهرت عند مكرم باشا نغمة لم يشهدها النحاس باشا من قبل . فقد كان رده ان هذه الرغبات من اختصاص وزير المالية وحده ، وبدأ الشقاق وازداد حتى خرج مكرم باشا وأصدر الكتاب الأسود .

وكنت مع صديقى المرحوم محمود شوقى مدير مكتب النحاس باشا وابن شقيقه ـ نتردد كثيرا على صديق يقطن فيلا بكوبرى القبة بشارع سليم الأول وكان يشاركنا فى هذه الزيارات زميل لنا كان يرأس مكتب الشكاوى بالرئاسة وتصادف ذات يوم ان سبقنا الى هذه الزيارة حيث آخرنا عطل فى السيارة وكان قد سبقنا رجال البوليس الى الفيلا واعتقلوا زميلنا الأستاذ عبد الوهاب البنا رئيس مكتب الشكاوى ومعه مظروف به بعض الأوراق الرسمية الخاصة برئيس الحكومة وعلمنا فيما بعد أن الكتاب الأسود كان يوزع فى « اشولة » من حجرة فى الفيلا ولم تنفع شفاعة محمود شوقى لدى خاله لاقناعه ببراءة رئيس مكتب الشكاوى وبقى معتقلا .. حتى أقيل مصطفى النحاس باشـــا فى ٨ أكتـــوبر ١٩٤٤ . وجاء مكرم باشا وزيرا للمـــالية من المعتقل ليفرج فورا عن زميلنا ويصبح من الرجال الذين راعهم بالترقية الاستثنائية والعلاوات وكان متعه الله بالصحة من أكثر الناس ولاءا للنحاس باشا وأود أن أذكر أن كل ما تناوله الكتاب الأسود عن استقلال مالى لم يتجاوز عشرة آلاف جنيه .

وقص على المرحوم محمود سليمان غنام باشا انه يرى أن صدور الكتاب الاسود كان بتحريض من أحمد حسنين باشا وان الأستاذ المرحوم أحمد التابعى تناول الموضوع فى كتابه مشيرا الى توجيهات الملك وحسنين باشا بعد سوء التفاهم الذى ساد بين القصر والوزارة بعد ٤ فبراير .

ورئى النيل من أحمد حسنين باشا بطريقة أو بأخرى وتقدم أحد النواب الوفديين بسؤال فى مجلس النواب عن دين مطلوب من أحمـــد حسنين باشا لوزارة المعارف التى يتولاها نجيب الهلالى باشا وأعلن الوزير فى مجلس النواب ان أحمد حسنين باشا كلف مدرسة الصناعات الزخرفية فى بولاق بصناعة طقم خشبى لمنزله ولم يدفع الثمن برغم مضى وقت طويل على تسلمه وضبج حسنين باشا من علانية هذا الموضوع واثارته فى البرلمان . ثم وسع حسنين باشا من أساليبه السياسية فكان وهو رئيس الديوان الملكى يجرى اتصالات مع معارضى الحكومة الوفدية .

وقال انه سمع من الأستاذ فايق قصبجى الذى شارك فى توزيع الكتاب الأسود ان توزيعه كان يتم بوساطة سيارات الجيش بأمر من الفريق ابراهيم عطا الله رئيس الأركان وبتوجيـــه ملكى .. وان مكرم باشا انقلب على القصر لأنه لم يعين رئيسا للوزارة ولم يحظ حزب الكتلة بالعدد المناسب فى انتخابات ١٩٤٥ التى أعقبت اقالة وزارة النحاس وحل مجلس النواب الوفدى وغدا مكرم باشا ينشر فى الكتلة بقلم (حكيم) كلاما فيه غمز ولمز للملك فســـاءت علاقته بالملك وحسنين باشا .

وقد أخذت الوزارة الوفدية تبحث عن المكان الذى طبع فيه الكتاب الاسود وكان النحاس باشا وزيرا للداخلية ومحمود غزالى بك مديرا للأمن العام الذى

لم يصل لسبب أو لآخر لمعرفة المكان فانتدب النحاس باشا عبد الفتاح الطويل باشا بصفة غير رسمية لينوب عنه فى وزارة الداخلية . ويستطرد غنام باشا قائلا بعد تعيينه وكيلا برلمانيا لوزارة الداخلية جاءنى ذات يوم أحد الشبان ليخبرنى أن شخصا فى بنى سويف - أعور - وأخاه اسمه كمال وهو طبيب قد توليا طبع الكتاب الاسود فذهبت الى عبد الفتاح الطويل باشا وأحضرنا محمود غزالى لمناقشته فيما وصلنا من معلومات قد توصلنا الى مفتاح الحقيقة ، ثم أحضر الاميرالاى المرحوم محمد يوسف من القلم السياسى وتحرينا عن هذه المعلومات فأفاد ان الكتاب الاسود طبع فى بيت نجيب ابراهيم باشا فى حدائق القبة وقد وصلوا فعلا الى المكان والشخص .

تعددت الأسباب التى دعت الى خروج مكرم باشا من الوفد ومن الوزارة . ولقد اشتعلت نار الخصومة الحادة التى خاض غمارها دون هوادة ، بل دون مراعاة واجب الزمالة التى ربطته بصديق العمر مصطفى النحاس منذ فجر الحركة الوطنية سنة ١٩١٩ .

وأرى أن الأسباب ترجع الى :

١ - ان مكرم باشا قد اعتاد أن يلعب دور المستشار الأول والأوحد لمصطفى النحاس باشا طوال الفترة من ١٩٢٧ - ١٩٤٢ ولم يكن هناك راد لكلمته أو مشيئته ولانزاع ان مكرم باشا كان كفئا وذكيا ووطنيا وعبقريا من الطراز الأول ولكنه كان أيضا شخصا يريد السيطرة ولا يرضى المشاركة فى النفوذ ومن هنا كانت نقطة الضعف فيه كأن انسان آخر معجب بذاته عن حق وبتقديس هذه الذات ، لذلك فقد أغضب الجميع .

٢ - رأى النحاس باشا أن لا يغضب باقى أعضاء الوفد وبخاصة بعد انفصال أحمد ماهر باشا والنقراشى باشا وكانا وطنيين كبيرين وقد سبق لهما ان اشتكيا من تسلط مكرم باشا وتكونت رواسب لدى مكرم باشا وحاول البعض تنقية الجو بينه وبين مصطفى النحاس ولكنه كان لا يفتأ أن يعود الى سيرته الأولى من اغضاب باقى أعضاء الوفد .

٣ - ان مكرم باشا قابل الملك بناء على دعوة منه دون ان يستأذن النحاس باشا مخالفا بذلك التقاليد .

٤ - ان القصر وخاصة أحمد حسنين باشا قد استغل نقاط الضعف فى مكرم باشا استغلالا كبيرا .

وكان مكرم باشا رحمه الله كالنار لا يبقى ولا يذر ، فاستجاب لدسائس القصر وخرج عن الصداقة التى امتدت منذ ١٩١٩ بل ان مكرم باشا كان يستجيب لمطالب القصر الملكى التى تدخل فى اختصاص وزير المالية .

رحم الله مكرم باشا .. لقد كان وطنيا مخلصا ولكنه كان انسانا جبل على طبيعة الانسان بما فيها من نواحي الضعف والقوة .

لقد أدرك مكرم باشا هذه الزلة بعد أن تعاون مع حسنين باشا وأحزاب الأقلية سنوات ، وعندما توفى المرحوم صبرى أبو علم باشا سكرتير الوفد المصرى الذى خلف مكرم باشا ، شوهد مكرم باشا يقبل النحاس باشا فى سرادق العزاء .

فهل كان مكرم باشا يأمل ان تعود العلاقات بينه وبين النحاس باشا ويعود سكرتيرا عاما للوفد ؟

وقد اشتهر مكرم باشا انه قال

لقد أقمت هذا النظام وعلى ان أهدمه .

وصل الخلاف بين القصر والوزارة الى ان النحاس باشا لم يتوجه مع وزارته الى القصاصين لتهنئة الملك بنجاته ولم يكن مصطفى النحاس باشا هو البادىء فى هذا المجال ، بل ان مصطفى النحاس اعترض على منح مدير الشرقية رتبة البكوية لأن منح الرتب انما تتقدم الحكومة بطلبه من جلالة الملك لا أن يمنحه هو ولو بنطق ملكى .

صلاح الشاهد

مجلس الوزراء الوفدى قرر خلع الملك فاروق

صبرى أبو المجد

تحية طيبة وبعد

● قرأت كل ما كتبت عن « سنوات ما قبل الثورة » وكنت سعيدا لأن عشت هذه السنوات وكنت مع القمم السياسية فى مصر منذ أكثر من خمسة وثلاثين عاما ولقد عاصرت الرئيس الراحل مصطفى النحاس منذ عام ١٩٣٥ وعشت معه كل هذه السنين واستمرت العلاقة الأبوية مع النحاس باشا رحمه الله حتى ولى الحكم يوم ٤ فبراير ١٩٤٢ وأصدر قرارا بتعيينى فى الحكومة .

ولقد كتب الكثيرون عن أحداث ٤ فبراير وتناولتها وثائق وزارة الخارجية البريطانية التى أعلنت رسائل السفير البريطانى الى حكومته .

ولن نتوسع كثيرا فى هذا الميدان ، ولكن واجبنا كمراقبين ومطلعين على صور الأحداث فى مصادرها يدعونا الى القول بأن الملك فاروق كان ألمانى النزعة يعلن ذلك فى مجالسه الخاصة وتصل أخباره الى السفارة البريطانية ، وكان الملك فاروق يشارك من قلبه شعبه فى كراهية الاحتلال الانجليزى وكانت له اتصالاته الخاصة مع المحور ، حتى ان السلطات العسكرية البريطانية استولت على القصر الملكى فى رأس التين بدعوى ان اتصالات خاصة كانت تتم منه فى الليل .

وقد روى لنا الأستاذ الحسينى زعلوك — وكان وثيق الصلة بالنحاس باشا — ان النقاط الهامة فى الخطاب الذى أعلن فيه النحاس باشا فى رأس البر فى صيف ١٩٤١ ان الانجليز يستغلون قوت الشعب المصرى حين يستولون على أقطانه بالسعر المنخفض الذى كان سائدا وكانت الخطبة متفقا عليها بين أحمد حسنين باشا — رئيس الديوان الملكى وبين النحاس باشا — بواسطة الأستاذ الحسينى .

هل أتحدث عن بعد نظر النحاس باشا ، وهو الذى أعلنت وثائق الخارجية البريطانية أخيرا أنه تنبه الى اخطار انشاء دولة صهيونية فى فلسطين عام ١٩٣٧ .

وهل أقول — وهو قول حق ، كررته الوثائق — ان جميع من عملوا فى المجال السياسى والحكومى كانوا يتلقون توجيهات السفارة البريطانية ومن قبلها دار المندوب السامى بصورة أو بأخرى . ؟

وانه كان لكل رأيه السياسى فى المفاوضات والمراحل ، أو الجلاء الناجز برا وبحرا وجوا كما أصر المرحوم « صاحب الدولة » أحمد نجيب الهلالى باشا لقد أدرك النحاس باشا برصيده السياسى ان قرار الحكومة البريطانية قد استقر على عزل الملك فاروق .

وكثيرا ما سمعت النحاس باشا يفتخر بالدستور وأن الوفد المصرى هو حامى الدستور فى دولة ملكية دستورية ، أقسم دولته يمين الولاء والطاعة لهذا الدستور .

وقد فسر النحاس باشا قبوله لوزارة فبراير ١٩٤٢ فى خطابه يوم ١٣ نوفمبر سنة ١٩٤٥ وفى أثناء رئاسة المرحوم النقراشى باشا للوزارة وقال : انه ضحى يوم ٤ فبراير بقبوله رئاسة الوزارة بعد الانذار البريطانى وأنه قدم التضحية راضيا ليجنب البلاد هزة كبرى بعزل الملك فاروق . ونشب خلاف بين الملك فاروق ووالدته فى أثناء رئاسة النحاس للوزارة سنة ١٩٤٢ وذلك بسبب علاقة الملكة نازلى مع أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكى حينذاك

وقد هجرت الملكة القاهرة الى القدس ونزلت بفندق الملك داود حيث نما الى علم الملك فاروق بعض التصرفات غير اللائقة بها ، فاستدعى الملك النحاس باشا وبلغه قائلا له أن والدتى تحبك وتحب زينب هانم وأرجو أن تسافر لاحضارها وبالفعل سافر النحاس باشا وقرينته الى القدس حيث نزلا بالفندق لمدة أسبوع والتقى بالملكة وحاول اقناعها بالعودة ولكنها اشترطت أن تستقبل فى محطة مصر استقبالا رسميا فوافق النحاس على ذلك ثم طلبت أن يكون الملك نفسه على رصيف المحطة فى استقبالها ووعدها النحاس باشا بذلك فقالت له « هل تضمن ذلك ؟ » فقال لها : « اذا رفض فأخبرك تليفونيا » وأسرع النحاس باشا والسيدة قرينته عائدين الى القاهرة ثم قابل الملك وروى له ما حدث فأصر الملك على الا يذهب الى المحطة وانه يكفى للاستقبال الرسميون وتشريفة من الحرس الملكى .

وحاول النحاس باشا اقناع الملك بأساليب مختلفة ، ولما رأى اصراره على موقفه قال له « اذا كنت تريد سماع نصيحتى فسأتصل بها تليفونيا وأبلغها بالموقف حسب وعدى لها وهذا ليس لأجل خاطرى ولكن لأجل خاطرها وخاصة وانها أمك » .

فنزل الملك عند رأى النحاس باشا الذى اتصل بالملكة تليفونيا وبلغها بالموافقة على طلبها وعادت الى القاهرة وكان الملك على رأس الاستقبال الرسمى .

واذا كان قد بدأ فى السطور السابقة دفاع عن سياسة المرحوم النحاس باشا مع الملك فاروق ـ رحمة الله عليه ـ وحرص النحاس على الا تتعرض البلاد لهزات فى رمزها الأعلى ، فان مباذل الملك فاروق وسهراته التى شاعت فى مصر وخارجها وأسلوبه فى معاملة زعيم الشعب ذى الكفاح والتاريخ الوطنى الطويل حتى وصل الحال الى أن أمر الملك بألا يرافقه النحاس باشا فى السيارة الملكية فى بعض الاحتفالات الدينية ، وهى من المراسيم التى جرى العمل بها من قديم وظهر ان الملك وحاشيته وفى مقدمتهم المرحوم أحمد حسنين باشا سائرون فى سياسة غير وطنية وغير كريمة بحيث أصبح رمز البلاد مضغة فى الأفواه ورأى كبار الوفديين عزل الملك عن العرش ، وعرض الأمر على مجلس الوزراء ، فأقر هذا الاتجاه وعهد الى المرحوم أحمد نجيب الهلالى باشا بأن يصوغ بأسلوبه الدقيق العميق مبررات خلع الملك قاعد بيانا وسلمه الى الأستاذ محمود سليمان غنام باشا وزير التجارة الذى ذهب الى مكتبه فأغلقه عليه وحده وأخذ فى تبييض مسودة نجيب باشا .

ولما انتهى من ذلك ذهب الى منزل النحاس حيث كان الوزراء لا يزالون موجودين وتم توقيعهم جميعا على البيان كقرار صادر من مجلس الوزراء بخلع الملك فاروق واعلان الجمهورية .

ويبدو أن هذا القرار كانت فيه جوانب المناورة ، فقـــد كان الشائع وقتذاك ١٩٤٣ ان فرقا خاصة من ضباط الجيش قد انضمت للاعتداء على النحاس باشا ووزرائه انتقاما من قبوله رئاسة الوزراء فى ٤ فبراير وان حسنين باشا كان وراء هذه التنظيمات وكان الملك يرتاح لهذا الاسلوب من السياسة ٠

على انه بعد أيام توجه المرحوم عبد الحميد عبد الحق باشا الى المنزل وبلغه ان قرار عزل الملك فاروق قد نما الى علم السفارة البريطانية وانها تشجع هذا الاتجاه وان عبد الحق باشا علم بذلك من أمين عثمان باشا ٠

عندئذ طلب النحاس باشا مسودة القرار التى كتبها الهلالى باشا وأشرف على حرقها فى دورة المياه ٠

أما قرار مجلس الوزراء المكتوب بخط غنام باشا فقد أبقاه عنده ٠

وقد بذلت جهدا للبحث عن هذا القرار وعلمت انه لم يكن ضمن الأوراق التى تركها النحاس باشا ومنها بعض مذكراته ومذكرات المغفور له الزعيم سعد زغلول ٠

وانه قد جرى مثل هذا البحث بوساطة فؤاد سراج الدين باشا وأحمد حمزة باشا وغنام باشا وابراهيم فرج باشا والدكتور محمد محفوظ بك طبيب العيون والأستاذ محمود شوقى ابن شقيقة النحاس باشا ٠٠٠ ولم يعثر أحد على القرار ٠

صلاح الشاهد

★ نشكر للأستاذ صلاح الشاهد رسالته ، وصدقه فى كل ما يرويه فما عهدناه الا صادقا وأمينا وما يقوله الأستاذ صلاح فيما يتعلق بعزم حكومة الوفد عام ١٩٤٣ على عزل فاروق من الأمور الهامة التى لم أسمع عنها الا بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ولذلك يسعدنا ونحن نكتب للتاريخ ان نتلقى ممن لا يزالون ، على قيد الحياة ــ أطال الله حياتهم ــ ممن كانوا فى وزارة الوفد عام ١٩٤٣ ما يؤيد كلام الأستاذ صلاح الشاهد أو ينفيه ٠

كما أننا نتحفظ على كثير مما قاله الأستاذ صلاح الشاهد فى رسالتيه ٠

ص ٠ أ

حول مظاهرات « الى الامام يا روميل »

الأخ العزيز ، والصديق الفاضل الأستاذ صبرى أبو المجد

تحية طيبة وبعد :

كتاباتك عن سنوات ما قبل الثورة سجل تاريخى وطنى يتنبعه ويقرؤه بامعان وفهم عميق الملايين من جيلنا المعاصر ، وأيضا الجيل الصاعد فهى سجل صادق ، ومفتوح للمؤرخين والذين صنعوا الأحداث أو شاركوا أو عاصروا الأحداث ولقد أثرنا ــ أخى التوأم ، وأنا ــ السكوت واكتفينا بمتابعة ما يسجله البعض من مواقف وطنية زائفة وأخرى رائعة وقد عاصرنا الكثير منها من موقع صنع الأحداث ومحور النشاط الوطنى للشباب حينئذ فقد كان أحدنا سكرتيرا عاما منتخبا للشباب الوفدى ــ حزب الغالبية الساحقة فيما قبل الثورة ــ وذلك بعد مشاركتنا الفعالة فى جميع المواقف السياسية منذ عام ١٩٣٥ .

والذى نريد أن نقوله رداً على تساؤلك الخاص بالمظاهرات ، التى انطلقت فى الأيام الأربعة الأولى من فبراير ١٩٤٢ ، ان الشعب فى تلك الفترة كان ساخطا للغاية على الانجليز والملك والأحزاب وكان يتعاطف مع الوفد لأنه بعيد عن الحكم ، ونفوذ الحكم ، وقد انفجرت بعض المظاهرات تعبيرا عن حالة السخط تلك خاصة بعد ان استشرى الغلاء واستولى الانجليز على محاصيل البلاد ، وفى تلك المظاهرات ، البريئة كان يندس بعض العناصر التى لا تعرف هويتها أو هدفها كان من بينهـا أولئك الذين هتفوا : « الى الأمام يا روميل » ولم نكن حقيقة نعرف فى البداية ما المقصود من ذلك الهتاف : أكان من أجل ايجاد مبرر لتدخل انجليزى حاسم ، أو لأسباب أخرى لم نعرفها ــ وقتئذ جيدا ــ على أية حال فالذى نستطيع أن نؤكده لكم ان الشباب الوفدى برىء تماما من المشاركة أو حتى العلم بمن دبروا تلك المظاهرة ، التى اتخذت شعارا لها : الى الأمام يا روميل ، بل لقد كان شعورنا وشعور الشباب الوطنى عامة ضد هذا الهتاف ، وقد تحفزنا ، لمقاومة المظاهرات الشبيهة بتلك الظاهرة ، غير أنها لم تتكرر فيما بعد والذى نؤكده لك أيضا أن البوليس كان يحمى تلك المظاهرات .

وسوف نوافيك فى القريب العاجل بالكثير مما لدينا من معلومات عما كان يجرى فى تلك الفترة الحرجة من أحداث .

ولك شكرنا وتقديرنا

مهندس حسين كامل

سكرتير عام لجان الشباب الوفدى سابقا

مهندس محمد كامل

وما رأى أحمد حسين ؟

السيد الأستاذ صبرى أبو المجد

رئيس تحرير مجلة المصور

تحية طيبة وبعد ..

أتابع منذ شهور سلسلة كتاباتك عن حادث ٤ فبراير مقدرا تماما الجهد الكبير المبذول فيها – الا انني – كمواطن عادى عاصر تلك الأحداث – أرجو أن تفسح مكانا فى هذه الكتابات عن مدى القهر والاذلال الذى عومل به الوفد خلال تلك الحقبة بانتزاع حقه الطبيعى والقانونى فى تولى السلطة واعطائها للأقليات المتطاولة زمنا طال جدا ..

وتذكرون سيادتكم انه خلال الحرب العالمية تحالف تشرشل مع الروس بقوله المشهور أنه يتحالف مع الشيطان لكسب الحرب ، ومن ثم فان وجهات نظر كثيرة لا تحمل الوفد الاثم اذا هو توصل لحقوقه بعد قيامه بعمل اجراءات اعتبرت كافية جدا لتمهد عودته للحكم فى ظروف شديدة القسوة يجب تصورها ووضعها فى الحسبان ونحن نتكلم « هذين اليومين » براحتنا فى ظروف وأجواء هادئة .

وأرجو فى هذا المجال استكمال حلقات ٤ فبراير بالحصـول على رأى الأستاذ أحمد حسين زعيم مصر الفتاة حيث سبق أن قرأت له مقالا كبيرا نشر بالجرائد يقف فيه فى صف الوفد فى تلك الأزمة ومن الضرورى جدا استكمال الحلقات بهـا .

وفقكم الله
وأشكركم ..

توفيق عبد الهادى
مواطن معاصر

● لعل الأستاذ أحمد حسين يوافينا بوجهة نظره الآن فى أحداث ٤ فبراير ١٩٤٢ كما يطلب الأخ الأستاذ توفيق عبد الهادى خاصة واننا نعرف انه كان للأستاذ أحمد حسين رأى سابق فى وزارة النحاس باشا نشر فى الصحف وقتئذ .

أجل وقفت الى جوار الوفد فى حادث ٤ فبراير

● لفتت ابنتى « احسان أحمد حسين » المحررة بدار الهلال نظرى الى دعوة كريمة من الأخ الوطنى المجاهد « صبرى أبو المجد » لكى أكتب عن موقفى ابان حادث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ وذلك بناء على طلب أحد قرائه الأفاضل « توفيق عبد الهادى » وأقول لفتت نظرى لأن مرض الشلل الذى يفترسنى منذ أكثر من عشر سنوات ، بات يعجزنى عن متابعة ما ينشر .

ولما كان الله سبحانه وتعالى قد حفظ لى عقلى « بنعمة منه » فهأنذا ألبى الرغبة الكريمة شاكرا لكل من أتاح لى فرصة الحديث عن موضوع كنت أتوق للتحدث فيه .

تأييدى للوفد

فقد وقفت الى جوار الوفد فى حادث ٤ فبراير وأذكر اننى لم أحزن على أمر قمت به كما حزنت لهذا التأييد الذى أفقدنى وقتها فريقا من خاصة اخوانى وزملائى فى الجهاد ، أما اليوم وبعد هذا العمر الطويل وبعد أن تكشف من الأحداث ما تكشف فانى أنظر الى موقفى باغتباط ورضاء وانه كان التصرف « الموضوعى » الجدير بمجاهد يؤمن بالدستور والديمقراطية وسيادة القانون .

كان تدخل الانجليز مع الدستور

لكى نعترض على أى اجراء « فضلا عن أن نعتبره من الوطنية أو غير الوطنية ، يجب أن نتساءل ، هل هو حق أم باطل ، فما الذى طلبه الانجليز فى ٤ فبراير ، انهم طلبوا أن يشكل النحاس باعتباره زعيم الأغلبية الوزارة ، وهذا مطلب دستورى ديمقراطى وعادل ، فلا يقبله أى باطل ولا يقال أنه ضد الدستور وضد الديمقراطية ، أن يكون الانجليز هم الذين طالبوا به ، وانما يجب أن يقع اللوم ، كل اللوم ، على من وقف فى طريق الدستور وأعمال الديمقراطية وارادة الشعب فمكن للانجليز بأن يقوموا بهذا العمل ، الذى وان بدا اعتداء على الملك ، ولكنه كان يظاهر الشعب والأغلبية البرلمانية .

أحمد ماهر يتخبط

لقد تخبط أحمد ماهر ليلتها تخبطا عجيبا ، فقد كان هو الذى قال ان مصطفى النحاس يلى الوزارة على أسنة حراب الانجليز ، وفى ذات الوقت كان يلح على النحاس ان يؤلف وزارة قومية ، فلما رفض النحاس وأصر على استعمال حقه الدستورى والقانونى ، أصبح عمله « خيانة وطنية » وقد كان هذا يكون مفهوما ، لو ان الانجليز طالبوا بتأليف وزارة وفدية برئاسة مصطفى النحاس

فيكون تأليف الوزارة القومية هو تمرد على طلب الانجليز ، ولكن ذلك لم يكن واقع الحال ، بل لقد طالب الانجليز أن يشكل مصطفى النحاس الحكومة ، أى حكومة فكان عجبا من أعجب العجب ، آنه عندما يؤلف النحاس الوزارة وفيها أحمد ماهر واسماعيل صدقى وحلمى عيسى ، يكون العمل وطنيا ، أما اذا شكلها بدون هؤلاء ، يكون الأمر « خيانة » ٠

لقد كان هذا تخبطا ما بعده تخبط كما يبدو لى اليوم وبعد هذا العمر الطويل ، أما فى وقتها فلم تكن هذه المعلومات أمامى ، عندما أيدت مصطفى النحاس ، فقد كنت معتقلا أنا واخوانى من أبناء مصر الفتاة ، وكانت الأخبار تصلنا من خلال الاعتقال ، ولقد عقدنا العزم عندما وافتنا أنباء محاصرة الانجليز لقصر عابدين على القيام بثورة ضد الانجليز ، ونسلحنا رغم قلة عددنا بما استطعنا تدبيره وكانت خطتنا تبدأ بالاستيلاء على أسلحة المعتقل ، ثم نقتحم المعتقل منادين بالثورة ، فلما علمنا فى الليل المتأخر بأن الأزمة قد حلت ، وان الدبابات الانجليزية قد انسحبت بعد أن شكل مصطفى النحاس الوزارة ، تنفسنا الصعداء لانتهاء هذه المغامرة ٠

والدرس الذى يجب أن نقف أمامه جميعا من حادث ٤ فبراير ، هو أن يعتبر الحاكم ، أى حاكم أن قوته الكبرى وخط دفاعه الأول والأخير هو فى أعمال الدستور نصا وروحا والأخذ دائما بالشرعية الدستورية والا عرض نفسه وبلاده لأشد الأخطار ٠

من المعارضة الى التأييد

أما عن موقفى وموقف زملائى المعتقلين وعلى رأسهم الأستاذ محمد صبيح فأحمد الله أن مواقفى كانت من أجل الله والوطن ، فقد كنا معارضين بشدة وعنف ضد مصطفى النحاس ، فلما أن أصبح الأمر دستورا أو لا دستور ، فقد وقفنا الى جوار الدستور ، ولم يخيفنا ان ذلك يقلبنا من معارضين الى مؤيدين فى موقف من أخطر المواقف ٠

احمد حسين

عودة الى الحديث عن ٤ فبراير ١٩٤٢

● الأخ الصديق الأستاذ صبرى أبو المجد أصدق الود وبعد ، فكل الذى تنشر توثيقا لحائر التاريخ هو ـ دون ملق غير متحقق بيننا أصلا ـ خير أداء لفرض عين فى ذمتكم وتخفيف لفروض أعين فى ذمم الكثيرين ممن عاشوا ذلك التاريخ أو بعضه ٠

وأصدقك عندما أقول انه كثيرا ما يأخذ هنا الذى تبذلون فكر أو جهدا من الالتفات الى ما يكون فى الذاكرة من اضافة اتصلت بالأحداث وقفيت ٠٠ أما

لأنها دارت بين اثنين فحسب • وكتماها حتى أتى عليها الموت أو عفا النسيان أو لأنها تحققت ولم تنشر في حينها ان عمدا أو عفوا ، أو لأنها ساعة وقوعها لم تكن تقرع الانتباه • فلما دارت الأيام ربطت بينها وبين سواها أو تمت ترجمتها في ضوء الأحداث فباتت تقرع كل انتباه •

وحتى أتخفف من بعض ما نحمل ذمتي ــ وأن أزمعت لو أذن الرحمن أن أعالج هذا في المجموعة الثانية من « لو تكلمت الجدران » ــ فانى لأستميح أن أسوق بمناسبة ما نشرتموه عن « المعارضة بين الحدود والضوابط » وبعض ما ورد في « سنوات ما قبل الثورة » •• وما كتب الزميل العزيز الأستاذ أحمد حسين أكرم الرحمن جهده وجهاده •

ففى الموضوع الأول ذكرتم ان مصطفى النحاس استعمل أو أساء رخصته قائما على الرقابة فرفض نشر العريضة التي وجهها قادة المعارضة وقتئذ الى الملك يصارحونه فيها بما آلت اليه أمور البلاد ، وانه لما نشرت النص احدى الصحف قامت الحكومة بمصادرة نسخ الصحيفة • وجاء القضاء يثبت قرار المصادرة •

والواقعة أن كان هذا الذى تقدم هو جماع صورتها • فمن تفصيلها ان النص لم يسمح بنشرة اطلاقا ، فلما حاولت النشر • صحيفة ــ وكانت ان اسعفتنى ذاكرتى ــ السياسة أو البلاغ ــ وتحايلت على الرقيب المقيم حتى تم اعداد العريضة ــ صف حروفها ــ وتحديد موقعها من الصحيفة أفاق الرقيب فأمر برفعها ، فلما كان ذلك ترك القائمون على النشر المكان من الصحيفة خاليا • وليفهم الناس •

وصدرت الصحيفة ــ وقد تحدثت عنها في احدى حلقات « لو تكلمت الجدران » التى يتفضل المصور بنشرها وكانت الحلقة تحت عنوان بيضاء من غير سوء » ومما رصدته مضابط القضاء طلب الحكومة تثبيت المصادرة لوجود المساحة البيضاء التى لها دلالتها بعد أن تردد أمر عريضة قادة المعارضة بين الناس •

صادرتها وعرضتها على القضاء فثبت المصادرة •• وتصادف ان القاضى الذى حل محل صاحب الدور والذى فصل في المصادرة كان لصيق القرابة لأحد أقطاب الوفد « عبد اللطيف محمود » •

مجرد مصادفة •

وعن الموضوع الثانى •• الخروج الجماعى الأول لأعضاء من الوفد عام ١٩٣٥ وما أطلق على الأعضاء ــ السبعة ونصف ــ أذكر ان الذى أطلق هذه التسمية هى أحزاب المعارضة وفى مقدمتها الأحرار الدستوريين • وقيل في

تعليلها ان النصف يرمز الى قصر على الشمسى باشا ، وقيل بأن أحد الثمانية كان فى خارج البلاد فزعم الوفد أن هذا ـ الواحد ـ باق فى عصبته لم ينشق مع المنشقين وزعم المنشقون ان هذا الواحد منهم . وظل الأمر فترة فنصف بعض رجال المعارضة ذلك « الواحد » نصفين لكل فريق نصف فبات السبعة المتيقن انشقاقهم سبعة ونصفا .

وصارت مثلا .

وأستميح فى شأن هذه العريضة أن أخرج هونا على موضوع التعليق فأذكر أن تلك العريضة وما حوت ومنعها من النشر كان مقدمة لتفكير دار بين حافظ رمضان باشا وبينى حول وجوب تبصير الشعب عن طريق المنشورات السرية التى بدأت بتفصيل ما أشارت اليه العريضة سواء فى شأن الملك وتصرفاته أو الحكومة وعثراتها .. فصدرت مجموعة متوالية من هذه المنشورات تحت عنوان .. ان الرواية لم تتم فصولا .. وكان أخرها فى الأشهر الأولى من عام ١٩٥٢ وأذكر من مقدمتها الأبيات التى تنبه الى ما سيؤدى اليه استشراء أفعال البرامكة فى الحكم ومطلعها :

أرى خلل الرمـاد وميض نار ويوشـك أن يكون له ضرام

وأذكر من ختامهـا .. ان الذى يجرى فى البـلاد لا يشرف حاكمـا ولا محكوما ، وبين المقدمة والختام النداء بأن الأمل فى تصحيح الأوضاع وانقاذ البلاد بات معقودا على ثورة الشعب .

أما فى شأن الزميل الكبير الأستاذ أحمد حسين من قوله فى تسويغ دفاعه عن تأييده وأبنـاء مصر الفتـاة تصرف مصطفى النحاس حيال انذار ٤ فبراير .. « فى ذات الوقت كان يلح على النحاس ـ أحمد ماهر ـ أن يؤلف وزارة قومية فلما رفض النحاس وأصر على استعمال حقه الدستورى والقانونى أصبح عمله خيانة وطنية وقد كان هذا يكون مفهوما لو ان الانجليز طالبوا بتأليف وزارة وفدية برئاسة مصطفى النحاس فيكون تأليف الوزارة القومية هو تمرد على طلب الانجليز ، ولكن ذلك لم يكن واقع الحال ، بل لقد طلب الانجليز أن يشكل مصطفى النحاس الحكومة » .

ولقد شاءت الظروف أن أعيش أحداث يوم ٤ فبراير ١٩٤٢ عن قرب حيث كان حافظ رمضان بمكتبى قبل أن يتوجه الى سراى عابدين وكنت فى انتظاره بمنزله حتى عاد .. ومنه وفى حين الأحداث سمعت التفاصيل ..

ومن بين هذه التفاصيل ـ الأمر ـ البريطانى وأن طلب النحاس رئيس الوفد رئيسا للوزارة من مضمونه ومؤداه على ما كشفت مناقشة المجتمعين ومنهم النحاس وبلا اختلاف فى الرأى أن الوزارة المطلوبة وزارة وفدية ـ لحما ودما ـ

ولذا عرض أحمد ماهر أن تكون الوزارة قومية حتى لا يكون التصرف خضوعا بقبول الانذار البريطانى كما .. « نزل » فلما أصر النحاس على رفض الوزارة القومية اقترح حافظ رمضـــان حلا أن تكون الوزارة وفدية وأن تضم وزيرا واحدا فحسب من غير الوفد لتحقيق معنى بعض حرية الارادة .

وأصر حافظ رمضان على أن يسطر اقتراحه ــ بالمحضر ــ وسطر .. وهو فى منطق الأمور اقتراح لا يكون الا لعلة وهى التحلل هونا من املاء الانذار البريطانى مما ينال من حديث الزميل الكبير .

أخى صبرى :

أعود فأشكر لك فضل ما تنشر مما تتلقى وما تصحح .. وأمل أن تسعفنى ظروفى فالحق بهامش ركبك يوم تتحدث الجدران عن الذكريات السياسية بعد أن أفرغ وتفرغ من الحديث عن الذكريات القضائية .

« المخلص »
على منصور المحامى

أسرار خطيرة تذاع لأول مرة

الأستاذ صبرى أبو المجد

تحية طيبة وبعد ..

أبعث اليك ببعض ذكرياتى عن حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ وما أعقبه من أحداث ، اذ كنت وقتئذ ضابطا بالبوليس السياسى :

أذكر ــ مثلا ــ أن الملك فاروق ، عندما طلب من النحاس باشا أن يتوجه الى السفارة البريطانية لتبليغها بخبر تكليفه بتشكيل الوزارة كان الملك يسخر من النحاس باشا ولا شىء غير السخرية !

وقد قال بعض الوفديين ان النحاس باشـــا لم يكن على علم ، أو على اتفاق مع السفير البريطانى بما سيحدث ، وهذا غير مقبول ، بل غير معقول ، اذ كيف يتسنى للسفير البريطانى أن يتخذ كل هذه التدابير الحربية وفى هذا الوقت الذى يتسم بالدقة والحساسية ، وكيف يتسنى للسفير البريطانى أن يدخل فى كل تلك التحديات ضد القصر من أجل أن يشكل النحاس باشـــا الوزارة دون أن يكون المطلوب منه تشكيل الوزارة وأن يكون على معرفة ، أو على علم بما سيحدث ! ودون أن يكون متأكدا مسبقا من أن النحاس باشا سوف يقبل الوزارة ، ولو فرضنا أن النحاس باشا رفض التدخل البريطانى فأى حرج كان سيقع فيه السفير البريطانى ، والحكومة البريطانية .

وأذكر ، أننى فى شهر مارس ١٩٤٢ ، سافرت فى مأمورية خاصة بالأمن العام ، الى العراق ، ولما علم نورى السعيد رئيس الوزارة العراقية بوجودى ، استدعانى الى مكتبه وطلب منى أن أشرح له كل التفصيلات واستمع منى الى آراء السياسيين المصريين ، والى رأى النحاس باشا و ٠٠ و ٠٠

وأذكر أن نورى السعيد قال لى ان النحاس باشا لم يكن موفقا ، وكان الواجب عليه بعد أن تحرجت الأمور الى هذا الحد ، أن يؤلف وزارة قومية ، وأن يعمل على أن تقف مصر كلها ، تحت قيادته ، كتلة واحدة ، وصفا واحدا ، ولو أن النحاس باشا فعل ذلك - كما قال نورى السعيد - لازداد مركزه قوة ، ولأصبح مؤيدا من الشعب ، ومن الملك ، ومن الانجليز أيضا !

وكنتيجة لحادث ٤ فبراير بدأ فاروق يتجه نحو العرب :

كان انتونى ايدن وزير الخارجية البريطانية قد صرح بأن الحكومة البريطانية تنظر بعين العطف نحو أية حركة من العرب تهدف الى تعزيز الوحدة الثقافية والاقتصادية والسياسية فيما بينهم ، غير أن مثل هذه الحركة لا بد وأن يقوم بخطوتها الأولى العرب أنفسهم ، وحاول نورى السعيد ، أن يتبنى وبسرعة دعوة أنتونى ايدن فأصدر تعليماته الى سفيره بمصر المرحوم تحسين العسكرى أن يجس نبض حكومة النحاس باشا ، وقد استشارنى السفير فى كيفية مفاتحة النحاس باشا فى الأمر ، وخشى ألا ينجح فى مسعاه خصوصا وأن النحاس باشا يعرف نورى السعيد ، فأشرت على تحسين العسكرى أن يجتمع بأحد الوزراء الوفديين المقربين الى النحاس باشا ، ويتذاكر معه الموضوع ، ويقوم الوزير بتهيئة الجو عند النحاس باشا ، وفعلا اجتمع السفير بالمرحوم محمود سليمان غنام فى منزلى بضاحية مصر الجديدة ، وبعد ذلك تمت مقابلة السفير للنحاس باشا وتطور الموضوع وألقى النحاس باشا بالتصريح التالى فى مجلس الشيوخ :

منذ أعلن المستر ايدن تصريحه قمت بالتفكير فى الموضوع طويلا ورأيت أن الطريقة المثلى التى يمكن أن توصل الى غاية مرضية هى أن تتناول الحكومات العربية فى هذا الموضوع وقد انتهيت من دراستى الى أنه يحسن بالحكومة المصرية أن تبادر باتخاذ خطوات رسمية فى هذا السبيل باستطلاع آراء الحكومات العربية المختلفة فيما ترمى اليه من آمال ثم تبذل الحكومة المصرية جهودها فى التوفيق والتقريب بين آراء مختلف الحكومات العربية ما استطاعت الى ذلك سبيلا ٠ ثم تدعوهم جميعا الى مصر فى اجتماع ودى لهذا الغرض حتى يبدأ السعى للوحدة العربية من جبهة متحدة بالفعل - فاذا تم التفاهم أو كاد وجب أن يعقد فى مصر مؤتمر برئاسة رئيس الحكومة المصرية لاكمال البحث واتخاذ اللازم القرارات حتى تتحقق الأغراض التى تنشدها الأمة العربية » ٠

ولم يكن الملك عبد العزيز مرحبا بفكرة انشاء الجامعة العربية فى بادىء الأمر لأن الاقتراح جاء من الانجليز وهو ما يثير الشك فى نواياهم وان النحاس باشا ونورى باشا يعتبران فى هذا الوقت من أعوان الانجليز .

وسافر الملك فاروق فى رحلة خاصة الى البحر الأحمر ونزل على الشاطىء السعودى ، وما ان علم الملك عبد العزيز بوجـود الملك فاروق على الأراضى السعودية حتى هب الى لقائه وأقام مدينة الخيام ونحرت الذبائح واحتفى به الملك عبد العزيز حفاوة كبرى وقبل الملك عبد العزيز أن يشترك فى الجامعة العربية وتبعه امام اليمن وقد توطدت العلاقة الطيبة بين العاهلين وانتهى المطاف بالاتصالات التى دارت بين القاهرة وبين عواصم الدول العربية بالاتفاق على عقد مؤتمر الاسكندرية الذى انتهى فى أكتوبر سنة ١٩٤٤ ببرتوكول أطلق عليه اسم بروتوكول الاسكندرية بمقتضاه أعلنت الدول العربية اتفاقها على التعاون والتضامن فى نطاق منظمة رسمية تحمل اسم جامعة الدول العربية وكانت الجامعة عند نشأتها مكونة من مصر والسعودية وسوريا ولبنان والعراق والأردن واليمن وكان مندوب اليمن يحضر الاجتماعات بصفة مستمع وهـذه الدول التى كانت قد نالت استقلالها حتى ذلك الوقت .

وقد انتهز الملك فاروق فرصة انتخاب فخامة شكرى القوتلى رئيسـا للجمهورية فى سـوريا وأرسل بعثة ملكية سافرت سرا الى سـوريا لتهنئة فخامته وكانت البعثة برئاسة الفريق عمر فتحى وعضوية البكباشى محمـد حلمى حسين من الحاشية الملكية وكنت أنا العضو الثالث ، وقد سافرت البعثة سرا دون علم الحكومة اذ خشى الملك أن تعترض الحكومة المصرية على أرسال البعثة وقد استقبلت البعثة استقبالا حارا .

وسأوافيك بذكرياتى عن تلك المرحلة الهامة من مراحل التاريخ المصرى

محمد يوسف

وكيل الأمن العام ومدير الشئون العربية السابق

وموفد فاروق الى الملوك والرؤساء العرب

صفحة مجهولة يزيح عنها الستار

مستشار ســـابق

« صبرى أبو المجد »

أتابع ما تنشرونــه عن ســنوات ما قبـل الثورة وكيـف حاصر الجيش البريطانى فى ٤ ــ ٢ ــ ١٩٤٢ قصر عابدين بالدبابات ليفرض على الملك وزارة النحاس باشا وقلتم ان الجريمة بدأت من تلك السنة وانتهت فى ٨ أكتوبر سنة ١٩٤٤ ٠ حركت هذه الحوادث فى خاطرى ذكريات أخرى عن هذه الفترة وهى اصابة الملك فى حادث القصاصين يوم ١٥ نوفمبر سنة ١٩٤٣ وما أحاط به من ملابســات حين كان الملك يقول فى طلب التحقيق « لا » وتقول الوزارة « نعم ويجب التحقيق » مما يدل على أن الخصومة بقيت بعد ٤ فبراير ٠

ولأنى درجت على أن أحتفظ بملف لكل فترة من فترات عملى فى النيابة وفى القضاء وحتى المناصب القضائية فى ديوان الوزارة التى كنت أعود اليها فى عهود مختلفة ٠ لذلك رجعت الى ملف الفترة التى توليت فيها رياسة نيابة الزقازيق حيث توجد صورة تقرير عن حادث القصاصين الذى طلبه النائب العام الطوير باشا لعرضه على مجلس الوزراء ٠

علمت بالحادث حول الغروب وهو ان الملك كان فى ســيارة قاصــدا الاسماعيلية فاصطدم بسيارة عسكرية فادى التصادم الى اصابته فنقلته القوات البريطانية الى أحد المستشفيات العسكرية فرأيت من الواجب أن أنتقل ولو لم أخطر بالحادث رسميا وكان بصحبتى المرحوم عبد القادر عودة وكيل النيابة العسكرية وهو ممن كانوا محل تقدير وربما يتذكر القارىء صلته بالاخوان المسلمين وأنه ممن نفذت فيهم أحكام الاعــدام قبل ثورة التصحيح ، كمــا استصحبت رئيس المباحث ومساعد الحكمدار ٠

ولما أن وصلنا الى القصاصين أصغيت الى النشرة الطبية يمليهــا كبير الأمناء تليفونيا لتذاع بوسائل الاعلام ٠ ووجدت الملك على سرير فى « خيمة » صغيرة وببابهــا حسنين باشا رئيس الديوان فأبديت شعورى نحو الحادث واستاذنت فى التحقيق فوعد بالعرض على الملك ٠

بعد ذلك سمعت شائعة تردد وهى أن الملك كان فى طريقه الى الاسماعيلية على موعد مع سيدة نمسوية كانت تنتظره فى باخرة بالاسماعيلية وهى شائعة لا أعرف نصيبها من الصحة الى الآن ٠

توافد كثيرون من القاهرة بينهم بعض الوزراء والتقيت بوزير الداخلية الذى تمسك بضرورة التحقيق رغما عما وعدنا به حسنين باشا ، ثم استدعى مدير مرور القاهرة وكلفه بأن يستجيب لكل ما تطلبه النيابة من اجراءات ، وبعد انصرافه ظل الحاضرون من وزارة الداخلية يلحون فى أن تقوم النيابة ولو بالمعاينة فأجبت أن المعاينة انما هى من اجراءات التحقيق • حاولت الاتصال ليلا بالنائب العام تليفونيا فلم أوفق •

وأخيرا نظرت الى واجب النيابة نظرة موضوعية وقلت فى نفس وتساءلت عن نتائج التحقيق وهل تحرى الحقيقة فى الحادث يكون لصالح العدالة أو لخدمة أهداف سياسية ذلك لأن الخطأ أن كان من جانب الملك فانه هو نفسه المجنى عليه والمتهم ، هذا فوق المقرر بوجه عام فى العرف والقانون لصالح رئيس الدولة لا سيما فى القانون الانجليزى الذى يقول « ان الملك لا يخطىء » ، وان كان التحقيق لمجرد اثبات الشائعة فان الضمير القضائى لا يجوز تسخيره فى خدمة الأغراض السياسية •

وأما اذا كان التحقيق سوف يثبت الخطأ على قائد السيارة العسكرية فان القضاء المصرى لم يكن يملك محاكمته وان أرسل اليهم ملف التحقيق فلن يكون له أى وزن ولهم على أحسن الفروض أن يقوموا بالتحقيق مرة أخرى •

وأخيرا أمضيت الليل داخل المستشفى على سرير من أسرة الجرحى وبكرت فى الصباح واستعلمت من حسنين باشا عما تم فأجاب انه لم يتمكن من استئذان جلالته •

ثم قابلنى ضابط الاتصال بين الحكومة المصرية والجيش البريطانى وأبدى استعداده لاحضار السيارة العسكرية فطلبت اليه بدلا من ذلك أن يصل ما بينى وبين النائب العام عبر خط التليفون الخاص بالجيش البريطانى فاستجاب وأرشدنى اليه وتبين أن الطوير باشا فوجىء بما بلغته به وأبدى الاهتمام البالغ واقتنع بسلامة تصرفاتنا وطلب موافاته بما يتم •

بقيت فى القصاصين طوال اليوم والملك الجريح يرقد داخل الخيمة ويقوم بالحراسة جنديان على مدخلها من جنودهم كل منهما على جواد وكان الأربعة كأنهم تماثيل لا تتحرك بأى كلمة ولا تبدى أى اشارة •

ولما أن اقترب الغروب قصدت الى حسنين باشا للمرة الثالثة فأجاب بأنه لم يتمكن بعد ولكن من رأيه تأجيل التحقيق فأدركت من هذه الاجابة أن التحقيق مرفوض لأن الاجابة كانت بالأسلوب الدبلوماسى • فعدت الى الزقازيق وأعدت الاتصال بالنائب العام تليفونيا فعجب مما سمعه من أن التحقيق مستمر طوال اليوم وكلفنى بالتبكير فى الحضور الى القاهرة صباحا ومعى تقرير عن هذه الوقائع لعرضه على مجلس الوزراء فنفذت طلبه وسلمته اليه •

وأخيرا ولعل فى هذا التقرير ما يكشف النقاب عن نموذج مما كان بين القصر ووزارة النحاس باشا بعد حادث أربعة فبراير سنة ١٩٤٢ ٠

المستشار على عرفه

رئيس سابق محكمة الاستئناف

● نشكر السيد المستشار على عرفة اهتمامه الشديد لما ينشر عن سنوات ما قبل الثورة وقد سبق لسيادته أن عقب على أحد الموضوعات ونشرنا له تعقيبه، أما بخصوص الموضوع الذى أزاح عنه الستار المستشار على عرفه ، فاننا نكون سعداء للغاية ، لو أن سيادته وافانا بكل ما لديه من تفصيلات حيث أن الموضوع الذى طرقه لم يسبق لأحد ممن كانوا فى موقع المسئولية وقتئذ — أن طرقه ٠

وكانت رسالة أخرى من المستشار السابق على عرفة :

السيد الأستاذ الكبير / صبرى أبو المجد

● تؤرخون لسنوات ما قبل الثورة وكذلك تنشرون ما يرد عليكم فى هذا الخصوص فلكم الفضل المضاعف وعلينا الشكر الجزيل ٠

أما من الصفحة المجهولة التى قلتم اننى رفعت عنها الستار وهى الخلاف على التحقيق عند اصابة الملك فى حادث القصاصين حيث كان يسير فى طريقه الى الاسماعيلية فاصطدمت سيارته حوالى الساعة ٤ مساء بسيارة عسكرية للجيش البريطانى كانت تتجه الى ثكنات الجيش فى الصحراء المقابلة لترعة الاسماعيلية وما ترتب على هذا الحادث من خلاف بين القصر ووزارة النحاس باشا على قيام النيابة بالتحقيق أو عدم قيامها به مما كان يرسم صورة من صور الخصومة بين الطرفين ظهرت بعد حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ حين فرض الانجليز على الملك تأليف وزارة النحاس ٠

ومع اعتزازى بتقديركم للكلمة التى أوجزت فيها ملابسات الحادث فانى أشعر معكم أنه كان يعوزها شىء من التفصيل ، ومن ثم أقول انى لم أتلق اخطارا رسميا ، ومع ذلك رأيت من واجبى — والنيابة المسئولة عن التحقيق — أن أنتقل اليه وهناك رأيت المدير ووكيل المديرية والحكمدار الذين كانوا قد سبقونى ، وحينما رأيت الغموض يحيط بالحادث لم أنتظر تحريات الجهة الادارية بل آثرت ان أتلقى الرأى فى التحقيق من المنبع نفسه وكان ذلك قبل أن يحضر أحد من أعضاء الوزارة وقبل أن ينبت الخلاف على التحقيق ٠

قابلت رئيس الديوان الملكى ثلاث مرات فى خلال ٢٤ ساعة أما عن وزير الداخلية فانى لم التق به الا بعد منتصف الليل حين كان يلح على فى القيام بالتحقيق مع تأجيل المعاينة الى الصباح وفى هذا اللقاء برز الخلاف على التحقيق بين القصر والوزارة ، وأكد ذلك الرأى الذى أبداه رئيس الديوان فى اليوم التالى ٠

وبعرض التقرير الذى طلبه النائب العام على مجلس الوزراء أسدل الستار على الحادث فلا عهد الى النائب العـام بالتحقيق ولا ارســل من القاهرة من يقول به فى القصاصين ٠

أما الملك نفسه فرغما عما ثبت من الكشف عليه بالأشعة من وجود شرخ بسيط فى عظم الحرقفة ووجود رضوض فى اجزاء أخرى من الجسم ورغما عما رآه الأطباء من امكان نقله الى القاهرة فقد آثر البقاء هناك بضعة ايام تحت العلاج قبل عودته من القصاصين ٠

وأما ما حدث لى بعد ذلك فلم أتعرض له لأنــه مرتبــط بشـــخصى فاغفلت ذكره ٠

كان من رأى بعض الزملاء أن من يتحدى الوزارة « يرشح للاحالة الى المعاش » ولكنى نجوت ولله الحمد من هذا الجزاء بجزاء أخف ٠

وفى غير التعرض للنظام القضائى فى الوقت الحاضر أقول أنه لم يكن قبل الثورة فى كل محكمة الا رئيس واحد فى الدرجة الأولى أو فى الثانية ٠ وكذلك كان الحال بالنسبة لرؤساء النيابة الذين كانوا مساوين لوكلاء المحاكم فى الدرجة المالية ٠ كنت أسير ولله الحمد فى طريق كان يرضى ضميرى ، أنتقل من منصب الى آخر فى دورى الطبيعى دون أى اســتثناء وفى حدود القواعد المالية ٠

وفى خصوص نيابة الزقازيق كان النائب العام يطلب القضايا من واقع الكشوف ما يلفت نظره خصوصا المحفوظ منها لعدم الأهمية كما كانت ترسل اليه صور الملاحظات السرية التى كانت ترسل الى أعضاء النيابة فلم يعترض على شىء ، بل بالعكس كنت أعتز بتقديره وكان يعد بأننى سوف أرقى فى أول حركة بأقدميتى ٠ هذا الرجل حسبه أن يكون محل ثقة السيد الرئيس فقد عينه عضوا فى مجلس الشورى الحالى بعد مرور كل هذه السنوات وقد بقى فيه الى ان لقى ربه منذ بضعة أشهر ٠

رغما عن هذا فقد فوجئت عند اعــلان الحركة القضائيــة وبعد الحادث ببضعة أشهر بتعيينى وكيل محكمة فى جهة أخرى وكانت مساوية لدرجتى مع تفويت حقى فى الترقية بالأقدمية ، قابلت وزير العدل متسائلا عن هذا

الوضع فوعد بتدارك الأمر فى حركة مقبلة • وعلى ذلك رقيت فى وقت لاحق الى وكيل محكمة الاسكندرية الكلية ومنها الى رئيس محكمة أسيوط الكلية فيما بعد •

لا أسترسل فيما يختص بشخصى وأعود الى الحديث الأصلى عن الملك الذى ظلت الشائعات تدور حول سلوكه الشخصى قبل ثورة يوليو وبعدها الى أن منحوه لقب « الملك الفاسد » ، أعود الى الحديث الأصلى لأتحدث عن شهادة شاهد محايد له مكانته •

كنت فى أسيوط فى أواسط الأربعينات أشغل استراحة الرى مع الدكتور ولسون وهو طبيب أمريكى من كبار الأطباء أوفدته حكومته الى مصر ليكافح بعوضة الجامبيا فى الصعيد ، نشأت بينى وبين الرجل صلة ودية فرأيته ذات ليلة عائدا من القاهرة الى الاستراحة مرهق الجسم ويشكو السهر طوال الليلة السابقة ويقول أنه كان يشهد حفلة ساهرة بقصر الأميرة شويكار « مقر مجلس الوزراء الآن » فلم ينصرف الا بعد انصراف الملك عند طلوع النهار • أصغيت اليه وهو يتحدث عن الملك خلال هذه الساعات الطوال فذكر أشياء غير تلك التى كنا نسمعها وقتئذ عن الملك •

المستشار حلمى عرفه

الكتاب الاسود طبع فى بيتى

بقلم : فائق القصبجى

الأستاذ صبرى أبو المجد

● تعليقا على ما نشرتموه ــ عن سنوات ما قبل الثورة ــ كلمة للسيد صلاح الشاهد التشريفاتى السابق لرئاسة مجلس الوزراء ، نسب فيها الى كلاما غير صحيح ، ويؤسفنى أن تكون معرفتى بسيادتكم عن طريق هذا الموضوع الشائك الذى أجد نفسى مضطرا للكتابة فيه ، وضعا للأمور ، فى نصابها !

يهمنى أن أؤكد لسيادتكم ، ان علاقتى بالمرحـوم محمود سليمان غنام باشا لم تكن بالدرجة التى تسمح لى بمصارحته ، بذلك الكلام المنسوب الى والذى لا يخرج عن كونه خيالا غـير حقيقى فالمجاهد ، الكبير مكرم عبيد ، رئيس حزب الكتلة الوفدية المستقلة لم يكن يدور بخلده فى يوم من الأيام ، أن يكون رئيسا للوزارة للعديد من الأسباب من بينها انه كان رئيس حزب من أحزاب الأقلية وذلك رغم شعبية مكرم عبيد باشـا ، التى لم يكن يضارعه فيها زعيم من الزعماء واننى لأذكر انه عقب اغتيال الزعيم الطاهر أحمد ماهر ، اجتمع الملك بزعماء الأحزاب التى كانت مشتركة فى الحكم وقتئذ ، وقال الملك بصريح العبارة فى سراى عابدين لمكرم وللنقراشى : الدور عليك يا مكرم ، ومع الثقة فى شعبيتك الا أنه حرصا على الوحدة الوطنية يتولى النقراشى رئاسة الوزارة .

ويكفى مكرم عبيد فخرا أن زعيم الأمة الراحل سعد زغلول ، كان يلقبه بابن سعد وبعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ كان مكرم عبيد الزعيم الوحيد الذى كان رجال ثورة ٢٣ يوليو يحضرون اجتماعاته الشعبية ، وأذكر أن صلاح سالم زار مرة مكرم عبيد باشا ومعه جمال عبد الناصر ، وعبد الحكيم عامر وسليمان حافظ وطلب صلاح من مكرم عبيد ، أن يكتب فى احدى جرائد الثورة فرحب مكرم عبيد بالفكرة ، ولكنه قال سـيكون مقالى الأول أن يسـلم رجال الثورة الوزارة الى مدنيين من حسنى السمعة على أن يراقبوهم من بعيد وقد سمعت وأنا أودعهم سليمان حافظ يقول لجمال عبد الناصر : ألم أقل لك ، أن مكرم عبيد لا يتعاون مع أحد » فكان رد جمال بالنص : ده راجل عنده مبدأ وعندما علم الرئيس الراحل ، جمال عبد الناصر بوفاة مكرم عبيد فى ٦ يونيو ١٩٦١ توجه بنفسه فى الساعة العاشرة صباحا الى منزل مكرم ، وقدم العزاء لقرينته .

كما أن زميل المعتقلات والسجون أنور السادات ، قد قام برثاء مكرم عبيد فى الكنيسة المرقسية كل تلك أدلة قاطعة لكل شك ، وجامعة لكل الأدلة على نزاهة مكرم عبيد ، ووطنيته وقوته .

وقد ذكر السيد صلاح الشاهد من بين ما ذكره ان ما تناوله الكتاب الاسود من استغلال مادى لا يتجاوز عشرة آلاف جنيه ، والكتاب الاسود وزع فى أول مارس ١٩٤٣ بالجملة من منزلى « ١٥ ألف نسخة » والعشرة آلاف جنيه التى تناولها الكتاب الاسود كانت عن بعض شهور السنة الأولى من حكم الوفد ، فاذا أضفنا اليها بقية شهور السنة الأولى لحكم الوفد ١٥ ألف جنيه أخرى لم يتناولها الكتاب فتصبح جملة المستغل ، خلال السنة الأولى لحكم الوفد ٢٥ ألف جنيه والسنة الثانية على الأقل مثل السنة الأولى ٢٥ ألف جنيه فيصبح مجموع الاستغلال خلال سنتى حكم الوفد لا يقل عن خمسين ألف

جنيه ولأن السيد صلاح الشاهد تكلم فى عام ١٩٨١ ، فكان يجب عليه أن يذكر مبلغ الاستغلال مضروبا فى مائة فيصبح المستغل خمسة ملايين ونصف المليون جنيه مصرى ٠

ولا شك ان هذا المبلغ قد صرف على المحاسيب والأقارب ومنجزى الأعمال الخاصة بالأقارب ، والمحاسيب وهذا العمل هو منتهى الانحلال والفساد وقد اتسم بهما ذلك الحكم الذى ولد الحقد والكراهية ، بين العاملين ، وبين الحكومة ، وبين بقية أفراد الشعب ، وغيرهم من المحظوظين !!

وقد جاء على لسان الشاهد أن المجاهد الكبير قال : لقد أقمت هذا النظام وعلى أن أهدمه ، وأحب أن أوضح للسيد صلاح معنى ذلك فلنفرض مثلا ان شيخ المهندسين ، وكبيرهم عثمان أحمد عثمان قد أقام عمارة بها عشرات من الطوابق ، وبعد اتمامها وبنائها اتضح له ان بعض الأعمدة المقامة عليها العمارة ، قد بدأت « تترنح مع الهوى » فهل يتركها تودى بأرواح الآلاف بل الملايين من الأهالى أم يسارع فى اصلاحها ، فان فشل فى الاصلاح أليس من الواجب عليه ، ان يهدمها ٠

وعن موضوع القبلة التى طبعها مكرم باشا على جبين النحاس باشا أقول لقد سبقتها وتلتها العديد من القبلات وليس ذلك أبدا بغريب على أخوين اشتركا معا فى الجهاد وفى المنفى وفى خدمة زعيمهما سعد زغلول ؟ ان مبادىء الخلق الكريم تقضى بعدم الخلط بين السياسة وبين الصداقة ٠ والمحبة الأخوية ، وقد كان المرحوم المجاهد الكبير مكرم عبيد ، قد اعتاد أن يقطع المسافة بين منزله فى ميامى ، وبين المنتزه مشيا ، على قدميه ، وكان يتصادف ، أن يمر فى هذه الطريق مصطفى النحاس باشا ، فكان يقف بسيارته وينزل منها ، وبقلب مملوء بالمحبة ، وبدموع تنهمر ، كان مصطفى النحاس ، ومكرم عبيد يتبادلان ــ كالأطفال الصغار ــ القبلات ، ويهمس ، كل منهما فى أذن الآخر ، ببضع كلمات ، ثم يستقل النحاس باشا السيارة وينصرف ويبقى مكرم باشا يفكر فى تلك الأيام ، التى جمعت بينه وبين النحاس باشا ، وليس أدل على طهارة قلبيهما مما كتبه النحاس باشا فى برقية العزاء ، فى وفاة المجاهد ، الكبير ، اذ قال فى صلبها : ان فقدى ، لبصرى لم يحزننى بقدر حزنى على وفاة مكرم » ٠

وأحب أن أقول لك يا أستاذ صبرى الحقيقة ــ لأول مرة ــ فيما يتعلق بالكتاب الاسود لقد بدأنا نطبعه فى منتصف شهر ديسمبر ١٩٤٢ ، وتم طبعه وتجليده بالغلاف الاسود ، وحزمه بالشريط الورقى الأبيض فى ٢٥ مارس ١٩٤٣ : تم ذلك كله بمنزلى الكائن فى شارع ابن سندر لا شارع سليم الأول كما يقول الشاهد غير الشاهد ، وكانت المنطقة رملية ، وغير أهلة بالسكان

وكان من جيراننا ـ فى تلك المنطقة ـ المرحوم الصديق صلاح ندا والأخ الدكتور محمد محمد حمزة عليش والأخ عبد الوهاب البنا ، كما كان يلاصق الفيللا الخاص بى فيللا الدكتور ايهاب حشيش طبيب أمراض النسا ، وشقيق الأستاذ الدكتور عبد الحميد حشيش ، وكانا فى ذلك الوقت ، أولهما طالب بالثانوى ، والثانى طالب بالابتدائى · أمد الله فى عمرهما وقد تم توزيع الكتاب الاسود ، أو بمعنى أدق تم نقله على دفعات من منزلى وفى أول ابريل ١٩٤٣ لم يكن يوجد أى أثر للكتاب ، ولا للمطبعة ، ولا للعمال على الاطلاق ·

تم كل هذا فى سرية تامة ولم يكن يعلم بتلك العملية المضنية سوى زميلنا يوسف صـلاح الدين ، توفيق خليل رئيس مجلس ادارة مؤسسـة السينما سابقا والمحاسب القانونى حاليا ، وأخ ثالث لا داعى لذكر اسمه ، وكان رجال الحزب وعلى رأسهم المجاهد الكبير مكرم عبيد ، لا يعلمون شيئا أى شئ عما نعمله نحن سوى الأخ العزيز الوزير السابق الأستاذ فريد زعلوك المحامى وأى اضافة الى ذلك هى من قبيل الكذب والادعاء ··

والذى ساعدنا على القيام بهذا العمل على الوجه الأكمل صداقتنا القديمة لعبد الوهاب ومحمود شوقى ، وبهاء ، وعبد المنعم ، وحسن كمال والأميرالاى أمين خليل رئيس البوليس السياسى اذ كان تردد هؤلاء يوميا على منزلنا يمنع أى شك ، فى ثلاثتنا ولم آكن فى يوم من الأيام سياسيا ، وبالتالى لو اننى كنت أعلم أن هذا العمل سيؤدى بى الى السجن والمعتقلات ما أقدمت عليه بتاتا ، ولكن اندماجى بالوسط السياسى علمنى كيف يكون الانسـان مخلصا لمبادئه ، وكيف يكون آخرون منافقين مدعين يرتدون ثياب الطهـارة وقلوبهم مليئة بالضغائن والأحقاد ·

وقد كان الأخ عبد الوهاب البنا أخلص الناس لرفعة النحاس باشا ، ولا شك انه كذلك حتى الآن ، ولم يقبض عليه لوجود أوراق معه خاصة بالنحاس باشا ، كما ذكر السيد الشاهد والحقيقة انه كان يعمل وقتئذ مسـاعدا · للسكرتير العام ، لمجلس الوزراء ، وكانت ترد اليه المئـات من الشـكاوى والتظلمات يوميا ، فكان يأخذها معه لدراستها فى المنزل ·

وفى أول مايو ١٩٤٣ وبعد اتمام اخلاء ، منزلى من كافة الأوراق الخاصة بالكتاب ومن المطبعة وفى منتصف الليل فوجئنا وكنا عبد الوهاب يوسف ، ومحمد زكى مهدى الأستاذ بكلية الزراعة وخليل جمال الدين وكيل وزارة الاقتصاد ، وغالبا الأخ المرحوم محمود شوقى ، وثالثنا الذى لم أشأ ان أذكر اسمه والذى كان مشتركا معنا فى كل شئ فوجئنا بوجود حمدى بك وعدد من ضباط البوليس السـياسى وجنود كثيرين وظهرت أنـوار بطارياتهم فى

حديقة الفيلا ، وعندما راحوا يفتشون الحديقة عثر حمدى بك عن بعض من أوراق العرائض والشكاوى الخاصة بمجلس الوزراء وسئلت فى ذلك فقلت أن الأخ عبد الوهاب كان يحضرها معه بحكم الصداقة والجيرة ، لكى يؤدى واجبه نحوها وعندما أراد حمدى بك تفتيش منزل عبد الوهاب الملاصق لمنزلى منعه القائم مقام عبد الواحد بك قائد احدى فرق الجيش وصهر عبد الوهاب ، منعه من دخول منزله باعتباره منزل عبد الواحد عمار ، وللعلم منزل عبد الواحد عمار هذا هو المنزل الذى أقسم به رجال ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ على المصحف الشريف قبل قيام الثورة بيوم واحد ، أقسموا على الوفاء لمبادىء الثورة ! ورضخ حمدى بك لأوامر ، عبد الواحد بك عمار ثم عاد الينا ليسألنا وكان السؤال الذى يطرحه على كل منا : مو لونك السياسى ؟ وقد أجاب توفيق بك خليل بقوله : لونى أسمر وبذلك أقفل التحقيق !

وقد اتصل حمدى بك من تليفون منزلى وكان فى ذلك الوقت يحمل رقم ١٢٥٥ زيتون اتصل وهو منشرح الصدر تعلو الابتسامة وجهه بغزالى بك مدير الأمن العام ليزف اليه البشرى ، بشرى الوصـــول الى منبع المعلومات الواردة فى الكتاب الاسود والوكر الذى طبع فيه .. وكانت الساعة الرابعة صباحا .

واتصل على الفور محمود غزالى بمنزل النحاس باشا واخطر السيدة حرمه بالانتصار الهائل الذى حصل عليه هو وحمدى بك ، وما كان من السيدة حرم النحاس باشا الا ان راحت تصرخ وتولول : أولاد أخت الباشا وأولاد أخوه هم اللى طبعوا الكتاب الأسود وقد أهان النحاس باشا فى مجلس الوزراء محمود شوقى اهانة كبرى وأخذ قصاصـــة ورق وكتب عليها قرار فصـــل عبد الوهاب البنا .

وفى الساعة الواحدة بعد الظهر حضر الى منزلى حمدى بك ، ومعه ثلاث ضباط وسيارتان وأخذونى الى باب الحديد وكنت قد أصبت باغماء لم آفق منه الا وأنا فى سجن الأجانب ومعى الطبيب وعبد الوهاب فى غرفة واحدة .

أما القول بأن أحمد حسنين كان له علاقة بالكتاب الاسود فهذا محض اختلاق ويستطيع الأستاذ جلال الحمامصى الذى كان صديقا لأحمد حسنين ، وحسن يوسف أن يؤكد هذه الحقيقة .

والمستندات تثبت أن عبد الوهـاب البنا لم يحصل على مليم واحد كاستثناء من وزارة أحمد ماهر ، بل لقد أعيد تعيينه على الدرجة وبالمرتب الذى كان يحصل عليه يوم أن فصل من وظيفته .

وللكتاب الاسود قصة طويلة أخرى لا يمكن سردهـا حاليا ، قلت لك الحقيقة بعيدا عن اللف والدوران والتخمين والتأليف ٠

وتبقى بعد ذلك كله كلمة عن ٤ فبراير ١٩٤٢ وأقول لك ان الوفد بأسره برىء من حادث ٤ فبراير وأذكر انه فى مساء ١٠ أكتوبر ١٩٤٤ وفى منزل المجاهد الكبير مكرم عبيد اجتمع حافظ رمضان رئيس الحزب الوطنى والدكتور محمد حسين هيكل رئيس حزب الأحرار الدستوريين والدكتور أحمد ماهر رئيس الحزب السعدى ، وكان معه النقراشى وابراهيم عبد الهادى وكان مع مكرم باشا الأستاذ السيد سليم وبعد اجتماع استمر حوالى الساعات الثلاث تم تحرير المحضر الآتى :

نحن المجتمعين هذا المساء ١٠ ــ ١٠ ــ ١٩٤٤ خلصنا بأن المسئول الوحيد عن حادث ٤ فبراير هو أمين عثمان ولم يكن لأحد من الزعماء المصريين أو الملك علم بالترتيبات التى وضعت : كل الترتيبات تمت باتصالات بين أمين عثمان باشا والمستر سمارت ووزارة الخارجية البريطانية وقد تم تحرير هذا المحضر بخط يد ابراهيم عبد الهادى باشا ووقع عليه جميع الحاضرين فيمن عدا النقراشى باشا ٠

تلك هى الحقيقة كما عشتها وكما أومن بها بعيدا عن أى خيال وتستطيع يا أستاذ صبرى كصحفى مقتدر التثبت من تلك الحقيقة ٠

فائــق قصبجى

المحاسب

● الواقعة الخاصة بالمحضر اياه الذى أشار اليه المحاسب فائق قصبجى جديدة على وربما هى جديدة على الكثيرين ٠

ص ١٠

من جامعة تولوز

اقتراح جدير بالاهتمام

صبرى أبو المجد

فى عام ١٩٤٥ أصدرت جريدة Ia Reforme كتابا تضمن تاريخ مصر المعاصر • واعتقد آنئذ أن هذا التسجيل لن يتفوق عليه أى تسجيل آخر • وذلك الى أن ظهرت محاولتكم •• « سنوات ما قبل الثورة » •

وبما أنه يصعب تجليد أعداد المصور المتضمنة للحلقات لكبر حجمها ، اقترح جمع الحلقات فى سلسلة من الأجزاء يكون حجم كل جزء منها هو حجم عدد المصور العادى ، وذلك بحيث يصدر جزء كلما وجدت حلقات تكفيه ، على ان تصدر الأجزاء الأولى وبينها فاصل زمنى دورى للاعداد •

هذا • ويؤسفنى أن بعض قراء الحلقات لا ينظر الى التاريخ كغاية فى ذاتها بل يطالبكم بالكتابة « لاظهار الفساد » أو لأسباب أخرى ، دون أن يدرك هؤلاء أن المؤرخ يجب أن يكون موضوعيا •

مع تحياتى ؟ •

شكرى قنواتى
ـ قسم الدكتوراه بجامعة تولوز ـ

اقتراح من قارىء آخر

صبرى أبو المجد

مما لا شك فيه أن « سنوات ما قبل الثورة » انجاز خلاق ، جدير بالتقدير والاعجاب لسردها أحداثا تاريخية بأسلوب علمى دقيق • ان الجهد العظيم الذى تقومون به سيادتكم لالقاء الضوء على تاريخ الوطنية المصرية ، لهو أول عمل من نوعه يقوم به أحد كبار اعلام الصحافة المصرية عايش تلك الأحداث أو شارك فى صنعها •• ليحرك ذكرى ، وليرسم بسمة على شفاه الذين عاصروها •• أعانكم الله دائما على هذا العطاء الجزيل الذى أسعد الكثير ممن يتابعون الحلقات ••

وانى اذ أتابع منذ البداية ـ مع قرائكم ومحبيكم ـ هـذه السلسله الرائعة ، يسعدنى أن أتقدم الى سيادتكم باقتراح أثق أنه سيعمم الفـائدة المرجوة من هذه السلسلة التاريخية وهو أن تجمع هذه الحلقات وتصدر فى طبعة شعبية وذلك احياء لتاريخنا المعاصر وحتى يكون مرجعا لشبابنـا فى معرفته بأحداث وطنه ••

وانى اذ آمل لكم النجاح والتوفيق وطول العمر ••
أرجو أن تتقبلوا كل التقدير والتحية والسلام ••

مصطفى شكرى ياسين
مناضل قديم فى ذمة الله

● زميل دراسة ، ورفيق كفاح ، وشريك عمل جاد ، بناء فى مرحلة من أهم ، وأخطر مراحل العمل الوطنى ، مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية ، وقت أن كان شباب مصر ، لا يعرف عشيقة ولا معشوقة الا مصر ، ووقت أن كان شباب مصر ، لا أمل له الا أن يقدم روحه ، وهى أغلى ما يملك فى سبيل تحرير مصر ، واسعاد شعب مصر : مرحلة كان فيها شباب مصر وحده أداة العمل الوحيدة لانقاذ مصر من الاستعمار والفساد ، ورغم وجود أحزاب كبيرة قائمة وقتئذ الا أن شباب مصر ، كان يرى فى مصر حزبه الأكبر ، والأوحد . اليه ينتمى وفى دائرته المتسعة يعمل ، ويجد ، ويضحى .

وكان مصطفى شكرى ياسين واحدا من هؤلاء الشباب ، الذى آمن بمصر ، الى أبعد حدود الايمان ، وحمل روحه على كفه وانطلق يدافع عن شعب مصر ، وأرض مصر ، وكرامة مصر .

وكان بيته ، فى شبرا ، بيت شقيقه د. على شكرى ياسين ، هو ملجؤنا ، وملاذنا ، ورغم حملات البوليس الشرسة ، الضـارية فقد ظل بيت ، على ، ومصطفى ، البيت ، الذى يأوى اليه نفر كبير من شباب مصر ، فلقـد كان مصطفى وعلى من أكثر الشباب الوطنى ، نشاطا ، واندفاعا فى العمل الوطنى البناء وخاصة فى أعوام ١٩٤٦ ، ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ .

عندما كنا نلتقى ـ مصطفى وأنا ـ كان يستعجلنى الكتابة من تلك المرحلة ، التى كنا ـ كما يقول ـ نجومها ووقودها وكنت أستأذنه فى الصبر ، فان الوقت ، لم يحن بعد ، لنتحدث عما قمنا به اذ يجب ، ان نتحدث أولا عما قام به غيرنا .. هذا اذا كان فى العمر بقية تسمح بذلك

وآخر مرة لقيته فيها فى ملتقى الفكر الاسلامى ، الذى دعا اليه الصديق عبد المنعم عمارة محافظ الاسماعيلية ، ويومهـا ، وبعيـدا عن زحمة الملتقى ، رحنا ـ كما تعودنا دائما ـ نتحدث عن أيام زمان ، بحلوها ومرهـا : تلك الأيام ، التى لم نعرف لها طعما ، ولا مذاقا ، اذ كنا قد حملنا أنفسنا ، أكثر مما نطيق ، ولم نندم أبدا على ما قدمناه فى تلك الأيام ، فما قدمنا الا بعض الواجب تجاه مصر ، الجديرة بكل حب ، وتقدير وتضحية : قد يعرف الكثيرون مصطفى شكرى ياسين موظفا كبيرا من خيرة موظفى الدولة ، وصل الى القمة الادارية بجهده ، وعرقه ، وتضحياته ، وايمانه ، وتكرانه ، لذاته ، ولكن قليلين جدا ، هم الذين يعرفون الجانب الآخر من حياة مصطفى شكرى ياسين : ونحن الذين زاملناه فى شبابه نرى فى وفاته خسارة لا تعوض : يرحمه الله رحمة واسعة والهمنا جميعـا أخوته ، وزملاءه ، الصبر على فقده ، فقد كان بحق مناضلا قديما ، أدى واجبه ، كأفضل ما يكون الأداء ..

صبرى أبو المجد

رسامة هامة :

من الأستاذ الحسينى زعلوك

السيد الأسناذ صبرى آبو المجد

بعد التحيــه ٠٠ وأنتــم تتحدثون عن أمجــاد الزعيم الكبير وهو ما كان محرما من قبل وهو ما يجب أن يعرفه الجيل الصاعد من شباب مصر عن تاريخ زعمائها ، وقادتها الذين قادوها الى استقلالها والغاء الحماية البريطانية والاحتلال الانجليزى عنها ولى عما كتبته ملحوظتين اثنتين :

١ ــ أولاهما أنك تمنيت لو أن الزعيم الخالد سعد زغلول لم يقبل مقاليد الحكم من يد الملك فؤاد ٠

٢ ــ ثانيهما أن مصطفى النحاس عاد للحكم سنه ١٩٣٠ وسافر الى انجلترا لمفاوضة مستر هند رسون بخصوص الاستقلال لمصر وضم السودان اليها ولكن المفاوضات فشلت ــ أما عن تمنياتك أن سعدا لم يقبل الوزارة فقد شارك فى تمنيك هذا أغلب الأمة وكذلك لجنة الطلبة ــ التنفيذية العليا فى ذلك الوقت وكان سـعد زغلول رحمــه الله أول المتــرددين لتشــكيل الوزارة فى عهـــد ملك دلت كل مواقفه ازاء الحركة الوطنية أنه يخشى بطش الانجليز ويخشى أن يفعلوا به ما فعلوه مع والده اسماعيل خصوصا وأن بريطانيا هى التى عينت سلفه السلطان حسين ووافقت على أن يحل محله البرنس أحمد فؤاد وأصبح سلطانا سنة ١٩١٧ ثم ملكا بعد تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ ٠

وكان من عادة سعد أن لا يبت فى أمر الا بعد استشارة أعضاء الوفد المصرى وكذلك لجنة الطلبة العليا وبعد أن عرض الأمر على الوفد كلف سكرتارية بيت الأمة أن تبلغ لجنة الطلبة أن سعدا حدد لهم موعدا للقــائه بفندق ميناهاوس بالهرم الساعة الرابعة بعد الظهر ٠

وذهبنا الى الفندق فى الميعاد فوجدنا فى الدور الأول المغفور له حمد الباسل باشا يتكلم مع موظف الاستقبال فلما رآنا قال الباشا فى انتظاركم وطلب من الأستاذ كامل سليم أن يبلغه بمقدمنا فتردد بعض الشىء لأن المرحوم حســن نشأت باشا كان مجتمعا بسعد فطلب منا سعد الصــعود دون انتظار ففعلنا وبمجرد أن علم بمقدمنا اعتذر لحسن نشأت عن انهاء المقابلة لأن ميعاد الطلبة محدد مسبقا وخرج نشأت باشا ودخلنا عليه فقابلنا كعادته هاشا باشا وأبلغنا أنه أنهى مقابلة نشــأت قبل أن ينتهى من عرض ما عنده وعلى فكرة فان نشأت باشا بمجرد أن ظهرت نتيجة الانتخابات وكانت فى جانب الوفد بأغلبية ساحقة مع أنها جرت فى غياب سعد فى المنفى فى جبل طارق وكان رئيس الوفد فى

ذلك الوقت شيخ العرب المصرى باشا السعدى . أقول بعد ظهور النتيجة كان يجتمع بالزعيم الخالد سعد زغلول يوميا تقريبا ليقنعه بقبول الوزارة وهذه هى رغبة الملك وبعد أن حيانا وقدم لنا المشروبات كعادته عرض علينا الأمر الذى يريد أخذ رأينا فيه وهو « أن حزب العمال قد تولى الحكم فى بريطانيا ولأول مرة فى تاريخها وأن المستر مكدونالد رئيس الحزب قد تولى رئاسة الوزارة وأرسل لى رسالة خاصة يرجونى فيها أن أشكل وزارة برئاستى حتى ينفذ وعده الذى قطعه لى فى بورسعيد سنة ١٩٢٢ — أما قصة هذا الوعد فتتلخص فى أن الوفد كان دائم الاتصال بالعمال فى انجلترا عن طريق رئيسهم المستر مكدونالد وكانوا يعطفون على القضية المصرية فى جريدتهم الديلى هيرالد وكان الواسطة المرحوم الدكتور حامد محمود الذى دعا بعض أعضائهم لزيارة مصر ومقابلة زعمائها وليروا ويسمعوا مطالب المصريين وقد حضروا وعلى رأسهم مستر سوان وكان احتفال الوفد بعيد الجهاد يوم ١٣ نوفمبر سنة ١٩٢٢ وقد خطب فيه سعد زغلول وكانوا يصفقون وكانوا يفهمون اللغة العربية بواسطة مترجمين لهم وأذكر أن سعد كان مريضا ملازما فراشه قبل عيد الجهاد بعدة أيام ولما قابلناه قبل الاحتفال بيوم لنرجوه ان كان فى استطاعته أن يحضر ويخطب ليسمعه ويراه مندوبو حزب العمال الضيوف فاعتذر وكلف مصطفى النحاس أن يلقى كلمته ولكننا فوجئنا بمقدمه والمرض باد عليه فألح الجمهور أن يسمع كلمة منه ، فصعد على المنبر وخطب أطول وأقوى خطبة فى حياته بعد ذلك .

كان المستر مكدونالد عائدا من الهند عن طريق بورسعيد وأرسل برقية لسعد زغلول ليراه فى بورسعيد وتمت المقابلة وكان الحديث كله بخصوص استقلال مصر التام وعودة السودان لمصر وانتهى الحديث بوعد من مستر مكدونالد لسعد بأنه لو نجح الحزب فى الانتخابات وتولى الحكم فان هذه المطالب ستجاب فى أثناء شرب فنجان القهوة لأنها مطالب حقة فى نظر حزب العمال .

لذلك بمجرد أن حاز الوفد الأغلبية الساحقة فى الانتخابات التى تمت فى عهد المرحوم يحيى باشا ابراهيم وقد كانت انتخابات نزيهة وحرة بدليل أن رئيس الوزارة سقط فى دائرة الصنافين شرقية فأرسل له المستر مكدونالد رسالة خاصة يرجوه أن يقبل تشكيل وزارة ويحضر الى انجلترا ليتفاوض مع وزارة العمال ليفى مستر مكدونالد بما وعد به وقد عرض علينا سعد هذا العرض وطلب منا ابداء الرأى هل يقبل الوزارة أم لا ودار النقاش وكانت الأغلبية فى اللجنة ضد قبوله تشكيل الوزارة لأنه أكبر من يتلقى الحكم من يد الملك فؤاد وأنه أكبر من أن يكلفه بالوزارة الملك فؤاد وأنه فى نظر الأمة أكبر وأهم من الملك نفسه وطال النقاش واللجنة عند رأيها وتأجلت المقابلة لجلسة أخرى وفى الجلسة التالية دار النقاش ورد على من يستصغرون الوزارة عليه وعلى من يستكبرونه على الخضوع لأوامر فؤاد ودسائسه قائلا : أنا معتبر أنها تضحية

كبيرة أن أنزل الى أن أتلقى الوزارة من الملك فؤاد وأني أشعر أني أملك قلوب الشعب الوفي وقد ضحيت في سني الكبيرة رغم مرضي فنفيت واعتقلت كل ذلك من أجل مصر وليكن قبولي الوزارة تضحية أخرى حتى لا أضيع فرصة نادرة هيأها لنا المستر مكدونالد بصفته رئيسا للوزارة ولست ضامنا أن يدوم حكمهم طويلا أو يعودوا ثانيا وأنا مقدر شعوركم وشاكر تقديركم لي والا اذا اتبعت ما تطلبون لأبقى كبيرا فخما فكأنكم تريدون أن تضعوني في فترينة كتحفة من التحف دون فائدة (وألا يكفينا نعبرها) وهو مثل فلاحي يضرب للساقية التي تدور وتحدث صوتا ونعيرا دون أن ترفع ماء ـ بعد ذلك وبعد أن اطلعنا على محاضر مفاوضاته مع مستر ملنر وما شابها من عقبات ودسائس وألاعيب الانجليز واننا سعينا اليهم فهاهم الآن يسعون الينا فلا نضيع الفرصة ووافقت اللجنة واشترطنا أن يفرج عن اخواننا وزملائنا الطلبة المحكوم عليهم بالمؤبد نتيجة تلفيق تهم لا أساس لها من الصحة وكان على رأسهم الزميلان ابراهيم عبد الهادي وعبد الحليم عابدين وفعلا ألف الوزارة وبر بوعده وأفرج عنهم وسافر الى انجلترا لمفاوضة مكدونالد بعد أن أطلق عليه الرصاص في محطة مصر ولكن الله العلي القدير العالم بحالة البلد خيب ما رتبته له السرايا ورجالها باشراف حكمدار البوليس انجرام بك من اغتياله وقد نجا بأعجوبة وبقيت الرصاصة في جسمه تبعد عن القلب بأقل من ملليمتر الى أن توفاه الله وأما المفاوضة فلم يستطع المستر مكدونالد أن يفي بوعده واعتذر لسعد أن مركز وزارته مزعزع ولا يضمن الأغلبية في البرلمان للموافقة عليه وذلك بسبب خطاب ذودت به الأحزاب الأخرى كالمحافظين والأحرار منسوبا لشخص روسي اسمه زينوفيف ·

أما الموضوع الثاني فقد سافر مصطفى النحاس في مارس سنة ١٩٣٠ بناء على طلب الانجليز ليستأنف المفاوضات مع مستر هندرسون والتي سبق أن فشل فيها المرحوم عبد الخالق ثروت سنة ١٩٢٧ قبل وبعد وفاة سعد وأفادت الأخبار التي وردت أن المفاوضات تسير بما يرضي الطرفين الى أن انتهت كما بلغنا بموافقة بريطانيا على ضم السودان لمصر ·

ورأى النحاس باشا كعادته أن يستشير أعضاء الوفد والوزراء المقيمين بمصر وكان على رأسهم ـ والذي حل محل النحاس باشا ـ هو المغفور له محمود فهمي النقراشي باشا الوزير الأول مرة وكانت وزارته المواصلات وكنت سكرتيرا برلمانيا له وملازما له وأمينا على سره ونشرت الجرائد أن الاتفاقية يحملها الأخ الدكتور محمد صلاح الدين أحد أعضاء السكرتارية الى مصر فأبلغني النقراشي أن أعمل له الترتيب الآتي الذي رتبه هو أولا : ألا يترك الأخ محمد صلاح الدين في مطار القاهرة بل يستمر في الطيران الى الاسكندرية ثم احجز له ديوان خاص في قطار خاص في قطار المساء ولكن لا يركب من الاسكندرية وانما يركب من

سيدى جابر وان أكلف بوليس السكة الحديد أن يضع اثنين من العساكر مسلحين يقفون على باب الديوان لا يدخله أحد وأن أطلب من حلوانى جروبى عشاء خفيفا لخمسة أشخاص وأننا سنسهر فى الوزارة لوقت متأخر من الليل وقد تم كل ذلك وحضر الأخ صلاح الدين بالسلامة الى الوزارة وسلم الاتفاق الى الوزارة (للنقراشى باشا) وقد عرضها على الوفد والوزراء الباقين فى القاهرة ثم عرضها على الملك فؤاد فى آخر المطاف ثم نشرت الجرائد موعدا للتوقيع على المعاهدة فى لندن فى ساعة من الليل كما نشرت أن المرحوم داود بك بركات مدير جريدة الأهرام جهز راديو فى غرفته فى جريدة الأهرام ليسمع مراسم الاحتفال بالتوقيع على المعاهدة بما فيها السودان لمصر وقبل الموعد المحدد للتوقيع ذهبت الى جريدة الأهرام لأسمع الاحتفال بالتوقيع وما يدور فيه وقد كانت تربطنى بداود بك بركات روابط عائلية فضـلا عن رابطته بلجنة الطلبـة التى كان يرعاها ويدللها ويلبى طلباتها فى نشر بياناتها ولو تطلب الأمر رفع مادة من الجريدة واذا أفاجأ بداود بك يبلغنى فى حسرة وأسى أن المعاهدة لن تتم ولن يوقع عليها فقاطعته بأن هذا غير معقول لأن الوزارة والأمة تعلم أن التوقيع اليوم فقـال أنا مستعد أراهنك ، لا معاهدة ولا توقيع فاستوضحته السبب فقال أن الملك علم أن النحاس باشا لكى ينجح فى ضم السودان لمصر زج باسم الملك على أنه على رأس المطالبين بالسودان وبهذا استجاب الانجليز لطلب الوفد ولذلك أرسـل المرحوم زكى الابراشى باشا الساعة الخامسة اليوم الى المندوب السامى يتنصل من تهمة التشدد من المطالبة بالسودان وأنه لا يعلم بهذه المطالب وأنه لا يريد السودان ولا يطالب به ــ وفى الحال أبرق المندوب السامى للوزارة فى لنـدن بهذا التنصل فعدلت بريطانيا عن رأيها وادعت للنحاس باشا أن مجلس الوزراء البريطانى رفض مقترحات هندرسون ــ النحاس ــ ولما سألته عن مصدره قال لى أن المرحوم محمد نجيب الغرابلى باشا وكان وزيرا فى الوزارة وأبلغه أنه لا داعى للراديو لأن المعاهدة لن تتم ولم يتم التوقيع عليهـا ــ وكانت تربط الغرابلى باشا عـلاقة وقرابة مع زكى باشا الابراشى وهو الذى أبلغه بذهاب ــ الابراشى باشا ــ الى المندوب يبلغه بتنصل الملك من المطالبة بالسودان ــ هذا هو السر فى فشل النحاس باشا فى مسعاه وهنا قال قولته المشهورة : تقطع يدى ولا أوقع على ضياع السودان • ولا ندرى من الذى أبلغ للملك بزج اسمه فى المفاوضات بخصوص السودان •

وختاما هذه وقائع نذكرها نحن الأحياء أضعها بين يديك لترى فيهـا رأيك • وأرجو قبول فائق تحياتى واعجابى وشكرى •

محمـد الحسينى زعلوك

المحامى

قصص من تفاتيش الملك
وبعض الأمراء

السيد صبرى أبو المجد

أكتب اليك عن بعض القصص التى حدثت فى بعض التفاتيش الملكية وتفاتيش بعض الأمراء وكنت شاهد عيان فى تلك القصص التى أبعث اليك بها ليعرف الشباب حق المعرفة حقيقة ما كان يجرى فى ريف مصر ٠

تفتيش محمد طاهر باشا

الزمان ــ فى خلال الأربعينيات ٠٠

المكان ــ بردين شرقية ــ وكان يتبعها سابقا أكثر من عشرين بلدة بعضها لمركز الزقازيق وبعضها لمركز بلبيس ٠ والبعض الآخر لمركز أبو حماد ــ محافظة الشرقية ٠

وكان الباشا يحضر للاقامة بالسراى تعلقه الموجود للآن بناحية بردين بجوار شريط محطة السكة الحديد فى بعض شهور الشتاء ــ أما فى الصيف فانه كان يقضيه بالفيلا تعلقه بجنيف ــ سويسرا ــ بجوار بحيرة ليمان أو ببعض دول أوروبا وأمريكا ٠

خيول محمد طاهر باشا

كان يملك حوالى سبعين حصانا من أجمل الخيول الأصلية وبعض الأفراس للتناسل ويقوم بخدمتها المدرب الخاص لهذه الخيول وهو الريس ٠٠٠٠٠ وقد نقل عقب الثورة مــع جميع الخيول الى حظيرة الخيول الرئيسـية بالقرب من عين شمس ــ وموجود بها للآن ــ مع بعض العمال المساعدين فى تربية وتدريب هذه الخيول ٠

وكان المدرب وعماله يقومون فى الصباح كل يوم بعمل (طومار) غسيل وتدليك لهذه الخيول ثم طابور للسير بأرض الحديقة الواسعة المجاورة للسراى ثم تعود الخيول لثكناتها لاطعامها ــ وهكذا ــ فى الظهيرة والغروب وكانت هذه الخيول تعرف بأرقامها المسلسلة مثل خيول الشرطة والفرسان ٠

وفى أثناء وجود الباشا فى الشتاء كان يركب فى صباح كل يوم حصانا من هذه الخيول للرياضة ٠ وفى اليوم التالى حصانا آخر (رقم كذا) خلاف حصان الأمس ٠

وفى حالة ولادة الأفراس « الاناث » لخيول جديدة كان الباشا يمنح المدرب والعمال اكراميات مختلفة ابتهاجا بالمولود الجديد حيث يعطى له رقم خاص بعد قيده بدفاتر التفتيش وتحرر له شهادة ميلاد ٠

زرائب العزبة الكبيرة

كان للباشا بالعزبة الكبيرة زرائب مختلفة منها زريبة للعجول والبقر والجاموس وزريبة للخراف والنعاج وزريبة للدواجن وغيرها ـ وكان يشرف على هذه الزرائب ضابط بالمعاش برتبة (قائمقام) ، عقيد ـ وكل انتاج جديد من المواليد يقيد بالدفاتر ـ ماعدا انتاج الخراف الذكور ـ فقد كانت ترسل أولا بأول للملك فاروق والعائلة الملكية وأقاربهم وكبار رجال الدولة عدد ٠٠٠ لكل منهم ـ ويدرج بالكشف (أوزى صغير هدية مجانا) ـ وهكذا الحال بزريبة العجول والدواجن وغيرها وخاصة الديوك الرومية ٠

اختراق الضاحية بالخيول

كان الباشا فى الشتاء يقوم وبعض أصدقائه فى الصباح المبكر بالمرور بالخيول على الطرق الزراعية الخاصة حول زراعة التفتيش بالعزب وأحيانا كان يحضر الملك فاروق للرياضة معهم وفى نهاية اختراق الضاحية بالخيول كان الملك يقوم بتوزيع الكؤوس والميداليات كما كانت الطرق الزراعية الخاصة بالتفتيش تفرش بالرمال الصفراء فى الأيام التى يحضر فيها الملك فاروق والحاشية الملكية لاختراق الضاحية بالخيول مع محمد طاهر باشا ٠

سراى الطاهرة بالقاهرة

كان محمد طاهر باشا يملك سراى الطاهرة بالقاهرة ولأنها أوسع من السراى الريفية الكائنة بالتفتيش بناحية بردين فقد كانت الولائم الكبيرة الخاصة تقام بسراى الطاهرة بالقاهرة ٠

ويقال أنه أثناء وجود الملك فاروق بوليمة كبيرة مع محمد طاهر باشا ٠ همس الملك فى أذنه سرا ٠٠ باعجابه الشديد بقصر الطاهرة وفخامة المبنى وتنسيقه وروعة منقولاته فأجابه الباشا بأن قصر الطاهرة بمبانيه ومنقولاته من فضل الملك فاروق ٠ وفعلا توجه الباشا للملك وتنازل له عن قصر الطاهرة ٠ واستمر الاسم للآن « قصر الطاهرة » ٠

تفتيش بايرلى تبع كفر دنوهيا مركز الزقازيق

كان يملكه بعض الاقطاعيين من الأثرياء آلاف الأفدنة يقوم بحراستها عشرات من الخفراء الخصوصيين • وكان الباشوات الكبار ينظرون الى الفلاحين نظرة الكبرياء التى تتسم بالاستعلاء ويعتقدون أن نظرة واحدة منهم للفلاحين كفيلة بأن تخلع قلوبهم فاذا لم تكف هذه النظرة فان بنادق الخفراء الخصوصيين كفيلة بسحقهم ولكن خاب أملهم لقيام الفلاحين بالثورة على الاقطاعيين وتعدد بلاغات الاتلاف والحريق والسرقة لمحاصيل هذه التفاتيش ومنها :

الزمان : فى الأربعينات •

المكان : تفتيش بايرلى تبع كفر دنوهيا مركز الزقازيق •

الموضوع : أبلغ أحد خفراء تفتيش بايرلى ـ بحضور ثلاث سيارات لورى وبها جملة أشخاص ملثمين ومجهولين قاموا بتكتيف الخفراء الخصوصيين فى مطلع الفجر وفتحوا المخازن وسرقوا جميع جوالات القطن ونقلوها بالسيارات وقطعوا سلك التليفون وهربوا ـ وصار اخطار الجهات المختصة ـ وقرر جميع الشهود ورجال الحفظ أنهم لا يتهمون أحدا ولا يعرفون الفاعل وقيدت القضية ضد مجهول لحين تحريات المباحث الجنائية عن الفاعلين وضبط القطن المسروق •

وعندما طلبت النيابة ملاك تفتيش بايرلى لسؤالهم عن معلوماتهم قيل أنهم فى المصايف بالخارج يبتاعون الجواهر من أوربا ويتعرون على الشواطىء • فى الوقت الذى لا يستطيع فيه أحد من الفلاحين أن يحصل على قليل من محصول الأذرة أو القمح أو القطن الذى اشتغل فيه وزوجته وأولاده طوال العام •

مقتل مفتش التفتيش

كان مفتش التفتيش ينظر الى الفلاحين نظرة الكبرياء التى تتسم بالاستعلاء وفى حالة مروره (بالكارتة) على الزراعة يقف جميع الفلاحين بالاحترام • وكان يوقع الجزاءات المختلفة عليهم • علاوة على غرامات الاهمال أو التقصير أو التأخير فى توريد الايجار والمحاصيل الزراعية ـ وكان باشتراكه مع الصراف يحرر محاضر تبديد للمزارعين بعد توقيع المحجوزات عليهم ويرسلهم للشرطة لعمل فيش وتشبيه لهم وقيد المحضر جنحة تبديد ضدهم كما حدث بنشوه وصفيطه •

وكان هذا المفتش فى منتهى الشدة مع جميع المزارعين بالتفتيش وأخيرا وجد مقتولا بأعيرة نارية ليلا بالزراعة والفاعل مجهول واتهمت زوجته ثلاثة

لوجود خصومة • وقبضت النيابة عليهم ولكن لم توجد أدلة كافية كما لم يتقدم أحد من التفتيش باتهامهم بارتكاب جريمة القتل • نت تسير الحياة قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ : انتفاضات الفلاحين الشائنة التى كانت تحدث للشعب المصرى من تفاتيش الخاصة الملكية ، كبار الاقطاعيين •

حريق محصول خمسة افدنة والفاعل قطة

ئ فى تفتيش اقطاعى بزمام شرطة الأطاولة التابعة لمديرية أمن أسيوط التفتيش كان يجبر المزارعين على التوقيع بامضاءاتهم أو بصمتهم ن فقام بعض الخبثاء من المزارعين باحضار قطة وربطوها بحبل كبوا عليها كمية من الغاز وتوجهوا لزراعة القمح الخاصة بالاقطاعى خمسة أفدنة وكانت قائمة • وذلك قبل حصادها ونقلها للجرن م قليلة وأشعلوا النار فى هذه القطة وتركوها تجرى فى القمح اء شديدا قبل مطلع الفجر بقليل فاحترق محصول الاقطاعى كله ثة القطة محترقة فى وسط حقل القمح وبها آثار الغاز واتهم مفتش مض المزارعين الذين أنكروا التهمة نهائيا واستشهدوا بشهود وبعضهم الحفظ أنهم كانوا فى بلد آخر • وقت حصول الحريق وأن التفتيش ير من القطط الضالة وقررت النيابة الافراج عنهم وأخيرا قيد ، مجهول •

العميد بالمعاش

راشد حلمى

حول جمعية اللواء الأبيض

عوتك الكريمة بموالاة الكتابة عن جمعية اللواء الأبيض للاستفادة لهذا التواضع والأدب الجم الذى عرف عنك والذى يخجلنى وهو خيط يجذبنى اليك طائعا مختارا ينعشنى ويثير الكوامن فى نفسى لنشر وية عفا عليها الدهر •• أقول الموضوع ذخيرة وكنز وتراث يضىء باب اليوم وقادة الغد وبعد الغد وكاتب التاريخ يجب أن يكون ينا وقادرا على ضبط النفس والترفع عن الهنات وشعائر الأمور ، وأن يلتزم الموضوعية ويسجل الحوادث ومجريات الأمور كما شاهدها ا كان ملتصقا بها وله نصيب فيها وفى هذه الحالة لابد من الرجوع ليلا لذكر الأسباب والدوافع وأن نتخطى الفجوات الى القمم من قمة الزمن الذى تفتحت به النفوس وتمخضت بميلاد جمعية اللواء الأبيض

سنتي ١٩١٨ ـ ١٩١٩ ـ سافر وفد السودان الى انجلترا المكون من رجال الدين ورجال القبائل وزعماء العشائر حاملا سفر الولاء « صك العبودية » الى ملك انجلترا ثم الثورة المصرية : كان هذان الحدثان حافزا لتكوين جمعيــة الاتحاد بأم درمان العاصمة الوطنية من الفتية الذين نالوا قسطا من التعليم بكلية غردون وكانت مهمتهم التوعيــة في تجمعــات سرية خشية الرقابة وعيــون الحكومة : ثم واقعــة محاكمة الضابط السوداني على عبد اللطيف بواد مــدني الذي أراد اذلاله أحد طغاة الانجليز بواد مدني فدافع عن كرامته وشرف الجيش المصري الذي ينتمي اليه ـ وبعد أن قضى مدة العقوبة في واد مدني رجع الى الخرطوم فوجــد النفوس مهيأة فكون جمعية اللواء الأبيض وأقبل الشباب عليها زرافات ووحدانا : الموضوع ثم كانت وفاة المرحوم عبد الخالق حسن المصري مأمور أم درمان الذي شيعته مدينة أم درمان الذي أحب أهلها وأحبوه وبعد أن ووري جثمانه في لحده كانت هناك صرخة بل زأرة أسد من الشيخ عمر دفع الله مناديا بحيــاة مصر وزعيمها سعد زغلول وسقوط الاستعمار وكأنها النار اندلعت في الهشيم فجن جنون حكومة السودان وقامت المظاهرات في كل أنحاء السودان والباقي معــلوم لديكم : الاعتقالات وتمرد طلبة المدرسة الحربية واصطدم بقوات من الجيش مع الانكليز ـ وفي غمرة هذه الحوادث انتدب المرحوم عرفات محمد عبد الله والأستاذ الشاعر الثائر عثمان محمد هاشم للذهاب الى مصر مفوضين من جمعيــة اللواء الأبيض بالتحدث باسمها وشرح قضية السودان في المحافل بالكلام والكتابة على صفحات الجرائد والخطابة واستنفار الرأى العام في مصر لدعم قضية الســودان التي وجدت تجاوبا عاما في الجامعة الأزهرية ولدى الأحزاب ٠ كما وجدا العطف والتأييد من الساسة ورجال الأحزاب وساعد على ذلك ابعاد عدد كبير من اخواننا المصريين الذين كانوا يعملون في مختلف الوظائف بحكومة السودان : ووصلت أنا مندوبا عن شرق السودان لأضم صوتي اليهما وحصل ما حصل كما هو معروف وكما سبق أن أشرتم في مناسبة سابقة ٠

وكان أكثر اتصالنا بالوفد المصري عن طريق الوسطاء أمثال المرحوم حمدى سيف النصر الذي كان سابقا بالسودان مأمورا لأم درمان وله علاقات حميمــة بالسودانيين وكذلك كان اتصالنا بالحزب الوطني بواسطة المرحوم أمين الرافعي والشيخ عبد العزيز جاويش وبالجيش بواسطة محمد أفندي عوض الذي كان مأمورا لمدينة شندي بالســودان وبالأزهر بعض المخضرمين من السودانيين المنتسبين الى الأزهر يعاونهم الأخ عبد الحميد المشهدي المصري الطالب بالأزهر ـ وفي المدارس لنا ثلاثة طلبة سودانيون الأستاذ الدرديري أحمد اسماعيل الذي كان يوما وكيلا لوزارة الشــئون خاصا بالســودان والأستاذ المرحوم توفيــق البكري والمرحوم الأستاذ بشير عبد الرحمن المهندس بالاضافة الى الأستاذ على عثمان نور الذي لم يكمل دراسته ورجع قافلا للسودان ٠ وبدأ المصريون المبعدون من السودان يصلون الى مصر دفعات دفعات كما أبعد الأستاذ محمد أمين الشاهد

لذى كان يدافع عن المتهمين من أعضاء جمعيـة اللواء الأبيض وكذلك
لصحفى حامد عوضين سعفان والأستاذ وهبة القاضى بأم درمان هاربا
ولجأ الى فرنسا • وفى غمرة هذه الحوادث عاد من انكلترا السير لى
اكم السودان العام وسردار الجيش المصرى الذى كان لى خطاب مفتوح
ريدة الأخبار يوم أن نوى السفر الى السودان ولكنه كان على موعد مع
مصر فوجه اليه المنـدوب السامى دعوة للشاى معـه فأجل سفره
من الخميس الى الأحد وفى يوم الخميس بعد خروجه من مكتبه فى
حربية كان القدر له بالمرصاد فى الساعة الواحدة والنصف حيث أطلق
صاص فأصاب السـائق الانكليزى ومات فى الحـال وأصيب السردار
ير ثم نقل الى المستشفى وفى يوم السبت ذهب الى حيث لا رجعة ـ وفى
صدرت الحكومة المصرية منشورا أن من يدل على الجناة يأخذ عشرة آلاف
نيه انذار الحكومة الانكليزية حاويا المطالب الخمسة المعروفة منها دفع
يون جنيه غرامة وكان ذلك فى وزارة سعد باشا فوقع سعد باشا على
نصف مليون واستقالت وزارته ـ ومن ضمن المطالب سحب الجيش
ن السودان وصدر الأمر للجيش بالرحيل من السودان ورفض قائد
رفعت الانسحاب ولكن الملك أصدر أمر الانسحاب حمله البكباشى محمد
ن بالطائرة خاصـة قامت من مصر للسودان • الى آخر ما تعرفون أنتم
•

باشرى عبد الرحمن

الرحالة السودانى وعضو جمعيـة اللواء الأبيض

اعتذار وأسف

الأسبوع الماضى ، مرضت عيناى فجأة فلم استطع أن أكتب بيدى
طررت الى أن أملى على زميل لى ما أريد كتابته كما لم استطع أن أراجع
ولذلك ظهرت أخطاء فيما كتبته لا أعتقد أنها تخفى على ذكاء القارى من
: أن احمـد فؤاد ولد فى ١١ فبراير سـنة ١٩٢٠ ، والصحيح أنه
أحمد فؤاد بالطبع ، كما أننى عندما تحدثت عن الأستاذ حامد العبد
بدة الجليلة لطيفة العبد قلت : انه كان من زعماء ثـورة ١٩١٩ ،
ان والده هو الذى كان من زعماء تلك الثورة كما حدثنى عنه كثيرا
يد باشا من خيرة ثوار ١٩١٩ كما أن الأحاديث التى كانت تدور بينى
تاذ حامد العبد فى منزله عن ثورة ١٩١٩ كانت عبارة عن ذكريات
ستاذ حامد العبد عن والده •

ص • ١

وقد سعدت للغاية عندما سمعت صوت الأستاذ حامد العبد وهو ينبهني الى هذا الخطأ الفاحش الذى وقعت فيه والذى قدمت له من أجله الاعتذار الشديد وهأنذا بدورى أعتذر للقراء عما وقعت فيه من أخطاء ٠

ص ١٠

من أسرة مجاهد مصرى قديم
١٠٠ جنيه جوائز سنوية لأوائل
مدرسة عبد العزيز يونس بالمنيل

● السيد الاستاذ صبرى أبو المجد تحية التقدير والاحترام لشخصكم الجليل نحن أنجال المجاهد الوطنى المرحوم عبد العزيز يونس الاستاذ السابق بكلية الشرطة وعضو اللجنة التنفيذية العليا لطلاب مصر سنة ١٩٣٥ ورئيس اتحاد طلاب كلية الآداب وأحد قادة الحركة الطلابية ٠

لا نملك الا أن نتقدم لسيادتكم يا صاحب القلم الوطنى الشريف بأن نحنى الرأس تقديرا واعتزازا واحتراما لوطنيتكم لما سطرته بقلمكم الحر عن والدنا فى كتابتكم عن سنوات ما قبل الثورة الأمر الذى كان له الأثر الطيب فى نفوسنا جميعا ودفعنا الى أن نتقدم الى المجلس الشعبى المحلى لحى جنوب القاهرة بما نشرتموه عنه طالبين اسم والدنا المرحوم المجاهد الوطنى عبد العزيز يونس على مدرسة المنيل الثانوية الجديدة ٠

وبكل التقدير والاعتزاز وافق المجلس المحلى لحى جنوب القاهرة تخليدا لذكرى المجاهد الوطنى عبد العزيز يونس على اطلاق اسمه على مدرسة المنيل الثانوية الجديدة ٠

ومن هذا المنطلق يشرفنا ـ نحن أنجال المجاهد الوطنى المرحوم الاستاذ عبد العزيز يونس ـ أن نخصص مبلغ ١٠٠ مائة جنيه سنويا لأوائل المدرسة يوزعها الصحفى الوطنى الأستاذ صبرى أبو المجد : تقديرا وعرفانا منه بأن مصر الوفاء بها صاحب القلم الشريف صبرى أبو المجد خالص التقدير والاعتزاز من أبناء المجاهد الوطنى عبد العزيز يونس ولسيادتكم خالص الحب كل الحب ٠

١ ـ حمدى عبد العزيز يونس عضو المجلس الشـــعبى المحلى حى جنوب القاهرة ٠

٢ ـ مقدم طبيب ـ فكرى عبد العزيز يونس ٠

٣ – فاروق عبد العزيز يونس – رئيس جهاز الأمن الصناعى بالشركة المصرية للطباعة والنشر .

٤ – عبد المنعم عبد العزيز يونس المحاسب القانونى .

٥ – آمال عبد العزيز يونس – الباحثة بالرقابة الدوائية .

٦ – صفاء عبد العزيز يونس – المحاسبة بشركة المصرى .

٧ – ليلى عبد العزيز يونس – الاخصائية الاجتماعية بهيئة المواصلات

أما تحية التقدير كل التقدير للأم المثالية الفاضلة شريكة كفاح المجاهد الوطنى عبد العزيز يونس للأستاذ صبرى أبو المجد فهى كلمة واحدة من القلب : بارك الله فيكم وشملكم بالصحة والعافية .

أسرة المرحوم المجاهد الوطنى

عبد العزيز يونس

● لعلى أسعد الناس بتكريم المجاهد الوطنى القديم الاستاذ عبد العزيز يونس ، بل لعلى لا أتهم بالمبالغة اذا ما قلت اننى أكثر سعادة من أبنائه وأسرته بهذا التكريم الذى أسبغه مجلس محلى جنوب القاهرة على عبد العزيز يونس اذا أطلق اسمه على مدرسة ثانوية من مدارس القاهرة ، لقد قرأت الكثير عن عبد العزيز يونس ، وكفاحه وسمعت عنه الكثير من الدكتور محمد بلال ، ولعل هذه البادرة من مجلس محلى جنوب القاهرة ، تنتقل عدواها الطيبة الى كل مجالس مدننا وقرانا ونكرم من يستحق التكريم من مجاهدينا القدامى .

ص ١٠

من جمعية خريجى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية
ندوة شهرية لمن عاصر سنوات ما قبل الثورة

السيد الأستاذ صبرى أبو المجد ..

تحيـة طيبـة وبعــد ..

لا شك أن سلسلتكم الرائعة « سنوات ما قبل الثورة » تعد أبرز علامة فى انتاجكم الصحفى الثرى ، قدركم الله دائما على هذا العطاء الممتاز الذى يسعد

كل من يتابعه • ان هذا الجهد الدءوب الذى يغوص لأعماق الأحداث التاريخية بمنهج علمى دقيق ثم يقدمها للمتخصصين والقراء فى هذا القالب الحى النابض صنع انجازا رائعا غير مسبوق ، فتحليلكم الدقيق لتاريخ الوطنية المصرية هو تأصيل وطنى ، واضافة علمية ، وسبق صحفى ، هو ذكرى عزيزة لمن عاصره •• ثم هو مدرسة للأجيال تزيد به معرفة للوطن فتزيد له عشقا وتفانيا •

وانى اذ أتابع مع زملائى خريجى وطلبة السياسة والاقتصاد ـ مع غيرنا من قرائكم ومحبيكم ـ هذه السلسلة منذ بدايتها ، نتشرف بأن نقدم لسيادتكم اقتراحا نثق أنه سيزيد الفائدة المرجوة من بحثكم التاريخى وهو أن تعقد ندوة شهرية يحضرها بعض من عاصر هذه الأحداث فيضيف اليها أو من له رأى فيها ، وأن تكون هذه الندوة باشرافكم امتدادا لما تكتبونه أسبوعيا حيث تتكرمون بتوجيهها وادارتها • وجمعية خريجى كلية الاقتصاد والعلوم السياسة يشرفها أن تتم الندوة بمقرها ، كما يسعد أعضاءها القيام بخطوات التحضير والتنفيذ لهذه الندوة الدورية •

نرفع لسيادتكم اقتراحنا برجاء التكرم بالنظر فيه وأملنا فى موافقتكم عليه ، لأن ما تقومون به حاليا هو احياء لتاريخنا المعاصر ووصل لحلقات يجب ألا تنفصم • ولعلكم أكثر كتابنا اهتماما بالشباب وقربا الى قلبه وعقله ، فاذا جاز لى تمثيل قطاع منهم ـ خريجى السياسة والاقتصاد ـ فاننى أعتقد أنكم ستستجيبون باذن الله لاقتراحكم الذى يحقق رغبة غالب ظنى أنها جالت فى صدور الكثيرين مثلما أحسستها تجول بخاطرى منذ الفصول الأولى لسلسلتكم العظيمة ، فاننى أؤمن أنه لا يوجد وطنى مصرى ـ شابا أو غير شاب ـ لا تكون أسعد أوقاته هى التى يقرأ ويتابع ويزيد معرفته بتاريخ وأحداث وطنه •

وتفضلوا بقبول أطيب تمنياتى وخالص تقديرى •

رئيس مجلس الادارة

مصطفى كمال أحمد

● سعدت الى أبعد حدود السعادة برسالة الأخ مصطفى كمال أحمد رئيس مجلس ادارة جمعية خريجى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، خاصة وأنها تعبر عن رأى جيل من الشباب المؤمن ، الملتزم بقضايا وطنه وشعبه واقتراح جمعية خريجى كلية الاقتصاد ، ولا شك اقتراح مفيد للغاية ، أسعد به وسأعمل على تنفيذه بصورة تتناسب وخطورة الموضوع الذى يتعلق به •

ص٢٠

لا أملك الا أن أقدم لهم الشكر الجزيل

● منذ أن حملت – بفتح الحاء ، وتشديد الميم – نفسى أمانة محاولة اعادة كتابة تاريخ مصر فى فترة من أهم فترات التاريخ المصرى وأكثرها ثراء واثراء للعمل الوطنى ، وللوطنية المصرية ، وأنا أسير لتلك الأمانة ، أقضى جزءا كبيرا من وقتى لأدائها كما أحب وأهوى حتى يوم الجمعة ، اليوم الوحيد الذى كان من نصيب أولادى الصغار جارت عليه التزاماتى ، قبل تلك المهمة فأصبحت بلا يوم جمعـة أجازة منذ بضعة أعوام ، وكنت قد أصبحت بلا أجازات سنوية طوال العشر سنوات الماضية ولقد ضعف البصر من كثرة القراءة والكتابة وكادت الرئتان تصابان من روائح الأوراق والصحف القديمة التى أكاد أكون أول من يقرؤها ! وفى بعض الأحيان ، تقف قلة تعد على أصابع اليد أو اليدين والقدمين معا ، ضد ما أكتبه ، أو حتى ضد ما أنقله من آراء البعض فى تصرفات الوزارات الوفدية وخاصة وزارة ٤ فبراير ١٩٤٢ ، بعضهم يوجه الى الشتائم الكريهة بل يوجه الى التهديد بالانتقام من النفس ، وكأنما قد جعلوا من أنفسهم منفذين لأحكام جائرة يتولون هم اصدارها ، وعبثا ما أوجهه لهم من كلمات أوضح فيها أننى لست الا مؤرخا قاضيا أنقل كل وجهات النظر المختلفة فى موضوع معين : من معه ، ومن ضده . ثم أبدى رأيى فى النهاية بدون أية حساسيات وفى أحيان كثيرة أؤاخذ فى وقت واحد على الرأى ونقيضه ، فبينما يشيد مثلا قطب وفدى سابق كالأستاذ عبد الفتاح حسن – الذى أكن له كل تقدير – بما أكتبه عن النحاس باشا ، يرى بعض القراء ممن لا خبرة لديهم فى الشئون السياسية ، وبالكتابة التاريخية أننى أظلم الوفد ، وأظلم رئيسه مصطفى النحاس بل اننى أظلم الوفد وأظلم رئيسه تحقيقا لأهداف سياسية آنية والله وحده يعلم اننى فى كل حرف أكتبه ، أرعى وجه الله الحق فيه ، بل اننى فى أحيان كثيرة أزن كل حرف بميزان الصائغ الماهر ، أو الدقيق – والمهـارة والدقة هنا متعلقة بالميزان لا بالصائغ – وكأننى أؤدى شهادتى أمام الله الواحد الديان .

واذا كنت أوجه النقد والنقد المر ، للحزب الوطنى الذى آمنت بمبادئه منذ العاشرة من عمرى وأدعو الله أن ألتزم بها الى أن ألقى وجه ربى ، فانه لا يمكن أبدا الا أوجه النقد – لا النقد المر – لأى تصرف سياسى قام به سياسى مصرى فى سنوات ما قبل الثورة ، وكما قلت مرارا وتكرارا أن هذه الشخصيات التى نكتب عنها قد رحلت الى بارئها ولم تعد بمستفيدة على الاطلاق من أى مدح يوجه اليها ، كمـا أنها لم تعـد بخاسرة شيئا من أى نقد يوجه الى أى تصرف من تصرفاتها ! وانما الأجيال القادمة وحدها هى التى تستفيد من هذا المدح وهذا النقد لأن فيهما العظة والعبرة وفيهما الدروس المستفادة من كل وقائع التاريخ التى تستوجب المدح ، أو تستوجب النقد .

وفى أحيان كثيرة ، كنت أتضايق والى أبعد الحدود من هذا الظلم الذى يوجه الى حتى أكاد أتوقف عن الكتابة لأريح هؤلاء « الظلمة » وأستريح أيضا ولكن أشياء كثيرة ، وكثيرة جدا تخرجنى وبسرعة من الضيق الذى أشعر به عندما أتلقى تلك الطعنات ، وفى مقدمة ما يخرجنى من الضيق عشرات الرسائل التى أتلقاها كل أسبوع تشد على يدى ، ومئات عبارات التشجيع التى أسمعها كل يوم ، ممن يعرفوننى ، وممن لا يعرفوننى ، ولعلى لا أذيع سرا اذا ما قلت أننى وطوال بضعة أعوام مضت ما قابلت مصريا ، ولا عربيا الا وكان أول ما يوجهه الى من كلمات ، عبارات الثناء على هذا الجهد ، وآخر ما يجرى بيننا من أحاديث سؤال واحد لا يتغير ، ولا يتبدل هو : متى تجمع كل ما نشرته فى كتب ؟ .

وفى مقدمة ما يخفف عنى متاعبى وآلامى أن كثيرين ممن عاصروا سنوات ما قبل الثورة أو اشتركوا فى بعض أحداثها ، لا يضنون على أبدا باهدائى ما لديهم من صور وأوراق ووثائق ومعلومات تساعدنى على أداء الرسالة التى أخذتها على عاتقى ، كما أن الكثيرين من أبناء وأحفاد بعض الشخصيات التاريخية التى لعبت أدوارا هامة فى تلك السنوات وبدون معرفة سابقة يتكرمون باهدائى كل ما لديهـم من أوراق آبائهم وأجدادهم ــ وفى مقـدمة ما سعدت له وسعدت به . ما أمدنى به وزير العدل الأسبق المستشار أحمد سميح طلعت ، بالكثير ، الكثير مما خلفه والده عبد الوهاب طلعت باشا ، الذى كان وكيلا للديوان الملكى وكان رئيسا للديوان بالانابة فى فترة من أحرج فترات تاريخنا المصرى والذى ورد اسمه مرارا وتكرارا فى مذكرات لورد كيلرن وفى وثائق وزارة الخارجية البريطانية باعتباره خصما عنيدا للسياسة البريطانية فى مصر .

وأنا ــ حقيقة ــ لا أملك الا أن أتقدم لأولئك جميعا بالشكر الجزيل .

لا خيل عندك تهديهـــا ، ولا مال   فلتسعد النطق ان لم تسعد الحال

ومرة أخيرة ، أرجو وألح على من لديه ذكريات أو أوراق تتعلق بتاريخنا حتى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ أن يوافينى بها ، أو بصورة منها مساعدة منه لى فى أن أقول للحق وللتاريخ كلمة حق وصـــــدق ، والله من وراء القصـــــد .

والله ولى التوفيق

صبرى ابو المجد

● سنوات ما قبل الثورة بالصور

وهذه مجموعة فريدة من الصور أهداها الينا بعض الأخوة الأصـدقاء من الذين عملوا ، أو عمل آباؤهم وأجدادهم ، فى الحقل السياسى ، أو من التى توافرت فى أرشيفنا الشخصى ، الذى ظللنا نعمل على تكوينه أكثر من نصف قرن . وحرصنا على أن يكون كل جزء من أجزاء كتابنا عن سنوات ما قبل الثورة به أكبر مجموعة من الصور ، ينبع من رغبتنا فى أن تكون الحياة فى السنوات ، التى سبقت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ واضحة جليه بالكلمة والصورة ، ولقد سـألنا بعض الـزملاء عمـا إذا كان بإمكانهم نقل تلك الصور ، ونشر بعضها فى موضوعات صحفية فأجبناهم : نعم ، بإمكانكم ذلك مع رجاء الاشارة إلى المصدر ، لا أكثر ، ولا أقل ، فما استهدفنا أبداً من هذا العمل المضنى الشاق ، إلا العمل على زيادة المعرفة بتاريخنا الحديث وفى نفس الوقت ، الذى أبيح فيه نقل هذه الصور أرجو ممن لديه ، أية رغبة فى اضافة صور جديدة إليها أن يوافينا بها . كما أننى أرجو وألح على من له أية ملاحظات على مادة الكتاب ، أو على صوره وخصوصاً كلام الصور ، إذ لم يتيسر لى فى بعض الأحيان معرفة كل من يظهرون فى الصور أن يوافونى بها على عنوانى بدار الهلال بالقاهرة ليتيسر لى ادراج صورهم ، وملاحظاتهم فى الطبعات التالية ، إن شاء الله والله ولى التوفيق .

ص . ا



كتاب يابانى قديم عن احمد عرابى وزملاؤه محمود سامى ويعقوب سامى وعلى فهمى ، ومحمود فهمى : انصف اليابانيون أحمد عرابى ولم ينصفه المصريون .



احمد فتحى زغلول باشا احد قضاة دنشواى لم يلق جزاءه من اللوم .



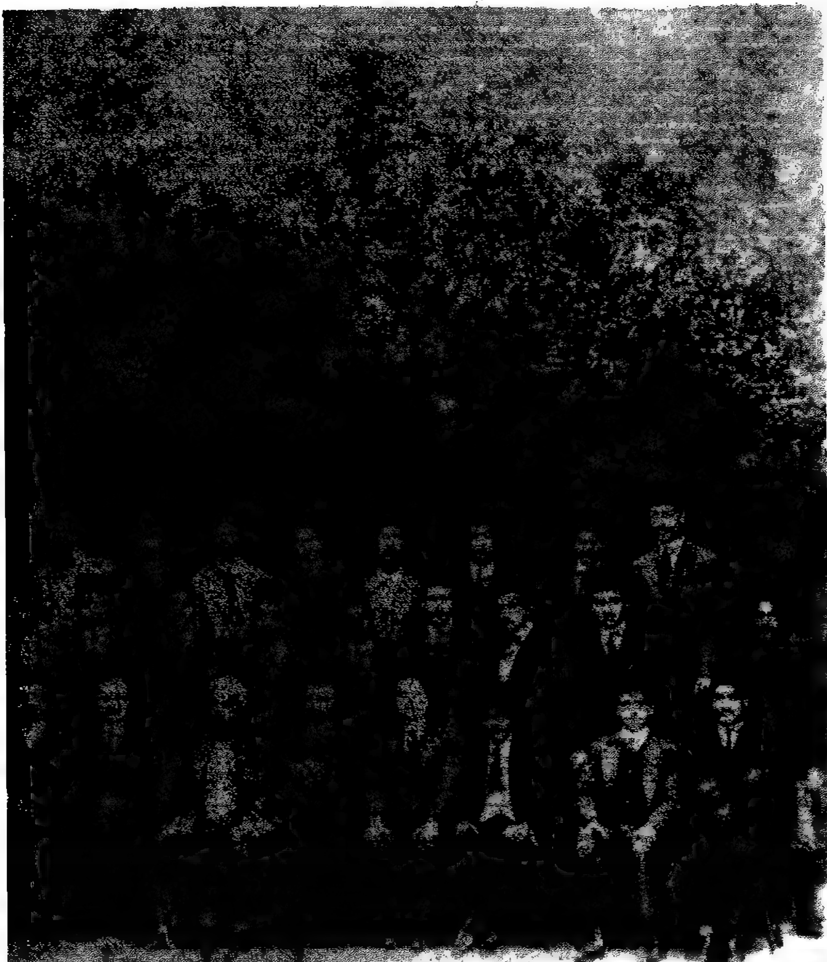
(الملك) أحمد فؤاد عندما كان مديراً للجامعة المصرية الأهلية .

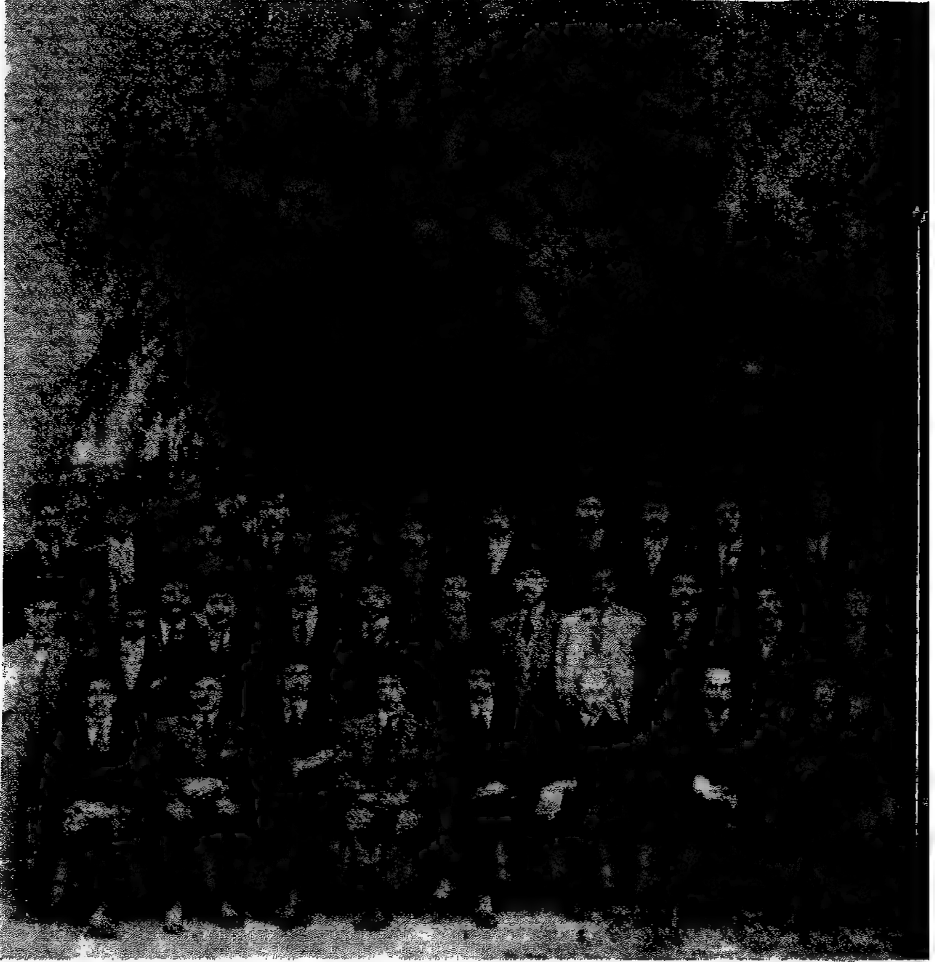


الخديوى عباس حلمى الثانى فى أخريات أيام حكمه .



الامير حسين كامل [السلطان فيما بعد] وعين الحياة هانم قرينته .





أساتذة مدرسة الحقوق السلطانية فى عام ١٩١٦/ ١٩١٧ من بين الأساتذة بهى الدين بركات بك وسيداروس بك .



الملك احمد فؤاد بملابسه الرسمية .



بعض أعضاء الوفد المصرى الذين اعتقلوا فى فجر الحركة الوطنية : حمد الباسل باشا وحوله جورج خياط بك ، علوى الجزار بك ، مرقص حنا باشا ، واصف غالى باشا ، مراد الشريعى بك .



سعد زغلول باشا في المستشفى عقب الاعتداء عليه [١٣ يوليو ١٩٢٤]



سعد زغلول بملابس رئيس الوزراء .



صورة لسعد باشا فى غرفته بباريس بعد الاعتداء عليه فى طريقه إلى لندن للمفاوضة .



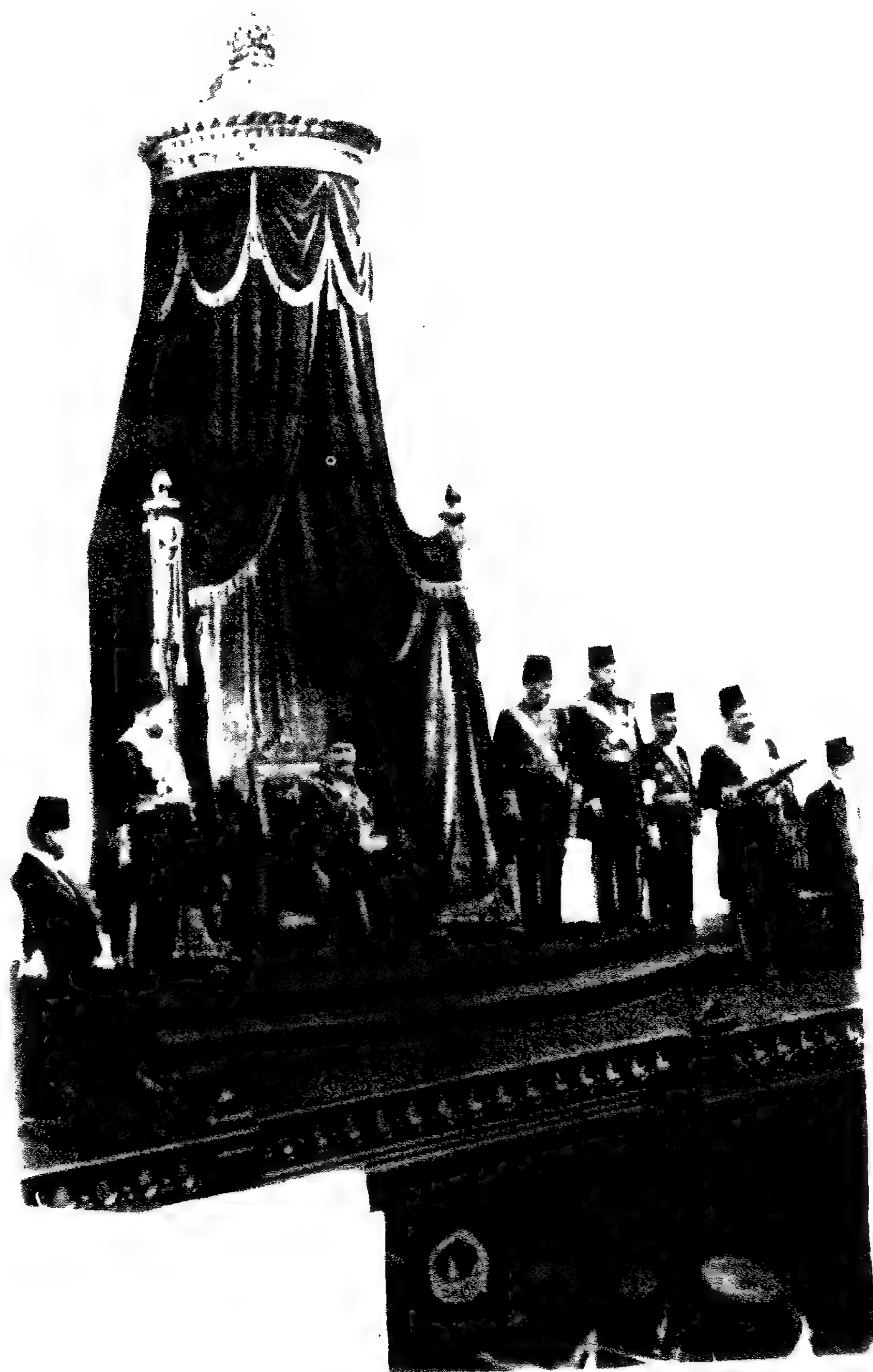
سعد زغلول باشا في احتفال شعبي .



سعد زغلول باشا جالساً على كرسى خاص فى احتفال لجنة الوفد بالاسكندرية (٢٥ يوليو ١٩٢٤) .



طلعت حرب باشا مؤسس بنك مصر .



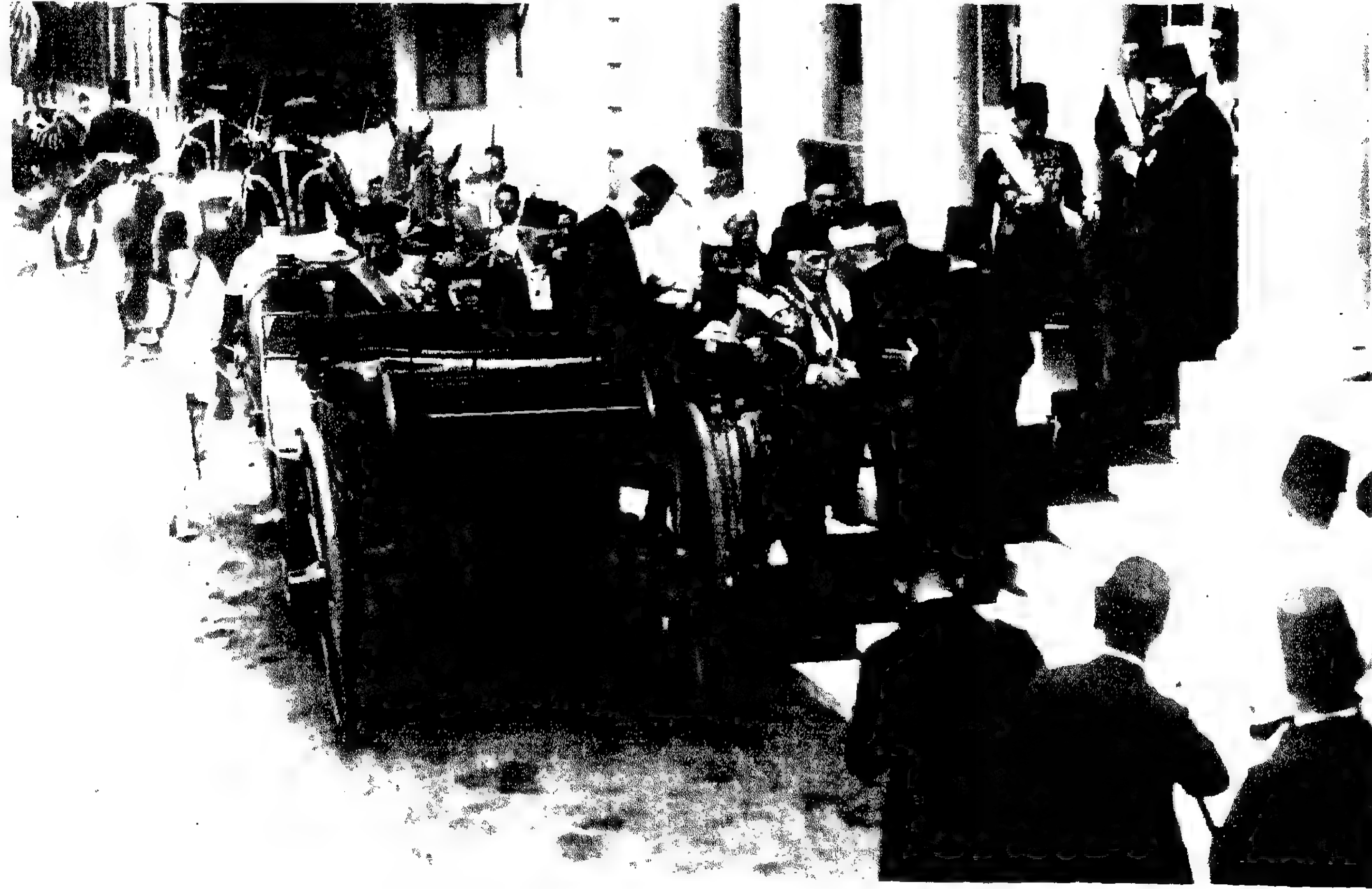
الملك فؤاد يفتتح البرلمان المصرى والنحاس باشا يلقى خطاب العرش .



الاحتفال بافتتاح الجامعة المصرية (الأميرية) .



السير برسى لورين المندوب السامى البريطانى فى مصر فى محطة مصر : من الباب الملكى الدخول والخروج دائماً .



فى افتتاح البرلمان المصرى سنة ١٩٣٦ و النحاس باشا فى العربة الملكية وقبله الاوصياء
على العرش ، الامير محمد على وزميلاه عزيز باشا . وشريف صبرى باشا .



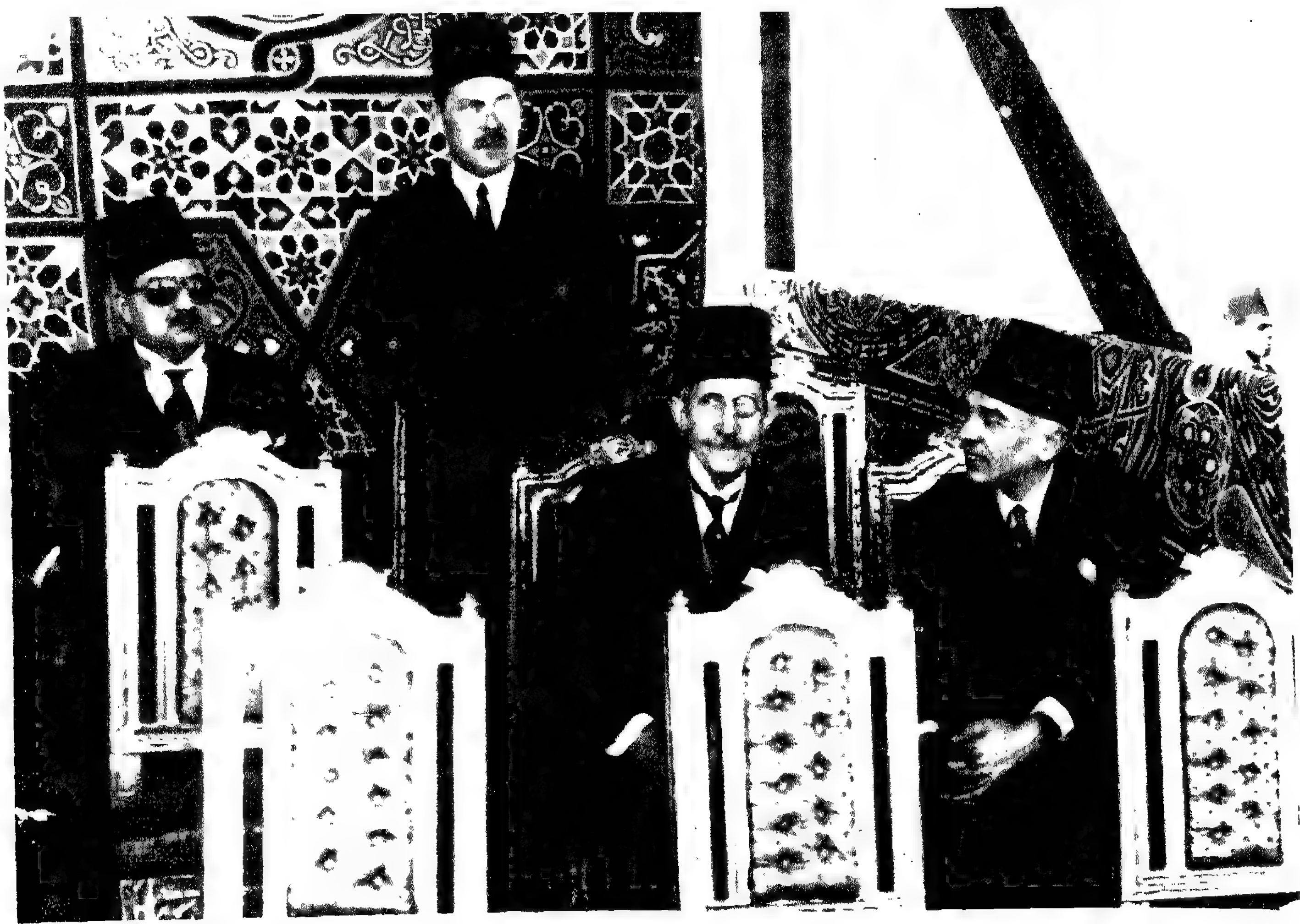
الأمير محمد علي في طريقه إلى مكة وبجانبه يوسف ذو الفقار باشا الصوره في محطة السكة الحديد بالسويس .



بدافع الحقد على الملك فؤاد لعبت الأميرة شويكار دورا هـاما فى تدمير ابنه فاروق .



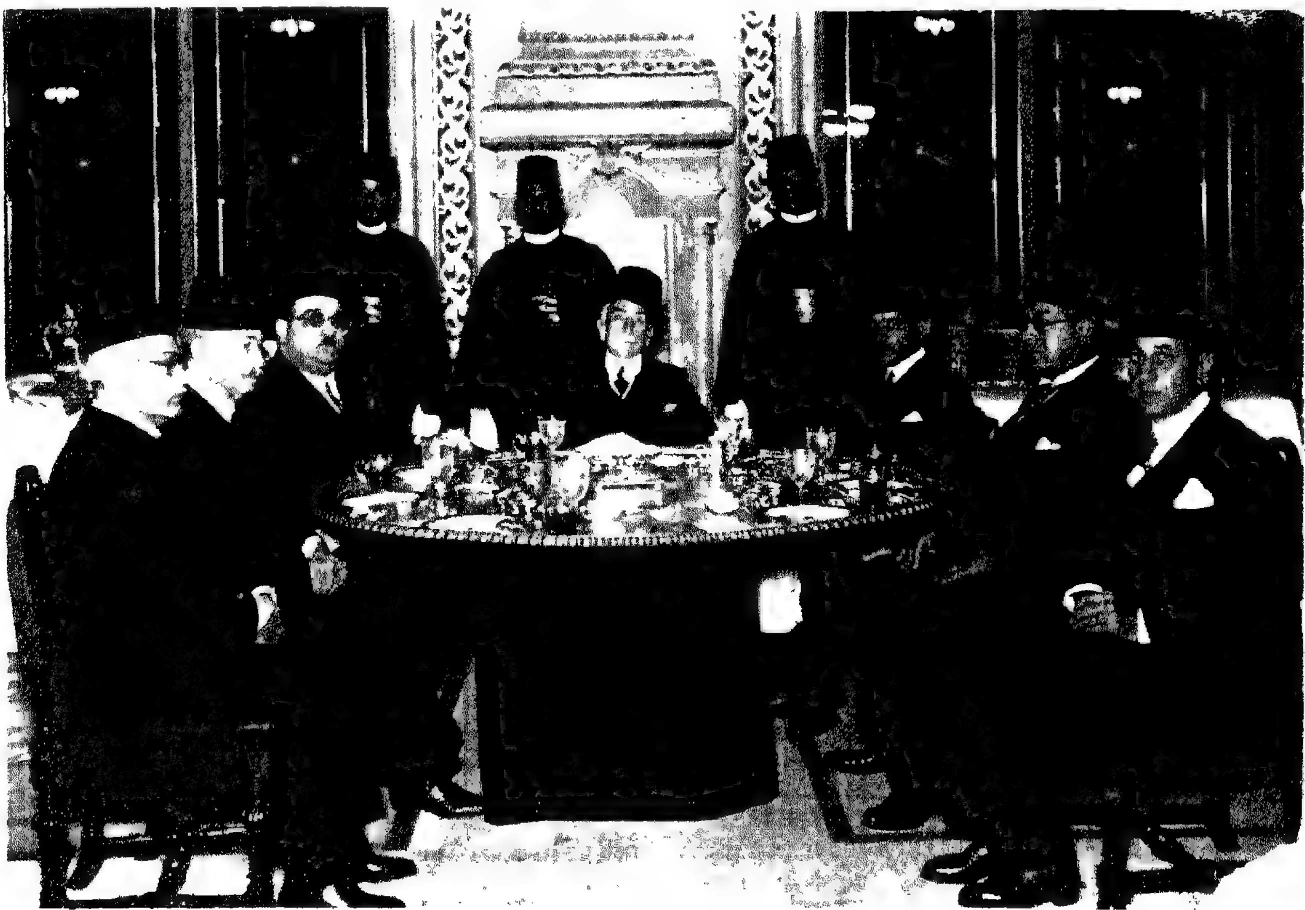
الأمير محمد على فى مادبة غذاء اقامها الوجيه ميشيل لطف الله تكريماً لضيفه المطران طحان .



شريف صبرى باشا ، وعزيز عزت باشا ، وبعض الأمراء .



اسماعيل داود، واحمد غالب بك وهما ضابطان بالمدرسة الحربية المصرية بالعباسية .



فى حفل افطار بعابدين الأمير محمد على ، الأمير محمد على ابراهيم ، على ماهر ، مراد محسن وآخرين .



الأمير محمد على توفيق فى حفل بالسفارة التركية .



الاميران عمر طوسون ومحمد على ، فى جلسة عائلية .



الامير عمر طوسون يودع مصطفى النحاس على باب الجمعية الزراعية الملكية .



الامير محمد على ومحمد محمود خليل رئيس مجلس الشيوخ .



النبيلان سعيد داوود وسليمان داوود .



الامير اسماعيل داوود ، فى السباق .



الأمير محمد علي ، وشريف صبري باشا ومصطفى النحاس باشا وحسين سري باشا وغداء شهي .



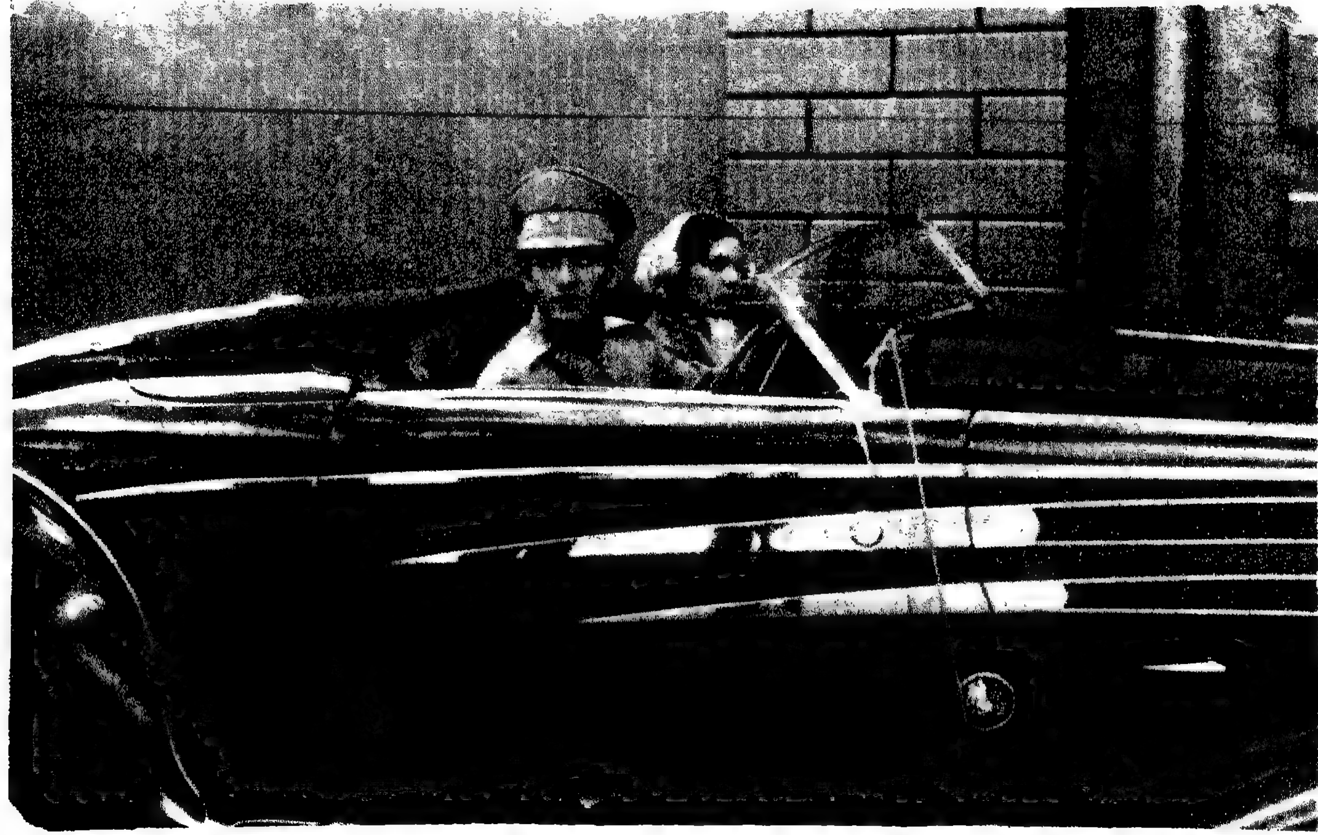
النبيل اسماعيل داوود ورئيس مخابرات الجيش المصرى موسى بك .



الامير محمد على توفيق ولى العهد فى طريقه إلى باريس وبجانبه محمود الغزالى بك
محافظ القاهرة [٩ يونيو ١٩٥١] .



شريف صبرى باشا خال الملك فاروق ونازلى كريمته الكبرى تحمل كريمتها نائلة وبجوارها زوجها عز الدين الطاهرى وملك شريف صبرى .



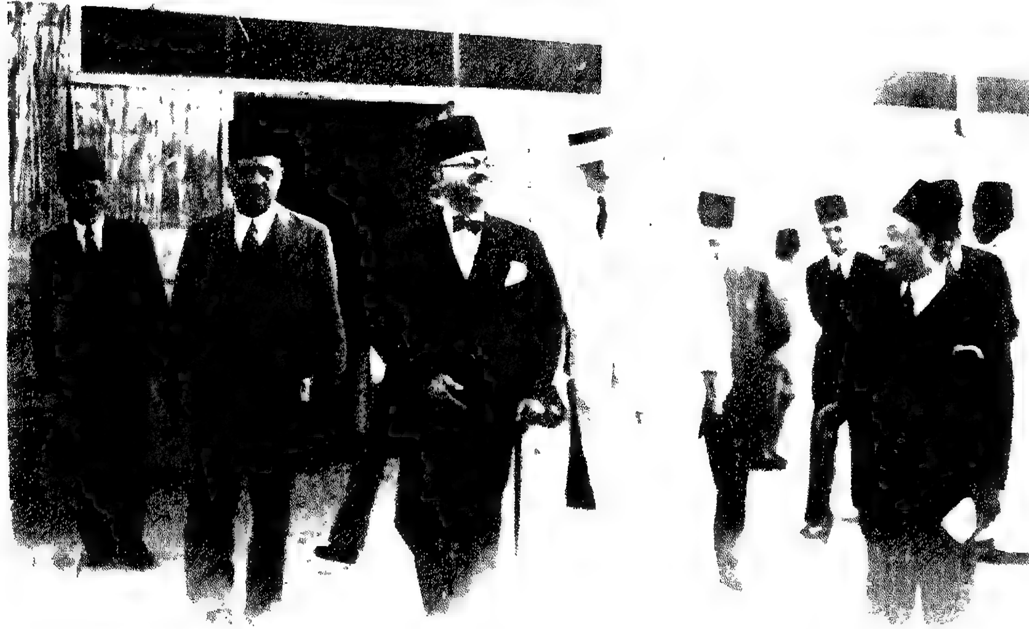
ولى عهد ايران قبل ان يصبح امبراطوراً والاميرة فوزية قبل ان تصبح امبراطورة .



الأمير رضا بهلوى امبراطور ايران فيما بعد في زيارة للعامرية [١٩٣٩/٣/٢١]



احمد ماهر فى حديث مع لطفى السيد



عبد الفتاح يحيى باشا رئيس مجلس الوزراء وسير مايلز لامبسون فى سيدى بشر بالإسكندرية



عزيز عزت باشا عندما كان وزيراً لخارجية مصر وتوفيق عبد الله باشا وزير الحربية يودعه



يوسف ذو الفقار باشا والد الملكة فريدة .

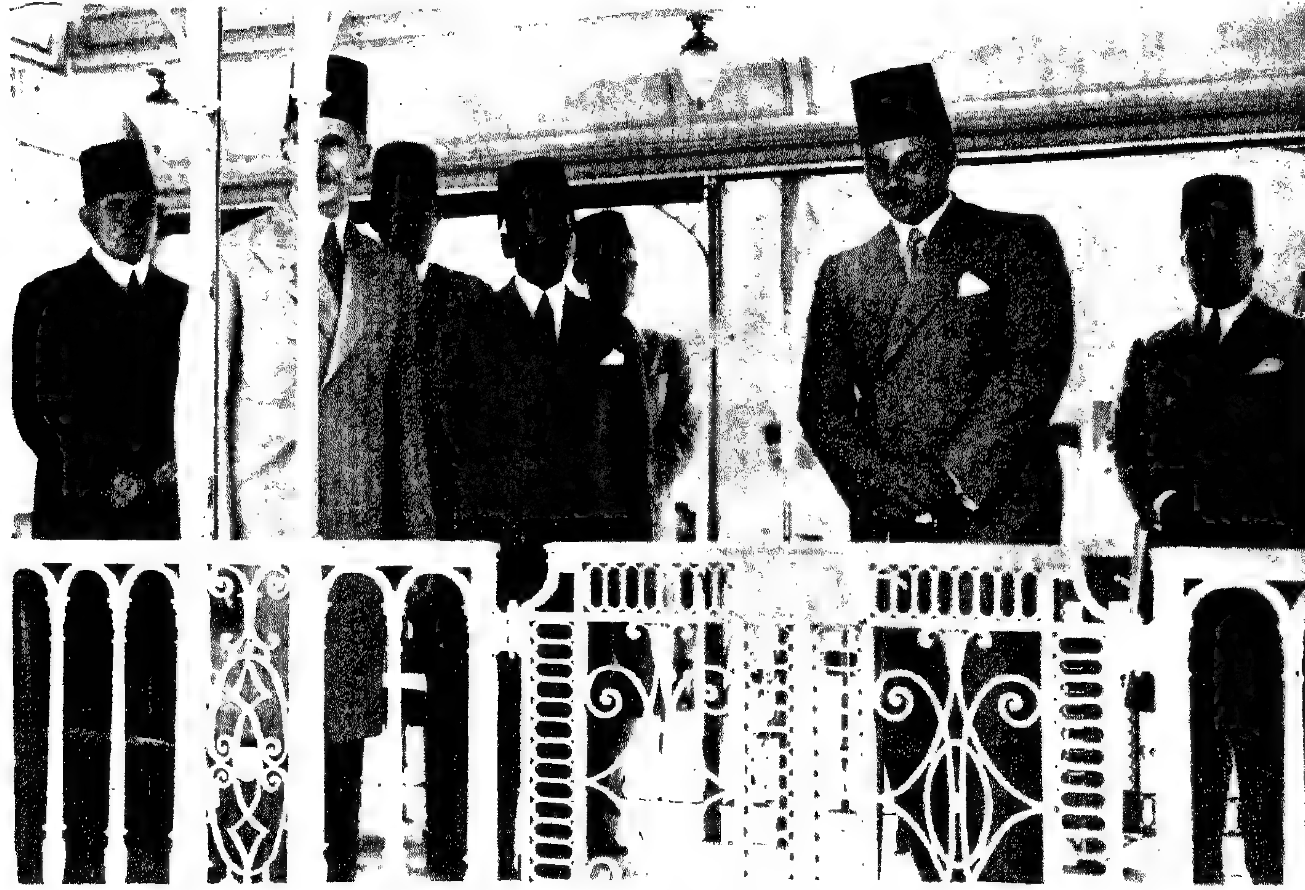


الملك فاروق قبل ان يتولى سلطاته الدستورية من مجلس الوصاية ومعه امه الملكة نازلى ومحمود فخرى باشا فى آوروبا .



الملك فاروق فى حفائر الجامعة فى ملوى والحديث مع سامى جبر مدير الابحاث التاريخية .

الملك فاروق وتحية من عمر فتحي باشا كبير الياوران فى محطة سيدى جابر .



فاروق ، وعلى ماهر ، واحمد حسنين وحسين سرى ، متاخراً — فى المنتزه .



جلالة الملك عند وصوله الى سراى رأس التين وهو يصافح رجال السلك السياسى



فاروق فى مستشفى منشاة البدراوى .



الملك فاروق يزيح الستار عن تمثال لطلعت حرب باشا في مدينة المحلة الكبرى .



الملك فاروق فى سراى رأس التين يصافح رجال السلك السياسى .



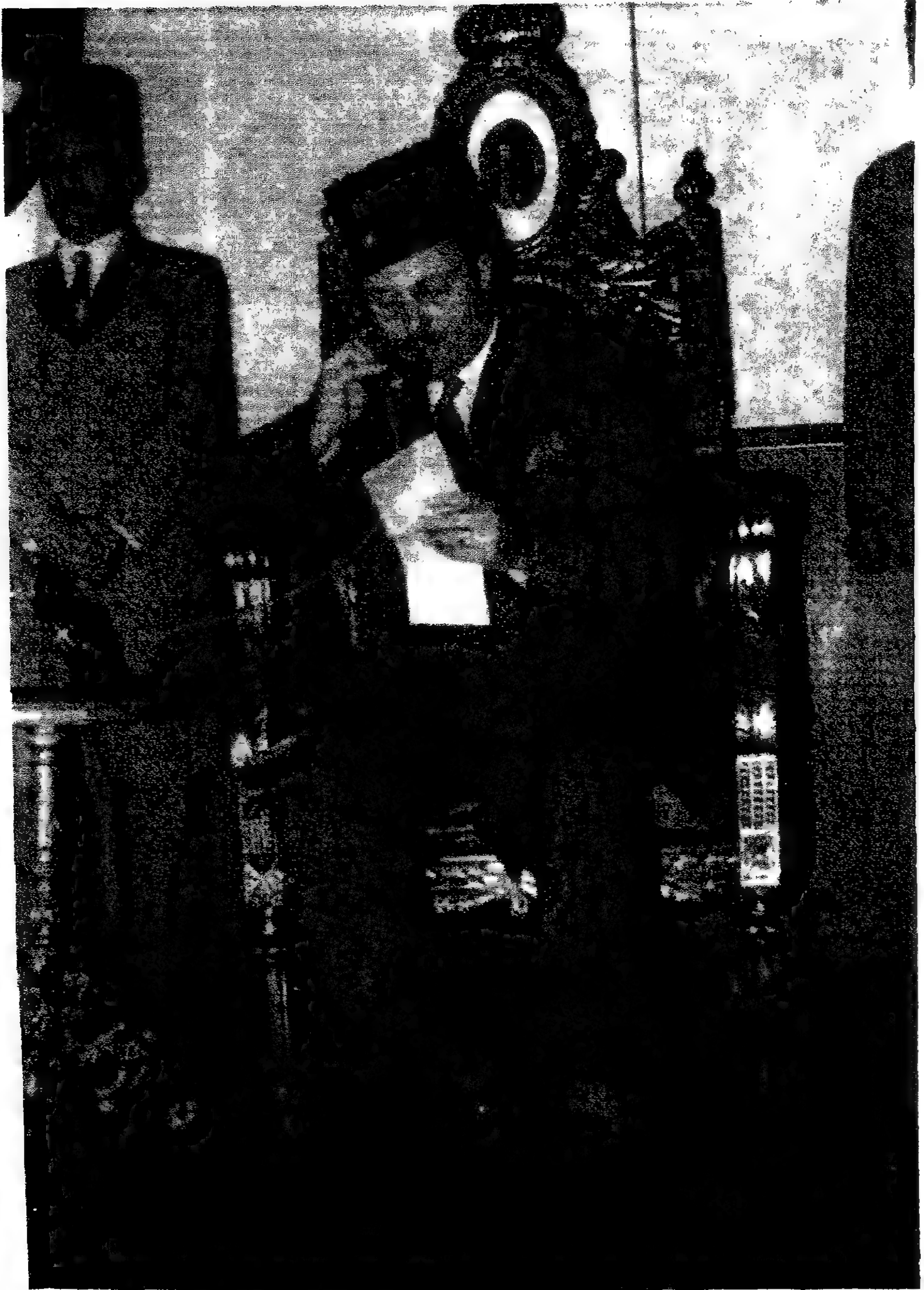
فاروق وحسين سرى واحمد حسنين فى زيارة لمجلس بلدى كفر الزيات .



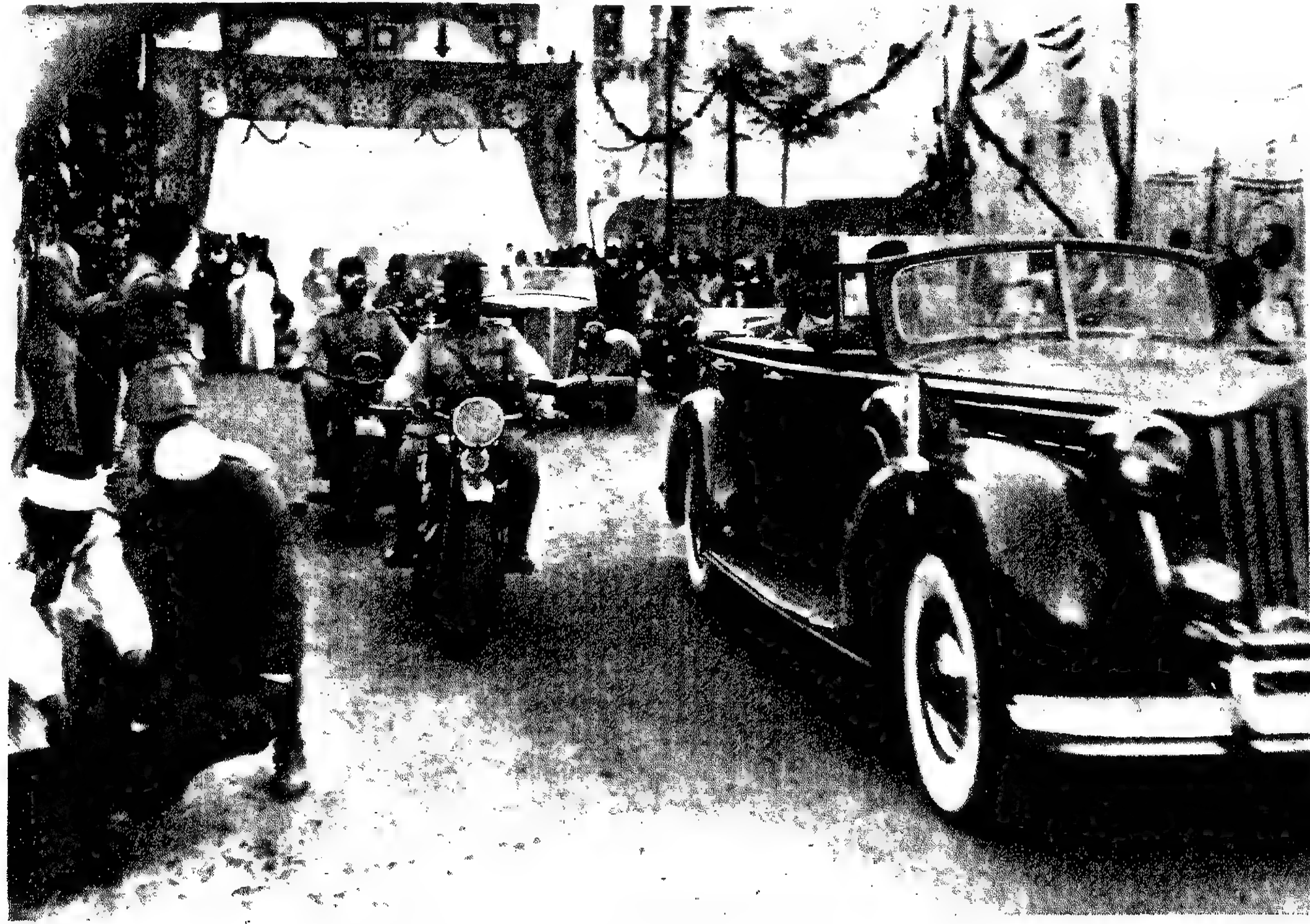
فاروق والشيشه والطاقم الارابيسك .



فاروق ، واسماعيل صدقي ، وعمر فتحي وعبد الوهاب طلعت بالاسكندرية .



فاروق يفتتح الخط التليفونى بين مصر والسودان [مايو ١٩٤٦] .



الملك فاروق فى سمنود استقبال شعبى ورسمى : يذبحون الذبائح فى طريق الموكب .



فاروق ملكاً فى زيارة آل البدراوى باشا .



الملك فاروق يصلى ومعه د. احمد ماهر باشا رئيس مجلس الوزراء وقتئذ .



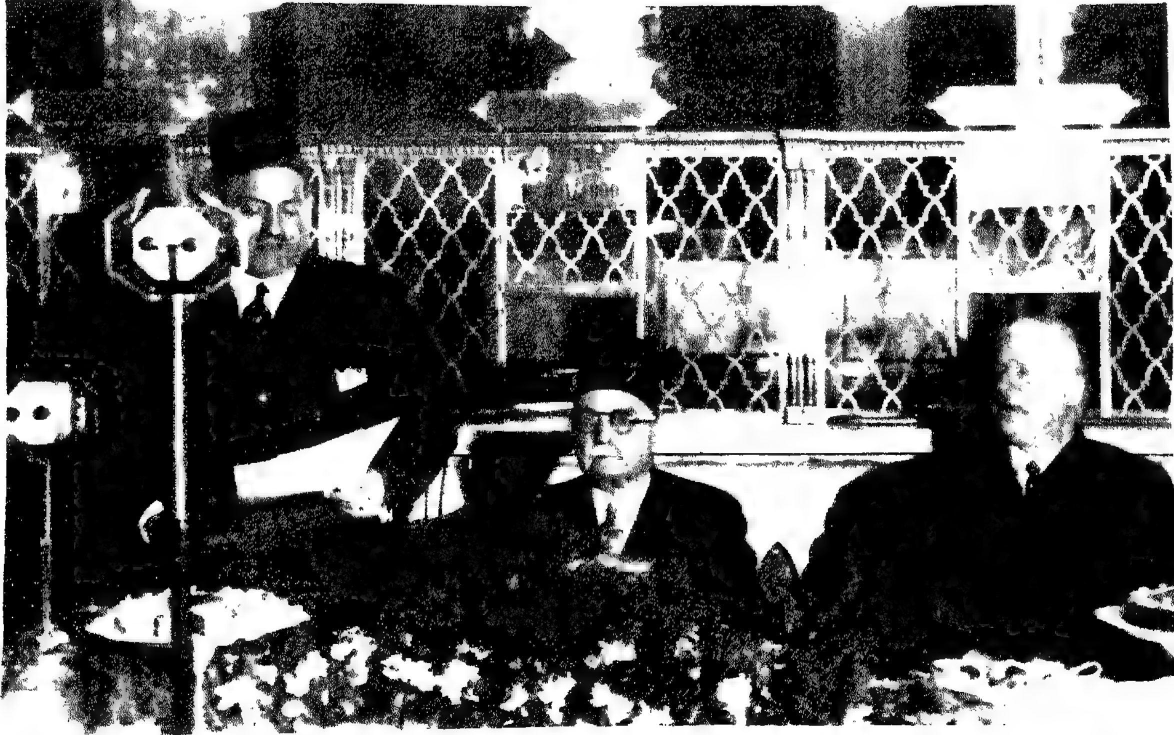
فاروق فى القطار الملكى يحى مستقبليه وبجانبه احمد لطفى السيد باشا ، واحمد عبد القوى باشا .



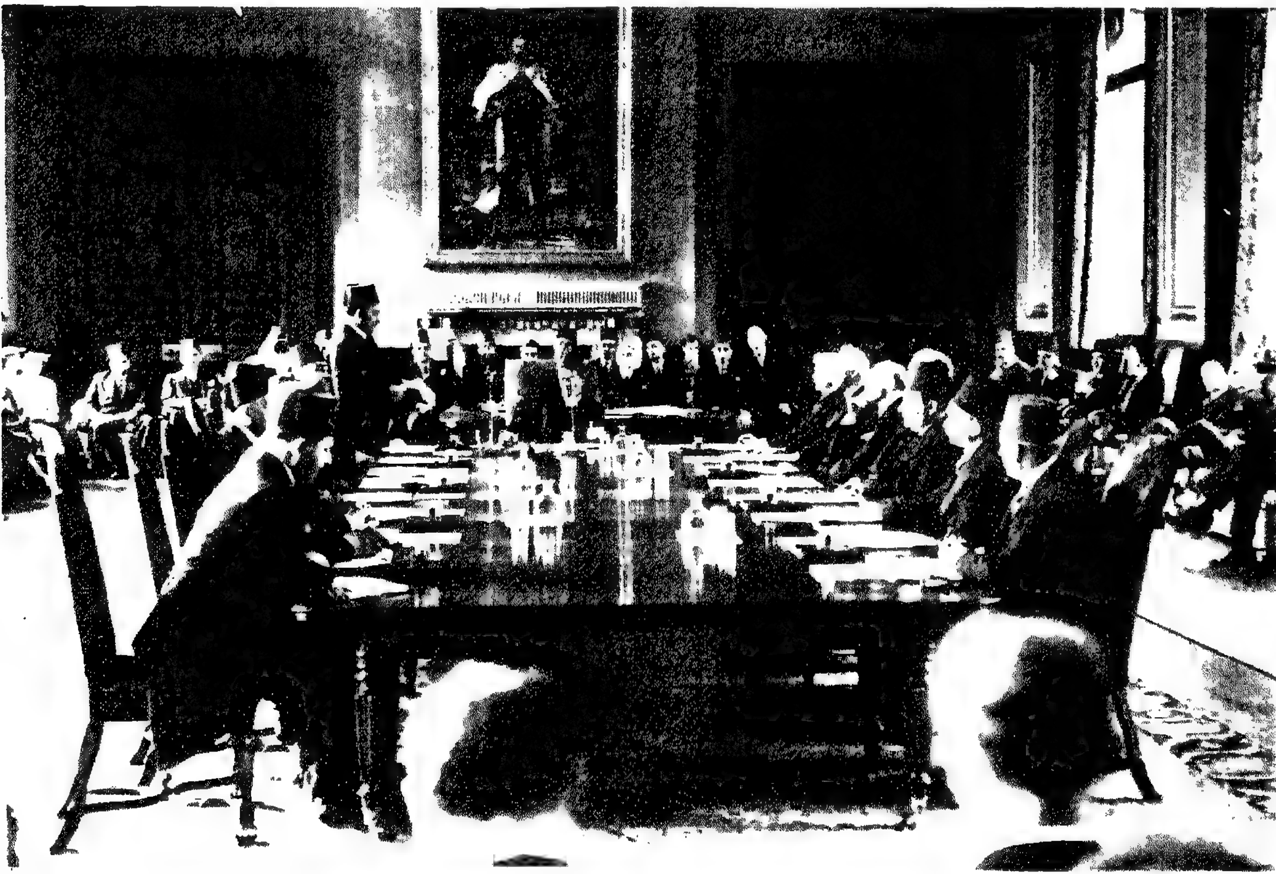
النحاس باشا واحمد ماهر ، ومكرم باشا ، وعثمان محرم ، امام نصب تذكارى بريطانى في لندن .



النحاس باشا وعلى الشمسى باشا وآخرون .



مصطفى النحاس باشا يخطب وبجانبه لورد كيلرن [سير مايلز لامبسون سابقاً]
[١٩٣٦] .



قاعة لوكارنو ــ توقيع المعاهدة المصرية البريطانية . النحاس باشا رئيس الوفد المصرى فى المفاوضات يخطب [١٩٣٦] .



النحاس باشا يتحدث فى تكريم السفير البريطانى لورد كيلرن .



النحاس باشا والسيد صادق المجددى .



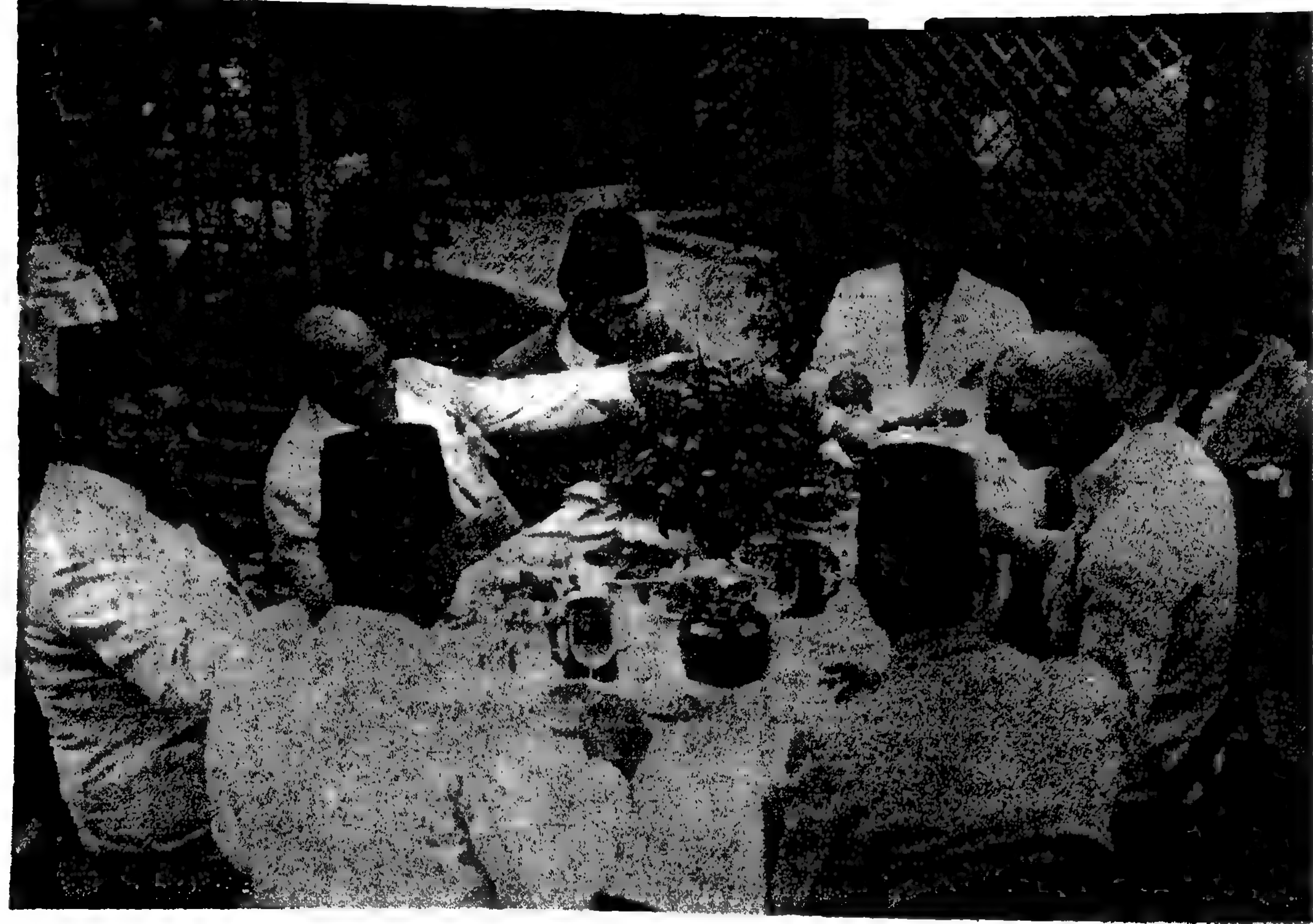
مصطفى النحاس باشا والسيدة قرينته وبدايات الزواج .



مصطفى النحاس وزكى العرابى ومحمود سليمان غنام ، ومحمد صلاح الدين والحسينى زعلوك وجماهير وفيرة .



النحاس باشا والسيدة زينب هانم الوكيل حرمه فى احدى الحفلات الخيرية ..



النحاس باشا يدعو الصحفيين إلى الشاى : محمود ابو الفتح وفكرى اباظه يظهران فى الصورة .



النحاس باشا فى حفلة القديس جرجس ، ومعه صبرى ابو علم باشا وضحكات من القلب .



مستر كولنز مدير شركة الأنباء المتحدة يهمس فى اذن النحاس باشا [مايو ١٩٥٠] .



مصطفى النحاس باشا وفؤاد سراج الدين باشا .



النحاس باشا والسكرتيرة الأولى للسفارة البريطانية فى مادبة غداء اقيمت (لرفعته) .



النحاس باشا ، ومكرم عبيد باشا ومحمود فهمي النقراشي باشا على قبر سعد .



فى ذكرى استقلال افغانستان النحاس والمجددى وفؤاد سراج واحمد حمزه ،[مايو ١٩٤٤] .



النحاس باشا عند نزوله من الباخره محمد على الكبير فى الاسكندرية [اكتوبر ١٩٥٠]



صورة رسمية لاسماعيل صدقي باشا .



لوردستانسجيت رئيس وفد المفاوضين البريطانيين وصدقي باشا رئيس الوفد المصرى .



اسماعيل صدقي باشا عقب توليه رئاسة الوزارة للمرة الثانية بعد استقالة محمود فهمي النقراشي باشا .



اسماعيل صدقى باشا ، وعبد الجليل ابو سمره باشا وحفنى محمود باشا [فى وزارة اسماعيل صدقى ١٣/٧/١٩٤٦]



اسماعيل صدقي باشا ، يخطب في افتتاح المحادثات الخاصة بتعديل المعاهدة المصرية البريطانية [١٩٤٦] .



النقراشى باشا يضع اكليلاً من الزهور على النصب التذكارى لشهداء الجامعة



كان ابراهيم عبد الهادى باشا من اخطب خطباء العصر بجانبه حامد جوده ومحمود غالب فى الهيئة السعدية



محمود النقراشي باشا وبعض انصاره قبل مصرعه بشهور .



الدكتور احمد ماهر باشا رئيس الهيئة السعدية مع أنصاره ومعه محمود فهمى النقراشى باشا نائب رئيس الهيئة ومحمود غالب باشا أحد وزراء الهيئة .



السياسيان الشقيقان د. احمد ماهر ومحمود فهمى النقراشى وانصارهما فى ميناء الاسكندرية .



حافظ رمضان باشا رئيس الحزب الوطنى .



حافظ رمضان باشا على البلاج بالقبعة والمنشفة



حافظ رمضان باشا رئيس الحزب الوطني يتوسط ابراهيم عبد الهادى باشا والدكتور نجيب اسكندر باشا في اجتماع للمعارضة [١٩٥٠/١٠/٢٩] .



حافظ رمضان باشا رئيس الحزب الوطنى عند اجراء الصلح بين فريقى الحزب ، فى الوسط عبد الرحمن الرافعى بك وعبد العزيز الصوفانى بك فى الصورة زكى على باشا ، فكرى اباظه باشا ، عبد المقصود متولى بك ، د . زهير جرانه ، فتحى رضوان وآخرون [ديسمبر ١٩٤٦] .



الامبراطورة الايرانية الأم والاميرة فوزية ، وبعض الاميرات المصريات والايرانيات



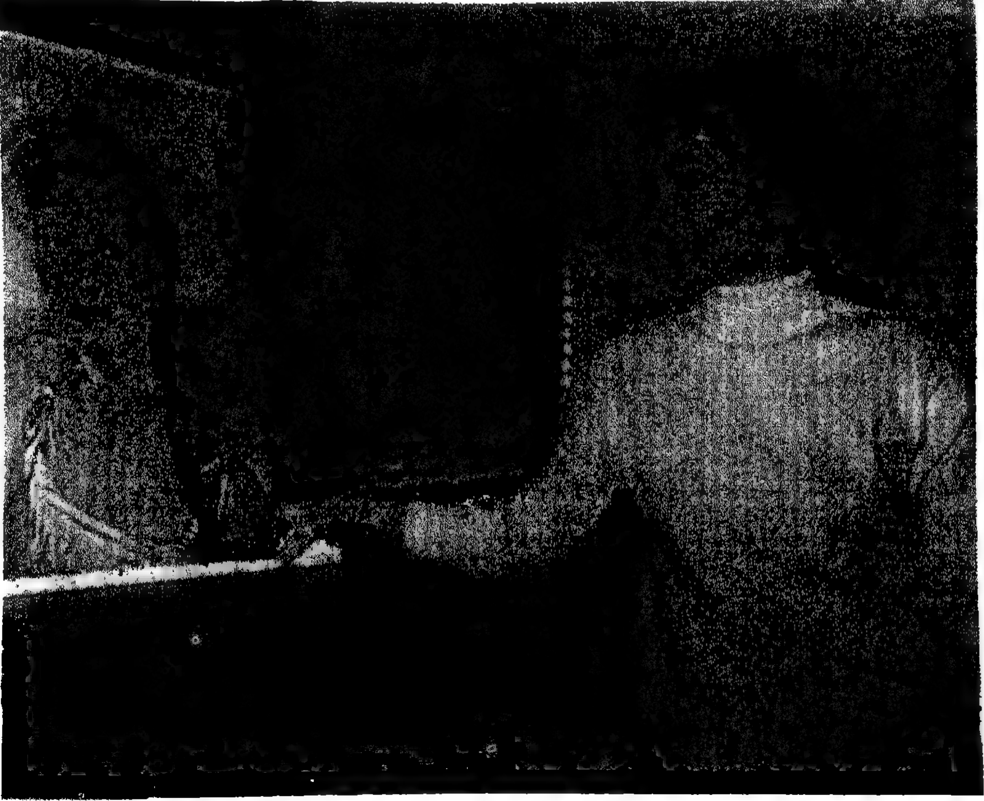
البانديت نهرو وحواء ادريس .



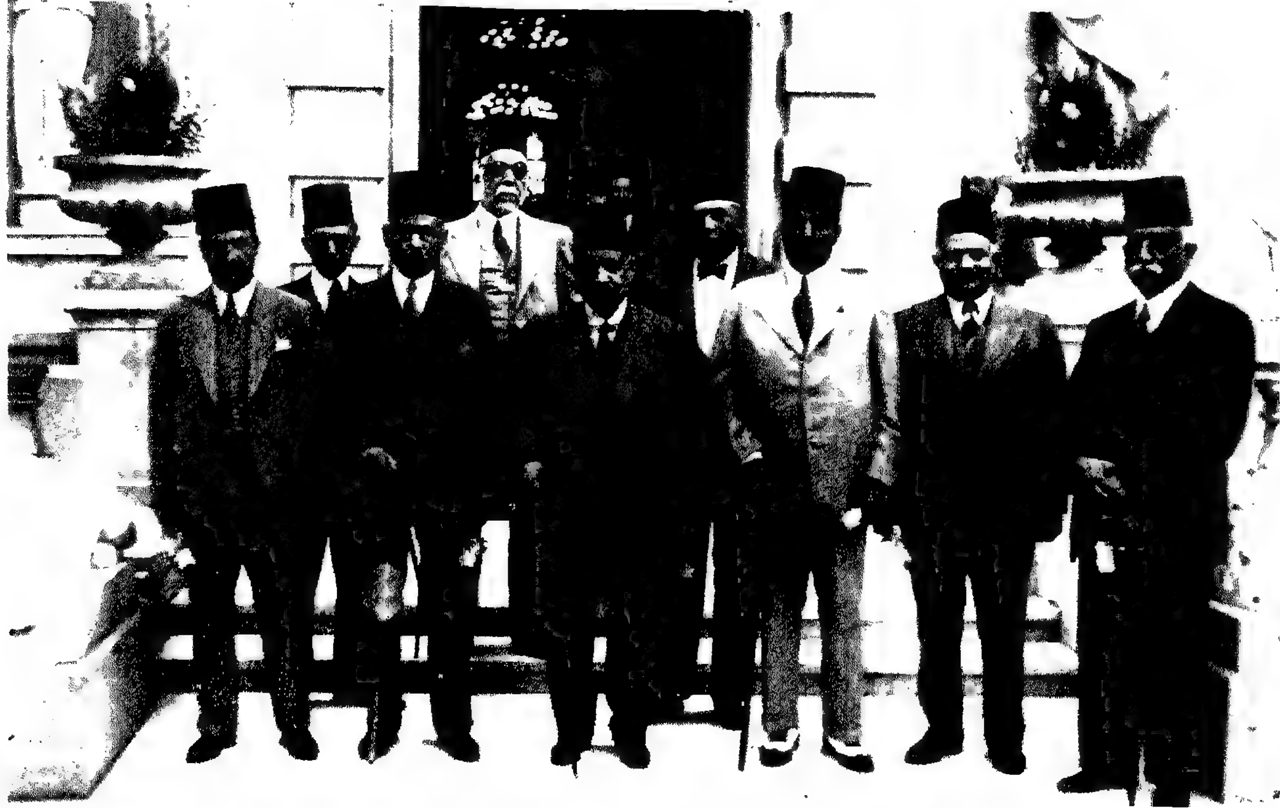
الأميرة نعمت الله مختار والأميرة شويكار والأميرة حورية حمدى وحرم سيد باشا خشبة واعمال خيرية .



الاميرة نسل شاه .



الملكة فريدة تباشر هوايتها فى الرسم .



توفيق نسيم باشا فى قصر انطونيادس بالاسكندرية عندما كان رئيساً للـوزراء ومعه بعض وزرائه



يوسف رشاد وجابلز بك يحصيان ما اصطاداً من بط .



شريف صبرى باشا كان صاحب مقام رفيع بالزى الرسمى .



على ذو الفقار باشا جد الملكة فريدة .



الأميرة فوزية والأميرة نسل شاه .



فوزية احمد فؤاد عندما كانت اميرة وقبل ان تصبح امبراطورة لايران .



الأميرة شويكار فى مؤتمر صحفى عام .



الملكة نازلى فى دار البرلمان



حرم محمد محمود خليل فنانة وراعية للفن وكان بيتها ــ وبيت زوجها ــ قطعة فنية
[متحف محمد محمود خليل حالياً] .



عمر فتحى باشا بالملابس العسكرية والسيدة قرينته .



الفريق حيدر باشا ، والفريق عمر فتحي باشا واللواء المهدي باشا .



عمر فتحى باشا والسيدة قرينته على البلاج .



الفريق عزيز على المصرى .



حيدر باشا ، وعبد الخالق حسونه باشا وحرمه في مباراة بين فريق رياضي مصري وآخر سويدي [ديسمبر ١٩٤٩] .



الأمير اسماعيل داوود عند زيارته للمعسكر ، الذى اشترك فى دورة هلسنكى الأولمبية .



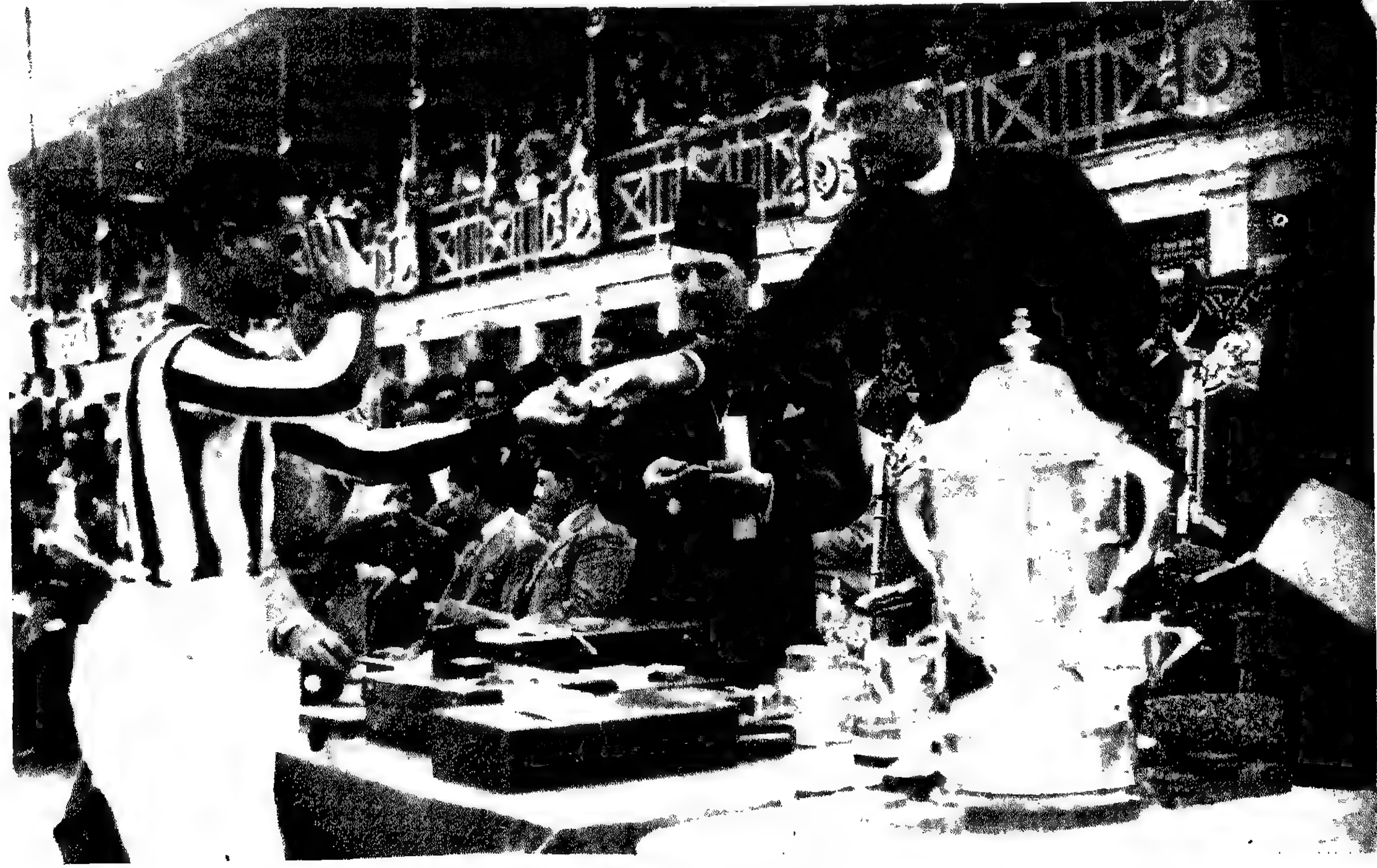
حيدر باشا وسراج الدين باشا فى مباراة لكرة القدم بين مصر واليونان .



أحمد عبود ، وفؤاد سراج الدين ومباراة بالنادى الاهلى .



بعض الأمراء فى إحدى حفلاتهم مع أحبابهم وأصدقائهم



الأمير عمر طوسون يوزع الجوائز الرياضية



الأمير اسماعيل داوود واللاعب رياضي شوقي .



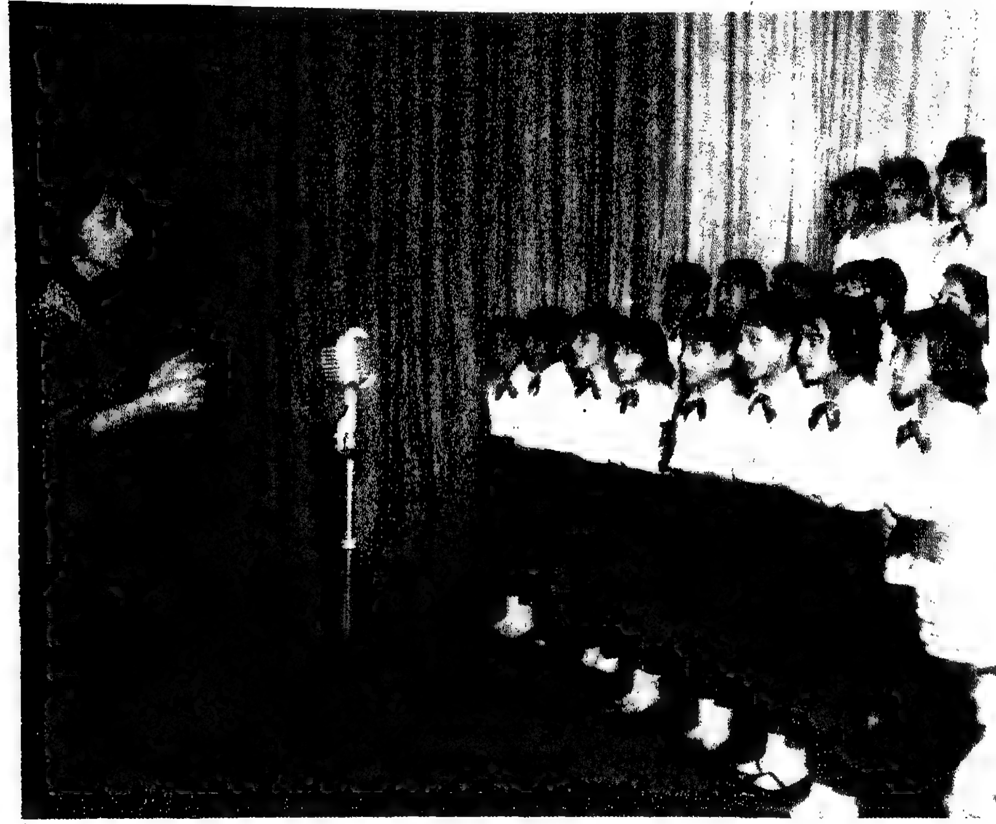
توفيق الحكيم يقوم فى ايام العزوبية بإحصاء الملاعق والشوك .



عباس محمود العقاد وعبد القادر المازني ولجنة اختيار الأناشيد العسكرية .



الفنان سليمان نجيب فى دار الأوبرا .



رتيبة الحفني تدرب تلاميذ وتلميذات مدرسة الاتحاد النسائي على قطع من الفولكلور المصري .



محمود مختار (التتش) أيام الملعب .



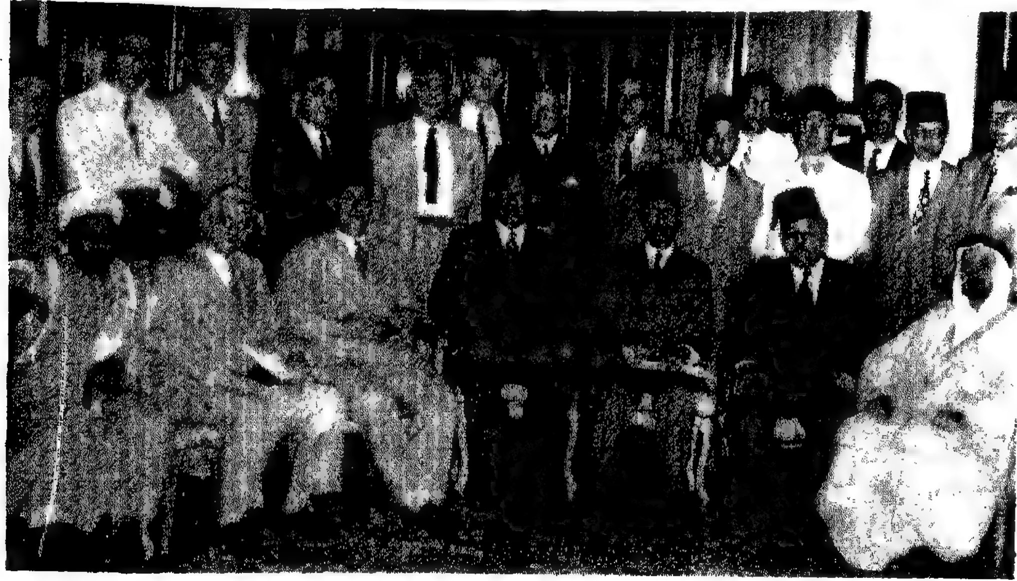
فؤاد سراج الدين باشا وفكرى أباظه باشا فى مباراة لكرة القدم بالنادى الأهلى .



سامى الشوا امير الكمان يعزف أمام فاروق وبعض الضيوف العرب (١٩٤٣) .



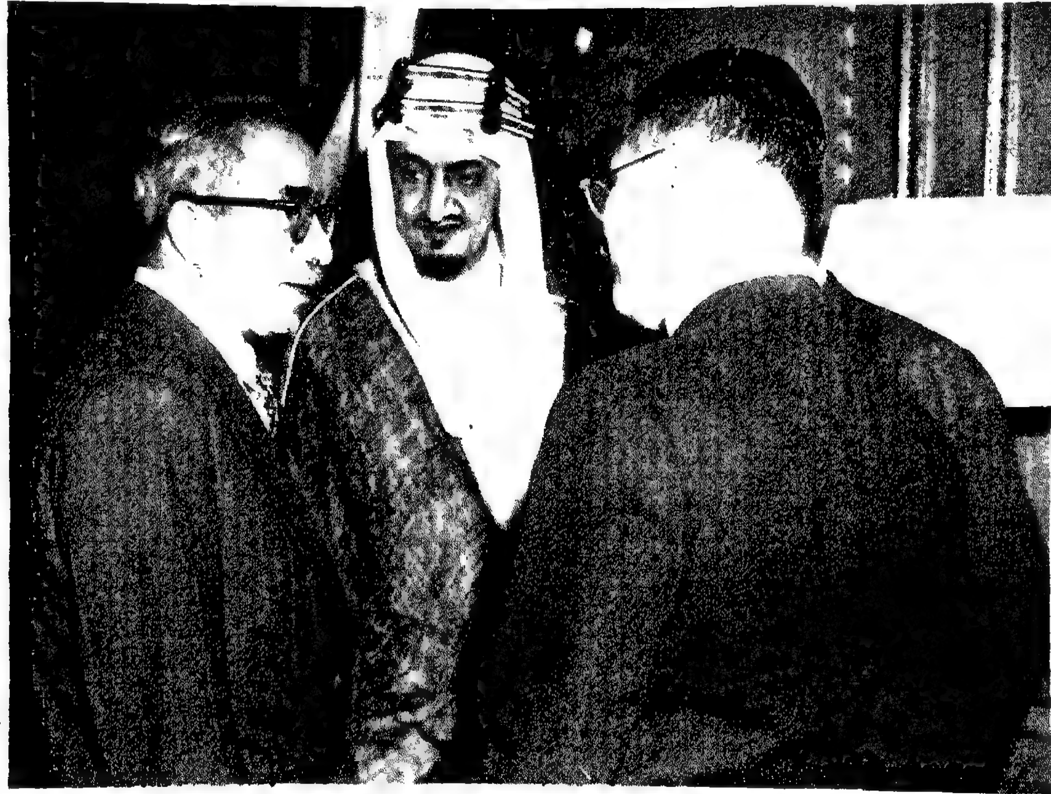
الحاج امين الحسيني-وعلى ماهر باشا فى صورة تذكارية .



فى تأسيس الجامعة العربية مصطفى النحاس باشا ، زيـاض الصلح ، تـوفيق ابو الهدى وبقية الوفود العربية .



رياض الصلح رئيس وزراء لبنان ومحمود فهمي النقراشي رئيس وزراء مصر .



فيصل بن عبد العزيز آل سعود عندما كان اميراً وفاضل الجمالى ، احد وزراء العراق ،
يستمعان إلى حديث د. محمد حسين هيكل باشا .



مكرم عبيد فى حفل اقامه النحاس باشا لتكـريم الزعمـاء الفلسطينين العـائدين من سيشيل .



الملك عبد الله ، عندما كان أميراً لشرق الاردن فى ضيافة مصر .



الأمير عبد الله الفيصل وابراهيم عبد الهادى .



الملك فيصل ملك العراق وشقيقه وامير شرق الاردن (الملك) عبد الله في القدس الشريف .



الفريق عزيز المصرى باشا وفوزى القاوقجى ومحاولات لانقاذ فلسطين .



رياض الصلح وابراهيم عبد الهادى ..



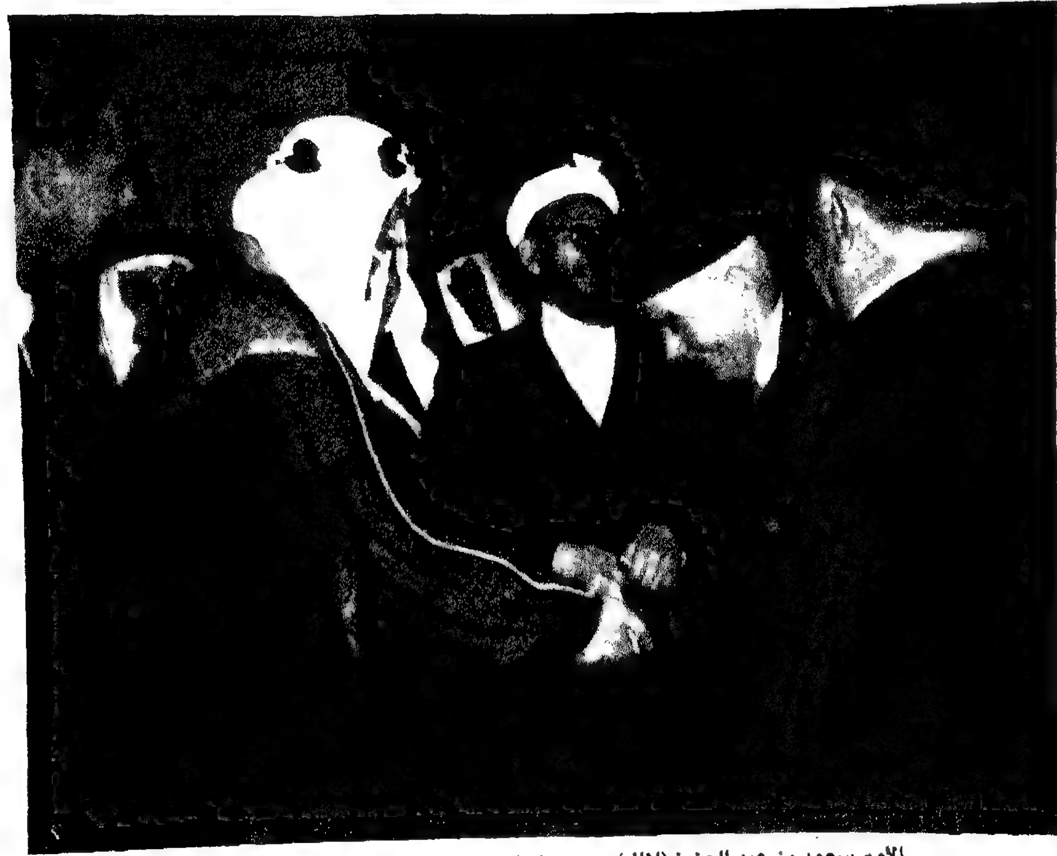
الأمير (الملك) فيصل بن عبد العزيز آل سعود فى قصر عابدين .



شيخ المشايخ الشيخ عجيل باشا واولاده الذين كانوا يدرسون فى كلية فكتوريا بالاسكندرية ، وحمد الباسل باشا والكيلانى بك القائم باعمال المفوضية العراقية .



نورى السعيد باشا وحمد الباسل باشا والدكتور ابراهيم الشو يحى فى مطار الماظه
كان نورى رئيساً لوزراء العراق .



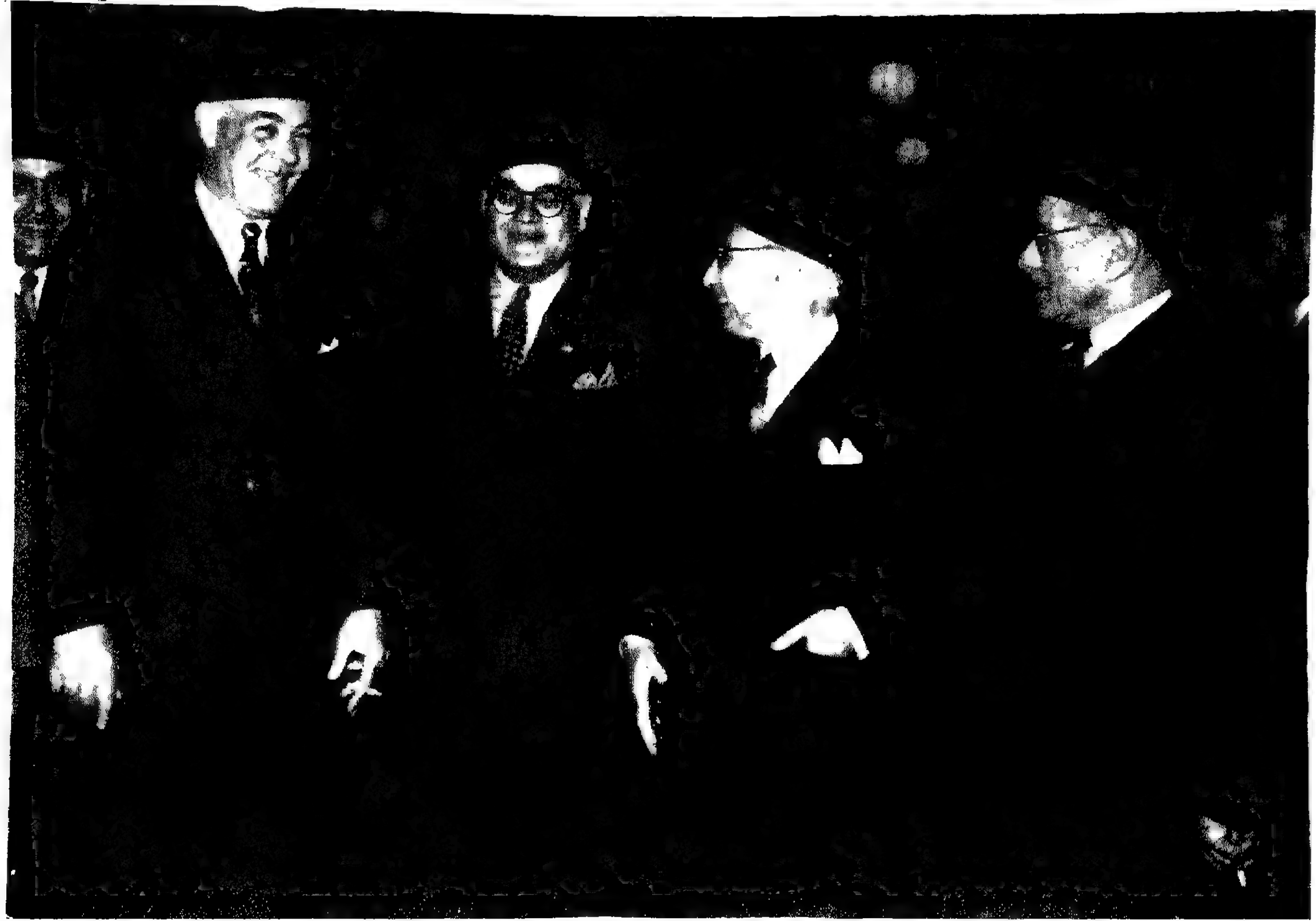
الأمير سعود بن عبد العزيز (الملك) يرحب بابراهيم عبد الهادى باشا وبينهما صادق المجددى وزير افغانستان المفوض فى مصر .



الامير محمد على والأمير سيف الإسلام فى انتظار الملك فاروق .



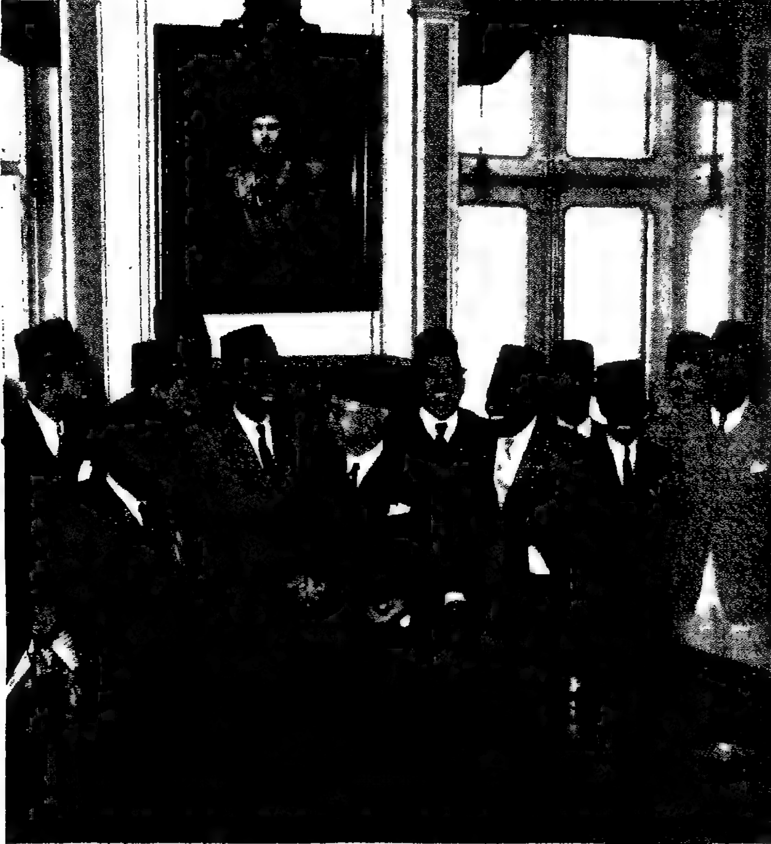
علال الفاسى زعيم حزب الاستقلال بالمغرب فى مصر صورة نادرة) .



ابراهيم عبد الهادى وفكرى أباظه وجميل مردم وعلى ايوب فى تكريم فكرى أباظه بدار الهلال .



الملك عبد العزيز آل سعود عند زيارته لمصر (١٥/١/١٩٤٦) وحديث مع د. هيكل باشا وبعض الوزراء المصريين .



اسماعيل صدقى رئيس مجلس الوزراء والوفد السودانى الذى قدم إلى مصر للعمل لتحقيق وحدة وادى النيل والاستقلال : كان الوفد برئاسة اسماعيل الأزهرى وعضوية كل رؤساء الأحزاب السودانية .



فى ٧/١٢/١٩٣٥ تظاهر الطلبة حاملين صورة الشهيد عبد المجيد مرسى ومعطفه وقبعته .



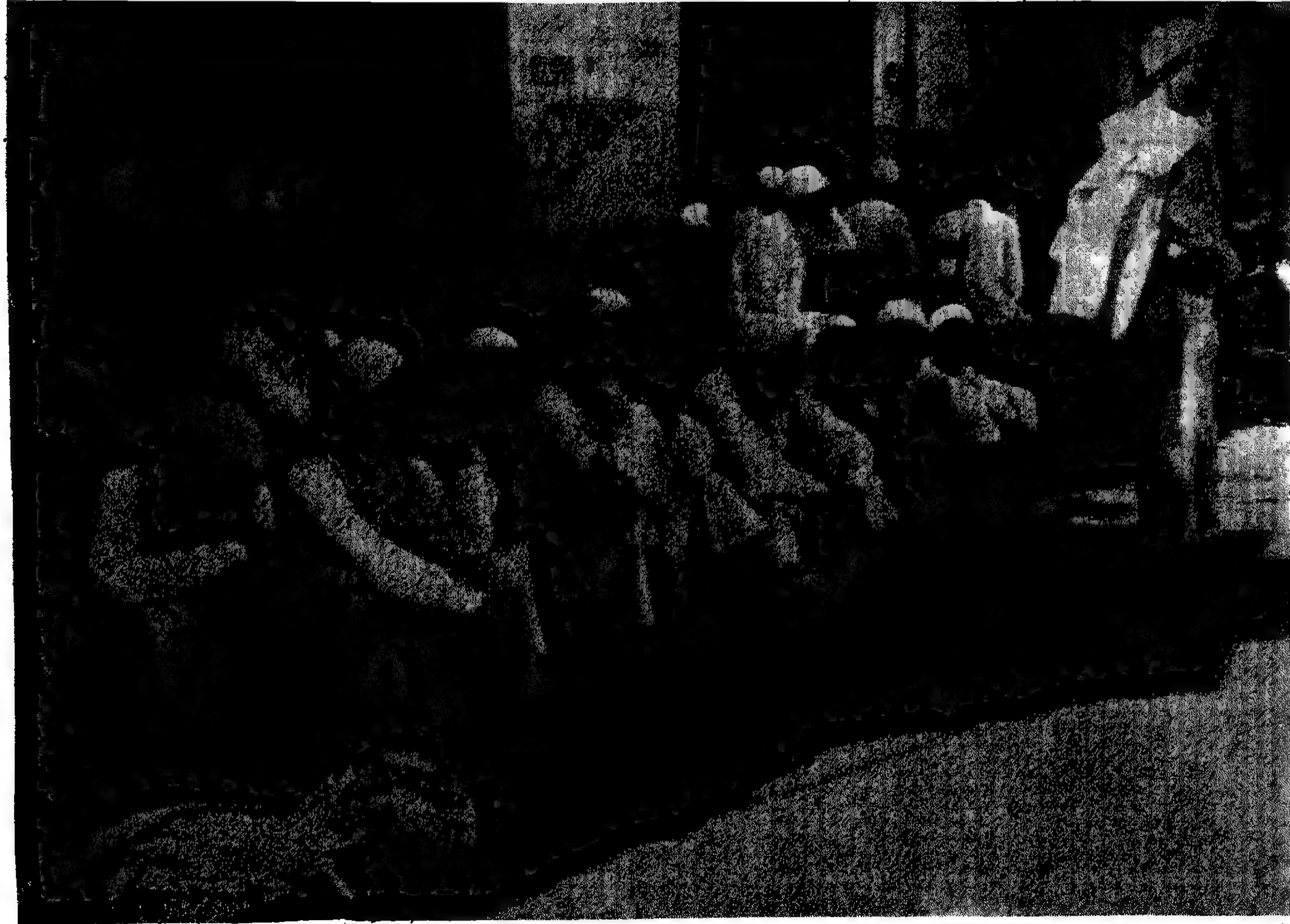
مظاهرات الشباب المصرى ، مدرسة النيل الثانوية ، مدرسة الفنون والصنايع الملكية ، كان شباب مصر يغلى فى الثلاثنيات والاربعينات .



اضراب ضباط البوليس : اجتمعوا فى قهوة لونا بارك ، بعد بداية الإضراب للحوار فى استمرار الإضراب أو عدم استمراره .



وكذلك اضرب عمال الترام والاوتوبيس ، من اجل تحقيق مطالبهم .



اضرب عمال المحلة الكبرى والصورة امام ابواب المصانع فى انتظار فتحها .



صورة اخرى لإضراب ضباط الشرطة فى الاسكندرية ..



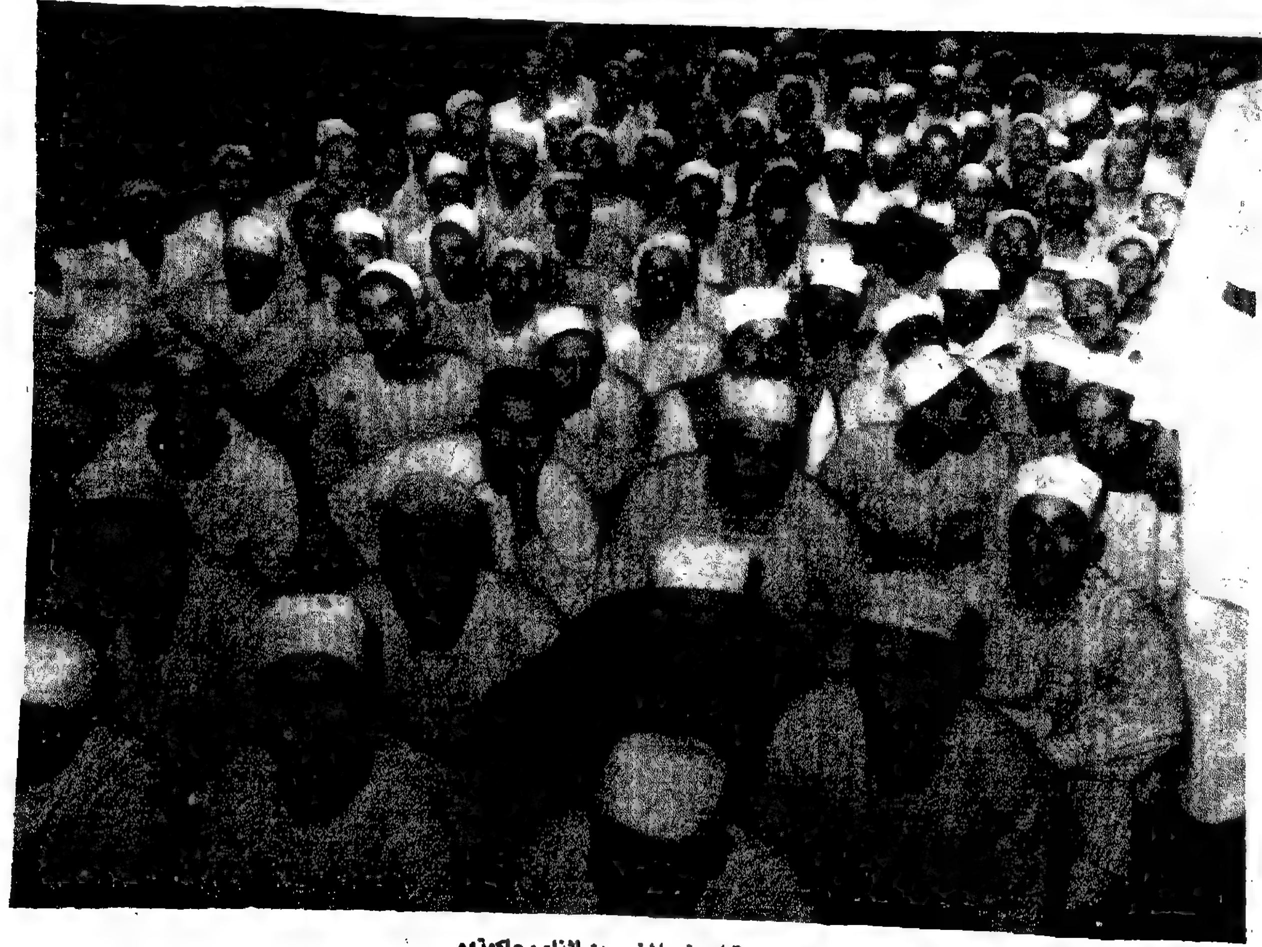
ضباط البوليس المضربون بملابسهم الرسمية فى احدى الحدائق العامة .



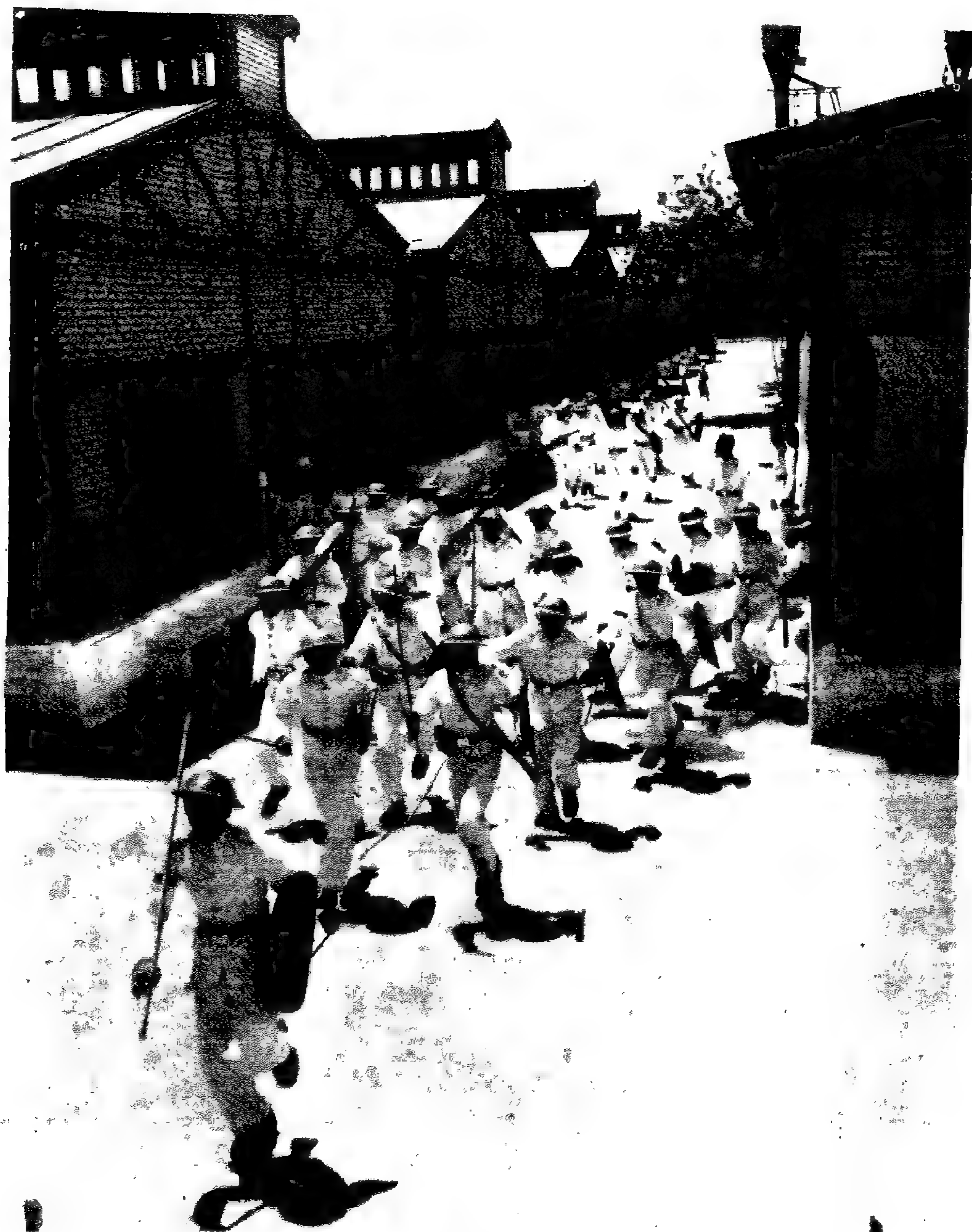
ضباط البوليس وجنودهم متجمهرون .



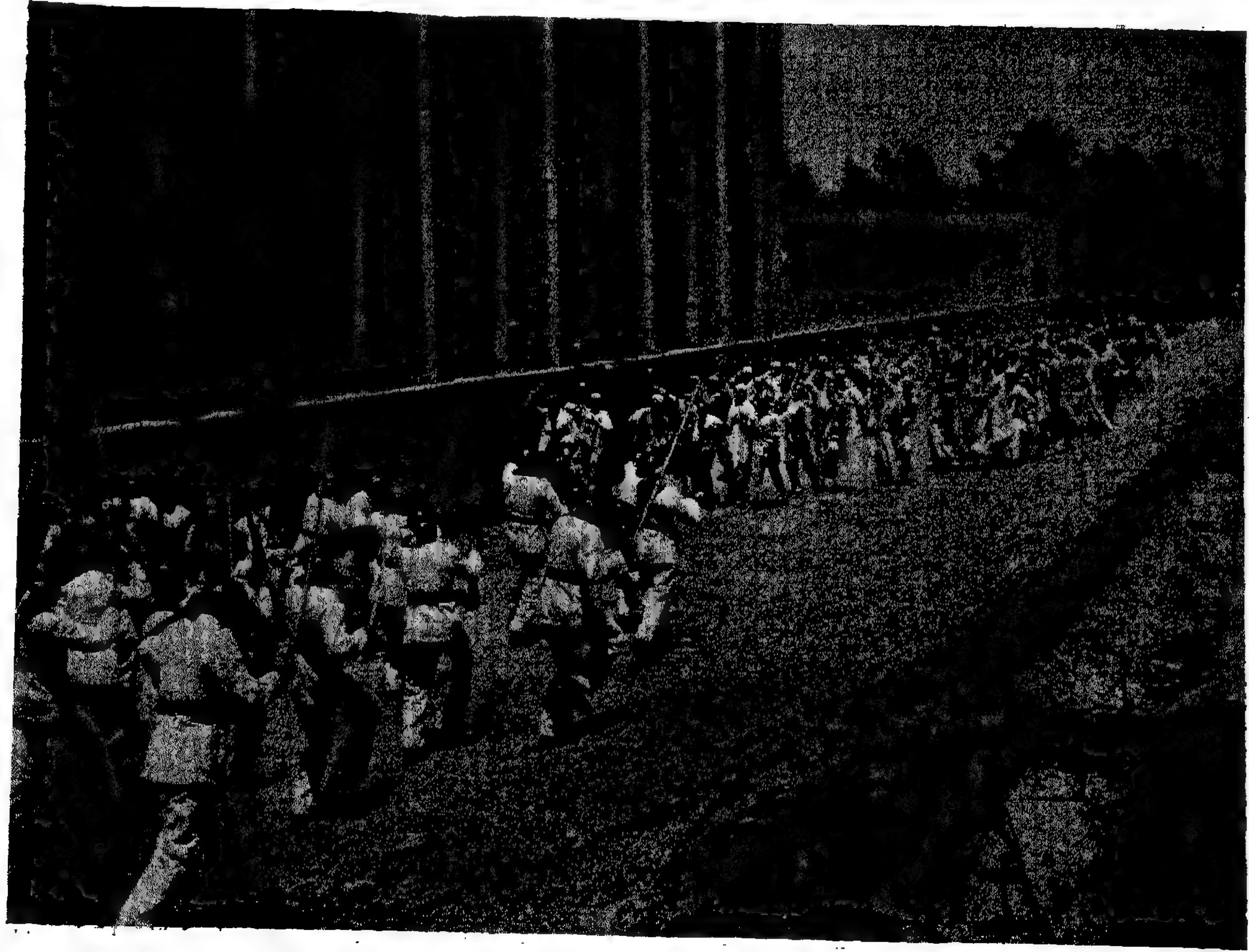
طالبة جامعية تتصدر احدى المظاهرات .



صورة لبعض المضربين اثناء محاكمتهم .



هكذا كانوا يخرجون من ثكناتهم وكل واحد منهم مزود بوسائل الوقاية من الطوب .



الدروع فى مواجهة الطوب والمتظاهرون فى مواجهة البوليس .



واضرب المحامون أيضاً ، في ٢٨ / ١١ / ١٩٤٨ وخرجوا من دار محكمة الاستئناف بباب الخلق في طريقهم إلى نقابة المحامين .



بعض آثار الحرائق والاضرابات التى نشبت فى شوارع القاهرة .



بعض الطلبة المعتصمين في عنابر النوم .



طلبة كلية التجارة جامعة القاهرة فى معركة أمام مبنى كليتهم مع البوليس .



بمنتهى القسوة كان البوليس « يتعامل » مع المتظاهرين .



فى الحرم الجامعى بجامعة فؤاد .



بعض مظاهرات الطلبة .



حفنى محمود باشا وزير ، وسياسى اديب .



محمد محمود جلال ود . سيد صبرى نجمان فى سماء السياسة والقانون .



فؤاد سراج الدين باشا وأحمد عبود باشا ولقاء حار .



عبد الفتاح يحى باشا ومحمود فخرى باشا .



على زكى العرابى كان رئيساً لمجلس الشيوخ .



حسين سرى باشا وعبد الحميد سليمان باشا فى البرلمان ساعة وفاة حسن صبرى باشا رئيس مجلس الوزراء .



الشيخ مصطفى عبد الرازق شيخ الجامع الأزهر الأسبق .



د. عبد الرازق السنهورى والجامعة تؤبن الملك فؤاد .



الابراشى باشا فى القصر الملكى بعابدين .



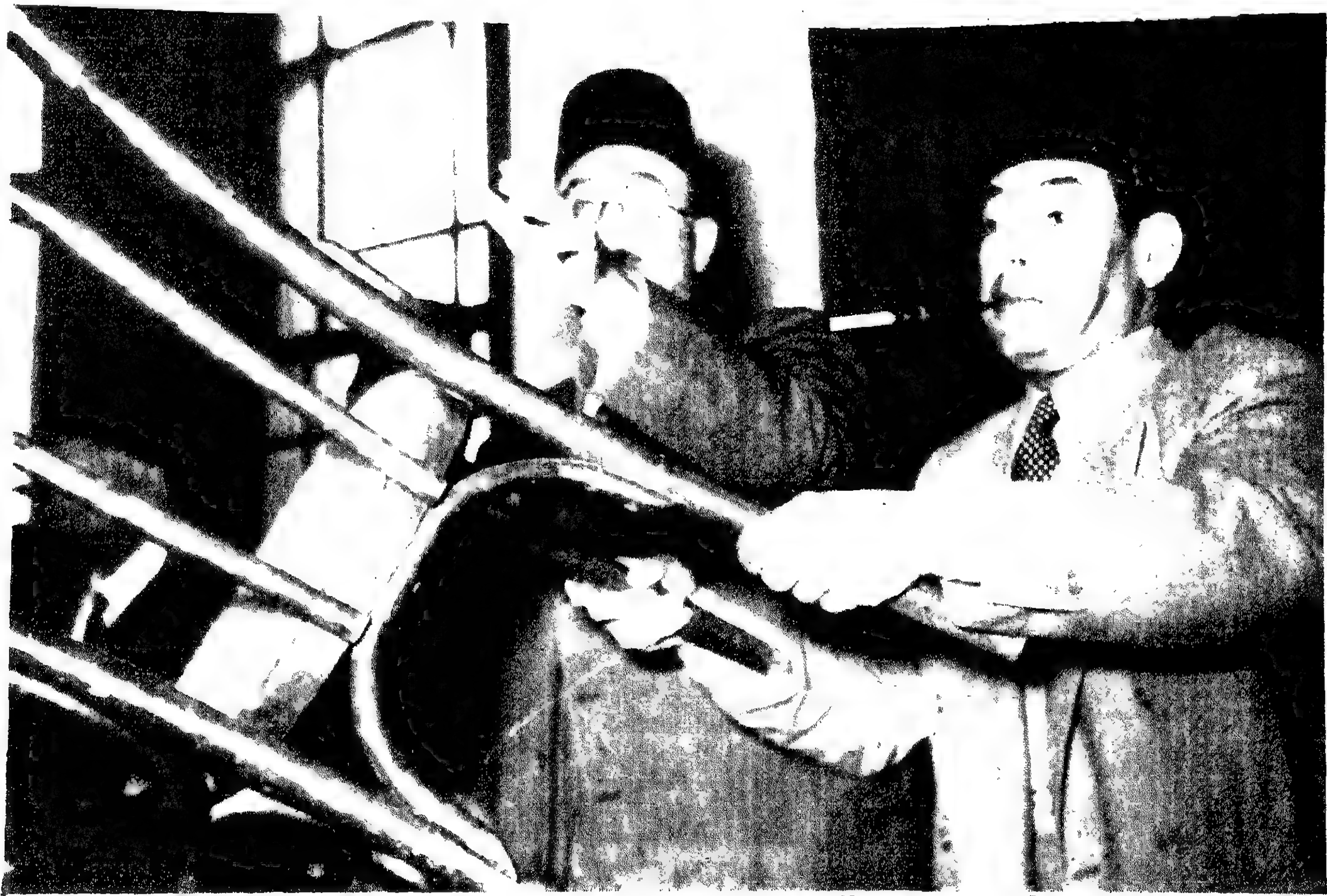
محمد علي علوبه باشا وكفاح من اجل قضايا العروبة والإسلام .



حسين سرى باشا وحديث سريع مع الصحفيين .



محمود غالب باشا و د. السنهوري باشا .



حفني محمود يحمل كرسياً ليجلس عليه في اجتماع لحزبه — حزب الأحرار الدستوريين .



عبد الفتاح يحيى باشا عندما كان رئيسا للوزراء وحسن صبرى (بك) باشا .



فى محاجر اسوان ، انطون الجميل ، توفيق دوس ، مدام رشيد ، حامد العلايلى ، محمد الشريف .



د. محمود فوزى مندوبنا الدائم فى الأمم المتحدة .



محمود منصور باشا من اشهر قضاة مصر .



على ماهر باشا ، وفكرى اباظه باشا ، وتوفيق دوس باشا ، وشكرى زيدان بك فى دار الهلال .



عبد العزيز فهمي باشا في قريته كفر المصيلحة مع طائفة من ابناء القرية لم يكن بكفر المصيلحة أمي واحد .



فؤاد سلطان (بك) وحرمه وابنته وزوجها من أغنى أغنياء مصر ، ومن بناة بنك مصر .



الأمير عمر الفاروق نجل السلطان عبد المجيد يحى مستقبليه بالاسكندرية وابنته إلى جانبه .



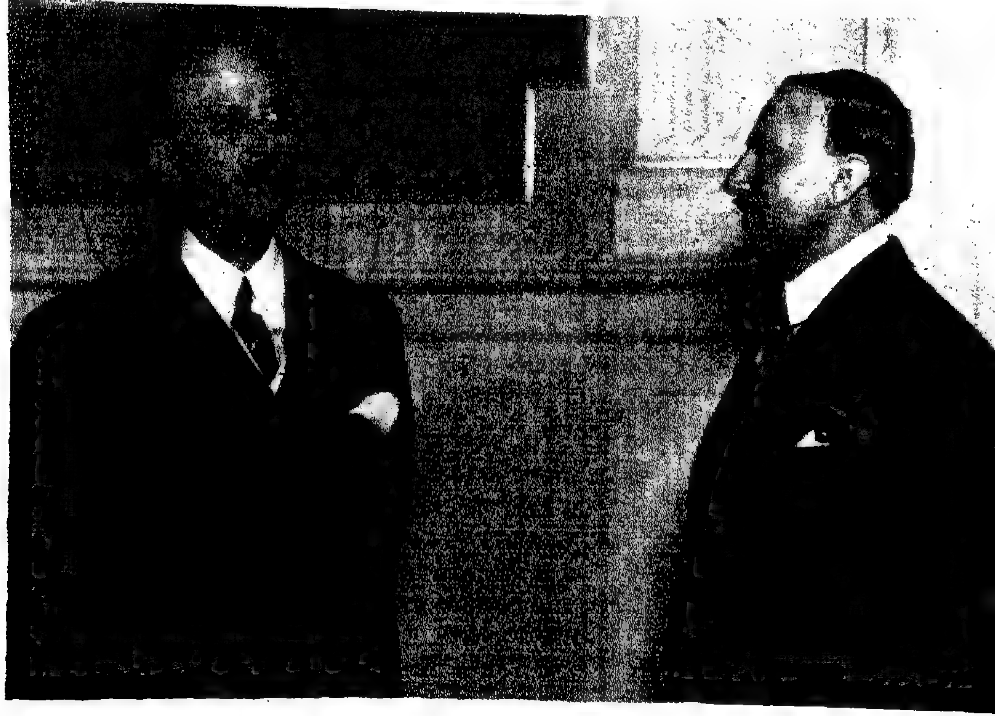
محمد توفيق رفعت باشا وكريمتاه .



صبرى ابو علم باشا احد وزراء العدل السابقين وسكرتير عام الوفد المصرى قبل فؤاد
سراج الدين باشا .



يوسف الجندى بك وفهمى ويصا واصف بك .



عبد الفتاح يحيى باشا عندما كان وزيرا لخارجية مصر وعلى سرى بك القائم بأعمال مفوضية مصر فى براج زمان .



مكرم عبيد باشا فى انتخابات نقابة المحامين عندأرشح نفسه نقيباً للمحامين .



على ماهر باشا ومحمد توفيق رفعت باشا وتوفيق دوس باشا وآخرون .



عبد الفتاح يحى باشا ، لطفى السيد باشا عبد الجليل ابو سمرة باشا من وزراء سنوات ما قبل الثورة .



شريف صبرى باشا فى واحدة من حفلات وزارة الخارجية المصرية .



الشيخ مصطفى عبد الرازق فى مكتبه : شيخا للأزهر



عثمان محرم باشا من أشهر المهندسين المصريين فى الاحتفال بانشاء الجامعة العربية .



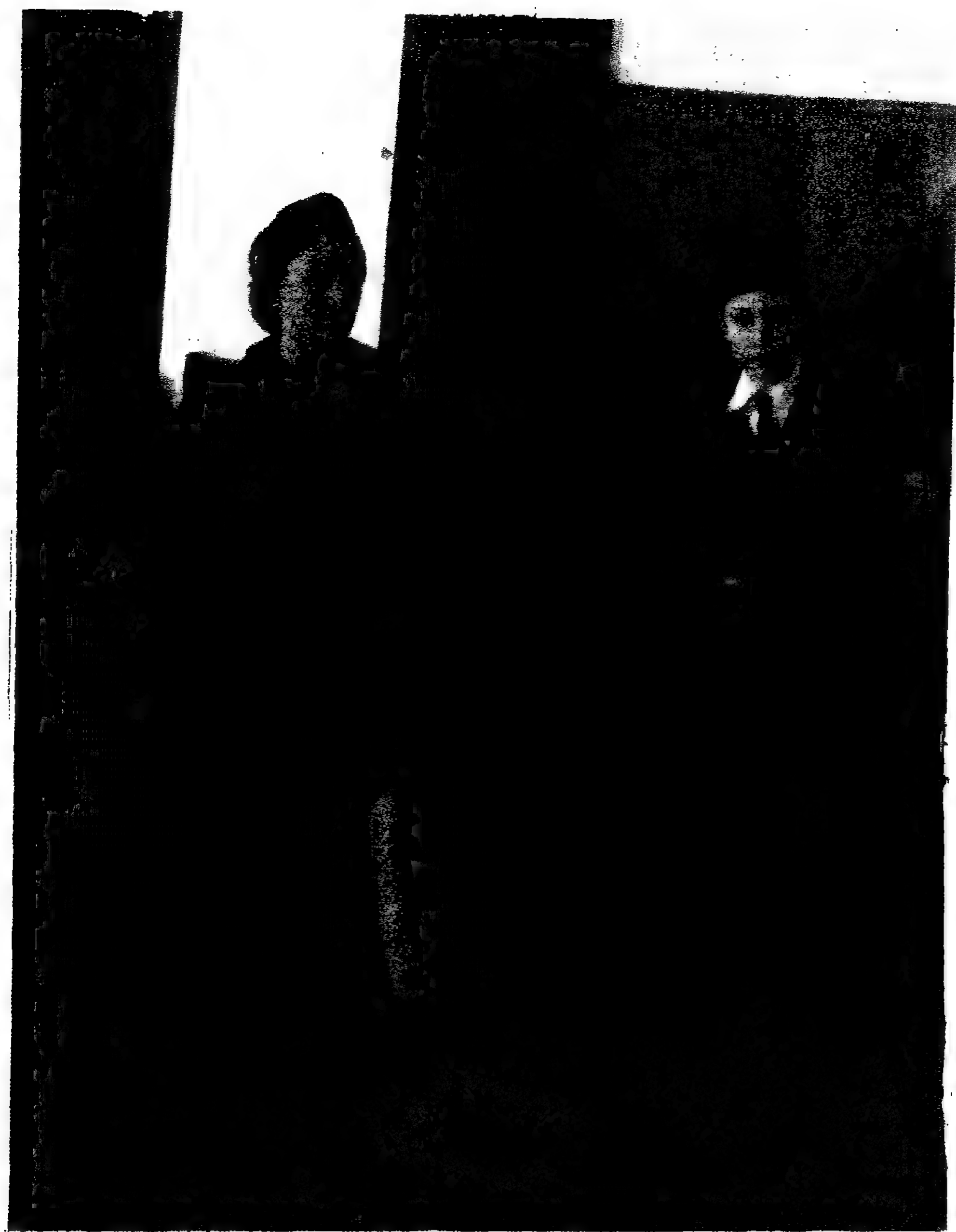
دولة النقراشى باشا يوقع ميثاق الجامعة العربية .



النقراشى باشا وهيكل باشا وتحية من رئيس الوزراء النقراشى باشا .



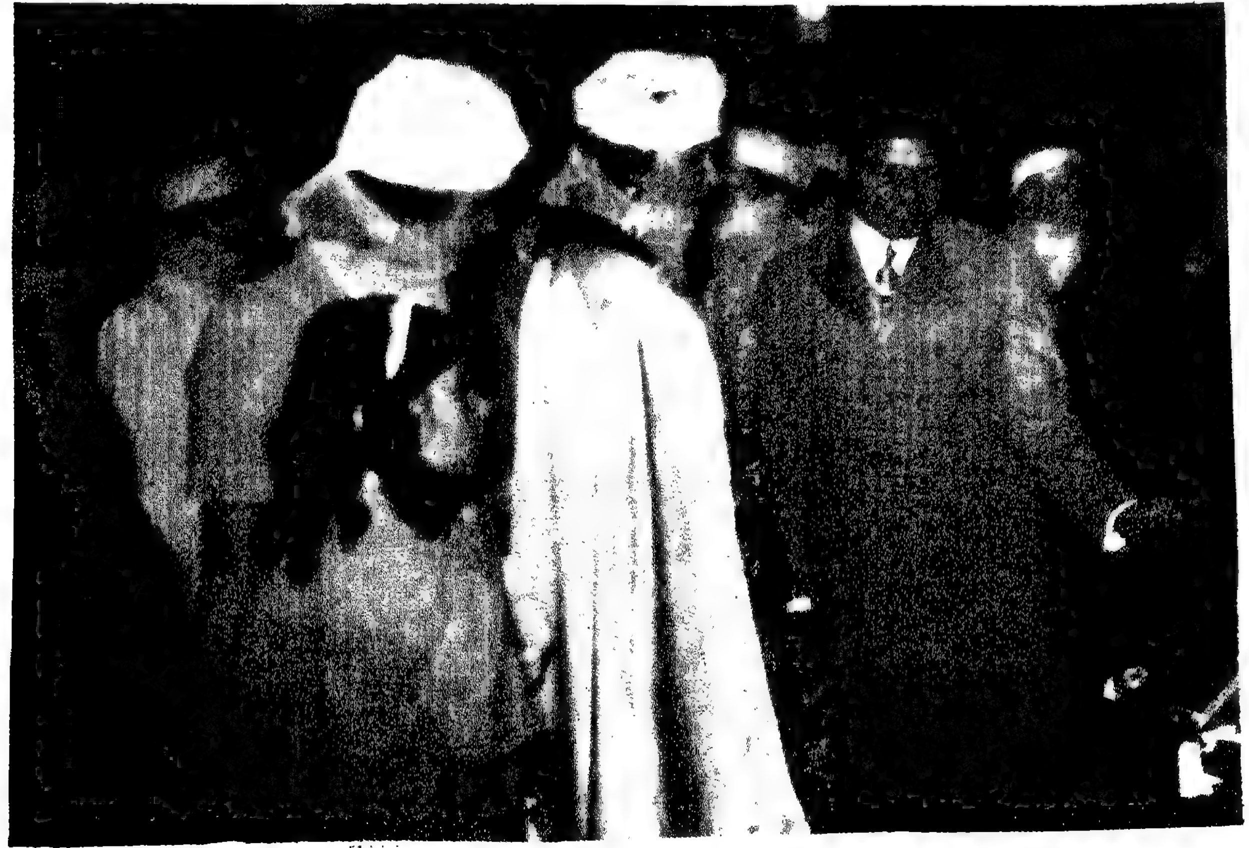
لطفية هانم العبد تشرف على معسكر متطوعى حرب فلسطين .



الأميرة نسل شاه وابنها .



لطفية العبد فى زيارة لجرحى منطقة القتال .



الملكة نازلى فى معرض للورد .

الفهرس

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٩/٧١١٦

ISBN ـ ٩٧٧ ـ ٠١ ـ ٢٢٣٢ ـ ٧

كما قلت فى الجزء الأول والثانى من كتابى : سنوات ما قبل الثورة : لعلها التجربة الأولى من نوعها فى دنيا التأليف .

أن يكتب الشعب تاريخه بنفسه وأن يجمع الكتاب الواحد بين دفتيه الرأى والرأى الآخر أقول فى الجزء الثالث من هذه السلسلة إننى كنت أتوقع هذا الإقبال الرائع على هذا الكتاب من جماهير الشعب لأنهم يقبلون على تاريخهم .. هم الذين كتبوه لا بل هم الذين صنعوه ولست سوى مسجل لصفحات تاريخ مشرق صنعه شعب عظيم معطاء .

كالبحر يمطره السحاب
وماله فضل عليه لأنه من مائه

الثمن ٢٥ جنيهاً

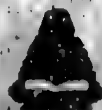
مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

صبري أبو المجد

سنوات ما قبل الثورة

١٩٣٠ - ١٩٥٢

الجزء الرابع







سنوات ما قبل الثورة

صبري أبو المجد

الجزء الرابع



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩١

مقدمة الجزء الرابع

عندما أعددت خطة هذه السلسلة من الكتب ـ والتى أرجو من الله سبحانه وتعالى أن يعطينى الصحة لاستكمالها ـ قد وضعت فى ذهنى أن تكون كل مقدمة كتاب مستقلة تماما ، بحيث يمكن أن تكون كل أجزاء هذه السلسلة مستقلة فيما لو شاء أحد أن يطبعها مستقلة . وقد كان هدفى من هذه المقدمات أن أضيف للدراسات المصرية دراسات أرى أنها جديدة ومتماسكة ، وان كانت محيطة من بعيد أو قريب بموضوع جوهر هذا الكتاب وأصوله وجذوره .

وهكذا حرصت فى الجزء الأول من الكتاب ـ سنوات ما قبل الثورة ـ على معانى معينة ، تختلف عن تلك التى جاءت فى الكتاب الثانى ، وكذلك الكتاب الثالث .

ولقد اخترت لمقدمة الكتاب الرابع أربعة محاور هامة ، أو على الأقل أرى من وجهة نظرى أنها محاور هامة يمكن أن تكون موضوعا لكتابات هذه المقدمة .

وأول هذه المحاور تلك السلاسة والترابط بحيث نجحت سلسلة سنوات ما قبل الثورة فى ربط الشارع المصرى بالتاريخ المصرى . ولقد قلت انه لأول مرة يجرى ربط الشارع المصرى بكتابة تاريخه ، بمعنى أنه لأول مرة فى تاريخه يقوم هو بكتابة تاريخه بنفسه ، فلم يحدث مرة من قبل أن قام شعب بتسجيل تاريخه على النحو الذى أتحته له فى هذه السلسلة .

كان الكتاب ، ومن مكاتبهم الفاخرة وسياراتهم المطعمة وبأقلامهم المذهبة ، يصدرون الأحكام كيفما يشاءون . هذا زعيم خائن ، وذاك زعيم تابع . وهذا ملك الأغلبية ، وذلك عدو الشعب ، وهكذا وهكذا ، تماما كما يريدون ، دون أن يتقبلوا نقدا ، أو ينشروا ردا ، أو يصححوا واقعة . تصدر تلك الكتب أو تلك المقالات فى الصحف وكأنها أقوال منزلة لا يستطيع أحد مناقشتها أو التصدى لها . فالأسياف غالبا مسلطة .. والصحافة دائما متخذة صفوف أبنائها وكتابها أو حتى الذين يتعاملون

معها • فاذا بى أفتح الباب على مصراعيه • كل صاحب حق له حقه فى الرد بأى أسلوب وبأية لغة ، حتى لو كان فى ذلك سبا شخصيا لى • وأذكر ذات مرة اننى قلت للأخ الصديق دكتور محمد بلال رحمه الله ، وهو من زعماء شباب مصر الذين لم يأخذوا حقوقهم شبابا أو شيوخا ، قلت له فى بداية كتابتى لسنوات ما قبل الثورة : فلنتفق على أسلوب الحوار ، وبعد ذلك فلتكتب كل الذى تكتبه • واتفقنا أنا وهو رحمه الله ، وكتب ما يريد أن يكتبه فى صحيفته هو •

ومرة قلت لصديق كنا نسير معا فى الشارع : ماذا حدث ؟ لقد صدرت الأجزاء الثلاثة ، وفيها عشرات من الشتائم الخاصة بى • فماذا حدث لى ؟ هل راح الأطفال يرددون ما جاء فى هذه الكتب من شتائم ؟ هل تأثر لها أحد ؟ هل ضايقتنى فى حياتى ؟ هل أفادت أصـــحابها ؟

لا شىء من هذا ، فقد بقيت سطور فى كتاب لمن يريد أن يقرأها ويعرفها ويتذكر ويرى • وستظل نافذة الحـوار التى فتحتهـا فى هذا الكتاب موصولة ان شاء الله كواحدة من نوافذ الفكر الجدى التاريخى الأدبى الأصيل •

وقد أثرت أن أترك لأخوتى كعادتى فى مقدمات هـذه الكتب ، تتمة الحديث عن مثل هذا القرار الذى قمت به • وأقول اننى فى كل مرة أجد تعبا ونصبا فى اختيار من اختار من الزملاء فى كل كتاب ، فالعشرات من الأخوة قد طوقنى جميلهم فى مصر والبلاد العربية بما كتبوه عنى وعن هذه السلسلة ، حتى لقد تضاعف ما كتب عن هـــذه الكتب نفسها •

وفى هذه المرة ، آثرت أن أختار فى البداية ابنا حبيبا على النفس ، له فى قلبى منزلة الابن حقيقة ، هو أحمد زكى عبد الحليم الذى كتب فقال :

يروى لنا الكاتب والمؤرخ الصحفى الكبير صبرى أبو المجد قصة أخطر اثنتين وعشرين سنة فى تاريخ مصر الحديث ، وهى قصة تلك الفترة التى بدأت عام ١٩٣٠ مع بداية الأزمة العـالمية • والتى انتهت بقيام ثورة يوليو ١٩٥٢ •

وقد شهدت هذه السنوات أحداثا كثيرة وعميقة وحيوية ، لعل أخطرها قيام الحرب العالمية الثانية ، وما ترتب على ذلك من انقسام السياسيين فى مصر ما بين المحور والحلفاء ، وما وقع خلال ذلك من أحداث جسام شهدت نهاية أكثر من زعيم سياسى •

ثم جاءت حرب فلسطين · وما ترتب عليها من حالة غليان فى الوطن العربى كله ، وما تولد عنها من ثورة فى مصر ·

وخلال هذه السنوات التى نتحدث عنها ، مات الملك أحمد فؤاد وتولى عرش مصر الملك فاروق · وهو الملك الذى ولد قبل موعد ولادته بأيام ، فأثار ذلك أحاديث وهمسات ، كانت أصخبها تلك القصيدة التى قالها بيرم التونسى ، وترتب عليها نفيه من مصر · وهو أيضا الملك الذى انتهت على يديه الملكية فى مصر · بعد أن فقد ما كان يحظى به من حب وتقدير فى بداية ولايته ·

ولأن الأحداث كبيرة وكثيرة ، فقد اختار المؤلف المؤرخ أن ينهج أسلوبا متميزا ، وهو أن يكتب عن الحياة الخاصة لبعض الشخصيات التاريخية فى هذه الفترة ، باعتبار أن هذه الحياة كان لها أثرها المباشر أو غير المباشر فى صنع الأحداث ·

وهو ينهى مقاله بقوله : وبعد · فهذه صفحات من تاريخ سنوات ما قبل الثورة · وهى بالتأكيد ليست أجمل الصفحات ، لأن مصر تعودت أن تنجب الرجال الكبـار الذين يصنعون الأحداث والمواقف ، ولكننا أخذنا من صفحات هـذا الكتـاب الموسـوعة ، وهى تقترب من الألف صفحة ، قصة أحمد حسنين باشا ، الرجل الذى كان لتاريخه دور كبير فى تغيير الأحداث فى مصر ، بما مهد لقيام ثورة يوليو ، وانتهاء عصر ورجال ، وبداية عصر آخر ·

ويبقى أن نقول ان المؤرخ والكاتب صبرى أبو المجد قد حرص على الحياد قدر الامكان ، بحيث ترك للأحداث وحدها أن تقول كل شىء ، ولكنه تخلى عن هذه الحيدة ازاء رجالات مصر الأبطال ، فقد حاول قدر الامكان أن ينصفهم وينصف تاريخهم ·· بانحياز شديد ·

وهذا موقف يحسب له ، ولا يحسب عليه ·

★★★

ثم اختار مقالا للأخ محمود عبد المنعم مراد ، وهو رفيق جيل وان لم نلتق فى مدرسة ،ولم نتعارف فى حزب ، ولم نتعارف معا فى حلقة دراسية واحدة · كل ما فى الأمر أن أقطارنا على البعد هى أقطار متطابقة أو على الأقل متقاربة ، وخاصة فيما يتعلق بمجانية التعليم وغيرها ، فقد تقاربت بل نمت وأصبحت تشكل جوهرا واحدا ·

كتب الأخ محمود عبد المنعم مراد يقول :

الأخ الزميل والصديق صبرى أبو المجد يواصل تسجيله لأحداث « سنوات ما قبل الثورة » · ها هو ذا الجزء الثالث من هـذا السفر الضخم القيم · ويقع فى نحو تسعمائة صفحة من القطع الكبير ، يتلوها نحو مائة صفحة أخرى من صور الشخصيات التى ورد ذكرها · وميزة هذا الكتاب انه يجمع بين دفتيه الرأى والرأى الآخر ، اذ يضم آراء أفراد كثيرين عما ورد فى الجزءين السابقين من أحداث تطلبت ـ تعقيبهم ·

***

صبرى أبو المجد ·· له كل المجد !

الأحـد :

اذا كان من مسـئوليات جيلنـا أن يلقى الأضـواء على التاريخ المعاصر ·· فعلينا أن نقدم كل الشكر والعرفان والتقدير لزميلنا الكاتب الوطنى المخضرم صبرى أبو المجد ··

ان ما قدمه صبرى أبو المجد ، الى مكتبـة التاريخ المصرى ، من مؤلفات سياسية ، جدير بأن يكتب له المجد فى هذا المضمار ··

دائما أداعبه كلما التقينا ·· ان قراءة مؤلفاتك تحتاج الى تفرغ ·· وأنا أتساءل ، كيف تجد الوقت للاطلاع ، والتسجيل ، ثم الكتابة !

ويبتسم صبرى أبو المجد فى تواضع ·· اننى أحاول فقط ، أن أشغل وقتى ··

والذين يزورون صبرى أبو المجد فى مكتبه بدار الهـلال ، يروعهم المشهد النادر ·· المكتب ·· والمقاعد ·· والمناضد ·· والدواليب ·· كلها فائضة بمجموعات الصحف والمراجع عن تاريخ مصر ·· حتى ليكاد الزائر لا يرى أين صبرى أبو المجد ! ·

وقد احتجت الى مرجع فى مكتبة ، دار الهلال ·· واتصلت بصديقنا مكرم محمد أحمد رئيس مجلس الادارة ·· ورئيس تحرير المصور ·· ورجوته فى مطلبى · ووعدنى أيام يعد لى ما طلبت على الفور ··

وبعد أيام تحدثت اليه : أين وعدك ؟ ··

وقال مكرم : آسف ·· كل المراجع فى مكتب صبرى أبو المجد ؟

قلت : ومتى ينتهى منها ؟ ··

قال : لا أحد يدرى !!

وقد صدر أخيرا بقلم صبرى أبو المجد ، الجزء الثالث من مؤلفه التاريخى الضخم « سنوات ما قبل الثورة ١٩٣٠ ــ ١٩٥٢ ·· وهذا الجزء فقط ، يقع فى ٨٨٠ صفحة من الحجم الكبير ·· وكثيرا ما رأيته فى مجلس الشورى ، ينتهز فرصة الوقت القصير قبل بداية الجلسة ، لكى يصحح البروفات !

والفصل الأول من هذا المرجع الرائع ، يصلح وحده مؤلفا مستقلا فى ١٢٠ صفحة · هذا الفصل شاء له الكاتب القدير أن يكون مدخلا يوضح منهجه فى البحث وتسجيل التاريخ · وهو منهج جدير بالاحترام · انه ينشر فى أحداث التاريخ ، الرأى والرأى الآخر · فاذا سجل أحداث ٤ فبراير الشهيرة ، التى أنذر فيها الانجليز الملك فاروق ، بأن يؤلف النحاس باشا وزارة جديدة ، أو يكون الجزاء هو طرده من العرش ·· فانه يسجل هذه الأحداث من وجهة نظر كل الأطراف ، ويحرص على ابراز رأى الوفد الذى اتهم بأنه تولى الحكم على أسنة الحراب الانجليزية ··

كما أن المؤلف ، لا يدين تاريخ سياسى ، لأنه أخطأ أو حتى أجرم فى موقف وطنى ·· أنه يسجل هذا الموقف بكل تفصيلاته ، وبرأيه ·· ولكنه أيضا ينشر دفاع هذا السياسى عن نفسه ·· كما ينشر مواقفه الوطنية الأخرى التى يجب أن تسجل له ··

لقد استمتعت بقراءة هذا الفصل ، بعمق وتأن ·· وأشهد أنى رغبت فى قراءته · مرة ثانية ، ومعى القلم كى أسجل ملاحظات لم أكن أعرف عنها شيئا ، رغم أننى من هواة قراءة التاريخ المصرى منذ فجر شبابى ·· ألقى صبرى أبو المجد الأضواء على جوانب عديدة فى شخصيات تاريخية ، يجب علينا جميعا كمواطنين مصريين أن نلم بها ، حتى لا تستقر فى عقولنا أحكام ظالمة ··

ان منهج أبو المجد فى تسجيل التاريخ ، هو اذن منهج انسانى ·· يعترف بالضعف البشرى ·· وليس كل الأبطال أبطالا كل الوقت · ولكن أخطاء الضعف الانسانى لا تخلع عنهم أثواب البطولة ··

ويعبر عن ذلك صبرى أبو المجد بقوله : « قد أبدو قاسيا فى بعض الأحيان · وقد أبدو رحيما فى أحيان أخرى · وفى كل من حالتى

القسوة أو الرحمة ، لا أريد أبدا أكثر من ضرورة الالتزام بالحق • والمنطق والعدل » ••

ومن أمثلة ذلك ••

● ابراهيم الهلباوى •• أجيال عديدة عرفت عنه فقط ، أنه المدعى العمومى فى قضية دنشواى •• التى أقام لها الانجليز محكمة خاصة ، لادانة الفلاحين المصريين الذين اصطدموا بجنود الاحتلال •• ولكنهم تجاهلوا أنه كان قطبا من أقطاب المحاماة فى مصر ، كان نقيبا للمحامين من أبرز النقباء لأكثر من دورة ، وكان له دور رائع فى لجنة اعداد الدستور عام ١٩٢٢ و ١٩٢٣ ••

● حسين رشدى باشا •• الذى كان من أبرز رجال القضاء فى مصر ، وكان رئيسا للوزراء فى أخطر مراحل التاريخ المصرى •• الحرب العالمية الأولى وما بعدها وقيام ثورة ١٩١٩ •• ومع ذلك فقد عرف فى أذهان الجماهير أنه رئيس الوزراء الذى كان مغرما بالمطربة منيرة المهدية ، والذى كان يعقد مجلس الوزراء فى عوامتها ، والذى غنت له وحده منيرة المهدية •• تعال يا شاطر نروح القناطر ••

وتكشف رسالة تاريخية ، من حفيد حسين رشدى باشا (رشدى غالب) ، الى صبرى أبو المجد ، عن حقائق فى حياة الرجل •

حصل حسين رشدى على أعلى اجازة للقانون فى العالم من جامعة السوربون بفرنسا •• وتدرج فى مناصب القضاء ، وأصبح وزيرا للحقانية (العدل) والخارجية والمعارف ، والداخلية ، ثم رئيسا للوزارة (٥) مرات ، ورئيس مجلس الشيوخ •• ثم كان رئيسا للجنة التى وضعت دستور ١٩٢٣ •• وقد وقف لولى الأمر « الملك فؤاد » عندما أراد أن ينص فى دستور ١٩٢٣ على أن « الملك هو مصدر السلطات » وأصر على أن « الأمة هى مصدر كل السلطات » •• وقال كلمة مشهورة « والله لو أصر ولى الأمر على وجهة نظره فيؤسفنى أننى لن أستطيع الاستمرار فى التعاون مع ملك غير دستورى مثله » •

وتقول الرسالة :

– حسين رشدى المحرك الأول لثورة ١٩١٩ الذى عرض عنقه لحبل المشنقة حيث كان المسئول الأول عن أمن الدولة ونظامها فى وقت كان فيه للانجليز اليد الطولى على البلاد ••

الرجل الذى جمع التوكيلات لسعد زغلول ورفاقه ليكسبهم أهلية الدفاع عن القضية العربية باسم جماهير الأمة ..

هو نفسه الذى كان يأمر فى الخفاء بتسهيل مأمورية قطع سبل المواصلات والسكك الحديدية . لعرقلة حركة جنود الاحتلال فى مواجهة الثوار ، وهو الرجل الذى ابتدع فكرة اضراب الموظفين عندما كررت الحكومة البريطانية معارضتها فى سفر المفاوضين المصريين الى لندن ..

وتسجل الرسالة ، موقفا تاريخيا ، لحسين رشدى أثناء مفاوضات المطالبة بالاستقلال فى لندن ..

لقد احتد على اللورد كيرزون صارخا فى وجهه :

ـ « يبدو يا جناب اللورد ، انك تجهل تاريخ بلادك ، لأنك لو رجعت بذاكرتك للماضى القريب ، لتذكرت ان الشعب المصرى الذى تستخف به ، وجنود جيشه الذين تستهين بهم ، سبق أن ألقوا بقيادة جدى « طبو زادة الكبير » بقادتكم وجنود جيشكم فى البحر فى معركة الحماد ومعركة رشيد » .

ثم قال حسين رشدى باشا أيضا فى هذه المفاوضات :

ـ وسيجىء قريبا اليوم الذى سنحاربكم فيه وجها لوجه ، وربما سأكون فى هذا الوقت شيخا هرما لا يقوى على الحركة ، ولكننى سأطلب من أربعة من الجنود الأشداء حملى أثناء قتالكم .. كلا . فلن أعطل هؤلاء الجنود عن أداء واجبهم المقدس .. بل سأزحف بنفسى على بطنى ، وأتقدم الصفوف ، ولن نرجع من معركة المصير ، الا بعد أن نسحقكم ونمحو هذه الوصمة من جيش مصر .. !!



وبعد هذا ... ما هى حقيقة حكاية غرامه بالمطربة منيرة المهدية ، وعقده لمجلس الوزراء فى عوامتها !!

هذه هى القصة كما جاءت فى الرسالة التاريخية :

قضى حسين رشدى ، طفولته وشبابه فى أوربا ، تلميذا فى رياض الأطفال ، حتى حصل على اجازة القانون ، وكان الأول بامتياز مع مرتبة الشرف .. وكان يبهره احترام المواطن الأجنبى وتقديسه للفن .. فى الوقت الذى كان يعتبر الفن فى مصر ، مهنة غير محترمة .. وأراد حسين رشدى أن ينصف الفن فى مصر .. وأن يكرمه فى شخص القائمين عليه .. ومن هذا المنطلق بدأت علاقته بسلطانة الطرب وشادية عصرها

السيدة منيرة المهدية ·· وكان يحضر في المقصـورة المخصصة له هو والسيدة قرينته بعض حفلاتها الكبرى ، وينحنى ليقبل يدها على الطريقة الغربية ، في مصافحة السيدات ·· وكان يرى في ذلك ، قدوة تحتذى من المواطنين ، لرفع الفن والفنانين نحو النهوض والارتقاء ··

وقد دعته السيدة منيرة المهدية في عوامتها ، بمناسبة ختام موسمها الغنائي بملهى « الهمبرا » بالاسكندرية لحضور حفل خاص أقيم تكريما له ، وعرفانا بأياديه البيضاء على الفن ·· وكان طبيعيا أن تدعو جميع الوزراء لتوفير الصحبة المتآلفة ، وكوسيلة زكية من وسائل الدعاية لفنها الراقي ·· ولما كان حسين رشدي باشـا رجـلا خفيف الظـل ، مليح الفكاهة ·· فقد نظر الى المنضدة التي يجلس عليها وحوله الوزراء ·· وقال مداعبا زملاءه ، الآن يا سادة ، وقد حضر الجميع ، فلنفتتح الجلسة »·

وهكذا قيل ان حسين رشدي عقد مجلس الوزراء في عوامة منيرة المهدية !

★ ★ ★

وبعد ·· ان قراءة التاريـخ المصرى ، بقلم صبرى أبو المجد ، متعة حقيقية ·· وكم تمنيت أن تعمم مؤلفات « سنوات ما قبل الثورة » على جميع المدارس والمعاهد ·· وكذلك كل الهيئات المهتمة بشبابنا ·· فما أجدر كل الأجيال أن تعرف التاريخ الصحيح ، بعيدا عن المزايدات الصحفية ، التي شوهت فعلا حقائق تاريخ مصر ·

وشكرا ·· ومزيدا من الشـكر ·· الى الكاتب الجليل صـبرى أبو المجد ··

★ ★ ★

وبقيت كلمة لابد منها ··

لقد كان صبرى أبو المجد ، من شـباب الحزب الوطنى الجديد ، الذى قاد مسـيرة الحزب الوطنى القديم بزعامة مصـطفى كامل ثم محمد فريد ··

واستمر الشاب الملتهب حماسة ووطنية ، في نضال الجامعة ، وبعدها ، نزيل السجون ، مرات ومرات ·· وقدم الى تحقيقات النيابة العامة فى أكثر من مناسبة ·· ولم يضعف صبرى أبو المجد ·· ولم يتراجع ·· وامتهن حرفة القلم والصحافة ، ولعب أدوارا في الارتقاء بنقابة الصحفيين ·· وعلى محيط التعاون العربي في ساحة الصحافة ··

ولم يسقط القلم الشريف من يده أبدا ·· ولا يزال يواصل رسالته بنقاء وطهارة ·· كاتبا فى صحف دار الهلال ، وعضوا بمجلس الشورى ·

أعرف من شباب الحزب الوطنى ، من سقط فى هاوية الاغراءات المادية ، وباع ضميره . واستهان بالقيم الوطنية والانسانية فى سبيل كسب رخيص ·· مثل هؤلاء لفظهم قاموس الوطنية ·· مهما تحايلوا على ستر أسلوب المرتزقة الذى نهجوه ·· ودائما هناك مهزومون فى المعركة ··

ويبقى صبرى أبو المجد ·· قدوة طاهرة مثلى ··

أما أخى موسى صبرى ، رفيق الشباب وزميل الحقوق والصحافة والجهاد الحقوقى فى بواكير أروقة الصحافة المصرية الحديثة ، فلست أملك وأنا أنقل كلماته الا أن انحنى له وأنا فى مستشفى جوستاف روس بباريس بين الأمل والحياة ، بكل حب واعجاب وتقدير · فقد هزتنى كلماته حتى لقد كتبت له بعدها معقبا ، كما كتبت الى محمود عبد المنعم مراد ، والى أستاذنا الكبير الذى لم ينسى هذه السلسلة فى يوم من الأيام ، مجزأة أو مستكملة فى كتب ، الا أن يحييها ويبعث فيها الأمل ويدفعها الى الأمام ، وهو أستاذنا الكبير حافظ محمود الذى أبى بعلمه وحنوه وأدبه ورعايته لى ، الا أن يقوم بتشجيع كل عمل قمت به ·

هذا عن المحور الأول · أما المحور الثانى فهو اننى أومن منذ بداية صباى بأن مصر منذ بداية التاريخ القديم ، قبل العروبة وقبل الاسلام ، مصر اليوم وغدا وبعد كل غد تمثل وشيجة واحدة ، ولحمة واحدة ، وسداة واحدة ، وأرضية واحدة ، لا تتجزأ ولا تنقسم ولا تنفصل · يضاف اليها ولكن لا يؤخذ منها ، تضم ولا تضم · حكاية الأطراف لا وجود لها · فمن يقول اننا طرف والآخرون طرف آخر ، هم ليسوا منا ونحن لسنا منهم · فنحن أبدا لسنا بلدة الأطراف ، وانما نحن بلدة الجسم الواحد · ومن أراد أن يكون طرفا ، فليذهب الى أى بلد يمكن أن يكون به طرف الا نحن ، فنحن نرفض الأطراف · والذين يريدون أن يكونوا جزءا من كل لن يسمح لهم أبدا بذلك · فالكل عندنا لا يتجزأ · ومن أراد أن يتجزأ أو أن يكون جزءا ، فليبحث عن جزء آخر يكون مكملا له · وبعبارة قصيرة موجزة : مصر الكل ومنذ آلاف السنين لم ولن تقبل أى تجزئة ، لا بقوة داخلية ولا بقوة خارجية · وقد جربت عشرات القوى الخارجية ذلك التقسيم أو ذلك التجزىء عشرات المرات ، على امتداد مئات السنين ، دون أن يتحقق لهم شىء من هذا · كما قامت عشرات المحاولات فى هذا الميدان ، فلم يتحقق لها شىء من النجاح ·

وقد كان من بين هذه المحاولات التى بذلت ، تلك التى دارت فى صعيد مصر وفى القاهرة قبل أن تقوم الحرب العالمية الأولى ، حيث أريد لأول مرة ايجاد شقة بين أبناء الأمة ، ولا أقول بين طرفين من أطرافها ، وبذلت محاولات مضنية على النحو الذى فصلنا بعضه ، ومن الممكن أن نفصل بعضه الآخر فيما بعد · ولكنها كانت محاولات فاشلة ·

وفى هذه المناسبة فقط ، أذكر نصا لرسالة بعث بها الأستاذ فلان الى مدام فلانة ، عندما اعتقل ابراهيم ناصف الوردانى فى قضية مقتل بطرس غالى · ويمكن الرجوع فى ذلك الى ما جاء على لسان شيخنا أمين الخولى فى بعض أوراقه المطبوعة عام ١٩١٩ ·

ومن ذكرياتى أو طفولتى · وكيف كان يقيم فى منزلنا بقريتنا صراف القرية ، وهو مسيحى يأكل من حيث نأكل · ويشرب من حيث نشرب ، وينام من حيث ننام ، بل كان يبعث بمن يستدعى أبناءه ليقضوا أجازتهم معنا فى الصيف فى القرية أكثر من شهر كامل · وما أذكره أنه كان متبعا فى ذلك الوقت أن يتم اختيار شخص ما يكون بمثابة ولى الأمر فى البندر الذى توجد به المدرسة · فكان والد هذا الصراف هو ولى أمرى فى هذه المدرسة ·

أشياء كثيرة لا أريد أن أذكرها ، لأن ذكراها فى رأيى يمس جوهر القضية التى أتحدث عنها ، وهى قضية الكل لا قضية الأفراد ·

أما المحور الثالث ، فهو أن مصر كلها كما قلت سابقا سدة واحدة ولحمة واحدة · قلت وسأقول الى أن ألقى وجه ربى انها بلد الكل فى مواجهة الفرد والجزء · وستظل كذلك تتصدى بكل قوتها لمن يريد أن يقسمها ، أو لمن يريد أن يدخل عنصر الضعف اليها عن طريق التبعيض · وان كانت هى كذلك فى مواجهة أفراد الداخل ، فهى بالتالى أقوى آلاف المرات فى مواجهة الذين يريدون اضعافها من الخارج ·· مصر فى مواجهة الخارج قوة واحدة لا تتجزأ ، ولا تتبعض ، ولا تضعف ، ولا تلين · هى فى مواجهة الغير مهما كانت الخلافات قائمة بينها أقوى من أى شىء آخر . أقوى من تلك الخلافات مئات المرات ·

أذكر مرة ، وليس هذا تباهيا ، فى ذلك أبدا بعمل يمكن أن أتباهى به ، أن الرئيس الراحل أنور السادات ، كان بسبيل اعداد أمر ليوم الجيش بمناسبة مرور خمسة وعشرين عاما على ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ · وقد طلب من المشير الجمسى أن أعد مشروعا لرسالة يبعث بها فى ذلك اليوم عن الحدود الثورية والدستورية للجيش ، بحيث يكون

بحثا خاصا بالأمور التاريخية . وقد شغلت نفسى أكثر من بضعة أشهر ، أنهيت فيها بحثا تاريخيا لازلت أعتز به فى مقدمة ما أعتز به من أعمالى الوطنية . فى هذا البحث تجلى موقف مصر العظيم الدائم المتجدد فى كل المواجهات لأية قوة أجنبية . ان مصر كلها أمام الغزاة . أمام الفاتحين . أمام المتآمرين من الخارج ، كانت دائما ولا تزال قوة واحدة لا يمكن أبدا أن تنفصل ، ولا أن تتراجع ، وعندى أمثلة كثيرة من خلال ما درسته فى هذه الفترة . وقد أستطيع أن أضرب بها ومنها بعض الأمثال .

صبرى أبو المجد

● ملحوظة : كانت هـذه هى آخر السطور التى أملاها الكاتب الكبير ، المؤرخ الوطنى ، صبرى أبو المجد ، أثناء رحلته العلاجية الأخيرة فى باريس . ونحن قد تعودنا فى مقدماته أن تكون فى حد ذاتها درسا من دروس التاريخ الوطنى والانسانى . ومن المؤكد أنه كان ما يزال لديه ما يمـكن أن يقوله ، وما يجب أن يضـيفه ، ولكنه آثر أن يلبى دعوة الله على أية دعوة أخرى . ندعو الله أن يقبله فى رحمته ، وأن يجزيه جزاء الصابرين ، الصادقين ، المؤمنين .



الباب الأول

الفصل الأول

مفاتيح السفارة البريطانية وسراى عابدين

وكانتا ـ السفارة والسراى ـ يتقاسمان السلطة الفعلية والسلطة الرسمية

فى السنوات السابقة لقيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ : وجدت على المسرح السياسى والاقتصادى شخصيات « هامة وخطيرة » كانت تلعب عادة ، أدوارا أكبر من أحجامها الحقيقية ٠

بعض هذه الشخصيات كانت على علاقات قوية ، ووثيقة ، ومستمرة بالسفارة البريطانية ومن تلك السفارة كانت تستمد القوة التى تستطيع أن تفرض بها ما تريد على السراى وعلى الحكومة وعلى أية جهة مصرية أخرى داخل نطاق العمل المحلى ٠

وبعض تلك الشخصيات كانت تعمل بصورة علنية أو سرية فى السراى ، وكانت تربط مصيرها بمصير السراى ، وكانت السراى تعتمد عليها فى تنفيذ كل ما تريد ، فى داخل مصر أو فى خارجها ٠

وبطبيعة الحال لم تكن تلك الشخصيات رغم توغلها فى كثير من الأمور الداخلية والخارجية مسئولة ، أمام أحد : لا أمام البرلمان ولا أمام السلطة القضائية ولا أمام أية سلطة أخرى ، أى أنها كانت تملك القوة وليس من سلطة أحد محاسبتها على ما يصدر عنها من تصرفات ٠

ومن بين تلك الشخصيات التى كانت على علاقات وثيقة بالسفارة البريطانية أمين عثمان باشا الذى كان ـ حتى عندما كان وكيلا لوزارة

المالية ـ أقوى من أى وزير ، بل أقوى فى بعض السنوات من أى رئيس للوزارة ٠٠ ذلك لأنه كان يملك « المفاتيح » التى تؤدى الى رضا ، أو غضب الحكومة البريطانية على أى سياسى مصرى يريد أن يلعب دورا سياسيا معينا ، ومن تلك الشخصيات التى كانت متصلة بالسراى ـ وكانت تابعة لها ـ كريم ثابت باشا ، والياس اندراوس باشا ، وعمر فتحى باشا ٠

وهناك شخصيات أخرى تميزت الى حد ما « بالعبقرية » والقدرة على اللعب على كثير من الأحبال فى وقت واحد ، فكانت تســـير فى فلك السياسة البريطانية وفى فلك السراى معا ، وذلك عنـــدما لا تكون التناقضات بين هاتين الجهتين قوية وبارزة ٠ وعندما يشتد الخلاف بين السراى والسفارة كانت هذه الشخصيات تختار الجهة التى تستطيع أن تحقق لها ما تريده أكثر من غيرها ، ومن بين هؤلاء فيما أعتقد ـ وأرجو الا أكون ظالما فى ابداء رأيى ـ حافظ عفيفى باشا وحسين سرى باشا ٠

وبعد الحرب العالمية الثانية وظهور الولايات المتحدة الأمريكية على مسرح السياسة العالمية كقوة عظمى وجدت بعض الشخصيات التى راحت تتطلع الى الولايات المتحـدة الأمريكية وتتصـل بها وتغازلها بين فترة وأخرى ، ولكن بحذر شديد خشية اغضاب السفارة البريطانية أو السراى ، وأستاذ هذه اللعبة فيما أعتقد كان على ماهر « باشا » الذى رأى بثاقب نظره أن بريطانيا كقوة دولية عظمى فى طريقها الى الغروب وأن القوة الجديدة التى سوف تلعب أخطر الأدوار فى السياسة العالمية هى الولايات المتحدة الأمريكية فبدأ هو والعديد من تلاميذه يتقربون اليها ولكن فى اطار ضيق للغاية : ومثل هؤلاء وأولئك كثيرون ، كثيرون وسوف نتحدث عنهم ، وعن أدوارهم بالتفصيل عندما نتحـدث عن « التفصـيلات » لا « العموميات » ٠

والذى لا شك فيه ـ ونحن لا نزال نكتب عن العموميات ـ أن السفارة البريطانية بسفرائها ، لورد كيلرن ، وسير رونالد كامبل ، وسير رالف ستيفنسون وبكل العاملين فيهـا وكانوا كثيرين كثيرين ٠٠ كانت تلعب الدور الأول فى توجيه السياسة المصرية ٠ حتى المسائل الصغيرة اليومية والروتينية : كان لها فى البوليس ـ وبعد احالة رسـل « باشا » الى المعاش « عيونها » فى كل ادارة بل فى كل قسم ، ـ بل فى كل نقطة بوليس ، وعن طريق هذه « العيون » كانت تعرف كل صغيرة وكبيرة تحدث فى مصر ، بل ان هذه « العيون » كانت ـ مثلا ـ تنقل الى السفارة عدد الذين اشتركوا فى أية مظاهرة وأسماء البـارزين من المتظـاهرين والهتافات ـ وبالتفصيل ـ التى كانوا ينطقون بها ٠

وكانت بعض تلك « العيون » لا تكتفى بأن تنقل كل شىء عن أية مظاهرة ــ قل عدد المشتركين فيها أم كثر ــ بل كانوا يشاركون فيهـــا بالفعل من أجــل افسادها أو من أجــل تحويلها عن الغرض الذى قامت لتحقيقه ٠

ان مظاهرة ما ــ كما حدث فعلا ذات مرة ــ انطلقت لتأييد وحدة وادى النيل وكان الاجماع بين كل القوى الوطنية الطلابيــة التى نظمت المظاهرة وتحملت مسئوليتها عدم اقحام أية أغراض حزبيـــة فى تلك المظاهرة ، وأن تكون كل الهتافات فى المظاهرة لوحدة مصر والســودان معـــا ٠ ومضت المظـــاهرة فى ســـلام بدءا من جامعة القـــاهرة مارة بشارع المدارس وفى ميدان الجيزة اندســت عناصر غريبة فى المظـاهرة وراحت تنادى بشعارات أخرى « الخبز ، الخبز ، التموين ، قبل كل شىء ٠٠ تسقط الحكومة الحاضرة » ولو لم يتدارك قادة المظاهرة الأمر لحدث هرج ومرج بل لوقعت معارك بين المتظاهرين وبين المشتبه فيهم من الدخلاء على المظاهرة ولانتهت المظاهرة بفشل ذريع ٠

وكان للسفارة البريطانية عيونهـــــا فى كل الأحزاب والمنظمات الجماهيرية ، ولم تكن تلك « العيــون » تكتفى بنقل كل ما يدور وراء الكواليس فى اجتمــاعات تلك الأحــزاب والمنظمــات بل كانت تحــاول ــ وباستمرار ــ أن تبث الفرقة داخل كل حزب وداخل كل تنظيم كمـــا كانت فى نفس الوقت تحاول أن تزيد من حدة الخلافات والاختلافات بين كل الأحزاب وكل المنظمات ٠

ومن الأمور التى كانت تبعث على دهشتنا كشباب أننا كنا ــ فى بعض الحالات ــ نكتشف أن بعض من يدعون التقدمية واليســـارية بل وبعض من كانوا يكتبون باستمرار عن الشـــــيوعية كانوا على اتصال بالسفارة البريطـــانية وعنــدما كنا نناقشهم فى ذلك الاكتشاف كانوا يقولون لنا « نحن نتصل بالسفارة البريطانية لأننا نلعب عليها ، ونحاول أن نعرف أخبارها » وبعض هؤلاء الذين يدعون اليسارية أو التقــدمية كانت السفارة البريطانية تختارهم من العناصر القادرة على ادارة الحوار ، والقادرة فى نفس الوقت على اكتشاف العناصر الوطنية التى تعمل تحت الأرض بعد أن تكون تلك العناصر قد اطمأنت تماما اليها ٠٠

ومما نذكره جيدا أن السفارة البريطانية كانت تتـــولى فى بعض الأحيان طبع كتب ومنشورات ــ فى لندن أو فى القاهرة ــ وتنسبها الى بعض المنظمات ٠ وفى الأعوام السابقة على الثـــورة كانت التعليمــــات والكتب والمنشورات « الشيوعية » تأتى من لندن ومن جهات لا شك فى

أنها كانت ذات صلة ، وصلة وثيقة ، بالحكومة البريطانية والمخابرات البريطانية ·

وفى بعض الأحيان أيضا كانت السفارة البريطانية تدس بعض عيونها بين المعتقلين والمسجونين السياسيين ، وبعض هذه العيون كان يدخل الى السجون والمعتقلات كمسجونين وكمعتقلين ليسهل عليهم معرفة كل شيء عن هؤلاء المعتقلين والمسجونين السياسيين ·

ويطول بنا الحديث لو رحنا نحصى الأساليب والوسائل التى كانت السفارة البريطانية تستخدمها لا لتنقل كل ما كان يحدث فى مصر خارج أبوابها من معلومات ، وانما للتدخل في كل أمر من أمور البلاد صغيرها وكبيرها ، بصورة علنية أو بصورة سرية ·

وحسبنا هنا أن نذكر أن تعيين مأمور قسم من أقسام البوليس غير مرضى عنه من السفارة البريطانية لم يكن ليتم بأية صورة من الصور · حتى لو تم فان بقاءه فى منصبه لم يكن ليستمر طويلا ·

وما قيل ـ أو ما يمكن أن يقال ـ عن السفارة البريطانية فى مصر يمكن أن يقال ولكن بصورة مصغرة أو بصورة مخففة الى حد ما عن السراى فى مصر ·

لقد كان للسراى ـ « عيونها » فى كل حزب وفى كل تنظيم وكان لها أهدافها أيضا فى زرع الفتنة والشقاق والخلاف داخل كل حزب وزرع الفتنة والشقاق والخلاف ـ بل والاختلاف ـ بين كل الأحزاب والتنظيمات السياسية ·

وكان للسراى ـ كما للسفارة البريطانية ـ موظفوها فى كثير من الوزارات والمصالح الحكومية وكان هؤلاء يتصرفون وكأنهم مستقلون تماما لا يتبعون الا السراى ولا ينفذون الا التعليمات الصادرة من رجال السراى بل كانوا يجاهرون باستمرار بعصيانهم لأوامر الوزراء ورؤسائهم المباشرين ·

وكان للسراى أيضا ـ كما كان الأمر بالنسبة للسفارة البريطانية ـ عملاؤها الكثيرون الذين يوافونها كل يوم تقريبا بالتقارير عن كل ما يحدث فى أنحاء مصر ، وغالبا ما كانت تلك التقارير تقف عائقا دون حصول من كتبت ضدهم التقارير على حقوقهم أو على المناصب التى يستحقونها أو حتى كانت تحول بينهم وبين الحصول على بعض الرتب والنياشين ، ولقد أخطأ بعض « مؤرخينا » ـ وهم بكل أسف أساتذة

فى بعض الجامعات ـ عندما اعتبروا تلك التقـــارير وثائق ادانة لبعض السياسيين القدامى بالرغم من أن قيمتها لا تتعدى ـ اذا تصورنا مجرد تصور أن لها قيمة ـ أن تكون مجرد دردشة سياسية أو غير سياسية تتم عادة فى الملاهى أو المقاهى ٠

وقد تميزت سنوات ما قبل الثورة بكثرة عدد الانتهازيين والوصوليين والأفاقين ـ من مشارق الأرض ومغاربها ـ الذين كانت لهم سلطات مطلقة فى داخل السراى وخارجها وعن طريق هؤلاء كانت تتم بعض الصـــفقات المالية المريبة كما كانت تقع عن طريقهم الكثير من التصرفات الســياسية التى كانت ـ فى الغالب ـ عدوانا على الدســـتور وعلى القوانين المصرية والدولية أيضا ٠

وفى مقدمة الشخصيات التى لعبت أسوأ الأدوار فى تاريخ مصر ، وفى تاريخ السراى أنطون بوللى « بك » مدير الشئون الخصوصية لفاروق، ومحمد حسن أمينه الخاص ، وكريم ثابت ٠

وملفات كثيرة عن هؤلاء المفسدين فى الفســـاد والافساد لم تفتح بعد ، كما ينبغى ، وجرائم ابتزاز أموال الشعب وتهريبهـــا الى الخارج أكثر من أن تعد أو تحصى ٠ ولم يتم أيضا التحقيق فيها كما يجب ٠

والى جانب هذه الأسماء ـ ولو أنها أقل منها خطرا ، وخطورة ـ أسماء أخرى « نجحت » فى الاساءة الى سمعة نظام الحكم ومن بين هؤلاء « جارو » الحلاق الخاص للملك السابق ومساعده ـ مساعد الحلاق الخاص لا الملك بالطبع ـ « مسيو بترو » ، و « كالافاس » مدرب الكلاب الخصوصية للملك ، وغيرهم ، وغيرهم ، ممن كانوا فى السراى يملكون الحل ، والربط والاعزاز والاذلال ٠

وكلنا نعرف أن رؤساء وزارات سابقين ووزراء ، بل ورؤساء ديوان لم يكونوا بقادرين على أن يتصلوا بالملك الســـابق الا عن طريق بعض هؤلاء وفى مقدمتهم محمد حسن ، كما أننا نعرف أيضا أن بعض الطامعين فى الحصـــول على الصفقات المريبة ، ذات الأرقام الخيالية ، لم يكونوا يستطيعون الحصول ، على الاذن بانهاء تلك الصفقات الا عن طريق بعض هؤلاء أيضا ، ومن بينهم جارو ، وبترو ، وكالافاس وكل ذلك يؤكد ما رواه أحد رؤساء الديوان الملكى السابقين ذات مرة من « أن مصر كانت تحكم بالخدم » ٠

وما دمنا قد تحدثنا ـ فى تلك الصورة الاجمـــالية ـ عن السراى والسفارة البريطانية ـ وهما القوتان اللتان كانتا تتنافسان على السلطة فى مصر ـ فان الأمانة الوطنية والتاريخية تقتضـــينا الاشارة الى أن

السياسة البريطانية كانت تعمل وفق مخططات مدروسة ، قصيرة الأجل أو طويلة الأجل أيضا وكان كل العاملين فى السفارة البريطانية يتسابقون لخدمة بلدهم بينما كانت السراى مرتعا للفساد والمفسدين وكان كل واحد من العاملين فيها لا يهتم الا بمصالحه الخاصة دون الاهتمام بمصلحة الآخرين ، أو مصالح بلده ولذلك نجحت مخططات السياسة البريطانية الى حد ما ، وفشلت السراى فشلا ذريعا فى كل الأمور صغيرها ، وكبيرها ، ولابد من أن نشير ــ ولو أن ذلك الرأى سوف يبدو غريبا ، عند البعض ــ الى أن السفارة البريطانية والسراى كانتا تختلفان فى كثير من الأمور ، وكانتا تلتقيان أيضا فى كثير من الأمور ، ووجه الغرابة فى هذا الرأى أنه اذا كانت السراى تعمل وفق مخطط استعمارى فكيف يمكن أن تختلف مع من يضعون ذلك المخطط ؟ ووجهة نظرى أنه ما دام الهدف الكبير المشترك واحدا ، فانه ليس هناك ما يمنع من وجود خلاف ، أو اختلاف فى وجهات النظر حول التفاصيل ٠

ولعل فى مقدمة الموضوعات التى التقت فيها السفارة البريطانية مع السراى موضوع اضعاف شعب مصر ، واشغاله ، بالمعارك الجانبية والحيلولة بينه وبين الانطلاق لأداء دوره التاريخى ٠

وكانت وسائل السراى والسفارة البريطانية للوصــــول الى ذلك الهدف الكبير ، هى محاولات اضعاف القوى الشعبية المصرية وخاصة تلك القوى التى تستمد قوتها الحقيقية من الشعب والتى تمتـــد جذورها الى أعماق الشعب ٠

ولعلى لا أتهم بالمبالغة اذا ما قلت ان السراى والسفارة البريطانية فى مصر قد لعبتا أخطر الأدوار بطرق مباشرة ، أو غير مباشرة فى اضعاف الوفد المصرى ، باعتباره القوة الشعبية الرئيسية القـــادرة على الوقوف بقوة ، وصلابة فى سبيل تحقيق الأهداف الاستعمارية البريطانية فى مصر ٠

وفى مجال تحديد المسئولية فيما يتعلق بمحاولات اضعاف الوفد المصرى عن طريق احداث ، انشـــقاقات هامة وجوهرية بين صـــفوفه ، لا أملك الوثائق الكافية الخاصة ، بهذا الموضوع ، كما أنه لم تتح لى فرص لقاء العناصر ، الوطنيـــة التى خرجت أو أخرجت من الوفد والتى كان خروجها أو اخراجها من أهم العوامل التى ساعدت على اضعاف الوفد ٠٠٠ ان من أهم الأسباب التى أضعفت الوفد ، الى حد كبير وشغلته بالمعارك الجانبية وجعلت بعض القوى الأخرى بايعـــاز من السراى والســـفارة البريطانية تتجرأ عليه حدوث العديد من حركات الانقسام الداخلى فى

صفوف الوفد بدءا بتلك الحركة التى تمت فى ٢٠ نوفمبر ١٩٣٢ حيث تضامن مع الغرابلى باشا فى موقفه من الوفد ، كعضو فيه كل من : فتح الله بركات ، أحمد الباسل ، ومراد الشريعى وعلوى الجزار وفخرى عبد النور ، وعطا عفيفى وراغب اسكندر وسلامة ميخائيل ، وبعدهم كان بهى الدين بركات ، وعلى الشمسى ، وماهر والنقراشى ، الى آخر عمليات التصدع الداخلى فى صفوف الوفد تلك التى وقعت فى يوليه ١٩٤٢ وأدت الى فصل مكرم عبيد وراغب حنا من الوفد المصرى وكانت بلا شك من أسباب اضعاف الوفد كقوة شعبية رئيسية ٠

ولا يخفى على أحد ، أن الجهتين الرئيسيتين اللتين استفادتا ، الى أبعد حدود الاستفادة من اضعاف الوفد ومن احداث تصـــدع فى قيادته هما السراى والسفارة البريطانية فبالرغم من وجود فترات هادن فيها الوفد السراى ، أو السفارة البريطانيـة الا أن العداوة بين الوفد وبين هاتين القوتين الرئيسيتين ، كانت عداوة جذرية وتقليدية ٠ ولست أريد أن أجعل من نفسى محاميا للدفاع عن الوفد المصرى الذى طالما اختلفت فى شبابى كواحد من أبناء مدرسة الحزب الوطـــنى مع بعض قادته وبعض قواعده فالوفد كقوة شعبية جماهيرية لعبت أخطر الأدوار فى تاريخنـــا الوطنى قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ليس بحـاجة الى دفاعى ٠ كما أننى لست فى نفس الوقت راغبا فى الحديث ، وبالتفصيل الآن عن علاقات الوفد المصرى ــ كقوة شعبية رئيسية ــ بالسفارة البريطانية وبالسراى ، تلك العلاقات التى أثرت ان سلبا ، وان ايجابا على مجريات الأمور فى مصر فى الفترة التى امتدت من ٤ فبراير ١٩٤٢ الى ٢٢ يوليو ١٩٥٢ ، اعتقادا منى بأن مثل هذا الحديث ، لم يحن بعد أوانه ، كل الذى أستطيع أن أقوله الآن وباختصار شديد ان السراى والسفارة البريطانية معا ، أو كلا منهما على انفراد ــ قد لعبا أخطر الأدوار فى اضعاف الوفد ، وفى تشجيع حركات الانقسام ، التى وقعت فى صفوفه ٠

والذى أستطيع أن أقوله وعن ثقة تامة مما لدى من معلومات وربما سمعته شخصيا من كثير من الساسة القدامى ، الأحياء أو الذين انتقلوا الى جوار ربهم أن أحمد حسنين باشا رجل السراى الأول فى مصر قد لعب الدور الرئيسى فى خروج ، أو اخراج مكرم عبيد من الوفد كما لعب أيضا الدور الرئيسى فى تشويه سمعة الوفد بعد أن وصل الى الحكم فى ٤ فبراير ١٩٤٢ ، وكانت وسيلته الفعالة للوصول الى تحقيق هذا الهدف بذل كل الجهود لقطع العلاقة بين مصطفى النحاس ، وبين مكرم عبيد ، بالرغم من أنهما ظلا ، ومنذ عام ١٩١٩ يمثلان نموذجا رائعا للأخوة والزمالة ، ورفقة السلاح ، وكان أحمد حسنين ــ كما قرأت وسمعت ــ هو أول المشجعين

لمكرم عبيد على نشر الكتاب الاسود ذلك الكتاب الذى كان بلا جدال من العوامل الهامة والخطيرة فى ضرب الوفد فى تلك المرحلة الهامة والخطيرة من مراحل الكفاح لست أريد الآن تقييم ما جاء فى ذلك الكتاب الذى حظى على المستوى الشعبى ، والرسمى بشهرة ، لم يحظ بها أى كتاب سياسى حتى ذلك التاريخ ، ولكن الذى أريد أن أقوله الآن ـ وبدون دخول فى التفصيلات ـ ان مكرم عبيـــد ، لم يكن ليقبل أن يلجأ الى مثـل ذلك الأسلوب القاسى العنيف الذى استخدمه فى كتابه الأسود ، لو لم يكن أحمد حسنين قد « مناه » برئاسة الوزارة وكانت حلما عزيزا بالنســـبة لمكرم عبيد ، الذى كان يرى ـ كما روى د. محمد حسين هيكل فى كتابه وكما صرح ، أكثر من مرة لبعض أصدقائه ومعارفه ـ أنه أحق برئاسة الوزارة من أحمد ماهر ، ومن النقراشى باعتبار أنه كان سكرتيرا عاما للوفد ورئيسا عليهما ، بينما أحمد ماهر ، ومحمود فهمى النقراشى ، لم يكونا سوى عضوين عاديين فى الوفد ، وقد سمعت أكثر من مرة من مكرم عبيد شخصيا وفى مكتبه فى شارع قصر النيل أن القصر لم ينفذ كل ما كان قد وعده به وان جزاءه منه كان جزاء سنمار .

وقبل أن أدخل فى التفاصيل بعـــد أن أسرفت فى الحديث فى العموميات أريد أن أركز على أننى أحاول فى كل ما أكتبه هنا أن أكون قاضيا وقاضـــيا منصفا لا يبدى رأيا فى أمر ما الا بعد أن يطمئن ضميره تماما ، فان اطمأن وبصورة لا تحتمل أى شك أو ريبة انطلق مدافعا عن رأيه لا يلوى على شىء ولا تقف أمامه عقبة أو تصده عن ابداء رأيه قوة .

وقد جربت هذا المنهاج طويلا ففقدت فى فترة من الفترات غالبية الأصدقاء والأساتذة والسياسيين وبعد فترات من الزمن كان بعضها يطول وبدون مبرر وبعضـــها يقصر كنت أسترد بعض ما فقـدته من معــارف وأصدقاء وزملاء وأساتذة وسياسيين وفى البداية حمل على بعض الوفديين حملات شديدة ولكنهم بعد أســـابيع ظهر لهم أننى أقول عنهـــم وفيهم مالا يقولونه هم عن أنفسهم وفى أنفسهم .

وفى البداية أيضا غضب منى بعض أصدقائى وأساتذتى فى الحزب الوطنى عندما تجرأت وخرجت على رؤاهم التاريخية بالنسبة ، مثـــلا ، لأحمد عرابى وسعد زغلول كما انتقدت دخولهم برلمان اسماعيل صدقى باشا عام ١٩٣٠ وعـــدم مقاطعتهم للنظـــام الذى أقامه اسماعيل صـــدقى برمته ، كما غضب منى بالذات عبد الرحمن بك الرافعى ، وعبد الخالق فريد ـ نجل الزعيم الوطنى محمد فريد بك ـ عندما « تمنيت لو أن الزعيم العظيم محمد فريد لم يهاجر من مصر فى أعقاب سجنه ستة أشهر وفضل

البقاء فى مصر ، ولو دخل السجن بعد ذلك مرات عديدة ، فمكان الزعيم العظيم ، قائد الشعب بين صفوف الشعب وعلى أرض المعركة ، الى أن ينفيه الاحتلال الأجنبى فيكون الوضع مختلفا •

وكان من بين ما قلته أنه لو بقى محمد فريد فى مصر فى تلك الفترة الحرجة من تاريخ مصر وشهد ـ ولو فى السجن ـ أحداث الحرب العالمية الأولى ـ لكان وحده الزعيم المؤهل ـ وبدون منازع ـ لثـــورة ١٩١٩ وقد عرف الجميع ، أننى كنت وحدى وطوال ثلاثين سنة الذى تصـــــدى للهجمات الشرسة التى استهدفت « سمعة » محمد فريد وبخاصة الاعتماد ـ فى تلك الحملات على مذكرات مدام دى روشبرون التى ادعت ـ زورا وبهتانا أنها تزوجت ، لبعض الوقت ـ محمد فريد : اننى أفضل أن أظلم فى البداية مادمت موقنا بأن الانصاف سيكون من نصيبى فى النهاية !

على أية حال فتلك كانت مقدمة للحديث عن أحزابنا بعد الحديث عن السراى والسفارة البريطانية مصدرى كل قوة فى مصر ! •

الفصل الثانى

الأحزاب المصرية :
الدستوريون ، الوطنى ، الوفد المصرى ، الأحرار
بعض ما لها ، وبعض ما عليها

القراء وحدهم هم أصحاب الفضل الأكبر فى كتابة هذا الفصل ، فقد طالبنى كثير منهم أن أكتب موجزا لتاريخ أحزابنا يتسم بالموضوعية والحيدة حتى يكون القارىء على بينة من أمور تلك الأحزاب وحتى يمكن أن يحكم عليها أو لها ، وحتى يستطيع أن يؤصل بعض ما يقع من تصرفات لهذه الأحزاب .

وقد عدت الى جذور تلك الأحداث قارئا ، ودارسا ومحللا ، وراويا فكانت تلك السطور التى أضعها أمام قارئى العزيز ، وقارئتى العزيزة أيضا ..

● كان مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية المصرية ، التى أعقبت الاحتلال البريطانى لمصر ، والتى استهدفت مقاومته والعمل على اخراجه من البلاد يرى عدم انشاء أحزاب سياسية حتى لا تتفتت القوة الوطنية فى وقت تواجه فيه تلك القوة عدوا ، عنيدا ماكرا هو الاحتلال البريطانى وكان مصطفى كامل ، قد اكتفى باصدار اللواء ليقود عبر صفحاته الحركة الوطنية المصرية التى تمثل غالبية الشعب المصرى ، ولما كانت صحيفة المؤيد ، التى كان يصدرها الشيخ على يوسف تمثل مصالح السراى ، مصالح الخديو عباس حلمى الثانى ، فقد رأى كرومر ، ومن معه من غلاة المستعمرين ضرورة تنفيذ مبدئهم العتيد ، « فرق تسد » فحرضوا من كانوا يطلقون عليهم « الأعيان » أو أصحاب المصالح الحقيقية ، الذين كان كرومر ، ومن معه من الانجليز يصفونهم بأنهم راضون عن الاحتلال

البريطانى ، ساكتون عن حقوق مصر ، على انشاء صحيفة تعبر عن مصالح تلك الطبقة فكانت « الجريدة » التى ساهم فى اخراجهـــا أحمـــد لطفى السيد ، ومحمود سليمان وحسن عبد الرازق الكبير ، وعمر سلطان ، وأحمد حجازى ، ومحمود عبد الغفار و ٠٠ و ٠٠ وبعد انشاء تلك الجريدة ، وانقسام الرأى العام المصرى الى ثلاثة اتجاهات ، الاتجاه العام ، يمالىء اللواء ، الاتجاه المناصر للاحتلال البريطانى ، يؤيد ، الجريدة ٠ الاتجاه ، الممالىء الخديو يقرأ المؤيد ويتأثر بها ، ثم تحولت تلك الصحف الثلاث ــ وربما كان ذلك للمرة الأولى فى تاريخ الأحزاب السياسية فى العالم ــ الى أحزاب ثلاثة ٠

فى ١٥ ديسمبر ١٩٠٧ ظهر حزب الاصلاح على المبادىء الدستورية برئاسة الشيخ على يوسف منفذا لسياسة الخديو ، عباس حلمى ، وفى ٢١ ديسمبر ١٩٠٧ ــ أى بعد أسبوع فقط ــ تأســـس حزب الأمة من العقلاء ، أصحاب المصالح الحقيقيـــة المعادون لمصـــطفى كامل والحركة الوطنية » ، وكان لابد لمصطفى كامل ، من أن ينشىء حزبا يعبر عن مصالح الشعب كله : كتب مصطفى كامل من أوروبا الى محمد فريد رسالة يقول فيها : ان ظهور حزب الأمة المؤلف من أولئك الذين خبرنا نفسيتهم وميلهم الى مسايرة المحتلين وفقا لما يسمونه سياسة اللين ، والتدرج وان ما علمته كذلك من عزم صاحب المؤيد ، على تأليف حزب باسم حزب الاصلاح ، لخدمة سياسة السراى هذان الأمران ، يحتمان علينا كل « التحتيم » أن نظهر حزبنا الوطنى بالرغم منا بمظهره الحقيقى حتى يعلم العالم ، كافة ، أن للوطن المصرى حزبا يطلب بعزيمة صادقة الجلاء والدستور ، .أى أنه لا يقبل : لا حكم الأجنبى ولا حكم الفرد ، عاملا ، لاستقلال بلاده وحرية أمته باسترداد حقها ، فى الاشراف على أمورها العامة : نعم ، انى أرغب الآن كل الرغبة فى ظهور الحزب بحال منظمة بالرغم من أن وطنيتى التى ترى فى تعدد الأحزاب حربا أهلية لا مندوحة عنها ، حربا تعوق ، ولو الى حين ما نرمى اليه من حرية واستقلال بتقوية مركز المحتل لبلادنا ، ولكن ما العمل ، ونحن لوسكتنا أمام هذه الحال ، التى ما أوجدها الا دهاء سير غورست وقصر نظر المؤلفين لهذين الحزبين لفقدنا كل شىء ولأصبحت الوطنية المصرية ، عدما بتغلب المبادىء السقيمة عليها ، وتقاعس المخلصين عن نصرتها وانمائها ٠٠

وفى ٢٧ ديسمبر ١٩٠٧ ــ تم انعقاد المؤتمر الوطنى ، بدار اللواء وضم ١٠١٩ مندوبا ، يمثل كل واحد منهم مائتى عضو ، وألقى مصطفى كامل آخر خطبة له ، تم على اثرها الموافقة على المبـــادىء العشرة للحزب الوطنى ٠

ومنذ ذلك التاريخ قاد الحزب الوطنى بقيادة مصطفى كامل ، ومن بعده محمد فريد ـ الحركة الوطنية المصرية التى كانت مهيأة للقيام بثورة مصرية شاملة فى بدايه عام ١٩١٢ .

وجاءت الحرب العالمية الأولى ، ومعها حرب أخرى داخلية ضد الحزب الوطنى حيث اعتقلت كل قياداته ، طوال مدة الحرب ، وحيث حيل بين قواعد الحزب وبين الاجتماع بقوة الأحكام العرفية .

وتضع الحرب العالمية الأولى أوزارها وأوضـــارها ويرتكب الحزب الوطنى أخطر أخطائه ، فلا يحاول ـ وهو وحـــده المؤهل لذلك ـ ضم صفوف القوى الوطنية والاستعداد للانتقال بالحركة الوطنية . من مرحلة الى مرحلة أخرى ، وقد يرد البعض على هذا الرأى بالقول بأن قيادة الحزب المتمثلة فى محمد فريد كانت فى الخارج منذ عام ١٩١٢ وكان وجود محمد فريد بالخارج طيلة تلك الفترة قد أوجد انقسامات خطيرة ، فى صــفوف الحزب كما أن قيادات أخرى من قيادات الحزب ، كانت تقيم وقت اعلان الهدنة فى أوربا اما لأنهـــا قد نفيت بأمر الاحتلال البريطانى واما لأنهـــا آثرت أن تنفى نفسها بنفســـها خارج مصر ، خوفا من السجن والتشريد داخل مصر ، هذا بالاضافة الى أن الكثير من القيادات الحزبية كانت لا تزال فى السجون والمعتقلات فى القاهرة وفى الاســكندرية وغيرهما من المدن وقت اعلان الهدنة .

ومهما يكن هذا الرأى منطقيا الا أننـــــا لا نبرىء الحزب الوطنى ـ قيادته ، وقواعده ـ من تهمة عدم القيام باعادة تنظيم الحركة الوطنية من جديد ، الأمر الذى جعل الكثيرين يفكرون فى أن يتولوا هم قيادة تلك الحركة مثل الأمير عمر طوسون الذى حاول أن ينشىء وفدا جديدا ومثل كثيرين من أعضاء حزب الأمة ، وغيرهم من المستقلين ، الذين ركبوا وبسرعة موجة ثورة ١٩١٩ ، التى قام بها شعب مصر ، تلقائيا ، وبدافع من وجدانه الوطنى الثورى وبدون أن يدفعه اليها أحد من الزعماء والقادة فثورة ١٩١٩ بكل تأكيد هى التى صنعت الوفد المصرى ، وليس الوفد المصرى هو الذى صنع ثورة ١٩١٩ كما يقول بعض السياسيين والغريب أن عمر طوسون عندما أراد أن يؤلف وفده اختار معظم الشخصيات من أعضاء الحزب الوطنى بينما سعد زغلول عندما أراد أن يؤلف وفده اختار معظم الشخصيات من حزب الأمة والأعيان ولم يقع اختياره على أحد من الحزب الوطنى الا على مصطفى النحاس الذى كان وقتئذ قاضيا بالمحاكم الأهلية ، ومعه حافظ عفيفى .

واذا كان لابد من ملاحظة عابرة • نقولها حول تشكيل الوفد المصرى فاننا نرى أن السرعة التى تم بها تشكيل الوفد المصرى ، ووجود كثير من الشخصيات غير المتجانسة ضمن أعضاء الوفد ، قد حمـــل ومنذ العام الأول ، لمولد الوفد الكثير من بذور الانشقاق والانقسام التى ابتلى بهـا الوفد المصرى وبصورة لم تحدث بالنســبة لأى حزب ســـياسى آخر فى مصر •

وكانت أولى حركات الانقسام والانشقاق فى الوفد خروج عدد كبير من أعضاء الوفد أثر اختلافهم مع سعد زغلول وهى تلك الحركة ، التى نتج عنها تأليف حزب الأحرار الدستوريين فى ٣٠ أكتوبر ١٩٢٢ واختيار عدلى يكن ـ العدو اللدود لسعد زغلول ـ لزعامة ذلك الحزب ومما قاله الأستاذ عبد الرحمن الرافعى تعقيبا على تكوين ذلك الحزب الذى جمع الكثيرين من خصوم سعد زغلول ، والذى يعتبر امتدادا طبيعيـــا لحزب الأمة : « عيب هذا الحزب أنه وضع قاعدة للتساهل مع الانجليز للوصول الى حل القضية المصرية وكان أعضاؤه يفاخرون بهذه السياسة ويسمونها كياسة » وثمة عيب آخر فى تكوينه وهو أنه تألف لا استنادا ، الى تأييد الشعب ، بل ارتكازا على سلطة الحكومة وقد لازمه هـــذا العيب طول حياته ، فهو ليس حزبا شعبيا يرتكز على ارادة الشعب بل هـــو حزب حكومى يعتمد على قوة الحكم ومن هنا جاء تغليبه لسلطة الحكومة على سلطة الشعب وميله الى اهدار سلطة الأمة لكى يصل الى مناصب الحكم ويقول د• محمد حسين هيكل فى مذكراته ـ عن تأليف حزب الأحرار الدستوريين « علمت أن التفكير فى تأليف حزب يرأسه عدلى باشا قد انتقل الى حيز التنفيذ وان أعضاء لجنة الدستور جميعا سيكونون أعضاء فى هذا الحزب وان الدفاع عن الدستور والعمل لسرعة صدوره فى مقدمة أغراض الحزب ومبادئه وان خطاب الافتتاح الذى يعلن به عدلى باشا يكن تأليف الحزب ، يعد ، ودعيت لحضور اجتماعات المؤسسين ومناقشتهم وكانوا يجتمعون بمنزل عدلى باشا برمل الاسكندرية وقد اجتمعنا عدة مرات تحدثنا فيها عن اسم الحزب وانتهينا الى تسمية حزب الأحرار الدستوريين وعن اسم الجريدة التى ستنطق بلسان الحزب ، وانتهينا الى أن يكون اسمها السياسة وعن الأشخاص الذين ينضمون الى لجنة الدستور أعضاء فى الحزب واتفق على أن يكون من بينهم مدحت باشا يكن ، ومحمد باشا محمود ، وحسين باشا عبد الرازق ، وجماعة من الشبان أمثال الدكتور حافظ عفيفى رئيس جمعية مصر المستقلة ، ودسوقى بك أباظة وأحمد بك عبد الغفار وأمثالهم ، من مديريات مختلفة عرفوا بنشاطهم فى مديرياتهم وتأييدهم عدلى باشا ، وكان كثيرون منهم أعضاء فى الحزب الديمقراطى : لم أهتم كثيرا بالأشخاص

الذين ينضمون للحزب فقــد كانت معرفتى بكثير من هؤلاء الأشخاص محدودة وقد تبينت خلال اجتماعات لجنة الدستور ، ومناقشاتها ان من لهم وزن حقيقى من حيث المبادىء والآراء ومن لهم اطــلاع على المذاهب السياسية والاقتصادية المعروفة فى أوربا قليلون ، وان الأقل من هؤلاء هم الذين يمكن الاعتماد على تبحرهم فى المعرفة ، ويقول هيكل انه اهتم بخطاب الافتتاح الذى تبنى عليه سياسة الحزب وكان لطفى السيد ، هو الذى كتب ذلك الخطاب الذى جاء قطعة بارعة من الأدب السياسى « فى اعتداله وفى تصويره المبادىء التى يزمع الحزب تحقيقهـــا وكان أساس المبادىء الاقتصادية والاجتماعية التى اشتمل عليها الخطـــاب النظرية الفردية القائمة على أساس من احترام تام لحرية الفرد المطلقة ، ولحرية التجارة بتقرير سياسة الباب المفتوح ، وقد سادت هذا الخطاب نغمة الدعوة الى الوحدة القومية وتحذير أبناء مصر ، من مغبة الخلاف بينهم و .. و .. » ولم ينجح من مرشحى الأحرار الدستوريين فى أول انتخـــابات نيابية « ابريل ١٩٢٣ » سوى محمد محمود ، ومحمود عبد الرازق ، وعبد الله أبو حسين ، وعبد الجليل أبو سمرة ، وعبد الحليم العلايلى ، وتوفيق اسماعيل وقد اشترك حزب الأحرار الدســتوريين فى وزارة زيور باشــا ــ وزارة انقاذ ما يمكن انقاذه ــ كما كان يقال ــ أو وزارة اغراق ما يمكن اغراقه كما هو الواقع ، ثم استقال وزراء الحزب منهـا اثر الخلاف الذى نشب فى الوزارة حول كتاب الاسلام وأصول الحكم لمؤلفه الشيخ على عبد الرازق وكان وقتئذ قاضيا بمحكمة المنصورة الشرعية ، كما شارك الحزب فى بعض الوزارات الائتلافية وزارة عدلى يكن « ٧ يونيـــو ١٩٢٦ » وزارة ثروت « ٢٦ ابريل ١٩٢٧ » وبعد اقالة الوزارة الأولى لمصـــــطفى النحـــاس « ٢٥ يونيو ١٩٢٨ » جاءت وزارة محمد محمود رئيس الأحرار الدستوريين لتحل البرلمان وتعطل الدستور ، وتحكم البلاد بيد من حديد ، وقد رأس الحزب عدلى يكن ، ومحمد محمود ، وعبد العزيز فهمى ومحمد حســـين هيكل الذى بقى رئيسا له الى أن حلت الثورة الأحزاب السياسية .

وعندما ألف مصطفى النحاس وزارته الثالثة فى ٩ مايو ١٩٣٦ ، كان الوفد المصرى فى قمة قوته وسلطته وكان هو المســـيطر على كل الأمور الداخلية حيث كان الملك فاروق لا يزال صبيا ، وكان مجلس الوصاية المؤلف من الأمير محمد على توفيق « رئيسا » وعزيز عزت باشا وشريف صبرى باشا عضوين ، كان ضعيفا أمام الوفد حيث كان أعضاء المجلس مدينين باختيــارهم فى مناصبهم ، للوفد المصرى وحيث كان القصر ، مهيض الجناح ، لوفاة الملك فؤاد وكان الانجليز يريدون مهادنة الحكومة ، التى وقع رئيسها معاهدة الصداقة والتحالف والتى عرفت بمعاهدة ١٩٣٦،

غير أن الظروف المواتية للوفد المصرى ، لم تستمر طويلا فقد تولى فاروق سلطاته الدستورية فى ٢٩ يوليو عام ١٩٣٧ ، وراح ، ومن ورائه بعض مستشاريه ، وعلى رأســهم على ماهر يكيدون للوفد ويحـاولون انقاص سلطات الوزارة واعطاء المزيد من السلطات والصلاحيات للقصر ، وقد كان الوفد يقوى باستمرار من وجود الخلافات بينه وبين القصر ، غير أن أمرا قد طرأ على الوفد ، من الداخل أثر فيه تأثيرا خطيرا وأعنى بذلك الأمر ، ظهور خلافات حادة فى داخل قيادة الوفد ظهرت على السطح بعد أن بذلت جهودا شاقة لاخفائها ، عندما ألف مصطفى النحاس وزارته الرابعة فى ٣ أغسطس ١٩٣٧ بعد أن أخرج منها أربعة وزراء هم محمود فهمى النقراشى ومحمد صفوت ومحمود غالب وعلى فهمى وحل محلهم أربعة وزراء جدد هم محمود بسيونى ، ومحمد محمود خليل ، ومحمد صبرى أبو علم وعبد الفتاح الطويل وكان القصر قد رفض ـ وباصرار ـ تعيين يوسف الجندى وزيرا للزراعة ، لا لشىء الا لتوجيه ضربة قاتلة الى هيبة مصطفى النحاس ، وكان اخراج محمود فهمى النقراشى وهو من أهم دعائم الوفد بمثابة شرخ هائل أصاب الوفد ، وكان النقراشى ـ يعارض ـ فى داخل الوزارة الوفدية ـ بعض تصرفات تلك الوزارة وخاصة معارضته لتنفيذ مشروع توليد الكهرباء من خزان أسوان بالطريقة التى ارتأتها الوزارة .

« كان محمود فهمى النقراشى يرى ـ ومعه ، محمود غالب ، ومحمد صفوت ـ ضرورة طرح المشروع فى مناقصة عالمية بعد استشارة خبراء عالميين ، وأن يعرض الموضوع على البرلمان قبل الاتفاق مع أية شركة من الشركات وكانت وزارة الوفد تريد اعطاء المشروع لشركة معينة هى شركة الكهرباء الانجليزية دون عرضه على خبراء عالميين ودون طرحه فى مناقصة عالمية وكان مثل هذا الخلاف يقع كثيرا داخل الوزارات الحزبية ، دون أن يؤدى الى اعفاء عضو هام وخطير من الوزارة لأنه اختلف فى الرأى مع رئيسه وبعض زملائه ومحمود فهمى النقراشى له فضل على رئيس الوفد لأنه هو الذى رشحه لرئاسة الوفد ، كما أنه من أهم الشخصيات النظيفة فى الوفد ، الذى لا يعرف المحسوبية أو المحاباة ، وأثبت النقراشى أنه مثال الرجل النزيه صاحب المبدأ فلقد رفض ما عرضه عليه مصـــطفى النحاس من تعيينه عضوا بمجلس ادارة شركة قنال السويس وكان ذلك التعيين يدر على صاحبه ثراء عريضا كما أن راتب هذه الوظيفة كان أكبر بكثير من راتب رئيس الوزراء ، رفض النقراشى ، وهو الرجل الفقير هذا العرض المغرى وأثبت أنه فعلا يمثل السياسى النزيه النظيف أصـــدق تمثيــل ، ويصــدر النقراشى فى ٧ سبتمبر سنة ١٩٣٧ بيانا يوضح فيه

سلامة موقفه من المعارضة فكان جواب الوفد ، أن قرر فى ١٣ سبتمبر أى بعد ستة أيام فقط - اعتبار النقراشى منفصلا من الوفد ، ولم يوافق أحمد ماهر عضو الوفد على هذا القرار وبمجرد فصل النقراشى من الوفد هرعت جموع كثيرة من الوفديين للانضمام الى النقراشى وتأييده فى موقفه من القيادة الوفدية بينما كان د . أحمد ماهر عضو الوفد ورئيس مجلس النواب مصرا على اعتبار النقراشى لا يزال عضوا فى الوفد وأنه مندهش لقرار الفصل ، وانتهز القصر الفرصة ، للاستيلاء على الوفد من الداخل ، وبذل القصر محاولات مضنية لاسقاط مصطفى النحاس ، واحلال زعامة جديدة مكان مصطفى النحاس ، يدين بالولاء للقصر وفى ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧ أقيلت وزارة مصطفى النحاس « لأن شعبنا لم يعد يؤيد طريقة الوزارة فى الحكم ولأنه يأخذ عليها مجافاتها لروح الدستور ، وبعدها عن احترام الحريات العامة وحمايتها ، وأنه كان لابد من اقالتها - كما جاء فى الأمر الملكى الخاص باقالة الوزارة - تمهيدا لاقامة حكم صالح يقوم على تعرف رأى الأمة تستقر به السكينة ، والصفاء فى البلاد » ويؤلف محمد محمود باشا وزارته الثانية فى ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧ ويفصل الوفد من عضويته د. أحمد ماهر لتضامنه مع النقراشى وعدم اعترافه بقرار فصله ولأنه حين رأس جلسة مجلس النواب يوم ٣ يناير ١٩٣٨ أمر بعدم المناقشة فى مرسوم تأليف الوزارة الجديدة ومرسوم تأجيل البرلمان شهرا ، وكان الوفد يريد مناقشة هذين المرسومين ويؤلف أحمد ماهر والنقراشى الهيئة السعدية ، التى تدخل الانتخابات الجديدة التى أجرتها وزارة محمد محمود لتحصل على ثمانين مقعدا من مقاعد المجلس ولا يشتركون فى الحكم الا فى يونية ١٩٣٨ حيث أصبحت وزارة محمد محمود مكونة من الأحرار الدستوريين والسعديين الى أن نحى محمد محمود عن رئاسة الوزارة ، فى أغسطس ١٩٣٩ ليؤلف الوزارة على ماهر باشا وتكون وزارته من السعديين وبعض المستقلين دون الأحرار الدستوريين وتبقى وزارة على ماهر فى الحكم الى يونية ١٩٤٠ ثم يؤلف الوزارة الجديدة حسن صبرى ، من الدستوريين والسعديين والحزب الوطنى ، حيث اشترك رئيسه حافظ رمضان باشا ، وكان اشتراكه فى الوزارة سببا فى حدوث انقسام كبير فى صفوف اللجنة الادارية للحزب لم ينته الا فى نوفمبر ١٩٤٦ ، وفى سبتمبر ١٩٤٠ يخرج السعديون من الحكم لأن الوزارة لم تأخذ برأيهم فى ضرورة اعلان الحرب على ايطاليا وعندما مات حسن صبرى باشا ، رئيس الوزارة وهو يلقى خطاب العرش فى ١٤ نوفمبر ١٩٤٠ ، خلفه حسين سرى باشا فى وزارته التى اشترك فيها الأحرار الدستوريون ، ولم يشترك فيها

السعديون الا فى أواخر يولبو ١٩٤١ وبقيت الوزارة فى الحكم الى أن قبل الملك استقالتها فى ٤ فبراير ١٩٤٢ ليعهد - أثر أحداث ٤ فبراير - بها الى مصطفى النحاس ، رئيس الوفد المصرى ٠



وبعد تلك المقدمات التاريخية عن أحزابنا المصرية التى لعبت أدوارا سياسية هامة فى سنوات ما قبل الثورة اما سلبا ، واما ايجابا ، نركز على بعض نقاط نراها هامة وجوهرية :

● لم يكن الحزب الوطنى بعد ثورة ١٩١٩ ، كغيره من الأحزاب القائمة ، له مقاره فى العاصمة وفى المدن الكبرى ، له نظامه الداخلى ولديه سجلات بأعضائه المنتسبين اليه ، ولكنه كان أكبر من ذلك بكثير فكان فكرة وطنية نستطيع أن نقتنع بها وتعمل من أجل تنفيذ أهدافها دون أن تقدم استمارة انضمام الى الحزب ، بل دون أن تعرف ، أى عضو من أعضائه ولذلك فان أنصار مبادىء الحزب الوطنى كانوا أكبر بكثير من أعضائه المنضمين اليه وكان انتساب المرء للحزب الوطنى - مجرد انتساب ولو من بعيد - كان يعطيه حصانة وطنية قوية تجعله باستمرار فيما يتعلق بالوطن ومصالحه وآماله وتطلعاته ، يعطى ولا يأخذ يضحى بكل شىء ولا يستفيد من أى شىء كما أن الانتساب الى الحزب الوطنى - مجرد الانتساب - كان يدفع المنتسب الى اعتناق نوع من الصوفية الوطنية التى لا مثيل لها يعشق بلده كما يعشق أية فتاة يحبها ٠٠ يقف كل جهوده من أجل تحقيق آمال شعبه ولو كلفه ذلك حياته ٠



● وكانت نظرة الشعب الى الحزب الوطنى ، ومريديه ولا أقول أعضائه نظرة حب وتقدير واحترام : قد لا تنتخب الجماهير مرشحيه فى الانتخابات لأنهم لا يملكون عادة الوسائل ، والامكانات التى تكفل النجاح فى مثل تلك الانتخابات وقد لا يقبل على الحفلات التى يقيمها فى ذكرى مصطفى كامل أو محمد فريد أو ١٤ سبتمبر « دخول القوات البريطانية القاهرة » أو ١١ يوليو « ذكرى ضرب الاسكندرية » وقد لا يقرأ الكتب التى ينشرها ويوزعها بالمجان عن الاحتلال البريطانى والحياد ٠ ووحدة وادى النيل وزيلع ، وبربر ومصوع و ٠ و٠ ولكن الشعب - كل الشعب - لا يختلف أبدا حول مبادىء الحزب الوطنى وان اختلف حول بعض قياداته : فى السنوات التى أعقبت الحرب العالمية الثانية ، كانت الجامعة المصرية هى التى تحكم الشارع السياسى ولم تكن الجامعة تتحرك لأى عمل وطنى الا اذا شارك ، فيه شباب الحزب الوطنى : أية حركة يبدأ بها الوفديون أو

السعديون أو الدستوريون أو الاخوان المسلمين هي حركة حزبية بحتة وعلى خصوم ذلك الحزب القائم بتلك الحركة ، أن يبادروا فورا للقضاء عليها ، حتى لا يتحقق لذلك الحزب القائم بتلك الحركة ، أى كسب سياسى ، لذلك فقد كانت كل الحركات الوطنيـة القومية التى تنطلق من الحرم الجامعى تبدأ أولا بكلمة من أحد شبان الحزب الوطنى · ومن بعده الشباب المنتسبون الى بعض الأحزاب وقد كان لى شرف افتتاح المؤتمر الطلابى الذى انعقد فى ٩ فبراير ١٩٤٦ والذى كان من بين نتائجه مذبحة كوبرى عباس ·



● كانت العلاقات التى تربط بين مريدى الحزب الوطنى علاقات حب ومودة وتضحية ونكران ذات ولذلك لم تكن هناك بين هؤلاء المريدين مجالات تظهر فيها الأحقاد أو الخصومات لأن الجميع يضحون ولا ينتظرون أية مكاسب على الاطلاق من انتمائهم ـ من بعيد أو من قريب الى صفوف الحزب الوطنى ـ وكان أفضل هؤلاء المريدين والأنصار هو من يضـحى أكثر من غيره وكان مجال الترقى الوحيد فى الحزب ، هو مجال التضحية ، فعندما تقوم بتضحية كبيرة من أجل وطنك ، ترتقى فى قلوب زملائك وأصدقائك درجة كبيرة ، وكلما زدت تضحية زدت رقيا أدبيا لا ماديا ·



● كثيرون لا يعرفون بعض قيادات الحزب التى كان يحترمها ويقدرها الى أبعد حدود التقدير والاحترام كل أنصار الحزب ومريدوه من بين تلك القيادات التى كانت مغمورة ، أستغفر الله ـ بل كانت غير معروفة لأنها تريد ذلك ـ د· حسن نور الدين انه أشبه بالحوارى الذى يعبد بعد الله ، شعبه ووطنه ، تعرفت به ذات ليلة فى مكتب الأستاذ عبد المقصود متولى ، محمد فريد رقم ٢ وفى اليوم التالى ، كان يدعونى الى زيارته فى بيتـه فى الحلمية ، وبدون تضييع وقت راح يدربنى على استخدام السلاح : المسدس والبندقيـة ، والقنبلة ولم يكن أحد يعرف شخصية د· حسن نور الدين الا القليلون جدا حتى جيرانه لم يكونوا يعرفونه ، وعندما سألته ذات يوم : لماذا أمنت لى بعد أول لقـاء وأدخلتنى بيتك وعلمتنى كيف أضرب النار وكيف أفجـر القنبلة رغم أنك لا تعرف عنى شيئا ؟ ضحك الرجل وهو يقول ، أنت واهم يابنى اننا نكتشف العناصر ، الطيبـة أو الصالحة أو التى يمكن أن يجىء الخير للبـلد عن طريقها وبعـدها ، نراقبها طويلا لنتأكد من صلاحيتها وبعدها نأمن لها ، ونقوم بتدريبها ·

● لم يكن من مبادىء الحزب الوطنى المكتوبة مقاطعة الحكم فى ظل أى احتـلال أجنبى حتى يتوفر الوطنيون للعمل الوطنى دون أن تشغلهم

أعباء الحكم أو دون أن تعوقهم ظروف الحكم فى الداخل أو فى الخارج ولكن كان من المعروف ومن المستقر فى أذهان الجميع أن يرفض الوطنيون الحكم وقد عرض الحكم على محمد فريد وهو فى الخارج من قبل أحد الوسطاء البريطانيين فأبى أن يقبل العرض رغم أنه كان مغريا ، رئاسة الوزارة مع صلاحيات هائلة ، وكان أول من خرج على هذا التقليـــد هو الأستاذ حافظ رمضان « باشا » عندما قبل أن يكون وزير دولة فى وزارة محمد محمود « باشا » « ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧ » • وعندما قبل أن يكون وزير دولة فى وزارة حسن صبرى « ٢٨ يونية ١٩٤٠ » وعندما اشترك حافظ رمضـــان باشا للمرة الأولى لم يثر اشـــتراكه فى الوزارة خلافا كبيرا فى صفوف اللجنة الادارية للحزب بدعوى أن الوقت لم يكن متسعا لعقد اللجنة قبل تأليف الوزارة ، ولأن حافظ رمضان لم يدخل وزارة محمد محمود بعد تعديلها ، ولكن عندما اشترك حافظ رمضان فى وزارة حسن صبرى نشب خلاف عنيف جدا داخل اللجنة الادارية كاد يؤدى الى انقسام الحزب الى حزبين وقد ظل الوسطاء بين الفريقين يقومون بالعمل من أجل عودة الوفاق الى الحزب وكان فى مقدمة هؤلاء الوسطاء الأستاذان محمد زكى على وفكرى أباظة ، الى أن تم الصلح بين الفريقين فى نوفمبر ١٩٤٦ « نظرا للظروف العصيبة التى تجتازها البلاد وحيال الأحداث التى تهددها فى كيانها ووحدتها واستقلالها وحتى تكون دعوة أبناء الحزب الوطنى الى وحدة صفوف الأمة أدعى الى الاستجابة » ، ثم اشترك الحزب الوطنى فى وزارة حسين سرى الائتلافية يوليو ١٩٤١ باثنين من أعضائه هما محمد زكى على وعبد الرحمن الرافعى ، وحتى فى هذه المرة لم يوافق الكثيرون على اشتراك الحزب الوطنى فى الوزارة واعتبر الاشتراك خطأ كبيرا وأذكر أن بعض شباب الحزب من الأنصار والمريدين قطعوا كل علاقاتهم بالوزيرين الوطنيين رغم ما لهما من مكانة عظيمة فى نفوس الجميع ، بل ان حركة المقاطعة قد امتدت الى غير الشباب وقد حدث أن زار الأستاذ عبد الرحمن الرافعى ، وكان وزيرا للتموين ، زميله وصديقه الحاج رمضـــان زيان عميد الوطنيين بالاسكندرية وأحد تجارها المعروفين وقال الأستاذ رمضان للأستاذ الرافعى : « أنت تعرف رأيى فى رفض الاشتراك فى الحكم بالنسبة لنا نحن الوطنيين ورغم زيارتك لى فاننى مصر على رأيى وأنـا أستقبلك هنا كصديق قديم لا كوزير من الوزراء » •• ان قبول الحزب الوطـــنى للحكم كان استثناء من قاعدة وكان موضع خلاف عنيف فى صفوف الحزب قيادة وقواعد ، ولذلك ، فان المدة التى اشترك فيها بعض أقطاب الحزب الوطنى فى الحكم حتى يوليو ١٩٥٢ لم تزد على ٣٦ شهرا ، بينما الأحرار الدستوريون حكموا لمدة ١٣٠ شهرا والسعديون ٩٨ شهرا ، والكتـلة

الوفدية المستقلة لم تحكم أكثر من ١٥ شهرا والوفد لم يحكم سوى ١١٧ شهرا فقط ! ٠

● كانت تعمل الى جانب الحزب الوطنى ــ ولا نقول من داخله ــ مجموعات كثيرة ومتعددة من الفدائيين المصريين الذين تخصصوا فى العمل السرى تحت الأرض ، وبعض قيادات تلك المجموعات كانت معروفة لدى بعض قيادات الحزب ، ولكن معظم قيادات العمل السرى وقواعده كانت مجهولة تماما بالنسبة لقواعد الحزب وقياداته ٠ ولم نكن تلك المجموعات تتلقى أية تعليمات من قيادات الحزب : بل ان بعض تلك القيادات الحزبية كانت ترى فى بعض ما تقوم به بعض المجموعات الفدائية من أعمال خروجا على الخط السياسى الذى رسمه الحزب أو كانت ترى ــ فى بعض الأحيان ــ ان تلك الأعمال تمثل احراجا لها ، وتسميما للآبار التى فى طريقها ٠

وقد تميزت تلك المجموعات الفدائية بميزات كثيرة قلما توافرت فى غيرها من المجموعات الفدائية الاخرى ٠ فمثلا ، كانت تلك المجموعات رغم اختلافها فى أمور كثيرة ٠ من بينها أساليب العمل ووسائله ٠ تلتقى حول منبع فكرى واحد ، ولذلك فان قيام أية مجموعة من تلك المجموعات بعمل ما كان يلقى ــ تلقائيا ــ التأييد والتعضيد من بقية المجموعات الأخرى ٠ وكانت بعض المجموعات الفدائية تترك ميدان العمل الداخلى الى ميدان آخر أكثر اتساعا كالميدان العربى لتعمل فيه بعض الوقت ، ثم تعود لتعمل فى الميدان الداخلى فلا يحس أحد بأنها تركت هذا الميدان أو عادت اليه وكانت بعض المجموعات ــ مثلا ــ تجمد نشاطها سنوات قد تقصر وقد تطول دون أن يسمح أحد أفراد تلك المجموعات لنفسه حتى بعد مرور ربع قرن من الزمان أن يبوح بما يعرفه من أسرار مجموعته أو غيرها من المجموعات ، ومن ميزات تلك المجموعات الفدائية أنها كانت كلها بارعة الى أبعد حدود البراعة ، فيما يتعلق بالعمل السرى ، وبعض هذه المجموعات ظل يعمل فى الحقل المصرى ، والحقل العربى أكثر من ثلاثين سنة دون أن يكشف أمرها أحد ٠

ومن بين قيادات تلك المجموعات من حققهم معهم عشرات المرات ، ومن قدموا للمحاكمة مرات ومرات ، دون أن يثبت عليهم شىء ما بالرغم من تيقن رجال البوليس بأنهم فاعلون أصليون فى بعض الأحداث ٠ ولكن قدرة هؤلاء ، على التخفى ، وعلى التنصل من تبعة الأعمال التى يقومون بها كانت فائقة ، بل ورائعة وسوف نزيح الستار فى الفصول القادمة عن بعض تلك القيادات بعد أن نستأذن الأحياء منهم أطال الله حياتهم ، وجزاهم عن وطنهم الجزاء الأوفى ٠

فقط أشير الى حادث واحد هو حادث اغتيال أحمد ماهر باشا ، بيد محمود العيسوى . فلقد كان البوليس متأكدا من وجود شخصين أو ثلاثة مع محمود العيسوى داخل دار البرلمان عند وقوع الحادث مهمتهما ـ أو مهمتهم ـ العمل على اطفاء أنوار الدار حتى يتمكن القاتل من الهرب . وأنا أعرف أن مجهودات شاقة ، ومضنية بدلت من الملك السابق فاروق ومن محمود فهمى النقراشى رئيس الوزراء وقتئذ لمعرفة مصدر المسدس الذى ارتكب به العيسوى الحادث ، بل ان تعهدات خطية بالعفو عن العيسوى قدمت له من الملك السابق ومن رئيس الوزراء اذا ما أفصح عن صاحب المسدس الذى ارتكب به الجريمة ، ولم يعرف البوليس ولا الملك ولا رئيس الوزراء ، ولا غيرهم حتى الآن من كان مع العيسوى فى دار البرلمان ، ولا صاحب المسدس الذى استخدمه العيسوى فى الجريمة .

● لم تلتق السراى ، ودار المندوب السامى حول نقطة واحدة طوال نصف قرن من الزمان الا فى نقطة العداء العنيف للحزب الوطنى :

لقد كان الانجليز منذ عهد كرومر الى عهد كيلرن يضعون الحزب الوطنى ـ قيادة وقواعد ـ فى صفوف أعدائهم . ولم يحدث أبدا أن تراخت دار المندوب السامى فى عداوتها للحزب الوطنى ، ولم يحدث أن تراخى الحزب الوطنى فى عداوته للانجليز . فالحزب الوطنى ـ مثلا ـ دون بقية الاحزاب الاخرى هو الذى رفض الاشتراك فى معاهدة ١٩٣٦ بل انه هو ـ وحده ـ دون بقية الاحزاب المصرية ، الذى حمل فى مجلس النواب ، وفى مجلس الشيوخ ، وفى الشارع السياسى لواء معارضة تلك المعاهدة . وكان الحزب يقوم بطبع بعض البيانات والمنشورات التى تهاجم تلك المعاهدة بعنف ، ويوزعها سرا وجهرا . ومن بين تلك البيانات والمنشورات كتيب صغير أصدره الأستاذ عبد الرحمن الرافعى تحت عنوان : « معاهدة ١٩٣٦ حماية أم استقلال » . وأذكر أن بعض طلاب الجامعات والمدارس كانوا يتهافتون على الحصول على ذلك الكتيب الذى صادرته الحكومة ، بل كانت تعتقل ، كل من توجد لديه نسخة من هذا الكتيب . كما أن الحزب الوطنى ـ رغم الاختلاف الذى نشب بين بعض قياداته ـ فى الفترة من ١٩٣٦ حتى ١٩٤٦ كان يرفع لواء الدعوة الى ضرورة ابطال تلك المعاهدة ، ولا يشترك فى أى عمل سياسى ، اعتمد على تلك المعاهدة . بل انه لم يكف يوما واحدا حتى عام ١٩٥١ عن الدعوة لالغاء تلك المعاهدة .. حتى عندما أخطأ بعض قيادات الحزب واشتركوا فى الوزارة .. وكانت حجتهم الوحيدة ، انهم لم يشتركوا فى الحكم الا من أجل التأكيد على ضرورة الغاء المعاهدة وضرورة العمل على تحقيق المطالب الوطنية وفى مقدمتها جلاء القوات البريطانية عن مصر

والسودان ، وتحقيق الوحدة بين شطري الوادي ٠٠ السودان ومصر ٠ بل ان الحزب الوطني كان هو الحزب الوحيد الذي عارض كثير من قياداته الاحتكام الى المنظمات الدولية ، كمجلس الأمن لعرض القضية المصرية على اعتبار أنه لا « احتكام فيما يتعلق بالجلاء » ، « ولا يصح أن يكون الاستقلال موضع تحكيم » ٠٠ « وأن أية أمة لا تقبل أبدا أن يكون استقلالها موضع تحكيم دولي » ٠

وكذلك الأمر بالنسبة لمعاداة السراى للحزب الوطني ، فلقد ظلت السراى تعادى الحزب الوطني الى أبعد حدود المعاداة ، حتى بعد أن اشترك بعض أقطاب الحزب الوطني في الوزارة ٠ وفي مذكرات خطية كتبها الاستاذ عبد الرحمن الرافعي قبل أن تقوم ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بسنوات وسنوات وائتمنني عليها وترك لي ـ رحمه الله ـ تقدير الظروف المناسبة لنشر تلك المذكرات ٠٠ كتب أستاذنا الرافعي بحثا عنوانه : « الحزب الوطني والسراى » يقول فيه :

« لم تتحسن يوما من الأيام علاقة الحزب الوطني بالسراى ، بل كانت دائما علاقة عداء وسوء ظن متبادل ، وهذا شرف كبير للحزب الوطني لأن السراى لم ترد يوما ما مصلحة البلاد الحقيقية ٠ لقد أخطأ الحزبان المتنازعان على الحكم « السعديون والأحرار الدستوريون » في استعانتهما بالسراى في نضالهما ، فكانا سببا في تعاظم سلطة الملك وطغيان السراى وهكذا كان الصراع الحزبي سببا في الاضرار بمصالح البلاد الجوهرية : كانت السراى بمعزل عن الحياة السياسية العامة في البلاد ، وكانت التطورات الهامة التي تعاقبت على مركز مصر السياسي ، من يوم تأليف لجنة ملنر الى صدور تصريح ٢٨ فبراير ، تتم بعيدا عن تدخل السراى ، ولكن السراى بدأت تظهر على المسرح السياسي لما حصل الانقسام بين سعد وعدلي سنة ١٩٢١ فاضطر العدليون الى الاستنجاد بالسلطان فأيد عدلي ووزراءه ولكنه ، وقد كان لم يزل سلطانا تحت الحماية ، لم تكن له في الشعب منزلة ما ، ولا نفوذ مرهوب لأن الشعب كان معرضا عنه ٠ ولم يبدأ نفوذه الخطر الا من يوم أن تقرب الوفد للسراى في عهد وزارة ثروت ، وكان الغرض من هذا التقرب اسقاط وزارة ثروت ٠ كان هذا خطأ كبيرا من الوفد لأن اكساب السراى نفوذا شعبيا خطر كبير على الديمقراطية في مصر وعلى الحياة الدستورية فيها ٠ ولأن السراى لم تتحالف مع الوفد الا بقصد التخلص من ثروت

باشا الذى كان بلا جدال ، عاملا على تأسيس الحياة الدستورية فى البلاد على قواعد ديمقراطية · أما السراى فكانت ترمى الى وضع نظام بيروقراطى نكون الكلمة العليا فيه للسراى ، ولذلك كانت ناقمة على لجنة الدستور العامة فى تقريرها مبادىء سلطة الأمة ، وكانت السراى تحاول ان ترجع لجنة الدستور عن مشروعها فلم نفلح ووسطت عدلى باشا فى هذا الشأن فلم يقبل أن يتحمل هذه التبعة ، لذلك سعت السراى سعيا حثيثا الى اسقاط ثروت لتضطرب الأمور من بعده وتأتى وزارة طوع ارادة السراى فى مسخ الدستور وتشويهه · ومن الأسف أن الوفد ساعد السراى على تحقيق غرضها نكاية فى ثروت باشا ومن ذلك الحين عظم نفوذ السراى بين الشعب بما أسبغه عليها الوفد من مظاهر الوطنية والاخلاص · ومن الصعب على أية هيئة سياسية أن تسترد المركز الذى سعت فى تكوينه حتى ولو انقلب هذا المركز عليها شرا ، ووبالا وهذا ما حصل بين الوفد والسراى ، فان الوفد هو الذى أكسب السراى نفوذا عظيما ، فلم يلبث هذا النفوذ أن انقلب خسرانا على الوفد · فالاحرار الدستوريون من جهة والسعديون « الوفد » من جهة أخرى هم الذين ساعدوا السراى على تقوية سلطاتها وتنمية طغيانها ثم جاء الاحـــرار الدستوريون بعد أن قلبت السراى للوفد ظهر المجن يساعدونها من جديد على استعادة سلطتها ، لتحارب الوفد فوقعوا فى نفس الخطأ الذى وقعـــوا فيه أول مرة · ولم يعتبروا بما حصل لثروت باشا فى وزارته · والحق انه فى جميع هذه التقلبات لم ينخدع الحزب الوطنى فى نيات السراى ، ولذلك لم يشترك فى هذه المناورات العقيمة الضارة بالبلد : انه كان ضد سعد باشا ولكنه فى نفس الوقت كان ضد السراى ، لأنه ضد الاستبداد وضد التساهل فى حقوق البلاد » ·

● كان الحزب الوطنى باستمرار يدعو الى وحدة الصف ، كما يدعو الى ائتلاف الأحزاب المصرية · ولم تكن دعوده تلك مناورة سياسية ، يلجأ اليها بين حين وآخر لاسترداد ما فقده من تأييد الشعب ، ولكن كانت تلك الدعوة متفقة أصلا مع مبادئه الأساسية ، التى ترى فى تفريق شمل الأمة أكبر مصلحة للاستعمار · كما ترى فى اشتداد حدة الصراع الحزبى خطرا جسيما ، على مستقبل الأمة وحاضرها · وكان الحـــزب الوطنى ، رغم محاربة بقية الاحزاب السياسية له ، واجماعها على ضرورة

ايمانه عن الحياة السياسية ينادى باستمرار بأنه على أتم الاستعـــداد للتلاقى مع تلك الأحزاب حول عمل وطنى محدد يستهدف تحقيق آمال الشعب فى الحرية والاستقلال • والتاريخ يذكر له أنه بذل جهودا مضنية من أجل نجاح تلك الفكرة الرائدة التى دعا اليها أمين الرافعى ، من ضرورة اجتماع البرلمان من تلقاء نفسه بعد أن حلت وزارة زيور باشا البرلمـــان ولما يمض على انعقــاده أكثر من ســاعات قلائل : عندما انتخب النــواب سعد زغلول لرئاسة مجلس النواب فى ٢٣ مارس ١٩٢٥ بأغلبية ١٢٣ صوتا ضد ٨٥ صوتا نالها منافسه ومرشح الحكومة ثروت باشا • وقد اجتمع المؤتمر الوطنى فى ١٩ فبراير ١٩٢٦ بعد أن اتفقت كلمة الوفــد المصرى ، والحزب الوطنى ، والاحرار الدستوريين على مقاطعة الانتخابات الجديدة اذا أجريت الانتخابات طبقـــا للقــانون الجديد • وقد اضطرت الحكومة ــ تحت ضغط الرأى العام واستجابة لمطالب الأحزاب المؤتلفة ــ الى وقف العمل بذلك القانون والعودة الى القانون القديم « قانون رقم ٤ لسنه ١٩٢٤ » وهو قانون الانتخاب المباشر • وكذلك كان الحزب الوطنى أول الاصوات ، التى دعت الى وحدة الصف فى عام ١٩٣٥ وهى الدعــوة التى أدت الى قيام الجبهة الوطنية •

● كان الحزب الوطنى باستمرار مع الديمقراطية • ومما يجدر بنا أن نذكره •• انه عندما أصدرت حكومه زيور باشا فى ٢٧ أكتوبر ١٩٢٥ قانون الجمعيات والهيئات السياسية كان الحزب الوطنى أول من عبر عن رأيه فى هذا القانون فى بيانه الذى أصدره بتاريخ ٣٠ أكتــوبر ١٩٢٥ والذى قال فيه : « ان الحزب الوطنى الذى عمل طول حياته لايقاد جذوة الوطنية فى القلوب ورفع راية الوطن المجردة عن الهوى ووضــــع سياسة البلاد على المبادىء الصحيحة ، التى أيدتها وتؤيدها الظروف كل يوم ، وحارب الغاصب وأعوان الغاصب •• لا يمكن أن يرضخ لتحكم حكومة تتخبط فى دياجير الجهل بسياسة الحكم ، لذلك يعلن الحــــزب الوطنى صراحة ان هذا القانون يرمى الى حكم البــلاد بسلطة استبدادية ترتكز على قوة الغاصبين ، وتنفذ سياستهم وتجر البلاد الى خطر الفتن والاضطرابات ، ويقرر عدم رضوخه لأحكام هذا القانون الباطل •• تاركا للحكومة ان تستخدم سلطتها من حل واغلاق ومصادرة فهى وان استطاعت أن تغتصب حق التشريع ، وتغتصب ســيادة الشعب فلن تســتطيع أن تغتصب عقائد الناس الكامنة بين جوانحهم » •

وأنقل أيضا فقرات من المذكرات الخطية للأستاذ عبد الرحمن الرافعى عن موضوع قانون الجمعيات السياسية والهيئات السياسية :

يقول الأستاذ الرافعى :

« كان الحزب الوطنى أول من رفع صوته ضد هذا القانون واتخذ موقفا جريئا حياله ، لانه أعلن عدم خضوعه لهذا القانون الباطل • وانى أذكر ليلة أن كنا مجتمعين فى نادى الحزب لوضع قرار اللجنة الادارية فى شأن هذا القانون ان تكلم عبد القادر حمزة بالتليفون بعد أن انتهينا من وضع القرار وطلب من حافظ بك رمضان ان يؤخر نشر القرار حتى يصدر قرار مشترك بين الأحزاب الثلاثة بالاضراب عن تنفيذ القانون فلم نقبل ذلك لاننا رأينا من الواجب مادمنا قد احتملنا مسئولية الدعوة الى مقاطعه هذا القانون ، أن ننشر قرارنا • وقد نشر فعلا ، فكان له أثر كبير فى الرأى العام •• وكان غرض عبد القادر حمزة من كلامه أن يحرم الحزب الوطنى فضل اعلان التمرد على قانون الجمعيات السياسية ولكننا لم ننخدع بكلامه ، فقرار الحزب الوطنى فى قانون الجمعيات السياسية كان الخطوة الثانية الجريئة التى خطاها الحزب الوطنى فى العهد الأخير ، والخطوة الثالثة هى دعوته البرلمان للاجتماع وكانت هذه الخطوة الثالثة أبعد الخطوات مدى وأكبرها أثرا • وقد أخذت الأمة تراجع نفسها وتشعر بخطئها فى اعراضها عن الحزب الوطنى •• » •

● لم يعرف الحزب الوطنى ، عبر تاريخه الطويل ، الانقسامات الخطيرة ، التى تهدد كيان الاحزاب السياسية ، كما حدث ـ مثلا ـ بالنسبة الى الوفد المصرى • فعندما كان يختلف أحد قيادات الحزب مع زملائه يحتفظ برأيه ، الى أن تزول الظروف التى أدت الى قيام ذلك الخلاف دون أن ينضم الى حزب آخر ، أو دون ان ينشىء حزبا جديدا •

حتى عندما وقع الخلاف بين فريقين من أعضاء اللجنة الادارية فى الفترة من ١٩٣٩ حتى ١٩٤٦ وكان هذا أخطر خلاف فى تاريخ الحزب تمسك كل فريق برأيه الى أن زالت الأسباب التى دعت الى هذا الخلاف والتأمت صفوف الحزب فى عام ١٩٤٦ أما عن ذلك الذى حدث فى عام ١٩٥٠ فهو ليس انقساما فى داخل الحزب بل هو يتلخص فى أن مجموعة من خيرة الشباب المصرى كانت منضمة الى حزب ما آثرت أن تنضم الى الحزب الوطنى برمتها ، وباشرت نشاطها السياسى كمجموعة مستقلة أو شبه مستقلة •

وقد كان الحزب الوطنى حقيقة بحاجة ماسة ، الى مجموعة شابة نشطة ، متفتحة تحرك بعض قواعده الجامدة ، أو المتجمدة، كما أن تلك المجموعة الشابة النشطة المتفتحة كانت أيضا بحاجة ماسة الى ميدان عمل ، وطنى شريف نظيف تعمل فيه لتحقيق أهدافها الوطنية ، غير أن التوفيق قد جانب الطرفين معا ، فلم يتقبل الحزب ما تقوم به تلك المجموعة من أعمال اعتبرها غير متفقة مع تقاليد الحزب الوطنى فى العمل الوطنى ، كما أن تلك المجموعة لم تقبل الاستمرار فى العمل تحت امرة القيادات القديمة وكان الأمر الذى لا بد من وقوعه ان آجلا ، وان عاجلا ، وهو الانفصال الذى كان اشبه ما يكون بعملية رفض الجسم لبعض اجزاء جديدة أريد اضافتها اليه وبذلك خسر كل من الجانبين ما كان يمكن أن يستفيد منه لو انهما عملا ، معا كقوة واحدة ، لا كقوتين منفصلتين تريدان العمل فى ميدان واحد بأسلوبين مختلفين وبأهداف غير موحدة !! ٠

● وأخيرا وليس أخرا كما يقولون فاننا ونحن نكتب للتاريخ وللتاريخ وحده نقول ان فى مقدمة ما يؤخذ على الحزب الوطنى ــ بالاضافة الى ما سبق أن سجلناه ــ أن الحزب الوطنى حتى نهاية الحرب العالمية الثانية قصر كفاحه على القضية الوطنية دون أن يهتم ــ كما ينبغى بمعالجة المشاكل الداخلية اليومية : لقد أعطى العمل السياسى الخارجى كل جهده ، ولم يحاول مثلا ، أن يتبنى مشاكل الشعب الاقتصادية ويعمل على حلها : لم ينزل ــ مثلا ــ الى الجماهير فى القرى ، والكفور ، والنجوع حيث يلتحم بالجماهير الكادحة ويعيد تنظيم خطوطه ٠ كما أنه لم يحاول ــ كما ينبغى ــ أن يعتمد كما كان يعتمد فى أيام مصطفى كامل ، ومحمد فريد على العمال والفلاحين بل اعتمد ــ وفى القاهرة والاسكندرية وبعض عواصم المديريات فقط ــ على الفئات المثقفة وحدها فكان أن عزل نفسه عن الجماهير الكادحة وحرمها من أخلص نصير لها ، وحرم نفسه ــ أى الحزب ــ من قوة ضخمة طالما اعتمد عليها لبناء شعبيته القوية فى سنوات ما قبل الحرب العالمية الأولى ٠

● وأحب ــ وأنا اقترب من نهاية الحديث عن الحزب الوطنى ــ أن أشير الى رأى الكاتب جاكوب لاندو جاء فى كتابه « الحياة النيابية والأحزاب السياسية ، فى مصر ، من ١٨٦٦ ــ ١٩٥٢ » قام بترجمته والتعليق عليه الزميل سامى الليثى وهذا الرأى جاء فى فصل مستقل من الكتاب عن الحزب الوطنى استغرق أكثر من ثلاثين صفحة من صفحات الكتاب ٠ هذا الرأى الذى أثرت الاشارة اليه يتعلق ببعض الانتقادات التى وجهها جاكوب لاندو الى الحزب الوطنى ولست بحاجة الى القول بأن الكاتب كان متجنيا الى حد كبير على الحزب الوطنى ، يقول جاكوب لاندو وهو

يتحدث عن الحزب الوطنى فى أول انتخابات برلمانية خاضها شعب مصر عام ١٩٢٣ : « لأن سياسة الحزب وجهت كلها لمقاومة الوفد فلم يحصل الحزب فى الانتخابات الا على عدة مقاعد بسيطة ومنى بعض زعماء الحزب أنفسهم بالهزيمة وركز الحزب جهوده فى برلمان ١٩٢٤ على نقد سياسة سعد زغلول الخارجية التى وصفوها بالتهاون فيما يختص بالسودان ، واستمر تضاؤل الحزب فى التأثير السياسى حتى أصبح صفرا فى السياسة المصرية بلا فعالية ولا نشاط وقد كان أمرا عجيبا من وجهة النظر العلمية أن ينتهى مثل هذا الحزب ، وقد كان أكثر الاحزاب المصرية تنظيمـــا بلجنته المركزية وفروعه المنتشرة فى جميع أنحاء القطر ونظامه الدعـائى الممتاز ليفشل بهذا الشكل البائس فى كل ما تناوله من أمور بعد الحرب العالمية الأولى : لا يمكن تصور ان هذا الفشل يعود الى أسباب شخصية فقط ، فقـــد تلقى الحزب ضربته الأولى بالمكيدة المؤامرة ، التى اوقعت الشقاق بين الاقباط والمسلمين داخله ثم ظلت تنخر عظامه حتى عام ١٩١٨ وفى الفترة التالية والتى اشتبك فيها مع الوفد لم يكن هناك فـــارق أيديولوجى كبير بين سياسته وبين سياسة حزب الوفد بما يميزه عليه وحول اسباب تفوق الوفد على الحزب الوطنى بين الجماهير وتضـــاؤل شعبية الحزب الوطنى ، يرى جاكوب لاندو انها تعود الى الأسباب الثلاثة التالية :

● أن سعد زغلول ، استطاع أن يقنع المصريين بعدم جدوى ، العناد فى موضوع لا مفاوضة الا بعد الجلاء الذى كان الحزب الوطنـى يتمسك به طالما أن بريطانيا أقوى من مصر .

● بينما كان الحزب الوطنى ، يعتمد على « الانتلجنسيا » المثقفة وحدها فى القاهرة والاسكندرية فقط انتشر الوفد فى الأرياف يقدم نفسه لجماهير الفلاحين حتى أصبحت له لجنة نشطة فى كل قرية صغيرة فى مصر ، وكان الفلاحون انفسهم قد أصبحوا على درجة معقولة من الوعى ، السياسى يمكن أن يكون بها الوفد قاعدة له .

● كان زغلول نفسه من أهم أسباب تفوق الوفد فى الوقت الذى يفتقر فيه الحزب الوطنى الى الشخصية الكبيرة الكفء بعد موت مصطفى كامل ، ثم نفى محمد فريد ففى الشرق يقـــرر الرجال الأكفاء مســـيرة التاريخ وفى التاريخ الحديث يعطى سعد زغلول أكبر الدلائل على ذلـك فمع أن سعد زغلول لم يقدم الى المصريين الا البرنامج الذى كان قـــد وضعه الحزب الوطنى فان الوفد هو الذى قاد مصر لعدد من السنين بعد ذلك .. » .

على أية حال فتلك وجهة نظر « جاكوب لاندو » ، وهي وجهة نظر ، لها احترامها على أية حال ٠

● وقبل أن نتحدث عن النقاط الخاصة بحزب الأحرار الدستوريين أبادر فأعبر عن وجهة نظر شخصية خاصة تتعلق بأحزابنا السياسية المصرية التى قامت قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وهي أن تلك الاحزاب رغم ما كان بين بعضها والبعض الآخر ، من خلافات واختلافات شديدة ، بل وعنيفة فى الأسلوب ، والمنهج ، والفكر ، كانت كلها ـ وتلك حقيقة أومن بها ـ أحزابا مصرية وطنية ، منطلقاتها مصرية ، امكاناتها المادية ، والادبية مصرية ، أهدافها القريبة والبعيدة ، أيضا مصرية ، ولم يكن من بين تلك الأحزاب ، ما يمكن اعتباره عميلا ، بالمعنى المتعارف عليه الآن بالنسبة للعمالة للأجنبي : بعض هذه الأحزاب قد يقبل أن يهادن المستعمر ، أو يرى عدم الفائدة من مواجهته أو مجابهته وبعض هذه الأحزاب قد يرى ـ وفى ظروف خاصة ٠ ضرورة التعاون مع المحتل الأجنبى لاجتياز مرحلة صعبه ولكن صوابا كانت رؤية تلك الأحزاب ، أم خطأ ، فان الرؤية كانت مصرية ، ومن منطلق مصرى بحت على أن مصرية الاحزاب لم تمنع أبدا ولا يمكن أن تمنع أبدا وجود أفراد عديدين فى بعض الاحزاب المصرية ، أو كلها يمكن اتهامهم بالعمالة ، وعمالة الاحزاب شيء ، وعمالة بعض أفرادها شيء آخر ٠

● وانطلاقا من وجهة نظرى الخاصة تلك أرى ان ما قيل عن حزب الاحرار الدستوريين ، من أنه كان عميلا لبريطانيا أو أنه كان « بردعة من برادع » الانجليز ، أو كان ممثل الاستعمار البريطانى فى مصر ، قول خاطيء لا أعتقد أبدا أن الاحداث التاريخية ، أو الوثائق المصرية الأجنبية يمكن أن تؤيده ، صحيح ان مؤسسى حزب الأحرار الدستوريين ممن شاركوا ، أو شارك آباؤهم فى حزب الأمة الذى أنشيء بتحريض من الانجليز فى بداية القرن العشرين وصحيح ان حزب الأحرار الدستوريين يمكن أن يكون أو هو بالفعل ، امتداد لحزب الأمة ، ولكن لدى اعتقادا راسخا بأن مؤسسى هذا الحزب ، عدلى يكن ، عبد العزيز فهمى ، محمد محمود ، حسن عبد الرازق ، وغيرهم ، وغيرهم لم يكونوا فى عملهم السياسى ، الا مصريين : قد يؤمن بعضهم بالدكتاتورية ، وقد يكفر بعضهم بالديمقراطية ، وقد يكون لبعضهم الآخر علاقات وثيقة ببعض السياسيين البريطانيين ، وقد يرى بعض هذه الشخصيات التى شاركت فى تأسيس الحزب ان خطأ وان صوابا ، ان خير طريق للحصول على الحقوق مهادنة مغتصبى تلك الحقوق ، ولكن الذى أومن به ، على ضوء ما سمعت ، وما قرأت ، والذى يؤمن به كثيرون مثلى ، أن تلك الشخصيات

كانت تستوحى خططها السياسية ـ مخطئة كانت أم مصيبة ـ من فكر وطني ، دون أن تقبل على نفسها مهانة تلقى الأوامر من الخارج ٠

● ولقـــد كان من بين الاخطاء التى ارتكبها ـ مثلا ـ الاحـرار الدستوريون بل كان أكبر أخطائهم التى ارتكبوها فى تاريخهم الحزبى ، أنهم لم يحسنوا اختيـــار الوقت المناسب الذى ينشئون فيه حزبهم ، اذ اختاروا وقتا كان كل ما فى مصر ، ومن فيها سعديا وفديا ، الى الدرجة التى تدعو طبيبا مصريا مثقفا الى القول بأنه عندما وضع سماعته على مكان الجنين فى بطن واحدة من الابقار التى يملكها سمع الجنين يهتف « يحيا سعد » وانه عندما سمع هذا الهتاف ، دعا الكثيرين من اقاربه واصدقائه الى أن يسمعوه مثل ما سمع ، وكان امتداد خطئهم السياسى انهم وقفوا كل جهودهم على محاربة سعد زغلول ، والوفد المصرى بالرغم من أنهم فى محاربتهم تلك كانوا أشبه بناطح صخرة يوما ، ليوهنها ، ومن بين أخطاء حزب الاحرار الدستوريين أنه كان واثقا فى نفسه الى أبعد حدود الثقة ، بل كانت الثقة زائدة بل مبالغ فيها ، الى حد كبير كما أنهم كانوا غير مقدرين تماما خطورة عدوهم ـ الوفد المصرى ـ ومدى ازدياد شعبيته، يوما بعد يوم ٠٠ صحيح انهم كانوا يمثلون ، كثيرا من البيوتات الكبيرة ، والأصيلة وكانوا يحكمون أو يتحكمون فى مساحات شاسعة من الاراضى وفى كثير من الفلاحين المصريين باعتبارهم من كبار الملاك ولكن متى كان ذلك كله يؤثر فى الناخب الذى اتيحت له الفرصة ـ ولأول مرة ـ لكي يبدى رأيه فيمن تقدم لترشيح نفسه ، ولذلك كانت نتيجة الانتخابات النيابية الأولى «١٩٢٣» صدمة قاسية لهم ، لقد كانوا يتصورون ، أن الأغلبية يمكن أن تكون لهم ، فاذا بهم لم يحصلوا الا على بضعة مقاعد ولكنهم بعد زوال أثر الصدمة الأولى ، تمالكوا أعصابهم ـ وهذا مما يسجل لهم ـ لم يضعفوا، ولم يلينوا ولم يخشوا عنف الحملات التى وجهت ضدهم من الوفـــد ، ومن الحكومة ، راحوا فى ثبات عجيب يفلسفون النتيجة وفقا لافكارهم ، فأبرزوا ـ مثلا ـ الفرق بين عدد نواب المعارضة وعدد الأصـــوات التى نالوها فى الانتخابات ، مما يدل على أن التمثيل النسبى فى البرلمان ، لا يرسم الصورة الصحيحة لرأى الأمة ، وان الأمة وهى الأصل ، لابد متنبهة لذلك مقدرة له ، وان المعارضة خارج البرلمان ســـيكون لها أثرها الفعال ، كما ان قلة عدد المعارضين لا تدل على عجزهم ، عن تقويم المعوج « فبرلمان الامبراطورية الثانية فى فرنسا كان فيه خمسة من الجمهوريين فقط لكن هؤلاء الخمسة هم الذين اوصلوا فرنسا الى النظام الجمهورى ٠

ظل نواب الحزب على ولاء لحزبهم لم يتنقلوا كما تتنقل قطـــع الشطرنج خوفا من هجـــوم الحكومة ، أو تحسبا من طعن ضـــدهم فى

الانتخابات يمكن أن يقبل أى رغبة في الحصول على منصب وزارى يلوح لبعضهم به !

ورغم أن الاغلبية الشعبية والبرلمانية قد أسكرتها خمـــرة النصر فوجهت حملاتها « المسلحة » بالنبابيت الى مقر الحزب أكثر من مرة ، ورغم أن صحف الوفد راحت تحمل لبضعة أيام العنوان التالى :

« كان هنا حزب ، كانت هنا جريدة » الا أن أعضاء الحزب قيادات ، وقواعد ، ازدادوا تماسكا وقوة ، بل ان بعض تلك القيادات ، لم تمنعها حملات الوفد ، العنيفة ضدها فى الشارع وفى الصحف من أن تنادى بأن تعيين خمسى أعضـــاء مجلس الشيوخ ليس من حق الوزارة ، التى أجرت الانتخابات وانما من حق الوزارة التى حصلت على الأغلبية البرلمانية أعنى الوفد ، أى أن الأحرار الدستوريين كانوا يطالبون لعدوهم اللدود وخصمهم الأوحد ، بأن يتولى هو تعيين خمسى أعضاء مجلس الشيوخ رغم تأكدهم من أن حزب الوفد لا يمكن أبدا أن يختار واحدا منهم .

● على أنه اذا كان دور حزب الأحرار الدســتوريين فى السياسة المصرية ، دورا باهتا ، كما يرى البعض ، ودورا معاديا للشعب ، كما يرى آخرون ، فانه لا خلاف على الاطلاق على أن الدور الثقافى الذى لعبتـــه صحيفة السياسة اليومية ، لسان حال الأحرار الدستوريين ، والسياسة الأسبوعية كان من أهم الادوار التى لعبتها أية صحيفة مصرية على الاطلاق، فى تلك المرحلة من مراحل تاريخنا الوطنى وخاصة فى العشرينات بل ان البعض ـ وأنا من أنصار هذا البعض ـ يرى أن صحيفة السياسة اليومية ، ومجلة السياسة الاسبوعية قد أثرتا فى حياتنا السياسية ، والفكرية ، أكثر مما أثر حزب الاحرار نفسه : كانت السياسة اليومية ، والسياسة الاسبوعية بحق من أهم النوافذ الفكرية ، التى عرفنا من خلالها الكثير من ثقافات الغرب وكانت الصحيفتان بمثابة معبرين عبرنا بهما ـ وبنجاح ـ الى كل الثقافات الأوربية والأمريكية بل والعالمية ، هذا الى جانب الأسس والمبادىء ، الصحفية المؤمنة بالحرية ، والتقدم ، التى قام العاملون فى هاتين الصحيفتين بارسائها فى حياتنا الصحفية . وكان د. محمد حسين هيكل وزملاؤه فى السياسة بحق ، عمالقة صحافة ، لم يكونوا يوما أقزاما ، لم يتحولوا أبدا الى أبواق حتى للحزب الذى يصـدر الصحيفتين وينفق عليهما من تبرعات أعضائه .

انني أذكر ـ كيف وقف د. محمد حسين هيكل رئيس تحـــرير السياسة لسان حال حزب الاحرار الدستوريين من محمد محمود باشا ، وكيل حزب الاحرار الدستوريين موقفا تاريخيا رائعا هو بلا جدال من أخلد المواقف الصحفية والوطنية على الاطلاق ، كانت الوزارة القائمة وقتئذ ـ

بعد زوال عهد زيور ـ « وزارة ائتلافية » وكان حزب الاحرار الدستوريين مشتركا فى تلك الوزارة التى كان يرأسها عبد الخالق ثروت باشا ، وكانت الألاعيب التحتية تجرى من أجل زعزعة هذا الائتلاف وكانت صحف الوفد ، ومناقسات البرلمان أشبه بالسوس الذى ينخر عظام الائتلاف ورأى د· محمد حسين هيكل وبعض زملائه أن تكاشف السياسة الناس ، بحقيقة الموقف فى أمر الائتلاف خاصة ، بعد أن وصل الأمر ان مكرم عبيد كان يحرض الناس ، يوم عودة ثروت باشا رئيس الوزراء لافتتاح الدورة البرلمانية ليسيئوا استقباله ، كتب محمد حسين هيكل مقالا عنوانه « نريد ائتلافا خالصا ، وأساس الائتلاف الخالص الصراحة » ، وأترك للدكتور هيكل يروى فى مذكراته صدى ذلك المقال : ظهرت السياسة واطلع عليها الناس ورأوا المقال ورأيته أنا لذلك قدرت أنه لابد محدث ضجة هو جدير بأحداثها ، وصدق حسى ·· » ·

ونستكمل ـ فى الفصل التالى ـ الحديث عن أحزابنا السياسية بعض ما لها وبعض ما عليها ·



الفصل الثالث

● أحزابنا السياسية عندما تتآلف وعندما تتحارب

● لا فوارق تذكر بين أحزابنا وهى فى المعارضة

سبق لى التركيز على بعض الدروس المستفادة من تاريخ أحزابنا السياسية التى لعبت ـ كما سبق أن ذكرت ـ أدوارا هامة ، فى سنوات ما قبل الثورة ، ان سلبا وان ايجابا وكنت قد ذكرت فى نهاية الفصل السابق موقفا رائعا ، للدكتور محمد حسين هيكل رئيس تحرير صحيفة السياسة ، الناطقة بلسان حزب الأحرار الدستوريين الذى كان يشترك فى وزارة ائتلافية يرأسها عبد الخالق ثروت باشا وكان هيكل وبعض زملائه فى الحزب قد رأى أن مناورات تحاك للقضاء على ذلك الائتلاف الحكومى من قبل الوفد المصرى الذى كان أيضا مشتركا فى الوزارة الائتلافية وكيف آثر هيكل أن يكاشف الرأى العام المصرى بما يراد بذلك الائتلاف فكتب مقالا عنيفا تحت عنوان : « نريد ائتلافا خالصا وأساس الائتلاف الخالص الصراحة » .

وكان هيكل قد توقع عندما كتب مقاله هذا أن يحدث المقال ضجة كبيرة هو جدير باحداثها وأدع للدكتور هيكل يصف ـ فى مذكراته ـ بعض ما أحدثه المقال من ضجة داخل حزب الأحرار الدستوريين نفسه ، قال هيكل :

فى الساعة العاشرة ، أو نحوها من الصباح دق التليفون فى منزلى وخاطبنى محمد محمود باشا وكان وزيرا للمالية فى وزارة الائتلاف ورجانى فى أن أقابله بالوزارة ، فلما ذهبت اليه ، لقيت عنده سيد باشا خشبة

وآخرين وسألنى محمد باشا هل اتفقت مع الدكتور حافظ على نشر المقال، الذى نشرته السياسة اليوم • وأجبته فى هدوء : نعم • وكان تعقيبه : طيب خلاص • ولم أرد أن أفتح مناقشة أو أن أقف على ما دار قبل حضورى بين الذين جمعهم المجلس فحييت وانصرفت ، وتركتهم يقلبون الأمر كما يشاءون • فلما كان المساء ، وكانت الساعة التاسعة ، أو ما بعدها •• جاء الى مكتبى بالسياسة محمد بك عبد الجليل أبو سمرة ومعه كلمة بتوقيع محمد باشا محمود طلب الى نشرها ، وفيها ان المقال الذى نشرته لا يعبر عن رأى الحزب • ورفضت نشر الكلمة وقلت له : أرجوك ، أن تذكر محمد باشا اننى أعبر عن رأى الحزب كل يوم ، فاذا كان مقالى هذا لا يعبر فى نظر محمد باشا عن رأى الحزب فليجتمع مجلس الادارة ، وليصدر قراره بما يشاء ومتى صدر هذا القرار ، نصرفت بما أرى ، وألح عبد الجليل بك على فى أن أنشر كلمة وكيل الحزب لكن الحاحه ذهب عبثا لاننى كنت مصمما كل التصميم على عدم نشرها ، فتركنى وعاد الى الباشا ثم رجع الى مرة أخرى يلح ويذكر اننى ان لم أنشر الكلمة فى السياسة فستنشر فى جريدة الاهرام • قلت فليكن لتنشر فى الأهرام ، وان كانت نصيحتى ألا يحدث من ذلك شىء محافظةعلى تضامننا وعلى مكانة الباشا منا • ولما رأى عبد الجليل بك أن الحاحه غير مجد نفعا ، تركنى وانصرف وبعد ساعة أخرى ، وكنا قرابة منتصف الليل جاء عبد الجليل مرة ثالثة وكان هذه المرة فى صحبة محمد باشا محمود ، ووقف الى جانب الباشا ولم يتكلم أما محمد باشا فقال : أنا أريد أن تنشر هذه الكلمة • قلت : أرجوك يا باشا أن تعيد النظر والا تنشر فى السياسة ولا فى الأهرام شيئا وأن تجمع مجلس ادارة الحزب وتعرض عليه الأمر فلو أن عبارتك هذه نشرت واجتمع مجلس الادارة ، ولم يعترض ، على مقال السياسة فماذا يكون الموقف ، اننى لا أنشر الكلمة فى السياسة بطبيعة الحال ، ولكنى أخاطبك آملا بأن تقتنع برأيى ، قال محمد باشا : ألا تنشر كلمتى وأنا رئيس شركة السياسة وأحسست لسماع هذه الكلمة بأن ممثل رأس المال يخاطب من يتقاضى مرتبا • فقلت محتفظا بكل هدوئى : اذا كان رئيس شركة السياسة هو الذى يطلب النشر ، فأنا مستعد له على شرط ، وهو أن أنشر مع كلمة معاليكم استقالتى من رياسة تحرير السياسة ، واننى قطعت كل صلة لى بها • فأجاب : كلا • يا سيدى •• لا تنشر كلمتى ولا تستقيل سأنشرها فى الأهرام ، ياللا يا عبد الجليل •

فقلت : أرجوك مرة أخرى ، يا معالى الباشا ألا تنشر شيئا قبل أن تجمع الحزب • فخرج وعليه سيما الغضب وخرج عبد الجليل وراءه وذهب بالنيابة عنه الى الأهرام فنشرت العبـــارة التى يقول فيها : « ان مقال السياسة لا يمثل رأى الأحرار الدستوريين • ظهرت الكلمة فى أهرام

الجمعـــة ولم تكن السياســـة تظهر يوم السبت فخاطبت محمود باشا عبد الرازق ، والدكتور حافظ عفيفي واجتمعنا ومعنا اسماعيل صدقي باشا صباح السبت نتدبر الموقف واتفقنا على أن أكتب كلمة أصف بها ما كان من طلب الباشا لى أن أنشر الكلمة فى السياسة ، وعن امتناعي نشرها ، وسبب هـــذا الامتناع وأن أعلق بما أشاء في حـــدود ما يكون بين رجال الحزب الواحد ، من مودة وان اختلفوا رأيا • وكتبت هذه الكلمة ، وأعددتها للطبع وأردت أن أطلع عليها الدكتور حافظ فأخبرنى بأنه يترك الأمر لى ولا يرى ، ضرورة للاطلاع عليها ، وكذلك فعل محمود باشا عبد الرازق وكأنهما كانا على اتفاق • ونشرت الكلمة صباح الأحد وأحدثت أثرها ، ثم لم يسألنى أحد عنها ، ولم يثر أحد الموضوع من جديد •

موقف عظيم ، لا يسجل فقط للدكتور محمد حسين هيكل وحسب وانما يسجل أيضا لمحمد محمود باشا وكيل حزب الأحرار الدستوريين : رئيس التحرير استخدم حقه القانوني والسياسي ، فى ألا ينشر ما يراه وكيل الحزب ، ورئيس شركة السياسة ، ووكيل الحزب ، ووزير المالية ، ورئيس شركة السياسة ، لا يجبر رئيس التحرير على اتخاذ موقف يرفضه، ثم لا يتخذ بعد ذلك أية خطوة للنيل من رئيس التحرير الذى يتقاضى مرتبه من الشركة التى يرأسها هو ، والذى يرفض أن ينشر فيها رأيا لوكيل الحزب ، ورئيس شركة السياسة !!

وحتى عندما خلا مركز رئاسة حزب الأحرار الدستوريين بعد أن تخلى عنها ، عبد العزيز فهمي باشا لم يتذكر د• محمد حسين هيكل المشادة التى وقعت بينه وبين محمد محمود باشا بل كان أول من دعا لكى يترأس محمد محمود باشا الحزب ، وعندما أصبح محمد محمود باشا رئيســـا للحزب ، ورئيسا للحكومة ، لم يشأ أن ينتقم من ذلك الذى رفض أن ينشر كلمته فى صحيفة الحزب !

بل ان د• هيكل لم يشأ أن يخفى استياءه فيما بعد عندما علم ان وزارة محمد باشا محمود تفكر فى احالة بعض مستشارى الاستئناف الى المعاش ، بل ولم يخف استنكاره لهذا الاجراء ، وعلى ضرورة منعه ، ان أمكن ، وكان د• هيكل وقتئذ ، مسافرا خارج البلاد ، تحدث فى هـــذا الأمر مع بعض الوزراء ، مثل لطفي السيد ، وحافظ عفيفي ، وكانت حجته فى استنكار هذا الموضوع ، وفى سعيه لضرورة منعه ان كان ذلك ممكنا •• ان المساس بقدسية القضاء خطير النتائج وان اشاعة القول فى الناس بأن هذا الاجراء يتخذ لان من المستشارين الذين يتحكمون فى رقاب الناس ، وحرياتهم وأموالهم من لا يصلح لهذا المنصب ، اضعاف لثقة الناس بالقضاء كله • وان اقناع المستشارين بمزاولة حقهم فى تقرير احالة من يرون

احالته الى المعاش من زملائهم ، أكرم للقضاء ، وللوزارة ولجمهور المتقاضين، وللشعب كله ٠٠ » ولكن كانت الوزارة ، قد قطعت فى هذا الاجراء شوطا بعيدا وكانت قد اتفقت مع الملك عليه ، وأصبح صدور المرسوم أمرا مقررا ، مرتقبا بين يوم وآخر « وان عدول الوزارة عنه أصبح غير ممكن » ٠

ويصر د٠ هيكل على ألا يدافع فى جريدة الحزب ، عن هذا الاجراء الذى اتخذه حزبه بل يصر على ألا ينشر دفاعا عنه أيا كان مصدره الا أن يكون بلاغا رسميا ، لا حيله فى منعه ، ويبقى عند رأيه لم يكتب فى الموضوع كلمة ولم ينشر شيئا مما كتبه غيره ، ولم يستجب لرجاء فى نشر شىء فيه دفاع عن المساس بالقضاء ٠٠ موقف رائع آخر لصحفى كبير ٠

● هـذا بعض ما لحزب الأحرار الدستوريين فى بداية عهـدهم ، أما بعض ما عليهم فيكفى أن نشير الى قبولهم الحكم بعد اقالة وزارة مصطفى النحاس الائتلافية الأولى « ٢٦ مارس ــ ٢٥ يونيو ١٩٢٨ » بعد مناورات حزبية اشترك فيها محمد محمود باشا نفسه وكان وزيرا للمالية ، عندما اسـتقال من تلك الوزارة ، المـؤيدة من البرلمـان والمكروهة من الملك أحمد فؤاد ٠

وقد قيل ان استقالة محمد محمود باشا كانت باتفاق مع الملك أحمد فؤاد الذى كان يرى اقالة الوزارة الائتلافية التى يرأسها رئيس الوفد ، مصطفى النحاس قبل أن يستفز حزب الوفد ويقدم على استصدار تشريعات تستهدف اضعاف سلطته ، وليس صحيحا ، ان عدم تأليف صدقى باشا للوزارة وكان قد شرع فى تأليفها اثر اقالة النحاس ، وتكليف محمد محمود باشا بتأليف الوزارة بدلا منه كان بناء على تدخل المندوب السامى البريطانى اللورد جورج لويد ــ كما يقول صدقى باشا فى مذكراته ــ اذ الثابت ــ كما تقول الوثائق المصرية والبريطانية ــ ان اختيار محمد محمود باشا كان فى النهاية اختيـارا ملكيا محضا ، وان المندوب السامى البريطانى حتى اللحظة الأخيرة لم يكن يعرف ما استقرت عليه نية الملك وفى تقرير للسير برسى لورين المندوب السامى البريطانى الذى خلف لورد لويد بفترة وجيزة ان وزارة محمد محمود باشا هى من الوزارات التى تتشكل من ساسة ذوى خبرة ، الا أنهم يعادون الوفد ، وان هذه الوزارات تعانى من عداء الوفد من ناحية ومن المناورات الملتوية للملك فؤاد من ناحية أخرى ، والذى تتناقض شهيته الفائقة للسلطة الشخصـية ، مع الادارة المستقلة التى تنتهجها أى حكومة تحترم نفسها » ٠

● وبالرغم من أن محمد محمود باشا كان قد ذكر فى خطاب تشكيل وزارته « ٢٧ يونيو ١٩٢٨ » ان الدسـتور سيظل فى حمى الملك « ركن

الحكم الركين وعماده المتين » فان أول قرار اتخـذته وزارته هو انهـا استصدرت مرسوما آخر بحل البرلمان مدة شهر ، وقبل أن ينتهى الشهر ـ فى ١٩ يوليو ١٩٢٨ ـ استصدرت مرسوما آخر بحل مجلسى البرلمان والشيوخ وتعطيل الحياة النيابية ، لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد والذى لا شـك فيه ان حل البرلمان وتعطيل الحيـاة النيابية كان أفظع جريمة سياسية ارتكبت حتى ذلك التاريخ فالدستور الذى صدر فى ١٩ ابريل ١٩٢٣ كان نتيجة كفاح شعبى مرير استمر سنوات وسنوات كما أن حكومة محمد محمود قد ارتكبت أعنف الوسائل ـ بما فيها استخدام الجيش ـ للقضاء على مقاومة الشعب لدكتاتورية الوزارة والسراى ، وكان الشعب بجميع طوائفه وهيئاته وأحزابه ـ عدا حزب الأحرار بالطبع ـ قد ثار ثورة عارمة ضد تعطيل الحياة النيابية حتى لقد اضطرت الوزارة الى سن قوانين تفرض عقوبة الحبس ، أو الغرامة ، أو هما معا على كل من يحرض على كراهية نظام الحكم ، غير الدستورى الذى كانت وزارة محمد محمود تحاول فرضه ـ وبالقوة ـ على الشعب ، وكذلك كل من يزدرى هذا النظام وكانت وزارة محمد محمود قد توقعت ان بريطانيا التى أيدت تعطيل الحياة النيابية سوف تمهد السبل أمامها ، لعقد معاهدة صداقة وتحالف غير ان بريطانيا بعد أن حركت حزب الأحرار الدستوريين تخلت ـ كما هى عادتها ـ عن تأييده ، خاصة بعد أن كره الشعب الى أبعد الحدود حزب الأحرار الدستوريين ، وسياسته ، الدكتاتورية العنيفة المعادية للديمقراطية وذلك بالرغم من بعض الاصلاحات الاجتماعية ، والاقتصادية التى قامت بهـا وزارته ، وكان الوفد المصرى قد لجأ فى محاربته وزارة محمد محمود باشا الى وسيلة جديدة فأرسل سكرتيره العام مكرم عبيد الى انجلترا ، ليقود حملة قوية مكثفة ضـد وزارة محمـد محمود التى انتزعت الحـريات الدستورية ، « فقامت بتفتيش المنازل وتعطيل الصحف ، ومنع الاجتماعات العامة ، وحتى الاجتماعات الخصوصية والتجسس البوليسى ، والافساد المتسـع النطاق بالمـال المخصص للمصروفات السرية » « وان كل هـذه الاجراءات تقع مسئوليتها على عاتق الحكومة البريطانية لأن الوزارة المصرية لا تجرؤ على احـداث انقلاب كهـذا لو لم تكن مرتكنة على تأييد القوات البريطانية وكل انسان فى مصر يعرف ذلك » ، وبصرف النظر عن الانتقادات العنيفة التى وجهت ـ فى مصر ـ الى هذا الأسلوب الوفدى ، الذى وصف بأنه دعوة من الوفد المصرى الى بريطانيا للتدخل فى الشئون الداخلية ، الا أن الرأى العام البريطانى قد وجه النقد الى حكومته لتدخلها فى الشئون الداخلية المصرية ولحمايتها الدكتاتورية المصرية ، وكان محمد محمود قد أجرى ـ بمناسبة ذهابه الى انجلترا لتسلم درجة الدكتوراه الفخرية من جامعة اكسفورد باعتباره أحد خريجيها ـ مفاوضات مع مستر هندرسون

وزير الخارجية البريطانية أحرزت بعض التقدم بالنسبة الى الجانب المصرى وقد فوجيء محمد محمود ، بعد أن توصل الجانبان الى ما سمى بمشروع اتفاق — محمد محمود — هندرسون — بأن الجانب البريطـانى ، يصف المشروع بانه مجرد اقتراحات ويؤكد ان الاتفاق لابد من عرضه على البرلمان المصرى فى وقت كانت فيه الحياة النيابية قد توقفت لمدة ثلاث سنوات قابله للتجديد ، وكانت أية انتخابات حرة جديدة لابد أن تكون نتائجهـا لصالح الوفد المصرى ، وأيقن محمد محمود ، ان الحكومة البريطانية قد سممت الآبار فى طريقه وانها تخلت عنه تماما ، وكذلك القصر لم يجد فى وزارة محمد محمود ما كان يأمله من الانصياع الكامل لتعليماته وكان محمد محمود بحق — وهذه شهادة للتاريخ — رجلا لا يقبل أبدا أن يكون ذنبا لأحد ، ولقد كان الملك أحمد فؤاد فى زيارة لباريس ، عنـدما كان محمد محمود فى لندن وتصادف أن حجز محمد محمود لنفسه ولمن معه على الباخرة الايطالية اسبيريا ليستقلها من نابولى ، وكان الملك فؤاد قد أمر فحجزت له ولحاشيته أماكن على الباخرة اسبيريا التى حجز عليهـا محمد محمود وبهذه المناسـبة سأل — كما يقول د. هيكل فى مذكراته — أحد الصحفيين الانجليز محمد باشا محمود عما اذا كان سيسافر فى صحبة الملك فؤاد ؟ فكان جوابه : كلا ، بل اختار الملك الباخرة التى قررت أنا السفر عليها ليعود الى مصر » ، فلما رأيت هذه العبارة وتناقلها اخواننا المصريون المقيمون بباريس ، أيقنت اننا ذاهبون الى مصر ، فى جو ملبد بالغيوم » وكما هى العـادة وضعت العراقيل من قبل السراى ومن قبل الانجليز أمام وزارة محمد محمود التى كانت الى أمد قريب تحظى برضاء السراى ، والانجليز معا ، واستقال محمد محمود ليخلفه عدلى يكن فى ٣ أكتـوبر ١٩٢٩ وليجرى انتخابات حـرة يقاطعها الأحرار الدستوريون وتجيء نتيجتها محققة لأهداف الوفد ويستقيل عدلى يكن ليؤلف مصطفى النحاس وزارته الثانية التى تحكم مصر فى الفترة من أول يناير ١٩٣٠ حتى ١٧ يونيـو ١٩٣٠ ، وكانت وزارة النحـاس قد جاءت ومشـكلتها الرئيسـية بل وهدفها الأول التفاوض مع بريطـانيا فلما فشلت تلك المفاوضات بالرغم من أن مصطفى النحاس قد صرح بأننا « كسبنا الانجليز وخسرنا المعاهدة » راح الانجليز يكيدون للحكومة الوفدية وكان حزب الأحرار الدستوريين قد راح يتصل بدوره بنواب حزب العمال — الحزب البريطانى الحاكم وبدار المندوب السامى ، البريطانى فى القاهرة لاقناع بريطانيا بأنها مسئولة عن مجيء وزارة النحاس وبخطورة استمرار تلك الوزارة فى الحكم ، وانه من الظـلم بل من المستحيل تسليم البلاد التعسة لديمقراطية جامحة ، وغير متعلمة وراح أقطاب الأحرار الدستوريين يشكون لدار المندوب السامى البريطانى من تدخل الحكومة الوفدية فى الانتخابات

مجلس الشيوخ وتدبيرها لبعض المظاهرات التى هاجمت دور بعض أولئك الأقطاب وتقول وثيقة بريطانيـــة ، ان الشيخ مصطفى المراغى ، اتصل بالسكرتير الشرقى فى دار المندوب البريطانى ليبلغه أن مصر ، فى طريقها الى حالة من الفوضى ، الماليـة ، والادارية شبيهة بتلك التى حدثت أيام اسماعيل ، وعرابى ، وان مسئولية الانجليز عن هذا الوضع لا مراء فيها طالما أن سياستهم هى التى أدت الى تشكيل الوزارة الأخيرة وانهم اذا لم يتدخلوا فلن نستبعد احتمالات الحرب الأهلية .

وهكذا عامل « الأحرار الدستوريون » الوفد المصرى بالمثل عنــدما ذهب مكرم عبيد الى لندن ليكيد لوزارة محمد محمود .

وينتهز الملك أحمد فؤاد ، الفرصة لضرب حزب الوفد ، الذى حاول أن يقص أجنحة السراى ، ويقوم ، الملك أحمد فؤاد بهجوم مضاد ضـد الوفد يتحرك فيه الأحرار الدستوريون بهمة ونشاط فيقدمون الى الملك عريضة يطلبون فيها أن « يتلافى الأمر بحكمته » لأن الحالة فى مصر منافية للدستور ، وللقانون ولأبسط قواعد العدل ، ولان الأغلبية البرلمانية التى تستند اليها حكومة الوفد ، هى أغلبية انتخبت لغاية ، خاصة ، ولم يعد لوجودها مبرر ، بعد فشل تلك الغاية .. » وكان حزب الأحرار الدستوريين قد قاطع الانتخابات البرلمانية ليستغل تلك الحجة فيما بعد أى بعد فشل الوزارة الوفدية فى اجراء المفاوضات ! وكانت وزارة النحاس قد أصرت على اصدار قانون محاكمة الوزراء الذين يقدمون على قلب دستور الدولة أو حذف حكم من أحكامه ، أو تغييره أو تبديله ، بغير الطريقة التى رسمها الدستور أو مخالفة حكم من أحكامه ومحاكمة كل وزير يبدد أموال الدولة ، العامة ، ولم يكن مثل هذا القانون يتفق وسياسة السراى أو السياسة البريطانية لأن من أهدافهما معا خلق طبقة من « المستوزرين » ، الذين لا يعملون « الا ما من شأنه الاضرار بالشعب والقضاء على الدستور » ويرفض الملك توقيع المرسوم الخاص باحالة مشروع هذا القانون الى البرلمان ويرفض التوقيع على مراسيم أخرى كثيرة كما يرفض فى نفس الوقت الأسماء ، التى عرضتها الحكومة الوفدية لشغل المناصب الشاغرة ــ بالتعيين ــ فى مجلس الشيوخ ويضع أسماء مرشحين آخرين من قبله !

ويجد مصطفى النحاس ، أن الأبواب موصدة فى طريقه فيستقيل من الوزارة ، نظرا لعدم تمكنه وزملاؤه ــ كما كتب فى خطاب الاستقالة ــ من تنفيذ البرنامج الذى قطعنا على أنفسنا العهد بتنفيذه » وتقبل استقالة الوزارة ، بالرغم من أنها حظيت بثقة اجماعية من مجلس النواب !! ويحاول الوفد اثارة الجماهير لصالحه وضد السراى فلا يكتب له النجاح لأن الملك

فؤاد عهد فى نفس الوقت الذى قبل فيه استقالة الوزارة الوفدية بالحكم الى « خبير خطير » فى الحكم الديكتاتورى ، والى عدو لا يستهان به للشعب وللنظام ، الدستورى وهو اسماعيل صدقى ، الذى لا يرضى بتعطيل الحياة النيابية ثلاث سنوات قابلة للتجديد كما فعل محمد محمود وانما يلجأ الى الغاء الدستور ذاته والى « تفصيل » دستور جديد ينقل السلطة من الشعب الى الملك ويتيح للوزارة القائمة أن تحكم البلاد بيد من حديد » ٠

● عندما قام الملك أحمد فؤاد بتكليف اسماعيل صدقى باشا ، بتأليف الوزارة الجديدة ــ وكان فيما يبدو ، متأهبا ، للقيام بهذه المهمة منذ أكثر من عامين ــ كان أول ما فعله أن زار السير برسى لورين المندوب السامى البريطانى فى مصر ليتأكد من موقف بريطانيا من وزارته ، وقد ذكر له المندوب السامى البريطانى أنه فوجىء باختياره لرئاسة الوزارة وأنه لا اعتراض للحكومة البريطانية على تكليف الملك له بتشكيل الوزارة « ما دامت تلك رغبة الملك » وان كان سير برسى لورين ــ يعتقد انه ــ أى اسماعيل صدقى ــ جاء فى وقت غير مناسب ٠٠

ويتجه اسماعيل صـــدقى أول ما يتجه الى أصـــدقائه ، وحلفائه الدستوريين ليشركهم معه فى وزارته ويفاتح فى ذلك صديقه محمد محمود باشا مؤكدا له انه ما جاء الى الحكم الا ليحقق ما كان الأحرار الدستوريون ينوون القيام به لو أنهم استمروا فى الحكم غير أن محمد محمود وكان يعتقد انه قد أصبح ضحية للسراى وللانجليز وانه بمثابة جريح سياسى لم يجمع مجلس ادارة الحـزب ليعرض عليه موضـوع اشـتراك الأحرار الدستوريين فى الحكم بل قد رفض من الوهلة الأولى فكرة اشتراك الأحرار الدستوريين فى الوزارة ، وهدد كل من يشترك فيها بأنه سيعتبر متخليا عن عضوية الحزب ٠ واستقال اسماعيل صدقى ــ وهذا مما يذكر له ــ من عضوية مجالس ادارة احدى عشرة شركة كبرى كانت عضويتها تدر عليه أضعاف أضعاف مرتبه كرئيس للوزارة وراح يؤكد ، للجماهير ، أنه رجل دستورى بطبعه ، كما راح يذكر الجماهير أيضا ، بأنه كان عضوا فى لجنة الثلاثين ، التى وضعت دستور سنة ١٩٢٣ وأن نزاهة أغراض وزارته وشرف مقاصدها سيخلقان بينها وبين الشعب أصدق صلات الثقة ، ومظاهر التعاون وأنها ــ أى الوزارة ــ تعتمد بعد تأييد صاحب الجلالة الملك على هذه الثقة وذلك التعاون وان خطة الوزارة قول قليل موجز ، وعمل كثير مبارك مسدد الوسيلة محمود النتيجة » ٠ ولم يكد يجف مداد هذه الكلمات حتى أخذ يلوح بسلاح التهديد : انى وزير الداخلية ، أى اننى الرئيس الأعلى للبوليس ، وأرى أن واجبى بهذه الصفة مزدوج ، فهو لا يقتصر على الشدة وحدها ، بل يتناول الوقاية أيضا ، ولقد صرحت فى

ابلاغ الرسمى ، الذى نشرته الصحف أن الحكومة تلقى حمل المسئولية على عاتق كل فرد أو جماعة تتخطى حدود القانون ولا تخدم أوامر الحكومة وانى محتفظ بالعمل بما جاء فى هذا الانذار كاملا ، ولا سيما فيما يتعلق بالزيارات ، التى اعتزم رئيس الوفد ـ اذا كان صدقا ، ما نشر فى بعض الصحف ـ أن يقوم بها عاجلا وفى مدن أخرى من الأقاليم ٠ ومهما يكن فى الأمر ، وأيا كانت التحريضات التى يسعون بهـا لاضطراب النظام ، والأمن العام ، فانى أرغب أن يقتنع كل فرد اقتناعا مطلقا بأن الحكومة ، التى أدير دفتها ستقبض على ناصية الحال ، ولن نسمح بأن تكون مصر فريسة لمثيرى القلاقل » ، وفى ٧ يوليو ١٩٣٠ ـ ولما يمض سوى أسبوع واحد حتى كانت مذبحة المنصورة اذ أصاب البوليس سينوت بك حنا الذى كان يرافق مصطفى النحاس فى عربته بجروح بالغة فى ذراعه وقتل أربعة من الأهلين ، وثلاثة من رجال الجيش والبوليس ، وجرح ١٤٥ شخصا ، وقامت مظـاهرات عديدة فى بور سعيد ، والاسماعيلية ، والسـويس ، وطنطا ، والاسكندرية ، والقاهرة ، احتجاجا ، على حكومة اسماعيل صدقى ، التى استخدمت أعنف الوسائل ، لمقـاومة مظاهرات الشعب ، وتتدخل بريطانيا ، فى الأمر ، وتحمل ، الحكومة البريطانية ـ فى تبليغ رسمى ـ الحـكومة المصرية والوفد المصرى معا مسـئولية حمـاية أرواح الأجـانب وممتلكاتهم فى مصر وتأمر الحكومة البريطانية بارجتين بريطانيتين ، بالتوجه الى ميناء الاسكندرية ، ويصرح مصطفى النحاس رئيس الوفد بأن مسئولية الأحـداث الأخـيرة انما تقع على الوزارة ، التى أدى مسلكها فى الأزمة الدستورية الى وقوعها ، وان موقف البلاد من هذه الحوادث هو موقف الدفاع عن دستورها ، ضـد وزارة معتدية ، على سـلطة الأمة ، ويبعث اسماعيل صدقى ، برد الى الوزارة البريطانية يقول فيه ان التبليغ البريطانى لا يتفق ، ومقتضيات الحياد الدقيق وان التبليغ البريطانى لا يمكن أن يحمل الا على أنه تدخل معيب فى شئون مصر الداخلية التى لم ينكر تصريح ٢٨ فبراير نفسه حق مصر ، المطلق فى التصرف فيها وان المحافظة على أرواح الأجانب فى مصر وعلى طمأنينتهم ومصالحهم كانت منذ اللحظة الأولى فى صدر ما عنيت به وزارتى من المشاغل ، وأن عبارة التبليغ التى تشير الى مسئولية غيرها ، فان الحـكومة المصرية وان كانت لم يهمها طبعـا الا الحرص ، على المحافظة على أرواح الأجانب وأموالهم قد تحمل على أنها غض من سلطان الحكومة وتشكيك فى انفرادها بالمسئولية وهى وحدها التى تسأل ، عن حالة البلاد ، وتخاطب فى هذا الشأن » وبدأ اسماعيل صدقى ، يضع دستورا جديدا ، بدلا من دستور سنة ١٩٢٣ وأشرك معه حزب الأحرار الدستوريين ولم يكن الخلاف الا على ثلاث نقاط ، وفوجىء اسماعيل صدقى بقرار لحزب الأحرار الدستوريين يوضح أنه « بذل كل

ما استطاع من مجهودات لكيلا تمس الحكومة أسس الدستور » ويعلن أن الحكومة ظلت متمسكة بما يناقض سلطة الأمة ، ويشكك البرلمان فى تصرفاته ويجعل الحياة النيابية معطلة فى أهم خصائصها ويعلن الحزب أسفه لما تصر الحكومة على المضى فيه من اصدار دستورها الجديد وينكر عليها هذا التصرف ولا يستطيع تأييدها فيه بحال وتحظى معارضة الأحرار الدستوريين لوزارة اسماعيل صدقى باهتمام كبير : فى داخل مصر وخارجها ، حتى ان صحيفة الديلى ميل البريطانية تقول فى افتتاحية لها : يلوح ان موقف الأحرار الدستوريين الجديد ، يرجع السبب به الى تطور العلاقات الشخصية بين محمد محمود والعرش وبالأكثر الى دسائس دعاة الوفد الذين حملوا محمد محمود على الاعتقاد ، باحتمال عودته ، الى منصة الحكم ، كزعيم لحزبى الوفد ، والأحرار الدستوريين كهيئة مؤتلفة ، ويصدر اسماعيل صدقى دستوره الجديد ، ويعلن الوفد المصرى عدم الاعتراف بالدستور الجديد ، ولا بقانونى الانتخاب الجديدين وعدم الخضوع لهما ، ومقاطعة الانتخابات العامة بجميع عملياتها وكذلك يسارع الحزب الوطنى بالاحتجاج على تصرف الوزارة الحاضرة فى وضع دستورها الحكومى ، وافتئاتها على حقوق الأمة المقدسة ، كما يعلن أنه لن يؤيد دستورا لن يحقق سلطة الأمة فى أجلى مظاهرها ، وليس من وضع يدها » .

● ويلتقى الأحرار الدستوريون ، والوفد المصرى ، يلتقى العدوان اللدودان وقد قال كل واحد منهما فى الآخر ، الشىء الكثير ، نسى الوفد المصرى ما كاله للأحرار الدستوريين من اتهامات خطيرة ، وكذلك نسى الأحرار الدستوريون كل ما وجهوه للوفد من اتهامات خطيرة أيضا ، كل ذلك من أجل مقاومة حكومة اسماعيل صدقى وربما لو كان كل من الحزبين قد توقع ، من قبل مثل هذا الالتقاء ، لاقتصر على قادته وصحافته ، فى توجيه الاتهامات الخطيرة للحزب الآخر ، ويقول د. هيكل فى مذكراته : اتفقنا مع الوفد لمقاومة صدقى باشا ، وبطشه ولتنظيم هذه المقاومة ألف الحزبان لجنة اتصال كان يمثل الوفد فيها فتح الله باشا بركات ومكرم عبيد باشا . وكان يمثل الأحرار الدستوريين فيها محمد على علوبة باشا ، وأنا . وكانت هذه اللجنة تجتمع بمنزل فتح الله بركات باشا بالزمالك ، وأقرت هذه اللجنة فى أول اجتماع لها رأيا رآه الأحرار الدستوريون : ذلك أن دعوة الشعب للمقاومة ، والتضحية لا يمكن أن تثمر ثمرة ما اذا لم يتقدم الزعماء صفوف الشعب فى هذه المقاومة أما ان اقتصرت على عبارات تنشر فى الصحف بالغة ما بلغت قوتها ، وصدق تعبيرها عما يعانيه الشعب فى حريته ، وفى حقوق وطنه فلن يكون من أثر لها الا أن تثير اعجاب المثقفين ببلاغة أسلوبها وقوة عبارتها لكنها لم تحرك الشعب الى عمل ايجابى عنيف منتج .

وكان الوفد ، والأحرار الدستوريون قد وقعوا فى ٣١ مارس سنة ١٩٣١ ميثاقا قوميا سموه « عهد الله والوطن » وكان فى مقدمة الموقعين على ذلك الميثاق عن الوفد المصرى : مصطفى النحاس ، حمد الباسل ، سينوت حنا ، جورج خياط ، واصف غالى ، مكرم عبيد ، محمد فتح الله بركات ، محمد علوى الجزار ، مراد الشريعى ، نجيب الغرابلى ، فخرى عبد النور ، مرقص حنا ، على الشمسى ، محمد سلامة ميخائيل ، راغب اسكندر ، حسن حسيب ، حسين هلال ، مصطفى بكير ، عطا عفيفى ، أحمد ماهر ، محمود فهمى النقراشى • وعن الأحرار الدستوريين : محمد محمود ، محمود عبد الرازق ، محمد على علوبة ، ابراهيم الهلباوى ، جعفر ولى ، أحمد محمد خشبة ، كامل جلال ، صالح الشريعى ، على عبد الرازق ، محمد كامل البندارى ، عبد الحليم العلايلى ، محمد محفوظ ، رشوان محفوظ ، سيد محمد خشبة ، عبد الجليل أبو سمرة ، غبريال سعد ، على راتب ، حامد العلايلى ، محمد سامى كمال، ابراهيم الطاهرى ، عبد العزيز الحسينى سعده ، توفيق اسماعيل ، عبد الله أبو حسين ، عباس أبو حسين ، أحمد مصطفى أبو رحاب ، محمد الفقى ، أحمد على علوبة ، أحمد عبد الغفار، حفنى محمود ، اسماعيل راتب ، محمد حسين هيكل •

وقد حرصت على نشر أسماء كل الذين وقعوا على هذا الميثاق الوطنى، ليرى أبناء هؤلاء ، وأحفادهم بل ليرى شباب اليوم ، وشباب الغد كيف أن الكفاح الوطنى لم يكن مقصورا على فئة دون أخرى ، وعلى طبقة دون غيرها من الطبقات وانما كان ميدان الكفاح الوطنى لجميع أبناء الشعب ، كل أبناء الشعب •

وأكتفى بهذا القدر من الحديث عن الأحزاب المصرية ، فمعظم باقى هذه الأجزاء من كتابى «سنوات ما قبل الثورة» يحتوى على الكثير من تاريخ تلك الأحزاب •



البـاب الثـانى

الفصل الأول

وقبل الحديث عن الكتاب الأسود وملحقه
والكتاب الأبيض لابد من مقدمة مطولة

عندما بدأت أتاهب للكتابة عن « سنوات ما قبل الثورة » كنت متوقعا ــ بل ومتأكدا ــ أن كتابتي هذه بالمنهاج الوطني ، الذى وضعته لنفسي منذ أن حملتها رسالة الكلمة الأمينة المخلصــــة : المجردة عن الهوى ، والغرض ــ ستجر على الكثير من المتاعب ، والمصاعب وستفقدنى بعض الأصدقاء ، والمعارف ، بل وستعرضنى ــ فى بعض الحالات ــ لموجات من النقد ، أو التجريح أو هما معا وذلك لأسباب ، كثيرة ، لا مجال لتفصيلها : من بينها ــ مثلا ــ أن كثيرين ممن شاركوا فى الحكم ، أو كانوا من القيادات الحزبية ، القديمة ، لا يزالون ــ أو لا يزال بعض أنصارهم وأصدقائهم ــ على قيــد الحياة ، وبعض هؤلاء ــ ولا أقول كلهم ، أو جلهم ــ قد لا تروقهم بعض الآراء ، التى تصـــــدر فى بعض تصرفات الماضى ، البعيد ، رغم أن تلك التصرفات قد مضى عليها ، أكثر من ربع قرن من الزمان ، كما أن البعض منا لا يزال يشك فى حرية الكتابة التى ننعم بها فى هذه الأيام أكثر من أية أيام مضت ، ويرون أن أى كاتب مهما بلغ صدق حسه الوطنى ، لا يمكن أن يكتب مادحا ، أو ناقدا ، من وجهة نظره الخاصة بل لابد أن يكون وراء مدحه ، أو نقــــده ، هدف سياسى يستهدف منه ، النيــل من المــاضى ، أو تجريح بعض الشخصيات التى لعبت أدوارا تاريخية ، وذلك لصالح

شخصيات موجودة بيننا هذا بالاضافة الى أن البعض منا ــ من الأجيال القديمة والأجيال الحديثة على حد سواء ــ لا يتقبل منك الا الرأى ، الذى يتفق ووجهة نظره فاذا أنت اتفقت معه فى الرأى ، كنت «صادقا» ، و «عادلا» ، و « غير مغـرض » واذا أنت خالفته فى الرأى فأنت « كاذب » و « ظالم » و « انتهازى » ، كما أن البعض ــ وبكل أسف لا يقرأ ، كل ما يكتب بل يكتفى بقراءة بعض السطور ، فان كانت متفقة مع آرائه استمر فى القراءة ، فاذا خالفت آراءه ، لم يكمل القراءة ولو أن هؤلاء ، قرأوا كل شىء يخص الموضوع ، الذى يهمهم قراءته بتمعن ، ووعى ، لمـا أصـــدروا أحكاما خاطئة ومتسرعة على من يقرأون لهم ، ولأراحـوا ، غـــيرهم ، واستراحوا هم أيضا •

وقد كنت متوقعـا ــ بل متأكدا ــ ان البعض ممن تخصصـوا فى « التأويل » ، « والتخريج » ، « والتفسير » سينتهزونها فرصة ، ليلصقوا بى ما أنا برىء منه ، أو للايقاع بى ، عند البعض أو على الأقل ، لتشويه صورتى أمام البعض الآخر ، ورغم ذلك كله مضيت فى الكتابة ، ثقة منى ــ أولا ــ بنفسى ثم فى الخط الوطنى الذى رسمته لنفسى ورغبة صادقة منى فى أن أعطى لشباب اليوم ، صـورة أمينة لتلك السـنوات بكل ايجابياتها وسلبياتها ، وايجابياتها كما أرى أكثر من سلبياتها• ان كل مواطن له الحق فى أن يبدى آراءه فى أى حدث وقع فى الماضى ، أو فى الحاضر وليس معنى ابداء رأيك فى تصرف ما أنك وحدك صاحب الحق ، فى الحكم ، على هذا التصرف بأنه خطأ ، أو صواب ، فكما أن كل رأى من الآراء يحتمل الصواب، فانه ــ فى نفس الوقت ــ يحتمل الخطأ أيضا ، وكل ماهو مطلوب منك ، وأنت تبدى رأيك فى تصرف ما ، أن تكون متجردا من كل عواطف ، وأهداف شخصية وأن تحاول ــ ما استطعت الى ذلك سبيلا ــ أن تكون قاضيا عادلا •• فان كان رأيك يتفق مع الحق ، فأنت به سعيد ، وان جانب رأيك التوفيق فحسبك أنك حاولت ، التعرف ، الى جوانب الحق ، والحقيقة ، بل انك فى حالة مجانبة التوفيق لك يجب أن تكون مستعدا ــ ودون اصرار على حكم معين ــ لأن تستمع الى الأدلة والبراهين التى قد تساعدك على أن تقـــول رأيا آخـر يـــكون أكثر ، اتفـــاقا مع الحـق ، ومـع الحقيقـــة •

وقد كان أول ما اصطدمت به من مشاكل ومتاعب ما تعلق بما كتبته عن مكرم عبيد ، (باشا) ، وعن الوفد المصرى • فما أكثر الذين ناقشونى

حول ، هاتين النقطتين ، وما أكثر ، الذين كتبوا ، الى حول هاتين النقطتين أيضـــا •

وكنت أقول لمن تفضلوا بمناقشتى فى الآراء التى أبديتها ـ وليس فى الأحكام ، التى أصـــدرتها ، فقد قلت منذ البداية ، اننى لا أصـــدر الأحـــكام ولكنى ، فقط ، أبدى بعض الآراء ، التى تحتمل الخطـــأ ، أو الصـــواب ـ ان مصطفى النحاس باشا ، ومكرم عبيد باشا وغيرهما من القيادات ، الوطنية المصرية ، التى لعبت أخطر الأدوار فى تاريخنا المصرى قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ قد أدت واجبها وقد ذهبت ، للقاء ربها ولا يهمها أبدا ، أن نقول انها أخطأت ، أو أصابت فهى لن تستفيد أبدا من الذى من المدح ، كما أنها لن تضار من النقد ، الذين يستفيدون أولئك الذين هم على قيد الحياة لأنهم سوف يتجنبون الأخطاء ، التى وقع فيها من سبقهم فى ميدان العمل ، الوطنى ، وســـوف يحاولون الاســـتفادة من الأعمال الطيبـــة المجدية ، البنـــاءة التى قام بها غيرهم ، تم ان تاريخنـــا الوطنى ـ هكذا كنت أقول لمن تفضلوا بالدخول معى فى حوار حول ما كتبت ـ وخاصة بعد مرور تلك الحقبة الطويلة نسبيا من الزمن ، التاريخ ليس ملكا لحزب معين ، أو لشخص معين ممن شاركوا فى صنع أحداث ، تلك الفترة ، كما أنه ليس ملكا لأصدقائهم وأنصارهم وانما هو ـ أى تاريخنا الوطنى ـ ملك للشعب بكل طوائفه وهيئاته وتياراته الوطنية ، انه تراث شعبى مملوك ، للشعب كله ، ومن واجب الشعب أن يستفيد الى أبعد حدود الاســـتفادة •

حول موضوع مكرم عبيد « باشا » ناقشنى كثيرون فيما أبديته من آراء حول دور أحمد حسنين باشا ـ رجل السراى الأول ـ فى الاعـــداد للكتاب الأسود ، وتلقيت حول هذا الموضوع ، الكثير من الرسائل بعضها بتوقيعات صريحه وواضحة وبعضها ـ ولســـت أدرى لماذا ؟ بتوقيعات مستعارة ، وبعض من ناقشونى فى رأيى ، كانوا متشبثين بآرائهم ، الى أبعد حدود التشبث ، وبعض الرسائل ، التى وردت الى من بعض هؤلاء ، كانت تحمل عبارات قاسية ، وجارحة لابد أن يتقبلها المرء ، بحسن نية طبعا ، وقد لا يعرف هؤلاء ، أو هؤلاء ، اننى كنت ـ رغم اختلافى فى الرأى مع مكرم عبيد باشا ، عندما كان سكرتيرا ، عاما للوفد ، وبعد أن خرج أو أخرج من الوفد ـ من غلاة المعجبين به خطيبا ، وكاتبا ، وما أكثر المرات ، التى كنت أذهب فيها الى السرادقات ، التى تقام لكى يخطب فيها مكرم عبيد لأستمتع بل لأمتع نفسى بعبقرية مكرم عبيد الخطابية ، وما أكثر المرات التى كنت أذهب فيها الى مكتبه ، فى شارع قصر النيل ، لأناقشه فى آرائه ، أو ليملى على بعض المقالات أو الأحاديث التى كنا نطلبها منـــه فى المصور وقد قلت فى أحد فصـــول هذا البحث ، ان مكرم عبيد باشا

كان من أخلص أبناء مصر ، لمصر ، رغم ما وقع فيه من أخطاء سوف يغفرها له تاريخنا الوطنى ، لصدق احساسه الوطنى ، ولشدة تعلقه بمصر ، وعندما قلت انه « علق في سنة ١٩٤٢ الآمال على الملك السابق » قلت « نحن لا نلومه ، على تلك الآمال التى علقها على الملك وقتئذ فقد كانت آمال الشعب كله » ولكن هذا الكلام لم يعجب البعض من أنصار وأصدقاء ومعارف ، مكرم عبيد ، وان كان بعض هؤلاء قد سحبوا بعض كلامهم ، بعد أن أفردت فصلا خاصا بل فصولا كثيرة ، عن الكتاب الأسود ٠

وما حدث بالنسبة لمكرم عبيد ، حدث مثله ، أو قريب منه بالنسبة للوفد المصرى ، ولقد سبق أن قلت مرارا وتكرارا ، اننى رغم انتمائى الى الحزب الوطنى ، الذى كان يختلف الى حد كبير مع الوفد ، فى كثير من الأمور السياسية ، ورغم أننى كنت من أشد المعارضين ، للوفد وخاصة فى فترة سنوات ، ١٩٤٢ ، ١٩٤٣ ، ١٩٤٤ ، وفى بعض الفترات ، التى كان الوفد فيها فى الحكم ، فيما عدا ، الفترة الأخيرة التى ألغى فيها معاهدة ١٩٣٦ الا أننى أعتبر ، الوفد المصرى ورئيسه مصطفى النحاس ، القاعدة الشعبية الصلبة التى طالما وقفت أمام مطامع الانجليز والسراى وقد سبق أن كتبت عن مصطفى النحاس — يرحمه الله — سلسلة من المقالات تحت عنوان « مقال تأخر نشره عشر سنوات — مصطفى النحاس زعيم وطنى شجاع كان قائد مصر وضميرها » بمناسبة مرور عشر سنوات على وفاة مصطفى النحاس فى أغسطس وسبتمبر ١٩٧٥ كانت باعتراف الكثيرين أول دراسة موضوعية جادة منصفة عن مصطفى النحاس ، وبالرغم من أننى قلت ، ان السراى والسفارة البريطانية قد لعبتا أخطر الأدوار — بطريقة مباشرة ، أو غير مباشرة — فى اضعاف الوفد المصرى باعتباره القوة الشعبية الرئيسية القادرة على الوقوف بقوة وصلابة فى سبيل تحقيق الأهداف الاستعمارية البريطانية فى مصر ، وبالرغم من أننى عندما بدأت أكتب عن الكتاب الأسود ، انتقدته لأنه امتلأ ، بكثير من الأمور الصغيرة ، ورغم اننى — قلت بعد أن قمت بجولة سريعة جدا ، فى الكتاب الأسود — انه ليس معنى اشارتى الى كثير من الموضوعات التى وردت فى الكتاب الأسود أننى أسلم بها كلها فان التسليم بمثل هذه الموضوعات يقتضى ، أن نسمع الطرف الآخر وهو الوفد ، الذى رد على كل ما جاء بالكتاب الأسود ، جملة وتفصيلا ، كما أننى قلت أيضا اننا يجب أن نلفت النظر الى اننا ونحن نتحدث عن أحداث سنوات ما قبل الثورة ٠ ونتحدث عن بعض التصرفات التى وقعت من بعض السياسيين القدامى لا نحكم عليهم فان الحكم ، على هؤلاء السياسيين ليس من حقنا ، رغم كل ذلك الوضوح فلقد غضب الكثيرون وكان أكثرهم غضبا الصديق الوطنى الكبير د٠ محمد بلال الذى لعب الكثير من الأدوار فى الحركة الوطنية المصرية ، وخاصة فى ثورة

١٩٣٥ ، وكانت غضبته واضحة فى كلمات كثيرة عنيفة سلمها لى ، وأسعدنى ، أن أنشرها كما هى ، ولقد كنت أود ، أن أحذف بعض ما فيها خاصا بى ولكنى اعمالا ، لحق الرد ، رفضت أن أحذف كلمة واحدة ٠

ويجب هنا أن أوضح قضية هامة وهى اننى عندما أنقل ، وفى بعض الحالات بالتفصيل الذى يكاد يكون مملا بعض الأحداث ـ كما رواها بعض أساتذتنا ، وفى مقدمتهم أستاذنا عبد الرحمن الرافعى ، ود٠ محمد حسنين هيكل ، يرحمهما الله ، لا يعنى ، اننا نوافق أصحاب الآراء التى أبديت على آرائهم ، ولكننا ننقل بعض وجهات النظر الأخرى ـ دون التزام من جانبنا بها ـ اتماما لبعض متطلبات عملية التأريخ الوطنى ، ومن تلك العبارات التى نقلناها عن أستاذنا الكبير ، عبد الرحمن الرافعى ما جاء عن بهى الدين بركات باشا ـ وهو رجل كان موضع ثقة الجميع وموضع احترام الجميع ، بلا نقاش ، أو جدال ـ والعبارة تقول ان بهى الدين بركات باشا قد أوحى اليه عن طريق سليمان حافظ بالاستقالة من مجلس الوصاية وقد سعدنا سعادة بالغة لأن كريمات بهى الدين بركات باشا ـ وهن من فضليات السيدات ـ قد أطلعننا على مذكرات والدهن ـ الرجل الذى لا خلاف عليه ، وعلى ما أداه لبلده من خدمات ـ بهى الدين بركات باشا ـ وهى من أفضل المذكرات السياسية على الاطلاق ، وفى هذه المذكرات ، الصادقة الأمينة كلام كثير عن هذه الواقعة ، وانه ليسعدنا أن ننشر بعض ما جاء فى تلك المذكرات التى نعتبرها بحق كنزا تاريخيا ، رائعا ٠

على أية حال ، نحب أن نؤكد ما سبق أن أكدناه من قبل اننا لانستهدف من كتابة تلك السلسلة من الكتب ارضاء أحد ما ، أو اغضاب أحد ما ـ بل اننا نستهدف أن نقول ما نعتقد ، انه الحقيقة فى فترة هى ـ بلا جدال ـ من أخصب فترات تاريخنا الوطنى على الاطلاق فان وفقنا الله الى الحق ، والى الحقيقة فاننا نكون من أسعد الناس وان جانبنا التوفيق ـ وكل امرىء منا معرض لأن يجانبه التوفيق ـ فان من حق أى مواطن ، أن يشترك فى توضيح وجهة نظره بما يراه ، ونحن نعد الجميع بأن حق الرد سوف يكون مكفولا ، لهم ، لأننا من أشد الناس ايمانا بأن حرية الصحافة التى ننعم بها الآن ـ كما سبق أن ذكرت ـ لا يمكن أن تكتمل الا مع الالتزام بحق الرد ، فحق الرد ليس مكفولا ، من الدستور وقوانين النشر ، وحسب بل ان كل المبادىء ، والقيم الانسانية ، التى ندين بها تكفله ٠

تلك كلمة ـ وان جاءت طويلة ـ آثرت ان أوضح بها بعض الأمور ، التى أثارت بعض الجدل ، وآمل أن أكون قد نجحت فى توضيح ما أردت توضيحه ٠٠

ومرة أخرى أعتذر عن هذه التداخلات وأدخل فى التفاصيل بعد أن طال الحديث فى العموميات :

لقد سبق لى ان أشرت الى آراء بعض السياسيين والكتاب والمؤرخين فى الخلاف الذى نشب بين رئيس الوفد المصرى مصطفى النحاس وبين سكرتيره العام مكرم عبيد والى حكومة الوفد التى جاءت فى ٤ فبراير ١٩٤٢ ، وأقيلت فى ٨ أكتوبر ١٩٤٤ وكان من بين من اعتمدت عليهم مارسيل كولومب الذى يعتبر كتابه تطور مصر ١٩٢٤ ــ ١٩٥٠ من خيرة الكتب التى تناولت تلك الفترة بالتاريخ الصـــادق الواعى وكان آخر ما نقلناه قوله عن مصطفى النحاس : لقد كان بسبب تمرسه بمناورات الحياة السياسية ولطول خبرته وبسبب وجود الرقابة فى خدمته ولثقته أيضا فى قدرته على الحصول على أصوات أغلبية الناخبين ، رجلا يصعب النيل منه ، وبرغم ذلك كان يحاول بجهد جهيد عن طريق خطبه العنيفة التى كان يلقيها « ضد أعداء البلاد وأعداء الدستور وعن طريق رحلاته العديدة احتواء الرصيد المتنامى لصالح خصومه ، لكنه لم ينجح فى حصر نطاق المعارضة الصامتة له ، وربما كان سيقدر له أن ينجح فى ذلك ذات يوم لو لم تكن قد تدعمت صفوف خصومه بمدد جديد فقد سبق أن انضم اليهم مكرم عبيد باشا الذى سبق أن أقصى عن الوزارة فى ٢٦ مايو ١٩٤٢ : لقد طرد مكرم عبيد من الوفد كما طرد من قبل ذلك عام ١٩٣٧ محمود فهمى النقراشى وأحمد ماهر : انفصل مكرم عبيد عن الوفد وكون جماعة سياسية جديدة ، هى الكتلة الوفدية وقد أدى هذا الانشقاق الى زعزعة قواعد الحزب فقد كان مكرم عبيد لسنوات طويلة ،السكرتير العام للحزب وكان يعـــرف كافة شـــئون الوفد وخباياه ، كما كان نفوذه داخـــل الحزب قويا حيث اكتسب ســـمعة طيبة لنزاهته وهى سمعة من شأنهـــا ، أن تعطى لهجماته ضـــد رئيس الوفد ثقلا خاصـــا ، وسرعان ما اتخذ فى المناقشـــات البرلمانيـــة ــ وهو الخطيب المفوه ــ موقف الخصم العنيد للوفد ولرئيسه وفى بداية ١٩٤٣ ألف كتيبا جرى تداوله سرا على الفور وهذا الكتيب الذى صدر باسم الكتاب الأسود عبارة عن عريضة اتهام الهدف منها بسبب ما كشفت عنه من الوقائع المزعجة بذر الشكوك فى نزاهة رئيس الوزراء وفى اخلاص المحيطين به ويقول مارسيل : « وهكذا أخذ مكرم عبيد منذ ذلك الوقت يبذر بذور الشك فى النفوس ، وأخذ الرأى العام يولى ثقة أكبر بما يذاع من دعايات معادية للحكومة كما أن عنف الاجراءات ضد مؤلف الكتاب الأسود قد شجعت المعارضة وطمع زعماؤها الى أن يجعلوا من الرأى العام العالمى شاهدا على شكاياتهم بنفس الوسيلة التى سبق أن لجأ اليها الوفد » « وقد استطاع زعماء المعارضـــة ــ بتقديمهم براهين أكثر وضوحا ــ أن ينموا الأحقاد

والضغائن ضد بريطانيا العظمى أما ازاء النحاس باشا فقد اتخذوا مظهر أبطال الاستقلال المصرى وظلوا يطالبون بلا انقطاع فى كتاباتهم وفى الاستجوابات التى يقدمونها فى البرلمان بالغاء ما جاء فى معاهدة ١٩٣٦ ماسا باستقلال مصر وأصبح من الممكن أن نسمع فى مجلس الشيوخ أثناء مناقشات دارت حول موضوع وباء الكوليرا فى ٢٨ ابريل ١٩٤٤ مثل هذه الكلمات التى يتمثل فى سخريتها المرة ، ذلك العداء الشديد للحكومة .
« أيها السادة أن مصر تعيش ساعات عصيبة : لقد جاءتنا الملاريا كما جاءتنا الحكومة الحالية مع هذا الفارق الوحيد هو أن الملاريا قد جاءتنا على متن الطائرات البريطانية بينما جاءتنا الحكومة الحالية على ظهر دبابات بريطانيا العظمى » لم تنشر هذه الكلمات فى الصحف وبرغم ذلك فقد ظلت تتناقل من فم لفم ينشرها الهمس فى كل مكان وفى نفس اليوم أصدرت الجمعية العمومية للكتلة الوفدية مذكرة وجهتها الى « صاحب الجلالة المليك المحبوب » والى ممثلى الدول الديمقراطية الأجنبية والى دول الشرق الشقيقة تدين فيها سياسة انجلترا التى تضع مصر فى مصاف « احدى مستعمرات » التاج وتقدم بذلك للعالم مثالا ، ملموسا على ما ينتظر الدول الصغرى تحت ستار ميثاق الأطلنطى » وانتهت المذكرة بتوجيه نداء الى الشباب النقى المستقيم الذى يحتم عليه الواجب أن ينهض لابعاد الأجنبى المستعمر وعملائه المصريين ..

وذهبت الجبهة الوطنية الى أبعد من ذلك فوجهت فى أول مايو نداء جريئا تداول نصه سرا ، ولم يكن هذا النداء سوى سجل قاس ملىء بالمرارة ضد السياسة البريطانية منذ أزمة فبراير ١٩٤٢ لم يكن الأمر متعلقا برئيس الوزراء بقدر ما كان يهدف الى أن يبين للشعب كيف أمكن لانجلترا من خلاله أن تنتهك استقلال مصر ، وأن ترغم الملك بأقسى التهديدات على أن يأتى به الى الحكم من غير طريق الانتخابات ثم يمضى النداء قائلا :
أيها المصريون : لقد انكشف السر ، وأعلن الانجليز حقيقتهم ، لقد بينوا . أنهم ليسوا بالحلفاء ولا بالأصدقاء لبلادكم وانهم مخادعون أقوياء بينما أنتم عبيد مستذلون . لقد بلغ الخطر مداه وبرهنت الأزمة ، التى تعانى منها البلاد منذ عامين بوضوح على نوايا الانجليز تجاه مصر والشعوب العربية والشعوب الاسلامية والشعوب الشرقية : ان المبادىء النبيلة التى أعلنتها مبادىء حرية وحقوق الشعوب لم تكن سوى قناع أسفرت الآن من خلاله عن حقيقتها السياسية » ولقد أدت هذه الحملة الى اعتقال مدبرها مكرم عبيد ومع ذلك فقد بدأ الرأى العام — تقوده فى ذلك المعارضة — يولى ابتداء من يونيو ١٩٤٤ اهتماما متزايدا بتطور العلاقات الانجليزية المصرية ومنذ ذلك الوقت أصبحت الصحافة تخوض يوميا فى المشاكل التى لا تزال معلقة بين القاهرة ولندن وأجمعت كل الصحف على المطالبة بانسحاب القوات الأجنبية والاتحاد مع السودان واعادة النظر فى وضع

قناه السويس وخلصت فى النهاية الى المطالبة بالاعتراف التام والمطلق باستقلال مصر فى مؤتمر السلام وهكذا أصبحت المعاهدة موضوعا للجدل ولما يمض على توقيعها أكثر من ثمانى سنوات ٠

ويقول مؤلف كتاب تطور مصر ١٩٢٤ ــ ١٩٥٠ : « وعندما شعر مصطفى النحاس بأن شعبيته أخذت تضعف حاول جاهدا أن يستعيد الثقة التى أفقدته اياها مهادنته للانجليز وحاول أن يكسب تأييد طلاب الازهر بأن رفع ميزانية الجامعة الأزهرية الى ٨٥٫٠٠٠ جنيه وبأن قرر لخريجيها العاملين فى مصالح الدولة نفس رواتب خريجى جامعتى فؤاد وفاروق ، وزاد العطافه نحو الأفكار الاشتراكية فأعد خطة خمسية للمشروعات الكبرى وأخيرا فقد حاول التقرب من السراى ، وان يعقد معها صلحا يستحيل أن يكون ثمنه سوى ذهابه هو من الحكم فقد ظل تشدد الملك فاروق ثابتا ، وكان على مصطفى النحاس باشا سواء بالرغم منه أو عن طيب خاطر ــ أن يواصل صراعه معه فى الوقت الذى كان يتحتم عليه فيه أن يقهر المعارضة ٠٠ ومنذ مايو ١٩٤٤ ازداد ــ الصراع حدة وكف الملك عن استقبال رئيس وزرائه ونشبت معارك عنيفة أعاقت سير العمل فى الادارات الحكومية ، وتكدست المراسيم فى انتظار تصديق الملك عليها وظل منصب شيخ الأزهر شاغرا بل وصل الأمر الى حد وقف مدير الأمن العام فى ٢٥ سبتمبر من وظائفه لأنه أمر بازالة اسم رئيس الوزراء الذى كتب بجانب اسم الملك فى اللافتات المرفوعة حول جامع عمرو ، والذى كان الملك قد أدى صلاة الجمعة فيه » ٠

ويقول : « جاكوب لاندو » فى كتابه الحياة النيابية والأحزاب فى مصر من ١٨٦٦ الى ١٩٥٢ : فى عام ١٩٤٠ أرسل الوفد مذكرة قوية الى انجلترا يطلب فيها جلاء القوات البريطانية واعادة المباحثات السودانية فور انتهاء الحرب وبصرف النظر عن هذه المذكرة ، فان الانجليز كانوا يعتبرون الوفد الحزب الأقوى فى مصر والذى لا يؤيد الألمان وقد هيأ الانجليز الفرصة ، ليرأس النحاس باشا وزارة وفدية يكرهها الملك بأن أجبروه بمحاصرة القصر بالدبابات فى ٤ فبراير ١٩٤٢ ٠

وقاوم الملك فاروق فى أول الأمر ثم رضــخ دون أن ينسى ذلك للانجليز : من المميزات التى لا تنسى لهذه الحكومة الوفدية حقيقة هو أنها أعطت اهتماما كبيرا للتعليم فأصدرت قانون ٠٠ التعليم المجانى الأول فى عام ١٩٤٢ ٠ كذلك اهتمت بتكوين الجامعة العربية وتشجيع التعاون المصرى وقد رفعت هذه الأعمال من رصيد الوفد فى هذه الفترة وكان قد هبط قليلا بخروج سكرتيره مكرم عبيد الذى أنشأ حزب الكتلة الوفدية ضد الانجليز والوفد ٠

وفي نهاية عام ١٩٤٤ وعندما تحركت الحرب بعيدا عن مصر طرد الملك فاروق النحاس باشا وعزل الوفد بعيدا عن مشاكل الشعب لعدة سنين .

وأخيرا ، وليس آخرا ، لابد من الاشارة - وبشيء من التفصيل أيضا - الى بحث هام وخطير ، عن « الوفد ١٩٣٦ - ١٩٥٢ » . وكان الدكتور محمد فريد عبد المجيد حشيش قد تقدم به الى كلية آداب عين شمس للحصول على درجة الماجستير في التاريخ الحديث وكان قد أشرف عليه الأستاذ الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى .

وقبل الاشارة الى ما جاء في هذا البحث عن أسباب الخلاف بين « النحاس ومكرم » وعن « الايجابيات والسلبيات » ، التي قامت بهـا وزارة الوفد « ٤ فبراير ١٩٤٢ - ٨ أكتوبر ١٩٤٤ » أبادر فأقول انني كنت مترددا وباستمرار في الزج باسم السيدة زينب الوكيـل حرم مصطفى النحاس في أمر الخلاف بين النحاس ومكرم وفي بعض الأمور السياسية الأخرى لاعتبارات خاصة غير أن ترددي قد زال تماما عندما وجدت اسم السيدة زينب الوكيل يتردد عشرات المرات في تلك الرسالة الجامعية : يقول د. حشيش :

« لا شك أن السيدة زينب الوكيل كانت تشعر وهي السيدة الجميلة والذكية وزوجة لزعيم سياسي كبير ، ورئيس للوزارة أن من حقها ان تبرز الى المكان اللائق بها في المجتمع المصري القائم حينئذ على المظاهر ، والوجاهة . الا أن هناك سؤالا يطرح نفسه : هل استطاعت هذه السيدة أن تؤثر على زوجها وتسيطر عليه ؟ لا شك أن الزوجة الصغيرة كانت ذات نفوذ كبير على زعيم الوفد فكان لهـا تأثيرها عليه ، ولا ينكر بعض رجال الوفد هـذه الحقيقة ويبررونهـا بأن النحاس باشا بحكم طبيعته ورغم عظمته كان من النوع الذي لابد أن يوجد الى جانبه شخص قوى يستطيع السيطرة عليه ويقرر الدكتور محمد صـلاح الدين وقد كان من أخلص الوفديين لمصطفى النحاس وأقربهم الى قلبه كما كان موضع ثقته : « ان هذا الشخص كان في وقت ما مكرم عبيد وبعد ذلك كانت زوجته زينب هانم التي سيطرت عليه وسيرته كما تريد » .

ويستخلص من هذا د. حشيش بأن زينب الوكيل استطاعت أن تؤثر في زوجها وتتسلط عليه بالاضافة الى طبيعة المرأة وحبها للتسلط على من بجوارها ولا سيما الزوج وهذا بالاضافة أيضا الى عامل هام وهو

ظهور فؤاد سراج الدين فى حلبة الوفد مسلحا هو الآخر بأسلحته الكثيرة كل هذا يؤدى – وهو طبيعى فى اعتقادنا – الى نشوب معركة بين مكرم من ناحية وزينب من ناحية أخرى ، ولكن – ويا لسوء حظ مكرم هذه المرة – كانت أسلحة المعركة غير متكافئة فبينما كان مكرم يقف وليس معه الا سلاحه القديم ، « سلاح الجهاد » ، والوطنية بمفهومه وصداقة الزعيم ، والاسلوب الديماجوجى كانت السيدة زينب تملك الأسلحة الكثيرة ، أهمها قوة وارادة المرأة فاستطاعت بهما أن تستحوذ . على زوجها ، وبالتالى أن تزيح مكرم من طريقها ، الا أنه – ورغم تقديرنا لعامل الصراع بين زينب ومكرم من أجل التسلط والنفوذ ، وقد استمر لفترة طويلة – كان النحاس أثناءهــا يعانى هو الآخر ، صراعا لا يقل ضراوة عن صراعهما ، لكن صراع النحاس ، كان بين ذكريات ماضيه ورفيق كفاحه وصديق الزمن وبين الزوجة ، التى يبدو أنها أخذت بمجامع قلبه ، وعواطفه ، نقول رغم تقديرنا لهذا العامل فى هذا الخلاف الذى أدى الى خروج مكرم من الوفد والوزارة الا انه لم يكن هو العامل الوحيد ، فقد كانت الى جانبه عوامل أخرى هيأت وساعدت على اشعال هــذا الخلاف ، فيذكر الأستاذ محمد فؤاد سراج الدين عاملا كان فى اعتقاده مبعثا للخلاف بين النحاس ومكرم وهو أن مصطفى النحاس فى هذه الوزارة « ١٩٤٢ – ١٩٤٤ » استن سنة جديدة لتلافى ما حدث فى وزارة ٣٦ – ١٩٣٧ وخروج ماهر ، والنقراشى من الــوفد بسبب ما كانوا يعتقدونه من سيطرة مكرم على مصطفى باشــا واستئثاره بكل النفوذ والحظوة لديه ، ومن ثم فان النحاس باشا فى وزارة ١٩٤٢ ومنذ البداية عمل على ايجاد نوع من الموازنة بين أعضاء الوفد « الكبار » حتى لا يتوهم بعضهم – كما حدث سابقا – أن مكرم يطغى عليهم أو انه يستأثر بكل المكانة لدى رئيس الوفد فتتولد الأحاسيس والانفعالات . وينتهى الأمر الى انشقاق جديد . وقد فوجىء مكرم بهذه الخطة وهو لماح ذكى ، الى حد بعيد ولكنه أخطأ تفسيرها فبدلا من أن يفهمها على وجهها الصحيح . اعتقد أنها تحول فى شعور النحاس نحوه أو فى مكانته هو ، عند النحاس ولم يستطع مكرم – وهو المعروف بعصبيته وعنفه – كما يذكر فؤاد سراج الدين – أن يتمالك اعصابه أو يسيطر عليها فاستسلم لأوهامه ، ولأقوال السوء من بعض المتصــلين به يضــخمون له الأمر ويستثيرونه ويفهمونه أن الأمر خطة مرسومة لزحزحته عن مكانه فى الوفد والهيئة الوفدية فاندفع حتى وقعت الواقعة » . وينقل د. حشيش رأيا للدكتور محمد صــلاح الدين عن دور فؤاد سراج الدين فى اذكاء الخلاف بين النحاس ومكرم ملخصه أن فؤاد كان ينبغى عليه أن ينتظر بعض الوقت الا أنه يبدو أنه كان طموحا ومتسرعا للوصول الى تحقيق طموحه الواسع فاتخذ كل الوسائل لتحقيقها وكانت تسنده مؤهلاته فى كونه شابا ،

وسيما ، وغنيا · الأمر الذى فتح مجالا للشائعات والشكوك وينتهى صلاح الدين الى : « أن لفؤاد يدا فى اخراج مكرم من الوفد » ويتناول الأستاذ فؤاد سراج الدين هذا الاتهام لينفيه ويدفعه عن نفسه مدللا على أن علاقته بمكرم كانت وثيقة جدا و ·· و ·· وانه لم يكن هناك ثمة داع اطلاقا لمحاربة مكرم أو زحزحته من مكان لأنه ـ أى فؤاد ـ لم يكن يطمع فى مكانه بالوفد اذ لم يكن عضوا فى الوفد حينئذ « ١٩٤٢ » ·



ويؤكد د· حشيش ما سبق أن تناولناه فى هذه الدراسة من سعى القصر عن طريق أحمد حسنين لازدياد الفجوة بين النحاس ومكرم فيشير الى مقابلة الملك لمكرم عبيد ـ وكان وقتئذ وزيرا للمالية ، والتموين ـ فى ١٣ مارس ١٩٤٢ وكيف خرج مكرم من هذه المقابلة ليدلى الى الأهرام بتصريح يشيد فيه ببساطة الملك وديمقراطيته وأنه ملك الجميع و ·· و ·· » وقد تحدث النحاس الى مكرم فى أمر هذا التصريح ، وطلب منه تفسيرا له ولامه ـ كما يقول الأستاذ محمد التابعى ـ عن عدم عرض التصريح عليه قبل نشره بل ان النحاس أظهر لمكرم امتعاضه مما نشره ، وأن ما نشره لا يأتى الا على لسان العبيد » وكان الذى دبر هذه المقابلة أحمد حسنين وكان هدفه منها توسيع شقة الخلاف بين النحاس ومكرم ·

ويخرج د· حشيش من كل هذا بحقيقتين : الأولى أنه كانت هناك سحب خلاف يحجبها النحاس ويظهرها مكرم ، وهى من صنع زينب الوكيل وبعض المحيطين بمكرم وكل له هدفه من ورائها ، والحقيقة الثانية أن القصر ـ أحمد حسنين وخلفه فاروق ـ كان يعمل على توسيع شقة الخلاف بين النحاس ومكرم ويؤكد هذه الحقيقة فؤاد سراج الدين ويفسرها بأن القصر ، كان يعتقد ـ وهذا حق ـ أن مكرم قوة كبيرة فى الوفد · وأن وقوع خلاف بينه وبين مصطفى باشا لا شك يسبب انقساما كبيرا فى الوفد والهيئة الوفدية ، ومن المعروف ، أن الوفد هو الخصم الأول للقصر ، الذى يريد تفتيت كلمته وتفريق صفوفه ·



ويروى فؤاد سراج الدين أنه قال لأحمد حسنين أثناء اشتداد الخلاف بين النحاس ومكرم : « كيف يؤيد القصر ، مكرم عبيد بينما كان رجال القصر هم الذين يشكون دائما منه · وينسبون كل خلاف بين القصر ، والوفد اليه » وأن أحمد حسنين ضحك وقال له بالحرف الواحد : « ان رأينا فى مكرم هو هو لم يتغير ، ولكننا نعتبره برطوشة قديمة نضرب الوفد بها » ··

وينتهى د· حشيش الى أن الخلاف بين النحاس ومكرم لم يكن

وليد شخص بمفرده ، فلم تكن زينب الوكيل تقف وحدها ، وراءه ولم يكن كذلك فؤاد سراج الدين يصول ويجول منفردا ، كما أنه لم يكن القصر أو أعضاء الوفد كل بمفرده وراء هذا الانشقاق ، بل كل هذه العناصر مجتمعة ساهمت وتضافرت على التفريق بين أصدق صديقين في السياسة المصرية ، غاية الأمر ، ان هذه العناصر ـ وهي ليست بالهينة ـ كانت تختمر تحت السطح وتجهز البارود في انتظار شرارة توقده ، ليلتهب ويشب نيرانا حامية فوق السطح » وأن فؤاد سراج الدين لم يكن وحده الذي يرى التعجيل بفصل مكرم عبيد من الوفد ، وانما كان يرى رأيه هذا بعض أعضاء الوفد الآخرين الذين كانت تحدوهم نفس الرغبة في اخراج مكرم من الوفد . فقد آن له أن يخرج لكي يصبحوا أرقاما صحيحة لا تقبل الكسر » .

وبعد اخراج مكرم من سكرتارية الوفد ثم من الوفد ، استقال ثلاثة من شيوخ الوفد هم : اسماعيل فواز ، زكي ميخائيل بشارة ، وميشيل رزق ، و ١٤ نائبا هم : السيد سالم ، محمد فريد زعلوك ، عبد الله فواز ، جلال الحمامصي ، د. فهمي سليمان ، أبو المجد الناظر ، نجيب ميخائيل بشارة ، حسين الهرميل ، لبيب جريس ، محمد عثمان عبد القادر ، الفريد قسيس ، أو الغيث الأعور ، مهني القمص وجورج مكرم عبيد » .

استقال هؤلاء من الهيئة الوفدية التي يرأسها مصطفى النحاس بعد أن رفعوا اليه استقالتهم وذلك « احتفاظا منهم بوفديتهم الأصيلة واستمساكا بالمبادىء الوفدية الخالدة التي ساهموا فيها وجاهدوا لها منذ أن شكل الوفد برياسة زعيمه الخالد سعد زغلول ، وقد رأينا ـ كما جاء في خطاب الاستقالة ـ من مصلحة الوطن والوفد معا أن نبادر باتخاذ هذه الخطوة ، بعد أن اقتنعنا بأنكم ـ أي مصطفى النحاس ـ خالفتم مبادىء الوفد السامية في الحكم وفي الوفد معا بحيث أصبحت حقوق بلادنا وكرامة رجالنا في خطر داهم لن ينقذها منه الا رحمة الله ، ودماء المخلصين من أبناء هذا البلد الأمين » .

ولم تقبل استقالة هؤلاء الشيوخ والنواب من الهيئة الوفدية ، وانما فصلوا منها بقرار من الوفد « بناء على اتهامهم لرئيس الوزراء وزملائه بالتفريط في حقوق البلاد » .

ويقول د. محمد فريد حشيش بعد عرض مستفيض لأسباب الخلاف بين النحاس ومكرم ، ولمظاهر ذلك الاختلاف وصوره ، ان الوفد بلجانه وشبابه وفلاحيه وعماله ، كان بعيدا فالخلاف كما رأينا كان شخصيا ، لا حول مصلحة وطنية أو عقيدة سياسية ، أو مذهب من

مذاهب الحكم ، وهذه احدى الآفات التى أفسدت الحياة السياسية فى مصر ورغم ذلك فقد كان الكتاب الاسود حينئذ موضع اللهفة والكتاب الأسود ـ رغم كل شىء كان بمثابة ناقوس نبه الأذهان ، صحيح أن دقاته كانت عالية ، ولها صدى أجوف الا أنها أثارت ضجة كبيرة فى البلاد مع أن الرقابة على الصحف منعت الاشارة اليه ، فاهتزت له دوائر الحكومة ، وحزب الوفد وتلقفه الناس فى لهفة وشوق وتبادلته الأيدى فى سرعة حتى أصبح حديث الناس جميعا كما كان مبعثا لدهشة السياسيين حينئذ وذلك لما احتواه ، وقد وصفه نجيب الهلالى الذى كان ـ متعاطفا مع مكرم فى خلافه مع النحاس والذى فصله الوفد فى عام ١٩٥٠ ـ بأنه لم يكن صحيحا كله ، كما أنه لم يكن باطلا كله .



وفى ختام تلك الرحلة الشاقة ، الطويلة ، التى استغرقتها عملية انتزاع مكرم ، والتى لم تكن سهلة باعتبار أنه كان أشبه باخطبوط تغلغل فى كل ثنايا جسم الوفد وزواياه وبالتالى كان من الصعب استئصاله ، ولا مندوحة لنا من الاشارة الى ما تخلل تلك العملية من المشاهد التراجيدية والكوميدية معا ، والتى ان دلت على شىء فانما تدل على مدى ما وصلت اليه الحياة السياسية فى مصر من الديماجوجية والفساد . فكيف كان مكرم ملء السمع والبصر والمهيمن على اقدار حزب الوفد طوال ما يقرب من خمسة عشر عاما أو يزيد ، وكيف كان شمس الجهاد ، التى لا تغرب ، ثم كيف أصبح بين يوم وليلة الكيذبان والأفعوان وأسوأ مثل للنائب فى مصر الى آخر ما أخذت طبول الوفد تدقه ليلا ونهارا ثم من ناحية أخرى ، كيف كانت زعامة النحاس زعامة مقدسة ، من يجترىء عليها يستحق الطرد من جنة الوفد وكيف كان الزعيم الأوحد فى نظر مكرم ثم بين يوم وليلة ينهار هذا كله وتنطلق أبواق مكرم تذيع أشنع الأوصاف وتشيع مختلف الاتهامات لزعيم وزملائه » .

ولعل من الأمور المحزنة ، والباعثة على الأسف معا ، أن تقع تلك الخلافات العنيفة فى صفوف الوفد ـ حزب الأغلبية الشعبية ـ وأن يتبادل الصديقان القديمان مصطفى النحاس ، ومكرم عبيد ، أعنف الاتهامات وأفظعها وأن يشتد ويرسل السفير البريطانى خطابا شخصيا الى مصطفى النحاس مؤكدا له أن غزالى بك ظل يتعاون تعاونا جديا مع السلطات البريطانية وتقع الحكومة فى ورطة !



وهكذا تمضى الأمور : المسئولون المصريون يضرب بعضهم بعضا والمسئولون البريطانيون يضربونهم جميعا وبلا استثناء ، الى أن تمر

العلاقات بين الوزارة الوفدية والسفارة البريطانية كما يقول مارسيل كولمب بحالة من فقدان المودة ، وزيادة على هـذا فان وجود « حكومة الشعب » لم يعد ضروريا لبريطانيـا العظمى فالقوات الحليفة بدأت تستعد لأن تجلى عن كريت والبلوبونيز آخـر فلول القوات الايطاليـة الألمانية وفكر الملك فاروق فى اسناد رئاسة الوزارة الى أحمد ماهر باشا الذى لم يكف مطلقا عن تحبيذ دخول مصر الحرب ٠ وكان هذا بالنسبة الى لندن ، ضمانا كافيا وسحب مايلز لامبسون تأييده لمصطفى النحاس وفى ٨ أكتوبر ١٩٤٤ أقيلت الوزارة ، وللمرة الثانية منذ تولى الملك فاروق العرش ، كان على الوفد أن ينحنى أمام الارادة الملكية ٠٠ ويقول مارسيل كولومب وهو يحلل أزمة ١٩٤٤ ، التى أدت الى اقالة وزارة مصـطفى النحاس لحرص الملك ـ كما جاء فى خطاب الاقالة ـ على أن تحكم بلاده وزارة ديمقراطية تعمل للوطن ، وتطبق أحكام الدستور نصا وروحا ، وتسوى بين المصريين جميعا فى الحقوق والواجبات وتقوم بتوفير الغـذاء والكسـاء لطبقات الشعب » يقول مارسيل كولومب : ان أزمة ١٩٤٤ ٠ تختلف عن أزمة ديسمبر ١٩٣٧ اختلافا بينا ففى الأزمة السابقة استطاع الملك بما له من جاذبية الشباب وبريقه أن ينجح فى التخلص من رئيس وزراء معتمدا على نفوذه وحده ، ولكنه على العكس فى عام ١٩٤٤ وكانت شعبيته هو الآخر قد أخذت بدورها تتدهور لم يستطع أن يفسر تلك اللامبالاة ، التى استقبل بها الرأى العام سقوط الزعيم الوطنى القديم : فقد كانت من وراء ذلك أسباب أعمق ، أن الوفد لم يعد هو ذلك الوفد الذى اسـتطاع فى الماضى أن يحوز اجماع مصر ، فى ساعات الثورة العصبية فانشقاق العديد من أعضائه بشكل الخلاف بل الصراع بين الوزارة والسراى الى حد المجابهة الصريحة الواضحة ، هذا فى الوقت الذى تمر فيه البلاد بأخطر الظروف وأدقها وفى الوقت الذى أنشب فيه الاحتلال البريطانى أظافره فى كل مرفق من مرافق البلاد وفى الوقت الذى يقوم فيه الاحتلال ممثلا فى عميده لورد كيلرن كل يوم بل كل ساعة بالاعتداءات الجسيمة على كرامة المصريين وعلى حقوقهم وبالعمل الدائب على اذلالهم والنيل منهم ٠

كان ـ مثلا ـ الملك ورئيس وزرائه يظهران كل يوم أمام الشعب وبصورة لافتة للنظر وكأنهما غريمان يتنافسان على شىء ما ٠٠ يظهر ـ مثلا ـ وباء الملاريا فى الصعيد فتهون الحكومة من خطورة الأمر ، الى أن يزور الملك الصعيد لبحث هذا الموضـوع ، فيبادر النحاس بدوره هو الآخر بزيارة الصعيد ، مقلدا جولات الملك ٠



● تصل العلاقات بين الملك ورئيس حكومته الى حد القطيعة فيمتنع الملك عن استقبال رئيس وزرائه ويفكر فى ابريل ١٩٤٤ فى التخلص من وزارة النحاس ويبلغ السفير البريطانى بنيته فى اجراء تغيير وزارى بحيث تكون الوزارة الجديدة غير حزبية ، وبرئاسة أحمد حسنين وعضوية حسن صادق وسابا حبشى وعبد الفتاح عمرو ، ويجىء رد ونستون تشرشل رئيس الوزارة البريطانية بأنه لا تغيير » ٠

● تشرف قرينة رئيس الوزراء ، على اسبوع البر فيتبنى الملك مشروع يوم المستشفيات ، لا يحضر الملك حفلة لاسبوع البر ويحضر حفلة لهدى شعراوى فتنشب أزمة ، توقف حكومة الوفد مدير الأمن العام محمود غزالى بك لأنه أمر بازالة اسم رئيس الوزراء فى اللافتات المرفوعة حول جامع عمرو ، الذى كان مقررا أن يصلى به الملك ، وينشر خبر الايقاف فى صبيحة اليوم التالى فى الصحف وتعرف السراى العلاقة التى تربط غزالى بالسلطات البريطانية فيصمم الملك على ابقاء غزالى بك فى منصبه ، وقد ألحقت به آخر هذه الانشقاقات ــ التى انتهت بخروج أحمد ماهر ، والنقراشى ، ثم مكرم عبيد ــ ضررا حقيقيا ولقد كان حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ بمثابة الضربة القاتلة لنفوذه باعتباره حتى ذلك الوقت بطل القضية المصرية : لقد بعد به العهد الأول عن ذلك الوقت الذى كان من الممكن ــ كما حدث ١٩٣٥ ــ أن نرى فيه شابا أصيب بجرح قاتل أثناء احدى المظاهرات الوفدية ، يغمس منديله فى دمه ليرسله حبا وتقديرا الى مصطفى النحاس قبل أن يلفظ آخر أنفاسه ، لقد فقدت الجماهير ، المصرية شيئا فشيئا ، وبطريقة غير محسوسة حماسها الذى لم يعد يدفعها للالتفاف حول زعيمها ، أما ايمانها بخلفاء سعد ذلك الايمان الذى ظل لمدة طويلة لا يتزعزع فقد ضعف شيئا ، فشيئا ، كذلك بدأ الشك يتسلل الى النفوس ، ولم يعد الوفد سوى حزب سياسى ، لا يتحمس الكثيرون للتصويت فى صفه فى مواجهة مناورات حكومات الأقليات ومع ذلك فلا شك أنه ظل لديه أتباع كثيرون ، كما كان لا يزال يتمتع بتنظيم داخلى متين عنه فروعه على كل أرض مصر ولكنه لم يعد يواصل ادعاءه ، من حيث كونه تجسيدا ، للأمة نفسها وبرغم ذلك فان تقهقره لا يعنى النصر لخصومه ، فهؤلاء لن يستطيعوا أن ينجحوا كلية فى ان يسلبوه دوره الا اذا استطاعوا تحقيق آمال مصر القومية غداة الحرب واشباع المطالب الاجتماعية ٠

وبعد ذلك كله ، ننتقل الى أخطر الأحداث التى وقعت فى الفترة من ١٩٤٢ حتى ١٩٤٤ ونعنى به الكتاب الأسود للعهد الأسود ٠

الفصل الثاني

كان نشر الكتاب الأسود سببا فى انزلاق حكومة الوفد الى كثير من الأخطاء السياسية

● فى مقدمة الضربات العنيفة ولا أقول القاتلة ، التى منى بها الوفد المصرى ـ حزب الأغلبية الشعبية ـ لأكثر من ثلث قرن من الزمان ، اقالته من الحكم اثر اغتيال السيرلى ستاك ، سردار الجيش المصرى والحاكم العام للسودان فى ١٩ نوفمبر ١٩٢٤ وذلك بعد أشهر قلائل من اكتساحه أول انتخابات شعبية حرة فى تاريخنا النيابى كان شعارها : « لو رشح الوفد حجرا لانتخبناه .. » وبعد تلك الضربة العنيفة التى هزت كيان الوفد وبنيانه الى حد كبير جاءت وفاة سعد زغلول فى ٢٣ أغسطس ١٩٢٧ ـ اى منذ خمسين عاما ـ وسعد زغلول من الزعامات الشعبية التى لا مثيل لها فى تاريخنا الوطنى : رجل شارك فى صنع ثورة ١٩١٩ وصنعته ثورة ١٩١٩ كنا فى الريف مثلا ، نسمع أن العجل عندما ينزل من بطن أمه [الجاموسة أو البقرة] يهتف : يحيا سعد ، وان بعض أوراق نبات الفول كانت تحمل عبارات : عاش سعد زعيم الأمة ، و .. و .. الى غير ذلك من الأمور ، التى ان دلت على شيء فانما تدل على مدى الشعبية الجارفة ، التى كانت من نصيب سعد ، وبعد هاتين الضربتين العنيفتين فى مدى ثلاث سنوات فقط ، جاءت ضربة أخرى وكانت من صنع الوفد ذاته وأعنى بها توقيعه هو وكل الأحزاب المصرية ـ فيما عدا الحزب الوطنى ـ معاهدة ٢٦ أغسطس ١٩٣٦ التى سماها معاهدة الشرف والاستقلال

وقد يعتبر البعض توقيع معاهدة ١٩٣٦ من أهم الأعمال البارزة في حياة الوفد وقد يوجد كثيرون من خارج الوفد يرون هذا الرأى ، ولكننى أرى وقد سبق أن قلت هذا الرأى في كتابى « الرجعية العربية » الذى صدر فى بداية الستينات ــ ان جيل ثورة ١٩١٩ أو كثيرين من أفراده قد انفضوا من حول الوفد لأنه وقع تلك المعاهدة ، التى أجلت في رأيهم معركة الجلاء عشرين عاما ، على الأقل والتى جعلت بقاء قوات الاحتلال البريطانى فى مصر ، قانونيا بعد ان كان غير قانونى و .. و .. و ...

ثم كانت ضربة ٤ فبراير ١٩٤٢ ، ومهما يكن الرأى فى حادث ٤ فبراير ومهما كانت ملابساته والظروف التى سبقته أو قادت اليه فان الوفد حقيقة قد تأثر شعبيا بدرجات متفاوته ــ يراها البعض كثيرة ويراها الآخرون قليلة ــ وخاصة فى محيط الشباب ، فليس أبدا من الهين أن تخرج سكرتيرا عاما ، لحزب كبير ، ظل منذ أن أختير مصطفى النحاس ، لرئاسة الوفد ، خلفا لسعد زغلول فى ٢٣ سبتمبر ١٩٢٢ يعمل سكرتيرا للوفد وفى المنصب الذى كان يشغله من قبل مصطفى النحاس ، رئيس الوفد كما ظل لأكثر من خمسة عشر عاما يمثل القوة الضاربة فى الوفد ، ويحتل أهم الوزارات عندما يكون الوفد فى الحكم ، ونعنى بها وزارة المالية : صحيح أن مكرم عبيد « باشا » ، لم يحسن ــ تكتيكيا ــ اختيار الوقت المناسب للخروج من الوفد الأمر الذى تمثل فى ذلك العدد الضئيل من النواب والشيوخ الذين خرجوا معه وكانوا ، لا يتجاوزون العشرين بأية حال من الأحوال ، فلقد خرج مكرم عبيد فى وقت جاء فيه الوفد الى الحكم بعد غيبة طويلة ، وخرج فى وقت لم يكن الوفد قد ارتكب من الأخطاء الحزبية ما يجعل جماهيره تنفض من حوله ، كما أنه خرج فى وقت اشتدت فيه نيران الحرب العالمية الثانية وقويت فيه سطوة الحكم العرفى بحيث أصبح غير قادر على أن يشرح للناس موقفه الجديد بل أصبح ــ وخاصة بعد اعتقاله ــ عاجزا حتى عن حماية نفسه ! واذا كان مكرم عبيد ، لم يحسن اختيار وقت خروجه من الوفد كما فعل أحمد ماهر . والنقراشى الا أنه استطاع ــ رغم قلة امكاناته السياسية والدعائية ــ أن يصيب الوفد بشرخ هائل ، أو أن يدفع الوفد الى الوقوع فى أخطاء كثيرة ، ما كان يمكن أن يقع فيها لو لم يستدرجه مكرم اليها لقد شارك مكرم عبيد فى وزارة الوفد التى تشكلت عقب حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ، كوزير للمالية حتى ٢٦ مايو ١٩٤٢ حيث رفع مصطفى النحاس استقالة وزارته الى الملك فاروق نظرا لما قام بينه ــ أى

مصطفى النحاس - وبين حضرة صاحب المعالى مكرم عبيد باشا وزير المالية من اختلاف جوهرى ، طال أمده وتعددت مظاهره وتعذر على علاجه ، بالرغم مما بذلته من الجهود ، ولما كان هذا الخلاف قد أدى الى استحالة استمرار التعاون بيننا فانى أتشرف بأن أرفع الى جلالتكم استقالة الوزارة ، وبذلك أخرج مكرم عبيد من الوزارة ، ودخلها - لأول مرة - محمود سليمان غنام ، وأسندت وزارة المالية - وزارة مكرم عبيد - الى كامل صدقى ، الذى بقى فى وزارة المالية لأسباب « خاصة » حتى ٢ يونيو ١٩٤٣ ، لتقبل استقالته ويعين بدلا منه أمين عثمان باشا وكان ذلك التغيير الوزارى قد شمل اخراج محمد عبد الهادى الجندى وزير الأوقاف مع كامل صدقى كما شمل تعيين فؤاد سراج الدين وزير الزراعة وزيرا للداخلية مع قيامه مؤقتا بأعمال وزارة الشئون الاجتماعية ونقل عبد الحميد عبد الحق - أحد أصدقاء مكرم عبيد - من وزارة الشئون الاجتماعية الى وزارة الأوقاف « ارضاء للجاليات الأجنبية » ، « لأنه كان - أى عبد الحميد عبد الحق - يحدث المتاعب للحكومة بمعارضته بعض تشريعاتها ، كما يقول سير مايلز لامبسون السفير البريطانى فى بعض أوراقه الرسمية » !!

ويقول د. يونان لبيب رزق فى كتابه تاريخ الوزارات المصرية ان من أسباب الخلاف بين النحاس ومكرم اشراك بعض العناصر ، الطموحة وبالذات فؤاد سراج الدين فى الوزارة الوفدية ولا شك أن هذه العناصر برغم تنصلها من كونها قد شاركت بأى جهد لاساءة العلاقات بين الرجلين لا شك : أنها قد أضافت عنصرا جديدا زاد الأمور تعقيدا بين النحاس ومكرم سبب آخر كان وراءه القصر الذى لم يدخر جهدا لضرب الوفد بعد ما أصابه فى ٤ فبراير ولا شك أن تفتيت تماسك زعامة الحزب الكبير ممثلة فى النحاس ومكرم كانت من أهم الأهداف الملكية . ويقدم واحد ممن اتصلوا بأحمد حسنين رئيس الديوان الملكى آنذاك شهادته فى هذا الصدد - محمد التابعى فى كتابه « من أسرار الساسة والسياسة » - يقول لم يكن أحمد حسنين سبب الخلاف بين رئيس الوفد وسكرتير الوفد ، السيد مصطفى النحاس والأستاذ مكرم عبيد ولكن كان أحد الذين عملوا بمهارة وشطارة على توسيع شقة الخلاف : وهناك سبب آخر يتمثل فى طموح مكرم نفسه الذى يكون قد رأى فى خروجه من الوفد لحساب القصر قد يصل به الى رئاسة الوزارة بغض النظر عن انتمائه للأقلية الدينية وقد عبر عن هذا الطموح - كما يقول محمد حسين هيكل - فى أكثر من مناسبة بعد ذلك ، ويمضى د. يونان لبيب رزق قائلا : هذه هى أهم أسباب الصدام بين الرجلين أما ميدان هذا الصدام فقد كان فى جانب منه فى الاستثناءات التى طلبها النحاس لبعض العاملين معه فى وزارة الداخلية فكان مصيرها الرفض فى اللجنة المالية بوزارة المالية التى يرأسها

الوزير وهو مكرم عبيد ثم أردف ذلك بنشر مذكرة اللجنة المذكورة وكانت اشبه بوثيقة تشهير بالنحاس باشا ثم كان الكتاب الاسود ، والكتاب الأسود - كما سبق أن ذكرنا كان عنيفا - الى أبعد حدود العنف في الأسلوب ، وفي العبارات وقد شمل أمورا صغيرة ما كان يجب أن يشملها هذا الكتاب الرسمي وأسهب في أمور خاصة كنا نفضل لو أن مكرم عبيد لاعتبارات انسانية ، وللعلاقات القديمة التي كانت تربطه بمصطفى النحاس قد تجاوزها ،ثم ان الكتاب الاسود ، في ضوء ما جاء بالكتاب الأبيض قد بالغ في كثير من الأمور ، وحمل بعض الوقائع ، أكثر مما تحتمل ، واذا كان الكتاب الأسود لم يخدم مكرم عبيد باشا كثيرا ، الا انه أضر بالوفد ضررا بليغا ، وعندما أقول بهذا الرأى ، أقصد تأثيره علينا كشباب : لقد نجح الكتاب الاسود في خلق فجوة كبيرة بين كثير من الشباب وبين الوفد وربما كان في مقدمة الأسباب التي جعلتنا كشباب يتأثر ببعض ما جاء في الكتاب الاسود ، رغم معارضتنا لاسلوبه ، العنيف أن حكومة الوفد لم تكن عادلة أبدا وهي تعالج بعض ما جاء في هذا الكتاب في مجلسي البرلمان : لقد كانت تتولى الرد على بعض وقائع وردت في الكتاب الاسود ، دون أن يكون بين أيدي الجماهير الكتاب الأسود ذاته : كنا نتساءل وقتئذ - وكان معنا الحق في تساؤلنا - كيف تجيز الحكومة لنفسها أن تنشر في الصحف ردودا على كتاب سرى لم ينشر بصفة رسمية : وكان البعض يرى أن الحكومة تحسن صنعا لو أنها منعت نشر الردود ، ما دامت قد منعت نشر الكتاب ، وربما يرد البعض على هذا الرأى بقولهم : أما كانت أسئلة الشيوخ والنواب حول الكتاب الاسود تحتوي على الوقائع التي تتضمنها ردود الحكومة ؟ ثم ألم تكن ردود الحكومة ذاتها شاملة لما جاء في الكتاب الاسود ؟ والرد على هذا الرد يؤكد ، أن أسئلة الشيوخ وأسئلة النواب ، وردود الحكومة ، لم تكن تنقل الا بعض عبارات قصيرة من الكتاب الأسود ، دون نقل الوقائع كاملة ، وفي مثل حالات الرقابة على الصحف والمطبوعات يتعاطف الرأى العام عادة مع الآراء ، التي لا تنشر ، ويتشكك دوما في الآراء ، التي تنشر وقد خسرت حكومة الوفد كثيرا جدا لا بسبب ما جاء في الكتاب الاسود ، وحسب وانما بسبب أسلوبها العنيف في تتبع الكتاب الاسود وفي القائها ، القبض على كل من شارك في عملية توزيعه ، بل على كل من وجدت لديه نسخة من ذلك الكتاب ، وكأنه كوكايين أو حشيش ، أو أية مواد ممنوعة أخرى ، ومن رأيي ، أن وزارة الوفد قد خسرت كثيرا أيضا بسبب فصل مكرم عبيد من مجلس النواب ، لقد كانت تستطيع ولديها الأغلبية الساحقة الماحقة ، أن تبقى عليه في المجلس بعد أن حصلت على قرار الثقة من مجلس النواب وبعد أن أدان المجلس مكرم عبيد باعتباره أسوأ مثل لنائب منذ أن قامت في البلاد حياة نيابية عام ١٩٢٤ ، خاصة

وان ما نسب الى مكرم عبيد لم يكن خيانة وطنية بل كان اتهام خصومه السياسيين باستغلال النفوذ ، وبعدم نزاهة الحكم ٠٠ غير أن الحكومة الوفدية فصلت مكرم عبيد من مجلس النواب ثم اعتقلته فى السرو ، على مقربة من مدينة المنصورة ، ثم اعتقلت الكثيرين من أنصاره ، وكل من شارك فى اعداد وطبع وتوزيع الكتاب الاسود بل كان مجرد ذكر اسم الكتاب فى أى حديث بين اثنين ـ كما يقول الأستاذ جلال الدين الحمامصى ، أحد الذين ساهموا فى اعداد الكتاب وتوزيعه فى كتابه « معركة نزاهة الحكم » ـ كافيا لأن يؤدى بهما الى المعتقل !! وكانت محاربة حكومة الوفد لكل من كان له صلة ما فى اعداد الكتاب الأسود ، سببا لوقوع تلك الحكومة فى سلسلة من الأخطاء الفاحشة من بينها ذلك الخطأ ، الذى أشار اليه الأستاذ جلال الدين الحمامصى ، فى كتابه معركة نزاهة الحكم ، يقول الأستاذ الحمامصى : « ان محاضر جلسات مجلس النواب التى سجلت مناقشات الكتاب الاسود ، وهى ملك التاريخ الآن حافلة بأسوأ ما مرت به الحياة النيابية من أكاذيب أو افتراءات » ، « ان كل من يراجع محاضر مجلس النواب فى الفترة التى تلت صدور الكتاب الاسود وانتهت بطرد مكرم عبيد من مجلس النواب يحكم فورا بأن الحياة السياسية فى مصر فى الفترة ، التى حكمت فيها الأغلبية كانت صورة فاضحة لما كانت عليه هذه اللعبة النيابية التى أضعفت فى الشعب روح المقاومة وجعلته يفكر فى ذاته قبل أن يفكر فى بلاده » بل حدث أكثر من هذا : حدث أن أصبح البرلمان يسير بوحى من الانجليز : فلقد أحست الوزارة أن أحمد حسنين وراء الكتاب الاسود ، وانه كان أحد العاملين على اصداره وتوزيعه فبدأت تهاجمه وتوعز الى بعض النواب أن يتقدموا بأسئلة ، ليلوثوا بها سمعة الرجل ، وغضب الأستاذ فكرى أباظة من هذا الاتجاه وأنذر النواب بأنهم يشعلون نارا لابد أن تصليهم ويصيبهم شىء من لظاها ، ورفض رئيس المجلس الأستاذ عبد السلام جمعة ، السماح للأستاذ فكرى أباظة أن يستمر فى هذا الكلام ٠ وانتهى الأمر باخراجه من المجلس بالقوة ، وسمع الانجليز بهذا الذى يثار فى مجلس النواب وعلموا ، أن الملك يوشك أن يحمى رئيس ديوانه باتخاذ قرار حاسم ٠ فذهب مستر والتر سمارت ، السكرتير الشرقى بالسفارة البريطانية ، الى مجلس النواب ٠ وأرسل يستدعى الأستاذ عبد السلام جمعة ، ثم نبهه الى الخطر ، الذى يترتب على استمرار المجلس فى محاولة تلويث سمعة رئيس ديوان الملك وعاد الأستاذ عبد السلام جمعة الى قاعة المجلس وطلب من النواب أن يستمعوا اليه ٠ وصمت المجلس ، وساد السكون وانطلق الأستاذ عبد السلام جمعة بصوته الجهورى يقول : حضرات النواب المحترمين ، عنت لى فكرة ، هى أن توافقوا حضراتكم على رفع كل ما دار من مناقشة حول رئيس ديوان الملك من محضر الجلسة وصمت المجلس مرة أخرى ، ولكن حضرات

النواب قالوا بعد ذلك موافقون • موافقون • ومرت الأزمة ، ولكن بعد أن جرحت الحياة النيابية فى الصميم اذ لم يسبق ؟ ان دخل أحد ممثلى الاستعمار الى دار النيابة ، دار الشعب ليشير على رئيس النواب باتخاذ اجراء معين • ولقد خضع رئيس النواب وخضع النواب لرغبات الانجليز ، وكان فى استطاعة النواب أن يطلبوا تأليف لجنة للتحقيق ولكنهم جبنوا ، ولم يفعلوا •

وهكذا كان الكتاب اسود والطريقة التى عولج بها موضوعه ، والأسلوب الذى أتبع مع صاحبه ومع أنصاره سببا فى انزلاق الوفد ، فى الوقوع فى كثير من الأخطاء ، التى تقع عادة عندما يشتد سيف الحكم العرفى •

وحتى لا نستأثر برأينا فى الكتاب الأسود وفى اخراج مكرم عبيد من الوزارة والوفد من مجلس النواب ••• ننقل بعض الآراء ، التى تؤكد أو تعارض وجهة نظرنا التى سبق أن أشرنا اليها • يقول الأستاذ عبد الرحمن الرافعى :

فى يوليو ١٩٤٢ قرر الوفد فصل مكرم عبيد وراغب حنا من الوفد ، كان اقصاء مكرم سنة ١٩٤٢ ، بعد اقصاء النقراشى سنة ١٩٣٧ مظاهر متلاحقة لتنكب الوفد ، طريق النزاهة ، والاستقامة فى الحكم مما كان له أثره فى فساد أداة الحكم وانحطاط المعنويات فى النفوس ، فمكرم كان على حق • فى معارضة النحاس ، فى تصرفاته التى مست نزاهة الحكم : على أن الذى يؤخذ عليه ، بعد انفصاله ، انه لم يلتزم جادة الاعتدال والهوادة فى موقعه بل انضم بكل قوته ، الى خصوم الوفد وهاجم النحاس ، والوفد مهاجمة عنيفة فضاعت الحقائق فى ضجة العنف ، والخصام ولو بقى بعد انفصاله مستنكرا مساوىء حكومة الوفد ، فى اعتدال ، وبأسلوب غير أسلوب الكتاب الأسود ، لكان محتملا ، أن يجتذب اليه فريقا من الوفديين ، لأن منهم من غير شك من لم يكن يقر مسلك حكومة الوفد في تصرفاتها المنافية للاستقامة والنزاهة والعدل: حقا ان هذا الاحتمال لم يكن له نصيب من الرجحان لأن معظم الوفديين يهمهم أول ما يهمهم أن يؤيدوا هذا الضرب من « الزعامة » فى الخطأ والصواب ، على السواء ، حرصا على منافعهم الشخصية ، التى نالوها ، تحت لواء هذه الزعامة ، ولكن فى هذه الحالة يكون مكرم قد أدى واجبه ويدع للظروف أن تؤيد حقه ، وتظهره مع الزمن ، وهذا هو المسلك السديد

الذى قد يفيد فى اصلاح مساوىء الحياة السياسية والحزبية فى هذه البلاد ٠٠ » ٠

ويقول الأستاذ عبد العظيم رمضان : يعتبر الكتاب الأسود عربون الانتقال من صفوف الوفد الى صفوف القصر ، وثمرة من ثمار التآمر ، البعيد من مكرم عبيد وأحمد حسنين باشا ومأساة خلقية سبق أن أدانها مكرم عبيد باشا نفسه أثنـــاء دفاعه عن النحاس ، باشا فى قضـــية سيف الدين ١٩٢٨ ، وهو على كل حال حلقة فى سلسلة المؤامرات التى كان يدبرها القصر ضد الوفد عندما أراد التخلص منه وهو فى الحكم ٠ وأولها مؤامرة سيف الدين سنة ١٩٢٨ والثانية مسألة توليد الكهرباء من مساقط المياه بأسوان عام ١٩٣٧ ، والثالثة الكتاب الأسود سنة ١٩٤٣ : وآخرها حريق القاهرة ١٩٥٢ » ٠

ويقول د٠ محمد حسين هيكل : ان اتجاه مكرم عبيد باشا لمعارضة الوفد فى موضوع نزاهة الحكم ، كان اتجاها بارعا » لكن هيكل باشا يأخذ على الكتاب الأسود انه يتناول عددا كبيرا جدا من وقائع استغلال النفوذ ، وبعضها تافه كارسال شحنة من الفول من جهة الى أخرى بالسكة الحديد ، من غير أجر لأنها مرسلة باسم أحد الوزراء وأن ضخامة هذا العدد من الوقائع جنت على الكتاب الاسود أكثر مما أفادته ذلك أن بعض هذه الوقائع أصابه التحريف وبعضها لم يكن دقيقا كل الدقة » ٠

ويقول الأســتاذ محمد التابعى ــ وكان على صــلات طيبة ببعض الوفديين وبمكرم عبيد ، وبأحمد حسنين ــ ان مصطفى النحاس ذهب الى القصر طالبا اقالة مكرم عبيد ، وأن الملك فاروق حاول تهدئته كما حاول أن يسوى ويصلح ما بين الرجلين الصديقين القديمين ٠٠ ولكن عبثا » ٠

ثم يقول الأستاذ التابعى تعقيبا على ذلك :

« وما من شك فى انها مناورة ، أو سياسة مرسومة ٠ وان فاروق ، مثل رئيس ديوانه أحمد حسنين كان يريد التفرقة بين الرجلين الصديقين القديمين ، واضعاف الوفد وقسمته شيعا ، واحزابا » ٠

ويضيف التابعى : « ان الملك رفض فكرة الاقالة وان النحاس اضطر الى التراجع ، والاذعان ، وقدم استقالته ثم أعاد الوزارة بدون مكرم عبيد٠

خرج مكرم عبيد ــ كما يقول التابعى ــ من الوزارة ولكن خروجه لم يهدىء من ثورة مصطفى النحاس ، بل على العكس فقد ازداد حنقا وغضبا لأن خصومه الآن ــ على حد تعبيره ــ الذين فى السراى وعلى رأسهم رئيس

الديوان أحمد حسنين حالوا بينه وبين طرد مكرم عبيد ، ولم يمكنوه من اقالة مكرم عبيد ٠

ويقول التابعي ان مكرم عبيد ، كان يعرف مقدما ومن خسنين وشلته ان الملك سوف يرفض ان يقيله من الوزارة وان النحاس قال للملك : أحمد حسنين هو اللى تخن ودن مكرم عشان بعث له مع حسن الأعور يطلب منه الا يستقيل ، وان مكرم قال لبعض الشيوخ والنواب ان مصطفى النحاس طلب اقالته من الوزارة وان الملك رفض ، وان الذى بلغ الرفض لمكرم عبيد هو أحمد حسنين « وهى - كما يقول مصطفى النحاس بالحرف الواحد ، نقلا عن لسان التابعي - : « مؤامرة بينه وبين مكرم ، وان أحمد حسنين قال للتابعي ٠ أنا لا يد لى فيما حدث وليس فى برنامجي ان أحارب النحاس باشا ، ولكن اذا كان عايز يهاجمنى فسوف أضطر الى ان أشب على قدمى وأرد الضربة ضربتين » ٠

ويلخص التابعي سياسة أحمد حسنين كما أوضحها له ذات مرة : فيقول :

ان سياسة أحمد حسنين قائمة ، على أن الأغلبية - وهم الوفديون - تحكم وهذه سياسته منذ أن تولى رئاسة الديوان الملكى وانه عمل ومن قبل ان يجيء الوفديون الحكم على اقناع الملك بأن الوفديين ، قد ساعدوه ، لا طمعا فى الحكم ، وانما اعترافا منهم بخطئهم فى الماضى (أى فى وزارة ١٩٣٧) ، وانه - أى أحمد حسنين - صارح حسين سرى ، وحسين هيكل والسعديين بأن سياسته تقوم على ان يتولى الوفديون - وهم الأغلبية - الحكم - بينما الأحرار الدستوريون والسعديون يقومون بمعارضة قوية نزيهة ، وانه - أحمد حسنين - قد ذلل الكثير من الصعاب التى اعترضت وزارة الوفد ، ٠ و ٠

ويقول التابعي : انه كان من رأى على ماهر أنه كان على أحمد حسنين ان يشير على الملك فاروق يوم قدم اليه النحاس باشا استقالة الوزارة باستدعاء زعماء الوفد وزعماء الأحزاب الأخرى لاستشارتهم فى الموقف ٠ على أساس ان هناك انشقاقا فى الوفد وهو الهيئة التى تستند اليها الوزارة فى الحكم ، ثم يشير - أى أحمد حسنين طبقا لما يراه على ماهر على الملك باخراج النحاس ، ومكرم معا من الوزارة ولكن أحمد حسنين لم يعرف كيف ينتهز هذه الفرصة وكانت الاشاعات - كما يقول التابعي - الذائعة يومئذ فى دوائر القصر ، وبين أنصار وأصدقاء على ماهر ، ان رفعته هو المرشح الوحيد ، لرياسة الوزارة بعد دخول جيوش المحور مصر ، وهزيمة الجيش البريطانى وانسحابه من مصر ، وكان الرأى السائد يومئذ ، ان الانجليز لابد مغلوبون على أمرهم ، وان روميل سوف يدخل مصر » ٠

واستأذن القراء فى أن أنقل ــ وبأمانة بعض ما كتبه مارسيل كولومب فى كتابه « تطور مصر ــ ١٩٢٤ ــ ١٩٥٠ » الذى ترجمه الاستاذ زهير الشايب وقدم له د٠ أحمد عبد الرحيم مصطفى :

يقول مارسيل كولومب :

« ان الشهور الأولى فى عمر « حكومة الشعب » كانت بالغة الصعوبة فقد سرى ، الهمس بأن السير مايلز لامبسون كان قد قدم الى الملك فاروق أثناء المقابلة التى تمت فى ٤ فبراير ١٩٤٢ وثيقة تنازل عن العرش وانه كانت قد اتخذت كافة الاجراءات لنقل الملك ، الى مكان مأمون اذا ما رفض دعوة مصطفى النحاس ، الى تولى الحكم ، وفى العاصمة نمت لدى الضباط ، مشاعر النقمة على بريطانيا العظمى ، وفى ظل هذه الظروف الحرجة ــ ظروف الحرب على حدود مصر ، الغربية ودخول قوات المحور المدرعة سيدى برانى ــ أبدى رئيس الوزراء من ضروب النشاط ، والهمة ما جعله يوجه المرة تلو المرة ، شكره العميق الى حكومة لندن وفى ٢٣ فبراير أعفى رئيس الجيش المرابط عبد الرحمن عزام باشا من مناصبه وفى ١٨ ابريل اعتقل على ماهر بعد ان طلب اليه ان يكف عن القيام بأى نشاط سياسى وحددت اقامته ٠ وزيدت اجراءات الأمن ــ فى كل أنحاء مصر ، وأدان النحاس باشا الطابور الخامس الذى بذر القلق ، فى النفوس ٠٠٠ وكانت الحملة ضد المهيجين ، والجواسيس مصحوبة بالعنف كما صدرت الأحكام ضد مروجى الأخبار الكاذبة بعقوبات بالسجن تتراوح بين ثلاث سنوات وخمس عشرة سنة كما أغلق نادى السيارات الملكى بالقاهرة الذى أشيع عنه سواء بالحق ، أو بالباطل انه مقر لغير المتعاطفين مع الحلفاء ، كما اعتقل النبيل عباس حليم وكذلك رئيس اتحاد الرياضة المصرى محمد طاهر ، وكلف الجيش بالتعاون مع البوليس فى حفظ النظام ، والهدوء ، فى الشوارع ، وألقى القبض على آخرين ، ممن حامت حولهم الشكوك ونشطت المحاكم العسكرية » ٠

وهكذا انحازت مصر ، للمرة الأولى وبشكل واضح ، تحت قيادة مصطفى النحاس باشا ــ الى جانب الحلفاء دون ان تشترك فى الحرب اشتراكا مباشرا ٠٠

ويقول مارسيل كولومب أيضا : ان وزارة الوفد كان عليها أن تتحمل عداء القصر والحاشية الملكية اذ لم ينس الملك فاروق قط ، ذلك الضغط

الذى تعرض له فى فبراير ١٩٤٢ كما كان يضيق برئيس وزراء يقوم من تلقاء نفسه بجولات دكتاتورية وتستقبله فى رحلاته مظاهرات ترحيب موحى بها ، كما أن رئيس الوزراء من جانبه وهو الذى كان لا يزال هو الآخر تحت تأثير الضربة التى تلقاها فى أزمة ديسمبر ١٩٣٧ كان يبذل كل ما وسعه ليؤكد « لمولاه » فى كل المناسبات ان الملك فى مصر يملك ولا يحكم .. ثم تحولت المعركة الصامتة الى صراع عنيف ، وبعد ذلك بقليل ازداد تدهور العلاقات بين السراى ، والوزارة ، وكانت الاحتكاكات بين الملك والوزارة كفيلة بقيام علاقات متوترة بين الطرفين المتعاونين ، ولقد ظل مصطفى النحاس باشا فى الواقع لعدة أشهر واستنادا الى دعم بريطانيا له يستخف بخصومه السراى له كما كان يقابل الاستجوابات المقدمة اليه فى مجلس النواب والشيوخ بلا مبالاة وكان باستطاعته أن يرفض أو يقبل مناقشة أى منها حسبما يتراءى له . وكان النحاس باشا بسبب تمرسه بمناورات الحياة السياسية ، لطول خبرته وبسبب وجود الرقابة فى خدمته ولثقته أيضا فى قدرته على الحصول على أصوات أغلبية الناخبين رجلا يصعب النيل منه .

ولكن ماذا فى الكتاب الأسود الذى أثار كل هذه الضجة ؟



الفصل الثالث

ملخص لبعض ما جاء بالكتاب الأسود من اتهامات لوزارة النحاس باشا وللنحاس باشا

بين يدى الآن وأنا أكتب هذه الصفحات نسخة من الكتاب الأسود فى العهد الأسود ، بقلم الأستاذ مكرم عبيد باشا وهو نص العريضة ـ كما جاء فى صفحة غلاف الكتاب ـ المرفوعة باسم الكتلة الوفدية المستقلة ، الى حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم فاروق الأول ملك مصر » والكتاب موجه فى الأصل الى الملك السابق ومقدمته قطعة من الأدب وخاصة عندما تحدث عن علاقاته بمصطفى النحاس ، واشفاقه على ما كان بينهما من صداقة ، نشفق أن تمس بسوء تلك الصداقة الحلوة التى بزت الأخوة ، بين شخصين تعذبا ، فتقاربا فتحابا ، وكانت محبتهما ـ فى نظرى على الأقل ـ نموذجا حيا رائعا لعاطفة المحبة ، أو الرحمة » التى شاء الرحمن الرحيم ، ان ينفثها مع الحياة بين حنايا الصدر ليستعين بها الانسان على وحشة العمر ، ووحشة القبر ، لا بل نشفق من أن نتنكر لماضينا فنجعل من ماضينا قاضينا ثم نشفق من عملية البتر فى ذاتها فهى تجرح مهما تنجح ، وأخيرا فقد كنا نشفق ولو على كرامتنا نحن أنفسنا من ان تطلق عليها الذئاب الجارحة والشهوات الجائعة ، الجامحة » لعل الأستاذ الكبير مكرم عبيد ـ رحمه الله ـ الذى كان فعلا من اخلص أبناء مصر ، لمصر ، ورغم ما وقع فيه من أخطاء سياسية سوف يغفرها ، له

تاريخنا الوطنى لصدق احساسه الوطنى ، ولشدة تعلقه بمصر ، لعله أحس بأن الكثيرين سوف يأخذون عليه انه ملأ كتابه بالحديث عن كثير من الأمور الصغيرة ، التى ما كان ينبغى ان يكون كتابه مليئا بها فكان رده على ناقديه « ما كنت يا مولاى لاشير الى هذه الصغائر وغيرها من مثيلاتها مما سيأتى تفصيله لولا انها صغائر تدل على كبائر وأولى هذه الكبائر ان الحكم قد أشرف على الفوضى فى أيدى أشخاص غير مسئولين وان الحاكم المسئول كان هو نفسه محكوما بجماعة من التفعيين لا يملك من أمره نفعا ، ولا ضرا » ٠

وفى الصفحات الأربعين الأولى من الكتاب يلقى مكرم عبيد ، نظرة عامة على أسباب الخلاف الوزارى ونتائجه حتى خروجه من الوزارة ومن الهيئة السياسية التى يرأسها رئيس الوزراء ٠

ويلاحظ المتتبع لأفكار مكرم عبيد ، أنه لم يشأ أن يطلق على تلك الهيئة اسم الوفد ، لأنه ، لم يكن يرى ان الوفد بصفته وفدا لايزال وفى الباب الأول من الكتاب الذى يحمل عنوان نزاهة الحكم : كان الفرع الأول عن استغلال النفوذ للحصول على الثراء عن طريق الشراء والبيع والتأجير والتنظر على الأوقاف ويلخص مكرم عبيد تلك العمليات فيما يلى :

- **شراء ١٤ س و ٧ ط ، ٨٠ فدانا باسم السيدة زينب الوكيل من معالى فؤاد سراج الدين باشا بعقد وقع عليه أمام كاتب العقود بتاريخ ١٨ مارس ١٩٤٢ وسجل بتاريخ ٢٣ يونيو ١٩٤٢ ٠**

- **شراء ٢٢ س و ١٨ ط و ٧٤ فدانا باسم السيدة زينب الوكيل من الخواجة اميل نسيم عدس بعقد وقع عليه ودفع الثمن فورا ومقداره ٥٨٢ مليما ، ٨٩٧٤ جنيها عدا مصاريف التسجيل ٠**

- **شراء سيارة من المسيو كوتيسيكا ثمنها ٣٠٠٠ جنيه الى غير ذلك من مشتريات ونفقات بلغت مع ثمن السيارة بضعة آلاف من الجنيهات ٠**

- **صفقات شراء لصبحى أفندى الشوربجى وشركائه من الأنسباء بمئات الألوف من الجنيهات ٠**

ويتحدث مكرم عبيد عن كل موضوع من الموضوعات التى سبقت الاشارة اليها بالتفصيل ثم يتحدث عن التنظر على الأوقاف واستغلال

النفوذ والبيع منه واليه : بيت النحاس باشا فى سمنود ، لقد باع النحاس باشا منزله فى سمنود الى وقف من المال الذى هو ناظر عليه بمبلغ عشرة آلاف من الجنيهات ومن شروط الوقفية أن يكون لناظر الوقف حق السكنى فى منزل الوقف وأن يصرف للمنزل كل شهر مائة وعشرون جنيها ثمن قمح وأرز ومسلى الخ على أن للزوجة المستحقة عشرين جنيها منها وفى عبارة أخرى فان النحاس باشا هو البائع والمشترى فى نفس الوقت ولقد يكون ذلك بدعة ولكنها بديعة وصفقة رائعة ولكنها مريعة وواقعة الحال انه كان لمصطفى النحاس باشا بصفة كونه فردا من أهالى سمنود منزل خاص فى تلك البلدة يسكنه رفضه بصفته هذه أو بما استجد له من صفات كحاكم مدنى أو عسكرى أو اذا شاء كزعيم شعبى غير انه قد بقى لرفضه صفة أخرى لها وزنها ولهـا ثمنها وهى صفة ناظر للوقف وعلى ذلك رأى النحاس باشـا الفرد والزعيم والحاكم أن يبيع المنزل للنحاس باشا ناظر الوقف بصفته وكيلا عن الوقف لكى يسكنه رفعته كناظر الوقف طبقا لنصوص الوقف وقبض رفعته فى نظير هذه العملية البارعة مبلغ عشرة آلاف جنيه ثمنا سخيا كريما ولم يتورع النحاس باشا عن القول بأنه قبض هذا الثمن تضحية منه ورحمة بالمستحقين والفقراء المنتفعين من الوقف وهى أيضا رحمة من النـوع المبتكر التى ينتفع منها الرحيم دون المرحوم ولقد ضرب النحاس باشا بهذه العملية التى لا أعرف لها مثيلا من نظائرها فى استغلال النفوذ ضرب رفعته عشرة عصـافير بريئة بحجر واحد ويستمر مكرم عبيد باشا فى الكلام عن تلك الصفقة فى أربع عشرة صفحة من كتابه الأسود يبتدع فيها عبارات أدبية جميلة أن رفعة النحاس باشا قد بلغ به الحنـان والتحنن مبلغ الفن والتفنن هل هناك من هو أقدر من النحاس باشا على الجمع فى مسلك واحد بين النصيحة والتهديد والوعد والوعيد وانه فى نهاية الأمر لا يزال مستمتعا بحق السكنى فى منزله كناظر للوقف بعد أن أصبح منزله منزلا للوقف اذا جمعنا هذا كله بعضه الى بعض ووضعناه كما وضعه النحاس باشـا ناظرا ووزيرا جمع بين الحكم والحكمة ولو أنها حكمة من نوع « الرحمة » التى تسعى الى نفع أصحابها وتدخـل البيوت من غير أبوابهـا : برافو مصطفى النحاس ومسكين مصطفى النحاس .. »

وينتقل مكرم عبيد بعد ذلك كله الى الحديث عن التنظر على وقف أحمد باشـا البدراوى ويستفيض كما هى عادته فى الحديث عن هذا الموضوع معتبرا انه لا يقل خطورة عن سابقه فى ابراز معنى الاستغلال «استغلال النفوذ » لا استغلال المال بل لعلها أفضح لأنها أفصح فى معنى التحايل على الباطل بالباسه لباسا من الفضائل ثم يتساءل : أفلا تقوم النفس ولا تقعد بل لعلها تقعد مشمئزة أكثر مما تقول مستفزة لهـذا

التلاعب السافر ، الساخر بالعقول وبالمشاعر بل وبمجرد الألفاظ والمظاهر ثم يتحدث مكرم عبيد باشا وباستفاضة أيضا عن تاجير مصطفي النحاس لمنزل بالاسكندرية من أحد موكليه السابقين بايجار سنوى يبلغ حوالى مائتى جنيه والى صفقة الأطيان التى اشترتها حضرة صاحبة العظمة حرم النحاس باشا من آل عدس بسعر الفدان الواحد ١٢٠ جنيها مصريا وان هذا الثمن يقل كثيرا عن قيمة الأرض الفعليـــة التى قدرت فعلا بسعر يتراوح بين ٢٣٥ جنيها و ٢٥٠ جنيها للفدان الواحد و ٠٠ و ٠٠ و ٠٠ » ثم ينتقل من الفرع الثانى من الكتاب الى الحديث عن الانتفاع الشخصى من أملاك الدولة ضد المصلحة العامة والقانون فيتحدث مثــلا عن اقامة صاحب المقام الرفيع رئيس الوزراء منذ ولى الحــكم فى أماكن متعددة مختلفة الانحاء والأجواء والأهواء : الباخرة محاسن وفندق « ميناهاوس » ثم استقراره أخيرا فى جاردن سيتى فى دار فاخرة زاهرة أرسلت صور من نقوشــها وحجراتهــا ومعداتها الى جنيف لتكون دعاية لرقى معاهد التربية وفخامتها فى مصر ، فى هذه الدار الفاخرة تتلقى العلم تلميذات وادعات هانئات ولكن معهدهن الفاخر خاضـــع للحكومة التى يقوم على شئونها رفعته فماذا لو أخرج هؤلاء الفتيات من الحى كله بين عشـــية وضحاها ليهنأ رفعته بالمسكن الهنى المنشود : لا شىء وذهب رفعته ومن معه لزيارة الدار زيارة غير عادية وظنت التلميذات البريئات انها نفحة من نفحات الاهتمام العظيم بالعلم والتعليم لولا ان فاجأهن رفعته بنظرات فاحصة لما فى الدار من زخــارف وطرائف ومضى يتلمس ذا الجدار وذا الجدار ويهتم بعمارة الدار أكثر من اهتمامه بســـكان الدار وأسفرت الزيارة عن اعجاب لم يكن أقل مظاهره شدة اللهفة على اختلاء الدار فى الحال وبلا اهمال أما الدار الفاخرة فايجارها خمسون جنيهــا فى الشهر لا تزيد وهو ايجارها القديم الذى كان مقدرا قبل ارتفاع الأسعار ولم يكتف رفعة الحاكم العسكرى بهذا وحده بل استبقى من معـدات المعهد ثلاجة ضخمة باهظة الثمن بحجة انها لا تصلح للعمل فى حى بولاق كما قيل انه استبقى ستارين جميلين من صنع يد التلميذات ويقدران بثمن كبير وبعض ثريات كهربائية الى غير ذلك مما يحتاج الى تحقيق دقيق ٠

ويتحدث مكرم عبيد باشا وباستفاضة أيضا عن استئجار رئيس الوزراء للباخرة الحكومية محاسن ليقيم فيها هو وأسرته وكذلك استئجار وزير المواصلات للباخرة كريم ليقيم فيها وأسرته أيضا » ٠

●

ثم ينتقل بعد ذلك كله الى التستر على التهم المنســوبة لبعض الأقارب كرخص تصدير الزيت والجلود والسكر والسردين كما يتحدث

عن التموين وصفقاته وفساد ادارته وتفشى الوساطات وتفشى الرشـــوة معها فى الصفقات التجارية والوظائف الحكومية والغاء الأحكام العسكرية وتعيين العمد وفصلهم بل وقبول الطلبة فى المدارس وفى هذا البـــاب يشير الى عثوره على بوليصتين من مصلحة السكة الحديدية احداهما مؤرخة فى ٤ ـ ١٠ ـ ١٩٤٢ وهى خاصة بقفص من السمان مرسل من دمياط الى صاحب المعالى حمدى سيف النصر باشا وزير الدفاع والأخرى مؤرخة فى ١٣ ـ ١٠ ـ ١٩٤٢ وهى خاصة بقفص من السمك وهو مرسل كذلك الى معاليه أما مصدر القفصين فهو شخص واحد اسمه الدكتـــور محمود فكرى كان شقيق زوجته فكرى أفندى حامد زاهر من سعداء الطلبة الذى قبلوا فى الكلية الحربية هذا العام ومعاذ الله ان أذهب الى أن قفصا من السمك الطازج أو السمان الفاخر يعتبر ضربا من الرشـــوة لقبول أحد الطلاب فى الكلية الحربية ولكنها على كل حال مصادفة طريفة أن يكون صاحب الهديتين قريبا لأحد الطلبة المحظوظين بالقبول وأن يكون تاريخ ارسال الهديتين قريبا جدا من تاريخ القبول فى هذا العام وهل هنـــاك ما يمنع المجاملة كمظهر من مظاهر المعاملة ومهما يكن من أمر القيل والقال وسوء التجريح والتأويل فان الذى لاشك فيه ان هناك تصرفات خطيرة وقعت فى قبول الطلبة بالكلية الحربية على عهد الوزارة الحاضرة وان فى هذه التصرفات خرقا جريئا وتجاوزا فاضـحا لحدود اللوائح والقوانين ويقول مكرم عبيد ان وزير المعارف قد أساء اســـتخدام مجانية التعليم كما انه أتاح لافواج من الشيوخ والنواب فرص قبول من يريدون فى المدارس ثم بقبوله وبهـذا الاسلوب الذى ارتضته الوزارة وشـــجعته ففتحت أمام بعض الشيوخ والنواب الوزاريين أبواب التدخل والوساطة والشفاعة فى كل صغير وخطير من شـــئون الدولة ســواء منها صفقات التموين ومســـائل الموظفين وقبول الطلبـــة فى المدارس واعفاؤهم من المصروفات وتعيين العمد وفصلهم فاذا وقفت فى مجلس النواب أطلب بيانا بالرخص التى أعطيت أو باسماء العمد الذين فصلوا أو عينوا وقف النحاس باشا يعلن امتناعه عن تقديم البيان المطلوب محتجا بأن تعيين العمد وفصلهم حق مطلق للسلطة التنفيذية وفى ظل هذه الذريعة وأمثالها يخرج بعض شيوخ العمد الحاضر ونوابه وأنصاره فلا يرتدون عما هم فيه من سعى : أو سعاية بل يزدادون فى تيارهم اندفاعا ، وانتفاعا ، بينما تبحث لهم الوزارة عن أبواب جديدة لاستغلال نفوذهم : واستغلال مراكزهم الحزبية النيابية : حتى لقد عين بعضـــهم فى لجان توزيع السكر ، بصفة رسمية ، وكان من وراء ذلك وأمثـــاله أن تضـــاعفت الوساطات ومن ورائها صنوف الروايات والاشاعات فانقلبت النيابة من أداة للرقابة والاصلاح ، الى شىء آخر هو أبعد الأشياء عن طبيعة العمل ،

النيابى الصحيح .. ويخصص مكرم عبيد بعض صفحات كتابه للحديث عن الورود والزهور التى ترسـل كل أسبوع الى منزل حضرة صاحب المعالى وزير الزراعة . وعن البوكس ، الذى يحمل تلك الزهور وعن الأسطى حسن نوفل الذى يجب عليه اعداد البنزين الكافى فى البوكس ليكون تحت تصرف معاليه : كما يخصص صفحات أخـرى عديدة . عن فضائح المحسوبيات والاستثناءات وعن المليون ونصف مليون جنيـه لزيادة المرتبات وعن تخصيص ربع مليون جنيه لانشـاء وظائف جديدة فى وزارتى التموين ، والوقاية وكلتـا الوزارتين مؤقتة تزول بزوال الحرب ، فماذا يكون مصير هذا الجيش العرمرم الجديد ، بعد الحرب واذا قيل ان هناك منشآت جديدة ، تستلزم موظفين جدد فأين طريقة الندب والنقل من سائر الوزارات التى جرى عليها العمـل حتى الآن ؟ لا جواب على ذلك سوى طغيان روح المحسوبيـة ، والاستثناء ، وحشر المقربين والأقارب فى وظائف الدولة ، ولابد لمجاراة هذا الطغيان من تفتح الأبواب على مصاريعها فى ميزانية المرتبات والاجور ، للسنة القادمة !! ويعطى مكرم عبيد باشا الأمثلة الصارخة للاستثناءات : ومن تلك الأمثلة الصارخة ما أغدقه النحاس باشا ، ومن ورائه مجلس وزرائه ، على حضرة جورج دومافى بك مراقب الادارة الأوربية بمجلس الوزراء ، ويظهر أن الوزارة رأت من البر أن تشمل بنظرتها أمين صندوق مشروع ، البر وهو دومافى بك « اذ زادت معاشه ٢٤ جنيها فى الشهر فقط لا غير ومنحته الوزارة مبلغ ٣٠٠٠ جنيه يستعين بها على الوفاء بالتزاماته الناشئة عن مدة فصله السياسى ، ومد خدمته ثلاث سنوات أخرى نظير مكافاة شهرية توازى الفرق بين مرتبه الحالى ، ومعاشه » ومن تلك الأمثلة الصارخة أيضا اصدار وزير الزراعة عبد السلام جمعة باشا قرارا بتعيين الأستاذ على محمود طه وكيلا لمتحف فؤاد الأول الزراعى ، وترقيته الى الدرجة الرابعة مع ندبه سكرتيرا برلمانيا ، ثم نقله — أى الأستاذ على محمود طه — بعد ان انتخب عبد السلام جمعة باشا رئيسا لمجلس النواب — ليكون مديرا لمكتبه فى المجلس وترقيته الى الثالثة ، ولما يمض على ترقيته من الخامسة الى الرابعة ، شهران مع أن كادر الموظفين يحرم الترقية للذين لا يحملون شهادات عليا لأكثر من الدرجة الرابعة » وحضرته لا يحمـل شهادة عليا » ولو انه أديب نابه ! ومثل ثالث للاستثناءات هو الأستاذ مأمون الريدى أمين ضريح المغفور له سـعد زغلول اذ كان مرتبه حوالى ٣٠ جنيها فزيد الى ٤١ جنيها ثم يقول مكرم عبيد : انه استثناء متواضع اذا قيس الى ما صحبه من استثناء نادر ، حتى بين الاستثناءات الحاضرة النادرة ذلك أن الأستاذ مأمون كان قد عين أمينا للضريح حين تم بناء الضريـح ، فى سنة ١٩٣٧ ، ولكن النحاس باشـا رأى — ورأى وزراؤه

المساكين لأنه رأى ــ أن يرجع تاريخ تعيينه الى تاريخ وفاة الزعيم الراحل أى الى سنة ١٩٢٧ وبذلك أضاف الى معاشه عشرا من السنين هل سمع ، أحد أن شخصا يعين فى سنة ١٩٣٧ ويحتسب معاشه ، من سنة ١٩٢٧ ، وهل سمع أحد أن ضريحا انشىء فى سنة ١٩٣٧ يرجع به الى سنة ١٩٢٧ فيوجد الأمين قبل أن يوجد الضريح : وقد طلب منى النحاس باشا ، قبل خروجى من الوزارة ، أن أقر هذا الاستثناء العجيب ، فضحكت فى وجهه ورفضت ، ويروى مكرم عبيد ــ وباختصار فى هذه المرة ــ بعض نماذج للتحايل الفاضح فى حالات صارخة من حالات الاستثناء يذكر ــ مثلا ــ أسماء توفيق أبو علم ، وعلى أبو علم ، وعبد السلام عثمان ، ومحمــد أبو الفتح ، والدكتور محمد فطين ، وعبد الســلام الزقم أفنــدى ، وعبد الفتاح أفندى العريف ، والدكتور محمــد نصر ٠٠ ثم ينتقل الى الحـديث عن القرعة التى أجريت بين الأستاذين زكى عبد المتعــال ، وحامد زكى لاختيار أيهما يكون عميدا ، لكلية حقوق الاســكندرية لأن الاثنين متعادلان فى درجة القربى لدى وزير المعارف : ماذا يفعل الوزير الخطير لحل هذا الأشكال الصغير الكبير ؟

تفتقت الحيلة لوزير المعارف أن يلجأ الى وسيلة لم يفطن لها أحد قبله من رجال العلم ، رفعا لمستوى العلم ، فعمد الى القرعة لتقول كلمتها الفاصلة ، فى المفاضلة بين الكفايتين العلميتين أيتهما أليق بالعمادة ، من غير اخلال بصلات الصداقة ، والمودة ، وفعلا اجتمع وزير المعارف بمدير الجامعة وسكرتيرها العام وألقى ورقتين فى طربوشه ثم التقط احداهما ، فاذا بالعمادة ، الرفيعة العماد ، من نصيب الأســتاذ زكى عبد المتعال وبناء عليه ، كانت له العمادة فى غير ابطاء ، ولا هوادة ، ولكن للمحظوظين أرزاق لو فى العراق فقد تبين أن هذا البلد الشقيق فى حاجة الى عميد لكلية الحقوق ، بحيث لايختلف فى فرص الكفاية عن زميله فى جامعة فاروق ، فعين الوزير ، لتلك العمادة ثانى الاثنين الذى بقى هو حضرة الأستاذ حامد زكى وهكذا أسعفه النصيب رغم اليانصيب ٠

ويكتب مكرم عبيد عن واقعة حدثت للأستاذ على بك بدوى ــ ولعلها من الوقائع ، القليلة المشرفة ، التى وردت فى الكتاب الأسود لأن الكتاب كان مخصصا للواقع الأسود ، يقول مكرم عبيد باشا ، الأستاذ على بك بدوي هو ذلك العميد الحق والرجــل الحق ، الذى جردته الوزارة من العمادة ودفعته دفعا الى الاستقالة ، لأنه اجترأ أن يناقشها الحساب فى نظام الاحتساب ولقد اعترض حضرته على تخطى بقية الأساتذة فى الكلية مستندا فى اعتراضه الى أن خمسة من الأساتذة هم أسبق فى الأقدمية من الأستاذين اللذين وقعت عليهما القرعة فرقيا الى الدرجة الأولى ، عن طريق

الاستثناء ، وطلب حضرة العميد للكلية ، أن يتساوى الأساتذة الأقدمون مع زملائهم المحظوظين ان لم يكن فى المرتبة ففى المرتب ، ووعده بعضهم خيرا ولكن الوزارة ، التى تحتفظ بالخير لمحسوبيها من أهل الخير رفضت أن ينصف بقية الأساتذة وأخطر العميد على بك بدوى بهذا الرفض فاحتج عليه مصرا على المساواة فى الحقوق على الأقل بين أســاتذة الحقوق : يا للمسكين ، أيعترض على المحسوبية فى وزارة رأس مالها المحسوبية ؟ وهل فات هذا المعلم ، ان يتعلم من المثل الذى ضربه فضرب يه مكرم ثار الوزير وثارت الوزارة بنقل العميد على بك بدوى رغم اللوائح ، والقوانين الى جامعة فاروق ليكون أستاذا وأستاذا فقط بكلية الحقوق فيها والويل لاستقلال الجامعة والتقاليد الجامعية من مخالفة قانون المحسوبية فانه لقانون فوق كل قانون ذلك الذى يقول له الحاكم العسكرى « كن فيكون» استقال الأستاذ على بك بدوى احتجاجا على هذا العبث بكرامته وباستقلال الجامعة وأضرب الطلاب واحتج الأساتذة متضامنين مع عميدهم المستقيل ولكنهم فيمــا يظهر لم يقدروا مقدرة الوزارة فى التنكيل فلقــــد أخذت وزير المعارف العزة بالاثم ، فعمل على فصل أحـــد الأساتذة المحتجين الجريئين ، هو الدكتور محمد هاشم ، واعتقل ، أى والله اعتقل أستاذا آخر هو الاســتاذ بدر لا لسبب الا لأنه فى نزق الشـــباب لم يحسب ، ولو بعض الحساب ، لقانون الاحتساب وعندما يتحدث مكرم عبيد باشا عن ديوان المحاسبة ورئيسه أمين عثمان باشا ، يسميه ديوان المحسوبية ، ويفرد مكرم باشا ، بعض صفحات الكتاب لسكرتيرى أمين عثمان وعددهم ١٧ سكرتيرا وقد أغدق عليهم العلاوات والدرجات ، ثم يتحدث أيضـــا عن أقارب ومحاسيب أمين عثمان باشا وعددهم ٢٢ شخصا ، ويذكر حالة كل قريب أو « محسوب » والعلاوات ، والدرجات ، التى حصــــل عليها وكان من بين الحالات التى ذكرها مكرم عبيد باشا حالة « ٠٠٠٠ » زوج ابنة مرضعة أمين عثمان باشا الذى لا يحمل شهادات ، وقد رفع مرتبه من ٦ جنيهات الى ١٥ جنيها وكذلك حالة أخ زوج بنت المرضعة وقد منح درجة وأربع علاوات ، وكذلك حـــــالة « ٠٠٠ » المحسوب الأعظـــم ، للمحتسب الأعظم الذى وثب مرتبه فى بضعة أشهر من حوالى ثلاثين جنيها الى سبعين جنيها فى الشهر ، ثم تحدث عن محسوبيات مصطفى النحاس باشا ويقسمهم الى عدة فروع ١ ــ الانسباء والأقرباء ٢ ــ المحسوبون من الموظفين ٣ ــ محسوبو مشروع البر ٤ ــ الموظفون الذين أدوا خدمات ، خاصة ، أو أقاربهم بصدد رفقى عبد العال والبندراوى ٥ ــ الأطباء الذين يعــالجونه ٦ ــ خــدم المنزل ٧ ــ محســوبو الصــدقة ٨ ــ محســـوبو المحسوبين ، وعدد هؤلاء الأقارب والأنسباء أربعون شخصا أما محسوبو النحاس من الموظفين ومن محسوبية الخدمات الخاصة ، ومحسوبو لجنة

السيدات ومحسوبية الأنصار ، و « محســـوبو السفاهة » ومحسوبو المحسوبين ، فان عددهم ، ستون شخصا من بينهم شفيق أفندى ، الذى قام بعملية اصلاح راديو رفعة الباشا فمنح علاوة استثنائيـــة قدرها ٢٤ جنيها وحسن المراسلة فى خدمة الباشا ، وقد رقى الى كونستابل فملازم ثان ولعلها ، كما يقول مكرم باشا ـ الحالة الوحيدة فى بابها ، الفريدة بين أترابها أن يتحول المراسلة الخادم الى ضابط أما محسوب السفاهة ، فهو أحـــد كتاب الوفد : الكاتب السفيه ، الذى يكتب فى جريدة المصرى تحت امضـــاء « ع » ويهاجم باســـم الوزارة الحاضرة معارضيها الشرفاء ٠٠ وقد يكون غريبا أن يسمح لموظف بالاشـــتغال بالسياسة علانية ، وفى وضح النهار ولكن الأغرب منه أن تسخره حكومة تحترم نفسها لكى يشتغل بالسياسة القذرة السبابة ٠ ضد خصومها الكرماء ، على أنفسهم و ٠٠ و ٠٠ ويقول مكرم باشا : يكون مجمـــوع الأقارب والمقربين للنحاس باشـــا مائة من الموظفين وهو رقـــم لايدل على حقيقة الواقع ولو أنه يكفى من باب التمثيل على فضـــائح المحسوبيـــة وما تنطوى عليه من أسباب ودوافع ، واذا كان من الطبيعى أن يختص رفعة رئيس الحكومة ، بنصيب الأسد فمن الطبيعى أيضـــا ، أن يختص الوزراء بنصيبهم فى المحسوبيات مع الاحتفاظ بالنســـبة فى العدد ٠٠ ويتحدث مكرم عبيد باشا عن محسوبيات عثمان محرم « ٦ حـــالات » ومحسوبيات حمدى سيف النصر « ٨ حـــالات » ومحسوبيـــات صبرى أبو علم « ٨ حالات » ومحسوبيات نجيب الهلالى « ٨ حالات » ومحسوبيات عبد الفتاح الطويل « ٥ حالات » ومحسوبيـــات عبد الهادى الجنـــدى « ٥ حالات » ومحسوبيات فؤاد سراج الدين « ١٠ حالات » ومحسوبيات كامل صدقى ، حالتان ومحسوبيات عبد الحميد عبد الحق ٣ حالات ٠

وكنموذج لمحســـوبى الصدفة ، يروى مكرم عبيد أن الدكتـــور محمود رمزى ، كان يسكن بالعمارة التى يسكنها وزير الشئون فرقى الى الدرجة الخامسة ، وأن كامل أفندى جرجس هو محسوب الصدفة الخاطئة لأن أمين عثمان باشا رئيس ديوان المحاسبة ، ظن خطأ ، أن كامل أفندى من طرف الدكتور عبد السيد باشـــا فعينه فى ديـــوان المحاسبة ومنحه علاوات استثنائية ثم تبين له فيما بعد أن الدكتور عبد السيد باشـــا لم يبذل أية وساطة لمصلحة هذا الموقف ، ولكن سبق السيف العذل فقد صدرت الكلمة وأعطيت المنحة من أمين باشا عثمان وكان ما كان جريا على الخطط المأثورة عن سالف العهد والأوان ٠

وبعد مجىء دور محسوبى الأستاذ غنام « حالتان » ودور عبد السلام فهمى جمعة الذى لا يسعى الى المحسوبية فحسب ، بل انها تسعى اليه

سعيا حثيثا وخبيثا معا ذلك ان للوزارة مصلحة فى خطب وده ، كما أن لسعادته مصلحة فى خطب ودها ، والأخذ بيدها «١٢» ثم محسوبو الأستاذ أحمد حمزة « أربع حالات » بالاضافة الى « ٢٥ حالة أخرى » ثم حالات أخرى « ٣٣٠ حالة استثناء من الاستثناءات الصارخة ، الخارقة ، لكل قاعدة ، ولكل عدل ، ولكل عقل ، وما خفى كان أعظم ٠٠ و ٠٠ و ٠٠ ثم يفرد ، مكرم عبيد باشا صفحة ونصف صفحة تحت عنوان ، آخر فضيحة قصة حرم ، سفيرنا بلندن ، ترسل له برقيــة بالشفرة لشراء قرد ، لحرم النحاس باشا ، بمبلغ ثلاثة آلاف جنيــه ، ويقول مكرم فى مقدمة تلك الفقرة : لقد عنيت فى هذه العريضة عناية خاصة بألا أعرض لشئون النحاس باشا الخاصة ، فهى بعيدة عن النقد العام ، ويجب أن تكون محل الرعاية والاحترام ٠ ولكن النحاس باشا المسكين لم يعد فى حالة تسمح له بأن يفرق بين الخاص ، والعام ، فالحكم قد أصبح محل استغلال خاص له ، ولأهله ، ووزرائه ، فهو يهيىء لهم البيوت يسكنونها أو يؤجرونها والأطيان يشترونها والأوقاف يتنظرون عليها والمحســوبية يوظفونها والبنوك يحتلونها والغلال والحبوب ومواد التموين يصدرونها والخمور ، والبضائع يستوردونها ، وأخيرا وليس آخرا ، فها هى ذى الفراء الثمينة تستحضر لأغراض الزينة فلا يجدون الا وزارة الخارجية ، فى مصر ، وسفارتنا ، المصرية بلندن يكلفونها ويحركونها ، وفى نهاية الفقرة ، الخاصة بالفراء يســائل النحاس باشــا من أين لك كل هذا يا سيدى النحاس باشا ، وقد كنت الفقير ، الى وجه الله تعالى ؟ ثم يقول دعنى ، دعنى أسألك ، وأبكى عليك ، ولك ٠

ويكون الباب الثانى من الكتاب تحت عنوان القسم السياسى ورغم انه من أهم أبواب الكتاب ، الا أنه لا يحظى من مكرم باشــا بأكثر من ٢٢ صفحة وأول موضوعات هذا الباب : طغيان الحكم العسكرى على الحكم الدستورى وفيه يقول ، سار النحاس باشــا فى اســتغلال السلطة العسكرية ، الى مدى لم يصل اليه أحد قبله ، ويتحدث عن اعتقال النحاس باشا ، لعلى ماهر باشا ؛ ولمحمد طاهر باشا ، ولعباس حليم وكذلك ، اعتقاله للدكتور فهمى سليمان ، ولعدد من طلاب الجامعــة والأزهــر الشريف ، من غير ما تهمة الا مناصرتهــم للكتلة الوفدية ولكى يبرهن النحاس باشا ، للناس انه حاكم عسكرى بز أسلافه من الحكام العسكريين البريطانيين حينما قبضوا علينا أصدر أمره الى البوليس المصرى باقتحام المنازل قبل الفجر ، وياويل الآمنين الوادعين ٠

ويستمر مكرم عبيد باشا ، فى الحديث عن الاعتداء المنقطع النظير ، على الحريات الدستورية ، وديمقراطية الحكم : يتحدث عن العبث بالحكم

النيابى ، وتقاليده ، عن خنق حرية الصحافة والعبث بحرية الجماعات وبحرية الانتخابات ، وبنزاهتها ، ثم عن التفريط فى حقوق البلاد السياسية ، ثم يختتم كتابه بكلمة يعبر فيها عن مشاعره الشخصية عندما كان يكتب ذلك الكتاب وتلك العريضة فيقول : ولكم كنت خلال هذه العريضة أصارع نفسى ، وأجاهد ، حتى لكأننى شخصان فى واحد ، هذا يمنعنى وذاك يدفعنى ، هذا ينادى ، ألا رحمة بالصديق وان غدر وذاك يصيح ألا عونا للوطن وقد سرت فيه النار من طائش الشرر ، هذا يذكرنى وذاك يحذرنى : هذا يذكرنى بماضى الألفة والوداد ، وذاك يحذرنى ألا أهدر فى سبيل الصديق ما بذلته فى سبيل الوطن من نصيحة وجهاد » .

ولكن ماذا فى الكتاب الأسود بالتفصيل ، وقبل هذا التفصيل .. لماذا كان الخلاف بين النحاس ومكرم عبيد باشا أيضا بالتفصيل ومن وجهة نظر مكرم عبيد باشا نفسه ؟ .



البـاب الثـالث

الفصل الأول

من وجهة نظر مكرم عبيد باشا :
لماذا كان الخلاف بيني وبين النحاس باشا

الكتاب الأسود ، رضيت عنه أم غضبت منه وافقت على كل أو بعض ما جاء فيه أو اعترضت . جزء من تاريخ مصر فى الأربعينات ، لايمكن أن يقتطعه ولايمكن أن نتجاوز عنه .

ولعلها المرة الأولى أن تقرن الكتابة عن الكتاب الأسود بالكتابة عن الكتاب الأبيض .

ولعلها المرة الأولى أن ينشر معا ـ وفى وقت واحد ـ ملخصات وافية شافية لكل ما فى الكتابين الأسود والأبيض ، الشيء ونقيضه ، الاتهام والدفاع ولعلنا أردنا بذلك كله أن نسجل بالموضوعية والحيدة أهم حدث سياسى بعد ٤ فبراير ١٩٤٢ وحتى ٨ أكتوبر ١٩٤٤ : يقول مكرم عبيد باشا :

يدفعنا الواجب المرير ـ وهل من واجب أمر وأقسى من ذلك الذى يضطر الانسان الى أن يقتطع لصالح المجموع قطعة من نفسه ، ولصالح اليوم والغد بضعة من أمسه ـ يدفعنا ذلك الواجب العام الى أن نعرض على جلالتكم مساوىء الحكم الحاضر والقائمين به من رجاله . وما كنا علم الله لنجد من أنفسنا دافعا ضد قوم كانوا منا وكنا منهم لولا أن أداة الحكم فى البلاد قد فسدت على أيديهم الى مدى بعيد يكاد يبعث على اليأس من انتاجها ، ومن علاجها .

ومن ثم لم نجد أمامنا سبيلا توحى به أحكام الدستور ، بل وطبائع الأمور ، الا أن نفزع الى ساحة ملكك انقاذا للوطن المعـــذب بدائه ـ وما أوجع داؤه الا من أبنائه ! ٠

ولقد رأينا أن نتقدم فى هذه العريضة بالوقائع مفصلة ، ومع كل واقعة دليلها ، تبيانا لأسباب الخلاف الوزارى الأخير وما ترتب عليه من آثار خطيرة مخزية ، لا تزال قائمة ومستمرة ٠

وحسبك يامولاى ان تلقى بنظرك الكريم على الوقائع الخطيرة المبينة فى هذه العريضة ، فهى ناطقة بذاتها من غير ما ناطق ٠ ولكنا ندرك أن الكلام مهما تكن قيمته الموضوعية فقد يتلون بعض الشىء بلون واضعه ، فهل نحن فيما نعرض مدفوعون بدافع الغيظ أو الحنق ، فترانا نقول فى غضبة قولة الصدق ؟

كلا يا مولاى ، فما كنا لنقبل حتى هذا التلوين لصدقنا والتهوين من حقنا ٠٠

ففيم وعلام نحنق ، وقد كنا فى كل أدوار الخلاف نشفق ، ونأبى الا أن نشفق ٠

نشفق من أن ينهار ذلك البناء الشامخ الذى ساهمنا فى تشييده حجرا فوق حجر ، وفى تخليده أثرا بعد أثر ، معتصرين فى ذلك زهرة العمر طوال نيف وعشرين من السنين ٠

نشفق من أن تلصق بالحكم المصرى فى عهد الاســــــتقلال لوثة تدنسه ، بعد أن طهره الشهداء بدمائهم ، وصهره المجاهدون بدم القلب وعرق الجبين ٠

نشفق من أن تمس بســـوء تلك الصداقة الحـلوة ، التى بزت الأخوة ، بين شخصين تعذبا ، فتقاربا ، فتحابا ، وكانت محبتهما ــ فى نظرى أنا على الأقل ــ نموذجا حيا رائعا لعاطفة المحبة أو الرحمة التى شاء الرحمن الرحيم أن ينفثها مع الحياة بين حنايا الصدر ، ليستعين بهـــا الانسان على وحشة العمر ، ووحشة القبر ! ٠٠

لا بل نشفق من أن نتنكر لماضينا ، فنجعل من ماضينا قاضينا !!

ثم نشفق من عملية البتر فى ذاتها ، فهى تجرح ، مهما تنجح ٠٠

وأخيرا ، فقد كنا نشفق ولو على كرامتنا نحن أنفسنا ، من أن تطلق عليها الذئاب الجارحة ، والشهوات الجائعة الجامحة ٠

بذلك كله كنت يامولاى — وما كان لى الا أن أكون — ناصحا لا فاضحا فى كل مرحلة من مراحل الخلاف بين رئيس الوزراء وبينى ٠

فلما كنت فى الوزارة واستفحل بيننا ذلك « الخلاف الجوهرى الذى تعددت مظاهره » — على حد تعبيره فى كتاب استقالة الوزارة — لم أدخر جهدا فى نصحه وتحذيره مما كنت آراه — ويراه الوزراء أنفسهم ويتهامسون به فى مجالسهم دون أن يجرأوا على الجهر به أمامه — من تصرفات ماسة بمسئولية الحكم بل ونزاهته فى الصميم ، ولقد كنت بحكم مركزى فى المالية والتموين والهدف المباشر لهذه التصرفات التعسة التى أريد بها أن تفتح خزائن المال والتموين للأهل والأنسباء ، حتى لا تفلت الفرصة السانحة ، فتفلت الصفقات الرابحة ، من أيدى طلاب الربح والثراء ، ولو على حساب الفقراء والجائعين ٠

ولم تكن تلك المطامع الأشعبية لترضى — أو لتقدر — أن تصبر ، فتبقى طى الكتمان والأوراق — بل راح أصحابها يرسلون الصيحة بعد الصيحة على مسمع من الكبار والصغار من الموظفين ، متوسلين ، متململين، متوددين ، متوعدين ، فى غير ما اعتداد حتى بكرامتهم الشخصية ، وليس مثل الطمع يامولاى شهوة هى أقوى ماتكون ضد صاحبها منها ضد غيره ٠٠ فلفرط ما يطمع الطامع فى مال الغير دون وزن أو تقدير تراه وقد اختلت موازين تقديره ، ولفرط ما يصبو الى مطمع عز أن يوجد ، أو اذا وجد عز عليه أن ينفد ، تراه يجزع بقدر ما يطمع فيستنفد الجزع ما بقى من صبره ، ويفضح الطمع ما خفى من أمره !!

ومن ثم ، فلا عجب اذا لم يطق هؤلاء السادة من الانسباء المتحكمين — أو الحكام غير المسئولين — صبرا على مطمعهم فى الثراء السهل — والجزل — فكان البعض منهم يأتون الى وزارتى المالية والتموين ويصيحون أمام كبار الموظفين (١) انى اذا ما أصررت على خطتى فى منع رخص التصدير عنهم — مع أن هذا المنع كان عاما يسرى عليهم كما يسرى على غيرهم — فانهم سيخرجوننى من وزارة التموين ، بل من الوزارة ، أصلا وفصلا !!

وما كنت يامولاى لاشير الى هذه الصغائر وغيرها من مثيلاتها مما سيأتى تفصيله لولا أنها صغائر تدل على كبائر — وأولى هذه الكبائر أن الحكم قد أشرف على الفوضى فى أيدى أشخاص غير مسئولين ، وأن الحاكم المسئول كان هو نفسه محكوما بجماعة من النفعيين ، لا يملك من أمره نفعا ولا ضرا ٠

ولكنني لم أكن لأعبأ بهؤلاء ، ولا بما وعدوا أو توعدوا ، لولا أن جرثومة الداء كانت قد سرت منهم مع الأسف الى رئيس الوزراء نفسه ، فكان هو شخصيا يتصل من وراء ظهري بالمرؤوسين لى أو بجهات أخرى غير مختصة ملحا فى اعطاء أنسبائه السكر والأرز الخ · من غير علمى (وسيأتى تفصيل ذلك مؤيدا بالمستندات فيما بعد) كما حاول رفعته جهده أن يمنعنى من تحقيق جنحة تهريب غزل ضد أنسبائه وتقديمهم الى المحاكمة العسكرية (وهى فضيحة سأفرد لها بابا خاصا فيما يلى) ـ الى غير ذلك من محاولات ، فشفاعات ، فمحسوبيات ، فتعهدات ، فتصرفات ترمى كلها الى استغلال الحكم لمصلحة الحاكمين ، وتجعل من اسلوب الحكم ألعوبة ومفسدة معا ·

حيال ذلك ، لم يكن أمامى الا أن أتخير بين سبيلين أسهلهما وعر : اما أن أشترك فى الوزر ، أو ألا أشترك فى الوزارة ـ اما حياة الوزير ، أو حياة الضمير ـ ولقد آثرت يامولاى هذه الحياة الأخيرة لأنها حياة الشرف ولو فى عينى نفسى ·· ولكن الله فى عدله ورحمته أبي الا أن يشرف موقفى فى عيون الناس أيضا ·· ، فالحمد لله الذى قضى ولطف، وأولانى شرفا ليس بعده من شرف !

لم أجد بدا اذن ، وقد أعيتنى وسائل النصح والتحذير ، من ان ابرىء ذمتى بتقديم استقالتى ، وأعربت له عن رغبتى فى الاستقالة فى فترات متفاوتة بدل المرة ثلاث مرات قبل خروجى من الوزارة ، وكنت فى كل مرة أؤكد له ما يعرفه من محبتى له وغيرتى على سمعته ، وانى وقد عجزت عن اقناعه باصلاح الحال فما من وسيلة بقيت لى الا أن استقيل من منصبى ، على أن يتخير هو صيغة الاستقالة ومناسبتها ، ووسيلتها ، حتى لا يفتضح أمام أعين الناس ما أمر الوفاء به ان يستتر بين صديقين كانا مضرب المثل فى الوفاء والاخاء ·

وهل أنا فى حاجة يامولاى الى التدليل على انى لم أقصد من وراء استقالتى احراجا بل علاجا ؟ فما من دليل أبلغ فى ذلك وأقطع من انى ما كنت أختلى به فى أية مرة من هذه المرات وأصر على فكرة الاستقالة منه والانفصال عنه ، حتى كانت تأخذنى ذكرياتى ، فتخنقنى عبراتى ، فأبكى ويبكى ، ثم يعدنى باصلاح الحال فاعدل عن فكرة الاستقالة ·· ثم نفترق متوادين ، متعاهدين ، ولكن الى حين ! ··

أجل ، الى حين يتسنى للعوامل التى كانت تكتنفه ، وتستهدفه . أن تفعل فعلها فيه ، فاذا بالرجل يتبدل ، واذا بالعزيمة تتخاذل فتتضاءل ، واذا باللاحق التالى شر من السابق الأول ·

اجل ، الى حين يجدون المستحل للمستغل ‥ فالثراء اللين الهين فى متناول اليد ولا يحتاج الا لرخصة من وزير المال ، ليدخل فى الرزق الحلال ! ‥ والوظائف الضخمة الدسمة ليس بينها وبين ذوى الحظوة ، الا خطوة ، فاذا ما مهد لها الطريق أيضا مع وزير المال ، أصبح الاستثناء هو القاعدة ، وفتح باب الرحمة لذوى الأرحام والهمم القاعدة ‥ وبهذا يكون الاستثناء فى منطق الوزارة هو الحلال عين الحلال ، وان يكن فى منطق القانون هو أبغض الحلال !!

لذلك لم يدخروا وسيلة أو حيلة فى سبيل استرضاء وزير المالية بكل وسائل الاسترضاء ، وبالفعل فقد بذلت معى كل وسائل الاكرام والاغراء من الناحيتين الخاصة والعامة على السواء ، وما كان لى ان أشير الى شىء منها لولا أنها تلقى ضوءا على حقيقة الخلاف وتطوراته ، ولولا أن بعض الخادعين أو المخدوعين قد تعمدوا أن يصوروا من الخلاف صورة شوهاء لا تشف عن حقيقة ، ولا ينفذ النظر منها الى خبيئة .

ولعلهم وقد أعيتهم الحيلة فى تصوير الخلاف للناس على النحو الذى ترتضيه لهم المصلحة أو الذلة ، أو فى القليل يشفى الغلة ، راحوا يتلمسون له علة خلاف ما يعرفون عن العلة !

فهل يصورون الخلاف على أن مصدره عداء شخصى بين النحاس ومكرم ؟ كلا فمن يصدق مثل هذا العداء المفاجىء من غير ما سبب جدى يدعو الى مجرد الجفاء فما بالك بالعداء بين شخصين صـمدت صداقتهما لمختلف التجاريب وقاومت كل أسباب العداء طوال بضع وعشرين من السنين ، حتى بلغت مبلغ الاخاء .

أم هل يصورونه خروجا على مبدأ من مبادىء الوفد أو خـلافا على نظام الحكم نفسه ؟ كلا فأين هو المبدأ المختلف عليه ؟ وكيف يخرج على الوفد من ادخل الناس فيه وكانت له اليد الطولى فى اختيـار وتأييد الزعامة عليه ؟ .

اذن فليصوروه تنازعا شخصيا على السلطة فى الحـكم — ومادام الخلاف قد وقع بين الاثنين وهما فى الحكم فلعل فى مظهر الأمر ما يغنى عن نبش الحقائق ، والتحرى الدقيق للدقائق ! ‥

هذا ما صوروه للناس للتضليل ، وقليل من الناس من لا يصل اليه ، أو يسهل عليه ، التضليل !!

ولكن هل أنا حقا قد جردت من كل سلطان — أو بعض السلطان — فى الوزارة الأخيرة فلهذا غضبت وحنقت ؟ ‥

ولعل الرد البسيط على هذه السخافة انى اذا كنت قد غضبت لنفسى أو لسلطتى لخرجت من الوزارة أو أصررت على خروجى منها فى كل مرة أتيحت لى فيها الاستقالة وقدمتها فعلا ٠٠ أو لخرجت من الوزارة بعد تعيين وزير آخر للتموين احتجاجا على انتقاص سلطتى ! ٠٠ وعلى البواعث المخزية التى دعت الى هذا التعيين ، وسيأتى تفصيلها ٠٠ ولكن الأمر كان على النقيض من ذلك ، فقد ثبت للناس من الوثائق الرسمية أن النحاس باشا هو الذى أخرجنى من الوزارة بعد ان ارتضيت العدول عن الاستقالة عقب أزمة الاستثناءات وقبلت البقاء فى الوزارة طوعا للرغبة السامية التى بدت من جلالتكم للتوفيق بينه وبينى ، ولكنه رفض وأصر على رفضه ، فهو اذن الذى غضب لنفسه لا أنا ، وهو الذى أراد ان يتخلص منى ليخلو له الجو فيستغل الحكم كما يشاء أو يرخص كما يشاء ، ويستثنى كما يشاء ـ الا أن يشاء الله غير ما يشاء ! ٠

هذا هو المنطق الحق ، وللمنطق دلالته وحكمه ٠

ولكنى لا أقنع به وحده ، وللوقائع منطق يكون أسمع قيلا ، وأقطع دليلا ، من كل منطق نظرى ٠

وحسبى للتدليل على أن النحاس باشا أولانى عند تشكيل وزارته الأخيرة سلطة أوسع من أية سلطة لى فى أية وزارة سابقة أن أذكر الوقائع الآتية :

١ ـ عهد الى بوزارتى المالية والتموين وهما محور الوزارة ونقطة ارتكازها فى أى وقت ، ومن باب أولى فى الوقت الحاضر والحرب ناشبة على الأبواب ٠

٢ ـ كنت مستشاره فى اختيار أشخاص الوزراء ، حتى انى اعترضت ـ لأسباب لا تمس شخصه ـ على ادخال نسيب له فى الوزارة ـ هو حضرة صاحب المعالى الدكتور عبد الواحد الوكيل بك ـ فقبل منى اعتراضى وسلم بوجاهته ٠

٣ ـ كنت أنا الذى أشرت وألححت بوجوب الحصول على خطاب من سعادة السفير البريطانى كشرط أساسى لقبول تشكيل الوزارة احتفاظا بكرامة العرش المصرى والاستقلال المصرى ، وأراد النحاس باشا تأخير هذا المسعى الى ما بعد تمام التشكيل فرفضت دخول الوزارة اذا لم يصدر التصريح البريطانى أولا وقبل كل شىء ، وقد تم ذلك فعلا واشتركت مع موظفين كبيرين من السفارة فى تحرير الخطابين الرسميين المتبادلين بين الحكومتين ، وحضر اجتماعنا رفعة النحاس باشا وأحد حضرات الوزراء ٠

٤ ـ الححت في وجوب حظر المحسوبية والاستثناءات حظرا تاما حتى لا يعود الناس فيأخذوا علينا ما كان محل نقد ومؤاخذة فى سنة ١٩٣٧ ، وأصررت على أن نضمن خطاب تشكيل الوزارة عهدا صريحا منا بمنع الاستثناءات ، وفعلا قطعنا على أنفسنا هذا العهد الرسمى فى وثيقة تشكيل الوزارة التى رفعت الى مقامكم السامى ، فنصت على أن الوزارة تيسيرا لعوامل الطمأنينة والعدل والمساواة ستعمل من غير ما ميل أو محاباة أو محسوبية أو مراعاة للوجوه الا وجه ربك ذى الجلال .

٥ ـ عهد الى لجنة من الوزراء وضع خطاب تشكيل الوزارة الذى تضمن برنامجها ، فكان من نصيبى وضع هذا الخطاب وتحريره .

٦ ـ عهد الى النحاس باشا الاشراف على قسم الصحافة فى وزارة الداخلية وارشاد الرقيب الى سياسة الوزارة العامة وانتداب بعض المساعدين له .

٧ ـ وضعت سياسة التموين على اختلاف فروعه ومواده ، واقترحنها على مجلس الوزراء فأقرنى عليها ـ ثم أنشأت مجلس التموين الاستشارى وأعدت تكوين اللجنة المشتركة فضممت اليها ممثلى أمريكا وجنوب أفريقيا وحكومة السودان ، وكنت أتصل بالسفير البريطانى مباشرة فى هذه الشؤون ـ وكان من عملى أيضا وضع السياسة المالية للدولة كما جاءت فى خطاب الميزانية وعرض المشروعات الهامة التى تضمنها على مجلس الوزراء ، وتوجت جهوداتى المتواضعة فى هذا الصدد بأن أتيح لى الشرف الأسمى بأن أعرض شؤون وزارتى المالية والتموين على جلالتكم فلقيت من حدب جلالتكم وتشجيعكم الكريم ما شد من أزرى ، وأعاننى على أمرى ، وأطلق لسانى بالشكر والدعاء وكان النحاس باشا على علم واطلاع بكل خطواتى فى هذا السبيل .

فأين أين يامولاى ما زعمه النحاس باشا أو زعموه له من الحد من سلطتى ، وقد كدت أنوء بما حملنى اياه من أعباء ومسئوليات لا يدخل بعضها فى حدود مهمتى .

★★★

الى أن يقول مكرم عبيد باشا :

كلا ، بل كان جونا صفاء لايشوبه كدر ، وثقة لا يعدوها حذر ، الى أن نزغ شيطان المال بيننا فشاء وقدر !

ذلك اننا لم نكد نستهل عهدنا فى الحكم متصافين ، متضامنين ، حتى بدا لأهل النحاس باشا وأنسبائه أن يغتنموها فرصة لطلب الثراء ، على يدى صديق النحاس فى الضراء فكيف بالسراء ..

فجاءنى بعض هؤلاء الأنسباء يطلبون لأنفسهم بالاشتراك مع ألصق الناس بالنحاس باشا الاذن بتصدير كميـــة هائلة من الزيت والجلود يكسبون من وراء تصديرها أكثر من نصف مليون من الجنيهات ، وأيد النحاس باشا نفسه هذا الطلب وألح فيه ، ولكننى انتهيت بعد بحث الى رفض الترخيص لهم بالتصدير بل والغاء الرخص القائمة التى منحت فى عهد سابق لمعامل الزيت وتجاره ـ ثم تلت هذه المحاولة محـــاولات أخرى كان النحاس باشا نفسه يشترك فيها محاولا اعطاءهم الســـكر والأرز الخ · من وراء ظهرى ـ ولما كان الخير يبدأ بأهله فلم يشـــأ النحاس باشا أن ينسى شخصه منفردا ، كما لم ينسه مزدوجا ، فذهب يسعى مسعى موفور الثمر ـ وان يك غير مشكور الأثر ـ لاستدرار الخير الوفير من وقفى عبد العال والبدراوى بسمنود منتفعاً من التنظر عليهما رغم لفت نظره الى ما يصح وما لا يصح صدوره من رئيس حكومة فى مثل هذه الشؤون ـ واقترنت هذه المساعى جميعها بمسعى خطير آخر هو محاولة منعى من السير فى تحقيق جنحة تهريب الغزل ضد بعض أنسبائه وكان قد بدأ التحقيق فيها قبل وزارتنا ـ كل هذه الأسباب متلاصقة متلاحقة ، وغيرها مما أريد به أن يسعف المال ـ وقد أسعف الحال ـ اثارت الخلاف بيننا ونفخت فيه ·

حينئذ ، وحينئذ فقط ، بدأ النحاس باشا وأهله يقلبون ظهر المجن للصديق القديم ، الذى أراد للحكم ولهم خيرا ، ولو أننا فيما يظهر قد اختلفنا حتى على معنى الخير ، فقد فهموه شخصيا ماديا ، وفهمته وطنيا معنويا ·

حينئذ بدأ الشيطان يوسوس فى صدره أن انظر الى مكرم يمنع عن أهلك الخير ، ويمنع عنك حتى ســـمعة الخير ·· ، فلم يكتف بمنع خيرات التموين عن الأهل والأقربين ، بل راحت الجرائد تلهج باســـمه فى حماسة ، ولو فى غير كياســـة ، انه هو الذى انقذ البلد من المجاعة وضمن لها المؤونة والتموين ·

حينئذ ، وحينئذ فقط ، نبتت فكرة الدس فى الصحافة ضدى ـ ثم تلتها فكرة التخلص منى كوزير للتموين ـ وأخيرا لما لم يفلح ضدى الدس ، أو يثمر معى الدرس ، استقر الرأى على اخراجى من الوزارة أصلا ·· ولكن الناس لم يقيموا وزنا لما قال أو فعل النحاس ـ اذ لم يعد هو النحاس ـ فراح الوفديون شبانا وشيبا يهتفون لمكرم النزيه ! ·

يا للشعب ما أصفى نفسه ، وأدق حسه ، فقد ألهمته غريزته الى أسباب الخلاف فجمعها فى كلمة واحدة « مكرم النزيه » ·· ولما كانت

النزاهة فى وقت ما وقفا على رئيس الوفد ‥ فليفصـــل اذن مكرم من الوفد سكرتيرا ، ثم عضوا ، وليمح اسمه ورسمه من الصحافة ، والبرلمان؛ ومن أذهان العباد ، بل ومن تاريخ الجهاد ! ‥

ولم لا ؟ أليس النحاس باشا حاكما عسكريا عاما ، يأمر فيفزع منه البشر ، أو فيفزع اليه القدر ! ٠

وفيما يلى يامولاى بيان موجز لتلك المراحل التى مرت بها عقلية النحاس ومن الى النحاس ــ حينما بدأوا يتنمرون لى ، ويأتمرون ضدى ، لاستمساكى بنزاهة الحكم :

بدأت مرحلة الانقلاب الأولى فى الصحافة ، وعلى الصحافة ‥ فان الصحافة كانت تعنى اذ ذاك ــ كما تعنى الآن ــ بشؤون التموين فتنشر الشىء الكثير عن الاجراءات التى اتخذها أو سيتخذها وزير التموين ازاء المهربين أو المختزنين أو لتوفير مؤونة الشعب ولباسه ، ولكن هذا النشر الطبيعى عن وزارة هى أولا وقبل كل شىء وزارة للجمهور لم يرق فى أعين الأهل والانسباء الذين منع عنهـم وزير التموين خيرات التموين ، وصفقات التموين ، ولم يكتف بذلك بل راح يحقق معهـم فى مخالفاتهم ضد التموين ٠

وكانت اليد التى غللتها عن اقتناص المال هى هى التى امتدت أولا بالدس ضدى كوزير للتموين والمال ‥ فاســـتدعى بعض الصحافيين الوفديين الى الباخرة محاسن واتصل بالبعض الآخر وصدرت اليهم جميعا الأوامر مشددة بأن لا يكتبوا مقالات أو أخبارا تنطوى على الاشادة بوزير التموين أو الثناء على جهوده ، وأن لاتبرز أحاديثه ، وأن لا يشار اليه كمجاهد كبير أو صغير !

انزعج أصـــحاب الصحف الوفدية ومحرروها لهذا التطور الخطير والمفاجىء ــ ولم يكن أحد منهم حتى ذلك الحين يعلم بما هنالك من علل ومعللات ــ فافضوا الى بمخاوفهم على وحدة الوفد وروابط الصداقة التى لم يفصم الزمن عراها بين رئيس الوفد وسكرتيره العام ، وكان المساكين يحاولون التوفيق ما استطاعوا بين الأوامر الجديدة والتقاليد القديمة ‥ ومن طريف ما يذكر فى هذا الصدد أن وزارة المالية كانت قد أرسلت الى الصحف بيانا عنوانه : (بيان رسمى من وزارة المالية) يشير الى رفع سعر قصب السكر لمصلحة المزارعين ، فنشرت جريدة المصرى البيان فى مكان متواضع من الجريدة تحت عنوان : « بيان من المجلس الاستشارى للسكر » ثم نشرت البيان بحروفه كما ورد لها وفى مستهله : « جاءنا

من وزارة المالية ما يلى » ٠٠ وهكذا وفقت المسكينة ما أمكن التوفيق بين العنوان والبيان ، وبين الوقيعة والواقع !

وكان من بين الكتاب الوفديين الذين أبت وفديتهم ، ورجولتهم ، أن يطيعوا الأوامر الصادرة ضد سكرتير الوفد حضرتا الأستاذين محمد جلال الحمامصى فى « المصرى » وأحمد قاسم جوده فى « الوفد المصرى » ، وقد لقى كل منهما الجزاء وفاقا باخراجه من البرلمان ! ٠٠ وكان اخراجا له مظهره الفاضح ، وثمنه الفادح ، ودفع الثمن كله أو جله رئيس الحكومة شخصيا وبالذات ــ اذ بذل المسكين نفسه فى ذلك اليوم وأيما بذل ، فى سبيل الظفر بجعل وأيما جعل ! ــ هو أن يحمل الى بيته رأسى قاسم وجلال على طبق ٠٠ حتى ولو ظل قابعا فى البرلمان الى ما بعد منتصف الليل ، فاطبق الظلام وانطبق ! ٠

وفى ذات يوم جاءنى حضرة الأستاذ محمود أبو الفتح « صاحب المصرى » وقال لى انه بات طوال ليله قلقا مما حدث له ، وقص على ما دار بينه وبين أهل النحاس باشا من حديث لا أرى من اللياقة ذكره ، ثم استطرد الى ما جرى له مع النحاس باشا نفسه بعد ذلك ، فقال ان رفعته أرسل يطلبه الى ميناهاوس وأمره بأن لا ينشر أى خبر عن أى وزير من الوزراء فى العامود الذى تنشر فيه استقبالات « الرئيس الجليل » ولا فى العامود المجاور له ، بحيث لا ينشر تحت « الرئيس الجليل » ولا فى جواره أية اشارة الى وزير من الوزراء ! ٠٠

وكانت الحكمة من هذا الأمر الجديد غير خافية عليه ولا على ؛ فان الجرائد الوفدية كانت تنشر بين حين وآخر أخبارا عنى تحت عنوان « المجاهد الكبير » فى عامود مجاور ، فأراد النحاس باشا أو أريد له أن يمنع هذا التقليد الشكلى الذى جرت عليه الجرائد سنوات عديدات ، فاطلق المنع وعممه على الوزراء جميعا حتى لا ينفضح ما كان مفضوحا من غرض ، ومن مرض ! ٠٠

وفعلا نفذت الأوامر بدقة متناهية ، فمنذ ذلك الوقت حتى خروجى من الوزارة لم يكتب خبر ما عن وزير ما فى هذين العامودين المقدسين ، لا بجوار « الرئيس الجليل » ولا تحته ، رغم أن التشريفات الملكية نفسها بما لها من مقام سام كانت ولا تزال تنشر على رأس عامود ثم يليها أو يجاورها أى خبر عن عباد الله الوزراء أو المستوزرين ، أو غيرهم من أفراد الشعب الأمين ٠

وما كان المجال ليتسع يامولاى للاسترسال فى تحليل هذه العقلية الجديدة التافهة وما ترتب عليها من امثلة تافهة كالتى ذكرتها ، لولا أن

هذا التحليل النفسانى يفسر الكثير مما خفى عن الناس وما يعانيه الشعب من آثار حكمه ، فقد اقتنع الرجل ـ أو أقنعه المحيطون به ـ أنه قد أصبح الحاكم بأمره وأن حلفاءنا الانجليز يؤيدونه فى هذه المرة لشخصه كمصطفى النحاس ـ لا كرئيس لهيئة سياسية أو حكومية ـ وقد صرح هو بذلك كما رأينا فى احدى الولائم التى أقامها له بعض الشيوخ والنواب الوفديين ـ فلم يكن بد اذن من أن ينتفع هو وأهله من هذه الفرصة الذهبية التى قد لا تسنح فيما بقى من العمر ـ والدوام لله ـ ولم يكن من بين أنصاره رجل يخشى الخاشون مقاولته ونفوذه الشخصى والسياسى عليه الا مكرما ، فحاولوا استرضائى المرة بعد المرة فرفضت •

ماذا ؟ هل يأتى مكرم ويتكبر ، ويمنع عنا وعنك جنة الدنيا وقد أعطيت الكوثر ، وأنت أنت الزعيم الأكبر ! •• من هنا ومن هنا فقط تولدت فى صاحب الرفعة عقلية مزدوجة عقلية الارتفاع ، وعقلية الانتفاع !!!

أما الانتفاع فقد أشرت اليه اشارة موجزة فى هذا التمهيد •

أما الارتفاع ـ ولو فى غير رفعة ـ فهو الذى ذكرت بعض الأمثلة عليه فيما تقدم ، وهو الذى يلمحه الناس مما تنشره الصحف لوزرائه من أحاديث فى هذه الأيام ، فما من واحد منهم يجرؤ أن يتكلم عن شأن من شؤون وزارته ، مهما تكن تفاهته ، الا ويقدم له بمقدمة فحواها أنه لم يفكر أى تفكير ، ولم يدبر أى تدبير الا بناء على تعليمات الرئيس الجليل ، أو ارشاده ، ويذهب البعض فى الملق الصغير الى حد القول بأنها أوامر صدرت من رئيس الوزارة الى معالى الوزير •

وكان السم قد سرى الى نفس النحاس باشا قبل خروجى من الوزارة ، وحسبنى أن أضرب على ذلك مثلا من أمثلة كثيرة لا يتسع لها المقام •• فقد حدث أننى قابلت سعادة السفير البريطانى وتحدثت معه بحضور مستشاره الاقتصادى فى شؤون التموين وما نرجوه من معاونة الحليفة فى نقل المواد الضرورية ـ الغذائية والزراعية ـ الى مصر عن طريق البحار فوعدنى جنابه خيرا ، واتفق أن أقيمت فى مساء ذلك اليوم وليمة فى وزارة الخارجية حضرها سعادة السفير ، فلما لمحته واقفا مع النحاس باشا ذهبت اليهما وقلت للنحاس باشا أرجوك يا باشا أن تشكر المستر مايلز فقد وعد أن يبذل كل جهده معنا فى شئون التموين وبدأ السفير يرد على التحية بما تقتضيه المجاملة فاذا بالنحاس باشا يسحبنى من يدى الى ركن من أركان الغرفة قبل أن ينتهى السفير من كلامه •• وقال لى وعلائم الخجل مرتسمة على وجهه أرجوك يا مكرم ألا تنسى ذكر اسمى

فيما تنشره الصحف عن هذه المقابلة فأجبته وأنا أشد منه خجلا ـ وكان خجلى له علم الله لا لنفسى ـ وقلت له كن مطمئنا ياباشا فما أنا بحاجة الى تذكيرى بالاشادة بذكرك وأنت تعلم والناس يعلمون أنى لا أترك فرصة تمر من غير أن أشيد بفضلك ٠٠ وهذا فعلا ما كان !

هذا وغيره من قبيله يفسر بعض التفسير ذلك الموقف المضحك المبكى الذى وقفه فى البرلمان ـ من غير ما مناسبة ـ صارخا بأعلى صوته « أنا وحدى دون أى وزير آخر كنت المسئول عن شئون التموين » !!

ولعل أبلغ وأقطع دليل على حقيقة الخلاف بينى وبينه هو تعيين وزير تموين جديد ـ وتعديل الوزارة تبعا لذلك ـ وما أحاط هذا التعيين من ملابسات ، ومساومات ، واقدام واحجام ، وتوسل وزجر ، وكر وفر ٠٠٠

وذلك أن الدس فى الصحافة لم يشف لهم غليلا ، ولم يغن عن رخص التصدير فتيلا ٠٠٠ ووزير التموين ما زال العقبة الكؤود فى تمويل الأهل والأنسباء ٠٠٠ فما من سبيل لاتقاء شره الا بالاقصاء ، بعد أن عجز عن جلب خيره كل تهديد وكل اغراء ٠٠٠

وأن مولاى ليذكر أن الوزارة أعلنت فى خطاب تشكيلها ـ كجزء من برنامجها ـ أنها ترى لأسباب تمت الى المصلحة العامة الغاء الوزارات الثلاثة ـ التموين ، والشئون الاجتماعية والوقاية ـ واسناد أعمال هذه الوزارات الى الوزراء القائمين ـ التموين لوزير المالية ، والوقاية لوزير الأشغال ، والشئون الاجتماعية لوزير الصحة ٠

كان هذا فى ٦ فبراير ، فى خطاب تشكيل الوزارة المرفوع الى سدتكم العلية ٠

ولكن ما كاد يمضى شهر وبعض الشهر حتى أعلن النحاس باشا فى خطاب العرش بتاريخ ٣٠ مارس أن الوزارة ترى لازدياد التبعات اعادة الوزارات الثلاث الملغاة !

كانت دهشة ، وكانت همهمة ، بين النواب والشيوخ الذين فوجئوا بهذا الانقلاب من النقيض الى النقيض ٠٠٠ ترى ما الذى جعل الأسود أبيض ، والأبيض أسود ، فى نظر الوزارة نفسها وفى الظروف نفسها ، فجعلها تعيد اليوم ما فاخرت بالغائه بالأمس ! ٠٠٠

هل زادت التبعات فعجز الوزراء الثلاثة عن مواجهتها ، كل فى وزارته ؟؟

من سوء حظ النحاس باشا ، كان الأمر على عكس هذه الدعوى ، وباعترافه هو نفسه ٠٠٠

ففي التموين ، كان التوفيق فيه قد بلغ أوجه في ذلك الوقت ، ووقف النحاس باشا في خطاب العرش يشيد بأعمال الوزارة في التموين ، وكيف انها أنقذت البلاد من المجاعة ـ وكان الوزير القائم بشئون التموين عند القاء خطاب العرش لا يزال هو مكرم عبيد ... وكان الثناء عاما بين الناس وفي الصحافة على جهوده ـ بل كان الشرف الأعظم أن حظى بعطف المليك وتقديره السامى لجهوده المتواضعة في التموين بالذات ـ فما الذى دعا اذن الى تغيير وزير كسب كل هذه الخبرة وحظى بكل هذا التوفيق ؟؟ لا شك أن الذى دعا الى التغيير هو شيء غير مصلحة التموين ... فلنفتش عن ... السبب !!

والوقاية ؟ لم تحدث قبل خطاب العرش غارات تستحق الذكر ـ بل كادت تكون منقطعة لسوء حظ النحاس باشا ـ نعم لسوء حظه هو ولحسن حظ البلد ، لأنه لو تصادف حصول غارات شديدة في ذلك الوقت لغطت موقفه وبررت دعواه أن التبعات قد ازدادت ، في حين أنها نقصت بفضل الظروف نفسها ...

وكذلك الحال فيما يختص بوزارة الشئون الاجتماعية ، فلا تبعات ولا يحزنون !

اذن ، اذن ، لم يكن الغرض من هذا الانقلاب المفاجيء الا شيئا واحدا ، هو التخلص من مكرم عبيد وزيرا للتموين ، لأنه كان مستمرا في التحقيق ضد الأنسباء الكرام في تهمة تهريب الغزل رغم الرجاء والاستعطاف حينا والتهديد حينا آخر ولأنه وقف في وجه صفقات التموين التي أريد عقدها لاشباع الشبعانين من قوت الشعب المسكين .

ولو انى في حاجة الى دليل آخر غير ما قدمت ، ففيما يلى الدليل القاطع ، الجامع المانع ...

عاد النحاس باشا بعد خطاب العرش بأيام فأعلننا في مجلس الوزراء انه يرى انتداب الوزراء الأصليين للوزارات الثلاثة ، عثمان محرم للوقاية ، وعبد الفتاح الطويل للشئون ، ومكرم عبيد للتموين ... فقرر ذلك مجلس الوزراء وأعلن في الصحف ..

ماذا جرى اذن لدعوى ازدياد التبعات ؟ ... ولماذا الاعادة بعد الالغاء ، ثم الاكتفاء بالانتدابات ؟ .. لماذا كل هذا الكر والفر ، ولماذا الالغاء ، فالابقاء ، فالعود الى اجراء هو في حكم الالغاء ؟؟

ثم لو أن الأمر كان متعلقا بمصلحة البلد ـ وبمصلحة التموين والوقاية والشئون ـ فلماذا ظللنا منتدبين للوزارات الثلاثة منذ أواخر مارس الى

النصف الأخير من مايو – أى قرابة الشهرين ... وشئون التموين لا يصح الانتظار عليها يومين فما بالك بشهرين !

كلا ، لم يكن للمصلحة العامة أى شأن بعيد أو قريب فى مسألة تغيير وزير التموين ، بل كانت المصلحة الخاصة هى الهدف الأول والأخير ، وكانت المساومات معى هى العلة الوحيدة فى الاقدام والاحجام ، والتقديم والتأخير ...

ولهذه المساومات قصة طويلة تتعلق برخص التصدير وبجنحة الغزل وسأذكر هذه التفصيلات فى حينها منعا للتكرار ، وحسبى الآن أن أقول ان النحاس باشا نظرا لموقفى من أهله فى هذه المسائل جاءنا فى أواخر مارس قبل اجتماع مجلس الوزراء وأعلننا أنه عرض على جلالتكم أمر اعادة الوزارات الثلاثة فتفضلتم بالموافقة ، فكانت قنبلة ألقاها على غير انتظار ومن غير مقدمات ، واعترض وزير العدل متسائلا لماذا لم يؤخذ رأى مجلس الوزراء فى مســألة أقرها مجلس الوزراء من قبل ، وانضم اليه الوزراء الحاضرون ، وكان الخلاف بينى وبين النحاس باشا معروفا لبعضهم فأدركوا الغرض من هذه الحركة المفاجئة ، أما أنا فاكتفيت بتسجيل احتجاجى على هذا التصرف فى شكله وفى موضوعه لان فيه اعتداء على اختصاص مجلس الوزراء واعتداء مقصودا على وزير التموين بالذات للتخلص منه للأغراض المعروفة فأجاب النحاس باشا : « أنت مش موافق ونحن موافقون » وأمر السكرتير العام بالبدء فى جدول أعمال المجلس ...

« نحن موافقون » – ألقى النحاس باشا هذه العبارة فى وجه وزرائه فى الوقت الذى كانوا فيه يعترضون ! ...

لم يسعنى ازاء ذلك الا أن أقدم استقالتى ، وتضامن معى فى الاستقالة وزير المعارف اذا لم يعدل النحاس باشا عن هذا القرار ، وقال معاليه لى ان النحاس باشا لم يكتف بذلك بل عندما توسط الوزراء لديه منعا للأزمة وكان هو منهم صاح فى وجههم « اللى مش عايز منكم يتفضل يطلع من الوزارة » .. وانه لا يرتضى لنفسه هذه الاهانة ...

لم يسع النحاس باشا الا الخضوع ، خشية الفضيحة ، فجاءنى بعض الوزراء كما جاءنى أمين عثمــان باشا وأخبرونى انه قرر انتداب الوزراء الثلاثة لوزاراتهم ، وانتهى الأمر فى الظاهر .

أما فى الخفاء فكان شيئا آخر ... فقد اجتمعت بالنحــاس باشا وأهله فى وليمة غذاء أقامها لنا صديق للطرفين .. وبعد الغذاء خلونا للتفاهم وقيل الى بصراحة أثناء التعاتب أن السبب فى محاولة تغيير وزير التموين هو اصرارى على تقديم حضرات الأنسباء للمحاكمة فقلت الى انما

أحقق القضيه بواسطة الرجال الفنيين وانى سأنظر الى المسألة كقاض لا كممثل للاتهام فاذا تبينت البراءة حفظتها ، أو الادانة قدمتها ، وسمحت للمحامين عن الأنسباء ــ وكان أحدهم زميلى وصديقى الأستاذ فريد زعلوك ــ بتقديم المذكرات والحضور فى التحقيق ٠

سكنت مخاوف الخائفين قليلا بناء على هذا التوكيد منى ، وقيل لى فى اجتماع النعانب هذا انى « عبيط » وأن وزير المعارف الذى تضامن معى قد ذهب واعتذر وانه قد انضم اليهم هو والوزراء جميعا الذين يدعون أنهم أصدقائى ٠

فكان ردى بسيطا ، انى اذا فقدت صداقه النحاس فى سبيل ارضاء ضميرى ٠ فلا يهمنى بعد ذلك أية صداقة أخرى ٠

تلطف الجو بعد ذلك بين النحاس باشا وبينى فى انتظار تصرفى النهائى فى جنحة الغزل ٠

وفى هذه الفترة عاد النحاس باشا وأهله يسترضوننى بكل وسائل الاسترضاء والمجاملات الخاصة والعامة فحمدت الله على عودة الصفاء ، بل وعملت على توثيقه ، راجيا أن لا تتكرر المحنة ولا تكرر أسبابها ولعل الناس يذكرون ما نشرته الصحف فى حينه كيف وقف النحاس باشا فى البرلمان يحبينى بكلتا يديه ويهنينى على خطاب الميزانية تهنئة حارة ٠

وكذلك فى هذه الفترة عاد يستشيرنى حتى فى شئون وزارته الخاصة فكنت أنا الذى أشرت بتعيين المحافظ الحالى للاسكندرية عندما استشارنى فى الأمر بينى وبينه ، وكذلك كلفنى بشئون أخرى خاصة بوزارة الداخلية ، وكنت كذلك مطلق اليد فى عمل وزارتى المالية والتموين، فما من أمر يعرض على مجلس الوزراء أو على رفعته كحاكم عسكرى الا ويقر فى عينه ٠

أين اذن وعلى أى أساس بنيت تلك الخرافة التى أذاعها النحاس باشا بعد خروجى من الوزارة لكى يبرر ما لا سبيل الى تبريره ٠٠٠ وهى انى غضبت للانتقاص من سلطتى ، فى حين انى منذ تكوين الوزارة ــ وحتى بعد ظهور الخلاف بيننا فى العمل ــ بل وبسبب هذا الخلاف نفسه ــ كنت على الدوام محل استرضاء وثقة وثناء ٠٠ لانى كنت محل الرجاء !

ولكن الرجاء عاد فانقطع ٠٠٠ لأن الداء عاد فرجع ! ٠٠٠

ذلك أن التحقيق أثبت ادانة الأنسباء ، وفتشت مخازنهم فى القاهرة وفى الاسكندرية فلم يوجد بها الغزل الذى ادعوا أنهم خزنوه ولم يهربوه !٠٠

عندئذ عاد النحاس باشا المسكين يفكر فى اخراجى من وزارة التموين قبل ضياع الوقت ··· وكان أول خبر وصلنى عن هذه النية نقلا عن أحد الأنسباء المقربين جدا الذى صاح فى وجه موظفى التموين ان النحاس باشا سيخرجنى من وزارة التموين ، ولذلك فانه عندما ذهب المفتش المنتدب ليفتش مخزن الاسكندرية قيل له ان المفتاح مع الأستاذ أحمد الوكيل فى مصر ··· وانهم يطلبون مهلة لاستحضار المفتاح منه ! ··· ولعلها أول حادثة من نوعها فى تاريخ التجارة حديثا وقديما ، أن يكون لمعمل فرع فى بلد أخرى كالاسكندرية ومخزن للبضاعة ولا يكون المفتاح مع رئيس الفرع ولا مع المخزنجى بل مع مدير المعمل فى القاهرة ···

أحس المحقق هذا التلاعب وأثبته فى تقريره (ونص التقرير مرفق مع هذا لاطلاع جلالتكم عليه) فأصدرت أمرى بكسر المخزن عنوة ، فلما كسروه لم يجدوا فيه البضاعة التى ادعوا تخزينها فيه ، بل وجدوه قاعا صفصفا ، كما وجدوا مخزن القاهرة أيضا أفرغ من فؤاد أم موسى ···

لم أجد بدا اذن حيال هذه الأدلة المادية القاطعة ــ وبعد الاطلاع على تقرير موظفى التموين المثبتة للادانة ــ من أن أثبت رأيى بالموافقة على احالة القضية على النيابة العسكرية ــ ولكى لا أتهم بالتعسف أو التعنت أمرت فى الوقت نفسه باحالة الأوراق على حضرة المستشار الملكى لأخذ رأيه ·

وفى اليوم التالى صدر القرار بتعيين الوزراء الجـدد ومنهم وزير التموين ···

ولو انى كما يدعون أردت الاستئثار بالسلطة وغضبت لانتزاعها منى لقدمت استقالتى من الوزارة بناء على هذا التعيين الجديد الذى لم يقصد به الا التخلص من سلطتى ، ولكنى لم أفعل ، واكتفيت بتحذير النحاس باشا من عواقب تعيين وزير جديد للتموين ، لا خبرة له بطبيعة الحال بشئون التموين ــ فى وقت من أشد الأوقات خطرا على التموين وفيه تحتاج البلاد الى كل ذى خبرة ومران ··

ولكن النحاس باشــا والوزراء معه كانوا يقولون انهم يعتمدون على ارشادى للوزير الجديد ، وقال عثمان باشا محرم متحمسا ــ وكنا مجتمعين فى منزله عند البحث فى تعيين الوزراء الجدد : « مكرم باشا يبقى يعلم الوزير الجديد » !!

وهكذا ابتدع فى الفقه الدستورى الجديد منصب « معلم وزير » ··· ولا خطر بل هناك كل الفائدة فى التفريق بين العلم والعمل ، عسى أن يتحقق الأمل ويا له من أمل ! ···

ومن طريف ما يذكر فى هذا الصدد أن معالى على باشا حسين وزير الأوقاف اذ ذاك ـ ولم يكن واقفا على سر الآلهة لأن النحاس باشا كان مبيتا النية على اخراجه ـ تدخل فى أثناء المناقشة واعترض فى صراحة القاضى النزيه على تعيين وزير جديد لا خبرة له بشئون التموين وقال بكل بساطة لماذا نبحث عن وزير جديد للتموين ولدينا مكرم وقد وفقه الله كل التوفيق فى عمله وأصبحت له خبرة واسعة فى العمل فى حين أن تعيين وزير جديد قد يضر بمصلحة التموين ، ولا مانع من الاكتفاء بتعيين وزيرين للوزارتين الأخريين ، ولكن النحاس باشا أجاب قائلا : لابد من تعيين الثلاثة لأنه وعد بالثلاثة !

ثم يشير مكرم عبيد باشا الى أزمة الاستثناءات التى كانت القشة التى قصمت ظهر العلاقة بين النحاس ومكرم ، كما يشير الى الاستجواب الذى تقدم به النائب المحترم فكرى أباظة واصرار النحاس باشا على مناقشته فى ذات الجلســة رغم أن المستجوب طلب بيانا ـ ورغم اكفهرار الجو واقتراب الخطر من الاسكندرية ·

ويذكر مكرم عبيد باشا انه وزملاؤه طلبوا عقد جلسة سرية للهيئة البرلمانية الوفدية يناقش فيها موضوع الاستثناءات وغيره من الموضوعات التى أخذت على الوزارة ولكن النحاس باشا رئيس الوفد رفض عقد الهيئة البرلمانية قائلا : أمامكم طريق الاستجواب فى البرلمان ·

ثم يقول مكرم عبيد باشا عن العريضة التى اعتزم تقديمها وزملاؤه الى البرلمان لمناقشتها :

« لم يكن بد اذن من تقديم العريضة الى البرلمان لمناقشتها ، ولكن حدث قبيل الجلسة المحددة لتقديم العريضة أن اجتمع رئيس مجلس النواب فى غرفته ببعض الوزراء ، ثم افتتحت الجلسة فاذا برئيس الوزراء يقف ويطلب جلسة سرية لالقاء بيان عن الحالة الحربية ، وانعقد المجلس فى جلسة سرية وألقى رئيس الوزراء بيانا واذا برئيس مجلس النواب يفاجئنا بالاعلان من منبر المجلس أن عريضة موقعا عليها من ستة وثلاثين نائبا قد قدمت اليه بطلب المناقشة فى بعض المسائل وانه بهذه المناسبة يعرضها على المجلس ويتلوها عليه ··· وبعد تلاوتها لفت سعادته نظر المجلس الى ما له من حق فى مناقشة العريضة أو استبعادها وسأل عما اذا كان المجلس يوافق على استبعاد العريضة فوافق الأنصار المتحمسون صائحين ، رغم احتجاجنا بمخالفة هذا التصرف الغريب لأحكام الدستور واللائحة ··· فكان احتجاج ، وكان لجاج ، ولكن لم تكن هناك مناقشة بل استبعدت كل مناقشة ، وفقا للتقاليد النيابية الحديثة التى ابتدعها مصطفى النحاس ومن الى مصطفى النحاس ، لحماية مصطفى النحاس !!

خرجنا من هذه الجلسة السرية وقد كسب النحاس باشا المعركة ، فالعريضة قدمت فى السر ، وتليت فى السر ، واستبعدت فى السر . وكان الله بالسر عليم » ...

بقى اجراء آخر ، هو أن يفصل مكرم من الوفد من غير مناقشة أيضا ... ورغم أنى وزميلى المحترم راغب بك حنا طلبنا تأجيل الجلسة الى الغد لوفاة قريبة لى ولمرض زميلى ، فان الوفد اجتمع فى تلك الليلة نفسها فى غيبتنا ، ومن غير اخطارنا بالتصميم على الاجتماع ، واتخذ الأعضاء المساكين قرارهم دون أن يسمعونا ، فشرفونا ولم يشرفوا هيئتهم بل ولا مداولاتهم بمظهر المناقشة أو الموازنة بين الطرفين ، ولكن النحاس باشا كسب ولا شك المعركة ، فقد فاز بمنع ممثل الاتهام من الادلاء بأسباب التهمة وأسانيدها ، ولو بين أربع جدران ، اذ أن « للحيطان آذان » !!

وكانت مساومة مفضوحة ، ولعبة مكشوفة تلك التى جعلتهم يعلنون فى قرارهم أنهم سينظرون فى أمر النواب الذين وقعوا على العريضة فى جلسة أخرى ... فما بين الجلسة والجلسة تبذل الهمة لانهاء هذه المهمة ! ولقد انتهت ويا للأسف الى خاتمة محزنة توسلوا اليها بوسائل من مثلها ، تدل الدلائل على أصلها ! ...

ومن أروع ما يذكر فى هذا الصدد أن حضرات الشيوخ والنواب الذين ثبتوا معى فى الدفاع عن النزاهة والشرف أرسلوا الى النحاس باشا استقالة مسببة وقعوا بامضاءاتهم احتجاجا على قرار الوفد الذى صدر ضد زميلى وضدى ، وفيما يلى نص هذه الاستقالة :

« حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا

يتشرف الشيوخ والنواب الوفديون الموقعون على هذا بأن يقدموا الى رفعتكم استقالتهم من الهيئة الوفدية التى ترأسونها وذلك احتفاظا منهم بوفديتهم الأصيلة واستمساكا بالمبادىء الوفدية الخالدة التى ساهموا فيها وجاهدوا منذ أن شكل الوفد برئاسة زعيمه الخالد سعد زغلول .

ولقد رأينا من مصلحة الوطن والوفد معا أن نبادر باتخاذ هذه الخطوة بعد أن اقتنعنا بانكم خالفتم مبادىء الوفد السامية فى الحكم وفى الوفد معا بحيث أصبحت حقوق بلادنا وكرامات رجالنا فى خطر داهم لن ينقذها منه الا رحمة الله ودماء المخلصين من أبناء هذا البلد الأمين .

ولقد عاهدنا الله أن نجاهد جهاد البررة الأوفياء لمبدأ الوفد

الأمين لكى تبقى على البقية الباقية من فكرة الوفد السامية التى اذكاها سعد ويحييها اليوم أبناء سعد ٠

وتفضلوا رفعتكم بقبول فائق الاحترام ؟

القاهرة فى ١٢ يوليو سنة ١٩٤٢ ٠٠

السيد سليم نائب البوها ٠ محمد فريد زعلوك نائب سندلا ٠ اسماعيل محمد فواز عضو مجلس الشيوخ ٠ ذكى ميخائيل بشارة عضو مجلس الشيوخ ٠ عبد الله محمد فواز نائب أولاد حمزة ٠ ميشيل رزق عضو مجلس الشيوخ ٠ جلال الدين الحمامصى نائب الصحراء الغربية ٠ الدكتور فهمى سليمان نائب محلة روح ٠ أبو المجد الناظر نائب أرمنت ٠ نجيب ميخائيل بشارة نائب قوص ٠ حسين الهرميل نائب محلة مرحوم ٠ لبيب جريس نائب صنو ٠ محمد عثمان عبد القادر نائب أبو حماد شرقية ٠ ألفريد قسيس نائب مركز المنصورة ٠ أبو الغيث الأعور نائب أبو جرج ٠ مهنى القمص نائب ديروط المحطة ٠ جورج مكرم عبيد نائب أولاد عمرو ٠

وممن كان لهم شرف الفصل فى التوقيع أيضا الشيخ المحترم شارل بك حنا والنواب المحترمون الأستاذ أحمد الألفى عطية وألبرت حياط بك والدكتور اسكندر الجرجاوى والأستاذ مرقس بطرس ٠

ولكن الحكومة الخائفة الواجفة خافت حتى من نشر هذه الاستقالة ، وذهب بها الخوف الى ما هو شر منه ، وهو تشويه الحقيقة وتزييفها فى قرار أصدرته هيئة الوفد التى يرأسها رئيس الوزراء ومن أعضائها أكثر الوزراء ، فقد جاء فيه أن الوفد قد قرر فصل الأعضاء السبعة عشر الذين ذكرت أسماءهم ، دون أن يشير القرار الى هذه الاستقالة بكلمة واحدة ، ودون أن يسمح للصحف بالتنويه عنها ٠

وأشد من ذلك وأدهى أن القرار أشار الى فصلهم بناء على أنهم اتهموا رئيس الوزراء وزملاءه بالتفريط فى حقوق البلاد مع أن من بين هؤلاء الأعضاء بعض حضرات الشيوخ الذين لم يشتركوا فى التوقيع على العريضة التى اشتملت على الاتهام بالتفريط فى حقوق البلاد ، اذ أن هذه العريضة قدمت لمجلس النواب لا لمجلس الشيوخ ٠

وزيادة فى التمويه ، والسبك والحبك ، ذكر القرار أسماء حضرات الأعضاء من غير ألقاب دون أن يشير الى أنهم شيوخ أو نواب !! ٠٠٠

وهكذا إرتضى النحاس باشا لنفسه ولزملائه أن يوهم الناس فى غير حق أن هؤلاء السادة لم يستقيلوا بل فصلوا فصلا وكان فى مقدوره لو توخى الأمانة فى ذكر الوقائع أن يقول ان الوفد قد قبل استقالتهم ٠٠٠ أما أن يقول هو والهيئة التى يرأسها أنهم فصلوا ـ وهم يستقيلون قبل الفصل ـ وانهم جميعا اتهموه بالتفريط مع أن بعضهم أعضاء فى مجلس الشيوخ ولم يتهموه ولم يوقعوا العريضة بهذا الاتهام ـ فهذا هو الزيف بعينه ٠

ويجمل مكرم عبيد ما فصله قائلا :

هذه نظرة عامة الى أسباب الخلاف الوزارى ونتائجه حتى خروجى من الوزارة ومن الهيئة السياسية التى يرأسها رئيس الوزارة ، أما ما تلا ذلك من مساوىء الحكم والعبث بالحريات على اختلاف أنواعها فسيأتى الكلام عنه ٠

ولقد عنيت بذكر أسباب الخلاف وملابساته وتطوراته حتى تكون الحقيقة بأكملها ماثلة أمام نظر جلالتكم السامى فتتبينوا العوامل الظاهرة والخفية التى أدت بالحكم الى سوء المصير ، وانى فيما يتعلق بى لم أكن الا الفريسة الأولى لهذا الانقلاب الخطير ، فلم أكن متجنيا ولا معتديا ، بل ناصحا ومشيرا ـ وكانت الفريسة التالية هى الحكم نفسه وقد ساء مصيرا ٠٠٠

لم أتعجل اذن المعارضة ، كما قال البعض وقد شوهت لديهم الحقائق ٠٠٠٠ بل على العكس فقد كنت متمهلا فوق تحمل ، وحسبى أن أعدد هذه الوقائع فى ايجاز :

فاولا : ظللت فى الوزارة شهورا أنصح وأحذر ، وأرجو وأنذر ، دون أية جدوى ، فتمهلت ثم تمهلت ٠٠٠

وثانيا : قدمت استقالتى بدل المرة ثلاث مرات ، وكنت أقدم ثم أحجم عسى أن يصلح الله الحال ، وتحملت فى هذا السبيل كل دس وكل صغار ، ولكنى تمهلت ثم تمهلت !

ثالثا : حاول رئيس الوزارة اقالتى فحمانى الله منها ، فاستقال وأخرجنى من الوزارة ٠

رابعا : كان من حقى أن أغضب لكرامتى ، ولكنى تمهلت وارتضيت أن لا أدلى ببيان عن أسباب الخلاف أمام الهيئة الوفدية ، وارتضى هو ذلك ، مع الفارق بين المعتدى والمعتدى عليه ٠

خامسا : نقض هو هذا العهد فادلى بأسباب الخلاف أمام الشيوخ والنواب الوفديين مديرية فمديرية ورغم ذلك تمهلت ثم تمهلت .

سادسا : فرض الرقابة الخانقة على الصحف فى كل ما يتعلق بى ، فلا نشر منى أو عنى فى الوقت الذى سمح لجرائده فيه بأن تحبذ موقفه وتشوه موقفى ، فتمهلت ثم تمهلت ...

سابعا : صودرت البرقيات الواردة لى وأحيط منزلى بالجواسيس ، ورقبت حركاتى ومواصلاتى التليفونية ، فتمهلت ثم تمهلت ...

ثامنا : فصلنى من سكرتيرية الوفد ، بقرار صادر منه فى غير اختصاصه وطلبت اليه عرض الأمر على الوفد وهو الهيئة المختصة فرفض ، ورغم ذلك تمهلت ...

تاسعا : تدخل فى أمر ترشيحى لنقابة المحامين ليحاربنى حتى فى شئون مهنتى ، فتمهلت ثم تمهلت ...

عاشرا : منع مجلس النواب من شكرى على خدماتى واعتدى على كرامتى بألفاظ جارحة غير لائقة ، فتمهلت ثم تمهلت ...

حادى عشر : وأكثر من هذا وأشد فانه رغم خطر الحرب واقترابه من داخلية البلاد أصر على الكلام فى استجواب الاستثناءات رغم الحاحنا عليه فى التأجيل ، ولما أن جاء دورى فى الرد عليه فى اليوم التالى وقيل ان الخطر قد تفاقم وأنه لذلك لم يحضر الى المجلس أبت علينا وطنيتنا أن نستغل الظرف الدقيق لمصلحة الاستجواب فارتضينا التأجيل ، وقلبوا التأجيل الى تنويم ، ومع ذلك تمهلنا ثم تمهلنا ...

ثانى عشر : منعنى واخوانى النواب من مناقشة تصرفاته فى الهيئة الوفدية ، وعمل على استبعاد عريضة المناقشة بعد تلاوتها فى جلسة سرية، مخالفا فى ذلك كل قانون وكل عدل ، فتمهلت ثم تمهلت ...

ثالث عشر : فصلنى واخوانى من الهيئة السياسية التى شرفناها فشرفتنا ، وتم هذا الفصل المزرى فى غيبتنا ، دون أن تسمع لنا أقوال ، فتمهلنا ثم تمهلنا ...

رابع عشر : وأخيرا حاربنا حتى فى تكويننا وفى مباشرة حقوقنا النيابية ، بل وفى الاستمتاع بحريتنا الشخصية ، فهل يقول قائل بعد ذلك اننا تعجلنا المعارضة ، أم اننا تمهلنا الى أبعد حدود التمهل ، وتحملنا الأذى والاضطهاد فوق طاقة التحمل ! ...

على العكس يا مولاى ، فاننى لأتهم نفسى باننى تمهلت أكثر مما وجب التمهل ·· ولى فى ذلك عذرى ، أستمده من حنايا صدرى ، فقد غلبنى شعورى على أمرى ···

أليست هى صداقة العمر ؟ ·· أوليست هى ذكريات غالية صحبتنا فى النفى وفى الأسر ، وفى الهزيمة وفى النصر ··· فهل من عجب اذا ما أشفقت وامتد بالاشفاق حبل الصبر ؟

وينبغى بعد ذلك الانتقال الى الحديث عن أهم الموضوعات التى تناولها الكتاب الأسود ، وبالتفصيل ···



الفصل الثانى

استغلال النفوذ للكسب غير المشروع
عن طريق البيع والشراء والتنظر على الأوقاف

أعطى مكرم عبيد باشا اهمية بالغة فى كتابه الأسود للحديث عن استغلال النحاس باشا ـ من وجهة نظره هو ـ وجهة نظر مكرم عبيد باشا ـ واقاربه ووزرائه ، وقد ترددت أكثر من مرة فى ذكر اسماء من شملهم اتهام مكرم عبيد باشا ولكننى وجدت ان الاتهامات بنفسها ونصها واردة فى الصحف وفى مضابط مجلسى النواب والشيوخ فلا تثريب على من ذكرها اذن مادمت قد قرنت الدفاع بالاتهام .

كان فى مقدمة ما قاله مكرم باشا فى هذا الخصوص ان السيدة زينب الوكيل ـ حرم النحاس باشا قد اشترت من حضرة صاحب العزة فؤاد سراج الدين (معالى فؤاد سراج الدين باشا بعدئذ) ١٤ س و ٧ ط و ٨٠ فدانا بناحية دمداش مركز شربين تبع تفتيش بلقاس التابع لمصلحة الأملاك الأميرية ـ مقابل مبلغ ٥١٩ مليم و ٤٢٨٣ جنيها (أى بسعر ٥٣ جنيها تقريبا للفدان الواحد) ـ وقد جاء فى العقد أنه قد دفع من الثمن عند التوقيع على العقد مبلغ ٨٤٠ مليم و ١٤٢٧ جنيها والباقى وقدره ٦٧٩ مليم و ٢٨٥٥ جنيها تتعهد المشترية بسداده الى خزينة مصلحة الاملاك الأميرية رأسا على جملة أقساط سنوية ينتهى آخر قسط منها فى سنة ١٩٥٥ ، ويبلغ معدل القسط السنوى ٢٠٠ جنيها الى ٢٥٠ جنيها .

وقد أعطى هذا العقد تاريخا عرفيا ١٢ يناير سنة ١٩٤٢ وأما تاريخ توقيع العقد رسميا فهو ١٨ مارس سنة ١٩٤٢ ، وقد أثبت فى نهاية العقد التأشيرة الآتية : ـ

« قد تم توقيـــع هذا العقد من حضرة صاحب العزة فؤاد بك سراج الدين البائع وحضرة صاحبة العصمة زينب هانم عبد الواحد الوكيل المشترية المتعــاقدين أمامنا وأمام حضرة أحمد بك الوكيل المقيم بمصر الجديدة ··· وأحمـد أفنــدى زكى المقيم بمصر ··· بصفتهما شاهدين على صحة شخصية المتعاقدين وهذا تصدق منـا بذلك ـ مصر فى يـوم الأربعاء ١٨ مارس سنة ١٩٤٢ بمينا هاوس الساعة الثـانية والنصف بعد الظهر حيث انتقلنا بتصريح من جنـاب رئيس محكمة مصر المختلطة مرفق بدفتر التصديقات » ·

وقد يبدو غريبا يا مولاى هذا الانتقال المفاجىء من صفقة بيع أطيان الى مشروع البر ، ومن الجمع بين مشروع البر والباشـــوية ··· ولكن الغريب فى هذا العهد هو انعدام الغريب !

ذلك أن رفعة النحاس باشا حدثنى فى خلال المدة السابقة على اجراء الانتخابات عن نيته فى القيام بمشروع بر يطلب فيه من الأغنياء التبرع بمبالغ كبيرة وتنتهز هذه الفرصة لالتماس الانعــام عليهم بالباشوية أو الرتب التى يستحقونها ··· ثم تردد لحظة وقال ما معناه انى أريد أن أطلب الباشوية لصديقك فؤاد سراج الدين وذكر لى سـببا لا علاقـة له بصفقة الأطيان التى لم أكن أعلم عنها شيئا أصلا وكانت على ما يظهر محل تكتم شديد ـ ولكننى اعترضت على الفكرة فى ذاتها لأسباب أبديتهــا له وظننت انه اقتنع بها ·

على أثر ذلك نبتت فكرة ـ أو مناورة ـ أخرى ناقشتها هى أيضا على علاتها لانى لم أكن أدرى السر فى هذا التحمس المفاجىء لمصلحة أحد أصدقائى ·

فقبل انعقاد جلسة مجلس الوزراء اقترح أحــد الوزراء ـ وهو عبد الفتاح الطويل باشا ـ على رفعة رئيس الوزراء وباقى الوزراء أن يعين فؤاد بك سراج الدين وكيلا للداخلية بدلا من حمدى محبوب باشا الذى كان فى النية نقله من وظيفته ، وقال معاليه فى تبرير اقتراح تعيينه أن فؤاد بك صديق مكرم وهو يعرفه ويعرف مؤهلاته وانتسابه الى أسرة غنية كبيرة فما كان منى الا أن اعترضت بكل براءة على هــذا التعيين لأسباب مصلحية وفنية رغم صداقتى لفؤاد بك سراج الدين ·

وكان ذلك كله قبل الانتخابات ، وكان من محاسن الصدف أن عقد بيع الأطيان من حضرة فؤاد بك سراج الدين الى صـاحبة العصمة حـرم

رئيس الوزراء تم توقيعه رسميا قبل الانتخابات أيضا ــ أو فى ١٨ مارس على سبيل التحديد ــ وسبق ذلك بطبيعة الحال العقــد الابتدائى الذى أعطوه تاريخا عرفيا قبل التوقيع الرسمى بشهرين ٠

ولــكن الخير فى التــأخير ٠٠٠ فلئن فاتت الفرصتان السابقتان للحصول على الباشوية ووكالة الوزارة ، فلقد سنحت أخرى ــ أسخى وأجدى ــ هى خلو منصب وزير ، بعد انتخاب وزير الزراعة رئيســا لمجلس النواب الجديد ، ولمــا يمض اليوم الأخير من شهر مارس الموعود ، والملىء بالوعود ٠٠٠

بقيت الباشوية ، وقد كان لها دور ، ومع الدور مداورة ، ماهرة ، ماكرة ٠٠٠ فقد التمس النحاس باشا لمناسبة عيد التولية السعيد الانعام بالباشوية على خمس من الوزراء بينهم وزير الزراعة الجديد ، وبنياشين مختلفة على بقية الوزراء ٠٠٠ وكان قد استقر رأيه فى ذلك الوقت بالذات على تعيين الوزراء الجــدد لوزارات التموين والشــؤون الاجتماعيــة والوقاية ٠٠٠ وهنا قامت صعوبة فى وجه النحاس المسكين ٠٠٠ فانه اذا ما عين الوزراء الجدد قبل الانعام بالباشوية على الوزراء الخمسة أصبح وزير الزراعة الجديد معتبرا كواحد من الوزراء الجدد الذين لم يكن من المعقول التماس الانعام عليهم أثر تعيينهم ٠٠٠ فلم يكن بد اذن من التماس الرتب والنياشين والاصرار على هذا الالتماس قبل تعيين الوزراء الجدد ٠٠٠ وفعلا أنعم بالرتب والنياشين فى ١٣ مــايو على الوزراء القائمين ، وفى اليوم التالى (أى فى ١٤ مايو) عين الوزراء الجدد ، فكان السبق للاولين بساعات تبلغ الأربعة فوق العشرين !

وهكذا انفرجت الأزمة ، وكانت شديدة حادة ٠٠٠ فاستطاع النحاس باشا أن يوفق بين القديم والجديد ، وأن يجمع بينهما فى هذا الحــل السعيد ٠٠٠

لقد تشرفت يا مولاى فبينت كيف نبتت فكرة مشروع البر فى ذهن النحاس باشا بمناسبة صفقة الاطيان سالفة الذكر وما كان لها من صلة بفكره الرتب والنياشين والتماس الانعــام بهــا على بعض المقــربين المحظوظين ٠٠٠ ومن ثم فلم يكد يمضى أسبوع على الانعامات السامية فى ١٣ مايو حتى بدأ اسبوع البر فى ١٩ مايو ، وكان قد بقى بعض المحظوظين المقربين من أمثال صبحى افندى الشوربجى والأستاذ توفيق مفرج وغيرهما الذين رؤى من البر بهم التماس الباشوية لهم ، حتى يجمــع البر بين فكرتى الانعــام والنعمة ، تلك للاغنيــاء المحظوظين ، وهــذه للفقراء المساكين ! ٠٠٠

وبهذه المناسبة – والشيء بالشيء يذكر – فقد سبق للنحاس باشا أن عرض على مجلس الوزراء منح الجنسية المصرية لنسيبه صبحي أفندي الشوربجي ، تمهيدا لطلب تعيينه في مجلس الشيوخ :

ويقول مكرم عبيد عن صفقة أخرى بعد الاطلاع على العقد المرفق بالعريضة تبين أن الخواجة اميل نسيم عدس بصفته وصيا لشركة نسيم عدس وأولاده باع الى حرم النحاس باشا ٢٣ س ، ١٨ ط ، و ٧٤ فدانا واقعة بزمام ناحية البركة مركز شبين القناطر وكان ثمن الفدان الواحد ١٢٠ جنيها وكان قد وقع على العقد فى ٨ أكتوبر ١٩٤٢ الساعة الرابعة بعد الظهر بالمنزل رقم ١٠ شارع أحمد باشا بقصر الدوبارة ثم سجل العقد بقلم رهون محكمة مصر الابتدائية المختلطة بتاريخ ١٤ أكتوبر ١٩٤٢ ثم يقول مكرم عبيد باشا : هى من غير شك صفقة رابحة فقد اشترى النحاس باشا (أو حرمه) الفدان بسعر ١٢٠ جنيها فى المرج القريبة من القاهرة فى وقت كان يباع فيه الفدان بمائتين من الجنيهات فى أقصى الصعيد من أرض أقل قيمة وأضعف غلة ... بل ان صبحي أفندي الشوربجي اشترى قبل ذلك ببضعة شهور – أى قبل فترة الرواج الاستثنائى – أرضا مجاورة لها من حضرة صاحب السعادة بهى الدين بركات باشا بسعر الفدان ١٦٠ جنيها وكانت هذه الصفقة تشمل أطيانا أكثر من تلك ويبلغ مقدارها ٢٥٠ فدانا ، مما كان له اثره ولا ريب فى تقدير السعر – هذا فضلا عن ان الأرض التى اشتراها رفعة النحاس باشا لحرمه قد مهدت لها سبل الرى قبل الأخرى .

بل ما لنا نذهب بعيدا ... فان السمسار الذى اشترى الأرض سافر الى فلسطين وعرض على كبير آل عدس سعرا هو ١٤٠ جنيها للفدان وأقنعه بالقبول لاعتبارات لا تخفى ، فلما عاد السمسار الى مصر ظافرا بهذا القبول طمع النحاس باشا فى تخفيض جديد ونجح بعد ضغط جديد فى الحصول على ثمن ١٢٠ جنيها للفدان ! ... وهو سعر عجيب حقا لأن هذه الأرض بالذات سبق ان قدر للفدان الواحد منها ٢٣٥ و ٢٥٠ جنيها .

فما هى الأسباب التى دعت آل عدس وهم من كبار التجار من اخواننا الاسرائيليين الى عقد هذه الصفقة غير الرابحة ؟ ... ولكن هل هى حقا غير رابحة ؟ – هذا هو السؤال ! ...

ويقول مكرم عبيد باشا تحت عنوان (سيارة كوتسيكا) :

لعل الاشارة الى شراء هذه السيارة وما اليها من أدوات الترف أبلغ فى الدلالة على العقلية الجديدة التى حازها النحاس باشا فاستحوذته ، وكسبها فكسبته ... فلقد رأينا

ان معيشة الترف كانت من العوامل التى أدت بالنحاس باشا وأهله الى الرغبة فى الثراء ، فلا عجب أن يؤدى الثراء فى دوره الى الاستزادة من الترف ••• وهكذا دواليك ، فلن تكـــون الحلقة الا مفزعة ، ما دامت الأموال تتوالى سابغة مسبغة !

ولقد كان للنحاس باشا كرئيس للوزراء ووزير للداخلية والخارجية ثلاث سيارات حكومية يستعملها فى شؤونه الحكومية والمنزلية ، ولكنه أبى الا أن يشترى لرئاسة مجلس الوزراء سيارة جديدة فخمة من طراز باكار يبلغ ثمنها الأصلى ثلاثة آلاف جنيه وتمتاز على غيرها من السيارات « الديموقراطية » بأن بها جهازا لتكييف الهواء ، فيبرد فى الصيف ويسخن فى الشتاء ••• الى غير ذلك من معدات الراحـــة والفخفخة التى يستمتع بها ذوو الثراء •••

ولكن هذه السيارة الفخمة تملكها الحكومة فهى سيـارة حكومية ، ولرفعة رئيس الوزراء صفة أخرى منزليـة تقتضى سـيارة منزلية ، ولا يصح بل ولا يليق أن تقل المنزلية عن أختها الحكومية ! ••• ومن ثم استقر الرأى على شراء سيارة باكار من نفس الطراز ، فخوطب صاحب السيارات فى هذا فتبين ان للسيارة الحكومية اختا فى عصمة أجنبى مليونير هو المسيو كوتسيكا •••ولم يكن مفهوما أن يفضل المسيو كوتسيكا شخص رئيس الحكومة فيحتفظ لنفسه بسيارة لا تملك مثلها الا الحكومة ••• وقد يملك المـــال الوفير ، شـــخص ليس بالمليونير ••• وبناء عليه طلب الى التاجر أن يتصل بالمسيو كوتسيكا ويرجوه التنازل عن شراء السـيارة ، فما كان من المسيو كوتسيكا الا أن قال انه وما يملك رهن مشيئة رئيس الوزراء ، وتنازل فعلا عن شراء السيارة وأخذها النحاس باشا لنفسه ملكا خاصا •

ولمـا كان التاجر صاحب السيارات قد ارتضى ـ طبقـــا لرواية النحاس باشا ـ أن يبيعها له بمبلغ أقل من ٣٠٠٠ جنيه فيظهر ان رفعته أراد أن يرد له الجميل ولو على حســـاب الحكومة ••• وكان قد حدث ان استولت وزارة التموين على أكثر من عشرين سيارة باكار استوردها التـــاجر صـــاحب السيـــارات فطلب الى النحاس باشـــا (وكنت اذ ذاك وزيرا للتموين) أن ارد له السيارات المستولى عليها ، فأخبرته أن هذه السيارات قد سلمت للجيش مقابل قيمـــة الاستيلاء ، فألح على النحاس باشا فى أن أجد وسيلة لاستردادها من

الجيش وتسليمها للتاجر ليتجر بها ويربح من ورائهـا ... فرفضت ذلك بطبيعة الحال ، وفي اليوم التالي جاء الى الوزارة المذكور راجيا ملحا ، وفهمنا منه السر في الحاح رفعة النحاس باشا وحكاية سيارة كوتسيكا ...

وما أن خرجت من الوزارة حتى اشترى الوزراء سيارات جديدة لهم هم أيضا من طراز باكار يقدر ثمن الواحدة منهـا بأكثر من ١٦٠٠ جنيه ...

ولما كان الخير الصميم هو الخير العميم ، فقد قـررت الوزارة تعميم السيارات على الرؤساء المحظوظين والسكرتيريين وطلب الى مجلس الوزراء اعتماد مبلغ أربعين ألف جنيه لشراء ٣٥ سيارة ، ثم قرأنا في الصحف بعد ذلك انه قد اعتمد مبلغ ينـوف عن السبعين ألف من الجنيهـات لشراء سيـارات واصلاحها ... واحتسب هذا المبلغ من اعتماد الطوارىء ...

ولم تكن هذه السيارة الفخمة التي اشتراها النحـاس باشا لنفسه هي وحدها من أدوات الترف التي كلفته آلافا من الجنيهات، ولكنني ذكرتها دون غيرها من المشتريات (كالأثاثات وغيرها مما لدينا دليله ، ولا يصح تفصيله) من باب التمثيل على ما يبذر بذرا ، وتبذيرا ، من المال الوفير ...

وليست مظاهر الثراء مقصـورة على الشراء ، فهنـاك مستوى المعيشة اذا ما ارتفع عن الحد المـألوف فانـه يستتبع حتما الطفرة في الانفاق غير المألوف ـ وبخاصة اذا كان الثراء طارئا جـديدا لم يتعـوده صاحبـــه ـ وحسبي في ذلك ان أشير اشارة عابرة الى ما يعرفه جميع زائري النحاس باشا واهله من بذخ في المعيشة وفي الانفاق ، لا يتوافر الا لثـرى لا يخشى الاملاق ... ولقد كان الناس يعجبون كيف يقضي النحاس باشا وأهله شهورا في ميناهاوس ينفق فيها ما لا يقل ـ ان لم يزد ـ عن ألف من الجنيهات ، ثم يستأجر لسكنه غير مسكنه في مصر الجديدة قصرا في جاردن ستي كان ايجاره الشهري قبل صدور الأمر العسكري برفع الايجارات خمسين جنيها غير ما يتكلفه من نفقات ! ... ولكن لو انهم وقفوا على ما يعرفه العارفون ـ ولا محل لتفصيله ـ من نفقات تنفق من غير حساب على ما يسميه الفرنسيون Train de vie لعجبوا كل العجب من أين والى أين هذه النفقات والألـوف المؤلفات ...

ولكننا لم نشأ يا مولاى الا أن نسجل هنا بعض الوقائع والصفقات التى قدمنا عليها الدليل ، وهى كافية لمجرد التمثيل ... وسنرى فيما يلى من أدلة على ما اقتناه الانسباء الشركاء من مئات الألوف من الجنيهات ان ما ذكرناه واقمنا الدليل عليه لم يكن الا جزءا من كل لا شك فى وجوده وان عز السبيل اليه ...

وينتقل مكرم عبيد الى الحديث عن مئات الألوف من الجنيهات التى حظى بها الأنسباء والشركاء ، فيقول :

ان صبحى أفندى الشوربجى صاحب مصانع الغزل والنسيج سورى الأصل والجنسية وكانت أعماله فى حدود اختصاصه أى فى الغزل والنسيج ثم زوج ابنته من حضرة أحمد أفندى الوكيل الموظف بسكرتارية مجلس الشيوخ وشقيق حرم النحاس باشا وما أن تم الزواج حتى اتسع - مكرم باشا - نطاق الأعمال والآمال للطرفين معا وشاءت التطورات السياسية أن يعين النحاس باشا رئيسا للوزارة ولما يمض على هذا الزواج أكثر من عام فاذا بالآمال التى تحددت اتساعا قد تصاعدت ارتفاعا فبلغت الآمال حد الخيال .

واذا بالأستاذ احمد الوكيل يستقيل - ويا للعجب ! - من وظيفته فى سكرتارية مجلس الشيوخ ، مع أن مرتبه فيها كان حوالى الخمسة وعشرين جنيها شهريا ، وكان له فوق شهادة التجارة المتوسطة من المؤهلات أضخمها ، وأعظمها ، فهو نسيب وأى نسيب للنحاس باشا .. ، ولو انه ظل موظفا لارتقى المناصب درجات ، تعلوها علاوات !

ولقد جاءنى الاثنان معا عقب تأليف الوزارة - كما سأبين ذلك تفصيلا تحت باب رخص التصدير - يطلبان الترخيص بتصدير الزيت والجلود ، وتلا ذلك الأرز والسكر ... وراح الاثنان - ومعهما شريك خفى ثالث - يتجرون ويسمسرون فى كل ما يقبل الاستغلال ، ويدر المال ...

وما أن اتسع النطاق ، حتى اتسعت الآفاق ، فتقدم النحاس باشا الى مجلس الوزراء يطلب منح صبحى افندى الشوربجى الجنسية المصرية ، تمهيدا لكرسى الشيوخ وللباشوية .. ثم كان صباح وكان مساء فاذا الأستاذ أحمد الوكيل نائب محترم لباب الشعرية ...

غير أن المناصب والالقاب ، هي الى المال بمثابة القشور الى اللباب ، ومن ثم راح حضرات الأنسباء الشركاء يسعون الى المال بكل وسيلة ، حتى تضخمت الحصيلة ، فبلغت مئات الالوف من الجنيهات ، وقيل ان ثروة الشوربجي اخوان تقدر الآن بحوالى المليونين من الجنيهات ...

ولكنى يا مولاى قد أخذت على نفسى بأن لا اتقدم الى جلالتكم الا بالوقائع التى قام عليها الدليل ، وفيما يلى بعض ما وقفت عليه ، وتحققت منه ، من وقائع وأسانيد : ـ

اشترى حضرة صبحى أفندى الشوربجى من حضرة صاحب السعادة بهى الدين بركات باشا عزبة بجوار المرج تبلغ حوالى ٢٥٠ فدانا ، ودفع عن كل فدان ثمنا مقداره ١٦٠ جنيها مصريا ـ أى أن مجموع الثمن يناهز الأربعين ألفا من الجنيهات ـ وهذه الصفقة غير منكورة وقد تأكدنا خبرها من سعادة البائع نفسه .

وكذلك اشترى حضرته عن نفسه وعن أخيه بمقتضى عقد بيع رسمى محرر فى ١١ مايو سنة ١٩٤٢ أمام قلم العقود الرسمية بمحكمة مصر المختلطة عمارة ضخمة بشارع الملكة نازلى من ورثة المرحوم على بك محمد صادق مقابل ثمن اجمالى قدره ٥٠٥٨٥ جنيه خمسين ألف وخمسمائة خمسة وثمانين جنيها ، دفع منه عند العقد الابتدائى فى ٢٤ مارس سنة ١٩٤٢ مبلغ ٩٥٨٥ جنيها كما دفع فى مجلس العقد المذكور مبلغ ٨٣٤ مليما و ٨٤٣٠ جنيها وهو قيمة نصيب القاصر ، ودفع باقى المبلغ وقدره ٣١٧١٠ جنيها بموجب شيك رقم ١٣٠٧٢٦ بتاريخ ٩ يونيو سنة ١٩٤٢ على البنك العثمانى بالقاهرة .

ومن طريف ما يذكر فى هذا الصدد ان الطرفين حررا عقدا ملحقا بتاريخ ٩ يونيو سنة ١٩٤٢ نمرة ٨٣٣٨ مصر أشارا فيه الى دفع سمسرة الى أحمد بك الوكيل ، وفيما يلى نص ما جاء فيه : ـ

« حضر الطرفان ومعهما نفس الشاهدين فى العقد الأول ـ وقررا ان ما يجب خصمه من باقى الثمن هو مبلغ ٦٠٩ مليما و ٩٢٧ جنيها وهو عبارة عن مجموع مبلغ السمسرة المستحقة لأحمد بك الوكيل والأموال الأميرية الخ ... »

وعقد البيع مسجل فى ٢٧ مـايو سنة ١٩٤٢ نمرة ٣٣٤٠ مصر تسجيل •

هذه الصفقة ـ وصفقة الأطيان سالفة الذكر ـ يبلغ ثمنهما وحدهما حوالى المائة ألف جنيه دفعت عـدا ونقدا ، وتمت الصفقتان كما تمت الصفقات الاخرى التى ستأتى الاشارة اليها خلال قيام الوزارة الحاضرة •

وفوق ذلك فان حضرات الانسباء ، الشوربجى اخـوان يقومون الآن ببناء عمارتين كبيرتين فى الزمالك •

وقد علمت من مصدر نبأ له دلالته البالغة وهو أن أحد السماسرة قد عرض أخيرا بالنيابة عن صبحى أفندى الشوربجى وشركائه شراء عمارة ايموبيليا بمبلغ نصف مليون من الجنيهات ولكن الصفقة لم تتم •

ولا يحسبن أحد أن النصف مليون من الجنيهات تستنزف ما أدخره الانسباء المحظوظون من أرباح الصفقات المتواليات ، فقد علمت أن حضراتهم قد عرضوا أخيرا شراء أكثر من ستمائة فدان صفقة واحدة فى مديرية المنيا معروض بيعها فى احدى التفليسات على أن يكون ثمن الفدان الواحد حوالى ٢٢٠ جنيه وعلى أن يدفع الثمن بأكمله عن الصفقة كقطعة واحدة لا تجزئة فيهـا •

هـذا يا مولاى بعض من كل وفصـل من أصـل ••• عـدا ما يتحدث الناس عنه من صفقات لم نر محلا للاشارة اليها ••• وعدا صفقات التموين والغزل التى سيأتى الكلام عنها ، والتى كان محورها صبحى أفندى الشوربجى ، ومحور المحور حضرة النائب المحترم الأستاذ أحمد الوكيل ، الموظف السابق ذو المـرتب الضئيل ، شقيق حـرم رفعـة الرئيس الجليل •

وحسبنا أن نذكر هنا من غير تعليق أن حضرة صبحى أفندى الشوربجى النسيب المحظوظ الذى وقف رفعة رئيس الوزراء فى مجلس النواب يترافع عنه مرافعة حارة ، والذى توافرت له الآن مئات الألوف من الجنيهات يدفعها أو يعرضها عدا ونقدا ـ هذا الرجل بالذات كان قد اقترض منذ عهـد قريب لا يزيد كثيرا على السنتين مبلغ عشرة آلاف جنيـه كسلفة صناعية للمصانع التى يملكها ، وقد اقترض هـذا القرض الضئيل من الحكومة القائمة اذ ذاك •

فاين اين العشرة آلاف قرضا ، من مئات الألوف يقتنيها ذهبا وأرضا ••• واين موقفه من الحكومات الغابرة بالقياس الى موقفه من الحكومة الحاضرة ! ••• سبحان مغير الاحوال ، ومغير الرجال •••

ويطيل مكرم عبيد باشا ــ وما كان له أن يطيل فى هذا الموضوع ، فى الحديث عن بيع منزل النحاس باشا الى وقف عبد العال الذى هو ناظر عليه والى تنظير النحاس باشا على وقف البدراوى بسمنود عقب تأليف الوزارة •

ويفصل مكرم عبيد بين العمليتين قائلا :

باع النحاس باشا منزله فى سمنود الى وقف عبد العال الذى هو ناظر عليه بمبلغ عشرة آلاف من الجنيهات ، ومن شروط الوقفية أن يكون لناظر الوقف حق السكنى فى منزل الوقف ••• وأن يصرف للمنزل كل شهر مائة وعشرين جنيها ثمن قمح وأرز ومسلى الخ • ، على أن يكون للزوجة المستحقة عشرون جنيها منها •••

وفى عبارة أخرى ، فان النحاس باشا هو البائع والمشترى فى نفس الوقت ــ ولقد يكون فى ذلك بدعة ، ولكنها بديعة ••• وصفقة رائعة ، ولكنها مريعة !

وواقعة الحال أنه كان لمصطفى النحاس باشا بصفة كونه فردا من أهالى سمنود منزل خاص فى تلك البلدة يسكنه رفعته بصفته هذه ، أو بما استجد له من صفات كحاكم مدنى أو عسكرى ، أو اذا شاء كزعيم شعبى ••• غير أنه قد لقى لرفعته صفة أخرى لها وزنها ، ولها ثمنها ، وهى صفته كناظر للوقف ••• وعلى ذلك رأى النحاس باشا الفرد والزعيم والحاكم أن يبيع المنزل للنحاس باشا ناظر الوقف بصفته وكيلا عن الوقف ، لكى يسكنه رفعته كناظر للوقف طبقا لنص الوقفية ، وقبض رفعته فى نظير هذه العملية البارعة مبلغ عشرة آلاف من الجنيهات ثمنا سخيا كريما ، ولم يتورع النحاس باشا عن القول بأنه قبض هذا الثمن تضحية منه ورحمة بالمستحقين والفقراء المنتفعين من الوقف ــ وهى أيضا رحمة من النوع الجديد المبتكر ، التى ينتفع منها الرحيم دون المرحوم !!

وانى يا مولاى لأتشرف بأن أرفق مع هذه العريضة مستخرجا رسميا من محاضر جلسات محكمة طنطا الشرعية ، وآخر من حجة الوقف ، ويكفى الاطلاع على محاضر الجلسات وما تضمنته من المناورات والأساليب التى لجأ اليها رفعة الناظر تبريرا للحصول على مبلغ عشرة آلاف جنيه ثمنا لبيع منزله للوقف ـ يكفى الاطلاع على هذه المحاضر لكى تثور النفس مستفزة ، مشمئزة ، من أساليب التحايل على الاقوال ، فكيف بالأموال ! ...

ولقد ضرب النحاس باشا بهذه العملية التى لا أعرف لها مثيلا من نظائرها فى استغلال النفوذ ـ ضرب رفعته عدة عصافير بريشة بحجر واحد ... وفيما يلى تلخيص موجز لأوزار هذه العملية : ـ

لعل الوزر الأول ـ أو التحايل الأول ـ هو نفس التنظر على الأوقاف ... فان محاسن الصدف قد شاءت ـ ومازالت تشاء حتى الآن كما سنرى ـ ان لا تكتشف محاسن رفعة النحاس باشا كناظر للوقف الا حينما يكون فى الحكم ! ولذلك فلم يعين رفعته ناظرا على وقف من الأوقاف الثلاثة التى يتنظر عليها فى بلدته الا بعد توليه الوزارة ، وكان آخر تعيين له كناظر لوقف البدراوى فى عهد توليه الوزارة الأخيرة ـ ولهذا التعيين قصة مبكية مضحكة سنتناولها فيما بعد .

وقد كانت الصحف المعارضة تحمل عليه فى سنة ١٩٣٧ حملات شديدة بسبب تنظره على تلك الأوقاف فى ابان توليه الحكم ، ولكن رفعته كان يعتذر بشتى المعاذير مبينا أن فى تنظره مصلحة للوقف وتحقيقا لشرط الواقف ، فكنا نحن أنصاره نتقبل منه هذه الحجج المؤيدة لوجهة نظره ، ولو أن الكثيرين منا كانوا يتمنون ابتعاده عن مواطن التجريح فى مسائل مالية من هذا القبيل .

ولكن الذى لم أكن أعرفه أو يعرفه أحد من زملائه أن رفعته كان سيتخذ من تنظره على الأوقاف سبيلا للتحايل على الثراء ، ولولا انى استخرجت أخيرا المحاضر الرسمية الدالة على ذلك واطلعت على محتوياتها مفصلة ، مهلهلة ، لما صدقت ما كانت تلوكه الالسنة المذياعة ، وتهمس به الاشاعة ...

وتشاء المصادفات العجيبة أيضا أن تبدأ الخطوة الأولى التى أدت الى صفقة بيع منزل رفعته للوقف الذى هو ناظر

عليه ، فى عهد توليه الحكم فى سنة ١٩٣٧ ، فقد جاء فى محضر محكمة طنطا الابتدائية الشرعية بتاريخ ٢ يونيو سنة ١٩٤٠ : « أنه كان لوقف المرحوم السيد بك عبد العال عمارة واقعة على البحر الأعظم بسمنود ٠٠٠ وقد أرصد عليها الواقف مبلغا كبيرا يصرف شهريا فى الوجوه التى عينها الواقف ، وأن العمارة المذكورة اخذت للمنافع العامة بقرار من هذه المحكمة فى ١٠ أكتوبر سنة ١٩٣٧ نظير مبلغ ٨٦٨ مليم و ٥٣٢٥ جنيها » ٠

اذن فقد نزعت ملكية عمارة الوقف وقدر لها ثمنا سخيا مبلغ ينوف على الخمسة آلاف جنيه ـ وكان ذلك فى سنة ١٩٣٧ حينما كان النحاس باشا رئيسا للوزارة وناظرا للوقف فى وقت معا ٠٠٠

وتشاء المصادفات الطيبة يا مولاى ـ وكل طيبتها منصرفة الى مصلحة النحاس باشا ! ـ تشاء هذه المصادفات أن يبنى النحاس باشا عمارة جديدة لنفسه فى سمنود فى الوقت الذى أخذت فيه عمارة الوقف للمنافع العامة ! ٠٠٠ فقد كان للنحاس باشا واخوته منزل الاسرة الذى ورثوه عن المغفور له والدهم ، وقد تراضى رفعته مع بقية الورثة على أن يكون المنزل ملكا خاصا له ، ثم راح يبنى البيت من جديد لحسابه الخاص فبنى عمارة من دورين كان المفهوم أنها لسكنه الخاص ، ولكن ما فهمه الناس لم يفهمه على ما يظهر النحاس باشا ، كما يتبين من تصرفاته التالية ٠

وهنا يسوقنا الحديث الى مصادفة ثالثة ـ أو هل هى رابعة ؟ ـ هى أن المستحقة الوحيدة التى بقيت على قيد الحياة هى السيدة بدر حمودة بك الأعسر زوجة الواقف المرحوم السيد بك عبد العال ، وانها قد تزوجت منذ بضعة سنوات بحضرة الأستاذ مسعد السمرة الذى تشاء المصادفة الخامسة ـ أو لعلها السادسة ـ أن يكون زوجا لاحدى قريبات النحاس باشا وأن يضم الى زوجته الأولى زوجته الثانية ، ونعنى بها السيدة المستحقة فى وقف عبد العال الذى يتنظر عليه رفعة النحاس باشا ٠

هـذا ما شاءته المصادفات لمصلحة النحاس باشا ونأتى الآن الى ما شاءه رفعته لمصلحة المصادفات ! ٠٠٠ فلقد اتفق رفعته مع السيدة المستحقة ، التى اتصلت به بصلة النسب ،

على تقديم طلب الى المحكمة الشرعية تطلب فيه الاذن للوقف بشراء منزل النحاس باشا ناظر الوقف بدلا من العمارة التى نزعت ملكيتها فى عهد النحاس باشا رئيس الوزارة ...

وفيما يلى نص الطلب الذى تقدمت به السيدة المستحقة الى المحكمة الشرعية نقلا عن المحضر الرسمى : ـ

قالت السيدة بعد أن أشارت الى نزع ملكية عمارة الوقف فى سنة ١٩٣٧ ... « ان الطالبة يهمها تحقيق شروط الواقف على الوجه الأكمل وقد بحثت عن سراى للوقف بسمنود ووفقت الى سراى واقعة على البحر الاعظم منشأة على الطراز الحديث ملك حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا وتفاهمت مع رفعته على اعطائها للوقف بالثمن الذى تراه المحكمة مناسبا ، وقد قبل ان يأخذ قطعة الأرض الفضاء الباقية من سراى الوقف التى هدمت بعد ان نزعت ملكيتها بما فى ذلك الأرض المحكرة للوقف وأخذ أنقاض السراى على أن يخصم ثمن ذلك من ثمن سرايه التى سيعطيها للوقف ، وطلبت الطالبة اجراء اللازم لذلك » ...

اذن قد أصبح المنزل الريفى المتواضع الذى بناه الزعيم الشعبى المتواضع (سرايا) من السرايات الفخمة التى لا يرتضى النحاس باشا لها ثمنا أقل من عشرة آلاف من الجنيهات ! ... وسيأتى الكلام عن الثمن ومفرداته ، بل ومدهشاته ...

وليس أبرز فى معنى الحيلة والتحايل من اجابة رفعة الناظر بلسان وكيله على طلب شراء منزله ، وهنا أترك الكلام أيضا لمحضر الجلسة : ـ

« وقال وكيل رفعة الناظر ان رفعته يقدر الظروف التى ذكرتها الست الطالبة فى طلبها ويعطف عليها كل العطف نظرا لما جبل عليه رفعته من حب الخير لمصلحة الوقف والمستحقين جميعا بما يكفل لهم بقدر الاستطاعة الراحة التامة والتمتع بالمزايا التى قصدها الواقف من وقفه عليهم ، ولذلك فان رفعة الناظر يوافق على طلب الست الطالبة رغم ما فى ذلك من تضحية عزيزة عليه وبخاصة لأن السراى المطلوب شراؤها هى مقر ذكريات مسقط رأسه وأهله وتراث المرحوم والده .... وقبل ذلك عن طيب خاطر رحمة بالسيدة الطالبة التى تحتاج الى سراى تقيم فيها بأسرع ما يمكن مراعاة لصحتها من جهة

وليقوم من جهة أخرى بتنفيذ ما قرره الواقف بكتاب وقفه ••• الخ • »

أفلا يرى مولاى أن رفعة النحاس باشا قد بلغ منه الحنان والتحنن ، مبلغ الفن والتفنن ••• فهو انما يبيع منزله بمبلغ عشرة آلاف جنيه رحمة بالمستحقة التى تحتاج الى سراى تقيم فيها بأسرع ما يمكن مراعاة لصحتها ••• فى حين أن هذه السيدة المشار اليها لم تكن تسكن بطبيعة الحال الا مع زوجها الذى كان قاضيا فى الأرياف ينتقل من بلد الى أخرى ، بعيدا عن سمنود ، وبعيدا عن السراى التى يقول رفعته فى صدق بالغ انها فى حاجة اليها لتقيم فيها باسرع ما يمكن ! •• وما كنا علم الله لندرى أن سكنى السرايات عمل من أعمال الرحمة ، لولا أن القائل بذلك هو زعيم فى الأمة ، وللأمة ؟!••

ومن طريف ما يذكر فى هذا الصدد أن النحاس باشا ذهب به الامعان فى التحايل الى حد التصريح على لسان وكيله فى الجلسة بما يأتى :

« ان الذى يهون عليه هذه التضحية نوعا ما انه قد يستطيع الاستعاضة عن السراى مسقط رأسه وأهله بانشاء سراى مقابلة لها على أرض الوقف الباقية من أرض سراى المرحوم الواقف ، وهى التى كان مزمعا أن يقام عليها سراى للوقف بدل السراى التى نزعت ملكيتها » •

أليس هذا التدليل فريدا فى نوعه ؟ ••• فان النحاس باشا يقول انه كان مزمعا ان يقام على الأرض الباقية للوقف سراى للوقف ، ولكنه من باب التضحية العزيزة عليه يبيع سراى والده للوقف ويأخذ هو لنفسه الأرض الباقية من ملك الوقف ، عسى أن يبنى عليها منزلا له فيما بعد !! ولسنا وأيم الحق نفهم لماذا لم يبن النحاس باشا ناظر الوقف سرايا للوقف على الأرض الموقوفة التى يعترف أنه كان مزمعا بناء سراى عليها ؟ لماذا لم يفعل ذلك فيوفر على الوقف بضعة آلاف من الجنيهات ، كما يوفر على نفسه بيع منزل والديه وما ينطوى عليه هذا البيع من تضحية عزيزة وغالية ؟ ••• ثم اذا لم يكن بد من اعداد منزل للمستحقة رحمة بها فلماذا لم يكتف رفعته بتأجير منزله للوقف بضعة شهور حتى يتم بناء المنزل الجديد . لا سيما وأن عمارة الوقف نزعت ملكيتها منذ سنة ١٩٣٧ وكان

فى مقدور رفعته أن يبنى منزلا للوقف فى الوقت الذى يبنى فيه منزلا لنفسه ... وقد كانت أدوات البناء رخيصة قبل نشوب الحرب ...

ولكنه لم يفعل وما كان له أن يفعل والا ضاعت الصفقة ، وضاعت الحكمة من كل هذه الخطط المرسومة ، والتدابير المحكمة ...

ومن المدهش أن المحكمة الشرعية تساءلت فى احدى جلساتها (جلسة ١٣ أكتوبر سنة ١٩٤٠) اذا كانت شروط الواقف تقضى بانشاء سراى بدلا من التى هدمت ، فوعد وكيل المستحقة بتقديم مذكرة فى هذا الموضوع ، وفى الجلسة التالية ـ أى فى ١٠ نوفمبر سنة ١٩٤٠ ـ جاء الطرفان متوافقين على الاجابة ، وقال وكيل رفعة النحاس باشا « انى موافق على ما قرره حضرة زميلى وان فى شراء سراى للوقف توفيرا لمصلحة الوقف نظرا لأن ادارة الوقف كانت تشغل جزءا من السراى التى نزعت ملكيتها وهى الآن تستأجر منزلا لا يقل أجره عن أربعة جنيهات » ...

ياله من مبرر ضمن المبررات ، أن يشترى الوقف منزلا بعشرة آلاف من الجنيهات ، توفيرا لايجار شهرى يبلغ الأربعة من الجنيهات ! ...

ومما يدل على احكام التدبير بين النحاس باشا والسيدة المستحقة ، أن المحكمة فى جلسة ١٤ ديسمبر سنة ١٩٤١ طلبت الى الطالبة ووكيل الناظر تقديم كشف بأسماء المستحقين فى الوقف لأخذ رأيهم فى البيع وشروطه فقال وكيل رفعة الناظر أن المستحقين أصحاب مرتبات فى الوقف وليس لهم نصيب معين فى أعيان الوقف وعليه فلا داعى لأخذ رأيهم ، ولكن الهيئة أصرت على تقديم الكشف المذكور وأجلت الجلسة الى ١٨ يناير سنة ١٩٤٢ لتقديم الكشف ، وفى الجلسة المقبلة (التى انعقدت فى ٢٥ يناير سنة ١٩٤٢) نظرت المحكمة فى مذكرة مقدمه من رفعه النحاس باشا بوجوب عدم أخذ رأى المستحقين ، واثبت محضر الجلسة ما ياتى حرفيا : ـ « وعرضت المذكرة المقدمة من وكيل رفعة الناظر على وكيل الطالبة المتضمنة عدم الحاجة لأخذ رأى المستحقين فقال انه يوافق على ما جاء بها » .

وهكذا تمت المناورة وأحكم سبكها ، وحبكها ، بين رفعة الناظر والسيدة المستحقة فاتفق الاثنان على استبعاد جميع المستحقين أو المنتفعين الآخرين رغم الحاح المحكمة وتأجيل الجلسة خصيصا لتقديم كشف بأسمائهم ••• ولعل هذه الواقعة وحدها تكفى للتدليل على التحايل المعيب ضد مصلحة الوقف وخوف النحاس باشا من اعتراض المستحقين الآخرين على بيع منزله للوقف وعلى الثمن الباهظ الذى يريد أن يتقاضاه •

كان الثمن هو الهدف الذى رمى اليه كل تحايل سبق أو لحق ••• أى منذ أن تقدم الطلب فى يونيو سنة ١٩٤٠ الى محكمة طنطا الشرعية بالاذن بشراء « سراى » النحاس باشا ، الى أن صدر قرار المحكمة فى مارس سنة ١٩٤٢ باقرار الشراء واقرار العشرة آلاف جنيه ثمنا يتقاضاه رفعة الناظر ، الذى شاءت المصادفة أن يصبح رئيسا للوزراء حين صدور القرار المذكور •

وقد اجتاز هذا التحايل مراحل عدة كشف فيها النحاس باشا يده ـ أو قصده ـ بأسلوب متدرج ومتعرج معا ••• ولو انه يا مولاى تقدم الى المحكمة سافرا ، لعذرناه تاجرا ••• ولكنه بدأ المرحلة الأولى فى طريق المساومة بالادعاء انه لا يبغى من بيع منزله الا العطف بالمستحقة والرحمة ••• وفوض للمحكمة الثمن المناسب • ثم أحيل التحديد على قومسيون الأوقاف ونجح النحاس باشا فى اقناع الخبراء المعاينين بتقدير ثمن المتر المسطح من أرض منزله البالغ مساحتها ١٧ سنتى و ٨١٧ مترا بمبلغ جنيهين ونصف للمتر الواحد ـ فيكون مجموع ثمن الأرض ٩٢٥ مليما و ٢٠٤٢ جنيها ـ وقدر للمبانى (وهى مقامة على حوالى ٤٢٩ مترا من الأرض المذكورة) مبلغ سبعة آلاف جنيه وبذلك تكون قيمة المنزل جميعه ٩٢٥ مليما و ٩٠٤٢ جنيها ••• ولعله من المفيد أن نلاحظ هنا أن هذا التقدير ينصب على منزل فى حى من أحياء سمنود ، وليس فى القاهرة •••

غير أن النحاس باشا لم يرضه هذا التقدير السخى فوق السخاء ، فجاء وكيله أمام المحكمة وقال ان رفعته يرى ألا يبخس السراى فى قيمتها مع رعايته للوقف ومصالحه ! •••

ورأت المحكمة « أن التقرير الوارد من قومسيون الأوقاف

مجمل لم يشتمل على ما يشتمل عليه عادة تقارير الخبراء فى مثل هذه المامورية من التفاصيل الضرورية » ... وانتهى الأمر أخيرا بالنحاس باشا الى طلب مبلغ عشرة آلاف جنيه ثمنـــا لمنزله ، ولعله من المفيد أن اورد هنا نص الطلب الذى تقدم به رفعة النحاس باشا بلسان وكيله الى المحكمة طالبا مبلــغ يزيد ألف جنيه على تقدير الأوقاف ، وواصفا هذه الزيــادة بانها « تضحية » ... وفيما يلى نص ما ورد فى محضر ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٤١ : ـ « قال وكيل رفعة الناظر انى اطلعت على مذكرة الأوقاف وأعددت مذكرة برأى رفعة الناظر فى ذلك وهى تتضمن أن رفعته رأى أخيرا أن يضحى فى سبيل منفعة الوقف وقبل أن يكون ثمن السراى عشرة آلاف جنيه على أن تفصل الهيئة فى هذه المادة اليوم والا فرفعته فى حل من عدم قبول ذلك » ...

أليس بديعا ومبدعا معا هذا الموقف من رفعة النحاس باشا ؟ ... وهل هناك من هو أقدر على الجمع فى مســلك واحد بين التضحية والتهديد ، والوعد والوعيد !!

انظر اليه يا مولاى وهو يقول انه قد رأى أخيرا أن يضحى فى سبيل منفعة الوقف وقبل أن يكون ثمن السراى عشرة آلاف جنيه ... ضاربا فى ذلك المثل الأعلى فى التضحيـــة الذهبية ! ... ثم تفضل يا مولاى فانظر اليه وهو يقـــرن هذا العرض بشرط قبوله فى جلسة اليوم ، فورا وفى غـــير تمهل ، والا فهو فى حل من عدم قبول البيع ، وليتحمـــل الوقف تبعة هذا التحلل !

ولكن المحكمة لم تتعجل ، والنحاس باشا لم يتحلل ... بل استمرت المحكمة فى نظر المادة وهى تؤجلهــا من جلسة الى جلسة حتى تولى رفعــة ناظر الوقف رئاسة الوزارة فى أوائل فبراير سنة ١٩٤٢ ، وكانت الجلسة السابقة على ذلك فى يوم ٢٥ يناير سنة ١٩٤٢ ـ وأجلت الى أول مارس ١٩٤٢ ـ وفى هذه الجلسة وهى الجلسة الأولى بعد توليه الوزارة رأت المحكمة أن تسأل رفعة الناظر « هل يقبل أن يبيع السراى بمبلغ عشرة آلاف جنيه فقط مع ترك حق احلاله محل وقف السيد بك عبد العال على وقف عنبه أولا » ... فطلب وكيل النحاس باشا التأجيــل اسبوعا واحــدا للجواب عن ذلك ، وأجلت الجلسة فعلا الى ٨ مارس ، وفى هذه الجلسة الأخيرة

اعلن وكيل رفعة الناظر ـ وقد أصبح الآن ناظرا للنظار !! ـ « أن رفعة الناظر يرى انه وان ضحى بأعز شيء لديه فان ذلك لا يمنعه من أن يقيم مبانى فى بلده وان قطعة الأرض الفضاء التابعة لوقف السيد عبد العال لا تكفى للبناء عليها بل لابد من ضم قطعة الأرض المحكرة وعلى ذلك فهو يصمم أن يحتسب من ثمن السراى حــق الانتفــاع بالتحكير على قطعة الأرض المذكورة » ...

وفى الجلسة نفسها وافقت المحكمة على قبول تضحيــة النحاس باشا بأعز شيء لديه ـ وقررت شراء هذا المنزل العزيز بالصيغة الآتية : ـ « فلهذا قررنا الموافقة على شراء السراى المذكورة بمبلغ عشرة آلاف جنيه حسب المدون بمحضر جلسة اليوم وأجلنا المادة للمعاينة وتوقيع الصيغة » .

اذن قد استقر القرار على أن يبيع النحاس باشا أعــز شيء لديه بمبلغ عشرة آلاف جنيــه ... ولــو انه يعسر على الشخص العادى أن يفهم كيف يكون هــذا المنــزل أعز شيء عليه ، فى حين أنه لم يسبق له السكنى فيه ـ كمــا اعترف وكيله بذلك أمام المحكمة .

ثم قامت عقبة فى طريق البيع هى عدم توافر هذا المبلغ الجسيم فى خزانة الوقف .

الى أن يقول مكرم عبيد باشا :

هى اذن صفقة مبروكة ، وان تكن غير مباركة ... فقد قدر النحاس باشا لمنزله ثمنا يبلغ عشرة آلاف جنيه ، وقدم تأييدا لذلك تقريرا من خبراء استشاريين استأجرهم ، فرأوا فى هذا التقدير تواضعا محمودا ، وعطفا ممدودا ... ولكن هل هى عشرة آلاف جنيه فعلا ؟؟ الحق يا مولاى أن النحاس باشــا قــد ابتكر فى المعنويات أحاسيسا ، وفى المــاديات مقاييسا ، تختلف عما اصطلح عليه الناس أو اعتادوه ، فاعتبر المساومة رحمة ، والاستغلال تضحية ، ومن ثم قدر للماديات مبلغا مقداره عشرة آلاف جنيه ، فى حين أن حقيقته تبلــغ حوالى الخمسة عشر ألفا من الجنيهات ، لأن الأنقــاض التى قدرت بمبلغ ٨٠١ جنيه تبلغ قيمتهــا اضعاف هذا المبلغ ، وكذلك الأرض فقد قدر المتر منها بمبلغ ٥٠ قرشا ـ على أن يشتريها هو ـ وبمبلغ ٢٥٠ قرش ـ على أن يبيعها هو ...

ومهما يكن من أمر فالمنزل الذى باعه بمبلغ عشرة آلاف جنيه ـ اذا سلمنا بانها عشرة ـ لا تبلغ قيمته الحالية ـ على أساس الأسعار الحاضرة ـ أكثر من ٣٥٠٠ جنيه أو ٤٠٠٠ جنيه على أقصى تقدير ، أما اذا احتسبنا تكاليفه الفعلية حين بنائه فى سنة ١٩٣٧ ، وفى بلدة كسمنود ، فلن تزيد كثيرا على ألفين وخمسماية من الجنيهات ... ولسنا نظن أن النحاس باشا نفسه الذى كان يفاخر ـ وكنا معه نفاخر ـ بأنه لا يملك من حطام الدنيا الا مرتبه ، وانه اضطر لاقتراض مبلغ من بنك مصر للقيام بنفقات زواجه ـ لسنا نظن أن رفعته يدعى انه كان يملك فى سنة ١٩٣٧ عشرة آلاف من الجنيهات ، وانه أنفقها بأكملها على بناء « سراى له فى سمنود » !!

اذا ثبت هذا ـ وهو ثابت ـ فكيف ساغ للنحاس أن يدعى أمام المحكمة بدل المرة مرات أنه انما ضحى تضحية كبيرة اذ يبيع منزله للوقف بمبلغ عشرة آلاف جنيه ؟؟ وكيف سمح لنفسه وسمحت له ذمته بان يدعى فى خطبة حديثة له انه باع المنزل بثمن يقل عن نفقاته ؟؟

يا سيدى الباشا ... اذا كان المنزل قد كلفك عشرة آلاف من الجنيهات أو أكثر منها ـ فمن أين جاءك هذا المبلغ الجسيم ؟ ...

واذا لم يكلفك الا الفين أو ثلاثة آلاف من الجنيهات ، فكيف استسغت مطالبة الوقف الخيرى الذى انت ناظره بثمن يبلغ خمسة أضعاف التكاليف !؟ وكيف أطاعك ضميرك ـ بل كيف أطاعك تعبيرك ـ فزعمت أنك تتوخى الرحمة بالمستحقين والمساكين ، حين انك لم ترحم أحدا الا نفسك ، بل ولم ترحم حتى نفسك أيها المسكين ...

وأخيرا ... وليس آخرا ، فان الثمن ليس ١٠ أو ١٥ ألف من الجنيهات كما يبدو للناظرين العابرين ... كلا ، فللصفقة ثمن آخر ـ فى شكل مرتب شهرى يبلغ المائة جنيه وقد نصت الوقفية على انفاقه على منزل الوقف وحاجياته من مأكل ووقود وخدم ، فضلا عن عشرين جنيها شهريا اختصت بها السيدة المستحقة .

ولما كان مبلغ المائة جنيه شهريا موقوفا على منزل الوقف نفسه ، فقد انقطع صرفه حينما نزعت ملكية المنزل المشار اليه فى سنة ١٩٣٧ ، وحينئذ ـ وحينئذ فقط ـ فتقت الحيلة لرفعة

ناظر الوقف الجليل أن يبيع منزله الخاص للوقف فيجمع ثلاث صفقات نادرات فى صفقة واحدة :

(أولا) يقبض مبلغ عشرة آلاف جنيه (وحقيقته ١٥ ألفا كما رأينا) ثمنا للمنزل ـ بصفته بائعا •

(ثانيا) يقبض شهريا ١٠٠ جنيه لانفاقها على حاجيات المنزل ـ بصفته ناظرا للوقف •

(ثالثا) يتمتع بحق سكنى المنزل طوال عمره كناظر للوقف ـ طبقا لنص الوقفية ـ من غير أن يدفع مليما واحدا نظير سكنه ـ أستغفر الله فقد انساق قلمى الى التحدث عن النحاس باشا كشخص عادى يسكن البيوت ويدفع الأجرة لأصحابها ـ أو يعفى منها على أحسن الفروض ـ وفاتنى أن رفعته يسكن بيت الوقف ويدفع له الوقف نفقات سكنه مائة من الجنيهات فى الشهر ، أى أن المالك لا الساكن هو الذى يدفع الأجر ! ••

فاذا أضفنا الى هذا كله ، يا مولاى ، ان النحاس باشا كان رئيسا للوزراء فى سنة ١٩٣٧ حينما صدر الأمر بنزع ملكية منزل الوقف مقابل مبلغ ٥٣٢٥ جنيها دفع لخزينة الوقف ، وأن رفعته شرع فى الوقت نفسه فى بناء منزل خاص له ليبيعه للوقف بدل المنزل الذى نزعت ملكيته ـ وأنه نجح فى لعبته هذه نجاحا فاق المأمول ، والمعقول ، فقبض فى وزارته الحاضرة مبلغ الخمسة آلاف وثلثماية وخمسا وعشرين من الجنيهات مثنى وثلاث ورباع ، ثمنا اجماليا ومرتبا دوريا ••• وانه فى نهاية الأمر لا يزال مستمتعا بحق السكنى فى منزله كناظر للوقف ، بعد أن أصبح منزله منزلا للوقف ! ـ اذا جمعنا هذا كله بعضه الى بعض ، ووصفناه كما وصفه النحاس باشا ، بأنه عمل من أعمال الرحمة ، لصح لنا ـ بل ووجب علينا ـ أن نعجب بالنحاس باشا ناظرا ووزيرا جمع بين الحكم والحكمة ••• ولو أنها « حكمة » من نوع « الرحمة » تسعى الى منفعة أصحابها ، وتدخل البيوت من غير أبوابها •••

وعن واقعة التنظر على وقف البدراوى ، يقول مكرم عبيد باشا ان له مقرا فى سمنود وهو يشمل أطيانا مقدارها ٢٢ س و٢٣ قيراط و١٣٧٦ فدان أوقفها المرحوم أحمد باشا البدراوى فى ١٧ ينساير سنة ١٩٠٧ واختص الجهات الخيرية بسبعة أعشار من ريعها ، وذريته بالثلاثة أعشار الباقية ، وشرط النظر على الوقف من بعده للسيد حسين القصبى ومن

بعده لمحمد بك عثمان ثم من بعده لعلى بك المنزلاوى ثم من بعده للشيخ محمد النحاس ثم من بعده للشيخ يوسف سنبل ، ثم من بعده لحسن أفندى خيرى البدراوى ثم من بعده لمن يقرره قاضى المسلمين الشرعى ٠

وفى ٣١ مايو سنة ١٩٣٦ أقامت محكمة طنطا الشرعية رفعة النحاس باشا ناظرا مؤقتا على هذا الوقف الى ان يفصل نهائيا فى عزل النـــاظر السابق ــ وظل رفعته ناظرا طوال مدة توليه الوزارة ، ثم صدر فى ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٣٧ قرار بتأييد قرار العزل نهائيا ، وعقب ذلك طلب بعض المستحقين تعيين رفعة النحاس باشا ناظرا على الوقف بصفة دائمة ، فعارضت وزارة الأوقاف فى هذا الطلب فى خطاب منها بتاريخ ٥ فبراير سنة ١٩٣٨ ، وفى ١٣ مارس سنة ١٩٣٨ أقامت المحكمة الشرعية الابتدائية وزارة الأوقاف ناظرة على الوقف ، وأيدت المحكمة العليا الشرعية هذا القرار فى أول أكتوبر سنة ١٩٣٨ ٠

وظل الحال على هذا المنوال حتى عاد النحاس باشا الى الحكم من جديد فى فبراير سنة ١٩٤٢ ، ولم تكد تمضى بضعة أيام على توليه الوزارة ، حتى عاوده داؤه القديم ، فحن الى النظارة وقد واتته الوزارة ! ٠٠

نعم يا مولاى ، فى ١٢ فبراير سنة ١٩٤٢ ــ أى بعد تشكيـــل الوزارة بخمسة أيام ــ تقدم بسحر ساحر ، أو بقدرة قادر ، طلب من بعض المستحقين الى محكمة طنطا الشرعية باقامة رفعة النحاس باشا ، رئيس الوزراء ، ناظرا دائما لوقف البدراوى ٠٠٠

وعلى أثر هـــذا الطلب اتخذت المحكمة الاجراءات المعتادة فطلبت الى وزارة الأوقاف باعتبارها ناظرة على الوقف ان تبدى رأيها فيـــه ، وكانت هى التى عارضت فى اقامة النحاس باشـــا ناظـــرا فى سنة ١٩٣٨ ٠٠٠ ولكن النحاس لم يكن وقتئذ رئيسا للوزارة ٠٠٠ أما الآن فهو رئيس للوزراء جميعا ومن بينهم وزير الأوقاف بالذات ، فما أيسر السبيل وما أهون العقبات ! ٠٠٠

ومن ثم لم يلبث فضيلة رئيس المحكمة حتى تلقى الجواب التالى من معالى وزير الأوقاف فى وزارة النحاس باشا ردا على خطاب المحكمة :

« حضرة صاحب الفضيلة رئيس محكمة طنطا الابتدائية الشرعية ٠

ردا على خطاب المحكمة المؤرخ ١٦ فبراير رقم ٣٣٨٤ نفيد بأن الوزارة لا مانع لديها من اقامة حضرة صاحب المقام

الرفيع مصطفى النحاس باشـــا فى النظر على الوقف المبين بخطاب المحكمة المذكور ، بدلا عنها .

وزير الأوقـــاف

ها هى ذى العقبة الأولى قد ذللت ، وها هى ذى نظارة الوقف بعد أن حرمت قد حللت ... وها هى ذى وزارة الأوقاف فى عهد النحـاس باشا لا ترى مانعا ـ كما أن رفعته لا يرى وازعا ـ من أن يستغل رئيس الوزارة نفوذه ازاء الوزير ، فيسجل الوزير الوفدى على وزارته ســوء الادارة ، ويعترف لرئيس الوزراء بالأولوية فى استغلال النظارة ! ...

تلك كانت الخطوة الأولى فى سبيل الاستغلال ، ويليهـا أخرى ، أدهى وأنكى :

ففى ٢٣ مارس سنة ١٩٤٢ أرسل رئيس محكمة طنطـا الشرعية الخطـاب الخطـير التالى نصـــه الى رفعة مصطفى النحاس باشا رئيس الوزراء :

« نمرة القيد ٣٤٥٦ ـ حرر فى ٢٣/٣/١٩٤٢ .

حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد ، فقد طلب المستحقون فى وقف المرحوم أحمد باشـــا البدراوى تعيين رفعتكم فى النظر على هذا الوقف ولم تمانع وزارة الأوقاف فى ذلك .

ونظرا لأن رفعتكم قد كرستم حياتكم النافعة على خدمة هذا البلد الأمين ورعاية مصالحه والقيام بأعبائه .

ونظرا لما لرفعتكم من الأيادى البيضاء السابقة على هذا الوقف ومستحقيه ، ونرجو من رفعتكم أن تضيفوا الى أعمالكم النافعة عملا آخر تجزون عليه من الله يوم تجزى كل نفس بمـــا عملت وتقبلون النظر على هذا الوقف خدمة للفقراء والمستحقين ، وتفيدونا بالقبول قبل جلسة ٢٦ أبريل سنة ١٩٤٢ والله يجزيـكم على أعمالكم خـــير الجزاء ويحفظـكم ويبقيكم .

وتفضلوا بقبول جليل الاحترام ».

رئيس محكمة طنطا الشرعية

محمد الجداوى

وهكذا ذهب النحاس باشا فى استغلال نفوذه ، وفى التحايل على هــذا الاستغلال ، الى أبعد الحدود ، مستهترا بجلال القضــاء ، ومستخدما الثناء فى غير محل الثناء ٠٠ وانى مع كل الاحترام أرى أن رئيس المحكمة الشرعية قد تعدى حدود اختصاصه ، فبدلا من أن يسأل فى حيدة القاضى هل يقبل النحاس باشا التنظر على الوقف أو لا يقبل ، نراه يضرع اليه ويتوسل راجيا منه وملحا عليه أن يضيف الى أياديه البيضاء السابقة وأعماله النافعة عملا آخر يجزى عليه من الله يوم تجزى كل نفس بمـا عملت فيقبل التنظر على هذا الوقف خدمة للوقف والمستحقين ؟! ٠

لم يكن لرئيس المحكمة أن يسبق المحكمة الى قرارها فى قضـية قائمة لم يتم الفصل فيها ، كما يؤخذ من خطابه الذى جاء فيه أنه يرجو النحاس باشا افادته بالقبول قبل جلسة ٢٦ ابريل ٠٠٠ ولكن اذا كان رئيس المحكمة قد أساء التصرف فان رئيس الوزارة قد أساء الاستغلال ، وحسبى يا مولاى أن أضع تحت أنظاركم الكريمة نص الرد الذى أرسله النحاس باشا الى رئيس المحكمة ، ونشره فى الصحف جنبا الى جنب مع الخطاب ــ وفيما يلى نص الرد : ــ

« فنـدق ميناهاوس ــ فى يوم السـبت ١١ ربيع الأول سنة ١٣٦١ هـ (٢٨ مارس سنة ١٩٤٢) ٠

حضرة صاحب الفضيلة رئيس محكمة طنطا الشرعيـة الابتدائية ٠

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فقد تسلمت خطابكم المؤرخ ٢٣ مارس سنة ١٩٤٢ رقم ٣٤٥٦ وردا عليه افيد فضيلتكم انى بالرغم من المهام العامة الوفيرة الملقاة على عاتقى والتى تستغرق معظم أوقاتى فضلا عن مهامى الخاصة ، لا يسعنى ازاء طلب المستحقين فى وقف المرحوم أحمد باشـا البدراوى وما تفضلتم به من تاييده وذكرتموه مما سبق لى اسداؤه للوقف ومستحقيه ومناشدتى أن أضيف الى أعمـالى النافعة عملا آخر أجزى عليـه من الله يوم تجزى كل نفس بما عملت ــ ازاء ذلك كله لا يسعنى الا أن أحمل نفسى على قبول نظارة هذا الوقف خدمة للفقراء واليتـامى والمسـاكين وجميع المستحقين ، وفقنا الله الى ما فيه خدمة البلاد والعباد ــ وتفضلوا فضيلتكم بقبول وافر الاحترام ؟

مصطفى النحاس

ويقول مكرم عبيد باشا :

فى أى عرف ، وفى أية لغة يتوسل الى انسان توسلا على صفحات الجرائد بأن يقبل نظارة وقف تدر عليه حوالى الألف وخمسمائة جنيه سنويا — (اذ الأطيان الموقوفة تربو على ال ١٣٥٦ فدان) — وفى أى عرف وفى أية لغة يقول هذا المحظوظ كما يقول النحاس باشا عن نفسه « أنه لا يسعه الا أن يحمل نفسه على قبول نظارة هذا الوقف خدمة للفقراء واليتامى والمساكين وجميع المستحقين » ! .. وفى أى عرف وفى أية لغة يصح لانسان أن يقول انه سيجزى من الله الجزاء الحسن على قبض مرتب ينوف على المائة جنيه شهريا ، مضافا الى ما يقبضه أصليا ! .

اذا لم يكن هذا هو الاستغلال المحرم على الوزراء فكيف يكون استغلال النفوذ ؟ ...

لماذا لم يفكر المستحقون فى ترشيح النحاس باشا لنظارة الوقف الا بعد بضعة أيام من توليه الوزارة ؟ ... ولماذا تبادر وزارة الأوقاف الى قبول هذا الترشيح وقد رفض نهائيا من قبل ؟ .. واذا كان النحاس باشا يعتقد معنا ان قرار القضاء واجب الاحترام فلمـــاذا استغله هذا الاستغلال واستخدمه هذا الاستخدام ؟ .. ولماذا يا مولاى — وفى أية حكومة متمدينة أو غير متمدينة — يحاول رئيس الحكومة أن يسند الى شخصه عملا يقوم به رسميا وزير من وزرائه ، فيجرد الوزارة أو المصلحة من عمل رسمى ، ليكون له من ورائه نفع شخصى ، له فى تقـديره كل الاعتبار ، لأنه يقدر بالدانق والدرهم والدينار ...

انهـا لمهزلة ، وانهـا لمأساة ، وقديمـا قيل ان بعض الضـحك كالبكاء ...

ولقد كان لهذه المأساة واقعة حال وكان لها أثرها فى الخلاف الذى نشب بينى وبين النحاس باشا أثناء الوزارة .

ففى يوم الجمعة ٢٧ مارس قبيل افتتـاح البرلمان — دعانى حضرة الأستاذ محمود أبو الفتح صـاحب جريدة المصرى وبعض أفراد أسرتى ، كما دعا معنا الأستاذ ابراهيم فرج وأسرته ، لتناول الغذاء فى فنـدق يطل على بحيرة قارون بالفيوم — وفى طريقنا الى الفيوم مررنا بالسيارات بفندق ميناهاوس فوجدنا حضرة عبد العزيز بك النحاس فى ردهة الفندق وفهمنا منه أن النحاس باشا خرج لصلاة الجمعة فسرنا فى طريقنا حتى وصلنا الى بركة قارون .. وهناك اجتمع بى الأستاذ ابراهيم فرج — ولم يكن النحاس باشا حتى ذلك الوقت قد طـلب ترقيتـه تلك الترقية

الاسنسائيه المعروفة ـ وأخبرني بمناسبة وجود عبد العزيز بك النحاس في ميناهاوس عن قصة وقف البدراوى وتفصيلاتها المخزية ، فقال ان عبد العزيز بك النحاس قد ذهب الى ميناهوس ومعه خطاب رئيس المحكمة الى النحاس باشا وانهم سيردون على المحكمة بقبول النظارة ‥ ثم قال انه عقب تأليف الوزارة سعى النحاس باشا بواسطة آخيه لدى بعض مستحقى وقف البدراوى بسمنود (والاستاذ ابراهيم فرج من أهالى سمنود) ـ فقدم المستحقون طلبا الى المحكمة باقامة النحاس باشا ناظرا للوقف بدل وزارة الأوقاف ـ وان رئيس المحكمة رأى قبل تقرير التعيين أن يسأل النحاس باشا هل يقبل النظارة أو لا يقبلها ـ وان عبد العزيز بك النحاس ينتظر تحرير الرد اليوم فى ميناهاوس ـ وأن لوزير العدل صلة بهذا المسعى وهو على علم به ٠

قال لى حضرته ذلك بلهجة المتألم المتحسر على ما انحدر اليه النحاس باشا ـ كما ذكر لى بعض تفصيلات أخرى عن تعيينات طلبت اليه من ألصق الناس بالنحاس باشا وذكر لى بالتحديد شابين طلب تعيينهما فورا بمرتب شهرى لا يقل عن عشرين جنيها فلما اعتذر بوجوب مراعاة القوانين المالية أستعين بالنحاس باشا عليه ··· الى آخر القصة المحزنة يا مولاى ···

وفى مساء اليوم نفسه اجتمع بى فى منزلى حضرات الوزراء وكان الخلاف الوزارى على أشده بينى وبين النحاس باشا فى ذلك الوقت وأذكر من بين الوزراء الذين زارونى فى منزلى للتوسط فى الخلاف حضرات (عثمان باشا محرم ـ وحمدى باشا سيف النصر ـ وصبرى أبو علم باشا ـ ونجيب الهلالى باشا ـ وعبد الفتاح الطويل باشا ـ وكامل صدقى باشا) ـ وفى أثناء حديثنا عن تصرفات النحاس باشا وأهله التى كانت محل شكواى واعتراضى ، وجهت حديثى الى صبرى باشا أبو علم وقلت له انى علمت من مصدر وثيق بحكاية وقف البدراوى وأنه قد اتصل به شخصيا فى هذا الصدد ··· ثم قصصت على الوزراء ما سمعته من تفصيلات وقلت لصبرى باشا غاضبا قل للنحاس باشا على لسانى ان فى تصرفه استغلالا لا يليق به وبنا ، وأنه لم يعد يصح لنا أن نأخذ على الغير المآخذ فى حين أننا نرتكب الكبائر ···

وعلمت بعدئذ أن صبرى باشا لم يتوان بطبيعة الحال فى ابلاغ النحاس باشا ما قلته عنه وأخذته عليه بهذا الصدد ‥ وأن النحاس باشا حفظها فى نفسه !! ٠

الى أن يقول مكرم باشا فى نهاية كلامه عن هذين الموضوعين :

ختمت هذه المأساة بترقية حضرة رئيس محكمة طنطا الشرعية الى رئاسة محكمة اسكندرية ولم يكن قد بقى على سن تقاعده الا بضعة شهور قليلة ٠٠ وحاشاى أن أقصد من وراء هذه الاشارة الى أى مساس بموقف فضيلته ، ولكن النحاس باشا هو الذى يوخذ عليه تلك الرغبة الملحة فى الاغداق بأموال الدولة على كل من ينتفع من ورائهم ، ومادامت الدولة هى التى تعطى فلا بأس من اعطائهم ٠٠٠

ولقد رأينا أنه فى صفقة البيع منه واليـــه فى وقف عبد العال كافأ زوج المستحقة عن استحقاق ٠٠ فأنعم عليـه بزيادة فى مرتبه الشهرى تبلغ الاثنى عشر جنيها من النقد البراق ، أو اذا توخينا الدقة فمن نقد الأوراق ! ٠٠٠

وتشاء المصادفة ــ وهى محض مصادفة ولا شك ــ أن يكون رئيس الهيئة التى أقرت صفقة البيع فى وقف عبد العال هو نفسه رئيس الهيئة التى أقرت التنظر على وقف البدراوى ، وأن تتم الصفقتان فى شهر واحد هو شـــــهر ابريل سنة ١٩٤٢ ٠٠٠

هاتان هما الصفقتان العجيبتان ، يا مولاى ، وان يكن العهد كله عجبا ! ٠٠٠

ولكن ماذا عن أمور التموين والتصـــدير ، والاستيراد التى ورد ذكرها فى الكتاب الأسود للعهد الأسود ؟ :

الفصل الثالث

مكرم عبيد باشا يتهم وزارة النحاس باشا بالعبث في أمور التموين والتصدير لصالح الانسباء والأقرباء ، والمقربين

تحت عنوان « قصر جديد » يقول مكرم عبيد باشا فى عريضته :

أقام صاحب المقام الرفيع رئيس الوزراء منذ ولى الحكم فى أماكن متعددة قضى فترة من الزمن فى الباخرة الحكومية محاسن ..

وقضى فترة أخرى بفندق (ميناهاوس) ، وامتدت هذه الفترة الى بضعة شهور وأنفق فيها ما انفق ريثما تتم شتى الاصلاحات ، والتعديلات ، فى داره الأولى بمصر الجديدة . وطلب منى بالحاح كميات من خشب (الأبلاكاج) المستولى عليه فى وزارة التموين لاستعماله فى اصلاحات داره هذه ، فرفضت لأن الكميات المستولى عليها انما خصصت للمصالح الحكومية ، وقد كلفته عملية الاصلاح والتحسين هذه مئات عديدة من الجنيهات ، فى دار يسكنها بالايجار !! ومع ذلك لم يكد يعود اليها رفعته بعد غيبة شهور عدة حتى ظهر له أن هذه الدار التى أقام فيها سنوات طويلة غابرة ، والتى أنفق فى اصلاحها وتحسينها كل هذه النفقات ، لم تعد تفى بالمرام .

ولم يطل بحث مقامه الرفيع ، اذ أعجبه حى هادىء جميل ، هو حى (جاردن سيتى) وتمنى لو وجد مسكنا فى هذه الديار ، يسكنه على سبيل الاستقرار ، وما أسرع ما تحققت الأمنية ، حين ترامى الى سمع رفعته أنه توجد فى

الحى دار فاخرة ، زاهرة ، أرسلت صور من نقوشها وحجراتها ومعداتها ، الى جنيف لتكون أعظم دعاية لرقى معاهد التربية وفخامتها فى مصر •

وفى هذه الدار الفاخرة تتلقى العلم تلميذات وادعات ، ولكن معهدهن الفاخر خاضع للحكومة التى يقوم على شؤونها رفعته •

فماذا لو أخرج هؤلاء الفتيات من الحى كله بين عشية وضحاها ، ليهنأ رفعته بالمسكن الهنىء المنشود ؟ •

لا شىء ! وذهب رفعته ومن معه لزيارة الدار زيارة غير عادية وظنت التلميذات البريئات أنها نفحة من نفحات الاهتمام العظيم ، بالعلم والتعليم • لولا أن فاجأهن رفعتـــه بنظرات فاحصــــة لما فى الدار من زخارف وطرائف ، ومضى يتلمس ذا الجدار وذا الجدار ، ويهتم بعمارة الدار أكثر من اهتمـــامه بسكان الدار !! •

وأسفرت الزيارة عن اعجاب لم يكن أقل مظاهره شـــدة اللهفة على اخلاء الدار فى الحال ، وبلا امهال ! •

وصدع وزير المعارف بأمر رئيس الحكومة ، فاذا مراقبة تعليم البنات تضع مذكرة ذات ثمانية بنود ، يتضمن أحدها اخلاء المعهد والتطويح بتلميذاته من حى (جاردن سيتى) الى حى بولاق ، وتتضمن بنوده الأخرى حركة تنقلات بين مدارس بأكملها فى حى العاصمة ، لكى يتيسر الاستغناء عن دار المعهد التى أعجب بها رئيس الوزراء •

وفى نوبة حازمة ، حاســـمة ، من نوبات النشـــاط الحكومى ، وضعت مراقبـــة تعليم البنات مذكرتهـــا فى ١٩٤٢/٩/٢٢ ، وعرضت على وكيل الوزارة المساعد فوقعها فى ١٩٤٢/٩/٢٢ ، ثم رفعت الى وزير المعارف فوقعها أيضا فى ١٩٤٢/٩/٢٢ ، أى أن حركة التشتيت وضعت ووقعت كلها فى ساعات معدودات من صبيحة يوم واحد !! •

وفى نشاط مثالى لا يقل فى مظهره عن هذا النشاط ، تمت عملية الاخلاء ، والاجلاء ، بالليل والنهار ، على يد جنود من الجيش وضابطين ، مستعينا فى ذلك بسيارتين من سيارات مصلحة النقل الميكانيكى !! وظلت السيارتان الحكوميتان كما

ظل المستخدمون من رجال الحكومة تحت أمره حوالى شهر من الزمان ؟ ...

أما الدار الفاخرة فايجارها خمسون جنيها فى الشهر لا تزيد ، وهو ايجارها القديم الذى كان مقدرا قبل ارتفاع الأسعار ، ولم يكتف رفعة الحاكم العسكرى بهذا وحده بل استبقى من معدات المعهد ثلاجة ضخمة باهظة الثمن بحجة انها لا تصلح للعمل فى حى بولاق !! كما قيل انه استبقى ستارين جميلين من صنع يد التلميذات ويقدران بثمن كبير ، وبعض ثريات كهربائية الى غير ذلك مما يحتاج الى تحقيق دقيق .

ثم لم يكتف رفعته بهذا أيضا ، بل نهضت وزارة المعارف بعملية أخرى كلفتها مبلغا طائلا ، تحت ستار التعهد باعادة الدار الى حالتها الأولى ، وبهذا خرج من اعتماد البناء مبلغ ضخم أنفق على الحمامات الفخمة ، (والأرضيات) الثمينة ونحو ذلك من ضروب الانفاق ! .

ولكى تقفوا جلالتكم على مدى التقلقل الذى أصاب عددا من المدارس لكى يتسنى لرفعة الحاكم العسكرى أن يقيم فى الدار التى أعجبته بحى (جاردن سيتى) أتشرف بأن أثبت القرار الوزارى الذى أشرت اليه سابقا وهذا نصه :

المراقبة العامة لتعليم البنات
١٩٤٢/٩/٢٢

مذكرة

بمناسبة ضم معاهد التربية الخاصة بالمواد الفنية فى مكان واحد تحت اسم معهد التربية الفنية للبنات وانشاء مدرسة للبنات بحى الجمالية واستجابة لرغبات الأهالى فى مدارس الثقافة النسوية اقترح الآتى : ـ

١ ـ يكون مقر معهد التربية الفنية للمعلمات المبنى الذى تشغله الآن مدرسة الأميرة فوزية الثانوية ببولاق .

٢ ـ تنقل مدرسة الأميرة فوزية الى المبنى الذى تشغله الآن مدرسة عباس الابتدائية للبنات وتنقل تلميذات مدرسة عباس الابتدائية الى مدرسة شبرا الابتدائية للبنات .

٣ ـ يفصل قسم الروضة عن مدرسة الأورمان الابتدائية

ويكون روضة مستقلة يطلق عليها « روضة الأورمان » مقرها المبنى الذى يشغله الآن معهد التربية للفنون الجميلة ٠

٤ ـ تنقل مدرسة الأورمان الابتدائية للبنات الى المبنى الحالى لمعهد الموسيقى بالجيزة ٠

٥ ـ تفتح مدرسة ثقافة ثالثة بالقاهرة يكون مقرها المبنى الذى يشغله الآن مدرسة الأورمان الابتدائية ويطلق عليها اسم « مدرسة الثقافة النسوية بالأورمان » ٠

٦ ـ تبقى مدرسة الفنون الطرزية الابتدائية فى مكانها الحالى بشبرا ٠

٧ ـ تخلى مدرسة النحاسين الابتدائية للبنين من تلاميذها بتوزيعهم على مدارس باب الشعرية والجمالية والسلحدار القريبة منها حسب رغبات الأهالى ويجعل مبنى مدرسة النحاسين مقرا لمدرسة ابتدائية للبنات يطلق عليها اسم « المدرسة الحسينية الابتدائية للبنات » ٠

٨ ـ يفصل القسم الثانوى لمدرسة مصر الجديدة عن القسم الابتدائى ويدبر مكان لنقل أحدهما اليه ٠

أوافق ؟ المراقب العام ؟

٢٢/٩/١٩٤٢ شفيق غبريال الكردانى

موافق ؟

٢٢/٩/٤٢ الهلالى

وبهذا يكون رفعة رئيس الوزراء قد استغل نفوذه للانتفاع الشخصى على حساب الدولة فيما يتعلق بمسكنه على الوجه الآتى :

١ ـ أخرج معهدا كاملا من معاهد التعليم من دار أعدتها الحكومة لهذا الغرض بعد انفاق آلاف من الجنيهات ، لا لشىء سوى رغبته فى سكنى هذه الدار ٠

٢ ـ استخدم فى هذا الغرض ، ولحسابه الخاص ، جنودا وضابطين ، وسيارتين من سيارات النقل الحكومية !!٠

٣ ـ كلف خزانة الدولة مبالغ تصل الى ألوف الجنيهات بين

نفقات نقل المدارس ، واصـــلاح الدار التى قرر أن يتخذها لسكنه الخاص ...

٤ ـ سبب رفعته فى سبيل منفعته الشخصية حركة تقلقل واضطراب بين المدارس والتلميذات والعـائلات التى تناولتها حركة التنقلات التى يتناولها القرار الوزارى السالف الذكر .

وبعد أن يطيل الأستاذ مكرم عبيد فى الحديث عن انتفاع بعض الوزراء بممتلكات الدولة وتسخير المال العام لخدمة المال الخاص ينتقل الى الحديث عن التستر على التهمة المنسوبة لبعض الأنسباء **فيقول :**

● حدث اثر تأليف الوزارة أن جاءنى حضرة صـبحى أفندى الشوربجى ومعه نسيبه الأستاذ كمال الوكيل ـ أو هذا ومعه ذاك ـ وطلب الى حضرته أن ألحقه بمكتب الغزل بصفته صاحب معمل للغزل والنسيج أسوة ببنك مصر ، فلم أر بأسا من اجابة هذا الطلب على أن يعين هو وغيره من أصحاب المعامل للاستعانة بخبرتهم الفنية وللتسوية بينهم فى المعاملة ، ولكن الموظفين المختصين لفتوا نظرى الى أن بعض أصحاب هـذه المعامل ـ وبينهم الشوربجى أفندى ـ متهمون فى جنحة تهريب غزل أمام المحكمة العسكرية وأنه لا يصح بطبيعة الحال ـ قبل الفصل فى القضية ـ الاستعانة بهم كأعضـاء استشاريين للهيمنة على شؤون الغزل ومنع التهريب ، فى حين أنهم متهمون بالتهريب !

فى ذلك الحين كان النحاس باشا شغوفا بمعرفة ما تم فى مطالب حضرات الأنسباء بصدد تصـدير الزيت والجلود ، وكلما عاوده أو عاودهم الشغف عاوده الالحاح على ، فحدثنى ذات مرة بالتليفون وكنت فى مكتبى بوزارة المالية وسألنى عما اذا كنت قد قررت منح أنسبائه الرخص المطلوبة فقلت له انى لم أستكمل البحث بعد فقال بلهجة الغاضب العاتب أفلا زيت ولا جلود وحتى لا تعيين فى مكتب الغزل ؟ فأجبته ان لتأخير التعيين سببا سأدلى به اليه شخصيا ، وتوجهت فعلا لمجلس الوزراء وأخبرته بما علمته عن الجنحة العسـكرية المرفوعة ضد أنسبائه ووجوب الانتظار حتى تفصل فيهـا المحكمة العسكرية .

ولكأنى ألقيت قنبلة كان لها قعقعة ففرقعة .. وما كدت أشير الى المحكمة العسكرية حتى أخذته صيحة من الغضب ، وكان منظرا من المناظر التى ترى ، ولا تروى ..

فقد صاح فى وجه حضرة السكرتير العام لمجلس الوزراء وأمره بسحب القضية من المحكمة العسكرية .. فاعترضت فى رفق على مثل هذا الاجراء الشاذ فقال أنا الحاكم العسكرى وهذا من سلطتى فقلت لا بل أنت قاض قبل أن تكون حاكما عسكريا فلنترك الأمر للقضاء وليستعين المتهمون بأحسن المحامين .. فصاح مكررا أنا الحاكم العسكرى ولن أسمح بنظر القضية أمام المحكمة ، ثم أمر السكرتير العام بسحبها وقال فى تعليل ذلك أنه علم من أنسبائه أن الوزارة السابقة التى أمرت برفعها قصدت الى النكاية بهم فقلت له ان القضية مرفوعة عليهم وعلى غيرهم من أصحاب معامل الغزل فلا نكاية اذن ، ولا غرض ، وأن الأمر على أى حال متروك للقضاء ، فهو وحده الذى يفصل فيما اذا كانت التهمة صحيحة أو ملفقة ، أو باطلة ..

ولكن رفض وأصر على الرفض فى لهجة تعذر معها كل نقاش مستندا الى سلطته العسكرية ثم عاد فأمر السكرتير بسحبها ، وأخيرا نفد صبرى وقلت له انى لا أوافق على هذا السحب بحال من الأحوال لأنى أنا الوزير المختص ولا أرتضى لنفسى كما لا أرتضى له هذا الاجراء الشاذ ..

وفى خلال الضجة دخل علينا وزير العدل ، والمعارف وتساءلا عن الخبر فرويت لهما واقعة الحال ووجهة نظرى فيها ، فأجاب وزير العدل اجابة ما أسرع ما سررت ــ وما أسرع ما ثرت ! ــ لها ، اذ قال له ان مكرما معه الحق يا باشا .. لا يستحسن سحب القضية العسكرية من المحكمة .. ثم سألنى الى أى دور وصلت القضية وهل حققتها النيابة وانتهت منها فقلت له انى لا أعرف من الأمر أكثر مما أبلغنيه الموظف المختص من أن القضية أحيلت الى المحكمة العسكرية فقال اذن سأتصل بوكيل النيابة العسكرية وأطلب منه حفظها !! .

عنـــدئذ ثرت يا مولاى ــ واعترف ، بل يسرنى أن أعترف ، بهذه الثورة ! فقلت ما هذا ؟ رئيس الوزراء يطلب

سحب القضية من أمام القضاء ووزير العدل يتدخل فى سلطة القضاء فيأمر وكيل النيابة ـ وهو قاضى تحقيق ـ باتخاذ قرار معين لمصلحة شخص معين ٠٠ وهل تريدون منى أن أحمل ضميرى كل هذا الوزر ؟ فوالله ما دمت وزيرا للتموين لن يكون هذا ، وخرجت غاضبا من الغرفة ٠٠ وذهبت الى مكتبى بوزارة المالية وطلبت على الفور استحضار دوسيه القضية للاطلاع عليه فتبينت أن هناك تقريرا من مفتش التموين يثبت فيه التهمة على المتهمين وأن الأمر باحالة القضية الى المحكمة العسكرية انما صدر شفويا من الوزير السابق ولم ينفذ لسقوط الوزارة قبل تنفيذ الاحالة ٠ فبادرت باخبار النحاس باشا بذلك تليفونيا وقلت ملاطفا ان الله أراد للوزارة خيرا فأنقذها من وزر سحب القضية أو التدخل فى قرار النيابة لأن القضية لم تقدم حتى الآن للنيابة العسكرية ، فقال اذن فاحفظها ٠٠ فقلت كيف يكون ذلك وأمامى تقرير من المفتش الفنى يثبت التهمة على المتهمين ويتطلب تقديم القضية للنيابة ٠٠ فهل يرضيك أن أكون أقل أمانة لعملى من الوزير السابق ؟! ووعدته أنى سأصدر أمرا بتحقيق التهم من جديد ويكون التحقيق تحت اشرافى مباشرة وانى سأنظر الى الأمر نظرة القاضى لا كممثل للاتهام ٠٠ وفعلا أصدرت الأمر باعادة التحقيق فى قضية أنسباء النحاس باشا وقضايا أصحاب المعامل الأخرى المتهمين بنفس بنفس التهمة ، ولكن هذا الأمر لم يرض النحاس باشا واهله ، وكان محل مناورات ومداورات أشرت اليها فى مستهل هذه العريضة وانتهت الى تفاقم الأزمة كما أسلفت ٠

وكان من حسن الحظ أن القائم بشؤون وكالة التموين هو حضرة صاحب العزة محمد بك توفيق ابراهيم المستشار بمحكمة الاستئناف الأهلية فرجوته أن يدرس الملفات بما أعرفه عنه من دقة البحث ونزاهة التقدير ، وبعد أيام عرض على حضرته نتيجة بحثه فى قضية معمل الشوربجى وقال ان التقارير الفنية فى القضية تشير الى مسئولية أصحاب المعمل ولكنه يرى زيادة فى التدقيق أن تحال أوراق هذه القضية ـ كما أشار من قبل باحالة أوراق قضية أخرى مماثلة ـ الى حضرة محمود بك زكى مراقب مصلحة التشريع التجارى والملكية الصناعية ليعيد التحقيق فيها من بعض نواحيها

الفنية الهادئة ، وقد أحيلت الأوراق فعلا على حضرته فقــدم لى تقريرين عن قضية مصنع الشوربجى بتاريخ ٤ و ١٢ مايو سنة ١٩٤٢ وتقريرا فى قضية مصنع سباهى بما ارتكب من مخالفات تقتضى تحقيقها من النيابة .

وحسبى أن أقتطف بعض فقرات من هذه التقــارير الرسمية ، وقد أرفقت صورا حرفية منها فى هذه العريضة :

ففى التقرير المقدم من حضرة محمــود بك زكى مراقب مصلحة التشريع التجارى بتاريخ ٤ مايو ١٩٤٢ بصدد مصنع سباهى بالاسكندرية ، يقول حضرته ما يأتى :

« لذلك مازلنا نرى ـ لامكان القيــام بتحقيق أوفى بواسطة السلطة القضائية المختصــة ـ أنه من الأوفق احالة الموضوع للنيابة العسكرية المختصة » .

وكذلك قدم تقريرا بهذا المعــنى وفى نفس التاريخ عن المخالفات المنسوبة لمعمل « نزهة » للغزل الخاص بالشوربجى أفندى وشركائه .

ولكنى لم أكتف بهذه التقارير وحرصــت على أن أحقق دفاع المتهمين من شتى نواحيه ، كما يبدو ذلك جليــا من التقرير اللاحق المؤرخ ١٢ مايو الذى قدمه الينا حضرة مراقب التشريع التجارى ـ وقد جاء فيه ما يأتى :

« وقد أبديتم معاليكم أنه قبل ابداء أى رأى فى الموضوع يجب التحقق من وجود كمية الغزل البالغ مقدارها ١٤٥٢٠ رزمة التى تقول الشركة ان لها الحق فى اختزانها باعتبار أنها تمثل استهلاك مصنعى النسيج فى مدى أربعة أشهر » .

وفعلا انتدب حضرة شريف أفنــدى حسن مدير ادارة التخزين للقيام بهذه المأمورية وقدم تقريره الى حضرة مراقب التشريع وهذا الأخير رفع تقريره الى ـ وهو تقرير ١٢ مايو الذى سبقت الاشارة اليه ـ وقد أيد فيــه رأيه الذى أبداه بتاريخ ٤ مايو ـ مشيرا الى مسئولية اصحاب المصنع ، وقال فى ختام تقريره ما يأتى حرفيا :

« .... وهذه الكميات (١٣٩١٩ رزمة لغاية ١١ مايو سنة ١٩٤٢) عجزت الشركة عن اثبات وجودها فى مخازنها

مما يحتمل معه أن تكون قد تصرفت فيها بمـــا يخالف الأمر العسكرى رقم ٧٦ والقرار الوزارى رقم ١٤٨ لسـنة ١٩٤١ كما سبق البيان » •

وبهذا ثبتت المسئولية على أصحاب مصانع الغزل ووجب احالتهم على النيابة العسكرية للتحقيق معهم كما أشار بذلك الموظف الفنى المختص وهو حضرة مراقب التشريع التجارى ، بناء على بحثه الخاص وتقارير مفتشى التموين •

ومما هو جدير بالملاحظة أن هذه التقارير التى قدمت فى مـــدة قيـــامى بأعمـــال وزارة التموين • جاءت مؤيدة للتقارير التى قدمها مفتشو التموين المختصون فى عهد سلفى حضرة الأستاذ محمد حامد جودة وزير التموين الأسبق •

وأخيرا فقد تضمن تقرير آخر رفعه الى المفتش المختص تحت عنوان (تقرير عن حالة الانتـــاج فى مصـــنع النزهة بالاسكندرية) اشارة خطيرة الى التلاعب فى أجور العمـال ونصها كما يأتى :

« كانت البيانات التى تقدم الينا عن أجور العمال فى قسمى البرم الأولى والشلل خاطئة قصد بها التضليل وعـدم الوصول الى الحقيقة •••• وليس أدل على ذلك من أنه قـدم لنا بيانا بأجور العمال فى قسم الشلل يندهش لارتفاع فئاتها جميع أصحاب المصانع الأخرى •••• أى ان فئات الأجور فى مصنع النزهة هى ضعف ما هى عليه فى مصنع سباهى ، وهذا غير معقول ولم نقبله بتاتا وأنكره العمـــال واعترفوا بالأجور الحقيقية وهى نصف تعريفة الأجور المذكورة بعاليه » .

لم يبق لدى شـك فى مسئولية أصحاب المصانع بعد الاطلاع على التقارير المقدمة فى عهد سلفى وفى عهـدى ، ولكنى احتفاظا بوعدى وحرصا على مصلحة الدفاع رأيت أن أحيل الأوراق على حضرة المســـتشار الملكى لوزارة الماليـة لاستطلاع رأيه فيما رأيته ورآه الموظفون المختصون معى من وجوب احالة أصحاب مصنعى الشوربجى وسباهى على النيابة العســكرية ، ومن ثم أثبت فى ذيل تقرير حضرة مراقب مصلحة التشريع التجارى رأيى فى هذه المخالفات وفى وجوب الاستئناس برأى حضرة المستشـار الملكى ، بالصيغة التالية :

« بعد الاطلاع على تقارير مكتب الغزل والمفتش المنتدب وحضرة مراقب مصلحة التشريع التجارى والملكية الصناعية التى يؤخذ منها وقوع مخالفة صريحة - وبعد الاطلاع على دفاع أصحاب المصنع أنفسهم الذين أفسح لهم مجـــال الدفاع الى أقصى حدوده - أرى أن هناك مخالفة للأمر العسكرى تستدعى تبليغ النيابة العسكرية لتحقيقها واتخاذ قرار بشأنها ، غير انى أرى زيادة فى الضمان للمنسوب اليهم المخالفة ان يؤخذ رأى حضرة المستشار الملكى ويعرض الأمر علينا ؟ » .

١٢ مايو سنة ١٩٤٢ مكرم عبيد

وكانت هذه التاشيرة خاصة بمصنع الشوربجى ، واثبت مثلهـا فيما يختص بمصـنع سـباهى ، فى نفس التـاريخ ، وبالصيغة التالية :

« أوافق وأرى زيادة فى الضمان للمنسوب لهم المخالفة أخذ رأى حضرة المستشار الملكى ويعرض الأمر علينا » .

وقد رفع الى حضرة المستشار الملكى مذكرة أثبت فيها رأيه صراحة بوجوب ابلاغ النيابة العسكرية لكى تتـــولى التحقيق ، فى شأن المخالفات المنسوبة الى مصنعى الشوربجى وسباهى ، ولما كانت هذه المذكرة محل تحريف وتشويه من رفعة رئيس الحكومة فى بيانه الذى ألقاه فى مجلس النواب ، حتى انه زعم فى جراة مدهشة أن المستشار الملكى لم يوافق على احالة الأوراق الى النيابة العســـكرية - فانى أستاذن جلالتكم فى اثبـــات نص مذكرة حضرة المستشار المـلــكى بحروفها :

* * *

اطلعنا على التقرير المؤرخ ٤ مايو سنة ١٩٤٢ المرفوع من مراقب مصلحة التشريع التجارى الخاص بالمخالفات المنسوبة الى مصنع « سباهى » للغزل وعلى تقريره المؤرخ ١٢ مايو سنة ١٩٤٢ الخاص بالمخالفات المنسوبة للشركة المصرية « نزهة » للغزل والنسيج - وعلى التقارير والمذكرات الســـابقة التى وضعت فى هذا الموضـــوع ونرى أن نوافق على ما اقترحه مراقب مصلحة التشريع التجارى من ابلاغ النيابة العسكرية كى تتولى التحقيق ، اذ يتضـــح من مذكرة ادارة الغـزل والمنسوجات والتحقيق الادارى الذى أجرى فى هذا الشان أن

أصحاب المصنع الأول لم يوردوا لمكتب بيع الغزل جميع ما أنتجه فى السنة أشهر الأخيرة من العام الماضى ، فيكونوا بذلك قد خالفوا القرار الوزارى رقم ١٤٧ الخاص بالاستيلاء على جميع خيوط الغزل ، والقرار رقم ١٤٨ الخاص بتنظيم التداول فى خيوط الغزل القطنية ، كذلك يتضح من الأوراق أن أصحاب المصنع الثانى قد ارتكبوا نفس المخالفات ويمتاز المذكورين بادعائهم ان لهم الحق فى اختزان ما يكفى حاجة مصانع النسيج التابعة لهم مدة أربعة شهور ، وفقا لأحكام المرسوم بقانون رقم ١٢٨ سنة ١٩٣٩ وقرار وزير التموين الصادر فى ١٤ يونيه سنة ١٩٤١ ـ وقد طولبوا بالارشاد عن الكمية التى يعترفون بحيازتها فلم يقوموا بما طلب منهم .

ونرى أنه لا يجوز لهم قانونا أن يختزنوا ما يكفى حاجة مصانعهم مدة أربعة شهور اذ بديهى أن نص القرار الوزارى الصادر فى ١٤ يونيه سنة ١٩٤١ بسريان المرسوم بقانون رقم ١٢٨ سنة ١٩٣٩ على خيوط الغزل أصبح معطلا بالقرار رقم ١٤٧ الصادر فى ٥ يوليو سنة ١٩٤١ بالاستيلاء على جميع خيوط الغزل القطنية بكافة أنواعها سواء كانت مستوردة من الخارج أو من انتاج المصانع المحلية ، وان هذه الخيوط توزع ببطاقات على أصحاب مصانع النسيج ، تبعا لحاجتهم الأسبوعية ، وقد أيدت هذا بصراحة لجنة الغزل المركزية المشكلة وفقا للقرار رقم ١٤٨ سنة ١٩٤١ اذ قررت بشأن مصانع الغزل الملحقة بمصانع النسيج أنها « تأخذ كل شركة من الشركات المنتجة لغزل القطن والموجود بها مصانع للنسيج ما تحتاج اليه لتشغيل مصانعها ـ دون أن يصرح لها بأن تختزن أى غزل يكون فائضا عن الحاجة الفعلية لمصانعها ـ » .

ولا يصح الاحتجاج بالقرار الصادر من اللجنة بعد ذلك فى ١٩٤١/١٠/٢٨ الذى سمح لهم بالاستيلاء على ٦٥٪ من انتاج مصنع نزهة للغزل ، « والباقى يصرف لهم ببطاقات » اذ لا يتصور أن يكون مفهوم هذا القرار السماح لهم بالتخزين فضلا عن أن هذا قرار لم يصدق عليه وزير التموين فلا قيمة له قانونا (م ١٣ من القرار الوزارى رقم ١٤٨ سنة ١٩٤١) .

على انه حتى مع التسليم جدلا بان لأصحاب المصنع حق تخزين الغزل الذى يكفى مصانعهم مدى أربعة شهور ، فانهم

لم يستطيعوا الارشـاد عن الكميـة التى اعترفوا بأنها فى حيازتهم ٠

المستشار الملكى
(محمد على نمازى)
١٨ مايو سنة ١٩٤٢

وعن فضيحة أخرى كما يقول مكرم باشا هى شر من الأولى يقـول صاحب الكتاب الأسود :

فى شهر يونية الماضى وصل الى علم أحد حضرات مفتشى التموين أن غزلا يهرب فى الاسكندرية بأسعار فوق التسعيرة فانتدب حضرته (واسمه صالح أفندى ناشد) لضبط الغزل الذى قيل انه يهرب من مصنع سباهى (مصطفى افندى سباهى وشركاه) ـ وهنا أترك الكلام لحضرة مفتش التموين نقلا عن تقريره لمعالى وزير التموين ، فقد جاء فيه حرفيا ما يأتى :

« ولما كان موضوع السوق الأسود للغزل من المواضيع الحرية باهتمام وزارة التموين الجديرة بمنتهى عنايتها فقد عرضت على مسامع معاليكم فى الاسبوع الثالث من شهر يونيو سنة ١٩٤٢ ما وصـل الى علمى فتفضلتم وأمرتمونى باتخاذ الاجراءات السرية لتحقيق مبلغ ذلك من الصحة لكبح جماح لصـوص الحروب والأزمات والراغبين فى الغنى والثراء على حساب الطبقة الفقيرة من الشعب ٠٠٠

ويمضى التقرير الذى قدمه مفتش التموين قائلا انه بعد التحريات اللازمة والاتصال ٠ بالأميرال ماركوبك رئيس الجهـاز السرى والصـاغ صفوت أفندى مساعده وبعد الاتفاق مع بوليس اسكندرية ووكيل المحافظة ومساعد الحكمدار و ٠ و ٠ انتهى الأمر الى ضبط البضائع المهربة من مصنع النزهة ـ مصنع الشوربجى ـ

وطبقا لتقرير بوليس الاسكندرية الذى وضع الخطة والشرك الذى نصب لضبط المهربات تم تسليم فهمى بك الحلبونى صاحب المصنع مبلغ ١٣١٠ جنيه نظير البضاعة المهربة بالاضافة الى تسليم (المرشد) لاذن خروج السيارة بالبضاعة وهو يطابق فاتورة البيع والبضـاعة المهربة عبارة عن ٢٧ بالة غزل ٠

ويقول مكرم عبيد ان الاتجاه كان يقتضى ـ فى البداية ـ بضبط مصنع سباهى ولكن المصـادفة التعسة قضت بضبط مصنع آخر يديره

الحلبونى والحلبونى شريك للشـــوربجى ومصنع الحلبونى هو مصـــنع الشوربجى بالاسكندرية . وقد قامت الوزارة لهذا الوضع الجديد فأرسلت فى طلب مفتش التموين ، الذى عهد اليه بالتفتيش واتصلت به فى نيابة الاسكندرية طالبة عودته فورا الى القاهرة ، فعاد فعلا بعد استئذان النيابة كما هو ثابت من الخطاب الرسمى الذى سيأتى الكلام عنه .

وفى اليوم التالى قابل المفتش المذكور معالى وزير التموين فى مكتبه بالوزارة وهناك رأى صبحى أفندى الشوربجى فى الانتظار ، ولم يلبث هنيهة حتى حضر معالى عبد الفتاح الطويل باشا ومعه الأستاذ أحمد الوكيل ... وقص المفتش على معالى وزير التموين القضية من أولها الى آخرها مبينا أنه لم يقصد سوءا بتفتيش مصنع الشوربجى ... ثم انصرف الجميع الى مكتب وزير العدل ... وكانت حركة ، وكانت مخابرات ، فمداولات ... وظهر أثر هذه المداولات والتحريات فى أقوال الشهود من رجال البوليس فى التحقيق التالى ، فقد اختلفت اختلافا تاما مع أقوالهم فى التحقيق الأول بل ومع التقارير الرسمية المقدمة من رجال التموين والبوليس أنفسهم .

وانى على استعداد يا مولاى لأن أذكر اسم الموظف الذى روى لى خبر هـذه المداولات وما ترتب عليهـــا من نتـــائج وتطورات "

ولكن الذى يعنينى - ويكفينى - هو التقارير الرسمية التى أشرت اليها والتى أرفق مع هذه العريضة صورا منها ، فهى تدل على أن هناك جريمـــة بل وتلبســا بالجريمة ، فقد ضبطت البضاعة بحضور وكيل النيابة نفســه ، وضـــبطت النقود فى جيب الحلبونى أفندى - وهى النقود التى سبق للبوليس ان اخذ بيانا بارقامها - وحققت النيابة مع المتهم وسمعت أقوال شهود الاثبات من رجال البوليس ولم تفرج عن المتهم الا بكفالة كبيرة مقدارها مائة جنيه مصرى - فكيف ولماذا نامت القضية بعدئذ فلم يقدم المتهم الى المحاكمة ؟ - هذا هو السؤال !

ومما يدعو الى الدهشة والحسرة معا أن نجد فى تقارير رجال التموين والبوليس عبارات ، تنطوى على اعتذارات ، لا لسبب الا لأن المصنع الذى ضبط هو لسوء الحظ مصنع الشوربجى وليس مصنع سباهى ! ...

فقد جاء فى تقرير حضرة البكباشى مدير ادارة التسعير

الجبرى بمحافظة الاسكندرية أن حضرة مفتش التموين قرر أن المحل المقصود بالذات هو شركة سباهى ... واستطرد واضع التقرير الى القول بأنه علم من حضرة ضابط المباحث أن صاحب المصنع يدعى الحلبونى وليس سباهى ، وهنا يقول حضرته : « وقد ناقشت ذلك مع حضرة الصاغ محمد مصطفى افندى وحضرة صالح ناشد أفندى فعلمت أنهما مكلفان بضبط أى مصنع بصرف النظر عن أى اعتبار وأن الكل فى القانون سواء » ...

وكذلك يعتذر مفتش التموين فى تقريره المرفوع لوزير التموين عن ضبط مصنع الحلبونى شريك الشوربجى فيقول ما يأتى بالحرف الواحد :

« يتعين على اجلاء نقطة هامة فى هذا الموضوع وهو كيف قمنا بضبط مصنع الحلبونى مع أن المتفق عليه هو ضبط مصنع السباهى — صحيح ان الجميع أمام القانون سواء — ولكن فى هذا الاجراء خروج على أو تبديل لنظام مأمورية محددة » ... ثم يحاول المسكين تفسير هذه المفاجأة التى فوجىء بها والتى عرضته لسخط الساخطين !

ومن حسن الحظ فان تحت يدى الدليل الرسمى على استدعاء مفتش التموين الى القاهرة على أثر ضبط مصنع الحلبونى وما ترتب على الضبط من وزر لا يغتفر ، حتى اضطر المفتش الى المبادرة بالعودة الى القاهرة قبل استكمال تحقيق النيابة ، وفيما يلى نص خطاب حضرة وكيل النيابة العسكرية بالاسكندرية الى سعادة وكيل وزارة التموين .

« محكمة الاسكندرية العسكرية

الاسكندرية فى ١٩٤٢/٧/١٤

حضرة صاحب السعادة وكيل وزارة التموين

نرجو التكرم بالتنبيه على حضرة صالح ناشد افندى مفتش التموين بالوزارة بالحضور بالنيابة العسكرية باسكندرية صباح يوم السبت القادم الموافق ١٩٤٢/٧/١٨ لحضور التحقيق فى القضية الخاصة بضبط مصنع الشركة المصرية نزهة للغزل والنسيج والمتهم فيها محمد فهمى الجلبونى افندى وآخرون مع التشرف بالاحاطة باننا قد سمحنا

لحضرته بالسفر اليوم كطلبه على ان يعود الينا فى الموعد المذكور .

وتفضلوا سعادتكم بقبول فائق الاحترام ؟

وكيل النيابة العسكرية
بالاسكندرية

هذا ما وصل الى علمى من بيانات معززة بتقارير وأوراق رسمية أتشرف برفعها جميعا الى سدتكم ولجلالتكم الرأى الأعلى فى الأمر بتحقيقها لاستكمال وقائعها وتطوراتها ، فان المسألة جد خطيرة ، وهذه هى المرة الثانية التى يحقق فيها مع الشوربجى اخوان ثم ينام التحقيق الى غير يقظة حتى الآن !

ويذكر مكرم عبيد باشا . وهو يتحدث عن تصدير الزيت والجلود . أنه لم تكد نتولى الحكم حتى جاءنى فى منزلى الأستاذ أحمد الوكيل وصهره صبحى أفندى الشوربجى وطلبا الى الاذن بتصدير كميات هائلة من الزيت والجلود ، وحددا كمية الزيت المطلوب تصديره بستة آلاف طن ، قائلين ان الربح من تصديره يبلغ حوالى السبعين ألف جنيه وقد يصل الى مائة ألف ــ ولو انى تحققت بعد ذلك ان الربح فى الطن الواحد يبلغ حوالى التسعين جنيها أى أن مجموع ما يكسبونه فى الكمية كلها يبلغ حوالى النصف مليون من الجنيهات ! ...

دهشت يا مولاى ، ولم يسعنى الا أن أبدى دهشتى مقرونة بشىء من الامتعاض ، فأراد الأستاذ أحمد الوكيل أن يهدىء من روعى ويزيد من تشجيعى ، فقال ان الجلود لصهرى ، وأما الزيت فلى ومن تعرف ! وغمز بعينه وضحك أما أنا فلم أضحك !

وفى الأيام التالية كان النحاس باشا يلح على فى اعطائهم الزيت والجلود ، ولكنى انتهيت بعد دراسة الى رفض الترخيص لهم ولكل من طلب الاذن بتصدير الزيوت ــ وانى على استعداد للتحديد بالاسم اذا لزم الأمر .. بل انى اضطررت آخر الأمر نظرا لتفاقم أزمة الزيت الى الغاء الرخص القائمة التى تقرر الاذن بها منذ العهد السابق لمعامل الزيت وتجاره ، وقد أشرت الى وقف هذه الرخص والغائها فى خطاب ألقيته فى مجلس النواب ردا على استجواب خاص بالزيت ، حتى انى أمرت بانزال ما كان قد شحن منه على المراكب .

ثم يقول مكرم عبيد باشا عن السكر :

اذا كان موقف النحاس باشا معيبا فى مسألة تصدير الزيت فموقفه من تصدير السكر والأرز لمصلحة الأهل

والأنسباء هو موقف الرجل المتلبس بالعيب، المرتكب بشخصه للوزر ... فانه لما رأى أن لا سبيل الى الثراء من طريق صديقه وزير المال والتموين سعى هو شخصيا الى تصدير هذه المواد لمصلحة أهله من وراء ظهري ، ومن غير الطريق الطبيعي ـ وهو طريق الجهة المختصة !

وفي ذات يوم تفضل بزيارتي صديق كبير هو حضرة صاحب الدولة عبد الفتاح يحيى باشا وقال لي في خلال حديثه انه سمع من كبير انني قد سمحت لانسباء النحاس باشا بتصدير مائتي طن من السكر فابديت لدولته دهشتي من هذا النبأ وأكدت له انى لا أعرف عنه شيئا ، لأن التصدير لم يكن اذ ذاك باذن من الوزير .

ولما بحثت الأمر في وزارة المالية بحثا دقيقا تبين لي أن شركة السكر قد تعاقدت في ١٦ فبراير سنة ١٩٤٢ مع صبحي بك الشوربجي على تصدير كمية من السكر مقدارها ٣٠٠ طن ، ومن هذه الكمية مائة طن سكر ماكينة بسعر ٥٠ جنيها للطن ومائتي طن « روس » بسعر ٥٥ جنيها للطن ... واطلعت في ملف الأوراق على خطاب من سعادة وكيل وزارة المالية أرسله الى الشركة في ٢٠ مارس سنة ١٩٤٢ وتبين منه ان الشركة قد وضعته أمام الأمر الواقع فلم تخطره قبل اتمام التعاقد وقد لفت نظرها الى وجوب مراعاة ذلك في المستقبل . ولما تساءلت كيف اجترأت الشركة على مخالفة الاجراءات المتبعة في مثل هذه الأحوال فلم تخطر وكيل المالية المختص بالأمر ، قبل نفاذه ، فتبين لي ويا للأسف ان رفعة النحاس باشا نفسه اتصل باحد الموظفين المختصين ـ فضلا عن اتصاله بسعادة احمد عبود باشا مدير الشركة ـ وكان لهذا الاتصال اثره الفعال في التعجيل بهذه الصفقة وتسهيلها ! ...

وكان معالي وزير المالية السابق قد سمح للشركة بتصدير حوالي ٢٤ الف طن من السكر في وقت كان السكر فيه موفورا وظل باقيا من هذا القدر ٤٤٠٠ طن لم تصدر فعلا فمنعت الوزارة تصديرها كما منعت تصدير جميع المأكولات طبقا لما اقتضته حالة التموين ، ويظهر أن حضرات الانسباء لما أحسوا هذا الاتجاه مني استخدموا النحاس باشا للتعجيل بالصفقة قبل أن يقع المحظور ... وكان النحاس باشا يعلم ذلك بطبيعة الحال قبل غيره فلو انه كان حسن النية لخاطبني في الأمر بصفتي الوزير المختص ولكنه لما تبين

اتجاهي بالمنع في مسألة تصـدير الزيت رأى أن مخـاطبتي ليس من ورائها زيت ... ولا سكر ... فكان ما كان .

ومن المضحك المبكي ان رفعته وقف في البرلمان يترافع عن أنسبائه قائلا ان التصدير كان مسموحا به لهم ولغيرهم قبل وزارتنا ـ وهل أنا منكر لذلك يا مولاى ؟ ! كلا ، بل أنا به فخور ـ اذا صح الفخر في أمر يقضي به الواجب المر ـ فقد كانت السياســة التي وضعتهـا بالاتفاق مع الموظفين المختصين علاجا لأزمة التموين التي واجهناها في أشد حالاتها عندما تولت الوزارة الحكم ـ كانت هذه السياسة تحتم علينا التشدد الى أقصى حدود التشدد في حظر تصدير المأكولات ، توفيرا للغذاء ومنعا لتفاقم الغلاء ... ولو اني تركت للنحاس باشا وانسبائه الحبل على الغارب لجاع الفقراء فوق جوع ، وشبع الانسباء فوق شبع .

ويبعث مكرم عبيد لعبود باشا الرسالة التالية :

حضرة صاحب السـعادة عضـو مجلس الادارة المنتدب للشركة العامة لمصانع السكر ومعمل التكرير بالقطر المصرى .

بمناسبة ما عرضتموه علينا أثناء مقابلتكم لنا في أوائل الشهر الجارى بخصوص التصريح للشركة بتصدير عشرة آلاف طن من السكر الى الخارج ـ أتشرف باحاطة سـعادتكم انى بحثت موضوع تصدير السكر وتبين لى أمران : ـ

أولا : أن الحالة لا تسـمح الآن بتصدير كميـات من السكر ويستحسن الانتظار الى أن تنتهى المصانع من عملها ويعرف على وجه الدقة مقدار الانتاج في الموسم الحالى .

ثانيا : تبين لى أثناء الاطلاع على النظام الذى أتبع في تصدير السكر والكميات التي تم تصديرها من قبل أن الشركة قد تعاقدت في ١٦ فبراير سنة ١٩٤٢ مع حضرة صبحى بك الشوربجى على تصدير كمية مقدارها ٢٠٠ طن سكر منهـا ١٠٠ طن ماكينة بسعر ٥٠ جنيها للطن و ١٠٠ طن روس بسعر ٥٥ جنيها للطن .

وقد لاحظنا على الاجراءات التى اتبعت في هذه الصفقة ما يأتى : ـ

١ ـ ان الشركة قد أبرمت العقد في ١٦ فبراير سنة ١٩٤٢ ثم أخطرت سعادة وكيل الوزارة في ٢٨ فبراير سنة

١٩٤٢ بحصول التعاقد ـ وقد اضطر سعادته بعد أن وضعته الشركة أمام الأمر الواقع أن يخطرها بخطابه المؤرخ فى ٢٠ مارس سنة ١٩٤٢ بموافقته مع لفت نظر الشركة الى ضرورة الحصول على موافقة الوزارة قبل اتمام التعاقد ٠

٢ ـ تبين ان حضرة صبحى بك الشوربجى لم يقم بتصدير هذه الكمية بنفسه بل باعها الى أحد تجار السكر وهو محمد أفندى أديب السراقبى وهذا الأخير هو الذى قام بتصديرها الى سوريا ـ ونظرا لارتفاع ثمن السكر فى الخارج وبصفة خاصة فى سوريا فقد جنى الشوربجى بك من وراء هذه الصفقة أرباحا بلغت بضعة آلاف من الجنيهات وكذلك عادت هذه العملية بربح وافر على السراقبى أفندى وما كان أحوج الشركة والحكومة الى هذه الآلاف من الجنيهات لو أن الشركة تولت عملية التصدير بنفسها ٠

ولما كانت سياستى فى تصدير السكر تخالف هذا النظام من أساسه فقد عنيت ببحث ظروف هذه الصفقة وهى الوحيدة التى تمت فى عهد هذه الوزارة ولم أعلم بها الا الآن ، وذلك لكى يتبين مدى الخسارة التى تعود على الحكومة والشركة من جراء تدخل الوسطاء فى عملية التصدير ٠

ولهذا اهتممت بأن أوجه نظر الشركة الى أن المقصود من عملية التصدير هو أن تستفيد الحكومة والشركة من الفرق بين سعر السكر محليا وسعره فى الخارج لا أن يستفيد به الغير أو يقاسم الحكومة فيه ـ وخصوصا اذا كان هذا الغير ممن لا علاقة لهم بتجارة السكر ٠

والسياسة التى أرغب فى اتباعها اذا ما سمحت الظروف بالتصدير هى أن تتولى الشركة بنفسها ـ وبالاتفاق مع وزير المالية ـ عملية التصدير بدون وسيط أيا كان سواء أكان تاجرا من تجار السكر أم لا ، حتى يتحقق لها وللحكومة كامل الربح ، وحتى تصان أموال الدولة التى يقضى واجبى كوزير للمالية أن أكون حفيظا عليها ٠

وتفضلوا سعادتكم بقبول احتراماتى ؟

تحريرا فى ١١ أبريل سنة ١٩٤٢ — وزير المالية
مكرم عبيد

ويطيل مكرم عبيد باشا فى الحديث عن تلك الصفقة ثم ينتقل بعد العديد من الصفحات الى صفقة أخرى بل الى فضيحة أخرى كما يقول مكرم عبيد باشا هى صفقة الأرز أو فضيحة الأرز فيذكر أن كامل صدقى باشا وزير التجارة كان قد زاره فى مكتبه بوزارة المالية ليبلغه ان النحاس باشا قد اتصل به وطلب اليه ان يصدر الى بلاد الشام ـ بناء على طلب الجنرال كاترو ـ عشرة آلاف طن من الأرز مقابل استيراد عشرة آلاف طن من البطاطس وليطلب منه ـ كامل باشا ـ ان يحجز من الأرز ٢٠٠ طن لأحمد الوكيل ليصدرها هو ويقول مكرم عبيد باشا :

وهنا أبدى لى كامل باشا دهشته من أن يخاطبه النحاس باشا فى مسألة التصدير مع أن التصدير من اختصاص وزير المالية ، وقال انه بحث كوزير للتجارة مسألة حاجة البلاد للبطاطس وترك مسألة تصدير الأرز التى هى من اختصاصى ، وسألنى اذا كان النحاس باشا قد فاتحنى فى الأمر ، فقلت له انه لم يفعل ولن يفعل ٠٠٠ لأنه يعلم انى سأرفض حتما هذا التصدير لعدم توافر الأرز فى البلاد .

تلك فضيحة أولى فى مسألة الأرز ، أن يتهرب رئيس الوزراء من الوزير المختص ويلجأ الى الوزير غير مختص لاعطاء انسبائه رخصة بالتصدير ، وبالثراء الوفير ٠٠٠ ولكن الفضيحة تزداد افتضاحا اذا ما رأينا رئيس الحكومة المسئول يسير جنبا الى جنب مع انسبائه غير المسئولين ، ويتحايلون جميعا ـ هم وهو معهم ! ـ على الفرار من وجه الوزير المختص للحصول على رخصة بتصدير مادة أولية من مواد التموين !.

ولكن هذا ما وقع يا مولاى ، وها هو ذا الدليل الكتابى عليه أتشرف بارفاقه مع هذه المذكرة ـ وهو عبارة عن خطاب موقع عليه بامضاء « محمد صبحى الشوربجى » نفسه وموجه الى وزير التجارة ، وفيما يلى نصه حرفيا .

« حضرة صاحب المعالى وزير التجارة والصناعة .

أتشرف بأن أرجو من معاليكم اصدار ترخيص باسمى لتصدير ٥٠٠ طن أرز الى فلسطين وسوريا فى مقابل استيراد كمية من البطاطس مساوية لها فى القيمة وذلك اسوة بما اتبع مع آخرين . هذا مع الاحاطة بأنى أتعهد بتوريد كمية البطاطس المشار اليها فى شهر يونيو سنة ١٩٤٢ مع استعدادى لتقديم ٥٠٠٠ جنيه أو ضمان بهذا المبلغ على أحد

البنوك المعتمدة كشرط جزائى يكون تحت تصرف الوزارة ان لم تصل كمية البطاطس فى الموعد المذكور ٠

١٩٤٢/٣/١٨ محمد صبحى الشوربجى

اذن ، تصدير أرز مقابل استيراد بطاطس ! ٠٠٠ حقا ان التاريخ يعيد نفسه ! ٠٠٠ وكما اتجه النحاس باشا الى كامل باشا صدقى طالبا الاذن بالتصدير لأحمد الوكيل فقد اتجه أيضـــا صبحى الشوربجى ـ وهو شريك من باطنه شركاء ! ـ اتجه هو أيضا الى وزير التجارة طالبا الترخيص بتصـــدير أرز مقـــابل استيراد بطـــاطس ، ناسيا أو بالأحرى متناسيا ان الوزير المختص بالتصدير والاستيراد معا هو وزير المالية دون غيره ـ ووزير المالية هو مكرم عبيد !!

ولكن ذلك كله لم يجدهم نفعـا ، فقد انتهى المسعى وانتهى الخطاب الى فى آخر المطاف ، رغم محـاولة التهرب منى ـ وكانت النتيجة الرفض البات البتار ، فى أدب جم يخالطه شىء من الاحتقار ٠٠٠

وعن الجلود أيضا يقول مكرم باشا :

سبق أن قلت يا مولاى ان الشوربجى اخوان طلبوا الى عقب تأليف الوزارة أن أسمح لهم بتصدير كمية من الجلود ، فرفضت التصريح بذلك تنفيذا لقرار منع تصدير الجلود الى الخارج ٠٠٠ ورغم ذلك فقد جاءتنى البطاقة التالية بامضاء حضرة النائب المحترم خليل بك الجزار (عديـل النحاس باشا) ، موصى فيها حضرته بمنح ترخيص بالتصدير للخواجه لوكاس كالوجيروس ، وفيما يلى نص التوصية كما وردت فى البطاقة (وهى مرفقة مع هذه العريضة) : ـ

« حضرة صاحب المعالى مكرم باشا

بعد التحية حامل هـذا الخواجة كالوجيروس من أعز أصدقائنا وأرجو قضاء مأموريته ولمعـاليكم جزيل الشـكر وتفضلوا بقبول فائق التحية »

خليل الجزار
١٩٤٢/٤/٢٣

وبعد ذلك قـدم لى الخـواجات كالوجـيروس ولوكاس كرستوفيدس طلبـــا باسم لجنـة مصـــدرى الجلود الخامة

بالاسكندرية يطلبون فيه التصريح بتصدير من ٥٠ الى ٦٠ طنا من الجلود المصرية الخامة ٠

وما من حاجة الى القول بأنى رفضت هـــذا الطلب ، تنفيذا لقرار مجلس الوزراء بمنع تصدير الجلود على اختلاف أنواعها ٠

ولم أكد أنظر فى توصية حضرة خليل بك الجزار حتى تلتها توصية أخرى من رفعة النحاس باشا بالسماح بتصدير ألف حذاء من النعل الجلد لمصلحة محمد أفندى محمود وعلى أفندى عبد الحميد ، ويقول النحاس باشا فى بيانه البرلمانى انه خاطبنى فى تظلمهما وخلاصته انه قد تصرح لهما وتعاقدا ومنحا أجلا للتصدير ولكن فى خلال فترة الأجل صدر قرار بمنع التصـــدير — ويزعم رفعته انى أقررتهمـــا على تظلمهما وطلبت منه ارسال أوراقهما كلها الى فارسلها ولكنى لم أشأ ان أجدد التصريح وخرجت من الوزارة والأوراق معى ! ٠٠٠

وهى أكذوبة أخرى من الأكاذيب الصغيرة ٠٠٠ فانى فى الواقع طلبت الى النحاس باشا ارسال تظلمهما لبحثه ، وبحثته فعلا فـوجدت ان حالتهمـــا تدخل تحت قرار مجلس الوزراء الذى منع التصريح بتصدير الجلود من جميع الأنواع سواء أكانت خاما أم مشغولة — أما قول النحاس باشا فى بيانه المطبوع انى أخذت الأوراق معى ولم أردها فقد أغنانى عن الرد عليها ما قاله كامل باشا صدقى فى أثناء القاء البيان (ورواه لى أحـــد النواب الحاضرين) ان الأوراق قـــد عثر عليها !! ٠٠٠

والذى يعنينى اثباته هنا هو انى ما كدت أخرج من الوزارة حتى أصدرت وزارة المالية فى أول يونية سنة ١٩٤٢ تصريحا بتصدير الألف حذاء للتاجرين الذى أوصى بهما خيرا رفعـــة رئيس الحكومة ٠٠٠ أما قـــرار مجلس الوزراء بمنع تصدير الجلود بتاتا فعليه العفاء !!

ولم يعرض النحاس باشا فى بيانه لتصدير السردين ، لأن المسألة دقيقة « وحساسة » بالنسبة له ٠٠٠

فقد طلبت احدى الشركات أثنـــاء وجودى فى الوزارة السماح لها بتصدير ٥٠٠ صندوق من السردين (والصندوق من الحجم الكبير يحتوى على ٤٠٠ علبة فى المتوسط) فرفضت الاذن بالتصدير ، تطبيقا لقـــرار منع تصـــدير المأكولات ٠

ولكن ما كدت أخرج من الوزارة حتى تقدم الى الوزارة تاجر يدعى الخواجه (جورج باتينو) وطلب الاذن له بتصدير ألف صندوق من السردين فتردد وزير الماليـــة فى السماح بالتصدير بعد أن لفت نظره الى قرار منع تصدير المأكولات ، والى انى منعت الاذن بتصدير السردين مع أن الكمية التى طلب منى تصديرها تبلغ نصف الكمية التى يطلبها الخواجه جورج باتينو .. ولكن كامل صدقى باشا لم يسعه الا أن يستمع الى توصية خاصة أبلغت اليـــه بلسان الأســـتاذ حسن كمال (السكرتير الخصوصى للنحاس باشا قبل توظيفه) .. فاصدر معاليه التصريح ، وكان الله يحب المحسنين ..

وبمناسبة الاحســـان والمحسنين ، فان الخواجـه جورج باتينو قد تبرع لمشروع البر بمبلغ مائة جنيه ــ وهى ولا شك أريحية جديرة بالشكر .

ويبقى الحديث ــ بالتفصيل ، عن الكتاب الأسود موصولا ، لنعرف ماذا يقول مكرم عبيد عن التسعيرة وتفشى المحسوبية والرشوة و . و .



الفصـــل الرابـع

اتهامات محددة باستخدام التسعيرة لصالح الأقرباء والاتهامات أخرى بتفشى المحسوبية والرشوة واستغلال القضاء

يقول مكرم عبيد باشا فى فصل من فصول كتابه الأسود :

« اذا كان للتموين ويلاته ، فله أيضا صفقاته ـ تلك لمجموع الشعب المرهق المسكين ، وهذه للأقرباء والمقربين ... وليس فى مقدورى بطبيعة الحال أن أحصر هذه الصفقات فان مثلها لا يمكن حصره من باب التحديد ... ولكنى قد وقفت على بعضها فاذا هى وحدها تلوث العهد بأكمله ، واذا باليسير يدل على الكثير واذا بالصغير يدل على الكبير ! ...

ولعل فضـــيحة التموين الكبرى هى تلك التى يتحدث النـــاس عنهـا فى مختلف المقامات وأعنى بها صفقات الأرز وما لابس هذه الصفقات من اجراءات حكومية لم يسبق لها مثيل فى مصر ، مما أعاد الى الذهن بعض الفضائح الكبرى فى فرنســا وغـــيرها ، وكان له دوى مزعج ومحـرج للمدنية والمتمدينين ...

ذلك ان بعض الأقرباء والمقربين لرجال الحكم فى البلد قد عقـدوا صفقات هائلة كسبوا فيهـا عشرات ـ ولا أقول مئات ـ الألوف من الجنيهات استغلالا لمحصول الأرز الجديد وللاجراءات الشاذة التى اتخذتها الحكومة الحاضرة بصدد هذا المحصـــول .

فقد كان من المنتظر ـ جـريا على الخطـة التى اتبعتها الحكومة نفسها بصدد القطن وبصدد القمح حينما كنت وزيرا

للمالية والتموين ـ أن تحدد الحكومة سعر المحصول الجديد للأرز وهو بعد قائم على الأرض حتى يتسنى للزارع أو الفلاح أن ينتفع من السعر الجديد فلا يضطر الى بيع محصوله بسعر بخس تسديدا لما عليه من أموال والتزامات ٠٠٠ كان من المنتظر ـ وكان من الواجب ـ أن تتخذ الحكومة هذا الاجراء الطبيعي الذى لابد منه صيانة للزراعة ورحمة بالمزارعين ، بل كان عليها فوق ذلك أن تعلن كما أعلنا نحن أن كل تعاقد يخالف هذا السعر يبطل فعله وأثره ـ ولكنها لم تفعل هذا ولا ذاك ! ٠٠٠ لماذا ولأية حكمة ؟ سنرى ويالله مما سنرى !٠٠٠

ظهر محصول الأرز الجديد فى سبتمبر ، والمتأخر منه فى أوائل أكتوبر ـ وأدخله الزارعون فى مخازنهم ـ ورغم ذلك لا تحديد للسعر ولا شبه تحديد ! ٠٠٠ بل على العكس صدرت فى هذه الأثناء قرارات من الحكومة تفرض ضريبة كبيرة على تصدير الأرز (حوالى ٥ جنيه على الشوال و٥٠ جنيه على الطن) وكان من أثر هذه الضريبة التى لا غبار عليها فى ذاتها أنها هبطت بسعر الأرز فى السوق ، لازدياد الكميات المتداولة واعتقاد الجميع أن المحصول الجديد سيكون من الوفرة بحيث يزيد على حاجات البلاد ٠

وفى هذه الأثناء ظلت الحكومة ساكنة من غير ما حركة فلم تخط خطوة واحدة نحو التسعير ـ وكان السعر القائم اذ ذاك يبلغ حوالى ثمانية جنيهات ونصف للضريبة ٠

لم تتحرك الحكومة ولكن الأصهار والأنصار تحركوا٠٠٠ فمشوا فى الأسواق يشترون الأرز بثمن بخس ويذيعون بين الفلاحين أن الحكومة اذا ما رفعت الأسعار فلن ترفعها الا قليلا ٠٠٠ مع أنهم كانوا يعلمون جيد العلم أن الحكومة ستحدد التسعيرة الجديدة بثلاثة عشر جنيها للضريبة !

لست ألقى الكلام على عواهنه فلقد أخبرنى رئيس سابق للوزراء عرف بصدق الرواية أنه وصل الى علمه قبل نشر التسعيرة الجديدة بحوالى أسبوعين أن الحكومة ستحدد للأرز سعرا هو ثلاثة عشر جنيها للضريبة ٠٠٠ وقد كان !٠٠٠ وما من شك أنه اذا كان هذا مبلغ علم رجل بعيد عن الحكومة فكم يكون علم الأصهار والأنصار ٠٠٠ انهم ولا ريب من الراسخين فى العلم !

انتظرت الحكومة اذن وظلت منتظرة حتى النصف الثانى من شهر أكتوبر ، وحينئذ فقط أصدرت التسعيرة الجديدة فاذا هى ـ ويا للعجب أو لغير العجب ! ـ ١٣ جنيها للضريبة ! ٠٠٠

وكان الأصهار والأنصار ـ وغيرهم من الشطار ـ قد اشتروا الألوف المؤلفة من أطنان الأرز ، هذا بتسعة جنيهات وذاك بعشرة ، وذلك بأحد عشر جنيها للضريبة ٠٠٠ ولما كان السعر المحدد من الحكومة هو ١٣ جنيها للضريبة فقد كان معدل ربحهم فى الضريبة الواحدة من اثنين الى ثلاثة جنيهات ، ومجموع كسبهم فى مجموع ما اشتروا عشرات الألوف من الجنيهات ٠

ويشاء الله أن نقف على بعض وقائع معينة لا يأتيها الباطل من أمامها أو من خلفها ٠٠٠ فهناك شخص يدعى محمد ابراهيم فريد وكيل الأستاذين أحمد الوكيل وحنا فوزى (ومكتبهما معروف بين التجار والسماسرة بالمكتب نمرة ٣٣) ـ هذا الشخص عقد الصفقات الآتية من الأرز قبل ظهور التسعيرة الجديدة :

فقد اشترى فى ٤ أكتوبر سنة ١٩٤٢ من الخواجة الفريد حسونة بالمنصورة ١٠٠٠ ضريبة من الأرز بسعر ١١ جنيها و٢٥ قرش للضريبة الواحدة وتسليم محطات للشحن (أى بما يوازى ١١ جنيه بالمزرعة) ، وبعد ظهور التسعيرة الجديدة بثلاثة عشر جنيها نازع البائع فى التسليم فانذره الأستاذ حنا فوزى شريك الأستاذ أحمد الوكيل بوجوب التسليم بانذار بتاريخ ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٤٢ ـ محكمة المنصورة ٠

واشترى أيضا حضرة الوكيل عن الأستاذين حنا فوزى وأحمد الوكيل ـ قبل صدور التسعيرة ـ ١٠٠٠ ضريبة من السعيد أفندى وهبة التاجر بالمنصورة و٤٠٠ ضريبة من حسن أفندى الوكيل بالسنبلاوين و٥٠٠ ضريبة من أحمد أفندى البرعى ببلقاس و١٠٠ ضريبة من محمد أفندى اسماعيل عوض ببلقاس ـ كما اشترى كمية من الأرز من الشيخ عوضين التاجر بشربين ٠٠ وهذا بعض ما وصل الى علمنا من مصادره !

وبعد صدور قرار الحكومة بتسعير الأرز جبريا بسعر ١٣ جنيها للضريبة بالمزرعة صدرت على الفور خطابات مطبوعة

باسم أحمد الوكيل وحنا فوزى أخطر بها البائعون بأن عقود البيع التى باسم محمد ابراهيم قد صار التنازل عنها لهما ، وطولب البائعون بالتسليم ٠

أخذ البائعون المساكين بهـذه المفاجأة السيئة وأحسوا بأن اللعبـة مكشوفة ، والخسارة مضمونة ، فأبوا التسـليم وتلكأوا فيه ٠٠ وعنـدئذ سـافر الأستاذ أحمد الوكيـل الى المنصورة وصحب سفره اعلان من جريدة البلاغ بتاريخ ٢٥ أكتوبر بأن الحكومة قد قررت اعتماد جميع عقود الأرز المبرمة قبل صدور التسعيرة الجـديدة ٠٠٠ رغم هـذا أبى البائعون التسليم ، فلم يكن من أحمد أفندى الوكيل الا أنه هاج وماج وهدد البائعين بمختلف أنواع التهـديد ، ولكنهم أبوا أن يعتقدوا أن الحكومة الرشـيدة ستعتمد العقـود السـابقة على التسعيرة ، وجابهوا الأستاذ أحمد الوكيل بذلك ، معتمدين على سابقتى القمح والقطن ٠

حينئذ يا مولاى وحينئذ فقط اتصل احمد أفندى الوكيل تليفونيا أمام جماعة من زبائنه وغيرهم بحضرة صاحب المعالى فؤاد سراج الدين باشـا ، وطلب اليه فى لهجة الواثق أن يصدر تصريحا بأن الحكومة لن تلغى أصلا أى عقد من العقود التى أبرمت ببيع الأرز قبل صدور التسعيرة الجديدة ، سواء أكان الأرز قد سلم للمشترى أم لم يسلم ٠٠٠

وفى اليـوم التالى يا مولاى ــ والتالى فقط ــ صـدرت جريدة الأهرام مصدرة بحديث من صاحب المعالى وزير الزراعة فؤاد باشا سراج الدين ، يعلن فيه التجار والزارعين بأن جميع صفقات الأرز من غير ما تمييز ولا تفريق ستظل قائمة محترمة من غير أن تمسها الحكومة بسوء ٠٠٠ وان عقود بيع الأرز التى عقدت قبل صدور التسعيرة الجديدة ستظل نافذة ولن تتدخل الحكومة بشأنها مهما يكن من أمرها ، تم التسليم أم لم يتم ! ٠٠

وزير الزراعة ؟ ٠٠٠ وما شأن وزير الزراعة فى تحديد الأسعار واعتماد العقود وتاويل النصوص ؟ ٠٠٠ دهش الناس يا مولاى وظن حسنو الظن منهم أن الحـاكم العسكرى لابد متدخل لمصلحة الزارعين والفلاحين ، ان لم يكن من باب الغيرة عليهم ففى القليل من باب الغيرة على سلطته العسكرية وسمعته الشعبية ٠٠٠ وقال بعض السـذج بل هى من سلطة وزير

المالية ... وفاتهم جميعا ان أحمد الوكيل اذا ما قال فعل ، واذا ما تدخل فقد دخل !

الى ان يقول مكرم عبيد باشا أيضا :

للسكر أيضا قصة وقصص ... ولكنى خشية الاطالة أقتصر على ما كان من أمر الاستيلاء العسكرى وما صحب هذا الاستيلاء وتلاه من تصرفات واجراءات من الشذوذ بمكان .

وكنت قد أعلنت فى خطاب الميزانية ان الوزارة قررت الغاء نظام المتعهدين والوسطاء وانشاء مخازن فى كل المديريات لتوزيع السكر على تجار التجزئة ، وفى هذا وفر على الحكومة يبلغ حوالى التسعين ألفا من الجنيهات وضمان لتوزيع السكر على الأهالى من غير ما تخزين أو تهريب ، وفوق ذلك فانى لم أعلن هذا النظام الا بعد الاتفاق مع شركة السكر ممثلة فى سعادة عبـــود باشـــا والمسيو سيانس سيانس . وهو اتفاق سبقته مخابرات بين الشركة وموظفى المالية المختصين .

ولكن قبيـــل خروجى من الوزارة جاءنى سعادة عبـــود باشا منكرا تارة أنه اتفق مع الوزارة ، ومعتذرا تارة أخرى بأن الاتفاق عسير التنفيـــذ ... فلما واجهته بزميله المسيو سيانس أيد هذا الأخير حصول الاتفاق معى ومع سعادة رسمى بك وكيل المالية ... ولكن عبود باشا أصر على عدم تنفيذ هـــذا الاتفـــاق مؤكدا لى حسن نيته ومستشهدا عليهـــا برفعة النحاس باشا نفسه الذى شرب فى اليوم السابق نخبه ، على حد تعبيره ـــ وما أنا فى ذلك الا راوية وناقل الكفر ليس بكافر .

غضـــبت يا مولاى لهـــذه المحاولة المكشـــوفة واتصلت بالنحاس باشا تليفونيا أمام عبود باشا وأخبرته بما قال ، فاذا برفعته هين لين على غير المعهود ، ومن ثم فقد اضطررت فى آخر جلسة حضرتها فى مجلس الوزراء الى الاصرار على وجوب الاستيلاء بأمر عسكرى على انتاج شركة السكر وتوزيعه بمعرفة الحكومة على النمط الذى فصلته فى خطاب الميزانيـــة وقوبل بالتحبيذ والتأييد من الوزارة ومجلس النواب معا ، ولكن كم كانت دهشتى اذ رأيت النحاس باشـــــا يدافع عن نظرية عبود باشا ويتساءل عن الحكمة من الغاء نظام المتعهدين والوسطاء ... وأخيرا بعد مناقشة عنيفة انتهى المجلس الى الموافقة على اقتراحى بالاستيلاء على السكر وتوزيعه بالطريقة التى أشرت اليها .

خرجت بعد يومين أو ثلاثة من الوزارة وظللت حتى آخر الشهر أترقب صدور الأمر العسكرى بالاستيلاء ولكنه لم يصدر !

وفى جلسة مجلس النواب المنعقدة فى أول يونيه سألت معالى وزير المالية لماذا لم يصدر أمر الاستيلاء حتى الآن ؟ وبعد تهامس وتشاور بين الوزراء أعلن رفعة النحاس باشا ان الأمر العسكرى قد صدر وانه وقعه أمس (أى فى ٣١ مايو) ... دهشت يا مولاى ودهش كثيرون من النواب لهذه المفاجأة وتساءلنا كيف يصدر الأمر العسكرى دون أن ينشر فى الصحف ، ولكنى قلت فى نفسى لعله نشر فى الجريدة الرسمية ولم تتمكن الصحف اليومية من نشره بعد ...

غير إنى رجعت الى الجريدة الرسمية الصادرة فى ٣١ مايو فلم أجد هذا الأمر العسكرى المزعوم ، رغم أنه قد صدر فى نفس اليوم أمر عسكرى رقم ٢٦٥ بامضاء مصطفى النحاس بتعيين مراقب للنشر ... فقلت لعل الأمر تأخر الى اليوم التالى ... ولكنى وجدت عدد أول يونيو خلوا منه ، كما وجدت للعدد ملحقا وملاحق ليس فيها أية اشارة للأمر العسكرى المزعوم ، أو الموهوم ! ...

فقلت لعله صدر فى اليوم التالى للتالى ... ولكنى رجعت الى عدد ٢ يونيو فاذا هو عدد خاص يشمل أمرا لمصطفى النحاس صادرا بتاريخ ٢ يونيو ... فعجبت يامولاى كل العجب كيف ينشر أمر تاريخه ٢ يونيو ولا ينشر أمر الاستيلاء على السكر وتاريخه ٣١ مايو ! ... وكيف صدرت أوامر عسكرية وادارية أخرى بتاريخ ٣١ مايو وأول يونيه ونشرت جميعها ولم ينشر الأمر العسكرى المزعوم صدوره فى ٣١ مايو ؟ ...

وأخيرا طلبت الأعداد التالية ، فاذا بى أرى فى عدد ٣ يونيو الأمر العسكرى الصادر فى ٣١ مايو !!

عجبا ، أليس هذا تزويرا ــ بل فلنكن رحماء ونصفه بأنه تزييف رسمى ، للحقائق الرسمية ، من هيئة رسمية !..

وتفصيل ذلك هو أننى حينما سألت الوزراء فى جلسة أول يونيه عن الأمر العسكرى بالاستيلاء على السكر لم يكن هذا الأمر قد صدر فادعوا كذبا انه صدر أمس ، ثم عادوا الى مكاتبهم فى اليوم التالى ــ أى فى يوم ٢ يونيه ــ وبادروا بوضع

الأمر العسكرى وتوقيعه ثم أرسلوه للمطبعة ، فنشر فى الغد ، اى فى يوم ٣ يونيه وأرخوه بتاريخ ٣١ مايو ، وبهذا صـدر الأمر ، وافتضح الأمر فى وقت معا ! ..

ولم يكن هـذا التزييف مجانا يا مولاى ، فان حكمته ظهرت على لسـان وزير الماليـة حينما أعلن فى البرلمـان انه يخالفنى فى طريقة التوزيع وأنه سيعود الى نظام تجار الجملة ونصف الجملة ـ ولو أنصف لقال نظام الوسطاء والمتعهدين ! ..

وهذا النظام ـ نظام الوسطاء والمتعهدين ـ هو السر كل السر فى أزمة السكر التى ظلت قائمة حتى الآن ، فضلا عن فوضى التوزيع التى يتحدث بها المتحدثون . وسأبين يا مولاى فى موضع آخر كيف أدى هذا النظام الى تفشى الرشوة بين الموظفين وغير الموظفين ، وكيف أصبح بعض النواب ورجال الادارة من وسطاء السكر والموزعين ! وحسبى أن أذكر هنا بعض الوقائع الرسـمية للتدليل على المحسوبية فى صفقات السكر .

فقد نشرت الصحف أسماء تجـار الجملة فى القـاهرة الذين عهد اليهم بتوزيع السكر فاذا من بينهم هذا المحسوب وذاك المحسوب ... وفى مقدمتهم أحد أقرباء وزير المالية ، فقد أعطى تعهدا بألف طن من السكر ، وآخر أعطى مثل هذه التعهد وهو عضو فى لجنة الوفد بالأزبكية ... الخ .

وأمر مر الكرام على أسماء من ذكرهم مكرم عبيد باشا فى عريضته ذلك أن الأسماء كثيرة وذكرها يتطلب صفحات وصفحات كما أننى لا أحب أن يشتمل كتابى على هذه الأمور الفرعية مكتفيا بالأصول لا الفروع وان كان مكرم عبيد فى كل ما ذكره ـ كما قال عنى بذكر الدليل على هذا القليل وفيه ما يغنى عن كل تفصيل ، اذ هو كما يقول مكرم باشا ـ يدل دلالة قاطعة مفجعة على الأحوال التى تمر بها البلاد والتى خلقت حول نزاهة الحكم جوا قاتما كله سواد فى سواد ..

وعن تفشى الوساطات وتفشى الرشوة معا قال مكرم باشا :

يعلم الله والمصريون ، وغير المصريين أيضا مع بالغ الأسف ـ ان كل محاولة لتصوير الهاوية التى انحدرت اليها سمعة الحكم فى هذه البلاد على يد الوزارة الحاضرة ، انما هى محاولة قاصرة لا يمكن أن ترقى ـ أو على الأصح تهبط ـ الى المستوى المروع الذى يحسه الناس ويشهدون عليه شتى القرائن وعديد الظواهر !

ولعل أخطر هذه الظواهر وأفجعها ، يا مولاى ، ذلك اللفظ الذى يكاد

يكون اجماعيا ـ يستوى فيه المتعلم والجاهل ، والكبير والصغير ، والحزبى والمحايد ، والحضرى والريفى ، والموظف والتاجر ـ حول الوساطات والشفاعات ، وسيطرتها على الدولة بشتى فروعها الى حد تضاءلت الى جانبه كلمة القانون والنظام ، وأصبح كل حديث عن مصلحة تقضى ، أو صفقة تبرم ، أو حق يطلب ، مقترنا بحديث الرشاوى والمساومات ، وما ينبغى أو لا ينبغى أن يتذرع به طلاب المصالح والحاجات !!

وهذه الظاهرة الخطيرة ، يا مولاى ، ليست سرا من الأسرار ، ولكنها محسوسة ملموسة ، الى حد حمل بعض الصحف المعروفة على محاولة التنبيه الى خطورة الحال ، رغم قيود الرقابة وأغلالها الثقال ٠ وقد تذرعت مجلة المصور بأسلوب فكاهى سمح لها بالاشارة الى ذلك فى عددها الصادر فى يوم ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٤٢ وقالت بالحرف الواحد :

« كل من له حاجة فى ديوان أو مصلحة ويوسطك فيها لترجو وتسعى وتفنع ينتهى دائما حديثه بمحفظته !؟

ـ ما هـذا ٠

ـ لا ٠٠دول بس مصاريف الأوتوموبيل و « ومصاريف الأوتوموبيل » هذه تصل تارة الى ٥٠ جنيها وترتفع تارة أخرى الى ٢٠٠ جنيه ! ٠

الذين يعرضون عليك الآن « مصاريف الأوتوموبيل » هم الأغلبية شاع فى الأذهان ان كل عمل بأجر ٠ فاذا أحرجت من يعرض النقود ودافعت على نفسك ، وعن سمعتك ، وعن كرامتك ، بدا له انك تمزح !؟ فاذا اشتددت معه وأفهمته بالمنطق انك لا تقبل فلوسا غمزك غمزة فنية وهمس قائلا : استعملها ٠٠ فلان بياخد ٠٠ وفلان بياخد ٠٠

هذا الداء الاجتماعى وهو داء عرض الرشوة استفحل أمره ٠ والأذهان المريضة التى لا تقبل الا هذا الاعتقاد عمت وشاعت فى هذا البلد ٠ حتى المثقفين المتخرجين من جامعات أوربا يعرضون فلوسا ٠

لا حول ولا قوة الا بالله ٠٠٠ » ٠

ولست أريد ، يا مولاى ، أن آخذ بهذه الأقوال كلها ، أو بعضها ، على اطلاقه ، وقد كان لى أن أستند الى الحديث الشريف « ألسنة الخلق أقلام الحق » ٠ وانما أتشرف فى هذا الصدد بتسجيل حالة نفسية ، ومعنوية ، سائدة بين الأمة على اختلاف طبقاتها ، وهى حالة لا تشرف القائمين بالحكم بل تلقى عليهم مسئولية خطيرة جديرة بالمؤاخذة والحساب العسير ٠

ولعل من أبلغ الأمثلة فى ابراز النظرة السائدة الى أساليب الحكم وسمعته فى هذا العهد أن رجلا من كبار رجال الأعمال تعاقد مع سمسار على صفقة (وصــورة العقــد فى يدى أنشرف بضمها الى مجموعة الوثائق والمستندات المرفقة بهذه العريضة) وبمقتضى هذا العقد يتعهد السمسار لرجل الأعمال المشار اليه وهو أحد أصحاب البنوك ٠٠٠ بماذا ، يا مولاى ؟ بالسعى لدى الحكومة المصرية للحصول على اذن بتصدير كمية تتراوح بين خمسة آلاف وعشرين ألف طن من الأرز الى الخارج ، ثلاثة أرباعها الى تركيا وربعها الى سوريا !!

وفى أى مقابل ؟ فى مقابل خمسة عشر جنيها عن كل طن يصدر الى سوريا ، و٢٥ جنيها عن كل طن يصدر الى تركيا !

وبعملية حسابية بسيطة يتبين أن مجموع السمسرة التى يتناولها السمسار المحترم ، أو على الأصح متعهد الترخيص ، بمقتضى العقد ، يصل الى ٤٥٠ر٠٠٠ جنيه ــ أى نحو نصف مليون جنيه !!

فهل توجد حكومة أخرى فى الدنيا غير حكومة النحاس باشا يتعهد السماسرة بالحصول منها على ترخيصات على هذا المثال ؟! ٠

وهل يصح فى عقل أحد أن تقدر السمسرة بمثل هذا المبلغ الجسيم لكى يستولى عليها السمسار وحده ، أو أن هناك عنصرا خفيا من عناصر التقــدير ، هو أن السمسار يعلم أنه لابد من دفع مبلغ أو مبالغ جسيمة لأصحاب الشأن أو النفوذ للحصول على أذون التصدير ؟!

على ان أقل ما ينطوى عليه تبـادل عقود من هذا القبيل فى عهــد النحاس باشا ووزارته ، هو أن شئون الدولة الخطيرة ، كالتصدير ، قد أصبحت هدفا للسمسرة بأضخم المبالغ ، كما أصبحت مطامع الطامعين فى طارىء الثراء على حساب الاجراءات الحكومية شيئا عاديا لا يتجاوز حدود الميسور ، والمألوف !!

ويقول مكرم باشا ان مكتب الأستاذين أحمد الوكيل وحنــا فوزى بشارع سليمان باشا هو محور النشاط الاقتصادى فى هذا العهد ! ٠

وكيف لا يكون الأمر كذلك ، يا مولاى ، وقد رأى الناس أحد الشبان من صغار الموظفين ، الذين لم يعرفوا يوما بثروة موروثة أو مكسوبة ، ولم يشتغلوا يوما أو بعض يوم فى تجارة نافعة أو كاسدة ــ يظهر على مسرح الأسواق فجأة حين يظهر زوج شقيقته على مسرح الحكم ، فاذا الموظف الرقيق الحال ، أحمد أفندى الوكيل ، يترك وظيفته الحكومية الصغيرة ، ليقفز سلم الثروة الطارئة ، فى شهور معدودات ، باعتباره تاجرا يشار

اليه بالبنان ، وخبيرا فى شئون التموين والتصدير والحراسة ، لا يجود بمثله الزمان !!

كيف لا يذهب الناس بسمعة الحكم كل مذهب ، يا صاحب الجلالة ، وهم يشهدون فى كل يوم ، وفى كل مجال تجارى أو غير تجارى ، عملا من أعمال الوساطة أو التصدير أو التوريد أو التموين باسم أحمد الوكيل تارة ، وباسم « أحمد الوكيل ـ حنا فوزى تارة » ، وباسم أحمد الوكيل ـ صبحى الشوربجى » ثالثة ، أو باسم قريب مقرب لهذا أو ذاك بالتزوير ، وهكذا الى آخر الأسماء والمسميات ؟!

ولعل زيارة الى المكتب نمرة ٣٣ ـ الذى يقصد اليه القاصدون ـ تكفى فى ابراز المعنى الذى اليه نقصد ...

فاذا قال قائلهم ان كل ما شاع وذاع ، وزلزل الأسماع ، عن سمعة الحكم ، ونزاهة الحكام ليس الا ضربا من أكاذيب الكاذبين وأوهام الواهمين، واذا ما ذهبنا مع هذا القائل الى أبعد ما يفترض من فروض ، فهل يقع اللوم على المحكومين وهم يرون بأعينهم مثـــل هذه المظـاهر الواضحة ، والشواهد الفاضحة على استغلال النفوذ بأسوأ معانيه ، أم اللوم على أولئك الذين عملوا وما زالوا يعملون على جعل سمعة الحـكم مضـغة فى أفواه المصريين والأجانب على السواء ؟!

وفى مكان آخر من الكتاب الأسود يقوم مكرم عبيد باشا :

وهذا ، يا مولاى ، مكتب محام شاب آخر من ذوى الحظوة ، لأنه من ذوى القربى ، وهو حضرة النائب المحترم حسين فهمى أفندى زوج كريمة حضرة صاحب العزة عبد العزيز النحاس بك ، شقيق رئيس الوزراء. وقد كان محاميا براتب صغير فى بنك التسليف فرفع راتبه بعد انتخابه عضوا بمجلس النواب ، ولم يلبث حتى قفز به ميدان التعهدات والتوريدات والوساطات الى مراتب الثروة الطارئة ، المفاجئة ، فاذا هو يفتتح مكتبا ويطبع (بطاقات) يعلن فيها انه « محام ومتعهد الجيش » ! .

واذا تحت يده حـوالى خمســين مخبزا فى مديرية الشرقية لكثرة التعهدات التى نزعت من التجار والمتعهدين سواء فى الغلال أو السكر وأعطيت لحضرته ! ـ (وقد تشرفت بالاشارة الى ذلك فى باب صفقات التموين ، وذكرت ما تيسر لى من مستندات) .

أما وساطاته وشفاعاته فهى محل الحديث فى مديرية الشرقية بوجه خاص ويذكر أهلها فى هذا المقام أسماء تجار بالمديرية صدرت عليهم أحكام عسكرية بالسجن ثم ألغيت أو خففت الى الغرامات البسيطة بفضل تدخله ونفوذه الذى لا يخيب .

وفى هذه الفترة الوجيزة من الزمان استطاع المحامى النابه ، صاحب الوساطات ، والتعهدات أن يشترى قدرا طيبا من الأطيان .

واذا كنت قد أشرت اشارة عابرة ، يا مولاى ، الى ما تلوكه الألسنة بشأن بعض الأحكام العسكرية ، فانى أرى حتما على أن أشير اليها مرة أخرى ازاء ما تفيض به الأحاديث عن تدخل بعض ذوى النفوذ من المحامين النواب والشيوخ الوزاريين لدى السلطات المختصة ، والوصول من هذا الطريق الى تعديلها أو الغائها أو وقف تنفيذها الى حد أثار اللغط والشكوى حتى بين رجال القضاء أنفسهم .

ومن الوقائع التى تروى أن تاجرا من تجار الجواهر حوكم لتهريب جواهر قيمتها ألوف من الجنيهات ، وبينها خاتم واحد بمبلغ ألفين وخمسمائة جنيه ، ثم صدر الحكم بحبسه سنة وبغرامة قدرها خمسمائة جنيه ومصادرة الجواهر المهربة . فلم يلبث الحكم أن عدل لأسباب لا أحب أن يرددها قلمى وان لم يمنع ذلك من رجاء التحقيق فى هذا الشأن ، لازالة ما ذاع هنا وهناك من أثقال القيل والقال !

ويلوك العارفون حكايه محام فتى نخرج اخيرا ـ وهو نجل موظف كبير وكبير جدا ـ قبض ٤٠٠ جنيه نقدا وعدا لالغاء حكم عسكرى ... وقد ساعده التوفيق أيما مساعدة ، وفقا للقاعدة !!

ومن هذا القبيل ما يروى الرواة ، نقلا عن الثقـاة ، أن هنـاك حكمين صدرا على اثنين من أهل الفيوم فى عهد وزارة صاحب الدولة حسين سرى باشا ، فامتدت يد العهـد الحاضر اليهما بالوقف والتعـديل ـ والأمثلة يا مولاى عديدة ، مديدة ... ولا علاج لمثل هذا العبث الخطير الا التحقيق الدقيق .

أما الوساطات بشأن فصل العمد وتعيينهم فحديثها يملأ أرجاء البلاد، ولا سيما فى بعض مديريات الصعيد ، حتى لقد وصل الأمر الى فصل أكثر من عشرين عمدة فى مركز واحد ! والناس يذهبون فى أنواع الوساطات الخاصة بهذا الموضوع شتى المذاهب ، ويقسمونها حسب أهميتها وفئاتها الى درجات ومراتب !!

ومن طريف ما يذكر أن عمدة احدى القرى عين للعمودية فى الوقت الذى قررت فيه اللجنة المختصة نفيه الى الطور ! ... وصدر القراران فى وقت واحد ...

وهذه قصص لا تحصى ولا تستقصى ، عن قبول الطلبة فى المدرسة الحربية ، وكيف قفز العدد السـنوى الذى جرت العادة بالحاقه بهـذه

المدرسة من ثمانين طالبــا الى ٢٥٠ قبـلوا أولا من بين حملة الشــهادة التوجيهية ، ثم قبل ٢٥٠ آخرون من حملة شهادة الثقافة ، بل وصــل الاخلال الفاضح بشروط القبول الى حد التجاوز حتى عن شهادة الثقافة ، كما حدث فى حالة شقيق حرم رئيس الوزراء واسمه (حسين عبد الواحد الوكيل) ٠٠٠

وقد كان من شأن هـذه الفوضى المحزنة فى قبول الطلبة بالكليــة الحربية أن يشجع على رواج شتى الأقاويل عن وساطات الشيوخ والنواب والأقارب والأصحاب وتفاقمت الأقاويل الى حد الدخول فى أدق التفاصيل عن أسعار دفعت لأصحاب الوساطات طبقا لشهادة الطلبة المتقدمين ، فقيل ان هذا السعر تراوح بين مائة وخمسين جنيها ومائتين !

وعلى ذكر حكاية القبول فى الكلية الحربية بشهادات وبلا شهادات على يد وزارة النحاس باشــا أتشرف بأن أسوق هنا مثــالا من طرائف المصادفات والمفارقات ٠٠٠

فقد عثرت بمحض المصــادفة على (بوليصتين) من مصلحة السكك الحديدية احداهما مؤرخة فى ١٩٤٢/١٠/٤ ، وهى خاصة بقفص من السمان مرسل من دمياط الى صاحب المعالى حمدى سيف النصر باشا وزير الدفاع ــ والأخرى مؤرخة فى ١٩٤٢/١٠/١٣ وهى خاصة بقفص من السمك وهو مرسل كذلك الى معاليه ٠ أما مصدر القفصين ، فهو شخص واحد اسمه الدكتور محمود فكرى ، كان شقيق زوجته (فكرى أفندى حامد زاهر) من سعداء الطلبة الذين قبلوا فى الكلية الحربية هذا العام !

ومعاذ الله يامولاى ، أن أذهب الى أن قفصــا من الســمك الطازج أو السمان الفاخر ، يعتبر ضربا من الرشوة لقبول أحد الطلاب فى الكلية الحربية ، ولكنها على كل حال مصادفة طريفة أن يكون صاحب الهديتين قريبا لأحد الطلبة المحظوظين بالقبول ، وأن يكون تاريخ ارسال الهديتين قريبا جدا من تاريخ القبول فى هذا العام ٠

وهل هناك ما يمنع المجاملة ، كمظهر من مظاهر المعاملة ؟

ومهما يكن يا مولاى من أمر القال والقيل ، وسوء التخريج والتأويل، فان الذى لا شك فيه أن هناك تصرفات خطيرة وقعت فى قبول الطلبــة بالكلية الحربية على عهد الوزارة الحاضرة ، وأن فى هذه التصرفات خرقا جريئا وتجاوزا فاضحا لحدود اللوائح والقوانين ! ٠

الى أن يقول مكرم عبيد :

وبهذا الأسلوب الذى ارتضته الوزارة وشجعته ، تفتحت أمام بعض

الشيوخ والنواب الوزاريين أبواب التدخل والوساطة والشفاعة ، في كل صغير وخطير من شئون الدولة ، سواء منها صفقات التموين ، ومسائل الموظفين ، وقبول الطلبة في المدارس ، واعفاؤهم من المصروفات ، وتعيين العمد وفصلهم ـ فاذا وقفت في مجلس النواب أطلب بيانا بالرخص التى أعطيت أو بأسماء العمد الذين فصلوا أو عينوا ، وقف النحاس باشا يعلن امتناعه من تقديم البيان المطلوب ، محتجا بأن تعيين العمد وفصلهم حق مطلق للسلطة التنفيذية !!

وفي ظل هذه الذريعة وأمثالها يمرح بعض شيوخ العهد الحاضر ونوابه وأنصاره فلا يرتدون عما هم فيه من سعي أو سعاية ، بل يزدادون في تيارهم اندفاعا ، وانتفاعا ، بينما تبحث لهم الوزارة عن أبواب جديدة لاستعمال نفوذهم ، واستغلال مراكزهم الحزبية والنيابية ، حتى لقد عين بعضهم في لجان توزيع السكر بصفة رسمية ، وكان من وراء ذلك وأمثاله أن تضاعفت الوساطات ومن ورائها صنوف الروايات والاشاعات ... فانقلبت النيابة من أداة للرقابة والاصلاح ، الى شيء آخر هو أبعد الأشياء عن طبيعة العمل النيابي الصحيح !

★★★

بل لقد امتدت الأيدى الى أملاك الدولة نفسها ، ولما كان محرما على الوزراء أن يشتروا شيئا من الأملاك الأميرية فلقد اشترى بعض الأقرباء المقربين للوزراء مئات من الفدادين من أملاك الدولة ... كما استأجر بعض المحظوظين أطيانا زراعية من الأوقاف كانت مخصصة لصغار المزارعين ، وكانت لها ضجة رددتها الصحف وترتب عليها تأجير أكثر من خمسمائة فدان منها .

وينتقل مكرم عبيد باشا الى ما أسماه بفضيحة الورق ، وكانت موضع اللغط الذى وصل الى حد تراشق اثنين من الصحفيين الحكوميين (هما محرر « آخر ساعة » وصاحب جريدة « المصرى » بمقالات علنية يؤخذ منها ان الأخير قد عمد على الغاء قرار الاستيلاء على ورق الصحف واخراجه من التسعيرة لكي يكسب مبالغ طائلة من ارتفاع الأسعار وبيع المخزون عنده أو عند شركائه من التجار وغير التجار ...

والواقعة المؤكدة في هذا الصدد يا مولاى هى أن سعر الطن من ورق الصحف كان محددا في التسعيرة بما لا يزيد عن ستين جنيها في الشهر . ثم ذهب حضرة الأستاذ محمود أبو الفتح ، وهو شيخ وفدى وثيق الصلة بوزير التموين ووزير التجارة فضلا عن صلته برفعة رئيس الوزراء ـ ذهب حضرته الى مجلس نقابة الصحفيين فعرض على أعضائه اقتراحا وصفه بأنه حكومي ، مؤداه اخراج ورق الصحف من التسعيرة ، ورفع الاستيلاء عليه ،

بحجة أن في ذلك تشجيعا للتجار المختزنين على اظهار ما لديهم من ورق ، وبذلك تجد الصحف حاجتها من الورق وتستطيع أن تدفع فيه ثمنا معتدلا بعد أن تظهر الكميات الكبيرة المختفيه عند المختزنين والتجار •

وكان حضرة الشيخ الحصيف قد مهد لذلك الاجراء باعلانات في جريدته يقول فيها انه على استعداد لشراء الورق بأسعار عالية ، والمخابرة مع صندوق البريد رقم ٥١٢ ! والصندوق المذكور هو رقم صندوق جريدة المصرى التى يملكها حضرة الصحافى الحصيف !

ولم يكد الاستيلاء يرفع عن الورق ، ولم تكد أسعاره ترفع من التسعير الجبرى حتى ارتفع الطن الواحد الى مائتى جنيه ••• فقط لاغير !

وفي هذه الفرصة الذهبية، تروى بعض المصادر العليمة أن كمية من الورق وصلت الى أحد الأنسباء المحظوظين ، وأن كسبه فيها بلغ ألوفا عديدة من الجنيهات •

وفي هذه الفرصة الذهبية أيضا قيل ان صحفيا حكوميا حصيفا باع كميات وفيرة من الورق وجنى من بيعها ألوفا أخرى من الجنيهات •

وقد بلغ الأمر يا مولاى – كما قلت – الى حد التراشق بالمقالات ، وقيل ان نقيب الصحافة في هذا العهد ذهب يستنجد بالرقابة والرقباء ، والوزارة والوزراء ، ليحولوا بين صاحب آخر ساعة وبين متابعة حملته الشعواء !!

هو موظف في ادارة جريدة المصرى ، يختلف عن الأستاذ حنا فوزى في أن هذا الأخير شريك مكشوف للأستاذ أحمد الوكيل ، بينما الأول همزة وصل خفية بين تجار الورق وصاحب المصرى الذى يقوم صاحبنا الوسيط المستور عنده بدور الوكيل ! ••

والصحفيون يتحدثون عن صفقات ضخمة ، دسمة ، عقدت في سوق الورق باسم العميل المستور ، ويتساءلون انى له وهو مجرد موظف بجريدة المصرى ذلك الثراء الطائل ، الحائل ، الذى يجعله يبيع ورقا يقدر بآلاف الجنيهات ، بينما يتناول من جريدة المصرى أجرا متواضعا ومعدودا من الجنيهات •••

ومما هو جدير بالذكر في هذا الصدد أن مجلس نقابة الصحافة أصدر – كما علمت – قرارا اجماعيا بتوجيه خطاب الى صاحب مجلة « آخر ساعة » لسؤاله عما لديه من معلومات بنى عليها هجومه ضد نقيب الصحفيين بصدد الورق ، والتلاعب بأسعار الورق ، وقد انقضت أسابيع ومازال قرار مجلس النقابة حبرا على ورق ! •••

وعن فضائل المحسوبيات والاستثناءات يقول مكرم عبيد باشا :

ان كلمة الاستثناءات هينة ، لينة ، اذا أريد بها التعبير عما ترتكبه الوزارة الحالية من فضائح المحسوبية بين الموظفين ، وأسميها يا مولاى بالفضائح لأنها تجاوزت حدود الاستثناء المألوف ، بحيث لا يكاد يذكر الى جانبها كل ما سبق فى أى عهد آخر ، من ناحية النوع أو من ناحية العدد على السواء ....

وحسبى يا مولاى أن أبين هنا كيف تتنافى هذه الاستثناءات :

أولا : مع القانون .

ثانيا : مع الأمانة للعهد .

ثالثا : مع الذمة والنزاهة .

***

أولا ـ مخالفة القـــانون :

يدعى النحاس فى جرأة لا يحسد عليها ، أن فى استطاعته أن يقدم على ما يشاء من ضروب الاستثناء ، بحجة أن ذلك حق مقرر لمجلس الوزراء !

فهل هذه حجة تقوم على قدميها وتثبت لحظة واحدة أمام التحليل القانونى والمنطقى البسيط ؟!

لنسأل أنفسنا أو ليسأل النحاس باشا ما هو الحق فى ذاته ؟ أهو سلاح يستعاذ به على تأييد الباطل وتدعيمه وتعميمه ؟! ان كان هذا هو المقصود بالحق فانه يكون مرادفا للقوة الغاشمة ، الظالمة !

ونسأل مرة أخرى : ما هو حق الاستثناء الذى أعطى لمجلس الوزراء ؟

ان حق الاستثناء الوحيد الذى يملكه مجلس الوزراء هو الاستثناء الحق ، الاستثناء الذى يقصد من ورائه الى تحقيق عدالة خاصة أوفى من عدالة القانون العام الذى وضع ليسرى على الجميع . فاذا تبين أن تطبيق القانون العادى لا يرقى الى مستوى العدالة الواجبة فى بعض الحالات ، تدخـل مجلس الوزراء فى الأمر لتحقيق هـذا الغرض النبيل من طريق الاستثناء الحق ...

وللتدليل على ذلك نفرض أن موظفا توفى فى سبيل عمله وفى أثناء أداء واجبه ، فاذا ترك أهله وأبناءه لحكم القانون العادى لهلكوا فى بعض الحالات من آلام الفاقه والجوع ، وهنا تتجلى حكمة الاستثناء ظاهرة ، سافرة ، اذ يتدخل مجلس الوزراء لاستعمال حقه باعطاء أبناء الموظف وعائلته معاشا مناسبا من طريق الاستثناء .

وعلى هذا القياس وأمثاله تكون النظرة السليمة ، الكريمة الى حق الاستثناء ، من ناحية مداه ، ومقتضاه سواء فيما يتعلق بالتعيين أو الترقية أو تعديل المعاش ، توخيا لانصاف أولئك الذين يظلمون ، ويحرمون اذا أخضعت حالاتهم للقواعد العامة والقوانين العادية ...

هــذه هي الحكمة النبيلة ، الجليلة التى من أجلها شرع القــانون الاستثناء ووضع حق استعماله فى عنق مجلس الوزراء .

أما الذى فعله النحاس باشا وجماعته ، وما زالوا ماضين فيه من ضروب الاستثناءات ، فليس من الحق فى كثير ولا قليل ، ولكنه اساءة صريحة ، قبيحة ، لاستعمال حق الاستثناء ، وانحراف شنيع عن الأهداف السامية التى من أجلها أقر الشارع مبدأ الاستثناء ! واذا كان فى الاستثناء تعارض مع العدالة كان باطلا حتما ، لأن القانون وهو مظهر العدالة لا يقر شيئا يتنافى معها ...

والى هذه الحقيقة المحزنة ، وجهت نظر النحاس باشا ، عنــدما أثير استجواب الاستثناءات فى مجلس النــواب ، فوقف يلقى بيــانا تضمن استشهادا بما قلته فى ١٩٣٧ ، حتى اذا وصل الى الفقرة الخاصة باساءة استعمال الحق ، قلت له « هذا هو بيت القصيد ... ! » فاذا هذه الكلمة البسيطة الصادقة ، تقع على رأس رفعته كالصاعقة ، واذا به يثور ثائرة ، وتأخذه نوبة قاسية من الهياج ويقول اننى لم أعد سكرتيرا للوفد ... الى آخر ما حدث ليلتئذ بما تشرفت بسرده فى صدر هذه العريضة .

وأعود يا مولاى الى حق الاستثناء فأقول انه شتان بين الأغراض التى شرع من أجلها هذا الحق ، وبين انتحال هذا الحق لتعيين أناس فى الوظائف الحكومية أو فى وزارة الأوقاف أو فى ديوان المحاسبة أو فى غيرها من الوظائف العامة بلا مؤهلات ولا صفات ترشحهم لهذه الوظائف ، أو تبرر اقحامهم فى مختلف الدرجات وتخطيهم رقاب الموظفين الآخرين — لا لشئ سوى ارضاء شيطان المحسوبية واشباع شهوة الاحتساب !!

فاذا كان هذا الذى يجرى فى العهد الحاضر حقا يباح ، فلا كان الحق ولا استحق المجاهدون فى سبيل العدالة شرف المناضلة والكفاح !!

وأدع النظريات العامة ، والقوانين العامة ، يا مولاى ، وهى قاسية فى حكمها على محسوبيات النحاس باشا وبطانته ، لأنتقل الى ما هو أشد نكرا ، وشرا من تخطى القانون أو سوء استعماله ، بقصد استغلاله ، وأعنى به التلبس بنكث الوعد وخيانة العهد المسطور ، المسئول ! .

فلقد كان النحاس باشا ، وأنا معه بوصفى وزير المالية ، مسئولين

أمام جلالتكم ، وأمام الأمة ، وأمام البرلمان ، وأمام أنفسنا ، وأمام الله سبحانه وتعالى من فوقنا ، عن عهدنا الذى سجلناه فى كتاب التشكيل الوزارى الى جلالتكم ، وقد جاء فيه بالحرف الواحد :

« ... وتيسيرا لعوامل الطمأنينة والعدل والمساواة ، حتى يستظل بظلها الكبير والصغير ، والغنى والفقير ، من غير ما ميل ولا محاباة أو محسوبية أو مراعاة للوجوه الا وجه ربك ذى الجلال » .

هذا هو العهد العظيم الذى سجلناه يا مولاى فى كتاب تشكيل الوزارة ، وقيدنا أنفسنا به ، وجعلنا منه دستورنا الخاص ، فى سياسة الحكم منذ اليوم الأول ، وقد أتيح لى بعد ذلك أن أذكر النحاس باشا واخوانه بهذا العهد الخطير ، وقلت فى تفسيره ، كما جاء فى محضر جلسة مجلس الوزراء الذى أذاع النحاس باشا خلاصة منه ، ما يأتى :

لست أبغى من موقفى هذا الا مصلحتنا جميعا ، تلك المصلحة التى أصابها ضرر كبير من جراء الاستثناءات فى سنة ١٩٣٧ ، حتى أسقطتنا وكانت نقطة سوداء ضدنا ... » .

قلت هذا يا مولاى رغم أن الاستثناءات التى تمت اذ ذاك لم تكن الا قطرة من بحر الاستثناءات الفاحشة ، الطائشة التى وقعت منذ خروجى من الوزارة حتى الآن !!

فهل للنحاس باشا أن يتفضل فيبين لجلالتكم وللأمة كيف سولت له نفسه أن يرتكب هذه الجناية المخزية لذلك العهد الكتابى المقطوع ؟!

ولعل النحاس باشا لا يتخبط هذه المرة ، كما فعل فى بيانه أمام البرلمان ، اذ قال اننا أقدمنا على الاستثناءات فى سنة ١٩٣٧ ، وخصنى بسبعة من تلك الاستثناءات ...

وليس لى يا مولاى أن أرد على هذا التخبط بمثله ، فأقول اننى حتى اذا سلمت بسبعة استثناءات فى ذلك العهد ، أستطيع أن أحصى للنحاس باشا بدل السبعة سبعين بل مئتين ، ولكننى أعيد الى ذاكرة رفعته وجماعته ما يحاولون أن ينسوه أو يتناسوه ، وهو أننى تقدمت فى سنة ١٩٣٧ بمذكرة رسمية لمنع الاستثناءات وقد وافق عليها يومئذ مجلس الوزراء !

فليست مذكرتى التى قدمتها الى مجلس الوزراء فى سنة ١٩٤٢ الا عودا على بدء واستئنافا للخطة وللمبدأ وللسياسة التى دعوت اليها فى مذكرتى سنة ١٩٣٧ ، وان كنت قد وجدت من ناحية أخرى تأييدا وتعزيزا للمذكرة الجديدة بالعهد الكبير ، الخطير ، الذى قطعناه على أنفسنا فى

كتاب التشكيل الوزارى ـ فموضوع البحث اذن هو عهدنا الذى قطعناه على أنفسنا فى سنة ١٩٤٢ ، وعلى يديكم الكريمتين ٠٠٠

يهمنى ـ يا مولاى ـ أن أبرز هذا المعنى على حقيقته فى هذه الكلمات الموجزة ، ليتبين بوضوح مطلق كيف تنطوى الاستثناءات الحاضرة على أسوأ صور الخروج على أبسط مقتضيات الذمة والأمانة ونزاهة الحكم ٠٠٠

وذلك أن النحاس باشا وجماعته يرتكبون أوزار الاستثناء التى يرتكبونها فى هذا العهد مستعينين على كتمانها بخنق الصحافة ، وتجريد البرلمان من رقابته على نحو لم تر البلاد مثله فى يوم من الأيام ٠٠٠

أما الصحافة فمحظور عليها بحكم الرقابة أن ننشر عن مسائل الموظفين واستثناءاتهم خبرا ولا اشارة ، فاذا أغضينا عن ذلك استنادا الى حجة من الحجج المتعلقة بالنظام أو غير النظام فكيف يمكن الاغضاء عن تمزيق الرقابة الدستورية ، بحرمان أعضاء البرلمان من حقهم فى طلب البيانات والاحصائيات وقد كان هذا هو الضمان العملى الوحيد لمحاسبة السلطة التنفيذية على اساءة استعمال حقها فيما تقرر من استثناءات ؟!

وبهذا كفل النحاس باشا وأصحابه لأنفسهم سبل الخلاص من رقابة الأمة ، سواء من طريق الصحافة ، أو من طريق البرلمان ، وانطلقوا فى شره ظاهر يغترفون من مال الدولة ما يشاءون لأقاربهم وأصهارهم وأنسبائهم ومقربيهم ، بلا خجل ، ولا تورع ، ولا تقوى ولا رعاية لمصلحة الخزانة ، أو مصلحة البلاد ، أو مصلحة سائر الموظفين ٠٠٠

وكان أن ترتبت على هذه الجرأة الخارقة نتائج فى الدرجة القصوى من الخطورة ، بعضها يمس معنى العدالة بين الموظفين ويتناول بالتالى روح الأداة الحكومية بأذى جسيم ـ فضلا عن مساسها بالنزاهة فى ذاتها ٠

ومن النتائج التى تمس خزانة الدولة يا مولاى ارهاق الميزانية ، باضافة مليون ونصف مليون من الجنيهات الى الباب الأول من أبواب الميزانية الجديدة وهو باب الأجور والمرتبات ٠ ولم يسبق أن نكبت أى ميزانية سابقة بمثل هذه الزيادة الفاحشة مرة واحدة فى باب الأجور والمرتبات ٠ بل لقد أنقص من هذا الباب فى ميزانية صاحب الدولة سرى باشا الأخيرة حوالى ٤٨ ألف جنيه عن السنة السابقة ٠ ولم يضف الى هذا الباب نفسه فى الميزانية التى تشرفت باعدادها سوى ٦٠ ألف جنيه تقريبا زيادة على الميزانية التى سبقتها ، وذلك سدا للحاجات وللضرورات التى لم يكن بد من مواجهتها ، بعد التخفيض السابق ٠

ولكن أين ستون ألف جنيه يا مولاى من مليون ونصف مليون تزاد دفعة واحدة فى باب واحد ، وهو باب الأجور والمرتبات ؟!

ومن العجيب أنهم خصصوا ربع مليون جنيه لانشاء وظائف جديدة فى وزارتى التموين والوقاية · وكلتا الوزارتين مؤقتة تزول بزوال الحرب . فماذا يكون مصير هذا الجيش العرمرم الجديد بعد الحرب ؟! واذا قيل ان هناك منشآت جديدة تستلزم موظفين جديدين ، فأين طريقة الندب والنقل من سائر الوزارات التى جرى عليها العمل حتى الآن ؟ ولماذا لم تقتض المنشئات الجديدة كل هذه الأموال الطائلة زيادة على مرتبات الموظفين فى أى عهد من العهود السابقة ؟! ·

لا جواب على ذلك سوى طغيان روح المحسوبية والاستثناء وحشر المقربين والأقرباء فى وظائف الدولة ، ولابد لمجاراة هذا الطغيان من تفتيح الأبواب على مصاريعها فى ميزانية المرتبات والأجور للسنة القادمة !! وسيكون لهذه الزيادة بطبيعة الحال أثرها المتزايد فى المرتبات وتضخم المعاشات فى السنين المقبلة ··· كان الله لنا ولميزانيتنا حتى تنتهى الحرب وينتهى معها الرواج الوهمى ! ···

هذا عن المستقبل يا مولاى ، أما عن الماضى وما صرف فيه بالفعل تنفيذا لما تم من استثناءات فحسابه كله عند الله !!

على أن هناك نتيجة من أخطر النتائج التى تواجه خزانة الدولة بسبب الاسراف الفاضح الذى جعلته الوزارة الحاضرة دينها وديدنها فيما يتعلق بطائفة المحظوظين والمقربين من الموظفين ، وهى تضخيم المعاشات ، على نحو يزيد عبئها على الميزانية زيادة مرهقة · وقد نبهت الى هذا الخطر بالفعل قبل خروجى من الوزارة ، وقلت بالحرف الواحد نقلا عن خلاصة محضر مجلس الوزراء الذى أذاعه النحاس باشا على الصحف :

« هذه الاستثناءات لا تؤثر على المرتبات وحدها ، بل أيضا على المعاشات التى تعمل قدر الامكان على تخفيف عبئها عن الميزانية ، وذلك فى حين اننا ذكرنا بصريح العبارة فى برنامج الوزارة ألا استثناء ولا محسوبية ! » ·

ولكن النحاس باشا وجماعته مضوا فى استثناءاتهم ، وغرقوا الى الآذان فى محسوبياتهم ، وانصرفوا بتفكيرهم وتدبيرهم الى تفتيح موصد الأبواب ، لاشباع شهوة الاستثناء والاحتساب ، غير عابئين بما يصيب المرتبات والمعاشات من تضخم ، وما يقع على الميزانية من فادح الأعباء ·

عروضة سخية :

ولهذا هرعت الوزارة الى باب المعاشات تفتحه على مصراعيه لمن يشاء الخروج وأسرعت الى المترددين تستحثهم وتستهويهم الى اعتزال مناصبهم لقاء استعدادها لتلبية ما يطلبون من تسويات ومكافآت ···

فمن بقى له فى خدمة الحكومة عامان أو بضعة أعوام زيد له مرتبه . وزيد بالتالى معاشه ، وأعطى فى أكثر الحالات فرقا بين المرتب والمعاش !

وفى أى مقابل كل هذا ؟

فى مقابل اخلاء الوظائف للأقارب والمحسوبين ، سواء منهم الطامعون فى الترقية وأصحاب الحظوة من طالبى التعيين !!

والأمثلة على ذلك ، يا مولاى ، كثيرة ، وفيرة ، بحمد الله الذى لا يحمد على مكروه سواه !

ولن نشير الى أى اسم من الأسماء التى ذكرها مكرم باشا فى عريضته وان كان عدد الصفحات التى ذكر بها الأسماء قد تجاوز ٦٠ صفحة من بينها ٩٣ حالة خاصة بالنحاس باشا ، وأكثر من ثلاثين حالة لابن عثمان باشا وأكثر من عشرين حالة للمحسوبين على النحاس باشا وسبع حالات لعثمان محرم باشا ومثلها لحمدى سيف النصر باشا وثمانية لصبرى أبو علم باشا وسبعة لنجيب الهلالى باشا ومحسوبيات أخرى كثيرة كتعيين الوزراء ووكلاء الوزارات والشيوخ والنواب ، بالاضافة الى المحسوبيات المشتركة التى يتقاسمها الوزراء فى هذا العهد على قاعدة « شيلنى وأشيلك » .

ويطيل مكرم عبيد باشا فيما أسماه فضيحة وزير العدل فيقول :

لا يكاد يمضى يوم حتى يلاحقه يوم تنكشف فضائح جديدة ، ومديدة لرجال هذا العهد ووزرائه بوجه خاص ، وفيما يلى بعض تلك الفضائح المخزية التى وقفت أخيرا على بياناتها ، وفى مقدمتها فضيحة لوزير العدل .

فلقد اشرت فيما تقدم الى مد أسلاك الكهرباء الى عزبة معاليه ببهتيم والى اشراف موظفى وزارة الأشغال أنفسهم على تنفيذ هذه العملية بواسطة هيئات لها بالحكومة اتصال وثيق ... ولكن وزير العدل ما كان ليقنع بهذا الاستغلال المتواضع للحكم وما يغله من المنافع ... ومن ثم فقد انتهزها معاليه فرصة وافدة ، غير عائدة ، ليجمع المال لنفسه من طريق الاستغلال الحلال ...

فقد اشترى صبرى باشا أبو علم أخيرا مائة فدان (١٠٠ فدان) فى بلدة ظهر شرب مركز منيا القمح بسعر ١٢٠ جنيه للفدان الواحد ـ اشتراها بهذا السعر من أصحابها المساكين المكبلين بالديون ، فى حين أن القيمة الفعلية للفدان تبلغ ٢٠٠ جنيه ـ اذا لم تزد ...

ومن عجب يا مولاى أن تباع أطيان فى هذا الوقت ، وبهذا السعر ، ولكن المشترى هو وزير من وزراء الحكومة ، وللحكومة على أفراد الشعب ألف سبيل وسبيل ••• ولذلك رأى وزير العدل أنه لا يكون عادلا مع نفسه اذا ما أضاع هذه الفرصة السانحة ، الرابحة !

ولكن هل اكتفى وزير العدل بصفته الحكومية للضغط على البائعين المدينين ، المساكين ؟ •• كلا فقد استخدم معاليه ممثل الحكومة فى القرية ــ وأعنى به العمدة ــ لكى يسعى لتحقيق هـذه الصفقة ، وقد سـعى فأفلح مسعاه ، واشـترى لمعاليه الأطيان بالثمن اليسير ••• وليس مثل العمد فى المقدرة على تهوين العسير !

ولكن لكل صفقة سمسرة ، فهل يدفعها وزير العدل ، وهل يقبلها منه العمدة ، عدا ونقـدا ؟ كلا ، فهناك السمسرة النوعية تدفعها الحكومة من الامتيازات الحكومية ••• ويدفعها وزير العدل من حساب وزارة العدل ••• وقد كان !!

نعم يا مولاى ، ففى الفترة بين العقـد الابتدائى والعقـد الرسمى لهـذه الصفقة استصـدر وزير العدل قرارا بتعيين الأستاذ عبد المجيد زناتى المحامى الحديث العهد بالمحاماة وكيلا للنائب العمومى•••واذا عرفنا أن حضرة الأستاذ المشار اليه هو شقيق حضرة العمدة الذى سعى فاشترى الأطيان لوزير العدل، ادركنا مبـلغ ما اوتيه معاليه من غـيرة على استقلال ولا أقول استغلال القضاء ••• وأدركنا الى أى حد تتسع الذمة ، فى عهد وزارة الأمة ••

وهناك يامولاى فضيحة أخرى من فضائح حركة « استقلال القضاء » التى كانت محل دعاية معيبة مريبة من وزير العدل••• فلقد رأينـا أنه عين محاميا فى النيـابة من باب « السمسرة العينية » مكافأة على خدمة شخصية لمعاليه ــ وفيما يلى مثل آخر على تعيين معيب آخر لمصلحة الأستاذ أحمد الوكيل •••

فان احـد حضرات المحـامين (هو الأستاذ عبد اللطيف صادق) كان قد رشح نفسه فى الانتخابات العامة لدائرة باب الشعرية فلما رشـح لها الأستاذ أحمد الوكيـل امتنع حضرة المحامى من ترشيح نفسه ضده ••• ومن ثم وجبت المكافأة ••• فعينـه صبرى باشـا أبو علم قاضـيا فى الحركة القضـائية الأخـيرة •

ولو أن الأمر اقتصر على ذلك لهانت الفضيحة بعض الشيء، ولكن الفضيحة كل الفضيحة هي أن حضرة المحامي الذي أختير بين الألوف من المحامين ليعين قاضيا كان قد حكم عليه تأديبيا في ٦ يونيو سنة ١٩٣٢ بالايقاف ستة شهور .

وأكثر من ذلك فقد حكم على حضرة المحامي نفسه بتاريخ ١٨ مايو ١٩٣٦ في قضية تأديبية أخرى رقم ٥/٦/ق بالتوبيخ .

هذا المحامي الذي حكم عليه تأديبيا بدل المرة مرتين هو الذي اختاره صبري باشا أبو علم قاضيا في حركة استقلال القضاء استرضاء للأستاذ أحمد الوكيل ومن اليه ممن يهم الوزير المسكين العطف منهم والرضاء .

ثم يتحدث مكرم عبيد باشا عن صفقة ٥٣٠ فدانا من الأملاك الأميرية اشتراها الأستاذ يس سراج الدين شفيق وزير الزراعة .. ويتساءل مكرم عبيد باشا قائلا أليس مدهشا يامولاي أن تتوالى هذه الصفقات في ابان الحكم لمصلحة الحاكمين ومن الى الحاكمين ؟ انها لفضائح متوالية نكراء لم تنكب بمثلها البلاد ، في غير هذا العهد الأسود ، والقاتم السواد ...

الى أن يقول مكرم عبيد :

ووزير التجارة — والتسعيرة — يعتزم شراء عزبة لوزير سابق قريبه من القاهرة .. ولمعاليه قريب يشتغل بتجارة (الكسب) يرجو أن يكون قد انتفع من تضاعف **سعر الكسب في التسعيرة ، ولو على حساب الجمهور المسكين ...**

ولمعالي وزير الشئون الاجتماعية صهر يشتغل بتوريد التبن للجهات الرسمية ، وقد عومل معاملة خاصة دون غيره من الموردين كسب من ورائها الألوف من الجنيهات .

ويذكر مكرم عبيد باشا :

بيانات جديدة عن القضايا العسكرية التي وكل فيها الأستاذ حسين فهمي صهر عبد العزيز بك النحاس فأفلح مسعاه لدى الحاكم العسكري ولم يصدق على الأحكام الصادرة فيها : وهي :

١ ـ قضية عطية غنيم نمرة ١٢٢٨ سنة ١٩٤٢ جلسة ١٩٤٢/٦/١٧ ·

٢ ـ قضية محمد نجيم جلسة ١٩٤٢/٦/١٧ ·

٣ ـ قضية الحاج عفيفى بسام جلسة ١٩٤٣/٨/١٩ ·

٤ ـ قضية داود سليمان جلسة ١٩٤٢/٦/٢٤ ·

الى أن قال :

وهناك محامون آخرون محسوبون أو مقربون قد جعلوا من مسألة التصديق على الأحكام العسكرية مورد رزق لهم ، ومصدر فضيحة للعهد بأكمله ، وانى أرفق مع هذا خطابا وصلنى بالبريد من تاجر بالمحلة الكبرى وكل حضرة النائب المحترم الأستاذ ابراهيم مكاوى ـ وهو الذى اختص بالتهجم على مكرم فى جريدة المصرى فاختصته الوزارة بعطفها الأدبى ، والذهبى ! ويقول حضرة التاجر انه وكل الأستاذ المذكور فى الغاء حكم عسكرى صادر ضده وقد نجح حضرته فى مهمته فلم يصدق الحاكم العسكرى على الحكم ولكن التاجر شكى من اصرار المحامى على أتعاب يرى التاجر أنه لا يستحقها ونحن نرى أنه يستحقها ·

أما ما أسماه مكرم عبيد بفضيحة الفضاحة فيتعلق باستخدام الشفرة بشراء فرو لحرم النحاس باشا بمبلغ ثلاثة آلاف جنيه ·

وقد روى مكرم باشا حكاية الفرو على النحو التالى :

لقد عنيت يا مولاى فى هذه العريضة عناية خاصة بأن لا أعرض لشؤون النحاس باشا الخاصة ، فهى بعيدة عن نطاق النقد العام ، ويجب أن تكون محل الرعاية والاحترام ·

ولكن النحاس باشا المسكين لم يعد فى حالة تسمح له بأن يفرق بين الخاص والعام ، فالحكم قد أصبح محل استغلال خاص له ولأهله ووزرائه ، فهو يهيىء لهم البيوت يسكنونها ، أو يؤجرونها ، والأطيان يشترونها ، والأوقاف يتنظرون عليها والمحسوبية يوظفونها ، والبنوك يحتلونها ، والغلال والحبوب ومواد التموين يصدرونها ، والخمور والبضائع يستوردونها ، وأخيرا وليس آخرا فها هى ذى الفراء الثمينة تستحضر لأغراض الزينة فلا يجدون الا وزارة الخارجية فى مصر وسفارتنا المصرية بلندن يكلفونها ويحركونها !!!

ولقد وصل الى علمى من أوثق المصادر - وانى أتحدى الحكومة أن تكذبنى اذا اجترأت - أن برقية أرسلت أخيرا بالشفرة من وزارة الخارجية المصرية الى سعادة سفيرنا بلندن لشراء ٦ قطع من الفراء (فرو الثعلب الأبيض) قيمة كل منها ٥٠٠ جنيه (ومجموع ثمنها ثلاثة آلاف جنيه) لصاحبة العصمة حرم رفعة رئيس الوزراء وهو فى نفس الوقت وزير الخارجية !!

أى عبث بعد هذا يامولاى بكرامة الدولة ؟ وأعمال الدولة ؟ ووظائف الدولة ؟ ثم من أين لك كل هذا ياسيدى النحاس باشا وقد كنت الرجل الفقير الى وجه الله تعالى ! .
واذا ما أنفقت ثلاثة آلاف جنيه على مادة من مواد الترف والزينة ، فأنت اذن رجل ثرى ، وثرى جدا ؟

فهل لى أن أسألك كيف تنفق مبلغا كهذا على شىء كمالى كهذا ، ومثله لشراء سيارة كوتسيكا ، وآلاف أخرى من الجنيهات لشراء النفائس والأثاثات - فضلا عن شراء المئات من الفدادين - هل لى أن أسألك كما سألنا نسيبك المليونير ، من أين جاءك هذا الثراء الطارىء الوفير ؟ .

دعنى ، دعنى أسألك ، وأبكى عليك ولك !



الفصل الخامس

وأخيرا لا آخرا

مكرم باشا يتهم وزارة النحاس باشا باستغلال الأحكام العرفية لصالحه كما يتهمه بتزوير الانتخابات واعتقال خصومه السياسيين ويخنق حرية الصحافة

ويخصص مكرم عبيد باشا الباب الثاني من عريضته أو بمعنى أدق كتابه الأسود بما أسماه الاعتداء الفظيع على الحريات والعبث بالديمقراطية، واستغلال الأحكام العرفية فيقول :

أما عبث النحاس باشا وزملائه بالحكم النيابي وتقاليده في هذه الفترة القصيرة من الزمان ، فقد بلغ حدا لم تشهده مصر في أي عهد من العهود ، حتى التي شهدتها مصر قبل أن تظفر بدستورها الحديث • وانما يقع الوزر في ذلك على الوزارة الحاضرة وسلطانها الباطش الطائش سواء على نوابها ، او على رئيس مجلس نوابها ، بحيث أصبحت مشيئة الحكومة وحدها هي النافذة ، وكلمتها وحدها هي المسموعة دون أن يتاح لصوت معارض أن يرتفع بكلمة واحدة في سبيل الله والحق والدستور •

وقد اتخذ هذا العبث الدستوري المحزن أشكالا شتى أتشرف بأن أذكر منها : أولا — طغيان الحكم العسكري على الحكم الدستوري • وقد بدأ هذا الطغيان في صورته الملموسة في أول جلسة من جلسات الدورة البرلمانية الأخيرة ، التي استهلها النحاس باشا ووزراؤه استهلالا مشئوم الطالع بسلب البرلمان حق مناقشة الحاكم العسكري فيما يتخذ من اجراءات وما يصدر من أوامر القبض حتى على أعضاء البرلمان ، وايداعهم غياهب السجون أو نفيهم الى أقاصي البلاد ، بلا اتهام

ولا تحقيق ولا مناقشة ولا سؤال ـ وهو ما حدا بالمعارضة على اختلاف نزعاتها الى الانسحاب من الجلسة التى جرت فيها هذه المأساة الدستورية ، ومن نكد الأقدار أن يجيء رئيس مجلس النواب فى تلك الجلسة نفسها فلا يكتفى بما قدمت يداه من مساهمة فى اقرار هذا الوضع الدستورى المهين ، بل يستبيح لنفسه أن يتكلم من منصة الرياسة فيصف احتجاج المعارضة على ذلك وانسحابها بأنه « سبة للحياة البرلمانية » !!

وهكذا سار النحاس باشا فى استغلال السلطة العسكرية الى مدى لم يصل اليه أحد قبله • فالواقع المسجل أن رفعة على ماهر باشا وهو الذى أعلن قيام الأحكام العرفيـة وتولى سلطة الحاكم العســـكرى قد وعد ، ثم حقق ما وعد ، بأن لا يصدر أمرا عسكريا دون عرضه على البرلمان ، وقد كانت أوامره العسكرية تتعرض للتعديل والتبديل فى معظم الأحيان طبقا لما يراه أعضاء البرلمان وبينهم رجال المعارضـة الوفدية اذ ذاك •• ولم يكن الوفد رغم ذلك يخفى قلقه واعتراضه على الأحكام العرفية حتى فى دائرة تلك الوعود ، والقيود ! •

ولكن النحاس باشا لم يكد يلى الحكم حتى ألقى القبض على رفعة على ماهر باشا دون تحقيق ولا محاكمة ، ولكنه على كل حال سمح بالمناقشة البرلمانية فى مسألة اعتقاله •

ثم تقدم رفعة النحاس باشا فى اســـتغلال ســـلطة الاعتقال خطوة ثانية • فأباح لنفسه أن يعتقل من أعضـــاء البرلمان من يشاء دون أن يبعث الى المجلس الذى ينتسب اليه العضو المعتقل حتى بمجرد الاخطار • كما حـــدث فى شأن صاحب السعادة محمد طاهر باشا عضو مجلس الشيوخ ـ وقد اعتقل سعادته مع حضرة صاحب السمو الأمير عباس حليم دون أن يسمح بنشر شيء عن اعتقالهما أو بتقديم استجواب عنـه فى البرلمان ! •••

ثم تلت هذه الخطوة ثالثة الاثافى ، اذ ألقى النحـــاس باشا القبض على أحد أعضاء مجلس النـــواب وهو الدكتور فهمى ســـليمان ، وأبى على المجلس أن يناقشـــه فى ذلك الحساب ، متذرعا بأن المجلس حين أقر سلطته العسكرية قد أعطاه فى الوقت عينه تفويضا يفعل بمقتضاه ما يشاء وان له

من سلطة الاعتقال ما يسمح له كل يوم بالقبض على من يشاء من النواب وغير النواب ، دون أن يكون للبرلمان أن يناقشه فيما فعل أو يفعل فى الماضى أو فى الحاضر ، فى المستقبل !!

وقد رأى نواب المعارضة أن ينسحبوا بعد احتجاجهم على هذه الدكتاتورية العسكرية التى تجعل الحياة النيابية أثرا بعد عين ، فانتهز أحد الوزراء ــ وهو وزير العدل ــ فرصة خلو الجو ، كما فعل رئيسه من قبل ، وراح يحذو حذو رئيسه فى قلب الحقائق التى لا تكذب ، وزعم أننى وافقت على اعتقال رفعة ماهر باشا ، ولكن من سوء حظ الوزير والوزارة التى يمثل معاليه مبلغ أمانتها للحق والواقع ، أن المناقشات التى دارت فى هذا الشأن بينى وبين رفعة النحاس باشا ومعنا بعض الوزراء قد أتيح حضورها حينئذ لبعض الكبراء ، وكلهم بحمد الله أحياء ، ففى احدى المناقشات كان صاحب العزة محمد محمود خليل بك رئيس الشيوخ اذ ذاك وصاحب السعادة عبد القوى أحمد باشا من شهود المناقشة والجدل . وقد شهد الأخيران مشادة بينى وبين رفعة النحاس باشا ، حينما اقترح سعادة عبد القوى أحمد باشا بالنيابة عن على ماهر باشا بقاء رفعته فى عزبته ، بقبول منه فوافقت أنا على هذا الحل الذى ارتضاه على ماهر باشا واعترضت على اصرار النحاس باشا على الأخذ بقرار الاعتقال ، وكان يحتج فى اصراره بأن المسألة من اختصاص الحاكم العسكرى دون سواه ، بينما أصررت من جانبى على أن المسألة ليست عسكرية بحتة ، ولكن لها ناحيتها السياسية والدستورية ، وأبى النحاس باشا مع ذلك الا أن يتمسك برأيه وقراره ، وفيما يلى نص خطاب أرسله الى شاهد عدل هو حضرة صاحب السعادة عبد القوى باشا أحمد ، وفيه فصل الخطاب فى هذه الاكذوبة الكبرى :

١٩٤٢/١٢/٩

حضرة صاحب السعادة مكرم عبيد باشا

عزيزى الباشا

بعد التحية : ردا على خطاب سعادتكم أذكر جيدا أننى عندما رجوت رفعة النحاس باشا بمكتبه بمجلس الوزراء ــ بحضوركم وحضرات أصحاب المعالى زكى العرابى باشا وزير

المواصلات يومئذ ونجيب الهلالى باشا وصبرى ابو علم باشا وسعادة محمد محمود خليل بك رئيس الشيوخ السابق ـ أن لا يقبض على رفعة على ماهر باشا وأن يسمح له بالبقاء بداره بمصر ، أو بالعودة الى عزبته ، تفضلتم سعادتكم وقلتم انى موافق عبد القوى باشا على رأيه فهو يقول كلاما معقولا ، واذا سمح هو ومحمد بك محمود خليـــل بالانتظار قليلا بمكتب السكرتير فاننا نبحث الأمر سويا مع رفعتكم وحضرات الزملاء الوزراء » فاجاب رفعته : اسكت أنت يا مكرم لأنى الحاكم العسكرى والمسئول عن هذه الشئون فما كان من سـعادتكم الا أن طلبتم من رفعته بأن يستمع لرأيك ، وفى نهاية الأمر التفت الى رفعة النحاس باشا وقال أنا مصر على رأيى وسأعيد النظر فى الأمر باكر اذا ســـلم على باشــا نفسه بلا قيـــد ولا شرط .

هذا ما وقع أسجله ردا على خطاب ســـعادتكم راجيا التفضل بقبول تحياتى واحتراماتى ؟

المخلص

عبد القوى أحمد

ومما هو جدير بالذكر أن النحاس باشا كان قد اتخذ اجراءاته الأولى لالتزام رفعة على ماهر باشا بالسفر الى عزبته دون أن يطلعنى أو يطلع الوزارة على ما فعل . فلما علمت بما حدث سألته كيف انفذ مثل هذه الخطوة الخطيرة دون أن يستشيرنا فكان جوابه أن هذه من الســـياسة العليا التى يختص بها دون الوزراء ! .. ، فأعلنت لرفعته أننى أرفض أن تكون السياسة الدنيا وحدها هى التى تدخل فى اختصاص الوزراء ، واحتججت على مواجهتنا بسياسة الأمر الواقع دون مناقشة ولا مشاورة ! .

ومع هذا كله ، يأبى وزير العـــدل الا أن ينهج نهج رئيسه ، حينمـــا تكلم فى غيبتى بمجلس النواب وروى من الوقائع ما بينت فى الباب الأول مجافاته للصـــدق والحق ، ولا يتحرج وزير القضـــاء أن يلقى من منبر البرلمان أكذوبة صريحة فى مسألة كهذه كان موقفى بشأنها معروفا فى حينه ، لجميع الجهات وللكثيرين من الشـــيوخ والنواب على اختلاف أحزابهم .

وليس يعنينى فى هذا المقام أن أكذب قوما ثبت عليهم الكذب بالأدلة والشـــهود ، انما يعنينى أن أبين أن النحاس باشا تدرج فى طغيانه العسكرى على حساب الحياة الدستورية ، حتى وصل الى حرمان البرلمان من حق مناقشـــة تصرفاته العسكرية على الاطلاق !! فاختفى الحكم الدستورى فى ظلال الحكم العسكرى ..

ومن سوء حظ النحاس باشا وحظ البلد معه أن الحكم العسكرى طغى أول ما طغى على الحاكم العســـكرى نفسه ! فحكمته العقلية العسكرية قبل أن يحكم بها غيره شأنه فى ذلك شأن كل ضعيف يقوى ، وان الانسان ليطغى ..

صاحب العلم !

وليس أدل على هذه العقلية مما بدا للنـــاس من بعض الصغائر الى جانب ما سيأتى بيانه من الكبائر ، بلغ برفعته الأمر أن يتخذ لنفسه من مظاهر الحكم والسلطان ، علما يرتفع وينخفض على سطح داره اشعارا بوجوده أو بغيبتـــه عن البنيان ! ...

وعلى اثر الضـــجة التى اثيرت أخيرا حول « صاحب العلم ! وترتب عليها اغلاق مجلة روز اليوســـف لمدة ثلاثة شهور ، اختفى العلم عن الأنظار ـ وقد رأيته ورآه غيرى ، لأننا أبينا أن نصدق ، قبل أن نحقق !! .

ويتمشى مع العلم الخفاق فى أعلى البنيان ، وجود عساكر « الحرس » حـول الجدران .. ولقـد كان لكل رئيس وزارة وحاكم عسكرى فى سالف العهد والأوان ، عسكرى واحـــد يحويه « كشك » خشبى واحد أو على الأكثر حارسان » ..

ولكن حاكمنا العسكرى الديمقراطى يأبى أن يكون له من الحراس العسكريين الواقفين بأبواب داره الا ستة ، تحـويهم أكشاك ستة ! .. فاذا ما خرج من الدار فى المساء أو فى الصباح ، زلزلت الأكشاك زلزالها ، وقال الجيران مالها ... ثم قعقع السلاح ، وعلا الصياح ، قره قول سلاح .. قره قول سلاح ؟ .. ولقد قيل لى ان بعض موظفى السفارة البريطانية الذين تطل مكاتبهم على دار النحاس باشا قد أزعجهم هـــذا

الصياح المتكرر ، حتى كاد هذا الضجر الانسانى ، أن ينسيهم التحالف المصرى البريطانى ! ..

يالنـــكبة الديمقراطيـــة فى بعض أنصـــارها من الديمقراطيين !! ..

ولو أن هذه العقلية انحصرت فى شخص رئيس الوزراء وفى المظاهر المحيطة به ، لهان الأمر بعض الشيء ، ولكنه تعدته ويا للأسف الى حكم هذا الشعب الأمين ، والى حرياته المقدسة التى جاهد لهـــا وبذل فى ســـبيلها « الدم والتعب وعرق الجبين » ! ...

وعن اهدار حق الاستجواب يقول مكرم عبيد باشا :

والاستجواب هو الوسيلة الدستورية التى يستطيع بها النائب أن يزاول عمله فى محاسبة الوزارة وطرح الثقة بها على المجلس اذا اقتضى الأمر ، وعلى أساس هذا الضمان الدستورى تقوم المسئولية الوزارية أمام البرلمان . فاذا ســلب النائب حق الاستجواب فقد انهارت المسئولية الوزارية التى لا قيام للحياة الدستورية بغيرها على أى وجه من الوجوه .

وقد رأت الوزارة أن تسلب المعارضة هذا الحق البديهى ، فلجأت الى أغلبيتها العددية من جهة كما لجأت الى رئيس المجلس وهيئة مكتبه من ناحية ثانية ، فاذا الناحيتان تتقاسمان مهمة القضاء المبرم على حق الاستجواب بوســـائل متعددة ، منها : استعمال مقصلة الأغلبية فى استبعاد أى استجواب لا تريده الحكومة أو استبعاد ما تشاء الحكومة من فقراته وأبوابه قبـل أن يسمح بمناقشة كلمة واحدة منه ، ومنها : ألا يدرج رئيس المجلس ما يقدم اليه من استجوابات ، وقد قدمت فى الدورة الماضية استجوابات عدة لم تدرج فى جدول الأعمال ، أحدها عن أسباب الخلاف التى أدت الى خروجى من الوزارة ، وآخر خاص برخص التصدير والاستيراد وثالث عن الاستثناءات التى وقعت بعد خروجى من وزارة المالية ، ورابع عن اساءة تنفيذ المعاهدة ، وخامس على حرية الرأى ، وسادس عن المعتقلين ، ومع خطورة الموضوعات التى تتناولها هذه الاستجوابات أو على الأصح لخطورة هذه الموضوعات أبى رئيس النــواب أن يدرج احدها فى جدول الأعمال ، بل عمدت رياسة المجلس الى مناورة

طريقة لتخليص الحكومة من مناقشة ما أدرج بالفعل فى جدول الأعمال من استجوابات ، فكانت مواعيد الجلسات تحدد فى غير الأيام المخصصة للمناقشة أو لاستئناف المناقشة فى الاستجوابات .. ومن المضحك المبكى أنه بعد أن ألقى رئيس الوزراء بيانه فى استجواب الاستثناءات أجل المجلس بيانى ورد الزميل المستجوب (النائب المحترم الأستاذ فكرى أباظة) الى جلسة يحددها مكتب المجلس .. ومنذ ذلك الحين لم يجد رئيس المجلس المحترم جلسة يحددها لاستكمال هذا الاستجواب القائم فى حين أنه نظرت استجوابات أخرى جديدة ، وعديدة ! ..

ولم تضق الوزارة ، ومن ورائها رياسة النواب ، ذرعا بالاستجوابات وحدها ، ولكنها لم تطق كذلك أن تواجه ماهو أخف منه وأهون ، ونعنى به طلب المناقشة الذى نصت عليه اللائحة الداخلية ، فلم يكد ستة وثلاثون عضوا من المجلس ، وكلهم من الهيئة التى تنتسب اليها الحكومة يتقدمون بطلب كتابى لفتح مناقشة فى موضوعات خطيرة حددوها ، وعددوها ، حتى انتهز رئيس المجلس فرصة انعقاد احدى الجلسات السرية فتلا الطلب الخطير ، وأخذ من الأغلبية الوزارية قرارا باستبعاده من غير مناقشة فى الجلسة السرية حتى لا تتسرب محتويات الطلب الى أسماع الرأى العام !! .

وأخيرا افتتحت الدورة البرلمانية الحالية فاذا الحكومة تستعين بنوابها ورياسة نوابها وتقرر أخطر المبادىء لكى تخنق فى المهد الاستجوابين اللذين قدمهما أحد نواب المعارضة ، وهو حضرة النائب المحترم الأستاذ فكرى أباظة ، حتى لم تجد المعارضة بدا من تسجيل احتجاجها على خطة الوزارة والوزاريين بانسحابها فى أول جلسة من الجلسات .

عن حوادث الأزهر الشريف وانتخابات جرجا يقول مكرم عبيد باشا :

● حدث منذ أيام أن قدمت مع جماعة من اخوانى عريضة لمناقشة الحكومة فى حوادث الأزهر الأخيرة التى وقعت فى ١٣ فبراير وفى انتخابات جرجا الأخيرة ــ وهى حوادث أقل ما يقال فيها انها تمس حرية الجماعات والأفراد ، فضلا عن حرية الانتخاب ، مساسا خطيرا .

وقد قصرنا العريضة على الناحية العامة من هذه الحوادث من حيث مساسها بالحريات .

وحسبنا أنها وقد خلت من الألفاظ التى يعدها رئيس المجلس « نابية » ـ والألفاظ فى قاموس العهد الحاضر هى الألفاظ الصريحة ، والصراحة هى القاسية النابية ! ـ حسبنا ان العريضة ستنظر أو فى القليل تعرض .. ولكن سعادة رئيس المجلس أبى علينا ذلك لأنه رأى فى العريضة اتهاما للحكومة ، وعبثا حاولنا الاحتكام الى المجلس فى هذا العهد الديمقراطى هو المجلس ، كما أن رئيس الحكومة هو الحكومة ! ..

ولقد ترتب على هذه الحوادث الخطيرة أن أصيب عدد كبير من الجرحى بين طلاب المعاهد واعتقل عدد من الطلبة ، بل والأساتذة ، بل ومن أصحاب الفضيلة مشايخ المعاهد ! .. ولكن أنى لنائب أن يسأل ، ولو مجرد السؤال ، عما يمس معاهد العلم وأساتذتها وطلابها .. وأنى له أن يناقش ولو مجرد المناقشة تلك الفضائح الانتخابية المنقطعة النظير التى حدثت فى جرجا تاييدا لمرشح الحكومة فيها والتى ترتب عليها ارسال أكثر من ألف جندى بمدافعهم ودباباتهم وطياراتهم . حرمان الناخبين من التذاكر ، وضرب وجرح كل معارض لهذا الحكم الزاهر ؟ .

وبعد لأى ، فقد طلب منى رئيس المجلس تقديم استجواب فى هذين الموضوعين فقدمته ولكنه لم يدرج حتى الآن ، ولعله لن يدرج ..

ياموﻻى ، اذا كان قد جنى على الحياة النيابية القائمة فى مصر رجل واحد ، فهذا الرجل هو مصطفى النحاس باشا ، واذا كانت الجناية من عمل رجلين اثنين ، فالثانى بلا مراء هو عبد السلام فهمى جمعة باشا ، الرئيس الحاضر لمجلس النواب الحاضر ...

وعن اهدار حق طلب البيانات من الحكومة يقول صاحب الكتاب الأسود :

وهو حق دستورى لم ينكر من قبل على أى نائب مستجوبا كان أو غير مستجوب ، ولكنه أنكر على النواب جميعا ، وتمسكت الحكومة الحاضرة بانكاره لأن (مكرما) طلب

بيانات عن الاستثناءات التى أغدقت ، ورخص التصدير التى منحت ، وكل ما هنالك أن الوزارة تحتمى بهدم هذا التقليد وانكاره لكى تتهرب من تبعة التسليم بما يجرى من وراء الستار من محسوبيات واستثناءات فى التوظيف والتصدير على السواء !! •

ويقول مكرم باشا عن انتهاك الحصانة البرلمانية :

لم تتردد الوزارة فى انتهاك الحصانة البرلمانية على وجه لم تسبقها اليه وزارة سابقة ، ولا يمكن أن تدركها فيه وزارة لاحقة ! فمن تفتيش منازل النواب الى اعتقال أى شخص من أعضاء المجلسين دون استئذان البرلمان فى حالتى التفتيش والاعتقال ، بل دون مجرد اخطار المجلس المختص ، بينما كان ممثلو الوفد فى البرلمان الماضى ، وبينهم وزيران حاليان ، ينعون على صاحب الدولة حسين سرى باشا مجرد الأمر بتفتيش ضيعة أحد النواب دون استئذان المجلس فى ذلك ، وكانوا يرون فى ذلك خروجا صريحا على الحصانة البرلمانية !

وعن اسقاط عضوية النواب بعد اقرار صحتها يقول مكرم باشا :

وكما أدى طغيان الوزارة على نوابها واذعان النواب لمشيئتها الى اهدار الحقوق السالفة كلها على أيدى هؤلاء النواب أنفسهم ، كذلك بلغت روح الاستهتار بمبادىء الدستور وأصول الحياة النيابية الى حد اهدار قرارات البرلمان ذاتها فيما يتعلق بصحة نيابة أعضائه ، خلافا لكل ما يقرره فقهاء الدستور ، وما تؤيده أعرق التقاليد الدستورية • فما هو الا أن اختلفت الوزارة مع أحد النواب ، وهو الأستاذ أحمد قاسم جوده ، بسبب اصرارها على مهاجمة (مكرم عبيد) وأنصاره والطعن عليهم فى جريدة (الوفد المصرى) التى كان يدير تحريرها ويكتب فيها الأستاذ أحمد قاسم جوده ، فى حين رفض هو أن يقوم بذلك أو يشترك فيه ـ كما يدل على ذلك الخطاب الذى أرسله الى وزير العدل ، والذى أتشرف بارفاق صورة منه ومما تلاه من مراسلات فى هذا الصدد ـ ما هو الا آن دب هذا الخلاف حتى استدعى وزير المعارف فى اليوم التالى أحد نواب الوزارة وسلم اليه ملف الأستاذ قاسم جوده بالجامعة المصرية ـ وكان الوزير يعلم بكل ما فيه ، كما

تعلم به الوزارة ورئيس لجنة الطعون بمجلس النواب ، عندما وافق المجلس على صحة نيابته ورنض الطعن المقدم فى سنه ـ وسرعان ما طلبت الوزارة بلسان احد نوابها أن يعاد النظر فى الطعن المرفوض ، على أساس السبب المرفوض ، وأصر رئيس الوزراء على اهدار المبادىء الدستورية ، والتقاليد الدستورية ، والحقوق الدستورية التى تجعل لقرار البرلمان فى مثل هذا الطعن قوة الحكم الذى لا ينقض .... فكل هذا لا يساوى شيئا عند الوزارة مادامت تصل من ورائه الى التنكيل بالنائب الكاتب الذى رفض أن يجارى كتاب الوزارة فى التهجم الباطل على (مكرم عبيد) ! .

وقد كان للوزارة ما أرادت ، وهدم البرلمان بأيدى أعضائه قيمة قراراته بشأن الطعون وتحقيق صحة النيابة ، واخرج الأستاذ قاسم جوده بعد جلسة استغرقت سبع ساعات ، ثم رأت الوزارة فى عشر دقائق أخرى من الليلة نفسها أن تصب جام غضبها على نائب شاب جرىء تجرأ على أن يقف فى صف مكرم عبيد وهو الأستاذ جلال الحمامصى ، فاصدر المجلس فى غيبة النائب قرارا باخراجه فى عشر دقائق لا تزيد ، بعد أن مضى على قرار المجلس نفسه بصحة نيابته بضعة شهور !! .

وكذلك أملت شهوة الانتقام على الوزارة خطوة جديدة ، فى طريق العبث بالحياة النيابية على أيدى نواب أكثريتها المرغمين ! وكانت سابقة لم يسبق لها مثيل ..

وعن تحريم نشر الاستجوابات أو ملخصها فى الصحف يقول مكرم باشا :

أخيرا ، وليس آخرا ، عمدت الوزارة الى التهرب لا من مناقشة الاستجوابات وحسب بل من اذاعتها بنصها ، أو نشر خلاصة عنها منقولة من جدول الأعمال ، أو حتى مجرد الاشارة الى موضع استجواباته فى الصحف ، قبل يوم مناقشتها ، فى حين جرت جميع الوزارات السالفة ، بالاتفاق مع البرلمان ، على أن تنشر خلاصة لموضوعات الاستجوابات ، تثبت فى جدول الأعمال ويصرح بنشرها فى الصحف .

ولكن الوزارة التى تتمسح بالشعب اليوم ، هى بعينها التى تأبى على هذا الشعب أن يعرف كثيرا أو قليلا مما يدور تحت قبة البرلمان من مناقشات بين ممثلى الشعب !! .

ويخصص مكرم باشا جزءا من كتابه عن خنق حرية الصحافة فيقول :

هذه أمثلة تشرفت بسردها أمام أنظار جلالتكم ، لأبين كيف اعملت الوزارة الحاضرة معاول الهدم فى بناء الحياة النيابية ودكت قوائمها من الأساس . وما كان مفهوما ، ولا معقولا ، أن يكون هذا مبلغ تنكيل الوزارة بالسلطة التشريعية ثم يكون للسلطة الرابعة ، وهى سلطة الصحافة ، حظ أسعد من حظ البرلمان فى ظلال هذا العهد الغاشم .

وقد بلغ من اشتداد وطأة الأغلال التى ترسف فيها الصحافة على يد النحاس باشا ووزرائه ، ان وجد مجلس نقابة الصحفيين نفسه مضطرا الى تقديم الاحتجاج تلو الاحتجاج الى الحاكم العسكرى ، مذكرا رفعته بما جاء فى مذكرة الوفد المصرى المؤرخة فى أول أبريل سنة ١٩٤٠ ، من أنه : « .... لا معنى لأن تمتد الرقابة على الأخبار العسكرية الى رقابة على كل الشئون المصرية حتى أصبح المصريون فى عهد الاستقلال وكأنهم آلة عمياء صماء لا يسمع لهم صوت فى شئون بلادهم ، ولا يدرون الى أى مصير هم مسوقون ، بل ولا قدرة لهم على الشكوى مما هم اليه مسوقون » ! .

وقد سرد مجلس نقابة الصحافة فى أحد احتجاجاته هذه صنوفا من أمثلة الارهاق التى تتعرض لها الصحف فى هذا العهد مما يجاوز كل ما كان فى عهود الوزارات السابقة ، ثم اختتم مذكرته بقرار صريح هذا نصه :

« من أجل هذا يقرر مجلس النقابة أسفه الشديد لأساليب الرقابة الصحفية ويرفع الى رفعتكم احتجاجه على الاجراءات التى تتبعها الرقابة وخروجها على الحدود المرسومة لها ومخالفتها النص وروح الأحكام العرفية ، وما جرى عليه العمل فى العهود السابقة ، وما أعلنتموه رفعتكم أيضا فى اجتماع الصحفيين ويقرر أن الصحافة والحالة هذه ازاء استحالة مادية ومعنوية تمنعها من أداء واجبها » .

وتلا ذلك الامضاءات الآتية :

« فكرى أباظة · محمد عبد القـــادر حمزه · ابراهيم عبد القادر المازنى · حافظ محمود · محمد خالد · مصـــطفى أمين · جلال الحمامصى · كامل الشـــناوى · مصـــــطفى القشاشى » ·

وفى عبارات هذا القرار الواضـــح ، الذى قدمه أعضاء نقابة الصحفيين الى النحاس باشا بعد طول يأسهم من سماع صيحاتهم المختنقة ، غير تصوير روح الطغيان التى تنشر ظلها على كل أداة من أدوات الرأى والحرية فى البلاد ·

وقد بلغ من تمادى النحاس باشا فى استغلال سلطته العرفية ان اختفت كلمة المعارضة من الصحف ومحيت محوا ، وحرم على الكتاب أن ينقدوا عملا من أعمـــــال الوزارة جل أو هان ، وصودر حق الناس الأولى ، الذى كفله القـــانون العادى ، فى الرد على ما يكتب عنه وتفنيد ما يفترى عليهم من الأعمال أو الأقوال ، وحرم على الصحف أن تنشر أســـــماء أشخاص بعينهم ولو فى مناسبة من المناسبات العادية ، أو فى مناسبة كريمة ، كتقييد أسماء مكرم وزملائه من أعضاء الكتلة الوفدية المستقلة فى دفتر التشريفات ، واعلان ولائهم لشخصـــكم المعظم · وحذفت الرقابة على كل ذكر لبرقيات ورسائل تلقيتها من شخصيات سامية المكانة على أثر خروجى من الوزارة وبينها رسالتان لصاحب السمو الأمير عمر طوسون وصاحب الفضيلة الشيخ أبو الوفاء الشرقاوى ··

وانى لأكتفى يا مولاى باضافة أمثلة قليلة أخرى لا تكاد ينقصها التعليق :

١ ــ حدث أن قبض الله الى جواره أحد أعضـــاء الكتلة الوفدية المستقلة فى أواخر شهر ديسمبر سنة ١٩٤٢ ، وهو المغفور له الأستاذ عبد الوهاب البرعى المحامى · فرأيت واجبا على أن أنعاه فى جريدة الأهرام · ولكن النعى لم يكد ينشر فى الصباح حتى هاج هائج النحاس باشـــا ، وثارت ثورته لأن النعى تضمن ذكر الكتلة الوفدية المستقلة !!

وترتب على هذه الثورة أمران :

(أولهما) اصدار تعليمات الى الرقباء بمراجعة اعلانات

الوفيات ، حتى لا يقبض الله الى جواره رجلا آخر من رجال الكتلة الوفدية المستقلة فيذاع فى نعيه أنه لقى ربه على عقيدته الوفدية المستقلة !! .

(وثانيهما) ترتب على هذه الثورة كذلك أن صودرت برقيات التعزية فى الفقيد الذى أهاج نعيه أعصاب الحاكم العسكرى العتيد !! وكان من تلك البرقيات المغضوب عليها تعزية من صاحب السمو الأمير الجليل عمر طوسون ، فلما تأخر ردى عليها ، تحدث الى حضرة باشكاتب دائرة سمو الأمير ، وسألنى عما اذا كانت البرقية قد وصلت الى ، وعندئذ فقط علمت بما كان من مصادرة البرقية ، فبادرت الى ابلاغ عذرى وشكرى الى سمو الأمير ، وخشيت أن تحول الرقابة العسكرية مرة أخرى دون وصول هذه البرقية ، فبعثت بصورة منها فى خطاب بالبريد الى حضرة باشكاتب دائرة الأمير !! .

٢ - جرت بعد ذلك انتخابات تكميلية لعضوية مجلس الشيوخ عن دائرة منشاة سلطان . وتقدم للانتخاب فيها مرشح للوفد هو حضرة عبد القادر المناسترلى بك ، ومرشح مستقل هو حضرة الدكتور فؤاد سلطان بك ومرشح أعلن الوفد أنه لا يؤيد ترشيحه هو حضرة عبد الرحمن شادى بك .

واشتدت دعاية الوزارة لمرشحها فى هذه الدائرة ، الى حد سفر اثنين من الوزراء هما صبرى أبو علم باشا وزير العدل ، والاستاذ عبد الحميد عبد الحق وزير الشؤون الاجتماعية ، وقد خطب أولهما فى تأييد مرشح الوفد واعلان حرص الوفد على انتخابه دون الآخرين .

ثم ظهرت النتيجة فاذا المرشح الوفدى يكاد يفقد التأمين .. واذا المرشح الذى أعلن أنه لا يرشحه ، وذكر اسمه صراحة فى بيان أذيع فى الصحف ، وهو عبد الرحمن شادى بك يفوز بضعف الأصوات التى نالها مرشح الوفد ! أما المرشح المستقل الذى أبى أن يقبل الترشيح على مبادىء الوفد وهو الدكتور فؤاد سلطان بك فقد فاز بالأغلبية الساحقة ، ونال من الأصوات أكثر من ستة أضعاف حضرة المرشح الذى سافر من أجله وزير العدل فى أسبوع الانتخاب فجنى عليه وهو لم يجن على أحد ..

وكان للنتيجة بطبيعة الحال وقع الصاعقة على راس الحاكم العسكرى الذى عاجلته هذه الضربة فى ميدان الانتخاب الشعبى بعد الضربة السابقة التى تلقاها فى انتخابات نقابة المحامين . فاذا هو يلجأ الى سلاح الرقابة يشهره فى وجه الصحف حتى لا تذيع الأرقام التى أسفر عنها الانتخاب بينما سمح بنشر أرقام انتخاب فرعى آخر فى اليوم نفسه بدائرة شباس الشهداء فاز فيه مرشح الوفد بعضوية مجلس النواب !! .

بل ان النحاس باشا أبى على الشيخ الفائز أن يقال في مقال في مقام تهنئته باحدى الصحف ان نجاحه لقى ارتياحا عند الناس . وكل ما سمحت به الرقابة النحاسية فى هذا المقام أن يقال ان فوزه قوبل بالارتياح « من اصدقائه وعارفيه » !! ومن هذا القبيل ما نشرته الصحف من انتخابات جرجا ، فقد سمح لها بأن تشير الى فوز مرشح الوفد دون أن تشير الى تنازل المرشحين الآخرين فى ظروف لا تشرف الحكومة فى شيء .. وهكذا ظن النحاس باشا ـ كما ظنت النعامة من قبل ـ انه خدع النحاس اذ خدع نفسه !! .

٣ ـ وأخيرا ، وليس آخرا ، جاءت الدعوة الاجتماعية المتواضعة التى تشرفت بتوجيهها لتناول الشاى فى دارى يوم ٢١ يناير الماضى . وتفضل بتلبيتها من تيسر له الحضور من حضرات المدعوين من الأصدقاء ، من كبار رجال السراى الملكية العامرة ، والسفارة البريطانية والنواب البريطانيين ، ورجال المفوضيات الأجنبية ، وزعماء الأحزاب والمستقلين ورجال الشركات والبنوك ...

هذه الدعوة المتواضعة طارت بأعصاب الحاكم العسكرى ، الى حد يمنعنى الواجب المقدس من أجل أن أدخل فى تفصيله ضمن هذه العريضة ، وانما أكتفى بأن أشير فى صدده الى تسخير الرقابة فى منع المجلات والصحف من كل اشارة الى الدعوة أو المدعوين . ولم يستنح النحاس باشا أن يجعل من هذا الموضوع بابا من أبواب التنبيهات الكتابية للرقباء أجمعين !! .

والرجل الذى يسير بالرقابة هذه السيرة ، ويستغل سلطانه العسكرى على هذه الوتيرة ، هو النحاس باشا الذى

خطب فى انتقاد ما هو شبيه بذلك بل دونه ، حينما كان فى المعارضة وكان غيره فى الحكم ، فقال فى خطاب له برأس البر :

« وأخرى لا تقل صغارا وسخافة ··· هى منعهم ألصحف من أن تذكر أسماء زائرى أو ننقل أحاديثى أو نشير الى انتقالاتى ومقابلاتى فى حين لا مانع من ذكر أخبارهم وأقوالهم والدعـــاية المغرضة لأشخاصهم وأعمالهم ، كأنما كان لهم أن يسقطوا عن مصطفى النحاس ما يتمتع به سائر المصريين من الحقوق أو كأنما لا تكفيهم هذه الرقابة الغاشمة التى فرضتها الاحكام العرفية على الصحف بحجة الحرص على سلامة الدولـة ومقتضيات الأمن والدفاع ، فراحوا يستخدمونها فى حماية أنفسهم من كل انتقاد حتى صاق بهـــذه الحال بعض الصحفيين المحايدين قبـــل المعارضين فتوالت الشكوى ولكن بدون جدوى ! نعم هو صغار لا طعم له ولا معنى وان كان كبير الدلاله على ما ترزح تحته البلاد فى هذا العهد الظالم من عدوان وطغيان · واستهتار صـــارخ بالحقوق والحريات ! صغار لم تلجأ حكومة من الحكومات المصرية الى مثله منذ نفى سعد وبعض أصحابه (وكنت وزميلى مكرم من بينهم) الى جزائر سيشل وحرم على الصحف أن تذكر أسماءهم أو أبناءهم أو اسم الجهة التى نفوا اليهـا فلم تزدد مصر الا ذكرا لهم وحبا فيهم وجهادا تحت لواءهم حتى ردتهم سالمين غانمين ! »

والذى يفعـل ذلك هـــو نفسه الذى قال فى الخطبة نفسهـــا : « ···· ولكن هل يحسب رئيس الوزارة أن الأمر بهذه البساطة المتناهية وأنه فى حل من أن يقول ما يشاء ويتهرب من سماع الرد كما يشاء · فيقتنع الناس بأقواله ويبررون جميع أعماله ، وكفى الله المؤمنين القتال ؟ ألا يعرف دولته أن فى الناس رؤوسا تفهم ، وقلوبا تعى وعقـــولا تميز الخبيث من الطيب وتدرك النافع من الضار ! لعمر الحق انه اذن لفى ضلال بعيد » !

بهـــذا الأسلوب كان النحـاس باشا ينتقد الرقابة وامتدادها الى الشؤون الداخلية والمسائل الشخصية ، وينـــدد باهدار حق الرد على ما يقول الوزراء ونقد ما يعملون ··· ولكن أين يوم النحاس باشا من أمسه ، وأين هذا الذى يقوله مما يفعله الآن بوطنه وبنفسه ؟!

وكأنما لم يكف النحاس باشا أن يستعين بسلطان الحكم العسكرى ليسخر الرقابة فى كتمان مساوىء حكمه بين الموظفين والأهليين أو فى انتقاد اجراءات التصدير والاستيراد والمحاباة فى شؤون التموين ···

ولم يكفه أن يسخر الرقابة فى حماية تصرفاته وتصرفات وزرائـه وأقاربه وأصهاره من كل نقد أو لوم أو مهاجمة ···

ولم يكفه أن يستغل الرقابة كيفما شاء هواه فى تعقب أنباء خصومه ومعارضيه ولو لم يكن فيها ما يمس السياسة من قريب أو بعيد ...

لم يكف النحاس باشا هذا الاستغلال التعس باسم السلطة العسكرية للقضاء على حرية الصحافة وخنقها ، فلجأ الى استغلال المصروفات السرية يغدق منها ما يشاء على الذين يقبلون أن يشتركوا فى كيل الشتائم والتهجم البذىء بالباطل على مكرم عبيد وأنصار مكرم عبيد ! أما الذين أبوا أن ينزلوا بأقلامهم الى هذا الدرك فجزاؤهم ما حل بالأستاذ جلال الحمامصى أو بالأستاذ قاسم جوده الذى تبين من صور الرسائل المتبادلة بينه وبين وزير العدل كيف جعلت الوزارة مهاجمة مكرم عبيد حجر الأساس فى دعايتها الصحفية المأجورة ...

ولم تتحرج الوزارة فوق ذلك من أن تخرق القانون المالى خرقا صريحا بالسماح لموظف فى الحكومة بكتابة المقالات السياسية المليئة بالشتائم والسباب ، تارة باسمه الصريح ، وأخرى بتوقيع (ع) فى جريدة المصرى وبعض الصحف الأسبوعية القليلة الانتشار — وليس هو مع الأسف الوحيد من نوعه ...

هذا هو أسلوب الوزارة ، يا صاحب الجلالة ، فى خنق حرية الصحافة ، سواء باستغلال الرقابة العسكرية أو بتسخير المتكسبين من كتابها الموظفين وغير الموظفين ، مما كانت نتيجته البديهية تشجيع الفوضى الحكومية ، وإخفاء الوقائع الصحيحة عن أنظار الشعب ، وتشويه قضية الرأى على مثال ليس له نظير فى بلد من بلاد العالم ، محاربا كان أو غير محارب .

ومن طريف ما يذكر هنا أن بعض كبار الساسة البريطانيين الذين زاروا مصر أخيرا كانوا يعلنون على مسمع من وزرائنا بأن حرية الصحافة والحريات الاخرى ظلت فى انجلترا على ما كانت عليه قبل الحرب من غير تعديل ولا تبديل ، ويسمع النحاس باشا ووزراؤه ذلك محبذين مهللين ، غير خجلين ! ... ولو ان هيرودوتوس قام باذن ربه من بين الأموات ، لتبين صدق نظره فى مصر بلد المتناقضات ! ...

وفى الهند — وهى مستعمرة انجليزية لم ينعم الله عليها بحاكم عسكرى كحاكمنا ينفذ معاهدة استقلال كمعاهدتنا — فى تلك البلاد يعتقل الزعيم غاندى فتنشر الصحف الخطابات التى يتبادلها فى سجنه مع حاكم الهند العام ، كما تنشر خطب الزعماء وآراؤهم بل وتهجمهم على الدولة البريطانية فى ابان الحرب القاسية التى تهدد وجودها ...

اما نحن ــ والحرب بعيدة عن أبوابنا ، وخطر الغزو لم يعد يهددنا ــ فقد وجد بيننا رجل مصرى يأبى الا أن يعلن الحرب على حرياتنا باسم الحرب ··· فيعتقل ألسنتنا ، وصحافتنا ، وأمراءنا وعلماءنا وكبار رجالنا وشبابنا كأنما نرى أسرى الحرب ، ولسنا مجرد محايدين أو حتى غير محاربين فى هذه الحرب ·

انها لجريمة وطنية يا مولاى أن نحرم أمة ناهضة ناشئة ، مما كسبت من حريات أولية فى وقت هى أحوج ما تكون فيه لاستكمال حريتها ، ومتابعة نهضتها ···

راق للنحاس باشا فى الأيام الأخيرة ، أن ينشر على الملأ صورة ·· هى صورة رجل عالمى كبير (وأعنى به جناب المستر تشرشل رئيس الوزارة البريطانية) ··· هذا ولو انه قد قصد بهذا النشر الى ابراز ناحية عظيمة فى الصورة · أكثر من ابراز ناحية من نواحى العظمة فى صاحب الصورة !! ··· ذلك أن الصور تضمنت اهداء كريما من جناب المستر تشرشل الى صديقه النحاس باشا ، وفى هذا الاهداء ، تقدير واطراء ، يحرص عليه كل الحرص رفعة رئيس الوزراء ·

الى هنا لا بأس ·

ولكن يشاء سوء حظ النحاس باشا أن يهدى جناب المستر تشرشل ــ فى نفس الوقت ــ نفس الصورة ، وعليها نفس العبارة ، الى صديقه صاحب الدولة حسين سرى باشا ··· ان لجنابه من بين المصريين أكثر من صديق واحد !

وظنت صحافتنا البسيطة ، العبيطة ، ان لا بأس أيضا من الاشارة الى الصورة الثانية ، وقد انطوى اهداؤها على ذات التقدير والاطراء ، لصديق آخر كان رئيسا للوزراء ·

وهنا ــ وهنا فقط ــ رأت الرقابة النحاسية أن البأس كل البأس ، فى نشر هذا الخبر على الناس ، فمنعت حتى مجرد الاشارة ، الى الصورة الشمسية ــ وهى نفس الصورة ــ والى العبارة الخطية ــ وهى نفس العبارة ! ··

قد لا يرى الناس فى ذلك حكمة ، ولكنى يا مولاى اعترف للنحاس باشا بحكمة هى كل الحكمة !! ···

بيد انى اذا رأيت مع النحاس باشا بعض الخطر ، فى نشر صورتين لرجل كبير له كل الشأن وكل الخطر ، فلست أفهم لماذا شرفنى النحاس

وأنا الصغير بمنع صورتى عن الناس ··· فقد عن لاحدى المجلات الأدبية ــ هى مجلة منبر الشرق ــ أن تنشر مقالا عن تاريخ حياتى ومعه صورتى ، فلم يكن من الرقيب الا أن منع المقـــال ، وكان فى ذلك طبقـا للمقاييس الحكومية معتدلا كل الاعتدال ··· ولكنه أبى على المجلة أن تنشر حتى الصورة من غير تعليق أو تنميق · وكتب الرقيب بخطه على مسودة المقال هذه العبارة بنصها :

(لا تنشر ولا تنشر الصورة المشار اليها فى الكلام) ــ وكان فى ذلك مسك الختام !!

وينهى مكرم عبيد باشا عريضـــــته الى الملك ، أو كتابه الأسـود للعهد الأسود فيقول :

فيم كل هذه العناية التى بذلنا من صنوفها ما بذلنا ، وفيم كل هذا العناء الذى احتملنا من ألوانه ما احتملنا ، لتصوير حالة البلاد فى ظـلال الحكم الحاضر ، وازاحة الستار عن شتى سيئاته ، وجناياته ؟

ولماذا توجهنا الى مقامكم السامى بهذه العريضة المستفيضة ، مدعمة بالوقائع والبيانات والمستندات ؟

وماذا نرجو وترجو معنا البلاد ازاء هذه الحالة التى قلبت فيها كل الموازين ، واضطربت المقاييس ، وتدهورت سمعة الحكم ونزاهته الى أعماق الحضيض ؟

هذه أسئلة تدور بالخاطر بل تكاد تفرض نفسها فرضا فى ختـام هذه العريضة التى أتشرف عن نفسى وعن زملائى أعضاء الهيئة البرلمانيـة للكتلة الوفدية المستقلة ، برفعهـــا الى مقامكم الكريم ·· وانى لأسارع بعد كريم اذنكم الى الاجابة عنها فى عبارات موجزة ، مركزة ، أرجو أن تكون وافية ، شافية ·· ،

وأبدأ فأتحدث عن شخصى فيما عسى أن يكون الدافع ، والوازع · لى فى كتابة هذه العريضة ، ووقوفى فيها الموقف الذى وقفته ، وتسجيل ما سجلته ·

لقد تضمنت هذه العريضة اتهامات خطيرة ، حاولت فيها علم الله أن أبرز الحقائق ظاهرة سافرة ··· ولكن أكثر الناس لا يدركون كم تكون الحقائق فى بعض المناسبات والملابسات قاسية جائرة ··· بل لعلها رغم صحتها ، وضرورتها ، أشد جورا على الشاكى منها على المشكو ، ولا سيما

اذا كان المشكو قسيم العمر للشاكى ، كلما أبعـــده عنه رآه يدنو ٠٠٠ وكلما قسى القلب عليه أحس قلبه يحنو !!

ولئن شكا الرجل السياسى لجلالة مليكه مساوىء الحكم الحاضر ومبلغ ما تعانيه البلاد من مظالم وشرور فادحة فاجعة ، فهو لا يسعه كانسان أن يثير من أعماق نفسه كوامنها وأشجانها دون عبرة دامعة ٠٠٠ ولعل الله فى رحمته قد أودع الدمع مـا أودعـه من حرارة ، لكى يغسل ما تخلفه الكوارث فى النفس من مرارة !

ولكم كنت خلال هذه العريضة أصارع نفسى وأجاهد ، حتى لكأننى شخصان فى واحد ٠٠٠ هذا يمنعنى ، وذاك يدفعنى ــ هذا ينادى ألا رحمة بالصديق وان غدر ! وذاك يصيح ألا غوثا للوطن وقد سرت فيه النار من طائش الشرر ٠٠٠

هـــذا يذكرنى ، وذاك يحذرنى ٠٠٠ هذا يذكرنى بماضى الألفـة والوداد ، وذاك يحذرنى أن لا أهدر فى سبيل الصديق ما بذلته فى سبيل الوطن من تضحية وجهاد !

ولقد انتهيت بعد صراع عنيف مع نفسى الى النتيجة المحتومة التى لم يكن لى مناص منها ، أو محيص عنها ، فآثرت مصلحة الوطن على كل مصلحة، ومحبة الوطن الباقية على كل محبة ماضية ــ حتى ولو تخلفت عنها آثار باقية ــ مؤمنا بأن السكوت مجرد السكوت عن مصلحة الوطن انما هـو الخيانة كل الخيانة ، لا تقارن بها ، ولن تبلغ اليها ، أية تضحية بمصلحة صديق ولو كان أمينا للود ، فكيف به وقد أهدر حتى تلك الأمانة ! ٠٠٠

ماذا أقول ؟ ٠٠٠ فما هى مجرد مصلحة للوطن تلك التى نأبى أن نخونها ، بل هى حياة الوطن نسعى جاهدين لكى نصونها ! ٠٠٠ الا ليتها كانت مجرد أزمة سياسية خارجية تعانيها البلاد ، فلقد عرفنا فيما مضى السبيل اليها ، والسبيل عليها ! ٠٠٠

بل ليتها أزمة داخلية قائمة بين الأحزاب على نظام الحكم فى البلاد ــ فما كان أهونها لو انها كانت ٠٠٠ فان صاحب العرش لكفيل بها ، أمين عليها ، يقلب كل انقلاب الى مصلحة شعبه ٠

كلا فلا هى هذه ولا تلك ، بل هى أزمة وجود ، لأنها انتهت الى أبجدية الوجود القومى ، أو على الأصح الأدبى ، لهذه الأمة الكريمة القديمة التى علمت الأمم آداب الوجود ، ومجد الوجود ٠٠٠ نعم يا مولاى فقد انحدرت الأزمة بنا فى هذا العهد الأسود الى تلمس المبـــادىء الأولى للآداب القومية والفردية ، فأصبحنا كمجموع نبحث عن مجرد النزاهة ، والاستقامة ،

والعدالة ، والحرية ، والمسئولية فى الحكم ٠٠ وأصبحنا كأفراد يعنى كل واحد منا بقوت يومه هل يجده فيشتريه ، أو لا يجده فيستجديه ٠٠٠ وبتعليم أولاده وتوظيفهم ـ هل له من حظوة أو رشوة تيسر له العسير ٠٠٠ وبقضاء مصالحه هل له وساطة الى هذا أو ذاك الوزير أو الكبير ٠٠٠ وبحرية شخصه وأهله ومسكنه هـل هو أو هم فى مأمن من اعتقال أو تفتيش فى جنح الليل لا يدرى عنه أحد ، وان درى فليس له أن يسأل ، وان سأل فلا جواب !!

أى مولاى الملك ٠٠٠ أفى عهدك أنت الملك الديمقراطى الحر الذى لم يتح لمصر ملوك كثيرون من مثلك ، يسـام أفراد الشعب كالسوائم ـ بل أين نحن من السوائم ، فان لها جميعات ترفق بها ! ـ فلا سبيل للمجموع أن يحس وجوده فيتنفس ٠٠٠ ولا سبيل للفرد أن يعيش الا أن يتلمس العيش ويتحسس ٠٠٠ أو يتدنس ويتجسس !!

الى أن يقول مكرم باشا :

والحق ، أننا فى عهد « الأباحية » بأكمل معانيها ٠٠٠ وليس يعنينا هنا الحاكم بقدر المحكوم ، فقد سرت جرثومة الفساد أو كادت تسرى فى جسم الأمة السياسى ، وأصبح المجتمع سوقا تباع فيه الذمم وتشترى ، وغدت المحسوبية وسيلة هينة ، وان كانت مهينة ، الى الرزق يسعى الى المحســوب دون أن يســعى ٠٠٠ بل لقد نشر هذا العهد المشئوم نظام الاحتساب والوساطة بين الناس ، فتنقلت المحسوبية من بين الموظفين الى الأهليين ، ومن الديوان الى السوق ، حتى أصبحت لدى الكثيرين من الناس حالة نفسية ، أكثر منها نظامية ٠٠٠ وهنا يا مولاى موضع الحذر ، ونذير الخطر ، فأخوف ما نخافه أن تقتل روح الاستغلال فينا روح الاستقلال ٠٠٠ وأن يستبدل الناس بصلابة الخلق ، طراوة الملق ، فيكون النفاق بضاعتهم المزجاة فى الأسواق وفى المجتمع ـ يبذلونه وماء الوجه معه خشية املاق ، أو فى سبيل مجرد الاستزادة من ترف أو توسع فى انفاق ٠٠٠

وليس أقتل لوجود الشعب الأدبى ، والقومى ، من روح النفاق التى تتولد من روح المحسوبية ، فالمحسوب على الدوام ذليل مغلوب ٠٠ فكيف به اذا كان محكوما حكما استبداديا عسكريا كالحكم الحاضر ـ اننا اذن بفضل هذا الحكم أمة من المحسوبين ، المغلوبين ، وحاشا لله أن تكون ٠٠٠ فان بيدك وحدك يامولاى أن تنفذ روح الرجـولة فى رجالنـــا ، وروح الاستقلال فى استقلالنا ٠٠٠

انى أكتب هذه الكلمات الختامية فى قنـا وكنت قد زدت فى خلال الأسبوع الزقازيق والمنيا ـ والمصريون جميعا حيثما نلقاهم فى العاصمة أو فى الأرياف ، هم أمة واحدة ، وكلمة واحدة ، ورغبة واحدة ، لا يتبرمون

من شيء الا من مساوىء الحكم الحاضر ، ولا يرجون من الله شيئا الا الخلاص من الحكم الحاضر ٠٠ ٠ولقد أخبرني بعض مواطني القنائيين أن أمرا عسكريا صدر أخيرا باغلاق ناديهم الاجتماعي الذي ظل مفتوحا طوال العشرات من السنين حتى جاء النحاس باشا فأغلقه بأمر عسكري ، متعللا بلونه السياسي ٠٠٠

ولا حديث لأهل الصعيد الا انتخابات جرجا بدباباتها ، وطياراتها ، ومدافعها الرشاشة ، وما صحب هذه الانتخابات من وسائل الاكراه والتزييف التي لم يعهدوا لها من قبل مثيلا ، وكلما زاد الوزراء والوزاريون مسعاهم في تكذيبها ، زاد الناس اقتناعا بكذبهم ٠٠ فالناس هنا لا يروون المخزيات التي وقعت كمجرد رواية ، بل عن رؤية ، وليت الحكومة وأبواقها في البرلمان يسمعون ما به الناس يتندرون ـ فليس أظرف من المصريين مرحا ، وأخفهم روحا ، فهم كالفرنسيين يتندرون بما هم منه متذمرون ! ـ فهذا يروى أن جرجاويا بلباس العمال راح ينتخب وبيده تذكرة انتخاب لقسيس قبطي فلما خاطبه رئيس اللجنة في ذلك أجابه العامل الظريف « يا سيدي أنا لابس مدني » ! ٠٠٠ ويروى آخر أن سقاء من حملة المياه دخل غرفة الانتخاب يحمل « قربته » ويحمل معها تذكرة انتخاب لمحام معروف فلما قيل له كيف يكون محاميا وهو يلبس لباس السقائين أجاب « كيفي كده وانت مالك » ! ٠٠٠ وثالث كان يحمل تذكرة انتخاب لطبيب يعرفه رئيس اللجنة فلما ناقشه هذا الأخير في ذلك أصر الناخب على الانتخاب فلم يجد رئيس اللجنة بدا من السماح له باعطاء صوته تنفيذا « للتعليمات المشددة » ٠٠٠ وبعد أن انتهى الرجل من اعطاء صوته همس رئيس اللجنة في أذنه « من فضلك سلم لي على الدكتور » ! ٠٠٠ ولقد أخبرني أنجال المغفور له فخري بك عبد النور أنهم هم الثلاثة انتخبوا مرشح الحكومة ولم ينتخبوا أخاهم (وهو أحد المرشحين الآخرين) فلما أبديت دهشتي قالوا أن تذاكرهم الانتخابية وزعت على آخرين فأعطوا أصواتهم لمرشح الحكومة ٠٠ وأن بعضهم تضاعفت شخصيته بدل المرة ثمانين ، فانتخب بدل المرة ثمانين ! وأن القليلين الذين لم تمنع عنهم التذاكر الانتخابية كانوا اذا انتخبوهم ينتخبهم البوليس للضرب والتنكيل ، فيخرجون من غرفة الانتخاب الى المستشفى ذاكرين للحكومة الشعبية هذا العطف الشعبي النبيل ٠٠٠

حقا أن شر البلية ما يضحك !

وجمعية الاخوان المسلمين ؟ قد أغلقت الحكومة فرعها في قنا بأمر عسكري ٠٠٠ فقلت لعل النحاس باشا قصر أمره على قنا لانها قنا ! ٠٠٠ ولكنني علمت ان الحاكم العسكري قد أصدر أمره ـ والأمر لله ! ـ باغلاق

عدد كبير من فروع الجمعية وهى تربو على الخمسين فى شتى بلاد المملكة المصرية ••• لماذا ؟؟ وهل لأحد أن يسأل حاكما غير مسؤول ، واذا سأل فجواب السؤال الاعتقال !!

ويتحدث الناس جميعا عن حوادث الأزهر الشريف ، وعن التنكيل بطلبته الأبرياء حينما كانوا يهتفون لملك البـــلاد فى طريقهم الى القصر العامر ، بينما يسمح النحاس باشا بالمظاهرات الصاخبة لمصلحة حكمه •• وتساءل المصريون الآمنون الوادعون هل بقى أى ضمان للأفراد فى هذا العهد بعد القبض على مشايخ المعاهد الدينية وأساتذتها وطلاب العلم فى الجامعتين دون ذنب أو جريرة ، ودون ان يعلم أهلوهم بمصيرهم أو حتى بمحل اعتقالهم ، هل نحن فى عهد التفتيش •

أما صفقات التموين وغير التموين التى تردد الناس صداها ويحددون أشخاصها وأرقامها ومداها ••• فحديث الناس عنها لا يكاد ينتهى — فهذا القريب أو هذا المقرب لوزير أو كبير يحتكر السكر فى المنطقة ، وذاك ينعم بالسماد ، وغيره بالغلال الى آخر المظاهر التعسة لأتعس أنواع الاستغلال ، هذا فضلا عن الرشوة الظاهرة ، الفاجرة ، التى تعلن عن نفسها وعن أوليائها فى غير ورع ولا تورع •••

وتتواتر الأنباء الموثوق بها ان الاملاك الأميرية تباع تباعا لأعضاء الحكومة من طريق زوجاتهم وأصهارهم وأقربائهم وقد أشرت الى صفقة عقدها شقيق معالى وزير الزراعة مقدارها أكثر من ٥٠٠ فدان من أراضى الحكومة فى شمال الدلتا ••• وانى لعلى ثقة يا مولاى أن مجرد تحقيق بسيط يكشف عن كثير من أمثال هذه التصرفات التى ترتكب فى الخفاء ، ولا يكاد يغطيها غطاء •••

اذن ، هو مكروب الفساد قد دب دبيبه فى كياننا المصرى ، فلم يترك فضيلة ، أو حرية ، أو كرامة ، أو مسؤولية ، أو نظاما حكوميا أو شعبيا ، سياسيا أو اقتصاديا ، الا وتغلغل فيه ، أو فى القليل تسرب اليه ، أو على الأقل القليل حاول وما يزال يحاول العبث به ، والفض منـــه •••

واذن ، لا يكتفى أن تخلف هذه الحكومة أخرى تنهج على غير نهجها فى المستقبل ، وتبقى على سيئات الحكم الحاضر دون ان تعرض لهـــا بالتغيير والتبديل — فلو انها أقرت هذه الســـيئات لأبقت على جرثومة الفساد بين الموظفين والأهلين ، تفعل فعلها ، وتأكل أكلهـــا ، فاذا هى تتعدد وتتعدد ، واذا بالأرض تنهار تحت أقـــدام الحكومة الجديدة رغـــم أنفها ، ورغم حسن نيتها — وذلك لأنه اذا كانت الأعمال بالنيات بالنسبة

للأفراد ، فان النيات بالأعمال بالنسبة للحكومات ، وما من حكم بين الناس تبرره نيات أو أقوال ، بل أعمال ، ثم أعمال ، ثم أعمال ! ...

ومن ثم يا مولاى فالسبيل الوحيد لانقاذ البلاد فى رأينا - والرأى الأعلى لعالى حكمتكم - هو العمل على استئصال السيئات الى جانب استبدالها بالحسنات .

ولعل المظهر العملى لتلك القاعدة يكون فى المقترحات التالية نرفعها الى مقامكم السامى عسى أن تحظى بسامى نظركم ، فتكون رهنا لسامى تقديركم ، وهى تتلخص فيما يلى : -

(أولا) التخلص من حكم الوزارة الحالية ، بأسرع وأنجع الوسائل ، حرصا على مبادىء الدستور ، والعدل والنزاهة .

(ثانيا) الغاء مختلف التصرفات ، سواء فى الأداة الحكومية أو فى شؤون التموين وغيرها من أبواب الاغداق على الأقارب والمحسوبين .

وفيما يختص بالاستثناءات والمحسوبيات بين الموظفين نلتمس أن تلغى جميعها الغاء تاما ، بحيث يعود الموظف المستثنى الى الحالة التى كان عليها عند تأليف الوزارة ، فتخصم من مرتبه على توالى السنين المبالغ التى قبضها من طريق الاحتساب علاوة على مرتبه الأصلى - وليس فى ذلك تعارض مع نظرية الحق المكتسب ، فان هذه النظرية تقتضى أن يكون هناك « حق » وأن يكون « مكتسبا » فى حين أن هذه الاستثناءات الجائرة هى انتهاك لكل حق ، واغتصاب لا اكتساب ، ورحم الله سعدا اذ قال « ان ما تسمونه الحق المكتسب ، ان هو الا الحق المغتصب » ...

... وليس الغاء الاستثناءات اجراء انتقاميا ، بل نظاميا ، فما من سبيل لضمان نظامنا الحكومى والادارى الا باتخاذ هذه الخطوة الحاسمة ، اللازمة ، والا فقد قضينا على أداتنا الحكومية قضاء لا مفر منه ...

(ثالثا) اتخاذ الاجراءات العاجلة لتحقيق واسع النطاق ، على أيدى هيئات ذات صبغة قضائية ، تنظر فى التهم التى وجهت أو توجه الى المسئولين عن كل تصرفات مخالفة للعدالة والنزاهة على أن ينزل بأولئك المسئولين والمستغلين ما يستحقونه من قصاص عادل ، عاجل ، ان لم يكن بالطرق المادية ، فبالعقوبات الأدبية ، أو السياسية ، ليكون مصيرهم عبرة ، وتذكرة ، وليتطهر المجتمع المصرى سياسيا وأدبيا مما أصابه أو ألم به من وصمة تلو الوصمة ...

(رابعا) استصدار تشريع يسأل فيه الوزير أو الموظف ومن اليه

عما ملك أثناء القيام بأعمال وظيفته ، على النحو المتبع فى بعض الممالك الأخرى .

(خامسا) الغـاء جميـع ما اتخذ من اجراءات ضد حرية الأفراد والجماعات ، والأفراج عن المعتقلين السياسيين جميعا ، وتعويض ضحايا هذا العهد عما أصابهم من ضرر ، وحاق بهم من ظلم .

(سادسا) تدعيم الحياة النيابية الصحيحة فى البلاد ، واطـلاق الحريات الدستورية ، وفى مقدمتها حرية الصحافة ، وحرية الخطـابة والاجتماع ، بحيث لا تستغل الاحكام العرفية - اذا ما بقيت - لأى غرض يخرج عن نطاق المسائل العسكرية البحتة التى تقتضيها حالة الحرب .

والحق أن الاحكام العرفية - بشكلها الحالى على الأقل - لم تعـد تتفق مع الحالة التى صارت اليها الحرب بحمد الله ، فقـد أكد رئيس الحكومة البريطانية ورجالها المسؤولون من سياسيين وعسكريين أن خطر الغزو قد زال عن مصر من ناحيتيها ، فلماذا اذن تبقى الاحكام العرفيـة ناشرة ظلها القاتم الجاثم علينا ، وعلى حرياتنا الناشئة ، التى تحتـاج أحوج ما نحتاج ، الى جو حر تعيش وتنمو فيه ، فاذا لم يتح لها النمـاء كتب لها الفناء ...

لماذا ثم لماذا ؟ - فى حين أن حليفتنا ومستعمراتها والبلاد المحاربة الى جانبها تستمتع جميعا بأقصى الحرية ، فلا حكم عرفى ولا شبه عرفى عندها - وفى حين اننا على أتم استعداد لاتخاذ جميع الاجراءات التشريعية والادارية - دون الاحكام العرفيـة - لصيـانة مصالح حليفتنا والوفاء بالتزاماتنا نحوها .

تلك بعض أمانى شعبكم الكريم نتشرف برفعها الى ملاذكم الأسمى باسـم الكتلة الوفدية المستقلة ، عسى أن تحظى بكريم عطفكم فتنظروا فيها ، وفى أمثالها مما ترونه لمصلحة شعبكم ، بما أوتيتم من الحكمـة وفصل الخطاب .

وما كان لى أن أتحدث عن اخوانى أعضاء الكتلة الوفدية المستقلة بشىء الا أنهم مصريون يدينون بالولاء لمليكهم والوفاء لوطنهم ، ورجـال تعتز الرجولة بهم ... وحسبهم أنهم علموا النحاس ومن لديه معنى الاباء وحكمة الجهاد ، غير عابئين بما يلاحقهم به ذلك الرجل الحقود الجحود من صنوف الاذى والاضطهاد .

فاذا كانوا قد تضامنوا معى فشرفونى برفع هذه العريضة باسمهم الى مقامكم الأسمى ، فهم مثلى ، وأكثر منى ، لاتدفعهم أية منفعة شخصية

أو مادية بل على العكس ، فهم يعلمون أن النفع كل النفع فى هذه الأيام لا يكون بمناوأة الحكام ، ولا سيما اذا كانوا كالنحاس باشا من الطغاة العظام ! ... فمن كانت له مصلحة شخصية فى هذا العهد وجب أن يلتمسها من طريق المساومة ، أو المسالمة أو الاستسلام ...

ولقد أبى زملائى وأبيت معهم أن نساوم أو نرفع راية التسليم !!

بل لقد أبينا جميعا أن نطمع فى مركز أو منصب ، وقد كنا بحمد الله فى المراكز التى نريد ، بل فوق ما نريد ، حتى لم تبق عندنا حاجة لمستزيد ...

بل أننا أبينا أن نكون من طلاب المال الطائل ، والعرض الزائل ، ولو أننا شئنا لما احتاج الأمر الى كبير عناء ، فما كان علينا سوى الاغضاء ، بل بعض الاغضاء !!

كلا ، ما كان لنا الا أن نترك النحاس باشا فى مفترق الطريق ، بعد أن اختار لنفسه أو اختار له غيره طريق الثروة والسطوة ، ... وهانحن أولاء نستأنف طريقنا الى خدمة مصر تلك الأم الرؤوم ، التى تتضاءل الى جانب محبتها كل ما فى الدنيا من عوامل الصداقة ، والمزاملة ، والمجاملة ، والمصلحة الذاتية ، والراحة الشخصية ...

ها نحن أولاء - وقد تبينا خطورة الحال ، وسوء المآل - نهرع الى ملاذ العرش باسم هذا الشعب الأمين ، راجين داعين أن يأخذ الله بيدك لتأخذ بيده ، وان يحفظك له ذخرا ليومه ولغده ، فترفع عنه ما يلقى من شقاء وعناء ، وتعيد الأمور الى نصابها ، فترد الحقوق الى أصحابها ، حتى يعرف المصريون مرة أخرى ما كادوا ينسونه على يد هذه الوزارة من معانى الحكم العادل ، وحرية الرأى ، ونزاهة اليد والنفس ، ويدركوا ما كادوا يفقدونه من معانى الكرامة الوطنية والشخصية ، والتزام الحدود ، وحفظ الكرامات ورعاية الحرمات .

وليس تحقيق ذلك على حكمة جلالتكم بعزيز .

وتفضلوا بقبول أصدق آيات الولاء ، والمحبة والوفاء ؟

ويتوقف مكرم عبيد فى كتابه الأسود عند هذه الكلمات ..

الباب الرابع

الفصل الأول

ولماذا لم يلق الكتاب الأبيض شهرة الكتاب الأسود؟
قصة الكتاب الأبيض ردا على الكتاب الأسود

● عندما اهتممت بالكتابة عن هذا الكتاب الأسود آثرت أن أعطي شبابنا نموذجا حيا للمعارك السياسية : العنيفة في سنوات ما قبل الثورة كما انني آثرت ـ في نفس الوقت ـ أن أضع أمام الجماهير العربية ـ ولأول مرة ـ وثيقة سياسية لم تنشر من قبل اذ لم يتداولها ـ اثر مصادرتها ـ الا بضع مئات من المصريين وهذه الوثيقة مهما يكن الرأى فيما احتوته من موضوعات وبصرف النظر ، عن صحة او عدم صحة ماجاء فيها الا أنها كانت بلا جدال ذات تأثير كبير على مجريات كثير من الأمور السياسية : في سنوات الحرب العالمية الثانية وما بعدها ، ولسنا بحاجة الى القول ، بأننا عندما نشرنا جوهر ذلك الكتاب ، لم نكن أبدا نهدف التشهير باحد ، أو الاساءة الى أحد ، فذلك من الأساليب التي نرفضها بل نمجها ونزدريها وحتى تكتمل الصورة نحب أن نشير ـ وبنفس القدر من اقتباسنا من الكتاب الأسود بل وبنفس الأسلوب ـ الى الكتاب الأبيض ، الذى تولى الرد على ما جاء في الكتاب الأسود والكتاب الأبيض يحمل على غلافه الأول قوله تعالى « فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه » وعلى غلافه الأخير البيت التالى :

واذا أراد الله نشر فضـــيلة
طويت أتاح لها لسان حسود

والكتاب الأبيض ـ كما جاء فى صفحته الأولى ـ عبارة عن بيانات الحكومة وقرارات مجلسى البرلمان بشأن الأسئلة والاستجوابات عما ورد فى العريضـة المرفوعة الى حضرة صاحب الجلالة الملك من حضرة النائب المحترم مكرم عبيد باشا ، وما يتعلق بها من مسائل ، سبق اثارتها فى مجلسى البرلمان .

وبالرغم من أن ما طبع من الكتاب الأسود لم يزد على مائتى نسخة وبالرغم من ان الكتاب الأبيض طبع فى الطبعة الأبدية وبكميـات كبيرة الا أن الكتاب الأبيض لم يحظ بأية شهرة على الاطلاق ، وكنت عندما أسأل واحدا من السياسيين القدامى عما اذا كانت لديه نســـخة من الكتاب الأبيض كان يقول لى مستغربا : أى كتاب تعنى !

وكانت حكومة الوفد قد رفضت الالتجاء الى القضاء للاقتصاص من صاحب الكتاب الأسود « لأن أحبال المحاكم ـ كما قالت ـ طويلة » ولاحتمال أن يتخذ مكرم عبيد باشا ـ وهو المحامى القدير ـ من ساحات المحاكم منابر يكسب بها رأيا عاما الى جانبه خاصة وقد كانت الصحافة ممنوعة بحكم الرقابة من أن تنشر حرفا واحدا لمكرم عبيد باشا يهاجم من الحكومة .

كما أن حكومة الوفد رفضت التحقيق مع مكرم عبيد باشا فيما جاء بالاتهامات التى ذكرها فى كتابه الأسود حتى لايتخذ مكرم عبيد باشا من التحقيق معه ذريعة لتوسيع رقعة اتهاماته وقد فضلت حكومة الوفد ـ ولها الأغلبية المطلقة فى مجلسى الشيوخ والنواب ـ أن تثير موضوع الكتاب الأسود فى المجلس لأنها تضمن الأغلبية فى هذين المجلسين ، كما انها قادرة على اتخاذ كل الاجراءات التى ترى اتخاذها لدرجة اللوم الى مكرم عبيد باشا بل وفصله من مجلس النواب .

فضلت حكومة الوفد أن يتوجه بعض شـــيوخ أو نواب يختارون بالاسم ، للتوجه باسئلة الى رئيس الحكومة أو الى أى وزير من وزرائهـا حول واقعة معينة أو وقائع معينة وردت فى الكتاب الأسود حيث يتولى رئيس الحكومة أو أى من الوزراء الاجـــابة على السؤال أو الأســـئلة الموجهة اليه .

وبعد توجيه السؤال ، أو الأسئلة ـ فى بعض الأحيـــــان ـ يقوم الشيخ السائل ، أو النائب السائل بالقاء كلمة شكر وثناء على الحكومة

يؤكد أنه ما تقدم بسؤاله ، أو أسئلته أو استجوابه عن شك ، فى رئيس الوزارة أو فى أحد من وزرائها وانما تقدم ، مما تقدم به لتتاح الفرصة أمام رئيس الوزراء أو الوزراء ، لايضاح بعض ما جاء فى الكتاب الأسود ·

ولابد من أن يوجه الشيخ السائل أو النائب السائل فى نهاية تعليقه على الرد قسطا من السباب فى حق مكرم عبيد باشا صاحب الكتاب الأسود وقد كان أول من توجه بسؤال الى رئيس الحكومة الشيخ المحترم محمد عبد المجيد العبد عن بعض النشرات التى طبعت ووزعت فى الكتاب الأسود ، متضمنة اسناد أمور معينة لبعض الوزراء وقد جاء فى هذا السؤال : نشر مكرم عبيد باشا كتابا أسود نسب فيه اليكم ، والى بعض زملائكم الوزراء أمورا معينة ·· فاذا كان ما جاء بهذا الكتاب لا يستند على أساس من الصدق ولا تقوم دعواه على حقيقة ، وهو ما نريد ، فلماذا تجاوزتم عن محاكمة صاحب الكتاب الأسود خصوصا ، وانه لجأ الى الهيئات الأجنبية من أمريكية وانجليزية ، وغيرها مقدما لهم نسخا من هذا الكتاب ·· أفلا يرى رفعة الرئيس ، ان يرفع غموض هذه المسألة السوداء ، بتحقيق دقيق من جميع نواحيها ، احقاقا للحق ، وازهاقا للباطل ، واذا كان ما جاء بهذا الكتاب ليس صحيحا ، فلماذا ينفرد مكرم باشا بمحاباة القانون فلا يسأل عن غلطاته » ويلقى حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا رئيس مجلس الوزراء بيانا يقول فيه ، يقتضى نص الدستور ، مسئولية الوزراء أمام البرلمان وهذا الحكم هو أخص خصائص ، الحياة الدستورية بل هو محور النظام الدستورى كله والحكومة تقديرا منها لهذه المسئولية ، على أتم استعداد ، لأن تفند أمام البرلمان ، الممثل للأمة كل ما جاء بالعريضة ، التى رفعها مكرم عبيد باشا ، الى ديوان جلالة الملك فى يوم ٢٩ مارس ١٩٤٣ والتى أحال الديوان الينا صورة منها فى يوم ١٠ ابريل سنة ١٩٤٣ ، وهى ترحب بكل سؤال واستجواب يقدم فى البرلمان لهذا الغرض سواء أكان ذلك من صاحب العريضة أو غيره من حضرات الشيوخ أو النواب المحترمين المعارضين ، أو المؤيدين ، وقد كان بوسع صاحب العريضة أن يواجه الحكومة فى البرلمان بما يريد من الأسئلة والاستجوابات ولكنه لم يرد أن يسلك هذا الطريق القويم الكفيل باظهار الحق فى أقرب وقت ، وهذه المداورة ، أو المناورة مكشوفة القصد ، ظاهرة الغرض » ويرد مصطفى النحاس باشا على ما نادى به مكرم عبيد باشا من انه مستعد لأن يحاكم على ماكتب أمام القضاء فقال : قصده فى ذلك واضح ظاهر ، فمثل هذه الوقائع ، التى سودها خياله ، الكاذب ، تقتضى تحقيقات ومحاكمة ترتقى عدة درجات ، وتمتد الى سنة ، أو سنوات وتبقى فيها الوزارة فى ظلال

ما افترى من شبهات ذلك لأن تولى السلطات القضائية للتحقيق يقطع على الوزارة طريق تكذيبه بنشر البيـــانات ، حتى لا نتهم بالتأثير على القضاء ، كما يقطع على البرلمان التعرض لاكاذيبه ، أو سماع رد الوزارة ، على مفترياته تحقيقا ، لمبدأ ، فصل السلطـات وما من عاقل ، يقبـــل للوزارة ولا للبرلمان ولا لشرف الأمة هذا الوضـــع العجيب » ويقول مصطفى النحاس وهو يخاطب الشيوخ : انى لأدعوكم جميعا الى الحرص ، على احترام المبادىء الدستورية الصحيحة ، لتكون جميع أعمالنا ، هنا فى حدود الدستور الذى هو عماد حياتنا النيابية ولا تنسوا ، أن أمم الشرق العربى ، والعالم الاسلامى ، أجمع تتطلع الى مصر دائمـــا وتدعوها الى قيادتها فى سبيل نيلها الحياة الحرة الكريمة متخذة من مصر فى نهضتها الحديثة القدوة الحسنة والمثل الأعلى كما اهيب بكم جميعا على اختـلاف ميولكم وأحزابكم وبكل حريص من أبناء الوطن العزيز ، على وحدة الأمة المصرية الكريمة ـ وهى الوحدة ، التى مكناها ـ بجهـادنا ان تقفوا كل محاولة يدفع اليها أى لاعب بالنار للتفريق بين عنصريها اللذين جمـع بينهما الاتحاد الوطنى المقدس فان هذا الاتحاد من أعز ما كسبناه ، فى حركتنا القومية نضالا عن الديمقراطية والحرية الصحيحة ، والدستور والاستقلال « تصفيق من اليمين » فاذا لعب رغم هذا التحذير لاعب بالنار ، ومثير ، للفتنة وقعت عليه ،التبعة كاملة من غير رحمة ، ولا هوادة « تصفيق من اليمين » ـ هكذا فى الأصل ـ ويعتبر مقدم السؤال ما جاء فى رد رئيس الوزراء كافيا جدا ويكون السؤال الثانى من الشيخ المحترم الأستاذ محمود أبو الفتح عما نسب الى حضرة صـــاحب المقام الرفيع رئيس مجلس الوزراء من اصدار أمر عسكرى بعدم تنفيذ حكم صادر ضد الخواجه توفيق مفرج باخلاء الشقة المؤجرة له ، وكانت تلك الواقعة ، التى أشار اليها الأستاذ محمود أبو الفتح ، آخر ما جاء فى الكتـــاب الأسود تحت عنوان « محسوبية التشريع » ووصفها بأنها فضيحة جديدة من الصنف الذى تميز به هذا العهد ، وكأنها تأبى ، الا ان تلاحقنـــا اذا لم نلحق بها وبأنها مهزلة وانهـــا مأســـاة • و • و •و - ويقول مصطفى النحاس ، ان التفكير فى الأمر العســـكرى ، الخاص بتعديل الأمر ، الخاص بالايجارات قد بدأ ، ومكرم باشـا عضو بالوزارة وان توفيق مفرج لا شأن له بهذا التعديل » •

وتتوالى الأسئلة من الشيوخ المحترمين ، وتتوالى الردود من رئيس الوزراء والوزراء : يوجه مثلا سؤال من حسين الجندى عن المصرف الذى يمر بقسم كبير من أطيان آل عبد الرازق •

ويرد وزير الأشغال قائلا : لم أستطع أن أتبين وجه المحاباة في عمل

مصرف او مصارف ينتفع بها أهالى مديرية المنيــــا وآل عبد الرازق ، وغيرهم ، ومن بينهم صديقى محمد زكى عبد الرازق باشا وسؤال آخر من حسين الجندى ، أيضا عن صحة موضـــوع ، اختــلاس ، أدوات هندسية ، فى مصلحة الطبيعيات وينفى وزير الأشغال حدوث أى اختلاس « لا سبعة عشر ألف جنيه ولا جنيه واحد ، وانه لا وساطة ولا شـــفاعة ولا تغيير للاتهام ، ولا للدفاع ، وان الأمر ، لم يكن كما صوره الخيــال للنيل من سلامة تصرف وزارة الأشغال » • •

وسؤال من الشيخ محمود أبو الفتح الى وزير العدل عما نسب اليه من شراء مائة فدان ببلدة ظهر شرب مركز منيـا القمح ، وانه فى الفترة بين العقد الابتدائى ، والعقد الرسمى أصدر معاليه قرارا بتعيين شقيق العمدة وكيلا للنائب العــام ، ويقول وزير العدل ، فى رده انه لم يشتر وهو فى الوزارة قيراطا واحدا من الأرض ، وان كان من حقه ــ بطبيعة الحال ، ان يشترى ، والصفقة المشار اليها تمت قبـــل دخوله الوزارة بثلاثة عشر شهرا وانها ــ أى الصفقة لم تحدث وأنا وزير ، ولا دخل فى روع البائعين فى يناير ١٩٤١ ، اننى سأكون وزيرا من وزراء ، الدولة بعد ثلاثة عشر شهرا ، ولم يكن العمدة سمسارا فى هذه الصفقة بل هو البائع لأكبر نصيب مع اخوته ومنهم طبيب مشهور ومحـــام محترم • ايودع وزير العدل العقد الرسمى فى المجلس ليطلع عليه من يشاء » •

وبعد دور الأسئلة فى مجلس الشيوخ ، يأتى دور الاستجوابات : يتقدم الشيخ المحترم عباس الجمل ، باســـتجواب لوزير الأوقاف عن موضوع نظارة وقف البدراوى ويجيء رد وزير الأوقاف بأن رفعة مصطفى النحاس باشا ، لم يقبل هذا الوقف ، من قبل فى سنة ١٩٣٦ ، كما لم يقبله فى هذا العام الا بعد طلب من المحكمة فى كتب رسمية وصلت الى رفعته من المحكمة ، وعندما بدأ وزير ، فى قراءة الكتب المتبادلة بين رفعة النحاس والمحكمة الشرعية انطلقت أصوات تنادى : « لا داعى لذلك » ويكتفى الوزير بايداعها المجلس ثم ينهى وزير الأوقاف كلمتــه بقوله : ان رفعة النحاس باشا حينما اقتطع من وقتـــه الثمين فترة لخدمة أهل بلده ، ومسقط رأسه ، لم يكن بذلك الا مضـــيفا خـدمة عامة لأهله ، ومواطنيه ، الى خدماته الكبرى لمصر » (٣٦) •

ويتحدث مصطفى النحاس قائلا ، ان من حقه وهذا الاســـتجواب خاص بوقف يتولى نظارته أن يقول كلمة لا يرمى من ورائهـــا النيل من أحد ، أو الانتقاص من وزارة الأوقاف ولا يقصد الدفاع عن تصرفاته مدة كان الوقف المشار اليه مشمولا ، بنظارته أو بعد أن عاد اليه مره أخرى

ثم يقول بعد تلاوة الرسائل المتبادلة بينه وبين رئيس محكمة طنطا الابتدائية الشرعية الشيخ أحمد الجداوى : « لقد اتخذ خصومنا السياسيون من هذا الموضوع ميدانا يصولون فيه ويجولون ولكن من أسف كانت صولاتهم فى الهواء ، وجولاتهم هباء ، فى هباء » ثم يقول مصطفى النحاس « لقد أراد المعارضون حينذاك بمعارضتهم فى تعيينى ناظرا ، على هذا الوقف أن ينالوا منى منالا ، ولكن أنى لهم هذا ، ورأس مالى النزاهة والشرف ، وثروتى التى أفخر بها هى الأمانة وطهارة اليد ، والزهد فى حطام الدنيا الفانية ولو اننى عجزت فى يوم من الأيام عن ان أجلب لهذا الوقف مصلحة وللمستحقين فيه منفعة ورأيت غيرى أقدر منى على ذلك لبادرت الى التخلى عنه وتركه ، لمن هو أجدر به وأحق ⋅ فانهم مع ما أتعبوا أنفسهم لم يجدوا منفذا ينفذون منه ، أو مطعنا ينالون به من شخصى الضعيف : لقد اتخذت هذه المسألة ذريعة للنيل منى ولكن لا يمكن لمخلوق أن ينال منى منالا ، لأنى أرى الله واليتامى والمساكين فى هذه البلاد ، والمحرومين الذين اشتد بهم الضنك والحرمان » وبعد الرد من وزير الأوقاف ومن رئيس الحكومة ، يوافق المجلس على الانتقال الى جدول الأعمال ⋅

ويدخل د⋅ محمد حسين هيكل حلبة الصراع ، كعضو فى مجلس الشيوخ ويوجه الى رئيس الوزراء استجوابا عن البيان الذى ألقاه فى مجلس الشيوخ ردا على سؤال للشيخ المحترم ، محمد عبد المجيد العبد وعن الخطة التى رسمها فيه من حيث مخالفتها للمبادىء والتقاليد الدستورية ، ويرد مصطفى النحاس على استجواب د ⋅ محمد حسين هيكل ببيان ضاف عن دستورية خطة الحكومة فى مناقشة موضوعات الكتاب الأسود تحت قبة البرلمان وينفعل مصطفى النحاس ، وهو يخاطب د ⋅ هيكل قائلا : اذن فعطلوا ، اختصاص البرلمان فى الاستجواب ؟ اذن فعطلوا اختصاصه فى التحقيقات ؟ اذن فعطلوا البرلمان ياسيدى » ⋅

وعن ترك الموضوع ، للقضاء ، وعدم مناقشته أمام مجلسى البرلمان يقول مصطفى النحاس : لا يكون الحكم فى البلاد للأمة مصدر السلطات، ولا للبرلمان الرقيب على الوزارات ولا للوزارات المسئولة أمام البرلمان وانما يكون الحكم للقاذفين والمفترين وأصحاب الأهواء من الكاذبين والطاغين فهل هذا هو المصير الدستورى الذى تريد المعارضة ان تصل بالبلاد اليه ؟ انى لأربأ بوطنيتى أن أساهم فى الوصول بالبلاد الى مصير ، كهذا فعلى من المسئوليات والواجبات لحاضر البلاد ومستقبلها ما يردنى عن الاشتراك فى العبث بالدستور أو تشويه أحكامه ⋅

وكان أول من توجه بالأسئلة فى مجلس النواب النائب المحترم عمر عمر وقد تولى رئيس الحكومة الرد عليه بنفس رده على سؤال الشيخ العبد ويرد – ذات يوم – وزير العدل على سؤال للاتربى أبو العز باشا عن عدم تصديق الحاكم العسكرى على سبعة أحكام عسكرية ، فينفى الوقائع نفيا باتا ، ويرد كذلك وزير الأشغال على سؤال للأستاذ عمر عمر عن مداخل توريد ١٠ آلاف طن من الخشب وقطع أشجار فى شارع العجوزة لأحمد الوكيل وشريكه فيقول : بعد بيان طويل يتضح أنه لا بيع فى أخشاب الأشجار ولا شراء وان كل ما قيل فى هذا الشأن ليس الا محض افتراء !

وحول السؤال الذى تقدم به النائب المحترم ابراهيم مكاوى عن نقل مدرسة التدبير المنزلى من جاردن سيتى ليسكن مبناها رئيس الوزراء ، يقول وزير المعارف العمومية ان أحمد عبد السلام الكروانى مراقب بقلم البنات كان قد تقدم باقتراح خاص بضم أربعة معاهد فنية ووضعها تحت ادارة ناظرة واحدة على ان تكون جميعها فى مكان واحد وتحت ادارة ناظرة واحدة ، وان د · طه حسين بوصفه مستشارا فنيا للوزارة قد وافق على الاقتراح ، وان السيدة عائشة اقبال راشد مديرة معهد التدبير المنزلى قد عارضت الاقتراح وذهبت الى النحاس باشا وكان يقيم وقتئذ فى منزل فؤاد سراج الدين باشا المقابل للمعهد تشكو اليه وزارة المعارف طالبة منه ان يزور المعهد بنفسه ليتبين مقدار الضرر الذى يحصل من النقل ، وقد زار رفعته المعهد فعلا واقتنع برأيها وكان ذلك كله بعد صدور القرار وان رفعة رئيس الوزارة قد ناقشه أى وزير المعارف العمومية – فى الموضوع محاولا اقناعه بالعدول عن القرار ، فأكد له رأى وزير المعارف – ان هذا موضوع درسه الفنيون وصدر به قرار وزارى وليس فى وسعى أن الغيه وبخاصة لأننى درسته بعد دراستكم ، واقتنعت فيه برأيهم ، وقد جاء فى الرد أيضا أن النحاس باشا قد دفع ٨٦٠ جنيها و ٢٢٣ مليما قيمة ما أنفقه وزارة الأشغال من اصلاح المبنى ، قال وزير المعارف ان رئيس الوزارة قد استبقى ثلاجة ضخمة وبعض ثريات كهربائية ·

وحول استبقاء رئيس الوزارة لثلاجة وبعض ثريات كهربائية قال وزير المعارف ، ان مثل هذه الأمور تتلف بالنقل كما انها لا يمكن استعمالها بالمكان الجديد لاختلاف الفولتاج · ونفى وزير المعارف ان يكون رئيس الوزارة قد استبقى أيضا ستارتين جميلتين من صنع يد التلميذات و ·· وان نقل عفش رئيس الوزراء لم يتم بواسطة سيارات حكومية بل تم بواسطة محل على خليل والشنتناوى ! ·· وقال وزير المعارف : من سخرية الأقدار ان يشغل رئيس الحكومة والوزراء والبرلمان

بمثل هذه السفاسف ، وان يضطروا الى الرد على صغائر لا تصدر الا عن نفوس مريضة فى الوقت الذى يهتز العالم فيه لعظائم الأمور » ٠

وينفى كذلك وزير المعارف العمومية وجود استثناءات فى جامعة فاروق الأول ، وان جميع التعيينات والترقيات لم تشبها أية شائبة من محسوبية أو شهوة لوزير المعارف وانه لم يستأثر بها طبقا لحقه المستمد من القانون ، بل تركها للمختصين وحول موضوع الأستاذ على بدوى عميد كلية الحقوق ، قال وزير المعارف ان العميد لم يستقل من وظيفته احتجاجا على الاستثناءات ، بل انه هو الذى طلب احالته على المعاش بسبب نقله الى الاسكندرية ٠ مجرد أستاذ بعد أن كان عميدا بمصر ، وانه طلب لنفسه ترقية استثنائية فرفض الطلب ، وانه رضى لنفسه ان يكون مطية للمحرضين من السياسيين أمثال مكرم عبيد وكنا — هكذا قال وزير المعارف — على علم بهذه الصلة ولكننا لم نشأ أن نؤاخذه عليها ومع ذلك قام يعارض سياسة الحكومة وسياسة البرلمان بشأن التوسع فى التعليم الجامعى فرفض أن يقبل عدد الطلبة المتفق عليه معه فى كلية الحقوق ، على رغم وجود المحال الخالية بها » ٠

وتتوالى الأسئلة وتتوالى الردود ، ويتوالى تعليق النواب وكل الأسئلة وكل الردود ، وكل التعليقات كانت تستهدف النيل من مكرم عبيد ، ومن كتابه الأسود ٠

ويستغرق الرد على سؤال الأستاذ كامل يوسف صالح عن الأوامر الادارية الخاصة بنقل الزهور الى منزل وزير الزراعة ومنزل رئيس الوزراء ، ١٢ صفحة من الكتاب الأبيض ، ينفى وزير الزراعة فى بدء هذا صدور أى أمر ادارى خاص بهذا الموضوع ، ويتهم مكرم باشا باصطناع هذا الأمر ٠

ويقول وزير الزراعة ان الزهور ترسل للكبراء والشخصيات العامة ، وحتى لمن هم فى المعارضة ! والزهور ترسل لمن يطلبها وبأثمان محددة ، ويقول وزير الزراعة وهو يخاطب النواب : هبوا يا حضرات النواب المحترمين أن صهر رئيس الحكومة انتقل الى جوار ربه ، وهبوا ان وزارة الزراعة قدمت باقة من الزهور باسم الوزارة ، فهل فى هذا ما يتنافى والمجاملة من وزارة لرئيس الورزاء ومع هذا فشىء من ذلك لم يحصل ، انما هو الافتراء وشهوة الانتقام حتى من الأموات ٠٠ ويقول فؤاد سراج الدين وزير الزراعة وهو ينقل عبارة وردت عنه فى الكتاب الأسود : تحت عنوان قصة الزهور : وابدأ يا مولاى بقصة الزهور التى يحتل المكان البارز فيها وزير الزراعة الحالى معالى فؤاد سراج الدين باشا

وهى قصة تحتوى فى مغزاها على مزيج مدهش من الاستهتار بواجبات الوظيفة والتهالك على منافع الدولة بالغة ما بلغ من هوان » • ومكرم الذى يقول عنى هذا ــ كنت أتمنى أن يكون موجــودا الليلة ، لأقول له فى وجهه ، اننى الشخص الذى تنازل لك عن ٢٠٠ فدان كنت شـارعا فى شرائها ثم تركها لك طائعا مختارا بمجرد أن رأى منك رغبة فى شرائها ، بل سافر الى الاسكندرية لينجز لك الصفقة بل دفع عنك العربون لبضعة أشهر وان شخصا هذه أخلاقه لا يمــكن أن ينقلب بين يوم وليلة هذا المنقلب • ويسأل نجيب الهلالى باشا وزير المعارف عن قيمة العربون الذى دفعه فؤاد سراج الدين باشا فيقول انه ٢٠٠٠ جنيه •

والكتاب الأبيض ــ كما سبق أن ذكرت • فى ٦١٠ صفحة وقد طبع فى المطبعة الأميرية فى ٨ من شهر رمضــان سنة ١٣٦٢ (٨ من شهر سبتمبر ١٩٤٣) وكان مدير المطبعة الذى حرص على ان يدون اسمه فى نهاية الكتاب بخط أنيق ، الأستاذ محمد بكرى •

وللكتاب الأبيض ملحق يشــتمل على بيان أسماء حضرات النواب المحترمين الذين أخذت أراؤهم بالاسم ووافقوا على الاقتراح المقدم بفصل النائب المحترم مكرم عبيد باشا من مجلس النواب •

وفى مقدمة هؤلاء النــواب : أحمد أبو الفتح بك ، وعبد الحميد عبد الحق وأحمد حمدى سيف النصر باشا وعبد الفتاح الطويل باشا وعزيز انطون ، وميخائيل غالى ، والشيخ عبد العظيم عيد وعلى الشناوى بك ومصطفى نصرت وحامد طلبة صقر وعوض الجندى وعنتر المنشاوى ورفعة مصطفى النحاس باشا وعبد العزيز محمد البدراوى وعثمان محرم باشا وعمر عمر ، وفؤاد سراج الدين باشا وجميل سراج الدين بك ، ومحمد مصطفى يونس وعبد الواحد الوكيل بك ، وحافظ الوكيل بك وأحمد محمد الوكيل بك ومحمود سليمان غنام ، وعبد البرتغالى وأحمد نجيب الهلالى باشا ومحمد قرنى بك وحسن يس وعباس حلمى طلعت وعبد الخالق زعزوع والسيد حسن القاياتى ومعوض جاد المولى ، ومحمد الدمرداش تونى وأحمد قرشى بك وعبد الرحمن الطرزى بك ومحمد محمد قراعة وأحمد عبد الكريم أبو شفه ، وشاكر غزالى بك وجميل فانوس وبسابانسى بك وبطرس حليم ومحمد كامل حسن الأسيوطى ويس أحمد باشا وأبو الخير الناظر بك وسليمان عجيب وعبد السلام فهمى جمعة باشا (رئيس المجلس) •

وقد رفض الموافقة على الاقتراح الخاص بفصل مكرم عبيد باشا حضرات النواب المحترمين • جلال حسين محمد عبد الرحمن نصر ، محمد فكرى أباظة ، الفريد مسيس السيد سليم ، مرقص بطرس ، عبد السلام الشاذلى باشا ، سعد اللبان ، محمد فريد زغلول ، على على بسيونى ، محمد محمــــود جلال ، أبو الغيث الأنور ، مهنى القمص بك ، لبيب جرجس ، محمد فؤاد أبو شبت ، عبد الفتاح أبو سحلى بك ، وجورج مكرم عبيد •

الفصل الثانى

الوزراء الوفديون ورئيسهم يدفعون عن أنفسهم اتهامات مكرم عبيد

فى مجلس الشيوخ ، كان العضو الشيخ المحترم محمد عبد المجيد العبد أول من أثار قضية الكتاب الأسود فى المجلس حيث تقدم بالسؤال التالى .

« نشر مكرم عبيد باشا كتابا اسود نسب فيه اليكم ولبعض زملائكم الوزراء أمورا معينة . فاذا كان ما جاء بهذا الكتاب لا يستند على أساس من الصدق ولا تقوم دعواه على حقيقة ، وهو ما نريده ونرجوه ، فلماذا تجاوزتم عن محاكمة صاحب هذا الكتاب الأسود خصوصا وأنه قد لجأ الى الهيئات الأجنبية من أمريكية وانجليزية وغيرها مقدما لهم نسخا من هذا الكتاب ، وكأنى به ينتظر رأيهم أو يلتمس عطفهم ، وهذا جموح عن الوطنية وأمر يجب أن يؤخذ بحزم ويعالج بعزم . أفلا يرى رفعة الرئيس أن يرفع غموض هذه المسألة «السوداء» بتحقيق دقيق من جميع نواحيهـا ، احقـاقا للحق وازهاقا للباطل ؟ واذا كان ما جاء بهذا الكتاب ليس صحيحا ، فلماذا ينفرد مكرم باشا بمحاباة القانون فلا يسأل عن غلطاته ؟ » .

وقد تضمن رد رفعة مصطفى النحاس باشا رئيس مجلس الوزراء ما يلى :

يقتضى نص الدستور مسئولية الوزارة أمام البرلمان ، وهذا الحكم هو أخص خصائص الحياة الدستورية ، بل هو محور النظام الدستورى كله . والحكومة تقديرا لهذه المسئولية على أتم استعداد لأن تفند أمام البرلمان الممثل للأمة كل ما جاء بالعريضة التى رفعها مكرم عبيد باشا الى ديوان جلالة الملك

فى يوم ٢٩ مارس سنة ١٩٤٣ والتى أحال الديوان الينا صورة منها فى يوم ١٠ أبريل سنة ١٩٤٣ ، وهى ترحب بكل سؤال أو استجواب يقدم فى البرلمان لهذا الغرض ، سواء أكان ذلك من صاحب العريضة أم من غيره من حضرات الشيوخ أو النواب المحترمين المعارضين أو المؤيدين •

وقد كان فى وسع صاحب العريضة أن يواجه الحكومة فى البرلمان بما يريد من الأسئلة والاستجوابات ، ولكنه لم يرد أن يسلك هذا الطريق القويم الكفيل بإظهار الحق فى أقرب وقت ، وهذه المداورة أو المناورة مكشوفة القصد ظاهرة الغرض ، فهو يعلم قبل غيره أن محتويات العريضه مكذوبة جملة وتفصيلا ، وأن القاء النور عليها يفضحه ويفضحها ويظهر الناس جميعا على افكه وبهتانه ، ولذلك تجنب الطرق الطبيعية التى رسمها الدستور لمحاسبة الوزراء ، وأخذ يوزع فى الخفاء الكتاب الذى أشار اليه حضرة الشيخ المحترم ، ويلقى فى روع الناس أنه مستعد لأن يحاكم على ما كتب أمام القضاء ، وقصده فى ذلك واضح ظاهر ، فمثل هذه الوقائع التى سودها خياله الكاذب تقتضى تحقيقات ، ومحاكمة ترتقى عدة درجات ، وتمتد الى سنة أو سنوات ، وتبقى فيها الوزارة فى ظلال ما افترى من شبهات •

ذلك لأن تولى السلطات القضائية للتحقيق يقطع على الوزارة طريق تكذيبه بنشر البيانات حتى لا تتهم بالتأثير فى القضاء ، كما يقطع على البرلمان التعرض لأكاذيبه ، أو سماع رد الوزارة على مفترياته تحقيقا لمبدأ فصل السلطات • وما من عاقل يقبل للوزارة ولا للبرلمان ولا لشرف الأمة هذا الوضع العجيب • وأنا مطالب أمام ضميرى وأمام التاريخ بكشف القناع عن محتويات هذا الكتاب الكاذب ، وتفنيد ما جاء فيه تفنيدا حاسما سريعا • وعندئذ يستطيع شيوخ الأمة ونوابها أن يحقوا الحق ويدمغوا الكذب والباطل • وعندئذ يمكن أن ينظر فى مسئولية العرائض أو المنشورات ويمكن أن تسأل الحكومة كما سأل حضرة الشيخ المحترم عن أخذ المسئولين بالحزم والعزم •

هذا هو الوضع الطبيعى لموضوع هذا الكتاب الذى احتوى فيما احتوى مفتريات سياسة كثيرة لا يمكن أن يشغل بها القضاء ، والشأن الأول والأخير فى نظرها والمحاسبة عليها

شأن البرلمان ، وقد اعتاد موزع العريضة أن يهرب من مثل هذه المواقف الصريحة ، لأن كل همه التشنيع والافتراء ، فما من مرة قدم استجوابا الا وهرب فى دور المناقشة لسبب أو لآخر ، ناكلا عن شرح استجوابه ، أو مواجهة البيانات التى تلقيها الحكومة : والحكومة لن تعبأ بمثل هذه المناورات ، وهى معتزمة أن تقدم للبرلمان عما تسأل عنه أو تستجوب فيه بيانات قاطعة حاسمة مؤيدة بالأدلة والمستندات ، وهى تدعو معارضيها وأنصارها على السواء لفتح هذا الباب على مصراعيه لالقاء النور على حملة التضليل والكذب .

أما ما أشار اليه حضرة الشيخ المحترم من أن صاحب العريضة قد لجأ الى الهيئات الأجنبية من أمريكية وانجليزية مقدما لهم نسخا من كتابه انتظارا لرأيهم أو التماسا لعطفهم ، ومن أن هذا العمل من جانبه جنوح عن الوطنية ، فالحكومة تشارك حضرة الشيخ المحترم رأيه فيه ، وتأسف لوقوعه من نائب تولى الوزارة عدة مرات ، وكان نقيبا للمحامين الأهليين ، ثم يجىء الآن فيهدر صفته النيابية بل كرامته الوطنية على هذه الصورة . وكذلك تأسف الحكومة لاسفافه فى لهجته وعباراته اسفافا كبيرا لا يتفق مع ما ينبغى لنائب ، بل لأى فرد من أفراد هذه الأمة الكريمة من التزام مقتضيات اللياقة وتجنب الاسفاف فى عريضة تقدم لمقام حضرة صاحب الجلالة الملك . ولا يخامرنى شك فى أن هذه الخطة التى اعتزمتها بازاء هذا الكتاب هى الخطة المثلى التى تلتزمها حكومة تعرف قدر نفسها وقدر شرفها ، وتحرص على أن تتقدم بحسابها أمام شيوخ الأمة ونوابها ، وعلى أن تأتى البيوت من أبوابها ، وتضع الأمور فى نصابها فى أقرب وقت .

فاذا ما تم ذلك وقال ممثلو الأمة كلمتهم فى حدود واجبهم وحقهم ، أمكن أن تسأل الحكومة عما تعتزمه فى شأن المفترين والقضاء على حملة المغرضين والمضللين .

ويتوجه الشيخ المحترم الأستاذ محمود أبو الفتح بالسؤال الثانى :

« قال مكرم عبيد باشا فى ملحق العريضة التى رفعها الى جلالة الملك فى ٢٩ مارس سنة ١٩٤٣ انه وقف فى آخر لحظة على فضائح جديدة منها ما سماه محسوبية التشريع ، فقد زعم أن رفعتكم بصفة كونكم حاكما عسكريا استصدرتم فى ١٦ أغسطس سنة ١٩٤٢ أمرا عسكريا خاصا لمصلحة

الخواجة توفيق مفرج وذلك عقب صدور حكم ضده في ١٢ أغسطس سنة ١٩٤٢ باخلاء الشقة المؤجرة له • وقد قال انه لم يكد يصدر الحكم في ١٢ أغسطس حتى غضب توفيق مفرج وغضبتم له فاصدرتم أمركم العسكرى المذكور بعد أربعة أيام من صدور الحكم حتى لا يطرد الخواجة مفرج من المنزل المؤجر له •

فهل صحيح أن الأمر العسكرى المذكور صدر خصيصا لعدم تنفيذ الحكم الصادر ضد الخواجة توفيق مفرج وانكم لم تفكروا فيه الا بعد صدور هذا الحكم ؟ » •

وقد ورد في رد النحاس باشا ما يلي : زعم مكرم عبيد باشا أن الأمر العسكرى الصادر في ١٦ أغسطس ١٩٤٢ برقم ٣١٥ كان استجابة لطلبه الخواجة توفيق مفرج الذى حكم عليه باخراجه من المسكن المملوك للخواجة الياس مالوك ولما كان قسم قضايا الحكومة هو الذى قام باعداد الأمر العسكرى فقد طلبت منه مذكرة ببيان الظروف التى استدعت صدور ذلك الأمر • فجاءتنى منه مذكرة وافية ويقرأ النحاس باشا المذكرة وفيها أن المادة الأولى من الأمر رقم ١٥١ تنص على ان المستأجر الذى يرغب في طلب امتداد الاجازة القائمة في أول مايو ١٩٤١ أن يعلن المالك بخطاب موصى عليه الخ ، وقد مكن هذا النص بعض الملاك من قطع السبيل ، على بعض المستأجرين فى الانتفاع برخصة التجديد فكانوا يعلنون المستأجرين برغبتهم فى فسخ عقود الايجار قبل نهاية الشهر بخمسة عشر يوما فيفوتون على المستأجرين الفرصة فى طلب الامتداد ، وتقدمت شكاوى كثيرة بعد صدور أحكام عديدة الى مكتب الحاكم العسكرى وحولت الشكاوى الى رياسة لجنة قضايا الحكومة التى بحثت الأمر ورؤى تعديل الأمر العسكرى والنص فى مشروع التعديل الى سريان أحكامه على الحالات التى يكون قد وقع فيها دعاوى الى المحاكم بسبب عدم قيام المستأجرين بالاخطار المنصوص عليه فى المادة الأولى من الأمر رقم ١٥١ اذا لم يكن قد صدر ضدهم حكم نهائى بالاخلاء قبل تاريخ نشر الأمر الجديد •

● عرض مشروع الأمر على مجلس الوزراء بجلسة ٢٦ يولية سنة ١٩٤٢ فوافق على صيغته الا فيما يتعلق بنسب الزيادة التى يتحملها المستأجرون فقد ترك تحديدها للجنة تشكل لهذا الغرض من أصحاب المعالى وزير العدل ووزير المالية ووزير الشئون الاجتماعية ووزير الوقاية المدنية وحضرة صاحب السعادة رئيس لجنة قضايا الحكومة • وبعد أن أتمت تلك اللجنة مهمتها أرسل رئيس لجنة قضايا الحكومة بتاريخ

١١ أغسطس سنة ١٩٤٢ الكتاب رقم ٦٥٩ ، الذى نصه كما يأتى :

« الحاقا بكتابى الى مقامكم الرفيع رقم ٥٩٩ بتاريخ ١٩ يولية سنة ١٩٤٢ المرسل معه مشروع أمر عسكرى بتنظيم العلاقات بين المؤجرين والمستاجرين للأمكنة ، أتشرف بأن أنهى الى مقامكم الرفيع أن اللجنة التى عهد اليها مجلس الوزراء باعادة النظر فى مشروع هذا الأمر فرغت من بحث أحكامه ووافقت على صياغتها الواردة فى المشروع الا فيما يتعلق بالمادة ٤ وهى الخاصة بتحديد نسب الزيادة فى الأجور . فقد رأت تعديلها على الوجه المبين فى المشروع المرفق بهذا وعهدت الى بابلاغ هذا التعديل الى مقامكم الرفيع حتى اذا وافقتم عليه تفضلتم باصدار الأمر بالصيغة المعدلة » .

وقد وافق مجلس الوزراء على المشروع الأخير المرسل مع كتاب رئاسة لجنة القضايا المتقدم ذكره وصدر تحت رقم ٣١٥ بتاريخ ١٦ أغسطس سنة ١٩٤٢ .

وما الحكمة فى تقرير المبدأ الوارد فى المادة ٩ سوى مواجهة الحالة الناشئة عن العدول عن نظام الاخطار المقرر بالمادة الأولى من الأمر رقم ١٥١ الى النقيض منه الذى أتى به الأمر رقم ٣١٥ حين قيد حرية المالك فى اخراج المستأجر من المكان المؤجر له بشروط وفى ظروف معينة ليس من بينها عدم قيام المستأجر بالاخطار عن رغبته فى تجديد الاجارة ؟ ولذلك لم يكن من المنطق فى شىء أن تترك الاجراءات القضائية المترتبة على اغفال هذا الاخطار والتى لم تختتم بحكم نهائى تأخذ سيرها بعد التعديل المشار اليه .

من هذا يتضح :

أولا : أن التفكير فى اصدار الأمر العسكرى رقم ٣١٥ لم يبدأ فى يوم ١٢ أغسطس سنة ١٩٤٢ وانما هو سابق لهذا ، فهو سابق على يوم ٢٤ مايو سنة ١٩٤٢ أى فى الوقت الذى كان مكرم باشا لا يزال فيه عضوا بالوزارة .

ثانيا : أن الذى حرك البحث فى اجراء تعديلات فى الأمر العسكرى رقم ١٥١ هو شكوى قدمت قبل يوم ٢٤ مايو سنة ١٩٤٢ من أحد الموظفين بوزارة الخارجية ، فلم يكن لتوفيق مفرج شأن فيه ، فالدعوى التى رفعت ضده تاريخ صحيفتها ٣ أغسطس سنة ١٩٤٢ .

ثالثا : أن هـذه الشكوى ان كانت قد حركت هـذا الموضوع قبل اصدار الأمر العسكرى بثلاثة شهور الا أنها أثارت البحث فى تعديل الأمر الخاص بالايجارات كله ، مما اقتضى تداول الأمر بين لجنة قضايا الحكومة ومجلس الوزراء ، وتشكيل لجنة وزارية خاصة لبحث كثير من المسائل التى تضمنها الأمر رقم ٣١٥ .

ويسأل ـ فى مجلس النواب ـ النائب الأستاذ عمر عمر ، رئيس مجلس الوزراء عن رأى الوزارة فيما تضمنه الكتاب الأسود من أن برقية أرسلت أخيرا بالشفرة من وزارة الخارجية الى سعادة سفير مصر بلندن لشراء ست قطع من الفراء (فروة ثعلب أبيض) قيمة كل منها ٥٠٠ جنيه ومجموع ثمنها ثلاثة آلاف جنيه لصاحبة العظمة حرم رفعة رئيس الوزراء ويرد رفعة رئيس مجلس الوزراء ردا مطولا جاء فيه :

● حقيقة الأمر فى الموضوع كله أننا عندما كنا مع نشأت باشا فى برلين سنة ١٩٣٦ وكان وزيرا مفوضا لمصر فيها كان واسطة فى شراء فراء لنا ولزملائنا ومنهم مكرم باشا وحرمه ولمن كانوا مرافقين لنا كذلك . فلما حضر نشأت باشا الى مصر أخيرا سألناه قبل سفره عما اذا كان يوجد فى لندن فرو من فراء الثعلب الأبيض وعما اذا كان ثمنه مناسبا لأثمان قبل الحرب .

وفى أول أكتوبر الماضى وصلتنا برقية من نشأت باشا يقول فيها انه عرضت عليه فراء ثعالب بيضاء من نوعين . نوع ثمن القطعة منه أربعة عشر جنى أى أربعة عشر جنيها مصريا وأربعين قرشا والآخر ثمن القطعة منه ١٦ جنى أى ستة عشر جنيها مصريا وأربعين قرشـا ، وقد طلب نشأت باشا فى برقيته موافاته فى حالة الموافقة على الثمن ، بعدد القطع التى يشتريها ثم سأل نشأت باشا بعد ذلك عن صحتى فى أثناء مرضى الأخير ، وفى مارس الماضى كلفت سعادة وكيل وزارة الخارجية الابراق اليه شاكرا سؤاله عن صحتى واجبا منه شراء ست قطع من الفرو الأبيض ، فأرسل شراره باشا برقية بالشفرة ، هذا نصها :

« يشكرك رفعة الرئيس شـكرا جزيلا على تفضـلك بالسؤال عن صحته ويرجوك أن تعمل على شراء ست قطع من فراء الثعلب الأبيض للسيدة حرمه » .

وظاهر مما تقدم أن قيمة القطعة من الفرو المذكور تتراوح بين أربعة عشر جنيها وثلاثين قرشا ، وستة عشر جنيها وأربعين قرشا ، وأن قيمة القطع الست تتراوح بين ٨٥ جنيها و ٨٠ قرشا وبين ٩٨ جنيها و ٤٠ قرشا ، وأن مجموع ثمن القطع الست لا يبلغ آلافا ولا مئات بل ولا مائة واحدة .

ولما نشر الكذاب الأشر كتابه ، بحثنا عن برقية نشأت باشا التى يعرض علينا فيها شراء الفرو وأثمانها فلم نجدها ، ولذلك كلفنا وكيل وزارة الخارجية أن يرسل اليه يرجوه موافاته بصورة طبق الأصل من هذه البرقية لتحل محل البرقية التى لم نعثر عليها ، فأبرق اليه فى ١١ أبريل ببرقية هذه ترجمتها :

« يرجوك رفعة الرئيس أن تبرق اليه عاجلا صورة طبق الأصل من البرقية التى سبق أن أرسلتها اليه الخاصة بشراء فرو الثعلب الأبيض والتى تطلب اليه فيها أن يحدد الكمية المطلوبة لتحل محل البرقية التى فقدت .

وفى اليوم التالى وصل من نشأت باشا هذا الرد وهو أنه أرسل لرفعته البرقية فى أول أكتوبر الماضى وهذا نصها :

« لدينا عرضان من فراء الثعلب الأبيض بأربعة عشر جنى وستة عشر جنى كل قطعة ، فاذا كان الثمن موافقا أرجو افادتنا ببرقية عن عدد القطع المطلوبة » .

ويسرنى أن أودع جميع هذه الأوراق المجلس ليطلع عليها حضرات النواب المحترمين ، وليتبينوا قيمة الكتاب الأسود وما فيه من كذب ولجاجة ، وقبح وسماجة ، ولكن الكذوب المفترى لا يقف عند حد ، لأنه لا من الله يتقى ، ولا من الناس يستحى ، وقد أراد أن يوهم أننا سخرنا وزارة الخارجية فى شأن خاص وحملناها نفقات البرقيات فى هذا الشأن الخاص . وفى هذا أيضا يكذب الدجال . فقد اعتادت وزارة الخارجية أن تقوم للمصريين ولغيرهم من المقيمين فى مصر بتولى الاجراءات الخاصة بمصالحهم فى الخارج ، واذا كان صاحب الشأن من الشخصيات المعروفة للوزارة أو كانت هناك أحوال استعجال فان الوزارة فى مصر والبعثات فى الخارج تقوم بالعمل ثم تطالب صاحب الشأن بتسديد ما صرف فى سبيله بعد ورود المستندات ، ونحن نودع مع ما أودعنا

من الأوراق مذكرة بذلك من وزارة الخارجية ممضاة من سعادة وكيلها توضـــح هـذا التقليد المتبع وتضرب عليه الأمثـال ببرقيـات أرسلت من حضرة صاحب العزة سابا حبشي بك الوكيل عن معالى واصف غالى باشـا ، ومن أسرة خياط بك وبرقيـات بنـاء على طلب سعادة توفيق دوس باشـا بشأن تحريات ومعلومات وصيانة مصالح ، وكذلك برقيات متعددة من معالى محمود فخرى باشا وزيرنا المفوض فى الخارج بشأن مصريين عديدين ومن قنصلية مصر بنيويورك بشأن نجـل فؤاد سلطان بك والآنسة عايدة ، وجميع أولئك عوملوا هذه المعـاملة ولم تحصل منهم أجور البرقيـات مقدما بل سددت قيمتها بعد ذلك وبعد ورود مستنداتها •

وطبيعى أن تكون أجور البرقيـات المتعلقة بالفراء على حسابنا الخاص وأن تتولى الخارجية ارسالها أسوة بكل مصرى آخر يقصد اليها فى مثل ذلك •

ولكن الكـذوب المحتال دأب على الكـــذب والتهـويل والتشنيع فجعل عشرات الجنيهات آلافا ليشــكك فى أمانة مصطفى النحاس الذى عرف بالتعفف عن الحرام فى كل شأن خاص أو عام (تصفيق حاد متصل) وستتبينون من الردود على الأسئلة المتتابعة من كتابه أن أكاذيبه لا تحصى بالعدد ، كما أنها لن تنقضى مدى الأبد • وسيسيل لعابه بالمفتريات حتى يغرق فيه ، ويقتله سمه المنبعث من فيه • وعندئذ يعلم أن كذبه كالسراب قد يلمع ، ولكنه لا ينفع • ولعله يدرك وقتئذ قوله تعالى « ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا » •

ويسأل النائب عبد الفتاح الشلقـانى عن حادثة وردت فى الكتـاب الأسود عن ضبط غزل لمصنع النزهة بالاسكندرية وعن حادثة أخرى وردت أيضا فى الكتاب الأسود يحقق فيها مع صبحى الشوربجى ثم قام التحقيق الى آخر السؤال ، ويجيب معالى وزير العدل بما يلى :

ردا على سؤال حضرة النائب المحترم أتشرف بأن أقدم للمجلس القرار الذى اتخذته النيـابة العموميـة بتاريخ ١٨ مارس سنة ١٩٤٣ بشأن الغزل الذى ضبطه ملاحظ بوليس قليوب فى ١٨ أكتوبر سنة ١٩٤٢ وقد تضمن هذا القرار •

أولا : أن لا جريمة فى وجود بالات الغزل عند محمود خضر فقد تبين أنها مرسلة من مصانع النزهة الى مصـانع

اسبابه في حدود القانون (والمصنعان ملك الشوربجى وشركاه) ٠

ثانيا : لم يثبت من هذا التحقيق أن أحدا من الذين ذكرت أسماؤهم فى الدفتر المطلوب يتجر اتجارا غير مشروع فى الغزل أو ارتكب جريمة أو جرائم معينة يمكن توجهها اليه٠

ثالثا : أن لا جريمة في احراز الأرز والدقيق المضبوط٠

وقرار الحفظ يقع فى ست صفحات وانى على استعداد لتلاوته ٠

أما بالنسبة للغزل المضبوط بمصنع النزهة بالاسكندرية فقد طلبت بمناسبة السؤال البيانات عنه من سعادة النائب العام فجاءنى الرد يتضمن :

« ان النيابة رفعت الدعوى العمومية على محمد فهمى الحلبونى أفندى الذى ثبت لها من التحقيق أنه هو المسئول وحده عن الجريمة وقدمته للمحاكمة (لأنه باع خيوط غزل قطنية الى آخر وهو غير مرخص له من وزارة التموين بالبيع وأعطاها الى المشترى بغير تقديم بطاقة التموين ـ كما باعها بثمن يزيد على الأسعار المحددة بجداول التسعيرة) » ٠

وأرى بهذه المناسبة أن أشير الى مسألة الغزل الخاص بمصنع النزهة المملوك لصبحى الشوربجى بك وشركائه وهو الذى قدم عنه مكرم باشا استجوابا رد عليه رفعة رئيس مجلس الوزراء فى مجلس النواب بجلسة ١٨ أغسطس سنة ١٩٤٢ التى انسحب فيها ٠ مكرم باشا ولم يقو على مواجهة الحقائق ولا يزال الرد الذى أدلى به رفعته قائما يرجع اليه من يشاء ٠ وقد حاول مكرم باشا أن يناقشه فلم ينقض واقعة أساسية أو حقيقة رئيسية من الحقائق التى تضمنها البيان وكل ما ادعاه أن المستشار الملكى لوزارة المالية وافق على رأيه الذى قرره بشأن تبليغ النيابة بعد ما اطلع على التقارير والمذكرات ٠٠٠ وفرق ظاهر بين موافقته على رأى الوزير الذى تسرع فابداه وبين أن ينسب للمستشار أنه هو الذى طلب تبليغ النيابة ٠ واذا كان مكرم باشا يرى فى هذه الجزئية التافهة سلوى لنفسه فانى أسلم له بها أما الحقائق كلها فباقية ٠

فمكرم باشا ينسى أنه قدم للمستشار الملكى مذكرة فى ١٢ مايو سنة ١٩٤٢ عليها تأشيرة من نفس مكرم بأنه يرى أن هناك مخالفات ارتكبت وأنه يرى أن تتولى النيابة العسكرية التحقيق وما كان أولاه أن ينتظر رأى من يستشيره لا أن يسبقه ففيم الاستشارة اذا كان الوزير قد قر قراره واستقر رأيه ٠

ومكرم باشا ينسى أن المستشـــار الملكى لم يطلع على برقية ١٩ مايو سنة ١٩٤٢ التى يقرر فيها الشوربجى أن كمية الغزل المقررة للتخزين موجودة بمخـازن الشركة وأنه يطلب معاينتها ٠ وهذه البرقية التى استوقفت مكرم باشـا نفسـه من يوم وصولهـا فى ١٩ مايو حتى يوم خروجه من الوزارة فى ٢٤ مايو فلم ير مع قيامها محلا لتبليغ النيابة ٠٠ هى التى رأى فيها نفس مستشار ملكى وزارة المالية بعـد ما حققت وثبت وجود الغزل بالمخازن ، مانعا من القول بوجود مخالفات تستدعى تبليغ النيابة ٠

ويكفينى هنا أن أعيد تلاوة خلاصة رأى المستشار الملكى الذى أبداه بعـد أن تمكن من الاطـلاع على جميع الأوراق والحقائق والتحقيقات الادارية :

كان لغموض القرارات وقصـورها وتمسك أصحاب المصنع بحق الاختزان أن أشار معالى وزير التمـوين بتاريخ ٧ مايو سنة ١٩٤٢ بضرورة التحقق من وجود الكميات التى تقول الشركة ان لها حق اختزانها باعتبار أنها تمثل كميـة الغزل اللازم لاستهلاك مصنعى النسيج فى مدى أربعة اشهر .

وقد تعذر على المحقق اتمام مأموريته لعدم تمكينه من معاينة المخزون وانتهى التحقيق الى احتمال أن تكون الشركة قد تصرفت فى تلك المقادير على الوجه الوارد بكتاب مصلحة التشريع التجارى والملكية الصناعية بتاريخ ١٢ مايو سـنة ١٩٤٢ ولكن حدث بعد ذلك أن أرسل أصحاب تلك المصانع الى مصلحة التشريع التجارى تلغرافا بتاريخ ١٩ مايو سـنة ١٩٤٢ جاء فيـه أن كميـة الغزل المقررة للتخزين موجـودة بمخازنها وطلبوا معاينتها ٠٠٠ الخ ٠

والمستفاد مما تقدم أن التشريع الخاص بتوزيع خيوط الغزل القطنية يكتنفه الغموض لعدل اشـتماله على قـواعد صريحة فيما يتعلق بمنتجات مصانع الغزل التى تكون تابعة

لمصانع النسيج كما قدمنا • وظواهر الحال تدل على أن أصحاب مصانع «نزهة» كانوا على اعتقاد بأن من حقهم اختزان ما يكفى لسد حاجة مصنع النسيج لمدة أربعة أشهر • وقد أثبتت المعاينة أخيرا وجود هذا المخزون بالقدر المذكور • أما امتناع بعض أصحاب المصنع عن الارشاد الى الغزل المخزون عند المعاينة الأولى فلا يخرج عن كونه مجرد سوء دفاع •

وتلقاء غموض القرارات وقصورها على الوجه المتقدم وحسن نية أصحاب المصنع للأسباب المتقدمة يتعذر القول بوقوع المخالفة عن المدة التى جرت عنها المحاسبة والمعاينة المشار اليهما •

وبناء على هذا الرأى أصدر معالى وزير التموين قراره بحفظ الشكوى •

هذا هو القرار الذى اتخذه وزير التموين فى حدود اختصاصه بعد ما استطلع رأى كبير المستشارين الملكيين والمستشار الملكى المختص •

يخلص من هذا (أولا) أن مكرم باشا كان قد جعل المسئولية الجنائية متوقفة على وجود كميات الغزل حين أمر بالبحث عن الغزل ووصلته برقية من صاحب الشأن الأول فى الشركة بتاريخ ١٩ مايو ••• فكان واجبا عليه ان كان ينشد الحقيقة لا مجرد التشهير بأصهار رفعة رئيس الوزراء وبرفعته شخصيا أن يحقق ما جاء فيها أو يترك للمختصين تحقيقها » وما كان يجوز له فى آخر لحظة بوزارة المالية أن يحرر خطاب ٢٤ مايو الى وزير التموين بابداء الرأى ليقطع الطريق عليه فى تصرفه فى شأن هو وحده صاحب الرأى فيه •

ثانيا : على أن الوزير الجديد حين قام بواجبه فأمر بتحقيق ما جاء ببرقية ١٩ مايو لمعرفة ان كانت كميات الغزل موجودة بالفعل فى مخازن الشركة أم لا وقد ثبت له وجودها ومجرد وجودها كاف •

وكانت هذه الوقائع الجديدة لم تطرح من قبل على المستشار الملكى الذى وضع مذكرته يوم ١٨ مايو ، فى حين أن برقية الشوربجى بطلب معاينة الكميات ارسلت يوم ١٩ مايو ••• ولا يخفى انه لكى يكون الرأى القضائى صحيحا

وعلى اساس فيجب أن يصـــدر عن علم تام واحاطة بجميع الظروف .

ولكن مكرم باشا لم يكن يبغى تحقيقا . بل تشهيرا . لذلك حرر وصيته لوزير التموين قبل خروجه من الوزارة بساعات (تصفيق حاد) يوم ٢٤ مايو .

ثالثا : على أنه اذا احتكم الى المستشــار الملكى لوزارة المالية فى وقت لم تكن أمامه كل البيـــانات وبالأخص برقية ١٩ مايو فقد رفعت وزارة التموين الأمر كله الى سعادة رئيس لجنة قضايا الحكومة وكبير مستشاريها الملكيين والمستشار الملكى لوزارة المالية « لفحص الموضوع من جميع وجوهه من الناحيـــة القانونية والموضوعية » فانتهيـــا الى الرأى بألا مسئولية على الشوربجى وبعدم وقوع ما يستوجب الاحالة الى النيابة .

اذن كان الفصـــل فى مسألة غزل الشـــوربجى لرجال التشريع والقانون لا للشهوات الحزبية والأحقاد السياسية .

ويتلو النحاس قرار النيابة العسكرية بالحفظ بشأن الغزل الذى ضبطه ملاحظ بوليس قليوب .

وقرار الحفظ مطول جدا ، وفى عديد من الصفحات ولا داعى لنشره ونتوقف عند هذا الحد فيما يتعلق بخيوط الغزل وننتقل الى الوقائع الخاصة باتهام مكرم باشا للنحاس باشـــا شـــخصيا باستغلال نفوذه كرئيس للوزراء



الفصل الثالث

رئيس الوزراء ـ رفعة النحاس باشا
ينفي عن نفسه استغلال نفوذه كرئيس للوزراء
ويدحض اتهامات مكرم عبيد باشا

كان الكتاب الأسود في جوهره اتهاما صريحا لرفعة النحاس باشا ، بانه استغل نفوذه لصالحه ، ولصالح زوجته زينب هانم الوكيل ، ولصالح أقاربها وأنسبائها وقد تولى النحاس باشا في عدة جلسات في مجلسي النواب والشيوخ الدفاع عن نفسه ضد كل هذه الاتهامات عن طريق طرح النواب والشيوخ الأسئلة ليقوم رفعته بالردود عليها على النحو التالي :

● يوجه النائب المحترم ابراهيم مكاوى الى وزير المعارف العمومية السؤال التالي :

« زعم مكرم عبيد باشا في كتابه الأسود أنكم أمرتم بنقل مدرسة التدبير المنزلي من حي جاردن سيتي ليسكنها رفعة رئيس الوزراء وان اجراءات هذا النقل تمت في يوم واحد هو يوم ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٤٢ بحيث وضعت مراقبة تعليم البنات مذكرتها في هذا اليوم ورفعت الى الجهات العليا بالوزارة في هذا اليوم أيضا وأمضاها الوزير في نفس اليوم كذلك ، وأخرج الفتيات من الحي كله بين عشية وضحاها وان وزارة المعارف تحت ستار اعادة الدار الى حالتها الأولى أجرت اصلاحات ينتفع منها رئيس الوزراء ٠ الى آخر ما جاء بهذا الكتاب من المزاعم ٠

فما هي حقيقة الحال في هذا الموضوع ؟ » ٠

ويرد معالي وزير المعارف العمومية بما يلي :

زعم المفترى فى كتابه الكاذب أن رفعة رئيس مجلس الوزراء أخرج مدرسة التدبير المنزلى من مكانها ليهنأ بسكنى دارها ، وأنه أمر وزير المعارف باخلاء الدار ، وصدع الوزير بهذا الأمر ، وفى نوبة حازمة حاسمة ، بل فى صباح يوم واحد ، أخليت الدار ، وقال فى كتابه كذلك ان التوقيع والتشتيت حصل كله فى ساعات معدودات من صبيحة يوم واحد ، وأن الحكومة أنفقت على البيت مبالغ طائلة لانشاء حمامات فخمة وأرضيات ثمينة وغير ذلك من ضروب الانفاق .

وحقيقة الحال فى هذا السؤال ، أن معاهد التربية للتدبير المنزلى والفنون الجميلة والموسيقى كانت لغاية سبتمبر سنة ١٩٣٩ مجرد أقسام ملحقة بمعهد التربية للمعلمات بالزمالك . أى أن هذه المعاهد كانت موحدة ضمن معهد آخر لغاية سبتمبر سنة ١٩٣٩ ، وكان بالمعهد وقتئذ ثمانية أقسام ، وقد ضاقت مبانيه عن تلك الأقسام الثمانية ، فرأت الوزارة فى سنة ١٩٣٩ أن تفصل عنه لهذا السبب الأقسام الفنية الثلاثة ، وهى التدبير المنزلى والفنون والموسيقى ، وبخاصة لأن هذه الأقسام ذات طابع فنى خاص وجو خاص ، وقد وضع كل قسم فى مبنى خاص ، ولكن الوزارة قدرت ما بين هذه الأقسام من الروابط والمشاركات الفنية ، فألفت لها هى ومعهد التربية البدنية مجلسا أعلى للاشراف عليها جميعا اشرافا فنيا وماليا .

ولما تولى المراقبة العامة للبنات الكردانى بك المراقب السابق فى سنة ١٩٤١ كان أول من فكر عندئذ فى ضم المعاهد الفنية الأربعة بعضها الى بعض ، واليه وحده يرجع هذا الاقتراح ولذلك طلب منه سعادة المستشار الفنى للوزارة كتابة مذكرة تبين كيف نبتت فكرة ضم المعاهد الأربعة فى معهد واحد فكتب اليه يقول ما نصه :

« حضرة صاحب السعادة المستشار الفنى »

بناء على طلب سعادتكم أتشرف برفع هذه المذكرة مبينا بها كيف نبتت فكرة ضم معاهد التربية الأربعة للبنات فى مكان واحد تحت اشراف واحد . وتتلخص الأسباب التى حملتنى على التفكير فى هذا الضم فيما يلى :

أولا : الاسراف العظيم الذى أدى اليه استقلال كل معهد بمبنى خاص وهيئة تدريس مستكملة وعدد وافر من الخدم ومقدار كبير من الأثاث والأدوات الخ من أجل عدد قليل من الطالبات بكل معهد . وذلك

فى الوقت الذى كنا نبحث فيه عن مبان لفتح مدرسة ابتدائية أو روضة مستقلة أو ثقافة نسوية الخ لا نجد فى أى حى من أحياء القاهرة ٠

ثانيا : كانت تصادفنا صعوبات جمة فى أول كل عام دراسى لايجاد العدد الكافى من المدرسين والمدرسات (ولو بطريق الانتداب الذى كثيرا ما كان محل اعتراض من جانب الجهات المالية والفنية بالوزارة) ولاسيما فى المواد التى يقل عدد المتخصصين فيها بمصر كالتربيـة وعلم النفس والصحة المدرسية الخ من المواد التى لو جمعت المعاهد وضمت الطالبات لنقص عدد المدرسين اللازمين فى كل منها الى الربع أو الثلث ٠ هذا الى ان التباعد العظيم بين المعاهد بعضها والبعض كان يحول دون جمع المدرس الواحد بين أكثر من معهد ٠

ثالثا : اضطراب الأعمال الفنية والادارية فى تلك المعاهد بسبب قلة خبرة معظم العميدات والوضـع الشاذ الذى وضعت فيه المعـاهد باعطائها استقلالا لا قبل لهـا باستغلاله استغلالا يحول دون اشراف المراقبة العامة عليها ويجعل مهمتها قاصرة على اصلاح الأخطاء التى تقع من العميدات والأخذ بيدهن من المآزق التى يتورطن فيها ٠

كل ذلك جعلنى أفكر فى ضم المعاهد عقب نقلى الى المراقبة ووقوفى على سير العمل بها (ويلاحظ أن حضرته عين مراقبـا للبنات فى العهد الماضى) وقد انتظرت حتى قمت بزيارة جميع المدارس والمعـاهد التابعة للمراقبة وأخذت أفكر فى حل مشكلة المبانى لتنفيذ هذا الضم ٠

وعقب انتهاء العام الدراسى ١٩٤١ ـ ١٩٤٢ كنت قد كونت فكرة عن الخطة التى ينفذ بها الضم ويتحقق للوزارة بها فى الوقت نفسـه انشاء المدارس التى كانت تريد انشاءها ولا تجد لها مبانى صالحة ٠ وفى أغسطس سنة ١٩٤٢ وضعت مذكرة عن عدة أمور تتصل بالسياسة التى كنت أرجو أن أسير عليها فى العام الدراسى ١٩٤٢ ـ ١٩٤٣ تناولت مسألة ضم المعاهد وانشاء مدارس جديدة وكيفية تعيين الناظرات الجدد والغاء وظائف كبيرات المفتشات الخ وتناقشت مع البك الوكيل المساعد مرات عديدة بشأنها فى أواخر أغسطس ٠ وفى أوائل سبتمبر تكلمنا نحن الاثنان مع سعادتكم بشأنها فى عدة جلسات واتفقنا على نقط بعضها ترك لى تنفيذه كتعيين الناظرات وبعضها وضع به محضر للعرض على معالى الوزير كمسألة ضم المعاهد ٠

هذا ما يحضرنى الآن كتبته وأرجو أن يكون وافيا بالغرض ٠

(أحمد عبد السلام الكردانى)
١٣ أبريل سنة ١٩٤٣

والواقع أن مراقب البنات عبد السلام الكردانى بك ووكيل الوزارة المساعد شفيق غربال بك اجتمعا مع مستشار الوزارة الفنى عدة مرات ، ولما انتهوا الى رأى عملوا محضرا برأيهم ، وقد وقعه الكردانى بك غربال بك ، وكتب عليه المستشار الفنى فى ١٤ سبتمبر سنة ١٩٤٢ « أوافق ويوضع مشروع قرار وزارى بتنفيذ ذلك » .

وبعد ذلك أعد القرار الوزارى وعرض على ، ولم يكن أحد منهم قد فاتحنى فى هذا الموضوع ، ولم أفاتح أحدا منهم فيه الا بعد عرض القرار ، وعندئذ درست الموضوع ووافقت عليه ، وصدر القرار الذى يشير اليه الكتاب الكاذب فى ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٤٢ .

وقد وافقت اللجنة العليا على هذا الرأى لما يتحقق من ضبط لادارة هذه المعاهد ومن اقتصاد فى النفقات وفى عدد مدرسى المواد الخاصة كالتربية وعلم النفس والصحة واللغات ومن تسهيل فى ترتيب النظام الداخلى للطالبات .

وترى اللجنة أن أنسب مكان يضم هذه المعاهد هو مدرسة الأميرة فوزية ببولاق التى تضم فى الوقت الحاضر أحد هذه الأقسام (معهد التربية البدنية) على أن ننقل مدرسة الأميرة فوزية الى المكان الحالى لمدرسة عباس بالسبتية وعندئذ يسهل نقل تلميذات مدرسة عباس الى مدرسة شبرا القريبة منها أماالقسم الابتدائى بمدرسة الفنون الطرزية الذى كان مزمعا نقله الى مدرسة عباس فيبقى فى مكانه الأصلى ويختار للقسم الراقى بمدرسة الفنون الطرزية بشبرا المكان المناسب من الأمكنة التى ستخلو بضم المعاهد ونقلها كلها الى مكان مدرسة الأميرة فوزية .

التوقيع (أحمد عبد السلام الكردانى) التوقيع (شفيق غربال) .

أوافق ويوضع مشروع قرار وزارى بتنفيذ ذلك .

تحريرا فى ١٤ سبتمبر سنة ١٩٤٢ المستشار الفنى

طه حسين

وعندما أعلن القرار تضايقت السيدة عائشة اقبال راشد مديرة معهد التدبير المنزلى ، وأرغت وأزبدت ، ثم ذهبت الى رفعة رئيس الوزراء ، وكان يقيم وقتئذ فى منزل فؤاد سراج الدين باشا المقابل للمعهد مباشرة ، تشكو اليه وزارة المعارف . ومجمل شكواها أن ضم المعهد الى المعاهد الأخرى قتل له ، وقد رجت من رفعته أن يزور المعهد بنفسه ليتبين مقدار الضرر الذى يحصل من النقل ، وقد زار رفعته المعهد فعلا واقتنع برأيها ، وكان ذلك كله بعد صدور القرار ، ثم كلمنى رفعة الرئيس تليفونيا مبلغا اياى شكوى مديرة المعهد ، وناقشنى فى الموضوع طويلا كعادته محاولا

اقناعى بالعدول عن القرار ، فقلت لرفعته ان هذا موضوع درسه الفنيون وصدر به قرار وزارى وليس فى وسعى أن ألغيه وبخاصة لأنى درسته بعد دراستهم واقتنعت فيه برأيهم فسألنى عما اذا كنت قد زرت المعهد من قبل ، فقلت له اننى لم أزره ، فألح على فى زيارته معه ، وحدد لذلك يوم ثلاثاء فى أواخر شهر رمضان ، واتفقنا على أن أمر عليه فى وزارة الخارجية حوالى الساعة الثانية لهذا الغرض ، وقد أخطرت مراقب عام البنات بكل ما وقع ، وطلبت منه أن يعد مذكرة أخرى تفصيلية لاطلاع رفعة الرئيس عليها ، وأن يرافقنا فى هذه الزيارة ٠

وفى يوم الزيارة خشيت أن تقع مشادة بين مديرة المعهد وحضرة المراقب وكنت أعلم أن بينهما شيئا وأنها دائمة الشكوى منه ، فاكتفيت بالمذكرة وقلت له اننى سأتولى الدفاع عن الموضوع بنفسى ، وها هى بين يدى المذكرة التى قدمها الى حضرة المراقب العام فى يوم ٢٩ سبتمبر ، أى بعد صدور القرار بأسبوع ، لاطلاع رفعة الرئيس عليها دفاعا عن نقل المعهد ، وهى مذكرة من ثلاث صفحات كاملات ، ومجملها أن الوزارة منذ أن فرقت الأقسام الفنية بعضها عن بعض تبدت لهـــا عيوب كثيرة يمكن تلافيها اذا ما دبر لها مكان واحد ، وبهذا يمكن الاقتصاد فى النفقات والمدرسين والمدرسات ، ويمكن توفير الأماكن لسكنى الطالبـات ، ثم عرضت المذكرة لنفقات معهد التدبير المنزلى فى المكان الذى يقيم فيه ، وما فى هـذه النفقات من البذخ والاسراف والتغـالى فى الأعداد ، مما لا يناسب الروح المطلوب فى تخريج المعلمات ، وأفاضت فى هذا المعنى ضاربة الأمثال على هذا البذخ وضرره بالتعليم ، وبعد أن فصلت المذكرة أسباب الضم والنقل قالت ان هذا الضم قد مكن الوزارة من الاقتصاد فى الميزانية والأمكنة ، بحيث أمكنها أن تنفذ ثلاثة مشروعات على جانب عظيم من الأهمية :

أولا : فتح روضـــة مستقلة بحى الجيزة ، وهو أمر طالما تمنت الوزارة تحقيقه ٠

ثانيا : فتح مدرسة ابتدائية للبنات فى حى سيدنا الحسين تحقيقا لرغبة أهالى ذلك الحى وعلى رأسهم بعض حضرات أعضاء مجلس النواب ٠

ثالثا : فتح مدرسة ثقافة نسوية ثالثة فى القاهرة استجابة للاقبال الشديد على هذا النوع الجديد من التعليم ٠

رابعا : فصل القسم الراقى للفنون الطرزية عن القسم الابتدائى لأن مكانهما ضاق بهما فى العام الدراسى الماضى ٠

... وقد أردت التحقق من فكرة الاسراف وضمان الاقتصاد بالالغـاء ، فطلبت من الحسابات بيانا بالنفقات وعدد الطالبات ، فاتضح أن النفقات

تبلغ ثمانية آلاف جنيه فى السنة وأن مجموع ما يتحصل من الطالبات ٢٨٠ جنيها وعدد طالبات المعهد ٩٨ طالبة معظمهن بالمجان ٠

ولما زرت المعهد مع رفعة الرئيس ناقشته وناقشت مديرة المعهد مناقشة اجمالية فى أسباب الضم والنقل ، وكان رفعة الرئيس يلح على فى بقاء المعهد أمام الناظرة والمدرسات ، وكنت بطبيعة الحال معارضـا فى هذا الرأى ، وبعد هذه الزيارة كلمنى رفعة الرئيس مرة أخرى فى الموضوع ، فقلت له اننى لو كنت معارضا قبل الآن مرة فسأعارض ألف مرة ، لأن مدرسات المعهد قدمن لى عريضة احتجاج شديدة اللهجة ولابد من معاقبتهن ٠ فضحك رفعة الرئيس وقال : « تصدق بالله هذه العريضة كتبت عندى وباشارة منى » وانتهى الموضوع عند هذا الحد ، وعلم رفعة الرئيس أن وزارة المعارف لا تعدل عن قرارها ، وانها فى غنى عن المبنى الذى يشغله معهد التربية ، وعندئذ نفاوض مع مالكة المكان فى أن تؤجره له عندما تخليه وزارة المعارف فى شهر أكتوبر ٠

ومما تقدم تتبينون حضراتكم قيمة الكتاب الأسود وكذبه الفاضح المخزى عندما زعم أن الفكرة جاءت من قبل رفعــة الرئيس وأن وزارة المعارف أنمت اجراءات الموافقــة والاخلاء فى يوم واحد بل فى ساعات معدودات ٠

أما استغلال رفعة الرئيس لهذا الاخلاء وانتفاعه منه بعمل اصلاحات وترميمات والاستيلاء على أثاث مما يقدر بالألوف من الجنيهات فافتراء دنىء وحقيقة الحال أن عقــد الايجار ينص فى البند الحادى عشر منه على أن مصلحة المبانى هى وحدها التى تقرر ما اذا كانت الوزارة ملزمة باصلاح المكان أو رمه نتيجة اساءة استعماله ، وهى التى تقرر مقدار النفقات التى تلزم لذلك ، وللوزارة الخيــار بين اجــراء الرم والاصــلاح بنفسها أو اعطاء المؤجر المبلغ الذى تقدره مصلحة المبــانى ٠ ولذلك سلمت وزارة المعارف ملف الموضوع لوزارة الأشغال عند اخلاء المكان ، واتفقت مع وزير الأشغال ومع رفعه الرئيس ، من أول أن فكر فى استئجار المكان ، فى أن توزع النفقات بين رفعته والمالكة والوزارة طبقا لشروط العقد ، فلا تحتمل الوزارة الا حصتها بمقتضى العقد ، ورفعته وشأنه مع المالكة فى حصتها ٠ ولما وردنى بيان ببعض النفقات كتبت الى وزير الأشغال فى ١٦ فبراير سنة ١٩٤٣ خطابا أرجوه فيه توزيع النفقات التى تصرف على المنزل بين المالكة والوزارة ورفعة المستأجر طبقا لنصوص العقد ٠

وقد أحصت وزارة الأشغال قيمة النفقــات ووزعتهــا على مقتضى نصوص العقد فخص رفعة الرئيس منها ٨٦٠ جنيها و ٢٣٣ مليما دفعها بمقتضى شيك لوزير الأشغال فى ١٨ مارس سنة ١٩٤٣. (تصفيق) ٠

وظاهر من ملف وزارة الأشغال أن الحكومة لم تتحمل الا قيمة ما أتلفته المدرسة وكذلك رفع المعامل وغرف التدبير المنزلى والغسيل والكى وارجاع الحمامات لأصلها واعادة الانارة ورفع الغاز ، وتحمل رفعة الرئيس جميع ما اقتضته الترميمات التى لا تلزم بها الحكومة بمقتضى العقد .

ومما تقدم تتبينون حضراتكم أن المفترى لم يتورع عن الكذب فى هذا الموضوع أيضا ، شأنه فى جميع الموضوعات الأخرى ، وقد سبق أن شنع فى مجلس كان يضمنا وبعض زملائنا الآخرين على دولة حسين سرى باشا وكان وقتئذ رئيسا للحكومة لأن الحكومة قامت بتعديل واصلاح المنزل الذى يقيم به فى الزمالك بمبالغ طائلة ، وقال انه يعلم سر الموضوع من موظف مسئول من أقربائه ، وحقيقة الحال فى ذلك أن الحكومة أنفقت على المنزل الذى يقيم فيه سرى باشا فى سنة ١٩٤١ - ١٩٤٢ مبلغا قدره ٣٩٧٣ جنيها و ١٢٩ مليما ليكون منزلا لائقا برئيس الحكومة ، ولما علم المفترى ذلك طعن فى نزاهة دولة سرى باشا على مسمع منى ومن اخوانى ، وقد أرسل اليه دولة سرى باشا من يلومه على ذلك ، وكان رد المفترى « أنا لم أطعن ولا أطعن مطلقا فى نزاهة سرى باشا وكله الا النزاهة » فما باله الآن ، وهو يعلم أن الحكومة لم تتحمل مليما واحدا فى اصلاحات لا تجب عليها لمنزل رفعة النحاس باشا ، يطعن فى نزاهة النحاس ، الا فليعلم المفترى أن صاحب اللسانين كصاحب الوجهين لا يمكن أن يقوم له عذر ، وان أعمته الشهوة والغضب عن الحق والأدب .

وقد جاء فى الكتاب الكاذب أيضا أن رفعة الرئيس استبقى فى الدار ثلاجة ضخمة باهظة الثمن ، كما استبقى بعض ثريات كهربائية وستارتين جميلتين من صنع يد التلميذات ونقدران بثمن كبير ، وفى ذلك جميعه عمد الكاذب الى اختلاق بعض الوقائع وتشويه الوقائع الأخرى شفاء لأحقاده ، وهو فى الاختلاق والتشويه كاذب كذبا مفضوحا .

أما استبقاء ستارتين ثمينتين فأمر لا حقيقة له أصلا ، وأما باقى الأشياء التى أشار اليها فحقيقة الواقع فيها أن معهد التدبير عندما انتقل وجد أن بعض متعلقات المعهد تتلف بالنقل ، فالثلاجة والثريات مثلا لا يمكن استعمالها بالمكان الجديد لاختلاف الفولتاج ، وهناك أشياء أخرى لم يذكرها المفترى مثبتة بالحيطان بحيث لو نقلت تركت ثقوبا فيها ووجب ترميمها ودهان الغرف جميعها بالبوية مما يتكلف أكثر من أثمانها ، مثال ذلك مرآة لحوض غسيل ، وأذرعة من نحاس وصينى ، وأحواض زنك ، وسخانة حمام ، وقد رأت مديرة المعهد ومصلحة المبانى ان رفع هذه الأشياء يترتب عليه تلف يتكلف اصلاحه أكثر من ثمنه . ولذلك رئى لمصلحة الحكومة أن تترك فى مكانها على أن تقوم المالكة ورفعة المستأجر

بدفع ثمنها كاملا للحكومة · وفعلا حصل ذلك فجردت هذه الأشياء وكشف عن أثمانها بما فيها التلاجه والنريتين فظهر أنها بمبلغ ١٦٠ جنيها و ٧٧١ مليما قام رفعة الرئيس بدفعها بمقتضى شيك لمعالى وزير الأشغال فى ١٨ مارس سنة ١٩٤٣ ·

ومما يذكر فى هذا الشأن أن مديرة المعهد نقلت فيما نقلت فرنا من أفران الكهرباء فلم يمكن استعماله فى المكان الجديد وهو الآن معطل ·

على أن هذا الكذاب المفترى قد نسى أن جميع متعلقات المعهد عهدة لمديرة المعهد ، فاذا خرج شىء منها من ملك الحكومة أصبحت هى الملزمة لا الحكومة ، وهى لا يمكن أن تسكت على ذلك ، ولابد لها من استكمال عهدتها ، والا ألزمت هى بدفع الأثمان ، ومن غير المعقول أن تقبل موظفة مثل هذا الوضع ، وأن تدفع من جيبها مبلغا كبيرا كهذا المبلغ · ولكن المفترى يريد أن يفترى ولا شىء يمكن أن يقف فى سبيله ·

وقد زاد المفترى على ما تقدم أن عملية الاخلاء أو الاجلاء بالليل والنهار قد تمت على يد جنود من الجيش وضـــابطين مستعينا فى ذلك بسيارات من سيارات النقل الحكومية ، وظلت السيارات كما ظل المستخدمون تحت أمره حوالى شهر من الزمان ·

وحقيقة الحال أننى طلبت من معالى وزير الدفاع أن تتولى لوريات من لوريات الوزارة نقل أثاث المدارس لأمكنتها الجديدة حتى لا يتعطل افتتاح الدراسة بها عن الموعد المقرر ، وذلك أسوة بما قرره مجلس الوزراء من استعمال هذه اللوريات لخدمة الوزارات المختلفة كوزارة التموين مثلا ، ولما فى ذلك من اقتصاد فى النفقات لوزارة المعارف ، اذ أنها بهذه الوسيلة توفر مصاريف النقل ، وقد تفضل معاليه فأجاب هذه الرغبة ، وتولت لوريات وزارة الدفاع نقل الأثاث على ثلاثة أيام ، لا على مدى شهر من الزمان ·

أما أثاث رفعة الرئيس فقد تولى نقله من منزله محلا على خليل والشنتناوى ، ويمكن لمن يشاء أن يرجع اليهما فى ذلك ·

وقد كتب سعادة اللواء عبد الحميد حافظ باشا وكيل وزارة الدفاع مذكرة بين فيها هذه الحقائق ، ونفى فيها أن لوريات الحكومة نقلت شيئا من الأثاث الخاص برفعة الرئيس ·

وزيادة فى الحيطة استفهمنا من مصلحة النقل الميكانيكى ، فقال لنا مدير هذه المصلحة أن ياور رفعة رئيس الوزراء طلب سيارة ذات مرة من الجراج ، وقد استعملت هذه السيارة فيما بين ٤ و ٧ أكتوبر سنة ١٩٤٢ ، وقد أرسل الجراج هذه السيارة أسوة بالمتبع فى مثل هذه

الأحوال . فسألناه عما استعملت فيه هذه السيارة ، وعن هذه العادة الجارية ، فقدم لنا مذكرة هـذا نصها : « اللوريات المستعملة بالنقل الميكانيكى لوريات مكشوفة ولا تصلح لنقل مفروشات أو موبيليات ثمينة لأنه يخشى من نقلها فى هذه اللوريات أن تتلف وقد جرت العادة بأن بعض رؤساء الوزارات ومعالى الوزراء يطلبون الى جراج الحكومة أن يقوم بنقل شنط أو عفش من المحطة الى منازلهم أو بالعكس أو الى جهات أخرى ومنهم من طلب نقل أدوات أخرى غير ذلك كحدايد وخلافه » .

وتأييدا لكلامه اطلعنا على دفتر الاشارات التليفونية الخاصة بالمدة من ١٩ يناير الى ٣١ يناير سنة ١٩٤٠ ، أى مدة ثلاثة عشر يوما ، فتبين من الدفتر أن رفعة ماهر باشا طلب مثل هذه السيارة ثلاث مرات فى هذه المدة ، وأن أحد وزراء وزارته طلب سيارة لنقل حدايد من الشرابية الى عمارة له كان يقوم بانشائها .

وقد بحثنا عن موعد نقل المدرسة فتبين لنا أن معهد التدبير المنزلى كان فى ذلك الوقت يقوم بالنقل الى المكان الجديد ، وأن هذا الموعد لا يتفق مع موعد نقل أساس رفعة الرئيس الى منزله ، لأن الوزارة لم تخل المنزل الا فى ١٩ أكتوبر ، ولم يبدأ نقل أثاث رفعة الرئيس الا فى أول نوفمبر ، وبخاصة لأن ترميم المنزل لم يبدأ الا بعد نقل المدرسة ، ولا يعقل أن ينقل رفعة الرئيس أثاثه أثناء العمارة . فالسيارة التى طلبت اما أن تكون قد طلبت للمعاونة فى نقل المدرسة ، واما لشئون مصلحية أخرى .

ومن ذلك يتبين لحضرات النواب أن المفترى قد نزل الى أسفل درك فى الافتراء ، ومن سخر الاقدار أن يشـــغل رئيس الحكومة والوزراء والبرلمان بمثل هذه السفاسف ، وأن يضطروا الى الرد على صغائر لا تصدر الا عن نفوس صغيرة مريضة فى الوقت الذى يهتم العالم فيه لعظائم الأمور والذى يقتضى من الحكومة والبرلمان جهدا كبيرا فى رعاية مصالح العباد والبلاد » .

ويسأل الأستاذ عمر عمر :

« تسب مكرم باشا الى رفعتكم فى كتاب وزعه أنكم قد غيرتم طريقة معيشتكم وعمدتم الى البذخ والتبذير وظهرت عليكم نعمة الثراء الطارىء ، فمن سيارة يبلغ ثمنها ثلاثة آلاف جنيه نزل عنها لكم المســيو كوتسيكا المليونير ، الى سكن ميناهاوس بمبلغ لا يقل عن ألف جنيه ، الى تأجير مسكن فى جاردن سيتى بخلاف مسكنكم فى مصر الجديدة وما يتكلفه ذلك من نفقات .

وقال ان هذه مجرد أمثال تدل على ما يقتضيه هذا المستوى الجديد فى المعيشة من انحراف فى طريقة الحكم •

فهل لرفعتكم أن تردوا على تلك المزاعم بما يضع الأمور فى نصابها ويفندها تفنيدا قاطعا حاسما ؟ » •

يجيب رفعة النحاس باشا ــ مثلا ــ عن موضوع سيارة كوتسيكا بما يلى :

« منذ تولينا الوزارة فى فبراير سنة ١٩٤٢ كانت السيارات التى يقدمها النقل الميكانيكى لرئيس الحكومة عاطلة جميعها تقف فى الطريق من وقت الى آخر . ولم تنفع فيها التصليحات الميكانيكية ، فكنا اذن فى حاجة ملحة لشراء سيارة جديدة أينما وجدت حتى لا نتعطل أعمالنا ولا تقف بنا مرارا فى أثناء سيرنا •••

وفى شهر أبريل سنة ١٩٤٢ حضر الينا مسيو لانيادو وكيل محل ميشيل بناكى وعرض علينا سيارة باكار سوبر ليموزين موديل سنة ١٩٤٢ قائلا ان ثمنها ثلاثة آلاف جنيه ، فأجبته ان مسألة الثمن تنظر الحكومة فيها ، وعرضت أمر هذه السيارة على مجلس الوزراء وكان مكرم باشا اذ ذاك وزيرا للمالية فوافق الوزراء على شرائها وترك تقدير ثمنها للنقل الميكانيكى •••• ثم قلت لوكيل بناكى انى أرغب فى شراء سيارة أخرى مثلها تكون خاصة لى ، فأجاب انه لم يرد مع هذه السيارة الا سيارة أخرى مثلها حجزناها للمسيو كوتسيكا صهر بناكى ، وهى من نفس الماركة والموديل • فطلبت اليه أن يستفهم من كوتسيكا عما اذا كان يمكنه الاستغناء عنها لأشتريها أنا وبعد أيام قال لى وكيل بناكى ان كوتسيكا وافق على الاستغناء عن السيارة وكانت اذ ذاك فى الاسكندرية ثم أحضرها الى ، فأخبرت الوزراء بشأنها ومنهم مكرم باشا ، فنصح الى مكرم باشا أن أتريث فى دفع الثمن الى محل بناكى حتى تبت الحكومة فى ثمن السيارة الحكومية لأن قواعد الشراء خاضعة لنظام خاص تسير عليه الحكومة • فوافقت على ذلك وأخبرت وكيل المحل أنى سأقوم بدفع ثمن سيارتى الخاصة مثلما يتقرر للسيارة الحكومية •

وقد رأيت جعل السيارة التى وصلت الى أخيرا هى السيارة الحكومية على أن تكون الأولى هى الخاصة بى ، وسجلت ذلك بقلم المرور ، وفى النقل الميكانيكى •

وبعد ذلك قدم بناكى طلبا الى الحكومة يطلب فيه ثمن سبع سيارات باكار منها السيارة الخاصة برئيس الحكومة وست سيارات أخرى كل واحدة منها ذات خمسة مقاعد مقدرا لها جميعها ١٢ ألفا و ٧٠٠ جنيه •

وكان الثمن الذى قدره بناكى للسيارة التى أخذتهـا ثلاثة آلاف جنيه • يضاف اليه ٧٥ جنيها ثمن ملحقات بها •

أخذت المفاوضات بين الحكومة وبين محل بناكى شـوطا طويلا فى تقدير الثمن لهذه السيارات السبع ، وقد عرضت الحكومة عليه فى ١٨ يوليه سنة ١٩٤٢ مبلغ ٥٢٨٢ جنيها و ٥٠٠ مليم ثمنا للجميع ، رفض قبول هذا المبلغ بخطاب فى ٢٥ منه فأمر معالى وزير المواصلات بتأليف لجنة يرأسهـا حسين فهمى بك وكيل وزارة التموين للنظر فى تقدير الثمن المناسب ، فقررت للسيارات السبع ٧٥٤٠ جنيها ، وأرسلت الحكومة لمحل بناكى فرق الثمن فى ٢١ فبراير سنة ١٩٤٣ الا أنه عاد فأرسل خطابا بتاريخ ٢٧ فبراير سنة ١٩٤٣ يطلب فيه أن يكون الثمن ٨٠٩٠ جنيها لتسوية هذا الموضوع نهائيا •

فلمـا رأيت الأخذ والرد قد طالا دفعت أنا ثمن السـيارة التى اشتريتها مبلغ ١٥٥٠ جنيها وهو الثمن الذى يتناسب مع تقدير اللجنة فى فبراير سنة ١٩٤٣ بايصال تاريخه ١١ مارس سنة ١٩٤٣ •

ثم أخذ رأى حسين فهمى بك وكيل وزارة التموين فى الفرق الذى طلبه محل بناكى كصلح للموضوع نهائيا ، فوافق عليه فى ١٩ مارس سنة ١٩٤٣ لأن هذه السيارات من نوع فاخر يخرج عن المألوف استعماله فى التجارة العادية ، ودفعت الحكومة للمحل باقى مطلوبه على هذا الأساس فى ٢٣ مارس سنة ١٩٤٣ أى بعـــد أن دفعنا ثمن سيارتنا ، وخلصنا ذمتنـا •

لم يكن فى السيارة الخاصـــة ، ولا فى السيارة الحكومية التى اشتريناها جهاز تكييف للهواء ، يبرد فى الصيف ويسخن فى الشتاء ، وليس فيها العجب العجاب ، كما ادعى الكذاب ، صاحب العريضـــة والكتاب ، بل ليس فيها ما يميزها عن غيرها من السيارات الا أن نوافذها تفتح أوتوماتيكيا ولا تتعطل فى الطرقات ، ولكن مثل صاحب الكتاب من تخيل ثم خال ، فغرق فى الكذب والضلال •

أما من أين آتينا بالثمن الذى لم يبلغ ثلاثة آلاف جنيه بل نصف هذا المبلغ زائدا خمسين جنيها فقط ••• أما من أين لنا هذا المال الكثير الوفير فاليكم البيـان مفصـــلا ، مستندا الى الوقائع ، مدعما بالمستندات •

كانت السيدة حرمى تملك سـيارة بويك ليموزين ذات سبعة مقاعد تمتـاز عنها ماركة باكار التى اشتريناها بعض الشىء وبأنها جديدة ، أما السـيارة بويـك فكانت

مستعملة من قبل وكانت نيتنا متجهة الى بيعها لشراء سواها فعرضناها للبيع وجعلنا السيارة باكار لحرمى مكانها ، وتم ذلك النقل فى ٢٨ مايو سنة ١٩٤٣ واستخرجنا رخصة بها فى ذلك التاريخ •

وبيعت السيارة البويك بواسطة محل جورج كنج الى زكى الشناوى بك فى ٢٢ أكتوبر بثمن قدره ١٠٩٥ جنيها و ١٢١ مليما دفعها الينا جورج كنج شيكا على بنك باركليز بالقاهرة بتاريخ ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٤٢ وقبض فى ٢٨ منه •

وهذا الثمن هو الذى دفعناه فى ثمن السيارة الباكار ولم نتحمل سوى الفرق بين الثمنين الذى لم يبلغ ثلاثة آلاف جنيه ولا الفين بل ولا ألفا ، ولكن كان ٤٥٤ جنيها و ٨٧٩ مليما جعلها الغارق فى بحر الضلالات ، ألوفا من الجنيهات كما جعل الثمانين جنيها من قبل فى مسألة الفراء الوفا مؤلفة ليستدل بها على البذخ والثراء ! الا ساء ما اختلق ، وبئس ما به نطق •

وان تحت يدى الآن جميع مستندات هذا الموضوع وأوراقه الرسمية أودعها مكتب مجلسكم الموقر ، لتطلعوا عليها فتتبينوا قيمة الافتراء ، ومبلغ الادعاء !

وسترون من بينها مذكرة من وزارة المواصلات موقعا عليها من وكيلها حضرة صاحب العزة توفيق أحمد بك يتبين منها أنه استعراض حالة السيارات المخصصة لخدمة حضرات اصحاب المعالى الوزراء فى ١٩ مايو سنة ١٩٤٢ وجد أن هناك مايستدعى تغييره لقدمه ، وبالاتصال بوزارة التموين علم أنه يوجد سبع سيارات باكار منها ٦ ذات خمسة مقاعد و ١ ذات سبعة مقاعد لدى التاجر ميشيل بناكى ، فأمر معالى وزير المواصلات فى ٢٨ منه باتخاذ الاجراءات نحو الاستيلاء عليها كما طلب من وزارة التموين حجز تلك السيارات ، وقام قسم النقل الميكانيكى باستلامها طبقا للتعليمات الصادرة اليه ، كما يستفاد من هذه المذكرة أيضا التطورات والمفاوضات التى دارت بين المحل وبين الحكومة وما استقر عليه الرأى •

كذلك ترون مذكرة رفعت الى مراقب وزارة التموين

العام فيها تفصيل عن سيارات الركوب التى وردت الى القطر المصرى وأسماء مستورديها والتوزيع الذى تقترحه الوزارة ، ومن هذا العدد ٢٨ سيارة باكار باسم المسيو باناكى ويطلب فيها المراقب العام الموافقة على الافراج عن السيارات المخصصة لمن اشتروها فيما عدا سيارات الباكار الواردة باسم ميشيل بناكى . فاقترح تخصيص ١٩ سيارة منها للسلطات العسكرية البريطانية M.E.S.C. وكان المقرر لها عشرين سيارة و ٦ للسرايات الملكية و ٣ لمحمد طاهر باشا وعلاء الدين مختار بك والسيدة روحية هانم حلمى ، على أن تؤخذ العربة الباقية للسلطات العسكرية البريطانية من الشركة المساهمة للمحاريث ، وبأمر من مكرم باشا أبلغه مدير مكتبه الأستاذ على أمين عدلت المذكرة بأن تركت سيارة للنحاس باشا وهى التى كانت قد عرض أمرها على مجلس الوزراء بحضور مكرم باشا على أن يخصص للسلطات العسكرية البريطانية ١٨سيارة بدلا من ١٩ وتعطى لهما العربتان الباقيتان من الشركة المساهمة للمحاريث وصححت المذكرة بذلك ووقعها مكرم باشا بامضائه .

وكذلك ترون مذكرة أخرى من وزارة التموين تتلخص فى أن الوزارة بتاريخ ٨ أبريل سنة ١٩٤٢ استولت على ثمان وعشرين سيارة باكار موديل سنة ١٩٤٢ واردة من الولايات المتحدة باسم المسيو ميشيل بناكى على الباخرة « ستاراف الكسندريا » وسلمت الى المستورد بعد ان تعهد بالا يتصرف فيها الا باذن من وزارة التموين .

وفى ١٠ أبريل سنة ١٩٤٢ تقدم المحل الى الوزارة يطلب الترخيص له بتسليم ٦ سيارات للركائب الملكية فوافقت الوزارة على ذلك وكلفته الاحتفاظ بالباقى .

وبعد ذلك تقدم بطلبات أخرى يرجو الترخيص له ببيع سيارة لكل من سعادة محمد طاهر باشا وعلاء الدين مختار بك والسيدة روحية حلمى . ووافق على ذلك معالى وزير المالية باعتباره وزيرا للتموين فى ١٥ أبريل و ٣ مايو سنة ١٩٤٢ وتلا ذلك تقدم المحل بطلبات أخرى يرجو الترخيص له ببيع بعض السيارات لأشخاص عينهم ومن بينهم المسيو كوتسيكا ، فرفعت مذكرة تضمنت بيان ما وزع

من هذه السيارات ومقترحات المستورد بتوزيع عدد آخر منها ، وكان بيانها كالآتى :

٦ للسرايات الملكيـة
١ محمد طاهر باشـا
١ علاء الدين مختار بك
١ السيدة روحية هانم حلمى
٩

وسلمت سيارة عاشرة لرفعـة النحاس باشـا بناء على تعليمات من سعادة مكرم باشا بواسطة مدير مكتبه •

ولما عرض هذا الموضوع على مكرم باشا بوصفه وزيـرا للتموين فى ٤ مايو سنة ١٩٤٢ رفض مقترحات المستورد ومن بينهـا الترخيص ببيع سيارة للمسيو كوتسيكا (يلاحظ أن السـيارة المذكورة لم تكن سيارتنا بل سيارة صغيرة ذات مقعدين اثنين) •

وجاء فى هذه المذكرة ما يأتى نصه :

« ومن ذلك يتبين أن لا علاقة لمحل كوتسيكا مطلقا بالسيارة التى تسلمها رفعة النحاس باشا — وأن الموضوع لا يتعدى أن محـل بناكى طلب الترخيص له ببيع احدى السيارات المستولى عليها لمحل كوتسيكا ضمن طلبات أخرى ورفض ذلك سعادة مكرم باشا ، فلم تكن هناك سيارة لمسيو كوتسيكا ليتصرف فيها بالبيع أم بالتنازل » •

اذن تعلمون حضراتكم من هذا البيان الرسمى أننى عنـدما حضر الى وكيل محل بناكى وتحدثت معه فى شأن السيارتين لم أكن أعلم أن هناك استيلاء على سيارات محل بناكى ، ولا أن محل بناكى كان يملك حجز سيارة لكوتسيكا أو لا يملك • ولقد تبين لكم من هذا البيان أنه انما كان فى انتظار الترخيص له ببيعها اليه ، شأنه فى ذلك شأن كل مشتر : اما أن يقبل طلبه أو يرفض ، وقد رفض ضمن المرفوضين •

واذن ضل صاحب الكتاب وغوى ، حينما كذب وافترى ، قائلا ان للسيارة الحكومية **أختا فى عصمة أجنبى مليونير هو المسيو كوتسـيكا وان كوتسيكا قال انه وما يملك رهن مشيئة رئيس الوزراء وتنازل فعلا عن شراء السيارة •**

فها هى ذى الوقائع الرسمية تدحض مفترياته ، وها هو ذا مكرم وزير التموين ، يكذب « مكرم » أكذب الكاذبين !!

يعيب علينا صاحب الكتاب أننا أقمنا فى مينا هاوس مدة من الزمن للاسترواح والاستجمام ، ويعتبر هـذه الاقامة ثراء طارئا ، وبذخا غير مألوف ، كأنما كانت سكنانا فى مينا هاوس حدثا جديدا علينا ، أو أمرا لم نتعود عليه من قبل ، وكأن رياستنا للحكومة هى التى جلبت لنا هذا المسكن الفاخـر ، وأظهرتنـا بهذا المظهر النـادر • ما أكثر بهتانه ، وأكثر نسيانه !؟

ألم يفكر قبل أن يسود ويسيطر ، أن اقامتنا فى مينا هاوس أو فى غيرها من الفنادق الكبرى فى القاهرة أو فى الاسكندرية أو فى غيرهما من بلاد الصعيد ومصايف القطر المصرى ومشاتيه وأوروبا ـ ليست بنت عام ولا عامين وانما هى حياتنا تعودناها ونظمناها طبقا لدواعى راحتنا وانتجاعا لصحتنا ، وأننا نعيش هذه العيشة على قدر طاقتنا •

أو لا يذكر الكتاب الأشر أننا طالما أقمنا شهور الصيف كلها فى جناح خاص بفندق سان استفانو بالاسكندرية قبل زواجنا ، وكان هو يسكن فى حجرة الى جانبنا ، ولم نكن اذ ذاك فى الحكومة ، ولا حاكمين ؟

وماذا يقول ، أو يقول شيطانه فى اقامتنا بمينا هاوس فى سـنة ١٩٤٠ وفى رأس البر والاسكندرية وبور سعيد والأقصر وأسوان ومصايف أوروبا ، ونزولنا فى الفنادق اللائقة بكرامتنا وظهورنا بالمظهر المتناسب مع حالتنا ، لا مقترين على أنفسنا ، بل محترمين مركزنا ، مراعين صحتنا •

وهل كنا اذ ذاك وهو معنا يرى مبلغ ما ننفقه ومقدار ما نتكلفه ؟ هل كنا اذ ذاك فى الحكم نستغله ؟ ولدينا البأس والسلطان نستعمله ؟ أم كنا أطهارا أعفاء ، لا ننظر الى الحرام ، بل نعيش من الحلال ، يبارك الله لنا فيه ويظلنا بعميم ستره ووافر بره •

على أن اقامتنا فى مينا هاوس فى المرة التى يشير اليها فى كتابه كانت لاعتبارات صحية وكان بدارنا فى مصر الجديدة عمارة •

ولقد أقمنا فى مينا هاوس أربعة وتسعين يوما لم تكلفنا ألف جنيه وتزيد كما ادعى الكذاب ، ولكن جميع ما دفعناه فى هذه المدة كلها هو مبلغ ٣٢٣ جنيها و ٣١٥ مليما ، منه أربعون جنيها دفعناها للخدمة •

ومن الايصال الذى نودعه وتاريخه ٨ يونيه سنة ١٩٤٢ يتبين لكم صحة ما نقول • ولعلنى لست فى حاجة الى أن أوجه أنظار حضراتكم الى أن هذا المبلغ لا يصل الى مصاريفنا العادية ونحن فى دارنا !!!

لكنه معذور ، فهو كظيم مقهور ، صعقته الواقعة ، فتهوش فكره واختل توازنه !

لقد عرض نفسه على كل سوق ، وفى كل جهة ، فباء بصفقة المغبون ٠

وهل ينسى أحـد الماضى القريب حيث كانت جيوش المحور على الحدود المصرية ، ورأى بقصر نظره أن بارقة من أمل برقت وأن سرابا خداعا لمع فسرعان ما شمر عن ساعد الجد هو ومن على شاكلته ، وقام بستجوب الحكومة فى هذا المجلس عن التفريط فى حقوق البلاد ، والتقصير فى الدفاع عن البلاد فى ذلك الوقت الحرج الذى كنا ندافع فيه عن حقوق بلادنا والعمل على صيانة حياتنا الدستورية ، حتى اذا ما أخفق ظنه ، وخاب رجاؤه وابتعد الخطر عن الوطن فكر فى طريق آخر وأسلوب آخر يحارب به الوفد فى نزاهته ، فلم يجد الا أن يفترى على رئيس الوفد ويطعن فى أمانته ويلطخ صفحات سوداء فيمن كانوا بالأمس له زملاء ، لعله بذلك يشفى حقده الدفين ٠ أو يفرج عن غيظه الكمين ، ولكن العبد فى التفكير ، والرب فى التدبير ، وقد خاب من حمل ظلما ٠

وانه ليملأ نفسى أسفا وألما أن ينزل هذا الانسان الى مستوى لا يليق بكرامة الانسان ٠ فبدل أن يتقدم فى جرأة الشجاع وكرامة الرجل الى النضال ـ نضال الرجال للرجال ـ ينحط الى درك سحيق ، فيحارب سيدة شريفة طاهرة ، يطعنها فى الظلام ، طعنات الرعديد الجبان (تصفيق) ٠ ولكن لاعجب فتلك خلته ، وهذه خصلته ، ولن ينال من مصطفى النحاس ، ولا من حرم مصطفى النحاس ، الا كما ينال عابث من جبل أشم ، أو بحر خضم ٠

وليس يضيرنا أن يطعن كذاب فينا ، فهذا كتابنا فى أيدينا ، ينطق عنا بالحق : اننا الأبرار الأطهار ، لا تصل الينا دنايا الكذبة الفجار ٠

يتحدث المختلق المضطرب عن سكنانا فى منزل بجاردن سيتى ايجاره الشهرى خمسون جنيها ، وأننا أثثناه بالأثاث الفاخر ، والرياش النادر ، وأن هذا مظهر من مظاهر الثراء الوفير ، والغنى الكثير ٠

ولو كان غير صاحب الكتاب قالها أو ادعاها لالتمسنا له عذرا لأنه لايعرف داخليتنا ، ولم ير من قبل أثاثنا ولا رياشنا ٠ ولكن مكرم الكذاب الذى رأى كل هذا وعرفه ، بل هو الذى فكر حينما رأى اشتداد الغارات على المدن فأشار علينا أن نهاجر الى جهة أمينة لا تغشاها غارات ولا قنابل ٠ وكلما فكرنا فى بلد لاح لنا منه الخوف والفرق لاحتمال أن تقع غارة ، وهو لا يطيق صوت الزمارة ٠

وأخيرا فكرنا فى الهجرة الى كفر عشما عند الشيخ المحترم حسن شعير بك خال حرمنا ، وسرعان ما رحب بالفكرة ، واستعد للهجرة ٠

وفاجأنا ، وما كنا رتبنا أنفسنا ولا نظمنا أمرنا ، وأخذ يلح ويلحف ويتعجل بالسفر • فاتصلنا بحسن بك ورجوناه أن يعد جناحا خاصـــا لضيافة مكرم باشا الى جانب الجناح الذى سيعد لنا وما لبث أن سبقنا بمدة قصيرة الى كفر عشما وكنا قد أعددنا أثاثنا ورياشنا فسبقتنا الى هناك ، ورآها مكرم وعرفها بل انتفع مدة اقامته ضيفا علينا بجزء منها وكان يرى كيف كانت معيشتنا هناك ، وكيف كنا نقيم المآدب للزائرين العديدين فى كل أسبوع بل فى معظم الأيام ، وكنا دائما على اســتعداد لهذه المفاجآت السارة لنا • وما كان يدور بخلدنا أنها تكمده فتوغر صدره وتحز فيه ، ولما أن تركنا كفر عشما كنا نتنقل بين المصـــايف والمشاتى وننزل فى فنادقها الكبرى الى أن حضرنا الى القاهرة فنزلنـــا فى فندق مينا هاوس ، لأن بيتنـــا لم يكن معدا لنزولنا بعـد أن نقل أثاثه الى كفر عشما •

ولما أن قررنا العودة نهائيا الى القاهرة أعدنا أثاثنا من كفر عشما الى منزلنا بمصر الجديدة ، ونظرا لاستحداث بعض حجر فيه جددنا بعض الأثاث اللائق بنا • وما كنا فى هذه الأيام حكاما ولا كانت هناك مظنة أن نكون حكاما !!

أما عن منزل جاردن سيتى وتأجيره لنـــا ، فان لذلك قصـــة قد سمعتموها تفصيليا من زميلى وزير المعارف حين أجاب عن السؤال الخاص بذلك أول أمس فلا داعى للافاضة فيها ، ولكن لا بأس من أن أذكر لكم طرفا منها •

ذات يوم حضرت الينا مديرة المعهد الذى كان يشغل هذه الدار ورجتنا أن نتوسط لدى معالى وزير المعارف فى ابقاء المعهد فيها ، وطلبت الينا زيارته • ولما زرناه أعجبت به حقا ، وأظهرت دهشتى كيف تفكر وزارة المعارف فى اخلاء معهد كهذا • وفعلا رجوت معاليه كما سمعتم منه أن يعيد النظر فى هذا الأمر وطلبت اليه أن يزور المعهد بصحبتى فانه عندما يراه لا شك سيعدل عن فكرة النقـــل ، وتحدد للزيارة يوم ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٤٢ ، وفى أثناء الزيارة أوعزت الى مدرسى المعهـد ومدرساته أن يقدموا تظلما كتابيا من هذا النقل الى الوزير •

ولكن الوزير غضب من التظلم الذى وصل اليه وانتوى مجـازاة موقعيه فكلمته بهذا الشأن ، راجيا عدم معاقبتهم لأنى أنا الذى أوعزت اليهم بذلك • ثم كررت له رجائى أن يبقى المعهد فى مكانه فلم يقبل وقال ان النقل قد تقرر من قبل توليه الوزارة وان من المصلحة العـامة توحيد المعاهد المتماثلة فى مكان واحد •

ولما أخفق سعي وأخطرت وزارة المعارف مالكة المنزل بخطاب في ٣ أكتوبر سنة ١٩٤٢ بفسخ عقد الايجار المحـــرر بينهما ابتـداء من ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٤٢ وكتبت المالكة الى الوزارة تطلب اليها تسليم الفيلا ومحتوياتها المبينة بالعقد وبالقائمة الملحقـة به في ١١ أكتـــوبر سنة ١٩٤٢ على ان يكون ذلك بالحالة الجيدة التي تم التسليم بها وطبقا لما هو مشترط في العقد .. بعد ذلك كله اتفقت مع المالكة على استئجار الفيلا لسكنى وتحرر بيني وبينها عقد ايجار مؤرخ ٣ أكتـوبر ســـنة ١٩٤٢ على أن يبدأ التنفيذ في ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٤٢ بالأجرة التي كانت تستأجر بها الوزارة وهي مبلغ ٦٠٠ جنيه سنويا ٠ واتفقنـا على أن تدفع الثلاثة الشهور الأولى للعقد دفعة واحدة عنـــد تسليم الفيلا ، ثم يصير الدفع مقدما شهرا بشهر ٠

ولما حان موعد استلام الفيلا لم تكن قد تمت اعادتهـــا الى الحالة الأولى ولكننا اضطررنا الى اســتلامها طبقا لارتباطنـا بالعقد بينما كانت الاصلاحات تجري فيهـــا بمعرفة الوزارة بنـاء على طلب المالكة وتنفيذا للشروط المحررة بينهما ٠

وقد استدعى الاصـــلاح ترميمات وتعـديلات ألزمت بهـا المالكة والمســتأجر معا فدفعت قيمتها ٨٦٠ جنيها و ٢٣٣ مليما بتحويل مني على بنك مصر نمرة ج ٨٦٥٠٠٢ الى معالي وزير الأشغال في ١٨ مارس سنة ١٩٤٣ ٠ كذلك تركت بالفيلا بعض أشياء من مخلفات المعهد مستعملة وقديمة استحال على المعهد نقلها فدفعت ثمنها حسب تكاليفها ولو أنها لم تكن تساوي هذا الثمن لمرور وقت طويل عليها وسبق استعمالها سنين عديدة ٠ وقد بلغ ثمنها ١٦٠ جنيها و ٧٧١ مليما دفعتـــه بتحويل مني كذلك على بنك مصر الى معالي وزير الأشـــغال في نفس التـاريخ بنمرة ج ٨٦٥٠٠٤

أما من أين لنا ايجار هذا المنزل الجديد ونحن نستأجر منزلا آخر بمصر الجديدة كما يقول صاحب الكتاب .. فاستمعوا ثم احكموا ٠

لكي نستطيع أن ندفع ايجار المنزل الجديد الذي يدعون علينـــا زورا وبهتانا ما يدعون ، اضطررنا الى أن نعيد تأثيث منزلنا في مصر الجديدة ببعض الفائض لدينا من الأثاث مضافا اليه قليل غيره ، وأجرناه الى من يستخدمه لسكنى ضباط الحلفاء بأجر مناسب ، لنستطيع القيام بدفع ايجار المنزلين ، ولتظل عيشتنا في مستواها الطبيعي ٠

أما ما يتحدث به صاحب الكتاب عن دارنا في الاسكندرية ، وتولينا نظارة الأوقاف وبيع منزل سمنود ، وغير ذلك من مفترياته علينا وعلى

ذوينا ومن تربطهم صلة المصاهرة بنا • فسيأتى تفصيل ذلك عند الرد على الأسئلة والاستجوابات الموجهة الينا بشأنها طبقا للطريقة المرسومة فى الدستور الذى هو عماد الديموقراطية ، والحد الفاصل بينها وبين الديكتاتورية سافرة كانت أو مقنعة •

تلك الطريقة التى بها دون غيرها توضع الأمور المتصلة بمثل هذه المناورات السياسية فى نصابها من أقصر طريق ، وفى أقرب وقت ، حتى لا تتعطل شؤون الدولة الهامة زمانا طويلا ، فيلزم كل رجل سياسى طائره ، ويعرف مستقره ومصيره ، وبذلك تستقر الأمور وينصرف الناس جميعا الى العمل المجدى ، بدل هذا الصغار المخزى ، وبخاصة فى الظروف الدقيقة التى تحيط بالعالم أجمع ، سـواء المكتوون مباشرة بنيران هذه الحرب المفجعة ، أو من يكتوون بمصائبها وأوجاعها ومقتضياتها ولو كانوا بعيدين عنها ، حتى يقضى الله بالخروج منها بسلام دائم ، وعدل شامل ، وتعمير عميم •

لقد اضطررت الى أن أكشف عن أسرار حياتنا ، وطريقة معيشتنا ، وتكميل نفقاتنا من طريق حلال مشروع ، حتى لا يأتى متجر بالكذب كمكرم المفترى على الله وعلى الناس ، فيقول « كيف يعيش مصطفى النحاس » ؟

هذا بعض ما افتراه مكرم عبيد مخترع الأباطيل ، ملفق الأضاليل ، على مصطفى النحاس ، وحرم مصطفى النحاس ، وآلهما وذويهمـا •• وقد رأيتم الآن مما تلى عليكم من الوقائع المدعمة بالأسانيد والمستندات ، المعتمدة على الأرقام والتواريخ • ان هذا المفترى قد أمعن فى الاختـراع امعانا ، وافتتن فى الكذب افتتـانا ، ناسيا أنه مهما صـال فى خلق الأكاذيب ، وجال فى الدس والألاعيب ، فان حبل الكذب قصير ، وان ضياء الحق ساطع منير ، تغشى منه الابصار الخاسئة ، وتنقشع أمامه ظلمات القلوب الحاقدة ، متجاهلا أن فى الرؤوس عقولا ، وأن فى الناس ادراكا ، يميز بين الخبيث والطيب ، ويزن بين الرجل العف ، والرجل القلب ، (تصفيق) •• وانه ان فر من ميدان البرلمان ، وتستر وراء الظـلام ، فانا له بالمرصاد ، نكشف عن دخيلته ، ونعلن عن خبيث طويتـه ، حتى يزداد الناس من أمره علما فوق ما يعلمون (تصفيق) •

لقد افترى علينا فى مسألة الفراء ، وجعل أقل من مائة جنيه مئات بل ألوفا ، ثم أمعن فى الافتراء ، فاتهمنا بأننا نستغل الدولة لمصـالحنا ومصالح أهلنا وذوينا •• ثم لم يكن له من ضميره وازع ، ولا من الوقائع الملموسة رادع فراح يتساءل : كيف يعيش النحاس عيشة البذخ والترف

الا أن يكون أثرى من غير طريق الشرف .. ألا ساء ما به كذب ، وسحقا لما خطت يمينه وكتب .

مكرم عبيد .. يتساءل الآن كيف يعيش النحاس هذه العيشة ، ناسيا أو متناسيا ، جاهلا أو متجاهلا ، أن حياة النحاس المعيشية هى هى لم تتغير وأنه يحيا فى غير الحكم وفى الحكم حياة تتناسب مع مكانتـــه ومركزه ، بقدر ما تسمح به حالته ، والستر من الله الرحمن الرحيم ، والفضيحة والخزى على الشيطان الرجيم .

لقد نسى البائس غير الموفق أنه طالما صحبنا فى رحلاتنا فى داخل البلاد وخارجها ، كما صحبنا غيره ورآنا ، واننا كنا نحيا حياتنا كما هى الآن ، ولم تكن اذ ذاك حكاما ولا متوقعا أن نكون حكاما ، ولكنا نعيش بالحلال من مالنـــا ، وبالمشروع من كدنا وتفكيرنا ، لا بوسائل غير مشروعة ، ولا بأساليب غير شريفة .

وننتقل الى حكاية الأوقاف « والتنظر » على الأوقاف .



الفصـل الـرابع

حكاية وقف البدراوى ووقف السيد عبد العال
وحكايات بيع النحاس باشا منزله بسمنود

وقد وجه الأستاذ عمر عمر سؤالا الى النحاس باشا بخصوص ما جاء فى الكتاب الأسود عن بيع النحاس باشا منزله بسمنود لوقف السيد عبد العال الذى يتنظر عليه مستغلا فى ذلك نفوذه الحكومى •

ويكون من بين ما جاء فى رد النحاس باشا على سؤال الأستاذ عمر عمر ما يلى :

أما بصدد بيع منزلى بسمنود وعلاقته ببيع منزل الوقف وما حشاه كاتب العريضة بالمفتريات وتشويه الوقائع وتحريفها ، وخلق ما استطاع خلقه منها ، فليس لدى ما يفند هذه الادعاءات ولا يدحض تلك المفتريات أكثر من الرجوع الى المستندات بل الى الوقائع الصحيحة ملخصة من التاريخ ومن نفس المستندات •

لقد اجترأ مكرم عبيد على كل شىء وادعى العلم بكل شىء ، حتى ليتحدث بلهجة العارف دخائل الأمور ، ثم لا يلبث أن يقيم البرهان من تناقضه واضطرابه على جهله بالأوليات ، فضلا عن انكاره المحسوسات •

لقد نال تنظرنا على الأوقاف وبيع منزلنا بسمنود لوقف السيد بك عبد العال من كتابه الأسود نصيب الأسد ، فأخذ يحبر ويسطر ، ويطول ويكرر ، ويقول وتشاء المصادفات العجيبة ان تبدأ الخطوة الأولى التى أدت الى صفقة بيع منزل

رفعته للوقف الذى هو ناظر فى عهد توليه الحكم فى سنة ١٩٣٧ ، فقد جاء فى محضر محكمة طنطا الابتدائية الشرعية بتاريخ ٢ يونيه سنة ١٩٤٠ أنه كان لوقف المرحوم السيد بك عبد العال عمارة على البحر الأعظم بسمنود وقد أرصد عليها الواقف مبلغا كبيرا وأن العمارة أخذت للمنافع العامة بقرار من هذه المحكمة فى ١٠ أكتوبر سنة ١٩٣٧ ويعلق على هذا بقوله ، اذن فقد نزعت ملكية عمارة الوقف وقدر لها ثمنا سخيا مبلغ ينوف على خمسة آلاف جنيه وكان ذلك فى سنة ١٩٣٧ حينما كان النحاس باشا رئيسا للوزارة وناظرا للوقف فى وقت معا .

يا للاجتراء على الافتراء ، بل يا للمقدرة على الفجر فى الادعاء ؟

استمعوا حضراتكم الى الوقائع بلا تزويق ولا طلاء .

فى ٦ مايو سنة ١٩٣٧ صدر العدد ٣٨ من الوقائع المصرية وبه المرسوم الصادر بتاريخ ٢٢ مارس سنة ١٩٣٧ باعتبار انشاء كوبرى على فرع النيل الشرقى بمديرية الغربية من المنافع العامة وبنزع ملكية الأراضى اللازمة لذلك ومعه كشف ببيان الأراضى وما عليها من المبانى التى تقرر نزع ملكيتها لانشاء مدخل كوبرى سمنود مشروع رقم ٤٢٣٨ ، ومنه يتبين أن الاجراءات التى اتخذت لنزع ملكية ما أدخل فى هذا المشروع من وقف السيد بك عبد العال كانت متخذة فعلا وقت تولى حضرة عبد المعطى افندى حسين الأعصر ناظرا على الوقف فى سنة ١٩٣٦ لا فى مدة مصطفى النحاس .

ووصلت الى نهايتها قبل أن انظر على الوقف فى سنة ١٩٣٧ ولم يستجد عليها شىء حتى أعلن المرسوم فلم يشعر الذين اتخذوا اجراءات نزع الملكية بأن الناظر قد تغير فأعلنوا عبد المعطى الأعصر أفندى بنسخة من المرسوم المشار اليه . وتقدم ضمن ما تقدم من مستندات عدد الوقائع المصرية الذى ذكرناه لعله يدحض الكذاب فيما أفك به وادعاه .

ثم يخلط بين التناقض والكذب مرة أخرى ، اذ يقول فى موضع من العريضة ان المستحقة الوحيدة التى بقيت على قيد الحياة هى السيدة بدر حمودة الاعصر زوجة الواقف المرحوم السيد بك عبد العال ، ويذكر فى موضع آخر أن هنالك

مستحقين آخرين لم يؤخذ رأيهم فى بيع المنزل كطلب المحكمة مع أنهم منتفعون من الوقف •

ولعل فى تناقضه واضطرابه أبلغ رد على افترائه •

لقد غرق البائس فى بحر من الخيال ، أو ان شئتم فى بحر من الخبال ، حينما أخذ يتخيل فجمح به شيطانه وأوحى اليه : أن لماذا لم يبن النحاس باشا ناظر الوقف سرايا للوقف على الأرض الموقوفة التى يعترف بأنه كان مزمعا اقامة بناء سراى عليها الى آخر ما جاد به خياله الذى نشهد أنه خصب كل الخصوبة فى خلق الأكاذيب ، فياض كل الافاضة فى حبك الألاعيب •

لماذا لم يبن النحاس باشا سرايا للوقف ؟؟

اسمعوا حضراتكم منطق المستندات ، بدل منطق الخيالات •

فى ٢١ يونيه سنة ١٩٣٨ تقدمنا الى محكمة طنطا الكلية الشرعية ــ بعد أن تمت عملية هدم سراى الوقف ، وأعددنا العدة لتحضير مشروع البناء وما اقتضى ذلك من شراء منازل أخرى بجوار الفضاء الباقى ليصلح المجموع لبناء السراى المشروطة فى كتاب الوقف ــ تقدمنا بطلب الاذن بانشاء سراى للوقف على الأرض الباقية من أرض سراى المرحوم الواقف والاذن بشراء سبعة منازل مجاورة لها ، وقد جاء فى هذا الطلب أن ناظر الوقف أحرص الناس على مصلحة الوقف ومستحقيه وهو لم يأل جهدا فى البحث عن مكان يبنى عليه سرايا للوقف بدل السراى التى هدمت ، مراعيا انتقاء مكان يكون مجاورا للمكان الذى كانت عليه السراى التى أزيلت تحقيقا لرغبة الواقف • وقد نظر هذا الطلب بجلسة ٩ أكتوبر سنة ١٩٣٨ فى المادة رقم ٣٠٣ سنة ١٩٣٧ ــ ١٩٣٨ وفيها رأت الهيئة ندب قومسيون الأوقاف لمعاينة المنازل المراد شراؤها بجهة الوقف وأجلت المادة لجلسة ٤ ديسمبر سنة ١٩٣٨ ، ثم الى جلسة أول يناير سنة ١٩٣٩ لعدم ورود المعاينات ، واستعجلتها •

وفى هذه الجلسة قال وكيل رفعة الناظر ان وزارة الأوقاف تتعمد تعطيل مصلحة الوقف لأن المادة أجلت مرتين لتنفيذ المعاينة ، وأطلب الى الهيئة اما سحب المأمورية منها

او ان تعتبر هذا آخر تأجيل • وتقرر التأجيل لجلسة ٥فبراير سنة ١٩٣٩ والتحرير الى وزارة الأوقاف باستعجال المعاينة مع اخبارها بأنه سبق التأجيل لذلك • لكن المعاينة لم ترد فى هذه الجلسة أيضا فتأجلت المادة مرة رابعة لجلسة ٢٦ فبراير سنة ١٩٣٩ وجاء فى محضرها أن الهيئة اطلعت على كتـــاب وزارة الأوقـــاف رقم ٤٢٤١ المؤرخ ٢٣ فبراير سنة ١٩٣٩ المتضمن طلب ارجاء النظر فى هذه المادة ريثمـا تتم المعاينـة المطلوبة وقال وكيل رفعة الناظر سبق أن ذكرت بمحضر هذه المادة أن وزارة الأوقاف تعمل على تعطيل السير فيها والقانون صريح فى أنه اذا تأخـــر المهندس أو الخبير أكثر من ثلاث مرات تؤخذ منه المأمورية وتحال على غيره •

ورأت الهيئة مخابرة وزارة الأوقاف لسرعة عمل المعاينة المطلوبة أو رد المأمورية لامكان ندب من يقوم بها ممن سواها من الخبراء وأجلت المادة لجلسة ٢٦ مارس سنة ١٩٣٩ ، وفى هذه الجلسة ورد كتاب الوزارة رقم ٤٦٦٨ المؤرخ ٢٢ مارس سنة ١٩٣٩ ومعه محضر المعاينة الموافق له المتضمن أثمـان المنازل المرغوب شراؤها لوقف المرحوم السيد بك عبد العــال وعددها سبعة وقرر وكيل رفعة الناظر أن رفعة ناظر الوقف سيرجع الى الملاك الراغبين فى البيع وستفيد المحكمة بعد ذلك فأجلت المادة لجلسة ٩ أبريل سنة ١٩٣٩ (وقد اتضح أن الأثمان التى قدرها القومسيون زهيدة جدا لم يقبل أصحاب المنازل البيع بهـا) • وبجلسة ٧ مايو سنة ١٩٣٩ تقدمنـا بالاقرارات التى يرغب أصحاب المنازل البيع بها فرأت الهيئة مخابرة جهة الادارة لاستحضار مالكى المنازل المجـاورة لأرض السراى المطلوب شراؤها وأخذ رأيهم فيما قدموه لوكيل رفعة الناظر من الخطابات الدالة على عـدم رغبتهم فى البيع بالثمن الذى قدرته وزارة الأوقاف بواسطة قومسيونها وعرض الأوراق المذكورة عليهم وأجلت المادة لجلسة ١١ يونيه سنـة ١٩٣٩ وفيها أجلت اداريا لجلسة ١٢ يونيه ١٩٣٩ التى قرر فيهـــا وكيل رفعة الناظر أن رغبة رفعته فى شراء سبعة المنـــازل المجاورة للجزء الباقى من سراى الوقف التى هـــدمت هـــو تحقيق غرض الواقف من جعل السراى على البحر الأعظم وأن التقدير الذى قدرته وزارة الأوقاف اذا ضم اليه موقف الوزارة فى هذه المادة تبين أنها تريد تعطيل شرط الواقف •

وبما أن أصحاب المنازل لم يقبلوا بيع منازلهم بالثمن الذى قدرته الوزارة فالتمس من المحكمة ندب من تثق به لاعادة معاينة هذه المنازل وتحديد ثمنها مع سؤال وزارة الأشغال عن ثمن المتر فى المنازل التى أخذت لمشروع الكوبرى حتى يظهر للمحكمة بجلاء القيمة الحقيقية للمنازل . والذى حدا برفعة موكلى الى تقديم هذا الطلب هو تنفيذ شرط الواقف ورأت الهيئة مخابرة وزارة الأشغال للاستفهام منها عن ثمن المتر من الأرض المجاورة لمشروع كوبرى سمنود والتى أخذتها الوزارة فى هذا المشروع وثمن المتر من البناء وأجلت المادة لجلسة ١٥ أكتوبر سنة ١٩٣٩ وفيها اطلعت الهيئة على كتاب وزارة الأشغال المتضمن أن وزارة المواصلات هى الجهة المختصة بالنظر فى جميع الاجراءات المتعلقة ببناء كوبرى سمنود فتطلب المعلومات منها . وفى هذه الجلسة صمم وكيل رفعة الناظر على طلب موكله وأجلت المادة لجلسة ١٩ نوفمبر سنة ١٩٣٩ لمخابرة وزارة المواصلات وفيها اطلعت الهيئة على كتاب وزارة المواصلات المتضمن أن مصلحة المساحة التفصيلية هى المختصة بالموضوع المستفهم عنه .

ورأت الهيئة مخابرتها وتأجيل المادة لجلسة ١٠ ديسمبر سنة ١٩٣٩ وفيها قررت الهيئة تأجيل المادة لجلسة ٧ يناير سنة ١٩٤٠ لمفاوضة أصحاب الأملاك المراد شراؤها وفيها قال وكيل رفعة الناظر انه امتثالا لقرار المحكمة فى الجلسة الماضية قد فاوض المالكين للسبعة المنازل المجاورة للقطعة الباقية من سراى الوقف فورد من بعضهم ثلاثة اقرارات أقدمها لعدالة المحكمة . ولما كان الطلب المقدم يتضمن أمرين الأول الاذن بانشاء سراى للوقف على الأرض الفضاء الباقية والأرض المحكرة من وقف أبى عنبة ، والثانى شراء سبعة منازل ، فيرى رفعة الناظر وللمحكمة الرأى الأعلى حرصا على مصلحة الوقف وتنفيذا لشرط الواقف أن تتخذ المحكمة الاجراءات بندب من تثق به لعمل رسم على أرض السراى التى نوهت عنها وصرف النظر مؤقتا عن سبعة المنازل حتى لا يضيع الوقت ويمكن الانتفاع بمال البدل . ولكن الهيئة قررت فى هذه الجلسة الموافقة على عدم انشاء السراى الآن للأسباب التى وردت فى قرارها ، ومنها أنه لا توجد ضرورة ملحة تدعو لاجابة الطلب فى هذا الوقت الذى ارتفعت فيه قيمة

مواد البناء الى ضعف ما كانت عليه من قبل وأنه لا مصلحة للوقف ومستحقيه فى الاسراع بانشاء السراى فى هذه الظروف الحاضرة بل المصلحة فى تأخير انشائها ريثما تعود قيم الأشياء الى حالتها الطبيعية •

ولم تكتف حرم الواقف بهذا القرار بل استأنفته أمام المحكمة العليا الشرعية بتاريخ ٥ فبراير سنة ١٩٤٠ وحدد لنظره جلسة ٢ مارس سنة ١٩٤٠ ونظرا لعدم اعلانه قررت المحكمة تأجيل المادة لجلسة ٦ أبريل سنة ١٩٤٠ وفيها فوض وكيل رفعة الناظر الرأى للمحكمة فيما تراه وتأجلت المادة لجلسة ١١ مايو سنة ١٩٤٠ وفيها قرر الحاضر عن المستأنفة التنازل عن الاستئناف فقبلت المحكمة تنازله •

والذى حدا بالمستأنفة الى هذا التنازل هو يأسها من الاذن ببناء السراى وبخاصة بعد اطراد ارتفاع الأسعار بل وتعذر الحصول على معظم مواد البناء الممتازة اللائقة لبناء سراى كهذه ، فاتجهت بنظرها الى السعى فى شراء غيرها •

هذه هى الأدوار ، بل هى الأطوار البعيدة المدى التى مرت على طلب انشاء سراى للوقف بدل التى هدمت ، ومنها يتبين بجلاء لا غموض فيه ، ووضوح لا شبهة فيه ، أننا لم نتوان لحظة ، ولم نضيع فرصة فى طلب الاذن بانشاء سراى للواقف تنفيذا لشرطه وكنا نتعجل الفصل مرارا ، ونلح ونكرر على هيئة التصرفات أن تبت فى هذا الطلب آملين الموافقة عليه لتنفيذ شرط الواقف قبل أن تنشب الحرب وترتفع الأسعار ويتعذر الحصول على مواد البناء •

ولعل فيما تلوته على مسامعكم من النصوص الرسمية مأخوذة من محاضرها الرسمية ، حجرا يلقمه ذلك الأفاك المدعى ، فلا يتساءل بعد الآن لماذا لم يبن النحاس ناظر الوقف على الأرض الموقوفة ؟

أما قصة بيع منزلى للوقف ، فهى قصة يضطرنى ذكرها الى أن أعود بكم الى ماض بعيد ، وتاريخ تليد ، يجرنى اليه افتراء المفترى ، وادعاء المدعى •

ترجع ملكيتى لمنزل سمنود الذى قام له مكرم وقعد ، وهبط من أجله وصعد ، الى ١٥ فبراير سنة ١٩١٤ فقد باعه لى المغفور له والدى فى هذا التاريخ بعقد مسجل فى محكمة الاسكندرية المختلطة فى ١٧ فبراير سنة

١٩١٤ عند ما بدىء الترشيح للجمعية التشريعية ، وفكرت فى أن أتقدم مرشحا وكان من شروط الترشيح أن يكون للمرشح ملك فى الدائرة التى يتقدم عنها ٠

وظل هذا المنزل مملوكا لى ، حتى اذا ما انتقل المغفور له والدى الى جوار ربه فى سنة ١٩٢٠ ولحقت به المرحومة والدتى فى سنة ١٩٢٨ حرر عقد قسمة بين الورثة فى ١٧ فبراير سنة ١٩٣٠ وسجل بمأمورية طنطا المختلطة فى ١٧ أكتوبر سنة ١٩٣٠ وفيه صادق الورثة على الملكية النهائية لى للمنزل المذكور ٠

ولقد كان قسم كبير من المنزل مسدودا من الناحية القبلية ، كما كانت صالته مسدودة من الناحية القبلية كذلك ، ففكرت فى طريقة فيها بعض الترويح فاشتريت من ابراهيم افندى محمد منصور بن المرحوم محمد منصور شفتر حصة من المنزل الذى يجاورنى من الناحية القبلية قدرها ١٣ قيراطا و١٧ سهما و $\frac{1}{7}$ وكان ذلك الشراء فى أول أبريل سنة ١٩٢٨ وسجل عقدها بمحكمة اسكندرية فى ١٨ ديسمبر سنة ١٩٢٨ ، ثم اشتريت باقى حصة هذا المنزل وقدرها ١٠ قراريط و ٦ أسهم و $\frac{6}{7}$ فى ١٢ أبريل سنة ١٩٣٥ من زاكية محمد منصور وسجل العقد فى محكمة الاسكندرية المختلطة فى ٩ مارس سنة ١٩٣٥ ٠

كذلك اشتريت من ورثة المرحوم الشيخ محمد النسيخ فى ٢٣ يونيه سنة ١٩٣١ قطعة أرض فضاء معدة للمبانى متداخلة فى منزلى وتجاوره من نواح ثلاث ، القبلى والشرقى والغربى ، قدرها ٤٠ مترا و ٨٤ سنتيمترا ، سجل عقدها بمحكمة الاسكندرية المختلطة بتاريخ ٤ يوليه سنة ١٩٣١ كما اشتريت من أمين حسن عشرى فى ٢٣ يونيه سنة ١٩٣١ منزله المجاور لمنزلى من الناحية الغربية من جهة الشارع السلطانى ، وسجل عقد الشراء فى ٤ يوليه سنة ١٩٣١ بمحكمة الاسكندرية المختلطة ، واشتريت من ورثة المرحوم مصطفى حسن شلبى دكانا أقيمت عليه مبان من دور واحد بجانب الشارع السلطانى يجاورنى من الجهة الغربية بتاريخ ٢١ مارس سنة ١٩٣٢ وسجل العقد فى محكمة الاسكندرية المختلطة فى ٢٥ أبريل سنة ١٩٣٢ ، ولما فتح الشارع السلطانى وصدر المرسوم بانشائه فى سنة ١٩١٩ واعتمدت خطوط تنظيمه ونزعت ملكية المنزل الملاصق لمنزلى من الجهة البحرية المملوك لمرسى الحبشى وهدم فى سنة ١٩٢٩ ولم يبق منه سوى الحائط ٠٠٠

تجمعت كل هذه العوامل لدى فاتجهت فكرتى بطبيعة الحال الى تجديد منزلى مراعيا التمتع بوجهته البحرية ، وكان الرأى قد استقر على أن يكون

موقع كوبرى سمنود الذى تقرر انشاؤه على امتداد محور الشارع السلطانى لأسباب فنية بينت تفصيليا فى قرار اللجنة المختصة ونزعت لهـذا السبب ملكية عدة منازل وأنشىء خط للتنظيم فى هذا المكان ، فقدمنا طلبا للترخيص لنا بالبناء على خط التنظيم ، ونظرا لوجود زوائد تنظيم المنزل توقف صرف الرخصة حتى اجراءات بيع الزوائد ولم نتم اجراءات مشترى الزوائد الا فى ٢٨ أغسطس سنة ١٩٣٧ وأن لبيعها لنا لقصة ، هى قصة بسيطـــة فى ذاتها ، ولكنها كبيرة فى محتوياتها ، وحسبها أنها تكشف لكل مكـــابر أعمى الحقد قلبه ، فحاول التشكيك فى نزاهة مصطفى النحاس وأن ترده خاسىء الطرف وهو حسير ٠

ولمـا عرض الطلب المقدم منى بطلب شراء زوائد التنظيم على مجلس محلى سمنود ، اقترح أحد حضرات الأعضاء موافقة المجلس على التنازل عنها لى تقديرا للخدمات التى أديتها للأمة عموما ، ولسمنود خصوصا ، ووافق المجلس بالاجماع على هـــذا الاقتراح ، فلما أبلغت هذا النبأ أرسلت الى المجلس أشكر له الروح الطيبة التى أملت عليه هذه الرغبـــة واعتذر عن قبولها ، ودفعت ثمن الزوائد كما يدفعه كل فرد يشترى أية قطعـــة من الحكومة ، لا كما يبيع منزلا منه واليه ، كما يقول صاحب الكتاب الأسود والعقل الأخرق ٠

وانى أقدم فيما أقدم لحضراتكم صورة رسمية من المكاتبات التى دارت بينى وبين المجلس المحلى بهذا الشأن عسى أن يكون مقنعا ، لمن لم يكن حتى الآن قد اقتنع ٠

استطرد بنا الحديث الى ذكر ما ذكرناه ، فلنعد الى المنزل وكيف جددناه ٠

ولعلنى لست فى حاجة بعد أن شرحت لكم ما شرحت ، وبينت لكم بالتواريخ والوقائع ما بينت ، الى أن أقول اننى فى كل هذه الأدوار ، بل تلك الأطوار ، لم أكن حاكما ولا ناظرا على وقف ، ولا جال فى خاطرى أن أتولى فى يوم من الأيام نظارة وقف من الأوقاف ، فابنى منزلى من جـديد لأبيعه لحســـاب الوقف ، فأكسب من ورائه الثروة الطائلة والألـوف المؤلفة ، وآخذ الأسلاب والغنـــائم ، وأضمن الرزق يدر على ، والسكنى بالمجان مدى الحياة ٠٠ ٠٠٠ ولكن هو الحقد الكمين ، والداء الدفين ، يودى بصاحبه الى أسفل سافلين !! فلندع الحاقد يتخبط فى ضلاله ، ويتأرجح فى خياله ، ولنمض فى سرد وقائعنا ، ففيها غنية لنا عن كل سفسطة ، أو خلق أو ادعاء ٠

بعد أن اشتريت من المنازل ما اشتريت ، اتجهت فكرتى بادىء ذى

بدء الى تجديد منزلى مراعيا التمتع بوجهاته ، لكننى عندما هممت بذلك وجدت أن التجديد لن يفيد ، وأنه يحسن بناؤه من جديد ·

ولقد اتجهت نيتنا أولا الى الانتفاع بالمنزل قدر المستطاع مع التعديلات التى يتطلبها هذا الانتفاع · فبدأنا بحفر أساسات السور المقام حول المنزل ولكنا اصطدمنا بعقبات فنية لوجود مجار قديمة تحت الأرض موصلـــة لمجرى النيل ، فوقف العمل وأشار الفنيـــون المختصون ان لا سبيل الى الانتفاع المطلوب الا بهدم المنزل كله وبنائه من جديد ·

وعندما اختمرت لدى فكرة البناء من جديد أخذت فى هدم المنزل وكانت عملية شاقة جدا ، لأن البناء الأصلى كان متينا متداخلا فى الأرض الى أكثر من خمسة أمتار ، ولم نكن متفقين مع أحد المقاولين ، ليعمل لنا بل كان العمل على حسابنا وبمصاريف باهظة من جيبنـا لا نستطيـع حصرهـا · ولا عدها ، فما كنا لنحسب أنه سيأتى يوم يسألنا فيه أمثال مكرم عبيـد كم كلفت بيتك ؟ وبكم بعت بيتك ؟ ولقد استغللت نفوذك ، واستعملت سلطانك ، والله يعلم والأمة تعلم ، انه لمسرف كذاب ··· ···

ولمـا انتهت عملية الهدم وضعنا الأساس أيضا على حسابنا حتى اذا ما انتهينا منه اتفقنا بعد ذلك كله مع المقاول فريد بك المصرى على اتمامه ، وكنا ندقق فى الصغيرة والكبيرة ، ونغير ونبدل عدة مرات ، ليأتى النظام وفق المطلوب ، وحسب المرغوب ، لأننا نبنى لأنفسنا ولسكنانا ، لا للاتجار ولا للاستغلال ، كما يدعى الأفاك الكذاب ·

ولقد ظللت أدفع دفعات مختلفة للمقاول كلما انتهى من عمل حتى اذا ما تجمد على بعد ذلك كله مبلغ كبير ، اتفقت معه على تقسيطه وسددت له بضعة أقساط على سنوات ترون حضراتكم فى المستندات التى أقدمها بعض ايصالات عنها ، ولا يزال له فى ذمتى القسط الأخير حتى الآن يستحق دفعه له فى أبريل سنة ١٩٤٤ والحمد لله على كل حال ·

يكذب مكرم فى جرأة الجاهل أو المتجاهل حينما يقول : (ان حرم المرحوم الواقف لم تكن تسكن بطبيعة الحال الا مع زوجها الذى كان قاضيا فى الأرياف يتنقل من بلد الى أخرى بعيدا عن سمنود وبعيدا عن السراى التى يقول رفعتـــه فى صدق بالغ انها فى حاجة اليها لتقيم فيها بأسرع ما يمكن) ·

نعم يكذب كذبا جريئا وقحا ، فان هذه السيدة لم تقم طول حياتها فى بلد غير سمنود ، حتى انها لمـا هدمت سراى الواقف بنزع ملكيتهـا استأجرت منزلا بسمنود لسكناها ولتنفيذ شروط الواقف به ، وقامت

بدفع اجرته من مالها الخاص . ولسنا نقول هذا خبط عشواء ، أو كلاما يلقى على عواهنه كما يفعل غيرنا ، ولكن صورة القرار الصادر من محكمة طنطا الابتدائية الشرعية بتاريخ ٢١ نوفمبر سنة ١٩٢٧ والتى ترونها ضمن المستندات المودعة لدى حضراتكم تقول هذا قولا صريحا . فلقد جاء فيها أن رفعة ناظر الوقف أذن بصرف مرتب السراى الى الست بدر حمودة الاعصر لانفاقه على ما شرط الواقف انشاءه على الجهات المذكورة بالقرار ، وقد تقدم ناظر الوقف الأسبق راغب أفندى الأعصر وهو شقيق السيدة المذكورة لمحكمة طنطا الشرعية بدعوى قيدت بجدولها نمرة ١٥ سنة ١٩٣١ ـ ١٩٣٢ يطلب فيها حرمانها من استحقاق سراى الواقف لأسباب منها زواجها بغير الواقف وانتقالها معه لجهات أخرى بحكم وظيفته ، وقد ثبت للقضاء بعد بحث وتحقيق أنها لم تترك الاقامة بسمنود ، بل كانت تغادرها أحيانا كما يغادر كل شخص محل اقامته مدة ما بصفة مؤقتة ، وهذا لا يستوجب حرمانها من استحقاقها للنفقة من مرتب السراى ، فلا يكون لزواجها بغير الواقف ولا لخروجها من السراى بصفة مؤقتة أى تأثير لاستحقاقها للنفقة .

ولذلك حكم لها بتاريخ ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٣٢ برفض دعواه . واستأنف الناظر الأسبق هذا الحكم أمام محكمة مصر العليا الشرعية وقيد هذا الاستئناف بنمرة ٦ سنة ١٩٣٢/١٩٣٣ وضم اليه الاستئناف رقم ٢٣ سنة ١٩٣٢/١٩٣٣ وحكم فيهما بتاريخ ٢١ فبراير سنة ١٩٣٣ بالغاء الحكم الابتدائى وعدم استحقاق الست بدر لشىء من استحقاق السراى . فرفعت الست بدر حمودة الأعصر التماسا فى هذا الحكم أمام محكمة مصر العليا الشرعية قيد بنمرة ٨٥ سنة ١٩٣٢ ـ ١٩٣٣ وحكم فيها بتاريخ ٢٣ يناير سنة ١٩٣٤ بالغاء حكم الاستئناف وتأييد الحكم الابتدائى ، ولم يكتف الناظر الأسبق بهذا بل رفع دعواه أمام هيئة تصرفات محكمة طنطا الشرعية قيدت بنمرة ١٤٢ سنة ١٩٣٣ ـ ١٩٣٤ طلب الحكم له فيها بعزل الست بدر حمودة الأعصر من الولاية على صرف ما هو مشروط صرفه بمعرفتها على السراى وأمرها بعدم التعرض للناظر فى ذلك . فحكمت المحكمة فى ١٥ سبتمبر سنة ١٩٣٥ برفض الدعوى واستأنف الناظر الأسبق هذا القرار أمام محكمة مصر العليا الشرعية فرفض الاستئناف وتأيد القرار فى ١٥ فبراير سنة ١٩٣٦ .

اذن كانت حرم الواقف فى حاجة قصوى لبناء دار تسكن فيها وتنفيذ شروط الواقف ، فلما أعيتها الحيلة فى الوصول الى ذلك اتجهت وجهة أخرى وكنا اذ ذاك قد انتهينا من انشاء دارنا فطلبت شراءها وألحت فى طلبها فوقعنا بين أمرين ، أحلاهما مر ... دارى التى بنيتها لسكناى ، هى دار

الذكريات بل دار الطفولة والصبا ، ودار الأم الحنون ، والأب الحدب ، ودار الأخت العزيزة ، والأخوة الأحباء .

ولكني من ناحيه أخرى ، أنا ناظر الوقف المهيمن على تنفيذ شروط وقف ، الموكل الى مصلحة الوقف .. أأعطل شرطه ، وأحول دون تنفيذ جهة خير فيه ؟ أم أعمل ما استطعت ولو ضحيت على أن أرضى الواقف فى ثراه ؟ وأنال بعد ذلك رضا الله ... وأخيرا قبلت أن أبيع دارى ، لاحبا فى مال أقبضه ، ولكن رغبة فى مصلحة للوقف ومستحقيه ، أحققهـا على ألا أفرط فى ذكرى ورثتها عن أبى ، هى لى مذخر وفخر ، فاشترطت فى الموافقة على بيع دارى أن آخذ من بعض ثمنها الأرض التى بقيت من سراى المرحوم الواقف مضافا اليها بعض المنـــازل التى نزعت ملكيتها حتى اذا ما تهيأت الظروف ، وزالت الموانع أنشأت دارا عليها ...

فما كان مصطفى النحاس بالمستهتر بالذكريات ، تلقاء ألوف أو ملايين من الجنيهات ، ولكن الذى لا يعرف الوفاء ، هو ذلك الذى يتلون كالحرباء ، وهو ذلك الذى كان بالامس يرى فى قبول مصطفى النحاس تولية نظارة الوقف تضحية تضاف الى مفاخره وتضحياته ، وأما اليوم فيراهـــا احدى سيئاته ، ألا قاتل الله الغرض ، فهو مرض عضال ، ويا له من مرض .

والى حضراتكم تفصيلات هذه المسألة من واقع المستندات :

تقدمت الست بدر حمودة الأعصر حرم المرحوم الواقف بطلب لمحكمة طنطا الابتدائية الشرعية بتاريخ ٢٨ مايو سنة ١٩٤٠ تطلب فيه الموافقـة على شراء السراى المملوكة لنا بسمنود لجهة الوقف بالكيفية المبينة بالطلب وفيها أن الثمن يكون من مال البدل وبيع الأرض الفضاء والأرض المحكرة وأنقاض السراى التى نزعت ملكيتها .

ولم يسعنا ازاء هذا الطلب ــ وقد رفضت المحكمة انشـــاء سراى للوقف ــ الا أن نوافق عليه .

وطلبنا فى الجلسة الأولى المنعقدة بتاريخ ٢ يونيه سنة ١٩٤٠ سرعة الفصل فى هذه المادة ولم نكن اذ ذاك على رأس الحكومة ولا حاكمين وفى ذلك دليل على أننا نريد الفصل بوجه العدالة ، سواء بالموافقة أو الرفض لأنه لا يعنينا الا تقرير المصير على أى وجه كان .

واستغرق نظر الطلب عدة جلسات حتى قررت المحكمة بجلسة ١٠ نوفمبر سنة ١٩٤٠ معاينة السراى المراد شراؤها لجهة الوقف بمال البدل بواسطة قومسيون وزارة الأوقاف الذى قام بالمعاينة ، وقدر للسراى أرضا وبناء مبلغ ٩٠٤٢ جنيها و٩٢٥ مليما بتاريخ ١٩ ديسمبر سنة ١٩٤٠ .

ولما كانت الطالبة تعرف أنها ستسأل عن رأيها في هذا التقــدير لجأت الى خبيرين استشاريين لتستنير برأيهما فى تقدير ثمن السراى ، فندبت لذلك الدكتور شرينيان المهندس ، كمـــا ندبت مكتب فن العمارة فقاما بالمعاينة والمقاس وحصر المقادير والكميات المكونة منها العمارة ، وقدر لها الأول مبلغا قدره ٣٩٠ مليما و ١١٩٦١ جنيها بتاريخ ٢٥ فبراير سنة ١٩٤١ وقدر الثانى مبلغا قدره ١٢٢٠١ من الجنيهات و١٩٥ مليما ٠

وقررا فى كتابيهما المرافقين للتقريرين أن أسعار الأدوات فى ارتفاع عظيم وأنه لم يحسب حساب فى صعوبة الحصول على أدوات فى السوق مماثلة لمـا فى السراى فى الوقت الحاضر (أوائل سنة ١٩٤١) وأنه اذا أريد بناء منزل كالمنزل المعاين بالمبلغ المقدر لا يمكن مطلقا لتعسر وجـود الأصناف والكميات التى تكون منها هذا المنزل ٠

وقد رأت المحكمة بجلسة ٢٩ أبريل سنة ١٩٤١ عرض التقريرين الاستشاريين المقدمين من وكيل الطالبة على قومسيون وزارة الأوقاف لابداء رأيه فيهما وعمل تقرير تفصيلى لمـا تساويه الأرض والبناء طبقا للأصول الفنية مع بيان أوصاف السراى وعمل مقايسة تثمينية عن كل ما يتعلق بها أرضا وبناء ، حيث ان التقرير الوارد من القومسيون مجمل ولم يشتمل على ما تشتمل عليه عـــادة تقـارير الخبراء فى مثل المأمورية من التفاصيـل الضرورية ٠

وأعيدت المعاينة وتقدم تقرير تفصيلى بتاريخ ٢٢ يوليه سنة ١٩٤١ من القومسيون بالثمن الذى يتفق فى جملته مع ما قدر أولا وأرفق هـذا التقرير بخطاب وزارة الأوقــاف رقم ٦٦٨٩ المؤرخ ١٠ أغسطس سـنة ١٩٤١ ، وقد تبين منه أن القومسيون أهمل ثمن أساسات المنزل ولم يقدر كميتها ٠

ولذلك قررت المحكمة بجلسة ٢ سبتمبر سنة ١٩٤١ مخابرة وزارة الأوقاف لانتداب حضرة المهندس الذى حرر الكشف التفصيلى لتقدير ثمن الأساس واضافته الى الثمن ٠ فقام المهندس بما عهد اليه وعاين الأساسات التى تحت الأرض بواسطة الحفر حولها وجسها والكشف عليها من جملـة مواضع ، وقدم تقريره فى ٢ نوفمبر سنة ١٩٤١ وهو يتضمن ضم مبلـغ ٥٠٠ جنيه الى الثمن وهو قيمـــة مـا ظهر من اعادة المعاينة أنه فرق فى الأساسات ٠ وأرفق هذا التقرير بكتاب وزارة الأوقاف المؤرخ ٣ نوفمبر سنة ١٩٤١ ٠

ويتبين من هذا أن قومسيون وزارة الأوقاف قدر ثمن المنزل بمبلغ ٩٥٤٢ جنيها و٩٢٥ مليما قبل تولينا الحكم ٠

مع ملاحظة أن هذا التقدير كان في سنة ١٩٤١ ، وقد تطورت الأسعار الى ارتفاع كبير عقب هذا التاريخ ، وتعذر الحصول على مواد البناء بل استحال الحصول على بعضها ، ولكننا لم نحسب حسابا لهذه التطورات الفاحشة وقبلنا بيع المنزل بالثمن الذى بيع به وهو عشرة آلاف جنيه بفرق ٤٥٧ جنيها و٧٥ مليما ، وهذا الفرق هو فرق اختلاف فى المساحات باعتراف القومسيون نفسه •

أما رأى المستحقين فخلاصة ما ورد فيه أنه بجلسة ٢٥ يناير سنة ١٩٤٢ حضر وكيل الطالبة وحضر وكيل رفعة الناظر وعرضت المذكرة المقدمة من وكيل رفعة الناظر على وكيل الطالبة ، المتضمنة عدم الحاجة لأخذ رأى المستحقين وقال انه يوافق على ما جاء بها •

هذا ما ورد بمحضر الجلسة •

وقد اقتنعت المحكمة فى هذه الجلسة بما ورد فى المذكرة المقدمة من وكيل رفعة الناظر التى تضمنت أن رفعته يرى أن للمحكمة الحق فى طلب رأى المستحقين اذا كان فى هذا التصرف مساس بهم • أما ورفعته يهمه الوقف ومصلحة المستحقين وعدم المساس باستحقاقاتهم ، وقد رأى رفعته للوصول الى هذه الغاية التى يحرص عليها أن يدبر الثمن بطريق استدانة مبلغ ألفي جنيه من مال البدل لجهة الوقف على أن يسدد مستقبلا على أقساط متناسبة حتى لا يرهق المستحقون ويقول النحاس باشا :

وقد اقتنعت المحكمة بذلك ، كما أن الطالبة صاحبة النصيب فى الاستحقاق وصاحبة الشأن الأول فى مسألة السراى ونص بموافقة بلسان وكيلها ويذكر النحاس أنه تلقى مذكرة من المستحقين بعد نشر الكتاب الأسود جاء فيها •

« يا صاحب المقام الرفيع ـ ان الحسد والحقد الدفين ، وقاك الله شرهما ليقلبان الأوضاع ويصوران الحسنات سيئات ويجعلان من التضحية مغنما ومن الخير شرا ، وأى دليل على هذا أعظم مما سطره يراع ذلك الحسود الحقود فى شأن سراى المرحوم السيد بك عبد العال ، فجعل من تضحيتكم بمنزل له فى نفسكم أعظم الذكريات بمبلغ زهيد ، هو دون ما تكلفه فى سنى الرخاء ليحمل اسمه ، فآثرته على نفسك وقدمت لوقفه منزلا لو جهد الواقف نفسه أعواما وأعواما وحرم مستحقيه سنين وأياما ، ما استطاع أن ينشيء باسم الواقف بيتا يضاهى هذا المنزل فخامة ولا ضخامة ولا موقعا ولا صقعا ، اذ أنه لو عرض للبيع الآن لبلغ ثمنه أضعافا مضاعفة للثمن الذى بيع به لجهة الوقف ، وهذه تضحية كبيرة من رفعتكم خدمة للوقف ومستحقيه ، فأى انسان يرى فى هذا العمل استغلالا لا تضحية وأثرة

لا ايثارا ، اللهم الا انسان أعمى الله بصره وبصيرته وطمس على قلبه فرأى الحسن قبيحا ، والخير شرا ولن يكون ذلك الانسان أحدا فى مصر سوى مكرم ومن لف لفه من الشياطين الماكرين الذين لا يمسون الا فى الظلام ولا يعملون الا فى السواد الحالك •

« ألا فليرح مكرم وعصبته أنفسهم من البكاء أو التباكى على المستحقين فنحن والحمد لله بخير منذ تولى رفعتكم النظر على هذه الأوقاف ، وان ما أقدمت عليه حرم المرحوم الواقف من طلب شراء منزلكم للوقف ليحمل اسم الواقف ويخلد ذكره، كان ذلك بوحى وتأييد منا وقد صادف اتمام هذه الصفقة منا قبولا ورضى وتقديرا واكبارا » •

☆☆☆

ومما يجدر ذكره أننا طلبنا من المحكمة من أول جلسة نظرت فيها هذه المادة وهى جلسة ٢ يونيه سنة ١٩٤٠ ورجوناها سرعة الفصل فيها ، كما كررنا هذا الرجاء فى جلسات أخرى آخرها جلسة ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٤١ حيث طلبنا من الهيئة الفصل فى هذه الجلسة والا فنكون فى حل من عدم القبول ، فليس الذنب ذنبنا فى تأخير الفصل فيها الى ما بعد ذلك ، فقد كان طلبنا هذا فى وقت لسنا فيه على رأس الحكومة ولا محتملا أن نكون حكاما ، أما مسألة التحكير من وقف أبى عنبة فقد ورد ذكرها فى الطلب الأصلى المقدم من حرم الواقف ، وفى أول جلسة من جلسات هذه المادة أى أنها لم تستجد فى جلسة أول مارس سنة ١٩٤٣ كما ادعى بذلك الكذاب الأثيم •

وأما مفردات الثمن فيلاحظ أن ثمن الأنقاض لم يكن من تقديرنا وانما كان بمعرفة لجنة انتدبتها المحكمة الشرعية ، وقد استعمل الكثير منها باذن من المحكمة فى مواد التصرفات رقم ٣٢ و٧٧ سنة ١٩٣٧ – ١٩٣٨ فى انشاء مدفن للفقراء والأغراب تنفيذا لشرط الواقف الذى لم ينفذه النظار السابقون وفى انشاء تسعة دكاكين جديدة وتعمير واصلاح عقارات للوقف كانت مخربة من عهد النظار السابقين وأتى انشاؤها وتعميرها بالخير الوفير ، فقد احتسبت أثمان ما استعمل فى ذلك كله بالثمن الأساسى الذى قدرته لجنة التثمين وهو جزء من الثمن الاجمالى • وان ادارة الوقف باعت جزءا منها قبل اتمام صفقة السراى بناء على اذن سابق من المحكمة الشرعية • ومن هنا يتبين أننا لم نربح من هذه العملية شيئا •

وأما الأرض التي كانت باقية لوقف السيد بك عبد العال والتي يذكر مكرم لها في العريضة ثمنا وفي الكتاب الأسود ثمنا آخر فاليكم بيانها :

١ ـ لم يكن تقدير ثمنها من جانبنا بل كان تقدير لجنة انتدبها مركز سمنود بناء على طلب المحكمة الشرعية .

٢ ـ لم تكن معاينة اللجنة في عهد رياستنا للوزارة بل كان في ١٥ سبتمبر سنة ١٩٤١ أفكان أعضاء اللجنة يطلعون على الغيب ، فيحابوننا على أمل أن سنتولى الحكم وأن المادة ستظل من غير فصل حتى نعود اليه ، مع أن المحكمة قد طلبت أن تتم مامورية المعاينة الى جلسة ١٤ أكتوبر سنة ١٩٤١ ؟

أما فيما يتعلق بالفرق بين ثمن الأرض التي أقيم عليها منزلنا والأرض التي بقيت من سراى المرحوم الواقف ، فلا أجد ردا على ما افتراه المفترى أبلغ مما قرره أعضاء اللجنة التي قامت بالمعاينة في يوم ١٥ سبتمبر سنة ١٩٤١ حيث قالوا حرفيا :

« ان هذه القطعة مستطيلة الشكل مع عرض ضيق لا يتناسب مع طولها وهي من قسمين أحدهما شرقي مستطيل طوله ٣٦ مترا و٧٠ سنتيا والآخر قبلي مستطيل طوله ٢٤ مترا ، والوجهة البحرية فيها ٦ أمتار و٦٠ سنتيا ، ووجهتا القطعتين غير مرغوب فيهما عادة لعدم جودة هوائهما » .

فهل يقول عاقل ان قطعة هذا شأنها تتساوى في الثمن مع قطعة أخرى مربعة الشكل تقع على ميدان فسيح وأربعة شوارع ولا يحجب هواءها أو ضوءها حجاب ؟ ومن ذا الذي يقول ان قطعة مكونة من قسمين طول أحدهما ٤٤ مترا وعرضه ٧ أمتار والآخر طوله ٢٦ مترا ونصفا وعرضه ستة أمتار ونصف وليس لها الا وجهتان غير مرغوب فيهما تساوى في الصقع والثمن لقطعة وحدة طولها ٣٥ مترا وعرضها ٢٣ مترا تقريبا في أحسن صقع وأجمل موقع ؟ اللهم الا أن يقول ذلك مكرم... وهو لا يعلم أننا اشترينا بعض الأملاك التي أقيمت على أرضها هذه السراى بعد أن أزلنا ما عليها من مبان متخربة ومتهدمة بثمن يزيد على ستة جنيهات مصرية للمتر الواحد .

وكذلك تقدير ثمن المباني المقامة على الأرض المحكرة من وقف أبي عنبة فهو يدخل ضمن التقدير الذي تم في ١٥

سبتمبر سنة ١٩٤١ بمعرفة اللجنة التى انتدبها مركز سمنود بناء على طلب المحكمة الشرعية ، وغاية ما فى الأمر أن تقديرها كان جملة واحدة للأرض والمبانى ، فأعادت المحكمة المأمورية للجنـــة لتوضح بالتفصيل ثمن المبانى على حدة ، والأرض على حدة .

على أننى قد تحملت مبلغا قدره ١٩٣ جنيها و٦٠١ مليم نظير احلالى محل وقف السيد بك عبد العال فى حق تحكير أرض وقف أبى عنبـة مع قيامى بسداد الحكر السنوى عن هذه الأرض .

أما عن مبلغ ١٣٢٠ جنيها الباقى من الثمن ، فلا اجد ردا أبلغ من أنى قبلت تأجيله وتقسيطه تيسيرا على الوقف فى الدفع ، ناظرا الى عدم ارهاقه أو تعطيل شىء من مصاريفه ، مع أن الوقف قد وضـــع يده على هــذه العمارة واستعملها فيما خصصت له من سـكن حـرم الواقف وايواء الضـيوف والأغراب واحياء ليالى المواسم والأعياد ، عقب توقيع الصيغة الشرعية مباشرة كما انتقلت اليه ادارة الوقف .

أما قوله ان المنزل فى الوقت الحاضر لا يساوى أكثر من ٣٥٠٠ جنيه أو ٤٠٠٠ جنيه على أقصى تقدير ، فهو قول هراء ، ويكفى لتفنيده أن تقدير قوميسيون وزارة الأوقاف الذى وقع فى أوائل سنة ١٩٤١ كان تقديرا مبنيا على أساس المعاينات والمقاييس وحصر الكميات من الطبيعة وتقدير الأسعار بحسب دفاتر الوزارة فى ذلك الوقت التى كانت تعطى بها أشغالها للمقاولين عن أبنية عادية تنشئها لغرض الاستغلال أو لسكنى صغار الموظفين ، وأن تقدير الخبيرين المنتدبين من قبل حضرة السيد حرم الواقف ، لا من قبلنا كما يقول الكذاب ، كان مبنيا كذلك على أســاس معاينتهما بالطبيعة وتقدير الكميــات بعد الحصر والقياس بالأسعار التى كانت سائدة وقت التقدير .

وقوله انه اذا احتسبت التكاليف الفعلية حين بنائه فى سنة ١٩٣٧ فانها لن تزيد على ٣٥٠٠ جنيه ، فهو قول لا يصدر الا عن جرىء ، يكابر فى المحسوس ، فاجر لا يبالى بما يقول .

أما أكذوبة المائة جنيــه التى يزعم اننى اقبضها شهريا لانفاقها على حاجات المنزل بصفتى ناظرا للوقف ، فاليكم الدليل على امعانه فى الاختلاق والادعاء ، والكذب والافتراء .

شرط المرحوم الواقف أن يصرف للسراى سكن حضرة المشهد وحرمه وخدمها كل شهر مائة وعشرون جنيها مصريا فى ثمن قمح وأرز ومسلى وسكر وشمع ولحم وصابون وغاز وخلافه من مأكول ومشروب حرم حضرة الواقف والعائلة التى معهـا والفقهـاء المرتبين من قبل المرحوم والده عبد العـال وماهية الطاهى ومساعد له والفراش والقهوجى وسقا للمياه وبواب وخفير ليلا ، ويكون الصرف على ما ذكر بمعرفة الست بدر حرم المشهد المذكور كريمة المرحوم حمودة بك الأعصر الشهيرة بذلك مدة حياتها ، وبعد وفاتها يكون بمعرفة من يكون ناظرا على الوقف المذكور •

ومن هذا النص يتبين أن مرتب السراى يصرف بمعرفة حرم الواقف ما دامت على قيد الحياة ، وهى ما زالت ولله الحمد على قيد الحياة (تصفيق حاد) متمتعة بكامل الصحة والعافية ، وقد جاء ذكرها كثيرا على لسان المضلل ، وما ذلك الا دليل حسى على افترائه وبهتانه ، ولا يزال المرتب يصرف اليها وهى تنفقه على ما شرطه الواقف •

ومما يجدر ذكره أن السيدة المذكورة كانت محرومة من هذا الاستحقاق فى عهد تنظـر شقيقها حضرة راغب أفنـدى الأعصر ، الذى كان ناظرا على هذا الوقف والذى استمر ناظرا من عهد وفاة الواقف فى سنة ١٩٢٧ الى أن عزل فى سنة ١٩٣٥ وقامت بينهما منازعات طويلة ومتعـددة بشـأن هذا الاستحقاق أمام القضاء بين الشرعى والأهلى ، ووصلت الى أعلى درجات القضاء •

وقد ذكرنا فيما سبق بعض أدوار النزاع أمام المحاكم الشرعيـــة الذى انتهى باستحقاقها لمرتب السراى ليصرف بمعرفتها •

أما أدوار النزاع أمام المحاكم الأهلية فتتلخص فى أن السيدة المذكورة رفعت دعوى أمام محكمة طنطا الأهلية تقيدت بجدولها تحت رقم ١٣٨ سنة ١٩٢٩ كلى طلبت فيها الحكم لها بالزامه بدفع مبلغ ٢١٦٠ جنيهـا مرتب السراى من تاريخ وفاة الواقف لغاية نوفمبر سنة ١٩٢٨ ومبلغ ٣٦٠ جنيها مرتبها الشخصى عن هذه المدة وما يستجد من مرتبها الشخصى بواقع ٢٠ جنيها شهريا ومن مرتب السراى بواقع ١٢٠ جنيهـــا شهريا من أول ديسمبر سنة ١٩٣٨ •

فحكمت محكمة طنطا بتاريخ ٨ مارس سنة ١٩٣٠ بالزامه بأن يدفع للست بدر ٣٨٠ جنيها متجمد مرتبها الشخصى من يوليه سنة ١٩٢٧ لغاية يناير سنة ١٩٢٩ و٢٠ جنيها شهريا من أول سبتمبر سنة ١٩٢٩ واحالة الدعوى على التحقيق فيما يختص بمرتب السراى .

فاستأنف الطرفان هذا الحكم بالاستئنافين رقمى ٧١١ و١٠١٢ سنة ٤٧ قضائية .

وحكمت محكمة الاستئناف بتاريخ ٢٩ يناير سنة ١٩٣٥ برفض الاستئناف المرفوع من الناظر ، وفى استئناف المستحقة بتأييد الحكم المستأنف بالنسبة لما قضى به من الزام الناظر بأن يدفع لها مرتبها الشخصى البالغ ٢٠ جنيها شهريا ، على أن يكون بدء استحقاقها له أول فبراير سنة ١٩٢٩ وبالنسبة لمرتب السراى بالزام الناظر راغب أفندى الأعصر بصفته بأن يدفع للست بدر حمودة الأعصر مبلغ ٥٦٤٠ جنيها قيمة باقى المرتب عن المدة من أكتوبر سنة ١٩٢٩ لغاية مايو سنة ١٩٣٤ والزامه بأن يودع خزانة محكمة مصر الأهلية ٦٣٠ جنيها قيمة مرتب السراى عن المدة من يونيه سنة ١٩٣٤ لغاية نوفمبر ١٩٣٤ مع ما يستجد من هذا المرتب بواقع الشهر الواحد ١٠٥ جنيهات الى أن يفصل نهائيا فى الدعوى الشرعية المرفوعة بطلب عزل الست بدر من ولايتها على مرتب السراى مع الزامه بالمصاريف والأتعاب .

وقد طعن راغب أفندى الأعصر فى هذا الحكم بطريق النقض فى ١٢ مارس سنة ١٩٣٥ وحكمت محكمة النقض والابرام المدنية بتاريخ ٥ يناير سنة ١٩٣٦ فى هذا الطعن المقيد بنمرة ٢٨ سنة ٥ قضائية وبجدول النيابة نمرة ٤٤ سنة ٣٥ بقبول الطعن شكلا وفى الموضوع أولا برفض الطعن فيما قضى به الحكم المطعون فيه خاصا بمرتب الست بدر الشخصى وبرفضه كذلك فيما قضى به من مرتب السراى بالنسبة لمبلغ ٦٤٥ جنيها و٧٠٠ مليم الذى أقر الطاعن بأحقية الست بدر فيه على أنه هو الباقى المستحق لها لغاية ديسمبر سنة ١٩٣٣ وثانيا بنقض الحكم المطعون فيه فيما زاد عن مبلغ ٦٤٥ جنيها و٧٠٠ مليم المذكور من مرتب السراى من مبدأ استحقاقه واعادة القضية لمحكمة استئناف مصر للفصل فى ذلك وفى المصاريف الخاصة به بما تراه من جديد ، وثالثا بالزام الطاعن بثلثى مصاريف هذا الطعن والزام الست بدر المطعون ضدها بالثلث الباقى ثم بالمقاصة فى أتعاب المحاماة أمام هذه المحكمة .

وقد عجلت الست بدر حمودة الأعصر الاستئناف فى مواجهة عبد المعطى أفندى الأعصر الناظر السابق وطلبت بعريضتها المعلنة فى ٢٩

يناير سنة ١٩٣٦ الحكم فيما يختص بمرتب السراى بالغاء الحكم المستأنف والزام المستأنف عليه بأن يدفع لها مبلغ ٦٩٨٩ جنيها و٣٠٠ مليم قيمة الباقى لها من هذا المرتب حتى ديسمبر سنة ١٩٣٥ مع ما يستجد ابتداء من يناير سنة ١٩٣٦ بواقع ١٠٥ جنيهات شهريا وقيد هذا الاستئناف برقم ٢٩٦ سنة ٥٣ قضائية .

وبجلسة ١٠ مارس سنة ١٩٣٦ طلب راغب أفندى الأعصر الناظر الأسبق دخوله خصما فى الدعوى ، اما بصفته الشخصية أو بصفته ناظرا سبق عزله وقررت المحكمة قبوله خصما فى الدعوى .

وبتاريخ أول يونيه سنة ١٩٣٦ حكمت المحكمة بندب خبير لمراجعه حساب الناظر الأسبق (راغب أفندى الأعصر) .

وبتاريخ ٣ يناير سنة ١٩٣٧ أدخلنا فى هذا الاستئناف على أثر عزل عبد المعطى أفندى الأعصر من النظارة وباشر الخبير مأموريته وقدم تقريره لمحكمة الاستئناف ، وقال فيه ان راغب أفندى الأعصر أهمل وقصر كثيرا فى أثناء ادارته للوقف وخالف قرارات لجنة المحاسبة ...

وقدمنا مذكرة فى هذا الاستئناف لجلسة ٢٤ ابريل سنة ١٩٤٠ أثبتنا فيها عدم الزام الوقف بأى حق من حقوق المستأنفة وعلى أثر وصول هذه المذكرة قررت المستأنفة فى مذكرتها ردا على ما جاء بهــذه المذكرة بأنها تقصر طلباتها على مدة نهايتها أكتوبر سنة ١٩٣٥ « أى لغاية عزل راغب أفندى الأعصر من النظر فى الوقف » .

ولكن الاستئناف ما زال منظورا الى الآن وكان مؤجلا أخيرا لجلسة ٢٨ ابريل سنة ١٩٤٣ وفيها تنازلت المستأنفة عن مخاصمة رفعة ناظر الوقف وقصرت طلباتها ضد شقيقها الناظر الأسبق ، وقد اضطرت الست بدر حمودة الأعصر فى عهد تنظر شقيقها راغب أفندى الأعصر الى أن ترفع ضــده دعوى حراســـة قضائية على الوقف لتتمكن من قبض استحقاقها واستحقاق السراى (وهى القضية الأهلية نمرة ٣٢٦٤ سنة ١٩٣٤ المحلة الكبرى المستأنفة بنمرة ٢٩٧ سنة ١٩٣٤ أمام محكمة طنطا الأهلية) .

ولما أقيم عبد المعطى أفندى الأعصر ناظرا مؤقتا لهذا الوقف حرمها من هذا الاستحقاق مدة ثلاثة أشهر مع انه لم يمكث فى التنظر على الوقف سوى سنة واحدة .

ولما تعينا فى النظر صرفنا اليها هذا المرتب ولا يزال يصرف اليها حتى الآن ، وعندما أزيلت سراى الوقف القديمـــة بناء على قرار المحكمة الشرعية فى ١٠ أكتوبر سنة ١٩٣٧ بسبب نزع ملكيتها وأقامت حرم

الواقف في منزل آخر استأجرته في سمنود عرض الأمر على هيئة التصرفات بمحكمة طنطا الشرعية لتقرر ما تراه بشأن هذا الاستحقاق الذى جعله الواقف للسراى وفوضنا الرأى للمحكمة فى ذلك ، فقررت بتاريخ ٢١ نوفمبر سنة ١٩٣٧ فى المادة رقم ١٦٢ سنة ٣٦/٣٧ الاذن لنا بصرف المرتب المذكور الى الست الطالبة (الست بدر حمودة الأعصر حرم الواقف) لانفاقه طبقا لشرط الواقف على الجهات المذكورة ·

ومن هنا يتبين أن هذا المبلغ يصرف فى عهد تنظرنا الى السيدة المذكورة سواء كان قبل ازالة السراى القديمة أو بعد ازالتها ، وقبل أو بعد بيع منزلنا لجهة الوقف ·

وفى الوقت الذى نزعت فيه ملكية سراى المرحوم الواقف لم نكن قد فكرنا بعد فى انشاء منزل جديد لنا ، حتى يتدرج التفكير الى بيعه للوقف بل كان فى هذا الوقت لا يزال منزلنا القديم على حاله

أما حق السكنى وان كان منصوصا عليه فى كتاب الوقف ، الا أننا لم نستعمل هذا الحق ترفعا منا ، واذا قصدنا الى سمنود فلا ندخل منزل الوقف الا للاشراف على ادارته وللنظر فى مصالحه وتصريف شئونه ، واذا دعا الأمر الى الاستراحة أو المبيت ففى بيت شقيقى أو بيوت أحد أصهارى العديدين ·

وليسمع الكل ، مؤيدون ومعارضون ، ما قالته لجنة فحص حساب الوقف عن سنة ١٩٤٢ فى محضر جلستها المؤرخ ٧ فبراير سنة ١٩٤٣ وفى تقريرها المرفوع لحضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمد أحمد عوض رئيس محكمة طنطا الشرعية بتاريخ ٢٨ فبراير سنة ١٩٤٣ والمصدق عليه من فضيلته بتاريخ ١٠ مارس سنة ١٩٤٣ قبل أن يظهر فى الوجود ذلك المولود ، الذى يسمى بالكتاب الأسود ، وقبل أن يعرف الناس شيئا عن ذلك الكتاب ، البغيض عن بيع منزلنا لجهة الوقف ، وقد قالت اللجنة ما قالته بعد معاينة دقيقة وفحص وتنقيب ، لا عن سماع وظن وتخمين

« وما راء كمن سمع » ·

واليكم ما قالته حرفيا :

« وقفت اللجنة على الشروط الواردة بكتب الوقف والتغيير مما دل على حرص الواقف الشديد وتمسكه بوجود سراى للوقف · وقد أرصد عليها مبالغ كبيرة يصرف بعضها على حرمه وحاشيته وبعضها فى سبيل البر والاحسان وجعلها سكنا لحرمه وللضيوف ، ومقرا لتلاوة القرآن ودلائل الخيرات واحياء المواسم والأعياد ·

وقد شاهدت اللجنة بنفسها وبكامل هيئتها السراى التى آلت للوقف وتبينت كل ما فيها ، وترى أن ما ورد بالاشهاد الشرعى دون ما عليه السراى من فخار ومن عظمــة ، وأن الوقف قد ربح ربحا وفيرا بهــذه الصفقة · وأنه لو أريد الآن بناء مثل هذه السراى لبلغت التكاليف أضعافا مضاعفة لذلك الثمن الذى بيعت به · على أنه يستحيل استحالة مادية الحصول على ما اشتملت عليه من مواد وأدوات ، فمعظمه استورد من أنقى ما يرد من الخارج ·

هذا الى التضحية العظيمة التى ضحاها رفعة الناظر ، اذ نحس جميعا بأن الحرص على تراث الآباء ومسقط الرأس صفة لازمة للانسان وغريزة متأصلة فيه ، ولا يضحى بكل هذا ولا يؤثر غيره على نفسه الا من امتلأ قلبه بالايمان ومن ساير صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ·

« ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » ·

على أنه فوق هذا وذاك نرى أن رفعته قد ضحى بمبلغ وفير لمصلحة الوقف والمستحقين ، اذ تنازل حفظه الله عن نحو ألفى جنيه مما قدره الخبراء فى سنة ١٩٤١ بل فى مستهلها ـ ولا يضحى بهذه التضحيات العالية الغالية الا مثل رفعة الناظر الذى أؤتمن على حقوق ملايين البشر ، فأدى الأمانة حقها (تصفيق حاد) واذا راعينا أن شرط الواقف كان يعطل حتما بالسراى لو لم يتقدم رفعة الناظر بهذه المكرمة ، اذ قد ثبت أنه قدم طلبا فى سنة ١٩٣٧ لبناء سراى بدل التى أخذت للمنافع العامة واستمر نظره حتى رفض فى سنة ١٩٣٩ لتعذر البناء ـ اذا راعينا هذا حكمنا بعظم ذلك العمل الجليل الذى أنقذ به رفعة الناظر انهيار شرط أساسى من شروط الواقف الذى قصد به تخليد ذكراه ·

واللجنة ازاء هذا كله تجد نفسها عاجزة عن أن تقدم لرفعة الناظر ما يستحقه من اجلال واكبار ـ وانها لتتوجه الى الله العلى القدير أن يكلأ رفعته بعين رعايته ، وأن يحفظه ذخرا للفقراء والمساكين ، وأن يشمل بعنايته من عاونه فى هذه الصفقة ، فلكل من ساهم فيها وسهل أمرها أجر عظيم ··· » ·

واننى مع اجلالى للقضاء كما قلت وارتفاعى به عن أن يكون محل شبهة أو نقاش أو جدال ، فها هى ذى قضية بيع منزلى للوقف التى أشرت اليها وشرحت ما جاء بها من تصرفات ، أودعها مكتب مجلسكم المحترم للاطلاع عليها واستخراج الحقيقة الناصعة منها ·

بعد الذى تلى عليكم اليوم مدعما بمستنداته ، مستخرجا من سجلاته ، وبعد ما سمعتموه فى الأيام الماضية منى ومن زملائى المفترى عليهم ، من حقائق ناصعة ، وحجج دامغة قاطعة ، بل وبعد الذى ستسمعونه فى حينه ، وتطلعون عليه من تفنيد افك المرتاب ، وتكذيب المسرف الكذاب ... بعد كل ذلك ، أظن أنه لم يبق بعد فى هذا البلد رجل يزن الرجال ، ويحكم على الأشياء ، ويتجرد عن الغرض ، ويبتعد عن مواطن الريب ، الا ويبرأ الى الله والى الوطن ، والى الناس من مكرم الذى كان أول من سمى نفسه الدساس .

لقد طار من المسكين كرسى الوزارة ، وكان له فيه المغنم والامارة ، وفقد مركزه فى الوفد ، وكان فيه المقرب والمدلل ، فطاش عقله وطار صوابه ، فعمد الى كل حيلة ، ولجأ الى كل وسيلة ، عسى أن يعود اليه بعض ما كان عليه ، فلما فقد الأمل ، وأعيته الحيل ، غلبت عليه طبيعته ، واستولت على عقله شهوته ، فأخذ يلقى التهم على أشراف الرجال ، ذات اليمين وذات الشمال ، واختص زعيمه الذى كان بالأمس يقدسه ، بما ظن أنه يدنســـه ، ورمى زملاءه الذين كانوا لديه الأطهـــار الأبرار ، بأشنع الأوحال والأقذار ، ولم يسلم منه عمل خيرى ولا مشروع يقصد به وجه الله ... الا ما أضله وما أغواه ، حتى أعمال الخير والبر لم تنج من لسانه وأذاه !!!

لقد ركب رأسه ، فخسر نفســـه ، وفقد حســـه ، وأصبح انسانا اصطلاحيا ليس له من الانسان الا اسمه ، وهيكله ورسمه ، أما العقل ، أما الضمير ، اما الوازع ، أما الخلق ، أما شرف الرجال ، أما الصدق وتحرى الوقائع ... فذلك شىء مضى وانقضى ، وأصبح اليوم فى خبر كان ... (تصفيق حاد) .

يحكى أنه كان فى مصر رجل يسمى مكرم عبيد ، نال من السهرة أقصاها ، ومن الثقة به منتهاها ، قربه رئيسه ، واصطفاه زعيمه ، وظل يدفعه ويرفعه ، حتى سول غروره أنه بلغ القمة ، وأن لا أحد فوقه ، فطغى وبغى ، وآثر المصلحة الدنيا ، واستغل كل شىء لشخصه ، حتى سقط من حالق ، مهشم الرأس ، مضعضع العقل ، مضطرب الحواس ، فلما أفاق ، لم يجد الا الذى أكرم مثواه ، وقربه وآواه ، يعض فيه بنابه ، ويسود بسببه صـــفحات كتابه ، ويرميه بالكذب والافتراء ، والاختراع والادعــــاء .

كان فى العاملين لمصر رجل يسمى بهذا الاسم ، فامحى من السجلات هذا الرسم — رحمه الله .

وان ما سمعتموه حضراتكم الليلة طرف من قصة طويلة عريضة ، وحملة ساقطة دنيئة ، دبرت للنيل من مصطفى النحاس ، وزملاء مصطفى النحاس ، وتلويث سمعتهم ، والولوج فى طهارتهم ، ولكن أنى للمحاولين ذلك ؟ وصحائفنا بيضاء ، ناصعة لا شبهة فيها ، وثقة الشعب العارف بأقدار الرجال تحوط بنا ، وتأييدكم ممتليه يغمرنا ، والله فوق هذا كله حافظنا وراعينا ، من كل ضر يراد بنا ، أو سوء يدبر فى الخفاء لنا .

(ربنا عليك توكلنا ، واليك أنبنا ، واليك المصير) .

ويوجه النائب المحترم اسماعيل رمزى باشا الى رفعة النحاس باشا السؤال التالى :

« ذكر مكرم عبيد باشا فى كتاب وزعه وفى العريضة التى رفعها الى حضرة صاحب الجلالة الملك أنكم باستغلالكم لنفوذكم تعينتم ناظرا على وقف البدراوى باشا كما ذكر وقائع أخرى وتفاصيل فى هذا الموضوع فهل لمقامكم الرفيع أن يجلو وجه الحقيقة فى هذا الأمر ببيان يرد الأمور الى نصابها » .

ويعيد النحاس باشا مرة أخرى ما ذكره مكرم عبيد باشا فى كتابه الأسود عن هذه الواقعة ، ثم يقول :

قبل أن أخوض فى هذا الحديث أكرر لحضراتكم ما سبق أن قلته فى مثل هذا اليوم من الأسبوع الماضى وردا على سؤال وجه الى بشأن بيع منزلى بسمنود للوقف ... أود أن أكرر لحضراتكم أن مكرم عبيد وقد كان وزيرا ومحاميا وكان الى آخر الألقاب والصفات ، لم يتورع فى عبارة بذيئة ومنطق أعوج واستنتاج أخرق ، عن أن يتعرض لسمعة القضاء والأحكام نهائية فصل فيها القضاء وهو يعلم أن الدستور قد فصل بين السلطات ، وانى لأقولها صريحة مدوية فى قاعة هذا المجلس المحترم ان القضاء لن يضيره أن يمسه مكرم عبيد ببذاءة لسانه ، واننا لن نبتئس بما فعل مكرم عبيد أو يفعله فقد انكشف أمره ، وانفضح ستره ، وأضحى هو وكتابه الأسود حديثا يشمئز منه ، وصونا تنصرف الأسماع عنه .

لقد ظل أياما طوالا وليالى حالكة الظلمات يخترع من أباطيله ، ويحبك من أضاليله ، بما ظن أنه يحدث فى النفوس أثرا ، ويبلغ به أمرا ، واذا به بعد كل ذلك التعب المضنى

والأمــل الخلب لا يجد من ورائه الا السراب ، ولا يتقلب الا في التراب ٠

كتب عـن كل شيء : ولفق في كل شيء ، وكذب في كل ما ادعى ، حتى ضل وغوى ، ولكن ذكاءه المصطنع الذي ظل يخدع به طويلا قد خانه في هذه الفرية الدنيئة ، والكذبة الوضيعة ٠

والى حضراتكم الوقائع من مستنداتها وسـجلاتها بل وقضاياها التي قال فيها القضاء كلمته الأخيرة ، ولتوقنـوا أنني حفظا لحق الدسـتور واحتراما لنصوصه لن أتعرض لما فصل فيه القضـاء الا بقدر ما يتبين به وجه الحقيقـة ، فاسمعوا ثم احكموا ٠

لوقف البدراوي قصة يرجع تاريخها الى سنين مضت ، وعهود مختلفة انقضت ، فلقـد تعاقب عليه طبقـا لشرط الواقف نظار عديدون ، فيهم المحسنون ومن بينهم المسيئون ، وما كنت وأنا ابن سمنود لأهتم كثيرا بشؤون هذا الوقف والمستحقين فيه ـ لا لأن عاطفتي نحو أبنـاء بلدي ومسقط راسي قد قلت ، ولكن لأنني مذ حملت الأمانة بعد سـعد ، وخلفته على رياسـة الوفد كنت أنا وزملائي الذين يعملون معي نخرج من حرب الى حرب ، ومن انقلاب الى انقلاب ٠

وكانت الشكاوى من المستحقين في هذا الوقف تترى علي ، والظلامات من المحرومين ترفع الي ، ذاكرين فيها وقائع تغضب لها النفوس العفة ، وتتألم لذكرها القلوب الرحيمة ، وكنا نناضل أبطال الانقلابات السـياسية ، والمتألبين على الدستور ، والماسخين نصوصه والمستبدليه بسواه ، حتى اذا ما انتصرت كلمة الأمة ، وانجاب عنها ما كانت فيه من غمة ، تقـدم مستحقو وقف البـدراوي والذين يهمهم أن تصرف خيراته الكثيرة فيما رصدت له ـ تقدم كل هؤلاء وأولئك يرجون في الحاح ، ويلحون في رجاء أن اقبل التنظر عليه ، وقدموا الى محكمة طنطا الشرعية طلبا يطلبون فيه تعييني ناظرا مؤقتا على هذا الوقف حتى يفصـل في أمر عزل علي المنزلاوي بك نهائيا ـ وكان اذ ذاك ناظرا على الوقف ونسبت اليه تهـم كثيرة في تصرفاته ومخالفتـه شروط الوقف ،

ورفعت عليه عدة قضايا فى هذا الشأن ونسب اليه اغفاله وجهات الخير المنصوص عليها ٠

وفى أول مارس سنة ١٩٣٦ ، قررت محكمة طنطا الشرعية عزل على المنزلاوى بك من النظر ، وأرسلت الى كتابا من فضيلة رئيسها تطلب الى فيه أن أقبل التنظر على هذا الوقف تلبية لرغبة المستحقين وخدمة لأبناء بلد ولدت فيه ونشأت بين أهليه ، وجاءنى أبناء سمنود منهم المستحق فى هذا الوقف وغير المستحق يلحفون فى الرجاء أن أقبل هذه النظارة برا بهم ، وحرصا على الخيرات التى اشترطها الواقف لجهات متعددة ، فلما اعتذرت اليهم لكثرة ما لدى من المهام والأعمال ألحوا طالبين تضحية جزء من الوقت لهم فهم أولى بخدماتى قبل غيرهم ٠

وحسبى هنا أن أتلو على مسامع حضراتكم نص الخطابين المتبادلين بينى وبين رئيس محكمة طنطا الابتدائية الشرعية فى ذلك الوقت ، ومنهما تتبينون أن مستحقى الوقف من علماء وأعيان سمنود وأبى صير - بلد على المنزلاوى بك - هم الذين سعوا الى وألحوا على ، وأننى قبلت لا طمعا فى مال ، ولا سعيا وراء منفعة الا منفعة المستحقين وتنفيذ شرط الواقف للفقراء والمساكين ، ورضا الله رب العالمين ٠

حضرة صاحب الدولة الرئيس الجليل ٠

السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد : فاظن أنه قد وصل الى علمكم ما آل اليه وقف المرحوم البدراوى باشا ، وأن محكمة طنطا عزلت صاحب العزة على المنزلاوى بك من النظر عليه ، وأفيدكم أنه قد تقدم بطلب النظر ثمانية أشخاص من بينهم أولاد ابن الواقف سيدتان ورجل - وغير خاف على دولتكم أن الوقف كبير وكله خيرى ما عدا مرتبات لذرية الواقف ، ولا يصلح للنظر عليه الا متدين قدير ذو نفوذ ٠ وقد تقدم للمحكمة أخيرا أحد علماء سمنود الذين لهم استحقاق فى الوقف طالبا اسناد النظر الى دولتكم وقدم عرائض من علماء سمنود وأعيان أبى صير طلب فيها موقعوها اسناد النظر اليكم ٠ وأنا مع علمى بما تقومون به من المهام وما لديكم من الأعمال الهامة للأمة ، أرجوكم أن تفيدونى بقبولكم النظر على هذا الوقف ، وبهذا تقدمون خدمة عظيمة

لأهل بلدكم وللفقراء واليتامى وطلبة العلم الذين حرموا استحقاقهم منذ سنوات ، وأرى أن ذلك لايعوقكم عما تؤدونه للأمة من جليل الأعمال ، لأنه يمكن انتظام حال الوقف باسناد أعماله الى وكيل تثقون به يدير شؤونه تحت اشرافكم .

ويكفينى أن أخطر دولتكم بأن لفقراء الحرمين سنويا مبلغ ٥٠ جنيها لم يرسلها الناظر السابق من سنة ١٩٢٧ وقد ساءت حالة أهل المدينة فى السنوات الأخيرة وتشتت أكثر فقرائها فى الجهات وماتوا جميعا ولم يؤثر ذلك فى الناظر فيرحم أولئك المساكين ويرسل اليهم بعض حقوقهم . فاذا تكرمتم بقبول النظر أحييتم المستحقين واستوجبتم مثوبة الله وعظيم أجره ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

رئيس محكمة طنطا الابتدائية الشرعية

أحمد الجداوى

الـــرد

ولقد أجبته بعد أن تحققت من كل ما ذكر بالكتاب التالى :

حضرة صاحب الفضيلة الشيخ أحمد الجداوى

رئيس محكمة طنطا الابتدائية الشرعية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فقد وصلنى خطابكم الذى تطلبون منى فيه قبول نظارة وقف البدراوى باشا نزولا على رغبة علماء سمنود وأعيانها وأعيان أبى صير . وبالرغم من المهام الكثيرة التى تشغلنى وأشرتم فضيلتكم اليها لايسعنى الا تلبية هذه الرغبة وقبول نظارة هذا الوقف رعاية للمصلحة العامة التى أحرص عليها فى كل المناسبات وأقدمها على كل الاعتبارات الأخرى ، والله أسأل أن يوفقنا الى ما فيه خير الوقف وتحقيق صالح المستحقين من ذرية الواقف ومن الفقراء واليتامى والمساكين .

وتفضلوا فضيلتكم بقبول فائق الاحترام .

مصطفى النحاس

تنفيذا لرغبة المستحقين وعملا بشرط الواقف الذى تلوت على حضراتكم نصه ، وأرسل الى فضيلة رئيس محكمة طنطا الابتدائية الشرعية الكتاب الذى ذكره صاحب العريضة ورددت عليه ، فلا داعى لأن أعيده عليكم ·

وهنا تصل الجرأة والكذب بالكذاب الأشر الى أن يتجنى على الواقع ويكذب على التاريخ ـ حتى القريب ـ ويقول فى لهجة الواثق المتأكد الساخر المستنكر ، بسجعه المرذول الذى مجته الأسماع : « ولم تكد تمضى بضعة أيام على توليه الوزارة حتى عاوده داؤه القديم فحن الى النظارة ، وقد واتته الوزارة » ! ··

نعم يا مولاى ، فى ١٢ فبراير سنة ١٩٤٢ ـ أى بعد تشكيل الوزارة بخمسة أيام ـ بسحر ساحر أو قدرة قادر ـ طلب بعض المستحقين الى محكمة طنطا الشرعية اقامة رفعة مصطفى النحاس باشا رئيس الوزراء ناظرا دائما لوقف البدراوى » · الى آخر زوره واختلاقه ، الذى ينم عن سوء أخلاقه ·

فلم يطلب فى ١٢ فبراير سنة ١٩٤٢ ولا فى شهر فبراير كله ، بل ولا فى النصف من مارس شيئا مما ذكره الكذاب بلهجة المالىء يده مما يقول ، بل كان ذلك فى ١٦ مارس أول ما طلب ·

أردت بذكر هذا التاريخ ومقارنته بالتاريخ الذى ذكره المخترع المضلل أن أبين لحضراتكم مبلغ تحريه الوقائع ، وثقته بما يلقى اليه أو يطلع عليه من بيانات ·

ثم لا يتورع الكذاب حتى ليكذب فى الوقائع الملموسة المحسوسة ويجرؤ فيقول ان الخطابين اللذين تبودلا بين فضيلة رئيس محكمة طنطا الشرعية وبينى قد نشرا على الناس فى الصحف جميعا جنبا الى جنب ويعلق على ذلك بما شاء له خياله أو اختباله بأن النحاس ذهب فى استغلال نفوذه وفى التحايل على هذا الاستغلال الى أبعد الحدود مستهترا بجلال القضاء ومستخدما الثناء فى غير محل الثناء · فان الخطابين لم ينشرا فى الصحف بل ظل أمرهما مكتوما حتى تقدم أحد شيوخ الانقلاب باستجواب الى معالى وزير الأوقاف عن اخلال الوزارة بالمادة ٣٤٧ من لائحتها الداخلية وقبولها التنازل عن نظارة وقف تتولاه الى آخر الاستجواب الذى لم ينل شيئا من مصطفى النحاس ولا من نزاهة مصطفى النحاس ·

اذن لم يتوسل الى على صفحات الجرائد ، بل لقد خاطبنى رئيس

وفى ٣١ مايو سنة ١٩٣٦ أقامتنى محكمة طنطا المشار اليها ناظرا مؤقتا على هذا الوقف الى أن يفصل فى دعوى العزل نهائيا •

وفى ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٣٧ قررت المحكمة العليـــا الشرعية تأييد قرار عزل على المنزلاوى بك نهائيـــا فعرض الموضوع على محكمة طنطا الشرعية للنظر فى اقامة ناظر على هذا الوقف بصفة دائمة ، وطلب المستحقون من ذرية الواقف اقامتى ، وفوضت وزارة الأوقاف أولا الرأى الى المحكمة فى خطاب مؤرخ ٢٣ يناير سنة ١٩٣٨ ثم عادت بعد ذلك فطلبت اقامتها هى ناظرة دائمة وعارضـــت اقامتى فى خطاب مؤرخ ٥ فبراير سنة ١٩٣٨ •

وفى ١٣ مارس سنة ١٩٣٨ أقامت المحكمة الوزارة ناظرة على هذا الوقف وأيدت المحكمة العليا الشرعية هذا القرار فى اول أكتوبر سنة ١٩٣٨ •

ولعلى لست فى حاجة الى أن أوجه أنظار حضراتكم الى اننى فى كل هذه المراحل لم أتقدم طالبا التنظر النهائى على هذا الوقف ، بل ان المستحقين هم الذين طلبوا ولما سـئلت وزارة الأوقاف فى ذلك فوضـــت الرأى أولا ثم عدلت ثانيا وتمسكت بان تكون هى الناظرة متخطية فى ذلك شرط الواقف الصريح الفصيح الذى نص على ما يأتى (ليس لديوان عموم الأوقاف او فروعه أو أية مصلحة تابعة له او حالة محله تسلط على ذلك الوقف بحال من الأحوال) •

بل هبونى تقدمت من تلقاء نفسى طالبا التنظر على هذا الوقف برا ببلدى ومسقط راسى فأى ضير على فى هذا ، واذا لم يكن لى خير فى اهلى وعشيرتى ، وقد رأيت خيرات بلدى نهبا مقسما بين الدخلاء والطامعين ومن ورائهم أبطال الانقـــلابات يحرضون ، اذا لم يكن لى خير فيهم فلا خير فى جهادى ولا فى وطنى •

بل لعلى لست فى حاجة الى ان أقول لحضراتكم ان عهـد الانقلاب الأخير كان اذ ذاك فى عنفوانه ، وكان مصطفى النحاس هو الهدف لسهام المتآمرين بالدستور جميعا ، فاتخذوا من هذه المسالة تكاة يتكئون عليها وسخروا من الامعات الطامعة ،

والنكرات الشائعة أناسا نفثوا فيهم من ســــمومهم وأخذوا يحضرون لهم المذكرات ويحفزونهم الى رفع القضايا الكيدية ، والدعاوى الهزلية مما كان حـــديث الناس فى المجـــالس وسخريتهم بالعهد ورجاله فى المنتديات .

ومن العجب العاجب ، ان مكرم عبيد كان أشد الوفديين حماسة وأعنفهم ثورة ضد هذا التآمر الوضيع ، بل كان دائم الاتصال بحضرات المحامين الشرعيين الذين تطوعوا بالدفاع عنى ذودا عن الحق وحربا للباطل حينما سخر الذين سموا أنفسهم رجال (الحكم الصالح) مخلوقا اسمه بدير ليرفع ضدى دعوى عزل من نظارة أوقاف البدراوى وعبد العال بك وولده السيد بك ! ولما يمض على اقالة الوزارة خمسة أيام .

ولقد قال القضاء الحر النزيه كلمته وجهر بالحق والحرب ضدى على أشدها ، ولم يبال بتهديد أو وعيد ، أو أن ينـــال من حكموا فى هذه القضية نقل أو تشريد .

قال القضاء فى درجتيه الابتدائية والاستئنافية كلمـة الحق صريحة ورفض الدعوى فى وجه الصنيعة المســخر ومن ورائه الناخسوه جهرة ، وكان لهذا الحكم أثره الحسن فى شتى مناحى البلاد .

وعجب أى عجب أن يتعرض مكرم للأوقاف وتنظرها وهـــو الذى صفق لهذا الحكم وطرب ـ ولكن الشيطان أغواه وصرفه عن هداه . فتردى فى هوة سحيقة . وبالسوء المنقلب .

وانه ليؤسفنى كل الأسف أن أصرح بأن مستحقى وقف البـدراوى وجهات الخير المشروط لها معظم هذا الوقف قد جأروا جميعا بالشكوى طيلة عهد الانقلاب كما جهروا بها فى عهد تولى المنزلاوى بك ووصل الأمر الى التقاضى فى المحاكم فلما أن زال كابوس الانقـلاب هرع المستحقون طالبين الوصول الى حقوقهم ورد المأخوذ منهم اليهم .

وفى ١٦ مارس سنة ١٩٤٢ وكانت الأمة قد تنفست الصــعداء ، تقدمت الست عديلة بيومى البدراوى وآخرون الى محكمة طنطا الشرعية طالبين اقامتى ناظرا على هذا الوقف بدلا من الوزارة لما فى ذلك من المصلحة لهم وللوقف فطلبت المحكمة الى وزارة الأوقاف ابداء رأيهـا فى هذا المطلب فأجابتها بأن لا مانع لديها من اقامتى ناظرا على الوقف المذكور بدلا عنها

المحكمة خطابا خاصا لا متعديا فى ذلك حقوقه ولا مخالفا القانون ولا مستبقا القضاء الى الحكم فى قضية منظورة أمامه كما يدعى الجاهل الكذاب ٠

وصدقونى يا حضرات النواب المحترمين اذا قلت لكم ان هذا المسكين قد برهن على جهل بأبسط الاجراءات ، بل وأوليات القوانين ، ولست أدرى فى هذه الواقعة بالذات أذلك جهل منه أم تجاهل ، فمن ذا الذى فى مصر يشتغل بالمحاماة بنوعيها الأهلية والشرعية ، ويجهل أوليات القوانين أو لا يعرف أن للقاضى الشرعى الولاية العامة على الأوقاف ، وأنه بحكم هذه الولاية الطبيعية له أن يختار أصلح المرشحين وأنفعهم للوقف وله أن يلح عليه ويرجوه ويبين له الفوائد التى تعود من وراء تنظره ، ولقد جرى القضاء الشرعى منذ نشأته على هذا العرف فحرر مئات ومئات من الخطابات والرجاءات الى مختلف الناس فى شتى المناسبات يطلب اليهم أن يعاونوه على تنفيذ شروط الواقفين وجلب الخير والمنفعة للفقراء والمساكين ، ولم نسمع أن أحدا اعترض على قاض فى هذا أو قال له انك تعديت حدود اختصاصك ولم تلتزم الحيدة حينما ألححت ورجوت رجلا تعتقد فيه الصلاحية والصلاح لادارة وقف من الأوقاف ٠٠٠ ٠٠٠ اللهم الا مكرم عبيد صاحب الكتاب الأسود ، والعقل الأسود ٠٠٠ ٠٠٠

لقد أكثر مكرم فى عريضته وكتابه من ذكر القضاء والمساس بالقضاء فى غير موضع وسلط عليه بذاءته غير مرة ولكن هل نال من القضاء ونزاهة القضاء مأربا ؟ وهل بلغ من وراء النيل منهم مطلبا ؟ ٠

كلا ٠٠ فان للقضاء فى نفوس الأمة من الاكبار والاجلال منزلة لا تؤثر فيها تلك الترهات ، ولا تنال منها أمثال هذه المناورات ، فان لهم من ضمائرهم ونزاهتهم ومراقبة أعدل الحاكمين درعا تقيهم طعنات الرعديد المسكين ٠

أما ما ذكره قليل الحياء من أن ما سماه مأساة وقف البدراوى قد ختمت بترقية رئيس محكمة طنطا الشرعية الى رياسة محكمة اسكندرية الشرعية ولم يكن قد بقى على سن تقاعده الا بضعة أشهر قليلة ، ويعلق عليها بما شاء فاسمعوا واضحكوا ساخرين ، أو اسخروا ضاحكين ، وشر البلية ما يضحك ٠

لما أجريت الحركة القضائية الشرعية وخلا منصب رئيس محكمة اسكندرية الشرعية بنقله الى رياسة التفتيش الشرعى كان طبيعيا أن ينقل الى محكمة الاسكندرية رئيس أكبر محكمة بعدها ، والنظام المتبع فى وزارة

العدل منذ أن خلقها الله وأنشىء شيء اسمه القضـــــاء الشرعي أن يكون الترتيب في نقل رؤساء المحاكم كالآتي :

ينقل رئيس محكمة قنا الى أسيوط ·

ورئيس محكمة أسيوط الى بنى سويف ·

ورئيس محكمة بني سويف الى المنصورة ·

ورئيس محكمة المنصورة الى الزقازيق ·

ورئيس محكمة الزقازيق الى طنطا ·

ورئيس محكمة طنطا الى الاسكندرية ·

وقد نقل رئيس محكمة طنطا الى الاسكندرية تبعا لهذا التقليد ، وكان قد بقى له على الاحالة على المعاش أقل من ثلاثة أشهر وأحيـــل في سنه المحددة دون أن يستفيد من هذا النقل شيئا أو يأخذ علاوة أو يرقى الى درجة أعلى ولم تفكر الوزارة في أن تستبقيه انتفاعا بخدماته ومكافأة له على حسناته ·

أما كونه هو الذى تعرض عليه شؤون أوقاف البدراوى وعبد العال بك وولده فهذا أمر طبيعي أيضا ، لأن هذه الأوقاف في سمنود وسمنود تابعة في اختصاصها الى محكمة طنطا الشرعية ·

على أن كثيرا من المواد المتعلقة بهذه الأوقاف والتي رفعت الى محكمة طنطا الشرعية لم تستأثر هذه المحكمة بالنظر فيها وحدها ، بل استؤنفت أمام محكمة الاستئناف العليا الشرعية وتأيدت ·

ولم يكن رئيس محكمة طنطا الذى ناله من مكرم ما نال هو الرئيس الوحيد الذى عرضت عليه مسائل تلك الأوقاف فلقد تقلب عليها رؤساء غيره كثيرون ·

واذا كان هو بنفسه الذى كان رئيســـا للمحكمة عند بيع منزلى للوقف وتنظرى على وقف البدراوى ، فليس هذا ذنبه ولا ذنبنا ، فان مسألة بيع المنزل ظلت كمــا شرحت لحضراتكم من قبـل معروضــة أيام القضاء حول العامين ، ومسألة وقف البدراوى لم يتعد رئيس المحـكمة اختصاصه كما شرحت لكم ، ولا حابى رئيس الوزارة وتملقه فما كان القضاء ليتملق أحدا ولا مصطفى النحاس ليقبل التملق من أحد ·····
فلعنة الله على الكاذبين ·

لقد بلغ التبجح والقحة بالأفاك أن يقول أن محاسن الصدف قد شاءت ومازالت تشاء حتى الآن كما سنرى آلا نكشف محاسن النحاس باشا كناظر للوقف الا حينما يكون فى الحكم ۰۰۰۰ ولن أجاريه فى تأليفه أو أعقب عليه من نوع تصنيفه ، ولكن اسمعوا ما تقوله لجان فحص حساب وقف المرحوم السيد بك عبد العال المؤلفة برياسة حضرتى قاضيى محكمتى المحلة الكبرى وسمنود الشرعيتين على التعاقب فى تقريرها المصدق عليها من حضرات أصحاب الفضيلة رؤساء محكمة طنطا الشرعية أيام لم نكن متقلدين زمام الحكم بل كنا هدفا لضر الحاكمين ۰

اسمعوا حضراتكم طرفا من هذه التقارير فى مختلف السنين ابتداء من سنة ۱۹۳۰ الى سنة ۱۹٤۱ وبعد أن تستمعوا لما سيلقى عليكم ، متخذا من سجلاته ، قولوا ما شئتم عن ذلك الجرىء ومفترياته ۰

جاء فى التقرير المؤرخ فى ۲۲ أغسطس سنة ۱۹۳۹ عن حساب سنة ۱۹۳۷ ما يأتى تحت عنوان شرط الواقف :

۱ ــ ما صرف للمستحقين ووجهات الخير كان طبق شرط الواقف بالنسبة التى يتسع لها ريع الوقف وكان الصرف فى مواعيده بانتظام وعلى وتيرة واحدة ۰

۲ ــ ما صرف فى سبيل التعليم بالمدارس العالية قد روعى فيه ما حتمه الواقف من عدم نقص عدد الطلبة عن عشرة دائما أبدا ــ وقد أكمل هذا العدد فى أثناء مدة هذا الحساب الى عشرة بعد أن كان أقل من ذلك فى السنين السابقة وصرفت للطلبة الكسوة المنصوص عليها بعد أن كانت مقطوعة عنهم ۰

۳ ــ أنشىء المدفن المنصوص عليه بكتاب الوقف لدفن الفقراء والأغراب تنفيذا لشرط الواقف ۰

٤ ــ اتخذت الاجراءات اللازمة لانشاء المعهد الدينى بسمنود وطرحت المناقصة ورسا عمله على أحد المقاولين واشترط أن يتمه فى بحر ستة أشهر تبتدىء من أبريل سنة ۱۹۳۹ ۰

٥ ــ قدم لهيئة تصرفات محكمة طنطا الشرعية طلب الاذن بانشاء سراى للواقف بدل التى هدمت وكان تقديم الطلب فى ۲۱ يونيه سنة ۱۹۳۸ ۰

٦ ــ قدم طلب لهيئة التصرفات بتعمير عقارات الوقف بسمنود واستعمال ما يصلح لها من أنقاض السراى ۰

٧ ـ قدم طلب لهيئة التصرفات فى ١٥ سبتمبر سنة ١٩٣٧ بالاذن بانشاء عزبتين للوقف بأطيان بنا أبو صير وشـــبرا بابل من العزبتين المهدمتين ٠

وجاء فى تقرير هذه اللجنة تحت عنوان الادارة العامة ـ وكان ذلك فى سنة ١٩٣٩ كما قدمت لحضراتكم ولم أكن حاكما ولا ذا ســلطان ، وشاء الله ولم تشأ محاسن الصدف أن تكشف محاسن النحاس كناظر للوقف وهو فى غير الحكم !! ولكن قديما قالوا اذا لم تســتح فاصــنع ما شئت !! ٠

قالت اللجنة ، لقد كان من نعم الله وتوفيقه أن أقيم رفعة الناظر الحالى ناظرا على هذا الوقف وقد عادت اقامته على الوقف ومستحقيه بالخير والبركة ٠

ولو قارنا بين الادارة فى عهد رفعته وبينها فى العهود السابقة نتبين مقدار هذه النعمة ٠

ثم قالت فى مكان آخر : وبالجملة لقد كانت الادارة فى هذه السنة موفقة فى جميع أعمالها ، ولم يلاحظ أحد من أعضاء هذه اللجنة شيئا يؤخذ عليها لا شكلا ولا موضوعا ، واللجنة بكامل هيئتها تقرر بصراحة تامة أن هذه الادارة لا نظير لها فى ابتكار الوسائل الناجعة لاصلاح حال الوقف وأعيانه واراحة مستحقيه ، والعمل على زيادة غلته وتنفيذ شروط الواقف وتحقيق رغبات اللجان السابقة ، ولذلك فانها تستحق مزيد الشــكر والثناء ، وترجو اللجنة من الله أن يديم لها التوفيق والسداد ٠

وجاء فى تقرير آخر للجنة حساب سنة ١٩٣٨ المؤرخ فى ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٣٩ تحت عنوان الادارة العامة ما يأتى :

« لقد ثبت للجنة من بحث هذا الحساب ومن مراجعة تقريرات اللجان السابقة ومن عقد المقارنة بين حساب السنوات ١٩٣٦ و ١٩٣٧ و ١٩٣٨ ومن تقريرات الخبراء الذين انتدبتهم لمعاينات أو مأموريات ، **ومن الوقوف على تصرفات الادارة فى عهد الناظرين السابقين وفى عهد رفعة الناظر الحالى انه فى سنتى ١٩٣٧ و ١٩٣٨ ، قد تحسنت حالة الوقف بدرجة كبيرة فى عهد نظارة حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا ٠**

واستدلت على هذا التحسن بزيادة غلة ايرادات الوقف والايرادات المتحصلة وزيادة نسبة المتحصل من المربوط ومن المتأخرات وزيادة الأطيان المستغلة رغم ما أخذ فى هاتين السنتين منها للمنافع العــامة وتحصيل بعض الايجارات قبل مواعيد استحقاقها واستنباط موارد جديدة للايرادات وقلة المصاريف القضائية وقطع دابر المنازعات ـ وانشاء مصرف عمومى

لأطيان الوقف بزمام بنا أبو صير واصلاح أطيانها بعـد أن كانت بائرة ومهملة وشق مصارف ومراوى فى أطيان أخرى فتحسنت طرق ريهـــا وصرفها ، وصرفت الخيرات بعد أن كانت معطلة ٠

وبعد أن سردت اللجنة كثيرا من الاصلاحات التى استجدت في الوقف قالت : ولهذا فان اللجنة تسجل لأوراق وقف هذا التقدم المطرد ويسرها أن تعترف بالفضل الكبير لحضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا وحضرة صاحب العزة عبد العزيز النحاس بك وكيل رفعته لما أبدياه من حسن الادارة والحرص الشديد والحزم والحكمة والمبالغة فى المحافظة على حقوق الوقف ولا يسعها الا أن تشكرهما شكرا جزيلا وتثنى عليهما ثناء مستطابا وترجو اللجنة أن يجزيهما الله عن الوقف وأهله خير الجزاء ٠

وجاء فى تقرير لجنة حساب سنة ١٩٣٩ المؤرخ ٢٢ مايو سنة ١٩٤٠ أن اللجنة تأكدت من حسن ادارة الوقف فى عهد نظارة حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا ، واستدلت بارتفاع نسبة المتحصل من مربوط ايجار الأطيان الى ٩٩٪ ومربوط ايجار العقار الى ٤ و ٩٨٪ قائلة ان هذه النسبة لم يبلغها التحصيل فى سنة ما من عهد وفاة المرحوم الواقف الى الآن ، كما استدلت بارتفاع أسعار ايجار الأطيان التى أجرت سنة ١٩٣٩ وزيادة قيمة الأطيان المنزرعة زيادة محسوسة واصلاح أعيان الوقف وتحصيل بعض الايجار مقدما والعمل على تنفيذ شروط الواقف وأهمها انشاء المعهد الدينى وصرف استحقاق المستحقين فى مواعيـدهم بانتظام وتقديم الحساب فى موعده ٠ ثم علقت على هذا بقولها :

« لذلك يسر اللجنة أن تثبت فى هذا التقرير تلك الأعمال الجليلة وأن تختم تقريرها هذا بالثناء الحسن المستطاب على أعمال حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا ناظر الوقف وتشكره على حسن الادارة وتقرر أن جميع أعمالها كانت مبنية على الحزم والحكمة والسداد ومطابقة لشروط الواقف » ٠

وجاء فى تقرير لجنة حساب سنة ١٩٤٠ المؤرخ ١٣ مايو سنة ١٩٤١ أن اللجنة بعد مراجعة كتب الوقف والتغيير وتقريرات اللجان فى الحسابات السابقة ووقفت على تصرفات ادارة الوقف فى هذا العام ــ قد تأكدت من حسن الادارة فى عهد حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا وأنها سائرة الى الأمام عاما بعد عام ٠

وأشارت الى نواحى الاصلاح والتقدم فى مناسبات شتى عند الكلام على كل باب من الأبواب ، واختتمت تقريرها بقولها :

« لذلك فان اللجنة تسجل مع عظيم السرور والارتياح تلك الأعمال الجليلة والتصرفات الحكيمة وتثنى ثناء عاطرا على مجهودات حضرة صاحب المقام الرفيع ناظر الوقف وتشيد بعهد ادارته التى أتت بأطيب الثمرات » .

هذا بعض ما جاء فى تقارير لجان الحساب المختلفة فى عهد الانقلاب وقد كان من أعضائها من يخاصموننا فى السياسة وليس بيننا وبينهم من صلة ولكنهم أعضاء فى اللجنة شهدوا بحسن ادارتنا وبالخير الذى أجراه الله للوقف على أيدينا ، والفضل ما شهدت به الأعداء .

وان تحت يدى دفاتر الوقف وحساباته وفيها النصوص الصريحة للتقارير التى أشرت اليها وتلوت عليكم بعض ما جاء بها ، وهى تحت أمر مجلسكم الموقر فى كل وقت وحين .

ذلك بعض ما لمسه أبناء بلدى سمنود ، وما أحسه المستحقون والمنتفعون من الأوقاف التى أشرت اليها ، والذى قررته لجان لا صلة لنا بها ، ولا سلطان لنا عليها ، ولكنها سجلت الحق ودونت الواقع ، فلم يكن عجيبا أن ينتهز مستحقو وقف البدراوى فرصة زوال عهد الانقلاب فيسارعوا الى تعيين ناظر الوقف الذى لمسوا اصلاحاته وانتفعوا بخدماته فى الفترة القصيرة التى قضاها متوليا شؤون وقفهم .

لا عجب أن يطلبوا تعيينه وأن ينبهوا وزارة الأوقاف الى الخطأ الذى ارتكبته ويطلبوا الى المحكمة اصلاحه .

ولقد استجوب زميلى معالى وزير الأوقاف فى مجلس الشيوخ فى الدورة الماضية عن هذا الموضوع وأجاب اجابة شافية بأن الوزارة لم تتعد اختصاصها ولم تتنازل عن حق لها ، بل لم تزد على أن وقفت موقف الحياد مفوضة الرأى للقضاء وهو جهة الاختصاص بازاء مطلب أصحابه على حق حينما طلبوه والقانون يؤيدهم وشرط الواقف يسندهم . وكان لى فى هذا الاستجواب كلمة تلوتها على مسامع حضرات الشيوخ المحترمين وسردت فيها مقارنة بسيطة بين عهد نظارتى ونظارة غير مدعومة بالأرقام والوقائع قائلا اذ ذاك انى أريد أن تكون هذه الوقائع والأرقام سجلا مدونا فى مضبطة أكبر مجلس تشريعى فى البلاد حتى اذا ما حدثت أحدا نفسه باتخاذ عمل خيرى كهذا ذريعة للنيل منى أو الطعن فى ، عاد الى ذلك السجل فاقلع عن غيه ، ورجع خاسىء الطرف وهو حسير ، وذكرت فى تلك الكلمة أعمال الاصلاحات التى قمت بها فى الفترة القصيرة التى توليت فيها النظارة ومنها ضم مدرسة الوقف الى وزارة المعارف العمومية

وضم مستشفى الوقف الى وزارة الصحة مقابل دفع ألف جنيه من ايراد الوقف سنويا مع أن حضرة الناظر السابق كان قد طلب ضـــمه مقابل ٣٠٠٠ جنيه سنويا ولم يتم لأنه أخل بتعهده ووقف العمل فى المستشفى من سنة ١٩٣٤ الى أن توليت النظارة فسار العمل وأنشئت بها عمــارة وقسم للرمد واصلاح وترميم عقارات الوقف وأطيانه البائرة واصـــلاح الآلات الزراعية وصرف استحقاقات المستحقين شهريا فى مواعيدها بانتظام فى غير ما حاجة الى مطالبة أو تنبيه · وقد كان حضرة الناظر السابق يؤخر لهم الدفع حوالى أربعة أشهر فيضطرون الى التنفيذ بواسطة المحضرين والحجز على منقولات الوقف وأثاثاته · فيناوئهم الناظر السابق ويعمــل استردادات ضدهم حتى اضطر أحد المستحقين الى عمل اختصاص على دار ضيافة الوقف وغيرها ·

وكذلك نفذت صرف جميع الخيرات فى مواعيدها كنص كتاب الوقف ومنها اعانة الحرمين الشريفين التى ظلت معطلة من سنة ١٩٢٤ الى سنة ١٩٣٦ ·

ودفعت اعانة الأزهر الشريف ونفقات احياء مولد النبى صـــلى الله عليه وسلم والموالد الأخرى التى نص عليها فى كتاب الوقف ·

وسددت الأموال الأميرية والضرائب الحكومية فى مواعيـــدها وقد كانت من قبل تؤخر نحو ثلاث سنوات فتوقع الحكومة الحجوزات وتؤجلها وتعيدها كما هو مدون تفصيليا فى محاضر قضية نزاهة الحكم ··· الى غير ذلك وذلك من الاصلاحات التى لمسها المستحقون من هذا الوقف والمنتفعون به مما يطول بى شرحه ·

وختمت بيانى فى مجلس الشيوخ قائلا : أدليت اليكم بهذا البيان المختصر لتكونوا على بينة من الأمر وليطلع الناس عليه ، ولا أقصد من وراء ذلك ــ كما قلت ــ النيل من أحــد أو الطعن فى أحد ، كما لا أبتغى على عملى من الناس أجرا ، ولا أرتضى شكرا ، فعند الله الجزاء وعنده الوفاء .

قلت هذا يا حضرات النواب المحترمين فى العام الماضى ، ولم تكن هناك عريضة رفعت الى جلالة الملك ولا كتاب أســـود أو أزرق حبره مكرم عبيد ·

فلم يكن الحكم اذن هو الذى حدا بالمستحقين الى طلب نظارتى على وقف البدراوى ولم أكن أنا الذى استعملت مركزى وتأثيرى على وزارة الأوقاف تارة ، وعلى المستحقين بواسطة أخى تارة أخرى ليتقدموا الى المحكمة طالبين اقامتى ناظرا على الوقف ، ولكنها المصلحة وحدها التى يعرفهـــا

أصحابها ، ويحسها أربابها ويقدرها المنتفعون من ورائهـــا من الفقراء والمساكين هي التي دفعتهم الى ما طلبوا ، وحدت بي الى الرضاء بما أرادوا .

المصلحة العامة كما أعرفها ويعرفها العقلاء ، لا كما ينظر اليها من أكل الحقد قلوبهم ، وطمس الحسد أبصارهم ، وأصبحوا وعلى قلوبهم أقفالها ... ...

أما ما ذكره الكذاب من أنني كافأت زوج السيدة التي اشتريت منزلى فى سمنود بزيادة فى مرتبه الشهرى تبلغ الاثنى عشر جنيها من النقد الخ ... ويقصد بقوله هذا الأستاذ مسعد السمرة ـ اذ ذكره صراحة فى موضع آخر ـ فاسمعوا حضراتكم الى هذه الواقعة :

تخرج حضرته فى كلية الحقوق سنة ١٩١٧ ، ومن زملائه من هم الآن مستشارون ومديرون كراغب دكرورى بك وقد عين مديرا فى غير عهدنا ، وكان الأستاذ مسعد مرشحا فى وزارة العدل لوظيفة من الدرجة الثانية تسوية له بزملائه ، وقد جرت وزارة الداخلية على منح حضرات رجال القضاء الذين ينقلون الى التفتيش بها درجات أكبر مما كانوا بها فى الكادر القضائى تعويضا لهم عما يفقدونه من امتيازات فى هـذا الكادر ، منهم الأساتذة أحمد لطفى ، وكمال الديب ، وشافعى اللبـــان وغيرهم وقد منحوا جميعا مثل ما منح الأستاذ مسعد السمرة ، فلم يكن فى ترقية مسعد السمرة شيء من الانعام كما قال الكذاب ، بل لم يكن ملحوظا يوم تقدم طلب الاستبدال سنة ١٩٤٠ أن وزارة الوفد ستعود الى الحكم فتكافيء مسعد السمرة فى سنة ١٩٤٢ وفوق هذا فقد ظهر لحضراتكم من البيانات التى أدليت بها فى هذا المجلس أن عملية استبدال منزلى وبيعه لوقف السيد بك عبد العال لم يكن فيها أية محاباة فى الثمن ولا فى الاجراءات مما يستدعى الاغداق على مسعد السمرة .

بقيت مسألة ذكرت فى العريضة وفى الكتاب تحت عنوان « **واقعة حال** » زعم فيها الكذاب الدجال أن حديثا دار بينه وبين الأستاذ ابراهيم فرج ببحيرة قارون بشأن وقف البدراوى ، وأن بعض حضرات الوزراء اجتمعوا به بعد ذلك الى آخر ما سود وكتب .

ولا أجد ما يدحض هذا المفترى ويسقطه أكثر مما سقط الا أن أتلو على مسامع حضراتكم ما كتبه من نسبت اليهم تلك الوقائع بخطهم وما تحدثوا الى به فى هذا السبيل .

فهذا كتاب وصل الى فى ٢ مايو سنة ١٩٤٣ من الأستاذ ابراهيم فرج وهذا نصه :

« مصر الجديدة فى ٢ مايو سنة ١٩٤٣

حضرة صاحب المقام الرفيع الزعيم الجليل

أقبل يديكم الطاهرتين وبعد فقد ذكر مكرم باشا الدسائس فى كتابه الأسود فى سياق ما ردده من الأكاذيب عن وقف البدراوى باشا بسمنود أن الأستاذ محمود أبو الفتح دعانا لتناول الغذاء فى بحيرة قارون بالفيوم يوم ٢٧ مارس سنة ١٩٤٢ وهناك يزعم أنى أخبرته قصة وقف البدراوى وبأن حضرة عبد العزيز بك النحاس ذهب الى مينا هاوس ومعه كتاب المحكمة الشرعية ليأخذ الرد عليها بقبول النظارة ثم ذكر أنه اجتمع فى مساء ذلك اليوم ببعض أصحاب المعالى الوزراء وأنه قال لمعاليهم انى علمت من مصدر وثيق بحكاية وقف البدراوى وانه قد اتصل به شخصيا فى هذا الصدد . وانى أعلن لمقامكم الرفيع أن كل ما افتراه على فى هذا الكتاب كذب فى كذب ومحض اختلاق من نسج الخيال .

وحقيقة الحال أن حضرة الشيخ المحترم الأستاذ محمود أبو الفتح دعا فريقا من أصدقائه لتناول الغذاء فى بحيرة قارون بالفيوم وكان ذلك قبل ظهور الخلاف بينه وبين رفعتكم وقبل أن يعلن للناس . ولقد اعتذرت يومئذ للأستاذ أبو الفتح بكثرة مشاغلى فألح على الحاحا شديدا وأرسل سيارته الخاصة الى منزلى لأحضر بها فى أى وقت تسمح به ظروفى وفعلا توجهت بها أنا وعائلتى متأخرين اذ وصلت نحو الساعة الثانية بعد الظهر قبيل تناول الطعام . وحدث بعد تناول الطعام مباشرة أن ذهب مكرم باشا الى مكتب التليفون واستغرق وقتا طويلا ثم عاد وقال انه كان يتحدث الى بعض الوزراء ، وعلى ما أذكر أنه قال ان حديثه كان مع معالى وزير الأشغال وقال انه مضطر للعودة فورا . فعدنا جميعا من فورنا وركبت أنا وعائلتى السيارة التى جئنا بها وركب معنا فيها حضرة الأستاذ أبو الفتح .

تلك زيارة الفيوم لم تستغرق أكثر من ساعتين ولم يجر فيهما حديث على الاطلاق منى أو من غيرى فى الشؤون العامة أو الخاصة ، بل الذى أذكره أن الشخص الوحيد الذى تحدث على المائدة واستغرق حديثه فترة تناول الطعام كلها هو مكرم باشا نفسه اذ أخذ يسرد تفاصيل مملة عن موضوع الغزل وصبحى بك الشوربجى وقد تحاشى ـ بسبب وجودنا ـ أن يعرض بأحد .

ولشد ما كانت دهشتى لهذه الجرأة فى الافتراء واصطناع الروايات للدس الوضيع والتلفيق والايقاع ٠

أما المصدر الوثيق الذى ذكر فى كتابه الأسـود أنه اتصل به شخصيا وروى عنه هذه الأكاذيب بشأن التنظر على الأوقاف فهو « الأستاذ محمد بدير المحامى الشرعى » فقد كان هذا الشخص دائم الاتصال بمكرم باشا « وهو وزير » كثير التردد عليه فى منزله يغذيه بالمفتريات ويحمل اليه صور الملفات ليشوه منها ما يشاء وقد استعمله مكرم باشـا كما استعمله الأحرار الدستوريون والسعديون من قبل عندما اتخذوه صنيعة لهم فى المحاكم الشرعية ٠ وقد شاهده صديق الأستاذ محمد الشافعى البنا فى منزل مكرم باشا أكثر من مرة وأخبرنى الأستاذ الشافعى أنه أبلغ مكرم باشا وقتئذ عدم ارتياحه لتقريبه هذا الشـخص وتساءل كيف يسمح بلقائه ومعه صور ملفات القضايا الشرعية وسرد له ما يعرفه عن تاريخ هذا الشخص وموقفه فى قضايا الأوقاف ٠ وذكر لى أن مكرم باشا رد عليه بأنه لا يرى بأسا من تقريب الشيخ بدير لأنه مكسب للوفديين ٠ وبعد ذلك بزمن رآه الأستاذ الشافعى وغيره من كبار الوفديين رأوه فى منزل مكرم يتناول الشاى مع بعض أصحابه من جماعة مصر الفتاة وذلك عقب اخراج مكرم باشا من الوزارة وقبل فصله من الوفد ٠

هكذا تصيد مكرم باشا هذا الشيخ بديرا ليعاونه فى تدبير الأكاذيب وتشويه الحقائق المشرفة فى التنظر على وقف البدراوى ٠ وهذا المحامى هو صنيعة الأحرار الدستوريين فى قضايا أوقاف أحمد باشا البدراوى كما هو معروف ٠

يا رفعة الرئيس الجليل ٠

ليس فضلك وجميلك على أوقاف البدراوى والسـيد عبد العـال بسمنود بحاجة الى شهادة منى أو من غيرى ، ولكنى كواحد من أبناء سمنود أعلن للملأ أن خدماتك وأفضالك على مرافق الأوقاف ومستحقيها اشهر من أن تذكر وأكبر من أن يحصيها البيان فقد نفـذت شروط الواقفين بالدقة والذمة التى اشتهر بها القاضى مصطفى النحاس ، عمرت بيوت الله وأنشأت المعهد الذى ظل شرط الواقف بشأنه خمسة عشر عاما حبرا على ورق ٠ كفلت للفقراء والمعوزين البر والرحمة والأمن من الجوع ٠

ان البداهة وطبيعة الأشياء التى لا غرابة فيها ولا سبيل سواها أن ينتهز مستحقو الأوقاف المشار اليها فرصـة زوال عهود الانقـلاب واطمئنـانهم الى اسماع صـوتهم وابلاغ شكواهم الى جهـات الاختصاص

فيلجأوا الى المحكمة الشرعية طالبين الانصاف والانقاذ ملتمسين تفضلكم بقبول التنظر على هذه الأوقاف لتردوا الأمور الى نصابها وتعيدوا الحقوق الى أصحابها فى سياج من الحرية والحق والقانون ٠

وقد كان موضع الغرابة والعجب ، بل وسوء المنقلب أن ينكص هؤلاء المستحقون ويقبعوا فى بيوتهم مستسلمين للهوان تاركين مصالح الوقف ومصالحهم للعبث والبوار ٠

ألم يكن مستشفى البدراوى بسمنود مغلق الأبواب فى وجه المرضى ، بل ذهبوا فى الاستهتار الى حد أن استخدموا فناء المستشفى مأوى للمواشى فى بعض العهود السابقة ! فأصبح فى عهد رفعتك الميمون يضارع أكبر المستشفيات المركزية فى بلاد القطر ويؤدى رسالته الانسانية على أكمل وجه ٠ والمدرسة الابتدائية ألم تكن قاب قوسين من الاغلاق فأصبحت بفضلك ورعايتك تضم نحو ألف تلميذ وأنشىء فيها قسم ثانوى يذكره السمنديون لمقامكم الرفيع ولحضرة صاحب المعالى وزير المعارف الجليل بالشكر العظيم ٠

والمستحقون ، ألم يحرمهم النظار السابقون شهورا وسنين وفى عهود مختلفة من مرتباتهم ، حتى اضطر بعضهم أن يتنازلوا كتابة عن متجمد استحقاقهم مكرهين تحت تأثير العوز والفاقة مقابل الحصول على جنيهات معدودات ليردوا عن أنفسهم غائلة الحاجة والجوع فأصبحوا بفضلك وعدلك يتقاضون مرتباتهم بانتظام وفوقها علاوة غلاء المعيشة ٠

كذلك البر بالفقراء والمساكين ورعاية مصالح الأوقاف من جميع الوجوه اذ أعملت فيها يد الاصلاح وأبعدت عنها الفساد والخلل والاضطراب مما شهدت به لجان المحاسبة فسجلت لمقامك الرفيع فى محاضرها الرسمية الشكر والإمتنان والتقدير ٠ وما أدراك ما لجان الحساب فالأغلبية العظمى من أعضائها من خصومنا السياسيين : منهم على سبيل المثال :

الحاج غريب يونس عمدة سمنود وهو خصمنا السياسى من سنة ١٩١٩ إلى الآن ، وعمد آخرون لا داعى لذكر أسمائهم من صنائع على المنزلاوى بك ، ومنهم أحمد أفندى أبو عضمه صديق المنزلاوى بك ومندوبه فى الانتخابات واللجان من سنة ١٩٣٠ إلى الآن ٠ وكثير غير هؤلاء ٠ والفضل ما شهدت به الأعداء ٠

« فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » ٠

وتفضلوا يا رفعة الرئيس الجليل بقبول آيات وفائى واخلاصى المقيم ٠٠

« ابراهيم فرج »

ولقد اتصلت ببعض اخوانى الوزراء الذين جاء ذكرهم فى العريضة بصدد هذه المسألة وعلمت منهم تفاصيل ما دار بينهم فى هذا الشأن ، وانى لأتشرف أن أتلوه عليكم .

وحقيقة الأمر أن بعضا من زملائى الوزراء الذين أشار اليهم أخبرونى أنهم اجتمعوا عنده فى مساء ٢٧ مارس سنة ١٩٤٢ وسبب ذلك أن مشروع خطاب العرش كان يتضمن اشـارة الى اعادة وزارات التمـوين والوقاية والشئون الاجتماعية لما تبين من ازدياد الأعباء على الوزارات الأصلية بسبب ظروف الحرب ووجوب تفرغ وزرائها لأعمال وزاراتهم .

وكنت قد عرضت على جـلالة الملك اعتزامى اعادة هـذه الوزارات وبخاصة وزارتى التموين والوقاية ولما تبينته من سوء حالة التموين ، تلك الحالة التى كشفت أمرها للبرلمان ، ولما علم مكرم باشا بذلك غضب أشد الغضب وصرح لبعض اخوانه بأنه لا يطيق سماع خطبة العرش وفيها الاشارة الخاصة باعادة الوزارات الثلاث فذهبوا اليه بغير علمى ليهدئوا من ثائرته ويقنعوه بما فى هذه الاعادة من تحقيق للمصلحة العامة وأنه لا محل لغضبه أسوة بزملائه الذين رحبوا بالتخفيف عنهم ليتفرغوا للأعمال المتزايدة عليهم ، ولما ذهبوا اليه قال لهم ان فصل أعمال التموين عنه دليل عدم الثقة به وحكم عليه بعدم النجاح ، وهو يعلم أن أحوال التموين سيئة وأن مستقبل التموين شر من ماضيه وحاضره للصعوبات المتزايدة فيه وسنرى أياما سوداء ، ولكنه لا يقبل أن يفهم الجمهور أنه غير ناجح ولذلك فقد أقسم ألا يحضر حفلة افتتاح البرلمان لأنه لا يطيق سماع هذه الاشارة فى خطبة العرش ، ولا يطيق أن يسمع أهله هذه العبارة فصمم هو وأهله على عدم الحضور لأنه يخشى اذا ما حضر سماع هذا الحكم أن يقضى عليه كما قضى على المرحوم حسن صبرى باشا ، وكان مدار الحديث، أخذا وردا ، موضوع التموين وبقاءه فيه ولو بعض الوقت خوفا من تعليل الناس باخراجه منه بأنه فشل فيه .

وكان مكرم باشا فى هذه الليلة هائجا مائجا يهدد من حين لآخر .

هو عايز يخرجنى من الوزارة ؟ أنا أعرف كيف أخرج ومتى أخرج ، ويجوز أن أمسح من الوجود ولكننى مصمم ، وفى أثناء هياجه وبعد ذكر هذه العبارة سأل صبرى باشا ، هل كلمك على حسين باشا فى مسألة التنظر على وقف البدراوى فنفى صبرى باشا ذلك نفيا باتا ، ولم يبلغنى هو ولا أحد من اخوانه شيئا عما دار فى هذا الاجتماع ولم أعلم بشىء مما جرى فى تلك الليلة الا بعد خروج مكرم من الوزارة ، اللهم الا رجاء من بعضهم بأن أبقى مكرم باشا فى التموين بعض الوقت حتى لا يجرح احساسه كما يظن ويقوم فى الأذهان بأنه غير ناجح فى التموين .

هذا ما ألقاه الى زملائى الوزراء الذين قال عنهم انهم كانوا يحضرون اجتماع الليلة المشار اليها ، وليس لى بعد ذلك من تعليق أكثر مما سمعتم ففيه الغناء كل الغناء .

الآن وقد سمعتم ما أدليت به من بيانات ، وما أقمته على كذب الكذاب من أدلة بينات . فماذا تقولون فى مفتر أثيم ، هماز ، مشاء بنميم ، لم يترك شريفا الا حاول تلويثه ، ولا طاهرا الا أراد تدنيسه ، حتى ربات الخدور لم يسلمن من بذاءاته ، ولم يبرأن من سلاطته !!

ولقد طعن فى الأخلاق وفى الأعراض وفى الذمم ، وفى القضاء ، وفى الوزراء وفى الجماعات وفى الهيئات ... كلما خاصم انسانا ، نضح عليه من طينته القذرة ألوانا ، وافترى عليه زورا وبهتانا ، أرونى فى مصر أحدا ، عظيما أو حقيرا ، كان لدى المجاهد الكبير سابقا ، والكذاب الكبير حاضرا ولاحقا ، فى مكان الحب والاجلال ، والنزاهة والاحترام ، ثم اختلف واياه ، أو حال بينه وبين مشتهاه ، وسلم بعد ذلك من وقاحته ، أو نجا من تبجحه وسماجته ؟! انه يظل يتهم ويتهم ، ويكذب ثم يكذب ، لعل كذبه محدث فى الناس الغاية المرجوة والأثر المطلوب !! ولكن المسكين قد انكشف وظهر ، فامحى بعد ذلك واندثر ، وأصبح فى الناس حديثا يروى وذكرى سيئة يستعيذون منها ويبتعدون ما استطاعوا عنها !!!

لقد دخل سوق السياسة تاجرا متسترا ، وخرج منها خاسرا سافرا ، مضيعا كل شيء من الكرامة والرجولة والشهامة ، وان كان قد خرج منها بالأصفر الرنان ، والقصور والأطيان . ويمينا لولا انتسابه الى الوفد ، وتقريبنا اياه ، خداعا بأمره ، وحسن ظن منا بمن يجيد أمثاله التمثيل ... لولا هذا لظل مخلوقا عاديا ، شأنه شأن سواد الناس لا يحس به أحد . غاب أو حضر ، بان أو استتر ..... ولكن الله الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، كشف عن دخيلته ، ورفع السجف عن طبيعته ، فأقصيناه عن حظيرتنا ، فأصابه من هول الصدمة السعر ، وأخذ يعض بالناب والظفر ، ويستعين بمن كان بالأمس يكيل لهم الضربات ويطعنهم أشد الطعنات ... كانوا خصومه الأعداء ، فأصبحوا اليوم أصدقاءه الألداء .. فليأنس بعض الى بعض ، وليهنأ بعضهم ببعض (والله يهنى سعيدة بسعيد) .

والحمد لله الذى طهرنا من هذا الرجس ، وأبعدنا عن الخبائث والدنس .

لقد تلوت عليكم منذ ظهر شأن العريضة والكتاب ما فند أكاذيبها ، وأدحض رواياتها ، وتلا عليكم زملائى الوزراء ، كل فيما يخصه ، من

الأكاذيب ما كشف النور عن ظلامها ، وجلى الغياهب عن ضلالها ، وعما قريب ستسمعون حضراتكم تفنيد كل ما جاء فى العريضة والكتاب ، من مفتريات الجرىء الكذاب ٠

وانه ليحزننى ويحز فى نفسى ، أن نضيع أوقاتنا وأوقاتكم ، ونشغل أنفسنا وأنفسكم بمثل هذه الصغائر والمهازل ، والعالم فى جد بكبريات المشاغل ٠٠ ولكن هكذا أراد مكرم عبيد ، أستغفر الله بل أريد لمكرم عبيد ، فلو كان الأمر أمر مكرم وألف وألفين من أمثال مكرم ، ما عنانا ذلك فى قليل ولا فى كثير ٠٠ ولكنه أمر الأخلاق وأمر مصر وسمعتها ، بل ودستورها وكرامتها ٠٠ فهم من أجل ذلك يتألبون بحكومة الشعب ويطعنون فى نزاهتها !!

ولكن هيهات هيهات ، فلن ينال أحد منا غايته ، أو يدرك بغيته ، فان البرلمان ينصرنا ، والشعب يؤيدنا ، والله معنا مطلع على أعمالنا وأسرارنا ٠

ومن تكن بالله قوته ، ومن الشعب نصرته ، فلا يهوله من يتربص به الدوائر ، أو يضع فى طريقه العقبات ٠

(قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوى ومن اهتدى) ٠

ويوجه الأستاذ المعوض الباز سؤالا عن مشروع انشاء كورنيش بسمنود ، واعطاء مزاد بناء قرية المهاجرين بالمحلة الى المقاول الذى بنى منزل رئيس الوزراء ٠٠ ويرد النحاس باشا بما يلى ليس لدى ما أبديه فهذه الأكاذيب المتتالية والمفتريات المتعاقبة الا أن أعلن لحضراتكم الوقائع الآن بلا تعليق ولا تنميق ولا تزويق :

● أما عن كورنيش سمنود وعلاقته بالأرض المملوكة لى ، كما يقول صاحب الكتاب ، فانى لا أجد أبلغ من الأوراق والوثائق الرسمية فى الرد على هذه المفتريات ٠٠٠ فها هى ذى صورة من مذكرة أرسلها معالى زميلى عثمان محرم باشا الى سعادة وكيل وزارته يقول له فيها « تأييدا للمناقشات التى دارت بينى وبين سعادتكم وحضرة صاحب العزة مفتش تفتيش النيل عما يجب عمله لتهذيب النهر وصيانته وتجميله وسط المدن التى يمر فيها أرجو سرعة اتخاذ ما يلزم من اجراءات لبدء تنفيذ المبادىء التى قررتها فى جهات بنها وطلخا وشربين ، وتعميم تنفيذها بعد ذلك وعلى مدار سنوات فى البلاد المشابهة ٠ ان هذه السياسة التى بدأتها مذ كنت مديرا للأعمال ثم مفتشا للرى قد بدأ أثرها واضحا فى واجهة ميت غمر على النيل وما نشاهده فى شارع البحر بمدينة المنصورة ٠

اذن فسياسة تهذيب النيل وتجميل المدن التى يمر فيها وجعل أجزاء جسره المستطيلة متصلة بعضها ببعض ليست بنت اليوم ولا بنت عام أو عامين وانما هى سياسة مرسومة على أساس تبين نفعه العام ، وروعيت فيه مصلحة ملايين المنتفعين من ماء النيل ٠

ولما كانت مدينة سمنود لا تقل عن المدن التى أشار اليها معالى وزير الأشغال فى رسالته وضرب بها المثل ، بل انها تمتاز عنها بوجود الكوبرى الذى يصل بين مديريات الدقهلية والشرقية والغربية ، أى يربط مديريات شمال الدلتا بعضها ببعض ، وهى معدودة من المدن الكبرى التى كانت مقرا للملك فى أيام قدماء المصريين ، لما كانت سمنود مدينة هذا شأنها ، قد رأت وزارة الأشغال تنفيذا لسياستها ـ لا تحسينا لصقع أرض نملكها ـ أن تنشىء كورنيشا على النيل لتحسين مجرى النيل وجسوره ، وأرسل معالى وزيرها الى الوكيل مذكرة جاء فيها :

« أرسل لسعادتكم مع هذا شفافا مبينا عليه شارع البحر أمام سمنود تنفيذا للخطة الواجبة الاتباع أمام المدن الكبرى كما ذكرت ذلك فى مذكراتى السابقة عن هذا الشأن ٠ وقد تم اقتراح هذا التخطيط بمعرفة المجلس المحلى واشراف حضرة صاحب العزة مدير الغربية بموافقتى » ٠

تمت هذه الاجراءات التمهيدية ، وكلفت الجهات المختصة ومنها مصلحة المساحة ـ باتخاذ الاجراءات اللازمة لتنفيذ هذا المشروع ٠

والى حضراتكم نص مذكرة مؤرخة ١٧ مايو سنة ١٩٤٣ أى اليوم وموقع عليها من كبير مفتشى نزع الملكية بمصلحة المساحة ومراقب عام المصلحة جاء فيها :

« الخطوات التى تمت فى مشروع تعديل جسر فرع النيل الشرقى ببندر سمنود « كورنيش سمنود » تتلخص فيما يأتى :

أولا : تمت جميع الاجراءات الفنية لهذا الموضوع من حيث تحديد العقارات المطلوب نزع ملكيتها ورفعها من الطبيعة ثم عمل مسطحاتها ، وكذلك حصر محتوياتها وأوصافها تمهيدا لمعاينتها بمعرفة لجنة التثمين وتقدير أثمانها حسب حالتها الراهنة ٠

ثانيا : لم يبدأ للآن فى تقدير أثمان العقارات المتداخلة بهذا المشروع سواء كانت أرضا أو بناء ، وبالتبعية ٠٠٠ لم تعرض أثمان على ملاكها بالكلية ٠

اذن فنزع ملكية ٧٦ منزلا قدر للمتر فيها ثمن يتراوح من أربعة

الى تسعة جنيهات للمتر ، قول جرىء وادعاء أقل ما يوصف به أنه ادعاء دنيء ٠

أما عن المصادفات العجيبة التى كررها مكرم فى عريضته حتى أصبحت ممجوجة مرذولة ، من أن لرفعة رئيس الوزراء أرضا تفيد الفائدة كلها من انشاء هذا الكورنيش العجيب ، فلتعلموا حضراتكم أن الأرض التى يقول عنها المفترى الجرىء ليست على الطريق الذى تقرر فتحه للكورنيش (تصفيق) بل أن أملاكنا تحجبها عن هذا الطريق عدة منازل لابد من شرائها فضلا عن شراء زوائد التنظيم التى تتخلف عنها وعن غيرها اذا أردت الانتفاع بهذا الكورنيش ككل عباد الله ٠ وان فى الخريطة التى خططتها وزارة الأشغال واعتمدتها رسميا عن كيفية مرور الكورنيش لدليلا ماديا ليس فى حاجة الى مناقشة ، بل هو كاف كل الكفاية لادحاض مفتريات المختلق الجرىء ٠ فليس ما قاله فى هذا الباب الا كذبا رخيصا ليس بالعجيب ، أن يصدر عن الكذاب المريب ٠

وان نظرة فاحصة الى الخريطة التى خطط فيها هذا المشروع لتغنينى وتغنيكم عن الاطالة فيما لا يحتمل التطويل ٠

أما ما يدعيه من أن فريد المصرى بك كان قد رفع على قضية يطالبنى فيها بتكاليف بناء منزلى فى سمنود ، وتنازل عنها وانتهت صلحا فى العهد الأخير ، ويعد ذلك مصادفة عجيبة من مصادفاته التى لا عداد لها ويربطها باعطائه مقاولة انشاء بيوت للعمال بمبلغ يزيد على مائة ألف جنيه الى آخر هذيانه ، فما حيلتى فى كذاب يخلق ويختلق ، ويزور ويلفق ٠

وانى أقرر لحضراتكم فى هذا المجلس انه لم تقع بينى وبين فريد بك المصرى منازعة ما على تكاليف بناء منزلى فى سمنود ولا على غيره ولم ترفع منه على قضية ما لا فى هذا الشأن ولا فى غيره ٠٠٠٠٠ ومن ثم لم يتنازل عن القضية الموهومة ، ولم تنته صلحا أو غضبا فى العهد الأخير ، كما يقول الفاجر الكبير ٠

وانى أتحداه أن يذكر تاريخ القضية ، والمحكمة التى رفعت اليها والموعد الذى حصل التنازل فيه ٠٠٠٠ فان فعل كان صادقا فى كل ما يدعيه ، وان لم يفعل ـ ولن يفعل فلكم وللأمة الكلمة الأخيرة فيه ٠

أما مقاولة انشاء بيوت العمال بالمحلة الكبرى ، فلها قصة فاستمعوا اليها حضراتكم من واقع المستندات المحفوظة فى سجلات وزارة الوقاية والتى سيتلوها على حضراتكم زميلى معالى الأستاذ مصطفى نصرت وزير الوقاية الآن ـ ومنها سترون أأعطيت هذه المقاولة الى فريد بك المصرى فى عهدنا

أم فى عهد غيرنا ، وهل صرف له تعويض أم لم يصرف ، وهـل كانت ملاحظات معالى زميلى عثمان محرم باشا بوصفه وزيرا للوقاية منصبة على المقاول ، أم على الطريقة التى اتبعتها الوزارة السابقة ، وهل خسر المقاول من وراء هذه العملية أم كسب ؟ وهل صدق مكرم فيما سوده أم كذب ؟

وقد جاء فى بيان حضرة صاحب المعالى وزير الوقاية :

جاء فى الكتاب الأسود عن هذا الموضوع ما يأتى :

« أعطى فريد أفندى المصرى مقاولة انشاء بيوت للعمال بالمحلة الكبرى بمبلغ يربى على مائة ألف جنيه وكان رسو هذه المقاولة محل تحقيق من وزير الأشغال فى بادىء الأمر ولكن ما أسرع ما انقلب الأمر من النقيض الى النقيض فان الوزارة قد قررت له أخيرا مبلغا كبيرا بمثابة التعويض ... ومن المصادفات العجيبة هنا أيضا أن حضرته كان قد رفع قضية على رفعة رئيس الوزراء يطالبه فيها بتكاليف بناء منزل رفعته بسمنود فتنازل عن هذه القضية وانتهت صلحا فى العهد الأخير » .

وحقيقة هـذا الموضوع هى أن هـذه العملية عهـد بها الى مكتب الانشاءات الدائمة المكون من بعض موظفى مصلحة الشئون القروية التابعة لوزارة الصحة العمـومية الذين خصصوا لأعـداد وتنفيـذ مشروع قرى المهاجرين .

وقد أشهر المكتب العملية فى المناقصة فى أغسطس سنة ١٩٤١ على أساس اتمامها فى أربعة أشهر فقدمت عنها ستة عطاءات كان ترتيب الثلاثة الأول فيها كالآتى :

١ ـ محمد حسن العبد بك بمبلغ ١١٥٥٩٣ر جنيها و١٠٠ مليم لكل الأعمال وفى نفس المدة واشترط مساعدته فى استحضار جميع الأدوات اللازمة بالفئات المحددة بالتسعيرة لكل صنف منها (وانى أودع مكتب المجلس كتاب المقاول المرفق بعطائه المتضمن هذه البيانات) .

وهنـا يلاحظ انه لم يكن يدخل فى التسعيرة فى ذلك الوقت غير الخشب والحديد والأسمنت أما الطوب والأدوات الصحية فكانت خارج التسعيرة .

٢ـ السعيد محمد وحش أفنـدى بمبلغ ١١٨٠٠٠ر جنيهـا لكل الأعمال والمدة سبعة أشهر للعملية كاملة وذكر أن أسعار الحديد والخشب وضعت بفئات التسعيرة يوم تقديم العطاء واشترط الاستيلاء على الكميات اللازمة من هذين الصنفين وأضاف أن أسعار الأعمال الصحية سارية لمدة أسبوع ان لم يجدد امتدادها .

٣ ــ حامد فريد المصرى بك بمبلغ ١٢٤٫٥٢٥ جنيها و٩٠٥ مليمات لكل الأعمال واشترط أن تقوم المصلحة بتسهيل ايجاد الأخشاب والحديد والأسمنت اللازم لهذه العملية مع استعداده لدفع قيمتها حسب التسعيرة الجبرية ٠

أما بخصوص المدة المحددة لتنفيذ العملية فقد قرر أنه سيبذل كل ما فى وسعه لاتمام العملية فى ميعادها المحدد (أى أربعة أشهر) الا اذا حدثت طوارىء غير منظورة وقت التعاقد بسبب عدم وجود المهمات المسار اليها فى ميعادها المناسب أو غير ذلك من الطوارىء التى لم نكن فى الحسبان فالميعاد ينعدل طبقا للحالة الطارئة ٠

وقد أوصى مدير مكتب الانشاءات الدائمة على كشف تفريغ العطاءات بتاريخ ٣ سبتمبر سنة ١٩٤١ بقبول عطاء فريد المصرى بك بشرط أن يصحح قيمة البند رقم ٢٢ عن الأخشاب بجعل فئته ٧٠٠ مليم فقط بحيث يصبح العطاء ١٢١٫٥٢٥ جنيها و ٩٠٥ مليمات وأشار باستبعاد العطاءين الآخرين لأسباب ذكرها فى اشارته على كشف التفريغ الذى أودع صورة منه مكتب المجلس ٠

وبتاريخ ٣ سبتمبر سنة ١٩٤١ اعتمد وزير الوقاية الأسبق ــ بناء على هذه الأسباب اسناد العملية الى فريد بك المصرى الذى أخطر فى ٧ سبتمبر سنة ١٩٤١ بقبول عطائه على أساس توصية مكتب الانشاءات على أن يبدأ العمل من ١٠ منه ويتمه فى أربعة أشهر ٠

وعلى أثر ذلك شكا محمد حسن العبد بك بتاريخ ٦ سبتمبر سنة ١٩٤١ الى كل من دولة رئيس مجلس الوزراء السابق ووزير الوقاية الأسبق فأحيلت هذه الشكاوى على مكتب الانشاءات الدائمة الذى أوضح بتاريخ ١٨ سبتمبر سنة ١٩٤١ تبريرا لرسو العطاء على فريد بك المصرى ــ أنه وان كان عطاء العبد بك هو الأقل الا أن اشتراطه مساعدة الحكومة فى الحصول على الأدوات اللازمة للعملية بالفئات المحددة بالتسعيرة لكل صنف هو شرط يخلى المقاول من مسئولية التأخير فى العمل (أى الزمن) وهو أهم عامل فى هذه العملية ، يضاف الى ذلك أنه من الجائز زيادة تسعيرة المواد وعندئذ يطالب المقاول بزيادة الفئات ، لهذا قد رئى عدم اسناد العمل اليه وبناء على ذلك حفظت الشكوى بتاريخ ٢٢ يناير سنة ١٩٤١ ٠

وقد حدثت هذه التصرفات جميعها فى عهد الوزارة السابقة كما هو واضح مما تقدم ٠٠٠

وبإنعام النظر فى التحفظات التى أبداها مقدمو العطاءات المشار اليها ومقارنتها ببعضها يتبين أنه لم يكن هناك فى واقع الأمر فارق يدعو لاستبعاد العطاء الأقل استنادا للأسباب التى ذكرت تبريرا له ٠

وعندما تولت الحكم الوزارة الحاضرة وصلت الى معالى عثمان محرم باشا وزير الأشغال والوقاية وقتئذ شكوى من تصرفات مكتب الانشاءات فى هذه العملية وبناء على ذلك طلب معاليه جميع الملفات والعطاءات والأوراق المتعلقة بها وبعد أن اطلع عليها أبدى بشأنها بعض ملاحظات يتلخص أهم ما تناولته مما يتصل بهذا الموضوع ما يأتى :

أولا : أن الأسباب التى استبعد من أجلها عطاء محمد حسن العبد بك موجودة فى عطاء فريد بك المصرى الذى أوصى عليه مدير مكتب الانشاءات الدائمة ٠

ثانيا : عدم اشتراك قسم حسابات الوقاية فى فحص المناقصة وتفريغ كشف العطاءات ، بل تركت كلها لمكتب الانشاءات ٠

وقد طلب معاليه الوقوف على أسباب هذه الاجراءات ومعرفة مبرراتها كما طلب وجوب تقوية الادارة الحسابية بالوزارة وأن تتبع فى نظمها القواعد المتبعة بوزارة الأشغال لضمان انجاز الأعمال بالسرعة المطلوبة وبدون خطأ ٠

ومما تقدم يتضح أن ملاحظات معالى وزير الأشغال والوقاية لم تكن تتصل بسير العملية أو بسحبها من المقاول وانما كانت تنصب على الاجراءات المصلحية الداخلية التى اتبعت عند التوصية بهذه المناقصة فى عهد الوزارة السابقة ٠

فلما أسندت الى وزارة الوقاية فى منتصف شهر مايو سنة ١٩٤٢ عملت على تلافى النقص الذى أشار اليه معالى عثمان محرم باشا ٠

أما عن العملية نفسها فكان من الطبيعى أن تستمر فى طريق التنفيذ بعد أن ارتبطت الحكومة السابقة مع المقاول وبعد أن قطع التنفيذ شوطا بعيدا ولم يكن من المستطاع بعد أن تم الارتباط تلافى ما وقع من الاجراءات الخاصة باسناد هذه العملية والتعاقد عليها ٠

أما ما جاء بالكتاب الأسود عن التعريض المزعوم فحقيقة الواقع فيه ما يأتى :

صدر الأمر للمقاول فى ١٩٤١/٩/٧ على أن يبدأ العمل فى ١٩٤١/٩/١٠ ويتمه فى أربعة أشهر كنص الشروط ولكن لما كانت هذه

القرية تبنى باشتراك الحكومة مع شركة مصر للغزل والنسيج لاستعمالها في أغراض الهجرة الآن ثم تخصيصها لسكنى عمال الشركة بعد الحرب ، ولأن الشركة بعد أن صدر الأمر للمقاول بالعمل طلبت ادخال تعديلات رئيسية تكفلت بتكاليفها سواء فى موقع القرية أو فى مساحتها أو فى تصميم بعض أجزائها أو تغيير فى بعض المواد ليتفق كل ذلك مع أغراض التخصيص المشار اليها ، فقد ترتب على كل ذلك تأخير فى البدء فى العمل وبطء فيه لأسباب لاترجع كلها لتصرفات المقاول مما حمله على أن يتقدم فى ٢٦ مايو سنة ١٩٤٢ مطالبا بتعويض مستندا فى ذلك الى الأسباب الآتية :

١ ـ تأخير الوزارة السابقة فى تسليم الرسومات التنفيذية لامكان البدء فى العمل فى الموعد المحدد له فى الأمر ٠

٢ ـ تعديل الموقع نظرا لما رأته شركة مصر للغزل والنسيج من التوسع فى المساحات المخصصة للقرية ٠

٣ ـ التفكير فى تغيير بعض المواد الأولية ثم العدول عن ذلك ٠

٤ ـ عدم تمكين المقاول من الحصول على الحديد والخشب والأسمنت فى الوقت المناسب ٠

٥ ـ ارتفاع أثمان المهمات ومصاريف النقل وأجور العمال ٠

وقد أخذت الوزارة فى بحث هذا الطلب ودراسة الأسباب التى استند اليها المقاول ورجعت الى قسم القضايا فيما هو من خصائصه فأفتى بتاريخ ١٣ يناير سنة ١٩٤٣ بأن سياسة الحكومة التى أقرتها لجنة القضايا ووزارة المالية وجرت عليها الوزارات المختلفة فى تسوية هذه المسائل منذ قيام الحرب وتصاعد الأسعار ـ هذه السياسة قد جرت على تعويض المقاولين بما يجعل أعباء العقود محتملة فلا ينفرد المقاول بالخسارة وحده ، بل تشاطر الوزارة فى قدر منها يعيد الى عقد المقاول توازنه ٠

وأشار القسم بالنسبة لدعوى المقاول الخاصة بعدم تمكينه من الحصول على الحديد والخشب والأسمنت فى الوقت المناسب بالسعر الجبرى المقرر الى « ان المقاول كان معذورا فيما فهمه من صيغة التحفظ الذى أرفق به عطاءه لأن سعى الوزارة أو وساطتها لتمكينه من المواد التى يتعذر وجودها فى السوق بالسعر المناسب لايمكن أن يؤخذ على أنه سعى ووساطة عادية ، وانما يغلب فى تقدير المقاول أن يكون سعيا ووساطة مما تملكه الحكومة من وسائل الاستيلاء بسعر التسعيرة ، ويكون معذورا

كذلك اذا رتب فئات عطائه على هذا التقدير وأشار القسم الى رأيه فى أن يلحظ فى تقدير التعويض عن الحديد والخشب والأسمنت هذه الاعتبارات جميعها » •

هذه هى الأسباب التى اســتند اليها المقاول فى طلب التعويض ورأى قسم القضايا فيها ومع ذلك فلا تزال موضع الدراســة والفحص الدقيق ولم تصل الوزارة الى رأى نهائى فيها الى الآن ، كما انها بالطبع لم تصرف أى تعويض للمقاول •

ويظهر بكل جلاء مما تقدم :

أولا : أن التصرفات الخاصــة باســناد هذه العمليــة للمقاول فريد بك المصرى وقعت جميعها فى عهد الوزارة السابقة •

ثانيا : أن ملاحظات معالى عثمان محرم باشا وزير الأشغال والوفايه ، وهى مثبتة فى مذكرة مؤرخة ٤ مايو ســنة ١٩٤٢ (أودعهــا بمكتب المجلس) ، لم تكن ترمى الى اتخــاذ أى اجراء استثنائى ضــد المقاول أو سحب العمل منه حتى يمكن أن يقال ان اتجاه الوزارة نحو هذا المقاول قد انقلب من النقيض الى النقيض كما يدعى صاحب الكتــاب الكاذب ، وانما كانت تلك الملاحظات تشير الى نقص فى الاجراءات المصلحية الداخلية التى مرت بها هذه المناقصة فى عهد الوزارة السابقة (أى وزارة دولة حسين سرى باشا) •

ثالثا : أن بحث الوزارة الحاضرة لطلبات المقاول وهى لاتزال موضع الدراسة يجرى طبقا للمعاملة العــادية التى يعــامل بها غيره من المقاولين الذين تصادفهم ظروف مشابهة وهى مستندة الى رأى لجنة قضايا الحكومة والقواعد التى وضعتها فى هذا الشأن واتبعت بالنســبة لجميع المقاولين الذين ارتبطوا مع الحكومة وتأثرت عقودهم بظروف الحرب الحاضرة • وبالفعل فان الوزارة تنظر الآن فى شكاوى عدد من مقاولى القرى الأخرى والمخابىء العامة لتنظر فى تعويضهم عن بعض خسائرهم الحقيقية تمشيا مع المبدأ المتقدم •

واذن فان فريد بك المصرى لم يعامل من هذه الوزارة معاملة استثنائية فلا هى التى بحثت عطاءه ، ولا هى التى أسندت اليه العمليــة ، ولا هى التى اتخذت نحوه اجراءات ثم عدلت عنهــا ، ولا هى التى عوضــته ، اذ لا يزال أمر التعويض قيد البحث بالوزارة • فأين كل هذا مما يدعيه صاحب الكتاب الأسود الذى يعلم هذه الوقائع تمام العلم وانما يأبى عليه حقده الا أن يشوه حقائقها ويقلب أوضاعها امعانا فى تضليله واطفــاء لجذوة غليله •

وألقى صاحب المقام الرفيع رئيس مجلس الوزراء كلمة قال فيها :

لعل حضراتكم بعد أن تلى عليكم هذا ، لستم فى حاجة الى أن أدلكم على مبلغ افتراء المفترى ، وادعاء المنجنى المدعى ، ولكنى أتلو عليكم بعض فقرات من خطاب وصل الى فى أول مايو الحالى من المقاول فريد المصرى بك قال ...

« تعلمون رفعتكم ويعلم الجميع ، أنه لم يحصل بينى وبينكم أى خلاف فى مقاولة بناء سرايكم بسمنود ، لا فى أثناء عملية البناء ولا بعد انتهائها ، ولا فى أثناء المحاسبة ولا بعدها ، وأنكم سددتم لى جميع مطلوبى ، ولم يبق لى الا القسط الأخير المستحق سداده فى أبريل سنة ١٩٤٤ ، ومن ثم لم يحصل أنى رفعت دعوى على رفعتكم أطالبكم فيها بتكاليف بناء السراى ، حتى ولا شرعت فى رفع دعوى على رفعتكم لأى سبب كان ، ولم يكن اذن لتقرير وزارة الوقاية مبلغا لى كتعويض عن عملية مقاولة قريه المهاجرين والعمال بالمحلة الكبرى أية صلة بتكاليف بناء سراى سمنود ، مع ملاحظة أن بناء سراى رفعتكم قد انتهى العمل منه والمحاسبة على تكاليفه فى ابريل سنة ١٩٤١ ٠

أما مقاولة بناء المستعمرة فقد رسا عطاؤها على بتاريخ ١٦ أغسطس سنة ١٩٤١ فلا ارتباط اذن بين المشروعين ولا صلة بين العملين فضلا عن أن ذلك جميعه قد تم فى عهد وزارة صاحب الدولة حسين سرى باشا قبل أن تسند لرفعتكم مقاليد الحكم ٠

وبعد أن سرد تفصيلات النزاع الواقع بينه وبين وزارة الوقاية قال ٠٠ « ويؤسفنى أن أقرر أنه حتى الآن لم يصرف الينا التعويض الذى طالبنا به مع فداحة الخسائر التى ألمت بنا ولا نزال نسير بالعمل على أكمل وجه ... » ٠

هذا هو بعض ما جاء بكتاب المقاول خاصا بالقضية ومقاولة قرية المهاجرين ، وقد اكتفيت بأن أسرد عليكم الوقائع لأنها غنية عن كل تخريج أو تعليق ٠

الآن وقد سردت عليكم تفاصيل هذا الادعاء وملابساته ، وفندت بالدلائل المادية كذب الكذاب ومفترياته ، فماذا عساى أن أقول فى مخلوق أصبحتم الآن أعلم به منى ، فلا أزيدكم عنه علما ٠٠ وانتهى من الأفق السياسى ، فأصبح لا يقيم أحد له وزنا ... وعما قريب ستسمعون حديث انتهائه من الوجود الانسانى ، فلا يدرى هل هو من بين أهل القصور ، أو من سكان القبور !!!

قتل المسكين جحوده ، وقضى عليه كنوده ، فقال على وعلى أعدائى يارب ٠

ولكن الله لم يستجب له ، فنزلت الصاعقة عليه وحده ، وهدت كيانه وحده ، وسلم من عاداهم لأنهم أصدقاء الملايين ، وأحباء المصريين ، وبينهم وبين ربهم ومواطنيهم صلات العارفين ، ورابطة المخلصين ٠

أما هو فقد أصبح معزولا ، مرذولا ، لايملك لنفسه نفعا ، ولايستطيع لمكروهه دفعا ٠٠ يرثى له حتى الشامتون فيه ، ويتحسر عليه حتى الساخرون منه ٠٠٠ لم يبق منه الا نفس خافت ، وعقلية تفكيرها باهت ٠٠٠

ترثى له أعداؤه رحمة يا ويح من يرثى له الشامت

أصبح عبرة لمن يعتبر ، فهل من مدكر ؟!!

« وأملى لهم ان كيدى متين » صدق الله العظيم ٠



البـاب الخـامس

الفصـل الأول

اسنغلال رخيص ، أقفاص سمك ، وسمان وتأجير منازل حكومية بأسعار رخيصة ومتاجرة في الرتب ، والنياشين

لم يكن الكتاب الأسود يستهدف ـ كما سبق ان ذكرنا ـ الهجـوم على رئيس مجلس الوزراء مصطفى النحاس باشا ـ وانما كان يستهدف الهجوم على بعض الوزراء ، الذين كان مكرم باشا يعتقد أن لهم اضلعا فى اخراجه من الوفد أو الذين كانـوا يشنون عليـه حملات عنيفة ومن أولئك الوزراء الذين قسا مكرم عبيد باشا عليهم حمدى سيف النصر باشـا وزير الدفاع الوطنى فقد اتهمه مكرم عبيد باشا فى ذمتـه وكان اتهاما مضحكا لقد تسلم وزير الدفاع قفصا من السمك وآخر من السمان رشوة ليقبل طالبا فى الكلية الحربية وقد رد وزير الدفاع على سؤال للاستاذ احمد ابو الفتوح عن هذا الموضوع فقال :

لقد نزل المفترى الى الدرك الأسفل عندما قال فى كتابه الأسـود ما يأتى :

« عثرت بمحض المصادفة على (بوليصتين) من مصلحة السكك الحديدية (أتشرف بضمهما الى مجموعة الوثائق) احداهما مؤرخة فى ١٩٤٢/١٠/٤ وهى خاصة بقفص من السمان مرسل من دميـاط الى حضرة صاحب المعالى حمدى سيف النصر باشا وزير الدفاع ، والأخرى مؤرخة فى ١٩٤٢/١٠/١٣ وهى خاصة بقفص من السمك وهو مرسل كذلك الى معاليه ، أما مصدر القفصين فهو شخص واحد اسمه الدكتور

محمود فكرى كان شقيق زوجته (فكرى أفندى حامد زاهر) من سعداء الطلبة الذين قبلوا بالكلية الحربية هذا العام .

ومعاذ الله يا مولاى ، أن أذهب الى أن قفصا من السمك الطازج أو السمان الفاخر يعتبر ضربا من الرشوة لقبول أحد الطلاب فى الكلية ولكنها على كل حال مصادفة طريفة أن يكون صاحب الهديتين قريبا لأحد الطلبة المحظوظين بالقبول وأن يكون تاريخ ارسال الهديتين قريبا جدا من تاريخ القبول فى هذا العام .

« وهل هناك ما يمنع المجاملة كمظهر من مظاهر المعاملة » .

هذا ما نضح به اناء المفترى .

ولايمكن لعاقل ان يتصور أن أمر القبول بالكلية قد هان الى هذا الحد ، والواقع ياحضرات النواب أن الدكتور فكرى صديق قديم ومن أهل دمياط وقد تعودت أن أكلفه شراء بعض ما احتاج اليه من منتجات المدينة — واعتاد هو أن يلبى طلبى مشكورا وأن يقبض منى ثمن المشتريات — ولا أزال أكلفه مثل ذلك الى الآن — ولكن صاحب القلب الأسود والكتاب الأسود لم يتورع من النزول الى هذا الحضيض من الكذب وقلة الأدب .

وحقيقة الحال فى موضوع هذا الطالب بالذات أن الدكتور فكرى لم يكلمنى فى شأنه ولم يكتب لى شيئا عنه ولم أكن أعلم الصلة التى بينه وبين الدكتور ، وقد قبل بالكلية لأنه ابن ضابط مايزال فى الخدمة العاملة حتى الآن والأولوية فى القبول طبقا للقواعد المقررة لأبناء الضباط، وأؤكد لحضراتكم أن الدكتور محمود فكرى ليس هو الذى اهتم بشأن الطالب أو تولى اتخاذ الاجراءات لالحاقه بالكلية ، أما الذى اهتم بشأنه وتولى هذه الاجراءات لدى الكلية فهو ابن عمه ومراسله الرسمى حضرة البكباشى محمد توفيق زاهر أفندى الضابط العامل بالجيش وهو فى الوقت ذاته ياور حضرة صاحب الجلالة الملك .

وها هى استمارة دخول الطالب فى الكلية تثبت صحة ما أقول ، وأودعها مكتب المجلس » .

ويوجه النائب المحترم خليل بك الجزار سؤالا عن استئجار لوزير الدفاع وكذلك زميله وزير المواصلات مسكنين من مبانى وزارة الزراعة المعدة للسكنى رغم مخالفة ذلك للدستور ويوجه السؤال الى وزير الزراعة الذى يرد بما يلى :

لقد تعرض مكرم باشا فى كتابه الى واقعة خاصة بتأجير مسكن متحف فؤاد الأول لمعالى وزير الدفاع ولم يتعرض لواقعة مماثلة لها بل سابقة عليها وهى تأجير مسكن قسم البساتين لمعالى وزير المواصلات • وانى سأتطوع بسردها أيضا على حضراتكم ، فقد وردت فى سؤال حضرة النائب المحترم ، ولعل فى اغفاله هذه الواقعة ، مع أنها ثابتة ولها ملفات كأختها وسابقة على تأجير متحف فؤاد الأول ، حكمة ستتبينونها بعد قليل ، وسأذكر لحضراتكم كلمة موجزة عن كل مسكن من هذين المسكنين ، ثم أعرض لمناقشة الوقائع التى وردت فى كتاب مكرم باشا ، بعد أن أتلوها كاملة كما وعدت حضرة النائب المحترم الأستاذ فريد زعلوك •

لوزارة الزراعة مسكن ملحق بقسم البساتين وهو مخصص أصلا لسكنى مدير قسم البساتين ، وهو نظام قديم اتبع فى الوقت الذى كان فيه مديرو هذا القسم من الأجانب ، وقد سكنه مستر براون المدير السابق للقسم حتى فبراير سنة ١٩٣٩ حيث ترك خدمة الحكومة المصرية، وبعد ذلك بقى المنزل المذكور خاليا ولم ينتقل اليه مدير القسم الجديد الذى خلف المستر براون مع ثبوت هذا الحق له ، لأنه استكثر الايجار الشهرى الذى كان لابد أن يخصم بنسبة ١٠٪ من مرتبه • ثم ظل المسكن خاليا بعد ذلك حتى ١٦/١٠/١٩٤١ اذ سكنه الأستاذ حامد جودة وزير التموين الأسبق ووافق وزير المالية فى التاريخ الذى ذكرته وحرر كتابا الى سعادة محمد راغب عطية بك وزير الزراعة اذ ذاك لتأجير هذا المسكن للأستاذ حامد جودة فسكنه عزته حوالى تسعة أشهر ثم أخلاه فى ٢٨ أغسطس ١٩٤٢ ، وكان الجزء الأول من هذه المدة أثناء توليه وزارة التموين •

ثم سكنه معالى وزير المواصلات الحالى فى ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٤٢ ، وقد قدرت له لجنة الايجارات الحكومية ايجارا قدره ١٠ جنيهات و ٢٥٠ مليما فى ٤ أغسطس سنة ١٩٤٢ أى قبل أن يسكنه معالى وزير المواصلات وقبل أن يخليه الأستاذ حامد جودة •

ولا زال معاليه يسكن هذا المسكن الى الآن ويدفع الايجار الذى كان يدفعه سلفه •

لما فكر فى انشاء متحف فؤاد الأول رئى تخصيص الطابق العلوى لمبنى الادارة ليكون سكنا لمديره وكان فى ذلك الوقت أجنبيا ، فشغله مسيو « الاجوس دى بنكرت » من يناير سنة ١٩٣١ الى أواخر سنة ١٩٣٢ ثم شغله مسيو « ايفان ناجي » من فبراير سنة ١٩٣٣ الى فبراير

سنة ١٩٣٦ ، وبعد ذلك عين صاحب العزة محمد بك ذو الفقار مديرا لهذا المتحف فى سنة ١٩٣٦ وطلبت وزارة الزراعة بتاريخ ٢٦ فبراير سنة ١٩٣٦ أى قبل تأليف الوزارة الوفدية موافقة اللجنـــة المالية ومجلس الوزراء على ترقية مدير المتحف الى الدرجة الثانيـــة ومنحه حق السكنى بالمجان فى هذا المسكن ، ولكن اللجنة المالية رفضت هذا الطلب ، وأقر مجلس الوزراء هذا الرفض وبنى الرفض على أن حق السكنى بالمجان قاصر على المديرين الأجانب وبعد موافقة مجلس الوزراء ٠

أما الموظفون المصريون اذا أرادوا التمتع بالسكنى فى مساكن حكومية فيجب أن يدفعوا ايجارا يعادل ١٠٪ من مرتباتهم ٠

وفى ١١ ــ ٥ ــ ١٩٣٨ وافق مجلس الوزراء على اعفاء ذو الفقار بك من دفع الايجار ومنحه حق السكنى مجانا ، كما قرر أن ترد اليــه قيمة الايجار والمصروفات الخاصة بالمياه والنور والكسح التى دفعها منذ أن سكن هذا المسكن الى تاريخ القرار ٠

وصدر قرار وزير الزراعة بتنفيذ ذلك فى ٢١ ــ ٥ ــ ١٩٣٨ وبعد أن سكن ذو الفقار بك قدرت لجنة الايجارات ســبعة جنيهات ونصف ايجارا شهريا لهذا المسكن ، وذكرت أن هذا التقدير يسرى لمدة ٨ سنوات، أى أن يعمل بهذا التقدير حتى سنة ١٩٤٤ وكان فى استطاعتنا أن ينتفع معالى حمدى باشا بالتقدير الذى ربط فى ذلك الوقت والذى يستمر أجله الى أغسطس سنة ١٩٤٤ ٠

وقد جاء فى كتاب مكرم صراحة أن هذا المنزل أجر لحمدى باشــا بنفس الايجار وهو سبعة جنيهات ونصف ولهذا قصة طريفة ٠

بتاريخ ١٩٣٨/١٢/٨ شغل حــامد سرى بك مدير المتحف الحالى المسكن معتقدا أنه سيفيد من الامتياز الذى منح لسلفه ذو الفقار بك ، ولكن مالبث أن تبين له ، بعد حوالى ٢٠ يوما من سكنه ، أن هذا الامتياز شخصى لمحمد ذو الفقار بك ، اذ أن قرار مجلس الوزراء قد عين اســـمه بالذات وعندما أبلغته وزارة الزراعة صراحة أنه لا يفيد من ذلك الامتياز بل سيطالب بالايجار أخلى عزته المسكن فى ١٩٣٨/١٢/٢٦ وكان قد سكنه فى ١٩٣٨/١٢/٨ أى أنه مكث به ١٨ يوما حوسب عن ايجارها ، فدفعه ، وأثبت هذا فى الخطاب الذى أخطر به الوزارة عن اخلاء المسكن ، وبعد ذلك التاريخ لم يشغله أحد حتى رغب معالى حمدى باشـــا سيف النصر فى استئجاره ، فقدم طلبا بذلك الى معالى وزير المالية فى ديسمبر سنة ١٩٤٢ فرأيت أن أتيح الفرصة من جديد لمدير المتحف الحالى لشغل

المسكن اذا أراد ، فأصدرت قرارا اداريا بمنح مدير المتحف حق سكنى هذا المسكن وأن الوزارة لا تمانع فى سكناه اذا شـاء ، فاعتذر عزته عن قبول ذلك لنفس الأسباب التى من أجلها أخلى المسكن فى سـنة ١٩٣٨ فوافقت على تأجيره لمعالى وزير الدفاع ٠

يقول مكرم باشـا ان هذه الأوامر صـورية وان مدير المتحف لم يستغن عن السكنى وان كل هذا تحايل يقصد من ورائه اعتبار وزير الدفاع فى مركز مدير المتحف حتى يسكن بنفس الايجار ٧٪ جنيهـات وسيتبين لحضراتكم أن شيئا من هذا لم يقع ، وأن وزير الدفاع لم يعتبر فى مركز مدير المتحف ، وأن الأوامر الادارية لم تكن صـورية ، وأن المدير لو كان راغبا فى السكنى لما ظل صامتا من ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٣٨ الى ٧ ديسمبر سنة ١٩٤٢ أى أربع سنوات ٠ ومدير المتحف كما ذكرت لحضراتكم هو حامد سرى بك شقيق دولة حسين سرى باشا وهو موظف بالدرجه الأولى أى أنه من كبار الموظفين الذين يجرءون على ابداء آرائهم بكل صراحة ٠

وعندما وافقت على أن يؤجر المسكن لحمدى باشا لم أقتصر على هذا ، بل أصدرت فى الحال أمرا باخطار وزارة الماليـة ومصلحة الأملاك لاعادة تقدير الايجار ، واتخاذ كافة الاجراءات القانونية ، كما أصـدرت أمرا اداريا بفصل عدادى النور والمياه عن العدادات الخاصة بالمتحف وجعلهما مستقلين خلافا لما كان عليه الحال فى عهد سكنى المدير السابق ، اذ كانت الوزارة تحاسبه على قيمة مئوية ثمنـا لما يستهلك من النـور . بلغت ٥ر٠٪ من المرتب ــ أى بضعة قروش ــ بينما بلغت نسبة ما يدفعه معالى حمدى سيف النصر باشا فى الشهر الواحد ثمنا للنور ١٢٪ ، علاوة على قيمة الايجار وها هى ذى الفاتورة المثبتة لذلك تحت يدى ٠

فنحن ــ كما تبينتم ــ لم نبتدع هذا الأمر ، ولم نكن أول من أجر أو استأجر من الوزراء ، فالسوابق متعددة ، والعرف قائم ، والتقليـد متبع من قديم ، ولم نفعل نحن أكثر من أن جئنا فاتبعنا ما كان متبعا ٠ على أنه ينبغى أن تلاحظوا حضراتكم أن الظروف لم تكن كما هى الآن ، من حيث أزمة المساكن ، وارتفاع الأجور ، وقلة مواد البنـاء ، وتعذر الحصول على الأماكن الخالية مهما عرض على أصحابها من أجور ، ولو كان العرض من الوزراء ٠ فماذا يفعل وزير المواصـلات ، وقد جىء به من الاسكندرية ليتقلد منصبه ؟ ان سكن فى باخرة اتهم بعدم النزاهة ! وان سكن فى دار اتهم بعدم النزاهة ، ايراد أن يسكن فى عرض الطريق ؟!!

على أن الأستاذ حامد جـودة لم يكن هو وحده الذى سـكن هذا المنزل ، ومع ذلك فانى اذكر لكم كيف استأجره حضرته : لقد طلب ،

قبل سكناه ، اجراء تعديلات وترميمات بلغت تكاليفها حوالى ٥٠٠ جنيه ، فأجرتها الوزارة وتحملتها خزانة الدولة • وسأسمعكم هذا الخطاب ، ثم أسأل الأستاذ نصير بعد أن أتلوه : ماذا يظنه لو أننا اتبعنا القاعدة التى جاءت فيه :

« حضرة صاحب المعالى وزير الزراعة

بناء على الحديث الشفوى الذى تم بيننا ، أتشرف بابلاغ معاليكم أن وزارة المالية لاترى مانعا من تأجير منزل الحكومة بالجيزة الذى كان يشغله مدير قسم البساتين الى حضرة صاحب المعالى محمد حامد جودة بك وزير التموين — نظير تحصيل ايجار المثل منه بحيث لايزيد ما يحصل على ١٥٪ من ماهيته •

وتفضلوا معاليكم بقبول فائق الاحترام •

وزير الماليــــة

١٦/١٠/١٩٤١

عبد الحميد بدوى — امضاء

ولقد كان سعادة عبد الحميد بدوى باشا فى ذلك الوقت محتفظـا لنفسه برياسة لجنة قضايا الحكومة ، فكان مستشارها الأول ، ورئيس لجنة قضاياها ، فى ذات الوقت الذى كان فيه وزيرا للمالية •

حضرة النائب المحترم الأستاذ سـيد سليم — ولكن الخطأ لا يبرر الخطـــأ •

حضرة صاحب المعالى وزير الزراعة — نعم أن الخطأ لا يبرر الخطأ ، ولكنكم لم تتهموا واحدا من هؤلاء بعدم النزاهة حين اســـتأجروا وحين أجــروا •

قلت ان هذا الخطاب أرسل من بدوى باشا الى وزير الزراعة فى ١٦ أكتوبر سـنة ١٩٤١ — وأعـود فأذكركم بأنه كان مستشار الحكومة الأول ومفتيها الأكبر — وكان وزير الزراعة اذ ذاك هو ســـعادة الأستاذ محمد راغب عطية بك ، فكتب سعادته فى ٢ نوفمبر سنة ١٩٤١ الى وزير الأشغال فى ذلك الوقت — الأستاذ ابراهيم عبد الهادى — كتابا نصه :

« حضرة صاحب المعالى وزير الأشغال العمومية

أتشرف بأن أنهى الى معاليكم أنه ورد لنا من وزارة المالية الكتاب رقم م ١٠٣ — ٨/٦ المؤرخ ١٦ أكتوبر الحالى بالموافقـة على أن نؤجـــر

لمعالى وزير التموين منزل الحكومة الكائن بالجيزة الذى كان يشغله حضرة مدير قسم البساتين ، فأرجو التكرم بالتنبيه الى اتخاذ الاجراءات اللازمة لتقدير القيمة الايجارية للمنزل المشار اليه .

وتفضلوا معاليكم بقبول فائق الاحترام .

وزير الزراعة

« محمد راغب عطية »

وقد أشر وزير الأشغال على هذا الكتاب بعبارة « سعادة الوكيل » وأمضى « ابراهيم عبد الهادى » وفى الوقت ذاته أبلغ وزير الزراعة راغب عطية بك وزير التموين ما يأتى :

« حضرة صاحب المعالى وزير التموين

أتشرف بأن أحيط معاليكم علما أنه ورد لنا من وزارة المالية الكتاب رقم ١٠٣ ـ ٨/٦ المؤرخ ١٦ أكتوبر الحالى بالموافقة على أن تؤجر لمعاليكم منزل الحكومة بالجيزة الذى كان يشغله حضرة مدير قسم البساتين نظير تحصيل ايجار المثل منكم .

وقد حررت اليوم لوزارة الأشغال رجاء التنبيه الى اتخاذ الاجراءات اللازمة فى هذا الشأن .

وتفضلوا معاليكم بقبول فائق الاحترام .

وزير الزراعة

« محمد راغب عطية »

فلعلكم أدركتم الآن السر فى أن يغفل مكرم باشا ذكر شىء عن هذا المنزل ، مكتفيا بالكلام عن منزل متحف فؤاد الأول ، ومع ذلك فان الأستاذ حامد جودة لم يكن ـ كما قلت ـ الوزير الوحيد الذى شغل مسكنا حكوميا ، فقد كان توفيق الحفناوى بك يسكن منزلا حكوميا ظل فيه طوال مدة توليه الوزارة ، بل أكثر من هذا أن دولة حسين سرى باشا وقت أن كان رئيسا لمجلس الوزراء كان مستأجرا منزلا حكوميا فى الزمالك وساكنا فى الوقت ذاته الباخرة الحكومية « محاسن » كما ذكر لكم معالى وزير الأشغال ، ومما يذكر هنا أن دولة حسين سرى باشا طلب اجراء تعديلات وترميمات فى المسكن الذى يستأجره من الحكومة ـ ولعل هذا هو سبب انتقاله الى الباخرة محاسن ـ وقد بلغت نفقات تلك الاصلاحات ٣٩٠٠ جنيه ، وكان من بينها نقل حمام من مستشفى حكومى بحلوان

ووضعه فى منزل دولته ، وعمل سلم خلفى من الرخـام ، وتغيير البـاب العمومى من خشب الى حديد مزخرف وبلور ، واقامة بوابتين جديدتين عند المدخل الخارجى للسور ، احداهما للمدخل العمومى والأخرى للخدم ، وتغيير (دفايات) الصالون ، الى آخر ما جاء بكشف طويل لا أرى داعيا لاكمال تلاوته ، ولكنى أحب أن أبين لحضراتكم أن القاعدة الحكومية فى مثل هذه الأحوال تقضى بأن يضاف الى الأجر المقدر مبلغ يعادل ٦٪ من قيمة التعديلات التى تجريها الحكومة بناء على طلب الساكن ، وعلى ذلك زيد الأجر الذى كان يدفعه دولته من ٣٩٦ جنيها سنويا الى ٤٢٢ جنيها و ٤٠٠ مليم فى السنة ، أى بزيادة قدرها ٢٦ جنيها فى السنة ، ويظهر من هذا أن الحكومة قدرت التعديلات التى أجرتها بمبلغ يقل عن ٥٠٠ جنيه ، واعتبرت باقى النفقات التى بلغت كما ذكرت ٣٩٠٠ جنيه ، من تكاليف الترميمات ، كيلا تدخل فى تقدير زيادة الأجر .

وأحب أن أذكر أيضا أن معالى حمدى سيف النصر باشا اسـتأجر منزل متحف فؤاد الأول فى سنة ١٩٣٦ أثناء توليه وزارة الزراعة ، وكان مكرم باشـا حين ذاك وزير للماليـة ، ولكنه لم يحتج فى ذلك الوقت ، ولم ير فى هذا المسلك ما يمس نزاهة الوزير أو نزاهة الحكم .

على أننى لا أريد أن أجرح سرى باشا أو أحدا ممن ذكرت فى هذه الأمثلة ، ولا أن أتهم أحدا منهم فى نزاهته ـ فكلهم أصـدقائى أجلهـم وأوقرهم ـ ولكننى سقت هذه الأمثلة لأبين أننا لسـنا أول من أجـر أو استأجر ، وأن غيرنا قد أجر واستأجر فى ظروف غير ظروفنا لم تكن فيها أزمة مساكن ، ولا أوامر عسكرية متعلقة بها ، ومع ذلك لم يتهم أحد منهم بعد النزاهة ، ولم يجرؤ ـ بل لن يجرؤ ـ مكرم باشا أن يتهم أحدا منهم بعدم النزاهة .

ليس ذلك فقط ، ياحضرات النـواب المحترمين ، بل اسـمعوا واحكموا .

كان حمدى باشا سيف النصر وزيرا للزراعة فى سنة ١٩٣٦ ومكرم باشا وزيرا للمالية ، وقد سكن حمدى باشا فى مسكن متحف فؤاد الأول فلم ير مكرم باشا فى ذلك ما يمس نزاهة الوزير أو نزاهة الحـكم . فما الذى حدث بعد ذلك ، حتى تغيرت مقاييس النزاهة عند مكرم باشا ؟ لم يحدث الا ان مكرما كان وزيرا سنة ١٩٣٦ ، وهو اليوم غير وزير ، ومن أجل هذا تغير كل شىء فى نظره فأصبح الأبيض أسود .

لقد تبينتم من اجابة معالى عثمان محرم باشا أن دولة عبد الفتاح يحيى باشا ورفعة ماهر باشا ودولة صدقى باشـا والأسـتاذ ابراهيم

عبد الهادى كل هؤلاء سكنوا بواخر حكومية ، وهى من أملاك الدولة التى ينطبق عليها نص المادة ٦٤ من الدستور ٠

حضرة النائب المحترم الأستاذ عبد الرحمن نصير ـ هؤلاء لم يكونوا مستأجرين ٠

حضرة صاحب المعالى وزير الزراعة ـ لقد أوجدتمونا فى حيرة ، فاذا أجزنا الايجار قلتم مخالفة دستورية ، واذا منعناه قلتم أن هذا تهرب من الايجار ٠

حضرة النائب المحترم يوسف الشريعى ـ كان حضرة الزميل الأستاذ نصير معارضا فى العهود الماضية فلم يعترض على هذه التصرفات ٠ فما باله يعترض عليها اليوم ؟

حضرة صاحب المعالى وزير الزراعة ـ يقول صديقى الأستاذ نصير ان هؤلاء الذين ذكرتهم وذكرهم معالى محرم باشا سكنوا البواخر الحكومية ٠

حضرة النائب المحترم الأستاذ عبد الرحمن نصير ـ أقول انهم استعملوا هذه البواخر مددا قصيرة للمصلحة العامة ٠

حضرة صاحب المعالى وزير الزراعة ـ هم لم يسكنوها مددا قصيرة بل أشهرا وسنين ٠

الغريب أن وزارة الأشغال اذا عملت برأى لجنة قضايا الحكومة وقالت ان الايجار غير جائز طبقا لنصوص الدستور وان العقد لا وجود له من الناحية القانونية قال مكرم باشا أن هذه الفتوى صدرت خدمة لمعالى عبد الفتاح الطويل باشا ، واذا أردنا تحصيل مقابل لما تتكلفه هذه البواخر اعتبر هذا تحايلا ٠ فمن الناحية الدستورية يرى مكرم باشا أن الاجراءات التى اتبعت كانت مخالفات صريحة لنصوص الدستور ٠

لا أريد أن أشغل وقتكم ببحث دستورى طويل انتهى فيه آخر الأمر الى رأى مكرم باشا ، ولا أريد أن أذكر لحضراتكم تفصيل المناقشات التى دارت فى لجنة وضع الدستور بصدد المادة ٦٤ ، وان هذه المادة ليس لها نظير فى جميع دساتير العالم عدا الدستور البولونى (المادة ٦٩) ٠

ترددت لجنة وضع الدستور طويلا فى شأن المادة ٦٤ فأثبتتها ، ثم حذفتها ، ثم عادت فاثبتتها ، وقد كان الحظر مقصورا أول الأمر على شراء الأطيان واستئجارها ، كما هى الحال فى النص البولونى ، ولكن اللجنة الاستشارية التشريعية استبدلت بلفظ أطيان كلمة أملاك ، وهذا يشمل

فى رأى مكرم باشا الأطيان والمبانى ، وانى أسلم معه ومع أنصار ذلك الرأى بأن العبـــارة عامة تشمل الأطيـــان والمبـــانى . وأريد أن أبين الآن لحضراتكم ماذا حدث عندما طلب معالى وزير المواصلات استئجار مسكن قسم البساتين .

طلبت الملف الخاص بهذا المسكن فوجدت أنه كان مؤجرا للأستاذ حامد جودة بناء على رأى صريح أبداه عبد الحميد بدوى باشا ـ وقد ذكرت لحضراتكم أن كثيرين من الوزراء ورؤساء الوزارات كانوا يستأجرون أماكن حكومية ـ فهل رغم كل هذه السوابق فى السنوات الطويلة الماضية ورغم الفتوى التى أصدرها رئيس لجنـــة قضايا الحكومة ومستشارها الأول أكون قد خالفت الدستور ؟!

لمن أرجع اذن اذا أشكل على الأمر وأردت أن أتبين حقيقته ؟!!

ان أمامى خطابا صريحا من سعادة عبد الحميد بدوى باشا ، الذى كان عضوا فى لجنة وضع الدستور واشترك فى المناقشات الطويلة التى دارت حول نص المادة ٦٤ ، وهو يجيز تأجير هذه المساكن ، فكيف أكون اذا اتبعت هذا الرأى مخالفا للدستور ويكون هذا التصرف عدم نزاهة منى ومن الساكنين فنستحق الصحائف العشر التى كلها طعن وتجريح وأخف مافيها عدم النزاهة .. الخ ؟!

وانى أودع مكتب المجلس كتاب سعادة بدوى باشا وكتابين من وزير الزراعة السابق لوزيرى التموين والأشغال المتضمنين الموافقة على التأجير ليطلع عليها من يشاء من حضراتكم وهذا نصها :

« حضرة صاحب المعالى وزير الزراعة

بناء على الحديث الشفوى الذى تم بيننا ـ أتشرف بابلاغ معاليكم أن وزارة المالية لا ترى مانعا من تأجير منزل الحكومة بالجيزة الذى يشغله مدير قسم البساتين الى حضرة صاحب المعالى محمد حامد جودة بك وزير التموين ـ نظير تحصيل ايجار المثل منه بحيث لايزيد ما يحصل على ١٥٪ من ماهيته .

وتفضلوا معاليكم بقبول فائق الاحترام .

١٦/١٠/١٩٤١

وزير المالية

« عبد الحميد بدوى »

« حضرة صاحب المعالى وزير الأشغال العمومية

أتشرف بأن أنهى الى معاليكم أنه ورد لنا من وزارة المالية الكتاب رقم م ١٠٣ ـ ٨/٦ المؤرخ ١٦ أكتوبر الحالى بالموافقة على أن تؤجر لمعالى وزير التموين منزل الحكومة الكائن بالجيزة الذى كان يشغله حضرة مدير قسم البساتين ·

فأرجو التكرم بالتنبيه الى اتخاذ الاجراءات اللازمة لتقدير القيمة الايجارية للمنزل المشار اليه ·

وتفضلوا معاليكم بقبول فائق الاحترام ·

وزير الزراعة

(محمد راغب عطية) ·

سعادة الوكيل ؟

(ابراهيم عبد الهادى)

١٩٤١/١١/٣

« حضرة صاحب المعالى وزير التموين

أتشرف بأن أحيط معاليكم علما أنه ورد لنا من وزارة المالية كتاب رقم م ١٠٣ ـ ٨/٦ المؤرخ ١٦ أكتوبر الحالى بالموافقة أن تؤجر لمعاليكم منزل الحكومة بالجيزة الذى كان يشغله حضرة مدير قسم البساتين نظير تحصيل ايجار المنزل منكم ·

وقد حررت اليوم لوزارة الأشغال رجاء التنبيه الى اتخاذ الاجراءات اللازمة فى هذا الشأن ·

وتفصلوا معاليكم بصبول فائق الاحترام ·

وزير الزراعة

(محمد راغب عطية)

ونحن اذا كنا قد قبلنا أن نؤجر لوزيرى الدفاع والمواصلات فقد كان ذلك بناء على تلك الفتوى · ولكنى علمت أخيرا ـ وقد يكون الفضل فى ذلك (للكتاب الأسود) ـ أن فتوى أخرى صدرت من أحد المستشارين الملكيين مناقضة لفتوى بدوى باشا مؤداها أن حضرة المستشار يرى أن الحظر ينصب على البواخر وغيرها ، فلا يجوز بحكم الدستور أن تؤجر ،

فأرسلت كتابا الى حضرة صاحب المعالى رئيس لجنة قضـــايا الحكومة لأتبين حقيقة الأمر ، نصه :

« حضرة صاحب المعالى رئيس لجنة قضايا الحكومة

نظرا للأزمة الشديدة فى المساكن وصدور أوامر عسكرية تحد من حرية الملاك فى تأجير أملاكهم وافقت الوزارة على تأجير المبنى المخصص للسكن بمتحف فؤاد الأول الزراعى الى معالى وزير الدفاع الوطنى ، وكذلك المبنى المخصص للسكن بقسم البساتين الى معالى وزير المواصلات ، وقد استرشدت الوزارة فى موافقتها المذكورة بموافقة صريحة سابقة بتاريخ ١٦ أكتوبر سنة ١٩٤١ لوزير المالية الأسبق عبد الحميد بدوى باشا ، وصورتها مرافقة لهذا ـ وكان محتفظا لنفسه فى نفس الوقت برياسة لجنة قضايا الحكومة ـ بخصوص تأجير مسكن قسم البساتين الى وزير التموين وقت ذاك الأستاذ حامد جودة بك ٠

وقد علمت أخيرا بصدور فتوى من أحد حضرات المستشارين الملكيين بعدم جواز تأجير مثل هذه المساكن للوزراء عملا بالمادة ٦٤ من الدستور ٠

ولما كانت هذه الفتوى تناقض الرأى الصريح السابق الاشارة اليه الصادر من سعادة عبد الحميد بدوى باشا رئيس لجنة قضايا الحكومة السابق ٠

لذلك أرجو معاليكم التفضل بعرض هذا الموضوع على لجنة قضايا الحكومة لتعرف الرأى الصحيح لاتباعه ٠

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ٠

٢٩ أبريل سنة ١٩٤٣

وزير الزراعة

وبناء على هذا الكتاب أفتت لجنة قضايا الحكومة مجتمعة بأن رأى المستشار الملكى المناقض لرأى بدوى باشا هو الرأى الصحيح وانه من الممكن ـ نظـرا للظـروف الحاضرة ـ أن يحصـــل من وزيرى الدفاع والمواصـــلات أجر المثل حتى يتيسر لهما الحصول على منزلين للسكنى ٠ وحين علمت ذلك لم أتأخر لحظة واحدة فى تصحيح الموقف وأخطرت وزيرى الدفاع والمواصلات بحقيقة الوضع بناء على الفتوى الأخيرة وبأن عقد الايجار يعد ملغى فقبلا ذلك كتابة ٠

واذا كنا ياحضرات النواب المحترمين قد وقعنا فى خطأ من الناحية الدستورية فما ذلك الا لأننـا أخذنا برأى كبير مستشـارى الحـــكومة

بدوى باشا ، ولكن حين تبينا أن فتواه غير صحيحة لم نتردد لحظه واحدة فى العدول عنها والرجوع الى الحق ٠

ان مكرم باشا لا يكتفى بذكر الوقائع ، بل أنه يعرض وقائع غير صحيحة وهو يفعل ذلك متعمدا ، لأنه يعلم أن ذكر ما حدث ، وهو أن وزير الزراعة وافق على سكنى وزيرى الدفاع والمواصلات بناء على فتوى سعادة عبد الحميد بدوى باشا ، يسهل الرد عليه ، فضلا عن أن الوقائع الصحيحة لاتخلق القصة التى يريد مكرم باشا أن يؤلفها ، ولا الحالة التى يريد أن يصورها ، فيستنتج منها ما يشاء ، ويحكم علينا كما تشاء له استنتاجاته وأدبه وكرامته ، والى حضراتكم ما يقوله فى كتابه صفحة ٢٠٢ :

« وتنتهى المهزلة الجريئة بأن يؤجر وزير الزراعة منذ أول يناير سنة ١٩٤٣ هذا المسكن (بأثاثه ومفروشاته) الى زميله وزير الدفاع بايجار شهرى مؤقت يذهب فى التواضع الى حد لا يكاد يتصوره العقل ٠٠ وهو سبعة جنيهات وخمسون قرشا شهريا ٠

وعلى أى أساس بنى هذا التقدير ؟

على أساس طريف يشهد لواضعيه بحسن التفكير والتدبير ، فقد قالوا ان الدار كانت مخصصة لسكنى مدير المتحف ٠ وهذا صحيح وان مدير المتحف الذى سكنها كان يحاسب على ايجار يواقع جزء من عشرة من راتبه وهذا أيضا صحيح ، ولما كان راتب مدير المتحف الحالى يسمح له اذا أراد أن يسكن الدار بأن يدفع ايجارها على أساس عشر المرتب فليسكن اذن حمدى سيف النصر باشا هذه الدار على الأساس الذى كان يدفعه معاليه لو كان اسمه حامد سرى ووظيفته مدير المتحف الزراعى وراتبه راتب المدير لا الوزير ٠

وهنا قامت صعوبة فنية فان حسين سرى باشا كان قد ألغى بقرار منه بعض هذا المبنى لسكن مدير المتحف ، فلم يجد وزير الزراعة بدا من اصدار أمر منه بالغاء هذا الالغاء وتلاه بعد قليل أمر آخر بمنح السكن لوزير الدفاع على اعتبار أنه وزير فى حكم المدير » ٠

معنى ذلك أن الأمر الذى صدر فى ٧ ديسمبر سنة ١٩٤٢ باعادة حق السكنى لمدير متحف فؤاد الأول والأمر الآخر الذى وافقت فيه على سكنى معالى وزير الدفاع بناء على استغناء مدير المتحف عن السكنى ، كل ذلك لم يكن الا ليتقمص حمدى باشا سيف النصر شخصية حامد سرى فيسكن المنزل ويدفع ما كان يدفعه حامد سرى وهو سبعة جنيهات ونصف

جنيه . فهل هذا صحيح ؟ وهل تعمد مكرم باشا ذكر هـذه الواقعة ، والباسها هذه الصورة الروائية وهذه الألفاظ التهكمية ، وهو يجهـل حقيقتها ، أم ان الوقائع الحقيقية كانت بين يديه ، وكان يعلمها ، لأن الملف كما هو ظاهر من ذكر الأرقام والتواريخ والنصوص الحرفية للأوامر الادارية كان فى متناول يده ؟!! فما له ترك الحقيقـة وتنـاسى الاجراءات التى اتبعت ، والايجار الذى يدفعه حمدى باشا ، وهو ضعف ما كان يدفعه حامد سرى بك ، وادعى أن حمدى باشا تقمص شخصية حامد سرى بك فاستأجر وهو وزير باعتباره مديرا ؟!!

واذا ثبت أن مكرم باشا كان يعلم هذا ، بل كان فى امكانه أن يعلم هذا ، لأن الملف كان فى متناول من قدم له المعلومات ، ومع ذلك تعمـد ذكر هذه الواقعة مكذوبة ومزورة فى عريضة قدمها لجلالة الملك ، فانى اترك لحضراتكم تقدير هذا التصرف والحكم عليه .

لقد كان فى الامكان دون أن نتحايل ونصدر هذه الأوامر الصورية أن نؤجر هذا المنزل لمعالى وزير الدفاع بنفس الايجار الأول وهو ٧ جنيهات و ٥٠٠ مليم ، ذلك لأن اللجنة التى قدرت هذا الايجار فى سنة ١٩٣٦ قالت « ان هذا التقدير يسرى مفعوله لمدة ثمانى سنوات تنتهى فى سنة ١٩٤٤ » . ولو انى اتبعت هذا القرار ، قرار وزارة المالية المبلغ الى وزارة الزراعة فى سنة ١٩٣٦ حرفيا ، لما كنت فى ذلك مخالفا للقانون ، ولما كنت فى حاجة الى التحايل كما ذكر مكرم باشا ، ولكن الحقيقة أن حمدى باشا لم يفكر فى هذا ولا فكرت أنا فيه ، بل اننا قدرنا أن الظروف قد تغيرت من سنة ١٩٣٦ الى سنة ١٩٤٢ ، فرأينا من الواجب اعادة التقدير من جديد ، فكتبت الى وزارة المالية بهذا ، واجتمعت لجنة تقدير الايجارات فى فبراير سنة ١٩٤٣ ــ بعـد معاينة قام بها مندوبون من مصلحة المبانى ووزارتى الزراعة والمالية ــ فقدرت مبلغ ١١ جنيها و ٥٠٠ مليم ايجارا شهريا خلاف المياه والنور .

ولا يفوتنى أن أذكر لحضراتكم أن أول علم للحكومة بكتاب مكرم باشا كان فى ليلة ٢٢ مارس سـنة ١٩٤٣ وهى الليلة التى ضبط فيهـا جورجى نجيب الراهب الموظف بالمتحف ومعه آلاف من الحوافظ ثابت بها بعض وثائق الكتاب ، أى أن تقدير اللجنة وتبليغه الى وزارة الزراعة كان سابقا لعلم الحكومة بالكتاب بشهر وعشرين يوما ، ولم نكتف باعادة تقدير الايجار ، بل أمرنا بفصل النور والمياه (مع أنه كان فى الامكان أن نتبع نفس القاعدة التى اتبعت مع محمد ذو الفقار بك وهى احتسـاب نسبة

مئوية من المرتب) فكانت نتيجة ذلك أن حمدى باشا يدفع شهريا حوالى ١٢ جنيها لاستهلاك الكهرباء خلاف المياه ومصروفات الكسح • دفعنا الى هذا نزاهتنا التى يتجاهلها مكرم باشا •

ومن ذلك يثبت رسميا أن مكرم باشا لم يكن صادقا فيما ادعاه من أن حمدى باشا يدفع نفس الايجار الذى كان يدفعه مدير المتحف سنة ١٩٣٦ •

الادعاء الثانى — يقول مكرم باشا فى كتابه ص ٢٠٤ :

« وأضيف الى هذه الصفقة أمر بتعيين ثلاثة من خدم المتحف يتولون أعمال النظافة فى مسكن الوزير على أن تدفع أجورهم وقدرها ٨٥ مليما لكل منهم فى اليوم من ميزانية المتحف بطبيعة الحال » •

وهذا ادعاء مكذوب من أساسه لأن حمدى باشا فى غنى عن هؤلاء الخدم الثلاثة بمقتضى ما له من حق فى استخدام سبعة من رجال الجيش ، ولعلكم تذكرون أن معاليه سبق أن أعلن ترفعه عن هذا • فالذى له الحق فى أن يستخدم سبعة من رجال وزارته ليس فى حاجة الى أن يستخدم ثلاثة من رجال المتحف جهارا نهارا أمام الموظفين وأمام الناس • واذا كان هذا الادعاء صحيحا فما بال مكرم باشا لم يذكر أسماءهم ، مع أنه لا يشير الى موظف الا ويذكر اسمه ومرتبه — كما ذكر أسماء العربجى وسائق الموتوسيكل والجناينى فى واقعة أخرى حتى يكون دليله قويا •

على أننى أؤكد لحضراتكم أن حمدى باشا ليس فى حاجة الى استخدام موظفى المتحف ولا سعادته ، وانما الذى يستخدمهم هو شخص آخر يعلمه مكرم باشا لأنه هو مكرم ذاته ، وما قصة جورجى نجيب الراهب وموريس جرجس ببعيدة •

وأما الادعاء الثالث الذى تعمد مكرم باشا ابرازه فى كتابه ، فهو أنه أراد أن يشعر أن مدير المتحف لم يستغن فعلا عن سكنى المتحف وانما كان الاستغناء صوريا قصد به خدمة حمدى باشا وتهيئة الفرصة له لسكنى المتحف ، وانى لن أذكر شيئا من عندى بل سأتلو عليكم بعض سطور من مذكرة رسمية من مدير المتحف فى هذا الشأن :

« لما عينت مديرا للمتحف سنة ١٩٣٨ حررت خطابا للوزارة رقم ٣٣٥٨ بتاريخ ١٩٣٨/١٢/٨ بأننى سأشغل المنزل المخصص لسكن مدير المتحف ابتداء من يوم الخميس ٨ منه وأننى سأتقدم للوزارة بخطاب فيه تحفظات ورغبات خاصة بسكنى فى هذا المنزل وأن معالى الوزير نفسه

وافق على سكنى كالمديرين السابقين ، وكنت أعتقد أنه سيكون مجانا أسوة بحضراتهم ، ولكنى فهمت فيما بعد أن حق السكن المجانى لا ينطبق على لأن قرار مجلس الوزراء الذى منح هذا الحق لحضرة صاحب العزة محمد ذو الفقار بك نص على اسم عزته فيه ، وقررت الوزارة أننى اذا استمررت فى السكن وجب على أن أقوم بدفع الأجرة وتوابعها التى كانت مطلوبة أصلا كما تقدم .

ولما كان منزلى الخاص يقع على مقربة من المتحف الأمر الذى لا يعوق دوام اتصالى به فى أى ساعة من ساعات النهار أو الليل فضلت اخلاء سكن المتحف والبقاء فى منزلى فوافقت الوزارة على ذلك وأخلى المنزل فعلا ابتداء من ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٣٨ .

وبتاريخ ١٩٤٢/١٢/٧ صدر أمر الوزارة رقم ٤٩٦ باعادة حق السكن بالمتحف الى وجعل الحق خاضعا للقواعد المقررة لمحاسبة الموظفين فى أجرة السكن وتوابعها ونصه كالآتى :

« يعاد الى حضرة صاحب العزة مدير متحف فؤاد الأول الزراعى حق السكنى فى المبنى المخصص لسكنى المدير بمبنى المتحف على أن تتبع مع عزته القواعد المقررة بمحاسبة الموظفين على أجرة السكنى وتوابعها » .

وبذلك أعاد حقى لسكنى بالمتحف بالشروط التى ذكرت فى القرار فاعتذرت عن هذا السكن بهذه الشروط » .

بعد ذلك صدر أمر الوزارة رقم ٥١٥ فى ديسمبر سنة ١٩٤٢ ونصه كالآتى : « الحاقا بالأمر رقم ٤٩٦ الصادر فى ٧ ديسمبر سنة ١٩٤٢ وبما أن صاحب العزة مدير متحف فؤاد الأول الزراعى مستغن عن السكن فى المنزل المخصص له بالمتحف ، ونظرا لأن حضرة صاحب المعالى وزير الدفاع الوطنى (معالى حمدى سيف النصر باشا) قد طلب تأجير هذا المسكن فيعتمد تأجيره لمعاليه طبقا للقواعد المقررة » .

ثم شغله حضرة صاحب المعالى حمدى سيف النصر باشا اعتبارا من أول يناير سنة ١٩٤٣ وأخطرت الوزارة بذلك بالخطاب رقم ٢ ـ ١/٢/١ بتاريخ ١٩٤٣/١/٣) .

من هذا يتبين أن اعتذار مدير المتحف الحالى عن السكن كان حقيقيا مبنيا على أسباب ظاهرة وقائمة من سنة ١٩٣٨ وأنه لم يتقدم فى خلال هذه السنوات الأربع بطلب السكنى فيه مطلقا .

ومن هذه الوقائع يتبين لحضراتكم :

اولا ــ أن التأجير لوزيرى الدفاع والمواصلات كان وفقا لتقليد متبع فى جميع الوزارات وجميع العهود وأجازه ووافق عليه صراحة رئيس لجنة قضايا الحكومة السابق عبد الحميد بدوى باشا وكان فى نفس الوقت وزيرا للمالية وترجع اليه الكلمة الأخيرة فى الموافقة على التأجير .

ثانيا ــ أن حسين سرى باشا وعبد الفتاح يحيى باشا والاستاذ ابراهيم عبد الهادى والأستاذ حامد جودة والحفناوى بك قد استأجروا وسكنوا وهم فى كراسى الحكم منازل وبواخر حكومية ، ولم يطعن أحد فى نزاهتهم ولا أنا أيضا .

ثالثا ــ ان ما ادعاه مكرم باشا بشأن قيمة الايجار الخاصة بحمدى باشا كذب وافتراء وتزوير للوقائع والأرقام الرسمية كما هو ثابت فى الملفات التى كانت تحت اطلاعه .

رابعا ــ ان ما ادعاه مكرم باشا بشأن تعيين خدم من عمال المتحف لخدمة حمدى باشا كذب وافتراء .

خامسا ــ أن مكرم باشا حين رفع عريضة الى مقام جلالة الملك منضمنة هذه الأكاذيب كان يعلم بافك ما افترى ، ومع ذلك فقد اجترأ على تقديمها الى مقامه السامى فى غير خجل ولا حياء . ولكن المثل يقول (اذا لم تستح فاصنع ما شئت) .

والله لو أن رجلا غير مكرم قبل هذا لما تورع من آن يذكره بأنه شيطان أو دجال .

لقد ذكر مكرم باشا فى ختام هذا الفصل من كتابه هذه العبارة « فأية نزاهة هذه التى تنزل بالوزير الى هذا المستوى المتواضع الوضيع » وليسمح لى ، أن أسأله بدورى أى حقد هذا الذى ينزل بالرجل الى هذا المستوى المتواضع الوضيع ؟!

ويوجه النائب المحترم عبد المجيد الرمالى الى رئيس الوزراء السؤال التالى :

« جاء فى الكتاب الذى وزعه مكرم عبيد باشا فى أكثر من موضع أن مشروع البر قصد من ورائه فرض ضرائب غير رسمية والانعام برتب ونياشين على أغنياء المتبرعين ومكافاة الذين اشتغلوا فيه من الموظفين . كما أشير اشارات غير مستحسنة يشتم من ورائها بعض الشك فى هذا المشروع الخيرى .

فنرجو من رفعتكم أن تبينوا لنا هذه المسألة بما يجلو وجه الحق فيها » .

ويجيب النحاس باشا بما يلي :

لم يتورع مكرم عبيد باشا فيما سود من صفحاته ، واختلق من أكاذيبه وترهاته ، لتسوىء سمعة مصطفى النحاس وآله ، وهدم الوفد والوزارة أن ينال باصبع الشر مجال الخير ، وبلسان السوء روح البر ، وقد أعوزه اختلاق البرهان والدليل ، فلجأ هذه المرة الى الغمز واللمز والتضاليل .

فهنا وهناك فى كراسة بدجيله وأباطيله ، اشارات عابرة غادرة ، يقول فى بعضها ان مشروع البر لم يقصد به الا فتح الباب ، لخلع الرتب على الأحباب والأصحاب ، ويقول فى مواضع أخرى ان السر فى ترقية بعض الموظفين ، انما يرجع لما اضطلعوا به من أعباء فى أمانه صندوق أسبوع البر ، أو ما برهنوا عنه من كفاية استثنائية فى مراجعة حساباته وأن لتلهم شرع الاستثناء فوق الاستثناء .

وهكذا لم ينق الله ، فيما قصدنا به وجه الله ، ولم يتورع فى ظلام ما ابتلى بـه من حقد وشنآن ، أن يتجرد حتى من حب فعل الخير لبنى الانسان .

لقد بنيت فكرة أسبوع البر عند السيدة حرمى فى أوائل قيـام الوزارة سنة ١٩٤٢ بمناسبة عيد الجلوس الملكى وصادفت لدينا قبولا ، اذ رأينا أن وزارة الشعب كعهدها على الدوام جديرة بألا تقصر جهودها فى خدمة الشعب على الميدان الحكومى ، وأن من واجبها أن تدعو القادرين والموسرين أجـانب ومصريين الى المساهمة فى عمل خـيرى كبير ، يبقى ذكره ، ويدوم أثره ، ليخفف عن الطبقات الفقيرة ، بعض ما تقاسيه من شظف العيش وشدائد الحياة .

ومع استطاعتنا جعل ذلك المشروع وفديا لحما ودما ، فاننا لم نشأ كما لن نشاء ، ان نلبس الخير لباس الحزبية ، أو رداء الجنسية . فدعونا لرعايته ، ووضع خطته والاشراف على جمع تبرعاته واقامة حفلاته ، لجنة تمهيدية من كرائم السيدات وأفاضل الرجال ، فكان فيها من السيدات حضرات صاحبات العصمة حرم مصطفى النحاس باشا ، والليدى لامبسون ، ومدام كوتسيكا ، ومدام قطاوى باشا ، ومدام الفريدليان ، وحرم عبود باشا ، وحرم يوسف صيدناوى باشـا ، ومن الرجال مصطفى النحاس باشـا ، وأمين عثمان باشـا ، وفؤاد سراج الدين باشـــا ، والدكتور

عبد الواحد الوكيل بك ، وحافظ عفيفى باشا ، وأحمد عبود باشا ، والفريد ليان بك ، ومحمد السيد شاهين باشا ، وأحمد كامل باشا ، وعبد الخالق حسونة بك ٠

وقد رحب حضراتهم جميعا بفكرة هذا البر متهللين متحمسين واتفقت الآراء على السبل التى تتبع للحصول على موارد هذا المقصد الانسانى الجليل ، وكانت تلك السبل هى ما يأتى :

١ ــ جمع التبرعات والاشتراكات ٠

٢ ــ توزيع طوابع باسم قرش البر ٠

٣ ــ اقامة حفلات تمثيلية وسينمائية وحفلات شاى بتذاكر ذات قيمة ٠

٤ ــ بيع شارات وأزهار ٠

ألفت لتنفيذ هذا البرنامج لجان فرعية احداها فى القاهرة والأخرى بالاسكندرية وثالثة فى بورسعيد ٠ وما ان تمت الاستعدادات وبدأت هذه الحركة المباركة فى يوم ٦ مايو سنة ١٩٤٢ حتى أقبل على المساهمة فيها سكان مصر أجمعون ، مصريون وغير مصريين ، موظفون وغير موظفين ، تحدوهم جميعا روح من التعاون الاجتماعى امتاز بها والحمد لله عهد وزارة الشعب أكثر من سواها ، بدليل ما وصل اليه مشروع ذلك البر من نجاح ، وما أقبل عليه الأغنياء من تبرعات كبيرة لمشروعات نافعة أخرى كالمجموعات الصحية القروية والمطاعم الشعبية وسواها ٠

ولما أن رأينا نجاح أسبوع البر منذ ولادته ، ومستهل طلعته ، ككل عمل سداه الرأفة ، ولحمته العطف والاخلاص ، قررنا أن يمتد ويطول حتى بلغ الأسبوع شهرا ثم شهرين ، وحتى بلغت موارده الصافية فى ٢٠ يوليه سنة ١٩٤٢ مبلغ ٩٨٠٤١ جنيها و ١٤٤ مليما أودع فى البنك ما عدا جنيها و٥٦ مليما فى الصندوق ــ بل لقد زادت بعد ذلك المتحصلات الى ٩٨٫٨٧٠ جنيها ثم الى ١٠٠٫٥٣٩ جنيها و ٥٢٧ مليما ثم زادت بعد ذلك الى ١٠١٫٧٥٠ جنيها ٤٠٦ مليمات وهو رصيد حساب مشروع البر الى ١٥ أبريل سنة ١٩٤٣ طبقا لسجلات بنك مصر بالقاهرة الذى أودعت فيه تلك الأموال من أول الأمر وفوق ذلك ٥٨٤ جنيها و ٣٤٠ مليما قيمة المصروفات التى صرفت على المطبوعات والحفلات وسواها ٠

غير أنه لم تكد تظهر بوادر نجاح تلك الفكرة الانسانية السامية ، واقبال جميع الطبقات عليها حتى روع من نجاحها الحاقدون والحاسدون ، وصعق منها المرجفون والدساسون ٠ ولكن لا عجب فكيف ترضى

نفوسهم ، أو تطمئن قلوبهم الى عمل خالد جليل كهذا العمل ، ندعو اليه حكومة الشعب ويقوم به مصطفى النحاس وحرم مصطفى النحاس (تصفيق) ٠

وكيف تهدىء ثائرتهم لنجاحه نجاحا ماديا وأدبيا منقطع النظير ، وهم الذين يتشدقون بانقطاع الصلة بين الوفد ومن يسمونهم أصحاب المصالح الحقيقية ، بل بين الوفد والأمة جميعا ، ويرمونه بالعجز والتقصير فى أعماله ، حكومية كانت أو شعبية ٠

اذن فلتنطلق الألسنة الكاذبة ، ولتتحرك حزازات الصدور الموغرة ، بالافتراء والادعاء والدس فى الظلام ، وكيل التهم جزافا ذات اليمين وذات الشمال ، فمن قائل ان هناك عزبة اشتريت من ذلك المال الحرام ، أو أن عمارة كبرى تنشأ فى طريق الأهرام ، وغير ذلك مما أبرىء نفسى عن تكراره ، وارتفع بالآذان عن سماعه ٠

وهى شنشنة عرفناها من خصومنا السياسيين ، اختصونا ٠ دون سوانا من المصريين يحاولون بها بين حين وحين ، التشكيك فى ذمتنا ، وهم فى ذلك ، علم الله ، من المفترين الخاسرين ، يأخذ علينا المدعى فى كتاب أباطيله أننا فكرنا فى مطالبة الأغنياء بالتبرع بمبالغ كبيرة وانتهاز الفرصة لالتماس الانعام عليهم بالباشوية أو الرتب التى يستحقونها ، ويتهمنا كذلك بأننا فرضنا ضرائب غير رسمية على الأهلين باسم مشروع البر ، فبالله انظروا الى أى مدى سخيف من التعنت انحط هذا الجاحد لوطنه ، المتنكر لانسانيته فى سبيل غوايته ٠

نعم لقد فكرنا فى أن نلتمس الانعام على كرماء المحسنين لأسبوع البر وأى عيب أو ضير فى ذلك التفكير ، وقد تفضل من قبل جلالة الملك فاروق فأنعم بمثل تلك الألقاب على المحسنين فى مشروع مكافحة الحفاء وغيره من المناسبات الكريمة التى قصد بها الى خير الطبقات العاملة الفقيرة فى البلاد ٠ بل أى عجب فى ذلك ومثل تلك الانعامات كانت ولا تزال من خير تقاليد الأسرة العلوية من عهد محمد على الى اسماعيل الى فؤاد الى جلالة الملك فاروق ، كما هى من تقاليد الملوك والحكومات فى مختلف الأمم من أقدم العصور ٠

وكذلك أى عيب هناك فى أن تساهم هذه الحكومة وأى حكومة أخرى ، فى حركة الخير ، بأن تسمح بعرض تذاكر التبرعات والاشتراكات والحفلات ، وطوابع البر والشارات فى كل مكان حكومى ، أو غير حكومى فى العاصمة أو المدن أو الأقاليم ، أو تسمح بدعوة رواد الملاهى والمسافرين بالسكك الحديدية لدفع ملاليم فوق تذاكرهم دون ضغط أو اجبار ٠ ألم يكن هذا أمرا سبق له مثيل بل مائة مثيل ، لأعمال بر سابقة باهرة كجمعية

الهلال الأحمر التى كونت لها مالا كثيرا من ملاليم جباها لها أصحاب الملاهى ، وكجمعية المواساة بالاسكندرية التى كانت تبـاع تذاكر يانصيبهـا فى شبابيك مصلحة البريد ومصلحة السكك الحديدية ، وكالجمعية الخيرية الاسلامية وجمعية العروة الوثقى وسواها وسواها من الجمعيات النافعة التى ما كانت لتنشأ أو تعيش لولا مساعدة الحكومة وتشجيعها بهـذه الصفة وسواها • وها أنتم أولاء ترون حضراتكم مشروع يوم المستشفيات كيف يطوف المتطوعون به على دور الحكومة وفى الطرقات فيحصلون التبرع له من كل من يصادفون •

ان العيب الحقيقى هو أن تتقاعس الحكومة عن مثل هذه المساعدة الأدبية فى مثل تلك الظروف ، ولكنه الحقد قد جعل صاحب العريضـة والكتاب ومن على شاكلته يرون فى الخير شرا وفى النـور ظلامـا ، بل يتوهمون القذى فى عين جارهم ، ولا يرون الخشبية فى عيونهم ومآقيهم •

فلندعهم اذن فى غيظهم يضلون ، وفى ضلالتهم يعمهون ، ولنعد الى ايرادات أسبوع البر ومصروفاته ونظمه وأعماله •

حرصت اللجنة من مبدأ الأمر على أن تفتح لاسبوع البر حسابا جاريا فى أحد المصارف المـالية وهو بنك مصر بالقاهرة وأن تودع فيه أولا فأولا التبرعات وما يجمع من أموال الحفلات وغيرها من الموارد التى قررتهـا اللجنة التمهيدية •

واختارت اللجنة لها سكرتيرا عاما هو حضرة صاحب المعـالى أمين عثمان باشا للاشراف على حركة المـوارد المشـار اليها يساعده فى ذلك حضرتا جورج دومانى بك ، والأستاذ عبد المقصود حمزة •

وحينما قفلت حسابات المشروع فى ٢٠ يوليه سنـة ١٩٤٢ دعت اللجنة لمراجعة الحسابات والمستندات أحد المحاسبين القانونيين وهـو المستر ر•ا• مور أحد شركاء الهيئة الحسابية المسماة برايس ووتر هاوس بيت وشركاهم ، فراجع تلك الحسابات ومستنداتها وقدم فى ٣ أغسطس سنة ١٩٤٢ التقرير الآتى تعريبه :

« حضرات أصحاب المعالى والسعادة رئيسة وأعضاء لجنة أسبـوع البر بالقاهرة » •

قد فحصت البيانات المرفقة عن ايرادات أسبوع البر فى المدة المنتهية فى ٢٠ يوليه سنة ١٩٤٢ كما فحصت المستندات والايصالات المتعلقة بذلك وكذلك البيان الممضى الذى وصلنا من رئيس لجنة الاسكندرية •

وقد تأكدت شخصيا من أن الرصيد الصافى وهو ٩٨٠٤١ جنيهـا و٩٤٤ مليما مودع فعلا فى بنك مصر كما تبينت من صحة التذاكر والطوابع

الباقية فى أيدى الموزعين حتى ٢٠ يولية سنة ١٩٤٢ وتبلغ قيمتها ٢٦٤٣ جنيهـا ٠

واننى أشهد بأن البيانات المرفقة تبين بحق وصدق خلاصة ايرادات أسبوع البر الى نهاية ٢٠ يوليه سنة ١٩٤٢ » ٠

٣ أغسطس سنة ١٩٤٢

ر٠أ٠ مـور

مراقب فخرى ومحاسب قانونى

وفى الوقت نفسه قدم حضرة الأستاذ عبـد المقصـود حمزة تقريرا نصه كالآتى :

« الى حضرة صاحبة العصمة رئيسة لجنة أسبوع البر

والى حضرات الأعضاء المحترمين

فحصت البيان الحسابى الموضح أعلاه عن المدة المنتهية فى ٢٠ يوليه سنة ١٩٤٢ مستقلا عن المستر ر٠ أ٠ مور وحلصت من فحصه الى نفس النتيجة التى وصل اليها جنابه من حيث صحة الحسابات وصدقها ٠ وهذه شهادة منى بذلك » ٠

٣ أغسطس سنة ١٩٤٢

عبد المقصود حمزة

محاسب قانونى

وبعد أن قدم المحاسبان القانونيان المشار اليهما تقريريهما أعلنت حضرة صاحبة العصمة رئيسة لجنة مشروع البر البيان الآتى فى الصحف بتاريخ ٩ أغسطس سنة ١٩٤٢ ٠

« حرم مصطفى النحاس باشا رئيسة لجنة مشروع البر ، يسرهـا أن تعلن أن عملية جمع التبرعات للمشروع قد انتهت وقام بفحصها حضرتا المستر ر٠أ٠ مور المحاسب القـــانونى بمكتب برايس ووترهوس وبيت وشركاهم ، والأستاذ عبد المقصود حمزة المحاسب القانونى بوزارة المالية كل منهما على حدة ٠ وبعد أن استوثقا من المبالغ المودعة فى بنـــك مصر لحساب المشروع وقارناها بالمستندات الموجودة تحت يد اللجنة قدم كل منهما تقريرا منفصلا مؤيدا لصحة الحساب ٠

ورئيسة اللجنة تنتهز هـذه الفرصـة وتقدم وافر شكرها الى جميع حضرات أعضاء اللجنة الذين عاونوها معاونة قيمة فى القيام بهذا المشروع الخيرى الجليل وكان للمشقة التى تكبدوها والمجهودات التى بذلوها أكبر

فضل فيما صادفه من النجاح والتوفيق ، كما تقدم شكرها الجزيل الى جميع حضرات المتبرعين الكرام على كبير عطفهم ، وكريم اريحيتهم ، وعظيم برهم بالفقراء المعوزين وتدعو الله أن يجزى الكل عن الانسانيـــة خـير الجزاء ٠

هذا وقد بلغ المتحصل حتى الآن ٨٧٠ر٩٨ جنيها ، وهو كما سبق البيان مودع ببنك مصر باسم مشروع البر ٠ وقد رأت رئيسة اللجنـــة تكوين لجنة خاصة لفحص المقترحات المختلفة التى قدمت أو تقدم لاستخدام هذا المبلغ واختيار أصلحها للتنفيذ فى القاهرة وفى الاسكندرية وغيرهما والاشراف على تنفيذه والصرف عليه من المبلغ المذكور ٠

وقد قبل عضوية هذه اللجنة كل من حضرات أصحاب المعالى والسعادة والعزة ، الليدى لا مبسون ، مدام جوزيف صيدناوى باشا ، عبد الواحد الوكيل بك ، أمين عثمان باشا ، حافظ عفيفى باشا ، محمد السيد شاهين باشا ، عبد الخالق حسونة بك ، أحمد كامل باشا ، أحمد عبود باشا ، محمد أحمد فرغلى باشا ، المسيو كوتسيكا ، صبحى بك الشوربجى ، محمد حسين الشامى بك ، جورج دومانى بك ، الأستاذ عبد المقصود حمزة ٠

واختاروا من بينهم حضرة صاحب المعالى أمين عثمان باشا سكرتيرا وحضرة صاحب السعادة حافظ عفيفى باشا أمينـــا للصندوق ، وحضرة الأستاذ عبد المقصود حمزة مراقبا للحسابات ٠

وقد أخطر حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا بنك مصر بذلك وبأن يكون المبلغ المودع تحت تصرف هذه اللجنة ، على أن تكون شيكات وأوامر الصرف موقعا عليها من رئيسة اللجنة ومن أمين الصندوق ومراقب الحسابات ومؤشرا عليها بالاعتماد بتوقيع مقامه الرفيع » ٠

ولم تكتف اللجنة فى حرصها على سلامة أسبوع البر من كل تهمـــة أو عيب بهذه المراجعة القانونية بل أنها قامت فى شهر أغسطس سنـــة ١٩٤٢ بنشر تفاصيل الحساب الختامى وتقريرى المستر مور والأســتاذ عبد المقصود حمزة المشار اليهما فى الصحف عامة عربية وأجنبية بل نشرت كذلك قوائم كاملة بأسماء المتبرعين الذين لم يأخذوا تذاكر اشتراكات أو حفلات واحــدا واحــدا مع ذكر المبـــالغ التى تبرع بها كل من حضراتهم ، وقدمت اللجنة ذلك بنداء فى الصحف من رئيســـة أسبوع البر فى ١٦ أغسطس سنة ١٩٤٢ ، هذا نصه :

« حرم مصطفى النحاس باشا رئيسة لجنة أسبوع البـر بعـد أن أعجزها المصاب الفادح (تشير الى وفاة المغفور له والدها) فترة عن اصدار بياناتها الخاصة بالمشروع تتشرف بأن تعلن أنهـــا ستنشر يوم الخميس

الموافق ٢٠ أغسطس سنة ١٩٤٢ فى جميع الجرائد العربية والافرنجية التقريرين المقدمين من حضرتى المحاسبين القانونيين المستر أ٠ مور ، والأستاذ عبد المقصود حمزة عن حساب المشروع لغاية ٢٠ يولية سنة ١٩٤٢ مضافا اليهما ما جد من الحساب لغاية يوم النشر ومسفوعين بأسماء جميع حضرات المتبرعين للمشروع فى جميع نواحى البلاد ٠

وهى ترجو اذا رأى أحد حضراتهم أن اسمه لم يظهر فى القائمة أن يبادر الى ابلاغ ذلك لحضرة صاحب المعالى أمين عثمان باشا سكرتير اللجنة بعنوانه بديوان رياسة مجلس الوزراء للتحقق من الأمر واصلاح الخطأ ان كان ٠

هذا وستدعى اللجنة التنفيذية التى سبق الاعلان عنها عقب ذلك مباشرة للقيام بمهمتها » ٠

وقد وردت خطابات بعد ذلك من عشرين شخصا فقط لم يقرءوا أسماءهم بين مئات المتبرعين ، ومن أولئك العشرين تسعة من الاسكندرية تبرعوا بمبلغ ٨٠٠ جنيه واتضح وجود تبرعاتهم فى البنك وان سبب عدم ذكر أسمائهم كان لعدم استيفائها فى نشرة التبرعات الأولى والثانية المرسلة من لجنة الاسكندرية ، و١١ من جهات أخرى جملة تبرعاتهم ١٩٩ جنيها و٩٠٠ مليم وجد أن ستة منهم تبرعوا بتذاكر اشتراك أو حفلات مقدارها ٥٧ جنيها وثلاثة تبرعوا بمبلغ ٦٧ جنيها و٩٠٠ مليم وسقطت أسماؤهم سهوا مع وجود المبالغ فى البنك وواحد لم يذكر اسمه لأن الشيك الذى كتبه بمبلغ ٢٠ جنيها لم يقبض وواحد بمبلغ ٢٠ جنيها نشر التبرع تحت اسم الشركة المتبرعة دون اسم أصحابها وواحد بمبلغ ٣٥ جنيها نشر التبرع باسم تلاميذ بدلا من كلمة معلمين فى المدارس ٠ ٠ ٠

وفى ٢ سبتمبر سنة ١٩٤٢ دعيت اللجنة التنفيذية لعقد أول جلسة لها للنظر فى حالة المشروع من الوجهة المالية وما تقترحه من وجوه البر التى توجه لها تلك الأموال ٠ وفى تلك الجلسة قدم حضرة صاحب السعادة الدكتور حافظ عفيفى باشا أمين الصندوق بيانا عن مالية المشروع الى أول سبتمبر سنة ١٩٤٢ ٠ وقررت الهيئة بعد مناقشة عامة أن تشكل لجنة فرعية من حضرات أصحاب المعالى والسعادة والعزة : أمين عثمان باشا ، الدكتور عبد الواحد الوكيل بك ، محمد السيد شاهين باشا ، عبد الخالق حسونة بك ، أحمد كامل باشا ، أحمد عبود باشا ، جناب المسيو تيودور كوتسيكا وذلك لبحث الاقتراحات العديدة التى قدمت من الهيئات المختلفة والأفراد وكذلك من أعضاء اللجنة التنفيذية لاختيار أصلحها للتنفيذ ٠

وقد قامت تلك اللجنة الفرعية بدراسة وافية وقدمت تقريرا

مستفيضا ٠ باقتراحاتها النهائية فى ٧ نوفمبر سنة ١٩٤٢ واعتمد هـذا التقرير فى ٢ فبراير سنة ١٩٤٣ وتقرر فيه ما يأتى :

(أولا) أن توجه أموال أسبوع البر الى خدمة الطفولة من الوجهات الصحية والاجتماعية والخلقية والمهنية بين الطبقات العاملة والفقيرة فى المدن على أن يشمل ذلك الطفولة فى مختلف أدوارها ٠

(ثانيا) أن تنشأ لذلك الغرض ١٦ مؤسسة منها ٧ دور لكفالة الطفل ، أربعة فى القـاهرة و٢ باسكندرية و١ ببورسعيد و٧ مبـرات اجتماعية للصبيان و٤ بالقاهرة و٢ باسكندرية و١ بطنطا ، وداران لكفالة الفتيات احداهما بالقاهرة والأخرى بالاسكندرية ٠

(ثالثا) أن يخصص من أموال أسبوع البر مبلغ ٤٠٠٠٠ جنيـه للاستغلال بشراء أطيان زراعية من الحكومة توقف للانفاق على المشروعات ، وأن تطلب اللجنة الى الحكومة مساعدتها سنويا بمبلغ من المـال وغير ذلك من المساعدات التى تقدمها للهيئات الخيرية والاجتماعية الأخرى ٠

وقد شرعت الهيئة فعلا فى تنفيذ هذه المشروعات كما أنها قررت فى النهاية تغيير صفتها الى جمعية دائمة باسم « الجمعية المصرية لأسبوع البر » مع وضع قانون لها صار تسجيله رسميا لاعطائها الشخصية المعنوية ٠ وصار مجلس ادارة الجمعية مكونا من ١٢ عضوا هم حضرات :

حرم مصطفى النحاس باشا	رئيسة
أمين عثمان باشا	سكرتيرا عاما
الدكتور عبد الواحد الوكيل بك	سكرتيرا عاما مساعدا
الدكتور حافظ عفيفى باشا	أمينا للصندوق
الليدى جاكلين لامبسون	أعضـاء
حرم يوسف صيدناوى باشا	
فؤاد سراج الدين باشا	
محمد السيد شاهين باشا	
أحمد عبود باشا	
محمد أحمد فرغلى باشا	
المسيو تيودور كوتسيكا	
جورج دومانى بك	

وهكذا ترون أن مشروع البر ولد وشب ونهض بريئا خالصا لوجه الله تعالى ، بعيدا عن السياسة والحزبية والعنصرية والجنسية ٠ ولا غرو فهو ميدان خير للانسانية المعذبة ما كان أجدر أن ينأى المغرضون بجانبهم عن تناوله بالغمز واللمز والدس والتضليل ٠

وانى أودع فى مكتب المجلس ملفا عن هذا المشروع النبيل الكـريم شاملا للمستندات المالية التى ذكرناها فى هذا البيان ومجموعة من الصحف العربية والافرنجية التى نسرت فيها نداءات رئيسة الأسبـوع وحساباته الختامية وتقارير المحامين القانونيين وشاملا كذلك لمحاضر جلسات اللجان وقانون الجمعية الخيرية التى كسبتها البلاد من هذه الحركة المباركة وهى الجمعية المصرية لأسبوع البر ٠

هذا هو أسبوع البر الذى غمز فيه الغماز ما شاء له حقده الدفين ، وغله الكمين ، وهذه هى تطوراته ، بل حساباته التى سئلنا عنها أكثر من مرة كأننا كنا لها من المختلسين ، أو بها من المنتفعين ٠٠٠٠ وهذه هى أعماله تنطق عنا بالحق ، هل نعمل لوجه الله وخدمة الشعب الوفى ، أم نقصد التجارة ووجه الدعاية كما يأفك الأفاك الدعى !!

لقد قال فينا ما قال ، وعاب فينا بما أراد ، حتى بلغت سفاهتـه حد الفجر ، طعن فى كل شريف وفى كل مشروع ، وخاض فى الأطهار وفى جليل الأعمال ٠٠٠٠ وقام البرهان الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، على كذبه وسفاهته ، بل على اجرامه وسوء نيته ٠

يقول بعض العلماء ان المنتفع بالجريمة أو محاول الانتفاع من وراء مجرم ٠٠٠ ٠٠٠ ولا شك فى هذا القول ولا مراء ٠٠٠ ٠٠٠ اذن فمكرم عبيد الذى لم يسىء الى شخص مصطفى النحاس وحده ولا الى وزراء مصطفى النحاس وحدهم ، ولا الى برلمان الأمة وحـــده ، ولا الى مختلف الطبقـات والرجال من قضاة ومحامين وموظفين ومهندسين وعمال ورجال ونســاء فقط ، مكرم عبيد الذى اساء الى هؤلاء جميعا ٠٠٠ الخ ٠

الفصل الثانى

استجوابان هامان
والنتيجة كالعادة الانتقال الى جدول الأعمال

رأى الشيخ المحترم محمد حسين هيكل أن يستجوب الوزارة عن بيانها الخاص الذى ألقى بجلسة ١٩٤٣/٤/١٢ ردا على سؤال حضرة الشيخ المحترم الأستاذ محمد عبد المجيد العبد وذلك على النحو التالى :

« أرجو أن تتفضلوا فتبلغوا حضرة صاحب المقام الرفيع رئيس مجلس الوزراء أننى سأستجوب رفعته فى البيان الذى ألقاه بمجلس الشيوخ يوم الاثنين الماضى ١٢ أبريل سنة ١٩٤٣ ردا على سؤال حضرة الشيخ المحترم محمد عبد المجيد العبد وعن الخطة التى رسمها رفعته فى البيان المذكور بخصوص ما نسبه حضرة صاحب السعادة مكرم عبيد باشا اليه والى زملائه فى العريضة التى رفعها الى مقام جلالة الملك وأذاعها فى الناس بعنوان « الكتاب الأسود فى العهد الأسود » .

وسيتناول استجوابى مناقشة البيان والخطة التى رسمها فيه من حيث مخالفتها للمبادىء والتقاليد الدستورية .

ويجيب رئيس الوزراء ـ مصطفى النحاس ـ على استجواب الدكتور هيكل باشا ببيان جاء فيه :

عندما طلب منى تحديد موقف الحكومة بشان مسئولية واضع الكتاب الأسود ، وتشرفت بالقاء الجواب عن ذلك بمجلسكم الموقر ، عنيت كل العناية ببيان خطة الحكومة وأوضحت مبلغ انطباقها على المبادىء الدستورية ، وقد رأى سعادة الشيخ المحترم محمد حسين هيكل باشا مع

ذلك أن يستجوب الحكومة فى دستورية هذه الخطة ، مدعيا أنها تخالف الدستور وتقاليده ، ومبدأ انفصال السلطات .

وانه ليسرنى أن أعود الى مناقشة هذا الموضوع حتى لا أدع مجالا لقائل . فالأمر من الوضوح والجلاء بحيث لا يحتمل أى مراء .

فمن حق كل حكومة — بل من واجبها — أن تطمئن دائما الى رضا البرلمان عنها وعن سياستها ، والى ثقة مجلس النواب بها ، واطمئنانه الى تصرفاتها ، فاذا ما وجه اليها نقد أو اتهام بشأن تصرف من تصرفاتها فى شئون الدولة سواء كان ذلك فى صورة سؤال أو استجواب أو غير ذلك ، كان حقا عليها أن تتقدم الى البرلمان فورا بحسابها ، فاذا رضى عن سياستها ووثق بها استمرت فى مباشرة شئون الدولة .

هذا هو الوضع الطبيعى الذى رسمته مواد الدستور ، وهو الوضع المتفق مع روحه ، والحكم فى ذلك واحد ، مهما اختلفت الوسائل التى تهاجم بها الحكومة ، وسواء أكان ذلك داخل البرلمان أم خارجه .

قال حضرة المستجوب : لقد اتهمكم كاتب العريضة وموزع الكتاب بتهم ، فان كانت كاذبة فحاكموه وبلغوا القضاء المختص وحده بمحاكمة القاذفين ، فاذا فصل القضاء فى موقفه منكم كان قوله فصل الخطاب .

ناقشت هذا فى بيانى السابق منطقيا وسياسيا ، واليكم اليوم مناقشته من الوجهة الدستورية . فالمادة ٦٦ من الدستور المصرى تنص على « أن لمجلس النواب وحده حق اتهام الوزراء فيما يقع منهم من الجرائم فى تأدية وظائفهم » .

فالدستور المصرى كالدساتير الأجنبية ، وبخاصة الدستور البلجيكى والفرنسى ، لا يبيح أن ينتقل الى القضاء العادى أمر النظر فيما يوجه الى الوزراء من اتهامات بشأن تصرفاتهم فى أثناء تأدية وظائفهم .

وبالرجوع الى محاضر لجنة الدستور ، عند ما تناقشت فى اتهام الوزراء ومحاكمتهم ومسئوليتهم ، نجد أن حضرة محمد على بك اقترح أن يكون لمجلس النواب حق الاتهام ، ولمجلس الشيوخ حق المحاكمة .

وعلى أساس هذا الاقتراح جرت المناقشات التالية :

« حضرة توفيق رفعت بك — انى أميل الى رأى حضرة محمد على بك لأن الجرائم التى تنسب الى الوزير فى هذه الحالة انما هى جرائم سياسية ورجال السياسة أقدر من رجال القضاء على وزنها وتحديد جهات المسئولية ، كما أنه يحسن ابعاد القضاء بقدر الامكان عن الدخول فى المسائل السياسية .

هذا الى أن المحاكم انما ترجع فى تعيين المسئولية وتوقيع العقوبة الجرائم المنصوص عليها فى القانون ، والجرائم السياسية ليس لها قانون يضبطها ويحدد أنواعها ، فالعقوبة على الجرائم الوزارية انما يعينها البرلمان طبقا للظروف وطوعا لمقدار المسئولية السياسية ٠

حضرة طلعت باشا ـ تريدون الجرائم التى تقع من الوزراء بسبب وظائفهم ؟

حضرة رفعت بك ـ لذلك أرى أن يكون القضاة قضاة سياسيين أى أعضاء مجلس الشيوخ لأنهم تمرنوا فى الأمور السياسية وحذقوها وهم الذين يحسنون تقديرها وايقاع العقوبة المناسبة لها ٠

حضرة عبد الحميد بدوى بك ـ بدأت مسئولية الوزراء جنائية ولكن المسئولية السياسية نسختها تقريبا ٠ ونظرا لما فى المسئولية الوزارية من السهولة والمرونة والكفاية مع ذلك تدرج للعرف فى أوربا الآن على عدم محاكمة الوزراء محاكمة جنائية اكتفاء بمسئوليتهم السياسية أمام البرلمان ٠ والوزارة التى يكون فى عملها ما يوقفها موقف المسئولية الجنائية تسقط ولا تحاكم » ٠

(جلسة ٣ مايو سنة ١٩٢٢) ٠

هذه هى المبادىء التى على أساسها وضعت المادة ٦٦ من الدستور وما بعدها ٠

وقد كلفت سعادة رئيس لجنة قضايا الحكومة ببحث هذا الموضوع من جميع نواحيه ، فقدم الى مذكرة استخلص فيها من أحكام الدستور ما يلى :

« (أولا) أن لمجلس النواب وحده حق اتهام الوزراء فيما يقع منهم من الجرائم المشار اليها ٠

« (ثانيا) ان لمجلس الأحكام المخصوص فيما يتعلق بهذه الجرائم اختصاصا مطلقا من شأنه جعل السلطة القضائية العادية غير مختصة بالنظر فيها ٠

« (ثالثا) ان مجلس الأحكام المخصوص يظل بالنسبة للوزراء السابقين الهيئة المختصة وحدها بالنظر فى الجرائم التى تكون قد وقعت منهم فى أثناء تأدية أعمال وظائفهم ٠

« ويستتبع تخويل مجلس النواب وحده حق اتهام الوزراء أن قواعد الاجراءات الجنائية لا تتبع فى هذا الصدد ، فلا يكون للنيابة العمومية

الحق فى مباشرة الدعوى الجنائية من تلقاء نفسها أو بناء على شكوى يتقدم بها أحد الأفراد . كذلك لا يكون لهؤلاء الحق فى رفع دعوى الجنحه المباشرة .

« والحكمة فى تقرير هذا النظام الخاص ايجاد الضمان الكافى للوزراء وصون المصلحة العامة وأعمال الدولة من الطعن والتنسهير من أى فرد كان تحت تأثير الخصومات الحزبية والعداوات الشخصية . كما أن التهم التى توجه الى الوزراء بسبب تأدية وظائفهم هى فى الغالب تهم سياسية ، ومجلس النواب بصفته هيئة سياسة أقدر من غيره على وزنها وتقدير النتائج المترتبة عليها .

« وفيما يتعلق بسلطة المحاكمة ينص الدستور فى المادة ٦٧ على تأليف مجلس الأحكام المخصوص الذى له وحده حق محاكمة الوزراء من رئيس المحكمة الأهلية العليا (محكمة النقض الآن) ومن أعضاء من الشيوخ ومن قضاة هذه المحكمة .

« ومما لا شك فيه أن توزيع الاختصاص بين الهيئات القضائية على الوجه المبين فى القانون يعد من النظام العام ، ويكون الأمر كذلك من باب أولى اذا كان الاختصاص محددا بنص الدستور ذاته .

« ومما يترتب على ذلك أن عبارة الدستور التى عنيت بتحديد اختصاص مجلس النواب وحده فى اتهام الوزراء واختصاص مجلس الأحكام المخصوص وحده بمحاكمتهم تنفى بطريقة قاطعة امكان اتخاذ الاجراءات الجنائية قبل الوزراء ومحاكمتهم بمعرفة أية هيئة أخرى .

« وبديهى أن للوزير الحق فى التقدم الى المحاكم العادية بطلب محاكمة أحد الأفراد عن جريمة تكون قد ألحقت بالوزير ضررا ، شأنه فى ذلك شأن باقى الأفراد . أما الوزير الذى أسندت اليه جرائم اتهم بارتكابها فى أثناء تأدية وظيفته فانه اذا آثر رفع الأمر الى المحاكم العادية فى صورة تهمة قذف بدلا من الاتجاه الى البرلمان يكون قد خالف روح الدستور ، ذلك لأن دعوى القذف فى حق موظف عام تنطوى على مرحلتين متميزتين احداهما عن الأخرى . فالمتهم له الحق فى اقامة الدليل على صحة الوقائع موضوع الاتهام ، الأمر الذى يوجب على المحكمة تحقيق الوقائع المسندة الى الوزير قبل الوصول الى مرحلة البت فى تهمة القذف وتقرير العقوبة الملائمة لها ، ومما لا شك فيه أن تحقيق الوقائع فى جرائم القذف يعد أهم عنصر فى الدعوى .

« ومن المسلم به أن الحكم على تصرفات الوزير لا يمكن أن تباشره الا الهيئة الخاصة المشار اليها فى الدستور ، وأن تقديم القاذف الى النيابة

العمومية والسلطة القضائية العادية من شـأنه سلب البرلمان حقه في الرقابة على أعمال الوزراء وتفويت الأغراض التي توخاها الدستور من تقرير نظام خاص لاتهامهم ومحاكمتهم » • (انتهى رأى سعادة رئيس لجنة قضايا الحكومة) •

وليس هذا القول بجديد • فقد ورد في مذكرة ايضاحية لمشروع خاص بمحاكمة الوزراء كانت وزارتي في سنة ١٩٣٠ قد شرعت في وضعه ما نصه •

« اذا كان لابد من وضع القانون الذى يشير اليه الدستور يجب عند تحديد هذه الأحوال « أى أحوال مسئولية الوزراء » الاكتفاء منها بما يعد ارتكابه عدوانا على سيادة الأمة وسلامتها ، أو ضارا بمصلحة عامة كبرى ، وأن يترك ما دون ذلك للمسئوليتين السياسية والمدنية يؤخذ بهما الوزراء على حسب الأحوال ، وهذه هى الغاية التى رأت الحكومة أن تحققها بوضع مشروع القانون المرافق » •

حتى صدقى باشا نفسه عندما نسخ دستور سنة ١٩٢٣ وضيق من اختصاص البرلمان فنقل الى القضاء ما نقل من اختصاصات المجلسين ، لم تبلغ به الجرأة أن ينقل الى القضاء اختصاص البرلمان بمحاكمة الوزراء (المادة ٦٧ وما بعدها) وعلل ذلك فى مذكرته بأن « تطور الأنظمة البرلمانية أحل المسئولية السياسية محل المسئولية الجنائية ولم يعد لها ذكر أو تطبيق فى هذا العصر » • وجاء بالمذكرة أيضا « واذا قدر بالرغم مما تقدم أن هيئة تشريعية رأت أن ينص على جرائم خاصة بالوزراء فينبغى ألا تكون العقوبة غير سياسية ولا تتعدى الحرمان من الحقوق الوطنية حرمانا مؤقتا أو نهائيا ، وذلك للملاءمة بين العقوبة والجرم الذى هو بطبيعة عمل سياسى » •

ان النص الوارد فى الدستور المصرى بالمادة (٦٦) أصرح النصوص من جميع دساتير العالم ، فهو يجعل لمجلس النواب وحده حق اتهام الوزراء كما يجعل لمجلس الأحكام وحده حق مقاضاتهم ، ولعله فى ذلك أقرب الى النظام البلجيكى •

أما النظام الفرنسى ، فان المادة ١٢ من الدستور الفرنسى تنص على جواز اتهام الوزراء بالنسبة للجرائم التى يرتكبونها فى أثناء تأدية وظائفهم أمام مجلس الشيوخ ، ومع هذا فانه فى غضون العشرين سنة الأخيرة أثيرت فى فرنسا عدة حملات بالغة منتهى الشدة تنطوى على قذف موجه الى بعض الوزراء ، وبوجه خاص للمسيو فلاندان ، والمسيو شوتان ، والمسيو بلوم ، والمسيو سالانجرو بشأن بعض تصرفات لهم • وفى كل ذلك لم تتخذ أية اجراءات أمام المحاكم القضائية العادية بل رفع أمرها الى البرلمان حيث كانت موضوع مناقشات حادة دون أن تصل الى مرحلة طلب الاتهام •

فاذا كان هذا يجرى فى فرنسا مع الصيغة الجوازية بالمادة ١٢ . فهل يجوز أن يجرى فى مصر غير ذلك والنص عندنا قاطع صريح ؟

وهل يجوز أن يطلب بطريقة ملتوية جواز تعليق الأمر فى وقت واحد أمام القضاء بالنسبة للقاذف وأمام البرلمان بالنسبة للوزير فى حين أن القول الفصل والأخير بالنسبة لتصرفات الوزراء فى شئون الدولة هو البرلمان على النحو الذى تشرفت ببيانه ؟

أمام هذا كله ما كان لى ولا لغيرى أن يخرج على حكم الدستور فينقل اختصاص البرلمان الى القضاء • واذا كان صاحب الكتاب قد هرب من ساحة البرلمان ، فليس هذا بمضيع على البرلمان حقا ، ولا مضيق عليه اختصاصا ، فالقول هنا قول الدستور ، واذا قال الدستور وجب علينا احترام أحكامه لأنها من النظام العام •

هبوا حضراتكم أن التهم التى قذف بها صاحب الكتاب كانت بصدد تنفيذ مشروع عام هام كمشروع توليد الكهرباء من خزان أسوان مثلا ، فهل كنا ننتظر فصل القضاء فى مثل هذه التهم ، ويعطل اقرار الموضوع وتنفيذه مدة نظره أمام المحاكم وقد تمتد الى سنين ؟

يذكرون السوابق ، ولا أرى أية سابقة تنطبق على حالتنا •

لقد حرصت قبل تقرير خطتى بازاء العريضة التى رفعت الى جلالة الملك على أن أدرس الموضوع من جميع نواحيه وأن أرجع الى السوابق البرلمانية فى البلاد العريقة فى النظام الدستورى ، وانتهيت من بحثى الى الخطة التى قررتها •

أشار حضرة المستجوب الى سابقة فى النظام الدستورى البلجيكى ، وهى سابقة المسيو فان زيلاند • وردا عليه أدلى اليكم بالبيان الصحيح عنها •

كان المسيو فان زيلاند وكيلا لمحافظ البنك الوطنى ببلجيكا ، وفى أول سنة ١٩٣٥ أسندت اليه رياسة الحكومة لمعالجة الأزمة المالية •

وفى سنة ١٩٣٧ — ولم يكن المسيو فان زيلاند اذ ذاك عضوا فى البرلمان — انتهز فرصة انتخابات جزئية فعرض على الناخبين سياسته وكانت محل طعن شديد من أحزاب المعارضة ففاز على منافسه فى الانتخابات ، وهو زعيم المعارضة ، وانتخب بأغلبية كبيرة جدا •

بدأت المعارضة بعد هذا الانتخاب حملة صحفية عنيفة على أعمال مجلس ادارة البنك الوطنى أيام كان المسيو فان زيلاند عضوا فيه ، وقد أخذت على المسيو فان زيلاند أنه بقى يتسلم مكافاة من البنك لحضور

جلساته بوصفه وكيلا لمحافظ البنك بعد أن كان قد استقال من هـــذا المنصب ليتولى رياسة الوزارة • فأقام مجلس الادارة دعوى على أصحاب الحملة الصحفية غـــير أن المسيو فان زيلاند طلب الى مجلس النواب فى سبتمبر سنة ١٩٣٧ عقد جلسة غير اعتيادية للنظر فيما كان من تلك الأمور يتصل به شخصيـــا • فدفع عنه التهمة فى هذه الجلســة وانتهى النقاش فى ٧ سبتمبر سنة ١٩٣٧ بقرار من المجلس أولاه فيه الثقة بأغلبية ١٣٤ صوتا ضد ٣٤ •

من ذلك ترون حضراتكم أن الموضوع كله نظر فى البرلمان البلجيكى وأن البرلمـان قد انتهى فيه الى الثقة بالوزارة بأغلبية ساحقة ولم يوكـل للمحاكم أن تنظر فى هذا الموضوع •

واليكم سابقة أخرى فى النظام الدستورى الانجليزى أقوى وأصرح دلالة فى هذا الموضوع :

فى سنة ١٩١٢ أثارت بعض الجرائد المعارضة للحكومة الانجليزية بصدد عرض مشروع اتفاق بين الحكومة الانجليزية وشركة ماركونى على البرلمان ، أثارت هذه الجرائد حملة على ثلاثة من الوزراء فى وزارة المستر اسكويث اتهمتهم فيهـــا بالرشوة وباستغلال النفـــوذ وباستغلال أسرار الدولة • فلم يحول الموضوع الى المحاكم ، بل فحص فى البرلمان (فى مجلس العموم) وطلب أحد الوزراء وهو الوزير الذى أمضى مشروع العقد تأليف لجنة برلمانية لتقرير ما اذا كان الاتفاق مرضيا ويجب اقراره أم لا ، وأن يضاف الى مهمتها فحص الملابسات المتصلة بالاتفاق •

فعينت لجنة لفحص ذلك ، وقد استبعدت اللجنة تهمة الرشوة وقدمت تقريرا عن مشروع العقد وملابسات التعاقد •

وقد أقر الوزراء الثلاثة أمام اللجنة البرلمـانية وأمام المجلس بخطئهم فى شراء أسهم فى شركة ماركونى الأمريكية •

وبخطئهم فى اخفاء هذه الواقعة عندما نوقش المشروع فى المجلس قبل احالته على اللجنة •

وكذلك تعهدوا بأنه لا يمكن أن يتكرر مثل ما وقع منهم •

وقد استغرقت مناقشة الموضوع يومين كاملين فى مجلس العموم •

وفى أثناء المناقشة اقترح أحد أعضاء المعارضة أن يصدر المجلس قرارا بتسجيل الخطأ والأسف والوعد •

فعارض فى ذلك المستر اسكويث رئيس الوزارة •

ثم أخذ الرأى فكانت النتيجة ٣٤٦ صوتا مع الوزارة و٢٦٨ ضدها ، واعتبر الموضوع منتهيا بذلك ، وبقيت الوزارة فى الحكم .

ويلاحظ أن اللجنة التى عينت لفحص هذا الموضوع هى لجنة برلمانية مكونة من أعضاء مجلس العموم دون غيرهم . وهذه اللجنة هى ما تسمى باللجنة المختارة (Select Committee)

ويلاحظ أيضا أنه يوجد فى النظام الانجليزى لجنتان أخريان احداهما تسمى باللجنة المستديمة Standing Committee وهى اللجنة التى تنتخب كل عام كما يحصل عندنا وتتألف من أعضاء برلمانيين دون غيرهم ، والثانية تسمى باللجنة المقررة بمقتضى قانون Statutory committee وهذه اللجنة هى التى تعين بمقتضى قانون لأحوال خاصة ، ويجوز أن يعين فيها مع أعضاء البرلمان أعضاء من غير البرلمان ، وهذه ليست بالحالة التى شرحناها فى سابقة الاتفاق مع شركة ماركونى .

ان الكتاب يشمل مسائل سياسية مما يدخل فى باب الجدل السياسى بين الأحزاب والهيئات ، كما يشمل مناقشة تصرفات منسوبة للوزراء فى أثناء قيامهم بشئون الدولة .

فأما الجدل السياسى ، فلا شأن للمحاكم به ، ولا يصح أن يقحم عليها وعلى ساحتها .

وأما مناقشة التصرفات المنسوبة للوزراء — سواء أكانت تهما جنائية أم ادارية — فالقول الفصل فيها للبرلمان ، يستوى فى ذلك الأخذ بحكم القوانين أو بحكم الدستور .

أما القوانين فلا تجعل للمحاكم اختصاصا فى الأوامر الادارية والأعمال الحكومية .

وأما الدستور فنصه وروحه كما رأيتم يجعل البحث فى تصرفات الوزراء من اختصاص البرلمان وحده الذى تسأل أمامه الوزارة المسئولية السياسية والمسئولية الجنائية .

ان جاز أن ينقل الفصل فى هذا الى القضاء لكان معناه أن تصبح ساحة القضاء ساحة سياسية وتصبح الوزارة مسئولة ، لا أمام ممثلى الأمة ، بل أمام القضاء ، وهذا منتهى الخلط بين السلطات ومنتهى التشويه لأحكام الدستور ومبادئه .

يقولون ان صاحب الكتاب اتهمكم ، فلماذا لا يحاسب — ان كان كاذبا — أمام القضاء ؟

ان الشأن الأول الذى يعنى البـــلاد ويعنى البرلـــان ، بل ويعنى الوزارة هو معرفة سلامة تصرفاتها · أما محاسبة واضع الكتاب ، فتأتى فى المرحلة الثانية ، وليس لأحد أن يحط من شأن البرلـــان فيدعى أنه غير أهل للفصل فى هذه الأمور ·

ألم يجعل الدستور منه الهيئة القضائية التى تفصل فى الطعـــون الانتخابية ؟ ألم يجعل الدستور من مجلس النـــواب سلطـــة التحقيق والاتهام ، ومن مجلس الشيوخ سلطة الحكم بالاشتراك مع محكمة النقض والابرام ؟

أيضع الدستور هذه المسئولية ، بل هذه الأمانة فى عنق البرلـــان ، فيأتى من يشكك فى هذا النظام ، ويشكك فى صلاحيـــة البرلـــان لأداء هذه الأمانة ؟ أفيجوز أن يقال تلميحا أو تصريحا ان البرلـــان لا يؤتمن على هذا الاختصاص ؟

أو يؤتمن البرلمان على شئون البلاد وتشريعها وماليتها وميزانيتها ، ثم يقال اليوم انه لا يؤتمن على بحث تصرفات الحكومة ؟

أيكون من حقه أن يقرر عدم الثقة بالوزارة حين يختلف معها على أمر من الأمور فتسقط ، ولا يكون له أن ينظر فى تصرف من تصرفاتها لأنه على حد زعمهم من اختصاص القضاء ؟

اذن فعطلوا اختصاص البرلـــان فى الاستجوابات ·

اذن فعطلوا اختصاصه فى التحقيقات · ويتوجه النحاس باشا الى هيكل باشا :

اذن فعطلوا البرلمان « ياسيدى » ·

وأخيرا اذا جاز لمجرد اقدام كاتب ــ أيا كانت صفته ــ على اتهـــام وزارة فى تصرف من تصرفاتها ــ اذا جاز رفع الأمر فورا الى القضاء ، توصلا الى القول بأنه متى رفع الأمر للقضاء وجب تنحى الوزارة الحائزة على ثقة البرلـــان بمجلسيه ــ حتى لا يؤثر قيامها فى سير التحقيق ···· أليس معنى هذا أن تصبح الوزارة مسئولة ، لا أمام البرلـــان ، ولا أمام القضاء ، بل أمام كل قاذف وطاعن حيث تهيأ له لمجرد أنه كتب أو كذب أو افترى أو قذف أن يصل الى تخلى ممثلى الأغلبية عن كراسى المسئولية · وهـــذا هو بيت القصيد ياسيدى ·

ماذا يكون مصير الحكم فى البلاد ، اذا تم هذا وجاءت وزارة ثانيـــة فاتهمها نفس الكاتب أو أى كاتب آخر ورماها بافك جديد ، ألا يجب عليها هى الأخرى أخذا بهذه الخطة تبليغ القضاء والاستقالة لترك القضاء حرا ؟

وهكذا لا يكون الحكم فى البلاد للأمة مصدر السلطات ، ولا للبرلمان الرقيب على الوزارات ، ولا للوزارات المسئولة أمام البرلمان ٠٠٠٠٠

وانما يكون الحكم للقاذفين والمفترين ، وأصحاب الأهواء من الكاذبين والطاعنين ، فهل هذا هو المصير الدستورى الذى تريد المعارضة أن تصل بالبلاد اليه ؟ انى لأربأ بوطنيتى أن أساهم فى الوصول بالبلاد الى مصير كهذا ٠ فعلى من المسئوليات والواجبات لحاضر البلاد ومستقبلها ما يردنى عن الاشتراك فى العبث بالدستور أو تشويه أحكامه ٠

ياحضرات الشيوخ :

الحلال بين ، والحرام بين ، وما كنا عادين ولا مخطئين حين أعلنا فى جلسة ١٢ أبريل سنة ١٩٤٣ أن الخطة التى سلكناها هى الخطة المثلى ، وهى الخطة التى لا أحيد عنها » ٠

ووافق المجلس على الانتقال الى جدول الأعمال ٠

ويتوجه الشيخ المحترم الأستاذ عباس الجمل الى وزير الأوقاف بالاستجواب التالى :

« لم تحسن وزارة الأوقاف تطبيق المادة ٣٤٧ من لائحتها الداخلية المصدق عليها من مجلس الأوقاف الأعلى بتاريخ ٣ يناير سنة ١٩٢٢ وقد أخلت بأحكام هذه المادة فى كتابيها المؤرخين ١٩٤٢/٣/٢١ ــ ١٩٤٢/٤/٨ وأيدت المطالبين بعزلها من النظر على وقف مشمول بنظرها ورضيت بما قالوه وبما سجل عليها من أن غيرها أحسن ادارة منها وخير أمانة وكفاءة ونزاهة وأن قيامها فى النظر على هذا الوقف ليس فى مصلحة الوقف ولا مصلحة المستحقين فيه ٠

عن هذه الوقائع التى لا تتصل بأية قضية قائمة سأستجوب معالى وزير الأوقاف » ٠

٣ مايو سنة ١٩٤٣ ٠

ويلقى صاحب المعالى وزير الأوقاف البيان التالى :

قال حضرة المستجوب الأستاذ عباس الجمل فى بدء استجوابه ان وزارة الأوقاف ليست لها صفة حكومية أو عمومية ولا لأموالها ولا لخزانتها صفة العمومية فى نظر القانون ٠ وهذا التعبير مخالف للواقع لأن كل من يختلس من أموال الوزارة يقدم لمحكمة الجنايات ٠ كنت أود أن يعرف حضرة المستجوب هذا قبل أن يقوله ٠

هذا ولقد تقدم حضرة الشيخ المحترم الأستاذ عباس الجمل الى وزارة الأوقاف يستوجبها لأنها لم تحسن تطبيق المادة ٣٤٧ من لائحتها الداخلية وأخلت بأحكامها فى كتابين أحدهما بتاريخ ٢١ مارس سنة ١٩٤٢ والثانى بتاريخ ٨ أبريل سنة ١٩٤٢ ورضيت الوزارة بما سجل عليها من أن غيرها أحسن ادارة منها على وقف مشمول بنظرها الى آخر ما جاء فى استجوابه ٠

والوقف الذى يشير اليه حضرة المستجوب هو وقف المرحوم أحمد باشا البدراوى ٠ وقبل الرد على الوقائع التى نسبت الى وزارة الأوقاف لا أرى بدا من ذكر نبذة عن هذا الوقف فقد وقف المرحوم أحمد باشا البدراوى بمقتضى اشهاد صادر من محكمة الدقهلية الشرعية فى ١٧ يناير سنة ١٩٠٧ عقارات وأطيانا مقدارها ١٣٧٦ر١ فدانا و ٢٣ قيراطا و ٢٢ سهما على جهات خيرية وعلى ذريته وشرط النظر عليه لنفسه مدة حياته ثم من بعده لحضرة السيد حسين القصبى ثم من بعده لحضرة محمد بك عثمان ثم من بعده لحضرة على بك المنزلاوى ثم من بعده لحضرة الشيخ محمد النحاس وهو والد رفعة النحاس باشا ثم من بعده للشيخ يوسف سنبل ثم من بعده لحسن افندى خيرى البدراوى ثم من بعده لمن يقرره قاضى المسلمين الشرعى ٠

وقد كان هذا الوقف مشمولا بمقتضى شرط الواقف بنظر حضرة على بك المنزلاوى ثم قررت محكمة طنطا الشرعية عزله عن النظر فى أول مارس سنة ١٩٣٦ بعد أن رفعت عليه عدة قضايا تتعلق بتصرفاته واهماله شئون الوقف وتقصيره مع المستحقين واغفاله جهات الخير المنصوص عليها ٠

وفى ٣١ مايو سنة ١٩٣٦ أقامت المحكمة المذكورة حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا ناظرا مؤقتا الى أن يفصل فى دعوى العزل نهائيا ٠

وفى ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٣٧ قررت المحكمة العليا الشرعية تأييد قرار العزل ، فعرض الموضوع على محكمة طنطا الشرعية للنظر فى اقامته ناظرا على هذا الوقف بصفة دائمة فطلب المستحقون من ذرية الواقف اقامة حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا ناظرا وفوضت وزارة الأوقاف أولا الرأى الى المحكمة بخطابها المؤرخ فى ٢٣ يناير سنة ١٩٣٨ ، ولكنها عادت بعد ذلك فطلبت ثانيا اقامتها ناظرة وعارضت فى اقامة حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا فى خطابها المؤرخ ٥ فبراير سنة ١٩٣٨ ٠

وفى ١٣ مارس سنة ١٩٣٨ أقامت المحكمة الوزارة ناظرة على هذا

الوقف وأيدت المحكمة العليا الشرعية هذا القـــرار فى أول أكتـــوبر سنة ١٩٣٨ .

وفى ١٦ مارس سنة ١٩٤٢ تقدمت السيدة عديلة بيومى البدراوى وآخرون الى محكمة طنطا الشرعية طالبين اقامة حضرة صـــاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا ناظرا على هذا الوقف بدلا من الوزارة لما فى ذلك من المصلحة لهم وللوقف ، فطلبت المحكمة الى الوزارة ابداء رأيهـــا فى هذا الطلب ، فأجابتها فى كتابيها المشار اليهما فى الاستجواب بأنه لا مانع لديها من اقامة حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا فى النظر على الوقف المذكور بدلا عنها ، وأن الذى دعاها الى تقرير ما ذكر هو رغبة المستحقين وعملا بشرط الواقف الذى نص على ما يأتى .

« ليس لديوان عموم الأوقاف أو فروعه أو أى مصلحة تابعـــة له أو حالة محله تسلط على ذلك الوقف بحال من الأحوال » .

على أن وزارة الأوقاف بعد النص الشديد الذى نصه البدراوى باشا لابعادها وابعـــاد فروعها عن التسلط على وقفه كانت خليقة بألا تقبل النظارة يوم عرضت عليها ولو الى أجل مسمى . ولكى يلوح لى أنها انما قبلت القيام بهذا العمل احتســـابا ، وتقديما لخدمة الله والمصلحة العامة على ما كان يدعوها اليه الاباء الطبيعى فى الجمـــاعات والأفراد من رفض الاشراف على وقفية مشترط فيها ضد الوزارة ذلك الشرط الذى هو غل موتور نفثته نفثة مصدور .

نعود بعد هذا الى المادة ٣٤٧ التى يقول حضرة المستجوب ان وزارة الأوقاف لم تحسن تطبيقها . فقد نصت هذه المادة على ما يأتى :

« الأوقاف التى تختص الوزارة بادارتها لاتخرج منهـــا الا بأحكام واجبة التنفيذ ، وكذلك الأوقاف التى تديرها مؤقتا ، الا فى حالة ما اذا طلب مستحق النظر رد الوقف اليه فلا مانع من التنازل له عنه بشرط أن يكون الوقف قد أحيل على الوزارة بناء على طلبه وألا يكون قد طرأ على المستحق ما ينفى أهليته للنظر وأن توافق المحكمة الشرعية على التنازل ».

والواقع الذى لايحتمل المراء أن الوزارة لم تخالف أحـــكام المادة المذكورة فى هذا الوقف اذ أنها لم تتنازل عن النظر على هذا الوقف وهذا التنازل وحده هو الذى منعته تلك المادة ، وانما الذى فعلته الوزارة هو أنها كتبت الى المحكمة ردا على خطابها تقول انها لا مانع لديها من اقامة حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشـــا فى النظر على هذا الوقف بدلا عنها تنفيذا لرغبة المستحقين ، وعملا بشرط الواقف ولم ترد على ذلك شيئا ، وهذا لايدل على التنازل عن النظر لا من جهة اللغـــة

ولا العرف ولا الشرع ، يدل على ذلك أن المحكمة نفسها سألت محـــامى الوزارة عقب تقـــرير ما ذكـــر ـ هل الوزارة متنـــازلة عن النظـــر أو متمسكة به ؟ ٠٠ فأجاب بأن ليس لدى ما أزيده على خطاب الوزارة ٠ فلو كان فى كتابها أو فى تقرير ممثلها ما يدل على التنازل لما كان ثمة محل لهذا السؤال ٠

ولا يمكن أن يقال بعد هذا ان الوزارة قد تنازلت عن النظر وأخلت بأحكام المادة المشار اليها ٠ بل ان الذى وقع ليس الا تفويضا من الوزارة الرأى الى المحكمة التى لها الولاية العامة على الأوقاف والتى تعتبر الوزارة وكيلة عنها بتنصيبها ناظرة على هذا الوقف وتفويض الوكيل الرأى الى موكله ليس ممنوعا ولا محظورا لأن الموكل هو صاحب الشـأن والأمر ٠ وقد جـــرت الوزارة فى كثير من قضـــايا الأوقاف على أن تفوض الرأى للمحكمة متى لم يكن لديها بيانات أو أوراق تقتضى المعارضـــة ٠ ومتى وثقت واطمأنت الى طالب النظر أو الى من طلب اقامته ٠

فضلا عن هذا فان وزارة الأوقاف لم تزد فى تصرفهـــا بازاء هذا الوقف الا أن أبدت بأن لا مانع لديها من تصحيح أمر مناف لشرط الواقف٠

أما القول بأنها أيدت المطالبين بعزلها عن النظر على وقف مشمول بنظرها رضيت بما قالوه وبما سجل عليها من أن غيرها أحسن ادارة منها وخير أمانة وكفاية ونزاهة ، وأن قيامها فى النظر على هذا الوقف ليس فى مصلحة الواقف ولا مصلحة المستحقين فيـــه ، فهـو قول ليس بصحيح ولم يأت ذكره لا فى محاضر القضية ولا فى حيثيات حكم المحكمة ولا فى كتب الوزارة أو مرافعة محاميها ولم نسمع به ٠ اللهم الا عندما ذكره حضرة المستجوب فى استجوابه مما جعلنـــا نظن أنه من بنـــات أفكاره ونسج خياله هو وحده وليس لنا أن نجـــرى وراء الخيـــال أو نتعلق بالأوهـــام ٠

على أننى لا يسعنى وأنـــا أرد على هذا الاســـتجواب الذى يتبين لحضراتكم من ملابساته أنه لم يقصد من ورائه الا غرض واحد أنتم تعلمونه فلا حاجة بى الى ذكره ، لا يسعنى الا أن أقرر الحقائق مجردة عن كل ثوب ليعلم كل انسان ان لم يكن يعلم أن رفعة مصطفى النحاس باشا لم يقبل هذا الوقف من قبل فى سنة ١٩٣٦ كما لم يقبله فى هذا العام الا بعد طلب من المحكمة فى كتب رسمية وصلت الى رفعته من المحكمة ٠

وهذه صورة الكتب المتبادلة بين رفعته وبين المحكمة فى هذا الشأن أتلوها عليكم ٠

لم يقبل رفعته نظارة هذا الوقف الا بعد تبادل كتب ورجاء شديد من المستحقين ، ذلك أنهم لمسوا اصلاحاته المتعددة وأمانته ونزاهته التى لايتطرق اليها مطعن ولا ينال منها استجواب فقد أجرى رفعتـه فى المدة التى تولى فيها نظارة هذا الوقف مؤقتا اصلاحات عديدة منها أنه اتفق مع وزارة الصحة على مبلغ من المال نظير اقامة المستشفى الخيرى الذى أنشأه الواقف وسـلمها ادارته فسـارت على أحسن ما يكون وانتفع به المرضى والضعفاء وتحققت بذلك رغبة الواقف والغرض الذى أنشىء من أجـله المستشفى ، وكذلك فعل فى مدرسة البدراوى الابتدائيـة بسمنود ، وقد سلمها لوزارة المعـارف نظـير مبلغ من المـال فسـارت وفق نظمها وادارتها حتى عدت فى طليعة المدارس الابتدائية ٠

وظل المستحقون مدة تولى رفعته النظارة على الوقف يتقاضـون استحقاقاتهم كاملة غير منقوصة ، بل لقد كان استحقاقهم يزداد فى كل مرة عن سابقاتهـا طبقـا للتحسينات التى ادخلت على الوقف وكان من نتيجتها أن تحسن الايراد ٠ وكذلك الخيرات التى نص عليها الواقف كانت تصرف فى الجهات المخصصة لها مما جعل الجميع ينتفعون بها ويطمئنون الى القائم بادارتها ٠

وعندما تعينت الوزارة ناظرة على الوقف فى سـنة ١٩٣٨ تسلمته من ادارة رفعة النحاس باشا مليئـا بالنقد والأعيان المهمات والزراعات والآلات الميكانيكية مما لم يكن لنظيره وجود قبل ادارة رفعته ٠

من هذا كله يتبين لكم ياحضرات الشيوخ المحترمين أن رفعة النحاس باشا حينما اقتطع من وقته الثمين فترة لخدمة أهل بلده ومسقط رأسه لم يكن بذلك الا مضيفا خدمة عامة لأهله ومواطنيـه الى خدماته الكبرى لمصر ، وأن وزارة الأوقاف حينما وقفت موقفهـا الذى وقفتـه فى هذا الشأن لم تكن الا منفذة شرط الواقف عاملة على رغبة المستحقين مفوضة الرأى للمحكمة فيما تراه ، وهى فى ذلك كله لم تخالف المادة ٣٤٧ من لائحتها الداخلية ولم تعتد على القانون ، وانما هى رضيت أن تقف موقف الحياد بازاء مطلب أصـحابه على حق حينما طلبوه والقانون يؤيديهم وشرط الواقف يسندهم ٠

ويلقى حضرة صاحب المقـام الرفيع مصطفى النحاس باشا رئيس مجلس الوزراء بيانا يقول فيه :

أرى من حقى ــ وهذا الاستجواب خاص بوقف أتولى نظارته ــ أن أقول فيه كلمة لا أرمى من ورائها الى النيل من أحد أو الانتقاص من وزارة الأوقاف ولا أقصد الى الدفاع عن تصرفاتى مدة كان الوقف المشار اليـه

مشمولا بنظارتى أو بعد أن عاد الى مرة أخرى · لا أبتغى شيئا من هذا فانى ما سعيت الى نظارة وقف البدراوى أو غير وقف البدراوى وما يكون لى أن أسعى وراء شىء من ذلك ولكن أصحاب المصلحة فى الوقف وهيئة المحكمة الشرعية وهى صاحبة الولاية العامة على الأوقاف - رأوا أن يسندوا الى النظارة لأعطى لكل ذى حق حقه وليعم النفع جهات البر التى قصد المرحوم الواقف حبس وقفه عليها · وهأنتم أولاء قد استمعتم الى بيان زميلى معالى وزير الأوقاف ولم يتل على حضراتكم نص الكتب المتبادلة بينى وبين هيئة المحكمة الشرعية فى سنة ١٩٣٦ ، ولكنى أرجو أن تسمحوا لى بأن أتلو نص هذه الكتب التى تبودلت فى هذا الموضوع بينى وبين المحكمة الشرعية ·

هذه الكتب التى سأتلوها على حضراتكم يتبين منها أن مستحقى الوقف وهيئة المحكمة هم الذين سعوا الى ولم أسع الى أحد · فهذا خطاب وصلنى من حضرة صاحب الفضيلة رئيس محكمة طنطا الشرعية سنة ١٩٣٦ :

« حضرة صاحب الدولة الرئيس الجليل

السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد فأظن أنه قد وصل الى علمكم ما آل اليه أمر وقف المرحوم البدراوى باشا وأن محكمة طنطا عزلت صاحب العزة على المنزلاوى بك من النظر عليه ، وأفيدكم أنه تقدم بطلب النظر ثمانية أشخاص ، من بينهم أولاد ابن الواقف سيدتان ورجل ، وغير خاف على دولتكم أن الوقف كبير وكله خيرى عدا مرتبات لذرية الواقف ولا يصلح للنظر عليه الا متدين قدير ذو نفوذ - وقد تقدم للمحكمة أخيرا أحد علماء سمنود الذين لهم استحقاق فى الوقف طالبا اسناد النظر الى دولتكم ، وقدم عرائض من علماء سمنود وأعيان أبو صير طلب فيها ، موقعوها اسناد النظر اليكم ، وأنا مع علمى بما تقومون به من المهام وما لديكم من الأعمال الهامة للأمة أرجوكم أن تفيدونى بقبولكم النظر على هذا الوقف ، وبذا تقدمون خدمة عظيمة لأهل بلدكم وللفقراء واليتامى وطلبة العلم الذين حرموا استحقاقهم منذ سنوات ، وأرى أن ذلك لايعوقكم عما تؤدونه للأمة من جليل الأعمال لأنه يمكن انتظام حال الوقف باسناد أعماله الى وكيل تثقون به يدير شئونه تحت اشرافكم ·

ويكفينى أن أخطر دولتكم بأن لفقراء الحرمين سنويا مبلغ خمسين جنيها لم يرسله الناظر السابق من سنة ١٩٢٧ ، وقد ساءت حالة أهل المدينة فى السنوات الأخيرة وتشتت أكثر فقرائها فى الجهات وماتوا جميعا ولم يؤثر ذلك فى الناظر فيرحم أولئك المساكين ويرسل اليهم بعض

حقوقهم • فاذا تكرمتهم بقبول النظر أحييتم المستحقين واستوجبتم مثوبة الله وعظيم أجره والله لا يضيع أجر من أحسن عملا ؟

رئيس محكمة طنطا الابتدائية الشرعية

أحمد الجداوى »

فرددت عليه بما نصه :

« حضرة صاحب الفضيلة الشيخ أحمد الجداوى

رئيس محكمة طنطا الابتدائية الشرعية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته • وبعد فقد وصلنى خطابكم الذى تطلبون منى فيه قبول نظارة وقف البدراوى باشا نزولا على رغبة علماء سمنود وأعيانها وأعيان أبى صير وانى بالرغم من المهـام الكثيرة التى تشغلنى وأشرتم فضيلتكم اليها لا يسعنى الا تلبية هذه الرغبـة وقبول نظـارة هذا الوقف رعاية للمصلحة العـامة التى أحرص عليها فى كل المناسبات وأقدمها على كل الاعتبارات الأخرى • والله أسـأل أن يوفقنا الى ما فيه خير الوقف وتحقيق صالح المستحقين من ذرية الواقف ومن الفقراء واليتامى والمساكين •

وتفضلوا فضيلتكم بقبول فائق الاحترام ••

مصطفى النحاس »

هذان الكتابان عن الوقف تبودلا فى أثناء النظر المؤقت ، ذلك النظر الذى طلبته منى المحكمة عند نظر القضية المرفوعة على حضرة المنزولاى بك الناظر السابق بطلب عزله من النظـارة ولعلكم تبينتم منهما حضراتكم الحافز الذى دفعنى الى تولى نظارة هذا الوقف ، ولعلكم تبينتم أن خصومنا السياسيين اتخذوا منه ميدانا يصولون فيه ويجولون ، ولكن من أسـف كانت صولاتهم فى الهواء وجولاتهم هبـاء فى هبـاء فانهم مع ما أتعبوا أنفسهم لم يجدوا منفذا ينفذون منه أو مطعنا ينالون به من شخص هذا الضعيف المتشرف بخطابكم •

اتخذت هذه المسألة ذريعة للنيل منى • ولكن لا يمكن لمخلوق أن ينال منى منالا لأنى أرعى الله واليتامى والمساكين فى هذه البلاد والمحرومين الذين اشتد بهم الضنك والحرمان •

حكم فى قضية العزل نهائيا ، وانتهى النظر الموقت برفع طلب تعيين ناظر نهائى دائم •

لم آسع لهذا ولم أطلبه مطلقـــا ، ولكن تقدمت القضية بطلب من أناس آخرين ، والذى يهمنى أن أذكره أن القضية عرضت فى ديسمبر سنة ١٩٣٧ وفى مبدأ سنة ١٩٣٨ المتفق من تاريخ الانقلاب ، فما الذى جـــرى ؟

جرى أن عرض الموضوع على محكمة طنطا الشرعية للنظر فى اقامة ناظر على هذا الوقف بصفة دائمة ، وطلب المستحقون من ذرية الواقف اقامتى ناظـرا ففوضت وزارة الأوقاف الرأى للمحكمة ، وكان ذلك فى ٢٣ يناير سنة ١٩٣٨ ، ثم عادت بعـد ذلك وطلبت ثانيـــة أن تعين هى ناظـرة على الوقف وعارضـت فى اقامتى ناظـرا وكان هذا العدول فى ٥ فبراير سنة ١٩٣٨ ٠

فمن هذا ترون حضراتكم أنها فى ٢٣ يناير ســنة ١٩٣٨ فوضت الرأى للمحكمة كما قلت لكم ٠ ولكنها فى فبراير سنة ١٩٣٨ عدلت عن رأيها وعارضت فى اقامتى ناظرا ٠

وكان أن أقامت المحكمة الوزارة ناظرة على الوقف فى ٢٣ مارس سنة ١٩٣٨ وأيدت المحكمة العليا هذا الحكم فى أول ديسمبر سنة ١٩٣٨٠

هذه هى السلسلة التى جرت فى سنة ١٩٣٨ عقب الانقلاب ولقد استمر الحال على هذا المنوال الى أن ساءت حالة الوقف لدرجة لا يحسن السكوت عليها فجاء المستحقون الى وشكوا من سوء ما يعانون ٠ فرثيت لحالهم وقدمت لهم المعونة من خيرات وقف السيد عبد العال الذى أتولى نظارته ٠ لأنهم أهل بلدى وأنا أدرى بحالهم ٠

هنـــاك نص صريح قد ضرب عنه صفحا فى عهد الانقلاب ، فكانت النتيجة السيئة التى وصل اليها هؤلاء المستحقون ٠

ولقد أراد المعارضون حينذاك بمعارضتهم فى تعيينى ناظرا على هذا الوقف أن ينالوا منى منـــالا ٠ ولكن أنى لهـــم هذا ورأس مالى النزاهة والشرف وثروتى التى أفخر بها هى الأمانة وطهارة اليد والزهد فى حطام الدنيا الفانية ولو أننى عجزت فى يوم من الأيام عن أن أجلب لهذا الوقف مصلحة وللمستحقين فيه منفعة ورأيت غيرى أقدر منى على ذلك لبادرت الى التخلى عنه وتركه لمن هو أجدر به وأحق ٠

وانى لأسرد على مسامع حضراتكم مقارنة بين عهد نظـــارتى ونظارة غيرى مدعمة بالوقائع والأرقام لتكون سجلا مدونا فى مضبطة أكبر مجلس تشريعى فى البلاد حتى اذا ما حدثت أحد نفسه باتخاذ عمل خيرى كهذا ذريعة للنيـــل أو الطعن عاد الى ذلك السجل فأقلع عن غيه ورجع خاسىء الطرف وهو حسير ٠

توليت نظارة الوقف مؤقتا فى سنة ١٩٣٦ فقمت بأعمال الاصلاح الآتيـــة : .

١ ــ ضم مدرسة الوقف الابتدائية الى وزارة المعارف العمومية نظير مبلغ ١٠٠٠ جنيه سنويا يدفعها الوقف للوزارة ، وكانت تكاليفها سنويا ٢٥٩٢ جنيها ، واشترطت فى قرار الضــم أن يتمتع ٢٠٠ تلميذ كل عام بالمجانية وسارت المدرسة على أحدث نظام وأحسنه ، تخرج كل عام نحو المائة تلميذ فى طليعة الناجحين .

٢ ــ ضم مستشفى الوقف الى وزارة الصحة العمومية مقابل مبلغ ١٠٠٠ جنيه يدفعها الوقف سنويا ، مع أن حضرة الناظر السابق كان قد طلب الى وزارة الصحة ضم المستشفى مقابل دفع ٣٠٠٠ جنيه ســنويا ولم يتم الضم لأنه أخل بتعهده ووقف العمل فيها من سنة ١٩٢٤ الى أن توليت النظارة فسار العمل بعد أن سلمتها لوزارة الصحة فأنشأت بها عمارة بلغت تكاليفها نحو الف جنيه . كما أنشأت قسما للرمد . وكان يصرف على المستشفى قبل أن يسلم للصحة مبلغ ٣٨٥٤ جنيها سنويا .

٣ ــ اصلاح وترميم عقارات الوقف وصيانتها عن التلف ومنهـــا منزل وقف عزبة الراهبين وقد كان آيلا للسقوط .

٤ ــ اصـــــلاح أطيان الوقف البائرة والتى أخذت الحكومة منها ردما للمشروعات ثم تأجـيرها بعـــد أن كانت بائرة بأجـر جلب للوقف مصلحة وكذلك أنشئت المصارف والمراوى ، وأصلحت الطرق ، وتم ردم البرك والمستنقعات .

٥ ــ نقل ماكينة المستشفى من موضعها بعــد ضــــمها الى وزارة الصحة فتم بذلك رى أكثر من مائة فدان ريا جيدا أنتجت نتيجة حسنة .

٦ ــ اصـــــلاح الآلات الزراعية وجعلهـــا صالحة للعمل وقد كان معظمها معطلا لا ينتفع به عند استلام ادارة الوقف .

٧ ــ صرف استحقاقات المستحقين شهريا فى مواعيدها بانتظـام من غير ما حاجة الى مطالبة أو تنبيه ، وقد كان حضرة الناظر السابق يؤخر الصرف لهم حوالى أربعة الأشهر ، وكانوا يضطرون الى التنفيــذ بواسطة المحضرين والحجز على منقولات الوقف وأثاثه ، وكان حضرته يناوئهـم ويعمل استردادات ضدهم حتى اضطر أحد المستحقين الى عمل اختصاص . على دار ضيافة الوقف وعلى قطعة أرض غيرها . وكان الناظر السـابق لايصرف لهم بعد كل هذه المحاولات سوى مرتب نصف شهر فقط .

وكذلك انتظم صرف مرتبات موظفى الوقف شهريا وكانت تؤخر لهم مدة أربعة أشهر تقريبا •

٨ ـ تنفيذ جميع الخيرات فى مواعيدها حسب نص كتاب الوقف ومنها صرف اعانة الحرمين الشريفين بعد أن ظلت معطلة من سنة ١٩٢٤ كما سمعتم حضراتكم فى كتاب محكمة طنطا الشرعية التى أرسلته الى فى سنة ١٩٣٦ وناشدتنى الله أن أقبل نظارة هذا الوقف رعاية للمصلحة ، وعلى الجملة نفذت جمع الخيرات وكانت معطلة كلهـــا فى عهد الناظـر السابق •

٩ ـ دفع اعانة الأزهر الشريف واحيـاء مولد النبى صلى الله عليه وسلم والموالد الأخرى التى نص عليها فى كتاب الوقف •

١٠ ـ سداد الأموال الأميرية والضرائب الحكومية فى مواعيدها ، وكانت قبـل ذلك تؤخر نحـو الثلاث سنين فتوقع الحـكومة الحجوزات وتؤجلها ونعيدها ، وتفصيل ذلك مدون فى محاضر قضية نزاهة لكم •

١١ ـ تحصيل جميع الايجارات حسب المتفق عليه فى العقود ، وكذلك تم تحصيل مبالغ كبيرة كانت متأخرة فى عهد الناظر السابق •

١٢ ـ عندما انتهت مدة الايجـــارات التى عقدت فى عهد الناظر السابق طرحت الأطيان للتأجير فى عهدنا كانت النتيجة أن زاد المربوط السنوى ٢٧٠٠ جنيه ، فكان ما انتفع به الوقف فى مـــدة الثلاث سنين التى حددت للايجار ٨١٠٠ جنيه سنويا ، وكذلك عند اســـتلام هذا الوقف كان جزء من الأطيان تحت يد الغير فاتخذت الاجراءات فورا لرد هذا الجزء الى الوقف وريعه منذ اغتصابه حتى تسلمه •

١٣ ـ العمل على زيادة ثمن الأطيان التى أخذت للمنافع العامة فبعد أن كان الفدان تنزع ملكيته بمبلغ ٨٠ جنيها أصبح ثمنه ١٣٠ جنيها ، وقد وضعت المبالغ التى تجمدت من هذه الصفقات فى خزانة المحكمـــة الشرعية على ذمة شراء عين للوقف ، وكاد هذا الشراء يتم لولا أن وزارة الأوقاف عينت ناظرة فى سنة ١٩٣٨ فلم تشتر عين للآن •

وهناك ياحضرات الشيوخ المحترمين اصـــلاحات وفيرة سعى لدى الجهات المختلفة من أجلها ، واتفق على الكثير منها ونفذ معظمها مما يطول بى سرده لو تعرضت الى تفصيله ، فلا حاجة الى هذا التفصيل •

أما ما قامت به وزارة الأوقاف مدة توليها النظارة زهاء أربع سنين فيكفى أن ألمح اليه فى المامة بسيطة ، وأرجو أن يعمل زميلى معالى وزير الأوقاف وهو الجديد على الوزارة وغير مسئول عن تصرفاتها فى الماضى ـ

أرجو أن يعمل على منع الشكوى ورد الحقوق الى أربابها سواء فى هذا الوقف أو فى غيره ، فانا لانبغى الا الاصلاح ولا ننشد الا مصلحة الناس وقطع دابر الشكوى ٠

بدأت وزارة الأوقاف عملها بأن أبطلت الصرف على دار الضيافة ، فعطلت بذلك شرط الواقف ثم ألغت صرف مبلغ معين للذين يتلون القرآن الكريم فى شهر المولد الشريف ، وأخرت صرف استحقاقات المستحقين فى المواعيد المحددة حتى لجأوا الى الشكوى بالبرق وعلى صفحات الصحف ولم تصرف لأحد أحفاد الواقف استحقاقه ، وكذلك عينت موظفين جددا لهذا الوقف بغير ما حاجة اليهم فكلفت الوقف مبالغ طائلة بلا مبرر لهذا التصرف ٠ ثم نقلت بعض موظفى الوقف للقيام بأعمال عامة للوزارة لاصلة لها بالوقف ، وظلت مرتباتهم تصرف لهم على حساب وقف البدراوى ٠

ومما يؤسف له أنها كانت تؤخر الصدقة المخصصة لتجهيز الموتى وهى التى لاتحتمل التأخير ، وقع ذلك عدة مرات ، حتى كانت الجثث تؤخر عن مواراتها التراب الى أن يكتتب لتجهيزها من المحسنين ٠ ولقد تسلمت الوزارة فى ٢٣ مارس سنة ١٩٣٨ نحو ١١٧ فدانا وكسورا من الأراضى التى تم اصلاحها وكان بعضها منزرعا والبعض الآخر معدا لأن يزرع ، وكان لديها الوقت الكافى لاستغلالها ، ولكنها تركت حتى الآن بائرة ليس فيها أى زرع حتى عادت الى حالتها الأولى من الضعف وعدم الصلاحية ٠ وكذلك تهاونت الوزارة مع المستأجرين تهاونا أدى الى ضرر بليغ بالوقف فلم تحصل فى مدى الأربع سنين التى تولت فيها النظارة سوى مبلغ ٢٫٠٨٠ جنيها و ٤٦٥ مليما من أصل مبلغ ١٧٫٦٨٢ جنيها و ٤٠٨ مليمات ، بينما حصلنا نحن فى مدة تقل عن السنتين ٨٫٨٦٥ جنيها و ١٢٦ مليما من أصل مبلغ ٢٦٫٥٧٧ جنيها و ٥٣٢ مليما ٠ ولقد أجرت الوزارة فى عهدها بايجار أقل مما كان فى عهدنا فخسر الوقف بذلك ٤١٨ جنيها و ٦٩٣ مليما سنويا ٠ وعند استلام الوقف من الوزارة هذا العام رأيناه مدينا بمبلغ ٧٫٠٠٠ جنيه ، منها ستة آلاف جنيه لوزارة المعارف وألف جنيه لوزارة الصحة ، وسننظر فى هذا عند محاسبة الوزارة على مدة نظارتها ٠

والآن أعرض على حضراتكم الكتابين الآخرين اللذين أشار اليهما حضرة صاحب المعالى وزير الأوقاف فى بيانه وهما المتبادلان بين حضرة صاحب الفضيلة رئيس محكمة طنطا الابتدائية الشرعية وبينى فى هذا العام :

محكمة طنطا الابتدائية الشرعية

« حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فقد طلب المستحقون فى وقف المرحوم أحمد باشا البدراوى تعيين رفعتكم فى النظر على هذا الوقف ولم تمانع وزارة الأوقاف فى ذلك .

ونظرا لأن رفعتكم قد كرستم حياتكم النافعة على خدمه هذا البلد الأمين ورعاية مصالحه والقيام بأعبائه .

ونظرا لما لرفعتكم من الأيادى البيضاء السابقة على هذا الوقف ومستحقيه ، نرجو من رفعتكم أن تضيفوا الى أعمالكم النافعة عملا آخر تجزون عليه من الله يوم تجزى كل نفس بما عملت وتقبلون النظر على هذا الوقف خدمة للفقراء والمستحقين ، وتفيدونا بالقبول قبل جلسة ٢٦ أبريل سنة ١٩٤٢ .

والله يجزيكم على أعمالكم خير الجزاء ويحفظكم ويبقيكم .

وتفضلوا بقبول جليل الاحترام ؟

رئيس محكمة طنطا الشرعية

محمد الجداوى »

الــــرد ..

فندق مينا هاوس

فى يوم السبت ١١ ربيع الأول سنة ١٣٦١ هـ (٢٨ مارس سنه ١٩٤٢) ..

« حضرة صاحب الفضيلة رئيس محكمة طنطا الابتدائية

السـلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فقد تسلمت خطابكم المؤرخ ٢٣ مارس سنة ١٩٤٢ رقم ٣٤٥٦ ، وردا عليه أفيد فضيلتكم أنى بالرغم من المهام العامة الوفيرة الملقـاة على عاتقى والتى تستغرق معظم أوقاتى فضلا عن مهامى الخاصة لايسعنى ازاء طلب المستحقين فى وقف المرحوم أحمد باشـا البدراوى وما تفضلتم به من تأييـدهم وذكرتموه مما سبق لى اسداؤه لهذا الوقف ومستحقيه ومناشـدتى أن أضيف الى أعمالى النافعة عملا آخر أجزى عليه من الله يوم تجزى كل نفس بما عملت ازاء ذلك كله لا يسعنى الا أن أحمـل نفسى على قبول نظارة هذا الوقف خدمة للفقراء واليتامى والمساكين وجميع المستحقين ، وفقنا الله الى ما فيه خدمة البلاد والعباد .

وتفضلوا فضيلتكم بقبول وافر الاحترام ؟

مصطفى النحاس »

ولست فى حاجة الى أى تعليق بعد هذا ٠

أدليت اليكم بهذا البيـــان المختصر لتكونوا على بينـــة من الأمر ، وليطلع الناس عليه ٠ ولا أقصد من وراء ذلك ـ كما قلت ـ النيل من أحد أو الطعن فى أحد ، كما لا أبتغى على عملى من الناس أجرا ، ولا أرتضى شكرا ، فعند الله الجزاء وعنده الوفاء ٠

ولم يقدم حضرة المستجوب اقتراحا كنتيجة لاستجوابه ٠

ووافق المجلس كما هى العادة على الانتقال الى جدول الأعمال ٠



الفصل الثالث

استجوابان لمكرم عبيد باشا
من أخطر الاستجوابات
فى تاريخ الحياة البرلمانية المصرية

وجه حضرة النائب المحترم الأستاذ مكرم عبيد باشا الى الحكومة الاستجواب الخاص بالنقاط التالية :

١ ـ استناد رفعته فى تصريح علنى بمجلس النواب يوم ٢٩ يونيه سنة ١٩٤٢ الى رسالة من وزير الخارجية البريطانية •

٢ ـ اجراءات الوزارة ازاء سياسة تجنيب البلاد ويلات الحرب •

٣ ـ بقاء حكمدارى البوليس الانجليزى وغيرهم من الموظفين البريطانيين فى البوليس المصرى فى وظائفهم حتى الآن •

٤ ـ السماح لأشخاص معينين بتصدير بعض المواد الأولية والغذائية ، وعدم تقديم بعض المهربين والمختزنين الى المحاكمة ، وفرض ضرائب غير رسمية على الأهالى •

٥ ـ سياسة الوزارة الداخلية فيما يختص بالحريات العامة •

وأجابه مصطفى النحاس باشا رئيس مجلس الوزراء ببيان ضاف قال فيه :

منذ شهر أبريل الماضى انطلقت ألسنة ، وترددت أصوات بمختلف الأراجيف والاشاعات عن مصطفى النحاس ، وقد اقترنت هذه الاشاعات بما حصل فى الوزارة من خلافات ، وكان مصدر الاشاعات معروفا ، والغرض منها ظاهرا مكشوفا · وقد عمد أصحابها الى نشرها بين أصدقاء مصطفى النحاس وأنصاره ، فأذاعوا فيهم أخبارا كاذبة مختلفة لعل الأنصار يصدقون هذه الاخبار ، ويحلونها محل الاعتبار ، فينصرفون عن مصطفى النحاس ويخلو منه الجو السياسى ، أو تصبح سياسته وزعامته فى المحل الثانى · ولم يكن شىء أحب لمصطفى النحاس من أن يلقى النور على هذه الأراجيف فيظهر الناس أجمعين على فسادها وبطلانها وغرض المرجفين من اذاعتها واعلانها · ولكنه نزل على ادارة اخوانه الذين كانت لديهم بقية من رجاء فى تنقية الجو ، وعودة الصفاء فصبر عما يحب ، وبل صبر على ما يكره · ثم تاحت لى الفرصة أن أتحدث الى بعض من اخوانى وأنصارى ، فكشفت لهم حقيقة الحال ، وكذب هذه الأقوال ·

واكتفيت بذلك جريا على ما عودنيه العلى القدير من الصبر الجميل على كل قال وقيل ، واطمئنانا الى ما تفضل به على من محبة هذه الأمة وثقتها بشخصى محبة تزيد على مر السنين ، وثقة بلغت حد اليقين ، ولم يكن فيما أرجف المرجفون أن مصطفى النحاس قبل اعلان الحماية على مصر ، أو رضى بعدم تجنيبها ويلات الحرب ، أو فرط فى سيادتها الخارجية ، أو أهدر حقوقها النظامية والدستورية ، لأنها اقتصرت على الطعن فى أمانة مصطفى النحاس ، وأصهار مصطفى النحاس · ولكن شيطان الغضب له وثبات ، ولتطوراته مضاعفات ، ولذلك امتدت الهمة الى وطنية مصطفى النحاس ، فبعد أن كان يعلو فى الوطنية على كل غاية ، وصل فى التفريط الى النهاية ، وبعد أن كانت المطاعن الموجهة لأمانة مصطفى النحاس تذاع بالعشرات فى المحافل والمنتديات ، تضاءلت فى الاستجواب الى بند واحد ، أما التهم المتعلقة بوطنية مصطفى النحاس ووزارة مصطفى النحاس ، فقد شغلت من الاستجواب أربعة بنود كاملة ·

★★★

أما البند الأول ، فقد جاء فيه أن مصطفى النحاس استند فى تصريح علنى له فى مجلس النواب الى رسالة تجعل مصر فى موضع البلاد المحمية· وقد سبق أن احتج على مثلها مجلس الشيوخ ، والوفد المصرى نفسه وغيره من الأحزاب المصرية · وبذلك يكون مصطفى النحاس بعد طول الجهاد والتضحيات ، قد أهدر ماضيه ، ووقع فيما لم يقع غيره فيه ، فارتضى لبلاده وضع الحماية ، وهو الوضع الذى قامت الحركة الوطنية وقام الوفد المصرى لمناهضته ، ونجحت البلاد فى التخلص منه · وحقيقة الأمر فى

هذا كله أننى ألقيت بيانا فى مجلس النواب فى يوم ٢٤ يونيه سنة ١٩٤٢ جاء فيه أن حضرة صاحب السعادة السفير البريطانى أبلغنى تصريحا أصدرته الحكومة البريطانية تؤكد فيه بشكل حاسم أنها عند تصميمها الأكيد على مقاومة كل اعتداء على الأراضى المصرية الى آخر مدى • والنص الذى أبلغته يطابق العبارة التى وردت فى بيانى ، وأصل هذا النص بالانجليزية كما يأتى :

To resist attacks against Egyptian Territory

والترجمة الحرفية لهذا النص هى : تقاوم كل الهجمات الموجهة الى الأراضى المصرية ، ولا أحسب أحدا يقول ان هذا التصريح الذى يعبر عن حقيقة الحال يتضمن أى معنى بالحماية •

وظاهر أن هذا التصريح لم يكن يقصد به الاساءة الى مصر بحال من الأحوال وانما قصد به مجرد الاشارة الى مقاومة القوات الزاحفة على مصر اذ لا يعقل أن تقصد الحليفة الى معنى الحماية ، وأن تثير مع مصر ، حكومة وشعبا ، مشكلا خطيرا من غير أسباب ، وقوات المحور على الأبواب ، مع أنها تعلن فى كل مناسبة على لسان ممثليها السياسيين والعسكريين أنها تحترم استقلال مصر ، ومع أنها تسلم تسليما كاملا بما رسمته هذه الوزارة لنفسها من سياسة عليا ، هى أن مصر ليست بلدا محاربا وأن سياسة الوزارة تقوم على تجنيبها ويلات الحرب ، ومع أننا فى محادثاتنا مع ممثليها العسكريين والسياسيين انما نتحادث على هذا الأساس وبروح المودة وعلى مقتضى نصوص المعاهدة وروحها •

هذه هى أولى التهم الوطنية التى رأى حضرة النائب المستجوب أن يسندها الى مصطفى النحاس •

***

أما البند الثانى من بنود الاستجواب ، فهو اتهام الحكومة بأنها ، وقد التزمت تجنيب البلاد ويلات الحرب ، لم تتخذ الاجراءات الكفيلة بذلك وقد كان موضوع هذا البند محل مناقشة فى جلسات سرية فى مجلسكم الموقر وفى مجلس الشيوخ كذلك • وقد ألقيت فى المجلسين بيانات وافية لاتدع مجالا للشك فى أن الحكومة أمينة للسياسة التى قامت عليها ، حريصة على حقوق البلاد حرصا كاملا • ومع أنها كانت أمام أمر واقع فى مسائل كثيرة ، فقد تحللت من هذا الأمر الواقع ، ولم يكن له غير وزارتنا من دافع ، ومحادثاتنا مع ممثلى الحليفة السياسيين والعسكريين تجرى كما بينت لكم ، على هذا الأساس ، وتلقى منهم تقديرا تاما ، وتأكيدا حاسما بأن الحليفة ستراعى وجهة النظر المصرية ، والمصالح المصرية بكل ما يدخل من ذلك فى طاقة البشر • ولقد لقيت بياناتى منكم ومن مجلس الشيوخ رضاء واطمئنانا زادنا قوة وايمانا •

وكأنى بحضرة النائب المستجوب يريد منى ومنكم أن نعرض لهذه المسائل الدقيقة وما فيها من أسرار عسكرية ، فى جلسة علنية ، أو يعاود المناقشة فى أمر فرغ منه فى الجلسات السرية ، وهو أمر يدعو للعجب حقا • لأن الحكومة يحق لها ، بل يجب عليهـــا أن تحافظ على الأسرار العسكرية حتى فى الجلسات السرية ، فلا تدلى اليكم الا بمـا يمـــكن الادلاء به من غير ما خطر أو ضرر • وانه وان كانت مصلحة الوزارة فى الاعلان عن جهودها ومفاخرها فى مواقفها ، الا أننى وأنا الحريص على واجبى ، وعلى مصلحة البلاد ، لا يمكن أن أجارى حضرة المستجوب فى هذا المضمار ، حتى لا تتعرض البلاد للأخطار •



أما البند الثالث من بنــود الاستجواب ، فيتعلق ببقاء حكمدارى البوليس وبعض من الموظفين البريطانيين فى البوليس المصرى بالاستمرار حتى الآن فى وظائفهم رغم انتهاء مدة خمس الســــنوات المتفق عليهـا فى المعاهدة •

وحقيقة الحال فى هذا الموضوع أنه على عهد وزارة المغفور له محمد محمـــود باشا قدمت مذكرة من دولته لمجلس الوزراء بتــاريخ ٤ مارس سنة ١٩٣٩ جـاء فيها أنه تنفيذا للمعاهدة اعتزل خـدمة البوليس فى سنتى ١٩٣٧ و ١٩٣٨ من العنصر الأوروبى ١٩ ضابطا و ١٦٧ كونستبلا ، وبذلك أصـبح عـدد وظائف الأوربيين فى مشروع ميزانيـــة البوليس المعروضة على البرلمان فى سنة ١٩٣٩ : ٣٥ وظيفة لضباط و ١٥٧ وظيفة لكونستبلات ، وتقضى ضرورات الأمن العـام باســـتخدام عنصر أجنبى للأعمال التى تتصل بالأجانب ولمقاومة التجسس والعناصر الخطرة منها • وقد رأت وزارة الداخلية لذلك أن الأفضل كثيرا أن تستبقى فى البوليس بعض الكونستبلات الذين يعتزلون الخدمة وفقا لأحكام المعاهدة ، بدلا من أن تلجأ الى استخدام أشخاص جدد لاتتوافر فيهم الخبرة والدراية وان كانت عندهم المؤهلات المطلوبة وفى مقدمتها الالمام باللغـــات الأجنبيـــة المختلفة ، وقد وافق مجلس الوزراء فى ٢٤ ابريل سنة ١٩٣٩ على هذا الرأى ، وعلى استبقاء عشرة من الكونستبلات بعد اعتزالهم الخدمة على أن تحسب ماهيـاتهم من ربط وظائف الكونستبلات المصريين من الدرجـــة الممتازة ، وعلى أن يكونوا خاضعين لشروط استخدام الأجانب بالحكومة المصرية •

وكذلك قدم المغفور له محمد محمود باشـــا مذكرة فى ١٩ فبراير سنة ١٩٣٩ لمجلس الوزراء ، بأن الوزارة لايمكنها الاستغناء عن خدمات الموظفين الأجانب الذين يشغلون الوظائف الرئيســـية فى فرقة مطافىء

القاهرة والذين كان قد تقرر الاستغناء عنهم وفقا لنصوص المعاهدة فى سنتى ١٩٣٩ و ١٩٤٠ واستند فى هذا الطلب الى أن اعتزال هؤلاء الموظفين سيعود على خدمة المطافىء بضرر كبير ليس فقط لتعذر وجود من يشرف على أعمال فرقة المطافىء ، بل ولمباشرة المهمة الجديدة الملقاة على عاتق مصلحة الوقاية فى مسائل الحرائق التى تحدثها القنابل المحرقة ، واقترح على مجلس الوزراء الموافقة على استبقاء هؤلاء الموظفين كخبراء لا كموظفين ، وقد وافق المجلس على ذلك فى ٢٤ ابريل سنة ١٩٣٩ .

وعلى عهد وزارة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا ، تقدم رفعته بمذكرة لمجلس الوزراء جاء فيها أن عدد وظائف الضباط والكونستبلات الأوربيين فى مشروع ميزانية البوليس لسنة ١٩٤٠ - ١٩٤١ المعروض على البرلمان أصبح مقصورا على ٢٦ ضابطا و ١٠٥ كونستبلا ، وقد طلب رفعته فى مذكرة الموافقة على استبقاء ١٠ من الكونستبلات المقرر الاستغناء عنهم فى سنة ١٩٤٠ وفقا لنصوص المعاهدة وذلك بعقود لخدمة الأمن العام المتصلة بالقضاء المختلط أسوة بما قرره مجلس الوزراء فى ٢٤ ابريل سنة ١٩٣٩ وقد وافق المجلس على استبقاء ستة من هؤلاء الكونستبلات لمدة خمس سنوات أى لغاية سنة ١٩٤٥ ، وفى ٢٠ مايو سنة ١٩٤٠ أى على عهد وزارة رفعة على ماهر باشا كذلك قرر مجلس الوزراء أنه نظرا للحالة الدولية الحاضرة ، يرخص لوزارة الداخلية فى أن تستخدم بصفة مؤقتة خصما على اعتماد الطوارىء وبصفة ادارية دون حاجة الى العرض على لجنة الموظفين الأجانب ، بعضا من موظفى البوليس الأجانب الذين اعتزلوا الخدمة فعلا فى سنة ١٩٣٩ ، أو يعتزلونها فى أول يونيه سنة ١٩٤٠ ، وذلك للقيام بأعمال الاتصال بين السلطات المصرية والبريطانية فى أمر مراقبة بعض الهيئات والأفراد ، ومراقبة الدخول الى الموانى مما تدعو الحاجة اليه مدة قيام الحرب .

وفى ٧ أبريل سنة ١٩٤١ على عهد وزارة دولة حسين سرى باشا قرر مجلس الوزراء استبقاء بعض ضباط المطافىء البريطانيين للأسباب المتقدمة وفى ٥ أكتوبر سنة ١٩٤١ ، قدم دولة حسين سرى باشا مذكرة لمجلس الوزراء جاء فيها أن الحكومة سبق أن قررت فى أبريل مايو سنة ١٩٣٩ وفى مايو سنة ١٩٤٠ استبقاء بعض الضباط والكونستبلات البريطانيين بعد حلول ميعاد اعتزالهم الخدمة طبقا لنصوص المعاهدة ، كما قررت الترخيص باستخدام بعض منهم على اعتمادات الطوارىء ، وكان ذلك بناء على طلب السفارة البريطانية للقيام بأعمال الاتصال بين السلطات المصرية والبريطانية فى أمر مراقبة بعض الهيئات والأفراد ، ومراقبة الدخول الى الموانى مما تدعو الحاجة اليه مدة قيام الحرب ،

ثم جاء فى مذكرة سرى باشا ، انه نظرا لقرب الاستغناء عن الباقين من هؤلاء الضباط فى المدن فى ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٤١ ، قدمت السفارة البريطانية اقتراحات فى هذا الشأن للضرورات الحربيـــة التى قضت بوجـــود عدد كبير من الجيوش البريطانيـــة فى مصر ، ومضمون هذه الاقتراحات أن يستبقى أكبر عدد من من الضـــباط والكونســـتبلات الأوروبيين الذين يحل موعد الاستغناء عنهم فى ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٤١ لمدة أخرى تنتهى فى ٣١ مايو سنة ١٩٤٢ على حساب الحكومة المصرية ، على أن يستمروا مباشرين لما كانوا يباشرونه من الأعمال والاختصاصات ، وعلى أن توافق الحكومة المصرية على آن باقى العدد يعمل فى نفس المدة بصفة ضباط اتصال لدى السلطات البريطانية الحربيـــة التى ستدفع ماهياتهم ، وأنه فى حالة الموافقة على ذلك فان هذه الترتيبـــات تتجدد سنويا بطريقة آلية حتى نهاية الحرب ٠

ثم جاء فى مذكرة سرى باشا لمجلس الوزراء أن الظروف التى أبدتها السفارة البريطانيـــة تدعو كما دعت فى الماضى الى الموافقـــة على ملاءمة استبقاء بعض هؤلاء الضباط ، وقد رأت وزارة الداخلية الاكتفاء باستبقاء حكمدار ووكيـــل حكمـــدار ، ومســـاعد الحكمـــدار لكل من القاهرة والاسكندرية ، وحكمدار ، ووكيل حكمدار فى بور سعيد ، وحكمدار فى السويس ، أما باقى الضباط والكونســـتبلات وعددهم ٦ ضـــباط و ٥٣ كونستبلا فليس لدى الحكومة مانع من استبقائهم كلهم أو بعضهم بما كانوا يقومون به من الأعمـــال لتحقيق مأمورية الاتصـــال بالسلطات الحربية البريطانية ، على أن تدفع تلك الحكومة ماهياتهم ، وقد عرض الأمر على قسم القضايا فوافق على ملاءمة اســـتبقاء بعض الضباط نظرا للظروف التى أبداها سعادة السفير البريطانى وجهز كتابا يرسل للسفارة بالأسس التى تتم بها الموافقـــة ، وقد وافق مجلس الوزراء فى جلسة ٦ أكتوبر سنة ١٩٤١ على رأى وزارة الداخلية المبين فى المذكرة المقدمة من دولة سرى باشا ٠

وفى ٨ ديسمبر سنة ١٩٤١ كتب حضرة صاحب السعادة السفير البريطانى الى دولة حسين سرى باشا كتابا جاء فيه أنه أخذ علما بما قررته الحكومة المصرية فى قرارها المتقدم ، وأنه يقدر هذا القرار أعظم التقدير وأن الحكومة البريطانية توافق على تحمل مرتبات الموظفين البريطانيين فى البوليس المصرى فيما عدا تسعة الرؤساء الذين قررت الحكومة المصرية استبقاءهم على حسابها ثم جاء فى كتاب سعادة السفير ما يأتى :

« ومن المفهوم جيدا أن الحكومة المصرية فى موافقتهـــا على استبقاء العنصر الأجنبى فى البوليس المصرى بعد ميعاد اعتزالهم المنصوص عليه

فى المعاهدة انما نوافق على ذلك نظرا لظروف الحرب الاستثنائية ، وأنه عند انتهاء هذه الظروف سيعاد النظر طبعا فى الموقف • ونظرا لذلك تقدر الحكومة البريطانية وجهة النظر المصرية فى أن العقود لا تتجـــدد الا لمدة سنة فى كل مرة ، ومع ذلك فقد طلبت الى الحكومة البريطانية أن أطلب تأكيدا بان هذه الترتيبات سيظل معمولا بها طول مدة الحرب ، وأنها لن تكون محلا لاعادة النظر فى كل عام ، ولى كبير الأمل فى أن دولتكم تستطيعون اعطائى هذا التأكيد الذى تعلق عليه الحكومة البريطانية أهمية كبرى » •

وفى ٤ يناير سنة ١٩٤٢ رد دولة سرى باشا على سعادة السفير البريطانى بخطاب جاء فيه ما يأتى : « ومع أن الحكومة المصرية لا تستطيع الانحراف عن القاعدة العامة السارية على جميع الموظفين الأجانب من حيث استخدامهم ، أو تجديد عقودهم لوقت محدود ، فاننى أعتبر أن استبقاء الضباط الأجانب بعقود لمدة سـنة لا يمنع من اســـتمرارهم فى خدمة الحكومة المصرية الى أن تنتهى الحرب ، وذلك بسبب الحقيقة الواقعة وهى أن ظروف الحرب نفسها هى التى دعت الى بقائهم ، على أن الحكومة المصرية تحتفظ لنفسها بالحق فى اعادة النظر فى كل عام فى شأن هؤلاء الضباط أو الضباط الآخرين الذين سبق اســـتبقاؤهم ، ولو أن المتوقع أنهم سيبقون فى الخدمة مادامت الظروف الحاضرة مستمرة •

فيما تقدم بيان دقيق لما جرى من المحادثات والاتفاقات • ولما صدر من القرارات بشأن الضباط والموظفين الأجانب فى البوليس المصرى على عهد الحكومات السابقة المتعددة • وما أن توليت الحكم حتى بادرت الى اثارة هذا الموضوع مع سعادة السفير البريطانى ، وقد باحثته فيه أكثر من مرة • وكان من وجهة نظره أن استبقاء هؤلاء الضباط والموظفين قد تم بناء على اتفاق بين الحكومتين المصرية والبريطانية • وأنه ليس ثمة ما يمنع أى طرف من الطرفين الموقعين على المعاهدة من أن ينزل على حق تقرر له فيها • وقد تم هذا الاستبقاء بموافقة الحكومة المصرية ، ولكننى شرحت له ، وكتبت اليه بأن الحكومة المصرية السابقة ودار السـفارة البريطانية قد أغفلتا عند الاتفاق السابق ما كان يجب مراعاته ، وهو أن أى تعديل فى المعاهدة لا يمكن أن يكون صحيحا الا بعد عرضه على البرلمان المصرى والانجليزى والتصديق عليه منهما •

وكذلك كتبت اليه بأننى متمسك بوجهـــة نظرى التى أبديتها له مرارا ، وهى أن الاتفاق الذى تم مع حكومة سرى باشا باطل من كل وجهة ، لأنه لم يصدق عليـــه من البرلمان المصرى ، وأنه ما من حكومة

مصرية تملك الانحراف عن نصوص المعاهدة الدقيقة بغير تصديق من البرلمان ، وأن كل اتفاق لا يصدق عليه البرلمان لا يمكن أن يكون لازما على مصر ، وبصرف النظر عما اذا كان بقاء بعض الموظفين البريطانيين فى البوليس المصرى لازما فى مدة الحرب ، أود أن تسلموا بالمبدأ العام ، وهو أنه لا يمكن التعديل فى نصوص المعاهدة باجراء من السلطة التنفيذية وحدها ، فاذا ما سلمتم بهذا المبدأ ، أمكن أن ننتقل الى البحث الآخر الذى لا يجىء الا فى المرتبة الثانية وهو لزوم استبقاء بعض هؤلاء الموظفين فى مدة الحرب ، وما اذا كانت ضرورات الحرب تستلزم حتما الانتفاع بتجارب هؤلاء الموظفين بشكل أو بآخر ، وعلى أى أساس يجوز أن ينتفع بخدماتهم حتى لا يكون فى هذا الانتفاع اخلال ما بنص المعاهدة أو بروحها .

هذه وجهة نظرى التى كررتها لسعادة السفير البريطانى محادثة وكتابة ، وهى الوجهة التى لا أزال أتمسك بها وأواصل مباحثاتى معه على أساسها .

مما تقدم تتبينون أن هذا الموضوع بدأ منذ سنة ١٩٣٩ على الوجه الذى شرحته واشتركت فيه حكومات متعاقبة حتى انتهى الى المرحلة المتقدمة ، وليس لى أن أضيف الى ما تقدم شيئا لأن الحقائق التى أبدتها ناطقة بنفسها ، مبينة أجلى بيان عن مقدار حرص هذه الوزارة على حقوق البلاد ، وحقوق البرلمان ، كما أنها شاهدة شهادة قاطعة على من يتجنون علينا ويتهموننا بالتفريط باطلا .

***

وأما البند الرابع من بنود الاستجواب فهذا نصه :

« سماح الوزارة لأشخاص معينين بتصدير بعض المواد الأولية والغذائية رغم حظر تصديرها وامتناعها من أن تقدم للمحاكمة بعض المهربين والمختزنين والى جانب ذلك استمر التهريب مما أضر بالاقتصاد القومى » .

اتهام لا تنقصه الجرأة وان كانت تنقصه الوقائع ، اتهام بنيت عليه دعاية بدأت سرية بقصد النيل من كرامتى ونزاهتى ، ولقد رحبت به حين خرج من ظلام الدعاية السرية الى نور المناقشة الكفيلة بتبديد كل ظلام ، والقضاء على كل اتهام ، يقوم على الافك والبهتان .

اتهام روج له ذات اليمين وذات الشمال فى عبارات ظاهرها الغموض والابهام ، وحقيقتها توجيه المطاعن الى شخص بقصد اثارة الشكوك التى

يعلم نفس المستجوب أنها لن ترتقى الى يد لم تعرف غير النزاهة ، ولم تعرف بغير الطهر .

واتهام لم يتورع المستجوب من أن يبذر بذرته وهو وزير متضامن معى فى وزارتى ، فقد وقف فى يوم ١٩ مايو سنة ١٩٤٢ فوق هذا المنبر يعلن أنه كانت هناك محاولات ، ومحاولات دنيئة لتصدير الزيت اما بموافقة الحكومة أو بغير علمها وقد منع ذلك كله ثم قال « على أنى أخذت على عاتقى الغاء جميع الرخص (الخاصة بتصدير الزيت) حتى تلك التى تم بمقتضاها التصدير فعلا وأمرت الجمارك بمنع التصدير ، وكانت هناك كميات قد أعدت فعلا للتصدير وحملت على السفن فأمرت باخراجها منها » .

رمية مبهمة قصد منها اثارة الشكوك حول أشخاص معينين بيتت لتتلقفها المعارضة ، ولقد تلقفتها وقال قائلها اذ ذاك « سمعتم تصريح وزير المالية وفيه كلام خطير عن محاولات دنيئة جرت فى سبيل تصدير الزيت ، ولا أكتم المجلس بل أصارحه بأن فى البلد اشاعات كثيرة عن أن هذه المحاولات قد وقعت فعلا وأنها قد تجعل مركز وزير المالية فى خطر » ، كشفت المعارضة بكلامها هذا مكرم باشا ، فرأى أنها تتعجل الحوادث فسارع الى تغطية موقفه قائلا « لا ، لا ... ان هذا كلام لا يصح أن يقال ... ... ولو صح لى ذكر أسماء الشركات والتجار والأفراد الذين حاولوا هذه المحاولات لذكرتها » .

لو أن وزير المالية اذ ذاك كان يريد ذكر الحقائق مجردة عن التشهير الغامض لذكر الشركات والأفراد المقصودة بكلامه ، ولعلم النـاس أن صبحى الشوربجى أو أحمد الوكيل ليسا من بين هذه الشركات والأفراد التى كانت لها محاولات دنيئة لتصدير الزيت أو أنها كان لها كميات قد أعدت فعلا للتصدير وحملت على السفن وأمر معاليه باخراجها منها .

ولكنه مع ذلك أطلق الاشاعات فى الجو تسعى خلف الأبرياء ، وتحلق فوق رءوسهم ، وحمّى المقصودين بقوله . اذ الواقع أن أحدا من أقاربى أو أصهارى لم يسع الى تصدير الزيت عن غير طريقه المشروع واذا كان أحد منهم قد طلب التصريح له بتصدير الزيت فى وقت كان التصدير جائزا فلم يكن عمله هذا جرما واذا كان أحد منهم قد طلب هذا الطلب فقد كان الرد على طلبه أن أصدر وزير المالية قرارا فى ٩ أبريل سنة ١٩٤٢ بمنع تصدير الزيت .

وتذكر حضراتكم أنه قبل مجىء وزارتنا للحكم كان هناك اتفاق بين الحكومة السابقة وغرفة صناعة الزيوت المصرية بالاسكندرية على تصدير

كميات من الزيت على ثلاث دفع كل فترة منهـا فى ٤٥ يوما ، وكانت الفترة الأولى تنتهى فى ١٥ فبراير والثانية فى أواخر أبريل ، وقرار المنع صدر فى ٩ أبريل ، أى أن تصريح تصدير الزيت كان مبـاحا فى مدة وزارتى من ٦ فبراير الى ٩ أبريل ، أى خلال أكثر من شهرين ، وصدر كثير من المصدرين زيوتا فى خلال هذه الفترة ، ومع ذلك حرم على اصهارى لا لسبب الا لصلتهم بى حق التصدير ، فحرموا مما أبيح لكل الأفراد الذين تظلهم سماء مصر ، واختصوا بعد الحرمان بالامعان فى التشهير بهم فى كل مكان ٠

هذه حكاية الزيت ، كل ما يدعيه حضرة المستجوب أنه طلب منه التصريح بالتصدير فى وقت كان التصدير فيه جائزا وجاريا ، فرفض التصريح ٠

أما عن السكر ، فمن من حضراتكم لم يسمع أن بعض أصهارى ربحوا ثمانية آلاف من الجنيهات من تصدير السكر ، وأن صلتهم بى قد استغلت على أوسع مدى ولقد أطلق حضرة المستجوب فى الجو سـهام الاشاعات حول ما سماه قصة المائتى طن التى قال مرة فى هذا المجلس الموقر انه لا يرى الخوض فيها الآن ٠ فاسمعوا قصة المائتى طن من بدايتهـا الى نهايتها لتروا هل استغل أصـهار مصطفى النحاس صـلتهم به فربحوا حراما ، أم أنهم لصلتهم به شهر عليهم حضرة المستجوب حربا عوانا ، وأوقع بهم الخسارة عمدا ٠

يصدر من مصر السكر المستورد من الخارج لأنه يدخل البلاد بقصد تكريره واعادة تصديره ٠ أما السكر المصرى فان الاتفاق المبرم بين شركة السكر والحكومة يبيح للشركة تصـدير مقادير منه بشرط مصـادقة الحكومة ٠

ويرد النحاس باشا ٠ باستفاضة ـ عن موضوعات ، السـكر ، والغزل والجلود والأحذية بما سبق أن رد به على الأسئلة الخاصة بهـذه الموضوعات ، وهو ما سبق أن ذكرناه بالتفصيل الى أن يقول :

★★★

هذه هى سياسة الحكومة الخاصة بالتموين والتصدير ٠

هل ترون فيها تفريطا فى حقوق البلاد أو مصالح البلاد ؟

والآن فاسمعوا المضحك والمبكى معا ٠ بل اسمعوا عن جهودنا التى

بذلناها لتوفير الأقوات لمصر فى وقت كان شبح المجاعة فاغرا فاه بسبب سياسة التموين السابقة على ١٥ مايو سنة ١٩٤٢ ٠

فى ١٤ مايو سنة ١٩٤٢ خرج معالى مكرم باشا من وزارة التموين فى الظروف التى تعلمونها ، وكان وهو وزير التموين يحيط نفسه بهالة من النجاح والتوفيق فى اطعام البلاد واشباعها ، وطرد أشباح المجاعة عنهـــا ٠

وفى ١٥ مايو سنة ١٩٤٢ تولى وزير التموين الجديد أعمال وزارته ، فماذا وجد ؟ وجد مذكرة تنتظره من وكيل الوزارة المنتدب ، يعلن فيها أن مصر والاسكندرية والسويس ليس فيها من الدقيق ما يكفى لاطعام أهلها أكثر من أربعة أيام ، وأنه لا ينتظر أن يرد من الأقاليم قبل هذا الموعد قمح من المحصول الجديد الذى لا يمكن الاعتماد على وصوله للمدن المذكورة قبل نهاية شهر مايو ٠

لعل وزيرا لم يستقبل تركة كالتى استقبلها زميلى أحمد حمزة حين تولى الوزارة ، ولكنها على كل حال كانت تحية الاستقبال التى أعدها وزير التموين القديم للوزير الجديد ٠

كان على ، وعلى زملائى أن نواجه هــذه الحالة المروعة ، وأن ندبر القوت لمصر والاسكندرية والســـويس فى ظرف ثلاثة أيام والا فغرت المجاعة فاها لتلتهم سكانها ٠

ولم يبهظنى الحمل ، ولم يقعدنى مقعد العجز والإستسلام ، بل حفزنى الى أن أستجمع كل جهودى وقوتى لأدبر للبلاد القوت اللازم ، ولأجنبها شر المجاعة والقحط ، ولقد أمدنى الله بعونه وتأييده ، ووفقت بمساعدة الدولة الحليفة وحسن استعدادها الى اتقاء هذا الخطر ، ولا أكتم عنكم أننى حين كاشفت ممثلى الدولة الحليفة واتصلت بهم ذهلوا لعدم اكتراث المسئولين عن شئون التموين فى ذلك التاريخ وسكوتهم الى أن وصلت الحالة الى هذا الحد وعدم تنبيههم الى المقـــدار اللازم فى الوقت المناسب ٠

لبت الحليفة ندائى ، وفى هذه الظروف سمح بتصدير ٨٠٠٠ طن أرز مقابل ما وصلنا من قمح الحليفة بعد أن ثبت من الوزارات المختصة أن تصديرها لا يؤثر فى حالة التموين المحلية ٠

هـــذا عملى ، وهـــذا عمل حضرة المســتجوب ، فأى العملين يعتبر اجراما وتفريطا فى حقوق البلاد ٠

ولعل حضرة المستجوب يشير الى طوابع أسـبوع البر التى رأت مصلحة السكك الحديدية أن يقوم بعض عمالها بتوزيعها من شبابيك بيع التذاكر وما كان فى الأمر اكراه ولا اجبار ، ولقد تولت المصلحة الاشتراك فى هذا العمل الخيرى جريا على عادتها من المسـاهمة فى توزيع أوراق الجمعيات الخيرية المختلفة كجمعية المواساة وغيرها من الجمعيات ، ولذلك سوابق كثيرة اتخذت شكلا أوسع وأقوى ، حتى أن مجلس الوزراء فى عهود ماضية قرر بشأن معاونة جمعية خيرية كالهلال الأحمر بطريقـة منظمة ، وذلك باضافة رسم معين على بعض التذاكر والأوراق .

فهل أصبح حراما على القائمين بأسبوع البر ما أحل أكثر منه لكثير من المشروعات الخيرية الأخرى ؟ .

ان المشروع خيرى محض وقد أحيط بجميع الضمانات ، ورحب به الجمهور أيما ترحيب ، وتؤكد مصلحة السكك الحديدية أنها لم تتلق آية شكوى فى هذا الموضوع .

وعن سياسة الوزارة الداخلية فيما يختص بالحريات العـامة وفى تحقيق المساواة بين الموظفين ، يقول النحاس باشا :

تقدمت استجوابات بشأن الرقابة الصحفية ستناقشها الحكومة فى ميعادها ولا أريد هنا أن أتناولها .

ولقد سبق لمجلسكم الموقر أن تناقش فى أثر اعلان الأحكام العرفية فى الحريات العامة ، وفى الحصانة النيابية . وقدمت الحكومة اذ ذاك للمجلس بيانا عن سياستها فى هذا الشأن ، يتلخص فى أن اعلان الأحكام العرفية يجيز تعطيل أحكام الدستور على الوجه المبين فى قانون الأحكام العرفية وذلك فيما عدا انعقاد البرلمان متى توفرت فى انعقـاده الشروط المقررة بالدستور . وأبنت لحضراتكم الضرورات التى تقضى بذلك ، وكان حضرة المستجوب من أعضاء الحكومة اذ ذاك ، فليس له أن يناقش فى هذا المبدأ ولا فيما يستتبعه من تفصيلات سواء بالنسبة للحريات العـامة اطلاقا أو للضمانات التى يتمتع بها النائب .

وأرى من نافلة القول وضياع الوقت أن أعيـد عليكم ما قلتـه اذ ذاك ، ويكفينى أن أقرر هنا أنكم أقررتم هذه السياسة ، بل أقرها البرلمان بمجلسيه .

أما المساواة بين الموظفين ، فلعل فى الحديث فيها عودة الى مناقشة حق مجلس الوزراء فى الاستثناءات ، وفى فصل الموظفين وترقيتهم ، وهى

المؤتمر، سبق لى كذلك أن حددت مركزنا بشأنها فى بيان واف بجلسة ٢١ يونيه سنة ١٩٤٢ ، وهى متصلة باستجوابين مؤجلين بقرار من المجلس ، فلا أرى محلا للبحث فيها الآن ٠

حضرات النواب المحترمين :

الآن ، وقد ألقيت نور الحق على كل ما قيل هنا وهناك ، الآن وقد وقفتم على الحقائق مؤيدة بأسانيدها الرسمية ٠ وأبنت لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من كل ما أرجف به المرجفون ، فانى أغادر هذا المنبر مستريح الضمير ، قرير النفس ، مطمئنا الى أننى قد بلغت من نفوسكم وقلوبكم موضع الرضا والاعتقاد بأننى لم أفرط فى حق من حقوق البلاد ولم أضيع مصلحة من مصالحها ، وانما كنت كما عهدتنى البلاد ، الأمين على مصالحها ، الحفيظ على حاضرها ومستقبلها ، فذلك عهد قطعته لها قديما ، وأجدده اليوم ، والله على ما أقول شهيد والله من ورائهم محيط » ٠

قرار المجلس : بالموافقة على الاقتراح المقدم ونصه :

« شكر حضرة صاحب المقام الرفيع رئيس مجلس الوزراء تقديرا لجهوده فى سبيل البلاد ورعاية مصالحها واعلان اغتباطه بالحقائق التى أدلى بها مؤيدة بالمستندات الحاسمة الكفيلة بالقضاء على الدعايات المغرضة » ٠

أما الاستجواب الخطير الذى أودى بمقعد الأستاذ مكرم عبيد باشا فى مجلس النواب فقد كان نصه كما يلى :

« أريد أن أستجوب رفعة رئيس الوزراء فى الموضوعات والأبواب التالية التى أشارت اليها العريضة المرفوعة منى باسم الكتلة الوفدية المستقلة الى مقام جلالة الملك المعظم بتاريخ ٢٩ مارس سنة ١٩٤٣ والمحالة على رفعته بتاريخ ١٠ أبريل الماضى ٠

ويتضمن الاستجواب على وجه التحديد ما يلى :

أولا — استجواب الحكومة عن البيانات التى ألقتها فى البرلمان ردا على الأسئلة المتعلقة بالكتاب الأسود وعما ورد فى هذه البيانات من وقائع غير صحيحة أو مشوهة أو مبتورة فضلا عما انتهت اليه من اعترافات خطيرة أما الشتائم الكريمة التى ازدانت بها تلك البيانات فسأكتفى فى الرد عليها بمجرد الاشارة اليها وابراز المعنى المقصود منها مع تبيان أسباب وملابسات رفع العريضة الى مقام جلالة الملك المعظم ٠

ثانيا — استجواب رئيس الحكومة فى الأبواب والموضوعات التى

وردت فى العريضة متعلقة باستغلال النفوذ والانتفاع الشخصى على حساب الدولة ونزاهة الحكم عامة ٠

وقد عدد الاستجواب فى الباب الأول : ما جاء بالكتاب الأسود من استغلال النفوذ للحصول على الثراء عن طريق التنظر على الأوقاف وبيع منزل رفعة النحاس باشا بسمنود الى وقف عبد العال ، وغيرها من الأمور التى سبق أن رد عليها رئيس الوزراء والوزراء فى مجلس النواب والشيوخ ٠

وكان الباب الثانى من الاستجواب قد خصص للانتفاع الشخصى من أملاك الدولة ضد المصلحة العامة والقانون كاخلاء دار معهد التربية الفنية للمعلمات بجاردن سيتى من تلميذاته ، ليكون مسكنا خاصا لرفعة رئيس الوزراء وانتفاع أنسبائه بالسكنى فى الباخرة الحكومية (محاسن) بضعة شهور من غير أجر ، وكذا انتفاع وزير المواصلات بالسكنى فى الباخرة (كريم) عدة شهور والتحايل على اعفائه من دفع الأجرة المتفق عليها وخصص الباب الثالث فى الاستجواب للتستر على التهم المنسوبة لبعض الأصهار والأنصار ٠

وكان الباب الرابع من الاستجواب عن رخص التصدير ، وصفقات التموين والباب الخامس عن تفشى الوساطات وتفشى الرشوة معها فى الصفقات التجارية والوظائف الحكومية وغيرها ، والغاء الأحكام العسكرية وتعيين العمد وفصلهم وقبول الطلبة فى المدارس وتعيين المقربين فى وظائف البنوك والشركات ٠

أما الباب السادس فقد خصص للاستغلال الصغير مثل منح وزيرى المواصلات ورئيس مجلس الشيوخ بصفته وزيرا سابقا للمواصلات الميدالية الذهبية وارسال الورود والزهور دوريا الى منزل وزير الزراعة وتحمليها على بكسفورد حكومى معد لهذا الغرض ، وارسال الزهور يوميا لرفعة رئيس الوزراء ، فى سرايه بجاردن سيتى برفقة موتوسيكل من مستخدمى المتحف الزراعى ٠

وخصص الباب السابع من الاستجواب لفضائح المحسوبيات والاستثناءات وقد بين مكرم باشا فى هذا الباب أن أساس الاستثناءات والاحتساب يرجع الى القرابة أو الانتساب لرئيس الحكومة ووزرائها المحسوبين عليها كما سيبين ما لجأت اليه الحكومة من وسائل التحايل على هذه الاستثناءات الخطيرة بنقل المحسوبين من مصلحة الى أخرى وتعيينهم أو ترقيتهم الى وظائف لا صلة لها بأعمالهم أو مؤهلاتهم أو بمنحهم

درجات مخصصة لغيرهم أو مكافآتهم على خدمات خاصة أو اعادتهم الى وظائف فصلوا منها لأسباب تمس الأخلاق أو الكفاية فى العمل أو السماح لبعضهم بالاشتغال فى السياسة والتهجم على خصوم الحكومة السياسيين بل دفعهم الى هذا دفعا فى مقابل الاغداق عليهم بالدرجات والعلاوات كما سنبين أن هذه الاستثناءات قد امتدت الى حرم القضاء فعين المحسوبون فى وظائف قضائية مقابل خدمات خاصة أدوها لوزير العدل أو لغيره من أعضاء الحكومة رغم صدور الأحكام التأديبية ضد بعض من عينوا فى القضاء والوظائف الأخرى .

وسيتناول هذا الباب بوجه عام جميع مظاهر الاستغلال من طريق الاستثناء والمحسوبية وما لابسها من تصرفات الحكومة واجراءاتها وكذلك ما أقدمت عليه الوزارة من فصل واضطهاد الموظفين الحكوميين وغيرهم لأسباب ترجع الى السياسة التى انتهجتها الحكومة ولا يبررها مسوغ من العدل والقانون .

١٢ مايو سنة ١٩٤٣ « مكرم عبيد »

نائب قنا

الفصل الرابع

النحاس يرد بالوثائق على مكرم

ويقول مصطفى النحاس باشــــا ردا على مكرم عبيــد باشا :

من وقت أن طالبنا مكرم باشا وغيره فى ١٢ أبريل الماضى علانية فى مجلسى البرلمان أن يتقدموا باستجواب أو بسؤال عما ورد فى العريضة المقدمة منه الى جلالة الملك وفى كتابه الأسود وفتحنا الباب على مصراعيه لحضرات أعضاء البرلمان جميعا ، منذ هذا الوقت لم يتحرك هو ولا أحد ممن يؤيدونه بشىء الى أن تقدم بهذا الاستجواب ، فرحبنا به كل الترحاب وأعلنا استعدادنا لمناقشته فى الحال ، وقد أقررتم حضراتكم ما عرضه عليكم سعادة رئيس المجلس بوجوب الفراغ من هذا الاســـتجواب وكل ما يتعلق به من أسئلة ومناقشات فى مدة ثلاثة أيام نهايتها يوم الخميس الماضى ، وقد أعطى لمكرم باشا بناء على طلبه جلستان كاملتان ، هما جلستا الثلاثاء والأربعاء ٠

ولكن مكرم باشا بدلا من أن يستفيد من هذا الوقت الطويل ويشرح استجوابه بكل ما جاء فيه من تهم وتفصيلات لجأ الى طريقة اختطها لنفسه ظهر لكم بجلاء أنها مبيتة من قبل وقوفه على منبركم ٠٠ تلك هى أنه جعل من هذا الموقف أداة لا لشرح استجوابه ، بل للتشهير برئيس الوزارة والوزراء وأعضاء البرلمان ، يعيد ويكرر ذلك فى غير مناسبة لا جريا وراء توضيح تهمة بعينها ، بل تمثيل قصـة مسرحية سبابة شتامة بعيدة كل البعد عن موضوع أية تهمة فى ذاتها ٠ فلقد كانت مرة واحـــدة تكفى لما يريد تفصيله وتبيانه من غير حاجة الى الاعادة والتكرار ، ولكنه مع ذلك

لم يفعل ، بل أخذ يعيد ويكرر مرة ومرات ، بل عشرات المرات فلا يزيد السامعين شيئا عما سمعوه منه أول مرة ولا يأتى اليهم بجديد ، وعلى هذه الطريقة مضت الجلسة الأولى وانفضت الثانية رغم تنبيهه الى أن فى هذا مضيعة للوقت المحدد من غير حاجة ولا داع وحتى اضطررت من ناحيتى فى آخر الجلسة الثانية الى أن أرجو الرئيس والمجلس السماح له بجلسة ثالثة يتم فيها شرحه وكلامه فلا يتعداها الى غيرها بأية حال ولديه من الوقت ما يكفى للاقلاع عن خطته التى اختطها فى الجلستين الماضيتين وليحصر شرحه فى الكلام المنتج فى صميم الموضوع ، ولكنه زاد فى اليوم الثالث عما كان فى اليومين السابقين فاستغرق كل الوقت فى تكرار ممل وكلام معاد غير عابىء بما وجه اليه أكثر من مرة سواء من الرئيس أو من الأعضاء حتى انفضى اليوم الثالث واذا به يدعى أنه لم ينته وأن لديه بقية يريد أن يقولها فى يوم آخر وما كان للرئيس ولا للأعضاء أن يسترسلوا معه فى هذا التمثيل المضيع للوقت المعطل للأعمال وكان لزاما على الحكومة أن توافق على وضع حد لهذه القصة المسرحية التى انفضح سرها وبان سترها وانكشف للعيان !! .

لقد مهد مكرم باشا لشرح استجوابه بمقدمة طويلة خرج فيها عن المعروف والمألوف ، بل تجاوز القواعد التى قررها سعادة رئيس المجلس وأقررتموه عليها ... ... ففعل هذا سعادة المستجوب لحاجة فى نفس يعقوب أحسسناها ثم لمسناها .. ثم تبيناها صريحة جلية حينما ساقته الحماسة أو اضطرته السياسة أو أرغمته ظروف موقفه بعد أن لم يستطع مجابهتكم زمنا طويلا فخاطبكم بقوله « انها لمأساة قاسية تلك التى تمثل على المسرح السياسى » ... ... ثم عاد يكرر هذا المعنى مرة أخرى فيقول ان هذا الاستجواب مأساة قاسية لأنها مبكية ومحزنة معا الى آخر ما ذكر أكثر من مرة فى أكثر من موضع مما لا يزال عالقا بأذهانكم ... ... فما هى يا ترى تلك الحاجة التى يبتغيها أو ذلك الغرض الذى يضمره ... أقوله لكم ببساطة ووضوح ، ذلك أن هناك نية بيتت ، وتدبيرات دبرت لمهاجمة حكومة الوفد بكل الطرق والوسائل ابتغاء زحزحتها عن مراكزها من غير الطريق الدستورى ، وهو انما تقدم بهذا الاستجواب بعد فوات وقت طويل على ظهور عريضته وكتابه لا بغبة الفصل فيه من الناحيـــة الدستورية ولكن رغبة فى التشهير والتجريح وتسوييء سمعتنا والنيل من شرفنا ونزاهتنا ، ولست هنا متجنيا ولا مدعيا ولكنى أتخذ من كلامه الصريح المكشوف دليلا على ما أقول ... ... ألم يقل لكم ان المســـألة أكبر من هذا ... ... وان لهذا الاســـــتجواب نتيجة ستعرف عاجلا أو آجلا ، وان له موقفا ستعرفه الأمة فيما بعد ، وكلما رده سعادة الرئيس

الى الكلام فى القواعد المقررة سخط وغضب ، وأعاد فى هذه المعانى وكرر وخرج من الموضوع وتكلم فى أن ردودنا على الأسئلة التى وجهت الينا بصدد كتابه اشتملت على أوصاف جارحة له ويتخذ من هذا تكأة للاصرار على شتائمه ، والاستزادة من مطاعنه مع أن هذا فصل فيه قبل البت فى الاستجواب واتفق على ألا يخرج عن الموضوع ولا يتكلم بألفاظ نابية ، لأنه شتان بين استجواب محددة وقائعه وبين الرد على سؤال موجه من صلب كتابه يحمل بين سطوره ألفاظا نابية جارحة وشتائم قاسية طاعنة فينا وفى آهلنا بل وفى معظم طبقات الأمة ٠

ولقد كنا مضطرين بازاء الاجابة على تلك الأسئلة أن نرد على عباراتها ونفند اتهاماتها ، ونصف الألفاظ التى رمانا بها ، وما تدل عليه النفسية التى سمحت بتوجيهها ٠٠٠٠ أما الاستجواب فغير هذا قطعا ٠٠٠

ولقد هون سعادته هنا من شأن ما رمانا به فى عريضته وكتابه وقال انه لا يشمل سبا ولا شتما ولا تعرضا للسيدات ولا لكرامات الأسر ولا للشخصيات ، ولكنه تعرض للعمل العام ، فاذا لم يكن ما سمعتموه حضراتكم من كلمات نابيت عليكم فى حينها ــ وما كنا لنقتضب شيئا من الموضوع بل نعرضه بحذافيره ــ اذا لم يكن ما قاله ولوغا فى الأعراض والكرامات وفى شرف الأسر وكل شيء خاص وداخلى فأنتم وحدكم الذين تقدرون هذا وتحكمون عليه ، وتفصلون فيما اذا كان ما وصفنا به من هذه المطاعن والمثالب خارجا عن الحد أو متواضعا عن الحد ٠٠٠٠

ولقد قال ان كلامنا مملوء بالشتائم ، والشتائم دليل العجز ٠ ولكنا لم نتعرض لوصف شتماته الا بعد أن فندنا بالأدلة والمستندات ادعاءاته ثم يقول اننا لسنا فى مجال حرية الرأى ، ولذلك لجأ الى تحرير كتابه وطبعه فى الظلام مع ان كل الحريات مكفولة الا فيما يبث فى الخفاء من منشورات ودعايات ضارة بأمن البلاد ، مخالفة لقوانينها ، ماسة بالظروف التى تجتازها ٠

وكان طبيعيا أن نتخذ الاجراءات الشديدة ضد كتابه الأسود عند ظهوره صيانة للنظام ، ولكن لما أحيلت الينا العريضة من ديوان جلالة الملك جئنا الى الميدان الرسمى الذى لا رقابة عليه ولا حذف لما يقال فيه منقولا عن مضابطه وسرنا فى الطريق الدستورى المرتفع عن كل تقييد الى ما يقضى به الدستور نفسه والقوانين المرعية ذاتها ٠٠٠ ٠٠٠

" يقول سعادة المستجوب انه لم يرد التشهير ، بل التطهير ، ويرى ان فى السكوت على الفساد جريمة ، فليكن ما يدعيه صحيحا فى نظره ولكن

ليس له الا طريق واحد هو هذا المنبر المقدس ، فلماذا لم يلجأ اليه من أول يوم ؟ ولماذا لم يتقدم بهذا الاستجواب بعد احالة العريضة علينا وظهور الكتاب ؟ ثم يقول فى كلامه ما يشتم منه ان أحدا اعترض على تقديمه العريضة الى جلالة الملك . لا يا سيدى ، لم يؤخذ عليك هذا ولكن الذى أخذ عليك هو أنك تقدمت الى جلالته بعبارات نابية ، خالية من الذوق ، بعيدة عن الكياسة واللياقة التى تليق بمقام جلالته الأسمى ، لأنه لا يصح أن يخاطب بمثل ما خاطبته به ، ولا أن تتقدم الى جلالته بشىء لا تملك الدليل عليه ، بل تتصيد الكلام عنه اصطيادا ... ...
ثم لا تكتفى بهذه السقطة الكبرى ، بل تأتى اليوم بعد ما ألحفنا عليك وعلى غيرك فى تقديم هذا الاستجواب أكثر من شهر – تأتى اليوم لا لتتكلم فى صلب الاستجواب ولكن لتكرر هذه السقطة .: أستغفر الله . بل لتعيد المأساة مرة ومرارا ، وتقحم اسم جلالة الملك بشكل غير لائق فى صدد حديثك رغم تنبيه الرئيس عليك أكثر من مرة ورغم ضجة الأعضاء أكثر من مرة ، والاتفاق على ألا تقحم ذاته الكريمة فى هذا الموضوع ... ...
نعم قلت رغم كل هذا « قيل ان موظفا كبيرا وجارا لحضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا ، وأعنى به سعادة مراد محسن باشا قد أجر بيته ، ولكنى تأكدت من مصادر سامية عالية أن الخبر غير صحيح » . ولما صددت وقامت الضجة فى وجهك استدركت وقلت انك سمعت من هذا المصدر السامى ، وما كان يجوز لك حتى أن تقول سمعت عنه ، لأن فى هذا اقحاما لاسم جلالة الملك لا يصح ولا يليق !! .

ثم لم تلبث بعد هذا حينما طولبت بتقديم الأدلة على ما تدعيه فى مسألة الفراء أنك قلت انك أفضيت باسم المصدر الموثوق به الى معالى أحمد محمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكى ، وادعيت أنك وصلت الى حل الشفرة ، وأن حسنين باشا على علم بهذا فأشركته معك فى التستر على عمل غاية فى الخطورة ، ذلك لأن الشفرة عند الحكومات اصطلاح خاص بين المرسل والمرسل اليه وحدهما لا يعرفه غيرهما ، فاذا ما ذاع هذا الاصطلاح وشاع بين الناس وعرفه غير المختصين فلا يمكن بعد هذا أن يكون للدولة سر يظل بمأمن عن الذيوع والانتشار ، ولا يختلف أحد مطلقا فى أن الاباحة بمفتاح الشفرة جريمة من الجرائم الكبرى التى تتعلق بسلامة الدولة العليا ، فضلا عن أن الدولة التى لا تستطيع كتمان أسرارها تصبح فى نظر الدول كلها دولة لا يوثق بها ولا تؤتمن على سر من الأسرار ، وفى هذا ما فيه من الضرر والأخطار !

فكيف يضع مكرم باشا رئيس ديوان جلالة الملك فى هذا الموضع الشاذ الخطر ، وقد زاده خطرا ما أجاب به عندما سئل هل لا يزال حسنين

باشا مصرا على أن المصدر الذى أسر به اليه صادق فيما يقول حتى بعد أن عرف من الاجابة أن ما جاء بالبرقية لا يشتمل على ما قاله عنه ؟ اذ كان جوابه بنعم ! •

لقد قال حضرة المستجوب ان العريضة التى قدمها الى جلالة الملك وكررها فى كتابه الأسود انما تنطوى على قسمين ، ثم تنطوى على أدلته الحاسمة القاطعة وهى التى سيعرضها على المجلس وليس فى حاجة الى تدليل جديد عليها • أما القسم الثانى فتنقصه الأدلة ، ولكن عنده مصادره ويطلب التحقيق فيه ، ولكنه لا يطلب التحقيق أمامكم لأنكم غير مؤتمنين عليه ، اذ أنه يستدعى الاباحة بأسماء أشخاص منهم من يمتون اليه بصلة النسب ، ومنهم من يشغلون وظائف حكومية ويخشى عليهم من عهدنا وعهدكم أن تتخذ معهم اجراءات تعسفية من جانب حكومتنا ، ولكنه طلب الى جلالة الملك بصفته رئيس الدولة ورئيس الهيئة التنفيذية أن يأمر باجراء التحقيق على يد هيئة تحقيق أخرى بعيدة عن الوزارة وعن البرلمان وفى غير بقاء هذه الحكومة فى كراسى الحكم •

حسبى أن أقول لكم هذا من غير تعليق عليه •

ويتولى النحاس باشا ــ وبالتفصيل وبما لا يكاد يخرج عما سبق لنا ذكره فى الفصول السابقة ــ الرد على كل الموضوعات الوارد ذكرها فى الاستجواب : القراء ، منزل سمنود ، وقف البدراوى ، سيارة كوتسيكا الخ ، الخ •

ويرد وزير الزراعة على بعض الموضوعات الواردة فى الاستجواب برد من الذاكرة كما قال ويجىء فى رده :

يريد مكرم باشا أن يقنع سامعيه وقارئيه بأن فكرة مشترى الأطيان لم تطرأ لرفعة النحاس باشا الا بعد توليه مقاليد الحكم ، وأن رفعته رأى أنه بازاء فرصة أخيرة لشغل منصب الوزارة ، فلابد اذن من أن ينتهزها فيثرى خلالها من أى طريق كان •

هذا ما قاله فى عريضته بأصرح الألفاظ • فلقد قال ان النحاس باشا ــ وقد تزايدت عليه تكاليف الحياة ــ لابد له من مورد يسد منه هذه التكاليف ، ولابد له أن يثرى من أى طريق مشروعا كان أو غير مشروع • وقال ان النحاس ، ذلك الرجل الفقير الذى نشأ فقيرا ــ على حد قوله ــ ان أعوزه المال يدفعه ثمنا للأطيان، فلن تعوزه الرتب والنياشين يدفعها للبائعين ثمنا لما يبيعون ــ ولو كان منهم فؤاد سراج الدين ذلك الذى يعلم مكرم

باشا من هو ويعرفه حق المعرفة ـ فان طمع البائعون فى زيادة الثمن فلم تكفهم الرتب ولو كانت الباشوية ، فلتقدم لهم المناصـــب الكبيرة ثمنا للأطيان ولو كانت منصب الوزير الخطير ٠

لقد اشترت صاحبة العصمة حرم النحاس باشا صفقتى أطيـان ، احـداهما منى أنا وسأتناولها بالتفصـيل بعـد قليـل ، والأخـرى من عدس ٠

فأما عن هذه الصفقة الأخيرة فقد قال لكم مكرم باشا ان النحاس قد استغل نفوذه الحكومى فضغط على امبل عدس واشترى منه ٧٤ فدانا فى المرج بثمن بخس لا يتناسب مع قيمة الأطيان ، وأن فى ذلك بلا جدال استغلالا لنفوذه فى الحكم ، وان فيه دليلا على رغبة رفعته فى الوصول الى الثراء عن أى طريق ولو كان غير طريق الشرف ٠

ثم قال ان فؤاد سراج الدين قد باع للنحاس باشا قطعة من الأرض قبل دخول الوزارة ، ولكن أما كان يحسن بالنحاس أن يبتعد عن هـذه الشبهة فلا يدخل فؤاد الوزارة ؟ هذا ما قاله فى شرح اسـتجوابه هنا فوازنوا بينه وبين ما جاء فى عريضته من عبارات ٠

والآن نتساءل : هل الحق ان فكرة شراء الأطيان هى فكرة جديدة لم تطرأ لرفعة النحاس باشا الا بعد توليه الحكم ، ثم من أين للنحاس باشا المال الذى يدفعه ثمنا لما يشتريه من أطيان ٠

والحق أن الفكرة قديمة عند رفعة الباشا أو عند صاحبة العصمة السيدة حرمه ، فلقد طرأت لهما منذ أوائل سنة ١٩٤١ وبذلت مساع عدة فى سبيل تحقيقها ٠

والذى وقع انه فى سنة ١٩٤١ ارتفع ـ كما تعلمون ـ ثمن الحلى والمجوهرات نظرا لظروف الحرب ، ففكر كثير من المصريين ـ وأنا منهم ـ فى بيع ما لديهم من هذه الأشياء الثمينة والافادة بثمنها فى شراء أطيان، وكانت حضرة صاحبة العصمة حرم الرئيس ممن فكرن هذا التفكير السليم، فباعت الكثير من مجوهراتها ، ويعلم ذلك مكرم باشا وتعلمه حرم سعادته علم اليقين فلما باعت هذه المجوهرات كلف رفعة النحاس باشا ـ وهو ليس ذا خبرة بشئون الأطيان ـ أقول كلف رفعته كثيرين من أصدقائه وأنصاره ورجاله أن يبحثوا له عن أطيان ليشتريها ٠

وحدث فى سنة ١٩٤١ أن عرض مسيو دلبران مدير بنك الأراضى المصرى بالاسكندرية ، على رفعة النحاس باشا أرضا ليشتريها ـ ولاحظوا أن رفعته لم يكن اذ ذاك فى الحكم ، ولا كان يؤمل أن يجىء فيه فى ذلك

الوقت ـ وكانت الأرض المعروضة فى مديرية البحيرة ، فكلف رفعة الباشا سعادة محمد الوكيل باشا بمعاينتها وابداء رأيه فيها ، فعاينها سعادته وأشار على الباشا بعدم شرائها لصعوبة ريها ، فأخذ النحاس باشا باشارته وصرف النظر عن الصفقة ٠

الى أن يقول وزير الزراعة :

فى سنة ١٩٤١ رسا مزاد أطيان لمصلحة الأملاك قدرها ٥٠٠ فدان تقريبا على حضرة النائب المحترم أحمد أبو الفتوح ـ وكان ذلك قبل تولى النحاس باشا الحكم أيضا ـ فلما علم حضرته برغبة النحاس باشا تقدم اليه بعرض بيع الأطيان التى رسا مزادها عليه ، وكان ثمنها عشرين جنيها للفدان الواحد ، أى أن مجموع الثمن عشرة آلاف جنيه ، يدفع منه الثلث فورا وقدره ٣٥٠٠ جنيه ـ وأذكر هذا الرقم جيدا لأن له أهمية عظمى ـ فكلف رفعة النحاس باشا خليل بك الجزار بمعاينة الأطيان فعاد حضرته بعد معاينتها وأشار على الباشا بعدم شرائها لأنها أرض بور بعيدة عن العمران فى كفر سعد ٠ فلما علمت بذلك خالفت خليل بك الرأى لأنى كنت أعرف هذه الأرض وأشرت على الباشا بشرائها لأن لها مستقبلا مضمونا طيبا ٠ فوافقنى رفعته وعدل عن قراره بشأنها وقبل أن نشرع فى مفاوضة الأستاذ أحمد أبو الفتوح ٠

غير أن حضرته كان قد اتفق مع عبد العزيز البدراوى بك على أن يبيعه هذه الأطيان ، فلم يكن بد من فسخ هذا الاتفاق ٠ ولقد اشترك فى هذه المفاوضات أشخاص عديدون كلهم أحياء يرزقون ، منهم حضرة النائب المحترم أحمد أبو الفتوح ، وخليل الجزار بك ، وعبد العزيز البدراوى بك ، والسيد البدراوى باشا وهو رجل مستقل لا صلة له بالوفد ، فاسألوهم جميعا أن يكذبوا كلمة مما أقول ٠

بل لعلكم تدهشون اذا علمتم أن مكرم باشا نفسه قد اشترك بشخصه فى هذه المفاوضة ، غير أنه يجىء اليوم ناسيا هذا يتساءل من أين للنحاس باشا هذا المال يشترى به ، ويقول ان فكرة اقتناء الأطيان انما طرأت بعد توليه الحكم ٠ نعم لقد اشترك مكرم بنفسه فى هذه المفاوضات ، وانى لأعلن هذا وأتحداه صراحة أن ينكر هذه الواقعة ـ ان استطاع ٠

ووجه تدخله فى هذه المفاوضات أن عبد العزيز بك البدراوى وأحمد بك أبو الفتوح كانا محرجين ازاء رغبة رفعة مصطفى النحاس باشا ، فوسطا مكرم باشا لينوب عنهما فى ابلاغ رفعته هذا الأمر ٠ فلما أبلغ رفعته ذلك نزل عن الصفقة فورا ، وترك الكلام فيها ٠ هذا هو وجه تدخل مكرم باشا سنة ١٩٤١ أو فى أوائل تلك السنة ٠ اذن فقد كان مكرم باشا يعلم أنه كان لدى رفعة النحاس باشا فى ذلك الوقت مبلغ لا يقل عن

٣٥٠٠ جنيه ثمنا لتلك الصفقة التى تكلمت عنها ويعلم هذا أيضا سيد بدراوى باشا ويستطيع مكرم باشا أو غيره أن يسأله ٠

كذلك حدثت محاولة ثالثة قبل تولى رفعة النحاس باشا الحكم فقد عاد مدير بنك الأراضى يعرض على رفعة الرئيس من جديد أرضا قريبة من التى اشتريتها لمكرم باشا فوكل الى رفعتـــه أن أباشر المفاوضـــة والاجراءات فأرســل بنك الأراضى لمحاميه بالمنصــورة (مكتب الأستاذ مقصود باشا) خطابا صريحا فى هذا المعنى وها هى ذى ترجمة ذلك الخطاب الذى أودعه مكتب المجلس :

« جلسة المزاد العلنى فى ٢٩ يناير سنة ١٩٤٢ ، فى حالة ما اذا رسا المزاد على الأستاذ فؤاد بك سراج الدين ـ للقطع رقم ٢ و٣ المعروضة للبيع العام بثمن اجمالى قدره ٤٨٣٥ جنيها للقطعة رقم ٢ وهى ٦٠ فدانا و٢١ قيراطا و١٩ سهما و٥٨٣٥ جنيهـــا للقطعة رقم ٣ وهى ٥٩ فدانا و٤ قراريط و٦ أسهم ، بما فى ذلك المصروفات والرسوم ـ نرجو تمكينه من الحصول على الاعفاءات الثلاثة ٠

ويلاحظ أن الأستاذ سراج الدين سيدفع لكم ٤٠٠٠ جنيه قبل المزاد تخصم من ثمن الصفقة ٠

كما يلاحظ أن الأستاذ سراج الدين يشترى لحساب السيدة حرم رفعة النحاس باشا » ٠

فى ٢٦ يناير سنة ١٩٤٢ ٠٠

كان ذلك يا حضرات الزملاء فى ٢٦ يناير سنة ١٩٤٢ ، وما كان يدور بخلد أحد اذ ذاك أن رفعة النحاس باشا سيتولى الحكم فى ٦ فبراير سنة ١٩٤٢ ٠

هناك محاولة رابعة تتعلق بأطيان عدس التى اشتراها رفعة النحاس باشا سنة ١٩٤٢ ، فقد عرضت تلك الأرض على رفعته فى سنة ١٩٤١ بواسطة عثمان محرم باشا وصديق آخر هو عزيز بحرى على ما اذكر ولكن الصفقة لم تتم وسأتحدث عنها تفصيلا ، فى موضع آخر ٠

ويكفى أن أقول هنا انكم يا حضرات النواب المحترمين تتبينون من هذه المحاولات الأربع التى يشهد بصحتها قوم أحياء معروفون ـ لا أشخاص مجهولون ـ وخطابات رسمية لها أصـــول فى ملفــات القضايا بالمحاكم المختلطة ، أن رفعة النحاس باشا كان فى سنة ١٩٤١ يستطيع أن يدفع ٤٠٠٠ جنيه وأن أربع صفقات عرضت عليه ولم يتسن له شراؤها ، وأن

فكرة مشترى الأطيان لم تعرض له بعد توليه الحكم رغبة فى الاستغلال والثراء ، وانما هى فكرة قديمة بذلت محاولات عديدة لتحقيقها ، وأن مكرم عبيد نفسه يعلم أمر تلك المحاولات ، وقد اشترك فى احداها فعرف أن رفعة الرئيس كان سيدفع ٣٥٠٠ جنيه غير نفقات التسجيل ·

فاذا جاء مصطفى النحاس باشا فى يناير أو مارس سنة ١٩٤٢ واشترى من فؤاد سراج الدين ثمانين فدانا ودفع ١٤٧٠ جنيها مقدم الثمن على أن يقسط الباقى على مدة خمس عشرة سنة بفائدة قدرها ٣٪ أفيكون ذلك محلا لتساؤل مكرم باشا من أين لمصطفى النحاس بهذا المبلغ ، ولقوله ان رفعته لم يدفع الثمن كله لأنه دفع ثمنا معنويا أغلى من المال ، دفع الرتب والنياشين والمناصب ··· ؟! أرأيتم التهم وخطورتها يا حضرات النواب المحترمين فمصطفى النحـــاس يتجر فى سبيل الثراء لا بالرتب والنيـاشين فحسب بل فى أهم مناصب الدولة الخطـيرة وهى مناصب الوزراء !

أية تهمة تعادل هذه التهمة ؟ ولكن مكرما لم يجرؤ ولن يجرؤ أن يواجه البائع والمشترى هنا فى مجلسكم الموقر، بل انه اتهم فيما كتب وسطر فى الظلام فى كتابه الأسود · لقد قال لكم أما كان الأولى برفعة النحاس ان يبتعد عن الشبهة ، فانظروا يا حضرات النواب الى الفرق الكبير بين تعبيره هنا وتعبيره هناك : ألم يقل أن الطريق الى الباشوية سهل ميسور وأن جلالة الملك قد أنعم بالرتب والنياشين على كبار المتبرعين فى مشروع الحفاء ؟ فليكن مشروع أسبوع البر وطبعا سيتبرع فؤاد سراج الدين باشا بمبلغ كبير ، وسيكون ذلك سبيلا للانعام عليه برتبة الباشوية !

أليس معنى هذا أن رفعة النحاس باشا يتجر فى الرتب والنياشين باسم الله تعالى وباسم الفقراء والمساكين ؟ انظروا الى خطورة هذه التهم الفذة الخطيرة ، ومع ذلك فانكم تعلمون أنه قد أنعم على بالباشوية فى يوم ١٣ مايو ومشروع أسبوع البر لم يبدأ فيه الا فى ١٩ مايو · فاذا كان الأمل المنشود قد تحقق فما كان الداعى لهذه الجهود الجبارة التى بذلتها حضرة صاحبة العصمة حرم رفعة الرئيس وتلك النخبة المختارة من سيداتنا المصريات ، وبذلها الرجال من جميع الألوان والجنسيات حتى استطاعوا أن يجمعوا أكثر من ١٠٠٫٠٠٠ جنيه أقول لماذا خرجت هؤلاء السيدات المصونات من خدورهن الى الطرقات يجمعن المبـــالغ قلت أو كثرت ، ويعرضن ماء وجوههن لهذا أو ذاك ؟ ألا انها خرافة ، بل انهـــا السخائف والصغائر هى التى جعلت مكرم باشا يقول ان مشروع البر لم ينشأ ولم يفكر فيه الا بمناسبة صفقة الأطيان · يقول هذا فى عريضة رفعها الى مقام حضرة صاحب الجلالة الملك · ويتساءل أية جرأة وأى

اجرام أشنع من هـذا ؟ فاذا جـاء حضرات أصحاب المعالى الوزراء وكذبوا تهمه من فوق منبركم هذا أخذ عليهم أنهم يصفونه بالكذب • أفكان يريد أن نقول ان مكرما صادق فيما ادعاه علينا ، لأن لفظ كاذب كلمة نابية لا يصح أن تقال ؟

وما هى تلك الصفقة الهائلة الكبيرة التى استغرقت عدة صفحات فى الكتاب والعريضة ؟ هى أقل من ثمانين فدانا من أملاك مصلحة الأملاك رسا مزادها على الدكتور الزينى الأستاذ بكلية الزراعة وباعها لى بتاريخ ٢٩ يوليه سنة ١٩٤١ بالثمن والمصروفات التى دفعها • ولاحظوا يا حضرات النواب المحترمين أن هذه الأرض لا تقع فى بلدى أو البلد المجاورة لها بل تفصلها عن بلدنا ثلاثة بلاد وحوالى ٢٥ كيلو مترا وليست من ملكى الموروث ، وهى الى الأطيان البور أقرب منها الى المعمور • وفى نفس الوقت الذى اشتريتها فيه سنحت لى فرصة شراء أطيان مجاورة لأطيانى ، فرأيت أن أبيع تلك الأرض ، ولكن مكرم باشا لا يريد أن يصدق أن العقد الابتدائى صحيح ، بل يصر على ان البيع كان فى مارس سنة ١٩٤٢ وهبوا أن ذلك هو الواقع فما قيمته ؟ لقد دفع لى رفعة النحاس باشا الثمن كاملا بل أصر على أن يدفع كل مليم أنفقته ، سواء أكان ذلك فى اصلاح الأرض أم فى التسجيل •

وانى لأتساءل يا حضرات النواب المحترمين هل كنت الوحيد الذى أنعم عليه برتبة الباشوية ؟ لقد أنعم بهذه الرتبة على خمسة من الوزراء ، وأنعم على باقيهم بالنياشين الرفيعة ومنهم مكرم باشا • فما الذى باعه هو أو باعه هؤلاء جميعا لرفعة النحاس باشا ؟ أتراهم منحوا ما منحوا بالتبعية لشخصى الضعيف ؟ وكيف يقبل مكرم باشا هذا الوضع على نفسه ؟ انها لخرافة ، بل أكذوبة لا تستحق التكذيب •

قلت لحضراتكم ان رفعة النحاس باشـــا لم يدفع من ثمن الثمانين فدانا الا ١٤٢٧ جنيها وسأثبت بالدليل القاطع ، ومكرم باشا يعلم ذلك ، أن رفعة النحاس باشا فى سنة ١٩٤١ قبل تأليف الوزارة كان يفاوض فى شراء أطيان وكان سيدفع ثمنا لها مبلغ ٤٠٠٠ جنيه ، وأعنى بذلك تلك الصفقة التى قرأت لكم خطاب البنك عنها ، وصفقة أخرى هى التى بلغ مكرم باشا رفعة النحاس باشا أن ينزل عنها ، لأن أحمد أبو الفتوح ارتبط فيها مع عبد العزيز بدراوى •

اذن لم يكن الثراء دخيلا على رفعة النحاس باشا بعد توليه الحكم ، ان كنتم تعتبرون أن ثلاثة آلاف أو خمسة آلاف جنيه ثراء يستحق التساؤل أو يستحق اقتراحات بقوانين كما ستسمعون •

ألا ترون حتى الرتب والنياشين ، تلك الانعامات الملكية السامية ، لم تسلم من لسان مكرم باشا وتشهيره وتجريحه ، مع أنها واجبة التقدير والاحترام والتقديس ؟

كتب مكرم باشا عن صفقة هذه الأطيان البالغة ٧٤ فدانا عدة صفحات في عريضة استنتج منها :

أولا : أن النحاس باشا اشتراها بثمن بخس ، فيه ربح كبير للمشترى ، اذ كان ثمن الفدان ١٢٠ جنيها .

ثانيا : أن النحاس باشا كان قد قبل فى بادىء الأمر ١٤٠ جنيها سعرا للفدان ، ولكن لما عاد الوسيط من فلسطين يحمل قبول البائع ، طمع رفعته في تخفيض جديد فوصل تحت تأثير الضغط واستغلال النفوذ الحكومى بالسعر ١٢٠ جنيها بدلا من ١٤٠ جنيها للفدان ، لأن آل عدس من أصحاب الملايين وهم لا يبيعون بهذا السعر الا خوفا من سطوة النحاس باشا ونقمته أو طمعا فى محاباته ونعمته .

ثالثا : أن هذه الأطيان بالذات عرض فيها لآل عدس ٢٥٠ جنيها ثمنا للفدان ، فرفضوا فى الوقت الذى باعوها الى النحاس باشا بثمن قدره ١٢٠ جنيها للفدان .

ويكفى أن تثبت صحة هذه الواقعة ليصدق كل ما جاء بالكتاب ، اذ كيف يتصور أن انسانا عاقلا يعرض عليه مبلغ ٢٥٠ جنيها ثمنا للفدان فيرفضه ، ثم يبيع بعد ذلك بمبلغ ١٢٠ جنيها فقط ، اللهم الا اذا كان فى مقابل ذلك منافع ومصالح يحققها على حساب الدولة ؟!

اذا صح هذا كان هناك استغلال للنفوذ ، ولكن ما هو الدليل على ذلك ؟ هل استطاع مكرم باشا ذكر اسم الشخص أو التاريخ الذى عرض فيه هذا الثمن ؟ وقد سألته عن ذلك فلم يجب ، لأنه لا يوجد شخص أحمق يتصرف مثل هذا التصرف الا فى خيال مكرم باشا ، وهذا نوع جديد من طرق الاثبات لم نتعلمه فى كلية الحقوق .

وأخيرا يتساءل مكرم باشا عن السبب الذى حمل آل عدس ـ وهم على حد قوله من اخواننا الاسرائيليين الكبار المشهورين بالمهارة فى التجارة ـ على أن يبيعوا أطيانهم للنحاس باشا بهذا الثمن البخس ، ولكن هل كان هذا حقا ثمنا بخسا ، أم أنهم كانوا هم الرابحين ؟

قلت لحضراتكم ان فكرة شراء أطيان عدس لم تطرأ لرفعة النحاس باشا فى سنة ١٩٤٢ ولكنها كانت المحاولة الرابعة ، لأن رفعته كان قد كلف المرحوم عبد الواحد الوكيل باشا بمعاينة هذه الأطيان فقرر ـ بعد أن

عاينها ـ أن الفدان يساوى ٦٠ جنيها وذلك فى سنة ١٩٤١ فكأن الأطيان التى قدر سعرها فى سنة ١٩٤١ ورفعة النحاس باشا خارج الحكم بمبلغ ٦٠ جنيها اشتراها رفعته فى سنة ١٩٤٢ وهو داخل الحكم بسعر ١٢٠ جنيها للفدان فهل هذا هو الاستغلال الذى يقول به مكرم باشا ؟!!

ويشهد بهذا التقدير وهذه الواقعة معالى عثمان محرم باشا اذ كان كما قلت لحضراتكم الوسيط سنة ١٩٤١ .

ان معظمكم يا حضرات النواب المحترمين من كبار الزراع ، ولكم مقياس خاص لمعرفة قيمة الثمن وهو القيمة الايجارية ، فاذا عرفتم بكم يؤجر الفدان منها حكمتم هل ال ١٢٠ جنيها ثمن يخس أم لا . عندما اشترى رفعة النحاس باشا الأطيان فى أكتوبر سنة ١٩٤٢ وجدها مؤجرة، اذ كان صاحبها الأصلى اميل عدس قد أجرها من يونيه سنة ١٩٤٢ لمدة سنة وثلث سنة بايجار قدره ١٦ جنيها فى تلك المدة ، أى بسعر ١٢ جنيها فى السنة . ولكن هل الايجار حقيقة ١٢ جنيها ؟ لا بل الواقع أنه أقل من ذلك بكثير جدا . ذلك لأنه عند كتابة العقد اشترط المستأجر ألا يدفع الايجار الا على المساحة المنزرعة فعلا أو كما يقولون « الأرض اللحم » فلا يدخل فى ذلك المصارف ولا الأرض البور ، وكانت نتيجة تنفيذ هذا الشرط أن قيمة الايجار كله وقدرها ٨٩٧ جنيها فى السنة والثلث كانت تدفع فى الواقع عن ٥٦ فدانا من ال ٧٤ فدانا . وباجراء عملية حسابية بسيطة يكون ايجار الفدان الواحد عن كل المساحة فى السنة ٨ جنيهات . وسيتضح لكم بعملية حسابية أخرى ثابتة ثبوت البديهيات أن قيمة ايجار الفدان كانت فى الواقع ٤ جنيهات . وذلك لأن المستأجر اشترط على المؤجر الأربعة الشروط الآتية أنقلها بحرفها من عقد الايجار :

أولا : الحرث يكون لكل زرعة تزرع حرثة واحدة على مواشى التفتيش .

ثانيا : السباخ اللازم للأطيان يدفع ثمنه المستأجر بواقع ثمن الغبيط عشرة مليمات تسليم الاسطبل .

ثالثا : يشترط أن يقدم المالك لكل فدان عدد ٢٠٠ غبيط سباخ بلدى يدفع ثمنها المستأجر فورا ، كذا الرى على حساب التفتيش تصل المياه أول الأطيان استئجار المستأجر .

رابعا : تطهير المصارف على حساب المصلحة ، والمياه التى تلزم للرى مدة الجفاف تعطى دفعة واحدة من مياه الماكينة .

وهذا هو عقد الايجار أودعه المجلس ليطلع عليه من يشاء .

والطريف أنه بعد أن تمت عملية البيع أرسل محامى المستأجر الى المالك الأصلى ـ اميل عدس ـ انذارا يعلنه فيه بتمسكه بسريان مدة عقد الايجار رغم أنه باع الأطيان الى حرم النحاس باشا وهذا بدوره أرسله الينا واضطررنا طبعا الى تنفيذ الاشتراطات الواردة بعقد الايجار ٠

وأريد أن أوجه النظر الى أن هذه الأطيان رمليه وضعيفه ، ومكرم باشا له العذر ـ لأنه فلاح جديد ـ اذ اعتقد أنها لقربها من القاهرة تعتبر كأطيان شبرا يباع فيها الفدان بمبلغ ٣٠٠ جنيه وفى عريضته التى رفعها الى جلالة الملك أبدى دهشته من أن ارض المرج القريبة من القاهرة يباع فيها الفدان بمبلغ ١٢٠ جنيها بينما يباع الفدان فى اقاصى الصعيد بمبلغ ٢٠٠ جنيه ، وقال انه ليس من المعقول أن يقبل البائع هذا الثمن من النحاس باشا الا تحت الضغط وسطوة الحكم وارهابه ٠

كنت أتمنى أن يكون مكرم باشا حاضرا معنا لأقول له ـ وقد أصبح مختصا فى الاطلاع على العقود واستخراج صورها ـ أنه فى استطاعته أن يطلع على عقد البيع المؤرخ ٢٣ فبراير سنة ١٩٤٢ المصدق عليه بمحكمة مصر المختلطة والمسجل تحت نمرة ١٢٢٣ قليوبية عن ٣٠٢ من الأفدنة و٦ قراريط و٤ أسهم بزمام البركة والبائعان هما شركة بيل وشركاه وشركة كوم أرشولاند والمشترون هم اخوان توتونجى (الياس وجوزيف وجورج وسامى) وأن ثمن البيع للفدان الواحد هو ٣٠ جنيها فى نفس البلدة والمنطقة التى فيها أرض اميل عدس وعلى بعد خطوات منها ٠ وهذا الثمن يشمل الآلات والمبانى وجميع الملحقات التى بها ، واميل عدس هذا لا يزال عنده أرض وهو مستعد أن يبيع الفدان الواحد بمبلغ ٤٠ جنيها فليتقدم مكرم باشا لشرائها وأنا كفيل ـ رغم ما قاله ـ بمساعدته فى شرائها ٠

أراد مكرم باشا فى عريضته أن يقدم دليلا حاسما على أن اميل عدس قد حابى رفعة النحاس باشا فى ثمن هذه الأطيان ٠ وما دليله على هذا ؟ قال ان صبحى الشوربجى اشترى من سعادة بهى الدين بركات باشا قبل أن يشترى النحاس باشا ببضعة شهور ، بسعر ١٦٠ جنيها للفدان ٠ فكيف يبيع اميل عدس للنحاس باشا الفدان بسعر ١٢٠ جنيها ـ تأذى مكرم باشا حينما قلت فى اجابتى عن السؤال الخاص بالزهور انه قدم للمليك مستندات ووقائع مكذوبة وهو يعلم أنها مكذوبة ٠٠ انى أقولها للمرة الثانية والدليل رسمى لا شك فيه ـ هو يقول ان صبحى الشوربجى اشترى قبل النحاس باشا ببضعة شهور ـ وقد حددها فى الجلسة بسته شهور ـ فما قولكم اذا ما ثبت أن شراء صبحى الشوربجى لاحق لشراء حرم رفعة النحاس باشا ، وأن الذى اشترى أولا ـ قبل فترة الرواج

الاستثنائي ــ انما كان حرم رفعة النحاس باشا وليس صبحى الشوربجى » ٠

لست ألقى القول على عواهنه فان بيدى العقدين الرسميين ، عقد صبحى الشوربجى ، وعقد حرم النحاس باشا ، وأولهما تاريخه ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٤٢ ، والبائع فيه سعادة محمد بهى الدين بركات باشا ، والثانى تاريخه ٨ أكتوبر سنة ١٩٤٢ والبائع فيه اميل عدس ، فعلى أساس كلام مكرم باشا كان يجب أن يكون عقد الشوربجى قبل أكتوبر بستة أشهر ، أى فى مايو أو يونيه ، وانه يقول ان الأسعار بعد عقد الشوربجى بدأت تثب كل يوم وثبة ٠ فأين هى الوثبة وعقد حرم النحاس باشا سابق على فترة الرواج الاستثنائى التى يقول عنها ؟ وها هما العقدان الرسميان مصدق عليهما من المحكمة ؟!! ومع ذلك يقول مكرم باشا ان عقد حرم النحاس باشا لاحق لعقد الشوربجى !!

ولو فرضنا جدلا أن عقد حرم النحاس باشا لاحق لعقد الشوربجى فلا تستقيم دعواه ، ذلك لأن أطيان حرم النحاس باشا أرض قاحلة جرداء لا دار فيها ولا ماشية ، أما أرض الشوربجى فيتبعها ــ ضمن الثمن ــ ماكينتان أو ثلاث ارتوازية ، وماكينتان أو ثلاث بخارية ، وعشرات الدور للفلاحين ، ومخازن بالطوب الأحمر ، ومواش للعمل وأخرى للتربية عددها ٩٦ عجلا يقدر ثمنها بـ ٢٠٠٠ جنيه ومخازن ومصارف مغطاة ، الى آخر ما هو ثابت بالكشف الطويل العريض الثابت فى عقد الشوربجى ، كل هــذه المنقولات والمواشى والمخــازن دخلت ضمن ثمن الفــدان أى ضمن الـ ١٦٠ جنيها ٠ أما عقد حرم النحاس باشا فانه يشمل أرضا فقط ، لا شىء فيها من مخازن أو مساكن أو ماشية ، فاذا قدرتم حضراتكم قيمة هذه المنقولات والملحقات ، وخصمتموها من الـ ١٦٠ جنيها ــ وأنتم تعرفون كم هى قيمة هذه المبانى والماكينات وكم هو ثمن المواشى فى هذه الأيام ــ لوجدتم أن الثمن يهبط الى ١٢٠ جنيها ، بل الى أقل ٠

وهكذا ترون حضراتكم أننا حتى لو سلمنا جدلا ، وأغمضنا عيوننا ، وطلقنا عقولنا ، وقلنا ان عقد حرم النحاس باشا لاحق لعقد الشوربجى ــ حتى مع هــذا الغرض الذى حرر عنــه مكرم باشا عشرات الصفحات للاستنتاج ــ لما استقامت هذه الدعوى ٠ ومن الطريف أن مكرم باشا ذكر فى عريضــته تاريخ عقــد حرم النحاس باشا ، ولم يذكر تاريخ عقــد الشوربجى ، فى حين أنه يقول ان تاريخ عقد الشوربجى سابق لعقد حرم النحاس باشا ببضعة أشهر ــ وهو الدقيق فى ذكر التواريخ على ما نعلم عنه ٠٠٠ !! اذا لم يكن مكرم باشا سيىء النية ، فلم لم يذكر لنا تاريخ عقد الشوربجى ، فاكتفى فقط بقوله انه سابق ببضعة أشهر ؟؟ ٠

والى حضراتكم بيان عما كان بعزبة بهى الدين بركات باشا المبيعة للشوربجى بك وذلك بخلاف ما ورد بعقد البيع نفسه ٠

عدد	
٢	أتومبيل ديرنج كل واحد قوة ٤٠ حصانا ٠
١	ماكينة دراس أوفر (قلادة أنطون) ٢ قدم ٠
١٦	مواشي للشغل (ثيران) ٠
٥٠	غنم ٠
٩٦	عجول تربية (بيعت فيما بعد بألفين واربعمائة جنيه) ٠

وقدرت كل هذه الملحقات بعشرين ألفا من الجنيهات ، يخص صبحى الشوربجى منها عشرة آلاف جنيه ، فاذا قسمنا هذا المبلغ على ٢٥٠ فدانا كانت النتيجة اربعين جنيها للفدان ، فاذا استبعدناها من الثمن الأصلى وهو ١٦٠ جنيهـا كان الباقى ١٢٠ جنيهـا ، وهو ما يعتبر ثمنا للفدان الواحد المجرد ، هذا اذا فرضنا أن الأرض التى اشتراها الشوربجى معادله فى درجة الخصب للأرض التى اشتراها رفعة النحاس باشا ، وهذا هو غير الواقع ، اذ أن أرض الشوربجى كانت مزروعة من زمن بعيد ، وجرت فيها يد الاصلاح حتى أصبحت سهلة الاستغلال ٠

يتسـاءل مكرم باشـا لمـاذا يبيع آل عدس ــ وهـم من أثرياء الاسرائيليين ــ هذه الأرض ؟ ويقول : أهم فى حاجة الى المال مع أنهم من أصحاب الملايين ؟ هل يستنتج من هذا انهم باعوها تحت ضغط رفعـة النحاس باشـا رئيس الوزراء والحاكم العسكرى ، وما باعوها الا وهم مغلوبون على أمرهم ٠ فكيف يقول مكرم باشا هذا مع أن آل عدس لم يتركوا وسيلة للاعلان عن بيع هذه الأرض الا سلكوها ، فان قلت لحضراتكم ان هناك سماسرة كانوا يعرضونها ، تقولون ما هو الدليل ؟ وان قلت ان دائرة سمو الأمير عمر طوسـون عاينتها سـنة ١٩٤٢ بقصـد الشراء ، طالبتمونى بتقديم الدليل أيضا ، لذلك لن أذكر شيئا من هذا ، ولن أتمسك به ، بل سأقدم الدليل وهو ، اعلان من دائرة آل عدس ، منشور بجريدة الأهرام بتاريخ ٢ سبتمبر سنة ١٩٤٢ ، يعرضون فيه بيع هذه الأرض ، حتى تتبينوا أنهم الراغبون فى البيع ولم يرغمهم عليه أحد ، ولم يستعمل رفعة النحاس باشا نفوذه فى اقناعهم ، وهذا هو نص الاعلان المذكور :

للبيع : مساحات أطيان زراعية جيدة جدا و ٣٠ فدانا موالح وقشطة بالأليع ، المخابرة رأسا لاشكنازى ، المرج ٦٢٣٥٥ » ٠

واشكنازى المذكور اسمه فى هذا الاعلان هو الوكيل الرسمى لآل عدس وهو الذى يدير هذه الأطيان ويوقع على عقد ايجارها ٠

يدعى مكرم باشــا أيضا ـ وله في كل خطــوة أكذوبة لأن دعواه لا تستقيم الا بهذه الأكاذيب ـ ان رفعة النحاس باشا أرسل رسوله الى فلسطين ليقنع آل عدس بسعر ١٤٠ جنيها للفدان ، فلما قبل آل عدس هذا السعر لاعتبارات لا تخفى ـ أقنعهم بها الوسيط ـ وعاد هذا مسرورا يحمل القبول بالسعر المعروض ، طمع رفعة النحاس باشا فى تخفيض آخر واستعمل ضغطا جديدا وصل به الى السعر الجديد ، وهو ١٢٠ جنيهــا .

وهذا استغلال لنفوذه لأنه لو لم يكن فى الحكم لما استطاع الحصول على هذا السعر .

فهل هذا الادعاء صحيح ؟! كلا ـ لأنى أنا الذى كنت أباشر هذه الصفقة وأفاوض السمسار فيها . والدليل على كذب هذه الواقعة تلغرافات رسمية : ذلك أن السمسار لما ذهب الى فلسطين ، أراد أن يأخذ منى قبولا، فأرسل لى فى ١٣ سبتمبر ١٩٤٢ التلغراف الآتى نصه : « قابلت اميل بك عدس ويرحب بسعر مائة وأربعين جنيها للفدان الباشــوات حسب تقديركم ونزولا على ارادتكم وتحقيقا لرغبته وسيحرر عقد البيع بحضوره مبروك » والامضاء (سماحة) . ويظهر أن نبأ هذا التلغراف وصل لمكرم عبيد باشا ، وهو يقول انه يرحب بسعر ١٤٠ جنيها ، ففهم من ذلك أننا عرضنا عليه سعر الـ ١٤٠ جنيها وهو قبله ، فكيف يرجع ويقبل سعر ١٢٠ جنيها الا اذا كان قد وقع ضغط على الرجل . لكن الذى أبلغه نبأ التلغراف لم يبلغه نبأ هــذا الرد أو لعله أبلغه اياه وتجاهله . واليكم نصه : « الأستاذ سماحة .. بنسيون كريتا بالقدس ..

هذا السعر معروض قبل سعركم ولم نقبله ..

١٩٤٢/٩/١٥ — « فؤاد سراج الدين »

ومن محاسن المصادفات أن يكون هذا التلغراف مرسلا من مكتب البرلمــان .

ليس هناك اذن اتفاق على السعر ، فبينما كان يطلب البائع ١٤٠ جنيها ثمنا للفدان ، كنا نعرض ١٢٠ جنيها وقد اقتنع اميل عدس بناء على الأسباب التى أوردتها ، فمكرم باشا قد كذب عندما ادعى أن رفعة النحاس باشا عرض ١٤٠ جنيها وطمع فى تخفيض جديد ، فضغط على آل عدس حتى قبلوا ١٢٠ جنيها ، حتى لو صح هذا يا حضرات النواب أليس مصطفى النحاس بشرا ، له أن يسعى حتى يشترى بأقل سعر ؟

ثم لكى تدعى أن النحاس باشا ضغط على آل عدس ، فلابد أن يكون هذا الضغط بأحد طريقين : اما الترغيب واما التهديد ، فهل يستطيع مكرم باشا أن يذكر لنا واقعة واحدة تدل على الترغيب أو التهديد ؟ ليذكر لنا خدمة واحدة أداها رفعة النحاس باشا لآل عدس قبل هذا العقد أو بعده ؟ انه لن يستطيع .

اذن فما هو الترغيب أو التهديد يا حضرات النواب ؟ انما هي مجرد تهم تكال جزافا ، ومن غير حساب .

وأخيرا يتساءل مكرم باشا في عريضته تحت عنوان « من أين لك هذا » فيقول « لو أن لدينا يا مولاى قانونا يجيز سؤال الوزير أو الموظف من أين لك هذا ؟ — كما هو الحال في بعض البلاد الأجنبية ، لهان الأمر أكثر من هونه وافتضح أكثر من افتضاحه ... ويظهر أن النحاس باشا قد تخيل الناس وعلامات الاستفهام مرسومة على وجوههم ... فأراد أن يجيب أمام الصحفيين الذين دعاهم الى حفل بمنزله على هذا التساؤل الذى لم يسأله أحد ... فقال :

ان حرمى قد اشترت ما اشترت من الأطيان بالثمن الذى باعت به مجوهراتها ، ثم استدرك فقال انه لم يزل لدى عصمتها بقية باقية من الجواهر وهى تنوى بيعها لشراء عقار من العقارات ، ولا عيب فى ذلك ولا مأخذ أليس كذلك ؟ قال المسكين هذا وهو ينظر اليهم متسائلا فأجابوه مؤمنين مصادقين وقد يكونون غير مصدقين ! » .

هذا ما قاله مكرم عبيد باشا ، ثم يقول بعد ذلك هل شتمت أو استعملت ألفاظا نابية ؟ كلا !! ان هذا مدح وثناء !!

ان الوفديين وعلى رأسهم مصطفى النحاس باشا هم أول من يرحب بالقانون الذى يقترحه مكرم باشا وهو قانون « من أين لك هذا » بشرط أن يكون له أثر رجعى على الماضى .

فليذهب اذن مكرم باشا الى حلفائه الجدد ليسألهم عن رأيهم فى هذا القانون ، فان وافقوه عليه ، فليتقدم باقتراح بقانون وهو نائب له حق اقتراح القوانين ، وسيكون الوفديون ورئيسهم أول من يرحب بهذا القانون ...

ليت هذا القانون كان موجودا حتى كنا نسأل أحد الوزراء السابقين: من أين لك هذه الدار الفخمة فى مصر ، ومثيلتها فى الاسكندرية ؟ ومن أين لك بمئات الأفدنة التى تشتريها وتدفع ثمنها نقدا وعدا ؟ ان قال

من ايراد مكتبي ومن عملي ، أجبناه انك تحيا حياة البذخ والترف ، وتنفق على معيشتك أكثر مما تكسب • ليت هذا القانون كان موجودا لنسأله الحساب ، ولنسأل شقيق ذلك الوزير ، وهو حضرة النائب المحترم جورج مكرم عبيد : من أين لك هذه « الفيلا » الجديدة التي بنيتها في القاهرة وأنت لا تملك الا ٦٤ فدانا في أقاصي الصعيد موزعة على أربع قطع أو خمس ! وهي أرض ضعيفة بدليل أن مجموع ما يدفع عنها من الأموال هو ٣٧ جنيها و٢٤ مليما أي بحساب ٤٠ قرشا عن الفدان ، وأنا أعلم من أخيك أن أرضه المماثلة لأرضك لا تدر عليه أكثر من أربعة جنيهات للفدان •

ليت هذا القانون كان موجودا لنسأل حضرة النائب المحترم هذا الحساب ، فان قال انني بنيت الفيلا من مال زوجتي ، كذبناه ، وقلنا له : ان زوجتك صرف لهـا مجلس الوزراء في أغسطس سـنه ١٩٣٧ اعانة لزواجها قدرها ٢٧٥ جنيها • فان كانت في حاجة الى الاعانة ، فهي فقيرة لا تستطيع أن تبني فيلا تتكلف الآلاف من الجنيهات ، وان كانت غنية فهي في غير حاجة الى الاعانة • فكيف يجاملها الوزير ؟ كلا الأمرين مر ، فان كانت وزارة المالية ــ وأنت تعلم من كان وزيرها وقتئذ ــ قد جاملت زوجتك ، فهذا بلا شـك هو عين الاستغلال الحكومي ، وان كانت لم تجاملها وصرفت لها هذه النقود عن استحقاق ، فمن أين لها اذن المال الذي تشيد به هذه الفيلا ! » •

يمنعني الحياء يا حضرات النواب المحترمين أن أذكر لكم شيئا عن حالة هذه السيدة المصونة ، مما هو مبين في مذكرة اللجنة المالية سنة ١٩٣٧ التي اقترحت فيها هذه الاعانة ، أو أن أذكر شيئا عما تركه لها والدها أو ما تملكه حتى لا يقال عنا اننا نجرح الأسر ونقع في المحظور الذي وقعوا فيه ، ولكن ثقوا أن حالتها كانت تستدعي منحها هذه الاعانة بحق ، فاذن لا أنت ولا زوجتك من الأثرياء ، فمن أين لك المال الذي بنيت به هذه الفيلا ؟ نعم ليت هذا القانون كان موجودا لنسأله هذا السؤال ••

نعود فنقول لمكرم باشا ان رفعة مصطفى النحاس باشا لم يشتر مئات الأفدنة كما اشتريت ، ولم يشيد له قصرا في مصر ولا في رمل الاسكندرية كما شيدت ، وانما هو لا يشتري الا اذا باع ، ولا يستأجر الا اذا أجر •

انك تعلم علم اليقين أن ثمن الـ ٧٨ فدانا الأولى دفع من ثمن بيع مجوهرات ، ولقد أثبتنا لك ذلك بأدلة لا تقبل الشـك ، أما الصـفقة الأخيرة ، فانك تعترف بنفســك بأن مصطفى النحاس باشا قد باع بيته في سمنود بعشرة آلاف جنيه قبل أن يشتريها ، فعـلام اذن الاستنكار والاندهاش والتساؤل من أين لمصطفى النحاس هذا المال ؟ انك تعلم أن

مصطفى النحاس لا يستغل نفوذه للاثراء ، لأن له من الأنصار من لو علموا أنه يقبل ، لقدموا له المهج والأرواح قبل المال والأطيـــان ، ان لمصطفى النحاس باشا نفوذا شعبيا أقوى وأعظم من نفوذه الحكومى ، فلو كان ممن يستغلون النفوذ ، لكان أسهل عليه وأجدى أن يستغل نفوذه الشعبى ، قبل أن يستغل نفوذه الحكومى ٠

لقد فكر نواب البلاد فى سنة ١٩٣٦ أن يقدموا لمصطفى النحاس باشا تذكارا ، دارا يقيم فيها ، فرفض ورفض بإباء ، بل بكى ، وكلكم تعرفون ذلك ٠ فليس مصطفى النحاس اذن هو الشخص الذى يستغل نفوذه الحكومى للثراء عن غير طريق الشرف ؟

اننى أذكر لحضراتكم ، وأنا خجول ، أن مصطفى النحاس باشـــا عندما نزل ضيفا على بمنزلى أبى الا أن يتحمل جميع مصروفات البيت من مأكل ومشرب فكان يتولى الانفاق على وعلى أولادى وأسرتى ، وحضرات زملائى الوزراء يعلمون هذه الواقعة ، فلقد أبت عليه عفته ، وأبت عليه نفسه الكريمة أن يحملنى مليما واحدا ٠ لقد كنت بين نارين ، وحضراتكم فلاحون تقدرون مثل هذه المواقف وحرجهـــا ، فاما أن أرفض فيهددنى بالعودة الى منزله بمصر الجديدة ، حيث كانت تتساقط القنابل ليل نهار ، وتتطاير شظاياها الى نوافذ داره ، واما أن أقبل هذا الوضع وما كان أقساه على نفسى ٠

دعونا يا حضرات النواب المحترمين نتكلم عن الاستغلال الحقيقى ، وكيف يكون ٠ اذا كان مكرم باشا يريد أن يعرف صورا لهذا الاستغلال ، فانى أرسم له بعض هذه الصور ، وليته كان هنا الآن ليسمع ما أقول : لو أن مصطفى النحاس باشا كان وزيرا للمالية وفرض أحد أشقائه فرضا على بنك من البنوك الوثيقة الاتصال بوزارة المالية ، ليتقاضى مرتبا كبيرا يبلغ ٣٠ جنيها شهريا ، فى عمل لا يدرى عنه شيئا ، فماذا كان يقول مكرم النزيه فى هذا التصرف ؟ ! لقد ألحق هو أخاه جورج مكرم غبيد بشركة الدخان التابعة لبنك مصر فى سنة ١٩٣٧ ، بأجر شـــهرى قدره ثلاثون جنيها ٠ وانى أتساءل ما خبرته فى الدخان حتى يعين بهذا الأجر الكبير ؟ اذا كنتم تريدون الدليل على أن مكرم باشا فرض أخاه فرضا على هذه الشركة ، فهاكم أدلة ثلاثة على ذلك :

الأول : أنه كان موظفا عاديا حديث التعيين بالشركة ، فلا يجوز تعيينه بمثل هذا المرتب الكبير ، لأن وكيل الشركة نفسه لم يكن يتقاضى مثل هذا المبلغ ٠ ولست أقول الا أن هذا المرتب هو الدليل الباطنى على حد تعبير مكرم باشا ٠

الثانى : أن وضعه فى الشركة كان يشعر بأنه لا عمل له ، فشركة

الدخان لها مدير ووكيل ومدير للمستخدمين ، فماذا بقى ليعمله بعد ذلك ؟ انها وظيفة بغير عمل ....

والدليل الثالث : هو مبادرة الشركة الى فصله بعد استقالة الوزارة الوفدية بأسابيع ، ومعنى هذا يا حضرات النواب المحترمين أنه عين لغرض خاص ، فلما زال السبب ...

وبديهى انه لم يكن يؤدى أى عمل بشركة الدخان ، لأنه كان فى الوقت نفسه موظفا بشركة شل ، ولهذه الشركة مواعيد محددة صباحا وبعد الظهر ، فلا يستطيع جورج مكرم أن يؤدى عمله فى الشركتين فى وقت واحد . وقد كان يتقاضى من شركة شل مرتبا قدره ٤٥ جنيهـا شهريا ، وتعلمون حضراتكم صـلة هـذه الشركة بوزارة المالية ، فلعلكم تتساءلون : متى عين فى هذه الشركة ؟ قد يقول مكرم باشا ان أخاه عين فيها قبل تولى الوزارة الدفوية الحكم ، ولكننى أقول : لا ، فانه عين فى ١٠ أو ١٢ أبريل من عام ١٩٣٦ ، وكانت الانتخابات يومئذ تجرى فى البلاد ، وقد نجح الى ذلك الحين ٨٠ نائبا وفديا بالتزكية ـ وها هو كشف بأسمائهم ـ وكان مفهوما أن الوزارة الوفدية فى طريقها الى الحكم ، كما كان مفهوما أيضا أن كرسى وزارة المالية ينتظر الوزير الوفدى العتيد !!

كذلك لو أن مصطفى النحاس باشا يا حضرات النواب المحترمين اشترى أطيانا تبعد عن محطة السكة الحديدية بكيلو متر ونصف الكيلو وقام بانشاء محطة جديدة أخرى لهذه الأطيان ، ألا يكون هذا هو عين الاستغلال للنفوذ ؟ ! ماذا كان يقول مكرم النزيه لو أن مصطفى النحاس عمل هذا العمل ؟ ! لقد أنشأ مكرم باشا محطة جديدة فى سنة ١٩٤٢ فى كفر الحطبة ، عند الكيلو ٣٥٠ مترا و ٧١ كيلو حيث توجد أطيان له ، ولا تبعد هذه المحطة عن المحطة القديمة التى تقع عند كفر الدبوس ، عند الكيلو ١٦ مترا و٧٣ كيلو ، بأكثر من كيلو واحد و ٦٥٠ مترا ، أفليس هذا استغلالا للنفوذ ؟ !

ولا يفوتنى أن أذكر أن هذه المحطة أنشئت سنة ١٩٤٢ ، قبل أن يتولى معالى عبد الفتاح الطويل باشا شئون وزارة المواصلات .

أليست هذه الصورة ملموسة لاستغلال النفوذ ؟ ! ان القطار لا يكاد يقف حتى يمشى بهدوء ، ثم لا يكاد يسير سيره العادى حتى يقف فى المحطة الجديدة ، التى لها ناظر وعامل محطة وخفير ، وكل ذلك يتطلب نفقات تدفعها الخزانة . أليس هذا استغلالا للنفوذ ؟ !

لقد اتهم مكرم باشا عثمان محرم باشـا بعدم النزاهة لأنه شق مصرفا فى المنيا تستفيد منه آلاف الأفدنة ، وينتفع منه آلاف الزراع .

أتهم عثمان محرم باشا بانشاء هذا المصرف ، لمجرد أن من بين المنتفعين به صديقا له هو زكى عبد الرازق باشا ، فكتب عن ذلك صفحات فى الكتاب الأسود · فاسمعوا اذن واحكموا :

لو أن لمصطفى النحاس وهو فى الوزارة شقيقا رشح نفسه فى الانتخاب ، وأراد أحد موظفى الحكومة منافسته ، فوعده مصطفى النحاس بمد مدة خدمته قبيل بلوغه سن المعاش ، وخدعه بذلك ، بل نصب عليه فصدق الرجل ونزل عن ترشيح نفسه فى اليوم الأخير ، ففاز الشقيق — أقول لو أن مصطفى النحاس فعل ذلك فماذا كان يقول مكرم النزيه ؟!

هذا ما حدث فعلا فى دائرة أولاد عمرو التى نجح فيها جورج مكرم شقيق مكرم باشا ، وقد سمعتم ذلك من معالى نجيب الهلالى باشا ·

هل كان يستطيع مكرم باشا أن يقنع ذلك المفتش الذى كان ضحية هذا التصرف الذى عرفتموه ، لو لم يكن مكرم باشا اذ ذاك وزيرا للمالية ؟!

اذن لقد استغل مكرم نفوذه ومركزه فى الحصول على المنفعة الشخصية ، بل فى النصب والتحايل ·

اسمعوا ما هو أدهى من ذلك وأنكى : لو أن مصطفى النحاس أقام عرسا لأحد أشقائه وهو فى كرسى الوزارة ، واستقبل مئات الهدايا التى قدرت بعدة آلاف من الجنيهات ، وشغلت عدة غرف وعشرات الفترينات ·

لو أن مصطفى النحاس فعل ذلك وكان وزيرا للمالية ، وقبل هذه الهدايا ، وكان معظمها من رجال الأعمال وأصحاب البنوك والشركات ممن تربطهم بوزارته أوثق الصلات ··· فماذا كان يقول مكرم النزيه فى هذا ؟ !!

ولو أن بعض مقدمى هذه الهدايا من رجال الأعمال كانت بينهم وبين وزارة المالية قضايا واشكالات تتعلق بآلاف الجنيهات ، ومصطفى النحاس وزيرا للمالية ، وقبل هذه الهدايا الفخمة ، التى لم يجر العرف بتقديم مثلها ، وكان هذا بعد صلح تم فى احدى القضايا — ذات آلاف الجنيهات — بأيام معدودات — أقول لو أن هذا حدث من مصطفى النحاس ، ،فماذا كان يقول فيه مكرم النزيه ؟؟

قال مكرم باشا : أما كان يجب يا مصطفى النحاس ، وقد باع لك فؤاد سراج الدين عزبة قبل دخول الوزارة ، أن تبتعد عن الشبهات فلا تدخله الوزارة ؟

وأنت يا مكرم باشا ما قولك فى هذه الواقعة الخاصة : التى سأذكر نبأها الآن ، وسأتلو عليكم مذكرة المحامى الذى كان فى القضية ، وسأذكر

اسمه ، وهو رجل يعرفون فيه الصدق ، ولا يستطيع مكرم باشا أن يقول الا أنه صادق ٠ وعندما تعرفون اسمه ستحكمون بصدقه ٠ ولن أذكر وقائع مجردة ، بل سأذكر الواقعة والدليل عليها ٠

اسمعوا يا حضرات النواب هذه المذكرة وهى مذيلة بتوقيع صاحبها ٠٠٠

« أقام مكرم عبيد باشا ـ وهو وزير المالية ـ بعض حفلات عرس لأقاربه أو أصهاره ولا ضير عليه ولا على غيره من الوزراء أن يفعل ذلك ٠ ومما تجرى به العادة أن يهدى الأقارب والأصهار والأصدقاء ما يشاءون من الهدايا للعروسين ٠ وليس فى ذلك أى مأخذ على الاطلاق ، وانما المأخذ فى أن يقيم الوزير الأفراح ويقبل الهدايا ممن تتصل أعمالهم بشئون وزارته ٠ وهذا ما لم يرعه مكرم باشا فى أفراحه ٠ فقد حدث أن أقام ـ وهو وزير للمالية حفلة عرس فخمة لأخيه جورج مكرم عبيد أفندى فى ٧ فبراير سنة ١٩٣٧ بفندق هليوبوليس بمصر الجديدة وقد خصص لعرض الهدايا ـ كما ورد بجريدة « المصور » الصادرة فى ١٢ فبراير سنة ١٩٣٧ ـ صالونا كبيرا حيث شغلت أكثر من عشر موائد كبيرة قسمت الى أقسام وريونات ٠

وليس يهمنا من أمر هذه الهدايا ولا من أمر مهديها الا أن من بينها بعض هدايا من أصحاب أعمال لهم بعض مسائل منظورة بوزارة المالية التى يقوم على شئونها صاحب هذا العرس العظيم ٠ وهأنذا أروى مسألتين من هذه المسائل على سبيل التمثيل لا الحصر ٠

١ ـ اتهم شخصان من الهنود أحدهما يدعى لاندجو بال نهرا والآخر ستياران بأنهما هربا مجوهرات ثمينة اختلف فى تقدير قيمتها بين ٦٠٠٠ جنيه و ١٤٠٠٠ جنيه مملوكة لتاجر هندى كبير اسمه مستر جانيشى لال وذلك دون أن يقوما بدفع الرسوم الجمركية المستحقة عليها وضبطت لذلك واقعة قيدت تحت رقم ١٢٤٣٣ وفى اليوم التالى لضبط هذه الواقعة أصدرت اللجنة الجمركية ببورسعيد قرارا يقضى بمصادرة هذه المجوهرات مع الزام المتهمين سالفى الذكر متضامنين بغرامة قدرها ١٩٧٦ جنيها و ٦١٦ مليما ٠ وقد عرض على ذلك التاجر قضيته كمحام يبيح له قانون الجمارك صراحة قبول مثلها فدرستها وحررت فيها مذكرة بدفاعى عنه فى موضوعها ثم تحدثت بشأن الصلح فيها وهو أمر يبيحه ذلك القانون مع الموظفين المختصين دون أن أفاتح مكرم عبيد باشا فى أى أمر يتعلق بهذه القضية مع صلتى الوثيقة به ٠ غير أن هؤلاء الموظفين استمسكوا بقرار اللجنة الجمركية ٠ فانتهت مهمتى عند هذا الحد وترك الأمر للقضاء يفصل فيه بما يراه ، اذ ان قانون الجمارك يبيح حق المعارضة فى قرارات اللجان الجمركية أمام المحاكم العادية المختصة ٠

وكم كان عجبي شديدا ودهشي عظيما أن رأيت ضمن هدايا حفلة العرس سالفة الذكر والتى أقامها مكرم باشا وزير الماليه لأخيه ــ هدايا ثمينة مختلفة مصحوبة باسم ذلك التاجر الهندى الكبير • فالفتت نظرى هذه الهدية العظيمة واستقصيت خبرها فعلمت أن ما استعصى على حله ــ لا لشيء الا لأنى لم أرد كما هى خطتى أن أستغل مركزى النيابى فى عملى القضائى ــ قد حله محام آخر غيرى • وان هذا النزاع قد انتهى صلحا بين هذا المحامى ومدير مصلحة الجمارك فى ٢٧ يناير سنة ١٩٣٧ مؤداه رد المجوهرات المصادرة الى صاحبها وقد حصل الخلاف على تقدير قيمتها بين ٦٠٠٠ جنيه و ١٤٠٠٠ جنيه وتغريم المتهمين مبلغ ٣٥٨٤ جنيها دفع منه وقت تحرير محضر الصلح ١٤٠٠ جنيه وتأجل دفع الباقى وقدره ٢١٨٤ جنيها الى ٣٠ أبريل سنة ١٩٣٧ •

والمهم أن وزارة المالية صدقت على هذا الصلح •

ولما كنت بطبيعة الحال لا أذكر تفاصيل هذه الهدية الآن فقد استعنت بمن لهم صلة وثيقة بهذا التاجر فى أن يتحرى تفاصيلها وقد وافانى بتقرير بين فيه انها مكونة من :

(أ) دواة كبيرة من جلد النمر الهندى مرصعة بالأحجار الكريمة مع أدوات المكتب من جلد النمر الموشى بالذهب الخالص •

(ب) زهريتين من جلد النمر الهندى صنع ولاية أجرا بالهند مزينتين بالذهب الخالص مع رسوم مختلفة •

(ج) سوار من ماس وأحجار كريمة أخرى صنع فابريقة لال فى أجرا •

ولم يقف وفاء مكرم باشا لأخيه عند هذا الحد من فتح بابه على مصراعيه بقبول كل هدية دون أى تحرز أو تحفظ ، وانما سارع بعد حفلة العرس بقليل ــ على لسان العروس ــ يشكو سوء حالتها ومن ثم تقررت لها اعانة زواج قدرها ٣٧٥ جنيها على ما هو ثابت فى مذكرة اللجنة المالية المؤرخة ١٨ مايو سنة ١٩٣٧ •

٢ ــ أما المسألة الثانية فلا أستند فيها على الرؤيا والمشاهدة كما حدث فى المسألة الأولى وانما أستند فيها الى ما كتبته مجلة صديقة لمكرم باشا الآن ــ وهى مجلة روز اليوسف ــ فى عددها الصادر فى ٢٢ فبراير سنة ١٩٣٧ حيث قالت بعد أن وصفت حفلة العرس سالفة الذكر ما يأتى :
« وتقدم المدعوون بهداياهم الفخمة من مجوهرات وغيرها بلغت ٣٠ ألف

جنيه من الأصفر الرنان ... وكانت آخر هدية قدمت هى « سولتير » من المسيو سورناجا الوجيه الكبير » .

ومن المعلوم أن المسيو سورناجا هو من كبار رجال الأعمال المعروفين وصاحب مصنع كبير للخزف والفخار .

هاتان واقعتان أذكرهما على سبيل التمثيل لا الحصر كما قلت ، وبديهى أننى لا أرمى بهما مكرم باشا بالرشوة وانما أرميه باستغلال مركزه فى أفراحه وعدم تحرزه فى قبول أية هدية يهدى بها ولو كانت ممن لا تربطه بهم قرابة أو مصاهرة أو صداقة أو ممن تربطه بشئون وزارته أوثق الصلات .

وقد كان من جراء تهاونه فى هذا السبيل واستغلاله منصبه ان عير فى احدى المناسبات بهدية أهداها له فى ذلك العرس عبود باشا .

أما المناسبة التى أثير فيها ذلك التعبير فكانت خاصة بالاعانة التى طلبت لشركة البواخر التى كان يملكها ويديرها عبود باشا .

وقد قدرت بعض الصحف التى أثارت هـذا التعبير تلك الهدية بألفى جنيه وقدرها البعض الآخر ببضعة آلاف .

ومما قالته جريدة البلاغ فى هذا الصدد فى عددها الصادر فى ٢٦ يونية سنة ١٩٣٩ : وقد قبل مكرم باشا هذه الهدايا لأخيه وهو يعلم أنها ليست مقدمة لهذا الأخ فى الواقع بل مقدمة لمكرم باشا نفسه وسيلة لكسب رضاه وميله .

وقد اضطر العريس بعد ذلك أن ينازع فى قيمة هذه الهدية وأن يردها الى مهديها .

وليقارن بعد ذلك من يشاء ممن يلهم أبو مسيلمة هذا الزمان ومن يؤيده بين هذه الهدايا الثمينة الغالية وبين قفص من السمك الطازج أو السمان الفاخر يهدى من صديق الى صديق .

١٨ مايو سنة ١٩٤٣ .	« محمود غنام »

سمعتم حضرات النواب هذه المذكرة ، وليت مكرم عبيد باشا كان موجودا بيننا الآن لأسأله فى أى قسم من أقسام الفضائح التى ذكرها توضع هذه الواقعة . أفى قسم الفضيحة الوضاحة ، أم فى قسم الفضيحة الفضاحة ! ؟

لاحظتم أن معـالى الأستاذ غنـام أورد فى مذكرته وصف مجلة روزاليوسف لحفلة العرس وقيمة الهدايا التى قدمت . وما دام مكرم

باشا قد استشهد بما ورد في مجلة آخر ساعة وقدمه دليلا فى عريضه مرفوعة الى مقام جلالة الملك عن مسئلة الأرض التى اشتراها صبحى الشوربجى تحت عنوان « وشهد شاهد من أهله » ومع أن آخر ساعة مجلة لها قيمتها ، الا أن ما ورد بها فى هذا الشأن ليس الا رواية ذكرها أحد محررى المجلة - أقول مادام مكرم باشا قد فعل ذلك فى عريضة مرفوعة الى جلالة الملك ، فليكن ما أوردته مجلة روز اليوسف عن قيمة الهدايا التى قدمت فى عرس أخيه دليلا آخر من نوع دليله ·

رأيت يا مكرم باشا أن فى مسألة بيع منزل سمنود ، والتنظر على الوقف ، استغلالا للنفوذ ومساسا بنزاهة الحكم ونزاهة النحاس باشا ، وقد تم بيع المنزل والتنظر على الوقف فى ١٢ و ١٦ ابريل سنة ١٩٤٢ كما تعترف ، فلماذا قبلت أن تبقى فى الوزارة تحت رياسة النحاس باشا حتى يوم ٢٦ مايو سنة ١٩٤٢ ؟ ! ولماذا بعثت بالرسل والشفعاء ليشفعوا لك لدى النحاس باشا حتى يبقيك فى الوزارة !؟ ولم لم تفكر فى الخروج منها ؟ ولو أبقاك النحاس باشا لبقيت فيها الى اليوم !!

نعم · لماذا لم تر فى هذا التصرف أو ذاك ما يمس نزاهة الحكم الا بعد أن خرجت من الوزارة ؟!

ما الذى جرى أو تغير حتى رأيت اليوم قبيحا ما كنت تراه بالأمس حسنا ؟!

ان الذى جرى هو أنك فى شهر أبريل سنة ١٩٤٢ كنت وزيرا يحبوه النحاس باشا بحبه واخلاصه ، واليوم أصبحت خارج الحكم ، وصرت منبوذا من مصطفى النحاس ومن الأمة جميعا ·

ألست أنت الذى أقسمت فى مجلس الوزراء ، قبل خروجك من الوزارة بأيام ، وبعد أن تنظر رفعة النحاس باشا على الوقف ، وبعد أن باع بيته بسمنود للوقف · بأنك لا تشك فى نزاهة النحاس باشا ؟! · لا سبيل الى انكارك فهذا ثابت فى محضر مجلس الوزراء !! أو لست أنت الذى وقفت هنا وفى هذا المكان بجلسة ١٩ مايو سنة ١٩٤٢ أى بعد انقضاء شهر ويزيد على بيع منزل سمنود ، وقلت بأعلى صوتك : « ان مركز كل وزير فى هذه الوزارة يستند الى النزاهة المطلقة » واذن فأنت الشاهد لنا بالنزاهة والشرف قبل سواك ·

لم يكتف مكرم باشا فى سبيل الوصول الى ما يريد من استنتاجات أن يشوه فى الوقائع الثابتة فيغير من حقائقها ويمسخها مسخا ، بل شاء له خياله أن يختلق الوقائع اختلاقا تاما ، فقد ذكر لحضراتكم أمس أن آل صيدناوى كانت لهم مصلحة فى الحكومة يريدون قضاءها فلما فكروا فى

اسهل الطرق لانهائها لم يجدوا خيرا من أن يعرضوا على رفعه النحاس باشا بيع أرض لهم فى شبرا تبلغ مساحتها مائة فدان ، وقد وضعوا للفدان الواحد من هذه الأرض الجيدة مائة جنيه ، وبعد أن قبل رفعته هذا العرض عادوا فى اليوم التالى قائلين لرفعته ان الأرض عزت عليهم وأنهم يريدون استردادهـا ثم عرضـوا فرقا مائة جنيه للفدان الواحد ، أى ١٠٫٠٠٠ جنيه قدموها لرفعته ربحا صافيا من هذه الصفقة التى لم يدفع فيها مليما ولم يحرر عنها عقدا !! هكذا شاء خياله أن يختلق الوقائع اختلاقا ، فلما طولب بالدليل على ما يقول أجاب بأن هذا الذى يقوله مستمد من مصدر يثق به ·

الرئيس ـ أظن أنه لم يقل ذلك بالدقة وانما قال انها رواية يذكرها على علاتها ·

حضرة صاحب المعالى وزير الزراعة ـ هو كذلك ، وقد ورد على لسان مكرم باشا فى مضبطة ١٩ مايو سنة ١٩٤٣ : « لعل لنا حكمة فى توجيه هذه الأسئلة انتظارا للرد عليها » فلما سأله معالى وزير المعارف ، أتعنى أنك تحجز المستند حتى تكذب » ؟

أجاب سعادته « عندما تكذب هذه الوقائع ويعلم ذلك العارفون بحقيقتها ، وهم أناس لهم مكانتهم ، يومئذ يقدرون قيمة بيانات الحكومة »·

فها هى ذى الحكومة تكذب هذه الواقعة تكذيبا قاطعا ، فليتكلم اذن مكرم باشا ان استطاع أن يتكلم ، ولتتول مصادره الدفاع عنه ، فالحكومة تتحداه وتتحدى هؤلاء الذين ينعتهم بأن لهم مكانتهم عنده ·

وتشاء المصادفات أن تقف أسرة صيدناوى باشا من أحد حضرات النواب غير الوفديين على حكاية هذه الواقعة المنسوبة اليهم ، فيبادر حضرة الأستاذ ميشيل صيدناوى بارسال الخطاب الآتى نصه الى رفعة النحاس باشا : « حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا رئيس مجلس الوزراء ·

أتشرف بأن أرسل الى رفعتكم صورة من خطاب بعثت به اليوم الى حضرة صاحب السعادة مكرم عبيد باشا تقريرا للحقيقة فيما ذكر بمجلس النواب يوم ٢٠ مايو عن واقعة موهومة وماسة بشرف أسرتنا تتعلق ببيع أطيان أو شرائها بيننا وبين رفعتكم ·

« ميشيل صيدناوى »

٢٢ مايو سنة ١٩٤٣ ·

وهذه صورة الخطاب :

القاهرة فى ٢٢ مايو سنة ١٩٤٣

« حضرة صاحب السعادة مكرم عبيد باشا » :

بعد التحية ، أطلعنى اليوم آل صيدناوى الذين أنوب عنهم على ما اتصل بهم من حضرة صاحب العزة النائب المحترم محمد شعراوى بك وآخرين من أقوال قلتموها فى استجوابكم بمجلس النواب يوم الخميس ٢٠ مايو الحالى فيما يتعلق بمعاملة بيع أطيان وشرائها بين حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا وبين آل صيدناوى حيث ذكرتم أن هناك مسألة أريد بها خدمة آل صيدناوى فذهبوا يعرضون على رفعة مصطفى النحاس باشا شراء أطيان لهم فى شبرا قدرها (١٠٠) أو (١٢٠) فدانا بسعر (١٠٠ جنيه) للفدان ، وبعد أيام عادوا فطلبوا استردادها لأن المقصود كان قضاء حاجتهم فلما قضيت بيعت لهم الأطيان ثانية بفرق (١٠٠ جنيه) لكل فدان وقبض رفعة النحاس باشا الفرق وقدره ١٠٫٠٠٠ جنيه .

ومن حيث انه لم تكن قط لآل صيدناوى مصالح يريدون قضاءها فى الحكومة .

ومن حيث أيضا ان آل صيدناوى لا يملكون ولم يملكوا أطيانا فى شبرا ، واذن فلم يكن فى الامكان المادى بيعها أو شراؤها ، فالواقعة التى وجهتم بشأنها استفهاما الى رفعة مصطفى النحاس باشا لا أساس لها من الصحة ، كما أستطيع التأكيد بأنه لم تجر معاملة بيع أطيان أو شرائها فى أى مكان آخر من القطر المصرى بين رفعته وبين آل صيدناوى .

فقد كتبت هذا الى سعادتكم لتقرير الحقيقة آملا أن تصححوا ما ذكرتموه لدى مجلس النواب .

وقد بعثت كذلك بصورة من هذا الخطاب لرفعة مصطفى النحاس باشا للعلم .

« ميشيل صيدناوى »

وتلاحظون حضراتكم أن محامى آل صيدناوى طالب سعادته بأن يصحح الواقعة المنسوبة اليهم .

حضرة صاحب المعالى وزير المعارف العمومية ـ هل صحح الواقعة كما طلب اليه ، أم أنه هرب من مواجهة الحقائق !؟

الأستاذ احمد ابو الفتوح ـ لقد انسحب الليلة حتى لا يتلو هذا التكذيب .

حضرة صاحب المعالى وزير الزراعة ــ نعم ، ولقد صدق حضرة النائب المحترم الأستاذ أحمد أبو الفتوح حين قال لى : انه لم يكن من السهل على مكرم باشا أن يتلو هذا الخطاب لأن فيه تكذيبا له ، ولهذا آثر الانسحاب الليلة من الجلسة ·

أنتقل بعد ذلك الى الواقعة الأخرى التى اختلقها أيضا مكرم باشا وهى الخاصة بأطيان توفيق الوكيل بك وتلك أيضا واقعة خيالية ·

وللتدليل على أن هذه الواقعة مكذوبة ولا أساس لها من الصحة أذكر لحضراتكم أن لا خليل بك الجزار ولا رفعة النحاس باشا ولا السيدة حرمه المصون رغبوا أو قدموا طلبا لشراء أطيان توفيق الوكيل بك مراعاة منهم للشعور العائلى · واذا سلمنا جدلا بصحة هذه الواقعة فأى ضير فيها ؟ على أننى شخصيا أعلم أن البنك باع ثلاثين فدانا لابن توفيق بك الوكيل لأنهم أحجموا عن شرائها مراعاة للعلاقة العائلية ·

أما وقد انتهيت من هاتين الواقعتين ، فاننى أنتقل الى موضــــوع الأرز ، ومسألته جد خطيرة فى نظر مكرم باشـــا فقد شبهها بحـــوادث الاختلاسات فى فرنسا ، وهو فى ذلك التشبيه يقصد الى القول بأن (فؤاد سراج الدين) ان هو الا « ستافسكى » مصر : قال ان الحكومة تعمدت تأجيل اعلان سعر الأرز فى عام ١٩٤٢ حتى تتيح الفرصة لأحمد الوكيل ليشترى ما يشاء من الأرز بأسعار تقل عن تلك التى حددتها الحكومة · كما قال ان السعر الذى حدد كان معروفا قبل اعلانه رسميا بأسبوعين لأفراد من الأمة ، ودعم قوله بشهادة دولة حسين سرى باشا · كما قال أيضا ان الحكومة لم تلغ العقود القديمة التى أبرمت بين التجار والفلاحين قبل صدور التسعيرة الجديدة وذلك خدمة منها لأحمد الوكيل حتى يستفيد من فرق ثمن ما اشتراه ثم انتهى الى القول بأن الحكومة لم تتبع ما اتبعه هو فيما يختص بالقمح وسعره ، وأنه أعلنه قبل ظهور المحصول بشهر أو يزيد · فهل حقا تعمدت الوزارة التأخير فى اذاعة الأسعار التى حددت للأرز ؟

لا · لم تتعمد الوزارة ذلك ولكن هكذا شاء أن يقول مكرم باشا ، وهو ليس بالرجل الفلاح وليست له خبرة بشئون الزراعة ، فأخطأ أولا حين قال ان ضم الأرز يبدأ فى شهر سبتمبر ثم أخطأ ثانيا حين تدارك نفسه وقال انه يضم فى أوائل شهر أكتوبر ــ وكل زارع يعلم أن لا هذا ولا ذاك صحيح · وقد أعلنت الحكومة الأسعار الجديدة للأرز فى ١٩ أكتوبر سنة ١٩٤٢ وسعادته يرى أن هذا التاريخ جاء متأخرا عن موعد ظهور المحصول · ولتسمحوا لى حضراتكم ، قبل أن أرد على ذلك ، أن

أبين لكم كيف تحدد الحكومة أسعار المحصولات الزراعية : خطة الحكومه فى تحديد الأسعار هى أن تقدر المحصول أولا وعلى أساسه تقدر متوسط محصول الفدان ثم تحسب تكاليف الانتاج وتضيف اليها ربحا معقولا للمنتج وبعملية حسابية بسيطة تصل الى السعر الذى تعتزم تحديده • فهل كان من المستطاع معرفة متوسط انتاج الأرز قبل أكتوبر الماضى قبل أن يتم نضج المحصول ؟ لا ••• لم يكن هذا ميسورا اذ تعذر فى ذلك الوقت على رجال وزارة الزراعة اجراء المعاينات اللازمة للتقدير وذلك بسبب السيل الذى غمر المناطق الشمالية للدلتا ولعلكم لم تنسوا بعد تلك الأمطار التى اكتسحتها وأضرت بزراعتها ضررا بليغا ، والتى كان من نتيجتها أن انهالت على الوزارة الشكاوى التلغرافية • ولهذا اضطرت الوزارة الى اعادة المعاينات لتتحقق من الضرر الذى حاق بالزراعة وليتسنى لها تقدير المحصول تقديرا سليما •

وبين يدى ثلاث أو أربع شكاوى من سعادة شكرى باشا وجندى عبد الملك بك وآخرين طلبوا فيها اعادة المعاينـة • فأعيدت فى أوائل أكتوبر وطبيعى أنه لا يمكن معاينـة عشرات آلاف الأفدنة فى يوم أو يومين ، فلما تمت المعاينات وكونت الوزارة رأيها ، عرضته على مجلس التموين الأعلى ثم على مجلس الوزراء فأقره فى ١٩ أكتوبر سنة ١٩٤٢ ـ كل هذا قد استغرق بضعة أيام فلم يكن مستطاعا اعلان سعر الأرز قبل هذا التاريخ ، من ذلك يتضح لحضراتكم أن الوزارة لم تتعمد هذا التأخير كما يدعى مكرم باشا ، أما القول بأنه وهو وزير المالية كان يعلن أسعار الحاصلات قبل حصادها بشهر أو أكثر ، فهذا أيضـا غير صحيح ، فالسعر الوحيـد الذى أعلنه هو سعر القمح فى سـنة ١٩٤٢ أتعلمون حضراتكم متى أعلنه ؟ انه أعلنه فى ٢٠ أبريل سنة ١٩٤٢ فهل كان هذا التاريخ سابقا حقيقة على حصاد القمح الجديد بشهر أو أكثر كما يقول ويدعى ؟ الجواب لا •

فالاحصاءات الرسمية بوزارة الزراعة تناقض ما قاله ، اذ فى هذا التاريخ الذى أعلن فيه سعر القمح وهو ٢٠ أبريل تنطق هذه الاحصاءات الرسمية بأنه كان قد حصد ٧٥٪ من محصول القمح فى مديرية أسوان ، و٨١٪ فى مديرية قنـــا ، و٥٣٪ فى مديرية جرجا و٢٢٪ فى مديرية أسيوط ، و١٣٪ فى مديرية الفيوم ، وهكذا فان النسبة تقل كلما صعدنا الى الوجه البحرى ، واذن يكون مكرم باشا قد قدر سعر القمح بعد ظهور المحصول وبعد أن كانت مديريات بأسرها قد حصدت الجزء الأكبر من محصولها ، فهل تعلمون حضراتكم السر فى تأخر مكرم باشا فى اعلان هذا السعر ؟ ! السر فى هذا التأخر هو فى ذاته فضيحة فضاحة وضاحة :

علمت من مصدر أثق به كل الثقة أن السبب فى تأخير اعلان سعر القمح يرجع الى أن أناسا كانوا يرغبون فى مشترى كميات كبيرة من القمح بأسعار تقل عن السعر الرسمى ، فدفعوا ٦٠٠ جنيه لأخيه جورج مكرم عبيد ليحمله على تأخير اعلان سعر القمح ، حتى يتسنى لهؤلاء التجار أن يشتروا أكبر كمية من القمح ، فلما عرضت اسم هذا المصدر على معالى عبد الفتاح الطويل باشا وثق به كل الثقة وقدره كل التقدير ...

لا شك أن هذا دليل من نوع الأدلة التى سمعتموها فى الثلاثة أيام الماضية ، فقد ذكر مكرم باشا أن أحمد الوكيل أخذ ٦٠٠ جنيه لتصدير ٦٠٠ جوال كيماوى ، فلما سئل عن المصدر قال انه شخص يثق به ويحرص على عدم ذكر اسمه ، وذكر أيضا أن ثمن الفرو ٣٠٠٠ جنيه فلما سئل عن المصدر قال اننى عرضت اسمه على أحمد حسنين باشا فقال اننى أثق به كل الثقة ...

ان كنتم تعتبرون هذا دليلا ، فليعتبر مكرم باشا اذن كلامه دليلا كذلك .

يتساءل مكرم باشا لماذا لم تلغ الحكومة أسعار العقود المبرمة قبل اعلان السعر الجديد اقتداء بما فعلته فى القمح والقطن . وجوابى عن ذلك أن السعر المعلن للقطن هو الحد الأدنى له بحيث يستطيع البائع أن يبيع بأكثر منه . وأما الأرز فالسعر المقرر له وهو ١٣ جنيها يعتبر حدا أقصى ، فتستطيع أن تبيع بأقل من ١٣ جنيها كما يستطيع التاجر أن يشترى منك بسعر أقل من ذلك ولا عقاب عليك أو عليه . فالفرق واضح بين حالة القطن وحالة الأرز ، فماذا يحصل لو صدر قرار بالغاء العقود المبرمة قبل تحديد السعر . هب أن تاجرا باع لآخر أرزا بسعر الضريبة ١٢¼ جنيهـا ثم ألغى التعاقد وعرض أرزه للبيع فلم يجد مشتريا ، فأين يذهب به ألحكومة وكميات الأرز التى تستولى عليهـا من كل القطر بمقتضى قرار الاستيلاء هى ١٥٠ ألف ضريبة من مليون ضريبة ؟ انها اذن غير ملزمة بالشراء الا فى حدود القدر المحدد بهذا القرار.

أما فى حالة القطن فان الحكومة عند الغاء التعاقد ، تشتريه بالسعر المحدد ، فهى اذن تضمن عدم نزول سعر القطن عن الحد الأدنى . ولقد سلم مكرم باشا بهذا فيما يختص بالقطن ولكنه قال . وما قولكم فى القمح وقد تحدد له سعر أقصى كالأرز ، والرد أن سعره كان سعرا ثابتا ٣ جنيهات للاردب لا حدا أقصى كسعر الأرز ، فضلا عن أن الحكومة ترحب بكل ما يعرض عليها من القمح فاذا فرض ان منتجا تعاقد على توريد كمية منه بسعر جنيهين ونصف جنيه للاردب ، فان الغاء هذا التعاقد ، لا يضر المنتج ، بل هو يستفيد نصف جنيه من تسليم قمحه للحكومة ، بعكس

حالة الأرز ، فما من جهة رسمية واحدة يمكن أن يباع لها الأرز بالسعر الرسمى على سبيل الالزام كما هو الحال فى حالة القمح · لم يفطن مكرم باشا لهذه القاعدة الاقتصادية وقد بحثها مجلس الوزراء فى جلستين متعاقبتين ، قلبنا فيهما الأمر على جميع وجوهه ، وأخيرا وصلنا الى هذا الرأى ورأينا أنه الرأى الاقتصادى الصحيح · لكن مكرم باشا يقول انكم لم تقرروا الغاء العقود المبرمة قبل التحديد الا ليستفيد أحمد الوكيل مما اشتراه فماذا اشترى أحمد الوكيل ؟ اشترى باعتراف مكرم باشا ٢٢٠٠ ضريبة من الأرز بسعر ١١ و ١٢/½ جنيها للضريبة الواحدة ، فلو فرض أن كان مكسبه جنيها واحدا فى الضريبة ، لكانت جملة المكسب ألفى جنيه ، يخص أحمد الوكيل منها ألف جنيه ·

فهل يعقل أن تضع الحكومة قاعدة عامة لتحديد السعر بالنسبة للقطر كله ليكسب أحمد الوكيل ألف جنيه !! ؟ انه لو كان محتاجا الى هذا المبلغ لكان أهون على نفسى أن أعطيه اياه ، من أن أغير ذمتى ، باعتباره أخا لى · وهل يعقل كذلك أن تسخر الحكومة نفسها من أجل أن يأخذ أحمد الوكيل ألف جنيه ؟ ! ولو كانت الحكومة تريد أن يستغل مسألة الأرز لما اقتصر كسبه على ألف جنيه بل لكسب أربعين ألفا أو خمسين ألفا بل مائة ألف من الجنيهات · ولو كان يعلم حقيقة سعر الأرز قبل تحديده بأسبوعين ، لما طاف القرى ليجمع مائتى ضريبة من هنا ومائة من هناك وشراء كمية من السعيد وهبه ، وأخرى من حسون ، وثالثة من اسماعيل عوض الخ · ويعرض نفسه اذا ما حان وقت الاستلام الى امتناع هذا وتحايل ذاك تهربا من التسليم · لا ، لا ، هذا ما لا يفعله الأستاذ أحمد الوكيل ولو أنه كان يعرف السعر مقدما وأراد أن يستفيد من ذلك ، لكان أسهل عليه وأجدى أن يشترى كنتراتات من شركات كبيرة مثل بهرنج وكوهين وغيرهما كثيرون بآلاف الأرادب أو الأشولة من الأرز الأبيض ، وكل ذلك يتم على الورق كما هو الحال فى كنتراتات القطن ·· وحسبه ربحا ما يجنيه من فروق الأسعار مما يتجاوز الألوف من الجنيهات وهو جالس فى مكتبه أمام تليفونه دون أن يكلف نفسه أى مشقة ·

وأغرب من ذلك أنكم ستسمعون غدا من معالى صبرى باشا أن الأستاذ أحمد الوكيل باع كميات من الأرز فى أكتوبر سنة ١٩٤٢ بسعر ١١/½ جنيها للضريبة الواحدة ، أى أنه كان يشترى ويبيع أرزا بهذا السعر فى ذلك التاريخ الذى يقول حسين سرى باشا ان السعر الرسمى للأرز كان معروفا فيه ، وستقدم لكم العقود التى تثبت صحة ما أقول والتى تقطع بتكذيب مكرم باشا وغيره فى هذه المسألة · والواقع أن أصحاب المعالى الوزراء أنفسهم لم يكونوا قبل تحديد السعر على علم بحقيقته أو كان لكل منا رأى خاص بشأنه ، فكان أحدنا يرى مثلا أن

يكون السعر ١٢ جنيها للضريبة ويرى زميله الآخر ١٣ جنيها وهكذا ونحن كما تعلمون ١٤ وزيرا ، فلم يكن أحد منا يعلم ما تسفر عنه المناقشة وأى سعر سيستقر عليه الرأى • فكيف أمكن الأستاذ أحمد الوكيل أن يعرف حقيقة السعر قبل تحديده بأسبوعين ؟ افرضوا أن أحد الوزراء أخبره أن السعر المحتمل تحديده هو ١٤ جنيها مثلا ، وبناء على ذلك اشترى أحمد الوكيل بسعر ١٣½ جنيها أو ١٣ جنيها ثم استقر رأى مجلس الوزراء كما رأيتم على ١٣ جنيها • لا شك أن خسارة محققة ستلحق بالأستاذ أحمد الوكيل من وراء ذلك •

والناحية الظريفة فى هذا الموضوع أنه كان لابد من ايجاد الحبكة لهذه الرواية • وتلمس الحيلة فى سبكها • فعمد الى الخيال وذكر أن الأستاذ أحمد الوكيل اتصل تليفونيا من المنصورة بوزير الزراعة وطلب أن يصدر تصريحا فى الصحف يعلن فيه أن السعر الرسمى الجديد لا يسرى على العقود التى أبرمت قبل اعلانه • فاذا سألناه أن يقدم لنا دليلا واحدا على صحة ما يقول ، أو يذكر اسم شاهد واحد سمع هذا الحديث التليفونى أعوزه الدليل ولم يستطع أن يتقدم بشىء مما طلبناه رغم ما ادعاه من أن هذا الحديث جرى — على حد تعبيره — « فى وسط زبائنه » أى زبائن الأستاذ أحمد الوكيل ••• ما هذا ؟ !

هل مجرد رواية يذكرها على لسانه دون أن يقدم أى دليل عليها تكفى لاتهامنا ؟ أين الدليل ، أين البرهان ؟ !! وهل يعقل أن يبلغ الطيش بالأستاذ أحمد الوكيل وبوزير الزراعة الى حد تبادل مثل هذه المحادثة التليفونية على مسمع من « الزبائن » وعلى مسمع من (الترنك) ومن عمال مصلحة التليفونات • واذا كان وزير الزراعة قد أدلى بتصريحه لجريدة الأهرام خدمة للأستاذ أحمد الوكيل ، فما قول مكرم باشا فيما كتبته جريدة البلاغ فى اليوم السابق عما علمته من وزارة التجارة والصناعة من أن السعر لن يسرى على العقود المبرمة قبل اعلانه ؟ اذن وزير التجارة والصناعة متواطىء أيضا مع الأستاذ أحمد الوكيل وأوعز الى مندوب البلاغ أن يذكر ذلك خدمة له !

وهل أكون متجاوزا حدود اختصاصى اذا ما صرحت بمثل هذا التصريح فى اليوم الثانى وأنا وزير للزراعة ولست وزيرا للخارجية ولا للشئون الاجتماعية ولا للدفاع الوطنى ؟؟ والى من يتجه الزراع فى مثل هذا الأمر اذا لم يتجهوا لوزير الزراعة وهو ذو الصلة الوثيقة بهم ؟ بل يكفى أن أكون أحد الوزراء المسئولين لأصرح بتصريح أفسر به قرارا أصدره مجلس الوزراء أضع به الأمور فى نصابها • هذا من جهة ومن جهة أخرى فان هذا التصريح لم يغير شيئا من الواقع فهو لم يقرر حكما

جديدا ، وانما هو تفسير لقرار مجلس الوزراء • وقد قدم مكرم باشا نفسه الدليل على أن الحاجة كانت تقتضى صدور مثل هذا التصريح فقد ذكر أن الناس اذ ذاك كانوا فى حيرة من أمرهم يتساءلون عما اذا كان هذا السعر الجديد سيسرى على العقود التى سبق ابرامها قبل اعلانه أم لا ؟ فلهذا السبب نشرت جريدة البلاغ ذلك الخبر ولهذا السبب أيضا أدليت بتصريحى لجريدة الأهرام ، فلم يكن الدافع اليه اذن محادثة تليفونية أو غيرها ، وانما كان الرد على تساؤل الوفود التى انهالت على الوزارة من كل ناحية • واننى أتحدى مكرم باشا أن يقدم دليلا واحدا على صحة ما يقول •

يقول مكرم باشا ان السعر الذى حدده قرار مجلس الوزراء كان مرتفعا جدا ، وهذه المسائل ـ كما ذكرت لحضراتكم ـ لا نقرر فيها شيئا الا بعد الاسترشاد بآراء الدوائر الكبيرة والدوائر الرسمية كالجمعية الزراعية والخاصة الملكية ومصلحة الأملاك • وأمامى رأى الخاصة الملكية وقد قدرت تكاليف انتاج الضريبة الواحدة بمبلغ أربعة عشر جنيها وكسورا واذا أضيف الى هذا التقدير ١٠٪ كربح للمنتج وصل السعر الى ستة عشر جنيها ، وهذا هو السعر الذى اقترحته الخاصة الملكية • ولقد انتهينا ـ كما ذكرت لحضراتكم ـ بعد مناقشة طويلة الى وضع سعر معقول وعادل وهو ثلاثة عشر جنيها للضريبة الواحدة ، فهل بعد هذا يصح أن يقال اننا قررنا هذا السعر ليكسب الأستاذ أحمد الوكيل الفرق بين هذا السعر وسعر الشراء أى ليكسب جنيها واحدا فى الضريبة ؟

أما عن مسألة الزهور : فالواقع ان مكرم باشا اهتم بهذه المسألة اهتماما خاصا وقدم لنا صورة فوتوغرافية لمستند قال عنه انه قاطع • وقد يكون من دواعى الأسف أو حسن الحظ أن هذه الصورة الفوتوغرافية التى قدمها مكرم باشا للأوامر الادارية المزعومة يثبت ما قلته من ان هذه الأوامر غير حقيقية وقد اصطنعت خصيصا لتقدم مع العريضة المرفوعة الى جلالة الملك باعتبارها مستندا له قيمته •

قدم مكرم باشا خمس صور لأوامر ادارية لها مضمون واحد ، فهى تتضمن كلها أمرا للسواق أو الساعى ، بأن يملأ البوكسفورد بنزينا ويحمل فيه الورد الى منزل وزير الزراعة !! والغريب أنه لا يوجد أمر واحد عليه امضاء مدير المتحف ، وهو المختص الأول بالتوقيع أو وكيله الذى يقوم مقامه عند غيابه ، أو رئيس السكرتيرية ، أو أى موظف يشغل مركزا رئيسيا • والمعقول أنه اذا غاب المدير فلا يغيب الوكيل ، واذا غاب الاثنان معا فلا يعقل أن يستمر غيابهما من ٩ أغسطس الى ٩ سبتمبر حتى لا يكون هناك أثر لتوقيعهما على الأوامر التى يقول مكرم باشا انها تصدر كل أسبوع •

ومما يستوقف النظر أن كل أمر عليه توقيعات تختلف عن مثيلاتها فى الأمر الآخر ٠ لكن هناك توقيع مشترك فى هذه الأوامر كلها ، هو توقيع جورج الراهب الذى حدثتكم عنه عند الاجابة عن السؤال الخاص بالزهور ، وقلت لكم انه ضبط مساء ٢٢ مارس بوثائق الكتاب الأسود أما باقى التوقيعات فهى للخدم والسعاة ومن اليهم ، أما امضاء مدير المتحف فغير ظاهرة حتى لم يتمكن مكرم باشا نفسه من قراءتها ٠ وهذا يدل على أن جورج الراهب هو الذى كتب هذه الأوامر بخط يده ٠ ثم لما قدمها للسعاة أو السواقين وقعوا عليها لأنهم أميون ويكفيهم أن يعلموا أن الراهب سكرتير المدير قد وقع عليهـــا ، حتى لا يمانعوا فى وضع امضاءاتهم أيضا ٠ ويدل اختلاف هؤلاء الأشخاص فى كل أمر على أن الراهب كان يتصيدهم فى كل مرة ليوقعوا ، ولم يكن هناك أشخاص مختصون بالتوقيع دائما فى كل الأوامر ، بل لا يوجد امضاء واحد لموظف كبير معروف كما سبق أن ذكرت ٠

وقد كان أول أمر من غير توقيع أصلا ، وكان يقضى بأن ترسل الزهور غدا الخميس ١٠ أغسطس الى منزل معالى الوزير كالمعتاد ٠ فهل كانت ترسل هذه الزهور قبل هذا الأمر المزعوم بأمر أو من غير أمر ؟ فان كانت ترسل من غير أمر فما الداعى لهذا الأمر الأخير وما تلاه ؟ وان كانت بأمر فأين هذا الأمر السابق على ١٠ أغسطس ؟

ثم يقول ان هذا الورد يرسل الى قبر المرحوم عبد الواحد الوكيل باشا ، فلماذا لا يفرض أن هذا الورد يرسل الى منزلى ، وما دليله على أنه يرسل من منزلى الى قبر المغفور له عبد الواحد الوكيل باشا ٠ لا دليل عنده الا أنه يرسل كل يوم خميس !!

قد يكون لدى ضيوف ، أو وليمة ، أو استقبال فى هذا اليوم ، فهل ارسال الورد فى هذا اليوم الخاص يدل على أنه انما يرسل الى قبر المرحوم عبد الواحد باشا الوكيل ؟ ثم هذا يقول انه يجل عبد الواحـد باشا الوكيل ويحفظ له أحسن الذكرى ٠ هـــذه هى الذكرى التى يحفظها له ؟ !!

ولعل أظرف شىء أن الأمر الادارى الخاص بتاريـخ ٨/١٩ مذيل بعشرة توقيعات ، فهل يعقل أن أمرا اداريا بارسال كمية من الورد الى الوزير يستوجب التوقيع عليه بعشرة توقيعات منهـا سبعة أو ثمانية لا يمكن قراءتها ؟؟ ان الفكرة هى تسجيل كل توقيع ، فهذا للسائق ، وهذا للجناينى الخ ٠٠٠ فلو كان هذا الأمر باعلان حرب لما احتاج الى كل تلك التوقيعات !! كل هذا من أجل باقة ورد لا تساوى قيمتها أكثر من

خمسة قروش أو عشرة ، كما قال مكرم باشا نفسه فى الجلسة حين تساءل : أمن أجل هذه الأوامر يتكلف المبالغ الكبيرة فى طبع صور لها ؟ ٠

لقد صنع جورج الراهب كل هذه الأوراق ، وها هو يعترف بجرمه فى كتاب وجهه الى معالى وزير المعارف العمومية يحاول أن يثبت فيه براءته ويزعم أنه « كبش الفداء » وقد قرر فى هذا الكتاب أنه منذ اشتغاله بالمتحف فى سنة ١٩٣٨ لم ير أمرا كتابيا بارسال الأزهار الى جهة من الجهات المعتاد ارسالها اليها ٠ ولم نجر العادة باصدار مثل هذه الأوامر ، يقرر جورج الراهب هذه الحقيقة ولكنه ينسى أن امضاءه يزيف كل هذه الأوامر المصطنعة ٠

والواقع أن الزهور ترسل للجمعيات الخيرية والملاجىء والمستشفيات ، ولكل من يطلبها ، واذا أراد مكرم باشا أرسلت اليه . لا تباع ولا تشترى ، وانما تستعمل للزينة ، ويقصد من توزيعها النشر وحث الناس وتشجيعهم على زراعة الزهور ٠

كما يرد وزير الزراعة على موضوع مسكن وزير الدفاع بالمنزل الملحق بمتحف فؤاد الأول الزراعى ، ويرد وزير المواصلات عن اقتراح تعيين فؤاد سراج الدين وكيلا للداخلية ويكون من بين رده ، انه هو الذى اقترح — حقيقة تعيين معالى فؤاد باشا وكيلا للداخلية ، كما اقترح — وزير المواصلات تعيين أحد كبار الموظفين الحاليين فى المنصب الذى يشغله ، وكان ذلك فى جلسة مجلس الوزراء لا قبلها ، وأظن أن رواية مكرم باشا فى كتابه الأسود من أننى اقترحت ذلك على رفعة رئيس الوزراء وباقى الوزراء قد تؤدى الى هذا المعنى لولا المقدمة التى وضعت قصدا ، وهى التى قال فيها مكرم باشا « فقبل انعقاد مجلس الوزراء اقترح أحد الوزراء ٠٠٠ الخ » ليتفادى بوضعها مغبة افشاء أسرار ومداولات مجلس كان هو أحد أعضائه لأن له فى هذا الشأن كلاما أليما وموقفا سجله له علماء الفقه الدستورى وسأذكر سعادته بما قال فى هذا الشأن ان نفعت الذكرى ٠

ولكننى قبل أن أتلو عليه بيانه فى افشاء أسرار المداولات ألفت النظر الى غرضه من العدول عما فى الكتاب الأسود ونسبة ذلك الاقتراح الى صاحب المقام الرفيع رئيس مجلس الوزراء كما فى بيانه فى هذا المجلس الموقر — والغرض ظاهر وهو الوصول الى ربط عملية شراء الأرض التى تمت فى يناير سنة ١٩٤٢ باقتراح تعيين فؤاد سراج الدين باشا وكيلا للداخلية وانى أعلن فى هذا المجلس أننى اذ تقدمت باقتراحى لم يكن لا رئيس الوزراء ولا مكرم باشا ولا أى وزير من وزراء الدولة ولا من غيرهم يعلم شيئا عنه ، وانما تقدمت به مقتنعا بأنه يحقق

هذا المجلس الموقر أننى اذ تقدمت بهذا الاقتراح ما كنت أعلم شيئا عن بيع الأطيان الذى أشار مكرم باشا اليه ولو علمته ما تغير موقفى ولا عدلت عن اقتراحى ، لأننى أردت تحقيق المصلحة العامة وما أردت ولا أريد أن أشتهر عند مكرم باشا بالنزاهة لأننى فى غنى عن هذه الشهرة ولأنها لا تعنى شيئا اذا تعارضت مع اقتناع الضمير ، كما يسرنى أن أفاخر بأننى اقترحت تعيين فؤاد سراج الدين باشا فقد عرفتموه وزيرا شرف المصريين ، وشرف المنصب الوزارى وشرف الوزارة التى ينتمى اليها .

أما ما قاله سعادة المستجوب فى افشاء أسرار مداولات مجلس الوزراء فكلام يستحق أن يدون فى مضابط هذا المجلس .

قال سعادته يوم ١٢ أغسطس سنة ١٩٣٧ يلوم سعادة محمود غالب باشا « أما الكبيرة الأولى فهى أنه سمح لنفسه بأن يذيع على الملأ المداولات السرية لمجلس الوزراء من غير استئذان هذا المجلس فخان الأمانة التى عهدت اليه كوزير وكرجل مسئول ولو أن وزيرا فعل ذلك فى بعض البلاد الغربية لاعتبر عمله جناية يحاكم عليه بمقتضى قانون العقوبات وكذلك فى بلاد العالم أجمع فان افشاء مثل هذه الأسرار محرم اما بحكم القانون أو بحكم الآداب العامة » وقال سعادته « وأخيرا فما الذى دفع بغالب باشا الى نشر بيانه رغما عن كل الكبائر التى ارتكبها فى حق الزمالة . والحقيقة — يقول سعادة غالب باشا ان من حقه أن يدافع عن كرامته ، والمفهوم من ذلك بداهة أنه يرى أن كرامته قد مست لأنه خرج أو أخرج من الوزارة — والمعروف عند العارفين أن سعادة غالب باشا عندما كاشفه الرئيس بنيته استمسك بشدة مؤلمة بوجوب بقائه فى الوزارة فلما يئس من هذا الطلب استفزه الغضب واستمر به الغضب الى يومنا هذا حتى أنه راح يعرض بالوزارة التى كان يتشبث بأهدابها ويرجو ملحا أن يبقى مستمتعا بمنصبه فيها ... رحمة بنفسك يا سيدى الباشا من ثورة الغضب ولقد أنساك انك بالأمس كنت ترجو أن تكون فى زمرة أولئك الذين تقول عنهم اليوم انهم ليسوا من خدام الأمة وانهم يعرضون مصالحها الى الخطر — نريد أن نعرف ما استقر عليه رأيك فهل الخطر على مصالح الأمة فى دخولك الوزارة أم فى خروجك منها ، وهل من المساس بالكرامة أن يخرج الوزير من الوزارة أو أن يغضب لهذا الخروج ؟ تلك أسئلة أرجو أن تتدبرها فى خلوة وفى غير نزوة » انتهى كلام سعادة المستجوب .

أما علماء الفقه الدستورى فقد سجلوا لسعادة المستجوب ما يأتى : « لا يصح للوزراء الحاضرين والسابقين أن يصرحوا بما دار فى مجلس

الوزراء ولا أن يدلوا ببيانات عن كيفية التصويت على قرار من القرارات او فى موضوع من الموضوعات ، وسرية المداولات قاعدة محترمة فى انجلترا من قديم ومتبعة فى فرنسا وغيرها ولو أن بعض الوزراء يخالفها أحيانا — وقد خالف هذه القاعدة عندنا وزير المالية فى الوزارة النحاسية الثالثة مكرم عبيد باشا فى بيانه الذى أدلى به الى الجرائد عن مسألة كادر المعلمين ، كما خالفها صراحة محمود غالب باشا وزير الحقانية السابق فى الوزارة النحاسية الثالثة عندما ذكر أسباب عدم اشراكه فى الوزارة الجديدة التى تألفت فى ١ اغسطس سنه ١٩٣٧ » وأشار المؤلفان الى أن مكرم عبيد باشا أخذ على غالب باشا افشاء المداولات السرية لمجلس الوزراء من غير استئذان هذا المجلس قائلا عن غالب باشا « انه خان الأمانة التى عهدت اليه كوزير وكرجل مسئول » .

وهكذا يتضح لكم يا حضرات النواب سبب وضع المقدمة التى أشرت اليها نقلا عن الكتاب الأسود وهى قول مكرم باشا « فقبل انعقاد مجلس الوزراء ... » لأن مكرم باشا يريد فى سنة ١٩٤٣ أن يفر من كلام مكرم باشا فى ١٢ أغسطس سنة ١٩٣٧ .



الفصل الخامس

نجيب الهلالى الأديب والسياسى
يرد على مكرم عبيد السياسى والاديب
فصل مكرم عبيد من مجلس النواب
فى أول سابقة من نوعها فى التاريخ البرلمانى

ونستأذن فى أن نطيل فى نقل رد نجيب الهلالى على مكرم عبيد فقد كان الرد أدبا وسياسة اتسم بالحدة والعنف على نحو غير مألوف كثيرا فى مجلس البرلمان : قال نجيب الهلالى ٠

ينعى علينا بعض الناعين أننا اهتممنا للكتاب الأسود أكثر مما ينبغى ، وأننا أضعنا ردحا من الزمن فى مناقشته ، وأن دولاب الأعمال فى البرلمان وفى الحكومة قد تعطل بسببه مع أنه كتاب تافه ، وفى الحق أنه كتاب تافه ، بل انه لتافه نجس ، ولكن لا شىء يعطل أكبر الأعمال وأهمها مثل التافه النجس ٠

ففى سنة ١٩٣٨ تعطل فى لندن أكبر مركز لتوليد الكهرباء ، فخيم الظلام الدامس على المدينة الكبيرة ، وانقطعت فيها الحركة ، ووقفت القطر فى الأنفاق ، وتساءل أهل المدينة فى خوف وفزع ماذا حدث ، وانصرف المتخصصون والمهندسون للبحث عن المجرم الأثيم الذى شل حركة لندن ، فاذا بالمجرم الأثيم فأر ضخم أسود ، فلا تعجبوا اذن من أن يشل حركتنا الى حين كتاب أسود ، وسننتهى منه هذه الليلة ويعود دولاب الأعمال الى حركته ، وكما احترق الفأر الأسود الى جانب الأسلاك ، سينتهى الكتاب الأسود ، ٠٠٠ أستغفر الله ! بل سيبقى وراء مكرم عبيد فى حياته ، وسيلاحقه وراء ظهره بعد مماته ، مصداقا لقوله تعالى فى سورة الانشقاق ـ ومكرم زعيم حركة الانشقاق ـ « وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا » ٠

عجبت لحال هذا المستجوب ، فلقد اتهمناه فى ردودنا بتهم معينة ، وسقنا عليها أدلة قاطعة مانعة ساطعة لامعة ، وكان الأولى به أن يبدأ بتطهير نفسه من هذه التهم قبل أن يندفع فى تيار الاتهام لغيره ، ولكنه صمت صمتا بالغا ، ولم يرد على شيء مما اتهمته به ، وهذا اقرار منه بصحته وعجز كامل عن الدفاع . نعم ما كان أولاه وهو المنصف بكل هذه المساوىء أن يسكت عن عيوب الناس ، والا يبشر بالفضائل وهو عار منها ، وما كان أولاه ـ وهو صاحب الكتاب الأسود ـ أن يتمثل بقول أبى الأسود :

يا أيها الرجل المعلم غيره
هلا لنفسك كان ذا التعليم

تصف الدواء لذى السقام وذى الضنى
كيما يصح به وأنت سقيم

لقد اتهمته فى قضية الياس باشا عوض بأنه استحل الأتعاب دون أن يفعل شيئا ، بل ضيع الأوراق والجهود التى بذلتها ، ثم لم يقبل أن يرد ما قبض من أتعاب ، فلم ينبس ببنت شفه ردا على ما اتهمته به ، واتهمته بأنه تقاضى أجرا عن الدفاع فى قضية الوفد من زميل له فى الوفد ، هو المغفور له محمود باشا الاتربى ، فلم يرد على ذلك بكلمة ، واتهمته بأنه أول يوم لتأليف الوزارة طلب منى مد مدة خدمة أحد أقاربه على أن يتم ذلك فى أيام ، فلم يحر جوابا ، واتهمته بأنه ألح على ـ بل بالغ فى الالحاح ـ لأعين زوج شقيقته الدكتور لبيب بولس وكيلا لمستشفى قصر العينى ، فرفضت ورفضت الجامعة ، فلم يجب عن هذا بشيء ، واتهمته بأنه أعاد الكرة فى مسألة الدكتور لبيب بولس ، اذ طلب منى أن أنقل مدير مستشفى الحميات للجامعة ليخلو المكان لزوج شقيقته ، فلم يرد على هذا أيضا ، واتهمته أنه هو وأخوه رجوانى أن أرجو معالى عبد الفتاح الطويل باشا فى تعيين جورج عضوا فى مجلس السكة الحديد الأعلى ، لأن هذا يخدمه فى شركة شل ، فلم يجب بغير السكوت ، ثم ذكرت له فضيحة كبرى هى كبرى الفضائح فى استغلال النفوذ ، تلك أنه وشقيقه قد احتالا على مفتش التعليم الأولى فى قنا ليعدل عن ترشيح نفسه ، وتلوت عليكم كتابا من هذا المفتش كتبه ابان الانتخابات ـ فى فبراير سنة ١٩٤٢ ـ وفيه يذكر لمراقب التعليم الأولى ما حدث بينه وبين جورج ، وأن هذا الأخير قد ألح عليه بمختلف الوسائل كى ينزل عن الترشيح ، ووعده وعدا صريحا بأن يمد له مدة خدمته ، وقال له انه سيرجو فى ذلك وزير المعارف وان وزير المالية يعد بهذا أيضا ، ورجوانى فعلا ، وذكرته

أسماء أعضاء الكتلة الذين رجونى أيضا فى هذا الشأن · كل هذا يمر به مكرم دون أن يجيب بكلمة !! فما هذا السكوت يا ترى ؟ ·

عندما تسكت الحكومة عن واقعة تافهة لا تستحق الذكر فى ردها على سؤال من الأسئلة ، يقول ان هذا السكوت مريب !! فتعـــال أنت يا سيد مكرم وفسر لنا دلالة هذا الســـكوت : أهو اقرار ، أم عجز ، أم استهتار ؟ أم انه يحق لك أن تتهم الناس ، ويجب عليهم أن يدافعوا عن أنفسهم ، وأما أنت فتتهم وليس عليك الدفاع !؟ ·

الواقع أن كل الوقائع التى ذكرتها صحيحة وعليها شهود أحياء من كبار القوم : فعندما أذكر الناس باشا عوض فانما أذكر رجلا على قيد الحياة له مكانته ، وعندما أذكر نجيب باشا محفوظ فانما أتحدث عن رجل على قيد الحياة يعرف مسألته على ابراهيم باشا وغيره من رجال الجامعة ، وعندما أتكلم عن لبيب بولس فانما أتكلم عن قصة عرفها رجال الجامعة جميعا ، ويعرفها الدكتور الدمرداش مدير مستشفى الحميات ، وعنـدما أقول جورج مكرم فانما أشير الى مسألة يعرفها ويستطيع أن يرويها لكم معالى عبد الفتاح باشا الطويل ، أما مسألة الانتخابات فقد أدليت لكم فيها بالتفاصيل ، وتلوت عليكم الكتب الرسمية التى أرسلها المرشح لمراقب التعليم الأولى ، وأرسلها المراقب الى الوزارة ·

ما كان مكرم باشا بمستطيع أن يرد علينا برد ما ، فكان حقا عليه وهو المهلهل الى هذا الحد أن يتخذ من مساوئه عبرة فلا يختلق على الناس المساوىء ، بل لقد كان واجبا عليه أن يسكت عنهم ، ولو كانت فيهم مساوىء ليسكتوا عنه أيضا ·

لقد كان على مكرم أن يطهر نفسه قبل أن يطهر الحكم ، وأن يفكر فيما دمغناه به من الأدلة القاطعة المانعة الساطعة اللامعة ·

اتهمنى مكرم بالاشتغال بالمحاماة وأنا وزير ، فرددت عليه بوقائع ايجابية ، وبشهود أحياء مثل صليب سامى باشا والأستاذ سابا حبشى بك والأستاذ زكى عريبى والأستاذ عمر عمر والبندارى باشا ·· الخ ، فلم يرد على هذا بأكثر من أنه فى استجوابه المكتوب الذى قدمه للمجلس تملص من ذكر هذه التهمة ·

ادعى مكرم باشا كذلك أنى حرصت فى تعيينات الجامعة ، وتعييناته كلية الطب ، على وجه الخصوص ، على أن أرضى (محاسيب) رفعة رئيس الحكومة (ومحاسيبى) وانى هبطت بمســتوى التعليم الى حد السقوط

الى آخر الأبد ! « وهكذا يكون الطفيليون السياسيون نكبة على بلادهم وعلى الحكم كما كانوا نكبة على مصطفى النحاس فوق نكبته ! » ٠

هكذا يقول مكرم باشا ، وقد بينت لحضراتكم كيف نمت التعيينات فى الجامعة وكلية الطب ، وكيف أن وزير المعارف نزل عن اختصاصه وعن ابداء أى رأى بهذا الصدد ، فلم يفعل أكثر من المصادقة على ما فعله الفنيون ٠ فماذا كان رد مكرم باشا على هذا ؟ واذا كان سعادة الرئيس لا يسمح بأن أصفه بأوصافه التى يستحقها فانى أقول : ماذا قال الملاك القديس الطاهر ردا على بيانى ، لم يقل شيئا واذن تبخرت هذه التهمة أيضا ، والمنطق يقول بعد هذا انه كان مفتريا لا محالة حين اتهمنى تهمة استحققت من أجلها أن أكون نكبة على الوطن ، بل كان هو النكبة ٠

لقد قال عن المجانية انها توزع ذات اليمين وذات الشمال ، حسب رغبات الشيوخ والنواب والأصدقاء والأقارب ، وقد رددت على ذلك أمام حضراتكم ، فلم يجبنى ، بل خرج بالصمت عن لا ونعم ، فلم يبق فى حقيبته الا البيت الذى يسكنه رفعة النحاس باشا ٠ ومادام حقده على مصطفى النحاس لا يتركه أبدا ، بل يستعر فى قلبه ، فلابد له أن يتشبث بهذه المسألة دون غيرها ٠ فلأعرضها على حضراتكم ، ولا أريد أن أكرر ما قلته فى الرد على السؤال ، وانما أرد على ما قاله أثناء نظر استجوابه ٠

لقد هلل وكبر ، واستعجب واستغرب ، وقرر أن بيت جاردن سيتى هو آية فنية وبناء نموذجى لدور التعليم ٠

فاسمحوا لى يا حضرات النواب أن أرد عليه كما يرد على الأطفال لأنه فى معلوماته عن المعارف كالأطفال ٠٠ ألم يقل ان ذلك المعهد نموذجى ، وان الحكومة أنفقت عليه الألوف المؤلفة من الجنيهات ؟ وأؤكد لكم أنى حين قرأت عبارة الألوف المؤلفة فى الكتاب الأسود وسمعتها فى الاستجواب لعب فى عبى الفار ، كما يقول المثل ٠

والواقع أنى لم أنشىء هذا المعهد ، ولست مسئولا عن فكرة انشائه فقد تم انشاؤه فى سنة ١٩٣٩ فى عهد غيرنا ، ولذلك طلبت من تفتيش « مبانى قبلى القاهرة » أن يمدنى بكشف يبين تفصيلات النفقات التى صرفت لاعداد هذا المنزل معهدا للتدبير المنزلى ــ وها هو الكشف بين يدى يتبين منه أن كل ما أنفق على هذا المنزل فى سنة ١٩٣٩ هو مبلغ ٥٣٥ جنيها و ٩١١ مليما فقط ، فأين هى الألوف المؤلفة ؟ اتضح أنها فرية بلا نزاع ، كما اتضح أن مكرم باشا يرسل الكلام على عواهنه ولا يتحرى الصدق والحق فيما يقول ٠ فاسمعوا تفصيلات هذه النفقات !

اشتريت « أحواض » ليغسل فيها التلميذات أيديهن « ووابور مكوى ووابور مطبخ » فكان ثمن هذه الأشياء ٢٤٢ جنيها و ٣٨٥ مليما ، وهى ملك للمعهد انتقلت معه الى بولاق ، كذلك اشترى « منشر » للملابس المغسولة ثمنه ١٧ جنيها و ٧٧٥ مليما ، وقد نقل أيضا مع المعهد ، كذلك اشترى حوض لغسل الأوانى ثمنه ٢٠ جنيها و ٦٣٣ مليما ثم رخام للمناضد ثمنه ١٧ جنيها و ٣٤٧ مليما ، وكل هذه الأشياء نقلت الى مقر المعهد الجديد ، ومجموع ثمنها ٣٩٨ جنيها و ١٤٠ مليما فلم يبق من المبلغ الأصلى الا مبلغ ١٣٧ جنيها و ٧٧١ مليما أنفق فى نقل المدرجات وتركيبها الخ ، وهذا المبلغ الأخير هو الذى يمكن أن نقول انه قد صرف اعدادا للبيت ليكون مدرسة ، انظروا يا حضرات النواب المحترمين : ١٣٧ جنيها تنقلب فى نظر هذا الملاك القديس الصادق الأمين الى آلاف مؤلفة ! ثم هو بعد ذلك يقول : صدقونى ، ويشكو من الأوصاف التى وصفته بها ٠

لقد اعتبر مكرم باشا نقل هذا المعهد نكبة وخرابا على مصر ، لأنها كانت تفاخر به الشرق كله ونباهى به أوروبا !! ولماذا كل هذا يا حضرات النواب المحترمين ؟ يجيبكم مكرم باشا بأن مجموعة من الصور « ألبوم » أخذت للمعهد وأرسلت الى مؤتمر التربية فى جنيف ، ولا يعقل أن تفعل الحكومة ذلك الا اذا كان المعهد مما تفاخر به مصر جميع الأمم ٠

هذه الواقعة مكذوبة من ألفها الى يائها ، وأرانى الآن مضطرا الى أن أفعل ما فعله رفعة الرئيس أمس حين عرض عليكم الفرو فها هو ذلكم « الألبوم » فانظروا ٠

ثم ان المعرض الدولى الذى حدثكم عنه مكرم باشا أقيم فى يوليه سنة ١٩٣٩ والمدرسة أنشئت فى سبتمبر سنة ١٩٣٩ ، وبدأت فيها الدراسة فى أكتوبر سنة ١٩٣٩ ، ولكن الملاك والقديس الطاهر الصادق الأمين يأبى الا أن يجعل من الحبة قبة !! ويظهر أن موظفا حدثه فى هذا الشأن فعلق عليه بقدر ما يسمح له ذهنه لأن أفكاره فى التربية والتعليم ليست شيئا مذكورا ٠

وحقيقة المسألة يا حضرات النواب المحترمين أن لدينا متحفا نجمع فيه كل الصور الخاصة بالتعليم ، سواء أكانت حسنة أم رديئة ، ان لم تكن للمباهاة فللتاريخ ٠ فأخذت صورا لمعهد التربية لتوضع فى هذا المتحف استكمالا لتاريخ التعليم فى مصر ، حتى يستطيع المؤرخ بمشاهدة الصور أن يكون فكرته فى الموضوع الذى يعالجه ٠ وقد جرت العادة على أن وزارات المعارف تتبادل هذه الصور مع البلاد الأخرى على طريقة

الاهداء ، فأرسلنا سنة ١٩٤٠ ــ ١٩٤١ صورة من « ألبوم » المعهد الى متحف جنيف جريا على هذه العادة ، فلا معرض دولى ! ولا مباهاة ! ولا أكبر معجزة في الشرق ! وانما هى مجموعة من الصور أرسلت الى متحف ، كما يرسل كتاب من مكتبة الى أخرى ٠

لقد ألح مكرم باشا فى الكلام عن هذه المسألة وأفرغ جهده فيها ولما كان جو الجلسة وقتئذ مضطربا لم أستطع متابعته ، فرجعت الى كلامه فى المضبطة فوجدته غزلا وتشبيبا بالمعهد واشادة بالفخامة والجمال والذوق والفن !! وهو لا يستمد وحى هذه الأوصاف الخلابة الا مما دلت عليه الصور من أفران وتماثيل وصور وقد صرح بذلك تصريحا ! فهل اخذ رفعة مصطفى النحاس باشا فرنا أو تمثالا أو صورة ؟ كلا ! فجميع تلك الأشياء لا نزال بالمعهد ، ولم يفقد المعهد والحمد لله شيئا مما يدل على الفخامة وجمال الذوق والفن ، ولا يعقل أن يكون مكرم باشا قد تعشق بالجدران والحيطان !

لقد نقل المعهد مع ثلاثة معاهد أخرى الى مكانه الجديد ، فليذهب مكرم باشا الى هناك ليراها مجتمعة كالكواكب تزداد وهى مجتمعة اشراقا وجمالا ، ويقوى بعضها بعضا . ولكن مكرم باشا لا يريد شيئا من هذا ، لأن المعهد فى مكانه القديم كان فى زعمه مضرب الأمثال ، وقد عز على أولياء أمور التلاميذ أن ينقل ، لأن مكانه كان فخما مستكملا كل معدات البذخ والترف ، ألا فلتعلموا يا حضرات النواب المحترمين أن البذخ والترف كانا من أهم الأسباب ، بل لعلهما كانا السبب الوحيد الذى أقنعنى فى نقل المعهد ٠

نعم كان الأسلوب الذى اتخذه هذا المعهد من البذخ والاسراف والتغالى فى الاعداد لا يناسب الروح المطلوبة فى تخريج المعلمات اللاتى لا يزيد مرتب الواحدة منهن بعد تخرجهن على سبعة جنيهات أو ثمانية ، ووالله لو أراد ابنى أو ابن لأحدكم الزواج باحداهن لما استطاع أن ينفق عليها كما كان ينفق عليها فى هذا المعهد ٠ ولقد وجد المراقب العام لتعليم البنات أن الاستمرار على هذا النظام مفسدة لأخلاق المعلمات ومبعد لهن عن البيئة التى تلائمهن ٠ انظروا كيف يسمى هذا المعهد معهد التدبير بينما لا تدل حالته الا على أنه معهد للتبذير ؟! ولكى تتبينوا هذا المعنى تماما أقول لحضراتكم انه وقع فى يدى مصادفة قصاصة من جريدة الصباح الصادرة فى ٨ أكتوبر سنة ١٩٤٢ فاسترعت نظرى كلمة جاءت فيها عن وزارة المعارف أتلوها على حضراتكم :

« فى حى قصر الدوبارة ، قصر فخم ، كنت ألاحظ كلما مررت به فى طريقى الى منزلى ، صباحا أو ظهرا ، أو غروبا ، أن روائح المأكولات

التسهية تنبعث منه ، والدخان يتناثر من مطبخ هذا القصر الى حديقته ، فالى الشارع ، فالى أنوف الجيران ، ونحن منهم لحسن الحظ ، وكنت وكان الجيران معى ، نظن أن أحد أثرياء الريف يسكن هذا القصر ، وأن المطبخ يواصل الليل بالنهار - فى طهى (المشويات) و (الحلويات) للضيوف الذين يتوافدون على القصر لتحية الساكن العظيم !! ... وأخيرا ظهر لنا أن هذا القصر يسكنه (معهد التدبير المنزلى) وأن وزاره المعارف هى التى تديره وأن المطابخ التى كنا نستمتع بالروائح الزكية المبعثة منها صباحا وظهرا وعصرا لم تكن على حساب أحد أثرياء الريف كما ظننا - وبعض الظن اثم - انما كانت على حساب وزارة المعارف العمومية ...

قلت لمحدثى - وهو عظيم من العظماء الذين يبعثون بفتياتهم الى هذا المعهد العظيم - ان طالبات المعهد كلهن من بنات العظماء ولسن فى حاجة الى طعام من المعهد أو شراب ، ووقت الدراسة فى المعهد لا يزيد على ثلاث او أربع ساعات فى اليـوم . فلماذا هـذه النفقات للمطابخ أو لمن تطبخ المطـــابخ ؟!

قال - ان كل الحصص فى هذا المعهد عبارة عن تمرينات للفتيات على طبخ الخضر واللحـوم والطيـور والحـلوى والتطريز والكى ، فكل مسسريات المطبخ اليومية لصنع الطعام والحلوى على نفقة المعارف وكذلك أثمان الأقمشة التى تستعمل للتمرين على الكى والتطريز ...

ومن هذا يتبين لنا أن وزارة المعارف ربما بلغت نفقاتها على هذا المعهد حوالى المائتى الجنيه شهريا تدفعها ثمنا للطيور واللحوم والخضر فى هذا المطبخ ، فهل كانت المأكولات التى تطبخها الطالبات وكانت تتكلف هذه النفقات الطائلة ترسل الى المستشفيات والملاجىء يوميا ، أو الى أين كانت تذهب ؟؟ » .

فكتبت عليها فى ١٤ أكتوبر « حضرة حسن بك فائق أرجو التكلم معى فى الموضوع بصفة مستعجلة » أى قبل ظهور الكتاب الأسود ، ولقد بحث المراقب هذه المسألة ، فرأى ان الوزارة تنفق على البذخ والتبذير فى هذا المعهد آلاف الجنيهات ، مع وجوب أن يكون اعداد المعلمات متمشيا مع الحالة الاجتماعية والاقتصادية والمعيشية لطبقة الشعب المتوسط على الأكثر ، ووجوب اتباع نظم وتطبيق طرق التدريس مناسبة للبيوت المصرية العادية ولميزانيتها الخاصة .

لهذا قلت لحضراتكم ان الرجال الفنيين فى وزارة المعارف رأوا أنه لا يصح تعويد المعلمـات معيشة الاسراف والترف ، بل يجب تعويدهن التدبير والاقتصاد ، وقد طلبت بيانا بالنفقات التى تنفق على هذا المعهد

فوجدت أن ايراده يبلغ ٢٨٠ جنيها ، وأن نفقاته تبلغ ٧٨٠٤ جنيهات ، وأن عدد الطالبات ١٢٠ طالبة ، ١٤ منهن تدفعن المصروفات وقدرها عشرون جنيها للطالبة ، وباقيهن يتعلمن بالمجان ، فهالني هذا المبلغ الكبير .

ولقد بينت لكم في اجابتي السابقة أنه بضم المعاهد بعضها لبعض أمكننا أن ننشيء أربعة معاهد جديدة دون أن نحمل الميزانية شيئا ، وهي روضة أطفال بحي الجيزة ، ومدرسة ابتدائية للبنات بحي سيدنا الحسين ، ومدرسة ثقافة نسوية ثالثة في القاهرة ، ومدرسة للفنون الطرزية الراقية بعد فصلها عن القسم الابتدائي ، فبهذا الضم أمكن انشاء هذه المعـاهد الأربعـة التي كانت ستكلف خزانة الدولة ما لا يقـل عن عشرين ألف جنيـه .

أبعد هذا يقول مكرم باشا ان نقل المعهد كان نكبة على مصر ؟! ولو كان مكرم باشا يريد أن ينتقد حقا لكان واجبا عليه أن يدقق قليلا ، فقد علمتم أن رفعة النحاس باشا هو الذى حرض المعلمات على تقديم عريضة احتجاج على هذا النقل تقع في ثلاث صفحات ، وكلها أسباب فنية ، ولو أتيح لمكرم باشا أن يطلع على هذه العريضة لخطب فيها ثلاثة أيام ، ولكنها كانت في مكتبي ، أما استشهادي بهذه العريضة فلأقول لمكرم باشا ان الأحرى به أن يقلل من المباهاة بنفسه الى حد ما ، فلو اطلع عليها لعلم أن هؤلاء السيدات أقدر كثيرا من كبير المحامين .

وقد خلص مكرم باشا من هاتين النقطتين الى نقطة ثالثة ، وهي شكوى مرة من وزير المعارف الذى وصفه بالمفترى والكيذبان !! قال عني « يخطيء وهو الخاطيء » وظل يعيدها مع أنني أفهمته أن الخاطيء هو المجرم .

قال مكرم باشا ليس صحيحا « انني قلت في نوبة حازمة حاسمة أخلى المعهد » بل النوبة الحازمة الحاسمة كانت في موضع آخر غير الاخلاء ، وهو قرار التشتيت وتنقلات المعاهد ، اذ استغرق الاخلاء شهرا من الزمان ويعجب كيف ذكرنا ان قوله هذا كان منصبا على الاخلاء . ولو كان الأمر كما يدعى لحق أن يكون وزير المعارف هو الكيذبان . ولكن أمامنا مضبطة الجلسة ثابتا فيها قوله « واذا بالبنات تطرد بين يوم وليلة » وليس في شهر من الزمان ، ولو تجاوزنا عن المضبطة لاحتمال أن يكون ما بها زلة لسان ، لوجدنا أنه ــ في الكتاب الأسود يقول « فماذا لو أخرج البنات في الحال وبلا امهال » فهل بعد هذا أكون قد افتريت عليه كذبا ؟!

ولنصدقه جدلا أنه قصد بالنوبة الحازمة الحاسمة القرار لا الاخلاء ، ولننظر أينا الكيذبان ، انه نقل في الكتاب الأسود قرارا صدر من وزير

المعارف وبه ثمانية بنود ، ووقع عليه من جميع الموظفين المختصين بما فيهم الوزير فى يوم واحد ، بل فى صبيحة يوم واحد بل فى ساعات معدودات. والحقيقة أن كل موضوع من هذه الموضوعات التى ورد ذكرها فى البنود الثمانية بحث على حدة وانقضت شهور وأيام فى درسه وتمحيصه ، وبعد أن عرض وفصل فيه وفى امثاله جمعت كلها فى قرار واحد . ومن المعقول والحالة هذه ان يمضى القرار فى يوم واحد .

لقد سبق أن قلت لكم عن المعهد ان حضرة مراقب تعليم البنات قدم مذكرة قال فيها انه فكر فى ضم معاهد التربية الأربعة للبنات من سنة ١٩٤١ ، وانه عرض الفكرة على المستشار الفنى فى أغسطس سنه ١٩٤٢ عقب انتهاء السنة الدراسية ، وانه اجتمع هو وسعادة المستشار بسعادة وكيل الوزارة المساعد عدة جلسات ولما انتهوا الى قرار كتبوا به محضرا ووقعوه فى ١٤ سبتمبر سنة ١٩٤٢ ثم عرض هذا القرار على الوزير فوقعه فى ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٤٢ فهذه مسألة واحدة من الثمانية ، فانظروا الأدوار العديدة التى مرت بها حتى تحققت . وهاكم الأوراق الرسمية ــ مذكرة المراقب ، والمحضر ، وقرار ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٤٢ ــ لتتبينوا صحة ما نقول .

وجميع المسائل الأخرى مثلها مثل مسألة المعهد ، أخذت كل منها طريقها فى الدرس والتمحيص ، وأبدى فيها المختصون آراءهم ، ثم جمعت كلها ليكون التبليغ تبليغا واحدا . ولكن مكرم باشا يرى أنه ما دام القرار قد أمضى فى يوم واحد فتكون كل هذه الأدوار قد مرت كذلك فى يوم واحد !!!

والعجيب فى الأمر أن مكرم باشا فسر القرار تفسيرا سمجا ، اذ يقول ان ثمانى مدارس قد شتتت . فاسمعوا ما ذكره فى كتابه الأسود من صورة القرار :

أولا : فتح روضة أطفال بحى الجيزة ، فهل الفتح تشتيت ؟! .

ثانيا : انشاء مدرسة ابتدائية للبنات فى حى سيدنا الحسين فكيف يمكن أن يكون الانشاء تشتيتا ؟!

ثالثا : أن تبقى مدرسة الفنون الطرزية فى مكانها ، ومتى كان البقاء فى نفس المكان تشتيتا ؟!!!

رابعا : مدرسة مصر الجديدة للبنات بقسميها الابتدائى والثانوى . فقد ازداد اقبال الطالبات على المدرسة حتى ضاقت بهن وكان من أثر ذلك أن حول كثير منهن الى العباسية ففصلت الوزارة القسم الابتدائى

عن الثانوى . وأصبحت المدرسة كلها مخصصة للقسم الثانوى ، ونقل القسم الابتدائى الى مكان آخر ، فهل يعتبر هذا تشتيتا مع أن فيه راحة الأهالى والطالبات ٠

هذه أربعة من ثمانية بنود ، أما الأربعة الأخرى فهى خاصة بالمعاهد الأربعة التى جمعت فى مكان واحد ٠ فهل ايجاد مكان جديد لمدرسة جديدة لم تخلق بعد ، أو بقاء مدرسة فى مكانها يعتبر تشتيتا ؟ أليس هذا دليلا على نية الافتراء وتعمده ؟ وهذا هو القرار الذى يهول فيه مكرم باشا ويقول : يا مولاى انظروا كيف قلقلوا التعليم ، والى أى حد أصابه الاضطراب ؟

لقد ظهر لكم يا حضرات النواب المحترمين أن الحركة التى أجريت ان هى الا حركة عامة قامت بها مراقبة البنات خاصة بمدارس القاهرة جميعها ، وهى عبارة عن السياسة العامة لحضرة الكردانى بك الذى عين مراقبا للبنات فى سنة ١٩٤١ ويلاحظ أن حضرته عين مراقبا فى العهد الماضى . وقد أمضى سنة فى مراقبة البنات ، فكانت هذه السياسة زبدة تجاربه ، فلما استقر رأيه على اجراء هذا الاصلاح تقدم بسياسة عامة اقترحها ، ولذلك جاء فى مذكرته « أنه بمناسبة ضم المعاهد وانشاء مدارس جديدة ومنهامدرسة الحسينية وغيرها ٠٠٠ الخ » ولكن مكرم باشا يغفل ذكر هذا كله ويقول ان السبب كله هو سكن النحاس باشا للمنزل ! أليس هذا افتراء صريحا يا حضرات النواب ؟

تكلم مكرم باشا فى الجلسة الماضية عن مدرسة الحسينية وقال انهم يدعون على الأهالى المساكين أنهم طلبوها ، ونحن نحمد الله أن النائب المحترم السيد أمين حسين الصياد حاضر معنا الآن ، فقد قابلنى وتكلم معى بخصوص انشاء مدرسة جديدة بحى الحسينية ، ولكن مكرم باشا يقول ان الأهالى مساكين كما قال عن الوزراء انهم مساكين ، فكأن الكل مساكين ما عداه ، يخربها ويقعد على تلها ٠

فهل أنا المفترى ؟ يطلب الأهالى انشاء مدرسة فيقول انهم لم يطلبوها مع أن السيد أمين الصياد جاءنى وقال لى انى أعرض عليك رغبة أهالى قسم الجمالية وقدم لى عريضة مؤرخة ٥ سبتمبر سنة ١٩٤٢ ، ومكتوبة على الآلة الكاتبة ، ومذيلة بامضاء السيد أمين حسين الصياد نائب الجمالية ٠

حولت هذا الموضوع على الكردانى بك لبحثه وعرض ما يراه على فى هذا الشأن ٠ وفى يوم ١٤ سبتمبر كتب الى أنه فحص الموضوع فتبين له أن مدارس البنين الثلاث بباب الشعرية والجمالية والسلحدار تسع

بسهولة تلاميذ مدرسة النحاسين التي هي بجوارها ، فيمكن بذلك تحويل مدرسة النحاسين الابتدائية للبنين الى مدرسة بنات ، وذلك في حدود الميزانية الحالية للوزارة • وقد أشرت على الطلب بالموافقة في التاريخ ذاته •

نسأل مكرم باشا : ما علاقة مدرسة الحسينية التي هي في قسم الجماليه ، وهو يسميه حي سيدنا الحسين ، بمعهد التدبير المنزلي للبنات بجاردن سيتي ، وهو يدعى أننا قلقلنا تلاميذ مدرسة النحاسين وأنشأنا مدرسة للبنات لا لشيء الا لاخلاء سكن للنحاس باشا في جاردن سيتي ، وما هي العلاقة بين الاثنين ؟ لا أفهم وأعوذ بالله من هذا العقل السخيف •

أنتقل الآن الى مدرسة مصر الجديدة •

تكلم أيضا مكرم باشا عن مدرسة مصر الجديدة فقال انظروا للبند ٨ وهو خطير حيث ينص على أن المدرسة التي تحتوى على قسم ابتدائي وقسم ثانوى يجب أن يفصل فيها القسم الابتدائي عن الثانوى ويدبر له مكان لكثرة الطلبات في تلك المدرسة • وانى كوزير للمعارف أعلم أن الاطفال أو البنات أو الأولاد بالمدارس يجب أن يكونوا من أعمار متقاربة ، فلا نسمح بالجمع بين الأولاد الكبار والصغار ، أو بنت صغيرة مع أخرى كبيرة في فصل واحد ، وعدم الجمع هذا ، ان لم يكن لضيق المكان وعدم اتساعه ، يجب أن يتم لدواع فنية • فبدأنا من أجل هذا بايجاد مبنى للمدرسة الابتدائية للبنات في مصر الجديدة ، فأخذ مكرم باشا هذا علينا قائلا كيف تستأجرون ، ولديكم بيت قد أخلى بجاردن سيتي ؟! تصوروا حضراتكم هذا الكلام الذى يلقى على عواهنه دون تبصر •

كيف أطلب من رجل عنده بنت ، ويقيم بمصر الجديدة أن يرسل ابنته الى جاردن سيتي ؟ ان مكرم لم يقصد بكلامه هذا الا أن يقول ان منزل النحاس باشا كان يغنى عن مدرسة مصر الجديدة وفي هذا كان سخيفا أيضـا •

لم يقتصر على ما تقدم بل قال ان الوزارة ــ رغم امكانها استعمال منزل جاردن سـيتي مدرسـة نموذجية للبنين ــ استولت بمقتضى أمر عسكرى على منزل بحدائق القبة وان الاستيلاء تم بتاريخ ١٠ أكتوبر ، وتدرج من ذلك الى القول بأن الغرض من كل هذا هو تمكين رفعة النحاس باشا من الانتفاع بسكنى منزل جاردن سيتي •

اسمعوا حضراتكم شيئا عن المدرسة النموذجية : أنشأنا منذ عشر سنوات مدرسـة نموذجية بحدائق القبة ــ أليس كذلك يا تكلا بك ــ والمدرسة كانت تدعى أولا بالمدرسة التجريبية ، وقصدنا بذلك أن نجعلها

تابعة لمعهد التربية للرجال ، تجرى فيها تجارب فى مختلف طرق التعليم وتبتكر الطرق الحديثة للموازنة بين هذه الطرق وبين الطرق المتبعة بالفعل، حتى اذا ما تبين انها أسلم وأصلح وجب اتباعها دون سواها ٠

ولكن الأهالى لم ترق فى نظرهم تلك التسمية لأن اسم المدرسة فى ذاته يتضمن معنى التجربة ٠ فرفضوا الاقبال عليها ٠ وكان لسان حالهم يردد المثل البلدى « حتتعلموا الحلاقة فى رؤوس اليتامى » فازاء هذا الامتناع لم تجد وزارة المعارف أمامها الا أن تعمل على ترغيب الأهالى فى هذا النوع من التعلم ، فغيرت اسم المدرسة من « تجريبيه » الى « نموذجية » لكى يفهم معناها على أنها أنموذجية لباقى المدارس أى أحسنها ، وقد نجحت الوزارة فى ذلك اذ أقبل الأهالى على ارسال أولادهم الى المدرسه النموذجية٠

وبعد أن أتموا الدراسة الابتدائية وحصلوا على شهادتها كان ضروريا وطبيعيا أن نهيىء لهم تعليما نموذجيا ثانويا ٠

بناء على ذلك أنشئت فرقة للسنة الأولى بمدرسة فاروق الأول الثانوية بالعباسية واشترط ألا يقبل فيها الا الأولاد الذين حصلوا على شهادة الدراسة الابتدائيه من المدرسة التجريبية بحدائق القبة ٠

ولكن نظرا لأن المدرسة قائمة بالقرب من مدرسة الفنون التطبيقيه بالعباسية فالمسافة بعيدة جدا على أولاد صغار – تتراوح سنهم بين احدى عشرة واثنتى عشرة سنة – يسكنون فى حدائق القبة ، اذ فضلا عن صعوبة المواصلات فان فى انتقالهم كل يوم من حدائق القبة الى العباسية تعريضا لهم لأخطار الطريق – الأمر الذى شكا منه أولياء أمورهم مر الشكوى ، وعندما وليت أمر وزارة المعارف قدمت الى شكاوى عديدة بهذا الخصوص ، ولذلك صممت على انشاء مدرسة نموذجية ثانوية فى حدائق القبة ابتداء من السنة الدراسية ١٩٤٢/١٩٤٣ حتى اذا انتهى التلميذ من المدرسة الابتدائية انتقل الى المدرسة الثانوية دون أدنى مشقة وفى نفس الحى ٠

هذا ما فكرت فيه وما وعدت بعمله ولكن الأهالى بالرغم من ذلك قالوا ان هذا وزير قد يسهو عن الوفاء لكثرة مشاغله فقابلنى وفد كبير منهم قبيل افتتاح الدراسة راجين سرعة البت فى هذا الموضوع ٠

وان لم أستطع ذكر أسماء جميع من تقدموا من الأهالى الذين يطلبون انشاء قسم ثانوى بحدائق القبة فانى أذكر أسماء بعض العظماء ومنهم سعادة حافظ عفيفى فقد أمضى عريضة مع بعض الأشخاص لهذا الغرض وكذلك تقدم الى سعادة حسين السيوفى باشا وحضرة محمود بك السيوفى يرجوان فيها فتح مدرسة ثانوية بحدائق القبة ، ليس هذا فقط ، بل تقدم

الى بعض الموظفين فى دار السفارة البريطانية ومنهم شكر الله ميخائيل افندى بعريضه يقول فيها ان عنده أولاد سيحصلون على الشهادة الابتدائية من مدرسة حدائق القبة النموذجية ومن الصعب تكليفهم الذهاب كل صباح ومساء لمدرسة العباسية ولقد أرفقت هذه العريضة الأخيرة بتوصية من السير سمارت يقول فيها انه ما قبل التوصية فى هذا الموضوع ، الا لأن المسألة مسألة انسانية ، أما العرائض التى أشرت اليها والدالة على صحة ما ذكرته لحضراتكم فموجودة عند محمد بك رفعت الذى كان متغيبا فى السودان ولكنى علمت اليوم من الصحف أنه حضر ، وسأستحضر منه هذه الأوراق وأودعها مكتب المجلس • وها هى أوراق من الموظفين المختصين تثبت صحة تقديم هذه العرائض •

يقول مكرم كيف تستأجرون مكانا فى حدائق القبة رغم وجود مكان خال فى جاردن سيتى ؟ ان الرد على ذلك بسيط وهو أنه ليس من المعقول أن أنقل الى جاردن سيتى مدرسة يشكو أولياء أمور التلاميذ من وجودها فى العباسية بعيدة عن حدائق القبة • انى لو فعلت كما أراد مكرم لرمانى الناس بالجنـون وكذلك يعيب على مكرم أننى أصـدرت أمرا عسـكريا بالاستيلاء على المنزل وهول بأننى أخرجت منه بالقوة كرام الناس • والواقع أنه لو علم أن بين هؤلاء السكان أقرباء لحضرة النائب المحترم ابراهيم الغنيمى بك وأنسباء رفعة الرئيس لما وصفهم بهذا الوصف ، ولسر بنقلهم •

صحيح أننى استصدرت أمرا عسكريا باخلاء المنزل ، وهو الأول من نوعه ــ لأن الثانى لم ينفذ ــ وقد استصدرناه بسبب الضرورة القصوى لايجاد مكان لهذه المدرسة بعد أن بحثنا عن مكان لها طوال شهر ونصف• والى حضراتكم تفصيل ما اضطرنا الى الاستيلاء على المنزل المشار اليه :

وفقنا الى استئجار منزل بايجار شهرى قدره ٦٠ جنيها وما زال معالى كامل صدقى باشا ــ رغم اتفاقى مع المالك على الايجار ــ مصرا على أن يكون الايجار ٥٠ جنيها فقط •

بعد ذلك جاءت مشكلة السكان ، فكلفت صاحب الملك بأن يتفق معهم ، وهم عديدون ، ولكن بعض السكان ــ وليسوا نسايب النحاس باشا ــ لما وجدوا أن الحكومة قد استأجرت المنزل ، أرادوا استغلال الموقف الى أقصى حد حتى ان أحد السكان على الرغم من ايجاد مسكن آخر له ، رفض الاخلاء الا اذا أعطى ٢٠٠ جنيه بصفة « خلو رجل » معتقدا أن هذه فرصة يجب انتهازها •

لما علمت بهذه الواقعة ، عهدت الى اسماعيل القبانى بك ناظر معهد التربية للبنين بتحقيقها فحققها واتضحت صحتها وكتب تقريرا بذلك ،

ولقد اتصلت تليفونيا بسعادة المحافظ وشرحت له الموضوع وأعلمته بأن اسماعيل القبانى بك آت اليه ومعه تقرير ، وأخبرته بأن المقصود من الأمر العسكرى هم السكان لا المالك ، لأن بعض السكان بعدما اتفقوا مع المالك على الاخلاء عدلوا وطمعوا فى أن يأخذوا عوضا مقابل الاخلاء — على الرغم من ايجاد مساكن لهم — مع أننا فى حاجة شديدة الى المبنى لجعله مدرسة ، وبناء على ذلك تم الاخلاء ٠

اعترض علينا مكرم وقال ما هذا العمل السيىء الذى يعمله وزير المعارف ؟ ولماذا لا تنقل المدرسة الى منزل جاردن سيتى بدلا من اخراج السكان من مساكنهم ؟ ثم قال ان هناك جريمة أخطر وهى نقل المدرسة وقلقلة التلاميذ فى شهر أكتوبر أى فى ابان الدراسة مع أن الواجب كان يقضى باجراء النقل فى العطلة الصيفية ، مهلا يا مكرم فأنت — وعقليتك عقلية أطفال فى التعليم — كان يجب — قبل أن توجه النقد — أن تعلم أنه بسبب شهر رمضان ابتدأت الدراسة فى ١٧ أكتوبر فى جميع مدارس وزارة المعارف العمومية على مختلف أنواعها بما فيها الجامعه ، وكان ذلك بمقتضى قرار وزارى صادر فى ٤ يونيه سنة ١٩٤٢ ، وكان المعهد موجودا وقتها فى المكان الجديد وابتدأت الدراسة فى ميعادها ، فلم ينتج عن عمل الوزير أى ضرر وانما أنت الذى تفترى عليه ٠

أنا لا أريد أن أكرر ما قلته فى ردى على سؤال سابق وشرحته بالتفصيل ، وتناوله النحاس باشا فى بيانه ولكن لكى أثبت أن عقلية مكرم غير منتظمة فانى أفرض جدلا أنى متواطىء مع النحاس باشا فى أن أسكنه هذا المنزل وان الموظفين كلهم متواطئون معى — وما كنت أريد التعرض لهؤلاء الموظفين — غير أن خبثه هو الذى دفعنى الى ذلك لأنه يقول انه لما قرأ امضاء شفيق غبريال ظنه شفيق غربال وهذا الاسم الذى زعم أنه لم يتبين حقيقته اسم معروف مشهور عندنا نحن المحامين فى قضية البنك التجارى وبخاصة عند مكرم باشا الذى طنطن فيه ، وبنى عليه أهم سبب من أسباب الرد لأنه شقيق عبد اللطيف غربال بك القاضى فى القضية ، وقد بنى سبب من أسباب الرد على ترقيته الى وكيل وزارة مساعد (يكاد المريب أن يقول خذونى) ٠

هل معقول يا مكرم باشا أنى اذا أردت التواطؤ لمصلحة النحاس باشا أتواطأ مع شفيق غربال المونور المشترك معى فى هذه الفضيحة ؟! ولو كان هذا صحيحا فكيف أعمل على ابعاده عن مركزه وارجاعه أستاذا فى الجامعة ، وأحرمه من أن يكون وكيلا مساعدا للوزارة ؟! أظن أنه لم يصل بى الخبل الى هذا الحد ، وانما هو الخبل الذى وصل بمكرم الى هذا الادعاء ٠

ولو كنت متواطئا معه لما نقلته الى وظيفة أقل من وظيفته بعد هذا التواطؤ بأيام ٠

اننا نعمل فى وضح النهار ولا نخشى عدوا أو صديقا ، ولا نحابى رئيس الوزراء ٠

قال مكرم بعد ذلك ان هناك جريمة من أكبر الجرائم ٠ هناك جريمة الثلاجة التى استولى عليها رفعة النحاس باشا ٠ شىء بارد ٠ ثم انتقل حضرته من محام الى رجل فنى فى الثلاجات والتحويل والكهرباء والفولتاج ومر على الدكاكين وعلى المصريين والأجانب وقال ان الناس اعتبروا ردى على مسألة الثلاجة فضيحة الفضائح وكان شأنه فى ذلك شأنه فى كل شىء عندما يريد التهويش ٠ قلت قد يكون مكرم على حق ففوق كل ذى علم عليم واستدعيت اخصائيا فى مسائل الثلاجات والكهرباء وقلت له اكتب لى تقريرا عن هذا الموضوع ــ وها هو أودعه مكتب المجلس لاطلاع حضراتكم عليه ــ والى حضراتكم خلاصة ما ورد به : ان نقل الفريجيدير من جهة الى جهة أخرى يستدعى احتراسا شديدا فى النقل ٠ وتغيير الفولتاج يتطلب عمل تحويل لا تقل تكاليفه عن عشرة جنيهات اذا كان الموتور صالحا (وقد دهشت من أن مكرم لم يغالط فى تكاليف التحويل كعادته فقدرها بنصف القيمة التى قررها الخبير) أما اذا احتاج الموتور الى تغيير فقد يتكلف وحده ثلاثين جنيها على الأقل فكأن تكاليف الانتفاع بالفريجيدير فى مكانها الأصلى قد تصل الى قيمة ثمنها الأصلى ٠

انه من الخبل يا حضرات النواب أن يقال انه كان من جراء هــذا الاستبقاء خسارة على الحكومة ٠ ليس هذا فقط ، بل انظروا الى الأدلة المتهافتة المائعة التى أراد مكرم أن يدلل بها على صحة ما ذكره ٠ آتى حضرته بفاتورة بثلاثين قرشا ذكر فيها أنها أجرة نقل الثلاجة من الدور الأول الى الدور الثانى ، وقال ان هذا المبلغ ربما يكون أجرة نقل الثلاجة من بولاق الى جاردن سيتى ٠

يعنى أنها من أهل الخطوة ٠

فالذى قاله الخبير هو ما قالته لى ناظرة المعهد بعد نقله الى بولاق سنة ١٩٤١ ، فقد شكت لى من أن الفرن الكهربائى فسد نهائيا بعــد نقله ، عند عمل التحويل اللازم بسبب اختلاف الفولت ٠ وقالت ليتنا تركناه مكانه بمسكن رفعة رئيس الوزراء ٠ ولا يزال هذا الفرن معطلا الى اليوم ، ويمكن مكرم باشا أن يعاينه اذا أراد ٠ فهل خدمنا الحكومة بهذا النقل ؟! ٠

بقيت مسألة الثريتين — وهما ليستا من ثريات السماء — فقد أدرج ثمنهما بكشف الحساب المطلوب من رفعة النحاس باشا ، واحداهما بمبلغ ٣ر٥ جنيه ، والأخرى بمبلغ ٤ر٥ جنيه وهما أقل بكثير من ثريات منزل مكرم باشا ٠

ولما أريد نقل هاتين الثريتين تبين أنهما ستحتاجان الى لمبات جديدة ، وقد ارتفعت أسعارها ارتفاعا كبيرا وقد لا يوجد النوع الملائم ، فضلا عن أن المعهد فى غنى عنهما لأن به أثاثات كثيرة وفيرة وغير مستعملة وتزيد على الحاجة بعد أن ضمت المعاهد الأربعة بأثاثاتها بعضها الى بعض فى مبنى واحد ٠ ولا اخال رفعة النحاس باشا اذا طمع فى شىء أن يطمع فى ثريتين لا يزيد ثمنهما على ثمانية جنيهات ٠

قال مكرم باشا بعد هذا ، ان وزير المعارف أجرم لأنه سكت سكوتا مريبا عما أنفقته الحكومة على الاصلاح والترميم فلم يذكر مقدار ما خص الحكومة وما خص رفعة النحاس باشا فى هذا الترميم والاصلاح ٠

وقد كان أصل السؤال الموجه الينا فى هذا الشأن هو : هل قام رفعة النحاس باشا بدفع ما يخصه فى تلك التكاليف أولا ؟ فكان ردى هو أن رفعته قد دفع قيمة ما يخصه فى تلك التكاليف بشيك فى ١٨ مارس سنة ١٩٤٣ بمبلغ ٨٧٠ جنيها مصريا ٠

ومع أن السؤال لم يكن يقتضى أن أبين حساب الحكومة فيما عمل على نفقتها ، فقد قلت فى الرد ان الحكومة قامت بعمل الاصلاحات التى كانت ملزمة باجرائها بمقتضى العقد ، وأودعت المجلس كشفا بما أنفقته الحكومة وما يخص رفعة الباشا فى هذه النفقات ، فلم أسكت سكوتا مريبا كما قال حضرته ، وانما هو الذى يتصيد التهم وما علم بالمبلغ الا من الكشف الذى أودعته وكان سببا فى أن يكشف لعينيه كل ما جاء فيه ٠

قال بعد ذلك ان ما تحملته الحكومة هو مبلغ جسيم جدا ، وانى أقول سواء أكان المبلغ كبيرا أم صغيرا فهو انما صرف تنفيذا لشروط العقد فى أن نعيد البيت ، فى حالة اخلائه ، الى ما كان عليه أى ليكون مسكنا ، وعندما زرنا المعهد وكان معنا معالى عثمان محرم باشا وجدنا فى بعض الغرف أحواضا كثيرة لغسل الملابس ، وغرفا أخرى مخصصة للطبخ ، وحمامات ، ولابد من رفع هذه الأشياء واعداد الغرف ليكون المنزل صالحا للسكنى ، سواء أسكنه رفعة النحاس باشا أم غيره ٠ أما ما تكبدته الحكومة فى هذا العمل فهو مبلغ ١١٤٤ جنيها لا غير ، ويستكثر مكرم باشا هذا المبلغ ولا يستكثر مبلغ ٤٣٧٥ جنيها أنفقته

الحكومة على منزل فى سنة ١٩٤١ دون أن تكون مضطرة الى ذلك تنفيذا لشروط عقد أو التزام ، ولو كانت الحكومة قامت بنقل المعهد فى سنة ١٩٤١ لما تكبدت فى سبيل اصلاح المنزل نصف هذه المصاريف أو أقل . ومن هذا يتبين أن نسبة ما صرف على منزل نبلغ حوالى تسعة أضعاف ما صرف على منزل المدرسة .

فهل من العدل أن يتعاضى مكرم باشا عن ذلك المبلغ الجسيم الذى صرفته الحكومة فى سنه ١٩٤١ دون أن تكون ملزمة بذلك ، ثم يستنكر المبلغ الذى صرف تنفيذا للعقد ؟! ليس هذا فقط ، بل يقول مكرم عبيد انه وقعت حوادث هى داهية الدواهى وهى أن النحاس باشا لم يمض الشيك بالمبلغ المستحق الا فى ١٨ مارس ، ثم أخذ يخبط خبطا عشوائيا . ويتكلم عن تاريخ امضاء هذا الشيك ، وتاريخ ضبط حافظة مستندات العريضة التى كانت تطبع ، وتاريخ تحويل العريضة من السراى الى رفعة رئيس الوزراء ويربط هذه التواريخ بعضها ببعض تهويشا للأفكار ، فيجعل من ضبط الحافظة تارة ، ومن تحويل العريضة من السراى تارة أخرى ، سببا فى كتابة السيك مع أن الشيك كتب فى ١٨ مارس أى قبل وقوع هاتين الحادثتين فقد ضبطت الحافظة فى ٢٢ مارس ، وكان تحويل العريضة فى ١٠ أبريل فكيف يكون السبب فى امضاء الشيك هو ضبط الحافظة أو تحويل العريضة ، الا اذا قلنا أن المعلول يوجد قبل العلة وان الأثر يوجد قبل السبب . وهو قول لا يصدر الا عن محام كبير كمكرم عبيد باشا . ولقد قلت له كما قال له أيضا عثمان محرم باشا ان كشوف الاستلام المؤقت مؤرخة فى ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٤٢ وليست فى مارس أو أبريل ، وان هذه الكشوف مبين بها توزيع ما هو مستحق على رفعة النحاس باشا من النفقات ، وما هو مستحق على المالكة وما هو مستحق على الوزارة ، ولقد أبلغت مصلحة المبانى هذه التفاصيل الى وزارة الأشغال فى أول فبراير سنة ١٩٤٣ أى قبل ١٨ مارس وقبل ٢٢ مارس وقبل ١٠ أبريل فكيف يمكن القول بأن النحاس باشا كان ينوى عدم دفعها ، مع أن الوزارة قد احتسبتها عليه فى أوراق رسمية من يوم ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٤٢ .

كذلك قلت له فى ردى اننى حررت خطابا الى عثمان محرم باشا فى ١٦ فبراير سنة ١٩٤٣ هذا نصه :

« عزيزى معالى وزير الأشغال

أتشرف بأن أرسل لمعاليكم الملف الخاص باخلاء المبنى الذى كانت تقيم به مدرسة التدبير المنزلى بجاردن سيتى رجاء توزيع المبلغ الذى أنفق

فى الاصلاحات على المالكة والوزارة ورفعه المستأجر طبقا لنصوص العقد مع تدبير المبلغ اللازم على الحكومة بمقتضى العقد من ميزانية وزارة الأشغال لأن وزارة المعارف لبس فى ميزانيتها ما يسمح بخصم المبلغ المذكور ٠

١٦ فبراير سنة ١٩٤٣

فكيف يقال بعد ذلك ان النحاس باشا أخر الشيك لأنه كان ينوى عدم تسديد هذا المبلغ ؟ لقد صدم مكرم باشا بهذه الحجج طبعا ، فأخذ يتهافت ويتخاذل ويتمايع ويستنكر أنه يتهم النحاس باشا بالمماطلة ، فبماذا يتهمه اذن ؟ لقد رأيتم أن الحكومة لم تسكت عما يستحق لها قبل النحاس باشا كما هو ظاهر من الكشـــوف المحررة فى نوفمبر ٠ واذن فالأمر ان هو الا مماحكة من مكرم باشا ٠

حضرات النواب المحترمين :

هذه هى جميع التهم التى كالها لى مكرم ، وها هى ردودى ٠ وقد نزل عن معظمها ، ولم يتشبث فى استجوابه الا بتهمة واحدة تمسك فيها بالفتات البسيط ونسى « الطبخة الأصلية » ٠

وانى لازلت أرى أن مكرم قد هرب من الميدان هروبا مخزيا ، وكان الأولى به أن يدافع عن نفسه فيما وجهناه اليه من تهم صريحة ، قدمنـــا عليها الأدلة القاطعة ، ومن عجب أن يفر من هذه التهم فيكون فراره تسليما واعترافا منه بما فيه من عيوب ، ثم يظل ثلاثة أيام كاملة يبشر بيننا بالفضائل ، وبما يجب وما ينبغى أن تكون عليه الحكومة ، حتى انه لم يتورع عن اتهام مصطفى النحاس باشا ، بأنه أعطى رخصة للخمر ٠ وقد ذكرنى موقفه هذا بقول أبى العلاء المعرى فى الخمر ، وهو قول ينطبق على مكرم باشا تماما ٠ ولذلك لم أرد أن أحرم المجلس من ســـــماع هذين البيتين وهما :

« يحرم فيهم الصهباء صـــبحا   ويشربهـــا على عمد مســـاء »
« اذا فعـــل الفتى ما عنـــه ينهى   فمن جهتين لا جهـــــة أســاء »

ويكون رد وزير العـدل آخر الردود على مكرم عبيـد باشا وتكون العبارات التالية آخر ما جاء فى رد وزير العدل ما أنكر مكرم باشا من النحاس الا أنه تغير عليه نعم لم يتغير فى قلب النحاس باشا وفى فى نفسه شىء من مقاييس النزاهة ، وانما تغير شىء واحد هو مقياس النحاس لنزاهة مكرم وكفاءته وبقائه فى الوزارة ٠ هذا هو الذى تغير ٠ فاذا كان مكرم قد أنكر من كان يترنم به ، فلا عيب أن تنكر العين ضوء الشمس ٠

ومن يـك ذا فم مر مريض   يجد مرا به الماء الزلالا

أنكر مكرم باشا على النحاس باشا أنه أقام بالباخرة محاسن ردحا من الزمن ، وتكلم زملائي فذهبوا الى عهد سري باشا والأستاذ ابراهيم عبد الهادى وعبد الفتاح يحيى باشا وغيرهم · لا يا سادة ، وقفة هنا ، فما كان لرفعة النحاس باشا أن يقلد هؤلاء ، أو أن يتخذ مقاييس النزاهة وتقاليد النزاهة من أحد هؤلاء ·

النحاس خليفه سعد ، وقد استمد هذه التقاليد من سعد نفسه ، واليكم البيان ·

بتاريخ ١٩٢٦/٩/١٧ الى ١٩٢٦/١١/٨ كانت الباخرة دندرة تحت أمر المغفور له سعد باشا بمسجد وصيف ، وكانت الباخرة محاسن من ١٩٢٧/٨/١٦ الى ١٩٢٧/٨/٣٠ فى مسجد وصيف وعادت بالمغفور له سعد زغلول باسا الى القاهرة · هذه البيانات طلبتها اليـــوم من وزارة الأشغال لأننى صحبت سعدا فى الأشهر الأخيرة قبل وفاته ، وكنت مقيما أنا والدكتور أحمد ماهر باشا والنقراشى باشا وعبد الرحمن عزام بك والدكتور نجيب اسكندر حينا من الزمن فى ضيافة المغفور له سعد باشا فى هذه الباخرة ·

وما كان لسعد ، وأنتم تعلمون مبلغ حرصه على مبـــادىء النزاهة والكرامة والشرف ، ما كان له أن يستعملها الا لأنه كان يعلم أن له حقا فى استعمالها والانتفاع بها · فالمقياس الذى اتخذه النحاس باشا للشرف والنزاهة كان مستمدا من سعد لا من غير سعد · فاذا حاول مكرم اليوم أن يطعن فى رفعة النحاس باشا فهو انما ينبش القبور ويطعن فى سعد ·

اذا انتهينا من كل ذلك فماذا بقي من الكتاب وصاحبه ؟ ان كان لصاحبه أثر هنا فى البرلمان فلكتابه أثر ، وانى لأفتح عينى فلا أجد له هنا أثرا ، ولا أجد له فى قلوبكم أثرا ، ولا لكتابه ذكرا ! ·

فليبق الكتاب الأســود ، عنوانا لليل اذا عسعس ، وللكذاب اذا تدنس ، وللشيطان اذا وسوس ، وللسياسى اذا أفلس ·

ونعرض على مجلس النواب مشروع القرار التالى :

« بعد سماع ما ألقاه حضرة المستجوب عرضا وتعليقا على الموضوعات التى أثارها فى استجوابه المبنى على كتابه الأسود ·

وبعد سماع الردود والاجابات التى أدلى بها حضرات الوزراء عامة ، وحضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا خاصة : شرحا وتعليقا وبيانا وتحديدا لما ورد على لســـان المستجوب فى استجوابه ، وعلى قلم المستجوب فى كتابه ٠

وبعد الاطـــلاع على المستندات والمكاتبات والوثائق الخاصـــة بهذه الموضوعات التى سبق أن سارعت الحكومة الى ايداعها مكتب المجلس حتى يطلع عليها من يشاء ٠

يسجل المجلس ما تبين له من الحقائق والملاحظات الآتية :

أولا — ان الحكومة قد سارعت الى مناقشة الاستجواب فورا بمجرد تقديمه ، وكان رفعة رئيس الحكومة قد صرح قبل ذلك فى المجلسين عقب أن أبلغت اليه العريضة من ديوان جلالة الملك أى منذ أكثر من شــهر ، عدم نزاهة الحكم ، وما فرعه عليهما من جميع التهم الأخرى الواردة فى الاستجواب أو العريضة أو الكتاب الأسود ٠

ويقرر المجلس عدم صحة هذه التهم جميعها ٠

ثانيا — يعلن المجلس من جديد ثقته التامة بحضرة صاحب المقـــام الرفيع مصطفى النحاس باشا رئيس مجلس الوزراء ، وحضرات أصحاب المعالى الوزراء ، هيئة وأفرادا ٠

كما يعلن المجلس أسفه الشديد لما نالهم على يد مكرم عبيد باشا من بغى ظالم وتجن أثيم : وهم خدام الشعب المخلصون ، والوطنيون الأمناء الصادقون ٠

وبعد أخذ الرأى بالمناداة بالاســم أجمع ١٧٦ نائبـا وهم جميع النواب الحاضرين بالجلسة (جلسة ٢٣ مايو ١٩٤٣) على الثقة بالوزارة ما عدا عشرة وزراء من النواب لم يعطوا أصواتهم ويلقى مصطفى النحاس باشا كلمة بمناسبة اعلان الثقة بالوزارة قال فيها :

اخوانى المحترمين ، فى ختـــام كلمتى أمس قلت لكم : ان الأمر أمركم ، والحكم لكم ، فقولوا كلمتكم ، وعندما تقولونها يفرح المؤمنـــون بنصر الله ، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ٠

قلتم الآن كلمتكم ، ونطقتم بالحق ، بل أنطقكم الله به ، فالله هو الحق ، ولا ينطقكم الا بالحق ، لأن فى عنقكم أمانة لاخوانكم ، أمانة لبـــلادكم ، أمانة لأمتكم ، وعلى الخصوص فى هذه الظروف القاسية ، وتلك المحنـة الشديدة ٠

نعم نطقتم بالحق ، فحق لنا أن نفرح ، ونحن المؤمنون بنصر الله ، هذا النصر المبين · نصر الحق على الباطل ، نصر الحق الوضاح على الباطل الفضاح ·

نرجو الله سبحانه وتعالى ـ وقد أعجزنا عن شكركم ـ أن يوفقنا جميعا الى ما فيه خيرنا وخيركم ، وخير بلادنا على النهج الذى اسـتنناه لأنفسنا ، نهج الحق · نهج الوضوح · نهج النور · نهج العمل لخـدمة البلاد ، وخدمة الحرية ، وخدمة الديمقراطية الصـحيحة لوجه الله دون سواه ، والسلام عليكم ورحمة الله ·

وبتاريخ ١٩٤٣/٧/١٢ يعقد مجلس النواب جلسة يفتتحها الرئيس بقوله :

بعد أن صدر قرار ٢٣ مايو الماضى الذى فصل فى استجواب مكرم باشا وما تضمنه كتابه الأسود كان لزاما على مكتب المجلس أن ينظر فى أمره على ضوء هذا القرار فعقد ثلاث جلسات وتباحث فى القرار من جميع النواحى طبقـا لروح الدستور وما تقتضيه صيانة الحيـاة النيـابية من العبث ، والمحافظة على كرامة العضوية ، تلك الكرامة التى تأبى الاساءة الى سمعة البلاد ومصالحها العليا بسوء قصد وبغير وجه حق · وانتهى الأمر بالمكتب الى اتخاذ قرار باقتراح يقضى بفصل حضرة النائب المحترم مكرم عبيد باشا نائب قنا من عضوية المجلس وها هو ذا القرار سيعرضه النائب المحترم الأستاذ عمر عمر وكيل المجلس على حضراتكم ·

ويتلو الأستاذ عمر عمر مشروع القرار التالى :

« بما أن المجلس قد سجل فى قراره الذى أصدره بتاريخ ٢٣ مايو سنة ١٩٤٣ على حضرة النائب مكرم عبيد باشا أنه سلك مسلكا يتنافى مع الصدق والنزاهة والأمانة وصحة الحكم على الناس والأشياء ، والتجأ الى سلاح الاختلاق ومسخ الوقائع وتشويهها ·

وبما أن المجلس قد قرر استنكاره الشديد لهذا المسلك الشـائن واعتبر أن مكرم عبيد باشا أسوأ مثل للنائب منذ قامت فى البلاد الحياة النيابية فى سنة ١٩٢٤ اذ استسلم للأحقاد وشهوة الانتقام واعتدى على سمعة الأبرياء على حساب سمعة البلاد ومصلحتها العليا ·

وبما أنه كان منتظرا بعد هذا القرار أن يفكر مكرم عبيد باشا فى المعانى التى تستخلص منه وأهمها أن وجوده بالمجلس أصبح وضعا غير طبيعى لكنه لزم الصمت فوجب أن يتخذ المجلس قرارا فى هذا الشأن وأن يعرض مكتب المجلس عليه وجهة نظره فى الأمر ·

وبما أن مكرم عبيد باشا لم يصبح بعد قرار ٢٣ مايو سنة ١٩٤٣ جديرا بشرف النيابة عن الأمة ويتعين فصله من عضوية المجلس بالتطبيق للمادة (١١٢) من الدستور .

لذلك :

يقترح المكتب على هيئة المجلس فصل نائب قنا مكرم عبيد باشا من عضويته » .

الرئيس – أسفر أخذ الرأى عن الموافقة على فصل سعادة مكرم عبيد باشا من عضوية المجلس بأغلبية ٢٠٨ أصوات ضد ١٧ صوتا .

وبما أن العدد الواجب توافره هو ثلاثة أرباع أعضاء المجلس أى ١٩٨ صوتا ، وقد زادت الأصوات عن هذا العدد ، فيقرر المجلس فصل حضرة نائب قنا مكرم عبيد باشا ويعلن خلو الدائرة .

وكانت أول سابقة فى حياتنا النيابية اذ تم فصل أحد النواب لأنه تجرأ فقدم استجوابا عنيفا ضد الوزارة القائمة بالحكم .



البـاب السادس

الفصل الأول

من تقرير لجنة التحقيق الوزارية في الوقائع والتصرفات الماسة

بنزاهة الحكم فى عهد وزارة النحاس باشا
٤ فبراير ١٩٤٢ ، ٣ أكتوبر ١٩٤٤

ولم يبق أمامنا لكى ننهى الحديث فى الكتاب الأبيض ، والكتاب الأسود وما أثير فيهما من موضوعات خاصة بسياسة حكومة الوفد التى شكلت فى ٤ فبراير ١٩٤٢ والتى أقيلت فى ٨ أكتوبر ١٩٤٤ .

لم يبق لنا الا تناول تقرير لجنة التحقيق الوزارية فى الوقائع والتصرفات الماسة بنزاهة الحكم فى عهد الوزارة النحاسية الأخيرة .

وكانت وزارة أحمد ماهر باشا التى شكلت فى ٨ فبراير ١٩٤٤ قد اهتمت بهذا الموضوع بناء على الحاح شديد من مكرم عبيد باشا وزير المالية فى تلك الوزارة وأحد أقطاب العهد الجديد الذى جاء بعد اقالة وزارة النحاس باشا على أن يرد موضوع تاليف لجنة التحقيق هذه ضمن خطاب العرش الذى ألقاه ماهر باشا ونيابة عن الملك فى بداية تشكيل مجلس النواب الجديد .

وقد وافق مجلس الوزراء بجلسته المنعقدة مساء يوم ٢٨ أكتوبر ١٩٤٤ على تأليف لجنة التحقيق تلك برئاسة وزير المالية وعضوية وزير التموين والنائب العام لدى المحاكم الأهلية والمستشار الملكى المساعد باقسام قضايا الحكومة .

وقد نص قرار تشكيل اللجنة على « أنه بعد الاطلاع على مذكرة معالى وزير المالية التى ذكر فيها وقائع محددة وتصرفات خطيرة صدرت من الوزارة الماضية أو وقعت فى عهدها مما له مساس بنزاهة الحكم وبما أن

هذه المذكرة قد أشارت الى وقائع أخرى وتصرفات لا تقل عنهـــا خطرا مما يدعو الى اجراء تحقيق دقيق فيها جميعا حتى يتضح وجه الحق فيها وتتحدد المسئولية ويتعين المسئولون عنها ٠

ونص القرار أيضا على أن مهمة هذه اللجنة فحص وتحقيق ما ورد فى مذكرة وزير المالية وغيرها من التصرفات التى وقعت فى عهد الوزارة السابقة وتمس نزاهة الحكم وقد وقع قرار تشكيل اللجنة رئيس مجلس الوزراء أحمد ماهر ، وقد انتدبت اللجنة الأستاذ محمود حسنين مخلوف المحامى بأقسام قضايا الحكومة سكرتيرا خاصا لها ، وقد قرر مجلس الوزراء بجلسته المنعقدة فى ١٢ يونيو ١٩٤٥ احالة تقرير لجنة التحقيق الوزارية تلك الى مجلس النواب تطبيقا لنص المادة ٦٦ من الدستور ٠

وبناء على ما ورد فى خطاب العرش فى افتتاح الدورة البرلمانيــة وقد جاء فى بداية تقرير اللجنة وتحت عنوان نظرة تمهيدية ٠

وقد وقع هذه « النظرة التمهيـــدية » كل من مكرم عبيد (وزير المالية) ، طه السباعى (وزير التموين) عبد الرحمن الطويل (النائب العام) ، طه السيد نصر (المستشار الملكى المساعد) ٠

« تنفيذا لقرار مجلس الوزراء الصــادر بجلسة ٢٨ أكتوبر ســنة ١٩٤٤ بتشكيل لجنة وزارية لتحقق ما أسند الى الوزارة النحاســـية الأخيرة من تصرفات تتنافى مع نزاهة الحكم ٠

عقدت اللجنة عدة جلسات خلال الشهور الأربعة الماضية ، فحصت فيها ما عرض عليها ــ أو ما وقفت عليه ــ من وقائع ومستندات ، كمــا استدعت من اقتضى التحقيق سماع أقوالهم من مصريين وأجانب ، وكان من بين هؤلاء كثيرون من الموظفين ، فتبين للجنـة من تسلسل الوقائع ، ومن تنوعها وتشعبها ، أن المساوىء التى عهد الى اللجنة القيام بتحقيقها تكاد تنبو عن الحصر ــ فاذا ما تيسر حصرها على اختلاف وتعدد أنواعها ، تعذر تحقيقها جميعها فى الوقت الضيق ، والنطاق الضيق ، اللذين عملت اللجنة فى حدودهما ٠

والواقع الذى لا يسع اللجنة الا تسجيله ــ مع بالغ الحزن والأسف ــ أن فضائح العهــد الماضى ، لفرط جرأة أصحابها واســتهتارهم بكل مسئولية ، لم تكن مقصورة على الحاكمين ومن اليهم من المحسوبين عليهم من الأقرباء والأنسباء ، بل تعدتهم الى محيط أوسع شمل الكثيرين من أعضاء الهيئات النيابية والموظفين والأهلين ــ وقد ساهموا جميعا فى هذه العمليات ــ كل بسهمه اما كشريك ، أو كعميل ، أو كوسيط ٠

ولقد كانت النتيجة المحتومة لذلك النشاط المشئوم أن العهد نفسه طُبع بطابع الاستغلال المعيب لتلك الفرص العابرة ، والنـــادرة ـ التى أتاحتها الحرب وساعدت الأحوال الاستثنائية على اقتناصها ، فاقتنصها القناصون توفيرا للشراء من غير أبوابه ، وللجاه من غير أسبابه ٠

ومن ثم راجت في ذلك العهد الاستثنائى الاستثناءات على اختلاف أنواعها ، فتطرقت بادىء ذى بدء الى مناصب الموظفين على نحو شاذ من المحسوبية المستهترة كالتى قطع فيها قانون الاستثناءات بالغائهـا ، ثم امتدت عقليـة الاستثناء ووليدتها شـهوة الاسـتغلال الى بعض الوزراء والشيوخ والنواب ، أو أصحاب الحظوة ممن يمتون اليهم بنســـب أو بسبب ، على صورة بغيضة من الاتجار بالحكم وبالمصلحة العامة فى سبيل ثرائهم الخاص ٠ وأخيرا بلغت الحالة أقصاها خارج الحكم بين أفراد الشعب حتى ألف الناس الاتجار بالغذاء والكساء فى السوق السوداء ، مطمئنين الى انهم فى منجاة من العقاب ، مادام السبيل الى المال ميسرا ، ومادام فى مقدورهم أن يجزلوا منه العطاء أو الجزاء لأصحاب النفوذ ، على اختـــلاف أنواعهم وأطماعهم ، الذين ضربوا للناس أسوأ الأمثلة على الاتجار بسلطان الوظيفة ونزاهة الحكم ٠

ولذلك لم تكد اللجنة تشرع فى عملها ، حتى انهالت عليها شتى التبليغات عن الكبائر والصغائر من المساوىء والتصرفات الشاذة المريبة ، فما كانت لتنتهى من فحص واقعة واحدة حتى تعقبهـــا وقائع غيرها من مثلها ـ هذا الى أن دراسة الملفات الخاصة ببعض الفضائح كانت تكشف عن فضائح تشابهها ، وتنير السبيل الى غيرها ، فتضـــطر اللجنة الى تحقيقها هى أيضا ٠٠ وهكذا تتابعت المخازى وتلاحقت المساوىء حتى أصبحت اللجنة واذا هى أمام وقائع متكاثرة ، متغايرة ، وأصبح همهـا الأكبر هو الحيدة فى الاختيار ، لا الحاجة الى الاختيار ٠٠٠

ازاء ذلك رأت اللجنة أن تحصر عنايتها فى تحقيق بعض النماذج البارزة من هذه المساوىء ، وتمحيص الأدلة القائمة عليهـــا ، حتى اذا ما ثبتت الادانة بالأدلة القاطعة ـ وقد كان بعضها بخط المتهمين وتوقيعهم ـ تحددت المسئولية وتحدد المسئولون ٠

تلك الصعوبة الأولى التى واجهت اللجنة ـ ونعنى بها صعوبة الحصر فيما كاد أن ينبـو عن الحصر ـ غير أن اللجنـــة قد اعترضتها صـعوبة أخرى ـ هى صعوبة تتبع بعض الأدلة حتى نهايتها فى جرائم ارتكبها قوم من أولى الأمر وأصحاب النفوذ ـ وما من شك فى أن هذه الصعوبة ترجع الى أن أصحاب النفوذ المشار اليهم كانت تحميهم حصانة مثلثة الجوانب :

أولا ــ حصانة الحكم : التى مكنتهم من استخدام نفوذهم لا للثراء فحسب ، بل لتغطية وسائلهم المعيبة الى هذا الثراء ·

ثانيا ــ حصانة الخبرة القــــانونية : فان أكثر الوزراء وغيرهم من أصحاب النفوذ كانوا وياللأسف من رجال القانون يستخدمون خبرتهم به للتحايل عليه ، فكانوا يلبسون تصرفاتهم غير المشروعة ، لباس القانون والشريعة ، فى غير ما اكتراث بالعبرة الأزلية التى تجعل من باطلهم ومن كل باطل سبيلا الى الحق ، ومن الزور سببلا الى النور ·

ثالثا ــ حصانة الأحكام العرفية : فقد استخدموا الأوامر العسكرية والأحكام العرفية وسيلة فعالة لا لتيسير مآربهم فحسب بل لاخفاء معايبهم عن أعين الأمة ، فكانوا يستخدمون الرقابة على النشر ليخلعوا على الحرام ثوب الحلال ، وعلى الوزراء رداء الفخر ، حتى يكسبوا فى وقت واحد حرام المتعة ، وحلال السمعة ! ···

وأخيرا ، فقد واجهت اللجنة صعوبة عملية أخرى فى تحقيقاتهــا ضد المتهمين ــ هى أن بعض الموظفين أنفسهم الذين عاونوهم أو يسروا لهم السبيل كرها أو طوعا ، كانوا يتحاشون الافضاء الى اللجنة بتفصيل ما وقع منهم أو مر عليهم من تصرفات شاذة محوطة بالريب والشكوك ، دفعا للمسئولية ومظنة العقاب ·

وكذلك كان الحال فيما يختص ببعض الشهود الذين اتصلت مصالحهم الخاصة من قريب أو من بعيد بهذه المساوىء ، فقــــد كان الكثيرون منهم يحجمون عن الادلاء بمعلوماتهم الصريحة عما اقترفه ذو النفوذ من جرائم أو ما ارتكبوه من آثام ضد نزاهة الحكم أو نزاهة التعامل ، خشـــــية الاضرار بمصالحهم الخاصة أو التعرض للأذى ، أيا كان مصدره ·

غير أنه بالرغم مما اعترض اللجنة من مختلف الصــــــعوبات التى أوجزنا الاشارة اليها ، وبالرغم مما لجأ اليه الحاكمون وشركاؤهم من احكام فى التدبير ، وفى التصدير ــ فقد وفقت اللجنة الى تحقيق واثبات وقائع عديدة ذات مساس خطير بنزاهة أولئك الحاكمين ومن اليهم من المقربين ، الذين شاء الله أن يفلت من أيديهم زمام تصرفاتهم فيثبت عليهم وزرها من الناحية الأدبية ، كما شاء أن يعمى بصائرهم فى البعض القليل منهــــا فيقعوا غير مبصرين فى مسئوليات جنائية ، بالرغم من كل ما تذرعوا به من تحايل على نصوص القانون ، وتحوط ضد أحكام القانون ·

وسنرى فيما يلى أن الأوزار التى نعتناها بأنها أدبيــة ان لم تزد خطورة عن الأوزار الجنائية ، فمن الناحية الانسانية ــ شخصية كانت

أو نظامية ، وبغض النظر عن كل مسئولية قانونية ـ ليس أشد اجراما من حاكم ارتضت ذمته أن ينتهب غذاء الشعب أو كساءه استنادا الى رخصة قانونية يستبيحها لنفسه أو يصدرها لأهله فلا يجد سبيلا الى الثراء والتزيد من الثراء الا من حطام الفقراء أو المحرومين ٠٠٠٠ والى الشبع والنهم فى الشبع الا من قوت الجائعين ، والى الكساء والبذخ فى الكساء الا من لباس العرايا والمعدمين ٠٠٠

نعم ، ليس أشد اجراما من ذلك الحاكم الذى يستغل الحكم لمصلحة الحاكمين دون المحكومين ـ أو قل الخادمين دون المخدومين ـ حتى ولو لم ينص القانون على عقوبة لهذا الاجرام ـ فما كان النقص فى القانون ليخفف من وزر النقيصة بل لعله يزيدها وزرا على وزر ٠

بناء على ذلك ، وبناء على ما تبينته اللجنة من الخطورة البالغة التى تحوط وقائع استغلال النفوذ وتمس نزاهة الحكم فى الصميم ـ رأت اللجنة أن تسجل فى تقريرها ـ الى جانب الأوزار الجنائية التى يعاقب عليها قانون العقوبات ـ تلك الأوزار الأدبية الخطيرة عسى أن يلقى أصحابها القصاص الأدبى والسياسى الذى تستحقه جرائمهم ـ كما رأت أن تطلب فى تقريرها استصدار تشريع يعاقب جنائيا على استغلال النفوذ ، أيا كانت صورة هذا الاستغلال ، ويحاسب الوزراء والموظفين عن مصادر ثرائهم ابان تولى وظائفهم ٠

ولما كان « الكتاب الأسود فى العهد الأسود » أول نذير بفضائح ذلك العهد ـ وكانت الوزارة السابقة قد عمدت الى تكذيب الفضائح المسندة اليها فى أجوبتها التى جمعتها فى « كتاب أبيض » ، فقد رأت اللجنة أن تحقق هذه الوقائع الخطيرة على ضوء الاثبات والتكذيب ٠ ورجعت فى ذلك الى المستندات التى استند اليها الكتاب الأسود ، ولم تكتف بها بل استحضرت الملفات الحكومية المتصلة بهذه الموضوعات ودرستها دراسة دقيقة فى تقرير مرفق مع هذا ، فتبين لها أن جميع الوقائع الماسة بنزاهة الحكم والتى حققتها اللجنة كانت صحيحة وصادقة جملة وتفصيلا ٠ وانه اذا كان هناك نقص فى بعض وقائعها ، فهو انها لم تلم بجميع المساوىء المحيطة بها كما دلت على ذلك الملفات الحكومية التى اطلعت عليها اللجنة ولم يكن ميسورا لواضع الكتاب الأسود فى ذلك الوقت أن يطلع عليها ٠٠ وسنبين ذلك تفصيلا فى القسم التفصيلى من هذا التقرير ٠

ولقد ثبت للجنة بعد استبعاد كل الوقائع التى يحوطها أي شك فى تكييفها الجنائي أو الموضوعى أن هناك تهمتين جنائيتين لا نزاع فى ثبوتهما قانونا وموضوعا ـ احداهما تهمة رشوة ثبتت ضد رفعة مصطفى

النحاس باشا رئيس الوزراء ووزير الداخلية سابقا وصاحبة العصمة السيدة حرمه زينب هانم الوكيل ، والأخرى تهمة اختلاس أموال أميرية ضد سعادة أحمد حمدى سيف النصر باشا وزير الدفاع الوطنى السابق — وكلتا التهمتين تقعان تحت طائلة قانون العقوبات ومعاقب عليهما بعقوبة الجناية ، طبقا للمواد ١٠٣ و ١٠٥ و ١٠٦ و ١٠٨ و ١١٢ و ١١٨ و ٣٤١ عقوبات .

وقد وجدت اللجنة أمثلة مختلفة على اختلاس المنفعة أو استغلال النفوذ بالاستيلاء على أموال أميرية بغير وجه حق — وقد ارتكب بعضها رفعة النحاس باشا والبعض الآخر سعادة عثمان محرم باشا وعبد الفتاح الطويل باشا وغيرهما من المشتركين معهما — ولكن اللجنة رأت استبعاد بعضها مما يعتبر اختلاس منفعة ، لأن قانون العقوبات المصرى — على خلاف بعض القوانين الأجنبية — لا يعاقب على اختلاس المنفعة ، كما استبعدت اللجنة البعض الآخر مما قد يختلف الرأى على تكييفه من الناحية الجنائية — رغم ثبوت المسئولية المدنية .

ولذلك قصرت اللجنة الاتهام الجنائى على التهمتين سالفتى الذكر اللتين أجمع الرأى على ثبوتهما ضد مرتكبيهما — هذا فضلا عن التهم الجنائية الأخرى التى ثبتت للجنة ضد بعض المسئولين من غير الوزراء ، وقد أحالتها اللجنة على النيابة العمومية .

وقد جاء فى التقرير تحت « بيان مجمل للوقائع الثابتة » : قبول رشوة ، بيانات غير صحيحة فى ورقة رسمية ، سترا لجريمة رشوة . توزيع الجانيوتا ، قبض ٤٠٠٠ جنيه والتعاقد على ثلث الأرباح للترخيص بكازينو شهرزاد ، تدخل معيب بصدد منزل دعارة (وقف أمر عسكرى من سعادة المحافظ — الحاكم العسكرى للقاهرة ، بالاستيلاء على شقة أديرت للدعارة وضبطها البوليس وفيها نسوة ورجال يرتكبون الفحشاء وكان هذا التدخل لصالح امرأة كانت ذات صلة بأحد أقارب حرم رفعة النحاس باشا وكان التدخل فعلا لحسابها) أمر عسكرى خاص لمصلحة الخواجة سرياكس والافراج عن فلين مستوود بدون ترخيص وتهريب ذهب وماس وتعاقد مقابل استخراج فتر الأجنبى والاتجار فى ورق الصحف واختلاسات فى وزارة الدفاع الوطنى والتصرف فى اطارات سيارات الجيش واخفاء مساهمة ابن عثمان باشا فى شركة تجارية وايجار شركة ابن عثمان فى رخص التصدير واحتكار محلات كاسترو المكاوتش المستولى عليه والتحايل على منح الجنسية المصرية واستغلال السيارات الحكومية واستغلال توزيع الأسمنت وغير ذلك من الأمور التى جاءت فى الكتاب الأسود .

ولأننا سبق ان أشرنا الى معظم هذه الأمور فيما نقلناه عن الكتاب الأسود والكتاب الأبيض فاننا سنكتفى هنا بالاشارة الى ما جاء متعلقا بالتكييف القانونى لبعض الأمور التى ورد ذكرها فى تقرير لجنة التحقيق الوزارية ·

فيمـا يتعلق ـ مثلا بالقول بأن « النحاس باشـا وحـرمه يقبلان الرشوة للشراء عن طريق الترخيص بالخمر والميسر فى منزلهما وفى ناد آخر للقمار جاء عن التطبيق القانونى كما ارتأته لجنة التحقيق ما يلى :

● اذا أردنا النظر فى تصرفات رفعة النحاس باشـا على ضـوء ما تقضى به أحكام قانون العقوبات فيلاحظ أن واقعة تأجير هذا المنزل بظروفها المبينة فيما تقدم اذا صح وصفها بأنها استغلال للنفوذ فانها مكونة بذاتها لصورة أخرى هى الرشوة كاملة بوصفها القانونى ·

واستغلال النفوذ هو الاتجار به مهما يكن قوامه ، وقد يكون النفوذ مستمدا من الوظيفة أو الصفة النيابية أو المركز الاجتماعى أو قائما على غير ذلك من عناصر ومقومات ، ويتناول بالعقاب بعض صـور استغلال النفوذ دون الأخرى ·

واتجار صاحب النفوذ بنفوذه المستمد من وظيفته هو تسخيره فى سبيل أغراضه الشخصية أو لخدمة مصلحة فردية ، طالما كان الاستغلال قائما على الاتجار بالنفوذ الذى تسبغه الوظيفة على صاحبها دون الاتجار بالوظيفة نفسها ، ومن قبيل ذلك ما تناوله التقرير من استغلال النفوذ لدى شركة هليوبوليس ووزارة الأوقاف ·

أما أن يؤدى الموظف عملا من أعمال وظيفته مقابل أجر أو فائدة فان أمره ينقلب مباشرة الى الرشوة بعينها ـ فهى اتجار الموظف بوظيفته دائما لا بما تفيضه عليه من نفوذ ··· وهى جريمة وظيفة أكثر من كونها جريمة موظف (جارو جزء ٤ نبذة ١٥٢٦) ·

وقد وضع القانون المصرى بنفسه قاعدة العقاب على الرشوة المستترة فى صورة عقد آخر فى المادة ١٠٥ من قانون العقوبات التى نصت على أنه « تعد من قبيل العطية والوعد الفائدة الخصـــوصية التى تحصل للموظف من بيع متاع أو عقار بثمن أزيد من قيمته أو شرائه بثمن أنقص منها أو من عقد آخر حصل بين الراشى والمأمور المرتشى) ·

فالرشوة ـ فى نظر القانون نفسه بنصه الصريح ـ عقد قد يستتر فى صورة عقد آخر ـ وهذا شأنها فى أغلب الأحيان عندما تقدم الى موظف كبير ـ فهى قد ترد على صورة عقد بيع أو ايجار أو غيرهما من صور العقود

الأخرى . فمن يشترى من موظف شيئا بأكثر من قيمته ــ أو يبيعه شيئا بأقل منها ــ مقابل أن يؤدى له عملا من أعمال وظيفته هما راشي ومرتش . ومن يستأجر من موظف أرضا أو منزلا أو ما اليهما بأجرة تزيد على أجرة المثل . أو أجر له شيئا من ذلك بأقل من هذا الأجر ــ وجعل الفرق مقابل أن يقوم الموظف بعمل من اختصاص وظيفته ، انما يرتكبان جريمة الرشوة .

وايراد هذين المثلين لم يقع عفوا ولا هو من قبيل تقريب الواقعة المعروضة للذهن وتيسير تطبيق القانون عليها ، وانما نص القانون نفسه على المثل الأول ، أما الثانى فقد شاءت الظروف أن يورده كتاب شرح قانون العقوبات لأحمد أمين بك فى طبعته الأولى منذ أكثر من عشرين سنة . ونقلته عنه الموسوعة الجنائية لجندى عبد الملك بك (الجزء الرابع الصادر فى سنة ١٩٤١) .

وقد تناول التقرير تفصيل واقعة تأجير هذا المنزل بأضعاف قيمته الايجارية ــ وبما يوازى أضعاف أضعاف تلك القيمة ــ وانه كان لابد من تحقيق الربح للمستأجر كما تحقق للمؤجر وذلك بتنفيذ ما تضمنته الفقرة الواردة بعقد الايجار وهى (استغلال المنزل فى أغراض تجارية حسبما شاء المستأجر) .

والواقع أن هذه الفقرة كاشفة وحدها عن جريمة الرشوة فى أجلى صورها ــ ذلك أن تفكير المستأجرين بادىء الرأى كان منصرفا الى استئجار المنزل لادارته فندقا ومطعما وبارا ، فهذه هى الأغراض التجارية التى قد يتصور أن يستغلا فيها منزلا كان معدا أصلا للسكنى ، وهما ما كانا ليستأجراه لسكناه حتى ولو كان ايجاره عشر ما قدراه وانما يقبلان على استئجاره من أجل تلك الأغراض التجارية ، كما أنهما بحكم مهنتهما خبيران بأحياء المدينة ومناطقها عالمان بأن ذلك المنزل يقع فى منطقة خالية من المحال العامة وبأنه غير مصرح بادارة هذا النوع من المحال فيها ــ ولكنهما يتعاقدان مع وزير الداخلية (بل مع رئيس الوزارة ووزير الداخلية) فهو المؤجر الحقيقى للمنزل رغم أنه ممثل فى العقد بالسيدة حرمه ، وهو من بيده التصريح بادارة المحال العامة والمختص بتحديد مناطقها ، وهو قد علم بتلك العقبات القائمة فى سبيل تخصيص المنزل لتلك الأغراض وراعاها ، وقد أجر المنزل غاليا على أساس تذليلها على حساب وظيفته ، وكان من مصلحة الطرفين أن يتم التعاقد : فأحدهما وهو المؤجر يريد اقتضاء ذلك الأجر الزائد وهو قادر على أداء ما يقابل الزيادة فيه بما تخوله له وظيفته من سلطة ازالة تلك العقبات واختصاص باصدار الترخيصات المطلوبة فانها جميعا تقع فى اختصاص وزارته ــ والطرف الثانى وهما

المستأجران يرتضيان ذلك كله ويقبلان أن يدفعا الفرق بين الايجار المطلوب والقيمة الايجارية الحقيقية للمنزل لقاء تيسير استغلاله بالطريقة التى رسماها ومن هنا جاء النص فى البند الأول من العقد على استغلال المنزل فى أعراض تجارية حسبما يشاء المستأجران ، وكان مقدرا أن يتناول النص بيان هذه الأغراض فسبق القلم وخط عبارة (فندق أو ناد) ولكن عدل عن ذلك ورئى شطبها بعد أن كتبت اكتفاء بالتلميح دون التصريح واتقاء للفضيحة الشائنة ، غير أن القدر شاء أن يسفر وأن يفصح ٠

وقد أراد المستأجران بذلك النص على الاستغلال التجارى أخذ المؤجر بموجبه ، ليصدر قراراته المنفذة له وهى الترخيصات اللازمة لتخصيص المنزل للأغراض التى استؤجر من أجلها ــ وهى ادارته فندقا ومطعما وبارا وناديا للقمار ، وليتخذ على حساب وظيفته الاجراءات الرسمية المؤدية الى ذلك ٠

وقد فعل ــ فقد صدرت القرارات والترخيصات تباعا وسارت فى طريقها المرسوم ، كما قام المستأجران بنصيبهما من اجراءاتهما فأرسلا بتاريخ ٢٧ مارس سنة ١٩٤٣ أى بعد أسبوع واحد من تاريخ عقد الايجار الكتاب الوارد نصه بالتقرير طالبين الترخيص فى ادارة المنزل كفندق ومطعم وبار ٠

ولا شك أن الأمر كان متفاهما عليه ، فكان يسير فى خطة موضوعة ، اذ كتبت المحافظة فى اليوم التالى مباشرة لتقديم الطلب أى بتاريخ ٢٨ مارس سنة ١٩٤٣ الى ادارة اللوائح والرخص بوزارة الداخلية بطلب الموافقة على جعل شارع عباس بأكمله من الأحياء الجائز فيها فتح محال عامة وذلك ليشمل المنطقة التى يقع فيها المنزل ــ بل أنها وضعت مشروع قرار بذلك وأرسلته مع كتابها الى وزارة الداخلية ٠

وبعد يوم واحد من وصول كتاب المحافظة الى الداخلية احالته هذه الوزارة مع مشروع القرار بتاريخ أول أبريل سنة ١٩٤٣ على قسم قضاياها « بأمل التنبيه باعطائه الشكل القانونى » ٠

وفى ١٦ أبريل سنة ١٩٤٣ نشر فى الجريدة الرسمية قرار بتعديل جدول الأحياء التى يجوز فيها فتح محال عامة وقد جاء فى مادته الأولى والوحيدة ما يأتى ٠

« تستبدل بعبارة (شارع عباس من أول تقاطعه بشارعى القبة ومصر لغاية شارع اسماعيل) الوارد ضمن الأحياء التى يجوز فيها فتح محال عمومية من النوع الأول بقسم مصر الجديدة ــ العبارة الآتية (شارع عباس بأكمله) » ٠

وبهذا أصبح شارع عباس بأكمله مباحا فيه فتح محال عامة ، وهذه الاباحة هى الخطوة الأولى فى سبيل ادارة المنزل للاغراض التجارية المتفق عليها والواردة فى العقد ، وتبعتها الاجراءات المبينة بالتقرير من اخطار المحافظة بافتتاح (بافيون جران أوتيل) بالمنزل المؤجر ، ثم صدور الرخصة رقم ٨٠٠ بالترخيص للمستأجرين فى بيع المشروبات الروحية فيه ، وما كان من ادارته بعد ذلك فعلا لألعاب القمار ٠

ومما يثبت صلة رفعة المؤجر الوثيقة بذلك القرار المنشور بالجريدة الرسمية وأنه من صنعه أن شركة هليوبوليس لم يرق لها صدوره وساورها القلق لاباحة فتح محال عامة فى حى عائلى بحت ، فاستفسرت من المحافظة عن موضوع هذا القرار ، فأرسل سعادة محافظ القاهرة بتاريخ ٢٩ أبريل سنة ١٩٤٣ خطابا الى حضرة صاحب المقام الرفيع وزير الداخلية ــ وكان ما زال هو رفعة مصطفى النحاس باشا ــ يشير فيه الى (استفسار من شركة مصر الجديدة عن موضوع القرار الذى جعل شارع عباس بأكمله من الأحياء الجائز فيها فتح محال عامة) ويشير فيه على رفعته (بمخابرة الشركة بأنه العمل بهذا القرار الجديد سيكون بصفة مؤقتة وسوف تعاد الحالة الى ما كانت عليه بمجرد عقد الهدنة بين الدول المحاربة) ٠

فأرسل رفعته على وجه السرعة بوصفه وزيرا للداخلية الى سعادة المحافظ الكتاب التالى بتاريخ أول مايو سنة ١٩٤٣ ٠

« ردا على خطاب سعادتكم المؤرخ ٢٩ أبريل سنة ١٩٤٣ بشأن استفسار شركة مصر الجديدة عن الموضوع المنشور فى الجريدة الرسمية بالعدد ٤٥ بتاريخ ٢٢ أبريل سنة ١٩٤٣ بجعل شارع عباس بأكمله من الأحياء الجائز فتح محال عمومية فيها وما تقترحونه سعادتكم للأسباب الموضحة بكتابكم المذكور من اعتبار هذا القرار مؤقتا وباعادة الحالة الى ما كانت عليه بمجرد عقد الهدنة بين الدول المتحاربة ومخابرة الشركة بذلك تفيد بأننا نوافق على اقتراحكم ولا مانع لدينا من ابلاغ الشركة هذا التفسير »

وتنفيذا لهذا الكتاب أرسل سعادة المحافظ كتابا الى الشركة بتاريخ ٣ مايو سنة ١٩٤٣ يخطرها فيه بقرار التعديل الخاص بشارع عباس وبالتفسير الذى وافق عليه رفعة النحاس باشا ٠

ويتبين من ذلك فى وضوح أن رفعة مصطفى باشا النحاس وزير الداخلية انما كان مأجورا على صدور ذلك القرار الخاص بتعديل احياء المحال العامة ، وأن المستأجرين قد اشترياه منه بما ارتضيا دفعه من أجر زائد على قيمة المنزل الايجارية ٠ وكذلك الحال فيما نلاه من التصريح بادارة المنزل فندقا والترخيص فى بيع المشروبات الروحية فيه وغيرهما مما اتخذ

من اجراءات رسمية جاءت نتيجة هذا القرار ، فكلها قد اشتريت منه بذلك الثمن .

وهكذا قام رفعة وزير الداخلية بتنفيذ عقد الايجار على حساب وظيفته ، فهو قد اتجر بهذه الوظيفة اذ قبل من المستأجرين التعاقد على تلك الأجرة المرتفعة نظير أن يؤدى لهما تلك الأعمال التى تقع فى اختصاص وظيفته أو وزارته ــ وقد أداها بالفعل ــ على أنه ليس من اللازم قانونا أن يقوم الموظف بهذه الأعمال بنفسه ويكون هو وحده المختص بها أو أن تكون داخلة فى حدود وظيفته مباشرة بل يكفى أن يكون له نصيب من الاختصاص فيها ولو بابداء رأى استشارى أو أن يكون له علاقة بها (جارسون مادة ١٧٧ نبذة ٧٩ وأحمد أمين بك صفحة ١٨ والموسوعة الجنائية الجزء الرابع صفحة ٢٢ نبذة ٥٢ و ٥٣) .

ثم تتلو ذلك التصرفات التى روعى فيها جانب الخواجه طراب فى منازعته مع وزارة الأوقاف التى يشرف عليها أحد أعضاء مجلس الوزراء الذى يرأسه رفعة النحاس باشا ، ثم ما كان من معاونة الحكومة وعلى رأسها رفعة المؤجر للخواجه طراب فى التصرفات الخاصة بملاعب القمار التى حلت محل المنزل المؤجر .

ويتبين من مجموع ما تقدم أن تأجير هذا المنزل بذلك الايجار هو اتجار من موظف عام بوظيفته ــ فهو قد قبل رشوة مستترة فى صورة عقد الايجار ليؤدى عملا من مقتضيات وظيفته ، بينما هى فى حقيقتها سافرة كشف عنها غطاءها البند الأول من العقد نفسه وما صدر تنفيذا له من قرارات رسمية واجراءات ادارية .

هذا هو التكييف القانونى لواقعة التأجير فى ذاتها ... أما قيام السيدة حرم رفعة وزير الداخلية بالتوقيع على العقد فانه لا يغير من الوضع شيئا بل يزيده رسوخا ودلالة على التحايل والرغبة فى الاستخفاء من هول الأمر ــ وان كان يضيف طرفا ثالثا لجريمة الرشوة ان لم يكن باعتباره وسيطا فيها تحت طائلة العقاب طبقا للمادة ١٠٨ عقوبات فانه يعتبر شريكا فيها ، وكما اشترك فى الغنم يشترك فى الجرم .

٢٧ ــ ثم يلحق بجريمة الرشوة السالفة الذكر الغش والتدليس الذى قام به الخواجه طراب باثبات بيانات كاذبة تتعلق بقيمة الايجار وما ترتب عليها من تقديرات وتأشيرات رسمية ألحقت ضررا بخزينة الدولة ، ويتضح من أقوال الخواجه طراب أن رفعة النحاس باشا وحرمه انما كانا محرضين له فى ذلك (يراجع تقرير رقم ٢) .

٢٨ ـ أما فيما يتعلق بتصرفات رفعة النحاس باشا مع شركة مصر الجديدة فانما هي استغلال للنفوذ المستمد من صفته كحاكم عسكرى عام ورئيس لمجلس الوزراء له سلطة تتعلق بالاشراف والمحافظة على ما يتصل بتلك الشركة من علاقات منظمة بالحكومة وبوزاراتها ، ولولا صفة رفعة النحاس باشا العمومية كحاكم عسكرى وكرئيس لمجلس الوزراء اللذين تتصل أعمالهما أسد الاتصال بهما لما كان الانتفاع من شركة مصر الجديدة . وقد تجدر الاشارة هنا الى أن اشراف رفعته كحاكم عسكرى انما يتناول تلك الشركة التى يخضع جزء كبير من أموالها لاحكام الأمر العسكرى رقم ١٥٩ والى اشراف وزارتى الأشغال والمالية على جزء من أعمالها ونشاطها .

أما عن مسئولية حرم رفعة النحاس باشا فى ذلك فانه فضلا عما ذكرناه من اعتبارها شريكة فى جريمة الرشوة ، فانه يلاحظ فيما يتعلق بجريمة استغلال النفوذ أن البحث الفقهى قد انتهى فى تحديد المسئولية الجنائية للوسيط أو الشخص الذى يستتر وراءه الموظف عند ارتكابه لجريمة الانتفاع من صفته العمومية الى اعتبار هذا الوسيط الذى استتر وراءه الموظف المنتفع شريكا فى الجريمة وتنطبق عليه أيضا نصوصها .

وفيما يتعلق بموضوع الجانيوتا أو حصيلة الثمار انتهت لجنة التحقيق الوزارية الى ما يلى بالحرف الواحد .

وهكذا أيدت هذه الادلة الكتابية صحة أقوال لم يكن هناك محل للتشكك فيها لصدورها من شركاء مختلفين ومن طراب نفسه الذى ربطته بالنحاس باشا وبحرمه وبشقيق حرمه صلة التجارة ، وابئس بها من تجارة .

وهكذا تعاقبت حوادث الرشوة والاستغلال وتفرعت عن فضيحة الرشوة فضائح الاستغلال تأخذ بعضها برقاب بعض .

وفى موضوع الرخصة الخاصة بكازينو شهرزاد ، انتهى التقرير رقم ٤ من تقارير لجنة التحقيق الوزارية الى النهاية التالية : وبالحرف الواحد أيضا .

تلك هى الوقائع المجردة التى تظهر كيف توصلت احدى العاهرات الى الوقوف فى وجه القانون عن طريق اشراكها فى رذائلها واحدا من المتصلين برفعة الحاكم العسكرى العام فيعترض القرارات النهائية ويوقف تنفيذها .

والى هذا الحضيض هوت نزاهة الحكم ـ بل طهارة الحكم ـ فى عهد حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا ...

وعن واقعة تهريب حرم النحاس باشا وشقيقها أحمد الوكيل الذهب والماس الى سورية وفلسطين فى صالون رفعة رئيس الوزراء جاء فى التقرير رقم ٩ من تقرير لجنة التحقيق الوزارى ما يلى :

أولا ــ لقد تم التهريب فعلا ، وفى صالون رفعة رئيس الوزراء الذى أقل حرم النحاس باشا ومن معها ، وكان الاعفاء من التفتيش الجمركى سواء فى مصر أو فلسطين والرعاية التى أحيط بها المسافرون به ــ سببا فى عدم اكتشاف الواقعة فى حينها •

ثانيا ــ تبين من التحريات لدى التجار المختلفين أن ما هرب من الماس بيع هناك بمبلغ خمسين ألف جنيه عدا الذهب الذى بلغت قيمته حوالى عشرين ألف جنيه ، بيد أن اللجنة لم ترد الأخذ بمجرد الأقوال فأخذت الاقرارات من بعض التجار ــ ويستفاد من الاقرار الذى قدمه المسيو موسايوف أن الماس الذى عرض عليه لمشتراه كانت قيمته حوالى عشرة آلاف جنيه ، بخلاف ما عرض عليه من حلى وسبائك ذهبية •

ثالثا ــ ان أحمد الوكيل شخصيا قد تولى البيع فعلا فى صفقتين وأن احداهما تمت بعد زيارة من السيدة شقيقته ــ وهذا مستفاد من الاقرار المقدم من المسيو موسايوف •

تلك هى الوقائع الخطيرة التى وقفت عليها اللجنة ، والتى أساءت لمصر والمصريين ، حاكمين ومحكومين فى تلك البلاد الشقيقة ، فقد تناقلت الألسن هناك حديث هذا التهريب باسهاب وتدليل ، وكانوا يذكرونه متألمين آسفين ، لما جنته هذه الفعلة النكراء على سمعة المصريين •

ولم يقف الأمر عند حد التهريب والبيع بفلسطين ، بل تبين من التحقيق أن كمية من الذهب الذى هرب بيع فى سوريا أيضا •

ومما هو جدير بالذكر فى هذه الواقعة أن المسيو جورج باتينو ، وهو من الأشخاص الذين تربطهم به رابطة تجارية قديمة منذ السماح له بتصدير السردين (التى أشير اليها فى تقرير خاص) ــ كان مرافقا لهم فى رحلتهم هذه ، وفى زيارة تل أبيب وقد حصلت اللجنة على عدة صور فوتوغرافية له ولهم أثناء تنقلاتهم فى أنحاء فلسطين •

ولما كان التهريب أو محاولة التهريب جريمة يعاقب عليها القانون ، فقد أرجأت اللجنة البت فى هذه الواقعة الى أن تستكمل جميع الأدلة عليها ••• ولو أن ما فيها من أدلة قد دمغ الحكم النحاسى فى مصر ••• بوصمة مزرية تعدت مع الأسف حدود مصر •

وينتهى التقرير الخاص بواقعة تحميل خزانة الدولة مصاريف سفر حرم رفعة النحاس باشا الى فلسطين وقدرها ١٦٠٫٦٠٠ جنيها صرف النظر عن تكييف الواقعة جنائيا والاكتفاء بمطالبة رفعته مدنيا بما أدخله فى ذمته من نفوذ الحكومة وفى واقعة استغلال النفوذ فى الاتجار بالمولاس بتصديره الى فلسطين ترى لجنة التحقيق الوزارية أن الواقعة ــ فضلا عما

فيها من استغلال خطير للنفوذ ـ فان فيها مخالفات صريحة لقانون الضرائب يعاقب عليها » ٠

وقد رأت اللجنة احالة الأوراق للنيابة العمومية كما هو الحال بالنسبة لموافقة استغلال النفوذ للحصول على تصريحات للمسيو ارتين موتافيان ! واحالت اللجنة أيضا الى النيابة الأوراق الخاصة باستغلال النفــوذ فى التصدير والاستيراد (الاتجار ببيع الرخص) ٠

أما فيما يتعلق بالوقائع التى نسبت الى أحمد حمدى سيف النصر باشا من اختلاس للأموال الاميرية وتصرفات فى شأن الاعتمادات الحقيقية للمصاريف السرية واعتماد مصلحة الحدود واعتماد الصحراء الغربية واعتماد اعانة المناطق الصحراوية ٠ فقد كان التطبيق القانونى كمــا يلى بالحرف الواحد :

أولا ــ من الوجهة المدنية :

تقضى المــادة ١٤٥ من القانون المدنى ، بأن من أخــذ شيئــا بغير استحقاق وجب عليه رده ، وثابت من جميع ما تقدم أن المبالغ التى استلمها وزير الدفاع السابق انما هى مبالغ مخصصة لغرض معين وطالما أنه لــم يقدم الدليل اللازم لاثبات انفاقها فى الغرض الذى خصصت من أجلــه ، فانه يعتبر ملزما بردها لاستيلائه عليها فى هذه الحالة بدون وجه حق ٠

ثانيا ــ من الوجهة الجنائية :

تقضى المــادة ١١٢ من قانون العقوبات بأن كل من تجارى من مأمورى التحصيل أو المندوبين له أو الأمنــاء على الودائع أو الصيارفة المنــوطين بحساب نقود أو أمتعة على اختلاس أو اخفاء شىء من الأموال الأميرية أو الخصوصية التى فى عهدته أو من الأوراق الجارية مجرى النقود أو غيرها من الأوراق والسندات والعقود أو اختلس شيئا من الأمتعة المسلمة اليه بسبب وظيفته يحكم عليه فضلا عن رد ما اختلسه بدفع غرامة مساوية لقيمة ذلك ويعاقب بالسجن ٠

ولا يشترط فى تطبيق المــادة ١١٢ من قانون العقوبات الخاصـــة بالاختلاس الذى يقع من مأمورى التحصيل أو المندوبين له أو الأمناء على الودائع أو الصيارفة أن تكون وظيفة المختلس الأصلية هى التحصيل أو حفظ الودائع أو القيام بأعمال الصيرفة بل يكفى أن يكون ذلك جزءا من وظيفته أو يكون من مقتضيات أعمال وظيفته (أحمد أمين صفحة ٤٤ و ٤٩ ـ والبازيكريزى بلبج ١٨٦١ ـ ٣٦٧/٢) ٠

والصراف طبقا لنص تلك المادة أو الشخص المنوط به حساب نقود أو أمتعة وهو كل شخص مكلف بمقتضى وظيفته تسلم نقود أو أشياء أخرى لحفظها وانفاقها أو توزيعها فى الوجوه المقررة لها (جارسون مادة ١٦٩ نبذة ١٠) .

فاذا كان من مقتضيات الوظيفة أن يتسلم الموظف (أو الشخص ذو الصفة العامه) نقودا لانفاقها فى شئون معينة أو توزيعها فى وجوه مقررة لها ، فلم ينفقها فى تلك الشئون أو لم يوزعها فى تلك الوجوه التى قررت لها وأرصدت عليها بل استولى عليها لنفسه أو لغيره ، فانه يعد مختلسا لها فى حكم المادة ١١٢ عقوبات باعتبار أنه بوصفه شاغلا لتلك الوظيفة وبسببها يتسلم هذه النقود التى تصرف باسمه دائما طبقا لما قضى به النظام المالى أو جرى به العرف المالى ، وذلك لينفقها بعدئذ فى شئون أو وجوه معينة ، فهو بذلك يؤدى عملية صيرفية هى من مقتضيات وظيفته وتقع فى اختصاصها بالفعل أو على الأقل يؤديها بسبب تلك الوظيفة وان لم يكن هو فى الأصل صرافا .

وانه وان كان الأصل أنه يجب لاعتبار التسليم بمقتضى الوظيفة أن يكون الأمين مختصا بتسلم النقود طبقا للقوانين واللوائح ، الا أنه ليس من الضرورى أن يكون قد صدر قانون خاص أو وضعت لائحة ادارية بذلك بل يكفى أن يجرى به العمل تطبيقا لقانون عام منظم لمصارف المال كالميزانية ، أو تنفيذا لقرارات الاعتمادات الاضافية ، متى كان من شأن هذا التطبيق أو التنفيذ أن أصبح ذلك الموظف هو المتولى بالفعل أمر هذه الأموال .

وقد قضى بأنه يكفى أن يكون الموظف قائما بعملية تسلم الأموال طبقا لما جرى به العمل وبحسب ترتيب توزيعه وبموجب الصفة الفعلية وطبيعة الأعمال المنوطة بالموظف (يراجع فى هذا المعنى نقض ٢٥ مايو سنة ١٩٢٧ قضية رقم ٨٥١ سنة ٤٤ قضائية) .

وهذا النظر لا يقوم على مجرد اعتباره صرافا بالفعل لأن الصراف بالفعل قد لا يكون موظفا بل من أتباع الصراف الموظف كابنه أو سكرتيره الخاص أو قد يكون موظفا ولكن وظيفته لا تقتضى أن يقوم بتسلم نقود لانفاقها أو توزيعها ففى مثل هذه الصور قد لا يعتبر صرافا فى حكم تلك المادة (جارسون مادة ١٦٩ نبذة ١١ ـ ١٢ ـ ١٣) .

أما اذا كان من شأن وظيفته أن يكون هو الذى يتسلم تلك الأموال ويصرفها باسمه وبوصفه وجرى بذلك العرف المالى ونظام العمل كما قضت طبيعة تلك الأموال والعلة فى تخصيصها بالميزانية أن توضع فى

يد الموظف الأعلى ليتولى انفاقها بنفسه فهو يعتبر فى شأنها صرافا فى حكم المادة ١١٢ من قانون العقوبات ــ ولو لم يكن كذلك فى الأصل ــ متى كان قد تسلمها لينفقها فى شئون معينة أو يوزعها فى وجوه مقررة لها ــ فاذا هو لم يفعل وأضافها لنفسه أو لغيره واختلسها فانه يقع تحت طائلة العقاب طبقا لتلك المادة بوصفه « منوطا بحساب تلك الأموال » .

وبتطبيق ما تقدم على الوقائع السابق ذكرها . يتضح أن وزير الدفاع السابق قد ارتكب ما يأتى :

أولا : اختلس مبلغ ٢٣٩٨٦٣ جنيها و١٠٤ مليمات من قيمة الاعتمادات التى خصصت لمصاريف الوزارة السرية فى المدة من ٦ فبراير سنة ١٩٤٢ الى ٨ أكتوبر سنة ١٩٤٤ اذ استولى عليها لنفسه ولم يثبت مراعاته العرف والقواعد المتبعة بشأنها .

ثانيا : اختلس مبلغ ٤٠٠ جنيه من اعتمادات المصاريف السرية بمصلحة الحدود فى ١٥ نوفمبر سنة ١٩٤٣ و ٢٧ أبريل سنة ١٩٤٤ اذ استولى عليها لنفسه ولم يثبت مراعاته العرف والقواعد المتبعة بشأنها .

ثالثا : اختلس مبلغ ٥٠٠٠ جنيه قيمة اعتماد اعانة المهاجرين بالصحراء الغربية اذ استلمه على دفعات ابتداء من ٨ سبتمبر سنة ١٩٤٢ الى ٢٧ أبريل سنة ١٩٤٣ ولم يقدم للوزارة عنه أى مستند يثبت أوجه الصرف فى هذا الاعتماد طبقا للقواعد المالية المقررة .

رابعا : اختلس مبلغ ٤١٨١ جنيها و٣٦٤ مليما باقى قيمة اعتمادات قررها مجلس الوزراء فى ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٤٢ و ٢٤ فبراير سنة ١٩٤٣ و٢٧ مايو سنة ١٩٤٣ و٢ ديسمبر سنة ١٩٤٣ و٢٦ أبريل سنة ١٩٤٤ و٢٥ يوليه سنة ١٩٤٤ ومجموعها ١١ الف جنيه لمصاريف معتقلات السرو والعياط ولم تقدم مستندات الا عن مبلغ٦٨١٨ جنيها و٦٣٦ مليما .

خامسا : اختلس مبلغ ٧٠٠٠ جنيه من قيمة الاعتماد الذى صدر به القانون رقم ٣٥ فى ٢٦ أبريل سنة ١٩٤٤ وذلك فى ٨ أبريل سنة ١٩٤٤ بالنسبة لمبلغ ٥٠٠٠ جنيه وفى ٢٧ أبريل سنة ١٩٤٤ بالنسبة لمبلغ ٢٠٠٠ جنيه ولم تقدم أى مستندات تدل على صرف ما تسلمه طبقا للقواعد المالية فى الغرض الذى طلب من أجله الاعتماد .

فتكون جملة المبالغ التى أدخلها فى ذمته ٢٥٦٤٤٤ جنيها و٤٦٨ مليما .

والأفعال سالفة الذكر ينطبق عليها حكم المادة ١١٢ من قانون العقوبات كما أنه ينطبق عليها أيضا حكم المادة ١١٨ التى تنص على أن كل موظف أدخل فى ذمته بأى كيفية كانت نقودا للحكومة أو سهل لغيره ارتكاب جريمة من هذا القبيل يعاقب بالسجن من ثلاث سنين الى سبع ·

الا أن المادة ١١٢ كفيلة برد المبالغ المختلسة فضلا عن الغرامة والعقوبة المشددة التى وضعتها لجريمة الاختلاس ···

وقد رأت لجنة التحقيق الوزارية احالة موضوع اتجار يسن سراج الدين فى الكسب وبيعه بسعر يزيد عن التسعيرة الجبرية الى النيابة العسكرية لأن هذه الواقعة ــ بعد التحقيق فيها ــ تشكل جنحة عسكرية كما قررت اللجنة أيضا أن يحيل وزير التموين (الحالى) موضوع المخالفات المنسوبة لاخوان « سباهى » الى النيابة العسكرية لتتخذ بشأنه ما تراه أما التقارير الخاصة بما هو وارد فى الكتاب الأسود والخاصة بنزاهة الحكم وهى التقارير التى حملت أرقام من ٧٣ الى ٩٦ فقد سبق الاشارة الى ما اتخذ بشأن الوقائع الواردة فيها من اجراءات ·

وأخيرا وليس آخر يتبقى الحديث عن التقرير رقم ٩٧ والخاص بأموال التبرعات العامة لاعانة فقراء مديريتى قنا وأسوان وهذه التبرعات تبلغ قيمتها ١٧٠٫٠٠٠ جنيه وقد قرر مجلس الوزراء ان هذه التبرعات أموال عامة يجب ردها فى الحال الى خزينة الدولة وقد أرسل وزير المالية الى رفعة النحاس باشا فى ١٨ ديسمبر كتابا قال فيه :

حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا ·

بعد التحية · يحزننى ، ولا يدهشنى ، أن يبلغ الأمر برفعتكم ما بلغ فأرانى مضطرا كوزير للمالية الى مطالبة رفعتكم برد مبلغ جسيم من مال الدولة استوليتم عليه خلسة ، وراء ستار من حكمكم ، فى غير ما تورع حتى عن الأغراض الرحيمة التى رصد لها ، وفى غير مبالاة بما يقضى به القانون وينبئه الواقع من أن المال الذى انتزعتموه من خزائن الدولة لم يكن ملكا لكم ولا لحزبكم بل هو مال من صميم الأموال العامة استخدمت الحكومة رجالها ووسائلها لتحصيله اسعافا لمرضى الملاريا ومنكوبيها فى الصعيد الأعلى ـ ولكأنكم لم تكتفوا بما جنته فوضى عهدكم على أولئك البائسين بل ارتضيتم أن تردفوا الجناية بشر منها فسلبتموها مالا جمع لكى يكون للمريض منهم دواء ، وللجوعان منهم غذاء ، وللعريان منهم كساء ·

ولعلكم تذكرون من غير ما حاجة الى تذكير أن المال الذى جمع بلغ مبلغا جسيما يربى على ١٧٠٫٠٠٠ ألف جنيها وقد استوليتم منه على

معظمه وقـدره ١٤٠٫٠٠٠ ألف و ٥٠٠ جنيه (مائـة وأربعون ألفـا وخمسمائة جنيه مصرى) حسب الثابت رسميا من كشوفات بنك مصر ـ وما كنتم لتبخلوا على نفسكم بالمبلغ الباقى وهو يناهز الثلاثين ألفا من الجنيهات لولا أن الاقالة فاجأتكم فى وقت اطمئنانكم الى الدنيـــا وأحوالها ، وفاتكم أن الأحوال تتحول ـ وقد شاء الله فعلا أن تتحول فجأة ليمكننا من انقاذ المبلغ الباقى وتحويله من حسابكم الى حساب الخزينة ٠

وليس أدل على وزر تصرفكم فى هذا المال الطائل من أن مجرد الشكل فى سحبه ينهض دليلا عليه ٠٠ فلقد تحايلتم على سحب المبلغ الذى تجمع أولا ومقداره ١٢٧٠٠٠ جنيـــه ، ثم تحايلتم بمثل تحايلكم الأول على المبلغ المتجمع ثانيا ومقداره ١٣٥٠٠ جنيه ، فسلكتم فى سبيل الاستيلاء على هذين المبلغين (ومجموعهما الضخم ١٤٠٥٠٠ جنيـــه كما أسلفنا) مسلكا معيبا مريبا دل على أنكم تعلمون حق العلم أن الأموال التى جمعتموها ، ثم انتزعتموها انما هى أموال عامة لا سبيل لكم عليها الا بأن تسلكوا الطريق ملتوية اليها بل دل فوق دلالة على أنكم كنتم مبيتين النية على اغتيال هذا القـــدر الجسيم من المال ٠٠٠ فآثرتم أن تسلكوا اليه طريق التكتم ، والتحايل والتواطؤ ٠

لست أتجنى عليك فى وصف ما ارتكبت ، بل لعلى أتجنى على الجناية اذ لا أصفها بأوصافها ، وأسميها بمسمياتهـــا ، ولقد كانت جنايتك مزدوجة الوزر فجمعت بين اغتيال المال والاحتيال عليه ، أو بين شر الفعلة وشر الحيلة ٠

فأما عن الكتمان : فقد أبقيت رفعتك أمر سحب هذا المبلغ من بنك مصر سرا مكتوما حتى بعد خروجك من الوزارة الى ان اكتشف سره ، وافتضح أمره ، فبدأت تعترف بالحق والواقع ، وأخذت تتصيد المبررات وأنت فى موقف المدافع غير الدافع ٠

وأما التواطؤ فهو ثابت من كيفية السحب وظروفه : فقد أحيطت هذه العملية بمحاولات وتصرفات تصل فى مجموعها الى مرتبة التواطؤ والائتمار امعانا فى التستر والتضليل ، ويظهر أن رفعتكم خشيتم السحب العلنى ومحتملاته ، والغد ومخبآته ، فبدلا من أن تتقدموا باسمكم للبنك وتحسبوا المبالغ التى أودعت لحساب التبرعات تحايلتم على سحبهابطريقة توهم موظفى البنك وغيرهم أنها عملية رسمية ، فحولتم الشيك الأول (وتاريخه ١٥ أبريل سنة ١٩٤٤ وقيمته ١٢٧٫٠٠٠ جنيه) الى سعادة فؤاد سراج الدين باشا الذى حذا حذوكم فى التهرب والتحايل فحوله بدوره الى حضرة عبد اللطيف بك محمـــود وكيـــل وزارة الشـــئون

الاجتماعية ، وهذا الأخير سحب المبلغ بنفسه كما هو ثابت فى أوراق البنك ثم نقل المبلغ بأكمله فى حقيبة وسلمه لفؤاد باشا فى مجلس الوزراء كما اعترف حضرته لى بذلك حينما سألته ٠

ولكن الأمر لم يقف عند الشيك الأول ، فبين ١٥ أبريل و ١٩ أبريل تجمع من التبرعات مبلغ ليس بالهين ولا بالقليل ـ بلغ ١٣٥٠٠ جنيه ـ ولما كانت الأزمة السياسية لا تزال مستحكمة وضاربة أطنابها ، وكان من غير المعمول عندكم ـ طبقا للعقلية الجديدة التى ابتليتم بها ـ أن نصبحوا هدفا لأزمة سياسية وأزمة مالية معا فتخرجوا من الحكم صفر اليدين ـ سمعة وبضاعة ـ لما لم يكن هذا المصير مستساغا لكم ، ولمن حولكم أعددتم الكرة للاستيلاء على المبلغ الآخر فسلكتم فى طريقة سحبه نفس الطريقة المريبة التى اتبعت فى صرف الشيك الأول اذ حررتم شيكا ثانيا تاريخه ١٩ أبريل سنة ١٩٤٤ بمبلغ ال ١٣٥٠٠ جنيه وحولتموه الى سعادة سراج الدين باشا الذى تحايل هو أيضا على تحويله الى حضرة عبد اللطيف بك محمود وهذا الأخير قام بعملية الاستلام والتسليم ٠

وها هى ذى أساليبك تتكرر اليوم ، وما كان أغناك عنها لو أنك كنت تؤمن بما تدعى من أن هذا المال هو لحزبكم ، وأن سحبه من البنك لا ينطوى على شبهات مريبة تفضحكم ـ والا فهل لرفعتكم أن تنبئونا لماذا لم تستخدموا أى سكرتير من سكرتيريكم لسحب هذا المبلغ من البنك فى المرة الأولى وفى المرة الثانية ، أو فى كلتيهما معا ، واذا انعدم لديك السكرتيرون وقد كانوا كالقافلة السيارة لكل منهم سيارة ٠٠٠ فهل انعدموا أيضا لدى وزير الوزارتين فؤاد سراج الدين باشا ثم هل لك أن تتفضل فتوضح للناس الداعى ـ وما أدراك ما الداعى ـ الذى جعلك تختار وكيل وزارة معين لمهمة الساعى ـ يسعى الى البنك ثم يسعى اليك ، ويحمل الحقيبة الثمينة بين يديه ليضعها بين يديك ٠

وأخيرا فما هى حكمة السحب فى هذا التاريخ من شهر أبريل ؟؟ لا شك أن هذا أيضا حلقة مكملة لحلقات الاغتيال والاحتيال ، التى دبرت للاستيلاء على هذا المال وذاك المال ٠٠٠ ولقد وفرتم رفعتكم علينا مشقة التدليل والاستنتاج بما ذكرتموه فى بيانكم للصحف (الذى سمحت الحكومة أن تنشره لكم بحروفه مع هذا الخطاب ، شاكرة لكم ما تضمنه من اعترافات ومن مغالطات) ـ فقد أشرتم فيه الى أن « لشهر أبريل من هذا العام حوادث لا يزال يذكرها الناس » واتخذتم من هذه الحوادث مبررا لسحب المبلغ من البنك ليكون كما زعمتم « بعيدا عن أيدى الحانقين المتربصين ٠٠٠ وفى حرز حريز » ٠

حقا انك لمكشوف حتى فى مغالطاتك ··· فهل الحرز الحريز هو خزانة الحكومة التى يشرف عليها المراقبون والمحاسبون . أم هى خزانة الوفد التى لا رقيب عليها ولا حسيب ؟ ··· وهل الحانقون المتربصون هم الذين يستولون على الأموال الحكومية والتبرعات الخيرية لمصلحة خاصة شخصية كانت أو حزبية أم هم الذين يحافظون على المصلحة العامة فأرجعوا مال الحكومة للحكومة ، ومال المنكوبين للمنكوبين ، أو ما لقيصر لقيصر وما لله لله .

ألا فاعترف انك أنت دون غيرك المتربص المقتنص ، وأن الدافع الحقيقى لكم فى التعجيل بسحب هذه المبالغ انما كان نتيجة للفزع وللجزع اللذين استوليا عليكم من جراء صدمة الحوادث التى كادت تودى بحكمكم فسارعتم الى سلب المبلغ حتى يتحقق لكم الغنم بل زوال الحكم .

ومما يلفت النظر ، ويؤكد فوق تأكيد أن تيتكم المبيتة نحو هذا المبلغ كانت نية استلامه لمصلحة أنتم بها أدرى ، انكم لم تعيدوا ايداعه فى البنك ثانيــة بالرغم من زوال حوادث شهر أبريل واطمئنانكم الى البقاء فى الحكم ولو الى حين ··· وبالرغم من أن التبرعات الجديدة ظلت تتوالى وتودع فى البنك حتى بلغت ما ينيف عن الثلاثين ألفــا من الجنيهات .

لماذا اذن وقد اطمأنت نفسكم الى استبقاء ثلاثين ألفا من الجنيهات فى خزينة البنك ــ لماذا لم تعيدوا الى البنك مبلغ الـ ١٤٠ر٥٠٠ جنيه الذى سحبتموه عند الفزع ــ وقد زال الفزع ــ ورجع ما رجع .

وهل من المعقول أن يستبقى انسان فى خزائنه مائة وأربعين ألفا من الجنيهات ، ولا يبادر الى ايداعها البنك ، خشية الضياع أو السرقة .

أو هل لنا أن نفهم من هذا أنكم قد تصرفتم فى هذا المبلغ الجسيم فى أوجه لم يخصص لها ــ وعلمهــا عند الله والراسخين فى العلم ــ ولذلك لم تردوه للبنك ــ وهو الحرز الحريز حقــا ··· ــ بل اقتصر السحب عليه دون ما استجد ايداعه من التبرعات بعد تاريخ السحب .

أفلا ترون رفعتكم مما بيناه من الوجهة الشكلية المحضة ، وما لازم تصرفاتكم من كتمان لسحب المبلغ واحتيال فى طريقة صرفه ، واختيار تاريخ معين لسحبه ، ثم الاحتفاظ به وعدم رده ، انكم كنتم على يقــين فى قرارة نفسكم أن هذا المال ليس ملكا لكم ، ولذلك لجأتم الى هــذه الطرق الملتوية والأساليب المعوجة للاستيلاء عليه آثمين ، غير نادمين .

هــذا عن الشكل ، وأسوأ منه الفعل ··· فان بين أيدينــا فوق ما قدمنا من أدلة مستفادة من الوجهة الشكلية ، أقطع الأدلة والأسانيد

الموضوعية والرسمية ، وكلها تنطق بأن هـذه الأموال أموال حكومية وليست كما ادعيتم أموالا وفدية ، من الوفد والى الوفد ·

ولما كنتم رفعتكم قد استندتم فى بيانكم على أربعة أمور تبرزون بها ما أقدمتم عليه من الاستيلاء على أموال البؤساء ، فانا نوردها هنا وندحضها واحدة فواحدة بأدلة قاطعة دامغة ·

وها نحن أولاء نجعل لكم أدلتكم انصافا لكم — بل انصافا لنا — فلقد قلتم فى بيانكم ما يأتى :

أولا — أن هذه الأموال ليست بأموال حكومية ، وانما هى أموال شعبية بحتة اكتتب بها أفراد الشعب لا تلبية لدعوة الحكومة بل اجابة لدعوة الوفد ·

ثانيا : أن المقصود من تدخل الصيارف ورجال الادارة فى عملية الاكتتاب هو ضبط العملية وابعاد كل شبهة عن القائمين بها ·

ثالثا : ان هذه الحالة تشبه كثيرا الطريقة التى تجمع بها التبرعات لجمعية الهلال الأحمر ومستشفى المؤاساة والجمعية الخيرية الاسلامية ولم يغفل أحد فى كل هذه الأحوال أن هذه الأموال أموال حكومية ولا يجوز التصرف فيها الا بمعرفة الحكومة ·

رابعا : ان الوفد قرر — بعد انتهاء الاكتتاب وحصر المبالغ المتجمعة — أن ينشىء بهذه الأموال مؤسستين باسم مصطفى النحاس لايواء أيتام منكوبى قنا وأسوان وتعليمهم بعض الحرف والصناعات ·

هذه هى أسانيدكم الأربعة ، أو بالأحرى مغالطاتكم المتجمعة — وانها وان كانت لاتستحق ردا جديا الا أننا نردها عليكم ، لنخفف عنكم أثر استرداد المال منكم ·

هل هذه الأموال حكومية ؟

لاشك أن هذه الأموال أموال حكومية وقد اكتتب بها المكتتبون لغرض انسانى ساهمت فيه البلاد حكومة وشعبا ، وليس أدل على أن هذه الأموال حكومية ، وان الدافع على الاكتتاب بها حكومى بحت ، مما يأتى من أسانيد جامعة مانعة — بعضها يرجع الى مشروعات قوانين وتقارير وتعليمات رسمية وقرارات لمجلس الوزراء — والبعض الآخر الى تلغرافات منكم أنتم ، وتتلخص جميعها فيما يلى :

١ — تضمن مشروع القانون الخاص بانشاء « مال » لاعانة فقراء مديريتى قنا وأسوان نصوصا تشمل الموارد التى يتكون منها هذا المال

فنصت المادة الأولى منه على أن يخصص لاعانة فقراء قنا وأسوان بالأغذية والملابس والأغطية والأدوية رأس مال يتكون من الموارد المحددة فى هذه المادة ومن بينهـــا « **التبرعات والهبات والوصـــايا التى تخصص لهذا الغرض** » ٠

اذن فمشروع القانون نفســـه قد اعتبر التبرعات موردا من موارد « المال » الذى أعد لتنفيذ المشروع الحكومى ٠

ويشير خطاب مكرم باشا الى تقرير للجنـــة المالية لمجلس النواب بتاريخ ١٨ مايو ١٩٤٤ كما يشير الى خطاب أرسله مدير الفيوم الى وكيل وزارة الداخلية يفيده فيه بأن المبالغ المتبرع بهـــا قد أرسلت على خمس دفعات باذن صرف على خزينة الدولة باسم وزير المالية ومع كل دفعـــة أسماء حضرات المتبرعين موضحا به الاسم ، والمبلغ والبلدة وصفة المتبرع ويطلب مكرم باشا من النحاس أن يقرأ خطـاب مدير الفيـوم اسـبوعية استيعابا الى أن يقول :

راجع قول المدير « هذا وقد استخرجت قسيمة تحصيل رقـــم ٧ بكل تبرع فى يوم تقديمه **أسوة بالمستحقات الاميرية** » ٠٠ راجع ثم دافع اذا أمكنك ـ ولن يمكنك ـ الدفاع ٠٠

ويجدر بى هنا أن أشير الى واقعة خطيرة تدل على أن نية اغتيال هذه التبرعات قد توافرت لديكم منذ أن توافر المبلغ فبلغ حوالى الـ ١٥٠ ٠٠٠ من الجنيهات ففى ٤ يوليو سنة ١٩٤٤ أرسلتم رفعتكم كتابا دوريا طلبتم فيه ارسال التبرعات الى رئاسة مجلس الوزراء باسمكم شخصيا لايداعها فى بنك مصر دون سدادها لحساب وزارة التموين » ٠

ومع أن قرار الوفد كان يقضى بجمع التبرعات فقط ٠ فان الوفد اجتمع بعد جمع التبرعات وبلوغها عشرات الالوف من الجنيهات ، وقرر انشاء مؤسسات باسم مصطفى النحاس بدلا من اغاثة المرضى والمنكوبين بانفاق المال عليهم ٠٠ ولما كانت المؤسسات تحتاج الى زمن تؤسس فيه فقد سحبتم المبلغ من حساب وزارة التموين لحسابكم الخاص لتتصرفوا فيه حسب رأيكم الخاص ٠ فلا حكومة هناك ولا اسعاف للبؤســـاء من الناس ، بل هناك مؤسسات تنشأ عند ســـنوح الفرصـــة باســـم مصطفى النحاس ٠

وفاتكم على اى حال أن هذا الكتاب الدورى لا يغير من طبيعة هذه الأموال من أنها حكومية بحتة ، ولو أنه يدل على نيتكم المبيتة اغتيالهـــا ٠

ثم يتساءل مكرم عبيد باشا :

هل هناك شبه بين الطريقـــة التى اتبعت فى جمع هذه الاكتتابات وبين ما يتبع فى جمع تبرعات الجمعيات ؟ ويجيب على تساؤله

تراءى لرفعتكم أن قيام موظفى الحكومة بجمع التبرعات لا يمنع من أن تكون هذه التبرعات شعبية وحاولتم أن تبرروا ذلك بأن شابهتم ما بين هذه الحالة والطريقة التى تجمع بها التبرعات لصـالح الجمعيات الخيرية (الهلال الأحمر ـ مستشفى المواسـاة ـ الجمعية الخيرية الاسـلامية) ، وتجاهلتم أن تبرعات مشروع الاغاثة كانت لها الصيغة الحكومية البحتة بدليل جمعها طبقا لتعليمات مالية وبطريقة خاصة روعيت فيها النظم التى تتبع عند تحصيل أى مال أميرى .

على أن المقارنة فى حد ذاتها غير جائزة لأن قيام رجال الحكومة فى بعض الأحيان بجمع التبرعات من الأهالى لحساب بعض الجمعيات انما يكون بدافع من المروءة والانسانية لا بتكليف رسمى حكومى ، وفضـــلا عن ذلك فان هذه الجمعيات خاضعة لرقابة فعلية على شئونها المالية من وزارة الشئون الاجتماعية وديوان المحاسبة فى حين أن الوفد الذى ترأسونه هو هيئة سياسية بحتة بحكم تكوينه وطبيعة عمله ، فلا هو جمعية خيرية ، ولا هو خاضع لرقابة مالية رسمية .

أما عن جمعية الهلال الأحمر فقد ذكرتم رفعتكم فى بيانكم أن مصلحة السكك الحديدية تجمع أموالا تحصلها مع تذاكر السفر لحســـاب هذه الجمعية وأردتم أن تستنتجوا من ذلك أن تدخل الحكومة فى جمع التبرعات لا يعنى أنها أموال حكومية .

ولقد شاء لرفعتكم الحظ العاثر أن تقدموا دليلا تخيلتموه سـندا لكم وحسبتموه مبررا لتصرفاتكم ، فاذا به يكشف عن فســـاد زعمكم ، ووهن حجتكم .

وحقيقة الأمر أن مجلس الوزراء قد وافق بجلسة أول نوفمبر سنة ١٩٣٩ على تحصيل اعانة لأسبوع الهلال الأحمر وأيام الأعياد الرسمية ثم عاد مجلس الوزراء فوافق بجلسة ١٨ ديسمبر سنة ١٩٣٩ على تخصيص ٢٠٪ مما يجمع من هذه التبرعات لجمعية الاسعاف بالقاهرة . وفى ٢ يونيو سنة ١٩٤٢ وافق مجلس الوزراء على مذكرة اللجنـة المالية باســـتمرار تحصيل هذه الاعانات لتوجيهها لأعمال البر المختلفـة وتنظيم التحصيل باستصدار قانون نصت المذكرة على ما يأتى :

يضاف ما يتحصل الى باب خاص من الايرادات تدرج فيه أيضــا

متحصلات المراهنات ويوزع ما يحصل بأكمله كل سنة على جهـــات البر المختلفة بموافقة مجلس الوزراء .

وأضافت المذكرة بأن « هذا التحصيل سيكون طبعا لحساب الحكومة لتوزعه بمعرفتها على الهيئات الخيرية وفقا للطريقة المقترحة » .

فانظر يارفعة الباشا الى هذه القرارات وكيف جاء فيهـــا بصريح اللفظ « أن هذا التحصيل سيكون طبعا لحساب الحـــكومة » رغم أن التحصيل كان لحساب جمعيات خيرية كالهلال الأحمر وغيرها .. وليس لحساب هيئة سياسية كهيئتكم ـ فاستنادكم الى التبرعات التى كانت تحصلها الحكومة لحساب الهلال الأحمر انما هو دليل ضـــدكم وليس لكم ، وليس يجديكم استتاركم وراء الجمعيات الخيرية لتحقيق أغراض هى أبعد ما تكون عن الأغراض الخيرية .

ويتساءل أيضا هل التبرعات جمعت لاغاثة الأسر والعائلات أم لانشـاء مؤسسات ؟ ثم يجيب مكرم باشا

وضع المشروع الأصلى على أساس اغاثة منكوبى الأهالى من مديريتى قنا وأسوان وكان المقرر أن تضاف الأموال المجمـــوعة من الاكتتابات الى الاغاثة الحكومية التى فتح بهـا الاعتماد الاضـافى على أن تصرف هذه الأموال فى اغاثة المنكوبين ـ ولكن رفعتكم قلبتم الأوضاع واستوليتم على هذه الأموال بحجة أنهـا أموال شعبية وأن الوفد قرر أن ينشىء بهـــا مؤسستين باسم رفعتكم فى مديريتى قنا وأسوان لايواء أيتـــام المنكوبين وتعليمهم بعض الحرف والصناعات .

ويالها من جرأة على قلب الحقائق والأوضاع يلوح لنا أنكم تجهلون أو تتجاهلون ما عرض على مجلس الوزراء من مذكرات ، وما أصدره من قرارات فاذا كنتم قد نسيتم فانما نذكركم بما قد قررتم وما ســـطرته أيديـكم ، مما رفع الى مجلس الوزراء من مذكـرات بخصـــوص هذا الموضـــوع .

١ ـ مذكرة وزيرى التموين والصـحة المرفوعة لمجلس الوزراء فى ٢٠ يناير سنة ١٩٤٣ بشأن مشروع التغذية المجانيـة للفقراء بمديريتى قنا وأسوان ، وفيها الكثير مما يؤكد أن الغرض الأول والأخير من جمع هذه التبرعات لم يكن لانشاء مؤسسات لايواء أيتام المنكوبين بل لاغاثة المنكوبين أنفسهم حتى لايتيتم أبناؤهم .

وفيما يلى بعض فقرات المذكرة .

دلت التجربة على أن مقاومة المرض لايجدى فيها العلاج الطبى وحده

لأن غالبية السكان بتلك المناطق فى حالة شديدة من الفقر المدقع بحيث أصبح ما يجب مكافحته وعلاجه هما الجوع والعرى ·

وحرص معالى وزير الصحة على أن تكون الاغاثة عاجلة لتكون مجدية :

وبعد أن نبهت المذكرة الى خطورة الحالة على الوجه السابق أشارت الى أن عدد الفقـراء من أهالى المديريتين بلغ نحـو المليون وأن تكاليف التغذية لهذا العدد من السكان وما يلزمهم من الكساء وما تتطلبه مصاريف المقاومة الطبية يقدر بنحو مليون ونصف مليون جنيه منها مليون للغذاء و ٣٠٠ ألف للكساء و ٢٠٠ ألف للمقاومة الطبية ·

ولقد خشى مقدما المذكرة أن يقف المال فى سبيل تنفيذ هذا المشروع الانسانى فاذا بالمذكرة تتضمن الوسائل اللازمة للحصول على هذا الاعتماد الكبير ، **ومن بين هذه الوسائل الارتكان على هذه التبرعات التى تسابق اليهـا أفراد الشعب على اختـلاف طبقاته لاغاثة مواطنيهم المنكوبين · وفيما يلى ما جاء بالمذكرة :**

ويبحث الوسيلة اللازمة للحصول على هذا المبلغ تراءى لنا مبدئيا أنه قد يكون فى الامكان الحصول على جزء منه خصوصا وقد أبدى كبار الممولين فى هاتين المديريتين وفى مقدمتهم خاصة جلالة الملك من الأريحية والرغبة فى الاغاثة ما نسجله بخالص الشكر والتقدير ·

٢ ــ مذكرة وزيرى التموين والصحة المرفوعة لمجلس الوزراء عن خطة تنفيذ مشروع الحكومة لاغاثة فقراء مديريتى قنا وأسوان وقد وافق عليها مجلس الوزراء ــ برياسة رفعتكم فى ٨ مارس سنة ١٩٤٤ وجاء فيها ما يأتى :

وأن يكون للمشروع صفة التوقيت لاصفة الاستمرار لأن الغرض منه الاغاثة ، والاغاثة بطبيعتها عمل مؤقت يراد به أن تعود الأسر المنكوبة الى حالتها العادية ·

اذن فمجلس الوزراء قد وافق على تخصيص مايجمـع مـن هذه التبرعات لمواجهـة حالتى الجوع والمرض اللتين أشـارت اليهما مذكرة ٢٠ يناير سنة ١٩٤٤ كما وافق المجلس أيضا على أن تكون المواجهة للاغاثة وأن يكون للمشروع صفة التوقيت لاصفة الاسـتمرار كما جاء بمذكرة ٢٧ فبراير سنة ١٩٤٤ ·

فهل بعد هذا يمكن أن يقال ان هذه الاكتتابات انما جمعت لغرض انشاء مؤسسات ؟

طبعا هذا غير معقول ، لأن للمؤسسات صفة الدوام ولأن المجال لم يكن مجال انشاء مؤسسات وتخليد ذكريات .. وتعليم حرف وصناعات .. بل كان المشروع غوثا لأسر وعائلات .. وتفادى تيتم أطفال وترمل أمهات .

٣ ـ واذا تمشينا مع رفعتكم وافترضنا جدلا أن هذه الأموال انما جمعت لانشاء مؤسسات فان هذه يجب أن تتولى الحكومة انشائها ومراقبتها والاشراف عليها ، وقد تولت بنفسها جمع التبرعات التى تحاولون انفاقها عليهم ، وليس أصرح فى ذلك من الدليلين القاطعين التاليين .

أولا : تسليم رفعتكم بهذا الوضع يوم قمتم برحلتكم الى مديريتى قنا وأسوان لوضع الحجر الأساسى لهاتين المؤسستين ، فانكم احتسبتم مصاريف الانتقال وما تم من أعمال (بلغت حوالى ١٢٠٠ جنيه) على ميزانية وزارة الأشغال كما يستفاد من الخطاب الرسمى الآتى :

وزارة الأشغال العمومية

ديوان العموم

رقم ١٤ ـ ٣/٤٧ ـ ١٩٣٩٦

حضرة صاحب العزة سكرتير مالى وزارة الأشغال العمومية

نتشرف باحاطة عزتكم علما أن مصلحة المبانى الأميرية قد طلبت من الوزارة قبول الخصم بمبلغ ١٢٠٠ جنيه تقريبا قيمة أجور منقولات بالركاب والبضاعة خاصة بالمؤسستين الخيريتين بقنا وأسوان وفاتورة بناء الحجر الأساسى بمديرية قنا .

وبما أن الأعمال المتعلقة بالمؤسستين المذكورتين قد تمت أخيرا فاننا نرجو من عزتكم التفضل بالموافقة على نقل مبلغ ١٢٠٠ جنيه من الاعتماد المدرج لبند صيانة أعمال الرى ضمن التجاوزات التى وافق عليها البرلمان للباب الثانى من ميزانية مصلحة الرى للسنة المالية ١٩٤٣ ـ ١٩٤٤ الى الاعتماد الوارد لبند ٥٢ فى التجاوزات المذكورة وذلك ليتسنى لتفتيش عام رى أقاليم مصر العليا قبول الخصم بالمبلغ المذكور .

سكرتير عام وزارة الأشغال العمومية

ثانيا : اخترتم رفعتكم لاقامة هاتين المؤسستين فى بندر قنا قطعة أرض تدخل ضمن أراض اتخذت وزارتكم الاجراءات الرسمية لنزع ملكيتها للمنافع العامة ــ فهل لرفعتكم أن تفسروا لنا كيف يتفق الخاص والعام

فتنشأ مؤسستان لا شأن للدولة بهما على أرض مخصصة للمنافع العامة ؟ اللهم الا اذا كانت هاتان المؤسستان تعتبران من المنشآت العامة التى ينفق عليها من الأموال العامة ؟؟

والخلاصة أن هذه التبرعات التى عنيت الحكومة بجمعها مستخدمة لهذا الغرض رجالها الرسميين ووسائلها الرسمية انما هى أموال حكومية بحتة لا شبهة فيها ، وأما الأسباب التى تذرعتم بها تبريرا للاستيلاء على المبلغ الجسيم الذى أمكنكم الاستيلاء عليه فلا قيمة لها ، ولا طائل تحتها اللهم الا أنها تزيد هذا الاستيلاء بطلانا على بطلان ، ووزرا على وزر ٠ وانى لأجمل لرفعتكم فى ايجاز الأسانيد التى فصلتها فيما تقدم ، وهى تتلخص فيما يلى :

١ ـ قام رجال الادارة وصيارف البلاد بجمع هذه الأموال بناء على تعليمات رسمية أرسلت اليهم من مصلحة الأموال المقررة ، وبمقتضى الاستمارات رقم ٧ أموال مقررة ٠ وقد استخرجت فعلا قسيمة تحصيل رقم ٧ بكل تبرع فى يوم تقديمه أسوة بالمستحقات الأميرية وأعطت صورة القسيمة للمتبرع وحفظت الصورة الثانية مع كشوف التبرعات الأصلية بالمديرية للرجوع اليها كما جاء فى خطاب مدير الفيوم المتقدم ذكره ٠

وكان بعض القسائم بالجنيهات والملاليم حتى أن الصيارف كان كل يحصل التبرعات على أساس تقدير عرفى بواقع عشرة قروش للفدان ٠

٢ ـ كانت التبرعات تودع فى خزائن المديريات بناء على تعليمات الأموال المقررة بأن يورد الصيارف المبالغ للمديرية بنفس الطريقة المتبعة فى توريد متحصلاتهم ثم تودع باذن صرف على خزينة وزارة المالية ، وقد صدر كتابان دوريان من وزارة المالية فى ٢٨ مايو و ٢٤ يونيه سنة ١٩٤٤ بتكليف وزارات الحكومة ومصالحها بسداد كل ما تتلقاه من هذه التبرعات لحساب وزارة التموين ٠

وفى عبارة أخرى ، فان هذه التبرعات كانت تجمع كما تجمع الأموال الأميرية بواسطة الصيارف والرجال الرسميين ويعطى عنها للمتبرعين قسائم رقم ٧ أموال مقررة وتودع خزائن المديريات ثم تودع خزينة وزارة المالية لحساب وزارة التموين لتقوم الأخيرة بانفاقها تحت اشراف وزارة المالية ٠٠ فاذا لم تكن هذه أموال أميرية جوهرا ومظهرا ـ من حيث المحصلين الرسميين وطريقة التحصيل وقسائم الايصالات ، والايداع فى خزائن الحكومة ، والانفاق بواسطة الحكومة تحت اشراف

المالية — اذا لم تكن هذه أموالا حكومية بكل معانيها ومبانيها فماذا تكون ؟

٣ — صدر مرسوم بمشروع قانون بانشاء رأس مال لاعانة منكوبى قنا وأسوان ونص فيه صراحة على أن « التبرعات والهبات والوصايا التى تخصص لهذا الغرض » تدخل ضمن الموارد المخصصة لاعانة فقراء قنا وأسوان بالأغذية والملابس والأغطية والأدوية ٠

وجاء فى تقرير اللجنة المالية لمجلس النواب اشارة صريحة الى التبرعات التى جمعت لمنكوبى الملاريا وبلغت ١٥٠ جنيه حتى ذلك الوقت، واعتبرت اللجنة هذه التبرعات ضمن الاعتماد المنصوص عليه فى مشروع القانون فقالت حرفيا : « انه بجانب مبلغ المليون جنيه الذى دبر لهذا المشروع يرجى أن يغطى باقى الاعتماد المطلوب من التبرعات ، ويسر اللجنة أن تشير بهذه المناسبة الى أن ما جمع من التبرعات الى الآن بلغ حوالى ١٥٠ ألف جنيه ، وهى واثقة من أن جميع سكان البلاد سيتبارون فى التبرع لهذا المشروع الانسانى » ؟

وأيد ذلك الوضع تقرير مجلس الشيوخ الذى سبقت الاشارة اليه ٠

وأبلغ من ذلك فقد أصدر مجلس الوزراء برياسة رفعتكم قرارين ينطويان على اعتراف صريح بأن هذه التبرعات تدخل ضمن الأموال العامة — مما يقطع عليكم كل سبيل وينهض دليلا أقطع الدليل ، كما بينا ٠

٤ — أما القول بأن الوفد هو الذى قرر جمع هذه التبرعات ، فهذا لا يغير شيئا من الواقع وهو أن رجال الحكومة هم الذين قاموا بجمعها بالوسائل الرسمية المتبعة فى تحصيل الأموال الأميرية وايداعها خزائن الحكومة — ولايخرج قرار الوفد عن قرار أية هيئة غير حكومية تقترح على الحكومة جمع أموال لغرض ما ، فان مثل هذا الاقتراح الصادر من هيئة أهلية اذا أخذت به الحكومة لانقلبت بطبيعة الحال الأموال الحكومية الى أهلية فما بالكم اذا كانت الهيئة المقترحة هى هيئة سياسية تكونت منها هيئة الوزارة الحاكمة ٠٠ ؟

٥ — أما تشبيه الوفد بجمعية الهلال الأحمر والجمعيات الخيرية فهو مع وضوح تفاهته — ووجه الفكاهة فيه — لا يفيدكم فى شىء الا أنه يسجل عليكم دليلا آخر ضدكم ، وذلك لأن ما تجمعه الحكومة لهذه الجمعيات قد صدر فى شأنه قرار من مجلس الوزراء فى أول نوفمبر سنة ١٩٣٩ بالموافقة على مذكرة اللجنة المالية جاء فيها بأصرح اللفظ

« أن هذا التحصيل سيكون طبعا لحساب الحكومة لتوزعه بمعرفتها على الهيئات الخيرية » .

٦ ـ بقى أخيرا قولكم أن هذا المبلغ قد جمع لانشـــاء مؤسستين باسم مصطفى النحاس ـ وهو لعمرى تجديد فى التقليد ، وفى التخليد .

وللرد على ذلك ، يكفينى الدليل الفعلى ، بل والتسليم الجدلى .

أما الدليل الفعلى ـ والرسمى ـ الذى ينهض حجة على عدم صـحة دعواك فهو دليل ينفرع الى عدة أدلة ذكرناها من قبل ، وهى :

القسائم الرسمية التى ذكر فيها صراحة أن التبرعات جمعت لاعانة منكوبى الملاريا ، وكذلك مشروع القانون وتقريرا لجنتى المالية بالبرلمان ، بل وقرارات مجلس الوزراء نفسه ـ وكلها مجمعة على أن هذه التبرعات مخصصة لاغاثة المرضى والمنكوبين ـ وليست لانشـاء مؤسسات لتخليد الذكريات ، وتعليم الحرف والصناعات .

بقى الفرض الجدلى ، فهو أيضا لا يشفى غليلا .. فمع التسليم جدلا بأن المبلغ جمع لمؤسسات وتخليد ذكريات ، فان هذه المؤسسات يجب أن نتولى الحكومة انشـــاءها وهى التى جمعت لها التبرعات ... هذا من ناحية أولى ، ومن ناحية أخرى فانى أعترف لرفعتكم بأنكم أقدر الناس على الرد على رفعتكم ، اذ أنكم طالبتم بمصاريف وضـع الحجر الأساسى لهاتين المؤسستين وقد بلغت ١٢٠٠ جنيه قيمة أجور منقولات بالركاب والبضاعة خاصة بالمؤسستين الخيريتين بقنا وأســوان وفاتورة بناء بالحجر الأساسى بمديرية قنا كما جاء فى الخطاب الرسمى المشـــار اليـه آنفا .

وهكذا أجهزت جهيزة على كل تدليل ، وكل تضليل .

وبما أن سعادة فؤاد سراج الدين باشـــا وزير الداخلية والشئون الاجتماعية سابقا مسئول معكم بالتضامن عن الاستيلاء على هذه الأموال اذ أنه بصفة كونه وزير الداخلية والشئون الاجتماعية سابقا مسـئول معكم بالتضامن عن الاستيلاء على هذه الأموال ، اذ أنه بصفة كونه وزيرا للداخلية ، المهيمن على عملية الاكتتاب للتبرعات قد مكنكم من الاستيلاء على هذه الأموال ، وسهل لرفعتكم سحبها بالطريقة التى اتفق معكم عليها كوزير للشئون الاجتمـــاعية باســـتخدام وكيل الوزارة المذكورة لهذا الغـرض .

فبناء على هذه الأسباب جميعا .

وعلى ما قرره مجلس الوزراء من أن هذه التبرعات هى أموال حكومية يجب ردها فى الحال الى خزينة الدولة والعمل بكل الوسائل على استردادها ، مع تحميلكم وشريككم سعادة فؤاد سراج الدين باشا مسئولية الامتناع عن ردها فانى باسم الحكومة أطالب رفعتكم — برد مبلغ المائة وأربعين ألفا وخمسمائة جنيه مصرى الذى استوليتم عليه بسحبه من بنك مصر فى يومى ١٥ أبريل و ١٩ أبريل سنة ١٩٤٤ بواسطة حضرة عبد اللطيف بك محمود — فاذا لم ترد هذه المبالغ الى وزارة المالية فى ظرف أسبوع من تاريخ هذا الخطاب فستضطر الحكومة الى اتخاذ الاجراءات العاجلة باسترداد هذا المال من أموال رفعتكم وأموال زميلكم بالتضامن بينكما — هذا مع عدم الاخلال بأية اجراءات يكفلها الدستور ضدكما فى حالة امتناعكما عن رد هذا المال واصراركما على اغتياله ٠

وتفضلوا رفعتكم بقبول تحياتى ٠

وزير المالية

(مكرم عبيد)

غير أن رفعة النحاس باشا لم يقم برد المبلغ الى خزينة الحكومة رغما من مطالبته بذلك بل عمد الى ايداع المبلغ المتجمد من التبرعات السالفة الذكر والبالغ قدره ١٤٠٥٠٠ جنيه فى البنك الأهلى المصرى بتاريخ ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٤٤ بمقتضى ايصال رقم ١٦٨٤٧ باسم رفعته ولحساب مشروع مؤسستى قنا وأسوان بعد أن استقطع منه مبلغ ٢٩٠ جنيه و ٨٣٥ مليما بدعوى أنه صرف فعلا فى المرحلة الأولى من مراحل تنفيذ المشروع ٠

ولما كان الغرض من التبرعات انما هو اعانة ومساعدة فقراء مديريتى قنا وأسوان وذلك يستدعى سرعة الحصول على المبلغ لتنفيذ الأغراض التى من أجلها تبرع المتبرعون فقد أصدر دولة الحاكم العسكرى أمرا فى ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٤٤ بالاستيلاء على هذا المبلغ ووضعه تحت تصرف وزارة المالية ٠

الفصل الثانى

على هامش لجنة التحقيق الوزارية
التى شكلتها وزارة د . أحمد ماهر باشا
برئاسة مكرم عبيد باشا .

فى الفصل السابق ، تناولنا بعض ما جاء فى لجنة التحقيق الوزارية التى شكلها مجلس الوزراء برئاسة د . أحمد ماهر باشا فى ٢٨ أكتوبر ١٩٤٤ ــ أى بعد تشكيل الوزارة بعشرة أيام تقريبا ــ وذلك للتحقيق فى تصرفات الوزارة النحاسية الأخيرة (من ٤ فبراير ١٩٤٢ حتى ٨ أكتوبر ١٩٤٤) والماسة بنزاهة الحكم .

ونذكر اليوم جوانب أخرى من هذا التقرير الهام .

ولا أعتقد أن هناك سابقة فى تاريخنا السياسى مثل هذه السابقة ، سابقة تشكيل لجنة تحقيق وزارية تتناول كل أعمال الوزارة السابقة وتشكلها الوزارة القائمة بالحكم : قد يكون قد حدث أن شكلت لجنة تحقيق ما قد تكون وزارية ، وقد لاتكون وزارية للتحقق من حقيقة أمر ما وقعت فيه أو اتهمت بالوقوع فيه احدى الوزارات السابقة أما أن يشمل التحقيق كل أعمال الوزارة السابقة فى كل فترة توليها الحكم فهو ــ من ناحيــة ــ جديد فى بابه ، كمـــا أعتقد وكمـــا تسعفنى به معلوماتى التاريخية .

وهو ــ أى أمر تشكيل لجنة تحقيق وزارية عامة وشاملة لكل أعمال الوزارة السابقة ــ أمر خطير للغاية يمكن أن يؤدى الى عدم الاستقرار فى الحكم ، والى زيادة حدة الخلافات والاختلافات بين الأحزاب التى تلى الحكم وبين الشخصيات غير الحزبية التى يمكن أن تكون قد ابتليت بالحكم .

وباطلاعى على بعض الوثائق البريطانية وباستماعى الى أقوال من مكرم عبيد باشا ، وبعض أعضاء وزارتى أحمد ماهر باشا ومحمود فهمى

النقراشي باشا تبين لى أن الحكومة البريطانية وممثلها فى مصر لورد كيلرن السفير البريطانى فى مصر كانوا ينظرون الى تشكيل تلك اللجنة نظرة عدائيـــة ٠

وفى أكثر من مرة ألح تشرشل ـ رئيس الوزارة البريطانية ـ على سفيره فى القاهرة أن يحصـــل على وعد من الملك فاروق ومن وزارته ، بعدم تقديم النحاس باشا للمحاكمة لأنه خدم بريطانيا فى الحرب العالمية الثانية « ومستحيل أن توافق بريطانيا على محاكمة صديق وحليف لها »٠

ولم تكن الحكومة المصرية ولم يكن الملك فاروق بطبيعة الحال ، لتجرؤ ، أو ليجرؤ على مخالفة رغبات تشرشل أو كيلرن ، التى هى ـ تأدبا ، من جانبنا ـ بمثابة أوامر لاتقبل المناقشـــة ، وربما كانت تلك الرغبات ـ الأوامر يعنى ـ هى التى حالت دون تنفيذ ما رأته اللجنة بعد أن قرر مجلس الوزراء فى جلسته المعقودة فى ١٢ يونيـــو ١٩٤٥ احـــالة تقرير لجنة التحقيق الوزارية الى مجلس النواب ، وذلك طبقا لنص المادة ٩٦ من الدستور ٠

● مما يؤخذ على أعمال اللجنة ـ دون تعرض لشخصيات أعضائها ـ أنها كانت متأثرة الى حد كبير بآراء مكرم عبيد باشا ، وقد تجلى ذلك جليا فى صياغة التقرير الذى اتسمت عبـارته بالحدة والأسلوب الأدبى فى نفس الوقت ، الذى يتميز بهما مكرم عبيد باشا ٠

وكان تشكيل اللجنة ذاته مؤديا الى ذلك فوزير المالية ـ مكرم باشا ـ هو رئيس اللجنة ، وطه السباعى باشا ، وزير التموين هو أحد أقطاب حزب الكتلة الوفدية المستقلة الذى يتزعمه مكرم عبيد باشا حتى سكرتير اللجنة الخاص الأستاذ محمد حسين مخلوف المحامى ـ وقتئذ ـ بأقسام قضايا الحكومة فمن غلاة المؤيدين لمكرم عبيد باشا وقد وقعت اللجنـــة فى أخطاء كبيرة ، من بينها ـ مثـــلا ، وعلى ســـبيل المثال لا الحصر ـ اهتمامها بالأمور الصغيرة ، التى ما كان يجب أبدا للجنة تحقيق وزارية بها وزيران ، والنائب العام ، لدى المحاكم الأهلية ، وأحـــد المستشارين الملكيين المساعدين بأقسام قضايا الحكومة ـ أن نهتم بها ـ وذلك على النحو التالى :

● من تلك الأمور الصغيرة ـ مثلا ـ واقعـة سفر حرم النحاس باشا ومن معها الى فلسطين وكان المبلغ ، مائة وستين جنيها وستمائة مليم واستغلال عثمان محـرم باشا ، وزير الأشـغال لوظيفته بشراء اطارات لسيارته الخاصة من الاطارات المخصصة لوزارة الدفاع دون أن يدفع ثمنها الا بعد البتشر عنها ٠

● وسكن عبد الفتاح الطويل ـ وهو أصلا من الإسكندرية وربما لم يكن له سكن خاص في القاهرة ـ في حلوان على حساب السكة الحديد ـ وهو في ذات الوقت وزير المواصلات وكذلك سكناه بالباخرة كريم ، ومن الأمور التافهة في رأيي . والتي ما كان على اللجنة أن تهتم بها كل هذا الاهتمام وكان يجب عليها اذا ما رأت أهمية لتلك الأمور أن تدع التحقيق فيها للجان فرعيه : استيلاء عباس أبو علم ، ومحمد زيد مندوية ـ من أقارب صبرى أبو علم باشا على أقمشة شعبية كانت مفرزة أصلا لمركز منوف وكذلك محاباة بعض أنصاره ـ صبرى باشا ـ في مقررات السكر وكذلك شحن بطارية العربة الخاصة بابن وزير الدفاع فؤاد أفندى حمدى سيف النصر بورش سلاح الصيانة الملكى باذن تشغيل رقم ٤٢٩٤ ، ٤٨ بتاريخ ٧ أكتوبر والقيمة مائتان وخمسون مليما لاغير ، وكذلك تنكيل ٤ طاسات عجل لسيارة خاصة مملوكة للوزير وقيمة التنكيل ٤٤٣ مليما لاغير .

وقد يكون لتلك الأمور دلالات خاصة رأت اللجنة اتخاذها وسيلة لاثبات تهم جسيمة ، الا أننا كنا نود لو لم تقم اللجنة بتحقيق تلك المسائل وبتسجيلها في تقريرها النهائي . ونستأذن في الوقوف عند بعض أمور جاءت في التقرير لم نركز عليها في الفصل السابق الخاص بذلك التقرير : من بين تلك الأمور ما تعلق بأحمد حمدى سيف النصر ، وزير الدفاع وما نسب اليه من تجاوزات واتهامات .

● اختلاس مبلغ ٢٤٠٧٦٣ جنيها و١٠٤ مليمات .

جرت وزارة الدفاع الوطنى على ادراج مبلغ ١٠٠٠٠ جنيه في ميزانيتها ابتداء من سنة ١٩٣٩ ـ ١٩٤٠ ، واستمرت على ذلك في السنوات التالية للصرف منها في شئون المخابرات السرية .

وقد جرى العرف على أن يصرف من هذا الاعتماد المبالغ التى تحتاج اليها المخابرات الحربية ، وذلك بأن يتقدم مدير المخابرات الى الوزير بطلب ما يلزمه منها ، فيحرر شيك بالمبلغ المطلوب باسم الوزير بنفسه ، وهو بدوره اما أن يحوله باسم مدير المخابرات ، أو يصرفه بمعرفته ويسلمه اليه نقدا .

وقد احتفظ مدير المخابرات منذ فتح اعتمادات المصاريف السرية بوزارة الدفاع الوطني بدفتر خاص في مكتبه يدون به كل مبلغ يسلم اليه وكذلك المصاريف التى يقوم بصرفها بمعرفته من المبلغ المشار اليه ،

وبذلك يمكنه فى أى وقت أن يحصر المبالغ التى صرفت له لحساب المخابرات والجهات التى صرفت اليها ٠

كما جرى العرف على ايداع مبالغ الاعتمادات السرية فى حسابات الوزارة والصرف منها على دفعات عديدة فى الشهر الواحد تبعا لدواعى المصلحة العامة وهو عرف مستقر توجبه الأمانة ويقضى به الاحتياط ٠

والمصاريف السرية ، وان كانت لاتخضع للقواعد المالية العامة ، الا أن التصرف فيها يخضع دائما لرقابة معينة ، اذ ليس معنى كونها سرية أن لاتخضع لأية رقابة ، فهى فى الواقع جزء من نفقات الدولة العامة ، مخصص لغرض معين ويجب أن تنفق فى الغرض الذى خصصت من أجله لا أن يترك التصرف فيها بدون محاسبة أو رقابة ٠

والمصاريف السرية لوزارة الدفاع الوطنى لم تتقرر لها الا أخيرا لصرفها فى شئون المخابرات السرية ٠

وفى فرنسا ، يلتزم كل وزير مخصص لوزارته مصاريف سرية أن يقدم حسابا عن تلك المصاريف لرئيس الدولة ، ويجب على الوزراء فى نهاية السنة المالية أو عند تركهم مقاعد الحكم أن يقدموا لرئيس الجمهورية كشفا بالمبالغ المنصرفة فى الوجوه التى خصصت لها المصاريف السرية ويعتمد رئيس الدولة الكشف المذكور بعد مراجعته ويكلفهم تسليم المتبقى من هذه الأموال ان وجد لمن يخلفهم فى الحكم ٠

وقد كان الاعتماد المخصص لوزارة الدفاع الوطنى لاستعماله فى المصروفات السرية المتعلقة بتلك الوزارة عن السنة المالية ١٩٤١ ـ ١٩٤٢ مبلغ عشرة آلاف جنيه وهو نفس الاعتماد الذى كان يخصص سنويا للمصروفات السرية ، وقد صرف منه منذ ابتداء السنة المالية المذكورة فى أول مايو سنة ١٩٤١ الى ٣ فبراير سنة ١٩٤٢ ، أى فى خلال مدة أكثر من ٩ شهور مبلغ ٩٠٨٧ جنيها و ٨٠٠ مليم بأذون صرف وشيكات عددها ٣٢ ٠

أى أن الوزير السابق استنفد فى يوم واحد هذا المبلغ المفروض أنه انما تقرر لتكملة باقى السنة المالية ٠

ويلاحظ أن الوزير السابق كان فى هذا التاريخ (١ يوليو سنة ١٩٤٣) وقبله لمدة لا تقل عن ثلاثة أشهر مريضا ومتغيبا عن عمله ، أى أن جميع الاعتمادات التى صرفت له منذ ابتداء تلك السنة المالية فى ١ مايو سنة ١٩٤٣ ، انما صرفت له فى وقت لم يكن فيه قائما بعمله بالوزارة ٠

● **تجاوز ثان بمبلغ ١٠٠٠٠ جنيه :**

وفى ٣٠ أغسطس سنة ١٩٤٣ ، تقدم الوزير السابق بطلب تجاوز فى هذه المصاريف السرية بمبلغ عشرة آلاف جنيه ، وذكر فى الطلب الذى تقدم منه أن مبررات هذا الاقتراح انما هى امكان صرف المكافأة المقترحة لتشجيع الجنود على مقاومة التهريب .

وقد وافقت اللجنة المالية على هذا الطلب فى ٥ سبتمبر سنة ١٩٤٣

ووافق مجلس الوزراء عليه فى نفس اليوم (٥ سبتمبر سنة ١٩٤٣) .

وتسلمه الوزير السابق بأكمله فى ٨ سبتمبر سنة ١٩٤٣ ، بشيك واحد رقم ١٣٨٠١

● **تجاوز ثالث بمبلغ ١٥٫٠٠٠ جنيه :**

كما تقدم الوزير السابق فى ٢١ ديسمبر سنة ١٩٤٣ بطلب تجاوز ثالث فى تلك السنة المالية بمبلغ ١٥٫٠٠٠ جنيه .

ووافقت عليه اللجنة المالية فى ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٤٣ .

ووافق عليه مجلس الوزراء فى نفس اليوم(٣٠ ديسمبر سنة ١٩٤٣)

وتسلمه الوزير السابق مباشرة فى ٢ يناير سنة ١٩٤٤ باذن صرف واحد رقم ٧٢٧٧١

● **تجاوز رابع بمبلغ ٤٥٫٠٠٠ جنيه :**

ولما كان الوزير السابق تسلم هذه الاعتمادات بأكملها عقب تقريرها ، ولم تكن السنة المالية قد انتهت بعد ، فانه تقدم فى ٨ فبراير سنة ١٩٤٤ بطلب تجاوز رابع بمبلغ ٤٥٫٠٠٠ جنيه علاوة على التجاوزات السابقة ، مبررا هذا الطلب بلزومه لصرفه مكافآت تشجيعية لجنود الجيش ومصلحتى الحدود وخفر السواحل لتعقب المهربين .

وقد وافقت اللجنة المالية على هذا الطلب فى ١٤ فبراير سنة ١٩٤٤

كما وافق عليه مجلس الوزراء فى ١٦ فبراير سنة ١٩٤٤ .

ولم يتأخر الوزير السابق عن تسلمه بأجمعه فى اليوم التالى (١٧ فبراير سنة ١٩٤٤ باذن صرف واحد رقم ١٥٣٦٧) .

فيتضح من ذلك أن الوزير السابق حصل فى تلك السنة المالية على

تجاوزات فى المصروفات السرية يبلغ مجموعها ٠٠٠ر١٢٠ جنيه ، أى اثنى عشر مثلا لما كان مقررا لها من اعتماد أصلى ، فكأنه يستنفد من التجاوزات فى شهر واحد مبلغا يساوى ما خصص لوزارة الدفاع الوطنى فى السنة بأكملها ، وكان تسلم مبالغ تلك التجاوزات فورا عقب تقريرها .

	مليم	جنيه
وقد بلغت جملة ما تسلمه مديرو المخابرات والشئون العامة	٨٣١	١٢٨٠
فيكون الباقى فى ذمة الوزير السابق	١٦٩	١٢٨٧١٩

وتتبين جسامة مسئولية وزير الدفاع السابق (حمدى باشا سيف النصر) وخطورة تصرفاته فى اعتمادات المصاريف السرية من استعراض ما تم بشأنها فى فترة توليه تلك الوزارة وما أدخله فى ذمته منها .

● **مبلغ ٤٧٤٢٦ جنيها و ١٣٠ مليما من اعتمادات السنة المالية ١٩٤٢ – ١٩٤٣ .**

الاعتماد الأصلى : كان الاعتماد المخصص للمصاريف السرية فى تلك السنة مبلغ عشرة آلاف جنيه كالمعتاد ادراجه لها فى السنوات السابقة .

تجاوز : ولم يمض على ابتداء السنة المالية شهر ونصف شهر ، ومع أنه لم يكن صرف من الاعتماد الأصلى المخصص للمصاريف السرية سوى ١٥٨٠ جنيها ، فقد تقدم الوزير السابق فى ١٨ يونية سنة ١٩٤٢ بطلب تجاوز هذا الربط بمبلغ ٠٠٠ر٤٠ جنيه أى أربعة أمثال الاعتماد الأصلى المخصص للسنة كلها .

وقد وافقت اللجنة المالية على هذا الطلب فى ٢٠ يونية سنة ١٩٤٢ .

كما وافق عليه مجلس الوزراء فى ٢١ يونية سنة ١٩٤٢ .

وقد تسلمه الوزير السابق بأكمله فى ٢٢ يونية سنة ١٩٤٢ .

أى فى اليوم التالى مباشرة ، باذن صرف رقم ٥٤٥٠٦١

ولعل ما تجدر الاشارة اليه ، أنه بصرف النظر عن هذا الاعتماد الاضافى بمبلغ ٠٠٠ر٤٠ جنيه الذى تسلمه الوزير بأكمله مرة واحدة ، فقد تبين من مراجعة حسابات الوزارة أن المبلغ الأصلى للاعتماد ومقداره ٠٠٠ر١٠ جنيه كان كافيا لتلبية طلبات الوزارة طول السنة المالية المذكورة ، فقد تسلم منه الوزير أيضا فى شهر يونية سنة ١٩٤٢ الذى

تسلم فيه قيمة التجاوز مبلغ ٢٢٠٠ جنيه ، وظل يستلم من الاعتماد الأصلى للمصاريف السرية دفعات متعددة فى تلك السنة المالية حتى انه استطاع فى أبريل ١٩٤٣ وهو ختام السنة المالية أن يحصل منه على مبلغ ٢٤٠٦ جنيهات ٠

ولم يتسلم مديرو مصالح الوزارة من جملة هذه المبالغ سوى مبلغ ٢٥٥١ جنيها و ٧٧٠ مليما فيكون ما دخل فى ذمة الوزير السابق من اعتمادات هذه السنة مبلغ ٤٧٤٢٦ جنيها و ١٣٠ مليما ٠

● مبلغ ١٢٨٧١٩ جنيها و ١٦٩ مليما من اعتمادات السنة المالية ١٩٤٤/١٩٤٣ :

الاعتماد الأصلى : كان الاعتماد المخصص للمصروفات السرية فى السنة المالية المذكورة مبلغ عشرة آلاف جنيه كالمعتاد ٠

وقد تسلمه الوزير بأكمله فى بدء تلك السنة المالية ، اذ صرف له بشيكين ، أحدهما رقم ٨٩٦١ بمبلغ ١٠٠ ج بتاريخ ٥ مايو سنة ١٩٤٣ والثانى بمبلغ ٩٩٠٠ جنيه بتاريخ ٩ مايو سنة ١٩٤٣ أى أن الوزير السابق ، فى تسعة أيام ، قد استنفد الاعتماد المخصص للسنة المالية بأكملها ٠

تجاوز أول بمبلغ ٥٠٠٠٠ جنيه :

وتقدم الوزير بطلب تجاوز فى هذه المصاريف السرية بمبلغ ٥٠٠٠٠ ج فى يوم ٣٠ يونيو سنة ١٩٤٣

وفى نفس اليوم (٣٠ يونيو سنة ١٩٤٣) وافقت اللجنة المالية عليه ٠

وفى نفس اليوم أيضا (٣٠ يونيو سنة ١٩٤٣) وافق عليه مجلس الوزراء ٠٠

وفى اليوم التالى (أول يوليو سنة ١٩٤٣) تسلم الوزير السابق هذا المبلغ بأكمله أى بمجرد موافقة مجلس الوزراء ٠٠ اذ صرف اليه باذن صرف رقم ١١١١٧ مؤرخ فى أول يوليو سنة ١٩٤٣ ٠٠

● مبلغ ٦٤٠٨٠ جنيها و ٨٠٥ مليمات من اعتماد السنة المالية ١٩٤٤ ـ ١٩٤٥

الاعتماد الأصلى : كان الاعتماد المخصص لهذه المصروفات السرية ١٠٫٠٠٠ جنيه كالمعتاد ٠

وقد تسلمه الوزير بأكمله باذن صرف واحد رقم ١١٥٥٦٢ فى ٢٠ مايو سنة ١٩٤٤ ٠

تجاوز اول بمبلغ ٤٥٫٠٠٠ جنيه :

ثم تقدم الوزير السابق فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٤٤ بطلب تجاوز فى هذه المصاريف بمبلغ ٤٥٫٠٠٠ جنيه ٠

ووافقت اللجنة المالية على ذلك فى ٢٤ يوليو سنة ١٩٤٤

ووافق مجلس الوزراء فى ٢٥ يوليو سنة ١٩٤٤

وقد تسلم الوزير السابق المبلغ بأكمله فى ٢٦ يوليو سنة ١٩٤٤ ، أى فى اليوم التالى لموافقة مجلس الوزراء بشيك رقم ١٤٢٣٠٢

تجاوز ثان بمبلغ ١٠٫٠٠٠ جنيه :

وقد تقدم الوزير السابق فى ٢ سبتمبر سنة ١٩٤٤ بطلب تجاوز بمبلغ ١٠٫٠٠٠ جنيه بحجة توزيعه لمقاومة التهريب ٠

ووافقت اللجنة المالية على هذا الطلب فى ١٠ سبتمبر سنة ١٩٤٤

كما وافق عليه مجلس الوزراء فى ١٣ سبتمبر سنة ١٩٤٤

وتسلمه الوزير السابق بشيك واحد رقم ١٤٢٦٢٩ بتاريخ ١٦ سبتمبر سنة ١٩٤٤

وقد بلغت جملة ما تسلمه مديرو المخابرات والشؤون العامة ٩١٩ جنيها و ١٩٥ مليما ٠

فيكون ما بقي في ذمة الوزير السابق ٦٤٠٨٠ جنيها و ٨٠٥ مليمات٠

فيتبين من جميع ما تقدم أن وزير الدفاع السابق قد استلم من اعتمادات المصروفات السرية المخصصة للوزارة خلال الفترة من ٦ فبراير سنة ١٩٤٢ الى ٨ أكتوبر سنة ١٩٤٤ المبالغ الآتية :

مليم	جنيه	
ـ	٧٠٠	من اعتماد أصلى وتجاوز السنة المالية ١٩٤١ـ١٩٤٢
١٣٠	٤٧٤٢٦	« السنة المالية ١٩٤٢ـ١٩٤٣
١٦٩	١٢٨٧١٩	« السنة المالية ١٩٤٣ـ١٩٤٤
٨٠٥	٦٤٠٩٠	« السنة المالية ١٩٤٤ـ١٩٤٥
١٠٤	٢٤٠٩٢٦	

وعقب اقالة الوزارة ، لم يوجد بخزينة وزارة الدفاع من المصروفات السرية سوى ١٦٣ جنيها ، فيكون ما دخل ذمة وزير الدفاع السابق من هذه المصروفات مبلغ ٢٤٠٧٦٣ جنيها و ١٠٤ مليمات ٠

وعن اعتمادات مصلحة الحدود يقول التقرير :

كان لمصلحة الحدود اعتماد خاص بالمصروفات السرية ، استلم الوزير السابق منه مبلغ ٤٠٠ جنيه بشيكين :

أولهما بمبلغ ٢٠٠ جنيه رقم ٦٤٣٩٧٦ بتاريخ ١٩٤٣/١١/١٥

ثانيهما بمبلغ ٢٠٠ جنيه رقم ٦٢٤١٣٥ بتاريخ ١٩٤٤/٤/٢٧

ويلاحظ بشأن التجاوزات التى طلبت للمصاريف السرية أنه لا يوجد فى الأوراق ما يدل اطلاقا على أن هناك طلبا تقدم من الوزارة من أية جهة تابعة لها يبرر طلب التجاوزات المتعددة التى كان يتقدم بها الوزير السابق ، مع أنه كان يشير صراحة فى كثير من هذه الطلبات الى أنها مطلوبة كمكافآت تشجيعية لجنود الجيش ومصلحتى خفر السواحل والحدود ، وكان الواجب أن يكون هناك طلب من احدى المصالح والادارات التابعة للوزارة يشير الى الظروف التى استجدت أو التى تبرر طلب هذه التجاوزات ٠

ومما يلاحظ أيضا أن اعتماد المصاريف السرية انما يقصد به تخصيصه للسنة المالية بأكملها ، وأنه اذا كانت هناك حاجة حقيقية لتقرير تجاوز ، فانه انما يقصد منه أن يكون فى هذا التجاوز ما يكمل حاجة الوزارة طوال السنة المالية ، بينما كان الواقع أن الوزير يقوم بتسليم كل مبالغ التجاوز دفعة واحدة ، وهو تصرف ينفى ما كان يتقدم به من مبررات •

كما يلاحظ أيضا أنه لم تتبين الأوجه الحقيقية لصرف هذه الاعتمادات • والثابت كما سبق ايضاحه أن أغلب التجاوزات المطلوبة انما كان بحجة توزيعه كمكافآت تشجيعية لجنود الجيش ومصلحتى خفر السواحل والحدود ، نظير قيامهم بمكافحة المهربين ولم يعثر على ما يدل على صرفها لاحدى المصالح التابع لها هؤلاء الجنود ، مما قد يستفاد منه أن تلك الحجة كانت ظاهرية فقط ••• ويؤيد ذلك ما جاء بكتاب مراقبة الميزانية العامة بوزارة المالية فى ٤ سبتمبر سنة ١٩٤٣ عند طلب تجاوز مبلغ ١٠ر٠٠٠ جنيه فى أغسطس سنة ١٩٤٣ لمنح المكافآت التشجيعية بأن ذلك المبلغ انما كان مفهوما دخوله ضمن التجاوز السابق الذى تقرر فى ٣٠ يونية سنة ١٩٤٣ بمبلغ ٥٠ر٠٠٠ جنيه أى لم يصرف من مبلغ الـ ٥٠ر٠٠٠ جنيه مكافآة تشجيعية • كما يؤيد ذلك أيضا ما تبين من أن مصلحة خفر السواحل ظلت شهورا طويلة بعد الحصول على تجاوز المكافآت تطالب بنصيب فيه وكان مصير كل استعجالاتها الحفظ ، كما هو ثابت فى ملفات الوزارة •

وفضلا عن مسئولية وزير الدفاع السابق عن الوقائع السابق ايضاحها سواء من الناحيتين المدنية والجنائية ، التى تستوجب استرداد المبالغ التى أدخلها فى ذمته بدون وجه حق ، وتطبيق قانون أحكام العقوبات بشأنها ، فانه تجدر الاشارة الى مسئولية كل من اللجنة المالية ومجلس الوزراء فيما يتعلق بتجاوز اعتماد المصاريف السرية ، فالثابت أن الاعتماد الأصلى الذى كان يخصص كل سنة لم يطرأ عليه تغيير وهو مبلغ ١٠ر٠٠٠ جنيه ، ولو كانت هناك حاجة حقيقية تدعو لتجاوزه لكان هذا الاعتماد قد تعدل من الوجهة الأصلية فى السنة التالية له •

فضلا عما يلاحظ من قصور بحث كل من اللجنة المالية ومجلس الوزراء بشأن ما يبرر تقرير هذه التجاوزات ، اذ انه ثابت أن طلب وزير الدفاع السابق انما كان يمر فى أسرع وقت ، بل وتتم موافقة اللجنة المالية ومجلس الوزراء عليه فى أغلب الأحوال فى نفس اليوم الذى يتقدم فيه طلبه ، وهو دليل على سوء القصد ومثير للريبة ويؤيد ذلك ما جاء

فى مذكرة معالى وزير الدفاع الوطنى المرفوعة الى لجنة التحقيق من أنه٠٠ علم من أحد حضرات أصحاب المعالى الوزراء أن محمد صلاح الدين بك السكرتير العام الأسبق لمجلس الوزراء كان فى غيره مرة من المرات التى وافق فيها المجلس على هذه التجاوزات الضخمة لوزارة الدفاع ، يمهد لها السبيل فى وزارة المالية ، كما اتصل بعلمه أن مبلغ الـ ٥٠٠٠٠ر٥٠ جنيه التى صرفت للوزير السابق فى أول يونية سنة ١٩٤٣ قد أرسلت الى منزله بالدقى فى أثناء مرضه الطويل ، وهو فى حالة لاتسمح له بمباشرة أى عمل ، ومن هنا يتبين مبلغ خطورة تلك التصرفات ، وقد اتضح من الرجوع الى مضابط مجلس النواب أن الوزير السابق تغيب عن حضور الجلسات مدة لا تقل عن ثلاثة أشهر قبل ذلك التاريخ ، وأنه ظل متغيبا بعد ذلك نظرا لمرضه الذى لم يمنح من أجله أجازة ولم يقرر مجلس الوزراء فى خلال تلك الغيبة الطويلة انابة أحد من الوزراء بدله ، بل انه عندما شفى وعاد الى مباشرة عمله كان أول ما اتجه اليه هو الحصول على تجاوز جديد هو مبلغ عشرة آلاف جنيه ، الذى وافق عليه مجلس الوزراء فى ٥سبتمبر سنة ١٩٤٣ ٠

ولذلك فان أقل ما يمكن أن توصف به مسئولية اللجنة المالية ومجلس الوزراء فى هذا العبث الخطير بأموال الدولة أنها مسئولية أدبية وأخلاقية جسيمة ، بل ان مسئولية مجلس الوزراء فى ذلك قد ترتفع الى حد الاشتراك مع وزير الدفاع السابق فى المسئولية المترتبة على ما قام به من تصرفات فى هذه الاعتمادات ٠

● **وعن الاعتمادات الخاصة والوزير بدأ التقرير يتحدث عن اعتماد الصحراء الغربية ٠**

وافق مجلس الوزراء فى ٢١ يولية سنة ١٩٤٢ على اعتماد مبلغ ٥٠٠٠ جنيه يؤخذ من اعتماد الطوارىء الخاص بالميزانية ويحول الى وزارة الدفاع للصرف منه فى تموين واعانة المهاجرين بالصحراء الغربية ، وقد تسلمه وزير الدفاع السابق على دفعات ابتداء من ٨ سبتمبر سنة ١٩٤٢ الى ١٧ أبريل سنة ١٩٤٣ ٠

ومما يجدر ذكره بشأن هذا الاعتماد الاشارة الى تاريخ رحلات الوزير السابق فى الصحراء الغربية ، اذ انه سافر الى برج العرب فى ١٦ سبتمبر سنة ١٩٤٢ والى الحمام فى ١٧ سبتمبر سنة ١٩٤٢ ، والى جانكليس فى ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٤٢ ، ومن مقارنة تاريخ هذه الرحلات بتاريخ استلام المبالغ ، يتضح جليا أن الوزير السابق تسلم مبلغ

١٠٠٠ جنيه فقط قبل هذه الرحلات ، أما الباقى وقدره ٤٠٠٠ ج فانه قد تسلمه بعد الانتهاء من الرحلات المتقدم ذكرها .

والاعتماد السالف الذكر اعتماد خاص لغرض معين وطبقا للتعليمات المالية يجب تقديم المستندات المؤيدة للصرف فى الشئون المرصد لها الاعتماد مع وجوب اتباع القواعد المالية فى الصرف وذلك بعمل مناقصات فى حالة المشترى ومحاضر لجان فى حالة صرف اعانات مالية أو مهمات .

ولكن وزير الدفاع السابق بعد تسلمه هذا الاعتماد بأكمله ، لم يقدم للوزارة أى مستند يدل على الجهة التى صرف فيها .

● **وعن اعتماد معتقلات السرو والعياط :**

وافق مجلس الوزراء على اعتماد جملة مبالغ فى تواريخ مختلفة للصرف منها على معتقلات السرو والعياط ، والمبالغ لم تتجاوز أحد عشر ألف جنيه .

وهذه المبالغ بأكملها قد صرفت بشيكات وأذون لوزير الدفاع السابق بناء على طلبه عقب تقريرها مباشرة .

والمبالغ المذكورة يجب أن يتبع فى صرفها النظم المالية ، وتقدم عنها المستندات الدالة على الصرف طبقا لما سبق ايضاحه .

ولكن لم تقدم للوزارة مستندات الا عن مبلغ ٦٨١٨ جنيها و ٦٣٦ مليما والباقى وقدره ٤١٨١ جنيها و ٣٦٤ مليما ، لم يقدم وزير الدفاع السابق عنه أى مستند يدل على أوجه صرفه .

● **اعتماد اعانة المناطق الصحراوية :**

صدر قانون رقم ٣٥ فى ٢٦ أبريل سنة ١٩٤٤ بفتح اعتماد خاص بميزانية مصلحة الحدود مبلغ ٢٥٫٠٠٠ جنيه لاعانة أهالى المناطق الصحراوية .

وقد جاء فى تقرير اللجنة المالية لمجلس الشيوخ عند مناقشة مشروع هذا القانون ما يأتى :

« وقد استفسرت اللجنة المالية عن مفردات هذا الاعتماد ، فأدلى حضرة صاحب العزة وكيل وزارة الدفاع الوطنى بالبيانات الآتية :
« سيخصص الاعتماد لشراء نحو ٣٥٠٠ أردب من الحبوب و ٤٠٫٠٠٠ متر من الأقمشة و ٣٠ طنا من السكر والباقى احتياطى لمصاريف النقل

والتوزيع وشراء شاى وغيره من الضروريات • وقد وافقت اللجنة على فتح هذا الاعتماد على أن يكون الشراء بواسطة وزارة الدفاع الوطنى والتوزيع بواسطة موظفيها بحيث تشمل الواحات الداخلة والخارجة والبحرية والفرافرة ومنطقة البحر الأحمر وسيناء والصحراء الغربية وغيرها من المناطق الأخرى التابعة لمصلحة الحدود » •

وقد قامت الوزارة بشراء أقمشة وحبوب وسكر ••• الخ ••• خصما من الاعتماد المقرر •

غير أن وزير الدفاع السابق طلب مبلغ سبعة آلاف جنيه من هذا الاعتماد وقد صرف اليه بناء على أمره مبلغ ٥٠٠٠ جنيه فى ٨ أبريل سنة ١٩٤٤ ومبلغ ٢٠٠٠ جنيه فى ٢٧ أبريل سنة ١٩٤٤ ولم يقدم الوزير السابق للوزارة أى مستند يدل على التصرف فى المبلغ الذى استلمه فى الغرض الذى طلب من أجله الاعتماد •

وتجدر الاشارة هنا أيضا الى تاريخ سفر الوزير السابق فى رحلات الواحات الجنوبية ومنطقة البحر الأحمر ، وكانت على الوجه الآتى :

من ١٩٤٤/٢/٢٠ الى ١٩٤٤/٢/٢٥ واحتى الخارجة والداخلة •

من ١٩٤٤/٣/١٥ الى ١٩٤٤/٣/١٨ واحتى البحرية والفرافرة •

من ١٩٤٤/٨/١٤ الى ١٩٤٤/٨/١٩ منطقة البحر الأحمر •

ويتضح من مقارنة تاريخ هذه الرحلات بتاريخ صرف المبالغ التى طلبها الوزير السابق من هذا الاعتماد أن تسلمه لها انما كان بعد انتهاء رحلتى الواحات الخارجة والداخلة والبحرية والفرافرة بأكثر من شهر وكان قبل ابتداء رحلة منطقة البحر الأحمر بنحو أربعة أشهر •

وعن التطبيق القانونى لكل تلك الأعمال :

أولا ــ من الوجهة المدنية :

تقضى المادة ١٤٥ من القانون المدنى ، بأن من أخذ شيئا بغير استحقاق وجب عليه رده ، وثابت من جميع ما تقدم أن المبالغ التى استلمها وزير الدفاع السابق انما هى مبالغ مخصصة لغرض معين ، وطالما أنه لم يقدم الدليل اللازم لاثبات انفاقها فى الغرض الذى خصصت من أجله ، فانه يعتبر ملزما بردها لاستيلائه عليها فى هذه الحالة بدون وجه حق •

ثانيا ــ من الوجهة الجنائية :

تقضى المادة ١١٢ من قانون العقوبات بأن كل من تجارى من مأمورى التحصيل أو المندوبين له أو الأمناء على الودائع أو الصيارفة المنوطين بحساب نقود أو أمتعة على اختلاس أو اخفاء شىء من الأموال الأميرية أو الخصوصية التى فى عهدته أو من الأوراق الجارية مجرى النقود أو غيرها من الأوراق والسندات والعقود أو اختلس شيئا من الامتعة المسلمة اليه بسبب وظيفته يحكم عليه فضلا عن رد ما اختلسه بدفع غـرامة مسـاوية لقيمة ذلك ويعاقب بالسجن ٠

ولا يشترط فى تطبيق المادة ١١٢ من قانون العقوبات الخاصـة بالاختلاس الذى يقع من مأمورى التحصيل أو المندوبين له أو الأمناء على الودائع أو الصيارفة أن تكون وظيفة المختلس الأصـلية هى التحصيل أو حفظ الودائع أو القيام بأعمال الصيرفة بل يكفى أن يكون ذلك جزءا من وظيفته أو يكون من مقتضيات أعمال وظيفته ٠

والصراف طبقا لنص تلك المادة أو الشخص المنوط به حساب نقود أو أمتعـة هو كل شخص مكلف بمقتضى وظيفتـه تسلم نقود أو أشياء أخرى لحفظها وانفاقها أو توزيعها فى الوجوه المقررة لها ٠

فاذا كان من مقتضيات الوظيفة أن يتسلم الموظف (أو الشخص ذو الصفة العامة) نقودا لانفاقها فى شئون معينة أو توزيعها فى وجوه مقررة لها ، فلم ينفقها فى تلك الشئون أو لم يوزعها فى تلك الوجوه التى قررت لها وأرصدت عليها بل استولى عليها لنفسه أو لغيره ، فانه يعد مختلسا لها فى حكم المادة ١١٢ عقوبات باعتبار أنه بوصفه شاغلا لتلك الوظيفة وبسببها يتسلم هذه النقود التى تصرف باسمه دائما طبقا لما قضى به النظام المالى ، وذلك لينفقها بعدئذ فى شئون أو وجوه معينة ، فهو بذلك يؤدى عمليـة صـيرفة هى من مقتضـيات وظفته وتقع فى اختصاصها بالفعلأو على الأقل يؤديها بسبب تلك الوظيفة وان لم يكن فى الأصل صرافا ٠

وانه وان كان الأصل أنه يجب لاعتبار التسليم بمقتضى الوظبفة أن يكون الأمين مختصا بتسلم النقود طبقا للقوانين واللوائح ، الا أنه ليس من الضرورى أن يكون قد صدر قانون خاص أو وضعت لائحة ادارية بذلك بل يكفى أن يجرى به العمل تطبيقـا لقانون عام منظم لمصارف المـال كالميزانية ، أو تنفيذا لقرارات الاعتمادات الاضافية ، متى كان من شأن

هذا التطبيق أو التنفيذ أن أصبح ذلك الموظف هو المتولى بالفعل أمر هذه الأموال •

وقد قضى بأنه يكفى أن يكون الموظف قائما بعملية تسلم الأموال طبقا لما جرى به العمل بحسب ترتيب توزيعه وبموجب الصفة الفعلية وطبيعة الأعمال المنوطة بالموظف •

وهذا النظر لا يقوم على مجرد اعتباره صرافا بالفعل لأن الصراف بالفعل قد لا يكون موظفا بل من أتباع الصراف الموظف كابنه أو سكرتيره الخاص أو قد يكون موظفا ولكن وظيفته لا تقتضى أن يقوم بتسلم نقود لانفاقها أو توزيعها ففى مثل هذه الصور قد لا يعتبر صرافا فى حكم تلك المادة •

أما اذا كان من شأن وظيفته أن يكون هو الذى يتسلم تلك الأموال ويصرفها باسمه وبوصفه وجرى بذلك العرف المالى ونظام العمل كما قضت طبيعة تلك الأموال والعلة فى تخصيصها بالميزانية أن توضع فى يد الموظف الأعلى ليتولى انفاقها بنفسه فهو يعتبر فى شأنها صرافا فى حكم المادة ١١٢ من قانون العقوبات ـ ولو لم يكن كذلك فى الأصل ـ متى كان قد تسلمها لينفقها فى شئون معينة أو يوزعها فى وجوه مقررة لها ـ فاذا هو لم يفعل وأضافها لنفسه أو لغيره واختلسها فانه يقع تحت طائلة العقاب طبقا لتلك المادة بوصفه « منوطا بحساب تلك الأموال » •

وبتطبيق ما تقدم على الوقائع السابق ذكرها ، يتضح أن وزير الدفاع السابق قد ارتكب ما يأتى :

أولا : اختلس مبلغ ٢٣٩٨٦٣ جنيها و١٠٤ مليمات من قيمة الاعتمادات التى خصصت لمصاريف الوزارة السرية فى المدة من ٦ فبراير سنة ١٩٤٢ الى ٨ أكتوبر سنة ١٩٤٤ اذ استولى عليها لنفسه ولم يثبت مراعاته العرف والقواعد المتبعة بشأنها •

ثانيا : اختلس مبلغ ٤٠٠ جنيه من اعتمادات المصاريف السرية بمصلحة الحدود فى ١٥ نوفمبر سنة ١٩٤٣ و ٢٧ أبريل سنة ١٩٤٤ اذ استولى عليها لنفسه ولم يثبت مراعاته العرف والقواعد المتبعة بشأنها •

ثالثا : اختلس مبلغ ٥٠٠٠ جنيه قيمة اعتماد اعانة المهاجرين بالصحراء الغربية اذ استلمه على دفعات ابتداء من ٨ سبتمبر سنة ١٩٤٢ الى ٢٧ أبريل سنة ١٩٤٣ ولم يقدم للوزارة عنه أى مستند يثبت اوجه الصرف فى هذا الاعتماد طبقا للقواعد المالية المقررة •

رابعا : اختلس مبلغ ٤١٨١ جنيها و٣٦٤ مليما باقى قيمة اعتمادات قررها مجلس الوزراء فى ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٤٢ و٢٤ فبراير سنة ١٩٤٣ و٢٧ مايو سنة ١٩٤٣ و٢ ديسمبر سنة ١٩٤٣ و٢٦ أبريل سنة ١٩٤٤ و٢٥ يولية سنة ١٩٤٤ ومجموعها ١١ ألف جنيه لمصاريف معتقلات السرو والعياط ولم تقدم مستندات الا عن مبلغ ٦٨١٨ جنيها و٦٣٦ مليما ٠

خامسا : اختلس مبلغ ٧٠٠٠ جنيه من قيمة الاعتماد الذى صدر به القانون رقم ٣٥ فى ٢٦ أبريل سنة ١٩٤٤ وذلك فى ٨ أبريل سنة ١٩٤٤ بالنسبة لمبلغ ٥٠٠٠ جنيه وفى ٢٧ أبريل سنة ١٩٤٤ بالنسبة لمبلغ ٢٠٠٠ جنيه ولم تقدم أية مستندات تدل على صرف ما تسلمه طبقا للقواعد المالية فى الغرض الذى طلب من أجله الاعتماد ٠

فتكون جملة المبالغ التى أدخلها فى ذمته ٢٥٦٤٤٤ جنيها و٤٦٨ مليما ٠



والأفعال سالفة الذكر ينطبق عليها حكم المادة ١١٢ من قانون العقوبات كما أنه ينطبق عليها أيضا حكم المادة ١١٨ التى تنص على أن كل موظف أدخل فى ذمته بأى كيفية كانت نقودا للحكومة أو سهل لغيره ارتكاب جريمة من هذا القبيل يعاقب بالسجن من ثلاث سنين الى سبع ٠

الا أن المادة ١١٢ كفيلة برد المبالغ المختلسة فضلا عن الغرامة والعقوبة المشددة التى وضعتها لجريمة الاختلاس ٠٠٠٠٠٠

وقد جاء فى التقرير رقم (٢٧) عن المبالغ التى تسلمها وزير الدفاع السابق مما خصص للترفيه عن جنود الجيش :

تقوم ادارة الشئون العامة بوزارة الدفاع الوطنى بصرف بعض مبالغ للترفيه عن جنود الجيش المصرى ، وبعض هذه المبالغ مما يرد اليها من تبرعات ٠

وكان ما خصص للترفيه عن الجنود المصريين من فبراير سنة ١٩٤٢ الى أكتوبر سنة ١٩٤٢ مبلغ ٣٢٦٨ جنيها و٣٤٥ مليما ، وجملة ما صرف منه فعلا للترفيه عن الجنود مبلغ ١٨٤٩ جنيها و٦١١ مليما ولكن الوزير السابق تسلم من هذا المبلغ ١٤١٦ جنيها و٢٩١ مليما ، وذلك بموجب ايصالين بتاريخ ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٤٢ موقعا عليهما من امام سلطان أفندى سكرتير وزير الدفاع الوطنى وموقعا منه عليهما أيضا بأنه « قد تسلم

هذا المبلغ حضرة صاحب المعالى الفريق أحمد حمدى سيف النصر باشا وزير الدفاع الوطنى » ٠

وقد صرف من المبلغ الذى تسلمه وزير الدفاع السابق مبلغ ٨٠ جنيها لجنود السودان أما الباقى وقدره ١٣٣٦ جنيها و٢٩١ مليما فانه لدى وزير الدفاع السابق ، ولم يثبت أنه قد صرف فى الأوجه المخصصة له ٠

ولما كانت المادة ١٤٥ من القانون تقضى بأن من أخذ شيئا بغير استحقاق وجب عليه رده ، فان وزير الدفاع السابق يعتبر ملزما برد هذا المبلغ الذى استولى عليه بدون وجه حق ٠

ولما كانت المبالغ المخصصة للترفيه عن الجنود انما تعتبر نقودا مملوكة لوزارة الدفاع الوطنى بصرف النظر عن اعتبار أغلبها واردا بطريق التبرع اذ ان ذلك انما يقصد منه تخصيصها لغرض معين فقط ، ولما كان استيلاء الوزير السابق على المبلغ الذى قبضه بدون أن يثبت صرفه فى الأوجه التى خصص من أجلها يجعل ذمته ملتزمة به٠وتقضى المادة ١١٨ من قانون العقوبات بأن كل موظف أدخل فى ذمته بأى كيفية نقودا للحكومة أو سهل لغيره ارتكاب جريمة من هذا القبيل يعاقب بالسجن من ثلاث سنين الى سبع ، فان ما قام به ينطبق عليه النص السالف الذكر ٠

وفضلا عن ذلك فان المادة ٣٤١ من قانون العقوبات تقضى بمعاقبة كل من اختلس أو بدد مالا سلم اليه بطريق الأمانة بالحبس ، والواضح أن هذا المبلغ اذا كان قبضه وزير الدفاع السابق لغرض الترفيه عن الجنود ، فان ذلك عن طريق الأمانة ويجب أن يثبت صرفه فى هذه الأوجه ، والا انطبق عليه نص المادة المذكورة ٠

وقد اهتم التقرير بأمين عثمان باشا باعتباره الواسطة القوية بين النحاس باشا والسفارة البريطانية وقد جاء فى التقرير عن استغلال أمين عثمان باشا :

كان لاستغلال أمين باشا عثمان لوظيفته مظاهر شاذة :

١ ــ تكوين شركة للاستيراد والتصدير المسماة (الشركة المصرية للتجارة) وقد مر تكوين هذه الشركة بمراحل تنطوى على سلسلة فذة من استغلاله لسلطته فى الوزارة النحاسية ، سواء كرئيس لديوان المحاسبة، أو كوزير للمالية ــ وقد بلغ به هذا الاستغلال الى الجمع بين منصبه

الرسمى وبين الاتجار بنصيب يبلغ ٥٠٠ سهم فى شركة تجارية لشئون الاستيراد والتصدير الخاضعين من الناحية الرسمية لاختصاص وزير المالية.

٢ ـ التصريح لشركته بصفقات ضخمة من صفقات التصدير والاستيراد ، خصوصا وانه لم يكد يتم تكوين هذه الشركة حتى عين أمين باشا وزيرا للمالية وهى الوزارة المختصة بشئون التصدير والاستيراد .

٣ ـ تعيين المسيو كاسترو عضو مجلس ادارة هذه الشركة والمساهم فيها بخمسمائة وخمسين سهما عضوا بلجنة التصدير بوزارة المالية بقرار من وزير المالية (أمين عثمان باشا) ، وبهذا أصبح للشركة فى الحكومة ممثلان مساهمان فى أرباحها .. هما أمين عثمان باشا الوزير ... وجناب المسيو كاسترو عضو اللجنة الحكومية والتاجر ...

٤ ـ اصطحاب أمين عثمان باشا لأعضاء مجلس ادارة شركته فى رحلة رسمية قام بها الى فلسطين ، بصفته وزيرا للمالية ، لتنظيم العلاقات الاقتصادية وترويج التجارة بين البلدين ، حيث سافر معه المسيو كاسترو وفرغلى باشا والخواجة جورج دياب وغيرهم ، مما كان محل دهشة ولغط كثير من الأوساط والهيئات والتجار هنا وهناك .

٥ ـ صدور تعليمات الى مصلحة الجمارك بأمر من أمين عثمان باشا على لسان محسوبه الأستاذ محمد حشمت باعفاء المسيو كاسترو ومن معه من تفتيش عفشهم عند الذهاب الى فلسطين والعودة منها .

٦ ـ احتكار شركة أمين عثمان باشا ، ممثلة فى شخص المسيو كاسترو ، لجميع اطارات الكاوتش المستولى عليها فى جميع الدوائر الجمركية ومخازن الاستيداع مما أدى الى احتجاج شركات الكاوتش والى تساؤل السفارة البريطانية عن حكمة تمييز كاسترو عن غيره من تجار الكاوتش .

٧ ـ تحايل أمين عثمان باشا على منح الجنسية المصرية للمسيو كاسترو متحديا فى ذلك جميع الاعتبارات القومية ورأى الجهات الادارية ارضاء لشريكه وخدمة لشركته .

٨ ـ استئثار شركة أمين عثمان باشا بكميات هائلة من الأقمشة القطنية والصوفية من شركة الغزل والنسيج بالمحلة الكبرى ، وقد باعت

هذه الكميات فى سنة ١٩٤٤ حدا كبيرا ، تجاوز ما حصلت عليه الشركات الأخرى · ولهذا التمييز والتفضيل حكمته ، وهى أن شركة أمين باشا تتولى مد شركة الغزل والنسيج بما تحتاجه من اطارات الكاوتش وقد بلغ ما تسلمته شركة الغزل من الاطارات فى عام ١٩٤٤ ـ ٣٥٠ اطارا خارجيا و٢٥٠ اطارا داخليا ··· هذا فضلا عن أن شركة أمين باشا هى شركة وزير المالية ···

هذه هى مظاهر اتجار أمين عثمان باشا بوظيفته ، ومدى خدماته لشركائه وشركته ، وفيما يلى تفصيل لوقائع هذا الاستغلال والاتجار الحكومى :

وعن شركة أمين عثمان باشا (تريدكو) جاء فى التقرير ، ان فضيحة الشركة تتناول ثلاث مراحل · وعن المرحلة الأولى جاء فى التقرير :

وهى تنطوى على سلسلة فذة منقطعة النظير من أوزار استغلال أمين عثمان باشا الفاضح لسلطته فى الوزارة النحاسية ـ سواء كرئيس لديوان المحاسبة فى أول الأمر ، أو كوزير للمالية فيما بعد ـ وفى سبيل ماذا هذا الاستغلال·····؟!!! فى سبيل الجمع بين منصبه الرسمى وبين الاتجار بنصيب يبلغ ٥٠٠ سهم فى شركة تجارية صرفة لشئون الاستيراد والتصدير ··· الخاضعتين من الناحية الرسمية الحكومية لاختصاص وزير المالية بالوزارة ···

بل تنطوى الفضيحة على ما هو أكثر من هذا ، وأخطر من هذا ، وهو التحايل الرسمى الشائن على اخفاء اشتراك أمين باشا بخمسمائة سهم فى الشركة المذكورة ـ كما يتضح هذا التحايل من الدوسيه الرسمى الخاص بالشركة والذى عرض على مجلس الوزراء النحاسى لاستصدار مرسوم تكوين الشركة المذكورة ·

وتبدأ حلقة هذا الاخفاء فى ١٣ يونية سنة ١٩٤٢ حين رفع اسم أمين عثمان باشا من الملف المقدم لمجلس الوزراء بأسماء أعضاء مجلس ادارة (الشركة المصرية للتجارة) مع استمرار عمله بالشركة ومساعدته لها بنفوذه من وراء الستار بصفته مساهما فيها ، فضلا عن مساهمة السيدة حرمه فى الشركة بخمسين سهما أخرى · فلم تكد تمضى مدة على تقديم عقد تأسيس الشركة وقانونها النظامى الى وزارة المالية لتبحثها ادارة الشركات ولجنة قضايا الحكومة حتى نفذ صبر المساهم الكبير (أمين باشا) ولم يطق بطء وتأخر زميله كامل صدقى باشا فى اعداد العدة لاستصدار مرسوم تكوين الشركة ، فلم يكن من أمين باشا الا أن أرسل لكامل باشا

بتاريخ ٢٣ يولية سنة ١٩٤٢ ورقة بخطه وتوقيعه يقول فيها ـ على طريقته الخاصة .. ما يأتى بالحرف الواحد :

« مرســوم الشركة من فضــل معاليكم » ..

٢٣ يوليو ١٩٤٢ أمـين عثمـان

وهكذا لم يتورع أمين باشا عن أن يستغل نفوذه على هذه الصورة الصارخة وبهذه الجرأة الفذة ... يستغله لخدمة الشركة التجارية المحضة المؤلفة خصيصا للاستيراد والتصدير والتى يساهم فيها بذلك النصيب الكبير من الأسهم .

ولكن جرأة أمين باشا لا تعرف الحدود ، والقيود ، واستهتاره ـ الذى عرفه الناس فى تصريحاته وبياناته الرسمية ـ هو فى نظره موضع الفخر والتحدى ... وهكذا لم يكد يصل الى غرضه السابق ، ويجىء دور عرض أمر استصدار مرسوم تكوين الشركة على مجلس الوزراء ـ كمـا أراد أمين باشـا فكان له ما أراد ، حتى أعد العدة للخطوة التالية الأفضح من سابقتها ـ خطوة اخفاء مساهمته الفعلية فى أسهم الشركة ، تفاديا لنشر علاقته بهـذه الشركة ، فى المرسوم الذى سيصدر وينشر حتما فى الوقائع الرسمية ، والذى يتضمن أسماء حضرات المساهمين .

ومن ثم أقدم على تحايل ، دون أن يكلف نفسه عناء اخفاء الورقة التى تحمل الدليل ... واذا بالدوسيه الذى عرض على مجلس الوزراء النحاسى وانتهى منه المجلس الى استصدار مرســـوم الشركة فعلا فى ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٤٢ ـ يضم فى باطنه الدليل فى صورة ورقة مطبوعة على الآلة الكاتبـة الافرنجيـة قدمت الى مجلس الوزراء متضـمنة أسماء حضرات المساهمين ونصيب كل منهم من أسهم الشركة المحظوظة ...

واذا بالورقة المذكورة ـ الباقية فى الدوسيه حتى الآن ـ تتضمن بين الأسماء الواردة فيهـا اسمى كل من أمين عثمان باشـا ـ وأمام اسمه ٥٠٠ سهم ـ ومحمد فرغلى باشا ـ وأمام اسمه ٥٥٠ سهما ـ ثم اذا بالقلم يجرى على اسم أمين باشا وأسهمه بالحذف ... ثم يجرى على رقم أسهم فرغلى باشا بالتعديل ، فيشطب الـ ٥٥٠ سهما الخاصة به ويكتب فوقها ـ وبدلا منها ـ بالخط الافرنجى الواضح رقم ١٠٥٠ سهما أى مجموع نصيب فرغلى باشا وصديقه الحميم المستتر أمين عثمان باشا ... ؟؟

وخرجت الورقة الفذة من مجلس الوزراء ـ بعد الاقرار ـ بهيئتها هذه ، وبقيت فى الدوسيه حتى الآن بهيئتها هذه ... تحمل طابع فساد

العهد على وجه العموم . ودليل هذه الفضيحة المالية الخطيرة على وجه التخصيص ....

ثم صدر مرسوم تكوين الشركة وهو خلو فى الظاهر من أية اشارة الى مساهمة أمين باشا بخمسمائة سهم أو حتى بسهم واحد ، ولم يبق فيه الا اسم السيدة المحترمة حرمه ونصيبها البالغ خمسين سهما فقط لا غـــير .

ولعل من أبلغ دلائل التحايل والتضليل أن أسهم أمين باشا لم تضف حتى الى أسهم السيدة حرمه وانما أضيفت الى شخص آخر لا يحمل اسم الأسرة ــ هو فرغلى باشا ــ لكى لا يبقى فى وسع أى انسان لم تصل يده الى الدوسيه الوزارى ، أن يكشف الصــــلة التى بينهمـــا ، وذلك التضليل الخطير .

وعن المرحلة الثانية جاء فى التقرير :

تكونت الشركة اذن ، وأصبح لها كيان رسمى ، فلم يبق الا أن يتابع أمين باشا سلسلة خدماته لها ، بل خدماته لنفسه باعتباره مساهما بنصيب كبير فى أرباحها .

وفى تلك الأثناء تولى أمين باشا وزارة المالية (فى مايو سنة ١٩٤٣) وهى الوزارة المشرفة على شئون الاستيراد والتصدير ، فلم تكد تمضى أيام حتى بدأ ــ فى نفس الشهر ــ سيل التصريحات لشركته المحظوظة بصفقات ضخمة من صفقات التصدير ، منها تصدير عشرين ألف بطانية (صوف مع قطن) ومئات الأطنان من المواد الأخرى كالكتان والقطن الطبى والنخالة والبودرة والحناء وآلاف الأزرار الصــدفية وأطنــــان الدوبارة (فضلا عن الانجار الواسع فى الكاوتش ، الذى أوردناه فى تقرير آخر) .

ثم جاء ديسمبر سنة ١٩٤٣ ، فاذا بمعاليه لا يرى محظورا من أن يصدر قرارا بتعيين المسيو شارل كاسترو ــ عضو مجلس ادارة الشركة والمساهم فيها بخمسمائة وخمسين سهما ــ عضوا بلجنة التصدير الحكومية الرباعية ، وهو العضو الوحيد من غير الموظفين فى لجنة التصدير .

وهكــذا أصـــــبح للشركة فى الحكومة بدل الممثل الواحد ممثلان مساهمان فى أرباحها ، هما معالى أمين عثمان باشا الوزير وجناب المسيو كاسترو عضو اللجنة الحكومية الرباعية المختصة بهذه الأمور ... ولم يكد الأخير يعين فى اللجنة حتى صدر للشركة ــ فى نفس ديسمبر ســـنة ١٩٤٣ ــ ترخيص بتصدير ١٠ أطنان قطن طبى و٣٥ طن بودرة تلك ... الخ ... كما هو مبين بالكشف المرفق .

فلم يكن غريبا بعد هذا أن تتضاعف أسعار أسهم الشركة ويتوالى صعودها .

المرحلة الثالثة :

ثم جاءت المرحلة الثالثة .. ويا لها من مرحلة ..

فقد رأى أمين باشا بنشاطه المعهود أن يسافر الى فلسطين لتنظيم العلاقات الاقتصادية وترويج التجارة بين البلدين ، فلم يتردد فى أن « يستأنس » بآراء أعضاء مجلس ادارة شركته الموقرة فى مفاوضاته هناك مع القطر الشقيق ...

فما أسرع أن سافر أيضا الى فلسطين حضرات ... المسيو كاسترو وفرغلى باشا والخواجا جورج دياب وغيرهم ... كى يزودوا شريكهم وزير المالية بنصائحهم الثمينة لنفعه ونفعهم ... فكان ذلك محل دهشة ولغط كثير من الأوساط والهيئات والتجار هنا ... وهناك .

وعن تحايل أمين عثمان باشا لمنح الجنسية المصرية للمسيو كاسترو وكان طلب المسيو كاسترو قد رفض من قبل لأسباب قومية جاء فى التقرير « كان كاسترو ايطاليا ولم يسبق للدولة المصرية أن منحت جنسيتها لأحد أعدائها أو أعداء حلفائها فى أثناء اشتباكها فى حرب معها » .

ومن ملف شارل سلامون كاسترو نختار تلك المذكرة التى كتبها رئيس قلم الجنسية فى وزارة الداخلية فى ١٢ مايو ١٩٤٢ .

« استدعانى اليوم حضرة صاحب السعادة وكيل الوزارة وعرفنى أن ملف الجنسية الخاص بشارل سلامون كاسترو قد أعيد اليه من مجلس الوزراء ، وطلب اليه الأستاذ ثابت ثابت بك سكرتير عام مجلس الوزراء المساعد تحضير المذكرة ومشروع المرسوم بمنح الطالب المذكور الجنسية المصرية على اعتبار أن حضرة صاحب المقام الرفيع وزير الداخلية قد أمر بذلك .

ولما كانت لا توجد تأشيرة كتابية على مذكرة هذه الوزارة من حضرة صاحب المقام الرفيع الوزير بهذا ، فقد كلفنى سعادة وكيل الوزارة بالتوجه الى حضرة السكرتير العام المساعد لاستيفاء ذلك ، وعلى الأخص لأن المذكرة التى تكتب لمجلس الوزراء ستكون مشتملة على الأسباب التى تبرر استثناء هذه الحالة بالذات وتجعل منح الطالب الجنسية المصرية أمرا واجبا تمليه المصلحة القومية (خلافا لما ورد فى مذكرة الوزارة) .

وعلى ذلك انتقلت ومعى ملف الجنسية المذكور الى مكتب السكرتير العام المساعد لمجلس الوزراء وأبلغته ما طلبه سعادة الوكيل ففهمت من حضرته أن رفعة الوزير لم يصدر له أمرا بذلك وانما كلفه حضرة صاحب

المعالى أمين عثمان باشا الاتصال بوزارة الداخلية لتحضير المذكرة ومشروع المرسوم على اعتبار أن رفعة الوزير موافق ثم ارسال الأوراق لمعاليه لتولى عرض الموضوع على حضرة صاحب المقام الرفيع .

وعدت فعرضت الأمر على صاحب السعادة الوكيل فأمر بتحرير مذكرة بكل ما حدث وعرضها مع الملف على حضرة صاحب العزة مدير ادارة الجوازات والجنسية » .

وهكذا يتضح من هذه المذكرة الرسمية :

أولا : أن أمين عثمان باشا لكى يتوصل الى تنفيذ غرضه لمصلحة صديقه كاسترو ، لم يتورع عن اللجوء الى المداورة بافهام حضرة سكرتير عام مجلس الوزراء المساعد أن رفعة وزير الداخلية قد وافق على منح الجنسية للمسيو كاسترو ـ وذلك توصلا الى جعل السكرتير العام يعتمد على هذه الموافقة المزعومة ـ فينفذ الأمر الذى أصدره اليه أمين باشا فى نفس الوقت ، والذى كلفه فيه بالاتصال بوزارة الداخلية لتحضير المذكرة ومشروع مرسوم منح مسيو كاسترو الجنسية المصرية ... ثم ارسال الأوراق لمعاليه ليتولى عرض الموضوع على حضرة صاحب المقام الرفيع .

ثانيا : فلم يتردد السكرتير العام المساعد فى تصديق رواية أمين باشا عن موافقة النحاس باشا ، وبناء على هذا طلب حضرته من وكيل وزارة الداخلية تحضير المذكرة ومشروع المرسوم ... ولكن وكيل الوزارة كان حريصا فانتابه الشك فى صحة موافقة رفعة وزير الداخلية ، نظرا لأنه « كانت لا توجد تأشيرة كتابية على مذكرة الوزارة من حضرة السكرتير العام المساعد لاستيفاء ذلك ، وعلى الأخص لأن المذكرة التى تكتب لمجلس الوزراء ستكون مشتملة على الأسباب التى تبرر استثناء هذه الحالة بالذات ... الخ ...

ثالثا : فانتقل حضرته فعلا الى السكرتير العام .. وهنا فقط انكشفت حقيقة الدور الذى لعبه أمين باشا بجرأته المعتادة ... فعاد حضرته وعرض الأمر على سعادة الوكيل فأمر بتحرير مذكرة بكل ما حدث وعرضها مع الملف على حضرة صاحب العزة مدير ادارة الجوازات والجنسية .

وهنا ... هنا فقط ، وبعد أن انكشفت أصبع أمين باشا سافرة كتب سعادة حسن فهمى رفعت باشا وكيل الداخلية على ذيل المذكرة السابقة التأشيرة البليغة التى نثبتها هنا بنصها :

« يعد مشروع مرسوم ويرسل الى معالى أمين عثمان باشا بناء على طلبه » .

(وكيل الداخلية)

وهكذا أثبت وكيل الداخلية بخطه ـ وفى مذكرة رسمية ـ تدخل وتوسط ومداورة أمين عثمان باشا ... بل سعيه الحثيث بكل الوسائل لخدمة صديقه كاسترو .. ولو رغم أنف الفتاوى والقوانين ... بل رغم أنف السوابق ... والاعتبارات القومية ... والضرر المحقق للدولة ... كما جاء بالحرف الواحد فى مذكرة حضرة مدير ادارة الجنسية التى أثبتنا نصها فيما سبق .

وقد أمر سعادة وكيل الداخلية حضرة رئيس قلم الجنسية بتحرير مذكرة بكل ما حدث وعرضها مع الملف على حضرة صاحب العزة مدير ادارة الجوازات والجنسية ... فكتب حضرته المذكرة السابقة وعرضها ـ مع ملف المسيو كاسترو ـ على مدير الجنسية ...

وفيما يلى رأى حضرة صاحب العزة مدير ادارة الجنسية نوضحه فى مذكرة كتبها على أثر ذلك بتاريخ اليوم التالى (١٣ مايو) .

وفى المذكرة المرفوعة لحضرة صاحب السعادة وكيل الداخلية :

« ايماء الى ما أشرتم به سعادتكم على مذكرة رئيس قلم الجنسية المؤرخة ١٢ مايو سنة ١٩٤٢ باعداد مشروع مرسوم بمنح شارل سلامون كاسترو الجنسية المصرية وارساله الى أمين عثمان باشا بناء على طلبه ... أتشرف بافادة سعادتكم بأنه لا يتسنى اعداد مشروع مرسوم الآن قبل البت مبدئيا فى مسألة ما اذا كان يرى عدم الأخذ بما ورد فى مذكرتنا المؤرخة فى ٣ مايو سنة ١٩٤٢ بالنسبة لشارل سلامون كاسترو الايطالى الجنسية اليهودى المذهب .

وتعلمون سعادتكم أنه قبل اعداد مشروع المرسوم يجب اعداد مذكرة من وزير الداخلية الى مجلس الوزراء بطلب منح الجنسية المصرية الى شخص معين بمقتضى مادة معينة وبعد ذلك يجب أن يذكر فى مشروع المرسوم أنه قد ثبت أن هذا الشخص المعين حائز للشروط المنصوص عليها فى احدى مواد المرسوم رقم ١٩ لسنة ١٩٢٩ ، وفى حالة شارل كاسترو المذكور لا يتسنى الجزم الآن بتوافر الشروط القانونية فى حالته اذ أوقف النظر فى أمره منذ سنوات بسبب أن حالته لم تكن تحتمل القبول بحسب السياسة المرسومة بمسائل التجنس على العموم والتى شرحناها فى مذكرة اطلع عليها وأقرها حضرة صاحب المقام الرفيع وزير الداخلية ورئيس مجلس الوزراء ... وانى أرفق منها صورة مع هذا .

ولا حاجة لى بأن أضيف الى مذكرة ٣ مايو سنة ١٩٤٢ ما تعرفونه سعادتكم من أن حالة شارل كاسترو هذا لا تمتاز بشىء عن حالة كثير

غيره من الأجانب وعلى الأخص الذين هم فى خدمة مليك البلاد أو كانوا فى خدمة حكومته وكذلك الحال بالنسبة لبعض العلماء وكبار الماليين . فقد طلبوا الجنسية المصرية ولم تمنح لهم محافظة على القومية المصرية واحتراما للأغراض التى رمى اليها المشرع من سن قانون الجنسية المصرية. وقد عرض بعض الماليين على الحكومة مبالغ طائلة للحصول على الجنسية المصرية فلم يمنع ذلك من رفض طلبهم .

امضاء « أحمد زكى سعد »

١٣ مايو سنة ١٩٤٢

هذا هو رأى مدير الادارة المختصة ... بليغ فى ألفاظه ومعانيه ... فماذا كان صداه ونتيجته ... ؟؟؟

كان أن اقتنع أمين عثمان باشا ومن يلوذ به من ذوى الأغراض أن ادارة الجنسية بوزارة الداخلية لن تنزل عن رأيها الذى تقتنع به ، وان تشرع فى تحضير مشروع مرسوم منح الجنسية لكاسترو المحسوب المحظوظ ... فما هى الوسيلة أو الحيلة التى يتوسل بها أمين باشا وزعيمه النحاس باشا الى الخروج من هذا المأزق المنكود ، والتحايل على تخطى رأى مدير ادارة الجنسية المختص ، المدعم بالمبررات الوجيهة التى تحول دون منح كاسترو الجنسية المصرية ...

الحيلة هى أن يعمد النحاس باشا الى طرقه المعهودة وتخريجاته الفذة التى أتقنها رفعته وأتقن الخروج بها من كل مأزق يقف فى طريق رغباته وأمانيه ..

وقد وفق رفعته الى استنباط حيلة للتحايل على العقبات التى تقوم فى وجه منح الجنسية المصرية لكاسترو .. أما الحيلة الفذة فهى التحول من (منح) كاسترو الجنسية المصرية بادىء ذى بدء — وبمرسوم — الى استخراج شهادة تفيد (ثبوت) الجنسية المصرية للمسيو كاسترو مما سيأتى تفصيله فى موضعه مما يلى .

وهكذا — ووفقا لهذه الخطة الموضوعة — تفضل رفعة وزير الداخلية فى اليوم التالى مباشرة لمذكرة أحمد زكى سعد بك (مدير الادارة) المؤرخة ١٣ مايو والتى لم تترك أملا أو منفذا — تفضل رفعته فوقع التأشيرة التالية :

« يعرض على سعادة رئيس قسم القضايا لبحث ثبوت جنسيته المصرية » (مصطفى النحاس)

١٤ مايو سنة ١٩٤٢

ولسنا فى حاجة الى القول بأن أول ما يؤخذ على هـذه التأشـيرة ـ شكليا ـ هى أنها تخطت الجهة المختصة باصدار الفتوى المطلوبة ـ وهى فى الأحوال الطبيعية سعادة مستشار ملكى وزارة الداخلية ـ الى سعادة رئيس قلم قضايا الحكومة نفسه ٠

ولم يكد رفعته يوقع هذه التأشيرة حتى سارع الأستاذ ابراهيم فرج ـ مدير مكتبه اذ ذاك ـ الى (تفسير) المادة التى يراد الاستناد اليها فى الاعتراف بثبوت الجنسية المصرية لكاسترو ٠ فكتب حضرته تأشيرة بذلك هذا نصها :

« يتبين من الاطلاع على هذا الملف ومن المستندات المقدمة أن المقصود منها التدليل على أنه (أى كاسترو) يعتبر داخلا فى الجنسية المصرية بحكم القانون طبقا للمادة الأولى فقرة ثانية التى تنص على أنه (يعتبر داخلا فى الجنسية المصرية بحكم القانون كل من يعتبر من تاريخ نشر هذا القانون مصريا بحسب حكم المادة الأولى من الأمر العالى الصادر فى ٢٩ يونية سنة ١٩٠٠ » ٠

« والمادة الأولى من الدكريتو المشار اليه تنص على ما يأتى : عند اجراء العمل بقانون الانتخاب الصادر فى أول مايو سنة ١٨٨٣ يعتبر حتما من المصريين الأشخاص الآتى بيانهم (المتوطنون فى القطر المصرى قبل يناير سنة ١٨٤٨ (١٢٦٤ هـ) وكانوا محافظين على محل اقامتهم فيـه » ٠

« ابراهيـم فـرج »

هذه هى المادة التى أريد بها التحايل لاقرار (ثبوت) الجنسية المصرية للمسيو كاسترو من قديم الزمن ٠

فهل أقرت فتوى رئيس لجنة القضايا هذا التخريج والتدليل ؟؟؟ ٠

نترك سعادة رئيس لجنة القضايا يرد على ذلك الزعم ويناقشه فى فتواه الرسمية فيقول بالحرف الواحد :

« انه وان كانت اقامة الطالب وتوطن أجـداده فى القطر المصرى يرجعان الى ما قبل أول يناير سنة ١٨٤٨ وفقا لما قضت به الفقرة الثانية من المادة الأولى من الأمـر العالى المشار اليه ، غير أن هذه الفقرة نفسها تضمنت **استثناء الذين يكونون من رعايا الدول الأجنبية أو تحت حمايتها** » ٠

« ويبدو لنا أنه كان فى اسـتطاعة الطالب وقت أن صـدر قانون

الجنسية فى سنة ١٩٢٩ أن ينتفع من حكم المادة السابعة منه وهى التى خولت لكل من ولد لأجنبى فى القطر المصرى وكانت اقامته العادية فيه قبل نشر هـذا القانون أن يتنازل عن جنسيته الأصلية ويقرر اختياره الجنسية المصرية فى خلال السنة التالية لهذا النشر ، وواضح من ظروف الطالب أنه مستوف لشرطى المولد والاقامة المنصوص عليهما فى هـذه المادة وكان فى ميسوره أن يستفيد من أحكامها غير أنه لم يفعل وهو يريد الآن أن يتدارك ما فاته عن طريق التجنس عملا بالمادة الثانية من القانون ، وقدم طلبا بذلك بتاريخ ٩ مايو سنة ١٩٣٩ » ٠

هذا ما جاء فى فتوى رئيس قلم القضايا تنفيذا للحيلة التى أراد النحاس باشا بهـا أن يصل الى جعل المسيو كاسترو يتمتع بالجنسية المصرية ، ان لم يكن عن طريق (منحه) الجنسية بمرسوم ـ نظرا لاعتراض ادارة الجنسية وتبريراتها الوجيهة ـ فليكن عن طريق اقرار (ثبوت) الجنسية له من قديم الزمن باعتباره وأحداده من المتوطنين بالقطر المصرى قبل سنة ١٨٤٨ ٠

نقول ان فتوى رئيس قلم القضايا قد سدت هذا السبيل الأخـر أيضا ، اذ يتضح منها :

أولا : أن المادة المراد تطبيقها لا يستفيد منها ـ من بين المتوطنين القدماء فى القطر المصرى ـ أى شخص يكون من رعايا الدول الأجنبية أو تحت حمايتها ٠

والمسيو كاسترو ـ كما هو ثابت رسميا ـ كان وقت طلبه الجنسية المصرية أحد رعايا ايطاليا واذن فلا يمكن بحال أن ينتفع بالمادة المراد تطبيقها ٠

ثانيا : يستطيع أن يتمتع بالجنسية المصرية فى حالة واحدة وهى حالة ما لو كان قد تنازل فى خـلال سنة ١٩٢٩ ـ ١٩٣٠ عن جنسيته الأصلية وقرر اختياره للجنسية المصرية ، غير أنه لم يفعل ٠٠٠ وبذلك ضاع حقه فى التمتع بهذا السبيل نهائيا ٠

وهكذا قطعت جهيزة قول كل خطيب ٠٠٠ وقطعت فتوى رئيس لجنة القضايا سبيل التحايل على اقرار (ثبوت) جنسية المسيو كاسترو ٠٠٠

لم يبق مخرج غير العودة إلى فكرة (منح) الجنسية المصرية للمسيو كاسترو ، ابتداء ، وبمقتضى مرسوم ، وهى الفكرة التى عارضتها مذكرات ادارة الجنسية وفندتها بالأدلة الدامغة والمبررات القوية الوجيهة ٠ وهكذا

افتى رئيس قضايا الحكومة فى نهاية فتواه السابقة بأنه نظرا لأنه كان فى وسع الطالب عند صدور قانون الجنسية فى سنة ١٩٢٩ أن يفيد من أحكامه باستعمال حقه فى دخول الجنسية المصرية . أرى أن حالة الطالب جديرة بالرعاية من ناحية (منحه) الجنسية المصرية . وهو وان كان تابعا لدولة ايطاليا غير أنه اسرائيلى المذهب وهو بهذه المثابة مستثنى من القيود الموضوعة لرعايا الدول التى قطعت مصر علاقاتها السياسية بها ...

ولم تكد تمضى على صدور هذه الفتوى ٢٤ ساعة حتى استصدر النحاس باشا مرسوما نص فيه على أنه (يمنح التجنس بالجنسية المصرية الى شارل سلامون كاسترو) .

فكان للنحاس باشا ، وأمين عثمان باشا ، وللمسيو كاسترو ... ما أرادوا .

نعم أرادوا .... فما هى الحكمة فيما أرادوا ... ؟؟؟

ما هى حكمة هذه الحماسة الهائلة والمداورات المتلاحقة والمناورات الخفية المكشوفة فى سبيل منح المسيو كاسترو الجنسية المصرية ؟

ما هى الحكمة ان لم تكن هى حكمة المادة ... حكمة البارة والقرش والجنيه ... لا حكمة التمسك بوضع قانونى معين أو التفاخر بقومية معينة ...

ما هى الحكمة ان لم تكن أنه قد أريد للمسيو كاسترو هذا أن يجد السبيل ميسرة أمامه للاتجار على نطاق واسع فى التصدير والاستيراد باعتباره مصريا ، لا تقوم فى سبيل حريته التجارية عقبة أو عائق ...

ما هى الحكمة ان لم تكن أن أمين باشا لم يتردد فى منح شريكه هذا التيسير تفاديا لكثير من التعقيدات فى الاجراءات المفروضة على تجارة غير المصريين .

ما هى الحكمة ان لم تكن انه فى سبيل استئثار أمين باشا وشريكه بالربح الحرام ، لا مانع من تجاهل كل ما تمسكت به ادارة الجنسية من (الاعتبارات القومية) و (مصلحة الدولة وسوابق السياسة المرسومة فى مسائل التجنس) و (احترام الأغراض التى رمى اليها المشرع من سن قوانين الجنسية المصرية) ...

" وعن تحميل أمين عثمان باشا نفقات سفره وعائلته الى فلسطين بالطائرة التى استأجرها من شركة مصر للطيران يوم ٦ يوليو ١٩٤٢ هربا من أزمة العلمين ــ وكان وقتئذ رئيسا لديوان المحاسبة ــ يذكر التقرير أن

شركة مصر للطيران كتبت الى مصلحة الطيران المدنى مطالبة بفاتورة الطائرة وقدرها ١٣٧ جنيها ، ٢٦٠ مليما قيمة رحلة أمين عثمان باشا من القاهرة الى اللد وبالعكس وقد أجابت وزارة الدفاع باعتبار الرحلة مصلحية وأنه يجب أن تحسب على جانب الحكومة طبقا لخطاب وكيل وزارة الدفاع . وينتهى التقرير بالكلام عن هذه الواقعة بالعبارة التالية :

وغنى عن البيان أن أمين عثمان باشا يوم سافر الى اللد مع أسرته لم يكن مندوبا للتفتيش على حسابات فلسطين باعتباره رئيسا لديوان المحاسبة ، ولم تضم مصر شئون فلسطين المالية الى شئونها حتى تصبح رحلات رئيس ديوان المحاسبة مع أسرته ذهابا وايابا «رحلات مصلحية» تحتسب على جانب الحكومة ... وتؤخذ نفقاتها من جيوب دافعى الضرائب المصريين ، لا من جيب رئيس ديوان المحاسبة ؟

وأخيرا ، فليست الدولة مكلفة أن تدفع من خزائنها نفقات الهروب ، اذا ما فزعت القلوب ...

وعن تقرير مكافأة لأمين عثمان قدرها ١٤٠٠ جنيه لاخباريته عن ضبط ذهب أثناء تهريبه وتنازله عنها بعد حوالى شهر من تاريخ تقرير المكافأة يقول التقرير رقم ٤٤ من تقرير لجنة التحقيق الوزارية ما يلى :

امتازت الوزارة الماضية بأن من أعضائها من كان لا يقنع بجاه المنصب ورانبه ، بل لا يتورع أن يحدث بدعا جديدا فى الأداة الحكومية ، فيزج بنفسه بين مخبرى مصلحة الجمارك الداخلة تحت اشرافه ، ليتقاضى مكافأة عن عمل من صميم مهمته الرسمية . فاذا تم ضبط المهربات وحانت ساعة توزيع المكافآت ، طالب بحصة منها ، ليكون له نصيب فى الغنيمة وان لم تكن له يد فى ضبط الجريمة ...

١ ـ وتفصيل الخبر كما يؤخذ من الوثائق الرسمية أن جمرك القاهرة أبلغ فى أوائل مارس سنة ١٩٤٣ أن هناك من يشتغل بتهريب الذهب بواسطة الطائرات الحربية الأمريكية ، فأخذ يتحرى الأمر وحين قويت لديه الشبهات أبلغ النبأ الى الادارة العامة للجمارك فى ١٠ أبريل سنة ١٩٤٣ . ونظرا الى أهمية الموضوع بادر مدير عام الجمارك بايفاد مفتش المباحث بكتاب منه الى مستشار المفوضية الأمريكية بطلب معونتها .

وعلى أثر وصوله الى القاهرة توجه ومعه مدير جمرك القاهرة الى المفوضية الأمريكية لتقديم الكتاب ، والمباحثة مع جناب المستشار فى الموضوع وفيما يجب اتخاذه من التدابير وما يحسن فرضه من الرقابة وعلى طريقة تبادل المعلومات توصلا الى القبض على المهربين .

وبعد أن تم وضع خطة المراقبة حرر بذلك محضر أرسل الى المدير العام فى ١٧ أبريل سنة ١٩٤٣ ٠

٢ ـ وفى الساعة الثالثة من مساء ٢١ أكتوبر سنة ١٩٤٣ أبلغ حضرة أحمد عبد الرحمن بك رئيس المباحث بمحافظة القاهرة أمين وصفى أفندى ، أن السلطات الأمريكية ضبطت فرنسيا فى المطار الحربى الأمريكى وهو يحاول تهريب ذهب وبضائع على متن احدى الطائرات وقد ضبط بالفعل ٠

هـذا مجمل الواقعة ومنه يتضح أنه لم يكن لوزير المالية السابق ولا لأمين سره وموضع ثقته أى ارشاد أدى الى ضبط الذهب والبضـائع المهربة ٠

اتخذت الاجراءات بعد ذلك لتوزيع المكافآت تبعا لما يقضى به النظام المعمول به فوضعت مصلحة الجمارك كشفا بتوزيع هذه المكافآت كانت حصة المخبرين فيه ٣٨٠٠ جنيه بواقع ٤٠٪ ٠

وفى ٣ أبريل سنة ١٩٤٤ زار مدير الجمارك الأستاذ محمد حشمت المراقب العام للايرادات بوزارة المالية وقتئذ ، بناء على تحديد سابق لهذا المعاد لتقدم البكباشى محمـد امـام ابراهيم للمناقشة فى ظروف ضبط الذهب ، فأبلغه الأستاذ محمد حشمت بأن ضبط الذهب كانت وردت عنه اخبارية لمعالى الوزير أبلغت الى السلطات المختصة فى حينها فأجابه بأن هذا يترتب عليه اعتبار ثلاث جهات مصادر للاخبارية التى بنى عليها الضبط ٠

وعد مدير عام الجمارك بأنه سيدرس الأوراق للتوزيع عند عودته الى الاسكندرية لدرس أوراق التوزيع وانتهى الأمر بأن خصص مبلغ ١٤٠٠ جنيه **لاخبارية معالى الوزير** حرر به شيك رقم ٦٢٣٠٣ بتاريخ ٨ يونية سنة ١٩٤٤ ٠

ظل هـذا الشيك تحت يد الوزير من ٨ يونية سـنة ١٩٤٤ حتى ١٧ يولية سنة ١٩٤٤ أى حوالى ٤٠ يوما ثم أعاده الى مصلحة الجمارك بكتاب جاء فيه أن الأستاذ حشمت لا يقبل هذه المكافأة ولا يقبلها الوزير له ، وأشار بتوزيع المبلغ على صناديق التوفير والاقتصـاد والاعانات الخاصة بمصلحة الجمارك ٠

...

وقد يتساءل فضولى عن السر فى أن يستدعى الأستاذ حشمت مدير الجمرك ليخبره بأن حادثة تهريب الذهب أبلغت الى الوزير الذى أبلغها

الى السلطات المختصة فيجيبه المدير العام للجمارك بأن مصـادر الأخبار أصبحت ثلاثة بعد أن كان هناك مصدران ، وما السر فى أن يعاد التوزيع مرتين يخصص فى الأولى منها ١٠٠٠ جنيه لمصدر اخبارية الوزير ثم يعاد النظر بعد ذلك فى التوزيع فيرفع نصيب مصدر الوزير من ١٠٠٠ جنيه الى ١٤٠٠ جنيه ، وأخيرا ما السر فى أن تستيقظ كرامة الوزير وكرامة أمين سره وموضع ثقته بعد أربعين يوما من ارسال الشيك فيرده لمصلحة الجمارك لأن الأستاذ حشمت لا يقبل هذه المكافأة ، ولأن الوزير لا يقبلها له ويشير بتوزيعها على وجوه البر والاحسان ٠٠٠٠

هذه الغاز لا نتولى تفسيرها لأن التفسير بسيط فقد ذاع أمر مكافأة الوزير فخشى أن تلوكه الألسن بما لا يحب ولا يشتهى ، فظل حائرا بين الرغبة فى المكافأة الحرام ، وبين الخوف من اذاعة السر ، وافتضـاح الأمر ٠٠٠ وظل الشيك حائرا معه ، أربعين يوما كاملة ، وأخيرا أدرك الوزير أن المكافأة يجب أن توزع على صناديق التوفير والاقتصاد والاعانات الخاصة بمصلحة الجمارك ٠٠٠

وأشد خطورة مما تقدم أن الوزير سجل فى خطاب رسمى وقائع غير صحيحة ، استند اليها للتهرب من وزر قبول المكافأة ، فقد قال فى خطابه الى مدير الجمارك ما يأتى :

« ولما كان نبأ هذه المحاولة ـ أى محاولة تهريب الذهب ـ قد ابلغنا اياه الأستاذ محمد حشمت مدير عام مصلحة الاحصاء فانه لا يقبل هذه المكافأة كما لا نقبلها له » ٠

ولقد أرادت اللجنة أن تتحرى صـدق هذه الواقعـة ولتبين مـدى صحة الباعث على رد هذا المبلغ ، فتحققت أن الواقعة مكذوبة ٠٠٠ كما أن الباعث مكذوب ٠٠٠ اذ سألت البكباشى محمد امام ابراهيم أفندى السؤالين التاليين نثبتهما ونثبت اجابته عليهما :

(س) هل كان للأستاذ حشمت صلة بهذه الواقعة ؟

(ج) أنا أخبرته باعتباره صديقى عن واقعة التهريب بصفة عامة ، وباعتبار أن مصلحة الجمارك تابعة لوزارة المالية ٠٠٠ وكان ذلك قبل الحكم فى القضية ٠

(س) هل عندما أخبرت الأستاذ محمد حشمت بواقعة التهريب ، كان يعلم بها أم لم يكن يعلم عنها شيئا ؟

(ج) كان أول معرفته بها منى ، ولم يكن يعلم عنها شيئا من قبل »٠

هذه الاجابة حاسمة ، تدمغ أمين عثمان باشا - وزير المالية - بوصمة الكذب الصريح .اذ ذكر واقعة غير صحيحة فى خطاب رسمى ، سترا لموقفه المعيب ، فادعى أن الأستاذ محمد حشمت قد وصله نبأ هذا التهريب وأبلغه اياه ... ولكنه لا يقبل له المكافأة كما لا يقبلها هو ، فى حين أن الواقع المستمد من أقوال البكباشى محمد امام ابراهيم أفندى « أنه هو الذى وصلته الاخبارية وأنه قبل الحكم فى القضية أخبر بها الأستاذ حشمت بصفته الرسمية كموظف فى وزارة المالية لأن مصلحة الجمارك تابعة لها » .

وبعبارة أخرى ، لقد تلقى الأستاذ حشمت النبأ بصفته موظفا ، ولم يكن هناك محل للتفكير فى مكافأته ، وانما الذى يستحق المكافأة هو البكباشى محمد امام ابراهيم وغيره من المخبرين الذين أرشدوا قبل الضبط ...

أما المبلغ الذى طالبت به اللجنة رفعة مصطفى النحاس باشا عن مصاريف السيدة حرمه عند سفرها الى فلسطين فقد خصص له تقرير فرعى رقم ١٠ جاء فيه : هذا نوع من الاستغلال الصغير والحقير ، اذ تكلفت خزانة الدولة بدفع نفقات سفر حرم رفعة النحاس باشا ومن معها من مرافقيها فى رحلتها الى فلسطين ...

وتتلخص هذه الواقعة فى أن حرم رفعة النحاس باشا قد سافرت فى أواخر مايو سنة ١٩٤٣ الى فلسطين ورافقها فى رحلتها شقيقها أحمد أفندى الوكيل وآخرون ثم لحق بها فى أوائل يونية رفعة النحاس باشا وآخرون ، وبعد أن قضوا بضعة أيام فى فلسطين عادوا جميعا الى القاهرة .

وبعد عودتهم ، طالبت سكة حديد فلسطين فى ١٨ أغسطس سنة ١٩٤٣ بنفقات هذه الرحلة وقدرها ١٦٠ جنيها و ٦٠٠ مليم فلسطينى (١٥٦ جنيها و ٥٨٥ مليما مصريا) ومفرداتها كالآتى :

مليم	جنيه	
٢٤٠	١٨	صالون ١٨١١ يقل حرم رفعة النحاس باشا ومن معها من القاهرة للقدس (٦ تذاكر درجة أولى) بواقع ٣ جنيهات و ٤٠ مليما للشخص الواحد) .
٩٨٥	١٢	اجرة الصالون نفسه على خطوط السكة الحديد الفلسطينية .
٢٨٠	٢١	صالون ١٨١٤ يقل رفعة النحاس باشا نفسه للقدس ومن معه (٧ تذاكر درجة أولى بواقع ٣ جنيهات و ٤٠ مليما) .

مليم	جنيه	
٩٨٥	١٢	أجرة الصالون .
٨٨٠	١	منقولات من القنطرة للقدس .
٧٤٠	٢٧	نقل سيارة من القدس للقنطرة .
٥٢٠	٣٩	الصالون ١٨١١ والصالون ١٨١٤ يقلان النحاس باشا وحرمه ومن معهم من القدس للقنطرة (١٣ تذكرة درجة أولى فئة ٣ جنيهات و ٤٠ مليما) .
٩٧٠	٢٥	أجرة الصالونين على خطوط سكة حديد فلسطين .
١٦٠	٦٠٠	

وبدلا من أن يدفع النحاس باشا نفقات هذه الرحلة كلف سكرتير عام مجلس الوزراء أن يطالب وزارة المالية بدفعها من المصاريف غير المنظورة لعدم وجود اعتماد لهذا الغرض فى ميزانية الرئاسة .

وكان ذلك فى ٢٧ يناير ١٩٤٤ .

ووافقت وزارة المالية على ذلك فى ٢٧ يناير ١٩٤٤ نفس التاريخ وتم الصرف الى سكة حديد فلسطين فى ٣٠ مارس ١٩٤٤ .

وقد رأت اللجنة صرف النظر عن تكييف الواقعة جنائيا ، والاكتفاء بمطالبة رفعته مدنيا بما أدخله فى ذمته من نقود الحكومة .

وتختم اللجنة تقريرها بملحق خاص بالاجابة على سؤال قدمه أحد أعضاء مجلس النواب الى وزير المالية وقد اعتبر التقرير الاجابة على هذا السؤال مرتبطة ارتباطا وثيقا بنزاهة الحكم ، وتكملة لبعض الوقائع التى تناولتها الاجابة خاصة وانها ــ الاجابة ــ تناولت واقعة جديدة لم تكن اللجنة قد وقعت عليها فى التحقيق : وهذا نص السؤال الذى تقدم به النائب المحترم أحمد سليم جابر الى وزير المالية :

« هل صحيح أن سعادة أمين عثمان باشا سافر الى فلسطين مرتين فى رحلتين خاصتين وفى كل منهما كان يستقل طائرة خاصة من شركة بنك مصر وكانت الحكومة تدفع نفقات الطائرة ؟ .

وهل صحيح أن رفعة النحاس باشا كان قد سافر فى سنة ١٩٤٣ الى فلسطين فى رحلة خاصة واصطحب معه السيدة حرمه وشقيقها وبعض الخدم والأتباع وأن نفقات سفرهم تكبدتها الحكومة المصرية ؟ .

وهل صحيح أن رفعة النحاس باشا أمر باستخدام طائرة حربية لنقل ممرضة اسرائيلية لخدمة السيدة حماته من بورسعيد الى الاسكندرية ؟

واذا كان كل هذا صحيحا فما هي الاجراءات التي اتخذتها الوزارة لاسترداد هذه المبالغ الى الخزانة لأنها أنفقت من مال الدولة في غير الوجه السليم القانوني » .

وفيما يلي نص اجابة وزير المالية :

« يسألني حضرة النائب المحترم أسئلة ثلاثة جمع بينها في سؤال واحد ، وهو على حق في هذا الجمع بين تصرفات هي في الواقع أجزاء من كل ، وفروع من أصل ، لأن الأصل فيها هو العبث الجرىء بأموال الدولة واستخدامها لأغراض خاصة لا تمت بصلة الى أية مصلحة عامة .

فقد سألني حضرة النائب المحترم اذا كان صحيحا أن سعادة أمين باشا عثمان سافر الى فلسطين مرتين في رحلتين خاصتين ، وأنه كان في كل منهما يستقل طائرة خاصة من شركة مصر وكانت الحكومة تدفع نفقات الطائرة .

والجواب المبدئي على هذا السؤال أنه صحيح الى مدى أبعد مما يظنه حضرة السائل المحترم ، فان سعادة أمين عثمان باشا لم يرد أن يقصر خير الحكومة على شخصه ، بل مده الى أفراد أسرته التي عادت معه في نفس الطائرة ودفعت الحكومة أجرتها .

وسأدلي لحضراتكم بالتفاصيل والأدلة الرسمية فهي لا تترك مجالا للشك لا في ارتكاب هذه المخالفة ، ولا في مسئولية من ارتكبها .

وكذلك سألني حضرة النائب المحترم اذا كان صحيحا أن رفعة النحاس باشا قد سافر في سنة ١٩٤٣ الى فلسطين في رحلة خاصة واصطحب معه السيدة حرمه وشقيقها وبعض الخدم والأتباع ، وأن نفقات سفرهم تكبدتها الحكومة ؟ ... والجواب المبدئي هنا أيضا هو أن الواقع أشنع وأقطع من الرواية ، فان رفعة النحاس باشا حين سافر الى فلسطين لم يصطحب معه حضرة صاحبة العصمة السيدة المحترمة وشقيقها ومن كان معهما ، بل سافر هؤلاء وحدهم الى فلسطين ، قبل أن يسافر رفعته ، ورغم ذلك ارتضى رفعته لكرامته ولذمته أن تتحمل الحكومة أجور السفر والنقل الخاصة بهم .

وأما السؤال الثالث عما اذا كان صحيحا أن رفعة النحاس باشا أمر باستخدام طائرة حربيــة لنقل ممرضــة اسرائيليــة من بورسعيد الى الاسكندرية لخدمة السيدة المحترمة حماته ، فالجواب عليه هو الأسف المزدوج ـ أسف على كرامة الحكم وكرامة الجيش فضلا عن الأسف على أموال الخزانة العامة ... » .

والى حضراتكم تفصيل هذه الوقائع الثلاث مستمدة من الملفات الرسمية .

وأما سؤال حضرة النائب المحترم عما اتخذته الوزارة من اجراءات فالجواب عليه مترتب على تحديد المسئوليات وقد حددناها فيما يلي من بيانات .

رحلة أمين عثمان باشا :

أما عن رحلة أمين عثمان باشا الى فلسطين فهي في الواقع رحلتان لا رحلة واحدة ، وفي كل مرة خصصت للرحلة طائرة خاصة ، قامت الحكومة بدفع نفقاتها ، وبلغت قيمة هذه النفقات في الرحلة الأولى ١٣٧ جنيها مصريا و٢٦٠ مليما وفي الرحلة الثانية ١١٣ جنيها مصريا و ٤٠٠ مليم .

ويسرني قبل أن أتهم أمين عثمان باشا أن أقرأ عليكم دفاعه . فقد كان من محاسن التوفيق أن عرضت على أخيرا خلال عملي الرسمي في وزارة المالية أوراق بشأن الرحلة الأخيرة التي قام بها عثمان باشا ، فأرسلت اليه الخطاب التالي :

« حضرة صاحب السعادة أمين عثمان باشا

أتشرف بابلاغ سعادتكم أن وزارة المالية تلقت أخيرا كتابا من وزارة الدفاع تذكر فيه أنه سبق لها أن صرفت الى شركة مصر للطيران مبلغ ١١٣ جنيها و ٤٠٠ مليم قيمة مصاريف رحلة قمتم بها من القاهرة الى اللد وبالعكس يوم ١٥ أغسطس سنة ١٩٤٢ وقت أن كنتم سعادتكم رئيسا لديوان المحاسبة ، وأنها خصمت على حساب جاري الديوان بهذا المصروف ولكنه لم يقبل الخصم بهذا المبلغ وأشار بكتابه المؤرخ ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٤٢ أن هذه الرحلة لم تكن خاصة بل تمت في خصائص شئون الدولة وأنكم توليتموها بأوامر صدرت الى سعادتكم .

ولما كان يلزم وزارة المالية ــ لتحديد الجهة التي تتحمل هذا المبلغ والاعتماد الذي يخصم عليه به ــ معرفة نوع المهمة الرسمية التي استدعت قيام سعادتكم بهذه الرحلة والأوامر التي صدرت بشأنها ، فرجاؤنا الى سعادتكم التكرم بموافاتنا بهذه البيانات ، هذا اذا كانت المهمة رسمية ، فاذا لم تكن نرجو افادتنا على أي حال .

وتفضلوا سعادتكم بقبول فائق الاحترام .

وزير المالية

في ٢٧ مايو سنة ١٩٤٥ مكرم عبيد

ورغم أنى توخيت فى كتابى الرسمى آداب المخاطبة فأكدت لسعادته مبلغ تشرفى بمخاطبته ، وتركت له الباب مفتوحا ليجيبنى عما اذا كانت الرحلة رسمية أم خاصة ــ مع يقينى أنها رحلة خاصة ــ فقد تفضل سعادته فرد على بالجواب العنيف التالى :

« حضرة صاحب المعالى وزير المالية

تلقيت كتابكم المؤرخ فى ٢٧ مايو سنة ١٩٤٥ بشأن الرحلة التى قمت بها من القاهرة الى اللد وبالعكس يوم ١٥ أغسطس سنة ١٩٤٢ وقت ان كنت رئيسا لديوان المحاسبة وما تطلبونه من معرفة نوع المهمة الرسمية التى استدعت قيامى بهذه الرحلة والأوامر التى صدرت بشأنها ٠

وأرى من حقى أولا أن أسألكم بدورى كيف سمحتم لصحيفتكم « الكتلة » أن تتخذ من موضوع هذه الرحلة مادة للتشهير بشخصى ومحاولة للطعن فى نزاهة الوزارة الوفدية فى الوقت الذى كانت تنقصكم فيه المعلومات الكافية والبيانات اللازمة للحكم على نوع هذه الرحلة ومعرفة المهمة الرسمية التى قمت بها كما يتبين ذلك بجلاء من كتابكم المشار اليه الذى تستفسرون فيه عن ذلك كله ٠

الم يكن من الأصوب أن تحجموا عن تغذية تلك الحملة الصحفية الطائشة وعن اثارة الغبار حول أشخاص أنتم أول من يعرف أن نزاهتهم فوق مستوى الشبهات حتى تتجمع لديكم هذه البيانات التى اعترفتم بكتابكم المذكور أنكم كنتم ولا زلتم فى حاجة اليها ٠

على أننى فيما يختص باستفساركم الأخير اكتفى بأن أقرر لكم أن تلك المهمة انما قمت بها بناء على تعليمات حضرة صاحب المقام الرفيع رئيس مجلس الوزراء الأسبق وأنها تتعلق بشؤون الدولة العامة ٠ وليس من حقكم ولا مما يتفق والمصلحة العامة أن أطلعكم على موضوعها أو تفاصيلها ٠ ولو أنها كانت رحلة خاصة لما كان هناك محل لاحتساب تكاليفها على حساب الدولة وما كنت ولا الحكومة الوفدية لتقبل ذلك بحال من الأحوال ٠ .

تحريرا فى ١٠ يونية سنة ١٩٤٥ (أمين عثمان)

ويظهر أن سعادة أمين باشا قد أخذ ببلاغة هذا الخطاب بعد أن قرأه ــ أستغفر الله بل بعد أن كتبه ! ــ فراح ينشر هذا الجواب مع خطابى فى احدى الصحف تحت عنوان (درس فى الواجب) ، والحق أنى لا أدرى الى أى واجب يشير سعادته : هل هو الواجب الشكلى الذى

يمنع من نشر المكاتبات الرسمية والرد عليها بمثل هـذه اللهجة التى لا تتفق مع التقاليد الرسمية ولا العرفية ، أم هل هو الواجب الأدبى الذى يمنع من مخالفة الآداب العامة بذكر وقائع غير صحيحة ...

وانى أربأ بكرامة المجلس الموقر أن أعرض الى ما أشار اليه سعادته من حملة صحفية ضده لم يجترىء هو على الرد عليها فى الصحافة ــ وكانت الرقابة مرفوعة عن الصحف زمنا طويلا ــ ولا أمام القضاء ، ولا يصح لى من ناحية أخرى أن أرد على منطق جوابه العجيب الذى يأخذ على أنى كوزير للمالية طالبته بالبيانات عن نوع هذه الرحلة وعن المهمة الرسمية التى قام بها ، فهو يرى فى ذلك دليلا على أن المعلومات كانت تنقصنى ... وقد نسى حضرته أو تناسى ما جاء فى خطابى بالحرف الواحد (**هذا اذا كانت المهمة رسمية فاذا لم تكن أرجو افادتنا على كل حال**) .

كلا ، انى انما سألته لأعطيه فرصة يدافع فيها عن نفسه قبل اتخاذ الاجراءات القضائية ضده ... فماذا كان دفاعه ؟ اليكم ما قاله حرفيا (انى أكتفى بأن أقرر لكم أن تلك المهمة انما قمت بها بناء على تعليمات حضرة صاحب المقام الرفيع رئيس مجلس الوزراء الأسبق وأنها تتعلق بشئون الدولة العامة وليس من حقكم ولا مما يتفق والمصلحة العامة أن أطلعكم على موضوعها أو تفاصيلها) .

هل رأيتم منطقا أعجب من هذا المنطق ؟ ... وزير المالية يطلب المبررات التى قضت بصرف مبلـغ معين من أمـوال الدولة العلنيـة ــ لا السرية ــ فيقال له « ليس من حقك معرفة هذه الأسباب » ... ولماذا ؟؟ .. لأنها تتعلق بشئون الدولة العامة ! ... وهذه الشئون العامة يجب أن تبقى سرا على الحكومة القائمة ، ويحتفظ به أمين باشا عثمان ورئيسه الجليل ، بحيث لا يشار الى الموضوع ولا الى التفصيل ... وبل ولا يصح لوزير المالية أن يعرف الجهة التى تحتسب عليها هذه النفقات ، لا لسبب الا لأن رئيس الحـكومة أمر رئيس ديوان المحاسبة (المستقل عن الحكومة) بالسفر فى رحلة حكومية رفض ديوان المحاسبة فى عهد الوزارة النحاسية نفسها أن تحتسب عليه ! ...

ولكن مالنا والمنطق الرسمى والمنطق العقلى .. وأمامنا منطق الوقائع وهو قاطع فى تكذيب هؤلاء الناس واثبات الوزر عليهم كما يتبين مما يلى :

فقد رجعنا الى الملفات الرسمية ، والى شركة مصر للطيران ، وتبين لنا ما يلى محددا بوقائعه وتواريخه :

أولا : فى ٢ يولية سنة ١٩٤٢ قامت من مطار الماظة الى اللد طائرة

عبود باشا الخاصة (SUACO) وعليها أمين عثمان باشا وعائلته (عدد الركاب ٤) ٠

ثانيا : في ٦ يولية قامت من ألماظة طائرة تابعة لشركة مصر للطيران وقامت فارغة وعادت في ٧ يولية (أي في اليوم التالي) وعليها أمين عثمان باشا وحده ـ وأجرة هذه الطائرة ١٣٧ جنيها و ٢٦٠ مليما ٠ وقد دفعتها الحكومة بأكملها ـ هذا عن الرحلة الأولى ! ٠٠٠

ثالثا : أما الرحلة الثانية التي دفعت الحكومة نفقاتها فكانت على طائرة من طائرات مصر أيضا قامت فارغة وعادت في ١٥ أغسطس وعليها أمين عثمان باشا والسيدات المحترمات زوجته وكريمته وأخت زوجته ٠

وتبين أنه سافر قبل ذلك بأربعة أيام أي يوم ١١ أغسطس على طائرة عامة من شركة مصر ـ ثم عادت في يوم ١٥ على الطائرة التي أرسلت له خصيصا في ١٥ أغسطس وقامت من مصر فارغة وعادت ملأى بسعادته وأفراد أسرته ، وهذه هي الطائرة الثانية التي دفعت الحكومة أجرتها البالغة ١١٣ جنيها و ٤٠٠ مليم ، والتي يقول سعادته انه استخدمها في مهمة رسمية لأغراض تتعلق بالمصلحة العامة ٠

رابعا : تبين أن سعادته استخرج جواز سفر عاديا رقم ٦٤٤٤٧ بتاريخ ٢ يولية ، ولم يكن الباسبور دبلوماسيا ٠

خامسا : بالرجوع الى ملفات المصاريف غير المنظورة ، وملفات مجلس الوزراء وديوان المحاسبة ، لم نجد أنه قبض مليما واحدا بدل سفر عن الرحلتين ، مع أنه قضى في الرحلة الأولى أربعة أيام في فلسطين ، وفي الرحلة الثانية أربعة أيام أيضا !

يؤخذ من هذه البيانات الرسمية الأدلة التالية القاطعة في أن الرحلتين خاصتان ولا صلة لهما بالمصلحة العامة من قريب أو من بعيد :

١ ـ كانت الرحلة الأولى في الأسبوع الأول من يولية عند اشتداد أزمة العلمين ، والثانية في منتصف أغسطس عند انفراج الأزمة ٠

فما هي المصادفة السعيدة التي جعلت هاتين المناسبتين بالذات ـ مناسبة الهرب للخوف والعودة بعد زوال الخوف ـ جعلتهما تتفقان مع تكليف أمين عثمان باشا بمهمتين رسميتين للمصلحة العامة ؟

٢ ـ كانت الرحلة الأولى بمناسبة تسفير عائلة أمين عثمان باشا والرحلة الثانية بمناسبة اعادتها معه في الطائرة ٠

فما هى المصادفة السعيدة والمزدوجة التى جعلت سفر العائلة لمصلحة خاصة يتفق مع سفر أمين عثمان باشا لمصلحة عامة ، واذا اتفقت هذه مرة فكيف تتفق مرتين ، وفى فترتين متباعدتين !

٣ ـ اذا كانت الطائرة لم تستخدم الا فى الاياب فى المرتين · فلماذا لم تحتسب مصاريف الذهاب فى المرة الأخيرة وقد سافر سعادته على طائرة من طائرات مصر ـ ولماذا قام فى المرة الأولى على طائرة عبود باشا ، اذا كان مكلفا بمهمة رسمية ولم يكن الرحيل بسبب الفزع الذى جعله يطير على أول طيارة ؟

٤ ـ وكيف يعقل أن تكون مصاريف الطائرة فى المرتين على حساب الدولة ثم لا يدفع لأمين باشا مليم واحد بدل سفر مع أنه قضى فى الرحلتين ثمانية أيام فى فلسطين ؟ أليس ذلك دليلا على كذب دعواه أن الرحلة كانت رسمية ، والا فلماذا هذا التورع عن بدل السفر والاقامة وقد سبق أن اعتمد لزميله صبرى أبو علم باشا بدل سفر يومى ومبلغ اجمالى بمناسبة سفره الى سوريا ولبنان فى رحلة رسمية لا شك فيها ·

٥ ـ كيف لا يستخرج جواز سفر دبلوماسيا أو اذنا خاصا اذا كانت رحلته فى مهمة خاصة ، بل اقتصر على الباسبورت العادى ، بدلا من باسبورته الذى استخرجه فى سنة ١٩٣٩ ؟

٦ ـ اذا فرضنا لمجرد الجدل أن الرحلة كانت رسمية ، فبأى حق أو بمقتضى أى قانون أو عرف يسمح أمين عثمان باشا لنفسه بأن يصطحب فى عودته أفراد أسرته ، فيحمل الدولة نفقات نقلهم ويحرمها من أجور سفرهم فى مصر ؟ !!

وحسبى أن أقول ان هذا الدليل وحده قاطع فى كذب أمين باشا الذى لا يستحى من القول فى خطابه ان نزاهته هو ورئيسه فوق مستوى الشبهات ··· كلا يا سيدى ، بل هذه هى الأدلة على أنها لا ترقى حتى الى مستوى الشبهات ، بل هى بيانات دامغات ، جامعات مانعات !

وما كانت الدولة مكلفة أن تدفع من خزانتها نفقات الهروب حينما تفزع القلوب ·

أما استشهاد أمين عثمان باشا برئيسه النحاس باشا فلا يزيده الا ادانة فوق ادانة ، لأن النحاس باشا نفسه لم يبخل هو أيضا على أسرته بأموال الدولة ينفقها عليها فى غير تورع كما سنرى فيما بعد ·

والمستفاد مما تقدم أن سفر سعادة أمين عثمان باشا أولا وثانيا

لا يتصل بعمله الرسمى فى شىء ، ومن ثم يتعين عليه دفع المبالغ التى قامت الحكومة بدفعها عنه • ونظرا لامتناعه عن دفع ما هو مطلوب منه للحكومة فمن واجبى أن أتخذ الاجراءات الموصلة لتحصيل هذا المبلغ طبقا لأحكام القانون رقم ١٧ لسنة ١٩١٨ باقتطاع ربع معاشه الشهرى لاستيفاء دين الحكومة •

فلذلك قررت اتخاذ هذا الاجراء أو مقاضاته مدنيا ليقول القضاء كلمته الحاسمة •

سفر حرم النحاس باشا :

تتلخص هذه الواقعة فى أن حضرة صاحبة العصمة حرم رفعة النحاس باشا قد سافرت فى أواخر مايو سنة ١٩٤٣ الى فلسطين ، ورافقها فى رحلتها شقيقها أحمد أفندى الوكيل وآخرون ، ثم لحق بها فى أوائل يونية رفعة النحاس باشا وآخرون ، وبعد أن قضوا بضعة أيام فى فلسطين عادوا جميعا الى القاهرة •

وبعد عودتهم طالبت سكة حديد فلسطين فى ١٨ أغسطس سنة ١٩٤٣ بنفقات هذه الرحلة وقدرها ١٦٠ جنيها و٦٠٠ مليم فلسطينى (١٥٦ جنيها مصريا و ٥٨٥ مليما) ومفرداتها كالآتى :

مليم	جنيه	
٢٤٠	١٨	صالون ١٨١١ يقل حرم رفعة النحاس باشا ومن معها من القاهرة للقدس (٦ تذاكر درجة أولى بواقع ٣ جنيهات و ٤٠ مليما للشخص الواحد) •
٩٨٥	١٢	أجرة الصالون نفسه على خطوط السكة الحديد الفلسطينية•
٢٨٠	٢١	صالون ١٨١٤ يقل رفعة النحاس باشا نفسه للقدس ومن معه (٧ تذاكر درجة أولى بواقع ٣ جنيهات و ٤٠ مليما) •
٩٨٥	١٢	أجرة الصالون •
٨٨٠	١	منقولات من القنطرة للقدس •
٧٤٠	٢٧	نقل سيارة من القدس للقنطرة •
٥٢٠	٣٩	الصالون ١٨١١ والصالون ١٨١٤ يقلان رفعة النحاس باشا وحرمه ومن معهم من القدس للقنطرة (١٣ تذكرة درجة أولى فئة ٣ جنيهات و٤٠ مليما) •
٩٧٠	٢٥	أجرة عن الصالونين على خطوط سكة حديد فلسطين •
٦٠٠	١٦٠	

ويبلغ الجزء الخاص بنفقات رحلة السيدة حرمه حوالى النصف . والباقى خاص برحلة رفعته .

وبدلا من أن يدفع رفعة النحاس باشا نفقات هذه الرحلة الخاصة كلف حضرة السكرتير العام لمجلس الوزراء بأن يطالب وزارة المالية بدفعها ، فأرسل حضرته الخطاب الآتى الى سعادة وكيل وزارة المالية !

« حضرة صاحب العزة وكيل وزارة المالية :

أتشرف بأن أرسل مع هذا كتاب سكة حديد فلسطين رقم ١٤٦٥ بتاريخ ١٨ أغسطس سنة ١٩٤٣ بمبلغ ١٦٠ جنيها و٦٠٠ مليم قيمة مصاريف رحلة حضرة صاحب المقام الرفيع رئيس مجلس الوزراء الى فلسطين فى مايو ـ يونية سنة ١٩٤٣ رجاء التفضل باصدار الأمر بدفعها من المصاريف غير المنظورة لعدم وجود اعتماد لهذا الغرض بميزانية الرياسة .

وتفضلوا عزتكم بقبول فائق الاحترام »

٢٧ يناير سنة ١٩٤٤ السكرتير العام لمجلس الوزراء

وتنفيذا لأمر رفعة النحاس باشا : وافقت المالية فى ٢٧ يناير سنة ١٩٤٤ على صرف هذا المبلغ من ربط المصروفات غير المنظورة وتم الصرف الى سكة حديد فلسطين فى ٣٠ يناير سنة ١٩٤٤ .

ومن المزرى أن يشار فى هذا الخطاب الى أن المبلغ يوازى قيمه مصاريف رحلة رئيس مجلس الوزراء الى فلسطين فى مايو ويونية ، ولا يفرق بين رئيس الوزراء وحرم رئيس الوزراء .

وهكذا أريد بذلك تسهيل الدفع على الدافعين ، وخدعهم عن الحقيقة الصارخة ، وهكذا دفع المبلغ بأكمله من خزانة الدولة ، فى غير حق ولا ذوق .

ولذلك أبلغنا قسم القضايا بمقاضاة رفعة النحاس باشا مدنيا ومطالبته بما حملت به الخزانة من نفقات رحلة أسرته الخاصة .

طائرة حربية لنقل الممرضة :

أما هذه المسألة فصحيحة بحروفها نشرتها الصحافة منقولة عن التقارير الرسمية من وزارة الدفاع ، وملخصها أن وزير الدفاع السابق

بناء على طلب النحاس باشا أمر طائرة حربية أن تقوم من القاهرة الى بورسعيد لنقل الممرضة « ربيكا » الى القاهرة ومنها الى اسكندرية فى نفس اليوم ، بناء على توعك السيدة المحترمة حماته ، وكان فى مقدوره بطبيعة الحال أن يحصل على ممرضة من الاسكندرية الى أن تحضر الممرضة المذكورة فى نفس اليوم ولو تأخرت بضع ساعات ، **ولكنه الصلف والاستهتار بكرامة الدولة ومال الدولة** •

وقد اتخذت الاجراءات لمقاضاة رفعته ومطالبته بما تكلفته هذه الرحلة من نفقات •

ومما يذكر فى هذا الصدد أن القاطرات الخاصة التى استعملها رئيس الوزراء والوزراء السابقون فى وزارته دون أن يدفعوا مقابلا عن أجرتها ودون أن يكون لهم حق فى استعمالها بلغت أجرتها حوالى **٤٨٨٢ جنيها** •

حضرات النواب المحترمين

لو أن هذا العبث بأموال الدولة ارتكبه موظف صغير ـ أو ارتكب عشر معشاره ـ لفصل من وظيفته الى غير عودة ••• أما هؤلاء السادة من الحكام ـ من رئيس وزراء الى وزير المالية الخ فهم ينتهبون لمصالحهم الخاصة أموال الدولة المودعة أمانة بين أيديهم ويدعون رغم ذلك النزاهة والشرف ، ويصيحون ويتصايحون اذا ما طولبوا برد ما عليهم ، أو كشف الخطأ عن مساوئهم •

وفى رأيى أن هذه التصرفات المنافية للشرف لا تخرج عن كونها جنايات ولو لم يعاقب عليها قانون الجنايات المصرى ، وأنه من واجبنا أن نعدل القانون ليسرى على أولئك العابثين بالقانون ••• » •

وبذلك نكون ـ فيما اعتقد ـ قد أوفينا الحديث عن تقرير اللجنة الوزارية التى شكلتها وزارة الدكتور أحمد ماهر باشا للتحقيق فى أعمال الوزارة السابقة على تلك الوزارة ـ وزارة النحاس باشا • ونعتقد أننا فيما كتبناه عن هذا التقرير كنا سباقين اذ لم يسبق ان عولج أمر هذا التقرير فيما قرأت عن تلك الفترة من كتب ودراسات • كما اننى أردت أن أكتب شيئا جديدا للغاية فاذا كانت مبالغة تافهة لا تستحق كل هذا اللت والعجن فعذرى واضح وقصدى طيب •

الباب السابع

الفصل الأول

وكان للكتاب الأسود ملحق سرى
لم يدر به الكثيرون

رغم أننى عايشت سنوات ما قبل الثورة وعشتها كواحد من العاملين فى الحقل الوطنى الذين أتيحت لهم الفرص لكى يعرفوا معرفة جيدة كل أحداث وحوادث تلك السنوات ، ما كبر منها وما صغر ، ورغم أننى كنت ولثمانى سنوات كاملة نزيلا شبه دائم ، على المعتقلات والسجون كواحد من غلاة أبناء الحزب الوطنى الذين وضعت أسماؤهم فى أول كشوف المغضوب عليهم ، والمشتبه في أمرهم ، الذين ينقلون الى السجون والمعتقلات فور وقوع أى حادث سياسى حتى ولو كان ذلك الحادث يتعارض الى أبعد الحدود مع آرائهم ومعتقداتهم • وفى تلك السجون والمعتقلات كنا نلتقى بالوفديين عندما تكون أحزاب الاقليات هى التى تحكم ، وبأعضاء أحزاب الاقليات عندما يكون الوفد فى الحكم ، وكما هو معروف فان المسجونين السياسيين الذين يقيمون فى سجن واحد ، أو فى معتقل واحد ، وخاصة عندما تزداد فترات الاعتقال أو السجن يتبادلون معرفة الأسرار السياسية التى قد تكون خافية على البعض ورغم أننى كنت على علاقات طيبة ووثيقة ببعض الزعماء والقادة الذين لعبوا أخطر الأدوار فى سنوات ما قبل الثورة ، وكنت موضع ثقة بعضهم ، رغم اختلافى واياهم فى وجهات النظر السياسية ، ورغم أن «هوايتى» الوحيدة طوال الثلاثين عاما الماضية جمع الوثائق السياسية الخاصة بتلك السنوات ، رغم ذلك كله فانى لم أعرف أن مكرم عبيد باشا أعد ملحقا للكتاب الأسود ، لأنه اعتقل قبل أن يقوم باستكمال طبعه وتوزيعه ، لم أعرف شيئا ما عن ذلك الملحق ، الا عندما بدأت أكتب عن سنوات ما قبل الثورة • وملحق الكتاب الأسود ، كان أساسه الخطبة التى ألقاها مكرم عبيد فى عيد الجهاد الوطنى « ١٣ نوفمبر ١٩٤٣ » ولم تنشر تلك الخطبة بالطبع لأن الرقابة

على الصحف كانت وقتئذ ، تشطب كل ما يقوله ، وكل ما يكتبه مكرم عبيد ، بل كانت تشطب كل أخباره ، وكل أخبار الهيئة السياسية التى كونها وأعنى بها الكتلة الوفدية المستقلة ، وأذكر أن الرقابه وقتئذ كانت تشطب كلمة الوفدية لأن الحكومة الوفدية لم تكن وقتئذ تعترف بالكتلة الوفدية المستقلة ، وان كانت تعترف ــ مضطرة ــ بالكتلة المستقلة فقط ، وحتى أكون مؤرخا يحاول آن يكون منصفا وحتى تكتمل الصورة ، التى نحاول أن نرسمها لتلك السنوات لابد أن نشير الى ملحق الكتاب الاسود ، الذى لم ينشر ولم يوزع ، باعتباره وثيقة تاريخية : أدبية وسياسية ، فتلك أمانة نؤديها بلا زيادة ، ولا نقصان ، أمانة نؤديها للتاريخ ، الذى لا يعرف المحاباة ، ولا المجاملة ، ونبادر فنقول عن ملحق الكتاب الأسود ما سبق أن قلناه عن الكتاب الأسود ذاته من أن اشارتنا الى بعض الموضوعات ، التى جاءت به ، لا تعنى موافقتنا على ما جاء به من اتهام ، فنحن من هذه الزاوية مجرد ناقلين وناقلو الكفر ليسوا بكفار كما يقولون ٠

وملحق الكتاب الأسود مثل الكتاب الأسود قطعة أدبية ممتازة وخاصة فى المقدمة ، حيث يتغلب مكرم عبيد الأديب على مكرم عبيد السياسى ٠

يقول مكرم عبيد فى البداية :

عيد وجهاد ونهضة وثورة ــ يا لها من معان طالما أزكت وطالما أبكت فاذا هى الآن مجرد ألفاظ تنبو عنها تقاليد هذا العهد وعقلية رجاله ــ نعم هى لديهم ألفاظ يلفظها الفم فيلفظها الفهم حتى لكأنها أوهام يخلقها الوهم ٠

ولا تعجبوا مما تسمعون ، بل العجب أن لا يكون ــ فما قيمة الألفاظ اذا لم تنطو على معنويات تنطوى فى دورها على مرئيات أو فى القليل على ذكريات ؟ ٠٠ وأى معنى للعيد لدى قوم لا يحسون له فى النفس هدى ، ولا يسمعون له فى القلب صدى ، بل يرون فيه يوما كسائر الأيام ، يعود دون أن يعيد ؟ ٠٠ وأية قيمة للذكريات الخاليات الغاليات ، اذا ما ذكرت دون أن تحيى أو تجدد ؟ ٠٠ وأى أثر للآمال الكبيرة الثائرة اذا ما تصاغرت وتضاءلت ، فاذا هى لا تعدو المطامع الصغيرة الحائرة التى تتأرجح بين الذلة واللذة ــ ذلك الحكم المستضعف المسند ، ولذة الغنم المستوظف والثراء الممهد ٠٠٠

أما الجهاد ، وأما الثورة ، فاين هما ؟ وماذا دهاهما ؟

ابحثوا عنهما بمصباح ديوجين فى مخلفات الوفد ، بل فى سوق

هذا العهد ـ والعهد كله سوق كما تعلمون ـ فوالله لم تشهد مصر فى حكمها تجارة رائجة ممقوتة كالتى تشهدها اليوم فى سوق الحكم أو سوق الاستغلال ، وهى سوق كسائر الأسواق الا أن عملتها من المـال وبضاعتها ويالِلعار ، مِنَ الرجال !!

تلكم هى السوق السوداء حقا ، فقد استبدلوا فيها بالثورة الثروة ٠ وبالنخوة النسوة وبالحق القوة ٠ ويتساءل مكرم عبيد :

هل انتهت ثورتنا المصرية المجيدة الى مصير الثورة الفرنسية ؟ وهل ابتلينا فى رجالنا كما ابتليت هى فى رجالها ؟ وهل ثار رجال الثـورة على الثورة ، فاستغلوها لحساب جيوبهم ، بعد أن دفعوا ثمنها من حبات قلوبهم ؟ وهل خطونا بها ـ أو خطت هى بنا ـ من دور الفعل الى رد الفعل ؟؟

تلك أسئلة خطيرة ، والجواب عليها مستمد من الواقع المشئوم الذى تحسونه ، بل تلمسونه ، فان النحاس باشا وزملاءه اذا لم يكونوا هـم المسـئولين الأولين ، فهم فى القليل أكبر المسـئولين عن الروح النفعيـة المستهترة التى نشرت جراثيم الفساد ومساوىء الاستبداد فى بلادنا ، فأدت الى اهدار مبادىء الثورة المصرية ، لا فى انظمتنا فحسب ، ولا فى تقاليدنا فحسب ، بل فى نفوس الكثيرين منا أيضا ٠٠٠ ولكنه انهيار الى اجـل ، ويأس الى أمل ، فما كان النحـاس ولا أشياع النحـاس ولا حلفاء النحاس ـ ولو كان بعضهم لبعض ظهـيرا ـ ليقضـوا على روح الاستقلال المصرية قضاء أخيرا ، وهى التى أنشأت فى الشرق مدرسة الجهاد الوطنى لقنت كمـا تلقنت فيها الدرس قاسيا مريرا ، وهو أن النصر لن يتاح الا لمستنصر بالله عرف أن يتخذ من نفسه نصيرا ٠٠٠

كان يجدر بى أن أحدثكم بمناسبة عيد الثورة عن الثورة المصرية كيف نشأت ، وكيف تطورت ، وكيف انتهت الى ما اليه انتهت ، لا سيما وأن من بيننا شبابا لم يدركها الا فى أخرياتها ، ومن حقهم علينـا أن نرسم لهم صورة ، مهما تكن مبتورة ، عن بدايتها وتقلباتها ، ولكنى أظلم نفسى واظلم التاريخ اذا ما حاولت فى هذا المجال الضيق تحليل حالة روحيـة قد لا تحتمل التحليل أو التعليل ، وان تكن قابلة للتصوير والتسجيل ٠

ولقد نشأت أنا فى الثورة صغيرا ، وعشت فيها بل عشتها زمنـا قد يكون بالقيـاس الى الأزمنة قصيرا ٠ ولكنى أرجو الله أن تعيش الثورة فى ما عشت فأموت فيها قبل أن تموت فى ، فما من حياة جديرة بالانسان فى الحيـاة الدنيـا ، الا فى ثورة الروح على المـادة ، وثـورة النفس على الحس ٠

ولا تحسبوا أن الثورة حالة تعد لها العدة أو تكتسب اكتسابا ، كلا ، بل هي شعور جارف ينتهب النفس انتهابا ، بل ويكاد يغتصبها اغتصابا ... ولقد كانت الثورة المصرية مفاجئة حتى للثائرين أنفسهم — ومن ثم كانت الثورة ثورة — فلم تكن لها مقدمات وبوادر ، بل ثارت ثورتهـــا وفارت فورتها كالبركان المنفجر الثائر ... ولعل في عنصر المفاجأة الفارق الأكبر بين الثورة والنهضة ، فالنهضة تقتضي نهوضا ، والثورة لا ترتضى الا وثوبا فانتفاضا ، والنهضة نور يضيء فيتوهج ، والثـورة نار تلتهب فتتأجج ....

وعندى أن الناس يخطئون اذ يعتبرون عيد ١٣ نوفمبر عيد النهضة في حين أنه عيد الثورة ، فقد كانت زيارة سعد وزملائه للممثل البريطاني في ذلك اليوم بمثابة مستصغر الشرر للهيب الثورة الذى لم يلبث أن انفجـر ...

أما النهضة المصرية فلاحقة للثورة لا سباقة عليها ، واذا كان هناك مأخذ يؤخذ علينـا نحن المصريين فهو أن نهضـتنا لم ترتفع الى مسـتوى ثورتنا — كما سنرى فيما بعد .

ولقد سمعتم أن ليس للثـورة عقل — وقد يكون ذلك صحيحا اذا فهمنا العقل بالمعنى المصطلح عليه — ولكن للثورة قلبا ، ولمـا كان القلب يصدر عن شعور ، في حين أن العقـل يصـدر عن تفكير ، فان القلب اذا ما أحب وهب ، بينما العقل اذا ما أحب كسب ..

شعـار القلب — وشـعار الثـورة — هـو اذن البذل والتضحية ، لا الكسب ولا المنفعة — ومن ثم كان أبطـال الثورة الأولون السباقون هم الشهداء لا « العقلاء » ، الأبنـــاء لا الآباء ، الضعفاء لا الأقوياء ، الفقراء لا الأغنياء ، الى أن يقول مكرم عبيد :

ليس أروع من العاطفة اذا ما عصفت بها العاصفة ... فلقد سرت الحماسة الثائرة أول ما سرت في قلوب الشباب — وهل الشبيبة الا حماسة مشبوبة ! — ثم ما لبثت أن امتد لهيبها منهم الى الرجال — رجال الدين والدنيا — ومنهم الى الفتيات والنساء المحجبات — ولا عجب ، فقد جرفت الثـورة كل شيء في طريقها ، متخطية كل صعاب ، ممزقة كل حجاب — فالعوائد والتقاليد ، والمراسم والطائفية والعنصرية والحزبية — كل شيء وجب أن يبذل ، وكل عائق وجب أن يذلل ، في سبيل ازدهار ذلك النبت الجديد المجيد الذى أنبتته ثورة المجاهدين ، وروته دماء المستشهدين — نبت الحرية ، ولا شيء غير الحرية ، وكل الحرية — وما كان للثورة أن ترتضى

غير الحرية كاملة الى منتهاها ، وقد وهبتها الحياة كاملة الى منتهاها ـ ومن ثم كان شعارها الاستقلال التام أو الموت الزؤام ـ أو كمال فى الحياة وفى الممـات ! ...

ولمـا كان شعار الثورة هو التضحية ، فقد كانت مصر ميدانا للمباراة بين طلاب التضحية ، فكنا نراهم دافعين متدافعين ، متسابقين متلاحقين ، ولكأنهم كانوا يتزاحمون متنافسين فى سوق ما أعجبها من سوق ـ فى سوق المنايا ، لا سوق الدنايا ـ وكان التنافس على التضحية ملحوظا بين المصريين على اختلافهم ـ شبانا وشيبا ، رجالا ونساء ، أهليين وموظفين ـ فالوزراء أضربوا عن الحكم ، والموظفون عن الوظيفة ، والطلبة عن الدراسة ، والمحامون والأطباء والمهندسون والتجار والعمال والفلاحون ـ الكل أضربوا عن العمل ، وأخيرا وليس آخرا قد كان هناك مصريون أمجاد أضربوا حتى عن الأمل ـ هم الشهداء الذين ضحوا التضحية كلهـا بتضحية الحيـاة كلهـا ...

وهكذا شقت الثورة لنفسها طريقا معبدا الى الهدف المنشود ، أثمرت ثمـــارها العاجلة ، وبقى على النهضـة التى تلتها أن تستكمل ثمـــارها الآجـلة .

ويقول مكرم عبيد :

ولكن النهضة كانت مع الأسف أبطأ من رغبتنا ، وأضعف من قوتنا ـ وعلة ذلك ان بعض الناس بدأوا يستغلون الثورة ، فحلت روح الاستغلال محل روح الاستقلال ، والنفعية محـــل التضحية ، ورأينا التكالب على الوزارة من المستوزرين ، وعلى الوظيفة من المستوظفين ، وعلى الكسب من المتكسبين وجاءت الانقلابات المتعددة من حكم الى حكم ، ومن نظام الى نظام ، فأدت الى تزاحم القناصين على القنص ، والنهازين على الفرص ... وما من شك أن يد المستعمرين كانت تعمل من وراء ستار لقلب الحكم أو تغييره عسى أن تلهينا عن مطلبنا الأسمى بما يتســاقط من موائدهم من فتــات أو بما ورثناه عن الثورة من مخلفات ....

ومنذ ذلك الحين بدأت النهضة تتخاذل ، وبدأ الايمان بها يتضاءل ، فدب فى النفوس دبيب الشك والحيرة ، فكان ذلك ايذانا بانتهاء الثورة ـ لأن الحيرة والثورة نقيضان لا يجتمعان ... ولكن الشعوب تتغذى من شعورها ، ومن نفثات صدورها ، فلا تفقد ايمانها بمثـــل السهولة التى تلحظها فى الأفراد ، ومن ثم ظل الشعب يستمسك بأهداب النهضـــة مؤمنا بسعد وبالوفد كرمز للنهضة ، وكان الوفد المصرى منذ نشأته يمثل

لدى الغالبية من أنصاره فكرتين أساسيتين من مخلفات الثورة ٠٠ هما النزاهة والصلابة ، ولذلك ما أن تولينا الحكم فيما مضى وارتكبنا بعض الأخطاء فى الاستثناءات والمحسوبيات ، حتى بدأت هيبة الوفد تسقط فى عيون أنصاره وخصومه معا ، وذلك لأن الشعب كان ينظر الى رئيس الوفد وزملائه نظرته الى أنصاف الآلهة ، فاذا هم قد انغمست أقدامهم ، وان لم تنغمس أجسامهم ، فى الطين ! ٠٠٠

بيد أن الناس اغتفروا لنا ما ارتكبناه من أخطاء ، اذ لم تكن أخطاؤنا خطايا ، ولم يبلغ ما تدانينا اليه مبلغ الدنايا فظللنا نحمل ثقة الشعب ونستمتع بمحبة الشعب ، وزاد فى استمساك الناس بنا أن المعاهدة ، التى عقدناها لم تحقق عند تنفيذها كل آمالنا ـ بل ولا الجزء الأكبر من آمالنا ـ فاعتقدوا أن النزاهة والصلابة التى اشتهر بها النحاس واخوانه هما صخرة النجاة وركن الزاوية فى بناء استقلالنا التام ، الذى لم يتم ٠٠٠٠

الى أن يقول مكرم عبيد :

ولم يكن أحد يتوقع أن يشهد المرحلة الأخيرة من الثورة تدنو منا ، وتطغى علينا ، وأن يرى رجال الثورة يثورون على الثورة ، ولكن هكذا قدر فكان ، فقد فقد المؤمنون الايمان ٠٠٠ وجاءت الحرب بمغرياتها ومبثساتها ، فكفر الثائرون الأولون بالثورة ، وثارت فى نفسهم الشهوة الى الثروة فالسطوة ٠

وهكذا شاء الله ـ بل شاء النحاس واخوانه وأعوانه ـ أن تنتهى الثورة المصرية الى مصير الثورة الفرنسية ، وثورة جمعية الاتحاد والترقى التركية ـ وكان الهدامون لكل هذه الثورات نفر من بنائيها ، والمنتقضون على الأم الرءوم هم ويا للخزى بعض العاقين من بنيها ، وكان شأن النحاس شأن بعض البارزين من أتباع دانتون وروبسبير وغيرهم من رجال الثورة الفرنسية ـ وكذلك كان شأنه شأن رجال الاتحاد والترقى فى تركيا ، فقد أبوا جميعا الا أن يستغلوا الحرية الوطنية العامة التى ولدتها الثورة كوسيلة لتحرير أشخاصهم من كل مسئولية وتصرفاتهم من كل رقابة ، فأفلحوا وأيما افلاح فى تحرير نفوسهم من كل ايمان ، وسلطتهم من كل سلطان ، وفى قلب الثورة الشعبية الى ثورة دكتاتورية ، واستغلال الثراء العام لمصلحة ثرائهم الخاص ٠

ألا هنيئا لهم ما اغترفوا ، وما اقترفوا ! ٠٠٠

وليت الأمر كان مقصورا على الثراء الشخصى ، فقد امتدت الأيدى الى ثرائنا الوطنى ، وكياننا القومى ٠

ويطلب مكرم عبيد من الجماهير أن تلقى بأنظارها يمنة ويسرة متسائلة أين حرية الأفراد من الاعتقال ، وأين حرية المنازل من التفتيش ، وأين حرية الصحافة من الرقابة ، وأين حرية الاجتماع والخطابة ، بل وأين حرية العقل من السخافة ؟ ...

أفهل سمعتم في أي عهد من العهود أنه يصح أن يسمح بالخطابة ويحجر على الميكروفون ، وأن يكتب لمكرم عبيد خطاب رسمي يحظر عليه الخطابة في سرادق عام لأنه « لم يسبق لسعادته أن يخطب في سرادقات » . وأن تصدر التعليمات الحكومية الى المطابع حتى الخاصة منها بأن تحذف من بطاقة الدعوة الموجهة من رئيس الكتلة الوفدية عبارة « الوفدية » فيسمى حزب سياسي كتلة أو هيئة دون أن تكون له صفة أو ميزة تميز كتلته عن سائر الكتل ... كمن يسمى أمة من الأمم دولة دون تخصيص يميزها من بين الدول ! ...

واذا قيل بالاقتصار على تسميتها الكتلة المستقلة فهذا أيضا خطل فوق خطل ... مستقلة عن من ؟ وكيف يجتمع المستقلون عن الأحزاب جميعا في كتلة وهم مستقلون عن بعضهم بعضا ؟؟

كلا ، لا يفسر هذا الخبل الا أنه خبل ! ...

ان الميثاق الأطلنطي ينص على حرية جديدة طريفة هي الحرية من الخوف ، فهل للنحاس باشا أن يسمح لنا بحرية قيمة في هذا العهد هي الحرية من السخف !!

واذا أبت عليه عقليته العسكرية الجديدة أن يسوى بين المصريين في الحرية ، أفلا يرى عدلا أن يسوى بينهم في عدم الحرية ؟ .. فيحرم نفسه كما يحرم غيره من السرادقات ، والميكروفونات ، والاذاعات استغفر الله ، بل حرام أن يحرم رفعته نفسه ويحرمنا من اذاعاته ، فبمجرد الراديو المصرى من بعض مسلياته ! ...

ويقول مكرم عبيد باشا ان النحاس باشا قد هدم الاستقلال السياسى الذى كان هدف الثورة الأول ، هدمه النحاس باشا من أساسه واتخذ من هذا الهدم سبيلا الى بقائه في الحكم ومن الاستسلام طريقا الى مؤتمر السلم وهكذا اتخذ المسكين وأعوانه من حريات المصريين ، ومن أماني المصريين ، ومن دماء المصريين تجارة يستغلونها ، فما ربحت تجارتهم وما كانوا يكسبون .

أما المعاهدة فسلام عليها يوم أخذت ، ويوم حبذت ، ويوم نفذت !! حيث امتدت يد النحاس أحد عاقديها الى نصوصها فنقضها نقضا بل انتقض

عليهـــا انتقاضا ، فارتضى بل سعى الى تدخل المستعمرين من الانجليز لاستبقائه فى الحكم يوم أن هز الكتاب الأسود من تحته دعائم الحكم ...

ويقول مكرم عبيد باشا ان ثمن البقاء فى الحكم كان تعيين خبير مالى بريطانى .

ومن دواعى الخجل والزراية أن النحاس باشا « الزعيم الوطنى » قد ارتضى ما لم يرتضه دولة حسين باشا سرى فقد اخبرنى دولته بما كان منه فى مسألة تعيين الخبير الاقتصادى وصرح لى بأن أعلن ما رواه الى ، وهو أن السير مايلز لامبسون طلب الى دولته حينما كان رئيسا للوزراء أن يقبل تعيين خبير بريطانى اقتصادى للحكومة المصرية فأبى دولته رغم الحاح السفير عليه أن يعود عهد المستشارين البريطانيين على يديه ، ورفع مذكرة بحديثه الشفوى مع السفير الى السراى الملكية وأشار فيها الى رفضه تعيين الخبير الاقتصادى المطلوب .

هذه هى الرواية التى رويتها لصديقى النائب المحترم الأستاذ فكرى أباظة وأشار اليها حضرته فى استجوابه اشارة لطيفة ، فثار النحاس على الراوى ولم يجترىء أن يشور على الرواية ، وهأنذا أذكرها بأسانيدها وأتحداه أن يكذبها ... ولئن ظن النحاس أنه قد نجح فى اخفاء صوتى بفصلى من مجلس النواب وتشديد الرقابة على ما أكتب فى الصحف ، فلن ينجح فى اخفات صوت الحق ، وألسنة الخلق ...

وهل أنا فى حاجة الى تعداد الحقوق المصرية التى أهدرت ونصوص المعاهدة التى نقضت ، كنصوص الجلاء — وهى روح المعاهدة — والنص على انقضاء خدمة البوليس البريطانى وغيرها من المسائل التى أشـــارت اليها مذكرة الوفد الى السفارة البريطانية والتى صاح وناح عليها النحاس باشا فى خطبته برأس البر وغيرها من التصريحات والبيانات ... ولكنه كان وقتئذ رجلا شعبيا ، ولم يكن حاكما عسكريا ، وصنيعة للاستبداد والاستعمار معا .

وأخيرا وليس آخرا ، فمن المظاهر التى يعدها النحـاس باشـا من المفاخر ، تعيين معالى السير أمين عثمان باشا وزيرا للمالية وما من شك أن فى بقائه وزيرا للمال ، والى جانبه خبير بريطانى للمال ، أكبر ضمـــان وطنى ، لا يقل ان لم يزد عن ضمان القرض الوطنى ...

ويتساءل مكرم عبيد باشا :

ما الذى أبقاه لنا النحاس باشا من بقايا الثورة المصرية ؟ حكم فاسد ، وحكم عسكرى عرفى ، وتدخل بريطانى ، وانتهاك لكل الحريات الدستورية

والسياسية ، وهدم للحياة النيابية والضمانات الخلفية • كما أنه ـ أى النحاس باشا ـ فى رأى مكرم باشا لم يبق على وحدتنا الوطنية التى لم تسلم من ايذائه •

ويقول مكرم عبيد ان الكتلة الوفدية الوطنية الصحيحة يتصدرهـا كبار رجال الشرع الشريف وكبار المسلمين والمسيحيين بل ماذا أقول فمن مبادىء الكتلة أن صغارها كبارها وكرامها خدامها واذا كان للكتلة أن تفخر بشىء فهى أنها قد أصبحت قبلة الشباب ، وطلبة الطلاب ، وعلم الله أن ليس للشباب الطاهر طلبة الا أن يهبوا الوطن ما فى صدورهم من الطهارة ، فان لهم الصدور ولغيرهم الصدارة !!!

أى مصطفى النحاس لو انك نظرت لا بعيونك بل بعينيك ، لرأيت الأزهريين فى بيت مكرم ، وصحت معى الله أكرم ، الله أكرم !! فما كان الله ليرتضى للأزهر الشريف الا أن يؤيد الشرف ، وما كان الأزهريون ليرتضوا للوطن وللثروة الوطنية وللثروة الخلقية الضياع أو التلف •••

بل ليته يرى الكتلة ممثلة فى أبنـاء الجامع والجامعة ، اذن لشهد القارعة وما أدراك ما القارعة !! •••

ويترحم مكرم عبيد على الثائر الأول ـ فى نظره ـ سعد زغلول فى ذكراه ثم يخاطب سعدا قائلا :

أى سعد :

لقد كان لنا فى ذكراك ألم يطـــارده الأمل ، وسكون يعصف به العمل ، فكانت لأرواحنا فيها هجعة ثم دفعة ، وروعة ثم منعة •••

أما الآن فأين نحن من ذكراك ؟ •• وأين الدمع الطهور الذكور الذى به بكيناك ، وأين وأين تلك المثل الوطنية والخلقية التى بها أحييتنا وبها أحييناك ؟؟ •

لقد حرمنا فى هذا العهد المشئوم حتى ذلك الألم الطاهر الذى اذا أبكى أذكى ، واذا أدمى أحيا ، وأصبح الألم الذى نعانيه من النوع المخجل المزرى ـ ألم كله سواد لا نور منه يشع ولا أمل يسرى •••

وأى ألم أقتل للأمل ، وأدعى الى الخجل ، من أن نشكو الى ســعد خليفة سعد ، وأن يبدد تراث سعد نفر من أبناء سعد ، وأن يأخذ الصلف الحاقد الجاحد مصطفى النحاس ومن اليه فيقاطع بيت الأمة ، بيت سعد ، وأم المصريين شريكة ســعد •• وأن يستبد صريع الاســتبداد بالأمس ـ وصنيعة الاستبداد اليوم ـ بحريات هذه الأمة الكريمة الأصل ، المنكوبة

المثل ، فيهدر البقية الباقية من حقوق استقلالها ، ويستعبد الأحرار من رجالها • محرما عليها أن تتنفس فى الصحافة وفى المجتمعات وفى البرلمان ، وحتى على ضريح سعد ! •

دعونى أستمطر من عيونكم عبرة على مصطفى النحاس الذى عرفناه ففقدناه ••• فالرجل الذى يحكم مصر اليوم حكما عســكريا ـ انجليزيا مصريا ـ ليس هو زميلنا فى المنفى وفى الجهـــاد بل هو رجل آخر فى الرجل ••• ويالنكبة الرجل الواحد اذا تعددت فيه الرجال ، وتشتتت فيه الرجولة بتشتت المطامع والآمال !! •

انه لرجل آخر ذلك النحاس الجديد الذى أدركته شقوته ، فغلبته شهوته ، فلم يعد له مأرب يستهويه ، الا أن يقتنى المال الوفير ، فيجزى من جهاده المضنى ، بالمال المغنى •••

وقد كان معروفا لعارفيه أن النحاس القديم كان هو أيضـــا محبا للمال والثراء ، بل انه معترف فى اجاباته على الكتاب الأسود بأنه كان شغوفا بمعيشة الترف ، فلا يستأجر فى الفنادق الا الفسيح ، والمليح من الغرف •••

وحاشاى أن أطعن على نزاهة النحاس القديم ، فقد كان نزيها ولكنه لم يكن زاهدا •• وكنا نحن المقربين منه نغفر له هذه الناحية من ميوله لأنه مع حبه للترف كان لا يتعدى حدود الشرف • ويروى مكرم عبيد باشا أنه فى عام ١٩٣٧ وكانت الوزارة الوفدية فى الحكم نبتت فكرة بناء منزل للنحاس باشا لسكنه الخاص وقام بعض أعضاء الوفد وفى مقدمتهم الأستاذ محمود بسيونى بجمع اكتتابات من أعضاء العصبة الوفدية وكيف أن أحد المصورين أحضر له صورا زيتية بديعة رسمت فيها أوضاع مختلفة لهذا القصر الموعود وما يحيط به من الجنائن ذات الورود ، فغضب ـ مكرم عبيد ـ لهذه الحركة الغريبة من أساليب الوفديين وعقليتهم وتحدث مع النحاس باشا فى وجوب وضع حد لها ، فيما بينـنـا أنه لا يصح أن يستغل نفوذه على أنصاره من الشيوخ والنواب وهو رئيس للوزراء •

وانى وان كنت لا أزال أذكر للمسكين تردده فى الأمر وحيرته بين العوامل المتناقضة فى نفسه وفى محيطه ، فانى لازلت أذكر له مع الثناء قبوله النصح وتغلبه على الشهوة ، رغم سبق الهفوة ، وانى لأصارحكم الحق أن موقفه هذا زادنى تقديرا له ، فأوعزت الى جرائد الوفد أن تشيد بتنازله عن قبول هذه الهدية الثمينة • ولو أنى كنت أعلم الناس بما فى نفس النحاس باشا من مواطن الضعف وما هى جديرة به من أســباب العطف •

ويعود مكرم عبيد باشا ـ مرة آخرى ـ الى الحديث عن بيع منزل النحاس باشا فى سمنود والى سيارة كوتسيكا والى أحمد الوكيل صهر رئيس الحكومة ولكنه يشير هذه المرة الى قصة طريفة اسمها صهر الدولة أو قصة صهر وزير الدولة الفرنسى وهى وان كانت ـ كما قال مكرم عبيد ـ لا تنصرف من قريب أو من بعيد الى تصرفات صهر الدولة المصرى الا أنها توضح خطر استغلال النفوذ على سمعة الحكم وسمعة الدولة .

ويقول مكرم عبيد باشا فى مكان آخر من ملحق الكتاب ان النحاس باشا ـ كان فى بادىء الأمر يتستر وراء أمين عثمان باشا ليظفر بالتأييد البريطانى ـ أو بالأحرى تأييد المستعمرين من البريطانيين ـ ثم انتقل من دور التستر الى التظاهر حتى انه اصطحب بناء على طلب القائد الانجليزى أمين باشا عثمان رئيس ديوان المحاسبة فى استعراض الجيش البريطانى وتلقى تحيته العسكرية ـ وأخيرا انتهى به الأمر الى تحدى الرأى العام الوطنى بتعيين أمين باشا عثمان وزيرا للمالية بعد تعيين الخبير المالى البريطانى ـ ولما ظهر الكتاب الأسود وكادت الأرض تميد من تحت أقدامه لم يلجأ الى التدخل البريطانى فحسب ، بل اتخذ هذا التدخل شكل التظاهر فالتحدى ، وكان أمين باشا عثمان فى كل هذه الأدوار صلة الوصل ، وصاحب القول الفصل .

اذن ضاعت النزاهة ـ وضاعت معها الصلابة ـ والصفتان متلازمتان لا مفر للواحدة من الأخرى ـ لأن الرجل النزيه ليس نزيه اليد فحسب بل نزيه النفس ، نزيه الضمير ، نزيه الارادة ، ومن ثم نراه قوى الخلق قوى الشكيمة ، لا تنال من قوة نفسه لا قوة الحب ولا قوة السخيمة ، وبعبارة أخرى فالرجل النزيه هو الرجل الصلب الذى لا تضنيه مقاومة ، ولا تغريه مساومة ـ ولذلك قلنا ان النزاهة والصلابة صفتان متلازمتان متحدتان ، أو هما بالأحرى وحدة فى جزءين أكثر منهما جزءين متحدين ـ فلما فقد النحاس احداهما فقد الأخرى من حيث أراد أو لم يرد ! ...

ويتهكم مكرم عبيد باشا وهو يتحدث عن المؤتمر الوفدى المزمع عقده أو المؤتمر النحاسى كما يحرص على تسميته بهذا الاسم ، فيقول انه يأمل أن يرحمنا خطباء هذا المؤتمر من السجع اياه : من نوع ما جاء فى خطبة النحاس باشا الأخيرة بالاسكندرية من أنه لم تطلق زمارة ولم تحصل غارة أو ما جاء فى خطبة سابقة لصبرى أبو علم باشا عن الآية الكبرى فى حى شبرا .

ويسبق مكرم عبيد خطباء المؤتمر الوفدى فيعدد من وجهة نظره الأعمال المجيدة التى قامت بها الحكومة النحاسية فى السنتين الأخيرتين ١٩٤٢ ، ١٩٤٣ ويلخص مكرم عبيد باشا تلك الأعمال فيما يلى :

١ ـ تزييف الانتخابات على اختلاف أنواعها ـ وقد بدأت بفضيحة انتخابات المحامين التى فيها ضرب البوليس حضرات الزملاء وطردهم من جمعيتهم ، واختطفت صناديق الانتخاب ، وأجل انتخاب النقيب الى أجل بعيد مكن الحكومة من اتخاذ وسائل أخرى للارهاب والتزييف ، ولئن كان الطعن لم تثبت وقائعه قضائيا بدائرة محكمة النقض التى أحيل عليهـــا الطعن ، بعد أن رفضت المحكمة تحقيق الطعن بالتزوير ، فهذا لا يمنع من ثبوت وقائعه لدى المحامين الذين شهدوا بأعينهم ما لم تشهده محـــكمة النقض ٠

٢ ـ تزييف انتخابات جرجا والالتجاء الى أحدث وسائل الارهاب من مدافع رشاشة ، وطيارات ، ودبابات ، وســـيارات مدرعة واحاطة الناخبين بها ، وما صحب هذه الانتخابات من وسائل الارهاب والتزييف ـ وقتـــل البعض وجرح الكثيرين ـ وكان نتيجـة ذلك كله أن تنازل المرشحان المنافسان لمرشح الحكومة رغم ما لهما من عصبة ونفوذ كبيرين بجرجا ٠

٣ ـ محاولة تزييف انتخابات بردين ـ فقد حاولت الحـكومة نقل صناديق الانتخابات الى مقر المديرية لتسهل عملية التزييف ، ولكن أفراد عائلة الأباظية رفضوا هذا مهددين باستعمال القوة ، وقد نقل المدير على أثر ذلك ٠

٤ ـ ظروف وملابسات انتخاب الدكتور رمزى جرجس لعضـــوية مجلس النواب عن دائرة الأزبكية ٠٠

فالدكتور رمزى جرجس عضو فى الكتلة الوفدية المستقلة وقد شعرت الحكومة بأن الكتلة سترشحه لعضوية مجلس النواب عن هذه الدائرة ، فاستدعاه مأمور قسم الأزبكية واستعمل معه مختلف أنواع التهديد اذا هو رشح نفسه على مبادىء الكتلة قائلا انه سيضطره الى بيع منزله الباقى له من ثروته ، وبذلك أرغم الدكتور رمزى على قبول ترشيح الوفد له عن هذه الدائرة ٠

٥ ـ انتخابات السـويس الأخـيرة ٠ وما حام حولها من أساليب وتصرفات علمت أنه قد رفعت عنها شكاوى الى جلالة الملك المعظم ٠

٦ ـ القبض على الأستاذ جلال الحمامصى عضو الكتـــلة ـ وابقاء الدكتور فهمى سليمان معتقلا للآن ٠ وقد حاولت الحكومة اغراءهما بالافراج عنهما على أن يحدا من نشاطهما السياسى ٠ ولكنهما رفضا ذلك فى بطولة وكرامة ٠

وهناك معتقلون آخرون من الطلبة والجنود المجهولين .

٧ ــ **حوادث الأزهر الشريف** ، والتنكيل بطلبته الأبرياء واطلاق النار عليهم حينما كانوا يهتفون لملك البلاد فى طريقهم الى القصر العامر ، وقد قبض على بعض حضرات مشايخ المعاهد الدينية وأساتذتها وطـــلاب العلم ، ولم يفرج عن مشايخ المعاهد الا بعد تدخل جلالة الملك حفظه الله .

٨ ــ **تفتيش مكاتب ومنازل أعضاء الكتلة** بدل المرة مرات وذلك بعد ظهور الكتاب الأسود ــ وكان آخرها تفتيش عشتى برأس البر وانتقال ضباط القسم السياسى (الذين قاموا بالتفتيش) بالطيارة ــ والأساليب التى اتخذوها فى قيامهم بالتفتيش .

٩ ــ **التجاء النحاس للانجليز بعد ظهور الكتاب الأســـــود** وزيارة السفير لجلالة الملك ، وتأييده لبقاء النحاس .

١٠ ــ **كتاب معالى حسنين باشا** باحالة عريضة الكتاب الأسود الى الوزارة واستقالة معاليه ونص الأمر الملكى بعدم قبول استقالته .

١١ ــ اهدار الحياة النيابية بعد ظهور الكتاب الأسود ، فى تصرفات الحكومة ورئيس مجلس النواب معا .

١٢ ــ تدخل الانجليز فى اجراءات مجلس النواب ــ واتصال السفارة برئيس الوزارة ورئيس مجلس النواب فى هذا الصدد .

١٣ ــ فصل مكرم عبيد من مجلس النواب ، ومخالفة هـــذا لكل دستور وكل عقل ، وفصل النواب الوفديين من هيئتهم لأنهم لم يوافقوا على فصله .

١٤ ــ فضائح التموين ــ الكاوتش ــ قرارات الأستاذ غنام ورجوعه فيها ، تصدير الأرز بكميات هائلة ــ ندرة الزيت والكبريت والسكر ــ واتفاقية خطيرة بتصدير السكر بين النحاس باشا والسفير البريطانى .

ويفصل الأستاذ مكرم عبيد بعض ما جاء فى الكتاب الأسود ويكمل بعض ما حدث بعد صدور الكتاب الأسود من أحداث سياسية وداخلية . ويذكر واقعة غريبة أو فضيحة جديدة كما أسماها فيقول ان أدواتها تبدأ بالخطاب التاريخى الذى أرسله الى النحاس باشا صاحب المعالى أحمد محمد حسنين باشا بوصفه رئيس الديوان الملكى وأرفق به صورة من العريضة التى تشرفت برفعها الى مقام جلالة الملك المعظم ونشرتها فى كتاب أسود ــ ولو أن بعض أجزاء العريضة لم يتيسر طبعها مع الكتاب . وقد عرف الناس يومئذ أن خطاب صاحب المعالى رئيس الديوان أشار الى العريضة قائلا انها

تحوى اتهامات خطيرة تمس نزاهة الوزارة وسمعة الحكم الوطنى ، وخاصة لأن مقدمها مكرم عبيد باشا الذى كان وزيرا للمالية فى هذه الوزارة ، وكان وزيرا عدة مرات ، ونقيبا للمحامين عدة مرات • وقد قدمها بوصفه عضوا في البرلمان ، ورئيسا للكتلة الوفدية المستقلة وأن له ماضيا طويلا فى العمل معكم ـ وان اتهامات كهذه لها خطورتها •••

ولقد عرف الناس أن خطاب معالى حسنين باشا أشار الى العريضة وصاحبها على هذا النحو ، وما فى معناه ، واذا بالجو الوزارى يضطرب ، ويهرولون الى الأسياد أو الأسناد ، يطلبون الغوث والأنجاد ، فيهرع سعادة السفير البريطانى الى جلالة الملك ، ويشاع ويذاع ، ويملأ الأسماع ، أن سعادته يفزع لحماية الوزارة النحاسية ـ وزارة الزعيم الوطنى الكبير ـ لا لأن التهم التى تضمنتها العريضـــة باطلة أو زائفة ، بل لأنه ينبغى « التجاوز عن مبادىء الأخلاق فى أزمان الحروب » !!

وبهذا التدخل وبهذا الدفاع ، بقى النحاس ، ووزارة النحاس ، وبرلمان النحاس ، وذهبت آخر بقية من السمعة الوطنية عند مصـــطفى النحاس ، والملتفين حول مصطفى النحاس ••••

وفى وسط ذلك الجو الخانق ، جو الترامى الذليل ، والمساومة الحقيرة فى سبيل المناصب ، سرى بين الناس نبأ آخر ، من نوع آخر ، عن رجل آخر •••

لقد رفع صاحب المعالى حسنين باشا الى مليكه كتاب استقالته من منصبه الخطير •

ما سبب الاستقالة ؟ ما نص الاستقالة ؟ ما هو مصير الاستقالة ؟ لم يكن أحد يدرى شيئا عن ذلك كله • ولعل أحدا لم يطلع حتى الآن على هذه الاستقالة التاريخية ونصها الخطير • ولكن ظروفها وملابساتها لم تدع مجالا للشك فى أنها حادث وطنى ، مشرف ، له علاقته الوثيقة بما جرى من أحداث جسام •••

وجاءت شهادة المليك المعظم متوجة لما رسخ فى أذهان النـــاس عن شرف الدوافع التى أدت الى استقالة رئيس الديوان فى تلك الظروف ، فقد رفض جلالته قبول الاستقالة بكتاب ملكى كريم نشر فى الصحف •

على أن المأساة لم تقف بالنحاس باشا عند ذلك الحد الذى أبقاه فى الحكم بفضل تدخل الانجليز حينا آخر من الزمان ، بل دفعت به حفيظته على رئيس الديوان الملكى الى مرحلة جديدة من التحدى والتطاول المنقطع النظير ، فأوعز وزير المعارف الى صنيعة من صنائع العهد الحاضر وسفهاء

كتابه ، وهو الأستاذ ابراهيم مكاوى أن يقدم فى مجلس النواب سلسلة من الأسئلة عن أثاث منزلى كان صاحب المعالى حسنين باشا قد اشتراه من احدى المدارس الصناعية التابعة لوزارة المعارف ولم يسدد ثمنه حتى الآن لأن موعد سداده لم يحن بعد بمقتضى تسوية رسمية ، فلما نشر السؤال الأول وجواب وزير المعارف متضمنا وقائع مشوهة مبتورة ، بادر معالى حسنين باشا الى وضع الأمر فى نصابه ببيان نشرته الصحف ، أثبتت للناس فقر — وفخر — رئيس الديوان · فأوعز الى النائب نفسه بسؤال آخر يتناول وقائع هذا البيان ، الخ الخ قبل الاجابة عن السؤال يطلب استبعاده ، كما طلبت أنا استبعاد الكتاب الأول ولكن حامى حمى التقاليد الدستورية (وهو بالطبع عبد السلام فهمى باشا رئيس مجلس النواب) أمر باخراج الأستاذ فكرى أباظة من الجلسة والمضى فى السؤال والجواب ، فانسحبت المعارضة احتجاجا ·

وألقى نجيب الهلالى باشا ردا مهلهلا ومطولا على السؤال ثم مضى المجلس فى نظر الباقى من جدول الأعمال ·· ولم يكد المجلس يمضى فى عمله طويلا حتى لاحظ الحاضرون حركة غير عادية أسفرت عن تسلل وزير المعارف ووزير العدل صبرى أبو علم باشا ووزير المالية أمين عثمان باشا ورئيس المجلس عبد السلام فهمى باشا · وقدر العارفون أن حدثا قد حدث ·

وقد حدث بالفعل شىء خطير ، هو الأول من نوعه فى تاريخ الحياة النيابية فى هذه البلاد أو فى أى بلد من البلاد ···

عاد رئيس المجلس بعد انسحابه ، فقال يخاطب النواب فى صوت رنان انه قد عن له — أى لحامى حمى الديمقراطية والدستور — أن يحذف من المضبطة كل ما يتعلق بالسؤال الخاص بمعالى حسنين باشا والجواب عنه ، والمناقشة التى دارت حوله والحادثة التى ترتبت عليه باخراج الاستاذ فكرى أباظة من الجلسة ، واعتبار هذا كله كأنه لم يكن ··

هذا هو الذى سمعه النواب والحاضرون فى الشرفات ، أما الحلقة المفقودة فقد تسامعت بها المحافل السياســـية وعلمت بها علم اليقين ، لا التخمين · وذلك أن حضرات الاسناد ، سارعوا الى الاتصال بالوزارة فى تلك الليلة الليلاء ، وأصدروا اليها أمرهم الذى لا يناقش ولا يرد بالتراجع الكامل بغير انتظام ، خشية العواقب المحتومة التى ينتظر أن تترتب على نشر السؤال والجواب · وصدعت الوزارة بالأمر ممن يملكون عليها النهى والأمر ، وجاء رئيس مجلس النواب ، المهاب ، يعلن ما (عن) له ويتعجل موافقة النواب !!

وجـاء الأستاذ فكرى أباظة فى الجلسة التالية يعلن خطأ المضبطة ويطلب اثبات ما حدث فيها من اخراجه لاعتراضه على السؤال الذى (عن) للرئيس حذفه فى نفس الجلسة ، فقيل للأستاذ المحترم انه واهم ، أو لعله حالم ، وان أحدا لم يقل شيئا مما يقول ، ولا هو أخرج من المجلس ولا هم. ويزيد فى فضيحة الوزارة وبرلمانها فى هذا المقام أن تجىء مهزلة الفصل على أثر تقديم استجوابى الخاص بالانجليز وحقوقنا الضائعة عند حلفائنا الانجليز ! . وقد كان النحاس باشا ونوابه جديرين أن يذكرونى بالفضل لا بالفصل لو كانت الحال غير الحال ، وكانت نظرتهم الى الكرامة والاستقلال باقية على معناها القديم ! .

ولكنهم أرادوه فصلا ، فأراده الله فضلا .. الحمد لله أولا وآخرا .

● مبدأ الكتلة الوفدية هو الجهاد حيثما وجد الى الجهاد سبيل ، لاتمام رسالة الوفد ... وهى الحصول على استقلال البـلاد كاملا غير منقوص ولا مشوب .

● ترى الكتلة الوفدية أن الوضـع الدولى والديمقراطى لمصـر يقتضى التعـاون مع الديمقراطية العالميـة على مبـادىء الميثاق الأطلنطى وحرياته الأربع التى تكفل للشعوب حق تقرير مصـيرها ، وتأمينها من الاعتداء عليها .

● وترى التعاون مع الديمقراطية البريطانية على أساس التحالف الصادق الحر ، لما بين الديمقراطيتين من مصالح مشتركة .

● وترى كذلك وجوب التعـاون مع البـلاد العربية والشرقيـة الشقيقة على أساس التعاضد والتكاتف على استكمال الأمانى القومية لكل منها ، وتمكين النهضـة الشرقية ، ونشر الثقافة المصرية ، على ألا يكون هـذا التعـاون سبيلا الى وضع البـلاد المتعاونة داخل الدائرة المرنة لأية منطقة نفوذ أجنبى ـ وعلى ألا يكون من الناحية الاقتصـادية على حساب مصـر بل لحساب المصلحة المتبـادلة . وعلى ألا تدخر مصـر من ناحيتها ، حكومة وشعبا أى جهد فى مساعدة شقيقاتها العربية والشرقية للوصول الى أهدافها القومية .

كما ترى الكتلة التعاون مع الديمقراطية الغربيـة وفى مقدمتهـا الولايات المتحدة ـ على مبادىء الميثاق الأطلنطى وطبقا للنظام الدولى الذى يستقر عليه الرأى بعد الصلح لضـمان تنفيذ الحريات التى أعلنهـا الميثـاق .

وترى الكتلة الوفدية تطبيقـا لمبادئها الأساسية تقرير أن مصـر

والسودان اسمان على مسمى واحد هو وادى النيل ، وليس لقوة فى الأرض أن تزعم لنفسها حقا فى تجزئته ، وأنه لا يصح فى الوقت الذى يدور فيه الحديث عن الوحدة العربية أن نهمل شأن الوحدة الوطنية ـ وحدة وادى النيل ·

● تقتضى تجربة الحرب المرة وتطور المبادىء الدولية كما أعلنها الميثاق الأطلنطى أن تعدل المعاهدة تعديلا يتفق مع مبادىء هذا الميثاق ومع تحقيق الاستقلال الصحيح للبلاد ـ سياسيا واقتصاديا ـ وترى الكتلة الوفدية أن ذلك يكون على النحو المبين فى المواد التالية :

ـ يجب جلاء الجنود الانجليز عن أرض الوطن بمجرد أن تضع الحرب الحالية أوزارها ـ والغاء نصوص المعاهدة القاضية ببقاء القوات العسكرية البريطانية فى منطقة القنال أو فى أى جزء من الأراضى المصرية وما يتبع هذه النصوص من التزامات فرضتها المعاهدة على مصر ·

ـ يجب الغاء المادة التى تقضى باعلان الأحكام العرفية فى مصر بناء على طلب الحليفة ، اذا ما دخلت فى حروب أو عند خطر الحرب ، اكتفاء بما تصدره الدولة المصرية من تشريع عادى يحمى مصالح الحليفة الحربية ·

ـ يجب تنفيذ مواد المعاهدة التى عطلت حتى الآن تحت ستار الضرورة العسكرية أو غير ذلك من المعاذير ، وفى مقدمة تلك المواد ما يختص بانتهاء مدة الموظفين الأجانب فى البوليس المصرى ·

ـ يجب استرداد الحقوق التى أضاعتها وزارة النحاس باشا الأخيرة ثمنا للتأييد البريطانى ، ووضع حد لتدخل الدولة الحليفة أو أية دولة أخرى فى شئون مصر السياسية أو الاقتصادية ـ فان مثل هذا التدخل فى شئون مصر الداخلية يهدم الركن الأول من أركان الاستقلال الصحيح وهو السيادة ·

ـ يجب تحقيقا لمركز مصر الدولى ولمساهمتها فى المجهود الدولى العام لمصلحة الانسانية أن تمثل مصر فى النظام الدولى الذى يسفر عنه التنازع الحيوى الخطير بين الدول المتحاربة ، ويجب تمهيدا لذلك أن تمثل مصر فى مؤتمر الصلح تمثيلا ذاتيا مستقلا ـ على قدم المساواة مع الأمم الحرة ـ كما تمثل فى اللجان والتشكيلات الدولية الخاصة بمسائل الشرق الأدنى وحوض البحر الأبيض المتوسط على وجه خاص ·

وعن السياسة الداخلية ، جاء برنامج حزب الكتلة :

● ترى الكتلة وجوب توطيد دعائم النظام الدستورى الملكى فى مصر ، واستنكار كل مساس بهذا النظام وكل مساس بالولاء للجالس على عرش مصر — جلالة الملك فاروق الأول — ولوراثه من بعده ·

● يجب مقاومة عناصر الدكتاتورية والطغيان ، سواء باسم الحياة النيابية أو بأى اسم آخر ، والارتفاع بمستوى الحياة النيابية الى المكانة الرفيعة الكريمة التى بلغتها فى البلاد الديمقراطية العريقة · بحيث تكون حرية الانتخابات وحرية الرأى والحرية الشخصية مكفولة كلها فى جميع الظروف والأحوال ، وتكون الرقابة البرلمانية على الحكومات حقيقية ، لا صورية ·

● الحكم وسيلة لا غاية · ويجب أن يكون نزيها ، وأن يكون الوصول اليه من طريقه الطبيعى ، وعلى يد السلطة الشرعية الوحيدة فى البلاد ، وهى سلطة العرش الدستورية ، أما اليد التى تتلقى الحكم من الأجنبى أو تستند فى الحكم الى حراب الأجنبى فهى يد مجرمة ، وخائنة ·

● الحكم الديمقراطى الصحيح هو « حكم الشعب ، بواسطة الشعب ، ولخير الشعب » · فليس الحكم اذن غنيمة من الغنائم ، ولا نهبا مباحا للمحسوبين والأقارب والأصهار ، فضلا عن الوزراء وأهلهم الأقربين ·

● يجب أن يصدر فى مصر تشريع على نمط التشريع المعروف فى بعض بلاد أوروبا باسم « من أين لك هذا ؟ » ويخضع للتحقيق والعقاب بمقتضاه الوزراء والموظفون وأقرباؤهم وغيرهم من الذين تدور الشبهات حول مصادر ثرائهم وحصولهم عليها بأساليب ملتوية سواء من طريق المناصب الحكومية مباشرة أو من طريق استغلال النفوذ ·

وتطبيقا للمبدأين السالفين يجب تطهير سمعة الحكم المصرى مما أصابها على يد الوزارة النحاسية الحاضرة ، وذلك بمحاسبة وزراء العهد وأعوانه على ما اكتسبوا من ثراء غير مشروع ، والغاء آثار المحسوبية والاستثناء التى لم يسبق لها نظير فى أى عهد من العهود ·

● تطهير سمعة الحكم النيابى فى مصر وتحقيق المبادىء الآتية :

أولا — حظر تدخل نواب الأمة ووساطتهم فى الشئون الادارية المحضة التى لا تخضع لرقابتهم النيابية ·

ثانيا — احتفاظا بكرامة النواب وحريتهم يحظر على أعضاء

البرلمان قبول الوظائف الحكومية ابان عضويتهم كما يحظر عليهم — وعلى الوزراء السابقين — استغلال نفوذهم لدى الشركات والبيوت المالية .

ثالثا — يحتم استقالة الموظف الذى ينتخب عضـــوا فى البرلمان بمجرد انتخـابه على أن يحتفظ له بحق العودة الى وظيفتـه اذا لم تصـح عضـويته — ويجب أن يتم النظر فى صـحة عضـــويته أو فى الطعن على انتخابه فى مدى شهر على الأكثر من تاريخ بدء عمله البرلمانى .

رابعا — الحد من سلطة رئيس المجلس والمكتب وبخاصة فيما يتعلق بحقوق الأعضاء فى السؤال والاستجواب والمناقشة ، تحقيقا لسلطة الأمة ممثلة فى نوابها ، ومنعا لما عانته الحياة النيابية فى العهد الأخير من تحكم رئيس المجلس والمكتب فى الأعضاء بحيث انقلبت السلطة النيابية الى سلطة دكتاتورية فى يد رئيس المجلس .

● تعديل قانون استقلال القضـــاء تعديلا يكفل للقضـــاء استقلالا حقيقيا لا من ناحية العزل فحسب ، بل التعيين والترقية والنقل ، على أن يضمن حمايته التامة من أى تدخل حكومى ، ولا سيما بعد ان تبين فى حادث تعيين رئيس محكمة النقض والابرام أن القـانون الحالى يســمح لوزير العدل بتخطى حقوق المستشارين فى أعلى محكمة فى البلاد ، ويفرض محسوبية مرذولة على السلطة الدستورية الثالثة — وهى القضاء .

● استصدار تشريع يكفل استقلال القضاء الشرعى ، على نمط القضاء الأهلى .

● اعادة النظر فى قانون المحاماة والعمـــل على رفع مستواها وتسهيل مزاولة المهنة مقابل أتعاب للمحامين تحت التمرين ، وتقـرير قاعدة اختيار أعضاء النيابة من المحامين وحدهم حتى لا يصل الى منصب القضاء الا من يكون قد مارس المحاماة .

● وضع قانون لاستقلال الجامعتين ، وما ينشأ فى المستقبل من جامعات أخرى ، استقلالا تاما لا شأن للسلطان الحكومى عليه ، وتحسين حالة الأساتذة الجامعيين وعدم السماح بنقلهم الى وظائف أخرى ليتفرغوا للعلم والتعليم .

● العناية بشئون جامعة مصر الاسلامية الكبرى — وهى الجامعة الأزهرية — وتقرير المساواة فى المرتب والحقوق بين خريجيهـا والمعاهد الملحقة بها وخريجى الجامعة المصرية .

● انشاء مدن جامعية للجامعات المصرية وتشجيع الروح الوطنية

والاجتماعية الحرة بتشجيع الاتحادات الجامعية ، والسماح للطلاب فى الجامعات بالاشتغال بالسياسة الوطنية (كما هو الحال فى الجامعات الأوروبية) .

● العمل بكل الوسائل لمعالجة مشكلة المعلمين العاطلين .

● التعليم حق لكل مصرى ، بل واجب عليه ، ويجب أن يتدرج مستواه العام على أن يبدأ بجعل التعليم الابتدائى اجباريا مجانيا ، وانشاء مدارس ابتدائية فى القرى على أن يعاد النظر فى برنامج التعليم الأولى والابتدائى بحيث يتفق مع مصالح البلاد الزراعية ومطالبها الوطنية ــ وعلى أن يحسن حالة المعلمين الأوليين والمعلمين عامة .

● وضع مشروع عملى اجبارى لتخليص البلاد من ربقة الأمية فى مدى لا يتجاوز عشر سنوات (للبنين والبنات) .

وعن العدالة الاجتماعية جاء فى برنامج الكتلة الوفدية وكان استخدام تعبير العدالة الاجتماعية فى برنامج حزب مصرى من الأمور التى لفتت الأنظار خاصة وقد بدا من البرنامج انحياز تام للفئات الكادحة .

● تحقيق العدالة الاجتماعية بين الطبقات بحيث يلغى تدريجا وفعلا كل نظام شبيه من بعيد أو من قريب بنظام الطبقات .

● ولما كانت مصر من البلاد التى نكبت حتى الآن بوجود بون شاسع بين الطبقات الغنية والفقيرة ــ حتى لكأن هناك استعمارا من المصرى للمصرى ــ ولما كان فقر الطبقات الفقيرة من الفلاحين والعمال لا يدانيه فقر الطبقات الفقيرة فى أى بلد من البلاد المتمدينة ــ فان جهاد الكتلة الاجتماعى يتجه أولا وقبل كل شىء الى تحقيق الحرية الاجتماعية الأولى ، وهى الحرية من الفقر .

ويرى برنامج الكتلة أنه تحقيقا للحرية من الفقر يجب العمل على تحقيق المبادىء المقررة فى المواد التالية :

● يجب رفع مستوى العامل الصناعى والزراعى الى القدر الذى يلبق بصاحب الفضل الأول فى حياة البلاد ووضع حد أدنى لأجر هذا العامل ووضع نظام لتأمينهم ضد البطالة عن العمل .

● يجب تحقيق نظام للتأمين من المرض والاصابات ومنح معاش للعجزة وكذلك منح اعانة حكومية للفقير الذى يزيد عدد أولاده على عدد معين وتعميم الملاجىء للمرضى والعجزة والعاطلين عن العمل الخ .

● يجب اعفاء الطبقات الفقيرة من الضرائب اعفاء تاما والأخذ بمبدأ الضرائب التصاعدية فيما يتعلق بالعقارات فضـــلا عن الثروات الكبيرة والمتوسطة ٠

● وضع مشروع عملى كبير لتجديد القرى المصرية فى خـلال مدة لاتزيد عن عشرين عاما ٠

● وضع تشريع يسوى بين الموظفين فى الحقوق بحيث تصـبح وظائف الحكومة وغيرها من الوظائف العامة حقا مكفولا للمصريين جميعا بلا محاباة ٠

ونستطيع القول اجمـالا لا تفصيلا ان برنامج حـزب الكتلة كان يتميز بتقدميته وانحيـازه للشعب وخاصة الطبقات الكادحة منه كما أنه يتميز أيضا باتجاهه الى التفاصيل دون الاكتفاء بالخطوط الرئيســية العامة التى يمكن أن تلتقى فيها كل الأحزاب٠ونضع خطوطا تحت ما جاء فى ذلك البرنامج عن المساواة بين الجنسين الرجال والنسـاء فالنهضـة المصرية ــ كما يقول مكرم باشا ــ مدينة للمرأة كما أنها مدينة للرجل مناصفة واذا كان الرجل هو النصف الأقوى فالمرأة هى النصف الأحلى٠

وترى الكتلة أن تستمتع المرأة المصرية بالعدالة الاجتماعية كالرجل على أن تتاح لكل منهما وظيفته الطبيعية السامية التى خلق لها ، وتحذر الكتلة المصريين من أن يقتبسوا من المدنية الحديثة بعض اتجاهاتها التى تؤدى الى تأنث الرجل وترجل المرأة ٠

وكذلك ترى الكتلة اباحة حق الانتخاب للمرأة على أن يتدرج فى هذا الحق منعا للصدمة باباحته ــ أولا ٠٠ للمرأة المتعلمة ٠ لأن من التناقض الواضح أن يسمح بحق الانتخاب للخادم المصرى ولو كان أميا حين يحرم هذا الحق نفسه على مخدومته ولو كانت محامية أو حائزة لأرقى المؤهلات العلمية ٠

وكان برنامج حزب الكتلة من أوائـل البرامج التى نادت باعـادة النظر فى الأحوال الشخصية والوقف الأهلى بما يكفل معالجة كل نقص كان مثارا للشكوى العادلة ٠

كما كان برنامج الكتلة من أوائل البرامج الحزبيـــة التى نادت بتمصير الســوق المصرية والبنـوك المصرية والمرافق المصرية ولغة التعامل المصرية العربية ٠

وينهى مكرم عبيــد باشا كتابه ، أو ملحق الكتاب الأســود بمناشدة

الجماهير المصرية بأن تستن فى جهادها الجديد سنة ذات شطرين : الأول احترام النفس والثانى تضحية النفس • ويكون هذا آخر كلمات ذلك الكتاب بل ذلك المنشور الذى لم يره الا قلة ضئيلة من الناس لأنه صودر بعد أن طبع على الآلة الكاتبة •

ويقول مكرم عبيد باشا ان النواب الذين ثاروا لفصله من مجلس النواب فصلوا ــ وبسرعة من الهيئة البرلمانية الوفدية ، كما فصل زهير صبرى ووهبى أديب ومحمد حمد الباسل كما يقول انه قبض على أخى وصديقى جلال الحمامصى عضو الكتلة وأبقى زميلى الفاضل الدكتور فهمى سليمان فى معتقله الى الأبد ، وقد عرض عليهما الافراج على أن يعتزلا السياسة أو يحدا من نشاطهما السياسى فرفضا رفض الاباة الكرام كما يقول ان العديد من الطلبة والعمال والجنود المجهولين فى الكتلة قد قبض عليهم وان مكاتب رئيس الكتلة وأعضائها قد فتشت ودهمت منازلهم مرات عديدة •

ويتحدث مكرم عبيد عن حزب الكتلة الوفدية فيقول انها الوفد مطهرا وهى الوطن مصغرا وهى الحق منزها محررا : الكتلة الوفدية هى النهضة المصرية مجدد شبابها متصلة أسبابها • حربها وجهادها ، وحرابها شبابها • الكتلة الوفدية هى الوحدة الوطنية ممثلة فى شعب مصر وفى ملك مصر • ويقول مكرم عبيد عن الملك :

لعل أول ميزة للملك أن كل حزب ينتمى اليه وهو فوق الأحزاب •

ولا عجب فكل مصرى يملك نصيبا فى الملك رغم أنه المالك ذلك هو الدستور وذلكم هو الفاروق •

وليس سرا أن المصريين أحبوا الملك فيما مضى وأنهم ازدادوا حبا له فى الوقت الحاضر ، وليس السبب فى ذلك فقط أن الحب ينميه الزمن ، بل أيضا لأن الحب ينميه ما يضنيه من المحن !!!

ولقد أحببنا الفاروق فى مجده ، لأننا أحببنا فيه مجدنا ، وأحببناه فى نضارة شبابه لأنه أحيا الشباب فى مشيبنا ، ولكن الفاروق وقد شاطر الشعب الآلام ، وتحمل عنه ومعه قسوة الأيام ، فنضج شبابه قبل أوانه ، وبرزت رجولته فى شجاعته وسياسته واتزانه ــ قد أصبح محببا الينا فوق كل محبة ، لأننا كنا من قبل منه ، فاذا هو الآن منا نذود عنه فيذود عنا ، ونرتفع اليه فيتنزل الينا •••

الملك فاروق هو اذن ــ شرعا وطبعا ــ الديمقراطى الأول فى مصر ، فليحى الملك •

● ويلقى مكرم عبيد باشا الأضواء على برنامج حزبه ـ حزب الكتلة الوفدية ٠ وعن سياسته الخارجية يقول :

اذا كانت الوطنية من الايمان ، فالايمان مظهره التضحية والحرمان ٠٠ وأول مرتبات التضحية هى تضحية الشهوة ، شهوة المال وشـهوة السلطان ولست أعنى بالسلطان مجرد الحكم بل التحكم ـ تحكم الأقوياء فى الضعفاء والأغنياء فى الفقراء ، والعلماء والمتعلمين فى عقول الجهـلاء وقلوب البسطاء ـ بل يا ويله الانســان من تحـكم شهوات النفس فى النفس ، وتحكم العاطفة فى العاطفة ٠٠ فلو أنه راض نفسه على التضحية فى سبيل وطنه حاكما كان أو محكوما ، لرأيناه يقوى دون أن يستعبد ، ويغضب دون أن يحقد ، ويتمنى دون أن يحسد ، ويكسب أبرك الكسب مما يفقد ٠٠ فوالله لو اننا ضــحينا فى سبيل مصر حتى الحيـاة ، فلن تغيض فى صدورنا ينابيع الحياة ، ولن تشيخ فى أبصــارنا مصر الفتــاة ٠٠

لقد وددت لو نشرت تلك الصفحات التسعين التى صـاغ فيهـا مكرم عبيد باشا صيحته الثانية بعد صيحته الأولى (الكتاب الأســود) خاصة وأنا أعرف ان أفرادا قليلين هم الذين أتيح لهم رؤية تلك الصفحات وأنا نفسى ، لم يتيسر لى الحصول على صورة من تلك الصفحات الا بعـد مجهودات شاقة ومضنية كلفتنى الكثير لسنوات عديدة ٠

على أننى رأيت فى النهــاية ـ الاكتفـاء بنشر ما نشرته من تلك الصفحات ، على أن أعود ـ اذا ما كان فى العمر بقية ـ الى نشر ملحق الكتاب الأسود بكامله ضمن الوثائق التى أنوى نشرها عن سنوات ما قبل الثورة كاملة غير منقوصة ٠

الفصـل الثـانى

وأخيرا يبقى ـ بعد كل هذه الفصول ـ الرد على سؤالين هامين

١ ـ لماذا كان هذا الاهتمام بالكتاب الأسـود ، وملحقه ، والكتاب الأبيض ، وتقرير لجنة التحقيق الوزارية ؟ ٠

٢ ـ ماذا كانت النتائج ، التى تركها ظهور الكتاب الأسود بالذات ؟ ٠

تعمدت الاطالة فى الكتابة عن الكتاب الأسود وملحق الكتاب الأسود وكذلك الكتاب الأبيض وتقرير لجنة التحقيق الوزارية التى شكلتها وزارة المرحوم الدكتور أحمد ماهر للتحقيق فى أعمال الوزارة السابقة ـ وزارة النحاس باشا ـ (٤ فبراير ١٩٤٢ ـ ٨ أكتوبر ١٩٤٤) ٠

وقد فكرت فعلا ، فى أن يكون كل ذلك جزءا مسـتقلا من أجزاء سنوات ما قبل الثورة : أما لماذا كان هذا الاهتمـام « الزائد » بالكتاب الأسود فلدى مبررات كثيرة وعلى سبيل المثال لا الحصر أهمها :

● أن الكتاب الأسـود حظى بشـهرة هائلة فى بدايات الأربعينات لاعتبـارات كثيرة من بينها ـ وأيضـا على سـبيل المثال لا الحصر ـ أن كاتبه هو الأستاذ مكرم عبيد السكرتير العـام للوفد المصرى ، وأبرز شخصياته بل الشخص الذى كان يطغى على رئيسـه فى بعض الأحيان ، بديناميكيته وحيويته ، ونشاطه وذكائه وعبقريته أيضا وأن الكتاب كان ضد حزب الوفد ورئيسه ووزارته وقد صدر بعد بضعة أشهر من خروج مكرم عبيد باشا من الوزارة ، ومن الوفد ، وبعد أن صار حربا عوانا على الوزارة والوفد : شخصية المؤلف الأسطورية أضفت على الكتاب أهميـة بالغة ، وكونه ـ المؤلف ـ من أبرز شخصيات الوفد (سابقا) ومن أكثر النـاس اطلاعا على أسراره ، أضفى على الكتاب أهميـة خاصة ، ثم أن الفضـائح التى جاءت فى هذا الكتاب شملت ـ ولأول مرة رئيس الوفد

وحرمه ، وأقاربه ، وأنسبائه وكثيرا من المحيطين به كما شملت العديد من الوزراء وأنصار الوفد ٠

● ظهور هذا الكتاب والأحكام العرفية مسلطة على البلاد والرقابة الصارمة مفروضة على الصحف وظهور رأى واحد معارض أمر غير مألوف فجاء ظهور هذا الكتاب بتلك الصورة السرية ثم انتشاره سريعا بين طبقات الشعب سببا رئيسيا فى لفت الأنظار اليه على أساس أن كل ممنوع متبوع وعلى أساس أنه الشعاع الأوحد الذى حمل أخطاء الوزارة النحاسية وزارة ٤ فبراير ١٩٤٢ التى جىء بها عن طريق غير مألوف ورغم أنف الملك رمز السلطة الشرعية ، فالجو العرفى الخانق اذن ، وانعدام الرأى الآخر ، وتسلط الرقابة العاتية على الصحافة المصرية وحرمان المواطنين من أية بيانات ، أو معلومات سياسية صادقة وصحيحة ، كان من بين الأسباب التى أضفت شهرة وأهمية زائدتين على الكتاب الأسود ٠

● القصص الكثيرة المثيرة التى صاحبت ، ان حقا ، وان خطأ ــ عن عمليات طبع الكتاب سطرا سطرا ، وصفحة صفحة ، وانتقال صفافى الحروف من مكان الى آخر كل ليلة ، بل كل ساعة ، ومساهمة الشباب المثقف فى عمليات الجمع والطباعة ثم القدرة الفائقة على اخفاء كل ذلك عن أعين البوليس ، ثم القدرة المذهلة التى أدت الى توزيع الكتاب فى جميع أنحاء البلاد من أسوان الى الاسكندرية فى وقت واحد ، دون أن يفطن البوليس الى واحد من موزعى الكتاب ، كل ذلك أيضا أضفى على الكتاب أهمية بالغة ٠ لقد كنا فعلا ننظر الى هؤلاء المشاركين فى عمليات جمع مواد الكتاب الأسود ، وكتابته ، وطباعته وتوزيعه نظرة تقدير واجلال لأنهم أصحاب رأى يدافعون عنه ويذهبون للسجن من أجل عملية الدفاع عنه ٠

● كانت نسخ الكتاب التى وزعت قليلة للغاية ، ولكن ما جاء فى الكتاب انتشر بسرعة مذهلة ، وأذكر أننى حصلت على نسخة من الكتاب الأسود لأربع وعشرين ساعة وكان على أن أجلس الى مكتبى طيلة تلك الساعات لكى أنقل بخطى الكتاب الأسود ، رغم أننى كنت على ثقة تامة من أن السجن ، أو الاعتقال اذا كانت الرأفة موجودة من نصيب من يوجد عنده نسخة من الكتاب الأسود مطبوعة ، أو منقولة ، ولا نقول مصورة فعمليات التصوير لم تكن وقتذاك شائعة ، وقد فعل مثلى الكثيرون ، الأمر الذى ساعد على نشر الكتاب الأسود ٠

● وكان للأسلوب الأدبى الذى تميزت به طباعة الكتاب الأسود من أسباب رواج الكتاب وانى لأعرف كثيرين ــ من غير الممالئين لمكرم باشا ــ كانوا يحفظون فقرات كثيرة من فقرات الكتاب الأسود عن ظهر قلب ٠

● الفزع ، والجزع ، اللذان أصيبت بهما الوزارة وحزب الوفد من جراء ظهور هذا الكتاب ، والأوامر المشددة باعتقال كل من يوجد عنـــده نسخة من الكتاب ، ومطاردة الكتاب الأسود بعصبية بالغة والجرى وراء أية معلومات عن وجود نسخة من هذا الكتاب عند هذا الشخص ، أو ذاك ، كل ذلك أيضا كان من الأسباب التى أضفت على الكتاب أهمية بالغة .

● كانت صور الفساد التي شملها الكتاب الأسود جديدة فى بابها وكانت كثيرة وكان بعضها كاشفا لجرائم ، ومخالفات كثيرة بل ولاستهتار بعض الوزراء والمسئولين بالتبعات الملقاة على أكتافهم وتهافتهم على المال غير الحلال يأتيهم من أى طريق ماداموا قد ضمنوا أن أحدا لن يستطيع التشهير بهم فالصحافة خاضعة لرقابة عاتية ، والسياسيون المعارضون لا يملكون أية وسيلة لمخاطبة الرأى العام .

● عبرت عن مشاعرى تجاه ظهور الكتاب الأسود فى كتابى مذكراتى فى السجن وكان مما كتبته تحت عنـــوان : الكتاب الأســـود للعهـد الأسود ، أسرار ، وذكريات واعترافات : كان ظهور الكتاب حديث الجماهير كلها . الكل لا يتحدث عما جاء بهذا الكتاب وحسب وانما كانوا يتحدثون عن الجهد والدقة والسرية البالغة التى جعلت مكرم عبيد ورجاله ، يطبعون هذا الكتاب سرا ويوزعونه سرا ، بينما منزل مكرم عبيد باشــا ومنازل أنصاره وأعوانه محاصرة بقوات من البوليس وكذلك مكاتبهم ، أعجبنى فى البداية أسلوب الكتاب الذى تميز بالأدب الرفيع فمكرم عبيد باشا أديب مطبوع كما أعجبنى القدرة على جمع تلك المعلومات الغزيرة ، التى امتلأ بها الكتاب والتى أكدت أن كثيرين كانوا من داخل أجهزة الحكم يمدون مكرم باشا بها ، والا لما وصل الى ما وصل اليه . ولم يعجبنى فى الكتاب حقيقة احتواؤه على كثير من الأمور التافهة التى ما كان يجب أن يشتمل عليها الكتاب ، حتى لقـد كاد التافه يذهب بأثر الخطير من الأمور . ولكم تمنيت لو أن مكرم عبيد باشا قد أسقط كل تلك الأمور من كتابه كما أننى أيضا لم أستقبل العبارات العنيفة فى الكتاب استقبالا طيبا ، وكنت أتمنى لو أن مكرم عبيد باشا ، كظم غيظه وكتم حقيقة مشاعره وألجم قلمه قليلا أو كثيرا من أجل أن يكون الكتاب موضوعيا وكنت فيما بعد قد صارحت مكرم باشا بآرائى تلك فقال : « لو أننى فعلت ما تطالبنى به ما كنت فى هذا الكتاب مكرم عبيد : مكرم عبيد لا يمكن أبدا الا أن يكون مكرم عبيد » وعرفت بسرعة ما يعنيه وهو أنه عندما يحب يسرف فى حبه وعندمايبغض يسرف فى بغضه ، لا يوجد وسط بين الحب والبغض عنـد مكرم عبيد ، وأقول اليوم : خلال الفترة من ظهور الكتاب الأسود حتى اقالة وزارة النحاس باشا فى ٨ أكتوبر ١٩٤٤ كان الكتاب الأسود هو الذى يشغل بال

المصريين والسياسيين منهم على وجه الخصوص وكان للكتاب الأسود بعد ظهوره مباشرة أخطر الآثار السياسية داخل مصر وخارجها ، حتى لقد اجتمعت ذات مرة وزارة الحرب البريطانية ، لتبحث أمر هذا الكتاب • والخطوات التى أزمع الملك فاروق اتخاذها تجاه مصطفى النحاس ـ رئيس مجلس الوزراء ـ الذى صدر هذا الكتاب ضده •

تقول الوثائق البريطانية التى حرص على الحصول عليها وترجمها الزميل الأستاذ محسن محمد عن الكتاب الأسود وما أعقبه من أحداث ، وتطورات : كان الكتاب الأسود قد ظهر أثناء غياب السفير البريطانى فى القاهرة • فى أجازة ، فى جنوب افريقية • وقد كتب السفير فى مذكراته : ٨ أبريل ١٩٤٣ :

« أثار أحمد حسنين مسألة هذا الكتاب الأسود الذى قدمه مكرم للملك •• وقصة هذا الكتاب كما يلى :

منذ وقت طويل كانت هناك تقارير قوية متتابعة تفيد أن مكرم يقوم بجمع عدد من القضايا مدعمة بالوثائق حول الرشوة والفساد وغيرهما من جانب النحاس وزملائه •

ومنذ وقت قريب نما لعلم الحكومة أن هذه الوثيقة يجرى طبعها •

وقام البوليس بعدة حملات على عدد من المبانى لوقف هذا العمل •

ولكنه ـ كالعادة ـ فشل فى ذلك وتم طبع الكتاب ، ويتم توزيعه الآن على نطاق واسع •

وبالاضافة الى ذلك قام مكرم أخيرا بزيارة حسنين وقدم التماسا للملك متضمنا هذا الاتهام ضد الحكومة •

وطالب بالتدخل لمصلحة البلاد والتخلص من هذه الفئة من السياسيين غير العارفين بالجميل •

وبالطبع أدى ذلك كله الى قدر كبير من الهياج ، لأن أكثر ما يبدو من هذا الكتاب المزعوم أنه يحتوى على شهادات ادانة •

حدث كل هذا قبل عودتى •

وباستثناء ابلاغ وزارة الخارجية البريطانية بهذا الموضوع فى عبارات عامة فان السفارة لم توضع فى الصورة عن هذا الكتاب •

والليلة ـ كما توقعت ـ أثار حسنين المسألة برمتها •• وكان الملك فاروق متوترا بشدة ويفكر فى اتخاذ اجراء حاد ضد رئيس الوزراء •

وقد أبلغت حسنين ـ بحسم ـ أنه يجب أن يقوم بكبح جماح هذا

الملك الشاب ·· ودون الزام نفسى بشىء فانى أرى على ضوء ما جاء فى الكتاب الأسود أن الملك (فاروق) يجب أن يدرك بالتأكيد خطورة الأمر من كل جانب لو حاول أن يكرر غلطته عام ١٩٣٧ عندما اتخذ موقفا متعسفا باقالة حكومة تسيطر على أغلبية ضخمة فى البلاد ·

وفى رأيى أن معظم النكبات الداخلية وعدم الاستقرار الذى حدث فى مصر منذ ذلك التاريخ أى منذ عام ١٩٣٧ يرجع الى هذا الخطأ الدستورى الضخم ·

ان على أحمد حسنين أن يمنع الملك (فاروق) — بأى ثمن — من تكرار هذا الخطأ مرة أخرى ··

ومن المؤكد أن على الملك فاروق أن يقتنع بأنه لا يجب أن يفعل شيئا يدمغ بأنه عمل متحيز ·

ان على فاروق بالتأكيد ألا يتصرف بناء على كتاب من عدو سافر للنحاس ولم يثبت حتى الآن صحته أو عدم صحته ·

واعترف حسنين صراحة أنه كثيرا ما يتصرف على هذا النحو ، الا أن وضعه صعب للغاية وأنه — حتى الآن — منع الملك من استقبال أى من أعضاء المعارضة لهذا الشأن ·· ونتيجة لذلك فانه يلقب من قبل هذه الدوائر بأنه « رئيس مجلس الوزراء » السفير البريطانى ··

قلت لحسنين :

— انى فخور لاحساسى بأن أى شخص عليه أن يقدم مثل هذا الاقتراح حتى ولو كان قائما على أساس ضعيف ··

ولكنى متأكد أن حسنين محق تماما فى منع سيده الشاب فاروق من أن تجره لعبة السياسة الحزبية ·

وقلت من قبل مرارا بأن الملك الدستورى يملك ولكن لا يمارس السلطة ··

وقلت لحسنين انه من الصعب معرفة ما الذى يجب اتباعه ·

ولا أزعم أننى أمثل سلطة فى اطار الاجراءات الدستورية المصرية ·

ولكن المؤكد أن الأمر الطبيعى بالنسبة لجلالة الملك فاروق أن يعطى التعليمات لحسنين بأن يحيل الالتماس — أى الكتاب الأسود — الى رئيس الوزراء للنظر ·

وقال حسنين انه يحاول العمل فى نفس الاتجاه ·· لكن كبح جماح الملك أمر غاية فى الصعوبة ··

وحذرته من أن نتائج لا يمكن التنبؤ بها قد تحدث اذا اتخذ الملك أى اجراء متهور بالنسبة لهذا الموضوع ٠

وقلت انه على حسنين أن يفعل كل ما بوسعه لمنع حدوث مثل هذا الأمر ٠

وقد غادرني حسنين وهو يقول انه سيستمر فى عمـــل كل ما بوسعه » ٠

« انني أخشى أن يحمل هذا الموضوع بذور نزاع حقيقى بين الملك والحكومة ٠٠

وليس لدى شك فى أن الملك سعيد بأنه وجـــد الأساس لطرد النحاس ٠

ولا أستبعد أن يكون جلالته حرض ـ أو على الأقل شجع ـ مكرم عبيد على ابراز هذه الوثيقة ـ أى الكتاب الأسود ـ وأعتقد أن الملك (فاروق) يشعر أنه بعد أن أقام ـ كما يظن ـ علاقات طيبة بالسفارة البريطانية أصبح بمقدوره ، وهو آمن ، أن يدفع بالنحاس ليصبح العدو رقم ١ للشعب ٠

وأظن أن لدى جلالة الملك فاروق فكرة مؤداها أن تخلصه من عدو الشعب رقم واحد سيجعله فى موقف أفضل للتخلص منى أو ممن يراه ، العدو رقم ٢ للشعب الذى لا يمكن للشعب أن يغفر ما وقع منــه يوم ٤ فبراير من العام الماضى » (أى عام ١٩٤٢) ٠

تقول برقية مرسلة من لامبسون الى وزارة الخارجية البريطانية :

١ ـ زارنى أمين عثمان ٠٠ شرحت له وجهة نظرنا وهى أن يقوم النحاس ، بطريقة أو بأخرى ، بتفنيد التهم الواردة فى الكتاب الأسود ضده ، فاذا تم ذلك فان عملنا يصبح أكثر سهولة لأننا بحــاجة ملحة ـ فى ظل ظروف الحرب ـ الى حكومة تقوم فى مصر بتنفيـــذ المعاهدة باخلاص تسندها فى ذلك أغلبية كافية فى البلاد تمكنها من المضى فى هذه السياسة على نحو فعال ٠

وقد استطاعت حكومة الوفد أن تؤدى هذا الغرض ،

ولسنا الآن فى وضع نبدو فيه وكأننا نغضى عن الفساد أو نحميه ٠

٢ ـ أثيرت خلال محادثاتنا فكرة الرجوع الى الشعب ، وهى فكرة لها جاذبيتها لكنه من المستحيل تقريبا أن تجىء حكومة محــايدة لاجراء انتخابات حرة ٠ وسيعارض الملك قيام النحاس باشا باجراء الانتخابات ٠٠

وأية حكومة أخرى يعينها الملك ستعمل ـ بغير شك ـ على تزييف الانتخابات .

٣ ـ أخيرا أكد أمين عثمان الرأى القائل بأن أفضل الطرق هو أن يقوم رئيس الوزراء بتفنيد الاتهامات أمام البرلمان ردا على أسئلة أو استجوابات من الأعضاء .

وقال أمين عثمان ان رئيس الوزراء ـ مصطفى النحاس نفسه ـ يميل الى هذه الطريقة .

٤ ـ استقر رأينا على أن أفضل اجراء فى هذا الشأن هو أن يقوم حسنين باشا باحالة الالتماس الذى رفعه مكرم عبيد « الى الملك فاروق » فى مقدمة الكتاب الأسود الى رئيس الوزراء « للنظر فيه » .

ورأينا أنه ليس من المستصوب أن أقدم بنفسى هذا الاقتراح بل يقترح حسنين على الملك أن يطلب ايضاحات من النحاس باشا .

ووافق أمين عثمان على أن من الأفضل أن يرى النحاس باشا بنفسه حسنين ويناقش معه هذا الاجراء .

وفى ١٤ أبريل يكتب لامبسون لحكومته :

١ ـ « رأيت الملك « فاروق » عصر هذا اليوم واستغرقت المقابلة أكثر من ساعة ، واتسمت بروح الود والطابع غير الرسمى .

٢ ـ بدأت بالاشارة الى أن جلالته ربما يستشعر ما نستشعره نحن من حرج ازاء التطورات الراهنة .

وحددت سياستنا التى وافق عليها باعتبارها سياسة طبيعية وسليمة وليس بوسعنا اتباع سياسة أخرى بينما نحمل عبء الحرب على أكتافنا » .

« أبلغته بنص تعليماتكم الصادرة ببرقياتكم الى ، وتلقاها جلالته بقبول حسن وأعرب عن عدم اختلافه مع أى منها ..

وأعربت لجلالته بشكل صريح عن ضرورة أن يمنح النحاس باشا رئيس الوزراء فرصة تبرئة ساحته وساحة حكومته من الادعاءات الواردة فى « الكتاب الأسود » برغم أن جلالته كان لديه أمل ضئيل فى أن البرلمان ليس مناسبا ولا كافيا ولا مقنعا لأداء تلك المهمة .

وبعد ذلك سلمنى جلالته بشكل غير رسمى تماما ورقة مطبوعة على الآلة الكاتبة أقتطف منها ما يلى :

« تعلمون سعادتكم بتلك الاتهامات الخطيرة التى وجهت الى رئيس الوزراء وزملائه ٠

« وباعتبارى ملكا دستوريا لهذه البلاد فان من واجبى ـ تأمينـــا وحفظا لكرامة واستقرار الحياة والمؤسسات السياســـية ومن ألزم الأمور اتخـاذ خطوات من شأنها تمكين رئيس الوزراء ووزرائه من الدفاع عن أنفسهم ضد هذه الادعاءات ٠

ولكن لا أرى أن من الممكن تحقيق ذلك عن طريق **طرح الثقة بالحكومة على البرلمان** الحالى » ٠

٣ ـ فيما يتعلق بالمناقشات في البرلمان فقد اعترفت أنها ربما تكون متسمة بشيء من العنف برغم أن كثيرا من المسائل يتوقف على المناقشات القادمة وخط سيرها وكيفية تقبل الرأى العام لها ٠

ان الخطأ الأساسى يكمن فى نظام الحركات البرلمانية فى مصر من أساسه وتعمل كل حكومة فى ظله بشكل أو بآخر على التدخل فى سير الانتخابات ٠٠ ولكن البرلمان لا يزال موجودا ولا يمكن تجاهله فى الأزمة الحالية ٠٠

ـ اذا كان بوسع النحاس باشا أن يعود الى البلاد فيطرح عليها الثقة به فان ذلك سيكون أفضل الحلول ، لكن هل فى وسع النحاس ذلك ؟

وكنت حريصا على ابلاغ الملك بأنى لا أعرف موقف النحاس باشا فى هذا الموضوع ٠

أجاب جلالته ان ذلك غير جائز دستوريا ، ولكن حتى لو استطاع النحاس باشا أن يفعل فان الأمر يكون بمثابة وضع المتهم فى موقع القاضى والحكم ٠

ثم طالت مناقشـــتنا فى موضـــوع استشعار رأى البـــلاد وأحاسيسها الحقيقية ولم يذكر الملك أن تعليقنا الخاص بمكرم عبيد فيه كثير من الوجاهة الخاصة ٠

وهو يستصغر شأن مكرم عبيد كثيرا ٠

٤ ـ لم تكن هناك اشارة الى حكومة بديلة ٠

ورأيت من الأحوط عدم تنفيذ تعليماتكم فى هذا الشأن فقد يؤخذ الأمر على أنه تشجيع للملك على استبدال النحاس باشا وهو أمر سابق لأوانه قطعا ٠

٥ ـ فيما يتعلق بموضوع « المقاطعة » قال جلالته انه يحاول أن ينأى عن اقحام نفسه مع الناس ، بل يود لو تمكن من القيام برحلات فى الصحراء لمدة خمسة أيام ·· لكن ذلك مستحيل ·

٦ ـ الانجاز الأكبر الذى تحقق من محادثتنا هو نجاحى فى ازالة خطر طرد النحاس باشا بصورة مفاجئة انتظارا لما يتخـــذه البرلمان من اجراءات ·

٧ ـ بالنسبة لحسنين باشا ·· أبلغت جلالته أننى أعتقد أن حسنين لم يكن على ما يرام الليلة الماضية ، وانى أرجو ألا يتركه جـــلالته يذهب « يستقيل » ·

رد الملك فاروق بأن حسنين يتحمل مسئولية كبيرة وشعر جلالته بكثير من القلق فى هذا الصدد » ·

يرفع الكسندر كادوجان وكيل وزارة الخارجية (الدائم) الى وزير الخارجية البريطانية مذكرة يقول فيها :

« تناقشـــت مع مســـتر سكريفنر ـ رئيس القسم المصرى فى وزارة الخارجية ـ حول برقية السفير ، واتفقنا على رأى وزير الخارجية فى أن مقابلة السفير مع فاروق لم تجر على مايرام ولكن أهم ما فيها أن النحاس لن يطـرد » ·

وكان لزاما على السفير أن يتخذ موقف الدفاع ، فليس بوسع أحد أن يدعى عدم وجود فساد فى حكومة وفدية ··

وبرغم أننا لم نتلق ولو ملخصا لكتاب مكرم عبيد الأســـود ولكن لا شك فى احتوائه على بعض القرائن الدامغة على وجود حالات صارخة من السلوك غير السليم ومن الانتهازية » ·

« منذ شهور عقبت على تعيين النحاس أحد أبناء اخوته ممن لا خلاق لهم فى منصب قاض خاص ، ينفذ قوانين محاربة السوق السوداء ، الأمر الذى أطلق يد ذلك الشاب الوفدى ـ القاضى قريب النحاس ـ فى أن يلهب ظهر كل تاجر لا يدفع له رشوة » ·

ومن الصعب على أى انسان يدعى أن أعضاء مجلس النواب المصريين يرضون بالتخلى عن مكافآتهم البرلمانية اذا واجهوا حل المجلس وفيه أغلبية وفدية كاسحة » ·

« ·· ان النواب الوفديين ليسوا الساحة المثالية التى تطرأ عليهـا اتهامات من هذا النوع كى تبت فيها ، ومع ذلك فان أية مناقشـــة فى

البرلمان المصرى من شأنها تخفيف حدة الاتهامات الحقيقية ضد النحاس بنسبة ما ٠

واذا كان لنا أن نشجب الدرجة التى تمكن الملك بها من أن يشن هجومه فانى أنتهز الفرصة لأختلف مع تعليق وزير الخارجية الذى يحبذ ما فعله السفير من الاحجام عن دفع الملك حتى يصفح عن نواياه ٠

ولست أدرى كيف نأمل أن نضع الملك فى حالة دفاع بغير أن نحمله على الافصاح عن خططه ٠ وهى خطط يفترض بداهة أنها غير مرضية لنا ، وأفضل منها استمرار الحكومة الوفدية الراهنة برغم كل ما يشن عليها من هجوم » ٠

« ومن السهل معرفة هل لدى الملك خطة لأن يعود الى الحكم صديق مخلص لنا مثل حسين سرى ٠

ومن السهل فى الوقت نفسه دحض أى اقتراح للمجىء بصنيعة من صنائع القصر مثل احمد حسنين » ٠

« ونحن نشعر انه ليس بوسعنا عمل أى شىء الا انتظار الاجراءات البرلمانية » ٠

وتحت عنوان ٢٧ أبريل كتب سير مايلز لامبسون :

« كنت آمل أن أبقى هنا فى الصحراء طيلة اليوم ، ولكن اتصل كيزى ـ يقصد اللورد كيزى وزير الدولة ـ بى فى الصباح ، وطلب الى أن أحضر اجتماعا خاصا للجنة الدفاع فى الساعة الرابعة ٠

« ذهبت فى الموعد المحدد فوجدت ثلاثة من القادة العسكريين الى جانب كيزى ووالتر موين (يقصد اللورد موين) ٠

« بدأ جامبو ويلسون قائد القوات البريطانية الاجتماع فتقدم بتقرير حصل عليه من الجنرال ستون جاء فيه أنه يخشى أن تتحرك الأزمة بحيث يصبح هناك احتمال باستخدام القوة ٠

« أوضح القادة أن هذا الأمر مستبعد تماما على ضوء وجود قضايا معلقة أهم ٠

أوضحت أننى لم أذكر فى أى من برقياتى انه يجب استخدام القوة برغم أن هذا الاحتمال لا يمكن تجنبه ٠

ولم أكن شخصيا أعتقد أنه سيكون ضروريا استخدام القوة ٠ وسيكون هذا صعبا من الوجهة العملية ٠

وشرحت لهم بالتفصيل كل القضايا القائمة ـ وكان هنـــاك اتفاق عام بينهم على أنه يجب علينا أن نفعل كل ما بوســـعنا ـ عدا استخدام القوة ـ حتى يبقى الوفد فى الحكم باعتبار أن هذا أفضل ضمان للابقاء على مصر كقاعدة عسكرية ٠

واذا كان عليهم أن يختاروا بين ذهاب الوفد وبين استخدام القــوة فلا شك أن عليهم أن يختاروا استخدام القوة » ٠

يبعث تشرشل ببرقية الى جنرالاته فى القاهرة ويبعث بصورة منها الى السفير البريطانى ، يقول فيها :

« بالاشارة الى النتيجة التى توصلت اليها القيادة العامة بأن استخدام القوة في الأزمة المصرية الحالية يفيد ٠ فانه من واجبكم اتخاذ الاجراءات الضرورية لتأييد سفير ملك بريطانيا فى تنفيذ سياسة جلالة ملك بريطانيا العظمى ـ ويبدو لى أنه غير محتمل جدا وقوع أى شىء أكثر من المظاهرات ، ولديكم القوة الكافية تحت تصرفكم » ٠

ويعلق لامبسون على برقية تشرشل قائلا :

« هذا ما كنت آمله بصفة خاصة من العبارة التى وردت فى برقيتى من أن الضعف لا يخدم شيئا ٠

انها نفس النوع من العبارات التى تجذب انتباه رئيس وزرائنا ٠

وعلى أية حال فان هذا التطور يؤيد كثيرا فكرة أن المشكلة ستبقى متعلقة بقدرتنا على استخدام القمع اذا لزم الأمر ٠

وأرى أن هذا سيكون صعبا جدا ـ ولكن الأعظم من ذلك أننا نعرف الآن أنه أمر فى أيدينا ويعزز قدرتنا على العمل » ٠

ويكتب لامبسون فى مذكراته بعد ذلك :

« اتصل بى حسنين فى الصباح وأبلغنى أن الملك (فاروق) يريد أن يرانى فى الساعة الخامسة بعد الظهر ٠

ذهبت الى القصر ووجدت (فاروق) فى أحسن حالاته وكان هــذا دليلا على أن الدواء حقق مفعوله ، وتصورت أن ذلك ربما كان راجعا الى الاشارة التى ألمحت بها لحسنين عندما قابلته فى الأسبوع الماضى ٠٠

قلت للملك : انه لو أدى لعبته بطريقة سليمة فسيكون أمامه عمر طويل على العرش ٠ ولكن المهم أن يثبت أنه يعمل معنا باخلاص ٠٠ ويمكن أن تأتى حكومات وتذهب حكومات ولكن بشرط أن يبقى هو ممســـكا باللعبة فى يده بحكمة ليبقى له العرش ٠

وذكرت الملك (فاروق) بما قلته لحسنين فى أرمنت فى شهر مارس الماضى وبالانطباع المؤسف لدى بعض عناصر الشباب فى العائلة المالكة ·

وقلت له :

ان الأمر بيد جلالته ليتصرف بحكمة ، وأن عليه أن ينجب ولدا ·

قال : ان هناك أمرا أو أمرين ، يريد منى أن أساعده فيهمـــــا ، وأهمهما سوء استعمال الاذاعة فى السياسة الداخلية ، وأخيرا الغمزات التى تثار فى البرلمان ضد العرش ·

وبالنسبة لى شخصيا فلم ألزم نفسى بأى شىء ·

رفضت أن أكون رجل بريد لأعمال القصر الحقيرة ·

قال جلالته انه يأمل أن أكون الآن أكثر استعدادا كرجل بريد · ولكننى لم أبد أى تعليق وان كنت أعتقد أن جلالته على حق تماما ·

وأما فيما يتعلق بالغمز داخل البرلمان قلت الحقيقة وهى أننى لا أعلم عنه شيئا ·· وقد تحدثنا قليلا عن الهجوم على القصر ·· فى البرلمان ·

قلت : ان الرجل الوحيد الذى تحدث معى بصورة رسمية أو اقترح شيئا من هذا القبيل هو مكرم نفسه عندما كان وزيرا فى حكومة الوفد السابقة ·

ضحك الملك · وقال انه يعرف كيف كان مكرم سيئا ·

قلت : فى هذه الأيام توجد قلة من الملوك باقية فى العالم ، وعليه أن يتصور أننا لسنا بالطبيعة من محبذى انقاص عددهم ·

أقر بأن هذا مؤكد ·

وقبل كل شىء فاننى أعتقد أن الحديث كان حسنا · وأملى أن يفتح لنا طريقا للخروج من المأزق السياسى الحالى ـ ولكن ورقة الملك بالطبع تضع اللوم كله علينا ، وتظهر أنه يتصرف فقط لمصلحة الحرب ·

يبعث ايدن وزير خارجية بريطانيا خطابا شخصيا الى كيلرن يقول فيه : « شكرى الكثير لخطابك الذى وصل فى موعده تماما : أؤكد لك أنه كان مفعما بالأمل : هناك تطورات منذ كتبت لى أنا واثق أننا ضمنا الآن وجود هدنة » ·

ويعقب لامبسون على الخطاب الشخصى لايدن ·

لم يكن هناك كما أرجو أكثر من الهدنة ·

رأيت الملك مرتين فى الأسبوع الماضى ، كان هادئا مطواعا ، وليس من شك فى أن رؤية سوط معلقا على الحائط كان لها مفهومها تماما •

اننى سهلت عليه الأمر قدر استطاعتى » •

« ومنذ ذلك الحين انشغلت بالطرف الآخر ، وضمتنى مساء أمس جلسة مصارحة مع النحـــاس • وكان فى حالة من الانقباض فتقبل ما قلته • وكانت جرعة مفعولها أقوى مما توقعت » •

« أما الآن فتشغلنى محاولة ترتيب مقابلة الملك فاروق للنحاس فى الأيام القليلة القادمة •

وقد شغلت وقتى كله بالتحرك بين الطرفين ــ القصر ورئيس الوزراء ــ فى محاولة لضمان ألا يتململ الملك فى أثناء المقابلة من اقتراح النحـاس اعادة تشكيل وزارته ، وأنا فى هذا الأمر كمن يسير على حبل مشدود » •

« أما ما أهدف اليه فهو احداث تغيير فى وزارة المالية (ربما يتولاها أمين عثمان) ونقل وزير الشئون الاجتماعية الحالى (عبد الحميد عبد الحق) الذى ينظر اليه بشكل عام وخاصة أوساط الجالية البريطانية فى مصر على أنه المصـــدر الرئيسى لتيـــار معاداة الأجانب ــ ذلك التيـــار الذى نمقته جميعـــا •

وآمل أن أحصل على هذين التغييرين اذا لعب الملك فاروق الدور الذى حددته له •

« فاذا تولى أمين عثمان وزارة المالية فان ذلك كفيل بازالة خمســة وسبعين فى المائة من متاعبنا اليومية ، وخاصة ما يتعلق بالمشاكل ذات الأهمية الحيوية فى الحرب مثل التموين •

ان وزير المالية الحالى « كامل صدقى » شخص لا يحتمل أبدا •

واذا عدنا •• الى مصطفى النحاس فقد أبلغتـــه مساء أمس أننى سأكون مسئولا ولا شك أمامك وأمام الرأى العام عن أية أخطاء يقترفها •

« وعلى ذلك فان عليه أن يتجنب أية مزالق أخرى وأن يستفيد من الدرس المرير الذى ناله •

وتنقى النحاس ذلك بقبول حسن •

وأرجو أن يلزم جانب الحذر ــ أما العبارة التى ظللت أشدد عليها أكثر من مرة فهى ، أن ينظف ساحته وأن يبقى عليها « نظيفة » وعلى ذلك فاننى أثق أن هذه العاصفة بالذات تم تخفيف حدتها » •

« ولكن متى يكون هبوبها فالله وحده يعلم .

لدى تصور أن المستقبل ينطوى على فترة صعبة ودقيقة .

ولكننا حققنا هدفنا الأساسى وهو عدم احداث تغيير من شأنه أن يهز دعائم الاستقرار الداخلى فى مصر ، وتهتز معه قاعدتنا فى المستقبل القريب » .

« واذا عادت الأمور تسوء ـ وقد يحدث ـ فان بوسعنا دائما أن نلجأ الى وسيلة الانتخابات العامة برغم أن ذلك ينطوى ـ كما نعرف ـ على اجراء متشدد نتخذه حيال الملك ونحن قادرون على مواجهة هذا الموقف اذا لزم الأمر وفى اللحظة المطلوبة » .

« وأخيرا اسمح لى أن أقدم شكرى على التأييد المتين الذى أوليته لى فى هذا الأمر ، فبدونه لم يكن بوسعنا احراز تلك النتائج وكما قلت فى برقياتى : الضعف لا يجدى أبدا .

وفى برقية بعث بها لامبسون الى وزارة الخارجية بتاريخ ٣١ مايو ١٩٤٣ ما يلى :

١ ـ سيقدم مصطفى النحاس باشا الذى سيقابل الملك مساء هذا اليوم تعديلا جديدا فى وزارته على النحو التالى :

٢ ـ سينقل فؤاد سراج الدين الى وزارة الداخلية ، وسيتولى مؤقتا أعمال وزارة الشئون الاجتماعية ، ثم يسير التعديل على النحو التالى :

مصطفى نصرت ـ وزيرا للزراعة ، عبد الحميـــد عبد الحق وزيرا للأوقاف ، أمين عثمان وزيرا للمالية ، فهمى ويصا وزيرا للرقابة المدنية ، كامل صدقى باشا رئيسا لديوان المحاسبة .

٣ ـ السبب الأساسى للتعديل هو الرضوخ أمام اصرارى على أن ينقل عبد الحميد عبد الحق من الشئون الاجتماعية ، وكامل صدقى من المالية ، ودمج الشئون الداخلية بحيث يقوم بأعمالها وزير واحد متفرغ .

٤ ـ ظلت المشاورات بشأن التعديل الوزارى قائمة لعدة أيام .
وأطلعت حسنين باشا بناء على طلبه وبصورة غير رسمية على أفكار رئيس الوزراء فى هذا الصدد .

استجاب النحاس باشا لاعتراضات الملك على عمر عمر وكيل مجلس النواب فاستبعده من الترشيح بسبب اتهام الملك له باستخدام لهجـــة ينقصها الولاء للملك داخل مجلس النواب .

٥ ـ رغب الملك أيضا فى انتهاز فرصة هذا التعديل لضمان استبعاد

حمدى سيف النصر (من وزارة الدفاع) الذى اتهمه بالحديث فى لهجة تتسم بالخيانة للملك مع ضباط الجيش ، وكذلك استبعاد نجيب الهلالى (من وزارة المعارف) بسبب دوره فى الهجوم على حسنين باشا فى مجلس النواب ·· اذ اتهم حسنين بالحصول على منفعة خاصة · وتعمدت ابلاغ حسنين باشا بكل حزم مساء السبت بأن المسألة الوحيدة فى هذا الصدد هى مسألة تعيين وزراء جدد ، وأنه لايمكن استبعاد الوزراء الحاليين ، ويبدو أن هذا الابلاغ كان له مفعوله » ·

ويرسل ايدن برقية الى السفير البريطانى فى القاهرة يقول فيها :

« أشكرك على خطابك فى ٢٦ مايو ·

تتبعت باهتمام المراحل الختامية للكتاب الأسود وأهنئك على الهدوء الذى أنزل به الستار على ما كان ينتظر أن يكون دراما صاخبة ، وعلى نجاحك فى مسألة التعديل الوزارى · وهذا يسهل ، كما تقول مسألة التموين التى اكتنفتها عقبات ·

لذلك أعرب لك عن سرورى بأنك حادثت النحاس فى لهجة مشددة عن موضوع نظافة ساحته » ·

وينعم على السفير البريطانى فى مصر ـ سير مايلز لامبسون بلقب لورد وهى أول مرة ينعم فيها على موظف بريطانى كبير بلقب وهو فى الخدمة ، ويكون الانعام بالحاح من ونستون تشرشل رئيس الوزارة البريطانية الذى كان معجبا الى أبعد حدود الاعجاب بسير مايلز لامبسون ، أو لورد كيلرن السفير البريطانى ، أو الملك البريطانى غير المتوج فى مصر ··

ورغبة منى فى اعطاء صورة أوضح وأكمل كان لابد لى من الاعتماد على العديد من الآراء ومختلف الاتجاهات ، فالى جانب الترجمة الجيدة التى قام بها الزميل محسن محمد ، كان لابد من أن نعتمد على ترجمة أخرى قام بها الزميل كمال عبد الرءوف وهو يلخص مذكرات سير رونالد كامبل « لورد كيلرن » يقول كمال عبد الرءوف نقلا عن مذكرات لورد كيلرن :

عدت من هذه الرحلة أنا وزوجتى : كنت ضيفا أنا وزوجتى : عدت لأجد أن مكرم عبيد الذى كان من أقرب الناس الى النحاس باشا قد انفصل عنه ونشر كتابه المعروف باسم (الكتاب الأسود) وقد عدد مكرم فى هذا الكتاب ما تفعله زوجة النحاس باشا وأسرتها من مساوىء · وانتهز فاروق الفرصة وحاول التخلص من النحاس وحكومته · ولكن

السفير كان يرى أن افول نجم النحاس في ذلك الوقت لم يكن في مصلحة بريطانيا . وتدخل السفير مرة أخرى واضطر فاروق الى التراجع .

وتتحدث المذكرات عن قصة الكتاب الأسود فتقول :

في أوائل أبريل قابلني حسنين باشا كما توقعت وأثار معي حكاية الكتاب الاسود الذي قدمه مكرم عبيد الى الملك . وكانت المعلومات التي تجمعت لدينا تشير الى أن مكرم باشا كان يجمع الوثائق والمستندات التي تؤكد فساد حكومة الوفد وانتشار الرشوة بينها . وعلم النحاس أن هذا الكتاب يتم طبعه . فأمر البوليس بالاغارة على عدد من الأماكن لضبطه . ولكن البوليس فشل في وقف طبع الكتاب الذي انتشر بين الناس بشكل واسع .

ولم يكتف مكرم عبيد بذلك . فقد توجه الى قصر عابدين وقابل حسنين باشا رئيس الديوان وسلمه نسخة من الكتاب ومعها رجاء الى الملك فاروق أن يخلص البلد من هذه الحفنة من السياسيين الذين يسيئون الى مصر . كل هذا حدث أثناء غيابي في الصعيد . ولم تفعل السفارة شيئا ولم تخطر وزارة الخارجية في لندن . وكان الكتاب يتضمن أدلة تبدو قوية ضد النحاس وحكومته .

وقال لي حسنين باشا ان الملك فاروق مستاء جدا مما جاء في الكتاب الأسود وانه يفكر في اتخاذ اجراء خطير ضد النحاس . وقلت لحسنين باشا ان فاروق يجب أن يتريث قليلا وأن يتذكر ما جرى عندما أقدم سنة ١٩٣٧ على عمل تهوري وأقال حكومة كانت تتمتع بتأييد أغلبية الشعب . وقلت له اني لا ألزم نفسي بشيء ازاء ما جاء بالكتاب الأسود من فضائح ولكني آمل ألا يكرر الملك فاروق خطأ تهوره واني أعتقد أن معظم ما يجري في مصر الآن من قلق وشرور داخلية مرجعه الى الخطأ الدستوري الفاحش الذي وقع فيه الملك باقدامه على طرد الحكومة سنة ١٩٣٧ بقرار من جانبه . وقلت أيضا ان الكتاب صادر من شخص يعترف صراحة أنه عدو النحاس . كما أن محتويات الكتاب لم يجر أي تحقيق رسمي لاثبات صحتها من زيفها .

ووافقني حسنين باشا الرأي . ولكنه قال انه ظل أخيرا يحاول منع الملك من مقابلة زعماء المعارضة الذين يحرضونه على طرد النحاس . وانهم لهذا يسمونه (حسنين باشا رئيس ديوان السفير البريطاني) . وقلت لحسنين باشا انه يجب أن يمنع الملك بأي ثمن من اتخاذ أي قرار قد يؤدي الى عواقب وخيمة وهناك احتمال كبير أن فاروق هو الذي أوحى

لمكرم عبيد باشا وشجعه على نشر (الكتاب الأسود) حتى يتخلص من عدوه رقم (١) النحاس باشا · وبعد ذلك يتفرغ للتخلص من عدوه رقم (٢) الذى هو أنا · فاننى واثق أن فاروق لم ولن ينسى ما حدث يوم ٤ فبراير وسيحاول دائما أن ينتقم ·

وينقل كمال عبد الرءوف صفحات أخرى من مذكرات لورد كيلرن من بينها ــ على سبيل المثال لا الحصر ــ ما يلى :

تتحدث المذكرات بعد ذلك عن تدهور الموقف الداخلى فى مصر · وعن العلاقات التى لم يطرأ عليها أى تحسن بين الملك والنحاس · وعن ظهور وباء الملاريا فى الصعيد الذى قضى على حياة الكثيرين هناك · ويعتقد فاروق أن هذه فرصة أخرى للتخلص من حكومة الوفد ولكن السفير يقف مرة أخرى وراء النحاس وضد الملك · ويقول السفير فى المذكرات :

« أبلغنى حسنين باشا ان الملك يريد أن يرانى · وعندما وصلت الى القصر قابلنى فاروق وكله ترحيب وابتسامات وعلى الفور لعب فى صدرى الشك أنه يخفى قنبلة سوف يفجرها بعد ذلك · وسلمنى الملك مذكرة طويلة محتواها أنه لم يعد يطيق النحاس أكثر من ذلك · وتبين لى أن الذى أثار فاروق كثيرا تصرفات النحاس أثنـــاء زيارته للصعيد للتفتيش على حملة مكافحة الملاريا · وقال فاروق ان النحاس كان يتصرف أثناء الرحلة وكأنه ملك · وعندما قال لى فاروق :

ــ « انك توافقنى طبعا أنه لا يمكن أن يكون هناك ملكان فى مصر » ·

وأجبت قائلا بسرعة : لا قدر الله ·· ان ما نعانيه من ملك واحد يكفينا ·

وضحك فاروق بقوة وقال انهـا ملاحظة لطيفـة · وبعد ذلك قال فاروق بطريقة ودية اننا فى الماضى دخلنا فى معارك كثيرة · وان الوقت قد حان لابعاد النحاس وتشكيل حكومة أخرى مؤقتة · وقال ان الرجل الذى اختاره صديق شخصى لى ومخلص للانجليز · وأوضحت لفاروق أنه كان يجب أن يخطرنى أولا حتى أسأل لندن قبل المقابلة · وقلت له أن رأيى الشخصى أن الوقت غير مناسب لاجراء تغيير وزارى · وقلت أيضا ان مصير العالم كله ومصير مصر أيضا يتقرر الآن فى الحرب · وان اجراء تغيير وزارى فى هذا الوقت بالذات غير مناسب لمصر ولنا · واننا مرتاحون للغاية لحكومة النحاس التى تطبق المعاهدة بروحها ونصها ·

وفى النهاية سـألت فاروق : وما هو اســم الرجـل الذى اخترته بدلا من النحاس والذى تقول انه صديقنا ؟

وأجاب فاروق بعد تردد : اليك قائمة بالأسماء التى كنت أفكر فيهـا :

وقدم لى قائمة بالاسماء على رأسها حسنين باشا كرئيس للوزراء • وحسنى صـادق كوزير للحربيـة • وحسن رفعت كوزير للداخلية • ود• شوشة كوزير للصحة • وسابا حبشى باشا كوزير للتجارة • وعددا آخر من الأسماء غير المعروفة • ولكن كان من بينهم عمرو باشا الشاب الثرى جدا وبطل الاسكواش راكيت • وقال لى فاروق ان معظم الأسماء التى اختارها من رجال لا ينتمون للأحزاب • وان المهمة الأولى للوزارة ستكون تنظيم عملية الانتخابات القادمة •

وقلت لفـاروق اننى يجب أن أسأل لندن أولا • وانه لمعلوماته الخاصة يجب أن يعرف أن الذى يتولى الشـئون الخارجية فى بريطـانيا الآن ونستون تشرشل نفسه • وانى أتوقع أن يكون الرد قصيرا وحاسما • ووافق فاروق بحماس على أخذ رأى تشرشل الذى كان يعتقد انه صديقه ولكنى حذرته من الافراط فى التفاؤل • وأخذت منه وعدا ألا يقدم على شىء قبل أن يصل رد تشرشل من لندن • وسألته ماذا سيفعل اذا قال تشرشـــل : لا • فأجـاب بأن هذا لا يتفق مع تعهـــدات بريطـانيا بعدم التدخل فى الشئون الداخلية لمصر • واعتقد انه سجل نقطة هامة •

ودعوت لجنة الدفاع البريطانية لبحث الموقف • وأثناء الاجتماع تلقيت مكالمة تليفونية من حسنين باشا يقول فيها :

ــ لقد وقع الملك فاروق قرارا بطرد النحاس من الحكم •

تشرشل يهدد فاروق والنحاس :

وطلبت أن أقابل الملك فاروق فورا • وسألته لماذا أقال النحاس وخالف الاتفاق الذى وصلنا اليه أن ينتظر حتى يصلنى رد من لندن • وقال فاروق انه يستطيع أن يشرح ذلك • ولكنى طلبت أن أقرأ له نص رسالة تشرشل •• أولا • كانت الرسالة موجهة من رئيس وزراء بريطانيا (تشرشل) الى فاروق مباشرة وتقول :

« ان المشكلة التى نشأت بين جلالتك وبين حكومة النحاس باشا مهمة جدا وخطيرة جدا لدرجة أنى دعوت مجلس الحرب البريطانى لبحثها فى الأسبوع القادم • وآمل ألا تتخذوا جلالتكم أى تصرف عنيف قبل ذلك الموعد • كما أنى بعثت بتعليمات الى سفيرنا فى القاهرة لكى يتصرف النحاس باشا بنفس الروح •• وان حكومة جلالة ملك بريطانيا ستكون ضد من يضرب أولا •• ولما كانت مصر قد نجت من ويلات الغزو بفضل جهودنا ولم تتحول الى ميدان للمعارك وتعيش الآن فى سلام ورخاء فاننا نجد أن من حقنا أن نخاطبكم حول هذا الموضوع •

ونصحت الملك فاروق ألا يتجاهل رسالة تشرشل • وخاصة الفقرة التى تتحدث عمن يضرب أولا • ولكن فاروق أخذ يشكو من تصرفات النحاس ويقول انه الآن فى طريقه الى الاسكندرية • وســوف ينصرف بنفس الطريقة التى فعلها فى الصعيد وكأنه يحكم مصر • وقلت للملك انه يتسرع فى اصدار أحكامه على النحاس • وتمسكت أن أحصل منه على رد على رسالة تشرشل • ووعدنى أن يصل الرد خلال ساعة •

وفى طريقى الى خارج القصر تحدثت الى حسنين باشا وسألته كيف يترك فاروق يفاجئنا بمسدس مصوب الينا بدون اخطار سابق • وحاول حسنين باشا أن يبرر موقف الملك وأن يقول انه أخطرنا بما قد يحدث عن طريق الجنرال ستون • ولكننى رفضت كلامه وأعدت على مسامعه تحذيرات تشرشل الى الملك والنحاس وقلت اننى سوف أتصرف اذا جد شىء فى الموقف •

وعدت الى السفارة ثم استدعيت أمين عثمان باشا وأبلغته أن القصر ينوى اتخاذ اجراءات ما ضد الحكومة • ولم أشأ أن أذكر له صراحة أن الملك ينوى اقالة الحكومة • ولكننى أخبرته انى حذرت الملك من عواقب هذا التصرف • وطلبت منه أن ينقل تحذير تشرشل للنحاس أيضا ألا يضرب أولا ••

واقترح أمين عثمان باشا أن يستدعى النحاس باشا من الاسكندرية فورا • ولكننى لم أشأ أن أعلق على الاقتراح وتركت له حرية التصرف • وعندما توجهت لتناول طعام الغداء تلقيت مكالمة تليفونية من القصر يقول فيها حسنين باشا ان الملك قرر أن ينتظر حتى يصل رد تشرشل من لندن بعد اجتماع مجلس الحرب •

وفى اليوم التالى تلقيت رسالة من تشرشل تقول :

« سوف أعرض على مجلس الوزراء البريطانى غدا الموقف فى مصر • وهناك احتمال كبير فى أن يؤيد المجلس الحكومة الديمقراطية ضد عصابة القصر التى يرأسها ملك شرقى مستبد كان يثبت دائما انه صديق غير مخلص لبريطانيا • وأرجو أن تتخذ مع رؤساء أركان الحرب البريطانيين الاجراءات اللازمة لتوفير القوات التى قد تحتاجون اليها لمواجهة أى متاعب من المصريين » •

وفهمنا رسالة تشرشل على أنها انذار آخر لفاروق أن يستمع الى ما نقوله أو يتنازل عن العرش • ولكننى لم أكن واثقا هذه المرة أن لدينا قوات كافية لمواجهة الموقف • كما أن عددا كبيرا من الذين حولى كانوا

يشكون فى هذا التصرف والنتائج التى قد تترتب عليه اذا نحن أقدمنا مرة أخرى على عمل ضد الملك ٠

وقررت استدعاء مجلس الدفاع البريطانى الى اجتماع عاجل يعقد فورا ٠ وفى الاجتماع قرأت رسالة تشرشل ٠ وقلت ان الأمر الآن فى أيدى العسكريين البريطانيين للتصرف كما يجب ٠ وبدأ النقاش حول موقف الجيش والبوليس المصرى اذا نحن أقدمنا هذه المرة على عزل فاروق ٠ وكان رأيى أن الجيش والبوليس المصرى قد يعارضـــان قلب العرش ولكنهما لن يعارضا بقوة تغيير الملك بملك آخر ٠ وذكرت لمجلس الدفاع حديثا دار بينى وبين الأمير محمد على الذى شكا الى بعد أحداث ٤ فبراير أن السفارة لم تفكر فيه بالمرة بسبب (صديقته الأجنبية) التى تقيم فى قصر المنيل معه ٠ وقال لى الأمير محمد على أنه لو أن بريطانيا وضعته على العرش يوم ٤ فبراير لضمن ولاء الجيش المصرى له وبالتالى لبريطانيا فى ذلك الوقت ٠

وبعد ذلك بدأنا نناقش الموقف بالنسبة للحكومة ٠ وقلت اننى يجب أن أرى النحاس باشا أولا لأعرف موقفه ٠ فمن غير المعقول أن نفعل كل هذا لتأييد رئيس وزراء قد لا يريد منا أن نؤيده ٠ واتفقنا على ضرورة عقد هذا الاجتماع فورا مع النحاس ٠

كما اتفقنا على أنه ليس من المعقول تكرار ما حدث يوم ٤ فبراير بالضبط وأن نتوجه مرة أخرى الى قصر عابدين ونحاصره بالدبابات أثناء تسليم انذارنا الى الملك ٠ وتقرر أن أذهب بنفسى وأقابل فاروق وأحاول اقناعه بكل الطرق الممكنة لدى أن يسمع كلام لندن ٠ واذا لم يوافق أقابله مرة أخرى وأسلمه انذارا مكتوبا ومعى الجنرال باجيت ٠ فاذا صمم فاروق على موقفه أسلمه للجنرال باجيت ليتصرف معه ٠ وجلسنا فى انتظار تعليمات تشرشل ونحن نتساءل : هل نتخلص من فاروق ٠٠ أو من النحاس ؟

ووصـــل تلغراف تشرشل يوم الجمعـــة ٢١ أبريل ١٩٤٤ ٠ وكان مكتوبا عليه « عاجل جدا » وجاء فيه :

« لقد بحث مجلس الحرب الموقف فى الشرق الأوسط ٠ وقرر أنه ليس من الضرورى استخدام القوة ضد الملك فاروق ولو أن ذلك محتمل فى المستقبل ٠ وذلك بسبب التمرد فى اليونان وضرورة مواجهة ذلك أولا ٠ ولهذا يجب أن نحاول كسب بعض الوقت فى مصر حتى نرهق المتمردين فى اليونان » ٠

ومرفق رسالة أخرى من تشرشل لكى يقوم كيلرن بتسليمها الى الملك فاروق ·

كانت محتويات رسالة تشرشل الثانية الى فاروق خلال ٤٨ ساعة تقول ان مجلس الحرب يعتقد أن رغبة الملك فى اقالة حكومة يتمتع رئيسها النحاس باشا بأغلبية كبيرة فى البرلمان الذى مازال أمامه ثلاث سنوات أخرى يعتبر عملا محفوفا بالمخاطر · ولكن اذا أراد الملك حل البرلمان واجراء انتخابات جديدة فان لندن لن تتدخل بشرط ألا يتولى رئاسة الوزارة أحد رجال القصر أو زعيم لا يحصل على الأغلبية فى البرلمان·

وكان معنى رسالة تشرشل أن يحتكم النحاس باشا الى الشعب فاذا جدد الشعب ثقته فيه يعود الى الحكم · وسألت فاروق اذا كان مستعدا لقبول ذلك · ولكن الملك اعترض بشدة على هذا الاقتراح · وقال ان لديه السؤال التالى الموجه الى الحكومة البريطانية :

هل أنتم مستعدون للاختيار نهائيا بين الملك فاروق أو النحاس باشا ؟

ـ اما النحاس ·· واما أنا ؟

وسألت الملك مرة أخرى اذا كان مستعدا لاجراء انتخابات جديدة فقال انه لا يستطيع ذلك · ثم سألته هل ينوى اتخاذ أى اجراء ضد حكومة النحاس فقال انه لن يجيب على هذا السؤال قبل أن تجيب لندن على سؤاله : النحاس أو أنا ؟

وبعد ذلك أخذ الملك فاروق ينعى حظه ويقول ان القدر هو الذى وضعه على عرش مصر وجعله يواجه كل هذه المشاكل · وانتهزت الفرصة كى أقول له ان والده الملك فؤاد كان يستقبلنى مرة كل أسبوع وأننا كنا أصدقاء · وقلت له أيضا ان والده كان متشائما للغاية من احتمالات نجاح ابنه الملك فاروق فى الحكم · ولكنى كنت أطمئنه وأقول له اننا جميعا سوف نقف بجواره · وبهذه النغمة الطيبة بيننا انتهى اجتماعى مع الملك فاروق ·

وكعادتى قابلت حسنين باشا رئيس الديوان قبل مغادرتى القصر · ورويت له ما جرى وأبدى ارتياحه الشديد لقرار لندن استبعاده من رئاسة الوزراء · وقال ان فاروق هو الذى ضغط عليه لقبول ذلك · وحاول أن يوهمنى أن أحداث ١٩١٩ سوف تتكرر مرة أخرى اذا ظل الانجليز يؤيدون النحاس ضد الملك · وأكد لى أن فاروق لا يمكنه مطلقا أن يعهد للنحاس باشا باجراء الانتخابات كما طلب تشرشل · وانه لو

استمر النحاس فى الحكم فان فاروق سوف يجد نفسه فى وضع حرج للغاية .

وانشغلت فى الأيام التالية بما كان يجرى فى الاسكندرية من عمليات ضد أسطول اليونان المتمرد وفى برج العرب ضد الفرقة اليونانية . ولحسن الحظ انتهت العملية بسلام واستسلم المتمردون .. وبعد اجتماعى بالملك فاروق بثلاثة أيام زارنى حسنين باشا وهو يحمل رسالة من فاروق تقول انه قرر أن تستمر حكومة النحاس فى الحكم فى الوقت الحاضر . وطلبت من حسنين أن يشكر الملك على قراره الحكيم . وأبلغت لندن على الفور بما جرى وتلقيت البرقية التالية من تشرشل :

- برافو .. قل للنحاس أن يحاول اصلاح ما بينه وبين الملك ..

ونستون تشرشل

وبعد ذلك جاءتنى من تشرشل رسالة ثانية أكثر تفصيلا تقول :

شخصى جدا ..

لا تقلق من محاولة خلط الزيت والخل . فأنا أفعل ذلك دائما فى طبق السلطة . واذا كان النحاس هو الخل وفاروق هو الزيت فأنا واثق انك تستطيع أن تمزجهما معا . ولابد أن يفهم الناس اننا نؤيده لأن استقرار مصر مهم جدا لقضية الحلفاء . وانه اذا أثار المتاعب فاننا نستطيع بسهولة جدا أن نعتمد على الطرف الآخر لأن هدفنا دائما هو السلام والحرية ..

وبعد أسبوع مما جرى سمعت أن الملك والنحاس لم يجتمعا لتصفية الخلافات بينهما . ولهذا بعثت برسالة الى الملك عن طريق حسنين باشا أقول فيها ان ما يفعلانه شيء سخيف واننى لم أقابله طوال اسبوع حتى يستدعى النحاس . وعلى الفور تلقيت رسالة من حسنين باشا تقول ان الملك سيقابل النحاس . وطلبت أن أقابل الملك بعد ظهر نفس اليوم لأعرف ما جرى بينهما .

ومضت ثلاثة أشهر هادئة . حتى جاء شهر أغسطس . وعلمت أن الملك فاروق عثر على لغم من النوع الخطير على شاطىء قصر المنتزه . وانه طلب من البحرية المصرية أن تنتزع المتفجرات من اللغم . وعندما تدخلت البحرية البريطانية للمساعدة ثار فاروق وأمر بشحن اللغم فى لورى يسافر فورا بالطريق الصحراوى . ووصل اللغم الى قصر عابدين . ورجانى قائد أسطولنا أن أتدخل شخصيا خوفا من انفجار اللغم . واتصلت بحسنين باشا فى الاسكندرية وبعد أن أجرى اتصالات عديدة

علمت أن رجال البوليس المصرى نجحوا فى ابطال مفعول اللغم • ولما حكيت لوفد برلمانى بريطانى كان يزور القاهرة ما جرى ابتسموا وقال أحدهم :

ـ ليت اللغم انفجر !

ولن أكتفى فى الحديث عن الكتاب الاسود ونتائجه على وجهات النظر الأجنبية ، ممثلا فى الوثائق البريطانية وفى مذكرات لورد كيلرن ، ولكن أشير مجرد اشارة الى بعض الشخصيات التى لها علاقة بهذا الكتاب أو التى شاركت فى عملية « طبخ » وطبع هذا الكتاب •

● عن الكتاب الأسود يقول د• محمد حسين هيكل باشا :

وانى لفى منزلى ذات صباح اذ دخل على مكرم عبيد (باشا) • ولم يلبث حين استقر به المجلس أن دفع الى كتابا ملفوفا فى ورق أزلته فاذا للكتاب غلاف أسود • فقلت : ما هذا ؟ قال : هذا هو الكتاب الأسود الذى جمع فضائح النحاس ووزارته ، قلت : ومتى طبعت هذا الكتاب ؟ قال : أتذكر اذكنا نتحدث فى الوسيلة لمطالعة الرأى العام بأعمال النحاس وزملائه ؟ من ذلك التاريخ استعنت بكل من استطعت الاستعانة بهم لجمع هذه البيانات ، وبكل من استطعت الاستعانة بهم لتبويبها وترتيبها ، وبكل من استطعت الاستعانة بهم لطبعها فى هذا الكتاب • وهؤلاء جميعا عدد قليل جدا • ولم أرد أن أظهر أحدا على ما نقوم به ليظل السر فى أضيق حدوده • ولم يكن ذلك مخافة أن يفشيه أحد من اخواننا فى المعارضة ، ولكننى خشيت أن تسقط كلمة هنا أو هناك من غير عمد فتقف عليها الحكومة فتفسد علينا عملنا • والآن قد تم بحمد الله وبدأنا نوزع الكتاب • وهذه نسخة من نسخه الأولى حملتها اليك بنفسى • وسترى حين تقرأها العجب العجاب •

وتوفرت على قراءتها فور انصرافه من عندى فوجدت فيها العجب العجاب فعلا • لقد كنت أعرف من قبل الشىء الكثير مما احتوته • لكننى ألفيت فيها الى ذلك ما لم أكن أعرف مما أثار دهشتى • صحيح أن الوفد درج ، فى جميع الفترات التى تولى فيها الوزارة ، على أن يجعل الحكومة وفدية لحما ودما ، فلا يسند المناصب الرئيسية الا لمن يطمئن الى وفديتهم ، ولا يرى بأسا بأن يطفر الى هذه المناصب باشخاص كل كفايتهم اخلاصهم لهذه الوفدية • وصحيح أنه جعل للنواب والشيوخ الوفديين الكلمة النافذة والسلطان المطلق فى دوائرهم • لكن الأمر فى هذه المرة انتقل من الحزبية السياسية الى القرابة العائلية والمحسوبية الشخصية ،

كما انتقل الى استغلال الحكم فى الكبيرة والصغيرة استغلالا هوى فى بعض الأحيان الى الصغائر ، وضخم فى أحيان أخرى فتناول الضياع الواسعة . ذلك ما احتوى عليه الكتاب الأسود ، وذلك ما أثار دهشتى حين قرأته . فأما ما انطوى عليه من بطش الوفد بخصومه من طريق الأحكام العرفية فذلك ما لم يثر دهشتى لأننى كنت أعرف كل تفاصيله .

لم تمض أيام على زيارة مكرم (باشا) حتى كان الكتاب الأسود قد أثار فى البلاد كلها ضجة أى ضجة ، مع أن الرقابة على الصحف منعت الاشارة اليه ، وحتى كان الناس من كل الأحزاب يبذلون الجهد للحصول على نسخة منه . ولم يقف أمر هذا الكتاب فى حدود مصر ، بل بدأت الصحف الانجليزية فى انجلترا تتحدث عنه . واضطربت الوزارة للأمر وجعلت تفكر فيما يجب عليها أن تصنعه ازاء هذه الحملة العنيفة التى وجهت اليها ، والتى تشعر أن لبعض المقامات يدا فيها .

وكان رأينا نحن رجال المعارضة أن الوزارة فى موضوع الكتاب الأسود بين أمرين : اما أن تبلغ النيابة لتحقيق ما احتواه ولترفع دعوى القذف على مكرم (باشا) اذا كان ما احتواه الكتاب غير صحيح ، واما أن تسكت فتقبل ما اتهمها به وتقر بصحته . ولن يعترض على تحقيق النيابة بأن مكرم (باشا) نائب يتمتع بالحصانة البرلمانية ، فالأغلبية الوفدية الساحقة فى مجلس النواب كفيلة بأن ترفع عنه هذه الحصانة فى أقل من أربع وعشرين ساعة .

سكتت الوزارة طويلا قبل أن تتخذ ازاء الكتاب وازاء صاحبه اجراء أيا كان نوعه ، مكتفية بمنع الصحف من الاشارة الى الموضوع . وبعد أسابيع تقدم لمجلس الشيوخ سؤال من أحد أعضاء المجلس الوفديين عما تعتزم الحكومة اتخاذه من الاجراءات ازاء الكتاب وواضعه . وتأجل الرد على السؤال أربعة أسابيع وضعت الوزارة أثناءها خطتها بأن أوحت الى رجال حزبها فى كل من مجلسى البرلمان فقدموا أسئلة عن الوقائع التى وردت فى الكتاب الأسود ، وأخذ الوزراء يجيبون على هذه الأسئلة بتفسير بعض الوقائع تفسيرا يخرجها من دائرة الحظر الى دائرة الاباحة ، وبتصحيح بعض الوقائع تصحيحا يلقى فى الذهن أنها صورت فى الكتاب الأسود بنية سيئة تصويرا قصد به الى التشهير ، وبنفى بعض الوقائع أو ابرازها فى صورة تختلف تمام الاختلاف عن الصورة التى أوردها الكتاب . ولا تجيز اللائحة فى كلا المجلسين لغير النائب أو الشيخ صاحب السؤال أن يعلق على الاجابة . وكثيرا ما كان التعليق بالشكر أو بتجريح واضع الكتاب الأسود .

كان الكثير من هذه الاجابات أدنى الى مرافعات المحامين • وكان في الكثير منها براعة لا ريب • وكانت تتوخى مهاجمة نقط الضعف ، أو ما يبدو أنه نقط الضعف ، وتغفل مسائل هامة • فلما طال أمر الأسئلة ، ذكرنا لمكرم عبيد (باشا) أن السبيل الطبيعي والوحيد لاظهار الرأى العام على الحقيقة ، بعد أن بدأت الصحف تروى ما يجرى فى البرلمان ، انما يكون بأن يقدم هو استجوابا فى مجلس النواب يتيح له أن يشرح ما حاولت اجابات الوزراء على الأسئلة أن تشوهه ، ويدلى فيه بما لديه من حجج جديدة • وكان مكرم (باشا) مترددا بادىء الرأى ، اقتناعا منه بأن الأغلبية الوفدية فى مجلس النواب ستقاطعه ، ثم زال تردده بعد ذلك شيئا فشيئا •

وقدم مكرم (باشا) استجوابه فأحدث تقديمه فى الرأى العـــام انتعاشا عصبيا عجيبا شمل أنصار الوزارة ومعارضيها على الســواء ، وكأنما كان الناس يظنون أن الأحكام العرفية القاسية المفروضة على مصر تمنع من التعرض للحكومة بأى نقد •

وجاء موعد نظر الاستجواب فاكتظت شرفات مجلس النواب على نحو لم تشهده من قبل قط • وبدأ مكرم (باشا) يشرح استجوابه وقـد اتجهت الأنظار كلها اليه ، وقد أعد أنصاره الشبان المتعلمون فى مجلس النواب عدتهم لمواجهة المقاطعات والمقاطعين • واستغرق شرح الاستجواب جلسات كان حاضروها رجالا ونساء يزدادون في كل جلسة عما كانوا فى الجلسة التى سبقتها • وبح صوت مكرم (باشا) بعد هذه الجلسات لكثرة ما تكلم • ولكثرة ما قوطع ، وان شهد الجميع بأن رئيس المجلس حرص على حماية المنبر فى هذه المناسبة بدقة غاية الدقة •

ورد النحاس (باشا) على الاستجواب ، فبدأ يتناول النقط الضعيفة واستظهر تفاهتها بوضوح أشد الوضوح ، فصفق له أنصاره فى المجلس تصفيقا حادا مهد لنصره السريع الحاسم • ولم يكن مكرم (باشا) ولم يكن أحد منا فى شك من أن نتيجة الاستجواب ستكون الانتقال لجدول الأعمال ، وأن الوزارة ستنال تصفيق البرلمان ، لكنا لم نكن فى شك كذلك من أن هذا الاستجواب سيكون له من الأثر فى الرأى العام وفى الحياة السياسية ما يبعث الى الجو الذى ترزح مصر تحته قبسا من نور يخفف من هذا الظلام الذى خيم عليها وخنق كل صور الحرية فيها •

لم أذكر شيئا مما احتواه الكتاب الأسود ضنا بهذه المذكرات عن أن تعلق بها شبهة الجدل الحزبى • وانما يقتضينى المقام أن أذكر أن هذا الكتاب تناول عددا كبيرا جدا من وقائع استغلال النفوذ ، وبعضها

تافه كارسال شحنة من الفول من جهة الى أخرى بالسكة الحديد من غير أجر لأنها مرسلة باسم أحد الوزراء ، وأن ضخامة هذا العدد من الوقائع جنت على الكتاب الأسود أكثر مما أفادته • ذلك أن بعض هذه الوقائع أصابه بعض التحريف ، وبعضها لم يكن دقيقا كل الدقة • وليست مهاجمة وزارة لجافاتها نزاهة الحكم بحاجة الى مثل هذا العدد الكبير من الوقائع ، بل يكفى فيها ذكر عدد محدود من وقائع تخالف النزاهة ، على أن تكون هذه الوقائع ثابتة ثبوتا قطعيا لا تتطرق اليه ريبة • هناك يوقن الرأى العام بأن الحكم ليس نزيها فى مجموعه ، لأنه يعلم أن من الصعب ، ان لم يكن من المستحيل ، الوقوف على كل الوقائع التى تجافى نزاهة الحكم ، وأصعب منه اقامة الدليل على صحة هذه الوقائع • فاذا ثبت بعض الوقائع ثبوتا قطعيا أيقن الرأى العام أن تصرفات القائمين بالأمر ليست فى مجموعها فوق مستوى الشبهات ، لأن النزاهة صفة قائمة بضمير الحاكم • واذا أجاز ضمير الحاكم مخالفة النزاهة فى أمر هان عليه أن يجيز هذه المخالفة فى أمور ، بل أصبح هذا الضمير ولا ثقة للرأى العام به ، ولا اطمئنان للرأى العام اليه ، وأصبح الحاكم الذى شابت نزاهته الشوائب منظورا اليه على أنه قدير على مخالفة العدل والقانون كلما دعاه الى مخالفتهما هوى أو منفعة •

والواقع أن ولاية الحكم تقتضى صاحبها من مراقبة النفس ومحاسبة الضمير ومراعاة العدل والتقيد بالقانون ما يضيق به الأكثرون ولا يقدرون عليه اذا تركوا لأنفسهم ولم يكن عليهم رقيب من ضميرهم ومخافتهم الله • والرأى العام فى الأمم المؤمنة بسلطاتها هو الرقيب الحسيب ، وهو الذى يجعل من يخالف القانون أو العدل أو النزاهة عاجزا عن البقاء فى منصبه مضطرا لترك هذا المنصب لأول ما تقع منه هفوة من الهفوات • فقد علمت التجارب هذا الرأى العام أن الظلم الذى يعصف بطائفة من الأمة اليوم ، يعصف بالطائفة الأخرى غدا ، وأن قيام الحكم على أساس من محاباة الأنصار يفيد عددا محدودا من أبناء الشعب ، لكنه يضر بمجموع الشعب ضررا بليغا ، ويدفع هذا الشعب ، وله من الحيوية والوعى وقوة الادراك حظ عظيم ، الى التذمر والى الثورة •

أباحت التقاليد فى الولايات المتحدة الأمريكية ، أول عهدها بالاستقلال ، أن يجىء الحزب الذى يتولى الحكم — سواء أكان الحزب الجمهورى أم الحزب الديمقراطى — بأنصاره الى مناصب الدولة ويقصى خصومه عن هذه المناصب ، ولاحظ الرأى العام أن الأمور لا تسكن الى قرار ، بل تظل مضطربة على نحو يهدد المرافق العامة بأشد الأخطار ، وأيقن أن مرجع ذلك الى هذا التقلقل الحزبى المستمر ، فثار بهذا التقليد

وأصر على أن تكون لموظفى الدولة ضمانات تحميهم حين انتقال الحكم من حزب الى حزب ، وكذلك كان • واستقرت الأمور وسارت المرافق العامة فى طريقها السوى ، وتقدمت الدولة سراعا ، فأصبحت الولايات المتحدة أقوى دولة فى العالم ، وأشد الدول كفالة لحرية أبنائها ، وحرصا على تمتع كل فرد بحقه فى الحرية متاعا كاملا •

فأما الأمم التى يضعف رأيها عن محاسبة الحكم ، فتنبت فيهـــا طائفة الوصوليين والنفعيين الذين يجـرون لاهثين فى مواكب الحكام ، ليفيدوا لأنفسهم من المنافع العاجلة ما يؤذى سمعة الحكم ويفسد القائمين به ، ويصرفهم عن التعلق بالأمور العامة الى محاباة هؤلاء النفعيين الذين يظهرون لهم من التعلق بأشخاصهم ومن تمجيدهم ما يزدريه الرجل ذو الهمة ، وما تنتفخ له أوداج العاجز الضعيف الذى لا يملك من القدرة على الحكم الا الجعجعة الفارغة والكلام الأجوف • ولذا ترى سير هذه الأمم بطيئا رغم حيوية طائفة عظيمة من أبنائها وقدرتهم على العمل والانتاج • لكن هذه الحيوية وهذه القدرة تظلان كامنتين لأن هذه الطائفة وحدهـا لا تكون الرأى العام • والرأى العام القوى المستنير ، والذى يزدرى قطيع الهمل من المرتزقة ومن الجهال ، هو وحده الرقيب العتيد الذى يستطيع أن يبرز قبضة يده للظالم فيرده عن ظلمه ، وللمستبد الطاغية فيرده عن استبداده وعن طغيانه •



لم يقف أمر الكتاب الأسود وصاحبه عند الاستجواب والرد عليه وانتقال مجلس النواب الى جدول الأعمال ، بل رأى النحاس (باشا) فيما أقدم عليه مكرم (باشا) هرطقة وتجديفا لا يجوز معهما أن يبقى عضوا بمجلس النواب • لذلك تقدم الى المجلس طعن جاء فيه أن مكرم (باشا) قد اجترح بما صنع أمرا نكرا يتنافى مع كرامة النيابة عن الأمة ويجب لذلك فصله من مجلس النواب واسقاط صفة النيابة عنه • هنالك ذكرت الحديث الذى دار ، عقب حل مجلس النواب ، بين ابراهيم بك (الطـاهرى) ومكرم (باشا) ، وكان يومئـذ لا يزال وزير المالية والسكرتير العام للوفد ، وكيف رفض مكرم (باشا) ما طلبه الطاهرى (بك) من ترك الثلث من عدد مقاعد المجلس للمعارضة بحجة أن النحاس (باشـا) لا يرضى أن ينزل عن أكثر من الربع حتى تتوافر له جميع الأغلبيات الدستورية ، وبينها أغلبية فصل أعضاء المجلس الذين لا يرضى الوفد عنهم • فقد كان مكرم (باشا) أول من طبقت هذه القاعدة عليه ،

ففصل من عضوية المجلس ، ثم فصل معظم أنصاره من هذه العضوية ، جزاء لهم عن تأييده وعن نشر الكتاب الأسود ٠

ولم يقف أمر الكتاب الأسود وصاحبه عند فصل مكرم (باشا) وأكثر مؤيديه من عضوية البرلمان ٠ فبعد زمن رأى النحاس (باشا) ـ بدافع من نفسه أو من سواه ـ أن لمكرم (باشا) نشاطا ضارا لا يجوز معه أن يتمتع بحريته ، ولذلك أمر ، بوصفه السلطة القائمة على اجراء الأحكام العرفية ، باعتقاله كما أمر من قبل باعتقال على ماهر (باشا) ومحمد طاهر (باشا) وغيرهما من كبار المصريين ٠ وأرسل مكرم (باشا) الى معتقل السرو وظل معتقلا الى يوم ٧ أكتوبر سنة ١٩٤٤ ٠

وكان الأستاذ جلال الدين الحمامصي واحدا من كبار المؤيدين لمكرم عبيد باشا اثر انفصاله عن الوفد أو فصله منه ٠ وقد فصل من عضوية مجلس النواب بدعوى صغر السن ، بعد ما آثر الانضمام الى مكرم عبيد باشا ، وكان للأستاذ جلال الدين الحمامصي دوره الكبير فى اعداد وضع الكتاب الأسـود وقد جاء فيما كتبه جـلال الدين الحمامصي عن الكتاب الأسـود :

كان مولد فكرة الكتاب الأسود فى بداية الأحداث التى صدرت من السيدة زينب الوكيل ٠٠

ومن الذكريات التى لا تبرح ذهنى ، ذكرى اللحظات الأولى التى ولدت فيها فكرة « الكتاب الأسود » ، أو فكرة الوثيقة التى هزت أركان الفساد فى مصر ، ومهدت الطريق لحركة التطهير الشاملة التى أطاحت بالأحزاب السياسية ، ووضعت الأسس وأرست القواعد لبناء عهد جديد فى مصر ٠

لم تكن الفكرة عند مولدها فكرة كتاب ، بل كانت فكرة عريضـة مفصلة « ترفع » الى ملك مصر ، وكان الملك السابق فاروق يرقب هذا الفساد ويمهد لمحاربته ، أو هكذا على الأقل كنت أتصور الملك فى ختام عام ١٩٤٢ ، وفى خلال عام ١٩٤٣ ، يوم ولدت الفكرة ، ويوم كبرت ، حتى أصبحت كتابا ضخما طبع ووزع فى عهد الأحكام العرفية ، وفى خلال فترة من فترات الحرب الثانيـة كان الرئيس السـابق مصطفى النحاس يحكم فيها مسنودا الى حراب بريطانيا ، وتأييد بريطانى مطلق ؛ ولم أكن أتصور أن الملك سيصبح فى خلال عشر سنين واحدا من الذين دمغ عهدهم بمجلدات سود تطفح بالمخازى والفضائح واستغلال النفوذ حتى صار « الكتاب الأسود » الى جانبها ضئيلا هزيلا ٠

ومهما يكن من أمر هذا الانقلاب فى تفكير فاروق ، واتجاهـــاته والأسباب التى دفعت اليه ، حتى تحـول الى صـــورة شائنة من صــور الفساد ، فالذى لا شك فيه أنه كان فى عام ١٩٤٣ متحمسا لفكرة الكتاب الأسود تحمسا كبيرا وكان يتابع أنباء اعداده ، ويسأل عما تم طبعه ، وعن الاحتياطات التى اتخذت لمنع الحاكم العسكرى من افساد هذه الخطة ، حتى لقد قبل أن تودع صورة الكتاب وملحقاته من الوثائق فى احدى خزائن سراى عابدين الى أن يحدد موعد تقديمه اليه واذاعته على الناس ٠

هل كان الأمر كراهية للنحاس ولعهد النحاس ، أم انه كان صادقا فى نيته فى مهاجمة العهد لأنه اتسم بالفساد ، ولأنه يسىء الى سمعة الحكم اساءة لا تغتفر ، أم أن الملك السابق كان فاسدا كذلك ثم أراد التظاهر بالقضاء على فساد حكومته ليستر بذلك فساده ؟ الذى أستطيع أن أقوله على قدر ما أعرف هو أن تأييد فاروق للفكرة يرجع الى أنه كان لا يزال يعيش فى خريف حكمه الطيب ، وأن فكرة محاربة فساد الحكم كانت هى الغالبة على تفكيره ٠

ويذكر جلال الدين الحمامصى انه كان بسبيله الى رحلة خارجية ، فقطعها ليعرف ماذا كانت نتائج الكتاب الأسود :

ولم أشأ أن أتم رحلتى بل قطعتهـا وعدت الى مصر ، لأنى كنت اعتبر الكتاب الأسود عاملا له أثره وخطره فى سياسة مصر الداخلية ، وكنت أتوقع أن تظهر نتائجه ولو بعد حين ، وكنت أعتبر نفسى جزءا من هذه السياسة ، فقد كنت اشتركت فى وضع الكتـــاب الأســود ، وفى طبعه ، وفى تنظيم توزيعه ، بل وفى توزيعه بالفعل أيضا ، ثم اعتقلت بسببه ثمانية عشر شهرا عقب ذلك ، فلم يكن طبيعيا بعد هذا كله أن أرضى بأن يتحطم العمل العظيم على مذبح الأطماع الشخصية ٠

وعدت الى مصر وذهبت الى الاسكندرية لمقابلة الأستاذ مكرم عبيد ، وطرقت فورا هذا الموضوع الخطير ، وسألته كيف يقف هذا الموقف دون استشارة أحد من الذين ناصروه وضحوا معه ؟ ٠

وأجاب بأن هذا العمل يعتبر أحسن « أعماله » السياسية كلها ، لأنه ضرب به الملك ضربة لن ينساها ٠

قلت : « وماذا فعل الملك حتى تضربه هذه الضربة ؟ » ٠

قال : « ان الملك لم يعد يعنى بأمر الكتلة الوفدية عنايته السابقة ، وأنه أهملها ورفض أن ينصرها فى مناسبات كثيرة » ٠

وكان الملك فى بداية عهد الوزارات الائتلافية التى شكلها الدكتور

أحمد ماهر عقب اقالة حكومة الوفد في أكتوبر عام ١٩٤٤ يناصر « مكرم » وحزبه مناصرة واضحة مكشوفة على أساس أنهما كافحا ضد عهد النحاس ومهدا لاسقاطه ، وكان هذا التأييد في حد ذاته سببا في أن قدم الدكتور أحمد ماهر استقالته أكثر من مرة ، وكان مكرم يعتقد أنه خسر كثيرا من الدوائر الانتخابية بسبب تدخل الدكتور ماهر في سير الانتخابات ، وأنه لولا هذا التدخل لحصل على أغلبية ، وهذا غير صحيح ، وأغلب الظن أن مكرم كان يعلم أنه يغالط نفسه ، فقد كان حزبه ما زال حديث التكوين لم تكن لديه هذه العصبيات القديمة التي تكفل له عددا محترما من المقاعد ، والواقع أن مكرم كان لا يزال حتى ذلك الوقت يتخيل نفسه سكرتير الوفد القديم وكان يتحدث كما لو كان صاحب أغلبية سلبت منه ، بل كان من الصعب أن تنزع من ذهنه هذه الفكرة ، لتحل محلها فكرة « الجهاد الجديد » بعدد بسيط من النواب والشيوخ ٠

وكانت طلبات مكرم لا تنتهى ، وكانت السراى تحاول اجابة الكثير منها بقدر المستطاع حتى أحست انها أوشكت أن تغضب الأحزاب المشتركة في الوزارة وكانت السراى تحس الى جانب ذلك أنها خدمت مكرم وحزبه كثيرا ، وأن من حق الأحزاب الأخرى أن تنال حقها ٠

ومن هنــا بدأت الحكومة تقف في وجه مكرم ولا تجامله ، ويدأ الخصام ووجد مكرم ، أو خيــل اليه ، أن السبيل الوحيــد لضرب الملك ضربة « قاضية » هو أن يصالح النحاس أو يهادنه ٠

وكانت جريدة الكتلة في ذلك الوقت تحتل مكانا مرموقا بين صحف الصباح ، فما كاد مكرم يعلن عن سياسته الجديدة حتى انهارت أرقام توزيعها انهيارا وصل الى أربعة آلاف نسخة يوميا ، وكان هذا الانهيار هو المقياس لحساسية الرأى العام ، فقد كان يقبل على قراءة الكتلة لأن سياستها واضحة محددة معروفة ، فلما انهــارت هذه السياسة وبدأت تنتهج سياسة أخرى ، انصرف الجمهور عن قراءة جريدة الحزب ، ولم يقتنع مكرم بهذه النتائج المحسوسة الملموسة ، وتمسك بأن هذا الانهيار راجع الى ضعف في التحرير ، ومحاربة الحكومة للجريدة في التوزيع ٠٠ وهذا ما أستطيع أن أؤكد أنه غير صحيح ٠

قال مكرم موجها حديثه الى وهو يصف سياسته الجديدة ، « لقد كانت الهاما من السماء ، سترى أى أثر ستحدثه » ٠

وكنت أرجو لو أن مكرم خاصــم الجميع ووقف موقفــا يعلن فيــه الحرب على الجميع ، الحرب على المفسدين ، والحرب على سياسة السراى ، والأحزاب السياسية كلها ، ولست أعنى بالحرب « الهدم » بل الوقوف

الى جانب الشعب ، فيؤيد ما يستحق التأييد ويعارض ويهدم ما يستحق المعارضة والهدم ، ولو أن مكرم فعل ذلك ، وتحت يده جريدة يومية ناجحة ، لكان وضع حزبه فيما بعد غير الوضع الذى وصل اليه ، ولكانت الحسنات التى حققها هذا الحزب كافية لأن تجعله مع العهد الجديد الملاك الوحيد للقضاء على كل عناصر الفساد .

ولكنه لم يفعل ، لأن سياسة الأحزاب فى ذلك الوقت لم تكن تفكر فى العموميات بقدر ما كانت تفكر فى الخصوصيات ، ولم تكن الخصومات خصومات من أجل المصلحة العامة بقدر ما كانت من أجل المصالح الشخصية .

ومنذ ذلك التاريخ بدأت أنسحب من الكتلة تدريجيا ، ثم حاولت فى مجلة الأسبوع أن أحفظ لمكرم خط الرجعة ، فأعلنت « أن سياسة المهادنة التى رسمها مكرم بالنسبة للوفد والنحاس كانت تهدف الى فكرة سياسية ، وأن الواقع أن سياسة مكرم بالنسبة لزعيمه السابق ما زالت هى هى لم تتغير منذ فصل من الوفد وأصدر الكتاب الأسود .. » .

وثار مكرم ثورة عنيفة عندما قرأ هذا المقال ، ودعا الحزب الى الاجتماع ، وكانت الفكرة أنه يجب أن أصدر بيانا أكذب فيه كل ما نشرت فى هذا المقال ، وكنت أعرف هذا الاتجاه ، فلم أذهب الى الاجتماع ورفضت ما حمله الى رسل مكرم من اصدار هذا التكذيب ، وفى الساعة الواحدة من صباح هذا اليوم أصدر الحزب قرارا بفصلى لخروجى على مبادىء الكتلة ، ولكن على الرغم من هذا القرار لم أقطع علاقتى بمكرم ، لأنى كنت أعتقد أنه ما زال هناك أملى فى أن يعود الى سابق موقفه فيحارب الفساد فى كل صوره ومصادره ، سواء أكان منسوبا الى فاروق أو منسوبا الى النحاس أو منسوبا الى الأحزاب الأخرى ، لقد كنت آمل أن يعود مكرم الى موقفه السابق فيتحقق بذلك حزب مثالى للأمة ، وقد عاد مكرم فعلا ، ولكن كانت هذه العودة بعد أن طرد فاروق وبعد أن حلت الأحزاب وبعد أن أصبح الوضع القائم فى مصر غير الوضع القديم الكريه .

ولقد آثرت ان أدع للأستاذ جلال الدين الحمامصى هنا الفرصة لاعطاء صورة قلمية ممتازة للخلاف الذى نشب بينه وبين مكرم عبيد ولتبيان ما كان يتمتع به مكرم عبيد باشا من عصبية سياسية كانت تؤثر على بعض قراراته السياسية .

وأخيرا ــ عن الكتاب الأسود ــ يقول الأستاذ جلال الدين الحمامصى :

وقصة الكتاب الأسود تبدأ فى صيف عام ١٩٤٢ .

وكان مكرم يقضى الصيف فى الاسكندرية ، وكنت فى ذلك الوقت ممنوعا من العمل ، تركت عملى فى جريدة المصرى بخروج مكرم من الوفد ، وفصلت من مجلس النواب ، ولم يكن هناك مجال لأى عمل صحفى ، واجتمعت فى ليلة من ليالى الصيف بأحمد حسنين رئيس الديوان الملكى ، وتحدثت عن فضائح الحكم وكيف بدأت تتراكم حتى أصبحت بحيث يراها ويحسها الجميع الا الشعب ، فقد كان يشكو من الغلاء ، وقلة مواد التموين ، ولكنه مع ذلك لم يكن يشك فى أمانة الذين أحاطوا بمصطفى النحاس ويكذب الروايات التى تذكر عن ثراء الأقرباء والأنسباء على حساب قوته وقوت عياله ٠

وكان الانجليز يرقبون كل هذه الفضائح ، ويفركون أيديهم سرورا ، ذلك لأن هذا الفساد كان لا يعنى الا أن يزداد النحاس اندفاعا فى أحضانهم وفى استجابة رغباتهم ، وكلما حاولت السراى أن تلفت نظرهم الى هذه المخازى والفضائح كان ردهم الوحيد هو أنه فى أوقات الحروب تنسى مبادىء النزاهة والشرف ٠

وقال أحمد حسنين انه لا سبيل الى وقف هذا التيار ٠

وقلت : « بل يجب أن تسجل هذه المخازى فى وثيقة ترفع الى الملك » ٠

ورد بأنه لن تكون لها قيمة فى الوقت الحاضر ٠٠

وكان أحمد حسنين يعنى أن هذه الوثيقة أو العريضة سترفع الى الملك ثم لا يقوى الملك على تحريكها أو اثارتها ، ثم يكتفى الديوان الملكى بتحويلها الى الوزارة ٠

على أنه مع هذا لم يكن أمام المعارضة ، أو بعبارة أصح ، أمام الكتلة الوفدية الا هذا السبيل ، ثم اتفق على أن لا تقدم العريضة الا بعد أن يكون الجو مرضيا لعمل ما من جانب السراى ٠

وذهبت الى رأس البر ، وبحثت الفكرة مع مكرم ، فلم يتردد فى الموافقة عليها ، وبادر فى اليوم التالى الى شرفة عشته برأس البر ، ثم جلس يضع الأسس التى ستقوم عليها هذه العريضة ٠

وبدأ مكرم يكتب مقدمة العريضة ، فكانت قطعة من الأدب الرفيع وقد وضح فيها وضوحا لا شك فيه أن مكرم ما زال يحس نحو صديقه القديم بأحاسيس الألم لهذه القطيعة التى نجح خصوم مكرم والوفد معا فى احداثها ، والواقع أن مكرم لم يكن يتصور أن هذه القطيعة يمكن أن تحدث فى يوم من الأيام ولا زلت أذكر يوم جلست اليه فى منزله وكان

لا يزال وزيرا لمالية حكومة الوفد وكان الخلاف على أشده ، ثم طلب من مكرم أن يستقيل من الوزارة فرفض ، وكان مكرم في ثورة غضبه لا يتعرض للنحاس بكلمة واحدة ٠٠ ثم دق جرس التليفون وكان المتحدث رئيس تحرير الأهرام ٠٠ ونظرت الى وجه مكرم ٠٠ وهو يستمع الى ما يقرأ عليه ٠٠

كانت حركاته وقسمات وجهه تدل على أن شيئا ما قد حدث ، شيئا خطيرا أصاب قلب مكرم فحرك أحزانه ٠٠ لقد رأيت الدموع تتساقط من عينيه وكانت أول وآخر مرة رأيت فيها مكرم يبكى ٠٠

وعرفت عقب الحديث التليفونى مضمون ما كان يقرأه رئيس التحرير ، كان يقرأ دعوة موجهة الى الوزراء جميعا ، عدا وزير المالية ، للاجتماع في اليوم التالى بدار رئاسة الوزارة ٠

ولم تزد الكلمات التى نطق بها مكرم ممتزجة بالدموع عن : « كده يا نحاس » ٠٠

لقد كان مكرم ما زال يأمل في أن يتحرك قلب صديقه مصطفى النحاس وتتحرك فيه ذكرى الماضى ، ذكريات النفى والاضطهاد ، كان يحرص كل الحرص على أن يستخرج صورا من وثائقها لتدعم كل ما يكتب ويسجل ٠

ولكن هذا التوسع في سرد الفضائح كان سببا فيما وقع في الكتاب من بعض الأخطاء ، ولقد كانت فكرة أحمد حسنين الاكتفاء بالقليل منها حتى لا يكون ثمة سبيل الى أخذ حقائقها بأى مأخذ مهما قل شأنه ، ولكن مكرم لم يوافق على ذلك لأنه كان مطمئنا الى صحة كل ما يكتب ٠

وانتهى مكرم من اعداد الكتاب ، وانتهت المطبعة من طبعه ، وهنا طرأت لرئيس الكتلة الوفدية « فكرة » أن يطبع فهرست يسهل على القارىء الرجوع الى محتويات الكتاب ، ولقد كان مكرم دقيقا في عمله ، وأراد أن يكون الكتاب الأسود دقيقا ٠

وعارضت في هذه الفكرة بحجة أن طبع هذا الفهرست لن يتيسر بالمطبعة الموجودة عندنا لأسباب ذكرت فيها أننا لن نستطيع شراء كميات أخرى من الورق ، ولكن أحد الزملاء الذين كانوا يعلمون سر الكتاب تطوع فقال انه يستطيع أن يباشر تنفيذ هذه العملية في مطبعة مضمونة ومأمونة من غير رجوع الى الرقابة ، وان الفهرست يمكن كتابته بحيث لا يفهم منه أنه فهرست لكتاب أسود ، وقبل مكرم هذا الاقتراح لأنه كان مقتنعا

بضرورة هذا الفهرست ، ومتى اقتنع مكرم بفكرة يكون هو صاحبها ، فلا سبيل الى زحزحته عن هذا الرأى .

وطبع الفهرست فعلا ، ولكنه سقط فى يد البوليس .

وكانت الليلة التى ضبط فيها الفهرست ليلة ليلاء ، لم ينم فيها واحد ممن كانوا يعرفون السر ، لا خوفا من اجراءات الحاكم العسكرى وانما لأن هذا المجهود الجبار الذى ظل سرا مكتوما حوالى سبعة أشهر يوشك أن ينهار ويسقط غنيمة باردة فى يد مصطفى النحاس .. المتهم فى الكتاب .

وكان يجب اتخاذ اجراء سريع ..

واتصلت بأحمد حسنين ، واطلعته على هذه التطورات الخطيرة ، وكانت النسخة التى سترفع الى الملك مكتوبة بخط اليد فعلا ومعها حافظة بالوثائق الأصلية .

ورؤى فى تلك الليلة أن يحدد موعد تقديم العريضة بعد أيام .

وأن تودع العريضة بوثائقها فى احدى خزائن قصر عابدين ، وأن تسلم الى أحمد حسنين فى اليوم التالى ، ثم يتولى نقلها الى عابدين .

أما الكتاب فقد رؤى نقل ملازمه من الأماكن التى كان مبعثرا فيها الى مكان مأمون ، لتضم بعضها الى بعض ثم يغلف الكتاب فورا .

وأما التوزيع فقد وضعت خطة بحيث ترسل نسخ الكتاب فى « أقفاص الفاكهة » الى جهات القطر جميعها باسم أعضاء الكتلة ، وبداخل كل قفص تعليمات تقضى بألا تفتح النسخ الا فى يوم ٣١ مارس سنة ١٩٤٣ ، وهو اليوم الذى حدد من قبل لتقديم العريضة وتوزيع الكتاب .

وفى تلك الليلة تم نقل ملازم الكتاب الى شقة سيدة من قريبات مكرم فى مصر الجديدة تقع فوق شقق مكاتب يستخدمها الجيش الانجليزى ، وجمعت سيدات العائلة وكلفن بضم الملازم وتجليدها .

وفى اليوم التالى تسلمت العريضة المكتوبة بوثائقها ، ووضعتها فى سيارتى .. وظللت أسير فى شوارع القاهرة أربع ساعات متواليات حتى أيقنت ألا رقابة من البوليس ، واتجهت رأسا الى منزل أحمد حسنين فى « الدقى » وسلمته العريضة .

وكانت السيدات قد بدأن العمل فورا ، وكن لا يغادرن المنزل ، وقد قسمن الوقت فيما بينهن بحيث تعمل كل مجموعة ١٢ ساعة باستمرار .. !

وفى مساء ٣٠ مارس ١٩٤٣ كانت أقفاص الفاكهة قد سلمت الى جميع أعضاء الكتلة الوفدية فى جميع أنحاء القطر ، وفى القاهرة دعى عدد كبير من أعضاء الحزب واطلعوا على السر ، ثم وزعت عليهم قوائم بأسماء الذين سيسلم اليهم الكتاب ، وطلب منهم أن يتسلموا نسخهم فى منتصف الليل من مصر الجديدة ٠٠ على ألا يبيتوا فى منازلهم ٠٠ وأن يبدأوا التوزيع فى الساعة الثامنة صباحا ، وأن يتوجهوا بعد ذلك الى سراى عابدين لانتظار مكرم عند الظهر ٠

وفى الساعة السابعة صباحا غادر مكرم منزله الى مكان مجهول ، على أن يقابل اخوانه فى قصر عابدين فى الموعد المحدد لتسليم العريضة ظهر يوم ٣١ مارس ١٩٤٣ ٠

وتمت العملية ، تمت بسرعة وبدقة لم تكن متوقعة ، ولم تقع نسخة واحدة فى يد رجال البوليس ٠

وكان مجلس الوزراء مجتمعا فى ذلك اليوم ، وعلم النحاس بهذه العملية فلم يتكلم ، ولم يثر ، ولكنه استدعى مدير الأمن العام المرحوم محمود غزالى فلما حضر هجم عليه يوسعه ضربا ٠

وكان البوليس السرى لا يزال يدرس الفهرس الذى ضبطه ويحاول أن يفهم ما المقصود منه ، وعندما علم بنبأ الكتاب ٠٠ حل اللغز ، ولكن بعد فوات الأوان ، وبعد أن كان مكرم يغادر قصر عابدين ، مطمئنا الى توزيع الكتاب والى تقديم العريضة ٠

كانت هذه العملية أضخم عملية سرية تمت فى ظل الرقابة العسكرية ، وفى ظروف قاسية كانت الصحف فيها لا تجسر على أن تذكر اسم مكرم عبيد تلميحا أو تصريحا ٠

ولزمت الوزارة الصمت فى الفترة التى بدأت بتوزيع الكتاب ، وانتهت بهذا الخطاب المشهور الذى أحيلت به العريضة الى الوزارة ، وظنت انها بهذا الصمت تستطيع أن تقضى على الضجة التى أثارها الكتاب ، وكانت تظن أن السراى لن تجرؤ على تحويل العريضة اليها الا بالخطابات العادية التى لا تتضمن توجيها أو لوما أو طلبا ، اللهم الا مجرد العلم ٠

فلما تلقت العريضة مصحوبة بهذا الخطاب المشهور والذى جاء فيه أن العريضة تحوى اتهامات خطيرة عن نزاهة الوزارة وسمعة الحكم الوطنى وخاصة لأن مقدمها مكرم عبيد (باشا) كان وزيرا فى الوزارة الوفدية وكان وزيرا عدة مرات ونقيبا للمحامين عدة مرات وقد قدمها

بوصفه عضوا فى البرلمان ورئيسا للكتلة الوفدية المستقلة وأن له ماضيا طويلا فى العمل معكم وأن اتهامات كهذه لها خطورتها ، بدأت توعز الى نوابها بأن يتقدموا اليها بأسئلة تنطوى على ما فى هذا الكتاب ·· وتقدم النواب بالأسئلة ، ووقف الوزراء يردون بما يشاءون من الأكاذيب عليها ، وبهذا اتسع أثر العريضة وبدأ الناس يتداولون القصص ، ويتخاطفون الكتاب لقراءته سرا ومعرفة ما تضمن من فضائح وحقائق ·

وكان مكرم عبيد يرى أن هذا الكتاب يمكن أن يعيد ما كان بينه وبين النحاس ، حيث تأتى هذه الحقائق فتشجعه على مواجهة حرمه وأصهاره وأقاربه ، ومصارحتهم بأنه ليس هناك فوق الأرض من يقوى على الفصل بين مكرم والنحاس ·

ولكن مكرم كان رجلا طيب القلب ، لقد نسى أن القوة التى كانت تواجهه كانت قوة امرأة سلبت زوجها كل عاطفة نحو غيرها ، لتقصرها عليها وحدها ، وأن الحكمة القديمة التى تقول « لو أراد الشيطان أن يفصل بين صديقين أوجد بينهما امرأة » هى حكمة اليوم ، وحكمة كل يوم ·

ومع هذا وبعد أن خرج مكرم من الوزارة كان لا يزال يحن الى الرجل ويعطف عليه ويرثى له ·

أعود الى قصة الكتاب الأسود فأقول أن مكرم بدأ يكتب مقدمة العريضة ، وظل يكتبها بقية الصيف يغير فيها حرفا ويزيد فيها سطرا ، ويتمق فى رثائه لزعيمه وصديقه القديم ، فلما عاد الى القاهرة بعد أن انتهى الصيف كانت مقدمة العريضة هى كل ما كتب ··

وفى القاهرة بدأت الفضائح تتجمع ، وأخذ موظفو الحكومة يختلسون لحظات من ساعات الليل يجتمعون فيها بمكرم ويمدونه بالوثائق والمستندات والمعلومات ·

وبدأ مكرم المحامى يرى نفسه أمام قضية كبيرة ، قضية نزاهة الحكم ، فوضع قضايا مكتبه جانبا وبدأ يتفرغ لهذه القضية الكبرى ·

قال لى ذات ليلة : « ان العريضة تتسع ·· »

قلت : « فلتكن كتابا » ·

قال : « وما رأيك فى طبعه وتوزيعه فى نفس الوقت الذى يقدم فيه الى الملك » ؟

وكانت فكرة عظيمة رائعة ، ذلك لأن الرقابة المفروضة على الصحف

لم تكن لتجعل للعريضة أية قيمة ، الا اذا أمكن أن يقرأها الشعب ، وأن يسمع بها الجميع ، وهذا وحده هو السبيل لارغام الوزارة على الكلام ومواجهة الحقائق الصارخة التى يحملها الكتاب .

وكان علينا بعد هذه الخطوة أن نشترى المطبعة والورق وأن نختار عمالا يكتمون السر ..

قال : ان العملية ليست سهلة وليست هناك مطبعة عامة تقبل أن تطبع الكتاب قبل أن يعرض على الرقابة والبوليس وكل هذا معناه أن تتسع العملية وأن يشترك فيها عدد كبير .

ودرست فكرة طبع الكتاب على أساس أن يشترك فيه عدد كبير من مؤيدى الكتلة وأنصارها دون أن يعلموا أنهم يشتركون فى طبع « كتاب » لا تحبذه الرقابة .

فكان يكلف البعض بشراء الورق ، من غير أن يعلم « فيم يستعمل هذا الورق » ، ويكلف البعض الآخر بشراء المطبعة ـ من غير أن يعلم فيم تستعمل هذه المطبعة .. أما العمال فرأينا أن نختار ثلاثة يرضون بأن يظلوا بعيدين عن ذويهم فترة غير محدودة ، ويقبلون عن طيب خاطر الا يغادروا المكان الذى سيعملون فيه .

وتمت العملية فى فترة قصيرة وبدأ الطبع .

وكانت « الملازم » التى ينتهى طبعها تنقل فى فترات معينة من الليل الى جهات مجهولة لتحفظ فيها .. ولم تكن الكميات المطبوعة توضع فى مكان واحد ، بل كانت توزع فى أماكن متفرقة ، وكان مكان المطبعة يغير من وقت الى آخر ، يوما فى الدور العلوى من شقة مهجورة ، ويوما فى بدروم منزل من منازل السكاكينى ثم استقر بها المقام فى عزبة مجاورة لمعتقل الزيتون ، وأخيرا اتخذت مقامها بجوار آلة من آلات الرى تعمل ليلا ونهارا ليغطى صوتها على صوت المطبعة وهى تعمل دون انقطاع .

وكان تقديرنا فى البداية أن يكون الكتاب صغيرا ، ثم أخذ يتضخم أسبوعا بعد آخر بفضل ما كان يتلقاه مكرم يوما بعد يوم من فضائح .
ويقول الأستاذ جلال الدين الحمامصى :

وكانت السراى قد بدأت تفكر فى اتخاذ اجراء نحو الوزارة عقب تقديم الكتاب .

وبادر السفير البريطانى فاجتمع بالملك ليقول له انه ينبغى التجاوز عن مبادىء الأخلاق فى وقت الحروب . وفى وسط هذا الجو المسموم

استقال أحمد حسنين رئيس الديوان الملكى استقالة مسببة رفضها الملك بخطاب آخر .

وتقدم كيلرن بانذار حاسم « لاتغيير » ..

وفرح الوفديون بالانذار .. وبدأوا يحسون أن أيدى الانجليز وحرابهم ما زالت تسندهم ، فانقلبوا الى الهجوم ، وبادروا الى استصدار قرار بفصل مكرم عبيد من مجلس النواب لأنه كان أسوأ مثل كنائب كما سأبين فيما بعد .

وأعقب ذلك فتح أبواب المعتقلات لتضم الذين عملوا على اخراج الكتاب ، فاعتقلت فى ابريل ١٩٤٣ واعتقل مكرم بعد فصله من مجلس النواب .

هذا الكتاب الأسود كان أكبر حدث من الأحداث السياسية فى هذه الفترة من تاريخ مصر ، وقد وضح للعالم مدى ما ارتكبه المستعمرون فى حق مصر ، بالاصرار على أن تبقى فيها حكومة فاسدة مفسدة ، لأنه فى أوقات الحروب لا يصح اقامة أى اعتبار لأى مبدأ من مبادىء النزاهة والشرف !

لقد أدت المعارضة واجبها ، فأيدت الأحزاب الأخرى عريضة الكتلة الوفدية ، وفعلت السراى ما كان فى استطاعتها أن تفعله ، ولكنها تفادت محاصرة عابدين بالدبابات مرة أخرى ، فقد كان الانجليز دون شك على استعداد لأن يكرروا العملية الوقحة ثانية ، أما مجلس النواب فقد كان الموقف فى يده ، وكان يستطيع أن يلعب دورا هاما فى هذه الأحداث ، وأن يغير مجرى التاريخ ، كان فى الامكان أن ينقل الوفديون ، من أعضاء البرلمان ، الحكومة الى داخل الهيئة الوفدية ، وأن يناقشوا مصطفى النحاس رغم أنفه فى هذه الفضائح ، بل كان فى امكان أعضاء الوفد أن يضيقوا دائرة الحساب فيجعلوها قاصرة على أعضاء الوفد القلائل ، ولكنهم لم يفعلوا ، ومضت حرم مصطفى النحاس فى خطتها للثراء .

والواقع أنه كان مستحيلا على غالبية الوفديين أن يحاسبوا رئيسهم لأنهم كانوا أنفسهم فى حاجة الى من يحاسبهم ، ولم تكن « ...... » بغافلة عن هذا كله ، ولهذا سهلت للنواب الذين يريدون شيئا أن ينالوه . ولكن الذى لا شك فيه أنه كان بين أعضاء الهيئة الوفدية من لم تلوثه هذه الجرائم ، ولكنه لم يكن من الشجاعة بحيث يواجه جبروت الرئيس ، وابتسامات حرم الرئيس ، وهؤلاء لا يعفيهم الجبن من المسئولية ، وهم فى الواقع شركاء فى الجرائم التى وقعت .

ان محاضر جلسات مجلس النـواب التى سجلت مناقشات وقائع الكتاب الأســود ، وهى ملك التاريخ الآن ، حافلة بأســـوأ ما مرت به الحياة النيابية من أكاذيب وقرارات ، والذى يقرأ التاريخ الذى كشفت عنه محاكمات محكمة الثورة ، ويراجع محاضر مجلس النواب فى الفترة التى تلت صدور الكتاب الأسود ، وانتهت بطرد مكرم عبيد من مجلس النواب ، يحكم فورا بأن الحياة النيابية فى مصر ، فى الفترة التى حكمت فيهـا الأغلبية ، كانت صـورة فاضحة لمـا كانت عليه هذه اللعبة النيابية التى أضعفت فى الشعب روح المقاومة وجعلته يفكر فى ذاته قبل أن يفكر فى بلاده •

هكذا كان زعيم البلاد •••

وهكذا كان برلمان الأمة ••

وهكذا كان رجالات مصر ••

وكذلك كان الشعب يشهد كل ذلك صامتا ، راضيا ، بل كان ينقد بشـدة أولئك الذين يحـاولون أن يكتشفوا الأسرار ، بحجة أن التعرض للسـيدات لا يتفق مع العرف والتقاليـد ، ومعنى ذلك أنه لا ضـير أن تضيع سمعة الحكم ونزاهة الحكام فى سبيل أن نبقى على عرف سخيف أو تقليد قديم •• وهو ألا نتعرض لسيدة انتقل اليها حكم البلاد ، وفتحت لها خزائن الدولة لتغترف منها ما تشاء •

وهذا ما حدث فعلا ••

بل حدث أخطر من هذا ، حدث أن أصبح البرلمان يسير بوحى من الانجليز ، فقد أحست الوزارة أن أحمـد حسنين وراء الكتاب الأسود وأنه كان أحد العاملين على اصداره وتوزيعه ، فبدأت تهاجمه ، وتوعز الى بعض النواب ان يتقدموا بأسئلة ليلوثوا بها سمعة الرجل •

وغضب الأستاذ فكرى أباظة من هذا الاتجاه ، وأنذر النواب بأنهم يشعلون نارا لابد أن تصليهم ويصيبهم شيئا من لظاها ، ورفض رئيس المجلس الأستاذ عبد السلام جمعة السماح للأستاذ فكرى أباظة أن يستمر فى هذا الكلام ، وانتهى الأمر باخراجه من المجلس بالقوة •

وسمع الانجليز بهذا الذى يثار فى مجلس النواب ، وعلموا أن الملك يوشك أن يحمى رئيس ديوانه باتخاذ قرار حاسم ، فذهب ســير والتر سمارت ، السكرتير الشرقى بالسفارة البريطانية ، الى مجلس النــواب ، وأرسل يستدعى الأستاذ عبد السلام جمعة ، ثم نبهه الى الخطر الذى يترتب على استمرار المجلس فى محاولة تلويث سمعة رئيس ديوان الملك •

وعاد الأستاذ عبد السلام جمعة الى قاعة المجلس ، وطلب من النواب أن يستمعوا اليه .

وصمت المجلس وساد السكون ..

وانطلق الأستاذ عبد السلام جمعة بصـــوته الجهـــورى يقول : « حضرات النواب المحترمين ، عنت لى فكرة .. هى أن توافقوا حضراتكم على رفـع كل ما دار من مناقشـــة حول رئيس ديوان الملك من محضر الجلسة » .

وصمت المجلس مـرة أخـــرى ، ولكن حضـرات النواب قالوا بعد لحظات : « موافقون .. موافقون » .

ومرت الأزمة ، ولكن بعد أن جرحت الحياة النيابية فى الصميم ، اذ لم يسبق أن دخل أحد ممثلى الاستعمار الى دار النيابة .. دار الشعب ـ ليشير على رئيس النواب باتخاذ اجراء معين ..

ولقد خضع رئيس النواب ..

وخضع النواب لرغبات الانجليز .

وكان فى استطاعة النواب أن يطلبوا تأليف لجنة للتحقيق ، ولكنهم جبنوا ولم يفعلوا ..

وكانوا يستطيعون أن يطلبوا من النحاس احـــالة مكرم بعد رفع الحصانة البرلمانية عنه الى النيابة لتحقيق هذه الوقائع ومحاكمته ، ما دامت هـذه الوقائع التى تضمنها الكتاب الأســود كاذبة كلها ، ولكنهم جبنوا ولم يفعلوا ..

وكان أعضـاء الوفد يستطيعون أن يناقشـــوا النحاس فى هذه الوقائع ، وأن يطلبوا منه أن يزيح السيدة زينب الوكيل من ميدان الاتجار بقوت الشعب ، وأن يمنعها من التدخل فى شئون الحكم ، ولكنهم جبنوا وخشوا أن يفصلوا من عضوية الوفد ، فيضيع نفوذهم وتضيع الفرص فى الثراء السريع .. !

لقد كانوا يعلمون قوة تأثير السيدة زينب الوكيل على رئيســـهم ، وكانوا يعرفون أن كل محاولة من هذا القبيل لن تنجح ، ومن ثم آثـروا السكوت ، ورضوا بالذلة والهوان حتى لا يفقدوا عضوية الوفد ، وتناسوا أن المضى فى هذه السياسة الفاسدة لابد أن ينتهى بهم جميعا الى أســـوأ نهـــاية .

وقد حدث .. وأصبحوا بعد قيام الثورة ساسة قدماء لا قيمة لهم

ولا وزن ، فى عهد قام للقضاء على الفساد بكل أنواعه ، وحل الوفد ٠٠ الحزب الذى كان يمثل الأمة والشعب ، لأنه لم يكن حزبا جديرا بالبقاء ، ولأن أعضاءه أبوا أن يجعلوه قويا ٠٠ هؤلاء الأعضاء خرج منهم فيما بعد الأستاذ أحمد نجيب الهلالى ليصبح رئيسا للوزراء وليقود لجان التطهير ضد فساد الحكم ٠٠ ترى ماذا كان يمكن أن يكون عليه حال الوفد لو أن الأستاذ نجيب الهلالى وغيره من أعضـــاء الوفد ضربوا ضربتهم الكبرى فى عام ١٩٤٢ وأيدوا مكرم فى دفاعه عن نزاهة الحكم ومهاجمة الفساد الذى تغلغل فيه ٠

ولكنهم تأخروا ٠٠ تأخروا عشر سنوات ٠٠ وكان نزولهم الى الميدان بعد فوات الأوان » ٠

وكما قلت من قبل ، فقد بادرت الوزارة الوفدية فأوعزت الى نوابها بأن يوجهوا الى الوزراء أسئلة معينة تدور حول ما جاء فى الكتاب الأسود من اتهامات ، ووقف الوزراء فى المجلس يجيبون على هذه الأسئلة اجابات كانت تقابل بالتصفيق الحاد ، ثم يتقدم النائب السائل فيعلق على الاجابة بتعليق يكشف فيه عن الرضاء الكامل بهذه الاجابة التى أكدت « نزاهة الحكم الوفدى » ٠

وهكذا مضت التمثيلية فى طريقها ، وأفسحت الصحف صفحاتهـا للأسئلة والأجوبة دون أن يكون لصاحب الكتاب الأسود أى حق فى الرد أو التوضيح ٠ ولمـا كانت الأسئلة فى مجلس النواب من حق السـائل والمسئول فقط ، فلم يكن فى استطاعة مكرم أو أى عضو من أعضاء الكتلة الوفدية أن يتكلم أو يتدخل فيما هو من حق السائل والمسئول وحدهما ٠

ووجـد مكرم أن الوضع يتطلب أن يتقـدم الى الميـدان باستجواب مفصـــل ٠

واستعدت الحكومة ونوابهـا ، لا لمناقشة الاستجواب فحسب ، بل اتخاذ الاجراء الأخير بالنسبة لمكرم بعد أن فصل من الوزارة وسكرتيرية الوفد ، وعضوية الحزب ٠٠٠ وهذا الاجراء هو الفصل من عضوية مجلس النـــواب ٠٠

وبنفس الأسلوب الذى ردت به حكومة الوفد على أسئلة النواب ، نوقش اسـتجواب مـكرم ٠ ثم اجتمع المجلس فى ٢٣ مايو عام ١٩٤٣ وأصدر قرارا أشار فيه الى أنه يعتبر مكرم عبيد أسوأ مثل للنائب منذ قامت في البلاد الحياة النيابية سنة ١٩٢٤ ، وجاء فى هذا القرار :

بعد سماع ما ألقاه حضرة المستجوب عرضا وتعليقا على الموضوعات التى أثارها فى استجوابه المبنى على كتابه الأسود .

وبعد سماع الردود والاجابات التى أدلى بهـا حضرات الوزراء عامة وحضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا خاصة : شرحا وتعليقا وبيـانا وتحـديدا لمـا ورد على لســان المستجوب فى استجوابه وعلى كلام المستجوب فى كتابه .

وبعد الاطلاع على المستندات والمكاتبــات والوثائق الخاصة بهذه الموضوعات التى سبق أن سارعت الحكومة الى ايداعها مكتب المجلس حتى يطلع عليها من يشاء .

يسجل المجلس ما تبين له من الحقائق والملاحظات الآتية :

أولا ــ أن الحكومة قد سارعت الى مناقشة الاستجواب فورا بمجرد تقديمه ، وكان رفعة رئيس الحكومة قد صرح قبل ذلك فى المجلسين عقب أن أبلغت اليه العريضة من ديوان جلالة الملك أى منذ أكثر من شــهر ، بأن الوزارة ترحب بكل سؤال أو استجواب يوجه اليها عن أى موضوع وارد فى العريضة وفى ذلك الكتاب ، وانهــا مستعدة للادلاء بالبيانات القاطعة الحاسمة المؤيدة بالأدلة والمستندات ، بل زاد رفعته على ذلك بأن دعا المعارضين والانصار على السواء أن يدخلوا هذا الباب الذى فتحه لهم على مصراعيه ، رغبة منه فى تنقية الجو فى أقرب وقت مستطاع ــ ومنذ ذلك الوقت أجابت الحكومة على ما يقرب من أربعين سؤالا ومع ذلك فقد ظل مكرم باشا ناكلا عن أداء واجبه البرلمانى فى ميدانه الأصلى ، وأخيرا ، وبعد أساليب عدة استجمع مكرم باشــا كل قوته وشــجاعته فتقدم باستجوابه بعد مطاولة ومماطلة ، وتلكؤ ظاهر وتردد عجيب ، شأن كل من يشعر بحرج مركزه وفساد قضيته وضعف حجته .

ثانيا ــ ان مكرم باشــا قد التجأ « مع الأسف الشــديد » فى استجوابه وفى عريضته وفى كتابه الأسود الى الزراية بالحكومة الشعبية الوطنية وتجريحها بصفة عامة ورفعة رئيسها زعيم البلاد بصفة خاصة ــ تجريحـا باغيا ظالما ، مستخدما فى سبيل ذلك سـلاحين كلاهما شر من الآخر ، وهما سلاح الاختلاق ، وسلاح المسخ والتشويه .

ثالثا ــ ان الحكومة قد وضعت الأمور فى نصابهـا فكشفت عن وجوه الزيف والفســاد فى شتى الدعاوى ، وبسطت الوقائع الصحيحة مؤيدة بالمستندات الحاسمة ، التى تثبت اثباتا قاطعا ســلامة تصرفاتها واستقامة نهجها فى معالجة الشئون العامة والخاصة .

رابعا ـ ان مكرم عبيد باشا الذى أصـــبح يتهجم على زعيمه وعلى الوزارة الحاضرة فى جرأة معدومة النظير ، لم يترك زعيمه ولم يستقل من الوزارة بمحض اختياره ، بل انه ظل حريصا الحرص كله على البقاء فيها والدفاع عنها الى آخر وقت حتى أخرج منها اخراجا وأقصى عنها اقصاء ، وآية ذلك انه وقف فى المجلس فى ١٩ مايو ١٩٤٢ أى قبـــل فصله من الوزارة بأيام وصرح فى جرأة وثبات وعقيدة وحماسة ظاهرة : « ان مسلك كل وزير فى هذه الوزارة انما يرتكز على النزاهة المطلقة » • فهل كان فى ذلك صادقا أو كاذبا وهو فى هذه الساحة الرسمية المقدسة ؟ ان المجلس ليسجل أسفه اذ يرى رجلا قد تنكر لماضيه ، وتناقض حتى مع نفسه ، فسولت له أهواؤه أن ينقلب من النقيض الى النقيض ، ولا شك أن هذا مسلك أقل ما يقال فيه انه يتنافى مع الصدق والنزاهة والأمانة ، وصحة الحكم على الناس والأشياء •

ان الكتاب الأسود لم يكن صالحا للعرض على البرلمان طبقـا لأحكام الدستور واللائحة والتقاليد البرلمانيـة ، فاضطر صاحبـــه الى تعديله وتهذيبه حتى يصلح للظهور بشكل استجواب يطرح على المجلس ، وهو بالتالى لم يكن يصلح لأن يرفع الى مقام صاحب الجلالة الملك تحت اســم عريضة ، لأنه فضلا عن كونه مليئا بالألفاظ النابية الجارحة التى لا يليق أن ترفع الى مقام الملك ، فانه قد انطوى على أمور مكذوبة أو مشوهة وما كان يليق أن يرفع الى جلالة الملك الا الصـــادق من البيانات والصـــحيح من المعلومات والسليم من كل تحريف وتزييف •

ولهذا كله يقرر المجلس القرارات الآتية :

أولا ـ يستنكر المجلس استنكارا شـديدا المسلك الشـائن الذى سلكه مكرم عبيد باشا سواء أكان ذلك فى طريقة تسويده كتابه وتلفيق ما فيه ، أم فى طريقة نشره بدل تقديم استجواب مهذب الى البرلمان الذى هو الجهة المختصة ما دام الأمـر بين نائب والوزارة • وما دام النظـــام البرلمانى قائما فى البلاد وما دامت المسئولية الوزارية الصحيحة قائمـة على أساس من الدستور : **ويعتبر المجلس أن مكرم عبيد باشا أسوأ مثال للنائب منذ قامت فى البلاد الحياة النيابية** سنة ١٩٢٤ : ذلك لأن الواجب الأول على كل نائب ألا يتحرك فى الشئون العامة الا والصدق المطلق رائده ، وخـدمة المصلحة العامة وحـدها قائده ، فلا يستسلم للأحقـــاد تغله ، ولا لشهوة الانتقام تسيره ، فيعتدى طائشا على الأبريـاء ، ويلوث عابثـا الأمناء ، شفاء للغل والحزازات الشخصية على حساب سمعة البـــلاد ، ومصلحتها العليا •

ثانيـا ـ يستهجن المجلس التهمتين الطائشتين اللتين جعلهما مكرم باشا محور دعايته ، وغاية القصد من استجوابه ، وهما تهمة استغلال النفوذ ، وتهمة عدم نزاهة الحكم ، وما فرعه عليهما من جميع التهم الأخرى الواردة فى الاستجواب أو العريضة أو الكتاب الأسود .

ويقرر المجلس عدم صحة هذه التهم جميعها .

ثالثا ـ يعلن المجلس من جديد ثقته التامة بحضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا رئيس مجلس الوزراء وحضرات أصحاب المعالى الوزراء ، هيئة وأفرادا .

كما يعلن المجلس أسفه الشديد لما نالهم على يد مكرم عبيد باشا من بغى ظالم وتجن أثيم وهم خدام الشعب المخلصون .

وهكذا ظن مجلس النواب انه بهذا القرار قد « مسح » كل التهم التى وجهت الى حكومة الوفد ، .. بل انه حرص على أن يمسح عن « أعضائه » التهم الموجهة اليهم فختم قراره بأن ألبسوا أنفسهم وسام الشرف اذا قالوا انهم هم خدام الشعب المخلصون والوطنيون الأمناء الصادقون .

ومضت الأيام ..

والنحاس يفكر فى الخطوة التالية ، الخطوة التى تريحه من رؤية مكرم فى الميدان السياسى ...

واجتمع مجلس النواب فى ١٢ يونيو من نفس العام وقرر فصل مكرم من عضوية المجلس ...

فقد تكلم رئيس المجلس فى بداية الجلسة فقال :

بعد أن صدر قرار ٢٣ مايو الماضى الذى فصل فى استجواب مكرم باشا وما تضمنه كتابه الأسود كان لزاما على مكتب المجلس أن ينظر فى أمره على ضوء هذا القرار فعقد ثلاث جلسات وتباحث فى القرار من جميع النواحى طبقا لروح الدستور وما تقتضيه صيانة الحياة النيابية من العبث ، والمحافظة على كرامة العضوية ، تلك الكرامة التى تأبى الاساءة الى سمعة البلاد ومصالحها العليا بسوء قصد وبغير وجه حق ، وانتهى الأمر بالمكتب الى اتخاذ قرار باقتراح يقضى بفصل حضرة النائب المحترم مكرم عبيد باشا نائب قنا من عضوية المجلس وها هو ذا القرار سيعرضه النائب المحترم عمر عمر وكيل المجلس على حضراتكم . ..

حضرة النائب المحترم عمر عمر ــ أتلو على حضراتكم نص الاقتــراح الذى وضعه مكتب المجلس لتصدروا ما ترونه بشأنه وهو :

« بما أن المجلس قد سجل فى قراره الذى أصدره بتاريخ ٢٣ مايو سنة ١٩٤٣ على حضرة النائب المحترم مكرم عبيد باشا انه سلك مسلكا يتنافى مع الصدق والنزاهة والأمانة وصحة الحكم على الناس والأشياء ، والتجأ الى سلاح الاختلاق ومسخ الوقائع وتشويهها •

وبما أن المجلس قد قرر استنكاره الشديد لهذا المســلك الشائن واعتبر أن مكرم عبيد باشا أسوأ ممثل للنائب منذ قامت فى البلاد الحيــاة النيابية فى سنة ١٩٢٤ اذ استسلم للأحقاد وشهوة الانتقام واعتدى على سمعة الأبرياء على حساب سمعة البلاد ومصلحتها العليا •

وبما انه كان منتظرا بعد هذا القرار أن يفكر مكرم عبيد باشا فى المعانى التى تستخلص واهمها أن وجوده بالمجلس أصبح وضــــعا غــير طبيعى لكنه لزم الصمت فوجب أن يتخذ المجلس قرارا فى هذا الشأن وأن يعرض مكتب المجلس عليه وجهة نظره فى الأمر •

وبما أن مكرم عبيد باشا لم يصبح بعد قرار ٢٣ مايو سنة ١٩٤٣ جــديرا بشرف النيـــابة عن الأمة ويتعين فصله من عضـــوية المجلس بالتطبيق للمادة ١١٢ من الدستور •

لذلك

يقترح المكتب على هيئة المجلس فصل نائب قنا مكرم عبيد باشـــا من عضـــويته •

الرئيس ــ أسفر أخذ الرأى عن الموافقـــة على فصل سعادة مكرم عبيد باشا من عضوية المجلس بأغلبية ٢٠٨ أصوات ضد ١٧ صوتا •

وبما أن العــدد الواجب توافــره هو ثلاثة أرباع المجلس أى ١٩٨ صوتا ، وقد زادت عن هذا العدد ، فيقرر المجلس فصـــل حضرة نائب قنا مكرم عبيد باشا ويعلن خلو الدائرة •



أما الخطوة التالية والأخيرة ، فقد كانت اعتقال مكرم عبيد فى السرو - بالقرب من مدينة المنصورة - حيث انضمت اليه السيدة قرينته ...

ومن الواضح أن معركة الكتاب الأسود كانت أشد معارك نزاهة الحكم عنفا ، اذ امتلأت المعتقلات بالذين اشتركوا فى وضع أو توزيع هذا الكتاب . بل كان مجرد ذكر اسم الكتاب فى أى حديث بين اثنين كافيا لأن يدفعهما الى المعتقل . كان الارهاب الوفدى بالغ العنف بحيث بدأ الشعب يحس بمدى الجريمة التى يرتكبها هذا الحزب السياسى الكبير ... ومن الطبيعى أن يحس الشعب بهذه المرارة وهو يشهد مصرع مثله الحزبية العليا ، ويراها وهى تنهار أمامه مثلا بعد الأخر !!

البـاب الثـامن

الفصل الأول

● حرب الصحراء الغربية من الألف الى الياء

● ● كان مصير العالم كله محددا بمعركة العلمين فى مصر ٠

● ● عندما كان بعض المصريين يهربون من مصر والقيادة البريطانية العليا تعد لاغراق الدلتا فى مواجهة روميل :

كانت القوات الايطالية فى عام ١٩٤٠ بقيادة المارشال جرازيانى قد بدأت الزحف على الحدود المصرية ٠ احتلت ـ أولا ـ السلوم ، ثم بقبق كما احتلت سيدى برانى وقد توقف الزحف فى سيدى برانى لأن القوات الايطالية ـ وقد اجتازت ٨٨ كيلومترا داخل الحدود المصرية ـ رأت أن تتحصن وتسترد أنفاسها ولكن الجنرال ويفيل فى ديسمبر من نفس السنة (عام ١٩٤٠) كان قد هاجم الجيش الايطالى واستولى على سيدى برانى واستولى على ألوف من الأسرى الايطاليين وكميات كبيرة من الأسلحة ثم تابع انتصاراته فاجتاز بقبق والسلوم واحتلت قواته حصن كابوتزو الحصين ثم استمرت القوات البريطانية مع بداية عام ١٩٤١ ـ على ما يقول أستاذنا عبد الرحمن الرافعى ـ فى تحقيق انتصاراتها فاستولت على البردية وأسرت نحو عشرة آلاف جندى ايطالى واستولت على غنائم كثيرة وواصلت زحفها فى ولاية برقة الى أن اخترقت استحكامات طبرق فاحتلتها بعد حصار دام سبعة عشر يوما ٠

وفى يناير ١٩٤١ احتلت القوات البريطانية درنة ، وفى فبراير احتلت بنى غازى عاصمة برقة وأكبر مدنها وتبلغ المسافة بين سيدى برانى وبنى غازى نحو ٨٤٠ كيلومترا ثم استولت القوات البريطانية ـ فى مارس ـ على جغبوب ، وتمت اقالة القائد الايطالى جرازيانى وتلقى الايطاليون مددا من الألمان وتولى الجنرال روميل ـ الذى لقب فيما بعد

بثعلب الصحراء ـ قيادة قوات المحور وقد تمكن روميـــل من اســترداد بنى غازى ومعظم ولاية طبرق (عدا طبرق) ٠

وفى ١٨ نوفمبر ١٩٤١ بدأ الهجوم البريطانى الثانى بقيادة الجنرال أوكلنك الذى خلف الجنرال ويفيل ، أى أن الايطاليين والألمان غيروا قيادتهم كما أن الحلفاء غيروا أيضا قيادتهم كما أن كلا من الألمان والايطاليين من ناحيـــة قد دعموا المعركة بأقصى ما لديهم من قوة وعتـاد وكذلك الحلفاء ضاعفوا من دعمهم لقواتهم ، وقد كر البريطانيون على الألمان والايطاليين واحتلوا بنى غازى ثم جاء هجوم جديد قام به روميل أجبر البريطانيين على اخلاء بنى غازى فى يناير ١٩٤٢ وبدأ روميل يستعد للزحف شرقا ففى ٢٦ مايو ١٩٤٢ بدأ هجومه على قوات الجيش البريطانى الثامن بقيادة الجنرال ريتشى ودارت معارك طاحنة انتهت باستيلاء قوات المحور ـ المكونة من الايطاليين والألمان ـ على بئر الحليم التى تقع على بعد ٢٥ ميلا جنوبى طبرق وكانت بئر الحليم يدافع عنها الفرنسيون الأحرار ولقد انسحب ريتشى من جسر الفرسان فى ٢٦ يونيو ١٩٤٢ وكذلك من الغزالة ٠

وفى ٢١ يونيو ١٩٤٢ سقطت طبرق فى أيدى قوات المحور ، وأسرت قوات المحور فى طبرق نحو ثلاثين ألف جندى من البريطانيين ومن جنود جنوب افريقية واستولوا على كميات كبيرة من المعـــدات والذخائر وتولى الجنرال كلود أوكلنك قيادة الجيش الثامن بدلا من الجنرال ريتشى ومنحت ألمانيا الجنرال روميل رتبة فيلد مارشال ودخلت قوات المارشال روميـــل الحدود المصرية واستولت على مرسى مطروح ثم فوكه ، والضبعة وتوقفت القوات البريطانية عند العلمين التى تبعد أربعة كيلومترات عن ســـاحل البحر ومنخفض القطارة الذى تبلغ مساحته ١٩٫٥٠٠ كيلومتر مربع أى ما يقـــارب مساحة الوجه البحرى والبحـيرات ، ويبلغ عمقـه ٦٠ مترا ولا تستطيع الجيوش أن تمر منه فهو سد منيع فى وجه أى زاحف على مصر من الغرب ، والعلمين أشبه ما تكون بعنق زجاجة تجعل الدفاع ســهلا ، والهجوم صعبا ٠ وكانت أولى معارك الصحراء الكبرى بين القوات البريطانية وبين قوات المحور فى أول يوليو ١٩٤٢ ونجح الجيش البريطانى فى وقف الهجوم الألمانى فى ٦ يوليو وانسحبت قوات المحور من مراكزها الامامية فى العلمين ولكن روميل عاود الهجوم فى أواخر أغسطس ١٩٤٢ وأوائل سبتمبر وكان هجومه قد بدأ من الساحة الجنوبية من ميدان القتال ولكن هجومه لم ينجح بل أكثر من ذلك ارتد جيش المحور عن بعض مواقعه ٠

وكانت القوات البريطانية ومركزها حرج للغـــاية ، قد فكرت فى الانسحاب من ميدان العلمين الى الطريق الممتد بين الاسكندرية والقاهرة ، واتخـــذت الاستعدادات لهذا الانسحاب ، ولكن فى أغسطس ١٩٤٢ عين

الجنرال مونتجمرى قائدا للجيش الثامن والجنرال السير هارولد الكسندر قائدا عاما للقوات البريطانية فى الشرق الأوسط خلفا للجنرال أوكلنك .. كان هـذا يجرى فى جبهة القتـال فما الذى كان يجرى فى القاهرة والاسكندرية ، ولندن ، والوضع هكذا حرج للغاية ؟

كان تشرشل رئيس الوزارة البريطانية قد زار مصر بصفة سرية فى ٣ أغسطس ١٩٤٢ وقابل مصطفى النحاس باشا رئيس مجلس الوزراء سرا ، وقابل الملك فاروق سرا ولم يعلم النحاس أن تشرشل قابل الملك فاروق كما لم يعلم فاروق أن تشرشل قابل النحاس ٠

وزار تشرشل قيادة الجيش البريطانى الثامن فى ١٩ أغسطس ١٩٤٢ عقب عودته من موسكو ـ عن طريق القاهرة ـ ولقد سبق لى أن أشرت فى الجزء الثالث من هذا الكتاب ـ نقلا عن د٠ محمد حسين هيكل ـ بعد أن انتقلت القوات الألمانية من السـلوم الى مرسى مطروح ، وجعلت تطهر ما حولها من كل أثر للقوات البريطانية أو المصرية راح كثير من المصريين والأجانب الذين يقيمون بمصر يفكرون فى المصير الذى ينتظرهم اذا دخلت القوات الألمانية البـلاد ، فمن المصريين من كانوا يتشيعون تشيعا ظاهرا للانجليز وحلفائهم ومن كانوا يقـدرون أنهم يلاقون حتفهم اذا ظفرت القوات الألمانية بهم ٠ فأما الأجانب أصحاب الأموال وأما اليهود خاصة فقد كانوا أشد جزعا وأكثر تفكيرا فى المصير المحتوم الذى قدر لهم وظن بعض المصريين أنهم قد يجدون فى السودان ملجأ اذا حزب الأمـر ، بل لقـد سافر بعضهم الى أقصى الوجه القبلى رغم تقدم الجو الى قيظ الصيف المحرق ، وفكر الأجانب وفكر اليهود فى التخلص من أموالهم بايداعها عند أصدقائهم المصريين أو بالنزول عنها بأبخس الأثمان ٠

وفكر الرسميون من رجال السفارة البريطانية فى القاهرة فيما يجب عليهم عمله فأحرقوا أوراقهم الرسمية حتى لا يقع الألمان عليها ويفيدوا مما تحويه من أسرار سياسية وعسكرية ٠ وقد جاء عن لسان اسماعيل صدقى باشا أنه علم بوصفه رئيسا لاحدى شركات البترول أن الانجليز يعتزمون الهاب النار بآبار البترول الموجودة بمصر اذا اضطرهم الألمان للانسحاب منها وان مثل هذا العمل ان تم فسيصيب الاقتصاد المصرى بكارثة فادحة لا يسهل الى عشرات السنين تعويضها ٠

ويقول سير مايلز لامبسون السفير البريطانى فى القاهرة انه فى ٨ يوليو ١٩٤٢ قابل الملك فاروق فى قصر عابدين ٠ وكم كانت دهشتى ـ لامبسون ـ للتغيير الذى طرأ عليه واعتقد ـ لامبسون ـ أن اقتراب الألمـان من أبـواب مصر قد رفع روحـه المعنـوية وجعله يدرك معنى ذلك

بالنسبة له ، ولنا على أية حال ، فان مظهره وتصرفاته كانت شيئا مختلفا تماما مما عهدته فيه •

وكان قائد منطقة القاهرة العسكرية قد أرسل خطابا الى وزير الدفاع يسأله عما يجب عمله في حالة دخول الألمان الاسكندرية ، ولم يرد وزير الدفاع لأن الحكومة المصرية لم تكن بعد قد حددت موقفها من هذا الموضوع •

وقد اجتمع مجلس الوزراء المصرى برئاسة النحاس وبحث الموقف ، وقدر احتمالات المستقبل • وقرر تكليف الأستاذ نجيب الهلالى كتابة خطاب الى روميل • ويقول الأستاذ التابعى ان الهلالى قد كتب الخطاب ولعله موجود اليوم فى سجلات رئاسة مجلس الوزراء ، وكانت خلاصة الخطاب ـ التابعى ـ التى استقاها من مصادر موثوق بها ، أن مصر دولة غير محاربة وأن الاجراءات العسكرية التى اتخذتها السلطات البريطانية قد تمت كرها وعلى غير رغبة من الحكومة المصرية ، وان مصر حكومة وشعبا تحب السلام ، وتتمسك به ، وانها ـ مصر ـ قد اتخذت الآن جميع الاجراءات لحفظ الأمن والحيلولة دون وقوع أية اضطرابات ، هذا وقد فوض مجلس الوزراء المهندس عثمان محرم باشا بوصفه أقدم الوزراء مهمة الاتصال بعبد الخالق حسونة باشا محافظ الاسكندرية وأنه ـ عثمان محرم باشا ـ قد أجرى هذا الاتصال فعلا وكانت المشكلة كيف يستطيع عبد الخالق حسونة باشا أن يقوم بتوصيل الخطاب ـ فعلا ـ الى روميل ؟! .

وتأكيدا لما ذكر من أن كبار المصريين الممالئين للسياسة البريطانية فى مصر فكروا فى المصير الذى ينتظرهم اذا دخلت القوات الألمانية أرض مصر ، نذكر أن أمين عثمان باشا وهو فى مقدمة هؤلاء ، أو بمعنى أدق فى مقدمة البريطانيين المقيمين بمصر سافر الى فلسطين بالفعل هو وأسرته بطائرة خاصة مملوكة لشركة مصر للطيران وقد ورد ذكر هذه الواقعة فى تقرير لجنة التحقيق الوزارية التى سبق الاشارة اليها والمؤلفة من مكرم عبيد (وزير المالية) وطه السباعى (وزير التموين) وعبد الرحمن الطوير (النائب العام) وطه السيد نصر المستشار الملكى المساعد ، وقد وردت الواقعة تحت بند ـ تحميل الخزانة العامة نفقات سفر أمين عثمان باشا وعائلته بالطائرة الى فلسطين ، هربا من أزمة العلمين ، عندما تأزمت أزمة العلمين واستحكمت حلقاتها ، استأجر أمين عثمان باشا ـ وكان اذ ذاك رئيسا لديوان المحاسبة ـ طائرة من طائرات شركة مصر للطيران سافرت به يوم ٦ يوليو ١٩٤٢ ومعه أسرته الكريمة الى اللد (فلسطين) ثم ترك العائلة فى مستقرها الجديد بعيدا عن مصر ، وعاد الى القاهرة • وفى ١٣ يوليو ١٩٥٢ أرسلت شركة مصر للطيران الى مصلحة الطيران المدنى

فاتورة بمبلغ ١٣٧ جنيها ، ٢٦٠ مليمـا قيمة رحلة خاصة لسعادة أمين عثمان باشا من القاهرة الى اللد ، وبالعكس ، وأحالت مصـلحة الطيران المدنى تلك الفاتورة الى وزارة الدفاع فجاءها الرد التالى :

١٩٤٢/٨/٥

حضرة صاحب السعادة مدير عام مصلحة الطيران المدنى ..

بالاشارة الى كتاب المصلحة رقم ١/٥/٥٦ بتـاريخ ١٩٤٣/٧/٢٩ بشأن (رحلة سعادة أمين عثمان من القاهرة الى اللد ، وبالعكس) أرجو الاحاطة أن هذه الرحلة تعتبر مصلحية وتحسب على جانب الحكومة ، وبناء عليه نرجـو موافاتنا باستمارة صرف رقـم ٥٠ ع٠ح ، بالمبلغ المستحق للشركة ، لاتخاذ اللازم لصرفه اليها وذلك بعد مراجعة القانون ، وتفضلوا ..

وكيل وزارة الدفاع

عنه : محمد سالم

وغنى عن البيـان ـ تقرير اللجنـة الوزارية ـ أن أمين عثمان باشا يوم سافر الى اللد مع أسرته ، لم يكن مندوبا للتفتيش على حسـابات فلسطين باعتباره رئيسا لديوان المحاسبة المصرى ، ولم تضم مصر شئون فلسطين المالية الى شئونها حتى تصبح رحلات رئيس ديوان المحاسـبة مع أسرته ذهابا وايابا رحلات مصلحية ، تحتسب على جانب الحكومة وتؤخـذ نفقاتها من جيـوب دافعى الضرائب المصريين لا من جيب رئيس ديوان المحاسبة .

وأخيرا ـ ذات التقرير ـ فليست الدولة مكلفة أن تدفع من خزانتها نفقات الهروب اذا ما فزعت القلوب !!

ولأهمية موضوع العـلمين وأثره الخطير ، بل وآثاره الخطيرة فى السـياسة العالمية وفى تقرير مصـير الحلفاء فى الحرب العالمية الثـانية نحاول أن نتقصى العديد من الآراء التى تتعلق بأزمة العلمين :

يقول عبد الرحمن الرافعى عن معركة العلمين : فى هـذا الموقع (العلمين) بدأت معركة كبيرة يوم أول يوليو ١٩٤٢ واستعرت نار القتال بين الجيش البريطـانى وجيش المحور وتحرج وقتـا ما مركز الجيش البريطانى حين اضطر الى الانسحاب من بعض خطوطه ، على اثر خسارته فى الدبابات واضطربت الأحوال فى مصر اذ كان من المتوقع اسـتمرار تفوق جيش المحور ، وزحفه نحو الاسكندرية ، ولكن الجيش البريطانى ثبت لهجوم روميـل ووقف زحفه يوم ٦ يوليو وانسحبت قوات المحور

من مراكزها الأمامية فى العلمين ، على أن المارشال روميل عاود الكرة فى أواخر أغسطس وأوائل سبتمبر سنة ٤٢ واستأنف هجومه فى الساحة الجنوبية من ميدان القتال ولكن بعد قتال بضعة أيام اضطر الى الانسحاب الى خطوطه السابقة ، وتبين من اخفاقه وانسحابه أن قواته التى حشدها لا تكفى لشن هجوم جديد ، ومع ذلك فقد ظل مركز الجيش البريطانى حرجا ، وفكرت قيادته وقتا ما فى الانسحاب من ميدان العلمين الى الطريق الممتد بين الاسكندرية والقاهرة ، واتخذت الاستعدادات لهذا الانسحاب ٠

وقد توقفت حدة القتال فى الأسابيع التالية من شهر سبتمبر ، وعجز جيش المحور عن استئناف الزحف ، وارتد عن بعض مواقعه ، وساد الهدوء ميدان القتال فى أواخر ذلك الشهر ٠

وفى أغسطس سنة ١٩٤٢ حدث تعديل فى القيادة البريطانية فى الشرق الأوسط ، فعين (المارشال) مونتجمرى قائدا للجيش الثامن ، والجنرال السير هارولد ألكسندر قائدا عاما للقوات البريطانية فى الشرق الأوسط خلفا للجنرال أوكلنك ٠

وعن معركة ٢٣ أكتوبر ١٩٤٢ ذاتها يقول عبد الرحمن الرافعى :

تلقى الانجليز الامداد والنجدات من مختلف النواحى ، من الولايات المتحدة ومن جنوب أفريقية ومن الهند وأخذ سيل المهمات والذخائر والدبابات والمدافع والسيارات يتدفق عدة أشهر من الولايات المتحدة وبريطانيا ، ومن ثم صار مركز الجيش الثامن أقوى مما كان ، واستطاع التحول من الدفاع الى الهجوم بقيادة الجنرال مونتجمرى ، وكان هذا هو الهجوم البريطانى الثالث ٠

اختار الجنرال مونتجمرى منطقة العلمين ميدانا لهجومه ومنازلة المارشال روميل وجيشه فى معركة فاصلة ٠

وتقع العلمين على الطريق الشمالى الواصل من الاسكندرية الى حدود برقة ، وعلى مسافة مائة وثمانية وعشرين كيلومتر من الاسكندرية غربا ، وموقعها على جانب كبير من الأهمية الحربية (الاستراتيجية) ، اذ تقع على مقربة من البحر ، ويليها جنوبا منخفض القطارة المتقدم ذكره ، ويبلغ عرض المنفذ بين العلمين وهذا المنخفض نحو ثلاثين ميلا ، وهو الميدان الذى صد فيه الجيش البريطانى زحف قوات المحور فى يولية سنة ١٩٤٢ ، ثم نازلها فى أكتوبر فى المعركة الفاصلة التى سميت « معركة العلمين » ٠

فى هذا الميدان ، فى ليلة الجمعة ٢٣ أكتوبر سنة ١٩٤٢ ، وقف

الجيش الألمانى الايطالى والجيش البريطانى وجها لوجه ، وكان جيش المحور يتألف من ستين ألف جندى ألمانى وثمانية وأربعين ألف جندى ايطالى .

أما الجيش البريطانى فكان أكثر عددا وعدة ، اذ يتألف من مائة وأربعة وسبعين ألف جندى من البريطانيين وحلفائهم ، وكان يمتاز على جيش المحور بدباباته ، فلديه ألف ومائة وأربع عشرة دبابة ، كان أقواها بلا مراء الدبابات الأمريكية وخاصة دبابات « جرانت » و « شيرمان » بحيث يمكن القول على وجه التحقيق انه لولا الدبابات الأمريكية لتغيرت نتيجة المعركة ، ولم يكن لدى المحور سوى ستمائة دبابة ، وكانت مدفعية الجيش البريطانى وقوته الجوية تفوق مدفعية المحور وطائراته .

هذا الى أن جيش المحور كان بعيدا عن قواعد تموينه وامداده ، على غير ما كان عليه الجيش البريطانى ، فان مواصلاته ومواد تموينه ميسرة متوافرة ، فمقدمات الواقعة كانت ولا ريب تنبىء بنتائجها .

وكان روميل قد نظم خطوطه بين العلمين ومنخفض القطـــارة فى مواجهة خطوط الجيش البريطانى وحلفائه ، وعززها بحقول محكمة من الألغام والنقط الحصينة ، على أنه لم يشهد المعركة من أولها ، فقد كان منذ أواخر سبتمبر طريح الفراش فى أحد المستشفيات بألمانيا ، ولم يصل الى ميدان المعركة الا يوم ٢٦ أكتوبر وتسلم القيادة فى الحال ، ولكن لم يكن فى استطاعته اصلاح الأخطاء التى وقعت فى غيابه .

بدأ الجيش البريطـــانى هجومه فى ٢٣ أكتوبر ، تؤيده قوة جوية كبيرة ، وبدأ الهجوم باطلاق قذائف قنابله من نحـــو ألف مدفع دفعة واحدة ، فى ضوء القمر ، وكان ستار النيران الذى أسدلته المدفعية شديدا عنيفا ، وقصف المدافع يصم الآذان وصوت الضرب يسمع على بعد ٦٠ ميلا خلف خط القتال ، وصار ميدان القتـــال من ساحل البحر الى منخفض القطارة شعلة من نيران القنـــابل المتفجرة والأنوار الكشـــافة والمركبات المشتعلة ، وفتحت قوات الحلفاء ثغرة فى حقول الألغام التى للمحور أمام خطوطه الأمامية ، ونفذت القوات المدرعة البريطانية تحميها المدفعيـــة من هذه الثغرة ، واخترقت خطوط المحور الرئيسية فى بعض مواقعها ، وكان ذلك فى فجر اليوم الثانى من المعركة ، واستمر القتال شديدا فى ذلك اليوم ، واحتفظ الحلفاء بالمواقع التى بلغوها برغم الكرات الشديدة التى قام بها المحور ، واشتركت بعض الوحدات البحرية الخفيفة البريطانية فى المعركة بضرب مواقع المحور على الساحل .

استمرت المعركة عدة أيام ، فقد وقع أول هجـــوم من ٢٣ الى ٢٥ أكتوبر ، وكان من أثره أن تداعت من جرائه خطوط المحور الأمامية ، ثم

ابتدأت المرحلة الثانية من المعركة فى ٢٦ أكتوبر ، واستمرت حتى ٣١ منه، ظل الحلفاء خلالها فى تقدمهم رغم الهجمات المضادة التى قام بها جيش روميل ، ثم سجل الحلفاء نصرهم النهائى فى المرحلة الثالثة ، وقد دامت من أول نوفمبر الى اليوم الرابع منه ، أى أن المعركة دامت اثنى عشر يوما ، وانتهت بهزيمة المحور ، وأسر منهم الحلفاء عشرات الألوف ، منهم الجنرال ريتزفون توما قائد فيلق افريقية الألمانى وعدد آخر من كبار الضباط الألمان والايطاليين ٠

وعلى أثر الهزيمة تقهقرت قوات المحور غربا تقهقرا عاما ، بعد أن فقدت ثلثيها فى ميدان القتال ، وتركت خمسمائة دبابة غنمها البريطانيون وحلفاؤهم ، عدا كميات كبيرة من المهمات والبنادق والعتاد ، فكانت المعركة هزيمة ساحقة لقوات المحور ٠

وقد منح الجنرال مونتجمرى على أثر انتصاره فى هذه المعركة لقب فيلد مارشال وقرن اسمه باسم المعركة فصار يعرف بالفيلد مارشال مونتجمرى أوف علمين ٠

وعن آثار معركة العلمين يقول الرافعى :

تعد معركة العلمين من الوقائع الفاصلة فى التاريخ ، لأنها كانت القاضية على الزحف الألمانى الايطالى فى شمال أفريقية ٠

كان هدف قوات المحور من هذا الزحف السيطرة على مصر وعلى قناة السويس ، ثم متابعة الزحف شرقا حتى تصل الى ايران للاستيلاء على منابع البترول فيها ، وقطع خطوط التموين الذى يصل الى روسيا من طريق الخليج الفارسى ـ هكذا فى الأصل ـ ، وفتح ميدان جديد لمهاجمة روسيا من الجنوب ، ثم الاتصال باليابان فى آسيا ٠

ولكن معركة العلمين قضت على هذه الآمال كلها ٠

وفتح انتصار الحلفاء فى هذه المعركة طريق البحر الأبيض المتوسط للقوافل البحرية التى تنقل الجيوش والعتاد من هذا الطريق بعد أن كانت تجتاز الطريق الطويل عبر الأقيانوس الأطلسى ٠

وكانت معركة العلمين جزءا من خطة حربية واسعة المدى وضعها أقطاب الحلفاء لاجلاء قوات المحور عن شمال افريقية ، فلم تكد تنتهى المعركة حتى نزل جيش كبير معظمه من الأمريكيين بقيادة الجنرال (أيزنهاور) الى سواحل مراكش والجزائر فى ٨ نوفمبر سنة ١٩٤٢ ٠

ويبدو من ملابسات الحوادث أن قيادة الحلفاء حددت معركة العلمين

بحيث تلائم نزول هذا الجيش الكبير ، لكى يطبق الحلفاء من الشرق والغرب على قوات المحور ٠

وقد أبدى روميل فى انسحابه من المهارة والمقدرة المدهشة ما شهد به النقاد العسكريون جميعا ، ويعتبر انسحابه أعظم وأروع انسحاب فى تاريخ الحروب ، وأخذ الجيش البريطانى الثامن يتعقبه دون أن يحيط به ، واستولى على طرابلس عاصمة ليبيا فى ٢٣ يناير سنة ١٩٤٣ ، أى بعد ثلاثة أشهر من بدء معركة العلمين ، وكان سقوط هذه العاصمة ايذانا بانهيار الامبراطورية الايطالية فى شمال أفريقية ، وانسحب روميل الى تونس ، وهناك ثبت لقوات الحلفاء ، ولكنهم تغلبوا على مقاومته واخترقوا خطوطه فى مارس سنة ١٩٤٣ ، وتجدد القتال فى شهر أبريل ، ومرض روميل ثانية أثناء القتال وعاد الى ألمانيا ، وانتهى القتال فى مايو باحتلال الحلفاء تونس وميناء بنزرت الحصين ، ولجأت فلول المحور الى رأس بون بالشمال الغربى من تونس ، ثم ما لبثت أن استسلمت ووقعت فى أسر الحلفاء ، وكان من بين الأسرى الجنرال فون أرنيم الذى خلف روميل فى القيادة ، وجميع القواد والضباط والجنود الذين تألفت منهم فلول المحور ، وبذلك تم للحلفاء القضاء على قوات ايطاليا وألمانيا فى شمال أفريقية (مايو سنة ١٩٤٣) ، ودان لهم البحر الأبيض المتوسط شرقا وغربا ٠

وكان انتصار الحلفاء فى شمال أفريقية تمهيدا لغزو ايطاليا من الجنوب ، فقد بدأت قوات الحلفاء بقيادة الجنرال أيزنهاور تنزل الى جزيرة صقلية فى يولية سنة ١٩٤٣ ، وبعد أن استولت عليها نزلت الى ايطاليا ، وانتهى الغزو باستسلامها للحلفاء فى سبتمبر سنة ١٩٤٣ ٠

وفى هذه الأثناء نزل الحلفاء على شواطىء افريقيا (٨ نوفمبر ١٩٤٢) وهكذا تلاشت قوة المحور العسكرية من على مسرح العمليات فى حوض البحر المتوسط ٠ وبعد ذلك بعدة أشهر انتهت الحرب فى افريقيا تماما بالاستيلاء على طرابلس وبنزرت وتونس (مايو ١٩٤٣) ٠ أما مصر فقد أصبحت آمنة من كل خطر وما لبثت المعارك السياسية الداخلية أن عادت من جديد الى أفق القاهرة ٠

ويقول الأستاذ محمد التابعى عن معركة العلمين فى الصحراء الغربية ومعركة العلمين بين القصر والوزارة النحاسية وهذا فى حد ذاته يدل على تفاهة ما كان يحدث فى ذلك الوقت العصيب ٠

وفى صباح السبت ٢٧ يونية ١٩٤٢ ـ وكانت الشائعات المزعجة تملأ البلد ـ زرت حسنين فى داره فلم أجده ٠٠ وقيل لى انه ذهب يعود ابنه هشام فى المستشفى فقد أجريت له عملية الزائدة الدودية ٠٠

وانتظرت حتى حضر حسنين وقلت له اننى سألت هذا الصباح وزير العدل صبرى باشا أبو علم عما اذا كان النحاس باشا قد أبلغ جلالة الملك تطورات الموقف فى الصحراء الغربية وأعطاه صورة صحيحة عن الحالة . أم تركه يستقى الأخبار من الخارج كما حدث يوم اغلاق الحدود .. وهل هو مثلا أبلغ الملك تفاصيل ما دار فى الاجتماع الذى عقده « رفعته » فى يوم الاثنين الماضى ٢٢ يونية مع السفير مايلز لامبسون والجنرال سنون ؟ .. وأن صبرى أبو علم باشا قال لى : ان النحاس باشا قد أدى فى هذه المرة واجبه وأنه أبلغك ــ أنت يا حسنين باشا ــ كافة التفاصيل ..

قلت هذا لحسنين فابتسم بمرارة وقال : أبدا ! ..

ثم مضى يقص على التفاصيل .. قال :

ــ عرفت أن النحاس باشا عقد اجتماعا مع من ذكرت وانتظرت أن يتصل بى فور انتهاء الاجتماع ولكنه لم يفعل ومضى العصر .. ثم المغرب .. وأقبل الليل ورفعته لم يتصل بى .. وسألنى الملك « هل اتصل بك رئيس الوزراء ؟ فقلت كلا .. ولعله يجمع الأخبار والتفاصيل وكل ما يمكن جمعه لكى يعطينا صورة كاملة عن الموقف » ..

.. « ولكن هذا كان فى الحقيقة اعتذارا منى عن النحاس باشا لأننى كنت أنتظر أن يتصل بى ويطلب مقابلة الملك لكى يبلغه ما حدث . ولكن الذى حدث أن رفعته أصدر بلاغا رسميا عن الاجتماع المذكور .. ونشرت الصحف البلاغ .. وكان ذلك قبل أن يطلع الملك على شىء ما » .

وهكذا قرأ الملك البلاغ الرسمى فى الصحف مثل سائر الناس .

ومضى حسنين باشا فى روايته يقول :

« وفى صباح اليوم التالى لم أستطع صبرا .. والواقع أننى أهملت أو تهاملت فى أداء واجبى كرئيس للديوان لأنه كان يجب على أن أتصل بالنحاس باشا قبل ذلك وأسأله .. ولكننى راعيت الذوق الحسن فلم أفعل .. ولكننى وجدت أنه لم يبق موجب للذوق .. فكلمت بالتليفون أمين عثمان باشا وبسطت له وجهة نظرى .. وبعدها بقليل اتصل بى النحاس باشا وقال لى .. « انت فين ؟ أنا بافتش عليك » .. وكلمنى كلاما عموميا عن الحالة وأنها مطمئنة . وسألنى ما اذا كنت أريد أن أقابله فقلت له نعم أحب أن أقابل رفعتك .. قال « بس أنا عندى برلمان النهارده » قلت له « اذن ففى أى وقت يناسبك » .. ثم حدثنى عن البيان الذى سيلقيه فى البرلمان وسألنى هل يرسل لى نسخة منه فقلت وأكون شاكرا لو فعل . » .

« وهكذا انتهى حديث النحاس باشا معى بالتليفون ٠٠ وبعدها بقليل كلمنى أمين عثمان بالتليفون وقال لى ٠٠ « انت مش عايز تقابل النحاس باشا ؟ ٠٠ فقلت له « ازاى » بالعكس ٠٠ أنا عاوز أقابله ٠٠ قال : « هو فهم كده » ٠٠ فقلت : « فهم غلط ٠٠ وأنا غايته أحببت أن لا أربطه بموعد أو ميعاد وتركت له اختيار الوقت المناسب » ٠

واتفقنا على موعد المقابلة ثم أبدى حسنين باشا رأيه فى البيان الذى ألقاه النحاس باشا فى البرلمان فقال انه فيما عدا ثلاث أو أربع نقط فان البيان المذكور يبدو كأنما قد كتب فى السفارة البريطانية ٠ وانها لعجيبة أن يقول النحاس باشا فى بيانه انه مطمئن بينما الانجليز أنفسهم يسمون ما حدث « كارثة » ويصفون الحالة بأنها خطيرة وجرائد اليوم تقول نقلا عن جرائد لندن ان الزحف الألمانى لو أوقف يكون هبة من الله ٠٠ ومع ذلك فان النحاس باشا يقول انه مطمئن ٠

ولم يقل النحاس باشا فى أول الأمر لحسنين أكثر مما جاء فى البيان الذى ألقاه أمام مجلسى البرلمان وهو أن الحالة مطمئنة وأن الانجليز سوف يدافعون عن مصر ٠٠ الى آخر مدى ٠٠ ولقد حاول حسنين أن يعرف من النحاس باشا حدود « هذا المدى » وهل هو يقف مثلا عند مرسى مطروح ؟ أم أن الدفاع « الى آخر مدى » معناه أن الحرب سوف تجرى فى داخل البلاد ؟ ٠٠

ولكن النحاس باشا رفض المناقشة فى امكان وقوع هذا الاحتمال .. وهنا يقول حسنين رحمه الله ٠٠ « قلت له : « نفرض ٠٠ لا قدر الله ٠٠ لا سمح الله ٠٠ يعنى لو دخل الألمان مرسى مطروح أو ٠٠ لو زحفوا بعدها ! ٠٠ » ٠

ولكن النحاس باشا قال مش ممكن ٠٠٠

وعاد حسنين يقول « يعنى لا سمح الله ٠٠ لا قدر الله ٠٠ وربنا ما يقدر ٠٠ انما يعنى لو حصل ٠٠٠ » ٠

فقال النحاس باشا « يمكن نخلى المدنيين ساعتها يتركون المدن الى القرى ٠٠ » ٠

يعنى الحرب تدخل مصر ٠٠ وهذا هو الخراب ٠

وكان حسنين يروى لى تفاصيل هذا الحديث وهو منفعل وحائر فى فهم عقلية النحاس باشا ٠٠ وكيف انه أصبح آلة فى يد الانجليز ٠٠ وقد تحدث حسنين طويلا فى هذا المعنى وكان مما قاله ٠٠ « النحاس باشا فى

يد الانجليز خالص » لانه يعرف أنه لو كان الأمر بيد البلد لما بقى فى رياسة الوزارة خمس دقائق ٠٠ » ٠

ثم انتقل حسنين بالحديث الى الشائعات التى تقـــول بأن الجيش الانجليزى فى الصحراء الغربية لا يريد أن يحارب ٠٠ وقارن بين موقفهم اليوم وموقف الجنود الايطاليين أيام الجنرال ويفل أيام كانت جنود بريطانيا تحارب بشجاعة ٠٠ وجنود ايطاليـــا يهربون ٠٠ وها هى ذى الآية قد انعكست ٠٠ فأصبح الانجليز يهربون ٠٠ وجنود ايطاليا وألمانيا وراءهم .. ثم قال ان طيارا انجليزيا كان زاره فى داره وورطه حسنين فى الحديث حتى اعترف له بأن هناك أمرا مريبا فى استسلام حصن طبرق الحصين فقد قال There is something fishy وان هذا الشىء المريب ـ كما قال حسنين ـ هو أن الجيش البريطانى رفض أن يقاوم وسلم للألمان من غير قتال ومضى حسنين يقول :

ـ فاذا كانت هذه هى الحالة فكيف يكون النحـــاس مطمئنا كما يقول . ٠٠ بل لعل روميل على علم بحقيقة الحالة وانهيار معنوية الجيش البريطانى ولهذا السبب تراه يسرع فى زحفـــه حتى لا يعطى الانجليز فرصة لجمع جموعهم ولم شملهم ٠٠ وقد لا يبعد أن يدخل على ـ فى أى وقت ـ فى مكتبى ضابط ألمانى يرفع يده بالتحيـــــة ويقول ٠٠ هيل هتـــلر ؟ ٠٠

ومضى حسنين « باشا » فى حديثه فقال فى معرض التدليـــل على خطورة الحالة التى يصر النحاس باشا على وصفها بأنها « مطمئنة » قال ان هنـــاك خطـــا قد أنشىء بين أمريكا ومصـــر لنقل الصور الفوتوغرافية باللاسلكى وقد افتتحه مستر روزفلت بارسال صورة له مع محمود «بك» حسن وزير مصـــر المفوض فى واشنطون وقد نشرت الصحف المصـــرية الصورة المذكورة ٠٠

ويذكر التابعى أن حسنين علا صوته وهو يقول :

ـ بأه دى بلد ٠٠ البلد كلها تهتز علشـــــان النحاس اختلف مع مكرم ٠٠ ومفيش حديث فى البلد كلها الا عن خلاف مكرم والنحاس ٠٠ بينما الألمان على أبواب البلد والبلد مهـــــددة بالخراب اذا قرر الانجليز المقاومة فى دلتا النيل وريف مصر ٠٠

ويذكر التـــابعى أن حســـنين اتصل ببعض الزعماء ليجس نبضهم فتحدث معهم فى الموقف وخطورته وصواب الحصول على ضمانات بعـــدم تعريض البلد للخراب ولكن أحدا من الزعماء ـ ولا النحاس نفسه ـ يقبل

أن يخطو هذه الخطوة فيقابل السفير البريطانى ويحدثه فى هذا الموضوع لأنهم جميعا يخافون من غضب الانجليز وشكوكهم ، أو غضب الألمان وانتقامهم • ثم قال بانفعال :

ـ ودينى وما أملك لقد تحققت من أن البلد دى كلها مفيش فيها راجل واحد •• وأقسم بربى لو الحالة صفيت وربنا أنقذ البلد وأعطانى الملك « كارت بلانش » فى تأليف الوزارة فاننى لن أختار ولا واحد من هذا الطقم أبدا •• بل سوف أعمل وزارة من الشباب •• وأنا متأكد أنهم لو غلطوا فان غلطاتهم تبقى أرحم بكثير من غلطات حضرات الزعماء الكبار •••

ثم قال بمرارة ••

ـ زعماء ايه يا شيخ ؟ •• دول مفيش فيهم ولا راجل واحد ••

الى أن يقول الأستاذ التابعى :

وانهارت تماما مقاومة الانجليز فى الصحراء الغربية •• وسقطت خطوط دفاعهم الواحد بعد الآخر وكان الجنود الألمان يجدون مشقة فى اللحاق بالجنود البريطانيين بسبب سرعة انسحابهم •

وسقطت مرسى مطروح فى أيدى الألمان •••

وتقدمت بعدها قوات المحور •• ثم توقفت بسبب نفاد الوقود أو البترول الذى لا غنى عنه فى حرب الدبابات •• وكان توقفها عند « عنق الزجاجة » الذى اختاره البريطانيون خطا لدفاعهم الأخير قبل الاسكندرية •••

وكان « عنق الزجاجة » هذا ـ أو خط الدفاع ـ يمتد ما بين البحر عند محطة العلمين ومنخفض القطارة ويبعد عن المكس ـ احدى ضواحى الاسكندرية ـ بنحو أربعين كيلومترا •

وبدأ أهالى الاسكندرية يسمعون دوى المدافع وهى تطرق أبواب دلتا النيل •• وساد الذعر والرعب والفزع وخصوصا بين يهود مصر الذين أسرعوا الى بضائعهم المكدسة فى المخازن يعرضونها للبيع بأرخص الأسعار •• وكان المارة فى شارع جامع شركس بالقاهرة يشاهدون يومئذ عشرات منهم يحاصرون قنصلية بريطانيا ليحاولوا الحصول على « فيزا » أو اذن بدخول فلسطين أو جنوب افريقيا •

كانت بحق أيام الذعر والفزع وكان من الصعب أن يصدق أحد أن شيئا ما سوف يوقف الزحف الألمانى ويحول دون دخولهم الاسكندرية والقاهرة •

اللهم الا اذا وقعت معجزة .. ولكن سلطات الحلفاء أنفسهم لم تكن فيما يظهر تؤمن أو حتى ترجو يومئذ وقوع هذه المعجزة .. فقد كان المارة في ميدان قصر الدوبارة والشوارع المحيطة به يرون أعمدة الدخان تتصاعد من مداخن السفارة البريطانية والسفارة الأمريكية وبعض المباني والدور والعمارات التي كانت تشغلها ادارات مختلفة تابعة لقيادة الجيش البريطاني ...

وكانت أعمدة الدخان تتصاعد ليلا ونهارا .. أياما متوالية .. وعرف سكان القاهرة أن رجال السفارتين والقيادة البريطانية يحرقون أوراقهم السرية استعدادا لمغادرة القاهرة ...

وسافر بعض كبار الماليين والأدباء والصحفيين ممن كانوا يحملون يومئذ على هتلر والنازية .. أو كانت لهم علاقات بمجهود بريطانيا الحربي .. سافروا الى أسوان ومنها الى الخرطوم ..

وقابلت ذات صباح الأستاذ محمود أبو الفتح وسألني ..

ـ راح تودى فلوسك فين ؟ ..

قلت .. فلوسي كلها أحملها في جيبي ..

وابتسم وقال انه أرسل « فلوسه » الى جنوب افريقيا . وفي مساء نفس اليوم وكنت في جريدة الأهرام أسأل عن آخر الأخبار سألني رئيس التحرير الأستاذ أنطون الجميل « باشا » ماذا يفعل بأمواله المودعة في البنوك ؟ ...

وقلت له ان محمود أبو الفتح أرسل أمواله الى جنوب افريقيا ... وابتسم رحمه الله بمرارة وقال ...

ـ وهو يعني جنوب أفريقيا اللي مأمون ومضمون ...

وكان الأستاذ أنطون الجميل يعتقد أنه اذا سقطت مصر في أيدي الألمان فلن يقف بعدئذ شيء في طريقهم ... بل سوف يكتسحون وادي النيل الى جنوب افريقيا .. ويشقون طريقهم شرقا كما تشق السكين طريقها في قالب الزبد عبر فلسطين ولبنان وسوريا والعراق .

ويقول التابعي ان السلطات البريطانية في مصر فكرت في تهريب نحو خمسمائة فتاة من فتيات الانسا والمجندات البريطانيات الى الأقصر ، فليس من المرغوب فيه ـ كما يقول أحد المتحدثين معه من السفارة البريطانية أن نترك وراءنا في القاهرة كل هذه النعمة وأسباب السرور غنيمة للجنود الألمان ، ويمضي التابعي قائلا :

وفتيات « الانســـا » فرقة كانت مخصصة للترفيـــه عن الجنود البريطانيين فكانت تقيم لهم فى مختلف المعسكرات الغناء والموســـيقى والتمثيل ..

اذن فقد كان الخطر خطرا حقيقيــا .. لا مبالغة فيــه .. وها هى ذى السلطات العليا التى تعرف الحقائق تحرق أوراقها .. وتسرع وترسل الفتيات البريطانيات المجندات بعيدا عن القاهرة ــ الميئوس من انقاذها ــ الى الاقصر منطقة الأمان ولو الى حين ...

ثم انتشرت اشاعة تبين فيما بعد أنها خبر صحيح .. وفحواها أن السلطات البريطانية العسكرية طلبت بالحاح من الحكومة المصرية اغراق غرب الدلتا أو مديرية البحيرة وما الى جنوبها .. لكى تحول هذه الأراضى الى بحر من الطين تغوص فيـــه دبابات الجيش الألمـــانى وعربات النقـــل وسياراته ومدرعاته ومصفحاته .. وتعرقل زحف روميــــــل على دلتـــا النيـــل ...

وبدأت ألوف من المهاجرين تفد على القاهرة من الاسكندرية والبحيرة وشمال الدلتا .. وأرسل الضابط المصرى قائد منطقة الاسكندرية خطابا سريا الى وزارة الحربية المصرية فى القاهرة .. يسألها فيه عما يجب عليه عمله فى حالة دخول قوات المحور من الألمان والايطاليين .. هل يجب عليه أن يقاوم هو وجنوده .. ؟ أم يستسلم ويسلم سلاحه وذخيرته .. ؟

وعرض الخطاب أو السؤال المذكور على وزير الحربية يومئذ المرحوم الفريق حمدى سيف النصر باشا فقال :

ــ ماتردوش عليه ..

ولكن قائد الاسكندرية عاد وأرسل بعد يومين رسالة سرية أخرى كتب عليها (مستعجل جدا) ويكرر فيهـــا نفس الســـؤال ويلح فى الجواب ...

ولما عرضت هذه الرسالة الثانية على وزير الحربية صاح ..

انقلوا ابن ... ده من اسكندرية وأرسلوه حتة تانية وابعتوا واحد تانى محله .. هو عاوز يودينى فى داهية ..

ذلك أن حمدى باشا رحمه الله كان يخشى اذا أمر قائد الاسكندرية بالمقاومة ثم دخل الألمان .. أن يحاكمه الألمان أمام مجلس عسكرى .. واذا أمره بالاستسلام للألمان ثم نجح الانجليز فى صـــد الألمان .. أن يحاكمه الانجليز بتهمة الخيانة .

ومن هنا رفض أن يرد على رسالة قائد منطقة الاسكندرية ..

وفى هذا الجو من التوتر والفزع .. اجتمع مجلس الوزراء برياسة « صاحب المقام الرفيع » مصطفى النحاس باشا وقال رفعتـــه فى بداية الاجتماع انه رأى بسبب خطورة الحالة وتطورها السريع أن يدعو المجلس للنظر فيما يجب عليه اتخاذه لتأمين سلامة البلاد ..

ويقول الأستاذ التابعى انه ذهب مساء ٢٨ يونيو ١٩٤٢ حيث قصد الى مكتب رئيس تحرير الأهرام ليعرف آخر الأخبار الواردة من جبهـة القتـال ، وأنه قابل ـ فى مكتب رئيس التحرير الدكتور محمود عزمى والسيدة قرينته وأن السيدة قرينته سألته عما اذا كان قد سمع أن فلانا وهو من نجوم السينما وأبناء الذوات ـ قد طلق زوجته وانه قال لها انه لم يسمع عن هذا الكلام .

وقالت السيدة حرم الدكتور محمود عزمى ان السيدة فلانة هذه هى الآن « صديقة » الجنرال ريتشى قائد الجيوش البريطـــانية فى الصحراء الغربية .. وأن الجنرال لم يسافر الى الميدان بل يدير المعركة بالتليفون . والى جانبه صديقته فلانة المذكورة ...

وقال المرحوم محمود عزمى :

ـ على كل حال الثابت أن الجنرال ريتشى كان يزور الاسكندرية مرة فى كل أسبوع وينزل بفندق بوريفاج حيث كانت تقابله فلانة المذكورة ..

وقلت أنا ان الاشاعات كثيرة عن فلانة هذه ومعظمها غير صحيح .

ثم سألت الدكتور محمـــود عزمى عن رأيه فى الحالة وفى دفاع الانجليز فقال ان الانجليز ينوون الدفاع عن مصر الى آخر رمق وان خطتهم وخطوط دفاعهم هى :

١ ـ مرسى مطروح .

٢ ـ الضبعة .

٣ ـ الخطاطبة (فى مديرية البحيرة) .

٤ ـ من الأهرام الى الزمالك .

٥ ـ قناة السويس .

قلت : والاسكندرية .. والقاهرة .. ؟

قال لم يتخذ بشأنهما بعد أى قرار .

قلت على أى حال اذا كانت هذه هى خطة الانجليز فانها تعنى خراب مصر ٠٠

قالت السيدة حرم محمود عزمى ٠٠

ـ نعم الدفاع شبرا شبرا كما فعل الروس فى مدينة سباستبول ٠

ويقول الأستاذ التابعى : فى أول يوليـــو ١٩٤٢ : الذعر شـــديد والاشاعات كثيرة ومن اشاعات اليوم أن الانجليز طلبوا من الملك الانتقال الى فلسطين بل الى أسيوط بل الى السودان ومعه الوزارة ٠

وقد عقد البرلمان بمجلسيه جلسة سرية أعلن فيها النحاس باشا أن مصر حصلت على غطاء من الذهب ، وأن فى البلد مؤونة تكفيها لمدة شهر واحد وأن الانجليز رفضوا أن تكون القاهرة مدينة مفتوحة ٠

وقيل ـ التابعى ـ ان الملك والنحاس اتفقا على البقاء فى مصر وعدم مغادرتهم البلاد ٠

وعن يوم ٢ يوليو ١٩٤٢ قال التابعى ان الذعر قد خف فى الصباح ثم عاد واشتد فى المساء وأن الجنود البريطانية هى التى تتولى حراســة القناطر الخيرية ابتداء من اليوم ٠

وعن ٣ يوليو ١٩٤٢ قال التابعى ان وزير التموين قال له ، ان الحالة وحشة وربنا يلطف ، وانه ـ التابعى ـ قابل فؤاد سراج الدين فى نفس اليوم وأن النحاس باشا رفض تأليف وزارة قومية بل رفض دعوة الجبهة الوطنية وأنه ـ أى النحاس ـ رفض الاستقالة لأنه ربان السفينة ولا يجوز لربان السفينة أن يترك السفينة وسط الأنواء ويهرب ٠

ويذكر التابعى أن حسنين باشا قال له انه لم يأت على مصــر يوم كانت فيه محتلة احتلالا تاما كما هى الآن ٠ فقد كان الانجليز يحاولون منذ شهور الحصول على نصيب فى حق حراسة بعض الطرق والمنشآت ولكن طلباتهم فى هذا الشأن كانت ترفض دائما ٠٠ ولكنهم الآن وبموافقـــة النحاس باشا قد تغلغلوا فى صميم الريف وأصبح كل شىء فى مصر فى قبضة يدهم فاذا أزفت الساعة التى يتبينون فيها أنهم خسروا المعركة فانهم سوف يدمرون كل شىء ٠٠ وكل شىء الآن تحت أيديهم وفى حراستهم ٠٠ وليس لمصر يومئذ أن تعترض لأنهم سوف يقولون ان ما تم قد تم بالاتفاق مع رئيس الحكومة ٠

وقال حسنين انه تحدث مع بعض أصدقائه من الانجليز فى هـذا الموضوع فقال لهم (ثقوا اذا دمرتم كل هذا فسوف أكون أنا أول من يهب لقتالكم لأنكم قد خربتم بلدى خرابا تاما ٠ واذا دخل الألمان مصر فسوف

يهرع كل مصرى لاستقبالهم·وليطلب منهم أن يسمحوا بالقتال فى صفوفهم ضدكم أنتم الذين دمرتم بلده ·· واذا قدر لكم أن تعودوا الى مصر فسوف يهب المصريون لصدكم وقتالكم) ·

ومضى حسنين يقول انه اذا نفذ الانجليز خططهم فان النتيجة هى خراب الدلتا أى الوجه البحرى · ولقد قال لهم قائد من خيرة قواد الجيش الفرنسى وهو الجنرال كاترو ان كل ما يهمهم فى مصر هو قناة السويس ·· وان خط الدفاع عن قناة السويس ليس فى الصحراء · بل على ضفاف النيل وفى الدلتا ·· ذلك لأن الدلتا تعد من الوجهة الحربية هبة لا تقدر للقائد الذى يدافع عنها اذ انها بعشرات القنوات والمصارف التى تشقها وتخترقها طولا وعرضا ·· وبأرضها الهشة الطرية وبقناطرها التى يمكن تدميرها عند الحاجة ·· تعطل وتعوق سـير الجيش الذى يهاجم ويحاول التقدم ·· وهكذا تصبح الدلتا ميدانا للمعارك ·· ويحل الخراب وويلات الحرب من كر وفر بكل بلدة · وكل قرية فيها ··

ويقول الأستاذ التابعى ان أحمد حسنين باشا قال له وهو يستكمل حديثه :

ـ اذن ليس هناك أمل الا فى ثورة تنفجر فى البرلمان ويقوم معهـا الشعب فيضـطر النحـاس باشا والانجليز أن يتمهلوا ويراجعوا موقفهم ويترددوا فى هذه الخطة ·

قال ·· ربما كان هذا ممكنا منذ عشرة أيام قبل أن يضع الانجليز أيديهم على كل شىء ·· كان هناك أمل فى أن يتمهل الانجليز وأن يحجموا عن التدمير ، أو لو أن الجيش المصرى كان هو الذى تولى حراسة المنشآت·· لأن الانجليز كانوا يفكرون ساعتها طويلا قبل تدمير هذه المنشآت والمجازفة بوقوع تصادم بينهم وبين الجيش المصرى · أما الآن فقد ضاعت الفرصة ولم يبق هناك ما يخشاه الانجليز لأنهم هم الذين يحرسون ويتحكمون فى جميع المنشآت ···

ويقول حسنين باشا موجها كلامه الى التابعى :

ـ اذا قدر لك أن تكتب يوما عن هذه الأيام فاكتب وقل ان شيوخ البلد ونوابها قيل لهم ان هناك خطرا يهدد بيوتهم بالحرق ويهدد أراضيهم بالغرق ويهدد ريف مصر وقرى مصر بالدمار ·· ولكنهم سكتوا خوفا على الأربعين جنيها التى تصرف لهم من البرلمان ··

ويذيع الأستاذ محمد التابعى سرا عرفه بعد انتهاء الحرب ، هذا السر هو أن القوات البريطانية فى مصر ، بل والبريطانيين وحلفاءهم جميعا كانوا ينوون فيما لو هزمهم روميل الانسحاب من مصر الى فلسطين والسودان ·

وقد ألحت وزارة الاستعلامات البريطانية فى ضرورة خروج أم كلثوم ، ومحمد عبد الوهاب بالرضا أو بالاكراه لأنها كانت تخشى أن تستغلهما الدعاية الألمانية الى أبعد حدود الاستغلال ·· ولقد كان يكفى أن يعلن راديو القاهرة التى يحتلها الألمان ·· ان أم كلثوم أو عبد الوهاب سوف يغنى هذا المساء لكى ينصت العالم العربى كله الى اذاعة راديو القاهرة الذى يسيطر عليه الألمان · وهذا هو الخطر فى حرب الدعاية ·

وهذا وحده أبلغ دليل على ما كانت تعلقه أجهزة الدعاية فى بريطانيا على الفن المصرى ، والفنانين المصريين·وأذكر أن الفنان محمود شكوكو كان يلعب دورا هاما فى الدعاية لقضية الحلفاء ، وفى السخرية من هتلر ، ومن موسولينى بمونولوجاته الفكاهية وهو لهذا السبب فكر فيما فكر فيه غيره من ضرورة الجلاء عن مصر ، اذا ما بدرت بوادر انتصار قوات المحور على قوات الحلفاء ·

وكذلك فعل الأستاذ عباس محمود العقاد ··

● عن معركة العلمين يقول مارسيل كولومب :

وقد حرص النحاس باشا منذ اليوم التالى لوصوله الى الحكم على أن يوضح للسفارة البريطانية أنه « لا المعاهدة البريطانية ولا مركز مصر كدولة مستقلة ذات سيادة يسمحان بالتدخل فى شئون مصر وبخاصة فى تأليف الوزارات أو تغييرها » ورحب السير مايلز لامبسون عن طيب خاطر بهذه المناورة التى كانت تهدف الى تناسى عمل القوة الذى حدث بالأمس فى قصر عابدين · كما أوضح المندوب السامى فى نفس اليوم فى تصريح نشرته الصحف أن السياسة البريطانية تهدف الى « ضمان تعاون كامل مع حكومة مصر باعتبارها بلدا مستقلا وحليفا وذلك بتنفيذ بنود المعاهدة الانجليزية المصرية دون التدخل فى الشئون الداخلية لمصر أو فى تشكيل الوزارات أو تعديلها » ·

ومع ذلك فقد كانت الشهور الأولى فى عمر « حكومة الشعب » بالغة الصعوبة ، فقد سرى الهمس بأن السير مايلز لامبسون كان قد قدم الى الملك فاروق أثناء المقابلة التى تمت فى ٤ فبراير وثيقة تنازل عن العرش وأنه كانت قد اتخذت كافة الاجراءات لنقل الملك الى مكان مأمون اذا ما رفض دعوة مصطفى النحاس باشا الى تولى الحكم · وفى العاصمة نمت لدى الضباط مشاعر النقمة على بريطانيا العظمى · وفى ليبيا كانت المعارك تدور بشراسة · وفى ٢٧ فبراير ١٩٤٢ كان روميل يواصل طريقه الى الأمام وفى ١١ يونية جلت قوات فرنسا الحرة بقيادة الجنرال كونج Koeing عن بير حكيم وفى ٢١ يونية سقطت طبرق ووقع ٢٥ ألف من

الرجال أسرى في يد العدو ، وفى ٢٥ يونيـة تم اجتيـاز الحدود المصرية واحتلال السلوم · وفى اليوم التالى دخلت قوات المحور المدرعة سيدى برانى·وفى صباح ٢٩ سقط معسكر مرسى مطروح الحصين·وفى أول يولية حوصرت العلمين وأصبحت القوات الألمانية الايطالية تبعد عن الاسكندرية بما لا يزيد عن مائة كيلومتر · وبعد ذلك بثلاثة أيام أعلنت ألمانيا الهتلرية وايطاليا الفاشية التزامهما المشهور « باحترام وتأكيد وضمان استقلال وسيادة مصر » بل انهما أكدتا من جديد أن قواتهما لن تدخل مصر « كبلد معاد وانما ستدخلها بهدف طرد الانجليز من الأراضى المصرية وحتى تواصل ضد انجلترا العمليات الحربية التى تهدف الى تحرير الشرق الأوسط من السيطرة البريطانية » · وبالاضافة الى ما سبق فقد تلقت مصر تأكيدا بأنها بعد أن تتحرر من قيودها ستتبوأ مكانها بين الدول المستقلة ذات السيادة · وشجعت هذه السياسة الماهرة كل خصوم بريطانيا العظمى على معاودة دعايتهم لصالح قوات المحور في الوقت الذى نجحت فيه بعض العناصر الألمانية فى التسلل الى ضواحى الاسكندرية · لقد كان وقتا عصيبا حقا · وفى القاهرة هجم الناس بالطوابير على نوافذ البنوك وجرت حركة سحب جماعية للأرصدة ودب الفزع فى قلوب الأجانب وفكر الكثيرون منهم فى الهرب الى فلسطين ووضعت السلطات البريطانية تحت تصرفهم قطارا خاصا ، وكتب أحد شهود العيان يقول : « كانت أعمدة الدخان تشاهد وهى تعلو فى سماء المدينة ، وأخذت البعثات الأجنبية تحرق وثائقها فى حدائق مبانيها وملأت قوافل السيارات الطرق الصحراوية وبدأت هجرة جماعية وغادر الناس من كل الجنسيات مصر وبالمئات وذهبوا يلوذون بفلسطين وسوريا ولبنان بل وبجنوبى أفريقيا » ·

وفى ظل هذه الظروف المحزنة أبدى رئيس الوزراء من ضروب النشاط والهمة ما جعله يوجه المرة تلو المرة شكره العميق الى حكومة لندن وفى ٢٢ فبراير أعفى رئيس الجيش المرابط عبد الرحمن عزام باشا من مناصبه · وفى ٨ ابريل اعتقل على ماهر باشا بعد أن طلب اليه أن يكف عن القيام بأى نشاط سياسى وحددت اقامته وزيدت اجراءات الأمن فى كل أنحاء مصر · وأدان النحاس باشا « الطابور الخامس » الذى يبذر القلق فى النفوس ، وبقوة وحماس كذب الشائعة التى راجت ومؤداها أن انجلترا طلبت الى مصر أن تمدها بمعونة عسكرية وأكد أنه مواصلة منه للسياسة التي سبق أن أعلنها قبل مجيئه الى الحكم لن يقدم على الاطلاق جنديا واحدا مهما كانت الظروف ، لكنه استطاع أن يفى بالتعهد الذى قطعه على نفسه « بأننا غيورين على تطبيق معاهدة الصداقة والتحالف فى روحها وفى نصها » وبأنه لن يسمح لمخلوق أيا كان بأن يخل بتكامل نصوص هذه المعاهدة التى من شأنها أن تطمئن حليفتنا طمأنة تامة فى

الوقت الذى تقاتل فيه دفاعا عن الديمقراطية والحرية . وكانت الحملة ضد « المهيجين والجواسيس » مصحوبة بالعنف كما صدرت الأحكام ضد « مروجى الأخبار الكاذبة » بعقوبات بالسجن تتراوح بين ثلاث سنوات وخمس عشرة سنة كما أغلق نادى السيارات الملكى بالقاهرة الذى أشيع عنه سواء بالحق أو بالباطل أنه مقر لغير المتعاطفين مع الحلفاء . كما اعتقل النبيل عباس حليم وكذلك رئيس اتحاد الرياضة المصرى محمد طاهر ، وكلف الجيش بالتعاون مع البوليس فى حفظ النظام والهدوء فى الشوارع وألقى القبض على آخرين ممن حامت حولهم الشكوك ونشطت المحاكم العسكرية .

وهكذا انحازت مصر للمرة الأولى وبشكل واضح ـ تحت قيادة مصطفى النحاس باشا ـ الى جانب الحلفاء ، وذلك دون أن تشترك فى الحرب اشتراكا مباشرا . واستطاعت بريطانيا أن تعد لهجومها المضاد وان كان الأمر قد استلزم الانتظار حتى أكتوبر ١٩٤٢ .

« حتى تكسب نهائيا معركة العلمين ويزول الخطر عن مصر ، وفى نوفمبر وديسمبر أخذت تسقط كل من برقة وطبرق وبنغازى ثم اجدابيا على التوالى فى يد الجيش الثامن .

الفصـــل الثـــانى

- أسرار الحرب فى الصحراء الغربيـــة كما يرويها ونستون تشرشل
- من يوميات مونتجمرى القائد العبقرى عن الحرب فى العلمين

لم تأسرنى مذكرات ما لسياسى ما ، كما أسرتنى مذكرات ونستون تشرشل • ومهما كانت عناية وعبقرية أولئك الذين ترجموا تلك المذكرات الى العربية فيبقى الأصل بالانجليزية أكثر روعة • وتتميز مذكرات تشرشل الرجل الذى قاد الحلفاء الى النصر من نقطة الصفر ، ان الرجل كان صريحا للغـاية فى كل ما كتبه : لم يتورع أن يسجل أخطاءه الخاصة بدقة كما أنه لم يتورع أن يذكر مآثر خصومه وأعدائه • وفى كل صفحة من صفحات تشرشل عظة وعبرة ، لكل الناس ، ولكل الشعوب•وكم وددت لو استطعت ان أقدم ما فى تلك المذكرات من عظات وعبر فى برشامات لأبناء وطنى لعلهم يسـتفيدون منها • وفى الصفحات الخاصة بالحرب فى الصـحراء الغربية ــ فى بلدى ــ أفاض تشرشل ، فقد كانت نتائج تلك الحرب هى التى حددت بصفة خاصة النتيجة النهائية للحرب الثانية ولو لم ينتصر الحلفاء فى الصحراء الغربية ما انتصروا فى أوروبا وآسيا وقد كنت أرى فى كل كلمة كتبها عن تلك الحرب فى الصحراء متعة أود أن أنقلهـــا اليك قارئى العزيز ، وقارئتى العزيزة ، وقد كان أسهل لدى أن أتناول تلك الحرب بقلمى من أن أضع نفسى بوضع الناقل ، والناقد لما سجله تشرشل عن تلك الحرب ولأن كل ما كتب عن الحرب فى الصحراء الغربية، وما نقل عن تشرشل بالذات ليس الا القليل الذى لم يتوافر أبدا لشبابنا الاطلاع عليه ، ولذلك فاننى أستأذن فى الاطالة فى النقل عن مذكرات تشرشل ، لقد أردتها فرصة لا تعوض لشبابنا الذين يجب عليهم أن يقرأوا بتركيز وعناية ، كيف تحول الحلفاء من الهزيمة الى النصر • وقد كان تشرشل رائعـا وهو يبدأ حديثه عن الحرب فى الصحراء الغربية بتلك الأبيـــات :

« وبينما - عبثا - تتكسر الامواج الواهنة

يائسة من الحصول على شبر من الشاطىء الهادىء

بعيدا .. هناك .. عبر الخلجان والمداخل

تأتى الموجة الغامرة ... فى هدوء

وعبر النوافذ الشرقية .. وحدها .. لا يأتى الضوء

عندما يشرق نور الصبح .. وتنسل الأشعة من النوافذ التى تصعد الشمس أمامها الى أجواء الفضاء .

بطيئة وعلى مهل ...

بل هناك .. الى الغرب .. لا تزال الشمس مشرقة ...

ما كتبه تشرشل - عن خصمه اللدود - روميل ثعلب الصحراء وكان منصفا له الى أبعد حدود الانصاف ، قال تشرشل انه - روميل - مقاتل ألمانى سيفرض نفسه كثيرا على أساطير قومه وبطولاتهم .

ولد ايروين روميل فى هايدنهايم فى دورتمبرج فى نوفمبر سنة ١٨٩١ وفى الحرب العالمية الأولى اشترك فى معارك الارغون ورومانيا وايطاليا ، وجرح مرتين واستحق أرفع الاوسمة من الصليب الحديدى ومنح وسام الاستحقاق ، وتولى فى بداية الحرب العالمية الثانية قيادة مقر الفوهرر فى الحملة على بولندا ثم تولى قيادة الفرقة السابعة المدرعة (البانزر) من الفيلق الخامس عشر ، وقد سميت هذه الفرقة باسم « الاشباح » وكانت خلال جبهة الموز بمثابة رأس الرمح للاختراق الالمانى ، ونجا من الاسر بما يشبه المعجزة عندما شن البريطانيون هجوما مضادا على أراس فى ٢١ مايو سنة ١٩٤٠ ، وكانت فرقته ثانية رأس الرمح الذى اخترق السوم متقدما نحو السين فى اتجاه روان مطوقا الجناح الفرنسى الأيسر ، وموقعا عددا كبيرا من الفرنسيين والبريطانيين حول سان فاليرى فى أسره ، واحتلت فرقته شربورج ، بعد أن تم انسحابنا ، واستسلمت له المدينة ، وما بها من القوات الفرنسية التى كان يبلغ تعدادها ثلاثين ألفا .

وكانت هذه المهام الجسيمة هى الدافع الى اختياره ، فى بداية عام ١٩٤١ ، قائدا للقوات الألمانية المرسلة الى ليبيا ، وكانت أمانى الايطاليين فى ذلك الحين تنحصر فى الابقاء على مقاطعة طرابلس . وتولى روميل قيادة الفرق الألمانية النشيطة تحت الاشراف العام للقيادة الايطالية ، وحاول أثر وصوله تدبير هجوم قوى وعندما طلب منه القائد الايطالى فى بداية شهر أبريل أن يتعهد له بعدم تحرك القوات

الالمانية الافريقية بدون أوامره قال له روميل محتجا : « بصفتي قائدا ألمانيا يجب على اصدار التعليمات حسب ما يملى على الموقف » ٠

ولقد أبدى روميل في الحملة الافريقيه ضروبا من البراعة فى قيادة التنظيمات وتوجيهها وخصوصا فى ارجاع التجمع على الفور بعد أية عمليه ، والاستمرار فى اكتساب النصر والغلبة ، ولقد كان مغامرا عسكريا نادرا ، يسيطر بكل براعة على شئون التموين ويستخف بالدفاع ، وكانت القيادة العليا الالمانية قد ألفت له الزمام فى بداية الأمر فأدهشها بانتصاراته ، وجنحت الى تقييد تصرفاته ، وقد أنزلت بنا حيويه أضرارا فادحة مؤلمة ، لكنه جدير بالتحية التى أرسلتها فى مجلس العموم فى يناير ١٩٤٥ ، مع ما جلبته الى من لوم الجماهير فقلت آنذاك ان أمامنا خصما جريئا بارعا ، بل انى لاجد من الجراة فى نفسى ما أستطيع به أن أقول : اننا نواجه جنرالا عظيما ، خليقا بكل تقدير ، لأنه على الرغم من كونه جنديا ألمانيا مخلصا ، بدأ يمقت هتلر ويكره كل أعماله ، واشترك فى مؤامرة عام ١٩٤٤ لانقاذ ألمانيا من قبضة الدكتاتور المجنون ، وقد دفع حياته ثمنا لهذا العمل ٠

ويؤكد ونستون تشرشل أن رجاله نفذوا الى مقر قيادة روميل (المخابرات البريطانيه) وتولى عميلنا ارسال أدق الأخبار عما يواجهه روميل من مصاعب شتى فى موقفه المتجمد الغريب وكنا ندرك تماما الثغرة الوحيدة التى كان يأمل القائد الألمانى فى الابقاء عليها ، كما كنا نقف على الأوامر الصارمة والتحذيرات الشديدة التى كانت تصله من القيادة الالمانية العليا ، منذرة اياه بألا تهرب المكاسب التى حازها حتى هذه الآونة فى خضم اعتماده أكثر مما ينبغى على يمن الطالع ٠

ويقول تشرشل انه تناول العشاء فى خيمة أحد الضباط حيث قدموا له عشاء غاليا من المحار النيوزلندى المحفوظ لم يستسغه وان كان قد تظاهر بابتلاعه ، ويقول ان مونتجمرى كان كنابليون بونابرت لا يقبل دعوة أحد من مرؤوسيه حفظا على النظام العام ٠ كما يقول انه قضى مع الجيش ظهيرة ذلك اليوم كله ، وحينما رجعنا الى القافلة حيث أمواج الشاطىء الجميل كانت الساعة قد تجاوزت السابعة ، وقد ارتفعت روحى المعنوية الى حد تناسست فيه كل متاعب اليوم ، وظللت أتحدث حتى ساعة متأخرة من الليل وقبل أن يأوى « مونتجومرى » الى فراشه فى الساعة العاشرة حسب عادته ، طلب الى أن اكتب له شيئا فى دفتر يومياته الشخصى ، وقد كتبت له فى هذه المرة وفى مرات لاحقة طيلة الحرب ، وهذا ما كتبته فى هذه المرة :

« آمل أن تكون الذكرى السنوية « لبلنهايم » التى تشير الى بداية القيادة الجديدة ـ بداية خير لقائد الجيش الثامن ورجاله ، وأن تؤدى بهم الى الشهرة وذيوع الصيت والحظ التى يستحقونها » ٠

وفى الثانى والعشرين من أغسطس زرت « كهوف » طرة قرب القاهرة ، حيث كانت تجرى عمليات اصلاحيه واسعه النطاق ، ومن هذه الكهوف ، قطعت الاحجار التى بنيت منها الأهرامات قبل آلاف السنين ، وقد بدت الآن رائعة السكل كما بدا لى أن العمل يسير سيرا نشيطا دقيقا فى المنطقة ، وان جماهير غفيرة من العمال الفنيين تعمل ليل نهار فى عمليات الاصلاح الضرورية ، ولكن كانت لدى أرقامى وحقائقى ، وكنت باستمرار غير راض عن سير العمل ٠ لضيق المجال الذى يسير فيه ، ولعل العيب الوحيد هو أن الفراعنة لم يشيدوا أهرامات أكثر عددا واضخم حجما ، وكان على أن انحمل مسئوليات أخرى ، فقد قضيت بقية النهار أنتقل بالطائرة من مكان الى آخر افتنس المؤسسات وأخطب فى الجنود وقد رأيت فى المطارات بين ألفين وثلاثة آلاف طيار حشدوا فيه لأتحدث اليهم ، وقد زرت أيضا كل الألوية واحدا أثر الآخر ، كما زرت فرقة الجبايين التى كانت قد نزلت الى البر فى ذلك اليوم ، وعدنا الى السفارة فى ساعة متأخرة من المساء ٠

وفى الأيام الأخيرة من الزيارة تركزت كل افكارى على المعركة المتوقعة : فقد يبدأ رومل هجومه فى آيه لحظه بقوة هائلة مدمرة ، من السلاح الساحق ومن المحتمل أن يصل الى الاهرامات دون ان يواجه أى دفاع حقيقى ـ عدا قناة واحدة ـ ثم يصل الى نهر النيل الذى يجرى عند نهايه المرج « الذى نقوم فيه دار السفارة ثم بدرت من طفل « الليدى لامبسون » ابتسامة عذبة نفتحت لها أسارير وجهه الصغير من عربته الواقفة تحت ظلال اشجار النخيل ، وتطلعت عبر النهر الى الآفاق المستوية القائمة وراءه ، وبدا كل شىء سهلا وادعا ، لكننى اقترحت على الأم أن تمضى بطلفها الى بلد آخر غير القاهرة حيث ان جوها غير مناسب للأطفال ، اذ هو شديد الحرارة شديد الرطوبة ٠ وقلت لها : « لم لا تبعثين بالطفل الى لبنان ليستنشق هواءه العليل ؟ » ولكنها لم تستمع الى نصيحتى ، وليس فى امكان انسان أن يقول انها لم تحكم على سلامة الوضع العسكرى حكما صائبا !

وقد اتخذت بالاتفاق مع الجنرال اليكسندر ورئيس اركان الامبراطورية البريطانية سلسلة من الاجراءات المتطرفة للدفاع عن القاهرة والخطوط المائية المتجهة شمالا واقمنا استحكامات للبنادق

ومراكز للمدافع الرشاشة وقد قمنا ببث الالغام فى الجسور وأقمنا الأسلاك الشائكة على مداخلها واطلقنا مياه السدود على الجبهة العريضة الواسعة وأعطينا كل الموظفين البريطانيين في القاهرة بنادق وقد كانوا يفوقون فى تعدادهم الألوف من ضباط الاركان والكتبة الذين يرتدون الملابس العسكرية ، وأصدرنا اليهم الأوامر بأن يتخذوا مراكزهم حين يحدث أى طارىء عند خط النهر المحصن · ولم تكن الفرقة الجبلية الحادية والخمسون حتى الآن نعد خليقة بالصحراء ، فعهدنا الى هؤلاء الجنود الممتازين ، بالدفاع عن جبهة النيل الجديدة ، وكان الموقع قويا للغايه بسبب ندرة المعابر والجسور التى تعبر منطقة الأقنية أو المنطقة التى يغمرها الفيضان في الدلتا وبدا لنا أن من الممكن ايقاف هجوم مدرع على هذه الطرق الجسرية ، وكان الدفاع عن القاهرة من اختصاص الجنرال البريطاني الذى يتولى قيادة الجيش المصرى الذى اصطفت كل فرقة أيضا للاشتراك فى الدفاع وتراءى لى أن من الأفضل على أية حال أن يعهد بالمسئوليه ـ اذا حدث أى طارىء ـ للجنرال « ميتلاند ويلسون جميو » الذى كان قد عين لقيادة العراق ـ وايران ، والذى كانت قيادته لا تزال ـ في هذه الاسابيع الحرجة ـ فى مرحلة التشكيل فى القاهرة ، وأصدرت توجيها طالبا اليه أن يطلع على كل تفاصيل خطة الدفاع وأن يتحمل المسئولية فى اللحظة التى يبلغه فيها الجنرال اليكسندر أن القاهرة أصبحت في خطر !

وكان على أن أرجع الى الوطن مساء يوم المعركة ، لأمارس تصريف أمور تتناول آفاقا أوسع ـ وان كانت لا تقل قطعا عن المعركة المتوقعة ـ وكنت قد حصلت على موافقة وزارة الحرب على التوجيه الذى قررت اصداره الى الجنرال اليكسندر ، فقد غدا السلطة العليا التى أتعامل معها فى الشرق الأوسط ، وكان مونتجومرى وجيشه الثامن ، يعملان تحت قيادته ، وكذلك كان « ميتلاند ويلسون » وكان قائد الدفاع عن القاهرة ، حين تدعوه الضرورة اليه ، وكان « اليكس » ـ كما كنت ادعوه منذ أمد طويل ـ قد انتقل بقيادته الى الصحراء قرب الاهرامات وكان بوداعته ومرحه وتفهمه لكل شىء يوحى بالثقة المطلقة المتزنة لكل انسان ·

وفى الساعة السابعة والدقيقة الخامسة من مساء التالث والعشرين من أغسطس غادرت مطار الصحراء وقد نمت نوم من استراح ضميره ـ لنهجه طريق العدل ـ الى ما بعد بزوغ الشمس فى الصباح التالى ، وعن المحاولة التى قام بها روميل ـ وكانت آخر محاولاته للوصول الى القاهرة ـ يقول تشرشل : كانت أفكارى عالقة بالصحراء ·

وقد كنت أثق (تمـام الثقة) فى قادتنا الجـدد كما كنت متيقنا أن تفوقنـا فى العدة والعدد هو الآن أكثر منه فى أى وقت مضى ، ولكن المفاجآت المزعجة التى حدثت فى العامين الماضيين كانت تجعل من العسير استبعاد القلق حتى النهاية ٠

ولمـا كنت قد زرت أخيرا الأرض التى سيدور فيها القتال ، وكانت صورة الصحراء بصخورها المتعرجة ، وبطاريات المدفعية ودباباتنا وقواتنا المختبئة فيها نأهبا لوثبة مضـادة لا تزال تخطـر بفـكرى فانى كنت أرقب المعركة الضـارية بأفكارى تمام المراقبة ٠ ولا مرية فى أن اية نكسة جديدة لن تحمل فى حد ذاتها كارثة فقط ، بل ستؤدى أيضا الى القضاء على سمعة بريطانيا نهائيا ، فضلا عما يكون لها من تأثـير واضـح على المحادثات التى نجريها حينئذ مع حلفائنا ، أما اذا صد روميل من الجبهة الثانية فان الثقة النامية والاحساس المتزايد ــ بأن الميزان تكاد كفتـه ترجح الى جانبنا ــ سيساعدان على الوصول بمختلف القضايا الاخرى الى مرحلة الاتفاق ٠

وقد وعد الجنرال أليكسندر أن يخبرنى ببداية المعركة بأن يبعث الى بكلمة « زيب » وهى اسم يطلق على الملابس التى كنت أرتديها وفى الثامن والعشرين من أغسطس أرسلت اليه أسأله : « ما رأيك فى احتمال قيـام « زيب » حينما يكون القمر بدرا فى هـذا الشـهر ؟ ٠٠ ان المخابرات العسكرية لا تعتقد أن الهجوم الألمـانى قـد أصبح وشـيكا ٠٠ أطيب تمنياتى ٠ وأتى الى رده يقول : ان « زيب » تسـاوى كل يوم قيمتها من المـال ، وتقوى احتمـالات عدم قيامها حتى الثانى من سبتمبر عندما تصبح غير متوقعة ، وفى الثلاثين من سبتمبر تلقيت برقية من كلمة واحدة هى : « زيب » فأبرقت الى روزفلت وستالين أقول : « لقد بدأ روميل هجـومه الذى كنا نتأهب له ٠٠ وقد تجرى معركة مهمة الآن » ٠

وكانت خطة روميل ــ كما توقعهـا مونتجومرى بالضبط ــ هى أن يجتاز بسلاح المدرعات نطاق الألغام الذى يضعف دفاعـه فى الطـرف الجنوبى من الجبهة البريطانية ، وأن يتجه بعد ذلك شمالا ليطوق مواقعنا فى الجناح والمؤخرة ، وكانت المسألة الحساسة الحرجة بالنسبة لنجاح هذه المناورة تقوم على احتلال روابى العلم ــ حلفا ، ولهذا فقد وزع مونتجومرى قواته ، بحيث يضمن ــ أولا ــ عدم سقوط الروابى فى قبضة العدو ٠

وفى ليلة الثلاثين من أغسطس اخترقت الفرقتان المدرعتان الألمانيتان حقول الألغام وفى الصباح قصدتا « منخفض الرجيل » وأخذت فرقتنـا المدرعة السابعة تتراجع ببطء بصفة مستمرة أمامهـا الى أن اتخـذت

مواقعها في الجناح الشرقي وقد حاولت فرقتان ايطاليتان مدرعتان وفرقة آليه أخرى اختراق حقول الألغام شمال الفرقتين الألمانيتين ولكنهما لم تحرزا نجاحا يذكر ، فقد كانت الحقول أعمق مما تتوقعه ، وسرعان ما وجدت نفسها تحت وطأة نيران مدفعية شديدة من الفرقة النيوزيلنديه ، لكن الفرقة الألمانية التسعين الخفيفة ، كللت جهودها لاختراق حقول الألغام بالنجاح حتى انها شكلت جناحين مدرعين اندفعا صوب الشمال ، وقد شن الألمان في الوقت نفسه في الطرف الثاني من الجبهة هجمات محكمة على الفرقة الهندية الخامسة والفرقة الاسترالية التاسعة ، في حين أنه قد أوقف تقدمها بعد قتال عنيف ، وقد كان على المدرعات الألمانيه ـ الايطالية ـ بعد اجتياز « منخفض الرجيل » ان تزحف جهة الشمال صوب روابي العلم ـ حلفا « أو الشمال الشرقي « جهة الحمام » • وكان مونتجومري يرجو ألا تتجه الى الحمام ، فقد آثر أن يخوض المعركة في الأرض التي اختارها وهي « الروابي » وقد أمكننا أن نوصل الى روميل خريطة زائفة توضح سهولة الانطلاق الى الروابي وصعوبة الاتجاه الى الحمام ، وقد أقر الجنرال « فون توما » الذي أسر بعد شهرين بأن هذه الخريطة الخادعة قد نجحت في تحقيق أهدافها ، وهكذا اتخذت المعركة الآن الشكل الذي أراده مونتجومري •

وفي الحادي والثلاثين استطاعت قواتنا أن تصد زحفا نحو الشمال وفي الليل هدأت مدرعات العدو هدوءا نسبيا بالرغم من أن المدفعية كانت تواصل ضربها بنيرانها فضلا عن قصف الطائرات لها • وفي الصباح التالي تقدمت الى الخط البريطاني حيث كانت الفرقة العاشرة المدرعة في انتظار لقائها ، وكان الرمل في المنطقة اكثف مما كان متوقعا ، والمقاومه أعمق مما ارتقبوه ، وبعد الظهر استؤنف الهجوم ، ولكنه فشل وقد وجد روميل نفسه في مأزق ، فقد أنهك الاعياء حلفاءه الايطاليين ، ولم يكن يأمل في تعزيز وحداته المدرعة الامامية ، وكانت الاشتباكات العنيفة قد استنفدت ما لديه من وقود ، ولا شك في أنه سمع أيضا باغراق ثلاث ناقلات أخرى للزيت في البحر المتوسط وهكذا تحولت مدرعاته في الثامن من سبتمبر الى موقف الدفاع ، وأخذت تنتظر الهجوم الذي سيشن عليها •

ولم يقبل مونتجومري الدعوة ، في حين لم يجد له مفرا من التراجع وفي الثالث من سبتمبر بدأت الحركة في الوقت الذي اندفعت فيه الفرقة البريطانية السابعة لمضايقته من الجناح ملحقة بالعدو أفدح الخسائر في سياراته غير المدرعة وفي تلك الليلة بدأ الهجوم البريطاني المضاد على فرقته الخفيفة التسعين وفرقة تريستا الآلية ، وقد قدر مونتجومري أنه

اذا أمكنه تدمير هاتين الفرقتين فانه بذلك يكون قد سد الثغرة التي فتحها العدو في حقول الألغام قبل أن تنسحب منها المدرعات الألمانية الى الوراء، وقد قامت الفرقة النيوزيلندية ، بهجمات قوية صمد لها العدو ، وتمكن الفيلق الألماني من النجاة . ونوقف مونتجومري الآن عن مواصلة المطاردة وقرر تسليم زمام المبادرة حينما تسنح الفرصة .

ولم تكن قد أضحت كذلك حتى الآن ، وقد اقتنع بصد آخر هجوم قام به روميل نحو مصر ملحقا به خسائر فادحة ، وقد تمكن الجيش الثامن وسلاح الصحراء الجوى من تسديد ضربة قاصمة للعدو ، دون أن نلحق بهما خسائر فادحة ، أو تحدث له أزمة حادة في خطوط مواصلته وقد أوضحت لنا الوثائق ـ التى صادرناها فيما بعد ـ أن روميل عندما وجد نفسه في مأزق حرج أخذ يلح في طلب العون والمساعدة ، وعلمنا أيضا أنه كان في هذه الحالة قائدا منهكا لا يكف عن الشكوى وبعد شهرين اتضحت نتائج معركة « العلم ـ حلفا » .

وبالرغم من سير كل وسائل الاستعدادات للعمليتين العظيمتين بسرعة في طرفي البحر المتوسط فان فترة الانتظار كانت تنطوى على القلق الكثير وكانت الحلقة الداخلية التى تعلم كل شيء تحس احساسا جارفا بالقلق مما قد يحدث ، أما الذين لا يعلمون فقد أفزعهم ذلك الهدوء الذي ساد الأمور ، وضايقهم اننا لا نؤدى عملا ما .

والآن ، وقد مرت ثمانية وعشرون شهرا في تصريف شئون البلاد ـ من الناحية القيادية منينا خلالها بسلسلة متواصلة من الهزائم العسكرية المنكرة ، وقد تحملنا هزيمة فرنسا وانهيارها ، والهجوم الجوى على بريطانيا ونجونا من الغزو وما برحنا نحتفظ بمصر . كما اننا أحياء نقف موقف التحدى .. هذا هو كل ما في الأمر ، ومن جهة أخرى فقد منينا بسلسلة متلاحقة من الكوارث ، فهناك خيبة الأمل التى تجرعنا مرارتها في «داكار» وهناك أيضا خسارة كل ما كسبناه من الايطاليين في الصحراء ومأساة اليونان وضياع جزيرة كريت ، ونكسات أخرى وأخرى مع اليابان ، وضياع « هونج كونج » واحتلال « الهند الهولندية » وكارثة سنغافورة ، وغزو اليابان لبورما وهزيمة أوكنلك في الصحراء واستسلام طبرق ، والفشل في « ديبب » .. كلها حلقات في سلسلة منينا بالفشل فيها ، ورزئنا بها ، فضلا عن أنها لا مثيل لها في التاريخ . على أن الحقيقة القائلة بأننا مازلنا وحيدين وان أعظم دولتين في العالم قد أصبحتا حليفتين لنا تحاربان معنا محاربة يائسة .. هذه الحقيقة أضفت علينا بعض الثقة بالنصر النهائي ، ولكن هذه الثقة صهرت النقد والحرية وأطلقتهما من

عقالهما وخاصة بعد أن تبددت الأخطار الساحقة · أو ليس من الغريب أن تتعرض طبيعة ادارة الحرب ونظامها الى مثل هـذا التحدى وهما في عهدتي ؟ ··

ومن أبرز الأمور ، انني في هذه المرحلة من الجمود الغريب لم أبعد عن السلطة ولم تتعرض لى ازاء هذا رغبات لتغيير أساليبى ، ولم أكن قطعا أرتضى هذه الأمور ولو غادرت الميدان فى هذا الوقت لناءت بكاهلى أعباء الكوارث ولنسبت قطوف الظفر التى كان سيتم جنيهـا الى نركى المسرح ، فقد كادت الحرب وأوضاعها فى هذا الوقت تتحول بصفة عامة ، فمنذ بدأ يحالفنا النجاح المطـرد ـ الذى لا يعكر صفوه بين الفينـة والأخـرى الا بعض النكسات البسيطة ورغم أن النضال سيكون طويلا · ويمضى تشرشل قائلا :

استمرت التدريبات والاعداد التخطيطى دون توقف فى الاسـابيع التى تلت التغييرات التى حدثت فى القيادة بكل من القاهـرة والجبهـة ، وقد عزز الجيش الثامن بشكل لم يشهد التاريخ مثله من قبل ، ووصلت الفرقتان الحادية والخمسـون والرابعـة والأربعـون قادمتين من الـوطن ومتأهبتين لحرب الصحراء ، وزادت قوتنا فى سلاح المدرعات الى سبعـة ألوية تشمل أكثر من ألف دبابة ، كان أكثر من نصفها من طراز «جوانب»، و « شيرمان » الأمريكيين ، وتضاعف تفوقنا فى العـدد فى حين غدونا متكافئين فى الكيف ، وقد حشدت للمرة الأولى فى الصحراء الغربية قـوة مدفعيـة ضخمة مـدربة أحسن تدريب لتعزيز الهجـوم المتوقع بين لحظة وأخرى ـ وأصبح السلاح الجوى فى السرق الأوسط تابعا لمفاهيم القيـادة البرية العليا واحتياجاتها العسكرية ، دون أن ترغم على اتخـاذ اجـراءات سابقة لأوانها ـ وتفرضها علينا ضرورات الظروف الحرجة بسبب وجـود الماريشال الجوى العظيم على رأسه ، فقد كانت العلاقات بين القيادة الجـوية « والجنرالات » الجـدد أوثق ما تكون ، وغـدا السلاح الجوى الصحراوى الذى يتولى قيادته ماريشال الجو « كوننجهام » ـ قوة تربو على الخمسمائة والخمسين طائرة ، وكان ثمة مع الطائرات العاملة من مالطـة مجموعتـان تضم ما يقرب من ستمائة وخمسين طائرة مهمتها تحطيم موانىء العـدو وطرق تموينه عبر البحر المتوسـط والصحراء ، واذا أضفنا الى المجمـوع مائة طائرة أمريكية من المقاتلات والقاذفات المتوسطة يتضـح أن مجموع الطائرات العاملة غدا ألفا ومائتى طائرة ·

وقد أنبأنا اليكسندر « فى مختلف البرقيات ، أن الرابع والعشرين من أكتوبر هو اليـوم المختـار لعملية الخطوة السريعة ـ وهو الاسم الذى

أطلقناه على الهجوم ـ وقال الجنرال فى احدى برقياته : « ولما لم يكن هناك جناح مكشوف ، فان المعركة ستدور بحيث نفتح ثغرة فى جبهة العدو سينفذ الفيلق العاشر ـ الذى يضم أكثر دباباتنا ويكون رأس رمح هجومنا ـ من هذه الثغرة ، ثم يتقدم فى وضح النهار ، ولن يستكمل هذا الفيلق أسلحته وعتاده قبل الأول من أكتوبر ، وسيفتقر بعد ذلك الى أن يتدرب مدة شهر تقريبا على الدور الذى سيقوم به » واستطرد الجنرال يقول : وأرى من المحتم أن يشن الهجوم الرئيسى فى منتصف الشهر العربى حين يكون القمر بدرا وسيكون هذا الهجوم رئيسيا ضخما للغاية مما قد يستغرق بعض الوقت ، وخاصة فتح ثغرة مناسبة فى خطوط العدو تنفذ منها قواتنا المدرعة فى أكثر ساعات النهار حتى يصبح الهجوم حاسما تماما » · ومرت الأسابيع · ودنا الموعد ، وكان السلاح الجوى قد بدأ معركته مهاجما قوات العدو ومطاراته ومواصلاته وقد كان فى غاراته التى يشنها يولى القوات المعادية اهتماما خاصا ، وقد أغرقنا فى شهر سبتمبر ثلاثين فى المائة من سفن المحور التى تحمل المؤن الى افريقية الشمالية ، وقد حققنا هدفنا هذا عن طريق الغارات الجوية · وقد ارتفع هذا الرقم فى شهر أكتوبر الى ٤٠٪ أما خسارة ناقلات الزيت ، فقد بلغت ٦٦٪ وحطمنا فى أشهر الخريف الأربعة ما يربو على مائتى ألف طن من حمولة بواخر المحور ، وكانت هذه الضربات بالنسبة لجيش رومل ، قاصمة بل مميتة ، وأخيرا وردت الكلمة المرتقبة فقد أبرق الينا الجنرال اليكسندر يقول « زيب » ·

وفى الثالث والعشرين من أكتوبر انطلق ألف مدفع « ليله البدر » حيث كان البدر تماما ، وقد ركزت هذه المدافع قذائفها على مدافع العدو مدة عشرين دقيقة ثم اتجهت الى مواقع مشاته تقصفها قصفا ·· وتحت ستار هذه النيران الرهيبه الهائله التى كان يعززها قذف شديد من الجو ، تقدم الفيلق الثلاثون بقيادة الجنرال « ليز » والفيلق الثالث عشر بقيادة الجنرال « هوروكس » وقد تقدمت وراءهما فرقتان مدرعتان من الفيلق العاشر بقيادة الجنرال « لومسون » لاحراز النصر ، وقد تمكنت الوحدات المتقدمة من أن تحرز انتصارات ساحقة تحت ستار النيران الحامية وأن تشق لنفسها طرقا داخلية فى صفوف العدو حينما أخذت خيوط الفجر الفضية تنتشر فى الأفق ، وتدحر جيوش الظلام · وقد قام المهندسون بتطهير الألغام خلف القوات الأمامية ولكننا لم نستطع أن نخترق حقول الألغام اختراقا كاملا على عمقها ، ولم يكن هناك أمل مبكر فى أن تستطيع مدرعاتنا اختراق جبهة العدو ، وقد شقت الفرقة الأفريقية الجنوبية طريقها فى الجنوب الى الأمام لحماية الجناح الجنوبى المتقدم على حين شنت القوة

الهندية الرابعة هجمات من هضاب الرويسات واستطاعت الفرقة المدرعة السابعة والفرقة الرابعة والأربعون من الفيلق الثالث عشر أن تخترقا جبهة العدو الدفاعية المقابلة لهما وقد أرغم هذا الزحف العدو على أن يحتفظ بفرقتين مدرعتين ثلاثة أيام خلف هذا الجزء من الجبهة على حين كانت المعركة الرئيسية تتطور في الشمال ٠

وبالرغم من ذلك لم نتمكن حتى الآن من فتح ثغرة في صفوف العدو المتوغل في حقول الالغام والخطوط الدفاعية ، وفي الساعات الأولى المبكرة من صباح الخامس والعشرين من شهر أغسطس عقد مونتجمري مؤتمرا حضره كبار قادته العسكريين وفيه أصدر أمره الى سلاحه المدرع بمواصلة ضغطه قبيل الفجر وفقا لتعليماته الأصلية ٠

وبعد قتال عنيف في اثناء النهار تم الاستيلاء على أراض جديدة ولكن الحصن الطبيعي الذي يعرف برابية « الكلى » ، أضحى محور الصراع العنيف مع الفرقة الالمانية المدرعة الخامسة عشرة . ولم يضاعف مونتجومري ضغطه الى مدى أبعد من جبهة الفيلق الثالث عشر حتى يحتفظ بالفرقة المدرعة السابعة سليمة حتى نهاية المعركة ٠

وفي هذا الوقت حدثت اضطرابات خطيرة في قيادة العدو .فقد نقل رومل الى المستشفى في ألمانيا في آخر شهر سبتمبر ، وخلفه في القيادة العامة الجنرال « شتوم » لكن الأخير أصيب بعد أربع وعشرين ساعة من بداية المعركة ـ بنوبة قلبية مفاجئة توفي على اثرها ، وغادر رومل مستشفاه بناء على طلب هتلر وعاد الى قيادته في الخامس والعشرين من هذا الشهر ٠

وقد ظل القتال دائرا طيلة السادس والعشرين من أكتوبر على امتداد الثغرة العميقة التي تم فتحها في خط العدو وخاصة في جوار « رابية الكلى » وانطلقت قوة العدو الجوية من عقالها ـ وهي التي كانت هادئة في اليومين الماضيين وأخذت تتحدى بشكل حاسم تفوقنا الجوي ، وجرت عدة معارك جوية كانت تنتهي دائما بانتصارنا ، وقد أفلحت جهود الفيلق الثالث عشر في تأخير حركة سلاح المدرعات الالماني ، وان لم تفلح في منعه من الانتقال الى ما أصبح يؤلف الآن ٠٠ القطاع الفاصل في الجبهة ، ولكن سلاحنا الجوي ، صب على هذه الحركة وابلا من قذائفه ٠

وفي هذه اللحظة انطلقت الفرقة الاسترالية التاسعة بقيادة الجنرال « مورسهيد » شمالا من هذه الثغرة في اتجاه البحر ، وسارع مونتجمري الى استغلال هذا النجاح الواضح ، فأمر القوات النيوزيلندية المتقدمة

نحو الغرب بالتوقف ، وأصدر أوامره الى الاستراليين بمواصلة التقـــدم صـــوب الشمال ، وقد هدد هذا التقـــدم مؤخرة قسـم من فرقة المشاة الألمانية في الجناح الشمالي ، وفي الوقت نفسه أحس بأن قـوة هجومـه الرئيسي قد بدأت تضغط وسط حقول الالغام ومواقع المدفعيـة القـوية المضادة للدبابات ، ولهذا ، أعاد حشد قواته وقام بهجوم جـديد نابض بالحيوية والقوة ٠

وقد دار قتال فعال طيلة السابع والثامن والعشرين للاســتيلاء على « رابيـة الكلى » تجـاه هجمات الفرقتين المدرعتين الألمانيتين : الخامسة عشرة والحادية والعشرين اللتين قدمتا من القطـاع الجنوبي ، وقـد أرسل الجنرال اليكسندر يصور القتال بالعبارات التالية :

في السابع والعشرين من أكتوبر بدأ هجوم مدرع مضاد كبير ، وقد كان على النمط القديم ، وقد هاجمنا الألمان خمس مرات بما كان لديهم من دبابات ألمانية وايطالية ، ولكنهم لم يحرزوا أى كسب بل منوا بخسائر بالغة لا توازى ما منينا به من خسائر ، اذ كنا نحارب ونحن في موقف الدفاع ، غير أنها كانت خسائر طفيفة ، وفي الثامن والعشرين قـام العدو بهجوم آخـر بعـد منـاورات استطلاع طويلة بالغة الدقة ــ يبدو أنهـا استغرقت كل ساعات النهـار الباكر ــ لمعرفة المواقع الضعيفة وتحـديد مواقع مدافعنا المضادة للدبابات وقد بدأ هذا الهجوم بعد الظهر بصورة مركزة ــ على حين كانت وراءهم الشمس تنحدر الى مغربهـا ولم تحـرز مناورات الاستكشاف في هذه المرة نجاحا مثلما أحرزته فيما سلف من الأيام لأن دباباتنا ومدافعنا المضادة للدبابات كان يمكنها أن تشتبك مع العدو على أبعد مدى ، وحينما حاول تركيز قواته للقيام بالهجوم النهائي ، تدخل السلاح الجوى الملكي ثانية على نطاق واسع وبشكل مدمر ، وقـد ألقت قاذفاتنا في خلال ساعتين ونصف الساعة ما يقرب من ثمانين طنـا من القنابل على منطقة حشوده التي كانت تمتد مساحتهـا أميـالا طـولا وميلين عرضـا ٠ وقد حالف الفشل هجوم العدو قبل أن يستكمل تشكيله، وكانت هذه هي المرة الأخيرة التي حاول العدو فيهـا أن يتسلم قيـــادة المبادرة » ٠

وفي الفترة التي تمتد بين السادس والثامن والعشرين من أكتوبر ، قذفت طائراتنا بقنابلها ثلاث ناقلات نفط للعدو كان لها أهميـة حيوية فأغرقتها ٠ وبذلك جنينا ثمرة طيبة لعملياتنا الجوية التي كانت جـزءا لا يتجزأ من المعركة البرية ٠

وفي هذا الوقت أعد مونتجومرى خططه ومواقعه للهجوم الحاسـم ،

الذى أسميناه « الهجوم الأكبر » ، وقد أقصى عن الجبهة الفرقة النيوزيلندية والفرقة البريطانية المدرعة وقد كانت الأخيرة فى حاجة ملحة الى التنظيم بعد بلائها الرائع فى صد سلاح المدرعات الألمانى فى روابى « الكلى » وقد حسدت الفرقتان البريطانيتان المدرعتان السابعة والحادية والخمسون بالاضافة الى لواء من الفرقة الرابعة والأربعين وأدمجت فى قوة احتياطية واحدة ، وقد تقرر : أن يكون النيوزيلنديون فى مقدمة الهجوم ومعهم لواءا المشاة البريطانيان : (١٥١) و (١٥٢) ، ولواء المدرعات البريطانى التاسع •

وقد كان التقدم الاسترالى الرائع نحو الأمام وهو الذى تحقق بعد قتال تميز بالضراوة والشدة والعنف ــ هو الذى حول المعركة كلها الى جانبنا منذ بدات • وفى الساعة الواحدة من صباح الثانى من نوفمبر بدأت عملية « الهجوم الأكبر » وقد تمكنت الألوية البريطانية الملحقة بالفرقة النيوزيلندية فى ظل ستار قوى من المدفعية من ان تنفذ الى المنطقة المحصنة ، وقد مضى اللواء المدرع التاسع فى زحفه ولكنه أمكنه أن يحتفظ بالرواق مفتوحا ، ثم تحركت الفرقة البريطانية فى المعركة فقد هاجم كل ما تبقى لدى العدو من الدبابات على جانبى المرتفع ، ولكنه أمكنه صدها • وهنا حانت « مرحلة القرار الأخير » ولكن تقارير طائراتنا الاستكشافية قد أثبتت أنه فى الثالث والعشرين من نوفمبر ــ وعلى الرغم من ان العدو بدأ يتقهقر صمدت قوات مؤخرته المستخدمة فى التغطية على « طريق الرحمن » فى وجه الزحف الرئيسى لسلاح مدرعاتنا ، كالسد المنيع الذى يحول دون تقدمها ، وقد وصل أمر هتلر يحذر من التقهقر ، لكن النتيجة أفلتت من أيدى الألمان ، وكان علينا أن نفتح ثغرة ثانية فى الجبهة ، وقد شن « اللواء الهندى الخامس » فى الساعات المبكرة من صباح الرابع من نوفمبر ، هجوما خاطفا بالسيارات على بعد خمسة أميال جنوب تل العقاقير وقد أحرز هذا الهجوم نجاحا ملموسا منقطع النظير •• وهكذا كسبنا المعركة وأصبح الطريق مفتوحا أمام سلاح مدرعاتنا المطارد للعدو عبر الصحراء الغربية •

وقد بدأ رومل انسحابه الكامل السريع ، ولكن وسائل النقل لم تكن متوفرة لديه حتى يحمل كل ما لديه من قوات ، كما أن الوقود كان ينقصه ، وعلى الرغم من ان الألمان كانوا قد قاتلوا ببسالة ، فانهم كانوا يفاضلون بين أنفسهم وبين حلفائهم الايطاليين فى السيارات ، وترك الألوف من ست فرق ايطالية هائمة فى الصحراء دون غذاء أو ماء ، ولم يعد لديهم من الأمل سوى أن تقوم قواتنا بجمعهم للزج بهم فى معسكرات

الأسر ٠٠ وبعـد ، فقد امتلأت أرض المعركـة بحشـد كبير من الدبابات المحطمة والمدافع والسيارات ، وتقول مذكرات الألمـان انه لم يبق مما لدى الفرقة الألمـانية من مجموع ٢٤٠ دبابة صالحة للاستعمال عنـد بداية المعركة ـ الا ثمان وثلاثون دبابة في الخامس من نوفمبر ، وكان السـلاح الجـوى الألمـانى قد تخلى عن محـاولة الحصـول على التفوق الجـوى فى مجال الموازنة وأصبح فى وسع سلاحنا الآن أن يعمل فى حرية وانطلاق ، لا يمنعه عائق ، مهاجما العدو بما يملك من موارد ، وهو ينقهقر فى قواته الغفيرة من الرجال والسيارات في اتجاه الغرب ، وقد أثنى رومـل ثناء عاطرا على الدور البارز الذى لعبه السـلاح الجـوى الملكى فى المعركة ٠ وهكذا هزم جيش رومل هزيمة منكرة ، وغـدا الجنـرال « فون تومـا » مع تسعة جنرالات من الايطاليين أسرى فى أيدينا ٠

وقد راودنا الأمل فى تحويل الكارثة التى نزلت بالعدو الى « عملية ابادة » ، واتجـه الهجـوم النيوزيلندى الى الغوته ، ولكن حينما قدم النيوزيلنديون الى هناك فى الخامس من نوفمبر كان العـدو قد انسحب منها ، وقد راودنا هذا الأمل فى طريق تقهقر العدو فى مرسى مطروح التى كانت هدفا لهجوم الفرقتين البريطـانيتين المدرعتين الأولى والسابعة ٠ وعندما أسدل ليل السادس من نوفمبر سدوله على الكون ، كانت الفرقتان تقتربان من هدفهما على حين كان العدو لا يزال يحاول ـ جاهدا ـ الهرب من الفخ الذى يكاد يحصره ويبيده ٠٠ وفجأة هطل المطر ، وتضاءلت كميات الوقود لدى قواتنا الأمامية فتوقفت عمليات مطاردتنا طيلة السـابع من نوفمبر ، وقد حال هذا التوقف ـ الذى استمر أربعا وعشرين ساعة ـ دون اتمام حركة الالتفاف لكن أربع فرق ألمانية وثمانى فرق ايطالية لم تستطع أن تصبح تشكيلات مقاتلة ، وأسر ما يقرب من ثلاثين ألف جندى كمـا استولت قواتنا على كميات كبرى من المعدات الحربية من مختلف الأنواع ، وقد سجل رومل رأيه فى الدور الذى أدته مدفعيتنا فى هزيمته فقال : « وقد أظهرت المدفعية البريطانية مرة أخرى تفوقها الرائع المشهور ، ولعل أبرز ما فيها هو ، قدرتها على الحركة وسرعتها على التكيف وفقا لمقتضيات الهجـوم » ٠

والخلاف بين معركة العلمين وبين المعارك الأخرى فى الصحراء واضح، فالجبهة محدودة قوية التحصين فضلا عن أنها تضم قوات كبيرة ، ولم يكن هناك جناح يمكن الالتفاف حوله ، وكان على الفريق الأقوى الذى يود الهجوم أن يخترق الجبهة ، وتكاد « معركة العلمين » تذكرنا بمعارك الحرب العالمية الأولى فى الجبهـة الغربية وقد تكررت فى مصر المظـاهر التى سبق أن رأيناها ، من أجل تجربة واختبار القوى التى شهدناها فى «معركة كمبرية»

فى اخر عام ١٩١٧ وفى المعارك الكبيرة التى دارت فى عام ١٩١٨ . وأهم هذه المظاهر ، تمتع المهاجمين بطرق مواصلات قصيرة ، واستخدام المدفعية فى أكبر تركيز ممكن والقصف الأجوف وتوغل الدبابات فى هجوم الى الأمام .

وكان الجنرال مونتجومرى ورئيسه الجنرال أليكسندر قد أجادا اجادة تامة هذا اللون من الحروب بفضل التجربة والدراسه وكان مونتجومرى نفسه مدفعيا عظيما كما كان يؤمن ـ كما قال برنارد شو عن نابليون : « ان المدافع تقتل الرجال » وسنراه دائما يحاول جمع ما بين ٣٠٠ و٤٠٠ مدفع ثم يشركها فى عمل تحت قيادة واحدة مركزة ، بدلا من اشتباكات البطاريات ـ وهى العمليات التى لا مفر منها والتى ترافق تقدم سلاح المدرعات فى المجالات الصحراوية ـ وبطبيعة الأمر ، كان كل شيء فى المعركة أضيق وأقل بكثير من معارك فرنسا « والفلاندرز » ، وقد فقدنا أكثر من ثلاثة عشر آلفا وخمسمائة رجل فى العلمين فى اثنى عشر يوما ، وقد فقدنا فى اليوم الأول من المعركة ستين ألفا ، وقد تضاعفت القوة النازية الدفاعية ـ من الناحية الثانية ـ عما كانت عليه فى الحرب الماضية ، وفى هذه الأيام كان المفروض أن تكون القوات المحتشدة للهجوم ضعفى القوات المدافعة أو ثلاثة أضعافها لا من حيث عدد المدافع فحسب ، بل من حيث عدد الرجال كذلك لتستطيع اختراق الجبهة المحصنة وتحطيمها برغم المدافعين عنها ، ولم يكن لدينا مثل هذا التفوق فى العلمين ، وكانت جبهة العدو تتألف ـ فضلا عن سلسلة الخطوط المتعاقبة من المواقع الحصينة ، من مواقع المدافع الرشاشة العميقة للغاية بكاملها وهى تشكل جهازا دفاعيا كاملا وأمام هذه المنطقة كلها يمتد درع هائل من حقول الألغام ، لم يسبق فى تاريخ الحروب له مثيل فى قوته وكثافته . ولهذه الأسباب كلها ، فان معركة العلمين ستحتل دائما صفحة مجيدة فى التاريخ العسكرى البريطانى .

وهناك سبب آخر لخلود هذه المعركة ، هو أنها تشير فى الواقع الى انقلاب فى « محور الخط » ، وقد يقال : ـ وهو قول صحيح ـ اننا لم نحقق أى ظفر قبل العلمين ، ولكننا بعد العلمين لم نمن بأية هزيمة .

وأستأذن فى ترك حديث الحرب ـ مؤقتا ـ لأتوقف عند معركة من لون جديد ، معركة رائعة من الطراز الأول ، معركة تثبت ان انجلترا لم تكسب الحرب اغتباطا أو مصادفة وانما كسبتها لما لدى الشعب البريطانى من خصال عظيمة .

فى الوقت الذى كانت فيه المعارك محتدمة فى جميع الميادين وكانت الهزائم تتوالى على الحلفاء عرض فى البرلمان الانجليزى اقتراح بالثقة فى

حكومة ونستون تشرشل . وندع تشرشل يتحدث عن تلك المعركة البرلمانية الكبرى التي تؤكد أصالة الشعب البريطاني .

لقد كان لثرثرة الصحافة وانتقاداتها التي صدرت من أقلام لاذعة تكتب ومن أصوات رفيعة تعلو ، بعض أصداء متشابهة في نشاط عدة عشرات من أعضاء مجلس العموم ، وفي كآبة وعبوس ممثلي الأغلبية الكبيرة التي نتمتع بها .. ولن تبقى الحكومة في الحكم في هذه المرحلة اذا كانت حزبية ، وستسقط نتيجة خذلانها في الاقتراع على الثقة أو بتأثير هذه الأزمة العنيفة التي أثرت على الرأي العام كله والتي ضاهت تلك التي أجبرت المستر « تشمبرلين » على الاستقالة في مايو عام ١٩٤٠ بيد أن الحكومة القومية الائتلافية ، التي عززها ما جد عليها من تعديل في فبراير ، كانت متفوقة في قوتها ووحدتها . وقد أحاط بي كل وزرائها دون أن يداخلهم أي ريب أو انتقاص ، وقد اتضح لي أنني احتفظت بثقة كل المراقبين لسير الأحداث والمطلعين على بواطنها والمشتركين في مسئولياتها ، ولم يمس أحدهم وهن أو ضعف ، ولم تنبعث همسة واحدة توحي بالريب أو الوقيعة ، بل كنا كلنا حلقة متماسكة قوية لا تنفصم عراها نستطيع أن نقاوم أي هجوم سياسي يشن علينا من الخارج ، وأن نحافظ على وحدتنا تجاه القضية المشتركة برغم كل فشل وخيبة رجاء .

وقد مررنا بسلسلة طويلة من المحن والهزائم في الملايو وسنغافورة وبورما ومعركة أوكنلك الخاسرة في الصحراء ، وطبرق التي لم ندركها بعد ، والتي ربما لا ندركها أبدا ، وتقهقر جيش الصحراء السريع ، وفقد كل ما سبق لنا الاستيلاء عليه في ليبيا وبرقة ، أربعمائة ميل من الانسحاب الى حدود مصر ، وقد قتل وأسر من رجالنا أكثر من خمسين ألفا ، وفقدنا كميات كبيرة من المدافع والذخائر والسيارات والمستودعات المتعددة الأنواع ، وها نحن أولاء قد رجعنا الى مرسى مطروح .. وهو المكان الذي حللنا به قبل عامين مع فارق واحد هو : ان روميل وجنوده الألمان يتغلبون علينا الآن ، ويضغطون علينا مستخدمين سياراتنا التي سقطت في أيديهم وبترولنا الذي استولوا عليه ، ويقذفوننا أحيانا بذخائرنا . ولو كتب لهم أن يتقدموا مسافة أخرى ويظفروا بنصر واحد فحسب ، فان موسوليني وروميل سوف يدخلان القاهرة أو ما بقي من أنقاضها ... فكل شيء مافتيء معلقا في كف القدر ، وكيف يستطيع الانسان بعد ما منينا به من انتكاسات وازاء عوامل الغيب التي تقابلنا أن نتكهن بالصورة التي سيتحول فيها الميزان ؟ ..

لقد استدعى الوضع البرلماني تحديدا جليا ، وكان من العسير علينا أن نطلب من المجلس أن يقترع مرة أخرى على الثقة بحكومتنا ، بعد ذلك

الاقتراع الذى ظفرنا به قبيل سقوط سنغافورة ، لهذا كان من مصلحتنا تقرير الأعضاء الناقمين فى الخامس والعشرين من يونيو فيما بينهم ، توجيه قرار باللوم الينا ، يضمنونه جدول الأعمال ، ويطلبون الاقتراع على هذا القرار ، وهذا هو نص القرار :

« يقرر المجلس برغم تقديره لما أظهرت قوات التاج المسلحة من بسالة ومقاومة فى أوقات بالغة العنف والصعوبة ـ عدم الثقة بالجهاز المركزى الذى يدير دفة الحرب » .

وقد وقع مشروع القرار السير « جون ووردلو ـ ميلن » وهو أحد الأعضاء الذين لهم نفوذ فى حزب المحافظين ، ورئيس لجنة الشئون المالية التى تضم أعضاء يمثلون مختلف الأحزاب التى كنت أدرس بعناية كبيرة تقاريرها عن تبذير بعض الادارات ، وعدم كفايتها ، وكان للجنة الكثير من مصادر المعلومات التى فى حوزتها ، كما كانت لها اتصالات كثيرة بالحلقة الخارجية لجهازنا الحربى ، وحين أعلن ثناء أميرال الأسطول «روجر كيسى» على مشروع القرار وان وزير الحربية السابق المستر « هور بيشا » يعضده بان لنا على الفور ان هناك تحديا حقيقيا للحكومة ، ولقد كان الهمس يدور خلف الكواليس ، كما كانت الصحف تتكلم عن « أزمة سياسية منتظرة » قد تكون حاسمة ..

وقد أعلن على الفور أن الحكومة مستعدة لأن تمنح المجلس الفرصة التامة لاجراء مناقشة وحددت الأول من يوليو موعدا لها . واحسست أن واجبى أن أعلن شيئا واحدا على الأقل ، فأبرقت الى « أوكنلك » أقول : « أرى من اللازم حين أتحدث الى المجلس عند مناقشة قرار لوم الحكومة فى الساعة الرابعة بعد ظهر الخميس ـ أن أعلن أنك تسلمت القيادة من « ريتشى » بعد أن نحيته عنها فى الخامس والعشرين من يونيو » .

وكانت أزمة المعركة فى مصر تتفاقم وتزداد سوءا يوما اثر آخر ، حتى لقد انتشر الاعتقاد بأن القاهرة والاسكندرية سوف تسقطان عما قريب أمام « سيف رومل القهار » وقد أعد موسولينى فعلا العدة ليطير الى مقر قيادة رومل وهو مصمم على أن يشترك فى الدخول الظافر الى أى من هاتين المدينتين وظهر لى أننا سنبلغ القمة فى معركتى البرلمان والصحراء فى وقت واحد ، وحينما ظهر لأندادنا أنهم سيواجهون حكومتنا الائتلافية ـ وهى متحدة ـ تبخر معظم حماستهم وعرض صاحب الاقتراع سحبه ، اذا استدعى الوضع الحرج فى مصر عدم اثارة مناقشة عامة فى الموضوع ، ولكننا قررنا ألا نمكنهم من الفرار فى يسر وسهولة ، ولما كنا نرى العالم كله يرقب فى الأسابيع الثلاثة الأخيرة فى قلق ، ازدياد التوتر فى الموقفين السياسى والعسكرى : فقد رأينا من العسير علينا أن نمضى الى آخر الطريق .

لقد بدأ السير « جون ووردلو ـ ميلن » المناقشة بخطاب قوى ، بسط فيه القضية الرئيسية فقال : يجب ألا يعد الاقتراح هجوما على الضباط الذين يحاربون فى الميدان ، وانما هو هجوم على « ادارة الحرب المركزية » هنا فى لندن وأرجو أن أبدى أن عوامل فشلنا قائمة هنا ، لا فى ليبيا ولا فى غيرها ، وكان الخطأ الأول الذى ارتكبناه فى هذه الحرب هو الجمع بين منصبى : رياسة الوزراء ووزارة الدفاع • وقد ركز على ما يحمله من يتولى هذين المنصبين فوق كاهله من أعباء ضخمة ثم قال : « يجب أن يكون لنا قائد قوى متفرغ يتقلد رياسة لجنه رؤساء الحرب• اريد رجلا قويا يمكنه أن يطلب الأسلحه التى يفتقر اليها لتحقيق النصر • أريد رجلا يتحمل مسئولية الفروع الثلاثة لقوات التاج المسلحة وأن يضمن تحرر جنرالاته وأميرالاته ومارشالات الجو فى تنفيذ أعمالهم على الوجه الذى يرونه ، ولا يسمح للآخرين بالتدخل فى شئونهم • وفضلا عن ذلك أريد رجلا يقبل على الاستقالة اذا لم يمكنه أن ينفذ ما يريد •• وقد عانينا من الاضطرار الى قيام رئيس الوزراء بتمحيص ما يجرى هنا حقا فى الوطن •• ومن الاحتياج الى ما يجب أن نحصل عليه من توجيه من وزير الدفاع أو من أى ضابط مهما كان اللقب الذى يمنحه بتولى مسئولية القوات المسلحة ، ولا شك فى أنه قد ظهر لكل مدنى أن سلسله الكوارث التى منينا بها فى الأشهر القلائل الأخيرة بل فى السنتين الأخيرتين ، انما هى نتيجة للعيوب الأساسية فى الجهاز المركزى لادارة دفة الحرب فى بلادنا » •

لقد خلف كل ما قاله السير « جون » أثره وأصاب هدفه ، لكنه لم يلبث أن ارتكب جريرة كبيرة حينما قال : « أرجو أن تكون خطوة مرغوبا فيها ، موفقة اذا ما أقر جلالة الملك وصاحب السمو الملكى أن يتولى الدوق « جلوستر » القيادة العليا للجيش البريطانى على ألا تكون له صلاحيات ادارية »•وقد كان هذا الاقتراح مضرا أفدح الضرر بالقضية التى عرضها ، كما أنه أدى الى الزج بالأسرة المالكة فى خضم مسئوليات قابلة للمناقشات والمتناقضات •• وكان تعيين قائد أعلى للحرب ، يمنح صلاحيات غير محدودة ، وربط هذه الصلاحيات بدوق ملكى ، يعد أمرا يوحى بشىء من الدكتاتورية ، وهكذا بدا بيانه الطويل المطنب يفقد منذ ذلك الوقت تأثيره وقوته وأخيرا وصل السير جون الى القول بأنه « على المجلس أن يظهر افتقارنا الى شخص واحد يخصص وقته كله لقضية : « كسب الحرب » • ويتقلد القيادة الكاملة لكل قوات التاج المسلحة •

وحينما نظفر بهذا الرجل ، ينبغى على المجلس أن يمده بأسباب القوة ويدعمه وييسر له سبيل ممارسة واجباته الملقاة على عاتقه ، فى قوة واستقلال وأضحين • "

وقد اثنى السير روجر كيس على الاقتراح فى حين تألم من اقالته من مركزه كمدير للعمليات المشتركة ومن الحقيقة الواقعة أننى لم أستطع قبل مشورته والاصاخه الى رأيه دائما حينما كان يشغل هذا المنصب ، بيد أن صداقته الشخصية الطويلة لى كانت نقطة ضعف فى موقفه هذا ، لذا فقد ركز انتقاداته وحملته على مستشارى الخبراء وخاصة رؤساء أركان الحرب ، فقال : من المؤلم حقا أن يمنى رئيس الوزراء فى حياته ثلاث مرات بالفشل كما حدث له : « جاليبولى » و « النرويج » والبحر المتوسط وأن يعجز عن تسديد ضربات استراتيجية كان مقدرا لها أن تغير مجرى الحربين واتجاهاتهما : وذلك أن مستشاره البحرى الدستورى « أبى فى المرات الثلاث أن يتحمل معه المسئولية ويشاطره اياها ــ اذا كانت تحتوى أيه مجازفة ٠٠ » ولم يمر هذا التناقض العجيب بين رأى صاحب الاقتراع ورأى المثنى عليه دون أن يلاحظه الجميع وقد تدخل نائب من حزب العمال المستقل هو : المستر ستيفن فأومأ الى أن صاحب الاقتراح ، أراد توجيه اللوم على أساس أن رئيس الوزراء جاوز حده فى ادارة دفة الحرب ، فى حين نرى من أثنى على الاقتراح يقول : ان الرئيس لم يتدخل تدخلا كافيا فى توجيه هذه الدفة ٠٠ ولقد كانت هذه النقطة جلية لكل أعضاء المجلس ٠

وقال الاميرال كيس : « اننا نرنو الى رئيس الوزراء طالبين اليه تنظيم وزارته أولا وأن يجمع كل الشعب خلفه ثانيا لأداء الواجب العظيم » ٠ وهنا تدخل أحد النواب الاشتراكيين تدخلا موفقا صائبا فقال : « ان الاقتراح موجه ضد « الادارة المركزية » لدفة الحرب ، فاذا أقر المجلس الاقتراح ، فعلى رئيس الوزراء أن يستقيل ، فى حين نرى العضو الموقر الشجاع ، يناشد المجلس الابقاء على رئيس الوزراء ، فرد السير روجر قائلا : لا شك فى أنها ستكون كارثة تثير كوامن الألم اذا اضطر رئيس الوزراء الى الاستقالة ، وهكذا تضعضعت المناقشة فى بدايتها ٠

وبالرغم من ذلك استمرت المناقشة وقبض الناقدون على زمام المبادرة وقام وزير الانتاج الجديد ، الكابتن أوليفر ليتلتون حين قام يرد على ما وجه الى العتاد من انتقادات فذكر فقرة عاصفة من بيـــــانه المستفيض المفصل الذى تناول فيه هذه الناحية ، وقد لقيت الحكومة مؤازرة قوية من صفوف المؤيدين الخلفيين وقد ألقى المستر بوتبى بصورة خاصة خطابا قويا مؤيدا واستُرد اللورد دينترتون ــ وهو الملقب « بأبى المجلس » ــ زمام الهجوم العنيف ، وركز هجومه على فقال : من الوزير المسئول الذى أدار عملية «نارفيك» وكان الرأس المحرك لكل عملياتها ؟ انه الرئيس الحالى للوزارة الذى كان وقتذاك وزيرا للبحرية ٠٠ ولكن لن يجرؤ أى عضو من الأعضاء على القـــاء التبعة على الشخص الذى ينبغى القاؤها عليه من الناحية

الدستورية ، وهو : « رئيس الوزراء » ٠ واذا كنا سنتلقى الرد نفســه باستمرار وهو : « عدم الانحاء باللائمة على رئيس الوزراء مهما حدث » ٠٠ فاننا نكون قد دنونا كثيرا فكريا ومعنويا من الشعب الألمانى الذى يقول : « ان الفوهرر لا يخطىء ٠٠ » ولم أشهد طوال السبعة والثلاثين عاما التى أمضيتها فى هذا المجلس ، محاولات مثل ما شهدته اليوم من محاولات لتخليص رئيس الوزراء من المسئولية الوزارية ٠٠ ولم يحدث أن مرت بنا فى الحرب الســابقة سلسلة متلاحقة من النوائب كما مر بنــا فى هذه الفترة ٠٠ وبالرغم من ذلك تنجو الحكومة لأن الفوهرر لا يخطىء ٠٠ ونحن جميعا متفقون على أن رئيس الوزراء كان هو القائد الموجه لبسالتنا وصمودنا ابان عام ١٩٤٠ بيد أن أحداثا كثيرة وقعت منذ ذلك التاريخ ، واذا ظلت هذه النوازل تتوالى ، فان من الأفضل ــ للسيد الموقر جدا ــ أن يقوم بعمل رائع من أعمال « انكار الذات » التى يقوى كل انسان على القيام بها ، وأن يذهب الى زملائه الوزراء ــ وبينهم كثيرون يصلحون لتولى رياسة الوزارة ــ ويقترح عليهم أن يقوم أحدهم بتأليف الوزارة « شريطة أن يتبوأ الســيد الموقر هذا ، منصبا وزاريا معه ، ولعل من الأفضل له أن يأخذ منصب وزير الخارجية لأنه استطاع أن يدعم علاقاتنا الخارجية بروسيا وأمريكا ويصل بها الى درجة القوة والكمال ٠٠

ولم يكن فى طاقتى أن أظل أنصت الى أكثر من نصف الخطب التى ألقيت خلال المناقشــــة الحاميــة التى استمرت حتى الساعة الثـالثة صباحا ، وكان على طبعــا أن أجهز برنامجى لليوم التالى ، ولكن أفكارى كانت مركزة على المعركة التى ظهرت وكأنها معلقــة فى كف الأقدار فى مصــــر ٠٠

وقد استؤنفت المناقشة ، ولم تمض ساعات قليلة على استئنافها حتى كانت قد استنفدت طاقتها ، وفى اليوم الثانى استؤنفت بحيوية متجددة وبطبيعة الحال ، لم يمنع أى نائب من أن يقول ما ينبغى ، فقد كانت حرية الكلام ، وقد أعرب أحد النواب فى قوله :

عندنا فى هذه البلاد خمسة أو ستة جنرالات ينتمون الى دول أخرى كالتشيكيين والبولنديين والفرنسيين ، وهــم مدربون على استعمال هذه الأسلحة الألمانية وعلى أساليب القتال التى ينهجها الألمان ٠ وانى لأعلم أن اقتراحى قد يكون جارحا لكبريائنا لكن الا يمكن أن نسند القيادة فى الميدان الى بعض هؤلاء الجنرالات حتى يتوافر عندنا القادرون ٠ ان الأحداث هى التى توجه نقدها الى الحكومة وكل ما نصنعه هو : أن نعبر عنها ، وربما يكون تعبيرنا عنها غير واف ، ولكننا نحاول التعبير عنها على أية حال ٠
« وقد لخص المستر هور ــ بليشــار » : وزير الحربية السابق القضية

الرئيسية ضد الحكومة ، وفى النهاية قال : قد نفقد مصر أو لا نفقدها وانى لأرجو الله ألا نفقدها ، ولكنى حينما أقرأ قول رئيس الوزراء بأننا سنحمى مصر يتضاعف قلقى لأنه قد سبق أن قال انا سنحمى سنغافورة وكريت ، وسنقضى على الألمان قضاء مبرما فى ليبيا ، فكيف يمكن المرء أن يضع ثقته فى أحكام أثبتت أكثر من مرة خطأها وسوء توجيهها ؟ ..

هذا هو الموضوع الذى يجب أن يقرره مجلس العموم الآن ، عليكم أن تعملوا التفكير فى كل ما هو معرض للخطر فى هذه اللحظة : « لقد خسرنا فى مائة يوم ، امبراطوريتنا فى الشرق الأقصى ، فما الذى سيحدث فى المائة يوم المقبلة ؟ .. اننى لأرجو أن يحكم كل عضو فى المجلس ضميره قبل الاقتراع » ..

وقد نهضت بعد هذا الخطاب القوى لأنهى المنافسة ، وكان المجلس مزدحما بالحاضرين ، ولقد حاولت بالطبع ابانة كل نقطة عرضت على ، وكان المستر « هور بليشا » قد ركز على فشل الدبابات البريطانية ، وعدم كفاية معداتنا فى سلاح المدرعات وكان مركزه ضعيفا فى هذا الهجوم بالنسبة الى سجله السابق قبل الحرب فى وزارة الحربية وقد استطعت أن أنكس الوضع حينما قلت :

ان فكرة الدبابة « مفهوم بريطانى » واستخدام القوات المدرعة على ما هى عليه الآن « خطة فرنسية » كما يظهر فى كتاب الجنرال ديجول ، ولم يكن أمام الألمان الا أن يحولوا هذه الأفكار الى أمور عملية يستخدمونها، وقد أمضوا السنوات الثلاث أو الأربع الأخيرة قبل الحرب — بما عهد فيهم من مهارة واتقان فى التخطيط والصناعة معا — فى انتاج الدبابات ودراسة طرق حربها . وكان فى امكان وزير الحربية اذ ذاك — ولو لم تتوافر لديه الأموال الكافية لصناعة وانتاج الدبابات على نطاق واسع — انتاج نماذج عملية كاملة الحجم يقوم باجراء التجارب عليها ، ويختار المصانع ويكفل لها ما تحتاج اليه من معدات بحيث تبدأ انتاجها الضخم من الدبابات والمدافع المضادة لها حين تبدأ الحرب .

وحينما انتهت الفترة التى أطلقت عليها « فترة بليشا » لم يكن عندنا سوى مائتين وخمسين دبابة تحمل قلة منها مدافع من عيار رطلين ، وقد وقع أكثرها فى قبضة العدو ، أو حطم فى معركة فرنسا ..

« وانى لأقبل راضى البال ، ما يلزمنى قبوله مما أسماه اللورد النبيل الايرل وينترتون ، (المسئولية الدستورية) عن كل ما حدث ، أرى أننى قد نهضت بهذه المسئولية من ناحية عدم التدخل فى الأمور الفنية للجيوش، المشتبكة مع العدو ، على أنى قبل بدء المعركة ، استنهضت همة الجنرال

« أوكنلك » كي يتولى القيادة بنفسه ، لأنني كنت واثقا من أنه لن يحدث في منطقة الشرق الأوسط الشاسعة في الشهر أو الشهرين القادمين ، ما يمكن أن يقارن بالقتال الدائر في معركة الصحراء الغربية ، وقد تراءى لي أنه الرجل الذي يصلح لهذا العمل ، لكنه اعتذر عن ذلك مبديا عددا من الأسباب المعقولة ، وقد خاض الجنرال « رينتشي » المعركة ، وقد ذكرت قبل للمجلس يوم الثلاثاء أن الجنرال « أوكنلك » قد تسلم زمام القيادة من الجنرال « رينتشي » في الخامس والعشرين ، ووافقنا نحن على هذا القرار فورا ، ولكن يجب أن أقرر بصراحة أن هذا الموضوع ـ موضوع ابعاد الضابط عن القيادة لم يكن من الطراز الذي يمكن أن نتخذ فيه حكما قاطعا نهائيا ، ولا أستطيع أن أزعم أنني قد أصبحت في حكمي على ما حدث في هذه المعركة ، ولا اريد أن يحس قادة البر والبحر والجو بأن الحكومة تقف سدا منيعا بينهم وبين أي نقد ـ وينبغي أن تمنحهم الفرصة المعادلة بل أكثر من فرصة واحدة . فقد يخطئون ثم يتعلمون من أخطائهم وقد يمنون بسوء الطالع ، لكن طالعهم قد تغير ـ ولكن ليس في امكاننا أن يكون عندنا عسكريون متأهبون لقبول المخاطر الا اذا أحسوا بأن حكومة قوية تؤازرهم وتساندهم وبالطبع أن يغامروا أو يجازفوا اذا أحسوا بأن عليهم أن ينظروا باستمرار خلفهم ، وأن يستشعروا القلق لما يحدث في الوطن، والا فانهم سيعجزون عن تركيز أنظارهم على العدو وبالطبع لن يكون في وسعهم الحصول على حكومة تقدم على المخاطر ، الا اذا أحسوا أن خلفها أكثرية قوية مخلصة فانظروا الى ما يجب أن نصنعه الآن ، وتخيلوا نوع الهجوم الذي سنتعرض له اذا أردنا القيام بهذا الواجب ، ثم منينا بالفشل ففي فترات الحروب ينبغي على المواطن أن يمنح الولاء اذا رغب في خدمة وطنه حقا .

واني لأود أن أقول بضع كلمات مشفوعة بأصدق التمنيات والتقدير ـ كما يقولون بلغة الدبلوماسيين ، ولي وطيد الأمل في أن يمنحني المجلس الحرية التامة في المناقشة . ان للبرلمان مسئولية خاصة ، فقد كان قائما منذ بداية الكوارث التي لحقت بهذا العالم ولهذا المجلس فضل كبير علي . وأرجو أن يشهد هذا المجلس النصر النهائي وأرى أنه لا يتحقق الا اذا أعطى المجلس الحكومة التنفيذية المسئولة التي اختارها قاعدة قوية ترتكز عليها في هذا السبيل الشاق الطويل الذي يتحتم علينا أن نجتازه بعد ، وعلى المجلس أن يكون عامل استقرار ثابت في الدولة ، لا أن يكون وسيلة يمكن الفئات الناقمة في الصحافة عن طريقها ، خلق أزمة اثر أخرى . واذا قدر للديموقراطية والأنظمة البرلمانية الظفر في هذه الحرب ، فمن المحتم أن تتمكن الحكومات التي تعتمد عليها من أن تعمل ، وأن تجرؤ على هذا العمل وألا يظل موظفو التاج عرضة للمضايقة بالتجريح والنقد ،

والا نمكن دعاية العدو من استغلال ما نقدمه اليها من مواد ، وألا نعرض سمعتنا للتشهير والتحطيم فى كل انحاء العالم ، وعلى النقيض من هذا ، علينا أن نبرز ارادة ـ المجلس فى مختلف المناسبات الهامة • ومن الأهمية بمكان ألا يكون هؤلاء المتكلمون وحدهم العامل المهم فى الشئون العالمية ، وانما يكون معهم كذلك أولئك الذين يسمعون ويحكمون • فنحن ـ على أية حال ـ ما برحنا نحارب لا من أجل الدفاع عن حياتنا والذود عنها بل من أجل الدفاع أيضا عن قضايا هي أغلى من الحياة نفسها • وعلينا ألا نفترض أن النصر أمر مؤكد وواقع لأنه لن يتم الا اذا أدينا واجبنا على أحسن وجه • وللنقد البناء الوادع • أو ما يوجه من نقد فى جلسات سرية ـ فضائل كبيرة ، بيد أن واجب مجلس العموم ، يحتم عليه أحد أمرين : اما أن يوطد مركز الحكومة أو يغيرها واذا لم يمكنه تغييرها ، فعليه أن يدعمها ، وليس هناك عمل وسط فى أيام الحروب •• وكل ما ينجم عن الخطب المعادية يتسرب الى الخارج ويستغله العدو أشنع استغلال ••

لقد قال مقدم اقتراح «لوم الحكومة» يجب على أن أتخلى عن مسئولياتى الدفاعية لتتولى شخصيه عسكرية أو غير عسكرية الادارة العامة لدفة الحرب ، وأن يكون لهذه الشخصية الاشراف على قوات التاج المسلحة وأن ترأس لجنة رؤساء أركان الحرب ، وأن يخول تعيين الجنرالات والأميرالات واقالتهم وأن يكون مستعدا باستمرار للاستقالة اذا لم يظفر بما يريد ، متحديا زملاءه السياسيين ـ ان صح لنا أن نطلق عليهم اسم الزملاء ـ وأن يعمل تحت امرته أمير من أمراء الأسرة المالكة ـ كقائد عام للجيش وأن يساعد رئيس الوزراء هذا الشخص بل أن يكون تابعا له ويقدم الاجابة عن الاستفسارات ويدبر الدوافع ويقوم بالاعتذارات أمام القادة المدربين ؟ •• وهل هناك حرج فى أن ترسل الى الميدان هؤلاء ـ الرجال الذين لا يقلون من حيث الرتبة عن الجنرال «ريتشى» ونسند اليهم قيادة قواتنا ؟ •• انهم يعرفون دون قادتنا كيف يخوضون غمار هذه الحرب ، وانى لأصرح بأن من الأفضل أن نكسب المعارك ونحمى أرواح الجنود البريطانيين بقيادة رجال من الأمم المتحدة لا أن نخسرها بقيادة جنرالاتنا •• وعلى رئيس الوزراء أن يعرف أن هناك قولا ذائعا يردده كل لسان فى هذه البلاد ، بأن روميل لو كان فى الجيش البريطانى لظل حتى الآن عريفا •• أو ليست هذه هى الحقيقة ؟ •• انه كلام شائع فى أوساط الجيش كلها ، ففى هذه البلاد الآن وفى الجيش البريطانى « رجل » هزم مائة وخمسين ألفا فى معركة « الا يبرو » فى الحرب الأهلية الاسبانية ، انه ميشيل دونبار الذى يعمل الآن عريفا فى أحد الألوية المدرعة فى هذه البلاد ـ وحقيقة المسألة وجوهرها أن الجيش البريطانى تتنازعه الأهواء الطبقية فعليكم أن تغيروا هذا الوضع واذا لم

يستطيع مجلس العموم آن يدفع الحكومة الى تغييره فان الأحداث ستغيره ٠ وربما لا يعنى المجلس بما ذكرته اليوم ، ولكنه سيعنى به قطعا فى الاسبوع القادم تذكروا ما قلته يومى الاثنين والثلاثاء حينما ننحرف الأمور وتتعثر ، وهذا ما يحدث كثيرا ، وسيقع حتما وهذا ما فهمته من الاقتراح وان لم يحدده صاحبه ٠

ان هذا الاقتراح على أية حال ينطوى على سياسة كما أنه ينطوى على نظام يغاير كل المغايرة النظام البرلمانى الذى نحيا فى كنفه ، ومن اليسير أن يبلغ حد الدكتاتورية أو ينقلب اليها ، وانى لأود أن أوضح ايضاحا تاما اننى لن أشترك فى مثل هذا النظام ٠٠

وهنا قاطع السير « جون ووردلو ــ ميلن » قائلا : « أرجو ألا يكون صديقى ــ الموقر كل التوقير ــ قد نسى عبارتى الأصلية وهى « أن كل شيء متوقف على موافقة وزارة الحرب » ولكننى واصلت خطابى فقلت :

٠٠٠ متوقف على موافقة وزارة الحرب ٠ ان هذا الشخص الذى بلغت قوته غايتها يمكنه أن يهدد بالاستقالة فى كل لحظة اذا لم ينل ما يطلب ٠ انه مشروع على أية حال ٠٠ لكنى لست مستعدا لأن أشترك فيه ولا أعتقد أنه نظام يرتضيه هذا المجلس ٠

« ولعل اشتراك أعضاء من الأحزاب المتباينة فى تقديم الاقتراح بلوم الحكومة والاقتراع عليه يمثــل حادثا مهما ٠ على أية حال ينبغى عليكم ألا تدعوا المجلس يهون من خطر ما حدث حتى الآن ، وقد دوى هذا الاقتراح فى كل أرجاء العالم لأنه يتضمن استخفافا بنا وتحقيرا لحكومتنا ، وحينما تنتظر كل حكومة فى العالم ــ صديقة كانت أو عدوة ــ ما سيقرره مجلس العموم ، وما يفصح عنه من اعتقاد ، فاننا نحس أن من واجبنا أن نمضى فيه حتى النهاية فهناك فى كل أنحاء العالم فى أمريكا حيث رأيت الوضع بنفسى ٠٠ وفى روسيا ، وهناك فى الصين البعيدة ٠٠ وفى كل بلاد تحت سيطرة العــدو ، يتوقع أصــدقاؤنا أن يشاهدوا فى بريطانيا حكومة قوية راسخة ، وأن يروا ماسنصبح عليه زعامتها القومية أتتعرض للتحدى أو لا ؟ ان لكل صوت أهميته ، واذا انخفضت نسبة مؤيدى أولئك الذين هاجموا نا الى درجة مزرية ، وانقلب اقتراعهم بلوم الحكومة القومية الى اقتراع بلوم مقدمى الاقتراح أنفسهم فتيقنوا أن هتــافات أصدقاء بريطانيا والمخلصين لقضيتنا سترتفع فى كل مكان وستدوى جلاجل الخيبة فى مسامع العتاة الذين نعمل على التخلص منهم ٠

وكان أن رفض المجلس اقتراح السير « جون ووردلو ــ ميلن » بعدم الثقة بالحكومة بأكثرية (٤٧٥) صوتا مقابل : (٢٥) صوتا ٠

وكان أصدقائى الأمريكيون يتطلعون بقلق بالغ الى ما سينجلى عنه الاقتراع وقد انكشف فعلا عما أبهجهم · وفى صباح اليوم التالى أفقت لأتلقى تهانيهم ·

وينتقل ونستون تشرشل الى الحديث عن معارك القتال بعد أن تحدث بافاضة عن معارك السياسة ، ينتقل ليقول :

كان لسقوط طبرق ، دون حصـــار لفترة طويلة أثره فى قيام ثورة فى خطط المحور ، وكانت الخطة حتى الآن تعتمـد على أن يقف رومل على الحدود المصرية وأن تسارع قوات تنقل عن طريقى البحر والجو ، باحتلال مالطة ، وقد أكد موسولينى هذه الأوامر فى الحادى والعشرين من يونيو بيد أنه اقترح بعد سقوط طبرق بيوم واحد : أن يقوم بالقضاء على ما تبقى من قوات بريطانية صغيرة على الحدود وأن يفتح الطريق الى مصر ·· وقد عززت وجهة نظره فى متابعة المطـاردة الى قلب مصر عدة عوامل منها : وضع قواته وروحهم المعنوية العالية والكميات الهائلة من الذخائر فضلا عن الغنائم التى استولى عليها ، وضعف مركز القوات البريطانية · وطلب الموافقة على خطته ، وقد تلقى موسولينى رسالة أخرى من هتلر تلح عليه بقبول اقتراحات رومل ، واليك فقرات منها :

« لقد أراد القدر أن يمنحنا فرصة لن تعوض على مسرح الحرب نفسه ··· فقد دمر الجيش الانجليزى الثامن تدميرا تاما ، وما زالت تجهيزات الميناء فى طبرق سليمة ، وهأنت ذا تملك الآن قاعدة اضافية لها أهمية عظمى ، لأن الانجليز قد مدوا منها سكة حديدية الى مصر نفسها ، واذا لم نقم فى هذه اللحظة بمطاردة الجيش البريطانى حتى يلفظ أنفاسه آخر رجل فيه ، فسيتكرر ما حـدث حينما حـرم البريطانيون ثمار نصرهم الذى حققوه ، فلم يصلوا الى طرابلس ، وتوقفوا بقواتهم فجأة ، ليرسلوها الى اليـونان ··

ان « آلهة المعارك » تزور المحاربين مرة واحدة غير أن من يقعد عن التمسك بها حين تزوره لن يستطيع أن يمسك بها مرة أخرى » ·

ولم يكن « الدوتشى » فى حاجة الى من يقنعه بذلك فقد راوده الأمل مرارا فى احتلال مصر · وقد أرجأ الهجوم على مالطة الى أول شهر سبتمبر وخول رومل ــ الذى أصبح حينئذ ماريشـالا بصـورة فاجأت الايطاليين وأدهشتهم ــ الاستيلاء على الممر الضيق نسبيا ، وهو بين العلمين ومنخفض القطارة ليكون « نقطة البداية » فى عملية قادمة تستهدف الوصول الى قناة السويس ، أما كيسلرنج فكان يرى غير ذلك ، فقد أيقن أن مركز المحور

فى الصحراء لن يؤمن الا بالاستيلاء على مالطة ، ولهذا فقد أفزعه ما طرأ على الخطة من تحوير · وقد أومأ الى حمق مشروع روميل وما ينطوى عليه من أخطار جسام ·

ولم يكن هتلر نفسه على ثقة من النصر على مالطة لأنه كان يرتاب فى كفاية القوات الايطالية التى كان من المقرر أن تقـوم بالدور الرئيسى فى الحملة حيث كان من المتوقع أن يمنى بالفشل أى هجوم يشن عليها ، ولكن من المؤكد الآن أن خسارة طبرق التى تثير كوامن الحزن والفزع ــ قد أنقذت الجزيرة من محنتها الكبرى · وذلك عـزاء ينبغى ألا يفيـد منه أى جندى ممتاز سواء أكان ذا شأن فى المعركة أم لم يكن ، لأن جانبا كبيرا من العبء يقع على كاهل القيـادة العليـا أكثر من وقوعه على أى من الجنرالات أو الجنـود ·

وقد نظم روميل بسرعة قوات المطـاردة وفى الرابع والعشرين من يونيو اجتـاز الحدود الى مصر دون أن يجـد مقاومة الا من قواتنا المتحركة الخفيفة بالاضافة الى الأسراب المقـاتلة العنيـدة التى استطاعت أن تغطى حركة تراجع قواتنا الى مرسى مطروح ولم يكن مركزنا هنا قويا ، وقد تم اتخاذ اجراء دفاعى حول المدينة ، ولم يكن فى جنوبها غير خطوط من حقول الألغام غير المتصلة تفتقر الى الحماية الكافية ، وقد كان الدفاع عن هذا الخط يحتاج الى قوة مدرعة لحماية جناحه الأيمن شأنه فى ذلك شأن خط الحدود الذى تخلينا عنه ·· ولم يكن فى امكان الفرقة المدرعة السابعة أن تقوم بهذه المهمة برغم أنها تمكنت حينئذ من حشد مائة دبابة ··

وفى الخامس والعشرين من يونيو وصل الجنرال أوكنلك الى الجبهة الأمامية فى مرسى مطروح وقرر أن يتولى قيادة العمليات بنفسه بدلا من الجنرال « ريتشى » وكان من واجبه أن يفعل هذا منذ طلب اليه أن يفعله فى شهر مايو الماضى ·· وقد توصـل الى نتيجـة سريعة هى : أنه لا يمكنه أن يصمد نهائيا فى مرسى مطروح · وكانت الاجراءات تتخـذ على قدم وساق لاعداد المواقع فى العلمين التى تبعد مائة وعشرين ميلا الى الوراء واتخذت التدابير لوقف تقـدم العدو فى هذه المنطقة ، ثم عهـد الى الفرقة النيوزيلندية التى قامت من سوريا ووصلت الى مرسى مطروح فى الحادى والعشرين من يونيو ــ بالقيام بعمليات حربية فى السادس والعشرين من هذا الشهر فى المنطقة الصحراوية فى « منقـا قائم » بين العلمين ومرسى مطروح · وفى هـذه الليلة تمـكن العـدو من أن يخترق جبهـة لواء المشاة الهندى التاسع والعشرين فى المنطقة التى لم تستكمل فيها حقول الألغام بعد وقد نفذ العدو من الفجوة التى فتحها فى الصباح التالى ، وطوق مؤخرة القوات النيوزيلندية التى أصبحت محاصرة من جبهاتها الثلاث ، واستمر القتال عنيفا يائسا طوال النهار ، وفى آخر الأمر ظهر أن نهاية الفرقة قد

غدت محتومة · وقد أصيب قائدها الجنرال « فريبرج » بجراح خطيرة ، بيد أنه قد خلفه الزعيم « انجلر » وقد كان قائدا ماهرا ، فقرر أن ينفذ من الحصار المضروب حوله وبعد منتصف الليل تحرك اللواء النيوزيلندي الرابع صوب الشرق ، وقد انتشرت فرقه وأشهر الجنود أسلحتهم ، ولم يجد النيوزيلنديون أدنى مقاومة مسافة ألف ياردة · وفجأة ·· انصبت عليهم النيران ، وهجم اللواء في صف واحد ، وفوجىء الألمان بهذا الهجوم ، وخرجوا مهزومين من المعارك التى جرت بالسلاح الأبيض فى ضوء القمر الساطع ، وقامت بقية الفرقة النيوزيلندية بالهجوم تجاه الجنوب فى دفعات دائرية وهذا ما ذكره روميل نفسه عن هذه القصة حيث قال :

« لقد تناولت المعركة الحامية الوطيس التى أعقبت ذلك ، مركز قيادتى فى الميدان ·· وقد تبادل قواتى والنيوزيلنديون اطلاق النيران بصورة قوية عنيفة · وسرعان ما وجدت حول مقر قيادتى عددا من السيارات المحترقة التى غدت هدفا لنيران العدو المتواصلة والتى تنطلق من مسافة قريبة ، وبعد فترة قصيرة أدركنى الملل بسبب هذه الحالة ، وأمرت الجنود وضباطهم بالانسحاب قليلا الى الجنوب الشرقى ولا يمكن المرء أن يصف الاضطراب الذى ساد هذه الليلة » ·

وهكذا أفلتت الفرقة النيوزيلندية من الحصار واستعادت تنظيم صفوفها ونشاطها مع القوات الأخرى فى موقع العلمين الذى يبعد ثمانين ميلا الى الوراء · ولم يكن قد طرأ بعد على الفرقة أى انهيار مما ساعدها كثيرا فى تعزيز خطوطها الدفاعية ·

وقد تم انقاذ بقية الجيش فى أمان لم يخل من كثير من العنف وكان الذهول قد هيمن على القوات برغم أن اليأس لم يسيطر عليها ، وقد أدى قصر المواصلات وبعد الاسكندرية عن الجبهة أربعين ميلا الى المبادرة باعادة تنظيم كل القوات وبدا « أوكنلك » ـ وهو يتولى القيادة المباشرة شخصا مختلفا كل الاختلاف عن ذلك القائد الاستراتيجى المفكر الذى ينظر بعين واحدة الى المعركة الحاسمة الدائرة ، فى حين تنشغل عينه الأخرى بالأخطار الغامضة البعيدة فى ايران وسورية وقد حاول على الفور أن يسترد زمام المبادرة التكتيكية ، وقام فى الثانى من يوليو بأول هجوم مضاد فى سلسلة الهجمات المضادة التى استمرت حتى منتصف ذلك الشهر وكانت هذه الهجمات تمثل تحديا لتفوق روميل الغريب ، وفى صبيحة يوم الاقتراع على لوم الحكومة أرسلت اليه تشجيعى الذى كان يضاهى ما أطلقه من قصف المدافع ·

وقد امتدت مواصلات روميل فى الواقع الى أقصى مدى ممكن ، فى حين بلغ الجهد بقواته مداه ولم يبق لديه من الدبابات سوى اثنتى عشرة دبابة صالحة للعمل ، وقد بدأ السلاح الجوى البريطانى ـ وخاصة المقاتلات ـ يبدو متفوقا بصورة واضحة وفى الرابع من يوليو أبرق روميل يقول : انه سيوقف هجومه ويتجه الى الدفاع فترة من الزمن يستطيع خلالها اعادة تنظيم قواته وهو ما زال واثقا من قدرته على احتلال مصر وقد وافقه كل من موسولينى وهتلر فى هذا الرأى ، وبالفعل أصدر الفوهرر أوامره بارجاء الهجوم على مالطة حتى يتم احتلال مصر دون ايماء الى الايطاليين أو الى قيادته البحرية ٠



وفى الأسبوعين الأولين كانت هجمات « أوكنلك » المضادة بمثابة ضغط شديد على روميل الذى استأنف الهجوم بعد ذلك ، وحاول فيما بين الخامس عشر من يوليو والعشرين منه اختراق الخط البريطانى ، ولكنه اضطر فى الحادى والعشرين الى الابراق بأن هجومه قد صد . وقال : ان الأزمة لا تزال قائمة ٠٠ وفى السادس والعشرين بدأ يفكر فى التراجع الى الحدود ، وأخذ يشكو من قلة الامدادات الجـديدة وافتقاده الرجال والدبابات والمدفعية كما شكا من نشاط السلاح الجوى البريطانى الذى كان ذا فعالية ٠٠٠ وهكذا استمرت المعركة فى حالة من التأرجح حتى آخر الشهر حينما وصـل الفريقـــان الى حالة من التوقف من جراء قتالهما المستمر ٠٠ وكان الجيش الثامن الذى يقوده « أوكنلك » قد صمد للعاصفة وأضعفها ، وتمكن بهذا الصمود الراسخ من أسر أربعة آلاف ألمانى ، وكانت مصر لا تزال فى مأمن ٠

ويذكر ونستون تشرشل انه ذهب الى القاهرة قادما من جبل طارق على الطائرة البريطانية التى أسموها الفدائى ذات المحركات الأربعة الى أن يقول :

وقد اعتدت فى مثل هذه الرحلات أن أجلس فى مقعد مساعد الطيار قبيل شروق الشمس ، وعندما وصلت الى المقعد فى صباح ذلك اليـوم الرابع من أغسطس رأيت فى ضوء الفجر الشاحب ، شريطا ملتـويا من الميـاه الفضية يمتد أمامنا ، انه نهر النيل ينساب رائعا فى واديه ، وقد قطعت فى أيام الحرب والسلم ـ برا ونهرا هذا الوادى العظيم من منبعه فى بحيرة فيكتوريا حتى مصبه فى البحر ، ماعدا منطقة « الناقلة » ولكنى لم أشعر قبل بالارتيـــاح حينما تطلعت الى ميـاهه كمـا حدث فى هذا الصـــباح ٠

وهكذا غدوت ــ بعد فترة وجيزة ــ « الرجل الذى يرقب الأحداث عن كثب » وبدلا من أن يستقر بى المقام فى الوطن فى انتظار وصول الأنباء من الجبهة ، أصبح فى وسعى الآن أن أنقل هذه الأنباء الى أى مكان آخر ، ولقد كان هذا حقا ، شيئا مثيرا ٠

وكان على آن أقرر عـدة قضـايا فى القـاهرة ، فهل فقد جيش الصحراء ثقته بالجنرال « أوكنلك » وأركان حربه ؟ واذا كان هذا حقا ، فهل يجب ان آنحيه عن القيادة ومن سيخلفه فى حالة تنحيته ؟ ٠٠ ومثل هذه القرارات تكون مؤلمة قاسية وخاصة عند التعامل مع قائد له مثـل ما « لأوكنلك » من مكانة ومنزلة وميزات وكفايات وتصميم ٠٠ ورغبـة منى فى تعزيز أحكامى ، طلبت الى الجنرال سمطس ، أن يطير من جنوب أفريقيا الى القاهرة ، وقد كان فى انتظارى فى دار السفارة حينما وصلت اليها ثم قضينا فترة الصـباح معا حيث حـدثته خلالها عن كل متاعبنا ومجالات الخيـار المتفتحة أمامنا وبعـد الظهر عقدت اجتماعا طويلا مع « أوكنلك » الذى بسط لى الوضع العسكرى بصورة جلية واضحة وبعد ظهر اليوم التالى وصل الجنرال « ويفل » قادما من « الهند » وفى السادسة مساء عقدنا مؤتمرا لشئون الشرق الأوسط شهده «سمطس» و «كيس» الذى كان قد خلف ليلتون فى وزارة الدولة فى الشرق الأوسط ، والجنرال « بروك » رئيس أركان الحرب و « ويفل وأوكلنك » والأميرال « هاروود ماريشال الجو تيدر » وقد أنهينا كثيرا من الأعمال بالاجماع ولكن عقلى ظل مشغولا طيلة الوقت بالموضوع الأساسى وهو القيادة ٠

ولا يستطيع الانسان أن يعالج مثل هذه التغييرات دون أن يستعرض الحلول البديلة ٠ وكان رئيس أركان الحرب ــ الذى يحتم عليه واجبه تقدير كفايات جنرالاتنا ــ مستشارى الخاص فى هذا الجزء من المشكلة ، وقد عرضت عليه أولا ، أن يتولى قيادة الشرق الأوسط وكان الجنرال « بروك » يود من صميم قلبه أن يتولى هذه القيادة العملية ، وكنت أعلم أنه لبس هناك من يفضله فى توليها ٠ وقد فكر «بروك» فى الموضوع طويلا ، وتحدث فى الصباح التالى طويلا الى الجنرال سمطس ، ورد أخيرا : بأنه تولى رئاسة الأركان العامة منذ ثمانية أشهر فقط ، وهو يعتقد أنه متمتع بكامل ثقتى وان جهاز الأركان يسير سيرا مرضيا ، وأعرب عن اعتقاده بأن أى تغيير فى هذه اللحظة ، قد يحدث انفصاما مؤقتا فى هذا الوقت الحرج ، هذا بالاضافة الى أنه ــ لأسباب تتعلق بالذوق واللباقة ــ لايود أن يكون مسئولا عن التوصية بتنحية الجنرال « أوكنلك » عن قيادته وأن يتسلم هو مقاليد القيـادة بدلا منه ، وكانت سمعته ترتفع فوق مسـتوى هـذه الاتهامات

والاعتبارات ؛ ولكن تحتم على أن أنطلع الى ناحية أخرى بحثا عن القـائد الجـديد ٠

وكان « اليكسندر » ومونتجومرى قد اشتركا معه فى المعركة التى تراجعنـا فيها الى « دنكرك » فى عام ١٩٤٠ وكنا معجبين سويا بالخطة القوية التى قام بها « أليكسندر » فى الحملة اليائسة التى عهد اليه أمرها فى بورما ، بيد أن سمعة مونتجومرى كانت طيبة تضرب فى آفاق الرفعة والسـمو ، فاذا قررنا تنحيـة « أوكنلك » فليس ثمـة شك فى أن « أليكسندر » هو الرجل الذى يجب أن يحمل العبء فى الشرق الأوسط ، ولكن مشاعر الجيش الثامن ينبغى ألا نتجاهلها أو نغفلها على اختيـار رجلين من إنجلترا متخطين الرجال البسلاء الذين خاضوا معركة الصحراء يعد بمثابة تحد لشعورهم على اختلاف رتبهم فهذا هو الجنرال « جوت » ــ وهو قائد أحـد الفيـالق ــ أفضـل من يصلح لقيادة هـذا الجيش ، والقوات تدين له بكثير من الاخلاص ، ولم تلقبه عبثا « بقاذف القنابل » وقد كان هنـاك رأى نقله الى « بروك » وهـو أنه منهك ويحتـاج الى الاستجمام ، وكان اتخاذ هذه القرارات بمثل هذه السرعة أمرا سهلا بعد أن قطعت هذه المسافة الطويلة كلها حتى تتاح لى الفرصة لأرى وأسمع كل شىء يمكن الحصول عليه وتدبيره فى ذلك الوقت ٠

ولقد كان كرم سفيرنا السير « مايلز لامبسون » وضيافته فى غاية الروعة فقد قدم لى حجرة نومه المكيفة ، ومكتبه المكيف للعمل فيه ، وكان الجو حارا للغاية وهاتان الغرفتان الوحيدتان فى المنزل هما اللتان بهما أجهزة التكييف ، ولم يكن هناك منغصات عدا حرارة الجو ــ خلال ذلك الأسبوع الذى أمضيناه فى استكشاف الأجواء والاستماع للآراء وزيارة الجبهة والمعسـكرات الكبرى شرقى القـاهرة فى القصاصين حيث كانت النجدات القوية تتدفق باستمرار ٠

وفى الخامس من شهر أغسطس قمت بزيارة مواقع العلمين وتوجهت بسيارة الجنرال « أوكنلك » إلى النقطة التى تقع الى أقصى الجناح الأيمن للخط ، الى الغرب من « الرويسات » ومن هناك مضينا على طول الجبهة الى مقر قيادته وراء صخور الرويسات حيث تناولنا الافطار فيما يشـبه المكعب تحيط به الأسلاك الشائكة ويمتلىء بالذباب والشخصيات العسكرية الهامة ، وقد وددت لو رأيت عددا من الضباط وفى مقدمتهم ، الجنرال قاذف القنابل ، « جوت » فقيل لى : انه كان منهمكا فى خدمته العسكرية الشاقة ، وكان كل ما أردت أن أعلم ، وبعد أن تعرفت الى مختلف قادة الفيالق والفرق الحاضرين ، طلبت أن يرافقنى الجنرال « جوت » بالسيارة الى المطار ــ وهو المركز الثانى الذى سأتوقف فيه ــ وقد اعترض أحـد

ضباط أركان حرب « أوكنلك » بأن هذا سيبعد الجنرال بعض الوقت عن مكان عمله ، ولكنى أصررت على وجهة نظرى ، وكانت تلك هى مقابلتى الأولى والأخيرة لجوت ، على حين كانت السيارة تصعد بنا وتهبط الطرق الوعرة ، تطلعت الى عينيه الزرقاوين الهادئتين وسألته عما اذا كان مجهدا أو لديه آراء يود الافضاء بها ، فرد جوت انه بلا شك مجهد وأنه يود أن يمضى الى انجلترا ، التى لم يشاهدها منذ بضع سنوات فى اجازة تستغرق ثلاثة أشهر ولكنه أبدى — مع ذلك — مقدرته على القيام بأية مجهودات عاجلة أخرى ، فضلا عما يتحمل من مسئوليات قد توكل اليه ، وافترقنا فى المطار فى الساعة الثانية بعد ظهر الخامس من أغسطس ، وبعد يومين قتل فى الساعة نفسها تقريبا برصاص العدو فى المنطقة الجوية التى كنت أطير فيها حينئذ ..

وقد عهد الى نائب مارينسال الجو كننجهام برعايتى — وهو الذى كان يتولى رياسة كل القوات الجويه التى عملت مع الجيش فى ظل قيادة نيدر ، وهى القوات التى لولا نشاطها ما أمكن تحقيق ذلك التراجع العظيم مسافة خمسمائة ميل دون أن تنزل بنا الكوارث التى تفوق فى شدتها تلك التى تحملناها حتى الآن — وقد طرنا فى ربع ساعة الى مقر قيادته حيث أعد لنا الغداء واجتمع كبار الضباط من قائد جناح فما فوق وأحسست بالتوتر يسود كل الضباط منذ اللحظه التى وصلت فيها .. ولا يفوتنى أن أشير الى أن الطعام كان قد طلب من فندق شبرد فى القاهرة ، وقد حملت سيارة خاصه الطعام من الفندق ، غير أنها ضلت الطريق وبذلت مجهودات مضنيه للعثور عليها ولكنها وصلت أخيرا .

وكانت مناسبة سارة وسط جو صاخب من الهموم والمتاعب .. أجل لقد كانت واحة حقيقية وسط صحراء كبرى مترامية الأطراف ، وكان يسيرا على المرء أن يرى حرج وضع السلاح الجوى بالنسبة للجيش وما اعترى سلاحنا الجوى من دهشة للهزائم التى تعرضت لها قواتنا المتفوقة ، وعدت فى المساء الى القاهرة ، ونقلت مشاهداتى الى المستر اتلى ، وقضيت اليوم التالى كله — وهو السادس من أغسطس — مع « بروك وسمطس » ، وفى اعداد البرقيات اللازمة للوزارة ، كانت المسائل التى يتحتم على البت فيها عاجلا لا تتناول كبار القادة فحسب ، بل جهاز القيادة بأكمله فى هذا المسرح الواسع ، وكنت أشعر دائما ان اختيار اسم « الشرق الأوسط » لمصر وسوريا وتركيا ، كان اختيارا سيئا ، فهذه المنطقة هى الشرق الأدنى ، أما ايران والعراق ، فهما يؤلفان الشرق الأوسط ، على حين تكون الصين واليابان الشرق الأقصى ، وقد بدا لى أن هناك ما هو أهم من تبديل الأسماء الوهمية .. وهو « تجزئة قيادة الشرق

الأوسط الحالية » ، نظرا لاتساعها وشمولها آفاقا رحبة شاسعة ، وقد حانت الساعة المناسبة لتحقيق هذا التعديل فى التنظيم ، ولهذا أبرقت فى الثامنة والربع مساء الى المستر أتلى بالبرقية التالية :

١ ـ توصلت الى نتيجة تدعو الى اجراء تغبيرات جذرية عاجلة فى القيادة العامة .

٢ ـ ولهذا أقترح أن تنظم قيادة الشرق الأوسط الحالية فى قيادتين مستقلتين هما :

(أ) قيادة الشرق الأدنى وتشمل مصر وفلسطين وسوريا على أن تكون القاهرة مقرها ..

(ب) قيادة الشرق الأوسط وتشمل ايران والعراق ، على أن يكون مركزها البصرة أو بغداد ..

وتشمل القيادة الأولى : الجيش الثامن والتاسع على حين تشمل القيادة الثانية الجيش العاشر ..

٣ ـ يعرض على الجنرال «أوكنلك» تولى القيادة العامة الجديدة للشرق الأوسط .

٤ ـ يتولى الجنرال أليكسندر القيادة العامة فى الشرق الأدنى .

٥ ـ يخلف الجنرال « مونتجومرى » الجنرال « أليكسندر » فى قيادة عملية «المشعل» وانى لآسف لاضطرارنا الى نقل «أليكسندر» من قيادة « المشعل » ولكن مونتجومرى جدير بأن يخلفه فى تلك القيادة لكفايته ..

٦ ـ يتولى الجنرال « جوت » قيادة الجيش الثامن تحت امرة « أليكسندر » .

تكون هذه الاقتراحات التغييرات الأساسية التى يقتضيها حرج الوضع وأهميته وأكون شاكرا لزملائى أعضاء وزارة الحرب ، اذا ما وافقوا على هذه الاقتراحات . ويريد «سمطس» ورئيس الأركان العامة أن أبلغكم أنهما متفقان معى كل الاتفاق على أن هذه الاقتراحات تنطوى على خير السبل التى يجب أن نتبعها فى مثل هذه الحالة التى تحيط بها المتاعب الكثيرة وفى خضم هذه الحلول المختلفة البديلة ، ووافق وزير الدولة أيضا على هذه الاقتراحات موافقة تامة ولا ريب عندى فى أن هذه التغبيرات ستحفز

الجينس وتعيد اليه الثقة في قيادته ـ وهى الثقة التى فقدت فى الوضع الحاضر مع عميق الأسف ـ وأرى لزاما على أن أؤكد هنا ضرورة ايجـاد بداية جديدة وعمل عنيف لبعث الحيوية فى هذه المنظمة الضالة الواسعة٠٠ ولن تحقق وزارة الحرب ـ فيما أعتقد ـ فى ادراك مغزى هذا الانتصار على رومــل فى أغسطس أو سبتمبر وادراك آثاره الحاســمة على موقف الفرنسيين فى شمالى افريقيا عندما تبدأ عملية « المشعل » ٠

وقد وافقت وزارة الحرب على آرائى فى التغييرات الجذرية العاجلة وهى التى أدخلتها فى القيادة العامة ـ ورحب أعضاؤها ترحيبا حارا باختيار الجنرال « أليكسندر » قائلين : انه سيغادر انجلترا فورا ـ بيد أنهم ـ على كل حال ـ لم ترقهم فكرة تجزئة قيادة الشرق الأوسط الى قيــادتين منفصلتين ، وبدا لهم أن الأسباب التى حملتنا على تقرير قيادة موحدة ، أقوى اليوم مما كانت عليه ، عندما اتخذ القرار فى ديسمبر عام ١٩٤١ ، ووافقوا على أن يحل مونتجومرى محل أليكسندر فى قيادة « المشعل » واستدعوه للمجىء الى لنــدن فورا ، وأخيرا تركوا لى موضوع البت فى بقية التعيينات ٠

وفى صباح اليوم التالى أرسلت توضيحا آخر لاقتراحاتى ، وردت وزارة الحرب بأن برقيتى الجديدة لم تستأصل كل مخاوفها ، بيد أننى لما كنت فى الميدان ومعى « سمطس » ورئيس الأركان ـ اللذان وافقا على اقتراحى كانت الوزارة على استعداد تام للموافقة على ما أبديت من افتراحات وان كانت قد أوضحت بشكل قاطع ، أن استمرار الجنرال « أوكنلك » فى حمل لقب القائد العام للشرق الأوسط فى حالة اختياره لتولى القيادة فى ايران والعراق ، سيؤدى الى شىء من الارتباك وسوء المصير ، وقد رأيت أن الوزارة على حق فى رأيها فأخذت بنصيحتها ٠٠

وقد قضيت طيلة اليــوم السابع من أغسطس فى زيارة « الفرقة الحادية والخمسين الجبلية » التى كانت قد وصلت حالا الى مصر على حين كنت أصعد سلم السفارة بعد العشاء قابلت العقيد « ايان جاكوب » الذى غدا السير « ايان » ، فقال لى العقيد : انها لأنباء سيئة عن جوت ، فقلت : وماذا حدث له ؟ فقال : « لقد أسقطوا الطائرة التى استقلها الى القاهرة بعد ظهر اليوم » وقد اعترانى الأسى والألم لفقدان هذا الجندى الممتاز الذى قررت أن أسند اليه القيادة المباشرة فى المعركة الكبرى المتوقعة ، وهكذا اضطربت كل الخطط التى وضعتها ، فقد كان تعيين « جوت » لقيادة الجيش الثامن ـ بما عرف عنه من خبرة فى حرب الصحراء ومكانة حربية ممتازة ـ يوازى تنحية « أوكنلك » عن القيادة العامة ، ليخلفه فيها أليكسندر فماذا أصنع الآن ؟ ٠٠ ولم يساورنى شك فيمن يجب أن يخلفه فأبرقت الى

المستر أتلى أقول : « يوصى رئيس الأركان العامة توصية شديدة بنعيين مونتجومرى قائدا للجيش الثـامن ، وأشعر أنا وسمطس بضرورة ملء هذا المنصب فى الحال ·· أرجو ايفاده فى طائرة خاصة فى أسرع وقت · واخبارى بموعد وصوله » ··

وقد بدا أن وزارة الحرب اجتمعت فى الحادية عشرة والربع من مساء السابع من أغسطس لدراسة البرقيات التى بعثت بها فى ذلك اليوم ، والتى تم حل رموزها ، وكان المجلس لا يزال يناقش هذه البرقيات عندما دخل فاعتهم أحد السكرتيرين حاملا الرسائل الجديدة القائلة : « أن جوت قد قتل » ·· واننى أطلب ارسال الجنرال مونتجومرى فورا الى القاهرة ، وقيل لى : ان تلك اللحظة كانت شاقة على أصدقائنا فى «داوننج ستريت» ولكنهم تحملوا الصدمة الجديدة ، كما تحملوا ما سبقها من صدمات فى حزم وشجاعة وواصلوا الاجتماع حتى قبيل الفجر ، ووافقوا على كل النقط الرئيسية التى اقترحتها وأصدروا الأوامر اللازمة بشأن مونتجومرى ·

وحينما أرسلت رسالتى الى وزارة الحرب ، أبلغها فيهـا بمصرع « جوت » طلبت من الزملاء عدم ابلاغ الجنرال أيزنهاور بأننا كنا نعتزم اعطاء مونتجومرى بدلا من أليكسندر ، بيد أن هذه الرسالة جاءت متأخرة ، اذ كان النبأ قد نقل اليه : ان التغيير الجديد للخطة ، كان ينطوى على نوع مزعج من الارتباك لعملية « المشعل » فقد أختير الجنرال أليكسندر لتولى قيادة الجيش البريطانى الأول فى هذه العملية الكبيرة الضخمة وكان قد بدأ يعمل فعلا مع الجنرال أيزنهاور وقد تفاهما تفاهما رائعا والآن ·· ها نحن أولاء ننتزع منه « أليكسندر » لتولى قيادة الشرق الأوسط ، ثم نوفد الجنرال « ايسماى » الى أيزنهاور لينقل اليه النبأ مع تقديم اعتذارى عن انقطاعى من مراسلته ، ووجـود بعض الاضـطراب وليس لهما من علة الا طبيعة الحرب ومقتضياتها وقد ركز « ايسماى » حديثه على المواهب التى يتمتع بها « مونتجومرى » كقائد فى الميدان ، ووصل مونتجومرى على الفور الى مقر قيادة أيزنهاور ، وتمت كل الاجراءات التى يتطلبها اجتماع مثل هذا بين قائدى جيشين يمتان الى شعبين مختلفين ، وان كانا قد أدمجا للقيام بعملية واحدة ، وفى صباح اليوم التالى أى فى الثامن من أغسطس أصبح من الضرورى ابلاغ أيزنهاور بما يتحتم على مونتجومرى فى ذلك اليوم من الطيران الى القاهرة لتولى قيادة الجيش الثامن ، وقد أختير «ايسماى» أيضا لأداء هذه المهمة وكان أيزنهاور رجلا واسع الأفق متفانيا فى أداء الخدمات ، عمليا ، يعالج الأحداث على ضوء الواقع دون تأثر وفى غاية الهدوء ، ومع ذلك فقد أزعجه دون شك وقوع هذين التغييرين فى يومين متتاليين فى هذا المنصب الهام ، وهو مرتبط بعملية عهد اليه بترتيبها

وقيادتها ، وها هو ذا يجد نفسه مضطرا الآن الى الترحيب بقائد بريطاني ثالث ، ولا عجب ان رأيناه يسأل « ايسماى » : هل البريطانيون جادون فى عملية « المشعل » ؟ ومع ذلك فقد كان موت « جوت » حقيقة حربية يعيها ويفهمها جيدا كل جندى ممتاز ، وقد أختير الجنرال « أندرسون » لشغل المنصب ، ومضى « مونتجومرى » الى المطار مع « ايسماى » الذى مكث معه زهاء ساعة ليحيطه علما بأسباب هذه التغييرات المفاجئة ..

وقد رويت قصة عن هذا الحديث لم تتحقق مع الأسف ، فقد قيل ان مونتجومرى قد تحدث عن المتاعب والمخاطر التى يتعرض لها الجندى فى حياته . وذكر أن الجندى يكرس حياته كلها لمهنته وعمله ، ويقضى سنوات طويلة فى الدراسة وضبط النفس ، وها هو ذا يبتسم له الحظ ، فقد أطلت عليه اشراقة من النجاح ، وحقق انتصارا وها هى ذى الفرصة تواتيه فيمنح قيادة عظمى ، وقد انتصر ، وغدت شهرته تملأ الآفاق وأصبح اسمه على كل لسان ، ثم تنكر له الحظ فانهار كل ما بناه فى حياته وربما لا يكون هذا نتيجة هفوة هفاها ، ولكن سوء الحظ يأبى الا أن يسجل اسمه فى سجل العسكريين الفاشلين وهنا قاطعه « ايسماى » محتجا : « ينبغى ألا تحمل الأمور على هذا المحمل السيىء فهناك جيش عظيم يحتشد الآن فى الشرق الأوسط ، ومن المحتمل ألا تنتهى الى كارثة : وهنا صاح مونتجومرى ـ وهو يجلس فى سيارته ـ : ماذا تقول ؟ .. ماذا تعنى ؟ .. لقد كنت أتحدث عن رومل ..

★★★

وقد تحتم على حين ذلك أن أبلغ الجنرال « أوكنلك » نبأ تنحيته عن القيادة ولما كنت قد تعلمت من دروس الماضى وعبره ، ان من الأفضل أن يكون مثل هذا العمل المزعج كتابة لا مشافهة فقد أرسلت اليه مع العقيد « جيكوب » الرسالة التالية :

القاهرة ـ ٨ من اغسطس سنة ١٩٤٢

عزيزى الجنرال أوكنلك :

١ ـ لقد أثرت فى برقيتك الموجهة الى رئيس أركان الحرب فى الثالث من يونيو موضوع رغبتك فى ترك هذه القيادة ، ورشحت الجنرال أليكسندر لتوليتها ولم ترغب حكومة جلالتك فى ذلك الوقت العصيب ـ الذى يمر به الجيش ـ فى الافادة من هذا العرض الذى ينطوى على أصالة رأى وفى الوقت نفسه توليت قيادة المعركة فعلا ـ كما كنت أرغب منذ عهد بعيد ـ وكما اقترحت عليك فى برقيتى

بتاريخ ٢٠ من مايو وقد تمكنت من ايقاف التيار المضاد ، وغـدت الجبهة الآن مستقرة ٠

٢ ــ وقد قررت وزارة الحرب الآن ــ للأسباب التى ذكرتها أنت ــ أن الفرصة غدت مواتية لاجراء تغيير ، واقتراح : فصـل العراق وايران عن القيادة الحالية للشرق الأوسط ، وتقرر أن يتولى أليكسندر قيـادة الشرق الأوسط على أن يتولى مونتجومرى قيـادة الجيش الثامن ، وهأنذا أعرض عليك قيادة العراق وايران مع الجيش العاشر ، على أن يكون مقر قيادتك فى البصرة أو فى بغداد ٠ وفى الواقع يعتبر هذا الميدان فى الوقت الحاضر أصغر من ميدان الشرق الأوسط ، ولكنه قد يضحى فى خلال عدة شهور ، مسرحا لعمليات حربية حاسـمة ، وها هى ذى الامدادات فى طريقها الآن للجيش العاشر ، وستحافظ على ارتباطك بالهند فى هذا الميدان الذى خبرته من قبل ، وانى لآمل ــ بناء على ذلك ــ أن توافق على توجيهاتى ورغبتى هذه ، بما نعهد فيك دائما من روح عالية ورغبة فى الخدمة العامة ومن المرتقب أن يصل ألبكسندر فورا ، كما آمل أن يتم فى أوائل الأسـبوع المقبل تحول المسئولية فى جبهات القتال الغربية بمنتهى اليسر والفاعلية ، مع توقف كل شىء على حركات العدو ٠

٣ ــ يسرنى جـدا أن أراك فى أى وقت يناسبك ، متى رغبت فى ذلك ٠٠

صدقنى

اننى المخلص لك

ونستون٠ أ٠ س٠ تشرشل

ملاحظـــة :

لقد كلفت العقيد جيكوب ، حامل رسالتى هذه ، بأن يعرب لك عن تعازى الخالصة بفقدنا المفاجىء للجنرال جوت ٠

وفى المساء عاد « جيكوب » وكان أوكنلك قد تلقى هـذه الضربة بما ينبغى أن يقابلها به من كبرياء رجل عسـكرى ، ولم يكن راغبـا فى قبول القيادة الجديدة ، وقد ذكر للعقيد أنه سيحضر لمقابلتى فى اليوم التالى ، وكتب العقيد فى يومياته يقول :

لقد استيقظ رئيس الوزراء من نومه فى الساعة السادسة وكان على أن أنقل اليه ما أمكننى ـ تفصيل ما دار بينى وبين الجنرال أوكنلك ، وقد انضم الينا رئيس الأركان العامة للامبراطورية ·· ان عقل رئيس الوزراء مركز على شيء واحـــد هو أن نهزم رومل ، وأن يتولى الجنرال أليكسندر المســئولية الكاملة عن العمليـات فى الصحراء الغربية ، وهو لا يستطيع أن يفهم ، كيف يستطيع الرجل أن يظل فى القاهرة ، على حين تقع أحداث كبرى فى الصحراء تاركا ادارة المعركة لشخص آخر سواه ، وكان الرئيس يذرع الغرفة جيئة وذهابا وهو يردد هذه النقطة · مصمما على تنفيذ ما يريد ، ثم صاح فجأة : « رومل ·· رومل » أهناك أمر ما يهمنا سوى أن نهزمه ؟ ··

وبعـد الظهر بقليل وصل الجنرال أوكنلك الى القـاهرة وتحدثنا ما يقرب من ساعة حديثا بدا على الفور فاترا بالرغم من أنه كان بعيدا عن الأخطاء · وفى ذلك المســاء أقبل الجنرال أليكسندر لمقابلتى واتخـذت الترتيبات النهائية للتغيرات التى حدثت فى القيادة ، ونقلت كل هذه النتائج الى لندن فى برقية أعتقد أن الفقرة التالية منها مهمة غاية الأهمية :

وجهت الى الجنرال أليكسندر التوجيه التالى الذى جاء موافقا لرغباته وحائزا لموافقة رئيس أركان الحرب ··

١ ـ ان واجبك الأول الأساسى هو : أن تأسر أو تدمر الجيش الألمانى الايطالى الذى يقوده الفيلد ماريشال رومل ، مع كل ما لديه من تجهيزات ومؤسسات فى مصر وليبيا فى أقرب فرصة ممكنة ·

٢ ـ ستتولى ادارة وتنفيـذ كل ما يتعلق بقيادتك من واجبـات على ألا يؤثر عملك هذا على الواجب المنصوص عليه فى الفقرة الأولى ، وهو ما ينبغى أن يكون فى صدر مصالح جلالته ·

وقد يكون من الممكن ـ فى مرحلة لاحقة من الحرب ـ عدم تأكيد هذا التوجيه ، ولكننى واثق من أن البساطة فى تحديد المهمة ووضوح الهدف هما شرطان أساسيان فى الوقت الحاضر ·

وقد وافانا « أليكسندر » برده بعد ستة أشهر ·

وما دمنا نتحدث عن التغيير فاننا نود الى التركيز على واقعتين لهما عندى أهمية بالغة ·· الأولى ما جاء فى مذكرات ونستون تشرشل عن ولده :

وكنت لم أسمع عن ولدى راندولف كثيرا فى الأيام الأخيرة وقد كان واحدا من الفدائيين الذين تفرق شملهم الآن الى حد ما فى الصحراء ،

وفى ٧ يونيو وصلتنى برقية منه عن طريق وزارة الخارجية أرسلها من القاهرة بعد اطلاع سفيرنا عليها السير مايلز لامبسون ، ويقول فيها :

« أرى ــ لننتصر فى القتال ــ ضرورة وجود شخصية جديدة ذات كفاءة فى الميدان ، توضح المعالم السياسية والاستراتيجية يوما بعد يوم ، فلم لا تبعث بأحد أعضاء وزارة الحرب هنا يرأس كل الجهود الحربية ، وكل احتياجه لا يتعدى ــ فضلا عن مجموعة صغيرة من الموظفين ــ الى رجلين قديرين ينسق أحدهما شئون التموين ، ويقوم الآخر بالرقابة والدعاية . ويرى هنا كثير من المفكرين ان الحاجة ملحة لتغيير جوهرى ، وليس الى تبديل الأفراد فحسب ، فالفرصة سانحة تماما لاجراء تعديل فى الكيان كله ، أرجو أن تغفر اقلاقى لك ، فقد اضطررت اليه ليقينى بأن الوضع هنا أصبح لا يحتمل وأن العمل العاجل ضرورى لأى نصر متوقع » .

ولا ريب فى أن هذه الرســالة دعمت نواياى نحو العمــل النهائى الحاسم ، وقد أرسلت اليه بعد أسبوعين : « لقد توافقت آراؤك القيمة والمرتبة فى رسالتك الى مع ما كان يخالج نفسى من أفكار منذ مــدة غير قليلة » ، وعلى هدى من ذلك اتخذت طريقى .

ومما جاء فى حديث تشرشل عن ابنه ، أن ابنه قد اقترح عليه التغيير فى وقت كان يرغب فيه فى احداث تغيير وأنه اقتنع بما جاء فى رسالة الابن وبادر باحداث تغيير الواقعة الثانية التى اهتممت بها اهتماما بالغا فى مذكرات ونستون تشرشل تلك التى جاءت متعلقة بالتغيير وبتغيير الجنرال ويفل بالذات واستقبال الجنرال ويفل لهــذا التغيير .. يقول تشرشل :

كنت أعتقد أن أوكنلك دم جديد سيثير الحيوية ويتحمل التبعات بشجاعة اذا تولى قيادة الشرق الأوسط كما أن ويفل سيصادف فى توليه قيادة الهند العظيمة فرصة لاستعادة أنفاسه ، قبل أن تهجم الأخطار المتوقعة فى كل حين ، ووجدت موافقة تامة لآرائى هذه فى الوزارة ، وبين رؤساء الأركان فى لندن ولعل القارىء لا ينسى أننى لا أحرص قط على أن أتولى أى سلطات استبدادية وأن آرائى كانت تتمشى دائما مع وجهات نظر الخبراء والسياسيين ، وأصدرت أوامرى الجديدة فى ٢١ يونيو ، فتلقاها ويفل فى هدوء ، وكان يهم برحلة الى الحبشة سرعان ما وضحت أمامه مخاطرها ، وقد كتب من أرخ حياته قائلا ان الجنرال عندما وصلته برقيتى قال : « ان رئيس الوزراء على حق فالموقف هنا يحتاج الى يد جديدة وعين أخرى » .

واذا كان تشرشل فى مــذكراته يتســم بالحكمة الممزوجة بالقــوة والواقعية فان مونتجمرى فى مذكراته يتسم بالجرأة والاعتداد بالنفس

وعدم ترك أى تفصيلات يمكن أن ينفذ منها الروتين أو الاتجاه الشخصى للآخرين ثم هو ـ مونتجمرى ـ حريص فى كل ما يكتبه على التركيز على الروحانيات الى جانب الماديات عكس تشرشل تماما : اذا لم تكن الروح عالية فالجيش لا يكون له ثقة بالقيادة العليا ٠

يروى مونتجمرى قصة وصوله الى مصر قائدا للجيش الثامن البريطانى المرابط فى الصحراء :

فى ٥ أغسطس ١٩٤٢ قام تشرشل بزيارة الى الجنرال أوكنلك فى مركز قيادة الجيش الثامن فى الصحراء ٠ وكان تشرشل حينذاك مسافرا الى موسكو ، وأوكنلك القائد المباشر للجيش الثامن بعد أن عزل ريتشى والقائد الأعلى للقوى البريطانية فى الشرق الأوسط فى الآن نفسه ٠ وكن يصحب رئيس الوزراء بروك رئيس الأركان الحربية الامبراطورية ٠ فألقوا نظرة على الحالة العامة ولاحظوا على أوكنلك أنه لا يمكنه أن يقوم بالمهمتين معا ، أى أن يكون القائد الأعلى للقوى البريطانية فى الشرق الأوسط والقائد المباشر للجيش الثامن فى الآن نفسه ٠ وعليه فرجوعه الى القاهرة أمر لابد منه ، ويعين بعد ذلك من يحل محله على رأس الجيش الثامن ٠ فوافق أوكنلك مع بروك على أن أجىء الى مصر لتسلم قيادة الجيش الثامن ٠ الا أن الفيلد مارشال سمطس كان يحبذ تعيين جوت الذى اشتهر فى الصحراء ويسنده الرأى العام فى الشرق الأوسط ٠ فى ٦ أغسطس أبرق رئيس الوزراء الى المكتب الحربى يطلعه على التغييرات التى كان من رأيه أن يحدثها وهى فصل بلاد فارس والعراق عن قيادة الشرق الأوسط وتبديل أوكنلك بالكسندر وتعيين جوت على رأس الجيش الثامن ٠ غير أن جوت سقط بطائرته وقتل فى ٧ أغسطس ، وفى نهار الغد عينت لأحل محله ٠ وفى النهار نفسه جاء قائد اللواء جاكوب حاملا الى الجنرال أوكنلك فى مركز قيادة الجيش الثامن فى الصحراء تعليمات رئيس الوزارة على أنه قد عزل عن منصبه ٠ فى ٩ أغسطس وصل الكسندر الى القاهرة واجتمع بأوكنلك الذى كان قد غادر الصحراء بعد تسليمه الجيش الثامن للجنرال لومسدن قائدا لفرع الثلاثين ، أما أنا فاننى اليوم على يقين من أن تعيين جوت على رأس الجيش الثامن كان خطأ ٠ لم أجتمع به قط ، وكان جنديا ممتازا أبلى البلاء الحسن فى الصحراء ، الا أنه كان قد أعياه التعب وأصبح فى حاجة الى الاستراحة ٠ وأقول ذلك استنادا الى البيانات التى اطلعت عليها ٠

وصلت الى مطار القاهرة فى ١٢ (أغسطس) باكرا ، واتجهت فورا الى الميناهاوس أوتيل فاستحممت وتروقت ثم مضيت بعدئذ الى مركز القيادة للشرق الأوسط فى القاهرة ٠ كنت هناك فى نحو الساعة العاشرة وأدخلت فورا عند أوكنلك ٠ وكان الطقس حارا ولا تزال على ملابسى

الرسمية التى أرتديها فى انجلترا فأرسلت الضابط الملحق بى ليبتاع لى ثيابا تصلح للصحراء ٠

وأخذنى أوكنلك الى حجرة الخرائط ثم سألنى : هل كنت عالما بأنه سيغادر مصر ٠ فأجبته نعم ٠ فعرض لى حينئذ خطته الحربية ، وأساسها أن الجيش الثامن يجب أن يحافظ عليه مهما كلف الأمر فلا يعرض الى أن يتلف فى القتال ٠ فاذا هجم رومل ــ وكان ذلك منتظرا ــ يجب أن ينسحب الجيش الثامن الى الدلتا وان لم يتيسر الاستقرار فى الدلتا والقاهرة ، فيواصل الانسحاب نحو الجنوب على نهر النيل أو نحو فلسطين ٠ وكانت الخطط قد أعدت لنقل مركز قيادة الجيش الثامن نحو النيل ٠

كنت أصغى مندهشا وحاولت مرتين أن ألقى سؤالا فاستشعرت انزعاجا من أوكنلك فلزمت الصمت ٠ ثم قال لى انه من الواجب على أن أمضى نهار الغد الى الصحراء وأقضى يومين فى مركز قيادة الجيش الثامن لأطلع على الحالة الراهنة ٠ وأضاف أنه لا يزال قائد الجيش الثامن وانه كلف لومسدن أن يقوم مقامه ، ولن أستلم قيادة ذلك الجيش الا فى ١٥ (أغسطس) وهو اليوم الذى فيه يسلم قيادته فى الشرق الأوسط الى الكسندر ٠ وكانت رغبته فى أن يتم التسليمان فى يوم واحد ٠ فاذا ما حدث هجوم من العدو ، فسيذهب هو بنفسه الى مركز قيادة الجيش الثامن ويسترجع سلطته من لومسدن ٠ كنت مستغربا كل ذلك وانسحبت حالما تمكنت من الانسحاب بأدب ٠

ويمضى مونتجمرى قائلا انه فى ١٣ أغسطس الساعة ٥ صباحا أقلته السيارة من السفارة البريطانية متجهة به الى الصحراء ٠ ويروى مونتجمرى كيف اختار معاونيه وعملية اختيار المعاونين شاقة وعسيرة : قررت أن أعين ده جنغان رئيسا لأركانى وأطلق له السلطة التامة فنتآزر ونحرز النجاح معا ٠

وما قط ندمت على ما عزمت وقررت ٠ أن جنغان صحبنى مدة الحرب كلها وقطعنا جنبا الى جنب الطريق فيما بين العلمين وبرلين ، وكنت أزداد له تقديرا وبه اعجابا على مر الزمن ٠ فاقد كان رئيس أركان ممتازا وانى لأشك فى أن يكون قد وجد قبله أو أن يوجد بعده رئيس أركان من طرازه فى الجيش البريطانى ٠

ويقول انه لم يعجبه الجو الذى وجده فى مركز قيادة الجيش الثامن فالروح لا تكون نشطة فى مكان حزين كهذا وفى ما نحن عليه من الضيق

والانزعاج فى العيش • فلابد من أن يكون مركز قيادتنا قرب البحر ، فنشتغل بقوة وعنف ثم نستحم ونجدد بذلك قوانا •

ولا شك فى أنه ، حتى تلك الساعة ، لابد لنا من عمل مرهق فان مركز القيــادة يجب أن ينقل بأسرع وقت ممكن الى شــواطىء البحر المتوسط ، قرب مركز القيادة العامة للقوى الجوية فنصمم هناك خطتنا مع تلك القوى • أما الأمر بعدم استخدام الخيم فهو ملغى : فلنستورد خيما وفرشا وأوانى للأندية ولنؤمن لأنفسنا الرفاهية ليكون عملنا منتجا •

وفى الختام صارحت أركان جيشى بأساليبى فى الشغل وبكرهى للأوراق الادارية والتفاصيل ثم أخبرتهم بتعيين ده جنغان كرئيس أركان الجيش الثامن فكل أمر يصدر منه كأنه صادر عنى ويجب تنفيذه فورا • هو محطة ثقتى بوجه مطلق وأقلده السلطة على مركز القيادة كله •

وأخيرا استسلمت الى النوم ، كنت قد أعيانى التعب ولكننى على يقين من أننا أصبحنا الآن على طريق النجاح وبعد ان يذكر مونتجمرى فى مذكراته — وبالتفصيل — كل ما قام به وجيشه من استعداد لملاقاة روميل وقواته ومن اعادة روح النشاط والحماس لجنوده وضباطه ، وهذا كان مهما جدا • وعن زيارة تشرشل رئيس الوزراء للجيش الثامن فى أماكن تواجده بالصحراء الغربية فى ١٩ أغسطس ١٩٤٢ • وكان فى طريق عودته من موســكو • وقد شرح له خططه لصــد هجوم ، وما يعده هو — مونتجمرى — من خطط — فى المســتقبل للهجوم على جيش رومل • قال مونتجمرى :

قضى الليــل معى فى مركز قيادتنا على الشاطىء قرب برج العرب وكانت سهرتنا سهرة السرور وفرح فى نادينا وكان ده جنجان قد اتخذ التدابير اللازمة بحيث يوفر لرئيس الوزراء خمرا لا بأس به وزجاجـة كونياك معتقة •

وعند ذهابه فى الغد ، طلبت اليه أن يوقع باسمه على دفترى المخصص للتوقيعات •

كنت اتخذت قيادة الجيش الثامن فى ١٣ أغسطس وهو يوم تذكار معركة بلانهيم •

فكتب هذه الأسطر : « وددت لو أن يوم تذكار بلانهيم الموافق اليوم ابتداء القيادة ، يؤمن لقائد الجيش الثامن ولجنوده المجد والسعد اللذين هما جديرين بهما » • ونستون تشرشل •

ويتحدث مونتجمرى عن طريقته فى العمل كقائد فيقول :

كان من العادة فى الجيش الثامن ، قبل وصولى ، أن ينقد المأمورون أوامر القائد الأعلى مدعين بأنهم أوفر اطلاعا منه على تسيير القتـال فى الصحراء ولذلك يسمحون لأنفسهم تبديل نقاط من تلك الأوامر لأدنى سبب ، وذلك حتى فى أثناء المعركة ، فأفهمت الجميع أن أوامرى يجب أن تنفذ بحذافيرها حسب الخطة العامة التى كنت قد صممتها • وأن تلك الأوامر لم ألقها كأسس للمناقشة بل كقوانين بهـا يتقيد عمل الجميع فالذى كنت أريده الآن هى معركة تبتدىء وتتطور كما كنت أتصور ، وأريدها معركة تنتهى بالنصر حتى ترجع الثقة بالقيادة العليا الى قلوب الجنود ، فالحالة النفسية هذه ما كان يمكن نزعها الا بانتصار على رومل وبانتصار سهل لا يكلف الجيش الثامن خسارات جسيمة •

ما كنت أستطيع أن أهاجم أنا ، ولذا فكان من اللازم أن يباشر رومل نفسه بالمعركة فيمكننى من أن أنتصر عليه وهذا ما تم فى علم حلفا • كانت منظمة الاستعلامات فى جيشى على يقين من أن رومل سيحاول خرق جبهتنا على الجانب الجنوبى ، فيلى ذلك عدول فى الهجوم نحـو الشمال اذ تحاول مصـفحات رومل أن تتجه نحو مرتفعـات علم حلفا والرويسات • وكان هذا اعتقادى وعليه صممت خطتى •

ويقول روميل انه كان مطلعا على تاريخ الهجوم وعلى اتجاهه وقوته وانه نظم قواه على ضوء تلك الاستعلامات وان المعركة معركة علم حلفـا ٣١ أغسطس / ٦ سبتمبر ١٩٤٢ وقعت وتطورت حسب الخطة التى كان قد صممها هو •

وقد وصف فون مبليشى فى كتابه معارك البانزر ان معركة حلفا هى محور الحرب فى الصحراء والحلقة الأولى فى سـلسلة الهزائم على كل الجهات وهى الحلقة التى أنذرت بسقوط ألمانيا •

وعن بعض العبر فى معركة حلفا قال مونتجمرى :

ويمكننى الآن استنتاج بعض العبر من معركة علم حلفا • وأول أمر يبدو هو أن تلك المعركة كانت معركة « جيش » فان قوى الجيش الثامن أخذت آنذاك تنبسـط وتتطور بمقتضى خطة دقيقة وكان مركز القيادة محتفظا بالسيطرة التامة على كل أطوار المعركة • مما جعل الضباط والجنود يشعرون بضرورة التوجيه الواحد يسير عملهم ويراقب مصيرهم وبعد معركة علم حلفا رضوا جميعهم أن أكون ذلك الرأس المفكر الموجه •

ثم أن أفراد الجيش الثامن كانوا مدنيين فى الأصـل ولم يكونوا رجالا وقفوا حياتهم للجندية ، فهم أناس يطالعون الجرائد من عاداتهم أن ينقدوا كل شيء حتى شخصية قائدهم ، فلابد اذن من أن يكون ذلك القائد ليس رأيا موجها بل أيضا مركز انتباه وجاذبية فلا يقدره رجاله فقط بل يحبونه ويتعلقون به • فأخذت أتجول فيما بين صفوفهم وأسعى الى أن ألفت انتباههم الى • ففى معركة علم حلفـا ابتدأت ألبس القبعـة الاسترالية ، وهى ، علاوة عما كنت أسعى اليه ، كانت فعلا تقينى ضرر حرارة الشمس • ثم عدلت الى لبس « البيريه » التى اشتهرت به •

وعندما انتهت معركة علم حلفا كتب مونتجومرى الى صديق له فى انجلترا :

« ان اجتماعى الأول برومل أفادنى جدا • لحسن حظى ، استطعت أن أعيد النظام المفقود وأصمم خططى فى الوقت اللازم ، فما صعب على أن أهزمه ، وشعورى هو أننى ربحت الجولة الأولى فى حين أنه هو الذى كان قد باشر بالعمل • أما الجولة الثانية فسيكون دورى أنا أن أباشر العمل •

عدنا الى الاستعداد لمعركة العلمين وكان هناك مسائل لابد من الاسراع بمعالجتها قبل الانتقال الى تنفيذ خطط تلك المعركة •

ولن أغرق نفسى ، والقراء فى تفاصيل خطة الهجوم على روميل التى وضعها مونتجمرى نفسه ، فقد كان حريصا على أنه هو الذى يضع بنفسه الخطط ثم يعرضها على رؤسائه •• فقط أذكر أنه اهتم جيدا بمعنويات الجيش اذ أصدر فى ١٤ سبتمبر تعليمات بأن المعركة ستكون شديدة ولربما استغرقت مدة طويلة فاذا ربحناها ربحنا الحرب ولن يبقى علينا سوى تنظيف افريقيا الشمالية من العدو ، وأصدر فى ٦ أكتوبر توجيهات مذكرا وذاكرا بأن يجب ألا نظن أن تفوقنا بالمصفحات سيؤمن لنا انتصارا سريعا فان العدو لن يستسلم بالسهولة ولذا فعلى المشاة أن يقاتلوا ويقتلوا وأن يواصلوا عملهم ذلك ما دام فيهم رمق حياة فلا يستسلم أحد منهم كأسير حرب ، كما كان يجرى فى الماضى مما جعل عـدد الأسراء وافرا ضخما • فلا نيأسن من العاقبة ما دامت معنويات الجنود حسنة وما داموا مزودين بالعتاد والأسلحة •

وواضح أن لزوم الصمت والتقيد بالسر كانا من العوامل الأولى فى تأمين النجـاح • ولحفظ السر كان لابد من الغـاء الاجازات الى القاهرة والاسكندرية • الا أن ذلك ما كان ليتم الا تدريجيا فأخذت أطلع القوات أولا على تاريخ المعركة ثم الضباط المسئولين وأخيرا فى ٢١ أكتوبر ألغيت كل الاجازات وطلبت أن يطلع الجميع على تاريخ المعركة ذلك النهـار

نفسه ، الا المتقدمين فى الجبهة المتصلين بالعدو اتصالا مباشرا فهم على خطر مستمر فى أن يؤسروا ، فهؤلاء يطلعون على الخبر قبل الصباح بقليل فى ٢٣ أكتوبر وهو اليوم المعين لابتداء الهجوم ، ثم ان الاطلاع على الخبر ما كان يتم عن سبيل وثائق كتابية ، بل شفهيا ٠

ثم اطلعت كل وحدة على الوظيفة المطلوبة منها وجمعت قواد تلك الوحدات جميعهم من قائد الفرع الى العقيد حتى أحيطهم علما بتفاصيل خطة المعركة كلها ٠ فان تلك المعركة كنت أريدها معركة « جيش تسير ونتطور تحت مراقبة مركز قيادتى المباشرة ، فمن اللازم أن يطلع كل قائد فرقه على ما كان ذلك المركز قد عينه له من عمل ٠ وقلت للقواد حينذاك ان المعركة ستدوم ، فى نظرى ، ١٢ يوما وكان اسم مجموعة تفاصيل الخطة « ليتفوت » ٠

وأخيرا أذعت على أفراد الجيش الثامن جميعهم ضباطا وجنودا بيانا أحثهم فيه على الاستبسال وأطلب منهم ألا يستسلم أحد منهم ما دام غير مصاب بجراح وقادرا على القتال ٠ ووعدتهم بالنصر اذا ما قام كل بواجبه ، وكنت على يقين من النصر لأننا كنا الآن على استعداد تام للمهمة المطلوبة منا وهى طرد رومل من أفريقيا الشمالية ٠

فى صباح ٢٣ أكتوبر أدليت ببيان للصحافة ، ثم قصدت مركز قيادتى الاستراتيجية المنصوب قرب مركز قيادة الفرع الثلاثين ٠ وفى المساء قرأت كتابا ونمت باكرا ٠ وحسنا فعلت لأننى كنت على يقين من أنهم سيحتاجون الى فيجب أن أكون فى تمام الراحة لألبى الطلبات ، وفعلا أصبت وطلبت قبل ما كنت أظن ٠

فى الساعة ٩٫٤٠ مساء ابتدأت القنابل تقذف من نحو ١٠٠٠ مدفع، وباشر الجيش الثامن بالهجوم ، وهو يملك نحو ١٢٠٠ مصفحة ٠

وعن يوميات معركة العلمين يقول مونتجومرى :

السبت ٢٤ أكتوبر :

ابتدأ القتال فى ٢٣ أكتوبر وفقا للخطة التى عرضت لها الا أن الطريقين المفروض شقهما فى الشمال لأفواج الفرع العاشر المصفحة ما كان قد تم شقهما عند الساعة ٨ من صباح ٢٤ أكتوبر ٠ وذكرت أن الأمر ذلك ان حدث ، سيتحتم على الأفواج أن تشق الطريقين بنفسها وهى تقاتل ٠ الا أن قوادها ما كانوا ليظهروا الاقدام اللازم وبدا لى بعض الفتور فى وحداتهم وجميعهم خائفون من خسارة المصفحات ٠ فدعوت لومسدن قائد الفرع العاشر وصارحته بأننى على استعداد لتبديله وتبديل قواد أفواجه المصفحة بغيرهم اذا بقوا هكذا لا حماسة فيهم على العمل ٠ فكان لكلامى

هذا الوقع الحسن ، ان اللواء المصفح فى الفوج الأول استطاع أن يشق طريقا ونفذ منها نحو الساعة ٦ مساء الى مراكز العدو حيث أصبح مكشوفا عن جانبيه • فانقلب عليه فوج البانزر الخامس عشر ، وهـذا ما كنت أريده بالضبط • وفى الجنوب أخذ الفوج النيوزيلندى بالاتجاه نحو المنطقة الجنوبية الغربية وباشر بعملية التحطيم والاتلاف فى مشاة العدو • فى الجنوب أيضا شرع الفوج الثالث عشر يلعب الدور المطلوب منه •

الاحد ٢٥ أكتوبر :

فى الساعه ٢ر٣٠ ورد الخبر من الفرع العـاشر أن الفوج العـاشر المصفح ما كان يتقدم بسهولة فى الطريق التى ابتدأ بشقها فى جنوبى منطقه الفرع الثلاثين • وقال قائد الفوج انه ليس مطمئنا الى عمينه وانه لو خرج من الطريق التى يشقها فانه سيصبح فى موقف حـرج اذ ان فوجه لم يكن مدربا على عمليات كهذه • وكان لومسدن يميل الى الموافقة على ذلك • أما الفوج الأول المصفح ، فى الطريق المشقوقة فى الشمال ، فكان قد نفذ الى مراكز العدو فانقلبت عليه مصفحات الألمان بهجمات عنيفة كما كنت أتوقع ، فقرر ده جنجان أن يدعو قائد الفرعين العاشر والثلاثين الى مكتبى ، وهنا علمت أن قائد الفوج العاشر كان عازما على ارجاع وحداته المصفحة من حيث كانت قد وصلت الى ما وراء حقول الألغام فيذهب سدى كل ما كان قد أصابه من افادة ، وهو يحاول تعليل ذلك بأن فوجه سنلحق به خسارات فادحة اذا بقى هكذا معرضا مكشوف الجانبين ــ وكان لومسدن من رأيه فطلب منى أن أتصل أنا ذاتى بقائد الفوج العاشر ، ففعلت وملكتنى الدهشة عندما علمت أنه يوجه سير قواته وهو بعيد عنها بنحو ١٦ كيلومترا فأمرته للحال أن يتقدم الى الأمام ويقود قواته فى الجبهة لا من الوراء •

ثم صرحت علنا لقائدى الفرعين ، ليز ولومسدن أن خطتى لن تبدل وصرفت ليز واحتفظت بلومسدن ، فصارحته بأننى أريد أن تخرج المصفحات من منطقة حقول الألغام الى مراكز العدو حيث تعمل حرة منطلقة ، واذا لم يكن مستعدا هو وقائد الفوج العاشر أن ينفذ أوامرى تلك ، فاننى سأبدلهما بغيرهما ، وكان ما أردت • ففى الساعة ٨ صباحا نفذت مصفحاتنا الى مراكز العدو ، وأصبحنا فى الحالة التى كنت أتمناها فى نهار الأمس فى الساعة نفسها •

وعنـد الظهر جمعت قواد الفروع فى مركز قيـادة الفوج الثـانى النيوزيلندى وهناك اتضح لنا أن عملية الفوج النيوزيلندى فى الجنـوب الغربى ستكلفنا خسارات فادحة فعدلت عنها وبدلتها بعمليات من شأنها تحطيم مشاة العدو ، يقوم بها الفوج التاسع الاسترالى فى الشمال • والعملية تلك كانت تقتضى تغيير اتجاه قدره ١٨٠ درجة وهو تغيير لابد من أن يكون له وقع المفاجأة على العدو ، فيما كنت آمل •

الأربعاء ٢٨ أكتوبر :

كنت عالما أن الصدمة الأخيرة كان لابد من أن تقع فى جبهة الفرع الثلاثين ولكن فى هذه الساعة كنت جاهلا الموقع بالضبط : الا أنه من الواجب على أن أستعد لها · فقررت أن آمر الفرع الثالث عشر فى الجنوب بأن يتخذ موقفا دفاعيا وأن أحتفظ بالفوج النيوزيلندى كقوة احتياطية · ثم ان كل قوى البانزرس الألمانية أصبحت الآن فى منطقة الطريق التى كنا قد شققناها فى الشمال ، فلا سبيل الى الهجوم هناك اذن ، فحولت تلك المنطقة من الجبهة الى جبهة دفاعية واحتفظت بالفوج الأول المصفح كقوة احتياطية · وقررت أيضا أن أستخدم للوقت الحالى الفرع الثلاثين للقتال فى الشمال واحتفظت بالفرع العاشر كقوة احتياطية للهجوم · وأخيرا أمرت بتشديد عمليات التحطيم المكلف بها الفوج التاسع الاسترالى ، طالبا الاتجاه نحو الشاطىء اذ أصبحت ونيتى تنظيم شق جبهة العدو ومطاردته فى محور طريق الساحل ·

الخميس ٢٩ أكتوبر :

كان العدو قد جمع معظم قواه فى الشمال ظانا أن نيتنا أن نهاجم فى تلك المنطقة ، على الساحل · وهذا كان صحيحا فى الأول ، الا أننا كنا انتهينا الآن من فصل الألمان عن الايطاليين · فأصبح الألمان فى الشمال والايطاليون فى الجنوب ، والخط الفاصل بين الفريقين يقع بالضبط شمال الطريق التى كنا قد شققناها فى الشمال ·

فغيرت خطتى فورا وقررت أن أحدث صدمتى على نقطة الاتصال تلك ولكن مع جانب أقوى من العنف على الجبهة الايطالية · وقررت ذلك فى ٢٩ أكتوبر ، الساعة ١١ ·

ولكن متى يكون تنفيذ قرارى الأخير ذلك ؟ كنت عارفا أن العملية الحربية تورش المصممة فى انجلترا ، تطبيقها هو انزال الجيوش فى ٨ نوفمبر فى منطقة كازابلانكا ـ أوران · فمن الواجب علينا اذن أن نهزم عدونا ونتلف جيشه فى الوقت المناسب للمساعدة على تحقيق العملية الحربية « تورش » هذا علاوة على رغبتنا الشديدة فى أن نصل الى طرابلس الغرب ، وفى استيلائنا على مطار مرطوبا لحماية السفن الحاملة النفط والأجهزة الى مالطة ·

فقررت بأن الفوج التاسع الاسترالى سيهاجم بشدة نحو الشمال

ليصل الى البحر وذلك فى ليلة ما بين ٣٠ و٣١ (أكتوبر) مما يحمل العدو على تركيز انتباهه فى الشمال ثم فى الليلة التالية ، من ٣١ أكتوبر الى أول نوفمبر أشق فرجة عميقة فى جبهة العدو ، شمال الطريق التى شققناها أولا بالضبط والفرجة هذه سيشقها الفوج الثانى النيوزيلندى يساعده اللواء التاسع المصفح ولواءا مشاة ، والعملية كلها ستكون تحت اشراف الفرع الثلاثين ، ثم « فى الفرجة المفتوحة يمر الفرع العاشر مع أفواجه المصفحة ، وقوام خطتى تلك هو أن أحمل بضربة قوية على اليمين ، أردفها فى الليلة التابعة بضربة قاضية على الشمال » وكان اسم العملية بكاملها : سوبر شارج ٠

فى الصباح وصل الى مركز قيادتى الاستراتيجى أليكسندر ، وده كازى وهو وزير دولة فى الشرق الأوسط ، وهما موفودان من قبل هوايتهال للاطلاع على الأسباب التى دفعتنى الى الاحتفاظ ببعض القوى الاحتياطية فى حين أنه كان يبدو من اللازم رمى القوى كلها فى المعركة ٠

مما حمل بعضهم على الظن أن نيتى الانسحاب فى حين كنت على وشك الانتصار ٠

فأوضحت خطتى كلها ووافق ألكسندر ، وما علمت قط ، فيما بعد ، ماذا أبرقوا الى هوايتهال الا أننى كنت على يقين من رأى بروك فى ٠

الجمعة ٣٠ أكتوبر :

قضيت الصباح أدون توجيهاتى فيما يختص بعملية « سوبر شارج » كنت أكتب أنا بنفسى ولا أدع شيئا للأركان ، تاركا لهم هم تنظيم التفاصيل للخطوط العامة التى أسلمهم اياها ٠

فدونت ارشاداتى من حيث التعليمات العامة التى كنت أريد الجيش الثامن كله أن يتقيد بها :

ثم من حيث عمل الفرع الثلاثين والفرع العاشر ٠

ثم حددت العمل المتوافق فيما بين الفرع العاشر والثلاثين ٠

ثم عينت العمل للفرع الثالث عشر وللقوى الاحتياطية وللطيران الحربى الملكى ٠

السبت ٣١ اكتوبر :

رأيت أن العمليـات اللاحقة « بالسوبر شارج » قد تكون نتيجتها الفشـل اذا ما هاجمت فى تلك الليلة · فوفقـا لذلك قررت أن أرجىء الهجوم الى الليلة فيما بين أول وثانى (نوفمبر) ·

وكان من شأن الارجاء ذلك أن يفيد العدو ، فقررت هد الشقة التى كنت قد أحدثتها فى جبهته الى بعد ٢٠٠٠ متر ، حتى لا أترك له مجالا للراحـــة ·

ولابد لى من أن أضيف أن السلطات العليا أخذت تشك فى حسن عاقبة خطة « السوبر شارج » ، وتتوقع فشلا من ورائها ·

الاثنين ٢ نوفمبر :

ابتدأ هجوم خطة « سوبر شارج » فى الساعة ١ بعد نصف الليل ، على جبهة وسعها ٤٠٠٠ متر · أحرزنا نجاحا باهرا ، عند الليل كان بين أيدينا ١٥٠٠ أسـير ·

الثلاثاء ٣ نوفمبر :

كل شىء يدل على أن العدو على وشك الانسحاب والهزيمة ·

الأربعـاء ٤ نوفمبر :

فى الساعة ٢ بعد منتصف الليل حملت ضربتين قاضيتين فى منطقة الشقة التى كنا أحدثناها وحيث كان العدو يحاول أن يمنعنا من توسيعها· وكان ذلك خاتمة المعركة ·

فانطلقت المصفحات فى مناطق لا الغام فيها وأخذت تنصب صبا على وراء العدو وعلى قواه المتقهقرة ، تتقدمها المصفحات الفرنسية ·

أما فى الجنوب فان القوى الايطالية ما كان يسعها الا أن تستسلم لأن الألمان كانوا قد انتزعوا كل ما كانت تملك من أدوات نقل ومواصلات·

فكلفت هروكس بأن يجمعهـا ، وصرفت أنا اهتمامى الى مطـاردة قوى روما المهرولة نحو الغرب ·

ويقول مونتجمرى ان من أسباب الانتصار فى معركته الكبرى أنه ثبت على خطته ولم يغيرها وانه ما ضعف وما تزعزع أبدا مما ضاعف فى حماس جيشه واندفاعه الى القتال وان روميل لو كان قد أنفذ زاده ما هزم قط ٠٠ الى أن يقول :

رأيت أن الجيش الثامن كان فى حاجة الى الراحة حتى يستعيد قواه للوثبة النهائية على طرابلس ، فأمرت الجنود أن يتوقفوا عن القتال حيثما كانوا وأخبرت الجميع أنهم لن يرجعوا الى القتال الا بعد عيد الميلاد ، وأننـا سنقضى ذلك اليوم المجيد بالهنـاء والسرور على قدر ما تتيح لنا الصحراء ذلك ٠ واستوردت من القاهرة الأطعمة المألوف اعدادها لذلك العيد ، وأخذت الأركان التدابير اللازمة حتى يصل كل شىء فى الأوان اللازم ٠

ثم أذعت على الجيش الثامن بيانا أثنى فيه على أفراده للعمل الجبار الذى قاموا به منذ ٢٣ (أكتوبر) وأهنئهم جميعا بعيد الميلاد ، وأذكر لهم كتابا قد بلغنى من فتاة فى اليوركشير كان حبيبها بينهم وهى تتمنى لنا جميعا الفوز النهائى قبل عيد الميلاد ١٩٤٣٠

وسررت جدا بقضاء ذلك العيـد فى الصحراء وهكذا كان الجميع فيما أظن ٠ نسينا المشاق والمتاعب بعد انتصاراتنا ، ومعنوياتنا على خير ما يرام ٠

ومن بين ما سبق يتبين لنا اننا والعدو يحتل أرضنا ويقترب من عاصمتنا الثانية كنا نلهو ونلعب ونتخانق على لحاف الحكم ونتسابق فى أن يخفى كل منا المعلومات عن الآخر : لقد كان زعماؤنا فى ذلك الوقت العصيب صرعى خلافاتهم الحزبية والشخصية ولم تكن للمصالح الوطنية العليا أية أهمية لدى الكثيرين منهم ٠

★★★

هذا بعكس ما كانت تسير عليه الحياة فى بريطانيا العظمى ٠ فى كل سطر نقلناه عن تشرشل ، ومونتجمرى تأكيد جديد على أن الشعب البريطانى شعب عظيم حقا : عظيم فى انتصاراته وعظيم فى هزائمه ٠ الوطن أحب الى كل مواطن بريطـانى من نفسـه وولده : كل شىء يتم

بالتخطيط الدقيق ، لا شيء يمكن أن يترك أبدا للصدفة ولذلك ولأسباب أخرى لا مجال للافاضة فيها انتصروا وكان انتصارهم رائعا للغاية .

وأصارحك عزيزى القارىء أننى فكرت فى شطب هذا الفصل حتى لا أزعج بعضهم ولكننى فى النهاية فضلت الابقاء عليه ، حتى ولو تصاعدت بعض لعنـاتهم الى السماء ، فمثل هذه الدروس من بريطانيا جاءت فى حينها وينبغى أن تحلل وتعصر ، وتقدم فى جرعات دوائية .

الباب التاسع

الفصل الأول

فصل اجتماعى وسياسى وأدبى
أردت اثباته هنا تعميقا للفائدة

فى رأيى أن أعوام الحرب العالمية الثانية [١٩٣٩ ـ ١٩٤٥] جديرة بالمزيد من الدراسة لعدة اعتبارات فى مقدمتها ان الأحكام العرفية كانت قائمة ويجرى تنفيذها بكل قسوة كما أن الرقابة على الصحف كانت تمارس بكل فظاظة ، كما لم تمارس أثناء الحرب العالمية الأولى حيث كانت بريطانيا تحتل مصر ، فاذا أضفنا الى ذلك أن الأعوام الستة ـ أعوام الحرب العالمية الثانية ـ كانت مليئة بالأحداث وعندما اعتمد غالبية المؤرخين على الصحف لتأريخ تلك الأحداث كانت الصحف صماء لا تحمل الا ما أجازته الرقابة وهو لا يصلح أبدا للاعتماد عليه فى عملية التأريخ ، وقد أفرج عن بعض الوثائق الأجنبية وأصبح فى امكانية الدارس المصرى الاطلاع عليها كما تم الافراج عن بعض الوثائق المصرية ، وقد حاولت من جانبى نشر العديد من الوثائق التى لم تر النور والتى آلت الى لظروف خاصة مثل وثائق عبد اللطيف طلعت باشا رئيس الديوان الملكى يرحمه الله ، فى الجزءين الثانى والثالث من سنوات ما قبل الثورة واعتقادى الخالص أنه لابد من اعادة النظر فى كل ما كتب عن تلك السنوات ، وما كتب شحيح للغاية وقد حاولت ـ فى هذا الفصل ـ بأسلوبى الخاص وطريقتى الخاصة ، بل ورؤيتى الخاصة أيضا أن ألقى بعض الأضواء على الحياة فى مصر فى الفترة من ٤ فبراير ٤٢ الى الفترة ٨ أكتوبر ١٩٤٤ محاولا التركيز على الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والحياتية العامة أكثر من التركيز على الجوانب السياسية فقد أوليت الجوانب السياسية عن تلك الفترة أهمية بالغة فى كثير من فصول هذا الكتاب :

● قبل أزمة فبراير ١٩٤٢ كان النحاس باشا وأسرته فى رحلة الى أسوان وكان مع الأسرة فى تلك الرحلة الشاب فؤاد سراج الدين ،

وكانت البواخر النيلية التى يركبها رفعة الرئيس الجليل تفرش خصيصا بأفخر الرياش عندما كان النحاس باشا ينتقل من الأقصر الى أسوان وقيل ان النحاس باشا فى تلك الرحلة كان على يقين من ان وزارة حسين سرى باشا ستستقيل وانه سيكلف بتشكيل وزارة وفدية لحما ودما !

وظهرت الصحف ـ كل الصحف ـ صبيحة يوم ٥ فبراير ١٩٤٢ وكلها حاملة نبأ تشكيل النحاس باشا للوزارة وأسرفت الصحف الوفدية فى الحديث عن رضاء الملك وسعادته بتشكيل الوزارة الجديدة ، واهتمت الصحف بصورة لمجلس الوزراء يتوسط بعض الوزراء وصورة الملك فاروق تبدو واضحة فى مكتب رئيس الوزراء ، حيث أخذت الصور : لم ينجح أحد من الصحفيين المصريين فى التغلب على الرقابة بزج خبر ، يفهم منه ان ولادة الوزارة الجديدة كانت ولادة عسيرة ، وربما كان فكرى أباظة وحده الذى نجح فى أن يكتب عن ٤ فبراير : الاربعاء الماضى ، كان يوم ٤ فبراير ١٩٤٢ حديث النوادى والصالونات والأجران والمصاطب وأن الرأى العام قد انقسم فى هذا اليوم بين تأييد النحاس باشا فى قبوله الوزارة وبين معارضته • ولكن كل ما نشر بعد ذلك عن تشكيل الوزارة كان بعيدا كل البعد عن الحقيقة ! حتى ليجيء فى احدى صفحات المصور ان بعض الدوائر والصالونات قد تساءلت : كيف قيل ان الانجليز قابلوا اسناد الوزارة للنحاس باشا بالارتياح وكان الغزل بينهم مقطوعا ؟ والجواب الوفدى ان النحاس باشا زعيم شعبى بلا شك ووراءه ملايين فهو وحده الذى يستطيع ان يكبح جماح الثغرات الناشئة ، ومعنى هذا الكلام أن كاتبيه ـ وهم موضع احترامنا ـ اما انهم كتبوا ما كتبوا دون ان يكونوا قد عرفوا حقيقة ما حدث واما أنهم كتبوا ما كتبوا وهم يستعطفون القراء فى محاولة ساذجة للاحاطة من بعيد ببعض جوانب الأزمة • وأعلم أن كل أندية القاهرة كانت تعرف بالتفصيل الكثير مما حدث فى ٤ فبراير ١٩٤٢ وأن كل الزعماء ـ وخاصة أحمد ماهر ـ الذين حضروا اجتماعات عابدين ـ اجتماعات المأساة ـ تحدثوا فور وصولهم الى بيوتهم أو الى أنديتهم أو أحزابهم عن كل ما حدث وان أحمد ماهر ، أصدر ـ وبسرعة منشورات متعلقة بتفاصيل المأساة •

فى ١١ فبراير ١٩٤٢ ـ أى بعد أيام من حلول المأساة يحل ميلاد فاروق فاذا بالصحف الوفدية بالذات تولى هذه الذكرى اهتماما بالغا ، لم يحدث من قبل فى أى سنة من السنوات ففاروق هو رمز مصر ودولة مصر بل انه رمز الأمة قبل أن يصير ملكا : انه رمز لمعنوياتها قبل أن يكون رمزا لمادياتها انه عنوان كرامتها واباثها وبلادها • هذا الرمز ، أو هذا العنوان هو الذى يصل بين شخص الملك ، وشخص كل فرد من

أفراد الرعية وهو في الظروف الدقيقة يربح من قلوب شعبه ، أكثر مما يربح في الظروف الناعمة ، وينال من أيام الحرب ثروة من الجوانح أكثر مما ينال في أيام السلام • يجرى الاحتفال في عابدين بعيد ميلاد الملك بحفل كبير ساهر يشترك فيها رئيس مجلس الوزراء ، والوزراء •• وكأن لم تكن هناك معركة حياة أو موت قد حدثت بين الملك والنحاس باشا في ٤ فبراير ١٩٤٢ •

● لا حديث للجماهير لمدة طويلة الا عن زيارة السير مايلز لامبسون السفير البريطاني في مصر ، لرئيس مجلس الوزراء مصطفى النحاس باشا في مكتبه واستقبال الوفديين له استقبالا حافلا حتى ليرفعون سيارته فوق الأرض بأيديهم تأكيدا على الحفاوة به ثم يحملونه على الأعناق وتصبح صورة لامبسون والنحاس وهما يتعانقان من الصور التي تنشر ـ فيما بعد ـ للنيل من النحاس باشا الذي ألقى بنفسه في أحضان السفير الذي أساء الى كرامة سفير مصر بالاشارة الى ملك مصر ، في مناسبة عيد ميلاد الملك بحرص الملك على أن يفتتح مسجد فاروق الأول بنكنات الماظة ويصلي مع الملك ـ النحاس وحمدى سيف النصر وزير الدفاع •

● كان الوفد بناء على توجيهات من لامبسون قد أجرى مفاوضات مع الأحزاب المصرية في أن يكون هناك اتفاق بين الوفد والأحزاب على ترك بعض الدوائر لأحزاب المعارضة ، ولكن الوفد سرعان ما عدل عن رغبته تلك وكانت أحزاب المعارضة قد طالبت بالغاء الأحكام العرفية ، ورفع الرقابة على الصحافة ، فيما عدا ما يتعلق بالأمور العسكرية ، أثناء فترة الانتخابات • وقد رفضت حكومة النحاس باشا ذلك الطلب رفضا باتا وقد أعلن كل من حزب الأحرار الدستوريين والسعديين مقاطعة الانتخابات ، الا أن بعض قادة هذين الحزبين ـ كما هي العادة ـ قد خرجوا على قرار المقاطعة ودخلوا الانتخابات مما يؤكد ان الالتزام الحزبي غير موجود بالمرة : بلغ عدد مرشحي انتخابات (٤ فبراير ١٩٤٢ ـ ٤٥٥ مرشحا لـ ١٧٥ دائرة منهم ٩٥ محاميا ، و ١٥ طبيبا ، و ٧ من الصحفيين هم جبرائيل تقلا باشا ، محمود أبو الفتح ، أحمد قاسم جودة ، جلال الدين الحمامصي ، وفكرى أباظة بالاضافة الى صحفيين متقاعدين هما توفيق دياب ومحمد عبد الرحمن الصباحي وقد « تلطف » الوفد فترك لكل من تقلا باشا وفكرى أباظة دائرته فلم يرشح فيها أحد ، وكان من بين العسكريين السابقين الذين رشحوا أنفسهم في تلك الانتخابات اللواء محمد فتوح باشا والاميرالاى على شاهين بك والاميرالاى حسين وهبى بك وكان من أبرز المستقلين الذين رشحوا أنفسهم اسماعيل صدقي باشا ، بهي الدين بركات باشا ، توفيق دوس باشا ، أحمد عبود باشا ، ومحمد ذو الفقار بك •

● استقبل النحاس باشا فى أوائل حكمه مستر ادوارد كيندى وكان وقتئذ يعمل مراسلا للاسوشيتدبريس التى كانت وقتذاك تملك ١٢٠٠ جريدة ومجلة تصدر فى الأمريكتين ولا يقل عدد قرائها عن ١٥٠ مليون قارىء ، كما كان ادوارد كيندى يعمل وقتئذ واحدا من كبار المراسلين الحربيين الأمريكيين .

● من النواب الشبان الذين فازوا بالتزكية محمد عباس المهدى باشا (عابدين) جورج مكرم عبيد [أولاد عمرو] ، عبد المنعم مصطفى خليل [فاقوس] محمود عبد النبى [أجا دقهلية] محمد فؤاد سراج الدين [نائب الزعفران] وكان محمد فؤاد سراج الدين قد حصل فى الانتخابات التى أجرتها وزارة محمد محمود باشا سنة ١٩٣٨ على ٤٠ صوتا فقط فى دائرة يملك فيها واخوته ثمانية آلاف فدان : تزوير درجة أولى .

● حظى الوفد بطبيعة الحال على الأغلبية الساحقة ، أفلت من كماشة وزارة الوفد ١٦ نائبا مستقلا ، خمسة نواب من الدستوريين ، ونائب سعدى واحد ، وأربعة من الحزب الوطنى .

● حرصت وزارة الوفد فى التعيينات الجديدة لمجلس الشيوخ على عدم تعيين الشيوخ السابقين محمد على علوبة باشا ، نجيب الغرابلى باشا ، عبد الحميد بدوى باشا ، لطفى السيد باشا . وعينت ـ من الدستوريين فقط ـ حفنى محمود باشا .

● وكان حسن محمد الوكيل باشا نائب دشنا قد حصل على ١١٧٦٤ صوتا . وهى أعلى الأصوات التى حصل عليها نائب فى تلك الانتخابات وحصل الأستاذ أحمد كامل قطب المحامى ورئيس حزب الفلاح والذى كثيرا ما أضرب عن الطعام ليسمع المسئولون صوت الفلاحين ، حصل على ٢٠ صوتا فقط فى الانتخابات !

● فاز فى تلك الانتخابات من الصحفيين جبرائيل تقلا باشا ، فكرى أباظة بالاضافة الى جلال الدين الحمامصى وأحمد قاسم جودة ، وكانا وفديين وقد فصلا من المجلس بعد انضمامهما الى مكرم عبيد أثر انفصاله عن الوفد بدعوى صغر سنيهما ، وكان فى مجلس الشيوخ من الصحفيين د. محمد حسين هيكل ، أنطون الجميل بك ، خليل ثابت بك ، أحمد حافظ عوض بك ، محمود أبو الفتح ، وكان وحده الذى دخل المجلس بالانتخاب بينما دخل كل زملائه بالتعيين وكان مكرم عبيد وهو يقدم الميزانية الجديدة الى مجلس النواب قد حرص على أن يقدمها بصورة أدبية واشتراكية : قال مكرم : الميزانية تكلى شىء للناس ومن الناس انما هى

روح وجسم وجوهر ، ومظهر فاذا لم تفطر أرقامها على فكرة محددة وسياسية جديدة ، أو حتى مجددة كانت مجرد هيكل حسابى محكم الصنع ومضبوط الطرح والجمع لا روح فيه ولا حكمة يرمى اليها أو هدية يهديه الاستبداد اقتل ، واقتل فى ميدان الاقتصاد منه فى ميدان السياسة فقد يحمز الاستبداد السياسى السعب الى يقظة تغضبه فثورة وأما الاستبداد السياسى من شأنه أن يسلب الناس أرزاقهم ويشغلهم بمصالح العيش عن التضحية والفداء !

● ويقول مكرم : لست أغلو اذا ما أكدت ان استقلالنا السياسى ، لن يقام له وزن ، أو يكون له أثر اذا لم يقترن باستقلالنا الاقتصادى وانه ما من سبيل الى الاستقلال الاقتصادى الا اذا كان اقتصادنا الأهلى شعبيا لا حكوميا كما هو الآن .

● كل ما نراه من مظاهر الثراء والترف فى مصر ، انما هو مستمد من اقتصادنا الحكومى ، الغنى السخى أما اقتصادنا الشعبى فأين هو ، هل هو فى تلك البقرة الحلوب التى تدر لبنا وعسلا على غير أهلها ، أو هو فى الكارثة الاقتصادية التى يعانيها فلاحونا وعمالنا .

● لقد عملنا ـ مكرم عبيد ـ لتخليص الشعب المصرى من الاستعمار الأجنبى وبقى علينا ان نخلص المصرى من الاستعمار المصرى .

● أى استقلال وأية كرامة لشعب قتل الفقر فيه روح الاستقلال والاعتماد على الذات فلا يكاد يجد فيه القوت الا ما يتناوله من موائد الأسياد من الفتات .

● أسائل نفسى (مكرم عبيد) هل حقا حققنا لمصر استقلالها فى حين أن مصر الفلاحة ومصر العاملة قد استعبدت للأرض وأصحاب الأرض .

● فى مايو ١٩٤٢ ازدادت الغارات الجوية على الاسكندرية بالذات ووقع مئات من الضحايا بالاضافة الى هدم مئات من المنازل : يزور رئيس الوزراء وحرمه الضحايا ويدخل الوزارة ـ فى تعديل مفاجىء ، عبد الحميد عبد الحق ، مصطفى نصرت ، د. عبد الواحد الوكيل وأحمد حمزة ويعين زكى العرابى رئيسا لمجلس الشيوخ » .

● تبدأ مع منتصف عام ١٩٤٢ ، حرم النحاس باشا جمع التبرعات لمشروع أسبوع البر وكان جورج دومانى (بك) أمينا لصندوق أسبوع البر ، كما كان أمين عثمان باشا من أعمدة هذا المشروع ، هو ومدام صيدناوى باشا .

ويصدر للأستاذ الدكتور طه حسين كتابه « الحب الضائع » ، كما يصدر للأستاذ محمود تيمور مجموعة قصصية جديدة باسم قال الراوى •

ويشتد الخلاف بين النحاس ومكرم ، ويؤدى هذا الخلاف الى أن يستقيل النحاس باشا ويعهد الملك اليه باعادة تشكيل الوزارة ، ويتم التشكيل بدون مكرم عبيد باشا ويعين كامل صدقى باشا وزيرا للمالية خلفا لمكرم عبيد باشا ويبدأ الخلاف النحاسى ، المكرمى من يونيو ١٩٤٢ فيأخذ أبعادا هامة •

● مع يوليو ١٩٤٢ بدأت الصحف المصرية تتحدث عن الحرب فى الصحراء الغربية بصورة تبعث على الأمل • المصور – مثلا – فى ١٠ يوليو ننشر – على الغلاف صورة الجنرال أوكلنك وهو يتنقل بسيارته فى الصحراء ، وسيارته أشبه ما تكون بمقاتلة متحركة على أهبة القتال ونراه هنا «المصور» يتفقد المواقع فى احدى المعارك التى أدارها بحنكته منذ تولى بنفسه قيادة الجيش الثامن فى معارك الصحراء الغربية ، ويعتبر « المصور » موقعة العلمين التى بدأت مع تولى الجنرال كلود أوكلنك لقيادة الجيش الثامن فى الصحراء الغربية نقطة تطور فى حرب الصحراء اذ نجح الحلفاء فى وقف الزحف الألمانى نحو دلتا النيل وحصر المعارك فى منطقة ضيقة بين شاطىء البحر الأبيض المتوسط والطرف الشمالى الشرقى لمنخفض القطارة وينشر المصور صورا لأهل الاسكندرية ، وقد هاجروا الى كفر الدوار • وكان عدد الدفعة الأولى ٤٠٠٠ مهاجر من الاسكندرية نقلوا الى مهجر كفر الدوار الذى أقامته وزارة الوقاية •

● ويزدحم مصيف رأس البر برواده بعد أن خلت الاسكندرية من كثير من ساكنيها : حرم رفعة رئيس الوزراء ، وخالتها حرم الشيخ المحترم أحمد حسين بك وقد ركبنا التروللى فى رأس البر أكثر من مرة • د• أحمد ماهر ، والنقراشى وسيد اللوزى وعبد الوهاب الشريف بالاضافة الى حافظ عفيفى باشا مدير عام بنك مصر ، وكذلك نجيب الهلالى وزير المعارف وحسن صادق باشا وزير الدفاع الأسبق • المهم كان بالقرب من رأس البر ، فكان يعمل بهمة ونشاط •• وكان الموسم هو أضخم موسم سهدته رأس البر وقد انتعش المصيف فجأة بعد أن كان مهددا بالكساد وبعد أن هبط سعر العشة من ١٠٠ جنيه الى ٣٠ جنيها • وكان من رواد رأس البر فى هذا الموسم شريف صبرى باشا ومكرم عبيد باشا •

● فى فرنسا وصل سعر الجنية المصرى الى ١٠٠٠ فرنك : يعنى الفرنك الفرنسى بمليم مصرى ! •

● فى منتصف أغســـطس ١٩٤٢ بدأ الجنرال دى جـول زعيم الفرنسيين الأحرار ، يقـوم بجولة يزور خلالها سـوريا ولبنـان والبلاد الفرنسية المحاربة ـ أى التى لم تسقط فى أيدى الألمان ـ وقد جاء دى جول ليتفقد القوات الفرنسية الحرة التى تحارب مع الحلفاء فى مصر وقد حضر الجنرال كاتزو رئيس قوات فرنسا الحرة فى الشرق الأدنى بالطائرة ليكون فى استقبال الزعيم الفرنسى .

وقد تحـدث دى جـول فى حفلة أقامها البـارون دى بنوا رئيس الفرنسيين الأحرار فى مصر عن المستقبل فقال : « ان فرنســا ستقول كلمتها قبل نهاية الحرب الحالية فى اعادة تنظيم العالم » .

● وفى هذا الوقت ـ أغسطس ١٩٤٢ تمت خطبـة المسـز روز جريجورى شقيقة اللايدى عثمان حرم معالى أمين عثمان باشا رئيس ديوان المحاسبة الى الوجيه الثرى ، علاء الدين علايلى من كبار الأثرياء ورجال الأعمال بالقاهرة ، والعريس لم يكمل دراسته العاليـــة ، لتفرغه لادارة أملاكه ومزارعه الواسعة ، كمـا عمل على استغلال ثروته النقـــدية فى الأعمال التجارية والمالية ، والعروس سليلة أسرة عريقة من مقاطعة كنت الانجليزية وقد حضرت الى مصر لأول مرة فى عام ١٩٣٣ لزيارة شقيقتها وأحبت مصر فأطالت اقامتها فيها حتى تمصرت وعملت سكرتيرة لمعـالى أمين عثمان باشا فى الشركة التى كان قد كونها قبل اختياره رئيسا لديوان المحاسبة .

● كتب مكرم عبيد فى ذكرى سعد قائلا : فلتجىء اذن ذكرى سعد فان له ولنا فيها حياة مجددة وما الحياة المجددة الا الذكريات الخالدة ، وفى الاحتفال بذكرى سعد لم يسمح الا بالعبارة التالية : كان ضريح سعد مقصد الوافدين وكم كان جميلا أن اجتمع فيها أبناء سـعد من مختلف الأحزاب ففى الساعة الحادية عشرة حضر رجال الهيئة السعدية وعلى رأسهم د. أحمد ماهر باشا ، وبعد قليل حضر مكرم عبيد باشا وأصحابه وفى الساعة الواحدة حضر رفعة مصطفى النحاس باشا ورجال الوفد .. الخ . ولم تنشر ـ بطبيعة الحال ـ صورة لمكرم عبيد باشا وأصحابه وهم فى ضريح سعد كما لم تتم الاشارة الى الكتلة الوفدية .

● فى ٥ سبتمبر ١٩٤٢ جرى الاحتفال ـ بصورة غير معهـودة ـ بعيـد ميـلاد الملكة فريدة التى كانت قد ولدت فى هـذا اليوم من عـام ١٩٢١ .

وفى نفس التاريخ ـ تقريبا ـ تسقط الطائرة التى كان يسـتقلها الدوق كنت شقيق ملك بريطانيا وكان فى طريقه الى اسكتلنده فى مهمة

عسكرية خاصة وقد حضر النحاس باشا الصلوات التى أقيمت على روح سموه بكاتدرائية جميع القديسين بالقاهرة كما حضرها السفير البريطانى بطبيعة الحال ٠

● والجو مكفهر فى كل مكان يأبى البعض الا أن يثير مجلس النواب موضوع أزياء السيدات تتصدى له ـ فى الصورة مثلا ـ الدكتورة نعيمة الأيوبى مؤكدة أن سن قانون ووضع تشريع خاص بتحديد أزياء السيدات وصمة فى جبين مصر بأجمعها لا فى جبين سيداتها فقط : اننـــا معشر المصريات ولأسقط من حسابى فئة قليلة جدا لا يقام لها وزن ٠ تتخذ من المعنويات نقابا ومن أدبنا واحتشامنا حجابا هى أروع وأصدق من حجب من أقمشة بالية أو قيود تأباها الكرامة ويعافها الشرف ، كرامة وشرف الرجال قبل السيدات ٠ وتقبل النائب المحترم جلال حسن تحدى الدكتورة نعيمـــة الأيوبى ، وكان من بين ما قاله ـ فى تحديه ـ نريد لفتـاة مصر وسيدة مصر أن تحتفظ بحيائها الشرقى الموروث وبطابعها المصرى الجميل وأن تزداد علما ، وتربية وأخلاقا فى حدود الكمال المصرى وتقاليد التربية العالية ٠

● من الأمور المستقبلية التى تحدث عنها الفلكى الأستاذ محمـــد يوسف المنياوى مسنعينا كما قال بعلم سر العدد ان قوات المحور التى تقدمت فى الصحراء الغربية ، حتى العلمين سترتد على أعقابها وتعود الى قواعدها القديمة ، بل الى ما وراء هذه القواعد خلال شهرين من تاريخ حدده وان كورسيكا ونيس سيحتلهما الايطـاليون وأن ألمـــانيا ستحاول الاستيلاء على الأسطول الفرنسى وقد تحقق ما قاله ٠

وقد أكد ـ قبل معركة العلمين ـ أن القوات الأمريكية والبريطانية ستتغلب على قوات المحور وتسحقها سحقا ثم تكتسح ليبيـــا وطرابلس ويعلن الحلفاء موقفهم من مركز تونس السياسى ويقع للمارشال روميـل حادث خطير ، وان الشعب الايطالى سيثور على زعيمه الدوتشى ، وقد تحقق كل ما قاله ٠

● مع نهاية عام ١٩٤٢ ازداد الحديث عن الوحدة العربية ، وكان أول من فتح الحديث فى الموضوع الأستاذ عبد الرحمن عزام بك ، وكان عـــوان مقاله الأول بالمصـــور : « لا حيـــاة لمصر وشقيقاتها العربيـــة الا بالاتحاد » وكان السبب فى بدء الحديث برقية وردت من لندن تقول : « ان المساعى مبذولة هناك لانشاء اتحاد بين الدول العربية ، على غرار الولايات المتحدة » ٠

وقد رأى المصور أن يسأل الأستاذ عبد الرحمن عزام ـ وهو فى

طليعة المشتغلين بقضية العرب والوحدة ـ الى أية ناحية تتجه مصر اذا ما أرادت أن تؤلف كتلة متحدة أو مؤتلفة معها ومن شقيقاتها العربيـــة باعتبارها ـ مصر ـ زعيمة العالم العربى ، وقلبه النابض » ٠

ويقول عزام بك : مصر فى جميع العصور ، مصر الفرعونية ، مصر الاسلامية ، فى أيام الطولونين والاخشيد والفاطميين والأيوبيين والمماليك وفى العهد الحديث أيام محمد على الكبير ، وابراهيم ، لم تستطع كدولة مستقلة أن تترك مقدرات عرب آسيا دون أن يكون لها دخل فى تكييفها لأن طبيعة الدفاع عن النفس ـ استلزمت منها هذا التدخل ٠

ولسنا نعرف حالة استطاعت فيها مصر المستقلة أن تقف مكتوفة اليدين ، متجاهلة مصير جيرانها الشرقيين ٠

وقد كانت مصر تختلط بالأمم السامية والعربية قبـــل أن تعتنق الاسلام وكان شرق النيل بأجمعه الى حدود السودان مهبطا ومقرا للقبائل العربية منذ بضعة آلاف من السنين وصحراء مصر الشرقية المسماة بصحراء العرب هى وطن للعرب قبل استيلاء الهكسوس على مصر فنصف مصر اذن عربى من قبل الاسلام بآلاف السنين وكما جاء الاسلام فمحــا الفوارق بتوحيد اللغة والدين فى هذه الأرض الشاسعة الممتدة من الصحراء الليبية حتى الخليج الفارسى (هكذا فى كلام عزام بك) فقامت حضارة مشتركة ثبتت طوال هذه القرون وأصبحت تراثا مشتركا للشعوب العربية فى هذه المنطقة الواسعة وجعلت منها أمة واحدة لا انفصام لها ٠

ويقول عزام بك : لقد دلت الحوادث الأخيرة على أنه لا حياة لشعب صغير مهما اعتز بسيادته الا أن يكون فى مجموعة كثيفة بالسكان ، ولها من اتساع رقعة الأرض ما يسمح له بأن يأخذ مكانه بين الدول وأصبح من ينشد العزلة انما يعرض نفسه لأن يكون فريسة المطامع التى ساعد تطور النقل وسرعة وسائله على تحقيقها ٠

أما شكل هذا التعاون فليس هو الذى يشغلنا فلتكن ولايات متحدة أو لتكن حكومات مستقلة متحالفة أو ليكن أى شكل من الأشكال فالذى نريده انما هو احترام الحق والحقيقة ، وهى أننا أمة واحدة مهما تعددت الأسماء أو قامت بيننا الحدود ٠

أما الأستاذ محمد على علوبة فيصف السعى بأنها محاولة غير مجدية وتفكير عقيم ٠

وينادى علوبة بالامتزاج بين الدول العربية والاسلامية وبايجاد نوع

من التضامن بين الأمم العربية ، وتعاونها فيما يعود عليها بالخير من ثقافة وتجارة وصناعة وشئون دفاع ومن تسـهيل التبـادل بين هذه الأمم فيما لا يمس استقلال كل منها سياسيا ، أو جغرافيا .

ويرى الأستاذ محمد على علوبة أنه يجب أن تفتح البـاب لجميع الشعوب العربية والشرقية التى ترى فى نفسها القدرة على الانضـمام الى هذه الكتلة والتى تساعدها ظروفها وأوضاعها على هذا الانضمام ، سواء أكانت فى آسيا أم فى افريقيا فاذا تعذر ذلك على احدى تلك الدول كان على مصر أن تسارع الى تنمية الروابط الثقافية والاقتصادية معها عن طريق البعوث والتبادل بقدر المستطاع لأن على مصر رسالة أخرى روحية لوجود الأزهر الشريف والجامعة فيها ، يجب ألا تتباطأ فى تأديتها فى الأقطار الشقيقة ما وجدت الى ذلك سبيلا .

ويرى فؤاد أباظة باشا أنه لا فائدة من اتحاد يضم شعوبا مختلفة فى مصالحها الجوهرية وفى أطوار شعوبها بل وفى مواقعهـا الجغرافية ومبادئها السياسية .

ان الخيال لذيذ ولكن الواقع يصدم أمانى الشعوب العربية التى تتجه اتجاهات محلية واعتبارات دفاعية تجعل تحقيق ذلك متعذرا لوقت على الأقل ليس بقريب ، انما لا يؤخذ ذلك عذرا فى عدم قيام مصر بواجبهـا نحو واجب عام ، وواجب خاص .

أما الواجب العام فهو أن تعمل مصر على نشر اتحاد عربى يشمل مصر وفلسطين وسورية ولبنان وشرق الأردن والعراق وبلاد العرب واليمن وباقى البلدان التى تتألف منها شبه جزيرة العرب وكذلك ليبيا وتونس والجزائر والمغرب الأقصى ، لقد أسس فى ٢٥ مايو ١٩٤٢ اتحاد عربى على اثر تفكير كثير من ذوى الرأى فى مصر وسوريا والعراق ، والبلدان العربية الأخرى لتنمية العلاقات وتقوية الروابط بين الأقطار العربية والسهر على مصالحها والدفاع عن حقوقها .

ونأمل أن يحذو مفكرو البلدان الأخرى حذونا فى انشـاء أندية للاتحاد العربى على نطاق بلادهم ليسهل الاتصال بين الأندية وبعضـها على أسس منسجمة .

أما الواجب الخاص فانه يجب على مصر فى الوقت نفسـه تأسيس اتحاد نيلى يربطها والسودان بالحبشة وأوغنده ارتباطات سياسية مع كتلة الشعوب البريطانية .

وربما عد البعض هذه الآراء وأشباهها من الأوهام ولكنها ميسورة التحقيق متى تضافرت الجهود وحسنت النيات لتنفيذها » .

وبسرعة نمت الفكرة وترعرعت وتلقفتها وزارة النحــاس باشا ، وسنخصص فيما بعد فصلا خاصا لمولد الجامعة العربية ولجنتها التحضيرية وميثـاقها ، بكل الأسرار التى اكتنفت ذلك كله ، فقط نذكر هنـا أن مشاورات عربية اضطلعت بالفيـام بها الحكومة المصرية خلقت ما سمى باللجنـة التحضيرية التى كانت مهمتها الأولى تسجيل ما اتفقت وجهات النظر عليه واستيفاء ما يحتاج الى استيفاء من الأمور ، والتمهيد - كما قال النحاس باشا فى جلسة بمجلس الشيوخ - لعقد المؤتمر العام وكان فى مقدمة من ساهم من الوفود العربية فيما سمى بمؤتمر الوحدة العربيـة السيد حمدى الباجة جى رئيس الوزارة العراقية ودولة سعد الله الجابرى ودولة رياض الصلح بك وتوفيق أبو الهدى باشـا (من أسرة عريقـة بفلسطين) وكان من آمال سعد الله الجابرى بك رئيس الوفد السورى أمنيته الطيبـة بنجـاح المؤتمر العربى وقال رياض الصلح بك رئيس الوفد اللبنانى نحن على تفاهم صريح مع مصر العزيزة على كل ما نستهدفه من وراء هذه الدعوة العربيـة التى كنا أول من لباها والتى نرجـو لها النجـاح ٠

وكان من أمانى دولة توفيق أبو الهدى باشـا رئيس وفد شرق الأردن :

« أرجو أن تكون الخطوة الثـانية التى نخطوها الآن موفقة ناجحة كما نجحت مرحلة المشـاورات بفضـل حكمة صاحب المقام الرفيع رئيس وزراء مصر واخلاص من استشارهم من رجال البلاد العربيـة ففى هذا الاجتماع ستحدد المواضيع التى يتناولها المؤتمر العربى العام الذى آمل ألا يطول وقت انعقاده وعندئذ نصل بعون الله الى الخطوة الأخيرة المقصودة وهى اتفاق البلاد العربية على وحدة أو اتحاد أو تعاون فى كل ما يعنيهم من شئون ويعود على بلادهم بالخير » ٠

وكان من أمانى نورى السعيد باشا عضو الوفد العراقى أن يأخذ الله بيـد الأمة العربية ويسدد خطى رجالها ويلهمهم الحكمة والبصيرة والشـجاعة وتحقق فيهم آمـال الشعب الذى يتلهف الى بلوغ أمانيـه السامية ٠

كان عدد العراق وقتئذ أربعة ملايين ونصف تقريبا ، بينما كان عدد سكان المملكة العربية السعودية ستة ملايين ، وسورية ثلاثة ملايين ونصف تقريبا ؛ أما لبنـان فقد زاد عـددها على المليون ، وكان عـدد سكان اليمن ستة ملايين ، وعـدد سكان شرق الأردن ٢٣٠ ألف نسمة ، وفلسطين مليونا ونصف مليون تقريبا !

● من الرجال العاملين الذين فقدتهم مصر فى تلك الفترة المرحوم محمد فهمى عبد المجيد الرئيس السابق لجمعية المواساة الاسلامية وأشهر رجل ـ مجلة المصور ـ فى مدينة الاسكندرية عرف بمشروعات البر والاحسان واليه يرجع الفضل فى انشاء مستشفى فؤاد الأول للمواساة وهو من أهم وأكبر المستشفيات العالمية وكان مما كتبه عنه ـ فى المصور ـ صديقه الدكتور عبد الواحد الوكيل وزير الصحة :

عرفت فهمى بك عبد المجيد منذ كنت طبيبا بصحة بلدية الاسكندرية وبمصلحة الجمارك وكان بين نخبة من شباب موظفى الجمارك بدأت حياتها فى وظائف الحكومة صغيرة متواضعة ثم جاهدت وحصلت على الشهادات العليا • ومن هذه النخبة عبد السلام بك ذهنى المستشار القضائى ، وعبد الفتاح بك السيد رئيس محكمة النقض والابرام ، وقد ضرب هؤلاء لزملائهم الشبان أحسن الأمثال فى الجد والنشاط والتقدم •

وقد رأى فهمى بك بعد أن كون نفسه تكوينا صالحا ، وهيأها للخدمة العامة أن يخدم بمواهبه بلاده ، فانضم لجمعية المواساة الاسلامية ، فنفخ فيها روحا جديدة ، ووسع أعمالها ، ومن الاحسان الضيق الى الاحسان الواسع المنظم فأقدم بهمة وعزم جبار على العمل لانشاء مستشفى من أكبر المستشفيات العالمية هو مستشفى فؤاد الأول للمواساة ، فأصدر له اليانصيب ، وأقام المباريات والحفلات وجمع التبرعات ، واستطاع أن يحقق هذا المشروع فى أقصر وقت وعلى أحسن وجه ثم شرع فى انشاء عيادة العمال بميناء البصل •

وقد كنت وقتئذ من معاونيه فى هذا المجهود ، فرأيت كيف كان الرجل اخلاصا وعزما وحبا للخير ، وتفانيا فى العمل لخدمة بلاده • ولا أنكر اننى استفدت من شجاعة صديقى الراحل ، واقدامه الجرىء على المشروعات الكبرى ما دام مقتنعا بفائدتها للمصلحة العامة •

ولم تقتصر جهود فهمى بك عبد المجيد على خدمة جمعية المواساة الاسلامية ، بل كان من أهم بناة نادى موظفى الحكومة بالاسكندرية ، كما كان من أهم المنشئين للجمعية التعاونية المنزلية بهذه المدينة ، وهى من أحسن الجمعيات المعروفة بنظامها ومبزانيتها الكبيرة • وقد خدم ملجأ الحرية خدمات جليلة ، ولم يترك ناحية من نواحى الخير الا ساهم فيها بنصيب محمود •

وقد عاش فقيرا ، ومات فقيرا ، ولكنه كان غنيا بأخلاقه ، وبما عرف عنه من حب شديد للمصلحة العامة ، ومساعدة العائلات التى أخنى عليها الدهر ، والأخذ بيد الفقراء وتخفيف آلام المرضى والبائسين • فكان بصفاته

الفاضلة ، وأعماله القومية جديرا بأن يكون قدوة حسنة لأبناء شعبه . وما أحوجنا فى نهضة الاصلاح الصحى والاجتماعى الى الأمثلة الصالحة من العاملين الذين يخدمون ويجاهدون باخلاص وتفان فى سبيل الله وسبيل الوطن .

● بمناسبة الحديث عن واحد من كبار أعمدة الخير بها ، كتب الأستاذ أحمد كامل مدير عام بلدية الاسكندرية كلمة عن فكرة انشاء جامعة فاروق ، رأى أن تبنى فوق تل من تلول الاسكندرية لتكون منارا علميا للمدينة من البر والبحر ، وقد جاء فيما كتبه :

ـ كان انشاء هذه الجامعة عملا موفقا ، بل كان علاجا لنقص كانت تشعر به الاسكندرية ، وتشعر به مصر كلها . فقد كانت هذه المدينة جامعة للعلم والفن والمدنية من أقدم العصور ، وقد اجتمعت فيها مدنية اليونان والرومان والعرب ثم المدنية الحديثة . وقد عنى محمد على باشا الكبير باحياء مجدها ، واهتم المغفور له الملك فؤاد بتجديد نهضتها ، وحذا الملك فاروق الأول حذو والده وجده ليجعل من الاسكندرية منارا للعلم والفن ، كما هى منار للملاحة وميدان للتجارة وسائر نواحى الاقتصاد ، وأن تجمع الى مجدها القديم مجد مصر الاسلامية الحديثة .

ولذلك كان انشاء هذه الجامعة من أهم الوسائل لتقوية النهضة القومية فى مدينة الاسكندرية ، وبث الروح المصرية بين الأهالى . وأحب أن أصارحكم بأن البلدية مع احترامها لمصالح الأجانب ، وتقديرها لجهودهم . ترحب بكل ما من شأنه تقوية هذه الروح فى مدينتها ، ونشر اللغة العربية فيها . وقد أخذت فى السنوات الأخيرة تستخدم اللغة العربية فى جميع شؤونها حتى فى المذكرات التى تقدم لمجلس الادارة ، فانها تكتب باللغة العربية ، وترفق بترجمتها باللغة الفرنسية ، لأن بعض أعضاء المجلس من الأجانب . ولم يكن هذا النظام متبعا من قبل . وقد أمرت منذ توليت منصبى الحالى أن تكون عطلة الأسبوع فى يوم الجمعة كسائر مصالح الدولة بدل يوم الأحد ، كما أمرت أن يكون دليل المتحف اليونانى الرومانى باللغة العربية وهو الآن تحت الطبع ، وكذلك ما يكتب عن الاسكندرية من كتب الدعاية والسياحة مع كتابته باللغة الأجنبية فى بعض الأحوال .

« ولا شك عندى أن وجود جامعة فاروق الأول سيعمل على تنشيط الروح القومية ، ونشر اللغة العربية ، وتقوية نهضتنا المصرية الحديثة فى هذه المدينة » .

وعن رأى أحمد بك كامل فى بناء جامعة فاروق قال :

ـ لما عنيت الحكومة بانشاء هذه الجامعة اتجهت رغبتها الى ايجاد الأمكنة الصالحة لها ، وقد تقدمت بلدية الاسكندرية بتخصيص أربعين فدانا من أرض الشاطبي لاقامة المباني اللازمة لهـا . وهذه الأرض في مستوى أرض المباني المجاورة لها ، وهي تمتاز بالهدوء .

وفي رأيي أن بناء الجامعة الجديدة يحسن أن يقام على تل مرتفع من تلول المدينة لتكون هذه الجامعة مشرفة على جميع أنحائها ، ولتكون مرئية من البحر كمنار للعلوم والفنون الى جانب منار الاسكندرية المشهور الذي يرى المسافرون ضوءه يتلألأ فوق أمواج البحر من مسافات بعيدة .

وعندي أن تل كوم الدكة هو أصلح مكان لذلك . وبلدية الاسكندرية لا تضن على الجامعة بكل مساعدة ممكنة تحتاج اليها .

● كانت رحلة النحاس باشا وبعض وزرائه الى قنا وأسوان حيث انتشرت بكثرة الملاريا ، من الأمور التي أغضبت الملك فاروق والتي اشتكى من أجلها الملك لسفير بريطانيا في مصر ، حيث ظهر النحاس باشا في هذه الرحلة ، وكأنه الملك المتوج . وكان أول مظاهر الغرور في هذه الرحلة قرار النحاس باشا بأن تكون كل الحفلات بالملابس العادية فكل الحفلات والأعياد القومية يجب أن تكون بالملابس العادية ما عدا التي « يحضرها » جلالة الملك .

● تصريح النحاس باشا بأن اصابات الملاريا في أسوان وبلاد النوبة ودراو وكوم أمبو قد توقفت تماما ، ولم يكن ذلك صحيحا أبدا .

● قام النحاس باشا بتوزيع ٢٦٠ ألف قطعة ملابس ، ٣٠ ألف بطانية ، ١٠٠٫٠٠٠ جوال دقيق وكميات كبيرة من الأرز والذرة والصابون والزيت والسكر والعدس والفول بما يوحي أن كل شيء موجود في هـذا البلد .

● عمدت الوزارة على احاطة الرحلة بمظاهر غير عادية ووقفت كل جهودها على حشد الجماهير في الطرقات التي يمر بها رفقة الرئيس حتى قطع النحاس باشا المسافة بين محطة اسنا ومنزل امام أبو العلا بك في ساعتين وعشر دقائق بينمـا المسـافة لا تسـتغرق بالسـيارة أكثر من عشر دقائق .

● بشر النحاس باشا اهل أسوان بأن مدينتهـم قادمة على عصر ذهبي وانها ستكون ثالث مدن مصر بعد القاهرة والاسكندرية ، ليكسب بذلك الرأي العام الاسواني ولم تكن لديه مشروعات جديدة خاصة باسوان ولكنها الدعاية ! .

● أغرب ما كانت تلجأ اليه وزارة النحاس باشا انها كانت تقول ان اصابات الملاريا توقفت ومع ذلك كانت تطلب اعتمادات اضافية لمقاومة الملاريا .

وكانت ترسل البعثات الى المناطق الجديدة التى نكبت بالملاريا ، بقى أن نعلم أن مصر ابتليت لمدة ثلاثة أعوام تقريبا بأخطار صحية مختلفة بسبب الحرب وما جرته من اختلاط وما أدت اليه من فتح طرق جديدة لم تكن مسلوكة من قبل تمر فى مناطق ملوثة بأمراض كثيرة فى الأقطار المجاورة .. وكانت رحمة الله بنا كبيرة اذ لم ننل منا تلك الأمراض الا القليل .

● من الرحلات « الهامة » رحلة الملكة نازلى الى فلسطين عن طريق قطار القاهرة القدس ، كان فى استقبال جلالتها بالقدس ، الهامى حسين باشا وقنصل مصر وقرينته ووكيل القنصلية المصرية وقرينته وكانت كل منهما تحمل باقة ورد جميلة . كان الحسينى بك زعلوك الذى أشرف على ترتيبات السفر . وقبل وصول القطار ، وصل نائب المندوب السامى البريطانى ومحافظ المدينة وكان جمهور زاخر من أهالى المدينة سيدات ، ورجالا ، فى انتظار مقدم جلالتها . وقال محافظ القدس ، نأمل أن تقضى فى القدس وقتا جميلا فقالت الملكة : سنرى القدس وننعم بها وسنشاهد كل ما يمكننا أن نشاهده عبرها . وهذه أول مرة تزور فيها ملكة مصرية مدينة القدس وكان قد حجز لجلالتها ومن معها جناح فى الفندق يتكون من عشر حجرات ولكن ديمقراطيتها أبت الا أن تقيم فى الفندق كباقى النزلاء فتناولت طعام العشاء فى صالة الطعام الكبرى مع النزلاء كما جلست معهم تتناول الشاى وتستمع الى الموسيقى وكانت دعوة العشاء قد وجهت باسم الأميرة شويكار !

● نظمت أجازة عيد فى ربوع فلسطين أثناء زيارة الملكة نازلى لفلسطين حيث قضى الضيوف العيد فى فندق الملك داود ، حيث تقيم الملكة وبعض الأميرات .. كان فى مقدمة « الوفد » عثمان محرم باشا والدكتور عبد الله الكاتب وقرينته ومحمد عرفان بك وعبد الحميد بك أباظة . زار الوفد مدينة نابلس ومصنع الصابون بها ، والبحر الميت حيث الفوسفات الذى يستخرج منه بكميات هائلة .

تناول الوفد الغداء فى بلدة اريحة وهى مشتى جميل ينخفض عن سطح البحر ٤٠٠ متر وجوها يشبه جو أسوان واريحة لاتبعد عن القدس أكثر من ٤٠ كيلو مترا .

وبعد الظهر قصدوا طولكرم الذى يرتفع حوالى ٨٠٠ متر عن سطح البحر وهى مصيف القدس ٠

وفى ليلة الرحيـل دعت الأميرة آمال الأطرش بعض أعضـاء الوفد وعرفتهم ببعض الأدباء والمحامين السوريين والفلسطينيين وقضى الضيوف سهرة جميلة غمرتهم فيها الأميرة بكرمها ولطفها وقالت انها قادمة مع زوجها الأمير حسن الى مصر فى بحر أسبوع ٠

● وكانت رحلة أخرى لرئيس الوزراء مصطفى النحـاس باشـا ومعه الأستاذ محمود أبو الفتح صاحب المصرى وعضـو مجلس الشيوخ والنائب المحترم أحمد الوكيل ، وكان للرحلة قصـة سنتناولها فيما بعد بالتفصيل ٠

● يهمنى هنـا أن أنشر حديثـا موجزا للغايـة أجراه منـدوب المصور عن زيارته لفلسطين وذلك على النحو التالى :

● لماذا اخترتم فلسطين لقضـاء عطلة العيـد ؟ وما أهم ما لفت نظركم فيها ؟

ـ استقليت سيارتى من مصر عقب انتهاء أعمالى الرسمية فى اليوم السابق ليوم الوقفة وقطعت الطريق فى عشر ساعات ٠ وأنا هنا لا أشعر بانى فى أجازة بالمعنى الذى تقصـده ، لأنى كنت أتوق لزيارة فلسطين للدراسة لا لمجرد تبديل الهواء ٠ واننى أجد هنا لذة فى البحث والتحرى والاستفادة بكل ما تقع عليه عيناى ٠ وكان أول ما لفت نظرى ما لمسته ، ونلمسه دائما ، من حب اخواننا فى فلسطين لمصر والمصريين ٠ فهم حقيقة يبادلوننا حبا بحب ، بل ويحسون باحساسنا ويهتمون بكل ما يتعلق بنا كما نهتم بهم وبكل ما يتصل بهم ٠

« وكان طبيعيا أن أعنى بدراسـة تطور الزراعة فى فلسطين ، والوسائل الجديدة التى استحدثت فيها ، لكى نقتبس منها ما يفيدنا ٠ وقد اعجبت بالطريقة التى أقلموا بها الفاكهة مثـل التفـاح والكمثرى ٠ وقد طفت مع الملحق الزراعى بالقنصليـة المصرية هنـا ، ببعض المزارع الفلسطينية ووقفت على معلومات قيمة فى هذا الشأن ، سيكون لها أحسن الأثر فى أقلمة هذين النوعين من الفاكهة فى بلادنا ٠

وقد أعجبت بمدرسة الزراعة ومنهاجها ، ولفت نظرى بصفة خاصة وجود طالبات الى جانب الطلبة فى هذه الدراسـة ٠ ويسرنى أن أبـدى تقديرى لطرق التدريس بها فهى عمليـة بحتة ٠ فالمدرسة مقامة وسط حوالى ٥٠٠ فدان يزرعها الطلبة والطالبات ويقومون فيها بتجاربهم ، وهم

يؤدون جميع الأعمــال فى تلك المزرعـة بأنفســهم ، فيعزقون الأرض ويزرعونها ، ويعلفون الماشية وينظفون زرائبها ، ويحلبون اللبن ويصنعون الجبن والزبد · فيتولون بأيديهم وسواعدهم كل كبيرة وصغيرة ، مما يعتبر أحسن ضمان لتخريج فلاحين وفلاحات من الطراز الأول · ولا ريب أن فى تعليم الفتيات الزراعة ، ما يساعد على بنـاء أسر زراعية منسجمة · فالزوج الفلاح والزوجة الفلاحة يمكن أن يتم بهما تكوين أسرة سعيدة موفقة ، على خلاف الحال متى كان الزوج فلاحا والزوجة سيدة ناعمة بعيدة عن هذا اللون من ألوان الحياة · وقد استغرقت فى طوافى بهذه المدرسة أربع ساعات وأنوى أن أعاود زيارتها مرة أخـرى وقد كنت فى زيارتى الأولى ناقدا ومستفيدا ، وشرحت لهم وجهة نظرى فى بعض المسائل · وأفدت من الكثير مما رأيته وأعتقد أنه جدير بالاقتباس عندنا ·

« وزرت كذلك المعرض الزراعى ودار الأبحاث العلمية · وأكبر ظنى أننا بحاجة شديدة الى التوسع فى الأبحاث العلمية بمصر على النمط الذى رأيته فى فلسطين ، وبذلك نستطيع أن نصل الى تحسين صناعة الجبن والمربى والفاكهة المحفوظة ·

● هـل وجـدتم معـاليكم نواحى أخـرى مما يمكن أن نقتبسها أو نستفيد منها ؟

ـ ليست العبرة بالكثرة بل بالاتقان · وحسبى فى هذه الفترة القصيرة هذه الدراسة التى خصصتها لما ذكرت · ولابد من زيارة أخرى أطول من هذه لدراسة نواح أخرى ·

● هــل أعجبتم بتل أبيب هــذه المدينة الجـديدة من الناحيـة الهندسية ؟

ـ يخيل لى أن مبانيها أقيمت على عجل ، وفى فترة قصيرة ، دون أن يراعى فيها الفن الهندسى الدقيق · اذ ليس فيها ابتكار فنى جديد · ولكن هنا فى القدس مبان فيها كثير من الفن والذوق ·

وقبل أن يختتم معاليه كلامه قال : « ان هناك ظاهرة جميلة لها معناها ومغزاها وهى أن كثيرا من الشبان والفتيان فى فلسطين تسموا باســم « فاروق » وقد هزت هذه الظاهرة مشاعرى وطابت لها نفسى » ·

● نجح الذين كانوا حول الملك فى احاطته بهالة ضخمة من الدعاية المرسومة والمخطط لها وكانوا دوما يختارون له المناسبات التى تقربه من الجمـاهير مما كان يضايق كثيرا رفعـة مصطفى النحاس باشا رئيس مجلس الوزراء الذى كان فى خلاف دائم مع الملك · ومن المناسبات الجميلة

التى نظمها من هم حول الملك بمناسبة تكريم الملك للمتفوقين والمتفوقات من خريجى الجامعات والمعاهد حيث دعاهم جميعا الملك لتناول الشاى فى ضيافته بحديقة القصر الملكى ووجه اليهم رسالة حلوة جميلة من بين عباراتها ، أن مصر التى كانت منذ تولى التاريخ الكلام عنها والتغنى بمآثرها، وأما مصر التى ستكون فأنتم المسئولون عنها وانها لأمانة فى أعناقكم فلا تجعلوا أنشودة التاريخ معكم أقل روعة من انشودته فى أجدادكم ومن بين تلك الكلمات التى وجهها الملك الشاب الى شباب مصر : على بركة الله سيروا فى طريقكم وهذه يدى فى أيديكم ، تساهم فى العمل معكم • يد قوية ، لا لأنها يد ملك ، ولا لأنها يد شباب ، ولكن لأنها يد مصرى يؤمن بمصريته » ••

انني أتصور ملايين المصريين الذين استمعوا الى الرسالة الكريمة وعباراتها القوية ، وقد آمنوا بمصريتهم كما آمن بها مليكهم ، فأصبحت أيديهم قوية يجرى فيها دمه ، وتشيع فى نفوسهم روحه الوثابة ، وديمقراطيته العظيمة •

ومن بين الشباب والشابات الذين كرمهم الملك فى تلك المناسبة ـ وقد تفرقت بهم الأيام فيما بعد ـ عزيزة ياقوت : معهد التربية العالى ، سيادات محمد على ـ معهد التربية العالى • زبيدة أمين نجيب كلية الطب ثريا أحمد النهرى كلية الطب ، سميرة عبد الهادى الزيادى ـ كلية العلوم ـ زكى ناشد معهد التربية العالى • حورية موسى ـ المعهد العالى لمعلمات الفنون، اسعاد جودة ـ المعهد العالى لمعلمات الفنون ، جميلة أحمد نسيم ، المعهد العالى لمعلمات الفنون ، صفية عبد الحميد حمدى مدرسة الفنون التطريزية ، أمين سلامة الدراسات القديمة بكلية الآداب ، محمد محمود أبو العلا كلية الحقوق ، عقيل سليم عبده كلية التجارة ، الشيخ محمد حسن خريج الجامعة الأزهرية ، نور الدين عابد قسم التصوير الزيتى بالفنون الجميلة •

وكان مقرراً أن يكرم شفيق حسنين شكرى ـ أول الحاصلين على دبلوم مدرسة الفنون التطبيقية العليا غير ان المنية عاجلته قبل التكريم بأيام •

● مع بدايات عام ١٩٤٤ أكثرت الوفود العربية من زيارات مصر وكانت تلك الوفود تقابل من مصر بالحفاوة الشعبية والرسمية • ومما نذكره ان شاعر القطرين حيا وفد لبنان الذى كان يزور مصر برئاسة رياض الصلح بك رئيس وزراء لبنان وكان من بين أبيات قصيدته العصماء :

حقا دعيت الصلح	ان الصلح للضدين أجدى
كنت الحصافة يوم آب	الرأى بعد الغى رشدا

أسليم عاركت الحطوب   فكنت مقداما وجلدا
وبما مزجت من الكياسة   بالسياسة ظلت فردا
لله درك من فتى   أرضى العلى حلا وعقدا
لم يعتزم أو يقتحم   الا رمى المرمى الأسدا
موسى لقد كمل النظام   وأنت فيه فراع عقدا
جمع الكفايات التى   تغنى الشعوب وقل عدا
عقد اذا أهداه لبنان   فقد أغلى وأهدى
يا موفدى لبنان ما   أجلى زيارتكم وأندى
أشهدتم آيات ما البلد   الأمين لكم أعدا
أشهدتم فى الملتقى   بجلاء ذاك الحشد حشدا
أشهدتم الترحيب والتر   جيب فى ممسى ومغدى
من ذا يجارى مصر فى   مضمارها كرما ورفدا
هى أمة بلغت رفيع   مكانها جدا وجدا
حيوا سعودا فى أعز   تها الأولى يقفون سعدا
وفوا الزعيم المصطفى   فى مصر عن لبنان حمدا
وصفوا له ما فى طوايا   القوم اكبارا وودا
مجدت فعائله فما   يزداد بالأقوال مجدا
أدوا الحقوق لصحبه   الأبرار أحسن ما تؤدى
هم فى المعالى من هم   سعيا وتضحية وكدا
أهلا وسهلا بالميامين   اهنأوا صدرا ووردا
واستقبلوا الأيام غرا   وأنسوا الأيام ربدا
وليبشر العرب الكرام   مضى الخلاف وكان ادا
وتوطد الميثاق والميثا   ق بالأرواح يفدى

ومع بدايات عام ١٩٤٤ تحدث وزير التعليم فى مصر عن تنظيم التعليم فى العام الجديد فقد دار الحديث معه على النحو التالى :

● وضعتم تقريركم عن اصلاح التعليم فى مصر الذى قدمتموه الى البرلمان وقد وافق البرلمان على ميزانية وزارة المعارف فى الأسبوع الأخير ، فهل أستطيع أن أعرف ما هى الخطوة التالية التى أعددتموها لاصلاح التعليم فى البلاد ؟

ـ لما وضعت تقريرى عن اصلاح التعليم الذى قدمته للبرلمان أردت أن أرسم الخطة التى يجب أن تكون عليها السياسة العامة للتعليم فى مصر ، وأن أعطى صورة للخطط التى تسير عليها الأمم الديمقراطية الأخرى . وقد اعتمدت فيما رسمت على تجارب مصر فى نهضتها الحديثة ،

وتجارب الأمم الراقية التي سبقتها في النهوض وهي خطة واضحة اقتنعت بها كل أمة متحضرة ٠

أما الخطوة التاليــة ، فهي وضـــع القانون الخاص بتنظيم التعليم بجميع أنواعه ٠ فالى هذه الساعة ليس عندنا قانون شامل ينظم جميع أنواع التعليم فنحن بحاجة الى أن نضع هذا القانون الشــامل لتوحيـــد الاتجاه العام في تربية أبناء الشعب تربية تلائم حاجاته وطاقاته وأهدافه ٠

وقد أخذت نفسي بأن أنتهز فرصة هذا الصيف لأضع مشروع هذا القانون ليعرض في بدء الدورة البرلمانية الجديدة ٠ وقد درست كل أنواع التعليم ، وبحثت ما ينبغي أن تتجه له من أغراض ٠ ومازلت أبحث بعض النواحي الأخرى ، على أنني أستطيع أن أقول بصفة عامة ان قانون التعليم الجــديد سيشتمل على جميع الأسس التي ينبغي أن تقوم عليها سياســة التعليم في البلاد المصرية ٠

وحــــدة الثقافة

● وهل تعتزمون أن يحقق هذا القانون وحدة ثقافيــــة مشتركة بين جميع طبقات الأمة عن طريق المناهج ؟

ـ اذا كنتم تقصدون بوحدة الثقافة تنمية مدارك الأمة ، وتوحيد المثل العليا والاتجاه القومي نحو العمل للمصلحة العامة ، واعطاء الفرصة لجميع أبناء الشعب ليتعلموا بغض النظر عن الفقر والغنى أو جهة الاقامة فهذا ما سيكون من أول الأسس التي يقوم عليها القانون الجديد ٠

أما اذا كان الغرض صب أبناء الأمة كلهم في قالب واحد ، وجعل التعليم يجري على وتيرة واحدة فهذا يحرم الأمة مزايا التنويع الذي يجب أن يكون عليه التعليم ، وهذا ما لا نرمي اليه ، فليس من المصلحة أن نعلم جميع أبناء مصر تعليما مدنيا فقط أو تعليما ريفيا فقط ، كما سبق أن قلت في تقريري « أن يمكن كل ناشيء أو شاب من التعليم الصحيح على مدرسين أكفاء ٠ والتعليم الصحيح المقصود هو الذي يلائم مواهب الطالب واستعداده ٠ وكل موهبة يجب أن تجد فرصتها للتوسع والنمو الى آخر الطاقة التي تستطيعها وكل فرد يجب أن يجد من المعونة المادية والمعنوية ما يسمو به الى أرفع مستوى يهيئه استعداده للوصول اليه » ٠

مائة ألف تلميذ بالمجان

● قررتم أن يكون التعليم الابتدائي بالمجان ، ووافق البرلمان على ذلك ، فهل ستشمل المجانية كل تلميذ في المدارس الحكومية والمدارس

الحرة . وما هى الطريقة التى سيجرى عليها العمل فيما يختص بالمدارس الحرة والمدرسين الفنيين فيها ؟

ـ قبل ان أطلب مجانيـــة التعليم الابتدائى درست ميزانيتـه ، ورسمت الخطة التى سأتبعها فى تنفيذه . ولذلك لما تقدمت بطلب المجانية فى هذا النوع من التعليم كنت قد أعـددت كل شىء ، وعرفت ما سينفق عليه من ميزانية المعارف بالدقة . وكنت أحضر اللجنة المالية ، وأجيب عن كل ما يوجه الى من أسئلة ، سواء أكان فيما يختص باحتمال الميزانية لأعبائه أم فيما يختص بالمدارس الحرة الى آخره .

وأحب أن أقول لكم وأنا مطمئن ان ما أعددناه لهـــذا المشروع فى الميزانية يكفى لتعليم جميع تلاميذ المدارس الابتدائية حكومية كانت أم حرة . وقد أحصينا عددهم فى هذا العام فوجدناه مائة ألف تلميذ .

أما فيمـــا يختص بالمدارس الحـــرة ، فسنعينهـــا بدفع مصروفات التلاميذ ، غير اننا سنخصم من هذه الاعانة ما كانت تدفعه للمدرســـين الفنيين ، وستتولى وزارة المعـــارف صرف مرتبـــات هؤلاء المدرســـين مع مساواتهم بزملائهم فى المدارس الحكومية . ولن نبخسهم حقهم .

والشرط فى هذا كله أن تلتزم المدارس الحرة المبدأ الجديد الذى وافق عليه البرلمـــان وهو مبدأ تكافؤ الفرص الذى يقتضى عـــدم التفريق فى قبول التلاميذ .

● ومن أهم أحداث عام ١٩٤٤ مصرع المطربة والممثلة أسمهان ونوجز هنا بعض ما نشرته الصحف عن مصرع اسمهان : كانت اسمهان قد قصدت الى استوديو مصر ، وكان المفروض أن تقوم باجازة قصيرة وقد التقطت لها بعض الصور ، كان منظر حريق يقترب من اسمهان ولم ينجح المنظر فأعيد تصويره مرة أخرى . هذا عن اليوم السابق للحادث أما عن ليلتها الأخيرة فقد جاء ما يلى :

وقضت اسمهان ليلتها الأخيرة فى دارها ، وامتـــدت السهرة بهـــا وبضيوفها حتى الساعة الواحدة صباحا . وكان من ضيوفها أحد النواب وحسين بك سعيد والأســـتاذ حسنى نجيب وقد غنت ليلتها ثم بكت ، وعاودت الغنـــاء مرة أخرى وبكت .. حتى ان حسنى نجيب قال لها : « احنـــا عارزين نسمع مغنى موش عياط ! » وكانت المقطوعات الثلاث التى غنتها عنيفة مؤثرة ، ولم يكن بينها مقطوعة واحدة مرحة .

وتشاورت مع ضيوفها فى أمر اجازتها القصيرة وكيف تقضيها ، فكان

اجماعهم على أن تذهب الى الاسكندرية ، ولكنها أصرت على السفر الى رأس البر · نصحوها بالسفر بالقطـــار ، لأن الطريق طويل وشـــاق ، فأصرت أيضا على السفر بالسيارة ، لأنها بحثت عن تذكرة فى البولمان فلم تجد ·

واستقلت أسمهان فى الصباح سيارتها ومعها وصيفتها ، وطارت بهما تنهب الأرض نهبا · ويقول أصدقاء أسمهان انها سافرت الى رأس البر بالسيارة أكثر من عشر مرات فى سنة ١٩٤١ ، وانها تحب هذا الطريق · بل العجيب انه قبيل « شرنقاش » ـ القرية التى وقعت الحادثة عندها ـ يوجد وابور طحين كانت أسمهان كلما مرت به وسمعت صوت « ماكيناته » تقول ان هذا الصوت يذكرها بصـــوت يشبهه فى بلدها بجبل الدروز · وكان هذا المكان محببا اليها ، ويلفت نظرها منذ سنوات ، الى أن وقعت الواقعة ، وهبطت بها السيارة الى الماء حيث لقيت حتفها قربه ·

ومن كانت منيتـــه بأرض فليس يموت فى أرض سواها

ويعجب الناس ويتساءلون : كيف نجا السائق ؟!

وقد اختلفت الآراء وتعددت التكهنات ولكن الجديد الذى لا يعرفه الناس ، أن السيارة ذات بابين لا أربعة أبواب · وكانت اسمهان ووصيفتها جالستين فى المقعد الخلفى بعيدا عن البابين ، بينما كان السائق يجلس الى جانب أحدهما · ولو ان السيارة كانت ذات أربعـــة أبواب لكان من السهل على أسمهان ووصيفتها الخروج من البابين الخلفيين ·

والعجيب ان أسمهان كانت تحب دائما ان تركب الى جانب السائق، ولكنها فى هذه المرة جلست فى المقعد الخلفى على غير عادتها ·

ويقول بعض أصـــدقاء أسمهان ان أحـــد قراء الكف قال لها فى سنة ١٩٤١ : « انك ستموتين بعد ثلاث سنوات مينة شنيعة ، وقد تكون غرقـــا » وقد قال اللواء محمـــد صـــادق باشا انه سمع ذلك بنفســـه من أســـمهان ·

وقد انتهت اسمهان من تمثيل جميع مشاهد فيلم « غرام وانتقام » الذى كان يخرجه استديو مصر ، عدا منظر واحد كان قد أجل التقاطه الى ما بعد الاجازة وسجلت جميع أغانى الفيلم ، ويقول الأخصائيون ان المنظر الوحيد الباقى ، يمكن تسجيله بالاستعانة بأية ممثلة غير اسمهان على أن تصور من ظهرها · وان هذا الموقف نفسه له سابقة فى أمريكا ، عندما توفيت جين هارلو ، ولم يكن الفيلم الذى تلعب فيه دور البطلة قد تم ·

وأخيرا فان من حق اسمهان علينا ، أن نسجل انها سطعت كمطربة ، وتألقت كنجمة سينمائية ، وعرفت كغادة خلقت لنفسها مكانة وشخصية ·

ومما نشرته الأهرام في اليوم التالي للحادث ١٦/٧/١٩٤٤ تحت عنوان : « مصرع الفنانة اسمهان بسبب سقوط سيارتها في ترعة » كانت الفنانة السيدة اسمهان مستقلة سيارتها الخاصة وسائرة في الطريق الزراعي المؤدي من القاهرة الى رأس البر تصحبها صديقتها الآنسة ماري قلادة فحدث في أثناء السير أن ترذت السيارة وكانت تسير بسرعة غير عادية في مكان شديد الانحدار ، « مطب » وسقطت على أثر ذلك في ترعة الساحل على مقربة من بلدة شرنقاش • واستطاع السائق أن يقفز منها وينجو ثم أخذ يستغيث ببعض الأهلين فجاءوا والبكباشي محمود على الشامي مأمور المركز وأخرجوا الفنانة وصديقتها جثتين بعد أن فارقتهما الحياة وقد أبلغ نبأ الحادث الى الأستاذ فريد الأطرش فجاء في المساء وتسلم جثة شقيقته وصديقتها بعد ان رخص بدفنهما في القاهرة • وقد سئل الاميرالاى سليم زكي بك وكيل حكمدار بوليس القاهرة عن معلوماته عن الحادث فقال ان اسمهان كانت تعبر دائما عن أمنيتها في الاقامة في مصر بعد ان أحبتها وعاشت فيها فترة طويلة وقد شاء الله أن تتحقق أمنيتها فوافتها منيتها فيها • وقال الأستاذ فريد الأطرش ان شقيقته كانت تنوى السفر الى رأس البر عن طريق السكة الحديد ولكنها عدلت عن ذلك في اللحظة الأخيرة مفضلة السفر بالسيارة فكان قضاؤها المحتوم منتظرها • وقد شيعت جنازتها ووريت التراب في مقبرة الأسرة أما الآنسة ماري قلادة فقد تسلم والدها جثتها وكانت اسمهان قد اشترت السيارة التى كانت موضوع الحادث بألفى جنية قبل وفاتها بثلاثة أشهر ، ولما عرض عليها أحد الأصدقاء أن تبيع له تلك السيارة بألفين وخمسمائة جنيه رفضت قائلة انها متفائلة بها وسأل مندوب الأهرام أحمد سالم عن كيفية ابلاغه النبأ فقال : لقد أبلغني به أحد التمورجية ثم أحد الأصدقاء ، وقد ظن أنه يمزح فأحضر له صحف المساء • وقال ان اسمهان زوجتي أمام الله وأمام الرسول، ولم أطلقها منذ ان تزوجتها في يوم ٢٢ ابريل ١٩٤٤ ولما قيل له لقد خلفت اسمهان ثروة تقدر بألفى جنيه فهل ترث فيها فقال : لن أمس مليما واحدا من ثروتها ، فلست الرجل الذى يمس مال امرأة ، ولما قيل له ان اسمهان كانت تقول دائما انها تحس بأنها ستموت مقتولة ، قال أحمد سالم ، ان هذا القول لا أساس له من الصحة ، بل انها كانت واسعة الآمال جدا وكانت تنوي بعد الحرب أن تسافر الى أمريكا لاخراج أفلام في هوليوود واننا كنا ننتظر مولودا ، وكان استوديو مصر قد أمن على حياة اسمهان لصالحه بخمسة عشر ألف جنيه •

قصة وفاة عادية ليس فيها أى غموض على الاطلاق فاسمهان هي التى اختارت السفر بالسكة الحديد الى رأس البر ثم هي التى عدلت عن

السفر فى آخر لحظة مفضلة السفر بسيارتها الخاصة : ليس فى الموضوع اذن من فاروق أو من بعض خصوم اسمهان ٠

ولأننى عالم بخبرتى الواسعة ان أحداث التاريخ كله متشابكة ، ولا يمكن الفصل بينها فانى أترك ـ مضطرا بعض ما لدى من أوراق الى جزء جديد ان كان فى العمر جديد ٠

الراى الآخر ولقاء الأجيال كل الأجيال

أحرص فى كل كتاب جديد من هـذه السلسلة الوطنيـة أن أتيح الفرصة كل الفرصة لأصحاب الرأى دون أى رقابة من جانبى ليستمر الحوار ويستمر العطاء ٠

وانى لأفتخر بأننى أول من أشرك الشعب فى تاريخه ٠

وعلى القصد ، ومرحبا بالحوار والرأى الآخر الذى ينير الطريق ٠

الأخ الصديق الأستاذ صبرى أبو المجد

أصدق الود وبعد ، فكل الذى تنشر توثيقا لحائر التاريخ هو ـ دون ملق غير متحقق بيننا أصلاً ـ خير أداء لفرض عين فى ذمتكم وتخفيف لفروض غاية فى ذمم الكثيرين ممن عاشوا ذلك التاريخ أو بعضه ٠

وأصدقك عندما أقول انه كثيرا ما يأخـذ هـذا الذى تبذلون فكرا وجهدا عن الالتفات الى ما يكون فى الذاكرة من اضافة اتصلت بالأحداث وخفيت ٠٠ اما لأنها دارت بين اثنين فحسب وكتماها حتى أتى عليهما الموت أو عفا النسيان ، أو لأنها تحققت ولم تنشر فى حينها ان عمدا أو عفوا ، أو لأنها ساعة وقوعها لم تكن تقرع الانتبـاه ، فلمـا دارت الأيام ربطت بينها وبين سواها أو تمت ترجمتها فى ضوء الأحداث فباتت تقرع كل انتبـاه ٠

وحتى أتخفف من بعض ما تحمل ذمتى ـ وان أزمعت لو أذن الرحمن أن أعالج هذا فى المجموعة الثانية من « لو تكلمت الجـدران » ٠٠ فانى لأستميح أن أسوق بمناسبة ما جاء بالعدد الأخير من المصور عن « المعارضة بين الحدود والضوابط » وبعض ما ورد فى « سنوات ما قبل الثورة » وما كتب الزميل العزيز الأستاذ أحمد حسين أكرم الرحمن جهده وجهاده ٠

(والواقعة ان كان ؛ صح

ففى الموضوع الأول ذكرتم أن مصطفى النحاس استعمل او أساء رخصته قائما على الرقابة فرفض نشر العريضة التى وجهها قادة المعارضة

وقتئذ الى الملك يصارحونه فيها بما آلت اليه أمور البلاد ، وأنه لما نشرت النص احدى الصحف قامت الحكومة بمصادرة نسخ الصحيفة ، وجاء القضاء ليثبت قرار المصادرة ٠

والواقعة ان كان هذا الذى تقدم هو جماع صورتها ، فمن تفصيلها أن النص لم يسمح بنشره اطلاقا ، فلما حاولت النشر صحيفة ــ وكانت ان أسعفتنى ذاكرتى السياسة أو البلاغ ــ وتحايلت على الرقيب المقيم حتى تم اعداد العريضة (صف حروفها) وتحديد موقعها من الصحيفة أفاق الرقيب فأمر برفعها ٠ فلما كان ذلك ترك القائمون على النشر المكان من الصحيفة خاليا ٠٠ وليفهم الناس ٠

وصدرت الصحيفة ــ وقد تحدثت عنها فى احدى حلقات « لو تكلمت الجدران » التى يتفضل المصور بنشرها وكانت الحلقة تحت عنوان « بيضاء من غير سوء » ــ ومما رصدته مضابط القضاء طلب الحكومة تثبيت المصادرة لوجود المساحة البيضاء التى لها دلالتها بعد أن تردد أمر عريضة قادة المعارضة بين الناس ٠

صادرتها وعرضتها على القضاء فثبت المصادرة ٠٠ وتصادف أن القاضى الذى حل محل صاحب الدور والذى فصل فى المصادرة كان لصيق القرابة لأحد أقطاب الوفد « عبد اللطيف بك محمود » ٠

مجرد مصادفة ٠

وعن الموضوع الثانى ٠٠ الخروج الجماعى الأول لأعضاء من الوفد عام ١٩٣٥ وما أطلق على الأعضاء « السبعة ونصف » أذكر أن الذى أطلق هذه التسمية هى أحزاب المعارضة وفى مقدمتها الأحرار الدستوريون ٠ وقيل فى تعليقها ان « النصف » يرمز الى « قصر » على الشمسى باشا ٠ وقيل بأن أحد الثمانية كان فى خارج البلاد فزعم الوفد أن هذا « الواحد » باق فى عصبته لم ينشق مع المنشقين وزعم المنشقون أن هذا « الواحد » منهم ٠ وظل الأمر فترة فنصف بعض رجال المعارضة ذلك « الواحد » نصفين لكل فريق نصف فبات السبعة المتيقن انشقاقهم سبعة ونصفا ٠

وصارت مثلا ٠

وأستميح فى شأن هذه العريضة أن أخرج هونا على موضوع التعليق فأذكر أن تلك العريضة وما حوت ومنعها من النشر كان مقدمة لتفكير دار بين حافظ رمضان باشا وبينى حول وجوب تبصير الشعب عن طريق المنشورات السرية التى بدأت بتفصيل ما أشارت اليه العريضة سواء فى شأن الملك وتصرفاته أو الحكومة وعثراتها ٠٠ فصدرت مجموعة متوالية

من هذه المنشورات تحت عنوان « ان الرواية لم تتم فصولا ٠٠ » وكان آخرها فى الأشهر الأولى من عام ١٩٥٢ وأذكر من مقدمتها الأبيات التى تنبه الى ما سيؤدى اليه استشراء فعال البرامكة فى الحكم ومطلعها :

أرى خلل الرماد وميض نار ويوشك أن يكون له ضرام

وأذكر من ختامها ٠٠ « ان الذى يجرى فى البلاد لا يشرف حاكما ولا محكوما » ٠ وبين المقدمة والختام النداء بأن الأمل فى تصحيح الأوضاع وانقاذ البلاد بات معقودا على ثورة الشعب ٠

أما فى شأن ما نشر الزميل الكبير الأستاذ أحمد حسين من قوله فى تسويغ دفاعه عن تأييده وأبناء مصر الفتاة تصرف مصطفى النحاس حيال انذار ٤ فبراير ٠٠ « فى ذات الوقت كان يلح على النحاس — أحمد ماهر — أن يؤلف وزارة قومية ، فلما رفض النحاس وأصر على استعمال حقه الدستورى والقانونى أصبح عمله خيانة وطنية ، وقد كان هذا يكون مفهوما لو أن الانجليز طالبوا بتأليف وزارة وفدية برئاسة مصطفى النحاس فيكون تأليف الوزارة القومية هو تمرد على طلب الانجليز ، ولكن ذلك لم يكن واقع الحال ، بل لقد طلب الانجليز أن يشكل مصطفى النحاس الحكومة ٠٠٠ » ٠

ولقد شاءت الظروف أن أعيش أحداث يوم ٤ فبراير ١٩٤٢ عن قرب حيث كان حافظ رمضان بمكتبى قبل أن يتوجه الى سراى عابدين وكنت فى انتظاره بمنزله حتى عاد ٠ ومنه وفى حين الأحداث سمعت التفاصيل ٠٠

ومن بين هذه التفاصيل « الأمر » البريطانى وأن طلب النحاس رئيس الوفد رئيسا للوزارة من مضمونه ومؤداه على ما كشفت مناقشة المجتمعين ومنهم النحاس وبلا اختلاف فى الرأى أن الوزارة المطلوبة وزارة وفدية « لحما ودما » ٠ ولذا عرض أحمد ماهر أن تكون الوزارة قومية حتى لا يكون التصرف خنوعا بقبول الانذار البريطانى كما « انزل » ، فلما أصر النحاس على رفض الوزارة القومية اقترح حافظ رمضان حلا أن تكون الوزارة وفدية وأن تضم وزيرا واحدا فحسب من غير الوفد لتحقيق معنى بعض حرية الارادة ٠

وأصر حافظ رمضان على أن يسطر اقتراحه « بالمحضر » ، وسطر رسيو فى منطق الأمور اقتراح لا يكون الا لعلة وهى التحلل هونا من املاء الانذار البريطانى مما ينال من حديث الزميل الكبير ٠

أخى صبرى

أعود فأشكر لك فضل ما تنشر وما تتلقى وما تصحح ٠٠ وآمل ان تسعفنى ظروفى فألحق بهامش وكتبك يوم تتحدث الجدران عن الذكريات السياسة بعد أن أفرغ وتفرغ من الحديث عن الذكريات القضائية ٠

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

على منصور المحامى

أخى العزيز الأستاذ صبرى أبو المجد

تحية طيبة وبعد ـ أكتب اليوم عن ظروف تعيين حافظ عفيفى باشا رئيسا للديوان الملكى ٠ من المعروف ان انجلترا بعد الغاء المعاهدة لم تقطع العلاقات كما لم تفكر حكومة الوفد فى قطع العلاقات الدبلوماسية اذ كانت بعض المشاكل المعلقة بين البلدين كالقطن والأرصدة الاسترلينية تدعو الوزارة الى التمهل فى اصدار قرار قطع العلاقات وشكلت الوزارة فعلا لجنة لدراسة الموضوع من كافة نواحيه الاقتصادية والسياسية ولكن الموضوع ظل قيد البحث ولم ينته حتى اقالة الوزارة ٠

ولكن الوزارة سحبت عبد الفتاح عمرو باشا سفير مصر فى لندن كنوع من الاحتجاج وليس من قبيل قطع العلاقات وسارع الملك فعينه مستشارا خاصا له ٠

أما المسألة التى أثارت زوبعة وأحدثت دويا أكثر مما تستحق فقد كانت تعيين حافظ عفيفى باشا رئيسا للديوان الملكى ٠ والواقع أن الحكومة لم تقترح تعيين حافظ عفيفى ولكنها لم تعترض على تعيينه وأرادت الحكومة أن تفوت على الملك فرصة الخلاف حرصا منها على استمرار معركة القنال ٠ وأرادت السراى أن تومىء من طرف خفى ان المرشح لرئاسة الوزارة الجديدة هو حافظ عفيفى باشا بعد اقالة النحاس باشا ولكن الحكومة الوفدية لم تكترث للأمر فالمسألة لا تستحق منه فى هذه الظروف ٠ أن يمر التعيين ببساطة لأن الياس اندراوس باشا كان يريد ان يعين رئيسا لبنك مصر محل حافظ عفيفى باشا فمن مصلحة القصر أن يمنى حافظ عفيفى باشا برئاسة الوزارة حيث كان الياس أندراوس المستشار الاقتصادى للملك وكل الصفقات التى يتمها كانت لحساب الملك ٠

الوفد وحافظ عفيفى باشا

كان الغاء المعاهدة حدثا جليلا فى تاريخ مصر فقد أطلقت الوزارة العنان للشعب لكى يعبر عن كراهيته للاستعمار الى حد لم يسبق له مثيل

منذ قيام ثورة ١٩١٩ التى كانت صرخة الشعب بقيادة خالد الذكر سعد زغلول باشا •

ولا أغالى عندما أقول ان حكومة النحاس باشا نقلت الاحساس المباشر بطغيان الانجليز ووطأ الاحتلال من مدن القنال الى جميع أنحاء البلاد بحيث عادت الى الأذهان ذكرى حوادث ثورة ١٩١٩ وجمهورية زفتى ونضال أسيوط •

وشجعت كتائب التحرير بأقصى وسائل التشجيع الأدبى والمادى معا حتى ميكروفون الاذاعة كان ينتقل الى معسكرات الانجليز فى القناة ليروى قصص الاحتلال البريطانى الدموية منذ ١٨٨٢ •

وقد سبق ان ذكرنا ان الوزارة مدت الفدائيين بالسلاح وشجعت ضباط الجيش والبوليس على التطوع واستدعت سفيرنا فى لندن وهمت بقطع العلاقات السياسية فلم يبق بينها وبين حالة الحرب الفعلية الا خطوة واهية • ولقد برز أشخاص ثلاثة على مسرح الحوادث هم الياس اندراوس وعبد الفتاح عمرو وحافظ عفيفى •

ولعب كل منهم دورا خطيرا فى هذه الآونة ولكن أخطر هؤلاء – لا مناص – كان حافظ عفيفى باشا •

واذا كانت الحكومة لم تعترض على تعيينه بغية أن تفوت على السراى الصيد فى الماء العكر ، فان الناس قد ثارت على تعيينه بسبب الحديث الذى أدلى به للأستاذ كامل الشناوى ونشرته الأهرام وانبرى فيه مدافعا عن معاهدة ١٩٣٦ وطالب بالارتباط بالانجليز الى أقصى حد ، فى الوقت الذى كانت الحكومة على وشك الغاء المعاهدة •

وحافظ عفيفى طبيب أطفال دخل السياسة هاويا وكان عضوا فى الحزب الوطنى الذى اختاره سعد زغلول مع النحاس لينضم الى الوفد وسار كلاهما فى طريق مختلف ، فبينما كان النحاس باشا رجل الشعب كان حافظ عفيفى من عداد أعداء الديمقراطية وصناع المؤامرات التى دبرت للانتقاص من حقوق هذا الشعب ، وانغمس بكليته فى المضاربات السياسية التى عرفتها البلاد وكان سفيرا فى لندن وانتهت سفارته باصدار كتاب : الانجليز فى بلادهم •

فقد اشترك فى أكبر عدد من تعطيلات الدستور •

فبينما نجد على ماهر اشترك فى تعطيل الدستور مرتين واسماعيل صدقى مرتين ومحمد محمود مرة واحدة ، نجد حافظ عفيفى أسهم فى الانقلاب على الديمقراطية ثلاث مرات :

١ ـ مع محمد محمود باشا سنة ١٩٢٨ (اليد الحديدية) ٠

٢ ـ مع اسماعيل صدقى باشا سنة ١٩٣٠ بعد الغاء دستور سنة ١٩٢٣ واصدار دستور سنة ١٩٣٠ الذى رفضه الشعب وقاومه مقاومة رهيبة قمعتها الحكومة بالسلاح ٠

٣ ـ مع الهلالى باشا فى وزارة ١٩٥٢ حيث أعلنت الأحكام العرفية وعطلت أحكام الدستور ٠

فقد عينه محمد محمود باشا وزيرا للخارجية وحلقة اتصال بدار المندوب السامى واخفقت المفاوضات التى أجرتها الحكومة مع بريطانيا وقتئذ ٠

وفى وزارة اسماعيل صدقى ١٩٣٠ نقل من الوزارة الى وظيفة وزير مفوض فى انجلترا لكى يكون سندا للانقلاب فى بلاط سان جيمس ٠

وفى تاريخ المفاوضات المصرية الانجليزية يبرز حافظ عفيفى باشا ليضرب الرقم القياسى بين جميع الساسة المصريين فى مائدة المفاوضات ٠

واذا كان مصطفى النحاس فاوض الانجليز خمس مرات فان حافظ عفيفى جلس على مائدة المفاوضات ست مرات :

الأولى : مع سعد زغلول باشا وعدلى باشا يكن سنة ١٩٢٤ (مفاوضات سعد زغلول ، ماكدونالد) ٠

الثانية : مع محمد محمود باشا سنة ١٩٢٨ (محمد محمود / هندرسون) وكان وزيرا للخارجية ٠

الثالثة : مفاوضات صدقى باشا سنة ١٩٣٠ ٠

الرابعة : مع مصطفى النحاس سنة ١٩٣٦ التى انتهت بتوقيع معاهدة ١٩٣٦ ٠

الخامسة : مع صدقى باشا ١٩٤٦ وانتهت بمشروع (صدقى / بيفن) ٠

وهى المفاوضات التى رفضت فيها أغلبية هيئة المفاوضة المشروع وأخيرا اشترك فى مفاوضات الهلالى باشا ـ ستيفنسون ٠

عريضة المعارضة :

تقدمت المعارضة فى أثناء تولى حكومة الوفد فى سنة ١٩٥٠ بعريضة الى الملك وكانت المعارضة فى هذا الوقت تشعر أنها ضاعت فى خضم الجماهير التى ارتضت حكومة الوفد بناء على انتخابات حرة نزيهة وصل فيها

الوفد الى الحكم بعد اقصائه خمس سنوات ، ومحاربته حربا لا هوادة فيها وبكافة الأسلحة • وكانت المعارضة تزعم ان الظروف التي قدمت فيها العريضة الى الملك هي خير الظروف المناسبة لاصلاح شئون البلاد ، أو على الاصح ازاحة وزارة النحاس باشا من الحكم •

وفي الواقع ان حجة الاصلاح في رأينا لا اساس لها فالمعروف ان العريضة قدمت بعد أن أجرى مصطفى النحاس باشا رئيس الوزراء التجديد النصفي لأعضاء مجلس الشيوخ الذي زلزل صفوف المعارضة جميعا وانتهى بعزل الدكتور هيكل باشا من منصبه كرئيس لمجلس الشيوخ •

كما ان المعارضة تعللت بأن الملك كان في رحلات لا تتصل بالمصلحة الوطنية وارادت ان تشعره بالمسئولية والزامه بالسلطان الدائم ولكن هذا القول أيضا فيما نعلم لا أساس له فالوفد في هذه المرحلة بالذات كان على صفاء مع القصر أو في فترة مهادنة فرضتها الظروف العامة للبلاد بعد حكومات الأقليات التي استمرت زهاء خمس سنوات وشجعت على توسيع هوة الخلاف بين القصر وممثلي الشعب •

ووقع على العريضة • المرحوم محمد حسين هيكل باشا رئيس الأحرار الدستوريين والمرحوم عبد الرحمن الرافعي بك من الحزب الوطني والمرحوم دولة عبد الهادي باشا والأستاذ مصطفى مرعي بك أطال الله بقاءه عن الحزب السعدي والمستقلين •

ووقع هؤلاء على العريضة كما كتبها دولة عبد الهادي باشا ولكن بعض الساسة طلبوا تعديل صيغة العريضة وعدلت بالفعل ووقع عليها بعد التعديل الدكتور نجيب اسكندر ومحمود غالب باشا وعلى الشمسي باشا •

وجدير بالذكر ان عبد القوى أحمد باشا وزير الأشغال الأسبق وقع على العريضة واختفى بعد التوقيع ، ورفض علي ماهر باشا وحسين سري باشا الاشتراك في التوقيع على العريضة • كما أن العريضة عرضت على بعض السياسيين الآخرين • ولكنهم رفضوا جميعا •

وقد أصر الموقعون على العريضة على تقديمها • وعندما علم الملك بالعريضة أمر رجال القصر بعدم مقابلة أي فرد من الموقعين على العريضة •

ويذكر أن الملك قد عرف قصة العريضة من أحمد نجيب الجواهرجي الذي رجا الملك ان يسمح له بمقابلة عبد الهادي باشا عن طريق الأستاذ

زكى على وهو صديق لدولة عبد الهادى باشا وأحد وزرائه لاقناع عبد الهادى باشا بعدم تقديم العريضة وتمت المقابلة بين عبد الهادى باشا وأحمد نجيب الجواهرجى وأبلغ نجيب الجواهرجى ان عدم تقديم العريضة رغبة ملكية فرفض عبد الهادى باشا وأصر على تقديمها وأرسلت العريضة بالبريد المسجل ووصلت فعلا الى الملك الذى اتخذها ووضعها فى جيبه ٠

وقد حاول الملك مرات كثيرة حمل الموقعين على هذه العريضة على الاعتذار ولكنه أخفق الا حافظ رمضان الذى بادر بالاعتذار الى الأعتاب الملكية ونشر هذا الاعتذار فى صدر جريدة الأهرام فى ١٨/٦/١٩٥٠ ٠

صلاح الشاهد

★★★

بعض جذور جمعية اللواء الأبيض

بقلم الكاتب السودانى/باشرى عبد الرحمن

بعد التحية :

آسف تأخرت رسائلى لأننى كنت غائبا عن السودان بالمملكة العربية السعودية وقد أرسلت عدة رسائل الى مجلة المصور وبالتأكيد لم تصل هذه الرسائل الى القاهرة ودليلى على ذلك عدم ظهورها ويخيل الى ان الرقابة بالمملكة حجزتها لأسباب لها مبرر هام أدرى به ولهم عذرهم فى ذلك رغم أنهـا سرد لحوادث مرت عليهـا سنون طويلة والغرض من نشرها اثبات حقيقة تاريخية مجهولة لدى الكثيرين من أبنائنـا الذين ألهتهم المدنيـة وزخرفها والحياة الهينة اللينة فى ظل الاستقلال يجهلون ما عاناه آباؤهم من عنت المستعمر واستبداده وبطشه الذى كان حافزا لتمرد فتية آمنوا بربهم ودينهم ووطنهم وحملوا رءوسهم على أكفهم ، سلاحهم اليقين والايمان مقرونان بالحزم والعزم فاستشهد البعض منهم بسلاح الغدر واللؤم وبعضا بالسجن والتشريد من أجل أسمى غاية ينشدها الأحرار فى بلاد الأحرار المحكومين بقوة الحديد والنار وان أخمدت الحركة فى وقتها لكنها خلفت رمادا أو تحت الرماد ومبض نار هبت عليه رياح مؤتمر الخريجين فكان للومبض أوار وعلى ضوء هذا الأوار شيد صرح الاستقلال على اللبنة الأولى الميمونة بدم الأحرار من أبطال ثورة ١٩٢٤ ٠

قلت ان الانذار الموجه من دار المندوب السامى لحكومة سعد باشا يتضمن خمسة مطالب . الغرامة وتسليم الجناة وسحب الجيش المصرى من السودان نفذ اثنان الغرامة وانسحاب الجيش فورا وأصبح البند الثالث تسليم الجناة والجناة موجودون بمصر وعلى حكومة القاهرة أن تتدبر أمرها

ومن هو صاحب المصلحة فى مقتـــل سردار الجيش المصرى وحاكم عام السودان ومن الطبيعى أول ما يخطر على البال السودان بحكم علاقة الحاكم العام بالسودان وما يجرى فى السودان وقتذاك وفريق من السودانيين موجودين بمصر وعداؤهم سافر للانكليز يناصرهم الوفد المصرى وبعض الشـــباب المتسمين بالهـوس السـياسى فصـــدر الأمر بالقبض على كل السودانيين الموجودين بالقاهرة أيا كانت المهنـة التى يمتهنونها ثم بعض رجال الوفد المصرى والمصريين المبعدين من السودان لأنهم موتورون وفى وزارة الداخلية (كوين بويد) ووكيل وزارة الداخلية النقراشى باشا ومحافظ القاهرة (رسل باشا) وعلى رأس القسم السياسى (سليم زكى) سفير جهنم الذى قاد الكثير من شباب مصر الى المشانق وأعماق السـجون ـ ونشطت الكلاب المسعورة تحمـل الكشوف المليئـة بالأسـماء تجوس فى شوارع القاهرة وأزقتها تعاونها أقسام البوليس فى قسم عابدين والموسكى والأزبكية والسيدة والخليفة وباب الشـعرية والدرب الأحمر والعباسية وشبرا وبولاق ٠ وكانت ساعات نحس ونكد روعت العائلات فى دجى الليل البهيم أقضت الرجال من المضاجع ومن النوادى والشــوارع وعربات البوليس تملأ وتفرغ فى المحـــافظة فى باب الخلق ودعى وكلاء النيابة الموجودون بمصر للتحقيق وكان النائب العام محمد نور باشا والقيسى باشا يشرفان على التحقيق وكان السؤال محددا أين كنت من الساعة ١٢ ظهرا الى الساعة الثانية بعد الظهر وانتهت الليلة الأولى قرب الصبح ووزع كل المتهمين الى سجون مصر حتى ينظر فى ما وصل اليه المحققون من نتائج وكان أهم ما وصل اليه المحققون تسلل أحمد حسن مطر وهو منتم الى جمعية اللواء الأبيض كزعمه ولكن الذى نعرفه عنه انه لم يكن بالسودان عند قيام ثورة السودان ولكنه كان فى انكلترا عندما وصل سعد باشا الى لندن من منفاه كان أحمد حسن مطر ضمن المظاهرة التى قام بها أبناء مصر لتحية ابن مصر البار وكان أحمد حسن مطر يحمل علما عليه شعار جمعية الاتحاد السودانية ترحب بعودة البطل الظافر العائد من المنفى ثم جاء الى مصر لكى يرجع للسودان بعد غيبة طويلة قضاها فى المغرب فى الحرب التى شنها الأمير عبد الكريم الخطابى ضد المستعمرين وعند وصوله الى مصر رفضت وكالة حكومة السودان السماح له بدخول السودان وعند عودة الحاكم العام من أجازته فى طريقه الى السودان ذهب أحمد حسن مطر الى وزارة الحربية يطلب مقابلة سردار الجيش المصرى وحاكم السودان العـام متظلما ومنع من المقابلة وسأل عن موعد خروجه فقيل له الساعة الواحدة والنصف فخرج ورابط بالشارع ، وسئل كاتب المذكرات ٠ أين كنت بين الساعة الثانية عشرة والساعة الثانية بعد الظهر ٠ فى ذلك اليـوم كنت معزوما عند أحد أقاربى المرحوم أحمد الطيب الذى كان يعمل فى خدمة

الحاكم العام فى دار الحاكم العام بالزمالك وبعد الساعة الثانية ذهبت مع المرحوم اليوزباشى فؤاد حافظ لأننا على موعد مع الأستاذ الشرقاوى فى عوامته وأستأذننا لأمر هام بطلب من الأميرة نعمت مختار بالمسرح وعدنا أدراجنا وفى ميدان الأزهار سمعنا باعة الصحف ينادون باطلاق الرصاص على سردار الجيش المصرى فافترقنا وتوجهت توا الى العتبة الخضراء لمقهى البرلمان فوجدت المرحوم عرفات وعثمان محمد هاشم وبعض الاخوان ـ فكان المحقق فى أجوبتنا وجد رأس الخيط فليتتبع الأثر ، باعتبارنا أعددنا العدة لاغتيال حاكم السودان قسم بالمكتب وقسم بالمنزل فان فشل الأول نفذ الجريمة الآخر فأرسل أحدنا الى سجن الأجانب والآخر الى سجن قره ميدان بالمنشية ووضع كل منا فى زنزانة وضيق عليه الخناق وانقطعت عنا الأخبار الا اليسير مما نسمعه من بعض السجناء المقيمين فى عيادة السجن التى كنا نتحيل بالمرض لنسمع الأخبار والتقيت مرة بالأستاذ مكرم باشا عبيد ودار بيننا نقاش أدى لجفوة بينى وبينه سيأتى دورها بعد الأهم من المهم ٠

باشرى عبد الرحمن

★★★

السيد الأستاذ / صبرى أبو المجد

نائب رئيس مجلس ادارة تحرير مجلة المصور

مجلة المصور/القاهرة

(١٦ شارع محمد عز العرب ـ المبتديان سابقا)

تحية طيبة وبعد ،،

صدر عدد المصور رقم ٢٩٥٥ المؤرخ ٢٩ مايو سنة ١٩٨١ وجاء فى الصفحتين ٩٦ و ٩٧ رسالة من السيد/ صلاح الشاهد تشريفاتى رئاسة مجلس الوزراء السابق حديث نسب الى ٠

ويؤسفنى أن تكون معرفة سيادتكم بى عن طريق موضوع شائك كالتالى ، وانى أرى نفسى مضطرا لوضع الأمور الحقيقية فى نصابها ٠

فأولا :

يهمنى أن أؤكد لسيادتكم أن علاقتى بالمرحوم غنام باشا لم تكن بالدرجة التى تسمح لى بمصارحته بمثل ما نسب الى من خيال كاذب ، فان المجاهد الكبير مكرم عبيد رئيس حزب الكتلة الوفدية المستقلة لم يكن يدور بخلده أن يكون رئيسا للوزارة لأنه :

(أ) رئيس حزب أقلية فى بلد ديمقراطى وهو قبطى والمملكة المصرية منصوص فى صلب دستورها أن دين الدولة الرسمى هو الاسلام .

ورغم شعبية مكرم عبيد باشا التى لم يكن يضارعه أحد من الزعماء فيها ، وعقب اغتيال الزعيم الطاهر أحمد ماهر قال الملك بصريح العبارة فى سراى عابدين لمكرم وللنقراشى : « الدور عليــــك يا مكرم لكن رغم الثقــة فى شعبيتك وحرصا على الوحدة الوطنية ــ يتولى النقراشى الوزارة » ·

وكفى مكرم تقديرا وعلوا أن يلقبه زعيم الأمة الراحل سعد زغلول بابن سعد ·

(ب) عقب الغاء الأحزاب السياسية ــ الزعيم الوحيد الذى كان رجال ثورة ٢٣ يوليو يحضرون اجتماعاته الشعبية هو مكرم عبيد ·

(ج) حينما أراد صلاح سالم انشاء جريدة يومية للثــورة وكان نسيبا ليوسف صــلاح الدين المحاسب القانونى ، طلب من يوسف أخــذ موعد لمقابلة مكرم باشا وتحدد الموعد وحضر جمال عبد الناصر وصلاح سالم وعبد الحكيم عامر وسليمان حافظ الى منزل مكرم عبيد ــ فاتح صلاح مكرم باشا فى أمر الجريدة وطلب من مكرم أن يتـــولى الكتــابة فى تلك الجريدة · رحب مكرم بالفكرة وقال سيكون المقال الأول أن يسلم رجال الثورة الوزارة الى مدنيين من حسنى السمعة وتراقبوهم من بعيد ــ انصرف المدعوون ، وهم فى طريقهم قال سليمان حافظ لجمال ــ أنا مش قلت ان مكرم لا يتعاون مع أحد ، وكان رد جمال بالنص : « اتلهى دا راجل عنده مبدأ » · ده حدث فى أثناء توديعى لهم ·

(د) يوم أن علم الرئيس الراحل جمال عبد الناصر (٦ يونية سنة ١٩٦١) بوفاة مكرم ــ توجه بنفسه الساعة العاشرة صباحا الى منزل مكرم وقدم العزاء لقرينته ·

(هـ) رثاء كبير العائلة المصرية زعيمنا أنور السادات ــ زميل المعتقلات والسجون ــ للمجاهد الكبير زعيمنا مكرم عبيد فى الكنيسة المرقسية لدليل قاطع لكل شك وجامع لكافة الأدلة على نزاهة ووطنية وقوة مكرم عبيد ·

ثانيا :

يقول السيد / صلاح « ان ما تناوله الكتاب الأسود عن اســتغلال مادى لا يتجاوز العشرة آلاف جنيه » ·

فاذا علمنا أن الكتاب الأسود تم توزيعه فى أول مارس سنة ١٩٤٣ بالجملة من منزلى (١٥ ألف نسخة) فيكون ما تناوله الكتاب فى سنة هو العشرة آلاف جنيه ، فاذا أضفنا اليها فى السنة الأولى لحكم وزارة الوفد ١٥ ألف جنيه أخرى لم يتناولها الكتاب ، فيصبح جملة المستغل خلال

السنة الأولى لحكم الوفد ٢٥ ألف جنيه والسنة الثانية على الأقل مثل الأولى أي ١٥ ألفاً أخرى ويجمع مجموع [illegible] حكم الوفد [illegible] سيادته [illegible] في سنة ١٩٥١ [illegible] الاستقلال مصريا [illegible] ١٠٠ [illegible] جنيه مصري [illegible] والفساد والذي [illegible] به فترة هذا الحكم الذي ولله الحمد والكراهية بين [illegible] وغير المحظوظين .

ثالثا :

قال المجاهد الكبير : «لقد انتقدت هذا النظام وعلي أن أهدمه» .

ولتوضيح هذا المثال للسيد / صلاح نفترض ان شيخ المهندسين وكبيرهم عثمان أحمد عثمان أقام عمارة كبيرة بها ١٥٠ دورا وبعد انتهائها [illegible] لاحظ ان بعض الأعمدة القائمة عليها العمارة بدأت تتزحزح مع الوقت ، فهل يتركها تؤدي بأرواح الآلاف بل الملايين من [illegible] أم يسرع ويبذل أقصى جهد في إصلاحها . وإذا فعل فيهدمها ..

رابعا :

القبلة ، القبلة ، القبلة . أرجو من سيادة النائب الكبير أن يلفت نظر السيد [illegible] الذي أن أصارحه بأن هذه القبلة سبقتها [illegible] وتلاها العديد من القبلات بين أخوين شاركا بعضهما في الجهاد وفي المنفى وفي محنة زعيمهما الطاهر سعد ، وحاول وليفهم سيادته أن مبدىء الخلق الكريم يقضي بعدم الخلط بين السياسة والصداقة والمحبة الأخوية ويجدر بي أن أصارح سيادتكم أيضا بأن المرحوم والمجاهد الكبير مكرم عبيد اعتاد أن يمشي في المسافة بين منزله في البادي والمنزه وكان يتصادف مرور رفعة الرئيس النزيه الطاهر في هذه الفترة فكان رفعته يقف بسيارته وينزل منها ويقابل [illegible] بالمحبة وبشعور متبادل منهما يقبلان بعضهما كالأطفال الصغار ويهمس كل منهما في أذن الآخر ببضع كلمات ثم يستقل النحاس باشا سيارته وينصرف ويمشي مكرم سائرا في أفكاره الحارة . وليس أدل على طهارة القلوب مما كتبه النحاس باشا في برقية العزاء في وفاة المجاهد الكبير حيث قال في صلبها :

« إن فقدي لمكرم لم يحزنني بقدر حزني على وفاة [illegible] » .

خامسا :

أصارحك للمرة الأولى فى حياتى يا سيادة الأستاذ صبرى أن الكتاب الأسود فى العهد الأسود ـ الذى كتب فيه العديد من الصحفيين وكتاب المقالات الخيالية ـ هذا الكتاب بدىء فى طبعه فى منتصف شهر ديسمبر سنة ١٩٤٢ وتم طبعه ـ ١٥ ألف نسخة ـ وتجليده بالغلاف الأسـود وحزمه بالشريط الورقى الأبيض فى ٢٥ مارس سنة ١٩٤٣ وتم كل ذلك فى منزلى الكائن بشارع ابن سندر لا سليم الأول وكانت المنطقة بكاملها رملية غير آهلة بالسكان ، وعلى بعد من منزلى كانت فيلا المرحوم الصديق/ صلاح ندا ومن ناحية أخرى وعلى بعد أيضا الأخ الدكتور محمد محمد حمزة عليش ويلتصق بفيلتى منزل الأخ عبد الوهاب البنا فى فيلا يجاورها ويلتصق بفيلتى أيضا الدكتور ايهاب حشيش طبيب أمراض النساء وشـقيقه الأستاذ الدكتور عبد الحميد حشيش ـ وكانا فى ذلك الوقت أولهما طالب بالثانوى والثانى طالب بالابتدائى أمد الله فى عمرهما ، وقد تم توزيع الكتاب الأسود ـ أو نقله على دفعات من منزلى فى أول ابريل سنة ١٩٤٣ بحيث لم يكن يوجد له ولا للمطبعة ولا للعمال أى أثر بعد هذا التاريخ فى منزلى ٠

تم كل هذا ولم يعلم بتلك العملية المضنية سوى زميلى فى ذلك كله الأستاذ يوسف صلاح الدين توفيق خليـل ، رئيس مجلس ادارة مؤسسة السينما سابقا والمحاسب القانونى حاليا وأخ ثالث لا داع لذكر اسمه ـ هذا مع الأخذ فى الحسبان أن جميع رجال الحزب وعلى رأسـهم المجاهد الكبير مكرم عبيد كانوا لا يعلمون أى شىء عما نعمله نحن ، سوى الأخ العزيز الوزير السابق الأستاذ فريد زعلوك المحامى فقط ٠ وأى مدع غيره كاذب ٠

والحقيقة أن الذى ساعدنا على القيام بهذا العمل على أكمل وجه هو صداقتنا القديمة لعبد الوهاب ومحمود شوقى وبهاء وعبد المنعم وحسن كمال والأميرالاى أمين خليل رئيس البوليس السياسى العالى ، فقد كان ترددهم على منزلى يوميا يمنع أى شك فى ثلاثتنا ٠

وقصة الكتاب طويلة ومفاجآتها عديدة ٠٠ وانى لم أكن فى يوم من الأيام سياسيا ولم يكن لى صلة بأى سياسى ، ولو أنى كنت أعلم أن هذا العمل سيؤدى بى الى السجن والمعتقلات لما أقدمت عليه بتاتا ٠٠ ولكن اندماجى بعد ذلك بالوسط السياسى علمنى كيف يكون الانسان مخلصا لمبادئه أو منافقا خادعا خائنا ومرتديا ثوب الطهارة وقلبه ملىء بالضغائن والأحقاد ٠

ان الأخ عبد الوهاب البنا كان أخلص الناس لرفعة النحاس باشا ، ولا شك أنه كذلك حتى الآن ، ولم يقبض عليـــه لوجود أوراق خاصة بالنحاس باشا معه كما ذكر السيد الشاهد ـ عبد الوهاب كان يشغل منصب مساعد السكرتير العام لمجلس الوزراء ، وكانت ترد اليه المئات من الشكاوى والتظلمات يوميا فكان يأخذها معه لدراستها في المنزل ، وفى يوم أول مايو سنة ١٩٤٣ وبعد اتمام اخلاء منزلى من كافة الأوراق والمطبعة بشهر الخ ، وفى منتصف الليل ، سمعنا مناديا يقول يا فايق بك وكنا عبد الوهاب يوسف ومحمد زكى مهدى الاستاذ بكلية الزراعة وخليل جمال الدين وكيل وزارة الاقتصاد وغالبا الأخ المرحوم محمود شـــوقى ثالثنا •

جميع الموجودين دهشوا لوجود حمدى بك ومعه عدد من ضـباط البوليس السياسى ، وعساكرهم وأنوار بطاريات فى الحديقة •• وبعد تفتيش الفيلا عثر حمدى بك على بعض من هـذه العرائض والشـكاوى وسأل عن سبب وجودها فقلت له اننا بحكم الصداقة والجيرة ، كان الأخ عبد الوهاب يحضرها معه •

أراد حمدى بك تفتيش منزل عبد الوهاب الملاصق لى فمنعه القائمقام عبد الواحد عمار بك قائد احدى فرق الجيش وزوج شقيقة عبد الوهاب من دخول المنزل باعتباره مسكنه ، وعبد الواحـــد عمار من الضـــباط المجاهدين الذين أقسم رجال ثورة ٢٣ يوليو فى منزله على المصحف بالولاء لمبادئهم قبل قيام الثورة بيوم واحد •

وما كان من حمدى بك الا أن رضخ لأمر عبد الواحـد بك ورجع هزيلا الينا ليستجوبنى عن اللون الســـياسى لكل فرد من الموجودين ، وعندما جاء السؤال عن توفيق بك خليل والد يوسف قال حمدى بك ما لون توفيق بك ، فقلت له أسمر • وبذلك أقفل التحقيق •

أمسك حمدى بك بالتليفون وكانت نمرتى فى ذاك الوقت ١٢٥٥ زيتون ، وكان هو منشرح السريرة يعلو وجهه ابتسامة الانتصار ، وطلب غزالى بك وقال له انه ـ وبعد مجهود مضن وتحريات واسعة ، تمكنت من الوصول الى منبع كافة المعلومات الواردة فى الكتاب الأسود والوكر الذى طبع فيه « ـ وأضاف ـ عبد الوهاب البنا وكان معه محمود بك فى منزل فايق الآن » ، وأخذ عبد الوهاب وعاد أدراجه وكانت الساعة الرابعة صباحا •

وما كان من محمود غزالى الا أن يتصل بمنزل النحاس باشا ويخطر السيدة حرمه بالانتصار الذى حصل عليه هو وحمدى •

وما كان من السيدة حرم النحاس باشا الا أن تولول وتقول أولاد أخ وأخت الباشا طبعوا الكتاب ٠

وما كان من النحاس باشا الا أن أهان فى مجلس الوزراء ـ العزيز الغالى محمود اهانة كبرى وأخذ قصاصة ورق وفصل عبد الوهاب ٠

وفى الساعة الواحدة بعد الظهر حضر الى منزلى حمدى بك ومعه ثلاثة ضباط وسيارتان وأخذنى الى باب الحديد ، فأغمى على ولما أفقت وجدت نفسى ومعى طبيب وعبد الوهاب فى غرفة واحدة بسجن الأجانب ٠

أما القول بأن حسنين كان له دخل فى الكتاب فهذا يعلمه جلال الحمامصى لأنه كان صديق حسنين وحسن يوسف ٠ والمستندات تثبت أن عبد الوهاب لم يحصل على مليم واحد كاستثناء من وزارة أحمد ماهر ـ بل أعيد تعيينه على الدرجة وبالمرتب فى تاريخ الفصل ٠

وعلمت فيما بعد أن السبب فى القبض علينا هو الولد المطبعجى الذى اشترى جزمة العسكرى الأمريكى ومراقبة الضابط رشاد مهنا لنا من شباك منزل الدكتور الأستاذ عبد الحميد حشيش الأستاذ بكلية الحقوق الآن ٠

وللكتاب قصة طويلة لا يمكننى سردها حاليا ، وهذه هى الحقيقة التى يسهل على سيادتكم التثبت منها دون اللف والدوران والتخمين والتأليف ٠

فايق قصبجى

ليس دفاعا عن مصطفى النحاس ٠٠
ولكن تسجيلا للحقيقة والتاريخ

هذا المقال للأخ الصحفى العزيز المخضرم حازم فودة :

صفحاتك فى المصور وفى جريدة مايو عن سنوات ما قبل الثورة تناولت حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ٠٠٠ ومثلى كثير يتابعون هذه الصفحات التى تناولتم فيها هذا الحادث خاصة وأنكم فى احدى الحلقات طلبتم أن يوافيك كل صاحب رأى فى حادث ٤ فبراير واستعدادك أن تنشر ما يصل اليك من آراء أو تفاصيل أو اضافات الى كل ما نشرتم ٠

أقول ان هذه الكلمات شجعتنى أن أكتب اليك واسمح لى أن تكون عددا من الأسئلة التى أرجو أن أجد عندك جوابا لها ٠

منذ أن بدأتم نشر سلسلة حلقات سنوات ما قبل الثورة وحتى الآن لم أقرأ كلمة واحدة الى جانب مصطفى النحاس ٠٠ بل لقد شعر كل من

قرأ هذه الحلقات فى أى من جوانبها أن مصطفى النحاس كان شبحا لا وجود له فى تاريخ الوطنية المصرية · بل كل الذى سمعناه وقرأناه منذ ما يقرب من ثلاثين عاما ـ أى منذ قيام ثورة ٢٣ يوليو ـ ليس يحمل كلمة طيبة عن هذا الزعيم الذى خلف سعد زغلول منذ وفاته فى عام ١٩٢٧ وحتى قيام الثورة فى عام ١٩٥٢ ··· بل كل ما سمعناه خلال هذه المدة عن مصطفى النحاس انه كان عميلا للقصر والاحتلال البريطانى ودار السفير البريطانى ·

وليس لى حق الاعتراض على هذا ولكن أريد أن أجد عندكم الاجابة عن هذه الأسئلة :

١ ـ المعروف أن مصطفى النحاس تولى رئاسة الوزارة خمس مرات وان مدة حكم هذه الوزارات التى رأسها هى ست سنوات فقط بينما وصلت مدة حكم وزارات أحزاب الأقلية ما يقرب من ٢٠ عاما ··· وان كل وزارات مصطفى النحاس أقيلت من الحكم ما عدا وزارة واحدة والسؤال هو : هل تمت اقالة هذه الوزارات لأن رئيسها كان عميلا للقصر الملكى ودار السفارة البريطانية ؟! ·

أرجو الاجابة !! ·

٢ ـ بعد أن قامت ثورة ٢٣ يوليو وتولت الحكم فى مصر استعانت أو تعاونت مع كل الأحزاب التى كانت موجودة والتى يقال عنها الآن الأحزاب الفاسدة ··· تعاونت مع الحزب الوطنى القديم واشترك فى حكوماتها أكثر من وزير من هذا الحزب أذكر منهم فتحى رضوان ونور الدين طراف ·

تعاونت مع الاخوان المسلمين وظل الشيخ الباقورى وزيرا للأوقاف فى عدد من وزارات ثورة ٢٣ يوليو ·

تعاونت مع مصر الفتاة وظل رئيس مصر الفتاة يلقى العناية والرعاية من رجال ثورة ٢٣ يوليو حتى يوم وفاته ·

أكثر من ذلك الملك فاروق كرمته الثورة بعد وفاته وسمحت بدفنه فى مقابر الأسرة المالكة بالرفاعى ··· أكثر فان ابنه أحمد فؤاد أهدته ثورة ٢٣ يوليو سيف أبيه ··· وأضافت زوجته حتى أنجبت أول مولود لأحمد فؤاد ·

أسألك الآن بعد هذا التسجيل المختصر جدا ·· هل يمكن أن يفهم الناس أن ثورة ٢٣ يوليو لم يكن لها من عدو الا حزب الأغلبية ·· حزب الوفد ؟! ·

أرجو الجواب .

٣ ـ ويجىء بعد هذا الكلام عن حادث ٤ فبراير .. فأقول ان تدخل الانجليز فى ٤ فبراير لم يكن الأول .. فقد تدخلوا فى عام ١٩٤٠ بانذار من لورد هاليفاكس وزير الخارجية البريطانى الى سفيره فى مصر يقول فيه « على ماهر يجب أن يخرج وننصح بقيام وزارة وفدية أو وزارة يرضى عنها الوفد .. وقد رفض النحاس هذا الانذار ورفض أن يتولى رئاسة وزارة ائتلافية .. وكان هذا الرفض بناء على سياسة الوفد التى اتخذها منذ فشل الائتلاف فى أول وزارة رأسها مصطفى النحاس وهى الوزارة التى أقيلت وقتها .

والسؤال هو هل كان رفض النحاس باشا لتشكيل وزارة ائتلافية فى ٤ فبراير سياسة جديدة أم أنها كانت الوفد بزعامة النحاس بعد فشل الائتلاف الأول ؟! .

أرجو الاجابة :

٤ ـ ليس جديدا أن أسجل أن كل الزعماء الذين دعاهم الملك فاروق يوم ٤ فبراير قد قبلوا الانذار البريطانى وأنهم على استعداد أن يدخلوا الوزارة الائتلافية برئاسة النحاس باشا .. وأنه هو الوحيد الذى رفض الانذار وطالب بوزارة وفدية .. أو وزارة محايدة تجرى انتخابات حرة يعود على أساسها الوفد الى الحكم بالطريق الدستورى .

والسؤال هو : هل اذا قبل النحاس رئاسة الوزارة الائتلافية التى تدخلها كل الأحزاب يعتبر هذا منه عملا وطنيا .. وأنه اذا رفض الوزارة الائتلافية تنفيذا لسياسة الوفد المعلنة والمعروفة يعتبر هذا خيانة للملك والوطن ويصبح متواطئا مع الانجليز ؟!

أرجو الاجابة :

٥ ـ سمعنا كثيرا أنه كان يجب على النحاس باشا أن يرفض الانذار .. وأن يرفض تأليف الوزارة .. ولكننى أسألك وأسأل كل المؤرخين .. اذا رفض النحاس تشكيل الوزارة ونفذت قوة الاحتلال البريطانى الشطر الثانى من الانذار وهو خلع فاروق .. ألم يكن من المتوقع أن يتهم زعماء الأحزاب النحاس باشا بالتواطؤ مع الانجليز لعزل الملك فاروق ؟! .

أرجو الاجابة :

٦ ـ وأبعد عن حادث ٤ فبراير ٠٠ وأسألك هل الغاء معاهدة ١٩٣٦ من جانب مصر تم بالتواطؤ بين النحاس والانجليز ٠٠ هل اعلان الهجوم على معسكرات الجيش البريطانى فى الاسماعيلية وفى القاهرة وفى كل مكان تم بالتواطؤ بين النحاس باشا والانجليز ٠

هل مفاوضات النحاس مع الانجليز والتى تمسك فيها بكل حقوق مصر وقال كلمته « تقطع يدى ولا أفرط فى السودان وحقوق مصر » ٠٠ قد تم بالتواطؤ بين النحاس والانجليز ٠

أرجو الاجابة :

وأخيرا يا عزيزى الأستاذ صبرى أبو المجد أقول لك ان التحليل التاريخى الحقيقى والصحيح يقـــول انه لو رفض النحاس باشا تشكيل الحكومة فى ٤ فبراير ونفذ الانجليز انذارهم وخلعوا الملك فاروق ٠٠ لم يكن هناك داع لقيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ٠

ألست معى فى ذلك ؟

حازم فودة

وجهة نظر جديدة فى ٤ فبراير ١٩٤٢
حادث ٤ فبراير للحقيقة والتاريخ
بقلم المجاهد العمالى الوطنى عبد المغنى سعيد

من الأيام ما له أهميته البارزة فى تاريخ الشعوب ، اما لأنه يرمز لذكرى انطلاقة تحرر أو لانتصـــار على قوى الظلم والعدوان ، واما لأنه يرمز الى نقطة تحول هامة فى مجرى التاريخ الخ ٠ ويوم ٤ فبراير ١٩٤٢ لا يدخل فى عداد مثل هذه الأيام ، رغم ما أثير حوله من ضجة ومساجلات سياسية بين الأحزاب فى فترة الصراع الحزبى والفساد السياسى السابقة لقيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ٠

واذا كانت ليوم ٤ فبراير أهمية ودلالة ، فهى ابراز تفكك وانهيار المدرســة السياسية التى ألقت اليها بزمام ثورة ١٩١٩ ظروف وأوضاع واتجاهات فكرية خارجـــة وداخلية خاصة سادت المجتمع المصرى عقب نهاية الحرب العالمية الأولى ٠ ولم تكن هذه المدرسة بحكم تكوينها الطبقى وتفكيرها الاجتماعى وفاسفتها الكفاحيـــة المخدوعة بمبدأ تقرير المصـــير والواقفة عند حدود الوسائل السلمية المشروعة ، على مستوى النضال الوطنى الايجابى الفعال ، فلم تلبث أن اتسعت الفجوة بينها وبين جماهير

الشعب التى أصبحت فى النهاية لا تثق تماما بأى من أحزاب ورجال هذه المدرسة ، ونزعت الى الوقوف موقف المتفرج من خلافاتهما غير الموضوعية ، بل وعدم الاكتراث بالتغييرات السطحية التى كانت تطرأ على المجتمع السياسى المصرى من وقت لآخر ، والتى كانت أقرب ما تكون الى عملية تفنيط فى العهود والوزارات يتبادلها القصر من جهة والمندوب السامى البريطانى من جهة أخرى ، دون أن يكون للقوى الشعبية دور حاسم فى أى منها ، اللهم الا فى الحالات القلائل التى كان يصل فيها حزب الأغلبية الى الحكم نتيجة لانتخابات عامة حرة .

واذا كان الشعب المصرى على ضوء هذه الحقائق قد قابل حادث ٤ فبراير بنوع من الفتور وعدم الاكتراث ، واذا كان لم يتورط فى انفعال عاطفى دفاعا عن كرامته كما كان يريد عملاء القصر يومئذ ، فقد كان ذلك فى حد ذاته دليلا على اكتمال وعيه السياسى ، وتطور عقليته الكفاحية فى الاتجاه الحكيم القائم على تجنب الاستفزاز وما يؤدى اليه من تورط فى معارك ثانوية سابقة لأوانها ، ولا يمكن الا أن تؤدى الى تبديد القوى الثورية التى يجب أن تدخر للمعركة الفاصلة التى تخوضها بأسلحتها وفى الوقت الاستراتيجى المناسب الذى تختاره بنفسها .

ان الكرامة الوطنية لم تكن فى نظر الشعب شيئا شكليا . حقيقة ان فاروق كان يومئذ الملك ورأس الدولة ، وكل اهانة له يمكن أن تؤخذ من الناحية الشكلية على انها اهانة للدولة والشعب . ولكن هل كان الشعب راضيا عن فاروق أو راضيا عن النظام الملكى حتى يشعر بمثل هذه الاهانة ؟! ان حادث ٤ فبراير لم يجر فى طى الخفاء ولكنه كان حادثا مكشوفا رأته جماعات من الشعب رأى العين وانتشر خبره فى الحال . ووزع حزب السعديين منشورات سرية مثيرة بشأنه تردد ما قاله أحمد ماهر فى اجتماع الزعماء بالقصر . كما تداولت قصائد لشاعر أو أكثر ، أذكر منها قصيدة محمد الأسمر الذى حاول أن يصور فاروق بطلا بقوله :

دخلوا على الأسد العرين مسلحين مدججين
ضلوا الطريق الى بنى غازى فجاءوا عابدين

وهكذا لم يكن الحادث سرا فى طى الكتمان ، كما قد يفهم خطأ من دراسات الأستاذ المؤرخ الدكتور محمد أنيس ، ولكنه عرف على أوسع نطاق ونوقش فى أكثر من مكان وحددت كثير من التنظيمات الثورية موقفها منه ، بما فيها التنظيم السرى فى الجيش ، فأذكر ان رأى العناصر الثورية جميعا من عسكريين ومدنيين لم يكن فى ضوء فلسفة الكفاح الجديد ليعطى وزنا يذكر لمثل هذا الحادث . وكان شبه الاجماع يومئذ

هو أننا حتى اذا سلمنا جدلا بأن فى الحادث ما يحمل معنى الاهانة ، فانه ليس من الحكمة وحسن التدبير رد الاساءة فى وقتها . ولقد صورت هذه الفلسفة فى كتاب « آن لهذا الشعب أن يفهم » قائلا وذهنى كان بتجه يومئذ الى حادث ٤ فبراير : « ان يساء الى المرء ، وأن يجرح فى كبريائه القومى أمر يستفزه من غير شك . ولا يلبث هذا الاستفزاز ان يتفاعل فى نفوس العاطفيين (١) فيحـــاولون رد الاساءة فى حينهـــا ولو بمجرد ظهور الشعور « وارتكاب الحماقات بعقلية « فليسجل التاريخ وليشهد العالم » ، أما الرجل المدبر فهو لا ينقاد للاستفزاز ، بل يتحرر منه بتفكيره البعيد الهادىء اذا كان لا يستطيع رد الاساءة فى حينها ، ففى استطاعته ان يذكرها ، ويرجىء ردها الى وقت آخر مناسب . وهو بارجائه اياها وتذكرها انما يجمعها ، ويولد من تجمعها وتراكمها قوة دافعة ، تعينه على النصر يوم يتقدم فى أنسب وقت لتصفية حسابه جملة واقتدارا . وليس فى هذا ما يسىء اليه ، فقد ادخر قواه وامتلك زمام النفس ، وتجنب المعارك الثانوية الخاسرة ليفوز فى معركة فاصلة فى النهاية ! » .

والضجة المفتعلة التى أثيرت حول حادث ٤ فبراير فى أعوام تالية لم تكن لغرض رد اساءة أو اهانة ، وانما كانت موجهة أساسا لاحراج الوزارة الوفدية والتشهير بمصطفى النحاس . والمؤرخ اذ يتصدى اليوم لتحليل هذا الحادث فهو يحلله بعيدا عن تلك الضجة ، وعلى ضوء الظروف الواقعية التى كانت سائدة يومئذ . ولقد التزم الدكتور محمد أنيس جانب الموضوعية فى تحليله فلم يتورط فى تشهير بالنحاس أو فى دفاع عنه ، وانما القى الضوء على حقيقة الموقف ، وفى اعتقادى ان المؤرخ لا يمكنه أن يتصدى لاصدار حكمه على مصطفى النحاس وغيره من زعماء الأحزاب الأخـرى ، الا فى ضـوء واقع المجتمع السياسى المصرى يومئذ والعوامل المؤثرة والقوى المتصارعة على السيطرة عليه . ويمكن تلخيص ذلك الواقع وتلك الحقائق فيما يلى :

أولا : منذ تصريح ٢٨ فبراير واعلان دستور ٢٣ وفى ضوء التجربة الواقعية للنظـام البرلمانى الحزبى فى مصر والوزارات تؤلف وتسقط وتتعاقب برضاء المندوب السامى البريطانى ، أو بايعاز منه وذلك بناء على اتفاقات مسبقة مع القصر وفى شبه دورة أطلق عليها بعض الكتاب « حلقة الدستور والمفاوضات الجهنمية » : تدخل وزارة حـزب الأغلبيـة فى مفاوضات مع الانجليز لتسوية التحفظات الأربعة التى تضمنها تصريح

(١) آن لهذا الشعب ان يفهم ـ الجمعية المصرية للدراســات القومية ، سبتمبر ١٩٥٢ ص ١٠٩

٢٨ فبراير ، وبفشل المفاوضات تقال الوزارة أو تجبر على الاستقالة ليعطل الدستور أو لتزيف الانتخابات وتتولى أحزاب الأقلية الحكم لفترة ما فتتجمع عوامل السخط ، ومن ثم يلجأ الانجليز الى التهدئة وامتصاص التوتر فيوعزون الى القصر أن يوقف حكم هذه الأحزاب تمهيدا للعودة الى الحياة الدستورية الطبيعية . وباجراء الانتخابات العامة يأتى حزب الأغلبية ، وهو حزب الوفد ، الى الحكم ويستأنف المفاوضات مع الانجليز وتفشل المفاوضات لتقال الوزارة وهكذا . وقد كان من الممكن أن تتحقق رغبة اللورد كيلرن فى أن يؤلف النحاس الوزارة فى يسر وبدون أزمة لو استجاب الملك فاروق لتلك الرغبة كما كان يحدث فى حالات سابقة مماثلة . ولكن معارضته لها فى أول الأمر ودقة الظرف بالنسبة لبريطانيا باستمرار توغل قوات روميل فى الصحراء الغربية ، وعدم اطمئنانها لنوايا فاروق وأعوانه من السياسيين المصريين المتعاطفين مع المحور وفى مقدمتهم على ماهر — كل هذه العوامل أدت الى الالتجاء الى التهديد والضغط المسلح . ولم تكن رغبتها فى تولى مصطفى النحاس الحكم حبا فى شخصه ولكن باعتباره زعيم حزب الأغلبية والأقدر بالتالى على تحقيق الاستقرار والحد من مناورات أو مؤامرات الملك وحاشيته فى صالح المحور .

ثانيا : كان الوفد بزعامة مصطفى النحاس يتبع سياسة الحياد وتجنيب مصر ويلات الحرب وهذه السياسة وان بدت فى ظاهر الأمر غير موافقة تماما لبريطانيا ، الا انها كانت فى حقيقة الأمر متفقة تماما مع مصالحها . وذلك لأنها كانت ترى أن عدم دخول مصر الحرب ضد المحور يتيح لها استخدام الأراضى المصرية كقاعدة للتموين والعمليات العسكرية مع الحد الأدنى من مضايقات المحور وغاراته الجوية ، فى حين لو أن مصر دخلت الحرب الى جانبها لكانت غارات المحور أوسع نطاقا وأعظم شدة . ولقد اتضح بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية أن الانجليز لم يعتمدوا على قنال السويس ، وانما اعتمدوا على طريق تموين خلفى عبر الصحراء الشرقية فأنشأوا ميناء كبيرا مستعدا فى سفاجا على ساحل البحر الأحمر ومطارين لحمايته وهما مطار الغردقة ومطار حماطة ، كما مدوا خطا حديديا بين سفاجا وقنا وكانت امداداتهم وذخائرهم تأتى عبر هذا الطريق الى القاهرة فالصحراء الغربية . وقد ظل هذا الطريق سرا عسكريا طوال الحرب العالمية الثانية ولم يكن لينشر عنه شىء طوال فترة الحرب .

ثالثا : ان الشعب المصرى رغم عدائه للانجليز ونزوع بعض أفراده الى التعاطف مع الألمان ، لم يكن ليميل الى المحور من الناحية السياسية ، ولم يكن ليثق بنوايا ايطاليا بالذات بالنسبة لمصر . ووجود بعض الايطاليين فى الحاشية الملكية وميول بعض رجال القصر للمحور ليس

بالشيء الذى يمثل حقيقة شعور المصريين • وواضح من تحليل الدكتور أنيس أن الوفد وهو حزب الأغلبية والمتمسك بالقيم الديمقراطية لم يكن ليقبل أساليب الحكم الفاشية وقد بدا ذلك واضحا فى صحفه الرسمية • ولهذا فنحن نستبعد كل رأى قائل بأن الشعب المصرى كان فى تلك الفترة ميالا للمحور • ولقد سبق أن نبهت الى خطورة مثل هذا التفسير فى مجرى الأحداث بمجلة العمل فى تعقيب بعنوان « آن لنا أن نعيد كتابة التاريخ » (العدد ٢٢ ، ابريل ١٩٦٥) قائلا « ولئن كانت احدى الصحف العقائدية الشهرية قد طرقت أخيرا هذا الموضوع البالغ الأهمية والخطورة ، الا أن بعض الكتاب الذين تصدوا له قد أخطأهم التوفيق فكانوا فى تحليلهم غير موضوعيين وتعوزهم الدقة ، ولا أقول الأمانة التاريخية فى حالات كثيرة ! رغم أن الفترات التى طرقوها من تاريخ نضالنا لا تزال قريبة وماثلة فى الأذهان وقد عاصرها الكثيرون منا وعاشوا أحداثها وتفاعلوا معها • ولا ندرى لمصلحة من ينعت الشعب المصرى بأنه كان عطوفا على الألمان وميالا الى الفاشية فى الفترة السابقة لقيام الحرب العالمية الثانية •

مع ان الكثيرين من المصريين تطوعوا فى الحرب الايطالية الحبشة الى جانب الحبشة • وكانت صحافتنا بلا استثناء تهاجم الاستعمار الايطالى والعدوان الايطالى على ليبيا والحبشة • وما كان ليخفى على أحد ما تركته حوادث البطش والارهاب التى ارتكبتها السلطات الايطالية الفاشستية ضد المناضلين الليبيين الأحرار وعلى رأسهم الزعيم الليبى الشهيد عمر المختار من أسوء الأثر فى نفوس المصريين والعرب عموما • ولم تبلغ نقمة العرب على ايطاليا الفاشستية مثلما بلغت فى تلك الأعوام ! ولقد كانت هذه النقمة سببا فى الوقوف موقف الحذر واليقظة من الألمان كشركاء لايطاليا فى المحور • ولئن وجد بين المصريين يومئذ من كان يعطف عطفا سطحيا ساذجا على الألمان بدعوى أنهم أعداء الانجليز وعدو العدو صديق، فان هذا العطف لم يكن ليعنى ميلا الى الفاشستية • فقد وجد مثله خلال الحرب العالمية الأولى قبل ظهور هتلر والنازية بسنين وما الأغنية الفطرية السودانية التالية التى كان يغنيها السودانيون أثناء الحرب العالمية الأولى الا تعبيرا عن هذا الشعور الفطرى البرىء :

عينك يا بخيتة زى مدافع ألمانيا
كسرت حصون بلجيكا فى دجيجه وفى ثانية
أنا جلت لك يا جورج ما بتجدر على هانبورج

والمقصود بجورج هنا الملك جورج الخامس ملك بريطانيا • أما هانبورج فكان المقصود به هندنبرج القائد العام للجيوش الألمانية القيصرية خلال الحرب العالمية الأولى •

هذه هى حقيقة الشعور الفطرى للكثيرين من العرب نحو الألمان خلال الحربين العالميتين الأولى والثانية • الا أن مثل هذا الشعور لم يصل قط الى مرتبة التبعية أو الالتزام • وانه لمن الخطأ فى حق أنفسنا وفى حق تاريخنا ان نتصور الأمور أكثر من هذا فيقول أحد الكتاب « وخرجت

المظاهرات الصاخبة تهتف الى الأمام يا روميل » لكأن الشعب المصرى كان يريد يومئذ استبدال مستعمر بآخر مع أن الحقيقه أن تلك المظاهرات كانت بسبب ازمة التموين والخبز بوجه خاص • والهتاف الذى أشار اليه الكاتب لم يكن أكثر من هتاف مدسوس ردده بعض العملاء والشعب منه برىء براءة الذئب من دم ابن يعقوب » • والمقصود بالعملاء فى هذا التعقيب ليس عملاء المحور وانما حفنة من الهاتفين المرتزقه الذين كانوا على صلة بعلى ماهر والقصر • ولعل تطور الأمر من مجرد ميول سياسية من جانب بعض السياسيين الرجعيين نحو المحور ، الى محاولة لابراز التأييد الجماهيرى للمحور عن طريق مثل هذا الهتاف المدسوس ، كان من أخطر الأسباب التى دفعت بالانجليز الى التصدى على هذا النحو العنيف المكشوف لحسم الموقف فى أدق مراحل هجوم قوات روميل فى الصحراء الغربية • وكان خير ضمان فى نظرهم للاستقرار هو وجود حزب الأغلبية فى الحكم كما سبق أن أوضحنا •

رابعا : ان القوات المسلحة المصرية كانت تقدم بعض الخدمات غير المباشرة لقوات الحلفاء رغم عدم دخول مصر الحرب • وفى مقدمة هذه الخدمات حماية خطوط المواصلات والمدفعية المضادة للطائرات الخ •• وقد شعر الضباط المصريون الأحرار أن الانجليز قد بيتوا النية فى حالة استمرار تقدم قوات روميل نحو الاسكندرية على تعويق هذا التقدم بالنسف والتخريب واغراق منطقة غرب الدلتا وقطع جسور البحر عند منطقة المكس الخ •• فقرروا أن يتصدوا لمنع هذا التخريب وانقاذ مصر منه بعمل وطنى مسلح مدعم بثورة شعبية • وكانت هذه الفكرة هى بداية تكوين التنظيمات الوطنية السرية فى الجيش المصرى وسعيها يومئذ لتنسيق جهودها مع المدنيين • وهذه الحقيقة نجد ما يؤكدها فى كتاب السيد الأستاذ كمال رفعت « الجذور التاريخية لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ » (١) بقوله « لم تبدأ الحركة سنة ١٩٤٨ وانما بدأت فى سنة ٤١ و ٤٢ وبالذات أثناء محاولة الغزو الألمانى لمصر سنة ١٩٤١ • وبدأت الحركة تظهر فى أوساط الجيش لمقاومة اتجاه ومحاولة التدمير التى سيقوم بها الانجليز عند انسحابهم أمام الألمان سنة ١٩٤١ و ١٩٤٢ • وبعد توقف الألمان فى العلمين وانسحابهم استمر الارتباط بين الضباط الأحرار وبدأ الاتجاه السياسى يظهر فى التنظيم » • ولما كنت قد عاصرت تلك الأحداث والتقيت بالتنظيم الثورى فى الجيش فى تلك الفترة فاننى فى وضع أستطيع معه أن ألقى الضوء على اتجاهات هذا التنظيم وموقفه من حادث ٤ فبراير• وبدون أية محاولة للاستطراد فى التفاصيل والكشف عن أحداث لم يحن بعد أوان الكشف عنها ، أستطيع أن أؤكد أنه لم تكن هناك ميول حقيقية نحو المحور من جانب العناصر الوطنية الثورية من مدنيين وعسكريين • وان قبل البعض فكرة معاونة الألمان لنا فى نضالنا ضد الانجليز مع كثير من التحفظ ، ذلك أننا لم نكن لنثق تماما بنوايا

---

(١) كمال رفعت : الجذور التاريخية لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ـ السلسلة العمالية ـ الدار القومية للطباعة والنشر ـ ص ٥٠ •

الألمان ، أو بنوايا المحور على الأصح ! ولقد كنا حريصين كل الحرص على أن لا يفعل الألمان معنا كما فعل الانجليز مع العرب فى المشرق العربى خلال الحرب العالمية الأولى ٠

والجدير بالتسجيل هنا فقط هو أن العناصر الوطنية فى الجيش لم تكن لتميل ميلا أعمى للالمان ٠ وان الاتصال بهم الذى أشار اليه السيد أنور السادات فى مذكراته وفى كتاب البحث عن الذات كان ضرورة حتمية لتصحيح عمليات سابقة ولمنع الاندفاع فى عمليات جديدة ٠ وكانت تحركات الفريق عزيز المصرى يومئذ لا تخلو من تلهف واندفاع ، الا أنها لم تكن لنعنى التعاون المفتو مع الألمان ، ومحاولته الافلات بالطائرة التى أوقعها سوء الحظ فى قليوب لم تكن للوصول الى الخطوط الألمانية فى الصحراء الغربية ولكن للانضمام الى ثورة رشيد عالى الكيلانى فى العراق ، وقد انضم الى تلك الثورة يومئذ بعض الزعماء أو الثوار العرب مثل الحاج أمين الحسينى من فلسطين والدكتور مختار الوكيل من مصر وقد اضطر هؤلاء جميعا الى الفرار الى ألمانيا بعد هزيمة حركة رشيد عالى الكيلانى ٠

ولقد تبين فيما بعد ان نوايا الألمان لم تكن طيبة تماما تجاه مصر والعرب ٠ وانهم لو كانوا قد دخلوا مصر ، كما يفاد من اعترافات هانز ابلر ، لولوا عليها عباس حليم رئيسا فاشستيا للدولة ٠ كما اتضح أيضا رفض اقتراح من الحاج أمين الحسينى ورشيد عالى الكيلانى بتكوين جيش تحرير عربى فى المغرب العربى بعد اعلان استقلاله ٠ ولو أننا لا نعرف على وجه الدقة ما اذا كان هذا الرفض نوعا من المجاملة لحكومة فيشى فى فرنسا ، أو رفضا لظهور كيان عربى مستقل فى شمال افريقيا يتعارض مع مصلحة الايطاليين ، أو كلا الأمرين !

وفيما يختص برد فعل حادث ٤ فبراير فى الجيش المصرى ، كان التنظيم الثورى لا يخفى عدم اكتراثه بهذا الحادث ساخرا من الانفعالات العاطفية ملتزما بأسس التدبير الثورى السليم كما سبق ايضاحه ٠ الا أن بعض كبار الضباط سواء من الجيل القديم أو من أدوات القصر حاولوا يومئذ استغلال هذا الحادث بعد وقوعه ، لاكتساب عطف ضباط الجيش الشبان على الملك ، وليس لتجميعهم للعمل الوطنى ضد الانجليز كما قصد بعض هؤلاء أيضا احراج الوزارة الوفدية ، باثارة مسائل خاصة بنظام الجيش وفى تلك الظروف اعتقلت وزارة الوفد ضابطين كبيرين وهما فؤاد صادق وكامل الرحمانى وقد التقيب بهما فى معتقل المنيا فى نوفمبر وديسمبر ١٩٤٢ وكان واضحا كل الوضوح أنهما لا يلتقيان فى التفكير مع أنور السادات وحسن عزت عضوى التنظيم السرى فى الجيش اللذين قبض عليهما مع الفريق عزيز المصرى فى حادث الاتصال بالألمان ٠ وقد بدا الاختلاف بين الفريقين واضحا عند مناقشتنا لحادث ٤ فبراير ٠

خامسا : ان الضجة التى أثيرت حول رفض مصطفى النحاس تكوين وزارة ائتلافية من جميع الأحزاب لا تستحق الاهتمام لأنه لا فرق بين أن يؤلف مصطفى النحاس وزارة وفدية أم وزارة ائتلافية ، فكلا من الوزارتين استجابة لرغبة الانجليز ٠ واذا اعتبرنا تأليف الوزارة الوفدية قبولا للضغط البريطانى ومساسا بالكرامة الوطنية فان تأليف وزارة ائتلافية

برئاسة مصطفى النحاس يحمل أيضا مثل هذا التفسير اذا أريد له أن يحمله • والثابت من الوثائق ومن تحليل الدكتور أنيس أن مصطفى النحاس كان أول الموافقين على رفض الانذار البريطانى ، ولم يقبل تأليف الوزارة الا بتكليف من الملك فاروق ، كما ثبت أيضا أنه وصل الى قصر عابدين بعد رجوع الدبابات البريطانية ولم يرها فى الطريق • وكان النحاس قد استدعى من الصعيد لحضور اجتماع الزعماء بالقصر • وعندما يكون من صالح الانجليز العودة الى الأحوال الطبيعية يوعزون بعودة حزب الأغلبية الى الحكم وقد فعلوا هذا اكثر من مرة كما سبق أن أوضحنا • أما فيما يختص بفكرة الوزارة الائتلافية ، فهى لا تناقش على ضوء التجارب السابقة وما خرج به الوفد من واقع هذه التجارب فحسب ، وانما نناقش أيضا من وجهة النظر الموضوعية والتنظيمية البحتة •

ان مبدأ الوزارة الائتلافية أو ما يسمى أحيانا بالجبهة الوطنية أو الشعبية يكون مقبولا بين أحزاب متكافئة أو شبه متكافئة تتمتع جميعا بسند شعبى والائتلاف يحدث اما نتيجة لعجز أى منها عن الحصول على الأغلبية المطلقة ، واما لمواجهة أزمة طارئة أو بحكم الضرورة القومية فى أوقات الحرب مثلا • أو فى مواجهة الخطر الفاشستى الخ •• ولما كان حزب الوفد حتى ٤ فبراير هو حزب الأغلبية الذى يخرج من كل انتخابات عامة حرة بأغلبية مطلقة ، ولما كانت أحزاب الأقلية لا تتمتع بتأييد شعبى وتعتمد على الملكيات الاقطاعية والعصبيات الأسرية التى تكسبها عددا قليلا من الدوائر الانتخابية ، فان فكرة ائتلاف الوفد معها لم تكن بذات موضوع • وعندما كان يدخل الوفد فى نزاع دستورى مع الملك بشأن تعيين موظفى القصر أو الأعضاء المعينين فى مجلس الشيوخ أو لأى سبب آخر ، كانت أحزاب الأقلية تقف الى جانب الملك وقد كان من المفروض كما هو الحال فى الدول الدستورية أن تؤيد أحزاب المعارضة الحزب الحاكم فى اى خلاف دستورى بينه وبين الملك • ومن هنا يكون النحاس على حق فى اتهام أحزاب الأقلية بأنها هى المسئولة عن وصول الحال الى ما وصلت اليه • وحتى من الناحية الوطنية كانت أحزاب الأقلية أكثر اعتدالا واستعدادا لقبول الحل الوسط فى تعاملها مع الانجليز • وعندما تتألف الأحزاب فى جبهة وطنية للمفاوضة يكون موقفها مجتمعة وبما فيها الوفد أقرب الى التساهل ، طالما لا تخشى من اتهام المعارضة لها بالتساهل أو التفريط • وهذه الحقيقة تلقى الضوء على معاهدة اغسطس ١٩٣٦ التى ليس من العدل أن ننسب وزرها الى مصطفى النحاس وحده وقد أبرمها وفد يمثل الجبهة الوطنية التى جاءت بها حركة نوفمبر ١٩٣٥ •

لم تكن هنالك اذن حكمة أو مصلحة قومية فى تأليف النحاس لوزارة ائتلافية كما يدل على ذلك واقع المجتمع السياسى المصرى يومئذ • فضلا عن الدروس التى خرج بها الوفد من تجاربه السابقة فى الائتلاف • ومن هنا يكون رفض مصطفى ا[illegible]ـاس لتكوين وزارة ائتلافية أمرا لا يتعلق بالشرف الوطنى أو الكرامة الـ[illegible]ـية • وهو لا يضاعف ، كما أكد الدكتور محمد أحمد أنيس فى دراسـ[illegible] التاريخية لظروف وملابسات حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ، من خطورة أو وصمة ذلك الحادث فى كثير أو قليل •

عبد المغنى سعيد

صـــور ووثـــائـــق



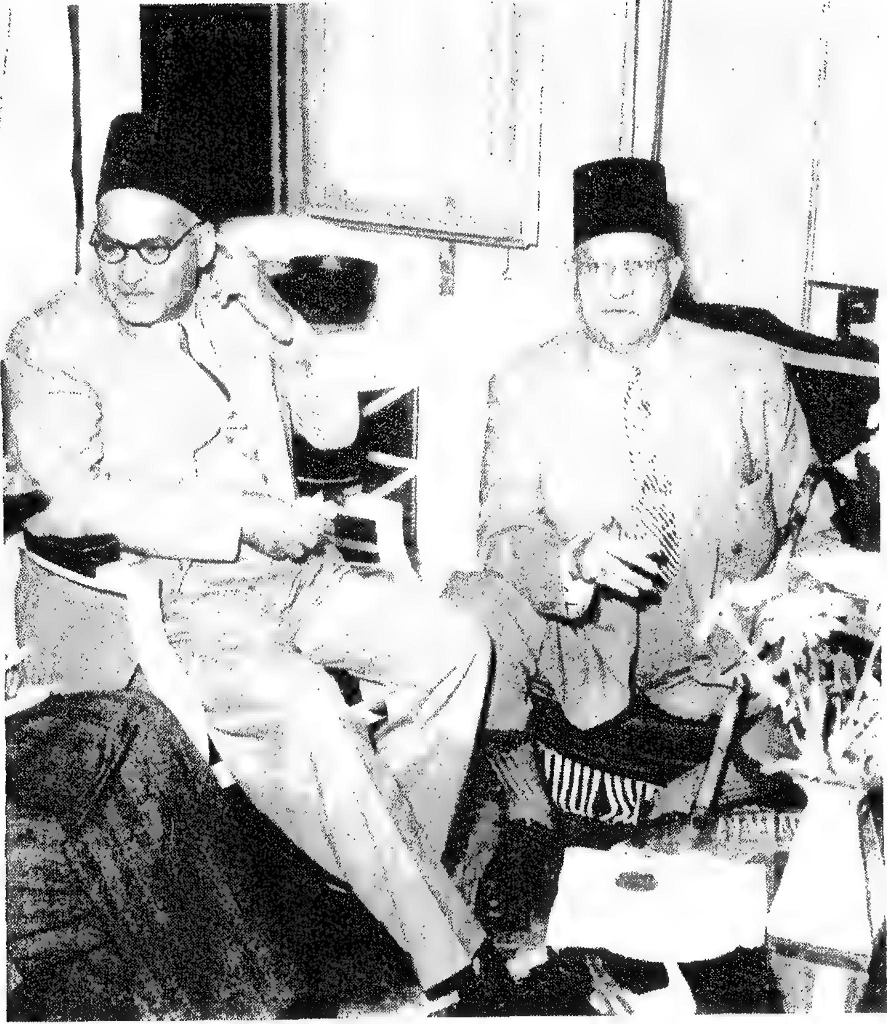
الاتحاد العربي فى هيئته الجديدة : هيئة مجلس « الاتحاد العربى » الجديدة وقد تفضل جلالة الملك بدعوة أعضائها إلى المأدبة التى اقيمت فى قصر عابدين فى الاسبوع الماضى . ويرى فى الوسط الاستاذ محمد على علوبة باشا رئيس الاتحاد الحالى وإلى يمينه معالى عبد المجيد ابراهيم صالح باشا الرئيس السابق ومحمد توفيق خليل بك وكيل الاتحاد والاستاذ موريس أرقش وكيله السابق ، وإلى يساره الرئيس فؤاد اباظة باشا رئيس الشرف ومؤسس الاتحاد ثم خليل ثابت بك وكيل الاتحاد والدكتور محمد اسعد سلهب الأمين العام .



طالبة تمجد ذكرى الشهداء : احدى الطالبات تلقي في تمجيد ذكرى لشهداء والترحم عليهم والدعوة إلى الثبات وعدم التفرقة حتى تفوز بأمانيها .



أحمد حسين رئيس حزب مصر الفتاة يقف خطيبا .



حافظ رمضان باشا وطه السباعى باشا فى اجتماع المعارضة .



الاستاذ الأكبر الشيخ الراعى شيخ الجامع الأزهر .

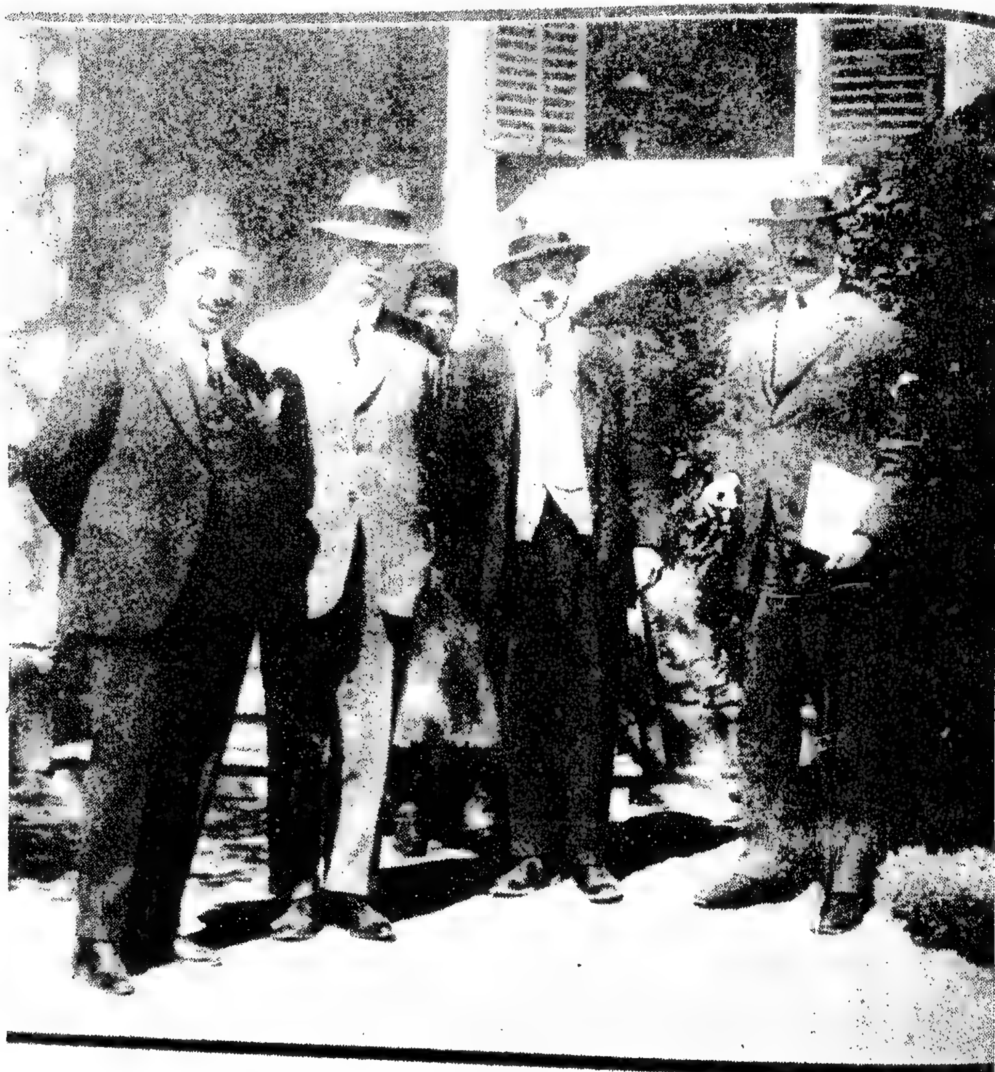
أساتذة الجامعة الأميرية

سجاير الدكتور البستاني

نبيل

المصور

[illegible] ١٩ [illegible]
[illegible] ٢٢ [illegible]
ثمن العدد ١٠ [illegible]



لجنة توزيع مياه النيل بين مصر والسودان

اشتغلت هذه اللجنة الفنية [illegible] في مصر [illegible] في السودان وهي مؤلفة من المستر [illegible] رئيساً [illegible]
وعبد الحميد سليمان باشا عضواً نائباً عن الحكومة المصرية (الاول من اليسار) و المستر [illegible] عضواً نائباً عن حكومة [illegible]
(الاول في اليمين) [illegible] هذه الصورة [illegible] أخيراً [illegible]



مرقص حنا .



مصطفى النحاس باشا وسراج الدين .



السير بريس لورين يتحدث مع مطران الانجليز لمصر بحق خروجه من الكنيسة سانت مارى حيث حضر صلاة على روح الجنود الذين قتلوا فى ساحة الحرب .



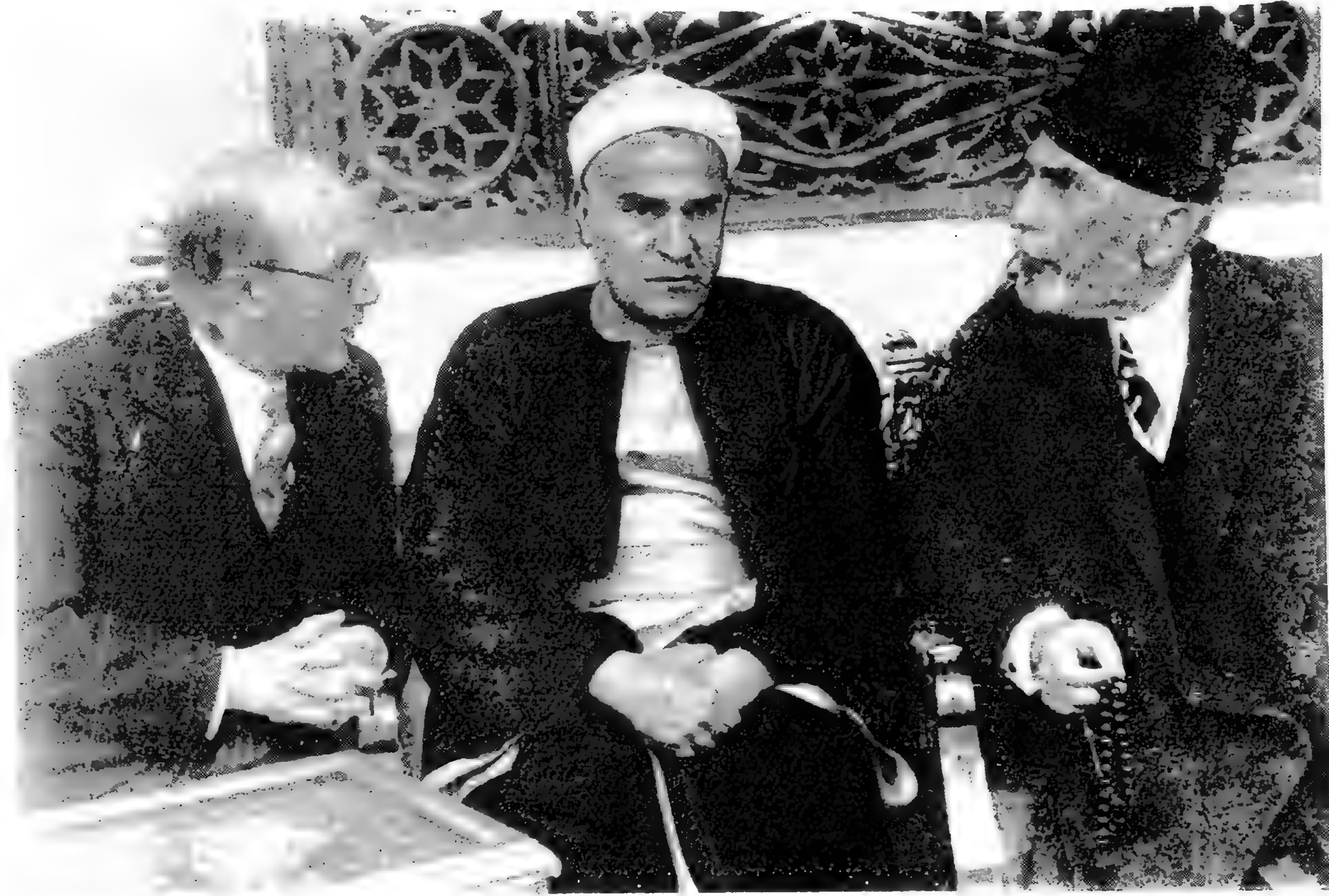
حرم دولة النحاس باشا



لقد اهتز السيجار فى فم فؤاد باشا فمد يده ليثبته فى مكانه .. أما عبود باشا فقد أبعد السيجار ليتفرغ لمتابعة اللاعبين !



محمد شريف باشا



الأمير محمد على ومصطفى عبد الرازق بك وسفير ايران المفوض فى انتظار تشريف الملك لمسجد محمد على .



عبد القادر شحاتة .





محمد سلطان : لعب أدوارا هامة فى الحركات الوطنية منذ سنة ١٩١٩ إلى اليوم ، وتعرض للمشنقة أكثر من مرة . ومع كل المصاعب التى لاقاها لم يهن عزمه ، ولم تفتر وطنيته انه لا يزال إلى اليوم على أتم استعداد لكى يبذل روحه فداء لمصر . لعب دورا كبيرا فى معركة القنال .



الشيخ مصطفى عبد الرازق شيخ جامع الأزهر السابق .



عندما يخرج رئيس الوزراء من غرفته الخاصة فى الصباح ، يكون على استعداد لاستقبال زواره . . . ثم يغادر العوامة إلى رياسة مجلس الوزراء .



صورة تذكارية لرحلة علوبة باشا إلى الهندسة سنة ١٩٣٣ هو وسماحة مفتى القدس فى الوفد الذى سافر فى ذلك الحين لجمع الاعانات لقضية فلسطين . ويرى معاليه وعن يمينه رئيس وزراء حيدر آباد ، فسماحة المفتى . وقد تحليا بعقدين من الأزهار . وهى عادة التكريم فى بلاد الهند .



جلالة الملك يضع الحجر الأساسي لنادي الألعاب .



اجتمع الوفد المصرى فى ١٨ سبتمبر سنة ١٩٢٧ واختار رفعة مصطفى النحاس باشا رئيساً له ، ولكنه قرر
إلا بعد إقراره من الهيئة الوفدية البرلمانية لمجلسى الشيوخ والنواب . وفى ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٢٧ اجتمعت
بالاجماع على قرار الوفد المصرى . وخطب فى هذا الاجتماع نجيب الغرابلى باشا ، وعبد السلام فهمى جمعة باشا ،
[illegible]د الجديد وخطب خطبة وطنية ضافية . وقد التقطت هـذه الصورة لأعضاء الوفد المصرى بعد اجتماعه


الاثنين



فى معرض جمعية صديقات الفتيات : جلست بعض السيدات حول « المنقد » يدفئن ايديهن بالفحم حتى يأتى « الزبائن » ، ويدفئوها بالنقود !

مرجريت فهمي : آخر صورة لها

فلاحى مصر وفلاحى الوطن



فلتحي السيدات المصريات



★ سيدة مصرية واقفة في مركبتها رافعة يدها تحيي الشعب وتهتف للوطن ولمصر ★

فلجي العدل





الأمير محمد عبد المنعم والأميرة نسل شاه زوجته وأحمد باشا كامل مربيها المبتكر ، يشاهدون
حفلة السمر؟



لطفية هانم العيد

صاحباه: اميل وشكري زيدان
عنوان المكاتبة:
المصور، بوستة قصر الدوبارة، مصر
تليفون نمرة ١٩٩٧

المصوّر

العدد ١٢٩
الجمعة ١ ابريل ١٩٢٧

الاشتراك
في مصر: ٥٠ قرشاً
في الخارج: ١٠٠ قرش
(اي ٢٠ شلناً او ٥ ريالات اميركية)
(ثمن العدد ١٠ مليمات)

AL-MUSAWAR • Cairo, 1 April 1927 • Vol. III. No. 139





علي فهمي كامل باشا شقيق مصطفى كامل باشا .





سد الائتلاف

[illegible]

[illegible]

لجنة من وفد مصر النسوية عقب اجتماعها باللجنة البريطانية



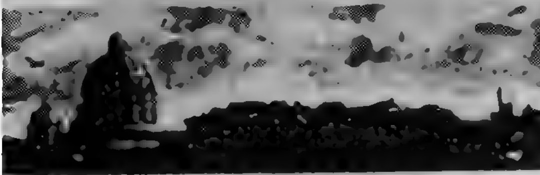






المصور

فنان مصري يرفع اسم مصر في ايطاليا







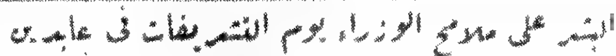


صورة تاريخية نفيسة: سعد زغلول باشا وزملاؤه في القضاء



المصوَّر

AL-MUSAWAR



البشر على ملامح الوزراء يوم التشريفات في عابدين

المصوّر

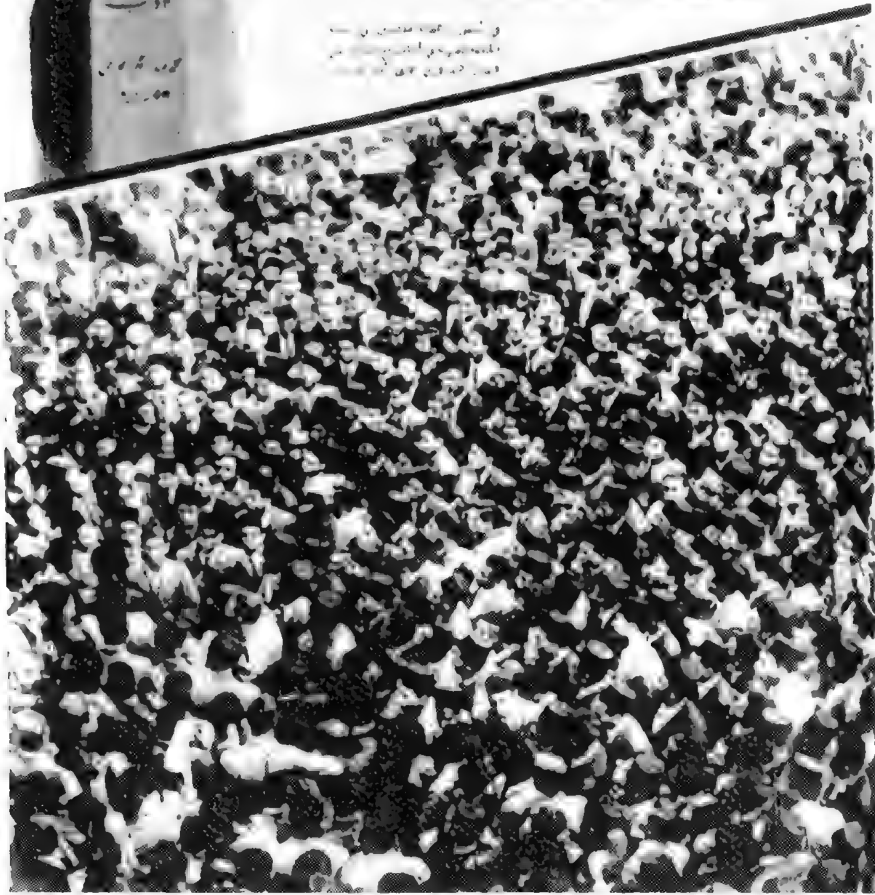
انتهاء رحلة موفقة في سبيل تضامن الشعوب العربية





المصور

رجال الامس واليوم والغد ، ؟



المصور



النحاس باشا يغادر ديوان الرئاسة بعد الاستقالة



صدقي يعود ناجحا من رودس .

المصور











موكب العروسين في طهران



مأدبة الغداء التى أقامها الدكتور محمد صلاح الدين بك بمتحف اندرسون ودعا اليها أعضاء فرقة الأوبرا الايطالية .



السيدة ناهد رشاد ألمع الوصيفات فى القصر الملكى .

المصور





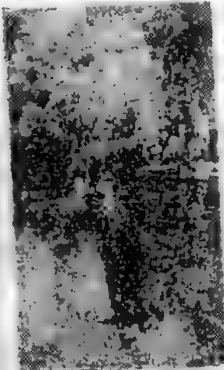
اللطائف المصورة

... حضرة صاحب الدولة رئيس الوزراء



... الصحافي الاسعردي ...









شئون مصر في [illegible]

[illegible]

* * *

[illegible]

* * *

[illegible]

اللطائف المصورة

الإنعام على قائد مصري [illegible]

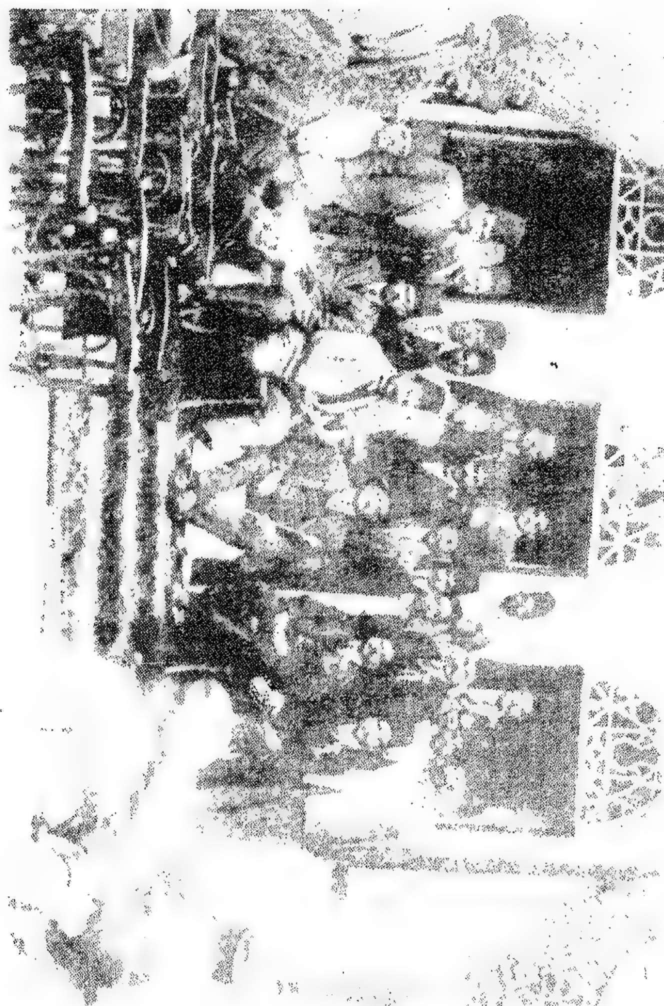


التاريخ يكتب في مصر







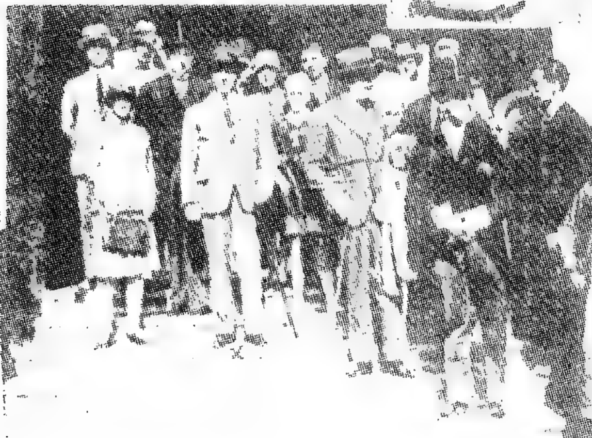






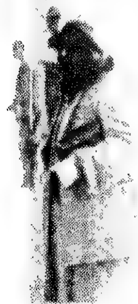


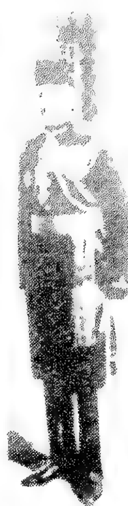










اعضـاء مجلس


















بعض اعضاء مجلس النواب .

المصور





المصور

١٠




AL-MUSAWAR
Cairo, (Egypt)


معاهده
تنفيذ

المصوّر



المعاهده ...
المعاهده ...
هاهى ذى معروضة اماكم
ايها النواب.. والشيوخ ...
فالى الجد
والعمل!!



سعادة عبد الخالق حسونة باشا محافظ ومندوب حضرة صاحب الجلالة الملك ومن حوله رجال الهند السعدية فى طريقهم لوضع حجر الاساس لمستوصف أحمد ماهر باشا .



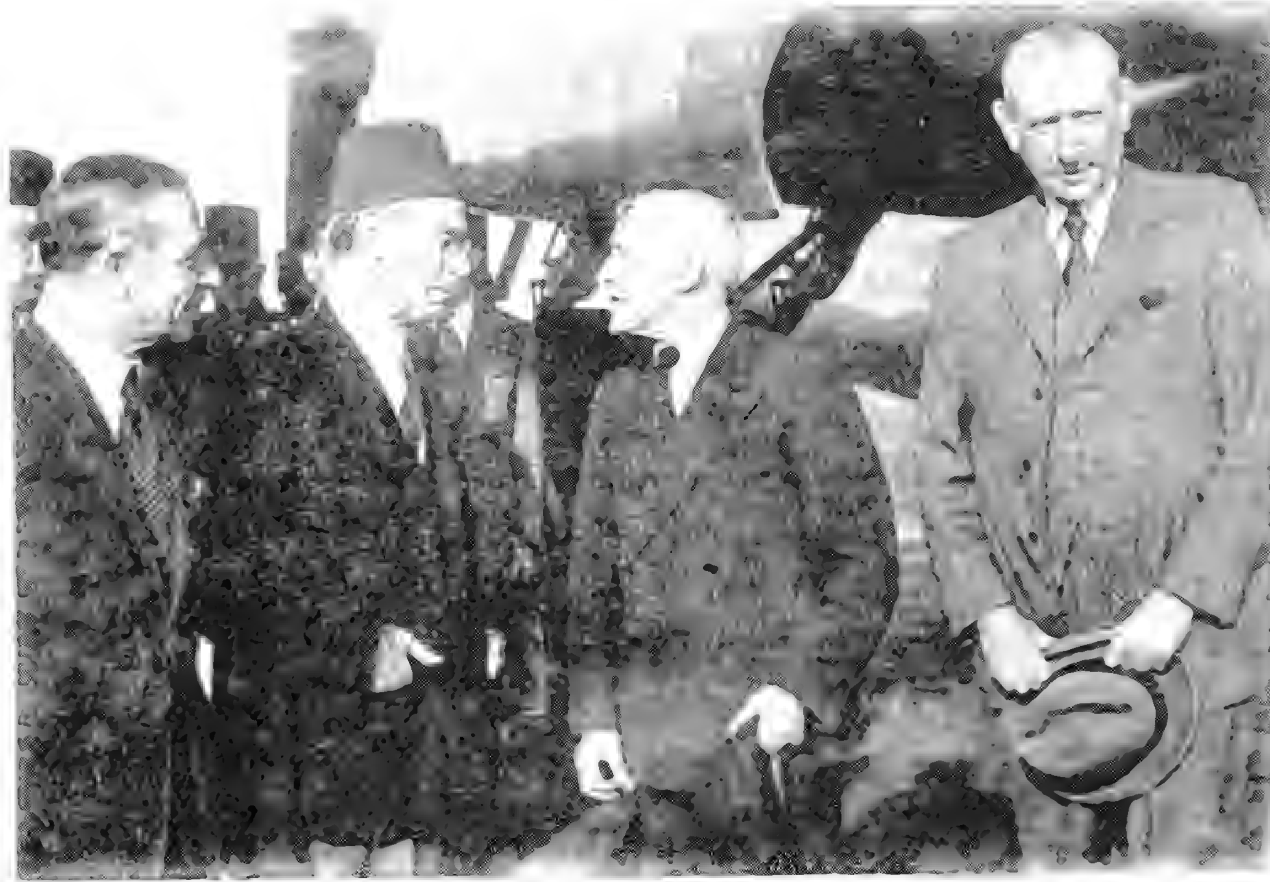
فى ٣ سبتمبر سنة ١٩٤٦ بدار الاذاعة اللبنانية - بيروت .



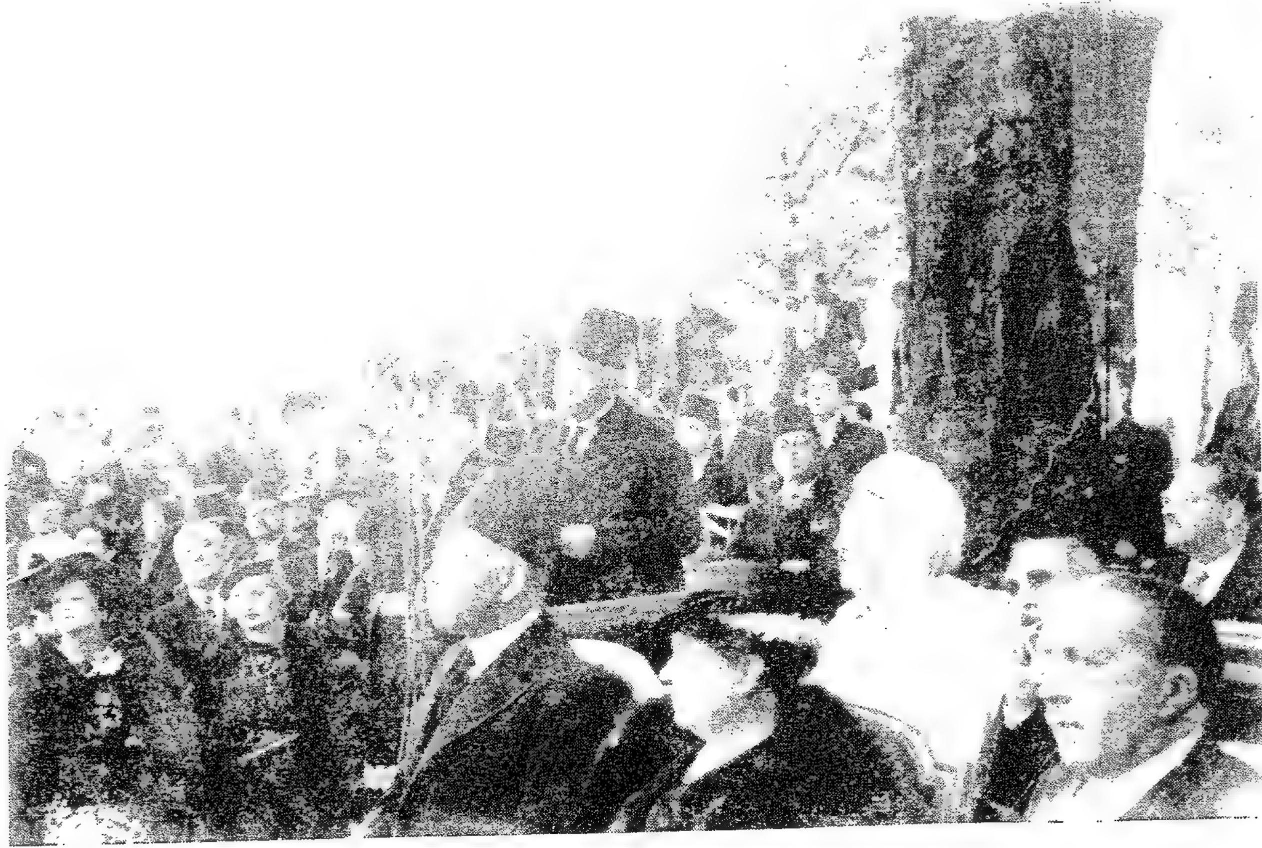
١ ـ صاحب السمو الأمير عبد الله أمير سيريلانكا .
٢ ـ الجناب العالى الخديوى عباس باشا .
٣ ـ حسن خالد باشا رئيس حكومة سيريلانكا . وقد كان رئيس القلم التركى فى ديوانه .



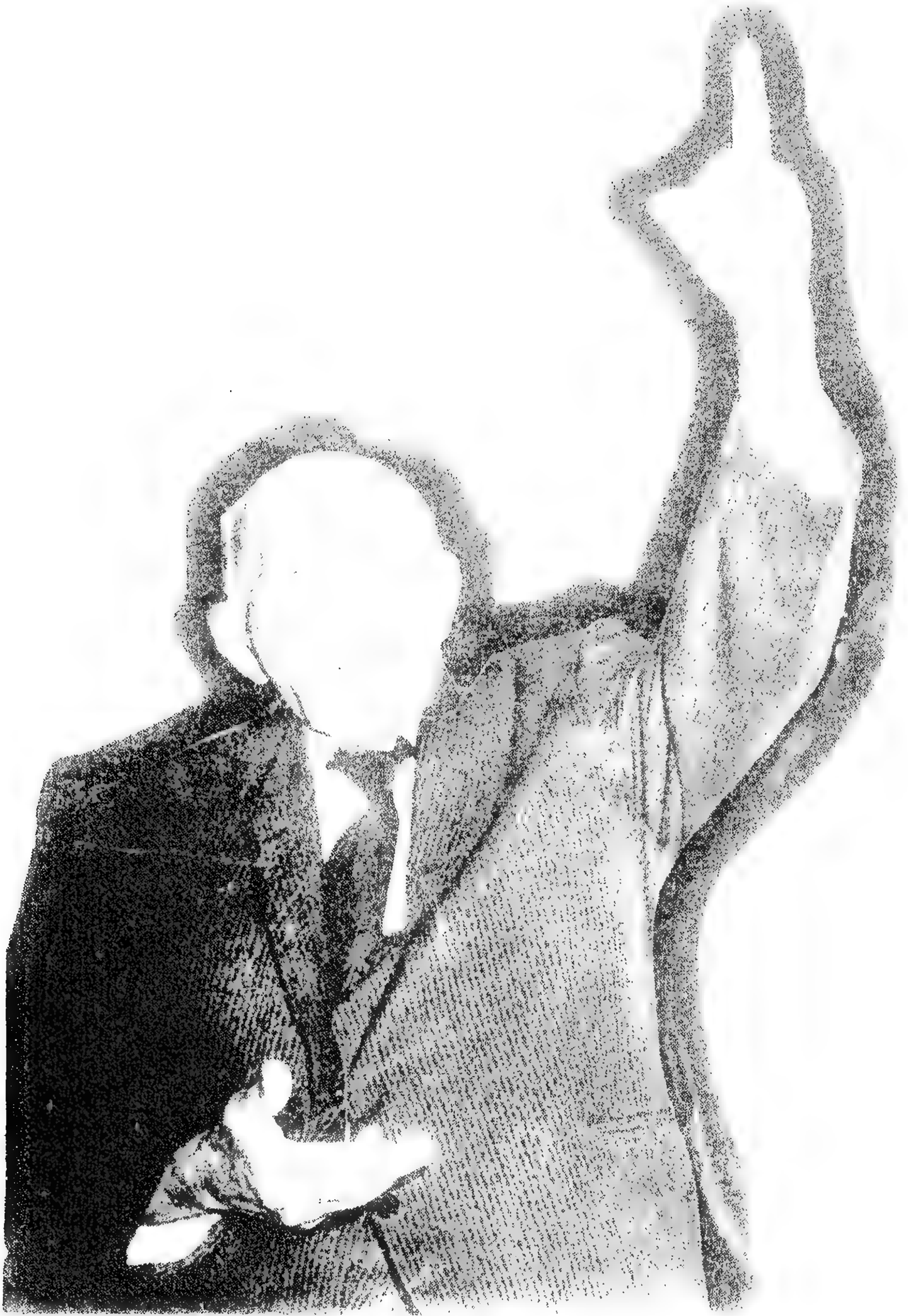
سعد زغلول باشا



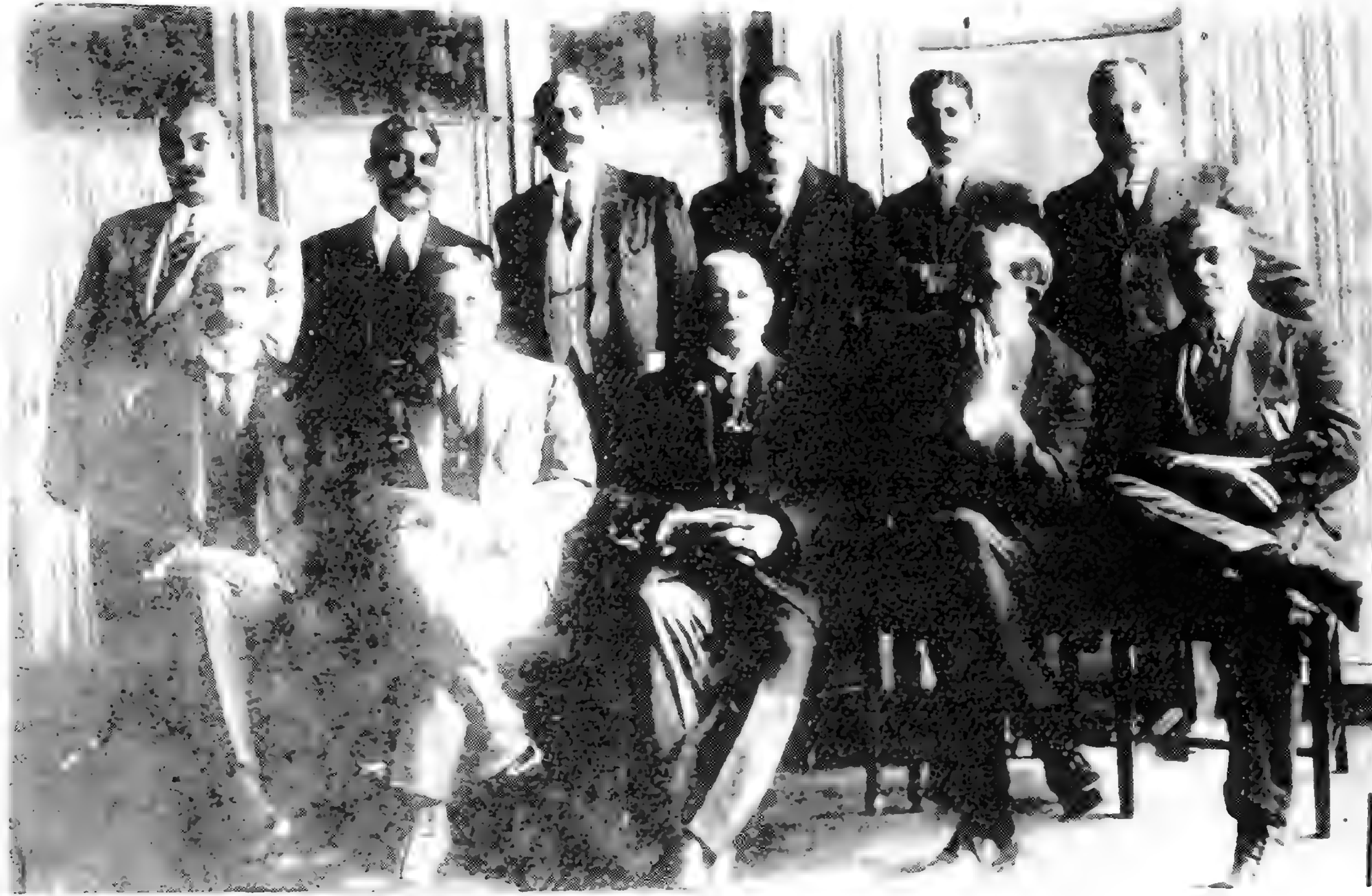
وفد المفاوضات البريطانى من أجل تعديل المعاهدة فى مناقشة مع أحمد لطفى السيد باشا .



حفلة افتتاح القسم المصرى فى معرض باريس ، محمود بك خليل يلقى خطبته ، إلى يساره
السيد قدور بن نجد بك وواصف غالى باشا .



شيخ الفدائيين المصريين الحاج أحمد رمضان زيان .



أعضاء الوفد المصرى فى مارس سنة ١٩١٩ .



حرم نشأت باشا .



هيئة نقابة المحامين أثناء اجراء انتخابات نقابة المحامين الأصليين فى محكمة استئناف مصر .



البرنس طوسون خارجا من فندق ماجستيك بعد أن هنأ الوفد بسلامة الوصول .

المصور

ال .. رجال!





توفيق رفعت باشا .



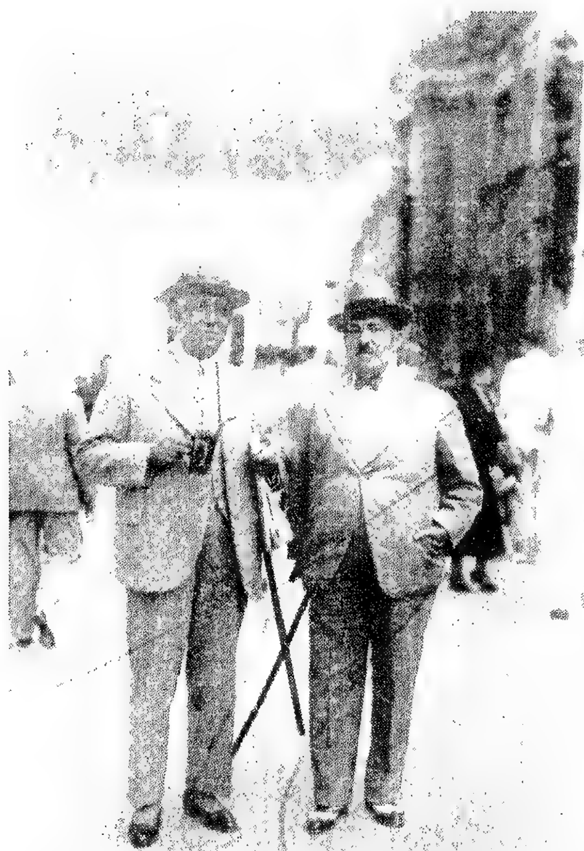
محمد علي علوبة باشا .



المهرجان المصرى اليونانى بالاسكندرية . حيدر باشا يعلق على برنامج الحفلة وسراج الدين
باشا يحاول خنق ضحكة كانت على شفتيه .



صاحب الجلالة الملكى بملابس العاب الثلج وهو يتأهب للجلوس فى الزحافة المعروفة باسم
luge وإلى اليمين صاحبة السمو الملكى الأميرة فوزية وقد أمسكت بحبل قيادة زحافة .



توفيق دوس باشا .

اللطائف المصورة

Al Lataif Al Musawara

الامة والوزير ولجنة ملنر

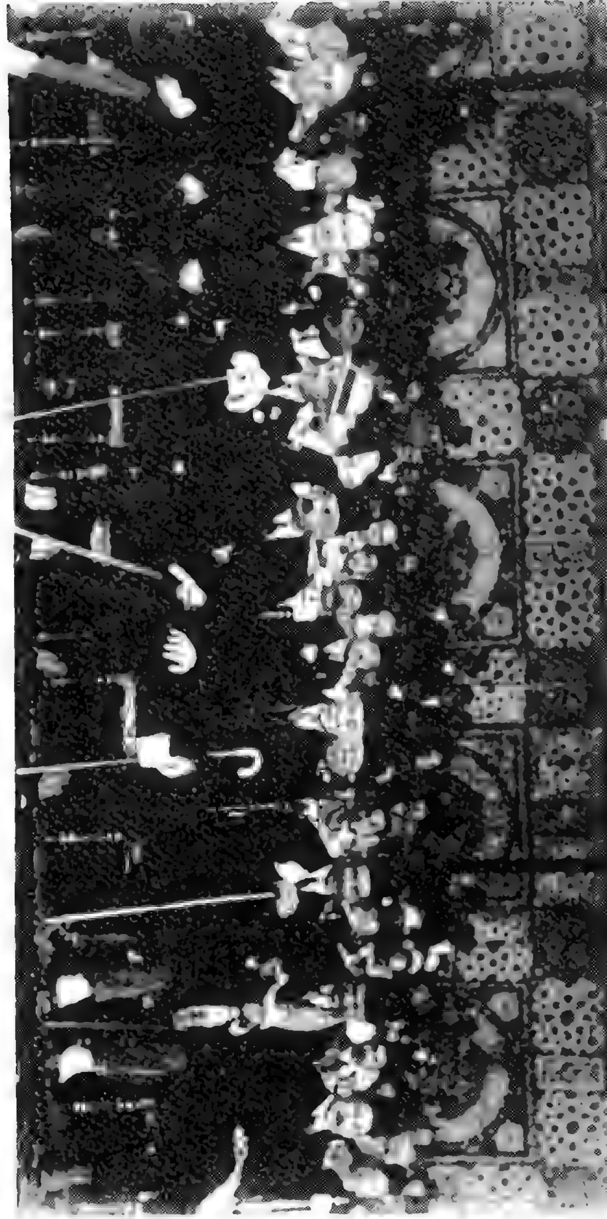




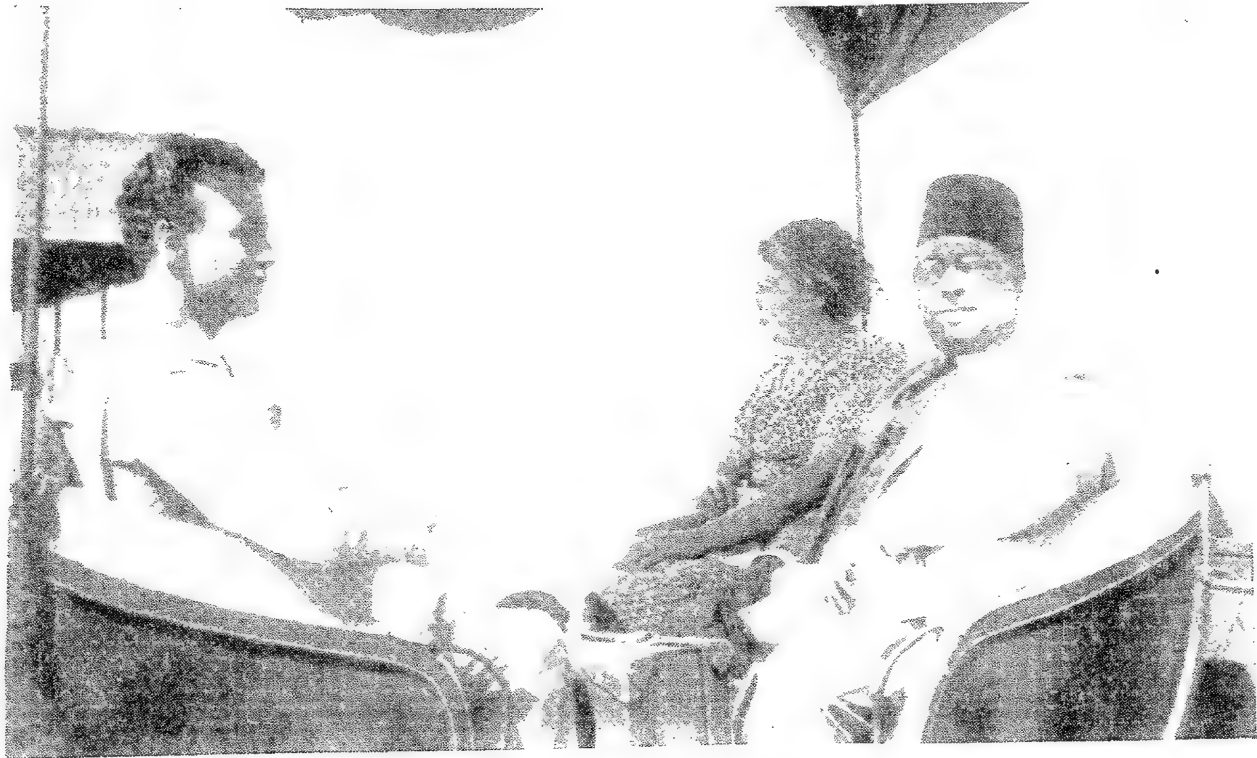








سعد باشا . حفلة البوليس والادارة . الأربعاء ٣ مارس .



دكتور أحمد ماهر باشا . رئيس وزراء مصر الأسبق وأسرته فى مصيف رأس البر . فى الترولى الذى ينقل الناس فى تجولاتهم برأس البر بدل التاكسى والترام والحنطور .



الشهيد ملازم أول أحمد سعودى خريج الكلية الحربية ١٩٣٧ من مواليد عام ١٩١٩ .


المصور
AL-MUSSAWAR


المصوّر
مأساة البداري - لمندوب «المصور» الخاص

التاريخ يكتب في مصر







الامير محمد عبد المنعم والأميرة نسل شاه .



حرم محمد على علوبة باشا أول سفير لمصر فى باكستان وهى ترتدى السارى ، الزى الوطنى لباكستان .

المصور

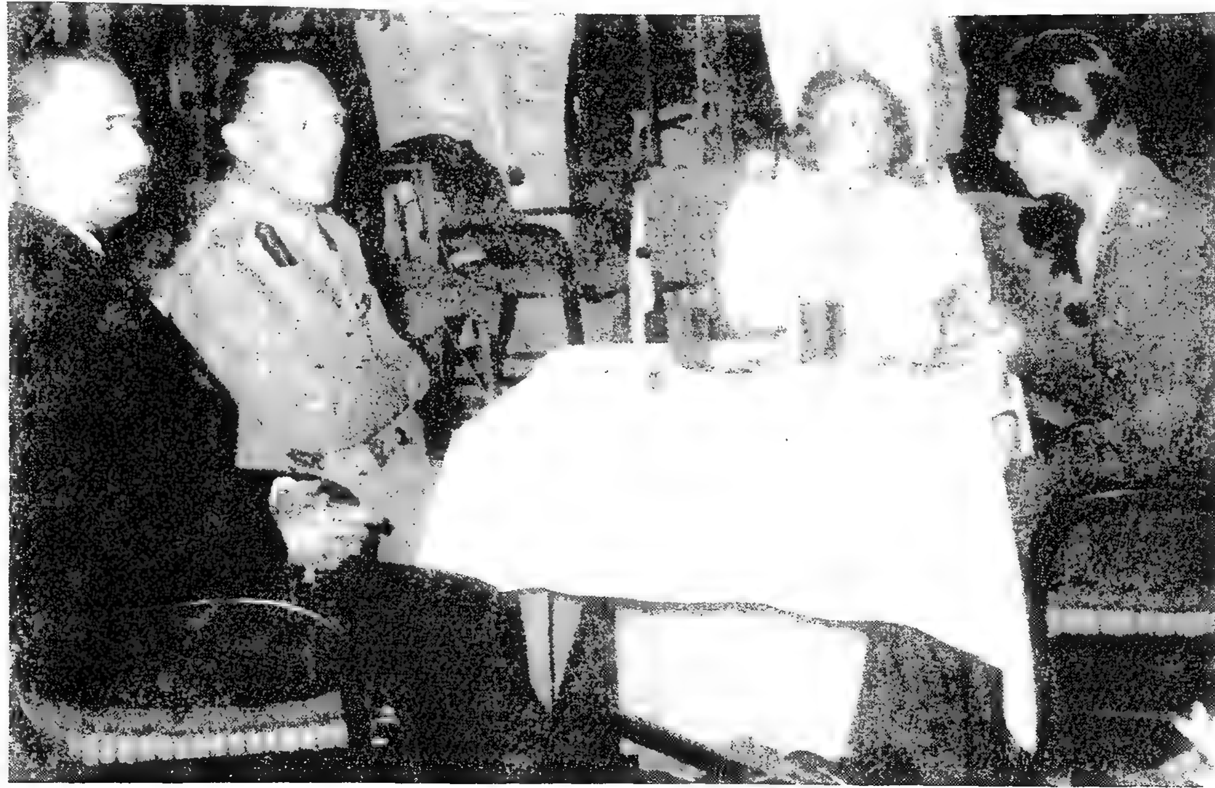
٣٢ صفحة



في هذا العدد :

المؤتمر ...

مضايقات أسبوعية



حفلة الأميرة شويكار فى كازينو الأوبرج .



النحاس باشا يخطب على ضريح سعد زغلول .



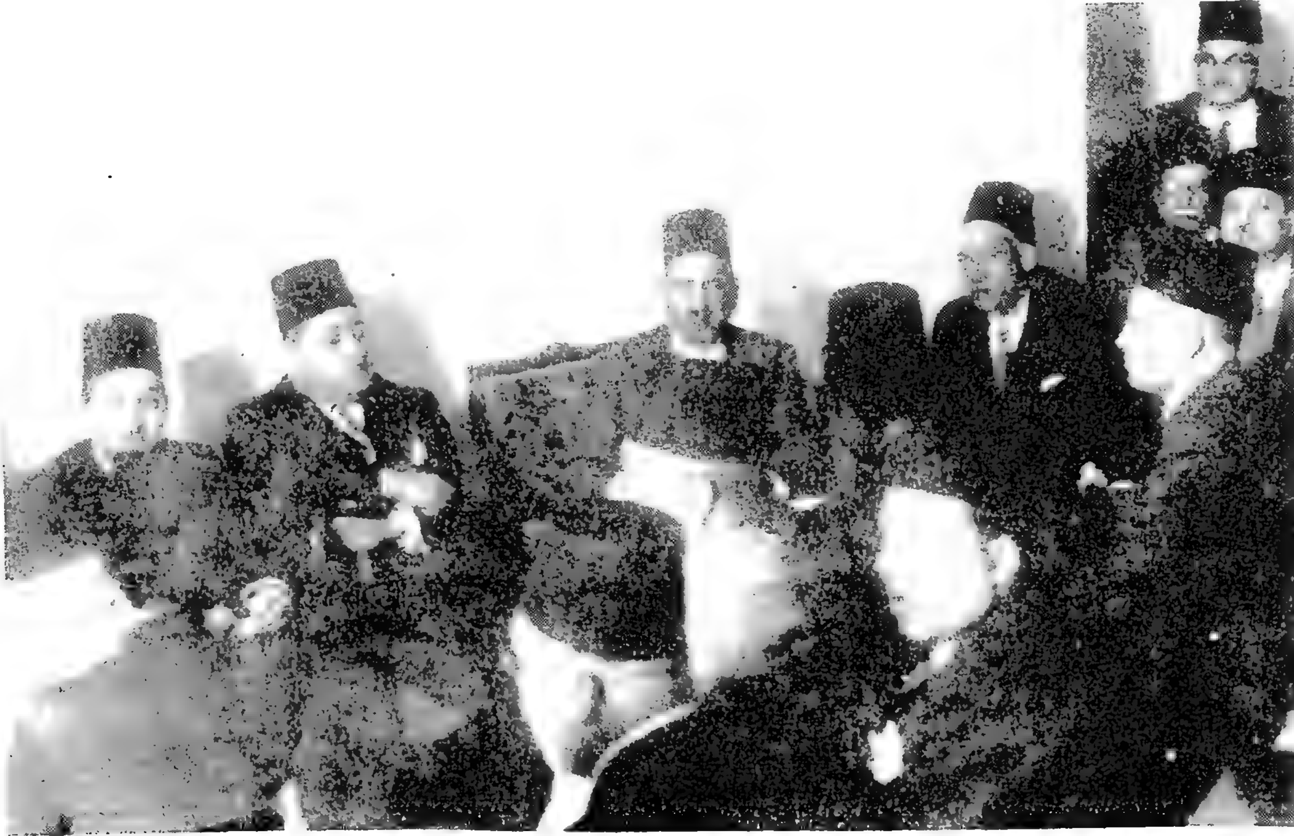
حسن صبرى باشا مع وزير خارجية بريطانيا .



حسن الباسل باشا مع إحدى المدعوات فى حفل بمنزل مكرم عبيد باشا .



أعضاء الوفد بعد اجتماعهم بالنحاس بمنزل أحمد حسن بك بالجيزة .



اجتماع الهيئة الوفدية البرلمانية بالنادى السعدى بعد ظهر الخميس ١٩٣٧/١٢/٢٣ وقد ظهر رفعة النحاس باشا وإلى يمينه الدكتور أحمد ماهر فالأستاذ محمد صبرى أبو علم .



نبي الوطنية يعدل عن صيامه بعد انتصاره الباهر



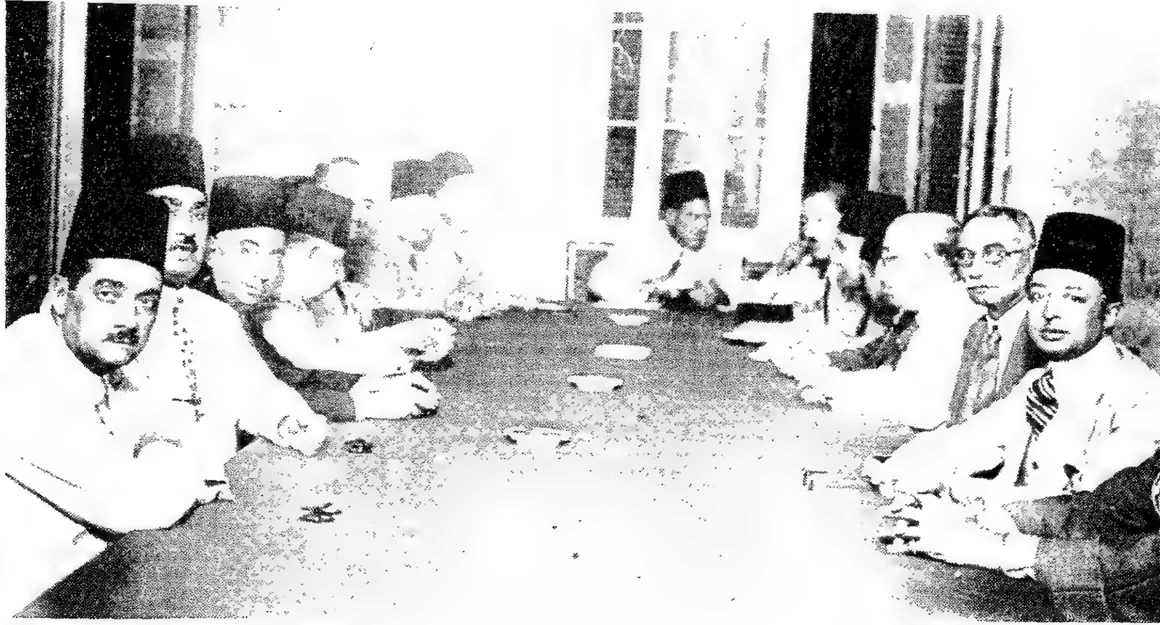
الحفلة التى أقامها النواب الوفديون لسعد باشا فى فندق الكونتيننتال فى يونيو سنة ١٩٢٦ .



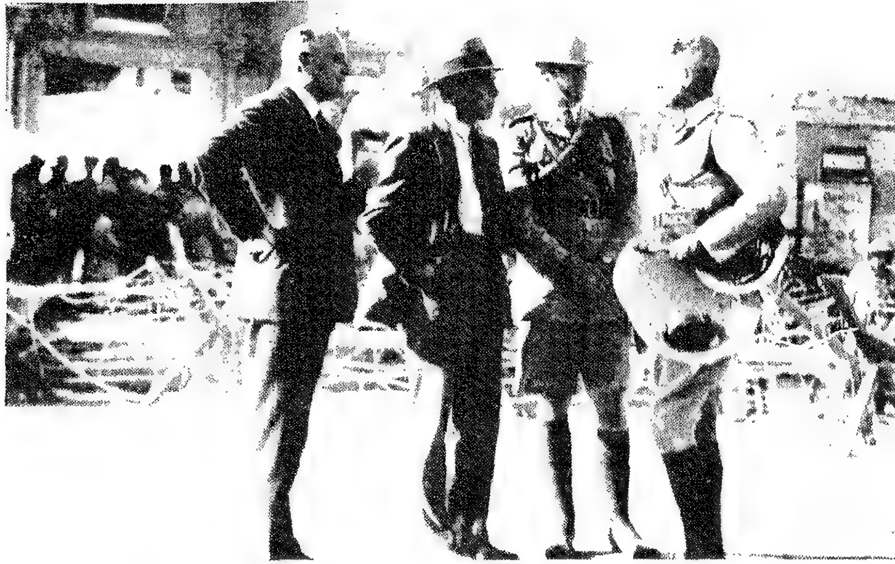
غاندى كما كان يبدو بملابسه الوطنية على أثر اعتزاله المحاماة فى جنوب افريقيا ، وسفره إلى الهند ، ليبدأ نضاله فى سبيل تحرر وطنه سياسيا واقتصاديا واجتماعيا .



الهامى حسين باشا .



لقطة من اجتماع حزب الوفد برئاسة النحاس باشا وعلى يمينه مكرم عبيد سكرتير الوفد



يرى فى هذه الصورة حاكم يافا الادارى واضعا يده فى جيبه وهو الثانى من اليسار . كما يرى أحد الضباط المستر سيكرى وهو الأول من اليمين كاشفا رأسه وهو أحد الضباط الجرحى الذين سقطوا فى المعركة وجرح فى رأسه وكتفه .



فى سراى رأس التين بمناسبة عودة جلالة الملك . رفع النحاس باشا يصافح سعادة حسن يوسف باشا .



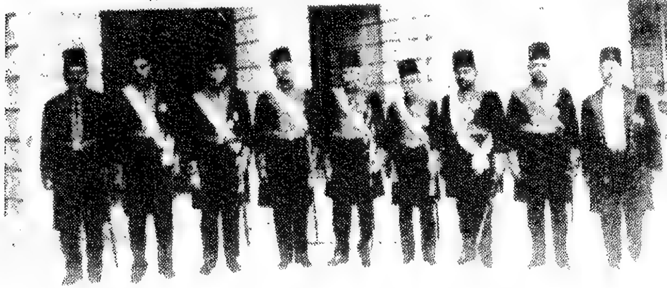
الأميرة شويكار تستفسر عن إحدى المريضات بمستشفى مبرة محمد عن حالتها الصحية .



التحالف مع الشيطان بين جوزيف ستالين رئيس الاتحاد السوفيتى وتشرشل رئيس وزراء بريطانيا فى الحرب العالمية الثانية .

المصور







محاضرة الكونتيس دى فيلبس فى جمعية مبرة محمد على .

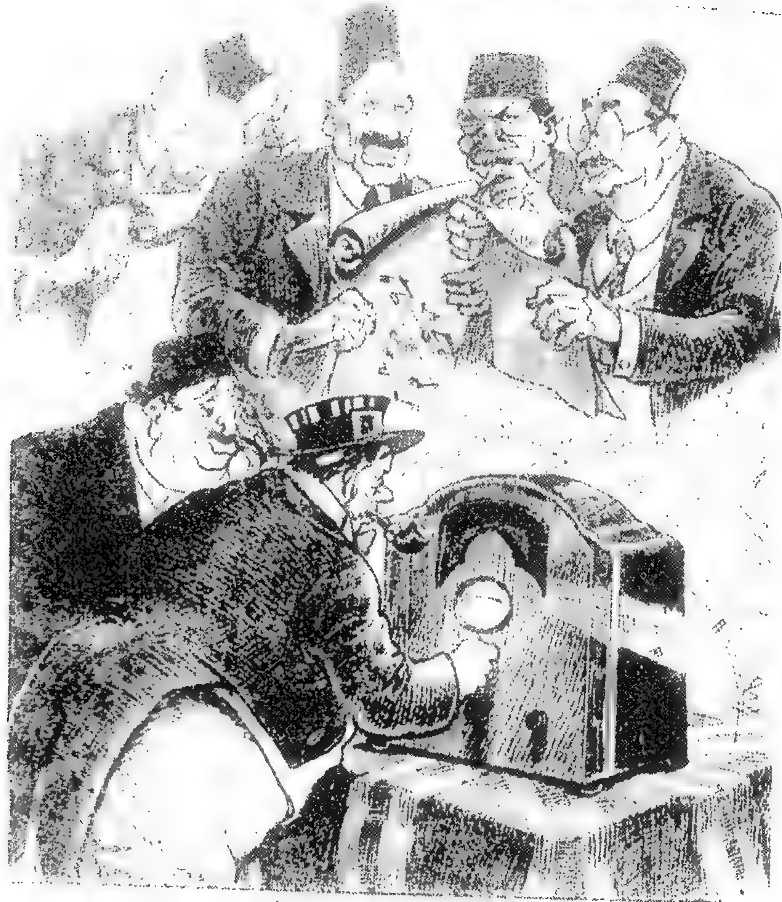
باريس غابة بولونيا ١٩٢٤ - المفاوضات الأولى . سعد زغلول وعزام باشا وأم المصريين .



محمد حسين هيكل باشا فى أحد المعارض الفنية



من اليمين : ابراهيم عبد الهادى باشا . وحسين سرى باشا ، ونورى السعدى رئيس وزراء العراق .





الاستاذ محمد سعيد لطفى المستشار العربي للاذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية ـوشفيق لطفى السيد باشا مدير الجامعة .



الحاج محمد قطب أمين صندوق عمال العنابر ، كان يختفى وراء لحيته ويشترك فى حركات المقاومة ضد الانجليز . . . وكانت النيابة تستبعد قيام شيخ مسن بارتكاب جريمة قتل . . . كان يدفع معظم مرتبه للحركة الفدائية ، وقد ورد اسمه فى كثير من التحقيقات ولم يسجن .



جزيرة فيشر عام ١٩٤٠ . يبدو فى هذه الصورة التذكارية الاستاذ حافظ رمضان والآنسة حواء ادريس ولفيف من الأصدقاء ، يمضون يوم شم النسيم بين الماء والخضرة فى جزيرة فيشر ، وقد نزلوا ضيوفا على الأستاذ محمد شعراوى .



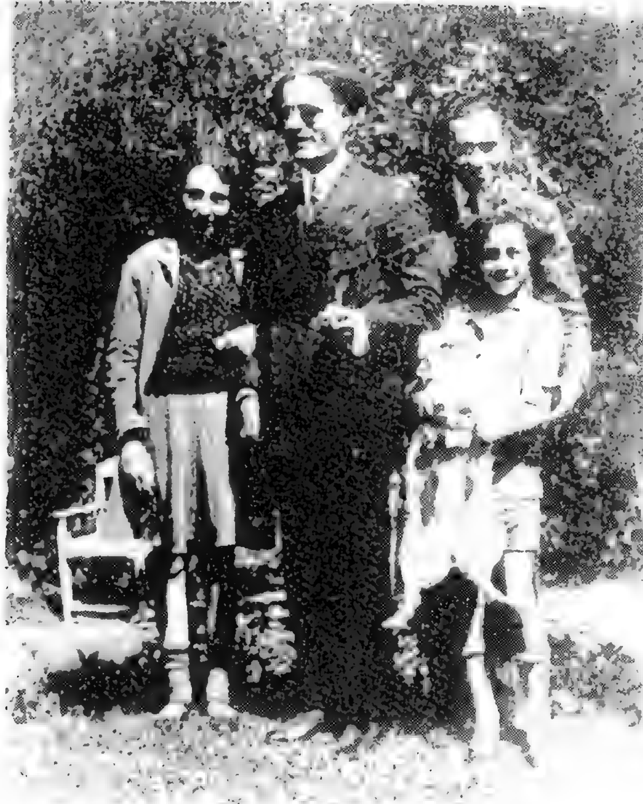
عبد العزيز جاويش .



أحمد حسنين باشا .



الاستاذ صبرى ابو علم



الدكتور طه حسين .



خليل مدكور بملابس العمل فى أحد المصانع . لقد كان يدرس الثانوية
وأخذ إلى العمل فى اوروبا ليشترك فى الجهاد .



عبد الرحمن عزام .



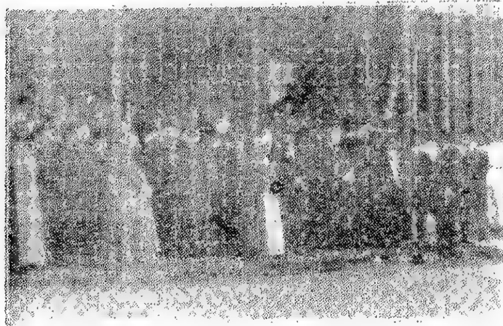
محمد محمود باشا وعلى ماهر باشا والشيخ المراغى شيخ الأزهر .



أحمد حلمي باشا - الرشيد بن الحاج ابراهيم - الدكتور حسين الخالدي .


الاستاذ توفيق دياب

رجوع المحمل الشريف من مكة المكرمة







المطربة نجاة على .



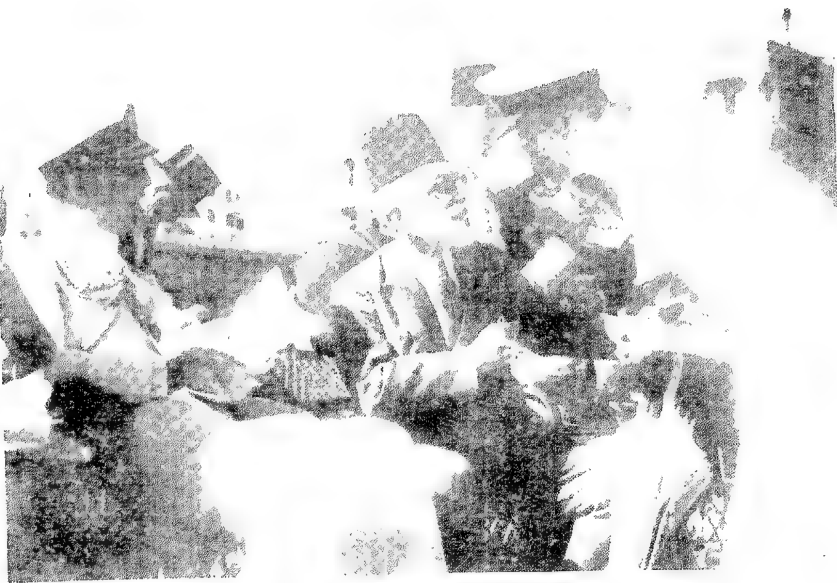
في الوسط دولة حسن صبري باشا وعن يمينه معالي حلمي عباس باشا وإلى اليسار الدكتور ماهر باشا .



عقيلة راتب .



الموسيقار زكريا أحمد مع الشيخ علي محمود في مايو ١٩٢٧ .

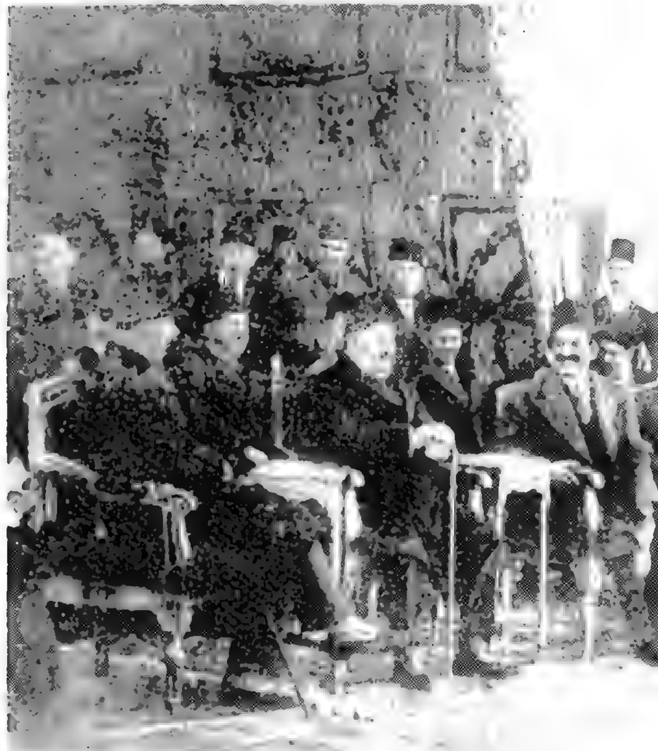


صاحب السمو الملكى الأمير محمد على فى حفلة عرض الجيوش البريطانية احتفالا بعيد ملك الانجليز يتحدث إلى الأدميرال تينانت قائد الأسطول وقد جلس إلى يمين سموه الأمير بول ولى عهد اليونان .



بيير لوتي .

الصور



[illegible]



رفعة مصطفى النحاس باشا وبعض أصحاب المعالى الوزراء فى انتظار لتشريف حضرة صاحب الجلالة الملك إلى جامع عمرو لصلاة الجمعة اليتيمة .



الأميرة نسل شاه قرينة سمو الأمير عبد المنعم ، والأميرة فضيلة فى عربة تكييف الهواء الملحقة بالقطار تتصفحان برنامج الرحلة المصور.



الأمير محمد عبد المنعم فى طفولته .

X في قضية الضابط . أول صورة للمتهم ابرهيم عبده الفلاح



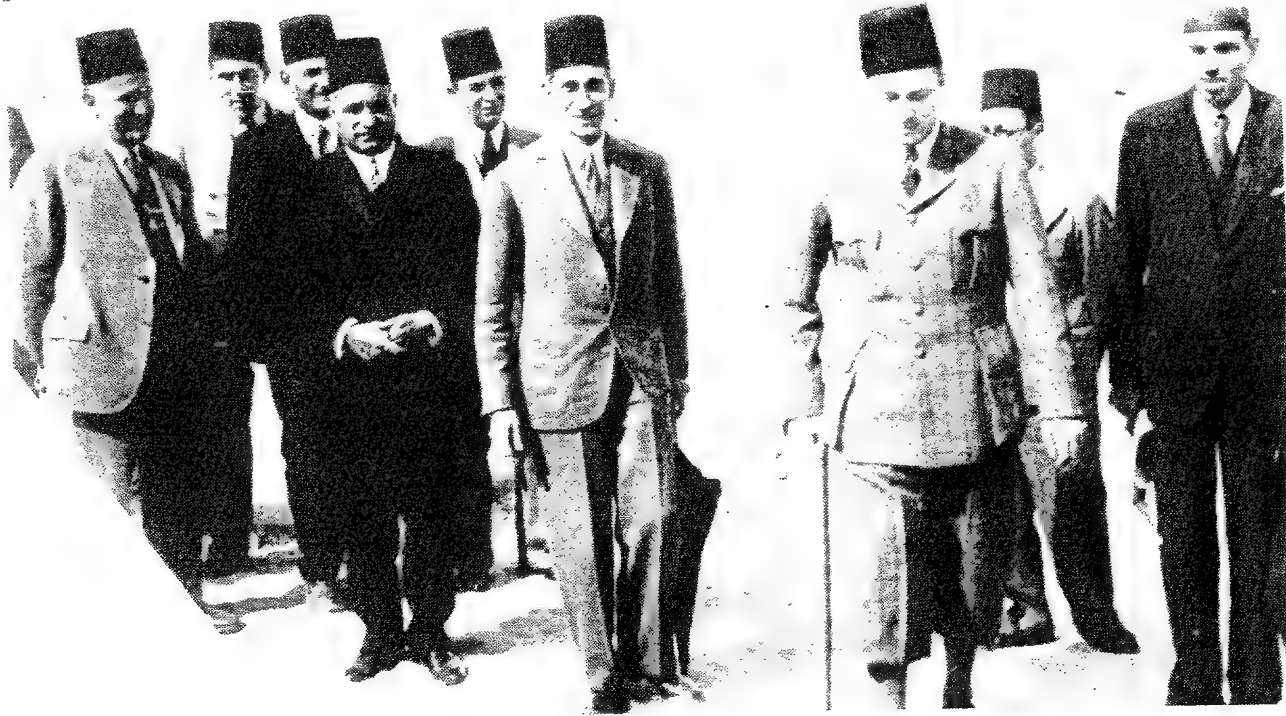












الملك فاروق وأحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكى .

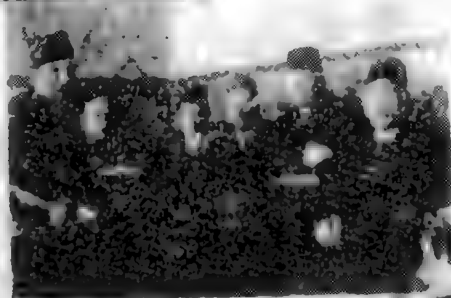
المصوّر

وفد جلالة ملك مصر لدى جلالة امبراطور الحبشة

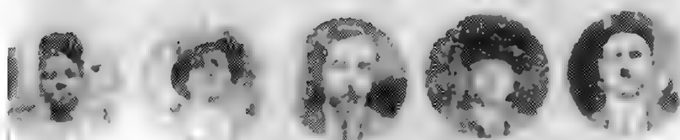














صفية زغلول .



الملك فاروق .



حفلة الشاى وترى هنا أم المصريين وحولها المدعون .. وإلى يسارها حرم القاضى محمد البرادعى مى وهى فى لباس الحج .



فى حفلة افتتاح مبنى محمد على بالاسكندرية ويرى سعادة محمد عبد الخالق حسونة باشا
مندوب جلالة الملك يفتتح مستشفى المبرة بجهة فلمينج برمل اسكندرية . ويرى بجواره سمو الأميرة


المصور



قرينة دولة حسن صبرى باشا تغادر البرلمان وراء جثمانه .

صورة

شاعر الناطقين بالضاد من غربته وترحيب مصر به





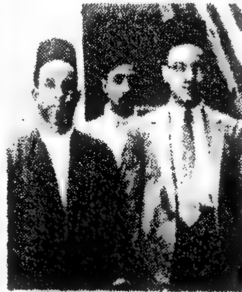
تلك هى اللوحة التى رفعها فريق من شباب الاخوان المسلمين ، فى مظاهرة يوم الجمعة بالقاهرة ، ثم ثبتوها بعدئذ فوق مركزهم العام وقد كتبوا عليها « تسقط معاهدة سنة ١٩٣٦ » .



دولة النقراشي باشا يحيى مستقبليه عند وصوله إلى ميناء فاروق الجوى ، وقد ظهر خلفه معالى ابراهيم عبد الهادى باشا .





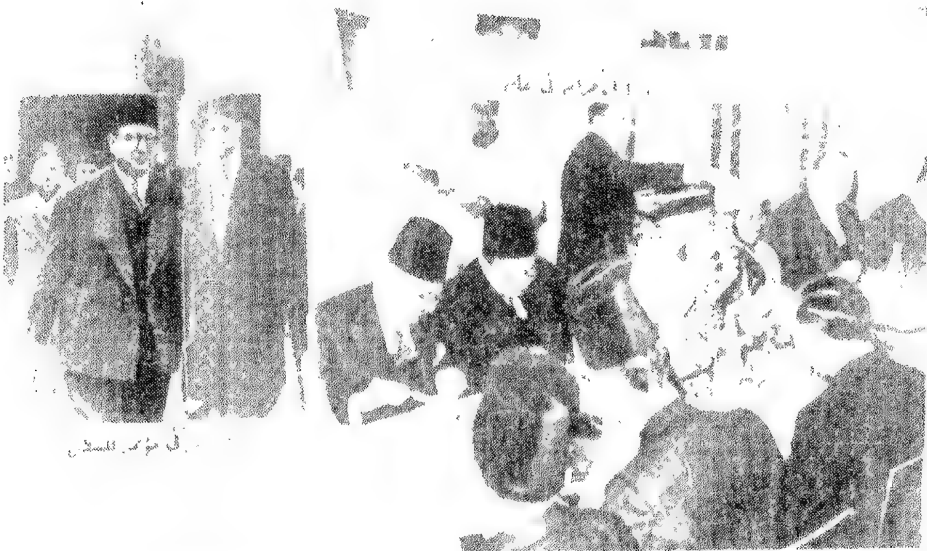






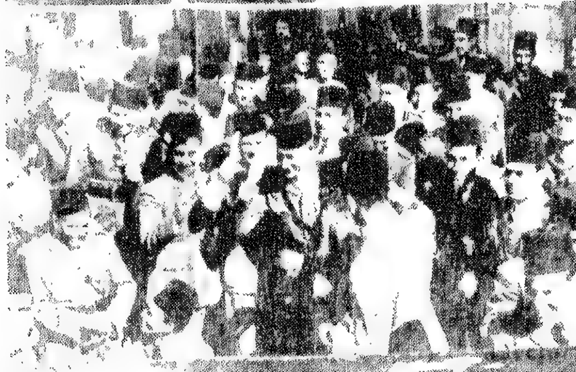




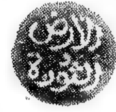




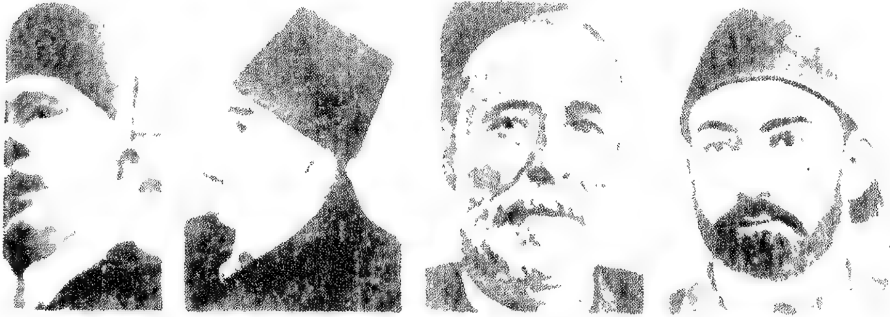




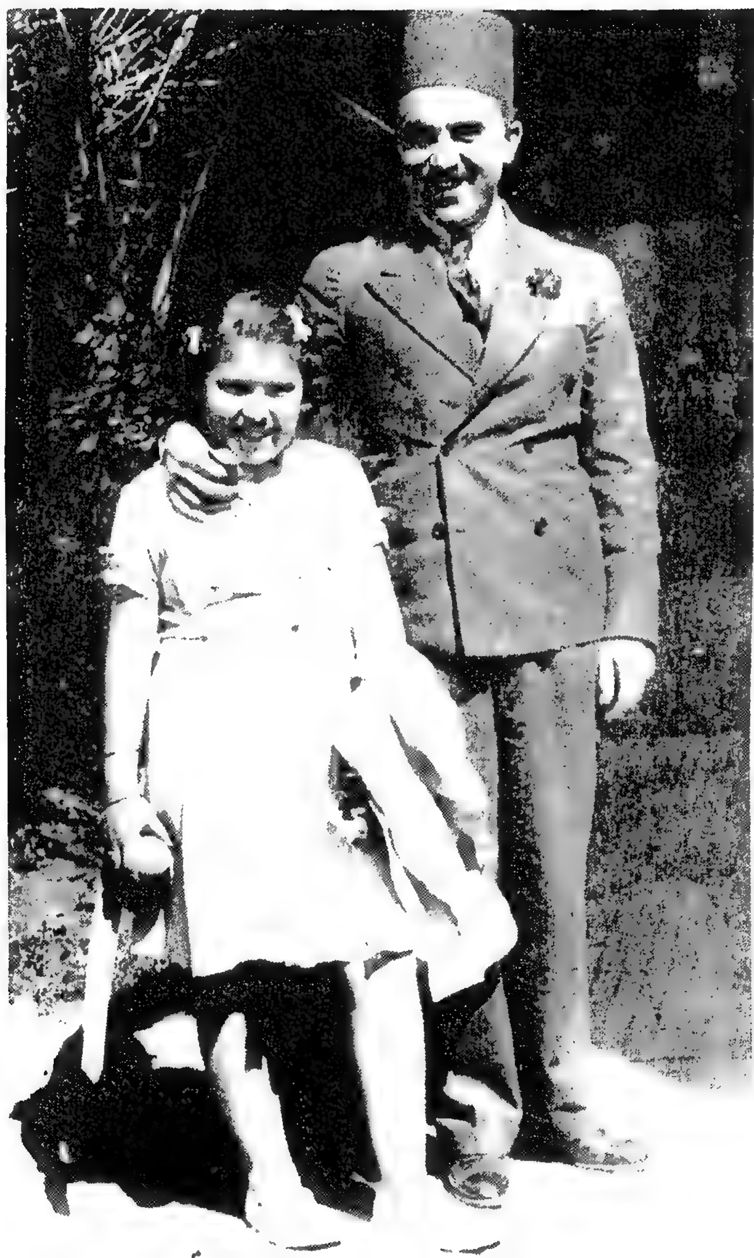




من هم كبار الملاك







أمين عثمان .

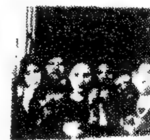


وزير بولندا المفوض يقدم أوراق اعتماده .

المصور

أسبوع الانتخابات



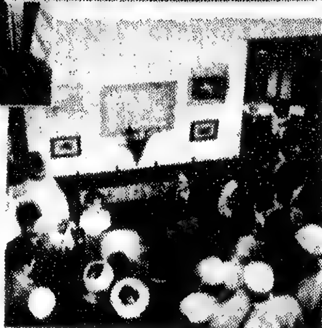




عجائب وغرائب - بين طنطا ومسجد وصيف







النحاس باشا والأستاذ مكرم عبيد مع ... في محطة القطار

في ... : أم المصريين تستقبل الوفود

في محطة طنطا

المكرم عبيد

رجال البوليس قد قبضوا ... بتلك الكفر.

وأطرف أروع ما وقعت عليه العين في تلك المحطة منظر امرأة مسنة ، ... من الفلاحين وجاءا بها إلى الطريق حيث جعلت تزغرد ثم قالت : « ... يا باشا واحدة منا خلاص ! »

في الطريق

وكان أحد رجال البوليس السري يطارد الأهالي بعصاه ، فأصابت ضربة من ضرباته صبياً صغيراً صاح من الألم ، وإذا بالنساء يهجمن على الضارب القاسي ، ويخطفنه بين أيديهن ويلقينه في وسط « الطين » .

في السنطة

كان الأستاذ أحمد حسين ... في السنطة قد جمع بعض ... للترحيب بالضيوف في أثناء مرورهم ، وتقديم القهوة إليهم ، ولكن البوليس اعتقله قبل وصول الركب ، ...

(البقية على صفحة ...)

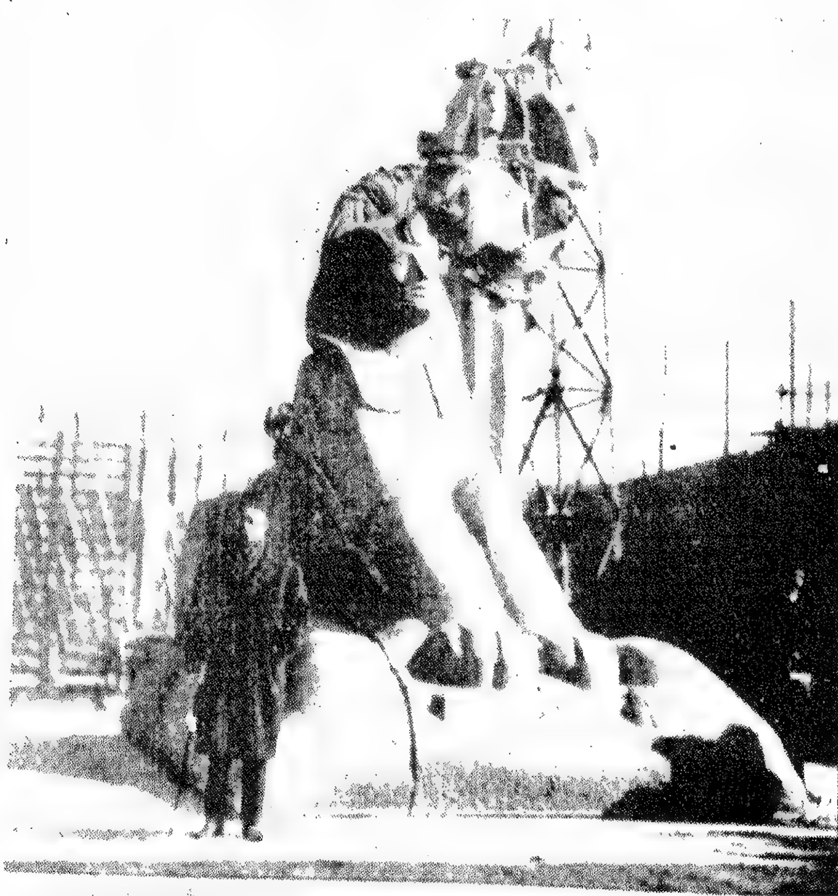
يبطحون على الأرض

محطة صدقي باشا

في العدد القادم : صور مسابقة "أجمل تمثال في مصر"

المصور

زعيم النهضة أمام تمثال النهضة



الوزارة السعدية



احمد زيور باشا
رئيس مجلس الشيوخ



[illegible]



واصف غالي باشا
وزير الخارجية



فتح الله بركات باشا
وزير الداخلية



[illegible]



السيدة فتحية أحمد .



اضراب عمال التلغراف .



على ضريح سعد أحمد ماهر باشا . محمود فهمي النقراشي باشا .



معالى النقراشى باشا داخلا رئاسة الوزارة لمقابلة رئيس الوزارء أثناء الأزمة الوزارية .



سيدات سوريات وأمريكيات فى (سانتيا جو) بشيلى أقمن حفلة خيرية جمعت مبلغا عظيما
من المال لمشروع خيرى واشترك معهن الاستاذ سامى شوا باسم مصر وقد وقف بينهن .

١٧ ابريل ١٩٣٦ ـ ٢٥ محرم ١٣٥٥

المصوّر

AL-MUSAWAR - Cairo, (Egypt) 17 April 1936



وابور الزلط محجوز !!





فلسفة الرحلات





زوجة عمر فتحي باشا



البحث عن الشوكة ... [illegible] ... الشوكة
[illegible] ... أحسن من الشوكة [illegible]



معركة ... زميلنا الأستاذ كامل الشناوي في معركة [illegible]
[illegible]



حرم محمد محمود خليل في احدى القاعات وإلى يساره زائرة من صديقاتها . وقد امتلأت القاعة باللوحات الفنية . ركن من أركان الدار التي جمعت فيها التحف واللوحات ويرى الزوجة الفرنسية - إلى اليسار - تستقبل بعض صديقاتها في أحد الصالونات

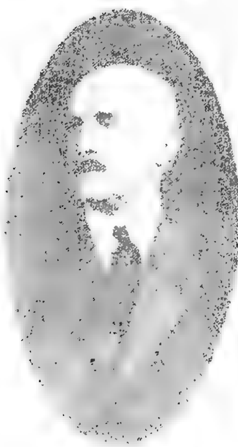


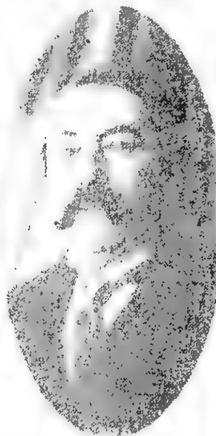
الاتحاد النسائي المصري


المصور
على قبر شوقي



الجيش المصري وضباط البوليس







الأمير فاروق في لندن



بدرس الجغرافيا



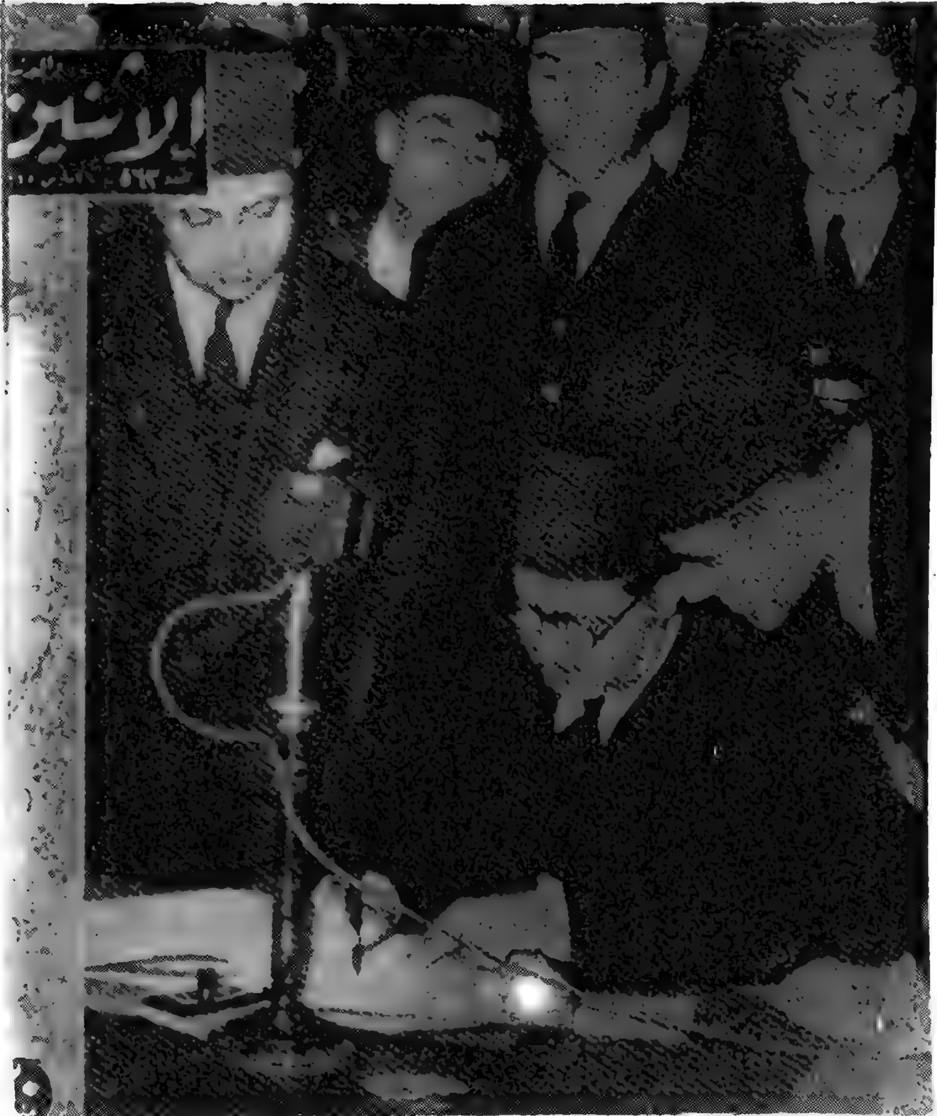


فوزية

امام

وسط الجماهير


المصور



النقراشي باشا يوقع ميثاق جامعة الدول لعربية .







صورتان تذكاريتان

نائب سعدي يكرم زعيم السعديين

المصور



اجتماع بطل العـــالم فى رفع الاثقال

المصور

AL-MUSAWAR • Cairo. 15 June 1928 • Vol IV • No. 192



[illegible] القطار إلى أوربا للاستشفاء



صورة المغفور له مصطفى باشا كامل فوق [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وزارة [illegible] الثانية عشرة

[illegible]

مصطفى [illegible] باشا [illegible]

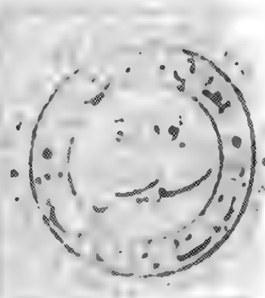
[illegible]

[illegible]

[illegible]









نجل الأميرة نسل شاه .

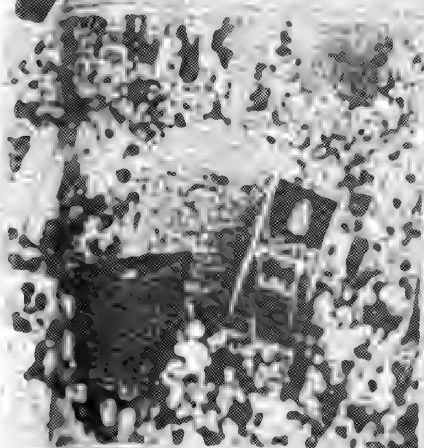


على ماهر فى لقاءات احزاب ما قبل الثورة والتى انتهت بوزارة المائة يوم .



المصور

صور الاسبوع







رئيس الديوان الملكي



عودة السفير البريطاني



حلف الوفد الثاني





وزير المواصلات المستقيل وخلفه

مجلس الوزراء أثناء انعقاده

هذه آخر صورة للوزارة الزيورية أثناء انعقادها في دار رياسة مجلس الوزراء (تصوير رولا)





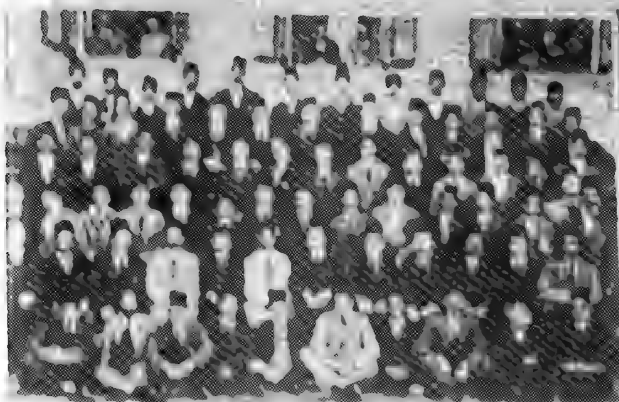






مدرسة التجارة ال...







تكريم المنتصرين





شاي الاميرين السعوديين





حفلة زفاف كريمة ابراهيم فرج باشا ـ جلس النحاس باشا بجوار سراج الدين باشا طوال الحفلة .. ولم يفترقا أبدا ... حتى حول مائدة الشاى !



فكرى أباظة باشا .



...ت النسائي العربي











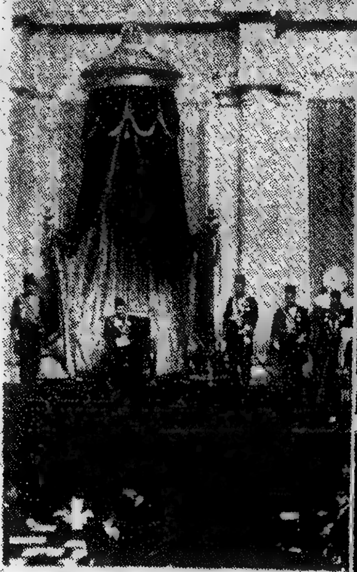
احاطت فتيات دار الحضانة بالأميرتين فائزة ونسل شاه . . وهاهما تضحكان من دعابة بريئة
جاءت على لسان احدى الفتيات . دار التربية والحضانة التابعة لجمعية المرأة الجديدة بمصر القديمة .



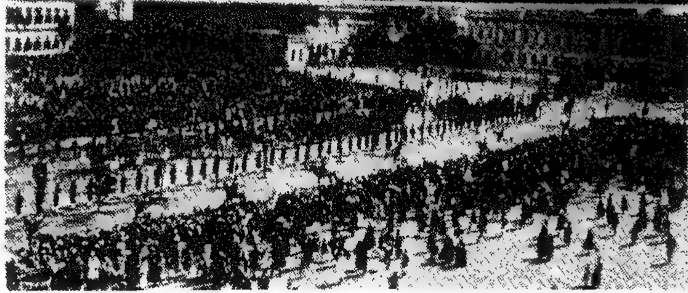
الملكة السابقة مع الملكة فريدة تصعد الدرج ، فى طريقها إلى الحجرة التى اتخذتها مرسما لها . . . انها تقول للمصور « كفاية صور » . . . ووراءها ظهرت بعض جوانب الردهة الداخلية بالقصر .







خطاب العرش



موكب ملكي



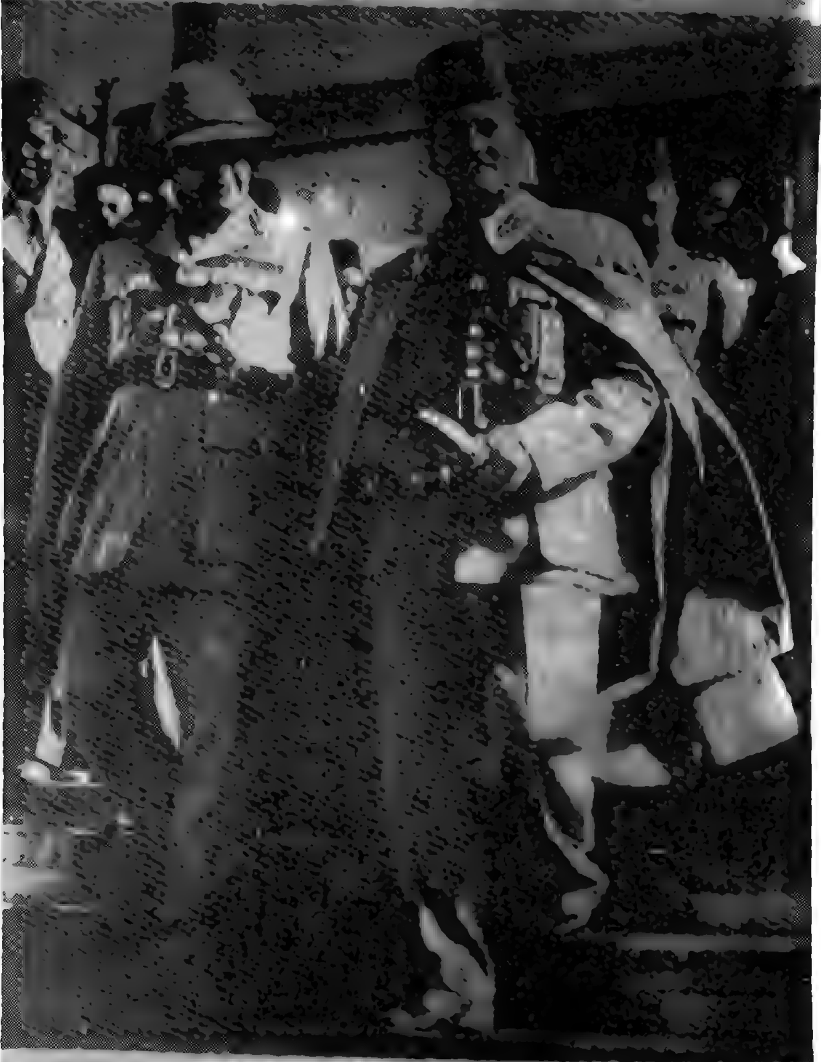
السيد البدراوى عاشور عقب مقابلة لمحمد نجيب وتبرعه بـ ١٠ آلاف جنيه .



صورة لكريمة معالى وزير الخارجية المصرية دولة عبد الفتاح يحيى باشا .



عقدت لجنة الحقانية بمجلس الشيوخ اجتماعا فى صباح ١٤ يوليو ١٩٣٧ لاستئناف درس
الوثائق الخاصة بمؤتمر مونترو لوضع تقريرها . لتقديمه إلى هيئة المجلس .

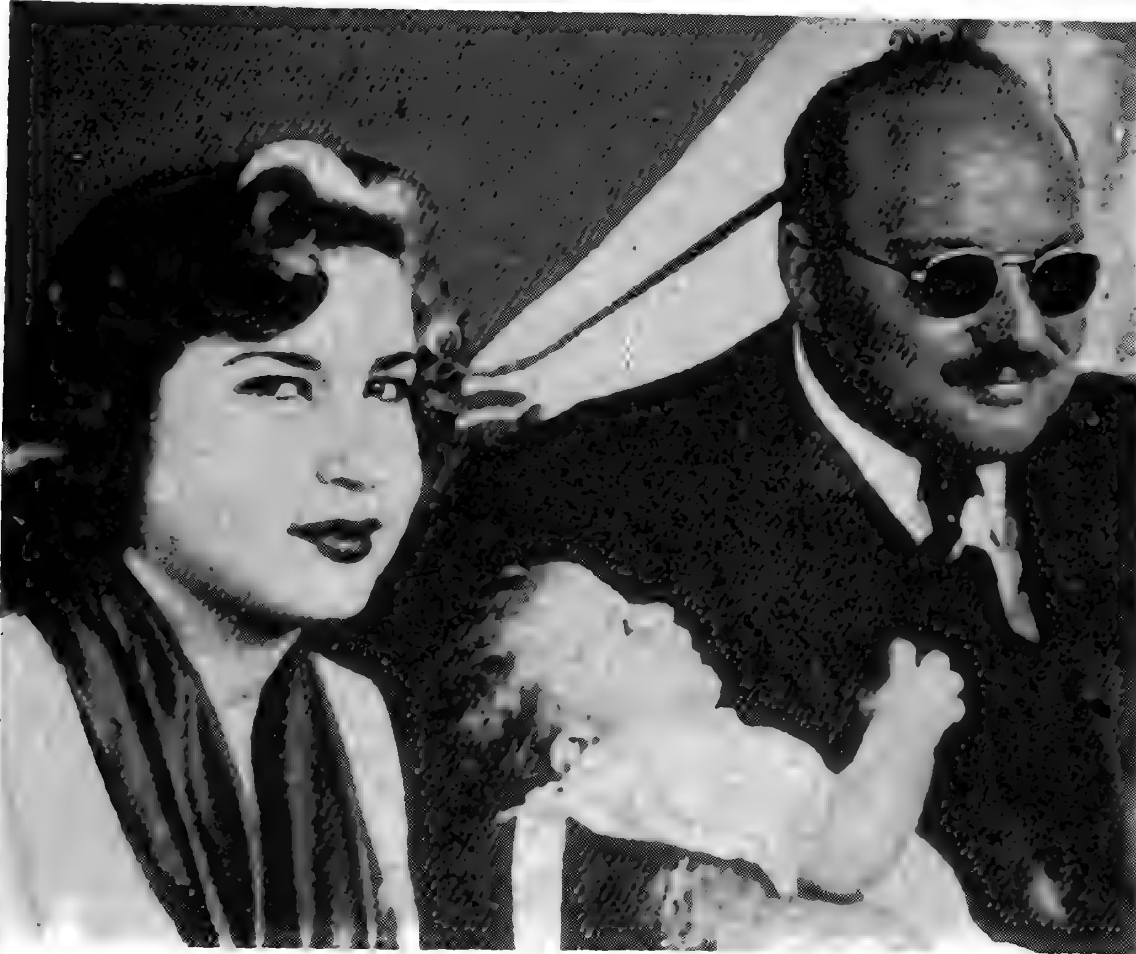


المصور

٤٠

المصور

AL-MUSAWAR



اسرة ملك مصر السابق فاروق فى كابرى . الملك الطفل : أحمد فؤاد يتوسط الملك السابق والملكة ناريمان فى جزيرة كابرى .



بعض المحامين فى قضية القنابل يوم السبت .
ابراهيم بك الهلباوى ـ مكرم عبيد ـ القرابلى باشا ـ الاستاذ صدقى المحامى .



عبد الحميد بدوي باشا .



أدباء العروبة : عقد « أدباء العروبة » مؤتمرا فى الزقازيق ، وآخر فى الفيوم ، وسيتصلون بالبلاد العربية لينشئوا لهم فروعا ونراهم فى الصورة وقد ظهر معالى ابراهيم دسوقى اباظة باشا الذى يشجع المشروع ويرعاه ويهتم به اهتماما بالغا . وهو صحفى قديم معروف باسم « الغزالى » وكاتب ، وشاعر من الطراز الأول .



علي ماهر باشا ومفتي فلسطين .

المصور

AL-MUSAWAR • Cairo 14 December 1928 • Vol. V No 210

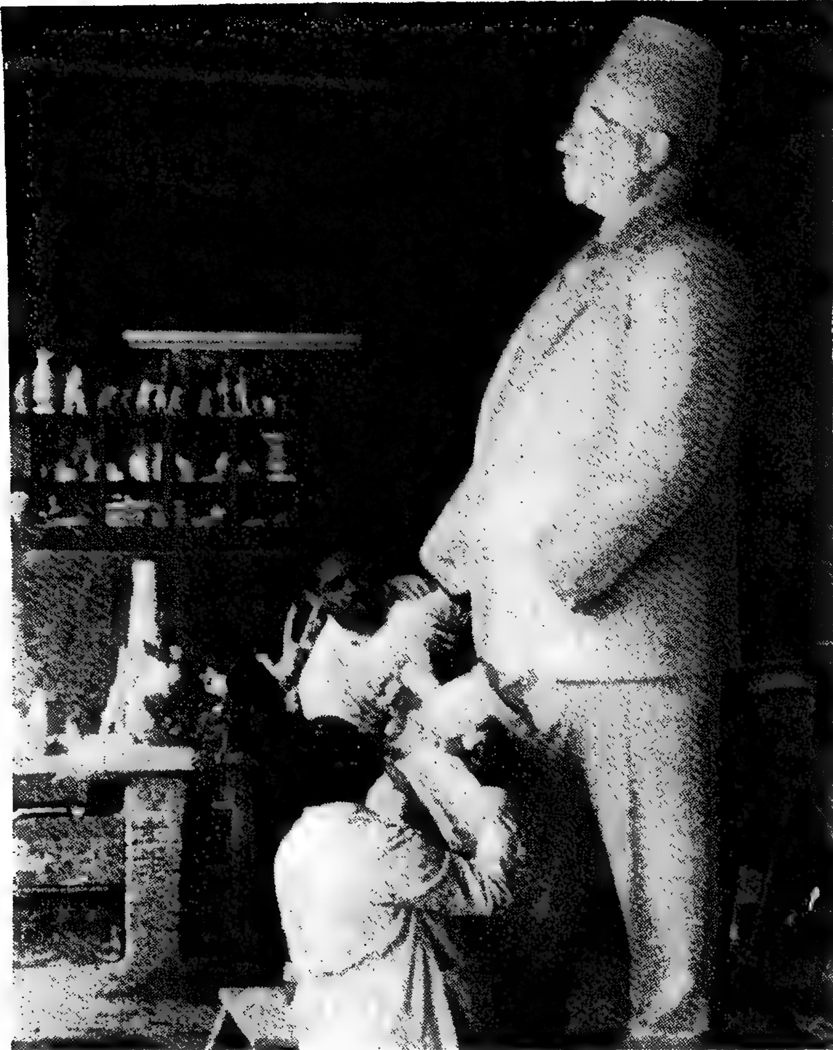
انتخاب بطريرك

في انتخاب البطريرك الجديد



عيد الفتـــاة المصرية

[illegible]



تمثال طلعت حرب للفنان فتحي محمود .



النائب العام محمود بك منصور .



شهداء عام ١٩٣٥ على طه عفيفى .


المصور


المصور
وفاة المغفور له السيد توفيق البكري



« عبد الحميد عنايت » أحد المتهمين باغتيال السير لى ستاك .

المصور

ثمن العدد في القطر المصري والسودان ١٠ مليمات

الاشتراك
في مصر : ٥٠ قرشاً
في الخارج : ١٠٠ قرش

زعماء الثورة في سوريا





زيد بك الاطرش

سلطان باشا الاطرش





احد قواد الثورة



احد قواد الثورة





جلالة الملك فى رحلة إلى الصين عند مغادرة خزان أسوان

المصور

منصبان دينيان خطيران يتقلدهما شيخان جليلان

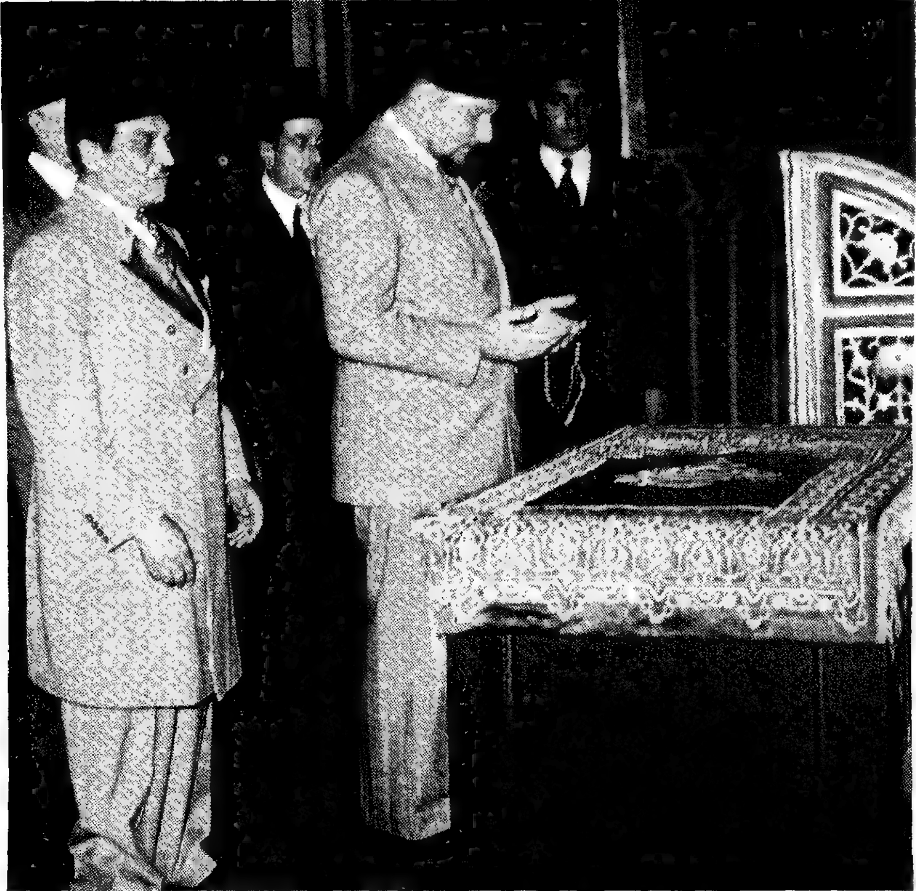
الاستاذ الاكبر

الى القراء صورة حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الازهر الجديد وقد ولد في ربيع الاول سنة ١٢٩٨ الهجرية ونال شهادة العالمية سنة ١٩٠٤ وعين قاضيا لمديرية [illegible] ثم نقل الى مديرية الخرطوم في [illegible] سنة ١٩٠٦ [illegible] رئيسا لمفتشي الدروس الدينية بوزارة الاوقاف وفي سنة ١٩٠٨ عين قاضي قضاة السودان وظل يشغل هذا المنصب الى [illegible] سنة ١٩١٩ [illegible] رئيسا للتفتيش [illegible] بوزارة الحقانية ثم عين رئيسا لمحكمة مصر الابتدائية الشرعية ثم عضوا بالمحكمة العليا ثم رئيسا لهذه المحكمة [illegible] وقد [illegible] في [illegible]

المفتي الجديد

الى [illegible] صورة حضرة صاحب الفضيلة الشيخ عبد المجيد سليم مفتي الديار المصرية الجديد وقد تخرج في الازهر الشريف سنة ١٩٠٨ [illegible] ثم عين قاضيا بالمحاكم الشرعية في سنة ١٩١٠ وفي سنة ١٩٢٦ [illegible] المحاكم الشرعية [illegible] رئيسا [illegible] وفي سنة ١٩٢٣ عين [illegible] لمحكمة مصر الابتدائية الشرعية [illegible] وفي [illegible] سنة ١٩٢٥ عين رئيسا لمحكمة مصر الابتدائية الشرعية وظل [illegible] هذا المنصب الى ان [illegible] الاختيار [illegible] منصب مفتي الديار المصرية [illegible] في المملكة المصرية





جلالة الملك يقرأ الفاتحة أمام ضريح السيد البدوى . هكذا قيل لفاروق أنه يستطيع أن يصبح خليفة المسلمين دون حاجة إلى الاعتماد على المشايخ أطلق لحيته ، وأمسك بالمسبحة فى يده . . . واتخذ سمات التقى الورع ولكن .



سيارة النبيل عباس حليم عند وصولها إلى الجامعة المصرية لزيارة النصب التذكارى للشهداء



وزارة محمود فهمى النقراشى الهيئة السياسية مجتمعة فى دار الوزارة فى بوكلى .





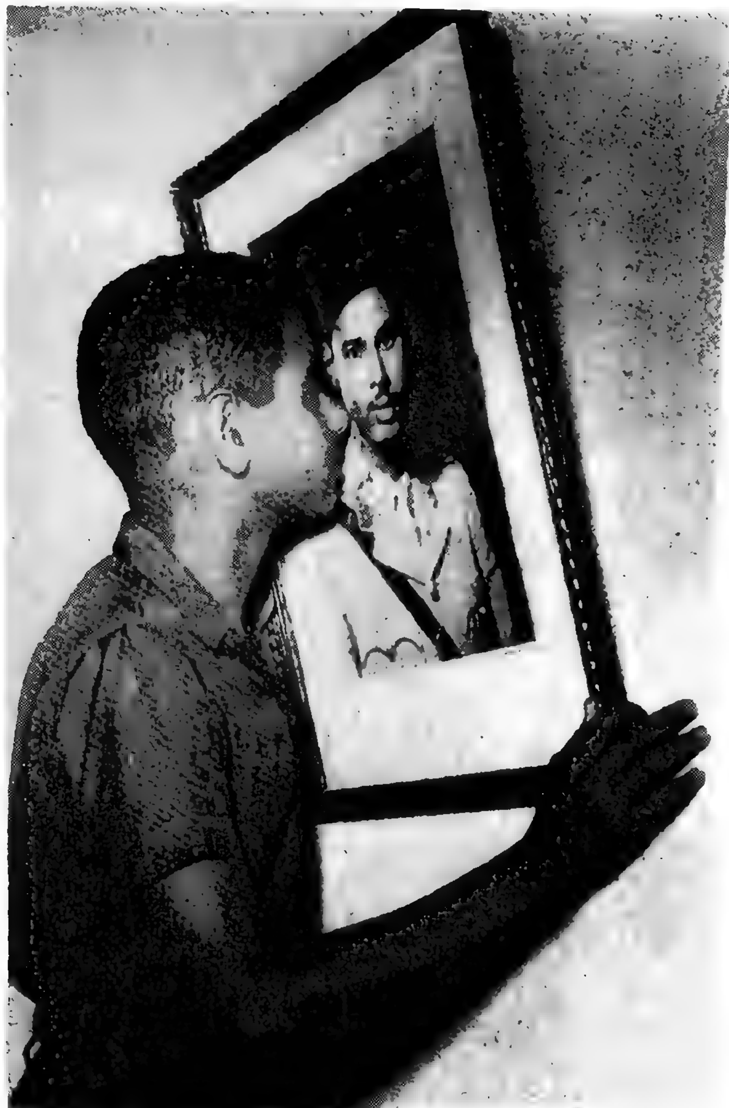
أحمد ماهر .. عمل للوطن حتى اللحظة الأخيرة



النحاس باشا في الأقصر وأسوان



جلالة الملك فاروق الأول يؤدى صلاة الجمعة فى الجامع الأزهر الشريف .



مع أولاد ضحايا حرب فلسطين .

المصوّر

صاحباه اميل وشكري زيدان

عنوان المكاتبة :

AL-MUSAWAR

الرئيس يتأمل ...



معرض اتحاد الفنون الجميلة .



لم يسمح لنا دولة سرى باشا بتصوير اجتماع المجلس . فطلبنا من الدكتور محمد هاشم ، وزير الدولة أن يتوسط لنا لدى دولته ليسمح لنا بالتصوير على اعتبار ان الوزارة جديدة ، وهذا الاجتماع أول اجتماعاتها ، فسمح ، ولكنه قال لنا و أنا ما عنديش وسايط . . المرة دى وبس . . ده أول وآخر استثناء اعمله » وما كدنا نلتقط صورتين ، أو ثلاثا ، حتى رفع يده وقال بلهجته الحازمة التقليدية : « بس . . متشكر . . اتفضلوا »

وزارة حسين سرى باشا .

المصور



هذا العدد

٢٤ صفحة



الاستاذ محمد محمود جلال يقدم سيجارة إلى أحد موظفي مطار راين . ماين عند وصوله إلى فرانكفورت بالمانيا .


المصور
١٣ نوفمبر



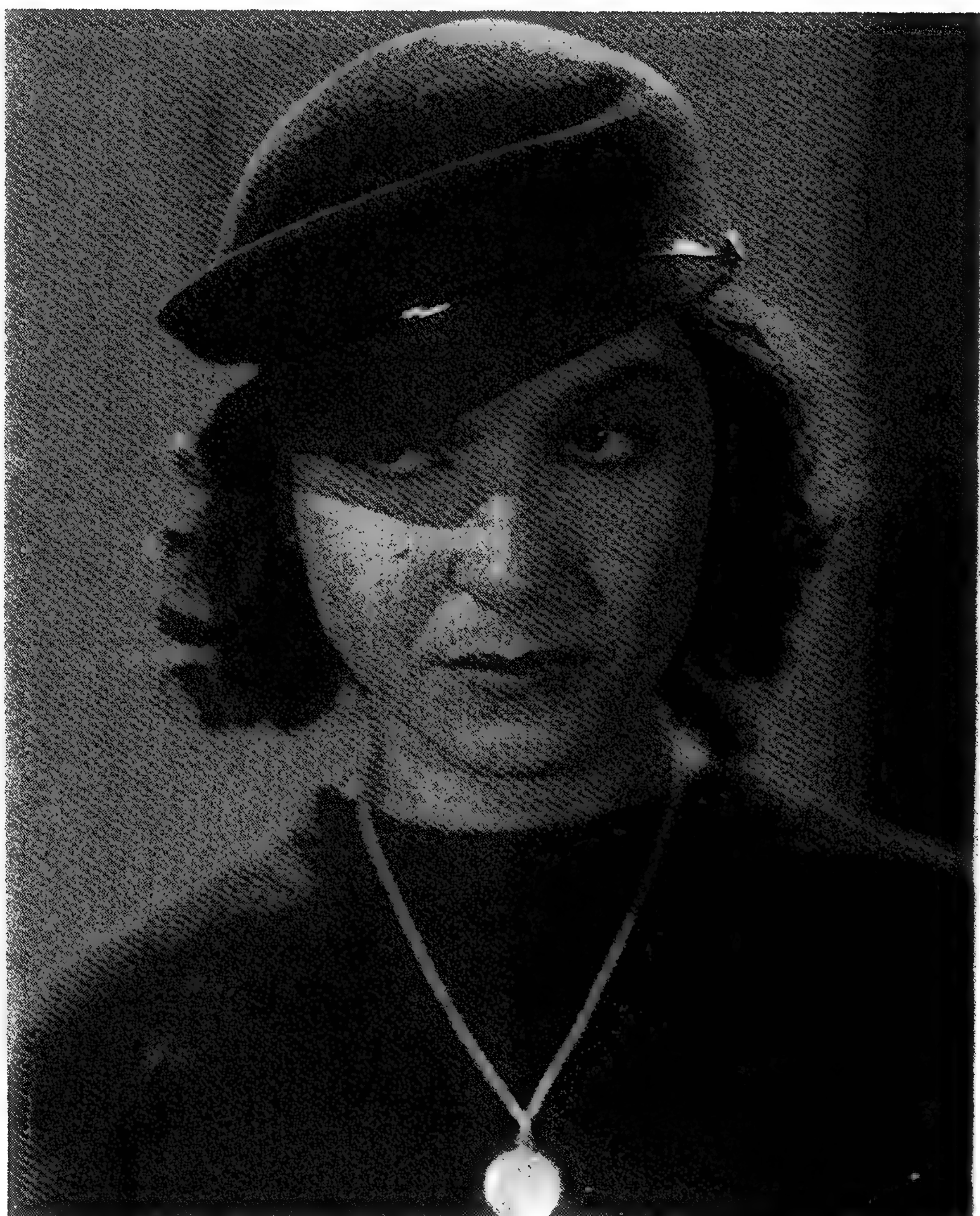
بعد عودة صدقى باشا من لندن ، وعلى الرغم من مرضه ، ونصيحة الأطباء له بالتزام الراحة التامة تراه مكبا على العمل وكتابة المذكرات فى مخدعه ، وقد اتخذ من كريمته أمينة هانم وقرينها عزيز أباظة باشا أمينين ومعاونين .



محطة قويسنا فى عودة جلالة الملك إلى العاصمة . حضرة صاحب العزة محمد السيد شاهين بك مدير المنوفية يهم بلثم يد جلالة الملك فى أثناء وقوف القطار الملكى فى محطة قويسنا وقد تعطف جلالته فابتسم .



المستشارين العسكرين من اليمن القائمقام حسين سرى عامر بك ، الامير الاى ابراهيم سعد المسيرى بك . . العمداء أحمد حمد بك باشا رئيس المستشارين . أمير الاى سعد الدين صبور بك .



فاطمة رشدى .



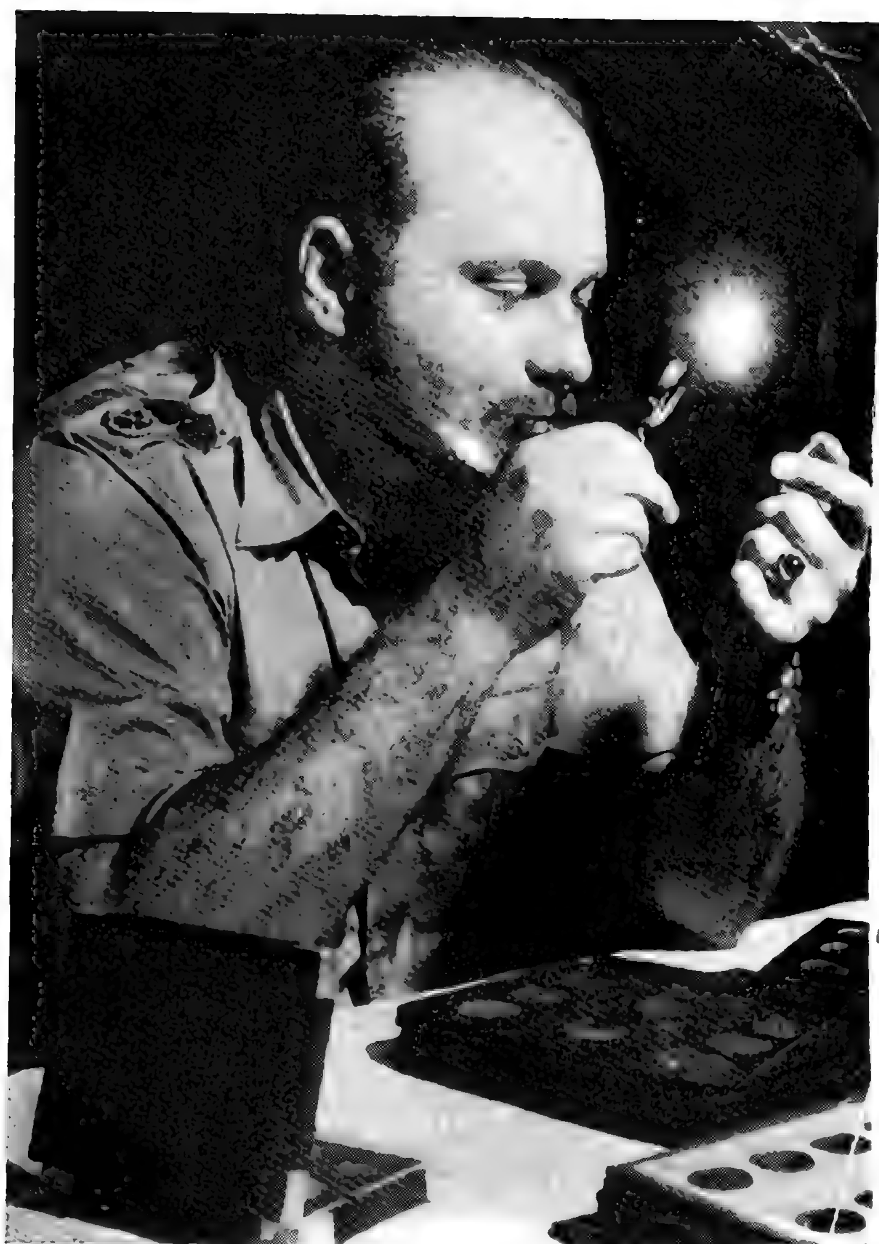
لفيف من المربيات الفاضلات حول السيدة الفاضلة أسماء فهمى .



عزيز المصرى باشا .



مع الملكة فريدة .





الملك فاروق حينما حاول أن ينسب نفسه إلى آل البيت ، وقد أطلق لحيته وأمسك بالمسبحة ،

رئاسة مجلس الوزراء

مكتب الرئيس

القاهرة في ٥ أغسطس سنة ١٩٤٢

مذكرة سرية شخصية

مرفوعة الى مقام حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم فاروق الأول حفظه الله.

وفد الى مصر يوم الاثنين الماضي ٣ أغسطس بصفة سرية محضة حضرة صاحب السعادة المستر تشرشل رئيس الوزارة البريطانية.

وقد دعاني لتناول الغذاء معه بدار السفارة البريطانية يوم الثلاثاء ٤ أغسطس

حاولت الاتصال بجلالتكم لأبلغكم ذلك فلم يتيسر لي.

ان الحديث على المائدة يدور على احوال مصر بوجه عام

يقول لي انه قادم بصفة سرية للنظر في الحالة الحربية القائمة على حدود مصر وانه كان لم يتحدث معي في شيء من ذلك.

علمت منه انه انتظر عودة جلالتكم الى القاهرة ليحظى بشرف المقابلة بصفة سرية ولهذا السبب لم يتوجه الى القصر العامر لقيد اسمه في سجل التشريفات. وقد اتصل سعادة السفير البريطاني بحضرة صاحب المعالي احمد حسانين باشا رئيس ديوان جلالتكم وأفضى اليه بذلك.

٢ - طُلب مني الأمس بصفة سرية استمرار وقف المواصلات من فلسطين على

مدة متبقية لهم ١٨ ساعة اخرى تنتهي في
صباح الجمعة المقبل . وقد نفذ ذلك فعلا

استقبلت في مساء السبت الماضي بالمنزل
عوائل الضباط السيد والحاج والسادة
عبد الغفور وعباس حلمي وسعد طاهر باشا
واتفقنا معهم على تفاصيل سفرهم الى المغرب
لدى اعادة الحكومة لهم باسترداد طلبات
المنشور اعادوا جميعه تقاريرهم
وتعهدنا لما تم الاتفاق عليه سابقا
باخبارهم صباح الاحد الماضي ووصلنا
الى الاستاذ الشيخ عبد الله حسب ما كان
بكل شيء معنا لاستقبالهم واقامتهم
وفي الفندق نفسه الذي نزلوا فيه في غاية الود
والمحبة
ويهمني ان اؤكد للاستاذ ان من الحديث معهم
مساء السبت اوضح لهم بكل صدق مشاعر الاحترام
وتقدير شأنهم وما كان من مواقف سعيكم
الكريم لانجاز هذا الامر معهم وانني
شخصيا قد بذلت جهدي بدون على
امكانياتكم فلم يستطع الكثير مما تم الاتفاق
والتفاهم معهم عليه

هذا ما هممت به اثناء للاستاذ
ويعطي ماجد وانني بانتظار على السؤال
المخلص المطيع الاخيه

الفهرس

الصفحة

الصفحة

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩١/٧٦٥١
ISBN — 977 — 01 — 2789 — 2

هذا هو الكتاب الرابع فى سلسلة كتب « سنوات ما قبل الثورة » ، التى تتناول تاريخ مصر الحديث من خلال رؤية صادقة ، ومعايشة حقيقية لكل ما دار فى الشارع السياسى المصرى ، وبخاصة منذ فترة الثلاثينات حتى قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

وتاريخ مصر هو تاريخ الوحدة الوطنية . وحدة المصريين جميعا بلا تعصب . وبلا تفرقة . وبلا اتاحة فرصة للأيدى العابثة . فقد أكد تاريخ مصر دائما أن ابناءها يقفون جميعا صفا واحدا أمام أى محاولة لاختراق الصفوف . وبخاصة اذا كانت محاولة الاختراق تأتى من خلال قوى خارجية . فهذه هى مصر تتصدى لكل المحاولات . وتمزق كل محاولة للفرقة . لأن مصر هى الكل الذى لا يتجزأ . والصف الذى لا يخترق . والضمير الذى لا يموت ولا يباع .

ان صبرى أبو المجد قد صاغ تاريخ مصر الحديث بضمير القاضى المحايد . رغم أنه قد عاش فى الشارع السياسى أكثر من خمسين عاما . وعاصر الأحداث . وعايش رجالات مصر فى فترة ما قبل الثورة . لكنه اختار أن يطرح عواطفه جانبا . وأن ينصف الموتى من الأحياء . وأن يؤكد جدارة أبناء مصر بأن ينتموا اليها . وأن يكتبوا صفحات جديدة ومشرقة فى تاريخها الوطنى .

وهذا الكتاب هو آخر صفحات الوطنية والجهاد التى سجلها بأمانة المؤرخ وضمير القاضى وانسانيته . قلم صبرى أبو المجد .

أحمد زكى عبد الحليم

٢٣٠٠ قرش

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب